صوت
(يَجْحَدْنَني دَيْنِي النهارَ وأقتضِي ... دَيْني إذا وَقَذَ النُّعاسُ الرُّقَّدَا)
(وأرى الغواني لا يُواصِلْنَ امرأً ... فَقَدَ الشبابَ وقد يَصِلْنَ الأمْرَدَا)
الشعر للأعشى
والغناء لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو
صوت
(أيَّةُ حالٍ ياابنَ رَامِينِ ... حالُ المُحِبِّينَ المَسَاكِينِ)
(تركتهم موتَى وما مُوِّتوا ... قد جُرِّعُوا منكَ الأمَرِّينِ)
(وسِرْتَ في رَكْبٍ على طِيَّةٍ ... رَكْبِ تَهَامٍ وَيَمَانِينِ)
(يا راعيَ الذَّوْدِ لقد رُعْتَهُمْ ... وَيْلَكَ من رَوْعِ المُحِبِّينِ)
الشعر لإسماعيل بن عمار الأسدي
والغناء لمحمد بن الأشعث بن فجوة الزهري الكوفي ولحنه خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي وأحمد بن المكي
نسب إسماعيل بن عمار وأخباره
هو إسماعيل بن عمار بن عيينة بن الطفيل بن جذيمة بن عمرو بن خلف بن زبان بن كعب بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة
أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش عن السكري عن ابن حبيب
وإسماعيل بن عمار شاعر مقل مخضرم من شعراء الدولتين الأموية والهاشمية
وكان ينزل الكوفة
قال ابن حبيب كان في الكوفة صاحب قيان يقال له ابن رامين قدمها من الحجاز فكان من يسمع الغناء ويشرب النبيذ يأتونه ويقيمون عنده مثل يحيى بن زياد الحارثي وشراعة بن الزندبوذ ومطيع بن إياس وعبد الله ابن العباس المفتون وعون العبادي الحيري ومحمد بن الأشعث الزهري المغني
وكان نازلا في بني أسد في جيران إسماعيل بن عمار فكان إسماعيل يغشاه ويشرب عنده
ثم انتقل من جواره إلى بني عائذ الله فكان إسماعيل يزوره هناك على مشقة لبعد ما بينهما
وكان لابن رامين جوار يقال لهن سلامة الزرقاء وسعدة وربيحة وكن من أحسن الناس غناء واشترى بعد ذلك محمد بن سليمان سلامة الزرقاء التي يقول فيها محمد بن الأشعث
(أمسى لِسَلاَّمَةَ الزرقاءِ في كَبِدِي ... صَدْعٌ مُقِيمٌ طَوَالَ الدَّهرِ والأبَدِ)
(لا يستطيعُ صَنَاعُ القومِ يَشْعَبُه ... وكيف يُشْعَبُ صَدْعُ الحُبِّ في كبِدِ)
تشبيبه بجواري ابن رامين
وفي جواريه يقول إسماعيل بن عمار
(هَلْ مِنْ شِفَاءٍ لِقلبٍ لَجَّ محزونِ ... صَبَا وصَبَّ إلى رِئْمِ ابن رامينِ)
(إلى رُبَيْحَةَ إنَّ اللَّه فَضَّلها ... بحسْنِها وسَماعٍ ذي أفانينِ)
(وهاجَ قلبيَ منها مَضْحَكٌ حسنٌ ... ولَثْغةٌ بعدُ في رَايٍ وفي سِينِ)
(نَفْسِي تَأبَّى لكمْ إلاَّ طَوَاعِيةً ... وأنتِ تأبَيْنَ لُؤماً أنْ تُطيعيني)
(وتلكَ قِسْمَةُ ضِيزَى قد سمعتِ بها ... وأنتِ تَتْلِينَها ما ذاكَ في الدِّينِ)
(إنْ تُسْعِفِيني بذاك الشيء أرضَ به ... وإنْ ضَنَنْتِ به عنِّي فَزِنِّيني)
(أنتِ الطبيبُ لداءٍ قد تلبَّسَ بي ... من الجَوَى فانْفُثِي في فيَّ وارْقِيني)
(نَعَمْ شِفَاؤكِ منها أن تقولَ لها ... أضْنَيْتَنِي يوم دَيْرِ اللُّجِ فاشْفِيني)
(يا ربِّ إنَّ ابنَ رَامِينٍ له بَقَرٌ ... عِينٌ وليس لنا غيرُ البراذِينِ)
(لو شئتَ أعطيتَه مالاً على قَدَرٍ ... يرضَى به منكَ غيرَ الرُّبْرُبِ العِينِ)
(لا أُنْسَ سَعْدَةَ والزَّرْقَاءَ يومَ هُمَا ... باللُّجِّ شَرْقِيَّةً وفوق الدَّكاكينِ)
(يُغَنِّيانِ ابنَ رامينٍ على طَرَبٍ ... بالمِسْجَحِيِّ وتشبيبِ المحِبِّينِ)
(أذاكَ أنْعَمُ أم يومٌ ظَلِلتُ به ... فِرَاشِيَ الوِرْدُ في بُسْتانِ شُورِينِ)
(يَشْوِي لنا الشيخُ شُورِينٌ دَوَاجِنَه ... بالجَرْدَناجِ وسحّاج الشقابينِ)
(نُسقَى طِلاءً لِعِمْرانٍ يُعَتِّقُه ... يَمْشِي الأصِحَّاءُ منه كالمجانينِ)
(يُزِلُّ أقدامنا من بعد صِحَّتِها ... كأنَّها ثِقَلاً يُقْلَعْنَ من طِينِ)
(نمشِي وأرجلُنا مطويَّةٌ شَلَلاً ... مَشْيَ الإوَزِّ التي تأتي من الصِينِ)
(أو مَشْيَ عُمْيانِ دَيْرٍ لا دليلَ لهم ... سِوَى العِصِيِّ إلى يومِ السَّعانينِ)
(في فِتيةٍ من بني تَيْمٍ لهوتُ بهم ... تَيمِ بن مُرَّةَ لا تَيمِ العَدِيِّينِ)
(حُمْرُ الوُجوهِ كأنّا من تَحَشُّمنا ... حسناءُ شمطاء وافتْ من فِلَسْطِينِ)
(ما عائذ اللَّهِ لولا أنتِ من شجَنِي ... ولا ابنُ رامينَ لولا ما يُمَنِّيني)
(في عائذِ اللَّه بيتٌ ما مررتُ به ... إلاَّ وجِئْتُ على قلبي بِسِكينِ)
(يا سَعْدَةُ القَيْنَةُ الخضراءُ أنتِ لنا ... أُنْسٌ لأنّكِ في دارِ ابن رامينِ)
(ما كنتُ أحْسِبُ أنّ الأُسْدَ تُؤْنِسني ... حتى رأيتُ إليكِ القلبَ يدعوني)
(لولا رُبَيْحَةُ ما استأنستُ ما عَمِدتْ ... نفسي إليك ولو مُثِّلتِ من طين)
محمد بن سليمان اشترى سلامة الزرقاء بمائة ألف درهم
قال وحج ابن رامين وحج بجواريه معه وكان محمد بن سليمان إذ ذاك على الحجاز فاشترى منه سلامة الزرقاء بمائة ألف درهم
فقال إسماعيل بن عمار

(أيّةُ حالٍ يا ابنَ رَامينٍ ... حالُ المُحِبِّين المساكِين)
(تركتَهم مَوْتى وما مُوِّتوا ... قد جُرِّعوا منك الأَمَرَّين)
(وسِرْتَ في ركبٍ على طِيَّةٍ ... رَكْبٍ تَهامٍ ويَمَانين)
(حجَجْتَ بيتَ اللّه تبغي به البِرَّ ... ولم تَرْثِ لمحزونِ)
(يا راعيَ الذَّوْدِ لقد رُعْتَهُمْ ... وَيْلَكَ من رَوْعِ المُحِبِّين)
(فرّقتَ قوماً لا يُرى مِثْلُهم ... ما بين كُوفانٍ إلى الصِّين)
رثاؤه لابن له مات
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا السكري عن محمد قال
كان لإسماعيل بن عمار ابن يقال له معن فمات فقال يرثيه
(يا مَوْتُ ما لكَ مُولَعاً بِضِرارِي ... إنّي عليكَ وإنْ صَبَرْتُ لزاري)
(تعدو عليّ كأنّني لك واترٌ ... وأؤول منكَ كما يؤولُ فِرارِي)
(نَفْسَ البعيدِ إذا أردتَ قريبةٌ ... ليستْ بناجيةٍ مع الأقدارِ)
(والمرءُ سوف وإنْ تطاولَ عُمْرُه ... يوماً يصيرُ لحُفْرَةِ الحَفَّارِ)
(لَمّا غَلاَ عَظمٌ به فكأنّه ... من حسنِ بِنيتِه قَضِيبُ نُضَارِ)
(فجّعتني بأعَزِّ أهلي كُلِّهم ... تعدو عليه عَدْوَةَ الجبَّارِ)
(هَلاَّ بنفسي أو ببعض قَرابتي ... أوقعتَ أوْ ما كنتَ للمُختارِ)
(وتركتَ ربتي التي مِنْ أجلِها ... عِفْتُ الجِهادَ وصِرْتُ في الأمصارِ)
رفض العمل عندما رأى العمال يعذبون
أخبرني علي بن سليمان قال حدثني السكري عن محمد بن حبيب قال قال رجل من بني أسد كان وجها لإسماعيل بن عمار هلم أركب معك إلى يوسف بن عمر فإنه صديق حتى أكلمه فيك يستعملك على عمل تنتفع به
فقال له إسماعيل دعني حتى يحول الحول
فنظر إسماعيل إلى عمال يوسف يعذبون فقال في ذلك
(رأيتُ صَيحةَ النَّيْروزِ أمراً ... فظيعاً عن إمارتهم نَهاني)
(فَرِرتُ من العِمالةِ بعد يَحْيَى ... وبعد النَّهْشَليِّ أبي أبَانِ)
(وبعد الزورِ وابنِ أبي كَثِيرٍ ... وفيقدِ أشجَعٍ وأبي بِطَانِ)
(فحابِ بِها أبا عُثْمانَ غيري ... فما شأنُ الإمارةِ لي بشانِ)
(أُحاذِرُ أنْ أُقصِّرَ في خَراجي ... إلى النَّيْروزِ أو في المِهْرجانِ)
(أُعجِّلُ إنْ أتى أجلي بوقتٍ ... وحسبي بالمُجرِّحةِ المِتانِ)
(فما عُذْري إذا عَرّضتُ ظهري ... لألفٍ من سِياطِ الشَّاهِجانِ)
(تُعَدُّ ليوسفٍ عدًّا صحيحاً ... ويحفظها عليه الجالدانِ)
(وأُسْحَبُ في سَراويلي بقَيْدِي ... إلى حَسّانَ مُعْتَقَلَ اللّسانِ)
(فمنهم قائلٌ بُعْداً وسُحْقاً ... ومنهم آخَرَانِ يُفَدِّيانِ)
(كفاني من إمارتهم عَطَائي ... وما أُحْذِيتُ من سَبَقِ الرِّهانِ)
(كفاني ذاكَ منهم ما بَقِينا ... كما فيما مَضَى لي قد كفاني)
وقال ابن حبيب في الإسناد الذي ذكرناه إنه كانت لعبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاصي وصيفة مغنية يؤدبها ويصنعها ليهديها إلى هشام بن عبد الملك يقال لها بوبة
فقال فيها إسماعيل بن عمار
(بُوبَ حُيِّيتِ عن جليسِكِ بُوبَا ... مُخطئاً في تحيِّتي أو مصيبا)
(ما رأينا قتيلَ حيٍّ حبا القاتلَ ... بالوِتْرِ أنْ يكونَ حبيبا)
(غيرَ ما قد رُزِقت يا بُوبَ منّي ... فهنيئاً وإنْ أتيتِ عجيبا)
(غيرَ مَنٍّ به عليكِ وإنْ كُنْتُ ... بقَدْرِ القِيَانِ طَبًّا طبيبا)
(بنتَ عَشْرٍ أديبةٌ في قُرَيْشٍ ... بَخْ فأكْرِمْ بهم أباً ونَسِيبا)
(أُدِّبتْ في بني أميّةَ حتّى ... كَمَلتْ في حُجورهم تأديبا
قال ثم أهداها ابن عنبسة إلى هشام
فقال إسماعيل بن عمار
(ألاَ حُيِّيتِ عنّا ثُمّ ... سقْياً لكِ يا بُوبَه)
(وأكْرِمْ بكِ مُهْداةً ... وأحْبِبْ بِك مطلوبه)
(وواهاً لكِ مِن بِكْرٍ ... وواهاً لكِ مثقوبه)
(وواهاً لك مُلْقاةً ... وواهاً لك مكبوبه)
(لقد عايَنَ مَنْ يَلْقاكِ ... من حُسْنِكِ أعجوبه)
(ويا وَيْلِي ويا عَوْلي ... فنَفْسِي الدَّهْرَ مكروبه)
(على هَيفاءَ حَوراءَ ... على جَيداءَ رُعْبوبه)
(إذا ضاجَعها المَوْلَى ... فقد أدرَكَ محبوبه)
هجاؤه لجارية له
قال ابن حبيب في هذه الرواية كان لإسماعيل بن عمار جارية قد ولدت منه وكانت سيئة الخلق قبيحة المنظر وكان يبغضها وتبغضه فقال فيها
(بُلِيتُ بزمَّرْدَةٍ كالعَصَا ... أَلَصَّ وأخبثَ من كُنْدُشِ)
(تُحِبّ النساءَ وتأبَى الرجالَ ... وتمشي مع الأسْفَهِ الأطْيشِ)
(لها وجهُ قِرْدٍ إذا ازَّيَّنتْ ... ولونٌ كبَيْضِ القَطَا الأبْرَشِ)

((ومِن فوقِهِ لِمَّةٌ جَثْلَةٌ ... كمثل الخوافِي مِنَ المَرْعَش
(وبطنٌ خَوَاصِرُه كالوِطَاب ... زادَ على كَرِش الأكْرَشِ)
(وإنْ نَكَهتْ كِدتُ من نَتْنِها ... أخِرُّ على جانِبِ المَفْرَش)
(وثَدْيٌ تدلَّى على بطنِها ... كقِرْبَةِ ذي الثَّلَّةِ المُعْطِشِ)
(وفَخْذانِ بينهما بَسْطةٌ ... إذا ما مشت مِشيَةَ المُنْتَشِي)
(وساقٌ يُخَلْخِلُها خاتمٌ ... كساقِ الدَّجاجةِ أو أحمشُ)
(وفي كلِّ ضِرْسٍ لها أكْلَةٌ ... أصَلُّ مِن القبر ذي المَنْبَش)
(ولمّا رأيتُ خَوَا أنفها ... وفِيها وإصْلاَكَ ما تحتشِي)
(إلى ضامرٍ مثلِ ظِلْفِ الغَزَالِ ... أشدَّ اصفراراً من المِشْمِشْ)
(فَرَرتُ من البيتِ من أجلِها ... فِرارَ الهَجِينِ من الأعمش)
(وأبردُ من ثَلْج ساتِيدَمَا ... إذا راح كالعُطْبِ المُنْفَش)
((وأرسَحُ من ضِفْدَعٍ عثّةٍ ... تَنِقُّ على الشَّطِّ من مَرْعَش
(وأوْسَعُ من باب جِسْرِ الأمير ... تَمرُّ المَحَامِلَ لم تَخْدِش)
(فهذي صِفاتِي فلا تأتِها ... فقد قلتُ طَرْداً لها كَشْكِشِي)
وقال ابن حبيب كان في جوار إسماعيل بن عمار رجل من قومه ينهاه عن السكر وهجاء الناس ويعذله وكان إسماعيل له مغضبا
فبنى ذلك الرجل مسجدا يلاصق دار إسماعيل وحسنه وشيده وكان يجلس فيه هو وقومه وذوو التستر والصلاح منهم عامة نهارهم فلا يقدر إسماعيل أن يشرب في داره ولا يدخل إليه أحد ممن كان يألفه من مغن أو مغنية أو غيرهما من أهل الريبة
فقال اسماعيل يهجوه وكان الرجل يتولى شيئا من الوقوف للقاضي بالكوفة
(بَنَى مسجداً بُنْيانُه من خِيانةٍ ... لَعَمْري لَقِدْماً كنتَ غيرَ مُوَفَّقِ)
(كصاحبةِ الرُّمّان لمَّا تَصَدَّقتْ ... جرَتْ مَثَلاً للخائن المتصدِّقِ)
(يقولُ لها أهلُ الصَّلاح نصيحةً ... لكِ الوَيْلُ لا تَزْني ولا تَتَصَدَّقي)
وقال ابن حبيب ولي العسس رجل غاضري فأخذ بني مالك وهم رهط إسماعيل بن عمار بان كانوا معه فطافوا الى الغداة فلما أصبح غدا على الوالي مستعديا على الغاضري
فقال له الوالي وكان رجلا من همدان ماذا صنع بك فأنشأ يقول
(عَسَّ بنا ليلتَه كُلَّها ... ما نحن في دُنْيا ولا آخِرَهْ)
((يأمرُ أشياخَ بني مالكٍ ... أن يحرُسوا دون بني غاضِرَهْ
(واللَّهُ لا يرضَى بذا كائناً ... من حُكْم هَمْدَانَ إلى الساهره)
قال فقال له الوالي قد لعمري صدقت ووظف على سائر البطون أن يطوفوا مع صاحب العسس في عشائرهم ولا يتجاوزوا قبيلة إلى قبيلة ويكون ذلك بنوائب بينهم
انقطع إلى خالد بن خالد بن الوليد ورثاه حين مات
وقال ابن حبيب كان اسماعيل بن عمار منقطعا إلى خالد بن خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط وكان إليه محسنا وكان ينادمه
فولي خالد بن خالد عملا للوليد بن يزيد بن عبد الملك فخرج إليه وكان إسماعيل عليلا فتأخر عنه ثم لم يلبث خالد أن مات في عمله فورد نعيه الكوفة في يوم فطر
فقال إسماعيل بن عمارٍ يرثيه
(ما لِعَيْنِي تَفِيضُ غيرَ جمُودِ ... ليس تَرْقَا ولا لها من هُجودِ)
(فإذا قَرَّتِ العيونُ استَهلَّتْ ... فإذا نِمْنَ أُولعتْ بالسُّهود)
(ألِنَعْيِ ابنِ خالدٍ خالدِ الخَيْرات ... في يومِ زينةٍ مشهود)
(سَنَحتْ لي يومَ الخميسِ غداةَ الفِطْرِ ... طيرٌ بالنَّحْس لا بالسُّعود)
(فتعيَّفتُ أنّهنّ لأمرٍ ... مُفْظِعٍ مّا جَرَيْنَ في يومِ عيدِ)
(فنعتْ خالدَ بنَ أرْوَى وجَلَّ الخطبُ ... فِقْدانُ خالدِ بن الوليدِ)
حبسه السلطان عندما وشي به
وقال ابن حبيب كان لإسماعيل بن عمار جار يقال له عثمان بن درباس فكان يؤذيه ويسعى به الى السلطان في كل حال ثم سعى به أنه يذهب مذهب الشراة فأخذ وحبس فقال يهجوه
(مَنْ كان يحسُدني جاري ويَغْبِطني ... مِنَ الأنامِ بعثمانَ بنِ دِرْباسِ)
(فقرَّبَ اللَّه منه مثلَه أبداً ... جاراً وأبْعَدَ منه صالحَ النّاسِ)
(جارٌ له بابُ ساجٍ مُغْلَقٌ أبداً ... عليه من داخلٍ حُرَّاسُ أحْراسِ)
(عَبْدٌ وعبدٌ وبنتاه وخادِمه ... يدعُون مثلَهُم ما ليس من ناسِ)
(صُفْرُ الوجوهِ كأنَّ السُّلَّ خَامَرَهُمْ ... وما بهم غيرَ جَهْدِ الجوعِ من باس)
(له بَنُون كأطْباءٍ مُعَلَّقةٍ ... في بطن خِنزيرةٍ في دار كَنَّاس)
(إن يُفْتَح البابُ عنهم بعد عاشرةٍ ... تظنُّهم خرجوا من قَعْرِ أرماس)
(فليتَ دارَ ابنِ دِرْباسٍ مُعَلَّقَةٌ ... بالنَّجْمِ بين سَلاَليم وأمْراس)
(فكان آخِرَ عَهْدي منهمُ أبداً ... وابتعتُ داراً بغِلْماني وأفْراسي)
قال وقال فيه أيضا
(لَيْتَ بِرْذَوْني وبَغْلي ... وَجَوَادي وَحِمَاري)
(كُنَّ في الناس وأبْدِلتُ ... غداً جاراً بجار)
((جارَ صِدْقٍ بابنِ دِرْباسٍ ... وإلاّ بِعتُ داري

(فَتَبَدّلتُ به مِنْ ... يَمَنٍ أو مِن نِزَارِ)
(بَدَلاً يَعْرِفُ ما اللّهُ ... وما حَقُّ الجِوَارِ)
(لو تَبَدّلتُ سِواهُ ... طاب ليلي وَنهاري)
(واسْتَرَحْنا من بَلاَيَاهُ ... صغارٍ أو كِبارِ)
(لو جزيناهُ بها كُنّا ... جميعاً في فَجَارِ)
(أو سكتْنا كان ذُلاً ... داخلاً تحت الشِّعارِ)
قال فلما قال فيه الشعر استعدى عليه السلطان وذكر أنه من الشراة وأنهم مجتمعون عنده وأنه من دعاة عبد الله بن يحيى وأبي حمزة المختار
فكتب من السجن إلى ابن أخ له يقال له معان
(أبْلِغْ مُعَاناً عنِّي وإخوتَه ... قولاً وما عالِمٌ كَمَنْ جَهِلاَ)
(بأنّني والمُصَبِّحات مِنىً ... يعدُون طَوْراً وتارةً رَمَلاَ)
(لخَائفٌ أنْ يكونَ وُدُّكُمُ ... إيَّايَ بعد الصفاء قد أفَلاَ)
((أئنْ عَرَاني دَهْري بنائبةٍ ... أصبحَ منها الفؤادُ مشتعلا)
(حاولتُم الصُّرْمَ أوْ لَعَلّكُمُ ... ظَننتمُ ما أصابني جَلَلا)
(لا تُغْفِلونا بني أخي فلقدْ ... أصبحتُ لا أبتغي بكم بَدَلاَ)
(تمسّكوا بالّذي امتسكتُ به ... فإنّ خيرَ الإخوانِ مَنْ وَصَلا)
قال فكتب إليه ابن أخيه
(يا عَمِّ عُوفيتَ من عذابِهِمُ النُّكْرِ ... وفارقتَ سِجْنَهم عَجِلاَ)
(كتبتَ تشكو بني أخيك وقد ... أرسلَ من كان قبلَنا مَثَلاَ)
(ابْدَأْهُمُ بالصُّرَاخِ يَنْهَزِموا ... فأنت يا عَمِّ تبتغِي العِللا)
(زعمتَ أنّا نرى بلاءَك في ... دارِ بلاءٍ مُكَبَّلاً جَلَلاَ)
(يا عَمِّ بئس الفِتْيانُ نحن إذاً ... أمَّا وفي رِجْلك الكُبُولُ فَلاَ)
(عليَّ إنْ كنتَ صادقاً حِجَجٌ ... للبيتِ عامَيْنِ حافياً رَجِلاَ)
(بُعِّدَ عنكَ الهمومُ فارْجُ من اللّهِ ... خَلاَصاً وأحْسِنِ الأمَلاَ)
شعره في الحكم بن الصلت بعد ان اطلقه من السجن
قال ثم ولي الحكم بن الصلت فأطلقه وأحسن إليه فلم يزل يشكره ويمدحه
ثم عزل الحكم بعد ذلك فقال إسماعيل فيه
(تباركَ اللّهُ كيف أوْحشتِ الكوفةُ ... أنْ لم يَكُنْ بها الحَكَمُ)
(الحَكَمُ العَدْلُ في رعيّتِهِ الكاملُ ... فيه العفافُ والفَهَمُ)
((فأصبح القصرُ والسَّرِيرانِ والمِنبَرُ ... كالكلِ من أبٍ يتمُ)
(يُذْري عليه السريرُ عَبْرَته ... والمِبْتَرُ المَشْرَفيُّ يَلتدِمُ)
(والناسُ مِن حُسْنِ سِيرةِ الْحَكَم بن ... الصَّلْتِ يبكون كلَّما ظُلِموا)
(مثلُ السّكَارَى في فَرْطِ وَجْدِهِمُ ... إلاّ عَدُوّاً عليه يُتَّهَمُ)
(يومَ جَرَى طائرُ النُّحوسِ لهم ... يُنْزَعُ منه القِرْطاسُ والقَلَمُ)
(فأرغمَ اللّهُ حاسِدِيه كما ... أرغمَ هُودَ القُرودِ إذ رَغِموا)
(في سَبْتِهِم يوم نابَ خَطْبُهُم ... واللّهُ ممّنْ عصاهُ ينتقمُ)
(إنا إلى اللّه راجِعون أمَا ... لِلنّاسِ عهدٌ يُوفَى ولا ذِمَمُ)
(حَوْلٌ علينا وليلتانِ لنا ... من لَذّةِ العيش بئسَما حكَموا)
(لا حُكْمَ إلاَّ للّه يُظْهِرُه ... يَقْضِي لِضيزَائها الّتي قَسَموا)
(ماذا تُرَجِّي من عَيْشِها مُضَرٌ ... إنْ كان من شأنِها الّذي زعموا)
وقال ابن حبيب سمع اسماعيل بن عمار رجلا ينشد أبياتا للفرزدق يهجو بها عمر بن هبيرة الفزاري لما ولي العراق ويعجب من ولايته إياها وكان خالد القسري قد ولي في تلك الأيام العراق فقال إسماعيل أعجب والله مما عجب منه الفرزدق من ولاية ابن هبيرة وهو ما لست أراه يعجب منه ولاية خالد القسري وهو مخنث دعي ابن دعي ثم قال
((عَجِبَ الفرزدقُ من فَزارَةَ أنْ رأى ... عنها أُمَيّةَ بالمَشارِقِ تَنْزِعُ)
(فلقدْ رأى عَجَباً وأُحْدِثَ بعده ... أمرٌ تطيرُ له القلوبُ وتفزَعُ)
(بَكَتِ المنابرُ مِن فَزارَةَ شَجْوَها ... فالآنَ من قَسْرٍ تضِجُ وتجزَعُ)
(فملوكُ خِنْدِفَ أضْرَعونا للعِدا ... لِلّهِ دَرُّ مُلوكِنا ما تَصْنَعُ)
(كانوا كقاذفةٍ بَنِيها ضَلّةً ... سَفَهاً وغيرُهُمُ تُرَبُّ وتُرْضِعُ)
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا عبد الله بن سعيد بن أسيد العامري قال حدثني محمد بن أنس الأسدي قال
جلست إلى إسماعيل بن عمار وإذا هو يفتل أصابعه متأسفا فقلت علام هذا التأسف والتلهف فقال
(عيناي مشؤومتان ويْحهما ... والقلبُ حرّانُ مُبْتَلىً بهما)
(عرّفتاه الهَوَى لِظُلْمِهما ... يا ليتَني قبلَ ذا عَدِمْتُهما)
(هُمَا إلى الحَيْنِ دَلّتَا وهما ... ذَلّ عليّ مَنْ أُحِبُّ دَمْعُهما)
(سأعْذِرُ القلبَ في هواه وما ... سبّبَ كلَّ البَلاَءِ غيرُهما)
صوت
(فكَعْبَةُ نَجْرَانَ حَتْمٌ عليكِ ... حتّى تُنَاخِي بأبوابِها)
(نَزورُ يزيدَ وعبدَ المَسيحِ ... وَقَيْساً همُ خيرُ أربابِها)
(وشَاهِدُنا الجُلُّ واليَاسَمِينُ ... والمُسْمِعاتُ بقُصَّابِها)

(وبَرْبَطُنا دائمٌ مُعْمَلٌ ... فأيُّ الثلاثةِ أزْرَى بها)
(إذا الحَبَرات ناحت بهم ... وجَرُّوا أسافِلَ هُدّابها
(فلمّا التَقينا على آيةٍ ... ومَدَّتْ إليّ بأسبابها)
عروضه من المتقارب
الشعر للأعشى يمدح بني عبد المدان الحارثيين من بني الحارث بن كعب
والغناء لحنين خفيف ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق
وذكر يونس أن فيه لحنا لمالك
وزعم عمرو بن بانة أنه خفيف ثقيل
وزعم أبو عبد الله الهشامي أن فيه لابن المكي خفيف رمل بالوسطى أوله
(... تُنازعني إذ خلت بُرْدَها)
ومعه باقي الأبيات مخلطة مقدمة ومؤخرة
والكعبة التي عناها الأعشى ها هنا يقال إنها بيعة بناها بنو عبد المدان على بناء الكعبة وعظموها مضاهاة للكعبة وسموها كعبة نجران وكان فيها أساقفة يقيمون وهم الذين جاؤوا إلى النبي ودعاهم إلى المباهلة وقيل بل هي قبة من أدم سموها الكعبة
وكان إذا نزل بها مستجير أجير أو خائف أمن أو طالب حاجة قضيت أو مسترفد أعطي ما يريده
والمسمعات القيان
والقصاب أوتار العيدان
وقال الأصمعي قلت لبعض الأعراب أنشدني شيئا من شعرك
قال كنت أقول الشعر وتركته
فقلت ولم ذاك قال لأنني قلت شعرا وغنى فيه حكم الوادي وسمعته فكاد يذهل عقلي فآليت ألا أقول شعرا وما حرك حكم قصابه إلا توهمت أن الله عز وجل مخلدي بها في النار
بسم الله الرحمن الرحيم
أخبار الأعشى وبني عبد المدان وأخبارهم مع غيره
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية عن سماك بن حرب عن يونس بن متى راوية الأعشى قال
كان لبيد مجبرا حيث يقول
((مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الخَيْرِ اهْتَدى ... ناعمَ البال ومَنْ شاءَ أضَلّ
وكان الأعشى قدريا حيث يقول
(اِستأثر اللهُ بالوَفاء وبالعدلْ ... ووَلَّى المَلاَمةَ الرَّجُلاَ)
فقلت له من أين أخذ هذا فقال أخذه من أساقفة نجران وكان يعود في كل سنة إلى بني عبد المدان فيمدحهم ويقيم عندهم يشرب الخمر معهم وينادمهم ويسمع من أساقفة نجران قولهم فكل شيء في شعره من هذا فمنهم أخذه
خبر أساقفة نجران مع النبي
فأما خبر مباهلتهم النبي فأخبرني به علي بن العباس بن الوليد البجلي المعروف بالمقانعي الكوفي قال أنبأنا بكار بن أحمد بن اليسع الهمداني قال حدثنا عبد الله بن موسى عن أبي حمزة عن شهر بن حوشب قال بكار
وحدثنا إسماعيل بن أبان العامري عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام وحديثه أتم الأحاديث وحدثني به جماعة آخرون بأسانيد مختلفة وألفاظ تزيد وتنقص فممن حدثني به علي بن أحمد بن حامد التميمي قال حدثنا الحسن بن عبد الواحد قال حدثنا حسن بن حسين عن حيان بن علي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وعن الحسن بن الحسين عن محمد بن بكر عن محمد بن عبد الله بن علي بن أبي رافع عن أبيه جده عن أبي رافع وأخبرني علي بن موسى الحميري في كتابه قال حدثنا جندل بن والق قال حدثنا محمد بن عمر عن عباد الكليبي عن كامل أبي العلاء عن أبي صالح عن ابن عباس وأخبرني أحمد بن الحسين بن سعد بن عثمان إجازة قال حدثنا أبي قال حدثنا حصين بن مخارق عن عبد الصمد بن علي عن أبيه عن ابن عباس قال الحصين وحدثني أبو الجارود وأبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر قال وحدثني حمد بن سالم وخليفة بن حسان عن زيد بن علي عليه السلام قال حصين وحدثني
سعيد بن طريف عن عكرمة عن ابن عباس وممن حدثني أيضا بهذا الحديث علي بن العباس عن بكار عن إسماعيل بن أبان عن أبي أويس المدني عن جعفر بن محمد وعبد الله والحسن ابني الحسن وممن حدثني به أيضا محمد بن الحسين الأشناني قال حدثنا إسماعيل بن إسحاق الراشدي قال حدثني يحيى بن سالم عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام وممن أخبرني به أيضا الحسين بن حمدان بن أيوب الكوفي عن محمد بن عمرو الخشاب عن حسين الأشقر عن شريك عن جابر عن أبي جعفر وعن شريك عن المغيرة عن الشعبي واللفظ للحديث الأول قالوا قدم وفد نصارى نجران وفيهم الأسقف والعاقب وأبو حبش والسيد وقيس وعبد المسيح وابن عبد المسيح الحارث وهو غلام وقال شهر بن حوشب في حديثه وهم أربعون حبرا حتى وقفوا على اليهود في بيت
المدارس فصاحوا بهم يابن صوريا يا كعب بن الأشرف انزلوا يا إخوة القرود والخنازير فنزلوا إليهم فقالوا لهم هذا الرجل عندكم منذ كذا وكذا سنة قد غلبكم أحضروا الممتحنة لنمتحنه غدا فلما صلى النبي الصبح قاموا فبركوا بين يديه ثم تقدمهم الأسقف فقال يا أبا القاسم موسى من أبوه قال عمران قال فيوسف من أبوه قال يعقوب قال فأنت من أبوك قال أبي عبد الله بن عبد المطلب قال فعيسى من أبوه فسكت رسول الله وآله فانقض عليه جبريل عليه السلام فقال (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) فتلاها رسول الله فنزا الاسقف ثم دير به مغشيا عليه ثم رفع رأسه إلى النبي فقال له أتزعم أن الله جل وعلا أوحى إليك أن عيسى خلق من تراب ما نجد هذا فيما أوحي إليك ولا نجده فيما أوحي إلينا ولا تجده هؤلاء اليهود فيما أوحي إليهم فأوحى الله تبارك وتعالى إليه (فمن حاجك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فقال أنصفتنا يا أبا القاسم فمتى

نباهلك فقال بالغداة إن شاء الله تعالى وانصرف النصارى وانصرفت اليهود وهي تقول والله ما نبالي أيهما أهلك الله الحنيفية أو النصرانية فلما صارت النصارى إلى بيوتها قالوا والله إنكم لتعلمون أنه نبي ولئن باهلناه إنا لنخشى أن نهلك ولكن استقيلوه لعله يقيلنا وغدا النبي من الصبح وغدا معه بعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم فلما صلى الصبح انصرف فاستقبل الناس بوجهه ثم برك باركا وجاء بعلي فأقامه بين يديه وجاء بفاطمة فأقامها بين كتفيه وجاء بحسن فأقامه عن يمينه وجاء بحسين فأقامه عن يساره فأقبلوا يستترون بالخشب والمسجد فرقا أن يبدأهم بالمباهلة إذا رآهم حتى بركوا بين يديه ثم صاحوا يا أبا القاسم أقلنا أقالك الله عثرتك فقال النبي نعم قال ولم يسأل النبي شيئا قط إلا أعطاه فقال قد أقلتكم فولوا فلما ولوا قال النبي أما والذي بعثني بالحق لو باهلتهم ما بقي على وجه الأرض نصراني ولا نصرانية إلا أهلكهم الله تعالى وفي حديث شهر بن حوشب أن العاقب وثب فقال أذكركم الله أن نلاعن هذا الرجل فوالله لئن كان كاذبا ما لكم في ملاعنته خير ولئن كان صادقا لا يحول الحول ومنكم نافخ ضرمة فصالحوه ورجعوا

قبة الأدم بنجران

وأما خبر القبة الأدم التي ذكرها الأعشى فأخبرني بخبرها عمي وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن عمرو الأنصاري عن هشام بن محمد عن أبيه قال

كان عبد المسيح بن دارس بن عربي بن معيقر من أهل نجران وكانت له قبة من ثلاثمائة جلد أديم وكان على نهر بنجران يقال النحيردان قال ولم يأت القبة خائف إلا أمن ولا جائع إلا شبع وكان يستغل من ذلك النهر عشرة آلاف دينار وكانت القبة تستغرق ذلك كله وكان أول من نزل نجران من بني الحارث بن كعب يزيد بن عبد المدان بن الديان وذلك أن عبد المسيح بن دارس زوج يزيد بن عبد المدان ابنته رهيمة فولدت له عبد الله بن يزيد فهم بالكوفة ومات عبد المسيح فانتقل ماله إلى يزيد فكان أول حارثي حل في نجران وفي ذلك يقول أعشى قيس بن ثعلبة

(فكعبةُ نجرانَ حَتْمٌ عَلَيكْ ... حتَّى تُنَاخِي بأبوابِها)

(نزورُ يزيدَ وعبدَ المسيحِ ... وقيساً همُ خيرُ أربابِها)

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه قال حدثني بعض بني الحارث بن كعب وأخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الله بن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه قال

اجتمع يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطفيل بموسم عكاظ وقدم أمية بن الأسكر الكناني ومعه ابنة له من أجمل أهل زمانها فخطبها يزيد وعامر فقالت أم كلاب امرأة أمية بن الأسكر من هذان الرجلان فقال هذا يزيد بن عبد المدان بن الديان وهذا عامر بن الطفيل فقالت أعرف بني الديان ولا أعرف عامرا فقال هل سمعت بملاعب الأسنة فقالت نعم قال فهذا ابن أخيه وأقبل يزيد فقال يا أمية أنا ابن الديان صاحب الكثيب ورئيس مذحج ومكلم العقاب ومن كان يصوب أصابعه فتنطف دما ويدلك راحتيه فتخرجان ذهبا فقال أمية بخ بخ فقال عامر

جدي الأخرم وعمي ملاعب الأسنة وأبي فارس قرزل فقال أمية بخ بخ مرعى ولا كالسعدان فأرسلها مثلا فقال يزيد يا عامر هل تعلم شاعرا من قومي رحل بمدحة إلى رجل من قومك قال اللهم لا قال فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدائحهم إلى قومي قال اللهم نعم قال فهل لكم نجم يمان أو برد يمان أو سيف يمان أو ركن يمان قال لا قال فهل ملكناكم ولم تملكونا قال نعم فنهض يزيد وأنشأ يقول

(أُميَّ يابنَ الأسكرِ بنِ مُدْلِجِ ... لا تَجْعَلَنْ هَوَازناً كمَذْحِجِ)

(إنَّك إنْ تَلْهَجُ بأمرٍ تَلْجِجِ ... ما النبع في مَغْرِسِه كالعَوْسَجِ)

(... ولا الصَّريحُ المَحْضُ كالمُمَزَّجِ)

قال قال مرة بن دودان النفيلي وكان عدوا لعامر

(يا ليت شِعْرِي عنك يا يزيدُ ... ماذا الَّذِي من عامرٍ تريدُ)

(لِكُلِّ قومٍ فَخْرُكم عتِيدُ ... أمُطلَقُون نحن أم عَبِيدُ)

(...لا بل عَبِيدٌ زادُنا الَهبيدُ)

قال فزوج أمية يزيد بن عبد المدان ابنته فقال يزيد في ذلك

(يا للرِّجال لِطارقِ الأحزانِ ... ولِعامِرِ بنِ طُفَيْلٍ الوَسْنَانِ)

(كانت إتاوة قومِه لمُحَرِّقٍ ... زمناً وصارتْ بعدُ لِلنُّعْمانِ)

(عدَّ الفَوَارِسَ من هَوَازِنَ كُلَّها ... فخراً عليّ وجئتُ بالدَّيَّانِ)

(فإذا ليَ الشَّرَفُ المُبِينُ بوالِدٍ ... ضخْمِ الدَّسِيعةِ زانني ونَمَاني)

(يا عامِ إنك فارسٌ ذو مَيْعَةٍ ... غَضٌّ الشَّبَاب أخو نَدًى وقِيَانِ)

(واعلمْ بأنك بابنِ فارسِ قُرْزُلٍ ... دون الذي تسعى له وتُدَاني)

(ليست فوارسُ عامرٍ بمُقِرَّةٍ ... لكَ بالفضيلةِ في بني عَيْلانِ)

(فإذا لَقِيتَ بني الحِمَاسِ ومالكٍ ... وبني الضِّبابِ وحيَّ آلِ قَنَانِ)

(فاسألْ عنِ الرَّجُلِ المُنَوَّهِ باسمِه ... والدافِعِ الأعداءَ عن نَجْرانِ)

(يُعْطَى المَقَادةَ في فوارسِ قَوْمِه ... كَرَماً لَعَمْرُكَ والكريمُ يَمَاني)

فقال عامر بن الطفيل

(عجباً لواصفِ طارقِ الأحزانِ ... ولمَا يَجِيء به بنو الدَّيَّانِ)

(فَخَرُوا عليَّ بِحَبْوَةٍ لِمُحَرِّقٍ ... وإتاوةٍ سِيقتْ إلى النُّعْمانِ)

((ما أنتَ وابنُ مُحرِّقٍ وقَبِيلُه ... وإتاوةُ اللَّخْمِيِّ في عَيْلانِ)

(فاقْصِدْ بفَخْرِكَ قَصْدَ قومِك قُصْرةً ... ودَعِ القَبائلَ من بني قَحْطانِ)

(إنْ كان سالفةُ الإتاوةِ فيكمُ ... أوْ لاَ ففخْرُكَ فخرُ كلِّ يَمَاني)

(وافْخَرْ برَهْطٍ بني الحِمَاسِ ومالكٍ ... وبني الضِّباب وزَعْبَلٍ وقَنَانِ)

(فأنا المُعَظَّمُ وابنُ فارسِ قُرْزُلٍ ... وأبو بَرَاءٍ زانني ونماني)

(وأبو جُزَيْءٍ ذو الفَعَالِ ومالكٌ ... مَنَعا الذِّمارَ صباحَ كلِّ طِعَانِ)

(وإذا تَعَاظمتِ الأمورَ هَوازنٌ ... كنتُ المُنَوَّهَ باسمِه والباني)

مرة بن دودان يرفض هجاء بني الديان

فلما رجع القوم إلى بني عامر وثبوا على مرة بن دودان وقالوا له أنت من بني عامر وأنت شاعر ولم تهج بني الديان فقال مرة
(تُكَلِّفُني هوازنُ فخرَ قوْمٍ ... يقولون الأنامُ لنا عبيدُ)
(أبونا مَذْحِجٌ وبنو أبِيهِ ... إذا ما عُدَّتِ الآباءُ هُودُ)
(وهل لِي إنْ فَخَرْتُ بغيرِ حقٍّ ... مَقالٌ والأنامُ لهم شُهودُ)
(فأنَّى تَضْربُ الأعلامُ صَفحاً ... عن العَلْياء أم مَنْ ذا يَكِيدُ)
(فقولوا يا بني عَيْلانَ كُنَّا ... لهم قِنّاً فما عنها مَحِيدُ)
وقال ابن الكلبي في هذه الرواية قدم يزيد بن عبد المدان وعمرو بن معد يكرب ومكشوح المرادي على ابن جفنة زوارا وعنده وجوه قيس ملاعب الأسنة عامر بن مالك ويزيد بن عمرو بن الصعق ودريد بن الصمة فقال ابن جفنة ليزيد بن عبد المدان ماذا كان يقول الديان إذا أصبح فإنه كان ديانا فقال كان يقول آمنت بالذي رفع هذه يعني السماء ووضع هذه يعني الأرض وشق هذه يعني أصابعه ثم يخر ساجدا ويقول سجد وجهي للذي خلقه وهو عاشم وما جشمني من شيء فإني جاشم فإذا رفع رأسه قال
(إنْ تَغْفِرِ اللّهمَّ تَغْفِرْ جَمَّا ... وأيُّ عَبْدٍ لك ما ألمَّا)
فقال ابن جفنة إن هذا لذو دين ثم مال على القيسيين وقال ألا تحدثوني عن هذه الرياح الجنوب والشمال والدبور والصبا والنكباء لم سميت بهذه الأسماء فإنه قد أعياني علمها فقال القوم هذه أسماء وجدنا العرب عليها لا نعلم غير هذا فيها فضحك يزيد بن عبد المدان ثم قال يا خير الفتيان ما كنت أحسب أن هذا يسقط علمه على هؤلاء وهم أهل الوبر إن العرب تضرب أبياتها في القبلة مطلع الشمس لتدفئهم في الشتاء وتزول عنهم في الصيف فما هب من الرياح عن يمين البيت فهي الجنوب وما هب عن شماله فهي الشمال وما هب من أمامه فهي الصبا وما هب من خلفه فهي الدبور وما استدار من الرياح بين هذه الجهات فهي النكباء فقال ابن جفنة إن هذا للعلم يابن عبد المدان وأقبل على القيسيين يسألهم عن النعمان بن المنذر فعابوه وصغروه فنظر ابن جفنة إلى يزيد فقال له ما تقول يابن عبد المدان فقال يزيد يا خير الفتيان ليس صغيرا من منعك العراق وشركك في الشام وقيل له أبيت اللعن وقيل لك يا خير الفتيان وألفى أباه ملكا كما ألفيت أباك ملكا فلا يسرك من يغرك فإن هؤلاء لو سألهم عنك النعمان لقالوا فيك مثل ما قالوا فيه وايم الله ما فيهم رجل إلا ونعمة النعمان عنده عظيمة فغضب عامر بن مالك وقال له يابن الديان أما والله لتحتلبن بها دما فقال له ولم أزيد في هوازن من لا أعرفه فقال لا بل هم الذين تعرف فضحك يزيد ثم قال ما لهم جرأة بني الحارث ولا فتك مراد ولا بأس زبيد ولا كيد جعفي ولا مغار طيئ وما هم ونحن يا خير الفتيان بسواء ما قتلنا أسيرا قط ولا اشتهينا حرة قط ولا بكينا قتيلا حتى نسيء به وإن هؤلاء ليعجزون عن ثأرهم حتى يقتل السمي بالسمي والكني بالكني والجار بالجار وقال يزيد بن عبد المدان فيما كان بينه وبين القيسيين شعرا غدا به على ابن جفنة
(تَمَالاَ على النُّعمان قومٌ إليهِمُ ... مَوَارِدُهُ في مُلْكِهِ ومَصَادِرُهْ)
(على غيرِ ذنبٍ كان منه إليهِمُ ... سِوَى أنَّه جادتْ عليهم مَواطِره)
(فباعَدَهُمْ مِن كلِّ شرٍّ يَخافُه ... وقَرَّبهم من كلِّ خيرٍ يُبادِره)
(فظَنُّوا وأعراضُ الظنون كثيرةٌ ... بأنَّ الذي قالوا من الأمرِ ضائرُه)
(فلم يَنْقُصوه بالّذي قِيلَ شَعْرةً ... ولا قُلِّلَتْ أنيابُه وأظافِرُه)
(وَلَلْحارثُ الجَفْنِيُّ أعلمُ بالّذي ... يَنُوءُ به النُّعْمانُ إنْ خَفَّ طائِرُهْ)
(فيا حارِكُمْ فيهمْ لِنُعْمانَ نِعْمةٍ ... من الفضلِ والمَنِّ الذي أنا ذَاكِرُه)
(ذُنوباً عفَا عنها ومالاً أفادَه ... وعَظْماً كسيراً قَوَّمَتْه جَوَابِرُه)
(ولو سَالَ عنكَ العائبين ابنُ مُنْذِرٍ ... لقالوا له القولَ الذي لا يُحَاوِره)
قال فلما سمع ابن جفنة هذا القول عظم يزيد في عينه وأجلسه معه على سريره وسقاه بيده وأعطاه عطية لم يعطها أحدا ممن وفد عليه قط
فلما قرب يزيد ركائبه ليرتحل سمع صوتا إلى جانبه وإذا هو رجل يقول
(أمَا مِنْ شَفيعٍ من الزائرين ... يُحِبّ الثَّنَا زَنْدُه ثاقِبُ)
(يُرِيد ابنُ جفنةَ إكرامه ... وقد يمسح الضَّرَّةَ الحَالِبُ)
(فيُنْقِذَني من أظافيرِه ... وإلاّ فإنِّي غداً ذاهِبُ)
(فقد قلتُ يوماً على كُرْبةٍ ... وفي الشُّرْبِ في يَثْرِبَ غالِبُ)
(ألا ليتَ غَسَّانَ في مُلْكِها ... كلَخْمٍ وقد يُخْطئُ الشارِبُ)
(وما في ابنِ جَفْنةَ مِن سُبَّةٍ ... وقد خَفَّ حِلْمِي بِها العازبُ)
(كأنِّي غريبٌ من الأبعدِينَ ... وفي الحَلْقِ مِنِّي شَجاً ناشِبُ)
فقال يزيد علي بالرجل فأتي به فقال ما خطبك أنت تقول هذا الشعر قال لا بل قاله رجل من جذام جفاه ابن جفنة وكانت له عند النعمان منزلة فشرب فقال على شرابه شيئا أنكره عليه ابن جفنة فحبسه وهو مخرجه غدا فقاتله فقال له يزيد أنا أغنيك فقال له ومن أنت حتى أعرفك فقال أنا يزيد بن عبد المدان فقال أنت لها وأبيك قال أجل قد كفيتك أمر صاحبك فلا يسمعنك أحد تنشد هذا الشعر وغدا يزيد على ابن جفنة ليودعه فقال له حياك الله يابن الديان حاجتك قال تلحق قضاعة الشأم بغسان وتؤثر من أتاك من وفود مذحج وتهب لي الجذامي الذي لا شفيع له إلا كرمك قال قد فعلت أما إني حبسته لأهبه لسيد أهل ناحيتك فكنت ذلك السيد ووهبه له فاحتمله يزيد معه ولم يزل مجاورا له بنجران في بني الحارث بن كعب وقال ابن جفنة لأصحابه ما كانت يميني لتفي إلا بقتله أو هبته لرجل من بني الديان فإن يميني كانت على هذين الأمرين فعظم بذلك يزيد في عين أهل الشام ونبه ذكره وشرف
يزيد يتدخل لدى قيس بن عاصم لفك أسير
وقال ابن الكلبي في هذه الرواية عن أبيه جاور رجلان من هوازن يقال لهما عمرو وعامر في بني مرة بن عوف بن ذبيان وكانا قد أصابا دما في
قومهما ثم إن قيس بن عاصم المنقري أغار على بني مرة بن عوف بن ذبيان فأصاب عامرا أسيرا في عدة أسارى كانوا عند بني مرة ففدى كل قوم أسيرهم من قيس بن عاصم وتركوا الهوازني فاستغاث أخوه بوجوه بني مرة سنان بن أبي

حارثة والحارث بن عوف والحارث بن ظالم
وهاشم بن حرملة والحصين بن الحمام فلم يغيثوه فركب إلى موسم عكاظ فأتى منازل مذحج ليلا فنادى
(دعوتُ سِناناً وابنَ عوفٍ وحارثاً ... وعالَيتُ دعْوى بالحُصَيْن وهاشِم)
(أعَيِّرهم في كلِّ يومٍ وليلةٍ ... بتَرْكِ أسيرٍ عند قيس بن عاصم)
(حَلِيفِهمُ الأدنى وجارِ بيوتهم ... ومَنْ كان عما سرَّهم غيرَ نائم)
(فَصمُّوا وأحداثُ الزمانِ كثيرةٌ ... وكَم في بني العَلاَّتِ من متصامِم)
(فيا ليتَ شِعْري مَنْ لإطلاقِ غُلِّه ... ومَنْ ذا الذي يَحْظَى به في المَوَاسِمِ)
قال فسمع صوتا من الوادي ينادي بهذه الأبيات
(ألاَ أيُّهذَا الَّذي لم يُجَبْ ... عليكَ بحَيٍّ يُجَلِّي الكُرَبْ)
(عليكَ بذَا الحيِّ من مَذْحِجٍ ... فإنَّهمُ للرِّضَا والغَضَبْ)
(فنَادِ يزيدَ بن عبدِ المَدَانِ ... وقَيْساً وعمرو بنَ مَعْدِ يكَرِب)
(يَفُكُّوا أخاكَ بأموالِهمْ ... وأقْلِلْ بمِثْلِهمُ في العَرب)
(أولاكَ الرؤوس فلا تَعْدُهُمْ ... ومَنْ يجعلُ الرأسَ مثلَ الذَّنَب)
قال فاتبع الصوت فلم ير أحدا فغدا على المكشوح واسمه قيس بن عبد يغوث المرادي فقال له إني وأخي رجلان من بني جشم بن معاوية أصبنا دما في قومنا وإن قيس بن عاصم أغار على بني مرة وأخي فيهم مجاور فأخذه أسيرا فاستغثت بسنان بن أبي حارثة والحارث بن عوف والحارث بن ظالم وهاشم بن حرملة فلم يغيثوني فأتيت الموسم لأصيب به من يفك أخي فانتهيت إلى منازل مذحج فناديت بكذا وكذا فسمعت من الوادي صوتا أجابني بكذا وكذا وقد بدأت بك لتفك أخي فقال له المكشوح والله إن قيس بن عاصم لرجل ما قارضته معروفا قط ولا هو لي بجار ولكن اشتر أخاك منه وعلي الثمن ولا يمنعك غلاؤه ثم أتى عمرو بن معد يكرب فقال له مثل ذلك فقال هل بدأت بأحد قبلي قال نعم بقيس المكشوح قال عليك بمن بدأت به فتركه وأتى يزيد بن عبد المدان فقال له يا أبا النضر إن من قصتي كذا وكذا فقال له مرحبا بك وأهلا أبعث إلى قيس بن عاصم فإن هو وهب لي أخاك شكرته وإلا أغرت عليه حتى يتقيني بأخيك فإن نلتها وإلا دفعت إليك كل أسير من بني تميم بنجران فاشتريت بهم أخاك قال هذا الرضا فأرسل يزيد إلى قيس بن عاصم بهذه الأبيات
(يا قَيْسُ أرْسِلْ أسيراً من بني جُشَمٍ ... إنِّي بكلِّ الذي تأتي به جَازي)
(لا تأمنِ الدَّهْرَ أن تَشْجَى بغُصَّتِه ... فاخْتَرْ لنفسِكَ إحْمادِي وإعْزازي)
(فافْكُكْ أخَا منْقَرٍ عنه وقُلْ حَسَناً ... فيما سُئِلتَ وعَقِّبْهُ بإنجاز)
قال وبعث بالأبيات رسولا إلى قيس بن عاصم فأنشده إياها ثم قال له يا أبا علي إن يزيد بن عبد المدان يقرأ عليك السلام ويقول لك إن المعروف قروض ومع اليوم غد فأطلق لي هذا الجشمي فإن أخاه قد استغاث بأشراف بني مرة وبعمرو بن معد يكرب وبمكشوح مراد فلم يصب عندهم حاجته فاستجار بي ولو أرسلت إلي في جميع أسارى مضر بنجران لقضيت حقك فقال قيس بن عاصم لمن حضره من بني تميم هذا رسول يزيد بن عبد المدان سيد مذحج وابن سيدها ومن لا يزال له فيكم يد وهذه فرصة لكم فما ترون قالوا نرى أن نغليه عليه ونحكم فيه شططا فإنه لن يخذله أبدا ولو أتى ثمنه على ماله فقال قيس بئس ما رأيتم أما تخافون سجال الحروب ودول الأيام ومجازاة القروض فلما أبوا عليه قال بيعونيه فأغلوه عليه فتركه في أيديهم وكان أسيرا في يد رجل من بني سعد وبعث إلى يزيد فأعلمه بما جرى وأعلمه أن الأسير لو كان في يده أو في بني منقر لأخذه وبعث به ولكنه في يد رجل من بني سعد فأرسل يزيد إلى السعدي أن سر إلي بأسيرك ولك فيه حكمك فأتى به السعدي يزيد بن عبد المدان فقال له احتكم فقال مائة ناقة ورعاؤها فقال له يزيد إنك لقصير الهمة قريب الغنى جاهل بأخطار بني الحارث أما والله لقد غبنتك يا أخا بني سعد ولقد كنت أخاف أن يأتي ثمنه على جل أموالنا ولكنكم يا بني تميم قوم قصار الهمم وأعطاه ما احتكم فجاوره الأسير وأخوه حتى ماتا عنده بنجران
وقال ابن الكلبي أغار عبد المدان على هوازن يوم السلف في جماعة من بني الحارث بن كعب وكانت حمته على بني عامر خاصة فلما التقى
القوم حمل على وبر بن معاوية النميري فصرعه وثنى بطفيل بن مالك فأجره الرمح وطار به فرسه قرزل فنجا واستحر القتل في بني عامر وتبعت خيل بني الحارث من انهزم من بني عامر وفي هذه الخيل عمير ومعقل وكانا من فرسان بني الحارث بن كعب فلم يزالوا بقية يومهم لا يبقون على شيء أصابوه فقال في ذلك عبد المدان
(عَفَا من سُلَيْمَى بطنُ غَوْلٍ فَيذْبُلُ ... فغَمْرةُ فَيْفِ الرِّيح فالمُتَنَخَّلُ)
(ديارُ الَّتي صادَ الفؤادَ دَلالُها ... وأغرتْ بها يوم النَّوَى حين تَرْحَلُ)
(فإنْ تَكُ صَدّتْ عن هَوايَ وراعَها ... نَوازِلُ أحداثٍ وشيبٌ مُجَلِّلُ)
(فيا رُبَّ خيلٍ قد هَدَيْتُ بِشِطْبَةٍ ... يُعارِضُها عَبْلُ الجُزارةِ هَيْكَلُ)
((سَبُوحٌ إذا جالَ الحِزامُ كأنَّه ... إذا انْجابَ عنه النَّقْعُ في الخيلِ أجْدَلُ)
(يُوَاغِلُ جُرْداً كالقَنَا حارثيَّةً ... عليها قَنانٌ والحِماسُ وزَعْبَلُ)
(معَاقِلُهم في كلِّ يومِ كريهةٍ ... صدورُ العَوالي والصفيحُ المصقَّل)
(وزَغْفٌ من المَاذيِّ بيضٌ كأنّها ... نِهاءٌ مَرَتْها بالعَشيّاتِ شَمْألُ)
(فما ذَرَّ قَرْنُ الشمسِ حتى تلاحقتْ ... فَوارِسُ يَهْدِيها عُمَيْرٌ ومَعْقِلُ)
(فجالتْ على الحيِّ الكِلاَبيِّ جولةً ... فَباكَرهُمْ وِردٌ من الموت مُعْجَلُ)
(فَغَادَرْنَ وبراً تَحْجُلُ الطيرُ حولَه ... ونجَّى طُفَيْلاً في العَجَاجةِ قُرْزُلُ)
(فلم ينجُ إلا فَارسٌ من رِجالهم ... يُخَفِّفُ ركضاً خشيةَ الموت أعْزَلُ)
وليزيد بن عبد المدان أخبار مع دريد بن الصمة قد ذكرت مع أخبار دريد في صنعة المعتضد مع أغاني الخلفاء فاستغني عن إعادتها في هذا الموضع
زينب بنت مالك ترثي يزيد بن عبد المدان
أخبرني علي بن سليمان قال أخبرني أبو سعيد السكري قال حدثني
محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عبيدة وابن الكلبي قالوا أغار يزيد بن عبد المدان ومعه بنو الحارث بن كعب على

بني عامر فأسر عامر بن مالك ملاعب الأسنة أبا براء وأخاه عبيدة بن مالك ثم أنعم عليهما فلما مات يزيد بن عبد المدان واسم عبد المدان عمرو وكنيته أبو يزيد وهو ابن الديان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو قالت زينب بنت مالك بن جعفر بن كلاب أخت ملاعب الأسنة ترثي يزيد بن عبد المدان
(بكيتُ يزيدَ بن عبد المدانِ ... حلّتْ به الأرضُ أثقالها)
(شريكُ المُلوكِ ومَنْ فَضْلُه ... يَفْضُلُ في المجد أفضالَها)
(فَكَكْتَ أُسارَى بني جَعْفَر ... وكِنْدةَ إذ نِلْتَ أقوالَها)
(ورَهْطُ المُجَالِد قد جَلَّلتْ ... فواضلُ نُعْمَاك أجبالَها)
وقالت أيضا ترثيه
(سأبكي يزيد بن عبد المدانْ ... على أنّه الأحْلَمُ الأكرمُ)
(رِمَاحٌ من العَزْمِ مركوزةٌ ... مُلوكٌ إذا بَرَزتْ تَحكمُ)
قال فلامها قومها في ذلك وعيروها بأن بكت يزيد فقالت زينب
(ألاَ أيُّها الزارِي عليَّ بأنَّنِي ... نِزَارِيَّةٌ أبكِي كريماً يَمَانِيَا)
(ومالِيَ لا أبكِي يزيدَ ورِدَّنِي ... أَجُرُّ جَدِيداً مِدْرَعِي ورِدَائيا)
صوت
(أطِلْ حَمْلَ الشَّناءةِ لي وبُغْضِي ... وعِشْ ما شِئْتَ فانْظُرْ مَنْ تَضِيرُ)
(إذا أبصرتَني أعرضتَ عنّي ... كأنّ الشمسَ من قِبَلي تَدُورُ)
الشعر لعبد الله بن الحشرج الجعدي والغناء لابن سريج ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي
أخبار عبد الله بن الحشرج
هو عبد الله بن الحشرج بن الأشهب بن ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وكان عبد الله بن الحشرج سيدا من سادات قيس وأميرا من أمرائها ولي أكثر أعمال خراسان ومن أعمال فارس وكرمان وكان جوادا ممدحا وفيه يقول زياد الأعجم
(إنّ السماحةَ والشّجاعةَ والنَّدَى ... في قُبَّةٍ ضُربتْ على ابن الحَشْرَجِ)
وله يقول أيضا
(إذا كنتَ مُرْتادَ السَّماحةِ والنَّدَى ... فسَائِلْ تُخَبَّرْ عن دِيَار الأشْاهِبِ)
نسبه إلى الأشهب جده وفي بني الأشهب يقول نابغة بني جعدة
((أبعدَ فوارس يومِ الشُّرَيْفِ ... آسَى وبعدَ بني الأشهبِ
وكان أبوه الحشرج بن الأشهب سيدا شاعرا وأميرا كبيرا وكان غلب على قهستان في زمن عبد الله بن خازم فبعث إليه عبد الله بن خازم المسيب بن أوفى القشيري فقتل الحشرج وأخذ قهستان وكان عمه زياد بن الأشهب أيضا شريفا سيدا وكان قد سار إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يصلح بينه وبين معاوية على أن يوليه الشأم فلم يجبه وفي ذلك يقول نابغة بني جعدة يعتد على معاوية
(وقام زيادٌ عند بابِ بن هاشمٍ ... يُريد صلاحاً بينكم ويُقَرِّبُ)
قدامة بن الأحرز يمدح ابن الحشرج
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثنا العمري عن عطاء بن مصعب عن عاصم بن الحدثان قال
جاء إلى عبد الله بن الحشرج وهو بقهستان رجل من قشير يقال له قدامة ابن الأحرز فدخل عليه وأنشأ يقول
(أخٌ وابنُ عمٍّ جاءكم مُتَحَرِّماً ... بكُمْ فَارْأَبُوا خَلاَّته يابنَ حَشْرَجِ)
(فأنتَ ابنُ وَرْدٍ سُدْتَ غيرَ مُدَافَعٍ ... مَعَدّاً على رَغْمِ المَنُوطِ المُعَلْهَجِ)
(فَبَرَّزتْ عَفْواً إذْ جَرَيْتَ ابنَ حَشْرَجٍ ... وجاء سُكَيْتاً كلُّ أعْقَدَ أفْحَجِ)
(سبقتَ ابنَ وَرْدٍ كلَّ حافٍ وناعلٍ ... بِجَدٍّ إذا حار الأضاميمُ مِمْعَجِ)
(بِوَرْدِ بن عَمْرٍ فَتَّهُم إنّ مِثْلَه ... قليلٌ ومَنْ يَشْرِ المَحَامِدَ يَفْلُجِ)
(هوَ الواهِبُ الأموالِ والمُشْتَري اللُّهَا ... وضَرَّابُ رأسِ المُسْتَمِيتِ المُدَجَّجِ)
قال فأعطاه أربعة آلاف درهم وقال اعذرني يابن عمي فإني في حالة الله بها عليم من كثرة الطلاب وأنت أحق من عذرني قال والله لو
لم تعطني شيئا مع ما أعلمه من جميل رأيك في عشيرتك ومن انقطع إليك لعذرتك فكيف وقد أجزلت العطاء وأرغمت الأعداء
وكان لابن الحشرج ابن عم يقول للقشيري ويحك ليس عنده خير وهو يكذبك ويملُذُك فبلغ ذلك عبد الله بن الحشرج فقال
(أطِلْ حَمْلَ الشَّناءةِ بل وبُغْضِي ... وعِشْ ما شئتَ فانظُرْ مَنْ تَضِيرُ)
(فما بِيدَيْكَ خيرٌ أرتَجِيهِ ... وغيرُ صُدودِكَ الخَطبُ الكَبِيرُ)
(إذا أبصرتني أعرضتَ عنّي ... كأنّ الشمسَ مِن قِبَلي تَدُورُ)
(وكيف يَعِيبُ من تُمْسِي فقيراً ... إليه حين تَحْزُبُكَ الأمورُ)
(ومَنْ إنْ بِعْتَ منزلةً بأخرى ... حَلَلْتَ بأمره وبه تَسِيرُ)
(أتزعم أنَّني مَلِذٌ كَذُوبٌ ... وأنَّ المَكْرُماتِ لديَّ بُورُ)
(وكيف أكون كَذَّاباً مَلُوذاً ... وعندي يَطْلُبُ الفرَجَ الضَّرِيرُ)
((أُواسِي في النَّوائب من أتاني ... ويُجْبَرُ بِي أخو الضُّرِّ الفَقِيرُ
كرم عبد الله بن الحشرج
أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أحمد بن الهيثم عن العمري عن عطاء ابن مصعب عن عاصم بن الحدثان قال أعطى عبد الله بن الحشرج بخراسان حتى أعطى منشفة كانت عليه وأعطى فراشه ولحافه فقالت له امرأته لشد ما تلاعب بك الشيطان وصرت من إخوانه مبذرا كما قال الله عز وجل (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) فقال عبد الله بن الحشرج لرفاعة بن زوي النهدي وكان أخا له وصديقا يا رفاعة ألا تسمع إلى ما قالت هذه الورهاء وما تتكلم به فقال

صدقت والله وبرت إنك لمبذر وإن المبذرين لإخوان الشياطين فقال ابن الحشرج في ذلك
(مَتَى يأتنا الغَيْثُ المُغِيثُ نَجِدْ لنا ... مَكارِمَ ما تَعْيَا بأموالِنا التُّلْدِ)
(مَكارِمَ ما جُدْنا به إذْ تمنَّعتْ ... رجالٌ وضنَّتْ في الرَّخاء وفي الجَهْدِ)
(أرَدْنا بما جُدْنا به من تِلادنا ... خِلافَ الَّذي يأتي خِيارُ بني نَهْدِ)
(تَلومُ على إتْلافِيَ المالَ طَلَّتِي ... ويُسْعِدُها نَهْدُ بن زَيْدٍ على الزُّهْدِ)
((أنَهْدَ بن زَيْدٍ لستُ منكمْ فتشفِقوا ... عليَّ ولا منكم غَوَاتي ولا رُشدي
أراد غوايتي فحذف الياء ضرورة
(أبَيْتُ صَغيراً ناشئاً ما أردتُم ... وكَهْلاً وحتَّى تُبْصِرُونِيَ في اللَّحْدِ)
(سأَبْذُلُ مالِي إنَّ مالِي ذَخيرةٌ ... لِعَقْبِي وما أَجْنِي به ثَمَرَ الخُلْدِ)
(ولستُ بمِبْكاءٍ على الزَّادِ باسِلٍ ... يَهِرُّ على الأزْوادِ كالأسدِ الوَرْدِ)
(ولكنَّني سمْحٌ بما حُزْتُ باذِلٌ ... لِمَا كُلِّفتُ كَفَّايَ في الزَّمنِ الجَحْدِ)
(بِذلك أوصاني الرُّقَادُ وقَبْلَه ... أبوه بأن أُعْطِي وأُوفِيَ بالعَهْدِ)
الرقاد ابن عمرو بن ربيعة بن جعدة بن كعب وهو من عمومته وكان شجاعا سيدا جوادا
قال عطاء بن مصعب وقال عبد الله بن الحشرج أيضا في ذلك هذه القصيدة وقد ذكر ابن الكلبي وأبو اليقظان شيئا من هذه القصيدة في
كتابيهما المصنفين ونسباها إليه
(سأجعل مالِي دونَ عِرْضِي وِقايةً ... من الذَمِّ إن المَالَ يَفْنَى ويَنْفَدُ)
(ويُبْقِي لِيَ الجُودُ اصطناعَ عَشيرتي ... وغَيرَهُم والجُودُ عِزٌّ مُؤَبَّدُ)
(ومتَّخِذٍ ذَنْباً عليَّ سماحتي ... بمالي ونارُ البُخْلِ بالذَّمِّ تُوقَدُ)
(يَبِيدُ الفتَى والحمدُ ليس ببائدٍ ... ولكنَّه للمرء فضلٌ مُؤَكَّدُ)
(ولا شيءَ يبقَى للفتى غيرُ جُودِه ... بما مَلَكتْ كَفَّاهُ والقومُ شُهَّدُ)
(ولائمةٍ في الجُودِ نَهْنَهْتُ غَرْبَها ... وقلتُ لها بَنْيُ المَكارمِ أحمدُ)
(فلمّا ألَحَّتْ في المَلامةِ واعترتْ ... بذلك غَيْظِي واعتراها التَّبَلُّدُ)
(عرضتُ عليها خَصْلَتَيْنِ سماحتي ... وتَطْلِيقَها والكَفُّ عنِّي أرشدُ)
(فلَجَّتْ وقالتْ أنتَ غاوٍ مُبَذِّرٌ ... قرينُك شيطانٌ مَريدٌ مُفَنَّدُ)
(فقلتُ لها بِيني فما فيكِ رغبةٌ ... ولي عنكِ في النِّسْوان ظِلٌّ ومَقْعَدُ)
(وعيشٌ أنِيقٌ والنِّساءُ معادنٌ ... فمِنهنَّ غُلٌّ شرُّها يتمرَّدُ)
(لها كلَّ يومٍ فوق رأسيَ عارضٌ ... من الشَّرِّ بَرَّاقٌ يدَ الدهر يُرْعِدُ)
(وأخرى يَلَذُّ العيشُ منها ضَجيعُها ... كريمٌ يُغَادِيهِ من الطيرِ أسْعَدُ)
(فيا رَجُلاً حُرّاً خُذِ القصْدَ واتْرُكِ البَلايَا فإنَّ الموتَ للنَّاسِ مَوْعِدُ)
(فعِشْ ناعماً واتْرُكْ مَقالةَ عَاذلٍ ... يلومُك في بَذْلِ النَّدى ويُفَنِّدُ)
(وجُدْ باللُّهَا إنّ السماحةَ والنَّدَى ... هي الغايةُ القُصْوى وفيها التَّمَجُّدُ)
(وحسبُ الفتى مجداً سماحةُ كَفِّه ... وذُو المجْدِ محمودُ الفِعَال مُحسَّدُ)
قال فقالت له امرأته والله ما وفقك الله لحظك أنهيت مالك وبذرته وأعطيته هيان بن بيان ومن لا تدري من أي هافية هو
قال فغضب فطلقها وكان لها محبا وبها معجبا فعنفه فيها ابن عم لها يقال له حنظلة بن الأشهب بن رميلة وقال له
نصحتك فكافأتها بالطلاق فوالله ما وفقت لرشدك ولا نلت حظك ولقد خاب سعيك بعدها عند ذوي الألباب فهلا مضيت
لطيتك وجريت على ميدانك ولم تلتفت إلى امرأة من أهل الجهالة والطيش لم تخلق للمشورة ولا مثل رأيها يقتدى به
فقال ابن الحشرج لحنظلة
(أحَنْظَلَ دَعْ عَنْكَ الَّذي نال مالَه ... لِيَحْمَدَه الأقوامُ في كلِّ مَحْفِلِ)
(فكَمْ من فَقيرٍ بائسٍ قد جَبَرْتُه ... ومِنْ عائلٍ أغنيتُ بعدَ التَّعَيُّلِ)
(ومن مُتْرَفٍ عن مَنْهج الحقِّ جائرٍ ... علوتُ بعَضْبٍ ذي غِرارَيْن مِقْصَلِ)
(وزارٍ عليَّ الجُودَ والجودُ شيمتي ... فقلتُ له دَعْني وكُنْ غيرَ مُفْضِلِ)
(فمِثْلُكَ قد عاصيْتُ دهراً ولم أكُنْ ... لأسمَعَ أقوالَ اللئيمِ المُبَخِّلِ)
(أبَى لِيَ جَدِّي البُخْلَ مذ كنتُ يافعاً ... صغيراً ومن يَبْخَلْ يُلَمْ ويُضَلَّلِ)
(ويستَغْنِ عنه الناسُ فاركَبْ مَحَجَّةَ الْكِرامِ ودَعْ ما أنت عنه بمعزِلِ)
(فإنِّي امرؤٌ لا أصحَبُ الدهرَ باخلاً ... لئيماً وخيرُ النَّاسِ كلُّ مُعَذَّلِ)
((ومُسْتَحمِقٍ غاوٍ أتَتْه نَذيرتي ... فلَجَّ ولم يعرفْ مَعَرَّةَ مِقْوَلي
(نفحتُ ببيتٍ يملأُ الفَمَ شاردٍ ... له حَبَرٌ كأنَّه حِبْرُ مِغْوَلِ)
(فكَفَّ ولو لَمْ أرْمِه شاعَ قولُه ... وصار كدِرْياقِ الذُّعَافِ المُثَمَّلِ)
(ولَيْلٍ دَجُوجِيٍّ سَرَيتُ ظلامَه ... بناجيةٍ كالبُرج وجْناءَ عَيْهَلِ)
(إلى مَلِكٍ مِنْ آلِ مَرْوانَ ماجِدٍ ... كريمِ المُحَيَّا سيِّدٍ مُتَفَضِّلِ)
(يجودُ إذا ضَنَّتْ قريشٌ برِفْدِها ... ويسبِقُها في كلِّ يومِ تَفَضُّلِ)
(أبوه أبو العاصي إذا الحَرْبُ شَمَّرتْ ... مَرَاها بمَسْنُونِ الغِرارَيْن مِنْجَلِ)
(وقُورٍ إذا هاجتْ به الحربُ مِرْجَمٍ ... صَبُورٍ عليها غيرِ نِكْسٍ مُهَلَّلِ)
(أقامَ لأهلِ الأرضِ دينَ محمدٍ ... وقد أدبَروا وارتابَ كلُّ مُضَلَّلِ)
(فما زالَ حتَّى قَوَّمَ الدِّينَ سيفُه ... وعَزَّ بحزمٍ كُلَّ قَرْمٍ مُحَجَّلِ)
(وغادرَ أهلَ الشكِّ شتَّى فمِنهُمُ ... قتيلٌ قتيلٌ وناجٍ فوقَ أجْرَدَ هَيْكَلِ)
(نَجَا من رماحِ القوم قُدْماً وقد بَدَا ... تَباشيرُه في العَارِضِ المُتَهَلِّلِ)
قال عاصم يعني بهذا المدح محمد بن مروان لما قتل مصعب بن الزبير بدير الجاثليق وكان محمد بن مروان يقوم بأمره

ويوليه الأعمال ويشفع له إلى أخيه عبد الملك

حوار حول تبذيره المال

أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أحمد بن الهيثم قال حدثنا العمري عن عطاء بن مصعب عن عاصم بن الحدثان قال قال عبد الله بن الحشرج لابن عم له لأمه في إنهاب ماله وتبذيره إياه وقال له فيما يقول امرأتك كانت أعلم بك نصحتك فكافأتها بالطلاق فقال له يابن عم إن المرأة لم تخلق للمشورة وإنما خلقت وثارا للباءة

ووالله إن الرشد واليمن لفي خلاف المرأة يابن عم إياك واستماع كلام النساء والأخذ به فإنك إن أخذت به ندمت فقال له ابن عمه والله ليوشكن أن تحتاج يوما إلى بعض ما أتلفت فلا تقدر عليه ولا يخلفه عليك هن وهن فقال ابن الحشرج

(وعاذلةٍ هَبَّتْ بلَيْلٍ تَلُومني ... وتَعْذِلُني فيما أُفِيدُ وأُتْلِفُ)

(تَلَوَّمتُها حتّى إذا هي أكثرتْ ... أتيتُ الذي كانت لَدَيّ تَوَكَّفُ)

(وقلتُ عليكِ الفَجَّ أكثرتِ في النَّدَى ... ومثِلْي تَحَامَاه الألَدُّ المُغَطْرِفُ)

(أبى ليَ ما قد سمْتِنِي غيرُ واحدٍ ... أبٌ وجُدودٌ مجْدُها ليس يُوصَفُ)

(كهولٌ وشبّانٌ مَضَوْا لِسبيلِهِم ... إذا ذُكِروا فالعينُ منّي تَذْرِفُ)

(هُمُ الغيثُ إن ضَنَّتْ سماءٌ بِقَطْرِهَا ... وعندهم يرجو الحَيَا مُتَلَهِّفُ)

(وحَرْبٍ يخافُ النّاسُ شِدَّة عَرِّها ... تَظَلُّ بأنواع المنِيَّة تَصرِف)

(حَمَوْها وقاموا بالسُّيوفِ لِحَمْيِها ... إذا فَنِيتْ أضحتْ لهم وهْيَ تَعْصِفُ)

(فلمّا أبتْ إلا طِماحا تنمَّروا ... بأسيافِهِمْ والقومُ فيهم تَعَجْرُفُ)

(فذَلَّتْ وأعطتْ بالقِيادِ وأذعنتْ ... إذا ما اشتَهى قومي وذُو الذُّلِّ يُنْصِفُ)

((وكانتْ طَمُوحَ الرَّأسِ يصْرِف نابُها ... من الشَّرِّ تاراتٍ وطوراً تَقَفْقَفُ

(فلَمّا امْترَيْنَا بالسُّيوفِ خُلوفَها ... تأبّتْ علينا والأسِنَّة تُرْعَفُ)

(فدَرَّتْ طِبَاقاً وارعوتْ بعد جَهْلِها ... وكُنَّا رِماماً لِلَّذِي يَتَصَلَّفُ)

قال وقال عبد الله بن الحشرج لرفاعة بن زوي النهدي فيما كان يلومه فيه من التبذير والجود

(ألامَ على جُودي وما خِلْتُ أنّني ... ببذْلي وجُودي جُرْتُ عن مَنْهج القَصْدِ)

(فيالأئِمي في الجود أقْصِرْ فإنّني ... سأبْذُل مالي في الرّخاء وفي الجَهْدِ)

(وجدتُ الفَتَى يَفْنَى وتبقَى فِعالُه ... ولا شيءَ خيرٌ في الحديثِ من الحَمْدِ)

(وإنّي وباللّهِ احتيالِي وحِرْفَتي ... أُصَيِّرُ جاري بين أحشايَ والكِبْدِ)

(أرى حَقَّه في الناس ما عِشْتُ واجباً ... عليّ وأنّي ما أتيتُ على عَمْدِ)

(وصاحبِ صِدْقٍ كان لي ففقدتُه ... وصيرني دهري إلى مائِقٍ وَغْدِ)

(يَلُومُ فَعالِي كلَّ يومٍ وليلةٍ ... ويعدو على الجيرانِ كالأسَدِ الوَرْدِ)

(يُخالِفُني في كلِّ حقٍّ وباطلٍ ... ويأنَفُ أن يَمْشِي على مَنْهَجِ الرُّشْدِ)

((فلمّا تمادَى قلتُ غيرُ مُسامِحٍ ... له النَّهْجَ فاركَبْ ياعسيف بني نَهد

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكي قال حدثنا ابن عائشة قال

مدحه زياد الأعجم فوصله

وفد زياد الأعجم على عبد الله بن الحشرج الجعدي وهو بسابور أمير عليها فأمر بإنزاله وألطفه وبعث إليه ما يحتاج إليه ثم غدا عليه زياد فأنشده

(إنّ السَّماحةَ والمروءة والنَّدَى ... في قُبَّةٍ ضربت على ابن الحَشْرَجِ)

((مَلِكٌ أغَرُّ مُتَوَّجٌ ذو نائلٍ ... للمُعْتَفِين يَمِينُه لم تَشْنَجِ

(يا خيرَ مَنْ صَعِدَ المنابرَ بالتُّقَى ... بعدَ النبيّ المصطفى المُتَحَرِّجِ)

(لمّا أتيتُك راجياً لِنَوَالِكُم ... ألفيتُ بابَ نَوالِكم لم يُرْتَجِ)

قال فأمر له بعشرة آلاف درهم

وقد قيل إن الأبيات التي ذكرتها وفيها الغناء ونسبتها إلى عبد الله بن الحشرج لغيره والقول الأصح هو الأول أخبرني بذلك محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العمري عن هشام بن الكلبي أنه سمع أبا باسل ينشد هذا الشعر فقلت لمن هو فقال لعمي عنترة بن الأخرس قال وكان جدي أخرس فولد له سبعة أو ثمانية كلهم شاعر أو خطيب ولعل هذا من أكاذيب ابن الكلبي أو حكاه عن رجل ادّعى فيه ما لا يعلم

صوت

(أصاحِ ألاَ هَلْ من سبيلٍ إلى نَجْدِ ... وريحِ الخُزَامى غَضَّةً من ثَرًى جَعْدِ)

((وهل لِلياليِنا بذي الرِّمْثِ مَرجِعٌ ... فنشْفِي جوَى الأحزانِ من لاَعِجِ الوَجْدِ

عروضه من الطويل - الشعر للطرماح بن حكيم والغناء ليحيى المكي ثقيل أول بالبنصر من كتابه -

أخبار الطرماح ونسبه

هو الطرماح بن حكيم بن الحكم بن نفر بن قيس بن جحدر بن ثعلبة بن عبد رضا بن مالك بن أمان بن عمرو بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ ويكنى أبا نفر وأبا ضبينة والطرماح الطويل القامة وقيل إنه كان يلقب الطراح أخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه قال كان الطرماح بن حكيم يلقب الطراح لقوله

صوت

(ألا أيُّها اللَّيلُ الطويلُ ألاَّ ارْتَح ... بِصُبْحٍ وما الإصباحُ منكَ بأَرْوَحِ)

(بَلَى إنّ للعينين في الصُّبْحِ راحةً ... بِطَرْحِهما طَرْفَيْهِما كلَّ مَطْرَحِ)

في هذين البيتين لأحمد بن المكي ثقيل أول بالوسطى من كتابه

والطرماح من فحول الشعراء الإسلاميين وفصحائهم ومنشؤه بالشأم وانتقل إلى الكوفة بعد ذلك مع من وردها من جيوش أهل الشأم واعتقد مذهب الشراة الأزارقة

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن المدائني عن أبي بكر الهذلي قال قدم الطرماح بن حكيم الكوفة

فنزل في تيم اللات بن ثعلبة وكان فيهم شيخ من الشراة له سمت وهيئة وكان الطرماح يجالسه ويسمع منه فرسخ كلامه في قلبه ودعاه الشيخ إلى مذهبه فقبله واعتقده أشد اعتقاد وأصحه حتى مات عليه
أخبرني ابن دريد قال حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال قال رؤبة كان الطرماح والكميت يصيران إلي فيسألاني عن الغريب فأخبرهما به فأراه بعد في أشعارهما
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال سمعت محمد بن حبيب يقول سألت ابن الأعرابي عن ثماني عشرة مسألة كلها من غريب شعر الطرماح فلم يعرف منها واحدة يقول في جميعها لا أدري لا أدري
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة وأخبرنا إبراهيم بن أيوب قال حدثنا ابن قتيبة قالا كان الكميت بن زيد صديقا للطرماح لا يكادان يفترقان في حال من أحوالهما
فقيل للكميت لا شيء أعجب من صفاء ما بينك وبين الطرماح على
تباعد ما يجمعكما من النسب والمذهب والبلد هو شآمي قحطاني شاري وأنت كوفي نزاري شيعي فكيف اتفقتما مع تباين المذهب وشدة العصبية اتفقنا على بغض العامة
قال وأنشد الكميت قول الطرماح
(إذا قُبِضَت نفسُ الطِّرمَّاحِ أَخْلَقتْ ... عُرَى المَجْدِ واسْتَرْخَى عِنانُ القصائدِ)
فقال إي والله وعنان الخطابة والرواية والفصاحة والشجاعة وقال عمر بن شبة والسماحة مكان الشجاعة
نسخت من كتاب جدي لأمي يحيى بن محمد بن ثوابة رحمه الله تعالى بخطه قال حدثني الحسن بن سعيد عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال وفد الطرماح بن حكيم والكميت بن زيد على مخلد بن يزيد المهلبي فجلس لهما ودعاهما فتقدم الطرماح لينشد فقال له أنشدنا قائما فقال كلا والله ما قدر الشعر أن أقوم له فيحط مني وأحط منه بضراعتي وهو عمود الفخر وبيت الذكر لمآثر العرب قيل له فتنح ودعي بالكميت فأنشد قائما فأمر له بخمسين ألف درهم فلما خرج الكميت شاطرها الطرماح وقال له أنت أبا ضبينة أبعد همة وأنا ألطف حيلة وكان الطرماح يكنى أبا نفر وأبا ضبينة
ونسخت من كتابه رضي الله عنه أخبرني الحسن بن سعيد قال أخبرني ابن علاق قال أخبرني شيخ لنا أن خالد بن كلثوم أخبره قال
بينا أنا في مسجد الكوفة أريد الطرماح والكميت وهما جالسان بقرب باب
الفيل إذ رأيت أعرابيا قد جاء يسحب أهداما له حتى إذا توسط المسجد خر ساجدا ثم رمى ببصره فرأى الكميت والطرماح فقصدهما فقلت من هذا الحائن الذي وقع بين هذين الأسدين وعجبت من سجدته في غير موضع سجود وغير وقت صلاة فقصدته ثم سلمت عليهم ثم جلست أمامهم فالتفت إلى الكميت فقال أسمعني شيئا يا أبا المستهل فأنشده قوله
(... أبتْ هذِهِ النَّفْسُ إلاَّ أدِّكَارَا)
حتى أتى على آخرها فقال له أحسنت والله يا أبا المستهلِّ في ترقيص هذه القوافي ونظم عقدها ثم التفت إلى الطرماح فقال أسمعني شيئا يا أبا ضبينة فأنشده كلمته التي يقول فيها
(أساءكَ تقويضُ الخَليطِ المُبَاينِ ... نَعم والنَّوَى قَطَّاعةٌ للقَرَائنِ)
فقال لله در هذا الكلام ما أحسن إجابته لرويتك إن كدت لأطيل لك
حسدا ثم قال الأعرابي والله لقد قلت بعدكما ثلاثة أشعار أما أحدها فكدت أطير به في السماء فرحا وأما الثاني فكدت أدعي به الخلافة وأما الثالث فرأيت رقصانا استفزني به الجذل حتى أتيت عليه قالوا فهات فأنشدهم قوله
(أأنْ تَوَهَّمْتَ منْ خَرْقاءَ منزلةً ... ماءُ الصَّبابةِ من عينيك مسجومُ)
حتى إذا بلغ قوله
(تَنْجُو إذا جَعَلتْ تَدْمَى أخِشَّتُها ... وابْتَلَّ بالزَّبَدِ الجَعْدِ الخَرَاطِيمُ)
قال أعلمتم أني في طلب هذا البيت منذ سنة فما ظفرت به إلا آنفا وأحسبكم قد رأيتم السجدة له ثم أسمعهم قوله
(... ما بالُ عينِك منها الماءُ يَنْسَكِبُ)
ثم أنشدهم كلمته الأخرى التي يقول فيها
(إذا اللَّيْلُ عن نَشْرٍ تجلى رَمَيْنَهُ ... بأمثالِ أبصار النِّساء الفَوَارِكِ)
قال فضرب الكميت بيده على صدر الطرماح ثم قال هذه والله الديباج لانسجي ونسجك الكرابيس فقال الطرماح لن أقول ذلك وإن
أقررتُ بجودته فقطب ذو الرمة وقال يا طرماح أأنت تحسن أن تقول
(وكائنْ تَخَطَّتْ ناقتي من مَفَازةٍ ... إليكِ ومِنْ أحواض ماءٍ مُسَدَّمِ)
(بأعْقارِهِ القِرْدانُ هَزْلَى كأنَّها ... نَوَادِرُ صِيصاء الهَبِيد المُحطَّمِ)
فأصغى الطرماح إلى الكميت وقال له فانظر ما أخذ من ثواب هذا الشعر قال وهذه قصيدة مدح بها ذو الرمة عبد الملك فلم يمدحه فيها ولا ذكره إلا بهذين البيتين وسائرها في ناقته فلما قدم على عبد الملك بها أنشده إياها فقال له ما مدحت بهذه القصيدة إلا ناقتك فخذ منها الثواب وكان ذو الرمة غير محظوظ من المديح قال فلم يفهم ذو الرمة قول الطرماح للكميت فقال له الكميت إنه ذو الرمة وله فضله فأعتبه فقال له الطرماح معذرة إليك إن عنان الشعر لفي كفك فارجع معتبا وأقول فيك كما قال أبو المستهل
أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن يحيى الصولي قالا حدثنا
الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن إبراهيم بن عباد قال حدثني أبو تمام الطائي قال مر الطرماح بن حكيم في مسجد البصرة وهو يخطر في مشيته فقال رجل من هذا الخطار فسمعه فقال أنا الذي أقول
صوت
(لقد زادَنِي حَبّاً لنفسيَ أنّني ... بَغِيضٌ إلى كلِّ امرئٍ غير طائلِ)
(وأنّي شَقِيٌّ باللِّئام ولا ترى ... شقيّاً بهم إلاّ كريمَ الشمائلِ)
(إذا ما رآني قطَّع اللحظَ بينه ... وبيني فِعلَ العارف المُتَجاهِلِ)
(ملأتُ عليه الأرضَ حتى كأنّها ... من الضِّيق في عينيه كفَّةُ حابِلِ)
في هذه الأبيات لأبي العبيس بن حمدون خفيف ثقيل أول بالبنصر

الطرماح وخالد القسري
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال أخبرنا إسماعيل بن مجمع قال حدثنا هشام بن محمد قال أخبرنا ابن أبي العمرطة الكندي قال
مدح الطرماح خالد بن عبد الله القسري فأقبل على العريان بن الهيثم فقال إني قد مدحت الأمير فأحب أن تدخلني عليه قال فدخل إليه فقال له إن الطرماح قد مدحك وقال فيك قولا حسنا فقال ما لي في الشعر من حاجة فقال العريان للطرماح تراء له فخرج معه فلما جاوز دار زياد وصعد المسناة إذا شيء قد ارتفع له فقال يا عريان انظر ما هذا فنظر ثم رجع فقال أصلح الله الأمير هذا شيء بعث به إليك عبد الله بن أبي موسى من سجستان فإذا حمر وبغال ورجال وصبيان ونساء فقال يا عريان أين طرماحك هذا قال هاهنا قال أعطه كل ما قدم به فرجع إلى الكوفة بما شاء ولم ينشده قال
هشام والطرماح الطويل
أخبرني محمد بن الحسن بن بريد قال حدثنا أبو حاتم قال حدثني الحجاجي قال
بلغني أن الطرماح جلس في حلقة فيها رجل من بني عبس فأنشد
العبسي قول كثير في عبد الملك
(فكنتَ المُعَلّى إذ أُجِيلَتْ قِداحُهُم ... وجال المَنِيحُ وَسْطَها يَتَقَلْقَلُ)
فقال الطرماح أما إنه ما أراد به أنه أعلاهم كعبا ولكنه موه عليه في الظاهر وعنى في الباطن أنه السابع في الخلفاء الذين كان كثير لا يقول بإمامتهم لأنه أخرج عليا عليه السلام منهم فإذا أخرجه كان عبد الملك السابع وكذلك المعلى السابع من القداح فلذلك قال ما قاله وقد ذكر ذلك في موضع آخر فقال
(وكان الخَلائِفُ بعد الرَّسُو ... لِ للهِ كُلُّهمُ تَابِعَا)
(شهيدانِ من بعد صِدِّيقِهم ... وكان ابنُ حَرْبٍ لهم رَابِعَا)
(وكان ابنُه بعده خامساً ... مُطِيعاً لمن قبله سامِعَا)
(ومَرْوانُ سادِسُ مَنْ قد مضَى ... وكان ابنُه بعدَه سابعا)
قال فعجبنا من تنبه الطرماح لمعنى قول كثير وقد ذهب على عبد الملك فظنه مدحا
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ قال
كان أبو عبيدة والأصمعي يفضلان الطرماح في هذين البيتين ويزعمان أنه فيهما أشعر الخلق
(مُجْتابُ حُلَّة بُرْجُدٍ لِسرَاته ... قِدَداً وأَخْلَفَ ما سِواه البُرْجُدُ)
(يبدو وتُضْمِرُه البِلادُ كأنّه ... سَيْفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغْمَدُ)
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ قال قال أبو نواس أشعر بيت قيل بيت الطرماح
(إذا قُبِضَتْ نفسُ الطِّرِمّاح أَخْلَقَتْ ... عُرَى المجد واسْتَرْخَى عِنانُ القصائدِ)
مناقضة بينه وبين حميد اليشكري
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة قال فضل الطرماح بني شمخ في شعره على بني يشكر فقال حميد اليشكري
(أَتَجْعَلُنا إلى شَمْخِ بن جَرْمٍ ... ونَبْهانٍ فَأُفٍّ لذا زَمانا)
(ويومَ الطَّالَقانِ حَماكَ قَوْمي ... ولم تَخْضِبْ بها طَيٌّ سِنَانَا)
فقال الطرماح يجيبه
(لقد علِم المُعَذَّلُ يومَ يدعو ... بِرمْثَةَ يومَ رمْثَةَ إذ دعانا)
(فوارسُ طَيِّءٍ مَنَعُوه لمّا ... بكى جَزَعاً ولولاهم لَحَانا)
فقال رجل من بني يشكر
(لأَقْضِيَنَّ قضاءً غيرَ ذي جَنَف ... بالحقّ بين حُمَيْدٍ والطِّرِمّاح)
(جَرَى الطِّرِمّاحُ حتى دَقّ مِسْحَلَهُ ... وغُودِرَ العبدُ مقروناً بوَضّاح)
يعني رجلا من بني تميم كان يهاجي اليشكري
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا الرياشي قال قال الأصمعي قال خلف كان الطرماح يرى رأي الشراة ثم أنشد له
(للهِ دَرُّ الشُّرَاةِ إنّهمُ ... إذا الكَرَى مالَ بالطُّلَى أَرِقُوا)
(يُرَجِّعون الحَنِينَ آونةً ... وإن عَلاَ ساعةً بهم شَهِقوا)
(خوفاً تبيتُ القلوبُ واجفةً ... تكاد عنها الصدورُ تَنْفَلِق)
((كيف أُرَجِّي الحياةَ بعدهُمُ ... وقد مضى مؤنسيَّ فانطلَقوا
(قومٌ شِحاحٌ على اعتقادِهُم ... بالفَوْزِ ممّا يُخافُ قد وَثِقوا)
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة عن يونس قال دخل الطرماح على خالد بن عبد الله القسري فأنشده قوله
(وشيَّبني ما لاَ أزالُ مُنَاهِضاً ... بغير غِنًى أسْمُو به وأبوعُ)
(وأنّ رجالَ المالِ أضحَوْا ومالُهُم ... لهم عند أبوابِ الملوكِ شَفِيعُ)
(أمُخْترِمي رَيْبُ المَنُون ولم أَنَلْ ... منَ المالِ ما أَعصي به وأُطِيع)
فأمر له بعشرين ألف درهم وقال امض الآن فاعص بها وأطع
رأي المفضل في هجائه
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا خذيفة بن محمد الكوفي قال قال المفضل إذا ركب الطرماح الهجاء فكأنما يوحى إليه ثم أنشد له قوله
(لوحانَ وِرْدُ تَميم ثم قيل لها ... حوضُ الرَّسولِ عليه الأَزْدُ لم تَرِدِ)
((أَوْ أنزلَ اللهُ وحياً أَنْ يُعذِّبَها ... إن لم تَعُدْ لِقِتالِ الأَزْدِ لم تَعُدِ
(لاعَزَّ نَصْرُ امرىءٍ أضْحَى له فرسٌ ... على تميمٍ يُريد النصرَ من أحَدِ)
(لو كان يَخْفَى على الرحمن خافيةٌ ... من خلقِه خَفِيتْ عنه بنو أسَد)
أصحابه يفاجأون بنعشه

أخبرني إسماعيل بن يونس قال أخبرنا عمر بن شبة قال حدثني المدائني قال حدثني ابن دأب عن ابن شبرمة وأخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال أخبرني أبي قال حدثني الحسن بن عبد الرحمن الربعي قال حدثني محمد بن عمران قال حدثني إبراهيم بن سوار الضبي قال حدثني محمد بن زياد القرشي عن ابن شبرمة قال
كان الطرماح لنا جليسا ففقدناه أياما كثيرة فقمنا بأجمعنا لننظر ما فعل وما دهاه فلما كنا قريبا من منزله إذا نحن بنعش عليه مطرف أخضر فقلنا لمن هذا النعش فقيل هذا نعش الطرماح فقلنا والله ما استجاب الله له حيث يقول
(وإني لمقْتادٌ جَوادِي وقاذِفٌ ... به وبنَفْسِي العامَ إحدى المَقاذِفِ)
(لأكسِبَ مالاً أو أؤولَ إلى غِنًى ... منَ اللهِ يَكْفِيني عِدَاتِ الخَلاَئِفِ)
(فيارَبِّ إنْ حانَتْ وفاتي فلا تَكُنْ ... على شَرْجَعٍ يُعْلَى بخُضْرِ المَطارِفِ)
(ولكنَّ قَبْري بطنُ نَسْرٍ مَقِيلُه ... بجَوِّ السماء في نُسورٍ عَوَاكِفِ)
(وأمْسِي شهيداً ثاوياً في عِصَابَةٍ ... يُصابُون في فَجٍّ من الأرضِ خائفِ)
(فَوارسُ من شَيْبانَ أَلَّفَ بينَهم ... تُقَى اللهِ نَزّالونَ عند التَّزاحُفِ)
(إذا فارقوا دُنياهُمُ فارقوا الأذَى ... وصاروا إلى مِيعادِ ما في المَصاحِفِ)
صوت
(هل بالدِّيارِ التي بالقاعِ منْ أحَدٍ ... باقٍ فَيَسْمَعَ صوتَ المُدْلِجِ السَّاري)
(تلك المنازلُ من صَفْراءَ ليس بها ... حيٌّ يُجيبُ ولا أصواتُ سُمَّارِ)
الشعر لبيهس الجرمي والغناء لابن محرز ثاني ثقيل بالبنصر عن
عمرو وقال ذكر ذلك يحيى المكي وأظنه من المنحول وفيه لطياب بن إبراهيم الموصلي خفيف ثقيل وهو مأخوذ من لحن ابن صاحب الوضوء
(...اِرْفَعْ ضَعِيفَك لا يَحُرْ بك ضَعْفُه)

أخبار بيهس ونسبه

هو بيهس بن صهيب بن عامر بن عبد الله بن ناتل بن مالك بن عبيد بن علقمة بن سعد بن كثير بن غالب بن عدي بن سميس بن طرود بن قدامة بن جرم بن ربان بن حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة شاعر فارس من شعراء الدولة الأموية وكان يبدو بنواحي الشأم مع قبائل جرم وكلب وعذرة ويحضر إذا حضروا فيكون بأجناد الشأم
قال أبو عمرو الشيباني لما هدأت الفتنة بعد وقعة مرج راهط وسكن الناس مر غلام من قيس بطوائف من جرم وعذرة وكلب وكانوا متجاورين على ماء هناك لهم فيقال إن بعض أحداثهم نخس به ناقته
فألقته فاندقت عنقه فمات واستعدى قومه عبد الملك بن مروان فبعث إلى تلك البطون من جاءه بوجوههم وذوي الأخطار منهم فهرب بيهس بن صهيب الجرمي وكان قد اتهم بأنه هو الذي نخس به فنزل بمحمد بن مروان واستجار به فأجاره إلا من حد توجبه عليه شهادة فرضي بذلك

صوت
(ألاَ يا حَماماتِ اللِّوَى عُدْنَ عودةً ... فإنِّي إلى أصواتِكُنَّ حَزِينُ)
(فعُدْنَ فلمّا عُدْنَ كِدْنَ يُمِتْنِنِي ... وكِدْتُ بأسراري لَهُنَّ أُبِينُ)
(دَعَوْنَ بأصواتِ الهَدِيلِ كأنَّما ... شَرِبْنَ حُمَيَّا أوْ بِهِنَّ جُنونُ)
(فلَمْ تَرَ عيني مِثْلَهُنَّ حمائماً ... بَكَيْنَ ولم تَدْمعْ لَهُنَّ عُيونُ)
الشعر لأعرابي هكذا أنشدناه جعفر بن قدامة عن أحمد بن حمدون عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل والغناء لمحمد بن الحارث بن بسخنر خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي وقد قيل إن الشعر لابن الدمينة

أخبار محمد بن الحارث بن بسخنر

هو محمد بن الحارث بن بسخنر ويكنى أبا جعفر وهم فيما يزعمون موالي المنصور وأحسبه ولاء خدمة لا ولاء عتق وأصلهم من الري وكان محمد يزعم أنه من ولد بهرام جوبين وولد محمد بالحيرة وكان يغني مرتجلا إلا أن أصل ما غنى عليه المعزفة وكانت تحمل معه إلى دار الخليفة فمر غلامه بها يوما فقال قوم كانوا جلوسا على الطريق مع هذا الغلام مصيدة الفأر وقال بعضهم لا بل هي معزفة محمد بن الحارث فحلف يومئذ بالطلاق والعتاق ألا يغني بمعزفة أبدا أنفة من أن تشتبه آلة يغني بها بمصيدة الفأر وكان محمد أحسن خلق الله تعالى أداء وأسرعه أخذا للغناء وكان لأبيه الحارث بن بسخنر جوار محسنات وكان إسحاق يرضاهن ويأمرهن أن يطرحن على جواريه وقال يوما للمأمون وقد غنى
مخارق بين يديه صوتا فألتاث غناؤه فيه وجاء به مضطربا فقال إسحاق للمأمون يا أمير المؤمنين إن مخارقا قد أعجبه صوته وساء أداؤه في غنائه فمره بملازمة جواري الحارث بن بسخنر حتى يعود إلى ما تريد
أخبرني جحظة قال حدثني أبو عبد الله الهشامي قال
سمعت إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يقول للواثق قال لي إسحاق بن إبراهيم الموصلي ما قدر أحد قط أن يأخذ مني صوتا مستويا إلا محمد بن الحارث بن بسخنر فإنه أخذ مني عدة أصوات كما أغنيها ثم لم نلبث أن دخل علينا محمد بن الحارث فقال له الواثق حدثني إسحاق بن
إبراهيم عن إسحاق الموصلي فيك بكذا وكذا فقال قد قال إسحاق ذاك لي مرات فقال له الواثق فأي شيء أخذت من صنعته أحسن عندك فقال هو يزعم أنه لم يأخذ منه أحد قط هذا الصوت كما أخذته منه

صوت
(إذا المَرْءُ قاسى الدَّهْرَ وابْيَضَّ رأسُه ... وثُلِّمَ تَثْلِيمَ الإناءِ جَوَانِبُهْ)
(فليس له في العيش خيرٌ وإنْ بكى ... على العيشِ أو رجَّى الذي هو كَاذِبُهْ)
الشعر والغناء لإسحاق ولحنه فيه رمل بالوسطى فأمره الواثق بأن يغنيه فغناه إياه وأحسن ما شاء وأجاد واستحسنه الواثق وأمره بأن يردده فردده مرارا كثيرة حتى أخذه الواثق وأخذه جواريه والمغنون قال جحظة قال الهشامي فحدثت بهذا الحديث عمرو بن بانة فقال ما خلق الله تعالى أحدا يغني هذا الصوت كما يغنيه هبة الله بن إبراهيم بن المهدي فقلت له قد سمعت ابن إبراهيم يغنيه فاسمعه من محمد ثم احكم فلقيني بعد ذلك فقال الأمر كما قلت قد سمعته من محمد فسمعت منه الإحسان كله
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال

كنت يوما في منزلي فجاءني محمد بن الحارث بن بسخنر مسلما وعائدا من علة كنت وجدتها فسألته أن يقيم عندي ففعل ودعوت بما حضر فأكلنا وشربنا وغنى محمد بن الحارث هذا الصوت
صوت
(أمِنْ ذِكْرِ خَوْدٍ عينُك اليومَ تَدْمَعُ ... وقلْبك مشغولٌ بِخَوْدِكَ مُولَعُ)
(وقائلةٍ لي يومَ ولَّيْتُ مُعْرِضا ... أهذا فِرَاقُ الحِبِّ أمْ كيف تَصْنَعُ)
(فقلتُ كَذاكِ الدَّهْرُ يا خَوْدُ فاعْلَمِي ... يُفَرِّقُ بين الناس طُرًّا ويجْمَعُ)
أصل هذا الصوت يمان هزج بالوسطى قال الهشامي وفيه لفليح ثاني ثقيل ولإسحاق خفيف رمل قال علي بن يحيى فقلت له وقد ردد هذا الصوت مرارا وغناه أشجى غناء إن لك في هذا الصوت معنى وقد كررته من غير أن يقترحه عليك أحد فقال نعم هذا صوتي على جارية من القيان كنت أحبها وأخذته منها فقلت له فلم لا تواصلها فقال
(لو لَمْ أنْكْهَا دام لي حُبُّها ... لكِنَّني نِكْتُ فلا نِكْتُ)
فأجبته فقلت
(أكثرتَ من نَيْكِها والنَّيكُ مَقْطَعةٌ ... فارْفُقْ بِنَيْكِكَ إنّ الرِّفْقَ محمودُ)
وأخبرني جعفر بن قدامة عن علي بن يحيى أن إسحاق غنى بحضرة الواثق لحنه
((ذَكَرْتُكِ إذ مَرّتْ بِنا أُمُّ شادِنٍ ... أمامَ المطَايا تَشْرَئِبُّ وتَسْنَحُ
(من المُؤْلِفات الرَّمْلَ أدماءُ حُرَّةٌ ... شُعَاعُ الضُّحَى في مَتْنِها يَتَوَضَّحُ)
والشعر لذي الرمة ولحن إسحاق فيه ثقيل أول فأمره أن يعيده على الجواري وأحلفه بحياته أن ينصح فيه فقال لا يستطيع الجواري أن يأخذنه مني ولكن يحضر محمد بن الحارث فيأخذه مني وتأخذه الجواري منه فأحضر وألقاه عليه فأخذه منه وأخذته الجواري منه
أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل المعروف بوسواسة الموصلي قال حدثني حماد بن إسحاق قال قال لي محمد بن الحارث بن بسخنر أخذت جارية للواثق مني صوتا أخذته من أبيك وهو
صوت
(أصبحَ الشَّيْبُ في المَفارق شاعَا ... واكتسى الرَّأسُ مِنْ مَشِيبٍ قِناعَا)
(وتولَّى الشَّبابُ إلاّ قليلاً ... ثم يأبَى القليلُ إلاّ وَدَاعا)
الشعر والغناء لإسحاق ثقيل أول قال فسمعه الواثق منها
فاستحسنه وقال لعلويه ومخارق أتعرفانه فقال مخارق أظنه لمحمد بن الحارث فقال علويه هيهات ليس هذا مما يدخل في صنعة محمد هو يشبه صنعة ذلك الشيطان إسحاق فقال له الواثق ما أبعدت ثم بعث إلي فأخبرني بالقصة فقلت صدق علويه يا أمير المؤمنين هذا لإسحاق ومنه أخذته
حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني عبد الله بن المعتز قال قال لي أحمد بن الحسين بن هشام
جاءني محمد بن الحارث بن بسخنر يوما فقال لي قم حتى أطفل بك على صديق لي حر وله جارية أحسن خلق الله تعالى وجها وغناء فقلت له أنت طفيلي وتطفل بي هذه والله اخس حال فقال لي دع المجون وقم بنا فهو مكان لا يستحيي حر أن يتطفل عليه فقمت معه فقصد بي دار رجل من فتيان أهل سر من رأى كان لي صديقا يكنى أبا صالح وقد غيرت كنيته على سبيل اللقب فكني أبا الصالحات وكان ظريفا حسن
المروءة يضرب بالعود على مذهب الفرس ضربا حسنا وله رزق سني في الموالي وكان من أولادهم ولم يكن منزله يخلو من طعام كثير نظيف لكثرة قصد إخوانه منزله فلما طرق بابه قلت له فرجت عني هذا صديقي وأنا طفيلي بنفسي لا أحتاج أن أكون في شفاعة طفيلي فدخلنا وقدم إلينا طعام عتيد طيب نظيف فأكلنا وأحضرنا النبيذ وخرجت جاريته إلينا من غير ستارة فغنت غناء حسنا شكلا ظريفا ثم غنت من صنعة محمد بن الحارث هذا الصوت وكانت قد أخذته عنه وفيه أيضا لحن لإبراهيم والشعر لابن أبي عيينة
صوت
(ضَيَّعْتِ عهدَ فَتى لِعَهْدِك حافظٍ ... في حِفْظِهِ وفي تَضْيِيعِكِ)
(إن تَقْتُليهِ وتذهبي بفؤادِهِ ... فَيحسنِ وَجْهِكِ لا بِحُسْنِ صَنيعِكِ)
فطرب محمد بن الحارث ونقطها بدنانير مسيفة كانت معه في خريطته ووجه غلامه فجاءه ببرنية غالية كبيرة فغلفها منها ووهب لها الباقي وكان لمحمد بن الحارث أخ طيب ظريف يكنى أبا هارون فطرب ونعر ونخر وقال لأخيه أريد أن أقول لك شيئا في السر قال قله علانية قال لا يصلح قال والله ما بيني وبينك شيء أبالي أن تقوله جهرا فقله فقال أشتهي علم الله أن تسأل أبا الصالحات أن ينيكني فعسى صوتي أن تفتح ويطيب غنائي فضحك أبو الصالحات وخجلت الجارية وغطت وجهها وقالت سخنت عينك فإن حديثك يشبه وجهك
صوت
(وأيُّ أخٍ تَبْلُو فَتَحْمَدَ أمْرَهُ ... إذا لَجَّ خَصْمٌ أو نَبَا بِكَ مَنْزِلُ)
(إذا أنتَ لم تُنْصِفْ أخاكَ وجدتَه ... على طَرَفِ الهِجْرانِ إنْ كان يَعْقِلُ)
(سَتَقْطَعُ في الدُّنيا إذا ما قطعتني ... يَمِينَك فانْظُرْ أيَّ كَفٍّ تَبَدَّلُ)
(إذا انصرفتْ نفسي عن الشَّيْءِ لم تَكَدْ ... إليهِ بِوَجْهٍ آخِرَ الدَّهْرِ تُقْبِلُ)
الشعر لمعن بن أوس المزني والغناء لعريب خفيف رمل بالوسطى
أخبار معن بن أوس ونسبه
هو معن بن أوس بن نصر بن زياد بن أسحم بن زياد بن أسعد بن أسحم بن ربيعة بن عدي بن ثعلبة بن ذؤيب بن عداء بن عثمان بن مزينة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار ونسبوا إلى مزينة وهي امرأة مزينة بنت كلب بن وبرة وأبوهم عمرو بن أد بن طابخة
أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي وهاشم بن محمد الخزاعي وعمي قالوا حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال
مزينة بنت كلب بن وبرة تزوجها عمرو بن أد بن طابخة فولدت له عثمان وأوسا فغلبت أمهما على نسبهما فعلى هذا القول عداء هو ابن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة

ومعن شاعر مجيد فحل من مخضرمي الجاهلية والإسلام وله مدائح في جماعة من أصحاب النبي ورحمهم منهم عبد الله بن جحش وعمر ابن أبي سلمة المخزومي ووفد إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مستعينا به على بعض أمره وخاطبه بقصيدته التي أولها
(تَأَوَّبَه طيفٌ بَذاتِ الجَرَاثِم ... فنامَ رَفيقَاهُ وليس بنائم)
وعمر بعد ذلك إلى أيام الفتنة بين عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن يحيى بن عبد الله بن ثوبان عن علقمة بن محجن الخزاعي عن أبيه قال كان معاوية يفضل مزينة في الشعر ويقول كان أشعر أهل الجاهلية
منهم وهو زهير وكان أشعر أهل الإسلام منهم وهو ابنه كعب ومعن بن أوس
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال حدثني العتبي قال كان معن بن أوس مئناثا وكان يحسن صحبة بناته وتربيتهن فولد لبعض عشيرته بنت فكرهها وأظهر جزعا من ذلك فقال معن
(رأيتُ رجالاً يَكْرَهون بَنَاتِهم ... وفِيهنّ لا تُكْذَبْ نِساءٌ صَوالِحُ)
(وفيهنّ والأيّامُ تعْثُر بالفتى ... نَوَادِبُ لا يَمْلَلْنَهُ ونَوَائحُ)
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العنزي يعني الحسن بن عليل قال حدثني أحمد بن عبد الله بن علي بن سويد بن منجوف عن أبيه قال
مر عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب بمعن بن أوس المزني وقد كف بصره فقال له يا معن كيف حالك فقال له ضعف بصري وكثر عيالي وغلبني الدين قال وكم دينك قال عشرة آلاف درهم فبعث بها إليه ثم مر به من الغد فقال له كيف أصبحت يا معن فقال
(أخذتُ بعَيْنِ المالِ حتَّى نَهِكْتُه ... وبالدَّيْن حتَّى ما أكاد أُدَانُ)
(وحتَّى سألتُ القَرْضَ عند ذَوِي الغنى ... وردّ فلانٌ حاجتي وفُلاَنُ)
فقال له عبيد الله الله المستعان إنا بعثنا إليك بالأمس لقمة فما لكتها حتى انتزعت من يدك فأي شيء للأهل والقرابة والجيران وبعث إليه بعشرة آلاف درهم أخرى فقال معن يمدحه
(إنّك فَرْعٌ من قُرَيْشٍ وإنَّما ... تَمُجُّ النَّدَى منها البحورُ الفَوَارِعُ)
(ثَوَوْا قادةً للنَّاس بَطْحَاءُ مَكّةٍ ... لَهُمْ وسِقَاياتُ الحَجِيجِ الدَّوَافِعُ)
(فلمَّا دُعُوا للموت لمْ تَبْكِ منهمُ ... على حادثِ الدَّهْرِ العيونُ الدَّوامِعُ)
أخبرني محمد بن عمران قال حدثني العنزي قال حدثني الفضل بن
العباس القرشي عن سعيد بن عمرو الزبيري قال
كان لمعن بن أوس امرأة يقال لها ثور وكان لها محبا وكانت حضرية نشأت بالشأم وكانت في معن أعرابية ولوثة فكانت تضحك من عجرفيته فسافر إلى الشأم في بعض أعوامه فضلت الرفقة عن الطريق وعدلوا عن الماء فطووا منزلهم وساروا يومهم وليلتهم فسقط فرس معن في وجار ضب دخلت يده فيه فلم يستطع الفرس أن يقوم من شدة العطش حتى حمله أهل الرفقة حملا فأنهضوه وجعل معن يقوده ويقول
(لَوْ شَهِدَتْني وجَوَادِي ثَوْرُ ... والرَّأسُ فيه مَيَلٌ ومَوْرُ)
(... لضحِكتْ حتَّى يَميلَ الكَوْرُ)
معن يهجو ابن الزبير
أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي قال قدم معن بن أوس مكة على ابن الزبير فأنزله دار الضيفان وكان ينزلها الغرباء وأبناء السبيل والضيفان فأقام يومه لم يطعم شيئا حتى إذا كان الليل جاءهم ابن الزبير بتيس هرم هزيل فقال كلوا من هذا وهم نيف وسبعون رجلا فغضب معن وخرج من عنده فأتى عبيد الله بن العباس فقراه وحمله
وكساه ثم أتى عبد الله بن جعفر وحدثه حديثه فأعطاه حتى أرضاه وأقام عنده ثلاثا ثم رحل فقال يهجو ابن الزبير ويمدح ابن جعفر وابن عباس رضي الله تعالى عنهم أجمعين
(ظَلِلْنَا بمسْتَنِّ الرِّياحِ غُدَيَّةً ... إلى أن تعالَى اليومُ في شَرِّ مَحْضَرِ)
(لَدَى ابن الزُّبَيْرِ حابِسِينَ بِمَنْزِلٍ ... من الخيرِ والمعروفِ والرِّفْدِ مُقْفِرِ)
(رَمَانا أبو بكرٍ وقد طال يومُنا ... بِتَيْسٍ من الشَّاءِ الحِجَازِيِّ أَعْفَرِ)
(وقال اطْعَمُوا منه ونحن ثلاثةٌ ... وسبعون إنساناً فيا لُؤْمَ مَخْبَرِ)
(فقلْت له لا تَقْرِنا فأمامَنا ... جِفَانُ ابنِ عَبَّاسِ العُلاَ وابنِ جَعْفَرِ)
(وكُنْ آمِناً وانْعَقْ بِتَيْسِكَ إنّه ... له أَعْنُزٌ يَنْزُو عليها وأَبْشِرِ)
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن معاوية الأسدي قال قدم معن بن أوس المزني البصرة فقعد ينشد في المربد فوقف
عليه الفرزدق فقال يا معن من الذي يقول
(لعمْرُكَ مَا مُزَيْنَةُ رَهْطُ مَعْنٍ ... بأخفاف يَطَأْنَ ولا سَنَامِ)
فقال معن أتعرف يا فرزدق الذي يقول
(لَعَمْرُكَ ما تميمٌ أهلُ فَلْجٍ ... بأرْدافِ المُلوكِ ولا كِرَامِ)
فقال الفرزدق حسبك إنما جربتك قال قد جربت وأنت أعلم فانصرف وتركه
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي أبو دلف قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال دخلت خضراء روح فإذا أنا برجل من ولده على فاحشة يوما فقلت قبحك الله هذا موضع كان أبوك يضرب فيه الأعناق ويعطي اللهى وأنت تفعل فيه ما أرى فالتفت إلي من غير أن يزول عنها وقال
(وَرِثْنا المجدَ عن آباءِ صِدْقٍ ... أسَأْنَا في دِيارِهمُ الصَّنِيعَا)
(إذا الحَسَبُ الرَّفيعُ تَوَاكَلَتْهُ ... بُنَاةُ السَّوْءِ أَوْشَكَ أن يَضِيعَا)
قال والشعر لمعن بن أوس المزني

سفره إلى الشام

أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال حدثنا أحمد بن عبيد أبو عصيدة عن الحرمازي قال سافر معن بن أوس إلى الشام وخلف ابنته ليلى في جوار عمر بن أبي سلمة وأمه أم سلمة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وفي جوار عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال له بعض عشيرته على من خلفت ابنتك ليلى بالحجاز وهي صبية ليس لها من يكفلها فقال معن رحمه الله تعالى

(لَعَمْرُكَ ما ليلَى بدَارِ مَضِيعَةٍ ... وما شَيْخُها أنْ غَابَ عنها بخائِفِ)
(وإنّ لها جارَيْن لن يَغْدِرَا لها ... رَبِيبَ النبيّ وابنَ خَيْرِ الخلائِفِ)

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني مسعود بن بشر عن عبد الملك بن هشام قال قال عبد الملك بن مروان يوما وعنده عدة من أهل بيته وولده ليقل كل واحد منكم أحسن شعر سمع به فذكروا لامريء القيس والأعشى وطرفة
فأكثروا حتى أتوا على محاسن ما قالوا فقال عبد الملك أشعرهم والله الذي يقول

(وذِي رَحِمٍ قَلَّمْتُ أظْفَارَ ضِغْنِهِ ... بحِلْمِيَ عنهُ وَهْوَ ليس له حِلْمُ)
(إذَا سُمْتُهُ وَصْلَ القَرَابَةِ سامَني ... قَطِيعتَها تلك السَّفاهةُ والظُّلْمُ)
(فأسْعَى لكَيْ أبْنِي ويَهْدِمُ صالحي ... وليس الذي يَبْني كمَنْ شأنُه الهَدْمُ)
(يُحاولُ رَغْمِي لا يُحاول غيرَه ... وكالموتِ عندي أن ينالَ له رَغْمُ)
(فما زِلْتُ في لِينٍ له وتَعَطُّفٍ ... عليه كما تحنُو على الوَلَدِ الأمُّ)
(لأسْتَلَّ منه الضِّغْنَ حتّى سَلَلْتُه ... وإنْ كان ذَا ضِغْنٍ يَضِيقُ به الحِلْمُ)

قالوا ومن قائلها يا أمير المؤمنين قال معن بن أوس المزني

خروجه إلى البصرة

أخبرني عيسى بن حسين الوراق قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني سليمان بن عياش السعدي عن أبيه قال خرج معن بن أوس المزني إلى البصرة ليمتار منها ويبيع إبلا له فلما قدمها نزل بقوم من عشيرته فتولت ضيافته امرأة منهم يقال لها ليلى وكانت ذات جمال ويسار فخطبها فأجابته فتزوجها وأقام عندها حولا في أنعم
عيش فقال لها بعد حول يابنة عم إني قد تركت ضيعة لي ضائعة فلو أذنت لي فاطلعت طلع أهلي ورممت من مالي فقالت كم تقيم قال سنة فأذنت له فأتى أهله فأقام فيهم وأزمن عنها أي طال مقامه فلما أبطأ عليها رحلت إلى المدينة فسألت عنه فقيل لها إنه بعمق وهو ماء لمزينة فخرجت حتى إذا كانت قريبة من عمق نزلت منزلا كريما واقبل معن في طلب ذود له قد أضلها وعليه مدرعة من صوف وبت من صوف أخضر قال والبت الطيلسان وعمامة غليظة فلما رفع له القوم مال إليهم ليستسقي ومع ليلى ابن أخ لها ومولى من مواليها جالس أمام خباء له فقال له معن هل من ماء قال نعم وإن شئت سويقا وإن شئت لبنا فأناخ وصاح مولى ليلى يا منهلة وكانت منهلة الوصيفة التي تقوم على معن عندهم بالبصرة فلما أتته بالقدح وعرفها وحسر عن وجهه ليشرب عرفته وأثبتته فتركت القدح في يده وأقبلت مسرعة إلى مولاتها فقالت يا مولاتي هذا والله معن إلا أنه في جبة صوف وبت صوف فقالت هو والله عيشهم الحقي مولاي فقولي له هذا معن فاحبسه فخرجت الوصيفة مسرعة فأخبرت فوضع معن القدح وقال له دعني حتى ألقاها في غير هذا الزي فقال لست بارحا حتى تدخل عليها فلما رأته قال أهذا العيش الذي نزعت إليه يا معن قال إي والله يابنة عم أما إنك لو أقمت إلى أيام الربيع حتى ينبت البلد الخزامي والرخامي والسخبر والكمأة لأصبت عيشا طيبا فغسلت رأسه وجسده وألبسته ثيابا لينة وطيبته وأقام معها ليلته أجمع يهرجها ثم غدا متقدما إلى عمق حتى أعد لها طعاما ونحر ناقة وغنما وقدمت على الحي فلم تبق فيهم امرأة إلا أتتها وسلمت عليها فلم تدع منهن امرأة حتى وصلتها وكانت لمعن امرأة بعمق يقال لها أم حقة فقالت لمعن هذه والله خير لك مني فطلقني وكانت قد حملت فدخله من ذلك وقام ثم إن ليلى رحلت إلى مكة حاجة ومعن معها فلما فرغا من حجهما انصرفا فلما حاذيا منعرج الطريق إلى عمق قال معن يا ليلى كأن فؤادي ينعرج إلى ما هاهنا فلو أقمت سنتنا هذه حتى نحج من قابل ثم نرحل إلى البصرة فقالت ما أنا ببارحة مكاني حتى ترحل معي
إلى البصرة أو تطلقني فقال أما إذ ذكرت الطلاق فأنت طالق فمضت إلى البصرة ومضى إلى عمق فلما فارقته ندم وتبعتها نفسه فقال في ذلك

(تَوَهَّمْتُ رَبْعاً بالمُعَبِّرِ واضِحاً ... أبتْ قَرتاهُ اليومَ إلاَّ تَرَاوُحَا)
(أرَبَّتْ عليه رادةٌ حَضْرَمِيَّةَ ... ومُرْتَجِزٌ كأنَّ فيه المَصَابِحَا)
(إذا هي حَلَّتْ كَرْبَلاَءَ فَلَعْلَعاً ... فجَوْزَ العُذَيْبِ دونها فالنَّوابِحا)
(وبانتْ نَوَاها من نَوَاكَ وطاوعتْ ... معَ الشّانئين الشامتاتِ الكَوَاشِحَا)
(فقُولاَ لليلَى هل تُعوِّضُ نادماً ... له رجعةٌ قال الطلاقَ مُمَازِحا)
(فإنْ هي قالتْ لا فقُولا لها بَلَى ... ألاَ تَتَّقِينَ الجارياتِ الذَّوَابِحا)

وهي قصيدة طويلة فلما انصرف وليست ليلى معه قالت له امرأته أم حقة ما فعلت ليلى قال طلقتها قالت والله لو كان فيك خير ما فعلت ذلك فطلقني أنا أيضا فقال لها معن

(أعاذِلُ أقْصِرِي ودَعِي بَيَاتِي ... فإنَّكِ ذاتُ لَوْماتٍ حُمَاتِ
(فإنّ الصُّبْحَ مُنْتَظَرٌ قريبٌ ... وإنَّكِ بالمَلاَمةِ لن تُفَاتي)
(نأت لَيْلَى فليلَى لاتُواتِي ... وضَنَّتْ بالمَوَدّةِ والبَتَاتِ)
(وَحَلَّتْ دارها سَفَوانَ بَعْدِي ... فذا قَارٍ فَمُنْخَرَقَ الفُرَاتِ)
(تُراعِى الرِّيفَ دائبةً عليها ... ظِلاَلُ ألَفَّ مُخْتَلِطِ النَّبَاتِ)
(فدَعْها أو تَنَاوَلْها لِعَنْسٍ ... من العِيديّ في قُلُصٍ شِخَاتِ)

وهي قصيدة طويلة قال وقال لأم حقة في مطالبتها إياه بالطلاق

(كأنْ لم يَكُنْ يا أُمَّ حِقّةَ قبلَ ذا ... بمَيْطانَ مُصطافٌ لنا ومَرابِعُ)
(وإذْ نحن في غُصْنِ الشَّبابِ وقد عسا ... بنا الآنَ إلاّ أنْ يُعَوَّضَ جازِعُ)
(فقد أنكرتْه أُمُّ حِقّةَ حادِثاً ... وأنكرها ما شِئْتَ والوُدُّ خادعُ)

(ولو آذنتْنا أمُّ حِقّةَ إذ بنا ... شبابٌ وإذ لمّا تَرُعْنا الرَّوَائِعُ
(لَقُلْنا لها بِيني بِلَيْلٍ حميدةً ... كذاكِ بلا ذمٍّ تُؤَدَّى الوَدائِعُ)
صوت
(أعابدُ حُيِّيتُم على النَّأْيِ عابدًا ... سقاكِ الإلهُ المُنْشَآتِ الرَّواعِدا)
(أعابِدَ ما شمسُ النَّهارِ إذا بدتْ ... بأحسنَ مما بين عَيْنَيْكِ عابدا)
ويروى
(... أعابِدَ ما شمسُ النهارِ بدتْ لنا)
ويروى
(أعابِدُ ما الشَّمْسُ التي برزَتْ لنا ... بأحسنَ مما بين ثَوْبَيْك عابدا)
الشعر للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب والغناء لعطرد ثاني ثقيل بالبنصر وفيه ليونس لحن من كتابه غير مجنس

أخبار الحسين بن عبد الله

قد تقدم نسبه وهو أشهر من أن يعاد ويكنى أبا عبد الله وكان من فتيان بني هاشم وظرفائهم وشعرائهم وقد روى الحديث وحمل عنه وله شعر صالح وهذه الأبيات يقولها في زوجته عابدة بنت شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص وهي أخت عمرو بن شعيب الذي يروى عنه الحديث وفيها يقول قبل أن يتزوجها
(أعاذِلُ إنّ الحُبَّ لا شكَّ قاتِلِي ... لئن لم تُقَارِضْني هَوَى النَّفس عابِدَهْ)
(أعابِدُ خافي اللهَ في قتلِ مُسْلِمٍ ... وجُودِي عليه مَرَّةً قَطُّ واحِدَهْ)
(فإنْ لم تُريدِي فيَّ أجراً ولا هَوًى ... لَكُمْ غيرَ قَتْلِي يا عُبَيْدُ فَرَاشِدَهْ)
(فكَمْ ليلةٍ قد بِتُّ أرْعَى نُجُومَها ... وعَبْدةُ لا تَدْرِي بذلك راقِدَهْ)
الغناء لحكم الوادي رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق
فمما حمل عنه من الحديث ماحدثني به أحمد بن سعيد قال حدثني محمد بن عبيد الله بن المنادى قال حدثني يونس بن محمد قال حدثنا أبو أويس عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس قال مر النبي على حسان بن ثابت وهو في ظل فارع وحوله أصحابه وجاريته سيرين تغنيه بمزهرها
(هَلْ عليَّ وَيْحَكُمَا ... إنْ لَهَوتُ من حرجِ)
فضحك النبي ثم قال لا حرج إن شاء الله
وكانت أم عابدة هذه عمة حسين بن عبد الله بن عبيد الله أمها عمرة بنت عبيد الله بن العباس تزوجها شعيب فولدت له محمدا وشعيبا ابني شعيب وعابدة وكان يقال لها عابدة الحسن وعابدة الحسناء
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال
حدثني محمد بن يحيى قال خطب عابدة بنت شعيب بكار بن عبد الملك وحسين بن عبد الله فامتنعت على بكار وتزوجت الحسين فقال له بكار كيف تزوجتك العابدة واختارتك مع فقرك فقال له الحسين أتعيرنا بالفقر وقد نحلنا الله تعالى الكوثر
أخبرني الحرمي والطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكار عن عمه قال كان حسين بن عبد الله أمه أم ولد وكان يقول شيئا من الشعر وتزوج عابدة بنت شعيب وولدت منه وبسببها ردت على ولد عمرو بن العاص أموالهم في دولة بني العباس وكان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر صديقا له ثم تنكر ما بينهما فقال فيه ابن معاوية
(إنَّ ابنَ عَمِّكَ وابنَ أُمِّكَ ... مُعْلَمٌ شاكِي السِّلاَحِ)
(يَقِصُ العَدُوَّ وليس يَرْضَى ... حين يَبْطِشُ بالجِرَاحِ)
(... لا تَحْسَبَنَّ أذَى ابن عَمِّكَ شُرْبَ ألْبانِ اللِّقاحِ)
(بَلْ كالشَّجاةِ ورا اللَّهاةِ ... إذَا تُسَوَّغُ بالقَرَاحِ)
(فاخْتَرْ لنفسِك مَنْ يُجِي ... بُكَ تحتَ أطرافِ الرِّماحِ)
(مَنْ لا يزالُ يَسُوءُهُ ... بالغَيْبِ أنْ يلحاكَ لاحِ)
فقال حسين له
(أبْرِقْ لِمَنْ يَخْشَى وأوْعِدْ ... غيرَ قَوْمِكَ بالسِّلاحِ)
(لسنا نَقِرُّ لِقائلٍ ... إلاَّ المُقَرَّطَ بالصَّلاَحِ)
قال ولحسين يقول ابن معاوية
(قُلْ لِذِي الوِدِّ والصَّفاءِ حُسَيْنٍ ... اقْدُرِ الوُدَّ بينَنا قَدَرَهْ)
(ليس لِلدَّابِغِ المُحَلِّمِ بُدٌّ ... من عتابِ الأدِيمِ ذي البَشَرَهْ)
(لستُ إنْ راغَ ذو إخاءٍ ووِدٍّ ... عَنْ طَرِيقٍ بتابِعٍ أثَرَهْ)
(بَلْ أُقِيمُ القَناةَ والوُدَّ حتّى ... يَتْبَعَ الحقَّ بعدُ أو يَذَرَهْ)
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد ابن سلام قال
كان صديقا لابن أبي السمح
كان مالك بن أبي السمح الطائي المغني صديقا للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس ونديما له وكان يتغنى في اشعاره وله يقول الحسين رحمه الله تعالى
((لا عَيْشَ إلاَّ بمالكِ بنِ أبِي السَّمحِ فلا تَلْحَنِي ولا تَلُمِ
(أبْيَضُ كالسيفِ أو كما يَلْمَعُ البَارِقُ ... في حِنْدِسٍ مِنَ الظُّلَمِ)
(يُصِيبُ مِنْ لَذَّةِ الكريمِ ولا ... يَهْتِكُ حقَّ الإسلامِ والحُرَمِ)
(يا رُبَّ ليلٍ لنا كحاشِيةِ البُرْدِ ... ويومٍ كذاكَ لم يَدُمِ)
(قد كنتُ فيه ومالِكُ بنِ أبِي السمحِ ... الكريمِ الأخلاقِ والشِّيَمِ)
(مَنْ ليس يَعْصِيك إنْ رَشَدْتَ ولا ... يَجْهَلُ آيَ التَّرْخِيصِ في اللَّمَمِ)

قال فقال له مالك ولا إن غويت والله بأبي أنت وأمي أعصيك قال وغنى مالك بهذه الأبيات بحضرة الوليد بن يزيد فقال له أخطأ حسين في صفتك إنما كان ينبغي أن يقول
(أحْوَل كالقِرْدِ أو كما يخرُج السَّارقُ ... في حالكٍ من الظُّلَمِ)
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال
كان الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس إذا صلى العصر دخل منزله سمع الغناء عشيته فأتاه قوم ذات عشية في حاجة لهم فقضاها ثم جلسوا يحدثونه فلما أطالوا قال لهم أتأذنون فقالوا نعم فقام في أصحاب له وهو يقول
(قُومُوا بنا ندرك من العيش لَذّةً ... ولا اثم فيها للتَّقِّي ولا عارَا)
صوت
(إنّ حَرْباً وإنّ صَخْراً أبا سُفْيانَ ... حازَا مَجْداً وعِزّاً تليدَا)
(فهُما وارثا العُلاَ عن جُدُودٍ ... وَرِثُوها آباءَهم والجُدُودَا)
الشعر لفضالة بن شريك الأسدي من قصيدة يمدح بها يزيد بن معاوية وبعد هذين البيتين يقول
(وحَوَى إرثَها معاويةُ القرمُ ... وأعطَى صَفْوَ التُّرَاثِ يزيدَا)
والغناء لإبراهيم بن خالد المعيطي ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي والله أعلم
أخبار فضالة بن شريك ونسبه
هو فضالة بن شريك بن سلمان بن خويلد بن سلمة بن عامر موقد النار بن الحريش بن نمير بن والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار وكان شاعرا فاتكا صعلوكا مخضرما أدرك الجاهلية والإسلام وكان له ابنان شاعران أحدهما عبد الله بن فضالة الوافد على عبد الله بن الزبير والقائل له إن ناقتي قد نقبت ودبرت فقال له ارقعها بجلد واخصفها بهلب وسر بها البردين فقال له إني قد جئتك مستحملا لا مستشيرا فلعن الله ناقة حملتني إليك فقال له ابن
الزبير إن وراكبها فانصرف من عنده وهو يقول
(أقولُ لغِلْمَتي شُدُّوا رِكَابي ... أجَاوِزْ بَطْنَ مكّة في سَوَاد)
(فمالي حينَ أَقْطَعُ ذاتَ عِرْقٍ ... إلى ابنِ الكاهِلِيّةِ من مَعَادِ)
(سَيُبْعِدُ بينَنا نَصُّ المَطَايَا ... وتَعْلِيقُ الأَدَاوَى والمَزَادِ)
(وكلُّ مُعَبَّدٍ قد أعلمتْهُ ... مَنَاسِمُهُنَّ طلاعَ النِّجَادِ)
(أرَى الحاجاتِ عند أبي خُبَيْبٍ ... نَكِدْنَ ولا أُمَيَّةَ بالبلادِ)
(مِنَ الأعياص أو مِنْ آل حَرْبٍ ... أغرُّ كغُرّةِ الفَرَسِ الجَوَادِ)
حدثنا بذلك محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز المدائني فأما فاتك بن فضالة فكان سيدا جوادا وله يقول الأقيشر يمدحه
(وَفَد الوفودُ فكنتَ أفضلَ وَافِدٍ ... يا فاتِكُ بنَ فَضَالة بن شَرِيكِ)
أخبرني بما أذكر من أخباره هاهنا مجموعا علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب وما ذكرته متفرقا فأنا ذاكر إسناده عمن أخذته قال ابن حبيب
فضالة الهجاء
مر فضالة بن شريك بعاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وهو متبد بناحية المدينة فنزل به فلم يقره شيئا ولم يبعث إليه ولا إلى أصحابه
بشيء وقد عرفوه مكانهم فارتحلوا عنه والتفت فضالة إلى مولى لعاصم فقال له قل له أما والله لأطوقنك طوقا لا يبلى وقال يهجوه
(ألاَ أيها الباغي القِرَى لستَ واجداً ... قِرَاكَ إذا ما بِتَّ في دار عاصمِ)
(إذَا جئتَه تَبْغِي القِرى باتَ نائماً ... بطِيناً وأمسَى ضَيْفُهُ غيرَ نائِمِ)
(فدَعْ عاصماً أُفٍّ لأفعالِ عاصمٍ ... إذا حُصِّلَ الأقوامِ أهلُ المكارمِ)
(فتًى من قُرَيْشٍ لا يجودُ بنائلٍ ... ويَحْسَبُ أنّ البُخْلَ ضَرْبَةُ لازِمِ)
(ولولا يدُ الفاروق قَلَّدْتُ عاصماً ... مُطَوَّقةً يُحْدَى بها في المَوَاسِمِ)
(فليتَك من جَرْمِ بن زَبَّانَ أو بَنِي ... فُقَيْمٍ أو النَّوكَى أبَانَ بن دَارِمِ)
(أُناسٌ إذا ما الضَّيْفُ حلَّ بُيوتَهم ... غَدَا جائعاً عَيْمانَ ليس بغانم)
قال فلما بلغت أبياته عاصما استعدى عليه عمرو بن سعيد بن العاص وهو يؤمئذ بالمدينة أمير فهرب فضالة بن شريك فلحق بالشأم وعاذ بيزيد بن معاوية وعرفه ذنبه وما تخوف من عاصم فأعاذه وكتب إلى عاصم يخبره أن فضالة أتاه مستجيرا به وأنه يحب أن يهبه له ولا يذكر لمعاوية شيئا من أمره ويضمن له ألا يعود لهجائه فقبل ذلك عاصم وشفع يزيد بن معاوية فقال فضالة يمدح يزيد بن معاوية
(إذَا ما قُرَيْشٌ فاخرتْ بقَدِيمِها ... فَخَرْتَ بمَجْدٍ يا يزيدُ تَلِيدِ
(بمجْدِ أمير المؤمنين ولم يَزَلْ ... أبوكَ أمينُ اللهِ غيرَ بَلِيد)
(به عَصَمَ اللهُ الأنامَ من الرَّدَى ... وأدركَ تَبْلاً من مَعَاشِرِ صِيدِ)
(ومَجْدِ أبي سُفْيان ذِي الباعِ والنَّدَى ... وحرْبٍ وما حَرْبُ العُلاَ بزَهِيد)
(فمَنْ ذا الذي إن عدَّد الناسُ مَجْدَهم ... يجيء بمَجْدٍ مثْلِ مجدِ يزيدِ)
وقال فيه القصيدة المذكور فيها الغناء في هذه القصة بعينها
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني السكري عن ابن حبيب قال كان عبد الله بن الزبير قد ولى عبد الله بن مطيع بن الأسود بن نضلة بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب الكوفة فطرده عنها المختار بن أبي عبيد حين ظهر فقال فضالة بن شريك يهجو ابن مطيع
(دعا ابنُ مُطِيعٍ لِلْبِاع فجئتُه ... إلى بَيْعةٍ قلبي بها غيرُ عارِفِ)
(فقرَّبَ لي خَشْنَاء لمّا لَمَسْتُها ... بِكَفِّيَ لم تُشْبِهْ أكُفَّ الخَلاَئِف
(مُعَوَّدَةً حَمْلَ الهراوى لِقَوْمِها ... فَرُوراً إذا ما كان يومُ التَّسَايُفِ)

(من الشَّثناتِ الكُرْمِ أنكرتُ لَمْسَها ... وليستْ من البِيضِ السِّبَاطِ اللَّطائفِ)
(ولَمْ يُسْمِ إذْ بايعتُهُ منْ خَلِيفَتِي ... ولم يَشتَرطْ إلاّ اشتراطِ المُجَازِفِ)
(متى تَلْقَ أهلَ الشامِ في الخَيْلِ تَلْقَنِي ... على مُقْرَبٍ لا يُزْدَهَى بالمَجَاذِفِ)
(مُمَرٍّ كبُنْيانِ العِبَادِيِّ مُخْطَفٍ ... من الضَّارياتِ بالدِّماءِ الخَوَاطِفِ)
وقال ابن حبيب في هذا الإسناد تزوج عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الجمحي امرأة من بني نصر بن معاوية وسأل في صداقها بالكوفة فكان يأخذ من كل رجل سأله درهمين درهمين فقال له فضالة بن شريك يهجوه بقوله
(أنْكَحْتُمُ يا بني نَصْرٍ فَتَاتَكُمُ ... وَجْهاً يَشِينُ وُجوهَ الرَّبْرَبِ العِينِ)
(أنكحتُمُ لا فَتَى دُنْيَا يُعاشُ به ... ولا شُجَاعاً إذا انْشَقَّتْ عَصَا الدِّينِ)
(قد كنتُ أرجو أبا حفْصٍ وسُنَّتَهُ ... حتَّى نَكَحْتَ بأرزاقِ المَسَاكِينِ)
وقال ابن حبيب في هذا الإسناد أودع فضالة بن شريك رجلا من بني سليم يقال له قيس ناقة فخرج في سفر فلما عاد طلبها منه فذكر أنها سرقت فقال فيه
(ولَوْ أنَّنِي يومَ بَطْنِ العَقِيقِ ... ذَكرتُ وذو اللُّبِّ يَنْسَى كَثِيرَا)
((مُصَابَ سُلَيْمٍ لِقاحَ النَّبِيِّ لَمْ ... أُودِعِ الدَّهْرَ فيهمْ بعيرَا
(وقد فاتَ قَيْسٌ بعَيرانَةٍ ... إذا الظِّلُّ كان مَدَاهُ قَصيرَا)
(مِنَ اللاعِباتِ بِفَضْلِ الزِّمَامِ ... إذا أقلقَ السَّيْرُ فيه الضُّفُورَا)
(ومنْ يَبْكِ منكمْ بَني مُوقِدٍ ... ولم يَرهُمْ يَبْكِ شَجْواً كَبِيرَا)
(هُمُ العاسِفُونَ صِلابُ القَنَا ... إذا الخيلُ كانتْ منَ الطَّعْنِ زُورَا)
(وأيْسارُ لُقْمَانَ إذْ أمْحلُوا ... وعِزٌّ لِمَنْ جاءَهم مُسْتَجِيرَا)
(فإنْ أنا لم يُقْضَ لِي أَلْقَهُمْ ... قَرَأتُ السَّلامَ عليهِمْ كَثيرا)
وذكر ابن حبيب في هذه الرواية أن القصيدة التي ذكرتها عن المدائني في خبر عبد الله بن فضالة بن شريك مع ابن الزبير كانت مع فضالة وابن الزبير لا مع ابنه وذكر الأبيات وزاد فيها
(شَكوتُ إليه أنْ نَقِبتْ قَلُوصِي ... فَرَدَّ جوابَ مَشْدُودِ الصِّفَادِ)
(يَضَنُّ بناقةٍ ويرومُ مُلْكاً ... مُحالٌ ذلِكُمْ غَيرُ السَّدَادِ)
(وَلِيتَ إمارةً فَبَخِلْتَ لمّا ... وَلِيتَهُمُ بِمُلْكٍ مُسْتَفادِ)
(فإنْ وَلِيَتْ أُمَيَّةُ أبْدَلُوكُمْ ... بِكُلِّ سَمَيْدَعٍ وارِي الزِّنادِ)
(منَ الأَعْيَاصِ أوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ ... أغَرَّ كغُرَّةِ الفَرَسِ الجَوَادِ)
(إذا لَمْ أَلْقَهُم بِمِنًى فإنِّي ... ببَيْتٍ لا يَهشُّ له فؤادِي)
(سَيُدْنِيني لَهُمْ نَصُّ المَطايَا ... وتعليقُ الأدَاوَى والمزَادِ)
(وظَهْرُ مُعَبَّدٍ قد أعْلَمَتْهُ ... مَنَاسِمُهُنَّ طَلاّعَ النِّجادِ)
(رَعَيْنَ الحَمْضَ حَمْضَ خُنَاصِراتٍ ... وما بالعِرْقِ من سَبَلِ الغَوَادي)
(فهُنَّ خَواضِعُ الأبدانِ قُودٌ ... كأنَّ رؤوسهن قبورُ عادِ)
(كأنَّ مَوَاقِعَ الغِرْبانِ منها ... مَنَاراتٌ بُنِينَ على عِمَادِ)
قال فلما ولي عبد الملك بعث إلى فضالة يطلبه فوجده قد مات فأمر لورثته بمائة ناقة تحمل وقرها برا وتمرا قال والكاهلية التي ذكرها زهرة بنت خنثر امرأة من بني كاهل بن أسد وهي أم خويلد بن أسد بن عبد العزى
صوت
(لقدْ طالَ عَهْدِي بالإمامِ محمدٍ ... وما كنتُ أخشَى أن يطولَ به عهدِي)
(فأصبحتُ ذَا بُعْدٍ وداري قريبةٌ ... فَواعَجَبَا من قُرْبِ دارِي ومن بُعْدِي)
(فيا ليتَ أنَّ العِيدَ لِي عاد يَوْمُهُ ... فإنِّي رأيت العِيدَ وَجْهَكَ لي يُبْدِي)
(رأيتُكَ في بُرْدِ النبيِّ محمدٍ ... كَبدْرِ الدُّجَى بين العِمامةِ والبُرْدِ)
الشعر لأبي السمط مروان الأصغر بن أبي الجنوب بن مروان الأكبر بن أبي حفصة والغناء لبنان خفيف رمل مطلق ابتداؤه ونشيد وذكر الصولي أن هذا الشعر ليحيى بن مروان وهذا غلط قبيح
أخبار مروان الأصغر
قد مر نسبه ونسب أبيه وأهله وأخبارهم متقدما وكان مروان هذا آخر من بقي منهم يعد في الشعراء وبقي بعده منهم متوج وكان ساقطا بارد الشعر فذكر لي عن أبي هفان أنه قال شعر آل أبي حفصة بمنزلة الماء الحار ابتداؤه في نهاية الحرارة ثم تلين حرارته ثم يفتر ثم يبرد وكذا كانت أشعارهم إلا أن ذلك الماء لما انتهى إلى متوج جمد
وهذا الشعر يقوله مروان في المنتصر وكان قد أقصاه وجفاه وأظهر خلافا لأبيه في سائر مذاهبه حتى في التشيع فطرد مروان لنصبه وأخرجه عن جلسائه فقال هذه الأبيات وسأل بنان بن عمرو فغنى فيها المنتصر ليستعطفه وخبره في ذلك يذكر في هذا الموضع من الكتاب
مدحه المتوكل
أخبرني عمي وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني حماد بن أحمد بن سليمان الكلبي قال حدثني أبو السمط مروان الأصغر قال
لما دخلت إلى المتوكل مدحته ومدحت ولاة العهود الثلاثة وأنشدته
(سَقَى اللهُ نَجْداً والسلامُ على نَجْدِ ... ويا حَبَّذَا نجدٌ على النَّأْيِ والبُعْدِ)
(نظرتُ إلى نجدٍ وبغدادُ دونها ... لَعَلِّي أرى نجداً وهيهاتَ من نجدِ)
(ونجدٌ بها قومٌ هَواهُمْ زيَارتي ... ولا شيءَ أحلَى من زيارتِهم عندي)
قال فلما فرغت منها أمر لي بمائة وعشرين ألف درهم وخمسين ثوبا وثلاثة من الظهر فرس وبغلة وحمار ولم أبرح حتى قلت قصيدتي التي أشكره فيها وأقول
(تَخَيَّرَ النَّاسِ للنّاس جعفرَا ... ومَلَّكَه أمرَ العِبَادِ تَخُّيرَا)
فلما صرت إلى هذا البيت

(فأمْسِكْ نَدَى كَفَّيْكَ عنِّي ولا تزد ... فقد كِدْتُ أنْ أطغَى وأن أتَجبَّرَا)
قال لي لا والله لا أمسك حتى أغرقك بجودي
وحدثني عمي بهذا الخبر قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني
حماد بن أحمد بن يحيى قال حدثني مروان بن أبي الجنوب فذكر مثل هذا الخبر سواء وقال بعد قوله لا والله لا أمسك حتى أغرقك سلني حاجتك فقلت يا أمير المؤمنين الضيعة التي أمرت أن أقطعها باليمامة ذكر ابن المدبر أنها وقف المعتصم على ولده فقال قد قبلتك إياها مائة سنة بمائة درهم فقلت لا يحسن أن تضمن ضيعة بدرهم في السنة فقال ابن المدبر فبألف درهم في كل سنة فقلت نعم فأمر ابن المدبر أن ينفذ ذلك لي وقال ليست هذه حاجة هذه قبالة فسلني حاجتك فقلت ضيعة يقال لها السيوح أمر الواثق بإقطاعي إياها فمنعنيها ابن الزيات فأمر بإمضاء الإقطاع لي

هجاؤه علي بن الجهم

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال كان علي بن الجهم يطعن على مروان بن أبي الجنوب ويثلبه حسدا له على موضعه من المتوكل فقال له المتوكل يوما يا علي أيما أشعر أنت أو مروان فقال أنا يا أمير المؤمنين فأقبل على مروان فقال له قد
سمعت فما عندك قال كل أحد أشعر مني يا أمير المؤمنين وما أصف نفسي ولا أزكيها وإذا رضيني أمير المؤمنين فماأبالي من زيفني فقال له قد صدقتك علي يزعم سرا وجهرا أنه أشعر منك فالتفت إليه مروان فقال له يا علي أأنت أشعر مني فقال أوتشك في ذاك قال نعم أشك وأشك وهذا أمير المؤمنين بيننا فقال له علي إن أمير المؤمنين يحابيك فقال المتوكل هذا عي منك يا علي ثم قال لابن حمدون احكم بينهما فقال طرحتني والله يا أمير المؤمنين بين أنياب ومخالب أسدين قال والله لتحكمن بينهما فقال له أما إذ حلفت يا أمير المؤمنين فأشعرهما عندي أعرفهما في الشعر فقال له المتوكل قد سمعت يا علي قال قد عرف ميلك إليه فمال معه فقال دعنا منك هذا كله عي فإن كنت صادقا فاهج مروان قال قد سكرت ولا فضل في فقال المتوكل لمروان اهجه أنت وبحياتي لا تبق غاية فقال مروان
(إنّ ابن جَهْمٍ في المَغيبِ يَعيبُني ... ويقول لي حَسَناً إذا لاَقَاني)
(صَغُرتْ مَهَابتُه وعَظُمَ بَطْنُه ... فكأنّما في بطنه وَلَدَانِ)
(وَيْحَ ابن جَهْمٍ ليس يَرْحَم أُمَّهُ ... لو كان يرحمها لَمَا عاداني)
(فإذا التقينا ناك شِعْري شِعْرَه ... ونَزَا على شَيطانه شيطاني)
قال فضحك المتوكل والجلساء منه وانخزل ابن الجهم فلم يكن عنده أكثر من أن قال جمع حيلة الرجال وحيلة النساء فقال له المتوكل
هذا أيضا من عيك ويردك إن كان عندك شيء فهاته فلم يأت بشيء فقال لمروان بحياتي إن حضرك شيء فهاته ولا تقصر في شتمك فقال مروان
(لَعَمْرُكَ ما الجَهْمُ بن بَدْرٍ بشاعرٍ ... وهذا عليٌّ بعده يَدّعِي الشِّعْرَا)
(ولكن أبي قد كان جاراً لأُمِّه ... فلمّا ادّعى الأشعارَ أوهمني أمْرَا)
قال فضحك المتوكل وقال زده بحياتي فقال فيه
(يابنَ بَدْرٍ ياعَلِيَّهْ ... قُلْتِ إنِّي قُرَشِيَّهْ)
(قلتِ ما ليس بِحقٍّ ... فاسْكُتِي يانَبَطِيَّهْ)
(أُسْكُتِي يا بنتَ جَهْمٍ ... أُسْكُتِي يا حَلَقِيَّهْ)
فأخذ عبادة هذه الأبيات فغناها على الطبل وجاوبه من كان يغني والمتوكل يضحك ويضرب بيديه ورجليه وعلي مطرق كأنه ميت ثم قال علي بالدواة فأتي بها فكتب
(بَلاءٌ ليس يُشْبِهُهُ بَلاَءٌ ... عَدَاوةُ غير ذي حَسَبٍ ودِينِ)
(يُبِيحُكَ منه عِرْضاً لم يَصُنْهُ ... ويرتَعُ منك في عِرْضٍ مَصُونِ)
أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني جعفر بن هارون بن زياد قال حدثني محمد بن السري قال لما مدح علي بن الجهم وهو محبوس المتوكل بقوله
(تَوَكَّلْنا على رَبِّ السماءِ ... وسلمنا لأسباب القضاءِ)
وذكر فيها جميع الندماء وسبعهم وهجاهم انتدب له مروان بن أبي الجنوب فعارضه فيها وقد كان المتوكل رق له فلما أنشده مروان هذه القصيدة اعتورته ألسنة الجلساء فثلبوه واغتابوه وضربوا عليه فتركه في محبسه والقصيدة
(ألم تَعْلَمْ بأنَّك يابنَ جَهْمٍ ... دَعِيٌّ في أُنَاسٍ أدعياءِ)
(أعبدَ الله تهجو وابنَ عَمْرٍ ... وبخْتِيشُوعَ أصحابَ الوفاءِ)
(هجوتَ الأكرمين وأنت كلبٌ ... حقيقٌ بالشَّتِيمةِ والهجاءِ)
(أتَرْمِي بالزِّناءِ بني حَلاَلٍ ... وأنت زَنِيمُ أولادِ الزِّناءِ)
(أُسَامةُ من جُدُودِك يابنَ جَهْمٍ ... كذبتَ وما بذلك من خَفَاءِ)
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا الحسين بن يحيى قال حدثني إبراهيم بن الحسن قال لما كان من أمر العباس بن المأمون وعجيف ما كان أنشد مروان بن أبي الجنوب المعتصم قصيدة أولها
(ألاَ يا دولةَ المَعْصُومِ دُومِي ... فإنَّك قُلْت للدُّنْيا استقيمي)
فلما بلغ إلى قوله
(هَوَى العبّاسُ حين أراد غَدْراً ... فَوافى إذ هوى قَعْرَ الجحيم)
(كذاك هَوَى كَمَهْوَاهُ عُجَيْفٌ ... فأصبحَ في سَوَاءِ لظَى الحَمِيم)
قال المعتصم أبعده الله
حدثني جعفر بن قدامة قال حدثنا أبو العيناء قال دخل مروان الأصغر بن أبي الجنوب على أشناس وقد مدحه بقصيدة فأنشده إياها فجعل أشناس يحرك رأسه ويومىء بيديه ويظهر طربا وسرورا وأمر له بصلة فلماخرج قال له كاتبه رأيت الأمير قد طرب وحرك رأسه ويديه لماكان يسمعه فقد فهمه قال نعم قال فأي شيء كان يقول قال ما زال يقول على رقية الخبز حتى حصل ما أراد وانصرف
حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال كان المتوكل يعابثني كثيرا فقال في يوم من الأيام

لمروان بن أبي الجنوب اهج علي بن يحيى فقال مروان
(ألاَ إنّ يحيى لا يُقَاسُ إلى أبي ... وعِرْضُ ابن يحيى لا يُقَاسُ إلى عِرْضي)
وهي أبيات تركت ذكرها صيانة لعلي بن يحيى قال فأجبته عنها فقلت
(صدقتَ لَعَمْري ما يقاسُ إلى أبي ... أبوكَ ومَنْ قاس الشَّوَاهِقَ بالخَفْض)
(وهَلْ لكَ عِرْضٌ طاهر فتَقِيسَهُ ... إذا قِيسَتِ الأعراضُ يوماً إلى عِرْضي)
(ألستمْ مَوَالي لِلَّعِين ورهْطِهِ ... أعادي بني العَبَّاسِ ذي الحَسَبِ المَحْضِ)
(تُوَالُونَ مَنْ عادَى النبيَّ ورَهْطَهُ ... فتَرْمُونَ مَنْ وَالَى أولي الفَضْل بالرَّفْض)
(وليس عجيباً أنْ أرَى لكَ مُبْغِضاً ... لأنَّكَ أهلٌ للعَداوةِ والبُغْض)
حدثني جحظة قال حدثني علي بن يحيى قال أنشد مروان بن أبي الجنوب المتوكل ذات يوم
(إنِّي نزلتُ بساحة المُتَوَكِّل ... ونزلتَ في أقصَى دِيَار المَوْصِلِ)
فقال له بعض من حضر فكيف الاتصال بين هؤلاء والمراسلة فقال أبو العنبس الصيمري كان له حمام هدى يبعث بها إليه من الموصل حتى يكاتبه على أجنحتها فضحك المتوكل حتى استلقى وخجل مروان وحلف بالطلاق لا يكلم أبا العنبس أبدا فماتا متهاجرين كذا أكبر حفظي أن جحظة حدثني به عن علي بن يحيى فإني كتبته عن حفظي
علي بن الجهم يتهمه بانتحال الشعر
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال قرأت في كتاب قديم قال عوف بن محلم لعبد الله بن طاهر في علة اعتلها
(فإنْ تَكُ حُمَّى الرِّبْع شَفَّكَ وِردُها ... فعُقْبَاكَ منها أن يطولَ لك العُمْرُ)
(وَقَيْنَاكَ لو نُعْطى المُنَى فيك والهَوَى ... لكان بِنا الشَّكْوَى وكان لك الأَجْرُ)
قال ثم حم المتوكل حمى الربع فدخل عليه مروان بن أبي الجنوب بن مروان بن أبي حفصة فأنشده قصيدة له على هذا الروي وأدخل البيتين فيها فسر بها المتوكل فقال له علي بن الجهم يا أمير المؤمنين هذا شعر مقول والتفت إلي وقال هذا يعلم فالتفت إلي المتوكل وقال أتعرفه فقلت ما سمعته قبل اليوم فشتم علي بن الجهم وقال له هذا من حسدك وشرك وكذبك فلما خرجنا قال علي بن الجهم ويحك ما لك قد جننت أما تعرف هذا الشعر قلت بلى وأنشدته إياه فلما عدت إلى المتوكل من غد قال له يا أمير المؤمنين قد اعترف لي بالشعر وأنشدنيه فقال لي أكذاك هو فقلت كذب يا أمير المؤمنين ما سمعت به قط فازداد عليه غيظا وله شتما فلما خرجنا قال لي ما في الأرض شر منك فقلت له أنت أحمق تريد مني أن أجيء إلى شعر قد قاله فيه شاعر يحبه ويعجبه شعره فأقول له إني أعرفه فأوقع نفسي وعرضي في لسان الشاعر لترتفع أنت عنده وسقط ذاك ويبغضني أنا
صوت
(ما لإبراهيمَ في العِلْمِ ... بهذا الشَّأنِ ثان)
(إنمَّا عُمْرُ أبي إسْحاقَ زَيْنٌ لِلزَّمانِ)
(فإذَا غَنَّى أبو إسْحاقَ ... أجابتهُ المَثَاني)
(منه يُجْنَى ثَمَرُ اللَّهْو ... ورَيْحان الجِنَانِ)
(جَنَّةُ الدُّنْيا أبو إسحاقَ ... في كلِّ مكانِ)
عروضه من الرمل - الشعر لابن سيابة والغناء لإبراهيم الموصلي خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن - إسحاق ابنه
أخبار إبراهيم بن سيابة ونسبه
إبراهيم بن سيابة مولى بني هاشم وكان يقال إن جده حجام أعتقه بعض الهاشميين وهو من مقاربي شعراء وقته ليست له نباهة ولا شعر شريف وإنما كان يميل بمودته ومدحه إلى إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق فغنيا في شعره ورفعا منه وكانا يذكرانه للخلفاء والوزراء ويذكرانهم به إذا غنيا في شعره فينفعانه بذلك وكان خليعا ماجنا طيب النادرة وكان يرمى بالأبنة
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثني أبو زائدة عن جعفر بن زياد قال عشق ابن سيابة جارية سوداء فلامه أهله على ذلك وعاتبوه فقال
(يكونُ الخالُ في وجهٍ قَبِيحٍ ... فيكسُوه المَلاحةَ والجمالا)
(فكيف يُلاَمُ معشوقٌ على مَنْ ... يراها كلَّها في العين خالاَ)
أخبرني محمد بن مزيد وعيسى بن الحسين والحسين بن يحيى قالوا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال لقي إبراهيم بن سيابة وهو سكران ابنا لسوار بن عبد الله القاضي أمرد
فعانقه وقبله وكانت معه داية يقال لها رحاص فقيل لها إنه لم يقبله تقبيل السلام إنما قبله قبلة شهوة فلحقته الداية فشتمته وأسمعته كل ما يكره وهجره الغلام بعد ذلك فقال له
(قُلْ لِلَّذِي ليس لي مِنْ ... يَدَيْ هَوَاهُ خَلاَصُ)
(أأن لَثمتُكَ سِراً ... فأبصرتْني رِحَاصُ)
(وقال في ذاك قومٌ ... على انتْقاصِي حِرَاصُ)
(هَجَرْتَني وأتتني ... شَتِيمةٌ وانتقاصُ)
(فهَاكَ فاقْتَصَّ مِنِّي ... إنّ الجُروحَ قِصَاصُ)
ويروى أن رحاص هذه مغنية كان الغلام يحبها وأنه سكر ونام فقبله ابن سيابة فلما انتبه قال للجارية ليت شعري ما كان خبرك مع ابن سيابة فقالت له سل عن خبرك أنت معه وحدثته بالقصة فهجره الغلام قال هذا الشعر
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا علي بن الصباح قال عاتبنا ابن سيابة على مجونة فقال ويلكم لأن ألقى الله تبارك وتعالى بذل المعاصي فيرحمني أحب إلي من أن ألقاه أتبختر إدلالا بحسناتي فيمقتني
قال ورأيت ابن سيابة يوما وهو سكران وقد حمل في طبق يعبرون به على الجسر فسألهم إنسان ما هذا فرفع رأسه من الطبق وقال هذا بقية مما
ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة يا كشخان

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا أبو الشبل البرجمي قال
ولع يوما أبو الحارث جميز بابن سيابة حتى أخجله فقال عند ذلك ابن سيابة يهجوه
(بَنَى أبو الحارثِ الجُمَّيْز في وَسطٍ ... من ظَهْرِهِ وقَرِيباً من ذِرَاعَيْن)
(دَيْراً لِقَسٍّ إذا ما جاء يدخلُه ... ألقَى على بابِ دَيْرِ القَسِّ خُرْجَيْن)
(يعدو على بَطْنِهِ شدًّا على عَجَلٍ ... لا ذو يَدَيْن ولا يمشي برجلين)
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إبراهيم تينة قال كتب ابن سيابة إلى صديق له يقترض منه شيئا فكتب إليه يعتذر له ويحلف أنه ليس عنده ما سأله فكتب إليه إن كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وإن كنت ملوما فجعلك الله معذورا
أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن ابيه قال كان ابن سيابة الشاعر عندنا يوما مع جماعة نتحدث ونتناشد وهو ينشدنا شيئا من شعره فتحرك فضرط فضرب بيده على استه غير مكترث ثم قال إما أن تسكتي حتى أتكلم وإما أن تتكلمي حتى أسكت
أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب قال حدثني أبو هفان قال غمز ابن سيابة غلاما أمرد ذات يوم فأجابه ومضى به إلى منزله فأكلا وجلسا يشربان فقال له الغلام أنت ابن سيابة الزنديق قال نعم قال
أحب أن تعلمني الزندقة قال أفعل وكرامة ثم بطحه على وجهه فلما تمكن منه أدخل عليه فصاح الغلام أوه أيش هذا ويحك قال سألتني أن أعلمك الزندقة وهذا أول باب من شرائعها
أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني محرز بن جعفر الكاتب قال قال لي إبراهيم بن سيابة الشاعر إذا كانت في جيرانك جنازة وليس في بيتك دقيق فلا تحضر الجنازة فإن المصيبة عندك أكبر منها عند القوم وبيتك أولى بالمأتم من بيتهم
أخبرني جعفر بن قدامة ومحمد بن مزيد قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال سخط الفضل بن الربيع على ابن سيابة فسألته أن يرضى عنه فامتنع فكتب إليه ابن سيابة بهذه الأبيات وسألني أيصالها
(إنْ كان جُرْمِي قد أحاطَ بحُرْمَتِي ... فأحِطْ بجُرْمِي عَفْوَكَ المأمولاَ)
(فكَمِ ارْتَجَيْتُكَ في الّتي لا يُرْتَجَى ... في مِثْلِها أحدٌ فنِلْتُ السُّولاَ)
(وَضَلَلْتُ عنك فلم أجِدْ لِي مَذْهَباً ... ووجدتُ حِلْمَكَ لِي عليك دليلا)
(هَبْنِي أسأتُ وما أسأتُ أُقِرُّ كَيْ ... يزدادَ عَفْوُكَ بعد طَوْلِك طُولاَ)
((فالعفْوُ أجْمَلُ والتَّفضُّلُ بامرىءٍ ... لم يعْدَمِ الرَّاجون منه جميلا
فلما قرأها الفضل دمعت عيناه ورضي عن ابن سيابة وأوصله إليه وأمر له بعشرة آلاف درهم
حواره المقذع مع بشار
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا الحسن بن الفضل قال سمعت ابن عائشة يقول جاء إبراهيم بن سيابة إلى بشار فقال له ما رأيت أعمى قط إلا وقد عوض من بصره إما الحفظ والذكاء وإما حسن الصوت فأي شيء عوضت أنت قال ألا أرى ثقيلا مثلك ثم قال له من أنت ويحك قال إبراهيم بن سيابة فتضاحك ثم قال لو نكح الأسد في استه لذل وكان إبراهيم يرمى بذلك ثم تمثل بشار
(لو نُكِحَ اللَّيْثُ في استِهِ خَضَعَا ... وماتَ جوعاً ولم يَنَلْ شِبَعَا)
(كذلك السيفُ عند هِزَّته ... لو بَصَقَ النَّاسُ فيه ما قَطَعَا)
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الله بن أبي نصر المروزي قال حدثني محمد بن عبد الله الطلحي قال حدثني سليمان بن يحيى بن معاذ قال قدم إبراهيم بن سيابة نيسابور فأنزلته علي فجاءني ليلة من الليالي
وهو مهرب فجعل يصيح بي يا أبا أيوب فخشيت أن يكون قد غشيه شيء يؤذيه فقلت ما تشاء فقال
(... أعْيَانِيَ الشَّادِنُ الرَّبِيبُ)
فقلت بماذا فقال
(... أكتُبُ أشكو فلا يُجِيبُ)
قال فقلت له داره وداوه فقال
(منْ أين أبْغي شِفاءَ ما بي ... وانَّما دائيَ الطَّبيبُ)
فقلت لا دواء إذا إلا أن يفرج الله تعالى فقال
(يا رَبِّ فَرِّجْ إذاً وعَجِّلْ ... فإنَّكَ السَّامِعُ المُجِيبُ)
ثم انصرف
في هذا الشعر - رمل - طنبوري لجحظة
صوت
(أيَا شَجَرَ الخابورِ مالَكَ مُورِقاً ... كأنّك لم تحزَنْ على ابن طَرِيفِ)
(فتًى لا يُحِبُّ الزَّادَ إلاَّ مَن التُّقَى ... ولا المالَ إلاّ من قَنا وسيوف)
الشعر لأخت الوليد بن طريف الشاري والغناء لعبد الله بن طاهر ثقيل أول بالوسطى من رواية ابنه عبيد الله عنه وأول هذه الأبيات كما أنشدنا محمد بن العباس اليزيدي عن أحمد بن يحيى ثعلب
(بتلِّ نُبَاثَا رَسْمُ قَبْرٍ كأنَّه ... على عَلَمٍ فوقَ الجبالِ مُنِيفِ)
(تضمَّنَ جُوداً حاتمياً ونائِلاً ... وسَوْرَةَ مِقْدَامٍ وقَلْبَ حَصِيفِ)
(ألاَ قاتلَ اللّهُ الجُثَا حيث أضمرتْ ... فتًى كان بالمعروف غيرَ عَفِيفِ)
(فإنْ يَكُ أرْدَاهُ يَزِيدُ بنُ مَزِيدٍ ... فيارُبَّ خيلٍ فَضَّها وصفوفِ)
(ألاَ يا لَقَوْمٍ للنَّوائِبِ والرَّدَى ... ودهْرٍ مُلِحٍّ بالكرام عَنِيفِ)
(ولِلْبَدْرِ من بين الكواكِبِ إذْ هَوى ... ولِلشَّمْسِ هَمّتْ بعدَه بكُسوفِ)
(أيا شجرَ الخابورِ مالَكَ مُورِقاً ... كأنَّك لم تَحزَنْ على ابن طَرِيفِ)
(فتًى لا يُحِبُّ الزَّادَ إلاّ مِنَ التُّقَى ... ولا المالَ إلاّ من قَناً وسيوف)

(ولا الخَيْلَ إلاَّ كُلَّ جَرْداءَ شِطْبَةٍ ... وكلَّ حِصَانٍ باليدين غَرُوفِ)
(فلا تَجْزَعا يا ابْنَي طَرِيفٍ فإنَّني ... أرى الموتَ نَزَّالاً بكلِّ شريفِ
(فَقَدْناكَ فِقْدانَ الرَّبيع وليتنا ... فَدَيْناكَ من دَهْمائنا بألوف)
وهذه الأبيات تقولها أخت الوليد بن طريف ترثيه وكان يزيد بن مزيد قتله
ذكر الخبر في ذلك
مقتل الوليد بن طريف
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد عن عمه عن جماعة من الرواة قال كان الوليد بن طريف الشيباني رأس الخوارج وأشدهم بأسا وصولة وأشجعهم فكان من بالشماسية لا يأمن طروقه إياه واشتدت شوكته وطالت أيامه فوجه إليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني فجعل يخاتله ويماكره وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد بن مزيد فأغروا به أمير المؤمنين وقالوا إنما يتجافى عنه للرحم وإلا فشوكة الوليد يسيرة وهو يواعده وينتظر ما يكون من أمره فوجه إليه الرشيد كتاب مغضب يقول فيه لو وجهت بأحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصب وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليوجهن إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين فلقي الوليد عشية خميس في شهر رمضان فيقال إن يزيد جهد
عطشا حتى رمى بخاتمه في فيه فجعل يلوكه ويقول اللهم إنها شدة شديدة فاسترها وقال لأصحابه فداكم أبي وأمي إنما هي الخوارج ولهم حملة فاثبتوا لهم تحت التراس فإذا انقضت حملتهم فاحملوا فإنهم إذا انهزموا لم يرجعوا فكان كما قال حملوا حملة وثبت يزيد ومن معه من عشيرته وأصحابه ثم حمل عليهم فانكشفوا ويقال إن أسد بن يزيد كان شبيها بأبيه جدا وكان لا يفصل بينهما إلا المتأمل وكان أكثر ما يباعده منه ضربة في وجه يزيد تأخذ من قصاص شعره ومنحرفة على جبهته فكان أسد يتمنى مثلها فهوت له ضربة فأخرج وجهه من الترس فأصابته في ذلك الموضع فيقال إنه لو خطت على مثال ضربة أبيه ما عدا جاءت كأنها هي واتبع يزيد الوليد بن طريف فلحقه بعد مسافة بعيدة فأخذ رأسه وكان الوليد خرج إليهم حيث خرج وهو يقول
(أنا الوليدُ بنُ طَرِيفَ الشَّاري ... قَسْوَرَةٌ لا يُصْطَلَى بِنَاري)
(... جَوْرُكُمُ أخرجني من داري)
فلما وقع فيهم السيف وأخذ رأس الوليد صبحتهم أخته ليلى بنت طريف مستعدة عليها الدرع والجوشن فجعلت تحمل على الناس فعرفت فقال يزيد دعوها ثم خرج إليها فضرب بالرمح قطاة فرسها ثم قال اغربي غرب الله عليك فقد فضحت العشيرة فاستحيت وانصرفت وهي تقول
(أيا شجرَ الخابورِ ما لَكَ مورِقاً ... كأنَّك لم تَحزَنْ على ابنِ طريفِ)
(فتًى لا يُحِبُّ الزَّادَ إلاّ مِنَ التُّقَى ... ولا المالَ إلاّ مِن قَناً وسُيوفِ
(ولا الذُّخْرَ إلاَّ كُلَّ جَرْداءَ صِلْدِمٍ ... وكلَّ رقيقِ الشَّفْرَتَيْنِ خفيف)
فلما انصرف يزيد بالظفر حجب برأي البرامكة وأظهر الرشيد السخط عليه فقال وحق أمير المؤمنين لأصيفن وأشتون على فرسي أو أدخل فارتفع الخبر بذلك فأذن له فدخل فلما رآه أمير المؤمنين ضحك وسر وأقبل يصيح مرحبا بالأعرابي حتى دخل وأجلس وأكرم وعرف بلاؤه ونقاء صدره
من قصيدة مسلم بن الوليد في يزيد بن مزيد
ومدحه الشعراء بذلك فكان أحسنهم مدحا مسلم بن الوليد فقال فيه قصيدته التي أولها
(أُجْرِرْتُ حَبْلَ خَلِيعٍ في الصِّبا غَزِلِ ... وشَمَّرَتْ هِمَمُ العُذَّالِ في عَذَلي)
(هاجَ البكاءَ على العينِ الطَّمُوحِ هَوًى ... مُفَرَّقٌ بين توديعٍ ومُحْتَمَلِ)
(كيف السُّلُوُّ لِقَلْبٍ باتَ مُخْتَبلاً ... يَهْذِي بصاحبِ قَلْبٍ غيرِ مُخْتَبَلِ
وفيها يقول
(يَفْتَرُّ عند افترارِ الحَرْبِ مبتسماً ... إذا تَغَيَّرَ وجهُ الفارسِ البَطَلِ)
(مُوفٍ على مُهَجٍ في يومِ ذِي رَهَجٍ ... كأنَّه أَجَلٌ يسعَى إلى أَمَلِ)
(ينالُ بالرِّفقِ ما يَعْيَا الرِّجالُ به ... كالموتِ مُستعجِلاً يأتي على مَهَلِ)
(لا يَرْحَلُ النَّاسُ إلاّ نحوَ حُجرته ... كالبيتِ يُفْضِي إليه مُلْتقَى السُّبُلِ)
(يَقْرِي المَنِيّةَ أرواحَ العُدَاةِ كما ... يقري الضُّيوفَ شُحومَ الكُومِ والبُزُلِ)
(يكسو السُّيوفَ رؤوسَ الناكثين به ... ويجعلُ الهامَ تيجانَ القَنَا الذُّبُلِ)
(إذا انتضَى سيفَه كانت مَسالِكَه ... مسالكَ الموتِ في الأبدانِ والقُلَلِ)
(لا تُكْذَبَنَّ فإنَّ المَجْدَ مَعْدِنُهُ ... وِرَاثةٌ في بني شَيْبَانَ لم تَزَلِ)
(إذا الشَّرِيكِيُّ لم يَفْخَرْ على أحدٍ ... تكلَّم الفخرُ عنه غيرَ مُنْتَحِلِ)
(الزَّائديُّونَ قوم في رماحِهِمُ ... خوفُ المُخِيفِ وأَمْنُ الخائفِ الوجِلِ
(كَبيرهُمْ لا تقوم الرّاسياتُ له ... حِلْماً وطِفْلُهُمُ في هَدْيِ مُكْتَهِلِ)
(اِسلَمْ يزيدُ فما في المُلْكِ من أَوَدٍ ... إذا سَلِمْتَ ولا في الدِّينِ من خَلَلِ)
(لولا دِفاعُكَ بأسَ الرُّومِ إذْ مَكرتْ ... عن بَيْضةِ الدِّينِ لم تأمَنْ من الثَّكَلِ)
(والمارِقُ ابنُ طَرِيفٍ قد دَلَفْتَ له ... بِعارِضٍ لِلمنايا مُسْبِلٍ هَطِلِ)
(لو أنَّ غيرَ شَرِيكِيٍّ أطافَ به ... فازَ الوليدُ بقِدْحِ النَّاضِلِ الخَصِلِ)
(ما كان جَمْعُهُمُ لمّا دَلَفتَ لهم ... إلاّ كمِثلِ جَرادٍ رِيعَ مُنْجَفِلِ)
(كم آمِنٍ لكَ نائي الدّارِ ممتنِعٍ ... أخرجتَه من حصونِ المُلْكِ والخَوَلِ)
(تراه في الأمْنِ في دِرعٍ مُضَاعَفةٍ ... لا يأمَنُ الدَّهْرَ أنْ يُدْعَى على عَجَلِ)
(لا يَعْبَقُ الطِّيبُ خَدَّيْه ومَفْرِقَه ... ولا يُمَسِّحُ عينيه من الكُحُلِ)
(يأبَى لكَ الذَّمَّ في يوْمَيك إنْ ذُكِرَا ... عَضْبٌ حُسَامٌ وعِرضٌ غيرُ مُبْتَذَلِ)
(فافْخَرْ فمالكَ في شَيْبانَ من مَثَلٍ ... كذاك ما لبني شيبانَ من مَثَلِ)
وقال محمد بن يزيد يعني بقوله

(...تراه في الأمن في دِرْعٍ مُضَاعَفَةٍ)
خبر يزيد بن مزيد وذاك أن امرأة معن بن زائدة عاتبت معنا في يزيد وقالت إنك لتقدمه وتؤخر بنيك وتشيد بذكره وتحمل ذكرهم ولو نبهتهم لانتبهوا ولو رفعتهم لارتفعوا فقال معن إن يزيد قريب لم تبعد رحمه وله على حكم الولد إذ كنت عمه وبعد فإنهم ألوط بقلبي وأدنى من نفسي على ما توجبه واجبة الولادة للأبوة من تقديمهم ولكني لا أجد عندهم ما أجده عنده ولوكان ما يضطلع به يزيد من بعيد لصار قريبا وفي عدو لصار حبيبا وسأريك في ليلتي هذه ما ينفسح به اللوم عني ويتبين به عذري يا غلام اذهب فادع جساسا وزائدة وعبد الله وفلانا وفلانا حتى أتى على أسماء ولده فلم يلبث أن جاؤوا في الغلائل المطيبة والنعال السندية وذلك بعد هدأة من الليل فسلموا وجلسوا ثم قال يا غلام ادع لي يزيد وقد أسبل سترا بينه وبين المرأة وإذا به قد دخل عجلا وعليه السلاح كله فوضع رمحه بباب المجلس ثم أتى يحضر فلما رآه معن قال ما هذه الهيئة أبا الزبير وكان يزيد يكنى أبا الزبير وأبا خالد فقال جاءني رسول الأمير فسبق إلى نفسي أنه يريدني لوجه فقلت إن كان مضيت ولم أعرج وإن يكن الأمر على خلاف ذلك فنزع هذه الآلة أيسر الخطب فقال لهم انصرفوا في حفظ الله فقالت المرأة قد تبين عذرك فأنشد معن متمثلا
(نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدتْ عِصامَا ... وعوّدته الكَرَّ والإقداما)
(... وصَيَّرَتْه مَلِكاً هُمَامَا)
من شعر أخته في رثائه
وأخبرني محمد بن الحسن الكندي قال حدثنا الرياشي قال أنشدني الأصمعي لأخت الوليد بن طريف ترثيه
(ذكرتُ الوليدَ وأيّامَهُ ... إذِ الأرضُ من شَخْصه بَلْقَعُ)
(فأقبلتُ أطلبه في السَّماء ... كما يبتغي أنْفَه الأجْدَعُ)
(أضاعك قومُكِ فليطلبوا ... إفادةَ مِثْلِ الذي ضَيَّعُوا)
(لوان السُّيوفَ التي حدُّها ... يصِيبُك تَعلَمُ ما تصنع)
(نَبَتْ عنكَ أو جعلتْ هيبةً ... وخوفاً لصَوْلك لا تَقْطَع)
بعض اخلاق عبد الله بن طاهر
فأما خبر عبد الله بن طاهر في صنعته هذا الصوت فإن عبد الله كان بمحل من علو المنزلة وعظم القدر ولطف مكان من الخلفاء يستغني به عن التقريظ له والدلالة عليه وأمره في ذلك مشهور عند الخاصة والعامة وله في الأدب مع ذلك المحل الذي لا يدفع وفي السماحة والشجاعة ما لا يقاربه فيه كبير أحد
أخبرني علي بن سليمان الأخفش عن محمد بن يزيد المبرد أن المأمون اعطى عبد الله بن طاهر مال مصر لسنة خراجها وضياعها فوهبه كله وفرقه في الناس ورجع صفرا من ذلك فغاظ المأمون فعله فدخل إليه يوم مقدمه فأنشده أبياتا قالها في هذا المعنى وهي
(نَفسي فداؤك والأعناقُ خاضعةٌ ... للنَّائباتِ أبِيًّا غيرَ مُهْتَضَم)
(إليكَ أقبلتُ من أرضٍ أقمتُ بها ... حَوْلَيْنِ بعدكَ في شَوْقٍ وفي ألَمِ)
(أقفُو مَساعِيكَ اللاّتي خُصِصتَ بها ... حَذْوَ الشِّراكِ على مِثْلٍ من الأدَمِ)
(فكان فَضْلِيَ فيها أنّني تَبَعٌ ... لمَا سَنَنْتَ من الإنعامِ والنِّعَمِ)
(ولو وُكِلْتُ إلى نَفْسِي غَنِيتُ بها ... لكن بدأتَ فلم أعْجِزْ ولم ألُمِ)
فضحك المأمون وقال والله ما نفست عليك مكرمة نلتها ولا أحدوثة حسن عنك ذكرها ولكن هذا شيء إذا عودته نفسك افتقرت ولم تقدر على لم شعثك وإصلاح حالك وزال ما كان في نفسه
أخبرني وكيع قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الله بن فرقد قال أخبرني محمد بن الفضل بن محمد بن منصور قال لما افتتح عبد الله بن طاهر مصر ونحن معه سوغه المأمون خراجها فصعد المنبر فلم يزل حتى أجاز بها كلها ثلاثة آلاف دينار أو نحوها فأتاه معلى الطائي وقد أعلموه ما قد صنع عبد الله بن طاهر بالناس في الجوائز وكان عليه واجدا فوقف بين يديه تحت المنبر فقال أصلح الله الأمير أنا معلى الطائي وقد بلغ مني ما كان منك إلي من جفاء وغلظ فلا يغلظن علي قلبك ولا يستخفنك الذي بلغك أنا الذي أقول
(يا أعظمَ النَّاسِ عفواً عند مَقْدِرةٍ ... وأظْلَمَ الناس عند الجُود للمال)
(لو أصبحَ النِّيلُ يجري ماؤه ذَهَباً ... لَمَا أشرتَ إلى خَزْنٍ بمِثقالِ)
(تُغْلِي بما فيه رِقُّ الحمدِ تَمِلكُه ... وليس شيء أعاضَ الحمدَ بالغالي)
(تَفُكُّ باليُسْرِ كَفَّ العُسْرِ مِن زَمَنٍ ... إذا استطالَ على قوم بإقلالِ)
(لم تَخْلُ كَفُّكَ من جُودٍ لمُختَبِطٍ ... أ ومُرْهَفٍ قاتِلٍ في رأس قَتَّالِ)
(وما بَثَثْتَ رَعِيلَ الخيلِ في بَلَدٍ ... إلاّ عَصَفْنَ بأرزاقٍ وآجالِ)
(إن كنتُ منكَ على بالٍ مَنَنْتَ به ... فإنْ شُكْرَكَ من قلبي على بالِ)
(ما زِلْتُ منقضاً لولا مُجَاهَرةٌ ... من ألْسُنٍ خُضْنَ في صَدْرِي بأقوالِ)
قال فضحك عبد الله وسر بما كان منه وقال يا أبا السمراء أقرضني عشرة آلاف دينار فما أمسيت أملكها فأقرضه فدفعها إليه
أخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبة قال كان موسى بن خاقان مع عبد الله بمصر وكان نديمه وجليسه وكان له مؤثرا مقدما فأصاب منه معروفا كثيرا وأجازه بجوائز سنية هناك وقبل ذلك ثم إنه وجد عليه في بعض الأمر فجفاه وظهر له منه بعض ما لم يحبه فرجع حينئذ إلى بغداد وقال
صوت
(إنْ كان عبدُ اللهِ خَلاَّنَا ... لا مُبْدِئاً عُرْفاً وإحسانا)
(فحَسْبُنَا اللهُ رَضِينَا به ... ثم بعبد الله مولانا)
يعني بعبد الله الثاني المأمون وغنت فيه جاريته ضعف لحنا من الثقيل الأول وسمعه المأمون فاستحسنه ووصله وإياها فبلغ ذلك عبد الله بن طاهر فغاظه ذلك وقال أجل صنعنا المعروف إلى غير أهله فضاع
وكانت ضعف إحدى المحسنات ومن أوائل صنعتها وصدور أغانيها وما برزت فيه وقدمت فاختيرت صنعتها في شعر جميل
(أمِنْكِ سَرَى يا بَثْنُ طَيْفٌ تَأوَّبَا ... هُدوءاً فهاج القلبَ شوقاً وأنصبَا)

(عَجِبْتُ له أنْ زارَ في النوم مَضْجَعِي ... ولو زارني مُسْتَيْقِظاً كان أعجبَا)
الشعر لجميل والغناء لضعف ثقيل أول بالبنصر
قصته مع محمد بن يزيد الأموي
أخبرني عمي قال حدثني أبو جعفر بن الدهقانة النديم قال حدثني العباس ابن الفضل الخراساني وكان من وجوه قواد طاهر وابنه عبد الله وكان أديبا عاقلا فاضلا قال لما قال عبد الله بن طاهر قصيدته التي يفخر فيها بمآثر أبيه وأهله ويفخر بقتلهم المخلوع عارضه محمد بن يزيد الأموي الحصني وكان رجلا من ولد مسلمة بن عبد الملك فأفرط في السب وتجاوز الحد في قبح الرد وتوسط بين القوم وبين بني هاشم فأربى في التوسط والتعصب فكان مما قال فيه
(يابنَ بيْتِ النَّارِ مُوقِدُها ... ما لِحَاذِيْهِ سَرَاوِيلُ)
(مَنْ حُسَيْنٌ مَنْ أبوكَ ومَنْ ... مُصْعَبٌ غالتكمُ غُولُ)
(نَسَبٌ في الفَخْرِ مُؤْتَشَبٌ ... وأُبوّاتٌ أراذيلُ)
(قاتلُ المخلوعِ مقتولٌ ... ودمُ المقتولِ مطلولُ)
وهي قصيدة طويلة فلما ولي عبد الله مصر ورد إليه تدبير أمر الشام علم الحصني أنه لا يفلت منه إن هرب ولا ينجو من يده حيث حل فثبت في موضعه وأحرز حرمه وترك أمواله ودوابه وكل ما كان يملكه في موضعه وفتح باب حصنه وجلس عليه ونحن نتوقع من عبد الله بن طاهر أن يوقع به فلما شارفنا بلده وكنا على أن نصبحه دعاني عبد الله في الليل فقال لي بت عندي الليلة وليكن فرسك معدا عندك لا يرد ففعلت فلما كان في السحر أمر غلمانه وأصحابه ألا يرحلوا حتى تطلع الشمس وركب في السحر وأنا وخمسة من خواص غلمانه معه فسار حتى صبح الحصني فرأى بابه مفتوحا ورآه جالسا مسترسلا فقصده وسلم عليه ونزل عنده وقال له ما أجلسك هاهنا وحملك على أن فتحت بابك ولم تتحصن من هذا الجيش المقبل ولم تتنح عن عبد الله بن طاهر مع ما في نفسه عليك وما بلغه عنك فقال إن ما قلت لم يذهب علي ولكني تأملت أمري وعلمت أني أخطأت خطيئة حملني عليها نزق الشباب وغرة الحداثة وأني إن هربت منه لم أفته فباعدت البنات والحرم واستسلمت بنفسي وكل ما أملك فإنا أهل بيت قد أسرع القتل فينا ولي بمن مضى أسوة فإني أثق بأن الرجل إذا قتلني وأخذ مالي شفى غيظه ولم يتجاوز ذلك إلى الحرم ولا له فيهن أرب ولا يوجب جرمي إليه أكثر مما بذلته قال فوالله ما اتقاه عبد الله إلا بدموعه تجري على لحيته ثم قال له أتعرفني قال لا والله قال أنا عبد الله بن طاهر وقد أمن الله تعالى روعتك وحقن دمك وصان حرمك وحرس نعمتك وعفا عن ذنبك وما تعجلت إليك وحدي إلا لتأمن من قبل هجوم الجيش ولئلا يخالط عفوي عنك روعة تلحقك فبكى الحصني وقام فقبل رأسه وضمه إليه عبد الله وأدناه ثم قال له إما لا فلا بد من عتاب يا أخي جعلني الله فداك قلت شعرا في قومي أفخر بهم لم أطعن فيه على حسبك ولا ادعيت
فضلا عليك وفخرت بقتل رجل هو وإن كان من قومك فهم القوم الذين ثأرك عندهم فكان يسعك السكوت أو إن لم تسكت لا تغرق ولا تسرف فقال أيها الأمير قد عفوت فاجعله العفو الذي لا يخلطه تثريب ولا يكدر صفوه تأنيب قال قد فعلت فقم بنا ندخل إلى منزلك حتى نوجب عليك حقا بالضيافة فقام مسرورا فأدخلنا فأتى بطعام كان قد أعده فأكلنا وجلسنا نشرب في مستشرف له وأقبل الجيش فأمرني عبد الله أن أتلقاهم فأرحلهم ولا ينزل أحد منهم إلا في المنزل وهو على ثلاثة فراسخ فنزلت فرحلتهم وأقام عنده إلى العصر ثم دعا بدواة فكتب له بتسويغه خراجه ثلاث سنين وقال له إن نشطت لنا فالحق بنا وإلا فأقم بمكانك فقال فأنا أتجهز وألحق بالأمير ففعل فلحق بنا بمصر ولم يزل مع عبد الله لا يفارقه حتى رحل إلى العراق فودعه وأقام ببلده
بعض الأشعار التي غنى فيها
فأما الأصوات التي غنى فيها عبد الله بن طاهر فكثيرة وكان عبيد الله بن عبد الله إذا ذكر شيئا منها قال الغناء للدار الكبيرة وإذا ذكر شيئا من صنعته قال الغناء للدار الصغيرة فمنها ومن مختارها وصدورها ومقدمها لحنه في شعر أخت عمرو بن عاصية وقيل إنه لاخت مسعود بن شداد فإنه صوت نادر جيد قال أبو العبيس بن حمدون وقد ذكره ففضله جاء به عبد الله بن طاهر صحيح العمل مزدوج النغم بين لين وشدة على رسم الحذاق من القدماء وهو
صوت
(هَلاّ سَقَيْتُمْ بني سَهْمٍ أسيرَكُمُ ... نَفْسِي فِداؤكِ من ذي غُلَّةٍ صادي)
(الطاعنُ الطَّعْنَة النَّجلاء يَتْبَعُها ... مُضَرِّج بعد ما جادتْ بإزْبادِ)
الشعر لأخت عمرو بن عاصية السلمي ترثيه وكان بنو سهم وهن بطن من هذيل أسروه في حرب كانت بينهم ولم يعرفوه فلما عرفوه قتلوه وكان قد عطش فاستسقاهم فمنعوه وقتلوه على عطشه وقيل إن هذا الشعر للفارعة أخت مسعود بن شداد ولحن عبد الله بن طاهر خفيف ثقيل أول بالوسطى ابتداؤه استهلال
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال قتلت بنو سهم وهو بطن من هذيل عمرو بن عاصية السلمي وكان رجلان منهم أخذاه أخذا فاستسقاهما ماء فمنعاه ذلك ثم قتلاه فقالت أخته ترثيه وتذكر ما صنعوا به
(شَبَّتْ هُذَيْلٌ وبَهْزٌ بينها إرَةً ... فلا تَبُوخُ ولا يُرْتَدُّ صَالِيها)
ويروى شبت هذيل وسهم وهو الصحيح ولكن كذا قال عمر بن شبة
(إنّ ابنَ عاصيةَ المقتولَ بينكما ... خَلَّى عليّ فِجَاجاً كان يَحميها)
وقالت أيضا ترثيه
(يا لَهْفَ نَفْسِيَ لَهْفاً دائماً أبداً ... على ابن عاصيةَ المقتولِ بالوادي)
(هلاّ سَقيتُمْ بني سَهْمٍ أسيرَكُمُ ... نَفْسِي فِداؤكِ من ذِي غُلَّةٍ صادي)
قال فغزا عرعرة بن عاصية هذيلا يطلبهم بدم أخيه فقتل منهم نفرا وسبى امرأة فجردها ثم ساقها معه عارية إلى بلاد بني سليم فقالت عند ذلك
(ألامَتْ سُلَيْمٌ في السِّياق وأفحشتْ ... وأفرطَ في السَّوْقِ العنيف إسَارُها)
(لعلّ فتاةً منهمِ أن يسوقَها ... فوارسُ منّا وهْيَ بادٍ شَوارُها)
(فإنْ سَبَقتْ عُلْيَا سُلَيْمٍ بذَحْلِها ... هُذَيْلاً فقد باءتْ فكيف اعتذارُها)
(ألا ليت شِعْري هل أرى الخيلَ شُزَّباً ... تُثير عَجَاجاً مستطيراً غُبارُها)

(فَترقْا عيونٌ بعد طُول بُكائِها ... ويُغْسَلُ ما قد كان بالأمس عارُها)
هذه رواية عمر بن شبة فأما أبو عبيدة فإنه خالفه في ذلك وذكر في مقتله فيما أخبرني به محمد بن الحسن بن دريد إجازة عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال خرج عمرو بن عاصية السلمي ثم البهزي في جماعة من قومه فأغاروا على هذيل بن مدركة فصادفوا حيا من هذيل يقال لهم بنو سهم بن معاوية وكانت امرأة من هذيل تحت رجل من بني بهز فقالت لابن لها معه أي بني انطلق إلى أخوالك فأنذرهم بأن ابن عاصية السلمي قد أمسى يريدهم وذلك حين عزم ابن عاصية على غزوهم وأراد المسير إليهم فانطلق الغلام من تحت ليلته حتى أتى أخواله فأنذرهم فقال ابن عاصية السلمي يريدكم فخذوا حذركم فبدر القوم واستعدوا وأصبح عمرو بن عاصية قريبا من الحي
فنزل قريباً لأصحابه على جبل مشرف على القوم فإذا هم حذرون فقال لأصحابه أرى القوم حذرين إن لهم لشأنا ولقد أنذروا علينا فكمن في الجبل يطلب غفلتهم فأصابه وأصحابه عطش شديد فقال ابن عاصية لأصحابه هل فيكم من يرتوي لأصحابه فقال أصحابه نخاف القوم وأبى أحد منهم أن يجيبه إلى ذلك قال فخرج على فرس له ومعه قربته وقد وضعت هذيل على الماء رجلا منهم رصدا وعلموا أنهم لا بد لهم من أن يردوا الماء فمر بهم عمرو بن عاصية وقد كمن له شيخ وفتيان من هذيل فلما نظروا إليه هم الفتيان أن يثاوراه فقال الشيخ مهلا فإنه لم يركما فكفا فانتهى ابن عاصية إلى البئر فنظر يمينا وشمالا فلم ير أحدا والآخرون يرمقونه من حيث لا يراهم فوثب نحو قربته فأخذها ثم دخل البئر فطفق يملأ القربة ويشرب وأقبل الفتيان والشيخ معهما حتى أشرفوا عليه وهو في البئر فرفع رأسه فأبصر القوم فقالوا قد أخزاك الله يابن عاصية وأمكن منك قال ورمى الشيخ بسهم فأصاب أخمصه فأنفذه فصرعه وشغل الفتيان بنزع السهم من قدم الشيخ ووثب ابن عاصية من البئر شدا نحو أصحابه وأدركه الفتيان قبل وصوله فأسراه فقال لهما حين أخذاه أروياني من الماء ثم اصنعا ما بدا لكما فلم يسقياه وتعاوراه بأسيافهما حتى قتلاه فقالت أخت عمرو بن عاصية ترثي أخاها
(يا لَهْفَ نَفْسِيَ يوماً ضَلَّةً جَزَعاً ... علي ابن عاصيةَ المقتولِ بالوادي)
(إذ جاء ينفُض عن أصحابه طَفَلاً ... مَشْيَ السَّبَنْتَى أمام الأيكة العادي)
((هَلاّ سَقيتُمْ بني سَهْمٍ أسيرَكُمُ ... نَفْسِي فداؤك من مُسْتَوْرِدٍ صادي
قال أبو عبيدة وآب غزي بني سليم بعد مقتل ابن عاصية قال فبلغ أخاه عرعرة بن عاصية قتل هذيل أخاه وكيف صنع به فجمع لهم جمعا من قومه فيهم فوارس من بني سليم منهم عبيدة بن حكيم الشريدي وعمرو بن الحارث الشريدي وأبو مالك البهزي وقيس بن عمرو أحد بني مطرود من بني سليم وفوارس بني رعل قال فسرى إليهم عرعرة فالتقوا بموضع يقال له الجرف فاقتتلوا قتالا شديدا فظفرت بهم بنو سليم فأوجعوا فيهم وقتلوا منهم قتلى عظيمة وأسروا أسرى وأصابوا امرأة من هذيل فعروها من ثيابها واستاقوها مجردة فأفحشوا في ذلك وقال عرعرة بن عاصية في ذلك يذكر من قتل
(ألاَ أبْلِغْ هُذَيلاً حيثُ حلّتْ ... مُغَلْغَلةً تَخُبُّ مع الشَّفِيق)
(مُقامَكم غَداةَ الجُرْفِ لمَّا ... تواقفتِ الفوارسُ بالمَضِيق)
(غَداةَ رأيتُمُ فُرْسانَ بَهْزٍ ... ورعْلٍ ألبدتْ فوق الطريق)
(تراميتُمْ قليلاً ثم ولَّتْ ... فوارسُكم تَوَقَّلُ كُلَّ نِيق)
(بِضَرْبٍ تسقُط الهاماتُ منه ... وطَعْنٍ مثل إشعال الحريق)
وقال لي إن هذا الشعر الذي فيه صنعه عبد الله بن طاهر لمسعود بن شداد يرثي أخاه وزعم أن جرما كانت قتلته وهو عطشان فقال
(يا عينِ جُودِي لمسعود بن شَدّادِ ... بكل ذي عَبَراتٍ شَجْوُهُ بادي)
((هَلاّ سقيتم بني جَرْمٍ أسيرَكُمُ ... نَفْسِي فداؤك من ذي غُلّةٍ صادي
فأنشدنيها بعض أصحابنا قال أنشدني أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال أنشدني أبو حاتم عن أبي عبيدة لفارعة المرية أخت مسعود بن شداد ترثيه فذكر من الأبيات البيت الأول وبعده
(يا مَنْ رأى بارقاً قد بِتُّ أرمُقُه ... جَوْدا على الحَرَّة السوداء بالوادي)
(أسقِي به قبر مَنْ أعْنِي وحُبَّ به ... قبراً إليّ ولو لَم يفْدِهِ فادي)
(شَهّادُ أنديةٍ رَفّاعُ أبنيةٍ ... شَدّادُ ألويةٍ فَتّاح أسدادِ)
(نَجّارُ راغيةٍ قَتّالُ طاغيةٍ ... حَلاّلُ رابيةٍ فَكّاكُ أقيادِ)
(قَوّالُ مُحْكَمةٍ نَقّاضُ مُبْرَمةٍ ... فَرّاجُ مُبهمةٍ حَبّاسُ أورادِ)
(حَلاّلُ مُمْرِعَةٍ حَمّالُ مُضْلِعَةٍ ... قَرّاعُ مُقْظِعةٍ طَلاّعُ أنجادِ)
(جَمّاع كُلِّ خِصَال الخَيْرِ قد عَلِموا ... زَيْنُ القَرين وخطم الظالم العادي)
(أبا زُرارةَ لا تَبْعَدْ فكُلُّ فَتًى ... يوماً رَهِينُ صَفيحاتٍ وأعوادِ)
والغناء في هذا الشعر لعبد الله بن طاهر خفيف ثقيل أول بالبنصر قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر لما صنع أبي هذا الصوت لم يحب أن يشيع شيء من هذا ولا ينسب إليه لأنه كان يترفع عن الغناء وما جس بيده وترا قط ولا تعاطاه ولكنه كان يعلم من هذا الشأن بطول الدربة وحسن الثقافة ما لا
يعرفه كبير أحد وبلغ من علم ذلك إلى أن صنع أصواتا كثيرة فألقاها على جواريه فأخذنها عنه وغنين بها وسمعها الناس منهن وممن أخذ عنهن فلما أن صنع هذا الصوت
(هَلاّ سقَيتُمْ بني جَرْمٍ أسيرَكُمُ ... نَفْسِي فداؤك من ذي غُلّةٍ صادي)
نسبه إلى مالك بن أبي السمح وكان لآل الفضل بن الربيع جارية يقال لها داحة فكانت ترغب إلى عبد الله بن طاهر لما ندبه المأمون إلى مصر في أن يأخذها معه وكانت تغنيه وأخذت هذا الصوت عن جواريه وأخذه المغنون عنها ورووه لمالك مدة ثم قدم عبد الله العراق فحضر مجلس المأمون وغني الصوت بحضرته ونسب إلى مالك فضحك عبد الله ضحكا كثيرا فسئل عن القصة فصدق فيها واعترف بصنعة الصوت فكشف المأمون عن ذلك فلم يزل كل من سئل عنه يخبر عمن أخذه عنه فتنتهي القصة إلى داحه ثم تقف ولا تعدوها فأحضرت داحة وسئلت فأخبرت بقصته فعلم أنه من صنعته حينئذ بعد أن جاز على إسحاق وطبقته أنه لمالك ويقال إن إسحاق لم يعجب من شيء عجبه من عبد الله وحذقه بمذاهب الأوائل وحكاياتهم
قال ومن غنائه أيضا
صوت

(راح صَحْبي وعاودَ القَلْبَ داءُ ... من حَبيبٍ طِلابُه لي عَنَاءُ)
(حَسَنُ الرأيِ والمواعيدِ لا يُلْفَى ... لشيءٍ مما يقول وَفاء)
(مَنْ تَعزَّى عمن يُحِبُّ فإنّي ... ليس لي ما حَيِيتُ عنه عَزاء)
الغناء لابن طنبورة خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى ولحن عبد الله بن طاهر ثاني ثقيل بالبنصر ومنها
(فمَنْ يَفْرَحْ ببينهمُ ... فغَيْري إذ غَدَوْا فَرِحَا)
صوت
(يا خَلِيلَيَّ قد مَلِلْتُ ثَوَائي ... بالمُصَلَّى وقد شَنِئتُ البَقِيعَا)
(بَلِّغاني ديارَ هندٍ وسَلْمَى ... وارْجِعَا بي فقد هَويتُ الرجوعا)
الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة والغناء للغريض خفيف ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق وذكر الهشامي أنه لابن سريج وذكر حبش أن فيه رملا بالبنصر لإبراهيم وفيه لحن لمعبد ذكره حماد بن إسحاق عن أبيه ولم يجنسه
أخبرني بخبر عمر بن أبي ربيعة في هذا الشعر وقوله إياه الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا سليمان بن عياش السعدي قال أخبرني السائب بن ذكوان راوية كثير قال قدم عمر بن أبي ربيعة المدينة وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص قال وأخبرني علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن عثمان بن حفص والزبيري والمسيبي وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة موقوفا عليه وجمعت رواياتهم وأكثر اللفظ للزبير بن بكار وخبره أتم
أن عمر بن أبي ربيعة قدم المدينة فزعموا أنه قدمها من أجل امرأة من أهلها فأقام بها شهرا فذلك قوله
(يا خليلَيَّ قد مَلِلْتُ ثَوَائي ... بالمُصَلَّى وقد شَنِئتُ البقيعا)
قال ثم خرج إلى مكة فخرج معه الأحوص واعتمرا
قال الزبير في خبره عن سائب راوية كثير إنه قال لما مرا بالروحاء استتلياني فخرجت أتلوهما حتى لحقتهما بالعرج عند رواحهما فخرجنا جميعا حتى وردنا ودان فحبسهما النصيب وذبح لهما وأكرمهما وخرجنا وخرج معنا النصيب فلما جئنا كلية عدلنا جميعا إلى منزل كثير فقيل لنا هبط قديدا فذكر لنا أنه في خيمة من خيامها فقال لي ابن أبي ربيعة اذهب فادعه لي فقال النصيب هو أحمق وأشد كبرا من أن يأتيك فقال لي عمر اذهب كما أقول لك فادعه لي فجئته فهش لي وقال اذكر غائبا تره لقد جئت وأنا أذكرك فأبلغته رسالة عمر فجدد إلي نظرة وقال أما كان عندك من المعرفة ما يردعك عن إتياني بمثل هذه الرسالة قلت بلى والله ولكني سترت عليك فأبى الله إلا أن يهتك سترك فقال لي إنك والله يابن ذكوان ما أنت من شكلي فقل لابن أبي
ربيعة إن كنت قرشيا فأنا قرشي فقلت له لا تترك هذا التلصق وأنت تقرف عنهم كما تقرف الصمغة فقال والله لأنا أثبت فيهم منك في سدوس ثم قال وقل له إن كنت شاعرا فأنا أشعر منك فقلت له هذا إذا كان الحكم إليك فقال وإلى من هو ومن أولى بالحكم مني وبعد هذا يا بن ذكوان فاحمد الله على لومك فقد منعك مني اليوم فرجعت إلى عمر فقال ما وراءك فقلت ما قال لك نصيب فقال وإن فأخبرته فضحك وضحك صاحباه ظهرا لبطن ثم نهضوا معي إليه فدخلنا عليه في خيمة فوجدناه جالسا على جلد كبش فوالله ما أوسع للقرشي فلما تحدثوا مليا فأفاضوا في ذكر الشعر اقبل على عمر فقال له أنت تنعت المرأة فتنسب بها ثم تدعها وتنسب بنفسك أخبرني يا هذا عن قولك
(قالتْ تَصَدَّيْ له لِيَعْرِفَنا ... ثمّ اغْمِزِيه يا أُختِ في خَفَرِ)
(قالت لها قد غَمَزْتُه فأبى ... ثم اسْبَطَرَّتْ تشتدُّ في أثَرِي)
(وقَوْلُها والدُّموعُ تَسْبِقُها ... لَنُفْسِدَنَّ الطَّوافَ في عُمَرِ)
أتراك لو وصفت بهذا هرة أهلك ألم تكن قد قبحت وأسأت وقلت الهجر إنما توصف الحرة بالحياء والإباء والالتواء والبخل والامتناع كما قال هذا وأشار إلى الأحوص
(أدُورُ ولولا أنْ أرَى أُمّ جعْفَرٍ ... بأبياتِكُمْ ما دُرْتُ حيثُ أدورِ)
(وما كُنْتُ زَوَّاراً ولكنّ ذا الهوَى ... إذا لم يَزُرْ لا بُدّ أن سيَزورُ)
(لقد مَنَعتْ معروفَها أُمّ جعْفَرٍ ... وإنّي إلى معروفِها لَفَقيرُ)
قال فدخلت الأحوص أبهة وعرفت الخيلاء فيه فلما استبان كثير ذلك فيه قال أبطل آخرك أولك أخبرني عن قولك
(فإن تَصِلِي أَصِلْكِ وإنْ تَبِينِي ... بِصُرْمِكِ بعد وَصْلِكِ لا أُبالي)
(ولا أُلْفى كَمَنْ إنْ سِيمَ صَرْماً ... تَعَرَّضَ كي يُرَدَّ إلى الوِصالِ)
أما والله لو كنت فحلا لباليت ولو كسرت أنفك ألا قلت كما قال هذا الأسود وأشار إلى نصيب
(بزَيْنَبَ أَلمِمْ قبل أن يَرْحَلَ الرَّكْبُ ... وقُلْ إنْ تَمَلِّينا فما مَلَّكِ القَلْبُ)
قال فانكسر الأحوص ودخلت النصيب أبهة فلما نظر أن الكبرياء قد دخلته قال له يابن السوداء فأخبرني عن قولك
(أَهِيمُ بدَعْدٍ ما حَيِيتُ فإنْ أَمُتْ ... فوَا كَبِدِي مَنْ ذا يَهِيمُ بها بَعْدِي)
أهمك من ينيكها بعدك فقال نصيب استوت القوق قال وهي لعبة مثل المنقلة ومن هذا الموضع ينفرد الزبير بروايته دون الباقين قال سائب فلما أمسك كثير أقبل عليه عمر فقال له قد أنصتنا لك فاسمع يا مذبوب إلي أخبرني عن تخيرك لنفسك وتخيرك لمن تحب حيث تقول
((ألاَ ليتَنا يا عَزَّ كُنّا لذِي غِنَى ... بَعِيرَيْن نَرْعَى في الخَلاء ونَعْزُبُ)
(كِلاَنَا به عَرٌّ فَمنْ يَرَنا يَقُلْ ... عَلى حُسْنِها جَرْباءُ تُعْدِي وأَجْرَبُ)
(إذا ما وَرَدْنا مَنْهَلاً صاح أهلُه ... علينا فما نَنْفَكُّ نُرْمَى ونُضْرَبُ)
(وَدِدْتُ وبَيْتِ اللّهِ أنّكِ بَكْرَةٌ ... هِجانٌ وأنّي مُصْعَبٌ ثم نَهْرُبُ)
(نكون بَعِيرَيْ ذِي غِنًى فيُضِيعُنا ... فلا هُوَ يَرْعانا ولا نحن نُطْلَبُ)
وقال تمنيت لها ولنفسك الرق والجرب والرمي والطرد والمسخ فأي مكروه لم تمن لها ولنفسك لقد أصابها منك قول القائل معاداة عاقل خير من مودة أحمق قال فجعل يختلج جسده كله ثم أقبل عليه الأحوص فقال إلي يا ابن استها أخبرك بخبرك وتعرضك للشر وعجزك عنه وإهدافك لمن رماك أخبرني عن قولك

(وقُلْنَ وقد يَكْذِبْن فيك تَعَيُّفٌ ... وشُؤْمٌ إذا ما لم تُطِعْ صاح ناعِقُهْ)
(وأعْيَيْتَنا لا راضياً بكرامةٍ ... ولا تاركاً شَكْوَى الذي أنت صادِقُهْ)
(فأدركتَ صَفْوَ الوُدِّ مِنَّا فَلُمْتَنا ... وليس لنا ذَنْبٌ فنحن مَوَاذِقُهْ)
(وألفَيْتَنا سِلْماً فَصَدَّعْتَ بَيْنَنا ... كما صَدَّعتْ بين الأديم خَوَالِقُهْ)
والله لو احتفل عليك هاجيك ما زاد على ما بؤت به على نفسك قال فخفق كما يخفق الطائر ثم أقبل عليه النصيب فقال أقبل علي يا زب
الذباب فقد منيت معرفة غائب عندي علمه فيك حيث تقول
(وَدِدْتُ وما تُغْنِي الوَدَادةُ أنّني ... بما في ضَمِير الحاجِبِيَّة عالِمُ)
(فإنْ كان خيراً سَرَّني وعَلِمْتُه ... وإنْ كانَ شَرَّاً لم تَلُمْني اللَّوائمُ)
أنظر في مرآتك واطلع في جيبك واعرف صورة وجهك تعرف ما عندها لك فاضطرب اضطراب العصفور وقام القوم يضحكون وجلست عنده فلما هدأ شأوه قال لي أرضيتك فيهم فقلت له أما في نفسك فنعم فقد نحس يومك معهم وقد بقيت أنا عليك فما عذرك ولا عذر لك في قولك
(سقَى دِمْنَتَيْنِ لم نَجِدْ لهما أهْلاَ ... بِحَقْلٍ لكم يا عَزَّ قد زَانَنا حَقْلاَ)
(نَجَاءُ الثُّرَيَّا كُلَّ آخر لَيْلةٍ ... يَجُودُهما جوداً ويُتْبِعُه وبْلاَ)
ثم قلت في آخرها
(وما حَسِبتُ ضَمْرِيَّةٌ جَدَرِيَّةٌ ... سوَى التَّيْس ذي القَرْنَيْن أنّ لها بَعْلاَ)
أهكذا يقول الناس ويحك ثم تظن أن ذلك قد خفي ولم يعلم به أحد فتسب الرجال وتعيبهم فقال وما أنت وهذا وما علمك بمعنى ما أردت فقلت
هذا أعجب من ذاك أتذكر امرأة تنسب بها في شعرك وتستغزر لها الغيث في أول شعرك وتحمل عليها التيس في آخره قال فأطرق وذل وسكن فعدت إلى أصحابي فأعلمتهم ما كان من خبره بعدهم فقالوا ما أنت بأهون حجارته التي رمي بها اليوم منا قال فقلت لهم إنه لم يترني
فأطلبه بذحل ولكني نصحته لئلا يخل هذا الإخلال الشديد ويركب هذه العروض التي ركب في الطعن على الأحرار والعيب لهم
اخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي قال حدثني ابن جامع عن السعيدي عن سهل بن بركة وكان يحمل عود ابن سريج قال

نافع بن علقمة يشدد في أمر الغناء والمغنين

كان على مكة نافع بن علقمة الكناني فشدد في الغناء والمغنين والنبيذ ونادى في المخنثين فخرج فتية من قريش إلى بطن محسر وبعثوا برسول لهم فأتاهم براوية من الشراب الطائفي فلما شربوا وطربوا قالوا لو كان معنا ابن سريج تم سرورنا فقلت هو علي لكم فقال لي بعضهم دونك تلك البغلة فاركبها وامض إليه فأتيته فأخبرته بمكان القوم وطلبهم إياه فقال لي ويحك وكيف لي
بذاك مع شدة السلطان في الغناء وندائه فيه فقلت له أفتردهم قال لا والله فكيف لي بالعود فقلت له أنا أخبؤه لك فشأنك فركب وسترت العود وأردفني فلما كنا ببعض الطريق إذ أنا بنافع بن علقمة قد أقبل فقال لي يابن بركة هذا الأمير فقلت لا بأس عليك أرسل عنان البغلة وامض ولا تخف ففعل فلما حاذيناه عرفني ولم يعرف ابن سريج فقال لي يابن بركة من هذا أمامك فقلت ومن ينبغي أن يكون هذا ابن سريج فتبسم ابن علقمة ثم تمثل
(فإنْ تَنْجُ منها يا أبَانُ مُسَلَّماً ... فقد أفلت الحَجّاجُ خيلَ شَبِيبِ)
ثم مضى ومضينا فلما كنا قريبا من القوم نزلنا إلى شجرة نستريح فقلت له غن مرتجلا فرفع صوته فخيل إلي أن الشجرة تنطق معه فغنى
صوت
(كيف الثَّواءُ بِبَطْنِ مَكَّةَ بعدما ... هَمَّ الذين تُحِبّ بالإنجادِ)
(أمْ كيف قلبُك إذ ثَوَيْتَ مُخَمَّراً ... سَقِماً خِلاَفَهمُ وكَرْبُكَ بادِي)
(هل أنتَ إن ظَعَن الأحِبَّةُ غادِي ... أم قبلَ ذلك مُدلِجٌ بسَوَادِ)
الشعر للعرجي وذكر إسحاق في مجرده أن الغناء فيه لابن عائشة ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى وحكى حماد ابنه عن أن اللحن لابن سريج قال سهل فقلت أحسنت والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ولو أن كنانة كلها سمعتك لاستحسنتك فكيف بنافع بن علقمة المغرور من غره نافع ثم قلت زدني وإن كان القوم متعلقة قلوبهم بك فغنى وتناول عودا من الشجرة فأوقع به على الشجرة فكان صوت الشجرة أحسن من خفق بطون الضأن
على العيدان إذا أخذتها قضبان الدفلى قال والصوت الذي غنى
صوت
(لا تَجْمَعِي هَجْراً عليّ وغُرْبَةً ... فالهَجْرُ في تَلَفِ الغريبِ سريع)
(مَنْ ذا فديتُكِ يستطيع لِحُبِّهِ ... دَفْعاً إذا اشتملتْ عليه ضُلوع)
فقلت بنفسي أنت والله من لا يمل ولا يكد والله ما جهل من فهمك اركب فدتك نفسي بنا فقال أمهلني كما أمهلتك اقض بعض شأني فقلت وهل عما تريد مدفع فقام فصلى ركعتين ثم ضرب بيده على الشجرة وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله ثم قال يا حبيبتي إذا شهدت بذاك الشيء فاشهدي بهذا ثم مضينا والقوم متشوقون فلما دنونا أحست الدواب بالبغلة فصهلت وشحجت البغلة وإذا الغريض يغنيهم لحنه
(مِنْ خَيْلِ حيٍّ ما تَزالُ مُغِيرةً ... سَمِعتْ على شَرَفٍ صَهِيلَ حِصَانِ)
فبكى ابن سريج حتى ظننت أن نفسه قد خرجت فقلت ما يبكيك يا أبا يحيى جعلت فداك لا يسوءك الله ولا يريك سوءا قال أبكاني هذا المخنث بحسن غنائه وشجا صوته والله ما ينبغي لأحد أن يغني وهذا الصبي حي ثم نزل فاستراح وركب فلما سار هنيهة اندفع الغريض فغناهم لحنه
(يا خليليّ قد مَلِلتُ ثَوَائي ... بالمُصَلَّى وقد شَنِئتُ البقِيعَا)
قال ولصوته دوي في تلك الجبال فقال ابن سريج ويلك يا بن بركة أسمعت أحسن من هذا الغناء والشعر قط قال ونظروا

إلينا فأقبلوا
نشاوى يسحبون أعطافهم وجعلوا يقبلون وجه ابن سريج فنزل فأقام عندهم ثلاثا والغريض لا ينطق بحرف واحد وأخذوا في شرابهم وقالوا يا حبيب النفس وشقيقها أعطها بعض مناها فضرب بيده إلى جيبه فأخرج منه مضرابا ثم أخذه بيده ووضع العود في حجره فما رأيت يدا أحسن من يده ولا خشبة تخيلت إلي أنها جوهرة إلا هي ثم ضرب فلقد سبح القوم جميعا ثم غنى فكل قال لبيك لبيك فكان مما غنى فيه واللحن له هزج

صوت

(لَبَّيْكِ يا سَيِّدَتي ... لَبَّيْكِ ألفاً عَدَدَا)
(لَبَّيْكِ من ظالمةٍ ... أحببتُها مُجْتَهِدَا)
(قُومُوا إلى مَلْعِبنا ... نَحْكِ الجَوَارِي الخُرَّدَا)
(وَضْعَ يَدٍ فوق يَدٍ ... تَرْفَعُها يَداً يَدَا)

فكل قال نفعل ذاك فلقد رأيتنا نستبق أينا تقع يده على يده ثم غنى

صوت

(ما هاجَ شَوْقَكَ بالصَّرائمْ ... رَبْعٌ أحالَ لأُمِّ عاصِمْ)
(رَبْعٌ تَقادَمَ عهدُه ... هاجَ المُحِبَّ على التَّقادُمْ)
(فيه النَّوَاعِمُ والشَّبَابُ ... الناعمون مع النَّوَاعِمْ)
(مِنْ كلِّ واضحةِ الجَبِين ... عَمِيمةٍ ريَّا المَعَاصِمِ)

ثم إنه غنى

صوت

(شَجَاني مَعَاني الحَيِّ وانْشَقَّتِ العَصَا ... وصاح غُرَابُ البين أنتِ مَرِيضُ)
(ففاضتْ دُموعي عند ذاك صبابةً ... وفيهنّ خَوْدٌ كالمَهَاةِ غَضِيضُ)
(وَولَّيْتُ محزونَ الفؤادِ مُرَوَّعاً ... كئيباً ودمعي في الرِّداءِ يَفيضُ)

الغناء لابن محرز خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر وفيه خفيف ثقيل آخر لابن جندب قال فلقد رأيت جماعة طير وقعن بقربنا وما نحس قبل ذلك منها شيئا فقالت الجماعة يا تمام السرور وكمال المجلس لقد سعد من أخذ بحظه منك وخاب من حرمك يا حياة القلوب ونسيم النفوس جعلنا الله فداءك غننا فغنى واللحن له

صوت

(يا هِنْدُ إنَّكِ لو عَلِمْتِ ... بعاذِلَيْنِ تَتَابَعا)

وهذا الصوت يأتي خبره مفردا لأن فيه طولا فبدرت من بينهم فقبلت بين عينيه فتهافت القوم عليه يقبلونه فلقد رأيتني وأنا أرفعهم عنه شفقة عليه

ما في الأشعار التي تناشدها عمر وأصحابه من أغان

وفي هذه الأشعار التي تناشدها كثير وعمر ونصيب والأحوص أغان
منها

صوت

(أبصرتُها ليلةً ونسوَتَها ... يَمْشِينَ بين المَقَامِ والحَجَرِ)
(ما إنْ طَمِعْنا بها ولا طَمِعتْ ... حتّى التَقَيْنا ليلاً على قَدَرِ)
(بِيضاً حِسَاناً خرائداً قُطُفاً ... يَمْشِينَ هَوْناً كمِشْيَةِ البَقَرِ)

الشعر لعمر والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن الهشامي وحبش وذكر عمرو أن فيه لابن سريج خفيف ثقيل أول بالبنصر ولأبي سعيد مولى فائد ثقيل أول وقيل إنه لسنان الكاتب ومن هذه القصيدة أيضا وهذا أولها

صوت

(يا مَنْ لِقَلْبٍ مُتَيَّم كَمِدٍ ... يَهْذِي لخَوْدٍ مَرِيضَةِ النَّظَرِ)
(تمشِي رُوَيْداً إذا مَشَتْ فُضُلاً ... وهْيَ كمِثْلِ العُسْلوجِ مِ البُسُرِ)
(ما زالَ طَرْفِي يَحارُ إذ بَرَزَتْ ... حتى عرفتُ النُّقْصانَ في بَصَرِي)

غناه ابن محرز ولحنه من خفيف الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى
ومنها

صوت

(قالتْ لِتِربٍ لها تُحَدِّثُها ... لَنُفْسِدنّ الطَّوافَ في عُمَرِ)
(قالتْ تَصَدَّي له لِيَعْرِفَنا ... ثمّ اغْمِزِيه يا أُخْتِ في خَفَرِ)
(قالتْ لها قد غمزتُه فأبَى ... ثم اسْتَطِيرتْ تشتدُّ في أَثَرِي)

غناء يونس خفيف ثقيل أول بالبنصر عن حبش وقيل إن فيه لعبد الله بن عباس لحنا جيدا
ومنها ما لم يمض ذكره في الكتاب

صوت

(ألاَ ليتنا يا عَزَّ من غيرِ بِغضَةٍ ... بعِيرَيْنِ نَرْعَى في الخَلاء ونَعْزُبُ)
(كِلاَنَا به عَرٌّ فمَنْ يَرَنا يقُل ... على حُسْنِها جَرْباءُ تُعْدِي وأجربُ)
(إذا ما وَرَدْنا مَنْهَلاً صاح أهلُه ... علينا فما نَنْفَكُّ نُرْمَى ونُضْرَبُ)

الغناء لإبراهيم رمل بالوسطى عن حبش
أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة عن عوانة وعيسى بن يزيد
أن كثيرا دخل على عزة ذات يوم فقالت له ما ينبغي لنا أن نأذن
لك في الجلوس قال ولم قالت لأني رأيت الأحوص ألين جانبا في شعره منك في شعرك وأضرع خدا للنساء وإنه لأشعر منك حين يقول

(يا أَيُّها اللاَّئِمي فيها لأَصْرِمَها ... أكثرتَ لو كان يُغْنِي منك إكْثارُ)

(ارْجِعْ فلستَ مُطاعاً إذ وَشَيْتَ بها ... لا القَلْبُ سالٍ ولا في حُبِّها عارُ)
وإني استرققت قوله
(وما كُنت زَوَّاراً ولكنّ ذَا الهوى ... ' إذا لم يَزُرْ لا بُدَّ أنْ سَيزُورُ)
وأعجبني قوله
(كَمْ من دَنِيٍّ لها قد صِرْتُ أتْبَعُه ... ولو صحا القلبُ عنها كان لي تَبَعَا)
(وزادني كَلَفاً بالحُبِّ أنْ مَنَعتْ ... أحَبُّ شيءٍ إلى الإنسان ما مُنِعَا)
وقوله أيضا
(وما العَيْشُ إلاّ ما تَلَذّ وتَشْتَهي ... وإنْ لاَمَ فيه ذو الشَّنَانِ وفَنّداَ)
فقال كثير قد والله أجاد فما الذي استجفيت من قولي قالت أخزاك الله أما استحييت حين تقول
((يُحاذِرْنَ منِّي غَيْرةً قد عَرَفْنَهَا ... لَدَيَّ فما يَضْحَكْنَ إلاّ تَبَسُّمَا
فقال كثير
(وَدِدْتُ وبيتِ اللهِ أنَّكِ بَكْرةٌ ... هِجَانٌ وأنّي مُصْعَبٌ ثم نَهْرُبُ)
(كِلاَنا به عَرٌّ فمَنْ يَرَنا يَقُلْ ... على حُسْنِها جَرْباء تُعْدِي وأجربُ)
(نكون لِذي مالٍ كثيرٍ مُغَفَّلٍ ... فلا هُوَ يرعانا ولا نحن نُطْلَبُ)
فقالت لي ويحك لقد أردت بي الشقاء الطويل ومن المنى ما هو أعفى من هذا وأطيب
صوت
(قد كنتَ في مَنْظَرٍ ومُسْتَمَعٍ ... عَنْ نَصْرِ بَهْراءَ غير ذي فَرَسِ)
(لا تِرَةٌ عِندهم فتَطْلُبُها ... ولا همُ نُهْزةٌ لمُخْتَلِسِ)
(بكَفِّ حَرّانَ ثائرٍ بدَمٍ ... طَلاّبِ وتْرٍ في الموت مُنْغمِسِ)
(إمّا تَقَارَشْ بكَ الرّماحُ فلا ... أبكيكَ إلا للدّلْو والمَرَسِ)
(تَذُبُّ عنه كَفٌّ بها رَمَقٌ ... طيراً عُكُوفاً كَزُوّرِ العُرُسِ)
(عما قليلٍ يَصْبَحْنَ مُهْجَته ... فهُنّ من والغٍ ومُنتهِسِ)
الشعر لأبي زبيد الطائي والغناء لابن محرز في الأول والثاني خفيف ثقيل الأول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وذكر عمرو بن بانة أن في الأربعة الأول خفيفي ثقيل كلاهما بالبنصر لمعبد وابن محرز ووافقه الهشامي في لحن معبد في الأول والثاني وذكر أنه بالوسطى وفي كتاب ابن مسجح
عن حماد له فيه لحن يقال إنه لابن سريج في الأول والخامس والسادس والسابع رمل بالوسطى عن عمرو وذكر لنا حبش أن الرمل لمعبد وذكر إسحاق أنه لابن سريج أيضا وأوله
(... تَذُبُّ عنه كفٌّ بها رمقٌ)
وفيه لمالك في السادس والسابع خفيف ثقيل آخر وفيه لابن عائشة رمل وفيه لحنين ثاني ثقيل هذه الحكايات الثلاث عن يونس وطرائقها عن الهشامي ولمخارق في الرابع والأول خفيف رمل ولمتيم في الأول والثاني خفيف رمل آخر وذكر حبش أن لإبراهيم في الأول والثاني ثاني ثقيل بالوسطى ولابن مسجح خفيف ثقيل بالوسطى

أخبار أبي زبيد ونسبه

هو حرملة بن المنذر وقيل المنذر بن حرملة والصحيح حرملة بن المنذر بن معد يكرب بن حنظلة بن النعمان بن حية بن سعنة بن الحارث بن ربيعة بن مالك بن سكر بن هنيء بن عمرو بن الغوث بن طيئ بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان وكان أبو زبيد نصرانيا وعلى دينه مات وهو ممن أدرك الجاهلية والإسلام فعد في المخضرمين وألحقه ابن سلام بالطبقة الخامسة من الإسلاميين وهم العجير السلولي وذووه وقد مضى أكثر أخباره مع أخبار الوليد بن عقبة بن أبي معيط
أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي إجازة قال حدثني محمد
ابن سلام الجمحي قال حدثني أبو الغراف قال

استنشده عثمان فأنشده قصيدة فيها وصف للأسد

كان أبو زبيد الطائي من زوار الملوك وخاصة ملوك العجم وكان عالما بسيرهم وكان عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه يقربه على ذلك ويدني مجلسه وكان نصرانيا فحضر ذات يوم عثمان وعنده المهاجرون والأنصار فتذاكروا مآثر العرب وأشعارها قال فالتفت عثمان إلى أبي زبيد وقال يا أخا تبع المسيح أسمعنا بعض قولك فقد أنبئت أنك تجيد فأنشده قصيدته التي يقول فيها
(مَنْ مُبْلِغٌ قومَنا النائين إذ شَحَطُوا ... أنّ الفؤادَ إليهم شَيِّقٌ وَلِعٌ)
ووصف فيها الأسد فقال عثمان رضي الله تعالى عنه تالله تفتأ تذكر الأسد ما حييت والله إني لأحسبك جبانا هدانا قال كلا يا أمير المؤمنين ولكني رأيت منه منظرا وشهدت منه مشهدا لا يبرح ذكره يتجدد ويتردد في قلبي ومعذور أنا يا أمير المؤمنين غير ملوم فقال له عثمان رضي الله عنه وأنى كان ذلك قال خرجت في صيابة أشراف من أفناء قبائل العرب ذوي هيئة وشارة حسنة ترتمي بنا المهاري بأكسائها ونحن نريد الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشأم فاخروط بنا السير في حمارة
القيظ حتى إذا عصبت الأفواه وذبلت الشفاه وشالت المياه وأذكت الجوزاء المعزاء وذاب الصيهد وصر الجندب وضاف العصفور الضب وجاوره في حجره قال قائل أيها الركب غوروا بنا في ضوج هذا الوادي وإذا واد قد بدا لنا كثير الدغل دائم الغلل شجراؤه مغنة وأطياره مرنة فحططنا رحالنا بأصول دوحات كنهبلات فأصبنا من فضلات الزاد وأتبعناها الماء البارد فإنا لنصف حر يومنا ومماطلته إذ صر أقصى الخيل أذنيه وفحص الأرض بيديه فوالله ما لبث أن جال ثم حمحم فبال ثم فعل فعله الفرس الذي يليه واحدا فواحدا فتضعضعت الخيل وتكعكعت الإبل وتقهقرت البغال فمن نافر بشكاله وناهض بعقاله فعلمنا أن قد أتينا وأنه السبع ففزع كل رجل منا إلى سيفه فاستله من جربانه ثم وقفنا له رزدقا أي صفا وأقبل أبو الحارث من أجمته يتظالع في مشيته كأنه مجنوب أو في هجار معصوب لصدره نحيط ولبلاعمه غطيط ولطرفه وميض ولأسارعه نقيض كأنما يخبط هشيما أو يطأ صريما وإذا هامة كالمجن وخد كالمسن وعينان سجراوان كأنهما سراجان يقدان وقصرة ربلة ولهزمة رهلة وكتد مغبط وزور مفرط وساعد مجدول وعضد مفتول وكف شثنة البراثن إلى مخالب

كالمحاجن فضرب بيده فأرهج وكشر فأفرج عن أنياب كالمعاول مصقولة غير مفلولة وفم أشدق كالغار الأخرق ثم تمطى فأسرع بيديه وحفز وركيه برجليه حتى صار ظله مثليه ثم أقعى فاقشعر ثم مثل
فاكفهر ثم تجهم فازبأر فلا وذو بيته في السماء ما اتقيناه إلا بأول أخ لنا من فزارة كان ضخم الجزارة فوقصه ثم نفضه نفضة فقضقض متنيه فجعل يلغ في دمه فذمرت أصحابي فبعد لأي ما استقدموا فهجهجنا به فكر مقشعرا بزبرته كأن شيهما حوليا فاختلج رجلا أعجر ذا حوايا فنفضه نفضة تزايلت منها مفاصله ثم نهم ففرفر ثم زفر فبربر ثم زأر فجرجر ثم لحظ فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه من عن شماله ويمينه فأرعشت الأيدي واصطكت الأرجل وأطت الأضلاع وارتجت الأسماع وشخصت العيون وتحققت الظنون وانخزلت المتون فقال له عثمان اسكت قطع الله لسانك فقد أرعبت قلوب المسلمين
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثني العمري قال حدثني شعبة قال قلت للطرماح بن حكيم ما شأن أبي زبيد وشأن الأسد فقال إنه لقيه
بالنجف فلما رآه سلح من فرقه وقال مرة أخرى فسلحه فكان بعد ذلك يصفه كما رأيت
أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبي عمن يثق به أن رجلا من طيئ من بني حية نزل به رجل من بني الحارث بن ذهل بن شيبان يقال له المكاء فذبح له شاة وسقاه الخمر فلما سكر الطائي قال هلم أفاخرك أبنو حية أكرم أم بنو شيبان فقال له الشيباني حديث حسن ومنادمة كريمة أحب إلينا من المفاخرة فقال الطائي والله ما مد رجل قط يدا أطول من يدي فقال الشيباني والله لئن أعدتها لأخضبنها من كوعها فرفع الطائي يده فضربها الشيباني بسيفه فقطعها فقال أبو زبيد في ذلك
(خَبَّرَتْنا الرُّكبانُ أن قد فَخَرْتُمْ ... وفَرِحْتُمْ بضَرْبَة المُكَّاءِ)
(ولَعَمْري لَعَارُها كان أدنَى ... لَكُمُ من تُقًى وحَقٍّ وفَاءِ)
(ظلَّ ضيفاً أخوكُم لأخينا ... في صَبُوح ونَعْمةٍ وشِواءِ)
(ثم لما رآه رانتْ به الخمر... وأن لاّ يريبهُ باتّقاءِ)
(لم يَهَبْ حُرْمةَ النَّديم وحُقَّت ... بالقومِ للسَّوْءة السَوّاءِ)
ما قاله في كلبه
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال
كان لأبي زبيد كلب يقال له أكدر وكان له سلاح يلبسه إياه فكان لا يقوم له الأسد فخرج ليلة قبل أن يلبسه سلاحه فلقيه الأسد فقتله ويقال أخذه فأفلت منه فقال عند ذلك أبو زبيد
(أحَالَ أكْدرُ مُخْتَالاً كعادته ... حتى إذا كان بينَ البئرِ والعَطَنِ)
(لاقى لدى ثُلَل الأطواء داهيةً ... أسْرَتْ وأكدرُ تحتَ الليل في قَرَنِ)
(حطَّت به شيمةٌ وَرْهاءُ تطرِدُهُ ... حتى تَنَاهى إلى الحُولات في السَّنَنِ)
(إلى مُقَابَل خَطْوِ السَّاعدَيْنِ له ... فوق السَّرَاة كذِفْرى الفالج القَمِنِ)
(رئبالِ غابٍ فلا قَحْمٌ ولا ضَرَعٌ ... كالبغل يحتطم العلجين في شطَنِ)
وهي قصيدة طويلة فلامه قومه على كثرة وصفه للأسد وقالوا له قد خفنا أن تسبنا العرب بوصفك له قال لو رأيتم منه ما رأيت أو لقيكم ما لقي أكدر لما لمتموني ثم أمسك عن وصفه فلم يصفه بعد ذلك في شعره حتى مات
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني أبو سعيد السكري قال حدثني هارون بن مسلم بن سعدان أبو القاسم قال حدثنا هشام بن الكلبي قال كان الأجلح الكندي يحدث عن عمارة بن قابوس قال
لقيت أبا زبيد الطائي فقلت له يا أبا زبيد هل أتيت النعمان بن المنذر
قال إي والله لقد أتيته وجالسته قال قلت فصفه لي فقال كان أحمر أزرق أبرش قصيرا فقلت له بالله أخبرني أيسرك أنه سمع مقالتك هذه وأن لك حمر النعم قال لا والله ولا سودها فقد رأيت ملوك حمير في ملكها ورأيت ملوك غسان في ملكها فما رأيت أحدا قط كان أشد عزا منه وكان ظهر الكوفة ينبت الشقائق فحمى ذلك المكان فنسب إليه فقيل شقائق النعمان
فجلس ذات يوم هناك وجلسنا بين يديه كأن على رؤوسنا الطير وكأنه باز فقام رجل من الناس فقال له أبيت اللعن أعطني فإني محتاج فتأمله طويلا ثم أمر به فأدني حتى قعد بين يديه ثم دعا بكنانة فاستخرج منها مشاقص فجعل يجأبها في وجهه حتى سمعنا قرع العظام وخضبت لحيته وصدره بالدم ثم أمر به فنحي ومكثنا مليا
ثم نهض آخر فقال له أبيت اللعن أعطني فتأمله ساعة ثم قال أعطوه ألف درهم فأخذها وانطلق
ثم التفت عن يمينه ويساره وخلفه فقال ما قولكم في رجل أزرق أحمر يذبح على هذه الأكمة أترون دمه سائلا حتى يجري في هذا الوادي فقلنا له أنت أبيت اللعن أعلى برأيك عينا فدعا برجل على هذه الصفة فأمر به فذبح
ثم قال ألا تسألوني عما صنعت فقلنا ومن يسألك أبيت اللعن عن أمرك وما تصنع فقال
أما الأول فإني خرجت مع أبي نتصيد فمررت به وهو بفناء بابه وبين يديه عس من شراب أو لبن فتناولته لأشرب منه فثار إلي فهراق الإناء فملأ وجهي وصدري فأعطيت الله عهدا لئن أمكنني منه لأخضبن لحيته وصدره من دم وجهه
وأما الآخر فكانت له عندي يد كافأته بها ولم أكن أثبته فتأملته حتى عرفته
وأما الذي ذبحته فإن عينا لي بالشام كتب إلي إن جبلة بن الأيهم قد بعث إليك برجل صفته كذا وكذا ليغتالك فطلبته أياما فلم أقدر عليه حتى كان اليوم
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال
كان لأبي زبيد نديم يشرب معه بالكوفة فغاب أبو زبيد غيبة ثم رجع فأخبر بوفاته فعدل إلى قبره قبل دخوله منزله فوقف عليه ثم قال
(يا هاجِري إذ جئتُ زائرَهُ ... ما كان مِنْ عاداتكَ الهَجْرُ)
(يا صاحبَ القبرِ السّلام على ... مَنْ حال دون لِقائه القَبْرُ)
ثم انصرف وكان بعد ذلك يجيء إلى قبره فيشرب عنده ويصب الشراب على قبره
والأبيات التي فيها الغناء المذكور يقولها في غلام له قتلته تغلب وكان مجاورا فيهم فدل بهراء على عورتهم وقاتلهم معهم فقتل

أخبرني بخبره أبو خليفة قال حدثني محمد بن سلام وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي
قال كان أخوال أبي زبيد بني تغلب وكان يقيم فيهم أكثر أيامه وكان له غلام يرعى إبله فغزت بهراء بني تغلب فمروا بغلامه فدفع إليهم إبل أبي زبيد وقال انطلقوا أدلكم على عورة القوم وأقاتل معكم ففعلوا والتقوا فهزمت بهراء وقتل الغلام فقال أبو زبيد هذه القصيدة وهي
(هل كنتَ في مَنْظَرٍ ومُستَمَعِ ... عن نَصْرِ بَهْراء غيرَ ذي فَرَسِ)
(تَسْعَى إلى فِتيةِ الأراقم واستعجلْتَ ... قَبْلَ الجمان والقبسِ)
(في عارضٍ من جبالِ بهرائها الأُولى ... مَرِين الحروب عن دُرُسِ)
(فَبِهِرةٌ مَنْ لَقُوا حَسِبْتَهُمُ ... أحْلى وأشْهَى من باردِ الدِّبِسِ)
(لا تِرةٌ عندهم فتطلُبَها ... ولا هُمُ نُهْزَةٌ لمُخْتَلِسِ)
(جُودٌ كِرام إذا هُمُ نُدِبُوا ... غيرُ لئامٍ ضُجْرٍ ولا كُسُسِ)
(صُمْتٌ عظامُ الحلومِ إن قعدوا ... عن غير عِيٍّ بِهم ولا خَرَسِ)
(تَقُود أفراسَهم نساؤُهُمُ ... يُزجُون أجمالَهمْ مع الغَلَسِ)
((صادفْتَ لمَّا خرجتَ مُنْطلِقاً ... جَهْمَ المُحَيَّا كباسلٍ شرسِ
(تَخالُ في كفّه مثقّفةً ... تلمَع فيها كَشُعْلة القَبَسِ)
(بكفِّ حرّانَ ثائرٍ بدمٍ ... طَلاّبِ وترٍ في الموت مُنْغَمِسِ)
(إمّا تقَارَنْ بك الرماحُ فلا ... أبكيكَ إلاّ للدَّلوِ والمَرَسِ)
(حَمِدتَ أمْرِي ولِمتَ أمرَك إذ ... أمسك جَلْزُ السِّنانِ بالنفَسِ)
(وقد تصلَّيتَ حَرَّ نارِهِمُ ... كما تَصلّى المقرور من قَرَسِ)
(تَذُبُّ عنه كفٌّ بها رمَق ... طيراً عكوفاً كَزُوَّرِ العُرُسِ)
(عما قليلٍ علون جُثَّته ... فهنّ من والغ ومنتهس)
فلما فرغ أبو زبيد من قصيدته بعثت إليه بنو تغلب بدية غلامه وما ذهب من إبله فقال في ذلك
(ألا أبلغ بني عمرٍو رسولا ... فإنّي في مودّتكم نَفِيسُ)
هكذا ذكر ابن سلام في خبره والقصيدة لا تدل على أنها قيلت فيمن أحسن إليه وودى غلامه ورد عليه ماله وفي رواية ابن حبيب
(... ألا أبلغ بني نصر بن عمرٍو)
وقوله أيضا فيها
(فما أنا بالضعيفِ فتظلِموني ... ولا جافِي اللقاء ولا خسِيسُ)
((أفي حقٍّ مواساتِي أخاكم ... بمالي ثم يظلمني السريسُ
السريس الضعيف الذي لا ولد له وهذا ليس من ذلك الجنس ولعل ابن سلام وهم
وأبو زبيد أحد المعمرين ذكر ابن الكلبي أنه عمر مائة وخمسين سنة
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه قال كان طول أبي زبيد ثلاثة عشر شبرا
أخبرني أحمد بن عبد العزيز وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدثنا محمد بن عبد الله العبدي أبو بكرة قال حدثني أبو مسعر الجشمي عن ابن الكلبي قال كان أبو زبيد الطائي ممن إذا دخل مكة دخلها متنكرا لجماله
وأخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم قال لما صار الوليد بن عقبة إلى الرقة واعتزل عليا عليه السلام ومعاوية صار أبو زبيد إليه فكان ينادمه وكان يحمل في كل أحد إلى البيعة مع النصارى فبينا هو يوم أحد يشرب والنصارى حوله رفع بصره إلى السماء فنظر ثم رمى بالكأس من يده وقال
(إذا جعَل المرءُ الذي كان حازماً ... يُحَلُّ به حَلَّ الحُوارِ ويحملُ)
(فليس له في العيش خيرٌ يريده ... وتكفينُه مَيْتاً أعفُّ وأجملُ)
دفن مع الوليد بن عقبة بوصية منه
ومات فدفن هناك على البليخ فلما حضرت الوليد بن عقبة الوفاة أوصى أن يدفن إلى جنب أبي زبيد وقد قيل إن ابا زبيد مات بعد الوليد فأوصى أن يدفن إلى جنب الوليد
قال ابن الكلبي في خبره الذي ذكره إسحاق عنه هرب أبو زبيد من الإسلام فجاور بهراء فاستأجر منهم أجيرا لإبله فكان يقبله حلب الجمان والقيس وهما ناقتان كانتا له فلما كان يوم حابس وهو اليوم الذي التقت فيه بهراء وتغلب خرج أجير أبي زبيد مع بهراء فقتل وانهزمت بهراء فمر أبو زبيد به وهو يجود بنفسه فقال فيه هذه القصيدة
أخبرني محمد بن يحيى ويحيى بن علي الأبوابي المدائني قالا حدثنا عقبة المطرفي قال كنا في الحمام ومعي ابن السعدي وأنا أقرأ القرآن فدخل سعد الرواسي فغنى
(قد كنت في منظرٍ ومستمَعٍ ... عن نصر بهراء غيرَ ذي فرسِ)
فقال ابن السعدي اسكت فقد جاء حديث يأكل الأحاديث
أخبرني عمي والحسن بن علي قالا حدثني العمري قال حدثني أحمد ابن حاتم قال حدثني محمد بن عمرو الجماز قال حدثني أبو عبيدة عن يونس
وأبي الخطاب النحوي أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط أوصى لما احتضر لأبي زبيد بما يصلحه في فصحه وأعياده من الخمر ولحوم الخنازير وما أشبه ذلك فقال أهله وبنوه لأبي زبيد قد علمت أنه لا يحل لنا هذا في ديننا وإنما فعله إكراما لك وتعظيما لحقك فقدره لنفسك ما شئت أن تعيش وقوم ما أوصى به لك حتى نعطيك قيمته ولا تفضحنا وتفضح آباءنا بهذا واحفظه واحفظنا فيه ففعل أبو زبيد ذلك وقبله منهم
صوت
(هَلْ تعرفُ الدار من عامينِ أو عامِ ... دارٌ لِهندٍ بجِزع الحُرج فالدامِ)
(تحنو لأطلائِها عِينٌ مُلَمَّعَةٌ ... سُفْعُ الخدود بعيدات من الرامي)
الحرج والدام موضعان ويروى مذ عامين وهذا الأجود وكلاهما روي وعين بقر وأطلاؤها أولادها واحدها طلا ويروى بعيدات

من الذام هو الذي يذم
الحطيئة يمدح أبا موسى الأشعري
الشعر للحطيئة يمدح به أبا موسى الأشعري لما ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه العراق والغناء لمالك خفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق وذكر أن فيه لابن جامع أيضا صنعة
قال محمد بن حبيب أتى الحطيئة أبا موسى يسأله أن يكتبه معه فأخبره أن العدة قد تمت فمدحه الحطيئة بهذه القصيدة التي ذكرتها وأولها
(هل تعرف الدار من عامينِ أو عامِ ... دار لهند بجِزعِ الحرج فالدامِ)
وفيها يقول
(وجحفلٍ كسواد الليل منتَجِعٍ ... أرضَ العدوّ ببوس بعد إنعامِ)
(جمعتَ من عامرٍ فيه ومن أسدٍ ... ومن تميم ومن حاء ومن حامِ)
حاء من مذحج وحام من خثعم
(وما رضِيتَ لهم حتى رَفَدتهم ... من وائلٍ رهطِ بِسطامٍ بأصرامِ)
(فيه الرماح وفيه كلُّ سابغة ... جدلاءَ مُحكَمةٍ من نسج سلاّمِ)
يعني سليمان النبي
(وكلُّ أجرَدَ كالسِّرحان أضمره ... مسحُ الأكُفّ وسقيٌ بعد إطعامِ)
(مستحقباتٍ رواياها جحافِلُها ... يسمو بها أشعريٌّ طرفه سامِ)
الروايا الإبل التي تحمل أثقالهم وأزوادهم وتجنب الخيل إليها فتضع جحافلها على أعجاز الإبل
(لا يزجرُ الطّيرَ إن مرّت به سُنُحاً ... ولا يُفيض على قِدحٍ بأزلامِ)
وقال المدائني لما مدح الحطيئة أبا موسى رضي الله عنه بهذه القصيدة وصله أبو موسى وقد كان كتب من أراد وكملت العدة فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب يلومه فكتب إليه إني اشتريت منه عرضي فكتب إليه أحسنت قال وزاد فيه حماد الراوية أنه يعني نفسه أنشدها بلال بن أبي بردة ولم يكن عرفها فوصله
أخبرني القاضي أبو خليفة إجازة قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال
قدم حماد الراوية البصرة على بلال بن أبي بردة وهو عليها فقال له ما أطرفتني شيئا يا حماد فعاد إليه فأنشده قول الحطيئة في أبي موسى فقال له ويحك يمدح الحطيئة أبا موسى وأنا أروي شعره كله ولا أعلم بهذه أذعها تذهب في الناس
وكانت ولاية أبي موسى الكوفة بعد أن أخرج أهلها سعيد بن العاص
عنها وتحالفوا ألا يولوا عليها إلا من يريدون
أخبرني بالسبب في ذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة قال حدثنا المدائني عن أبي مخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق قال كان قوم من وجوه أهل الكوفة من القراء يختلفون إلى سعيد بن العاص ويسألونه فتذاكروا يوما السهل والجبل فقال حسان بن محدوج سهلنا خير من جبلنا أكثر برا فيه أنهار مطردة ونخل باسقات وقلت فاكهة ينبتها الجبل إلا والسهل ينبت مثلها فقال له عبد الرحمن بن حبيش صدقتم وددت أنه للأمير وأن لكم أفضل منه فقال الأشتر تمن للأمير أفضل ولا تتقرب إليه بأموالنا فقال ما ضرك ذلك والله لو يشاء أن يكون له لكان قال كذبت والله لو أراد ذلك ما قدر عليه فقال سعيد والله ما السواد إلا بستان لقريش ما شئنا أخذنا منه وما شئنا تركنا فقال له الأشتر أنت تقول هذا أصلحك الله وهذا من مركز رماحنا وفيئنا ثم ضربوا عبد الرحمن ابن حبيش حتى سقط
قال المدائني فحدثني علي بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن الشعبي
ومجالد بن حمزة بن بيض عن الشعبي قال بينا القراء عند سعيد بن العاص وهم يأكلون تمرا وزبدا إذ قال سعيد السواد بستان قريش فما شئنا أخذنا منه وما شئنا تركنا فقال له عبد الرحمن بن حبيش وكان على شرطة سعيد صدق الأمير فوثب عليه القراء فضربوه وقالوا له يا عدو الله يقول الباطل وتصدقه اخرجوا من داري فخرجوا فلما أصبحوا أتوا المسجد فداروا على الحلق فقالوا إن أميركم زعم أن السواد بستان له ولقومه وهو فيئنا ومركز رماحنا فوالله ما على هذا بايعنا ولا عليه أسلمنا فكتب سعيد إلى عثمان رضي الله عنه إن قبلي قوما يدعون القراء وهم السفهاء وثبوا على صاحب شرطتي فضربوه واستخفوا بي منهم عمرو بن زرارة وكميل بن زياد والأشتر وحرقوص بن هبيرة وشريح بن أوفى ويزيد بن المكفف وزيد وصعصعة ابنا صوحان وجندب بن عبد الله فكتب إليهم عثمان رضي الله عنه يأمرهم أن يخرجوا إلى الشام ويغزوا مغازيهم وكتب إلى سعيد قد كفيتك الذي أردت فأقرئهم كتابي فإني أراهم لا يخالفون إن شاء الله واتق الله جل وعز وأحسن السيرة فأقرأهم الكتاب فخرجوا إلى دمشق فأكرمهم معاوية وقال إنكم قدمتم بلدا لا يعرف أهله إلا الطاعة فلا تجادلوهم فتدخلوا الشك قلوبهم فقال له الأشتر إن الله جل وعز قد أخذ على العلماء في علمهم ميثاقا أن يبينوه للناس ولا يكتموه فإن سألنا سائل عن شيء نعلمه لم نكتمه فقال قد خفت أن تكونوا مرصدين للفتنة فاتقوا الله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) فقال عمرو بن زرارة نحن الذين هدى الله فأمر معاوية بحبسهم فقال له زيد بن صوحان إن الذين أشخصونا إليك لم يعجزوا عن حبسنا أو أرادوا فأحسنوا جوارنا وإن كنا ظالمين فنستغفر الله وإن كنا مظلومين فنسأل الله العافية فقال له معاوية إني لا أرى حبسك أمرا صالحا فإن أحببت أن آذن لك فترجع إلى مصرك
وأكتب إلى أمير المؤمنين بإذنك فعلت قال حسبي أن تأذن لي وتكتب إلى سعيد فكتب إليه فأذن له فلما أراد زيد الشخوص كلمه في الأشتر وعمرو بن زرارة فأخرجهما وأقام القوم بدمشق لا يرون أمرا يكرهونه ثم أشخصهم معاوية إلى حمص فكانوا بها حتى أجمع أهل الكوفة على إخراج سعيد فكتبوا إليهم فقدموا
قال أبو زيد قال المدائني حدثني الوقاصي عن الزهري إن أهل الكوفة لما قدموا على عثمان يشكون سعيدا قال لهم أكتب إليه فأجمع بينكم وبينه ففعل فلم يحققوا عليه شيئا إلا قوله السواد بستان قريش وأثنى الآخرون عليه فقال عثمان أرى أصحابكم يسألون إقراره ولم يثبتوا عليه إلا كلمة واحدة لم ينتهك بها لأحد حرمة ولا أرى عزله إلا أن تثبتوا عليه ما لا يحل لأحد تركه معه فانصرفوا إلى مصركم فرجع سعيد والفريقان معه وتقدمهم علي بن الهيثم السدوسي حتى دخل رحبة المسجد فقال يا أهل الكوفة إنا أتينا خليفتنا فشكونا إليه عاملنا ونحن نرى أنه سيصرفه عنا فرده إلينا

وهو يزعم أن السواد بستان له وأنا امرؤ منكم أرضى إذا رضيتم فقالوا لا نرضى
الأشتر يخطب محرضا على عثمان
وجاء الأشتر فصعد المنبر فخطب خطبة ذكر فيها النبي وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما وذكر عثمان رضي الله عنه فحرض عليه ثم قال من كان يرى أن لله جل وعز حقا فليصبح بالجرعة ثم قال لكميل بن زياد انطلق
فأخرج ثابت بن قيس بن الخطيم فأخرجه واستعمل أهل الكوفة أبا موسى الأشعري
أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا عفان قال حدثنا أبو محصن قال حدثنا حصين بن عبد الرحمن قال حدثني جهيم قال أنا شاهد للأمر قالوا لعثمان إنك استعملت أقاربك قال فليقم أهل كل مصر فليسلموا صاحبهم فقام أهل الكوفة فقالوا اعزل عنا سعيدا واستعمل علينا أبا موسى الأشعري ففعل
قال أبو زيد وكان سعيد قد ابغضه أهل الكوفة لأمور منها أن عطاء النساء بالكوفة كان مائتين مائتين فحطه سعيد إلى مائة مائة فقالت امرأة من أهل الكوفة تذم سعيدا وتثني على سعد بن أبي وقاص
(فلِيتَ أبا إسحاق كان أميرَنا ... وليت سعيداً كان أولَ هالك)
(يُحَطِّطُ أشراف النساء ويتقي ... بأبنائهن مُرْهَفَات النَّيازك)
حدثني العباس بن علي بن العباس ومحمد بن جرير الطبري قالا حدثنا يحيى بن معين قال حدثنا أبو داود وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو داود قال حدثنا شعبة بن عمرو بن مرة قال سمعت أبا وائل يحدث عن الحارث بن حبيش قال بعثني سعيد بن العاص بهدايا إلى المدينة وبعثني إلى علي عليه السلام وكتب إليه إني لم أبعث إلى أحد
بأكثر مما بعثت به إليك إلا شيئا في خزائن أمير المؤمنين قال فأتيت عليا فأخبرته فقال لشد ما تحظر بنو أمية تراث محمد أما والله لئن وليتها لأنفضنها نفض القصاب لتراب الوذمة
قال أبو جعفر هذا غلط إنما هو لوذام التربة
قال أبو زيد وحدثني عبد الله بن محمد بن حكيم الطائي عن السعدي عن أبيه قال بعث سعيد بن العاص مع ابن أبي عائشة مولاه بصلة إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال والله لا يزال غلام من غلمان بني أمية يبعث إلينا مما أفاء الله على رسوله بمثل قوت الأرملة والله لئن بقيت لأنفضنها نفض القصاب لوذام التربة هكذا في هذه الرواية
صوت
(رُبَّ وَعدٍ منكِ لا أنساه لي ... أوْجَبَ الشُّكرَ وإن لم تَفْعَلِي)
(أقْطعُ الدَّهرَ بظنٍّ حَسَنٍ ... وأُجَلِّي غَمْرةً ما تَنْجلي)
(كلَّما أمّلتُ يوماً صالحاً ... عَرَضَ المَكْروهُ لي في أمَلي)
(وأرَى الأيَّامَ لا تُدْنِي الَّذي ... أرْتجي منكِ وتُدْني أجَلي)
عروضه من الرمل الشعر لمحمد بن أمية والغناء لأبي حشيشة رمل طنبوري وفيه لحن لحسين بن محرز ثاني ثقيل بالوسطى عن أبي عبد الله الهشامي
أخبار محمد بن أمية وأخبار أخيه علي بن أمية وما يغنى فيه من شعرهما
سألت أحمد بن جعفر جحظة عن نسبه قلت له إن الناس يقولون ابن أمية وابن أبي أمية فقال هو محمد بن أمية بن أبي أمية
قال وكان محمد كاتبا شاعرا ظريفا وكان ينادم إبراهيم بن المهدي وربما عاشر علي بن هشام إلا أن انقطاعه كان إلى إبراهيم وربما كتب بين يديه وكان حسن الخط والبيان وكان أمية بن أبي أمية يكتب للمهدي على بيت المال وكان إليه ختم الكتب بحضرته وكان يأنس به لأدبه وفضله ومكانه من ولائه فزامله أربع دفعات حجها في ابتدائه ورجوعه
قال جحظة وحدثني بذلك أبو حشيشة
وحدثني جحظة أيضا قال حدثني أبو حشيشة عن محمد بن علي بن أمية قال حدثني عمي محمد بن أمية قال كنت جالسا بين يدي إبراهيم بن المهدي فدخل إليه أبو العتاهية و قد تنسك ولبس الصوف وترك قول الشعر إلا في الزهد فرفعه إبراهيم وسر به
وأقبل عليه بوجهه وحديثه فقال له أبو العتاهية أيها الأمير بلغني خبر فتى في ناحيتك ومن مواليك يعرف بابن أمية يقول الشعر وأنشدت له شعرا أعجبني فما فعل قال فضحك إبراهيم ثم قال لعله أقرب الحاضرين مجلسا منك فالتفت إلي فقال لي أنت هو فديتك فتشورت وخجلت وقلت له أنا محمد بن أمية جعلت فداءك وأما الشعر فإنما أنا شاب أعبث بالبيت والبيتين والثلاثة كما يعبث الشاب فقال لي فديتك ذلك والله زمان الشعر وإبانه وما قيل فيه فهو غرره وعيونه وما قصر من الشعر وقيل في المعنى الذي تومىء إليه أبلغ وأملح وما زال ينشطني ويؤنسني حتى رأى أني قد أنست به ثم قال لإبراهيم بن المهدي إن رأى الأمير أكرمه الله أن يأمره بإنشادي ما حضر من الشعر فقال لي إبراهيم بحياتي يا محمد أنشده فأنشدته
(رُبَّ وعد منكِ لا أنساهُ لي ... أوجبَ الشكر وإن لم تفعلي)
وذكر الأبيات الأربعة قال فبكى أبو العتاهية حتى جرت دموعه على لحيته وجعل يردد البيت الأخير منها وينتحب وقام فخرج وهو يردد ويبكى حتى خرج إلى الباب
شعره في الجارية خداع
أخبرني عمي قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قرقارة قال حدثني محمد بن علي بن أمية قال كان عمي محمد بن أمية يهوى جارية مغنية يقال لها خداع كانت لبعض جواري خال المعتصم فكان يدعوها ويعاشره إخوانه إذا دعوه بها اتباعا لمسرته وأراد المعتصم الخروج والتأهب للغزو وأمر الناس جميعا بالخروج
والتأهب فدعاه بعض إخوانه قبل خروجهم بيوم فلما أضحى النهار جاء من المطر أمر عظيم لم يقدر معه أحد أن يطلع رأسه من داره فكاد محمد أن يموت غما فكتب إلى صديقه الذي دعاه وقد كان ركب إليه ثم رجع لشدة المطر ولم يقدر على لقائه
(تمادى القَطْرُ وانقطع السبيلُ ... من الإلفين إذ جرت السيولُ)
(على أني ركِبتُ إليك شوقا ... ووجهُ الأرض أودِيةٌ تجولُ)
(وكان الشوقُ يَقْدُمُني دليلاً ... وللمشتاق معتزماً دليلُ)

(فلم أجِدِ السبيلَ إلىحبيبٍ ... أودِّعه وقد أفِدِ الرحيلُ)
(وأرسلْتُ الرسولَ فغاب عنّي ... فيالله ما فعل الرسول)
وقال في ذلك أيضا
(مجلسٍ يُشفَى به الوطرُ ... عاق عنه الغيمُ والمطرُ)
(ربِّ خُذْ لي منهما فهُما ... رحمةٌ عمّت ولي ضرر)
(ما علىمولاي مَعتبةٌ ... عذره بادٍ ومستتِرِ)
(شغِلتْ عيني بعبرتها ... واستمالت قلبيَ الفِكر)
قال ثم بيعت خداع هذه فاشتراها بعض ولد المهدي وكان ينزل شارع الميدان فحجبت عنه وانقطع ما بينهما إلا مكاتبة ومراسلة
قال محمد بن علي فأنشدني يوما عمي محمد لنفسه فيها
(خطراتُ الهوى بذكر خِداعٍ ... هِجْنَ شوقي لا دراسات الطلولِ)
(حُجِبتْ أن تُرَى فلستُ أراها ... وأرى أهلَها بكل سبيل)
((وإذا جاءها الرسولُ رآها ... ليْتَ عيني مكان عينِ الرسول
(قد أتاكِ الرسول يَنْعتُ ما بي ... فاسمعي منه ما يقول وقولي)
وقال فيها أيضا
(بناحية الميْدان دربٌ لو أنني ... أسمِّيهِ لم أرشُد وإن كان مُفْسدي)
(أخافُ على سكّانه قولَ حاسدٍ ... يشير إليهم بالجفون وباليدِ)
(وصائفُ أبكارٌ وعُونٌ نواطِقٌ ... بألسنةٍ تشفِي جوَى الهائم الصَّدِي)
(يُقاربْن أهلَ الودِّ بالقول في الهوى ... وما النجمُ من معروفهن بأبعدِ)
(يزدن أخا الدنيا مُجونا وفتنة ... ويَشغَفن قلب الناسك المتعبِّد)
(وليلة وافى النوم طيف سرَى به ... إليَّ الهوى منهن بعد تجرُّدِ)
(فقاسمتُه الأشجان نِصفين بيننا ... وأوردتُه من لوعةِ الحب مَوْردِي)
(ونِلْتُ الذي أمَّلتُ بعد تَمنُّعٍ ... وعاهدتُه عهدَ امرئ متوكِّدِ)
(فلما افترقنا خاس بالعهد بيننا ... وأعرض إعراض العروس من الغد)
(فواندما ألا أكونَ ارتهنتُه ... لأخْبُرَهُ في حفظِ عهدٍ وموعدِ)
إعجاب أبي العتاهية بشعره
أخبرني الحسن بن علي وعمي قالا حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني حذيفة بن محمد قال قال لي محمد بن أبي العتاهية
سمع أبي يوما مخارقا يغني
(أحبُّكِ حُبًّا لو يُفَضُّ يسيرُهُ ... على الخَلْق ماتَ الخلْقُ من شِدَّة الحُبِّ)
((وأعلَمُ أنّي بعدَ ذاكَ مقصِّرٌ ... لأنَّكِ في أعْلى المراتِبِ منْ قَلْبي
فطرب ثم قال له من يقول هذا يا أبا المهنأ قال فتى من الكتاب يخدم الأمير إبراهيم بن المهدي فقال تعني محمد بن أمية قال نعم قال أحسن والله وما يزال يأتي بالشيء المليح يبدو له
أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال حدثني أحمد بن أمية بن أبي أمية قال
لقي أخي محمد بن أمية مسلم بن الوليد وهو يمشي وطويلته مع بعض رواته فسلم عليه ثم قال له قد حضرني شيء فقال هاته فقال على أنه مزاح لا يغضب منه قال هاته ولو أنه شتم فقال
(مَنْ رأى فيما خَلاَ رجُلاً ... تِيهُهُ يُرْبِي على جِدَتِهْ)
(يَتَباهى راجلاً وله ... شاكِريٌّ في قُلَنْسِيتِه)
فسكت عنه مسلم ولم يجبه وضحك منه محمد وافترقا
قال وكان لمحمد بن أمية برذون يركبه فلقيه مسلم وهو راجل فقال ما فعل برذونك قال نفق قال الحمد لله فنجازيك إذا على ما كان منك إلينا ثم قال مسلم
(قل لابنِ ميٍّ لا تكن جازعا ... لن يرجعِ البرذونُ باللَّيْتِ)
((طامَنَ أحشاءكَ فِقدانُه ... وكنتَ فيه عاليَ الصوت
(وكنتَ لا تَنْزلُ عن ظَهْرِهِ ... ولَوْ من الحُشِّ إلى البيتِ)
(ما مات من حتف ولكنّهُ ... مات من الشَّوْق إلى الموت)
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثني محمد بن علي بن أمية قال حدثني حسين بن الضحاك قال دخلت أنا ومحمد بن أمية منزل نخاس بالرقة أيام الرشيد وعنده جارية تغني فوقعت عينها على محمد ووقعت عينه عليها فقال لها يا جارية أتغنين هذا الصوت
(خبِّريني مَن الرسولُ إليكِ ... واجعَليه من لا ينمُّ عليكِ)
(وأشيري إليّ من هو باللحظِ ... ليخفى على الذين لديكِ)
(وأقلّي المزاح في المجلس اليوم ... فإن المزاح بين يديكِ)
فقالت له ما أعرفه وأشارت إلى خادم كان على رأسها واقفا فمكثا زمانا والخادم الرسول بينهما قال والشعر لمحمد بن أمية
حدثني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني بعض من كان يختلط بالبرامكة قال كنت عند إبراهيم بن المهدي وقد اصطبحنا وعنده عمرو بن بانة
وعبيد الله بن أبي غسان ومحمد بن عمرو الرومي وعمرو الغزال ونحن في أطيب ما كنا عليه إذ غنى عمرو الغزال وكان إبراهيم بن المهدي يستثقله إلا أنه كان يتخفف بين يديه ويقصده ويبلغه عنه تقديم له وعصبية فكان يحتمل ذاك منه فاندفع عمرو الغزال فتغنى في شعر محمد بن أمية
(ما تمّ لي يومُ سرورٍ بمنْ ... أهواهُ مُذْ كنتُ إلى اللَّيلِ)

(أغبطَ ما كنتُ بما نلته ... منهُ أتتني الرسْلُ بالوَيْل)
(لاَ والذّي يعلَمُ كلَّ الذي ... أقولُ ذي العِزَّة والطَّوْل)
(ما رُمْتُ مذْ كنتُ لكم سَخْطَةً ... بالغَيْب في فعْل ولا قَوْل)
قال فتطير إبراهيم ووضع القدح من يده وقال أعوذ بالله من شر ما قلت فوالله ما سكت وأخذنا نتلافى إبراهيم إذ أتى حاجبه يعدو فقال ما لك فقال خرج الساعة مسرور من دار أمير المؤمنين حتى دخل إلى جعفر بن يحيى فلم يلبث أن خرج ورأسه بين يديه وقبض على أبيه وإخوته فقال إبراهيم (إنا لله وإنا إليه راجعون) ارفع يا غلام ارفع فرفع ما كان بين أيدينا وتفرقنا فما رأيت عمرا بعدها في داره
كان يستطيب الشراب عند هبوب الجنوب
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى بن بسخنر قال كنت عند إبراهيم بن المهدي بالرقة وقد عزمنا على الشراب ومعنا محمد بن أمية في يوم من حزيران فلما هممنا بذلك هبت الجنوب وتلطخت السماء بغيم وتكدر ذلك اليوم فترك إبراهيم بن المهدي الشرب ولحقه صداع وكان يناله ذلك مع هبوب الجنوب فافترقنا فقال لي محمد بن أمية ما أحب إلي ما كرهتموه من الجنوب فإن أنشدتك بيتين مليحين في معناهما تساعدني على الشرب اليوم قلت نعم فأنشدني
(إنّ الجنوبَ إذا هبَّت وجدتُ لها ... طِيباً يذكِّرني الفِردوسَ إنْ نَفَحَا)
(لمَّا أتَتْ بنسيم منكِ أعرفه ... شوْقاً تَنَفَّستُ واستقبلْتها فَرحا)
فانصرفت معه إلى منزله وغنيت في هذين البيتين وشربنا عليهما بقية يومنا
وجدت في بعض الكتب بغير إسناد أهدت جارية يقال لها خداع إلى محمد بن أمية وكان يهواها تفاحة مغلفة منقوشة مطيبة حسنة فكتب إليها محمد
(خِداعُ أهديتِ لنا خُدعةً ... تُفَّاحةً طيِّبةَ النَّشْر)
(ما زلتُ أرجوكِ وأخْشَى الهوى ... مُعْتصِما باللّه والصَّبر)
(حتى أتتني منكِ في ساعةٍ ... زَحزَحتِ الأحزانَ عن صَدري)
(حشوتِها مِسْكاً ونقَّشتِها ... ونَقْشِ كفيكِ من النَّحر)
(سَقْياً لها تفاحةً أهديَت ... لو لم تكُنْ من خُدَع الدَّهْر)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الله بن جعفر اليقطيني قال حدثني أبي جعفر بن علي بن يقطين قال كنت أسير أنا ومحمد بن أمية في شارع الميدان فاستقبلتنا جارية كان محمد يهواها ثم بيعت وهي راكبة فكلمها فأجابته بجواب أخفته فلم يفهمه فأقبل علي وقد تغير لونه فقال
(يا جعفرُ بن عليٍ وابن يقطين ... أليْسَ دونَ الذي لاقيتُ يَكْفيني)
((هذا الذي لم تزلْ نَفْسي تخوفُني ... منها فأيْنَ الذي كانَتْ تُمنِّيني
(خاطَرْتُ إذ أقبلتْ نحوي وقلتُ لها ... تَفديكِ نفسي فداءَ غيرَ مَمْنون)
(فخاطبتني بما أخْفَته فانصرفت ... نفسي بظَنّين مخشيٍّ ومأمون)
حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبي قال حدثني أبي قال كنت بين يدي المنتصر جالسا فجاءته رقعة لا أعلم ممن هي فقرأها وتبسم ثم إنه اقبل علي وأنشد
(لطافةُ كاتبٍ وخشوعُ صبٍّ ... وفِطْنةُ شاعرٍ عندَ الجوَاب)
ثم أقبل علي فقال من يقول هذا يا يزيد فقلت محمد بن أمية يا أمير المؤمنين فضحك وقال كأنه والله يصف ما في هذه الرقعة
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني حذيفة بن محمد قال كنت أنا وابن قنبر عند محمد بن أمية بعقب بيع جارية كان يحبها وقد لحقه عليها وله كالجنون فجعل ابن قنبر وأخوه علي بن أمية يعاتبانه على ما يظهر منه فأقبل بوجهه عليهما ثم قال
(لو كنتَ جَرَّبْتَ الهوى يابن قَنْبَر ... كوصفك إياه لألهاك عن عذْلي)
(أنا وأخي الأدنى وأنت لها الفِدا ... وإن لم تكونا في مودّتها مثلي)
(أأنْ حُجبتْ عني أجود لغيرها ... بوديّ وهل يُغْري المحبَّ سوى البُخْل)
(أسَرّ بأن قالوا تَضَنّ بودّها ... عليك ومن ذا سرّ بالبخل من قبلي)
قال فضحك ابن قنبر وقال إذا كان الأمر هكذا فكن أنت الفداء
لها وإن ساعدك أخوك فاتفقا على ذلك وأما أنا فلست أنشط لأن أساعدك على هذا وافترقنا
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أنشدني محمد بن الحسن بن الحزور لمحمد بن أمية في جارية كان يهواها وقطع الصوم بينهما فقال يخاطب محمد بن عثمان بن خريم المري
(قفا فابكيا إن كنتُما تجدان ... كوَجْدي وإن لم تَبْكيا فدَعاني)
(ففي الدَّمْع مما تُضْمر النفس راحةٌ ... إذا لم أطِقْ إظْهارَه بلساني)
(أغَضُّ بأسراري إذا ما لقيتُها ... فأُبْهَتُ مشدوهاً أعضُّ بناني)
(فيا بن خُريم يا أخي دون إخوتي ... ومن هُوَ لي مِثلي بكل مكان)
(تأمّلْ أحظّي من خِداعَ وحبِّها ... سوى خُدَع تُذْكِي الهوى وأماني)
(وأصبح شهرُ الصوم قد حال بيننا ... فيا ليتَ شوَّالاً أتى بزمان)
أنشدني جعفر بن قدامة قال أنشدني عبد الله بن المعتز قال أنشدني أبو عبد الله الهشامي لمحمد بن أمية وفيه غناء لمتيم قال واستحسنه عبد الله
صوت
(عجَباً عجبتُ لمُذنبٍ متغَضِّبٍ ... لولا قبيحُ فَعالِه لم أعْجَب)
(أخِداعُ طالَ على الفِراش تقلُّبي ... وإليكِ طولُ تشوّقي وتطرّبي)
(لهفي عليكِ وما يردّ تلهفي ... قصرت يداي وعزّ وجه المطلب)
الغناء لمتيم فيه لحنان رمل عن ابن المعتز وخفيف رمل عن الهشامي وهذا من شعر محمد فيها بعد أن بيعت قال وغنتنا

هزار هذا الصوت يومئذ
حدثني عمي قال حدثنا أحمد بن محمد الفيرزان قال حدثني شيبة بن هشام قال
دعانا محمد بن أمية يوما ووجه إلىجارية كان يحبها فدعاها وبعث إلى مولاها يحدرها مع رسوله فأبطأ الرسول حتى انتصف النهار ثم عاد وليست معه وقال أخذوا مني الدراهم ثم ردوها علي ورأيتهم مختلطين ولهم قصة لم يعرفونيها وقالوا ليست ها هنا فإن عادت بعثنا بها إليكم فتنغص عليه يومه وتغير وجهه وتجمل لنا ثم بكرنا من غد بأجمعنا إلى منزل مولاها فإذا هي قد بيعت فوجم طويلا وسار حتى إذا خلا لنا الطريق اندفع باكيا فما أنسى حرقة بكائه وهو ينشدني
(تخطَّى إليَّ الدهرُ من بين من أرى ... وسوءُ مقاديرٍ لهنَّ شؤون)
(فشتَّتَ شملي دون كلِّ أخي هوًى ... وأقْصَدَني بلْ كلُّهم سِيِين)
(ومهما تكُن من ضَحْكة بعد فَقْدها ... فإني وإن أظهرتُها لحزين)
(سلامٌ على أيّامِنا قبل هذه ... إذِ الدارُ دارٌ والسرورُ فنون)
قال ومضت على ذلك مدة ثم أخبرني أنه اجتاز بها وهي تنظر من وراء شباك فسلم عليها فأومأت بالسلام إليه ودخلت فقال
(تُطالعُني على وجلٍ خِداعُ ... من الشَّبَكِ التي عُملت حَديدا)
(مُطَالِعتي قِفِي باللهِ حتَّى ... أزَوَّدَ مقْلتي نظراً جديدا)
(فقالتْ إنْ سَها الواشون عنَّا ... رجَوْنا أن تَعُود وأن نَعودا)
وأنشدني أيضا في ذلك
صوت
(يا صاحبَ الشَّبَكِ الذي اسْتَخْفَى ... مكانُكَ غيرُ خَافِ)
(أفَمَا رأيتَ تلدُّدي ... بِفناء قَصْرِكَ واختلافي)
(أو ما رحمت تَخشُّعي ... وتلفُّتِي بَعْدَ انصرافي)
صوت
(إنّ الرجالَ لهم إليكِ وسيلةٌ ... إنْ يأخذوكِ تكحَّلي وتخضَّبي)
(وأنا امْرُؤٌ إن يأخذوني عَنْوةً ... أُقْرَنْ إلى سَيْر الركاب وأُجْنَبِ)
(ويكون مَرْكَبُك القعودَ وحِدْجَه ... وابنُ النّعامةِ يومَ ذلك مَرْكَبي)
عروضه من الكامل قال ابن الأعرابي في تفسير قوله
(... وابنُ النعامةِ يومَ ذلك مَرْكَبي)
ابن النعامة ظل الإنسان أو الفرس أو غيره قال جرير
(إذْ ظَلَّ يَحْسَبُ كلَّ شيءٍ فارسا ... ويرى نعامة ظِلِّه فَيَحُولُ)
يعني بنعامة ظله جسده وقال أبو عمرو الشيباني النعامة ما يلي الأصابع في مقدم الرجل يقول مركبي يومئذ رجلي وقال الجاحظ ذكر علماؤنا البصريون أن النعامة اسم فرسه يقول إني أشد على ركابي السرج فإذا صار للفرس وهو يسمى النعامة ظل وأنا مقرون إليه صار ظله تحتي فكنت راكبا له وجعل ظلها هاهنا ابنها
الشعر للحارث بن لوذان بن عوف بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة وقال ابن سلام لخزز بن لوذان ومن الناس من ينسب هذا الشعر إلى عنترة وذلك خطأ وأحد من نسبه إليه إسحاق الموصلي والغناء لعزة الميلاء وأول لحنها
(لِمنِ الديارُ عرفتها بالشُّرْبُبِ ... ذهب الذين بها ولمَّا تذهبِ)
وبعده إن الرجال
وطريقته من خفيف الثقيل الأول بالبنصر من روايتي حماد وابن المكي وفيه للهذيل خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامي وفيه لعريب خفيف رمل وفيه لعزة المرزوقية لحن وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات هذا اللحن لريق سلخت لحن ومخنث شهد الزفاف وقبله فجعلته لهذا وهو لحن محرك يشبه صنعة ابن سريج وصنعة حكم في محركاتهما فمن هنا يغلط فيه ويظن أنه قديم الصنعة
ابن أبي عتيق يعجب بغناء عزة الميلاء
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثت عن صالح بن حسان قال كان ابن أبي عتيق معجبا بغناء عزة الميلاء كثير الزيارة لها وكان يختار عليها قوله
(... (لمن الديار عرفتها بالشُّرْبُبِ
فسألها يوما زيارته فأجابته إلى ذلك ومضت نحوه فقال لها بعد أن استقر بها المجلس يا عزة أحب أن تغنيني صوتي الذي أنا له عاشق فغنته هذا الصوت فطرب كل الطرب وسر غاية السرور
وكانت له جارية وكان فتى من أهل المدينة كثيرا ما يعبث بها فأعلمت ابن أبي عتيق بذلك فقال لها قولي له وأنا أحبك فإذا قال لك وكيف لي بك فقولي له مولاي يخرج غدا إلى مال له فإذا خرج أدخلتك المنزل وجمع ابن أبي عتيق ناسا من أصحابه فأجلسهم في بيته ومعهم عزة الميلاء وأدخلت الجارية الرجل وقال لعزة غني فأعادت الصوت وخرجت الجارية فمكثت ساعة ثم دخلت البيت كأنها تطلب حاجة فقال لها تعالي فقالت الآن آتيك ثم عادت فدعاها فاعتلت فوثب فأخذها فضرب بها الحجلة فوثب ابن أبي عتيق عليه هو وأصحابه فقال لهم وهو غير مكترث يا فساق ما يجلسكم هاهنا مع هذه المغنية فضحك ابن أبي عتيق من قوله وقال له استر علينا ستر الله تعالى عليك فقالت له عزة يا بن الصديق ما أظرف هذا لولا فسقه فاستحيا الرجل فخرج وبلغه أن ابن عتيق قد آلى إن هو وقع في يده أن يصير به إلى السلطان فأقبل يعبث بها كلما خرجت فشكت ذلك إلى مولاها فقال لها أو لم يرتدع من العبث بك قالت لا قال فهيئي الرحى وهيئي من الطعام طحين ليلة إلى
الغداة فقالت أفعل يا مولاي فهيأت ذلك على ما أمرها به ثم قال لها عديه الليلة فإذا جاء فقولي له إن وظيفتي الليلة طحن هذا البر كله ثم اخرجي من البيت واتركيه ففعلت فلما دخل طحنت الجارية قليلا ثم قالت له إن كفت الرحى فإن مولاي جاء إلي أو بعض من وكله بي فاطحن حتى نأمن أن يجيئنا أحد ثم اصير إلى قضاء حاجتك ففعل الفتى ومضت

الجارية إلى مولاها وتركته وقد أمر ابن أبي عتيق عدة من مولياته أن يتراوحن على سهر ليلتهن ويتفقدن أمر الطحين ويحثثن الفتى عليه كلما أمسك ففعلن وجعلن ينادينه كلما كف يا فلانة إن مولاك مستيقظ والساعة يعلم أنك كففت عن الطحن فيقوم إليك بالعصا كعادته مع من كانت نوبتها قبلك إذا هي نامت وكفت عن الطحن فلم يزل الفتى كلما سمع ذلك الكلام يجتهد في العمل والجارية تتعهد وتقول قد استيقظ مولاي والساعة ينام فأصير إلى ما تحب فلم يزل الرجل يطحن حتى أصبح وفرغ من جميع القمح فلما فرغ وعلمت الجارية أتته فقالت قد أصبحت فانج بنفسك فقال أوقد فعلتها يا عدوة الله فخرج تعبا نصبا فأعقبه ذلك مرضا شديدا أشرف منه على الموت وعاهد الله تعالى ألا يعود إلى كلامها فلم تر منه بعد ذلك شيئا ينكر

صوت

(أجَدَّ اليومَ جيرتُك احتمالا ... وحثَّ حُداتُهمْ بهمُ عِجالا)
(وفي الأظعان آنِسة لعوب ... ترى قتلي بغير دمٍ حلالا)

عروضه من الوافر الشعر للمتوكل الليثي والغناء لابن محرز ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه لابن مسجح ثاني ثقيل آخر بالخنصر في مجرى البنصر عنه وذكر حبش أن هذا اللحن لابن سريج وفيه لإسحاق هزج

نسب المتوكل الليثي وأخباره

هو المتوكل بن عبد الله بن نهشل بن مسافع بن وهب بن عمرو بن لقيط ابن يعمر بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار من شعراء الإسلام وهو من أهل الكوفة كان في عصر معاوية وابنه يزيد ومدحهما ويكنى أبا جهمة وقد اجتمع مع الأخطل وناشده عند قبيصة بن والق ويقال عند عكرمة بن ربعي الذي يقال له الفياض فقدمه الأخطل

وهذه القصيدة التي أولها الغناء قصيدة هجا بها عكرمة بن ربعي وخبره معه يذكر بعد

أخبرني بذلك الحسن بن علي عن أحمد بن سعيد الدمشقي عن الزبير بن بكار عن عمه

وأخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال أخبرني هارون بن مسلم قال حدثني حفص بن عمر العمري عن لقيط بن بكير المحاربي قال قدم الأخطل الكوفة فنزل على قبيصة بن والق فقال المتوكل بن عبد الله الليثي لرجل من قومه انطلق بنا إلى الأخطل نستنشده ونسمع من شعره فأتياه فقالا أنشدنا يا أبا مالك فقال إني لخاثر يومي هذا فقال له المتوكل

أنشدنا أيها الرجل فوالله لا تنشدني قصيدة إلا أنشدتك مثلها أو أشعر منها من شعري قال ومن أنت قال أنا المتوكل قال أنشدني ويحك من شعرك فأنشده

(للغانيات بذي المجاز رسومُ ... فببطن مكة عهْدُهنّ قديمُ)
(فبِمَنْحر البُدْنِ المقلَّد من مِنًى ... حِلَلٌ تلوح كأنهنّ نجومُ)
(لا تنهَ عن خلُقٍ وتأتي مثله ... عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ)
(والهَمُّ إن لم تُمضه لسبيله ... داءٌ تضمَّنه الضلوعُ مُقيمُ)

غنى في هذه الأبيات سائب خاثر من رواية حماد عن أبيه ولم يجنسه قال وأنشده أيضا

(الشِّعْر لُبُّ المرءِ يَعرِضُه ... والقولُ مثلُ مواقعِ النَّبْلِ)
(منها المقصِّرُ عن رميَّتهِ ... ونوافذٌ يذهبن بالخَصْلِ)

قال وأنشده أيضا

(إنّا معشرٌ خُلِقْنا صُدُورا ... من يسوِّي الصُّدورَ بالأذنابِ)

فقال له الأخطل ويحك يا متوكل لو نبحت الخمر في جوفك كنت أشعر الناس

ما قاله في زوجه رهيمة

قال الطوسي قال الأصمعي كانت للمتوكل بن عبد الله الكناني امرأة يقال لها رهيمة ويقال أميمة وتكنى أم بكر فأقعدت فسألته الطلاق فقال ليس هذا حين طلاق فأبت عليه فطلقها ثم إنها برئت بعد الطلاق فقال في ذلك

(طربتُ وشاقني يا أمَّ بكرٍ ... دعاءُ حمامةٍ تدعو حَماما)
(فبتُّ وبات همِّي لي نجِياً ... أعزِّي عنكِ قلبا مستَهاما)
(إذا ذُكِرتْ لقلبكَ أمُّ بكرٍ ... يبيت كأنما اغتبق المُداما)
(خَدَلَّجة ترفُّ غُروبُ فيها ... وتكسو المتْنَ ذا خُصَلٍ سُخاما)
(أبى قلبي فما يهوى سِواها ... وإن كانت مودّتها غراما)
(ينام الليلَ كلُّ خلِيٍّ همٍّ ... وتأبَى العَيْنُ منِّي أنْ تَناما)
(أراعِي التّالياتِ من الثّريا ... ودمعُ العَينِ مُنحدِرٌ سِجاما)
(على حينَ ارعويت وكان رأسي ... كأنَّ على مفارقه ثَغَاما)
(سعى الواشون حتى أزعجوها ... ورثَّ الحبلِ فانجذَم انجذاما)
(فلستُ بزائلٍ ما دمتُ حيًّا ... مُسِرًّا مِن تذكُّرها هُيَاما)
(تُرجِّيها وقد شحطت نَواها ... ومنَّتكَ المُنَى عاماً فعاما)
(خدلَّجة لها كَفَلٌ وثير ... ينوءُ بها إذا قامت قِياما)
(مُخَصَّرةٌ ترى في الكشْحِ منها ... على تثْقِيلِ أسفلِها انهضاما)
(إذا ابتسمت تلألأ ضوءُ برق ... تهلّل في الدّجُنَّة ثم دَاما)
(وإن قامت تأمّلَ رائياها ... غمامة صيِّفٍ ولجت غماما)
(إذا تمشى تقول دبيبُ أيم ... تعرّجَ ساعةً ثم استقاما)
(وإن جلست فدُميةُ بيتِ عِيدٍ ... تُصانُ ولا تُرى إلا لماما)
(فلو أشكو الذي أشكو إليها ... إلى حجر لراجعني الكلاما)
(أحِبُّ دُنُوّها وتُحِبّ نأيي ... وتعتام التنائي لي اعتياما)
(كأني من تذكُّر أم بكرٍ ... جريحُ أسنَّةٍ يشكو كِلاما)

(تَساقطُ أنفساً نَفْسِي عليها ... إذا شَحَطت وتغْتَم اغتماما)
(غشِيتُ لها منازلَ مقْفِراتٍ ... عفتْ إلا الأياصِرَ والثُّماما)
(ونؤْياً قد تهدّم جانِباه ... ومبناها بذِي سلم خِياما)
((صليني واعلمِي أني كريمٌ ... وأنّ حَلاوتي خُلِطت عُراما
(وأني ذو مُجامحةٍ صَليبٌ ... خُلِقت لمن يماكِسني لجاما)
(فلا وأبيكِ لا أنساكِ حتى ... تُجاوبَ هَامتي في القبر هاما)
مدحه حوشبا الشيباني
والقصيدة التي فيها الغناء المذكور في أول خبر المتوكل يقولها أيضا في امرأته هذه ويمدح فيها حوشبا الشيباني ويقول فيها
(إذا وعدَتْكَ معروفاً لوتْه ... وعَجّلت التّجرُّم والمِطالا)
(لها بشر نقيّ اللون صافٍ ... ومتنٌ خُطّ فاعتدل اعتدالا)
(إذا تمشي تأوّد جانِباها ... وكاد الخصر ينخزل انخزالا)
(تنوء بها روادفها إذا ما ... وشاحاها على المتْنين جالا)
(فإن تصبح أميمةُ قد تولّتْ ... وعاد الوصل صرْما واعتلالا)
(فقد تدنو النوى بعد اغتراب ... بها وتفرّقُ الحيَّ الحِلالا)
((تُعبّسُ لي أميمة بُعد أنس ... فما أدري أسخطاً أم دلالا
(أبيني لي فربَ أخ مصافٍ ... رزئتُ وما أُحِبّ به بِدالا)
(أصرمٌ منكِ هذا أم دلالٌ ... فقد عَني الدلال إذاً وطالا)
(أم استبدلتِ بي ومللتِ وصلي ... فَبوحي لي به ودعي المِحالا)
(فلا وأبيك ما أهوى خليلاً ... أقاتِله على وصلي قتالا)
(وكم من كاشح يا أمّ بكرٍ ... من البغضاء يأتكِل ائتكالا)
(لبستُ على قناعٍ من أذاه ... ولولا اللّهُ كنتُ له نَكَالا)
ومما يغني به من هذه القصيدة قوله
صوت
(أنا الصقر الذي حُدّثتَ عنه ... عِتاق الطير تنْدَخِل اندخالا)
(رأيت الغانياتِ صدفْن لما ... رأين الشيبَ قد شَمِل القَذَالاَ)
(فلم يُلووا إذا رحلوا ولكن ... تولّت عِيرهم بهمُ عِجالا)
غنى فيه عمر الوادي خفيف رمل عن الهشامي وذكر حبش أن فيه لابن محرز ثاني ثقيل بالوسطى وأحسبه مضافا إلى لحنه الذي في أول القصيدة
وقال الطوسي قال أبو عمرو الشيباني
هجاؤه معن بن حمل
هجا معن بن حمل بن جعونة بن وهب أحد بني لقيط بن يعمر المتوكل ابن عبد الله الليثي وبلغ ذلك المتوكل فترفع عن أن يجيبه ومكث معن سنين يهجوه والمتوكل معرض عنه ثم هجاه بعد ذلك وهجا قومه من بني الديل هجاء قذعا استحيا منه وندم ثم قال المتوكل لقومه يعتذر ويمدح يزيد بن معاوية
(خليليّ عُوجا اليومَ وانتظراني ... فإن الهوى والهمّ أمٌّ أبانِ)
(هي الشمسُ يدنو قريباً بعيدُها ... أرى الشمس ما أسْطِيعُها وتراني)
(نأت بعد قربٍ دارُها وتبدّلت ... بنا بَدَلاً والدهرُ ذو حَدَثَانِ)
(فهاج الهوى والشوقَ لي ذكر حُرّةٍ ... من المرْجحِنَّات الثقالِ حَصَانِ)
غنى في هذه الأبيات ابن محرز من كتاب يونس ولم يجنسه
(سيعلم قومي أنني كنتُ سُورةً ... من المجد إنْ داعي المنون دَعاني)
(ألا ربّ مسرورٍ بموتيَ لو أتى ... وآخرَ لو أنْعى له لَبَكانِي)
(خَليليّ ما لاَمَ امرأً مثلُ نفسِه ... إذا هي لامت فاربَعا ودعانِي)
(ندمتُ على شتمِي العشيرَةَ بعدما ... تغنَّى بها غوري وحنّ يماني)
(قلبت لهم ظهرَ المجنّ وليتني ... رجعتُ بفضلٍ من يدي ولسَاني)
(علِي أنني لم أرمِ في الشعرِ مسلِماً ... ولم أهجُ إلا من روى وهجاني)
(هُم بطروا الحِلَم الذي من سجِيّتي ... فبدّلتُ قومي شدّةً بليان)
((ولو شئْتُمُ أولادَ وهبٍ نزعتُمُ ... ونحنُ جميعٌ شمْلُنا أخَوانِ
(نهيتُمْ أخاكم عن هِجائي وقد مضَى ... له بعد حول كاملٍ سنتان)
(فلجّ ومنّاه رجالٌ رأيتُهم ... إذا قارنوني يكرهون قِراني)
(وكنتُ امرأ يأبى ليَ الضيمَ أنني ... صَرومٌ إذا الأمرُ المُهمُّ عَناني)
(وَصُولٌ صرومٌ لا أقول لمُدْبر ... هلمَّ إذا ما اغْتَشّني وعَصاني)
(خليليّ لو كنتُ امرأ بيَ سقطةٌ ... تضعضعْتُ أو زلّتْ بِيَ القدمان)
(أعيش على بَغْي العُداةِ ورغمِهم ... وآتِي الّذي أهْوَى على الشنآن)
(ولكِنّني ثَبْتُ المَريرة حازمٌ ... إذا صاح طُلّابي ملأت عِناني)
(خليليّ كم من كاشح قد رميته ... بقافيةٍ مشهورةٍ ورماني)
(فكان كذات الحيْض لم تُبق ماءها ... ولم تُنْق عنها غَسْلَها لأوان)
ثم إنه يقول فيها ليزيد بن معاوية
(أبا خالدٍ حنّت إليك مطيّتي ... على بعد منتاب وهَوْل جَنان)
(أبا خالد في الأرض نأيٌ ومَفْسَح ... لِذِي مِرّة يُرمى به الرَّجَوان)

(فكيفَ ينام الليلَ حرٌّ عَطَاؤه ... ثلاثٌ لرأس الحولِ أو مائتان)
(تناهت قُلوصي بعد إسآدِيَ السُّرى ... إلى ملك جزلِ العطاءِ هِجان)
(ترى الناس أفواجاً ينوبون بابَه ... لبِكر من الحاجات أو لعوَان)
فأجابه معن بن حمل فقال
(ندِمتَ كذاكَ العبدُ يندم بعد ما ... غُلِبتَ وسارِ الشعر كلَّ مكانِ)
(ولاقَيْت قَرْما في أَرُومةِ ماجدٍ ... كريماً عزيزاً دائمَ الخَطَرانِ
(أنا الشاعر المعروف وجْهي ونسبتي ... أعفُّ وتحميني يدي ولساني)
(وأغلِبُ من هاجيتُ عفواً وأنتمي ... إلى معشرٍ بِيضِ الوجوه حِسانِ)
(فهاتِ إذاً يابنَ الأتان كصاحبِ الملوك أبي أسيِّد كَمُهانِ)
(فهاتِ كزيدٍ أو كَسَيْحانَ لا تجِد ... لهمْ كفُواً أو يُبعث الثقلآن)
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا العتيبي عن العباس بن هشام عن أبيه عن عوانة قال أتى المتوكل الليثي عكرمة بن ربعي الذي يقال له الفياض فامتدحه فحرمه فقيل له جاءك شاعر العرب فحرمته فقال ما عرفته فأرسل إليه بأربعة آلاف درهم فأبى أن يقبلها وقال حرمني على رؤوس الناس ويبعث إلي سرا
فبينا المتوكل بالحيرة وقد رمد رمدا شديد فمر به قس منهم فقال مالك قال رمدت قال أنا أعالجك قال فافعل فذره فبينا القس عنده وهو مذرور العين مستلق على ظهره يفكر في هجاء عكرمة وذلك غير مطرد له ولا القول في معناه إذ أتاه غلام له فقال بالباب امرأة تدعوك فمسح عينيه وخرج إليها فسفرت عن وجهها فإذا الشمس طالعة حسنا فقال لها ما اسمك قالت أمية قال فممن أنت فلم تخبره قال فما حاجتك قالت بلغني أنك شاعر فأحببت أن تنسب بي في شعرك فقال أسفري ففعلت فكر طرفه في وجهها مصعدا ومصوبا ثم تلثمت وولت عنه
فاطرد له القول الذي كان استصعب عليه في هجاء عكرمة وافتتحه بالنسيب فقال
(أجدَّ اليومَ جيرتُكَ احتِمالا ... وحثَّ حُداتُهم بِهمُ الجِمالا)
(وفي الأظعان آنِسةٌ لَعُوبٌ ... ترى قتْلي بغيرِ دمٍ حَلالا)
(أُمَيَّةُ يوم دَيْر القَسِّ ضَنَّت ... علينا أن تنوِّلنا نوالا)
(أبيني لي فربّ أخٍ مصافٍ ... رُزئت وما أحب به بِدالا)
وقال فيها يهجو عكرمة
(أقلني يابن ربعي ثنائي ... وهبها مِدحة ذهبت ضلالا)
(وهبْها مِدحة لم تُغن شيئاً ... وقولاً عاد أكثرُه وبالا)
(وجدنا العِزَّ من أولاد بكرٍ ... إلى الذُّهْلين يرجِع والفِعالا)
(أعِكرمَ كنتُ كالمبتاع داراً ... رأى بَيْعَ الندامةِ فاستقالا)
(بنو شيْبان أكرمُ آلِ بكرٍ ... وأمتَنُهم إذا عقدوا حِبالا)
(رجالٌ أُعطِيتْ أحلامَ عادٍ ... إذا نطقوا وأيدِيَها الطوالا)
(وتيمُ اللهِ حيٌّ حيٌّ صِدقٍ ... ولكنْ الرَّحَى تعلو الثِّفالا)
صوت
(سقى دِمنتين لم نجِد لهما أهلا ... بحقلٍ لكم يا عزَّ قد رابني حَقْلا)
(فيا عزَّ إن واشٍ وشى بي عندكم ... فلا تُكرميه أن تقولي له مهلا
(كما نحن لو واشٍ وشى بِك عندنا ... لقلنا تزحزحْ لا قريباً ولا سَهْلا)
(ألم يأن لي يا قلبُ أن أترك الجهلا ... وأن يُحدِث الشيبُ المُلِمُّ ليَ العقْلا)
(على حين صار الرأس منّي كأنما ... علت فوقه ندَّافةُ العُطْبِ الغزْلاَ)
عروضه من الطويل الدمن آثار الديار واحدتها دمنة والحقل الأرض التي يزرع فيها والعطب هو القطن
الشعر لكثير كله إلا البيت الأول فإنه انتحله وهو للأفوه الأودي والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي في الثلاثة الأبيات الأول متوالية وذكر حبش أنه لمعبد وفي الرابع والخامس والثاني والثالث لحنين ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه ثقيل أول بالبنصر وذكر ابن المكي أنه لمعبد وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى المكي
نسب الأفوه الأودي وشيء من أخباره
الأفوه لقب واسمه صلاءة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف بن منبه بن أود بن الصعب بن سعد العشيرة وكان يقال لأبيه عمرو بن مالك فارس الشوهاء وفي ذلك يقول الأفوه
(أبي فارسُ الشوهاء عمرو بن مالكٍ ... غداة الوغى إذ مال بالجد عاثِر)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا ابن أبي سعد عن علي بن الصباح عن هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال كان الأفوه من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم وكانوا يصدرون عن رأيه والعرب تعده من حكمائها وتعد داليته
(معاشر ما بنوا مجداً لقومهم ... وإن بنى غيرُهم ما أفسدوا عادوا)
ومن حكمة العرب وآدابها فأما البيت الذي اخذه كثير من شعر الأفوه وأضافه إلى أبياته التي ذكرناها وفيها الغناء آنفا فإنه من قصيدة يقول فيها
(نُقاتِل أقواماً فنسبِي نساءَهم ... ولم يرَ ذو عزٍّ لنسوتنا حِجْلا)
(نقود ونأبى أن نُقَاد ولا نرى ... لقومٍ علينا في مُكارَمةٍ فضلا
(وإنا بِطاء المشي عند نسائنا ... كما قيِّدتْ بالصَّيف نجْديّةٌ بزلا)
(نظل غَيارى عند كل ستيرةٍ ... نُقلِّب جيداً واضحاً وشوًى عبْلا)
(وإنا لنعطِي المالَ دون دمائنا ... ونأبى فما نَستَام دون دمٍ عقلا)
قال أبو عمرو الشيباني قال الأفوه الأودي هذه الأبيات يفخر بها على قوم من بني عامر كانت بينه وبينهم دماء فأدرك بثأره وزاد وأعطاهم ديات من قتل فضلا على قتلي قومه فقبلوه وصالحوه
وقال أبو عمرو أغارت بنو أود وقد جمعها الأفوه على بني عامر فمرض الأفوه مرضا شديدا فخرج بدله زيد بن الحارث الأودي

وأقام الأفوه حتى أفاق من وجعه ومضى زيد بن الحارث حتى لقي بني عامر بتضارع وعليهم عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب فلما التقوا عرف بعضهم بعضا فقال لهم بنو عامر ساندونا فما أصبنا كان بيننا وبينكم فقالت بنو أود وقد أصابوا منهم رجلين لا والله حتى نأخذ بطائلتنا فقام أخو المقتول وهو رجل من بني كعب بن أود فقال يا بني أود والله لتأخذن بطائلتي أو لأنتحين على سيفي فاقتتلت أود وبنو عامر فظفرت أود وأصابت مغنما كثيرا فقال الأفوه في ذلك

صوت

(ألا يا لهف لو شهدتْ قناتي ... قبائلَ عامرٍ يوم الصبيب)
(غداة تجمعت كعبٌ إلينا ... حلائبَ بين أفناء الحروب)
(فلمّا أن رأوْنا في وَغَاها ... كآساد الغَريفة والحجيب)
(تداعوْا ثم مالُوا عن ذراها ... كفعل الخامعات من الوجيب)
(وطاروا كالنَّعام ببطن قَوٍّ ... مُواءلَة على حذر الرقيبِ)

صوت

(كأن لم تَريْ قبلي أسيراً مكبَّلا ... ولا رَجُلا يُرْمَى به الرّجَوانِ)
(كأني جوادٌ ضَمَّه القيدُ بعدما ... جرى سابقاً في حَلبةٍ ورهان)

الشعر لرجل من لصوص بني تميم يعرف بأبي النشناش والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالبنصر من روايتي علي بن يحيى والهشامي

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد ابن حبيب قال كان أبو النشناش من ملاص بني تميم وكان يعترض القوافل في شذاذ من العرب بين طريق الحجاز والشام فيجتاحها فظفر به بعض عمال مروان فحبسه وقيده مدة ثم أمكنه الهرب في وقت غرة فهرب فمر بغراب على بانة ينتف ريشه وينعب فجزع من ذلك ثم مر بحي من لهب فقال لهم رجل كان في بلاء وشر وحبس وضيق فنجا من ذلك ثم نظر عن يمينه فلم ير شيئا ونظر عن يساره فرأى غرابا على شجرة بان ينتف ريشه وينعب فقال له اللهبي إن صدقت الطير يعاد إلى حبسه وقيده ويطول ذلك به ويقتل ويصلب فقال له بفيك الحجر قال لا بل بفيك وأنشأ يقول

(وسائلةٍ أين ارتحالي وسائلٍ ... ومن يسأل الصُّعلوكَ أين مذاهِبُهْ)
(مذاهِبه أنّ الفِجاج عريضةٌ ... إذا ضنّ عنه بالنَّوال أقاربه)
(إذا المرءُ لم يَسْرحْ سَوَاماً ولم يُرح ... سَوَاماً ولم يبسُط له الوجهَ صاحبه)
(فلَلموْت خيرٌ للفتى من قُعُودِه ... عديماً ومن مولًى تُعاف مشاربه)
((ودَوِّيّةٍ قفرٍ يَحارُبها القطا ... سرَت بأبي النّشْناش فيها ركائبُهْ
(لِيُدرِكَ ثأراً أو ليكْسِب مغْنَماً ... ألا إنّ هذا الدهرِ تترى عجائبُه)
(فلم أر مِثلَ الفقر ضاجَعه الفتى ... ولا كسواد الليل أخفق طالِبُه)
(فعِش مُعذِراً أو مت كريماً فإنني ... أرى الموت لا يبقى على من يطالبه)

صوت

(أصادِرةٌ حُجَّاج كعبٍ ومالكٍ ... على كل فتلاء الذراعين محنِق)
(أقام قناة الودّ بيني وبينه ... وفارقني عن شيمة لم تُرَنَّق)

عروضه من الطويل الصادر المنصرف وهو ضد الوارد وأصله من ورود الماء والصدر عنه ثم يقال لكل مقبل إلى موضع ومنصرف عنه وكعب من خزاعة ومالك يعني مالك بن النضر بن كنانة وكان كثير ينتمي وينمي خزاعة إليهم ومحنق ضامرة والشيمة الخلق والطبيعة وترنق تكدر والرنق الكدر

الشعر لكثير عزة يرثي خندقا الأسدي والغناء للهذلي ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر من رواية إسحاق وفي الثاني من البيتين ثم الأول

لسياط رمل بالبنصر عنه وعن الهشامي وعمرو وفيهما لمعبد لحن ذكره يونس ولم يجنسه وفي رواية حماد عن أبيه أن لحن الهذلي من الثقيل الأول فإن كان ذلك كذلك فالثقيل الثاني لمعبد وذكر أحمد بن عبيد أن الذي صح فيه ثقيل أول أو ثاني ثقيل

خبر كثير وخندق الأسدي الذي من أجله قال هذا الشعر

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني محمد بن حبيب وأخبرني وكيع قال حدثنا علي بن محمد النوفلي عن أبيه وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة عن ابن داحة قالوا كان خندق بن مرة الأسدي هكذا قال النوفلي وغيره يقول خندق بن بدر صديقا لكثير وكانا يقولان بالرجعة فاجتمعا بالموسم فتذاكرا التشيع فقال خندق لو وجدت من يضمن لي عيالي بعدي لوقفت بالموسم فذكرت فضل آل محمد وظلم الناس لهم وغصبهم إياهم على حقهم ودعوت إليهم وتبرأت من أبي بكر وعمر فضمن كثير عياله فقام ففعل ذلك وسب أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما وتبرأ منهما قال عمر بن شبة في خبره فقال أيها الناس إنكم على غير حق قد تركتم أهل بيت نبيكم والحق لهم وهم الأئمة ولم يقل إنه سب أحدا فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتى قتلوه ودفن خندق بقنونى فقال إذ ذاك كثير يرثيه

((أصادِرة حجَّاج كعبٍ ومالكٍ ... على كل عجْلَى ضامر البطن محْنِق
(بمرثيةٍ فيها ثناء مُحبَّرٌ ... لأزهرَ من أولاد مرة معْرِق)
(كأنَّ أخاه في النوائب مُلْجَأٌ ... إلى علمٍ من ركن قُدْسَ المُنطَّق)
(ينال رجالاً نفعه وهو منهم ... بعيدٌ كعيُّوق الثريّا المعلّق)
(تقول ابنة الضَّمريّ مالكَ شاحباً ... ولونُك مصفرٌّ وإن لم تَخلَّق)
(فقلت لها لا تعجبي من يمُتَ له ... أخٌ كأبي بدرٍ وجدّك يُشْفِق)
(وأمر يُهِمُّ الناسَ غِبٌّ نِتَاجه ... كفَيْتَ وكرْبٍ بالدّواهي مطرِّقِ)
(كشفتَ أبا بدرٍ إذا القوم أحجموا ... وعضَّت ملاقِي أمرهم بالمخنَّق)
(وخَصمٍ أبا بدرٍ ألدَّ أبَتَّه ... على مثل طعم الحنظل المتفلق)
(جزى الله خيرا خَندقاً من مكافيء ... وصاحِبِ صدقٍ ذي حِفاظٍ ومَصْدَق)
(أقام قناةَ الودِّ بيني وبينه ... وفارقني عن شيمةٍ لم تُرنَّق)

(حلفْت على أن قد أجنّتْكَ حفرةٌ ... ببطن قَنْونَى لو نعيشِ فنلتقِي)
(لألفيتني بالوُدّ بعدك دائماً ... على عهدنا إذ نحن لم نَتفرّقِ)
(إذا ما غدا يهتز للمجد والنّدى ... أشمَّ كغصن البانة المتورِّقِ)
(وإني لجازٍ بالذي كان بيننا ... بني أسدٍ رهط ابنِ مرة خَنْدقِ
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة إن كثيرا لما انتمى إلى قريش وجرى بينه وبين الحزين الديلي من المواثبة والهجاء ما جرى بلغ ذلك الطفيل بن عامر بن واثلة وهو بالكوفة فأنكر أمر كثير وانتسابه إلى كنانة وتصييره خزاعة منهم وما فعله الحزين فحلف لئن رأى كثيرا ليضربنه بالسيف أو ليطعننه بالرمح فكلمه فيه خندق الأسدي وكان صديقا له ولكثير فوهبه له واجتمعا في مكة فجلسا مع ابن الحنفية فقال طفيل لولا خندق لوفيت لك بيميني فقال يرثيه وعنه كان أخذ مقالته
(ونال رجالاً نفعُهُ وهو منهمُ ... بعيدٌ كعيّوق الثريا المعلق)
وذكر باقي الأبيات
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد ابن إسماعيل قال حدثني حميد بن عبد الرحمن أحد بني عتوارة بن جدي قال كان كثير قد سلطه الله ينسب بعزة بنت عبد الله أحد بني حاجب بن عبد الله بن غفار قال وكان نسوانهم قد لقينها وهي سائرة في نسائهم في الجلاء في عام اصابت أهل تهامة فيه حطمة شديدة وكانت عزة من أجمل النساء وآدبهن وأعقلهن ولا والله ما رأى لها وجها قط إلا أنه استهيم بها قلبه لما ذكر له عنها فلقيه رجال من الحي لما بلغهم ذلك عنه فقالوا له إنك قد شهرت نفسك وشهرتنا وشهرت صاحبتنا فاكفف نفسك قال فإني لا أذكرها بما تكرهون فخرجوا جالين إلى مصر في أعوام الجلاء فتبعهم على راحلته فزجروه فأبى إلا أن يلحقهم بنفسه فجلس له فتية من جدي قال وكان بنو ضمرة كلهم يهون عليهم نسيبه لما يعرفون من براءتها إلا ما كان من بني جدي فإنهم كانوا صمعا غيرا فقعد له عون أحد بني جدي في تسعة نفر على محالج فلما جاز بهم تحت الليل أخذوه ثم عدلوا به عن الطريق إلى جيفة حمار كانوا يعرفونها من النهار فأدخلوه فيها وربطوا يديه ورجليه ثم أوثقوا بطن الحمار فجعل يضطرب فيه ويستغيث ومضوا عنه فاجتاز به خندق الأسدي فسمع استغاثته وهو خندق بن بدر فعدل إلى الصوت حين سمعه فوجد في الجيفة إنسانا فسأله من هو وما خبره فأخبره فأطلقه وحمله وألحقه ببلاده فقال كثير في ذلك قال الزبير أنشدنيها عمر بن أبي بكر المؤملي عن عبد الله بن أبي عبيدة معمر بن المثنى
(أصادِرةٌ حُجَّاجُ كعبٍ ومالكٍ ... على كلِّ فتْلاء الذراعين مُحنِقِ)
وذكر القصيدة كلها على ما مضت
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا عمر بن أبي بكر المؤملي عن أبي عبيدة قال خندق الأسدي هو الذي أدخل كثيرا في مذهب الخشبية
كثير يرثي خندقا
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن حبيب قال لما قتل خندق الأسدي بعرفة رثاه كثير فقال
(شجا أظعانُ غاضرةَ الغوادي ... بغيرِ مَشورةٍ عَرَضاً فؤادي)
(أغاضِرُ لَوْ شهدتِ غداةَ بِنْتم ... حُنُوَّ العائداتِ على وسادي)
(أويتِ لعاشقٍ لم تَشكُمِيه ... نوافِذه تَلذّع بالزّناد)
(ويومَ الخيلِ قد سفَرت وكفّت ... رداء العَصْب عن رَتَل بُراد)
الرتل الثغر المستوي النبت
(وعن نجلاءَ تدْمَع في بياضٍ ... إذا دَمِعت وتنظُر في سوادِ)
(وعن متكاوسٍ في العَقْص جَثْلٍ ... أثِيثِ النبتِ ذي عُذَرٍ جِعاد)
(وغاضِرةُ الغداةَ وإن نَأَتْنا ... وأصبح دونها قُطر البِلاد)
(أحبُّ ظعينةٍ وبناتُ نفْسي ... إليها لو بَلِلْن بها صوادِي)
(ومِنْ دونِ الذي أمّلتِ وُدّاً ... ولو طالبتُها خَرْطُ القَتاد)
(وقال الناصحون تحلَّ منها ... ببذل قَبْل شيمتها الجماد)
تحل أصب يقال ما حليت من فلان بشيء ولا تحليت منه بشيء ومنه حلوان الكاهن والراقي وما أشبه ذلك
(فقد وعدَتْك لو أقبلتَ وُدّا ... فلجَّ بكَ التدلُّل في تَعَادِ)
(فأسررتَ الندامةَ يوم نادَى ... بردّ جِمال غاضِرةَ المُنادي)
(تمادى البعدُ دونهُم فأمستْ ... دموعُ العين لجّ بها التّمادي)
(لقد مُنع الرقادُ فبت ليلي ... تجافيني الهمومُ عنِ الوساد)
(عَدَاني أن أزورَكَ غيرَ بُغضٍ ... مُقامُك بين مُصْفَحة شِداد)
(وإني قائل إن لم أزره ... سَقَتْ دِيَمُ السواري والغوادي)
(محلَّ أخي بني أسدٍ قَنَونَى ... فما والى إلى بِرْك الغِمادِ)
((مقيم بالمجازة من قَنَونَى ... وأهلكَ بالأُجَيْفِرِ والثماد
(فلا تبعد فكل فتًى سيأتي ... عليه الموتُ يطرُق أو يُغادي)
(وكلُّ ذخيرةٍ لا بدّ يوماً ... ولو بقِيتْ تصير إلى نَفادِ)
(يعزُّ عليّ أن نغدو جميعاً ... وتصبحَ ثاوياً رهْنا بِوادِ)
(فلو فُودِيتَ من حدَث المنايا ... وقيتُك بالطّريف وبالتّلادِ)
في هذه القصيدة عدة أصوات هذه نسبتها قد جمعت
صوت
(أغاضرَ لو شهدتِ غداةَ بِنتم ... حُنوَّ العائداتِ على وسادي)
(رثيتِ لعاشقٍ لم تشكُمِيه ... نوافِذه تلذَّع بالزناد)
(عدانِي أن أزوركَ غير بغضٍ ... مقامكَ بين مُصفَحةٍ شِدادِ)
(فلا تبعَدْ فكل فتىً سيأتي ... عليه الموت يطرُق أو يُغادِي)

لمعبد في البيتين الأولين لحن من خفيف الثقيل الأول بالوسطى عن عمرو وابن المكي والهشامي وفيهما لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وأحمد بن عبيد وفيهما للغريض ثاني ثقيل عن ابن المكي ومن الناس من ينسب لحن مالك إلى معبد أيضا وفي الثالث والرابع لابن عائشة ثاني ثقيل مطلق في
مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو وغيرهما ويقال إن لابن سريج وابن محرز وابن جامع فيهما ألحانا
غاضرة هذه التي ذكرها كثير مولاة لآل مروان بن الحكم وقد روي في ذكره إياها غير خبر مختلف
فأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال حدثني عبد الله بن أبي عبيدة قال

أخبار أم البنين

حجت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقالت لكثير ووضاح انسبابي فأما وضاح فنسب بها وأما كثير فنسب بجاريتها غاضرة حيث يقول

(شجا أظعانُ غاضِرةَ الغوادِي ... بغير مشورة عرضاً فؤادِي)

قال وكانت زوجة الوليد بن عبد الملك فقتل وضاحا ولم يجد على كثير سبيلا
أخبرني الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزهري عن محرز بن جعفر عن أبيه عن بديح قال قدمت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان وهي عند الوليد بن عبد الملك حاجة والوليد إذ ذاك خليفة فأرسلت إلى كثير ووضاح أن نسبا بي فنسب وضاح بها ونسب كثير بجاريتها غاضرة في شعره الذي يقول فيه

(... شجا أظعانُ غاضرة الغوادي)

قال وكان معها جوار قد فتن الناس بالوضاءة
قال بديح فلقيت عبيد الله بن قيس الرقيات فقلت له بمن نسبت من هذا القطين فقال لي

(ما تصنعُ بالشرِّ ... إذا لم تكُ مجنونا)
(إذا قاسيت ثِقْل الشرِّ ... حَسَّاكَ الأمرِّينا)
(وقد هِجتَ بما قد قُلْتَ ... أمراً كان مدفونا)

قال بديح ثم أخذ بيدي فخلا بي وقال لي يا بديح احفظ عني ما أقول لك فإنك موضع أمانة وأنشدني

(أصحوتَ عن أمِّ البنين ... وذِكْرِها وعَنائها)
(وهجرتَها هجرَ امرئٍ ... لم يَقْلِ حملَ إخائها)
(من خيفةِ الأعداء أن ... يُوهُوا أديمَ صفائها)
(قُرشيّة كالشَّمس أشرق ... نورها ببهائها
(زادت على البيضِ الحسانِ ... بحسنِها ونقائها)
(لما اسبكرّت للشَّباب ... وقُنِّعت بردائِها)
(لم تلتفِت لِلداتها ... ومضت على غُلوائها)

غنى ابن عائشة في الثلاثة الأبيات الأول لحنا من الثقيل الأول عن الهشامي عن يحيى المكي وفي الرابع وما بعده لحنين أحدهما ثاني ثقيل بالبنصر والآخر خفيف ثقيل بالبنصر عن ابنه وغيره وغنى إبراهيم الموصلي في الأربعة الأول لحنا آخر من الثقيل الأول وهو اللحن الذي فيه استهلال وذكر الهشامي أن الثقيل الثاني لابن محرز
قال فقتل الوليد وضاحا ولم يجد علىكثير سبيلا قال وحجت بعد ذلك وقد تقدم الوليد إليها وإلى من معها في الحجاب فلقيني ابن قيس حيث خرجت ولم تكلم أحدا ولم يرها فقال لي يا بديح

صوت

(بان الخليطُ الذي به نَثِقُ ... واشتد دون المليحة القَلَقُ)
(من دون صفراء في مفاصِلِها ... لِينٌ وفي بعضِ بطْشِها خُرُقُ)
(إن خَتَمت جاز طينُ خاتَمِها ... كما تجوز العَبْدِيَّة العُتُقِ)

غنى في هذه الأبيات مالك بن أبي السمح لحنا من الثقيل الأول بالبنصر عن عمرو ويونس وفيها لابن مسجح ويقال لابن محرز وهو مما يشبه غناءهما جميعا وينسب إليهما خفيف ثقيل أول بالبنصر والصحيح أنه لابن مسجح وفيها ثاني ثقيل لابن محرز عن ابن المكي وذكر حبش أن لسياط فيها لحنا ماخوريا بالوسطى وفي هذه الأبيات زيادة يغني فيها ولم يذكرها الزبير في خبره وهي

(إنِّي لأخْلِي لها الفِراش إذا ... قَصَّعَ في حِضْنِ زوجه الحَمِق)
(عن غير بغضٍ لها لديَّ ولكن ... تلك منّي سَجِيّة خُلُق)

قال الزبير أراد بقوله في هذه الأبيات

(... إن ختمت جاز طينُ خاتِمَها)

أنها كانت عند سلطان جائز الأمر والعبدية هي الدنانير نسبها إلى عبد الملك ثم وصل ابن قيس الرقيات هذه الأبيات يعني الهائية بأبيات يمدح بها عبد الملك فقال

صوت

(اسمعْ أمير المؤمنين ... لِمدحتي وثَنائِها)
(أنت ابن عائشة التي ... فَضَلَت أرُوم نسائها)
(متعطِّف الأعياصِ حولَ ... سريرها وفِنائها)
(وَلَدَتْ أغرَّ مُباركاً ... كالبدر وسطَ سمائها)

غناه ابن عائشة من رواية يونس ولم يجنسه وهذا الشعر يقوله ابن قيس الرقيات في عبد الملك لا الوليد
أخبرني الحسين وابن أبي الأزهر عن حماد عن أبيه عن المدائني أن
عبد الملك لما وهب لابن جعفر جرم عبيد الله بن قيس الرقيات وأمنه ثم تواثب أهل الشام ليقتلوه قال يا أمير المؤمنين أتفعل هذا بي وأنا الذي أقول

(اسمع أمير المؤمنين ... لِمدحتي وثنائِها)

(أنت ابن مُعْتلَج البِطاحِ ... كُدَيِّها وكَدائها)
(ولِبَطْن عائشة التي ... فضَلَت أرومَ نسائها)
فلما أنشد هذا البيت قال له عبد الملك قل ولنسل عائشة قال لا بل ولبطن عائشة حتى رد ذلك عليه ثلاث مرات وهو يأبى إلا ولبطن عائشة فقال له عبد الملك اسحنفر الآن قال وعائشة أم عبد الملك بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس هذه رواية الزبير بن بكار
السائب بن حكيم ومحاورته غاضرة
وقد حدثنا به في خبر كثير مع غاضرة هذه بغير هذا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن حبيب عن هشام بن الكلبي
وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبي عبد الرحمن الأنصاري عن السائب بن حكيم السدوسي راوية كثير قال والله إني لأسير يوما مع كثير حتى إذا كنا ببطن جدار جبل من المدينة على أميال إذ أنا بأمراة في رحالة متنقبة معها عبيد لها يسعون معها فمرت جنابي فسلمت ثم قالت ممن الرجل قلت من أهل الحجاز قالت فهل تروي لكثير شيئا قلت نعم قالت أما والله ما كان بالمدينة من شيء هو أحب إلي من أن أرى كثيرا وأسمع شعره فهل تروي قصيدته
(... أهاجك برقٌ آخِرَ الليلِ واصِبُ)
قلت نعم فأنشدتها إياها إلى آخرها قالت فهل تروي قوله
(كأنك لم تسمعْ ولم تر قبلها ... تَفرُّقَ أُلاّفٍ لهنّ حنينُ)
قلت نعم وأنشدتها قالت فهل تروي قوله أيضا
(... لعزةَ من أيام ذي الغُصْن شاقني)
قلت نعم وأنشدتها إلى آخرها قالت فهل تروي قوله أيضا
(... أأطلالَ سُعدَى باللوى تَتَعَهّد)
قلت نعم وأنشدتها حتى أتيت على قوله
(فلم أر مثلَ العين ضنّت بمائها ... عليّ ولا مثلي على الدمع يَحسدُ)
قالت قاتله الله فهل قال مثل قول كثير أحد على الأرض والله لأن أكون رأيت كثيرا أو سمعت منه شعره أحب إلي من مائة ألف درهم قال فقلت هو ذاك الراكب أمامك وأنا السائب راويته قالت حياك الله تعالى ثم ركضت بغلتها حتى أدركته فقالت أنت كثير قال ما لك ويلك فقالت أنت الذي تقول
((إذا حُسرتْ عنه العِمامة راعها ... جميلُ المحيَّا أغفلتْه الدواهِن
والله ما رأيت عربيا قط أقبح ولا أحقر ولا ألأم منك قال أنت والله أقبح مني وألأم قالت له أو لست القائل
(تَراهنّ إلا أن يؤدِّين نظرةً ... بمؤْخرِ عينٍ أو يُقلِّبن معصَما)
(كواظِمَ ما ينطِقْن إلا مَحُورة ... رجيعةَ قولٍ بعد أن يُتَفَهَّما)
(يحاذِرْن مني غَيْرةً قد عرفْنها ... قديماً فما يضحكْن إلا تبسُّما)
لعن الله من يفرق منك قال بل لعنك الله قالت أولست الذي تقول
(إذا ضمْريّةٌ عَطَست فنِكها ... فإن عُطاسَها طرَفُ الودَاقِ)
قال من أنت قالت لا يضرك أن لم تعرفني ولا من أنا قال والله إني لأراك لئيمة الأصل والعشيرة قالت حياك الله يا أبا صخر ما كان بالمدينة رجل أحب إلي وجها ولا لقاء منك قال لا حياك الله والله ما كان على الأرض أحد أبغض إلي وجها منك قالت أتعرفني قال أعرف أنك لئيمة من اللئام فتعرفت إليه فإذا هي غاضرة أم ولد لبشر بن مروان قال وسايرها حتى سندنا في الجبل من قبل زرود فقالت له يا أبا صخر
أضمن لك مائة ألف درهم عند بشر بن مروان إن قدمت عليه قال أفي سبك إياي أو سبي إياك تضمنين لي هذا والله لا أخرج إلى العراق على هذه الحال فلما قامت تودعه سفرت فإذا هي أحسن من رأيت من أهل الدنيا وجها فأمرت له بعشرة آلاف درهم فبعد شد ما قبلها وأمرت لي بخمسة آلاف درهم فلما ولوا قال يا سائب أين نعني أنفسنا إلى عكرمة انطلق بنا نأكل هذه حتى يأتينا الموت قال وذلك قوله لما فارقتنا
(شجا أظعان غاضِرةَ الغوادي ... بغير مشيئةٍ عرضاً فؤادي)
وقد روى الزبير أيضا في خبر هذه المرأة غير هذا وخالف المعاني
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني سليمان بن عياش السعدي قال كان كثير يلقى حاج المدينة من قريش بقديد في كل سنة فغفل عاما من الأعوام عن يومهم الذي نزلوا فيه قديدا حتى ارتفع النهار ثم ركب جملا ثقالا واستقبل الشمس في يوم صائف فجاء قديدا وقد كل وتعب فوجدهم قد راحوا وتخلف فتى من قريش معه راحلته حتى يبرد قال الفتى القرشي فجلس كثير إلى جنبي ولم يسلم علي فجاءت امرأة وسيمة جميلة فجلست إلى خيمة من خيام قديد واستقبلت كثيرا فقالت أأنت كثير قال نعم قالت ابن أبي جمعة قال نعم قالت الذي يقول
(...لعزّة أطلالٌ أبت أن تَكلّما)
قال نعم قالت وأنت الذي تقول فيها
(وكنتُ إذا ما جئتُ أجلَلْن مجلسي ... وأظهرْن منّي هَيْبةً لا تجهُّما)
فقال نعم قالت أعلى هذا الوجه هيبة إن كنت كاذبا فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فضجر وقال من أنت فلم تجبه بشيء فسأل الموليات اللواتي في الخباء بقديد عنها فلم يخبرنه شيئا فضجر واختلط فلماسكن من شأوه قالت أأنت الذي تقول
(متى تَحسِروا عنّي العِمامة تُبْصروا ... جميل المُحيَّا أغلفته الدواهن)
أهذا الوجه جميل المحيا إن كنت كاذبا فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فاختلط وقال والله ما عرفتك ولو عرفتك لفعلت وفعلت فسكتت فلما سكن من شأوه قالت أأنت الذي تقول
(يروق العيون الناظراتِ كأنه ... هِرَقليٌّ وزنٍ أحمرُ التّبر راجحُ)
أهذا الوجه يروق العيون الناظرات إن كنت كاذبا فعليك لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين فازداد ضجرا وغيظا واختلاطا وقال لها قد عرفتك والله لأقطعنك وقومك بالهجاء ثم قام فالتفت في أثره ثم رجعت طرفي نحو المرأة فإذا

هي قد ذهبت فقلت لمولاة من مولياتها بقديد لك الله علي إن أخبرتني من هذه المرأة لأطوين لك ثوبي هذين إذا قضيت حجي ثم أعطيكهما فقالت والله لو أعطيتني زنتهما ذهبا ما أخبرتك من هي هذا كثير وهو مولاي قد سألني عنها فلم أخبره قال الفتى القرشي فرحت والله وبي أشد مما بكثير
قال سليمان وكان كثير دميما قليلا أحمر أقيشر عظيم الهامة قبيحا
نسبة ما في هذه الأخبار من الشعر الذي يغنى به
صوت
منها
(أشاقك برقٌ آخرَ الليلِ واصِبُ ... تضمَّنه فرْش الجَبَا فالمسارب)
(كما أوْمضتْ بالعين ثم تبسَّمت ... خريع بدا منها جبينٌ وحاجب)
(وَهَبْتُ لِليلَى ماءه ونباتَه ... كما كلُّ ذي وُدّ لمن ودّ واهِب)
عروضه من الطويل الواصب الدائم يقال وصب يصب وصوبا أي دام قال الله سبحانه (وله الدين واصبا) أي دائما
صوت
ومنها
(لِعزَّةَ من أيَّامِ ذي الغُصْنِ شاقني ... بِضَاحِي قَرَار الرَّوضتين رُسُومُ)
(هي الدار وحْشاً غير أن قَدْ يَحُلُّها ... ويَغْنَى بها شخصٌ عليَّ كريمُ)
(فما برسوم الدَّار لو كنتَ عالماً ... ولا بالتِّلاع المُقْويات أهِيمُ)
(سألت حكيماً أين شطَّت بها النَّوى ... فخبرني ما لا أحبُّ حكيم)
(أجَدّوا فأمَّا آلُ عَزَّة غُدوة ... فبانوا وأمَّا واسط فمقيم)
(لعمري لئن كان الفؤادُ من الهوى ... بغَى سَقَما إنّي إذاً لسَقِيمُ)
حكيم هذا هو أبو السائب بن حكيم راوية كثير ذكر ذلك لنا اليزيدي عن ابن حبيب
في هذه الأبيات لمعبد لحنان أحدهما في الثلاثة الأول خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامي وابن المكي وحبش وفي الثلاثة الأخرى التي أولها
(... سألت حكيما اين شطّت بها النوى)
له أيضا ثقيل أول بالبنصر عن يونس وحبش وذكر حبش خاصة أن فيها لكردم خفيف ثقيل آخر وفي الثالث والثاني لابن جامع خفيف رمل عن الهشامي وقال أحمد بن عبيد فيه ثلاثة ألحان ثقيل أول وخفيفه وخفيف رمل
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني المؤملي أن ابن أبي عبيدة كان إذا انشد قصيدة كثير
(لعزّة من أيام ذي الغصن شاقني ... بضاحي قرار الروضتين رسومُ)
يتحازن حتى نقول إنه يبكي
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي عن الضحاك ابن عثمان قال قال عروة بن أذينة كان الحزين الكناني الشاعر صديقا لأبي وكان عشيرا له على النبيذ فكان كثيرا ما يأتيه وكانت بالمدينة قينة يهواها الحزين ويكثر غشيانها فبيعت وأخرجت عن المدينة فأتى الحزين أبي
وهو كئيب حزين كاسمه فقال له أبي يا أبا حكيم ما لك قال أنا والله يا أبا عامر كما قال كثير
(لَعمري لئن كان الفؤادُ من الهَوى ... بغَى سقماً إني إذاً لَسَقِيمُ)
(سألت حكيماً أين شطّت بها النوى ... فخبّرني مالا أحبُّ حكيم)
فقال له ابي أنت مجنون إن أقمت على هذا
ميمية كثير في عزة
وهذه القصيدة يقولها كثير في عزة لما أخرجت إلى مصر وذلك قوله فيها
(ولست براءٍ نحوَ مصرَ سحابةً ... وإن بَعُدَتْ إلاَّ قعدتُ أشيم)
(فقد يوجَد النِّكْسُ الدنيّ عن الهوى ... عَزُوفا وَيصبو المرءِ وهْو كريم)
(وقال خليلي ما لها إذ لقيتَها ... غداةَ الشَّبا فيها عليك وُجومُ)
(فقلت له إن المودّة بيننا ... على غير فُحْشٍ والصفاءُ قديم)
(وإني وان أعرضتُ عنها تجلُّدا ... على العَهْدِ فيما بيننا لمُقيمُ)
(وإن زماناً فرّقَ الدهرِ بيننا ... وبينكُمُ في صرفهِ لمَشُومُ)
(أفِي الحقِّ هذا أنّ قلبَكِ سالمٌ ... صحيحٌ وقلبي في هواكِ سَقِيمُ)
(وأنّ بجسمي منك داءً مخامِراً ... وجسمُك موفورٌ عليكِ سليم)
(لعمرُكِ ما أنصفتِنِي في مودّتي ... ولكنّني يا عزَّ عنْكِ حليم)
((فإمَّا تَرَيْني اليومَ أُبْدِي جَلادةً ... فإني لعمري تحت ذاكِ كَلِيمُ)
(ولسْتُ ابنَةَ الضَّمْريِّ منكِ بناقِم ... ذُنوبَ العِدَا إني إذاً لظَلوم)
(وإنّي لَذُو وجْدٍ إذا عاد وصلها ... وإنّي على ربي إذاً لكريم)
ومنها
صوت
(لعزة أطلالٌ أبت أن تكلَّما ... تهيجُ مغانيها الفؤادَ المتيَّما)
(وكنتُ إذا ما جئْت أجلَلْن مجلسي ... وأظهرن منّي هيبةً لا تَجهُّما)
(يُحاذرْن منّي غَيْرةً قد عرفنها ... قديما فما يضحكْن إلاّ تبسُّما)
عروضه من الطويل غنى فيه مالك بن أبي السمح لحنين عن يونس أحدهما ثقيل أؤل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق وغيره ينسبه إلى معبد والآخر ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش وفيه لابن محرز خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو والهشامي وغيره يقول إنه لحن مالك وفيه لابن سريج خفيف رمل بالبنصر عن عمرو والهشامي وعلي بن يحيى
وأخبرني أحمد بن جعفر جحظلة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني من أثق به عن مسرور الخادم أن الرشيد لما أراد قتل جعفر بن يحيى لم يطلع عليه أحدا بتة ودخل عليه جعفر في اليوم الذي قتله في ليلته فقال له اذهب فتشاغل

اليوم بمن تأنس
به واصطبح فإني مصطبح مع الحرم فمضى جعفر وفعل الرشيد ذلك ولم يزل بر الرشيد وألطافه وتحفه وتحياته تتابع إليه لئلا يستوحش فلما كان في الليل دعاني فقال لي اذهب فجئني الساعة براس جعفر بن يحيى وضم إلي جماعة من الغلمان فمضيت حتى هجمت عليه منزله وإذا أبو زكار الأعمى يغنيه بقوله
(فلا تبعد فكل فتًى سيأتي ... عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادي)
فقلت له في هذا المعنى ومثله والله جئتك فأجب فوثب وقال ما الخبر يا أبا هاشم جعلني الله فداءك قلت قد أمرت بأخذ رأسك فأكب على رجلي فقبلها وقال الله الله راجع أمير المؤمنين في فقلت ما لي إلى ذلك سبيل قال فأعهد قلت ذاك لك فذهب يدخل إلى النساء فمنعته وقلت أعهد في موضعك فدعا بدواة وكتب أحرفا على دهش ثم قال لي يا أبا هاشم بقيت واحدة قلت هاتها قال خذني معك إلى أمير المؤمنين حتى أخاطبه قلت ما لي إلى ذلك سبيل قال ويحك لا تقتلني بأمره على النبيذ فقلت هيهات ما شرب اليوم شيئا قال فخذني واحبسني عندك في الدار وعاوده في أمري قلت أفعل فأخذته فقال لي أبو زكار الأعمى نشدتك الله إن قتلته إلا ألحقتني به قلت له يا هذا لقد اخترت غير مختار قال وكيف أعيش بعده وحياتي كانت معه وبه وأغناني عمن سواه فما أحب الحياة بعده فمضيت بجعفر وجعلته في بيت وأقفلت عليه ووكلت به ودخلت إلى الرشيد فلما رآني قال أين رأسه ويلك فأخبرته بالخبر فقال يابن الفاعلة والله لئن لم تجئني برأسه الساعة لآخذن رأسك فمضيت إليه فأخذت رأسه ووضعته بين يديه ثم أخبرته خبره
وذكرت له خبر أبي زكار الأعمى فلما كان بعد مدة أمرني بإحضاره فأحضرته فوصله وبره وأمر بالجراية عليه

اخبار منظور بن زبان

صوت

(قِفَا في دار خولةَ فاسألاها ... تَقادمَ عهدُها وهجرتُماها)
(بمِحْلالٍ يفوحُ المسكُ منه ... إذا هبَّت بأبْطَحه صَباها)
(أتَرْعَى حيثُ شاءَت من حِمانا ... وتمنعُنا فلا نرعى حِمَاها)
عروضه من الوافر الشعر لرجل من فزارة والغناء ذكر حماد عن أبيه أنه لمعبد وذكر عنه في موضع آخر أنه لأبن مسجح وطريقته من الثقيل الأول مطلق في مجرى الوسطى
وهذا الشعر يقوله الفزاري في خولة بنت منظور بن زبان بن سيار بن عمرو ابن جابر بن عقيل بن هلال بن سمي بن مازن بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان وكان منظور بن زبان سيد قومه غير مدافع أمه قهطم بنت هاشم بن حرملة وقد ولدت أيضا زهير بن جذيمة فكان آخذا بأطراف الشرف في قومه وهو أحد من طال حمل أمه به
قال الزبير بن بكار فيما أجاز لنا الحرمي بن أبي العلاء والطوسي روايته عنهما مما حدثا به عنه حدثتني مغيرة بنت أبي عدي قال الزبير وقد حدثني هذا الحديث أيضا إبراهيم بن زياد عن محمد بن طلحة وحدثنيه أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة عن يحيى بن الحسن العلوي عن الزبير قالا جميعا حملت قهطم بنت هاشم بمنظور بن زبان أربع سنين فولدته وقد جمع فاه فسماه أبو منظورا لذلك يعني لطول ما انتظره وقال فيه على ما رواه محمد ابن طلحة
((ما جِئتَ حتى قيل ليس بوارِدٍ ... فسُمِّيتَ منظوراً وجِئْتَ على قَدْرْ
(وإنّي لأرجو أن تكونَ كهاشمٍ ... وإني لأرْجُو أن تسودَ بَني بَدْرْ)
منظور يتزوج امرأة أبيه
ذكر الهيثم بن عدي عن ابن الكلبي وابن عياش وذكر بعضه الزبير بن بكار عن عمه عن مجالد أن منظور بن زبان تزوج امرأة أبيه وهي مليكة بنت سنان بن أبي حارثة المري فولدت له هاشما وعبد الجبار وخولة ولم تزل معه إلىخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان يشرب الخمر أيضا فرفع أمره إلى عمر فأحضره وسأله عما قيل فاعترف به وقال ما علمت أنها حرام فحبسه إلى وقت صلاة العصر ثم أحلفه أنه لم يعلم أن الله جل وعز حرم ما فعله فحلف فيما ذكر أربعين يمينا فخلى سبيله وفرق بينه وبين امرأة أبيه وقال لولا أنك حلفت لضربت عنقك
قال ابن الكلبي في خبره إن عمر قال له أتنكح امرأة أبيك وهي أمك أو ما علمت أن هذا نكاح المقت وفرق بينهما فتزوجها محمد بن طلحة
قال ابن الكلبي في خبره
فلما طلقها أسف عليها وقال فيها
(ألا لا أُبالِي اليومَ ما صَنَع الدهرُ ... إذا مُنِعتْ منّي مُليكَةُ والخمرُ)
(فإن تكُ قد أمستْ بعيداً مَزارُها ... فحَيِّ ابنةَ المرّيِّ ما طَلَعَ الفجْرُ)
(لَعَمْرِيَ ما كانتْ مُليكةُ سَوْءَةً ... ولا ضُمَّ في بيتٍ على مِثْلِها سِتْرُ)
وقال أيضا
(لعمرُ أبي دِينٌ يُفَرِّق بيننا ... وبينَك قَسْراً إنّه لَعظيمُ)
وقال حجر بن معاوية بن عيينة بن حصن بن حذيفة لمنظور
(لَبِئسَ ما خلَّف الآباءَ بعدَهُمُ ... في الأمَّهاتِ عِجَانُ الكلبِ منظورُ)
(قد كنتَ تغمِزُها والشيخُ حاضِرُها ... فالآن أنت بطُول الغمز معْذورُ)
قال أبو الفرج الأصبهاني أخطأ ابن الكلبي في هذا وإنما طلحة بن عبيد الله الذي تزوجها فأما محمد فإنه تزوج خولة بنت منظور فولدت له إبراهيم بن محمد وكان أعرج ثم قتل عنها يوم الجمل فتزوجها الحسن بن علي عليهما السلام فولدت له الحسن بن الحسن عليهما السلام وكان إبراهيم بن محمد بن طلحة نازع بعض ولد الحسين بن علي بعض ما كان بينهم وبين بني الحسن من مال علي عليه السلام فقال الحسيني لأمير المدينة هذا الظالم الضالع الظالع يعني إبراهيم فقال له إبراهيم والله إني لأبغضك فقال له الحسيني صادق والله يحب الصادقين وما يمنعك من ذلك وقد قتل أبي أباك وجدك وناك عمي أمك لا يكني فأمر بهما فأقيما من بين يدي الأمير
رجع الخبر إلى رواية ابن الكلبي قال فلما فرق عمر رضي الله عنه بينهما وتزوجت رآها منظور يوما وهي تمشي في الطريق وكانت جميلة رائعة الحسن فقال يا مليكة لعن الله دينا فرق بيني وبينك فلم تكلمه وجازت وجاز بعدها زوجها فقال له منظور كيف رأيت أثر أيري في حر مليكة قال كما رأيت اثر أير أبيك فيه فأفحمه وبلغ عمر رضي الله عنه الخبر فطلبه ليعاقبه فهرب منه

وقال الزبير في حديثه فتزوج محمد بن طلحة بن عبيد الله خولة بنت منظور فولدت له إبراهيم وداود وأم القاسم بني محمد بن طلحة ثم قتل عنها يوم الجمل فخلف عليها الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام فولدت له الحسن بن الحسن رضي الله عنهما
قال الزبير وقال محمد بن الضحاك الحزامي عن أبيه تزوج الحسن عليه السلام خولة بنت منظور زوجه إياها عبد الله بن الزبير وكانت أختها تحته
وأخبرني أحمد بن محمد بن سعيد قال حدثني يحيى بن الحسن قال حدثني موسى بن عبيد الله بن الحسن قال جعلت خولة أمرها إلى الحسن عليه السلام فتزوجها فبلغ ذلك منظور بن زبان فقال أمثلي يفتات عليه في ابنته فقدم المدينة فركز راية سوداء في مسجد رسول الله فلم يبق قيسي بالمدينة إلا دخل تحتها فقيل لمنظور بن زبان أين يذهب بك تزوجها الحسن بن علي عليه السلام وليس مثله أحد فلم يقبل وبلغ الحسن عليه السلام مافعل فقال له ها شأنك بها فأخذها وخرج بها فلما كان بقباء جعلت خولة تندمه وتقول الحسن بن علي سيد شباب أهل الجنة فقال تلبثي هاهنا فإن كانت للرجل فيك حاجة فسيلحقنا هاهنا قال فلحقه الحسن والحسين عليهما السلام وابن جعفر وابن عباس فتزوجها الحسن ورجع بها قال الزبير ففي ذلك يقول جفير العبسي

(إن النَّدَى من بني ذُبيانَ قد عَلِموا ... والجُودَ في آل منظور بنِ سيَّار)
(الماطِرين بأيديهم نَدًى دِيَماً ... وكلَّ غيثٍ من الوَسْمِيِّ مِدرار)
(تَزُورُ جاراتِهم وهْناً فواضِلُهم ... وما فَتَاهم لها سرًّا بزوَّار)
(تَرضى قريشٌ بهم صِهراً لأنفسهم ... وهُمْ رضاً لبني أختٍ وأصهار)

معبد يغني خولة بنت منظور

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني ابن أبي أيوب عن ابن عائشة المغني عن معبد
أن خولة بنت منظور كانت عند الحسن بن علي عليهما السلام فلما أسنت مات عنها أو طلقها فكشفت قناعها وبرزت للرجال قال معبد فأتيتها ذات يوم أطالبها بحاجة فغنيتها لحني في شعر قاله فيها بعض بني فزارة وكان خطبها فلم ينكحها أبوها

(قِفَا في دار خولة فاسألاها ... تقادم عهدُها وهجَرتُماها)
(بمِحلالٍ كأن المسك فيه ... إذا فاحت بأبطَحِه صَبَاها)
(كأنّك مُزْنَةٌ بَرقَت بلَيلٍ ... لحِرانٍ يُضِيءُ له سنَاها)
(فلم تُمطِرْ عليه وجاوزَتْه ... وقد أشفَى عليها أو رَجاها)
(وما يَمْلا فُؤادي فاعلَميه ... سلُوُّ النفسِ عنكِ ولا غِناها)
(وتَرعَى حيث شاءَ من حِمانا ... وتمنعنا فلا نَرْعَى حِماها)

قال فطربت العجوز لذلك وقالت يا عبد بن قطن أنا والله يومئذ أحسن من النار الموقدة في الليلة القرة

صوت

(للّهِ درِ عِصَابةٍ صاحبْتُهم ... يومَ الرُّصَافةِ مِثلُهم لم يُوجد)
(متقلّدين صَفائحاً هِنديَّة ... يتركْن مَن ضَرَبُوا كأن لم يُولدِ)
(وغدا الرجال الثائرون كأنّما ... أبصارهم قِطَعُ الحديدِ الموقَدِ)

عروضه من الكامل الشعر للجحاف السلمي الموقع ببني تغلب في يوم البشر والغناء للأبجر ثقيل أول بالبنصر في مجراها عن إسحاق

خبر الجحاف ونسبه وقصته يوم البشر

هو الجحاف بن حكيم بن عاصم بن قيس بن سباع بن خزاعي بن محاربي بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور

قصته يوم البشر

كان السبب في ذلك فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي وعلي بن سليمان الأخفش قالا حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وأخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة وقد جمعت روايتهم وأكثر اللفظ في الخبر لابن حبيب أن عمير بن الحباب لما قتلته بنو تغلب بالحشاك وهو إلى جانب الثرثار وهو قريب من تكريت أتى تميم بن الحباب أخاه زفر بن الحارث فأخبره بمقتل عمير وسأله الطلب له بثأره فكره ذلك زفر فسار تميم بن الحباب بمن تبعه من قيس وتابعه على ذلك مسلم بن أبي ربيعة العقيلي فلما توجهوا نحو بني تغلب لقيهم الهذيل في زراعة لهم فقال أين تريدون فأخبروه بما كان من زفر فقال أمهلوني ألق الشيخ فأقاموا ومضى الهذيل فأتى زفر فقال ما صنعت والله لئن ظفر بهذه العصابة إنه لعار عليك ولئن ظفروا إنه لأشد قال زفر فاحبس علي القوم وقام زفر في أصحابه فحرضهم ثم شخص واستخلف عليهم أخاه أوسا وسار حتى انتهى إلى الثرثار فدفنوا أصحابهم ثم وجه زفر بن الحارث يزيد بن حمران في خيل فأساء إلى بني فدوكس من تغلب فقتل رجالهم واستباح أموالهم فلم يبق في ذلك الجو غير امرأة واحدة يقال لها حميدة بنت امرئ القيس عاذت بابن حمران فأعاذها وبعث الهذيل إلى بني كعب بن زهير فقتل فيهم قتلا ذريعا وبعث مسلم بن ربيعة إلى ناحية أخرى فأسرع في القتل وبلغ ذلك بني تغلب واليمن فارتحلوا يريدون عبور دجلة فلحقهم زفر بالكحيل وهو نهر أسفل الموصل مع المغرب فاقتتلوا قتالا شديدا وترجل أصحاب زفر أجمعون وبقي زفر على بغل له فقتلوهم من ليلتهم وبقروا ما وجدوا من النساء وذكر أن من غرق في دجلة أكثر ممن قتل بالسيف وأن الدم كان في دجلة قريبا من رمية سهم فلم يزالوا يقتلون من وجدوا حتى اصبحوا فذكر أن زفر دخل معهم دجلة وكانت فيه بحة فجعل ينادي ولا يسمعه أصحابه ففقدوا
صوته وحسبوا أن يكون قتل فتذامروا وقالوا لئن قتل شيخنا لما صنعنا شيئا فاتبعوه فإذا هو في دجلة يصيح بالناس وتغلب قد رمت بأنفسها تعبر في الماء فخرج من الماء وأقام في موضعه فهذه الوقعة الحرجية لأنهم أحرجوا فألقوا أنفسهم في الماء ثم وجه يزيد بن حمران وتميم بن الحباب ومسلم بن ربيعة والهذيل بن زفر في أصحابه وأمرهم ألا يلقوا أحدا إلا قتلوه فانصرفوا من ليلتهم وكل قد أصاب حاجته من القتل والمال ثم مضى يستقبل الشمال في جماعة من أصحابه

حتى أتى رأس الأثيل ولم يخل بالكحيل أحدا والكحيل على عشرة فراسخ من الموصل فيما بينها وبين الجنوب فصعد قبل راس الأثيل فوجد به عسكرا من اليمن وتغلب فقاتلهم بقية ليلتهم فهربت تغلب وصبرت اليمن وهذه الليلة تسميها تغلب ليلة الهرير ففي ذلك يقول زفر بن الحارث وقد ذكر أنها لغيره

(ولمَّا أن نعى النّاعي عُمَيْراً ... حسبتُ سماءهم دُهِيت بليلِ)

دهيت بليل أي أظلمت نهارا كأن ليلا دهاها

(وكان النجمُ يطلُعُ في قَتَامٍ ... وخافَ الذُّل مِنْ يَمَنٍ سُهَيلُ)
(وكنتُ قبيْلَها يا أُمَّ عمرو ... أُرَجِّلُ لِمَّتي وأجرُّ ذيلي)
(فلو نُبِشَ المقابرُ عن عمير ... فيخبَرَ مِنْ بلاء أبي الهذيلِ)
((غداةَ يقارعُ الأبطالَ حتى ... جرى منهم دماً مَرْجُ الكُحَيْلِ
(قبيلٌ يَنْهَدون إلى قبيلٍ ... تساقَى الموت كيلاً بعد كيل)

وفي ذلك يقول جرير يعير الأخطل

(أنسيتَ يومَك بالجزيرة بعدما ... كانت عواقِبُه عليك وبالا)
(حملتْ عليك حُماةُ قيسٍ خيلَها ... شُعْثاً عوابِسَ تحمِل الأبطالا)
(ما زلتَ تحسِبُ كلَّ شيءٍ بعدهم ... خيلا تَكُرُّ عليكُم ورجالا)
(زفرُ الرئيسُ أبو الهذيل أبادكم ... فسَبَى النساءَ وأحرز الأموالا)

اغراه الأخطل بشعره بأخذ الثأر من تغلب

فما أن كانت سنة ثلاث وسبعين وقتل عبد الله بن الزبير هدأت الفتنة واجتمع الناس على عبد الملك بن مروان وتكافت قيس وتغلب عن المغازي بالشام والجزيرة وظن كل واحد من الفريقين أن عنده فضلا لصاحبه وتكلم عبد الملك في ذلك ولم يحكم الصلح فيه فبينا هم على تلك الحال إذ أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان وعنده وجوه قيس قوله

(ألا سائِلِ الجحّافَ هل هو ثائرٌ ... بِقَتْلَى أُصيبتْ مِنْ سُلَيْمٍ وعامرِ)
(أجحافُ إنْ نهبط عليك فتلتقي ... عليك بحورٌ طامِياتُ الزواخِرِ)
(تكن مثل أبداءِ الحباب الذي جرى ... البحرُ تزهاهُ رياحُ الصراصِرِ)

فوثب الجحاف يجر مطرفه ومايعلم من الغضب فقال عبد الملك

للأخطل ما أحسبك إلا قد كسبت قومك شرا فافتعل الجحاف عهدا من عبد الملك على صدقات بكر وتغلب وصحبه من قومه نحو من ألف فارس فثار بهم حتى بلغ الرصافة قال وبينها وبين شط الفرات ليلة وهي في قبلة الفرات ثم كشف لهم أمره وأنشدهم شعر الأخطل وقال لهم إنما هي النار أو العار فمن صبر فليقدم ومن كره فليرجع قالوا ما بأنفسنا عن نفسك رغبة فأخبرهم بما يريد فقالوا نحن معك فيما كنت فيه من خير وشر فارتحلوا فطرقوا صهين بعد رؤبة من الليل وهي في قبلة الرصافة وبينهما مي ثم صبحوا عاجنة الرحوب في قبلة صهين والبشر وهو واد لبني تغلب فأغاروا على بني تغلب ليلا فقتلوهم وبقروا من النساء من كانت حاملا ومن كانت غير حامل قتلوها قال عمر بن شبة في خبره سمعت أبي يقول صعد الجحاف الجبل فهو يوم البشر ويقال له أيضا يوم عاجنة الرحوب ويوم مخاشن وهو جبل إلى جنب البشر وهو مرج السلوطح لأنه بالرحوب وقتل في تلك الليلة ابنا للأخطل يقال له أبو غياث ففي ذلك يقول جرير له

(شربتَ الخمر بعد أبي غِياثٍ ... فلا نعِمت لك السَّوءات بالا)

قال عمر بن شبة في خبره خاصة

ووقع الأخطل في أيديهم وعليه عباءة دنسة فسألوه فذكر أنه عبد من عبيدهم فأطلقوه فقال ابن صفار في ذلك

(لم تنج إلا بالتعبُّد نفسه ... لَمَّا تيقن أنهمْ قومٌ عِدا)
((وتشابهت بُرْقُ العَبَاء عليهمُ ... فنجا ولو عرفوا عباءته هوى

وجعل ينادي من كانت حاملا فإلي فصعدن إليه فجعل يبقر بطونهن ثم إن الجحاف هرب بعد فعله وفرق عنه أصحابه ولحق بالروم فلحق الجحاف عبيدة بن همام التغلبي دون الدرب فكر عليه الجحاف فهزمه وهزم أصحابه وقتلهم ومكث زمنا في الروم وقال في ذلك

(فإن تَطرُدوني تطردوني وقد مضى ... من الوِرْدِ يوم في دِماء الأراقم)
(لدن ذَرَّ قرنُ الشمس حتى تَلَبَّستْ ... ظلاماً بركضِ المُقْرَبات الصلادِمِ)

حتى سكن غضب عبد الملك وكلمته القيسية في أن يؤمنه فلان وتلكأ فقيل له إنا والله لا نأمنه على المسلمين إن طال مقامه بالروم فأمنه فاقبل فلما قدم على عبد الملك لقيه الأخطل فقال له الجحاف

(أبا مالكٍ هل لمتني إذ حضضتَني ... على القتل أمْ هل لامني لك لائمي)
(أبا مالكٍ إني أطعتُك في التي ... حضضتَ عليها فعلَ حرّان حازمِ)
(فإن تدعُني أخرى أُجِبْك بمثلها ... وإني لَطَبٌّ بالوغَى جِدُّ عالِم)

قال ابن حبيب فزعموا أن الأخطل قال له أراك والله شيخ سوءٍ وقال فيه جرير

(فإنّك والجحافَ يوم تَحُضُّه ... أردتَ بذاك المُكثَ والوِرْدُ أعجلُ)
((بكى دَوْبَلٌ لا يُرقئُ الله دمعَه ... ألا إنما يبكي مِنَ الذُّلِّ دوبل
(وما زالت القتلى تَمورُ دماؤهم ... بدَجلة حتى ماءُ دجلةَ أشْكَلُ)

فقال الأخطل ما لجرير لعنه الله والله ما سمتني أمي دوبلا إلا وأنا صبي صغير ثم ذهب ذلك عني لما كبرت وقال الأخطل

(لقد أوقع الجحّاف بالبِشرِ وقعةً ... إلى الله منها المشْتَكَى والمُعَوَّلُ)
(فسائِلْ بني مروان ما بالُ ذمّةٍ ... وحبلٍ ضعيفٍ لا يزال يُوصَّلُ)
(فإلاّ تُغيِّرْها قريش بملكها ... يكن عن قريشٍ مستَرادٌ ومزحَلُ)

فقال عبد الملك حين أنشده هذا فإلي أين يابن النصرانية قال إلى النار قال أولى لك لو قلت غيرها قال ورأى عبد الملك أنه إن تركهم على حالهم لم يحكم الأمر فأمر الوليد بن عبد الملك فحمل الدماء التي كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب وضمن الجحاف قتلى البشر وألزمه إياها عقوبة له فأدى الوليد الحمالات ولم يكن عند الجحاف ما حمل فلحق بالحجاج بالعراق يسأله ما حمل لأنه من هوازن فسأل الإذن على الحجاج فمنعه فلقي أسماء بن خارجة فعصب حاجته به فقال إني لا أقدر لك

على منفعة قد علم الأمير بمكانك وأبى أن يأذن لك فقال لا والله لا ألزمها غيرك أنجحت أو أكدت فلما بلغ ذلك الحجاج قال ما له عندي شيء فأبلغه ذلك قال وما عليك أن تكون أنت الذي تؤنسه فإنه قد أبى فأذن له فلما رآه قال أعهدتني خائنا لا أبا لك قال أنت سيد هوازن وقد بدأنا بك وأنت أمير العراقين وابن عظيم القريتين وعمالتك في كل سنة خمسمائة ألف درهم وما بك بعدها حاجة إلى خيانة فقال أشهد أن الله تعالى وفقك وأنك نظرت بنور الله فإذا صدقت فلك نصفها العام فأعطاه وادوا البقية قال ثم تأله الجحاف بعد ذلك واستأذن في الحج فأذن له فخرج في المشيخة الذين شهدوا معه قد لبسوا الصوف وأحرموا وأبروا أنوفهم أي خزموها وجعلوا فيها البرى ومشوا إلى مكة فلما قدموا المدينة ومكة جعل الناس يخرجون فينظرون إليهم ويعجبون منهم قال وسمع ابن عمر الجحاف وقد تعلق بأستار الكعبة وهو يقول اللهم اغفر لي وما أراك تفعل فقال له ابن عمر يا هذا لو كنت الجحاف ما زدت على هذا القول قال فأنا الجحاف فسكت وسمعه محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول ذلك فقال يا عبد الله قنوطك من عفو الله أعظم من ذنبك

قال عمر بن شبة في خبره كان مولد الجحاف بالبصرة

قال عبد الله بن إسحاق النحوي كان الجحاف معي في الكتاب

قال أبو زيد في خبره أيضا ولما أمنه عبد الملك دخل عليه في جبة صوف فلبث قائما فقال له عبد الملك أنشدني بعض ما قلت في غزوتك هذه وفجرتك فأنشده قوله

(صبرتْ سليمٌ للطعان وعامرٌ ... وإذا جزعنا لم نجد من يصبرُ)

فقال له عبد الملك بن مروان كذبت ما أكثر من يصبر ثم أنشده

(نحنُ الذين إذا علَوا لمْ يَفْخَروا ... يوم اللقا وإذا عُلُوا لم يضجروا)

فقال عبدالملك صدقت حدثني أبي عن أبي سفيان بن حرب أنكم كنتم كما وصفت يوم فتح مكة

حدثت عن الدمشقي عن الزبير بن بكار وأخبرني وكيع عن عبد الله بن شبيب عن الزبير بن بكار عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عمر بن عبد العزيز بن مروان أنه حضر الجحاف عند عبد الملك بن مروان يوما والأخطل حاضر في مجلسه ينشد

(ألا سائل الجحافُ هل هو ثائرٌ ... بقَتْلَى أصيبت من سليم وعامِرِ)

قال فتقبض وجهه في وجه الأخطل ثم إن الأخطل لما قال له ذلك قال له

(نعَمْ سوفَ نَبْكيهم بكل مُهَنَّدٍ ... ونبكي عميراً بالرماح الخواطر)

ثم قال ظننت أنك يابن النصرانية لم تكن تجتريء علي ولو رأيتني لك مأسورا وأوعده فما برح الأخطل حتى حم فقال له عبد الملك أنا جارك

منه قال هذا أجرتني منه يقظان فمن يجيرني منه نائما قال فجعل عبد الملك يضحك قال فأما قول الأخطل

(ألا سائل الجحّاف هل هو ثائرٌ ... بقتلى أصيبتْ من سُلَيم وعامر)

فإنه يعني اليوم الذي قتلت فيه بنو تغلب عمير بن الحباب السلمي

وكان السبب في ذلك فيما أخبرني به علي بن سليمان الأخفش قال حدثني أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة عن ابن الأعرابي عن المفضل أن قيسا وتغلب تحاشدوا لما كان بينهم من الوقائع منذ ابتداء الحرب بمرج راهط فكانوا يتغاورون وكانت بنو مالك بن بكر جامعة بالثوباذ وما حوله وجلبت إليها طوائف تغلب وجميع بطونها إلا أن بكر بن جشم لم تجتمع أحلافهم من النمر بن قاسط وحشدت بكر فلم يأت الجمع منهم على قدر عددهم وكانت تغلب بدوا بالجزيرة لا حاضرة لها إلا قليل بالكوفة وكانت حاضرة الجزيرة لقيس وقضاعة وأخلاط مضر ففارقتهم قضاعة قبل حرب تغلب وأرسلت تغلب إلى مهاجريها وهم بأذربيجان فأتاهم شعيب بن مليل في ألفي فارس واستنصر عمير تميما وأسدا فلم يأته منهم أحد فقال

(أيا أخَوَيْنا من تميم هُدِيتُما ... ومن أسدٍ هل تسمعانِ المُنَاديا)

(ألم تعلما مُذْ جاء بكرُ بنُ وائل ... وتغلِبُ الفافاً تَهُزّ العواليا)

(إلى قومِكم قد تعلمون مكانهم ... وهم قُرْبُ أدنى حاضرين وباديا

وكان من حضر ذلك من وجوه بكر بن وائل المجشر بن الحارث بن عامر بن مرة بن عبد الله بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان وكان من سادات شيبان بالجزيرة فأتاهم في جمع كثير من بني أبي ربيعة وفي ذلك يقول تميم ابن الحباب بعد يوم الحشاك

(فإن تحتجِزْ بالماء بكرُ بنُ وائلٍ ... بني عمّنا فالدهر ذو مُتَغَيَّر)

(فسوف نُخيضُ الماء أو سوف نلتقي ... فنقتَّص من أبناء عم المُجَشَّر)

وأتاهم زمام بن مالك بن الحصين من بني عمرو بن هاشم بن مرة في جمع كبير فشهدوا يوم الثرثار فقتل وكان فيمن أتاهم من العراق من بكر بن وائل عبيد الله بن زياد بن ظبيان ورهصة بن النعمان بن سويد بن خالد من بني أسعد بن همام فلذلك تحامل المصعب بن الزبير على أبان بن زياد أخي عبيد الله بن زياد فقتله وفي هذا السبب كانت فرقة عبيد الله لمصعب وجمعت تغلب فأكثرت فلما أتى عميرا كثرة من أتى من بني تغلب وأبطأ عنه أصحابه قال يستبطئهم

(أناديهم وقد خَذَلَتْ كلاب ... وحولي من ربيعة كالجبالِ)

(أقاتِلُهم بحيّ بني سُلَيْمٍ ... وعَصْرٍ كالمصاعِيب النِّهال)

(فِدىً لفوارس الثرثار قومي ... وما جَمَّعْتُ من أهلي ومالي)

(فإمَّا أُمْسِ قد حانت وفاتي ... فقد فارقت أعصرَ غير قال)

(أبَعْدَ فوارسِ الثرثار أرجو ... ثَراءَ المال أو عدد الرجال)

ثم زحف العسكران فأتت قيس وتغلب الثرثار بين راس الأثيل والكحيل فشاهدوا القتال يوم الخميس وكان شعيب بن مليل وثعلبة بن نياط التغلبيان قدما في ألفي فارس في الحديد فعبروا على قرية يقال لها لبى على شاطيء دجلة بين تكريت وبين الموصل ثم توجهوا إلى الثرثار فنظر شعيب إلى دواخن قيس فقال لثعلبة بن نياط سر بنا إليهم فقال له الرأي أن نسير إلى جماعة قومنا فيكون مقاتلنا واحدا فقال شعيب والله لا تحدث تغلب أني نظرت إلى دواخنهم ثم انصرفت عنهم فأرسل ناسا من أصحابه قدامة وعمير يقاتل بني تغلب وذلك يوم الخميس وعلى تغلب حنظلة بن هوبر أحد بني كنانة بن تميم فجاء رجل من أصحاب عمير إليه فأخبره أن طلائع شعيب قد أتته وأنه قد عدل إليه فقال عمير لأصحابه اكفوني قتال ابن هوبر ومضى هو في جماعة من أصحابه فأخذ الذين قدمهم شعيب فقتلهم كلهم غير رجل من

بني كعب بن زهير يقال له قتب بن عبيد فقال عمير يا قتب أخبرني ما وراءك قال قد أتاك شعيب بن مليل في أصحابه وفارق ثعلبة بن نياط شعيبا فمضى إلى حنظلة بن هوبر فقاتل معه القيسية فقتل فالتقى عمير وشعيب فاقتتلوا قتالا شديدا فما صليت العصر حتى قتل شعيب وأصحابه أجمعون وقطعت رجل شعيب يومئذ فجعل يقاتل القوم وهو يقول

(قد علِمت قيسٌ ونحن نعلمُ ... أن الفتى يفتِك وهْو أجذمُ)

فلما قتل شعيب نزل أصحابه فعقروا دوابهم ثم قاتلوا حتى قتلوا فلما رآه عمير قتيلا قال من سره أن ينظر إلى الأسد عقيرا فها هو ذا وجعلت تغلب يومئذ ترتجز وتقاتل وهي تقول

حذف

(انْعَوَا إياساً واندُبوا مُجاشِعا ... كلاهما كان كريما فاجعا

(... ويهِ بني تغلب ضرباً ناقِعا)

وانصرف عمير إلى عسكره وأبلغ بني تغلب مقتل شعيب فحميت على القتال وتذامرت على الصبر فقال محصن بن حصين بن جنجور أحد الأبناء مضيت أنا ومن أفلت من أصحاب شعيب بعد العصر فأتينا راهبا في صومعته فسألنا عن حالنا فأخبرناه فأمر تلميذا له فجاءه بخرق فداوى جراحنا وذلك غداة يوم الجمعة فلما كان آخر ذلك اليوم أتانا خبر مقتل عمير وأصحابه وهرب من أفلت منهم

صوت

(إنَّ جنبي علىِ الفراش لنابٍ ... كتجافي الأسَرِّ فوق الظِّرَابِ)

(من حديثٍ نَمى إليّ فما أطْعَمُ ... غُمْضاً ولا أسِيغُ شرابي)

(لِشُرحبِيلَ إذ تعاوَرَه الأرماحُ ... في حال شدَّة وشبابِ)

(فارس يطعَنُ الكُماةَ جريءِ ... تحته قارحٌ كلون الغرابِ)

عروضه من الخفيف الأسر البعير الذي يكون به السرر وهي قرحة تخرج في كركرته لا يقدر أن يبرك إلا على موضع مستو من الأرض والظراب النشوز والجبال الصغار واحدها ظرب والشعر لغلفاء وهو معد يكرب بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي يرثي أخاه شرحبيل قتيل يوم الكلاب الأول والغناء للغريض ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ويونس وعمرو

قصة يوم الكلاب الاول

وكان السبب في مقتله وقصة يوم الكلاب فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي وعلي بن سليمان الأخفش قالا حدثنا أبو سعيد السكري قال أخبرنا محمد بن حبيب عن أبي عبيدة قال أخبرني إبراهيم بن سعدان عن أبيه عن أبي عبيدة قال أخبرني دماذ عن أبي عبيدة قال كان من حديث الكلاب الأول أن قباذ ملك فارس لما ملك كان ضعيف الملك فوثبت ربيعة على المنذر الأكبر بن ماء السماء وهو ذو القرنين بن النعمان بن الشقيقة فأخرجوه وإنما سمي ذا القرنين لأنه كانت له ذؤابتان فخرج هاربا منهم حتى مات في إياد وترك ابنه المنذر الأصغر فيهم وكان أذكى ولده فانطلقت ربيعة إلى كندة فجاؤوا بالحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار فملكوه على بكر بن وائل وحشدوا له فقاتلوا معه فظهر على ما كانت العرب تسكن من أرض العراق وأبى قباذ أن يمد المنذر بجيش فلما رأى ذلك المنذر كتب إلى الحارث بن عمرو إني في غير قومي وأنت أحق من ضمني وأنا متحول إليك فحوله إليه وزوجه ابنته هندا ففرق الحارث بنيه في قبائل العرب فصار شرحبيل بن الحارث في بني بكر بن وائل وحنظلة بن مالك وبني أسيد وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب وصار معد يكرب بن الحارث وهو غلفاء في قيس وصار سلمة بن الحارث في بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة فلما هلك الحارث تشتت أمر بنيه وتفرقت كلمتهم ومشت الرجال بينهم وكانت المغاورة بين الأحياء الذين معهم وتفاقم الأمر حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه بين الأحياء الذين معهم وتفاقم الأمر حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع فسار شرحبيل ومن معه من بني تميم والقبائل فنزلوا الكلاب وهو فيما بين الكوفة والبصرة على سبع ليال من اليمامة وأقبل سلمة بن الحارث في تغلب والنمر ومن معه وفي الصنائع وهم الذين يقال لهم بنو رقية وهي أم لهم ينتسبون إليها وكانوا يكونون مع الملوك يريدون الكلاب وكان نصحاء شرحبيل وسلمة قد نهوهما عن الحرب والفساد والتحاسد وحذروهما عثرات الحرب وسوء مغبتها فلم يقبلا ولم يبرحا وأبيا إلا التتابع واللجاجة في أمرهم فقال امرؤ القيس بن حجر في ذلك

(أتَى عليّ استتَبّ لومُكما ... ولم تلوما عَمْراً ولا عُصُما)

(كَلاّ يمين الإله يجمعنا ... شيء وأخوالَنا بني جُشَما)

(حتى تزور السباعُ ملحمةً ... كأنها من ثمودَ أوْ إرَمَا)

وكان أول من ورد الكلاب من جمع سلمة سفيان بن مجاشع بن دارم وكان نازلا في بني تغلب مع إخوته لأمه فقتلت بكر بن وائل بنين له فيهم مرة بن سفيان قتله سالم بن كعب بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان فقال سفيان وهو يرتجز

(الشيخُ شيخٌ ثَكلانْ ... والجوفُ جوفٌ حَرّان)

(والوردُ وردٌ عجلانْ ... أنْعَى مُرَّةَ بنَ سُفْيانْ)

وفي ذلك يقول الفرزدق

(شيوخٌ منهُمُ عُدُسُ بنُ زيد ... وسفيانُ الذي ورد الكُلابا)

وأول من ورد الماء من بني تغلب رجل من بني عبد جشم يقال له النعمان ابن قريع بن حارثة بن معاوية بن عبد بن جشم وعبد يغوث بن دوس وهو عم الأخطل دوس والفدوكس أخوان على فرس له يقال له الحرون وبه كان يعرف ثم ورد سلمة بين تغلب وسعد وجماعة الناس وعلى بني تغلب يومئذ السفاح واسمه سلمة بن خالد بن كعب بن زهير بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب وهو يقول

(إنّ الكُلاب ماؤنا فَخَلُّوهْ ... وساجراً والله لن تحُلُّوهُ)

فاقتتل القوم قتالا شديدا وثبت بعضهم لبعض حتى إذا كان في آخر النهار من ذلك اليوم خذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب بكر بن وائل وانصرفت بنو سعد وألفافها عن بني تغلب وصبر ابنا وائل بكر وتغلب ليس معهم غيرهم حتى إذا غشيهم الليل نادى منادي سلمة من أتى برأس شرحبيل فله مائة من الإبل وكان شرحبيل نازلا في بني حنظلة وعمرو بن تميم ففروا عنه وعرف مكانه أبو حنش وهو عصم بن النعمان بن مالك بن غياث بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن

حبيب فصمد نحوه فلما انتهى إليه رآه جالسا وطوائف الناس يقاتلون حوله فطعنه بالرمح ثم نزل إليه فاحتز رأسه وألقاه إليه ويقال إن بني حنظلة وبني عمرو بن تميم والرباب لما انهزموا خرج معهم شرحبيل فلحقه ذو السنينة واسمه حبيب بن عتيبة بن حبيب بن بعج بن عتبة بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر وكانت له سن زائدة فالتفت
شرحبيل فضرب ذا السنينة على ركبته فأطن رجله وكان ذو السنينة أخا أبي حنش لأمه أمهما سلمى بنت عدي بن ربيعة بنت أخي كليب ومهلهل فقال ذو السنينة قتلني الرجل فقال أبو حنش قتلني الله إن لم أقتله فحمل عليه فلما غشيه قال يا أبا حنش أملكا بسوقة قال إنه قد كان ملكي فطعنه أبو حنش فأصاب رادفة السرج فورعت عنه ثم تناوله فألقاه عن فرسه ونزل إليه فاحتز رأسه فبعث به إلى سلمة مع ابن عم له يقال له أبو أجأ بن كعب بن مالك بن غياث فألقاه بين يديه فقال له سلمة لو كنت ألقيته إلقاء رفيقا فقال ما صنع بي وهو حي أشد من هذا وعرف أبو أجأ الندامة في وجهه والجزع على أخيه فهرب وهرب أبو حنش فتنحى عنه فقال معد يكرب أخو شرحبيل وكان صاحب سلامة معتزلا عن جميع هذه الحروب

(ألا أبلغْ أبا حنشٍ رسولاً ... فما لكَ لا تجيءُ إلى الثوابِ)
(تعلّمْ أن خيرَ الناسِ طُرّاً ... قتيلٌ بين أحجار الكُلابِ)
(تداعت حوله جُشَمُ بن بكر ... وأسلمه جعاسيسُ الرِّبابِ)
(قتيلٌ ما قتيلُك يابن سَلْمى ... تضُرُّ به صديقك أو تُحابي)

فقال أبو حنش مجيبا له

(أحاذر أن أجيئكُمُ فتَحْبُو ... حِباءَ أبيكَ يوم صُنَيْعاتِ)
(فكانت غدرةً شنعاء تهفو ... تَقَلَّدها أبوك إلى المماتِ)

ويقال إن الشعر الأول لسلمة بن الحارث

وقال معد يكرب المعروف بغلفاء يرثي أخاه شرحبيل بن الحارث

(إنّ جنبي عن الفراشِ لنابي ... كتجافي الأسرِّ فوق الظِّرابِ)
(من حديثٍ نَمَى إليّ فلا ترْ ... قَأُ عيني ولا أسيغُ شرابي)
(مُرَّةٌ كالذُّعاف أكتُمها الناسَ ... على حرِّ مَلَّةٍ كالشِّهابِ)
(من شرحبيلَ إذ تَعاوَرُه الأرْ ... ماحُ في حال لذّة وشبابِ)
(يابن أمي ولو شهدتُك إذ تدعو ... تميماً وأنت غيرُ مجابِ)
(لتركتُ الحسام تجري ظُباه ... من دماء الأعداء يوم الكُلابِ)
(ثم طاعنتُ من ورائك حتى ... تبلغَ الرَّحْبَ أو تُبَزَّ ثيابي)
(يومِ ثارت بنو تميمٍ وولّت ... خيلُهم يتّقين بالأذنابِ)
(ويْحَكم يا بني أسَيِّدَ إنّي ... ويحكم ربُّكم وربُّ الرِّبابِ)
(أين معطيكمُ الجزيلَ وحابيكم ... على الفقر بالمئين الكُبابِ)
(فارس يضرب الكتيبةَ بالسيف ... على نحرِه كَنَضْحِ المَلاَبِ)
(فارسٌ يطعَنُ الكماة جريءٌ ... تحته قارحٌ كلون الغراب

قال ولما قتل شرحبيل قامت بنو سعد بن زيد مناة بن تميم دون عياله فمنعوهم وحالوا بين الناس وبينهم ودفعوا عنهم حتى ألحقوهم بقومهم ومأمنهم ولي ذلك منهم عوف بن شجنة بن الحارث بن عطارد بن عوف بن سعد بن كعب وحشد له فيه رهطه ونهضوا معه فأثنى عليهم في ذلك امرؤ القيس بن حجر ومدحهم به في شعره فقال

(ألا إنّ قوماً كنتُمُ أمس دونهم ... هم استنقذوا جاراتِكم آلَ غُدرانِ)
(عُوَيْرٌ ومَن مثلُ العوير ورهطه ... وأسعدَ في يومِ الهَزاهِز صَفْوانِ)

وهي قصيدة معروفة طويلة

صوت

(وعينُ الرّضا عن كلِّ عيب كليلةٌ ... ولكن عينَ السخطِ تُبدي المساويا)
(وأنت أخي مالم تكن لي حاجة ... فإن عرضَتْ أيقنتُ أن لا أخَا ليا)

الشعر لعبد الله بن معاوية بن عبد الله الجعفري يقوله للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس هكذا ذكر مصعب الزبيري وذكر مؤرج فيما أخبرنا به اليزيدي عن عمه أبي جعفر عن مؤرج وهو الصحيح أن عبد الله بن معاوية قال هذا الشعر في صديق له يقال له قصي بن ذكوان وكان قد عتب عليه وأول الشعر

(رأيت قُصَيّاً كان شيئاً مُلَفَّفاً ... فكشَّفَه التمحيصُ حتَّى بدا ليا)
(فلا زاد ما بيني وبينك بعدما ... بلوتُكَ في الحاجاتِ إلاّ تنائيا)

والغناء لبنان بن عمرون رمل بالوسطى وفيه الثقيل الأول لعريب من رواية أبي العنبس وغيره

خبر عبد الله بن معاوية ونسبه

هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف وأم عبد الله بن جعفر وسائر بني جعفر أسماء بنت عميس بن معد بن تميم بن مالك بن قحافة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن بشر بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن أفتل وهوخماعة بن خثعم ابن أنمار وأمها هند بنت عوف امرأة من جرش هذه الجرشية أكرم الناس أحماء أحماؤها رسول الله وعلي وجعفر وحمزة والعباس وأبو بكر رضي الله تعالى عنهم وإنما صار رسول الله من أحمائها أنه كان لها أربع بنات ميمونة زوجة رسول الله وأم الفضل زوجة العباس وأم بنته وسلمى زوجة حمزة بن عبد المطلب بنات الحارث وأسماء بنت عميس أختهن لأمهن كانت عند جعفر بن أبي طالب ثم خلف عليها أبو بكر رضي الله تعالى عنه ثم خلف عليها علي بن أبي طالب عليه السلام وولدت من جميعهم وهن اللواتي قال رسول الله لهن إنهن مؤمنات

حدثني بذلك أحمد بن محمد بن سعيد قال حدثني يحيى بن الحسن
العلوي قال حدثنا هارون بن محمد بن موسى الفروي قال حدثنا داود بن عبد الله قال حدثني عبد العزيز الدراوردي عن إبراهيم بن عقبة عن كريب عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله الأخوات المؤمنات ميمونة وأم الفضل وسلمى وأسماء بنت عميس أختهن لأمهن

حدثني أحمد قال حدثني يحيى قال حدثنا الحسن بن علي قال حدثني عبد الرزاق قال أخبرني يحيى بن العلاء البجلي عن عمه شعيب بن خالد عن حنظلة بن سمرة بن المسيب عن أبيه عن جده عن ابن عباس قال دخل النبي على فاطمة وعلي عليهما السلام ليلة بنى بها فأبصر خيالا من وراء الستر فقال من هذا فقالت أسماء قال بنت عميس قالت نعم أنا التي أحرس بنتك يا رسول الله فإن الفتاة ليلة بنائها لا بد لها من امرأة تكون قريبا منها إن عرضت لها حاجة أفضت بذلك إليها فقال رسول الله فإني أسأل إلهي أن يحرسك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك من الشيطان

بعض من أخبار عبد الله بن جعفر

وقد أدرك عبد الله بن جعفر رحمه الله رسول الله وروى عنه

فمما روى عنه ما حدثنيه حامد بن محمد بن شعيب البلخي وأحمد بن محمد بن الجعد قالا حدثنا محمد بن بكار قال حدثني إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال رأيت النبي يأكل البطيخ بالرطب

حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد قال حدثنا يحيى بن الحسن قال حدثنا سلمة بن شبيب قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرني ابن يحيى وعثمان بن أبي سليمان قالا مر النبي بعبد الله بن جعفر وهو يصنع شيئا من طين من لعب الصبيان فقال ما تصنع بهذا قال أبيعه قال ما تصنع بثمنه قال أشتري به رطبا فآكله فقال النبي اللهم بارك له في صفقة يمينه فكان يقال ما اشترى شيئا إلا ربح فيه

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب عن جدي عبد الله بن مصعب أن الحزين قمر في العقيق في غداة باردة ثيابه فمر به عبد الله بن جعفر وعليه مقطعات خز فاستعار الحزين من رجل ثوبا ثم قام إليه فقال

(أقولُ له حين واجهتُه ... عليك السلام أبا جعفر)

فقال وعليك السلام فقال

(فأنت المهذّب من غالب ... وفي البيت منها الذي تُذْكَرُ)

فقال كذبت يا عدو الله ذاك رسول الله فقال

((فهذي ثيابيَ قد أخلَقَتْ ... وقد غضَّني زمنٌ منكر

قال هاك ثيابي فأعطاه ثيابه

قال الزبير قال عمي أما البيت الثاني فحدثني عمي عن الفضل بن الربيع عن أبي وما بقي فأنا سمعته من أبي

حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد قال أخبرنا يحيى بن الحسن قال بلغني أن أعرابيا وقف على مروان بن عبد الحكم أيام الموسم بالمدينة فسأله فقال يا أعرابي ما عندنا ما نصلك ولكن عليك بابن جعفر فأتى الأعرابي باب عبد الله بن جعفر فإذا ثقله قد سار نحو مكة وراحلته بالباب عليها متاعها وسيف معلق فخرج عبد الله من داره وأنشأ الأعرابي يقول

(أبو جعفرٍ من أهلِ بيت نبوّة ... صلاتهُم للمسلمين طَهورُ)

(أبا جعفر إن الحجيجَ ترحَّلوا ... وليس لرحلي فاعلمنَّ بعيرُ)

(أبا جعفرٍ ضنّ الأميرُ بماله ... وأنت على ما في يديك أميرُ)

(وأنت امرؤٌ من هاشم في صميمها ... إليكَ يصيرُ المجدُ حيث تصير)

فقال يا أعرابي سار الثقل فدونك الراحلة بما عليها وإياك أن تخدع عن السيف فإني أخذته بألف دينار فأنشأ الأعرابي يقول

(حباني عبدُ الله نفسي فِداؤهُ ... بأعيسَ مَوّارٍ سِباطٍ مَشَافِرُهْ)

(وأبيضَ من ماء الحديد كأنه ... شهاب بدا والليلُ داجٍ عساكرُهْ)

((وكل امرىء يرجو نوال ابن جعفر ... سيجري له باليمن والبشر طائرُهْ

(فيا خيرَ خلقِ الله نفساً ووالداً ... وأكرَمَه للجار حينَ يجاوره)

(سأثني بما أوليتني يابن جعفر ... وما شاكرٌ عُرْفاً كمن هو كافِره)

وحدثني أحمد بن يحيى عن رجل قال حدثني شيخ من بني تميم بخراسان قال جاء شاعر إلى عبد الله بن جعفر فأنشده

(رأيت أبا جعفر في المنام ... كساني من الخزِّ دُرَّاعَهْ)

(شكوتُ إلى صاحبي أمرها ... فقال ستؤتى بها الساعه)

(سيكسُوكَها الماجدُ الجعفريّ ... ومَن كفُّه الدهرَ نفَّاعه)

(ومن قال للجود لاَ تعْدُني ... فقال لك السمع والطاعه)

فقال عبد الله لغلامه ادفع إليه دراعتي الخز ثم قال له كيف لو ترى جبتي المنسوجة بالذهب التي اشتريتها بثلاثمائة دينار فقال له الشاعر بأبي دعني اغفي إغفاءة أخرى فلعلي أرى هذه الجبة في المنام فضحك منه وقال يا غلام ادفع إليه جبتي الوشي

حدثني أحمد قال يحيى قال ابن دأب وسمع قول الشماخ بن ضرار الثعلبي في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رحمه الله

(إنك يابن جعفرٍ نعم الفتى ... ونعم مأوى طارقٍ إذا أتى)

(وجار ضيفٍ طرقَ الحيَّ سرَى ... صادَفَ زاداً وحديثاً يُشْتَهَى)

(... إن الحديث طرَفٌ من القِرى)

فقال ابن دأب العجب للشماخ يقول مثل هذا القول لابن جعفر ويقول لعرابة الأوسي

(إذا ما رايةٌ رُفعت لمجد ... تلقَّاها عَرابةُ باليمين)

عبد الله بن جعفر كان أحق بهذا من عرابة

قال يحيى بن الحسن وكان عبد الله بن الحسن يقول كان أهل المدينة يدانون بعضهم من بعض إلى أن يأتي عطاء عبد الله بن جعفر

أخبرني أحمد قال حدثني يحيى قال حدثني أبو عبيد قال حدثني يزيد ابن هارون عن هشام عن ابن سيرين قال جلب رجل إلى المدينة سكرا فكسد عليه فقيل له لو أتيت ابن جعفر قبله منك وأعطاك الثمن فأتى ابن جعفر فأخبره فأمره بإحضاره وبسط له ثم أمر به فنثر فقال للناس انتهبوا فلما رأى الناس ينتهبون قال جعلت فداءك آخذ معهم قال نعم فجعل

الرجل يهيل في غرائره ثم قال لعبد الله أعطني الثمن فقال وكم ثمن سكرك قال أربعة آلاف درهم فأمر له بها
أخبرنا أحمد قال حدثني يحيى بن علي وحدثني ابن عبد العزيز قال حدثنا أبو محمد الباهلي حسن بن سعيد عن الأصمعي نحوه وزاد فيه قال فقال الرجل مايدري هذا وما يعقل أخذ أم أعطى لأطلبنه بالثمن ثانية فغدا عليه فقال ثمن سكري فأطرق عبد الله مليا ثم قال يا غلام أعطه أربعة آلاف درهم فأعطاه إياها فقال الرجل قد قلت لكم إن هذا الرجل لا يعقل أخذ أم أعطى لأطلبنه بالثمن فغدا عليه فقال أصلحك الله ثمن سكري فأطرق عبد الله مليا ثم رفع رأسه إلى رجل فقال ادفع إليه أربعة آلاف درهم فلما ولى ليقبضها قال له ابن جعفر يا أعرابي هذه تمام اثني عشر ألف درهم فانصرف الرجل وهو يعجب من فعله

وأخبرني أبو الحسن الأسدي عن دماذ عن أبي عبيدة أن أعرابيا باع راحلة من عبد الله بن جعفر ثم غدا عليه فاقتضى ثمنها فأمر له به ثم عاوده ثلاثا وذكر في الخبر مثل الذي قبله وزاد فيه فقال فيه

(لا خير في الْمُجْتَدَى في الحين تسأله ... فاستمطِروا من قريش خيرَ مُخْتدِع)
(تخال فيه إذا حاورته بَلَهاً ... من جوده وهْو وافي العقل والورع)

وهذا الشعر يروى لابن قيس الرقيات

توفي في خلافة عبد الملك بن مروان

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا حدثنا الزبير قال حدثني مصعب بن عثمان قال لما ولي عبد الملك الخلافة جفا عبد الله بن جعفر فراح يوما إلى الجمعة وهو يقول اللهم إنك عودتني عادة جريت عليها فإن كان ذلك قد انقضى فاقبضني إليك فتوفي في الجمعة الأخرى قال يحيى توفي عبد الله وهو ابن سبعين سنة في سنة ثمانين وهو عام الجحاف لسيل كان بمكة جحف الحاج فذهب بالإبل عليها الحمولة وكان الوالي على المدينة يومئذ أبان بن عثمان في خلافة عبد الملك بن مروان وهو الذي صلى عليه

حدثني أحمد بن محمد قال أخبرنا يحيى قال حدثنا الحسين بن محمد قال أخبرني محمد بن مكرم قال أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود قال أخبرني الأصمعي عن الجعفري قال لما مات عبد الله بن جعفر شهده أهل المدينة كلهم وإنما كان عبد الله بن جعفر مأوى المساكين وملجأ الضعفاء فما تنظر إلى ذي حجى إلا رأيته مستعبرا قد أظهر الهلع والجزع فلما فرغوا من دفنه قام عمرو بن عثمان فوقف على شفير القبر فقال رحمك الله يا بن جعفر إن كنت لرحمك لواصلا ولأهل الشر لمبغضا ولأهل الريبة لقاليا ولقد كنت فيما بيني وبينك كما قال الأعشى

(رعيتَ الذي كان بيني وبينكم ... من الوِّد حتى غيّبتْك المقابرُ)

فرحمك الله يوم ولدت ويوم كنت رجلا ويوم مت ويوم تبعث حيا والله لئن كانت هاشم أصيبت بك لقد عم قريشا كلها هلكك فما أظن أن يرى بعدك مثلك

فقام عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق فقال لا إله إلا الله الذي يرث الأرض ومن عليها وإليه ترجعون ما كان أحلى العيش بك يابن جعفر وما أسمج ما اصبح بعدك والله لو كانت عيني دامعة على أحد لدمعت عليك كان والله حديثك غير مشوب بكذب وودك غر ممزوج بكدر

فوثب ابن للمغيرة بن نوفل ولم يثبت الأصمعي اسمه فقال يا عمرو بمن تعرض بمزج الود وشوب الحديث أفبأبني فاطمة فهما والله خير منك ومنه فقال على رسلك يا لكع أردت أن أدخلك معهم هيهات لست هناك والله لو مت أنت ومات أبوك ما مدحت ولا ذممت فتكلم

بما شئت فلن تجد لك مجيبا فما هو إلا أن سمعهما الناس يتكلمان حتى حجزوا بينهما وانصرفوا قال يحيى وقال عبد الله بن قيس الرقيات في علة عبد الله بن جعفر التي مات فيها

(باتَ قلبي تَشفُّه الأوجاع ... من هموم تُجِنُّها الأضلاعُ)
(من حديث سمعتُه مَنَعَ النومَ ... فقلبي مما سمِعتُ يُراع)
(إذ أتانا بما كرهنا أبو اللَّسْلاسِ ... كانت بنفسه الأوجاع)
(قال ما قال ثم راح سريعاً ... أدركتْ نفسَه المنايا السِّراعُ)
(قال يشكو الصُّداعَ وهو ثقيلٌ ... بك لا بالذي عَنَيت الصُّداع)
(ابنَ أسماءَ لا أبالَكَ تَنْعَى ... أنه غيرُ هالكٍ نفَّاعُ)
(هاشميًّا بكفِّه من سِجال المجد ... سَجْلٌ يهون فيه القُباع)
(نشر الناسُ كلَّ ذلكِ منه ... شيمة المجدِ ليس فيه خِداعُ)
(لم أجِد بعدك الأخِلَّاءَ إلاّ ... كثِمادٍ به قَذَىً أو نِقاعِ)
(بيته من بيوت عبدِ منافٍ ... مدّ أطنابَهُ المكانُ اليَفاع)
(منتهى الحمدِ والنبوة والمجدِ ... إذا قصّر اللئام الوضاع)
(فستأتيك مِدحةٌ من كريم ... ناله من نَدَى سِجالِك باعُ)

من هذا الشعر الذي قاله ابن قيس في عبد الله بن جعفر بيتان يغني فيهما وهما

صوت

(قد أتانا بما كرهنا أبو اللَّسلاس ... كانت بنفسه الأوجاع)
(قال يشكو الصداع وهو ثقيل ... بك لا بالذي ذكرتَ الصُّداع)

غناه عمرو بن بانة خفيف ثقيل الأول بالوسطى على مذهب إسحاق ويقال إن عمرو بن بانة صاغ هذا اللحن في هذا الشعر وغنى به الواثق بعقب علة نالته وصداع تشكاه قال فاستحسنه وأمر له بعشرة آلاف درهم وأم معاوية بن عبد الله بن جعفر أم ولد وكان من رجالات قريش ولم يكن في ولد عبد الله مثله

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن أبي عبد الرحمن القرشي أن معاوية بن عبد الله بن جعفر ولد وأبوه عبد الله عند معاوية فأتاه البشير بذلك وعرف معاوية الخبر فقال سمه معاوية ولك مائة ألف درهم ففعل فأعطاه المال وأعطاه عبد الله للذي بشره به قال المدائني وكان عبد الله بن جعفر لا يؤدب ولده ويقول إن يرد الله جل وعز بهم خيرا يتأدبوا فلم ينجب فيهم غير معاوية

ابن هرمة ومعاوية بن عبد الله بن جعفر

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال

هارون وحدثني محمد بن عبد الله بن موسى بن خالد بن الزبير بن العوام قال حدثني عمرو بن الحكم السعيدي وإبراهيم بن محمد ومحمد بن معن بن عنبسة قالوا
كان معاوية بن عبد الله بن جعفر قد عود ابن هرمة البر فجاءه يوما وقد ضاقت يده وأخذ خمسين دينارا بدين فرفع إليه مع جاريته رقعة فيها مديح له يسأله فيه أيضا برا فقال للجارية قولي له أيدينا ضيقة وما عندنا شيء إلا شيء أخذناه بكلفة فرجعت جاريته بذلك فأخذ الرقعة فكتب فيها
(فإني ومدحَك غيرَ المصيب ... كالكلب ينبح ضوءَ القمرْ)
(مدحتك أرجو لديك الثوابَ ... فكنتُ كعاصِر جَنْبِ الحَجَرْ)
وبعث بالرقعة مع الجارية فدفعتها إلى معاوية فقال لها ويحك قد علم بها أحد قالت لا والله إنما دفعها من يده إلى يدي قال فخذي هذه الدنانير فادفعيها إليه فخرجت بها إليه فقال كلا أليس زعم أنه لا يدفع إلي شيئا
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب قال سمى عبد الله بن جعفر ابنه معاوية بمعاوية بن أبي سفيان قال وكان معاوية بن عبد الله بن جعفر صديقا ليزيد بن معاوية خاصة فسمى ابنه بيزيد بن معاوية
وصية عبد الله بن جعفر
قال الزبير وحدثني محمد بن إسحاق بن جعفر عن عمه محمد
أن عبد الله بن جعفر لما حضرته الوفاة دعا ابنه معاوية فنزع شنفا كان في أذنه وأوصى إليه وفي ولده من هو أسن منه وقال له إني لم أزل أؤملك لها فلما توفي احتال بدين أبيه وخرج فطلب فيه حتى قضاه وقسم أموال أبيه بين ولده ولم يستأثر عليهم بدينار ولا درهم ولا غيرهما
وأم عبد الله بن معاوية أم عون بنت عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ويقال بنت عياش بن ربيعة وقد روى عباس عن النبي وكان معه يوم حنين وهو أحد من ثبت معه يومئذ
وكان عبد الله من فتيان بني هاشم وجودائهم وشعرائهم ولم يكن محمود المذهب في دينه وكان يرمى بالزندقة ويستولي عليه من يعرف ويشهر أمره فيها وكان قد خرج بالكوفة في آخر أيام مروان بن محمد ثم انتقل عنها إلى نواحي الجبل ثم إلى خراسان فأخذه أبو مسلم فقتله هناك ويكنى عبد الله بن جعفر أبا معاوية وله يقول ابن هرمة
(أُحْبُ مدحاً أبا معاويةَ الماجدَ ... لا تلقَه حَصُورا عَيِيّا)
((بل كريماً يرتاح للمجد بسّاماً ... إذا هزّه السؤّال حَيِيا
(إنّ لي عنده وإن رَغِمِ الأعداءُ حظّا من نفسه وقَفِيّا)
قفيا أثرة يقول إن لي عنده لأثرة على غيري وقال قوم آخرون القفي الكرامة
(إن أمت تَبْقَ مدحتي وإخائي ... وثنائي من الحياة مَلِيّا)
(يأخذ السبقَ بالتقدم في الجري ... إذا ما النّدى انتحاه عليا)
(ذو وفاءٍ عند العِدات وأوصاه ... أبوه ألّا يزالَ وفيّا)
(فرَعَى عقدةَ الوصاة فأكرم ... بهما موصِياً وهذا وصِيا)
(يا بن أسماءَ فاسق دَلوي فقد أوردتُها ... منْهلاً يثُجّ رَوِيّا)
يعني أمه أسماء وهي أم عون بنت العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وأول هذه القصيدة
(عاتِبِ النفسَ والفؤادَ الغَوِيّا ... في طِلاب الصِّبا فلستَ صبيّا)
قال يحيى بن علي فيما أجازه لنا أخبرني أبو أيوب المديني وأخبرنا وكيع عن هارون بن محمد بن عبد الملك عن حماد بن إسحاق عن أبيه قالا مدح ابن هرمة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فأتاه فوجد الناس بعضهم على بعض على بابه قال ابن هرمة ورآني بعض خدمه فعرفني فسألته عن الذي رأيتهم ببابه فقال عامتهم غرماء له فقلت ذاك شر واستؤذن لي عليه فقلت لم أعلم بهؤلاء الغرماء ببابك قال لا عليك أنشدني قلت أعيذك بالله واستحييت أن أنشد
فأبى إلا أن أنشده قصيدتي التي أقول فيها
(حلَلْتَ محلَّ القلب من آل هاشم ... فعُشُّك مأوَى بيضِها المتفلّق)
(ولم تك بالمُعْزَى إليها نِصابهُ ... لِصاقا ولا ذا المركب المُتَعَلِّق)
(فمن مثلُ عبد الله أو مثلُ جعفر ... ومثل أبيك الأريحيِّ المُرهَّق)
فقال من هاهنا من الغرماء فقيل فلان وفلان فدعا باثنين منهم فسارهما وخرجا وقال لي اتبعهما قال فأعطياني مالا كثيرا
قال يحيى ومن مختار مدحه فيه منها قوله
(فإلاّ تُواتِ اليومَ سلمى فربما ... شربنا بحوض اللهو غيرِ المرنَّقِ)
(فدعها فقد أعْذَرْت في ذكر وصلها ... وأجريت فيها شأوَ غربٍ ومَشْرِق)
(ولكن لعبد الله فانطِق بمدحة ... تُجيرُك من عُسر الزمانِ المُطَبِّق)
(أخ قلت للاذْنَينَ لمّا مدحتُه ... هَلُمُّوا وساري الليل مِ الآن فاطْرُق)
(شديدُ التأنّي في الأمور مجرب ... متى يَعْرُ أمرُ القوم يَفْرِ ويخلُق)
(ترى الخير يجري في أسرّة وجهه ... كما لألأتْ في السيف جرية رَوْنَق)
(كريم إذا ما شاء عدَّ له أبا ... له نسبٌ فوق السِّماك المحلّق)
(وأمٌّ لها فضلٌ على كلّ حرة ... متى ما تسابِق بابنها القوْم تَسْبِق)
ومما يغني فيه من قصيدة ابن هرمة اليائية التي مدح بها ابن معاوية قوله
صوت
(عجِبتْ جارتي لشيبٍ علاني ... عمرَكِ اللهَ هل رأيتِ بَدِيّا)
(إنما يُعْذر الوليد ولا يُعذر ... من عاش في الزمان عتيّا)
غنى فيهما فليح رملا بالبنصر من رواية عمرو بن بانة ومن رواية حبش فيهما لابن محرز خفيف ثقيل بالبنصر
خروج عبد الله بن معاوية على بني أمية
حدثنا بالسبب في خروجه أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا علي بن محمد النوفلي عن أبيه وعمه عيسى قال ابن عمار وأخبرنا أيضا ببعض خبره أحمد بن أبي خيثمة عن مصعب الزبيري قال ابن عمار وأخبرني أحمد بن الحارث الخراز عن

المدائني عن أبي اليقظان وشهاب بن عبد الله وغيرهما قال ابن عمار وحدثني به سليمان بن أبي شيخ عمن ذكره قال أبو الفرج الأصبهاني ونسخت أنا أيضا بعض خبره من كتاب محمد بن علي بن حمزة عن المدائني وغيره فجمعت معاني ما ذكروه في ذلك كراهة الإطالة أن عبد الله بن معاوية قدم الكوفة زائرا لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ومستميحا له فتزوج بالكوفة بنت الشرقي بن عبد المؤمن بن شبث بن ربعي الرياحي فلما وقعت العصبية أخرجه أهل الكوفة على بني أمية وقالوا له أخرج فأنت أحق بهذا الأمر من غيرك واجتمعت له جماعة فلم يشعر به عبد الله بن عمر إلا وقد خرج عليه قال ابن عمار في خبره إنه إنما خرج في أيام
يزيد بن الوليد ظهر بالكوفة ودعا إلى الرضا من آل محمد ولبس الصوف وأظهر سيما الخير فاجتمع إليه وبايعه بعض أهل الكوفة ولم يبايعه كلهم وقالوا ما فينا بقية قد قتل جمهورنا مع أهل هذا البيت وأشاروا عليه بقصد فارس وبلاد المشرق فقبل ذلك وجمع جموعا من النواحي وخرج معه عبدُ الله بن العباس التميمي قال محمد بن علي بن حمزة عن سليمان بن أبي شيخ عن محمدد بن الحكم عن عوانة إن ابن معاوية قبل قصده المشرق ظهر بالكوفة ودعا إلى نفسه وعلى الكوفة يومئذ عامل ليزيد الناقص يقال له عبد الله بن عمر فخرج إلى ظهر الكوفة مما يلي الحرة فقاتل ابن معاوية قتالا شديدا قال محمد بن علي بن حمزة عن المدائني عن عامر بن حفص وأخبرني به ابن عمار عن أحمد بن الحارث عن المدائني أن ابن عمر هذا دس إلى رجل من أصحاب ابن معاوية من وعده عنه مواعيد على أن ينهزم عنه وينهزم الناس بهزيمته فبلغ ذلك ابن معاوية فذكره لأصحابه وقال إذا انهزم ابن حمزة فلا يهولنكم فلما التقوا انهزم ابن حمزة وانهزم الناس معه فلم يبق غير ابن معاوية فجعل يقاتل وحده ويقول
(تفرّقتِ الظباءُ على خِداشٍ ... فما يدري خداش ما يصيد)
ثم ولى وجهه منهزما فنجا وجعل يجمع من الأطراف والنواحي من أجابه حتى
صار في عدة فغلب على ماه الكوفة وماه البصرة وهمذان وقم والري وقومس وأصبهان وفارس وأقام هو بأصبهان قال وكان الذي أخذ له البيعة بفارس محارب بن موسى مولى بني يشكر فدخل دار الإمارة بنعل ورداء واجتمع الناس إليه فأخذهم بالبيعة فقالوا علام نبايع فقال على ما أحببتم وكرهتم فبايعوا على ذلك
وكتب عبد الله بن معاوية فيما ذكر محمد بن علي بن حمزة عن عبد الله بن محمد بن إسماعيل الجعفري عن أبيه عن عبد العزيز بن عمران عن محمد بن جعفر بن الوليد مولى أبي هريرة ومحرز بن جعفر أن عبد الله بن معاوية كتب إلى الأمصار يدعو إلى نفسه لا إلى الرضا من آل محمد قال واستعمل أخاه الحسن على إصطخر وأخاه يزيد على شيراز وأخاه عليا على كرمان وأخاه صالحا على قم ونواحيها وقصدته بنو هاشم جميعا منهم السفاح والمنصور وعيسى بن علي وقال ابن أبي خيثمة عن مصعب وقصده وجوه قريش من بني أمية وغيرهم فممن قصده من بني أمية سليمان بن هشام بن عبد الملك وعمر بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان فمن أراد منهم عملا قلده ومن أراد منهم صلة وصله فلم يزل مقيما في هذه النواحي التي غلب عليها حتى ولي مروان بن محمد الذي يقال له مروان الحمار فوجه إليه عامر بن ضبارة في عسكر كثيف فسار إليه حتى إذا قرب من أصبهان ندب له ابن معاوية أصحابه وحضهم على الخروج إليه فلم يفعلوا ولا أجابوه فخرج على دهش هو وإخوته قاصدين لخراسان وقد ظهر أبو مسلم بها ونفى عنها نصر بن سيار فلما صار في بعض الطريق نزل على رجل من التناء ذي مروءة ونعمة وجاه فسأله معونته فقال له من أنت من ولد رسول الله أأنت إبراهيم الإمام الذي يدعى له بخراسان قال لا قال فلا حاجة لي في نصرتك
فخرج إلى أبي مسلم وطمع في نصرته فأخذه أبو مسلم وحبسه عنده وجعل عليه عينا يرفع إليه أخباره فرفع إليه أنه يقول ليس في الأرض أحمق منكم يا أهل خراسان في طاعتكم هذا الرجل وتسليمكم إليه مقاليد أموركم من غير أن تراجعوه في شيء أو تسألوه عنه والله ما رضيت الملائكة الكرام من الله تعالى بهذا حتى راجعته في أمر آدم عليه السلام فقالت (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) حتى قال لهم (إني أعلم ما لا تعلمون)

كتابه إلى أبي مسلم وهو في حبسه

ثم كتب إليه عبد الله بن معاوية رسالته المشهورة التي يقول فيها إلى أبي مسلم من الأسير في يديه بلا ذنب إليه ولا خلاف عليه أما بعد فإنك مستودع ودائع ومولي صنائع وإن الودائع مرعية وإن الصنائع عارية فاذكر القصاص واطلب الخلاص ونبه للفكر قلبك واتق الله ربك وآثر ما يلقاك غدا على ما لا يلقاك أبدا فإنك لاق ما أسلفت وغير لاق ما خلفت وفقك الله لما ينجيك وآتاك شكر ما يبليك
قال فلما قرأ كتابه رمى به ثم قال قد أفسد علينا أصحابنا وأهل طاعتنا وهو محبوس في أيدينا فلو خرج وملك أمرنا لأهلكنا ثم أمضى تدبيره في قتله وقال آخرون بل دس إليه سما فمات منه ووجه برأسه إلى ابن ضبارة فحمله إلى مروان فأخبرني عمر بن عبد الله العتكي قال حدثنا عن عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى أن عبد العزيز بن عمران حدثه عن عبد الله بن الربيع عن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة أنه حضر مروان يوم الزاب وهو يقاتل عبد الله بن علي فسأل عنه فقيل له هو الشاب المصفر الذي كان يسب عبد الله بن معاوية يوم جيء برأسه إليك فقال والله لقد هممت بقتله مرارا كل ذلك يحال بيني وبينه (وكان أمر الله قدرا مقدورا)

علاقته بالزنادقة

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني النوفلي عن أبيه عن عمه قال كان عمارة بن حمزة يرمى بالزندقة فاستكتبه ابن معاوية وكان له نديم يعرف بمطيع بن إياس وكان زنديقا مأبونا وكان له نديم آخر يعرف بالبقلي وإنما سمي بذلك لأنه كان يقول الإنسان كالبقلة فإذا مات لم يرجع فقتله المنصور لما أفضت الخلافة إليه فكان هؤلاء الثلاثة خاصته وكان له صاحب شرطة يقال له قيس وكان دهريا لا يؤمن بالله معروفا بذلك فكان يعس بالليل فلا يلقاه أحد إلا قتله فدخل يوما على ابن معاوية فلما رآه قال
(إنّ قيساً وإن تقنَّع شيباً ... لخَبيثُ الهوى على شمطِهِ)
(ابنُ تسعين منظراً ومشيباً ... وابن عشرٍ يعَدّ في سَقَطِه)
وأقبل على مطيع فقال أجز أنت فقال
(وله شُرْطةٌ إذا جنَّه الليل فعوذوا بالله من شُرَطه)
قال ابن عمار أخبرني أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن أبي اليقظان وشباب بن عبد الله وغيرهما قال ابن عمار وحدثني به سليمان بن أبي شيخ عمن ذكره
أن ابن معاوية كان يغضب على الرجل فيأمر بضربه بالسياط وهو يتحدث ويتغافل عنه حتى يموت تحت السياط وأنه فعل

ذلك برجل فجعل يستغيث فلا يلتفت إليه فناداه يا زنديق أنت الذي تزعم أنه يوحى إليك فلم يلتفت إليه وضربه حتى مات
حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني النوفلي عن أبيه عن عمه عيسى قال كان ابن معاوية أقسى خلق الله قلبا فغضب على غلام له وأنا جالس عنده في غرفة بأصبهان فأمر بأن يرمى به منها إلى أسفل ففعل ذلك به فتعلق بدرابزين كان على الغرفة فأمر بقطع يده التي أمسكه بها فقطعت ومر الغلام يهوي حتى بلغ إلى الأرض فمات
وكان مع هذه الأحوال من ظرفاء بني هاشم وشعرائهم وهو الذي يقول
(ألا تَزَعُ القلبَ عن جهله ... وعما تُؤَنَّبُ من أجلِه)
(فأُبدِلِ بعد الصبا حِلْمَه ... وأقْصَرَ ذو العَذْلِ عن عذلِه)
(فلا تركبنّ الصنيعَ الذي ... تلوم أخاك على مثلِه)
(ولا يعجبنّك قولُ امرىء ... يخالِف ما قال في فعلِه)
((ولا تُتبِع الطَّرْفَ ما لا تنال ... ولكن سل اللّهَ من فضلِه)
(فكم مِن مُقِلٍّ ينال الغنى ... ويحمَد في رزقه كلّه)
أنشدنا هذا الشعر له ابن عمار عن أحمد بن أبي خيثمة عن يحيى بن معين وذكر محمد بن علي العلوي عن أحمد بن ابي خيثمة أن يحيى بن معين أنشده أيضا لعبد الله بن معاوية
(إذا افتقرت نفسي قَصَرْتُ افتقارَها ... عليها فلم يظْهر لها أبدا فَقْرى)
(وإن تلقني في الدهر مندوحةُ الغنى ... يكن لأخلاّئي التوسُّعُ في اليسر)
(فلا العسرُ يُزْري بي إذا هو نالني ... ولا اليسر يوماً إن ظفرتُ به فخري)
وهذا الشعر الذي غني به أعني قوله
(... وعين الرضا عن كل عيب كليلة)
يقوله ابن معاوية للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان الحسين أيضا سيء المذهب مطعونا في دينه
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال حدثني إبراهيم بن يزيد الخشاب قال كان ابن معاوية صديقا للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان حسين هذا وعبد الله بن معاوية يرميان بالزندقة فقال الناس إنما تصافيا على ذلك ثم دخل بينهما شيء من الأشياء فتهاجرا من أجله فقال عبد الله بن معاوية
(وإنّ حسينا كان شيئا ملفَّفا ... فمحصه التكشيفُ حتى بدا ليا)
(وعين الرضا عن كلّ عيب كليلةٌ ... ولكن عين السخط تبدي المساويا)
((وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة ... فإن عرضت أيقنت أن لا أخا ليا
وله في الحسين أشعار كلها معاتبات فمنها ما أخبرني به أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة قال أنشدني يحيى بن الحسن لعبد الله بن معاوية يقوله في الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب
(قل لذي الودّ والصفاء حسين ... أُقدُرِ الوُدَّ بيننا قَدَرَهْ)
(ليس للدابغ المُقَرِّظ بُدٌّ ... من عتاب الأديم ذي البَشَرَه)
قال وقال له أيضا
(إنّ ابن عمك وابنَ أُمكَ ... مُعْلِمٌ شاكي السلاح)
(يَقص العدوَّ وليس يرضى ... حين يَبْطُشُ بالجناح)
(لا تحسبن أذى ابن عمٍ ... كَ شربَ ألبان اللِّقاح)
(بل كالشجا تحت اللَّهاةِ ... إذا يُسَوَّغ بالقَرَاح)
(فانظر لنفسك من يجيبك ... تحت أطراف الرماح)
(من لا يزال يسوءهُ ... بالغيب أن يلحاك لاحِي)
عبد الله بن معاوية وجده عبد الحميد
أخبرني الحرمي والطوسي قالا حدثنا يحيى بن الحسن قال حدثنا الزبير وحدثني أحمد بن محمد بن سعيد قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن يحيى أن عبد الله بن معاوية مر بجده عبد الحميد في مزرعته بصرام وقد عطش فاستسقاه فخاض له سويق لوز فسقاه إياه فقال عبد الله بن معاوية
(شربتُ طَبَرْزَذاً بغريضِ مُزنٍ ... كذوب الثلج خالطه الرُّضابُ)
قال يحيى قال الزبير الرضاب ماء المسك ورضاب كل شيء ماؤه فقال عبد الحميد بن عبيد الله يجيب عبد الله بن معاوية على قوله
(ما إن ماؤُنا بغريض مُزْن ... ولكنّ المِلاح بكم عِذابُ)
(وما إن بالطَّبرزذ طاب لكن ... بمَسِّك لا به طابَ الشراب)
(وأنت إذا وطِئت ترابَ أرضٍ ... يطيب إذا مشيتَ بها التراب)
(لأن نداك يُطفِي الْمَحْل عنها ... وتُحييها أيادِيك الرِّطاب)
قال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن جده إبراهيم الموصلي قال بينا نحن عند الرشيد أنا وابن جامع وعمرو الغزال إذ قال صاحب الستارة
لأبن جامع تغن في شعر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر قال ولم يكن ابن جامع يغني في شيء منه وفطنت لما أراد من شعره وكنت قد تقدمت فيه فأرتج على ابن جامع فلما رأيت ما حل به اندفعت فغنيت
صوت
(يهيم بجُمْلٍ وما إن يرى ... له من سبيل إلى جُملِهِ)
(كأن لم يكن عاشِقٍ قبله ... وقد عشِقِ الناس من قبلِه)
(فمنهم من الحب أودَى به ... ومنهم منَ اشفَى على قتلِه)
فإذا يد قد رفعت الستارة فنظر إلي وقال أحسنت والله أعد فأعدته فقال أحسنت حتى فعل ذلك ثلاث مرات ثم قال

لصاحب الستارة كلاما لم أفهمه فدعا صاحب الستارة غلاما فكلمه فمر الغلام يسعى فإذا بدرة دنانير قد جاءت يحملها فراش فوضعت تحت فخذي اليسرى وقيل لي اجعلها تكأتك قال فلما انصرفنا قال لي ابن جامع هل كنت وضعت لهذا الشعر غناء قبل هذا الوقت فقلت ما شعر قيل في الجاهلية ولا الإسلام يدخل فيه الغناء إلا وقد وضعت له لحنا خوفا من أن ينزل بي ما نزل بك فلما كان المجلس الثاني وحضرنا قال صاحب الستارة يابن جامع تغن في شعر عبد الله بن معاوية فوقع في مثل الذي وقع فيه بالأمس قال إبراهيم فلما رأيت ما حل به اندفعت فغنيت

صوت

(يا قوم كيف سِواغُ عيشٍ ليس تؤمَن فِجعاتُهْ)
(ليست تزالُ مطِلّةً ... تغدو عليك منغِّصاته
(الموت هولٌ داخلٌ ... يوماً على كرْهٍ أناتُه)
(لا بد للحذِرِ النَّفور ... من ان تَقَنَّصَهُ رُماتُهْ)
(قد أمنح الود الخليلَ ... بغير ما شيء رزاته)
(وله أقيمُ قناةَ ودّي ... ما استقامت لي قناته)

قال فأومأ إلي صاحب الستارة أن أمسك ووضع يده على عينه كأنه يومىء إلي أنه يبكي قال فأمسكت ثم انصرفنا فقال لي ابن جامع ما صب أمير المؤمنين على ابن جعفر قلت صبه الله عليه لبدرة الدنانير التي أخذتها قال ثم حضر بعد ذلك فلما اطمأن بنا مجلسنا قال ابن جامع بكلام خفي اللهم أنسه ذكر ابن جعفر قال فقلت اللهم لا تستجب فقال صاحب الستارة يابن جامع تغن في شعر عبد الله بن معاوية قال فقال ابن جامع لو كان عندهم في عبد الله بن معاوية خير لطار مع أبيه ولم يقبل على الشعر قال إبراهيم فسمعنا ضحكة من وراء الستارة قال إبراهيم فاندفعت أغني في شعره

(سلا ربَّةَ الخِدر ما شأنُها ... ومن أيِّما شأنِنَا تعجب)
(فلستُ بأوّلِ من فاته ... على إرْبِه بعضُ ما يَطْلُبُ)
((وكائن تعرَّضَ من خاطب ... فزُوِّجَ غيرَ التي يخطب
(وأُنكِحَها بعده غيرُه ... وكانت له قبله تُحجَب)
(وكنا حديثاً صَفِيَّيْن لا ... نخاف الوشاةَ وما سبَّبوا)
(فإن شطَّتِ الدار عنّا بها ... فبانت وفي الناس مُستَعَتَبُ)
(وأصبح صدعُ الذي بيننا ... كصدع الزجاجةِ ما يُشْعَب)
(وكالدَّرِّ ليست له رجعة ... إلى الضَّرْع من بعدما يُحْلَب)

غنى في البيتين الأولين إبراهيم الموصلي خفيف ثقيل الأول بالوسطى من رواية أحمد بن يحيى المكي ووجدتهما في بعض الكتب خفيف رمل غير منسوب قال فقال لي صاحب الستارة أعد فأعدته فأحسب أمير المؤمنين نظر إلى ابن جامع كاسف البال فأمر له بمثل الذي أمر لي بالأمس وجاؤوني ببدرة دنانير فوضعت تحت فخذي اليسرى أيضا وكان ابن جامع فيه حسد ما يستتر منه فلما انصرفنا قال اللهم أرحنا من ابن جعفر هذا فما أشد بغضي له لقد بغض إلي جده فقلت ويحك تدري ما تقول قال فمن يدري ما يقول إذا لوددت أني لم أر إقباله عليك وعلى غنائك في شعر هذا البغيض ابن البغيضة وأني تصدقت بها يعني البدرة

وهذا الصوت الأخير يقول شعره عبد الله بن معاوية في زوجته أم زيد بنت زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام

أخبرني الطوسي والحرمي قالا حدثنا الزبير بن بكار عن عمه قال خطب عبد الله بن معاوية ربيحة بنت محمد بن عبد الله بن علي بن عبد

الله بن جعفر وخطبها بكار بن عبد الملك بن مروان فتزوجت بكارا فشمتت بعبد الله امرأته أم زيد بنت زيد بن علي بن الحسين فقال في ذلك

(سلا ربَّةَ الخِدْر ما شأنُها ... ومِن أيِّما شأنِنا تعجب)

فقال ابن أبي خيثمة في خبره عن مصعب قالت له والله ما شمت ولكني نفست عليك فقال لها لا جرم والله لا سؤتك أبدا ما حييت

صوت

(طاف الخيال من امّ شيْبَةَ فاعترى ... والقومُ من سنةٍ نَشاوَى بالكرى)
(طافت بخوصٍ كالقِسِيِّ وفتيةٍ ... هجعوا قليلا بعد ما ملُّوا السُّرَى)

الشعر لأبي وجزة السعدي والغناء لإسحاق ثقيل أول بالبنصر

أخبار أبي وجزة ونسبه

اسمه يزيد بن عبيد فيما ذكره أصحاب الحديث وذكر بعض النسابين أن اسمه يزيد بن أبي عبيد وأنه كان له أخ يقال له عبيد وانتسب إلى بني سعد بن بكر بن هوازن لولائه فيهم

وأصله من سليم من بني ضبيس بن هلال بن قدم بن ظفر بن الحارث بن بهثة بن سليم ولكنه لحق أباه وهو صبي سباء في الجاهلية فبيع بسوق ذي المجاز فابتاعه رجل من بني سعد واستعبده فلما كبر استعدى عمر رضي الله عنه وأعلمه قصته فقال له إنه لا سباء على عربي وهذا الرجل قد امتن عليك فإن شئت فأقم عنده وإن شئت فالحق بقومك فأقام في بني سعد وانتسب إليهم هو وولده

وبنو سعد أظآر رسول الله كان مسترضعا فيهم عند امرأة يقال لها حليمة فلم يزل فيهم عليه السلام حتى يفع ثم أخذه جده عبد المطلب

منهم فرده إلى مكة وجاءته حليمة بعد الهجرة فأكرمها وبرها وبسط لها رداءه فجلست عليه وبنو سعد تفتخر بذلك على سائر هوازن وحقيق بكل مكرمة وفخر من اتصل منه رسول الله بأدنى سبب أو وسيلة

أخبرني بخبره الذي حكيت جملا منه في نسبه وولائه أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكي قال حدثنا محمد بن سلام الجمحي عن يونس وأخبرني أبو خليفة فيما كتب به إلي عن محمد بن سلام عن يونس وأخبرني به عمي عن الكراني عن الرياشي عن محمد بن سلام عن يونس وأخبرني علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري عن يعقوب بن السكيت قالوا جميعا سوى يعقوب

كان عبيد أبو أبي وجزة السعدي عبد بيع بسوق ذي المجاز في الجاهلية فابتاعه وهيب بن خالد بن عامر بن عمير بن

ملان بن ناصرة بن فصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن فأقام عنده زمانا يرعى إبله ثم إن عبيدا ضرب ضرع ناقة لمولاه فأدماه فلطم وجهه فخرج عبيد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مستعديا فلم قدم عليه قال يا أمير المؤمنين أنا رجل من بني سليم ثم من بني ظفر أصابني سباء في الجاهلية كما يصيب العرب بعضها من بعض وأنا معروف النسب وقد كان رجل من بني سعد ابتاعني فأساء إلي وضرب
وجهي وقد بلغني أنه لا سباء في الإسلام ولا رق على عربي في الإسلام فما فرغ من كلامه حتى أتى مولاه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه على أثره فقال يا أمير المؤمنين هذا غلام ابتعته بذي المجاز وقد كان يقوم في مالي فأساء فضربته ضربة والله ما أعلمني ضربته غيرها قط وإن الرجل ليضرب ابنه أشد منها فكيف بعبده وأنا أشهدك أنه حر لوجه الله تعالى فقال عمر لعبيد قد امتن عليك هذا الرجل وقطع عنك مؤنة البينة فإن أحببت فأقم معه فله عليك منة وإن أحببت فالحق بقومك فأقام مع السعدي وانتسب إلى بني سعد بن بكر بن هوازن وتزوج زينب بنت عرفطة المزنية فولدت له أبا وجزة وأخاه وقال يعقوب وأخاه عبيدا وذكر أن أباهما كان يقال له أبو عبيد ووافق من ذكرت روايته في سائر الخبر فلما بلغ ابناه طلباه بأن يلحق بأصله وينتمي إلى قومه من بني سليم فقال لا أفعل ولا ألحق بهم فيعيروني كل يوم ويدفعوني وأترك قوما يكرموني ويشرفوني فوالله لئن ذهبت إلى بني ظفر لا أرعى طمة ولا أرد جمة إلا قالوا لي يا عبد بني سعد قال وطمة جبل لهم فقال أبو وجزة في ذلك

(أنْمَى فأعْقِلُ في ضَبيسٍ مَعقِلاً ... ضخماً مناكِبُه تميمَ الهادي)
(والعَقدُ في مَلاّن غير مُزَلجٍ ... بقُوىً متيناتِ الحبالِ شِدادِ)

كان أبو وجزة من التابعين
وكان أبو وجزة من التابعين وقد روى عن جماعة من أصحاب رسول الله ورأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم يسند إليه حديثا ولكنه حدث عن ابيه عنه بحديث الاستسقاء ونقل عنه جماعة من الرواة
أخبرني محمد بن خلف وكيع وعمي قالا حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثني إبراهيم بن حمزة قال حدثني موسى بن شيبة قال سمعت أبا وجزة السعدي يقول قال رسول الله ليس شعر حسان بن ثابت ولا كعب بن مالك ولا عبد الله بن رواحة شعرا ولكنه حكمة
فأما خبر الاستسقاء الذي رواه عن أبيه عن عمر فإن الحسن بن علي أخبرنا به قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثني عبد الله بن عمرو عن علي بن الصباح عن هشام بن محمد عن أبيه عن أبي وجزة السعدي عن أبيه قال شهدت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وقد خرج بالناس ليستسقي عام الرمادة فقام وقام الناس خلفه فجعل يستغفر الله رافعا صوته لا يزيد على ذلك فقلت في نفسي ما له لا يأخذ فيما جاء له ولم أعلم أن الاستغفار هو الاستسقاء فما برحنا حتى نشأت سحابة وأظلتنا فسقي
الناس وقلدتنا السماء قلدا كل خمس عشرة ليلة حتى رأيت الأرينة تأكلها صغار الإبل من وراء حقاق العرفط
وأخبرني أبو الحسن الأسدي وهاشم بن محمد الخزاعي جميعا عن الرياشي عن الأصمعي عن عبد الله بن عمر العمري عن أبي وجزة السعدي عن أبيه وذكر الحديث مثله وأخبرني به إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم بن قتيبة واللفظ متقارب وزاد الرياشي في خبره فقلت لأبي وجزة ما حقاق العرفط قال نبات سنتين وثلاث وزاد ابن قتيبة في خبره عليهم قال ومات أبو وجزة سنة ثلاثين ومائة
وهو أحد من شبب بعجوز حيث يقول

(يأيّها الرجلُ الموكَّلُ بالصبا ... فيم ابنُ سبعينَ المعمَّرُ من دَدِ)
(حتّام أنت موكَّلٌ بقديمةٍ ... أمست تَجَدَّدُ كاليماني الجيّدِ)
(زانَ الجلالُ كمالها ورِساً بها ... عقلٌ وفاضِلة وشيمةُ سيّدِ)
(ضنّت بنائلها عليك وأنتما ... غِرّان في طلب الشباب الأغيدِ)
(فالآن ترجو أن تُثيبك نائلا ... هيهات نائلُها مكانَ الفَرقَدِ)

وأخبرنا الحرمي بن أبي العلاء والطوسي جميعا قالا حدثنا الزبير بن بكار
قال حدثني محمد بن الحسن المخزومي عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه عن أبي وجزة السعدي عن أبيه قال استسقى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فلما وقف على المنبر أخذ في الاستغفار فقلت ما أراه يعمل في حاجته ثم قال في آخر كلامه اللهم إني قد عجزت وما عندك أوسع لهم ثم أخذ بيد العباس رضي الله تعالى عنه ثم قال وهذا عم نبيك ونحن نتوسل إليك به فلما أراد عمر رضي الله تعالى عنه أن ينزل قلب رداءه ثم نزل فتراءى الناس طرة في مغرب الشمس فقالوا ما هذا وما رأينا قبل ذلك قزعة سحاب أربع سنين قال ثم سمعنا الرعد ثم انتشر ثم اضطرب فكان المطر يقلدنا قلدا في كل خمس عشرة ليلة حتى رأيت الأرينة خارجة من حقاق العرفط تأكلها صغار الإبل

أبو وجزة يمدح بني الزبير

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي عن جدي قال خرج أبو وجزة السعدي وأبو زيد الأسلمي يريدان المدينة وقد امتدح أبو وجزة آل الزبير وامتدح أبو زيد إبراهيم بن هشام المخزومي فقال له أبو
وجزة هل لك في أن أشاركك فيما أصيب من آل الزبير وتشاركني فيما تصيب من إبراهيم فقال كلا والله لرجائي في الأمير أعظم من رجائك في آل الزبير فقدما المدينة فأتى أبو زيد دار إبراهيم فدخلها وأنشد الشعر وصاح وجلب فقال إبراهيم لبعض أصحابه اخرج إلى هذا الأعرابي الجلف فاضربه وأخرجه فأخرج وضرب وأتى أبو وجزة أصحابه فمدحهم وأنشدهم فكتبوا له إلى مال لهم بالفرع أن يعطى منه ستين وسقا من التمر فقال أبو وجزة يمدحهم

(راحت قَلُوصي رواحا وهي حامدة ... آلَ الزبير ولم تَعدِل بهم أحدا)
(راحت بستين وَسْقا في حقيبتها ... ما حُمِّلت حِملَها الأدنى ولا السَّدَدا)
(ذاك القِرى لا كأقوامٍ عهدتهم ... يَقْرون ضيفَهم الملويّةَ الجُدُدا)

يعني السياط
قال أبو الفرج الأصفهاني قول أبي وجزة

(... راحت بستّين وسقاً في حقيبتها)

أنها حملت ستين وسقا ولا تحمل ناقة ذلك ولا تطيقه ولا نصفه وإنما عنى أنه انصرف عنهم وقد كتبوا له بستين وسقا فركب ناقته والكتاب معه بذلك قد حملته في حقيبتها فكأنها حاملة بالكتاب ستين وسقا لأ أنها أطاقت حمل ذلك وهذا

بيت معنى يسأل عنه
وقال يعقوب بن السكيت فيما حكيناه من روايته التي ذكرها الأخفش لنا عن السكري في شعر ابي وجزة وأخباره كان أبو وجزة قد جاور مزينة وانتجع بلادهم لصهره فيهم فنزل على عمرو بن زياد بن سهيل بن مكدم بن عقيل بن وهب بن عمرو بن مرة بن مازن بن عوف بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان فأحسن عمرو جواره وأكرم مثواه فقال أبو وجزة يمدحه
(لمن دِمنةٌ بالنَّعْفِ عافٍ صعيدُها ... تَغَيَّر باقيها ومَحَّ جديدُها)
(لِسعدة من عامِ الهزيمة إذ بنا ... تصافٍ وإذ لمّا يَرُعنا صدودُها)
(وإذ هي أمّا نفسُها فأريبه ... لِلَهوٍ وأما عن صِباً فتَذُودُها)
(تَصيّدُ ألبابَ الرجالِ بدلِّها ... وشميتُها وَحْشيةٌ لا نَصيدها)
(كباسِقة الوَسْمِيِّ ساعةَ أسبلتْ ... تلألأ فيها البرقُ وابيضّ جِيدُها)
(الباسقة التي فضلت غيرها من الغمام وطالت عليه قال الله تبارك وتعالى (والنخل باسقات
(كبِكرِ تُراني فَرقَدين بقَفْرة ... من الرملِ أو قَيْحانَ لم يَعْسُ عُودُها)
(لعمرو الندى عمرو بن آل مكدّم ... كثيرُ عِليّاتِ الأمورِ جليدها)
(فتًى بين مَسْروحٍ وآلِ مُكدَّمٍ ... وعمروٌ فتى عثمانَ طُرًّا وسيِدُها)
((حليم إذا ما الجهلُ أفرط ذا النهى ... على أمره حامي الحصاة شديدُها
(وما زال ينحو فعلَ مَنْ كان قبله ... مِنَ ابنائه يجني العلا ويُفيدها)
(فكم من خليلٍ قد وصلتَ وطارقٍ ... وقَرّبْتَ مِنْ أدماءَ وارٍ قصيدُها)
(وذي كربةٍ فرّجت كُربةَ همّه ... وقد ظل مُستَدًّا عليه وصِيدُها)
أبو وجزة يتزوج زينب بنت عرفطة
أخبرني عمي قال حدثني العنزي قال حدثنا محمد بن معاوية عن يعقوب بن سلام بن عبد الله بن أبي مسروج قال تزوج أبو وجزة السعدي زينب بنت عرفطة بن سهل بن مكدم المزنية فولدت له عبيدا وكانت قد عنست وكان أبو وجزة يبغضها وإنما أقام عليها لشرفها فقال لها ذات يوم
(أعطَى عُبَيْداً وعبيدٌ مَقْنَعُ ... من عِرمِسٍ مَحْزِمُها جَلَنْفَعُ)
(ذاتِ عِساسٍ ما تكاد تَشْبَعُ ... تجتلِدُ الصحْنَ وما إنْ تَبْضَعَ)
((تمرّ في الدار ولا تَوَرَّعُ ... كأنها فيهمْ شجاعٌ أقرعُ
فقالت زينب أم وجزة تجيبه
(أعْطَى عُبيدا من شُيَيْخ ذي عَجَرْ ... لا حَسَنَ الوجه ولا سمْحٍ يَسَرْ)
(يشرب عُسَّ المَذْق في اليوم الخَصِر ... كأنما يقذف في ذات السُّعُر)
(... تقاذُفَ السيلِ من الشِّعبِ المُضِرّ)
قال وقال أبو وجزة لابنه عبيد
(يا راكب العَنْسِ كمِرادة العَلَمْ ... أصلحكَ اللهُ وأدنى ورحِمْ)
(إن أنت أبلغتَ وأدَّيتَ الكَلِمْ ... عنى عُبيدُ بنَ يزيدَ لو علِمْ)
(قد علِم الأقوام أن سيَنْتقِم ... منك ومن أمّ تلَقّتك وعم)
(ربٌّ يجازى السيئاتِ من ظَلَم ... أنذرتُك الشّدّةَ من لَيثٍ أضِمْ)
(عادٍ أبي شِبلين فَرْفارٍ لَحِمْ ... فارجع إلى أمّك تفرشك ونَمْ)
(إلى عجوزٍ رأسُها مثل الإرَم ... واطعمْ فإنّ الله رَزَّاق الطُّعَمْ)
فقال عبيد لأبيه
((دعها أبا وجزةَ واقعد في الغنْم ... فسوف يكفيك غلامٌ كالزَّلَمْ
(مشمِّرٌ يُرقِل في نعلٍ خَذِمْ ... وفي قَفاه لقمة من اللقم)
(قد ولّهتْ ألّافَها غيرَ لَمَمْ ... حتى تناهت في قفا جَعْدٍ أحَم)
قال يعقوب وقال أبو المزاحم يهجو أبا وجزة ويعيره بنسبه
(دَعَتْك سُليمٌ عبدها فأجبتَها ... وسعدٌ وما ندري لأيهما العبدُ)
فأجابه أبو وجزة فقال
(أعيَّرتموني أنْ دعتني أخاهُم ... سليمٌ وأعطتني بأيمانِها سعدُ)
(فكنتُ وسيطا في سُلَيم معاقِدا ... لسعد وسعدٌ ما يُحَلُّ لها عَقْدُ)
أبو وجزة يمدح عبد الله بن الحسن وإخوته
أخبرني أبو جعفر أحمد بن محمد بن نصر الضبعي إجازة قال حدثنا محمد بن مسعود الزرقي عن مسعود بن المفضل مولى آل حسن بن حسن قال
قدم أبو وجزة السعدي على عبد الله بن الحسن وإخوته سويقة وقد أصابت قومه سنة مجدبة فأنشده قوله يمدحه
(أثْني على ابْنَيْ رسولِ اللهِ أفضَل ما ... أثْنى به أحدٌ يوماً على أحد)
(السيدينِ الكريميْ كلِّ مُنصَرَفٍ ... من والدين ومن صهرٍ ومن ولد)
(ذريّةٌ بعضُها من بعضها عَمِرت ... في أصلِ مجدٍ رضيع السَّمْك والعَمَدِ)
(ما ذا بنى لهمُ من صالحٍ حسنٌ ... وحَسَنٌ وعليٌ وابتنَوْا لغَد)
(فكرَّم اللهُ ذاك البيتَ تكرمةً ... تَبقَى وتخلُد فيه آخرَ الأبد)
(همُ السدَّى والنَّدَى ما في قناتِهِم ... إذا تعوّجت العِيدانُ من أوَد)
(مهذَّبون هِجانٌ أمّهاتُهُم ... إذا نُسِبن زُلالُ البارق البَرِدِ)
(بين الفواطم ماذا ثَمَّ من كرم ... إلى العواتك مجد غير مُنْتَقَدِ)
(ما ينتهي المجد إلا في بني حسن ... وما لهم دونه من دار مُلْتَحَد)
قال فأمر له عبد الله بن الحسن وحسن وإبراهيم بمائة وخمسين دينارا وأوقروا له رواحله برا وتمرا وكسوه ثوبين ثوبين

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان والمدائني جميعا أن عبد الملك بن يزيد بن محمد بن عطية السعدي كان قد ندب لقتال أبي حمزة الأزدي الشاري لما جاء إلى المدينة فغلب عليها قال وبعث إليه مروان بن محمد بمال ففرقه فيمن خف معه من قومه فكان فيمن فرض له منهم أبو وجزة وابناه فخرج معترضا للعسكر على فرس وهو يرتجز ويقول

(قل لأبي حمزة هيدِ هِيدِ ... جئناك بالعادِيَةِ الصِّنديد)
(بالبطل القَرْم أبي الوليد ... فارس قيسٍ نَجدها المعدودِ)
(في خيل قيسٍ والكُماةِ الصِّيدِ ... كالسيف قد سُلَّ من الغُمود)
(محضٍ هِجانٍ ماجدِ الجدودِ ... في الفَرعِ من قيسٍ وفي العمودِ)
(فِدًى لعبد الملك الحميد ... ما لي من الطارفِ والتليد)
(يوم تَنادى الخيل بالصعيد ... كأنه في جُنَن الحديد)
(... سيِدٌ مُدِلٌّ عزّ كلَّ سيدِ)

قال وسار ابن عطية في قومه ولحقت به جيوش أهل الشأم فلقي أبا حمزة في اثني عشرة ألفا فقاتله يوما إلى الليل حتى أصاب صناديد عسكره فنادوه يابن عطية إن الله جل وعز قد جعل الليل سكنا فاسكنوا حتى نسكن فأبى وقاتلهم حتى قتلهم جميعا

أبو وجزة مداح ابن عطية

قال وكان أبو وجزة منقطعا إلى ابن عطية يقوم بقوت عياله وكسوته ويعطيه ويفضل عليه وكان أبو وجزة مداحا له وفيه يقول

(حَنَّ الفؤاد إلى سُعدى ولم تُثبِ ... فيهم الكثيرُ مِنَ التَّحْنَان والطربِ)
(قالت سعادُ أرى من شيبه عجباً ... مهلاً سعادُ فما في الشيب من عجب)

غني في هذين البيتين إسحاق خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها من كتابه

(إمّا تَرَيني كساني الدهرُ شيبتَه ... فإن ما مرّ منه عنكِ لم يَغِبِ)
(سَقْياً لسعدى على شيب ألمّ بنا ... وقبل ذلك حين الرأسُ لم يشِبِ)
(كأن ريقتَها بعد الكرى اغتبقت ... صوبَ الثريا بماء الْكَرْم من حَلَبِ)

وهي قصيدة طويلة يقول فيها

(أهدِي قلاصاً عناجيجاً أضرَّ بها ... نَصُّ الوجيف وتقحيمٌ من العُقَبِ)
(يقصِدْن سيِّد قيسٍ وابنَ سيدها ... والفارسَ العِدَّ منها غير ذي الكذب)
(محمد وأبوه وابنه صنعوا ... له صنائعَ من مجد ومن حَسَب)
((إني مدحتهمُ لمّا رأيت لهمْ ... فضلا على غيرهم من سائر العرب
(إلاّ تُثِبْني به لا يَجْزني أحد ... ومَن يُثيب إذا ما أنت لم تُثِبِ)

والأبيات التي ذكرت فيها الغناء المذكور معه أمر أبي وجزة من قصيدة له مدح بها أيضا عبد الملك بن عطية هذا ومما يختار منها قوله

(حتى إذا هَجَدوا ألمَّ خيالُها ... سِرًّا ألا بإلمامه كان المُنى)
(طَرَقَتْ بريَّا روضةٍ من عالجٍ ... وَسْمِيَّةٍ عذُبت وبيتها النَّدى)
(يا أمّ شيبةَ أيَّ ساعةِ مَطْرَقٍ ... نَبَّهتِنا أين المدينة من بَدا)
(إني متى أقض اللُّبانة أجتهدْ ... عَنَقَ العِتاق الناجياتِ على الوجَى)
(حتى أزورَكِ إن تيسّرَ طائري ... وسلمتُ من ريب الحوادث والردى)

وفيها يقول

(فَلأ مدحنّ بني عطيةَ كلَّهم ... مدحا يوافي في المواسم والقُرى)
(الأكرمين أوائلاً وأواخرا ... والأحلمين إذا تُخُولجَتِ الحُبا)
(والمانعين من الهَضيمة جارَهم ... والجامعين الراقعين لما وَهَى)
((والعاطفين على الضَّريك بفضلهم ... والسابقين إلى المكارم مَنْ سعى

وهي قصيدة طويلة يمدح فيها بني عطية جميعا ويذكر وقعتهم بأبي حمزة الخارجي ولا معنى للإطالة بذكرها

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال كان أبو وجزة السعدي منقطعا إلى آل الزبير وكان عبد الله بن عروة بن الزبير خاصة يفضل عليه ويقوم بأمره فبلغه أن أبا وجزة أتى عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن ابي طالب عليهم السلام فمدحه فوصله فاطرحه ابن عروة وأمسك يده عنه فسأل عن سبب غضبه فأخبره به الأصم بن أرطاة فلم يزل أبو وجزة يمدح آل الزبير ولا يرجع له عبد الله بن عروة إلى ما كان عليه ولا يرضى عنه حتى قال فيه

(آل الزبير بنو حرّة ... مَرَوا بالسيوف صدوراً خِنافا)
(سَلِ الجُرْدَ عنهم وأيّامها ... إذا امتعطوا المُرهَفاتِ الخِفافا)

امتعطوا سلوا ومنه ذئب أمعط منسل من شعره

(يموتون والْقَتْلُ داءٌ لهم ... ويَصلَوْنَ يومَ السِّياف السَّيافا)
(إذا فرج الْقَتْلُ عَنْ عِيصِهمْ ... أبي ذلكَ العيصُ إلاّ التفافا)
((مطاعيمُ تُحْمَدُ أَبْيَاتُهم ... إذا قَنَّعَ الشاهقاتُ الطَّخافا
(وأجْبَنُ مِنْ صافرٍ كلبُهمْ ... إذا قرعته حصاةٌ أضَافا)

فلما أنشد ابن عروة هذه الأبيات رضي عنه وعاد له إلى ما كان عليه

صوت

من المائة المختارة

(ألا هَلْ أسيرُ المالكيّة مُطْلَقُ ... فقد كاد لو لم يُعْفِهِ الله يَغْلَقُ)
(فلا هو مقتولٌ ففي القتل راحة ... ولا مُنْعَمٌ يوماً عليه فَمُعْتَقُ)

الشعر لعقيل بن علفة البيت الأول منه والثاني لشبيب بن البرصاء والغناء لأحمد بن المكي خفيف ثقيل بالوسطى من كتابه فيه لدقاق رمل بالوسطى من كتاب عمرو بن بانة وأوله
(سلا أمَّ عمرو فِيم أضْحَى أسيرُها ... يُفادى الأسارى حوْله وهو مُوثَقُ)
وبعده البيت الثاني وهو
(فلا هو مَقتولٌ ففي القَتْل راحةٌ ... وَلا مُنْعَمٌ يَوْماً عليه فمُعْتَقُ)
والبيتان على هذه الرواية لشبيب بن البرصاء

أخبار عقيل بن علفة

عقيل بن علفة بن الحارث بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر ويكنى أبا العملس وأبا الجرباء
وأم عقيل بن علفة العوراء وهي عمرة بنت الحارث بن عوف بن ابي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة وأمها زينب بنت حصن بن حذيفة هذا قول خالد بن كلثوم والمدائني وقال ابن الأعرابي كانت عمرة العوراء أم عقيل ابن علفة والبرصاء أم شبيب بن البرصاء أختين وهما ابنتا الحارث بن عوف واسم البرصاء قرصافة أمها بنت نجبة بن ربيعة بن رياح بن مالك بن شمخ
وعقيل شاعر مجيد مقل من شعراء الدولة الأموية وكان أعرج جافيا شديد الهوج والعجرفية والبذخ بنسبه في بني مرة لا يرى أن له كفئا وهو في بيت شرف في قومه من كلا طرفيه وكانت قريش ترغب في مصاهرته
تزوج إليه خلفاؤها وأشرافها منهم يزيد بن عبد الملك تزوج ابنته الجرباء وكانت قبله عند ابن عم لعقيل يقال له مطيع بن قطعة بن الحارث بن معاوية وولدت ليزيد بنيا درج وتزوج بنته عمرة سلمة بن عبد الله بن المغيرة فولدت له يعقوب بن سلمة وكان من أشراف قريش وجودائها وتزوج أم عمرو بنته ثلاثة نفر من بني الحكم بن أبي العاص يحيى والحارث وخالد
أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي عن المفضل قال دخل عقيل بن علفة على عثمان بن حيان وهو يومئذ على المدينة فقال له عثمان زوجني ابنتك فقال أبكرة من إبلي تعني فقال له عثمان ويلك أمجنون أنت قال أي شيء قلت لي قال قلت لك زوجني ابنتك فقال أفعل إن كنت عنيت بكرة من إبلي فأمر به فوجئت عنقه فخرج وهو يقول
(كنا بني غَيْظ الرجالِ فأصبحتْ ... بنو مالكٍ غَيْظاً وصرنا كمالكِ)
(لحى اللّه دهراً ذَعْذَع المالَ كلَّه ... وسوَّد أشباه الإماء العَوارك
عقيل يكتف خاطب ابنته ويلقيه في قرية النمل
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال كان لعقيل بن علفة جار من بني سلامان بن سعد فخطب إليه ابنته فغضب عقيل وأخذ السلاماني فكتفه ودهن استه بشحم وألقاه في قرية النمل فأكلن خصييه حتى ورم جسده ثم حله وقال يخطب إلي عبد الملك فأرده وتجترىء أنت علي قال ثم أجدبت مراعي بني مرة فانتجع عقيل أرض جذام وقربهم عذرة قال عقيل فجاءني هني مثل البعرة فخطب إلي ابنتي أم جعفر فخرجت إلى أكمة قريبة من الحي فجعلت أنبح كما ينبح الكلب ثم تحملت وخرجت فاتبعني جمع من حن بطن من عذرة فقالوا اختر إن شئت حبسناك وإن شئت حدرناك وبعيرة من رأس الجبل فإن سبقتها خلينا عنك فأرسلوا بعيرة فسبقتها فخلوا سبيلي فقلت لهم ما طمعتم بهذا من أحد قالوا أردنا أن نضع منك حيث رغبت عنا فقلت فيهم
(لقد هزئتْ حُنٌّ بنا وتلاعبتْ ... وما لعبت حُنٌّ بذي حسب قبلي)
(رويداً بني حُن تسيحوا وتأمنوا ... وتنتشر الأنعامُ في بلد سهل)
واللّه لأموتن قبل أن أضع كرائمي إلا في الأكفاء
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن الضحاك عن أبيه قال وجدت في كتاب بخط الضحاك قال خرج عقيل بن علفة وابناه علفة وجثامة وابنته الجرباء حتى أتوا بنتا له ناكحا في بني مروان بالشام فآمت ثم إنهم قفلوا بها حتى كانوا ببعض الطريق فقال عقيل بن علفة
(قضتْ وطرا من دير سعدٍ وطالما ... على عُرُضٍ ناطحْنه بالجماجم)
(إذا هبطتْ أرضا يموت غرابُها ... بها عطشا أعطينَهم بالخزائِم)
ثم قال أنفذ يا علفة فقال علفة
(فأصبحن بالمَوماة يحملن فِتيةً ... نَشاوَى من الإدلاج مِيلَ العمائم)
(إذا عَلَمٌ غادرنَه بتَنُوفة ... تذارعن بالأيدي لآخر طاسِم)
ثم قال أنفذي يا جرباء فقالت وأنا آمنة قال نعم فقالت
(كأنّ الكرى سقَّاهُم صَرْخَدِيّةً ... عُقَارا تَمشَّى في المطا والقوائم)
فقال عقيل شربتها ورب الكعبة لولا الأمان لضربت بالسيف تحت قرطك أما وجدت من الكلام غير هذا فقال جثامة وهل أساءت إنما أجازت وليس غيري وغيرك فرماه عقيل بسهم فأصاب ساقه وأنفذ السهم ساقه والرحل ثم شد على الجرباء فعقر ناقتها ثم حملها على ناقة جثامة وتركه عقيرا مع ناقة الجرباء ثم قال لولا أن تسبني بنو مرة ما ذقت الحياة ثم خرج متوجها إلى أهله وقال لئن أخبرت أهلك بشأن جثامة أو قلت لهم إنه أصابه غير الطاعون لأقتلنك فلما قدموا على أهل أبير وهم بنو القين ندم عقيل على فعله بجثامة فقال لهم هل لكم في جزور انكسرت قالوا نعم قال فالزموا أثر هذه الراحلة حتى تجدوا الجزور فخرج القوم حتى انتهوا إلى جثامة فوجدوه قد أنزفه الدم فاحتملوه وتقسموا الجزور وأنزلوه عليهم وعالجوه حتى برأ وألحقوه بقومه
ونسخت هذا الخبر من كتاب أبي عبد الله اليزيدي بخطه ولم أجده ذكر سماعه إياه من أحد قال قرىء على علي بن محمد المدائني عن الطرماح بن خليل بن أبرد فذكر مثل ما ذكره الزبير منه وزاد فيه أن القوم احتملوا جثامة ليلحقوه بقومه حتى إذا كانوا قريبا منهم تغنى جثامة
(أيُعْذَر لاهِينا ويُلْحَيْن في الصِّبا ... وما هنّ والفِتيانُ إلا شقائِقُ)
فقال له القوم إنما أفلت من الجراحة التي جرحك أبوك آنفا وقد عاودت ما يكرهه فأمسك عن هذا ونحوه إذا لقيته لا يلحقك منه شر وعر فقال إنما هي خطرة خطرت والراكب إذا سار تغنى

عقل يصاب بالقولنج

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي قال قدم عقيل بن علفة المدينة فنزل على ابن بنته يعقوب بن سلمة المخزومي فمرض وأصابه القولنج فنعتت له الحقنة فأبى وقدم ابنه عليه فبلغه ذلك فقال

(لقد سرني والله وقّاك شرَّها ... نجاؤك منها حين جاء يقودُها)

(كفى خزْيةً ألاّ تزال مُجَبِّيا ... على شكْوة تُوكى وفي استك عُودُها)

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا علي بن محمد عن زيد بن عياش التغلبي والربيع بن ثميل قالا غدا عقيل بن علفة على أفراس له عند بيوته فأطلقها ثم رجع فإذا بنوه مع بناته وأمهم مجتمعون فشد على عملس فحاد عنه وتغنى علفة فقال

(قفي يابنةَ المُرِّي أسألْكِ ما الذي ... تريدين فيما كنتِ مَنَّيتنا قبلُ)

((نخبِّرْك إن لم تنجزي الوعدَ أننا ... ذَوَا خُلة لم يبق بينهما وصلُ)

(فإن شئتِ كان الصُّرم ما هبّت الصبا ... وإن شئتِ لا يفنى التكارم والبذل)

فقال عقيل يابن اللخناء متى منتك نفسك هذا وشد عليه بالسيف وكان عملس أخاه لأمه فحال بينه وبينه فشد على عملس بالسيف وترك علفة لا يلتفت إليه فرماه بسهم فأصاب ركبته فسقط عقيل وجعل يتمعك في دمه ويقول

(إنّ بَنِي سَرْبَلُوني بالدَّم ... من يَلْقَ أبطال الرجال يُكْلَم)

(ومَنْ يكن ذا أوَدٍ يُقَوَّم ... شِنْشِنةٌ أعرفها من أخزم)

قال المدائني شنشنة أعرفها من أخزم مثل ضربه وأخزم فحل كان لرجل من العرب وكان منجبا فضرب في إبل رجل آخر ولم يعلم صاحبه فرأى بعد ذلك من نسله جملا فقال شنشنة أعرفها من أخزم

عمر بن عبد العزيز يعاتبه في شأن بناته

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني سليمان المدائني قال حدثني

مصعب بن عبد الله قال قال عمر بن عبد العزيز لعقيل بن علفة إنك تخرج إلى أقاصي البلاد وتدع بناتك في الصحراء لا كالىء لهن والناس ينسبونك إلى الغيرة وتأبى أن تزوجهن إلا الأكفاء قال إني أستعين عليهن بخلتين تكلآنهن وأستغني عن سواهما قال وما هما قال العري والجوع

نسخت من كتاب محمد بن العباس اليزيدي قال خالد بن كلثوم لما رمى عملس بن عقيل أباه فأصاب ركبته غضب وأقسم ألا يساكن بنيه فاحتمل وخرج إلى الشام فلما استوى على ناقته المسماة بأطلال بكت ابنته جرباء وحنت ناقته فقال

(ألم تريا أطلالَ حَنَّتْ وشاقَها ... تفرُّقُنا يومَ الحبيبِ علي ظهر)

(وأسبل من جرباءَ دمعٌ كأنّه ... جُمانٌ أضاع السلكُ أجْرَتْه في سطر)

(لعمرُك إني يومَ أغدو عَملَّسا ... لكالمتربِّي حَتفَه وهو لا يدري)

(وإني لأسقيه غَبوقي وإنني ... لَغَرْثانُ منهوكُ الذِّراعين والنحر)

قال ومضى علفة أيضا فافترض بالشام وكتب إلى أبيه

(ألا أبلغا عنّي عَقِيلاً رسالةً ... فإنك من حربٍ عليّ كريمُ)

(أما تذكر الأيامَ إذ أنت واحِد ... وإذ كلُّ ذي قُربى إليك ذَميمُ)

(وإذ لا يقيك الناسُ شيئاً تخافُه ... بأنفسهم إلا الذين تَضِيمُ)

(تَناوَل شأْوَ الأبعدين ولم يقم ... لشأوك بين الأقربين أدِيمُ)

((فأمّا إذا عضَّتْ بك الحرب عَضّةً ... فإنك معطوفٌ عليك رحيم

(وأمّا إذا آنسْتَ أمناً ورخْوَةً ... فإنك للقُرْبَى ألدُّ ظَلُومُ)

فلما سمع عقيل هذه الأبيات رضي عنه وبعث إليه فقدم عليه

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي عن محمد بن سلام قال حدثني ابن جعدبة قال عاتب عمر بن عبد العزيز رجلا من قريش أمه أخت عقيل بن علفة فقال له قبحك الله أشبهت خالك في الجفاء فبلغت عقيلا فجاء حتى دخل على عمر فقال له ماوجدت لابن عمك شيئا تعيره به إلا خؤولتي فقبح الله شركما خالا فقال له صخير بن أبي الجهم العدوي وأمه قرشية آمين يا أمير المؤمنين فقبح الله شركما خالا وأنا معكما أيضا فقال له عمر إنك لأعرابي جلف جاف أما لو كنت تقدمت إليك لأدبتك والله لا أراك تقرأ من كتاب الله شيئا قال بلى إني لأقرأ قال فاقرأ فقرأ (إذا زلزلت الأرض زلزالها) حتى بلغ إلى آخرها فقرأ فمن يعمل مثقال ذرة شرا يره ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره فقال له عمر ألم أقل لك إنك لا تحسن أن تقرأ قال أو لم أقرأ قال لا لأن الله جل وعز قدم الخير وأنك قدمت الشر فقال عقيل

(خذا بَطْن هَرْشى أو قَفاها فإنه ... كِلا جانبي هَرْشى لهنّ طريق)

فجعل القوم يضحكون من عجرفيته

وروى هذا الخبر علي بن محمد المدائني فذكر انه كان بين عمر بن

عبد العزيز وبين يعقوب بن سلمة وأخيه عبد الله كلام فأغلظ يعقوب لعمر في الكلام فقال له عمر اسكت فإنك ابن أعرابية جافية فقال عقيل لعمر لعن الله شر الثلاثة مني ومنك ومنه فغضب عمر فقال له صخير بن ابي الجهم آمين فهو والله أيها الأمير شر الثلاثة فقال عمر والله إني لأراك لو سألته عن آية من كتاب الله ما قرأها فقال بلى والله إني لقاريء لآية وآيات فقال فاقرأ فقرأ إنا بعثنا نوحا إلى قومه فقال له عمر قد أعلمتك أنك لا تحسن ليس هكذا قال الله قال فكيف قال قال (إنا أرسلنا نوحا) فقال وما الفرق بين أرسلنا وبعثنا

(خذ أنف هَرْشى أو قَفاها فإنه ... كلا جانبي هَرْشى لهنّ طريقُ)

عقيل يضحك الناس في المسجد

أخبرني عبيد الله بن أحمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثني علي بن محمد المدائني عن عبد الله بن أسلم القرشي قال قدم عقيل بن علفة المدينة فدخل المسجد وعليه خفان غليظان فجعل يضرب برجليه فضحكوا منه فقال ما يضحككم فقال له يحيى بن الحكم وكانت ابنة عقيل تحته يضحكون من خفيك وضربك برجليك وشدة جفائك قال لا ولكن يضحكون من إمارتك فإنها أعجب من خفي فجعل يحيي يضحك

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال حدثني عمي عن عبد الله بن مصعب

قاضي المدينة قال دخل عقيل بن علفة على يحيى بن الحكم وهو يومئذ أمير المدينة فقال له يحيى أنكح ابن خالي يعني ابن أوفى فلانة ابنتك فقال إن ابن
خالك ليرضى مني بدون ذلك قال وما هو قال أن أكف عنه سنن الخيل إذا غشيت سوامه فقال يحيى لحرسيين بين يديه أخرجاه فأخرجاه فلما ولى قال أعيداه إلي فأعاداه فقال عقيل له مالك تكرني إكرار الناضح قال أما والله إني لأكرك أعرج جافيا فقال عقيل كذلك قلت

(تَعَجَّبَتْ إذ رأت رأسي تَجَلَّله ... من الروائع شيبٌ ليس من كِبَر)

(ومن أديمٍ تولّى بعد جِدَّته ... والجفنُ يَخْلق فيه الصَّارمُ الذكَرُ)

فقال له يحيى أنشدني قصيدتك هذه كلها قال ما انتهيت إلا إلى ما سمعت فقال أما والله إنك لتقول فتقصر فقال إنما يكفي من القلادة ما أحاط بالرقبة قال فأنكحني أنا إحدى بناتك قال أما أنت فنعم قال أما والله لأملأنك مالا وشرفا قال أما الشرف فقد حملت ركائبي منه ما أطاقت وكلفتها تجشم ما لم تطق ولكن عليك بهذا المال فإن فيه صلاح الأيم ورضا الأبي فزوجه ثم خرج فهداها إليه فلما قدمت عليه بعث إليها يحيى مولاة له لتنظر إليها فجاءتها فجعلت تغمز عضدها فرفعت يدها فدقت أنفها فرجعت إلى يحيى وقالت بعثتني إلى أعرابية مجنونة صنعت بي ما ترى فنهض إليها يحيى فقال لها مالك قالت ما أردت أن بعثت إلي أمة تنظر إلي ما أردت بما فعلت إلا أن يكون نظرك إلي قبل كل ناظر فإن رأيت حسنا كنت قد سبقت إلى بهجته وإن رأيت قبيحا كنت أحق من ستره فسر بقولها وحظيت عنده
وذكر المدائني هذا الخبر مثله إلا أنه قال فيه فإن كان ما تراه حسنا كنت أول من رآه وإن كان قبيحا كنت أول من واراه
أخبرني ابن دريد قال حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال خطب يزيد بن عبد الملك إلى عقيل بن علفة ابنته الجرباء فقال له عقيل قد زوجتكها على أن لا يزفها إليك أعلاجك أكون أنا الذي أجيء بها إليك قال ذلك لك فتزوجها ومكثوا ما شاء الله ثم دخل الحاجب على يزيد فقال له بالباب أعرابي على بعير معه امرأة في هودج قال أراه والله عقيلا قال فجاء بها حتى أناخ بعيرها على بابه ثم أخذ بيدها فأذعنت فدخل بها على الخليفة فقال له إن أنتما ودن بينكما فبارك الله لكما وإن كرهت شيئا فضع يدها في يدي كما وضعت يدها في يدك ثم برئت ذمتك فحملت الجرباء بغلام ففرح به يزيد ونحله وأعطاه ثم مات الصبي فورثت أمه منه الثلث ثم ماتت فورثها زوجها وأبوها فكتب إليه إن ابنك وابنتك هلكا وقد حسبت ميراثك منهما فوجدته عشرة آلاف دينار فهلم فاقبضه فقال إن مصيبتي بابني وابنتي تشغلني عن المال وطلبه فلا حاجة لي في ميراثهما وقد رأيت عندك فرسا سبقت عليه الناس فأعطنيه أجعله فحلا لخيلي وأبى أن يأخذ المال فبعث إليه يزيد بالفرس
أخبرنا عبيد الله بن محمد قال حدثنا الخراز عن المدائني عن إسحاق بن يحيى قال رأيت رجلا من قريش يقول له عقيل بن علفة بالرفاء والبنين والطائر المحمود فقلت له يابن علفة إنه يكره أن يقال هذا فقال يابن أخي ما تريد إلى ما أحدث إن هذا قول أخوالك في الجاهلية إلى اليوم لا يعرفون غيره قال فحدثت به الزهري فقال إن عقيلا كان من أجهل الناس قال وإنما قال لإسحاق بن يحيى بن طلحة هذا قول أخوالك لأن أم يحيى بن طلحة مرية
قال المدائني وحدثني علي بن بشر الجشمي قال قال الرميح خطب إلى عقيل رجل من بني مرة كثير المال يغمز في نسبه فقال

(لَعمْري لئن زوّجتُ من أجل ماله ... هجيناً لقد حُبَّتْ إليَّ الدراهم)

(أأُنكِحُ عبداً بعدَ يحيى وخالدٍ ... أولئك أكفائي الرجالُ الأكارمُ)

(أبى ليَ أنْ أرضى الدنيّةَ أنني ... أمُدُّ عِناناً لم تخنْه الشكائمُ)

نسخت من كتاب محمد بن العباس اليزيدي بخطه يأثره عن خالد بن كلثوم بغير إسناد متصل بينهما أن رجلا من بني مرة يقال له داود أقبل على ناقة له فخطب إلى عقيل
ابن علفة بعض بناته فنظر إليه عقيل وإن السيف لا يناله فطعن ناقته بالرمح فسقطت وصرعته وشد عليه عقيل فهرب وثار عقيل إلى ناقته فنحرها وأطعمها قومه وقال

(ألم تَقلْ يا صاحبَ القَلُوص ... داودَ ذا الساج وذا القميص)

(كانت عليه الأرض حِيصٍ بيص ... حتى يَلُفّ عِيصَه بعيصي)

(... وكنتُ بالشبان ذا تقميص)

فقال داود فيه من أبيات

(أراه فتى جَعَلَ الحلال ببيته ... حراماً ويَقْري الضيفَ عَضْباً مهنّدا)

وقال المدائني حدثني جوشن بن يزيد قال لما تزوج عقيل بن علفة زوجته الأنمارية وقد كبر فرت منه فلقيها جحاف وأحد بني قتال بن يربوع فحملها إلى عامل فدك واصبح عقيل معها فقال الأمير لعقيل ما لهذه تستعدي عليك يا أبا الجرباء فقال عقيل كل ذكري وذهب ذفري وتغايب نفري فقال خذ بيدها فأخذها وانصرف فولدت له بعد ذلك علفة الأصغر

شعره يحرض بني سهم على بني جوشن

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال لما نشبت الحرب بين بني جوشن وبين بني سهم بن مرة رهط عقيل بن علفة المري وهو من بني غيظ بن مرة بن سهم بن مرة إخوتهم فاقتتلوا في أمر يهودي خمار كان جارا لهم فقتلته بنو جوشن من غطفان وكانوا متقاربي المنازل وكان عقيل بن علفة بالشأم غائبا عنهم فكتب إلى بني سهم يحرضهم

(فإمّا هلكتُ ولم آتِكُمْ ... فأبْلِغْ أماثلَ سَهْمٍ رَسُولا)

(بأن التي سامكُمْ قومُكُمْ ... لقد جعلوها عليكم عُدولا)

(هوان الحياة وضيْمُ الممات ... وكلاّ أراه طعاماً وبيلا)

(فإن لم يكن غيرُ إحداهما ... فسيروا إلى الموتِ سيراً جميلا)

(ولا تقعدوا وبكم مُنّةٌ ... كفى بالحوادث للمرء غُولا)

قال فلما وردت الأبيات عليهم تكفل بالحرب الحصين بن الحمام المري أحد بني سهم وقال إلي كتب وبي نوه خاطب أماثل سهم وأنا من أماثلهم فأبلى في تلك الحروب بلاء شديدا وقال الحصين بن الحمام في ذلك من قصيدة طويلة له

(يَطَأْن من القَتْلى ومن قِصَدِ القَنا ... خَباراً فما ينهضْنَ إلا تَقَحُّما)

((عليهنّ فِتْيانٌ كساهم محرّقٌ ... وكان إذا يَكْسو أجادَ وأكرما

(صفائحَ بُصْرى أخلصَتْها قُيونُها ... ومطَّرِداً من نسجِ داودَ محكَما)
(تأخرت أستبقي الحياة فلم أجدْ ... لنفسي حياة مثلَ أن أتقدما)
وقال المدائني قال جراح بن عصام بن بجير عدت بنو جعفر بن كلاب على جار لعقيل فأطردت إبله وضربوه فغدا عقيل على جارٍ لهم فضربه وأخذ إبله فأطردها فلم يردها حتى ردوا إبل جاره وقال في ذلك
(إن يَشْرَق الكلبيُّ فيكم بريقه ... بني جعفر يُعْجَلْ لجاركُم القتلُ)
(فلا تحسبوا الإسلام غيَّر بعدكم ... رماحَ مواليكم فذاكَ بكم جهلُ)
(بني جعفر إن ترجعوا الحرب بيننا ... نَدِنْكم كما كنا نَدِينُكُم قبلُ)
(بدأتم بجاري فانثنيتُ بجاركم ... وما منهما إلا له عندنا حَبْلُ)
وذكر المدائني أيضا
بنو سلامان يأسرونه ويطلقه بنو القين
أن عقيلا كان وحده في إبله فمر به ناس من بني سلامان فأسروه ومروا به في طريقه علىناس من بني القين فانتزعوه منهم وخلوا سبيله فقال عقيل في ذلك
((أسعدَ هُذَيْم إن سعداً أباكُم ... أبي لا يوافي غايةَ القَيْنِ من كلبِ
(وجاء هُذَيمٌ والركاب مُناخةٌ ... فقيل تأخَّرْ يا هذيمُ على العَجْبِ)
(فقال هذيم إن في العَجْبِ مركبي ... ومركب آبائي وفي عَجْبها حَسْبي)
قال وسعد هذيم هم عذرة وسلامان والحارث وضبة
عقيل يرثي ابنه علفة
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو مسلم عن المدائني عن عبد الحميد بن أيوب بن محمد بن عميلة قال مات علفة بن عقيل الأكبر بالشأم فنعاه مضرس بن سوادة لعقيل بأرض الجناب فلم يصدقه وقال
(قَبَح الآلهُ ولا أُقبِّح غيره ... ثَفَرَ الحمارِ مضرِّس بنِ سَوَادِ)
(تَنْعَى امرأ لم يَعْلُ أمَّك مثلُهُ ... كالسيف بين خضارمٍ أنجادِ)
ثم تحقق الخبر بعد ذلك فقال يرثيه
(لَعَمْري لقد جاءت قوافل خبَّرت ... بأمرٍ من الدنيا عليّ ثقيل)
(وقالوا ألا تبكي لمصرع فارسٍ ... نعتْه جنودُ الشام غيرِ ضئيل)
((فأقسمتُ لا أبكي على هُلْك هالكٍ ... أصاب سبيلَ اللّهِ خيرَ سبيل
(كأن المنايا تبتغي في خيارنا ... لها نسباً أو تهتدي بدليل)
(تَحُلُّ المنايا حيثُ شاءت فإنها ... مُحَلَّلةٌ بعد الفتى ابن عَقِيل)
(فتًى كان مولاه يَحُلُّ برَبْوَةٍ ... مَحلَّ الموالي بعده بمَسِيل)
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال كان عقيل بن علفة قد أطرد بنيه فتفرقوا في البلاد وبقي وحده ثم إن رجلا من بني صرمة يقال له بجيل وكان كثير المال والماشية حطم بيوت عقيل بماشيته ولم يكن قبل ذلك أحد يقرب من بيوت عقيل إلا لقي شرا فطردت صافنة أمة له الماشية فضربها بجيل بعصا كانت معه فشجها فخرج إليه عقيل وحده وقد هرم يومئذ وكبرت سنه فزجره فضربه بجيل بعصاه واحتقره فجعل عقيل يصيح يا علفة يا عملس يا فلان يا فلان بأسماء أولاده مستغيثا بهم وهو يحسبهم لهرمه أنهم معه فقال له أرطاة بن سهية
(أكلتَ بَنِيكَ أكلَ الضبِّ حتى ... وجدتَ مرارةَ الكلأ الوبيلِ)
(ولو كان الألى غابوا شهوداً ... منعتَ فِناء بيتِك من بَجِيل)
وبلغ خبر عقيل ابنه العملس وهو بالشام فأقبل إلى أبيه حتى نزل إليه ثم عمد إلى بجيل فضربه ضربا مبرحا وعقر عدة من إبله وأوثقه بجبل وجاء
به يقوده حتى ألقاه بين يدي أبيه ثم ركب راحلته وعاد من وقته إلى الشام لم يطعم لأبيه طعاما ولم يشرب شرابا
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا ابن عائشة قال نزل أعرابي على المقشعر بن عقيل بن علفة المري فشربا حتى سكرا وناما فانتبه الأعرابي مروعا في الليل وهو يهذي فقال له المقشعر مالك قال هذا ملك الموت يقبض روحي فوثب ابن عقيل فقال لا والله ولا كرامة ولا نعمة عين له أيقبض روحك وأنت ضيفي وجاري فقال بأبي أنتم وأمي طال والله ما منعتم الضيم وتلفف ونام
تمت أخبار عقيل ولله الحمد والمنة
قد مضت أخبار عقيل فيما تقدم من الكتاب ونذكرها هنا أخبار شبيب ابن البرصاء ونسبه لأن المغنين خلطوا بعض شعره ببعض شعر عقيل في الغناء الماضي ذكره ونعيدها هنا من الغناء ما شعره لشبيب خاصة وهو
صوت
من المائة المختارة
(سَلاَ أمَّ عمرو فيم أضحى أسيرُها ... تُفادي الأسارى حوله وهو موثقُ)
(فلا هو مقتول ففي القتل راحَةٌ ... ولا منعَمٌ يوما عليه فمطْلَقُ)
ويروى
(...ولا هو مَمْنونٌ عليه فمطلقُ)
الشعر لشبيب بن البرصاء والغناء لدقاق جارية يحيى بن الربيع رمل بالوسطى عن عمرو وذكر حبش أن فيه رملا آخر لطويس
أخبار شبيب بن البرصاء ونسبه
هو شبيب بن يزيد بن جمرة وقيل جبر بن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن سعد بن ذبيان والبرصاء أمه واسمها قرصافة بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة وهو ابن خالة عقيل بن علفة وأم عقيل عمرة بنت الحارث بن عوف ولقبت قرصافة البرصاء لبياضها لا لأنها كان بها برص وشبيب شاعر فصيح إسلامي من شعراء الدولة الأموية بدوي لم يحضر إلا وافدا أو منتجعا وكان يهاجي عقيل بن علفة ويعاديه لشراسة كانت في عقيل وشر عظيم

وكلاهما كان شريفا سيدا في قومه في بيت شرفهم وسؤددهم وكان شبيب أعور أصاب عينة رجل من طيء في حرب كانت بينهم
أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم السجستاني عن أبي عبيدة قال
دخل أرطاة بن سهية على عبد الملك بن مروان وكان قد هاجى شبيب بن البرصاء فأنشده قوله فيه
(أبي كان خيراً من أبيك ولم يزلْ ... جنِيباً لآبائي وأنت جَنِيبُ)
فقال له عبد الملك كذبت ثم أنشده البيت الآخر فقال
(وما زلتُ خيراً منك مذ عضّ كارهاً ... برأسك عاديُّ النِّجادِ رَكُوبُ)
فقال له عبد الملك صدقت وكان أرطاة أفضل من شبيب نفسا وكان شبيب أفضل من أرطاة بيتا
شبيب يهجو عقيل بن علفة
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال فاخر عقيل بن علفة شبيب بن البرصاء فقال شبيب يهجوه ويعيره برجل من طيء كان يأتي أمه عمرة بنت الحارث يقال له حيان ويهجو غيظ بن مرة
(ألسنا بفَرْعٍ قد علمتم دعامةً ... ورابيةً تنشقّ عنها سيولُها)
((وقد علِمتْ سعد بن ذُبيان أننا ... رحاها الذي تأوى إليها وجولُها
(إذا لم نَسُسْكم في الأمور ولم نَكُنْ ... لحربٍ عَوانٍ لاقِحٍ مَنْ يؤولها)
(فلستم بأهدى في البلاد مِن التي ... تَرَدَّدُ حَيْرَى حين غاب دليلُها)
(دعت جُلُّ يربوع عقيلاً لحادثٍ ... من الأمر فاستخفى وأعيا عقيلُها)
(فقلت له هلاّ أجبتَ عشيرةً ... لطارقِ ليلٍ حين جاء رسولُها)
(وكائِن لنا من رَبْوة لا تنالها ... مَراقيك أو جُرثومةٍ لا تطولُها)
(فخرْتَ بأيامٍ لغيرك فخرُها ... وغُرّتُها معروفةٌ وحُجُولُها)
(إذا الناس هابوا سَوْءةً عَمَدتْ لها ... بنو جابر شُبّانُها وكُهولُها)
(فهَلاّ بني سعدٍ صَبَحْتَ بغارةٍ ... مُسوَّمةٍ قد طار عنها نَسيلُها)
(فتدرك وتراً عند ألأم واتر ... وتُدْركَ قتلى لم تُتمَّمْ عقولُها)
وقال أبو عمرو اجتمع عقيل بن علفة وشبيب بن البرصاء عند يحيى بن الحكم فتكلما في بعض الأمر فاستطال عقيل على شبيب بالصهر الذي بينه وبين بني مروان وكان زوج ثلاثا من بناته فيهم فقال شبيب يهجوه
(ألا أبلغ أبا الْحَرْباء عنّي ... بآياتِ التباغض والتَّقالي)
((فلا تذكُرْ أباك العبدَ وافخر ... بأمّ لستَ مُكرِمَها وخال
(وهبها مُهْرةً لَقِحت ببغل ... فكان جنينُها شرّ البغال)
(إذا طارت نفوسُهُمُ شَعاعاً ... حَمَيْنَ المُحْصَناتِ لدى الحِجالِ)
(بطعنٍ تعثُرُ الأبطالُ منه ... وضربٍ حيثُ تُقْتَنَصُ العَوالِي)
(أبى لي أنّ آبائي كرام ... بَنوْا لي فوق أشرافٍ طِوالِ)
(بيوتَ المجد ثم نموت منها ... إلى علياءَ مُشْرِفةِ القَذالِ)
(تَزِلُّ حِجارةُ الرامين عنها ... وتقصُر دونها نَبلُ النِّضال)
(أبِالْحُفَّاثِ شرِّ الناس حيًّا ... وأعناقِ الأُيورِ بني قِتال)
(رفَعتَ مساميَاً لتنالَ مجداً ... فقد أصبحتَ منهم في سَفَالِ)
قال أبو عمرو بنو قتال إخوة بني يربوع رهط عقيل بن علفة وهم قوم فيهم جفاء قال أبو عمرو مات رجل منهم فلفه أخوه في عباءة له وقال أحدهما للآخر كيف تمله قال كما تحمله القربة فعمد إلى حبل فشد طرفه في عنقه وطرفه في ركبتيه وحمله على ظهره كما تحمل القربة فلما صار به إلى الموضع الذي يريد دفنه فيه حفر له حفيرة وألقاه فيها وهال عليه التراب حتى واراه فلما انصرفا قال له يا هناه أنسيت الحبل في عنق
أخي ورجليه وسيبقى مكتوفا إلى يوم القيامة قال دعه يا هناه فإن يرد الله به خيرا يحلله
خطب بنت يزيد بن هاشم فرده ثم قبله فأبى
وقال أبو عمرو خطب شبيب بن البرصاء إلى يزيد بن هاشم بن حرملة المري ثم الصرمي ابنته فقال هي صغيرة فقال شبيب لا ولكنك تبغي أن تردني فقال له يزيد ما أردت ذاك ولكن أنظرني هذا العام فإذا انصرم فعلي أن أزوجك فرحل شبيب من عنده مغضبا فلما مضى قال ليزيد بعض أهله والله ما أفلحت خطب إليك شبيب سيد قومك فرددته قال هي صغيرة قال إن كانت صغيرة فستكبر عنده فبعث إليه يزيد ارجع فقد زوجتك فإني أكره أن ترجع إلى أهلك وقد رددتك فأبى شبيب أن يرجع وقال
(لعَمْري لقد أشرفتُ يومَ عُنَيزةٍ ... على رغبةٍ لو شدّ نفسي مَريرها)
(ولكنّ ضعفَ الأمر ألاّ تُمِرَّه ... ولا خيرَ في ذي مِرّةٍ لا يُغيرُها)
(تُبيَّنُ أدبارُ الأمورِ إذا مضت ... وتُقبِلُ أشباهاً عليك صدورُها)
(تُرجِّي النفوسُ الشيءَ لا تستطيعه ... وتَخشى من الأشياء ما لا يَضيرُها)
(ألا إنما يكفي النفوس إذا اتّقت ... تُقَى الله مما حاذَرتْ فيُجيرُها)
(ولا خيرَ في العِيدان إلا صِلاُبها ... ولا ناهِضاتِ الطيرِ إلا صُقورُها)
((ومستنبِحٍ يدعو وقد حال دونه ... من الليل سِجْفَا ظُلْمةٍ وستورُها
(رفعتُ له ناري فلما اهتدى لها ... زجرتُ كلابي أن يَهِر عَقورُها)
(فبات وقد أسرَى من الليل عُقْبَةً ... بليلةِ صِدْقٍ غاب عنها شُرُورُها)
(وقد علِم الأضياف أنّ قِراهمُ ... شِواءُ المَتالي عندنا وقَدِيرُها)
(إذا افتخرت سعدُ بنُ ذُبيان لم يَجِد ... سوى ما بنينا ما يَعُدّ فَخورها)
(وإني لتَرّاكُ الضغينةِ قد بدا ... ثَراها من المَولَى فلا أستثيرها)
(مخافةَ أن تجني عليّ وإنما ... يهيج كبيراتِ الأمور صغيرُها)
(إذا قِيلت العَوراءُ وليَّتُ سمعَها ... سواي ولم أسمع بها ما دَبِيرُها)

(وحاجةِ نفسٍ قد بلغتُ وحاجةٍ ... تركتُ إذا ما النفس شحَّ ضميرها)
(حياءً وصبراً في المواطن إنني ... حييٌّ لَدَى أمثالِ تلك سَتيرها)
(وأحبِس في الحق الكريمةَ إنما ... يقوم بحق النائبات صَبورها)
(أحابي بها الحيَّ الذي لا تُهِمُّه ... وأحسابَ أمواتٍ تُعَدّ قبورها)
(ألم تر أنّا نورُ قوم وإنما ... يُبيِّن في الظلماء للناس نورُها)
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن عبد الله بن آدم بن جشم العبدي قال كانت بين بني كلب وقوم من قيس ديات فمشى القوم إلى أبناء أخواتهم
من بني أمية يستعينون بهم في الحمالة فحملها محمد بن مروان كلها عن الفريقين ثم تمثل بقول شبيب بن البرصاء
(ولقد وقفتُ النفسَ عن حاجاتِها ... والنَّفسُ حاضِرةُ الشَّعاعِ تَطَلَّعُ)
(وغرمت في الحَسَبِ الرفيع غَرامةً ... يَعيا بها الحَصِر الشَّحيحُ ويظْلَعُ)
(إنّي فتىً حرٌّ لِقَدْرِيَ عارفٌ ... أُعطي به وعليه مِمَّا أمنَع)
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا إسحاق بن محمد النخعي قال حدثني الحرمازي قال نزل شبيب بن البرصاء وأرطاة بن زفر وعويف القوافي برجل من أشجع كثير المال يسمى علقمة فأتاهم بشربة لبن ممذوقة ولم يذبح لهم فلما رأوا ذلك منه قاموا إلى رواحلهم فركبوها ثم قالوا تعالوا حتى نهجو هذا الكلب فقال شبيب
(أفِي حَدَثانِ الدهر أمْ في قديمه ... تعلّمتَ ألاّ تَقْرِيَ الضيفَ علقما)
وقال أرطاة
((لبِثنا طويلاً ثم جاء بمَذْقَةٍ ... كماء السَّلاَ في جانب القَعْبِ أثْلَما)
وقال عويف
(فلما رأينا أنه شرّ منزلٍ ... رمينا بهنّ الليلَ حتى تُخُرِّما)
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن القحذمي قال غاب شبيب بن البرصاء عن أهله غيبة ثم عاد بعد مدة وقد مات جماعة من بني عمه فقال شبيب يرثيهم
(تخرَّم الدهرُ إخواني وغادرني ... كما يُغَادِرُ ثورُ الطارد الفَنَدُ)
(إني لباقٍ قليلاً ثم تابِعُهم ... ووارِدٌ مَنهلَ القومِ الذي وَرَدُوا)
قال أبو عمرو هاجى شبيب بن البرصاء رجلا من غني أو قال من باهلة فأعانه أرطاة بن سهية على شبيب فقال شبيب
(لعمري لئن كانت سهيّة أوضعت ... بأرطاة في رَكْبِ الخيانة والغدر)
(فما كان بالطِّرْف العَتِيق فيُشتَرَى ... لِفِحلته ولا الجوادِ إذا يجري)
(أتنْصُرُ مني معشراً لستَ منهم ... وغيرُك أولى بالحِياطةِ والنصر)
ويروى وقد كنت أولى بالحياطة وهو أجود
وقال أبو عمرو استعدى رهط أرطأة بن سهية على شبيب بن البرصاء إلى عثمان بن حيان المري وقالوا له يعمنا بالهجاء ويشتم أعراضنا فأمر بإشخاصه إليه فأشخص ودخل إلى عثمان وقد أتي بثلاثة نفر لصوص قد أفسدوا في الأرض يقال لهم بهدل ومثغور وهيصم فقتل بهدلا وصلبه وقطع مثغورا والهيصم ثم أقبل على شبيب فقال كم تسب أعراض قومك وتستطيل عليهم أقسم قسما حقا لئن عاودت هجاءهم لأقطعن لسانك فقال شبيب
(سجنتَ لساني يابن حيّان بعدما ... تولّى شبابي إنّ عَقْدك مُحْكَمُ)
(وَعيدُك أبقى من لساني قُذَاذَةً ... هُبُوباً وصمتاً بعدُ لا يتكلم)
(رأيتك تَحْلَوْلي إذا شئت لامرىءٍ ... ومُرّاً مُراراً فيه صابٌ وعَلْقَم)
(وكلّ طريدٍ هالكٌ مُتَحَيِّر ... كما هلك الحيرانُ والليل مظلم)
(أصبتَ رجالاً بالذنوب فأصبحوا ... كما كان مثغورٌ عليك وهَيْصَمُ)
(خطاطِيفُك اللاتي تخطّفن بَهْدَلاً ... فأوفى به الأشرافَ جِذْعٌ مقوَّمُ)
(يداك يَدَا خير وشرٍّ فمنهما ... تَضُرُّ وللأخرى نَوالٌ وأنعُمُ)
دعيج بن سيف يرميه فيصيب عينه
وقال أبو عمرو استاق دعيج بن سيف بن جذيمة بن وهب الطائي ثم الجرمي إبل شبيب بن البرصاء فذهب بها وخرج بنو البرصاء في الطلب فلما واجهوا بني جرم قال شبيب اغتنموا بني جرم فقال أصحابه لسنا طالبين إلا أهل القرحة فمضوا حتى أتوا دعيجا وهو برأس الجبل فناداه
شبيب يا دعيج إن كانت الطراف حية فلك سائر الإبل فقال يا شبيب تبصر رأسها من بين الإبل فنظر فأبصرها فقال شبيب شدوا عليه واصعدوا وراءه فأبوا عليه فحمل شبيب عليه وحده ورماه دعيج فأصاب عينه فذهب بها وكان شبيب أعور ثم عمي بعد ما أسن فانصرف وانصرف معه بنو عمه وفاز دعيج بالإبل فقال شبيب
(أمرتُ بني البرصاء يومَ حُزابَةٍ ... بأمرٍ جميعٍ لم تَشتَّتْ مصادِرُهْ)
(بشَوْل ابنِ معروفٍ وحسّانَ بعدما ... جرَى لي يُمنٌ قد بدا لي طائرُهْ)
(أيرجِعِ حرٌّ دون جَرْم ولم يكن ... طِعانٌ ولا ضربٌ يُذَعْذِع عاسِرُه)
(فأذهَبَ عيني يومِ سفح سَفِيرةٍ ... دُعَيجُ بنُ سيفٍ أعوزتْه معاذِرُهْ)
(ولمّا رأيت الشَّوْلَ قد حال دونها ... من الهَضْبِ مُغْبَرٌّ عنيفٌ عمائرُه)
(وأعرض ركنٌ من سَفيرةَ يُتَّقَى ... بشُمِّ الذُّرَا لا يعبُدُ اللّهَ عامِرُه)
(أخذت بني سيفٍ ومالِكَ مَوْقِعٍ ... بما جرّ مولاهمْ وجرّت جرائرُه)
(ولو أنّ رِجْلي يوم فرّ ابنُ جَوْشنٍ ... عَلِقن ابن ظبي أعوزته مَغاوِرُه)
أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثنا العمري عن عاصم بن الحدثان قال هجا أرطاة بن سهية شبيب بن البرصاء ونفاه عن بني عوف فقال
(فلو كنتَ عَوْفِياً عميتَ وأسْهَلَتْ ... كُدَاكَ ولكنّ المُريب مُريب)
قال فعمي شبيب بن البرصاء بعد موت أرطاة بن سهية فكان يقول ليت ابن سهية حيا حتى يعلم أني عوفي قال والعمى شائع في بني عوف إذا أسن الرجل منهم عمي وقل من يفلت من ذلك منهم

وحدثني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان قوله

(بَكَر العواذِل يبتدِرْن ملامتي ... والعاذِلون فكلُّهم يَلْحَاني)

(في أن سبقتُ بشربة مَقَدِيَّةٍ ... صرفٍ مُشَعْشَعَةٍ بماءِ شُنَانِ)

فقال له عبد الملك شبيب بن البرصاء أكرم منك وصفا لنفسه حيث يقول

(وإني لسهلُ الوجه يُعرَف مجلسي ... إذا أحزنَ القاذورةُ المتعبِّسُ)

(يضيء سَنَا جودي لمن يبتغي القِرَى ... وليلُ بخيل القوم ظَلماءُ حِندِسُ)

(ألينُ لذي القُربى مِراراً وتلتوي ... بأعناقِ أعدائي حبالٌ تَمرَّسُ)

قال وكان عبد الملك يتمثل بقول شبيب في بذل النفس عند اللقاء ويعجب به

(دعانِي حِصنٌ للفِرار فساءني ... مواطِنُ أن يُثْنَى عليّ فأُشْتَما)

(فقلت لحصنٍ نَحِّ نفسَك إنما ... يذُود الفتى عن حوضه أن يُهَدَّما)

(تأخّرتُ أستبقي الحياةَ فلم أجِد ... لنفسي حياةً مثلَ أن أتقدّما)

(سيكفيك أطرافَ الأسنّة فارسٌ ... إذا ريعَ نادَى بالجواد وبالحِمَى)

(إذا المرءُ لم يَغْشَ المكارهَ أوشكَتْ ... حِبالُ الهُوَيْنَى بالفتى أن تَجَذَّما)

نسخت من كتاب أبي عبد الله اليزيدي ولم أقرأه عليه قال خالد بن كلثوم كان الذي هاج الهجاء بين شبيب بن البرصاء وعقيل بن علفة أنه كان لبنى نشبة جار من بني سلامان بن سعد فبلغ عقيلا عنه أنه يطوف في بني مرة يتحدث إلى النساء فامتلأ عليه غيظا فبينا هو يوما جالس وعنده غلمان له وهو يجز إبلا له على الماء ويسمها إذ طلع عليه السلاماني على راحلته فوثب عليه هو وغلمانه فضربوه ضربا مبرحا وعقر راحلته وانصرف من عنده بشر فلم يعد إلى ذلك الموضع ولج الهجاء بينهما وكان عقيل شرسا سيء الخلق غيورا

أخبار دقاق

كانت دقاق مغنية محسنة جميلة الوجه قد أخذت عن أكابر مغني الدولة العباسية وكانت ليحيى بن الربيع فولدت له أحمد ابنه وعمر عمرا طويلا وحدثنا عنه جحظة ونظراؤه من أصحابنا وكان عالما بأمر الغناء والمغنين وكان يغني غناء ليس بمستطاب ولكنه صحيح ومات يحيى بن الربيع فتزوجت بعده من القواد والكتاب بعده فماتوا وورثتهم

فحدثني عمي قال حدثني أحمد بن الطيب السرخسي قال كانت دقاق أم ولد يحيى بن الربيع أحمد المعروف بابن دقاق مغنية محسنة متقنة الأداء والصنعة وكانت قد انقطعت إلى حمدونة بنت الرشيد ثم إلى غضيض وكانت مشهورة بالظرف والمجون والفتوة قال أحمد بن الطيب وعتقت دقاق فتزوجها بعد مولاها ثلاثة من القواد من وجوههم فماتوا جميعا فقال عيسى بن زينب يهجوها

(قلتُ لمّا رأيتُ دارَ دقاقٍ ... حسنُها قد أضرّ بالعشاقِ)

(حذِّروا الرابعَ الشَّقِيَّ دِقاقاً ... لا يكوننَّ نجمُه في مُحاقِ)

((ألْهُ عن بَضْعِها فإن دُقاقاً ... شُؤْمُ حِرِها قد سار في الآفاق)

(لم تضاجع بعلاً فهبّ سليماً ... بل جريحاً وجُرحُه غير راقي)

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني الهدادي الشاعر قال حدثني أبو عبد الله بن حمدون وأخبرني جحظة عن ابن حمدون ورواية الكوكبي أتم قال كتبت دقاق إلى أبي تصف هنها صفة أعجزه الجواب عنها فقال له صديق له ابعث إلى بعض المخنثين حتى يصف متاعك فيكون جوابها فأحضر بعضهم وأخبره الخبر اكتب إليها عندي القوق البوق الأصلع المزبوق الأقرع المفروق المنتفخ العروق يسد البثوق ويفتق الفتوق ويرم الخروق ويقضي الحقوق أسد بين حملين بغل بين حملين منارة بين صخرتين رأسه رأس كلب واصله مترس درب إذا دخل حفر وإذا خرج قشر لو نطح الفيل كوره ولو دخل البحر كدره إذا رق الكلام وتقاربت الأجسام والتفت الساق بالساق ولطخ باطنها بالبصاق وقرع البيض بالذكور وجعلت الرماح تمور بطعن الفقاح

وشق الأحراح صبرنا فلم نجزع وسلمنا طائعين فلم نخدع قال فقطعها

حدثني عمي قال حدثني أحمد بن الطيب قال حدثني أحمد بن علي بن جعفر قال حضرت مرة مجلسا وفيه ابن دقاق وفيه النصراني المعروف بأبي الجاموس اليعقوبي البزاز قرابة بلال قال فعبث ابن دقاق بأبي الجاموس فلما أكثر عليه قال اسمعوا مني ثم حلف بالحنيفية أنه لا يكذب وحدثنا قال مضيت وأنا غلام مع أستاذي إلى باب حمدونة بنت الرشيد ومعنا بز نعرضه للبيع فخرجت إلينا دقاق أم هذا تقاولنا في ثمن المتاع وفي يدها مروحة على أحد وجهيها منقوش الحر إلى أيرين أحوج من الأير إلى حرين وعلى الوجه الآخر كما أن الرحا إلى بغلين أحوج من البغل إلى رحوين قال فأسكته والله سكوتا علمنا معه أنه لو خرس لكان الخرس أصون لعرضه مما جرى

قال أحمد وفي دقاق يقول عيسى بن زينب وكان لها غلامان خلاسيان يروحانها في الخيش فتحدث الناس أنها قالت لواحد منهما أن

ينيكها فعجز فقالت له نكني وأنت حر فقال لها نيكيني أنت وبيعيني في الأعراب فقال فيها عيسى بن زينب

(أحسنُ من غنّى لنا أو شدَا ... دقاقُ في خفضٍ من العيش)

(لها غلامان ينيكانِها ... بعِلّة الترويح في الخيش)

حدثني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال كانت دقاق جارية يحيى بن الربيع تواصل جماعة كانوا يميلون إليها وتري كل واحد منهم أنها تهواه وكانت أحسن أهل عصرها وجها وأشأمهم على من رابطها وتزوجها فقال فيها أبو إسحاق يعني أباه

صوت

(عدِمتُكِ يا صديقَة كلِّ خَلْقٍ ... أكلَّ الناس ويحكِ تعشقَينا)

(فكيف إذا خلطتِ الغثّ منهم ... بلحمِ سمينِهم لا تبشمِينا)

فيه خفيف رمل ينسب إلى إبراهيم بن المهدي وإلى ريق وإلى شارية

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثنا أبو هفان قال خرج يحيى بن الربيع مولى دقاق وكانت قد ولدت منه ابنه أحمد بن يحيى إلى بعض النواحي وترك جاريته دقاق في داره فعملت بعده الأوابد وكانت من أحسن الناس

وجها وغناء وأشأمه على أزواجها ومواليها وربطائها فقال أبو موسى الأعمى فيه
(قل ليحيى نعمْ صَبَرْتَ على الموت ... ولم تخشَ سهْمَ ريبِ المَنونِ)
(كيف قل لي أطَقْتَ ويحكَ يا يحيى ... على الضّعف منك حملَ القُرونِ)
(ويحُ يحيى ما مرّ باست دُقاقٍ ... بعد ما غاب من سِياط البطونِ)
صوت من المائة المختارة
(تكاشرني كُرْهاً كأنك ناصحٌ ... وعينُك تُبْدِي أن صدرك لي دَوِي)
(لسانُكَ لي حلوٌ وعينك علقمٌ ... وشرُّك مبسوط وخيرُك مُلْتَوِي)
الشعر ليزيد بن الحكم الثقفي والغناء لابراهيم ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لجهم العطار خفيف ثقيل عن الهشامي
نسب يزيد بن الحكم وأخباره
هو يزيد بن الحكم بن عثمان بن أبي العاص صاحب رسول الله كذلك وجدت نسبه في نسخة ابن الأعرابي وذكر غيره أنه يزيد بن الحكم بن أبي العاص وأن عثمان عمه وهذا هو القول الصحيح وأبو العاص بن بشر بن عبد دهمان بن عبد الله بن همام بن أبان بن يسار بن مالك بن حطيط بن جشم بن قسي وهو ثقيف
وعثمان جده أو عم أبيه أحد من أسلم من ثقيف يوم فتح الطائف هو وأبو بكرة وشط عثمان بالبصرة منسوب إليه كانت له هناك أرض أقطعها وابتاعها وقد روى عن رسول الله الحديث وروى عنه الحسن بن أبي الحسن ومطرف بن عبد الله بن الشخير وغيرهما من التابعين
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا بشر بن موسى قال حدثنا الحميدي قال حدثنا سفيان سمعه من محمد بن اسحاق وسمعه محمد من سعيد بن أبي هند وسمعه سعيد بن أبي هند من مطرف بن عبد الله بن الشخير قال سمعت عثمان بن أبي العاص الثقفي يقول قال لي رسول الله
أم قومك واقدرهم بأضعفهم فإن منهم الضعيف والكبير وذا الحاجة قال الحميدي وحدثنا الفضيل بن عياض عن أشعث عن الحسن عن عثمان بن أبي العاص قال قال رسول الله اتخذوا مؤذنا ولا يأخذ على أذانه أجرا
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا العلاء بن الفضل قال حدثني أبي قال مر الفرزدق بيزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي وهو ينشد في المجلس شعرا فقال من هذا الذي ينشد شعرا كأنه من أشعارنا فقالوا يزيد بن الحكم فقال نعم أشهد بالله أن عمتي ولدته وأم يزيد بكرة بنت الزبرقان بن بدر وأمها هنيدة بنت صعصعة بن ناجية وكانت بكرة أول عربية ركبت البحر فأخرج بها إلى الحكم وهو بتوج وكان الزبرقان يكنى أبا العباس وكان له بنون منهم العباس وعياش
أخباره مع الحجاج
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثنا الحزامي قال
دعا الحجاج بن يوسف بيزيد بن الحكم الثقفي فولاه كورة فارس ودفع إليه عهده بها فلما دخل عليه ليودعه قال له الحجاج أنشدني بعض شعرك وإنما أراد أن ينشده مديحا له فأنشده قصيدة يفخر فيها ويقول
(وأبي الذي سلب ابن كَسرى رايةً ... بيضاءَ تَخْفِقُ كالعُقاب الطائر)
فلما سمع الحجاج فخره نهض مغضبا فخرج يزيد من غير أن يودعه فقال الحجاج لحاجبه ارتجع منه العهد فإذا رده فقل له أيهما خير لك ما ورثك أبوك أم هذا فرد على الحاجب العهد وقال قل له
(ورثتُ جدّي مجدَه وفَعالَه ... وورثتَ جدَّك أعْنُزاً بالطائف)
وخرج عنه مغضبا فلحق بسليمان بن عبد الملك ومدحه بقصيدته التي أولها
(أمسَى بأسماءَ هذا القلبُ مَعْمودا ... إذَا أقول صَحَا يَعْتادُه عِيدا)
يقول فيها
(سُمِّيتَ باسم امرىء أشبَهْتَ شيمتَه ... عدلاً وفضلاً سليمانَ بن داوُدا)
(أحْمِدْ به في الوَرَى الماضينَ من مَلِكٍ ... وأنت أصبحت في الباقين محمودا)
(لا يَبْرأ الناس من أن يحمدوا مَلِكاً ... أولاهُمُ في الأمور الحلم والجودا)
فقال له سليمان وكم كان أجرى لك لعمالة فارس قال عشرين
ألفا قال فهي لك علي ما دمت حيا وفي أول هذه القصيدة غناء نسبته
صوت
(أمسى بأسماءَ هذا القلب معمودا ... إذا أقول صحا يعتاده عِيدا)
(كأنَّ أحور من غِزلان ذي بَقَرٍ ... أهدَى لها شَبَهَ العينين والجِيدا)
(أجري على مَوعدٍ منها فتُخلِفُني ... فلا أَمَلُّ ولا تُوفي المواعيدا)
(كأنني يوم أُمْسِي لا تُكَلِّمُني ... ذُو بُغْية يبتغي ما ليس موجودا)
ومن الناس من ينسب هذه الأبيات إلى عمر بن أبي ربيعة وذلك خطأ
عروضه من البسيط - والغناء للغريض ثقيل أول بالبنصر في مجراها عن إسحاق وذكر عمرو بن بانة أنه لمعبد ثقيل أول - بالوسطى
أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال أخبرنا ابن عياش عن أبيه قال سمعت الحجاج واستوى جالسا ثم قال صدق والله زهير بن أبي سلمى حيث يقول
(ومَا العفوُ إلا لامرىءٍ ذي حفيظة ... متى يَعْفُ عن ذنب امرىء السَّوءِ يَلْجِجِ)
فقال له يزيد بن الحكم أصلح الله الأمير إني قد رثيت ابني عنبسا ببيت إنه لشبيه بهذا قال وما هو قال قلت
(ويأمنُ ذو حِلْمِ العشيرة جهلَه ... عليه ويخشَى جهلَه جُهَلاؤها)
قال فما منعك أن تقول مثل هذا لمحمد ابني ترثيه به فقال إن ابني والله كان أحب إلي من ابنك
وهذه الأبيات من قصيدة أخبرني بها عمي عن الكراني عن الهيثم بن عدي قال كان ليزيد بن الحكم ابن يقال له عنبس فمات فجزع عليه جزعا شديدا وقال يرثيه
(جزَى الله عني عَنْبَساً كلَّ صالحٍ ... إذا كانت الأولادُ سَيْئاً جزاؤها)

(هو ابني وأمسى أجرُه لي وعزّني ... على نفسه ربٌّ إليه وَلاؤها)
(جهولٌ إذا جَهْلُ العشيرة يُبتَغى ... حليمٌ ويرْضَى حلمَه حُلَماؤها)
وبعد هذا البيت المذكور في الخبر الأول
عبد الملك يفضله على شاعر ثقيف
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن لقيط قال قال عبد الملك بن مروان كان شاعر ثقيف في الجاهلية خيرا من شاعرهم في الإسلام فقيل له من يعني أمير المؤمنين فقال لهم أما شاعرهم في الإسلام فيزيد بن الحكم حيث يقول
(فما منك الشبابُ ولستَ منه ... إذا سألَتْك لحيتُك الخِضَابا)
(عقائلُ من عقائلِ أهل نَجد ... ومكّة لم يُعَقِّلْنَ الركابا)
(ولم يَطرُدن أبقعَ يوم ظعنٍ ... ولا كلباً طردن ولا غرابا)
وقال شاعرهم في الجاهلية
((والشيب إن يظهرْ فإنّ وراءه ... عُمُراً يكون خلالَه مُتَنَفَّسُ)
(لم يَنتقِص منّي المشيبُ قُلاَمةً ... ولَمَا بَقِي مِنّي ألَبُّ وأكيَسُ)
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن لقيط قال قال يزيد بن الحكم الثقفي ليزيد بن المهلب حين خلع يزيد بن عبد الملك
(أبا خالد قد هِجْتَ حرباً مريرةً ... وقد شمرتْ حربٌ عوانٌ فشمِّر)
فقال يزيد بن المهلب بالله أستعين ثم أنشده فلما بلغ قوله
(فإنّ بني مروان قد زال مُلكُهُمْ ... فإن كنتَ لم تَشْعُر بذلك فاشعُر)
فقال يزيد بن المهلب ما شعرت بذلك ثم أنشده فلما بلغ قوله
(فمت ماجداً أو عش كريماً فإن تَمُتْ ... وسيفك مشهور بكفك تُعذر)
فقال هذا ما لا بد منه
قال العمري وحدثني الهيثم بن عدي عن ابن عياش أن يزيد بن المهلب إنما كتب إليه يزيد بن الحكم بهذه الأبيات فوقع إليه تحت البيت الأول أستعين بالله وتحت البيت الثاني ما شعرت وتحت الثالث أما هذه فنعم
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني الغلابي قال حدثني ابن عائشة قال دخل يزيد بن الحكم على يزيد بن المهلب في سجن الحجاج وهو
يعذب وقد حل عليه نجم كان قد نجم عليه وكانت نجومه في كل أسبوع ستة عشر ألف درهم فقال له
(أصبح في قَيْدِك السماحةُ والجودُ ... وفضل الصّلاحِ والحَسَبُ)
(لا بَطِرٌ إن تتابعتْ نَعَمٌ ... وصابرٌ في البلاء محتَسِبُ)
(بزْزتَ سَبْق الجيادِ في مَهَلٍ ... وقصَّرَتْ دون سَعْيك العرَبُ)
قال فالتفت يزيد بن المهلب إلى مولى له وقال أعطه نجم هذا الأسبوع ونصبر على العذاب إلى السبت الآخر
وقد رويت هذه الأبيات والقصة لحمزة بن بيض مع يزيد
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني هارون بن مسلم قال حدثني عثمان بن حفص قال حدثني عبد الواحد عريف ثقيف بالبصرة أن العباس بن يزيد بن الحكم الثقفي هرب من يوسف بن عمر إلى اليمامة قال فجلست في مسجدها وغشيني قوم من أهلها قال فوالله إني لكذلك إذا أنا بشيخ قد دخل يترجح في مشيته فلما رآني أقبل إلي فقال
القوم هذا جرير فأتاني حتى جلس إلى جنبي ثم قال لي السلام عليك ممن أنت قلت رجل من ثقيف قال أعرضت الأديم ثم ممن قلت رجل من بني مالك فقال لا إله إلا الله أمثلك يعرف بأهل بيته فقلت أنا رجل من ولد أبي العاص قال ابن بشر قلت نعم قال أيهم أبوك قلت يزيد بن الحكم قال فمن الذي يقول
(فَنِيَ الشّبابُ وكلُّ شيء فانٍ ... وعلا لِداتي شيبهمُ وعلاني)
قلت أبي قال فمن الذي يقول
(ألا لا مرحباً بفراق ليلى ... ولا بالشيب إذ طَرَدَ الشبابا)
(شبابٌ بان محموداً وشيبٌ ... ذميمٌ لم نجِد لهما اصطحابا)
(فما منك الشبابُ ولستَ منه ... إذا سألتك لِحيتُك الخضابا)
قلت أبي قال فمن الذي يقول
(تعالَوْا فعُدّوا يعلم الناسُ أينا ... لصاحبه في أوّل الدهر تابعُ)
(تزيدُ يربوعٌ بكم في عِدادها ... كما زيد في عَرْض الأديم الأكارعُ)
قال قلت غفر الله لك كان أبي أصون لنفسه وعرضه من أن يدخل بينك وبين ابن عمك فقال رحم الله أباك فقد مضى لسبيله ثم انصرف فنزلني بكبشين فقال لي أهل اليمامة ما نزل أحدا قبلك قط
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن إبراهيم الموصلي عن يزيد حوراء المغني قال
شعره في جارية غير مطاوعة له
كان يزيد بن الحكم الثقفي يهوى جارية مغنية وكانت غير مطاوعة له فكان يهيم بها ثم قدم رجل من أهل الكوفة فاشتراها فمرت بيزيد بن الحكم مع غلمة لمولاها وهي راحلة فلما علم بذلك رفع صوته فقال
(يا أيّها النازحُ الشّسوعُ ... ودائعُ القلب لا تَضِيعُ)
(أستودِعُ الله مَنْ إليه ... قلبي على نأيه نَزُوعُ)
(إذا تذكرتُه استهلت ... شوقاً إلى وجهه الدموعُ)
ومضت الجارية وغاب عنه خبرها مدة فبينا هو جالس ذات يوم إذ وقف عليه كهل فقال له أأنت يزيد بن الحكم قال نعم فدفع إليه كتابا مختوما ففضه فإذا كتابها إليه وفيه
(لئن كوى قلبَكَ الشّسوعُ ... فالقلبُ مني به صُدوعُ)

(وبي وربِّ السماءِ فاعلم ... إليك يا سيدي نُزُوعُ)
(أعزِزْ علينا بما تلاقي ... فينا وإن شَفَّنا الولوعُ)
(فالنفس حَرَّى عليكِ وَلْهَى ... والعين عَبْرَى لها دموع)
(فموتنا في يد التنائي ... وعيشنا القربُ والرجوعُ)
(وحيثما كنتَ يا منايا ... فالقلب مِنّي به خُشوعُ)
(ثم عليك السلام منّي ... ما كان شمسها طلوعُ)
قال فبكى والله حتى رحمه من حضر وقال لنا الكهل ما قصته فأخبرناه بما بينهما فجعل يستغفر الله من حمله الكتاب إليه وأحسب أن هذا الخبر مصنوع ولكن هكذا أخبرنا به ابن أبي الأزهر

شعر نسب إليه وإلى طرفة بن العبد

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال أنشدني أبو الزعراء رجل من بني قيس بن ثعلبة لطرفة بن العبد
(تُكاشرني كرهاً كأنك ناصح ... وعينك تُبدي أن صدرك لي جَوي)
قال فعجبت من ذلك وأنشدته أبا عمرو بن العلاء وقلت له إني كنت أرويه ليزيد بن الحكم الثقفي فأنشدنيه أبو الزعراء لطرفة بن العبد فقال لي أبو عمرو إن أبا الزعراء في سن يزيد بن الحكم ويزيد مولد يجيد الشعر وقد يجوز أن يكون أبو الزعراء صادقا
قال مؤلف هذا الكتاب ما أظن أبا الزعراء صدق فيما حكاه لأن العلماء من رواة الشعر رووها ليزيد بن الحكم وهذا أعرابي لا يحصل ما يقوله ولو كان هذا الشعر مشكوكا فيه أنه ليزيد بن الحكم وليس كذلك لكان معلوما أنه ليس لطرفة ولا موجودا في شعره على سائر الروايات ولا هو أيضا مشبها لمذهب طرفة ونمطه وهو بيزيد أشبه وله في معناه عدة قصائد يعاتب فيها أخاه عبد ربه بن الحكم وابن عمه عبد الرحمن بن عثمان بن أبي العاص ومن قال إنه ليزيد بن الحكم بن عثمان قال إن عمه عبد الرحمن هو
الذي عاتبه وفيه يقول
(ومَولًى كذئبِ السَّوء لو يستطيعني ... أصاب دمي يوماً بغير قتيل)
(وأُعْرِضُ عما ساءه وكأنما ... يقاد إلى ما ساءني بدليل)
(مجامَلةً منّي وإكرامَ غيرِه ... بلا حَسنٍ منه ولا بجميل)
(ولو شئت لولا الحلم جدّعتُ أنفه ... بإيعاب جَدْعٍ باديءٍ وعليل)
(حفاظاً على أحلام قوم رُزِئْتُهم ... رزانٍ يَزينون النّدِيَّ كُهولِ)
وقال في أخيه عبد ربه
(أخي يُسِرُّ ليَ الشَّحْناءَ يُضْمِرها ... حتى وَرَى جَوْفَه من غِمْرِه الداءُ)
(حَرّانُ ذو غُصّة جُرِّعتُ غُصّتَه ... وقد تعرّض دون الغصةِ الماءُ)
(حتى إذا ما أساغ الريقَ أنزلني ... منه كما يُنزل الأعداء أعداءُ)
(أسعى فيَكفُرُ سعيي ما سعيتُ له ... إني كذاك من الإخوان لَقّاءُ)
(وكم يدٍ ويدٍ لي عنده ويدٍ ... يعدّهن تِراتٍ وهْيَ آلاءُ)
فأما تمام القصيدة التي نسبت إلى طرفة فأنا أذكر منها مختارها ليعلم أن مرذول كلام طرفة فوقه
(تُصافِحُ من لاقيتَ لي ذا عداوةِ ... صِفاحاً وعنّي بين عينيك مُنْزَوي)
(اراك إذا لم أهْوَ أمراً هَويتَه ... ولستَ لِما أهوَى من الأمر بالهَوي)
(أراك اجتويتَ الخيرَ مني وأجتوي ... أذاكَ فكلٌّ يجتوي قُرْبَ مجتوي)
((فليت كَفافاً كان خيرُك كلّه ... وشرُّك عني ما ارتوى الماءَ مرتوي
(عدوّك يخشى صولتي إن لقيتُه ... وأنت عدوّي ليس ذاك بمستوي)
(وكم موطنٍ لولاي طِحتَ كما هَوَى ... بأجرامه من قُلّة النِّيق مُنهوي)
(إذا ما ابتنى المجدَ ابنُ عمِك لم تُعِن ... وقلتَ ألا يا ليت بنيانَه خَوِي)
(كأنك إن نال ابنُ عمِّك مَغْنَماً ... شجٍ أو عميدٌ أو أخو غُلّة لَوي)
(وما برحتْ نفسٌ حسودٌ حُشيتَها ... تُذِيبُكَ حتى قيل هل أنت مكتوي)
(جمعتَ وفُحشاً غِيبةً ونميمةً ... ثلاثَ خصالٍ لستَ عنهن نرعوي)
(ويدحو بك الداحي إلى كلّ سَوْءةٍ ... فيا شرَّ من يدحو إلى شر مُدْحَوي)
(بدا منك غِشٌّ طالما قد كتمته ... كما كتمتْ داءَ ابنها أمّ مُدَّوي)
وهذا شعر إذا تأمله من له في العلم أدنى سهم عرف أنه لا يدخل في
مذهب طرفة ولا يقاربه

صوت من المائة المختارة

(أبى القلب إلا أُمَّ عوفٍ وحُبَّها ... عجوزاً ومن يعشقْ عجوزاً يُفَنَّدِ)
(كثوب يمانٍ قد تقادمَ عهدُه ... ورُقعتُه ما شئتَ في العين واليد)
الشعر لأبي الأسود الدؤلي والغناء لعلويه ثقيل أول بالبنصر عن عمرو بن بانة

أخبار أبي الأسود الدؤلي ونسبه

اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن نفاثة بن عدي بن الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار وهم إخوة قريش لأن قريشا مختلف في الموضع الذي افترقت فيه مع أبيها فخصت بهذا الاسم دونهم وأبعد من قال في ذلك مدى من زعم أن النضر بن كنانة منتهى نسب قريش فأما النسابون منهم فيقولون إن من لم يلده فهر بن مالك بن النضر فليس قرشيا
وكان أبو الأسود الدؤلي من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدثيهم وقد روى عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما فأكثر وروى عن ابن عباس وغيره واستعمله عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم وكان من وجوه شيعة علي وذكر أبو عبيدة أنه أدرك أول الإسلام وشهد بدرا مع المسلمين وما سمعت بذلك عن

غيره
وأخبرني عمي عن ابن أبي سعد عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد السلمي عن أبي عبيدة مثله
أبو الأسود واضع بناء النحو واصوله
واستعمله علي رضي الله عنه على البصرة بعد ابن عباس وهو كان الأصل في بناء النحو وعقد أصوله
أخبرنا أبو جعفر بن رستم الطبري النحوي بذلك عن أبي عثمان المازني عن أبي عمر الجرمي عن أبي الحسن الأخفش عن سيبويه عن الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي عن عنبسة الفيل وميمون الأقرن عن يحيى بن يعمر الليثي
أن أبا الأسود الدؤلي دخل إلى ابنته بالبصرة فقالت له يا أبت ما أشد الحر رفعت أشد فظنها تسأله وتستفهم منه أي زمان الحر أشد فقال لها شهر ناجر يريد شهر صفر الجاهلية كانت تسمي شهور السنة بهذه الأسماء فقالت يا أبت إنما أخبرتك ولم أسألك فأتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب لما خالطت العجم وأوشك إن تطاول عليها زمان أن تضمحل فقال له وما ذلك فأخبره خبر ابنته فأمره فاشترى صحفا بدرهم وأمل عليه الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى وهذا القول أول كتاب سيبويه ثم رسم أصول النحو كلها فنقلها النحويون وفرعوها قال أبو الفرج الأصبهاني هذا حفظته عن أبي جعفر وأنا حديث السن فكتبته من حفظي واللفظ يزيد وينقص وهذا معناه
كان أول من نقط المصاحف
أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني قال
أمر زياد أبا الأسود الدؤلي أن ينقط المصاحف فنقطها ورسم من النحو
رسوما ثم جاء بعده ميمون الأقرن فزاد عليه في حدود العربية ثم زاد فيها بعده عنبسة بن معدان المهري ثم جاء عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء فزادا فيه ثم جاء الخليل بن أحمد الأزدي وكان صلبية فلحب الطريق ونجم على ابن حمزة الكسائي مولى بني كاهل من أسد فرسم للكوفيين رسوما هم الآن يعملون عليها
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال حدثنا التوزي والمهري قالا حدثنا كيسان بن المعرف الهجيمي أبو سليمان عن أبي سفيان بن العلاء عن جعفر بن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي عن أبيه قال قيل لأبي الاسود من أين لك هذا العلم يعنون به النحو فقال أخذت حدوده عن علي بن أبي طالب عليه السلام
خبره مع زياد في سبب وضع النحو
أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثني عبيد الله بن محمد عن عبد الله بن شاكر العنبري عن يحيى بن آدم عن أبي بكر عياش عن عاصم بن أبي النجود قال أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي جاء إلى زياد بالبصرة فقال له أصلح الله الأمير إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وتغيرت ألسنتهم أفتأذن لي أن أضع لهم علما يقيمون به كلامهم قال لا قال ثم جاء زيادا رجل فقال مات أبانا وخلف بنون فقال زياد مات أبانا وخلف بنون ردوا إلي أبا الأسود الدؤلي فرد إليه فقال ضع للناس ما نهيتك
عنه فوضع لهم النحو وقد روى هذا الحديث عن أبي بكر بن عياش يزيد بن مهران فذكر أن هذه القصة كانت بين أبي الأسود وبين عبيد الله بن زياد
أخبرني أحمد بن العباس قال حدثنا العنزي عن أبي عثمان المازني عن الأخفش عن الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله بن أبي إسحاق عن أبي حرب بن الأسود قال أول باب وضعه أبي من النحو باب التعجب
وقال الجاحظ أبو الأسود الدؤلي معدود في طبقات من الناس وهو في كلها مقدم مأثور عنه الفضل في جميعها كان معدودا في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والأشراف والفرسان والأمراء والدهاة والنحويين والحاضري الجواب والشيعة والبخلاء والصلع الأشراف والبخر الأشراف
حديثه عن عمر بن الخطاب وعلي
فما رواه من الحديث عن عمر مسندا عن النبي حدثنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي قال حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب قال حدثنا يونس بن محمد قال حدثنا داود بن أبي الفرات عن عبد الله بن ابي بريدة عن أبي الأسود الدؤلي قال أتيت المدينة فوافقتها وقد وقع فيها مرض فهم يموتون موتا ذريعا فجلست إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فمرت به جنازة فأثني على صاحبها خير فقال عمر رضي الله عنه وجبت ثم مر بأخرى فأثني على صاحبها بشر فقال عمر رضي الله عنه وجبت فقال أبو الأسود ما وجبت يا أمير المؤمنين فقال قلت كما قال رسول الله أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة فقلنا وثلاثة قال وثلاثة فقلنا واثنان قال واثنان ثم لم نسأله عن الواحد
حدثني حماد بن سعيد قال حدثنا أبو خيثمة قال حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي عن قتادة عن أبي الأسود الدؤلي قال خطب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الناس يوم الجمعة فقال إن نبي الله قال لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة حتى يأتي أمر الله جل وعز
ومما رواه عن علي بن أبي طالب عليه السلام أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي قال حدثنا هناد بن السري قال حدثنا عبدة بن سليمان عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي عن ابيه أبي الأسود الدؤلي عن علي كرم الله وجهه أنه قال في بول الجارية يغسل وفي بول الغلام ينضح ما لم يأكلا الطعام
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا البغوي قال حدثنا علي بن الجعد قال حدثنا معلى بن هلال عن الشعبي وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمر قال حدثنا عرم بن شبة قال حدثنا المدائني جميعا قالوا لما خرج ابن عباس رضي الله عنهما إلى المدينة من البصرة تبعه أبو الأسود في قومه ليرده فاعتصم عبد الله بأخواله من بني هلال فمنعوه وكادت تكون بينهم حرب فقال لهم بنو هلال ننشدكم الله ألا تسفكوا بيننا دماء تبقى معها العداوة إلى آخر الأبد وأمير المؤمنين أولى بابن عمه فلا تدخلوا أنفسكم بينهما فرجعت كنانة عنه وكتب أبو الأسود إلى علي عليه السلام فأخبره بما جرى فولاه البصرة
كان كاتبا لابن عباس على البصرة
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي ووكيع وعمي قالوا جميعا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال حدثني خالد بن
عبد الله قال حدثني أبو عبيدة معمر بن المثنى قال كان أبو الأسود الدؤلي كاتبا لابن عباس على البصرة وهو الذي يقول

(وإذا طلبتَ من الحوائج حاجةً ... فادْعُ الإله وأحسِنِ الأعمالا)
(فَلْيُعْطِيَنَّكَ ما أراد بقدرة ... فهو اللطيف لِما أراد فِعالا)
(إن العبادَ وشأنَهم وأمورَهم ... بيدِ الإله يقلِّبُ الأحوالا)
(فدع العبادَ ولا تكن بطلابِهم ... لَهِجاً تَضَعْضَعُ للعباد سؤالا)
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي عن محمد بن سلام قال كان أبو الأسود الدؤلي قد أسن وكبر وكان مع ذلك يركب إلى المسجد والسوق ويزور اصدقاءه فقال له رجل يا أبا الأسود أراك تكثر الركوب وقد ضعفت عن الحركة وكبرت ولو لزمت منزلك كان أودع لك فقال له أبو الأسود صدقت ولكن الركوب يشد أعضائي وأسمع من أخبار الناس ما لا أسمعه في بيتي واستنشي الريح وألقى إخواني ولو جلست في بيتي لاغتم بي أهلي وأنس بي الصبي واجترأ علي الخادم وكلمني من أهلي من يهاب كلامي لإلفهم إياي وجلوسهم عندي حتى لعل العنز أن تبول علي فلا يقول لها أحد هس
أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثنا أبو عكرمة قال كان بين بني الديل وبين بني ليث منازعة فقتلت بنو الديل منهم رجلا ثم اصطلحوا بعد ذلك على أن يؤدوا ديته فاجتمعوا إلى أبي الأسود يسألونه المعاونة على أدائها وألح عليه غلام منهم ذو بيان وعارضة فقال له يا أبا الأسود أنت شيخ العشيرة وسيدهم وما يمنعك من معاونتهم قلة ذات يد ولا سؤدد ولا جود فلما أكثر أقبل عليه أبو الأسود ثم قال له قد أكثرت يابن أخي فاسمع مني إن الرجل والله ما يعطي ماله إلا لإحدى خلال إما رجل أعطى ماله رجاء مكافأة ممن يعطيه أو رجل خاف على نفسه فوقاها بماله أو رجل أراد وجه الله وما عنده في الدار الآخرة أو رجل أحمق خدع عن ماله ووالله ما أنتم إحدى هذه الطبقات ولا جئتم في شيء من هذا ولا عمك الرجل العاجز فينخدع لهؤلاء ولما أفدتك إياه في عقلك خير لك من مال أبي الأسود لو وصل إلى بني الديل قوموا إذا شئتم فقاموا يبادرون الباب
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال كان طريق أبي الأسود الدؤلي إلى المسجد والسوق في بني تميم الله بن ثعلبة وكان فيهم رجل متفحش يكثر الأستهزاء بمن يمر به فمر به أبو الأسود الدؤلي يوما فقال لقومه كأن وجهه أبي الأسود وجه عجوز راحت إلى أهلها بطلاق فضحك القوم وأعرض عنهم أبو الأسود ثم مر به مرة أخرى فقال لهم كأن غضون قفا أبي الأسود غضون الفقاح فأقبل عليه أبو الأسود فقال له هل تعرف فقحة أمك فيهن فأفحمه وضحك القوم منه وقاموا
إلى أبِي الأسود فاعتذروا إليه مما كان ولم يعاوده الرجل بعد ذلك وقال فيه أبو الأسود بعد ذلك حين رجع إلى أهله
(وأهْوجَ مِلْجاجٍ تصامَمتُ قبله ... أنَ اسمعَه وما بِسمْعيَ مِن باسِ)
(ولو شئت قد أعرضتُ حتى أصيبَه ... على أنفه حَدباء تُعْضِل بالأسِي)
(فإن لساني ليس أهونَ وَقْعةً ... وأصغَرَ آثاراً من النحتِ بالفاسِ)
(وذي إحنةٍ لم يُبْدِها غيرَ أنه ... كذي الخَبْل تأبَى نفسُه غيرَ وَسواسِ)
(صفَحتُ له صفحاً جميلاً كصفحه ... وعيني وما يدري عليه وأحراسي)
(وعندي له إن فار فوّارُ صدره ... فَحاً جبليٌّ لا يعاوده الحاسِي)
(وخِبٍّ لحومُ الناس أكثرُ زادِه ... كثير الخنَا صَعْبِ المحَالةِ هَمَّاسِ)
(تركتُ له لحمي وأبقيت لحمه ... لِمن نابه من حاضِرِ الجنّ والناسِ)
(فكَرَّ قليلاً ثم صدَّ كأنما ... يَعَضُّ بصُمٍّ من صَفَا جبلٍ راسِي)
أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني قال خرج أبو الأسود الدؤلي ومعه جماعة أصحاب له إلى الصيد فجاءه أعرابي فقال له السلام عليك فقال له أبو الأسود كلمة مقولة قال أدخل قال وراؤك أوسع لك قال إن الرمضاء قد أحرقت رجلي قال بل عليها أو ائت الجبل يفيء عليك قال هل عندك شيء تطعمنيه قال نأكل ونطعم العيال فإن فضل شيء فأنت أحق به من الكلب فقال الأعرابي ما رأيت قط ألأم منك قال أبو الأسود بلى قد رأيت ولكنك قد أنسيت

أبو الأسود وابن أبي الحمامة

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن المدائني بهذا الخبر فقال فيه كان أبو الأسود جالسا في دهليزه وبين يديه رطب فجاز به رجل من الأعراب يقال له ابن أبي الحمامة فسلم ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدمه وزاد عليه فقال أنا ابن أبي الحمامة قال كن ابن أبي طاوسة وانصرف قال أسألك بالله إلا أطعمتني مما تأكل قال فألقى إليه أبو الأسود ثلاث رطبات فوقعت إحداهن في التراب فأخذها يمسحها بثوبه فقال له أبو الأسود دعها فإن الذي تمسحها منه أنظف من الذي تمسحها به فقال إنما كرهت أن أدعها للشيطان فقال له لا والله ولا لجبريل وميكائيل تدعها
أخبرني محمد بن عمران الضبي الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل قال حدثنا محمد بن معاوية الأسدي قال ذكر الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال خطب أبو الأسود الدؤلي امرأة من عبد القيس يقال لها أسماء بنت زياد ابن غنيم فأسر أمرها إلى صديق له من الأزد يقال له الهيثم بن زياد فحدث به ابن عم لها كان يخطبها وكان لها مال عند أهلها فمشى ابن عمها الخاطب لها إلى أهلها الذين مالها عندهم فأخبرهم خبر أبي الأسود وسألهم أن يمنعوها من نكاحه ومن مالها الذي في أيديهم ففعلوا ذلك وضاروها حتى تزوجت بابن عمها فقال أبو الأسود الدؤلي في ذلك
(لعمري لقد أفشيتُ يوماً فخانني ... إلى بعضِ من لم أخشَ سِرّا مُمنَّا)
(فمزّقه مَزْقَ العَمِي وهو غافل ... ونادى بما أخفيتُ منه فأسْمعا)
(فقلت ولم أفحِش لَعًالك عاثراً ... وقد يعثُر الساعي إذا كان مسرعا)
(ولستُ بجازيك الملامةَ إنني ... أرى العفو أدنَى للرشاد وأوسَعا)
(ولكن تعلَّمْ أنه عهدُ بيننا ... فبِنْ غيرَ مذمومٍ ولكن مُودعا)
(حديثاً أضعناه كلانا فلا أرَى ... وأنت نجِيًّا آخرَ الدهرِ أجمعا)
(وكنت إذا ضيعتَ سرك لم تجد ... سواك له إلا أشتَّ وأضيَعا)
قال وقال فيه

(أمِنتُ أمرأ في السرّ لم يك حازماً ... ولكنه في النصح غيرُ مُريب)
(أذاع بِه في الناسِ حتى كأنه ... بعلياءَ نارٌ أُوقدتْ بثَقُوب)
(وكنتَ متى لم تَرْعَ سرَّك تلتبِسْ ... قوارعُه من مخطيءٍ ومُصيب)
(فما كل ذي نصح بمؤتيك نُصحَه ... وما كل مؤتٍ نصحَه بلبيب)
(ولكن إذا ما استجمعا عند واحدٍ ... فحُقّ له من طاعةٍ بنصيبِ)
اخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال
اشترى أبو الأسود جارية فأعجبته وكانت حولاء فعابها أهله عنده بالحول فقال في ذلك
(يَعيبونها عندي ولا عيبَ عندها ... سوى أن في العينين بعضَ التأخّر)
(فإن يك في العينين سوء فإنها ... مُهَفْهَفَة الأعلى رَدَاحُ المؤخَّر)
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد الأزدي قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال كان لأبي الأسود الدؤلي صديق من بني تميم ثم من بني سعد يقال له مالك بن أصرم وكانت بينه وبين ابن عم له خصومة في دار له وأنهما اجتمعا عند أبي الأسود فحكماه بينهما فقال له خصم صديقه إني بالذي بينك وبينه عارف فلا يحملنك ها ذاك على أن تحيف علي في الحكم وكان صديق أبي الأسود ظالما فقضى أبو الأسود على صديقه لخصمه بالحق فقال له صديقه والله ما بارك الله لي في صداقتك ولا نفعني بعلمك وفقهك ولقد قضيت علي بغير الحق فقال أبو الأسود
(إذا كنتَ مظلوماً فلا تُلْفَ راضياً ... عن القوم حتى تأخذ النِّصفَ واغضبِ)
(وإن كنت أنت الظالمَ القوم فاطَّرِحْ ... مقالتهم واشغَبْ بهم كلَّ مَشْغَب)
(وقاربْ بذي جهلٍ وباعد بعالم ... جَلوبٍ عليك الحقَّ من كل مَجْلِب)
(فإن حدِبوا فاقعَسْ وإن هم تقاعسوا ... ليستمكنوا مما وراءك فاحدَبِ)
((ولا تدعُني للجَور واصبِر على التي ... بها كنتُ أقضِي للبعيد على أبي
(فإني امرؤ أخشى إلهي وأتّقي ... معادى وقد جرّبتُ ما لم تجرّبِ)
أبو الأسود يكتب مستجديا
كتب إلي أبو خليفة يذكر أن محمد بن سلام حدثه وأخبرني محمد بن يحيى الصولي عن أبي ذكوان عن محمد بن سلام قال وجه أبو الأسود الدؤلي إلى الحصين بن أبي الحر العنبري جد عبيد الله بن الحسن القاضي وهو يلي بعض أعمال الخراج لزياد وإلى نعيم بن مسعود النهشلي وكان يلي مثلي ذلك برسول وكتب معه إليهما وأراد أن يبراه ففعل ذلك نعيم بن مسعود ورمى الحصين بن أبي الحر بكتاب أبي الأسود وراء ظهره فعاد الرجل فأخبره فقال أبو الأسود للحصين
(حسِبت كتابي إذ أتاك تعرُّضاً ... لسيْبكِ لم يذهبِ رجائي هنالكا)
(وخبّرني من كنتُ أرسلتُ أنما ... أخذتَ كتابي مُعرضاً بشِمالكا)
(نظرتَ إلى عنوانه فنبذتَه ... كنبذِك نعلاً أخلقتْ مِن نِعالِكا)
(نُعَيمُ بن مسعود أحقُّ بما أتى ... وأنت بما تأتي حقيق بذلكا)
(يصيبُ وما يدري ويُخطِي وما درى ... وكيف يكون النُّوك إلا كذلكا)
قال محمد بن سلام فتقدم رجل إلى عبيد الله بن الحسن بن
الحصين بن أبي الحر وهو قاضي البصرة مع خصم له فخلط في قوله فتمثل عبيد الله بقول أبي الأسود
(يصيب وما يَدري ويُخطي وما درى ... وكيف يكون النَّوْك إلا كذلكا)
فقال الرجل إن رأى القاضي أن يدنيني منه لأقول شيئا فعل فقال له ادن فقال له إن أحق الناس بستر هذا الشعر أنت وقد علمت فيمن قيل فتبسم عبيد الله وقال له إني أرى فيك مصطنعا فقم إلى منزلك وقال لخصمه رح إلي فعزم له ما كان يطالب به
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن ابن عائشة قال أراد أبو الأسود الدؤلي الخروج إلى فارس فقالت له ابنته يا أبت إنك قد كبرت وهذا صميم الشتاء فانتظر حتى ينصرم وتسلك الطريق آمنا فإني أخشى عليك فقال أبو الأسود
(إذا كنتَ معنياً بأمرٍ تُريده ... فما للمَضاءِ والتوكل من مِثْل)
(توكل وحَمِل أمرَك اللهَ إن ما ... تُرادُ به آتيك فاقنع بذي الفضل)
(ولا تحسبنّ السيرَ أقربَ للردى ... من الخفض في دارِ المُقامة والثَّمْل)
(ولا تحسبيني يا بنْتي عِزَّ مذهبي ... بظنك إن الظن يَكذِبُ ذا العقل)
(وإني ملاقٍ ما قضى اللهُ فاصبري ... ولا تجعلي العِلْمَ المحقَّق كالجهل)
(وإنك لا تدرين هل ما أخافه ... أبعدِيَ يأتي في رحيلي أو قبلي)
(وكم قد رأيتُ حاذراً متحفِّظاً ... أُصيبَ وألفته المنيةُ في الأهل)
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عيسى بن إبراهيم العتكي قال حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال كان لأبي الأسود صديق من بني سليم يقال له نسيب بن حميد وكان يغشاه في منزله ويتحدث إليه في المسجد وكان كثيرا ما يحلف له أنه ليس بالبصرة أحد من قومه ولا من غيرهم آثر عنده منه فرأى أبو الأسود يوما معه مستقة مخملة أصبهانية من صوف فقال له أبو الأسود ما تصنع بهذه المستقة فقال أريد بيعها فقال له أبو الأسود انظر ما تبلغ فعرفنيه حتى أبعث به إليك فإنها من حاجتي قال لا بل أكسوكها فأبى أبو الأسود أن يقبلها إلا بثمنها فبعث بها إلى السوق فقومت بمائتي درهم فبعث إليه أبو الأسود بالدراهم فردها وقال لست أبيعها إلا بمائتين وخمسين درهما فقال أبو الأسود
(بِعْني نُسَيبُ ولا تُثِبْني إنني ... لا أستثيبُ ولا أُثيبُ الواهبا)
(إن العطية خيرُ ما وجَّهتَها ... وحسِبتَها حمدا وأجرا واجبا)
(ومن العطية ما يعود غرامةً ... وملامةً تَبقَى ومَنًّا كاذبا)
(وبلوتُ أخبارَ الرجال وفعِلَهم ... فمُلئتُ علماً منهمُ وتجاربا)
(فأخذتُ منهم ما رضيتُ بأخذِه ... وتركتُ عَمْدا ما هنالك جانبا)
(فإذا وعدتُ الوعدَ كنتُ كغارمٍ ... دَيناً أقر به وأحضر كاتِبا)
(حتى أنفّذه على ما قلتُه ... وكفى عليّ به لنفسي طالبا)
(وإذا فعلتُ غيرَ محاسِب ... وكفى بربك جازيا ومحاسبا)

((وإذا منعتُ منعتُ منعاً بيِّناً ... وأرحتُ من طول العَناء الراغبا
(لا اشتري الحمدَ القليلَ بقاؤه ... يوما بذم الدهر أجمعَ واصبا)
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن محمد الرازي ومحمد بن العباس اليزيدي وعمي قالوا حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال زعم أبو بكر الهذلي أن أبا الأسود الدؤلي كان يحدث معاوية يوما فتحرك فضرط فقال لمعاوية استرها علي فقال نعم فلما خرج حدث بها معاوية عمرو بن العاص ومروان بن الحكم فلما غدا عليه أبو الأسود قال عمرو ما فعلت ضرطتك يا أبا الأسود بالأمس قال ذهبت كما تذهب الريح مقبلة ومدبرة من شيخ ألان الدهر أعصابه ولحمه عن إمساكها وكل أجوف ضروط ثم أقبل على معاوية فقال إن امرأ ضعفت أمانته ومروءته عن كتمان ضرطة لحقيق بألا يؤمن على أمور المسلمين
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا محمد بن الحكم عن عوانة قال كان أبو الأسود يجلس إلى فناء امرأة بالبصرة فيتحدث إليها وكانت برزة جميلة فقالت له يا أبا الأسود هل لك في أن أتزوجك فإني صناع الكف حسنة التدبير قانعة بالميسور قال نعم فجمعت أهلها فتزوجته فوجد عندها خلاف ما قدره وأسرعت في ماله ومدت يدها إلى خيانته وأفشت سره فغدا على من كان حضر تزويجه إياها فسألهم أن يجتمعوا عنده ففعلوا فقال لهم
((أرَيتَ أمراً كنت لم أبْلُهُ ... أتاني فقال اتّخِذْني خليلا
(فخاللْته ثم أكرمته ... فلم أستفد من لدنْه فتيلا)
(وألفيتُه حين جرّبته ... كَذُوبَ الحديث سروقا بخيلا)
(فذكَّرته ثم عاتبته ... عتاباً رفيقاً وقولاً جميلا)
(فألفيتُه غيرَ مستعتِبٍ ... ولا ذاكرِ اللّهِ إلا قليلا)
(ألستُ حقيقا بتوديعه ... وإتْباعِ ذلك صرماً طويلا)
فقالوا بلى والله يا أبا الأسود قال تلك صاحبتكم وقد طلقتها لكم وأنا أحب أن أستر ما أنكرته من أمرها فانصرفت معهم
حدثنا اليزيدي قال حدثنا البغوي قال حدثنا العمري قال كان أبو الأسود أبخر فسار معاوية يوما بشيء فأصغى إليه ممسكا بكمه على أنفه فنحى أبو الأسود يده عن أنفه وقال لا والله لا تسود حتى تصبر على سرار المشايخ البخر
أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال حدثنا محمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي قال كان علي بن أبي طالب عليه السلام استعمل أبا الأسود على البصرة واستكتب زياد بن أبيه على الديوان والخراج فجعل زياد يسبع أبا الأسود عند علي ويقع فيه ويبغى عليه فلما بلغ ذلك أبا الأسود عنه قال فيه
((رأيت زياداً ينتحيني بشرّه ... وأُعرض عنه وهو بادٍ مَقاتِلُه
(وكل امريء والله بالناس عالم ... له عادة قامت عليها شمائلُه)
(تعوّدها فيما مضى من شبابه ... كذلك يدعو كلَّ أمرٍ أوائلُهْ)
(ويُعجبه صفحي له وتجمُّلي ... وذو الجهل يحذو الجهلَ من لا يعاجِلُهْ)
(فقلت له دعني وشأني إننا ... كلانا عليه مَعْمَلٌ هو عاملُهْ)
(فلولا الذي قد يرتجي من رجائه ... لجرَّبتَ مني بعض ما أنت جاهله)
(لجرّبت أنّي أمنح الغَيَّ من غَوَى ... عليّ وأجزي ما جَزَى وأطاولُهْ)
وقال لزياد أيضا في ذلك
(نُبِّئتُ أن زياداً ظلّ يَشتُمني ... والقولُ يُكْتَبُ عند الله والعملُ)
(وقد لقِيتُ زيادا ثم قلت له ... وقبلَ ذلك ما خَبَّت به الرسلُ)
(حتّام تَسرقني في كل مَجْمَعَه ... عِرضي وأنت إذا ما شئت منتفِلُ)
(كل امريء صائر يوماً لشيمته ... في كل منزلة يُبْلى بها الرجلُ)
قال فلما ادعى معاوية زيادا وولاه العراق كان أبو الأسود يأتيه فيسأله حوائجه فربما قضاها وربما منعها لما يعلمه من رأيه وهواه في علي بن أبي طالب عليه السلام وما كان بينهما في تلك الأيام وهما عاملان فكان أبو الأسود يترضاه ويداريه ما استطاع ويقول في ذلك
(رأيت زيادا صدّعنّي وجهَه ... ولم يك مردُودا عن الخير سائلُه)
(ينفّذ حاجاتِ الرجال وحاجتي ... كداء الجَوَى في جوفه لا يزايلُهْ)
((فلا أنا ناسٍ ما نسِيتُ فآيسٌ ... ولا أنا راءٍ ما رأيت ففاعِلُهْ
(وفي اليأس حزم لِلَّبيب وراحة ... من الأمر لا يُنسى ولا المرء نائلُهْ)
مدحه عبد الرحمن بن أبي بكرة
وقال المدائني نظر عبد الرحمن بن أبي بكرة إلى أبي الأسود في حال رثه فبعث إليه بدنانير وثياب وسأله أن ينبسط إليه في حوائجه ويستمنحه إذا أضاق فقال أبو الأسود يمدحه
(أبو بحر أمَنُّ الناسِ طُرًّا ... علينا بعد حيٍّ أبي المُغيرهْ)
(لقد ابقى لنا الحَدَثانُ منه ... أخا ثقةٍ منافعُه كثيره)
(قريبَ الخير سهلاً غيرَ وعرٍ ... وبعضُ الخير تمنعه الوُعورهْ)
(بَصُرتَ بأننا أصحابُ حقّ ... نُدِلّ به وإخوانٌ وجيره)
(وأهلُ مَضِيعةٍ فوجدتَ خيراً ... من الخُلاَّن فينا والعشيره)
(وإنك قد علمت وكلُّ نفسٍ ... تُرَى صَفَحاتُها ولها سريره)
(لذو قلبٍ بذي القُربى رحيم ... وذو عينٍ بما بلَغت بصيره)
(لعمرك ما حَباكَ الله نفساً ... بها جَشَعٌ ولا نفساً شَريره)
(ولكن أنت لا شَرِسٌ غليظ ... ولا هَشِمٌ تُنازِعه خُئوره)
(كأنا إذا أتيناه نزلنا ... بجانب رَوضةٍ ريّاً مَطيره)
قال المدائني وكان أبو الأسود يدخل على عبيد الله بن زياد فيشكو إليه أن عليه دينا لا يجد إلى قضائه سبيلا فيقول له إذا كان غد فارفع إلي حاجتك فإني أحب قضاءها فيدخل إليه من غد فيذكر له أمره ووعده فيتغافل عنه ثم يعاوده فلا يصنع في أمره شيئا فقال فيه أبو الأسود

(دعاني أميري كي أفوه بحاجتي ... فقلت فما ردّ الجواب ولا استَمعْ)
(فقمت ولم أحْسُس بشيء ولم أصَن ... كلامي وخير القول ما صِينَ أو نفعْ)
(وأجمعتُ يأساً لا لُبانة بعده ... ولليأسُ أدنى للعفاف من الطمع)
أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال حدثني ابن عائشة قال سأل رجل أبا الأسود شيئا فمنعه فقال له يا أبا الأسود ما أصبحت حاتميا قال بلى قد أصبحت حاتميا من حيث لا تدري أليس حاتم الذي يقول
(أماوي إمّا مانِعٌ فمبيِّنٌ ... وإمّا عطاء لا يُنهنهُه الزجرُ)
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا ابن عائشة قال كان لأبي الأسود جار يحسده وتبلغه عنه قوارص فلما باع أبو الأسود داره في بني الديل وانتقل إلى هذيل قال جار أبي الأسود لبعض جيرانه من هذيل هل يسقيكم أبو الأسود من ألبان لقاحه وكانت لا تزال عنده لقحة
أو لقحتان وكان جاره هذا يصيب من الشراب فبلغ أبا الأسود قوله فقال فيه
(إن امرأً نُبِّئتُه من صديقِنا ... يسائل هل أسقي من اللبن الجارا)
(وإني لأسقي الجار في قعر بيته ... واشرب ما لا إثم فيه ولا عارا)
(شرابا حلالا يترك المرء صاحياً ... ولا يتولّى يَقْلِسُ الإثم والعارا)
أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني قال كان لأبي الأسود صديق من بني قيس بن ثعلبة يقال له حوثرة بن سليم فاستعمله عبيد الله بن زياد على جي وأصبهان وكان أبو الأسود بفارس فلما بلغه خبره أتاه فلم يجد عنده ما يقدره وجفاه حوثرة فقال فيه أبو الأسود وفارقه
(تروّحتَ من رُستاق جَيٍّ عشية ... وخَلّفتَ في رستاق أخاً لكا)
(أخا لك إن طال التنائي وجدتَه ... نسيًّا وإن طال التعاشُرُ مَلّكا)
(ولو كنتَ سيفا يُعجِب الناسَ حدّه ... وكنتَ له يوما من الدهر فَلّكا)
(ولو كنتَ أهدى الناس ثم صحبتَه ... وطاوعته ضلَّ الهوى وأضَلّكا)
(إذا جئته تبغي الهدى خالف الهدى ... وإن جُرت عن باب الغَواية دلّكا)
قال المدائني وكان لأبي الأسود جار يقال له وثاق من خزاعة وكان
يحب اتخاذ اللقاح ويغالي بها ويصفها فأتى أبا الأسود وعنده لقحة غزيرة يقال لها الصفوف فقال له يا أبا الأسود ما بلقحتك بأس لولا عيب كذا وكذا فهل لك في بيعها فقال أبو الأسود على ما تذكر فيها من العيب فقال إني أغتفر ذلك لها لما أرجوه من غزارتها فقال له أبو الأسود بئست الخلتان فيك الحرص والخداع أنا لعيب مالي أشد اغتفارا وقال أبو الأسود فيه
(يريد وَثاقٌ ناقتي ويَعيبها ... يخادِعني عنها وثاقُ بن جابِر)
(فقلت تعلّمْ يا وثاقُ بأنها ... عليك حِمًى أخرى الليالي الغَوابِر)
(بصُرتَ بِها كَومَاء حَوساء جَلْدةً ... من المُولياتِ الهامَ حدَّ الظواهِرِ)
(فحاولتَ خَدْعي والظنونُ كواذِبٌ ... وكم طامِع في خدعتي غير ظافِرِ)
قال وكانت له لقحة أخرى يقال لها الطيفاء وكان يقول ماملكت مالا قط أحب إلي منها فأتاه فيها رجل من بني سدوس يقال له أوس بن عامر فجعل يماكر أبا الأسود ويعيبها فألفاه بها بصيرا وفيها منافسا فبذل له فيها ثمنا وافيا فأبى أن يبيعه وقال فيه
(أتانِي في الطيفاء أوسُ بن عامِرٍ ... ليخدعني عنها بجِنّ ضِراسِها)
(فسام قليلا ناسئاً غير ناجز ... وأحصِر نفساً وانتهى يمكاسِها)
(فأُقسمُ لو أعطيتَ ما سِمتَ مِثلَه ... وضِعفا له لما غدوتَ براسِها)
(أغرَّك منها أن نَحرتُ حُوارها ... لجيرانِ أمّ السَّكْن يوم نِفاسِها)
(فولّى ولم يطمع وفي النفس حاجةٌ ... يردّدها مردودةً بإياسِها)
أخبرنا اليزيدي قال حدثنا عيسى عن ابن عائشة والأصمعي أن رجلا سأل أبا الأسود الدؤلي فرده فألح عليه فقال له أبو الأسود ليس للسائل الملحف مثل الرد الجامس قال يعني بالجامس الجامد
وقال المدائني خطب أبو الأسود امرأة من بني حنيفة وكان قد رآها فأعجبته فأجابته إلى ذلك وأذنت له في الدخول إليها فدخل دارها فخاطبها بما أراد فلماخرج لقيه ابن عم لها قد كان خطبها على أخيه فقال له ما تصنع هاهنا فأخبره بخطبته المرأة فنهاه عن التعرض لها ووضع عليها أرصادا فكان أبو الأسود ربما مر بهم وإجتاز بقبيلتهم فدسوا إليه رجلا يوبخه في كل محفل يراه فيه ففعل وأتاه وهو في نادي قومه فقال له يا أبا الأسود أنت رجل شريف ولك سن وخطر وعرض وما أرضى لك أن تلم بفلانة وليست لك بزوجة ولا قرابة فإن أهلها قد أنكروا ذلك وتشكوه فإما أن تتزوجها أو تضرب عنها فقال له أبو الأسود
(لقد جدّ في سَلمى الشكاةُ ولَلّذي ... يقولون لو يبدو لك الرشدُ أرشدُ)
(يقولون لا تَمذُل بِعرضِك واصطنع ... معادَك إنّ اليوم يتبْعَه غد)
(وإياكَ والقومُ الغِضابَ فإنهم ... بكل طريق حولهم تترصَّد)
(تلام وتُلحَى كل يوم ولا تَرى ... على اللومِ وإلا حولَها تتردّد)
أفادَتْكَها العينُ الطموحُ وقد ترى ... لك العينُ ما لا تستطيع لك اليدُ) وقال أبو الأسود)
((دعُوا آلَ سلمى ظِنّتي وتعنُّتي ... وما زلّ مني إنّ ما فات فائتُ
(ولا تهلِكوني بالملامةِ إنما ... نطقتُ قليلا ثم إني لساكتُ)
(سأسكت حتى تحسبوني أنني ... من الجهد في مَرْضاتكم متماوتُ)
(ألم يكفِكم أنْ قد منعتم بيوتَكم ... كما منع الغِيلَ الأسودُ النواهِتُ)
(تصيبون عِرضي كل يوم كما علا ... نشيطٌ بفأسٍ معدِنَ البُرْم ناحِتُ)
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال ذكر الهيثم بن عدي عن مجالد بن سعيد عن عبد الملك بن عمير قال كان ابن عباس يكرم أبا الأسود الدؤلي لما كان عاملا لعلي بن أبي طالب عليه السلام على البصرة ويقضي حوائجه فلما ولى ابن عامر جفاه وابعده ومنعه حوائجه لما كان يعلمه من هواه في علي بن أبي طالب عليه السلام

فقال فيه أبو الأسود
(ذكرتُ ابنَ عباس بباب ابنِ عامر ... وما مَرَّ من عيشي ذكرتُ وما فَضَلْ)
(اميرين كانا صاحِبيَّ كلاهما ... فكلٌّ جزاه الله عني بما فعل)
(فإن كان شراً كان شراً جزاؤه ... وإن كان خيراً كان خيراً إذا عدل)
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الخزامي قال حدثنا محمد بن فليح بن سليمان عن موسى بن عقبة قال قال أبو الأسود الدؤلي لابنه أبي حرب وكان له صديق من باهلة يكثر زيارته فكان أبو الأسود يكرهه ويستريب منه
((أحبِبْ إذا أحببتَ حبا مُقارباً ... فإنك لا تدري متى أنت نازع
(وأبغِض إذا أبغضت بغضاً مقارباً ... فإنك لا تدري متى أنت راجع)
(وكن معدِنا للحلم واصفح عن الخَنا ... فإنك راءٍ ما عمِلتَ وسامِع)
ابو الأسود يشكو جيرانه
وقال المدائني حدثني أبو بكر الهذلي قال كان لأبي الأسود جار من بني حليس بن يعمر بن نفاثة بن عدي بن الديل من رهطة دنية ومنزل أبي الأسود يومئذ في بني الديل فأولع جاره برميه بالحجارة كلما أمسى فيؤذيه فشكا أبو الأسود ذلك إلى قومه وغيرهم فكلموه ولاموه فكان ما اعتذر به إليهم أن قال لست أرميه وإنما يرميه الله لقطعه للرحم وسرعته إلى الظلم في بخله بماله فقال أبو الأسود والله ما أجاور رجلا يقطع رحمي ويكذب على ربي فباع داره واشترى دارا في هذيل فقيل له يا أبا الأسود أبِعث دارك قال لم أبع داري ولكن بعت جاري فأرسلها مثلا وقال في ذلك
(رماني جاري ظالماً برميَّه ... فقلتُ له مهلا فأنكَرَ ما أتى)
(وقال الذي يرميك ربُّك جازيا ... بذنبك والحَوْباتُ تُعقِب ما ترى)
(فقلت له لو أن ربي برمية ... رماني لما اخطا إلهي ما رمى)
(جزى الله شرّا كلَّ من نال سوءة ... ويَنْحَلُ فيها ربَّه الشرَّ والأذى)
وقال فيه أيضا
(لَحَى اللهُ مولى السَّوءِ لا أنت راغب ... إليه ولا رامٍ به من تجاربه)
((وما قُربُ مولى السوء إلا كبعده ... بل البعدُ خير من عدوٍّ تُصاقِبه
وقال فيه أيضاً
(وإني لَتَثنيني عن الشتم والخَنا ... وعن سبّ ذي القربى خلائقُ أربعُ)
(حياء وإسلام ولطف وأنني ... كريم ومثلي قد يضرّ وينفع)
(فإن أعف يوما عن ذنوب أتيتَها ... فإن العصا كانت لِمثلي تُقْرَعِ)
(وشتان ما بيني وبينك إنني ... على كل حال أستقيم وتَظلَع)
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا الرياشي عن العتبي قال كان لأبي الأسود جار في ظهر داره له باب إلى قبيلة أخرى وكان بين دار أبي الأسود وبين داره باب مفتوح يخرج منه كل واحد منهما إلى قبيلة صاحبه إذا أرادها وكان الرجل ابن عم أبي الأسود دنية وكان شرسا سيء الخلق فأراد سد ذلك الباب فقال له قومه لا تفعل فتضر بأبي الأسود وهو شيخ وليس عليك في هذا الباب ضرر ولا مؤنة فأبى إلا سده ثم ندم على ذلك لأنه اضر به فكان إذا أراد سلوك الطريق التي كان يسلكها منه بعد عليه فعزم على فتحه وبلغ ذلك أبا الأسود فمنعه منه وقال فيه
صوت
(بُليت بصاحبٍ إنْ أذُن شبراً ... يزدني في مباعدةٍ ذِراعا)
((وإن أُمدْد له في الوصل ذَرْعي ... يزِدني فوق قِيس الذرع باعا
(أبت نفسي له إلا اتّباعاً ... وتأبى نفسه إلا امتناعا)
(كلانا جاهد أدنو وينأى ... فذلِك ما استطعتُ وما استطاعا)
الغناء في هذه الأبيات لأبراهيم ثقيل أول بالبنصر وفيه لعريب خفيف رمل ولعلويه لحن غير منسوب قال وقال أبو الأسود أيضا في ذلك
(لنا جِيرة سدّوا المجازة بيننا ... فإن أذكروك السدَّ فالسدُّ أكْيسُ)
(ومن خير ما ألصقتَ بالجار حائط ... تزلُّ به سُفْعُ الخطا طيفِ أملسُ)
وقال أيضا في ذلك
(أخطأتَ حين صرمتني ... والمرء يعجِزُ لا محالهْ)
(والعبد يُقرع بالعصا ... والحر تكفيه المقالة)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني إسحاق بن محمد النخعي عن ابن عائشة عن أبيه وأخبرني به محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن القاسم البزي قال حدثني إسحاق بن محمد النخعي عن ابن عائشة ولم يقبل عن أبيه قال كان أبو الأسود الدؤلي نازلا في بني قشير وكانت بنو قشير عثمانية وكانت امرأته أم عوف منهم فكانوا يؤذونه ويسبونه وينالون من علي عليه السلام بحضرته ليغيظوه به ويرمونه بالليل فإذا أصبح قال لهم يا بني
قشير أي جوار هذا فيقولون له لم نرمك إنما رماك الله لسوء مذهبك وقبح دينك فقال في ذلك
(يقول الأرذلون بنو قشير ... طَوالَ الدهرِ لا تنسى عليّا)
(فقلت لهم وكيف يكون تركي ... من الأعمال مفروضاً علَيّا)
(أحِب محمداً حباً شديداً ... وعباساً وحمزةَ والوصِيا)
(بنِي عمّ النبي وأقربيه ... أحبُّ الناس كلِّهم إليا)
(فإن يك حبّهم رُشْداً أُصِبه ... ولست بمخطيءٍ إن كان غيّا)
(هُمُ أهل النصيحة غيرَ شكّ ... وأهل مودّتي مادمت حيّا)
(هَوًى أُعطِيتُه لما استدارت ... رحى الإسلام لم يُعدَل سَوِيّا)
(أحبهُمُ لحبّ الله حتى ... أجِئ إذا بُعِثتُ على هَوِيّا)

(رأيت الله خالقَ كلِّ شيءٍ ... هداهم واجتبى منهم نبيّا)
(ولم يخصُص بها أحدا سِواهم ... هنيئا ما اصطفاه لهم مريا)
قال فقالت له بنو قشير شككت يا أبا الأسود في صاحبك حيث تقول
(... فإن يك حبهم رشداً أصبه)
فقال أما سمعتم قول الله عز وجل (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) أفترى الله جل وعز شك في نبيه وقد روي أن معاوية قال هذه المقالة فأجابه بهذا الجواب
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو عثمان الأشنانداني عن الأخفش عن ابي عمر الجرمي قال دخل أبو الأسود الدؤلي على معاوية فقال له لقد أصبحت جميلا يا أبا الأسود فلو علقت تميمة تنفي عنك العين فقال أبو الأسود
(أفنى الشبابَ الذي فارقتُ جِدّتَه ... كرُّ الجدِيدين من آتٍ ومنطلِقِ)
(لم يتركا لي في طول اختلافهما ... شيئاً تُخاف عليه لَذْعةُ الحَدَقِ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحارث بن محمد قال قال حدثنا المدائني عن علي بن سليمان قال كان ابو الأسود له على باب داره دكان يجلس عليه مرتفع عن الأرض إلى قدر صدر الرجل فكان يوضع بين يديه خوان على قدر الدكان فإذا مر به مار فدعاه إلى الأكل لم يجد موضعا يجلس فيه فمر به ذات يوم فتى فدعاه إلى الغداء فأقبل فتناول الخوان فوضعه أسفل ثم قال له يا أبا الأسود إن عزمت على الغداء فانزل وجعل يأكل وأبو الأسود ينظر إليه مغتاظا حتى أتى على الطعام فقال له أبو الأسود ما اسمك يا فتى قال لقمان الحكيم قال لقد أصاب أهلك حقيقة اسمك
قال المدائني وبلغني رجلا دعاه أبو الأسود إلى طعامه وهو على هذا الدكان فمد يده ليأكل فشب به فرسه فسقط عنه فوقص
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال كان أبو الجارود سالم بن سلمة بن نوفل الهذلي صديقا لأبي الأسود
يهاديه الشعر ويجيب كل واحد منهما صاحبه ويتعاشران ويتزاوران فولي أبو الجارود ولاية فجفا أبا الأسود وقطعه ولم يبدأه بالمكاتبة ولا أجابه عنها فقال فيه أبو الأسود
(أبلِغْ أبا الجارودِ عني رسالة ... يَرُوح بها الغادي لرَبْعك أو يغدو)
(فيخبرَنا ما بالُ صَرمك بعد ما ... رضِيتَ وما غيّرتَ من خُلق بعدُ)
(أأنْ نِلتَ خيرا سَرَّني أن تناله ... تنكَّرت حتى قلتُ ذو لِبدةٍ وَرْدُ)
(فعيناك عيناه وصوتك صوته ... تُمثِّله لي غير أنك لا تعدو)
(لئن كنت قد أزمعت بالصَّرمِ بيننا ... لقدِ جعلَتْ أشراطُ أوَّله تبدو)
(فإني إذا ما صاحبٌ رث وصلُه ... وأعرَض عني قلّ مني له الوَجدُ)
أبو الأسود والحارث بن خليد
قال المدائني كان لأبي الأسود صديق يقال له الحارث بن خليد وكان في شرف من العطاء فقال لأبي الأسود ما يمنعك من طلب الديوان فإن فيه غنى وخيرا فقال له أبو الأسود قد أغناني الله عنه بالقناعة والتجمل فقال كلا ولكنك تتركه إقامة على محبة ابن أبي طالب وبغض هؤلاء القوم وزاد الكلام بينهما حتى أغلظ له الحارث بن خليد فهجره أبو الأسود وندم الحارث على ما فرط منه فسأل عشيرته أن تصلح بينهما فأتوا أبا الأسود في ذلك وقالوا له قد اعتذر إليك الحارث مما فرط منه وهو رجل حديد فقال أبو الأسود في ذلك
(لنا صاحب لا كلِيلُ اللسان ... فيَصمتَ عنا ولا صارمُ)
((وشرُّ الرجال على أهلِه ... وأصحابه الحَمِقُ العارمُ
وقال فيه
(إذا كان شيء بيننا قيل إنه ... حدِيدٌ فخالِفْ جهلَه وترفَّقِ)
(شنِئتُ من الأصحاب من لستُ بارحاً ... وأداملِه دَمْلَ السقاءِ المخرَّقِ)
وقال المدائني
ولى عبيد الله بن زياد الحصين بن أبي الحر العنبري ميسان فدامت ولايته إياها خمس سنين فكتب إليه أبو الأسود كتابا يتصدى فيه لرفده فتهاون به ولم ينظر فيه فرجع إليه رسوله فأخبره بفعله فقال فيه
(ألا أبلِغا عنّي حُصَيْنا رسالةً ... فإنك قد قطّعتَ أخرى خِلالِكا)
(فلو كنتَ إذا أصبحتَ للخرج عاملاً ... بميسانَ تُعْطِي الناسَ من غير مالكا)
(سألتك أو عرَّضتُ بالود بيننا ... لقد كان حقّاً واجباً بعضُ ذلِكا)
(وخبَّرني من كنت أرسلت أنما ... أخذتَ كتابي مُعْرِضاً بشمالِكا)
((نظرتَ إلى عنوانه ونَبَذته ... كنبذك نعلاً أخلقتْ من نِعالِكا
(حِسِبت كتابي إذ أتاك تعرّضاً ... لسَيبِك لم يذهب رجائي هنالِكا)
(يُصيب وما يدري ويُخطي وما درى ... وكيف يكون النَّوْك إلا كذلِك)
فبلغت أبيات أبي الأسود حصينا فغضب وقال ما ظننت منزلة أبي الأسود بلغت ما يتعاطاه من مساءتنا وتوعدنا وتوبيخنا فبلغ ذلك أبا الأسود فقال فيه
(أبلِغ حصيناً إذا جئته ... نصيحةَ ذي الرأى للمجتنِيها)
(فلا تك مثل التي استخرجت ... بأظلافها مُديةً أو بفِيها)
(فقام إليها بها ذابح ... ومن تَدْعُ يوما شَعُوبُ يجيِها)
(فظلت بأوصالها قدرُها ... تحشُ الوليدةُ أو تشتويها)
(وإن تأبَ نصحي ولا تنتهي ... ولم تر قولي بنصحٍ شبيها)
(أُجَرِّعْك صاباً وكان المُرار ... والصاب قِدْماً شراباً كريها)
أبو الأسود ومعاوية بن صعصعة
وقال خالد بن كلثوم
كان معاوية بن صعصعة يلقى أبا الأسود كثيرا فيحادثه ويظهر له المودة

وكانت تبلغه عنه قوارص فيذكرها له فيجحدها أو يحلف أنه لم يفعل ثم يعاود ذلك فقال فيه أبو الأسود
(ولي صاحب قد رابني أو ظلمته ... كذلك ما الخصمان بَرٌّ وفاجر)
(وإني امرؤ عندي وعمداً أقوله ... لآتيَ ما يأتي امرؤ وهو خابر)
(لسانان معسولٌ عليه حلاوة ... وآخر مسموم عليه الشّراشِر)
(فقلت ولم أبخل عليه نِصيحتي ... وللمرء ناهٍ لا يلام وزاجر)
(إذا أنت حاولت البراءة فاجتنب ... عواقب قول تعتريه المعاذِر)
(فكم شاعرٍ أرداه أن قال قائل ... له في اعتراض القول إنك شاعِر)
(عطفتُ عليه عطفة فتركته ... لِمَا كان يرضَى قبلها وهو حاقر)
(بقافية حذَّاء سهلٍ رويُّها ... وللقول أبوابٌ تُرَى ومحاضِر)
(تَعَزَّى بها من نومه وهو ناعِس ... إذا انتصف الليلُ المُكلُّ المسافِرُ)
(إذا ما قضاها عاد فيها كأنه ... للذته سكران أو متساكر)
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثني العمري عن العتبي قال كان عبد الله بن عامر مكرما لأبي الأسود ثم جفاه لما كان عليه من التشيع فقال فيه أبو الأسود
(ألم تر ما بيني وبين ابن عامر ... من الودّ قد بالت عليه الثعالبُ)
(وأصبح باقي الودِّ بيني وبينه ... كأن لم يكن والدهرُ فيه عجائب)
((إذا المرء لم يُحبِبك إلا تكرُّهاً ... بدا لك من أخلاقه ما يغالِب
(فَلَلْنأي خير من مُقامٍ على أذى ... ولا خيرَ فيما يستقل المعاتب)
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا عبيدالله بن محمد قال حدثنا ابن النطاح قال ذكر الحرمازي عن رجل من بني الديل قال كانت لأبي الأسود الدؤلي امرأة من بني قشير وامرأة من عبد القيس فأسن وضعف عما يطيقه الشباب من أمر النساء فأما القشيرية فكانت أقدمهما عنده وأسنهما فكانت موافقة له صابرة عليه وهي أم عوف القشيرية التي يقول فيها
(أبى القلب إلا أم عوف وحبها ... عجوزاً ومن يحبب عجوزاً يفنَّد)
(كسَحْق يمانٍ قد تقادم عهده ... ورُقعته ما شئت في العين واليد)
وأما الأخرى التي من عبد القيس فهي فاطمة بنت دعمي وكانت أشبهما وأجملهما فالتوت عليه لما أسن وتكرت له وساءت عشرتها فقال فيها أبو الأسود
(تعاتبني عِرسي على أن أطيعها ... لقد كذبتها نفسُها ما تمنَّت)
(وظنت بأني كلَّ ما رضيتْ به ... رضيتُ به يا جهلها كيف ظنت)
(وصاحبتُها ما لو صحبتُ بمثله ... على ذعرها أُرْوية لأطمأنتِ)
((وقد غرَّها مني على الشيب والبلى ... جنوني بها جُنَّت حيالي وحُنَّتِ
يقال جن وحن وهو من الأتباع كما يقال حسن بسن
(ولا ذنب لي قد قلتُ في بدء أمرنا ... ولو علِمت ما عُلِّمَتْ ما تعنَّتِ)
(تَشكَّى إلى جاراتها وبناتِها ... إذا لم تجد ذنباً علينا تجنَّتِ)
(ألم تعلمي أني إذا خِفت جفوة ... بمنزلةٍ أبعدتُ منها مطيتي)
(وأني إذا شقّت عليَّ حليلتي ... ذَهَلتُ ولم أحنِنْ إذا هي حنَّتِ)
وفيها يقول
(أفاطِمِ مهلا بعضَ هذا التعبس ... وإن كان منك الجدّ فالصَّرْمُ مُؤنسي)
(تَشتَّمُ لي لما رأتني أحبها ... كذي نعمة لم يُبْدها غيرَ أبؤس)
(فإن تنقُضي العهد الذي كان بيننا ... وتُلوي به في ودّك المتحلِّس)
(فإني فلا يغُررْكِ مني تجملي ... لأسلي البعاد بالبعاد المكنِّس)
(وأعلم أن الأرض فيها مَنادح ... لمن كان لم تُسْدَد عليه بمجِيس)
(وكنت أمرأً لاصحبه السوء أرتجي ... ولا أنا نوّام بغير معرَّس)
وقال المدائني
كان لأبي الأسود الدؤلي مولى يقال له نافع ويكنى أبا الصباح فذكرت لأبي الأسود جارية تباع فركب فنظر إليها فأعجبته فأرسل نافعا يشتريها له اشتراها لنفسه وغدر بأبي الأسود فقال في ذلك
((إذا كنت تبغي للأمانة حاملاً ... فدع نافعاً وانظر لها من يُطيقها
(فإن الفتي خَبٌّ كذوب وإنه ... له نفس سوء يجتويها صديقُها)
(متى يخلُ يوماً وحده بأمانةٍ ... تُغَل جميعاً أو يُغل فريقها)
(على أنه أبقى الرجال سَمانةً ... كما كلُّ مسمان الكلاب سَروقها)
خطبته في موت علي بن أبي طالب
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا علي بن محمد المدائني عن أبي بكر الهذلي قال أتى أبا الأسود الدؤلي نعي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبيعه الحسن عليه السلام فقام على المنبر فخطب الناس ونعى لهم عليا عليه السلام فقال في خطبته وإن رجلا من أعداء الله المارقة عن دينه اغتال أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه ومثواه في مسجده وهو خارج لتهجده في ليلة يرجى فيها مصادفة ليلة القدر فقتله فيا لله هو من قتيل وأكرم به وبمقتله وروحه من روح عرجت إلى الله تعالى بالبر والتقى والإيمان والإحسان لقد أطفأ منه نور الله في أرضه لا يبين بعده أبدا وهدم ركنا من أركان الله تعالى لا يشاد مثله فإنا لله وإن إليه راجعون وعند الله نحتسب مصيبتنا بأمير المؤمنين وعليه السلام ورحمة الله يوم ولد ويوم قتل ويوم يبعث حيا
ثم بكى حتى اختلفت أضلاعه ثم قال وقد أوصى بالإمامة بعده إلى ابن رسول الله وابنه وسليله وشبيهه في خلقه وهديه وإني لأرجو أن يجبر الله عز وجل به ما وهى ويسد به ما انثلم
ويجمع به الشمل ويطفيء به نيران الفتنة فبايعوه ترشدوا

فبايعت الشيعة كلها وتوقف ناس ممن كان يرى رأي العثمانية ولم يظهروا أنفسهم بذلك وهربوا إلى معاوية فكتب إليه معاوية ودس إليه رسولا يعلمه أن الحسن عليه السلام قد راسله في الصلح ويدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة ويعده ويمنيه فقال أبو الأسود
(ألا أبلغ معاويةَ بن حرب ... فلا قَرّت عيون الشامتينا)
(أمي شهرِ الصيام فجعتمونا ... بخيرِ الناسِ طُرًّا أجمعينا)
(قتلتم خيرَ من ركب المطايا ... وخيّسها ومَن ركِب السفينا)
(ومن لبس النعال ومن حَذاها ... ومن قرأ المثاني والمئينا)
(إذا استقبلت وجه أبي حسين ... رأيت الدر راق الناظرينا)
(لقد علمت قريش حيث حلت ... بأنك خيرها حَسَبا ودِينا)
أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا الرياشي عن الهيثم بن عدي عن أبي عبيدة قال كان أبو حرب بن أبي الأسود قد لزم منزل أبيه بالبصرة لا ينتجع أرضا ولا يطلب الرزق في تجارة ولا غيرها فعاتبه على ذلك فقال أبو حرب إن كان لي رزق فسيأتيني فقال له
(وما طلب المعيشة بالتمني ... ولكن ألق دلوك في الدّلاء)
(تجئك بملئها يوماً ويوماً ... وتجئك بحمأة وقليل ماء)
وقال المدائني كانت لأبي الأسود مولاة يقال لها لطيفة وكان لها عبد تاجر يقال له ملم فابتاعت له أمة وأنكحته إياها فجاءت بغلام فسمته زيدا فكانت تؤثره على كل أحد وتجد به وجد الأم بولدها وجعلته على ضيعتها فقال فيه أبو الأسود وقد مرضت لطيفة
(وزيد هالكٌ هُلْكَ الحُبارَى ... إذا هلكت لطيفة أو مُلِمٌّ)
(تبنَّتْه فقال وأنتِ أمي ... فأنّى بعدها لك زيدُ أمٌّ)
(تَرُمُّ متاعه وتزيد فيه ... وصاحبها لما يحوي مِضَمٌّ)
(ستلقى بعدها شراً وضراً ... وتَقْصَى إن قُربت فلا تُضَمٌّ)
(وتَلْقاك الملامة كلَّ وجه ... سلكت وينتحي حالَيْك ذم)
قال فماتت لطيفة من علتها تلك وورثها أبو الأسود فطرد زيدا عما كان يتولاه من ضيعتها وطالبه بما خانه من مالها فارتجعه فكان بعد ذلك ضائعا مهانا بالبصرة كما قال فيه وتوعده
وقال المدائني أيضا أشترى أبو الأسود أمة للخدمة فجعلت تتعرض منه للنكاح وتتطيب وتشتمل بثوبها فدعاها أبو الأسود فقال لها اشتريتك للعمل والخدمة ولم اشترك للنكاح فأقبلي على خدمتك وقال فيها
((أصلاحُ إني لا أريدك للصّبا ... فدعى التشملَ حولنا وتبذّلي)
(إني أريدك للعجين وللرّحا ... ولحمل قربتنا وغَلْيِ المِرْجَل)
(وإذا تروَّح ضيفُ أهلك أوغداً ... فخذي لآخَرَ أهبةَ المستقبل)
أخبرنا الحسن بن الطيب الشجاعي قال حدثنا أبو عشانة عن ابن عباس قال كان المنذر بن الجارود العبدي صديقا لأبي الأسود الدؤلي تعجبه مجالسته وحديثه وكان كل واحد منهما يغشى صاحبه وكانت لأبي الأسود مقطعة من برود يكثر لبسها فقال له المنذر لقد أدمنت لبس هذه المقطعة فقال له أبو الأسود رب مملول لا يستطاع فراقه فعلم المنذر أنه قد احتاج إلى كسوة فأهدى له ثياب فقال أبو الأسود يمدحه
(كساك ولم تستكسه فحمِدتَه ... أخ لك يعطيك الجزيل وناصر)
(وإن أحق الناس إن كنت حامداً ... بحمدك من أعطاك والعِرض وافر)
وصيته لابنه
أنشدني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله عن ابن حبيب لأبي الأسود يوصي ابنه وفي هذه الأبيات غناء صوت
(لا ترسلن رسالة مشهورة ... لا تستطيع إذا مضت إدراكَها)
(أكرِمْ صديق أبيك حيث لقِيته ... واحْبُ الكرامة مَن بَدا فحباكَها)
(لاتبدينَّ نميمة حُدِّثْتها ... وتحفَّظنْ من الذي أنباكها)
أخبرني محمد بن خلف بن مرزبان قال حدثنا أبو محمد المروزي عن القحذمي عن بعض الرواة أن أبا الأسود الدؤلي اعتذر إلى زياد في شيء جرى بينهما فكأنه لم يقبل عذره فأنشأ يقول
(إنني مجرم وأنت أحق الناس ... أن تقبل الغَداةَ اعتذاري)
(فاعف عني فقد سفِهتُ وأنت المرء ... تعفو عن الهَنات الكبار)
فتبسم زياد وقال أما إذا كان هذا قولك فقد قبلت عذرك وعفوت عن ذنبك
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه عن عيسى بن عمر قال سئل أبو الأسود عن رجل واستشير في أن يولى ولاية فقال أبو الأسود هو ما علمته أهيس أليس ألد ملحس أن اعطى انتهر وإن سئل أزر قال الأصمعي الأهيس الحاد ويقال في المثل
(... إحدى لياليك فهيسى هيسي)
قال ويقال ناقة ليساء إذا كانت لا تبرح من المبرك قال وهو مما يوصف به الشجاع وأنشد في صفة ثور
(... (ألْيَسُ عن حَوبائه سخِيّ
أخبرني أحمد بن محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني أحمد بن الأسود بن الهيثم الحنفي قال حدثنا أبو محلم عن مؤرج السدوسي عن عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يسار قال وكان من أفصح أهل زمانه قال أوصى أبو الأسود الدؤلي كاتبا لعبد الله بن عامر بحاجة له فضمن له قضاءها ثم لم يصنع فيها شيئا فقال أبو الأسود
(لعمري لقد أوصيتُ أمسِ بحاجتي ... فتى غيرَ قصدٍ عليّ ولا رَؤُفْ)
(ولا عارفٍ ما كان بيني وبينه ... ومن خير ما أدلى به المرء ما عُرِف)
(وما كان ما أمَّلْت منه ففاتني ... بأول خيرٍ من أخي ثقةٍ صُرِف)

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني محمد بن القاسم مولى بني هشام قال حدثني أبو زيد الأنصاري سعيد بن أوس قال حدثني بكر بن حبيب السهمي عن أبيه وكان من جلساء أبي الأسود الدؤلي قال كان أبو الجارود سالم بن سلمة بن نوفل الهذلي شاعرا وكان صديقا لأبي الأسود الدؤلي فكان يهاديه الشعر ثم تغير ما بينهما فقال فيه أبو الأسود

(أبلغ أبا الجارودِ عني رسالةً ... يروح بها الماشي ليلقاكَ أو يغدو)
(فيخبرنا ما بالُ صَرمك بعد ما ... رضيت وما غيّرت من خُلُق بعد)
(أأن نلت خيراً سرني حين نلته ... تنكرت حتى قلت ذو لِبدة وَرْدُ)
(فعيناك عيناه وصوتك صوته ... تُمثله لي غيرَ أنك لا تَعْدو)
(فإن كنت قد أزمعت بالصّرم بيننا ... وقد جعلت أسباب أوّله تبدو)
(فإني إذا ما صاحب رَثَّ وصله ... وأعرض عني قلت بالأبعدِ الفقدُ)

وفاة ابي الأسود

وكانت وفاة أبي الأسود فيما ذكره المدائني في الطاعون الجارف سنة تسع وستين وله خمس وثمانون سنة قال المدائني وقد قيل إنه مات قبل ذلك وهو أشبه القولين بالصواب لأنا لم نسمع له في فتنة مسعود وأمر المختار بذكر وذكر مثل هذا القول بعينه والشك فيه هل أدرك الطاعون الجارف أولا عن يحيى بن معين أخبرني به الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن المدائني ويحيى بن معين

صوت

(لعمرك أيها الرجل ... لأي الشكل تنتقِل)
(أتهجر آل زينب أم ... تزورهمُ فتعتدل)
(هُمُ رَكْبٌ لقُوا ركبا ... كما قد تُجْمَع السُّبُل)
(فذلك وأبنا وبذاك ... تجرى بيننا الرسل)

الشعر لأبي نفيس بن يعلى بن منية والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى وفيه لابن سريج رمل بالوسطى ولجميلة خفيف رمل بالبنصر

أخبار أبي نفيس ونسبه

اسمه حيي بن يحيى بن يعلى بن منية وقيل بل اسم أبي نفيس يحيى بن ثعلبة بن منية ومنية أمه ذكر ذلك الزبير بن بكار عن عمرو بن يحيى بن عبد الحميد قال الزبير وكان عمي يقول اسمه ميمون بن يعلى وأمه منية بنت غزوان أخت عتبة بن غزوان وأبوه أمية بن عبدة بن همام بن جشم بن بكر بن زيد بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وجدت ذلك بخط أبي محلم النسابة قال ويقال لبنى زيد بن مالك بنو العدوية وهي فكيهة بنت تميم بن الدئل بن حسل بن عدي بن عبد مناة بن تميم ولدت لمالك بن حنظلة زيدا وصديا ويربوعا فهم يدعون بني العدوية

بعض أخبار جده يعلى بن منية

وكان يعلى بن منية حليفا لبني أمية وعديدا لهم وبينه وبينهم صهر ومناسبة وقد أدرك النبي وسمع منه حديثا كثيرا وروى عنه حديثا كثيرا

وعمر بعده وكان مع عائشة يوم الجمل على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

أخبرني عمي ال حدثنا أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائني عن ابي مخنف عن عبد الرحمن بن عبيد عن أبي الكنود قال قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه منيت أو بليت بأطوع الناس في الناس عائشة وأدهى الناس طلحة وأشجع الناس الزبير وأكثر الناس مالا يعلى بن منية وأجود قريش عبد الله بن عامر فقام إليه رجل من الأنصار فقال والله يا أمير المؤمنين لأنت أشجع من الزبير وأدهى من طلحة وأطوع فينا من عائشة وأجود من ابن عامر ولمال الله أكثر من مال يعلى بن منية وليكونن كما قال الله جل وعز (فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) فسر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله ثم قام إليه رجل آخر منهم فقال

(أما الزّبير فأكفيكَه ... وطلحةُ يكفِيكه وَحوحهْ)
(ويَعْلَى بن منية عند القِتال ... شديد التثاؤبِ والنحنحِه)
(وعايّش يكفِيكها واعِظ ... وعائش في الناس مستنصَحه)
(فلا تجزعنّ فإن الأمور ... إذا ما أتينَاك مستنجَحه)
(وما يصلح الأمر إلا بنا ... كما يصلح الجبن بالإنْفَحَهْ)

قال فسر علي عليه السلام بقوله ودعا له وقال بارك الله فيك قال فأما الزبير فناشده علي عليه السلام فرجع فقتله بنو تميم وأما طلحة فناشده وحوحة وكان صديقه وكان من القراء فذهب لينصرف فرماه رجل من عسكرهم فقتله

فأم ما رواه عن النبي فكثير ولكني أذكر منه طرفا كما ذكرت لغيره

أخبرني أحمد بن الجعد قال حدثني محمد بن عباد المكي قال حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء بن أبي رباح عن صفوان بن يعلى ابن منية عن أبيه أنه سمع النبي يقرأ على المنبر (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك) وقد روى يعلى عنه حديثا كثيرا اقتصرت منه على هذا لتعرف روايته عنه

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا محمد بن الحكم عن أبي مخنف قال أقرض يعلى بن منية الزبير بن العوام حين خرج إلى البصرة في وقعة الجمل أربعين ألف دينار فقضاها ابن الزبير بعد ذلك لأن أباه قتل يومئذ ولم يقضه إياها

قال ولما صاروا إلى البصرة تنازع طلحة والزبير في الصلاة فاتفقا على أن يصلي ابن هذا يوما وابن هذا يوما وقال شاعرهم في ذلك

(تبارى الغلامانِ إذ صَلَّيَا ... وشَحَّ على الملك شيخاهما)
(وما لي وطلحةَ وابن الزبيرِ ... وهذا بذي الجِزع مولاهما)
(فأمّهما اليوم غَرَّتهما ... ويعلَى بن منية دلاَّهما)

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن يحيى عن جده عبد الحميد قال

كان يعلى بن منية ويكنى أبا نفيس وسمعت غير جدي يقول اسمه يحيى وهو من بني العدوية من بني تميم من بني حنظلة تزوج امرأة من بني مالك بن كنانة يقال لها زينب ولهم حلف في بني غفار وهي من بنات طارق اللاتي يقلن
(نحن بنات طارق ... نمشي على النمارق)
فتوفيت بتهامة فقال يرثيها
(يا رِبِّ رِبَّ الناسِ لِما نَحِبوا ... وحين أفْضَلوا من مِنَّى وحَصَبوا)
(لا يسْقِينَّ مَلَحٌ وعُلَيْبُ ... والمُستَرادُ لا سقاه الكوكب)
(... من أجلِ حمّاهن ماتت زينب)
قال الزبير وأنشدنيها عمي مصعب لأبي نفيس بن يعلى بن منية قال واسمه ميمون وكان عمي يقول اسم أبي نفيس ميمون بن يعلى وقال في الأبيات
(...لا يسقين عُنُبٌ وعُلَيْبُ)
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن يحيى عن جده غسان بن عبد الحميد قال رأت عائشة زوج النبي بنات طارق اللواتي يقلن
(نحن بنات طارق ... نمشي على النَّمارق)
فقالت أخطأ من يقول الخيل أحسن من النساء
قال وقالت هند بنت عتبة لمشركي قريش يوم أحد
(نحن بنات طارق ... نمشي على النمارق)
(الدُّرُّ في المَخانِق ... والمسك في المَفارِقِ)
(إن تُقْبِلوا نُعانِق ... أو تُدْبِروا نفارق)
(... فِراقَ غير وامِق)
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن يحيى بن عبد الملك الهديري قال
جلست ليلة وراء الضحاك بن عثمان الحزامي في مسجد رسول الله وأنا متقنع فذكر الضحاك وأصحابه قول هند يوم أحد
(... نحن بنات طارق)
فقال وما طارق فقلت النجم فالتفت الضحاك فقال أبا زكريا وكيف بذاك فقلت قال الله عز وجل (والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب) فقالت إنما نحن بنات النجم فقال أحسنت
صوت
(خليليَّ قوما في عَطَالَةَ فانظرا ... أناراً أرَى من نحو يَبْرِينَ أم برقا)
(فإن يك برقا فهو في مُشْمَخِرَّةٍ ... تغادِر ماءً لا قليلا ولا طَرْقا)
(وإن تك نارا فهي نار بملتقًى ... من الريح تَسفِيها وتَصْفقها صَفْقا)
ويروى تزهاها وتعفقها عفقا
((لأُمِّ عليٍّ أوقَدَتْها طَماعةً ... لأوبة سَفْرٍ أن تكون لهم وَفْقا
الشعر لسويد بن كراع والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى عن يحيى المكي وذكره غيره أنه لابن مسجح
أخبار سويد بن كراع ونسبه
سويد بن كراع العكلي أحد بني الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عكل شاعر فارس مقدم من شعراء الدولة الأموية وكان في آخر أيام جرير والفرزدق
وذكر محمد بن سلام في كتاب الطبقات فيما أخبرنا عنه أبو خليفة قال كان سويد بن كراع شاعرا محكما وكان رجل بني عكل وذا الرأي والتقدم فيهم وعكل وضبة وعدي وتيم هم الرباب
قال وكان بعض بني عدي ضرب رجلا من بني ضبة ثم من بني السيد وهم قوم نكد شرس وهم أخوال الفرزدق فاجتمعوا حتى ألم أن يكون بينهم شر فجاء رجل من بني عدي فأعطى يده رهينة لينظروا ما يصنع المضروب فقال خالد بن علقمة ابن الطيفان حليف بني عبد الله بن دارم
((أسالِمُ إني لا إخالك سالما ... أتيتَ بني السيِّد الغُواةَ الأشائِما
(أسالِم إن أفلتَّ من شرِّ هذه ... فوائِلْ فِراراً إنما كنتَ حالما)
(أسالم ما أعطى ابنُ مامةَ مثلها ... ولا حاتمٌ فيما بلا الناسُ حاتِما)
فقال سويد بن كراع يجيبه عن ذلك
(أشاعِرَ عبدِ الله إن كنتَ لائما ... فإني لما تأتي من الأمر لائِمُ)
(تُحَضِّضُ أفناء الرَباب سفاهَةً ... وعِرضُك موفور وليلَك نائم)
(وهل عَجَبٌ أن تدرِك السيِّدُ وترها ... وتَصِيرَ للحق السَّراةُ الأكارم)
(رأيتك لم تمنع طُهَيَّةَ حكمَها ... وأعطيتَ يربوعا وأنفُك راغم)
(وأنت امرؤ لا تقبل النصحَ طائعاً ... ولكن متى تُقْهَرْ فإنك رائم)
ووجدت هذا الخبر في رواية أبي عمرو الشيباني أتم منه هاهنا وأوضح فذكرته قال كان بين بني السيد بني مالك من ضبة وبين عدي بن عبد مناة ترام على خبراء بالصمان يقال لها ذات الزجاج فرمي عمرو بن حشفة أخو بني شبيم فمات ورمت بنو السيد رجلا منهم يقال له مدلج بن صخر العدوي فمكث أياما لم يمت فمر رجل من بني عدي يقال له معلل على بني السيد وهو لا يعلم الخبر فأخذوه فشدوه وثاقا فأفلت منهم ومشى بينهم عصمة بن أبير التيمي سفيرا فقال لسالم بن فلان العدوي لو رهنتهم نفسك فإن مات مدلج كان رجل برجل وإن لم يمت حملت دية صاحبهم ففعل ذلك سالم على أن يكون عند أختم بن حميري أخي بني شبيم من بني السيد فكان عنده ثم إن بني السيد لما أبطأ عليهم موت مدلج أتوا أختم لينتزعوا منه سالما ويقتلوه فقوض عليه أختم بيته ثم قال يا آل أمي وكانت أمه من بني عبد مناة بن بكر فمنعه عبد مناة ثم إن بني السيد قالوا لأختم إلى كم تمنع هذا الرجل أما الدية فوالله لا نقبلها أبدا فجعل لهم أجلا إن لم يمت مدلج فيه دفع إليهم سالما فقتلوه به فلما كان قبل ذلك الأجل بيوم مات مدلج فقتلوا سالما فقال في ذلك خالد بن علقمة أخو بني عبد الله بن دارم وهو ابن الطيفان
(أسالِمُ ما مَنَّتك نفسك بعدما ... أتيت بني السيِّد الغواة الأشائما)

(أسالم قد منتك نفسكِ أنما ... تكون دياتٌ ثم ترجِع سالِما)
(كذبتَ ولكن ثائِر متبسِّل ... يُلَقِّيك مصقولَ الحديدة صارما)
(أسالم ما أعْطَى ابنُ مامةَ مِثلَها ... ولا حاتِمُ فيما بلا الناسُ حاتما)
(أسالِم إن أفْلتَّ من شرّ هذه ... فوائلْ فرارا إنما كنت حالِما)
(وقد أسلمتْ تيمٌ عديًّا فأرْبَعَتْ ... ودلّت لأسباب المنيّة سالِما)
فأجابه سويد بن كراع بالأبيات التي ذكرها ابن سلام وزاد فيها أبو عمرو
((دعوتم إلى أمرِ النَّواكة دارِما ... فقد تركتم والنواكةَ دارمُ
(وكنت كذاتِ البَوِّ شُرِّمت استُها ... فطابقتَ لما خرّمتك الغمائم)
(فلو كنت مولى سلت ما تجللت ... به ضبع في ملتقى القوم واجِمُ)
(ولم يدرك المقتولُ إلا مجرَّه ... وما أسْأرت منه النسورُ القَشاعم)
(عليك ابنَ عوف لا تدعه فإنما ... كفاك موالِينا الذي جرَّ سالم)
(أتذكر أقواما كفوك شئونهم ... وشأنك إلا تركَه متفاقِم)
قال وقال سويد بن كراع في ذلك
(أرى آل يربوعٍ وأفناء مالكٍ ... أعضُّوك في الحرب الحديدَ المُنَقَّبا)
(همُ رفعوا فأسَ اللجام فأدركت ... لَهاتَك حتى لم تَدعْ لك مَشْرَبا)
(فإن عُدْت عادوا بالتي ليس فوقها ... من الشرّ إلا أن تبيتَ مجبَّبا)
(وتصبح تُدْرَى الكُعْكُيَّة قاعدا ... ويُنتَف من لِيَتْيك ما كان أزغبا)
تدري تمشط بالمدرى كما يفعل بالنساء والكعكية مشطة معروفة
(فهل سألوا فينا سَواءَ الذي لهم ... وهل نحن أعطينا سِواه فَتعْجَبا)
ويروى
(... فهل سألونا خَصلة غيرَ حقهم)
وهو أجود
قال فاستعدت بنو عبد الله سعيد بن عثمان بن عفان على سويد بن كراع في هجائه إياهم فطلبه ليضربه ويحبسه فهرب منه ولم يزل متواريا حتى كلم فيه فأمنه على ألا يعاود فقال سويد بن كراع
(تقول ابنةُ العوفيّ ليلَى ألا ترى ... إلى ابن كِراعٍ لا يزال مُفَزَّعا)
(مخافةُ هذين الأميرين سهَّدتْ ... رُقادي وغَشّتني بياضا تفرَّعا)
(على غير جرْمٍ غيرَ أنْ جارٌ ظالِمٌ ... عليّ فجهزت القصيدَ المفرّعا)
(وقد هابني الأقوام لمّا رميتهم ... بفاقِرةٍ إن همَّ أن يتشجعا)
(أبِيتُ بأبواب القوافي كأنما ... أُصادِي بها سِرباً من الوحش نُزَّعا)
(أُكالِئُها حتى أعرِّس بعدما ... يكون سُحيْرٌ أو بُعَيْدُ فأهجعا)
(فجشّمني خوفُ ابن عثمان ردّها ... ورعْيتَها صيفاً جديداً ومَربَعا)
(نهاني ابنُ عثمان الإمامِ وقد مضت ... نوافِذ لو تَرْدِي الصفا لتصدعا)
(عوارِقُ ما يَتركْن لَحماً بعَظمه ... ولا عظمَ لحم دون أن يتمزَّعا)
((أحقًّا هداكِ الله أن جارِ ظالم ... فأنكر مظلوم بأن يؤخذا معا
(وأنت ابنُ حُكّام أقاموا وقوَّموا ... قُرُونا وأعطَوا نائلا غيرَ أقطعا)
ينتجع بقومه أرض بني تميم
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية قال انتجع سويد بن كراع بقومه أرض بني تميم فجاور بني قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم فأنزله بغيض بن عامر بن شماس بن لأي بن أنف الناقة بن قريع وأرعاه ووصله وكساه فلم يزل مقيما فيهم حتى أحيا ثم ودعهم وأتى بغيضا وهو في نادي قومه وقد مدحه فأنشده قوله
قال حماد ومن لا يعلم يروي هذه القصيدة للحطيئة لكثرة مدحه بغيضا وهي لسويد بن كراع
(اِرتعتُ للزَّور إذ حيًّا وأرقني ... ولم يكن دانيا منا ولا صَدَدا)
(ودونه سَبْسَبٌ تُنْضِي المطي به ... حتى ترى العَنْسَ تُلْقِى رحلها الأجُدَا)
(إذا ذكرتك فاضت عبرتي دِرَراً ... وكاد متكومٌ قلبي يَصدع الكَبِدا)
(وذاك منّي هوىً قد كان أضمرَه ... قلبي فما ازداد من نقصٍ ولا نفِذا)
((وقد أرانا وحالُ الناس صالحةٌ ... نحتلُّ مربوعةً أُدمانَ أو بَرَدَى
(ليت الشباب وذاك العصر راجِعنا ... فلم نزل كالذي كنا به أبدا)
(أيام أعلم كم أعملتُ نحوكُمُ ... من عِرمِسٍ عاقِرٍ لم تَرْأم الولدا)
(تُصيخ عند السُّرى في البيد سامِيةً ... سطعاء تنهض في مِيتائِها صُعُدا)
(كأن رَحلي على حُمْشٍ قوائمه ... برمل عِرْنانَ أمسى طاويا وحِدا)
(هاجت عليه من الجوزاء ساريةٌ ... وطْفاء تحمل جَوْنا مُرْدفا نَضَدا)
(فألجأتْه إلى أرْطاةِ عانكةٍ ... فَيْحاءَ ينهال منها تُرْبُ ما التبدا)
(تخال عِطْفيه من جَوْل الرَّذاذِ به ... منظَّما بِيدَيْ داريَةٍ فَرَدا)
(حتى إذا ما انجلت عنه دُجُنَّتُه ... وكشَّف الصبحُ عنه الليلَ فاطَّردا)
((غدا كذي التاج حلَّته أساورةٌ ... كأنما اجتاب في حَرِّ الضحى سَنَدا
وهي طويلة اختصرتها يقول فيها
(لا يُبْعد اللهُ إذ ودَّعت أرْضهمُ ... أخي بَغيضا ولكن غيرُه بَعُدا)
(لا يبعد اللهُ من يعطي الجزيل ومن ... يحبو الخليل وما أكدَى وما صَلَدا)
(ومن تُلاقيه بالمعروف معترفا ... إذا أجْرَهَدَّ صفا المذمومِ أو صلَدا)

(لاقيتُه مُفْضِلا تَنْدَى أناملُه ... إن يُعطك اليومَ لا يمنعْك ذاك غدا)
(تجيء عفوا إذا جاءت عطيّتُه ... ولا تخالِطُ تَرْنِيقاً ولا زَهَدا)
(أوْلاهُ بالمَفخَرِ الأعلى وأعظَمُه ... خُلقا وأوسعُه خيرا ومُنتفَدا)
(إذا تكلّف أقوامٌ صنائِعَه ... لاقَوا ولم يُظْلَموا مِن دونها صَعَدا)
(بَحْرٌ إذا نَكِسَ الأقوامُ أو ضَجِروا ... لاقَيتَ خيرَ يديه دائما رَغَدا)
(لا يحسبُ المدحَ خَدعا حين تمدَحه ... ولا يرَى البُخلَ منهاه له أبدا)
(إنّي لَرافِدُه وُدِّي ومَنْصَرتي ... وحافِظٌ غيبَه إن غاب أو شَهِدا)

صوت

(حَنَتْني حانياتُ الدهرِ حتّى ... كأنّي خاتِلٌ يدنوا لِصَيّدِ)
(قريبُ الخَطْوِ يَحسِبُ من رآني ... ولستُ مقيَّداً أنِّي بقَيْدِ)

عروضه من الوافر الخاتل الذي يتقتر للصيد وينحني حتى لا يرى ويقال لكل من أراد خداع صيد أو إنسان ختله ورى أمره فلم يظهره ومن رواه كأني حابل فإنه يعني الذي ينصب حبالة للصيد الشعر لأبي الطمحان القيني والغناء لإبراهيم ماخوري وهو خفيف الثقيل الثاني بالوسطى وذكر ابن حبيب أن هذا الشعر للمسجاح بن سباع الضبي فإن كن ذلك على ما قال فلأبي الطمحان ما يغني فيه من شعره ولا يشك فيه أنه له قوله

صوت

(أضَاءَتْ لَهُمْ أحسابُهُمْ ووُجُوهُهُمْ ... دُجَى اللَّيْلِ حَتّى نَظَّمَ الجزعَ ثاقِبُهْ)

الغناء لعريب ثاني ثقيل وخفيف رمل وذكر ابن المعتز أن خفيف الرمل لها وأن الثقيل الثاني لغيرها

تم الجزء الثاني عشر ويليه الجزء الثالث عشر

وأوله أخبار أبي الطمحان القيني

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبار أبي الطمحان القينيّ

أبو الطمحان اسمه حنظلة بن الشرقي أحد بني القين بن جسر بن شيع الله من قضاعة وقد تقدم هذا النسب في عدة مواضع من الكتاب في أنساب شعرائهم

وكان أبو الطمحان شاعرا فارسا خاربا صعلوكا وهو من المخضرمين أدرك الجاهلية والإسلام فكان خبيث الدين فيهما كما يذكر وكان تربا للزبير بن عبد المطلب في الجاهلية ونديما له أخبرنا بذلك أبو الحسن الأسدي عن الرياشي عن أبي عبيدة

قيسبة السكوني يقع في أسر بني عقيل

ومما يدل على أنه قد أدرك الجاهلية ما ذكره ابن الكلبي عن أبيه قال خرج قيسبة بن كلثوم السكوني وكان ملكا يريد الحج وكانت العرب تحج في الجاهلية فلا يعرض بعضها لبعض فمر ببني عامر بن عقيل فوثبوا

عليه فأسروه وأخذوا ماله وما كان معه وألقوه في القد فمكث فيه ثلاث سنين وشاع باليمن أن الجن استطارته فبينا هو في يوم شديد البرد في بيت عجوز منهم إذ قال لها أتأذنين لي أن آتي الأكمة فأتشرق عليها فقد أضر بي القر فقالت له نعم وكانت عليه جبة من حبرة لم يترك عليه غيرها فتمشى في أغلاله وقيوده حتى صعد الأكمة ثم أقبل يضرب ببصره نحو اليمن وتغشاه عبرة فبكى ثم رفع طرفه إلى السماء وقال اللهم ساكن السماء فرج لي مما أصبحت فيه فبينا هو كذلك إذ عرض له راكب يسير فأشار إليه أن أقبل فأقبل الراكب فلما وقف عليه قال له ما حاجتك يا هذا قال أين تريد قال أريد اليمن قال ومن أنت قال أنا أبو الطمحان القيني فاستعبر باكيا فقال له أبو الطمحان من أنت فإني أرى عليك سيما الخير ولباس الملوك وأنت بدار ليس فيها ملك قال أنا قيسبة بن كلثوم السكوني خرجت عام كذا وكذا أريد الحج فوثب علي هذا الحي فصنعوا بي ما ترى وكشف عن أغلاله وقيوده فاستعبر أبو الطمحان فقال له قيسبة

هل لك في مائة ناقة حمراء قال ما أحوجني إلى ذلك قال فأنخ فأناخ ثم قال له أمعك سكين قال نعم قال ارفع لي عن

- رحلك فرفع له عن رحله حتى بدت خشبة مؤخره فكتب عليها قيسبة بالمسند وليس يكتب به غير أهل اليمن - خفيف

(بَلِّغا كِنْدَةَ المِلوكَ جميعاً ... حيثُ سارتِ بالأكرمين الجِمالُ)
(أنْ رِدُوا العَيْنَ بالخميسِ عِجالاً ... واصدُروا عنه والرَّوايا ثِقال)
(هَزِئَتْ جارتي وقالت عجيباً ... إذ رأتْني في جِيدِيَ الأغلال)
(إن تَرَيْنِي عارِي العِظامِ أسيراً ... قد بَراني تَضَعْضُعٌ واختْلال)

- فلقد أقْدِمُ الكَتِيبةَ بالسيفِ ... عليَّ السلاحُ والسِرْبال) - خفيف)

وكتب تحت الشعر إلى أخيه أن يدفع إلى أبي الطمحان مائة ناقة ثم قال له أقرئ هذا قومي فإنهم سيعطونك مائة ناقة حمراء فخرج تسير به

ناقته حتى أتى حضرموت فتشاغل بما ورد له ونسي أمر قيسبة حتى فرغ من حوائجه ثم سمع نسوة من عجائز اليمن يتذاكرن قيسبة ويبكين فذكر أمره فأتى أخاه الجون بن كلثوم وهو أخوه لأبيه وأمه فقال له يا هذا إني أدلك على قيسبة وقد جعل لي مائة من الإبل قال له فهي لك فكشف عن الرحل فلما قرأه الجون أمر له بمائة ناقة ثم أتى قيس بن معد يكرب الكندي أبا الأشعث بن قيس فقال له يا هذا إن أخي في بني عقيل أسير فسر معي بقومك فقال له أتسير تحت لوائي حتى أطلب ثأرك وأنجدك وإلا فامض راشدا فقال له الجون مس السماء أيسر من ذلك وأهون علي مما خيرته وضجت السكون ثم فاءوا ورجعوا وقالوا له وما عليك من هذا هو ابن عمك ويطلب لك بثأرك فأنعم له بذلك وسار قيس وسار الجون معه تحت لوائه وكندة والسكون معه فهو أول يوم اجتمعت فيه السكون وكندة لقيس وبه أدرك الشرف فسار

- حتى أوقع بعامر بن عقيل فقتل منهم مقتلة عظيمة واستنقذ قيسبة وقال في ذلك سلامة بن صبيح الكندي - السريع

(لا تشتِمونا إذا جَلَبْنا لكُمْ ... ألْفَيْ كُمَيْتٍ كلُّها سَلْهَبهْ)
((نحن أبَلْنا الخيلَ في أرضِكُمْ ... حتى ثأرْنا منكمُ قَيْسَبَة

- واعترضتْ من دُونِهِم مَذْحِجٌ ... فصادَفوا من خيلِنا مَشْغَبه) - السريع)

حدثنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال

بلغني أن أبا الطمحان القيني قيل له وكان فاسقا خاربا ما أدنى ذنوبك قال ليلة الدير قيل له وما ليلة الدير قال نزلت

بديرانية فأكلت عندها طفيشلا بلحم خنزير وشربت من خمرها وزنيت بها وسرقت كساءها ثم انصرفت عنها
أخبرني عمي قال حدثني محمد بن عبد الله الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال جنى أبو الطمحان القيني جناية وطلبه السلطان فهرب من بلاده ولجأ إلى بني فزارة فنزل على رجل منهم يقال له مالك بن سعد أحد بني شمخ فآواه وأجاره وضرب عليه بيتا وخلطه بنفسه فأقام مدة ثم تشوق يوما إلى أهله وقد شرب شرابا ثمل منه فقال لمالك لولا أن يدي تقصر عن دية جنايتي لعدت إلى أهلي فقال له هذه إبلي فخذ
منها دية جنايتك واردد ما شئت فلما أصبح ندم على ما قاله وكره مفارقة موضعه ولم يأمن على نفسه فأتى مالكا
- فأنشده - وافر
(سأمدحُ مالكاً في كلِّ ركبٍ ... لَقِيتُهُمُ وأترُكُ كل رَذْلِ)
(فما أنا والبِكارةُ أو مَخاضٌ ... عِظامٌ جِلَّةٌ سُدُسٌ وبُزْلِ)
(وقد عَرَفَتْ كلابُكُمُ ثِيابي ... كأنّي منكمُ ونَسِيتُ أهلي)
- نَمَتْ بكَ مِن بَنِي شَمْخٍ زنادٌ ... لها ما شئْتَ من فَرْعٍ وأصلِ) - وافر)
قال فقال مالك مرحبا فإنك حبيب ازداد حبا إنما اشتقت إلى أهلك وذكرت أنه يحبسك عنهم ما تطالب به من عقل أو دية فبذلت لك ما بذلت وهو لك على كل حال فأقم في الرحب والسعة فلم يزل مقيما عندهم حتى هلك في دارهم
اعتذاره لامرأته من ركوبه الأهوال
قال أبو عمرو في هذه الرواية وأخبرني أيضا بمثله محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي قال عاتبت
أبا الطمحان القيني امرأته في غاراته ومخاطرته بنفسه وكان لصاً خاربا خبيثاً وأكثرت لومه على ركوب الأهوال ومخاطرته
- بنفسه في مذاهبه فقال لها - طويل
(لو كنتُ في رَيْمانَ تَحْرُسُ بابَه ... أراجيلُ أُحْبوشٌ وأغْضَفُ آلِفُ)
(إذاً لأتَتْنِي حيثُ كنتُ مَنِيَّتي ... يَخُبُّ بها هادٍ بأمريَ قائفُ)
(فمِنْ رَهْبَةٍ آتِي المتالفَ سادِراً ... وأيَّةُ أرض ليس فيها مَتالِفُ)
- فأما البيت الذي ذكرت من شعره أنّ فيه لعريب صنعة وهو - طويل
- أضاءَتْ لهمْ أحسابُهمْ ووُجوهُهمْ ...) - طويل)
فإنه من قصيدة له مدح بها بجير بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي وكان أسيرا في يده فلما مدحه بهذه القصيدة أطلقه
- وجز ناصيته فمدحه بعد هذا بعدة قصائد وأول هذه الأبيات - طويل
(إذا قيل أيُّ الناس خَيرٌ قَبيلةً ... وأصبرُ يوماً لا تَوارَى كَواكِبُهْ)
((فإنَّ بني لأمِ بن عَمْرٍو أرُومةٌ ... عَلَتْ فوقَ صَعْبٍ لا تُنالُ مَرَاقِبُهْ
(أضاءتْ لهمْ أحسابُهمْ ووُجوهُهمْ ... دُجَى الليلِ حتى نَظَّمَ الجِزْعَ ثاقِبُهْ)
- لهم مَجْلِسٌ لا يَحْصَرون عن النَّدَى ... إذا مَطْلَبُ المعروف أَجْدَبَ راكبه) - طويل)
أسر أبي الطمحان في الحرب بين جديلة والغوث
وأما خبر أسره والواقعة التي أسر فيها فإن علي بن سليمان الأخفش أخبرني بها عن أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي قال كان أبو الطمحان القيني مجاورا في جديلة من طيء وكانت قد اقتتلت بينها وتحاربت الحرب التي يقال لها حرب الفساد وتحزبت حزبين حزب
جديلة وحزب الغوث وكانت هذه الحرب بينهم أربعة أيام ثلاثة منها للغوث ويوم لجديلة فأما اليوم الذي كان لجديلة فهو يوم ناصفة وأما الثلاثة الأيام التي كانت للغوث فإنها يوم قارات حوق ويوم البيضة ويوم عرنان وهو آخرها وأشدها وكان للغوث فانهزمت جديلة هزيمة قبيحة وهربت فلحقت بكلب وحالفتهم وأقامت فيهم عشرين سنة وأسر أبو الطمحان في هذه
- الحرب أسره رجلان من طيء واشتركا فيه فاشتراه منهما بجير بن أوس بن حارثة لما بلغه قوله - طويل
(أرِقْتُ وآبَتْني الهمومُ الطَّوارقُ ... ولم يلْقَ ما لاقَيْتُ قبليَ عاشقُ)
(إليكُمْ بني لأمٍ تخُبُّ هِجانُها ... بكلِّ طريقٍ صادَفَتْه شَبارقُ)
(لَكُمْ نائلٌ غَمْرٌ وأحلامُ سادةٍ ... وألسِنةٌ يومَ الخِطابِ مَسالقُ)
- ولم يَدْعُ داعٍ مِثْلَكُمْ لعظيمةٍ ... إذا وَزَمَتْ بالساعدَيْن السَّوارِقُ) - طويل)
السوارق الجوامع واحدتها سارقة
قال فابتاعه بجير من الطائيين بحكمهما فجز ناصيته وأعتقه
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثني مصعب بن عبد الله الزبيري قال كان أبو الطمحان القيني مجاورا لبطن من طيئ يقال لهم بنو جديلة فنطح تيس له غلاما منهم فقتله فتعلقوا أبا الطمحان وأسروه حتى
- يؤدي ديته مائة من الإبل وجاءهم نزيله وكان يدعى هشاما ليدفع عنه فلم يقبلوا قوله فقال أبو الطمحان - طويل
(أتاني هِشامٌ يَدفَعُ الضَّيْمَ جاهِداً ... يقولُ ألاَ ماذا تَرَى وتَقولُ)
(فقلت له قُمْ يا لَكَ الخيرُ أدِّها ... مُذَلَّلةً إنّ العَزيزَ ذَليل)
- فإن يكُ دُونَ القَيْن أغبرُ شامخٌ ... فليس إلى القَيْن الغداةَ سبيل) - طويل)
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال دخلت يوما على المأمون فوجدته حائرا متفكرا غير نشيط فأخذت أحدثه بملح الأحاديث وطرفها أستميله لأن يضحك أو ينشط فلم يفعل
- وخطر ببالي بيتان فأنشدته إياهما وهما - طويل
(ألاَ عَلِّلاني قبلَ نَوْحِ النَّوائِح ... وقبلَ نُشوزِ النفس بين الجَوانح)
- (وقبل غدٍ يا لَهْفَ نفسي على غدٍ ... إذ راح أصحابي ولستُ برائح) - طويل
فتنبه كالمتفزع ثم قال من يقول هذا ويحك قلت أبو الطمحان القيني يا أمير المؤمنين قال صدق والله أعدهما علي فأعدتهما عليه حتى حفظهما ثم دعا بالطعام فأكل ودعا بالشراب فشرب وأمر لي بعشرين ألف درهم
اعتذار الحسن لعبد الملك
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثني أحمد بن الحارث الخراز قال حدثني المدائني قال عاتب عبد الملك بن مروان الحسن بن الحسن عليهما السلام على شيء بلغه عنه من دعاء أهل العراق إياه إلى الخروج معهم على عبد الملك

فجعل يعتذر إليه ويحلف له فقال له خالد بن يزيد بن معاوية يا أمير المؤمنين ألا تقبل عذر ابن عمك وتزيل عن قلبك ما قد أشربته إياه أما سمعت قول أبي الطمحان القيني - طويل
(إذا كان في صدر ابنِ عَمِّكَ إحْنَةٌ ... فلا تَستَثِرْها سوف يبدو دَفينُها)
- وإنْ حَمْأةَ المعروفِ أعطاك صَفْوَها ... فخُذْ عَفْوَه لا يَلْتَبِسْ بك طِينُها) - طويل)
قال المدائني ونزل أبو الطمحان على الزبير بن عبد المطلب بن هاشم وكانت العرب تنزل عليه فطال مقامه لديه واستأذنه في الرجوع إلى أهله وشكا إليه شوقا إليهم فلم يأذن له وسأله المقام فأقام عنده مدة ثم أتاه فقال له
(ألاَ حَنَّت المِرْقالُ وائْتبَّ ربُّها ... تَذَكَّرُ أوطاناً وأذْكرُ مَعْشَري)
(ولو عَرَفتْ صَرْفَ البُيُوعِ لَسرَّهَا ... بمكةَ أنْ تَبْتاعَ حَمْضاً بإذْخر
(أسَرَّكِ لو أنّا بجَنْبَيْ عُنيزةٍ ... وحَمْضٍ وضُمران الجَنابِ وصَعْتَر)
- إذا شاء راعيها استقَى من وَقيعةٍ ... كعَين الغُرابِ صَفْوُها لم يُكَدَّر) - طويل)
فلما أنشده إياها أذن له فانصرف وكان نديما له
صوت
(لا يَعْتَري شَرْبَنا اللِّحاءُ وقَدْ ... تُوهَبُ فينا القِيانُ والحلَلُ)
- وفِتيةٍ كالسّيوفِ نادَمتُهمْ ... لاحصَرٌ فيهمُ ولا بَخَلُ) - منسرح)
الشعر للأسود بن يعفر والغناء لسليم خفيف ثقيل أول بالبنصر
أخبار الأسود ونسبه
الأسود بن يعفر ويقال يعفر بضم الياء ابن عبد الأسود بن جندل ابن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وأم الأسود بن يعفر رهم بنت العباب من بني سهم بن عجل شاعر متقدم فصيح من شعراء الجاهلية ليس بالمكثر وجعله محمد بن سلام في الطبقة
الثامنة مع خداش بن زهير والمخبل السعدي والنمر بن تولب العكلي وهو من العشي ويقال العشو بالواو المعدودين في الشعراء وقصيدته الدالية المشهورة
- نامَ الخَليُّ وما أُحِسُّ رُقادي ... والهمُّ مُحتَضِرٌ لَدَيَّ وِسادي) - كامل)
معدودة من مختار أشعار العرب وحكمها مفضلية مأثورة
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي وأبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي قالا حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال تقدم رجل من أهل البصرة من بني دارم إلى سوار بن عبد الله ليقيم عنده شهادة فصادفه يتمثل قول الأسود بن يعفر
(ولقد علمْتُ لَوَ أنَّ عِلمي نافِعي ... أنّ السَّبيلَ سَبيلُ ذي الأعْواد)
((إنّ المنيَّة والحُتُوفَ كِلاهما ... يُوفِي المخَارِمَ يَرْمِيانِ سَوادي
(ماذا أؤَمِّلُ بعد آلِ مُحرِّقٍ ... تركوا منازِلَهم وبَعْدَ إيادِ)
(أهلِ الخَورنَقِ والسَّدِير وبارِقٍ ... والقصرِ ذي الشُّرُفَاتِ من سِنداد)
((نَزَلُوا بأنْقرةٍ يَفيض عليهم ... ماءُ الفُراتِ يَفيض من أطْوَاد
- جَرتِ الرياحُ على محلِّ دِيارهمْ ... فكأنَّما كانوا على مِيعادِ) - كامل)
ثم أقبل على الدارمي فقال له أتروي هذا الشعر قال لا قال أفتعرف من يقوله قال لا قال رجل من قومك له هذه النباهة وقد قال مثل هذه الحكمة لا ترويها ولا تعرفه يا مزاحم أثبت شهادته عندك فإني متوقف عن قبوله حتى أسأل عنه فإني أظنه ضعيفا
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن الرياشي عن أبي عبيدة بمثله
جائزة الرشيد لمن يروي نام الخلي
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني الحكم بن موسى السلولي قال حدثني أبي قال بينا نحن بالرافقة على باب الرشيد وقوف وما أفقد أحدا من وجوه العرب من أهل الشام والجزيرة والعراق إذ خرج وصيف كأنه درة فقال يا معشر الصحابة إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم من كان منكم يروي قصيدة الأسود بن يعفر كامل
- نام الخَليُّ وما أُحِسُّ رُقادِي ... والهمُّ مُحْتَضِرٌ لَدَيَّ وِسادِي) - كامل)
فليدخل فلينشدها أمير المؤمنين وله عشرة آلاف درهم فنظر بعضنا إلى بعض ولم يكن فينا أحد يرويها قال فكأنما سقطت والله البدرة عن
قربوسي قال الحكم فأمرني أبي فرويت شعر الأسود بن يعفر من أجل هذا الحديث
التمثل بشعر الأسود
أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثني عبد الله بن عبد الرحمن المدائني قال حدثنا أبو أمية بن عمرو بن هشام الحراني قال حدثنا محمد بن يزيد بن سنان قال حدثني جدي سنان بن يزيد قال كنت مع مولاي جرير بن سهم التميمي وهو يسير أمام علي بن أبي طالب عليه السلام ويقول
(يا فَرَسِي سِيرِي وأُمِّي الشاما ... وخَلِّفِي الأخوالَ والأعماما)
(وقطِّعي الأجوازَ والأعلاما ... وقَاتِلي مَن خالفَ الإماما)
(إني لأرجو إنْ لَقِينا العاما ... جَمْعَ بني أُمَيَّةَ الطَّغاما)
- أنْ نَقْتُلَ العاصيَ والهُماما ... وأن نُزيل من رجالٍ هاما) - رجز)
فلما انتهى إلى مدائن كسرى وقف علي عليه السلام ووقفنا فتمثل مولاي قول الأسود بن يعفر
- جَرَتِ الرِّياحُ على مَكانِ دِيارِهمْ ... فكأنَّما كانوا على مِيعادِ) - كامل)
فقال له علي عليه السلام فلم لم تقل كما قال الله جل وعز (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين) ثم قال يا بن أخي إن هؤلاء كفروا النعمة فحلت بهم النقمة فإياكم وكفر النعمة فتحل بكم النقمة
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال مر عمر بن عبد العزيز ومعه مزاحم مولاه يوما بقصر من قصور آل جفنة وقد خرب فتمثل مزاحم بقول الأسود بن يعفر
(جَرَتِ الرِّياحُ على محلِّ دِيارِهمْ ... فكأنَّما كانوا على مِيعادِ)

(ولقد غَنُوا فيها بأنْعَمِ عِيشةٍ ... في ظِلِّ مُلْكٍ ثابتِ الأوْتادِ)
- فإذا النَّعيمُ وكلُّ ما يُلْهَى به ... يوماً يَصِيرُ إلى بِلًى ونَفادِ) - كامل)
(فقال له عمر هلا قرأت (كم تركوا من جنات وعيون) إلى قوله جل وعز (كذلك أورثناها قوما آخرين
نسخت من كتاب محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل قال
كان الأسود بن يعفر مجاورا في بني قيس بن ثعلبة ثم في بني مرة بن عباد بالقاعة فقامرهم فقمروه حتى حصل عليه تسعة عشر بكرا فقالت لهم أمه وهي رهم بنت العباب يا قوم أتسلبون ابن أخيكم ماله قالوا فماذا نصنع قالت احبسوا قداحه فلما راح القوم قالوا له أمسك فدخل ليقامرهم فردوا قداحه فقال لا أقيم بين قوم لا أضرب فيهم بقدح فاحتمل قبل دخول الأشهر الحرم فأخذت إبله طائفة من بكر بن وائل فاستسعى الأسود بني مرة بن عباد وذكرهم الجوار وقال لهم
((يالَ عُبَادٍ دعوةً بعد هَجْمةٍ ... فهل فيكُم من قوّةٍ وزَماعِ
- فَتسعْوْا لجارٍ حلَّ وَسْطَ بُيوتكمْ ... غريبٍ وجاراتٍ تُرِكْن جِياعِ) - طويل)
وهي قصيدة طويلة فلم يصنعوا شيئا فادعى جوار بني محلم بن ذهل ابن شيبان فقال
(قل لبني مُحَلِّمٍ يَسيروا ... بِذمّةٍ يَسْعَى بها خَفيرُ)
- لا قَدْحَ بعد اليوم حتى تُوروا ...) - رجز)
ويروى إن لم توروا فسعوا معه حتى استنقذوا إبله فمدحهم بقصيدته التي أولها
(أجارَتَنا غُضِّي من السَّيْرِ أو قِفِي ... وإن كنتِ قد أزْمَعْتِ بالبَيْنِ فاصْرِفي)
(أسائِلُكِ أو أخْبِرْكِ عن ذي لُبانةٍ ... سَقِيمِ الفُؤاد بالحِسانِ مُكَلَّف)
يقول فيها
(تَدارَكَني أسبابُ آلِ مُحَلِّمٍ ... وقد كدْتُ أهْوِي بين نِيقَيْن نَفْنَفِ)
- همُ القومُ يُمسِي جارُهُم في غَضارةٍ ... سَوِياً سَليمَ اللَّحمِ لم يُتحوَّفِ) - طويل)
فلما بلغتهم أبياته ساقوا إليه مثل إبله التي استنقذوها من أموالهم
سعيه في رد الإبل لطلحة
قال المفضل كان رجل من بني سعد بن عوف بن مالك بن حنظلة يقال له طلحة جارا لبني ربيعة بن عجل بن لجيم فأكلوا إبله فسأل في قومه حتى أتى الأسود بن يعفر يسأله أن يعطيه ويسعى له في إبله فقال له الأسود لست جامعهما لك ولكن اختر أيهما شئت قال أختار أن تسعى لي بإبلي فقال الأسود لأخواله من بني عجل
(يا جارَ طَلْحَةَ هلْ تَرُدُّ لَبُونَهُ ... فتكونَ أدْنَى للوَفاءِ وأكرَمَا)
- تاللّهِ لو جاوَرْتُموه بأرْضِه ... حتّى يُفارِقَكم إذاً ما أجْرَمَا) - طويل)
وهي قصيدة طويلة فبعث أخواله من بني عجل بإبل طلحة إلى الأسود ابن يعفر فقالوا أما إذا كنت شفيعه فخذها وتول ردها لتحرز المكرمة عنده دون غيرك
إغارته على كاظمة ومرضه
وقال ابن الأعرابي قتل رجلان من بني سعد بن عجل يقال لهما وائل وسليط ابنا عبد الله عما لخالد بن مالك بن ربعي النهشلي يقال له عامر بن ربعي وكان خالد بن مالك عند النعمان حينئذ ومعه الأسود بن يعفر فالتفت النعمان يوما إلى خالد بن مالك فقال له أي فارسين في العرب تعرف هما أثقل على الأقران وأخف على متون الخيل فقال له أبيت اللعن أنت أعلم فقال خالا ابن عمك الأسود بن يعفر وقاتلا عمك عامر بن ربعي يعني العجليين وائلا وسليطا فتغير لون خالد بن مالك وإنما أراد النعمان أن يحثه على الطلب بثأر عمه فوثب الأسود فقال أبيت اللعن عض بهن أمه
من رأى حق أخواله فوق حق أعمامه ثم التفت إلى خالد بن مالك فقال يا بن عم الخمرعلي حرام حتى أثأر لك بعمك قال وعلي مثل ذلك ونهضا يطلبان القوم فجمعا جمعا من بني نهشل بن دارم فأغارا بهم على كاظمة وأرسلا رجلا من بني زيد بن نهشل بن دارم يقال له عبيد يتجسس لهم الخبر فرجع إليهم فقال جوف كاظمة ملآن من حجاج وتجار وفيهم وائل وسليط متساندان في جيش فركبت بنو نهشل حتى أتوهم فنادوا من كان حاجا فليمض لحجه ومن كان تاجرا فليمض لتجارته فلما خلص لهم وائل وسليط في جيشهما اقتتلوا فقتل وائل وسليط قتلهما هزان ابن زهير بن جندل بن نهشل عادى بينهما وادعى الأسود بن يعفر أنه قتل وائلا ثم عاد إلى النعمان فلما رآه تبسم وقال وفي نذرك يا أسود قال نعم أبيت اللعن ثم أقام عنده مدة ينادمه ويؤاكله ثم مرض مرضا شديدا فبعث النعمان إليه رسولا يسأله عن خبره وهول ما به فقال
(نَفَعٌ قليل إذ نادَى الصَّدَى أُصُلاً ... وحانَ منه لِبردِ الماءِ تَغْرِيدُ)
(وودَّعوني فقالوا ساعةَ انطَلَقوا ... أوْدَى فأودَى النَّدَى والحزمُ والجُود)
- فما أُبالي إذا ما مُتُّ ما صَنَعُوا ... كلُّ امرئ بسبيلِ الموتِ مَرْصود) - بسيط)
ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني بأثره عن أبيه قال
كان أبو جعل أخو عمرو بن حنظلة من البراجم قد جمع جمعا من
شذاذ أسد وتميم وغيرهم فغزوا بني الحارث بن تيم الله بن ثعلبة فنذروا بهم وقاتلوهم قتالا شديدا حتى فضوا جمعهم فلحق رجل من بني الحارث ابن تيم الله بن ثعلبة جماعة من بني نهشل فيهم جراح بن الأسود بن يعفر والحر بن شمر بن هزان بن زهير بن جندل ورافع بن صهيب بن حارثة بن جندل وعمرو والحارث ابنا حرير بن سلمى بن جندل فقال لهم الحارثي هلم إلي طلقاء فقد أعجبني قتالكم سائر اليوم وأنا خير لكم من العطش قالوا نعم فنزل ليجز نواصيهم فنظر الجراح بن الأسود إلى فرس من خيلهم فإذا هي أجود فرس في الأرض فوثب فركبها وركضها ونجا عليها فقال الحارثي للذين بقوا معه أتعرفون هذا قالوا نعم نحن لك علية خفراء فلما أتى جراح أباه أمره فهرب بها في بني سعد فابتطنها ثلاثة أبطن وكان يقال لها العصماء فلما رجع النفر النهشليون إلى قومهم قالوا إن خفراء فارس العصماء فوالله لنأخذنها فأوعدوه وقال حرير ورافع نحن الخفيران بها وكان بنو جرول حلفاء بني سلمى بن جندل على بني حارثة بن جندل فأعانه على ذلك التيحان بن بلج بن جرول بن نهشل فقال الأسود بن يعفر يهجوه
(أتاني ولم أخشَ الذي ابْتَعثا به ... خَفِيرَا بني سَلْمَى حُرَيرٌ ورافعُ)
(همُ خَيَّبوني يومَ كلِّ غَنيمةٍ ... وأهلكتُهمْ لوْ أنَّ ذلك نافعُ)
(فلا أنا مُعْطِيهمْ عليَّ ظُلامةً ... ولا الحقَّ مَعْرُوفاً لهمْ أنا مانِعُ)

(وإني لأقري الضيفَ وَصَّى به أبِي ... وجارُ أبي التَّيحانِ ظمآنُ جائعُ)
((فقولاَ لتَيْحانَ ابنِ عاقِرة استِها ... أمُجْرٍ فَلاقِي الغَيِّ أمْ أنتَ نازعُ
(ولَوْ أنَّ تَيْحان بنَ بَلْجٍ أطاعني ... لأرشدْتُه وللأمور مَطالعُ)
(وإنْ يَكُ مَدلولاً عَليَّ فإنَّني ... أخو الحَرْبِ لا قَحْمٌ ولا مُتجاذِعُ)
- ولكنَّ تَيْحانَ ابنَ عاقِرةِ استِها ... له ذَنَبٌ من أمْرِه وتَوابعُ) - طويل)

قال فلما رأى الأسود أنهم لا يقلعون عن الفرس أو يردوها أحلفهم عليها فحلفوا أنهم خفراء لها فرد الفرس عليهم وأمسك أمهارها فردوا الفرس إلى صاحبها ثم أظهر الأمهار بعد ذلك فأوعدوه فيها أن يأخذوها فقال الأسود

(أحقًّا بني أبناءِ سَلْمى بنِ جَنْدَلٍ ... وَعيدُكُمُ إيايَ وَسْطَ المجالس)
(فهلاّ جَعلتمْ نَحوَهُ من وَعيدِكُمْ ... على رَهْطِ قَعْقاعٍ ورهطِ ابنِ حابِس)
(هُمُ مَنعوا منكُمْ تُراثَ أبيكُمُ ... فصار التُّراثُ للكِرام الأكايس)
- هُمُ أوْرَدوكُمْ ضَفَّةَ البحر طامِيًا ... وهُمْ تركوكُمْ بين خازٍ وناكس) - طويل)

رثاؤه مسروق النهشلي

وقال أبو عمرو كان مسروق بن المنذر بن سلمى بن جندل بن نهشل سيدا جوادا وكان مؤثرا للأسود بن يعفر كثير الرفد له والبر به فمات مسروق واقتسم أهله ماله وبان فقده على الأسود بن يعفر فقال يرثيه

(أقول لمَّا أتاني هُلْكُ سَيِّدنا ... لا يُبْعِدِ اللهُ ربُّ الناسِ مَسْروقَا)
((مَن لا يشيِّعُه عَجْزٌ ولا بَخَلٌ ... ولا يبيتُ لديه اللّحمُ مَوْشُوقَا
(مِرْدَى حُروبٍ إذا ما الخيلُ ضَرَّجَها ... نَضْحُ الدماءِ وقد كانتْ أفاريقا)
(والطاعنُ الطعنةَ النَّجلاءَ تحسَبُها ... شَنًّا هزيماً يَمُجُّ الماءَ مَخْروقا)
(وجَفْنةٍ كنَضِيحِ البِئْرِ مُتْأَقةٍ ... ترى جَوانبَها باللحم مفتوقا)
(يَسَّرْتَها ليتامى أو لأَرْمَلةٍ ... وكنتَ بالبائِسِ المتروكِ مَحقُوقا)
- يا لَهْفَ أُمِّيَ إذْ أوْدَى وفارَقني ... أودَى ابنُ سَلْمى نقيُّ العِرْض مَرْمُوقا) - بسيط)

شعره في أولاده

وقال أبو عمرو عاتبت سلمى بنت الأسود بن يعفر أباها على إضاعته ماله فيما ينوب قومه من حمالة وما يمنحه فقراءهم ويعين به مستمنحهم فقال لها

(وقالت لا أراك تُلِيقُ شيئاً ... أتُهلِكُ ما جَمعْتَ وتَستفيدُ)
((فقلتُ بِحَسبِها يَسَرٌ وعارٍ ... ومُرْتَحِلٌ إذا رَحَل الوفودُ
(فلُومِي إنْ بدا لكِ أو أفيقِي ... فقبْلَكِ فاتَني وهو الحَميدُ)
(أبو العَوْراءِ لمْ أكْمَدْ عليه ... وقيسٌ فاتَني وأخِي يزيدُ)
(مَضَوْا لسبيلهمْ وبَقِيتُ وَحدِي ... وقَدْ يُغْنِي رَباعته الوحيدُ)
(فلوْلا الشامتونَ أخذْتُ حقِّي ... وإنْ كانتْ بِمطْلَبِه كَؤُودُ)

ويروى

- وإنْ كانت له عِنْدِي كَؤُودُ ...) - وافر)

قال أبو عمرو وكان الجراح بن الأسود في صباه ضئيلا ضعيفا فنظر إليه الأسود وهو يصارع صبيا من الحي وقد صرعه الصبي والصبيان يهزؤون منه فقال

(سيَجْرحُ جرّاحٌ وأعْقِلُ ضَيْمَه ... إذا كان مَخْشِيًّا من الضَّلَع المُنْدِي)
- فآباءُ جرّاحٍ ذُؤابة دارمٍ ... وأخوالُ جرّاحٍ سَراةُ بني نَهْدِ) - طويل)

قال وكانت أم الجراح أخيذة أخذها الأسود من بني نهد في غارة أغارها عليهم

وقال أبو عمرو لما أسن الأسود بن يعفر كف بصره فكان يقاد إذا أراد مذهبا وقال في ذلك

((قد كنتُ أهْدِي ولا أهْدَى فعلَّمني ... حُسْنُ المَقادةِ أني أفقِدُ البَصَرَا
- أمْشِي وأتْبَعُ جَنَّاباً ليَهْدِيَني ... إنّ الجَنيبة مما تَحشَمُ الغَدَرَا) - بسيط)

الجناب الرجل الذي يقوده كما تقاد الجنيبة الحشم المشي ببطء والغدر مكان ليس مستويا

وذكر محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل أن الأسود كان له أخ يقال له حطائط بن يعفر شاعر وأن ابنه الجراح كان شاعرا أيضا قال وأخوه حطائط الذي قال لأمهما رهم بنت العباب وعاتبته على جوده فقال

(تقول ابنةُ العَبَّابِ رُهْمٌ حَرَبْتني ... حُطائطُ لم تَتْرُكْ لنفسك مَقْعَدَا)
(إذا ما جَمَعْنا صِرمة بعد هَجْمةٍ ... تكون علينا كابنِ أُمِّك أسودا)
(فقلتُ ولم أعْيَ الجوابَ تأمَّلي ... أكان هُزالاً حَتْفُ زيدٍ وأرْبَدا)
(أريني جَواداً مات هُزْلا لعلَّني ... أرَى ما تَرَيْن أو بخيلاً مُخلَّدا)
(ذَريني أكنْ للمال ربًّا ولا يكنِ ... لي المالُ ربًّا تَحمدي غِبَّه غدا)
(ذَريني فلا أعيا بما حلَّ ساحتي ... أسُودُ فأُكْفَى أو أطيعُ المُسوَّدا)
(ذريني يكنْ مالي لعِرْضِي وِقايةً ... يَقِي المالُ عِرْضِي قَبل أن يتبدَّدا)
- (أجارةَ أهلي بالقَصِيْمَةِ لا يكن ... عليَّ ولم أظلِمْ لسانُكِ مِبْرَدا) - طويل

صوت

(أعاذِلَتي ألا لا تَعذُلِينا ... أقِلّي اللومَ إنْ لم تَنْفَعِينا)
- فقد أكثرتِ لو أغنيْتِ شيئاً ... ولستُ بقابلٍ ما تأمُرينا) - وافر)

الشعر لأرطاة بن سهية والغناء لمحمد بن الأشعث خفيف رمل بالبنصر من نسخة عمرو بن بانة

أخبار أرطاة ونسبه

هو أرطاة بن زفر بن عبد الله بن مالك بن شداد بن عقفان بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان وقد تقدم هذا النسب في عدة مواضع من هذا الكتاب وسهية أمه وهي بنت زامل بن مروان بن زهير بن ثعلبة بن حديج بن أبي جشم بن كعب بن عوف ابن عامر بن عوف سبية من كلب وكانت لضرار بن الأزور ثم صارت إلى

زفر وهي حامل فجاءت بأرطاة من ضرار على فراش زفر فلما ترعرع أرطاة جاء ضرار إلى الحارث بن عوف فقال له
(... يا حارثُ افْكُكْ ليْ بُنَيَّ من زُفَرْ)
(... ويروى يا حار أطلق لي)
(... في بعض مَنْ تُطلِقُ مِن أسْرَى مُضَرْ)
رجز -إنَّ أباه امرُؤُ سَوْءٍ إن كفرْ ...))
فأعطاه الحارث إياه وقال انطلق بابنك فأدركه نهشل بن حري بن غطفان فانتزعه منه ورده إلى زفر وفي تصداق ذلك يقول أرطاة لبعض أولاد زفر
- فإذا خَمِصْتُمْ قلْتُمُ يا عمَّنا ... وإذا بَطِنتُمْ قلْتُمُ ابنَ الأزْوَرِ) - كامل)
قال ولهذا غلبت أمه سهية على نسبه فنسب إليها وضرار بن الأزور هذا قاتل مالك بن نويرة الذي يقول فيه أخوه متمم
(نِعْمَ القتيلُ إذا الرِّياحُ تَناوَحَتْ ... تحت البيوت قَتَلْتَ يا بنَ الأزْوَرِ)
منزلته في الشعر
وأرطاة شاعر فصيح معدود في طبقات الشعراء المعدودين من شعراء الإسلام في دولة بني أمية لم يسبقها ولم يتأخر عنها وكان امرأ صدق شريفا في قومه جوادا
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان رفيع بن سلمة الملقب بدماذ قال حدثنا أبو عبيدة قال دخل أرطاة بن سهية على عبد الملك بن مروان فاستنشده شيئا مما كان يناقض به شبيب بن البرصاء فأنشده
((أبي كان خيراً من أبيكَ ولم يَزَلْ ... جَنيباً لآبائي وأنت جنيبُ
فقال له عبد الملك بن مروان كذبت شبيب خير منك أبا ثم أنشده
- وما زلتُ خيراً منك مذ عَضَّ كَارِهاً ... برأسك عاديُّ النِّجاد رَسوب) - كامل)
فقال له عبد الملك صدقت أنت في نفسك خير من شبيب فعجب من عبد الملك من حضر ومن معرفته مقادير الناس على بعدهم منه في بواديهم وكان الأمر على ما قال كان شبيب أشرف أبا من أرطاة وكان أرطاة أشرف فعلا ونفسا من شبيب
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عمرو بن بحر الجاحظ ودماذ أبو غسان قالا جميعا قال أبو عبيدة دخل أرطاة بن سهية على عبد الملك بن مروان فقال له كيف حالك يا أرطاة وقد كان أسن فقال ضعفت أوصالي وضاع مالي وقل مني ما كنت أحب كثرته وكثر مني ما كنت أحب قلته قال فكيف أنت في شعرك فقال والله يا أمير المؤمنين ما أطرب ولا أغضب ولا أرغب ولا أرهب وما يكون الشعر إلا من نتائج هذه الأربع وعلى أني القائل
(رأيتُ المرءَ تأكُلُه اللَّيالي ... كأكْلِ الأرضِ سَاقِطةَ الحديدِ)
(وما تَبْغِي المَنيَّةُ حِينَ تأتي ... على نفسِ ابنِ آدمَ من مَزيدِ)
((وأعْلَمُ أنها ستَكُرُّ حتَّى ... تُوَفِّي نَذْرَها بأبي الوَليدِ
فارتاع عبد الملك ثم قال بل توفي نذرها بك ويلك مالي ولك فقال لا ترع يا أمير المؤمنين فإنما عنيت نفسي وكان أرطاة يكنى أبا الوليد فسكن عبد الملك ثم استعبر باكيا وقال أما والله على ذلك لتلمن بي
أخبرني به حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي ثابت فذكر قريبا منه يزيد وينقص ولا يحيل معنى
مدحه مروان بن الحكم
أخبرني عبد الملك بن مسلمة القرشي الهشامي بأنطاكية قال أخبرني أبي عن أهلنا أن أرطاة بن سهية دخل على مروان بن الحكم لما اجتمع له أمر الخلافة وفرغ من الحروب التي كان بها متشاغلا وصمد لإنفاذ الجيوش إلى ابن الزبير لمحاربته فهنأه وكان خاصا به وبأخيه يحيى بن الحكم ثم أنشده
(تَشَكَّى قَلُوصِي إليَّ الوَجَى ... تَجُرُّ السَّرِيح وتُبْلي الخِدامَا)
((تَزُورُ كريماً له عندها ... يدٌ لا تُعَدُّ وتُهدِي السَّلاَمَا
(وقَلَّ ثواباً له أنَّها ... تُجِيدُ القَوافِيَ عاماً فعامَا)
(وسادَتْ مَعَدًّا على رَغْمِها ... قُرَيشٌ وسُدْتَ قريشاً غُلاَمَا)
(جُعِلْتَ على الأمر فيه صَغاً ... فما زال غَمْزُكَ حتى استقاما)
(لَقِيتَ الزُّحوفَ فقاتلْتَها ... فجرَّدْت فِيهنَّ عَضْباً حُسَامَا)
(تَشُقُّ القَوانسَ حتى تَنا ... لَ ما تحتها ثم تَبري العِظَاما)
(نَزَعْتَ على مَهَلٍ سابقاً ... فما زَادَكَ النَّزْعُ إلاَّ تَمَاما)
- فزاد لَكَ اللهُ سُلْطانَهُ ... وزاد لك الخيرَ منه قَدامَا) - متقارب)
فكساه مروان وأمر له بثلاثين ناقة وأوقرهن له برا وزبيبا وشعيرا
هجاؤه شبيب بن البرصاء
قال وكان أرطاة يهاجي شبيب بن البرصاء ولكل واحد منهما في صاحبه هجاء كثير وكان كل واحد منهما ينفي صاحبه عن عشيرته في أشعاره فأصلح بينهما يحيى بن الحكم وكانت بنو مرة تألفه وتنتجعه لصهره فيهم فلما افترقا سبعه شبيب عند يحيى بن الحكم فقال أرطاة له
(رَمتْكَ فلم تُشْوِ الفؤادَ جَنوبُ ... وما كلُّ من يَرْمِي الفؤادَ يُصِيبُ)
(وما زَوَّدَتْنا غيرَ أنْ خَلَطَتْ لنا ... أحاديثَ منها صادقٌ وكَذوبُ)
(ألا مُبْلِغٌ فِتيانَ قَوْمِيَ أنَّني ... هَجَانِي ابنُ بَرْصاءِ اليَدَين شَبِيبُ)
(وفي آلِ عَوْفٍ من يهودَ قَبيلةٌ ... تَشابَهَ منها ناشِئون وشِيبُ)
((أبِي كان خيراً من أبيكَ ولم يَزَلْ ... جَنيباً لآبائي وأنت جَنِيبُ
(وما زلتُ خيراً منكَ مذ عَضَّ كارهاً ... برأسك عادِيُّ النِّجاد رَسوبُ)
(فما ذَنْبُنا إنْ أمُّ حمزةَ جاورتْ ... بيَثْربَ أتياساً لهنَّ نَبِيبُ)
(وإنَّ رجالاً بين سَلْعٍ وواقِمٍ ... لأيْرِ أبيهمْ في أبيكَ نَصيبُ)
- فلو كنتَ عَوْفِيًّا عَمِيتَ وأسْهلَتْ ... كُداكَ ولكنَّ المُرِيبَ مُرِيب) - طويل)

فأخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي قال لما قال هذا الشعر أرطاة في شبيب بن البرصاء كان كل شيخ من بني عوف يتمنى أن يعمى وكان العمى شائعا في بني عوف كلما أسن منهم رجل عمي فعمر أرطاة ولم يعم فكان شبيب يعيره بذلك ثم مات أرطاة وعمي شبيب فكان يقول بعد ذلك ليت أرطاة عاش حتى يراني أعمى فيعلم أني عوفي

ونسخت من كتاب ابن الأعرابي في شعر أرطاة قال كان شبيب بن البرصاء يقول وددت أني جمعني وابن الأمة أرطاة بن سهية يوم قتال فأشفي منه غيظي فبلغ ذلك أرطاة فقال له

(إنْ تَلْقَني لا تَرَى غيري بناظِرةٍ ... تَنْسَ السِلاحَ وتَعرِفْ جبهةَ الأسدِ)

(ماذا تظنُّكَ تُغني في أخي رَصَد ... من أُسْد خفّانَ جابِي العَيْن ذي لبد

جابي العين وجائب العين شديد النظر

(أبي ضَراغِمَةٍ غُبْرٍ يُعَوِّدُها ... أكْلَ الرجال متى يَبْدأْ لها يَعُدِ)

(يا أيها المتمنّي أنْ يُلاقيَني ... إن تَأْتِ آتِكَ أو إن تَبْغِني تَجِدِ)

(نَقْضَ اللُبانةَ من مُرٍّ شرائعُه ... صَعبِ المَقادة تَخشاه فلا تَعُدِ)

(متى تَرِدْني لا تَصْدُرْ لمصْدَرِة ... فيها نجاةٌ وإن أُصْدِرْكَ لا ترد)

(لا تحسبنّي كفَقْعِ القاعِ يَنقره ... جانٍ بإصبعه أو بَيْضةِ البَلَد)

(أنا ابن عُقْفانَ معروفٌ له نَسبي ... إلا بما شاركَتْ أمٌّ على وَلد)

(لاقى الملوكَ فأثأى في دمائِهمُ ... ثم استقرَّ بلا عَقْلٍ ولا قَوَد)

(مِن عُصْبة يطعنون الخيلَ ضاحيةً ... حتى تَبَدَّدَ كالمَزْؤُودة الشُّرُدُ)

(ويَمنعون نساءَ الحَيِّ إنْ عَلِمتْ ... ويَكشِفون قَتامَ الغارة العمد)

(أنا ابنُ صِرْمة إن تَسألْ خِيارَهُمُ ... أضربْ برجلي في ساداتِهِمْ ويَدي)

((وفي بني مالكٍ أمٌّ وزافِرةٌ ... لا يدفعِ المجد من قَيْسٍ إلى أحد

(ضَربْت فيهمْ بأعراقي كما ضَربَتْ ... عُروقُ ناعمة في أبطَحٍ ثَئِدِ)

- جَدّي قضاعةُ معروفٌ ويعرفني ... جَبا رفيدةَ أهلِ السَّرْوِ والعَدد) - بسيط)

حبه لوجزة

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن عبد الله الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال كان أرطاة بن سهية يتحدث إلى امرأة من غني يقال لها وجزة وكان يهواها ثم افترقا وحال الزمان بينهما وكبر أرطاة ثم اجتمعت غني وبنو مرة في دار فمر أرطاة بوجزة وقد هرمت وتغيرت محاسنها وافتقرت فجلس إليها وتحدث معها وهي تشكو إليه أمرها فلما أراد الانصراف أمر راعيه فجاء بعشرة من إبله فعقلها بفنائها وانصرف وقال

(مررتُ على حِدْثي برمّانَ بعدما ... تَقطَّعَ أقرانُ الصِّبَا والوَسائلُ)

(فكنتُ كظَبْيٍ مُفْلِتٍ ثمَّ لم يزلْ ... به الحَيْن حتى أَعْلَقَتْهُ الحبائل)

قال أبو الفرج الأصفهاني وقد ذكر أرطاة بن سهية وجزة هذه ونسب بها في مواضع من شعره فقال في قصيدة

(وداويةٍ نازعْتُها الليلَ زائراً ... لِوجزةَ تَهْديني النجومُ الطوامسُ)

((أعوجَ بأصحابي عن القصد تعتلي ... بنا عُرضَ كِسرَيْها المَطِيُّ العَرامِسُ

(فقد تَرَكْتِني لا أعيجُ بمشرب ... فأَروَى ولا أَلهو إلى مَن أُجَالِسُ)

(ومِن عجبِ الأيامِ أنْ كل منزل ... لوجزةَ مِن أكناف رمّان دارسُ)

(وقد جاورتْ قصرَ العُذَيْبِ فما يُرى ... برمّانَ إلا ساخِطُ العيشِ بائِسُ)

(طِلابٌ بعيدٌ واختلافٌ من النوى ... إذا ما أتى مِن دونَ وَجْزةَ قادِسُ)

(لَئِنْ أَنْجَحَ الواشون بيني وبينها ... وطال التنائي والنفُوسُ النوافس)

(لَقَدْ طالما عِشْنا جَميعاً ووُدُّنا ... جميعٌ إذا ما يبتغي الأُنسَ آنِسُ)

- كذلك صَرْفُ الدهر ليس بتاركٍ ... حبيباً ويبقى عمرهُ المتقاعِسُ) - طويل)

وقال ابن الأعرابي كانت بين أرطاة بن سهية وبين رجل من بني أسد يقال له حيان مهاجاة فاعترض بينهما حباشة الأسدي فهجا أرطاة فقال فيه أرطاة

((أبلِغْ حُبَاشةَ أني غيرُ تاركِه ... حتى أُذَلِّلَهُ إذا كان ما كانا

(الباعثَ القولِ يُسدِيه ويُلْحِمه ... كالمُجْتَدِي الثُّكلَ إذ حاورتُ حيّانا)

(إنْ تدعُ خِنْدِفَ بغياً أو مكاثَرَةً ... ادعُ القبائلَ من قيس بن عَيْلانا)

(قد نَحْبِس الحقَّ حتى ما يجاوزنا ... والحقُّ يحبسنا في حيث يلقانا)

- نبني لآخِرنا مَجداً نُشيّدُه ... إنّا كذاك ورثْنا المجدَ أُولانا) - بسيط)

وقال ابن الأعرابي وفد أرطاة بن سهية إلى الشأم زائرا لعبد الملك بن مروان عام الجماعة وقد هنأه بالظفر ومدحه فأطال المقام عنده وأرجف أعداؤه بموته فلما قدم وقد ملأ يديه بلغه ما كان منهم فقال فيهم

(إذا ما طَلَعْنا من ثَنِيَّةِ لَفْلَفٍ ... فخبِّرْ رجالاً يَكرهونَ إيابي)

(وخَبِّرْهُمُ أني رجعْتُ بغبطة ... أُحَدِّدُ أظْفَاري ويَصْرُفُ نابي)

- وإني ابنُ حرب لا تزالُ تَهِرُّني ... كلابُ عدوِّي أو تَهِرُّ كلابي) - طويل)

وقال أبو عمرو الشيباني وقع بين زميل قاتل ابن دارة وبين أرطاة

ابن سهية لحاء فتوعده زميل وقال إني لأحسبك ستجرع مثل كأس ابن دارة فقال له أرطاة

(يا زمْلُ إني إنْ أكُنْ لك سائقاً ... تَرْكُضْ بِرجلَيْكَ النجاةَ والْحَق)

(لا تحسبَنّي كامرئٍ صادفْتَهُ ... بِمَضِيعةٍ فَخدَشْتَهُ بالمِرْمَقِ)

- إنّي امرؤٌ أُوفِي إذا قارعتكُمْ ... قَصَبَ الرِّهَانِ وما أشأُ أتَعرَّقِ) - كامل)

فقال له زميل

(يا أرْطَ إن تكُ فاعلاً ما قلتَهُ ... والمرء يستحيي إذا لم يَصْدُقِ)

(فافعلْ كما فعل ابنُ دارةَ سالمٌ ... ثم امش هَوْنَكَ سادراً لا تَتَّقِ)

- وإذا جعلتُكَ بين لَحْيَيْ شابِكِ الأنياب ... فارعُد ما بدا لك وابرُقِ) - كامل)
أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال قال أرطاة بن سهية للربيع بن قعنب
بسيط -لقد رأيتُك عُرْياناً ومؤْتزِرا ... فما عرفْتُ أأُنثى أنتَ أمْ ذَكَرُ))
فقال له الربيع لكن سهية قد عرفتني فغلبه وانقطع أرطاة
أخبرني عمي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا قعنب بن المحرز عن الهيثم بن الربيع عن عمرو بن جبلة الباهلي قال تزوج عبد الرحمن بن سهيل بن عمرو أم هشام بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب وكانت من أجمل نساء قريش وكان يجد بها وجدا شديدا فمرض مرضته التي هلك فيها فجعل يديم النظر إليها وهي عند رأسه فقالت له إنك لتنظر إلي نظر رجل له حاجة قال أي والله إن لي إليك حاجة لو ظفرت بها لهان علي ما أنا فيه قالت وما هي قال أخاف أن تتزوجي بعدي قالت فما يرضيك من ذلك قال أن توثقي لي بالإيمان المغلظة فحلفت له بكل يمين سكنت إليها نفسه ثم هلك فلما قضت عدتها خطبها عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة فأرسلت إليه ما أراك إلا وقد بلغتك يميني فأرسل إليها لك مكان كل عبد وأمة عبدان وأمتان ومكان كل علق علقان ومكان كل شيء ضعفه فتزوجته فدخل عليها بطال بالمدينة وقيل بل كان رجلا من مشيخة قريش مغفلا فلما رآها مع عمر جالسة قال
- تبدَّلْتِ بعد الخيْزرانِ جريدةً ... وبعدَ ثيابِ الخزِّ أحلامَ نَائِم) - طويل)
فقال له عمر جعلتني ويلك جريدة وأحلام نائم فقالت أم هشام ليس كما قلت ولكن كما قال أرطاة بن سهية
(وكائنْ تَرَى من ذاتِ بثٍّ وعَولَةٍ ... بكت شجوها بعد الحنينِ المُرجَّع)
(فكانت كذاتِ البَوِّ لمَّا تعطَّفتْ ... على قِطَعٍ من شِلْوهِ المتمزِّع)
((مَتى لا تَجِدْه تَنْصَرفْ لِطِياتِها ... مِنَ الأرض أو تَعمِدِ لإلف فَتَرْبَعِ
- عَن الدهر فاصفح إنه غيرُ مُعْتِبٍ ... وفي غير مَن قد وارَتِ الأرضُ فاطمَعِ) - طويل)
وهذه الأبيات من قصيدة يرثي بها أرطاة ابنه عمراً
قيامه عند قبر ابنه ورثاؤه له
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل قال حدثنا قعنب بن المحرز عن أبي عبيدة قال كان لأرطاة بن سهية ابن يقال له عمرو فمات فجزع عليه أرطاة حتى كاد عقله يذهب فأقام على قبره وضرب بيته عنده لا يفارقه حولا ثم إن الحي أراد الرحيل بعد حول لنجعة بغوها فغدا على قبره فجلس عنده حتى إذا حان الرواح ناداه رح يا بن سلمى معنا فقال له قومه ننشدك الله في نفسك وعقلك ودينك كيف يروح معك من مات مذ حول فقال أنظروني الليلة إلى الغد فأقاموا عليه فلما أصبح ناداه أغد يا بن سلمى معنا فلم يزل الناس يذكرونه الله ويناشدونه فانتضى سيفه وعقر راحلته على قبره وقال والله لا أتبعكم فامضوا إن شئتم أو أقيموا فرقوا له ورحموه فأقاموا عامهم ذلك وصبروا على منزلهم وقال أرطاة يومئذ في ابنه عمرو يرثيه
(وقفتُ على قبر ابن سلمى فلم يَكُنْ ... وقوفي عليه غيرَ مَبْكًى ومَجْزَعِ)
(هل أنتَ ابنَ سلمى إنْ نظرتُكَ رائحٌ ... مع الركبِ أو غادٍ غداةَ غدٍ معي)
(أأنسى ابن سلْمَى وهو لم يأتِ دونه ... من الدهر إلا بعضُ صيف ومَرْبَعِ)
(وقفتُ على جُثمان عمرٍو فلم أجد ... سوى جَدَثٍ عافٍ ببَيْداءَ بلقع)
(ضربْتُ عَمُودَيْ بانةٍ سَمَوا معاً ... فخرَّ ولم أتبعْ قَلُوصي بدَعْدَعِ)
((ولو أنها حادت عن الرَّمْسِ نِلْتُها ... ببادرةٍ من سيفِ أشهبَ مُوْقَعِ
(تركتكَ إن تَحْيَيْ تَكُوسِي وإنْ تَنُؤْ ... على الجُهْدِ تَخْذُلْها توالٍ فَتُصْرَعِ)
- فدعْ ذكرَ مَنْ قد حالت الأرضُ دونه ... وفي غير من قد وارت الأرضُ فاطمَعِ) - طويل)
وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة فذكر أن أرطاة كان يجيء إلى قبر ابنه عشيا فيقول هل أنت رائح معي يا ابن سلمى ثم ينصرف فيغدو عليه ويقول له مثل ذلك حولا ثم تمثل قول لبيد
- إلى الحَوْل ثمَّ اسمُ السلام عليكُما ... ومن يبك حَوْلا كاملاً فقد اعتذَرْ) - طويل)
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا المدائني قال قال أرطاة بن سهية يوما للربيع بن قعنب كالعابث به
- لقد رأيتك عُرْياناً ومُؤْتَزِراً ... فما دريْتُ أأنثى أنت أم ذَكَرُ) - بسيط)
فقال له الربيع
- لكنْ سُهَيَّةُ تدري إذ أتيتكُمُ ... على عُرَيجاءَ لما انحلَّت الأُزُرُ) - بسيط)
فغلبه الربيع ولج الهجاء بينهما فقال الربيع بن قعنب يهجو أرطاة
(وما عاشَت بَنُو عُقْفانَ إلا ... بأحلامٍ كأحلامِ الجَوَاري)
(وما عُقْفَانُ من غَطَفَانَ إلا ... تَلَمُّسُ مُظْلِمٍ بالليل سَاري)
(إذا نَحَرَتْ بنو غيظٍ جَزُوراً ... دَعَوْهُمُ بالمراجل والشِّفارِ)
- (طُهاة اللحم حتى يُنْضِجُوه ... وطاهي اللحم في شُغْلٍ وعار) - وافر
فقال أرطاة يجيبه ويعيره بأن أمه من عبد القيس
(وهذا الفَسْوُ قد شاركْتَ فيه ... فمن شاركْتَ في أير الحمار)
- وأيُّ الناس أخبثُ مِنْ هِبَلٍّ ... فزاريٍّ وأخبثُ ريحَ دار) - وافر)
مسرف بن عقبة يطرده مع قومه
أخبرني عبد الله بن محمد اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي قال قدم مسرف بن عقبة المري المدينة وأوقع بأهل الحرة فأتاه قومه من بني مرة وفيهم أرطاة فهنأوه بالظفر واسترفدوه فطردهم ونهرهم وقام أرطاة بن سهية ليمدحه فتجهمه بأقبح قول وطرده وكان في جيش مسرف رجل من أهل الشام من عذرة يقال له عمارة قد كان رأى أرطاة عند معاوية بن أبي سفيان وسمع شعره وعرف إقبال معاوية عليه ورفده له فأومأ إلى أرطاة فأتاه فقال له لا يغررك ما بدا لك من الأمير فإنه عليل ضجر ولو قد صح واستقامت الأمور لزال عما رأيت من قوله وفعله وأنا بك عارف وقد رأيتك عند أمير المؤمنين يعني معاوية ولن تعدم مني ما تحب ووصله وكساه وحمله على ناقة فقال أرطاة يمدحه ويهجو مسرفا

((لحَا الله فَوْدَي مُسْرِفٍ وابن عمه ... وآثارَ نَعْلَيْ مَسْرِفٍ حيث أثَّرا
(مررْتُ على رَبْعَيْهما فكأنّني ... مررْتُ بجبَّارَيْن من سَرْوِ حِمْيرا)
ويروى تضيفت جبارين
(على أن ذَا العَلْيَا عُمَارَةَ لم أجِدْ ... على البُعْدِ حُسْنَ العهدِ منه تَغَيَّرا)
- حباني ببُرْدَيْه وعَنْسٍ كأنما ... بنى فوق مَتْنَيْها الوليدان قَمِقرا) - طويل)
وقال أبو عمرو الشيباني خاصمت امرأة من بني مرة سهية أم أرطاة بن سهية وكانت من غيرهم أخيذة أخذها أبوه فاستطالت عليها المرأة وسبتها فخرج أرطاة إليها فسبها وضربها فجاء قومه ولاموه وقالوا له مالك تدخل نفسك في خصومات النساء فقال لهم
(يُعَيِّرُني قَومي المَجَاهِلَ وَالخَنَا ... عليهمْ وقالوا أنتَ غيرُ حليم)
(هل الجهلُ فيكمْ أن أُعاقِبَ بعدما ... تُجُوِّزَ سَبِّي واسْتُحِلَّ حريمي)
(إذا أنا لَم أمْنع عَجُوزِيَ منكُمُ ... فكانت كَأخْرى في النساءِ عقيم)
((وقد عَلِمَتْ أفناءُ مُرَّةَ أننا ... إذا ما اجتدانا الشرُّ كلُّ حميم
- حماةٌ لأحسابِ العشيرة كلِّها ... إذا ذُمَّ يومَ الرَّوعِ كلُّ مُليم) - طويل)
وتمام الأبيات التي فيها الغناء المذكورة قبل أخبار أرطاة بن سهية وذكرت في قوله في قتلى من قومه قتلوا يوم بنات قين هو
(فَلاَ وأبيكَ لا نَنفكُّ نَبْكِي ... على قتْلى هُنَا لكَ ما بَقينَا)
(على قَتْلَى هنا لك أوْجَعَتْنا ... وأنْسَتْنا رجَالاً آخرينَا)
(سَنَبْكِي بالرِّماحِ إذا التقينا ... على إخواننا وعلى بَنِينا)
(بطعنٍ ترْعُدُ الأحشاءُ منه ... يردُ البيضَ والأبدانَ جُونا)
- كأنّ الخيلَ إذْ آنسْنَ كَلْباً ... يَرَيْنَ وراءهُمْ ما يبتغينا) - وافر)
صوت
(عجِبْتُ لِمَسْراها وأنّى تَخَلَّصت ... إليَّ وبابُ السجن بالقُفْلِ مُغْلَقُ)
- (ألَمَّتْ فحيَّت ثم قامت فَوَدَّعتْ ... فلما تولَّتْ كادت النفسُ تَزْهَقُ) - طويل
الشعر لجعفر بن علبة الحارثي والغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وذكر عمرو بن بانة أن فيه خفيفا ثقيلا أول بالوسطى لابن سريج وذكر حماد بن إسحاق أن فيه خفيف الثقيل للهذلي

أخبار جعفر بن علبة الحارثي ونسبه

هو جعفر بن علبة بن ربيعة بن عبد يغوث الشاعر أسير يوم الكلاب ابن معاوية بن صلاءة بن المعقل بن كعب بن الحارث بن كعب ويكنى أبا عارم وعارم ابن له قد ذكره في شعره وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية شاعر مقل غزل فارس مذكور في قومه وكان أبوه علبة بن ربيعة شاعرا أيضا وكان جعفر قتل رجلا من بني عقيل قيل إنه قتله في شأن أمة كانا يزورانها فتغايرا عليها وقيل بل في غارة أغارها عليهم وقيل بل كان يحدث نساءهم فنهوه فلم ينته فرصدوه في طريقه إليهن فقاتلوه فقتل منهم رجلا فاستعدوا عليه السلطان فأقاد منه وأخباره في هذه الجهات كلها تذكر وتنسب إلى من رواها
أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثني الحسن بن عبد الرحمن الربعي قال حدثنا أبو مالك اليماني قال شرب جعفر بن علبة الحارثي حتى سكر فأخذه السلطان فحبسه فأنشأ يقول في حبسه
(لقد زَعَمُوا أني سكرتُ وربمَّا ... يكونُ الفتَى سَكرانَ وهْوَ حَلِيمُ)
(لعمرُكَ ما بالسّكر عارٌ على الفتى ... ولَكِنَّ عاراً أن يُقَال لئيمُ)
- وإنّ فَتىً دامت مواثيقُ عهدِه ... على دونِ ما لاقيتُه لكريمُ) - طويل)
قال ثم حبس معه رجل من قومه من بني الحارث بن كعب في ذلك الحبس وكان يقال له دوران فقال جعفر
(إذا بابُ دَوْرانٍ ترنّم في الدُّجَى ... وشُدَّ بأغلاقٍ علينا وأقفالِ)
(وأظلم ليلٌ قامَ علِجٌ بِجُلْجُلٍ ... يدورُ به حتّى الصباح بإعمالِ)
(وحراسُ سوْءٍ ما ينامون حَوْلَه ... فكيفَ لمظلومٍ بحيلة مُحْتالِ)
- ويصبرُ فيه ذو الشجاعةِ والنّدى ... على الذّلِ للمأمور والعِلْج والوالي) - طويل)

اغارته على بني عقيل

فأما ما ذكر أن السبب في أخذ جعفر وقتله في غارة أغارها على بني عقيل فإني نسخت خبره في ذلك من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني
يأثره عن أبيه قال خرج جعفر بن علبة وعلي بن جعدب الحارثي القناني والنضر بن مضارب المعاوي فأغاروا على بني عقيل وإن بني عقيل خرجوا في طلبهم وافترقوا عليهم في الطريق ووضعوا عليهم الأرصاد على المضايق فكانوا كلما أفلتوا من عصبة لقيتهم أخرى حتى انتهوا إلى بلاد بني نهد فرجعت عنهم بنو عقيل وقد كانوا قتلوا فيهم ففي ذلك يقول جعفر
(ألا لا أُبالِي بعدَ يومٍ بسَحْبَلٍ ... إذا لم أُعَذَّبْ أنْ يجيء حِماميا)
(تركْتُ بأعلى سَحْبَلٍ ومَضيقه ... مُرَاقَ دَمٍ لا يبرح الدّهرَ ثاويا)
(شفَيْتُ بهِ غَيْظي وجُرِّبَ موطني ... وكان سناءً آخرَ الدهرِ باقيا)
(أرادوا لِيَثْنوني فقلت تجنبوا ... طريقي فمالي حاجةٌ من ورائيا)
(فِدىً لبني عمٍّ أجابوا لدعوتي ... شَفَوا من بني القَرعاء عمّي وخاليا)
(كأنّ بني القرعاء يوم لقيتُهمْ ... فِراخُ القطا لاقَيْن صَقْراً يمانيا)
((تركْناهُمُ صَرْعى كأنَّ ضَجيجَهُمْ ... ضجيجُ دَبارَى النِّيبِ لاقت مُداويا
(أقولُ وقد أجْلَتْ من اليومِ عركةٌ ... لِيُبْكِ العُقَيْلِيِّينَ مَنْ كان باكيا)
(فإنّ بقُرَّى سَحْبَلٍ لإمارةً ... ونَضْحَ دماء منهُمُ ومَحابيا)
المحابي آثارهم حبوا من الضعف للجراح التي بهم

(ولم أتّرك لي ريبةً غير أنني ... وددْتُ مُعَاذاً كان فيمن أتانيا)
أراد وددت أن معاذا كان أتاني معهم فأقتله
(شفيْتُ غليلِي من خُشَيْنة بعد ما ... كسوْتُ الهُذَيْلَ المَشْرَفِيَّ اليمانيا)
((أحقًّا عبادَ الله أن لست رائيا ... صحاريَّ نجدٍ والرِّياحَ الذواريا
(ولا زائراً شُمَّ العرانين أنتمي ... إلى عامرٍ يحلُلْنَ رَمْلاً مُعاليا)
(إذا ما أتيْتَ الحارثيّاتِ فَانْعَنِي ... لهنَّ وخبّرْهُنَّ أن لا تَلاقيا)
(وقوِّدْ قَلُوصي بينهنَّ فإنها ... سَتُبْرِدُ أكباداً وتُبْكِي بواكيا)
(أوصِّيكُم إنْ متُّ يوماً بعارمٍ ... ليُغْنِيَ شيئاً أو يكونَ مكانيا)
ويروى
- وعطِّلْ قَلُوصي في الرِّكاب فإنها ... سَتُبْرِدُ أكباداً وتُبْكي بواكيا) - طويل)
وهذا البيت بعينه يروى لمالك بن الريب في قصيدته المشهورة التي يرثي بها نفسه وقال في ذلك جعفر أيضا
(وسائلةٍ عنا بغَيْبٍ وسائلٍ ... بمصْدَقِنا في الحرب كيف نحاوِل)
(عشيةَ قُرّى سَحْبَلٍ إذ تعطّفتْ ... علينا السرايا والعدوُّ المُباسِل)
((ففرَّج عنا الله مَرْحَى عدوِّنا ... وضربٌ ببيضِ المَشْرَفِيَّةِ خايل
(إذا ما قَرَى هامَ الرؤوسِ اعتِرامُها ... تعاوَرَهَا منهمْ أكفٌّ وكاهل)
(إذا ما رُصِدْنا مَرصداً فرَّجَتْ لنا ... بأيماننا بِيضٌ جَلَتْهَا الصياقل)
(ولما أبوا إلا المُضِيَّ وقد رأوا ... بأن ليس منا خشيةَ الموتِ ناكل)
(حلفْتُ يميناً بَرَّةً لم أُرِدْ بها ... مقالَة تسميعٍ ولا قولَ باطِل)
(لَيَخْتَضِمَنّ الهِنْدُواني منهُمُ ... معاقِدَ يخشاها الطبيبُ المزاوِلُ)
(وقالوا لنا ثِنتانِ لا بدّ منهما ... صدورِ رماحٍ أُشْرِعت أو سلاسلُ)
(فقلنا لهمْ تلكُمْ إذاً بعد كرةٍ ... تُغادِرُ صرعى نَهْضُهَا مُتَخاذِل)
(وقتلى نفوسٍ في الحياةِ زهيدةٍ ... إذا اشتجر الخطِّيُّ والموت نازل)
(نُراجِعُهُمْ في قالةٍ بدأوا بِهَا ... كما راجع الخصمَ البذيَّ المُنَاقِلُ)
- لهمْ صدرُ سيفي يوم بطْحَاءِ سَحْبَلٍ ... ولي منه ما ضمَّت عليه الأنامل) - طويل)
عامل مكة يأخذ بحق بني عقيل
قال فاستعدت عليهم بنو عقيل السري بن عبد الله الهاشمي عامل
مكة لأبي جعفر فأرسل إلى أبيه علبة بن ربيعة فأخذه بهم وحبسه حتى دفعهم وسائر من كان معهم إليه فأما النضر
فاستقيد منه بجراحه وأما علي بن جعدب فأفلت من الحبس وأما جعفر بن علبة فأقامت عليه بنو عقيل قسامة أنه قتل
صاحبهم فقتل به وهذه رواية أبي عمرو
وذكر ابن الكلبي أن الذي هاج الحرب بين جعفر بن علبة وبني عقيل أن إياس بن يزيد الحارثي وإسماعيل بن أحمر
العقيلي اجتمعا عند أمة لشعيب ابن صامت الحارثي وهي في إبل لمولاها في موضع يقال له صمعر من بلاد بلحارث
فتحدثا عندها فمالت إلى العقيلي فداخلتهما مؤاسفة حتى تخانقا بالعمائم فانقطعت عمامة الحارثي وخنقة العقيلي
حتى صرعه ثم تفرقا وجاء العقيليون إلى الحارثيين فحكموهم فوهبوا لهم ثم بلغهم بيت قيل وهو
- ألم تسألِ العبدَ الزياديّ ما رأى ... بصمْعرَ والعبدُ الزياديُّ قائمُ) - طويل)
فغضب إياس من ذلك فلقي هو وابن عمه النضر بن مضارب ذلك العقيلي وهو إسماعيل بن أحمر فشجه شجتين وخنقه
فصار الحارثيون إلى العقيليين فحكموهم فوهبوا لهم ثم لقي العقيليون جعفر بن علبة الحارثي فأخذوه فضربوه وخنقوه
وربطوه وقادوه طويلا ثم أطلقوه وبلغ ذلك إياس بن يزيد فقال يتوجع لجعفر
(أبا عارمٍ كيف اغتررْتَ ولم تكن ... تُغَرُّ إذا ما كانَ أمرٌ تحاذُرُه)
- (فلا صلْحَ حتى يخفِقَ السيفُ خَفْقَةً ... بكفِّ فَتىً جُرَّتْ عليه جرائرُهْ) - طويل
ثم إن جعفر بن علبة تبعهم ومعه ابن أخيه جعدب والنضر بن مضارب وإياس بن يزيد فلقوا المهدي بن عاصم وكعب بن
محمد بحبر وهو موضع بالقاعة فضربوهما ضربا مبرحا ثم انصرفوا فضلوا عن الطريق فوجدوا العقيليين وهم تسعة فاقتتلوا
قتالا شديدا حتى خلى لهم العقيليون الطريق ثم مضوا حتى وجدوا من عقيل جمعا آخر بسحبل فاقتتلوا قتالا شديدا
فقتل جعفر بن علبة رجلا من عقيل يقال له خشينة فاستعدى العقيليون إبراهيم بن هشام المخزومي عامل مكة فرفع
الحارثيين الأربعة من نجران حتى حبسهم بمكة ثم أفلت منه رجل فخرج هاربا فأحضرت عقيل قسامة حلفوا أن جعفر
قتل صاحبهم فأقاده إبراهيم بن هشام قال وقال جعفر بن علبة قبل أن يقتل وهو محبوس
(عجِبتُ لمسراها وأنّي تخلّصت ... إليَّ وبابُ السجن بالقُفْلِ مُغْلَقُ)
(ألَمَّتْ فحيّتْ ثم قامتْ فودّعتْ ... فلما تولّتْ كادتِ النفسُ تَزْهَقُ)
(فلا تحسبي أني تخشّعتُ بعدَكُمْ ... لشيءٍ ولا أنِّي من الموتِ أفرَقُ)
(وكيف وفي كفِّي حُسامٌ مُذَلَّقٌ ... يَعضُّ بهاماتِ الرجال ويعلَق)
(ولا أنَّ قلبي يَزْدهيه وعيدُهُمْ ... ولا أنّني بالمشي في القيد أخرقُ)
((ولكنْ عرتني من هواكِ صبابةٌ ... كما كنتُ ألقَى منكِ إذ أنا مُطْلَقُ
- فأما الهوى والودُّ مني فطامحٌ ... إليكِ وجُثْماني بمكةَ مُوثَقُ) - طويل)
وقال جعفر بن علبة لأخيه ماعز يحرضه
(وقل لأبي عونٍ إذا ما لقيتَه ... ومن دونه عرْضُ الفلاة يَحُولُ)
في نسخة ابن الأعرابي
(إذا ما لقيته ... ودونه من عرض الفلاة مُحولُ . . .)
بالميم وبشم الهاء في دونه بالرفع وتخفيفها وهي لغتهم خاصة
(تَعَلَّمْ وَعَدِّ الشّكَّ أنّي يَشُفُّنِي ... ثلاثةُ أحراسٍ معاً وكُبولُ)
(إذا رُمْتُ مشياً أو تبوّأتُ مَضْجعاً ... يبيتُ لها فوق الكِعاب صَليل)

(وَلَوْ بِكَ كانت لابتعثْتُ مطيَّتِي ... يَعُودُ الحفَا أخفَافَها وتجُول)
- إلى العدل حتى يَصْدُرَ الأمر مَصْدَراً ... وتبرأ منكم قَالَةٌ وعُدُول) - طويل)
ونسخت أيضا خبره من كتاب للنضر بن حديد فخالف هاتين الروايتين وقال فيه كان جعفر بن علبة يزور نساء من عقيل بن كعب وكانوا متجاورين هم وبنو الحارث بن كعب فأخذته عقيل فكشفوا دبر قميصه وربطوه إلى جمته وضربوه بالسياط وكتفوه ثم أقبلوا به وأدبروا على النسوة اللاتي كان يتحدث إليهن على تلك الحال ليغيظوهن ويفضحوه عندهن فقال لهم يا قوم لا تفعلوا فإن هذا الفعل مثلة وأنا أحلف
لكم بما يثلج صدوركم ألا أزور بيوتكم أبدا ولا ألجها فلم يقبلوا منه فقال لهم فإن لم تفعلوا ذلك فحسبكم ما قد مضى ومنوا علي بالكف عني فإني أعده نعمة لكم ويدا لا أكفرها أبدا أو فاقتلوني وأريحوني فأكون رجلا اذى قوما في دارهم فقتلوه فلم يفعلوا وجعلوا يكشفون عورته بين أيدي النساء ويضربونه ويغرون به سفهاءهم حتى شفوا أنفسهم منه ثم خلوا سبيله فلم تمض إلا أيام قليلة حتى عاد جعفر ومعه صاحبان له فدفع راحلته حتى أولجها البيوت ثم مضى فلما كان في نقرة من الرمل أناخ هو وصاحباه وكانت عقيل أقفى خلق الله لأثر فتبعوه حتى انتهوا إليه وإلى صاحبيه والعقيليون مغترون وليس مع أحد منهم عصا ولا سلاح فوثب عليهم جعفر بن علبة وصاحباه بالسيوف فقتلوا منهم رجلا وجرحوا آخر وافترقوا فاستعدت عليهم عقيل السري بن عبد الله الهاشمي عامل المنصور على مكة فأحضرهم وحبسهم فأقاد من الجارح ودافع عن جعفر بن علبة وكان يحب أن يدرأ عنه الحد لخؤولة أبي العباس السفاح في بني الحارث ولأن أخت جعفر كانت تحت السري بن عبد الله وكانت حظية عنده إلى أن أقاموا عليه قسامة أنه قتل صاحبهم وتوعدوه بالخروج إلى أبي جعفر والتظلم إليه فحينئذ دعا بجعفر فأقاد منه وأفلت علي بن جعدب من السجن فهرب قال وهو ابن أخي جعفر بن علبة فلما أخرج جعفر للقود قال له غلام من قومه أسقيك شربة من ماء بارد فقال له أسكت لا أم لك إني إذا لمهياف وانقطع شسع نعله فوقف فأصلحه فقال له رجل أما يشغلك عن هذا ما أنت فيه فقال
- (أَشُدُّ قِبالَ نَعْلِي أن يراني ... عَدُوّي للحوادث مُستكينا) - وافر
قال وكان الذي ضرب عنق جعفر بن علبة نحبة بن كليب أخو المجنون وهو أحد بني عامر بن عقيل فقال في ذلك
(شفى النفس ما قال ابنُ عُلبةَ جعفرٌ ... وقَوْلِي له اصْبِر ليس ينفعكَ الصبرُ)
(هَوَى رأسُه من حيثُ كان كما هوى ... عُقابٌ تدلَّى طالباً جانبَ الوكر)
(أبا عارمٍ فينا عُرامٌ وشدّة ... وبَسْطَةُ إيمانٍ سواعدها شُعْرُ)
(همُ ضربوا بالسيف هامةَ جعفرٍ ... ولم يُنْجِه بَرٌّ عريضٌ ولا بحرُ)
- وقُدْناه قَوْدَ البَكْر قسراً وعَنْوَةً ... إلى القبر حتى ضم أثوابَه القبرُ) - طويل)
وقال علبة يرثي ابنه جعفرا
(لعمرُكَ إني يومِ أسلمتُ جعفراً ... وأصحابَه للموت لمَّا أقَاتِلِ)
(لمجتنبٌ حبَّ المَنَايا وإنما ... يهيجُ المنايا كلُّ حقٍّ وباطل)
(فراحِ بِهِمْ قومٌ ولا قومَ عندهمْ ... مُغَلَّلَةٌ أيديهِمُ في السلاسلِ)
- وربَّ أخٍ لي غاب لو كان شاهداً ... رآه التَّبالِيّون لي غيرَ خاذِل) - طويل)
وقال علبة أيضا لامرأته أم جعفر قبل أن يقتل جعفر
(لعمركِ إن الليلَ يا أمّ جعفرٍ ... عليّ وإنْ علَّلْتِنِي لطويلُ)
طويل -أحاذِرُ أخباراً من القوم قد دَنَتْ ... ورجعةَ أنقاضٍ لهنَّ دليلُ))
فأجابته فقالت
- أبا جعفر أسلمْتَ للقومِ جعفراً ... فمُتْ كَمَدًا أو عش وأنت ذليلُ) - طويل)
بنت يحيى بن زياد ترثيه بشعره
قال أبو عمرو في روايته وذكر شداد بن إبراهيم أن بنتا ليحيى بن زياد ابن عبيد الله الحارثي حضرت الموسم في ذلك العام لما قتل فكفنته واستجادت له الكفن وبكته وجميع من كان معها من جواريها وجعلن يندبنه بأبياته التي قالها قبل قتله
- أحقاً عبادَ الله أن لستُ رائياً ... صَحَاريَّ نجدٍ والرياحَ الذَّواري) - طويل)
وقد تقدمت في صدر أخباره وفي هذه القصيدة يقول جعفر
(... وددْتُ مُعاذاً كان فيمن أتانيا)
فقال معاذ يجيبه عنها بعد قتله ويخاطب أباه ويعرض له أنه قتل ظلما لأنهم أقاموا قسامة كاذبة عليه حين قتل ولم يكونوا عرفوا القاتل من الثلاثة بعينه إلا أن غيظهم على جعفر حملهم على أن ادعوا القتل عليه
(أبا جعفرٍ سَلِّبْ بِنَجْرانَ واحتسبْ ... أبا عارمٍ والمُسْمَنَاتِ العواليا)
(وَقوِّد قَلُوصاً أتلفَ السّيفُ ربَّها ... بغيرِ دمٍ في القوم إلا تَماريا)
(إذا ذكرتْهُ مُعصِرٌ حارثيَّةٌ ... جرى دمعُ عَيْنَيْها على الخد صافيا)
(فلا تحسبَنَّ الدَّيْنَ يا عُلْبَ مُنْسأً ... ولا الثائرَ الحرّانَ يَنْسَى التقاضيا)
((سنقتُلُ منكُم بالقتيل ثلاثةً ... ونُغْلي وإن كانت دماءً غواليا
- تمنيْتَ أن تَلقى مُعاذاً سفاهَةً ... ستلقَى مُعاذاً والقضيبَ اليمانيا) - طويل)
ووجدت الأبيات القافية التي فيها الغناء في نسخة النضر بن حديد أتم مما ذكره أبو عمرو الشيباني وأولها
(ألا هَلْ إلى فتيانِ لهوٍ ولذّةٍ ... سبيلٌ وتَهْتَافِ الحَمامِ المُطَوَّقِ)
(وشربةِ ماءٍ من خَدُوراءَ باردٍ ... جرى تحتَ أظلالِ الأراكِ المُسَوَّقِ)
(وسيْرِي مع الفتيان كلَّ عشيةٍ ... أُبارِي مَطاياهُمْ بصهباءَ سَيْلَقِ)
(إذا كَلَحتْ عن نابها مجَّ شِدْقُها ... لُغاماً كَمحِّ البيضةِ المُتَرَقْرِقِ)
(وأصهبَ جَوْنِيٍّ كأن بُغَامَه ... تَبَغُّمُ مطرودٍ من الوحش مُرْهَقِ)
- (يَرى لحمَ دَفَّيْه وأدمى أظَلّه اجتبابي ... الفيافي سمْلَقا بعدَ سَمْلَق) - طويل
وذكر بعده الأبيات الماضية وهذا وهم من النضر لأن تلك الأبيات مرفوعة القافية وهذه مخفوضة فأتيت بكل واحدة منهما مفردة ولم أخلطهما لذلك

أخبرني الحسين بن يحيى المرداسي عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة قال لما قتل جعفر بن علبة قام نساء الحي يبكين عليه وقام أبوه إلى كل ناقة وشاة فنحر أولادها وألقاها بين أيديها وقال ابكين معنا على جعفر فما زالت النوق ترغو والشاء تثغو والنساء يصحن ويبكين وهو يبكي معهن فما رئي يوما كان أوجع وأحرق مأتما في العرب من يومئذ

صوت

(عَلِّلاني إنما الدنيا عَلَلْ ... واسقياني عَلَلاً بعد نَهَلْ)

- أصْحَبُ الصاحب ما صاحبني ... وأكفُّ اللومَ عنه والعَذَلْ) - رمل)

الشعر للعجير السلولي والغناء لابن سريج ثقيل أول بالوسطى عن حبيش وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى المكي

أخبار العجير السلولي ونسبه

نسبه

هو فيما ذكر محمد بن سلام العجير بن عبد الله بن عبيدة بن كعب بن عائشة بن الربيع بن ضبيط بن جابر بن عبد الله بن سلول ونسخت نسبه من نسخة عبيد الله بن محمد اليزيدي عن ابن حبيب قال هو العجير بن عبيد الله بن كعب بن عبيدة بن جابر بن عمرو بن سلول بن مرة ابن صعصعة أخي عامر بن صعصعة شاعر مقل إسلامي من شعراء الدولة الأموية وجعله محمد بن سلام في طبقة أبي زبيد الطائي وهي الخامسة من طبقات شعراء الإسلام

أخبرني أبو خليفة في كتابه إلي قال حدثنا محمد بن سلام الجمحي قال حدثنا أبو الغراف قال كان العجير السلولي دل عبد الملك بن مروان على ماء يقال له مطلوب وكان لناس من خثعم فأنشأ يقول

(لا نومَ إلا غِرارُ العين ساهرةً ... إن لم أرَوِّعْ بغيظٍ أهلِ مَطْلوب)

(إن تَشْتُموني فقد بدَّلْتُ أيْكَتَكُم ... ذَرْقَ الدَّجاج بحَفّان اليعاقيب)

- وكنتُ أخبِرُكُمْ أنْ سوف يعمُرها ... بَنُو أميةَ وَعْداً غيرَ مكذُوبِ) - بسيط)

قال فركب رجل من خثعم يقال له أمية إلى عبد الملك حتى دخل عليه فقال يا أمير المؤمنين إنما أراد العجير أن يصل إليك وهو شويعر سأل وحربه عليه فكتب إلى عامله بأن يشد يدي العجير إلى عنقه ثم يبعثه في الحديد فبلغ العجير الخبر فركب في الليل حتى أتى عبد الملك فقال له يا أمير المؤمنين أنا عندك فاحتبسني وابعث من يبصر الأرضين والضياع فإن لم يكن الأمر على ما أخبرتك فلك دمي حل وبل فبعث فاتخذ ذلك الماء فهو اليوم من خيار ضياع بني أمية

اقامة الحد عليه وهربه

نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيدي عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال هجا العجير قوما من بني حنيفة وشتمهم فأقاموا عليه البينة عند نافع بن علقمة الكناني فأمرهم بطلبه واحضاره ليقيم عليه الحد وقال لهم إن وجدتموه أنتم فأقيموا عليه الحد وليكن ذلك في ملأ يشهدون به لئلا يدعي عليكم تجاوز الحق فهرب العجير منهم ليلا حتى أتى نافع بن علقمة فوقف له متنكرا حتى خرج من المسجد ثم تعلق بثوبه وقال

(إليك سَبَقْنا السَّوْطَ والسجْنَ تحتنا ... حِبالُ يُسامِيْن الظلالَ ولُقَّحُ)

(إلى نافعٍ لا نرتجي ما أصابنا ... تحومُ علينا السانحاتُ وتبرحُ)

- فإن أكُ مجلوداً فكن أنت جالدي ... وإن أكُ مذبوحاً فكن أنت تَذبح) - طويل)

فسأله عن المطر وكيف كان أثره فقال له

(يا نافعٌ يا أكرمَ البريّهْ ... والله لا أكْذِبُكَ العَشِيّهْ)

(إنا لَقِينا سنةً قَسِيّهْ ... ثم مُطِرْنا مَطْرةً رويّهْ)

زجر -فنبت البقْلُ ولا رعيّهْ ...))

يعني أن المواشي هلكت قبل نبات البقل فقال له انج بنفسك فإني سأرضي خصومك ثم بعث إليهم فسألهم الصفح عن حقهم وضمن لهم أن لا يعاود هجاءهم

أخبرني الحرمي بن العلاء قال

حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمر بن إبراهيم السعدي عن عباس ابن عبد الصمد السعدي قال قال هشام بن عبد الملك للعجير السلولي أصدقت فيما قلته لابن عمك قال نعم يا أمير المؤمنين إلا أني قلت

- فتىً قُدَّ قَدَّ السيف لا متضائلٌ ... ولا رَهِلٌ لَبّاتُه وبآدلهُ) - طويل)

هذا البيت يروى لأخت يزيد بن الطثرية ترثيه به

((جميلً إذا استَقْبَلْتَه من أمامه ... وإن هو ولّى أشْعَثُ الرأس جافلهْ

(طويلٌ سطيٌّ الساعدين عَذَوَّرٌ ... على الحِيِّ حتى تستقلَّ مراجله)

(ترى جازرَيْه يُرْعَدَان ونارُه ... عليها عداميلُ الهشيم وصامِلُه)

(يَجُرَّانِ ثِنْياً خيرُها عَظْمُ جاره ... على عينه لم تَعْدُ عَنها مشاغلهْ)

((تركنا أبا الأضيافِ في كلِ شتوة ... بِمرٍّ ومِردَى كلِّ خَصْمٍ يجادله

- مقيماً سلبناه دَرِيْسَيْ مُفاضةٍ ... وأبيضَ هنديًّا طوالاً حمائله) - طويل)

فقال هشام هلك والله الرجل

ونسخت من كتاب ابن حبيب قال ابن الأعرابي اصطحب العجير وشاعر من خزاعة إلى المدينة فقصد الخزاعي الحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام وقصد العجير رجلا من بني عامر بن صعصعة كان قد نال سلطانا فأعطى الحسن بن الحسن الخزاعي وكساه ولم يعط العامري العجير شيئا فقال العجير

(يا ليتني يوم حزَّمْتُ القَلُوصَ له ... يَمَّمْتُها هاشميًّا غيرِ ممذوقِ)

(محضَ النَّجار من البيت الذي جُعِلَتْ ... فيه النبوَّةُ يَجْري غَير مَسبوق)

- (لا يُمْسك الخيرَ إلا ريثَ يُسْألُه ... ولا يُلاطمُ عند اللَّحم في السوق) - بسيط

فبلغت أبياته الحسن فبعث إليه بصلة إلى محلة قومه وقال له قد أتاك حظك وإن لم تتصد له أمر بنحر جمله وقال شعرا

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا محمد بن الحسن بن دينار الأحوال قال حدثني بعض الرواة أن العجير بن

عبد الله السلولي مر بقوم يشربون فسقوه فلما انتشى قال انحروا جملي وأطعمونا منه فنحروه وجعلوا يطعمونه ويسقونه ويغنونه بشعر قاله يومئذ وهو
(علّلاني إنما الدنيا عَلَلْ ... واسقياني عَلَلاً بعد نَهَلْ)
(وانشُلا ما اغبّر من قِدْرَيْكما ... واصبحاني أبعد اللّهُ الجملْ)
(أصحبُ الصاحبَ ما صاحبني ... وأكفُّ اللّومَ عنه والعَذَل)
- وإذا أتلف شيئاً لم أقلْ ... أبداً يا صاح ما كان فعل) - رمل)
قال فلما صحا سأل عن جمله فقيل له نحرته البارحة فجعل يبكي ويصيح واغربتاه وهم يضحكون منه ثم وهبوا له بعيرا فارتحله وانصرف إلى أهله
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال حج العجير السلولي فنظر إلى امرأته وكان قد حج بها معه وهي تلحظ فتي من بعد وتكلمه فقال فيها
((أيا ربّ لا تغفرْ لعَثْمةَ ذنبهَا ... وإن لم يعاقبها العجير فعاقِبِ
(أشارت وعَقدُ اللّه بيني وبينها ... إلى راكبٍ من دونه ألفُ راكبِ)
- حرامٌ عليكِ الحجُّ لا تقربِنّه ... إذا حان حَجُّ المسلمات التوائب) - طويل)
العجير يكل زواج ابنته إلى خالها ثم يطلقها
وقال ابن الأعرابي غاب العجير غيبة إلى الشأم وجعل أمر ابنته إلى خالها وأمره أن يزوجها بكفء فخطبها مولى لبني هلال كان ذا مال فرغبت أمها فيه وأمرت خال الصبية الموصى إليه بأمرها أن يزوجها منه ففعل فلاذت الجارية بأخيها الفرزدق بن العجير وبرجال من قومها وبابن عم لها يقال له قيل فمنعوا جميعا منها سوى ابن عمها القيل فإنه ساعد أمها على ما أرادت ومنع منها الفرزدق فلما قدم العجير أخبر بما جرى ففسخ النكاح وخلع ابنته من المولى وقال
(ألا هل لبَعجانَ الهلالِيِّ زاجرٌ ... وبعجانُ مأدومُ الطعام سمينُ)
(أليس أميرُ المؤمنين ابنَ عمها ... وبالحِنْو آسادٌ لها وعرينُ)
(وعاذت بحَقْوَيْ عامرٍ وابنِ عامرٍ ... ولِلّه قد بَتّت عليّ يمينُ)
- تنالونها أو يخضِبَ الأرضَ منكُم ... دمٌ خرّ عنه حاجبٌ وجبين) - طويل)
وقال أيضا في ذلك
(إذا ما أتيْتَ الخاضبات أكُفَّها ... عليهنّ مقصورُ الحِجال المروَّقُ)
(فلا تدعونَّ القَيْلَ إلا لمشربٍ ... رَواءٍ ولكنّ الشجاع الفرزدق)
((هو ابنُ لِبَيْضاءِ الجبينِ نجَيبةٍ ... تَلَقَّت بطُهرٍ لم يجىءْ وهْو أحمق
(تداعى إليه أكرمُ الحيِّ نسوةً ... أطفْن بِكِسرَيْ بيتها حِين تُطْلَقُ)
- فجاءت بعُريانِ اليدين كأنّه ... من الطير بازٍ ينفضُ الطّلّ أزرق) - طويل)
قوله في رفيقه أصبح
وقال ابن الأعرابي كان للعجير رفيق يقال له أصبح وكانا يصيبان الطريق وفيه يقول العجير
(ومنخرقٍ عن منْكِبيه قميصُه ... وعن ساعِديه للأخلاّءِ واصلِ)
(إذا طال بالقومِ المطافي تَنُوفَةٍ ... وطولُ السُّرى ألفَيْتَهُ غيرَ ناكلِ)
(دعوْتُ وقد دبّ الكَرى في عِظامه ... وفي رأسه حتّى جرى في المفاصلِ)
(كما دبَّ صافي الخمرِ في مخّ شاربٍ ... يميل بِعِطْفَيْه عن اللّبِّ ذاهِلِ)
(فلبّى لِيَثْنِيني بِثِنْيَيْ لسانه ... ثقيلين من نومِ غَلوبِ الغياطِلِ)
(فقلتُ له قُمْ فارتحل ليس ها هنا ... سوى وقفةِ السّاري مُناخٌ لنازلِ)
- فقام اهتزازَ الرمح يسرُو قميصَه ... ويحسِر عن عاري الذّراعين ناحلِ) - طويل)
وقال ابن الأعرابي كانت للعجير امرأة يقال لها أم خالد فأسرع في ماله فأتلفه وكان جوادا ثم جعل يدان حتى أثقل بالدين ومد يده إلى مالها فمنعته منه وعاتبته على فعله فقال في ذلك
(تقولُ وقد غالبْتُها أمُّ خالد ... على مالها أغرقْتَ دَيْناً فأقْصِرِ)
((أبى القَصْرَ من يأوي إذا اللّيل جَنّني ... إلى ضوءِ ناري مِنْ فقيرٍ ومُقْتر
(أيا موقدَيْ ناري ارْفَعاها لعلّها ... تُشَبُّ لِمقْوٍ آخر الليلِ مقفِرِ)
(أمِن راكبٍ أمسى بظهر تَنُوفةٍ ... أُوَارِيكِ أم من جاريَ الْمُتَنَظِّرِ)
(ولا قِدْرَ دون الجار إلاَّ ذميمةٌ ... وهذا المقاسي ليلةً ذاتَ منكرِ)
(تكاد الصَّبَا تَبْتَزُّه مِنْ ثيابه ... على الرَّجْلِ إلا من قَميصٍ ومِئزرِ)
(وماذا علينا أن يخالِس ضوءَها ... كريمٌ نثاه شاحبُ المتحسِّرِ)
المتحسر ما انكشف وتجرد من جسمه
- فيخبِرنا عمّا قليل ولو خلت ... له القِدْرُ لم نعجب ولم نتخبَّر) - طويل)
صوت
(سلِي الطارقَ المُعْتَرَّ يا أمَّ مالكٍ ... إذا ما أتاني بين قِدْري ومَجْزري)
(أأبْسُط وجهي أنّه أول القِرَى ... وأبذلُ معروفي له دون مُنْكري)
(فلا قَصْرَ حتّى يَفرجَ الغيثُ مَنْ أوى ... إلى جنب رَحْلي كلّ أشعث أغبر)
(أقِي العِرضَ بالمالِ التِّلادِ وما عسى ... أخوك إذا ما ضيّع العِرضَ يشتري)
(يُؤدّي إليَّ النَّيلُ قُنْيانَ ماجِدٍ ... كريم ومالي سارحاً مالُ مقتر)
القنيان ما اقتنى من المال يقول إنه لبذله القرى كأنه موسر وإذا سرح ماله علم أنه مقتر
- إذا مُتُّ يوماً فاحضُري أمَّ خالد ... تُراثَكِ من طِرْفٍ وسيفٍ وأقدُرِ) - طويل)
قال ابن حبيب من الناس من يروي هذه الأبيات الأخيرة التي أولها
(... سلِي الطارقَ المعترّ يا أمَّ مالك)
لعروة بن الورد وهي للعجير

وفوده على عبد الملك وإقامته ببابه
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن هشام بن محمد قال وفد العجير السلولي وسلول بنو مرة بن صعصعة على عبد الملك بن مروان فأقام ببابه شهرا لا يصل إليه لشغل عرض لعبد الملك ثم وصل إليه فلما مثل بين يديه أنشد
(ألا تلكَ أمُّ الهِبْرِزِيِّ تَبَيَّنَتْ ... عِظامي ومنها ناحِلٌ وكسيرُ)
(وقالتْ تضاءلْتَ الغداةَ ومَنْ يكُنْ ... فتىً قبلَ عامِ الماءِ فَهْوَ كبيرُ)
(فقلتُ لها إنّ العُجَيرَ تقلّبتْ ... به أبطنٌ أبلَيْنَه وظهورُ
(فمنهنّ إدلاجي على كُلِّ كوكبٍ ... له من عُمَانيِّ النجومِ نظيرُ)
(وَقَرْعي بكفّي بابَ مَلْكٍ كأنّما ... به القومُ يرجون الأذِينَ نُسُورُ)
(ويومٍ تبارى ألسُنُ القومِ فيهمُ ... وللموتِ أرحاءٌ بهنّ تدورُ)
(لَوَ أنّ الجِبالَ الصُّمَّ يسمعْنَ وَقْعَها ... لَعُدْنَ وقد بانت بهنّ فُطورُ)
- فرجتُ جواداً والجوادُ مثابرٌ ... على جَرْيه ذو عِلّة وَيَسِيرُ) - طويل)
فقال له يا عجير ما مدحت إلا نفسك ولكنا نعطيك لطول مقامك وأمر له بمائة من الإبل يعطاها من صدقات بني عامر فكتب له بها
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا محمد بن سعد الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي قال نظر أبي إلى فتى من بني العباس يسحب مطرف خز عليه وهو سكران وكان فتى متهتكا فحرك رأسه مليا
ثم قال لله در العجير السلولي حيث يقول
(وما لبسَ الناسُ من حُلّةٍ ... جديدٍ ولا خَلَقاً يُرْتَدَى)
(كمثلِ المُروءةِ للاّبسيْن ... فدعني من المُطْرَفِ المُسْتَدى)
(فليس يُغيِّرُ فضلَ الكريم ... خُلُوقةُ أثوابِهِ والبِلى)
(وليس يُغيِّرُ طبعَ اللّئيم ... مطارفُ خزٍ رقاقُ السَّدَى)
- يجود الكريمُ على كلّ حالٍ ... ويكبو اللئيمُ إذا ما جرى) - متقارب)
قوله في ابنه الفرزدق
أخبرني عمي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني أبو القاسم اللهبي عن أبي عبيدة قال كان العجير السلولي له ابن يقال له الفرزدق وفيه يقول العجير
(ولقد وضعْتُك غير مُتَّركٍ ... من جابرٍ في بيتِها الضخم)
(واخترتُ أمّكَ من نسائِهِمْ ... وأبوكَ كلِّ عَذَوّرٍ شهِم)
(فلئن كذبْتَ المنحَ من مائةٍ ... فلتقبلَنّ بسائغ وَخْم)
(إن الندى والفضل غايتُنا ... ونجاتُنا وطريقُ من يحمي)
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال قال الحرمازي وقف العجير السلولي لبعض الأمراء وقد علق به غريم له من أهله فقال له
(أتيتك إنّ الباهليّ يسوقني ... بدَيْنٍ ومطلوبُ الدُّيون رقيقُ)
- ثلاثتُنا إنْ يسَّرَ اللّهُ فائزٌ ... بأجرٍ ومُعْطًى حقَّه وعتيقُ) - طويل)
فأمر بقضاء دينه
ابنة عمه تفضل العامري عليه ليساره
وقال ابن الأعرابي كانت للعجير بنت عم وكان يهواها وتهواه فخطبها الى أبيها فوعده وقاربه ثم خطبها رجل من بني عامر موسر فخيرها أبوها بينه وبين العجير فاختارت العامري ليساره فقال العجير في ذلك
(ألِمَّا على دارٍ لزينبَ قد أتى ... لها بِلِوَى ذي الْمَرْخِ صيفٌ ومَرْبَع)
(وقُولا لها قد طالما لم تَكَلَّمي ... وراعاكِ بالعين الفُؤادُ المُروَّعُ)
(وقولا لها قال العجير وخَصَّني ... إليك وإرسال الخليلَيْن ينفع)
(أأنتِ التي استودعتُك السرَّ فانتحى ... لي الخَوْنَ مَرّاحٌ من القوم أفرع)
(إذا متُّ كان الناسُ نِصفين شامتٌ ... ومُثْنٍ بما قد كنت أُسدي وأصنع)
(ومستلحَمٍ قد صَكّه القومُ صكّةً ... بعيدِ الموالي نِيْلَ ما كان يمنع)
(رددْتُ له ما أفرط القتل بالضحي ... وبالأمس حتى اقتاله فهو أصلعُ)
طويل -ولست بمولاه ولا بابن عمّه ... ولكنْ متى ما أملك النفع أنفع))
وقال ابن الأعرابي كان العجير يتحدث إلى امرأة من بني عامر يقال لها جمل فألفها وعلقها ثم انتجع أهلها نواحي نصيبين فتتبعتها نفسه فسار إليهم فنزل فيهم مجاورا ثم رأوه منازلا ملازما محادثة تلك المرأة فنهوه عنها وقالوا قد رأينا أمرك فإما أن انقطعت عنها أو ارتحلت عنا أو فأذن بحرب فقال ما بيني وبينها ما ينكر وإنما كنت أتحدث إليها كما يتحدث الرجل الكريم إلى المرأة الحرة الكريمة فأما الريبة فحاش لله منها ثم عاود محادثتها فانتهبوا ماله وطردوه فأتى محمد بن مروان بن الحكم وهو يومئذ يتولى الجزيرة لأخيه عبد الملك بن مروان فأتاه مستعديا على بني عامر وعلى الذي أخذ ماله خصوصية وهو رجل من بني كلاب يقال له ابن الجسام وأنشده قوله
(عفا يافِعٌ من أهله فطَلُوبُ ... وأقفرَ لو كان الفؤادُ يثوب)
(وقفتُ بها مِن بَعْدِ ما حلّ أهْلُها ... نَصِيبين والرّاقي الدموعَ طبيب)
(وقد لاح معروفُ القتير وقد بدتْ ... بك اليومَ من ريب الزمان ندوب)
(وسالمتْ روحاتِ المطيّ وأحْمَدَتْ ... مناسمُ منها تشتكي وصُلُوب)
((وما القلبُ أمْ ما ذِكرُهُ أُمَّ صِبْيَةٍ ... أُرَيْكَةُ منها مسكنٌ فهروبُ
(حَصَان الحُمَيّا حرةٌ حال دُونَها ... حليلٌ لها شاكي السلاح غضوب)
(شَموسٌ دُنُوّ الفَرْقدين اقترابُها ... لِغَيِّ مقاريفِ الرجال سَبوبُ)
(أحقًّا عبادَ اللّه أن لستُ ناظراً ... إلى وجهها إلا عليّ رقيبُ)

(عدتْني العِدا عنها بُعَيْدَ تساعف ... وما أرتجي منها إليّ قريبُ)
(لقد أحسنتْ جُمْلٌ لَوَ أنَّ تبِيعَها ... إذا ما أرادت أن تُثيب يثيب)
- تَصُدّين حتَّى يذهبَ البأسُ بالمنى ... وحتّى تكادَ النفسُ عنكِ تطِيب) - طويل)
هذا البيت يروى لابن الدمينة وهو بشعره أشبه ولا يشاكل أيضا هذا المعنى ولا هو من طريقه لأنه تشكى في سائر الشعر قومها دونها وهذا بيت يصف فيه الصد منها ولكن هكذا هو في رواية ابن الأعرابي
(وأنتِ المُنى لو كنتِ تستأنِفيننا ... بخير ولكِنْ مُعْتفاكِ جديب)
(أيؤكلُ مالي وابنُ مروانَ شاهدٌ ... ولم يقْضِ لي وابن الحُسام قريب)
(فتىً مَحْضُ أطرافِ العُروق مُساورٌ ... جبالَ العلا طَلْقُ اليدين وهوب)
فأمر محمد بن مروان بإحضار ابن الحسام الكلابي فأحضر فحبسه حتى رد مال العجير وأمر العجير بالانصراف إلى حيه وترك النزول على المرأة أو في قومها قال وقال العجير فيها أيضا
(هاتيك جُمْلُ بأرضٍ لا يُقَرِّبُها ... إلاّ هَبِلٌّ من العِيديِّ مُعْتقِدُ)
(ودونَها معشرٌ خزرٌ عيونُهمُ ... لو تخمُدُ النار من حرٍّ لما خمدوا)
(عدُّوا علينا ذنوباً في زيارتها ... ليحجبوها وفي أخلاقهمْ نَكَد)
(وحال مِنْ دونها شَكْسٌ خلائقُه ... كأنّه نَمِرٌ في جِلده الزّبد)
(فليس إلا عويلٌ كلما ذُكِرَتْ ... أو زفْرَةٌ طالما أنّتْ بها الكبد)
(وتيمتِني جُمْلٌ فاستمرَّ بها ... شحْطٌ من الدار لا أمٌّ ولاصَدَدُ)
(قالوا غداة استقلت ما لِمُقْلَتِه ... أمن قذى هَمَلَتْ أم عارَها رَمَد)
(فقلت لا بل غَدَتْ سلمى لِطِيَّتِهَا ... فليتهُمْ مثل وجدي بُكرةً وَجَدوا)
(إن كان وصلُكِ أبلى الدّهرُ جِدّتَه ... وكلُّ شيءٍ جديدٍ هالكٌ نَفَد)
(فقد أُراني ووجْدِي إذْ تفارقني ... يوماً كوجدِ عجوز درْعُها قِدَد)
((تبكي على بَطَلٍ حُمَّتْ منِيّتهُ ... وكان واترَ أعداءٍ به اتَرَدوا
(وقد خلا زمنٌ لو تَصرمين له ... وَصْلي لأيقَنتُ أنّي ميّتٌ كَمِدُ)
(أزمانَ تعجبُني جُمْلٌ وأكتمُهُ ... جُمْلاً حياءً وما وَجْدٌ كما أجِدُ)
(فقد برئتُ على أني إذا ذُكِرَتْ ... ينهلُّ دمعي وتَحيا غُصَّةٌ تَلَدُ)
(من عهد سَلمى التي هام الفؤادُ بها ... أزْمانَ أزمانَ سلمى طِفلةٌ رُؤُد)
(قد قلت للكاشِحِ المبدِي عداوته ... قد طالما كان منكِ الغِشُّ والحسد)
- ألا تُبيّنُ لي لا زلْتَ تُبْغِضني ... حتّامَ أنت إذا ما ساعفتْ ضَمِد) - بسيط)
وصية عبد الملك لمؤدب ولده
وقال ابن حبيب قال عبد الملك لمؤدب ولده إذا رويتهم شعرا فلا تروهم إلا مثل قول العجير السلولي
(يَبِين الجارُ حين يبين عنّي ... ولم تأنسْ إليّ كلابُ جاري)
(وتظعنُ جارتي من جَنب بيتي ... ولم تُستَرْ بستر من جِداري)
(وتأمن أن أطالع حين آتي ... عليها وَهْي واضعةُ الخمار)
(كذلك هَدْيُ آبائي قديماً ... تَوارثه النِّجارُ عن النِّجار)
- فهدبي هديُهمْ وهُمُ افْتَلَوْني ... كما افْتُلِي العتيقُ من المِهار) - وافر)
وقال ابن حبيب أيضا نزل العجير بقوم فأكرموه وأطعموه وسقوه فلما سكر قام إلى جمله فعقره وأخرج كبده وجبّ سنامه فجعل يشوي ويأكل ويطعم ويغني
(عَلّلاني إنما الدنيا عَلَلْ ... واسقياني عَلَلاً بعد نَهَلْ)
- وانشِلا لي اللحم من قِدْرَيْكما ... واصبحاني أبعد اللّهُ الجمل) - رمل)
فلما أفاق سأل عن جمله فأخبر ما صنع به فجعل يبكي ويصيح واغربتاه وهم يضحكون منه ثم أعطوه جملا وزودوه فانصرف حتى لحق بقومه
أخبرني عمي بهذا الخبر قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا الحكم بن موسى بن الحسين بن يزيد السلولي قال حدثني أبي عن عمه فقال فيه
مر العجير بفتيان من قومه يشربون نبيذا لهم فشرب معهم وذكر باقي القصة نحوا مما ذكر ابن حبيب ولم يقل فيها فلما أصبح جعل يبكي ويصيح واغربتاه ولكنه قال فلما أصبح ساق قومه إليه ألف بعير مكان بعيره
اعجاب سليمان بن عبد الملك بشعره
أخبرني عمي وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني الحكم بن موسى بن الحسين السلولي قال حدثني أبي عن عمه قال عرض العجير لسليمان بن عبد الله وهو في الطواف وعلى العجير بردان يساويان مائة وخمسين دينارا فانقطع شسع نعله فأخذها بيده ثم هتف بسليمان فقال
- (ودلّيتُ دلوي في دِلاءٍ كثيرة ... إليك فكان الماءُ ريّانَ مُعلما) - طويل
فوقف سليمان ثم قال لله دره ما أفصحه والله ما رضي أن قال ريان حتى قال معلما والله إنه ليخيل الي أنه العجير وما رأيته قط الا عند عبد الملك فقيل له هو العجير فأرسل إليه أن صر إلينا إذا حللنا فصار إليه فأمر له بثلاثين ألفا وبصدقات قومه فردها العجير عليهم ووهبها لهم
رثاء العجير لابن عمه
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني هرون بن موسى الفروي قال كان ابن عم للعجير السلولي إذا سمع بأضياف عند العجير لم يدعهم حتى يأتي بجزور كوماء فيطعن في لبتها عند بيته فيبيتون في شواء وقدير ثم مات فقال العجير يرثيه
(تركنا ابا الأضيافِ في ليلةالصَّبا ... بمَرٍّ ومِرْدَى كلِّ خَصْمٍ يجادلهْ)
(وأرعيه سمعي كلّما ذُكِرِ الأسَى ... وفي الصّدرِ مني لوعةٌ ما تزايلُهْ)
- وكُنت أعِيرُ الدّمعَ قبلك مَن بكى ... فأنت على مَنْ مات بعدك شاغلُه) - طويل)

هكذا ذكر هرون بن موسى في هذا الخبر والبيت الثالث من هذه الأبيات للشمردل بن شريك لا يشك فيه من قصيدة له طويلة فيه غناء قد ذكرته في أخباره
صوت
(فتاةٌ كأنَّ رضابَ العبِيرِ ... بفيها يُعَلُّ به الزنجبيلُ)
- (قتلْتُ أباها على حبِّها ... فتبخلُ إن بخِلَتْ أو تُنيل) - متقارب
الشعر لخزيمة بن نهد والغناء لطويس خفيف رمل بالنصر عن يحيى المكي
أخبار خزيمة بن نهد ونسبه
نسبه
هو خزيمة بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة شاعر مقل من قدماء الشعراء في الجاهلية وفاطمة التي عناها في شعره هذا فاطمة بنت يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار كان يهواها فخطبها من أبيها فلم يزوجه إياها فقتله غيلة وإياها عنى بقوله
- إذا الجوزاءُ أرْدَفَتِ الثُّريا ... ظننْتُ بآل فاطمةَ الظُّنُونا) - وافر)
تشبيبه بفاطمة بنت يذكر
أخبرني بخبره محمد بن خلف وكيع قال حدثنا عبيد الله بن سعد
الزبيري قال حدثني عمي قال حدثني أبي أظنه عن الزهري قال كان بدء تفرق بني إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام عن تهامة ونزوعهم عنها إلى الآفاق وخروج من خرج منهم عن نسبه أنه كان أول من ظعن عنها وأخرج منها قضاعة بن معد وكان سبب خروجهم أن خزيمة بن نهد بن زيد بن سود ابن أسلم بن الحاف بن قضاعة بن معد كان مشؤوما فاسدا متعرضا للنساء فعلق فاطمة بنت يذكر بن عنزة واسم يذكر عامر فشبب بها وقال فيها
(إذا الجوزاء أردفَتِ الثريا ... ظننْتُ بآل فاطمة الظنونا)
(وحالت دون ذلك مِنْ همومي ... همومٌ تُخْرِج الشَّجَن الدّفينا)
- أرى ابنة يذكرٍ ظَعَنَتْ فحلَّت ... جَنوبَ الحَزْن يا شَحَطا مبينا) - وافر)
سبب القتال بين قضاعة ونزار
قال فمكث زمانا ثم إن خزيمة بن نهد قال ليذكر بن عنزة أحب أن تخرج معي حتى نأتي بقرظ فخرجا جميعا فلما خلا خزيمة بن نهد بيذكر بن عنزة قتله فلما رجع وليس معه سأله عنه أهله فقال فارقني وما أدري أين سلك فكان في ذلك شر بين قضاعة ونزار ابني معد وتكلموا فيه فأكثروا ولم يصح على خزيمة عندهم شيء يطالبون به حتى قال خزيمة بن نهد
(فتاة كأنَّ رضابَ العبير ... بفيها يُعَلُّ به الزنجبيلُ)
متقارب -قتلْتُ أباها على حبِّها ... فتبخلُ إنْ بَخِلَتْ أو تنيلُ))
فلما قال هذين البيتين تثاور الحيان فاقتتلوا وصاروا أحزابا فكانت نزار ابن معد وهي يومئذ تنتسب فتقول كندة بن جنادة بن معد وجاؤوهم يومئذ ينتمون فيقولون حاء بن عمرو بن أد بن أدد وكانت قضاعة تنتسب إلى معد وعك يومئذ تنتمي إلى عدنان فتقول عك عدنان بن أد والأشعريون ينتمون إلى الأشعر بن أدد وكانوا يتبدون من تهامة إلى الشأم وكانت منازلهم بالصفاح وكان مر وعسفان لربيعة بن نزار وكانت قضاعة بين مكة والطائف وكانت كندة تسكن من الغمر إلى ذات عرق فهو إلى اليوم يسمى غمر كندة وإياه يعني عمر بن أبي ربيعة بقوله
(إذا سَلَكَتْ غَمْرَ ذي كِنْدَةٍ ... مع الصبح قَصْدٌ لها الفَرْقَدُ)
- هنا لك إما تُعَزّي الهوى ... وإما على إثرهمْ تَكْمَدُ) - متقارب)
وكانت منازل حاء بن عمرو بن أدد والأشعر بن أدد وعك بن عدنان بن أدد فيما بين جدة إلى البحر
قال فيذكر بن عنزة أحد القارظين اللذين قال فيهما الهذلي
- (وحتى يؤوبَ القارظانِ كلاهما ... ويُنْشَرَ في القتلى كليبٌ لوائلِ) - طويل
والآخر من عنزة يقال له أبو رهم خرج يجمع القرظ فلم يرجع ولم يعرف له خبر
قال فلما ظهرت نزار على أن خزيمة بن نهد قتل يذكر بن عنزة قاتلوا قضاعة أشد قتال فهزمت قضاعة وقتل خزيمة بن نهد وخرجت قضاعة متفرقين فسارت تيم اللات بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة وفرقة من بني رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة وفرقة من الأشعريين نحو البحرين حتى وردوا هجر وبها يومئذ قوم من النبط فنزلت عليهم هذه البطون فأجلتهم فقال في ذلك مالك بن زهير
(نَزَعنا مِن تِهامةَ أيَّ حيٍّ ... فلم تحفِلْ بذاك بنو نزار)
- ولم أكُ من أنيسكُمُ ولكنْ ... شربنا دارَ آنسةٍ بدار) - وافر)
الزرقاء تتحدث بقول الكهان
فلما نزلوا هجر قالوا للزرقاء بنت زهير وكانت كاهنة ما تقولين يا زرقاء قالت سعف وإهان وتمر وألبان خير من الهوان ثم أنشأت تقول
((ودِّع تِهامةَ لا وَداعَ مُخَالِقٍ ... بذمامه لكنْ قِلىً وملامِ
- لا تُنْكِري هَجَراً مُقام غريبةٍ ... لن تعدَمي من ظاعنين تَهَامِ) - كامل)
فقالوا لها فما ترين يا زرقاء فقالت مقام وتنوخ ما ولد مولود وأنقفت فروخ إلى أن يجيء غراب أبقع أصمع أنزع عليه خلخالا ذهب فطار فألهب ونعق فنعب يقع على النخلة السحوق بين الدور والطريق فسيروا على وتيرة ثم الحيرة الحيرة فسميت تلك القبائل تنوخ لقول الزرقاء مقام وتنوخ ولحق بهم قوم من الأزد فصاروا إلى الآن في تنوخ ولحق سائر قضاعة موت ذريع وخرجت فرقة من بني حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة يقال لهم بنو تزيد فنزلوا عبقر من أرض الجزيرة فنسج نساؤهم الصوف وعملوا منه الزرابي فهي التي يقال لها العبقرية وعملوا البرود التي يقال لها التزيدية وأغارت عليهم الترك فأصابتهم وسبت منهم فذلك قول عمرو بن مالك
((ألاَ للّه ليلٌ لَمْ نَنَمْهُ ... على ذاتِ الخِضَاب مُجَنَّبِينا
- وليلتُنا بآمِدَ لَم نَنَمْها ... كليلتنا بِمَيَّا فارِقِينا) - وافر)
وأقبل الحارث بن قراد البهراني ليعيث في بني حلوان فعرض له أباغ بن سليح صاحب العين فاقتتلا فقتل أباغ ومضت

بهراء حتى لحقوا بالترك فهزموهم واستنقذوا ما في أيديهم من بني تزيد فقال الحارث بن قراد في ذلك
(كَأَنَّ الدهر جُمِّعَ في لَيالٍ ... ثلاثٍ بِتُّهُنَّ بَشَهْرَزُورِ)
- صَففْنا للأعاجم من مَعدٍّ ... صفوفاً بالجزيرة كالسَّعيرِ) - وافر)
وسارت سليح بن عمرو بن الحاف بن قضاعة يقودها الحدرجان بن سلمة حتى نزلوا ناحية فلسطين على بني أذينة بن السميذع من عاملة وسارت أسلم ابن الحاف وهي عذرة ونهد وحوتكة وجهينة والحارث بن سعد حتى نزلوا من الحجر إلى وادي القرى ونزلت تنوخ بالبحرين سنتين ثم أقبل غراب في رجليه حلقتا ذهب وهم في مجلسهم فسقط على نخلة في الطريق فينعق نعقات ثم طار فذكروا قول الزرقاء فارتحلوا حتى نزلوا الحيرة فهم أول من اختطها منهم مالك بن زهير واجتمع إليهم لما بتنوا بها المنازل ناس كثير من سقاط القرى فأقاموا بها زمانا ثم أغار عليهم سابور الأكبر فقاتلوه فكان شعارهم يومئذ يا آل عباد الله فسموا العباد وهزمهم سابور فصار معظمهم ومن فيه نهوض إلى الحضر من الجزيرة يقودهم الضيزن بن معاوية التنوخي فمضى حتى نزل الحضر وهو بناء بناه الساطرون الجرمقاني فأقاموا به وأغارت حمير على بقية قضاعة فخيروهم بين أن يقيموا على خراج يدفعونه إليهم أو يخرجوا عنهم فخرجوا وهم كلب وجرم والعلاف وهم بنو زبان ابن تغلب بن حلوان وهو أول من عمل الرحال العلافية وعلاف لقب زبان فلحقوا بالشام فأغارت عليهم بنو كنانة بن خزيمة بعد ذلك بدهر فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وانهزموا فلحقوا بالسماوة فهي منازلهم إلى اليوم

صوت

(إني امرؤ كفَّنِي ربي ونزَّهني ... عن الأمور التي في غِبِّها وَخَم)
- (وإنما أنا إنسانٌ أعيش كما ... عاش الرجالُ وعاشت قَبْلِيَ الأمم) - بسيط
الشعر للمغيرة بن حبناء من قصيدة مدح بها المهلب بن أبي صفرة والغناء لأبي العبيس بن حمدون ثقيل أول بالبنصر وهو من مشهور أغانيه وجيدها

نسب المغيرة بن حبناء وأخباره

المغيرة بن حبناء بن عمرو بن ربيعة بن أسيد بن عبد عوف بن ربيعة ابن عامر بن ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وحبناء لقب غلب على أبيه واسمه جبير بن عمرو ولقب بذلك لحبن كان أصابه وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية وأبوه حبناء بن عمرو شاعر وأخوه صخر ابن حبناء شاعر وكان يهاجيه ولهما قصائد يتناقضانها كثيرة سأذكر منها طرفا وكان قد هاجى زيادا الأعجم فأكثر كل واحد منهما على صاحبه وأفحش ولم يغلب أحد منهما صاحبه كانا متكافئين في مهاجاتهما ينتصف كل واحد منهما من صاحبه

مدحه لطلحة الطلحات

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني الحسن بن جهور عن الحرمازي قال قدم المغيرة ابن حبناء على طلحة الطلحات الخزاعي ثم المليحي أحد بني مليح فأنشده قوله فيه
(لقد كنتُ أسعى في هواكَ وأبتغي ... رضاكَ وأرجو منكَ ما لستُ لاقيا)
(وأبذلُ نفسي في مواطِنَ غيرُها ... أحَبُّ وأعصي في هواكَ الأدانيا)
(حِفاظاً وتمسيكاً لما كان بيننا ... لِتَجْزيَني ما لا إخالُكَ جازياً)
(رأيتُكَ ما تنفكُّ منك رَغيبةٌ ... تقصِّر دوني أو تحلُّ ورائيا)
(أراني إذا استمطرْتُ منك رَغيبةً ... لتُمطِرَني عادتْ عَجاجاً وسافيا)
(وأدْليْتُ دَلْوي في دِلاء كثيرة ... فأُبْنَ مِلاءً غيرَ دلوي كما هِيا)
(ولستُ بلاقٍ ذا حِفاظٍ ونَجدةٍ ... من القوم حُرًّا بالخسيسة راضيا)
طويل -فإن تَدْنُ مني تَدْنُ منكَ مودتي ... وإن تَنْأَ عني تُلفِني عنكَ نائيا))
قال فلما أنشده هذا الشعر قال له أما كنا أعطيناك شيئا قال لا فأمر طلحة خازنه فأخرج درجا فيه حجارة ياقوت فقال له اختر حجرين من هذه الأحجار أو أربعين ألف درهم فقال ما كنت لأختار حجارة على أربعين ألف درهم فأمر له بالمال فلما قبضه سأله حجرا منها فوهبه له فباعه بعشرين ألف درهم ثم مدحه فقال
(أرى الناس قد ملُّوا الفَعال ولا أرى ... بني خَلَفٍ إلا رِواءَ الموارِدِ)
(إذا نفعوا عادوا لمن ينفعونه ... وكائن ترى من نافع غير عائد)
(إذا ما انجلتْ عنهمْ غمامةُ غَمْرةٍ ... من الموت أجلتْ عن كرامٍ مَذاوِدِ)
- تسود غطاريفَ الملوك ملوكُهمْ ... وما جِدهُمْ يعلو على كل ماجد) - طويل)
مدحه للمهلب بن أبي صفرة
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا المغيرة بن محمد المهلبي عن رواة باهلة أن المهلب بن أبي صفرة لما هزم قطري بن الفجاءة
بسابور جلس للناس فدخل إليه وجوههم يهنئونه وقامت الخطباء فأثنت عليه ومدحته الشعراء ثم قام المغيرة بن حبناء في أخرياتهم فأنشده
(حال الشَّجا دونَ طَعْمِ العيش والسهرُ ... واعتاد عينَكَ من إدمانِها الدِّرَرُ)
(واستَحْقَبَتْكَ أمورٌ كنتَ تكرهها ... لو كان ينفعُ منها النَّأيُ والحذر)
(وفي الموارِد للأقوامِ تَهْلُكةٌ ... إذا المواردُ لم يُعْلم لها صَدَر)
(ليس العزيزُ بمن تَغْشَى محارمَه ... ولا الكريمُ بمن يُجْفَى ويُحْتَقَرُ)
حتى انتهى إلى قوله
(أمسى العِبادُ بِشرٍّ لا غِياثَ لهُمْ ... إلا المهلَّبُ بعد اللَّه والمطرُ)
(كلاهما طيِّبٌ تُرْجى نوافله ... مباركٌ سَيْبُهُ يرجى ويُنتظر)
(لايَجْمُدانِ عليهمْ عند جَهدِهِمُ ... كِلاهما نافعٌ فيهمْ إذا افتقروا)
(هذا يذودُ ويحمي عن ذِمارِهِمُ ... وذا يعِيش به الأنعامِ والشَّجر)
(واستسلم الناسُ إذ حلَّ العدوُّ بهمْ ... فلا ربيعتُهمْ تُرجى ولا مضرُ)
(وأنت رأسٌ لأهل الدين منتخَبٌ ... والرأسُ فيه يكون السمع والبصر)

(إن المهلّب في الأيام فضَّله ... على منازلِ أقوامٍ إذا ذُكروا)
(حَزْمٌ وجودٌ وأيامٌ له سلفتْ ... فيها يُعَدُّ جسيمُ الأمر والخطرُ
(ماضٍ على الهولِ ما ينفكُّ مرتحِلاً ... أسبابَ معضلةٍ يعيا بها البشر)
(سهلُ الخلائق يعفو عِند قدرتِهِ ... منه الحياء ومن أخلاقه الخفَرُ)
(شهابُ حربٍ إذا حلّت بساحته ... يُخْزي به اللّه أقواماً إذا غدروا)
(تزيدُه الحربُ والأهوال إن حضرت ... حزماً وعزماً ويجلو وجهَه السفر)
(ما إن يزالُ على أرجاءِ مُظْلِمةٍ ... لولا يُكَفْكِفُها عن مِصرهِمْ دَمَروا)
(سهلٌ إليهمْ حليمٌ عن مجاهلِهمْ ... كأنما بينهُمْ عثمانُ أو عمر)
(كَهْفٌ يلوذون من ذُلّ الحياةِ به ... إذا تكنَّفهم مِن هولها ضرر)
- أمْنٌ لخائِفِهِمْ فَيْضٌ لسائلِهمْ ... ينتاب نائلَه البادون والحَضَرَ) - بسيط)
فلما أتى على آخرها قال المهلب هذا والله الشعر لا ما نعلل به وأمر له بعشرة آلاف درهم وفرس جواد وزاده في عطائه خمسمائة درهم
والقصيدة التي منها البيتان اللذان فيهما الغناء المذكور بذكره أخبار المغيرة من قصيدة له مدح بها المهلب بن أبي صفرة أيضا وأولها
(أمِن رسومِ ديارٍ هاجَكَ القِدَمُ ... أقْوَتْ وأقفرِ منها الطَّفُّ والعَلَمُ)
(وما يَهيجُك من أطلالِ مَنْزِلَةٍ ... عفَّى معالِمَها الأرواحُ والديمُ)
((بئس الخليفةُ من جارٍ تضِنُّ به ... إذا طرِبْتَ أثافي القِدْرِ والحُمَم
(دارُ التي كاد قلبي أن يُجَنَّ بها ... إذا ألمَّ به مِن ذِكرِها لَمَم)
(إذا تذكَّرها قلبي تضيّفه ... همٌّ تضيق به الأحشاء والكَظَمِ)
(والبينُ حين يروعُ القلبَ طائِفُه ... يبدي ويظهر منهمْ بعضَ ما كتموا)
(إني امرؤ كفّني ربي وأكرمني ... عن الأمور التي في غِبِّها وَخَمُ)
- وإنما أنا إنسانٌ أعيش كما ... عاش الرجال وعاشت قبليَ الأمم) - بسيط)
وهي قصيدة طويلة وكان سبب قوله إياها أن المهلب كان أنفذ بعض بنيه في جيش لقتال الأزارقة وقد شدت منهم طائفة تغير على نواحي الأهواز وهو مقيم يومئذ بسابور وكان فيهم المغيرة بن حبناء فلما طال مقامه واستقر الجيش لحق بأهله فألم بهم وأقام عندهم شهرا ثم عاود وقد قفل الجيش إلى المهلب فقيل له إن الكتاب خطوا على اسمه وكتب إلى المهلب أنه عصى وفارق مكتبه بغير إذن فمضى إلى المهلب فلما لقيه أنشده هذه القصيدة واعتذر إليه فعذره وأمر باطلاق عطائه وإزالة العتب عنه وفيها يقول يذكر قدومه إلى أهله بغير إذن
(ما عاقني عن قُفُولِ الجندِ إذ قفلوا ... عِيٌّ بما صنعوا حولي ولا صَمَمُ)
(ولو أردْتُ قفولاً ما تجهَّمَني ... إذن الأميرِ ولا الكتابُ إذ رقموا)
((إني ليعرفني راعي سريرهِمِ ... والمحْدِجون إذا ما ابتلّت الحُزُمُ
(والطالبون إلى السلطان حاجتَهمْ ... إذا جفا عنهُمُ السلطان أو كَزِموا)
(فسوف تُبْلِغُكَ الأنباءَ إن سلِمتْ ... لك الشواحِج والأنفاسُ والأدم)
(إنَّ المهلّب إنْ أشتقْ لرؤيتِهِ ... أو امتدِحْهُ فإنَّ الناسِ قد علِموا)
(إن الكريم من الأقوام قد علموا ... أبو سعيد إذا ما عُدّت النِّعم)
(والقائلُ الفاعلُ الميمونُ طائره ... أبو سعيدٍ وإنْ أعداؤه رَغِموا)
(كم قد شهِدْتُ كراماً من مواطنه ... ليست بغيبٍ ولا تقوالِهِمْ زعموا)
(أيّامَ أيامَ إذ عضَّ الزمانُ بهِمْ ... وإذ تمنَّى رجالٌ أنهم هُزِموا)
(وإذ يقولون ليتَ اللّه يُهْلِكُهُمْ ... واللّه يعلم لو زلَّت بهِمْ قَدَمُ)
(أيامَ سابورَ إذ ضاعت رَباعَتُهُمْ ... لولاه ما أوْطَنوا داراً ولا انتقموا)
(إذ ليس شيءٍ مِن الدنيا نصولُ به ... إلا المغافِرُ والأبدانُ واللُّجُم)
(وعاترِاتٍ من الخَطّيِّ مُحْصَدَةٍ ... نفضي بهنّ إليهمْ ثم نَدَّعِم)
سبب التهاجي بينه وبين زياد الأعجم
هكذا ذكر عمرو بن أبي عمرو الشيباني في خبر هذه القصيدة ونسخت من كتابه وذكر أيضا في هذا الكتاب أن سبب التهاجي بين زياد الأعجم والمغيرة بن حبناء أن زيادا الأعجم والمغيرة بن حبناء وكعبا الأشقري اجتمعوا عند المهلب وقد مدحوه فأمر لهم بجوائز وفضل زيادا عليهم ووهب له غلاما فصيحا ينشد شعره لأن زيادا كان ألكن لا يفصح فكان راويته ينشد عنه ما يقوله فيتكلف له مؤونة ويجعل له سهما في صلاته فسأل المهلب يومئذ أن يهب له غلاما كان له يعرفه زياد بالفصاحة والأدب فوهبه له فنفسوا عليه ما فضل به فانتدب له المغيرة من بينهم فقال للمهلب أصلح الله الأمير ما السبب في تفضيل الأمير زيادا علينا فوالله ما يغني غناءنا في الحرب ولا هو بأفضلنا شعبا ولا أصدقنا ودا ولا أشرفنا أبا ولا أفصحنا لسانا فقال له المهلب أما إني والله ما جهلت شيئا مما قلت وإن الأمر فيكم عندي لمتساو ولكن زيادا يكرم لسنه وشعره وموضعه من قومه وكلكم كذلك عندي وما فضلته بما ينفس به وأنا أعوضكم بعد هذا بما يزيد على ما فضلته به فانصرف وبلغ زيادا ما كان منه فقال يهجوه
(أرى كلَّ قومٍ يَنْسلُ اللؤمُ عندهُمْ ... ولؤمُ بني حَبْنَاءَ ليس بناسِلِ)
(يَشِبُّ مع المولودِ مثلَ شبابه ... ويَلْقاه مولوداً بأيدي القوابل)
(ويُرْضِعُهُ من ثَدْيِ أمٍّ لئيمةٍ ... ويُخْلَقُ من ماءِ امرئ غيرِ طائل)
(تعالَوا فعدّوا في الزمان الذي مضى ... وكل أناسٍ مجدهُمْ بالأوائل)
((لَكَمْ بِفعالٍ يَعْرفُ الناس فضله ... إذا ذُكِرَ الأملاءُ عِند الفضائل
(فغازيكُمُ في الجيش ألأمِ مَنْ غزا ... وقافِلُكُمْ في الناس ألأم قافل)
(وما أنتُمُ مِنْ مالكٍ غيرَ أنكُمْ ... كمغرورةٍ بالبَوِّ في ظلٍ باطل)
- بنو مالكٍ زُهر الوجوه وأنتمُ ... تَبيَّنَ ضاحي لؤمِكُمْ في الجحافل) - طويل)

يعني برصا كان بالمغيرة بن حبناء
أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثني المدائني قال عير زياد الأعجم المغيرة بن حبناء في مجلس المهلب بالبرص فقال له المغيرة إن عتاق الخيل لا تشينها الأوضاح ولا تعير بالغرر والحجول وقد قال صاحبنا بلعاء بن قيس لرجل عيره بالبرص إنما أنا سيف الله جلاه واستله على أعدائه فهل تغني يا بن العجماء غنائي أو تقوم مقامي ثم نشب الهجاء بينهما
نسخت من نسخة ابن الأعرابي قال كان المغيرة بن حبناء يوما يأكل مع المفضل بن المهلب فقال له المفضل
طويل -فلم أر مِثلَ الحنظلِيّ ولونِهِ ... أكِيلَ كرامٍ أو جليس أمير))
فرفع المغيرة يده وقام مغضباً ثم قال له
(إني امرؤٌ حنظِلِيٌّ حين تنسبُنِي ... لامِ العِتيك ولا أخوالِيَ العَوَقُ)
العوق من يشكر وكانوا أخوال المفضل
- لا تحسبَنَّ بياضاً فيَّ منقصةً ... إن اللّهاميم في ألوانها بلقُ) - بسيط)
وبلغ المهلب ما جرى فتناول المفضل بلسانه وشتمه وقال أردت أن يتمضغ هذا أعراضنا ما حملك على أن أسمعته ما كره بعد مواكلتك إياه أما إن كنت تعافه فاجتنبه أو لا تؤذه ثم بعث إليه بعشرة آلاف درهم واستصفحه عن المفضل واعتذر إليه عنه فقبل رفده وعذره وانقطع بعد ذلك عن مواكلة أحد منهم
رجع الخبر إلى سياقته مع زياد والمغيرة فقال المغيرة يجيب زيادا
(أزيادُ إنَّك والذي أنا عبدُهُ ... ما دون آدم من أبٍ لك يُعلَمُ)
(فالحَقْ بأرضِك يا زيادُ ولا تَرُمْ ... ما لا تطيق وأنت عِلجٌ أعجمُ)
(أظنَنْتَ لؤْمَك يا زيادُ يسدُّه ... قوسٌ سِتْرتَ بها قفاكَ وأسهمُ)
(عِلْجٌ تعصَّبَ ثم راقَ بقوسه ... والعِلْجُ تعرفه إذا يَتعمَّمُ)
(ألْقِ العصابة يا زيادُ فإنما ... أخزاك ربِّي إذ غدوْتَ تَرَنَّمُ)
((واعلم بأنك لستَ منّي ناجياً ... إلا وأنت ببَظْرِ أمك مِلجَمُ
(تهجو الكرامَ وأنت ألأمُ مَنْ مَشَى ... حسباً وأنت العِلْجُ حين تَكَلَّمُ)
(ولقد سألْتُ بني نزارٍ كلَّهُمْ ... والعالمين من الكهول فأقسموا)
- باللَّه مالَكَ في معدٍّ كلِّها ... حَسَبٌ وإنك يا زياد مُوَذَّمُ) - كامل)
فقال زياد يجيبه
(ألم تَرَ أنَّني وتَّرتُ قَوْسي ... لأبقعَ من كلاب بني تميم)
(عوى فرَميتُه بسِهامِ موتٍ ... كذاك يُردُّ ذو الحُمقِ اللئيمُ)
(وكنتُ إذا غَمَزْتُ قناةَ قوم ... كَسَرْتُ كعوبها أو تستقيمُ)
(هُمُ الحَشْوُ القليلُ لكل حيٍّ ... وهُمْ تَبَعٌ كزائدة الظليم)
(فلستَ بِسابِقِي هَرماً ولمّا ... يمُرَّ على نواجذك القَدومُ)
(فحاولْ كيف تنجُو مِن وقاعِي ... فإنّك بعد ثالثةٍ رميمُ)
((سراتُكمُ الكلابُ البُقْعُ فيكُمْ ... للؤمِكُمُ وليس لكُمْ كريمُ
- فقد قدُمتْ عُبودتُكُمْ ودُمْتُمْ ... على الفَحْشاء والطبع اللَّئيمِ) - وافر)
أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا المدائني قال قال زياد الأعجم يهجو المغيرة بن حبناء
- عجِبْتُ لأبْيَضِ الخُصْيَيْن عبدٍ ... كأنّ عِجانَهُ الشِّعْرَى العبورُ) - وافر)
فقيل له يا أبا أمامة لقد شرفته إذ قلت فيه
(... كأنّ عجانه الشِّعْرى العبور)
ورفعت منه فقال سأزيده رفعةً وشرفا ثم قال
- لا يبرحُ الدّهرَ خارئٌ أبداً ... إلاّ حسبْتَ على بابِ استِه القمرا) - بسيط)
قال وتقاولا في مجلس المهلب يوما فقال المغيرة لزياد
- أقول له وأنكَرَ بعضَ شأني ... ألم تعرفْ رِقاب بني تميمِ) - وافر)
فقال له زياد
- (بلَى فعرفْتُهُنَّ مقصَّراتٍ ... جِباهَ مَذَلَّةٍ وسِبالَ لومِ) - وافر
ربيعة تحرض زياد الأعجم على هجو المغيرة
نسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني قال كانت ربيعة تقول لزياد الأعجم يا زياد أنت لساننا فاذبب عن أعراضنا بشعرك فإن سيوفنا معك فقال المغيرة بن حبناء فيه وقد بلغه هذا القول من ربيعة له
(يقولون ذَبِّبْ يا زيادُ ولم يكن ... لِيوقِظَ في الحرب الملمَّةِ نائما)
(ولو أنّهم جاؤوا به ذا حفيظةٍ ... فيمنعَهُم أو ماجداً أو مراغماً)
(ولكنّهم جاؤوا بأقلَفَ قد مضت ... له حِججٌ سبعون يُصبح رازما)
(لئيماً ذميماً أعجميّاً لسانُه ... إذا نال دَنًّا لم يبال المكارما)
(وما خلَتْ عبد القيس إلا نُفايةً ... إذا ذَكَر الناس العُلا والعظائما)
(إذا كنتَ للعبدِيّ جاراً فلا تَزلْ ... على حَذَرٍ منه إذا كان طاعما)
(أناساً يُعدُّون الفساء لجارهمْ ... إذا شَبِعوا عند الجُباةِ الدراهما)
(من الفَسو يقضُون الحقوقَ عليهمُ ... ويُعْطُونَ مولاهُمْ إذا كان غارما)
(لهمْ زجَلٌ فيه إذا ما تجاوبوا ... سمعتَ زفيراً فيهمُ وهَماهِما)
(لعمرِكَ ما نجّى ابن زروان إذ عوَى ... ربيعةَ من يومٍ ذلك سالما)
(أظَنَّ الخبيثُ ابنُ الخبيثين أنّني ... أسلّمُ عرْضي أو أهابُ المقاوما)
- لعمركَ لا تَهدي ربيعةُ للحجا ... إذا جعلوا يستنصِرون الأعاجما) - طويل)

شعره بعد اعتذار عبد قيس له
قال فجاءت عبد القيس إلى المغيرة فقالوا يا هذا ما لنا ولك
تعمنا بالهجاء لأن نبحك منا كلب فقال وقلت قد تبرأنا إليك منه فإن هجاك فاهجه وخل عنا ودعنا وأنت وصاحبك أعلم فليس منا له عليك ناصر فقال
(لعمرُك إنّي لابنِ زرْوانَ إذ عوى ... لَمُحْتَقِرٌ في دعوة الودِّ زاهدُ)
(وما لكَ أصلٌ يا زياد تعدُّه ... وما لك في الأرضِ العريضة والدُ)
(ألم تَرَ عبدَ القيس منك تبرّأتْ ... فلاقيتَ ما لم يَلْقَ في الناس واحدُ)
(وما طاشَ سهمي عنك يوم تبرّأت ... لُكَيزُ بنُ أفصى منك والجند حاشدُ)
(ولا غابَ قرنُ الشّمس حتى تحدَّثت ... بنفيك سُكّانُ القُرى والمساجدُ)
رفع المساجد لأنه جعل الفعل لها كأنه قال وأهل المساجد كما قال الله عز وجل (واسأل القرية) وتحدثت المساجد وإنما يريد من يصلي فيها
(فأصبحْتَ عِلجاً من يُزِرْك ومن يَزُرْ ... بناتِك يَعْلَمْ أنّهن ولائد)
(وأصبحْنَ قُلْفاً يغتزلْن بأجرةٍ ... حواليكَ لم تَجْرَحْ بهن الحدائد)
(نَفَرْنَ من المُوسى وأقررْنَ بالتي ... يقِرّ عليها المقرفاتُ الكواسد)
(يإصْطَخْرَ لم يَلبَسْنَ من طُول فاقةٍ ... جديداً ولا تُلقَي لهنَّ الوسائد)
((وما أنتَ بالمنسوبِ في آلِ عامرٍ ... ولا ولدَتْكَ المُحْصَناتُ المواجدُ
(ولا ربَّتكَ الحنظليّةُ إذْ غدتْ ... بنيها ولا جِيبَتْ عليكِ القلائدُ)
(ولكن غذاكَ المشركون وزاحمتْ ... قَفاكَ وخدَّيك البُظورُ العواردُ)
(ولم أرَ مِثْلي يا زياد بِعِرضِه ... وعِرضِك يَستبّان والسيف شاهد)
- ولو أنّني غشّيْتُك السيفَ لم يَقُلْ ... إذا متّ إلاّ مات عِلْجٌ مُعاهِدُ) - طويل)
المغيرة يعنف أخاه صخرا بعد أن تلاحيا
ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو أيضا قال رجع المغيرة بن حبناء إلى أهله وقد ملأ كفيه بجوائز المهلب وصلاته والفوائد منه وكان أخوه صخر بن حبناء أصغر منه فكان يأخذ على يده وينهاه عن الأمر ينكر مثله ولا يزال يتعتب عليه في الشيء بعد الشيء مما ينكره عليه فقال فيه صخر بن حبناء
(رأيتُك لّما نلْتَ مالاً وعَضّنا ... زمانٌ نرى في حدِّ أنيابه شغْبا)
- تجنّى عليّ الدّهرُ أنّي مُذْنِبَ ... فأمسِكْ ولا تجعلْ غِناك لن ذَنْبا) - طويل)
فقال المغيرة يجيبه
(لحا اللّه أنآنا عن الضَّيفِ بالقِرى ... وأقصَرَنا عن عِرْضِ والده ذّبّا)
((وأجدرَنا أن يدخُلَ البيتَ باسته ... إذا القُفُّ دلّى من مخارمه رَكْبا
- أأنْبأَكَ الأقّاكُ عنّي أنّني ... أحرِّكُ عِرْضي إن لعبْتَ به لِعْبا) - طويل)
ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو قال جاءت أخت المغيرة بن حبناء إليه تشكو أخاها صخرا وتذكر أنه أسرع في مالها وأتلفه وإنها منعته شيئا يسيرا بقي لها فمد يده إليها وضربها فقال له المغيرة معنفا
(ألا من مبلِغٌ صخرَ بنَ ليلى ... فإني قد أتاني مِن نَثَاكا)
(رسالةَ ناصحٍ لك مستجيبٍ ... إذا لم تَرْعَ حرمتَه رعاكا)
(وصولٍ لو يراك وأنت رهنٌ ... تُباع بماله يوماً فَدَاكا)
(يرى خيراً إذا ما نلتَ خيراً ... ويَشْجَى في الأمور بما شجاكا)
(فإنّك ترى أسماءَ أختاً ... ولا تَرْيَنَّني أبداً أخاكا)
(فإن تعنُفْ بها أو لا تصِلْها ... فإنّ لأمّها وَلَداً سِواكا)
(يَبَرُّ ويستجيبُ إذا دعته ... وإنْ عاصيْتَه فيها عصاكا)
(وكنت أرى بها شرفاً وفضلاً ... علي بَعض الرِّجال وفوق ذاكا)
(جزاني اللّهُ منك وقد جزاني ... ومنّي في معاتبنا جزَاكا)
(وأعقَبَ أصدَقَ الخَصْمين قولاً ... ووليّ اللؤمَ أولانا بذاكا)
وافر -فَلا واللّه لو لم تَعصِ أمري ... لكنْتَ بمعزلٍ عمَّا هُناكا))
قال فأجابه أخوه صخر بن حبناء فقال
(أتاني عن مُغِيرَةَ ذَرْوُ قولٍ ... تَعمَّدَه فقلْت له كذاكا)
(يعمُّ به بني ليلى جميعاً ... فولّ هجاءهُمْ رجلاً سِواكا)
(فإنْ تكُ قد قَطَعْتَ الوصلَ منّي ... فهذا حينَ أخلفَني مُناكا)
(تُمنّيني إذا ما غبْتَ عني ... وتُخلفِني مناي إذا أراكا)
(وتُوليني مَلامَة أهلِ بيتي ... ولا تعطِي الأقاربَ غيرَ ذاكا)
(فإن تكُ أختُنا عتبَتْ علينا ... فلا تَصْرِمِ لِظِنّتها أخاكا)
(فإن لها إذا عتبَتْ علينا ... رضاها صابرِينَ لها بذاكا)
(وإن تكُ قد عتبْتَ عليَّ جهلاً ... فلا واللّهِ لا أبغي رضاكا)
(فقد أعلنْتُ قولكَ إذ أتاني ... فأعلِنْ من مقالي ما أتاكا)
(سيغْنِي عنك صخراً ربُّ صخرٍ ... كما أغناك عن صخرٍ غناكا)
(ويغنِيني الذي أغناكَ عنّي ... ويكفيني الإلهُ كما كفاكا)
(ألم تَرَني أجودُ لكُمْ بمالي ... وأرمِي بالنّواقِرِ من رماكا)
(وإنّي لا أقودُ إليك حرباً ... ولا أعصيك إنْ رجلٌ عصاكا)
(ولكنّي وراءك شِمَّريٌّ ... أحامي قد علِمْتَ على حِماكا)
(وأدفعُ ألسنَ الأعداء عنكُمْ ... ويَعنيني العدوُّ إذا عناكا)

((وقد كانت قُربِيةُ ذات حق ... عليكَ فلَمْ تطالعْها بذاكا
- رأيتُ الخيرَ يُقصر منك دوني ... وتبلُغني القوارصُ مِن أذاكا) - وافر)
ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو أيضا قال كان حبناء بن عمرو قد غضب على قومه في بعض الأمر فانتقل إلى نجران وحمل معه أهله وولده فنظرت امرأته سلمى إلى غلام من أهل نجران يضرب ابنه المغيرة وهو يومئذ غلام فقالت لحبناء قد كنت غنيا عن هذا الذل وكان مقامك بالعراق في قومك أو في حي قريب من قومك أعز لك فقال حبناء في ذلك
(تقول سُليمى الحنظلِيَّةُ لابنها ... غلامٌ بنجرانَ الغداةَ غريبُ)
(رأتْ غِلمةً ثاروا إليه بأرضهمْ ... كما هَرَّ كلبُ الدار بين كَليبِ)
- فقالت لقد أجْرى أبوك لِما ترى ... وأنت عزيزٌ بالعراقِ مَهيبُ) - طويل)
وقال أيضا
(لعمركَ ما تدري أشيءٌ تريده ... يلِيك أمِ الشيءُ الذي لا تحاولُهْ)
- متى ما يَشأْ مستقيِس الشرِّ يَلْقَهُ ... سريعاً وتَجْمَعْهُ إليه أناملُهْ) - طويل)
زياد الاعجم يهجو اسرة المغيرة بادوائهم
أخبرني عيسى بن الحسن الوراق قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو الشبل النضري قال كان المغيرة بن حبناء أبرص وأخوه صخر أعور وأخوه الآخر مجذوما وكان بأبيهم حبن فلقب حبناء واسمه جبير بن عمرو فقال زياد الأعجم يهجوهم
(إنّ حبناءَ كان يُدْعى جُبيراً ... فَدَعَوْه من لؤمه حبناءَ)
- ولَدَ العُورَ منه والبُرصَ والجَذْمَى ... وذو الداء يُنتِج الأدواءَ) - خفيف)
فيقال إن هذه الأبيات كانت آخر ما تهاجيا به لأن المغيرة قال قد بلغه هذا الشعر ما ذنبنا فيما ذكره هذه أدواء ابتلانا الله عز وجل بها وإني لأرجو أن يجمع الله عليه هذه الأدواء كلها فبلغ ذلك زيادا من قوله وإنه لم يهجه بعقب هذه الأبيات ولا أجابه بشيء فأمسك عنه وتكافآ
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه وأخبرني به الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن أبيه عن الأصمعي قال
لم يقل أحد في تفضيل أخ على أخيه وهما لأب وأم مثل قول المغيرة بن حبناء لأخيه صخر
(أبوك أبي وأنت أخي ولكِنّ ... تفاضَلَتِ الطّبائعُ والظُّروفُ)
- وأمُّكَ حين تُنْسَب أمٌّ صدْقٍ ... ولكنْ ابنها طَبِعٌ سخيفُ) - وافر)
قال وكان عبد الملك بن مروان إذا نظر إلى أخيه معاوية وكان ضعيفا يتمثل بهذين البيتين
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن محمد بن جدان
قال حدثني أحمد بن محمد بن مخلد المهلبي قال نظر الحجاج إلى يزيد ابن المهلب يخطر في مشيته فقال لعن الله المغيرة بن حبناء حيث يقول
(جميلُ المحيَّا بَختِريٌّ إذا مشى ... وفي الدِّرع ضخمُ المَنْكبين شِناق)
فالتفت إليه يزيد فقال إنه يقول فيها
(شديدُ القوى من أهلِ بيتٍ إذا وهَى ... من الدِّين فَتْقٌ حُمِّلوا فأطاقوا)
- مَراجيحُ في اللأواء إن نَزلَتْ بهمْ ... ميامينُ قد قادُوا الجيوش وساقوا) - طويل)
مصرع ابن حبناء
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني من حضر ابن حبناء لما قتل وهو يجود بنفسه فأخذ بيده من دمه وكتب بيده على صدره أنا المغيرة بن حبناء ثم مات
صوت
(بَسَطَتْ رابعةُ الحبَلْ لنا ... فوصَلْنا الحبلَ منها ما اتسعْ)
(كيف تَرجُون سِقاطي بَعْدَما ... جَلّلَ الرأسَ بياضٌ وصلَعْ)
(رُبَّ من أنضجْتُ غيظاً صَدْرَه ... قد تمنَّي لِيَ موتاً لم يُطَعْ)
(ويراني كالشَّجا في حَلْقِه ... عَسِراً مَخْرَجُه ما يُنْتَزَعْ)
((ويُحيِّيني إذا لاقيتُه ... وإذا أُمْكِنَ من لحمي رَتَعْ
- وأبِيتُ اللّيلَ ما أهجَعُه ... وبعيِّني إذا النَّجْم طَلَعْ) - رمل)
الحبل ها هنا الوصل والحبل أيضا السبب يتعلق به الرجل من صاحبه يقال علقت من فلان بحبل والحبل العهد والميثاق والعقد ويكون بين القوم وهذه المعاني كلها تتعاقب ويقوم بعضها مقام بعض والشجا كل ما اغتص به من لقمة أو عظم أو غيرهما
الشعر لسويد بن أبي كاهل اليشكري والغناء لعلويه ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو بن بانة في الأول والثاني من الأبيات وليونس الكاتب في الثالث والرابع والثاني ماخوري بالوسطى عن علي بن يحيى والهشامي ولمالك فيها ثقيل بالبنصر عن الهشامي أيضا ولابن سريج فيها خفيف ثقيل عن علي بن يحيى
أخبار سويد بن أبي كاهل ونسبه
سويد بن أبي كاهل بن حارثة بن حسل بن مالك بن عبد سعد بن جشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر وذكر خالد بن كلثوم أن اسم أبي كاهل شبيب ويكنى سويد أبا سعد
أنشدني وكيع عن حماد عن أبيه لسويد بن أبي كاهل شاهدا بذلك
- أنا أبو سَعْدٍ إذَا اللَّيلُ دجا ... دخلْتُ في سرباله ثُمّ النَّجا) - رجز)
وجعله محمد بن سلام في الطبقة السادسة وقرنه بعنترة العبسي وطبقته
وسويد شاعر متقدم من مخضرمي الجاهلية والإسلام كذلك ذكر ابن حبيب وكان أبوه أبو كاهل شاعرا وهو الذي يقول بسيط -كأنّ رَحْلي على صَقْعاءَ حادرةٍ ... طَيًّا قد ابتلَّ من طَلٍّ خَوافيها))
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن إسحاق البغوي قال حدثنا أبو نصر صاحب الأصمعي أنه قرأ شعر سويد بن أبي كاهل على الأصمعي فلما قرأ قصيدته

- بَسطَتْ رابعةُ الحبلَ لنا ... فوصَلْنا الحبلَ منها ما اتّسعْ) - رمل)
فضلها الأصمعي وقال كانت العرب تفضلها وتقدمها وتعدها من حكمها ثم قال الأصمعي حدثني عيسى بن عمر أنها كانت في الجاهلية تسمى اليتيمة
بين سويد وزياد الأعجم
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني محمد بن الهيثم بن عدي قال حدثنا عبد الله بن عباس قال قال زياد الأعجم يهجو بني يشكر
(إذا يشكُريٌّ مسَّ ثوبَك ثوبُهُ ... فلا تذكرنَّ اللّهِ حَتّى تَطَهَّرا)
- فلو أنَّ مِن لؤمٍ تموتُ قبيلةٌ ... إذاً لأماتَ اللؤمُ لا شكَّ يشكُرا) - طويل)
قال فأتت بنو يشكر سويد بن أبي كاهل ليهجو زيادا فأبى عليهم فقال زياد
(وأنبِئتُهمْ يستصرخون ابنَ كاهلٍ ... وللؤمِ فيهمْ كاهلٌ وسَنامُ)
(فإنْ يأتِنا يرجِعْ سويدٌ ووجهُه ... عليه الخَزايا غُبْرَةٌ وقَتامُ)
- دعِيٌّ إلى ذُبيانِ طوراً وتارة ... إلى يشكرٍ ما في الجميع كِرامُ) - طويل)
فقال لهم سويد هذا ما طلبتم لي وكان سويد مغلبا وأما قوله
(دَعيٌّ إلى ذُبيان طوراً وتارةً ... إلى يشكر)
سبب تسميته سويدا
فإن أم سويد بن أبي كاهل كانت امرأة من بني غبر وكانت قبل أبي كاهل عند رجل من بني ذبيان بن قيس بن عيلان فمات عنها فتزوجها أبو كاهل وكانت فيما يقال حاملا فاستلاط أبو كاهل ابنها لما ولدته وسماه سويدا واستلحقه فكان إذا غضب على بني يشكر ادعى إلى بني ذبيان وإذا رضي عنهم أقام على نسبه فيهم
وذكر علان الشعوبي أنه ولد في بني ذبيان وتزوجت أمه أبا كاهل وهو غلام يفعة فاستلحقه أبو كاهل وادعاه فلحق به
ولسويد بن أبي كاهل قصيدة ينتمي فيها إلى قيس ويفتخر بذلك وهي التي أولها
(أبَى قلبُه إلاّ عميرةَ إن دنتْ ... وإن حَضرتْ دارَ العِدا فهو حاضرُ)
(شمُوسٌ حَصانُ السِّرِّ ريّا كأنها ... مُرَبَّبةٌ مِما تضمَّن حائِر)
ويقول فيها أيضا
(أنا الغَطَفَاني زَيْنُ ذُبْيانَ فابعدوا ... فَللزِّنجُ أدنَى منكُمُ ويُحابِرُ)
(أبتْ ليَ عبسٌ أن أسامَ دَنيّةً ... وسعدٌ وذبيانُ الهِجانُ وعامرُ)
- وحيٌّ كرامٌ سادةٌ من هوازنٍ ... لهمْ في الملِمَّاتِ الأُنوفُ الفواخرُ) - طويل)
هجاؤه لبني شيبان
أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن معتب الأودي عن الحرمازي أن سويد بن أبي كاهل جاور في بني شيبان فأساؤوا جواره وأخذوا شيئا من ماله غصبا فانتقل عنهم وهجاهم فأكثر وكان الذي ظلمه وأخذ ماله أحد بني محلم فقال يهجوهم وإخوتهم بني أبي ربيعة
(حَشرَ الإله مع القُرودِ محلِّماً ... وأبا ربيعةَ ألأمَ الأقوامِ)
(فَلأهدِيَنَّ مع الرِّياح قصيدةً ... منّي مُغلغَلة إلى هَمّامِ)
(الظاعنين على العمى قُدّامهمْ ... والنازلين بِشرِّ دارِ مُقامِ)
كامل -والواردين إذا المياه تُقُسِّمت ... نُزُحَ الرَّكيِّ وعاتِمَ الأسدامِ))
وقال يهجو بني شيبان
(لعمري لبئس الحيُّ شيبانُ إنْ علا ... عُنيزةَ يومٌ ذو أهاريجَّ أغبرُ)
- فلما التقَوا بالمَشْرَفِيّةِ ذَبذبتْ ... مولّيةً أستاهُ شيبانَ تقطُرُ) - طويل)
يعني يوم عنيزة وكان لبني تغلب على بني شيبان وفيه يقول مهلهل
(كأنّا غُدْوَةً وبني أبينا ... بجنب عُنيزةٍ رَحَيَا مُدير)
وقال أيضا
(فأدُّوا إلى بهراءَ فيكُمْ بناتِهِ ... وأبناءه إنَّ القضاعيَّ أحمرُ)
كانت بهراء أغارت على بني شيبان فأخذوا منهم نساء واستاقوا نعما ثم إنهم اشتروا منهم النساء وردوهن فعيرهم سويد بأنهم رددن حبالي فقال
(ظَلَلْنَ يُنازِعْنَ العضاريطَ أُزْرَها ... وشيبانُ وسطَ القُطقُطانةِ حُضّرُ)
- (فمنا يزيدٌ إذ تحدّى جُموعَكُمْ ... فلم تُفرحوه المرزُبان المسوِّرُ) - طويل
يزيد رجل من يشكر برز يوم ذي قار إلى أسوار وحمل على بني شيبان فانكشفوا من بين يديه فاعترضه اليشكري دونهم فقتله وعادت شيبان إلى موقفها ففخر بذلك عليهم فقال
(وأحجَمْتُم حتّى علاهُ بصارِمٍ ... حُسامٍ إذا مَسَّ الضَّريبةَ يبتُرُ)
(ومنّا الذي أوصى بثُلثِ تُراثِه ... على كلِّ ذي باعٍ يقِلُّ ويكثرُ)
(ليالِيَ قُلتمْ يا ابنَ حِلِّزةَ ارتحِلْ ... فزاينْ لنا الأعداءَ واسمعْ وأبصر)
- فأدّى إليكُمْ رهْنَكُمْ وسْطَ وائلٍ ... حباه بها ذُو الباعِ عمرُو بنُ منذرِ) - طويل)
يعني الحارث بن حلزة لما خطبه دون بكر بن وائل حتى ارتجع رهائنهم وقد ذكر خبره في ذلك في موضعه
بنو شيبان تستعدي عليه عامر بن مسعود
قال فاستعدت بنو شيبان عليه عامر بن مسعود الجمحي وكان والي الكوفة فدعا به فتوعده وأمره بالكف عنهم بعد أن كان قد أمر بحبسه فتعصبت له قيس وقامت بأمره حتى تخلصته فقال في ذلك
(يكفُّ لِساني عامرٌ وكأنّما ... يكفُّ لِساناً فيه صابٌ وعلقمِ)
(أتتركُ أولادَ البغايا وغيبتي ... وتحبسُني عنهمْ ولا أتكلّمُ)
(ألم تعلموا أنّي سويدٌ وأنّني ... إذا لم أجد مُستأخَراً أتقدَّمُ)
- (حسبِتُمْ هِجائي إذ بَطِنتمْ غنيمةً ... عليَّ دماءُ البُدْنِ إن لم تَندَّموا) - طويل

قال الحرمازي في خبره هذا وهاجى سويد بن أبي كاهل حاضر بن سلمة الغبري فطلبهما عبد الله بن عامر بن كريز فهربا من البصرة ثم هاجى الأعرج أخا بني حمال بن يشكر فأخذهما صاحب الصدقة وذلك في أيام ولاية عامر بن مسعود الجمحي الكوفة فحبسهما وأمر أن لا يخرجا من السجن حتى يؤديا مائة من الإبل فخاف بنو حمال على صاحبهم ففكوه وبقي سويد فخذله بنو عبد سعد وهم قومه فسأل بني غبر وكان قد هجاهم لما ناقض شاعرهم فقال
(مَن سَرَّه النَّيكُ بغيرِ مالِ ... فالغُبَريّاتُ على طِحالِ)
- شواغِرٌ يَلْمَعْنَ للقُفَّالِ) - رجز)
عبس وذبيان تستوهبه لمديحه لهم
فلما سأل بني غبر قالوا له يا سويد ضيعت البكار بطحال فأرسلوها مثلا أي إنك عممت جماعتنا بالهجاء في هذه الأرجوزة فضاع منك ما قدرت أنا نفديك به من الإبل فلم يزل محبوسا حتى استوهبته عبس وذبيان لمديحه لهم وانتمائه إليهم فأطلقوه بغير فداء
صوت
(أخضَني المُقامَ الغَمْرَ إنْ كان غَرَّني ... سَنا خُلَّبٍ أو زلَّتِ القَدَمانِ)
- أتتركُني جَدْبَ المعيشةِ مُقْفِراً ... وكَفّاك مِن ماء النَّدى تَكِفانِ) - طويل)
الشعر للعتابي والغناء لمخارق ثاني ثقيل بالوسطى وقيل إن فيه للواثق ثاني ثقيل آخر
أخبار العتابي ونسبه
هو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن حبيش بن أوس بن مسعود ابن عمرو بن كلثوم الشاعر وهو ابن مالك عتاب بن سعد بن زهير بن جشم ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب شاعر مترسل بليغ مطبوع متصرف في فنون الشعر ومقدم من شعراء الدولة العباسية ومنصور النمري تلميذه وراويته وكان منقطعا إلى البرامكة فوصفوه للرشيد ووصلوه به فبلغ عنده كل مبلغ وعظمت فوائده منه ثم فسدت الحال بينه وبين منصور وتباعدت وأخبار ذلك تذكر في مواضعها
وأخبرني الحسن بن علي قال حدثني القاسم بن مهرويه قال حدثني جعفر بن المفضل عن رجل من ولد إبراهيم الحراني قال كثر
الشعراء بباب المأمون فأوذن بهم فقال لعلي بن صالح صاحب المصلى اعرضهم فمن كان منهم مجيدا فأوصله إلي ومن كان غير مجيد فاصرفه وصادف ذلك شغلا من علي بن صالح كان يريد أن يتشاغل به عن أمر نفسه فقال مغضبا وقال والله لأعمنهم بالحرمان ثم جلس لهم ودعا بهم فجعلوا يتغالبون على القرب منه فقال لهم على رسلكم فإن المدى أقرب من ذلك هل فيكم من يحسن أن يقول كما قال أخوكم العتابي
(ماذا عسى مادحٌ يُثْني عليك وقد ... ناداك في الوَحْي تقديسٌ وتطهيرُ)
- فُتَّ المَمَادحَ إلاّ أنَّ ألسنَنا ... مُسْتَنْطَقاتٌ بما تحوي الضَّمائير) - بسيط)
قالوا لا والله ما بنا أحد يحسن أن يقول مثل هذا قال فانصرفوا جميعا
قيل في شعره تكلف ونفاه آخرون
أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أبو بكر أحمد ابن سهل قال تذاكرنا شعر العتابي فقال بعضنا فيه تكلف ونصره بعضنا فقال شيخ حاضر ويحكم أيقال إن في شعره تكلفا وهو القائل
(رُسُلُ الضَّميرِ إليكَ تَتْرَى ... بالشّوق ظالعةٌ وحَسْرَى)
(متزجّياتٍ ما ينين ... على الوَجَى من بُعدِ مَسْرَى)
((ما جَفَّ للعينين بَعْدك ... يا قريرَ العينِ مَجْرَى
(فاسلَمْ سَلِمْتَ مبرّأً ... من صَبْوتي أبداً مُعَرَّى)
(إن الصَّبابةَ لم تَدَعْ ... مِنِّي سوى عَظْمٍ مُبَرَّى)
- ومدامعٍ عَبْرَى على ... كَبِدٍ عليك الدّهر حَرَّى) - مجزوء الكامل)
في هذين البيتين غناء أو يقال إنه متكلف وهو الذي يقول
(فلو كان للشكر شخصٌ يَبِينُ ... إذا ما تأمّله النّاظرُ)
- لمثَّلْته لك حتَّى تراه ... لِتعلم أنّي امرؤٌ شاكرُ) - متقارب)
الغناء في هذين البيتين لأبي العبيس ثقيل أول ولرذاذ خفيف ثقيل فحدثني أبو يعقوب إسحاق بن يعقوب النوبجي عن أبي الحسن علي بن العباس وغيره من أهله قالوا لما صنع رذاذ لحنه في هذا الشعر
(... فلو كان للشُّكر شخصٌ يبين)
فتن به الناس وكان هجيراهم زمانا حتى صنع أبو العبيس فيه الثقيل الأول فأسقط لحن رذاذ وغلب عليه
المأمون يكتب في إشخاصه
أخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم وأخبرني علي بن سليمان الأخفش عن محمد بن يزيد قالوا جميعا كتب المأمون في إشخاص كلثوم بن عمرو العتابي فلما دخل عليه قال له يا كلثوم بلغتني وفاتك فساءتني ثم بلغتني وفادتك فسرتني فقال له العتابي يا أمير المؤمنين لو قسمت هاتان الكلمتان على أهل الأرض لوسعتاها فضلا
وإنعاما وقد خصصتني منهما بما لا يتسع له أمنية ولا يبسط لسواه أمل لأنه لا دين إلا بك ولا دنيا إلا معك فقال له سلني فقال يدك بالعطاء أطلق من لساني بالسؤال فوصله صلات سنية وبلغ به التقديم والإكرام أعلى محل
وذكر أحمد بن أبي طاهر عن عبد الله بن أبي سعد الكراني أن عبد الله بن سعيد بن زرارة حدثه عن محمد بن إبراهيم اليساري قال لما قدم العتابي مدينة السلام على المأمون أذن له فدخل عليه وعنده إسحاق بن إبراهيم الموصلي وكان العتابي شيخا جليلا نبيلا فسلم فرد عليه وأدناه وقربه حتى قرب منه فقبل يده ثم أمره بالجلوس فجلس وأقبل عليه سائله عن حاله وهو يجيبه بلسان ذلق طلق فاستظرف المأمون ذلك وأقبل عليه بالمداعبة والمزاح فظن الشيخ أنه استخف به فقال يا أمير المؤمنين الإيناس قبل الإبساس فاشتبه على المأمون قوله فنظر إلى إسحاق مستفهما فأومأ إليه وغمزه على معناه حتى فهم فقال يا غلام ألف دينار فأتي بذاك فوضعه بين يدي العتابي وأخذوا في الحديث وغمز المأمون إسحاق بن إبراهيم عليه فجعل العتابي لا يأخذ في شيء إلا عارضه فيه إسحاق فبقي العتابي متعجبا ثم قال يا أمير المؤمنين أتأذن لي في سؤال هذا الشيخ عن اسمه قال نعم سل فقال لإسحاق يا شيخ من أنت وما اسمك قال أنا من الناس واسمي كل بصل فتبسم العتابي وقال أما أنت فمعروف وأما الاسم فمنكر فقال إسحاق ما أقل إنصافك

أتنكر أن يكون اسمي كل بصل واسمك كل ثوم
حذف
((أخِضْنِي المُقَام الغَمْرَ إن كان غرّني ... سنا خُلّبٍ أو زلّتِ القَدَمان
(أتتركُني جَدْبَ المعيشةِ مُقْتِراً ... وكفّاكَ من ماء النَّدَى تَكِفان)
- وتجعلُنِي سَهْمَ المَطامعِ بعد ما ... بَلَلْتَ يميني بالنّدَى ولساني) - طويل)
قال فأعجب الرشيد قوله وخرج وعليه الخلع وقد أمر له بجائزة فما رأيت العتابي قط أبسط منه يومئذ
بشار يحقد على العتابي
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثنا أحمد ابن خلاد قال حدثني أبي قال جاء العتابي وهو حدث إلى بشار فأنشده
(أيصْدِفُ عن أمامةَ أمْ يُقِيمُ ... وعهدُك بالصِّبا عهدٌ قديمُ)
(أقول لِمُستعار القَلْبِ عَفّى ... على عَزَماتِه السّيرُ العديمُ)
(أما يكفيكَ أنَّ دموعَ عيني ... شآبيبٌ يفيض بها الهموم)
- أشيمُ فلا أردُّ الطرف إلاّ ... على أرجائِه ماءٌ سَجُوم) - وافر)
قال فمد بشار يده إليه ثم قال له أنت بصير قال نعم قال عجبا لبصير ابن زانية أن يقول هذا الشعر فخجل العتابي وقام عنه
أخبرني محمد بن يونس الأنباري الكاتب قال حدثني الحسن بن يحيى أبو الحمار عن إسحاق قال كلم العتابي يحيى بن خالد في حاجة بكلمات قليلة فقال له يحيى لقد ندر كلامك اليوم وقل فقال له وكيف لا يقل وقد تكنفني ذل المسألة وحيرة الطلب وخوف الرد فقال والله لئن قل كلامك لقد كثرت فوائده وقضى حاجته
سخريته من الناس
وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عثمان الوراق قال رأيت العتابي يأكل خبزا على الطريق بباب الشام فقلت له ويحك أما تستحي فقال لي أرأيت لو كنا في دار فيها بقر كنت تستحي وتحتشم أن تأكل وهي تراك فقال لا قال فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر فقام فوعظ وقص ودعا حتى كثر الزحام عليه ثم قال لهم روى لنا غير واحد أنه من بلغ لسانه أرنبة أنفه لم يدخل النار فما بقي واحد إلا وأخرج لسانه يومئ به نحو أرنبة أنفه ويقدره حتى يبلغها أم لا فلما تفرقوا قال لي العتابي ألم أخبرك أنهم بقر
أخبرني الحسن حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أبو عصام محمد بن العباس قال قال يحيى بن خالد البرمكي لولده إن قدرتم أن تكتبوا أنفاس كلثوم بن عمرو العتابي فضلا عن رسائله وشعره فلن تروا أبدا مثله
أخبرني أبي قال أخبرنا الحارث بن محمد عن المدائني وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الخراز عن ابن الأعرابي قال أنكر العتابي على صديق له شيئا فكتب إليه إما إن تقر بذنبك فيكون إقرارك حجة علينا في العفو عنك وإلا فطب نفسا بالانتصاف منك فإن الشاعر يقول
(أقرِرْ بذَنبك ثمّ اطلُبْ تجاوُزَنا ... عنه فإنَّ جحودَ الذَّنْبِ ذَنْبانِ)
أخبرنا الحسن بن علي أخبرنا ابن مهرويه قال حدثني عبد الواحد ابن محمد قال وقف العتابي بباب المأمون يلتمس الوصول إليه فصادف يحيى بن أكثم جالسا ينتظر الإذن فقال له إن رأيت أعزك الله أن تذكر أمري لأمير المؤمنين إذا دخلت فافعل قال له لست أعزك الله بحاجبه قال فإن لم تكن حاجبا فقد يفعل مثلك ما سألت واعلم أن الله عز وجل جعل في كل شيء زكاة وجعل زكاة المال رفد المستعين وزكاة الجاه إغاثة الملهوف واعلم أن الله عز وجل مقبل عليك بالزيادة إن شكرت أو التغيير إن كفرت وإني لك اليوم أصلح منك لنفسك لأني أدعوك إلى ازدياد نعمتك وأنت تأبى فقال له يحيى أفعل وكرامة وخرج الإذن ليحيى فلما دخل لم يبدأ بشيء بعد السلام إلا أن استأذن المأمون للعتابي فأذن له
أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أبو الشبل قال
قال العتابي لرجل اعتذر إليه إني إن لم أقبل عذرك لكنت ألأم منك وقد قبلت عذرك فدم على لوم نفسك في جنايتك نزد في قبول عذرك والتجافي عن هفوتك
قال وقيل له لو تزوجت فقال إني وجدت مكابدة العفة أيسر علي من الاحتيال لمصلحة العيال
تقدير المأمون له وكثرة حساده
أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال قال جعفر بن المفضل قال لي أبي رأيت العتابي جالسا بين يدي المأمون وقد أسن فلما أراد القيام قام المأمون فأخذ بيده واعتمد الشيخ على المأمون فما زال ينهضه رويدا رويدا حتى أقله فنهض فعجبت من ذلك وقلت لبعض الخدم ما أسوأ أدب هذا الشيخ فمن هو قال العتابي
أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن الأشعث قال قال دعبل ما حسدت أحدا قط على شعر كما حسدت العتابي على قوله
(هَيْبَةُ الإخوانِ قاطِعةٌ ... لأخي الحاجاتِ عن طَلَبِهْ)
- (فإذا ما هِبْتُ ذا أمَلٍ ... مات ما أمّلْتُ من سَبَبِهْ) - مجزوء المديد
قال ابن مهرويه هذا سرقه العتابي من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه الهيبة مقرونة بالخيبة والحياء مقرون بالحرمان والفرصة تمر مر السحاب
حدثني محمد بن داود عن أبي الأزهر عن عيسى بن الحسن بن داود الجعفري عن أخيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بذلك
أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه عن أبي الشبل قال دخل العتابي على عبد الله بن طاهر فمثل بين يديه وأنشده
(حُسنُ ظني وحُسْنُ ما عوّدَ اللهُ ... سِوائي ملك الغداةَ أتَى بي)
- أيُّ شيءٍ يكونُ أحسنَ مِن حُسنِ ... يقينٍ حدا إليك ركابي) - خفيف)
قال فأمر له بجائزة ثم دخل عليه من الغد فأنشده
(وُدُّكَ يكفِينِيكَ في حاجتي ... ورؤيتي كافيةٌ عن سؤالْ)
- وكيف أخشى الفقرَ ما عِشْتَ لِي ... وإنّما كفّاك لي بَيْتُ مالْ) - سريع)
فأمر له بجائزة ثم دخل في اليوم الثالث فأنشده

(بَهجاتُ الثِّيابِ يُخلِقُها الدّهْرُ ... وثَوْبُ الثّناءِ غَضٌّ جديدُ)
خفيف -فاكسُنِي ما يَبِيدُ أصلحَكَ اللّهُ ... فاللّه يكسُوك ما لا يبيدُ))
فأمر له بجائزة وأنعم عليه بخلعة سنية
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني عبد الله بن أحمد قال حدثني أبو دعامة قال قال طوق بن مالك للعتابي أما ترى عشيرتك يعني بني تغلب كيف تدل علي وتتمرغ وتستطيل وأنا أصبر عليهم فقال العتابي أيها الأمير إن عشيرك من أحسن عشرتك وإن عمك من عمك خيره وإن قريبك من قرب منك نفعه وإن أخف الناس عندك أخفهم ثقلا عليك وأنا الذي أقول
(إنِّي بلوْتُ النّاس في حالاتِهمْ ... وخَبَرْتُ ما وصلوا من الأسبابِ)
- فإذا القرابةُ لا تقرِّب قاطعاً ... وإذا المودّةُ أقربُ الأنساب) - كامل)
أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا الرياشي قال شكا منصور النمري العتابي إلى طاهر بن الحسين فوجه طاهر إلى العتابي فأحضره وأخفى منصورا في بيت قريب منهما وسأل طاهر العتابي أن يصالحه فشكا سوء فعله به فسأله أن يصفح عنه فقال لا يستحق ذلك فأمر منصورا بالخروج فخرج وقال للعتابي لم لا أستحق هذا منك فأنشأ العتابي يقول
(أصْحَبْتُك الفضلَ إذ لا أنت تعرفُه ... حقاً ولا لك في استِصحابه أرَبُ)
(لم تَرتَبِطْك على وصلِي محافظة ... ولا أعاذَكَ مما اغتالك الأدَبُ)
- ما مِن جميلٍ ولا عُرْفٍ نطقْتَ به ... إلا إليّ وإن أنكرْتَ ينتسِبُ) - بسيط)
قال فأصلح طاهر بينهما وكان منصور من تعليم العتابي وتخريجه وأمر طاهر للعتابي بثلاثين ألف درهم
أخبرني عمر عن عبد الله بن أبي سعد عن الحسين بن يحيى الفهري عن العباس بن أبي ربيعة السلمي قال شكا منصور النمري كلثوم بن عمرو العتابي إلى طاهر ثم ذكر مثله

تفضيله العلم والأدب على المال

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب قال حدثني أبو هفان قال
كان العتابي جالسا ذات يوم ينظر في كتاب فمر به بعض جيرانه فقال أيش ينفع العلم والأدب من لا مال له فأنشد العتابي يقول
(يا قاتل اللّهُ أقْواماً إذا ثَقِفُوا ... ذا اللبِّ ينظر في الآدابِ والحكمِ)
(قالوا وليس بِهِمْ إلاّ نفاستُه ... أنافعٌ ذا من الإقتارِ والعَدَم)
- وليس يَدْرُون أنّ الحظَّ ما حُرِموا ... لحاهمُ اللّه مِنْ عِلْمٍ ومِن فَهَمِ) - بسيط)

قوله في عزل طاهر بن علي

أخبرني علي بن صالح وعمي قالا حدثنا أحمد بن طاهر قال حدثنا أبو حيدرة الأسدي قال قال العتابي في عزل طاهر بن علي وكان عدوه
(يا صاحباً متلوِّنا ... متبايناً فِعْلي وفِعلُهْ)
(ما إنْ أحِبُّ له الرّدَى ... ويَسُرُّني واللّهِ عَزْلُهْ)
(لم تَعْدُ فيما قلْتَ لي ... وفعلْتَ بي ما أنت أهلُه)
كم شاغِلٍ بك عَدْوَتَيْهِ ... وفارغٌ مَنْ أنت شُغْلُه) - مجزوء الكامل)
أخبرني أحمد بن الفرج قال حدثني أحمد بن يحيى بن عطاء الحراني عن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد بن الفرج قال لما سعى منصور النمري بالعتابي إلى الرشيد اغتاظ عليه فطلبه فستره جعفر بن يحيى عنه مدة وجعل يستعطفه عليه حتى استل ما في نفسه وأمنه فقال يمدح جعفر بن يحيى
(ما زلْتُ في غَمَراتِ الموتِ مُطَّرَحاً ... قد ضاق عني فسيحُ الأرضِ مِن حِيَلي)
- ولم تَزلْ دائباً تَسْعَى بلُطْفك لي ... حتَّى اختلسْتَ حياتي من يَدَيْ أجَلِي) - بسيط)
عودة عبد الله بن طاهر له في مرضه
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد ابن خلاد عن أبيه قال عاد عبد الله بن طاهر وإسحاق بن إبراهيم بن مصعب كلثوم بن عمرو العتابي في علة اعتلها فقال الناس هذه خطرة خطرت فبلغ ذلك العتابي فكتب إلى عبد الله بن طاهر
((قالوا الزِّيارةُ خَطْرةٌ خطرَت ... ونجارُ بِرِّكَ ليس بالخَطْرِ
- أبْطِلْ مقالتَهمْ بثانيةٍ ... تستنفدِ المعروفَ من شُكْرِي) - كامل)
فلما بلغت أبياته عبد الله بن طاهر ضحك من قوله وركب هو وإسحاق ابن إبراهيم فعاداه مرة ثانية
أخبرني الحسين بن القاسم الكواكبي قال حدثني أبو العيناء قال حدثني أبو العلاء المعري قال عتب عبد الله بن هشام بن بسطام التغلبي على كلثوم بن عمرو التغلبي في شيء بلغه عنه فكتب إليه
صوت
(لقَدْ سُمْتَنِي الهِجرانَ حتى أذقْتَني ... عقوباتِ زَلّاتي وسُوءِ مناقبي)
(فها أنا ساعٍ في هواكَ وصابرٌ ... على حدِّ مصقولِ الغِرارَيْن قاضبِ)
- ومنصرف عمّا كرهْتَ وجاعلٌ ... رضاك مِثالاً بين عيني وحاجبي) - طويل)
قال فرضي عنه ووصله صلة سنية
الغناء في هذه الأبيات لأبي سعيد مولى فائد ثاني ثقيل بالبنصر عن يحيى المكي وذكر الهشامي أنه منحول يحيى وذكر أحمد بن المكي في كتابه أنه لأبي سعيد وجعله في باب الثقيل الأول بالبنصر ولعله على مذهب إبراهيم بن المهدي ومن قال بقوله
أخبرني الحسين بن القاسم قال حدثني محمد بن عبد الرحمن بن يونس السراج قال أخبرني الحسين بن داود الفزاري عن أبيه قال كان أخوان من فزارة يخفران قرية بين آمد وسميساط يقال لها تل حوم فطال
مقامهما بها حتى أثريا فحسدهما قوم من ربيعة وقالوا يخفران هذان الضياع في بلدنا فجمعوا لهما جمعا وساروا إليهما

فقاتلوهما فقتل أحدهما وعلى الجزيرة يومئذ عبد الملك بن صالح الهاشمي فشكا القيسي أمره إلى وجوه قيس وعرفهم قتل ربيعة أخاه وأخذهم ماله فقالوا له إذا جلس الأمير فادخل إليه ففعل ذلك ودخل على عبد الملك وشكا ما لحقه ثم قال له وحسب الأمير أنهم لما قتلوا أخي وأخذوا مالي قال قائل منهم
(إشربا ما شربْتُما إنَّ قيساً ... من قتيلٍ وهالكٍ وأسير)
- لا يَحوزَنَّ أمرَنا مُضَريٌّ ... بخفيرٍ ولا بغير خفير) - خفيف)
فقال عبد الملك أتندبني إلى العصبية وزبره فخرج الرجل مغموما فشكا ذلك إلى وجوه قيس فقالوا لا ترع فوالله لقد قذفتها في سويداء قلبه فعاوده في المجلس الآخر فزبره وقال له قوله الأول فقال له إني لم آتك أندبك للعصبية وإنما جئتك مستعديا فقال له حدثني كيف فعل القوم فحدثه وأنشده فغضب فقال كذب لعمري ليحوزنها ثم دعا بأبي عصمة أحد قواده فقال اخرج فجرد السيف في ربيعة فخرج وقتل منها مقتلة عظيمة فقال كلثوم بن عمرو العتابي قصيدته التي أولها
(ماذَا شجاكِ بحُوَّارين من طَلَلٍ ... ودِمْنةٍ كشفَتْ عنها الأعاصير)
يقول فيها
(هذي يمينُك في قرباك صائلةٌ ... وصارمٌ من سيوف الهندِ مشهورُ)
(إنْ كان منّا ذَوُو إفْكٍ ومارقةٌ ... وعصبةٌ دِينُها العُدوان والزُّور)
(فإنَّ منَّا الذي لا يُستحَثُّ إذا ... حُثَّ الجيادُ وضمَّتْها المضاميرُ)
- مستنيط عزماتِ القلبِ من فِكَرٍ ... ما بينهنَّ وبين اللّه معمورُ) - بسيط)
يعني عبد الله بن هشام بن بسطام التغلبي وكان قد أخذ قوادهم
فبلغت القصيدة عبد الملك فأمر أبا عصمة بالكف عنهم فلما قدم الرشيد الرافقة أنشده عبد الملك القصيدة فقال لمن هذه فقال لرجل من بني عتاب يقال له كلثوم بن عمرو فقال وما يمنعه أن يكون ببابنا فأمر بإشخاصه من رأس عين فوافى الرشيد وعليه قميص غليظ وفروة وخف وعلى كتفه ملحفة جافية بغير سراويل فلما رفع الخبر بقدومه أمر الرشيد بأن تفرش له حجرة وتقام له وظيفة ففعلوا فكانت المائدة إذا قدمت إليه أخذ منها رقاقة وملحا وخلط الملح بالتراب فأكله بها فإذا كان وقت النوم نام على الأرض والخدم يتفقدونه ويتعجبون من فعله وسأل الرشيد عنه فأخبروه بأمره فأمر بطرده فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد العقيلي وهو في منزله فسلم عليه وانتسب له فرحب به وقال له ارتفع فقال لم آتك للجلوس قال فما حاجتك قال دابة أبلغ عليها إلى رأس عين فقال يا غلام أعطه الفرس الفلاني فقال لا حاجة لي في ذلك ولكن تأمر أن تشتري لي دابة أتبلغ عليها فقال لغلامه امض معه فابتع له ما يريد فمضى معه فعدل به العتابي إلى سوق الحمير فقال له إنما أمرني أن أبتاع لك دابة فقال له إنه أرسلك معي ولم يرسلني معك فإن عملت ما أريد وإلا انصرف فمضى معه فاشترى حمارا بمائة وخمسين درهما وقال ادفع إليه ثمنه فدفع إليه فركب الحمار عريا بمرشحه عليه وبرذعة وساقاه مكشوفتان فقال له يحيى بن سعيد فضحتني أمثلي يحمل مثلك على هذا فضحك وقال ما رأيت قدرك يستوجب أكثر من ذلك ومضى إلى رأس عين

لوم زوجته له

وكانت تحته امرأة من باهلة فلامته وقالت هذا منصور النمري قد أخذ الأموال فحلى نساءه وبنى داره واشترى ضياعا وأنت ها هنا كما ترى فأنشأ يقول طويل
(تلوم على تَرْكِ الغِنى باهليّةٌ ... زَوى الفَقْرُ عنها كلَّ طِرْفٍ وتالد)
(رأتْ حَولها النِّسوانَ يرفُلْنَ في الثَّرى ... مقلّدةً أعناقُها بالقلائد)
(أسرَّكِ إنِّي نلْتُ ما نال جعفرٌ ... من العيش أو ما نال يحيى بنُ خالد)
(وإنَّ أمير المؤمنين أغَصَّنِي ... مُغَصَّهُما بالمُشْرقاتِ البوارد)
(رأيت رفيعاتِ الأمور مشوبةً ... بمستودَعاتٍ في بُطون الأساود)
- (دعيني تَجئْنِيَ مِيتَتِي مطمئِنةً ... ولم أتجشَّمْ هَوْلَ تلك الموارد) - طويل
وهذا الخبر عندي فيه اضطراب لأن القصيدة المذكورة التي أولها
(... ماذا شجاكَ بِحُوَّارين من طلل)
للعتابي في الرشيد لا في عبد الملك ولم يكن كما ذكره في أيام الرشيد متنقصا مئة وله أخبار معه طويلة وقد حدثني بخبره هذا لما استوهب رفع السيف عن ربيعة جماعة على غير هذه الرواية
عتب الرشيد عليه وقطعه الهبات
أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني مسعود ابن إسماعيل العدوي عن موسى بن عبد الله التميمي قال عتب الرشيد على العتابي أيام الوليد بن طريف فقطع عنه أشياء كان عوده إياها فأتاه متنصلا بهذه القصيدة
(ماذا شَجاكِ بحُوّارينِ من طَلَلٍ ... ودِمْنةٍ كشفَتْ عنها الأعاصيرُ)
(شجاكِ حتى ضميرُ القلب مشترَكٌ ... والعين إنسانُها بالماء مغمورُ)
(في ناظِريَّ انقباضٌ عن جفونهما ... وفي الجفون عن الآماقِ تقصير)
(لو كنت تدرين ما شوقي إذا جَعَلَتْ ... تنأى بنا وبكِ الأوطانُ والدُّورُ)
(علمْتِ أنَّ سُرَى ليلى ومُطلعي ... من بيت نجرانَ والغَوْرَيْن تغوير)
(إذِ الركائبُ مَخْسوفٌ نواظِرُها ... كما تضمّنتِ الدُّهْنَ القواريرُ)
(نادتك أرحامُنا اللاتي نَمُتُّ بها ... كما تنادي جِلادَ الحِلّةِ الخُورُ)
((مُستنيطٌ عَزَماتِ القلبِ من فِكَرٍ ... ما بينهنَّ وبينَ اللّه معمورُ
(فُتَّ المدائحَ إلا أنَّ أنفسنا ... مستنطَقاتٌ بما تحوي الضّمائرُ)
(ماذا عَسى مادحٌ يُثني عليك وقد ... ناداك في الوحي تقديسٌ وتطهير)
(إنْ كان منّا ذَوُو إفْكٍ ومارقةٌ ... وعصبَةٌ دِينُها العُدْوانُ والزُّور)
(فإنّ منّا الذي لا يُستحَثُّ إذا ... حُثَّ الجياد وحازتها المضامير)
(ومن عرائقه السّفّاح عندكُمُ ... مجرّبٌ من بَلاء الصِّدق مخبور)
- الآن قد بعدَتْ في خطو طاعتكُمْ ... خُطاهُمُ حيثُ يحتلُّ الغشامير) - بسيط)

يعني يزيد بن مزيد وهشام بن عمرو التغلبي وهو من ولد سفيح بن السفاح قال فرضي عنه ورد أرزاقه ووصله
صوت
(تطاول ليلي لم أنمْهُ تقلُّباً ... كأنّ فِراشي حال من دونه الجَمْرُ)
- فإن تكنِ الأيامُ فَرّقْنَ بيننا ... فقد بانَ مني في تذكُّرهِ العُذْرُ) - طويل)
الشعر للأبيرد الرياحي والغناء لبابويه ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وفيه رمل نسبه يحيى المكي إلى ابن سريج وقيل أنه منحول
أخبار الأبيرد ونسبه
الأبيرد بن المعذر بن قيس بن عتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم شاعر فصيح بدوي من شعراء الإسلام وأول دولة بني أمية وليس بمكثر ولا ممن وفد إلى الخلفاء فمدحهم
وقصيدته هذه التي فيها الغناء يرثي بها بريدا أخاه وهي معدودة من مختار المراثي
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال
كان الرياحي يهوى امرأة من قومه ويجن بها حتى شهر ما بينهما فحجبت عنه وخطبها فأبوا أن يزوجوها إياه ثم خطبها رجل من ولد حاجب ابن زرارة فزوجته فقال الأبيرد في ذلك
(إذا ما أردْتَ الحُسْنَ فانظر إلى التي ... تَبَغّي لقيطٌ قوْمَه وتخيّرا)
(لها بَشَرٌ لو يدرجُ الذّرُّ فوقه ... لبانَ مكانُ الذّرِّ فيه فأثّرا)
- (لعمري لقد أمكنْتِ منا عدوَّنا ... وأقررْتِ للعادي فأخْنَى وأهجرا) - طويل
أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب في كتابه إلي قال حدثنا محمد ابن سلام الجمحي قال قدم الأبيرد الرياحي على حارثة بن بدر فقال أكسني بردين أدخل بهما على الأمير يعني عبيد الله بن زياد وكساه ثوبين فلم يرضهما فقال فيه
(أحارثُ أمسِكْ فَضْلَ بُرْدَيْك إنما ... أجاعَ وأعرى اللّهُ مَنْ كُنْتَ كاسيا)
(وكنتُ إذا استمطرْتُ منك سحابةً ... لِتمْطِرني عادت عَجَاجًا وسافيا)
- أحارثُ عاود شُرْبَكَ الخمْرَ إنني ... ارى ابن زيادٍ عنك أصبح لاهيا) - طويل)
فبلغت أبياته هذه حارثة فقال قبحه الله لقد شهد بما لم يعلم وإنما أدع جوابه لما لا يعلم هكذا ذكر محمد بن سلام هجا الابيرد حارثة بن بدر فمنع عنه الكسوة
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الأصمعي قال هجا الأبيرد الرياحي حارثة بن بدر فقال طويل
(أحارثُ راجعْ شُرْبَكَ الخمرَ إنني ... أرى ابنَ زيادٍ عنك أصبح لاهيا)
- أرى فيك رأياً من أبيه وعمه ... وكان زيادٌ ماقِتاً لك قَالِيا) - طويل)
وذكر البيتين الآخرين اللذين ذكرهما محمد بن سلام وقال في خبره هذا فكان حارثة يكسوه في كل سنة بردين فحبسهما عنه في تلك السنة فقال حارثة بن بدر يجيبه
((فإن كنْتَ عن بُرْدَيَّ مستغْنِياً لقد ... أراكَ بأسمالِ الملابس كاسيا
(وعِشْتَ زماناً أنْ أعِيِّنْكَ كُسوتي ... قنعْتَ بأخلاقٍ وأمسيْتَ عاريا)
- وبُرْدَيْنِ من حَوْك العراق كَسَوْتُها ... على حاجةٍ منها لأمِّك باديا) - طويل)
فقال الأبيرد يهجو حارثة بن بدر
(زَعَمَتْ غُدانةُ أنَّ فيها سيداً ... ضخماً يواريه جَناحُ الجُنْدُبِ)
- يُرْويه ما يُرْوي الذّبابَ وينتشي ... لؤماً ويشبعه ذراعُ الأرنب) - كامل)
وقال أيضا لحارثة بن بدر
(ألا ليت حَظّي من غُدانةَ أنها ... تكون كَفافاً لا عليَّ ولاليا)
(أبى اللّهُ أن يهدِي غُدانةَ للهدى ... وأن لا تكونَ الدهرَ إلا مَوَاليا)
(فلو أنني ألقى ابنَ بدرٍ بموطنٍ ... نَعُدُّ به من أوّلينا المساعيا)
(تقاصرَ حتى يستقيدَ وبذَّه ... قُرُومٌ تَسامى من رياحٍ تَساميا)
(أيا فارطَ الحيِّ الذي قد حشا لكُمْ ... من المجد أنهاءً ملاءَ الخوابيا)
((وعَمِّي الذي فكّ السَّمَيْدَعَ عنوةً ... فلستَ بنعمَى يا ابن عَقْرَب جازيا
(كِلانا غَنيٌّ عن أخيه حياتَه ... ونحنُ إذا مِتْنا أشدُّ تغانيا)
(ألم تَرَنا إذ سقْتَ قومَك سائلاً ... ذَوي عددٍ للسائلين مَعاطِيا)
(بني الرِّدْفِ حَمَّالِينَ كلَّ عظيمةٍ ... إذا طلعتْ والمُتْرعينَ الجوابيا)
- وإنا لنعطي النَّصْفَ من لو نَضيمه ... أقرَّ ولكنا نحب العوافيا) - طويل)
الردف الذي عناه ها هنا جده عتاب بن هرمي بن رياح كان ردف ابن المنذر إذا ركب ركب وراءه وإذا جلس جلس عن يمينه وإذا غزا كان له المرباع وإذا شرب الملك سقي بكأسه بعده وكان بعده ابنه قيس بن عتاب يردف النعمان وهو جد الأبيرد أيضا
الابيرد وسعد العجلي
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان عن أبي عبيدة قال كانت بنو عجل قد جاورت بني رياح بن يربوع في سنة أصابت عجلا فكان الأبيرد يعاشر رجلا منهم يقال له سعد ويجالسه وكان قصده امرأة سعد هذا فمالت إليه فومقته وكان الأبيرد شابا جميلا ظريفا طريرا وكان سعد شيخا هما فذهب بها كل مذهب حتى ظهر أمرهما وتحدث بهما
واتهم الأبيرد بها فشكاه إلى قومه واستعذرهم منه فقالوا له مالك تتحدث إلى امرأة الرجل فقال وما بأس بذلك وهل خلا عربي منه قالوا قد قيل فيكما ما لا قرار عليه فاجتنب محادثتها وإياك أن تعاودها فقال الأبيرد إن سعدا لا خير فيه لزوجته قالوا وكيف ذلك قال لأني رأيته يأتي فرسه البلقاء ولا فضل فيه لامرأته فهي تبغضه لفعله وهو يتهمها لعجزه عنها فضحكوا من قوله وقالوا له وما عليك من ذلك دع الرجل وامرأته ولا تعاودها ولا تجلس إليها فقال الأبيرد في ذلك
(ألم تَرَ أنَّ ابنَ المعذَّرِ قد صحا ... وودَّعَ ما يَلْحَى عليه عواذِلُهْ)
(غدا ذو خلاخيلٍ عليَّ يلومُني ... وما لومُ عَذّالٍ عليه خلاخلُهْ)

(فدع عنك هذا الحَلْي إن كنْتَ لائمي ... فإنِّي امرؤ لا تزدهيني صَلاصِلهْ)
(إذا خَطَرَتْ عَنْسٌ به شَدَنِيَّةٌ ... بمطَّرِدِ الأرواحِ ناءٍ مناهلهْ)
(تبيَّنَ أقوامٌ سفاهةَ رأيِهمْ ... ترحَّلَ عنهمْ وهْوَ عفٌّ منازله)
(لهم مجلسٌ كالرُّدْنِ يجمع مجلساً ... لئاماً مساعيه كثيراً هَنَامله)
(تَبرَّأتُ من سعْدٍ وخُلَّة بيننا ... فلا هو معطيني ولا أنا سائلهْ)
((متى تُنتَجُ البلقاءُ يا سعدُ أم متى ... تُلَقَّحُ من ذات الرِّباطِ حوائله
(يحدِّث سعدٌ أنَّ زوجته زَنَتْ ... ويا سعدُ إنّ المرء تُزْنَى حلائله)
(فإن تَسِمُ عيناها إليّ فقد رأت ... فتىً كحسامٍ أخلصَتْه صياقله)
- فتى قُدَّ قدَّ السَّيف لا متضائلٌ ... ولا رَهِلٌ لَبَّاتُهُ وأباجله) - طويل)
وهذا البيت الأخير يروى للعجير السلولي ولأخت يزيد بن الطثرية فاعترضه سلمان العجلي فهجاه وهجا بني رياح فقال
(لعمرك إنّني وبني رياحٍ ... لكالعاوي فصادفَ سَهْمَ رامِ)
(يسوقون ابنَ وجرةَ مزمئراً ... ليحميَهمْ وليس لهمْ بحامِ)
(وكم من شاعرٍ لبني تميمٍ ... قصيرِ الباعِ من نفرٍ لئامِ)
(كَسوْنا إذ تخرَّقُ ملْبساه ... دواهيَ يبْترِينَ من العظام)
(وإنْ يُذْكَرْ طعامُهُمُ بشرٍّ ... فإنَّ طعامهمْ شرُّ الطعامِ)
(شريجٌ من مَنِيٍّ أبي سُواجٍ ... وآخرُ خالصٌ من حَيْضِ آمِ)
((وسوداءِ المغابنِ من رياحٍ ... على الكُرْدوسِ كالفأسِ الْكَهامِ
(إذا ما مرَّ بالقعقاعِ رَكْبٌ ... دعتهمْ مَنْ ينيكُ على الطَّعامِ)
- تداولَها غواةُ النّاسِ حتّى ... تؤوبَ وقد مضى ليل التِّمامِ) - وافر)
وقال الأبيرد أيضا مجيبا له
(عَوى سَلمانُ من جَوٍّ فلاقي ... أخو أهلِ اليمامةِ سَهْمَ رامي)
(عوى مِن جُبْنه وشَقِيَّ عِجْلٍ ... عُواءَ الذئبِ مُختلَطَ الظّلامِ)
(بنو عِجلٍ أذلُّ من المطايا ... ومن لَحْمِ الجَزورِ على الثُّمامِ)
(تَحِيَّا المسلمون إذا تلاقَوا ... وعِجْلٌ ما تَحِيَّا بالسَّلامِ)
(إذا عِجليَّةٌ وَلَدَتْ غلاماً ... إلى عِجْلٍ فَقُبِّحَ من غلامِ)
(يَمَصُّ بثديها فَرْخٌ لئيمٌ ... سُلالةُ أعْبُدٍ ورضيعُ آمِ)
(خبيث الريح ينشأ بالمخازي ... لئيمٌ بين آباء لئامِ)
(أنا ابنُ الأكرمين بني تميمٍ ... ذوي الآكالِ والهِممِ العظامِ)
(وكائِنْ من رئيسٍ قَطَّرَتْهُ ... عواملُنا ومن مَلْكٍ هُمامِ)
وافر -وجيشٍ قد ربعناه وقومٍ ... صبَحْناه بذي لَجَبٍ لُهامِ))
وقال أيضا الأبيرد مجيبا له
(أخذنا بآفاقِ السماء فلم ندَعْ ... لسلمانَ سلمانِ اليمامة مَنْظِرا)
(من القَلْحِ فسَّاءٍ ضروطٌ يُهِرُّهُ ... إذا الطيرُ مراتٍ على الدوح صَرْصَرا)
(وأقلحُ عجليٌّ كأنَّ بخطْمِهِ ... نواجذَ خنزير إذا ما تكشّرا)
(يزلُّ النوى عن ضِرْسِه فيردُّه ... إلى عارضٍ فيه القوادحُ أبخرا)
(إذا شرب العِجْلِيُّ نَجّس كأسَه ... وظلّتْ بكَفَّيْ جَانِبٍ غير أزهرا)
(شديد سوادِ الوجه تحسب وجهَه ... من الدمِ بين الشارِبين مقيَّرا)
(إذا ما حساها لم تزدْه سماحة ... ولكن أرَتْهُ أنْ يصِرَّ ويحْصَرا)
(فلا يَشْرَبَنْ في الحيِّ عِجْلٌ فإنّه ... إذا شرِبَ العِجْليُّ أخنى وأهجرا)
(يقاسي نداماهُمْ وتَلقى أنُوفُهم ... من الجَدْعِ عند الكأسِ أمْراً مذكّرا)
(ولم تكُ في الإشراكِ عِجْلٌ تذوقها ... ليالي يَسْبيها مقاولُ حميرا)
(وينفق فيها الحنظليُّون مالَهمْ ... إذا ما سعى منهمْ سفيهٌ تجبَّرا)
((ولكنها هانت وحُرِّم شربُها ... فمالت بنو عِجْلٍ لِمَا كان أكفَرا
- لعمري لئن أزْنَنْتُم أو صَحَوْتُمْ ... لَبِئْسَ النّدامى كنتُمُ آلَ أبجرا) - طويل)
أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائني قال كان مجائل بن مرة بن محكان السعدي وابن عم له يقال له عرادة وقد كان عرادة اشترى غنما له فأنهبها وكانت مائة شاة فاشترى مرة بن محكان مائة من الإبل فأنحر بعضها وأنهب باقيها وقال أبو عبيدة إنهما تفاخرا فغلبه مرة فقال الأبيرد لعرادة
- شرَى مائةً فأنْهَبَها جميعاً ... وبِتَّ تُقسِّمُ الحَذَفَ النِّقَادَا) - وافر)
فبعث عبيد الله بن زياد فأخذ مرة بن محكان فحبسه وقيده ووقع بعد ذلك من قومه لحاء فكانت بينهم شجاج ثم تكافأوا وتوافقوا على الديات فأنبئ مرة بن محكان وهو محبوس فعرف ذلك فتحمل جميعها في ماله فقال فيه الأبيرد
(للّه عينا مَنْ رأى مِنْ مكبَّلٍ ... كمُرّةَ إذ شُدَّتْ عليه الأداهِمُ)
(فأبلغْ عبيدَ اللّه عني رِسالةً ... فإنك قاضٍ بالحكومةِ عالمُ)
(فإن أنتَ عاقبْتَ ابنَ محكانَ في الندى ... فعاقبْ هداك اللّه أعظمَ حاتمِ)
((تعاقِب خِرْقاً أنْ يجود بماله ... سعى في ثَأىً من قومه متفاقم
- كأنَّ دماء القوم إذ علقتْ به ... على مُكْفَهِرٍّ من ثنايا المخارمِ) - طويل)
الابيرد والأحوص يحرضان على سحيم الرياحي
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال حدثنا عمي قال أتى رجل الأبيرد الرياحي وابن عمه الأخوص وهما من رهط ردف الملك من بني رياح يطلب منهما قطرانا لإبله فقالا له إن أنت بلغت سحيم بن وثيل الرياحي هذا الشعر أعطيناك قطرانا فقال قولا فقالا اذهب فقل له

- فإنَّ بُداهَتي وجِراءَ حَوْلي ... لذو شِقٍّ على الحُطَمِ الحرون) - وافر)
قال فلما أتاه وأنشد الشعر أخذ عصاه وانحدر في الوادي وجعل يقبل فيه ويدبر ويهمهم بالشعر ثم قال اذهب فقل لهما
(فإنَّ عُلالتي وجِراءَ حَوْلي ... لذو شِقٍّ على الضَّرَعِ الظَّنونِ)
(أنا ابنُ الغُرِّ من سَلَفَيْ رياحٍ ... كنَصْلِ السيفِ وضّاحُ الجبينِ)
(أنا ابنُ جلا وطلاّعُ الثنايا ... متى أضعِ العِمامةَ تعرفوني)
(وإنَّ مكاننا مِنْ حمْيريٍّ ... مكانُ الليثِ من وَسَطِ العرينِ)
((وإنَّ قناتنا مَشِظٌّ شظاها ... شديدٌ مدُّها عُنُقَ القرين
قال الأصمعي إذا مسست شيئا خشنا فدخل في يدك قيل مشظت يدي والشظا ما تشظى منها
(وإني لا يعودُ إليَّ قِرْني ... غداةَ الغِبِّ إلا في قرين)
(بذي لِبَدٍ يصدُّ الركب عنه ... ولا تُؤتَى فريسته لحِين)
(عَذَرتُ البُزْلَ إذ هي صاوَلتني ... فما بالي وبالُ ابنَيْ لَبون)
(وماذا تبتغي الشّعراءُ منّي ... وقد جاوزتُ رأسَ الأربعين)
(أخو الخمسين مُجْتمِعٌ أشُدّي ... ونَجَّذني مداورةُ الشؤون)
- سأحيا ما حييتُ وإنّ ظهري ... لذو سَنَدٍ إلى نَضَدٍ أمين) - وافر)
قال فأتياه فاعتذرا إليه فقال إن أحدكم لا يرى أن يصنع شيئا حتى يقيس شعره بشعرنا وحسبه بحسبنا ويستطيف بنا استطافة المهر الأرن فقالا له فهل إلى النزع من سبيل فقال إننا لم تبلغ أنسابنا
قال اليزيدي أبيات سحيم هذه من اختيارات الأصمعي
الابيرد يرثي أخاه
والقصيدة التي رثى بها الأبيرد أخاه بريدا وفي أولها الغناء المذكور من جيد الشعر ومختار المراثي المختار منها قوله
(تطاوَلَ لَيْلي لم أنمْهُ تَقَلُّباً ... كأنَّ فِراشي حالَ مِن دونه الجَمْرُ)
(أُراقِبُ من ليل التِّمام نجومَه ... لَدُنْ غابَ قرنُ الشَّمسِ حتّى بدا الفجْرُ)
(تذكرْتُ قَرْماً بانَ منّا بنَصْره ... ونائِلِه يا حبّذا ذلك الذُّكْرُ)
(فإنْ تكنِ الأيامُ فَرَّقْنَ بَيْنَنا ... فقد عَذَرَتْنا في صَحابتنا العُذْرُ)
(وكنت أرى هَجْراً فِراقَكَ ساعةً ... ألاَ لا بلِ الموتُ التفَرُّق والهجْرُ)
(أحقًّا عبادَ اللّه أنْ لستُ لاقيا ... بُرَيْدا طَوالَ الدهرِ ما لألأ العَفْرُ)
(فتىً إن استغنى تَخَرَّق في الغِنى ... فإنْ قلَّ مالاً لم يَؤُدْ مَتْنَه الفَقْرُ)
((وسامَى جَسيماتِ الأمور فَنَالَها ... على العُسْرِ حتى أدرك العُسرَ اليُسْرُ
(ترى القومَ في العَزّاء ينتظرونه ... إذا ضلّ رأيُ القومِ أو حزَبَ الأمر)
(فليتك كنتَ الحيَّ في الناس باقيا ... وكنتُ أنا الميْتَ الذي غَيَّبَ القبرُ)
(فتىً يشتري حُسْنَ الثناء بماله ... إذا السَّنَةُ الشَّهْباءُ قلّ بها القَطْرُ)
(كأنْ لم يُصاحِبْنا بُرَيْدٌ بغبطة ... ولم يأتنا يوماً بأخباره السَّفْرُ)
(لَعَمْري لَنِعْمَ المرءُ عالَى نَعِيَّه ... لنا ابنُ عزيزٍ بعد ما قَصرَ العصر)
((تمضَّت به الأخبارُ حتى تَغَلْغَلَتْ ... ولم تَثْنِه الأطباعُ دوني ولا الجُدْر
(ولما نَعَى الناعي بُرَيْداً تغوَّلَتْ ... بيَ الأرض فَرْطَ الحُزْنِ وانقطع الظهر)
(عساكرُ تَغْشَى النفسَ حتى كأنني ... أخو سَكْرةٍ طارت بهامَتِه الخمْرُ)
(إلى اللّه أشكو في بُرَيْدٍ مُصيبتي ... وبثّي وأحزاناً تضمَّنها الصدرُ)
(وقد كنت أستَعْفي إلهي إذا شكا ... من الأجرِ لي فيه وإنْ سَرّني الأجْرُ)
(وما زال في عينَّي بَعْدُ غِشاوةٌ ... وسمْعِي عمَّا كنْتُ أسمعه وقْرُ)
(على أنني أقْنَى الحياءَ وأتَّقي ... شَماتةَ أعداءٍ عُيُونُهُمُ خُزْرُ)
(فحيّاكَ عنّي الليلُ والصبحُ إذْ بدا ... وهُوجٌ من الأرواح غُدْوَتُها شهْرُ)
((سَقَى جَدَثاً لو أستطيع سَقَيْتُه ... بأوْدٍ فَرَوّاه الروافد والقَطْرُ
(ولا زالَ يُرْعَى منْ بلادٍ ثوى بها ... نباتٌ إذا صاب الربيعُ بها نضْرُ)
(حلَفْتُ بربِ الرافِعين أكُفَّهُمْ ... وربِّ الهدايا حيث حلّ بها النحرُ)
(ومُجْتَمَعِ الحُجَّاج حيثُ توافَقَتْ ... رِفاقٌ من الآفاق تكبيرُها جأْرُ)
(يَمينَ امرئٍ آلَى وليس بكاذب ... وما في يمينٍ قالها صادقٌ وِزْرُ)
(لئن كان أمسى ابنُ المُعذَّر قد ثَوَى ... بُرَيْدٌ لَنِعمَ المرءُ غَيَّبه القبْرُ)
(هو الخلَفُ المعروفُ والدين والتُّقى ... ومِعسرُ حربٍ لا كَهامٌ ولا غُمْرُ)
(أقام فنادى أهلُه فتحمَّلوا ... وصُرِّمتِ الأسبابُ واختلط النَّجْرُ)
(فتىً كان يُغْلي اللحمَ نيئاً ولحمُه ... رخيصٌ لجاديه إذا تُنْزَلُ القِدْر)
(فتى الحيِّ والأضيافِ إنْ روَّحَتْهُمُ ... بَليلٌ وزادُ السَّفْرِ إنْ أرْمَلَ السَّفْرُ)
((إذا جارةٌ حَلّتْ لديه وَفَى بها ... فآبت ولم يُهْتَكْ لجارته سِتْرُ
(عفيفٌ عن السَّوْءاتِ ما التبستْ به ... صَلِيبٌ فما يُلْفَى لِعودٍ به كَسْرُ)
(سَلَكْتَ سبيلَ العالمين فما لَهُمْ ... وراء الذي لاقيْتَ مَعْدًى ولا قَصْرُ)
(وكلُّ امرىءٍ يوماً سَيَلْقى حِمامَه ... وإن نأتِ الدعوى وطال به العُمْرُ)
- وأبليْتَ خيراً في الحياة وإنما ... ثوابُكَ عندي اليومَ أنْ ينطِقَ الشِّعْرُ) - طويل)
وقال يرثيه أيضا وهي قصيدة طويلة
(إذا ذكَرت نفسي بُرَيْداً تحامَلَتْ ... إليّ ولم أملك لعينيَّ مَدْمَعَا)
(وذكَّرَنيك الناسُ حين تحامَلُوا ... عليّ وأضحَوْا جلْدَ أجربَ مُولعا)
(فلا يُبْعِدَنْكَ اللّه خيرَ أخي امرىءٍ ... فقد كنْتَ طلاّع النِّجادِ سَمَيْذَعا)

((وَصُولاً لذي القُرْبَى بعيداً عن الخَنَى ... إذا ارتادك الجادي من الناس أمْرَعا
(أخو ثقة لا ينتحِي القومُ دونه ... إذا القَوم خالوا أو رجا الناسُ مَطمعا)
- ولا يركب الوجناءَ دونَ رفيقِه ... إذا القومُ أزْجَوْهُنَّ حسْرَى وظُلَّعا) - طويل)
صوت مخلع
(يا زائِرَيْنا من الخِيام ... حَيَّاكُما اللّهُ بالسلام)
(يحزُنِني أنْ أطَفْتُما بِي ... ولم تنالا سِوَى الكلامِ)
(بُورِك هارونُ من إمامٍ ... بطاعة اللّه ذي اعتصام)
- له إلى ذي الجلال قُرْبى ... ليستْ لِعَدْلٍ ولا إمام) - مخلع البسيط)
الشعر لمنصور النمري والغناء لعبد الله بن طاهر رمل ذكر ذلك عبيد الله ابنه ولم ينسبه إلى الأصابع التي بنى عليها وفيه للرف خفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة وفيه ثقيل أول بالبنصر مجهول الأصابع ذكر حبش أنه للرف أيضا
أخبار منصور النمري ونسبه
منصور بن الزبرقان بن سلمة وقيل منصور بن سلمة بن الزبرقان ابن شريك بن مطعم الكبش الرخم بن مالك بن سعد بن عامر بن سعد الضحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار وإنما سمي عامر الضحيان لأنه كان سيد قومه وحاكمهم وكان يجلس لهم إذا أضحى النهار
فسمي الضحيان وسمي جد منصور مطعم الكبش الرخم لأنه أطعم ناسا نزلوا به ونحر لهم ثم رفع رأسه فإذا رخم يحمن حول أضيافه فأمر بأن يذبح لهم كبش ويرمى به بين أيديهم ففعل ذلك فنزلن عليه فمزقنه فسمي مطعم الكبش الرخم
وفي ذلك يقول أبو نعيجة النمري يمدح رجلا منهم
متقارب -أبوك زعيمُ بني قاسطٍ ... وخالك ذو الكَبْش يَقْري الرَّخَمْ))
وكان منصور شاعرا من شعراء الدولة العباسية من أهل الجزيرة وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي وراويته وعنه أخذ ومن بحره استقى ويمذهبه تشبه والعتابي وصفه للفضل بن يحيى بن خالد وقرضه عنده حتى استقدمه من الجزيرة
واستصحبه ثم وصله بالرشيد وجرت بعد ذلك بينه وبين العتابي وحشة حتى تهاجرا وتناقصا وسعى كل واحد منهما على هلاك صاحبه وأخبار ذلك تذكر في مواضعها من أخبارهما إن شاء الله تعالى وكان النمري قد مدح الفضل بقصيدة وهو مقيم بالجزيرة فأوصلها العتابي إليه واسترفده له وسأله استصحابه فأذن له في القدوم فحظي عنده وعرف مذهب الرشيد في الشعر وإرادته أن يصل مدحه إياه بنفي الإمامة عن ولد علي بن أبي طالب عليهم السلام والطعن عليهم وعلم مغزاه في ذلك مما كان يبلغه من تقديم مروان بن أبي حفصة وتفضيله إياه على الشعراء في الجوائز فسلك مذهب مروان في ذلك ونحا نحوه ولم يصرح بالهجاء والسب كما كان يفعل مروان ولكنه حام ولم يقع وأومأ ولم يحقق لأنه كان يتشيع وكان مروان شديد العداوة لآل أبي طالب وكان ينطق عن نية قوية يقصد بها طلب الدنيا فلا يبقي ولا يذر
منصور النمري يمدح الرشيد
أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال حدثني عبد الله بن أبي سعد الكراني وأخبرني به عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد حديث محمد بن جعفر النحوي أنه قال حدثني محمد بن عبد الله بن آدم بن جشم العبدي قال حدثنا ثابت ابن الحارث الجشمي قال
كان منصور النمري مصافيا للبرامكة وكان مسكنه بالشأم فكتب
يسألهم أن يذكروه للرشيد فذكروه ووصفوه فأحب أن يسمع كلامه فأمرهم بإقدامه فقدم ونزل عليهم فأخبروا الرشيد بموضعه وأمرهم بإحضاره وصادف دخوله إليه يوم نوبة مروان على ما سمعه من بيانه وكان مروان يقول قبل قدومه هذا شامي وأنا حجازي أفتراه يكون أشعر مني ودخله من ذلك ما يدخل مثله من الغم والحسد واستنشد الرشيد منصورا فأنشده
(أميرَ المؤمنين إليك خُضْنَا ... غِمَارَ الهَوْل من بلدٍ شَطير)
(بخُوصٍ كالأهلّة خافقاتٍ ... تلين على السُّرى وعلى الهجير)
(حَمَلْنَ إليك أحمالاً ثِقالاً ... ومثل الصخر الدرُّ النثير)
(فقد وَقف المديحُ بمنتهاه ... وغايتِه وصار إلى المصير)
- إلى مَن لا يشير إلى سِواه ... إذا ذُكِر النَّدَى كفُّ المشير) - وافر)
فقال مروان وددت والله أنه أخذ جائزتي وسكت
وذكر في القصيدة يحيى بن عبد الله بن حسن فقال
(يذلِّل من رقاب بني عليٍّ ... ومَنٍّ ليس بالمنِّ الصغير)
(مَنَنْتَ على ابن عبد الله يحيى ... وكانَ من الحُتُوفِ على شفير)
مروان ينشد الرشيد وعدم اهتمام النمري به
قال مروان فما برحت حتى أمرني هارون أمير المؤمنين أن أنشده وكان يتبسم في وقت ما كان ينشده النمري ويأخذ على بطنه وينظر إلى ما قال فأنشدته
(موسى وهارونُ هما اللذانِ ... في كتب الأخبار يوجدان)
(من وَلَد المهديِّ مَهْدِيّان ... قُدّا عِنانَيْنِ على عِنان)
(قد أطلقِ المهديُّ لي لساني ... وشدَّ أزري ما به حَبانِي)
(من اللُّجيْنِ ومن العِقيان ... عِيديَّةً شاحِطةَ الأثمانِ)
- لو خايَلَتْ دجلَة بالألبان ... إذاً لقيل اشتبه النهران) - رجز)
قال فوالله ما عاج النمري بذلك ولا احتفل به فأومأ إلي هارون أن زده فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها
(خَلُّوا الطريقَ لمعشرٍ عاداتهم ... حَطمُ المناكبِ كلِ يوم زحام)
(إرضَوْا بما قسم الإلهُ لكُمْ به ... ودَعوا وراثةَ كلِّ أصْيَدَ حامِ)
- أنَّي يكون وليس ذاك بكائنٍ ... لبني البنات وراثةُ الأعمام) - كامل)
قال فوالله ما عاج بشيء منها وخرجت الجائزتان فأعطى مروان مائة ألف وأعطى النمري سبعين ألفا وقال أنت مزيد في ولد علي

قال ولقد تخلص النمري إلى شيء ليس عليه فيه شيء وهو قوله
(فإن شكروا فقد أنْعَمْتَ فِيهِمْ ... وإلاّ فالنَّدامةُ للكَفورِ)
- (وإن قالوا بنو بنتٍ فحقٌّ ... ورُدُّوا ما يناسب للذُّكورِ) - وافر
قال فكان مروان يتأسف على هذا المعنى أن يكون قد سبقه إليه وإلى قوله
- وما لبني بناتٍ من تراثٍ ... مع الأعمام في وَرَق الزَّبورِ) - وافر)
أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصيرفي قال حدثني الغنوي عن محمد بن محمد بن عبد الله بن آدم عن أبي معشر العبدي فذكر القصة قريبا مما ذكره محمد بن جعفر النحوي يزيد وينقص والمعنى متقارب
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن طهمان السلمي قال حدثني أحمد بن سيار الشيباني الشاعر قال كان هارون أمير المؤمنين يحتمل أن يمدح بما تمدح به الأنبياء فلا ينكر ذلك ولا يرده حتى دخل عليه نفر من الشعراء فيهم رجل من ولد زهير بن أبي سلمى فأفرط في مدحه حتى قال فيه
- فكأنّه بعد الرسول رَسولُ ...) - كامل)
فغضب هارون ولم ينتفع به أحد يومئذ وحرم ذلك الشاعر فلم يعطه شيئا وأنشد منصور النمري قصيدة مدحه بها وهجا آل علي وثلبهم فضجر هارون وقال له يا ابن اللخناء أتظن أنك تتقرب إلي بهجاء قوم أبوهم أبي ونسبهم نسبي وأصلهم وفرعهم أصلي وفرعي فقال وما شهدنا إلا بما علمنا فازداد غضبه وأمر مسرورا فوجأ في عنقه وأخرج ثم وصل إليه يوما آخر بعد ذلك فأنشده
(بني حسنٍ ورَهْطَ بني حُسينٍ ... عليكُمْ بالسَّداد من الأمورِ)
((فقد ذُقْتُم قِراعَ بني أبيكمْ ... غداةَ الرَّوْعِ بالبِيضِ الذُّكورِ
(أحينَ شَفَوْكُمُ من كلِّ وِترٍ ... وضَمُّوكُمْ إلى كَنَفٍ وثيرِ)
(وجادوكُمْ على ظمإٍ شديدٍ ... سُقِيتُم من نوالِهمُ الغزيرِ)
(فما كان العقوقُ لهمْ جزاءً ... بفعلهم وادَى للثؤورِ)
- وإنك حين تُبلغهم أذاةً ... وإن ظلموا لمحزون الضمير) - وافر)
فقال له صدقت وإلا فعلي وعلي وأمر له بثلاثين ألف درهم
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال حدثني عبد الصمد بن المعذل قال دخل مروان بن أبي حفصة وسلم الخاسر ومنصور النمري على الرشيد فأنشده مروان قصيدته التي يقول فيها
- أنَّى يكون وليس ذاك بكائنٍ ... لبني البناتِ وِراثةُ الأعمامِ) - كامل)
وأنشده سلم فقال
- (حَضَر الرّحيل وشُدَّت الأحداجُ ...) - كامل
وأنشده النمري قصيدته التي يقول فيها
- إن المكارمَ والمعروف أودية ... أحَلَّكَ اللّهُ منها حيثُ تجتمعُ) - بسيط)
فأمر لكل واحد منهم بمائة ألف درهم فقال له يحيى بن خالد يا أمير المؤمنين مروان شاعرك خاصة قد ألحقتم به قال فليزد مروان عشرة آلاف
إعجاب الرشيد بشعر النمري
أخبرني عمي قال أخبرنا ابن أبي سعد قال حدثني علي بن الحسن الشيباني قال أخبرني أبو حاتم الطائي عن يحيى بن ضبيئة الطائي عن الفضل قال حضرت الرشيد وقد دخل منصور النمري عليه فأنشده
(ما تنقضِي حَسرَةٌ مني ولا جَزَعُ ... إذا ذكرْتُ شباباً ليس يُرتَجعُ)
(بانَ الشَّبابُ وفاتَتْني بلذّته ... صُرُوفُ دهرٍ وأيامٌ لها خُدَعُ)
- ما كنت أُوفِي شبابي كُنْهَ غِرَّته ... حتّى انقضى فإذا الدنيا له تَبعُ) - بسيط)
قال فتحرك الرشيد لذلك ثم قال أحسن والله لا يتهنأ أحد بعيش حتى يخطر في رداء الشباب
أخبرني عمي قال حدثنا ابن سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله بن آدم العبدي عن أبي ثابت العبدي عن مروان بن أبي حفصة قال خرجنا مع الرشيد إلى بلاد الروم فظفر الرشيد وقد كاد أن يعطب لولا الله عز وجل ثم يزيد بن مزيد فقال لي وللنمري أنشدا فأنشدته قولي
- طرقَتْك زائرةً فحيِّ خيالها ... غَرَّاءُ تخلِط بالحياءِ دلالها) - كامل)
ووصفت الرجال من الأسرى كيف أسلموا نساءهم والظفر الذي رزقه فقال عدوا قصيدته فكانت مائة بيت فأمر لي بمائة ألف درهم ثم قال للنمري كيف رأيت فرسي فإني أنكرته فقال النمري
(مُضِرٌّ على فأسِ اللجامِ كأنّه ... إذا ما اشتكت أيدي الجيادِ يطِير)
(فظلّ على الصّفصاف يومٌ تباشرتْ ... ضِباعٌ وذُؤبانٌ به ونسور)
(فأقسِمُ لا يَنْسَى لك اللّهُ أجرها ... إذا قُسِّمت بين العبادِ أجورُ)
قال النمري ثم قلت في نفسي ما يمنعني من إذكاره بالجائزة فقلت
(إذا الغَيْثُ أكْدَى واقشعرّتْ نجومُه ... فغيْثُ أميرِ المؤمنين مَطيرُ)
- (وما حلَّ هارونُ الخليفةُ بلدةً ... فأخلفَها غيثٌ وكاد يضير) - طويل
فقال أذكرتني ورأيته متهللا لذلك قال فألحقني بمروان وأمر لي بمائة ألف درهم
أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن طهمان قال حدثني محمد الراوية المعروف بالبيدق وكان قصيرا فلقب بالبيدق لقصره وكان ينشد هارون أشعار المحدثين وكان أحسن خلق الله إنشادا قال دخلت على الرشيد وعنده الفضل بن الربيع ويزيد بن مزيد وبين يديه خوان لطيف عليه جديان ورغفان سميد ودجاجتان فقال لي أنشدني فأنشدته قصيدة النمري العينية فلما بلغت إلى قوله
(أيُّ امرئٍ باتَ من هارونَ في سَخَطٍ ... فليس بالصلواتِ الخَمْسِ ينتفعُ)
(إنَّ المكارِمَ والمعروفَ أوديةٌ ... أحلَّكَ اللّهُ منها حيث تتسع)
(إذا رفعْتَ امرأً فاللّه يرفعه ... ومَنْ وَضَعْتَ من الأقوام مُتَّضِعِ)
- نفسي فداؤُك والأبطالُ مُعلِمَة ... يوم الوغى والمنايا بيْنَها قُرَعُ) - بسيط)

قال فرمى بالخوان بين يديه وصاح وقال هذا والله أطيب من كل طعام وكل شيء وبعث إليه بسبعة آلاف دينار فلم يعطني منها ما يرضيني
وشخص إلى رأس العين فأغضبني وأحفظني فأنشدت هارون قوله
(شاءٌ من الناس راتِعٌ هاملْ ... يُعَلِّلون النفوسَ بالباطلْ)
فلما بلغت إلى قوله
- إلاّ مساعيرَ يغضبُون لها ... بَسلَّةِ البِيضِ والقنا الذابِلْ) - منسرح)
قال أراه يحرض علي ابعثوا إليه من يجيء برأسه فكلمه فيه الفضل ابن الربيع فلم يغن كلامه شيئا وتوجه إليه الرسول فوافاه في اليوم الذي مات فيه ودفن قال وكان إنشاد محمد البيدق يطرب كما يطرب الغناء
سبب غضب الرشيد على النمري
أخبرني عمي قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثنا علي بن الحسين الشيباني قال أخبرني منصور بن جمهور قال سألت العتابي عن سبب غضب الرشيد عليه فقال لي استقبلت منصورا النمري يوما من الأيام فرأيته مغموما واجما كئيبا فقلت له ما خبرك فقال تركت امرأتي تطلق وقد عسر عليها ولادها وهي يدي ورجلي والقيمة بأمري وأمر منزلي فقلت له لم لا تكتب على فرجها هارون الرشيد قال ليكون ماذا قال لتلد على المكان قال وكيف ذلك قلت لقولك
- (إن أخْلَفَ الغيث لم تُخلِف مخايله ... أو ضاق أمرٌ ذكرناه فيتَّسعُ) - بسيط
فقال لي يا كشخان والله لئن تخلصت امرأتي لأذكرن قولك هذا للرشيد فلما ولدت امرأته خبر الرشيد بما كان بيني وبينه فغضب الرشيد لذلك وأمر بطلبي فاستترت عند الفضل بن الربيع فلم يزل يسأل في حتى أذن لي في الظهور فلما دخلت عليه قال لي قد بلغني ما قلته للنمري فاعتذرت إليه حتى قبل ثم قلت والله يا أمير المؤمنين ما حمله على التكذب علي إلا وقوفي على ميله إلى العلوية فإن أراد أمير المؤمنين أن أنشده شعره في مديحهم فعلت فقال أنشدني فأنشدته قوله
شاءٌ من الناس راتع هاملْ ... يعلّلون النفوس بالباطلْ) - منسرح - حتى بلغت إلى قوله)
(إلاّ مساعيرَ يغضبون لها ... بسَلّةِ البِيضِ والقنا الذّابِلْ)
فغضب من ذلك غضبا شديدا وقال للفضل بن الربيع أحضره الساعة فبعث الفضل في ذلك فوجده قد توفي فأمر بنبشه ليحرقه فلم يزل الفضل يلطف له حتى كف عنه
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال حدثني بعض الزينبيين قال حبس الرشيد منصورا النمري بسبب الرفض فتخلصه الفضل بن الربيع ثم بلغه شعره
في آل علي عليه السلام فقال للفضل اطلبه فستره الفضل عنده وجعل الرشيد يلح في طلبه حتى قال يوما للفضل ويحك يا فضل تفوتني النمري قال يا سيدي هو عندي قد حصلته قال فجئني به وكان الفضل قد أمره أن يطول شعره ويكثر مباشرة الشمس ليشحب وتسوء حالته ففعل فلما أراد إدخاله عليه ألبسه فروة مقلوبة وأدخله عليه وقد عفا شعره وساءت حالته فلما رآه قال السيف فقال الفضل يا سيدي من هذا الكلب حتى تأمر بقتله بحضرتك قال أليس هو القائل
(إلاّ مساعيرَ يغضبون لها ... بسَلَّةِ البِيضِ والقنا الذابلْ)
فقال منصور لا يا سيدي ما أنا قائل هذا ولقد كذب علي ولكني القائل مخلع
(يا منزِل الحي ذا المغاني ... انعم صباحاً علي بِلاكا)
(هارونُ يا خير من يُرَجَّى ... لم يُطِعِ اللّهِ منْ عَصاكا)
- في خير دِينٍ وخير دنيا ... مَن اتّقى اللّهَ واتقاكا) - مخلع بسيط)
فأمر بإطلاقه وتخلية سبيله فقال منصور يمدح الفضل بن الربيع
(رأيْتُ المُلْك مُذْ آزرْتَ ... قد قامت مَحانيهِ)
- هو الأوحد في الفضلِ ... فما يعرف ثانِيهِ) - هزج)
عفة النمري
أخبرني عمي قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني علي بن مسلم ابن الهيثم الكوفي عن محمد بن أرتبيل قال اجتمع عند المأمون قبل
خلافته وذلك في أيام الرشيد منصور النمري والخريمي والعباس بن زفر وعنده جعفر بن يحيى فحضر الغداء فأتي المأمون بلون من الطعام فأكل منه فاستطابه فأمر به فوضع بين يدي جعفر بن يحيى فأصاب منه ثم أمر به فوضع بين يدي العباس فأكل منه ثم نحاه فأكل منه بعده الخريمي وغيره ولم يأكل منه النمري وذلك بعين المأمون فقال له لم لم تأكل فقال لئن أكلت ما أبقى هؤلاء إني لنهم قال فهل قلت في هذا شيئا قال نعم قلت
(لَهْفي أُطْعِمُها قيساً وآكلها ... إني إذاً لدنيءُ النفس والخَطَرِ)
(ما كان جدّي ولا كان الهُمامِ أبي ... ليأكلا سؤرَ عباسٍ ولا زُفَرْ)
(شتّانَ مِن سؤْرِ عباسٍ وفَضْلَتِه ... وسؤْرِ كَلْبٍ مُغطّى العين بالوَبَرِ)
- ما زال يَلْقَمُ والطّبّاخُ يلحظُه ... وقد رأى لُقَماً في الحلق بالعَجَرِ) - بسيط)
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وعمي قالا حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال أخبرني علقمة بن نصر بن واصل النمري قال سمعت أشياخنا يقولون إن منصور بن بجرة بن منصور بن صليل بن أشيم ابن قطن بن سعد بن عامر الضحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم اللّه بن النمر ابن قاسط قال هذه القصيدة
(ما تنقضِي حسرة مني ولا جَزَعُ ... إذا ذكرْتُ شباباً ليس يُرتجعُ)
(بان الشباب وفاتتني بِشِرّتِه ... صروفُ دهرٍ وأيام لها خُدَع)
- (ما كنت أولَ مسلوبٍ شبيبتَهُ ... مكْسُوٍّ شيبٍ فلا يذهبْ بك الجَزَعُ) - بسيط
فسمعها منصور بن سلمة بن الزبرقان بن شريك بن مطعم الكبش الرخم بن مالك بن سعد بن عامر الضحيان فاستحسنها فاستوهبها منه فوهبها له وكان منصور بن بجرة هذا موسرا لا يتصدى لمدح ولا يفد إلى أحد ولا ينتجعه بالشعر وكان هارون الرشيد قد جرد السيف في ربيعة فوجه منصور بن سلمة هذه القصيدة إلى الرشيد وكان رجلا تقتحمه العين جدا ويزدريه من رآه لدمامة خلقه فأمر الرشيد لما عرضت عليه بإحضار قائلها قال منصور فلما وصلت إليه

عرفني الحاجب أنه لما عرضت عليه قرأها واختارها على جميع شعر الشعراء جميعا وأمره بإدخالي فلما قربت من حاجبه الفضل بن الربيع آزدراني لدمامة خلقي وكان قصيرا أزرق أحمر أعمش نحيفا قال فردني وأمر بإخراجي فأخرجت فمر بي ذات يوم يزيد بن مزيد الشيباني فصحت به يا أبا خالد أنا رجل من عشيرتك وقد لحقني ضيم وعذت بك فوقف فعرفته خبري وسألته أن يذكرني إذا مرت به رقعتي ويتلطف في إيصالي ففعل ذلك فلما دخلت على أمير المؤمنين أنشدته هذه القصيدة

- أتسلو وقد بانَ الشبابُ المزايلُ ...) - طويل)

الرشيد يرفع السيف عن ربيعة

فقال لي غدا إن شاء الله آمر برفع السيف عن ربيعة وخرج يزيد يركض فما جاءت العصر من الغد حتى رفع السيف عن ربيعة بنصيبين وما يليها وأنشدته القصيدة فلما صرت إلى هذا الموضع

((يُجرِّد فينا السيفَ من بين مارقٍ ... وعانٍ بُجُودٌ كلهمْ متحاملُ

قالوا فلما سمع الجلساء هذا البيت قالوا ذهب الأعرابي وافتضح فلما قلت

(وقد علم العُدْوانِ والجَوْرِ والخَنَا ... بأنّك عيّافٌ لهنّ مُزايِلُ)

(ولو علِموا فينا بأمرك لم يكن ... يَنال بريًّا بالأذى متناولُ)

(لنا منكَ أرحامٌ ونعتدُّ طاعةً ... وبأساً إذا اصطكَّ القنا والقنابلُ)

(وما يَحفظ الأنسابَ مثلَك حافظٌ ... ولا يصِلُ الأرحامَ مثلك واصلُ)

(جعلناك فامنعنا مَعَاذاً ومَفْزَعاً ... لنا حين عضَّتْنا الخطوبُ الجلائلِ)

- وأنت إذا عاذت بوجهك عُوَّذٌ ... تَطامنَ خوفٌ واستقرّت بَلابِلُ) - طويل)

فقال الجلساء أحسن والله الأعرابي يا أمير المؤمنين فقال الرشيد يرفع السيف عن ربيعة ويحسن إليهم

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي ابن الحسن بن عبيد البكري قال أخبرني أبو خالد الطائي عن الفضل قال كنا عند الرشيد وعنده الكسائي فدخل إليه منصور النمري فقال له الرشيد أنشدني فأنشده قوله

(ما تنقضي حَسرةٌ مني ولا جَزَعُ ... إذا ذَكَرْتُ شباباً ليس يُرتَجَعُ)

فتحرك الرشيد ثم أنشده حتى انتهى إلى قوله

- (ما كنت أُوفِي شبابي كُنْهَ عِزّته ... حتّى انقضى فإذا الدُّنيا له تَبعُ) - بسيط

فطرب الرشيد وقال أحسنت والله وصدقت لا والله لا يتهنا أحد بعيش حتى يخطر في رداء الشباب وأمر له بجائزة سنية

الشعراء يتهكمون عليه لعدم شربه

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد ابن عبد الله بن طهمان السلمي قال حدثني أحمد بن سنان البيساني وأخبرني عمي قال أخبرنا ابن أبي سعد قال حدثنا مسعود بن عيسى عن موسى بن عبد الله التميمي أن جماعة من الشعراء اجتمعوا ببغداد وفيهم النمري وكانوا على نبيذ فأبى منصور أن يشرب معهم فقالوا له إنما تعاف الشرب لأنك رافضي وتسمع وتصغي إلى الغناء وليس تركك النبيذ من ورع فقال منصور

صوت

(خَلا بين نَدْمانِيَّ موضعُ مجلِسِي ... ولم يَبْقَ عندي للوِصال نصيبُ)

(وَرِدَّتْ على السّاقي تفيض وربّما ... رددتُ عليه الكاسَ وهي سليب)

- وأيُّ امرئ لا يستَهِشُّ إذا جرتْ ... عليه بَنانٌ كفُّهنَّ خضيبُ) - طويل)

الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل مطلق من مجرى البنصر ومن الناس من ينسبه إلى مخارق هكذا في الخبر

قصيدة للعتابي كتبها للنمري

وقد حدثني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال كتب كلثوم بن عمرو العتابي إلى منصور النمري قوله

(تَقَضّتْ لُباناتٌ ولاحَ مَشِيبُ ... وأشفَى على شمسِ النّهار غروبُ)

(وَوَدَّعْتُ إخوانَ الصِّبا وتصرَّمَتْ ... غَواية قلبٍ كانَ وهو طروبُ)

(وردَّتْ على الساقي تفيض وربّما ... رددْتُ عليه الكأس وهي سليب)

(وممّا يَهيج الشّوق لي فيَرُدّه ... خفيفٌ على أيدي القِيان صَخوبُ)

- عطَوْنَ بهِ حتّى جرى في أديمه ... أصابيغ في لَبّاتِهنَّ وطِيْبُ) - طويل)

فأجابه النمري وقال

(أوحشَةُ نَدْمانيك تبكِي فربَّما ... تلاقيهما والحِلمُ عنك عَزُوب)

(ترى خَلَفاً من كل نَيْلٍ وثروةٍ ... سماعَ قيان عُودُهُنَّ قريبُ)

(يُغنِّيك يا بنتي فتستصحِب النُّهى ... وتحتازك الآفاتُ حين أغيبُ)

- وإنَّ امرأً أودى السماعُ بلُبّه ... لَعُريانُ من ثَوْبِ الفلاح سليبُ) - طويل)

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد ابن عبد الله بن آدم بن جشم العبدي أبو مسعر قال أتى النمري يزيد بن مزيد ويزيد يومئذ في إضاقة وعسرة فقال اسمع مني جعلت فداك فأنشده قصيدة له يقول فيها

((لو لم يكن لبني شيبانَ من حَسَب ... سوى يزيدَ لفاتوا الناسَ في الحسبِ

(تأوي المكارم من بكْرٍ إلى مَلِكٍ ... من آل شيبانَ يحويهنّ من كَثَب)

(أبٌ وعمٌّ وأخوالٌ مناصِبُهُمْ ... في منبت النَّبع لا في منبت الغَرَبِ)

(إنّ أبا خالدٍ لما جَرى وجرتْ ... خيلُ الندى أحرَزَ الأُولَى من القَصَب)

(لمّا تلغَّبَهُنَّ الجَرْيُ قَدَّمه ... عِتْقٌ مبينٌ ومحضٌ غير مؤتشب)

(إن الذين اغتَزَوا بالحرِّ غرّته ... كمغتزي الليث في عِرِّيسِهِ الأشيب)

(ضرباً دِرَاكاً وشدّاتٍ على عَنَقٍ ... كأنّ إيقاعها النِّيرانُ في الحطب)

- لا تَقْرَبنَّ يزيداً عند صَوْلته ... لكِنْ إذا ما احتبى للجود فاقترب) - بسيط)

فقال يزيد والله ما أصبح في بيت مالي شيء ولكن انظر يا غلام كم عندك فهاته فجاءه بمائه دينار وحلف أنه لا يملك يومئذ غيرها

تحسره على شبابه
وقد أخبرني عمي بهذ الخبر قال حدثني محمد بن علي بن حمزة العلوي قال حدثني عمي عن جدي قال قال لي منصور النمري كنت واقفا على جسر بغداد أنا وعبيد الله بن هشام بن عمرو التغلبي وقد وخطني الشيب يومئذ وعبيد الله شاب حديث السن فإذا أنا بقصرية
ظريفة قد وقفت فجعلت أنظر إليها وهي تنظر إلى عبيد الله بن هشام ثم انصرفت وقلت فيها
(لمّا رأيْتِ سَوَامَ الشيبِ منتشِراً ... في لِمّتي وعبيدُ اللّه لم يشِبِ)
(سَلَلْتِ سَهْمَيْن من عَيْنَيْكِ فانتضلا ... على سَبِيبَةِ ذي الأذيال والطرب)
(كذا الغواني نرى منهنّ قاصدة ... إلى الفروع مُعرّاة عن الخشب)
(ولا أنتِ أصبحْتِ تَعْتَدِّيننا أرَباً ... ولا وعيشِك ما أصبحْتِ من أربي)
(إحدى وخمسين قد أنضيْتُ جِدّتها ... تحُول بيني وبين اللهو واللعبِ)
(لا تَحْسبنّي وإن أغضيْتُ عن بصري ... غفَلْتُ عنك ولا عن شأنك العجبِ)
ثم عدلت عن ذلك فمدحت فيها يزيد بن مزيد فقلت
(لو لم يكن لبني شيبانَ من حسبٍ ... سوى يزيدَ لفاقوا الناسَ بالحسَبِ)
(لا تحسبِ الناسَ قد حابَوْا بني مطر ... إذ أسلَمَ الجودُ فيهمْ عاقد الطُّنُبِ)
(الجود أخشَنُ لَمْساً يا بني مطرٍ ... من أن تَبُزّكُموه كَفُّ مُسْتَلِبِ)
بسيط -ما أعرفَ الناسَ أنَّ الجُودَ مَدفَعةٌ ... للذمِّ لكنّه يأتِي على النشب))
قال فأعطاني يزيد عشرة آلاف درهم
حدثني عمي قال حدثني محمد بن عبد الله التميمي الحزنبل قال حدثني عمرو بن عثمان الموصلي قال حدثني ابن أبي روق الهمداني قال قال لي منصور النمري دخلت على الرشيد يوما ولم أكن أعددت له مدحا فوجدته نشيطا طيب النفس فرمت شيئا فما جاءني ونظر إلي مستنطقا فقلت
(إذا اعتاصَ المديحُ عليك فامدحْ ... أميرَ المؤمنين تَجِدْ مقالا)
(وعُذْ بفِنائه واجنحْ إليه ... تَنَلْ عُرْفاً ولم تُذْلِلْ سؤالا)
- فِناءٌ لا تزال به ركابٌ ... وضَعْنَ مدائحاً وحَمَلْنَ مالا) - وافر)
فقال والله لئن قصرت القول لقد أطلت المعنى وأمر لي بصلة سنية
صوت
(طَرِبْتَ إلي الحيِّ الذين تحمّلوا ... بِبُرقةِ أحواذٍ وأنت طروب)
- فيتٌ أُسقّاها سُلافاً مُدامةً ... لها في عظام الشّاربين دبيب) - طويل)
الشعر لعبد الله بن الحجاج الثعلبي والغناء لعلويه رمل بالوسطى عن الهشامي وفيه لسليم خفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى
نسب عبد الله بن الحجاج وأخباره
هو عبد الله بن الحجاج بن محصن بن جندب بن نصر بن عمرو بن عبد غنم بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض ابن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر ويكنى أبا الأقرع شاعر فاتك شجاع من معدودي فرسان مضر ذوي البأس والنجدة فيهم وكان ممن خرج مع عمرو بن سعيد على عبد الملك بن مروان فلما قتل عبد الملك بن مروان عمرا خرج مع نجدة بن عامر الحنفي ثم هرب فلحق بعبد الله بن الزبير فكان معه إلى أن قتل ثم جاء إلى عبد الملك متنكرا واحتال عليه حتى أمنه
وأخباره تذكر في ذلك وغيره ها هنا
أخبرني بخبره في تنقله من عسكر إلى عسكر ثم استئمانه جماعة من شيوخنا فذكروه متفرقا فابتدأت بأسانيدهم وجمعت خبره من روايتهم
فأخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني اليزيدي أبو عبد الله محمد بن العباس بعضه قال حدثني سليمان ابن أبي شيخ قال حدثنا يحيى بن سعيد الأموي وأخبرنا محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا محمد بن معاوية الأسدي قال حدثنا محمد بن كناسة وأخبرني عمي قال حدثنا عبد الله ابن أبي سعد قال حدثني علي بن مسلم بن الهيثم الكوفي عن محمد بن أرتبيل ونسخت بعض هذه الأخبار من نسخة أبي العباس ثعلب والألفاظ تختلف في بعضها والمعاني قريبة قالوا
كان عبد الله بن الحجاج الثعلبي شجاعا فاتكا صعلوكا من صعاليك العرب وكان متسرعا إلى الفتن فكان ممن خرج مع عمرو بن سعيد بن العاص فلما ظفر به عبد الملك هرب إلى ابن الزبير فكان معه حتى قتل ثم اندس إلى عبد الملك فكلم فيه فأمنه
احتياله في الدخول على عبد الملك
هذه رواية ثعلب وقال العنزي وابن أبي سعد في روايتهما لما قتل عبد الله بن الزبير وكان عبد الله بن الحجاج من أصحابه وشيعته احتال حتى دخل على عبد الملك بن مروان وهو يطعم الناس فدخل حجرة فقال له مالك يا هذا لا تأكل قال لا أستحل أن آكل حتى تأذن لي قال إني قد أذنت للناس جميعا قال لم أعلم فآكل بأمرك قال كل فأكل وعبد الملك ينظر إليه ويعجب من فعاله فلما أكل الناس وجلس عبد الملك في مجلسه وجلس خواصه بين يديه وتفرق الناس جاء عبد الله بن الحجاج فوقف بين يديه ثم استأذنه في الإنشاد فأذن له فأنشده
(أبلِغْ أميرَ المؤمنين فإنّني ... مما لقيتُ من الحوادثِ موجَعُ)
- مُنِعَ القَرارُ فجئتُ نحوك هارباً ... جيْشٌ يَجرُّ ومِقْنَبٌ يَتَلَمَّعُ) - كامل)
فقال عبد الملك وما خوفك لا أم لك لولا أنك مريب فقال عبد الله
كامل -إنّ البلادَ عليَّ وهْي عريضةٌ ... وَعُرَتْ مذاهبُها وسُدَّ المطلعُ))
فقال له عبد الملك ذلك بما كسبت يداك وما الله بظلام للعبيد فقال عبد الله
(كنا تَنَحّلْنا البصائرَ مرّةً ... وإليك إذ عمِي البصائرُ نَرْجِعُ)
(إن الذي يَعْصِيك منا بعدها ... مِن دينه وحياته متودِّعُ)

(آتِي رضاكَ ولا أعودُ لمثلِها ... وأطيعُ أمرَكَ ما أمرْتَ وأسمعُ)
- أُعْطِي نصيحتِيَ الخليفةَ ناخِعاً ... وخِزامةَ الأنفِ المَقُودِ فَأَتْبَعُ) - كامل)
فقال له عبد الملك هذا لا نقبله منك إلا بعد المعرفة بك وبذنبك فإذا عرفت الحوبة قبلنا التوبة فقال عبد الله
- ولقد وطِئْتَ بني سعيد وَطْأَةً ... وابنَ الزبير فَعَرْشُه متضعْضِعُ) - كامل)
فقال عبد الملك لله الحمد والنمة على ذلك فقال عبد الله
(ما زِلْتَ تَضْربُ مَنْكِباً عن مَنْكِبٍ ... تعلو ويسفل غيرُكُمْ ما يُرْفَعُ)
(ووَطِئتُمُ في الحرب حتى أصبحوا ... حَدَثاً يَكُوسُ وغابِراً يتجعجع)
(فحوى خلافَتَهُمْ ولم يظلِمْ بها ... ألقَرْمُ قَرْمُ بني قُصِيٍّ الأنزعُ)
((لا يستوي خاوي نجومٍ أُفَّلٍ ... والبدرُ منبلجاً إذا ما يطلع
(وُضِعَتْ أميّةُ واسطين لقومهمْ ... ووُضِعْتَ وَسْطَهمُ فَنِعْمَ الموضع)
(بيتٌ أبو العاصي بناه بِرَبْوَةٍ ... عالي المَشارف عِزُّه ما يُدْفَع)
فقال له عبد الملك إن توريتك عن نفسك لتريبني فأي الفسقة أنت وماذا تريد فقال
(حَرَبَتْ أُصَيْبِيَتي يدٌ أرسلْتَها ... وإليك بعد مَعادِها ما ترجِع)
- وأرى الذي يرجو تُراثَ محمدٍ ... أَفَلَتْ نجومُهُم ونجمُك يَسطَع) - كامل)
فقال عبد الملك ذلك جزاء أعداء الله فقال عبد الله بن الحجاج
- فانعشْ أُصَيْبِيَتي الألاءِ كأنّهُمْ ... حَجَلٌ تَدَرَّجُ بالشَّرَبَّةِ جُوَّعُ) - كامل)
فقال عبد الملك لا أنعشهم الله وأجاع أكبادهم ولا أبقى وليدا من نسلهم فإنهم نسل كافر فاجر لا يبالي ما صنع فقال عبد الله
كامل -مالٌ لهمْ مما يُضَنُّ جَمَعْتُهُ ... يومَ القليبِ فَحِيزَ عنهمْ أجْمَعُ))
فقال له عبد الملك لعلك أخذته من غير حله وأنفقته في غير حقه وأرصدت به لمشاقة أولياء الله وأعددته لمعاونة أعدائه فنزعه منك إذ استظهرت به على معصية الله فقال عبد الله
- أدنو لِتَرْحَمَني وتُجْبِرَفاقتي ... فأراك تَدْفَعُني فأين المَدْفَعُ) - كامل)
فتبسم عبد الملك وقال له إلى النار فمن أنت الآن قال أنا عبد الله بن الحجاج الثعلبي وقد وطئت دارك وأكلت طعامك وأنشدتك فإن قتلتني بعد ذلك فأنت وما تراه وأنت بما عليك في هذا عارف ثم عاد إلى إنشاده فقال
- ضاقت ثيابُ المُلبِسين وفضلُهُمْ ... عنّي فألبِسْني فَثَوْبُكَ أوْسَعُ) - كامل)
فنبذ عبد الملك إليه رداء كان على كتفه وقال البسه لا لبست فالتحف به ثم قال له عبد الملك أولى لك والله لقد طاولتك طمعا في أن يقوم بعض هؤلاء فيقتلك فأبى الله ذلك فلا تجاورني في بلد وانصرف آمنا قم حيث شئت
قال اليزيدي في خبره قال عبد الله بن الحجاج ما زلت أتعرف منه ما أكره حتى أنشدته قولي
(ضاقت ثيابُ الملبِسين وفضلُهُمْ ... عني فألبِسْني فَثَوْبُكَ أوسعُ)
فرمى عبد الملك مطرفه وقال البسه فلبسته
ثم قال آكل يا أمير المؤمنين قال كل فأكل حتى شبع ثم قال أمنت ورب الكعبة فقال كن من شئت إلا عبد الله بن الحجاج قال فأنا والله هو وقد أكلت طعامك ولبست ثيابك فأي خوف علي بعد ذلك فأمضى له الأمان
ونسخت من كتاب أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي قال
كان عبد الله بن الحجاج قد خرج مع نجدة بن عامر الحنفي الشاري فلما انقضى أمره هرب وضاقت عليه الأرض من شدة الطلب فقال في ذلك
(رأيْتُ بلادَ اللّهِ وهْيَ عريضةٌ ... على الخائفِ المطرودِ كفّةَ حابل)
- تودِّي إليه أن كلَّ ثنيّة ... تَيَمَّمها ترمِي إليه بقاتِل) - طويل)
التجاؤه إلى أحيح وهجاؤه بعد غدره به
قال ثم لجأ إلى أحيح بن خالد بن عقبة بن أبي معيط فسعى به إلى الوليد بن عبد الملك فبعث إليه بالشرط فأخذ من دار أحيح فأتي به الوليد فحبسه فقال وهو في الحبس
(أقول وذاك فَرْطُ الشوقِ منّي ... لِعَيْني إذ نَأَتْ ظَمْياءُ فِيضِي)
(فما للقلبِ صبرٌ يوم بانتْ ... وما للدمعِ يسفَحُ من مَغِيض)
(كأنَّ مُعتَّقاً من أذْرِعاتٍ ... بماءِ سحابةٍ خَصِرٍ فضيض)
((يفيها إذ تُخافِتُني حياءً ... بسرٍّ لا تبوح به خفيض
يقول فيها
(فإن يُعرِضْ أبو العبّاس عنّي ... ويركبْ بي عَروضاً عن عَروض)
(ويجعلْ عُرْفَه يوماً لغيري ... ويُبْغِضْني فإنّي مِن بغيض)
(فإنِّي ذو غِنىً وكريمُ قومٍ ... وفي الأكفاءِ ذو وجهٍ عريض)
(غلَبْتَ بني أبي العاصي سَماحاً ... وفي الحرب المذكَّرةِ العضوض)
(خرجْتَ عليهِمُ في كلِّ يومٍ ... خروجَ القِدْحِ من كفِّ المُفيض)
(فِدًى لك مَنْ إذا ما جئْتُ يوماً ... تلَقّاني بجامعةٍ رَبوض)
(على جنب الخُوان وذاك لؤمٌ ... وبئستْ تُحفَةُ الشيخ المريض)
(كأني إذْ فزِعْتُ إلى أُحَيْحٍ ... فزِعْتُ إلى مُقَوْقِيَةٍ بَيوضِ)
- إوزةِ غيْضةٍ لَقِحَتْ كِشافاً ... لِقُحْقُحِها إذا دَرَجتْ نقيضُ) - وافر)
قال فدخل أحيح على الوليد بن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين أن عبد الله بن الحجاج قد هجاك قال بماذا فأنشده قوله
(فإنْ يُعرِضْ أبو العباس عنّي ... ويركبْ بي عَروضاً عن عروض)
(ويجعلْ عُرْفَه يوماً لغيري ... ويُبْغِضْني فإني من بغيض)
فقال الوليد وأي هجاء هذا هو من بغيض إن أعرضت عنه أو أقبلت عليه أو أبغضته ثم ماذا فأنشده
كأني إذ فزِعْتُ إلى أحيح ... فَزِعْتُ إلى مُقَوْقِيَةٍ بَيُوضِ) - وافر - فضحك الوليد ثم قال ما أراه هجا غيرك فلما خرج من)

عنده أحيح أمر بتخلية سبيل عبد الله بن الحجاج فأطلق وكان الوليد إذا رأى أحيحا ذكر قول عبد الله فيه فيضحك منه هجاؤه لكثير بن شهاب
حدثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا خلاد بن يزيد الأرقط عن سالم بن قتيبة وحدثني يعقوب بن القاسم الطلحي قال حدثني غير واحد منهم عبد الرحمن بن محمد الطلحي قال حدثني أحمد بن معاوية قال سمعت أبا علقمة الثقفي يحدث قال أبو زيد وفي حديث بعضهم ما ليس في حديث الآخر وقد ألفت ذلك قال كان كثير بن شهاب بن الحصين بن ذي الغصة بن يزيد بن شداد بن قنان بن سلمة بن وهب بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن كعب على ثغر الري ولاه إياه المغيرة بن شعبة إذ كان خليفة معاوية على الكوفة وكان عبد الله بن الحجاج معه فأغار الناس على الديلم فأصاب عبد الله بن الحجاج رجلا منهم فأخذ سلبه فانتزعه منه كثير وأمر بضربه فضرب مائة سوط وحبس فقال عبد الله في ذلك وهو محبوس
(تسائِلُ سلمي عن أبيها صِحابَه ... وقد علِقَتْه من كَثِيرٍ حبائلُ)
(فلا تسألِي عنّي الرفاقَ فإنّه ... بأبهرَ لا غازٍ ولا هو قافِلُ)
- (ألستُ ضربتُ الدَّيلميَّ أمامَهُمْ ... فجدّلتُه فيه سِنانٌ وعامِلُ) - طويل
فمكث في الحبس مدة ثم أخلي سبيله فقال
(سأترك ثغر الري ما كنت واليا ... عليه لأمر غالني وشجاني)
(فإن أنا لم أُدرِكْ بثأري وأثّئِرْ ... فلا تَدْعُنِي للصَّيْدِ من غَطَفَانِ)
(تمنّيتَنِي يا ابنَ الحصينِ سفاهةً ... ومالك بي يا ابنَ الحصين يدان)
- فإنّي زعيمٌ أنْ أجَلِّلَ عاجلاً ... بسيفي كِفاحاً هامةَ ابنِ قَنَانِ) - طويل
قال فلما عزل كثير وقدم الكوفة كمن له عبد الله بن الحجاج في سوق التمارين وذلك في خلافة معاوية وإمارة المغيرة بن شعبة على الكوفة وكان كثير يخرج من منزله إلى القصر ليحدث المغيرة فخرج يوما من داره إلى المغيرة يحدثه فأطال وخرج من عنده ممسيا يريد داره فضربه عبد الله بعمود حديد على وجهه فهتم مقاديم أسنانه كلها وقال في ذلك
(مَنْ مُبْلِغٌ قَيْساً وخِنْدِفَ أنني ... ضربْتُ كَثِيراً مَضْرِبَ الظَّرِبانِ)
(فأقسِمُ لا تَنْفَكُّ ضَرْبَةُ وجهه ... تُذِلُّ وتُخْزِي الدَّهرَ كلَّ يمانِ)
(فإن تَلقنِي تَلْقَ امرأً قد لقيته ... سريعاًإلى الهيجاء غير جبانِ)
((وتَلْقَ امرأً لم تَلْقَ أمُّك بِرَّه ... على سابحٍ غَوْجِ اللَّبان حِصان
(وحولِي مِن قيسٍ وخِنْدِفَ عصبةٌ ... كرامٌ على البأساء والحدثان)
(وإن تَكُ للسِّنْخ الذي غَصَّ بالحصَى ... فإنّي لِقَرْمٍ يا كَثِيرُ هِجَانِ)
- أنا ابنُ بني قيسٍ عليَّ تعطّفَتْ ... بغيضُ بن ريثٍ بعدَ آل دجان) - طويل
وقال في ذلك أيضا عبد الله بن الحجاج
(مَنْ مبلغ قيساً وخِنْدِفَ أنني ... أدركْتُ مَظلِمَتي من ابن شهابِ)
(أدركتُه أجري على محْبُوكةٍ ... سرحِ الجراءِ طويلةِ الأقرابِ)
(جرْداءَ سُرْحوبٍ كأنّ هُوِيَّها ... تعلُو بجُؤْجُئِها هُوِيُّ عُقابِ)
(خُضْتُ الظلامَ وقد بَدَت لي عورةٌ ... منه فأضرِبه على الأنيابِ)
(فتركْتُه يكبُو لِفيهِ وأنفِهِ ... ذَهِلَ الجَنان مضرّجَ الأثوابِ)
(هلا خشِيتَ وأنت عادٍ ظالمٌ ... بقصور أبْهَرَ نُصْرَتي وعقابي)
(إذ تستحِلُّ وكان ذاك محرَّماً ... جَلَدي وتنزِعُ ظالماً أثوابي)
كامل -ما ضرّه والحرُّ يطلب وِتْرَهُ ... بأشمَّ لا رَعِشٍ ولا قَبْقابِ))
انتصار معاوية لعبد الله بن الحجاج
قال فكتب ناس من اليمانية من أهل الكوفة إلى معاوية إن سيدنا ضربه خسيس من غطفان فإن رأيت أن تقيدنا من أسماء بن خارجة فلما قرأ معاوية الكتاب قال ما رأيت كاليوم كتاب قوم أحمق من هؤلاء وحبس عبد الله بن الحجاج وكتب إليهم إن القود ممن لم يجن محظور والجاني محبوس حبسته فليقتص منه المجني عليه فقال كثير بن شهاب لا أستقيدها إلا من سيد مضر فبلغ قوله معاوية فغضب وقال أنا سيد مضر فليستقدها مني وأمن عبد الله بن الحجاج وأطلقه وأبطل ما فعله بابن شهاب فلم يقتص ولا أخذ له عقلا
قال أبو زيد وقال خلاد الأرقط في حديثه إن عبد الله بن الحجاج لما ضربه بالعمود قال له أنا عبد الله بن الحجاج صاحبك بالري وقد قابلتك بما فعلت بي ولم أكن لأكتمك نفسي وأقسم بالله لئن طالبت فيها بقود لأقتلنك فقال له أنا أقتص من مثلك والله لا أرضى بالقصاص إلا من أسماء بن خارجة وتكلمت اليمانية وتحارب الناس بالكوفة فكتب معاوية إلى المغيرة أن أحضر كثيرا وعبد الله بن الحجاج فلا يبرحان من مجلسك حتى يقتص كثير أو يعفو فأحضرهما المغيرة فقال قد عفوت وذلك لخوفه من عبد الله بن الحجاج أن يغتاله قال وقال لي يا أبا الأقيرع والله لا نلتقي أنت ونحن جميعا أهتمان وقد عفوت عنك
ونسخت من كتاب ثعلب عن ابن الأعرابي قال كان لعبد الله بن الحجاج ابنان يقال لأحدهما عوين والثاني جندب فمات جندب وعبد الله حي فدفنه بظهر الكوفة فمر أخوه عوين بحراث إلى جانب قبر جندب
فنهاه أن يقربه بفدانه وحذّره ذلك فلما كان الغد وجده قد حرث جانبه وقد نبشه وأضر به فشد عليه فضربه بالسيف وعقر فدانه وقال
(أقول لحرَّاثَيْ حريمي جنِّبا ... فَدَانَيْكما لا تُحْرثا قبر جندبِ)
- فإنكما إنْ تحرثاه تُشرَّدا ... ويذهبْ فَدَانٌ منكما كلَّ مذهب) - طويل
استعطافه عبد الملك
قال فأخذ عوين فاعتقله السجان فضربه حتى شغله بنفسه ثم هرب فوفد أبوه إلى عبد الملك فاستوهب جرمه فوهبه وأمر بألا يتعقب فقال عبد الله بن الحجاج يذكر ما كان من ابنه عوين
(لَمِثْلُكَ يا عوينُ فَدَتْك نفسِي ... نجا مِن كُرْبَةٍ إن كان ناجي)
(عَرَفْتُك من مُصاصِ السِّنْخِ لما ... تركْتُ ابنَ العُكامِسِ في العَجاج)

قال ولما وفد عبد الله بن الحجاج إلى عبد الملك بسبب ما كان من ابنه عوين مثل بين يديه فأنشده
(يابن أبي العاصي ويا خير فَتَى ... أنت النجيبُ والخِيارُ المصطفى)
(أنت الذي لم تدعِ الأمرَ سُدَى ... حينَ كشفتَ الظُّلُمَاتِ بالهدى)
(ما زلْتَ إن نازٍ على الأمر انتزَى ... قَضَيْته إنَّ القضاء قد مضى)
(كما أذقْتَ ابنِ سعيدٍ إذ عصى ... وابنَ الزبير إذ تسمَّي وطغى)
((وأنت إن عُدَّ قديمٍ وبَنَى ... من عبد شمس في الشماريخ العلَى
(جِيبتْ قريشٌ عنكمُ جَوْبَ الرَّحَى ... هل أنت عاف عن طريدٍ قد غوى)
(أهْوَى على مَهْواةِ بئرٍ فهَوَى ... رَمَى به جُولٌ إلى جُولِ الرَّجا)
(فتجبرِ اليومَ به شيخاً ذوَى ... يعوي مع الذئب إذ الذئبُ عوى)
(وإن أراد النومَ لم يَقْضِ الكرى ... من هَوْلِ ما لاقى وأهوال الردى)
- يشكُر ذاك ما نفَتْ عينٌ قذَى ... نفسي وآبائي لك اليوم الفِدا) - رجز)
فأمر عبد الملك بتحمل ما يلزم ابنه من غرم وعقل وأمنه
ونسخت من كتاب ثعلب عن ابن الأعرابي قال وفد عبد الله بن الحجاج إلى عبد العزيز بن مروان ومدحه فأجزل صلته وأمره بأن يقيم عنده ففعل فلما طال مقامه اشتاق إلى الكوفة وإلى أهله فاستأذن عبد العزيز فلم يأذن له فخرج من عنده غاضبا فكتب عبد العزيز إلى أخيه بشر أن يمنعه عطاءه فمنعه ورجع عبد الله لما أضر به ذلك إلى عبد العزيز وقال يمدحه
(تركت ابنَ ليلى ضَلَّةً وحَريمَه ... وعند ابنِ ليلى معقِلٌ ومُعَوَّلُ)
(ألم يَهْدِني أنَّ المُرَاغَم واسعٌ ... وأنّ الديار بالمقيم تَنَقَّلُ)
((سأحكم أمري إنْ بدا لي رُشْدُه ... وأختارُ أهلَ الخير إن كنتُ أعقل
(وأترك أوطاري وألحق بامرىءٍ ... تَحَلَّبُ كفّاه النَّدى حين يُسْألُ)
(أَبَتْ لك يا عبدَ العزيز مآثرٌ ... وجَريٌ شأَى جريَ الجيادِ وأوّلُ)
(أبي لك إذْ أكْدَوْا وقلَّ عطاؤُهُمْ ... مواهبُ فيّاضٍ ومجدٌ مؤثّلُ)
- أبوك الذي يَنْميك مروانُ للعلى ... وسَعْدُ الفتى بالخال لا مَنْ يُخَوَّل) - طويل)
فقال له عبد العزيز أما إذ عرفت موضع خطئك واعتزمت به فقد صفحت عنك وأمر باطلاق عطائه ووصله وقال له أقم ما شئت عندنا أو انصرف مأذونا لك إذا شئت
ونسخت من كتابه أيضا
كان عمر بن هبيرة بن معية بن سكين قد ظلم عبد الله بن الحجاج حقا له واستعان عليه بقومه فلقوه في بعلبك فعاونوا عبد الله بن الحجاج عليه وفرقوه بالسياط حتى انتزعوا حقه منه فقال عبد الله في ذلك
(ألا أبلِغْ بني سعدٍ رسولاً ... ودونهُم بُسَيْطةُ فالمعاط)
(أميطُوا عنكمُ ضَرْطَ ابن ضرطٍ ... فإنّ الخُبْثَ مِثْلهم يُماط)
((ولي حقٌّ قَرَابَةُ أوّلينا ... قديماً والحقوق لها افتراط
(فما زالت مباسطتي ومَجْدي ... وما زال التهايُط والمِياط)
(وجدّي بالسياط عليك حتّى ... تُركْتَ وفي ذُنابَاكَ انبساط)
(متى ما تعترضْ يوماً لحقّي ... تلاقِكَ دونَه سُعْرٌ سِباط)
(من الحيَّين ثعلبة بن سَعْدٍ ... ومرَّةَ أخذ جمعِهِم اعتباط)
- تراهُمْ في البيوت وهُمْ كسالى ... وفي الهيجا إذا هِيجوا نشاط) - وافر)
والقصيدة التي فيها الغناء بذكر أمر عبد الله بن الحجاج أولها
(نَأتْكَ ولم تخشَ الفِراقَ جَنوبُ ... وشطَّتْ نَوًى بالضاعنين شَعُوب)
(طَرِبْتَ إلى الحيِّ الذين تحمَّلوا ... بِبُرْقَة أحوازٍ وأنت طروب)
(فظَلْتُ كأنّي ساوَرَتْني مُدامةٌ ... تمنى بها شَكْسُ الطِّباع أريب)
(تُمِرُّ وتستحلي على ذاك شَرْبُها ... لوجه أخيها في الإناء قُطوبُ)
(كُمَيْتٌ إذا صُبَّتْ وفي الكأس وردةٌ ... لها في عظام الشاربين دبيب)
(تَذَكَّرْتُ ذِكرَى من جنوبَ مصيبةً ... ومالك من ذكرى جنوبَ نصيبُ)
(وأنّى ترجِّي الوصلَ منها وقد نأتْ ... وتبخلُ بالموجود وهْيَ قريبُ)
(فما فوقَ وَجْدي إذ نأتْ وَجْدُ واجدٍ ... من النّاس لو كانت بذاك تثيب)
((برَهْرَهَةٌ خَوْدٌ كأنَّ ثيابها ... على الشَّمس تبدو تارةً وتغيب
وهي قصيدة طويلة
الحجاج يحرض عبد الملك عليه
ونسخت من كتاب ثعلب عن ابن الأعرابي قال كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يعرفه آثار عبد الله بن الحجاج وبلاءه من محاربته وأنه بلغه أنه أمنه ويحرضه ويسأله أن يوفده إليه ليتولى قتله وبلغ ذلك عبد الله بن الحجاج فجاء حتى وقف بين يدي عبد الملك ثم أنشده
(أعوذُ بثوبَيْك اللَّذَيْنِ ارتداهما ... كريمُ الثَّنا من جَيْبه المِسْكُ ينفحُ)
- فإن كنتُ مأكولاً فكن أنتَ آكلي ... وإن كنتُ مذبوحاً فكن أنتَ تذبحُ) - طويل)
فقال عبد الملك ما صنعت شيئا فقال عبد الله
(لأنتَ وخيرُ الظّافرين كرامُهُمْ ... عن المُذْنِبِ الخاشي العقابَ صَفُوحُ)
(ولو زَلِقَتْ من قَبْلِ عفوك نعلُه ... ترامى به دَحْضُ المَقَامِ بَرِيحُ)
(نمى بك إن خانت رجالاً عُرُوقهمْ ... أُرومٌ ودِينٌ لم يَخُنْكَ صحيح)
(وعَرْفٌ سرَى لم يَسْرِ في الناس مثلُه ... وشأْوٌ على شأو الرجال مَتوح)
(تداركَني عفوُ ابن مروانَ بعدما ... جرَى لي من بعد الحياة سنيح)

طويل -رفعتُ مريحاً ناظريَّ ولم أَكَدْ ... من الهمِّ والكَرْب الشديد أريح))
فكتب عبد الملك إلى الحجاج إني قد عرفت من خبث عبد الله وفسقه ما لا يزيدني علما به إلا أنه اغتفلني متنكرا فدخل داري وتحرم بطعامي واستكساني فكسوته ثوبا من ثيابي وأعاذني فأعذته وفي دون هذا ما حظر علي دمه وعبد الله أقل وأذل من أن يوقع أمرا أو ينكث عهدا في قتله خوفا من شره فإن شكر النعمة وأقام على الطاعة فلا سبيل عليه وإن كفر ما أوتي وشاق الله ورسوله وأولياءه فالله قاتله بسيف البغي الذي قتل به نظراؤه ومن هو أشد بأسا وشكيمة منه من الملحدين فلا تعرض له ولا لأحد من أهل بيته إلا بخير والسلام
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني قال كانت في القريتين بركة من ماء وكان بها رجل من كلب يقال له دعكنة لا يدخل البركة معه أحد إلا غطّه حتى يغلبه فغط يوما فيها رجلا من قيس بحضرة الوليد بن عبد الملك حتى خرج هاربا فقال ابن هبيرة وهو جالس عليها يومئذ اللهم اصبب علينا أبا الأقيرع عبد الله بن الحجاج فكان أول رجل انحدرت به راحلته فأناخها ونزل فقال ابن هبيرة للوليد هذا أبو الأقيرع والله يا أمير المؤمنين أيهما أخزى الله صاحبه به فأمره الوليد أن ينحط عليه في البركة والكلبي فيها واقف متعرض للناس وقد صدوا عنه فقال له يا أمير المؤمنين إني أخاف أن يقتلني فلا يرضى قومي إلا بقتله أو أقتله فلا ترضى قومه إلا بمثل ذلك وأنا رجل بدوي ولست بصاحب مال فقال دعكنة يا أمير المؤمنين هو في حل وأنا في حل فقال له الوليد دونك فتكأكأ ساعة كالكارة حتى عزم عليه الوليد فدخل البركة فاعتنق الكلبي وهوى به إلى قعرها ولزمه حتى وجد الموت ثم خلى عنه فلما علا غطه غطة ثانيه وقام عليه ثم أطلقه حتى تروح ثم أعاده وأمسكه حتى مات وخرج ابن الحجاج وبقي الكلبي فغضب الوليد وهم به فكلمه يزيد وقال أنت أكرهته أفكان يمكن الكلبي من نفسه حتى يقتله فكف عنه فقال عبد الله بن الحجاج في ذلك
(نجَّاني اللَّهُ فَرْداً لا شريكَ له ... بالقريتين ونفسٌ صُلْبَةُ العود)
(وذِمَّةٌ مِن يزيدٍ حالَ جانِبها ... دوني فأنجيتُ عفواً غيرَ مجهود)
- لولا الإلهُ وصبري في مغاطستِي ... كان السليمَ وكنت الهالكَ المُودِي) - بسيط)
صوت
(يا حَبَّذا عملُ الشيطان من عملٍ ... إنْ كان من عمل الشيطان حُبِّيها)
- لَنظرةٌ من سليمى اليومَ واحدةٌ ... وأشهَى إليَّ من الدُّنيا وما فيها) - بسيط)
الشعر لناهض بن ثومة الكلابي أنشدنيه هاشم بن محمد الخزاعي قال أنشدنا الرياشي قال أنشدنا ناهض بن ثومة أبو العطاف الكلابي هذين البيتين لنفسه وأخبرني بمثل ذلك عمي عن الكراني عن الرياشي والغناء لأبي العبيس بن حمدون ثقيل أول ينشد بالوسطى
أخبار ناهض بن ثومة ونسبه
هو ناهض بن ثومة بن نصيح بن نهيك بن إمام بن جهضم بن شهاب بن أنس بن ربيعة بن كعب بن بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة شاعر بدوي فارس فصيح من الشعراء في الدولة العباسية وكان يقدم البصرة فيكتب عنه شعره وتؤخذ عنه اللغة روى عنه الرياشي وأبو سراقة ودماذ وغيرهم من رواة البصرة وكان يهجوه رجل من بني الحارث بن كعب يقال له نافع بن أشعر الحارثي فأثرى عليه ناهض فمما قاله في جواب قصيدة هجا بها قبائل قيس قصيدة ناهض التي أولها
(ألا يا اسلما يأيُّها الطَّلَلاَنِ ... وهلْ سالمٌ باقٍ على الحَدَثانِ)
(أبِيْنا لنا حُيِّيتُما اليومَ إننا ... مبينان عن مَيْلٍ بما تَسَلانِ)
(متى العهدُ مِنْ سلمى التي بَتَّت القوى ... وأسماءَ إن العهد منذ زمان)
(ولا زال ينهلُّ الغمامُ عليكما ... سبيلَ الرُّبَى من وابلٍ ودِجانِ)
(فإنْ أنتما بيَّنتما أو أجبْتما ... فلا زلتما بالنبْتِ ترتديان)
(وجرَّ الحريرُ والفِرِنْدُ عليكما ... بأذيالِ رَخْصَاتِ الأكُفِّ هِجان)
((نظرْتُ ودوني قِيدُ رُمْحَيْن نظرةً ... بعينين إنساناهما غَرِقان
(إلى ظُعُنٍ بالعاقِرَيْن كأنّها ... قرائنُ من دوحِ الكثيبِ ثمانِ)
(لسلمى وأسماءَ اللتين أكنَّتا ... بقلبي كَنِينَيْ لوعةٍ وضمان)
(عسى يُعقِبُ الهجرُ الطويل تدانيا ... ويا ربَّ هجرٍ مُعْقِبٍ بتداني)
(خليليَّ قد أكثرْتما اللومَ فاربَعا ... كَفَانِيَ ما بي لو تُركْتُ كفاني)
(إذا لم تصلْ سلمى وأسماءُ في الصِّبا ... بحبليهما حَبْلي فَمَنْ تَصِلانِ)
(فَدَعْ ذا ولكن قد عجبْتُ لنافع ... ومَعواه مِن نَجرانَ حيث عواني)
(عوى أسداً لا يزدهيه عِواؤه ... مقيماً بِلَوْذَيْ يَذْبُلٍ ودِقان)
(لعمري لقد قال ابنُ أشعرَ نافعٌ ... مقالةَ مَوطُوءِ الحريم مهان)
((أيزعم أنّ العامريَّ لفعله ... يعاقِبةٍ يُرْمَى به الرَّجوان
(ويذكر إنْ لاقاه زلَّةَ نعلِه ... فجىءُ للذي لم يستبِنْ ببيان)
(كذبتَ ولكن بابن علبةَ جعفرٍ ... فدَع ما تمنّى زَلَّتِ القَدَمان)
(أُصِيْبَ فلم يُعْقَلْ وطُلّ فلم يُقَدْ ... فذاك الذي يَخزَى به الأبَوان)
(وحُقَّ لمن كان ابنُ أشعر ثائِراً ... به الطَّلُّ حتَّى يحشر الثَّقَلانِ)
(ذليلٌ ذليلُ الرهط أعمَى يسومُه ... بنو عامرٍ ضَيْماً بكل مكان)
(فلم يَبْقَ إلاّ قوله بلسانه ... وما ضَرَّ قولٌ كاذبٌ بلسانِ)
(هجا نافعٌ كعباً ليدرك وتْرَه ... ولم يَهْجُ كعبٌ نافعاً لأوان)
(ولم تَعْفُ من آثار كعبٍ بوجهه ... قوارعُ منها وُضَّحٌ وقوان)
(وقد خضَّبوا وجهَ ابن علبةَ جعفرٍ ... خضابَ نجيعٍ لا خضابَ دِهان)
(فلم يَهْجُ كعباً نافعٌ بعد ضربةٍ ... بسيفٍ ولم يَطْعَنْهم بِسِنان)
(فما لك مَهْجًى يا ابن أشعر فاكتعِمْ ... على حَجَرٍ واصبر لكل هوان)

(إذا المرء لم ينهض فيثأرْ بعمِّه ... فليس يُجَلَّى العارُ بالهَذَيان)
(أبي قيسُ عيلانٍ وعمِّي خِنْدِفٌ ... ذَوا البَذْخ عند الفخر والخَطَران)
(إذا ما تجمَّعْنا وسارتْ حِذاءنا ... ربيعة لم يُعدَلْ بنا أخوانِ)
(أليس نبيُّ اللّه منّا محمدٌ ... وحمزةُ والعباسُ والعمرانِ)
((ومنا ابنُ عباسٍ ومنا ابن عمِّه ... عليٌّ إمامُ الحق والحَسَنانِ
(وعثمان والصِّدِّيقُ مناوإننا ... لنعلم أنَّ الحقَّ ما يَعدان)
- ومنا بنو العباس فضلاً فمن لكُمْ ... هَلُمُّوه أوْلا يَنْطِقَنَّ يمان) - طويل)
قال فأنشد ناهض هذه االقصيدة أيوب بن سليمان بن علي بالبصرة وعنده خال له من الأنصار فلما ختمها بهذا البيت قال الأنصاري أخرسنا أخرسه الله وكان جده نصيح شاعرا وهو الذي يقول
(ألا مَن لقلبٍ في الحِجاز قسيمُه ... ومنه بأكناف الحجاز قسيمُ)
(معاود شكوى أنْ نأتْ أمُّ سالِمٍ ... كما يَشْتكي جُنحَ الظلامِ سليم)
(سليمٌ لِصِلٍّ أسلَمَتْهُ لما بِهِ ... رُقىً قلَّ عنه دَفْعُها وتميمُ)
(فلم تَرِمِ الدارَ البُرَيْصاءَ فالصفا ... صفاها فخَلاَّها فأين تريمُ)
(وقفْتُ عليها بازلاً ناهِجيَّةً ... إذا لم أزُعْها بالزمامِ تَعُومِ)
- كنازاً من الاتي كأنَّ عِظامها ... جُيرْنَ على كسرٍ فَهُنَّ عثوم) - طويل)
الفضل بن العباس يتحدث في بداوة ناهض
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثني الفضل بن العباس الهاشمي من ولد قثم بن جعفر بن سليمان
عن أبيه قال
كان ناهض بن ثومة الكلابي يفد على جدي قثم فيمدحه ويصله جدي وغيره وكان بدويا جافيا كأنه من الوحش وكان طيب الحديث فحدثه يوما أنهم انتجعوا ناحية الشام فقصد صديقا له من ولد خالد بن يزيد بن معاوية كان ينزل حلب فإذا نزل نواحيها أتاه فمدحه وكان برا به قال فمررت بقرية يقال لها قرية بكر بن عبد الله الهلالي فرأيت دورا متباينة وخصاصا قد ضم بعضها إلى بعض وإذا بها ناس كثير مقبلون ومدبرون عليهم ثياب تحكي ألوان الزهر فقلت في نفسي هذا أحد العيدين الأضحى أو الفطر ثم ثاب إلي ما عزب عن عقلي فقلت خرجت من أهلي في بادية البصرة في صفر وقد مضى العيدان قبل ذلك فما هذا الذي أرى فبينا أنا واقف متعجب أتاني رجل فأخذ بيدي فأدخلني دارا قوراء وأدخلني منها بيتا قد نجد في وجهه فرش ومهدت وعليها شاب ينال فروع شعره منكبيه والناس حوله سماطان فقلت في نفسي هذا الأمير الذي حكي لنا جلوسه على الناس وجلوس الناس بين يديه فقلت وأنا ماثل بين يديه السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته فجذب رجل يدي وقال اجلس فإن هذا ليس بأمير قلت فما هو قال عروس فقلت واثكل أماه لرب عروس رأيته بالبادية أهون على أهله من هن أمه فلم أنشب أن دخل رجال يحملون هنات مدورات أما ما خف منها فيحمل حملا وأما ما كبر وثقل فيدحرج فوضع ذلك أمامنا وتحلق القوم عليه حلقا ثم أتينا بخرق بيض فألقيت بين أيدينا فظننتها ثيابا وهممت أن أسأل القوم منها خرقا أقطعها قميصا وذلك أني رأيت نسجا متلاحما لا يبين له سدى ولا لحمة فلما بسطه القوم بين أيديهم إذا هو يتمزق سريعا وإذا هو فيما زعموا صنف من الخبز لا أعرفه ثم أتينا بطعام كثير بين حلو وحامض وحار وبارد فأكثرت منه وأنا لا أعلم ما في عقبه من التخم والبشم ثم أتينا بشراب أحمر في عساس فقلت لا حاجة لي فيه فإني أخاف أن يقتلني وكان إلى جانبي رجل ناصح لي أحسن الله جزاءه فإنه كان ينصح لي من بين أهل المجلس فقال يا أعرابي إنك قد أكثرت من الطعام وإن شربت الماء همى بطنك فلما ذكر البطن تذكرت شيئا أوصاني به أبي والأشياخ من أهلي قالوا لا تزال حيا ما كان بطنك شديدا فإذا اختلف فأوص فشربت من ذلك الشراب لأتداوى به وجعلت أكثر منه فلا أمل شربه فتداخلني من ذلك صلف لا أعرفه من نفسي وبكاء لا أعرف سببه ولا عهد لي بمثله واقتدار على أمري أظن معه أني لو أردت نيل السقف لبلغته ولو ساورت الأسد لقتلته وجعلت ألتفت إلى الرجل الناصح لي فتحدثني نفسي بهتم أسنانه وهشم أنفه وأهم أحيانا أن أقول له يا بن الزانية فبينا نحن كذلك إذ هجم علينا شياطين أربعة أحدهم قد علق في عنقه جعبة فارسية مشنجة الطرفين دقيقة الوسط مشبوحة بالخيوط شبحا منكرا ثم بدر الثاني فاستخرج من كمه
هنة سوداء كفيشلة الحمار فوضعها في فيه وضرط ضراطا لم أسمع وبيت الله أعجب منه فاستتم بها أمرهم ثم حرك أصابعه على أجحرة فيها فأخرج منها أصواتا ليس كما بدأ تشبه بالضراط ولكنه أتى منها لما حرك أصابعه بصوت عجيب متلائم متشاكل بعضه لبعض كأنه علم الله ينطق ثم بدا ثالث كز مقيت عليه قميص وسخ معه مرآتان فجعل يصفق بيديه إحداهما على الأخرى فخالطتا بصوتهما ما يفعله الرجلان ثم بدا رابع عليه قميص مصون وسراويل مصونة وخفان أجذمان لا ساق لواحد منهما فجعل يقفز كأنه يثب على ظهور العقارب ثم التبط به على الأرض فقلت معتوه ورب الكعبة ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القوم عندي ورأيت القوم يحذفونه بالدراهم حذفا منكرا ثم أرسل النساء إلينا أن أمتعونا من لهوكم هذا فبعثوا بهم وجعلنا نسمع أصواتهن من بعد وكان معنا في البيت شاب لا آبه له فعلت الأصوات بالثناء عليه والدعاء فخرج فجاء بخشبة عيناها في صدرها فيها خيوط أربعة فاستخرج من خلالها عودا فوضعه خلف أذنه ثم عرك آذانها وحركها بخشبة في يده فنطقت ورب الكعبة وإذا هي أحسن قينة رأيتها قط وغنى عليها فأطربني حتى استخفني من مجلسي فوثبت فجلست بين يديه وقلت بأبي أنت وأمي ما هذه الدابة فلست أعرفها للأعراب وما أراها خلقت إلا قريبا فقال هذا
البربط فقلت بأبي أنت وأمي فما هذا الخيط الأسفل قال الزير قلت فالذي يليه قال المثنى قلت فالثالث قال المثلث قلت فالأعلى قال البم قلت آمنت بالله أولا وبك ثانيا وبالبربط ثالثا وبالبم رابعا
قال فضحك أبي والله حتى سقط وجعل ناهض يعجب من ضحكه ثم كان بعد ذلك يستعيده هذا الحديث ويطرف به إخوانه فيعيده ويضحكون منه
وقد أخبرني بهذ الخبر أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا علي بن محمد النوفلي عن أبيه قال كان محمد بن خالد بن يزيد بن معاوية بحلب فأتاه أعرابي فقال له حدث أبا عبد الله يعني الهيثم بن النخعي بما رأيت في حاضر المسلمين فحدثه بنحو من هذا الحديث ولم يسم الأعرابي باسمه وما أجدره بأن يكون لم يعرفه باسمه ونسبه أو لم يعرفه الذي

حدث به النوفلي عنه
الكعبي يستعدي قومه على من عقر إبله
نسخت من كتاب لعلي بن محمد الكوفي فيه شعر ناهض بن ثومة قال كان رجل من بني كعب قد تزوج امرأة من بني كلاب فنزل فيهم ثم أنكر منها بعض ما ينكره الرجل من زوجته فطلقها وأقام بموضعه في بني كلاب وكانوا لا يزالون يستحفون به ويظلمونه وإن رجلا منهم أورد إبله الماء
فوردت إبل الكعبي عليها فزاحمته لكنها ألفته على ظهره فتكشف فقام مغضباً بسيفه إلى إبل الكعبي فعقر منها عدة وجلاها عن الحوض ومضى الكعبي مستصرخا بني كلاب على الرجل فلم يصرخوه فساق باقي إبله واحتمل بأهله حتى رجع إلى عشيرته فشكا ما لقي من القوم واستصرخهم فغضبوا له وركبوا معه حتى أتوا حلة بني كلاب فاستاقوا إبل الرجل الذي عقر لصاحبهم ومضى الرجل فجمع عشيرته وتداعت هي وكعب للقتال فتحاربوا في ذلك حربا شديدا وتمادى الشر بينهم حتى تساعى حلماؤهم في القضية فأصلحوها على أن يعقل القتلى والجرحى وترد الإبل وترسل من العاقر عدة الإبل التي عقرها للكعبي فتراضوا بذلك واصطلحوا وعادوا إلى الإلفة فقال في ذلك ناهض بن ثومة
(أمِنْ طَلَلٍ بأخطب أبَّدَتْه ... نِجاءُ الوَبْل والدِّيَمُ النِّضاحُ)
(ومرُّ الدهرِ يوماً بعد يوم ... فما أبقى المساءُ ولا الصباح)
(فكل محلَّة غنِيَتْ بسلمى ... لِرَيْدات الرياح بها نُواح)
((تَظَلُّ على الجفون الحُزْنَ حتى ... دموعُ العين ناكزةٌ نزاح
وهي طويلة يقول فيها
(هنيئاً للعدَى سخطٌ وزَعْمٌ ... وللفَرْعَيْن بينهما اصطلاحُ)
(وللعين الرقادُ فقد أطالت ... مساهرةً وللقلب انتجاحُ)
(وقد قال العُداةُ نرى كلاباً ... وكعباً بين صلحهما افتتاحُ)
(تداعَوْا للسَّلام وأمرِ نُجْحٍ ... وخيرُ الأمرِ ما فيه النجاح)
(ومدُّوا بينهم بحبال مَجْدٍ ... وثديٍ لا أجَدُّ ولا ضَيَاح)
(ألم تَرَ أنَّ جمع القوم يُخشى ... وأنَّ حَريم واحدهمْ مباح)
(وأن القِدْحَ حين يكون فرداً ... فيُصْهر لا يكون له اقتداح)
(وإنك إن قبضْتَ بها جميعاً ... أبَتْ ما سُمْتَ واحدَها القِداح)
(أنا الخَطَّارُ دون بني كلابٍ ... وكعبٍ إنْ أتيح لهمْ مُتاحُ)
(أنا الحامي لهمْ ولكل قَرْمٍ ... أخٌ حامٍ إذا جدَّ النِّضَاحُ)
(أنا الليثُ الذي لا يزدهيه ... عُواءُ العاويات ولا النُّبَاح)
(سلِ الشعراءَ عني هل أقَرَّتْ ... بقلبي أو عَفَتْ لهمُ الجراح)
(فما لكواهلِ الشُّعراءِ بُدٌّ ... من القَتَب الذي فيه لَحَاح)
- (ومن تَوْريكِ راكبِهِ عليهمْ ... وإن كرهوا الركوب وإنْ ألاحوا) - وافر
شعره في وقعة بين بني نمير وكلاب
ونسخت من هذا الكتاب الذي فيه شعره أن وقعة كانت بين بني نمير وبني كلاب بنواحي ديار مضر وكانت لكلاب على بني نمير وأن نميرا استغاثت ببني تميم ولجأت إلى مالك بن زيد سيد تميم يومئذ بديار مضر فمنع تميما من إنجادهم وقال ما كنا لنلقي بين قيس وخندف دماء نحن عنها أغنياء وأنتم وهم لنا أهل وإخوة فإن سعيتم في صلح عاونا وإن كانت حمالة أعنا فأما الدماء فلا مدخل لنا بينكم فيها فقال ناهض بن ثومة في ذلك
(سلامُ اللّه يا مالِ بنَ زيد ... عليك وخيرُ ما أُهْدِي السلاما)
(تعلم أيُّنا لكُمُ صديقٌ ... فلا تستعجلوا فينا الملاما)
(ولكنَّا وحيُّ بني تميم ... عداةٌ لا نرى أبداً سلاما)
(وإن كنا تَكافَفْنا قليلاً ... كحرف السَّيفِ ينهار انهداما)
(وهَيْضُ العظم يُصبح ذا انصداعٍ ... وقد ظَنَّ الجهول بهِ التئاما)
(فلن ننسى الشبابَ المُرْدَ منَّا ... ولا الشِّيبَ الجحاجحَ والكِراما)
(ونَوْحَ نوائحٍ منَّا ومنهمْ ... مآتِم ما تجفّ لهمْ سِجاما)
(فكيف يكون صلحٌ بعد هذا ... يرجِّي الجاهلون لهم تِماما)
((ألا قل للقبائل من تميمٍ ... وخُصَّ لمالِكٍ فيها الكلاما
(فزيدُوا يا بني زيدٍ نمُيراً ... هَوانا إنه يُدْنِي الفِطاما)
(ولا تُبقوا على الأعداءِ شيئاً ... أعزَّ اللَّهُ نَصْرَكُمُ وداما)
(وجدتُ المجدَ في حَيَّيْ تميمٍ ... ورَهْطِ الهَذْلَق المُوفي الذِّماما)
(نجوم القومِ مازالوا هُداةً ... وما زَالُوا لآبيهم زماما)
(همُ الرأسُ المقدَّم من تميمٍ ... وغاربُها وأوفاها سَناما)
(إذا ما غاب نجْمٌ آب نجمٌ ... أغرُّ ترى لطلعتِه ابتساما)
(فهذي لابنِ ثُومَةَ فانسبُوها ... إليه لا اختِفاءَ ولا اكتتاما)
(وإن رَغِمَتْ لذاك بنو نُمَيْرٍ ... فلا زالتْ أنُوفُهُمُ رغاما)
قال يعني بالهذلق الهذلق بن بشير أخا بني عتيبة بن الحارث بن شهاب وابنيه علقمة وصباحا
قال وكانت بنو كعب قد اعتزلت الفريقين فلم تصب كلابا ولا نميرا فلما ظفرت كلاب قال لهم ناهض
(ألا هل أتى كعباً على نَأْي دارهمْ ... وخُذْلانهمْ أنَّا سَرَرْنا بني كَعْبِ)
(بما لَقِيَتْ منا نميرٌ وجمعُها ... غَداةَ أتيْنا في كتائبنا الغُلْبِ)
(فيا لكَ يوماً بالحمى لا نرى له ... شبيهاً وما في شَيْبانَ من عَتْبِ)
((أقامتْ نمير بالحمى غير رغبة ... فكانَ الذي نالتْ نميرٌ من النَّهْب
(رؤوسٌ وأوصالٌ يزايل بينها ... سباعٌ تدلَّت من أبانَيْن والهضْب)

(لنا وَقَعاتٌ في نميرٍ تتابعتْ ... بضيْمٍ على ضَيْمٍ ونَكْبٍ على نَكْبِ)
(وقد علِمتْ قيسُ بنُ عيلان كلُّها ... وللحرب أبناءٌ بأنَّا بنو الحَرْبِ)
(ألم تَرَهُمْ طُرًّا علينا تحزَّبوا ... وليس لنا إلا الرُّدَيْنيُّ من حزْبِ)
(وإنا لنقتادُ الجِيادَ على الوَجَى ... لأعدائنا مَن لا مُدانٌ ولا صَقْبُ)
- ففي أيِّ فجٍّ ما رَكَزْنا رماحَنا ... مَخُوْفٍ بِنصْبٍ للعِدا حين لا نَصْب) - طويل)
أخبرنا جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب قال حدثني أبو هفان قال حدثني غرير بن ناهض بن ثومة الكلابي قال كان شاعر من نمير يقال له رأس الكبش قد هاجى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير زمانا وتناقضا الشعر بينهما مدة فلما وقعت الحرب بيننا وبين بني نمير قال عمارة يحرض كعبا وكلابا ابني ربيعة على بني نمير في هذه الحرب التي كانت بينهم فقال
(رأيتكما يابنَيْ ربيعةَ خُرْتُما ... وعَوَّلْتُما والحربُ ذات هرير)
((وصَدَّقْتُما قول الفرزدق فيكما ... وكذَّبْتما بالأمس قول جرير
(فإنْ أنتما لم تَقْدَعا الخيلَ بالقنا ... فِصيرا مع الأنباط حيث تصير)
- تسومكما بغْياً نميرٌ هضيمةً ... ستُنجدُ أخبارٌ بهمْ وتغور) - طويل)
قال فارتحلت كلاب حين أتاها هذا الشعر حتى أتوا نميرا وهم في هضبات يقال لهن واردات فقتلوا واجتاحوا وفضحوا نميرا ثم انصرفوا فقال ناهض بن ثومة يجيب عمارة عن قوله
(وَيحْضُضنا عُمارةُ في نمير ... لِيَشْغَلَهُمْ بنا وبه أرابوا)
(ويزعمُ أننا خرْنا وأنّا ... لهم جارُ المقربّة المصابُ)
(سلَوا عنا نميراً هل وَقَعْنا ... بنزوتها التي كانت تُهاب)
(ألم تخضعْ لهم أسدٌ ودانت ... لهم سَعْدٌ وضَبَّةُ والرباب)
(ونحن نكُرُّها شُعْثاً عليهمْ ... عليها الشِّيبُ منا والشباب)
(رَغِبْنا عن دماء بني قُرَيع ... إلى القَلْعَينْ إنهما اللُّبابُ)
(صبحْنَاهُمْ بأرعنَ مكفهرٍّ ... يدفّ كأنَّ رايتَه العُقَاب)
((أجشَّ من الصواهل ذي دويٍّ ... تلوح البِيضُ فيه والحِراب
(فأشْعَلَ حين حلَّ بواردات ... وثار لنقعه ثَمَّ انصبابُ)
(صَبَحْناهُمْ بها شعْثَ النواصي ... ولم يُفْتَق من الصبحِ الحجابُ)
- فلم تُغمَدْ سيوفُ الهندِ حتى ... تعيلّتِ الحليلةُ والكَعاب) - وافر)
صوت
(أعرَفْتَ من سلمى رسومَ ديارِ ... بالشَّطِّ بين مُخَفِّقٍ وصَحار)
(وكأنما أثرُ النِّعاج بجوِّها ... بمدافع الرَّكَبيْن وَدْعُ جواري)
(وسألْتُها عن أهلها فوجدتُها ... عمياءَ جاهلةً عن الأخبار)
- فكأنَّ عيني غَرْبُ أدهمَ داجنٍ ... متعوِّد الإقبال والإدبار) - كامل)
الشعر للمخبل السعدي والغناء لإبراهيم هزج بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق قال الهشامي فيه لإبراهيم ثقيل أول ولعنان بنت خوط خفيف رمل

أخبار المخبل ونسبه

قال ابن الكلبي اسمه الربيع بن ربيعة وقال ابن دأب اسمه كعب ابن ربيعة وقال ابن حبيب وأبو عمرو اسمه ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال بن أنف الناقة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم شاعر فحل من مخضرمي الجاهلية والإسلام ويكنى أبا يزيد وإياه عني الفرزدق بقوله
(وَهَبَ القصائدَ لي النَّوابغُ إذ مَضَوْا ... وأبو يزيدَ وذو القُروحِ وجَرْوَلُ)
ذو القروح امرؤ القيس وجرول الحطيئة وأبو يزيد المخبل وذكره ابن سلام فجعله في الطبقة الخامسة من فحول الشعراء وقرنه بخداش بن زهير والأسود بن يعفر وتميم بن مقبل وهو من المقلين وعمر في الجاهلية والإسلام عمرا كثيرا وأحسبه مات في خلافة عمر أو عثمان رضي الله عنهما وهو شيخ كبير وكان له ابن فهاجر إلى الكوفة في أيام عمر فجزع عليه جزعا شديدا حتى بلغ خبره عمر فرده عليه

هجره ولده وجزعه عليه

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه وأخبرني به هاشم بن محمد الخزاعي عن أبي غسان دماذ عن ابن الأعرابي قال هاجر شيبان بن المخبل السعدي وخرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب الفرس فجزع عليه المخبل جزعا شديدا وكان قد أسن وضعف فافتقر إلى ابنه فافتقده فلم يملك الصبر عنه فكاد أن يغلب على عقله فعمد إلى إبله وسائر ماله فعرضه ليبيعه ويلحق بابنه وكان به ضنينا فمنعه علقمة بن هوذة بن مالك وأعطاه مالا وفرسا وقال أنا أكلم أمير المؤمنين عمر في رد ابنك فإن فعل غنمت مالك وأقمت في قومك وإن أبى استنفقت ما أعطيتك ولحقت به وخلفت إبلك لعيالك ثم مضى إلى عمر رضوان الله عليه فأخبره خبر المخبل وجزعه على ابنه وأنشده قوله
(أيُهْلِكُني شيبانُ في كلِّ ليلة ... لقلبيَ من خوف الفِراق وَجِيبُ)
(أشيبانُ ما أدراك أنْ كلُّ ليلة ... غَبَقْتُكَ فيها والغَبوق حبيبُ)
(غَبَقْتُك عُظْماها سناماً أو انبرى ... برزقك بَرَّاق المُتون أريبُ)
(أشيبانُ إن تأبى الجيوش بحدِّهمْ ... يقاسون أياماً لهنَّ خطوب)
(ولا هَمَّ إلا البَزُّ أو كلُّ سابح ... عليه فتىً شاكي السلاح نجيبُ)
(يَذُودُون جُند الهُرْمُزَانِ كأنّما ... يذودون أوراد الكلاب تلوب)
((فإن يكُ غُصْني أصبحَ اليوم ذاوياً ... وغُصْنُكَ من ماءِ الشباب رطيبُ
(فإنّي حَنَتْ ظهري خطوبٌ تتابعت ... فَمَشْيي ضعيفٌ في الرجال دبيبُ)
(إذا قال صَحْبي يا ربيعُ ألا ترى ... أرى الشخص كالشخْصين وهو قريب)

(ويخبرني شيبانُ أنْ لن يعقَّني ... تَعُقُّ إذا فارقْتَني وتحوب)
- فلا تُدْخِلَنَّ الدهرَ قبرَك حوبة ... يقوم بها يوماً عليك حسيب) - طويل)
يعني بقوله حسيب الله عز ذكره
قال فلما أنشد عمر بن الخطاب هذه الأبيات بكي ورق له فكتب إلى سعد يأمره أن يقفل شيبان بن المخبل ويرده على أبيه فلما ورد الكتاب عليه أعلم شيبان ورده فسأله الإغضاء عنه وقال لا تحرمني الجهاد فقال له أنها عزمة من عمر ولا خير لك في عصيانه وعقوق شيخك فانصرف إليه ولم يزل عنده حتى مات
وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبيد الله بن عمار والجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة أن شيبان بن المخبل كان يرعى إبل أبيه فلا يزال أبوه يقول أحسن رعية إبلك يا بني فيقول أراحني الله من رعية إبلك ثم فارق أباه وغزا مع أبي موسى وانحدر إلى البصرة وشهد فتح تستر
فقال فذكر أبوه الأبيات وزاد فيها قوله
- إذا قلتُ ترعى قال سوف تريحني ... من الرَّعي مِذْعانُ العشي خَبُوب) - طويل)
قال أبو يزيد وحدثناه عتاب بن زياد قال حدثنا ابن المبارك قال حدثنا مسعود عن معن بن عبد الرحمن فذكر نحوه ولم يقل شيبان بن المخبل ولكنه قال انطلق رجل إلى الشام وذكر القصة والشعر
الزبرقان يرفض تزويج اخته للمخبل
أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله عن ابن حبيب قال خطب المخبل السعدي إلى الزبرقان بن بدر أخته خليدة فمنعه إياها ورده لشيء كان في عقله وزوجها رجلا من بني جشم بن عوف يقال له مالك بن أمية بن عبد القيس من بني محارب فقتل رجلا من بني نهشل يقال له الجلاس بن مخربة بن جندل بن جابر بن نهشل اغتيالا ولم يعلم به أحد ففقد ولم يعلم له خبر فبينما جار الزبرقان الذي من عبد القيس قاتل الجلاس ليلة يتحدث إذ غلط فحدث هزالا بقتله الرجل وذلك قبل أن يتزوج هزال إلى الزبرقان فأتى هزال عبد عمرو بن ضمرة بن جابر بن نهشل فأخبره فدعا هزال قاتل الجلاس فأخرجه عن البيوت ثم اعتوره هو وعبد عمرو فضرباه حتى قتلاه ورجع هزال إلى الحي وضرب عبد عمرو حتى لجأ إلى أخواله بني عطارد بن عوف فقالت امرأة مالك بن أمية المقتول
(أجيرانَ ابن ميَّةَ خبِّروني ... أعَيْنٌ لابن ميّةَ أم ضِمارُ)
- (تجلّل خزيَها عوفُ بنُ كعب ... فليس لنسلِهمْ منها اعتذارُ) - وافر)
قال فلما زوج الزبرقان أخته خليدة هزالا بعد قتله جاره عيب عليه وعير به وهجاه المخبل فقال
(لَعَمْرُكَ إنَّ الزِّبرقانَ لدَائِمٌ ... على الناس تعدو نَوْكُه ومَجاهِلُهْ)
(أأنْكَحْتَ هَزَّالا خُلَيْدةَ بعدما ... زَعَمْتَ بظهر الغيب أنكَ قاتلُهْ)
(فأنكحْته رَهْواً كأنَّ عِجَانها ... مَشَقٌّ إهابٍ أوْسَعَ السَّلْخَ ناجِلُهْ)
- يلاعبها فوق الفراش وجارُكُمْ ... بذي شُبُرُمَانٍ لم تَزَيَّلْ مفاصِلُهْ) - طويل)
قال ولج الهجاء بين المخبل والزبرقان حتى تواقفا للمهاجاة واجتمع الناس عليهما فاجتمعا لذلك ذات يوم وكان الزبرقان أسودهما فابتدأ المخبل فأنشده قصيدته
- أُنْبِئْتُ أن الزِّبْرقانَ يسُبُّني ... سَفِهاً وبَكْرَهُ ذو الحِرَيْن خِصالي) - كامل)
قال وإنما سماه ذا الحرين لأنه كان مبدنا فكان له ثديان عظيمان فسبه بهما وشبههما بالحرين ويقال إنه إنما عيره بأخته وابنته ولم يكن للمخبل ابن في الجاهلية قال
(أفلا يفاخرني ليعلم أيُّنا ... أدنى لأكرمِ سُودَدٍ وفِعالِ)
فلما بلغ إلى قوله
- وأبوك بدرٌ كان مُشْتَرطَ الخُصَى ... وأبي الجوادُ ربيعةُ بنُ قِتالِ) - كامل)
فلما أنشده هذا البيت قال
(وأبوك بدرٌ كان مُشْتَرطَ الخُصَى ... وأبي)
ثم انقطع عليه كلامه إما بشرق أو انقطاع نفس فما علم الناس ما يريد أن يقوله بعد قوله وأبي فسبقه الزبرقان قبل أن يتم ويبين فقال صدقت وما في ذاك إن كان شيخانا قد اشتركا في صنعه فغلبه الزبرقان وضحكوا من قوله وتفرقوا وقد انقطع بالمخبل قوله
أخبرنا اليزيدي قال حدثني عمي عن عبيد الله عن ابن حبيب قال كان زرارة بن المخبل يليط حوضه فأتاه رجل من بني علباء بن عوف فقال له صارعني فقال له زرارة إني عن صراعك لمشغول فجذب بحجزته وهو غافل فسقط فصاح به فتيان الحي صرع زرارة وغلب فأخذ زرارة حجرا فأخذ به رأس العلباوي فسأل المخبل بغيض بن عامر بن شماس أن يتحمل عن ابنه الدية فتحملها وتخلصه وكسا المخبل حلة حسنة وأعطاه ناقة نجيبة فقال المخبل يمدحه
(لعمرُ أبيك لا ألقى ابن عَمٍّ ... على الحدَثَانِ خيراً من بَغِيضِ)
(أقلَّ ملامةً وأعزَّ نصراً ... إذا ما جئْتُ بالأمر المريضِ)
(كساني حُلَّةً وحبا بعَنْسٍ ... أَبُسُّ بها إذا اضطربَتْ غُرُوضِي)
((غداةَ جنى بُنيَّ عليَّ جُرْماً ... وكيف يَدايَ بالحرب العَضوض
- فقد سدَّ السبيلَ ابوحُمَيْد ... كما سدّ المخاطَبةَ ابنُ بيض) - وافر)
خبر ابن بيض
أبو حميد بغيض بن عامر وأما قوله كما سد المخاطبة ابن بيض فإن ابن بيض رجل من بقايا قوم عاد كان تاجرا وكان لقمان بن عاد يجيز له تجارته في كل سنة بأجر معلوم فأجازه سنة وسنتين وعاد التاجر ولقمان غائب فأتى قومه فنزل فيهم ولقمان في سفره ثم حضرت التاجر الوفاة فخاف لقمان على بنيه وماله فقال لهم إن لقمان صائر إليكم وإني أخشاه إذا علم بموتي على مالي فاجعلوا ماله قبلي في ثوبه وضعوه في طريقه إليكم فإن أخذه واقتصر عليه فهو حقه فادفعوه إليه واتقوه وإن تعداه رجوت أن يكفيكم الله إياه ومات الرجل وأتاهم لقمان وقد وضعوا حقه علي طريقه فقال سد ابن بيض الطريق فأرسلها مثلا وانصرف وأخذ حقه وقد ذكرت ذلك الشعراء فقال بشامة بن عمرو
- كثوبِ ابن بيضٍ وَقاهُمْ بِهِ ... فسدّ على السالكين السبيلا) - متقارب)
قال ابن حبيب ولما حشدت بنو علباء للمطالبة بدم صاحبهم حشدت بنو قريع مع بغيض لنصر المخبل ومشت المشيخة

في الأمر وقالوا هذا قتل خطأ فلا تواقعوا الفتنة واقبلوا الدية فقبلوها وانصرفوا فقال زرارة بن المخبل يفخر بذلك
(فاز المُخالِسُ لمَّا أنْ جرى طَلَقاً ... أمّا حُطَيْمُ بن عِلْباء فقد غُلبا)
((إني رَمَيْتُ بِجُلمودٍ على حَنَقٍ ... مِني إليه فكانت رمْيةً غَرباً
(لَيْثاً إليَّ يَشُقُّ الناسَ منفرجاً ... لحياهُ عثّانةٌ لا يَتَّقي الخشَبا)
- فَأوْرَثَتْنِي قتيلاً إن لقيتُ وإن ... أمَّلْتُ كانت سماع السَّوء والحَرَبَا) - بسيط)
ثم أخذ بنو حازم جارا لبني قشير فأغار عليه المنتشر بن وهب الباهلي فأخذ إبله فسأل في بني تميم حتى انتهى إلى المخبل فلما سأله قال له إن شئت فاعترض إبلي فخذ خيرها ناقة وإن شئت سعيت لك في إبلك فقال بل إبلي فقال المخبل
(إنّ قُشَيْراً من لِقاح ابن حازم ... كراحِضة حَيْضاً وليست بطاهر)
(فلا يَأْكُلَنْها الباهِليُّ وتَقعدوا ... لدي غرضٍ أرْمِيكُم بالنواقِرِ)
- أغرّك أنْ قالوا لعزة شاعر ... فناك أباه من خفيرٍ وشاعر) - طويل)
فلما بلغهم قول المخبل سعوا بإبله فردها عليهم حزن بن معاوية بن خفاجة بن عقيل فقال المخبل في ذلك
(تدارك حَزْنٌ بالقنا آل عامرٍ ... قَفَا خَضَنٍ والكرُّ بالخيل أعسرُ)
((فإنّي بذا الجار الخفاجيِّ واثقٌ ... وقلبي من الجارِ العِباديِّ أوجر
(إذا ما عُقَيْلِيٌّ أقامَ بِذِمّةٍ ... شريكيْن فيها فالعِبادِيُّ أوجر)
(لعمري لقد خارت خفاجةُ عامراً ... كما خِيرَ بيتٌ بالعراق المشقَّرُ)
- وإنّك لو تعطي العِباديَّ مِشْقَصا ... لراشى كما راشى على الطبع أبخر) - طويل)
راشى من الرشوة
المخبل وخليدة بنت بدر
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال مر المخبل السعدي بخليدة بنت بدر أخت الزبرقان ابن بدر بعد ما أسن وضعف بصره فأنزلته وقربته وأكرمته ووهبت له وليدة وقالت له إني آثرتك بها يا أبا يزيد فاحتفظ بها فقال ومن أنت حتى أعرفك وأشكرك قالت لا عليك قال بلى والله أسألك قالت أنا بعض من هتكت بشعرك ظالما أنا خليدة بنت بدر فقال واسوأتاه منك فإني أستغفر الله عز وجل وأستقيلك وأعتذر إليك ثم قال
(لقد ضلَّ حِلمِي في خُلَيْدَةَ إنَّني ... سأُعْتِبُ نفسي بعدها وأموتُ)
طويل -فأقسمُ بالرحمن إنّي ظلمتُها ... وجُرْتُ عليها والهجاءُ كَذوبُ))
والقصيدة التي فيها الغناء المذكور بشعر المخبل وأخباره يمدح بها علقمة بن هوذة ويذكر فعله به وما وهبه له من ماله ويقول
(فَجَزَىَ الإلهُ سَراةَ قومي نَضْرةً ... وسقاهُمُ بمشارب الأبرار)
(قومٌ إذا خافوا عِثارَ أخيهِمُ ... لا يُسْلِمونَ أخاهُمُ لِعثار)
(أمثالُ عَلقمةَ بن هوذةَ إذْ سعى ... يخشى عَليَّ متالفَ الأبصار)
(أثْنَوْا عليَّ وأحسنوا وتَرافَدُوا ... لي بالمَخَاض البُزْلِ والأبكار)
- والشَّوْلِ يتبعُها بناتُ لَبُونِها ... شرَقاً حناجِرُها من الجِرْجار) - كامل)
أخبرنا أبو زيد عن عبد الرحمن عن عمه وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله عن ابن حبيب وأخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن لقيط قالوا اجتمع الزبرقان بن بدر والمخبل السعدي وعبدة بن الطبيب وعمرو بن الأهتم قبل أن يسلموا وبعد مبعث النبي فنحروا جزورا واشتروا خمرا ببعير وجلسوا يشوون ويأكلون فقال بعضهم لو أن قوما طاروا من جودة أشعارهم لطرنا فتحاكموا إلى أول من يطلع عليهم فطلع عليهم ربيعة بن حذار الأسدي وقال اليزيدي فجاءهم رجل من بني يربوع يسأل عنهم فدل عليهم وقد نزلوا
بطن واد وهم جلوس يشربون فلما رأوه سرهم وقالوا له أخبرنا أينا أشعر قال أخاف أن تغضبوا فآمنوه من ذلك فقال أما عمرو فشعره برود يمنية تنشر وتطوى وأما أنت يا زبرقان فكأنك رجل أتى جزورا قد نحرت فأخذ من أطايبها وخلطه بغير ذلك
وقال لقيط في خبره قال له ربيعة بن حذار وأما أنت يا زبرقان فشعرك كلحم لم ينضج فيؤكل ولم يترك نيئا فينتفع به وأما أنت يا مخبل فشعرك شهب من نار الله يلقيها على من يشاء وأما أنت يا عبدة فشعرك كمزادة أحكم خرزها فليس يقطر منها شيء
أخبرنا اليزيدي عن عمه عن ابن حبيب قال كان رجل من بني امرئ القيس يقال له روق مجاورا في بكر بن وائل باليمامة فأغاروا على إبله وغدروا به فأتى المخبل يستمنحه فقال له إن شئت فاختر خير ناقة في إبلي فخذها وإن شئت سعيت لك فقال أن تسعى بي أحب إلي فخرج المخبل فوقف على نادي قومه ثم قال
(أدُّوا إلي رَوْحِ بن حسّانَ ... بن حارثةَ بن مُنْذرْ)
(كَوْماءَ مُدْفأةً كأنّ ... ضروعَها جمَّاءُ أجفرْ)
- تأبى إلى بصص تَسُحُّ ... المَحْضَ باللبن الفَضَنْفَرْ) - مجزوء الكامل)
فقالوا نعم ونعمة فجمعوا له بينهم الناقة والناقتين من رجلين حتى أعطوه بعدة إبله
وقال ابن حبيب في هذه الرواية كان رجل من بني ضبة
صوت
(أسَلْ عن ليلى علاك المَشيبُ ... وتصابي الشيخ شيءٌ عجيبُ)
(وإذا كان النسيبُ بسلمى ... لذَّ في سلمىوطابَ النسيبُ)
(إنما شبَّهْتُها إذ تراءت ... وعليها من عيونٍ رقيبُ)
(بطلوع الشمس في يومِ دَجْنٍ ... بُكرةً أو حان منها غروبُ)
- إنني فاعلم وإنْ عزَّ أهلي ... بالسُّويداءِ الغداةَ غريب) - مديد)
الشعر لغيلان بن سلمة الثقفي وجدت ذلك في جامع شعره بخط أبي سعيد السكري والغناء لابن زرزور الطائفي خفيف ثقيل أول بالوسطى عن يحيى المكي وفيه ليونس الكاتب لحن ذكره في كتابه ولم يجنسه

أخبار غيلان ونسبه
غيلان بن سلمة بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسي وهو ثقيف وأمه سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف بن قصي أخت أمية بن عبد شمس بن عبد مناف
أدرك الإسلام فأسلم بعد فتح الطائف ولم يهاجر وأسلم ابنه عامر قبله وهاجر ومات بالشام في طاعون عمواس وأبوه حي
وغيلان شاعر مقل ليس بمعروف في الفحول
وبنته بادية بنت غيلان التي قال هيت المخنث لعمر بن أم سلمة أم المؤمنين أو لأخيه سلمة إن فتح الله عليكم الطائف فسل رسول
الله أن يهب لك باديه بنت غيلان فإنها كحلاء شموع نجلاء خمصانة هيفاء إن مشت تثنت وإن جلست تبنت وإن تكلمت تغنت تقبل بأربع وتدبر بثمان وبين فخذيها كالإناء المكفإ
(وغيلان فيما يقال أحد من قال من قريش للنبي وآله (لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين
قال ابن الكلبي حدثني أبي قال تزوج غيلان بن سلمة خالدة بنت أبي العاص فولدت له عمارا وعامرا فهاجر عمار إلى النبي فلما بلغه خبره عمد خازن كان لغيلان إلى مال له فسرقه وأخرجه من حصنه فدفنه وأخبر غيلان أن ابنه عمارا سرق ماله وهرب به فأشاع ذلك غيلان وشكاه إلى الناس وبلغ خبره عمارا فلم يعتذر إلى أبيه ولم يذكر له براءته مما قيل له فلما شاع ذلك جاءت أمه لبعض ثقيف إلى غيلان فقالت له أي شيء لي عليك إن دللتك على مالك قال ما شئت قالت تبتاعني وتعتقني قال ذلك لك قالت فاخرج معي فخرج معها فقالت إني رأيت عبدك فلانا قد احتفر ها هنا ليلة كذا وكذا ودفن شيئا وإنه لا يزال يعتاده ويراعيه ويتفقده في اليوم مرات وما أراه إلا المال فاحتفر الموضع فإذا هو بماله فأخذه وابتاع الأمة فأعتقها وشاع الخبر في الناس حتى بلغ ابنه عمارا فقال والله لا يراني غيلان أبدا ولا ينظر في وجهي وقال
(حلفْتُ لهمْ بما يقولُ محمدٌ ... وباللّه إنَّ اللّهَ ليس بغافل)
(بَرِئْتُ مِن المالِ الذي يَدفِنونه ... أُبرِّىءُ نفسي أنْ أُلِطَّ بباطِلِ)
(ولو غيرُ شيخي من معدٍّ يقولُه ... تيمَّمْتُه بالسيفِ غيرِ مُواكِلِ)
- وكيف انطِلاقي بالسِّلاح إلى امرىءٍ ... تُبَشِّره بِي يَبْتَدِرْنَ قوابلي) - طويل)
رثاؤه لولده عامر
فلما أسلم غيلان خرج عامر وعمار مغاضبين له مع خالد بن الوليد فتوفي عامر بعمواس وكان فارس ثقيف يومئذ وهو صاحب شنوءة يوم تثليث وهو قتل سيدهم جابر بن سنان أخا دمنة فقال غيلان يرثي عامرا
(عيني تجودُ بدمعها الهتّانِ ... سحّاً وتبكي فارسَ الفُرسانِ)
(يا عامِ مَنْ للخيلِ لمَّا أَحْجَمت ... عن شدَّةٍ مرهوبةٍ وطِعانِ)
(لو أستطيعُ جعلْتُ مِنِّي عامراً ... بين الضُّلوعِ وكلُّ حيٍّ فانِ)
(يا عينِ بَكِّي ذا الحزامةِ عامراً ... للخيل يومَ تواقُفٍ وطِعانِ)
((وله بتثليثاتِ شدَّةُ مُعْلِمٍ ... منه وطعنةُ جابرِ بن سنانِ
- فكأنّه صافي الحديدة مِخْذَمٌ ... مما يُجِيرُ الفُرْسَ للباذانِ) - كامل)
نسخت من كتاب أبي سعيد السكري قال كان لغيلان بن سلمة جار من باهلة وكانت له إبل يرعاها راعيه في الإبل مع إبل غيلان فتخطى بعضها إلى أرض لأبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب فضرب أبو عقيل الراعي واستخف به فشكا الباهلي ذلك إلى غيلان فقال لأبي عقيل
(ألا من يرى ترى رأي امرىءٍ ذي قرابة ... أبى صدرُه بالضِّغْن إلاَّ تطلُّعَا)
(فَسِلْمَكَ أرجو لا العداوةَ إنمَّا ... أبوك أبي وإنمَّا صَفْقُنا معا)
(وإن ابنَ عمِ المرءِ مثلُ سلاحِه ... يقيه إذا لاقي الكميَّ المقنَّعا)
(فإنْ يكثرِ المولى فإنّك حاسدٌ ... وإنْ يفتقرْ لا يُلْفِ عندك مَطْمَعا)
- فهذا وعيدٌ وادِّخارٌ فإن تعُدْ ... وَجَدِّكَ أَعْلَمْ ما تسلَّفْتَ أجمعا) - طويل)
تهديده لامرأته
ونسخت من كتابه قال لما أسن غيلان وكثرت أسفاره ملته زوجته وتجنت عليه وأنكر أخلاقها فقال فيها
(يا ربَّ مثلكِ في النِّساء غريرةٍ ... بيضاءَ قد صبَّحْتُها بطلاقِ)
- لم تَدْرِ ما تحتَ الضُّلوعِ وغرَّها ... مني تحمُّلُ عِشْرَتي وخَلاقي) - كامل)
ونسخت من كتابه إن بني عامر بن ربيعة جمعوا جموعا كثيرة من أنفسهم وأحلافهم ثم ساروا إلى ثقيف بالطائف وكانت بنو نصر بن معاوية أحلافا لثقيف فلما بلغ ثقيفا ميسر بني عامر استنجدوا بني نصر فخرجت ثقيف إلى بني عامر وعليهم يومئذ غيلان بن سلمة بن معتب فلقوهم وقاتلتهم ثقيف قتالا شديدا فانهزمت بنو عامر بن ربيعة ومن كان معهم وظهرت عليهم ثقيف فأكثروا فيهم القتل فقال غيلان في ذلك ويذكر تخلف بني نصر عنهم
(ودِّع يذَمٍّ إذا ما حانَ رحلتُنا ... أهلَ الحظائرِ من عَوْفٍ ودُهْمانا)
(القائلينَ وقد حلَّتْ بساحتِهِمْ ... جِسْرٌ تَجَسْحَسَ عن أولادِ هِصَّانا)
(والقائلين وقد رابَتْ وطابُهُمُ ... أسَيْفَ عَوْفٍ ترى أم سَيْفَ غيلانا)
(أغْنُوا المواليَ عنَّا لا أبالَكُمُ ... إنّا سيُغنِي صريحَ القومِ مَن كانا)
- لا يمنعُ الخطرَ المظلومُ قُحْمَته ... حتّى يرى بالعين من كانا) - بسيط)
شعره في هزيمة خثعم
ونسخت من كتابه قال جمعت خثعم جموعا من اليمن وغزت ثقيفا بالطائف فخرج إليهم غيلان بن سلمة في ثقيف فقاتلهم قتالا شديدا فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وأسر عدة منهم ثم من عليهم وقال في ذلك
(ألا يا أُختَ خَثعَمَ خبِّرينا ... بأيِّ بلاءِ قومٍ تفخرينا)
((جَلَبْنا الخيلَ من أكنافِ وَجٍّ ... وليثٍ نحوكُمْ بالدَّارِعينا

(رأيناهنَّ مُعْلَمَةً روحاً ... يُقِيتانِ الصباحِ ومُغْتَدِينا)
(فأمستْ مُسْيَ خامسةٍ جميعاً ... تُضَابِعُ في القياد وقد وَجِينا)
(وقد نَظَرَتْ طوالعكُمْ إلينا ... بأعينهمْ وحقَّقْنا الظنونا)
(إلى رجراجةٍ في الدار تُغْشِي ... إذا استنَّتْ عيونَ الناظرينا)
(تركْنَ نساءكمْ في الدارِ نَوْحاً ... يُبَكِّين البُعولةَ والبنينا)
- جمعتمْ جمعكمْ فطلبتمُونا ... فهل أُنبِئْتَ حالَ الطَّالبينا) - وافر)
أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال أخبرني محمد بن سعد الشامي قال حدثني أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمرو الثقفي قال خرجت مع كيسان بن أبي سليمان أسايره فأنشدني شعر غيلان بن سلمة ما أنشدني لغيره حتى صدرنا عن الأبلة ثم مر بالطف وهو يريد
الطابق فأنشدني له
(وليلةٍ أرَّقَتْ صِحابَكَ بالطْطَفِّ ... وأُخرى بجنْب ذي حُسَمِ)
(فالجسرُ فالقَصْرانِ فالنَّهرُ المُرْبِدُ ... بين النَّخيل والأجَمِ)
(معانقُ الواسطِ المُقَدَّمَ أو ... أدنو من الأرض غيرَ مقتحِمِ)
- أستعمِلُ العَنْسَ بالقِيادِ إلى الآفاقِ ... أرجو نوافلَ الطّعَمِ) - منسرح)
وصيته لبنيه
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد ابن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال حدثني عمر بن عبد العزيز بن أبي ثابت عن أبيه قال لما حضرت غيلان بن سلمة الوفاة وكان قد أحصن عشرا من نساء العرب في الجاهلية قال يا بني قد أحسنت خدمة أموالكم وأمجدت أمهاتكم فلن تزالوا بخير ما غذوتم من كريم وغذا منكم فعليكم ببيوتات العرب فإنها معارج الكرم وعليكم بكل رمكاء مكينة ركينة أو بيضاء رزينة في خدر بيت يتبع أوجد يرتجى وإياكم والقصيرة الرطلة فإن أبغض الرجال إلي أن يقاتل عن إبلي أو يناضل عن حسبي
القصير الرطل ثم أنشأ يقول
(وحُرَّةِ قومٍ قد تَنَوَّقَ فِعلُها ... وزيَّنَها أقوامُها فتزيّنتْ)
- رَحلْتُ إليها لا تُرَدُّ وسيلتي ... وحَمّلتُها من فوقها فتحمَّلَتْ) - طويل)
وفوده على كسرى
أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد الكراني قال كان غيلان بن سلمة الثقفي قد وفد إلى كسرى فقال له ذات يوم يا غيلان أي ولدك أحب إليك قال الصغير حتى يكبر والمريض حتى يبرأ والغائب حتى يقدم قال له ما غذاؤك قال خبز البر قال قد عجبت من أن يكون لك هذا العقل وغذاؤك غذاء العرب إنما البر جعل لك هذا العقل
قال الكراني قال العمري روى الهيثم بن عدي هذا الخبر أتم من هذه الرواية ولم أسمعه منه قال الهيثم حدثني أبي قال خرج أبو سفيان ابن حرب في جماعة من قريش وثقيف يريدون العراق بتجارة فلما ساروا ثلاثا جمعهم أبو سفيان فقال لهم أنا من مسيرنا هذا لعلى خطر ما قدومنا على ملك جبار لم يأذن لنا في القدوم عليه وليست بلاده لنا بمتجر ولكن أيكم يذهب بالعير فإن أصيب فنحن برآء من دمه وإن غنم فله نصف الربح فقال غيلان بن سلمة دعوني إذا فأنا لها فدخل الوادي فجعل يطوفه ويضرب فروع الشجر ويقول
(ولو رآني أبو غيلانَ إذْ حَسرَتْ ... عني الأمورُ إلى أمرٍ له طَبَقِ)
(لقال رُغْبٌ ورُهْبٌ يُجمعان معاً ... حبُّ الحياة وهَوْلُ النَّفسِ والشَّفَقُ)
بسيط -إمّا بقيتَ على مجدٍ ومَكرمة ... أو أسوة لك فيمن يَهْلِك الورق))
ثم قال أنا صاحبكم ثم خرج في العير وكان أبيض طويلا جعدا ضخما فلما قدم بلاد كسرى تخلق ولبس ثوبين أصفرين وشهر أمره وجلس بباب كسرى حتى أذن له فدخل عليه وبينهما شباك من ذهب فخرج إليه الترجمان وقال له يقول لك الملك من أدخلك بلادي بغير إذني فقال قل له لست من أهل عداوة لك ولا أتيتك جاسوسا لضد من أضدادك وإنما جئت بتجارة تستمتع بها فإن أردتها فهي لك وإن لم تردها وأذنت في بيعها لرعيتك بعتها وإن لم تأذن في ذلك رددتها قال فإنه ليتكلم إذ سمع صوت كسرى فسجد فقال له الترجمان يقول لك الملك لم سجدت فقال سمعت صوتا عاليا حيث لا ينبغي لأحد أن يعلو صوته إجلالا للملك فعلمت أنه لم يقدم على رفع الصوت هناك غير الملك فسجدت إعظاما له قال فاستحسن كسرى ما فعل وأمر له بمرفقة توضع تحته فلما أتي بها رأى عليها صورة الملك فوضعها على رأسه فاستجهله كسرى واستحمقه وقال للترجمان قل له إنما بعثنا إليك بهذه لتجلس عليها قال قد علمت ولكني لما أتيت بها رأيت عليها صورة الملك فلم يكن حق صورته على مثلي أن يجلس عليها ولكن كان حقها التعظيم فوضعتها على رأسي لأنه أشرف أعضائي وأكرمها علي فاستحسن فعله جدا ثم قال له ألك ولد قال نعم قال فأيهم أحب إليك قال الصغير حتى يكبر والمريض حتى يبرأ والغائب حتى يؤوب فقال كسرى زه ما أدخلك علي ودلك على هذا القول والفعل إلا حظك فهذا فعل
الحكماء وكلامهم وأنت من قوم جفاة لا حكمة فيهم فما غذاؤك قال خبز البر قال هذا العقل من البر لا من اللبن والتمر ثم اشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها وكساه وبعث معه من الفرس من بنى له أطما بالطائف فكان أول أطم بني بها
رثي نافع بن سلمة
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمر بن أبي بكر الموصلي عن عبد الله بن مصعب عن أبيه قال استشهد نافع بن سلمة الثقفي مع خالد بن الوليد بدومة الجندل فجزع عليه غيلان وكثر بكاؤه وقال يرثيه
(ما بالُ عَيْنِي لا تُغَمِّضُ ساعةً ... إلاَّ اعترتْني عَبْرَةٌ تَغْشانِي)
(أرعَى نجوم الليل عندَ طُلوعِها ... وَهْناً وهُنَّ من الغُروب دوانِ)
(يا نافعاً مَن للفوارسِ أُحْجِمَتْ ... عَن فارسٍ يعلو ذُرَى الأقران)
- فلو استطعْتُ جعلْتُ منّي نافعاً ... بين اللّهاةِ وبين عَكْدِ لِساني) - كامل)
قال وكثر بكاؤه عليه فعوتب في ذلك فقال والله لا تسمح عيني بمائها فأضن به على نافع فلما تطاول العهد انقطع ذلك من قوله فقيل له فيه فقال بلي نافع وبلي الجرع وفني الدموع واللحاق به قريب

صوت
(ألا علِّلاني قبل نوح النوادبِ ... وقبل بُكاء المُعْولاتِ القرائب)
(وقبلَ ثوائي في تُرابٍ وجَنْدلٍ ... وقبلَ نشوز النفسِ فوق الترائب)
- فإنْ تأتني الدُّنيا بيومي فُجاءة ... تَجِدْني وقد قضَّيْتُ منها مآربي) - طويل)
الشعر لحاجز الأزدي والغناء لنبيه هزج بالبنصر عن الهشامي
أخبار حاجز ونسبه
هو حاجز بن عوف بن الحارث بن الأختم بن عبد الله بن ذهل بن مالك بن سلامان بن مفرج بن مالك بن زهران بن عوف بن ميدعان بن مالك ابن نصر بن الأزد وهو خليف لبني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي وفي ذلك يقول
(قومي سَلامانُ إما كنتِ سائلةً ... وفي قريش كريمُ الحِلْفِ والحَسبِ)
(إنّي متى أدْعُ مخزوماً تَرَيْ عُنُقاً ... لا يَرْعَشون لضربِ القوم من كَثَب)
- يدعى المغيرةُ في أولى عدِيدِهمُ ... أولادُ مَرْأسةٍ ليسوا من الذّنَبِ) - بسيط)
وهو شاعر جاهلي مقل ليس من مشهوري الشعراء وهو أحد الصعاليك المغيرين على قبائل العرب وممن كان يعدو على رجليه عدوا يسبق به الخيل
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني العباس بن هشام عن أبيه عن عوف بن الحارث الأزدي أنه قال لابنه حاجز بن عوف أخبرني يا بني بأشد عدوك قال نعم أفزعتني خثعم فنزوت نزوات ثم
استفزتني الخيل واصطف لي ظبيان فجعلت أنهنهما بيدي عن الطريق ومنعاني أن أتجاوزها في العدو لضيق الطريق حتى اتسع واتسعت بنا فسبقتهما فقال له فهل جاراك أحد في العدو قال ما رأيت أحدا جاراني إلا أطيلس أغيبر من النقوم فإنا عدونا معا فلم أقدر على سبقه
قال النقوم بطن من الأزد من ولد ناقم واسمه عامر بن حوالة بن الهنو بن الأزد
نسخت أخبار حاجز من رواية أبي عمرو الشيباني
من كتاب بخط الموهبي الكوكبي قال أغار عوف بن الحارث بن الأختم على بني هلال بن عامر بن صعصعة في يوم داج مظلم فقال لأصحابه انزلوا حتى أعتبر لكم فانطلق حتى أتى صرما من بني هلال وقد عصب على يد فرسه عصابا ليظلع فيطمعوا فيه فلما أشرف عليهم استرابوا به فركبوا في طلبه وانهزم من بين أيديهم وطمعوا فيه فهجم بهم على أصحابه بني سلامان فأصيب يومئذ بنو هلال وملأ القوم أيديهم من الغنائم ففي ذلك يقول حاجز بن عوف
(صباحكِ واسلمي عنا أماما ... تحيّةَ وامقٍ وعِمِي ظلاما)
(بَرَهْرَهَةً يحار الطَّرْفُ فيها ... كحُقّةِ تاجرٍ شُدَّتْ ختاما)
((فإن تُمْسِ ابنةُ السهميّ منَّا ... بعيداً لا تكلّمنا كلاما
(فإنّكِ لا محالةَ أن تَرَيْني ... ولو أمستْ حبالكُمُ رِماما)
(بناحيةِ القوائم عَيْسجُورٍ ... تَدَارَكَ نِيُّها عاماً فعاما)
(سلي عنّي إذا اغبَّرتْ جُمادَى ... وكان طعام ضيفِهمُ الثُّماما)
(السْنا عِصْمَةَ الأضياف حتى ... يُضَحّى مالُهمْ نَفَلاً تُواما)
(أبي رَبَعَ الفوارسَ يوم داجٍ ... وعمّي مالكٌ وَضَعَ السِّهاما)
- فلو صاحَبْتِنا لرَضيتِ منا ... إذا لم تَغْبُقُ المائةُ الغلاما) - وافر)
يعني بقوله وضع السهام أن الحارث بن عبد الله بن بكر بن يشكر ابن مبشر بن صقعب بن دهمان بن نصر بن زهران كان يأخذ من جميع الأزد إذا غنموا الربع لأن الرياسة في الأزد كانت لقومه وكان يقال لهم الغطاريف وهم أسكنوا الأسد بلد السراة وكانوا يأخذون للمقتول منهم ديتين ويعطون غيرهم دية واحدة إذا وجبت عليهم فغزتهم بنو فقيم بن عدي ابن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة فظفرت بهم فاستغاثوا ببني سلامان فأغاثوهم حتى هزموا بني فقيم وأخذوا منهم الغنائم وسلبوهم فأراد
الحارث أن يأخذ الربع كما كان يفعل فمنعه مالك بن ذهل بن مالك بن سلامان وهو عم أبي حاجز وقال هيهات ترك الربع غدوة فأرسلها مثلا فقال له الحارث أتراك يا مالك تقدر أن تسود فقال هيهات الأزد أمنع من ذاك فقال أعطني ولو جعبا والجعب البعر في لغتهم لئلا تسمع العرب أنك منعتني فقال مالك فمن سماعها أفر ومنعه الربيع فقال حاجز في ذلك
(ألا زعمت أبناءُ يشكرَ أننا ... يربعهمُ باؤوا هنالك ناصِلِ)
(ستمنعنا منكُمْ ومن سوءِ صُنعكُمْ ... صفائحُ بيضٌ أخلَصَتْها الصياقلُ)
- وأسمرُ خطّيٌّ إذا هُزّ عاسلٌ ... بأيدي كُماةٍ جرَّبَتْها القبائِل) - طويل)
وقال أبو عمرو جمع حاجز ناسا من فهم وعدران فدلهم على خثعم فأصابوا منهم غرة وغنموا ما شاؤوا فبلغ حاجزا أنهم يتوعدونه ويرصدونه فقال
(وإنّي من إرعادِكُمْ وبروقِكُمْ ... وإيعادُكُمْ بالقتل صُمٌّ مسامِعي)
(وإني دَليلٌ غيرُ مُخفٍ دَلالتي ... على ألفِ بيتٍ جَدُّهمْ غيرُ خاشع)
(ترى البِيض يركُضْنَ المجاسِدَ بالضّحى ... كذا كلُّ مشبوح الذراعين نازع)
- على أيِّ شيء لا أبَا لأبيكُمُ تشيرون نحوي نحوكُمْ بالأصابع) - طويل)
طعنه واحاطة خثعم به
وقالوا أبو عمرو أغارت خثعم على بني سلامان وفيهم عمرو بن معد
يكرب وقد استنجدت به خثعم على بني سلامان فالتقوا واقتتلوا فطعن عمرو بن معد يكرب حاجزا فأنفذ فخذه فصاح حاجز يا آل الأزد فندم عمرو وقال خرجت غازيا وفجعت أهلي وانصرف فقال عزيل الخثعمي يذكر طعنة عمرو حاجزا فقال
(أعَجْزٌ حاجِزٌ منّا وفيهِ ... مشلشِلةٌ كحاشِيةِ الإزار)
- فعز عليّ ما أعْجَزْتَ منِّي ... وقد أقسمْتُ لا يضربْك ضار) - وافر)
فأجابه حاجز فقال
(إنْ تذكروا يومَ القَريّ فإنه ... بَواءٌ بأيامٍ كثيرٍ عديدها)
(فنحن أبحنا بالشخيصةِ واهِناً ... جهاراً فجئنا بالنساءِ نَقُودها)

(ويوم كِراء قد تداركَ ركضُنا ... بني مالكٍ والخيلُ صُعْرٌ خدودها)
(ويوم الأراكاتِ اللواتي تأخّرتْ ... سراةُ بني لِهبانَ يدعو شريدُها)
(ونحن صبحْنا الحيَّ يومَ تنومةٍ ... بملمُومَةٍ يُهوي الشجاعَ وئيدُها)
((ويوم شرَوم قد تركنا عِصابة ... لدى جانب الطَّرْفاء حُمراً جلودها
- فما رغمت حلفاً لأمرٍ يصيبها ... من الذل إلا نحن رغماً نزيدها) - طويل)
وقال أبو عمرو بينما حاجز في بعض غزواته إذ أحاطت به خثعم وكان معه بشير ابن أخيه فقال له يا بشير ما تشير قال دعهم حتى يشربوا ويقفلوا ويمضوا ونمضي معهم فيظنونا بعضهم ففعلا وكانت في ساق حاجز شامة فنظرت إليها امرأة من خثعم فصاحت يا آل خثعم هذا حاجز فطاروا يتبعونه فقالت لهم عجوز كانت ساحرة أكفيكم سلاحه أو عدوه فقالوا لا نريد أن تكفينا عدوه فإن معنا عوفا وهو يعدو مثله ولكن اكفينا سلاحه فسحرت لهم سلاحه وتبعه عوف بن الأغر بن همام بن الأسرين عبد الحارث بن واهب بن مالك بن صعب بن غنم بن الفزع الخثعمي حتى قاربه فصاحت به خثعم يا عوف ارم حاجزا فلم يقدم عليه وجبن فغضبوا وصاحوا يا حاجز لك الذمام فاقتل عوفا فإنه قد فضحنا فنزع في قوسه ليرميه فانقطع وتره لأن المرأة الخثعمية كانت قد سحرت سلاحه فأخذ قوس بشير ابن أخيه فنزع فيها فانكسرت وهربا من القوم ففاتاهم ووجد حاجز بعيرا في طريقه فركبه فلم يسر في الطريق الذي يريده ونحا به نحو خثعم فنزل حاجز عنه فمر فنجا وقال في ذلك
(فِدى لكما رِجْليَّ أمي وخالتي ... بسعيكما بين الصفا والأثائب)
(أوانَ سمعتُ القوم خلفي كأنّهمْ ... حريقُ إباءٍ في الريّاحِ الثواقب)
((سيوفُهُمُ تُعْشي الجبانَ وَنبلُهُمْ ... يُضيء لدى الأقوامِ نارَ الحُباحِب
(فَغَيْرُ قتالي في المضيقِ أغاثني ... ولكنْ صَريحُ العَدْو غيرُ الأكاذِب)
(نجوْتُ نجاءً لا أبيك تبثّه ... وينجو بشيرٌ نجْوَ أزعرَ خاضِبِ)
- وجدْتُ بعيراً هامِلاً فركِبته ... فكادت تكون شرَّ ركبةِ راكب) - طويل)
وقال أبو عمرو اجتاز قوم حجاج من الأزد ببني هلال بن عامر بن صعصعة فعرفهم ضمرة بن ماعز سيد بني هلال فقتلهم هو وقومه وبلغ ذلك حاجزا فجمع جمعا من قومه وأغار على بني هلال فقتل فيهم وسبى منهم وقال في ذلك يخاطب ضمرة بن ماعز
(يا ضَمْرَ هل نِلْناكُمُ بدمائنا ... أم هل حَذَوْنا نَعْلكُمْ بمثالِ)
(تبكي لِقتلي من فُقَيْمٍ قُتِّلوا ... فاليوم تبكي صادقاً لهلال)
(ولقد شفاني أنْ رأيْتُ نِساءكُمْ ... يبكين مُرْدَفَةً على الأكفال)
- يا ضَمْرُ إن الحرب أضْحَتْ بيننا ... لَقِحتْ على الدكّاء بعد حِيال) - كامل)
اخته ترثيه بعد انقطاع أخباره
قال أبو عمرو خرج حاجز في بعض أسفاره فلم يعد ولا عرف له
خبر فكانوا يرون أنه مات عطشا أو ضل فقالت أخته ترثيه
(أحيٌّ حاجزٌ أم ليس حيًّا ... فيسلك بين جَنْدَفَ والبهيمِ)
- ويشربَ شربةً من ماءِ ترْجٍ ... فيصدرَ مِشيةَ السَّبِعِ الكليم) - وافر)
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال كان حاجز الأزدي مع غاراته كثير الفرار لقي عامرا فهرب منهم فنجا وقال
(ألا هل أتى ذاتَ القلائدِ فَرّتي ... عشيةَ بين الجُرْفِ والبحرِ من بَعْر)
(عشيةَ كادت عامرٌ يقتلونني ... لدى طَرَفِ السَّلْماءِ راغية البَكْر)
(فما الظبي أخْطَتْ خِلْفة الصَّقْر رِجْلَهُ ... وقد كاد يلقي الموتَ في خِلْفة الصَّقْر)
- بِمثلي غداةَ القومِ بين مُقنَّعٍ ... وآخرَ كالسكرانِ مرتكزٍ يَفْري) - كامل)
وفر من خثعمٍ وتبعه المرقع الخثعمي ثم الأكلبي ففاته حاجز وقال في ذلك
((وكأنما تَبِعَ الفوارسُ أرنباً ... أو ظَبْيَ رابيةٍ خُفافاً أشعبا
(وكأنّما طردوا بذي نَمِرَاتِهِ ... صَدعاً من الأروى أحَسَّ مكلّبا)
(أعْجَزْتُ منهمْ والأكفُّ تنالني ... ومضتْ حِياضُهمُ وآبوا خُيَّبا)
- أدعو شَنوءَةَ غثَّها وسمينَها ... ودعا المرقّعُ يوم ذلك أكلُبا) - كامل)
وقال يخاطب عوض أمسى
(أبلِغ أميمةَ عوض أمسَى بزّنا ... سَلْباً وما إن سرَّها أن نُنكبا)
- لولا تقاربُ رأفةٍ وعيونُها ... حمشا مصعدا ومصوّبا) - كامل)
صوت
(يا دارُ من ماويَّ بالسَّهْبِ ... بُنِيَتْ على خَطْبٍ من الخَطْبِ)
(إذ لا ترى إلا مُقاتلةً ... وعجَانسا يُرْقِلْنَ بالرُّكْبِ)
(ومُدَجّجاً يسعى بشكّته ... مُحْمَرَّةً عيناهُ كالكَلْبِ)
كامل -ومعاشراً صَدَأُ الحديدُ بِهِمْ ... عَبَقَ الهِناءِ مَخَاطِمَ الجُرْبِ))
الشعر للحارث بن الطفيل الدوسي والغناء لمعبد رمل بالبنصر من رواية يحيى المكي وفيه لابن سريج خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق والله أعلم
أخبار الحارث بن الطفيل ونسبه
هو الحارث بن الطفيل بن عمرو بن عبد الله بن مالك بن فهم بن غنم ابن دوس بن عبد الله بن عدثان بن عبيد الله بن زهران بن كعب بن الحارث ابن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد شاعر فارس من مخضرمي شعراء الجاهلية والإسلام وأبوه الطفيل بن عمرو شاعر أيضا وهو أول من وفد من دوس على النبي فأسلم وعاد إلى قومه فدعاهم إلى الإسلام
أخبرني عمي قال حدثنا الحزنبل بن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه واللفظ في الخبر له والله أعلم

وفود الطفيل على رسول الله
وأخبرني به محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن العباس ابن هشام عن أبيه أن الطفيل بن عمرو بن عبد الله بن مالك الدوسي خرج حتى أتى مكة حاجا وقد بعث رسول الله وهاجر إلى المدينة وكان رجلا يعصو والعاصي البصير بالجراح ولذلك يقال لولده بنو العاصي فأرسلته قريش إلى النبي وقالوا انظر لنا ما هذا الرجل وما عنده فأتى النبي فعرض عليه الإسلام فقال له إني رجل شاعر فاسمع ما أقول فقال له النبي هات فقال
((لا وإله الناس نألَمُ حربَهم ... ولو حاربَتْنا مُنهِبٌ وبنو فَهْمِ
(ولمَّا يكنْ يومٌ تزول نجومُه ... تطير بهِ الرُّكبانُ ذو نبأٍ ضخمِ)
(أسِلْماً على خَسْفٍ ولستُ بِخالِدٍ ... وماليَ من واقٍ إذا جاءني حَتْمي)
- فلا سلْمَ حتّى نحفِزَ الناسَ خِيفةً ... ويصبحَ طيرٌ كانِساتٍ على لحم) - طويل)
فقال له رسول الله وأنا أقول فاستمع ثم قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) ثم قرأ (قل أعوذ برب الفلق) ودعاه إلى الإسلام فأسلم وعاد إلى قومه فأتاهم في ليلة مطيرة ظلماء حتى نزل بروق وهي قرية عظيمة لدوس فيها منبر فلم يبصر أين يسلك فأضاء له نور في طرف سوطه فبهر الناس ذلك النور وقالوا نار أحدثت على القدوم ثم على بروق لا تطفأ فعلقوا يأخذون بسوطه فيخرج النور من بين أصابعهم فدعا أبويه إلى الإسلام فأسلم أبوه ولم تسلم أمه ودعا قومه فلم يجبه إلا أبو هريرة وكان هو وأهله في جبل يقال له ذو رمع فلقيه بطريق يزحزح وبلغنا أنه كان يزحف في العقبة من الظلمة ويقول
طويل -يا طولها من ليلةٍ وعناءها ... على أنها من بلدةِ الكفْرِ نَجَّتِ))
ثم أتى الطفيل بن عمرو على النبي ومعه أبو هريرة فقال له ما وراءك فقال بلاد حصينة وكفر شديد فتوضأ النبي ثم قال اللهم اهد دوسا ثلاث مرات قال أبو هريرة فلما صلى النبي خفت أن يدعو على قومي فيهلكوا فصحت واقوماه فلما دعا لهم سري عني ولم يحب الطفيل أن يدعو لهم لخلافهم عليه فقال له لم أحب هذا منك يا رسول الله فقال له إن فيهم مثلك كثيراً وكان جندب بن عمرو بن حممة بن عوف بن غوية ابن سعد بن الحارث بن ذبيان بن عوف بن منهب بن دوس يقول في الجاهلية إن للخلق خالقا لا أعلم ما هو فخرج حينئذ في خمسة وسبعين رجلا حتى أتى النبي فأسلم وأسلموا قال أبو هريرة ما زلت ألوي الآجرة بيدي ثم لويت على وسطي حتى كأني بجاد أسود وكان جندب يقربهم إلى النبي رجلا رجلا فيسلمون
وهذه الأبيات التي فيها الغناء من قصيدة للحارث بن الطفيل قالها في حرب كانت بين دوس وبين بني الحارث بن عبد الله بن عامر بن الحارث ابن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران
وكان سبب ذلك فيما ذكر عن أبي عمرو الشيباني أن ضماد بن مسرح ابن النعمان بن الجبار بن سعد بن الحارث بن عبد الله بن عامر بن الحارث ابن يشكر سيد آل الحارث كان يقول لقومه أحذركم جرائر أحمقين من آل الحارث يبطلان رياستكم وكان ضماد يتعيف وكان آل الحارث يسودون العشيرة كلها فكانت دوس أتباعا لهم وكان القتيل من آل الحارث تؤخذ له ديتان ويعطون إذا لزمهم عقل قتيل من دوس دية واحدة فقال غلامان من
بني الحارث يوما ائتوا شيخ بني دوس وزعيمهم الذي ينتهون إلى أمره فلنقتله فأتياه فقالا يا عم إن لنا أمرا نريد أن تحكم بيننا فيه فأخرجاه من منزله فلما تنحيا به قال له أحدهما يا عم إن رجلي قد دخلت فيها شوكة فأخرجها لي فنكس الشيخ رأسه لينتزعها وضربه الآخر فقتله فعمدت دوس إلى سيد بني الحارث وكان نازلا بقنونى فأقاموا له في غيضة في الوادي وسرحت إبله فأخذوا منها ناقة فأدخلوها الغيضة وعقلوها فجعلت الناقة ترغو وتحن إلى الإبل فنزل الشيخ إلى الغيضة ليعرف شأن الناقة فوثبوا عليه فقتلوه ثم أتوا أهله وعرفت بنو الحارث الخبر فجمعوا لدوس وغزوهم فنذروا بهم فقاتلوهم فتناصفوا وظفرت بنو الحارث بغلمة من دوس فقتلوهم ثم إن دوسا اجتمع منهم تسعة وسبعون رجلا فقالوا من يكلمنا من يماننا حتى نغزو أهل ضماد فكان ضماد قد أتى عكاظ فأرادوا أن يخالفوه إلى أهله فمروا برجل من دوس وهو يتغني
- فإنَّ السِّلْمَ زائِدة نواها ... وإنَّ نوى المحارب لا تروب) - وافر)
فقالوا هذا لا يتبعكم ولا ينفعكم ان تبعكم أما تسمعون غناءه في السلم فأتوا حممة بن عمرو فقالوا أرسل إلينا بعض ولدك فقال وأنا إن شئتم وهو عاصب حاجبيه من الكبر فأخرج معهم ولده جميعا وخرج معهم وقال لهم تفرقوا فرقتين فإذا عرف بعضكم وجوه بعض فأغيروا
وإياكم والغارة حتى تتفارقوا لا يقتل بعضكم بعضا ففعلوا فلم يلتفتوا حتى قتلوا ذلك الحي من آل الحارث وقتلوا ابنا لضماد فلما قدم قطع أذني ناقته وذنبها وصرخ في آل الحارث فلم يزل يجمعهم سبع سنين ودوس تجتمع بازائه وهم مع ذلك يتغاورون ويتطرف بعضهم بعضا وكان ضماد قد قال لابن أخ له يكنى أبا سفيان لما أراد أن يأتي عكاظ إن كنت تحرز أهلي وإلا أقمت عليهم فقال له أنا أحرزهم من مائة فإن زادوا فلا وكانت تحت ضماد امرأة من دوس وهي أخت مربان بن سعد الدوسي الشاعر فلما أغارت دوس على بني الحارث قصدها أخوها فلاذت به وضمت فخذها على ابنها من ضماد وقالت يا أخي اصرف عني القوم فإني حائض لا يكشفوني فنكز سية القوس في درعها وقال لست بحائض ولكن في درعك سخلة بكذا من آل الحارث ثم أخرج الصبي فقتله وقال في ذلك
(ألا هل أتى أمَّ الحُصَيْنِ ولو نأتْ ... خِلافَتنا في أهلِه ابنُ مُسرَّحِ)
(ونضرةُ تدعو بالفِنَاءِ وطَلْقُها ... ترائبه ينفحْنَ من كلِّ مَنْفَحِ)
- وفرّ أبو سفيانَ لما بدا لنا ... فِرارَ جبانٍ لأمِّهِ الذلُّ مُقْرَحِ) - طويل)
يوم حضرة الوادي
قال فلم يزالوا يتغاورون حتى كان يوم حضرة الوادي فتحاشد الحيان ثم أتتهم بنو الحارث ونزلوا لقتالهم ووقف ضماد بن مسرح في
رأس الجبل وأتتهم دوس وأنزل خالد بن ذي السبلة بناته هندا وجندلة وفطيمة ونضرة فبنين بيتا وجعلن يستقين الماء ويحضضن وكان الرجل إذا رجع فارا أعطينه مكحلة ومجمرا وقلن معنا فانزل إي إنك من النساء وجعلت هند بنت خالد تحرضهم وترتجز وتقول
- مَنْ رجلٌ ينازل الكتيبهْ ... فذلِكُمْ تَزني به الحبيبهْ) - رجز)
فلما التقوا رمى رجل من دوس رجلا من آل الحارث فقال خذها وأنا أبو الزبن فقال ضماد وهو في رأس الجبل وبنو الحارث

بحضرة الوادي يا قوم زبنتم فارجعوا ثم رجل آخر من دوس فقال خذها وأنا أبو ذكر فقال ضماد ذهب القوم بذكرها فاقبلوا رأيي وانصرفوا فقال قد جبنت يا ضماد ثم التقوا فأبيدت بنو الحارث هذه رواية أبي عمرو
وأما الكلبي فإنه قال كان عامر بن بكر بن يشكر يقال له الغطريف ويقال لبنيه الغطاريف وكان لهم ديتان ولسائر قومه دية وكانت لهم على دوس أتاوة يأخذونها كل سنة حتى إن كان الرجل منهم ليأتي بيت الدوسي فيضع سهمه أو نعله على الباب ثم يدخل فيجيء الدوسي فإذا أبصر ذلك انصرف ورجع عن بيته حتى أدرك عمرو بن حممة بن عمرو فقال لأبيه ما هذا التطول الذي يتطول به أخواننا علينا فقال يا بني هذا شيء قد مضى عليه أوائلنا فأعرض عن ذكره فأعرض عن هذا الأمر وإن رجلا من
دوس عرس بابنة عم له فدخل عليها رجل من بني عامر بن يشكر فجاء زوجها فدخل على اليشكري ثم أتى عمرو بن حممة فأخبره بذلك فجمع دوسا وقام فيهم فحرضهم وقال إلى كم تصبرون لهذا الذل هذه بنو الحارث تأتيكم الآن تقاتلكم فاصبروا تعيشوا كراما أو تموتوا كراما فاستجابوا له وأقبلت إليهم بنو الحارث فتنازلوا واقتتلوا فظفرت بهم دوس وقتلتهم كيف شاءت فقال رجل من دوس يومئذ
(قد عَلِمَتْ صفراءُ حَرشاءُ الذَّيْلْ ... شرّابةُ المَحْضِ تَرُوكٌ للقَيْل)
(تُرْخي فروعاً مِثْلَ أذنابِ الخَيْلْ ... إنّ بَرُوقاً دونها كالويل)
- ودونها خَرْطُ القَتادِ بالليل ...) - رجز)
وقال الحارث بن الطفيل بن عمرو الدوسي في هذا اليوم عن أبي عمرو
(يا دار مِن ماويَّ بالسَّهْبِ ... بُنِيتْ على خَطْبٍ من الخَطْبِ)
(إذ لا ترى إلا مُقاتلةً ... وعَجانِسا يُرْقِلْنَ بالرَّكْبِ)
(ومُدَجّجاً يَسْعَى بِشِكَّتِه ... مُحْمَرَةً عيناه كالكلبِ)
(ومَعَاشراً صدأ الحديدُ بِهِمْ ... عَبَقَ الهِناءِ مَخاطِمَ الجُرْبِ)
(لما سمعْتُ نَزَالِ قد دُعِيتْ ... أيقنْتُ أنّهم بنو كعبِ)
(كعبِ بنِ عمروٍ لا لِكَعْبِ بني العنقاء ... والتِّبْيانُ في النَّسب)
((فرَمَيْتُ كَبْشَ القومِ مُعتمِداً ... فمضى وراشوهُ بذي كَعْبِ
(شكّوا بحَقْوَيْه القِدَاحَ كما ... ناط المُعَرِّضُ أقْدَحَ القُضْبِ)
(فكأنَّ مُهْري ظلّ مُنْغمساً ... بِشبَا الأسِنّة مَغْرَةُ الجأبِ)
(يا رُبَّ موضوع رفعْتُ ومَرْفوعٍ ... وضعْتُ بمنزل اللَّصْبِ)
(وحَلِيل غانيةٍ هتكْتُ قرارها ... تحت الوغى بشديدةِ العَضْبِ)
(كانت على حُبّ الحياة فقد ... أحْلَلْتُها في منزلٍ غرْبِ)
- جانيك مَنْ يَجْني عليكِ وقد ... تُعْدي الصِّحاحَ مبارِكُ الجُرْبِ) - كامل)
هذا البيت في الغناء في لحن ابن سريج وليس هو في هذه القصيدة ولا وجد في الرواية وإنما ألحقناه بالقصيدة لأنه في الغناء كما تضيف المغنون شعرا إلى شعر وإن لم يكن قائلها واحدا إذا اختلف الروي والقافية
صوت
(صَرَفْتُ هواكَ فانصرفا ... ولم تَدَعِ الذي سَلَفا)
(وبِنْتَ فلم أمتْ كَلِفا ... عليكَ ولم تَمُتْ أسَفا)
- كلانا واجد في الناس ... مِمّن ملّه خلفا) - مجزوؤ الوافر)
الشعر لعبد الصمد بن المعذل والغناء للقاسم بن زرزور رمل بالوسطى وفيه لعمر الميداني هزج
أخبار عبد الصمد بن المعذل ونسبه
عبد الصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم بن البختري بن المختار ابن ذريح بن أوس بن همام بن ربيعة بن بشير بن حمران بن حدرجان بن عساس بن ليث بن حداد بن ظالم بن ذهل بن عجل بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار وقيل ربيعة بن ليث بن حمران
وجدت في كتاب بخط أحمد بن كامل حدثني غيلان بن المعذل أخو عبد الصمد قال كان أبي يقول أفصى أبو عبد القيس هو أفصى بن جديلة ابن أسد وأفصى جد بكر بن وائل هو أفصى بن دعمي والنسابون يغلطون في قولهم عبد القيس بن أفصى بن دعمي ويكنى عبد الصمد أبا القاسم وأمه أم ولد يقال لها الزرقاء شاعر فصيح من شعراء الدولة العباسية بصري المولد والمنشأ وكان هجاء خبيث اللسان شديد العارضة وكان أخوه أحمد أيضا شاعرا إلا أنه كان عفيفا ذا مروءة ودين وتقدم في المعتزلة وله جاه واسع في بلده وعند سلطانه لا يقاربه عبد الصمد فيه
فكان يحسده ويهجوه فيحلم عنه وعبد الصمد أشعرهما وكان أبو عبد الصمد المعذل وجده غيلان شاعرين وقد روي عنهما شيء من الأخبار واللغة والحديث ليس بكثير والمعذل بن غيلان هو الذي يقول
(إلى اللّه أشكو لا إلى الناس أنني ... أرى صالح الأعمال لا أستطِيعها)
(أرى خلّةً في إخوة وأقاربٍ ... وذي رَحِمٍ ما كان مِثلي يُضِيعُها)
- فلو ساعَدَتني في المكارم قُدْرةٌ ... لَفَاضَ عليهمْ بالنوالِ ربيعها) - طويل)
أنشدنا ذلك له علي بن سليمان الأخفش عن المبرد وأنشدناه محمد ابن خلف بن المرزبان عن الربعي أيضا قالا وهو القائل
(ولستُ بِميّالٍ إلى جانِبِ الغِنى ... إذا كانت العلياءُ في جانِبِ الفَقْر)
- وإنّي لَصَبّارٌ على ما ينوبني ... وحسبُكَ أنّ اللّه أثنى على الصبر) - طويل)
التهاجي بينه وبين ابان
أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا النخعي وإسحاق قال هجا أبان اللاحقي المعذل بن غيلان فقال
(كنْتُ أمشي مع المعذَّل يوماً ... ففسا فَسْوةً فكدْتُ أطيرُ)
(فَتَلَفَّتُّ هل أرى ظَرِبانا ... من ورائي والأرضُ بي تستدير)
(فإذا ليس غيرهُ وإذا إعْصارُ ... ذاك الفُساء منه يفورُ)
- فتعجَّبْتُ ثم قُلْتُ لقد أعرفُ ... هذا فيما أرى خنزيرُ) - خفيف)

فأجابه المعذل فقال
(صَحَّفَتْ أمُّك إذْ سمْ ... مَتْك بالمَهْد أبانا
(قد عَلِمْنا ما أرادتْ ... لم تُرِدْ إلا أتانا)
(صَيَّرتْ باءً مكان ال ... تاء واللّهِ عِيانا)
- قَطَع اللّه وشيكا ... مِن مُسمِّيك اللسانا) - مجزوء الرمل)
أخبرني عمي قال حدثنا المبرد قال مر المعذل بن غيلان بعبد الله بن سوار العنبري القاضي فاستنزله عبد الله وكان من عادة المعذل أن ينزل عنده فأبى وأنشده
(أمِن حق المودةِ أن نُقَضّي ... ذِمامَكُمُ ولا تَقْضُوا ذِماما)
(وقد قال الأديبُ مقالَ صِدْقٍ ... رآه الآخَرون لهمْ إماما)
- إذا أكرمتُكُمْ وأَهَنْتُموني ... ولم أغْضَبْ لِذُلِّكُمُ فذاما) - وافر)
قال وانصرف فبكر إليه عبد الله بن سوار فقال له رأيتك أبا عمرو مغضبا فقال أجل ماتت بنت أختي ولم تأتني قال ما علمت ذلك قال ذنبك أشد من عذرك ومالي أنا أعرف خبر حقوقك وأنت لا تعرف خبر حقوقي فما زال عبد الله يعتذر إليه حتى رضي عنه
حدثني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا ابن مهرويه عن الحمدوني قال كان شروين حسن الغناء والضرب وكان من أراد أن يغنيه حتى يخرج من جلده جاء بجويرية سوداء فأمرها أن تطالعه وتلوح له بخرقة حمراء ليظنها امرأة تطالعه فكان حينئذ يغني أحسن ما يقدر عليه تصنعا لذلك فغضب عليه عبد الصمد في بعض الأمور فقال يهجوه
(مَن حلَّ شَرَوينُ له منزلاً ... فَلْتَنْهَهُ الأولى عن الثانيهْ)
سريع -فليسَ يدعوه إلى بيته ... إلاّ فتىً في بيته زانيهْ))
أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أبو عمرو البصري قال قال عبد الصمد بن المعذل في رجل زان من أهل البصرة كانت له امرأة تزني فقال
(إن كنْتِ قد صفَّرْتِ أُذْنَ الفتى ... فطالما صَفَّرَ آذانا)
- لا تعجبي إن كنْتِ كَشْخَنْتِهِ ... فإنَّما كَشْخَنْتِ كَشْخانا) - سريع)
أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب قال حدثنا سوار بن أبي شراعة قال كان بالبصرة رجل يعرف بابن الجوهري وكانت له جارية مغنية حسنة الغناء وكان ابن الجوهري شيخا هما قبيح الوجه فتعشقت فتى كاتبا كان يعاشره ويدعوه وكان الفتى نظيفا ظريفا فاجتمعت معه مرارا في منزله وكان عبد الصمد يعاشره فكان الفتى يكاتمه أمره ويحلف له أنه لا يهواها فدخلت عليهما ذاتِ يومٍ بغتة فبقي الفتى باهتا لا يتكلم وتغير لونه وتخلج في كلامه فقال عبد الصمد
(لسانُ الهوى ينطقُ ... ومَشهدُه يَصدقُ)
(لقد نمَّ هذا الهوى ... عليك وما يُشْفِقُ)
(إذا لم تكن عاشقاً ... فقلبُك لِمْ يخفقُ)
(ومالَكَ إمَّا بدَتْ ... تَحارُ فلا تنطِقُ)
- أشَمْسٌ تجلَّتْ لنا ... أمِ القمرُ المشرقُ) - مجزوء المتقارب)
الغناء في هذه الأبيات لرذاذ ويقال للقاسم بن زرزور رمل مطلق
قال ثم طال الأمر بينهما فهربت إليه جملة فقال عبد الصمد في ذلك
(إلى امرىءٍ حازم رَكِبَتْ ... أيَّ امرىء عاجزٍ تركَتْ)
(فتنةُ ابن الجوهريِّ لقد ... أظهرَتْ نُصحاً وقد أفِكَتْ)
(أكذبَتْهَا عزمةٌ ظهرت ... لا تبالي نفسَ مَن سفكتْ)
(ظفِرتْ فيها بما هوِيَتْ ... ونَجَت مِن قُرْبِ مِن فَرِكت)
(ثمّ خدودٌ بعدها لُطِمَتْ ... وجيوبٌ بعدها هُتِكتْ)
(وعيون لا يُرقَأْنَ علي ... حُسنِ وجهٍ فاتَهُنَّ بَكَتْ)
(خرجتْ والليل مُعْتكِرٌ ... لم يَهُلْها أيَّةً سلكتْ)
(وعيونُ النّاسِ قد هجَعتْ ... ودُجى الظَّلْماء قد حَلكتْ)
(لم تَخفْ وَجْداً بعاشقها ... حُرمةَ الشَّهرِ الذي انتهكتْ)
(ورأتْ لمّا سَقَتْ كَمداً ... أنّها في دينها نَسَكتْ)
(مُلِّئت كفٌّ بها ظَفِرت ... دونَ هذا الخلقِ ما مَلَكتْ)
(أيُّ ملك إذا خلا وخلَتْ ... فشكا أشجانَه وشَكَتْ)
(تَجتلي مِن وجهِهِ ذهباً ... وَهْوَ يَجلُو فضّةً فتكت)
(هكذا فعلُ الفتاة إذا ... هي في عُشّاقها مَحَكَت)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني بعض أصحابنا قال
نظر عبد الصمد بن المعذل إلى جارٍ له يخطر في مشيته خطرة منكرة وكان فقيرا رث الحال فقال فيه
((يتمشّى في ثَوْبِ عَصْبٍ من العُرْيِ ... على عظْمِ ساقِهِ مَسْدولِ
(دبَّ في رأسِه خُمارٌ من الجوعِ ... سرَى خُمرةِ الرحيق الشَّمُولِ)
(فبكى شجْوَه وحنَّ إلى الخُبزِ ... ونادى بزفرةٍ وعويلِ)
(مَن لقلبٍ متيّم برغيفين ... ونفْسٍ تاقت إلى طِفْشيلِ)
(ليس تسمو إلى الولائم نفسي ... جلَّ قَدْرُ الأعراس عن تأميلي)
- هاتِ لوناً وقُلْ لتلكَ تغنّي ... لَسْتُ أبكي لدارساتِ الطُّلول) - خفيف)
رثاؤه لأبي سلمة الطفيلي
أخبرنا سوار بن أبي شراعة قال كان بالبصرة طفيلي يكنى أبا سلمة وكان إذا بلغه خبر وليمة لبس لبس القضاة وأخذ ابنيه معه وعليهما القلانس الطوال والطيالسة الرقاق فيقدم ابنيه فيدق الباب أحدهما ويقول افتح يا غلام لأبي سلمة ثم لا يلبث البواب حتى يتقدم الآخر فيقول افتح ويلك فقد جاء أبو سلمة ويتلوهم فيدقون جميعا الباب ويقولون بادر ويلك فإن

أبا سلمة واقف فإن لم يكن عرفهم فتح لهم وهاب منظرهم وإن كانت معرفته إياهم قد سبقت لم يلتفت إليهم ومع كل واحد منهم فهر مدور يسمونه كيسان فينتظرون حتى يجيء بعض من
دعي فيفتح له الباب فإذا فتح طرحوا الفهر في العتبة حيث يدور الباب فلا يقدر البواب على غلقه ويهجمون عليه
فيدخلون فأكل أبو سلمة يوما على بعض الموائد لقمة حارة من فالوذج وبلعها لشدة حرارتها فجمعت أحشاؤه فمات على المائدة فقال عبد الصمد بن المعذل يرثيه
(أحزان نفسي عليها غير مُنْصَرِمهْ ... وأدمُعي من جفوني الدَّهرَ مُنْسَجِمَهْ)
(على صديقٍ ومولًى لي فُجِعْتُ بهِ ... ما إنْ لهُ في جميع الصالحين لُمَه)
(كم جفنةٍ مثل جوفِ الحوض مُتْرَعَةٍ ... كوماءَ جاء بها طَبَّاخُها رَذِمه)
(قد كَلَّلَتْها شحومٌ من قَلِيَّتِها ... ومن سَنَامِ جَزُورٍ عَبْطةٍ سَنِمَهْ)
(غُيِّبْتَ عنها فلم تَعرف له خبراً ... لهفي عليكَ وويلي يا أبا سلمه)
(ولو تكون لها حيًّا لما بَعُدَتْ ... يوماً عليك ولو في جاحمٍ حُطَمه)
(قد كنت أعلم أنَّ الأكل يقتله ... لكنَّني كنت أخشى ذاكَ من تُخَمه)
- إذا تعمَّم في شِيْلَيْهِ ثم غدا ... فإنَّ حوزةَ من يأتيه مُصْطَلِمَه) - بسيط)
عشق فتى فقال فيه الشعر
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه قال كان عبد الصمد بن المعذل يتعشق فتى من المغنين يقال له أحمد فغاضبه الفتى وهجره فكتب إليه
صوت
(سَلْ جَزَعِي مُذْ صَدَدْتَ عن حالي ... هل خَطَر الصَّبْرُ على بالي)
(لا غيَّرَ اللّهِ سوءَ فِعلِك بي ... إن كُنْتُ أعتبْتُ فيك عُذّالي)
(ولا ذَمَمْتُ البكا لي عليكَ ولا ... حَمِدْتُ حُسنَ السلُوِّ من سالِ)
- لو كُنْتُ أبغي سِواكَ ما جهِلَتْ ... نفسيَ أنَّ الصُّدود أعفى لي) - رمل مطلق)
لجحظة في هذه الأبيات رمل مطلق
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي بن محمد النوفلي فقال هجا عبد الصمد بن المعذل قينة بالبصرة قال فيها
(تَفْتَرُّ عن مَضْحَكِ السِّدْرِيِّ إن ضحكتْ ... كَرْفَ الأتانِ رأت إدلاءَ أعيار)
- يَفوحُ ريحُ كنيفٍ من ترائبها ... سوداءُ حالكةٌ دَهْمَاءُ كالقار) - بسيط)
قال فكسدت والله تلك القينة بالبصرة فلم تدع ولم تستتبع حتى أخرجت عنها
عتابة لبعض الأمراء
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا المبرد قال كتب عبد الصمد بن المعذل إلى بعض الأمراء رقعة فلم يجبه عنها لشيء كان بلغه
عنه فكتب إليه
(قد كتبتُ الكتاب ثم مَضَى اليوم ... ولم أدْرِ ما جوابُ الكتابِ)
(ليتَ شِعري عن الأمير لماذا ... لا يراني أهلاً لردِّ الجوابِ)
(لا تدَعْني وأنت رفَّعْتَ حالي ... ذا انخفاضٍ بهجرتي واجتنابي)
(إن أكنْ مذنباً فعندي رجوعٌ ... وبلاءٌ بالعذر والإعْتاب)
- وأنا الصادقُ الوفاءِ وذو العهدِ ... الوثيق المؤكَّد الأسباب) - خفيف)
أخبرني الحرمي بن علي قال حدثني أبو الشبل قال كان بالبصرة رجل من ولد المهلب بن أبي صفرة يقال له صبيانة وكان له بستان سري في منزله فكان يدعو الفتيات إليه فلا يعطيهن شيئا من الدراهم ويقصر بهن على ما يحملنه من البستان معهن مثل الرطب والبقول والرياحين فقال فيه عبد الصمد قوله
(قومٌ زُناةٌ مالُهمْ دراهِمُ ... جِذْرُهُمُ النَّمَّامُ والجَمَاحِمُ)
(أنذلُ من تَجْمَعُهُ المواسمُ ... خَسُّوا وخَسَّتْ منهمُ المطاعِمُ)
- فعدلُهمْ إن قِسْتَه المظالِمُ ...) - رجز)
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني سوار بن أبي شراعة وأخبرنا به سوار إجازة قال حدثني أبي قال لما هجا الجماز عبد الصمد بن المعذل جاءني فقال لي أنقذني منه فقلت له أمثلك يفرق من الجماز فقال نعم لأنه لا يبالي بالهجاء ولا يفرق منه ولا عرض له وشعره ينفق على
من لا يدري فلم أزل حتى أصلحت بينهما بعد أن سار قوله فيه
(ابن المعذّل مَنْ هُو ... ومَنْ أبوهُ المعذَّلْ)
- سألْتُ وَهْبانَ عنه ... فقال بَيضٌ مُحَوَّلْ) - مجتث)
قال وكان وهبان هذا رجلا يبيع الحمام فجمع جماعة من أصحابه وجيرانه وجعل يغشى المجالس ويحلف أنه ما قال إن عبد الصمد بيض محول ويسألهم أن يعتذروا إليه فكان هذا منه قد صار بالبصرة طرفة ونادرة فجاءني عبد الصمد يستغيث منه ويقول لي ألم أقل لك إن آفتي منه عظيمة والله لدوران وهبان على الناس يحلف لهم أنه ما قال إني بيض محول أشد علي من هجائه لي فبعثت إلى وهبان فأحضرته وقلت له يا هذا قد علمنا أن الجماز قد كذب عليك وعذرناك فنحب أن لا تتكلف العذر إلى الناس في أمرنا فإنا قد عذرناك فانصرف وقد لقي عبد الصمد بلاء
أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني النحوي صهر المبرد قال حدثني إسحاق بن محمد النخعي قال قال لي أبو شراعة القيسي بلغ أبا جعفر مضرطان أن عبد الصمد بن المعذل هجاه واجتمعا عند أبي واثلة السدوسي فقال له مضرطان بلغني أنك هجوتني فقال له عبد الصمد من أنت حتى أهجوك قال هذا شر من الهجاء فوثب إلى عبد الصمد يضربه فقال الحمدوي وهو إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه وحمدويه جده وهو الذي كان يقتل الزنادقة
(ألذُّ مِن صُحبة القَنَانِي ... أو اقتراحٍ على قِيانِ)
((لَكْزُ فتىً من بني لُكَيْزٍ ... يُهْدَى له أهون الهوان

(أهوَى له بازلٌ خِدَبٌّ ... يطحَنُ قَرْنيه بالجران)
(فنال منه ثُؤُورَ قوم ... باليد طوراً وباللِّسان)
- وكان يفسو فصار حقّاً ... يضرطُ من خوفِ مَضْرَطان) - مخلع بسيط)
قال وبلغ عبد الصمد شعر الحمدوي فقال أنا له ففزع الحمدوي منه فقال
(تَرَحَّ طُعِنْتُ به وهمٌّ واردُ ... إذْ قيل إنّ ابنَ المُعَذّلِ واجدُ)
- هيهاتَ أن أجدَ السَّبيلَ إلى الكَرَى ... وابنُ المعذَّلِ من مِزاحي حاردُ) - كامل)
فرضي عنه عبد الصمد
تهاجي الجماز والمعذل
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العنزي قال حدثني إبراهيم بن عقبة اليشكري قال قال لي عبد الصمد بن المعذل هجاني الجماز ببيتين سخيفين فسارا في أفواه الناس حتى لم يبق خاص ولا عام إلا رواهما وهما
(ابنُ المعذل مَنْ هو ... ومن أبوه المعذّلْ)
مجتث -سألْتُ وَهْبانَ عنه ... فقال بَيْضٌ مُحَوَّلْ))
فقلت أنا فيه شعرا تركته يتحاجى فيه كل أحد فما رواه أحد ولا فكر فيه وذلك لضعته وهو قولي
(نَسَبُ الجمّازِ مقصورٌ ... إليه منْتَهاهُ)
(يتراءَى نَسَبُ الناسِ ... فما يخفَى سِواهُ)
(يتحاجى في أبي الجَمّاز ... من هُوْ كاتباهُ)
- ليس يَدْري مَنْ أبو الجمّاز ... إلا مَن يراه) - مجزوء الكامل)
أخبرني الأخفش قال كان لعبد الصمد بستان نظيف عامر فأنشدنا لنفسه فيه
(إذا لم يزرنِي نَدْمانِيَهْ ... خَلَوْتَ فنادمْتُ بستانِيَهْ)
(فنادمْتُه خَضِراً مُؤنقا ... يُهَيِّجُ لي ذكرَ أشجانِيَهْ)
(يقرِّب مَفْرَحَةَ المُستَلِذِّ ... ويُبعِد هَمِّي وأحزانِيَهْ)
(أرى فيه مثلَ مداري الظِّباءِ ... تظلُّ لأطلائها حانيه)
(ونَوْرَ أقاحِ شتيتِ النباتِ ... كما ابتسمَتْ عجباً غانيه)
- ونرجسُهُ مثلُ عين الفتاة ... إلى وجهِ عاشقِها رانيَه) - متقارب)
أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب قال كان يزيد بن عبد الملك المسمعي يهوى جارية من جواري القيان يقال لها عليم وكان يعاشر عبد الصمد ويزيد يومئذ شاب حديث السن وكان عبد الصمد يسميه ابني
ويسمي الجارية ابنتي فباع الفتى بستانا له في معقل وضيعة بالقندل فاشترى الجارية بثمنها فقال عبد الصمد
(بُنيّتي أصبحَتْ عَروساً ... تُهدَى من ابني إلى عروس)
(زُفَّتْ إليه لخير وقتٍ ... فاجتمعا ليلةَ الخميس)
(يا معشرَ العاشِقين أنتُمْ ... بالمنزل الأرذلِ الخسيس)
(يزيدُ أضحى لكُمْ رئيساً ... فاتَّبعوا مَنْهجِ الرئيس)
- مَن رام بَلاًّ لرأسِ أيْرٍ ... ذلَّل نفساً بِحَلِّ كِيس) - مخلع البسيط)
أخبرني محمد بن خلف بن المزربان قال حدثني يزيد بن محمد المهلبي قال بلغ عبد الصمد بن المعذل أن أبا قلابة الجرمي تدسس إلى الجماز لما بلغه تعرضه له وهجاؤه إياه فحمله على الزيادة في ذلك ويضمن له أن ينصره ويعاضده وقد كان عبد الصمد هجا أبا قلابة حتى أفحمه فقال عبد الصمد فيهما
(يا مَن تركْتُ بصخرة ... صَمّاءَ هامَتَهُ أميمَهْ)
(إن الذي عاضدَتَهُ ... أشبهْتَه خُلُقاً وشيمهْ)
(وكفِعل جدَّتك الحديثة ... فعلُ جدّته القديمهْ)
فتناصرا فابنُ اللئيمة ... ناصرٌ لابْنِ اللئيمهْ) - مجزوء الكامل)
حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني أبو العيناء قال كان لعبد الصمد بن المعذل صديق يعاشره ويأنس به فتزوج إليه أمير البصرة وكان ولد سليمان بن علي فنبل الرجل وعلا قدره وولاه المتزوج إليه عملا فكتب إليه عبد الصمد
(أحُلْتَ عمّا عهِدْتُ من دأبكْ ... أم نلْتَ مُلْكاً فَتِهْتَ في كُتِبكْ)
(أم هل ترى أنَّ في مناصفة الإخْوانِ ... نَقْصاً عليك في حَسَبِكْ)
(أم كان ما كان منك عن غضبٍ ... فأيُّ شيءٍ أدناك من غَضَبِكْ)
(إنَّ جفاءً كتابَ ذي ثقة ... يكون في صدره وأمتعَ بك)
(كيفَ بإنصافنا لديكَ وقد ... شاركْتَ آلَ النبيِّ في نسبِك)
(قلْ للوفاءِ الذي تقدِّرهُ ... نفسك عندي مَلِلت من طلبك)
- أتعبْتَ كفَّيْكَ في مواصلتي ... حسبُك ماذا كفيت من تعبك) - منسرح)
فأجابه صديقه
(كيف يَحُول الإخاء يا أملي ... وكلُّ خيرٍ أنال من نسبِكْ)
(إن يَكُ جهلٌ أتاك مِن قِبَلي ... فامنُنْ بفضلٍ عليَّ من أدبك)
- أنكرْتَ شيئاً فلسْتَ فاعِلَه ... ولا تراه يَخُطُّ في كتبك) - منسرح)
حدثني الأخفش قال حدثنا المبرد قال كان لعبد الصمد بن المعذل صديق كثير الكذب كان معروفا بذلك فوعده وعدا فأخلفه ومطله به مطلا طويلا فقال عبد الصمد
(لي صاحبٌ في حديثه البركَهْ ... يزيدُ عند السُّكون والحركَهْ)
منسرح -لو قال لا في قليلِ أحرُفِها ... لردَّها بالحُروف مشتبِكَهْ))
هجاؤه لبني المنجاب
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني سوار بن أبي شراعة قال كان يحيى بن عبد السميع الهاشمي يعاشر عبد الصمد بن المعذل ويجتمعان في دار رجل من بني المنجاب له جارية مغنية وكان ينزل رحبة المنجاب بالبصرة ثم استبد بها

الهاشمي دون عبد الصمد فقال فيهم عبد الصمد
(قل ليحيى مَلِلْتُ من أحبابي ... فَلْيَنِكْهُمْ ما شاء من أصحابي)
(قد تَركْنا تَعشُّقَ الْمُرْدِ لمَّا ... أنْ بَلَوْنا تنعُّم العزَّاب)
(وشِنِئْنا المؤاجِرين فَمِلْنا ... بعد خُبْرٍ إلى وصالِ القِحاب)
(حبّذا قَيْنةٌ لأهل بني المِنجابِ ... حلّتْ في رحبة المِنجاب)
(صدَّقتْ إذ يقول لي خُلُقَ الأحراح ... ليس الفِقاحُ للأزباب)
(حبّذا تلك إذ تُغَنّيكِ يا يحيى ... وتَسْقيك من ثنايا عِذابِ)
(ذكَرَ القلبُ ذُكْرَةً أُمَّ زيدٍ ... والمطايا بالسَّهْب سَهْبِ الرِّكاب)
(حبّذا إذ ركِبْتَها فتجافتْ ... تتشكى إليكَ عند الضِّراب)
(وتَغَنَّتْ وأنت تدفَعُ فيها ... غيرَ ذي خِيفة لهمْ وارتقاب)
(وإنَّ جَنْبي عَن الفراش لَنَابي ... كتجافي الأسرِّ فوق الظِّراب)
((ليت شعري هل أسمعَنَّ إذا ما ... زاحَ عني وساوسُ الكتّاب
(مِنْ فتاةٍ كأنها خُوطُ بانٍ ... مجَّ فيها النعيمُ ماءَ الشبابِ)
(إذْ تُغنّيكَ خَلْفَ سِجْفٍ رقيق ... نَغَماتٍ تحبُّها بصواب)
(شَفَّ عنها مُحَقَّقٌ جَنَدِيٌّ ... فَهْي كالشَّمس من خلال سَحاب)
(ربَّ شِعْرٍ قد قُلْته بتباهٍ ... ويُغَنَّى به ذوو الألباب)
- قد تركْتُ الملحِّنين إذا ما ذكروه قاموا على الأذناب) - خفيف)
قال وشاعت الأبيات بالبصرة فامتنع مولى الجارية من معاشرة الهاشمي وقطعه بعد ذلك
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وأحمد بن يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني أحمد بن صالح الهاشمي قال كان الحسين بن عبد الله بن العباس بن جعفر بن سليمان مائلا إلى عبد الصمد بن المعذل وكان عبد الصمد يهجو هشاما الكرنباني فجرى بين ابني هشام الكرنباني وهما أبو واثلة وإبراهيم وبين الحر بن عبد الله لحاء في أمر عبد الصمد لأنهما ذكراه وسباه فامتعض له الحسين وسبهما عنه فرميا الحسين بابن المعذل ونسباه إلى أن عبد الصمد يرتكب القبيح وبلغ الحسين ذلك فلقيهما في سكة المربد فشد عليهما بسوطه وهو راكب فضربهما ضربا مبرحا وأفلت أبو واثلة ووقع سبيب السوط
في عين إبراهيم فأثر فيها أثرا قبيحا فاستعان بمشيخة من آل سليمان بن علي وهرب أبو واثلة إلى الأمير علي بن عيسى وهو والي البصرة فوجه معه بكتابه ابن فراس إلى باب الحسين بن عبد الله فطلبه وهرب حسين إلى المحدثة فلما كان من الغد جاء حسين إلى صالح بن إسحاق بن سليمان وإلى ابن يحيى بن جعفر بن سليمان ومشيخة من آل سليمان فصاروا معه إلى علي بن عيسى وأقبل عبد الصمد بن المعذل لما رآهم فدخل معهم لنصرة حسين فكلموا علي بن عيسى في أمره وقام عبد الصمد فقال أصلح الله الأمير هؤلاء أهلك وأجلة أهل مصرك تصدوا إليك في ابنهم وابن أخيهم وهو إن كان حدثا لا ينبسط للحجة بحداثته فإن ها هنا من يعبر عنه وقد قلت أبياتا فإن رأى الأمير أن يأذن في إنشادها فعل قال قل فأنشده عبد الصمد قوله
(يا ابنَ الخلائف وابنَ كلِّ مُبارَكٍ ... رأسَ الدعائم سابِقَ الأغصانِ)
(إنَّ العلوجَ على ابنِ عمك أصفقوا ... فأتوك عنه بأعظم البهتان)
(قَرفُوه عندك بالتعدّي ظالماً ... وهُمُ ابتدَوْه بأعظمِ العدوان)
(شتَموا له عِرْضاً أغَرَّ مُهَذَّباً ... أعراضُهُمْ أولى بكلِّ هوان)
(وسَمَوْا بأجسامٍ إليه مَهينةٍ ... وُصِلتْ بألأمِ أذْرُعٍ وبَنان)
(خُلِقَتْ لمدِّ القَلْس لا لتناوُلٍ ... عِرْضِ الشّريف ولا لمدِّ عِنان)
(لم يحفَظوا قرباه منك فينتهوا ... إذْ لم يَهابُوا حُرْمَةَ السُّلطان)
((أيَذِلُّ مظلوماً وجدُّك جَدُّه ... كيما يعزَّ بذلّهِ عِلْجان
(وينال أقلفُ كَربلاءَ بِلادُه ... ذلَّ ابنِ عمِّ خليفةِ الرحمن)
- إني أُعيذُك أن تُنَالَ بك التي ... تَطْغَى العلوجُ بها على عَدْنان) - كامل)
فدعا علي بن عيسى حسينا فضمه إليه فقال انصرف مع مشايخك ودعا بهشام الكرنباني وابنيه فعذلهم في أمره ثم أصلح بينهم بعد ذلك
أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا محمد بن يزيد قال كان عبد الصمد بن المعذل يعاشر عبد الله بن المسيب ويألفه فبلغه أنه اغتابه يوما وهو سكران وعاب شيئا أنشده من شعره فقال فيه وكتب بها إليه
(عَتْبي عليكَ مُقارنُ العُذْرِ ... قد زال عند حفيظتي صَبْري)
(لكِ شافعٌ منِّي إليّ فما ... يَقْضي عليكَ بهفوةٍ فكري)
(لمّا أتاني ما نطقتَ به ... في السُّكرِ قلْتُ جنايةُ السكر)
(حاشا لعبدِ اللّه يذكُرني ... مستَعْذِباً بنقيصتي ذكري)
(إنْ عابَ شعري أوْ تَحَيَّفَهُ ... فَلْيَهْنِهِ ما عابَ مِن شعري)
(يا ابنَ المُسَيَّبِ قد سبقْتَ بما ... أصبحْتَ مرتهناً به شكري)
(فمتى خُمِرْتَ فأنتَ في سَعَةٍ ... ومتى هَفوْتَ فأنت في عُذْرِ)
- تَرْكُ العتاب إذا استحَقَّ أخٌ ... منك العتابَ ذريعةُ الهَجْرِ) - كامل)
أخبرني الأخفش قال حدثنا المبرد قال دعا عبد الصمد بن المعذل شروين المغني وكان محسنا متقدما في صناعته فتعالل عليه ومضى إلى غيره فقال عبد الصمد والله لأسمنه ميسما لا يدعوه بعده أحد بالبصرة إلا بعد أن يبذل عرضه وحريمه فقال فيه
(مَنْ حَلَّ شَرْوينُ له منزلاً ... فَلْتَنْهَهُ الأولى عن الثانيهْ)
سريع -فليس يدعوه إلى بيته ... إلا فتىً في بيته زانيهْ))
فتحاماه أهل البصرة حتى اضطر إلى أن خرج إلى بغداد وسر من رأى

هجاؤه لأبي رهم

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وأحمد بن العباس العسكري قالا حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا الفضل بن أبي جرزة قال كان أبو قلابة الجزمي وعبد الصمد بن المعذل وعبد الله بن محمد بن أبي عيينة المهلبي أرادوا المسير إلى بيت بحر البكراوي وكانت له جارية مغنية يقال لها جلبة وكان أبو رهم إليها مائلا يتعشقها ثم اشتراها بعد ذلك فلما أرادوا الدخول إليها وافاهم أبو رهم فأدخلوه وحده وحجبوهم فانصرفوا إلى بستان ابن أبي عيينة فقال أبو قلابة لا بد أن نهجو أبا رهم فقالوا قل فقال

(ألا قل لأبي رهْمٍ ... سيهوى نَعْتَكَ الوصفُ)
(كما حالفك الغيُّ ... كذا جانَبك الظَّرْفُ)
(أتانا أنه أهدى ... إلى بحرٍ من الشَّغْفِ)
(حُزَيْماتٍ من الصِّير ... فهلاَّ معه رُغْفُ)
- فنادَوْا اقسمي فينا ... فقد جاءكم اللُّطْفُ) - هزج)

فقال له عبد الصمد سخنت عينك أيش هذا الشعر بمثل هذا يهجى من يراد به الفضيحة فقال أبو قلابة هذا الذي حضرني فقل أنت ما يحضرك فقال أفعله وأجود فكان هذا سبب هجاء عبد الصمد أبا رهم وأول قصيدة هجاه بها قوله

((دَعُوا الإسلامَ وانتحِلُوا المجوسا ... وألقُوا الرَّبْطَ واشتَمِلُوا القَلُوسا
(بني العبدِ المُقيمِ بنهرِ تِيْرَى ... لقد أنْهضْتُ طِيرَكُمُ نحوسا)
(حرامٌ أن يَبيتَ لكُمْ نزيلٌ ... فلا يُمسِي بأمِّكمُ عروسا)
(إذا ركَدَ الظلامُ رأت عُسَيْلاً ... يَحُثُّ على نَداماهُ الكؤوسا)
(ويُذْكِرُهُمْ أبو رهْمٍ بهجو ... فيستدعي إلى الحُرَمِ النُّفوسا)
(ويُخْلِيهِمْ هِشامٌ بالغواني ... ويُحمي الفضلُ بينهمُ الوطيسا)
(فتسمع في البيوت لهمْ هبيبا ... كما أهملْتَ في الزَّربِ التيوسا)
(لقد كان الزناةُ بلا رئيس ... فقد وجد الزناةُ بهمْ رئيسا)
(هُمُ قَبِلُوا الزّناد وأنشأوه ... وهُمْ وسموا بجبهته حبيسا)
- لئن لم تنْفِ دعوتَهم سَدُوسٌ ... لقد أخزى الإله بهمْ سَدوسا) - هزج)

وقال فيه

((لو جادَ بالمال أبو رهْمٍ ... كجُوْدِه بالأخت والأمِّ
(أضحى وما يُعرَفُ مِثْلٌ له ... وقيل أسخى العُرْبِ والعُجْمِ)
- مَنْ بَرَّ بالحرْمَةِ إخوانَه ... أحَقُّ أن يُشْكر بالشتْمِ) - سريع)

وله فيه من قصيدة طويلة

(هو واللّه مُنْصِفٌ ... زوْجُهُ زوْجُ زوجتِهْ)
- يقسم الأيرَ عادلاً ... بين حِرْها وفَقْحَتِهْ) - مجزوء الخفيف)

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا العنزي قال حدثني أبو الفضل بن عبدان قال خرج عبد الصمد بن المعذل مع أهله إلى نزهة وقال

(قد نَزَلْنا بروضةٍ وغدير ... وَهَجَرْنا القصرَ المنيف المشيدا)
(بعريشٍ ترى من الزاد فيه ... زُكْرَتَيْ خَمرةٍ وصَقْراً صَيُودا)
(وغَرِيرَيْنِ يطربان الندامى ... كلما قلْتُ أبْدِيا وأعيدا)
(غنِّياني فَغَنَّياني بلحْنٍ ... سَلِسِ الرَّجْعِ يصدع الجلمودا)
(لا ذَعَرْتُ السَّوامَ في فلق الصُّبْحِ ... مُغِيراً ولا دُعِيتُ يزيدا)
(حَيِّ ذا الزَّوْرَ وانهَه أن يعودا ... إنّ بالباب حارسين قعودا)
(من يزُرْنا يجِدْ شِواءَ حُبارَى ... وقَدِيراً رَخصاً وخَمْراً عتيدا)
((وكِراماً مُعَذَّلين وبيضاً ... خلعوا العُذْرَ يسحبون البُرودا
- لستُ عن ذا بمقْصِرٍ ما جزائي ... قرَّبتْ لي كريمةٌ عنقودا) - خفيف)

شعره في الافشين

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال نظر عبد الصمد بن المعذل إلى الأفشين بسر من رأى وهو غلام أمرد وكان من أحسن الناس وهو واقف على باب الخليفة مع أولاده القواد فأنشدنا لنفسه فيه قال

(أيها اللاحِظِي بطرْفٍ كليلِ ... هل إلى الوصل بيننا مِن سبيل)
(عَلِمَ اللّهُ أنني أتمنَّى ... زَورةً منكَ عند وقتِ المَقِيل)
(بعد ما قد غدوْتَ في القُرْطَقِ الجَونِ ... تَهادَى وفي الحسام الصقِيل)
(وتكَفَّيْتَ في المواكب تَخْتالُ ... عليها تميل كلَّ مَميل)
(وأطلْتَ الوقوف منك بِباب القصْر ... تَلْهو بكلِّ قال وقيْل)
(وتحدّثْتَ في مطاردة الصَّيد ... بخُبْرٍ به ورأيٍ أصيل)
(ثمَّ نازعْتَ في السِّنان وفي الرمح ... وعِلْمٍ بمُرْهَفاتِ النُّصُولِ)
(وتكلّمْتَ في الطِّراد وفي الطَّعن ... ووثْبٍ على صِعابِ الخيولِ)
(فإذا ما تفرّقَ القومُ أقبلْتَ ... كريحانةٍ دَنَتْ لذبول)
((قد كساك الغبارُ منه رداًءً ... فوقَ صُدغٍ وجَفْنِ طرْفٍ كحِيل
(وبَدَتْ وُرْدَةُ القَسامة من خَدِّكَ ... في مشْرِقٍ نقيٍّ أسِيل)
(ترشَحُ المِسْكَ منه سالفةُ الظبْي ... وجِيدُ الأدمانة العُطْبُول)
(فأسُوفُ الغبار ساعة ألقاكَ ... برشْفِ الخدّين والتقبيل)
(وأحُلُّ القَباَء والسَّيفَ من خَصرِكَ ... رفْقاً باللُّطف والتعليل)
(ثم تُؤتى بما هويتَ من التَّشريفِ ... عندي والبرِّ والتبجيل)

(ثم أجلوكَ كالعروسِ على الشَّرْبِ ... تَهادَى في مُجْسَدٍ مصقول)
(ثم أسقيك بعد شُرْبِيَ مِنْ رِيقِك ... كأساً من الرحيق الشمول)
(وأغنّيك إن هويتَ غِناءً ... غير مستكرَه ولا مملول)
(لا يزال الخَلخال فوقَ الحشايا ... مثلَ أثناء حَيَّةٍ مقْتول)
(فإذا ارتاحتِ النفوسُ اشتياقاً ... وتمنَّى الخَليلُ قُرْبَ الخليل)
- كان ما كان بيْننا لا أسمِّيهِ ... ولكنّه شفاءُ الغليل) - خفيف
شعره في متيم
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني الحسن بن عليل العنزي والمبرد وغيرهما قالوا كانت متيم جارية لبعض وجوه أهل البصرة فعلقها عبد الصمد بن المعذل وكانت لا تخرج إلا منتقبة فخرج عبد الصمد يوما إلى نزهة وقدمت متيم إلى عبيد الله بن الحسن بن أبي الحر القاضي فاحتاج إلى أن يشهد عليها فأمرها بأن تسفر فلما قدم عبد الصمد قيل له لو رأيت متيم وقد أسفرها القاضي لرأيت شيئا حسنا لم ير مثله فقال عبد الصمد قوله
(ولما سرَتْ عنها القناعَ مُتَيَّمٌ ... تَروَّحَ منها العنبريُّ متيَّما)
(رأى ابنُ عبيدِ اللَّه وهو مُحَكَّمٌ ... عليها لها طَرْفاً عليه محكّما)
(وكان قديماً كالحَ الوجهِ عابساً ... فلما رأى منها السفُورَ تبسَّما)
- فإن يَصْبُ قلبُ العنبريٍّ فقبلَه ... صبا باليتامى قلبُ يحيى بنِ أكثما) - طويل)
فبلغ قوله يحيى بن أكثم فكتب إليه عليك لعنة الله أي شيء أردت مني حتى أتاني شعرك من البصرة فقال لرسوله قل له متيم أقعدتك على طريق القافية
أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني عبد الله بن أحمد العبدي قال حدثني الأنيسي قال كنت عند إسحاق بن إبراهيم وزاره أحمد بن المعذل وكان خرج من البصرة على أن يغزو فلما دخل على إسحاق بن إبراهيم أنشده
(أفضلْتَ نُعمى على قومٍ رَعَيْتَ لَهُمْ ... حقًّا قديماً من الودّ الذي دَرَسا)
(وحرمةَ القصْدِ بالآمال إنّهم ... أتَوْا سواكَ فما لاقَوْا به أَنَسا)
- لأنت أكرمُ منه عند رفعته ... قَوْلاً وفعلاً وأخلاقاً ومُغْتَرسا) - بسيط)
فأمر له بخمسمائة دينار فقبضها ورجع إلى البصرة وكان خرج عنها
ليجاور في الثغر وبلغ عبد الصمد خبره فقال فيه
(يُري الغزاةَ بأنَّ اللّه هِمّتُه ... وإنما كان يَغزو كيسَ إسحاقِ)
- فباعَ زُهداً ثواباً لا نَفادَ له ... وابتاعَ عاجل رِفدِ القومِ بالباقي) - بسيط)
فبلغ إسحاق بن إبراهيم قوله فقال قد مسنا أبو السم عبد الصمد بشيء من هجائه وبعث إليه بمائة دينار فقال له موسى بن صالح أبى الأمير إلا كرما وظرفا
شعره في الهجاء
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل قال حدثني الحسن الأسدي قال قدم أبو نبقة من البحرين وقد أهدى إلى قوم من أهل البصرة هداياه ولم يهد إلى عبد الصمد شيئا فكتب إليه
(أما كان في قَسْبِ اليمامةِ والتمر ... وفي أَدَمِ البحرين والنَّبَقِ الصُّفْر)
(ولا في مناديلٍ قسمْتَ طريفَها ... وأهدَيْتها حَظٌّ لنا يا أبا بكْر)
(سرَتْ نحو أقوامٍ فلا هَنَأَنهُمُ ... ولم ينتصف منها الْمُقِلُّ ولا المثري)
(أتتَ إلى طالوتَ ذِي الوفْر والغِنى ... وآلِ أبي حَرْبٍ ذوي النَّشَبِ الدثر)
(ولم تأتني ولا الرياشيَّ تمرةٌ ... غَصِصْتَ بباقي ما ادَّخرْتَ من التمر)
(ولم يُعْطَ منها النهشليُّ إداوةً ... تكون له القَيْظِ ذُخْراً مدَى الدهر)
(أقول لفتيانٍ طَوَيْتُ لطيِّهِمْ ... عُرى البِيد منشورَ المخافةِ والذعرِ)
((لئن حُكِّمَ السدريُّ بالعدل فيكُمُ ... لما أنصف السدريُّ في ثَمَرِ السِّدْر
- لئن لم تكنْ عيناك عذرَكَ لم تكن ... لدينا بمحمودٍ ولا ظاهرِ العذرِ) - طويل)
أخبرنا الحسن بن عليل قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي قال وقع بين أبي وبين عبد الصمد بن المعذل تباعد فهجاه ونسبه إلى الشؤم وكان يقال ذلك في عبد الصمد فقال فيه
(يقول ذَوو التَّشوُّم ما لقينا ... كما لقي ابن سهلٍ مِن يَزيدِ)
(أتته منيَّةُ المأمونِ لمَّا ... أتاه يزيدُ من بلدٍ بعيدِ)
(فصيَّر منه عسكرَه خلاءً ... وفرَّق عنه أفواجَ الجنودِ)
(فقلتُ لهمْ وكم مشؤومِ قَوْمٍ ... أبَادَ لهمْ عديداً من عديدِ)
(رأيتَ ابنَ المعذَّلِ يالَ عمرو ... بشؤْمٍ كان أسرعَ في سعيد)
(فمنه موتُ جِلَّةِ آلِ سَلْمٍ ... ومنه قَضُّ آجامِ البريد)
(ولم ينزل بدارٍ ثم يمسي ... ولمَّا يستمعْ لَطْمَ الخدود)
(وكلُّ مديح قومٍ قال فيهم ... فإنّ يعَقْبه يا عينُ جودي)
(إذا رجلٌ تسمَّعَ منه مدْحاً ... تنسَّمَ منه رائحةَ الصعيد)
(فلو حَصْفُ الذين يُبِيح فيهمْ ... اثاروا منه رائحة الطريد)
- فليس العزُّ يمنع منه شؤماً ... ولا عتباً بأبواب الحديد) - وافر)
حدثني الأخفش قال حدثنا المبرد قال مر أحمد بن المعذل بأخيه عبد الصمد وهو يخطر فأنشأ يقول
(إن هذا يَرَى أُرَى ... أنّه ابن المهلَّب)
- (أنت واللّه مُعجِبٌ ... ولنا غيرُ مُعجِب) - مجزوء الخفيف
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا أبي وغيره وحدثني به بعض آل المعذل قال مر عبد الصمد ابن المعذل بغلام يقال له المغيرة حسن الصوت حسن الوجه وهو يقرأ ويقول القصائد فأعجب به وقال فيه

(أيها الرافع في المسجد ... بالصَّوتِ العَقِيره)
(قتلَتْنِي عينُك النَّجلاءُ ... والقَتْلُ كبيرهْ)
(أيُّها الحكّام أنتمْ ... فاصلُو حُكْمِ العشيرهْ)
- أحَلالٌ ما بقلبي ... صَنَعتْ عينا مُغِيرهْ) - مجزوء الرمل)
وصفه للحمى
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا زكريا بن مهران بن يحيى قال جاءنا عبد الصمد بن المعذل إلى منزل محمد بن عمر الجرجرائي فأنشدنا قصيدة له في صفة الحمى فقال لي محمد بن عمر امض إلى منزل عبد الصمد حتى تكتبها فمضيت إليه حتى كتبتها وهي
(هجرْتُ الصِّبا أيَّما هَجْرهْ ... وعِفْتُ الغَوانِي والخمرهْ)
- طوتْني عن وَصْلِها سكرهْ ... بكأس الضَّنا أيَّما سَكرهْ) - متقارب)
تهاجيه مع أبي تمام
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني عبد الله بن يزيد الكاتب قال جمع بين أبي تمام الطائي وبين عبد الصمد بن المعذل مجلس وكان عبد الصمد سريعا في قول الشعر وكان في أبي تمام إبطاء فأخذ عبد الصمد القرطاس وكتب فيه
(أنت بينَ اثنتينِ تبرزُ للناسِ ... وكلتاهما بوجهٍ مُذالِ)
((لستَ تنفَكُّ طالباً لِوُصْلَةٍ ... من حبيبٍ أو طالباً لِنَوالِ
- أيُّ ماءٍ لِحُرِّ وجهك يَبْقى ... بين ذُلِّ الهوى وذل السؤال) - خفيف)
قال فأخذ أبو تمام القرطاس وخلا طويلا وجاء به وقد كتب فيه
(أفيّ تنظِمُ قولَ الزُّورِ والفَنَدِ ... وأنت أنْزَرُ من لا شَيءَ في العدد)
- أشرجْتَ قلبك مِن بُغضي على حُرَقٍ ... كأنَّها حَرَكاتُ الرُّوحِ في الجسد) - بسيط)
فقال له عبد الصمد يا ماص بظر أمه يا غث أخبرني عن قولك أنزر من لا شيء وأخبرني عن قولك أشرجت قلبك قلبي مفرش أو عيبة أو حرج فأشرجه عليك لعنة الله فما رأيت أغث منك فانقطع أبو تمام انقطاعا ما يرى أقبح منه وقام وانصرف وما راجعه بحرف
قال أبو الفرج الأصبهاني كان في ابن مهرويه تحامل على أبي تمام لا يضر أبا تمام هذا منه وما أقل ما يقدح مثل هذا في مثل أبي تمام
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني العنزي قال كان عبد الصمد بن المعذل يستثقل رجلا من ولد جعفر بن سليمان بن علي يعرف بالفراش وكان له ابن أثقل منه وكانا يفطران عند المنذر بن عمرو وكان يخلف بعض أمراء البصرة وكان الفراش هذا يصلي به ثم يجلس فيفطر هو وابنه عنده فلما مضى شهر رمضان انقطع ذلك عنهما فقال عبد الصمد بن المعذل
(غَدرَ الزمان وَلَيْتَهُ لم يَغْدرِ ... وحَدَا بشهر الصوم فِطْرُ المُفْطِرِ)
((وثوتْ بقلبك يا محمّدُ لوعةٌ ... تَمْري بوادرَ دمْعِك المتحدّرِ
(وَتقسَّمْتكَ صبابتان لِبينِهِ ... أسفُ المَشوقِ وخَلَّة المتفكرِ)
(فاستبق عينك واحِشُ قلبَكَ يأسه ... واقْرِ السلامَ على خِوان المنْذرِ)
(سَقْياً لدهرك إذ تَروَّحَ يومُه ... والشّمسُ في عَلياءَ لم تتهوّرِ)
(حتى تُنِيخَ بكلكلٍ متزاورٍ ... وتَمدُّ بلعوما قَموصَ الحَنْجَرِ)
(وتَرود منك على الخِوانِ أناملٌ ... تَدَعِ الخوانَ سرابَ قاعٍ مُقْفِرِ)
(ويْح الصِّحافِ من ابنِ فَرَّاش إذا ... أنْحَى عليها كالهِزبْرِ الهَيْصَرِ)
(ذو دُرْبة طَبٌّ إذا لمعتْ له ... بُشرُ الخِوان بَدَا بحَلّ المئزر)
(ودَّ ابن فَرّاش وفرّاشٌ معاً ... لو أنَّ شهرَ الصوم مدّةُ أشهرِ)
(يُزرِي على الإسلامِ قِلّةَ صبره ... وتراه يحمَد عِدّةَ الْمُتَنَصِّرِ)
(لا تَهلِكنَّ على الصِّيام صبابةً ... سيعود شهرُك قابلاً فاستبشرِ)
- لا دَرَّ دَرُّك يا محمّدُ من فتى ... شَيْنِ المغيب وغيرِ زَيْنِ المَحْضَرِ) - كامل)
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان حدثني محمد البصري وكان جارا لعبد الصمد بن المعذل قال كان يزيد بن محمد المهلبي يعادي عبد الصمد ويهاجيه ويسابه ويرمي كل واحد منهما صاحبه بالشؤم وكان يزيد بالبصرة وأبوه يتولى نهر تيرى ونواحيها فقال عبد الصمد يهجوه
((أبوكَ أميرُ قريةِ نهر تِيرَى ... ولستَ على نسائك بالأمير
(وأرزاقُ العباد على إله ... لَهُمْ وعليك أرزاقُ الأيور)
- فكم في رزق ربك من فقيرٍ ... وما في أهل رزقك من فقير) - وافر)
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني محمد بن عبد الرحمن قال حدثني أحمد بن منصور قال شرب علي بن عيسى بن جعفر وهو أمير البصرة الدهن فدخل إليه عبد الصمد بن المعذل بعد خروجه عنه فأنشده قوله
(بأيمنِ طائرٍ وأسرِّ فالٍ ... وأعلى رُتبةٍ وأجَلِّ حالِ)
(شربْتَ الدهنَ ثم خرجْتَ عنه ... خروجَ المشرفيِّ من الصقال)
(تَكَشَّفَ عنكَ ما عانَيْتَ عنه ... كما انكشف الغمامُ عن الهلال)
(وقد أهديْتُ ريحاناً طريفاً ... به حاجيْتُ مستمِعاً سؤالي)
(وما هو غيرَ ياءٍ بعد حاء ... وقد سبقا بميمٍ قبل دال)
(وريحانُ الشبابِ يعيش يوماً ... وليس يموت ريحانُ المقال)
- ولم يك مؤثراً تُفّاحَ شمٍّ ... على تفّاح أسماع الرجال) - وافر)
أخبرني جحظة قال حدثني ميمون بن مهران قال حدثني أحمد بن المغيرة العجلي قال كنت عند أبي سهل الإسكافي وعنده عبد الصمد بن المعذل فرفع إليه رجل رقعة فقرأها فإذا فيها

- هذا الرحيلُ فهل في حاجتي نَظَرُ ... أو لا فَأعْلَمَ ما آتي وما أذَرُ) - بسيط)
فدفعها إلى عبد الصمد وقال الجواب عليك فكتب فيها
بسيط -النفس تسخو ولكن يمنع العُسُرُ ... والحرُّ يعْذِرِ من بالعُسْرِ يعتذر))
ثم قال عبد الصمد لعلي بن سهل هذا الجواب قولا وعليك أعزك الله الجواب فعلا ونجح سعي الآمل حق واجب على مثلك فاستحيا وأمر للرجل بمائة دينار

هجاؤه لابن أخيه

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وعلي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد الأزدي قال كان لابن المعذل ابن ثقيل تياه شديد الذهاب بنفسه وكان مبغضاً عند أهل البصرة فمر يوما بعمه عبد الصمد فلما رآه قال لمن معه
(إنَّ هذا يَرَى أرَى ... أنه ابنُ المهلَّب)
- أنت واللَّهِ مُعْجِبٌ ... ولنا غير مُعْجِب) - مجزوء الخفيف)
قال وقال فيه أيضا
(لو كان يُعطِى المُنَى الأعمامُ في ابن أخٍ ... أصبحْتَ في جوف قُرقوزٍ إلى الصين)
(قد كان همًّا طويلاً لا يقامُ له ... لو كان رؤيتنا إياك في الحِين)
(فكيفَ بالصَّبر إذْ أصبحْتَ أكثَرَ في ... مجال أعيننا من رَمْلِ يبْرين)
(يا أبغَضَ النّاسِ في عُسْرٍ ومَيْسرةٍ ... وأقذَرَ الناس في دُنْيَا وفي دِين)
(لو شاء ربيِّ لأضحى واهباً لأخي ... بمرِّ ثُكْلِكَ أجْراً غيرَ ممنونِ)
(وكان خيراً له لو كان مؤتزراً ... في السّالِفات على غُرْمولِ عِنّينِ)
(وقائلٍ ليَ ما أضناكَ قلتُ له ... شخصٌ ترى وَجْهَه عيني فَيُضْنِيني)
(إن القلوبَ لتُطوَى منك يا ابن أخي ... إذا رأتْكَ على مثل السّكاكينِ)

صوت

(أتَتْكَ العِيسُ تنفُخ في بُراها ... تَكَشَّفُ عن مناكبِها القُطُوعُ)
- بأبيضَ مِن أميَّةِ مَضْرَحِيٍّ ... كأنَّ جَبِينَهُ سيفٌ صَنيعُ) - وافر)
الشعر لعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص والغناء لابن المهربد رمل بالبنصر عن الهشامي والله أعلم

أخبار عبد الرحمن ونسبه

وهو عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وأمه أم أخيه مروان آمنة بنت صفوان بن أمية بن محرث بن شق ابن رقبة بن مخدج من بني كنانة ويكنى عبد الرحمن أبا مطرف شاعر إسلامي متوسط الحال في شعراء زمانه وكان يهاجي عبد الرحمن بن حسان ابن ثابت فيقاومه وينتصف كل واحد منهما من صاحبه
أخبرني محمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي عن العمري عن العتبي والهيثم بن عدي عن صالح بن حسان

عتابه لمعاوية بعد قدومه عليه

وأخبرني به عمي عن الكراني عن العمري عن الهيثم عن صالح ابن حسان قال قدم عبد الرحمن بن الحكم على معاوية بن أبي سفيان وقد عزل أخاه مروان عن الحجاز وولى سعيد بن العاص وكان مروان وجه به وقال له القه أمامي فعاتبه لي واستصلحه وقال عمي في خبره كان عبد الرحمن بدمشق فلما بلغه خبر أخيه خرج إليه فتلقاه وقال له أقم حتى أدخل إلى الرجل فإن كان عزلك عن موجدة دخلت إليه منفردا وإن كان عن غير موجدة دخلت إليه مع الناس قال فأقام مروان ومضى عبد الرحمن
أمامه فلما قدم عليه دخل إليه وهو يعشي الناس فأنشأ يقول
(أتتك العِيسُ تنفُخُ في بُراها ... تَكَشَّفُ عن مناكبها القُطُوع)
- بأبيضَ من أمَيَّة مَضْرَحِيٍّ ... كأنَّ جبينَه سيفٌ صنيعُ) - وافر)
فقال معاوية أزائرا جئت أم مفاخرا أم مكاثرا فقال أي ذلك شئت فقال له ما أشاء من ذلك شيئا وأراد معاوية أن يقطعه عن كلامه الذي عن له فقال علي أي الظهر أتيتنا قال على فرسي قال وما صفته قال أجش هزيم يعرض بقول النجاشي له
(ونجّى ابنَ حَرْبٍ سابحٌ ذو عُلالة ... أجَشُّ هزيمٌ والرماحُ دواني)
- إذا خِلْتَ أطرافَ الرِّماح تنالُه ... مَرَتْه به السّاقانِ والقدمانِ) - طويل)
فغضب معاوية وقال أما إنه لا يركبه صاحبه في الظلم إلى الريب ولا هو ممن يتسور على جاراته ولا يتوثب على كنائنه بعد هجعة الناس وكان عبد الرحمن يتهم بذلك في امرأة أخيه فخجل عبد الرحمن وقال يا أمير المؤمنين ما حملك على عزل ابن عمك ألجناية أوجبت سخطا أم لرأي رأيته وتدبير استصلحته قال لتدبير استصلحته قال فلا بأس
حذف
بذلك وخرج من عنده فلقي أخاه مروان فأخبره بما جرى بينه وبين معاوية فاستشاط غيظا وقال لعبد الرحمن قبحك الله ما أضعفك أعرضت للرجل بما أغضبه حتى إذا انتصف منك أحجمت عنه ثم لبس حلته وركب فرسه وتقلد سيفه ودخل على معاوية فقال له حين رآه وتبين الغضب في وجهه مرحبا بأبي عبد الملك لقد زرتنا عند اشتياق منا إليك قال لاها الله ما زرتك لذلك ولا قدمت عليك فألفيتك إلا عاقا قاطعا والله ما أنصفتنا ولاجزيتنا جزاءنا لقد كانت السابقة من بني عبد شمس لآل أبي العاص والصهر برسول الله لهم والخلافة فيهم فوصلوكم يا بني حرب وشرفوكم وولوكم فما عزلوكم ولا آثروا عليكم حتى إذا وليتم وأفضى الأمرإليكم أبيتم إلا أثرة وسوء صنيعة وقبح قطيعة فرويدا رويدا قد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نيفا وعشرين وإنما هي أيام قلائل حتى يكملوا أربعين ويعلم امرؤ أين يكون منهم حينئذ ثم هم للجزاء بالحسنى وبالسوء بالمرصاد
قال عمي في خبره فقال له معاوية عزلتك لثلاث لو لم يكن منهن إلا واحدة لأوجبت عزلك إحداهن إني أمرتك على عبد الله بن عامر وبينكما ما بينكما فلم تستطع أن تشتفي منه والثانية كراهتك لأمر زياد والثالثة أن ابنتي رملة استعدتك على زوجها عمرو بن عثمان فلم تعدها فقال له مروان أما ابن عامر فإني لا أنتصر في سلطاني ولكن إذا تساوت الأقدام علم أين موقعه وأما كراهتي أمر زياد فإن سائر بني أمية كرهوه ثم جعل الله لنا في ذلك الكره خيرا كثيرا وأما استعداء رملة على عمرو فوالله إني لتأتي علي سنة أو أكثر وعندي بنت عثمان فما أكشف لها ثوبا يعرض بأن رملة إنما تستعدي

عليه طلبا للنكاح فقال له معاوية يا بن الوزغ لست هناك
فقال له مروان هو ذاك الآن والله إني لأبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وقد كاد ولدي أن يكملوا العدة يعني أربعين ولو قد بلغوها لعلمت أين تقع مني فانخزل معاوية ثم قال
(فإن أكُ في شرارِكُمُ قليلاً ... فإنِّي في خيارِكُمُ كثيرُ)
- بُغاثُ الطَّيرِ أكثرُها فِراخاً ... وأمُّ الصَّقرِ مِقْلاتٌ نزورُ) - وافر)
قال فما فرغ مروان من كلامه حتى استخذى معاوية في يده وخضع له وقال لك العتبي وأنا رادك إلى عملك فوثب مروان وقال له كلا والله وعيشك لا رأيتني عائدا إليه أبدا وخرج فقال الأحنف لمعاوية ما رأيت لك قط سقطة مثلها ما هذا الخضوع لمروان وأي شيء يكون منه ومن بني أبيه إذا بلغوا أربعين وأي شيء تخشاه منهم فقال له أدن مني أخبرك بذلك فدنا منه فقال له إن الحكم بن أبي العاص كان أحد من وفد مع أختي أم حبيبة لما زفت إلى النبي وهو الذي تولى نقلها إليه فجعل رسول الله يحد النظر إليه فلما خرج من عنده قيل له يا رسول الله لقد أحددت النظر إلى الحكم فقال ابن المخزومية ذلك رجل إذا بلغ ولده ثلاثين أو قال أربعين ملكوا الأمر بعدي فوالله لقد تلقاها مروان من عين صافية فقال له الأحنف لا يسمعن هذا أحد منك فإنك تضع من قدرك وقدر ولدك بعدك وإن يقض الله عز وجل أمرا يكن فقال له معاوية فاكتمها علي يا أبا بحر إذاً فقد لعمري صدقت ونصحت
اخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني يعقوب بن القاسم الطلحي قال حدثني ثمال عن أيوب بن درباس ابن دجاجة قال
شخص مروان بن الحكم ومعه أخوه عبد الرحمن إلى معاوية ثم ذكر نحوا من الحديث الأول ولم يذكر فيه مخاطبة معاوية في أمرهم للأحنف وزاد فيه فقال عبد الرحمن في ذلك
(أتقطُر آفاقُ السماءِ له دماً ... إذا قيل هذا الطَّرْفُ أجْرَدُ سابحُ)
- فحتَّى متَّى لا نَرفع الطَّرْفَ ذِلَّةً ... وحتَّى متى تَعْيا عليك المنادِح) - طويل)
بكاؤه حين رأى رأس الحسين
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعيد قال حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه قال كان عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي عند يزيد بن معاوية وقد بعث إليه عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن علي عليهما السلام فلما وضع بين يدي يزيد في الطشت بكى عبد الرحمن ثم قال
(أبلغْ أميرَ المؤمنين فلا تكُنْ ... كَمُوْتِرِ أقواسٍ وليس لها نَبْل)
(لَهَامٌ بجنب الطَّفِّ أدنى قرابةً ... من ابن زيادِ الوغْدِ ذي الحسب الرَّذْل)
- (سُمَيَّةُ أمسَى نسلُها عَدَدَ الحصى ... وبنتُ رسولِ اللَّه ليس لها نَسْلُ) - طويل
فصاح به يزيد اسكت يا ابن الحمقاء وما أنت وهذا
أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني هارون بن معروف قال حدثنا بشر بن السري قال حدثنا عمر بن سعيد عن أبي مليكة قال رأيتهم يعني بني أمية يتتابعون نحو ابن عباس حين نفى ابن الزبير بني أمية عن الحجاز فذهبت معهم وأنا غلام فلقينا رجلا خارجا من عنده فدخلنا عليه فقال له عبيد بن عمير مالي أراك تذرف عيناك فقال له إن هذا يعني عبد الرحمن بن الحكم قال بيتا أبكاني وهو
- وما كنت أخشى أن تَرى الذُّلَّ نِسوْتي ... وعَبْدُ مُنافٍ لم تَغُلْها الغوائلُ) - طويل)
فذكر قرابة بيننا وبين بني عمنا بني أمية وإنا إنما كنا أهل بيت واحد في الجاهلية حتى جاء الإسلام فدخل الشيطان بيننا أيما دخل
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم قال حدثني أخي عباس أن عبد الرحمن بن الحكم كان يولع بجارية لأخيه مروان يقال لها شنباء ويهيم بمحبتها فبلغ ذلك مروان فشتمه وتوعده وتحفظ منه في أمر الجارية وحجبها فقال فيها عبد الرحمن
(لعَمْرُ أبي شَنْباء إنِّي بذِكرِها ... وإن شَحَطَتْ دارٌ بها لَحَقِيقُ)
(وإني لها لا ينزع اللَّه ما لها ... عليّ وإن لم تَرْعه لصدِيقُ)
طويل -ولمّا ذَكَرْتُ الوصلَ قالت وأعرَضَتْ ... متى أنت عن هذا الحديث مُفِيقُ))
غضب معاوية عليه
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا الخليل بن أسد عن العمري ولم أسمعه من العمري عن الهيثم بن عدي قال لما ادعى معاوية زيادا قال عبد الرحمن بن الحكم في ذلك والناس ينسبونها إلى ابن مفرغ لكثرة هجائه إلى زياد وذلك غلط قال
(ألا أبْلِغ معاويةَ بنَ حربٍ ... مُغَلغَلةً من الرجُل الهِجانِ)
(أتغضبُ أن يقالَ أبوك عفٌّ ... وترضَى أن يقالَ أبوك زانِ)
(فأشهَدُ أنَّ رِحْمَكَ من زيادٍ ... كرِحْمِ الفيلِ من وَلَدِ الأتانِ)
- وأشهدُ أنَّها ولدَتْ زياداً ... وصخرٌ من سُمَيَّةَ غيرُ دانِي) - وافر)
فبلغ ذلك معاوية بن حرب فحلف ألا يرضى عن عبد الرحمن حتى يرضى عنه زياد فخرج عبد الرحمن إلى زياد فلما دخل عليه قال له إيه يا عبد الرحمن أنت القائل
((ألا أبلِغْ معاويةَ بنَ حربٍ ... مُغَلغَلةً من الرجُل الهجانِ
قال لا أيها الأمير ما هكذا قلت ولكني قلت
(ألا من مُبْلغٌ عني زياداً ... مُغَلغَلةً من الرّجُل الهجان)
(مِن ابنِ القَرْمِ قَرْمِ بني قُصَيٍّ ... أبي العاصي بنِ آمنةَ الحَصانِ)
(حلفْتُ بربِّ مكّةَ والمصلَّى ... وبالتَّوراة أحلفُ والقُرانِ)
(لأنت زيادةٌ في آل حربٍ ... أحبُّ إليَّ من وُسْطَى بنانِي)
(سُرِرْتُ بقُربه وفرِحْتُ لمّا ... أتاني اللَّه منهُ بالبيانِ)
(وقلتُ له أخو ثقةٍ وعمٌّ ... بعون اللَّه في هذا الزمانِ)
- كذاك أراكَ والأهواءُ شتَّى ... فما أدري بغَيْبٍ ما ترانِي) - وافر)

فرضي عنه زياد وكتب له بذلك إلى معاوية فلما دخل عليه بالكتاب قال أنشدني ما قلت لزياد فأنشده فتبسم ثم قال قبح الله زيادا ما أجهله والله لما قلت له أخيرا حيث تقول
(... لأنْتَ زيادةٌ في آل حرب)
شر من القول الأول ولكنك خدعته فجازت خديعتك عليه
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال استعمل معاوية بن أبي سفيان الحارث بن الحكم بن أبي العاصي على غزاة البحر فنكص واستعفى فوجه مكانه ابن أخيه عبد الملك بن مروان فمضى وأبلى وحسن بلاؤه فقال عبد الرحمن بن الحكم لأخيه الحارث
(شَنِئتُك إذ رأيتك حَوْتَكِيّا ... قريبَ الخُصْيَتَيْن من الترابِ)
((كأنّك قملةٌ لَقِحَت كِشافاً ... لبُرغوثٍ ببعرةٍ أو صُؤابِ
(كفاكَ الغزوَ إذا أحجَمْتَ عنه ... حديثُ السِنِ مُقتَبلُ الشَّبابِ)
- فليتك حَيْضَةٌ ذهبَتْ ضلالاً ... وليتَكَ عند مُنقطَع السَّحابِ) - وافر)
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال لطم عبد الرحمن بن الحكم مولى لأهل المدينة حناطا وأخوه مروان يومئذ وال لأهل المدينة فاستعداه الحناط عليه فأجلسه مروان بين يديه وقال له الطمه وهو أخو مروان لأبيه وأمه فقال الحناط والله ما أردت هذا وإنما أردت أن أعلمه أن فوقه سلطانا ينصرني عليه وقد وهبتها لك قال لست أقبلها منك فخذ حقك فقال والله لا ألطمه ولكني أهبها لك فقال له مروان إن كنت ترى أن ذلك يسخطني فوالله لا أسخط فخذ حقك فقال قد وهبتها لك ولست والله لا طمه قال لست والله قابلها فإن وهبتها فهبها لمن لطمك أو لله عز وعلا فقال قد وهبتها لله تعالى فقال عبد الرحمن يهجو أخاه مروان
(كلُّ ابنِ أمٍ زائدٌ غير ناقصٍ ... وأنت ابنُ أمٍّ ناقصٌ غير زائدِ)
- وهبتُ نصيبي منك يامروَ كلّه ... لعمرو وعثمانَ الطّويلِ وخالِدِ) - طويل)
رثاؤه لقتلى قريش يوم الجمل
أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال نظر عبد الرحمن بن الحكم إلى قتلى قريش يوم الجمل فبكى وأنشأ يقول
((أيا عينُ جُودِي بدَمْعٍ سَرَبْ ... على فِتيةٍ من خِيارِ العربْ
- وما ضَرَّهم غيرَ حَيْنِ النّفوس ... أيُّ أميرَيْ قريشٍ غَلَبْ) - متقارب)
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني المدائني عن شيخ من أهل مكة قال عرض معاوية على عبد الرحمن بن الحكم خيله فمر به فرس فقال له كيف تراه فقال هذا سابح ثم عرض عليه آخر فقال هذا ذو علالة ثم مر به آخر فقال وهذا أجش هزيم فقال له معاوية قد علمت ما أردت إنما عرضت بقول النجاشي في
(ونجّى ابنَ حَرْبٍ سابحٌ ذو عُلالةٍ ... أجشُّ هَزيمٌ والرماحُ دواني)
- سَليمُ الشَّظى عَبْلُ الشَّوى شَنِجُ النَّسا ... كَسِيدِ الغَضَى باقٍ على النَّسَلانِ) - طويل)
أخرج عني فلا تساكني في بلد فلقي عبد الرحمن أخاه مروان فشكا إليه معاوية وقال له عبد الرحمن وحتى متى نستذل ونضام فقال له مروان هذا عملك بنفسك فأنشأ يقول
(أتَقطُرُ آفاقُ السَّماءِ لنا دماً ... إذا قُلْتُ هذا الطّرْفُ أجْرَدُ سابحُ)
- (فحتّى متى لا نَرفع الطّرْفَ ذِلّةً ... وحتّى متى تَعيا عليك المنادح) - طويل
فدخل مروان على معاوية فقال له مروان حتى متى هذا الاستخفاف بآل أبي العاصي أما والله إنك لتعلم قول النبي وآله فينا ولقل ما بقي من الأجل فضحك معاوية وقال لقد عفوت لك عنه يا أبا عبد الملك والله أعلم بالصواب
صوت
(قولاَ لقائِلَ ما تَقضِينَ في رجُلٍ ... يَهوى هواكِ وما جَنّبْتهِ اجتَنَبا)
- يُمسِي معي جَسدِي والقلبُ عندكُم ... فَما يعيشُ إذا ما قَلْبُه ذَهَبا) - بسيط)
الشعر لمسعدة بن البختري والغناء لعبادل ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه لعريب ثقيل أول آخر عن ابن المعتز ولها فيه أيضا خفيف رمل عنه

أخبار مسعدة ونسبه

هو مسعدة بن البختري بن المغيرة بن أبي صفرة بن أخي المهلب بن أبي صفرة وقد مضى نسبه متقدما في نسب يزيد بن محمد المهلبي وابن أبي عيينة وغيرهما
وهذا الشعر يقوله في نائلة بنت عمر بن يزيد الأسيدي وكان يهواها
أخبرني بخبره في ذلك أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني عيسى بن إسماعيل تينة عن القحذمي قال كان مسعدة بن البختري بن المغيرة بن أبي صفرة يشبب بنائلة بنت عمر بن يزيد الأسيدي أحد بني أسيد ابن عمرو بن تميم وكان أبوها سيدا شريفا وكان علي شرط العراق من قبل الحجاج وفيها يقول
- أنائلَ إنّني سَلْمٌ ... لأهلِكِ فاقبلي سَلْمِي) - مجزوء الوافر)
قال القحذمي وأم نائلة هذه عاتكة بنت الفرات بن معاوية البكائي وأمها الملاءة بنت زرارة بن أوفى الجرشية وكان أبوها فقيها محدثا من التابعين وقد شبب الفرزدق بالملاءة وبعاتكة ابنتها

قصة الملاءة وابنتها عاتكة

قال عيسى فحدثني محمد بن سلام قال لا أعلم أن امرأة شبب بها
وبأمها وجدتها غير نائلة فأما نائلة فقد ذكر ما قال فيها مسعدة وأما عاتكة فإن يزيد بن المهلب تزوجها فقتل عنها يوم العقر وفيها يقول الفرزدق طويل
(إذا ما المَزُونِيّات أصبحْنَ حُسَّراً ... وبَكَّيْنَ أشلاءً على غير نائل)
(فكم طالبٍ بنتَ المُلاءةِ إنّها ... تَذَكَّرُ رَيْعانَ الشّبابِ المزايِلِ)
وفي الملاءة أمها يقول الفرزدق بسيط
(كم للمُلالاءةِ من طَيْفٍ يؤرِّقني ... إذا تَجرثَمَ هادِي الليل واعتكرا)
أخبرني الحرمي بن العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله قال خرجت عاتكة بنت الملاءة

إلى بعض بوادي البصرة فلقيت بدويا معه سمن فقالت له أتبيع هذا السمن فقال نعم قالت أرناه ففتح نحيا فنظرت إلى ما فيه ثم ناولته إياه وقالت افتح آخر ففتح فنظرت إلى ما فيه ثم ناولته إياه فلما شغلت يديه أمرت جواريها فجعلن يركلن في استه وجعلت تنادي يا لثارات ذات النحيين
قال الزبير تعني ما صنع بذات النحيين في الجاهلية فإن رجلا يقال له خوات بن جبير رأى رأى امرأة معها بحيا سمن فقال أرني هذا ففتحت له إحدى النحيين فنظر إليه ثم قال أريني الآخر ففتحته ثم دفعه
فلما شغل يديها وقع عليها فلا تقدر على الامتناع خوفا من أن يذهب السمن فضربت العرب المثل بها وقالت أشغل من ذات النحيين فأرادت عاتكة بنت الملاءة أن هذا لم يفعله أحد من النساء برجل كما يفعله الرجل بالمرأة غيرها وأنها ثأرت للنساء ثأرهن من الرجال بما فعلته

الملاءة وعمر بن أبي ربيعة

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثنا أبو هفان عن إسحاق الموصلي عن الزبير والمسيبي ومحمد بن سلام وغيرهم من رجاله أن الملاءة بنت زرارة لقيت عمر بن أبي ربيعة بمكة وحوله جماعة ينشدهم فقالت لجارية من هذا قالت عمر بن أبي ربيعة المتنقل من منزله من ذات وداد إلى أخرى الذي لم يدم على وصل ولا لقوله فرع ولا أصل أما والله لو كنت كبعض من يواصل لما رضيت منه بما ترضين وما رأيت أدنا من نساء أهل الحجاز ولا أقر منهن بخسف والله لأمة من إمائنا آنف منهن فبلغ ذلك عمر عنها فراسلها فراسلته فقال

(حَيِّ المنازل قد عَمِرْنَ خرابا ... بين الجُرَيْن وبين رُكْن كُسابا)
(بالثّني من مَلِكَانَ غيَّر رَسمها ... مَرُّ السحابِ المُعقِباتِ سحابا)
(وذيولُ مُعصِفةِ الرِّياح تجرُّها ... دُقَقا فَأَصْبَحَتِ العِراصُ يبابا)
(ولقد أراها مَرَّةً مأهولةً ... حَسَناً جَنابُ مَحلِّها مِعشابا)
(دارُ التي قالتْ غداةَ لقيتُها ... عند الجِمار فما عَيِيتُ جوابا)
(هذا الذي باعَ الصَّديقَ بغيره ... ويريد أن أرضَى بذاك ثوابا)
(قلت اسمعي منِّي المَقالَ ومن يُطعْ ... بصديقه المتملِّقَ الكَذّابا)
(وتكنْ لديه حبالُه أُنْشوطةً ... في غير شيءٍ يقطع الأسبابا)
(إن كنْتِ حاولْتِ العتاب لتعلمي ... ما عندنا فلقد أطلْتِ عتابا)
(أو كان ذلك للبِعادِ فإنّه ... يكفيكِ ضربُكِ دونك الجِلْبابا)
- وأرى بوجهك شَرْقَ نُورٍ بيِّنٍ ... وبوجهِ غيرك طَخْيةً وضبابا) - كامل)

صوت

(أسعِداني يا نخلَتَيْ حُلوانِ ... وارثيا لي من رَيْبِ هذا الزمانِ)
(واعلما أنَّ رَيْبَهُ لم يزل يَفْرُقُ ... بين الألاَّفِ والجيران
(أسْعِداني وأيْقِنَا أنَّ نَحْساً ... سوف يلقاكما فتفترقانِ)
(ولَعمري لو ذُقتما ألَمَ الفُرْقَةِ ... أبكاكُما كما أبكاني)
- كم رمتْني به صروفُ الليالي ... من فراق الأحبابِ والخُلاَّن) - خفيف)
الشعر لمطيع بن أياس والغناء لحكم الوادي هزج بالوسطى عن عمرو والهشامي

أخبار مطيع بن إياس ونسبه

هو مطيع بن إياس الكناني ذكر الزبير بن بكار أنه من بني الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وذكر إسحاق الموصلي عن سعيد بن سلم أنه من بني ليث بن بكر والديل وليث أخوان لأب وأم أمهما أم خارجة واسمها عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قراد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث ابن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وهي التي يضرب بها المثل فيقال أسرع من نكاح أم خارجة وقد ولدت عدة بطون من العرب حتى لو قال قائل إنه لا يكاد يتخلص من ولادتها كبير أحد منهم لكان مقاربا فممن ولدت الديل وليث والحارث وبنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وغاضرة بن مالك
ابن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة والعنبر وأسيد والهجيم بنو عمرو بن تميم وخارجة بن يشكر وبه كانت تكنى ابن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقيا وهو أبو المصطلق
قال النسابون بلغ من سرعة نكاحها أن الخاطب كان يأتيها فيقول لها خطب فتقول له نكح
وزعموا أن بعض أزواجها طلقها فرحل بها ابن لها عن حيه إلى حيها فلقيها راكب فلما تبينته قالت لابنها هذا خاطب لي لا شك فيه أفتراه يعجلني أن أنزل عن بعيري فجعل ابنها يسبها
ولا أعلم أني وجدت نسب مطيع متصلا إلى كنانة في رواية أحد إلا في حديث أنا ذاكره فإن راويه ذكر أن أبا قرعة الكناني جد مطيع فلا أعلم أهو جده الأدنى فأصل نسبه به أم هو بعيد منه فذكرت الخبر على حاله

تشاحن ابن الزبير وجد مطيع

أخبرني به عيسى بن الحسن الوراق قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني العمري وأبو فراس عمي جميعا عن شراحيل بن فراس أن أبا قرعة الكناني واسمه سلمى بن نوفل قال وهو جد مطيع بن إياس الشاعر كانت بينه وبين ابن الزبير قبل أن يلي مقارضة فدخل سلمى وابن الزبير يخطب الناس وكان منه رجلا فرماه ابن الزبير ببصره حتى جلس فلما انصرف من المجلس دعا حرسيا فقال امض إلى موضع كذا وكذا من المسجد فادع لي سلمى بن نوفل فمضى فأتاه به فقال له
الزبير إيها أيها الضب فقال إني لست بالضب ولكن الضب بالضمر من صخر قال إيها أيها الذيخ قال إن أحدا لم يبلغ سني وسنك إلا سمي ذيخا قال إنك لها هنا يا عاض بظر أمه قال أعيذك بالله أن يتحدث العرب أن الشيطان نطق على فيك بما تنطق به الأمة السفلة وايم الله ما ها هنا داد أريده على المجلس أحد إلا قد كانت أمه كذلك
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن أبيه قال كان إياس بن مسلم أبو مطيع بن إياس شاعرا وكان قد وفد إلى نصر بن سيار بخراسان فقال فيه

(إذا ما نعالِي من خُراسانَ أقبلتْ ... وجاوزْتُ منها مَخْرَماً ثم مَخْرِما)
- ذَكَرْتُ الذي أوليتَنِي ونَشَرْتُه ... فإنْ شئْتَ فاجعلني لشُكرِكَ سلَّما) - طويل)

فأما نسب أبي قرعة هذا فإنه سلمى بن نوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يحمر بن نفاثة بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناة ذكر ذلك المدائني وكان سلمى بن نوفل جوادا وفيه يقول الشاعر
طويل -يُسَوَّدُ أقوامٌ وليسوا بسادةٍ ... بل السيِّدُ الميمونُ سلمى بن نوفلِ))

رجع الخبر إلى سياقة نسب مطيع بن إياس وأخباره

وهو شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية وليس من فحول الشعراء في تلك ولكنه كان ظريفا خليعا حلو العشرة مليح النادرة ماجنا متهما في دينه بالزندقة ويكنى أبا سلمى ومولده ومنشؤه الكوفة وكان أبوه من أهل فلسطين الذين أمد بهم عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف في وقت قتاله ابن الزبير وابن الأشعث فأقام بالكوفة وتزوج بها فولد له مطيع

صلته بالخلفاء واعجاب الوليد بن يزيد به

أخبرني بذلك الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه وكان منقطعا إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك ومتصرفا بعده في دولتهم ومع أوليائهم وعمالهم وأقاربهم لا يكسد عند أحد منهم ثم انقطع في الدولة العباسية إلى جعفر بن أبي جعفر المنصور فكان معه حتى مات ولم أسمع له مع أحد منهم خبرا إلا حكاية بوفوده على سليمان بن علي وأنه ولاه عملا وأحسبه مات في تلك الأيام

حدثني عمي الحسن بن محمد قال حدثني محمد بن سعد الكراني عن العمري عن العتبي عن أبيه قال قدم البصرة علينا شيخ من أهل الكوفة لم أر قط أظرف لسانا ولا أحلى حديثا منه وكان يحدثني عن مطيع بن إياس ويحيى بن زياد وحماد الراوية وظرفاء الكوفة بأشياء من أعاجيبهم وطرفهم فلم يكن يحدث عن أحد بأحسن مما كان يحدثني عن مطيع بن إياس فقلت له كنت والله أشتهي أن أرى مطيعا فقال والله لو رأيته للقيت منه بلاء عظيما قال قلت وأي بلاء ألقاه من رجل أراه قلت كنت ترى رجلا يصبر عنه العاقل إذا رآه ولا يصحبه أحد إلا افتضح به

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب قال سألت رجلا من أهل الكوفة كان يصحب مطيع بن إياس عنه فقال لا ترد أن تسألني عنه قلت ولم ذاك قال وما سؤالك إياي عن رجل كان إذا حضر ملكك وإذا غاب عنك شاقك وإذا عرفت بصحبته فضحك

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الله بن عمرو قال حدثني أبو توبة صالح بن محمد عن محمد بن جبير عن عبد الله بن العباس الربيعي قال حدثني إبراهيم بن المهدي قال قال لي جعفر بن يحيى ذكر حكم الوادي أنه غنى الوليد بن يزيد ذات ليلة وهو غلام حديث السن فقال
(إكليلُها ألوانُ ... ووجهُها فَتَّانُ)
(وخالُها فريدٌ ... ليس لها جيرانُ)
- إذا مشتْ تثنَّتْ ... كأنّها ثُعبانُ) - مجزوء الرجز)

فطرب حتى زحف عن مجلسه إلي وقال أعد فديتك بحياتي فأعدته حتى صحل صوتي فقال لي ويحك من يقول هذا فقلت عبد لك يا أمير المؤمنين أرضاه لخدمتك فقال ومن هو فديتك فقلت مطيع بن إياس الكناني فقال وأين محله قلت الكوفة فأمر أن يحمل إليه على البريد فحمل إليه فما أشعر يوما إلا برسوله قد جاءني فدخلت إليه ومطيع بن إياس واقف بين يديه وفي يد الوليد طاس من ذهب يشرب به فقال له غن هذا الصوت يا وادي فغنيته إياه فشرب عليه ثم قال لمطيع من يقول هذا الشعر قال عبدك أنا يا أمير المؤمنين فقال له ادن مني فدنا

منه فضمه الوليد وقبل فاه وبين عينيه وقبل مطيع رجله والأرض بين يديه ثم أدناه منه حتى جلس أقرب المجالس إليه ثم تم يومه فاصطبح أسبوعا متوالي الأيام على هذا الصوت

لحن هذا الصوت هزج مطلق في مجرى البنصر والصنعة لحكم وقد حدثني بخبره هذا مع الوليد جماعة على غير هذه الرواية ولم يذكروا فيها حضور مطيع

حدثني به أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا علي بن محمد النوفلي عن أبيه قال بلغني عن حكم الوادي وأخبرني الحسن بن يحيى ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر قالا حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أحمد بن يحيى المكي عن أمه عن حكم الوادي قال وفدت على الوليد بن يزيد مع المغنين فخرج يوما إلينا وهو راكب على حمار وعليه دراعة وشي وبيده عقد جوهر وبين يديه كيس فيه ألف دينار فقال من غناني فأطربني فله ما علي وما معي فغنوه فلم يطرب فاندفعت وأنا يومئذ أصغرهم سنا فغنيته
(إكليلها ألوانُ ... ووجهُها فَتّانُ)
(وخالُها فريدٌ ... ليس له جيرانُ)
- إذا مشتْ تثنَّتْ ... كأنَّها ثُعبانُ) - مجزوء الرجز)

فرمى إليه بما معه من المال والجوهر ثم دخل فلم يلبث أن خرج إلي رسوله بما عليه من الثياب والحمار الذي كان تحته

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال كان مطيع ابن إياس ويحيى بن زياد الحارثي وابن المقفع ووالبة بن الحباب يتنادمون ولا يفترقون ولا يستأثر أحدهم على صاحبه بمال ولا ملك وكانوا جميعا يرمون بالزندقة

صلته بعبد الله بن معاوية

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه وعمومته أن مطيع بن إياس وعمارة بن حمزة من بني هاشم وكانا مرميين بالزندقة نزعا إلى عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب لما خرج في آخر دولة بني أمية وأول ظهور الدولة العباسية بخراسان وكان ظهر على نواح من الجبل منها أصبهان وقم ونهاوند فكان مطيع وعمارة ينادمانه ولا يفارقانه

قال النوفلي فحدثني إبراهيم بن يزيد بن الخشك قال دخل مطيع بن إياس على عبد الله بن معاوية يوما وغلام واقف على رأسه يذب عنه بمنديل ولم يكن في ذلك الوقت مذاب إنما المذاب عباسية قال وكان الغلام الذي يذب أمرد حسن الصورة يروق عين الناظر فلما نظر مطيع إلى الغلام كاد عقله يذهب وجعل يكلم ابن معاوية ويلجلج فقال
(إنِّي وما أعْمَلَ الحجيجُ له ... أخشى مُطيعَ الهوى على فرج)
- أخشى عليه مُغامِساً مَرِساً ... ليس بذي رِقْبةٍ ولا حَرَج) - منسرح)

أخبرني أحمد بن عبيد الله قال حدثنا علي بن محمد النوفلي قال حدثني أبي عن عمه عيسى قال كان لابن معاوية

صاحب شرطة يقال له قيس بن عيلان العنسي النوفلي وعيلان اسم أبيه وكان شيخا كبيرا دهريا لا يؤمن بالله وكان إذا عس لم يبق أحد إلا قتله فأقبل يوما فنظر إليه ابن معاوية
ومعه عمارة بن حمزة ومطيع بن إياس قال
(إنَّ قَيْساً وإنْ تَقَنَّع شيباً ... لَخَبيثُ الهَوَى على شَمَطِهْ)
أجز يا عمارة فقال
(إبْن سبعينَ منظراً ومَشِيباً ... وابنُ عَشْرٍ يُعَدُّ في سَقْطِهْ)
فأقبل على مطيع فقال أجز فقال
- وله شُرطةٌ إذا جَنّه الليلُ ... فعُوذوا باللّه من شُرَطِهْ) - خفيف)
قال النوفلي وكان مطيع فيما بلغني مأبونا فدخل عليه قومه فلاموه على فعله وقالوا له أنت في أدبك وشرفك وسؤددك وشرفك ترمى بهذه الفاحشة القذرة فلو أقصرت عنها فقال جربوه أنتم ثم دعوا إن كنتم صادقين فانصرفوا عنه وقالوا قبح الله فعلك وعذرك وما استقبلتنا به
ما حدث بينه وبين ظبية الوادي وهجاؤه حمادا
أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا حماد عن أخيه عن النضر بن حديد قال أخبرني أبو عبد الملك المرواني قال حدثني مطيع بن إياس قال قال لي حماد عجرد هل لك في أن أريك خشة صديقي وهي المعروفة بظبية الوادي قلت نعم قال إنك إن قعدت عنها وخبثت عينك في النظر أفسدتها علي فقلت لا والله لا أتكلم بكلمة تسوؤك ولأسرنك فمضى وقال والله لا أتكلم لئن خالفت ما قلت لأخرجنك قال قلت إن خالفت ما تكره
فاصنع بي ما أحببت قال امض بنا فأدخلني على أظرف خلق الله وأحسنهم وجها فلما رأيتها أخذني الزمع وفطن لي فقال أسكن يا ابن الزانية فسكنت قليلا فلحظتني ولحظتها أخرى فغضب ووضع قلنسيته عن رأسه وكانت صلعته حمراء كأنها است قرد فلما وضعها وجدت للكلام موضعا فقلت
(وَارِ السَّوأةِ السوآءَ ... يا حَمَّادُ عن خُشَّهْ)
- عن الأُتْرُجَّةِ الغَضَّةِ ... والتفاحةِ الهشَّهْ) - مجزوء الوافر)
فالتفت إلي وقال فعلتها يا ابن الزانية فقالت له أحسن والله ما بلغ صفتك بعد فما تريد منه فقال لها يا زانية فقالت له الزانية أمك وثاورته وثاورها فشقت قميصه وبصقت في وجهه وقالت له ما تصادقك وتدع مثل هذا إلا زانية وخرجنا وقد لقي كل بلاء وقال لي ألم أقل لك يا ابن الزانية إنك ستفسد علي مجلسي فأمسكت عن جوابه وجعل يهجوني ويسبني ويشكوني إلى أصحابنا فقالوا لي أهجه ودعنا وإياه فقلت فيه
(ألا يا ظبيةَ الوادي ... وذاتِ الجسدِ الرادِ)
(وزينَ المِصْرِ والدّارِ ... وزينَ الحيِّ والنادي)
(وذاتَ المَبْسِمِ العَذْبِ ... وذاتَ المِيسَمِ البادي)
((أمَا باللّه تستحْيِيْ ... ن من خُلَّة حَمّاد
(فحمّادٌ فتىً ليس ... بذي عِزٍّ فتَنْقادِي)
(ولا مالٍ ولا عزٍّ ... ولا حَظٍّ لمرتاد)
(فتُوبي واتّقي اللّهَ ... وبُتِّي حَبْلَ جَرّاد)
(فقد مُيِّزتِ بالحسنِ ... عن الخَلْق بإفراد)
- وهذا البَيْنُ قد حُمَّ ... فُجودي منكِ بالزّادِ) - مجزوء الوافر)
في الأول والثاني والسابع والثامن من هذه الأبيات لحكم الوادي رمل
قال فأخذ أصحابنا رقاعا فكتبوا الأبيات فيها وألقوها في الطريق وخرجت أنا فلم أدخل إليهم ذلك اليوم فلما رآها وقرأها قال لهم يا أولاد الزنا فعلها ابن الزانية وساعدتموه علي
قال وأخذها حكم الوادي فغنى فيها فلم يبق بالكوفة سقاء ولا طحان ولا مكار إلا غنى فيها ثم غنيت مدة وقدمت فأتاني فما سلم علي حتى قال لي يا ابن الزانية ويلك أما رحمتني من قولك لها
(أمَا باللّه تستحْيِيْنَ ... من خُلَّة حمّادِ)
بالله قتلتني قتلك الله والله ما كلمتني حتى الساعة قال قلت اللهم أدم هجرها له وسوء آرائها فيه وآسفه عليها وأغره بها فشتمني ساعة قال مطيع ثم قلت له قم بنا حتى أمضي بك فأريك أختي قال مطيع فمضينا فلما خرجت إلينا دعوت قيمة لها فأسررت إليها في أن تصلح لنا طعاما
وشرابا وعرفتها أن الذي معي حماد فضحكت ثم أخذت صاحبتي في الغناء وقد علمت بموضعه وعرفته فكان أول صوت غنت
(أمَا باللّه تستحْيِيْنَ ... من خُلَّة حَمّادِ)
فقال لها يا زانية وأقبل علي فقال لي وأنت يا زاني يا ابن الزانية وشاتمته صاحبتي ساعة ثم قامت فدخلت وجعل يتغيظ علي فقلت أنت ترى أني أمرتها أن تغني بما غنت قال أرى ذلك وأظنه ظنا لا والله ولكني أتيقنه فحلفت له بالطلاق على بطلان ظنه فقالت وكيف هذا فقلت أراد أن يفسد هذا المجلس من أفسد ذلك المجلس فقالت قد والله فعل وانصرفنا
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن رجل من أصحابه قال
قال يحيى بن زياد الحارثي لمطيع بن إياس انطلق بنا إلى فلانة صديقتي فإن بيني وبينها مغاضبة لتصلح بيننا وبئس المصلح أنت فدخلا إليها فأقبلا يتعاتبان ومطيع ساكت حتى إذا أكثر قال يحيى لمطيع ما يسكتك أسكت الله نأمتك فقال لها مطيع
- أنتِ مُعتَلَّة عليه ومازال ... مُهيناً لنفسه في رضاكِ) - خفيف)
فأعجب يحيى ما سمع وهش له مطيع
(فدَعِيه وواصلي ابنَ إياسٍ ... جُعِلتْ نفسيَ الغداةَ فِداكِ)
فقام يحيى إليه بوسادة في البيت فما زال يجلد بها رأسه ويقول ألهذا جئت بك يا ابن الزانية ومطيع يغوث حتى مل يحيى والجارية تضحك

منهما ثم تركه وقد سدر
حدثني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال مرض حماد عجرد فعاده أصدقاؤه جميعا إلا مطيع بن إياس وكان خاصة به فكتب إليه حماد
(كفاكَ عيادتي مَن كان يرجو ... ثَوابَ اللّه في صِلة المريض)
(فإن تُحدِثْ لكَ الأيامُ سُقْماً ... يَحُولُ جريضُه دونَ القريض)
- يكن طولُ التأوُّهِ منك عندي ... بمنزلة الطَّنِين من البعوض) - وافر)
أخبرني محمد بن أبي الأزهر عن حماد عن أبيه قال قدم مطيع بن إياس من سفر فقدم بالرغائب فاجتمع هو وحماد عجرد بصديقته ظبية الوادي وكان عجرد على الخروج مع محمد بن أبي العباس إلى البصرة وكان مطيع قد أعطى صاحبته من طرائف ما أفاد فلما جلسوا يشربون غنت ظبية الوادي فقالت
- أظنُّ خليلي غُدْوةً سيسير ... وربِّي على أن لا يسير قَديرُ) - طويل)
فلما فرغت من الصوت حتى غنت صاحبة مطيع
- ما أبالي إذا النَّوى قَرَّبَتْهُمْ ... ودَنَوْنا مَنْ حَلَّ منهمْ وساروا) - خفيف)
فجعل مطيع يضحك وحماد يشتمها
نسبة هذا الصوت
صوت
(أظُنُّ خليلي غُدْوَةً سيسير ... وربِّي على أن لا يسيرَ قديرُ)
- عجبْتُ لمن أمسى محبًّا ولم يكن ... له كفَنٌ في بيته وسريرُ) - طويل)
غنى في هذين البيتين إبراهيم الموصلي ولحنه ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر وفيهما لحن يمان قديم خفيف رمل بالوسطى
حدثني الحسن قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن المدبر عن محمد بن عمر الجرجاني قال كان لمطيع بن إياس صديق يقال له عمر بن سعيد فعاتبه في أمر قينة يقال لها مكنونة كان مطيع يهواها حتى اشتهر بها وقال له إن قومك يشكونك ويقولون إنك تفضحهم بشهرتك نفسك بهذه المرأة وقد لحقهم العيب والعار من أجلها فأنشأ مطيع يقول
(قد لامَني في حبيبتي عُمَرُ ... واللَّوْمُ في غير كُنْهِهِ ضجَرُ)
(قال أفِقْ قلتُ لا قال بلى ... قد شاعَ في الناس عنكما الخبرُ)
(قلتُ قد شاع فاعتذاريَ ممّا ... ليس لي فيه عندهم عُذُرُ)
(عَجزٌ لعمري وليس ينفعُني ... فكُفَّ عني العتابَ يا عمرُ)
(وارجعْ إليهم وقُلْ لهُمْ قد أبى ... وقال لي لا أُفيقُ فانتحِروا)
- أعشق وحدي فيُؤخَذون به ... كالتُّرْك تَغزُو فيُقتل الخَزَرُ) - منسرح)
رأيه في النساء
أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني ابن أبي أحمد عن أبي العبر الهاشمي قال حدثني أبي أن مطيع بن إياس مر بيحيى بن زياد وحماد
الراوية وهما يتحدثان فقال لهما فيم أنتما قالا في قذف المحصنات قال أو في الأرض محصنة فتقذفانها
حدثني عيسى بن الحسن الوراق قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات وحدثنيه الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني محمد بن هارون قال أخبرني الفضل بن إياس الهذلي الكوفي أن المنصور كان يريد البيعة للمهدي وكان ابنه جعفر يعترض عليه في ذلك فأمر بإحضار الناس فحضروا وقامت الخطباء فتكلموا وقالت الشعراء فأكثروا في وصف المهدي وفضائله وفيهم مطيع بن إياس فلما فرغ من كلامه في الخطباء وإنشاده في الشعراء قال للمنصور يا أمير المؤمنين حدثنا فلان عن فلان أن النبي قال المهدي منا محمد بن عبد الله وأمه من غيرنا يملؤها عدلا كما ملئت جورا وهذا العباس بن محمد أخوك يشهد على ذلك ثم أقبل على العباس فقال له أنشدك الله هل سمعت هذا فقال نعم مخافة من المنصور فأمر المنصور الناس بالبيعة للمهدي
قال ولما انقضى المجلس وكان العباس بن محمد لم يأنس به قال أرأيتم هذا الزنديق إذ كذب على الله عز وجل ورسوله حتى استشهدني على كذبه فشهدت له خوفا وشهد كل من حضر علي بأني كاذب وبلغ الخبر جعفر بن أبي جعفر وكان مطيع منقطعا إليه يخدمه فخافه وطرده عن خدمته قال وكان جعفر ماجنا فلما بلغه قول مطيع هذا غاظه وشقت عليه البيعة لمحمد فأخرج أيره ثم قال إن كان أخي محمد هو المهدي فهذا القائم من آل محمد
أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال كان مطيع بن إياس يخدم جعفر بن أبي جعفر المنصور وينادمه فكره أبو جعفر ذلك لما شهر به مطيع في الناس وخشي أن يفسده فدعا بمطيع وقال له عزمت على أن تفسد ابني علي وتعلمه زندقتك فقال أعيذك بالله يا أمير
المؤمنين من أن تظن بي هذا والله ما يسمع مني إلا ما إذا وعاه جمله وزينه ونبله فقال ما أرى ذلك ولا يسمع منك إلا ما يضره ويغره فلما رأى مطيع إلحاحه في أمره قال له أتؤمنني يا أمير المؤمنين عن غضبك حتى أصدقك قال أنت آمن قال وأي مستصلح فيه وأي نهاية لم يبلغها في الفساد والضلال قال ويلك بأي شيء قال يزعم أنه ليعشق امرأة من الجن وهو مجتهد في خطبتها وجمع أصحاب العزائم عليها وهم يغرونه ويعدونه بها ويمنونه فوالله ما فيه فضل لغير ذلك من جد ولا هزل ولا كفر ولا إيمان فقال له المنصور ويلك أتدري ما تقول قال الحق والله أقول فسل عن ذلك فقال له عد إلى صحبته واجتهد أن تزيله عن هذا الأمر ولا تعلمه أني علمت بذلك حتى أجتهد في إزالته عنه
إصابة جعفر بن المنصور بالصرع
أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن ابن عائشة قال كان مطيع بن إياس منقطعا إلى جعفر بن أبي جعفر المنصور فدخل أبوه المنصور عليه يوما فقال لمطيع قد أفسدت ابني يا مطيع فقال له مطيع إنما نحن رعيتك فإذا أمرتنا بشيء فعلنا
قال وخرج جعفر من دار حرمه فقال لأبيه ما حملك على أن دخلت داري بغير إذن فقال له أبو جعفر لعن الله من أشبهك ولعنك فقال والله لأنا أشبه بك منك بأبيك قال وكان خليعا فقال أريد أن أتزوج امرأة من الجن فأصابه لمم فكان يصرع بين يدي أبيه والربيع واقف فيقول له يا ربيع هذه قدرة الله

وقال المدائني في خبره الذي ذكرته عن عيسى بن الحسين عن أحمد بن الحارث عنه فأصاب جعفرا من كثرة ولعه بالمرأة التي ذكر أنه يتعشقها من
الجن صرع فكان يصرع في اليوم مرات حتى مات فحزن عليه المنصور حزنا شديدا ومشى في جنازته فلما دفن وسوي عليه قبره قال للربيع أنشدني قول مطيع بن إياس في مرثية يحيى بن زياد فأنشده
(يا أهليَ ابْكوا لقلبيَ القَرِحِ ... وللدّموعِ الذَّوارِفِ السُّفُحِ)
(راحوا بِيَحْيى ولو تطاوعُني ال ... أقدارُ لم يَبْتَكِرْ ولم يَرُحِ)
- يا خيرَ من يَحْسُنُ البكاءُ له اليومَ ... ومَن كان أمسِ لِلمدَحِ) - منسرح)
قال فبكى المنصور وقال صاحب هذا القبر أحق بهذا الشعر
أخبرني به عمي أيضا عن الخزاز عن المدائني فذكر مثله
شعره في جارية
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قال حدثني المغيرة بن هشام الربعي قال سمعت ابن عائشة يقول مر مطيع بن إياس بالرصافة فنظر إلى جارية قد خرجت من قصر الرصافة كأنها الشمس حسنا وحواليها وصائف يرفعن أذيالها فوقف ينظر إليها إلى أن غابت عنه ثم إلتفت إلى رجل كان معه وهو يقول
(لَمَّا خَرجْنَ من الرُّصافة ... كالتَّماثيلِ الحِسانِ
(يَحفُفْنَ أحْوَرَ كالغزالِ ... يميسُ في جُدُلِ العِنانِ)
(قطّعْنَ قلبي حسرةً ... وتقسُّماً بين الأماني)
(ويلي على تلكَ الشمائِلِ ... واللَّطيفِ من المعاني)
- يا طُولَ حَرِّ صبابتي ... بين الغواني والقِيانِ) - مجزوء الكامل)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني عبد الله ابن أبي سعيد عن ابن توبة صالح بن محمد قال حدثني بعض ولد منصور بن زياد عن أبيه قال قال محمد بن الفضل بن السكوني رحل مطيع ابن إياس إلى هشام بن عمرو وهو بالسند مستميحا له فلما رأته بنته قد صح العزم على الرحيل بكت فقال لها
(أسْكُتي قد حَزَزْتِ بالدَّمعِ قلبي ... طالما حَزَّ دَمْعُكُنَّ القُلوبا)
(وَدَعِي أنْ تُقَطِّعي الآنَ قلبي ... وتُريني في رِحْلَتي تعذيبا)
(فعسى اللَّهُ أن يُدافِعَ عني ... رَيْبَ ما تحذرين حَتَّى أأوْبا)
(ليس شيءٌ يشاؤه ذو المعالي ... بِعزيزٍ عليه فادعِي المُجيبا)
- أنا في قبضةِ الإله إذ ما ... كنْتُ بُعداً أو كنت منك قريبا) - خفيف)
ووجدت هذه الأبيات في شعر مطيع بغير رواية فكان أولها
(ولقد قلْتُ لابنتي وهي تَكوي ... بانسِكابِ الدُّموعِ قلباً كئيباً)
وبعده بقية الأبيات
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن صالح الأصم قال كان مطيع بن إياس مع إخوان له على نبيذ وعندهم قينة تغنيهم فأومأ إليها
مطيع بقبلة فقالت له تراب فقال مطيع
صوت
(إنَّ قلبي قد تصابَى ... بعد ما كان أنابا)
(ورَماه الحبُّ منه ... بسهامٍ فأصابا)
(قد دَهاه شادِنٌ يَلبَس ... في الجيد سِخابا)
(فَهْوَ بدرٌ في نِقابٍ ... فإذا ألقى النقابا)
(قُلْتُ شمسٌ يومَ دَجْنٍ ... حَسرتْ عنها السَّحابا)
(ليتني منه على كَشْحَيْن ... قد لانا وطابا)
(أحضَرُ النّاسِ بما أكرَهُهُ ... منهُ جوابا)
- فإذا قلتُ أنِلْني ... قُبْلةً قال ترابا) - مجزوء الرمل)
لحكم الوادي في هذه الأبيات هزج بالبنصر من رواية الهشامي
سرعة بديهته
أخبرنا أبو الحسن الأسدي قال ذكر موسى بن صالح بن سنح بن عميرة أن مطيع بن إياس كان أحضر الناس جوابا ونادرة وأنه ذات يوم كان جالسا يعدد بطون قريش ويذكر مآثرها ومفاخرها فقيل له فأين بنو كنانة قال
- بِفَلسْطين يُسرعون الرُّكوبا ...) - خفيف)
أراد قول عبيد الله بن قيس الرقيات
(حلَقٌ من بني كنانةَ حولي ... بِفلسْطين يُسرعون الرُّكوبا)
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن العمري عن العتبي قال
كان أبو دهمان صديقا لمطيع وكان يظهر للناس تألها ومروءة وسمتا حسنا وكان ربما دعا مطيعا ليلة من الليالي أن يصير إليه ثم قطعه عنه شغل فاشتغل وجاء مطيع فلم يجده فلما كان من الغد جلس مطيع مع أصحابه فأنشدهم فيه
(ويلِي ممَّنْ جفاني ... وحُبُّه قد براني)
(وطَيْفُه يلقاني ... وشخصُهُ غير دان)
(أغَرُّ كالبدرِ يعْشَى ... بحسنِه العينان)
(جاريَّ لا تَعْذِلاني ... في حِبِّه ودعاني)
(فربَّ يومٍ قصيرٍ ... في جوْسقٍ وجِنان)
(بالراح فيه يُحَيَّا ... والقصفِ والريحان)
(وعندنا قَيْنَتَانِ ... وَجْهاهما حَسَنانِ)
(عُوداهُما غَردان ... كأنَّهما ينطقانِ)

(وعندَنا صاحبانِ ... للدَّهر لا يَخضَعان)
(فكنت أوّل خامٍ ... وأوّلَ السَّرَعانِ)
(في فتيةٍ غير مِيلٍ ... عند اختلافِ الطِّعان)
(مِن كلِّ خوفٍ مُخيفٍ ... في السرِّ والإعلانِ)
(حَمّالِ كلِّ عظيم ... تضيق عنه اليدانِ)
(وإنْ ألحَّ زمانٌ ... لم يَستكِنْ للزمانِ)
(فزالَ ذاك جميعاً ... وكلُّ شيءٍ فان)
(مَن عاذري مِن خليلٍ ... مُوافقٍ مِلْدان
(مُداهنٍ متوانٍ ... يكني أبي دُهْمان)
(متى يَعِدْك لقاءً ... فالنّجمُ والفرقدانِ)
(وليس يعتِمُ إلاَّ ... سكرانَ مَعْ سكرانِ)
(يسقيه كلُّ غلامٍ ... كأنّه غُصنُ بانِ)
- مِن خَنْدَريسٍ عُقارٍ ... كحُمْرَة الأرجُوان) - مجتث)
قال فلقيه بعد ذلك أبو دهمان فقال عليك لعنة الله فضحتني وهتفت بي وأذعت سري لا أكلمك أبدا ولا أعاشرك ما بقيت فما تفرق بين صديقك وعدوك
أخبرني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجلي العطار بالكوفة قال حدثني علي بن عمروس عن عمه علي بن القاسم قال كنت آلف مطيع بن إياس وكان جاري وعنفني في عشرته جماعة وقالوا لي إنه زنديق فأخبرته بذلك فقال وهل سمعت مني أو رأيت شيئا يدل على ذلك أو هل وجدتني أخل بالفرائض في صلاة أو صوم فقلت له والله ما اتهمتك ولكني خبرتك بما قالوا واستحييت منه فعجل على السكر ذات يوم في منزله فنمت عنده ومطرنا في جوف الليل وهو معي فصاح بي مرتين أو ثلاثا فعلمت أنه يريد أن يصطبح فكسلت أن أجيبه فلما تيقن أني نائم جعل يردد على نفسه بيتا قاله وهو قوله
- (أصبحتُ جَمَّ بلابل الصَّدرِ ... عَصْراً أكاتمه إلى عَصْرِ) - كامل
فقلت في نفسي هذا يعمل شعرا في فن من الفنون فأضاف إليه بيتا ثانيا وهو قوله
(إن بُحْتُ طُلَّ دمي وإن تُركَتْ ... وَقَدَتْ عليَّ توقُّدَ الجمْرِ)
فقلت في نفسي ظفرت بمطيع فتنحنحت فقال لي أما ترى هذا المطر وطيبه اقعد بنا حتى نشرب أقداحا فاغتنمت ذلك فلما شربنا أقداحا قلت له زعمت أنك زنديق قال وما الذي صحح عندك أني زنديق قلت قولك إن بحت طل دمي وأنشدته البيتين فقال لي كيف حفظت البيتين ولم تحفظ الثالث فقلت والله ما سمعت منك ثالثا فقال بلى قد قلت ثالثا قلت فما هو قال
(ممَّا جنَاه علَى أبي حسنٍ ... عُمَرٌ وصاحبُه أبو بكر)
وحدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال جاء مطيع بن إياس إلى إخوان له وكانوا على شراب فدخل الغلام يستأذن له فلما سمع صاحب البيت بذكره خرج مبادرا فسمعه يقول
(أمسيْتُ جمَّ بلابلِ الصدرِ ... دَهْراً أزجِّيه إلى دَهْرِ)
(إن فُهْتُ طُلَّ دمي وإن كتِمَتْ ... وقدَتْ عليَّ توقُّد الجمر)
فلما أحس مطيع بأن صاحب البيت قد فتح له استدرك البيتين بثالث فقال
((فما جناه عَلَى أبي حسنٍ ... عُمَرٌ وصاحبُه أبو بَكْر
وكان صاحب البيت يتشيع فأكب على رأسه يقبله ويقول جزاك الله يا أبا مسلم خيرا
وذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الكاتب أن الرشيد أتي ببنت مطيع ابن إياس في الزنادقة فقرأت كتابهم واعترفت به وقالت هذا دين علمنيه أبي وتبت منه فقبل توبتها وردها إلى أهلها
قال أحمد ولها نسل بجبل في قرية يقال لها الفراشية قد رأيتهم ولا عقب لمطيع إلا منهم
دعوته للشراب
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن ابن عائشة قال كان مطيع بن إياس نازلا بكرخ بغداد وكان بها رجل يقال له الفهمي مغن محسن فدعاه مطيع ودعا بجماعة من إخوانه وكتب إلى يحيى بن زياد يدعوه بهذه الأبيات قال
(عندنا الفهميُّ مَسرُورٌ ... وزمّارٌ مُجيدُ)
(ومُعاذٌ وعِياذٌ ... وعُمَيرٌ وسعيد)
(ونَدامي يَعمِلون القَلْزَ ... والقَلْزُ شديد)
- بعضُهُمْ ريحانُ بعضٍ ... فَهُمُ مِسكٌ وعُودُ) - مجزوء الرمل)
قال فأتاه يحيى فأقام عنده وشرب معهم وبلغت الأبيات المهدي فضحك منها وقال تنايك القوم ورب الكعبة
قال الكراني القلز المبادلة
وجدت هذا الخبر بخط ابن مهرويه عن إبراهيم بن المدبر عن محمد ابن عمر الجرجاني فذكر أن مطيعا اصطبح يوم عرفة وشرب يومه وليلته واصطبح يوم الأضحى وكتب إلى يحيى من الليل بهذه الأبيات
(قد شربْنا ليلةَ الأضحَى ... وساقِينا يزيدُ)
(عندنا الفَهْميُّ مَسرُورٌ ... وزمّارٌ مجيدُ)
(وسليمانُ قَتَانا ... فهو يُبدي ويعيدُ)
(ومُعاذٌ وعِياذٌ ... وعُمَيرٌ وسعيد)
(وندامَى كلُّهمْ يَقْلِزُ ... والقَلْزُ شديدٌ)
(بعضهُم ريحانُ بعضٍ ... فَهُمُ مِسكٌ وعودُ)
(غالت الأنفُسُ عنهمْ ... وتلقَّتْهمْ سُعودُ)
(فترى القوم جُلوسا ... والخنى عنهمْ بعيدُ)

(ومطيعُ بنُ إياس ... فهو بالقَصْف وليدُ)
- وعلى كرِّ الجديدَيْن ... وما حَلَّ جليدُ) - مجزوء الرمل)
ووجدت في كتاب بعقب هذا وذكر محمد بن عمر الجرجاني أن عوف ابن زياد كتب يوما إلى مطيع أنا اليوم نشيط للشرب فإن كنت فارغا فسر إلي وإن كان عندك نبيذ طيب وغناء جيد جئتك فجاءته رقعته وعنده حماد الراوية وحكم الوادي وقد دعوا غلاما أمرد فكتب إليه مطيع
(نَعَمْ لنا نبيذٌ ... وعندنا حمّادُ)
((وخيْرُنا كثيرٌ ... والخير مُستزادُ)
(وكُلُّنا من طَربٍ ... يطيرُ أو يكاد)
(وعندنا واديُّنا ... وهو لنا عِمادُ)
(ولَهْوُنا لذيذٌ ... لم يَلْهُهُ العِبادُ)
(إنْ تَشتَهِ فَساداً ... فعندَنا فسادُ)
(أو تَشتَهِ غلاماً ... فعندنا زيادُ)
(ما إنْ به التواءٌ ... عنا ولا بِعاد)
قال فلما قرأ الرقعة صار إليهم فأتم به يومه معهم
مدحه للغمر بن يزيد
أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو بكر العامري عن عنبسة القرشي الكريزي عن أبيه قال مدح مطيع بن إياس الغمر بن يزيد بقصيدته التي يقول فيها
(لا تَلْحَ قلبك في شَقائِهْ ... ودَعِ المتيَّمَ في بلائهْ)
(كَفْكِفْ دموعَك أنْ يفِضْنَ ... بناظرٍ غَرِقٍ بمائه)
(وَدَعِ النسيبَ وذكرَهُ ... فبحَسْبِ مِثلك من عنائِهْ)
(كم لذّةٍ قد نِلْتَها ... ونعيم عيشٍ في بهائه)
(بنَواعمٍ شبهِ الدُّمى ... والليلُ في ثِنْيَيْ عمائه)
(وأذكر فتىً بيمينه ... حَتْفُ الزمان لدى التوائه)
(وإذا أُميَّةُ حُصِّلَتْ ... كان المهذَّبَ في انتمائه)
(وإذا الأمورُ تفاقَمَتْ ... عِظَماً فمصدرُها برائه)
(وإذا أردْتَ مديحه ... لم يُكْدِ قولُك في بنائه)
((في وجهه عَلَمُ الهدى ... والمجدُ في عِطْفَيْ ردائه
- وكأنّما البدر المنير ... مُشَبَّهٌ به في ضيائه) - مجزوء الكامل)
فأمر له بعشرة آلاف درهم فكانت أول قصيدة أخذ بها جائزة سنية وحركته ورفعت من ذكره ثم وصله بأخيه الوليد فكان من ندمائه
أنشدني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه لمطيع بن إياس يستعطف يحيى بن زياد في هجرة كانت بينهما وتباعد
(يا سمِيَّ النبيِّ الذي خَصَّصَ ... به اللَّهُ عبدَه زكريا)
(فدعاه الإلهُ يحيى ولم يَجْعَلْ ... له اللّه قبلَ ذاك سَمِيّا)
- كنْ بصبٍّ أمسى بحبكَ بَرًّا ... إنَّ يحيى قد كان بَرًّا تقيا) - خفيف)
رثاؤه ليحيى بن زياد
وأنشدني له يرثي يحيى بعد وفاته
(قد مضى يَحْيى وغودِرْتُ فردا ... نُصْبَ ما سَرَّ عيونَ الأعادي)
(وأرى عَيْنِي مُذْ غاب يحيى ... بُدِّلَتْ من نَومها بالسُّهادِ)
(وسَدّتْه الكفُّ منّي تراباً ... ولقد أرثي له من وساد)
(بين جيرانٍ أقاموا صُموتاً ... لا يُحيرون جواب المنادي)
(أيُّها المُزْنُ الذي جاد حتَّى ... أعشبتْ منه مُتونُ البوادي)
(إسقِ قبراً فيه يحيى فإنّي ... لك بالشكر مُوافٍ مُغاد)
شعره في جوهر وريم
نسخت من نسخة بخط هارون بن محمد بن عبد الملك قال لما بيعت
جوهر التي كان مطيع بن إياس يشبب بها قال فيها وفيه غناء من خفيف الرمل أظنه لحكم
(صاح غرابُ البينِ بالبيْنِ ... فكدْتُ أنقدُّ بنصفين)
(قد صار لي خِدْنانِ مِن بعدهم ... همٌّ وغمٌّ شرُّ خِدْنَيْن)
(أفدِي التي لم ألْقَ مِن بعدها ... أُنْساً وكانت قُرَّةَ العيْن)
(أصبحْتُ أشكو فرقةَ البين ... لمَّا رأت فُرقَتَهمْ عيني)
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا العباس بن ميمون بن طائع قال حدثني ابن خرداذبة قال خرج مطيع بن إياس ويحيى بن زياد حاجين فقدما أثقالهما وقال أحدهما للآخر هل لك في أن نمضي إلى زرارة فنقصف ليلتنا عنده ثم نلحق أثقالنا فما زال ذلك دأبهم حتى انصرف الناس من مكة قال فركبا بعيريهما وحلقا رؤوسهما ودخلا مع الحجاج المنصرفين وقال مطيع في ذلك
(ألم ترني ويَحْيَى قد حَججْنا ... وكان الحجُّ من خير التجارهْ)
(خرجْنا طالبَيْ خيرٍ وبرٍّ ... فمال بنا الطريقُ إلى زُراره)
(فعادَ الناس قد غنموا وحجُّوا ... وأُبْنا مُوْقَرِين من الخساره)
وقد روي هذا الخبر لبشار وغيره
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الفضل بن محمد اليزيدي عن إبراهيم الموصلي عن محمد بن الفضل قال خرج جماعة من الشعراء في أيام المنصور عن بغداد في طلب المعاش فخرج يحيى بن زياد إلى محمد ابن العباس وكنت في

صحابته فمضى إلى البصرة وخرج حماد عجرد إليها
معه وعاد حماد الراوية إلى الكوفة وأقام مطيع بن إياس ببغداد وكان يهوى جارية يقال لها ريم لبعض النخاسين وقال فيها
(لولا مكانُكِ في مدينتهم ... لظعنْتُ في صَحبِي الأُلى ظَعَنُوا)
- أوطنْتُ بَغْداداً بحبِّكُمُ ... وبغيرِها لولاكُمُ الوطن) - كامل)
قال وقال مطيع في صبوح اصطبحه معها
(ويومٍ ببغدادٍ نعِمْنا صباحَه ... على وجه حوراءِ المدامع تُطْرِبُ)
(ببيتٍ ترى فيه الزُّجاجَ كأنه ... نجومُ الدُّجى بين النَّدامي تَقَلَّبُ)
(يُصَرِّفُ ساقينا ويقطب تارةً ... فيا طيبَها مقطوبةً حين يَقْطِبُ)
(علينا سحيقُ الزعفران وفوقَنا ... أكاليلُ فيها الياسمين الْمُذَهَّبُ)
(فما زِلْتُ أُسقَى بين صَنْجٍ ومِزْهَرٍ ... من الرَّاح حتَّى كادتِ الشمسُ تغرُب)
وفيها يقول
(أمسى مطيعُ كلِفَا ... صبَّا حزيناً دَنِفا)
(حُرٌّ لمن يعشقُه ... يرقُّه معترفا)
(يا ريمُ فاشفِي كَبِداً ... حَرَّى وقلباً شُغِفا)
- (ونوِّليني قبلةً ... واحدةً ثمَّ كفَى) - مجزوء الرجز
قال وفيها يقول
(يا ريمُ قد أتلفْتِ رُوحي فما ... منها معي إلاَّ القليلُ الحقيرْ)
(فأذْنِبي إن كنتِ لم تُذْنِبي ... فيَّ ذُنوباً إنَّ ربِّي غفورْ)
(ماذا على أهلِكِ لو جُدْتِ لي ... وزُرْتِني يا ريمُ فيمن يزورْ)
(هل لك في أجرٍ تُجازَيْ به ... في عاشقٍ يرضيه منكِ اليسيرْ)
(يَقبَل ما جُدْتِ به طائعاً ... وهو وإن قلَّ لديه الكثيرْ)
- لعمريَ مَن أنتِ له صاحبٌ ... ما غاب عنه في الحياة السُّرورْ) - سريع)
قال وفيها يقول
(يا ريمُ يا قاتِلتي ... إن لم تجودِي فَعِدِي)
(بيَّضْتِ بالمَطْل وإخلافِكِ ... وعدي كَبِدِي)
(حالَفَ عيني سُهُدي ... وما بها من رمَدِ)
(يا ليتَني في الأحد ... أبليْتِ منِّي جسدِي)
- لمن به من شِقْوتي ... أخذْتُ حَتْفي بيَدِي) - مجزوء الرجز)
أنشدني علي بن سليمان الأخفش قال أنشدني محمد بن الحسن بن الحرون عن ابن النطاح لمطيع بن إياس يقوله في جوهر جارية بربر
(يا بأبي وجهُكِ مِن بينهِمْ ... فإنَّه أحسنُ ما أبصِرُ)
(يا بأبي وجهِكِ من رائع ... يشبِهه البدرُ إذا يَزْهَر)
(جاريةٌ أحسنُ من حَلْيِها ... والحَلْيُ فيه الدرُّ والجوهرُ)
(وجِرْمُها أطيبُ من طيبِها ... والطِّيب فيه المسكُ والعنبر)
((جاءت بها بَرْبَرٍ مكنونةً ... يا حبَّذا ما جَلَبَتْ بَربرُ
- كأنّما ريقَتُها قَهْوَةٌ ... صُبَّ عليها باردٌ أسمر) - سريع)
أخبرني الحسين بن القاسم قال حدثنا ابن أبي الدنيا قال حدثني منصور بن بشر العمركي عن محمد بن الزبرقان قال كان مطيع بن إياس كثير العبث فوقف على أبي العمير رجل من أصحاب المعلى الخادم فجعل يعبث به ويمازحه إلى أن قال
- ألاَ أبلِغْ لديك أبا العُمير ... أراني اللَّهُ في استِكَ نصفَ أيْرِ) - وافر)
فقال له أبو العمير يا أبا سلمى لو جدت لأحد بالأير كله لجدت به إلى ما بيننا من الصداقة ولكنك بحبك لا نريده كله إلا لك فأفحمه ولم يعاود العبث به
قال وكان مطيع يرمى بالأبنة
مدحه جرير بن يزيد
قال وسقط لمطيع حائط فقال له بعض أصدقائه أحمد الله على السلامة قال أحمد الله أنت الذي لم ترعك هدته ولم يصبك غباره ولم تعدم أجرة بنائه
أخبرني إسماعيل بن يونس بن أبي اليسع الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال وفد مطيع بن إياس إلى جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري وقد مدحه بقصيدته
(أمِن آلِ ليلى عزَمْتَ البُكورا ... ولم تَلْقَ ليلى فتَشْفِي الضَّميرا)
(وقد كنْتَ دهركَ فيما خلا ... لليلَى وجاراتِ ليلى زَؤُورا)
((ليالي أنت بها مُعْجَبٌ ... تَهيم إليها وتَعصِي الأميرا
(وإذْ هي حوراءُ شِبْهُ الغزالِ ... تُبصِرُ في الطَّرف منها فُتُورا)
(تقول ابنتي إذْ رأت حالتي ... وقرَّبْتُ للبين عَنْساً وكُورا)
(إلى مَن أراكَ وَقَتْكَ الْحُتوفَ ... نفسِي تجشَّمْتَ هذا المسيرا)
(فقلتُ إلى البَجَلِّي الذي ... يَفُكُّ العُناةَ ويُغنِي الفقيرا)
(أخِي العُرْف أشبْه عند النَدَى ... وحَمْلِ المِئين أباهُ جديرا)
(عشيرِ الندى ليس يُرضي النَّدى ... يدَ الدّهر بعد جرير عشيرا)
(إذا استكثر المجتدون القليلَ ... للمُعْتَفين استقلَّ الكثيرا)
(إذا عَسُر الخير في المجتَدين ... كانَ لديه عَتيداً يسيرا)

(وليس بمانعٍ ذِي حاجةٍ ... ولا خاذلٍ مَن أتى مُستجِيرا)
(فَنفسي وَقَتْكَ أبا خالدٍ ... إذا ما الكُماةُ أغاروا النُّمورا)
(إلى ابن يزيدَ أبي خالدٍ ... أخي العُرْفِ أعملتُها عيسجورا)
(لِنَلْقَى فواضلَ من كفِّه ... فصادفْتَ منه نوالاً غزيرا)
(فإن يَكُن الشُّكْرُ حُسْنَ الثّناءِ ... بالعُرْفِ مِنّي تجدني شكورا)
بصيراً بما يستلذُّ الرّواةُ ... من مُحكَم الشِّعرِ حتّى يسيرا) - متقارب - فلما بلغ يزيد خبر قدومه دعا به ليلا ولم يعلم أحد بحضوره ثم قال له عرفت خبرك وإني متعجل لك جائزتك ساعتي هذه فإذا حضرت غدا فإني سأخاطبك مخاطبة جفاء وأزودك نفقة طريقك وأصرفك لئلا يبلغ أبا جعفر خبري فيهلكني فأمر له بمائتي دينار فلما أصبح أتاه فاستأذنه في الإنشاد فقال له يا هذا لقد رميت بآمالك غير مرمى وفي أي شيء أنا حتى ينتجعني الشعراء لقد أسأت إلي لأني لا أستطيع تبليغك محابك ولا آمن سخطك وذمك فقال له تسمع ما قلت فإني أقبل ميسورك وأبسط عذرك فاستمع منه كالمتكلف المتكره فلما فرغ قال لغلامه يا غلام كم يبلغ ما بقي من نفقتنا قال ثلاثمائة درهم قال أعطه مائة درهم لنفقة طريقه ومائة درهم ينصرف بها إلى أهله واحتبس لنفقتنا مائة درهم ففعل الغلام ذلك وانصرف مطيع شاكرا ولم يعرف أبو جعفر خبره
أنشدني وكيع عن حماد بن إسحاق عن أمه لمطيع بن إياس وفيه غناء
(واهاً لشخص رجوتُ نائلَه ... حتَّى أنثنى لي بودِّه صَلَفَا)
- لانَتْ حواشيهِ لي وأطمَعَني ... حتَّى إذا قلْتُ نَلْتُه انصرفا) - منسرح)
قال وأنشدني حماد أيضا عن أبيه لمطيع بن إياس وفيه غناء أيضا
(خليلِي مخلفٌ أبدا ... يمنِّيني غداً فغَدا)
(وبعد غدٍ وبعد غدٍ ... كذا لا ينقضِي أبَدا)
(له جَمْرٌ على كبِدي ... إذا حرَّكْتُه وَقَدا)
- وليس بلابثٍ جَمْرُ الغَضَى ... أن يُحرق الكَبِدا) - مجزوء الوافر)
وفي هذه الأبيات لعريب هزج
أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا العنزي عن مسعود بن بشر قال قال الوليد بن يزيد لمطيع بن إياس أي الأشياء أطيب عندك قال صهباء صافية تمزجها غانية بماء غادية
قال صدقت
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو عبد الله التميمي قال حدثنا أحمد بن عبيد وأخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن العمري عن العتبي قال
سكر مطيع بن إياس ليلة فعربد على يحيى بن زياد عربدة قبيحة وقال له وقد حلف بالطلاق
(لا تحلِفاً بطلاق مَنْ ... أمسَتْ حوافِرُها رقيقهْ)
(مَهْلاً فقد علم الأنامُ ... بأنَّها كانت صديقهْ)
فهجره يحيى وحلف ألا يكلمه أبدا فكتب إليه مطيع
(إنْ تصِلْني فمثلُك اليوم يُرْجَى ... عَفْوُهُ الذَّنْبَ عن أخيه ووَصْلُهْ)
(ولئن كنْتَ قد هممْتَ بهجري ... لِلذي قد فعلْتُ إنِّي لأهلُهْ)
(وأحَقُّ الرِّجال أن يَغفِر الذَّنْبَ ... لإخوانه الموفَّرُ عقلُهْ)
(الكريمُ الذي له الحَسَبُ الثّاقبُ ... في قومه ومن طاب أصلُهْ)
(ولئن كنتَ لا تصاحِبُ إلاّ ... صاحبا لا تَزِلّ ما عاش نعلُهْ)
(لا تَجِدْه وإن جَهدْتَ وأنّي ... بالذي لا يكاد يُوجَد مثلُهْ)
(إنَّما صاحبي الذي يغفر الذَّنْ ... بَ ويكفيه من أخيه أقلُّهْ)
(الذي يَحفظُ القديمَ من العهد ... وإنْ زَلَّ صاحبٌ قلَّ عَذْلُهْ)
(ورعَى ما مضَى مِن العهد مِنه ... حين يؤذِي من الجهالة جهلُه)
(ليس مَن يُظهِرُ المودّةَ إفْكاً ... وإذا قال خالفَ القولَ فِعلُه)
- وَصْلُه للصَّديق يوماً فإنْ طالَ ... فيومانِ ثم يَنْبَتُّ حَبْلُهْ) - خفيف)
قال فصالحه يحيى وعاود عشرته
نزوله بدير كعب
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني أبو أيوب المدني قال حدثني أحمد بن إبراهيم الكاتب قال حدثني أبي عن رجل من أهل الشأم قال كنت يوما نازلا بدير كعب قد قدمت من سفر فإذا أنا برجل قد نزل الدير ومعه ثقل وآلة وعيبة فكان قريبا من موضعي فدعا بطعام فأكل ودعا الراهب فوهب له دينارين وإذا بينه وبينه صداقة فأخرج له شرابا فجلس يشرب ويحدث الراهب وأنا أراهما إذ دخل الدير رجل فجلس معهما فقطع حديثهما وثقل في مجلسه وكان غث الحديث فأطال فجاءني بعض غلمان الرجل النازل فسألته عنه فقال هذا مطيع بن إياس فلما قام الرجل وخرج كتب مطيع على الحائط شيئا وجعل يشرب حتى سكر فلما كان من غد رحل فجئت موضعه فإذا فيه مكتوب
(طَرْبَةَ ما طربْتُ في دَيْر كعبٍ ... كدْتُ أقضِي من طَرْبتي فيه نَحْبِي)
(وتذكَّرْتُ إخوتي ونَداماي ... فهاج البكاءَ تَذْكارُ صحبي)
(حينَ غابوا شتّى وأصبحْتُ فرداً ... ونأوْا بينَ شرْقِ أرضٍ وغَرْبِ)
(وهمُ ما همُ فحسبِي لا أبْغي ... بدِيلاً بِهِم لعمرُكَ حسبي)
(طلحةُ الخير منهُم وأبو المُنْذِرِ ... خِلِّي ومالكٌ ذاكَ تِربي)
(أيُّها الداخِلُ الثقيلُ علينا ... حينَ طاب الحديثُ لي ولِصَحْبي)
(خِفَّ عنَّا فأنت أثقَلُ واللّهِ ... علينا من فرسَخَيْ دَيْر كعبِ)
(ومِن النّاس مَن يَخِفُّ ومِنهمْ ... كَرَحى البَزْر رُكِّبت فوقَ قلبي)
أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عمر بن محمد قال حدثنا الحسين بن إياس ويحيى بن زياد وزاد

العمل حتى حلف يحيى بن زياد عل بطلان شيء كلمه به مما دار بينهما فقال مطيع
(لا تَحْلِفاً بطلاقِ مَنْ ... أمْسَتْ حوافِرُها رقيقهْ)
- هيهاتَ قد علِمَ الأميرُ ... بأنَّها كانت صديقهْ) - مجزوء الكامل)
فغضب يحيى وحلف ألا يكلم مطيعا أبدا وكانا لا يكادان يفترقان في فرح ولا حزن ولا شدة ولا رخاء فتباعد ما بين يحيى وبينه وتجافيا مدة فقال مطيع في ذلك وندم على ما فرط منه إلى يحيى فكتب إليه بهذا الشعر قال
(كنت ويَحْيى كَيَدٍ واحدهْ ... نَرْمي جميعاً وتَرانا معا)
(إنْ عضَّني الدّهرُ فقد عضَّه ... يُوجِعُنا ما بعضَنا أوجعا)
(أو نامَ نامتْ أعينٌ أربعٌ ... منَّا وإن أسْهَرْ فلن يَهْجَعا)
(يسرُّني الدَّهرُ إذا سرَّه ... وإنْ رماه فَلَنَا فَجَّعا)
(حتَى إذا ما الشَّيْب في مَفرقي ... لاحَ وفي عارضِه أسْرَعا)
(سَعى وُشاةٌ فمَشوا بيننا ... وكاد حَبْلُ الودِّ أن يُقْطَعا)
(فَلَمْ أَلُمْ يحْيى على فِعْلِه ... ولم أقُلْ مَلَّ ولا ضَيَّعا)
(لكنَّ أعداءً لنا لم يكن ... شيطانُهُمْ يرَى بنا مَطْمَعا)
(بينا كذا غاشٍ على غِرّة ... فأوقَدَ النِّيرانَ مُستَجْمِعا)
- فلم يزل يُوقِدُها دائباً ... حَتّى إذا ما اضطرمَتْ أقلعا) - سريع)
أخبرنا الحسين بن يحيى المرداسي عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني وأخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال إسحاق في خبره دخل على إخوان يشربون وقال الأصمعي دخل سراعة بن الزندبور على مطيع بن إياس ويحيى بن زياد وعندهما قينة تغنيهما فسقوه أقداحا وكان على الريق فاشتد ذلك عليه فقال مطيع للقينة غني سراعة فقالت له أي شيء تختار فقال غني
- طبيبيَّ داويْتُما ظاهراً ... فمن ذا يداوي جوًى باطنا) - متقارب)
ففطن مطيع لمعناه فقال أبك أكل قال نعم فقدم إليه طعاما فأكل
ثم شرب معهم والله أعلم
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن هارون الأزرقي مولى بني هاشم أخي أبي عشانة قال حدثني الفضل بن محمد بن الفضل الهاشمي عن أبيه قال كان مطيع بن إياس يهوى ابن مولى لنا يقال له محمد بن سالم فأخرجت أباه إلى ضيعة لي بالري لينظر فيها فأخرجه أبوه معه ولم أكن عرفت خبر مطيع معه حتى أتاني فأنشدني لنفسه
(أيا ويحَه لا الصَّبر يملك قلبه ... فيصبرَ لَمَّا قيل سار محمدُ)
(فلا الحزنُ يُفنيه ففي الموت راحةٌ ... فحتَّى متى في جهدِه يتجلَّد)
(قَدَ أضحى صريعاً بادياتٍ عظامُه ... سِوى أنَّ روحاً بينها تتردّد)
(كئيباً يمنّي نفسَه بلقائه ... على نأيه واللَّهُ بالحزن يشهد)
(يقول لها صبراً عَسى اليومِ آئبٌ ... بإلفك أو جاءٍ بطلعته الغَدُ)
- وكنتَ يداً كانت بها الدهرَ قُوَّتي ... فأصبحتُ مُضنًى منذ فارقني يدِي) - طويل)
في أخبار مطيع التي تقدم ذكرها آنفا أغان أغفلت عن نسبتها حتى انتهيت إلى هذا الموضع فنسبتها فيه
صوت
(طبيبيَّ داويتُما ظاهرا ... فمن ذا يداوي جوًى باطنا)
(فقوما اكوياني ولا تَرْحَمَا ... من الكيِّ مُستَحْصِفاً راصِنا)
(ومُرَّا على منزل بالغُمَيم ... فإنِّي عهِدْتُ به شادنا)
متقارب -فَتورَ القيام رَخِيمَ الكلامِ ... كانَ فؤادي به راهنا))
الشعر فيما ذكر عبد الله بن شبيب عن الزبير بن بكار لعمرو بن سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي والغناء لمعبد ولحنه ثقيل أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق وعمرو وفيه لأبي العبيس بن حمدون ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر وهو من صدور أغانيه ومختارها وما تشبه فيه بالأوائل ولو قال قائل إنه أحسن صنعة له صدق
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه أن غيلان بن خرشة الضبي دخل إلى قوم من إخوانه وعندهم قينة فجلس معهم وهو لا يدري فيم هم حتى غنت القينة
(طبيبيَّ داويتما ظاهراً ... فمن ذا يداوي جوًى باطنا)
وكان أعرابيا جافيا به لوثة فغضب ووثب وهو يقول السوط ورب غيلان يداوي ذلك الجوى وخرج من عندهم
وهذا الخبر مذكور في أخبار معبد من كتابي هذا وغيره ولكن ذكره ها هنا حسن فذكرته
ومما فيها من الأغاني قول مطيع
صوت
(أمْسَيْتُ جَمَّ بلابلِ الصَّدْرِ ... دَهْراً أزجّيه إلى دَهْرِ)
- إن فُهْتُ طلَّ دمي وإن كُتِمَتْ ... وقَدَتْ عليّ توقُّد الجمر) - كامل)
الغناء لحكم الوادي هزج بالبنصر عن حبش الهشامي
مطيع وجوهر المغنية
أخبرني ابن الحسين قال حدثنا حماد بن إسحاق عن صباح بن خاقان قال
دخلت علينا جوهر المغنية جارية بربر وكانت محسنة جميلة ظريفة وعندنا مطيع بن إياس وهو يلعب بالشطرنج وأقبل عليها بنظره وحديثه ثم قال
(ولقد قُلْتُ مُعلناً ... لسعيدٍ وجعفر)
(إن أتتني مَنيّتي ... فدمِي عند بربر)
(قتلْتِني بمنعها ... لِيَ من وصْل جوهر)
قال وجوهر تضحك منه

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا عبد الله بن أبي سعيد عن أبي توبة قال بلغ مطيع بن إياس أن حماد عجرد عاب شعراً ليحيى بن زياد قاله في منقذ بن بدر الهلالي فأجابه منقذ عنه بجواب فاستخفهما حماد عجرد وطعن عليهما فقال فيه مطيع
(أيها الشاعِرُ الذي ... عاب يحيى ومُنقِذا)
(أنتَ لو كنتَ شاعِراً ... لم تَقُلْ فيهما كذا)
(لستَ واللَّه فاعلَمَنْ ... لذي النقد جِهْبذا)
- تعدِل الصبرَ بالرضَى ... شائبَ الصَّفو بالقذى) - مجزوء الخفيف)
أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا عبد الله بن أبي توبة عن ابن أبي منيع الأحدب قال كنت جالسا مع مطيع بن إياس فمرت بنا مكنونة
جارية المروانية وكان مطيع وأصحابنا يألفونها فلم تسلم وعبث بها مطيع ابن إياس فشتمته فالتفت إلي وأنشأ يقول
(فَدَّيْت مُنْ مَرَّ بنا ... يوماً ولم يتكلمْ)
(وكان فيما خلا منه ... كلّما مرَّ سلّمْ)
(وإنْ رآني حيًّا ... بطَرْفِهِ وتبسّمْ)
(لقد تبدّل فيما ... أظنّ واللَّه أعلمْ)
(فليتَ شِعريَ ماذا ... عليّ في الودِ ينقم)
(يا ربِّ إنك تعلمْ ... أني بمكنون مغرمْ)
(وأنني في هواها ... ألقَى الهوان وأعظَم)
(يا لائمي في هواها ... إحفظْ لسانكَ تَسلَم)
(واعلم بأنك مهما ... أكرمْتَ نفسَكَ تُكرَم)
(إنّ المَلُولَ إذا ما ... ملّ الوصالَ تجرَّمْ)
- أولا فمالِي أُجْفَى ... من غير ذنب وأُحرَم) - مجتث)
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال كان مطيع ابن إياس يألف جواري بربر ويهوى منهن جاريتها المسماة جوهر وفيها يقول ولحكم فيه غناء
(خافِي اللَّهَ يا بربرْ ... لقد أفْسَدْتِ ذا العسكرْ)
(إذا ما أقبلَتْ جوهرْ ... يفوح المسكُ والعنبرْ)
(وجوهرُ دُرّة الغوّاص ... مَنْ يَمْلِكُها يُحْبَرْ)
لها ثغْرٌ حكى الدرَّ ... وعَيْنا رَشأٍ أحورْ) - مجزوء الوافر)
في هذه الأبيات هزج لحكم الوادي قال وفيها يقول
(أنتِ يا جوهرُ عندي جوهرهْ ... في قِياسِ الدُّرر المشْتَهِرهْ)
(أو كشمسٍ أشرقت في بيتها ... قذفَتْ في كل قلب شررَهْ)
(وكأنّي ذائقٌ من فمها ... كلما قبَّلْتُ فاها سُكْرَهْ)
- وكأنّي حين أخلو معها ... فائز بالجنّة المختَضِرَه) - رمل)
قال فجاءها يوما فاحتجبت عنه فسأل عن خبرها فعرف أن فتى من أهل الكوفة يقال له ابن الصحاف يهواها متخل معها فقال مطيع يهجوها
(ناك واللَّه جوهرَ الصّحَافُ ... وعليها قميصُها الأفوافُ)
(شامَ فيها أيراً له ذا ضُلوع ... لم يَشِنْه ضُعْفٌ ولا إخطافُ)
- جَدَّ دفْعاً فيها فقالت ترفَّقْ ... ما كذا يا فتى تُناك الظِّرافُ) - خفيف)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال قال محمد بن صالح بن النطاح أنشد المهدي قول مطيع بن إياس
(خافي اللَّهَ يا بربرْ ... لقد أفتنْتِ ذا العسكرْ)
(بريحِ المسكِ والعنبرْ ... وظبيٍ شادنٍ أحوَرَ)
(وجَوْهَرُ درّةُ الغوّاص ... من يملكُها يُحْبَرْ)
(أما واللَّه يا جوهرْ ... لقد فُقْتِ على الجوهر)
(فلا واللَّه ما المهديُّ ... أولَى منك بالمِنبر)
فإن شِئْتِ ففي كفيْكِ ... خلعُ ابن أبي جعفر) - مجزوء الوافر)
فقال المهدي اللهم العنهما جميعا ويلكم اجمعوا بين هذين قبل أن تخلعنا هذه القحبة وجعل يضحك من قول مطيع
ووجدت أبيات مطيع الثلاثة التي هجا بها جوهر في رواية يحيى بن علي أتم من رواية إسحاق وهي بعد البيتين الأولين
(زعموها قالت وقد غاب فيها ... قائماً في قيامه استحصافُ)
(وهو في جارة اِستِها يتلظّى ... يا فتى هكذا تُناك الظراف)
(ناكها ضيفُها وقبَّل فاها ... يا لقَومِي لقد طغَى الأضياف)
- لم يزَل يرهَز الشهيَّةَ حتى ... زال عنها قميصُها والعِطاف) - خفيف)
وقال هارون بن محمد في خبره بيعت جوهر جارية بربر فاشترتها امرأة هاشمية من ولد سليمان بن علي كانت تغني بالبصرة وأخرجتها فقال مطيع فيها
(لا تبعدي يا جوهرُ ... عنَّا وإن شَطَّ المزارُ)
(ويْلِي لقد بَعُدَتْ ديارُك ... سُلِّمت تلك الديار)
(يُشفِي بريقتها السَّقامُ ... كأنَّ رِيْقَتَها العُقار)
(بيضاءُ واضحة الجبين ... كأن غُرّتَها نهار)
- القلب قلبي وهو عند ... الهاشميّةِ مستعار) - مجزوء الكامل)
مطيع يهجو كلواذي

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العنزي قال حدثنا علي ابن منصور المؤدب أن صديقا لمطيع دعاه إلى بستان له بكلواذى فمضى إليها فلم يستطبها فقال يهجوها
(بلْدَةٌ تُمطِر الترابَ على الناس ... كما يُمْطِرُ السماءُ الرَّذاذا)
((وإذا ما أعاذ ربي بلاداً ... من خرابٍ كبعضِ ما قد أعاذا
- خربتْ عاجلاً ولا أَمْهلَتْ يوماً ... ولا كان أهلُها كَلْواذى) - خفيف)
أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا طلحة بن عبد الله أبو إسحاق الطلحي قال حدثني عافية بن شبيب بن خاقان التميمي أبو معمر قال كان لمطيع بن إياس معامل من تجار الكوفة فطالت صحبته إياه وعشرته له حتى شرب النبيذ وعاشر تلك الطبقة وأفسدوا دينه فكان إذا شرب يعمل كما يعملون وقال كما يقولون وإذا صحا تهيب ذلك وخافه فمر يوما بمطيع بن إياس وهو جالس على باب داره فقال له من أين أقبلت قال شيعت صديقا لي حج ورجعت كما ترى ميتا من ألم الحر والجوع والعطش فدعا مطيع بغلامه وقال له أي شيء عندك فقال له عندي من الفاكهة كذا ومن البوارد والحار كذا ومن الأشربة والثلج والرياحين كذا وقد رش الخيش وفرغ من الطعام فقال له كيف ترى هذا فقال هذا والله العيش وشبه الجنة قال أنت الشريك فيه على شريطة إن وفيت بها وإلا انصرفت قال وما هي قال تشتم الملائكة وتنزل فنفر التاجر وقال قبح الله عشرتكم قد فضحتموني وهتكتموني ومضى فلم يبعد حتى لقيه حماد عجرد فقال له مالي أراك نافرا جزعا فحدثه حديثه فقال أساء مطيع قبحه الله وأخطأ وعندي والله ضعف ما وصف لك فهل لك فيه فقال أجل بي والله إليه أعظم فاقة قال أنت الشريك فيه على أن تشتم الأنبياء فإنهم تعبدونا بكل أمر معنت متعب ولا ذنب للملائكة فنشتمهم فنفر التاجر وقال أنت أيضا فقبحك الله لا أدخل ومضى فاجتاز بيحيى بن زياد الحارثي فقال له ما لي أراك يا أبا فلان مرتاعا فحدثه
بقصته فقال قبحهما الله لقد كلفاك شططا وأنت تعلم أن مروءتي فوق مروءتهما وعندي والله أضعاف ما عندهما وأنت الشريك فيه على خصلة تنفعك ولا تضرك وهي خلاف ما كلفاك إياه من الكفر قال وما هي قال تصلي ركعتين تطيل ركوعهما وسجودهما وتصليهما وتجلس فنأخذ في شأننا فضجر التاجر وتأفف وقال هذا شر من ذاك أنا تعب ميت تكلفني صلاة طويلة في غير بر ولا طاعة يكون ثمنها أكل سحت وشرب خمر وعشرة فجرة وسماع مغنيات قحاب وسبه وسبهما ومضى مغضبا فبعث خلفه غلاما وأمره برده فرده كرها وقال انزل الآن على ألا تصلي اليوم بتة فشتمه أيضا وقال ولا هذا فقال انزل الآن كيف شئت وأنت ثقيل غير مساعد فنزل عنده ودعا يحيى مطيعا وحمادا فعبثا بالتاجر ساعة وشتماه ثم قدم الطعام فأكلوا وشربوا وصلى التاجر الظهر والعصر فلما دبت الكاس فيه قال له مطيع أيما أحب إليك تشتم الملائكة أو تنصرف فشتمهم فقال له حماد أيما أحب إليك تشتم الأنبياء أو تنصرف فشتمهم فقال له يحيى أيما أحب إليك تصلي ركعتين أو تنصرف فقام فصلى الركعتين ثم جلس فقالوا له أيما أحب إليك تترك باقي صلاتك اليوم أو تنصرف قال بل أتركها يا بني الزانية ولا أنصرف فعمل كل ما أرادوه منه

رأي المهدي في أخلاقه

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني قال رفع صاحب الخبر إلى المنصور أن مطيع بن إياس زنديق وأنه يعاشر ابنه جعفراً وجماعة من أهل بيته ويوشك أن يفسدوا أديانهم وينسبوا إلى مذهبه فقال له المهدي أنا به عارف أما الزندقة فليس من أهلها ولكنه خبيث الدين فاسق مستحل للمحارم قال فأحضره وانهه عن صحبة جعفر وسائر أهله فأحضره المهدي وقال له يا خبيث يا فاسق
قد أفسدت أخي ومن تصحبه من أهلي والله لقد بلغني أنهم يتقادعون عليك ولا يتم لهم سرور إلا بك فقد غررتهم وشهرتهم في الناس ولولا أني شهدت لك عند أمير المؤمنين بالبراءة مما نسبت إليه بالزندقة لقد كان أمر بضرب عنقك وقال للربيع اضربه مائتي سوط واحبسه قال ولم يا سيدي قال لأنك سكير خمير قد أفسدت أهلي كلهم بصحبتك فقال له إن أذنت وسمعت احتججت قال قل قال أنا امرؤ شاعر وسوقي إنما تنفق مع الملوك وقد كسدت عندكم وأنا في أيامكم مطرح وقد رضيت فيها مع سعتها للناس جميعا بالأكل على مائدة أخيك لا يتبع ذلك عشيرة وأصفيته على ذلك شكري وشعري فإن كان ذلك عائبا عندك تبت منه فأطرق ثم قال قد رفع إلي صاحب الخبر أنك تتماجن على السؤال وتضحك منهم قال لا والله ما ذلك من فعلي ولا شأني لا جرى مني قط إلا مرة فإن سائلا أعمى اعترضني وقد عبرت الجسر على بغلتي وظنني من الجند فرفع عصاه في وجهي ثم صاح اللهم سخر الخليفة لأن يعطي الجند أرزاقهم فيشتروا من التجار الأمتعة ويربح التجار عليهم فتكثر أموالهم فتجب فيها الزكاة عليهم فيصدقوا علي منها فنفرت بقلبي من صياحه ورفعه عصاه في وجهي حتى كدت أسقط في الماء فقلت يا هذا ما رأيت أكثر فضولا منك سل الله أن يرزقك ولا تجعل هذه الحوالات والوسائط التي لا يحتاج إليها فإن هذه المسائل فضول فضحك الناس منه ورفع علي في الخبر قولي له هذا فضحك المهدي وقال خلوه ولا يضرب ولا يحبس فقال له أدخل عليك لموجدة وأخرج عن رضى وتبرأ ساحتي من عضيهة وأنصرف بلا جائزة قال لا يجوز هذا أعطوه مائتي دينار ولا
يعلم بها الأمير فيتجدد عنده ذنوبه قال وكان المهدي يشكو له قيامه في الخطباء ووضعه الحديث لأبيه في أنه المهدي فقال له أخرج عن بغداد ودع صحبة جعفر حتى ينساك أمير المؤمنين غدا فقال له فأين أقصد قال أكتب لك إلى سليمان بن علي فيوليك عملا ويحسن إليك قال قد رضيت فوفد إلى سليمان بكتاب المهدي فولاه الصدقة بالبصرة وكان عليها داود بن أبي هند فعزله به
حدثني محمد بن هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة عن ابن عائشة أن مطيع بن إياس قدم على سليمان بن علي بالبصرة وواليها على الصدقة داود بن أبي هند فعزله وولى عليها مطيعا
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو توبة عن بعض البصريين قال كان مالك بن أبي سعدة عم جابر الشطرنجي جميل الوجه حسن الجسم وكان يعاشر حماد عجرد ومطيع بن إياس وشرب معهما فأفسد بينهما وبينه وتباعد فقال حماد عجرد يهجوه
(أتوبُ إلى اللَّه من مالكٍ ... صديقاً ومن صُحبتِي مالكا)
- فإن كنْتُ صاحَبْتُهُ مرةً ... فقد تبْتُ يا ربِّ من ذلكا) - متقارب)
قال وأنشدها مطيعا فقال له مطيع سخنت عينك هكذا تهجو الناس قال فكيف كنت أقول قال كنت تقول
(نظرةً ما نظرْتُها ... يوم أبصرْتُ مالكا)
(في ثيابٍ مُعَصْفَراتٍ ... على الوجه باركا)

(تركتْني ألُوطِ من ... بعد ما كنتُ نَاسكا)
- نظرةً ما نظرْتُها ... أوردتْني المهالكا) - مجزوء الخفيف)
مطيع يشكو الفقر
أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال كان مطيع بن إياس منقطعا إلى جعفر بن المنصور فطالت صحبته
له بغير فائدة فاجتمع يوما مطيع وحماد عجرد ويحيى بن زياد فتذاكروا أيام بني أمية وسعتها ونضرتها وكثرة ما أفادوا فيها وحسن مملكتهم وطيب دارهم بالشأم وما هم فيه ببغداد من القحط في ايام المنصور وشدة الحر وخشونة العيش وشكوا الفقر فأكثروا فقال مطيع بن إياس قد قلت في ذلك شعراً فاسمعوا قالوا هات فأنشدهم
(حبّذا عيشُنا الذي زال عنا ... حبذا ذاك حين لاحَبَّذا ذا)
(أين هذا من ذاك سَقْياً لهذاك ... ولسنْا نقول سَقياً لهذا)
(زاد هذا الزمانُ عُسْراً وشراً ... عنْدنا إذ أحلَّنا بغْدَاذَا)
(بَلْدَةٌ تُمطر التُرابَ على الناس ... كما يُمْطِرُ السماءُ الرّذاذا)
(خَربتْ عاجلاًوأخرب ذو العرش ... بأعمالِ أهلِها كَلْواذى)
أخبرني عيسى بن الحسين عن حماد بن أبيه قال لما خرج حماد بن العباس إلى البصرة عاشر جماعة من أهلها وأدبائها وشعرائها فلم يجدهم كما يريد ولم يستطب عشرتهم واستغلظ طبعهم وكان هو ومطيع بن إياس وحماد الراوية ويحيى بن زياد كأنهم نفس واحدة وكان أشدهم أنسا به مطيع بن إياس فقال حماد يتشوقه
(لستُ واللّهِ بناسٍ ... لِمطيعِ بنِ إياسِ)
(ذاك إنسانٌ له فضْلٌ ... على كلِّ أُناسِ)
((غرَسَ اللّه له في ... كبدي أحلَى غِراسِ
(فإذا ما الكاسُ دارتْ ... واحتساها من أحاسِي)
- كان ذِكرانا مُطيعاً ... عندها ريحانَ كاسِي) - مجزوء الرمل)
حدثنا عيسى بن الحسين عن حماد عن أبيه قال دعا مطيع بن إياس صديقا له من أهل بغداد إلى بستان له بالكرخ يقال له بستان صباح فأقام معه ثلاثة أيام في فتيان من أهل الكرخ مرد وشبان ومغنين ومغنيات فكتب مطيع إلى يحيى بن زياد الحارثي يخبره بأمره ويتشوقه قال
(كم ليلةٍ بالكَرْخ قد بِتُّها ... جَذْلانَ في بستانِ صَبَّاح)
(في مجلسٍ تنفحُ أرواحُه ... يا طِيبَها من ريحِ أرْواح)
(يُدِير كأساً فإذا ما دنَتْ ... حُفَّتْ بأكوابٍ وأقداح)
(في فِتيةٍ بيْضٍ بهاليلَ ما ... إنْ لَهُم في الناس مِنْ لاح)
(لم يَهْنِني ذاك لِفَقْدِ إمرىءٍ ... أبْيَضَ مثل البدرِ وضّاح)
- كأنما يُشرق من وجهه ... إذا بدا لِي ضوءُ مِصْباح) - سريع)
قال فلما قرأ يحيى هذه الأبيات قام من وقته فركب إليهم وحمل إليهم ما يصلحهم من طعام وشراب وفاكهة فأقاموا فيه أيام على قصفهم حتى ملوا ثم انصرفوا
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل قال قال مطيع بن إياس جلست أنا ويحيى بن زياد إلى فتى من أهل الكوفة كان ينسب إلى الصبوة ويكتم ذلك ففاوضناه وأخذنا في أشعار العرب ووصفها البيد وما أشبه ذلك فقال
((لأحسَنُ من بِيدٍ يَحارُ بها القَطا ... ومِن جَبَليْ طَيٍّ ووصْفِكما سَلْعا
- تَلاحُظُ عَيْنَيْ عاشِقَيْن كلاهما ... له مُقْلَةٌ في وجه صاحبِه تَرْعَى) - طويل)
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني أبو المضاء قال عاتب المهدي مطيع بن إياس في شيء بلغه عنه فقال له يا أمير المؤمنين إن كان ما بلغك عني حقا فما تغني المعاذير وإن كان باطلا فما تضر الأباطيل فقبل عذره وقال فإنا ندعك على حملتك ولا نكشفك والله أعلم
حدثني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال اجتمع حماد الراوية ومطيع بن إياس ويحيى بن زياد وحكم الوادي يوما على شراب لهم في بستان بالكوفة وذلك في زمن الربيع ودعوا جوهر المغنية وهي التي يقول فيها مطيع
- أنتِ يا جوهرُ عندي جوهرهْ ... في قياس الدّررِ المشتهرَه) - رمل)
فشربوا تحت كرم معروش حتى سكروا فقال مطيع في ذلك
صوت
(خرجْنا نمتطِي الزَّهَرَا ... ونَجْعَلُ سَقْفَنا الشجرَا)
(ونَشْرَبُها مُعتَّقةً ... تَخالُ بكأسِها شرَرا)
(وجوهرُ عندنا تحكي ... بِدَارةِ وجْهِها القمرا)
(يزيدكَ وجْهُها حُسنْا ... إذا ما زدْتَه نظرا)
وجوهرُ قد رأيناها ... فلم نر مثلَها بَشَرَا) - مجزوء الوافر)
غنى فيه حكم غناء خفيفا فلم يزالوا يشربون عليه بقية يومهم وقد روي أن بعض هذا الشعر للمهدي وأنه قال منه واحدا وأجازه بالباقي بعض الشعراء وهذا أصح لحن حكيم في هذا الشعر خفيف رمل بالوسطى
حدثنا محمد بن خلف وكيع قال حدثني حماد عن أبيه قال كان مطيع ابن إياس عاقا بأبيه شديد البغض له وكان يهجوه فأقبل يوما من بعد ومطيع يشرب مع إخوان له فلما رآه أقبل على أصحابه فقال
(هذا إياسٌ مقبلاً ... جاءتْ به إحدى الهَنَاتْ)
(هَوَّرْ فُوْهُ وأنفُه ... كَلَمَنَّ في إحدى الصِّفاتْ)
(وكأنّ سَعْفَصَ بطنُه ... والثَّغْرَ شِيْنُ قُرِيِّشاتْ)
- لما رأيتك أتيا ... أيْقَنْتُ أنكَ شرُّ آتْ) - مجزوء الكامل)

مدحه لمعن بن زائدة
حدثني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني قال مدح مطيع بن إياس معن بن زائدة بقصيدته التي أولها
(أهْلاً وسهلاً بسيّد العربِ ... ذِي الغُرَر الواضحاتِ والنّجُبِ)
(فتى نزارٍ وكهْلِها وأخِي الجودِ ... حوَى غايَتيْهِ من كَثَبِ)
(قيل أتاكم أبو الوَليد فقال ... الناس طُرًّا في السهل والرَّحَب)
(أبو العُفاةِ الذي يلوذُ به ... من كانَ ذا رغْبةٍ وذا رَهَبِ)
((جاء الذي تُفرِجُ الهمومُ به ... حين يُلِزّ الوضِينُ بالْحَقَبِ
(جاء وجاء المضاءُ يَقْدُمُه ... رأيٌ إذا همَّ غيرُ مؤتشِبِ)
(شهْمٌ إذا الحربُ شبَّ دائرُها ... أعادها عوْدةً على القُطُب)
(يُطفيء نيرانَها ويُوقِدُها ... إذا خبَتْ نارُها بلا حَطَبِ)
(إلاّ بوقع المذكَّراتِ يُشَبْهِنَ ... إذا ما انتضِينَ بالشُّهُبِ)
(لم أرَ قِرْنا له يُبارِزُه ... إلا أراه كالصَّقْرِ والخَرِبِ)
(ليْثٌ بخَفَّانَ قد حَمَى أجَمًا ... فصار منها في منزل أشِبِ)
(شِبْلاه قد أُدّبا به فَهُما ... شِبْهاهُ في جِدِّه وفي لَعِبِ)
(قد وَمِقا شكلَه وسيرتَه ... وأحكما منه أكرمَ الأدب)
(نِعْمَ الفتى تُقْرَنُ الصِّعابُ به ... عند تَجَاثِي الخصومِ للرُّكَبِ)
(ونِعْمَ ما ليلةُ الشتاءِ إذا استَنْبَحَ ... كلبُ القِرى فلم يُجِبِ)
(لا ونَعَمْ عنده مخالفة ... مثل اختلافِ الصعودِ والصَّبَبِ)
(يَحْصَرُ مِن لا فلا يُهِمُّ بها ... ومنه تُضْحَى نَعَمْ على أرَبِ)
(ترى له الحِلْمَ والنُّهَى خُلُقا ... في صولة مثل جاحِمِ اللَّهَبِ)
(سيف الإمامين ذاكَ وذا إذا ... قلَّ بناةُ الوفاءِ والحسبِ)
منسرح -ذا هوْدَةٍ لا يُخاف نَبْوَتُها ... ودينُه لا يُشابُ بالرِّيَبِ)
فلما سمعها معن قال له إن شئت مدحناك كما مدحتنتوإن شئت أثبناك فاستحيا مطيع من اختيار الثواب على المديح وهو محتاج إلى الثواب فأنشأ يقول لمعن
(ثناءٌ من أميرٍ خيرُ كسْبٍ ... لصاحبِ فاقةٍ وأخي ثراءِ)
- ولكنّ الزمانَ بَرَى عِظامِي ... وما مِثلُ الدراهمِ من دواءِ) - وافر)
فضحك معن حتى استلقى وقال لقد لطفت حتى تخلصت منها صدقت لعمري ما مثل الدراهم من دواء وأمر له بثلاثين ألف درهم وخلع عليه وحمله
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني المهلبي عن أبيه عن إسحاق قال كان لمطيع بن إياس صديق من العرب يجالسه فضرط ذات يوم وهو عنده فاستحيا وغاب عن المجلس فتفقده مطيع وعرف سبب انقطاعه فكتب إليه وقال
(أظهرْتَ منك لنا هَجْراً ومَقْلِيةً ... وغبْتَ عنا ثلاثاً لستَ تغشانا)
- هَوِّن عليك فما الناس ذو إبلٍ ... إلا وأيْنَقُهُ يَشردْن أحيانا) - بسيط)
مجونه وأصحابه في الصلاة
أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني العباس بن ميمون طائع قال حدثنا بعض شيوخنا البصريين الظرفاء وقد ذكرنا مطيع بن إياس فحدثنا عنه قال
اجتمع يحيى بن زياد ومطيع بن إياس وجميع أصحابهم فشربوا أياما تباعا فقال لهم يحيى ليلة من الليالي وهم سكارى ويحكم ما صلينا منذ ثلاثة أيام فقوموا بنا حتى نصلي فقالوا نعم فقام مطيع فأذن وأقام ثم
قالوا من يتقدم فتدافعوا ذلك فقال مطيع للمغنية تقدمي فصلي بنا فتقدمت تصلي بهم عليها غلالة رقيقة مطيبة بلا سراويل فلما سجدت بان فرجها فوثب مطيع وهي ساجدة فكشف عنه وقبله وقطع صلاته ثم قال
(ولما بدا فَرْجُها جاثِماً ... كرأس حليقٍ ولم نعتمِدْ)
- سجَدْتُ إليه وقبَّلْتُهُ ... كما يفعل الساجدُ المجتهِدْ) - متقارب)
فقطعوا صلاتهم وضحكوا وعادوا إلى شربهم
حدثني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن القاسم مولى موسى الهادي قال كتب المهدي إلى أبي جعفر يسأله أن يوجه إليه بابنه موسى فحمله إليه فلما قدم عليه قامت الخطباء تهنئه والشعراء تمدحه فأكثروا حتى آذوه وأغضبوه فقام مطيع بن إياس فقال
(أحْمَدُ اللّهَ إلهَ الخَلْقِ ... ربَّ العالمِينَا)
(الذي جاء بموسى ... سالماً في سالمينا)
- الأمير ابن الأمير ابن ... أمير المؤمنينا) - مجزوء الرمل)
فقال المهدي لا حاجة بنا إلى قول بعد ما قاله مطيع فأمسك الناس وأمر له بصلة
نصحه ليحيى بن زياد
قال أبو الفرج ونسخت من كتاب لأبي سعيد السكري بخطه قال حدثني ابن أبي فنن أخبرني يحيى بن علي بن يحيى بهذا الخبر فيما أجار لنا أن يرويه عنه عن أبي أيوب المدائني عن ابن أبي الدواهي وخبر السكري أتم واللفظ له قال كان بالكوفة رجل يقال له أبو الأصبغ له قيان وكان له ابن وضيء حسن الصورة يقال له الأصبغ لم يكن بالكوفة أحسن وجها منه
وكان يحيى بن زياد ومطيع بن إياس وحماد عجرد وضرباؤهم يألفونه ويعشقونه ويطرفونه وكلهم كان يعشق ابنه أصبغ حتى كان يوم نوروز وعزم أبو الأصبغ على أن يصطبح مع يحيى بن زياد وكان يحيى قد أهدى له من الليل جداء ودجاجاً وفاكهة وشرابا فقال أبو الأصبغ لجواريه إن يحيى ابن زياد يزورنا اليوم فأعددن له كل ما يصلح لمثله ووجه بغلمان له ثلاثة في حوائجه ولم يبق بين يديه أحد فبعث بابنه أصبغ إلى يحيى يدعوه ويسأله التعجيل فلما جاءه استأذن له الغلام فقال

له يحيى قل له يدخل وتنح أنت وأغلق الباب ولا تدع الأصبغ يخرج إلا بإذني ففعل الغلام ودخل الأصبغ فأدى إليه رسالة أبيه فلما فرغ راوده يحيى عن نفسه فامتنع فثاوره يحيى وعاركه حتى صرعه ثم رام حل تكته فلم يقدر عليها فقطعها وناكه فلما فرغ أخرج من تحت مصلاه أربعين دينار فأعطاه إياها فأخذها وقال له يحيى امض فإني بالأثر فخرج أصبغ من عنده فوافاه مطيع بن إياس فرآه يتبخر ويتطيب ويتزين فقال له كيف أصبحت فلم يجبه وشمخ بأنفه وقطب حاجبيه وتفخم فقال له ويحك مالك أنزل عليك الوحي أكلمتك الملائكة أبويع لك بالخلافة وهو يومىء برأسه لا لا في كل كلامه فقال له كأنك قد نكت أصبغ بن أبي الأصبغ قال أي والله الساعة نكته وأنا اليوم في دعوة أبيه فقال مطيع فامرأته طالق إن فارقتك أو نقبل متاعك فأبداه له يحيى حتى قبله ثم قال له كيف قدرت

عليه فقال يحيى ما جرى وحدثه بالحديث وقام يمضي إلى منزل أبي الأصبغ فتبعه مطيع فقال له ما تصنع معي والرجل لم يدعك وإنما يريد الخلوة فقال أشيعك إلى بابه ونتحدث فمضى معه فدخل يحيى ورد الباب في وجه مطيع فصبر ساعة ثم دق الباب فاستأذن فخرج إليه الرسول وقال له يقول لك أنا اليوم على شغل لا أتفرغ معه لك فتعذر قال فابعث إلي بدواة وقرطاس فكتب إليه مطيع

(يا أبا الأصبغ لا زلت على ... كل حال ناعماً مُتْبعا)

(لا تصيِّرْني في الودِّ كمن ... قَطعَ التِّكَّة قَطْعاً شَنِعا)

(وأتى ما يشتهي لم يَثْنِه ... خيفةٌ أو حفظُ حقٍّ ضَيِّعا)

(لو ترى الأصبَغَ مُلْقَى تحتَه ... مستكيناً خجِلاً قد خَضَعا)

(ولَه دَفْعٌ عليه عَجِل ... شَبِقٌ شَاءكَ ما قد صنعَا)

- فادعُ بالأصبغ واعلَمْ حالَه ... ستَرى أمراً قبيحاً شَنِعا) - رمل)

قال فقال أبو الأصبغ ليحيى فعلتها يا بن الزانية قال لا والله فضرب بيده إلى تكة ابنه فرآها مقطوعة وأيقن يحيى بالفضيحة فتلكأ الغلام فقال له يحيى قد كان الذي كان وسعى بي إليك مطيع ابن الزانية وهذا ابني وهو والله أفره من ابنك وأنا عربي ابن عربية وأنت نبطي ابن نبطية فنك ابني عشر مرات مكان المرة التي نكت ابنك فتكون

قد ربحت الدنانير وللواحد عشرة فضحك وضحك الجواري وسكن غضب أبي الأصبغ وقال لابنه هات الدنانير يابن الفاعلة فرمى بها إليه وقام خجلا وقال يحيى والله لا أدخل مطيع الساعي ابن الزانية فقال أبو الأصبغ وجواريه والله ليدخلن فقد نصحنا وغششتنا فأدخلناه وجلس يشرب ومعهم يحيى يشتمهم بكل لسان وهو يضحك والله أعلم

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا الكراني عن العمري عن العتبي قال حضر مطيع بن إياس وشراعة بن الزندبوذ ويحيى بن زياد ووالبة ابن الحباب وعبد الله بن العياش المنتوف وحماد عجرد مجلسا لأمير من أمراء الكوفة فتكايدوا جميعا عنده ثم اجتمعوا على مطيع يكايدونه ويهجونه فغلبهم جميعا حتى قطعهم ثم هجاهم بهذين البيتين وهما

(وخَمسةٍ قد أبانوا لي كِيَادهُمُ ... وقد تلظّى لهمْ مِقْلىً وطِنْجيرُ)

- لو يقدرون على لحمي لمزّقه ... قِرْدٌ وكلبٌ وجِرْواهُ وخِنزيرُ) - بسيط)

أخبرني وكيع عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل قال دخل صديق لمطيع بن إياس فرأى غلاما تحته ينيكه وفوق مطيع غلام له يفعل كذلك فهو كأنه في تخت فقال له ما هذا يا أبا سلمى قال هذه اللذة المضاعفة

تعريض حماد بابنة مطيع

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال كان حماد الراوية قد هجر مطيعا لشيء بلغه عنه وكان مطيع حلقيا فأنشد شعرا ذات يوم وحماد حاضر فقيل له من يقول هذا يا أبا سلمى قال الحطيئة قال حماد نعم

هذا شعر الحطيئة لما حضر الكوفة وصار بها حلقيا يعرض حماد بأنه كذاب وأنه حلقي فأمسك مطيع عن الجواب وضحك حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني محمد بن إسحاق البغوي قال حدثنا ابن الأعرابي عن الفضل قال جاء رجل إلى مطيع بن إياس فقال قد جئتك خاطبا قال لمن قال لمودتك قال قد أنكحتكها وجعلت الصداق ألا تقبل في قول قائل ويقال أن الأبيات التي فيها الغناء المذكور بذكرها أخبار مطيع بن إياس يقولها في جارية له يقال لها جودانة كان باعها فندم فذكر الجاحظ أن مطيعا حلف أنها كانت تستلقي على ظهرها فيشخص كتفاها ومأكمتاها فتدحرج تحتها الرمان فينفذ إلى الجانب الآخر ويقال أنه قالها في امرأة من أبناء الدهاقين كان يهواها وشعره يدل على صحة هذا القول والقول الأول غلط

إشتياقه لجاريته جودانه

أخبرني بخبره مع هذه الجارية أبو الحسن الأسدي قال حدثنا حماد إبن إسحاق عن أبيه عن سعيد بن سالم قال أخبرني مطيع بن إياس الليثي وكان أبوه من أهل فلسطين من أصحاب الحجاج بن يوسف أنه كان مع سلم بن قتيبة فلما خرج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام كتب إليه المنصور يأمره باستخلاف رجل على عمله والقدوم عليه في خاصته على البريد قال مطيع وكانت لي جارية يقال لها جودانه كنت أحبها فأمرني سلم بالخروج معه فاضطررت إلى بيع الجاريه فبعتها وندمت على ذلك بعد خروجي وتمنيت أن أكون أقمت وتتبعتها نفسي ونزلنا حلوان فجلست على العقبة أنتظر ثقلي وعنان دابتي في يدي وأنا مستند إلى نخلة على العقبة وإلى جانبها نخلة أخرى فتذكرت الجارية وأشتقتها وقلت

(أسعِدَاني يا نخلتَيْ حُلْوانِ ... وابكيا لِي من ريْبِ هذا الزمانِ)

(واعلما أنَّ ريْبَه لم يزل يفْرُق ... بين الألأف والجيران)

(ولَعمري لو ذُقْتُما ألمَ الفُرقة ... أبْكاكُما الذي أبكاني)

(أسْعِداني وأيقِنا أنَّ نَحْساً ... سوف يلقاكُما فتفترقان)

(كم رَمَتْني صروفُ هذِي الليالي ... بفراق الأحبابِ والخُلاَّنِ)

(غير أني لم تَلْقَ نفسِي كما لاقَيْتُ ... من فُرقة ابنة الدُّهقان)

(جارةٍ لي بالرّيِّ تُذْهِبُ همِّي ... ويُسَلِّي دُنُوُّها أحزاني)

(فجعتني الأيامُ أغبطَ ما كنْتُ ... بصدعٍ للبين غَيْرَ مُدانِ)

(وبرغمي أن أصْبَحَتْ لا تراها العينُ ... مني وأصبحَتْ لا تَراني)

(انْ نكنْ ودّعتْ فقد تركتْ بي ... لَهباً في الضمير ليس بوان)

((كحريق الضّرام في قصب الغاب ... زَفَتْهُ رَيحَانِ تختلفان

- فعليكِ السلامُ مِنِّيَ ما ساغَ ... سلاماً عقلي وفاض لساني) - خفيف)
هكذا ذكر أبو الحسن الأسدي في هذا الخبر وهو غلط
نسخت خبر هذا من خط أبي أيوب المدائني عن حماد ولم يقل عن أبيه عن سعيد بن سالم عن مطيع قال كانت لي بالري جارية أيام مقامي بها مع سلم بن قتيبة فكنت أتستر بها وكنت أتعشق امرأة من بنات الدهاقين كنت نازلا إلى جنبها في دار لها فلما خرجنا بعت الجارية وبقيت في نفسي علاقة من المرأة التي كنت أهواها فلما نزلنا عقبة حلوان جلست مستندا إلى إحدى النخلتين اللتين على العقبة فقلت
(أسْعِداني يا نَخْلَتَيْ حُلْوانِ ... وارْثِيا لي من رِيْبِ هذا الزمانِ)
وذكر الأبيات فقال لي سلم ويلك فيمن هذه الأبيات أفي جاريتك فاستحييت أن أصدقه فقلت نعم فكتب من وقته إلى خليفته أن يبتاعها لي فلم ألبث أن ورد كتابه أني وجدتها قد تداولها الرجال فقد عزفت نفسي عنها فأمر لي بخمسة آلاف درهم ولا والله ما كان في نفسي منها شيء ولو كنت أحبها لم أبال إذا رجعت إلي بمن تداولها ولم أبالي لو ناكها أهل منى كلهم
أخبرني عمي عن الحسن عن أحمد بن أبي طاهر عن عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن الفضل الهاشمي عن سلام الأبرش قال لما خرج الرشيد إلى طوس هاج به الدم بحلوان فأشار عليه الطبيب أن يأكل جمارا
فأحضر دهقان حلوان وطلب منه جمارا فأعلمه أن بلده ليس بها نخل ولكن على العقبة نخلتان فمر بقطع إحداهما فقطعت فأتي الرشيد بجمارتها فأكل منها وراح فلما انتهى إلى العقبة نظر إلى إحدى النخلتين مقطوعة والأخرى قائمة وإذا على القائمة مكتوب
(أسْعداني يا نَخْلَتَيْ حُلْوان ... وابكيا لي من رِيْبِ هذا الزمانِ)
(أسعداني وأيْقِنا أنَّ نحساً ... سوف يلقاكُما فتفترقان)
فاغتم الرشيد وقال يعز علي أن أكون نحستكما ولو كنت سمعت بهذا الشعر ما قطعت هذه النخلة ولو قتلني الدم
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحارثي بن أبي أسامة قال حدثني محمد بن أبي محمد القيسي عن أبي سمير عبد الله بن أيوب قال لما خرج المهدي فصار بعقبة حلوان استطاب الموضع فتغدى ودعا بحسنة فقال لها أما ترين طيب هذا الموضع غنيني بحياتي حتى أشرب ها هنا أقداحا فأخذت محكة كانت في يده وأوقعت على مخدة وغنته
- أيا نخلتَيْ وادي بُوانةَ حبَّذا ... إذا نام حُرّاسُ النخيل جَناكُما) - طويل)
فقال أحسنت ولقد هممت بقطع هاتين النخلتين يعني نخلتي حلوان فمنعني منهما هذا الصوت وقالت له حسنة أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون النحس المفرق بينهما فقال لها وما ذاك فأنشدته أبيات مطيع هذه فلما بلغت قوله
- (أسعداني وأيْقِنا أنَّ نَحْساً ... سوف يَلْقاكُما فتفترقانِ) - خفيف
قال أحسنت والله فيما قلت إذ نبهتني على هذا والله لا أقطعهما أبدا ولأوكلن بهما من يحفظهما ويسقيهما ما حييت ثم أمر بأن يفعل فلم يزل في حياته على ما رسمه إلى أن مات
نسبة هذا الصوت الذي غنته حسنة
(أيا نخلتي وادي بُوانةَ حبّذا ... إذا نام حُرّاسُ النخيل جناكُما)
- فطيبكُمُ أرْبى على النَّخْل بهجةً ... وزاد على طُول الفَتاءِ فَتاكما) - طويل)
يقال إن الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة وفيه لعطرد رمل بالوسطى من روايته ورواية الهشامي
أشعار في نخلتي حلوان
أخبرني عمي عن أحمد بن طاهر عن الخراز عن المدائني أن المنصور اجتاز بنخلتي حلوان وكانت إحداهما على الطريق فكانت تضيقه وتزحم الأثقال عليه فأمر بقطعهما فأنشد قول مطيع
- واعلما ما بقيتما أنّ نحساً ... سوف يلقاكُما فتفتَرقانِ) - خفيف)
قال لا والله ما كنت ذلك النحس الذي يفرق بينهما وتركهما
وذكر أحمد بن إبراهيم عن أبيه عن جده إسماعيل بن داود أن المهدي قال قد أكثر الشعراء في نخلتي حلوان ولهممت أن آمر بقطعهما فبلغ قوله المنصور فكتب إليه بلغني أنك هممت بقطع نخلتي حلوان ولا فائدة لك في قطعهما ولا ضرر عليك في بقائهما فأنا أعيذك بالله أن تكون النحس الذي يلقاهما فتفرق بينهما يريد قول مطيع
ومما قالت الشعراء في نخلتي حلوان قول حماد عجرد وفيه غناء قد ذكرته في أخبار حماد
(جعلَ اللّهُ سِدْرَتَيْ قصرِ شِيرِينَ ... فداءً لنخلتَيْ حُلْوانِ)
- جئتُ مُسْتَسْعِداً فلم يُسْعداني ... ومطيعٌ بَكَتْ له النخلتان) - خفيف)
وأنشدني جحظة ووكيع عن حماد عن أبيه لبعض الشعراء ولم يسمه
(أيُّها العاذلان لا تعذلاني ... ودعاني من الملام دَعاني)
(وابكيا لي فإنّني مستحق ... منْكُما بالبكاء أن تسعداني)
(إنني منكما بذلك أوْلى ... من مطيعٍ بنَخْلَتَي حُلوان)
- فهما تجهلان ما كان يشكو ... من هَواه وأنتما تعلمان) - خفيف)
وقال فيهما أحمد بن إبراهيم الكاتب في قصيدة
(وكذاكَ الزمانُ ليس وإنْ ألّفَ ... يبقي عليه مُؤْتَلِفانِ)
(سَلَبت كفُّه الغريّ أخاه ... ثم ثَنّى بنخْلَتَي حُلوان)
- فكأنَّ الغَرِيَّ قد كان فَرداً ... وكأنْ لم تُجاورِ النخلتان) - خفيف)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني مصعب الزبيري عن أبيه قال جلس مطيع بن إياس في العلة التي مات فيها في قبة خضراء وهو على فرش خضر فقال له الطبيب أي شيء تشتهي اليوم قال أشتهي ألا أموت قال ومات في علته هذه وذلك بعد ثلاثة أشهر مضت له من خلافة الهادي
قال أبو الفرج ما وجدت فيه غناء من شعر مطيع قال
صوت
(أمَرّ مدامةً صِرْفاً ... كأنّ صبيبها وَدَجُ)

(كأنّ الْمِسك نَفْحَتُها ... إذا بزلَتْ لها أرُجُ)
- فَظَلَّ تخالُهُ مَلِكاً ... يُصَرِّفُها ويمتزج) - مجزوء الوافر)
الغناء لإبراهيم ثاني ثقيل بالخنصر والوسطى عن ابن المكي وفيه لحن آخر لابن جامع وهذه الطريقة بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق
صوت
(جَدِلَت كجدْل الخيزرانِ ... وثُنِّيتْ فَتَثَنَّتِ)
- وتيقَّنَتْ أنَّ الفؤاد ... يُحِبُّها فَأَدَلَّتِ) - مجزوء الكامل)
الغناء لعبد الله بن عباس الربيعي خفيف رمل وذكر حبش أنه لمقامة
صوت
(أيها المبتغِي بَلوْمي رشادِي ... أَلْهُ عنّي فما عليكَ فسادي)
- أنتَ خِلْوٌ مِن الذي به وما يعلم ... ما بي إلا القريحُ الفؤادِ) - خفيف)
الغناء ليونس رمل بالبنصر من كتابة ورواية الهشامي
صوت
(ألا إنَّ أهلَ الدارِ قد ودَّعوا الدارا ... وقد كان أهلُ الدار في الدار أجْوَارا)
- (يبكِّي على إثْرِ الجميع فلا يرى ... سوى نفسه فيها من القوم ديّارا) - طويل
الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة وذكر ابن المكي أن فيه لابن سريج لحنا من الثقيل الأول بالبنصر
انقضت أخبار مطيع ولله الحمد
صوت
(فيّ انقباضٌ وحشْمَةٌ فإذا ... صادفْتُ أهلَ الوَفَاءِ والكرمِ)
- أرْسلْتُ نفسي على سجِيّتها ... وقلْتُ ما قلتُ غيرَ محتشِمِ) - منسرح)
الشعر لمحمد بن كناسة الأسدي والغناء لقلم الصالحية ثقيل أول بالوسطى وذكر ابن خرداذبه أن فيه لإسماعيل بن صالح لحنا

أخبار محمد بن كناسة ونسبه

هو محمد بن كناسة واسم كناسة عبد الله بن عبد الأعلى بن عبيد الله بن خليفة بن زهير بن نضلة بن أنيف بن مازن بن صهبان واسم صهبان كعب بن دويبة بن أسامة بن نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة ابن دودان بن أسد بن خزيمة ويكنى أبا يحيى شاعر من شعراء الدولة العباسية كوفي المولد والمنشأ قد حمل عنه شيء من الحديث وكان إبراهيم بن أدهم الزاهد خاله وكان امرأ صالحا لا يتصدى لمدح ولا لهجاء وكانت له جارية شاعرة مغنية يقال لها دنانير وكان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني إبراهيم بن أبي عثمان قال حدثني مصعب الزبيري قال قلت لمحمد بن كناسة الأسدي ونحن بباب أمير المؤمنين أأنت الذي تقول في إبراهيم بن أدهم العابد
(رأيتُك ما يُغْنِيكَ ما دونه الغِنَى ... وقد كان يُغني دون ذاك ابن أدهما)
(وكان يرى الدنيا صغيراً عظيمها ... وكان لِحَقِّ اللّه فيها مُعَظِّما)
- (وأكْثَرُ ما تلقاه في القوم صامتاً ... فإن قال بذّ القائلينَ وأحْكَما) - طويل
فقال محمد بن كناسة أنا قلتها وقد تركت أجودها فقال
(أهان الهوَى حتى تجنّبه الهوى ... كما اجتنب الجاني الدّم الطالبَ الدّما)
رأيه في حديثه
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني علي بن مسرور العتكي قال حدثني أبي قال قال ابن كناسة لقد كنت أتحدث بالحديث فلو لم يجد سامعه إلا القطن الذي على وجه أمه في القبر لتعلل عليه حتى يستخرجه ويهديه إلي وأنا اليوم أتحدث بذلك الحديث فما أفرغ منه حتى أهيء له عذرا
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان إجازة قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني عبيد الله بن يحيى بن فرقد قال سمعت محمد بن كناسة يقول كنت في طريق الكوفة فإذا أنا بجويرية تلعب بالكعاب كأنها قضيب بان فقلت لها أنت أيضا لو ضعت لقالوا ضاعت جارية ولو قالوا ضاعت ظبية كانوا أصدق فقالت ويلي عليك يا شيخ وأنت أيضا تتكلم بهذا الكلام فكسفت والله إلى بالي ثم تراجعت فقلت
- وإنّي لحُلْوٌ مخبَري إن خَبرْتني ... ولكنْ يُغَطّيني ولا ريْبَ بي شيْخُ) - طويل)
فقالت لي وهي تلعب وتبسمت فما أصنع بك أنا إذا فقلت لا شيء وانصرفت
أخبرنا ابن المرزبان قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال سألت
محمد بن كناسة عن قول الشاعر
- إذا الجوزاءُ أرْدَفَتِ الثريَّا ... ظننْتُ بآل فاطمة الظنونا) - وافر)
فقال يقول إذا صارت الجوزاء في الموضع الذي ترى فيه الثريا خفت تفرق الحي من مجمعهم والثريا تطلع بالغداة في الصيف والجوزاء تطلع بعد ذلك في أول القيظ
تعريضه بامرأته
أخبرني ابن المرزبان قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني صالح ابن أحمد بن عباد قال مر محمد بن كناسة في طريق بغداد فنظر إلى مصلوب على جذع وكانت عنده امرأة يبغضها وقد ثقل عليه مكانها فقال يعنيها
(أيا جِذْعَ مَصْلُوبٍ أتى دون صَلْبه ... ثلاثون حَوْلاً كامِلاً هل تُبادِلُ)
- فما أنت بالحِمْل الذي قد حملْته ... بأضجَر مني بالذي أنا حامل) - طويل)
أخبرني ابن المرزبان قال حدثنا عبد الله بن محمد وأخبرني الحسن ابن علي عن ابن مهرويه عن محمد بن عمران عن عبيد بن حسن قال رأى رجل محمد بن كناسة يحمل بيده بطن شاة فقال هاته أحمله عنك فقال لا ثم قال
- لا يَنقُصُ الكامِلَ من كمالِهِ ... ما جرّمن نَفْعٍ إلى عيالِهِ) - رجز)
أخبرني وكيع قال أخبرني ابن أبي الدنيا قال حدثني محمد بن علي ابن عثمان عن أبيه قال كنت يوما عند ابن كناسة

فقال لنا أعرفكم شيئا من فهم دنانير يعني جاريته قلنا نعم فكتب إليها إنك أمة ضعيفة لكعاء فإذا جاءك كتابي هذا فعجلي بجوابي والسلام فكتبت إليه ساءني تهجينك إياي عند أبي الحسين وإن من أعيا العي الجواب عما لا جواب له والسلام

دنانير ترثي صديق أبي الحسين

أخبرني وكيع قال أخبرني ابن أبي الدنيا قال كتب إلي الزبير بن بكار أخبرني علي بن عثمان الكلابي قال جئت يوما إلى منزل محمد بن كناسة فلم أجده ووجدت جاريته دنانير جالسة فقالت لي مالك محزونا يا أبا الحسين فقلت رجعت من دفن أخ لي من قريش فسكتت ساعة ثم قالت

(بكَيْتَ على أخٍ لكَ من قريشٍ ... فأبكانا بكاؤُكَ يا عليُّ)
- فماتَ وما خَبَرْنَاهُ ولكنْ ... طهارةُ صَحْبِهِ الخبرُ الجَلِيُّ) - وافر)

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال أملق محمد بن كناسة فلامه قومه في القعود عن السلطان وانتجاعه الأشراف بأدبه وعلمه وشعره فقال لهم مجيبا عن ذلك

(تُؤَنِّبني أنْ صُنْتُ عِرْضِي عِصابةٌ ... لها بين أطنابِ اللئامِ بَصِيصُ)
(يقولون لو غَمَّضْتَ لازددْتَ رفعةً ... فقلْتُ لهمْ إني إذنْ لَحريصُ)
(أتَكْلِمُ وجْهِي لا أبا لأبيكمُ ... مطامعُ عنها للكرامِ محيصُ)
(مَعاشِي دُوينَ القوتِ والعِرْضُ وافرٌ ... وبَطْنِيَ عن جدوَى اللئَام خَمِيصُ)
- (سألْقَى المنايا لم أخالط دَنِيَّةً ... ولم تَسْرِ بي في المخزيات قَلُوصُ) - طويل

حدثنا الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال حدثني إسحاق الموصلي قال أنشدني محمد بن كناسة لنفسه قال

(فيَّ انقباضٌ وحِشْمةٌ فإذا ... صادفْتُ أهلَ الوفاءِ والكرمِ)
- أرْسلْتُ نفسِي على سَجِيّتها ... وقلْتُ ما قلْتُ غيرَ مُحْتشِم) - منسرح)

قال إسحاق فقلت لابن كناسة وددت أنه نقص من عمري سنتان وأني كنت سبقتك الى هذين البيتين فقلتهما

رثاؤه إبراهيم بن أدهم

حدثني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال حدثني محمد بن المقدام العجلي قال كانت أم محمد بن كناسة امرأة من بني عجل وكان إبراهيم بن أدهم خاله أو ابن خاله فحدثني ابن كناسة أن إبراهيم بن أدهم قدم الكوفة فوجهت أمه إليه بهدية معه فقبلها ووهب له ثوبا ثم مات إبراهيم فرثاه ابن كناسة فقال

(رأيْتكَ ما يَكْفِيكَ ما دونه الغِنَى ... وقد كان يكفِي دون ذاك ابنَ أدهما)
(وكان يرى الدنيا قليلاً كثيرُها ... فكان لأمرِ اللّه فيها مُعظِّما)
(أمات الهوى حتى تجنّبه الهوَى ... كما اجتنب الجانِي الدّمِ الطالبَ الدّما)
(وللحِلم سلطانٌ على الجهل عنده ... فما يستطيعُ الجهلُ أن يَتَرَمْرَما)
(وأكْثَرُ ما تلقاه في القوم صامتاً ... وإن قال بَذَّ القائلين وأحْكَمَا)
((يُرَى مُسْتَكِيناً خاضعاً متواضعاً ... ولَيْثاً إذا لاقى الكَتِيبةَ ضيغَما
- على الجدَث الغربيّ من آل وائلٍ ... سلامٌ وبِرٌّ ما أبرّ وأكرما) - طويل)

أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني زكريا بن مهران قال عاتب محمد بن كناسة صديق له شريف كان ابن كناسة يزوره ويألفه على تأخره عنه فقال ابن كناسة

(ضَعُفْتُ عن الإخوانِ حتى جفوتُهمْ ... على غير زُهْدٍ في الوفاءِ ولا الودِّ)
- ولكِنَّ أيامِي تخرَّمْنَ مُنَّتِي ... فما أبلُغُ الحاجاتِ إلا على جَهْدِ) - طويل)

رأيه في الدنيا

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال أنشدني ابن كناسة قال الضبي وكان يحيى يستحسنها ويعجب بها

(ومِنْ عجَبِ الدنيا تَبَقِّيكَ للبِلَى ... وأنّك فيها للبقاءِ مُرِيدُ)
(وأيّ بني الأيامِ إلا وعندَه ... من الدهرِ ذَنْبٌ طارفٌ وتَلِيدُ)
(ومنْ يأمنِ الأيامَ أما انبياعُها ... فَخَطْرٌ وأما فَجْعُها فعتيد)
- إذا اعتادت النفسُ الرِّضاع من الهوى ... فإنَّ فِطَام النفس عنه شديد) - طويل)

حدثني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال قال لي عبيد بن الحسن قال لي ابن كناسة ذات يوم في زمن الربيع اخرج بنا ننظر إلى الحيرة فإنها حسنة في هذا الوقت فخرجت معه حتى بلغنا الخورنق فلم يزل ينظر إلى البر وإلى رياض الحيرة وحمرة الشقائق فأنشأ يقول

((الآن حين تزيّن الظَّهْرُ ... ميْثاؤُه وبِراقُه العُفْرُ
(بسِط الربيعُ بها الرياض كما ... بُسطتْ قُطُوعُ اليَمْنةِ الخمرُ)
(بَرِّيّةٌ في البحرِ نابتة ... يُجْبى إليها البرُّ والبحرُ)
(وجرى الفراتُ على مياسرها ... وجرى على أيْمَانِها الزهْرُ)
(وبدا الخورنقِ في مطالِعها ... فَرْداً يلوح كأنه الفجر)
- كانت منازلَ للملوك ولم ... يُعْلمْ بها لمَملَّكٍ قَبْرُ) - كامل)

قال ثم قال يصف تلك البلاد

(سَفُلَتْ عَنْ بَرْدِ أرضٍ ... زادها البَرْدُ عذابا)
(وعَلَتْ عن حرِّ أخرى ... تُلْهِبُ النارَ التهابا)
- مُزِجَت حيناً ببردٍ ... فصفَا العيْشُ وطابا) - مجزوء الرمل)

نصحه لابنه في اختيار الأصدقاء

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني إسحاق بن محمد الأسدي قال حدثني عبد الأعلى بن محمد ابن كناسة قال

رآني أبي مع أحداث لم يرضهم فقال لي
(يُنْبِيكَ عن عَيْبِ الفتَى ... تَرْكُ الصلاة أو الخَدِينُ)
(فإذا تهاون بالصّلا ... ة فما لهُ في الناس دينٌ)
(ويُزَنُّ ذو الحدثِ المريبِ بما يُزَنُّ به القرينُ)
إنَّ العفيفَ إذا تَكَنَّفه المريبُ هو الظَّنِينُ) - مجزوء الكامل)
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني أحمد بن خلاد قال أخبرنا عباد بن الحسين بن عباد بن كناسة قال كان محمد بن كناسة عم أبيه قال كان يجيء إلى محمد بن كناسة رجل من عشيرته فيجالسه وكان يكتب الحديث ويتفقه ويظهر أدبا ونسكا وظهر محمد بن كناسة منه على باطن يخالف ظاهره فلما جاءه قال له
(ما مَنْ روَى أدباً فلم يعملْ به ... ويكفَّ عن دفعِ الهوى بأديبِ)
(حتى يكونَ بما تعلَّمَ عاملاً ... من صالحٍ فيكونَ غيرَ مَعِيبِ)
- ولقلما يُغني إصابةُ قائلٍ ... وأفعالُه أفعالُ غيرِ مُصيبِ) - كامل)
خبره مع امرأة من بني أود
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن كناسة عن أبيه عن جده قال أتيت امرأة من بني أود تكحلني من رمد كان أصابني فكحلتني ثم قالت اضطجع قليلا حتى يدور الدواء في عينك فاضطجعت ثم تمثلت قول الشاعر
- أمُخْتَرِمي ريْبُ المنونِ ولم أزُرْ ... طبيبَ بني أوْدٍ على النَّأْيِ زينَبا) - طويل)
فضحكت ثم قالت أتدري فيمن قيل هذا الشعر قلت لا والله فقالت في والله قيل وأنا زينب التي عناها وأنا طبيب أود أفتدري من الشاعر قلت لا قالت عمك أبو سماك الأسدي
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني علي بن عثام الكلابي قال كانت لابن كناسة جارية شاعرة مغنية يقال لها دنانير وكان له صديق يكنى أبا الشعثاء وكان عفيفا مزاحا فكان يدخل إلى ابن كناسة يسمع غناء جاريته ويعرض لها بأنه يهواها فقالت فيه
(لأبي الشعثاءِ حُبٌّ باطنٌ ... ليس فيه تَهْمَةٌ للمتّهمْ)
((يا فؤادي فازدَجِرْ عنه ويا ... عَبَثَ الحبِّ به فاقعُد وقمْ)
(زارني منه كلامٌ صائبٌ ... ووسيلاتُ المحِبِّين الكَلِمْ)
(صائدٌ تأمنهُ غِزْلانُه ... مثلَ ما تأمنُ غِزْلانُ الحَرَمْ)
(صَلِّ إن أحببْتَ أن تُعطَى المُنَى ... يا أبا الشَّعْثاءِ للَّه وصُمْ)
(ثُمَّ ميعادُك يوم الحشرِ في ... جَنّةِ الخلْدِ إنِ اللَّهُ رَحِمْ)
- حيثُ ألقاك غلاماً ناشئاً ... يافعاً قد كُملت فيه النِّعم) - رمل)
أخبرني أحمد بن العباس العسكري المؤدب قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني أحمد بن محمد الأسدي قال حدثني جدي موسى ابن صالح قال ماتت دنانير جارية ابن كناسة وكانت أديبة شاعرة فقال يرثيها بقوله
(الحمدُ للَّه لا شَريكَ له ... يا ليْتَ ما كان منكِ لم يَكُنِ)
- إن يَكُنْ القولُ قلّ فيكِ فما ... أفحمنِي غيرُ شِدّة الحَزَنِ) - منسرح)
روايته للحديث
قال أبو الفرج وقد روى ابن كناسة حديثا كثيرا وروى عنه الثقات من المحدثين فممن روى ابن كناسة عنه سليمان بن مهران الأعمش وإسماعيل بن أبي خالد وهشام بن عروة بن الزبير ومسعر بن كدام وعبد العزيز بن أبي داود وعمر بن ذر الهمداني وجعفر بن برقان وسفيان الثوري وفطر بن خليفة ونظراؤهم
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن سعد العوفي قال حدثنا محمد بن كناسة قال حدثنا الأعمش عن شقيق بن سلمة عن أبي موسى الأشعري قال قلت يا رسول الله إن الرجل يحب القوم ولم يلحق بهم قال المرء مع من أحب
أخبرني الحسن قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثنا محمد بن
كناسة قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال قال رسول الله خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائنا خديجة والله أعلم
أخبرني الحسن قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثنا ابن كناسة قال حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن زر بن حبيش قال كانت في أبي بن كعب شراسة فقلت له يا أبا المنذر اخفض جناحك يرحمك الله وأخبرنا عن ليلة القدر فقال هي ليلة سبع وعشرين وقد روى حديثا كثيرا ذكرت منه الأحاديث فقط ليعلم صحة ما حكيته عنه وليس استيعاب هذا الجنس مما يصلح ها هنا

أخبار قلم الصالحية

كانت قلم الصالحية جارية مولدة صفراء حلوة حسنة الغناء والضرب حاذقة قد أخذت عن إبراهيم وابنه إسحاق ويحيى المكي وزبير بن دحمان وكانت لصالح بن عبد الوهاب أخي أحمد بن عبد الوهاب كاتب صالح بن الرشيد وقيل بل كانت لأبيه وكانت لها صنعة يسيرة نحو عشرين صوتا واشتراها الواثق بعشرة آلاف دينار

اعجاب الواثق بها

فأخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثني رذاذ أبو الفضل المغني مولى المتوكل على الله قال حدثني أحمد بن الحسين بن هشام قال كانت قلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب إحدى المغنيات المحسنات المتقدمات فغني بين يدي الواثق لحن لها في شعر محمد بن كناسة قال
(فيَّ انقباضٌ وحِشْمةٌ فإذا ... صادفْتُ أهلَ الوفاءِ والكرمِ)
- أرسلْتُ نفسِي على سجيّتِها ... وقُلْتُ ما قلتُ غيرَ مُحْتشِمِ) - منسرح)
فسأل لمن الصنعة فيه فقيل لقلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب فبعث إلى محمد بن عبد الملك الزيات فأحضره فقال ويلك من صالح بن عبد الوهاب هذا فأخبره قال أين هو قال إبعث فأشخصه
وأشخص معه جاريته فقدما على الواثق فدخلت عليه قلم فأمرها بالجلوس والغناء فغنت فاستحسن غناءها وأمر بابتياعها فقال صالح أبيعها بمائة ألف دينار وولاية مصر فغضب الواثق من ذلك ورد عليه ثم غنى بعد ذلك زرزور الكبير في

مجلس الواثق صوتا الشعر فيه لأحمد بن عبد الوهاب أخي صالح والغناء لقلم وهو
(أبِتْ دارُ الأحبَّةِ أنْ تبينا ... أجدَّك ما رأيتَ لها مُعينا)
- تَقَطَّعُ نفسُه من حبِّ ليلى ... نفوساً ما أُثِبْنَ ولا جُزينا) - وافر)
فسأل لمن الغناء فقيل لقلم جارية صالح فبعث إلى ابن الزيات أشخص صالحا ومعه قلم فلما أشخصهما دخلت على الواثق فأمرها أن تغنيه هذا الصوت فغنته فقال لها الصنعة فيه لك قالت نعم يا أمير المؤمنين قال بارك الله عليك وبعث إلى صالح فأحضر فقال أما إذا وقعت الرغبة فيها من أمير المؤمنين فما يجوز أن أملك شيئا له فيه رغبة وقد أهديتها إلى أمير المؤمنين فإن من حقها علي إذا تناهيت في قضائه أن أصيرها ملكه فبارك الله له فيها فقال له الواثق قد قبلتها وأمر ابن الزيات أن يدفع له خمسة آلاف دينار وسماها احتياطا فلم يعطه ابن الزيات المال ومطلبه به فوجه صالح إلى قلم من أعلمها ذلك فغنت الواثق وقد اصطبح صوتا فقال لها بارك الله فيك وفيمن رباك فقالت يا سيدي وما نفع من رباني مني إلا التعب والغرم علي والخروج مني صفرا قال أو لم آمر له بخمسة آلاف دينار قالت بلى ولكن ابن الزيات لم يعطه شيئا فدعا بخادم من خاصة الخدم ووقع إلى ابن الزيات بحمل الخمسة آلاف الدينار إليه وخمسة آلاف دينار أخرى معها قال صالح فصرت مع الخادم إليه
بالكتاب فقربني وقال أما الخمسة الآلاف الأولى فخذها فقد حضرت والخمسة الآلاف الأخرى أنا أدفعها إليك بعد جمعة فقمت ثم تناساني كأنه لم يعرفني وكتبت أقتضيه فبعث إلي أكتب لي قبضا بها وخذها بعد جمعة فكرهت أن أكتب قبضا بها فلا يحصل لي شيء فاستترت وهو في منزل صديق لي فلما بلغه استتاري خاف أن أشكوه إلى الواثق فبعث إلي بالمال وأخذ كتابي بالقبض ثم لقيني الخادم بعد ذلك فقال لي أمرني أمير المؤمنين أن أصير إليك فأسألك هل قبضت المال قلت نعم قد قبضته قال صالح وابتعت بالمال ضيعة وتعلقت بها وجعلتها معاشي وقعدت عن عمل السلطان فما تعرضت منه لشيء بعدها

علي بن الجهم يمدح الواثق

أخبرني محمد بن يحيى قال أخبرني ابن إسحاق الخراساني قال وحدثني محمد بن مخارق قال لما بويع الواثق بالخلافة دخل عليه علي بن الجهم فأنشده قوله
(قد فازَ ذو الدّنيا وذو الدّين ... بدولةِ الواثِقِ هارونِ)
(وعمَّ بالإحسان مِنْ فِعْلِهِ ... فالناسُ في خفْضٍ وفي لِين)
- ما أكثرَ الداعي له بالبَقَا ... وأكثرَ التّالِي بآمين) - سريع)
وأنشده أيضا قوله فيه
(وَثِقَتْ بالمَلكِ الواثِقِ ... باللّه النُّفوسُ)
(مَلِكٌ يشقَى به المالُ ... ولا يشقَى الجَليسُ)
(أسَدٌ تضْحَك عن شَدّاتِه ... الحَرْبُ العَبُوسُ)
(أنِسِ السيفُ به واستوْحَش ... العِلْقُ النفيسُ)
- (يا بَني العباس يأبى اللّهُ ... إلاّ أنْ تَسُوسُوا) - مجزوء الرمل
قال فوصله الواثق صلة سنية
وتغنت قلم جارية صالح بن عبد الوهاب في هذين الشعرين فسمع الواثق الشعرين واللحنين من غيرها فأراد شراءها وأمر محمد بن عبد الملك الزيات بإحضار مولاها وإحضارها واشتراها منه بعشرة آلاف دينار
صوت
(وكنت أُعِيرُ الدمعَ قبلك مَنْ بَكَى ... فأنت على من مات قبلك شاغِلُهْ)
(سَقَى جدَثاً أعرافُ غَمْرَةَ دونه ... ببيشة دِيماتُ الربيعِ ووابِلُهْ)
- وما بِيَ حُبُّ الأرض إلا جوارُها ... صَدَاهُ وقولٌ ظَنَّ أنِّيَ قائلُهْ) - طويل)
الشعر للشمردل بن شريك من قصيدة طويلة مشهورة يرثي بها أخاه والغناء لعبد الله بن العباس الربيعي ثقيل أول بالوسطى ابتداؤه نشيد ولمقاسة بن ناصح فيه خفيف رمل بالوسطى جميعا عن الهشامي وذكر حبش أن خفيف الرمل لخزرج

أخبار الشمردل ونسبه

الشمردل بن شريك بن عبد الملك بن رؤبة بن سلمة بن مكرم بن ضبارى بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية كان في أيام جرير والفرزدق

هجاؤه وكيع بن أبي سود

أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ واسمه رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال كان الشمردل بن شريك شاعرا من شعراء بني تميم في عهد جرير والفرزدق وكان قد خرج هو وإخوته حكم ووائل وقدامة إلى خراسان مع وكيع بن أبي سود فبعث وكيع أخاه وائلا في بعث لحرب لترك وبعث أخاه قدامة إلى فارس في بعث آخر وبعث أخاه حكما في بعث إلى سجستان فقال له الشمردل إن رأيت أيها الأمير أن تنفذنا معا في وجه واحد فإنا إذا اجتمعنا تعاونا وتناصرنا وتناسبنا فلم يفعل ما سأله وأنفذهم إلى الوجوه التي أرادها فقال الشمردل يهجوه وكتب بها إلى أخيه حكم مع رجل من بني جشم بن أد بن طابخة
(إني إليك إذا كتبْتُ قصيدة ... لم يأتني لجوابها مَرْجُوعُ)
(أيُضِيعُها الجُشَمِيّ فيما بيننا ... أم هل إذا وَصَلَتْ إليك تَضيعُ)
(ولقد علِمْتُ وأنت عنّي نازحٌ ... فيما أتى كِبْدُ الحمارِ وكيعُ)
(وبنو غُدانةَ كان معروفاً لهم ... أن يُهْضَموا وبِضيمِهِمْ يربوعُ)
- وعُمارة العبد المبَيَّن إنه ... واللؤم في بدن القميص جميعُ) - كامل)
رثاؤه لاخوته
قال أبو عبيدة ولم ينشب أن جاءه نعي أخيه قدامة من فارس قتله جيش لقوهم بها ثم تلاه نعي أخيه وائل بعده بثلاثة أيام فقال يرثيهما
(أعاذلُ كم من روعةٍ قد شهدْتها ... وغُصّةِ حُزْنٍ في فِراق أخ جَزْلِ)

(إذا وقعت بين الحيازيم أَسْدَفَتْ ... عليّ الضحى حتي تُنَسِّيِنِي أهلي)
(وما أنا إلا مِثلُ من ضُرِبتْ له ... أُسَى الدهر عن ابْنَي أب فارقا مِثل)
(أقول إذا عزّيتُ نفسي بإخوة ... مضوا لا ضِعافٍ في الحياة ولا عُزْلِ)
(أبى الموتُ إلا فَجْعَ كلِّ بني أب ... سَيُمْسُون شتّى غيرَ مجتمعي الشَّمْلِ)
(سبيل حبيبيَّ اللّذين تبرّضا ... دموعِي حتى أسرعَ الحُزْنُ في عقلي)
(كأن لم نسِرِ يوماً ونحن بغبطةٍ ... جميعاً وينزلْ عند رحليهما رَحْلي)
(فعينيّ إنْ أَفْضَلْتُما بعد وائلٍ ... وصاحبه دمعاً فعُودَا على الفضلِ)
(خليليّ من دون الأخِلاّء أصبحا ... رهينَيْ وفَاءٍ من وفاةٍ ومن قتْلِ)
(فلا يبعدا لِلدَّاعِيَيْن إليهما ... إذا اغبرَّ آفاقُ السماء من المَحْلِ)
((فقد عَدِم الأضيافُ بعدهما القِرى ... وأخمد نارَ الليل كلُّ فتىً وَغْلِ
(وكانا إذا أيدِي الغضابِ تحطَّمتْ ... لواغِر صدرٍ أو ضغائنَ من تَبْلِ)
(تَحاجزُ أيدِي جُهَّلِ القومِ عنهما ... إذا أتعب الحلْمَ التترُّعُ بالجهلِ)
- كمستأسِدَي عِرِيسةٍ لهما بها ... حِمىً هابه مَنْ بالحَزُونةِ والسَّهْلِ) - طويل)
ومنها الصوت الذي ذكرت أخباره بذكره
قال أبو عبيدة وقال يرثي أخاه وائلا وهي من مختار المراثي وجيد شعره
(لعمري لَئِنْ غالتْ أخي دارُ فُرْقةٍ ... وآب إلينا سيْفُه ورواحِلُهْ)
(وحلّتْ به أثقالَها الأرضُ وانتهى ... بمثواه منها وهْو عفٌّ مآكلُهْ)
(لقد ضُمِّنَتْ جَلْدَ القُوى كان يُتّقى ... به جانبُ الثَّغْرِ المخوفِ زلازِلُهْ)
(وَصُولٌ إذا استغني وإن كان مُقْتِراً ... من المال لم يُحْفِ الصديقَ مسائله)
(محلٌّ لأضيافِ الشتاء كأنما ... هُمُ عنده أيتامه وأرامِلُه)
(رخِيصٌ نضيجِ اللحم مُغْلٍ بِنِيئِه ... إذا بردت عند الصِّلاءِ أناملُه)
(أقولُ وقد رَجَّمْتُ عنه فأسرعَتْ ... إليّ بأخبارِ اليقين محاصله)
(إلى اللّهِ أشكو لا إلى الناسِ فَقْدَه ... ولوْعةَ حُزْنٍ أوجعَ القلبَ داخلُهْ)
(وتحقيقُ رؤيا في المنامِ رأيْتُها ... فكان أخي رُمْحاً ترفَّضَ عاملُه)
((سقَى جدثاً أعرافُ غَمْرةَ دونه ... ببيشةَ دِيماتُ الربيع ووابلُه
(بمثوَى غريبٍ ليس منا مزارُه ... بدانٍ ولا ذُو الودّ منّا مواصلُه)
(إذا ما أتى يومٌ من الدهرِ دونه ... فحيَّاك عنا شَرْقُه وأصائلُه)
(سَنا صبحِ إشراقٍ أضاء ومَغربٌ ... من الشمس وافَى جَنْحَ ليلٍ أوائلُه)
(تحيةَ من أدّى الرسالةَ حُبِّبت ... إليه ولم ترجِع بشيءٍ رسائلُه)
(أبَى الصبرَ أن العين بعدَك لم يزَلْ ... يخالط جَفْنَيْها قذًى لا يزايلُه)
(وكنْتُ أُعِيرُ الدمعَ قبلَك مَنْ بكى ... فأنت على مَنْ مات بعدك شاغلُهْ)
(يُذَكِّرُني هَيْفُ الجنوبِ ومُنتهى ... مسيرِ الصَّبا رَمْساً عليه جنادلُه)
(وهتَّافةٌ فوق الغصونِ تفجّعت ... لفقدِ حمامٍ أَفْرَدَتْها حبائلُه)
(من الوُرْقِ بالأصْياف نَوّاحةِ الضحى ... إذا الغرقد التفت عليه غياطله)
(وسَوْرةُ أيدي القومِ إذ حُلَّتِ الحُبا ... حُبا الشِّيبِ واستعْوَى أخا الحلم جاهله)
(فعينيَّ إذ أبكاكما الدهرُ فابكيا ... لمن نَصرُه قد بان منا ونائله)
(إذا استعبرَتْ عُوذُ النساءِ وشمّرت ... مآزرَ يومٍ ما تَوارَى خلاخلُه)
(وأصبح بيت الهجرِ قد حال دونه ... وغال امرأً ما كان يُخْشى غوائلُهْ)
((وثِقْن به عند الحفيظةِ فارعَوى ... إلى صوته جاراته وحلائله
(إلى ذائد في الحرب لم يَكُ خاملاً ... إذا عاذ بالسيف المجرَّد حامله)
(كما ذاد عن عِرِّيسةِ الغِيلِ مُخْدِر ... يخافُ الردى ركبانُه ورواحله)
(فما كنت أُلْفي لامرىء عند مَوطنٍ ... أخاً بأخي لو كان حيّاً أبادله)
(وكنت به أغشى القتالَ فعزّني ... عليه من المقدارِ من لا أقاتله)
(لعمركَ إنّ الموتَ منا لمولَعٌ ... بمن كان يُرجى نَفْعُه ونوافله)
(فما البعد إلا أننا بعد صحبة ... كأنْ لم نُبايتْ وائلاً ونقايله)
(سقى الضَّفِراتِ الغيْثُ ما دام ثاوياً ... بهِنّ وجادتْ أهلَ شوْكٍ مَخَايلُه)
- وما بِيَ حبُّ الأرضِ إلاَّ جوارُها ... صَدَاهُ وقولُ ظُنَّ أنّي قائلُه) - طويل)
قال أبو عبيدة ثم قتل أخوه حكم أيضا في وجهه وبرز بعض عشيرته إلى قاتله فقتله وأتى أخاه الشمردل أيضا نعيه فقال يرثيه
(يقولون احتسِبْ حَكَماً وراحوا ... بأبيضَ لا أراهُ ولا يراني)
(وقبْلَ فراقِه أيقنْتُ أنِّي ... وكلّ ابنَيْ أبٍ متفارقانِ)
(أخٌ لِيَ لوْ دعوتُ أجاب صوتِي ... وكنْتُ مجيبَه أنَّى دعانِي)
(فقد أفنى البكاءُ عليه دمعي ... ولوْ أني الفقيدُ إذاً بكانِي)
(مضى لسبيله لم يُعْطَ ضَيْماً ... ولم تَرهبْ غَوائلَه الأدَاني)
(قَتلْنا عنه قاتلَه وكنّا ... نصُولُ به لدى الحرْبِ العَوَانِ)
((قتيلاً ليس مِثل أخي إذا ما ... بدا الخَفِراتُ مِنْ هول الجَنَان
(وكنتَ سِنانَ رُمْحي من قناتي ... وليس الرّمحُ إلا بالسِّنَانِ)
(وكنت بَنانَ كَفِّي من يميني ... وكيف صلاحُها بعد البَنان)
(وكان يَهَابُك الأعداءُ فينا ... ولا أخشَى وراءك مِنْ رَماني)

(فقد أبْدَوْا ضغائنَهُمْ وشدُّوا ... إليَّ الطَّرْفَ واغْتمزوا لَبَاني)
- فِدَاكَ أخٌ نبا عنه غَناه ... ومولًى لا تصولُ له يدانِ) - وافر)
ادعاء الفرزدق بيتا له بعد تهديده
حدثني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان عن أبي عبيدة عن أبي عمرو وأبي سهيل قالا وقف الفرزدق على الشمردل وهو ينشد قصيدة له فمر فيها هذا البيت
- وما بين مَنْ لم يُعْطِ سَمْعاً وطاعة ... وبين تميمٍ غَيْرُ جَزِّ الحلاقمِ) - طويل)
فقال له الفرزدق والله يا شمردل لتتركن لي هذا البيت أو لتتركن لي عرضك فقال خذه لا بارك الله لك فيه فادعاه وجعله قصيدة ذكر فيها قتيبة بن مسلم التي أولها
- تحِنُّ بزوراءِ المدينهِ ناقتي ... حَنِينَ عجولٍ تبتغي البَوَّ رائمِ) - طويل)
حدثنا هاشم قال حدثنا أبو غسان عن أبي عبيدة قال رأى الشمردل فيما يرى النائم كأن سنان رمحه سقط فعبره على بعض من يعبر الرؤيا فأتاه نعي أخيه وائل فذلك قوله
- (وتَحقيقُ رؤيا في المنام رأيتُها ... فكانَ أخي رُمْحاً ترقَّضَ عاملُهْ) - طويل
حدثنا هاشم قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال كان الشمردل مغرما بالشراب وكان له نديمان يعاشرانه في حانات الخمارين بخراسان أحدهما يقال له ديكل من قومه والآخر من بني شيبان يقال له قبيصة فاجتمعوا يوما على جزور ونحروه وشربوا حتى سكروا وانصرف قبيصة حافيا وترك نعله عندهم وأنسيها من السكر فقال الشمردل
(شرِبْتُ ونادمتُ الملوكَ فلم أجِدْ ... على الكأس نَدْمانا لها مثلَ دَيْكَلِ)
(أقَلَّ مِكاساً في جَزورٍ وإن غَلَتْ ... وأسرعَ إنضاجاً وإنزالَ مِرْجَلِ)
(ترى البازلَ الكَوْماء فوق خِوانه ... مفصَّلةً أعضاؤها لم تُفَصَّلِ)
(سَقَيْناه بعد الرِّيِّ حتى كأنما ... يرى حين أمسى أبْرَقَيْ ذاتِ مأسَلِ)
- عشية أنْسَيْنا قَبيصةَ نَعْلَه ... فَراحَ الفتى البكريُّ غيرَ مُنعَّلِ) - طويل)
هجاؤه هلال بن أحوز
حدثنا هاشم قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال مدح الشمردل بن شريك هلال بن أحوز المازني واستماحه فوعده الرفد ثم ردده زمانا طويلا حتى ضجر ثم أمر له بعشرين درهما فدفعها إليه وكيله غلة فردها وقال يهجوه
((يقول هلالٌ كُلَّما جئتُ زائراً ... ولا خيرَ عند المازني أعاوِدُهْ
(ألا ليتني أمسي وبيني وبينه ... بعيدُ مناطِ الماءِ غُبْرٌ فدافِدُهْ)
(غَدَاً نصفُ حولٍ منه إن قال لي غداً ... وبعد غدٍ منه كحَوْلٍ أُراصِدُهْ)
(ولو أنني خُيِّرْتُ بين غَدَاته ... وبين برازي دَيْلَمِيًّا أجالِدُهْ)
(تَعَوَّضْتُ من ساقِيَّ عشرين درهماً ... أتاني بها من غَلَّة السُّوق ناقِدُهْ)
(ولو قِيلَ مِثلاَ كنز قارونَ عنده ... وقيل التمس مَوْعُوده لا أعاوده)
- ومثلك منقوص اليدين رددته ... إلى مَحتدٍ قد كان حيناً يُجَاحِده) - طويل)
هجاؤه للضبي حين شمت بمصرع اخوته
حدثنا هاشم قال حدثنا أبو غسان عن أبي عبيدة أن رجلا من بني ضبة كان عدوا للشمردل وكان نازلا في بني دارم بن مالك ثم خرج في البعث الذي بعث مع وكيع فلما قتل أخوة الشمردل وماتوا بلغه عن الضبي سرور بذلك وشماتة بمصيبته فقال
(يا أيُّها المبتغي شَتْمِي لأشتُمه ... إن كان أعمى فإنّي عنك غيرُ عَمِ)
(ما أرضعَتْ مرْضِعٌ سَخْلاً أعقَّ بها ... في الناس لا عَرَبٍ منها ولا عجمِ)
(من ابن حنكلةٍ كانت وإن عَربَتْ ... مُذالةٌ لِقُدور الناسِ والحُرَمِ)
(عَوَى ليَكسِبَها شراً فقلْتُ له ... منْ يكسِبِ الشرَّ ثَدْيَيْ أمِّه يُلَمِ)
(ومن تعرّض شتمي يَلْقَ معْطِسَهُ ... من النَّشُوق الذي يشفي من اللَّمَمِ)
(متى أجئْك وتسمعْ ما عُنيتَ به ... تُطْرِقْ على قَذَعٍ أو تَرْضَ بالسَّلَمِ)
((أوْلاَ فحسْبُكَ رَهْطاً أن يفيدَهُمُ ... لا يغدِرونَ ولا يوفونَ بالذممِ
(ليسوا كثعلبةَ المغبوطِ جارُهُمُ ... كأنه في ذُرى ثَهْلانَ أو خِيَمِ)
(يُشَبِّهون قريشاً من تَكلّمهم ... وطولِ أنْضِيَةِ الأعناقِ والأممِ)
(إذا غدا المسكُ يجري في مفارقِهِمْ ... راحوا كأنهم مَرضَى من الكَرَمِ)
(جزُّوا النواصِيَ من عِجْلٍ وقد وطِئوا ... بالخيلِ رَهْطَ أبي الصَّهْباءِ والحُطَمِ)
(ويوم أفْلَتَهُنَّ الحَوْفَزانُ وقد ... شالت عليه أكفُّ القوم بالحِذَمِ)
(إني وإن كنْتُ لا أنسى مُصابَهُمُ ... لم أدفعِ الموت عن زيقٍ ولا حكمِ)
((لا يَبْعُدَا فَتَيَا جُودٍ ومَكْرُمَةٍ ... لدفعِ ضَيْمٍ وقَتْلِ الجوعِ والقَرَمِ
(والبُعْدُ غالهما عني بمنزلةٍ ... فيها تفرّقُ أحياءٍ ومُخْترمِ)
(وما بناءٌ وإن سَدَّتْ دعائمُه ... إلا سيصبح يوماً خاوِيَ الدِّعَمَ)
- لئن نجوْتَ من الأحداث أو سلمَتْ ... منهن نَفْسُك لم تسلمْ من الهرَمِ) - بسيط)
رثاؤه لعمر بن يزيد
حدثنا هاشم قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال كان عمر بن يزيد الأسيدي صديقا للشمردل بن شريك ومحسناً إليه كثير البر به والرفد له فأتاه نعيه وهو بخراسان فقال يرثيه
(لبس الصّباحَ وأسلَمَتْه ليلةٌ ... طالت كأنّ نجومها لا تَبْرَحُ)
(من صولة يحتاج أخرى مثلها ... حتى ترى السّدَفَ القِيامَ النُّوَّحُ)
(عطّلْنَ أيْدِيَهُنَّ ثم تفجَّعَتْ ... ليلَ التّمام بهنّ عبْرى تَصْدَحُ)
(وحليلةٍ رزِئت وأختٌ وابنةٌ ... كالبدر تنظره عيونٌ لُمَّحٌ)
(لا يبعَدِ ابنُ يزيدَ سيِّدُ قومه ... عند الحفاظِ وحاجةٍ تُستنجَحُ)

(حامي الحقيقةِ لا تزال جيادُه ... تغْدو مسوَّمة به وتُروِّح)
(للحرب محتسبُ القتال مشمِّرٌ ... بالدرع مُضْطَمِرُ الحوامل سِرِّح)
(ساد العراق وكان أوّل وافد ... تأتي الملوكَ به المهاري الطُّلَّحُ)
- (يُعْطى الغِلاء بكل مجد يشترى ... إن المُغالِيَ بالمكارمِ أربحُ) - كامل
شعره في وصف الصقر والقنص
حدثنا هاشم قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال كان الشمردل صاحب قنص وصيد بالجوارح وله في الصقر والكلب أراجيز كثيرة وانشدنا له قوله
(قد أغتدي والصبحُ في حجابه ... والليلُ لم يأوِ إلى مآبِهِ)
(وقد بدَا أبْلقَ من مُنْجَابه ... بتَوَّجِيٍّ صادَ في شبابِهِ)
(مُعاوِدٍ قد ذلَّ في إصعابه ... قد خرَّق الصِّفارَ من جِذَابِهِ)
(وعَرف الصوت الذي يُدعى به ... ولَمْعَةَ المُلْمِع في أثوابه)
(فقلْتُ للقانِص إذ أتى به ... قبل طُلوع الآل أو سرابه)
(ويْحَكَ ما أبصرإذ رأى به ... من بَطْنِ مَلحوبٍ إلى لبابِه)
(قَشْعاً ترى التبّتَ من جنابه ... فانقضَّ كالجلمود إذ علا به)
(غضبان يوم قِنْيةٍ رمى به ... فهنّ يلقِيْنَ من اغتصابه)
(تحت جديد الأرض أو ترابه ... من كلِّ شَحَّاج الضُّحى ضغّابه)
(إذ لا يزال حربه يشقى به ... منتزع الفؤاد من حجابه)
((جادٍ وقد أنشب في إهابه ... مَخالباً ينشبْنَ في إنشابه
(مثل مُدى الجزّار أو حِرابه ... كأنما بالحلق من خضابه)
(عصفرةِ الفؤادِ أو قضابه ... حوى ثمانين على حسابه)
(من خَرَبٍ وخُزَرٍ يعلى به ... لفتيةٍ صَيْدُهُمُ يدعى به)
(واعَدَهمْ لمنزل يتْنا به ... يطهى به الخِرْبان أو يشْوَى به)
- فقام للطبخ ولاحتطابه ... أروع يهتاج إذا هجْنا به) - رجز
أخبرنا هاشم قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال كان ذئب قد لازم مرعى غنم للشمردل فلا يزال يفرس منها الشاة بعد الشاة فرصده ليلة حتى جاء لعادته ثم رماه بسهم فقتله وقال فيه
(هل خُبِّرَ السِّرحانُ إذ يستخير ... عني وقدِ نام الصِّحَابِ السُّمَّرُ)
(لما رأيت الضّأنَ منه تنفِر ... نهضْتُ وسْنانَ وطارَ المِئْزرُ)
(وراع منها مَرِحٌ مُستَيْهِر ... كأنه إعصار ريح أغبرُ)
(فلمِ أزِلِ أطردُه ويعكر ... حتى إذا استيقنْتُ ألا أعذرُ)
(وإنّ عقْرَى غنمِي ستكثر ... طار بكفي وفؤادي أوجر)
(ثُمّتَ أهويْتُ له لا أزجَر ... سهما فولّى عنه وهوَ يعثرُ)
رجز -وبتُّ ليلي آمناً أُكبِّر ...))
أخبرنا أبو الحسن الأسدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال قال الشمردل بن شريك وكان يستجيد هذه الأبيات ويستحسنها ويقول إنها لمن ظريف الكلام
(ثم استقلّ منعَّماتٌ كالدُّمى ... شُمُسُ العتاب قليلة الأحقادِ)
(كُذُبُ المواعدِ ما يزال أخو الهوى ... منهنَّ بين مودّةٍ وبِعادِ)
(حتى ينالَ حِبالَهنَّ مُعَلَّقاً ... عقْلَ الشّريدِ وهنَّ غيرُ شِرادِ)
- والحبُّ يصلح بعد هجرٍ بيننا ... ويهيجُ معتبةً بغير بعادِ) - كامل
صوت
(خليليّ لا تستعجلا أن تَزَوّدا ... وأن تَجمعا شملي وتنتظرا غدا)
- وإن تَنظُراني اليوم أقْضِ لُبانةً ... وتستوجبا منّا عليّ وتُحمدَا) - طويل)
الشعر للحصين بن الحمام المري والغناء لبذل الكبرى ثاني ثقيل بالبنصر من روايتها ومن رواية الهشامي
بسم الله الرحمن الرحيم
أخبار الحصين بن الحمام ونسبه
هو الحصين بن الحمام بن ربيعة بن مساب بن حرام بن وائلة بن سهم بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال
كان الحصين بن الحمام سيد بني سهم بن مرة وكان خصيلة بن مرة وصرمة بن مرة وسهم بن مرة أمهم جميعا حرقفة بنت مغنم بن عوف بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة فكانوا يدا واحدة على من سواهم وكان حصين ذا رأيهم وقائدهم ورائدهم وكان يقال له مانع الضيم
وحدثني جماعة من أهل العلم أن ابنه أتى باب معاوية بن أبي سفيان فقال لآذنه استأذن لي على أمير المؤمنين وقل ابن مانع الضيم فاستأذن له فقال له معاوية ويحك لا يكون هذا إلا ابن عروة بن الورد العبسي
أو الحصين بن الحمام المري أدخله فلما دخل إليه قال له ابن من أنت قال أنا ابن مانع الضيم الخضين بن الحمام فقال صدقت ورفع مجلسه وقضى حوائجه
وقائع حرب قومه مع بني صرمة بن مرة
أخبرني ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال كان ناس من بطن من قضاعة يقال لهم بنو سلامان بن سعد بن زيد بن الحاف بن قضاعة وبنو سلامان بن سعد إخوة عذرة بن سعد وكانوا حلفاء لبني صرمة بن مرة ونزولا فيهم وكان الحرقة وهم بنو حميس بن عامر بن جهينة حلفاء لبني سهم بن مرة وكانوا قوما يرمون بالنبل رميا سديدا فسموا الحرقة لشدة قتالهم وكانوا نزولا في حلفائهم بني سهم بن مرة وكان في بني صرمة يهودي من أهل تيماء يقال له جهينة بن

أبي حمل وكان في بني سهم يهودي من أهل وادي القرى يقال له غصين بن حي وكانا تاجرين في الخمر وكان بنو جوشن أهل بيت من عبد الله بن غطفان جيرانا لبني صرمة وكان يتشائم بهم ففقدوا منهم رجلا يقال له خصيلة كان يقطع الطريق وحده وكانت أخته وإخوته يسألون الناس عنه وينشدونه في كل مجلس وموسم فجلس ذات يوم أخ لذلك المفقود الجوشني في بيت غصين بن حي جار بني سهم يبتاع خمرا فبينما هو يشتري إذ مرت أخت المفقود تسأل عن أخيها خصيلة فقال غصين

(تُسائل عن أخيها كلَّ ركبٍ ... وعند جُهَينة الخبرُ اليقينُ

فأرسلها مثلاً يعني بجهينة نفسه فحفظ الجوشني هذا البيت ثم أتاه من الغد فقال له نشدتك الله ودينك هل تعلم لأخي علما فقال له لا وديني لا أعلم فلما مضى أخو المفقود تمثل

(لَعَمْرُكَ ما ضَلَّتْ ضلالَ ابنِ جَوْشنٍ ... حَصاةٌ بليلٍ أُلْقِيَتْ وَسْطَ جَنْدَلِ)

أراد أن تلك الحصاة يجوز أن توجد وأن هذا لا يوجد أبدا فلما سمع الجوشني ذلك تركه حتى إذا أمسى أتاه فقتله وقال الجوشني

(طَعَنْتُ وقد كاد الظلامُ يُجِنُّني ... غُصَيْنَ بنَ حَيٍّ في جِوارِ بني سهمِ)

فأتي حصين بن الحمام فقيل له إن جارك غصينا اليهودي قد قتله ابن جوشن جار بني صرمة فقال حصين فاقتلوا اليهودي الذي في جوار بني صرمة فأتوا جهينة بن أبي حمل فقتلوه فشد بنو صرمة على ثلاثة من حميس بن عامر جيران بني سهم فقتلوهم فقال حصين أقتلوا من جيرانهم بني

سلامان ثلاثة نفر ففعلوا فاستعر الشر بينهم قال وكانت بنو صرمة أكثر من بني سهم رهط الحصين بكثير فقال لهم الحصين يا بني صرمة قتلتم جارنا اليهودي فقتلنا به جاركم اليهودي فقتلتم من جيراننا من قضاعة ثلاثة نفر وقتلنا من جيرانكم بني سلامان ثلاثة نفر وبيننا وبينكم رحم ماسة قريبة فمروا جيرانكم من بني سلامان فيرتحلون عنكم ونأمر جيراننا من قضاعة فيرتحلون عنا جميعا ثم هم أعلم فأبى ذلك بنو صرمة وقالوا قد قتلتم جارنا ابن جوشن فلا نفعل حتى نقتل مكانه رجلا من جيرانكم فإنك تعلم أنكم أقل منا عددا وأذل وإنما بنا تعزون وتمنعون فناشدهم الله والرحم فأبوا وأقبلت الخضر من محارب وكانوا في بني ثعلبة بن سعد فقالوا نشهد نهب بني سهم إذا انتهبوا فنصيب منهم وخذلت غطفان كلها حصينا وكرهوا ما كان من منعه جيرانه من قضاعة وصافهم حصين الحرب وقاتلهم ومعه جيرانه وأمرهم ألا يزيدوهم على النبل وهزمهم الحصين وكف يده بعدما أكثر فيهم القتل وأبى ذلك البطن من قضاعة أن يكفوا عن القوم حتى أثخنوا فيهم وكان سنان بن أبي حارثة خذل الناس عنه لعداوته قضاعة وأحب سنان أن يهب الحيان من قضاعة وكان عيينة بن حصن وزبان بن سيار بن عمرو بن جابر ممن خذل عنه أيضا فأجلبت بنو ذبيان على بني سهم مع بني صرمة وأجلبت محارب بن خصفة معهم فقال الحصين بن الحمام في ذلك من أبيات

((ألاَ تَقبَلون النِّصْفَ منّا وأنتمُ ... بنو عمنا لا بَلَّ هامَكُم القَطْرُ)

(سنأبَى كما تَأبَوْن حتى تُلينكم ... صفائحُ بُصْرَى والأسِنَّةُ والأصْرُ)

(أيُؤكَلُ مولانا ومولَى ابنِ عمِنا ... مُقيمٌ ومنصورٌ كما نُصِرتِ جَسْرُ)

(فتلكَ التي لم يعلم الناسُ أنني ... خَنعت لها حتى يُغَيِّبَني القبرُ)

(فليتكمُ قد حال دون لِقائكم ... سِنُونَ ثمانٍ بعدها حِجَجٌ عَشْرُ)

(أجَدِّيَ لا ألقاكمُ الدهرَ مَرَّةً ... على مَوْطِنٍ إلاّ خدودُكُمُ صُعْرُ)

(إذا ما دُعُوا للبغي قاموا وأشرقَتْ ... وجوهُهُم والرُّشْدُ وِرْدٌ له نَفْرُ)

(فواعَجَبا حتّى خُصَيلةُ أصبحتْ ... مَوالِيَ عِزٍّ لا تَحِلُّ لها الخمرُ)

قوله موالي عز يهزأ بهم ولا تحل لهم الخمر أراد فحرموا الخمر على أنفسهم كما يفعل العزيز وليسوا هناك

(ألَمَّا كَشَفنا لأمَةَ الذُّلِّ عنكمُ ... تجرَّدتَ لا بِرٌّ جميلٌ ولا شكر)

(فإنْ يكُ ظَنِّي صادقاً تَجْزِ منكُمُ ... جوازي الإلهِ والخيانةُ والغدر)

انتصاره على بني عمه وافتخاره بذلك

قال فأقاموا على الحرب والنزول على حكمهم وغاظتهم بنو ذبيان ومحارب بن خصفة وكان رئيس محارب حميضة بن حرملة ونكصت عن حصين قبيلتان من بني سهم وخانتاه وهما عدوان وعبد عمرو ابنا سهم فسار حصين وليس معه من بني سهم إلا بنو وائلة بن سهم وحلفاؤهم وهم الحرقة وكان فيهم العدد فالتقوا بدارة موضوع فظفر بهم الحصين وهزمهم وقتل منهم فأكثر وقال الحصين بن الحمام في ذلك

(جَزَى اللّه أفناءَ العشيرةِ كلِّها ... بِدارَةِ موضوعٍ عُقوقاً ومأْثَما)

(بني عمِّنا الأدْنَيْنَ منهم ورَهْطَنَا ... فزارةَ إذ رامت بنا الحربَ مُعْظَمَا)

(ولمّا رأيت الودّ ليس بنافعي ... وإن كان يوماً ذا كَواكِبَ مُظلما)

(صبرنا وكان الصبرُ منا سَجِيَّةً ... بأسيافنا يَقْطَعْنَ كَفاً ومِعْصَما)

(نُفَلِّق هاماً من رجالٍ أعِزَّةٍ ... علينا وهم كانوا أعَقَّ وأظلَما)

(نُطاردهم نستنقِذُ الجُرْدَ بالقَنَا ... ويستنقذون السَّمْهَريَّ المُقوَّما)

نستنقذ الجرد أي نقتل الفارس فنأخذ فرسه ويستنقذون السمهريَّ وهو القنا الصلب أي نطعنهم فتجرُّهم الرماح

((لَدُنْ غُدْوَةٍ حتى أتى الليلُ ما ترى ... من الخيل إلاّ خارجيّاً مُسَوَّما)

(وأجْرَدَ كالسِّرْحان يَضربُه النَّدَى ... ومحبوكةً كالسِّيدِ شَقاءَ صِلْدِما)

(يَطَأْن من القَتْلَى ومن قِصَدِ القنا ... خَباراً فما يجرين إلا تَقَحُّما)

(عليهنّ فتيانٌ كساهم مُحَرِّقٌ ... وكان إذا يكسو أجاد وأكرما)

(صفائح بُصرَى أخلَصَتْهَا قُيُونها ... ومُطَّرِداً من نَسج داودَ مُبْهَما)

(جزى الله عنا عبدَ عمرو ملامةً ... وعَدْوانَ سَهْمٍ ما أذَلَّ وألأما)

(فلستُ بمبتاع الحياةِ بسُبَّةٍ ... ولا مُرتقٍ من خشية الموت سُلَّما)

شعره في رثاء نعيم بن الحارث

وقال أبو عبيدة وقتل في تلك الحرب نعيم بن الحارث بن عباد بن حبيب بن وائلة بن سهل قتلته بنو صرمة يوم دارة موضوع وكان وادا للحصين فقال يرثيه

(قَتَلْنَا خمسةً ورَمَوْا نُعيماً ... وكان القتلُ للفتيان زَيْنَا)
(لعمرُ الباكياتِ على نعيم ... لقد جلَّتْ رزيَّته علينا)
(فلا تَبْعَدْ نُعَيْمُ فكلُّ حيٍّ ... سيَلْقى من صروف الدهر حَيْنَا)
قال أبو عبيدة ثم إن بني حميس كرهوا مجاورة بني سهم ففارقوهم ومضوا فلحق بهم الحصين بن الحمام فردهم ولامهم على كفرهم نعمته وقتاله عشيرته عنهم وقال في ذلك
(إنَّ أمرأ بعدي تبدَّلَ نصركم ... بنصر بني ذُبْيان حَقاً لخاسِرُ)
(أولئك قومٌ لا يُهانُ ثَوِيُّهُمْ ... إذا صَرَّحَتْ كَحْلٌ وَهَبَّ الصَّنابِرُ)
وقال لهم أيضا
(ألاَ أبْلِغْ لديك أبا حُمَيْسٍ ... وعاقبةُ الملامة للمُليم)
(فهل لكُمُ إلى مَوْلَى نَصورٍ ... وخَطْبُكُم من الله العظيم)
(فإنَّ دياركم بجَنوب بسٍّ ... إلى ثَقْفٍ إلى ذات العُظُوم)
بُسٌ بناء بنته غطفان شبهوه بالكعبة وكانوا يحجونه ويعظمونه ويسمونه حرما فغزاهم زهير بن جناب الكلبي فهدمه
(غَذَتكم في غَداةِ الناسِ حَجًّا ... غِذاءَ الجائع الجَدِع اللئيم)
(فسيروا في البلاد وودِّعونا ... بقَحْطِ الغيث والكَلإِ الوَخِيم)
لومه بني حميس وتذكيرهم بفضله عليهم
قال أبو عبيدة قال عمرو زعموا أن المثلم بن رياح قتل رجلا يقال له حباشة في جوار الحارث بن ظالم المري فلحق المثلم بالحصين بن الحمام فأجاره فبلغ ذلك الحارث بن ظالم فطلب الحصين بدم حباشة فسأل في قومه وسأل في بني حميس جيرانه فقالوا إنا لا نعقل بالإبل ولكن إن شئت أعطيناك الغنم فقال في ذلك وفي كفرهم نعمته
(خليليَّ لا تستعجِلا أن تَزَوَّدَا ... وأن تجمعا شَمْلي وتنتظرا غَدَا)
(فما لَبِثٌ يوماً بسائقِ مَغْنَمٍ ... ولا سرعةٌ يوماً بسابِقَةٍ غدا)
(وإن تُنْظِرَانِي اليومَ أقضِ لُبانَةً ... وتستوجبا مَنّاً عليَّ وتُحْمَدا)
(لعمرُك إنّي يوم أغدو بصِرْمَتِي ... تناهَى حُمَيْسٌ بادئين وعُوَّدا)
(وقد ظهرتْ منهم بوائقُ جَمَّةٌ ... وأفْرَعَ مولاهم بنا ثم أصْعَدا)
(وما كان ذنبي فيهمُ غيرَ أنَّني ... بسطتُ يداً فيهم وأتبعْتُها يدا)
(وأنِي أحامِي مِن وراء حَرِيمِهم ... إذا ما المُنادِي بالمغيرة نَدَّدا)
(إذا الفَوْجُ لا يحميه إلاّ مُحافِظٌ ... كريمُ المُحَيَّا ماجِدٌ غيرُ أجردا)
(فإنْ صَرَّحَت كَحْلٌ وهَبَّت عَرِيَّةٌ ... مِنَ الرِّيح لم تترك لِذي العَرض مَرْفَدا)
(صَبَرْتُ على وَطْءِ الموالي وخَطْبِهم ... إذا ضَنَّ ذو القربى عليهم وأجْمَدَا)
أخبرني ابن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال كان البرج بن الجلاس الطائي خليلاً للحصين بن الحمام ونديما له على الشراب وفيه يقول البرج بن الجلاس
(ونَدْمانٍ يزيد الكأسَ طِيباً ... سَقَيْتُ وقد تَغَوَّرتِ النجومُ)
(رفعتُ برأسه فكشفْتُ عنه ... بمُعْرَقَةٍ ملامةَ مَن يلومُ)
(ونشرَب ما شَرِبْنَا ثم نصحو ... وليس بجانبيَّ خَدِّي كُلُومُ)
(ونجعل عِبْأها لبني جُعَيْلٍ ... وليس إذا انتَشَوْا فيهم حليم)
كانت للبرج أخت يقال لها العُفاطة وكان البرج يشرب مع الحصين ذات يوم فسكر وانصرف إلى أخته فافتضها وندم على ما صنع لما أفاق وقال لقومه أي رجل أنا فيكم قالوا فارسنا وأفضلنا وسيدنا قال فإنه إن علم بما صنعت أحد من العرب أو أخبرتم به أحدا ركبت رأسي فلم تروني أبدا فلم يسمع بذلك أحد منهم ثم إن أمة لبعض طيئ وقعت إلى الحصين بن الحمام فرأت عنده البرج الطائي يوما وهما يشربان فلما خرج من عنده قالت للحصين إن نديمك هذا سكر عندك ففعل بأخته كيت وكيت وأوشك أن يفعل ذلك بك كلما أتاك فسكر عندك فزجرها الحصين وسبها فأمسكت ثم إن البرج بعد ذلك أغار على جيران الحصين بن الحمام من الحرقة فأخذ أموالهم وأتى الصريخ الحصين بن الحمام فتبع القوم فأدركهم فقال للبرج ما صبك على جيراني يا برج فقال له وما أنت وهم هؤلاء من أهل اليمن وهم منا وأنشأ يقول
(أنَّى لكِ الحُرُقات فيما بيننا ... عَنَنٌ بعيدٌ منك يا بنَ حُمام)
(أقبلتَ تُزْجِي ناقة متباطئاً ... عُلْطاً تزجِّيها بغير خِطام)
تزجي تسوق علطا لا خطام عليها ولا زمام أي أتيت هكذا من العجلة فأجابه الحصين بن الحمام
(بُرْجٌ يُؤَثمني ويَكفُرُ نعمتي ... صَمِّي لما قال الكفيلُ صَمَامِ)
(مهْلاً أبا زيدٍ فإنَّك إنْ تَشَأْ ... أُوردْك عُرْضَ مناهلٍ أَسْدامِ)
((أُوردْكَ أَقْلِبَةً إذا حافلْتَها ... خَوْضَ القَعُودِ خَبِيثَةَ الأخصامِ)
(أقبلتُ من أرض الحجاز بذِمَّةٍ ... عُطُلاً أسوِّقها بغير خِطامِ)
(في إِثْرِ إخوانٍ لنا من طيئ ... ليسوا بأكفاء ولا بكرامِ)
(لا تحسبَنَّ أخا العَفاطة أنني ... رَجُلٌ بخُبْرِك ليس بالعَلاَّمِ)
(فاستنزلوكَ وقد بَلَلْتَ نِطاقها ... عن بنتِ أُمِّكَ والذيولُ دوامي)
ثم ناصب الحصينُ بن الحمام البرج الحرب فقتل من أصحاب البرج عدة وهزم سائرهم واستنقذ ما في أيديهم وأسر البرج ثم عرف له حق ندامه وعشرته إياه فمن عليه وجز ناصيته وخلى سبيله فلما عاد البرج إلى قومه وقد سبه الحصين بما فعل بأخته لامهم وقال أشعتم ما فعلت بأختي وفضحتموني ثم ركب رأسه وخرج من بين أظهرهم فلحق ببلاد الروم فلم يعرف له خبر إلى الآن
وقال ابن الكلبي بل شرب الخمر صرفا حتى قتلته
أغار على بني عقيل وبني كعب
أخبرني ابن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال جمع الحصين بن الحمام جمعا من بني عدي ثم أغار على بني عقيل

وبني كعب فأثخن فيهم واستاق نعما كثيرا ونساء فأصاب أسماء بنت عمرو سيد بني كعب فأطلقها ومن عليها وقال في ذلك

(فِدًى لِبَنِي عديٍّ رَكْضُ ساقي ... وما جَمَّعتُ مِن نَعَمٍ مُراحِ)
(تركْنَا من نساءِ بني عُقَيْلٍ ... أيامى تبتغي عَقْدَ النكاحِ)
(أرُعْيانَ الشَّويِّ وجدتمونا ... أمَ اصحابَ الكريهةِ والنِّطاحِ)
(لقد علمتْ هوازنُ أنَّ خيلي ... غَداةَ النَّعْفِ صادقةُ الصَّباحِ)
(عليها كلُّ أرْوَعَ هِبْرِزيٍّ ... شديدٍ حَدُّه شاكِي السِّلاحِ)
(فكَرَّ عليهمُ حتّى التقينا ... بمصقولٍ عوارضُها صِباحِ)
(فأُبْنا بالنِّهاب وبالسَّبايا ... وبالبِيض الخرائدِ واللِّقاحِ)
(وأعتقنا ابنة العَمْريِّ عمرو ... وقد خُضْنا عليها بالقِداحِ)

في شعره دلالة على أنه أدرك الإسلام

أخبرنا ابن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة أن الحصين بن الحمام أدرك الإسلام قال ويدل على ذلك قوله

(وقافيةٍ غيرِ إنْسيَّةٍ ... قَرَضْتُ مِن الشِّعر أمثالَها)
(شَرُودٍ تَلَمَّعُ بالخافقَيْن ... إذا أنْشِدَتْ قيلَ من قالَها)
(وحيرانَ لا يهتدي بالنهار ... من الظَّلْعِ يَتْبَعُ ضُلاَّلَها)
(وداعٍ دعا دعوةَ المستغيثِ ... وكنتُ كمن كان لَبَّى لها)
(إذا الموتُ كان شَجاً بالحُلُوقِ ... وبادَرتِ النفسُ أشغالَها)
(صَبَرْتُ ولم أكُ رِعديدةً ... وللصَّبْرُ في الرَّوعِ أنْجَى لها)
(ويومٍ تَسعَّرُ فيه الحروبُ ... لَبِستُ إلى الرَّوْعِ سِرْبالَها)
(مُضعَّفةَ السَّرْدِ عاديَّةً ... وعَضْبَ المضارِبِ مِفْصالَها)
(ومُطَّرداً من رُدَيْنيَّة ... أذودُ عن الوِرْد أبطالَها)
((فلم يبقَ من ذاكَ إلا التُّقَى ... ونفسٌ تُعالجُ آجالَها
(أمورٌ من اللّهِ فوقَ السماء ... مقاديرُ تنزلُ أنْزَالَهَا)
(أعوذُ بربّي من المُخْزيات ... يوم ترى النفسُ أعمالَها)
(وخَفَّ الموازينُ بالكافرين ... وزُلْزلتِ الأرْضُ زلزالَهَا)
(ونادى مُنادٍ بأهل القبور ... فهبُّوا لتَبرزَ أثقالَها)
(وسُعِّرت النارُ فيها العذابُ ... وكان السلاسلُ أغلالَها)

حدثنا ابن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال مات حصين بن الحمام في بعض أسفاره فسمع صائح في الليل يصيح لا يعرف في بلاد بني مرة

(ألاَ هَلَكَ الحُلْو الحَلاَلُ الحُلاَحِلُ ... ومَن عَقْدُه حَزْمٌ وعَزْمٌ ونائلُ)

الحلو الجميل والحلال الذي ليس عليه في ماله عيب والحلاحل الشريف العاقل

(ومَنْ خَطبهُ فَصْلٌ إذا القوم أُفحِموا ... يُصيب مَرَادِي قوله مَن يُحاولُ)

المرادي جمع مرادة وهي صخرة تردى بها الصخور أي تكسر قال فلما سمع أخوه معية بن الحمام ذلك قال هلك والله الحصين ثم قال يرثيه

((إذا لاقيتُ جمعاً أو فِئَاماً ... فإنّي لا أرى كأبي يَزيدا
(أشدَّ مهابةً وأعزَّ ركناً ... وأصلبَ ساعةَ الضَّرَّاءِ عُودا)
(صَفِيِّي وابنُ أمِّي والمُواسِي ... إذا ما النفسُ شارفتِ الوريدا)
(كأنَّ مُصَدَّراً يحبو ورائي ... إلى أشباله يبغي الأسودا)

المصدر العظيم الصدر شبه أخاه بالأسد

صوت

(لاَ أرَّقَ الله عيْنَيْ منْ أرقْتُ له ... ولا مَلاَ مثلَ قلبي قلبَه تَرَحَا)
(يَسُرُّني سوءُ حالي في مسرّته ... فكلّما ازددت سُقْماً زادني فرحا)

الشعر لمحمد بن يسير والغناء لأحمد بن صدقة رمل بالوسطى

أخبار محمد بن يسير ونسبه

محمد بن يسير الرياشي يقال إنه مولى لبني رياش الذين منهم العباس بن الفرج الرياشي الأخباري الأديب ويقال إنه منهم صلبية وبنو رياش يذكرون أنهم من خثعم ولهم بالبصرة خطة وهم معروفون بها وكان محمد بن يسير هذا شاعرا ظريفا من شعراء المحدثين متقلل لم يفارق البصرة ولا وفد إلى خليفة ولا شريف منتجعا ولا تجاوز بلده وصحبته طبقته وكان ماجنا هجاء خبيثا

خبره مع محمد بن أيوب والي البصرة

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني علي بن القاسم بن علي بن سليمان طارمة قال بعث إلي محمد بن أيوب بن سليمان بن جعفر بن سليمان وهو يتولى البصرة حينئذ في ليلة صبيحتها يوم سبت فدخلت إليه وقد بقي من الليل ثلثه أو أكثر فقلت له أنمت وانتبهت أم لم تنم بعد فقال قد قضيت حاجتي من النوم وأريد أن أصطبح وابتدىء الساعة بالشرب وأصل ليلتي بيومي محتجباً عن الناس وعندي محمد بن رباح وقد وجهت إلى إبراهيم بن رياش وحضرت أنت فمن ترى أن يكون خامسنا قلت محمد بن يسير فقال والله ما عدوت ما في نفسي فقال لي ابن رباح أكتب إلى محمد بن يسير بيتين تدعوه فيهما وتصف له طيب هذا الوقت وكان يوم غيم والسماء تمطر مطرا غير شديد ولا متتابع فكتب إليه ابن رباح

صوت

(يومُ سَبتٍ وشَنْبَذٍ ورَذَاذٍ ... فعلامَ الجلُوسُ يا بن يسير)
(قم بنا نأخذ المُدامةَ من كَفّ ... غزالٍ مُضَمَّخٍ بالعَبِير)

في هذين البيتين لعباس أخي بحر ثقيل أول بالبنصر وبعث إليه بالرقعة فإذا الغلمان قد جاؤوا بالجواب فقال لهم بعثتكم لتجيئوني برجل فجئتموني برقعة فقالوا لم نلقه وإنما كتب جوابها في منزله ولم تأمرنا بالهجوم عليه فنهجم فقرأها فإذا فيها

(أجيءُ على شَرْطٍ فإن كنتَ فاعلاً ... وإلاَّ فإنّي راجِعٌ لا أُناظِرُ)
(لِيُسرَجْ ليَ البِرِ ذَوْنُ في حال دُلْجتي ... وأنت بدُلْجاتي مع الصبح خابرُ)
(لأقضِيَ حاجاتي إليه وأنثني ... إليك وحجّامٌ إذا جئتُ حاضر)
(فيأخذ من شَعري ويُصلِحُ لِحْيتي ... ومِن بعدُ حَمَّامٌ وطِيبٌ وجامِرُ)
(ودَستيجةٌ من طيّب الراح ضخمةٌ ... يُرَوِّدنيها طائعاً لا يُعاسِرُ)

فقال محمد بن أيوب ما تقول فقلت إنك لا تقوى على مطاولته ولكن اضمن له ما طلب فكتب إليه قد أعد لك وحياتك كل ما طلبت فلا تبطئ فإذا به قد طلع علينا فأمر محمد بن أيوب بإحضار المائدة فلما أحضرت أمر بمحمد بن يسير فشد بحبل إلى أسطوانة من أساطين المجلس وجلسنا نأكل بحذائه فقال لنا أي شي يخلصني قلنا تجيب نفسك عما كتبت به أقبح جواب فقال كفوا عن الأكل إذا ولا تستبقوني به فتشغلوا خاطري ففعلنا ذلك وتوقفنا فأنشأ يقول

(أيا عَجَبا مِنْ ذا التَّسرِّي فإنّه ... له نَخوةٌ في نفسه وتَكابُرُ)
(يُشارِطُ لمَّا زار حتَّى كأنه ... مُغَنٍّ مُجيدٌ أو غلام مُؤاجَرُ)
(فلولا ذمامٌ كان بيني وبينه ... لَلطِّمَ بَشَّارٌ قَفاه ويَاسِرُ)

فقال محمد حسبك لم نرد هذا كله ثم حله وجلس يأكل معنا وتممنا يومنا

هجاؤه لشاة أكلت زرعه ودخلت داره

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال كان محمد بن يسير من شعراء أهل البصرة وأدبائهم وهو من خثعم وكان من بخلاء الناس وكان له في داره بستان قدره أربعة طوابيق قلعها من داره فغرس فيه أصل رمان وفسيلة لطيفة وزرع حواليه بقلا فأفلتت شاة لجار له يقال له منيع فأكلت البقل ومضغت الخوص ودخلت إلى بيته فلم تجد فيه إلا القراطيس فيها شعره وأشياء من سماعاته فأكلتها وخرجت فعدا إلى الجيران في المسجد يشكو ما جرى عليه وعاد فزرع البستان وقال يهجو شاة منيع

(ليَ بستانٌ أنيقٌ زاهرٌ ... ناضِرُ الخُضْرة رَيّان تَرِفْ)
(رَاسخُ الأعراقِ ريّان الثَّرى ... غَدِقٌ تُربتُه ليست تجِفّ)
(لِمجاري الماءِ فيه سُنَنٌ ... كيفما صرَّفته فيه انصرفْ)
(مُشرِق الأنوار ميّاد النَّدى ... مُنْثَنٍ في كلِّ ريحٍ مُنْعَطِفْ)
(تملِكُ الريحُ عليه أمرَه ... فإذا لم يُؤْنِسِ الريحَ وقفْ)
(يكتسي في الشرق ثوبَي يُمْنَةٍ ... ومع الليلِ عليها يَلْتَحِفْ)
(ينطوي الليلُ عليه فإذا ... واجَهَ الشرقَ تجلَّى وانكشَفْ)
(صابرٌ ليس يُبالي كَثرةً ... جَزَّ بالمِنْجَل أو منه نُتِفْ)
(كلما ألْحِفَ منه جانبٌ ... لم يتلبَّثْ منه تعجيلَ الخَلَفْ)
(لا ترى للكفِّ فيه أثَراً ... فيه بل يَنْمِي على مسِّ الأكُفّ)
(فترى الأطباقَ لا تُمْهِله ... صادراتٍ وارداتٍ تختلِفْ)
(فيه للخارِفِ من جيرانه ... كلَّما احتاج إليه مُخْتَرَفْ)
(أُقْحُوانٌ وبَهارٌ مُونِقٌ ... وسوى ذلك من كلِّ الطُّرَفْ)
(وهو زَهْرٌ للنَّدامَى أُصُلاً ... يرضا قاطِفِهم ممَّا قَطَفْ)
(وهو في الأيدي يُحيُّون به ... وعلى الآنافِ طَوْراً يُستَشَفّ)
(أعْفِه يا ربِّ مِن واحدةٍ ... ثم لا أحْفِلُ أنواعَ التَّلَفْ)
(اكْفِه شاةَ مَنيعٍ وحدَها ... يومَ لا يُصبِحُ في البيت عَلَفْ)
(اكْفِه ذاتَ سُعالٍ شَهْلَةً ... مُتِّعتْ في شرِّ عيش بالخَرَفْ)
(اكْفِه يا ربِّ وَقْصاءَ الطُّلَى ... ألْجِم الكِتْفين منها بالكَتِفْ)
(وكَلُوحٌ أبداً مُفْتَرٌ ... لك عن هُتْمٍ كَليلاتٍ رُجُفْ)
(وَنَؤوسِ الأنفِ لا يَرْقَا ولا ... أبداً تُبْصِرُه إلاَّ يَكِفْ)
(لم تزَلْ أظلافُها عافيَةً ... لم يُظَلِّفْ أهلُها منها ظِلَفْ)
(فترى في كل رِجْلٍ ويدٍ ... من بقاياهنّ فوق الأرض خُفّ)
(تَنسِفُ الأرضَ إذا مرَّت به ... فلها إعْصارُ تُرْبٍ مُنتسِفْ)
(تُرْهِجُ الطُّرُقَ على مُجتازها ... بيدٍ في المشي والخَطْو القَطِفْ)
(في يدَيْها طَرَقٌ مِشيَتُها ... حَلْقةُ القوسِ وفي الرجل حَنَفْ)
(فإذا ما سَعَلَتْ واحْدَوْدَبَتْ ... جاوبَ البعْرُ عليها فخَصِفْ)
(وأحصِّ الشعرُ منها جلدُها ... شَنَّةٌ في جوف غارٍ مُنْخسِفْ)
(ذات قَرْنٍ وهي جَمَّاءُ ألاَ ... إنّ ذا الوصفَ كوصفٍ مُختلِفْ)
(وإذا تدنو إلى مُستَعْسِبٍ ... عافَها نَتْناً إذا ما هو كَرَفْ)
(لا ترى تَيْساً عليها مُقْدِماً ... رُمِيَتْ من كل تيسٍ بالصَّلَفْ)
(شوهة الخِلقة ما أبصرَها ... مِن جميعِ الناس إلاَّ وحلَفْ)
(ما رأى شاةً ولا يعلمُها ... خُلِقَتْ خِلْقتَها فيما سلَفْ)
(عَجَباً منها ومن تأليفها ... عجباً مِن خَلْقِها كيف ائتلَفْ)
(لو يُنادُون عليها عجباً ... كَسَبوا منها فُلُوساً ورُغُفْ)
(ليتَها قد أفلتتْ في جَفْنةٍ ... من عجينٍ أو دقيقٍ مُجْتَرَفْ)
(فتلقَّتْ شَفْرةً مِن أهله ... قَدَرَ الإصبع شيئاً أو أشَفّ)

(أحكَمَتْ كَفّا حكِيمٍ صُنْعَها ... فأتت مجدولةً فيها رَهَفْ)
(أُدْمِجَتْ من كلّ وجه غيرَ ما ... أَلّلَ الأقْيانُ من حَدِّ الطَّرَفْ)
((قايِضُ الرّونقِ فيها ماتِعٌ ... يَخطفُ الأبصارَ منها يُستَشَفْ
(لَمَحَتْها فاسْتَخفَّتْ نحوها ... عَجَلاً ثم أحالت تنتسِفُ)
(فتناهَتْ بين أضعاف المِعَى ... وتبَوَّتْ بين أثناء الشَّغَفْ)
(أو رَمتْها قَرْحةٌ زادت لها ... ذَوَباناً كلَّ يومٍ ونَحَفْ)
(كل يوم فيه يدنو يومُها ... أو تُرَى واردةً حَوضَ الدَّنَفْ)
(بينما ذاك بها إذ أصبَحَتْ ... كَحَمِيتٍ مُفْعَمٍ أو مثلَ جُفْ)
(شاغِراً عُرْقوبُها قد أُعْقِبَتْ ... بِطْنَةً من بعد إدمان الهَيَفْ)
(وغَدَا الصِّبيةُ من جيرانها ... ليجرُّوها إلى مأوى الجِيَفْ)
(فتراها بينهم مسحوبةً ... تَجرُفُ التُّرْب بجَنْبٍ منجرِفْ)
(فإذا صاروا إلى المأوى بها ... أعملُوا الآجُرَّ فيها والخَزَفْ)
(ثم قالوا ذا جَزاءٌ للتي ... تأكلُ البستانَ منا والصُّحُفْ)
(لا تلوموني فلو أبصرتُ ذا ... كلَّه فيها إذن لم أنتصفْ)
شعره لامرأته بعد أن كتبت إليه تعاتبه
أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثنا عبد الله بن
محمد بن يسير وحدثني سوار بن أبي شراعة قال حدثني عبد الله بن محمد بن يسير قال
هوي أبي قينة من قيان أبي هاشم بالبصرة فكتبت إليه أمي تعاتبه فكتب إليها
(لا تَذْكُري لَوْعةً إثْري ولا جزَعا ... ولا تُقاسِنَّ بعدي الهمَّ والهَلَعا)
(بَلِ ائتسِي تجدي إنِ ائْتسيتِ أسىً ... بمثل ما قد فُجِعْتِ اليوم قد فُجِعا)
(ما تصنَعين بعينٍ عنكِ قد طَمَحَتْ ... إلى سواكِ وقلبٍ عنكِ قد نَزَعا)
(إن قُلْتِ قد كنتُ في خَفْضٍ وتَكْرِمَةٍ ... فقد صدَقتِ ولكنْ ذاكِ قد نُزِعا)
(وأيُّ شيءٍ من الدنيا سمعتِ به ... إلا إذا صار في غاياته انقطعا)
(ومَن يُطيق خَليعاً عند صَبْوته ... أم مَن يقوم لمستورٍ إذا خَلُعَا)
أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن يسير أن أباه دعي إلى وليمة وحضرها مغن يقال له أبو النجم
فعبث بأبي وباغضه وأساء أدبه فقال يهجوه
(نَشَتْ بأبي النَّجم المغنِّي سحابةٌ ... عليه من الأيدي شآبِيبُها القَفْدُ)
(نَشَا نَوءُها بالنَّحْس حتى تصرَّمتْ ... وغابت فلم يَطْلُعْ لها كوكبٌ سَعْدُ)
((سَقَتْه فجادتْ فارتَوَى من سِجالِها ... ذُرَا رأسه والوجهُ والجِيدُ والخدُّ
(فلا زال يَسْقِيه بها كلَّ مجلس ... به فِتيةٌ أمثالَها الهَزْلُ والجِدُّ)
أراد به يسقيانه
قصته مع صديقه داود
أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال وحدثني عبد الله بن محمد بن يسير قال كان لأبي صديق يقال له داود من
أسمج الناس وجها وأقلهم أدبا إلا أنه كان وافر المتاع فكان القيان يواصلنه ويكثرن عنده ويهدين إليه الفواكه والنبيذ
والطيب فيدعو بأبي فيعاشره فهويته قينة من قيان البصرة كانت من أحسن الناس وجها فبعثت إلى داود برقعة طويلة
جدا تعاتبه فيها وتستجفيه وتستزيره فسأل أبي أن يجيبها عنه فقال أبي أكتب يا بني قبل أن أجيب عنها
(وابلائي من طول هذا الكتاب ... أسْعِدُوني عليه يا أصحابي)
(أسْعِدُوني على قِرَاةِ كتابٍ ... طولُه مثل طولِ يوم الحساب)
(إنَّ فيه منِّي البَلاءَ مُلَقَّى ... ولغيري فيه الهوَى والتَّصابي)
(وله الودُّ والهوى وعلينا ... فيه للكاتبين رَدُّ الجوابِ)
(ثم ممن يا سيِّدي وإلى من ... مِن هَضِيمِ الحَشا لَعُوبٍ كَعَاب)
((وإلى مَنْ إنْ قلتُ فيه بِعَيْب ... لم أُحِطْ في مقالتي بالصواب
(لا يُساوي على التأمُّلِ والتفتيش ... يوماً في الناس كفَّ تراب)
فقال عبد الله وكان أبي إذا انصرف من مجلس فيه داود هذا أخذه معه فيمشي قدامه فإن كان في الطريق طين أو بئر أو
أذى لقي داود شره وحذره أبي فمات داود وانصرف أبي ذات ليلة وهو سكران فعثر بدكان وتلوث بطين ودخل في رجله
عظم ولقي عنتا فقال يرثي داود
رثاؤه لداود
(أقولُ والأرضُ قد غَشَّي وَجَلَّلَها ... ثوبُ الدُّجَى فَهْوَ فوق الأرض ممدود)
(وسدَّ كلَّ فُروج الجوِّ مُنْطَبِقاً ... وكلُّ فَرْجٍ به في الجوِّ مسدود)
(وفي الوَداعِ وفي الإبداءِ لي عَنَتٌ ... دون المسير وبابُ الدار مسدود)
(مَن لِي بداودَ في ذي الحالِ يُرْشِدني ... مَن لي بداود لَهْفي أين داوُدُ)
(لَهْفي على رِجْله ألاّ أقدِّمَها ... قُدَّامَ رجلي فَتَلْقاها الجَلاميد)
(إذ لا أزال إذا أقبلتُ ينكُبُني ... حَرْفٌ وجُرْفٌ ودُكّانٌ وأُخدود)
(فإن تكن شوكةٌ كانت تحَلُّ به ... أو نكتةٌ في سواد الليل أو عُودُ)
أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان الهاشمي قال هجمت
شاة منيع البقال على دار ابن يسير وهو غائب وكانت له قراطيس فيها أشعار وآداب مجموعة فأكلتها كلها فقال في ذلك
(قل لِبُناة الآداب ما صَنَعَتْ ... منها إليكم فلا تُضِيعُوها)
(وضمِّنوها صُحْفَ الدَّفاترِ بالحِبرِ ... وحُسْنَ الخُطوطِ أوعُوها)
(فإن عجزتم ولم يكن عَلَفٌ ... تُسِيغُه عندكم فبيعوها)

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني ابن شبل البرجمي قال كان محمد بن يسير يعاشر يوسف بن جعفر بن سليمان وكان يوسف أشد خلق الله عربدة وكان يخاف لسان ابن يسير فلا يعربد عليه ثم جرى بينهما ذات يوم كلام على النبيذ ولحاء فعربد يوسف عليه وشجه فقال ابن يسير يهجوه
(لا تجلسَنْ مع يوسفٍ في مجلسٍ ... أبداً ولم تحملْ دَمَ الأخوَيْن)
(رَيْحانُه بدم الشباب مُلَطَّخٌ ... وتحيَّةُ النَّدْمانِ لَطْمُ العين)
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني الحسين بن يحيى المنجم قال حدثني أبو علي بن الخراساني قال
كان لمحمد بن يسير البصري بابان يدخل من أحدهما وهو الأكبر ويدخل إليه إخوانه من الباب الآخر وهو الأصغر ومن يستشرط من المرد فجاء يوما غلام قد خرجت لحيته كانت عادته أن يدخل من الباب الأصغر فمر من ذلك الباب فجعل يخاصم لدالته وبلغ ابن يسير فكتب إليه
(قُلْ لِمَنْ رامَ بجَهْلٍ ... مَدْخَلَ الظَّبي الغرير)
(بعد أن علّق في خدَّيه ... مِخلاةَ الشَّعير)
(ليتَه يدخل إنْ جاء ... من الباب الكبير)
وأخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان قال كنا في مجلس ومعنا محمد بن يسير وعمرو القصافي وعندنا مغنية حسنة الوجه شهلة تغني غناء حسنا فكنا معها في أحسن يوم وكان القصافي يعين في كل شيء يستحسنه ويحبه فما برحنا من المجلس حتى عانها فانصرفت محمومة شاكية العين فقال ابن يسير
(إنّ عمراً جَنَى بعينيه ذنباً ... قَلَّ منّي فيه عليه الدُّعاءُ)
(عانَ عَيْناء فعينُه للتي عان ... فِدًى وقَلَّ منه الفِداءُ)
(شرُّ عينٍ تَعِينُ أحسن عينٍ ... تحمِلُ الأرضُ أو تُظِلُّ السماءُ)
شعره في حمار أبى عليه
أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا القاسم بن الحسن قال استعار ابن يسير من بعض الهاشميين من جيرانه حمارا كان له ليمضي عليه في حاجة أرادها فأبى عليه فمضى إليها ماشيا وكتب إلى عمرو القصافي وكان جارا للهاشمي وصديقا يشكوه إليه ويخبره بخبره
(إنْ كنتُ لا عَيْرَ لي يوماً يُبلِّغني ... حاجي وأقضي عليه حقَّ إخوانِي)
(وضَنَّ أهلُ العواري حين أسألهم ... من أهل ودّي وخُلْصاني وجيراني)
(فإنَّ رجْلَيَّ عندي لا عَدِمتُهما ... رِجْلاً أخي ثقةٍ مُذْ كان جَوْلاني)
(تُبلِّغانِيَ حاجاتي وإن بَعُدتْ ... وتُدنيانِي مما ليس بالداني)
(كأنَّ خَلْفِي إذا ما جدَّ جِدُّهما ... إعصارَ عاصفةٍ مما تُثِيران)
(رِجلايَ لم تألَمَا نَكْباً كأنَّهما ... قَطّاً وقَدّاً وإدماجاً مَدَاكانِ)
(كأن ما بهما أخطو إذا ارتَهيا ... في سِكَّةٍ من أي ذاك سماكان)
(إنْ تُبْعَثا في دَهاسٍ تَبْعَثا رَهَجاً ... أو في حُزُونٍ ذَكَا فيها شِهابانِ)
(فالحمدُ للهِ يا عمرُو الذي بهما ... عن العواري وعن ذا الناسِ أغناني)
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن داود بن الجراح قال حدثني محمد بن سعد الكراني قال
كنا في حلقة التوزي فلما تقوضت أنشدنا محمد بن يسير لنفسه قوله
(جُهْدُ المُقِلِّ إذا أعطاه مصطبراً ... ومُكْثِرٍ من غِنىً سِيَّانِ في الجود)
(لا يَعْدَمُ السائلون الخيرَ أفْعَلُه ... إمَّا نَوالي وإمَّا حُسْنَ مردود)
فقلنا له ما هذا التكارم وقمنا إلى بيته فأكلنا من جلة تمر كانت عنده أكثرها وحملنا بقيتها فكتب إلى والي البصرة عمر بن حفص
(يا أبا حَفْصٍ بِحُرْمتنا ... عَنِّ نَفْساً حين تَنْتَهِكُ)
(خُذْ لنا ثأراً بجُلَّتنا ... فبِكَ الأوتارُ تُدَّرَكُ)
(كَهْفُ كفِّي حين تَطْرَحُها ... بين أيدي القوم تَبْتَرِكُ)
(زارنا زَوْرٌ فلا سَلِموا ... وأُصِيبوا أيَّةً سَلَكُوا)
(أكلوا حتّى إذا شبِعُوا ... أخذوا الفضلَ الذي تركوا)
قال فبعث إلينا فأحضرنا فأغرمنا مائة درهم وأخذ من كل واحد منا جلة تمر ودفع ذلك إليه
أخباره مع أحمد بن يوسف وأبي عمرو المديني
أخبرني الأخفش قال حدثنا أبو العيناء قال كان بين محمد بن يسير وأحمد بن يوسف الكاتب شر فزجه أحمد يوما بحماره تعرضا لشره وعبثا به فأخذ ابن يسير بأذن الحمار وقال له قل لهذا الحمار الراكب فوقك لا يؤذي الناس فضحك أحمد ونزل فعانقه وصالحه
أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن علي الشامي قال طلب محمد بن يسير من ابن أبي عمرو المديني فراخا من الحمام الهداء فوعده أن يأخذها له من المثنى بن زهير ثم نور عليه أي أعطاه فراخا غير منسوبة دلسها عليه وأخذ المنسوبة لنفسه فقال محمد بن يسير
(يا رَبَّ رَبِّ الرائحينَ عشيَّةً ... بالقومِ بين مِنًى وبين ثَبِير)
(والواقفين على الجبالِ عشيةً ... والشمسُ جانحةٌ إلى التغوير)
(حتى إذا طفَلَ العَشِيُّ ووجَّهتْ ... شمسُ النهارِ وآذنَتْ بغُؤُور)
(رحلوا إلى خَيْفِ نَواحِلَ ضمَّها ... طُولُ السِّفارِ وبُعْدُ كلِّ مسير)
(ابْعَثْ على طيرِ المَدِينيِّ الذي ... قال المُحالَ وجاءني بغُرور)
(ابعث على عَجَلٍ إليها بعدما ... يأخُذْنَ زينتَهنَّ في التجسير)
(في كلِ ما وَصَفُوا المراحِلَ وابتَدَوْا ... في المُبْتَدِينَ بِهنَّ والتكسير)
(ومَضَيْن عن دُورِ الخُرَيْبَةِ زُلْفةً ... دونَ القصورِ وحَجْرَةِ الماخُور)

(مع كلِّ ريحٍ تَغتدي بِهُبُوبها ... في الجوِّ بين شَواهِنٍ وصُقور)
(من كلِّ أكلَفَ بات يَدْجُنُ ليلُهُ ... فغدا بِغُدْوةِ ساغِبٍ ممطور)
(ضَرِمٍ يقلِّبُ طَرْفَه متأنِّساً ... شيئاً فكُنَّ له من التقدير)
(يأتي لهنَّ مَيامِناً ومَيَاسراً ... صَكّاً بكل مُزَلِّقٍ مَمْكُور)
(مِن طائِرٍ مُتَحيِّرٍ عن قصدِهِ ... أو ساقِطٍ خَلِج الجَنَاح كَسِير)
(لم يَنجُ منه شريدهن فإنْ نجا ... شيءٌ فصار بجانبات الدُّور)
(لِمُشمِّرين عن السواعد حُسَّرٍ ... عنها بكل رَشِيقةِ التَّوتير)
(سُدُدِ الأكُفِّ إلى المَقاتِلِ صُيَّبٍ ... سَمْتَ الحتوفِ بجُؤْجُؤٍ ونُحور)
(لِيس الذي تُخطِي يداه رَمِيَّةً ... منهم بمعدودٍ ولا معذور)
(يَتَبوَّعون وتمتطي أيديهم ... في كل مُعْطِيةِ الجِذابِ نَتُور)
(عُطُفَ السِّياتِ دوائراً في عِطْفِها ... تُعْزَى صناعتُها إلى عُصْفُور)
(يَنْفُثْنَ عن جَذْبِ الأكُفِّ ثواقِباً ... مُتَشابِهَاتِ القَدِّ والتدوير)
(تجري بِها مُهَجُ النفوس وإنَّها ... لَنواصِلٌ سُلِبْتْ من التَّحبير)
(ما إن تُقَصِّرُ عن مَدَى مُتَباعِدٍ ... في الجوِّ يَحْسُرُ طَرْفَ كلِّ بصير)
(حتَّى تراه مُزَمَّلاً بدِمائه ... فكأنَّه مُتَضمِّخٌ بِعَبير)
(فَيَظَلُّ يومُهم بعيشٍ ناصِبٍ ... نُصُبَ المَراجِلِ مُعجِّلِي التنوير)
(ويؤوبُ ناجِيهن بين مُضَرَّجٍ ... بِدَمٍ ومخلوبٍ إلى مَنسُور)
(عاري الجَنَاح من القَوَادِمِ والقَرَا ... كَاسٍ عليه مائِرُ التَّامُور)
(فيؤوده مُتَبهْنِسٌ في مشيه ... خَطِفُ المؤخَّرِ مُشبَعُ التصدير)
(ذو حُلْكَةٍ مثل الدُّجى أو غُبْنَةٍ ... شَغِبٌ شديدُ الجِدِّ والتشمير)
(فيمرُّ منها في البَرَارِي والقُرَى ... من كل أعْصَلَ كالسِّنان هَصُور)
(في حين تُؤْذِيها المَبايِتُ مَوْهِناً ... أو بعد ذلك آخِرَ التسحير)
(يختصّ كلَّ سليلِ سابقِ غايةٍ ... مَحْضِ النِّجار مُجَرَّبٍ مخبُور)
(عَجِّلْ عليه بما دعوتُ له به ... أرِه بذاك عقوبةَ التَّنوير)
(حتى يقولَ جميعُ مَنْ هو شامِتٌ ... هذي إجابةُ دعوة ابن يسير)
(فَلأَلْفِيَنَّكَ عند حالَيْ حَسْرَةٍ ... وتأسُّفٍ وتَلَهُّفٍ وزَفِير)
(ولَتُلْفَيَنَّ إذا رَمَتْكَ بسهمها ... أيدي المصائب منك غيرَ صبور)
أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان قال خرجنا مع بعض ولد النوشجاني إلى قصر له في بستانهم بالجعفرية ومعنا محمد بن يسير وكان ذلك القصر من القصور الموصوفة بالحسن فإذا هو قد خرب واختل فقال فيه محمد بن يسير
(ألا يا قصرُ قَصْرَ النُّوشَجَانِي ... أرى بك بعد أهْلِكَ ما شجاني)
(فَلَوْ أعفَى البلاءُ ديارَ قومٍ ... لفضلٍ منهمُ ولعُظْمِ شانِ)
(لَمَا كانت تُرَى بك بيِّناتٍ ... تلوح عليك آثارُ الزمان)
ماذا قال في رثاء نفسه
أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا محمد بن أبي حرب قال أنشدنا يوما محمد بن يسير في مجلس أبي محمد الزاهد صاحب الفضيل بن عياض لنفسه قال
(وَيْلٌ لِمَنْ لم يرحَمِ الله ... ومَنْ تكونُ النارُ مَثواهُ)
(واغَفلَتَا في كلِّ يومٍ مضى ... يُذكِرُني الموتَ وأنساهُ)
(مَنْ طالَ في الدُّنيا بِهِ عُمْرُه ... وعاشَ فالموتُ قُصارَاهُ)
(كأنَّه قد قيلَ في مجلسٍ ... قد كُنْتُ آتِيهِ وأغْشَاهُ)
(محمدٌ صارَ إلى ربِّهِ ... يرحَمُنا اللهُ وإيَّاهُ)
قال فأبكى والله جميع مَن حضر
قصته مع داود بن أحمد بن أبي داود
أخبرني الحسن بن علي وعمي قالا حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أبو الشبل قال كان محمد بن يسير صديقا لداود بن أحمد بن أبي دواد كثير الغشيان له ففقده أهله أياما وطلبوه فلم يجدوه وكان مع أصحاب له قد خرجوا يتنزهون فجاؤوا إلى داود بن أحمد يسألونه عنه فقال لهم أطلبوه في منزل حسن المغنية فإن وجدتموه وإلا فهو في حبس أبي شجاع صاحب شرطة خمار التركي فلما كان بعد أيام جاءه ابن يسير فقال له إيه أيها القاضي كيف دللت علي أهلي قال كما بلغك وقد قلت في ذلك أبياتا قال أو فعلت ذلك أيضا زدني من برك هات أيش قلت فأنشده
(ومُرسلةٍ تُوجِّهُ كلَّ يومٍ ... إليَّ وما دعا للصبحِ داعي)
(تُسائلني وقد فَقَدوه حتَّى ... أرادوا بعده قَسْمَ المتاعِ)
(إذا لم تَلْقَه في بيت حُسْنٍ ... مقيماً للشَّرابِ وللسَّماعِ)
(ولم يُرَ في طريق بني سَدُوسٍ ... يَخُطُّ الأرضَ منه بالكُراعِ)
(يَدُقُّ حُزونَها بالوجه طَوْراً ... وطَوْراً باليدين وبالذِّراعِ)
(فقد أعياك مَطْلَبُه وأمسى ... فلا تَغْلَطْ حَبِيسَ أبي شُجاع)
قال فجعل ابن يسير يضحك ويقول أيها القاضي لو غيرك يقول لي هذا لعرف خبره ثم لم يبرح ابن يسير حتى أعطاه داود مائتي درهم وخلع عليه خلعة من ثيابه
أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني علي بن القاسم طارمة قال كنت مع المعتصم لما غزا الروم فجاء بعض سراياه بخبر عمه فركب من فوره وسار أجد سير وأنا أسايره فسمع منشدا يتمثل في عسكره
(إنَّ الأمور إذا انْسَدَّتْ مَسالِكُها ... فالصبرُ يَفْتَحُ منها كلَّ ما ارتَتَجا)

(لا تيأسَنَّ وإنْ طالتْ مطالبَةٌ ... إذا استعنتِ بصبر أن ترى فَرَجا)
فسر بذلك وطابت نفسه ثم التفت إلي وقال لي يا علي أتروي هذا الشعر قلت نعم قال من يقوله قلت محمد بن يسير فتفاءل باسمه ونسبه وقال أمر محمود وسير سريع يعقب هذا الأمر ثم قال أنشدني الأبيات فأنشدته قوله
(ماذا يكلِّفُكَ الرَّوْحاتِ والدُّلَجَا ... البَرَّ طوراً وطوراً تركَبُ اللُّجَجَا
(كَمْ مِنْ فَتىً قَصُرَتْ في الرِّزْقِ خُطْوَتُهُ ... ألفيتَهُ بِسِهامِ الرزق قد فَلَجا)
(لا تيأسَنَّ وإنْ طالَتْ مُطالبَةٌ ... إذا استعنت بصبر أن ترى فَرَجا)
(إنَّ الأمور إذا انْسَدَّتْ مسالِكُها ... فالصبرُ يفتح منها كلَّ ما ارْتَتَجا)
(أخْلِقْ بذي الصبر أن يحظَى بحاجته ... ومُدْمِنِ القَرْعِ للأبوابِ أن يَلِجَا)
(فاطْلُبْ لرجلك قبل الخَطْوِ مَوْضِعَها ... فَمَنْ عَلاَ زَلَقاً عن غِرَّة زَلَجَا)
(ولا يَغُرَّنْك صَفْوٌ أنت شاربُهُ ... فربّما كان بالتكدير مُمْتَزِجا)
(لا يُنْتِجُ النّاسُ إلا من لِقاحِهِمُ ... يبدو لِقاحُ الفتى يوماً إذا نتِجَا)
متفرقات من شعره
أخبرني عيسى بن الحسين والحسن بن علي وعمي قالوا حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو الشبل قال كنا عند قثم بن جعفر بن سليمان ذات يوم ومعنا محمد بن يسير ونحن على شراب فأمر أن نبخر ونطيب فأقبلت وصيفة له حسنة الوجه فجعلت تبخرنا وتغلفنا بغالية كانت معه فلما غلفت ابن يسير وبخرته التفت إلي وكان إلى جنبي فأنشدني
(يا باسطاً كفَّه نَحْوي يُطَيِّبني ... كَفَّاكَ أطيبُ يا حِبِّي من الطِّيب
(كفَّاكَ يجري مكانَ الطِيبِ طِيبُهما ... فلا تزدْني عليها عند تطييبي)
(يا لائمي في هواها أنتَ لم ترَها ... فأنت مُغْرىً بتأنيبي وتعذيبي)
(أنْظُرْ إلي وجهها هل مِثْلُ صورتها ... في الناس وجهٌ مُجَلّى غيرُ محجوبِ)
فقلت له أسكت ويلك لا تصفع والله وتخرج فقال والله لو وثقت بأن نصفع جميعا لأنشدنه الأبيات ولكني أخشى أن أفرد بالصفع دونك
أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا الكراني قال حدثنا الرياشي قال كان محمد بن يسير جالسا في حلقتنا في مسجد البصرة وإلى جانبنا حلقة قوم من أهل الجدل يتصايحون في المقالات والحجج فيها فقال ابن يسير اسمعوا ما قلت في هؤلاء فأنشدنا قوله
(يا سائلي عن مقالة الشِّيَعِ ... وعن صنوفِ الأهواءِ والبِدَعِ)
(دَعْ عَنْكَ ذِكْرَ الأهواءِ ناحيةً ... فليس ممن شَهِدتُ ذو وَرَعِ)
(كلُّ أُناسٍ بَدِيُّهم حسَنٌ ... ثم يصيرون بعدُ للشُّنَعِ)
(أكثرُ ما فيه أن يقالَ لهم ... لم يكُ في قوله بِمُنْقَطِعِ)
أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن علي الشامي قال كان محمد بن يسير يصف نفسه بالذكاء والحفظ والاستغناء عن تدوين شيء يسمعه من ذلك قوله
(إذا ما غدا الطُّلاَّبُ للعلم ما لهم ... من الحظِّ إلا ما يُدَوَّن في الكُتْبِ)
(غدوتُ بتشمير وجِدٍّ عليهمُ ... فَمِحبَرتي أُذْني ودفْتَرُها قلبي
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال كان إبراهيم بن رياح إذا حزبه الأمر يقطعه بمثل قول محمد بن يسير
(تُخْطِي النفوسُ مع العيانِ ... وقد تُصيب معَ المَظِنَّهْ)
(كم من مَضِيقٍ في الفضاء ... ومَخْرَجٍ بين الأسِنَّهْ)
أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني الحسن بن أبي السري قال مر ابن يسير بأبي عثمان المازني فجلس إليه ساعة فرأى من في مجلسه يتعجبون من نعل كانت في رجله خلق وسخة مقطعة فأخذ ورقة وكتب فيها
(كم أرى ذا تَعَجُّبٍ من نِعالي ... ورضائي منها بِلُبْس البَوَالِي)
(كلُّ جَرْداء قد تكتفيها ... من أقطارها بسود النِّقال)
(لا تداني وليس تُشْبِه في الخِلْقةِ ... إن أُبْرِزَتْ نِعالَ المَوالِي)
(مَنْ يُغالِ مِن الرجالِ بنَعْلٍ ... فسِوايَ إذاً بِهِنَّ يُغالي)
(لو حَذَاهُنَّ للجمالِ فإنِّي ... في سواهُنَّ زينتي وجمالي
(في إخائي وفِي وفائي ورأيي ... ولساني ومَنْطِقِي وفعالي)
(ما وقاني الحفَا وبلَّغني الحاجةَ ... منها فإنَّني لا أُبالي)
أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني عبد الله بن محمد بن يسير قال دعا قثم بن جعفر بن سليمان أبي فشرب عنده فلما سكر سرق منه ألواح آبنوس كانت تكون في كمه فقال في ذلك
(عَيْنُ بَكِّي بِعَبْرَةٍ تَسْفَاحِ ... وأقيمي مأتمَ الألواحِ)
(أوْحشتْ حُجْرَتي ورُدْنايَ منها ... في بُكُوري وعند كُلِّ رَوَاحِ)
(واذكُريها إذا ذَكَرْتِ بما قد ... كان فيها من مَرْفِقٍ وصلاحِ)
(آبنُوسٌ دَهْماءُ حالِكَةُ اللَّوْنِ ... لُبَابٌ من اللِّطافِ المِلاحِ)
(ذاتُ نفعٍ خفيفةُ القَدْرِ والمَحْمِلِ ... حُلْكُوكَةُ الذُّرا والنواحي)
(وسريعٌ جُفُونُها إنْ محاها ... عند مُمْلٍ مُستعجِلُ القومِ ماحي)
(هي كانت على عُلومي والآدابِ ... والفقهِ عُدَّتي وسِلاحِي)
(كنت أغدو بها على طلب العِلمِ ... إذا ما غَدوتُ كلَّ صباحِ
(هي كانت غِذَاءَ زَوْرِي إذا زارَ ... وَرِيَّ النديمِ يومَ اصطباحي)
يعني أنه يعمل فيها الشعر ويطلب لزواره المأكول والمشروب
(آبَ عُسْرِي وغاب يُسْرِي وجُودي ... حين غابتْ وغاب عنِّي سَماحِي)

هجاؤه أحمد بن يوسف
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أحمد قال كان محمد بن يسير يعادي أحمد بن يوسف فبلغه أنه يتعشق جارية سوداء مغنية فقال ابن يسير يهجوه
(أقولُ لمَّا رأيتُهُ كَلِفاً ... بكلِّ سوداءَ نَزْرَةٍ قَذِرَهْ)
(أهلٌ لعمري لِمَا كَلِفتَ به ... عند الخنازير تَنْفُقُ العَذِرَهْ)
أخبرني وكيع قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا أبو العواذل قال عوتب محمد بن يسير على حضور المجالس بغير ورق ولا محبرة وأنه لا يكتب ما يسمعه فقال
(ما دخلَ الحَمَّامَ مِنْ عِلْمِي ... فذاكَ ما فازَ به سَهْمِي)
(والعِلْمُ لا ينفَعُني جَمْعُهُ ... إذا جَرَى الوهمُ على فهمي)
أخبرني علي بن سليمان الاخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال كان محمد بن يسير يعاشر ولد جعفر بن سليمان فأخذ منه قثم بن جعفر ألواح آبنوس كان يكتب فيها بالليل فقال ابن يسير في ذلك
(أبقتِ الألواحُ إذْ أُخِذَتْ ... حُرْقَةً في القلبِ تَضْطَرِمُ)
(زانَها فَصَّانِ من صَدَفٍ ... واحْمِرَارُ السَّيْرِ والقلمُ)
(وتولَّى أخذَها قُثَمٌ ... لا تولَّى نفعَها قُثَمُ)
أخبرني الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال كان محمد بن يسير يعاشر بعض الهاشميين ثم جفاه الهاشمي لملال كان فيه فكتب إليه ابن يسير قوله
(قد كنتُ مُنْقَبِضاً وأنتَ بَسَطْتَنِي ... حتى انبسطتُ إليكَ ثم قَبَضْتَنِي)
(أذْكَرْتَنِي خُلُقَ النِّفاقِ وكان لي ... خُلُقاً فقد أحسنتَ إذ أذْكَرْتَنِي)
(لو دامَ ودّك وانبسطتُ إلى امرئٍ ... في الودّ بعدك كنتَ أنت غررتَني)
(فَهَلُمَّ نَجْتَذِبُ التَّذاكُرَ بَيْنَنَا ... ونعودُ بعدُ كأنَّنا لم نَفْطَنِ)
شعره بعد أن أفاق من سكره
أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا مسعود بن يسير قال
شرب محمد بن يسير نبيذا مع قوم فأسكروه حتى خرج من عندهم وهو لا يعقل فأخذ رداءه وعثر في طريقه وأصاب وجهه آثار فلما أفاق أنشأ يقول
(شاربتُ قوماً لم أُطِقْ شُرْبَهُمْ ... يَغْرَقُ في بَحْرِهِمُ بَحْرِي)
(لمَا تَجارَيْنا إلى غايةٍ ... قصَّر عن صبرهم صبري)
(خرجتُ من عندهم مُثْخَناً ... تَدفعُني الجُدْرُ إلى الجُدْرِ)
(مُقَبَّحَ المَشيِ كَسِيرَ الخُطَا ... تَقْصُرُ عند الجِدِّ عن سَيْرِي)
(فلستُ أنسَى ما تجشَّمْتُ مِنْ ... كَدْحٍ ومِنْ جُرْحٍ ومن أثْرِ)
(وشَقَّ ثوبٍ وتوَى آخرٍ ... وسَقْطَةٍ بانَ بها ظُفْرِي)
حدثني عمي وجحظة عن أحمد بن الطيب قال حدثنا بعض أصحابنا عن مسعود بن يسير ثم ساق الخبر مثله سواء
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو العيناء قال اجتمع جعيفران الموسوس ومحمد بن يسير في بستان فنظر إلى محمد بن يسير وقد انفرد ناحية للغائط ثم قام عن شيء عظيم خرج منه فقال جعيفران
(قد قلتُ لابن يَسِيرٍ ... لمَّا رمَى من عِجانِهْ)
((في الأرض تَلَّ سَمادٍ ... عَلاَ على كُثْبانهْ)
(طُوبَى لصاحب أرضٍ ... خَرِئْتَ في بُستانه)
قال فجعل ابن يسير يشتم جعيفران ويقول أي شيء أردت مني يا مجنون يا بن الزانية حتى صيرتني شهرة بشعرك
كتب شعرا إلى والي البصرة يستسقيه فيه نبيذا
أخبرني جحظة قال حدثني سوار بن أبي شراعة قال حدثني عبد الله بن محمد بن يسير قال كان أبي مشغوفا بالنبيذ مشتهرا بالشرب وما بات قط إلا وهو سكران وما نبذ قط نبيذا وإنما كان يشربه عند إخوانه ويستسقيه منهم فأصبحنا بالبصرة يوما على مطر هاد ولم تمكنه معه الحركة إلى قريب من إخوانه ولا بعيد وكاد يجن لما فقد النبيذ فكتب إلى والي البصرة وكان هاشميا وهو محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان قال
(كَمْ في عِلاجِ نَبيذِ التمر لي تَعَبٌ ... الطبخُ والدَّلْكُ والمِعْصارُ والعَكَرُ)
(وإنْ عَدَلْتُ إلى المطبوخ مُعْتَمِداً ... رأيتَني منه عند الناس أشتهرُ)
(نَقْلُ الدِّنانِ إلى الجِيرانِ يَفْضَحُني ... والقِدْرُ تتركني في القوم أعتذِرُ)
(فصِرْتُ في البيت أستسقي وأطلبه ... من الصَّدِيقِ ورُسْلي فيه تَبْتَدِرُ)
((فمِنهُم باذِلٌ سَمْحٌ بِحاجتنا ... ومِنهمُ كاذبٌ بالزُّور يَعْتذِر
(فَسقِّني رِيَّ أيَّامٍ لتمنَعَني ... عمَّنْ سِواكَ وتُغْنيني فقد خَسِروا)
(إن كَانِ زِقٌّ أو فَوارَةٌ ... من الدَّساتِيج لا يُزْرِي بها الصِّغَرُ)
(وإنْ تَكُنْ حاجتي ليستْ بحاضِرةٍ ... وليس في البَيْتِ من آثارها أثَرُ)
(فاسْتَسْقِ غيرَك أو فاذْكُرْ له خَبَري ... إنِ اعْتَراكَ حَياءٌ منه أو حَصَرُ)
(ما كان من ذلكم فليأتني عَجِلاً ... فإنَّني واقفٌ بالبابِ أنتظرُ)
(لاَ لي نبيذٌ ولا حُرٌّ فيدعوني ... وقد حَمَانِي من تَطْفِيلِيَ المَطَرُ)
قال فضحك لما قرأها وبعث إليه بزق نبيذ ومائتي درهم وكتب إليه اشرب النبيذ وأنفق الدراهم إلى أن يمسك المطر ويتسع لك التطفيل ومتى أعوزك مكان فاجعلني فيئة لك والسلام
صوت
(أنتَ حَدِيثي في النومِ واليَقظَهْ ... أتْعَبْتُ ممَّا أهْذي بك الحَفَظَهْ)
(كم واعظٍ فيك لي وواعظةٍ ... لو كنتُ ممن تنهاه عنك عِظَةْ)
الشعر لديك الجن الحمصي والغناء لعريب هزج ذكر ذلك ذكاء وجه الرزة وقمري جميعا والله أعلم

أخبار ديك الجن ونسبه

ديك الجن لقب غلب عليه واسمه عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن يزيد بن تميم وكان جده تميم ممن أنعم الله عز وجل عليه بالإسلام من أهل مؤتة على يدي حبيب بن مسلمة الفهري وكان شديد التشعب والعصبية على العرب يقول ما للعرب علينا فضل جمعتنا وإياهم ولادة إبراهيم صلى الله عليه وسلم وأسلمنا كما أسلموا ومن قتل منهم رجلا منا قتل به ولم نجد الله عز وجل فضلهم علينا إذ جمعنا الدين

وهو شاعر مجيد يذهب مذهب أبي تمام والشاميين في شعره من شعراء الدولة العباسية وكان من ساكني حمص ولم يبرح نواحي الشام ولا وفد إلى العراق ولا إلى غيره منتجعا بشعره ولا متصديا لأحد وكان يتشيع تشيعا حسنا وله مراثٍ كثيرة في الحسين بن علي عليهما السلام منها قوله

(يا عينُ لا لِلقضَا ولا الكُتُبِ ... بُكَا الرَّزَايَا سِوَى بُكَا الطَّرَبِ)

وهي مشهورة عند الخاص والعام ويناح بها وله عدة أشعار في هذا المعنى وكانت له جارية يهواها فاتهمها بغلام له فقتلها واستنفد شعره بعد ذلك في مراثيها

هجاؤه ابن عمه

قال أبو الفرج ونسخت خبره في ذلك من كتاب محمد بن طاهر أخبره بما فيه ابن أخ لديك الجن يقال له أبو وهب الحمصي قال كان عمي خليعا ماجنا معتكفا على القصف واللهو متلافا لما ورث عن آبائه واكتسب بشعره من أحمد وجعفر ابني علي الهاشميين وكان له ابن عم يكنى أبا الطيب يعظه وينهاه عما يفعله ويحول بينه وبين ما يؤثره ويركبه من لذاته وربما هجم عليه وعنده قوم من السفهاء والمجان وأهل الخلاعة فيستخف بهم وبه فلما كثر ذلك على عبد السلام قال فيه

(مَولاتُنا يا غلامُ مُبْتَكِرَهْ ... فباكِرِ الكأسَ لي بلا نَظِرَه
(غَدَتْ على اللهو والمجونِ علي ... أن الفتاةَ الحَيِيَّةَ الخَفِرَهْ)
(لِحُبِّها لا عَدِمتُها حُرَقٌ ... مطويَّةٌ في الحَشَا ومُنْتَشِرَهْ)
(ما ذُقْتُ منها سوى مُقَبَّلِها ... وضَمِّ تلك الفُروعِ مَنْحَدِرَهْ)
(وانْتَهَرَتْني فَمِتُّ من فَرَقٍ ... يا حُسْنَها في الرِّضا ومُنْتَهِرَهْ)
(ثم انثنتْ سَوْرَةُ الخُمار بنا ... خِلال تلك الغدائر الخَمِرَهْ)
(ولِيلةٍ أشرفتْ بَكَلْكَلِها ... عَلَيَّ كالطَّيْلَسان مُعْتَجِرَهْ)
(فَتَقْتُ دَيْجُورَها إلى قَمَرٍ ... أثوابُهُ بالعفافِ مُسْتَتِرَهْ)
(عُجْ عَبَراتِ المُدام نحويَ مِن ... عَشْرٍ وعِشْرِين واثنَتَيْ عَشَرَهْ)
(قد ذُكرَ الناسُ عن قِيامِهِم ... ذِكْرِي بعقلي ما أصبحتْ نَكِرَهْ)
(مَعْرفتي بالصوابِ مَعْرِفَةٌ ... غَرَّاءُ إمَّا عَرَفْتُمُ النَّكِرهْ)
(يا عجباً مِن أبي الخبيثِ ومِن ... سُرُوجِه في البَقَائِرِ الدَّثِره)
((يَحْمِلُ رأساً تنبو المعاوِلُ عن ... صَفْحته والجلاميدُ الوَعِره
(لَو البِغالُ الكُمْتُ ارتقتْ سَنَداً ... فيهِ لَمَدَّتْ قوائماً خَدِرَهْ)
(ولا المجَانيقُ فيهِ مُغْنِيةٌ ... ألفٌ تَسامَى وألفُ مُنْكَدِرَهْ)
(أنظرِ إلى موضعِ المِقَصِّ مِن الهامَةِ ... تلكَ الصَّفيحةَ العَجِرَهْ)
(فلَوْ أخذتمْ لها المَطَارِقَ حَرَّانِيَّةً ... صَنْعةَ اليَدِ الخَبِرَهْ)
(إذاً لراحتْ أكُفُّ جِلَّتِهِمْ ... كَلِيلَةً والأداةُ مُنْكَسِرَهْ)
(كَمْ طَرِبَاتٍ أفْسدَتْهُنَّ وكَمْ ... صَفْوَةِ عَيْشٍ غادرتَها كَدِرَهْ)
(وكَمْ إذَا ما رَأوْكَ يا مَلَكَ الْمَوْتِ ... لهم مِنْ أناملٍ خَصِرَهْ)
(وكَمْ لهم دَعْوَةٍ عليكَ وكَمْ ... قَذْفةِ أمٍّ شَنْعاءَ مشْتَهِرَهْ)
(كريمةٍ لؤمُكَ استخَفَّ بِها ... ونالها بالمَثالِبِ الأشِرَهْ)
(قِفُوا على رَحْلِه تَرَوْا عَجَباً ... في الجَهْلِ يَحكي طرائِفَ البَصَرَهْ)
((يا كُلَّ مَنْيٍ وكلَّ طالعةٍ ... نَحْسٍ ويا كُلَّ ساعةٍ عَسِرَهْ
(سبحانَ مَنْ يُمْسِكُ السماءَ على الأرض ... وفيها أخلاقُكَ القَذِرَهْ)

خبره مع زوجه ورد

قال وكان عبد السلام قد اشتهر بجارية نصرانية من أهل حمص هويها وتمادى به الأمر حتى غلبت عليه وذهبت به فلما اشتهر بها دعاها إلى الإسلام ليتزوج بها فأجابته لعلمها برغبته فيها وأسلمت على يده فتزوجها وكان اسمها وردا ففي ذلك يقول

(انظر إلى شمسِ القُصورِ وبَدْرِها ... وإلى خُزَامَاها وبَهْجَةِ زَهْرِها)
(لم تَبْلُ عينُكَ أبيضاً في أسودٍ ... جمَعَ الجمالَ كوجْهِها في شَعْرِها)
(وَرْدِيَّةُ الوجَناتِ يَخْتبِرُ اسمَها ... من رِيقِها مَنْ لا يُحيطُ بخُبْرِها)
(وتمايلتْ فضَحِكْتُ من أردافِها ... عَجَباً ولكنِّي بَكَيْتُ لِخَصْرِها)
(تَسْقيكَ كأسَ مُدَامةٍ من كَفِّها ... ورْدِيَّةٍ ومُدامةً من ثَغْرِها)

قال وكان قد أعسر واختلت حاله فرحل إلى سلمية قاصدا لأحمد بن علي الهاشمي فأقام عنده مدة طويلة وحمل ابن عمه بغضه إياه بعد مودته له وإشفاقه عليه بسبب هجائه له على أن أذاع على تلك المرأة التي تزوجها عبد السلام أنها تهوى غلاما له وقرر ذلك عند جماعة من أهل بيته وجيرانه وإخوانه وشاع ذلك الخبر حتى أتى عبد السلام فكتب إلى أحمد بن علي

شعرا يستأذنه في الرجوع إلى حمص ويعلمه ما بلغه من خبر المرأة من قصيدة أولها

(إنَّ رَيْبَ الزمان طال انتكاثُه ... كَمْ رمتني بحادثٍ أحداثُهْ)

يقول فيها

(ظَبْيُ إنسٍ قلبي مَقِيلُ ضُحَاهُ ... وفُؤادي بَرِيرُهُ وكَبَاثُهْ)

وفيها يقول
(خِيفَةً أن يخونَ عَهْدِي وأن يُضْحِي ... لغيري حُجُوله ورعاثُهْ)
ومدح أحمد بعد هذا وهي طويلة فأذن له فعاد إلى حمص وقدر ابن عمه وقت قدومه فأرصد له قوما يعلمونه بموافاته باب حمص فلما وافاه خرج إليه مستقبلا ومعنفا على تمسكه بهذه المرأة بعد ما شاع من ذكرها بالفساد وأشار عليه بطلاقها وأعلمه أنها قد أحدثت في مغيبه حادثة لا يجمل به معها المقام عليها ودس الرجل الذي رماها به وقال له إذا قدم عبد السلام ودخل منزله فقف على بابه كأنك لم تعلم بقدومه وناد باسم ورد فإذا قال من أنت فقل أنا فلان فلما نزل عبد السلام منزله وألقى ثيابه سألها عن الخبر وأغلظ عليها فأجابته جواب من لم يعرف من القصة شيئا فبينما هو في ذلك إذ قرع الرجل الباب فقال من هذا فقال أنا فلان فقال لها عبد السلام يا زانية زعمت أنك لا تعرفين من هذا الأمر شيئا ثم اخترط سيفه فضربها به حتى قتلها وقال في ذلك
(ليتني لم أكُنْ لِعَطْفِكِ نِلْتُ ... وإلى ذلك الوِصالِ وصلتُ)
((فالذي منِّي اشتملت عليه ... أَلِعَارٍ ما قَدْ عليهِ اشتملتُ)
(قال ذو الجهل قد حَلُمْتَ ولا أَعْلَمُ ... أنِّي حَلُمْتُ حتى جَهِلْتُ)
(لائمٌ لي بجهله ولِماذا ... أنا وَحْدي أحببتُ ثم قتلتُ)
(سوف آسى طولَ الحياة وأبكيكِ ... على ما فعلت لا ما فعلتُ)
وقال فيها أيضا
(لَكِ نفسٌ مُواتِيَهْ ... والمَنَايَا مُعَادِيَهْ)
(أيّها القلبُ لا تَعُدْ ... بِهوَى البِيضِ ثَانِيَهْ)
(ليس بَرْقٌ يكون أخلبَ ... من بَرْقِ غانِيَهْ)
(خُنْتِ سِرِّي ولم أخُنْكِ ... فموتي علانِيَهْ)
قال وبلغ السلطان الخبر فطلبه فخرج إلى دمشق فأقام بها أياما وكتب أحمد بن علي إلى أمير دمشق أن يؤمنه وتحمل عليه بإخوانه حتى يستوهبوا جنايته فقدم حمص وبلغه الخبر على حقيقته وصحته واستيقنه فندم ومكث شهرا لا يستفيق من البكاء ولا يطعم من الطعام إلا ما يقيم رمقه وقال في ندمه على قتلها
(يا طلعةً طلع الحِمامُ عليها ... وجَنَى لها ثَمرَ الرَّدَى بِيَدَيْهَا)
(روَّيْتُ من دَمِها الثَّرَى ولطالَما ... روَّى الهوى شَفَتَيَّ من شَفَتَيْهِا)
(قد بات سَيْفِي في مَجال وِشاحِها ... ومَدامِعِي تجري على خَدَّيْها)
(فوَحَقِّ نَعْلَيْها وما وطئ الحَصَى ... شيءٌ أعَزُّ علَيَّ من نَعْلَيْها)
((ما كان قَتْلِيها لأني لم أكُنْ ... أبكِي إذا سَقَطَ الذُّبابُ عليها
(لكنْ ضَنَنْتُ على العيون بحُسْنها ... وأَنِفْتُ من نَظَرِ الحسودِ إليها)
وهذه الأبيات تروى لغير ديك الجن
أخبرني بها محمد بن زكريا الصحاف قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن منصور قال كان من غطفان رجل يقال له السليك بن مجمع وكان من الفرسان وكان مطلوبا في سائر القبائل بدماء قوم قتلهم وكان يهوى ابنة عم له وكان خطبها مدة فمنعها أبوها ثم زوجه إياها خوفا منه فدخل بها في دار أبيها ثم نقلها بعد أسبوع إلى عشيرته فلقيه من بني فزارة ثلاثون فارسا كلهم يطلبه بذحل فحلقوا عليه وقاتلهم وقتل منهم عددا وأثخن بالجراح آخرين وأثخن هو حتى أيقن بالموت فعاد إليها فقال ما أسمح بك نفسا لهؤلاء وإني أحب أن أقدمك قبلي قالت افعل ولو لم تفعله أنت لفعلته أنا بعدك فضربها بسيفه حتى قتلها وأنشأ يقول
(... يا طلعة طلع الحمام عليها)
وذكر الأبيات المنسوبة إلى ديك الجن ثم نزل إليها فتمرغ في دمها وتخضب به ثم تقدم فقاتل حتى قتل وبلغ قومه خبره فحملوه وابنة عمه فدفنوهما قال وحفظت فزارة عنه هذه الأبيات فنقلوها قال وبلغني أن قومه أدركوه وبه رمق فسمعوه يردد هذه الأبيات فنقلوها وحفظوها عنه وبقي عندهم يوما ثم مات
وقال ديك الجن في هذه المقتولة
(أشفقتُ أن لِبَلِيَّتِي يَردَ الزمانُ بغَدْرِهِ ... أو أُبْتَلَى بعد الوِصالِ بهَجْرِهِ)
(قَمَرٌ أنا استخرجْتُه من دَجْنِهِ ... لِبَلِيَّتِي وجَلَوتُه من خِدْرِهِ)
(فقتلته وله عليَّ كرامةٌ ... مِلْءَ الحَشى وله الفؤادُ بأسْرِهِ)
(عَهْدِي به مَيْتاً كأحسنِ نائمٍ ... والحُزْنُ يسفَحُ عَبْرتي في نحرِهِ)
(لو كانَ يَدْري المَيتُ ماذا بعدَه ... بالحيِّ حَلَّ بَكَى له في قَبْرِهِ)
(غُصَصٌ تكاد تفيظ منها نفسه ... وتكادُ تُخْرِج قَلْبَه مِنْ صَدْرِهِ)
وقال فيها أيضا
(أساكِنَ حُفْرَةٍ وقَرارَ لَحْدِ ... مُفارقَ خُلَّةٍ مِن بعد عهدِ)
(أجِبْني إن قَدَرْتَ على جوابي ... بحقِّ الوُدِّ كيف ظَلِلْتَ بَعْدي)
(وأين حَلَلْتَ بعدَ حلولِ قلبي ... وأحشائي وأضلاعي وكَبْدي)
(أمَا واللهِ لو عاينتَ وَجْدِي ... إذًا استعبرتَ في الظُّلُمات وَحدِي)
(وجِدَّ تَنَفُّسِي وعلا زَفِيري ... وفاضتْ عَبْرتي في صَحنِ خَدِّي)
(إذاً لعلِمْتَ أنِّي عن قريبٍ ... ستُحْفَرُ حُفْرتي ويُشَقُّ لَحْدِي)
(ويَعْذِلُني السفيهُ على بُكائي ... كأنِّي مبتلًى بالحزن وحدي)
(يقول قتلتَها سَفَهاً وجهلاً ... وتبكيها بكاءً ليس يُجدِي)
(كصيَّاد الطُّيورِ له انتحابٌ ... عليها وَهْوَ يذبحُها بحدِّ)
وقال فيها أيضا
(ما لامرئ بِيَدِ الدَّهْرِ الخَؤونِ يَدُ ... ولا على جَلَدِ الدُّنيَا له جَلَد)
(طُوبَى لأحبابِ أقوامٍ أصابَهُمُ ... من قَبْلِ أن عَشِقوا موتٌ فقد سَعِدوا)

(وحَقِّهِم إنَّه حقٌّ أضِنٌّ به ... لأُنْفِدَنَّ لهم دمعي كما نَفِدوا)
(يا دهرُ إنَّك مَسْقِيٌّ بكأسِهمُ ... ووارِدٌ ذلك الحوضَ الذي وَرَدُوا)
(الخَلْق ماضُونَ والأيامُ تَتْبَعُهم ... نَفْنَى جميعاً ويبقَى الواحدُ الصَّمَدُ)
وقال فيها
(أمَا آنَ للطَّيْفِ أن يأتِيَا ... وأن يَطْرُقَ الوَطَنَ الدَّانِيَا)
(وإنِّي لأحْسَبُ ريبَ الزَّمانِ ... يتركُني جَسَداً باليا)
(سأشكر ذلكَ لا ناسِياً ... جميلَ الصَّفاء ولا قاليا)
(وقد كنتُ أنشرُه ضاحكاً ... فقد صِرْتُ أنشره باكِيا)
وقال أيضا
(قُلْ لِمَنْ كانَ وجهُه كضياء الشَّمْس ... في حُسْنِه وبَدْرٍ مُنير)
(كنت زَيْنَ الأحياءِ إذ كنتَ فيهمْ ... ثم قَدْ صِرْتَ زَيْنَ أهلِ القُبور)
(بأبي أنت في الحياة وفي المَوْت ... وتحتَ الثرى ويوم النُّشور)
(خُنْتَنِي في المَغِيب والخَوْنُ نُكْرٌ ... وذميمٌ في سالفاتِ الدُّهورِ)
((فشفاني سَيْفِي وأسرعَ في حزٍّ ... التَّراقي قَطْعاً وحَزِّ النُّحور
قال أبو الفرج ونسخت من هذا الكتاب قال
تشبيبه بغلام له
كان ديك الجن يهوى غلاما من أهل حمص يقال له بكر وفيه يقول وقد جلسا يوما يتحدثان إلى أن غاب القمر
(دَعِ البَدْرَ فَلْيَغْرُبْ فأنتَ لنا بَدْرُ ... إذا ما تجلَّى منْ مَحَاسِنِكَ الفجرُ)
(إذا ما انقضَى سِحْرُ الذين ببابلٍ ... فطرْفُكَ لي سِحْرٌ وريقُكَ لي خمرُ)
(ولو قيل لي قُمْ فادْعُ أحسنَ من ترى ... لصِحتُ بأعلى الصوت يا بَكْرُ يا بَكْرُ)
قال وكان هذا الغلام يعرف ببكر بن دهمرد قال وكان شديد التمنع والتصون فاحتال قوم من أهل حمص فأخرجوه إلى متنزه لهم يعرف بميماس فاسكروه وفسقوا به جميعا وبلغ ديك الجن الخبر فقال فيه
(قُلْ لهضِيم الكَشْحِ مَيَّاسُ ... انْتَقَضَ العهدُ من النَّاس)
(يا طلعةَ الآس التي لم تَمِدْ ... إلاَّ أذَلَّتْ قُضُبَ الآس)
(وَثِقْتَ بالكأسِ وشُرَّابِها ... وحَتْفُ أمثالِك في الكاس)
(وحال ميماسٌ ويا بعدما ... بين مغيثيك وميماس)
((تَقْطِيعُ أنْفاسِك في أثْرِهِمْ ... ومِلْكِهِمْ قَطَّعَ أنفاسي
(لا بأسَ مولايَ على أنها ... نِهايةُ المكروهِ والباس)
(هي اللَّيالي ولها دولةٌ ... ووحشة من بعد إيناس)
(بَيْنَا أنافتْ وعلَتْ بالفتَى ... إذْ قيل حَطَّتْه على الرَّاس)
(فالهُ ودَعْ عنكَ أحاديثَهم ... سَيُصْبِحُ الذَّاكر كالنَّاسِي)
وقال فيه أيضا
(يا بكرُ ما فعلتْ بِكَ الأرطالُ ... يا دارُ ما فعلتْ بكِ الأيامُ)
(في الدار بَعْدُ بَقِيَّةٌ نستامُها ... إذ ليس فيكِ بَقِيَّةٌ تُستام)
(عَرِمَ الزَّمانُ على الدِّيار برَغْمِهِمْ ... وعليكَ أيضاً للزَّمان عُرامُ)
(شغَلَ الزمانُ كَراكَ في ديوانه ... فَتَفَرَّغتْ لِدَواتِكَ الأقلامُ)
وقال فيه أيضا
(قُولاَ لِبَكر بن دهْمَرْدٍ إذا اعتكرتْ ... عَسَاكِرُ اللَّيْلِ بين الطَّاس والجام)
(ألم أقُلْ لك إنَّ البغيَ مَهْلَكةٌ ... والبغيُ والعُجْبُ إفسادٌ لأقوام)
(قد كنتَ تَفْرَقُ مِن سَهْمٍ بغانيةٍ ... فصِرْتَ غيرَ رميمٍ رُقْعَةَ الرامي)
((وكنت تَفزعُ من لَمْسٍ ومِن قُبَلٍ ... فقد ذَلَلْتَ لإسراجٍ وإلجام
(إن تَدْمَ فَخْذاكَ مِن رَكْضٍ فَرُبَّتَمَا ... أُمْسِي وقلبي عليك المُوجَعُ الدامِي)
أخبرني أبو المعتصم عاصم بن محمد الشاعر بأنطاكية وبها أنشدني قصيدة البحتري
(مَلاَمَكَ إنَّه عهدٌ قريبٌ ... ورزْءٌ ما انقضتْ منه النُّدوبُ)
وأنشدني لديك الجن يعزي جعفر بن علي الهاشمي
(نَغْفُلُ والأيَّام لا تَغْفُلُ ... ولا لَنَا من زَمَنٍ مَوْئِلُ)
(والدَّهْرُ لا يَسْلَمُ من صَرْفِهِ ... أعصمُ في القُنَّة مُسْتَوْعِلُ)
(يَتَّخِذُ الشِّعْرَى شِعارا له ... كأنما الأُفْقُ له مَنْزِلُ)
(كأنَّه بين شَنَاظِيرِها ... بارقةٌ تَكْمُنُ أو تَمْثُلُ)
(ولا حَبَابٌ صَلَتَانُ السُّرَى ... أرقمُ لا يعرف ما يَجْهَلُ)
(نَضْناضُ فَيْفاءَ يرى أنَّه ... بالرملِ غانٍ وهُو المُرْمِلُ)
((يَطْلُبُ من فاجئةٍ مَعْقِلاً ... وهْوَ لما يطلُب لا يَعْقِلُ
(والدَّهرُ لا يسلَمُ من صَرْفِهِ ... مُسَرْبِلٌ بالسَّرْدِ مستبسِلُ)
(ولا عَقْنَبَاةُ السُّلاَمى لها ... في كُلِّ أُفْقٍ عَلَقٌ مُهْمَلُ)
(فَتْخاءُ في الجَوِّ خداريَّةٌ ... كالغَيم والغَيْمُ لها مُثْقِلُ)
(آمَنُ مَنْ كانَ لِصَرْفِ الرَّدَى ... أنزلَها من جوِّها مُنْزِلُ)
(والدَّهْرُ لا يَحْجُبُه مانِعٌ ... يحجبُه العامِلُ والمُنْصُلُ)
(يُصْغِي جَدِيدَاهُ إلى حُكْمِهِ ... ويَفْعَلُ الدهرُ بما يَفْعَلُ)
(كأنَّه مِنْ فَرْطِ عِزٍّ به ... أشْوَسُ إذ أقبلَ أو أقْبَلُ)

الأقبل الذي في عينه قبل وهو دون الحول
(في حَسَبٍ أوْفَى له جَحْفَلٌ ... يَقْدُمُه من رَأيِه جحفلُ)
(بينَا على ذلك إذ عَرَّشتْ ... في عَرْشِه داهيةٌ ضِئْبِلُ)
(إنْ يَكُ في العِزِّ له مِشْقَصٌ ... ماضٍ فقدْ تاحَ له مَقْتَلُ)
(جادَ على قَبْرِكَ مِنْ مَيِّتٍ ... بالرَّوْحِ ربٌّ لكَ لا يِبْخَلُ)
((وحَنَّت المُزْنُ على قبرِهِ ... بِعَارضٍ نَجْوتُه مُحفِلِ
(غيثٌ ترى الأرضَ على وَبْلِهِ ... تضحكُ إلا أنَّه يَهْمِلُ)
(يَصِلُّ والأرضُ تُصَلِّي له ... مِن صَلَوَاتٍ مَعَه تَسألُ)
(أنت أبا العَبَّاس عَبَّاسُها ... إذا استطار الحَدَثُ المُعْضِلُ)
(وأنت يَنْبُوعِ أفانينِها ... إذا هُمُ في سَنَةٍ أمحِلوا)
(وأنتَ عَلَّامُ غُيوبِ الثَّنَا ... يوماً إذا نَسْألُ أو نُسألُ)
(نحن نُعَزِّيكَ ومنك الهُدَى ... مُستَخْرَجٌ والنُّورُ مُستَقْبَلُ)
(نقول بالعقلِ وأنت الَّذي ... نأوي إليه وبهِ نَعْقِلُ)
(نحن فِدَاءٌ لك مِنْ أُمَّةٍ ... والأرضُ والآخِرُ والأوَّلُ)
(إذا غفا عنكَ وأَودَى بها ... ذا الدهرُ فَهْوَ المُحْسِنُ المُجْمِلُ)
شعره في رثاء جعفر بن علي الهاشمي
قال أبو المعتصم ثم مات جعفر بن علي الهاشمي فرثاه ديك الجن فقال
(علي هذه كانتْ تدورُ النوائبُ ... وفي كلِّ جمعٍ للذهابِ مذاهبُ)
((نَزَلْنا على حُكْمِ الزَّمانِ وأمْرِهِ ... وهل يَقْبَلُ النِّصْفَ الألَدُّ المُشاغِبُ
(وتَضحكُ سِنُّ المرءِ والقلبُ مُوجَعٌ ... ويرضَى الفَتَى عن دَهْرِه وهو عاتبُ)
(ألاَ أيُّها الرُّكبانُ والرَّدُّ واجبٌ ... قِفُوا حَدِّثونَا ما تقولُ النَّوادِبُ)
(إلى أيِّ فِتْيَانِ النَّدَى قَصدَ الرَّدَى ... وأيَّهمُ نابتْ حِمَاهُ النَّوائِبُ)
(فَيَا لأبي العَبَّاسِ كَمْ رُدَّ راغِبٌ ... لِفَقْدِكَ ملهوفاً وكَمْ جُبَّ غارِبُ)
(ويَا لأبي العَبَّاسِ إنّ مَناكِباً ... تُنُوءُ بما حَمَّلْتَها لَنَوَاكِبُ)
(فيا قبرَه جُدْ كلَّ قبرٍ بِجَوْدِهِ ... فَفِيك سماءٌ ثَرَّةٌ وسحائِبُ)
(فإنَّكَ لَوْ تَدْرِي بما فيك مِن عُلاً ... عَلَوْتَ وبِاتَتْ في ذَرَاكَ الكَوَاكِبُ)
(أخاً كُنْتُ أبْكِيهِ دماً وهو نائمٌ ... حِذَاراً وتَعْمى مُقْلَتِي وهو غائبُ)
(فماتَ ولا صبْرِي على الأجْرِ واقفٌ ... ولا أنا في عُمْرٍ إلى الله راغِبُ)
(أأسعى لأحْظَى فيك بالأجْرِ إنَّهُ ... لَسَعْيٌ إذن مِنِّي لدى اللهِ خائب)
(ومَا الإثمُ إلاَّ الصَّبرُ عنكَ وإنَّما ... عواقبُ حَمْدٍ أن تُذَمَّ العواقبُ)
(يقولون مِقْدارٌ على المرءِ واجِبٌ ... فقلتُ وإعوالٌ على المرءِ واجبُ)
(هو القلبُ لَمَّا حُمَّ يومُ ابنِ أُمِّهِ ... وهي جانبٌ منه وأسْقَمَ جانِبُ)
(تَرَشَّفْتُ أيَّامِي وهُنَّ كَوالِحٌ ... عليك وغالبتُ الرَّدَى وهو غالِبُ)
(ودافعتُ في صدرِ الزَّمانِ ونَحْرِهِ ... وأيُّ يَدٍ لي والزمانُ مُحارِبُ)
(وقلت له خَلِّ الجَوَادَ لِقَوْمِهِ ... وهأنذا فَازْدَدْ فإنَّا عَصَائِبُ)
((فواللهِ إخلاصاً من القولِ صادقاً ... وإلاَّ فَحُبِّي آلَ أحْمَدَ كاذِبُ
(لَوْ أنَّ يَدِي كانت شِفاءَكَ أو دَمِي ... دَمَ القَلْبِ حَتَّى يَقْضِبَ القلبَ قاضِبُ)
(لَسَلَّمتُ تسليمَ الرِّضا وتَخِذْتُها ... يداً للرَّدَى ما حَجَّ للهِ راكِبُ)
(فَتًى كان مثلَ السيفِ مِن حيثُ جِئْتَه ... لنائبةٍ نابتْكَ فَهْوَ مُضَارِبُ)
(فَتًى هَمُّه حمدٌ على الدَّهْرِ رابِحٌ ... وإن غابَ عنه مالُهُ فهو عازِبُ)
(شمائِلُ إن يَشْهدْ فَهُنَّ مَشاهِدٌ ... عِظامٌ وإن يَرْحَلْ فَهُنَّ كتائِبُ)
(بكاكَ أخٌ لم تَحْوِهِ بِقَرَابَةٍ ... بَلَى إنَّ إخوانَ الصَّفاءِ أقارِبُ)
(وأظلمتِ الدُّنْيَا التي كنتَ جارَها ... كأنَّكَ للدُّنيا أخٌ ومُناسِبُ)
(يُبرِّدُ نيرانَ المصائبِ أنَّني ... أرى زمناً لم تبقَ فيه مصائِبُ)
قال أبو الفرج ونسخت من كتاب محمد بن طاهر عن أبي طاهر إن خطيب أهل حمص كان يصلي على النبي على المنبر ثلاث مرات في خطبته وكان أهل حمص كلهم من اليمن لم يكن فيهم من مضر إلا ثلاثة أبيات فتعصبوا على الإمام وعزلوه فقال ديك الجن
(سَمِعُوا الصَّلاةَ على النَّبيِّ تَوَالَى ... فَتَفَرَّقُوا شِيَعاً وقالُوا لاَلاَ)
(ثم استمرَّ على الصلاةِ إمامُهم ... فتحزَّبوا ورَمَى الرِّجالُ رجالاَ)
(يا آلَ حِمْصَ تَوَقَّعُوا مِنْ عارِها ... خِزْياً يَحِلُّ عليكُمُ ووَبَالاَ)
(شاهتْ وجوهُكُم وجوهاً طالَما ... رَغِمَتْ معاطِسُها وساءتْ حالا)
صوت
(أيا بنةَ عبدِ اللهِ وابنةَ مالِكٍ ... ويا بْنَةَ ذي البُرْدَيْنِ والفَرَسِ الوَرْدِ)
(إذا ما صنعتِ الزادَ فالتَمِسِي له ... أكِيلاً فإنِّي لستُ آكِلَهُ وَحْدِي)
عروضه من الطويل
الشعر لقيس بن عاصم المنقري والغناء لعلويه ثقيل أول بالوسطى
أخبار قيس بن عاصم ونسبه
هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس واسم مقاعس الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ويكنى أبا علي وأمه أم أصعر بنت خليفة بن جرول بن منقر

وهو شاعر فارس شجاع حليم كثير الغارات مظفر في غزواته أدرك الجاهلية والإسلام فساد فيهما وهو أحد من وأد بناته في الجاهلية وأسلم وحسن إسلامه وأتى النبي وصحبه في حياته وعمر بعده زمانا وروى عنه عدة أحاديث

وأد كل بناته في الجاهلية

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه قال وفد قيس بن عاصم على رسول الله فسأله بعض الأنصار عما يتحدث به عنه من الموءودات التي وأدهن من بناته فأخبر أنه ما ولدت له بنت قط إلا وأدها ثم أقبل على رسول الله يحدثه فقال له كنت أخاف سوء الأحدوثة والفضيحة في البنات فما ولدت لي

بنت قط إلا وأدتها وما رحمت منهم موءودة قط إلا بنية لي ولدتها أمها وأنا في سفر فدفعتها أمها إلى أخوالها فكانت فيهم وقدمت فسألت عن الحمل فأخبرتني المرأة أنها ولدت ولداً ميتا ومضت على ذلك سنون حتى كبرت الصبية ويفعت فزارت أمها ذات يوم فدخلت فرأيتها وقد ضفرت شعرها وجعلت في قرونها شيئا من خلوق ونظمت عليها ودعا وألبستها قلادة جزع وجعلت في عنقها مخنقة بلح فقلت من هذه الصبية فقد أعجبني جمالها وكيسها فبكت ثم قالت هذه ابنتك كنت خبرتك أني ولدت ولدا ميتا وجعلتها عند أخوالها حتى بلغت هذا المبلغ فأمسكت عنها حتى اشتغلت عنها ثم أخرجتها يوما فحفرت لها حفيرة فجعلتها فيها وهي تقول يا أبت ما تصنع بي وجعلت أقذف عليها التراب وهي تقول يا أبت أمغطي أنت بالتراب أتاركي أنت وحدي ومنصرف عني وجعلت أقذف عليها التراب ذلك حتى واريتها وانقطع صوتها فما رحمت أحدا ممن واريته غيرها فدمعت عينا النبي ثم قال إن هذه لقسوة وإن من لا يرحم لا يرحم \ ح \ أو كما قال

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني عمي أبو فراس محمد بن فراس عن عمر بن أبي بكار عن شيخ من بني تميم عن أبي هريرة

أن قيس بن عاصم دخل على رسول الله وفي حجره بعض بناته يشمها فقال له ما هذه السخلة تشمها فقال هذه ابنتي فقال والله لقد ولد لي بنون ووأدت بنيات ما شممت منهن أنثى ولا ذكرا قط فقال رسول الله فهل إلا أن ينزع الله الرحمة من قلبك

قال أحمد بن الهيثم قال عمي فحدثني عبد الله بن الأهتم أن سبب وأد قيس بناته أن المشمرج اليشكري أغار على بني سعد فسبى منهم نساء واستاق أموالا وكان في النساء امرأة خالها قيس بن عاصم وهي رميم بنت أحمر بن جندل السعدي وأمها أخت قيس فرحل قيس إليهم يسألهم أن يهبوها له أو يفدوها فوجد عمرو بن المشمرج قد اصطفاها لنفسه

فسأله فيها فقال قد جعلت أمرها إليها فإن اختارتك فخذها فخيرت فاختارت عمرو بن المشمرج فانصرف قيس فوأد كل بنت وجعل ذلك سنة في كل بنت تولد له واقتدت به العرب في ذلك فكان كل سيد يولد له بنت يئدها خوفا من الفضيحة

خبره مع زوجه منفوسة

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه عن جده قال تزوج قيس بن عاصم المنقري منفوسة بنت زيد الفوارس الضبي وأتته في الليلة الثانية من بنائه بها بطعام فقال فأين أكيلي فلم تعلم ما يريد فأنشأ يقول

(أيابْنَةَ عبدِ اللهِ وابنَةَ مالِكٍ ... ويابْنَةَ ذي البُرْدَيْنِ والفَرَسِ الوَرْدِ
(إذا ما صَنَعْتِ الزادَ فالتمسِي له ... أكِيلاً فإنِّي لستُ آكِلَهُ وَحْدِي)
(أخاً طارقاً أو جارَ بيتٍ فإنَّني ... أخاف مَلاَماتِ الأحاديثِ مِنْ بَعْدِي)
(وَإنِّي لعبدُ الضَّيْفِ من غير ذِلَّةٍ ... وما بِيَ إلاَّ تلكَ من شِيَمِ العَبْدِ)

قال فأرسلت جارية لها مليحة فطلبت له أكيلا وأنشأت تقول له

(أبَى المَرْءُ قَيْسٌ أن يذوقَ طَعَامَهُ ... بغير أكِيلٍ إنَّهُ لَكَريمُ)
(فَبُورِكْتَ حَيّاً يا أخَا الجُودِ والنَّدَى ... وبُورِكْتَ مَيْتاً قد حَوَتْكَ رُجومُ)

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال جاور رجل من بني القين من قضاعة قيس بن عاصم فأحسن جواره ولم ير منه إلا خيرا حتى فارقه ثم نزل عند جوين الطائي أبي عامر بن جوين فوثب عليه رجال من طيئ فقتلوه وأخذوا ماله فقال العباس بن مرداس يهجوهم ويمدح قيسا

(لَعَمْري لقد أوفَى الجوادُ ابنُ عاصم ... وأحْصَنَ جاراً يومَ يَحدِجُ بَكْرَهْ
(أقامَ عزيزاً مُنْتَدَى القومِ عِنْدَهُ ... فلم يَرَ سَوْءاتٍ ولم يخشَ غَدْرَهْ)
(أقامَ بِسَعْدٍ يَشربَ الماءَ آمناً ... ويأكلِ وُسْطَاهَا ويَرْبِضُ حَجْرَهْ)
(فإنَّك إذ بادلتَ قيسَ بنَ عاصِمٍ ... جُوَيْناً لَمُخْتَارَ المنازلِ شَرَّهْ)
(فأصبحَ يحدو رَحْلَهُ بِمَفَازةٍ ... وماذا عَدَا جاراً كريماً وأُسْرَهْ)
(يَظَلُّ بأرضِ الغدْرِ يأكُلِ عَهْدَهُ ... جُوَيْنٌ وشَمْخٌ خارِبَيْنِ بِوجْرَهْ)
(يُذِمَّانِ بالأزوادِ والزادُ مُحْرَمٌ ... سَرُوقانِ من عِرقٍ شروراً وفَجْرَهْ)

ضرب المثل بحلمه

أخبرني محمد بن أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني دماذ عن أبي عبيدة قال قال الأحنف ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم المنقري فقيل له وكيف ذلك يا ابا بحر فقال قتل ابن أخ له ابنا له فأتي بابن أخيه مكتوفا يقاد إليه فقال

ذعرتم الفتى ثم أقبل عليه فقال يا بني نقصت عددك وأوهيت ركنك وفتت في عضدك وأشمت عدوك وأسأت بقومك خلوا سبيله واحملوا إلى أم المقتول ديته قال فانصرف القاتل وما حل قيس حبوته ولا تغير وجهه

أخبرني عبيد الله الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن ابن جعدبة وأبي اليقظان قالا وفد قيس بن عاصم على رسول الله فقال النبي عليه الصلاة والسلام هذا سيد أهل الوبر / ح /

خبره مع تاجر خمار

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي حاتم قال

جاور داري كان يتجر في أرض العرب قيس بن عاصم فشرب قيس ليلة حتى سكر فربط الداري وأخذ ماله وشرب من شرابه فازداد سكرا وجعل من السكر يتطاول ويثاور النجوم ليبلغها وليتناول القمر وقال

(وتاجِرٍ فاجِرٍ جاءَ الإلهُ بِهِ ... كأن عُثْنونَه أذنابُ أجْمالِ)
ثم قسم صدقة النبي في قومه وقال
(ألاَ أبْلِغَا عَنِّي قُرَيْشاً رسالَةً ... إذا ما أتَتْهُم مُهْدِيَاتُ الوَدَائِعِ)
(حَبَوْتُ بما صَدَّقْتُ في العامِ مِنْقَراً ... وأيأسْتُ منها كلَّ أطلسَ طامِعِ)
قال فلما فعل بالداري ما فعل وسكر جعل ماله نهبى فلم تزل امرأته تسكنه حتى نام فلما أصبح أخبر بما كان منه فآلى ألا يدخل الخمر بين أضلاعه أبدا
أخبرني وكيع قال حدثنا المدائني قال ولي قيس بن عاصم على عهد رسول الله صدقات بني مقاعس والبطون كلها وكان الزبرقان بن بدر قد ولي صدقات عوف
والأبناء فلما توفي رسول الله وقد جمع كل واحد من قيس والزبرقان صدقات من ولي صدقته دس إليه الزبرقان من زين له المنع لما في يده وخدعه بذلك وقال له إن النبي قد توفي فهلم نجمع هذه الصدقة ونجعلها في قومنا فإن استقام الأمر لأبي بكر وأدت العرب إليه الزكاة جمعنا له الثانية
ففرق قيس الإبل في قومه فانطلق الزبرقان إلى أبي بكر بسبعمائة بعير فأداها إليه وقال في ذلك
(وَفَيْتُ بِأذْوَادِ النَّبيِّ محمدٍ ... وكُنْتُ امرأً لا أُفْسِدُ الدِّينَ بالغَدْرِ)
فلما عرف قيس ما كاده به الزبرقان قال لو عاهد الزبرقان أمه لغدر بها
أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال حدثنا الحارث بن أسامة قال حدثنا المدائني وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي قال قيل لقيس بن عاصم بماذا سدت قال ببذل الندى وكف الأذى ونصر الموالي
أخبرني وكيع قال حدثنا العمري عن الهيثم قال كان قيس بن عاصم يقول لبنيه إياكم والبغي فما بغى قوم قط إلا قلوا وذلوا فكان بعض بنيه يلطمه قومه أو غيرهم فينهى إخوته عن أن ينصروه
أتى رسول الله فرحب به وأدناه
أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال حدثنا الحارث عن المدائني عن ابن جعدبة أن قيس بن عاصم قال
أتيت رسول الله فرحب بي وأدناني فقلت يا رسول الله المال الذي لا يكون علي فيه تبعة ما ترى في إمساكه لضيف إن طرقني وعيال إن كثروا علي فقال نعم المال الأربعون والأكثر الستون وويل لأصحاب المئين ثلاثا إلا من أعطى من رسلها وأطرق فحلها وأفقر ظهرها ومنح غزيرتها وأطعم القانع والمعتر \ ح \ له يا رسول الله ما أكرم هذه الأخلاق إنه لا يحل بالوادي الذي أنا فيه من كثرتها قال فكيف تصنع في الإطراق قلت يغدو الناس فمن شاء أن يأخذ برأس بعير ذهب به قال فكيف تصنع في الإفقار فقلت إني لأفقر الناب المدبرة والضرع الصغيرة قال فكيف تصنع في المنيحة قلت إني لأمنح في \ السنة المائة قال إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت \ ح
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال قيس بن عاصم هو الذي حفز الحوفزان بن شريك الشيباني طعنه في
استه في يوم جدود
شعره في يوم جدود
وكان من حديث ذلك اليوم أن الحارث بن شريك بن عمرو الصلب بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام كانت بينه وبين بني يربوع موادعة ثم هم بالغدر بهم فجمع بني شيبان وبني ذهل واللهازم قيس بن ثعلبة وتيم الله بن ثعلبة وغيرهم ثم غزا بني يربوع فنذر به عتيبة بن الحارث بن شهاب بن شريك فنادى في قومه بني جعفر بن ثعلبة من بني يربوع فوادعه وأغار الحارث بن شريك على بني مقاعس وإخوتهم بني ربيع فلم يجيبوهم فاستصرخوا بني منقر فركبوا حتى لحقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل وهم قائلون في يوم شديد الحر فما شعر الحوفزان إلا بالأهتم بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر واسم الأهتم سنان وهو واقف على رأسه فوثب الحوفزان إلى فرسه فركبه وقال للأهتم من أنت فانتسب له وقال هذه منقر قد أتتك فقال الحوفزان فأنا الحارث بن شريك فنادى الأهتم يا آل سعد ونادى الحوفزان يا آل وائل وحمل كل واحد منهما على صاحبه ولحقت بنو منقر فاقتتلوا أشد قتال وأبرحه ونادت نساء بني ربيع يا آل سعد فاشتد قتال بني منقر لصياحهن فهزمت بكر بن وائل وخلوا من كان في أيديهم من بني مقاعس وما كان في أيديهم من أموالهم وتبعتهم بنو منقر بين قتل وأسر فأسر الأهتم حمران بن عبد عمرو وقصد قيس بن عاصم الحوفزان ولم يكن له همة غيره والحارث على فرس له قارح يدعى الزبد وقيس على مهر فخاف قيس أن يسبقه الحارث فحفزه بالرمح في استه فتحفز به الفرس فنجا فسمي الحوفزان
وأطلق قيس أموال بني مقاعس وبني ربيع وسباياهم وأخذ أموال بكر بن وائل وأساراهم وانتقضت طعنة قيس على الحوفزان بعد سنة فمات وفي هذا اليوم يقول قيس بن عاصم
(جَزَى اللهُ يَرْبوعاً بأسوأ فِعْلِها ... إذا ذُكِرتْ في النائباتِ أمورُها)
(ويومِ جَدُودٍ قد فضحتم ذِمارَكُم ... وسالَمْتُمُ والخيلُ تَدْمَى نُحورُها)
(ستَخْطِمُ سعدٌ والرِّبابُ أنوفَكم ... كما حزَّ في أنف القَضِيبِ جَرِيرُها)
وقال سوارِ بن حيان المنقري
(ونحن حَفَرنا الحوفزانَ بطَعْنَةٍ ... سقَتْه نَجِيعاً من دَمِ الجَوْفِ أشْكَلاَ)
(وحُمْرَانُ قَسْراً أنزلتْه رماحُنا ... فَعَالَجَ غُلاًّ في ذِرَاعَيْهِ مُقْفَلاَ)
قال وأغار قيس بن عاصم أيضا على اللهازم فتبعه بنو كعب بن سعد بالنباج وثيتل فتخوف أن يكره أصحابه لقاء بكر بن وائل وقد كانوا
يتناجون في ذلك فقام ليلا فشق مزادهم لئلا يجدوا بدا من لقاء العدو فلما فعل ذلك أذعنوا بلقائهم وصبروا له فأغار عليهم فكان أشهر يوم يوم ثيتل لبني سعد وظفر قيس بما شاء وملأ يديه من أموالهم وغنائمهم وفي ذلك يقول ابنه علي بن قيس بن عاصم
(أنا ابنُ الذي شقَّ المَزَادَ وقد رأى ... بثَيْتَلَ أحياءَ اللَّهازمِ حُضَّرَا)
(فصبَّحهم بالجيش قيسُ بنُ عاصمٍ ... وكان إذا ما أورد الأمرَ أصْدَرَا)
قال وأغار قيس أيضا ببني سعد على عبد القيس وكان رئيس بني سعد يومئذ سنان بن خالد وذلك بأرض البحرين فأصابوا ما أرادوا واحتالت عبد القيس في أن يفعل ببني تميم كما فعل بهم بالمشقر حين أغلق عليهم بابه فامتنعوا

فقال في ذلك سوار بن حيان
(فيا لَكَ من أيَّامِ صِدْقٍ أعُدُّها ... كيومِ جُوَاثَى والنِّباجِ وَثَيْتَلا)
قال وكان قيس بن عاصم رئيس بني سعد يوم الكلاب الثاني فوقع بينه وبين الأهتم اختلاف في أمر عبد يغوث بن وقاص بن صلاءة الحارثي حين أسره عصمة بن أبير التيمي ودفعه إلى الأهتم فرفع قيس قوسه فضرب فم الأهتم بها فهتم أسنانه فيومئذ سمي الأهتم
وصيته لأبنائه حين حضرته الوفاة
أخبرنا هشام بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة وأخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن عدي قال جمع قيس بن عاصم ولده حين حضرته الوفاة وقال يا بني إذا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم فيسفه الناس كباركم وعليكم بإصلاح المال فإنه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم وإذا مت فادفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها وأصوم وإياكم والمسألة فإنها آخر مكاسب العبد وإن امرأ لم يسأل إلا ترك مكسبه وإذا دفنتموني فأخفوا قبري عن هذا الحي من بكر بن وائل فقد كان بيننا خماشات في الجاهلية ثم جمع ثمانين سهما فربطها بوتر ثم قال اكسروها فلم يستطيعوا ثم قال فرقوا ففرقوا فقال اكسروها سهما سهما فكسروها فقال هكذا أنتم في الاجتماع وفي الفرقة ثم قال
(إنما المجدُ ما بَنَى والدُ الصِّدْقِ ... وأحيا فَعالَه المولودُ)
(وتَمامُ الفضلِ الشجاعةُ والحِلْمُ ... إذا زانَه عَفَافٌ وجُودُ)
(وثلاثون يا بَنيَّ إذا ما ... جَمَعتهم في النائباتِ العُهودُ)
(كثلاثين من قِدَاحٍ إذا ما ... شَدَّها للزمان قِدْحٌ شديد)
(لم تَكَسَّرْ وإن تَفرَّقتِ الأسْهُمُ ... أوْدَى بجمعِها التبديدُ)
(وذوو الحلمِ والأكابرُ أولَى ... أن يُرَى منكُمُ لهم تسويدُ)
(وعليكمْ حِفْظَ الأصاغرِ حتَّى ... يَبْلُغَ الحِنْثَ الأصغرُ المجهود)
ثم مات فقال عبدة بن الطبيب يرثيه
(عليكَ سلامُ اللهِ قَيْسَ بن عاصمٍ ... ورحمتُه ما شاء أن يَتَرَحَّما)
(تحيَّة من أوليته منك نعمةً ... إذا زار عن شَحْطٍ بلادَك سَلَّما)
(فما كان قَيْسٌ هُلْكُه هُلْكُ واحدٍ ... ولكنَّه بُنْيانُ قومٍ تَهَدَّما)
أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال لما مات عبد الملك بن مروان اجتمع ولده حوله فبكى هشام حتى اختلفت أضلاعه ثم قال رحمك الله يا أمير المؤمنين فأنت والله كما قال عبدة بن الطبيب
(وما كان قَيْسٌ هُلْكُه هُلْكُ واحدٍ ... ولكنَّه بُنْيانُ قومٍ تَهَدَّما)
فقال له الوليد كذبت يا أحول يا مشؤوم لسنا كذلك ولكنا كما قال الآخر
(إذَا مُقْرَمٌ مِنَّا ذَرَا حَدُّ نابِه ... تَخَمَّطَ فينا نابُ آخَرَ مُقْرَمِ)
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه قال كان بين قيس بن عاصم وعبدة بن الطبيب لحاء فهجره قيس بن عاصم ثم حمل عبدة دما في قومه فخرج يسأل فيما تحمله فجمع إبلا ومر به قيس بن عاصم وهو يسأل في تمام الدية فقال فيم يسأل عبدة فأخبر فساق إليه الدية كاملة من ماله وقال قولوا له ليستمتع بما صار إليه وليسق هذه إلى القوم فقال عبدة أما والله لولا أن يكون صلحي إياه بعقب هذا الفعل عارا علي لصالحته ولكني أنصرف إلى قومي ثم أعود فأصالحه ومضى بالإبل ثم عاد فوجد قيسا قد مات فوقف على قبره وأنشأ يقول
(عليكَ سلامُ اللهِ قَيْسَ بن عاصمٍ ... ورحمتُه ما شاء أنْ يترحَّما)
الأبيات
حرم الخمر على نفسه وسبب ذلك
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال ذكر عاصم بن الحدثان وهشام بن الكلبي عن أشياخهما أن قيس بن عاصم المنقري سكر من الخمر ليلة قبل أن يسلم فغمز عكنة ابنته أو قال أخته فهربت منه فلما صحا منها فقيل له أو ما علمت ما صنعت البارحة قال لا فأخبروه بصنعه فحرم الخمر على نفسه وقال في ذلك
(وجدتُ الخمرَ جامحةً وفيها ... خِصَالٌ تَفضَحُ الرَّجُلَ الكريما)
(فلاَ واللهِ أشْرَبُها حَياتي ... ولا أدعو لها أبداً نَدِيمَا)
(ولا أُعْطِي بِها ثمناً حياتي ... ولا أُشْفِي بها أبداً سقِيما)
(فإنَّ الخمرَ تَفْضَحُ شَارِبِيها ... وتجْشِمُهُمْ بها أمراً عظيما)
(إذا دارتْ حُمَيَّاها تَعَلَّتْ ... طَوَالِعُ تُسْفِهُ الرَّجُلَ الحليما)
أخبرني محمد بن مزيد عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال قال الزبرقان إن تاجرا ديافيا مر بحمل خمر على قيس بن عاصم فنزل به فقال قيس اصبحني قدحا ففعل ثم قال له زدني فقال له أنا رجل تاجر طالب ربح وخير ولا أستطيع أن أسقيك بغير ثمن فقام إليه قيس فربطه إلى دوحة في داره حتى أصبح فكلمته أخته في أمره فلطمها وخمش وجهها وزعموا أنه ارادها على نفسها وجعل يقول
(وتاجرٍ فاجرٍ جاء الإلهُ به ... كأنَّ لِحْيَتَه أذنابُ أجمالِ)
فلما أصبح قال من فعل هذا بضيفي قالت له أخته الذي صنع هذا بوجهي أنت والله صنعته وأخبرته بما فعل فأعطى الله عهداً ألا يشرب الخمر أبدا فهو أول عربي حرمها على نفسه في الجاهلية وهو الذي يقول
(فواللهِ لا أحسو يَدَ الدَّهْرِ خمرةً ... ولا شَرْبةً تُزْري بِذِي اللُّبِّ والفخرِ)
(فكيف أذوق الخمرَ والخمرُ لم تَزَلْ ... بصاحبِها حتى تَكَسَّعَ في الغَدْرِ)
(وصارتْ به الأمثالُ تُضْرَبُ بَعْدَما ... يكونُ عميدَ القومِ في السِّرِّ والجَهْرِ)
(ويَبْدُرُهُمْ في كل أمرٍ ينُوبُهم ... ويَعْصِمهم ما نَابهم حادثُ الدَّهْرِ)
(فيا شارِبَ الصَّهْباء دَعْها لأهلها الغُوَاةِ ... وسَلِّمْ للجسيم من الأمر)
(فإنَّك لا تَدْري إذا ما شَرِبْتَها ... وأكثرتَ منها ما تَرِيشُ وما تَبْري)

فارقته امرأته بعد أن أسلم
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن منصور قال أخبرني أبو جعفر المباركي قال أخبرني المدائني عن مسلمة بن محارب قال قال الأحنف بن قيس ذكرت بلاغة النساء عند زياد فحدثته أن قيس بن عاصم أسلم وعنده امرأة من بني حنيفة فأبى أهلها وأبوها أن يسلموا وخافوا إسلامها فاجتمعوا إليها وأقسموا إنها إن أسلمت لم يكونوا معها في شيء ما بقيت فطالبت قيسا بالفرقة ففارقها فلما احتملت لتلحق بأهلها قال لها قيس أما والله لقد صحبتني سارة ولقد فارقتني غير عارة لا صحبتك مملولة ولا أخلاقك مذمومة ولولا ما اخترت ما فرق بيننا إلا الموت ولكن أمر الله ورسوله أحق أن يطاع فقالت له أنبئت بحسبك وفضلك وأنت والله إن كنت للدائم المحبة الكثير المودة القليل اللائمة المعجب الخلوة البعيد النبوة ولتعلمن أني لا أسكن بعدك إلى زوج فقال قيس ما فارقت نفسي شيئا قط فتبعته كما تبعتها
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني أبو فراس قال كان قيس بن عاصم يكنى أبا علي وكان خاقان بن الأهتم إذا ذكره قال بخ من مثل أبي علي
(تُطِيفُ به كَعبُ بن سعد كأنما ... يُطِيفون عُمَّاراً ببيتٍ مُحَرَّمِ)
وقال علان بن الحسن الشعوبي بنو منقر قوم غدر يقال لهم الكوادن ويلقبون أيضا أعراف البغال وهم أسوأ خلق الله جوارا يسمون الغدر كيسان وفيهم بخل شديد
أوصى بنيه بحفظ المال
وأوصى قيس بن عاصم بنيه فكان أكثر وصيته إياهم أن يحفظوا المال والعرب لا تفعل ذلك وتراه قبيحا وفيهم يقول الأخطل بن ربيعة بن النمر بن تولب
(يا مِنْقَرُ بنَ عُبَيْدٍ إنَّ لُؤمَكُمُ ... مُذْ عَهْدِ آدَمَ في الدِّيوانِ مكتوبُ)
(للضَّيْفِ حَقٌّ على مَنْ كان ذا كرمٍ ... والضَّيفُ في مِنْقرٍ عُرْيانُ مسلوبُ)
وقال النمر بن تولب يذكر تسميتهم الغدر كيسان في قصيدة هجاهم بها
((إذا ما دَعَوْا كَيْسَانَ كانتْ كُهُولُهُمْ ... إلى الغَدْرِ أدْنَى من شَبَابِهِمُ المُرْدِ
قال وهذا شائع في جميع بني سعد إلا أنهم يتدافعونه إلى بني منقر وبنو منقر يتدافعونه إلى بني سنان بن خالد بن منقر وهو جد قيس بن عاصم
وحكى ابن الكلبي أن النبي لما افتتح مكة قدمت عليه وفود العرب فكان فيمن قدم عليه قيس بن عاصم وعمرو بن الأهتم ابن عمه فلما صارا عند النبي تسابا وتهاترا فقال قيس لعمرو بن الأهتم والله يا رسول الله ما هم منا وإنهم لمن أهل الحيرة فقال عمرو بن الأهتم بل هو والله يا رسول الله من الروم وليس منا ثم قال له
(ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الهَلْباء تشتُمُني ... عند الرَّسول فلم تَصْدُقْ ولم تُصِبِ)
الهلباء يعني استه يعيره بذلك وبأن عانته وافية
(إن تُبْغِضُونا فإنَّ الرُّومَ أصلُكُمُ ... والرُّومُ لا تملِكُ البغضاءَ للعَرَبِ)
(سُدْنا فسُودَدُنا عَودٌ وسُودَدُكُمْ ... مؤَخَّرٌ عند أصل العَجْبِ والذَّنَبِ)
قال وإنما نسبه إلى الروم لأنه كان أحمر فيقال إن النبي نهاه عن هذا القول في قيس وقال إن إسماعيل بن إبراهيم صلى الله عليه وسلم كان أحمر فأجابه قيس بن عاصم فقال
(ما في بَنِي الأهْتَمِ من طائلٍ ... يُرْجَى ولا خَيرَ لَهُ يَصْلُحونْ)
(قُلْ لبني الحِيريِّ مَخْصوصةً ... تَظْهرُ منهم بعضَ ما يَكْتُمونْ)
((لولاَ دِفاعي كنتُمُ أعْبُداً ... مَسْكَنُها الحِيرةُ فالسَّيْلَحونْ)
(جاءت بكم عَفْرَةُ من أرْضِها ... حِيرِيَّةً ليست كما تزعُمون)
(في ظاهرِ الكَفِّ وفي بَطْنها ... وَسْمٌ من الدَّاء الذي تَكْتُمون)
ارتد عن الإسلام بعد وفاة النبي
وذكر علان أن قيسا ارتد بعد النبي عن الإسلام وآمن بسجاح وكان مؤذنها وقال في ذلك
(أضحتْ نَبِيَّتُنا أُنْثَى نُطِيفُ بها ... وأصبحتْ أنبياءُ الله ذُكْرَانَا)
قال ثم لما تزوجت سجاح بمسيلمة الكذاب الحنفي وآمنت به آمن به قيس معها فلما غزا خالد بن الوليد اليمامة وقتل الله مسيلمة أخذ قيس بن عاصم أسيرا فادعى عنده أن مسيلمة أخذ ابنا له فجاء يطلبه فأحلفه خالد على ذلك فحلف فخلى سبيله ونجا منه بذلك
قال ومما يعيرون به أن عبادة بن مرثد بن عمرو بن مرثد أسر قيس بن عاصم وسبى أمه وأختيه يوم أبرق الكبريت ثم من عليهم فأطلقهم بغير فداء فلم يثبه قيس ولم يشكره على فعله بقول يبلغه فقال عبادة في ذلك
(على أبْرَقِ الكِبْرِيتِ قيسَ بنَ عاصمٍ ... أسَرْتُ وأطرافُ القَنَا قِصَدٌ حُمْرُ)
(مَتَى يَعْلَقِ السَّعْدِيُّ منكَ بذِمَّةٍ ... تَجِدْهُ إذا يَلْقَى وشِيمَتُه الغَدْرُ)
قال وكان قيس بن عاصم يسمى في الجاهلية الكودن
وكان زيد الخيل الطائي خرج عن قومه وجاور بني منقر فأغارت عليهم بنو عجل وزيد فيهم فأعانهم وقاتل بني عجل قتالا شديدا وأبلى بلاء حسنا حتى انهزمت عجل فكفر قيس فعله وقال ما هزمهم غيري فقال زيد الخيل يعيره ويكذبه في قصيدة طويلة
(ولستُ بوَقَّافٍ إذا الخيلُ أحْجمَتْ ... ولستُ بكَذَّابٍ كقَيْس بنِ عاصمِ)
ومما روى قيس بن عاصم عن النبي حدثنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي قال حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب قال حدثنا وكيع قال حدثنا سفيان الثوري عن الأغر المنقري عن خليفة بن حصين بن قيس بن عاصم عن أبيه عن جده أنه أسلم على عهد النبي فأمره النبي عليه السلام أن يغتسل بماء وسدر
وحدثنا حامد قال حدثنا أبو خيثمة قال حدثنا جرير عن المغيرة عن أبيه شعبة عن التوأم قال سأل قيس بن عاصم رسول \ الله عن الحلف فقال لا حلف في الإسلام ولكن تمسكوا بحلف الجاهلية \ ح
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا ابن عائشة قال حدثني رجل من الرباب قال ذكر رجل قيس بن عاصم عند النبي فقال لقد هممت أن آتيه فأفعل به وأصنع به كأنه توعده فقال له النبي إذا تحول سعد دونه بكراكرها \ ح

\
قال ولما مات قيس رثاه مرداس بن عبدة بن منبه فقال
(وما كان قَيْسٌ هُلْكه هُلْكَ واحدٍ ... ولكنَّه بُنْيَانُ قومٍ تَهَدَّمَا)
صوت
(خُذْ مِن العَيْشِ ما كَفَى ... ومِنَ الدَّهْرِ ما صَفَا)
(حَسَنَ الغَدْرِ في الأَنَامِ ... كما اسْتُقْبِحَ الوَفَا)
(صِلْ أخا الوَصْلِ إنّه ... ليس بالهَجْرِ مِنْ خَفَا)
(عَيْنُ مَنْ لا يُريدُ وَصْلَك ... تُبْدِي لَكَ الجَفَا)
الشعر لمحمد بن حازم الباهلي والغناء لابن القصار الطنبوري رمل بالبنصر أخبرني بذلك جحظة
أخبار محمد بن حازم ونسبه
هو محمد بن حازم بن عمرو الباهلي ويكنى أبا جعفر وهو من ساكني بغداد مولده ومنشؤه البصرة أخبرني بذلك ابن عمار أبو العباس عن محمد بن داود بن الجراح عن حسن بن فهم
وهو من شعراء الدولة العباسية شاعر مطبوع إلا أنه كان كثير الهجاء للناس فاطرح ولم يمدح من الخلفاء إلا المأمون ولا اتصل بواحد منهم فيكون له نباهة طبقته وكان ساقط الهمة متقللا جدا يرضيه اليسير ولا يتصدى لمدح ولا طلب
حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال سمعت محمد بن حازم الباهلي في منزلنا يقول بعث إلي فلان الطاهري وكنت قد هجوته فأفرطت بألف دينار وثياب وقال أما ما قد مضى فلا سبيل إلى رده ولكن أحب ألا تزيد عليه شيئا فبعثت إليه بالألف الدينار والثياب وكتبت
(لا ألبَسُ النعماءَ مِن رجلٍ ... أَلبستُه عاراً على الدَّهْرِ)
أخباره مع أحمد بن سعيد وسعد بن مسعود - 63
أخبرني أحمد بن عبيدالله بن عمار حدثنا أبو علي وسقط اسمه من
كتابي قال قرأت في كتاب عمي قال لي محمد بن حازم الباهلي مر بي أحمد بن سعيد بن سالم وأنا على بابي فلم يسلم علي سلاما أرضاه فكتبت رقعة وأتبعته بها وهي
(وباهليٍّ من بني وائلٍ ... أفادَ مالاً بعد إفلاسِ)
(قَطَّبَ في وجْهِي خَوْفَ القِرَى ... تَقْطِيبَ ضِرْغامٍ لَدَى البَاسِ)
(وأظهرَ التِّيهَ فتايهْتُهُ ... تِيهَ امرئٍ لم يشْقَ بالنَّاسِ)
(أعَرتُه إعْرَاضَ مُسْتَكْبِرٍ ... في مَوْكِبٍ مَرَّ بكَنَّاسِ)
أخبرني ابن عمار قال حدثني أبو علي قال
لقيت محمد بن حازم في الطريق فقلت له يا أبا جعفر كيف ما بينك وبين صديقك سعد بن مسعود اليوم وهو أبو إسحاق بن سعد وكان يكتب للنوشجاني فأنشدني
(رَاجَع بالعُتْبى فأعتَبتُه ... وربَّما أعْتَبَك المُذْنبُ)
(وإن في الدَّهْر على صَرْفه ... بين الصَّدِيقَيْن لمُسْتَعْتَبُ)
شعره في مدح الشباب وذم الشيب
أخبرني محمد بن القاسم الأنباري وابن الوشاء جميعا قالا حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال
قال ابن الأعرابي أحسن ما قال المحدثون من شعراء هذا الزمان في مديح الشباب وذم الشيب
(لا حِينَ صَبْرٍ فخَلِّ الدَّمْعَ يَنْهَمِلُ ... فَقْدُ الشَّبابِ بيومِ المرءِ مُتَّصِلُ)
(سَقْياً ورَعْياً لأيَّامِ الشَّبَابِ وإنْ ... لم يَبْقَ منه له رسمٌ ولا طَلَلُ)
(جَرَّ الزَّمانُ ذُيولاً في مَفَارِقِهِ ... ولِلزَّمانِ على إحسانِهِ عِلَلُ)
(وربَّما جَرَّ أذيالَ الصِّبا مَرَحاً ... وبين بُرْدَيْهِ غُصْنٌ ناعِمٌ خَضِلُ)
(يُصْبِي الغَوَاني ويزْهَاه بشِرتَّه ... شَرْخُ الشَّبَابِ وثوبٌ حالِكٌ رَجِلُ)
(لا تَكْذِبَنَّ فما الدُّنيا بأجمعِها ... من الشَّبابِ بيومٍ واحدٍ بَدَلُ)
(كَفَاكَ بالشَّيْبِ عيباً عند غانيةٍ ... وبالشَّبابِ شَفِيعاً أيُّها الرَّجُلُ)
(بانَ الشَّبابُ وولَّى عنكَ بَاطِلُه ... فليس يَحْسُنُ منكَ اللَّهْوُ والغَزَلُ)
(أمَّا الغواني فقد أعرَضْنَ عنك قِلىً ... وكان إعراضَهُنَّ الدَّلُّ والخَجَلُ)
(أعرنَكَ الهجْرَ ما لاحتْ مُطَوَّقةٌ ... فلاَ وِصالٌ ولا عَهْدٌ ولا رُسُلُ)
(ليتَ المَنَايَا أصابَتْنِي بأسْهُمِها ... فكُنَّ يَبْكِينَ عَهْدي قبلَ أكْتَهِلُ)
(عَهْدَ الشَّبابِ لقد أبقيتَ لي حَزَناً ... ما جَدَّ ذِكرُكَ إلاَّ جَدَّ لي ثَكَلُ)
(إنَّ الشَّبابَ إذا ما حلَّ رائدُه ... في مَنْهَلٍ رادَ يقفو إثْرَهُ أجَلُ)
قال ابن الوشاء خاصة وما أساء ولا قصر عن الأولى حيث يقول في هذا المعنى
((أبكي الشَّبابَ لِنَدْمانٍ وغانيةٍ ... وللمَغَاني وللأطلال والكُتُبِ
(وللصَّريخ وللآجام في غَلَسٍ ... وللقَنَا السُّمْرِ والهِنْدِيَّة القُضُبِ)
(وللخَيالِ الذي قد كان يَطْرُقُني ... وللنَّدامَى وللذَّاتِ والطَّرَبِ)
(يا صاحباً لم يَدَعْ فَقْدي له جَلَداً ... أضعتُ بعدك إنَّ الدهرَ ذو عُقَبِ)
(وقد أكونُ وشَعْبانا معاً رَجُلاً ... يومَ الكريهةِ فَرَّاجاً عَنِ الكُرَبِ)
هجاؤه ابن حميد
أخبرني ابن عمار عن العنزي قال كان محمد بن حازم الباهلي مدح بعض بني حميد فلم يثبه وجعل يفتش شعره فيعيب فيه الشيء بعد الشيء وبلغه ذلك فهجاه هجاء كثيرا شنيعاً منه قوله
(عَدُوَّكَ المَكَارِمُ والكِرَامُ ... وخِلُّكَ دونَ خُلَّتِكَ اللِّئَامُ)
(ونَفْسُكَ نَفْسُ كلبٍ عند زَوْرٍ ... وعُقْبَى زائرِ الكلبِ الْتِدَامُ)
(تَهِرُّ على الجليسِ بلا احترامٍ ... لِتَحْشِمَه إذا حَضَرَ الطَّعامُ)

((إذا ما كانت الهِمَمُ المَعَالي ... فهَمُّك ما يكون به المَلامُ
(قَبُحْتَ ولا سَقَاك الله غيثاً ... وجانَبك التحيَّةُ والسلامُ)
قال فبعث إليه ابن حميد بمال واعتذر إليه وسأله الكف فلم يفعل ورد المال عليه وقال فيه
(موضعُ أسرارك المُرِيبُ ... وحَشْوُ أثوابك العُيوبُ)
(وتمنَعُ الضيفَ فضلَ زادٍ ... ورحْلُك الواسعُ الخَصيبُ)
(يا جامعاً مانِعاً بَخِيلاً ... ليس له في العُلاَ نَصيبُ)
(أبالرُّشَا يُستَمالُ مِثلي ... كَلاَّ ومَنْ عنده العُيوبُ)
(لا أرتدي حُلَّةً لمُثْنٍ ... بوجهه من يدِي نُدوبُ)
(وبين جنبيه لي كُلومٌ ... داميةٌ ما لَها طَبِيبُ)
(ما كنتُ في موضعِ الهَدَايا ... منكَ ولا شَعْبُنا قَرِيبُ)
(أنّى وقد نَشَّتِ المَكَاوي ... عن سِمَةٍ شأنُها عَجِيبُ)
(وسار بالذَّمِّ فيك شِعْري ... وقيل لي مُحْسِنٌ مُصِيبُ)
(مالُكَ مالُ اليتيمِ عندي ... ولا أرى أكْلَهُ يَطِيبُ)
(حَسْبُكَ من مُوجِزٍ بليغ ... يَبْلُغُ ما يبلُغُ الخَطِيبُ)
حدثني عمي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي بن الحسين الشيباني قال بعث الحسن بن سهل محمد بن حميد في وجهة وأمره بجباية مال
وبحرب قوم من الشراة فخان في المال وهرب من الحرب فقال فيه محمد بن حازم الباهلي
(تَشَبَّه بالأسَدِ الثعلبُ ... فغادَرَهُ مُعْنَقا يُجْنَبُ)
(وحاوَلَ ما ليس في طَبْعِهِ ... فأسلَمهُ النابُ والمِخْلَبُ)
(فَلَمْ تُغْنِ عنه أباطيلُهُ ... وحاصَ فأحْرَزَهُ المَهْرَبُ)
(وكانَ مَضِيًّاً على غَدْرِهِ ... فَعُيِّبَ والغادِرُ الأخْيَبُ)
(أيابنَ حُمَيْدٍ كفرتَ النَّعِيمَ ... جهلاً ووسوَسَكَ المَذْهَبُ)
(وَمَنَّتْكَ نفسُك ما لاَ يَكُونُ ... وبعضُ المُنَى خُلَّبٌ يَكْذِبُ)
(وما زلْتَ تسعَى على مُنْعِمٍ ... بِبَغْيٍ وتُنْهَى فلا تُعْتِبُ)
(فأصبحتَ بالبَغْيِ مستبدلاً ... رشاداً وقد فات مُسْتَعْتَبُ)
قال وقال فيه لما شخص إلى حيث وجهه الحسن بن سهل
(إذا استقلّتْ بكَ الرِّكابُ ... فحيثُ لادرّتِ السحابُ)
(زالتْ سِراعاً وزُلْتَ يَجْري ... بِبَيْنِكَ الظَّبْيُ والغُرابُ)
(بحيثُ لا يُرْتَجَى إيابٌ ... وحيثُ لا يبلغُ الكتابُ)
(فقَبْلَ معروفِكَ امتنانٌ ... ودُونَ معروفِكَ العذابُ)
((وخيرُ أخلاقِكَ اللّوَاتِي ... تعاف أمثالَها الكلابُ
حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أبي قال قال يحيى بن أكثم لمحمد بن حازم الباهلي ما نعيب شعرك إلا أنك لا تطيل فأنشأ يقول
(أبى لِيَ أن أُطِيلَ الشعرَ قَصْدِي ... إلى المَعْنَى وعِلْمِي بالصَّوابِ)
(وإيجازِي بمُخْتَصَرٍ قريبٍ ... حذفتُ به الفضولَ من الجَوابِ)
(فأبْعَثُهُنَّ أربعةً وخَمْساً ... مُثَقَّفَةً بألفاظٍ عِذابِ)
(خَوالِدَ ما حدَا ليلٌ نهاراً ... وما حَسُنَ الصِّبَا بأخي الشَّبابِ)
(وهُنَّ إذا وَسَمْتُ بهنَّ قوماً ... كأطواقِ الحمائم في الرِّقابِ)
(وهُنَّ إذا أقمتُ مسافراتٌ ... تَهَادَتْهَا الرُّواةُ مع الرِّكابِ)
خبره مع أبي ذؤيب
حدثني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال
كان بالأهواز رجل يعرف بأبي ذؤيب من التتار وكان مقصد الشعراء وأهل الأدب فقصده محمد بن حازم فدخل عليه يوما وعليه ثياب بذة وهيئة رثة ولم يعرف نفسه وصادفهم يتكلمون في شيء من معاني الشعر وأبو ذؤيب يتكلم متحققا بالعلم بذلك فسأله محمد بن حازم وقد دخل عليه
يوما عن بيت من شعر الطرماح جهله فرد عليه جوابا محالا كالمستصغر له وازدراه فوثب عن مجلسه مغضبا فلما خرج قيل له ماذا صنعت بنفسك وفتحت عليها من الشر أتدري لمن تعرضت قال ومن ذاك قيل محمد بن حازم الباهلي أخبث الناس لسانا وأهجاهم فوثب إليه حافيا حتى لحقه فحلف له أنه لم يعرفه واستقاله فأقاله وحلف أنه لا يقبل له رفدا ولا يذكره بسوء مع ذلك أبدا وكتب إليه بعد أن افترقا
(أخطا وَرَدَّ عليَّ غيرَ جوابي ... وزرى عليّ وقال غيرَ صوابِ)
(وسكنتُ من عَجَبٍ لذاك فزادني ... فيما كَرِهْتُ يظنّه المرتابُ)
(وقضى عليَّ بظاهرٍ من كُسْرَةٍ ... لم يَدْرِ ما اشتملتْ عليه ثيابي)
(من عِفّةٍ وتَكَرُّمٍ وتحمُّلٍ ... وتَجلُّدٍ لمصيبةٍ وعِقابِ)
(وإذا الزمان جنى عليَّ وجدتَني ... عُوداً لبعضِ صفائحِ الأقتابِ)
(ولئن سألتَ لَيُخْبِرَنَّكَ عالِمٌ ... أنّي بحيثُ أحبُّ من آدابِ)
(وإذا نَبَا بِيَ مَنْزِلٌ خَلَّيْتُهُ ... قَفْراً مجالَ ثعالبٍ وذِئابِ)
(وأكون مُشْتَرِكَ الغِنَى مُتَبَذِّلاً ... فإذا افتقرتُ قعدتُ عن أصحابي)
(لكنّه رجعتْ عليه ندامةٌ ... لَمَّا نُسِبْتُ وخاف مَضَّ عِتابي)
((فأقَلْتُه لمّا أقرَّ بذنبه ... ليس الكريمُ على الكريمِ بنابِ
أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا النوفلي قال كان سعد بن مسعود القطربلي أبو إسحاق بن سعد صديقا لمحمد بن

حازم الباهلي فسأله حاجة فرده عنها فغضب محمد وانقطع عنه فبعث إليه بألف درهم وترضاه فردها وكتب إليه
(مُتَّسِعُ الصَّدرِ مُطِيقٌ لِمَا ... يَحارُ فيه الحُوَّلُ القُلَّبُ)
(راجِعْ بالعُتْبي فأعتبته ... وربما أعتبك المذْنِبُ)
(أجَلْ وفي الدَّهرِ على أنه ... موكَّل بالبين مُستْعتَبُ)
(سَقْياً ورعْياً لزمانٍ مَضَى ... عَنِّي وسَهْمُ الشَّامتِ الأخيبُ)
(قد جاءني منكَ مُوَيْلٌ فلم ... أعْرِضْ له والحُرُّ لا يَكْذِبُ)
(أخْذِيَ مالاً منكَ بعد الَّذي ... أوْدَعْتَنِيهِ مَرْكَبٌ يَصْعُبُ)
(أبَيْتُ أن أشربَ عند الرضا ... والسُّخْطِ إلاَّ مَشْرَباً يَعْذُبُ)
(أعَزَّني اليأس وأغْنَى فما ... أرجو سِوَى اللهِ ولا أهْرُبُ)
(قارونُ عندي في الغِنَى مُعْدِمٌ ... وهمَّتي ما فوقَها مَذْهَبُ)
(فأيُّ هاتَيْنِ تَرَانِي بها ... أصبو إلى مالِكِ أو أرْغَبُ)
قصته مع أحمد بن يحيى
حدثنا محمد بن العباس اليزيدي وعيسى بن الحسين الوراق واللفظ له
قالا حدثنا الخليل بن أسد النوشجاني قال حدثنا حماد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن يحيى قال آخر ما فارقت عليه محمد بن حازم أنه قال لم يبق شيء من اللذات إلا بيع السنانير فقلت له سخنت عينك أيش لك في بيع السنانير من اللذات قال يعجبني أن تجيئني العجوز الرعناء تخاصمني وتقول هذا سنوري سرق مني وأخاصمها وأشتمها وتشتمني وأغيظها وأباغضها ثم أنشدني
(صِلْ خَمرةً بِخُمَارِ ... وصِلْ خُمَاراً بخمر)
(وخُذْ بِحَظِّكَ منها ... زاداً إلى حيث تدري)
قال قلت إلى أين ويحك قال إلى النار يا أحمق
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني الحسن بن أبي السري قال كان إسحاق بن أحمد بن أبي نهيك آنسا بمحمد بن حازم الباهلي يدعوه ويعاشره مدة فكتب إليه يستزيره ويعاتبه عتابا أغضبه وبلغه أنه غضب فكتب إليه
(ما مُستَزيرُكَ في وُدٍّ رأى خَلَلاً ... في موضع الأُنْسِ أهلاً منك للغَضَبِ)
((قد كُنْتَ تُوجِبُ لي حقّاً وتَعْرِفُ لي ... قَدْري وتَحْفَظُ مِنِّي حُرْمَةَ الأدبِ
(ثم انحرفتَ إلى الأُخْرَى فأحْشَمَنِي ... ما كان منكَ بلا جُرْمٍ ولا سَبَبِ)
(وإنَّ أدنَى الذي عندي مُسَامَحَةٌ ... في حاجتي بعد أن أعذرتُ في الطَّلبِ)
(فاخْتَرْ فعِنديَ من ثِنْتَيْنِ واحدةٌ ... عُذْرٌ جميلٌ وشُكْرٌ ليس باللَّعِبِ)
(... فإنْ تُجَدِّدْ كما قد كُنْتَ تفعلُهُ)
خبره مع الحسن بن سهل
حدثني محمد بن يونس الأنباري المعروف بمحصنة قال حدثني ميمون بن هارون قال قال محمد بن حازم الباهلي عرضت لي حاجة في عسكر أبي محمد الحسن بن سهل فأتيته وقد كنت قلت في السفينة شعرا فلما دخلت على محمد بن سعيد بن سالم انتسبت له فعرفني فقال ما قلت فيه شيئا فقال له رجل كان معي بلى قد قال أبياتا وهو في السفينة فسألني أن أنشده فأنشدته قولي
(وقالوا لو مدحتَ فَتَىً كريماً ... فقلتُ وكيف لي بِفَتىً كريم)
(بَلَوْتُ الناسَ مُذْ خمسين عاماً ... وحَسْبُكَ بالمُجَرِّبِ من عليمِ)
(فما أحدٌ يُعَدُّ ليوم خيرٍ ... ولا أحدٌ يعود ولا حميمُ)
(ويعجبني الفتى وأظنُّ خيراً ... فأكشف منه عن رجلٍ لئيم)
(تَقَيَّلَ بعضُهم بعضاً فَأَضْحَوْا ... بني أَبَوَيْنِ قُدّاً من أَدِيمِ)
((فطافَ الناسُ بالحَسَنِ بن سَهْلٍ ... طَوَافَهُمُ بِزَمْزَمَ والحَطِيمِ
(وقالوا سَيِّدٌ يُعطِي جزيلاً ... ويَكْشِفُ كُرْبَةَ الرجلِ الكظيمِ)
(فقلتُ مضِي بِذَمِّ القومِ شِعْرِي ... وقد يُؤْتَى البَرِيءُ مِنَ السَّقيمِ)
(وما خَبَرٌ تُرَجِّمُهُ ظُنُونِي ... بأشْفَى من مُعايَنةِ الحَلِيمِ)
(فجئتُ وللأمورِ مُبَشِّراتٌ ... ولن يخفَى الأغَرُّ من البَهِيمِ)
(فَإنْ يَكُ ما تَنَشَّرَ عنه حَقّاً ... رجعت بأُهْبَةِ الرجلِ المُقِيمِ)
(وإنْ يكُ غيرُ ذاكَ حَمِدتُ رَبِّي ... وزال الشكُّ عن رجلٍ حكيم)
(وما الآمالُ تَعْطِفُنِي عليه ... ولكنَّ الكريمَ أخو الكريمِ)
قال فلما أنشدته هذا الشعر قال لي بمثل هذا الشعر تلقى الأمير والله لو كان نظيرك لما جاز أن تخاطبه بمثل هذا فقلت صدقت فكذلك قلت إنني لم أمدحه بعد ولكنني سأمدحه مدحا يشبه مثله قال فافعل وأنزلني عنده ودخل إلى الحسن فأخبره بخبري وعجبه من جودة البيت الأخير فأعجبه فأمر بإدخالي إليه بغير مدح فأدخلت إليه فأمرني أن أنشد هذا الشعر فاستعفيته فلم يعفني وقال قد قنعنا منك بهذا القدر إذ لم تدخلنا في جملة من ذممت وأرضيناك بالمكافأة الجميلة فأنشدته إياه فضحك وقال ويحك مالك وللناس تعمهم بالهجاء حسبك الآن من هذا النمط وأبق عليهم فقلت وقد وهبتهم للأمير قال قد قبلت وأنا أطالبك بالوفاء مطالبة من أهديت إليه هدية فقبلها وأثاب عليها ثم وصلني فأجزل وكساني فقلت في ذلك وأنشدته (وهبتُ القومَ للحَسَنِ بن سَهْلٍ ... فَعَوَّضَنِي الجزيلَ من الثَّوابِ
((وقال دَعِ الهِجاءَ وقُلْ جَميلاً ... فإنَّ القَصْدَ أقربُ للثوابِ
(فقلت له بَرِئتُ إليكَ منهمْ ... فليتَهُمُ بِمُنْقَطَعِ التُّرابِ)
(ولولا نعمةُ الحَسَنِ بن سهلٍ ... عليَّ لَسُمْتُهُمْ سُوءَ العذاب)
(بِشِعْرٍ يَعْجَبُ الشعراءُ منه ... يُشَبِّهُ بالهجاءِ وبالعِتَابِ)
(أَكِيدُهُمُ مُكَايَدَةَ الأعادي ... وأَخْتِلُهُمْ مُخاتَلةَ الذِّئابِ)

(بَلَوْتُ خيارَهم فَبَلَوْتُ قوماً ... كُهولُهُمُ أخَسُّ من الشَّباب)
(وما مُسِخُوا كِلاباً غيرَ أنِّي ... رأيتُ القومَ أشباهَ الكِلابِ)
قال فضحك وقال ويحك الساعة ابتدأت بهجائهم وما أفلتوا منك بعد فقلت هذه بغية طفحت على قلبي وأنا كاف عنهم ما أبقى الله الأمير
شعره في صديق علا قدره فجفاه
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي بن الحسن الشيباني قال كان لمحمد بن حازم الباهلي صديق على طول الأيام فنال مرتبة من السلطان وعلا قدره فجفا محمدا وتغير له فقال في ذلك محمد بن حازم
(وَصْلُ المُلُوكِ إلى التَّعالي ... ووَفَا المُلُوكِ من المُحَالِ)
(مالي رَأيْتُكَ لا تَدُومُ ... على المَوَدَّةِ للرِّجَالِ)
(إنْ كانَ ذا أدَبٍ وظَرفٍ ... قلتَ ذاكَ أخو ضَلاَلِ)
(أو كان ذا نُسُكٍ ودِينٍ ... قلتَ ذاك من الثِّقالِ)
(أو كان في وَسَطٍ مِنَ المَرْيَن ... قلتَ يَرِيغُ مالي)
(فَبِمِثْلِ ذا ثَكِلَتْكَ أمُّكَ ... تبتغي رُتَبَ المعالي)
حدثني الحسن قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني الحسن بن علي الشيباني قال كان محمد بن حازم الباهلي قد نسك وترك شرب النبيذ فدخل يوما على إبراهيم بن المهدي فحادثه وناشده وأكل معه لما حضر الطعام ثم جلسوا للشراب فسأله إبراهيم أن يشرب فأبى وأنشأ يقول
(أبعد خمسين أصبو ... والشَّيْبُ للجهلِ حَرْبُ)
(سِنٌّ وشَيْبٌ وجَهْلٌ ... أمرٌ لعَمْرُكَ صَعْبُ)
(يابنَ الإمامِ فَهَلاّ ... أيَّامَ عُودِي رَطْبُ)
(وشَيْبُ رأسي قليلٌ ... ومَنْهَلُ الحُبِّ عَذْبُ)
(وإذْ سِهامِي صِيَابٌ ... ونَصْلُ سَيْفِي عَضْبُ)
(وإذْ شِفاءُ الغَوَانِي ... مِنِّي حديثٌ وقُرْبُ)
(فالآن لمّا رأى بي العُذَّالُ ... لي ما أحبوا)
(وأقْصَرَ الجهلُ مِنِّي ... وساعدَ الشَّيْبَ لُبُّ)
(وآنسَ الرُّشْدُ مِنِّي ... قومٌ أعابُ وأصبوا)
(آليتُ أشربُ كأساً ... ما حجَّ للّهِ رَكْبُ)
حدثني الحسن قال حدثنا ابن مهروية قال حدثني الحسن بن أبي السري قال
وعد النوشجاني محمد بن حازم شيئا سأله إياه ثم مطله وعاتبه فلم ينتفع بذلك واقتضاه فأقام على مطله فكتب إليه
(أبَا بِشْرٍ تَطاوَلَ بِي العِتَابُ ... وطال بِيَ التَّرَدُّدُ والطِّلاَبُ)
(ولم أتْرُكْ من الأعذار شيئاً ... ألام به وإنْ كَثُرَ الخِطَابُ)
(سَألْتُكَ حاجةً فطَوَيْتَ كَشْحاً ... على رغْمٍ وللدَّهْرِ انْقِلاَبُ)
(وسُمْتَني الدَّنِيَّةَ مُسْتَخِفّاً ... كما خُزِمتْ بأنفها الصِّعابُ)
(كأنَّكَ كنتَ تطلُبني بثأر ... وفي هذا لكَ العَجَبُ العُجَابُ)
(فإنْ تَكُ حاجتي غَلَبَتْ وأعيَتْ ... فمعذورٌ وقد وَجَبَ الثوابُ)
(وإنْ يكُ وَقْتُها شَيْبَ الغُرابِ ... فلا قُضِيتْ ولا شابَ الغُرابُ)
(رجوتُكَ حين قيل لي ابنُ كِسرَى ... وإنَّكَ سِرُّ مُلْكِهمُ اللُّبَابُ)
(فقدْ عَجَّلْت لي من ذاكَ وَعْداً ... وأقربُ من تَناوُلِهِ السَّحابُ)
(وكلٌّ سوف يُنْشَرُ غيرَ شَكٍّ ... ويَحْمِلُهُ لِطِيَّتِهِ الكتابُ)
أخبرني الحسن قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني الحسن بن أبي السري قال قصد محمد بن حازم بعض ولد سعيد بن سالم وقد ولي عملا واسترفده فأطال مدته ولم يعطه شيئا وانصرف عنه وقال
(ألِلدُّنْيَا أُعِدُّكَ يا بنَ عَمِّي ... فَأعْلَمَ أم أُعِدُّكَ للحسابِ
(إلى كَمْ لاَ أراكَ تُنِيل حَتَّى ... أهُزَّكَ قد بَرِئْتُ من العتابِ)
(وما تنفكُّ من جَمْعٍ ووضْعٍ ... كأنَّك لستَ تُوقِنُ بالإيابِ)
(فَشَرُّكَ عن صديقِك غيرُ ناءٍ ... وخَيْرُكَ عند مُنْقَطَعِ الترابِ)
(أتيتُكَ زائراً فأتيتُ كلباً ... فَحَظِّي من إخائِكَ لِلْكِلاَبِ)
(فبِئسَ أخو العشيرةِ ما عَلِمْنَا ... وأخبثُ صاحبٍ لأخي اغترابِ)
(أيرحَلُ عنكَ ضَيْفُكَ غيرَ راضٍ ... ورحْلُكَ واسِعٌ خِصْبُ الجنابِ)
(فقد أصبحتَ من كرمٍ بعيداً ... ومن ضِدّ المكارمِ في اللُّبابِ)
(وما بَيَ حاجةٌ لجَدَاكَ لكن ... أرُدُّكَ عن قَبِيحِكَ للصَّوابِ)
حدثني عمي قال حدثني يزيد بن محمد المهلبي قال كنا عند المتوكل يوما وقد غاضبته قبيحة فخرج إلينا فقال من ينشدني منكم شعرا في معنى غضب قبيحة علي وحاجتي أن أخضع لها حتى ترضى فقلت له لقد أحسن محمد بن حازم الباهلي يا أمير المؤمنين حيث يقول
(صفحتُ برَغْمِي عنكَ صَفْحَ ضرورةٍ ... إليك وفي قلبي نَدُوبٌ من العَتْبِ)
(خضعتُ وما ذَنْبِي إن الحُبِّ عَزَّنِي ... فأغضيتُ صفحاً عن معالَجة الحبِّ)
(وما زال بي فقرٌ إليك مُنَازِعٌ ... يُذَلِّلُ مِنِّي كلَّ مُمْتَنِعٍ صَعْبِ)
(إلى اللهِ أشكو أنّ وُدِّي مُحَصَّلٌ ... وقلبي جميعاً عند مُقْتَسِمِ القَلْبِ)
الغناء لعبيدة الطنبورية رمل بالوسطى قال أحسنت وحياتي يا يزيد وأمر بأن يغنى فيه وأمر لي بألف دينار
شعره في هجاء بني نمير

حدثني الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثنا علي بن خالد البرمكي قال سافر محمد بن حازم الباهلي سفرا فمر بقوم من بني نمير فسلوا منه بعيرا له عليه ثقله فقال يهجوهم
(نُمَيْرٌ أَجْبُنا حيث يختلف القنا ... ولُؤْماً وبُخْلاً عند زادٍ ومِزْوَدِ)
(ومنْعَ قِرَى الأضياف من غير علّةٍ ... ولا عَدَمٍ إلا حِذَارَ التَّعَوُّدِ)
(وبَغْياً على الجارِ الغريبِ إذا طَرَا ... عليكم وخَتْلَ الرَّاكبِ المُتفرِّدِ)
(على أنّكم تَرْضَوْنَ بالذُّلِّ صاحباً ... وتُعطُونَ مَنْ لا حاكمُ الضَّيمَ عن يَدِ)
(أمَا وأبي إنَّا لَنَعْفُو وإنَّنا ... على ذاكِ أحياناً نَجُورُ ونعتدي)
(نَكِيدُ العِدَا بالحِلْمِ من غيرِ ذِلّةٍ ... ونَغْشَى الوَغَى بالصِّدْقِ لا بالتَّوَعُّدِ)
(نَفَى الضَّيْمَ عَنَّا أنفسٌ مُضَرِيَّةٌ ... صِراحٌ وطَعْنُ الباسِلِ المُتمرِّدِ)
(وإنَّا لمن قَيْسِ بنِ عَيْلاَن في التي ... هي الغايةُ القُصْوَى بِعِزٍّ وسُودَدِ)
(وإنّ لنا بالتُّرْكِ قَبْراً مُباركاً ... وبالصِّينِ قبراً عِزَّ كلِّ مُوحِّدِ)
(وما نابَنا صَرْفُ الزمانِ بِسَيِّدٍ ... بَكَيْنا عليه أو يُوافِي بِسَيِّدِ)
(ولو أنَّ قوماً يَسلَمُونَ من الرَّدَى ... سَلِمْنا ولكنَّ المَنَايَا بِمَرْصَدِ)
((أبى اللّه أن يَهدِي نُمَيْراً لِرُشْدِها ... ولا يَرْشُدُ الإنسانُ إلاَّ بِمَرْشِدِ
هجاؤه عامل الأهواز
حدثني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم ورجل من ولد البختكان من الأهوازيين أن محمد بن حامد ولي بعض كور الأهواز في أيام المأمون وأن محمد بن حازم الباهلي قدم عليه زائرا ومدحه فوصله وأحسن إليه وكتب له إلى تستر بحنطة وشعير فمضى بكتابه وأخذ ما كتب له به وتزوج هناك امرأة من الدهاقين فزرع الحنطة والشعير في ضيعتها وولى محمد بن حامد رجلا من أهل الكوفة الخراج بتستر فوكل بغلة محمد بن حازم وطالبه بالخراج فأداه فقال يهجوه
(زَرَعنا فلمَّا سلَّم اللّه زرْعَنا ... وأوفى عليه مِنْجَلٌ بِحَصَادِ)
(بُلِينَا بِكُوفِيٍّ حَليفِ مَجاعَةٍ ... أضرَّ علينا من دَباً وجَرادِ)
(أتى مُستَعِداً ما يُكَذِّبُ دونه ... ولَجَّ بإرغامٍ له وبِعادِ)
(فطَوْراً بإلحاحٍ عليَّ وغِلْظَةٍ ... وطوراً بِخَبْطٍ دائمٍ وفسادِ)
(ولولا أبو العبَّاس أعني ابنَ حامِدٍ ... لَرَحَّلْتُه عن تُسْتَرٍ بِسَوَادِ)
(فَكُفُّوا الأذى عن جاركم وتعلَّموا ... بأنّي لكم في العالمين مُنَادِي)
فبعث محمد بن حامد إلى عامله فصرفه عن الناحية وقال له عرضتني لما أكره واحتمل خراج محمد بن حازم
أخبرني محمد بن الحسين بن الكندي المؤدب قال حدثنا الرياشي قال سمعت الأصمعي يقول قال هذا الباهلي محمد بن حازم في وصف الشيب شيئا حسنا فقال له أبو محمد الباهلي تعني قوله
(كفاكَ بالشَّيْبِ ذنباً عند غانيةٍ ... وبالشَّبابِ شفيعاً أيُّها الرَّجُلُ)
فقال إياه عنيت فقال له الباهلي ما سمعت لأحد من المحدثين أحسن منه
حدثني عمي قال حدثنا حسين بن فهم قال حدثني أبي قال دخل محمد بن حازم على محمد بن زبيدة وهو أمير فدعاه إلى أن يشرب معه فامتنع وقال
(أبعد خمسين أصبو ... والشَّيْبُ للجهلِ حَرْبُ)
(سِنٌّ وشَيْبٌ وجهلٌ ... أمرٌ لَعَمْرُكَ صَعْبُ)
(يابْنَ الإمامِ فَهَلاَّ ... أيَّامَ عُودِي رَطْبُ)
(وشيبُ رأسِي قليلٌ ... ومَنْهَلُ الحُبِّ عَذْبُ)
(وإذْ شِفَاءُ الغَوَانِي ... مِنِّي حديثٌ وشُرْبُ)
(الآن حين رأى بي ... عواذِلِي ما أحَبُّوا)
(آليتُ أشْرَبُ كأساً ... ما حَجَّ للّهِ رَكْبُ
قال فأعطاه محمد بن زبيدة ووصله
أخبار ابن القصار ونسبه
اسمه فيما أخبرني به أبو الفضل بن برد الخيار سليمان بن علي وذكره جحظة في كتاب الطنبوريين فتله في نفسه وأخلاقه ومدح صنعته وقال مما أحسن فيه قوله
(أرِقْتُ لِبَرْقٍ لاَحَ في فَحْمَةِ الدُّجَى ... فأذْكَرَنِي الأحبابَ والمنزلَ الرَّحبا)
قال وهذا خفيف رمل مطلق
ومما أحسن فيه أيضا
(تعالَيْ نُجَدِّدُ عهدَ الصِّبَا ... ونَصْفَحُ للحُبِّ عمّا مَضَى)
وهو خفيف رمل مطلق وذكر أنه كان مع أبيه قصارا وتعلم الغناء فبرع فيه ومن طيب ما ثلبه به جحظة وتنادر عليه به وأراها مصنوعة أنه مر يوما على أبيه ومعه غلام يحمل قاطرميز نبيذ
وجوامرجة مذبوحة مسموطة فقال الحمد لله الذي أراني ابني قبل موتي يأكل لحم الجواميرات ويشرب نبيذ القاطرميزات
وحدث عن بعض جيرانه أن ابن القصار غنى له يوما بحبل ودلو وأن إسماعيل بن المتوكل وهب له مائتي أترجة كانت بين يديه فباعها بثلاثة دنانير وأنه يحمل بلبكيذه إلى دار السلطان وله فيه خبز وجبن فيأكله ويحمل في البلبكيذ ما يوضع بين يديه في دار السلطان فيدعو إخوانه عليه وأكثر من ثلب الرجل مما لا فائدة فيه ولو أراد قائل أن يقول فيه ما لا يبعد من هذه الأخلاق لوجد مقالا واسعا ولكنه مما يقبح ذكره سيما وقد لقيناه وعاشرناه عفا الله عنا وعنه
أخبرنا ذكاء وجه الرزة قال كنا نجتمع مع جماعة في الطنبوريين ونشاهدهم في دور الملوك وبحضرة السلطان فما شاهدت منهم أفضل من المسرور وعمر الميداني وابن القصار
قصته مع قمرية زوجة البلوري
وحدثتني قمرية البكتمرية قالت كنت لرجل من الكتاب يعرف بالبلوري وكان شيخا وكانت ستي التي ربتني مولاته وكانت مغنية شجية الصوت حسنة الغناء وكانت تعشق ابن القصار وكانت علامة مصيره إليها أن يجتاز في دجلة وهو يغني فإن

قدرت على لقائه أوصلته إليها وإلا مضى فأذكره وقد اجتاز بنا في ليلة مقمرة وهو يغني خفيف رمل قال
(أنا في يُمْنَى يَدَيْهَا ... وهي في يُسْرَى يَدَيْهْ
(إنَّ هذا لَقَضَاءٌ ... فيه جَوْرٌ يا أُخَيَّهْ)
ويغني في آخر رده
(... وَيْل وَيْلِي يا أُبَيَّهْ)
وكانت ستي واقفة بين يدي مولاها فما ملكت نفسها أن صاحت أحسنت والله يا رجل فتفضل وأعد ففعل وشرب رطلا وانصرف وعلم أنه لا يقدر على الوصول إليها وكان مولاها يعرف الخبر فتغافل عنها لموضعها من قلبه فلا أذكر أني سمعت قط أحسن من غنائه

صوت

(باح بالوجدِ قلبُك المُسْتَهامُ ... وجرت في عِظامك الأسقامُ)
(يوم لا يملك البكاءَ أخو الشَّوْقِ ... فيُشفَى ولا يُرَدُّ سلامُ)
لم يقع إلي قائل هذا الشعر والغناء لمعبد اليقطيني ثاني ثقيل بالبنصر عن أحمد بن المكي

أخبار معبد

كان معبد اليقطيني غلاما مولدا خلاسيا من مولدي المدينة اشتراه بعض ولد علي بن يقطين وقد شدا بالمدينة وأخذ الغناء عن جماعة من أهلها وعن جماعة أخرى من علية المغنين بالعراق في ذلك الوقت مثل إسحاق وابن جامع وطبقتهما ولم يكن فيما ذكر بطيب المسموع ولا خدم أحدا من الخلفاء إلا الرشيد ومات في أيامه وكان أكثر انقطاعه إلى البرامكة

خبره مع غلام من المدينة

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال حدثني معبد الصغير المغني مولى علي بن يقطين قال كنت منقطعا إلى البرامكة آخذ منهم وألازمهم فبينا أنا ذات يوم في منزلي إذا بابي يدق فخرج غلامي ثم رجع إلي فقال على الباب فتى ظاهر المروءة يستأذن عليك فأذنت له فدخل علي شاب ما رأيت أحسن وجها منه ولا أنظف ثوبا ولا أجمل زيا منه من رجل دنف عليه آثار السقم ظاهرة
فقال لي إني أرجو لقاك منذ مدة فلا أجد إليه سبيلا وإن لي حاجة قلت ما هي فأخرج ثلثمائة دينار فوضعها بين يدي ثم قال أسألك أن تقبلها وتصنع في بيتين قلتهما لحنا تغنيني به فقلت هاتهما فأنشدهما وقال

صوت

(واللهِ يا طَرْفِيَ الجانِي على بَدَنِي ... لَتُطْفِئَنَّ بِدَمْعِي لوعةَ الحَزَنِ)
(أو لأَبُوحَنَّ حتَّى يَحْجُبُوا سَكَنِي ... فلا أراه ولو أُدْرِجْتُ في كَفَنِي)
الغناء فيه لمعبد اليقطيني ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى قال فصنعت فيهما لحنا ثم غنيته إياه فأغمي عليه حتى ظننته قد مات ثم أفاق فقال أعد فديتك فناشدته الله في نفسه وقلت أخشى أن تموت
فقال هيهات أنا أشقى من ذاك وما زال يخضع لي ويتضرع حتى أعدته فصعق صعقة أشد من الأولى حتى ظننت أن نفسه قد فاظت فلما أفاق رددت الدنانير عليه ووضعتها بين يديه وقلت يا هذا خذ دنانيرك وانصرف عني فقد قضيت حاجتك وبلغت وطرا مما أردته ولست أحب أن أشرك في دمك فقال يا هذا لا حاجة لي في الدنانير فقلت لا والله ولا بعشرة أضعافها إلا على ثلاث شرائط قال وما هن قلت أولها أن تقيم عندي وتتحرم بطعامي والثانية أن تشرب أقداحا من النبيذ تشد قلبك وتسكن ما بك والثالثة أن تحدثني بقصتك فقال أفعل ما تريد فأخذت الدنانير ودعوت بطعام فأصاب منه إصابة معذر ثم دعوت بالنبيذ فشرب أقداحا وغنيته بشعر غيره في معناه وهو يشرب ويبكي ثم قال الشرط أعزك الله فغنيته فجعل يبكي أحر بكاء
وينشج أشد نشيج وينتحب فلما رأيت ما به قد خف عما كان يلحقه ورأيت النبيذ قد شد من قلبه كررت عليه صوته مرارا ثم قلت حدثني حديثك فقال أنا رجل من أهل المدينة خرجت متنزها في ظاهرها وقد سال العقيق في فتية من أقراني وأخداني فبصرنا بقينات قد خرجن لمثل ما خرجنا له فجلسن حجرة منا وبصرت فيهن بفتاة كأنها قضيب قد طله الندى تنظر بعينين ما ارتد طرفهما إلا بنفس من يلاحظهما فأطلنا وأطلن حتى تفرق الناس وانصرفن وانصرفنا وقد أبقت بقلبي جرحا بطيئا اندماله
فعدت إلى منزلي وأنا وقيذ
وخرجت من الغد إلى العقيق وليس به أحد فلم أر لها ولا لصواحباتها أثرا
ثم جعلت أتتبعها في طرق المدينة وأسواقها فكأن الأرض أضمرتها فلم أحس لها بعين ولا أثر وسقمت حتى أيس مني أهلي
ودخلت ظئري فاستعلمتني حالي وضمنت لي حالها والسعي فيما أحبه منها فأخبرتها بقصتي فقالت لا بأس عليك هذه أيام الربيع وهي سنة خصب وأنواء وليس يبعد عنك المطر وهذا العقيق فتخرج حينئذ وأخرج معك فإن النسوة سيجئن فإذا فعلن ورأيتها تبعتها حتى أعرف موضعها ثم أصل
بينك وبينها وأسعى لك في تزويجها
فكأن نفسي اطمأنت إلى ذلك ووثقت به وسكنت إليه فقويت وطمعت وتراجعت نفسي وجاء مطر بعقب ذلك فأسال الوادي وخرج الناس وخرجت مع إخواني إليه فجلسنا مجلسنا الأول بعينه فما كنا والنسوة إلا كفرسي رهان وأومأت إلى ظئري فجلست حجرة منا ومنهن وأقبلت على إخواني فقلت لقد أحسن القائل حيث قال
(رَمَتْنِي بسهم أقْصَدَ القلبَ وانْثَنَتْ ... وقد غادرتْ جُرْحاً به ونُدُوبَا)
فاقبلت على صواحباتها فقالت أحسن والله القائل وأحسن من أجابه حيث يقول
(بِنَا مثلُ ما تَشْكُو فَصَبْراً لَعَلَّنا ... نرى فَرَجاً يَشْفِي السَّقامَ قَرِيبَا)
فأمسكت عن الجواب خوفا من أن يظهر مني ما يفضحني وإياها وعرفت ما أرادت
ثم تفرق الناس وانصرفنا وتبعتها ظئري حتى عرفت منزلها وصارت إلي فأخذت بيدي ومضينا إليها
فلم تزل تتلطف حتى وصلت إليها
فتلاقينا وتداورنا على حال مخالسة ومراقبة

وشاع حديثي وحديثها وظهر ما بيني وبينها فحجبها أهلها وتشدد عليها أبوها
فما زلت أجتهد في لقائها فلا أقدر عليه
وشكوت إلى أبي لشدة ما نالني حالي وسألته خطبتها لي
فمضى أبي ومشيخة أهلي إلى أبيها فخطبوها
فقال لو كان بدأ بهذا قبل أن يفضحها ويشهرها لأسعفته بما التمس ولكنه قد فضحها فلم أكن لأحقق قول الناس فيها بتزويجه إياها فانصرفت على يأس منها ومن نفسي
قال معبد فسألته أن ينزل فخبرني وصارت بيننا عشرة
ثم جلس جعفر بن يحيى للشرب فأتيته فكان أول صوت غنيته صوتي في شعر الفتى فطرب عليه طربا شديدا وقال ويحك إن لهذا الصوت حديثا فما هو فحدثته فأمر بإحضار الفتى فأحضر من وقته واستعاده الحديث فأعاده عليه
فقال هي في ذمتي حتى أزوجك إياها فطابت نفسه وأقام معنا ليلتنا حتى أصبح
وغدا جعفر إلى الرشيد فحدثه الحديث فعجب منه وأمر بإحضارنا جميعا فأحضرنا وأمر بأن أغنيه الصوت فغنيته وشرب عليه وسمع حديث الفتى فأمر من وقته بالكتاب إلى عامل الحجاز بإشخاص الرجل وابنته وجميع أهله إلى حضرته فلم يمض إلا مسافة الطريق حتى أحضر
فأمر الرشيد بإيصاله إليه فأوصل وخطب إليه الجارية للفتى وأقسم عليه ألا يخالف أمره فأجابه وزوجه إياها وحمل إليه الرشيد ألف دينار لجهازها وألف دينار لنفقة طريقه وأمر للفتى بألف دينار وأمر جعفر لي وللفتى بألف دينار
وكان المدني بعد ذلك في جملة ندماء جعفر بن يحيى
صوت
(هل نَفْسُكَ المستهامة السَّدِمَهْ ... سالِيةٌ مَرَّةً ومُعْتَزِمَهْ)
(عن ذِكْر خَوْدٍ قَضَى لها المَلِكُ الْخَالِقُ ... ألاَّ تُكِنَّها ظُلُمَهْ)
الشعر لابن أبي الزوائد والغناء لحكم رمل بالوسطى عن الهشامي
أخبار ابن أبي الزوائد ونسبه
اسمه سليمان بن يحيى بن زيد بن معبد بن أيوب بن هلال بن عوف بن نضلة بن عصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور
ويقال له ابن أبي الزوائد أيضا
شاعر مقل من مخضرمي الدولتين وكان يؤم الناس في مسجد رسول الله
ذكره لجارية تعشقها في شعره
أخبرني بذلك محمد بن خلف وكيع قال حدثنا ابن أبي خيثمة عن بعض رجاله عن الأصمعي وأخبرني وكيع قال حدثني طلحة بن عبد الله الطلحي قال أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال
كان ابن أبي الزوائد يتعشق جارية سوداء مولاة الصهيبيين وكان يختلف إليها وهي في النخل بحاجزة فلما حان الجداد قال
(حُجَيْجُ أمسَى جَدَادُ حاجِزةٍ ... فليتَ أنَّ الجِدَاد لم يَحِنِ)
(وشتَّ بَيْنٌ وكُنْتِ لي سَكَناً ... فيما مَضَى كان ليس بالسَّكَنِ)
(قد كانَ لي مِنْكِ ما أُسِرُّ به ... وليتَ ما كان مِنْكِ لم يَكُنِ)
(نَعِفُّ في لَهْونا ويَجْمَعُنَا المَجْلِسُ ... بين العريش والجرْنِ)
(يُعْجِبُنَا اللَّهْوُ والحديثُ ولا ... نَخْلِط في لَهْوِنَا هَنًا بِهَنِ)
(لَوْ قَدْ رحلتُ الحمارَ منكشفاً ... لم أرَها بَعْدَها ولم تَرَني)
فقال له أبو محمد الجمحي إن الشعراء يذكرون في شعرهم أنهم رحلوا الإبل والنجائب وأنت تذكر أنك رحلت حمارا
فقال ما قلت إلا حقا والله ما كان لي شيء أرحله غيره
قال وقال فيها أيضا
(يا ليتَ أنَّ العربَ استَلْحَقُوا ... ريمَ الصُّهَيْبيِّينَ ذاكَ الأجَمّ)
(وكان منهم فتزوَّجْتُه ... أو كنتُ من بعضِ رجال العَجَمْ)
أخبرني وكيع قال حدثني طلحة بن عبد الله بن الزبير بن بكار عن عمه قال
كان أبو عبيدة بن عبد الله بن ربيعة صديقا لابن أبي الزوائد ثم تباعد - ما بينهما لشيء بلغ أبا عبيدة عنه فهجره من أجله فهجاه فقال
(قَطَعَ الصفاء ولم أكن ... أهلاً لذاك أبو عُبَيْدَهْ)
(لا تَحْسَبَنَّكَ عاقلاً ... فلأنتَ أحمقُ من حُمَيْدَهْ)
حميدة امرأة كانت بالمدينة رعناء يضرب بها المثل في الحمق
(شعر قبيح في قيان حماد بن عمران وهجاؤه لامرأته
حدثني عمي ووكيع قالا حدثنا الكراني عن أبي غسان دماذ عن أبي عبيدة قال
دخل ابن أبي الزوائد إلى حماد بن عمران الطليحي وكان يلقب بعطعط وكان له قيان يسمعهن الناس عنده فرآهن ابن أبي الزوائد فقال فيهن
(أقولُ وقد صُفَّتِ البُظْرُلي ... ألِلْبُظْرِ أدخلني عُطْعُطُ)
(فإنِّي امرؤٌ لا أحِبُّ الزِّنَا ... ولا يَستَفِزُّني البَرْبَطُ)
(ولو بَعْضُهنَّ ابتغى صَبْوَتِي ... لَخالَطَ هَامَتَها المِخْبَطُ)
(لبئس فِعالُ امرئٍ قد قَرَا ... وهَمَّتْ عَوَارِضُه تَشْمَطُ)
(وما كنتُ مفترشاً جارتي ... وسيِّدُها نائمٌ يَضْرِطُ)
(أأُفْرِغُ في جارتي نُطْفَةً ... حَراماً كما يُفْرَغُ المُسْعُطُ)
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثني أبو هفان قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال حدثني

المسيبي
أن ابن أبي الزوائد كانت عنده امرأة أنصارية فطال لبثها عنده حتى ملها وأبغضها فقال يهجوها
(يا رَمْلُ أنت الغُولُ بين رِمَالِ ... لم تَظْفَري يتُقًى ولا بِجَمَالِ)
(يا رَمْلُ لو حَدَّثتُ أنَّكِ سَلْفَعٌ ... شَوْهَاءُ كالسِّعْلاةِ بين سَعَالي)
(ما جاء يطلبُكِ الرسولُ بِخِطْبَةٍ ... مِنّي ولا ضُمَّتِ عليكِ حبالي)
(ولقد نَهَى عنكِ النَّصيحُ وقال لي ... لا تَقْرَنَنَّ بَذِيَّةً بِعِيالِ)
(لَمَّا هَزَزْتُ مُهَنَّدي وقذفتُهُ ... فيها وقد ارهفتُه بصِقَالِ)
(رَجَعَ المُهَنَّدُ ما لَه من حيلةٍ ... وهناك تَصْعُبُ حيلةُ المحتالِ)
(وكأنّما أولجتُهُ في قُلَّةٍ ... قد بُرِّدتْ للصومِ أو بوقالِ)
(ورأيت وجهاً كاسفاً مُتَغَيِّراً ... وحِراً أشَقَّ كَمِرْكَنِ الغَسَّالِ)
(ما كان أيْرُ الفيلِ بالِغَ قَعْرِهِ ... يتحاملٍ عنْهُ ولا إدخالِ)
(ولقد طعنت مبالَها بسُلاحِها ... فوجدتُ أخبثَ مَسْلَحٍ ومَبَالِ)
قال وقال لها وقد فخرت
(هلاّ سألتِ مَنَازلاً بِغِرار ... عَمَّنْ عَهِدْتُ به من الأَحْرَار)
(أينَ انْتَأَوْا ونحاهُمُ صرْفُ النَّوَى ... عَنَّا وصَرْفُ مُقَحِّمٍ مِغْيَار)
(كَرِهَ المُقَامَ وظَنَّ بي وبأهلِها ... ظَنّاً فكان بنا على إصْرار
(عُدِّي رجالَكِ واسْمَعِي يا هَذِهِ ... عَنِّي مَقَالَةَ عالمٍ مِفْخَار)
(سأعُدُّ ساداتٍ لنا ومَكارماً ... وأُبوَّةً ليستْ عليَّ بِعَارِ)
(قَيْسٌ وخِنْدِفُ والدايَ كِلاهُما ... والعمُّ بَعْدُ ربيعةُ بنُ نزار)
(مَنْ مِثْلُ فارِسنا دُرَيْدٍ فارِساً ... في كلِّ يومِ تَعَانُقٍ وكِرار)
(وبنو زيادٍ مَنْ لِقَوْمِكِ مِثْلُهمْ ... أو مِثْلُ عَنترةَ الهِزَبْرِ الضَّاري)
(والحيُّ من سعدٍ ذُؤابةُ قَوْمِهِم ... والفخْرُ منهم والسَّنامُ الواري)
(المانِعُونَ من العَدُوِّ ذِمَارَهُمْ ... والمُدْرِكُونَ عَدُوَّهم بالثَّار)
(والناكحونَ بناتِ كلِّ مُتَوَّجٍ ... يومَ الوَغَى غَصْباً بلا إمهار)
(وبنو سُلَيم نُكْلُ مَنْ عاداهُمُ ... وحَيَا العُفَاةِ ومَعْقِلُ الفُرَّار)
(ليسوا بأنكاسٍ إذا حاسَتْهُمُ المَوْتَ ... العُدَاةُ وصَمَّمُوا لِمُغَار)
أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا الزبير بن بكار عن عمه قال
كان ابن أبي الزوائد وفد إلى بغداد في ايام المهدي فاستوخمها فقال يتشوق إلى المدينة ويخاطب أبا غسان محمد بن يحيى وكان معه نازلا
(يابْنَ يحيى ماذا بدا لَكَ ماذا ... أمُقَامٌ أم قد عَزَمْتَ الخِيَاذَا)
(فالبراغيثُ قد تَثَوَّرَ منها ... سامرٌ ما نَلُوذ منها مَلاَذَا)
(فَنَحُكُّ الجُلُودَ طَوْراً فَتَدْمَى ... ونَحُكُّ الصُّدُورَ والأفخاذَا)
(فَسَقَى اللهُ طَيْبَةَ الوَبْلَ سَحّاً ... وسقى الكَرْخَ والصَّرَاةَ الرَّذاذَا)
(بلدةٌ لا ترى بها العَيْنُ يوماً ... شارباً للنَّبيذِ أو نَبَّاذَا)
(أو فَتًى ماجناً يرى اللَّهْوَ والباطِلَ مجداً أو صاحباً لَوَّاذَا)
(هذه الذال فاسمعوها وهاتُوا ... شاعِراً قال في الرَّوِيِّ على ذَا)
(قالها شاعرٌ لَوَ أنَّ القوافي ... كُنَّ صخراً أطارَهُنَّ جُذَاذَا)
سكر فشعر
قال الزبير وأنشدني له أبو غسان محمد بن يحيى وكان قد دخل إلى
رجلين من أهل الحجاز يقال لأحدهما أبو الجواب والآخر أبو ايوب فسقياه نبيذا على أنه طري لا يسكر فأسكره فقال
(سَقَانِي شربةً فَسَكِرْتُ منها ... أبو الجَوَّابِ صاحِبَيَ الخبيثُ)
(وعاوَنَه أبو أيُّوبَ فيها ... ومِنْ عاداته الخُلُقُ الخَبِيثُ)
(فلمَّا أن تَمشَّتْ في عِظَامِي ... وهَمَّتْ وثْبَتِي منها تَرِيثُ)
(علمتُ بأنّني قد جئتُ أمراً ... تسوءُ به المقالةُ والحديثُ)
(فَدَعْهُمُ لا أبا لك واجْتَنِبْهُمْ ... فإنَّ خَلِيطَهُمْ لَهُوَ اللّويثُ)
وتمام الأبيات التي فيها الغناء بعد البيتين المذكورين
(كالشمس في شَرْقِها إذا سَفَرَتْ ... عنها ومِثْلُ المَهَاةِ مُلْتَثِمَهْ)
(ما صَوَّرَ اللهُ حين صوَّرها ... في سائرِ النَّاسِ مثلَها نَسَمَهْ)
(كلَّ بلادِ الإلهِ جئتُ فما ... أبصرتُ شِبْهاً لها وقد عَلِمَهْ)
(أنْثَى من العالمين تُشْبِهُهَا ... عابسةً هَكَذَا ومُبْتَسِمَهْ)
(قَتَّانَةُ المُقْلَتَيْنِ مُخْطَفَةُ الأحشاءِ ... منها البَنَانُ كالعَنَمَهْ)
(إذا تعاطتْ شيئاً لتأخذَه ... قلتَ غَزَالٌ يَعْطُو إلى بَرَمَهْ)
((يا طِيبَ فيها وطِيبَ قُبْلتها ... والقُرْبِ منها في اللَّيلة الشَّيِمَهْ)
(إنَّ من اللَّذَّةِ التي بَقِيتْ ... غِشيانَكَ الخَوْدَ من بني سَلَمَهْ)
(لا تَهْجُرِ الخَوْدَ إنْ تُغالِ بها ... بعد سُلُوٍّ وقبلَ ذاك فَمَهْ)
(آتِي مُعِدّاً لها الكلامَ فما ... أنْطقُ من هَيبةٍ ولا كَلِمَهْ)
(أُحِبُّ واللهِ أن أزورَكُمْ ... وَحْدِي كذا أو أزُورَكُم بِلُمَهْ)
(هذا الجمالُ الذي سمعتَ به ... سبحانَ ذي الكِبْرِياءِ والعَظَمَهْ)
(مَنْ أبصرتْ عَيْنُه لها شَبَهاً ... حَلَّ عليه العذابُ والنَّقِمَهْ)

صوت
(يا هِنْدُ يا هِنْدُ نَوِّلي رَجُلاً ... وكيف تنويلُ مَنْ سَفَكْتِ دَمَهْ)
(أو تُدْرِكِي نَفْسه فقد هَلَكتْ ... أو تَرْحَمِيهِ فمِثْلُكم رَحِمهْ)
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن جعفر بن قادم مولى بني هاشم قال حدثني عمي أحمد بن جعفر عن ابن دأب قال
أمر المنصور أن لا تتزوج منافية إلا منافياً
خرجت أنا وأخي يحيى وابن أبي السعلاء ومعنا مصعب بن عبد الله النوفلي وثابت والزبير ابنا خبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير وابن أبي الزوائد السعدي وابن أبي ذئب متنزهين إلى العقيق وقد سال يومئذ إذ أتانا آت ونحن جلوس فسألناه عن الخبر بالمدينة فقال ورد كتاب أمير المؤمنين
المنصور أن لا تتزوج منافية إلا منافيا
قال ابن أبي ذئب إذن والله لا يخطب قرشي إلا من لا يحبها ولا يرغب فيمن لا يرغب فيها ممن لا فضل له عليها وكان غير حسن الرأي في بني هاشم
وتكلم ابنا خبيب بمثل ذلك وقال أحدهما إن نسبنا من بني عبد مناف قد طال فأدالنا الله منهم
قال فغضب مصعب النوفلي وكان أحول فازدادت عيناه انقلابا فقال أما أنت يابن أبي ذئب فوالله ما شرفتك جاهلية ولا رفعك إسلام فيقع في بال أحد أنك عنيت بما جرى
وأما أنتما يا بني خبيب فبغضكما لبني عبد مناف تالد موروث ولا يزال يتجدد كلما ذكرتم قتل الزبير وإنكم لمن طينتين مختلفتين أما إحداهما فمن صفية وهي الطينة الأبطحية السنية تنزعان إليها إذا نافرتما وتفخران بها إذا افتخرتما والأخرى الطينة العوامية التي تعرفانها ولو شئت أن أقول لقلت ولكن صفية تحجزني فأحسنا الشكر لمن رفعكما ولا تميلا عليه بمن وضعكما
فقالا له مهلا فوالله لقديمنا في الإسلام أفضل من قديمك ولحظنا فيه بالزبير أفضل من حظك
فقال مصعب والله ما تفخران في نسبكما إلا بعمتي ولا تفضلان في دينكما إلا بابن عمي فمفاخره لي دونكما
ثم تفرقوا فقال ابن أبي الزوائد
(لَعَمْرُكُما يابني خُبيبِ بن ثابتٍ ... تجاوزتما في الفَخْرِ جَهْلاً مَداكما
(وأنكرتُما فضلَ الذين بِفَضْلِهِمْ ... سَمَتْ بين أيدي الأكْرَمين يَداكُمَا)
(فإنَّكما لم تَعْرِفَا إذ سَموْتُما ... إلى العِزِّ مِنْ آل النبيِّ أباكما)
(ولم تَعْرِفَا الفضلَ الذي قد فَخَرْتُما ... فليس من العَوَّامِ حَقّاً أتاكما)
(فلولا الكِرامُ الغُرُّ من آل هاشمٍ ... فلا تجهلا لَمْ تدفَعا مَنْ رَماكما)
صوت
(مُحِبٌّ صَدَّ إِلْفُهُ ... فليس لِلَيْلِه صُبْحُ)
(يُقلِّبُه على مَضَضٍ ... مَواعِدُ ما لَها نُجْحُ)
(له في عَيْنِه غَرْبٌ ... وفي أحشائه جُرْحُ)
(صحَا عنه الَّذي يرجو ... وما يَصْحُو)
الشعر لأبي الأسد والغناء لعلويه هزج بالوسطى وخفيف ثقيل بالوسطى
أخبار أبي الأسد ونسبه
اسمه فيما ذكر لنا عيسى بن الحسين الوراق عن عيسى بن إسماعيل تينة عن القحذمي نباتة بن عبد الله الحماني وذكر أبو هفان المهزمي أنه من بني شيبان
وهو شاعر مطبوع متوسط الشعر من شعراء الدولة العباسية من أهل الدينور
وكان طبا مليح النوادر مزاحا خبيث الهجاء وكان صديقا لعلويه المغني الأعسر ينادمه ويواصل عشرته ويصله علويه بالأكابر ويعرضه للمنافع وله صنعة في كثير من شعره
شعره في جارية وعدته أن تزوره ليلا
فأخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد الأبزاري قال
كان أبو الأسد الشاعر صديقا لعلويه وكان كثيرا ما يغني في شعره
فدعانا علويه ليلة ووعدته جارية لآل يحيى بن معاذ وكانت تأخذ عنه الغناء أن تزوره تلك الليلة وكانت من أحسن الناس وجها وغناء وكان علويه يهيم بها فانتظرناها حتى أيسنا منها احتباسا
فقال علويه لأبي الأسد قل في هذا شعرا فقال
(محبٌّ صدَّ إلفُه ... فليس لِلَيْلِه صُبْحُ
(صحا عنه الذي يرجو ... زيارتَه وما يصحو)
قال فصنع علويه فيه لحنا من خفيف الثقيل هو الآن مشهور في ايدي الناس وغنانا فيه فلم نزل نشرب عليه حتى أصبحنا
وصنع في تلك الليلة بحضرتنا فيه الرمل في شعر أبي وجزة السعدي
(قَتَلَتْنِي بغير ذنبٍ قَتُولُ ... وحَلاَلٌ لها دَمِي المطلُولُ)
(ما على قاتلٍ أصابَ قَتِيلاً ... بدَلاَلٍ ومُقْلَتَيْنِ سَبِيلُ)
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أبو هفان قال
كتب أبو الأسد وهو من بني حمان إلى موسى بن الضحاك
(لِموسَى أعْبُدٌ وأنَا أخُوهُ ... وصاحِبه وما لي غيرُ عَبْدِ)
(فلو شاء الإلهُ وشاء موسى ... لآنَسَ جانِبي فَرَجٌ بِسَعْدِ)
قال وفرج غلام كان لأبي الأسد وسعد غلام كان لموسى فبعث إليه موسى بسعد وقاسمه بعده بقية غلمانه فأخذ شطرهم وأعطاه شطرهم
أخبرني محمد الخزاعي قال حدثني العباس بن ميمون طائع قال

هجا أبو الأسد أحمد بن أبي دواد فقال
(أنت امرؤٌ غَثُّ الصَّنيعَةِ رَثُّها ... لا تُحْسِنُ النُّعْمَى إلى أمثالي
(نُعْمَاك لا تَعْدُوكَ إلاَّ في امرئٍ ... في مَسْكِ مِثْلِك من ذَوي الأشْكَالِ)
(وإذا نظرتَ إلى صَنيعِك لم تَجِدْ ... أحداً سَمَوْتَ به إلى الإفْضالِ)
(فاسْلَمْ بغير سَلاَمةٍ تُرْجَى لها ... إلاَّ لِسَدِّكَ خَلَّةَ الأنْذالِ)
قال فأدى إليه سلامة وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عائشة هذه الأبيات عن أبي الأسد فبعث إليه ببرد واستكفه وبعث بابن عائشة إلى مظالم ماسبذان وقال له قد شركته في التوبيخ لنا فشركناك في الصفقة فإن كنتما صادقين في دعواكما كنتما من الأنذال وإن كنتما كاذبين فقد جزيتما بالقبيح حسنا
سبب هجائه أحمد بن أبي دواد
حدثني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن الحسن بن الحرون قال كان سبب هجاء أبي الأسد أحمد بن أبي دواد أنه مدحه فلم يثبه ووعده بالثواب ومطله فكتب إليه
(لَيتَك إذْ نُبْتَنِي بواحدةٍ ... تُقْنِعُني منك آخِرَ الأبَدِ)
(تَحْلِفُ ألاَّ تَبَرَّني أبداً ... فإنّ ! فيها بَرْداً على كَبِدي)
(اشْفِ فُؤادي مِنّي فإنَّ به ... منّي جُرْحاً نَكَأْتَه بِيَدِي)
(إنْ كان رِزْقي إليكَ فارْمِ به ... في نَاظِرَيْ حَيَّةٍ على رَصَد)
((قد عِشْتُ دهراً وما أقدِر أنْ ... أرضَى بما قد رَضِيتُ من أحدِ
(فكيف أخطأتُ لا أصبتُ ولا ... نَهَضْتُ من عَثْرَةٍ إلى سَدَدِ)
(لو كنتُ حُرّاً كما زعمتُ وقد ... كَدَدْتَنِي بالمِطَالِ لم أعُدِ)
(صبَرْتُ لمَّا أسأتَ بي فإذا ... عُدْتُ إلى مِثْلِها فعُدْ وعِدِ)
(فإنَّني أهلُ ذاكَ في طَمَعِي ... وفي خَطَائي سبيلَ مُعْتَمِدِ)
(أبْعَدَني اللّهُ حين يَحْمِلُني ... حِرْصِي على مِثْلِ ذَا من الأَوَدِ)
(الآنَ أيقنتُ بعد فِعْلِكَ بي ... أنّي عَبْدٌ لأعْبُدٍ قُفُدِ)
(فصِرْتُ من سُوءِ ما رُمِيتُ به ... أُكْنَى أبا الكَلْبِ لا أبا الأسَدِ)
أخبرني علي بن الحسين بن عبد السميع المروزي الوراق قال حدثني عيسى بن إسماعيل تينة عن القحذمي قال كان أبو الأسد الشاعر واسمه نباتة بن عبد الله الحماني منقطعا إلى الفيض بن صالح وزير المهدي وفيه يقول
(ولائمةٍ لامَتْكَ يا فَيْضُ في النَّدَى ... فقلتُ لها لن يَقْدَحَ اللَّوْمُ في البَحْرِ)
(أرادتْ لِتَنْهَى الفَيْضَ عن عادةِ النَّدَى ... ومَن ذا الذي يَثْني السَّحابَ عن القَطْرِ)
(مَوَاقِعُ جُودِ الفَيْضِ في كلِّ بلدةٍ ... مَوَاقِعُ ماءِ المُزْنِ في البَلَدِ القَفْرِ)
(كأنَّ وُفودَ الفَيْضِ لما تَحَمَّلُوا ... إلى الفيضِ لاقَوْا عندَه ليلةَ القَدْرِ)
وكان أبو الأسد قبله منقطعا إلى أبي دلف مدة فلما قدم عليه علي بن جبلة العكوك غلب عليه وسقطت منزلة أبي الأسد عنده فانقطع إلى الفيض بعد عزله عن الوزارة ولزومه منزله وذلك في أيام الرشيد وفيه يقول
(أتيتُ الفَيْضَ مُشْتَكِياً زَمَاني ... فأَعْدَاني عليهِ جُودُ فَيْضِ)
(وفاضتْ كَفُّهُ بالبَذْلِ منه ... كما كَفُّ ابنِ عيسى ذاتُ غَيْضِ)
مدح حمدون بن إسماعيل وهجاء علي بن المنجم
أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني علي بن الحسن بن الأعرابي قال سأل أبو الأسد بعض الكتاب وهو علي بن يحيى المنجم حاجة يسأل فيها بعض الوزراء فلم يفعل وبلغ حمدون بن إسماعيل الخبر فسأل له فيها مبتدئا ونجزها وأنفذها إليه
فقال أبو الأسد يهجو الرجل الذي كان سأله الحاجة ويمدح حمدون بن إسماعيل
(صُنْعٌ من اللهِ أنّي كنتُ أعْرِفُكم ... قبلَ اليَسَار وأنتمْ في التَّبَابِينِ)
((فما مضتْ سَنَةٌ حتَّى رأيتكُمُ ... تَمْشُونَ في القَزِّ والقُوهِيِّ واللِّين
(وفي المَشَارِيقِ ما زالتْ نساؤكم ... يَصِحْنَ تحت الدَّوالي بالوَرَاشِينِ)
(فصِرْنَ يَرْفُلْنَ في وَشْيِ العِرَاقِ وفي ... طَرَائِفِ الخَزِّ من دُكْنٍ وطَارُونِي)
(أُنْسِينَ قَطْعَ الحَلاَوى من مَعَادِنِها ... وحَمْلَهُنَّ كُشُوثاً في الشَّقَابين)
(حتى إذا أيسروا قالوا وقدكذبوا ... نحن الشَّهارِيجُ أولادُ الدَّهاقِين)
(في آسْتِ امِّ ساسانَ أبْرِي إنْ أقرّبكم ... وأيْرِ بَغْلٍ مُشِظٍّ في آسْتِ شِيرين)
(لو سِيلَ أوْضَعُهُم قَدْراً وأنْذَلُهم ... لقال من فَخْره أنّي ابنُ شُوبِين)
(وقال أقطَعَني كِسرَى وورَّثني ... فَمَنْ يُفَاخِرُني أمْ مَنْ يُنَاوِيني)
((من ذَا يُخَبِّر كسرَى وهو في سَقَرٍ ... دعوى النَّبيط وهم بِيضُ الشياطين
(وأنهم زعموا أنْ قد ولدتَهُمُ ... كما ادَّعَى الضب إني نُطْفَةُ النُّونِ)
(فكان يَنْحَزُ جَوْفَ النارِ واحدةً ... تَفْري وتَصْدَعُ خوفاً قلبَ قارون)
(أما تراهم وقد حَطُّوا بَرادِعَهُمْ ... عن أُتْنِهِمْ واستبدُّوا بالبَرَاذِين)
وأفرجوا عن مَشاراتِ البُقولِ إلى ... دُورِ المُلُوكِ وأبوابِ السَّلاطِينِ) تَغْلي على العُرْبِ من غَيْظٍ مَرَاجِلُهُمْ ... عداوةً)
(لِرسول اللّهِ في الدِّين
(فقل لهم وهُم أهلٌ لتَزْنِيَةٍ ... شَرَّ الخَلِيقةِ يا بُخْرَ العَثَانِينِ)
(ما النَّاس إلا نِزارٌ في أرومتها ... وهاشِمٌ سِرُّها الشُّمُّ العَرَانِين)
(والحَيُّ من سَلَفَيْ قَحْطَانَ إنَّهمْ ... يُزْرُونَ بالنَّبَطِ اللُّكْنِ المَلاَعِينِ)
(فما على ظهرِها خَلْقٌ له حَسَبٌ ... مما يُناسب كِسرَى غيرُ حمْدون)
((قَرْمٌ عليه شَهَنْشَاهِيَّةٌ ونَباً ... يُنْبيكَ عن كسرويِّ الجَدِّ مَيْمُونِ

(وإنْ شَكَكْتَ ففي الإيوانِ صُورتُه ... فانْظُرْ إلى حَسَبٍ بادٍ ومخزون)
حجب عن أبي دلف فعاتبه
أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن أبي طاهر
إن أبا الأسد زار أبا دلف في الكرج فحجب عنه أياما فقال يعاتبه وكتب بها إليه
(ليت شعري أضاقت الأرضُ عَنّي ... أم بِفَجٍّ أنا الغداةَ طَرِيدُ)
(أم أنا قانعٌ بأدنَى مَعَاشٍ ... هِمَّتي القُوتُ والقليلُ الزَّهِيدُ)
(مِقْوَلي قاطعٌ وسيفي حُسَامٌ ... ويَدِي حُرَّةٌ وقلبي شَديدُ)
(رُبَّ بابٍ أعزَّ من بابك اليَوْم ... عليه عَساكرٌ وجُنودُ)
(قد وَلَجْناهُ داخلين غُدُوّاً ... ورَوَاحاً وأنت عنه مَذُودُ)
(فاكْفُفِ اليومَ من حِجَابِكَ إذ لستَ ... أميراً ولا خَميساً تَقُودُ)
(واغْتَرِب في فَدافِدِ الصدِّ إذ لستَ ... أسيراً ولا عليّ قُيُودُ)
(لا يُقيمُ العزيزُ في بلد الهُون ... ولا يُكْبَتُ الأريبُ الجَليدُ)
أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال أنشدني أبو هفان لأبي الأسد في صديق له يقال له بسطام كان برا به قال وهذا من جيد شعره وقد سرق البحتري معناه منه في شعر مدح به علي بن يحيى المنجم
(أعْدُو على مالِ بِسْطامٍ فأنْهَبُهُ ... كما أشاءُ فلا تُثْنَى إليّ يَدِي)
(حتى كأنّي بِسْطامٌ بما احتكمتْ ... فيه يَدايَ وبِسْطامٌ أبو الأسَد)
رثاؤه إبراهيم الموصلي
أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أبو هفان وأخبرني به يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثنا أبو هفان قال حدثني أبو دعامة قال لما مات إبراهيم الموصلي قيل لأبي الأسد وكان صديقه ألا ترثيه فقال يرثيه
(تَوَلَّى المَوْصِليُّ فقد تَوَلَّتْ ... بَشاشاتُ المَزَاهِرِ والقِيَانِ)
(وأيُّ مَلاَحةٍ بَقِيتْ فتَبْقَى ... حياةُ المَوْصِليِّ على الزَّمانِ)
(ستَبْكِيهِ المَزَاهِرُ والمَلاَهي ... ويُسْعِدُهُنَّ عاتقةُ الدِّنان)
(وتَبْكِيهِ الغَوِيَّةُ إذ تَوَلَّى ... ولا تَبْكِيهِ تاليةُ القُرَانِ)
فقيل له ويحك فضحته وقد كان صديقك
فقال هذه فضيحة عند من
لا يعقل أما من يعقل فلا
وبأي شيء كنت أذكره وأرثيه به أبالفقه أم بالزهد أم بالقراءة وهل يرثى إلا بهذا وشبهه
هجاؤه شاهين بن عيسى
قال أبو الفرج نسخت من كتاب لأحمد بن علي بن يحيى أخبرني أبو الفضل الكاتب وهو ابن خالة أبي عمرو الطوسي قال كنت مقيما بالجبل فمر بي أبو الأسد الشاعر الشيباني فأنزلته عندي أياما وسألته عن خبره فقال صادفت شاهين بن عيسى ابن أخي أبي دلف فما احتبسني ولا برني ولا عرض علي المقام عنده وقد حضرني فيه أبيات فاكتبها ثم أنشدني
(إنيِّ مررتُ بِشاهِينٍ وقد نَفَحت ... ريحُ العَشِيِّ وبَرْدُ الثَّلج يُؤذِيني)
(فما وَقَى عِرضَهُ منِّي بكُسْوَتِه ... لا بل ولا حَسَبٍ دانٍ ولا دِين)
(إن لم يكن لَبَنُ الدَّايَاتِ غَيَّرَه ... عن طبع آبائه الشُّمِّ العَرَانين)
(فرُبَّما غابَ بعلٌ عن حَلِيلته ... فناكها بعضُ سُوَّاس البَرَاذِين)
(وما تحرَّك أيرٌ فامتلا شَبَقاً ... إلاَّ تَحرَّك عِرْقٌ في استْ شاهين)
ثم قال لأمزقنه كل ممزق ولأصيرن إلى أبي دلف فلأنشدنه
ومضى من فوره يريد ابا دلف فلم يصل إليه حتى بلغ أبا دلف الشعر فشق عليه وغمه
وأتاه أبو الأسد فدخل عليه فسأله عن قصته مع شاهين فأخبره بها فقال هبه لي قال قد فعلت
وأمر له بعشرة آلاف درهم فأمسك عنه
قال أبو الفرج هذا البيت الأخير لبشار كان عرض له فقال
(وما تحرَّك أيْرٌ فامتلا شَبَقاً ... إلا تحرَّك عِرْقٌ في است)
ثم قال في است من ومر به تسنيم بن الحواري فسلم عليه فقال في است تسنيم والله
فقال له أي شيء ويلك فقال لا تسل
فقال قد سمعت ما أكره فاذكر لي سببه
فأنشده البيت فقال ويلك أي شيء حملك على هذا قال سلامك علي
لا سلم الله عليك ولا علي إن سلمت عليك بعدها وبشار يضحك
وقد مضى هذا الخبر بإسناده في أخبار بشار
صوت
وقد جمع معه كل ما يغنى في هذه القصيدة
(أجِدَّكَ إنْ نُعْمٌ نأتْ أنت جازِعُ ... قدِ اقْترِبتْ لَوْ أنّ ذلك نافعُ)
(وحَسْبُكَ مِن نأيٍ ثلاثةُ أشهُرٍ ... ومن حَزَنٍ أنْ شَاقَ قَلْبَك رابعُ)
(بكتْ عَيْنٌ مَنْ أبكاكَ ليس لكَ البُكى ... ولا تَتَخالجْك الأمورُ النَّوازعُ)
(فلا يَسْمَعنْ سِرِّي وسِرَّك ثالثٌ ... ألا كلُّ سِرٍّ جَاوَزَ اثْنَيْنِ شائعُ)
(وكيف يَشيعُ السرُّ مِنّي ودُونَه ... حجابٌ ومن فوق الحِجابِ الأضَالِعُ)
(كأنَّ فُؤادي بين شِقَّين من عَصاً ... حِذَارَ وقوعِ البَيْنِ والبَينُ واقعُ)
(وقالت وعيناها تَفِيضانِ عَبْرةً ... بأهلِيَ بَيِّنْ لي متى أنت راجعُ)

(فقلتُ لها بالله يَدْري مُسافِرٌ ... إذا أضمرته الأرضُ ما الله صانعُ)
(فشَدَّت على فِيها اللِّثَام وأعرضتْ ... وأقبلنَ بالكُحْل السَّحِيقِ المدامِعُ)
عروضه من الطويل
الشعر لقيس بن الحدادية والغناء لإسحاق في الاول
والثاني من الأبيات خفيف رمل بالوسطى وفي الثالث وما بعده أربعة
أخبار قيس بن الحدادية ونسبه
هو قيس بن منقذ بن عمرو بن عبيد بن ضاطر بن صالح بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة وهو خزاعة بن عمرو وهو مزيقياء بن عامر وهو ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد وهو رداء ويقال رديني وقد مضى نسبه متقدما والحدادية أمه وهي امرأة من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ثم من قبيلة منهم يقال لهم بنو حداد
شاعر من شعراء الجاهلية وكان فاتكا شجاعا صعلوكا خليعا خلعته خزاعة بسوق عكاظ
وأشهدت على أنفسها بخلعها إياه فلا تحتمل جريرة له ولا تطالب بجريرة يجرها أحد عليه
شعره حين أغار على بني قمير
قال أبو الفرج نسخت خبره من كتاب أبي عمرو الشيباني لما خلعت خزاعة بن عمرو وهو مزيقياء بن عامر وهو ماء السماء بن الحارث قيس بن الحدادية كان أكثرهم قولا في ذلك وسعيا قوم منهم يقال لهم بنو قمير بن حبشية بن سلول فجمع لهم قيس شذاذا من العرب وفتاكا من قومه وأغار عليهم بهم وقتل منهم رجلا يقال له ابن عش واستاق أموالهم فلحقه رجل من قومه كان سيدا وكان ضلعه مع قيس فيما جرى عليه من الخلع يقال له ابن محرق فأقسم عليه أن يرد ما استاقه فقال أما ما كان لي ولقومي فقد أبررت قسمك فيه وأما ما اعتورته أيدي هذه الصعاليك فلا حيلة لي فيه فرد سهمه وسهم عشيرته وقال في ذلك
(فاقسم لولا أسهَم ابنُ مُحَرِّقٍ ... مع الله ما أكثرتُ عدَّ الأقاربِ)
(تركت ابن عُشٍّ يرفَعون برأسه ... يَنُوءُ بساقٍ كعبُها غيرُ راتبِ)
(وأنهاهُم خلعي على غير ميرةٍ ... من اللحم حتى غُيِّبُوا في الغوائبِ)
وقال أبو عمرو أغار أبو بردة بن هلال بن عويمر أخو بني مالك بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن امرئ القيس على هوازن في بلادها فلقي عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وبني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت بنو عامر وبنو نصر وقتل أبو بردة قيس بن زهير أخا خداش بن زهير الشاعر وسبى نسوة من بني عامر منهن صخرة بنت أسماء بن الضريبة النصرى وامرأتين منهم يقال لهما بيقر وريا ثم انصرفوا راجعين فلما انتهوا إلى هرشى خنقت صخرة نفسها فماتت وقسم أبو بردة السبي والنعم والأموال في كل من كان معه وجعل فيه نصيبا لمن غاب عنها من قومه وفرقه فيهم
ثم أغارت هوازن على بني ليث فأصابوا حيا منهم يقال لهم بنو الملوح بن يعمر بن عوف ورعاء لبني ضاطر بن حبشية فقتلوا منهم رجلا وسبوا منهم سبيا كثيرا واستاقوا أموالهم فقال في ذلك مالك بن عوف النصري
((نحن جَلَبْنَا الخيلَ مِن بطنِ لِيَّةٍ ... وجِلدانَ جُرْداً مُنْعَلاتٍ ووُقَّحا
(فأصبحن قد جاوزن مَرًّا وجُحْفةً ... وجاوزن من أكناف نخلة أبطَحا)
(تلقَّطن ضَيطاري خُزاعة بعدما ... أبَرْنَ بصحراء الغميم الملوَّحا)
(قتلناهم حتى تركنا شريدهُم ... نساء وأيتاماً ورَجْلاً مُسَدَّحا)
(فإنَّك لو طالعتهم لحسبتهم ... بمنعرَج الصَّفراء عِتْرا مُذَبَّحا)
شعره حين أغار على هوازن
فلما صنعت هوازن ببني ضاطر ما صنعت جمع قيس بن الحدادية قومه فأغار على جموع هوازن فأصاب سبيا ومالا وقتل يومئذ من بني قشير أبا زيد وعروة وعامرا ومروحا وأصاب أبياتا من كلاب خلوفا واستاق أموالهم
وسبيا ثم انصرف وهو يقول
(نحن جَلَبْنَا الخيلَ قُبَّاً بطونُها ... تراها إلى الدَّاعي المَثوِّبِ جُنَّحا)
(بكلِّ خُزاعِيٍّ إذا الحربُ شَمَّرتْ ... تسربَلَ فيها بُردَه وتوشَّحا)
(قرعْنا قُشيراً في المحلّ عشيَّةً ... فلم يجدوا في واسع الأرض مَسرَحا)
(قَتَلْنَا أبا زيد وزيداً وعامراً ... وعروة أقصدْنا بها ومُرَوّحا)
(وأُبْنَا بإبْل القومِ تُحدَى ونسوةٍ ... يبكِّين شِلْواً أو أسيراً مُجرَّحا)
(غداةَ سقينا أرضَهم من دمائهم ... وأُبْنا بأُدْمٍ كنَّ بالأمسِ وُضَّحا)
(ورُعْنا كلاباً قبل ذاك بغارة ... فسُقْنَا جلاداً في المُبَارَكِ قُرَّحا)
(لقد علمتْ أفناءُ بكر بن عامرٍ ... بأنَّا نَذودُ الكاشحَ المتزحزِحا)
(وأنا بلا مَهْرٍ سوى البيض والقَنَا ... نُصيب بأفناء القبائل مَنْكَحَا)
شعره حين أغار على خزاعة وعامر بن الظرب
وقال أبو عمرو وزعموا أن قيس بن عيلان رغبت في البيت وخزاعة يومئذ تليه وطمعوا أن ينزعوه منهم فساروا ومعهم قبائل من العرب ورأسوا
عليهم عامر بن الظرب العدواني فساروا إلى مكة في جمع لهام فخرجت إليهم خزاعة فاقتتلوا فهزمت قيس ونجا عامر على فرس له جواد فقال قيس بن الحدادية في ذلك
(لقد سُمْتَ نفسكَ يابْنَ الظَّربْ ... وجشَّمتهمْ منزلاً قد صَعُبْ)
(وحمَّلتهمْ مركباً باهظاً ... من العِبء إذ سُقتهم للشَّغَبْ)
(بحربِ خُزاعة أهلِ العُلا ... وأهلِ الثَّناءِ وأهل الحسبْ)
(هم المانعو البيت والذائدون ... عن الحرماتِ جميعَ العربْ)
(نَفَوا جُرْهُماً ونَفَوا بعدهم ... كِنَانَة غَصْباً ببيض القُضُبْ)
(وسُمْر الرِّماح وجُرْدِ الجياد ... عليها فوارسُ صدقٍ نُجُبْ)

(وهمْ ألحقوا أسَداً عَنْوَةً ... بأحياء طيٍّ وحازُوا السلَبْ)
(خُزاعةُ قومي فإن أفتخِر ... بهم يَزْكُ مُعتصَري والنَّسبْ)
(هم الرأس والناس مِن بعدهِم ... ذُنابَى وما الرأس مِثلُ الذَّنَبْ)
(يُواسَى لدى المَحْلِ مولاهُمُ ... وتُكشَف عنه غموم الكُرَبْ)
(جارُهُم آمنٌ دهرَهُ ... بِهِمْ أن يُضامَ وأن يُغتصَبْ- 0ف
(يلبُّون في الحرب خوفَ الهجاء ... ويرون أعداءَهم بالحَرَبْ)
(ولو لم ينجِّك من كيدهم ... أمينُ الفُصوص شديدُ العَصَبْ)
(لزرتَ المنايا فلا تكفُرَنْ ... جوادَكَ نُعْماه يابنَ الظَّرِبْ)
(فإنْ يلتقوك يزُرْك الحِمام ... أو تنجُ ثانيةً بالهرب)
قال أبو الفرج هذه القصيدة مصنوعة والشعر بين التوليد
وقال أبو عمرو أغارت هوازن على خزاعة وهم بالمحصب من منى فأوقعوا ببطن منهم يقال لهم بنو العنقاء وبقوم من بني ضاطر فقتلوا منهم عبدا وعوفا وأقرم وغبشان فقال ابن الأحب العدواني يفخر بذلك
(غداةَ التقينا بالمحصَّب من مِنىً ... فلاقت بنو العنقاء إحدى العظائمِ)
(تَرَكْنَا بها عَوْفاً وعَبْداً وأقرَماً ... وغبشانَ سُوراً للنُّسور القشاعم)
فأجابه قيس بن الحدادية فقال يعيره أن فخر بيوم ليس لقومه
(فخرْتَ بيومٍ لم يكن لك فخرُه ... أحاديثُ طَسْمٍ إنما أنت حالمُ)
(تفاخِر قوماً أطردتْك رماحُهُمْ ... أكعبُ بنَ عمرو هل يُجاب البهائمُ)
((فلو شهِدت أمُّ الصبيِّين حَملنا ... وركْضَهُم لابيضَّ منها المَقادِمِ)
(غداةَ تولّيتُم وأدبرَ جمعُكمْ ... وأبنا بأسْراكم كأنّا ضَراغمُ)
قال أبو عمرو وكان ابن الحدادية أصاب دما في قوم من خزاعة هو وناس من أهل بيته فهربوا فنزلوا في فراس بن غنم ثم لم يلبثوا أن أصابوا أيضا منهم رجلا فهربوا فنزلوا في بجيلة على أسد بن كرز فآواهم وأحسن إلى قيس وتحمل عنهم ما اصابوا في خزاعة وفي فراس فقال قيس بن الحدادية يمدح أسد بن كرز
(لا تعذليني سلمى اليومَ وانتظري ... أن يجمع الله شَملاً طالما افترقَا)
(إن شتّت الدهر شملاً بين جيرتكم ... فطال في نعمةٍ يا سَلْم ما اتفقا)
(وقد حللنا بقَسْريٍّ أخي ثقةٍ ... كالبدر يجلو دُجى الظلماء والأفقا)
(لا يَجيرُ الناسُ شيئاً هاضَه أسدٌ ... يوماً ولا يرتُقون الدهرَ ما فَتَقَا)
(كم من ثناءٍ عظيم قد تدارَكَهُ ... وقد تفاقَمَ فيه الأمرُ وانخرقا)
قال أبو عمرو وهذه الأبيات من رواية أصحابنا الكوفيين وغيرهم يزعم أنها مصنوعة صنعها حماد الراوية لخالد القسري في أيام ولايته وأنشده إياها فوصله والتوليد بين فيها جدا
شعره حين أغار الضريس على بني ضاطر
وقال أبو عمرو غزا الضريس القشيري بني ضاطر في جماعة من قومه
فثبتوا له وقاتلوه حتى هزموه وانصرف ولم يفز بشيء من أموالهم فقال قيس بن الحدادية في ذلك
(فِدًى لبني قيس وأفناءِ مالكٍ ... لدى الشّسْعِ من رجلي إلى الفَرْق صاعدا)
(غداةَ أتى قوم الضريس كأنهم ... قَطا الكُدْرِ من ودّان أصبَح واردا)
(فلم أرَ جمعاً كان أكرمَ غالباً ... وأحمى غلاماً يوم ذلك أطردا)
(رميناهُم بالحُوِّ والكُمْتِ والقَنَا ... وبيضٍ خِفافٍ يختلين السواعدا)
مدحه عدي بن عمرو وعدي بن نوفل
قال أبو عمرو ولما خلعت خزاعة قيسا تحول عن قومه ونزل عند بطن من خزاعة يقال لهم بنو عدي بن عمرو بن خالد فآووه وأحسنوا إليه وقال يمدحهم
(جزى الله خيراً عن خليع مطرَّدٍ ... رجالاً حَمَوْهُ آل عَمْرو بن خالدِ)
(فليس كمن يغزو الصديق بنَوْكِهِ ... وهمتُه في الغزو كسبُ المَزاودِ)
(عليكم بعرْصات الديار فإنني ... سواكم عديدٌ حين تُبْلَى مَشاهدي)
((ألا وَدِّتُم حتى إذا ما أمِنْتُم ... تعاوَرْتُمُ سَجْعا كسجع الهداهِدِ)
(تَجنَّى عليَّ المازنانِ كِلاهما ... فلا أنا بالمغصِي ولا بالمساعِدِ)
(وقد حديت عمرو عليَّ بعزّها ... وأبنائها من كل أروعَ ماجِدِ)
(مصاليتُ يومَ الرَّوع كَسبُهم العُلا ... عِظامُ مَقيلِ الهامِ شُعْرُ السواعِدِ)
(أولئك إخواني وجُلُّ عشيرتي ... وثروتُهم والنصرُ غيرُ المُحارِدِ)
أخبرني أحمد بن سليمان الطوسي والحرمي بن أبي العلاء قالا حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني عمي أن خزاعة أغارت على اليمامة فلم يظفروا منها بشيء فهزموا وأسر منهم أسرى فلما كان أوان الحج أخرجهم من أسرهم إلى مكة في الأشهر الحرم ليبتاعهم قومهم فغدوا جميعا إلى الخلصاء وفيهم قيس بن الحدادية فأخرجوهم وحملوهم وجعلوهم في حظيرة ليحرقوهم فمر بهم عدي بن نوفل فاستجاروا به فابتاعهم وأعتقهم فقال قيس يمدحه
((دعوت عديّاً والكُبولُ تَكُبني ... ألا يا عديُّ بن نوفل
(دعوت عدياً والمنايا شوارعٌ ... ألا يا عديّ للأسير المكبّل)
(فما البحر يجري بالسَّفين إذا غدا ... بأجودَ سَيْباً منه في كُلِّ محفل)
(تداركت أصحابَ الحظيرة بعدما ... أصابهُمُ منّا حريقُ المحلّل)
(وأتبعت بين المَشْعَرين سِقايَةً ... لحجّاج بيت الله أكرمَ مَنْهل)
شعره حين خرجت بطون من خزاعة لأنهم أجدبوا
قال أبو عمرو وكان قيس بن الحدادية يهوى أم مالك بنت ذؤيب الخزاعي وكانت بطون من خزاعة خرجوا جالين إلى مصر والشام لأنهم أجدبوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق رأوا البوارق خلفهم وأدركهم من ذكر لهم كثرة الغيث والمطر وغزارته

فرجع عمرو بن عبد مناة في ناس كثير إلى أوطانهم وتقدم قبيصة بن ذؤيب ومعه أخته أم مالك واسمها نعم بنت ذؤيب فمضى فقال قيس بن الحدادية هذه القصيدة التي فيها الغناء المذكور

(أجِدَّكَ إنْ نُعْمٌ نأت أنت جازعُ ... قد اقتربَتْ لو أن ذلك نافعُ)
(قد اقتربت لو أن في قُرب دارها ... نوالاً ولكن كلُّ من ضَنَّ مانعُ)
(وقد جاورَتْنا في شهور كثيرة ... فما نَوَّلَتْ واللهُ راءٍ وسامعُ)
(فإنْ تَلْقَينْ نعمى هُدِيتَ فحيِّها ... وسل كيف تُرْعَى بالمغيبِ الودائعُ)
(وظنّي بها حفظٌ لِغَيبي ورعيةٌ ... لما استُرْعِيَتْ والظن بالغيبِ واسعُ)
(وقلت لها في السِّر بيني وبينها ... على عجلٍ أيَّانَ مَنْ سارَ راجعُ)
(فقالت لقاء بعد حَوْل وحِجَّةٍ ... وشحْطُ النوى إلا لذي العهدِ قاطِعُ)
(وقد يلقى بعد الشَّتات أولو النَّوَى ... ويسترجع الحيَّ السحابُ اللوامعُ)
(وما إنْ خَذولٌ نازَعَتْ حبلَ حابِلٍ ... لتنجو إلا استسلَمَتْ وهي ظالعُ)
(بأحسن منها ذاتَ يوم لقيتُها ... لها نظرٌ نحوي كذي البَثِّ خاشعُ)
(رأيت لها ناراً تُشَب ودونها ... طويلُ القَرَا من رأس ذَروةَ فارعُ)
(فقلت لأصحابي اصطَلُوا النار إنها ... قريبٌ فقالوا بل مكانكَ نافعُ)
(فيا لك من حادٍ حَبوتِ مقيَّداً ... وأنحي على عِرنينِ أنفِكِ جادِعُ)
(أغيظاً أرادت أن تُخَبِّ جمالُها ... لتفجَعَ بالإظعانِ مَنْ أنتَ فاجعُ)
(فما نُطفة بالطَّود أو بضَرِيَّة ... بقية سيلٍ أحرزَتْها الوقائعُ)
(يطيف بها حَرَّانُ صادٍ ولا يرى ... إليها سبيلاً غيرَ أنْ سيطالِعُ)
(بأطيبَ مِنْ فيها إذا جئت طارقاً ... من الليل واخضلَّتْ عليكَ المَضاجعُ)
(وحَسْبُكَ من نأيٍ ثلاثةُ أشهرٍ ... ومِن حَزَنٍ أن زادَ شوقَكَ رابِعُ)
(سعى بينهم واشٍ بأفلاق بِرمةٍ ... ليفجَعَ بالاظعانِ مَنْ هو جازعُ)
(بكت من حديث بثّه وأشاعه ... ورصّفه واشٍ من القوم راصِعُ)
(بكت عينُ من أبكاكِ لا يعرف البكا ... ولا تتخالجك الأمور النوازعُ)
(فلا يسمعَن سرِّي وسرُّك ثالثٌ ... ألاَ كلُّ سرّ جاوَزَ اثنين شائعُ)
(وكيف يَشيع السرُّ منّي ودونَه ... حجابٌ ومِن دون الحجابِ الأضالِعُ)
(وحبٌّ لهذا الرَّبع يمضي أمامه ... قليلُ القِلَى منه جليلٌ ورادِعُ)
(لهوتُ به حتى إذا خِفتُ أهلَهُ ... وبيّن منه للحبيب المخادِعُ)
(نزعتُ فما سرِّي لأوَّل سائل ... وذو السر ما لم يحفظ السرَّ ماذعُ)
(وقد يَحمِدِ اللهُ العزاءَ من الفتى ... وقد يجمع الأمرَ الشتيتَ الجوامعُ)
(ألا قد يُسلِّي ذو الهوى عن حبيبه ... فيَسْلى وقد تُردي المطيَّ المطامعُ)
(وما راعني إلاَّ المنادي ألاَ اظعنوا ... وإلا الرواغي غُدوةً والقعاقعُ)
(فجئت كأني مستضيفٌ وسائل ... لأخبرها كلَّ الذي أنا صانعُ)
(فقالت تزحزحْ ما بنا كِبْرُ حاجةٍ ... إليك ولا منّا لفقرك راقعُ)
(فما زلتُ تحت السّتر حتى كأنني ... من الحرِّ ذو طِمْرين في البحر كارعُ)
(فهزّت إليّ الرأس مني تعجُّباً ... وعضّض مما قد فعلتُ الأصابعُ)
(فأيُّهما من أتبعَنَّ فإنني ... حزين على إثر الذي أنا وادعُ)
(بكى من فراق الحيِّ قيسُ بنُ مُنقِذ ... وإذراءُ عيني مثلَهُ الدمعَ شائعُ)
(بأربعة تنهلُّ لمّا تقدَّمتْ ... بهم طُرُق شتّى وهن جوامعُ)
(وما خِلْتُ بينَ الحيِّ حتى رأيتهم ... ببَيْنُونَةَ السفلَى وهبَّت سَوافعُ)
(كأن فؤادي بين شِقّين من عصاً ... حِذرا وقوع البين والبينُ واقعُ)
(يَحُثُّ بهم حادٍ سريعٌ نَجاؤه ... ومُعرًى عن الساقين والثوب واسعُ)
(فقلت لها يا نُعمِ حُلّي محلّنا ... فإن الهوى يا نُعم والعيش جامعُ)
(فقالت وعيناها تَفيضان عَبْرَةً ... بأهليَ بيِّنْ لي متى أنت راجعُ)
(فقلت لها تاللهِ يدري مسافر ... إذا أضمرتْه الأرضُ ما اللهُ صانعُ)
(فشدَّت على فِيها اللثامَ وأعرضَتْ ... وأمعن بالكُحْل السَّحيق المدامعُ)
(وإني لِعهد الودِّ راعٍ وإنّني ... بوصلك ما لم يطوني الموتُ طامعُ)

قال أبو عمرو فأنشدت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله هذه القصيدة فاستحسنتها وبحضرتها جماعة من الشعراء فقالت من قدر منكم أن يزيد فيها بيتا واحدا يشبهها ويدخل في معناها فله حلّتى هذه فلم يقدر أحد منهم على ذلك

نسيبه في معشوقته نعم

قال أبو عمرو وقال قيس أيضا يذكر بين الحي وتفرقهم وينسب بنعم

(سقى الله أطلالاً بنعمٍ ترادفت ... بهن النَّوى حتى حَلَلْن المطاليا)
(فإن كانت الأيام يا أمَّ مالك ... تسلِّيكم عنّي وتُرضِي الأعاديا)
(فلا يأمَنَنْ بعدي امرؤ فجعَ لذَّةٍ ... من العيشِ أو فجعَ الخطوبِ العَوافيا)
(وبُدِّلت مِن جَدواكِ يا أمَّ مالكٍ ... طوارقَ همٍّ يحتضِرنَ وساديا)
(وأصبحت بعد الأنس لابسَ جُبَّةٍ ... أساقي الكماةَ الدارعين العَواليا)
(فيَوْمَايَ يومٌ في الحديد مُسربَلاً ... ويوم مع البِيضِ الأوانِس لاهيا)
(فلا مدركاً حظّاً لدى أمِّ مالك ... ولا مستريحاً في الحياة فقاضيا)
(خليليَّ إن دارت على أمِّ مالك ... صُروفُ الليالي فابعثا ليَ ناعيا)
(ولا تتركاني لا لخيرٍ معجَّل ... ولا لبقاءٍ تنظران بقائيا)

(وإن الذي أمَّلْتُ من أمّ مالكٍ ... أشابَ قَذالي واستهامَ فؤاديا)
(فليت المنايا صبَّحتني غُدَيَّةً ... بذَبحٍ ولم أسمع لِبَيْنٍ مناديا)
(نظرتُ ودوني يذبُلٌ وعَمايةٌ ... إلى آل نُعمٍ منظراً متنائيا)
(شكوتُ إلى الرحمن بُعْدَ مزارها ... وما حمّلتني وانقطاعَ رجائيا)
(وقلتُ ولم أملكْ أعمرو بن عامرٍ ... لحتفٍ بذات الرَّقْمتين يرى ليا)
(وقد أيقنتْ نفسي عشيّةَ فارقوا ... بأسفل وادي الدَّوحِ أن لا تلاقيا)
(إذا ما طواكِ الدهرُ يا أمَّ مالكٍ ... فشأنُ المنايا القاضياتِ وشانيا)
قال أبو عمرو وقد أدخل الناس أبياتا من هذه القصيدة في شعر المجنون
قتل وهو يرتجز
قال أبو عمرو وكان من خبر مقتل قيس بن الحدادية أنه لقي جمعا من مزينة يريدون الغارة على بعض من يجدون منه غرة فقالوا له استأسر
فقال وما ينفعكم مني إذا استأسرت وأنا خليع والله لو أسرتموني ثم طلبتم بي من قومي عنزاً جرباء جدماء ما أعطيتموها فقالوا له استأسر لا أم لك فقال نفسي علي أكرم من ذاك وقاتلهم حتى قتل
وهو يرتجز ويقول
(أنا الذي تَخلعه مواليهْ ... وكلُّهم بعد الصَّفاء قاليهْ)
(وكلّهم يُقسم لا يباليهْ ... أنا إذا الموت ينوب غاليهْ)
(مختلطٌ أسفلُه بعاليهْ ... قد يعلم الفتيان أنّي صاليهْ)
(... إذا الحديد رفعتْ عَواليهْ)
وقيل إنه كان يتحدث إلى امرأة من بني سليم فأغاروا عليه وفيهم زوجها فأفلت فنام في ظل وهو لا يخشى الطلب فاتبعوه فوجدوه فقاتلهم فلم يزل يرتجز وهو يقاتلهم حتى قتل
صوت
(صرِمْتنِي ثم لا كلّمتِني أبداً ... إن كنت خنتُكِ في حال من الحالِ)
(ولا اجترمت الذي فيه خيانتُكم ... ولا جَرَتْ خَطرةٌ منه على بالي)
(فسوِّغيني المُنى كيما أعيشَ بها ... وأمسِكي البذلَ ما أطلعتِ آمالي)
(أو عجِّلي تَلَفي إن كنتِ قاتلتي ... أو نوِّليني بإحسان وإجمالِ)
الشعر لابن قنبر والغناء ليزيد بن حوراء خفيف رمل بالبنصر عن عمرو بن بانة وذكر إسحاق أنه لسليم ولم يذكر طريقته
أخبار ابن قنبر ونسبه
هو الحكم بن محمد بن قنبر المازني مازن بني عمرو بن تميم بصري شاعر ظريف من شعراء الدولة الهاشمية وكان يهاجي مسلم بن الوليد الأنصاري مدة ثم غلبه مسلم
هجاؤه مسلم بن الوليد
قال أبو الفرج نسخت من كتاب جدي يحيى بن محمد بن ثوابة بخطه حدثني الحسن بن سعيد قال حدثني منصور بن جهور قال لما تهاجى مسلم بن الوليد وابن قنبر أمسك عنه مسلم بعد أن بسط عليه لسانه فجاء مسلما ابن عم له فقال أيها الرجل إنك عند الناس فوق هذا الرجل في عمود الشعر وقد بعثت عليه لسانك ثم أمسكت عنه فإما أن قاذعته وإما أن سالمته فقال له مسلم إن لنا شيخا وله مسجد يتهجد فيه وله دعوات يدعوها ونحن نسأله أن يجعل بعض دعواته في كفايتنا إياه فأطرق الرجل ساعة ثم قال
((غلَبَ ابن قُنْبرٍ واللئيم مغلَّب ... لما اتَّقَيْتُ هجاءه بدعاء
(ما زال يقذف بالهجاء ولذعهِ ... حتى اتقوه بدعوة الآباء)
قال فقال له مسلم والله ما كان ابن قنبر ليبلغ مني هذا فأمسك عني لسانك وتعرف خبره بعد قال فبعث الرجل والله عليه من لسان مسلم ما أسكته
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عبد الله العبدي القسري قال رأيت مسلم بن الوليد والحكم بن قنبر في مسجد الرصافة في يوم جمعة وكل واحد منهما بإزاء صاحبه وكانا يتهاجيان فبدأ مسلم فأنشد قصيدته
(أنا النار في أحجارها مستَكِنَّة ... فإن كنتَ مِمّن يقدحُ النار فاقدحِ)
وتلاه ابن قنبر فأنشد قوله
(وقد كدتَ تهوي وما قوسي بموتَرةٍ ... فكيف ظنُّكَ بي والقوسُ في الوَتَرِ)
فوثب مسلم وتواخزا وتواثبا حتى حجز الناس بينهما فتفرقا فقال رجل لمسلم وكان يتعصب له ويحك أعجزت عن الرجل حتى واثبته قال أنا وإياه لكما قال الشاعر
(... هنيئاً مريئاً أنتَ بالفُحْش أبصرُ)
وكان ابن قنبر مستعليا عليه مدة ثم غلبه مسلم بعد ذلك فمن مناقضتهما قول ابن قنبر
((ومِن عَجَبِ الاشياء أنَّ لمسلم ... إليَّ نِزاعاً في الهجاء وما يدري
(ووالله ما قِيستْ عليَّ جُدُودُهُ ... لدى مفخَرٍ في الناس قوساً ولا شعري)
ولابن قنبر قوله
(كيف أهجوكَ يا لئيمٌ بشِعْري ... أنت عندي فاعلمْ هِجاءَ هجائي)
(يا دعيَّ الأنصار بل عبدَها النذلَ ... تعرَّضتَ لي لدَرْكِ الشقاء)
كان شعره يلحن ويغنى
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو توبة عن محمد بن جبير عن الحسين بن محرز المغني المديني قال دخلت يوما على المأمون في يوم نوبتي وهو ينشد
صوت
(فما أقصرَ اسمَ الحبّ يا وَيْحَ ذي الحبّ ... وأعظمَ بلواهُ على العاشقِ الصبِّ)

(يمرّ به لفظُ اللّسان مشمِّراً ... ويغرَق من ساقاه في لُجَج الكربِ)
فلما بصر بي قال تعال يا حسين فجئت فأنشدني البيتين ثم أعادهما علي حتى حفظتهما ثم قال اصنع فيهما لحنا فإن أجدت سررتك فخلوت وصنعت فيهما لحني المشهور وعدت فغنيته إياه فقال أحسنت وشرب عليه بقية يومه وأمر لي بألف دينار والشعر لحكم بن قنبر
أخبرني محمد بن الأزهر قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن
محمد بن سلام قال أنشدني ابن قنبر لنفسه
(ويْلِي على من أطارَ النومَ وامتنعَا ... وزاد قلبي على أوجَاعِهِ وَجَعَا)
(ظبيٌ أغرٌّ ترى في وجهه سُرُجاً ... تُعشِي العيونَ إذا ما نوره سطعَا)
(كأنما الشمس في أثوابه بَزَغَتْ ... حُسناً أو البدرُ في أردانِهِ طلعَا)
(فقد نسيتُ الكرى من طُول ما عطِلتْ ... منه الجفونُ وطارت مهجتي قِطَعَا)
قال ابن سلام ثم قال ابن قنبر لقيتني جوار من جواري سليمان بن علي في الطريق الذي بين المربد وقصر أوس فقلن لي أنت الذي تقول
(... ويلي على من أطارَ النومَ وامتنعَا)
فقلت نعم فقلن أمع هذا الوجه السمج تقول هذا ثم جعلن يجذبنني ويلهون بي حتى أخرجنني من ثيابي فرجعت عاريا إلى منزلي قال وكان حسن اللباس
أخبرني محمد بن الحسين الكندي مؤدبي قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني عمي قال دخل الحكم بن قنبر على عمي وكان صديقا له فبش به ورفع مجلسه وأظهر له الأنس والسرور ثم قال أنشدني أبياتك التي أقسمت فيها بما في قلبك فأنشده
((وحقِّ الذي في القلب منك فإنه ... عظيم لقد حصَّنت سرَّك في صدري
(ولكنّما أفشاه دمعي وربّما ... أتى المرء ما يخشاه من حيث لا يدري)
(فهبِ لي ذنوب الدمع إني أظنّه ... بما منه يبدو إنما يَبتغي ضرّي)
(ولو يَبتغي نفعي لخلّى ضمائري ... يردّ على أسرار مكنونِها ستري)
فقال لي يا بني اكتبها واحفظها ففعلت وحفظتها يومئذ وأنا غلام
اعتراض محمد بن سلام على شعره
أخبرني اليزيدي قال أخبرني عمي عن ابن سلام وأخبرني به أحمد عن ابن عباس العسكري عن القنبري عن محمد بن سلام قال أنشدني ابن قنبر لنفسه قوله
(صرمتِنِي ثم لا كلّمتِنِي أبدا ... إن كنت خنتُكِ في حالٍ من الحالِ)
(ولا اجترمت الذي فيه خيانتكم ... ولا جرتْ خطرة منه على بالي)
قال فقلت له وأنا أضحك يا هذا لقد بالغت في اليمين
(فقال هي عندي كذاك وإن لم تكن عندك كما هي عندي
قال اليزيدي قال عمي وهو الذي يقول وفيه غناء
صوت
(ليس فيها ما يقال له ... كملتْ لو أنّ ذا كَمَلاَ)
(كلّ جزءٍ من محاسنها ... كائنٌ في فضله مَثَلاَ)
((لو تمنّت في مَلاحتِها ... لم تجد من نفسها بَدَلاَ
فيه لحن لابن القصار رمل
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال قال لي إبراهيم بن المدبر أتعرف الذي يقول
(إن كُنْتَ لا تَرْهَبُ ذَمّي لما ... تَعرف من صفحي عن الجاهلِ)
(فاخشَ سُكوتي فَطِناً مُنْصِتاً ... فيكَ لتحسين خنا القائلِ)
(مقالةُ السُّوءِ إلى أهلِها ... أسهلُ من منحدر سائِلِ)
(ومن دعا الناسَ إلى ذمِّه ... ذمُّوه بالحقِّ وبالباطلِ)
فقلت هذه للعتابي فقال ما أنشدتها إلا لابن قنبر فقلت له من شاء منهما فليقلها فإنه سرقه من قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة
(وإن أنا لم آمر ولم أنهَ عنكما ... سكتّ له حتى يلجّ ويستشري)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أبو مسلم يعني محمد بن الجهم قال أطعم رجل من ولد عبد الله بن كريز صديقا له ضيعة فمكثت في يده مدة ثم مات الكريزي فطالب ابنه الرجل بالضيعة فمنعه إياها فاختصما إلى عبيد الله بن الحسن فقيل له ألا تستحي تطالب بشيء إن كنت فيه كاذبا أثمت وإن كنت صادقا فإنما تريد أن تنقض مكرمة
لابيك فقال له ابن الكريزي وكان ساقطا الشحيح أعظم من الظالم أعزك الله فقال له عبيد الله بن الحسن هذا الجواب والله أعز من الخصومة ويحك وهذا موضع هذا القول اللهم اردد على قريش أخطارها ثم أقبل علينا فقال لله در الحكم بن قنبر حيث يقول
(إذا القُرَشيُّ لم يُشبِه قريشاً ... بفعلهم الذي بَذَّ الفعالاَ)
(فَجَرْمِيٌّ له خُلُقٌ جميل ... لدى الأقوام أحسنُ منه حالا)
تمثل الرشيد بشعره
أخبرني محمد بن الحسين الكندي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا مسعود بن بشر قال شكا العباس بن محمد إلى الرشيد أن ربيعة الرقي هجاه فقال له قد سمعت ما كان مدحك به وعرفت ثوابك إياه وما قال في ذمك بعد ذلك فما وجدته ظلمك به ولله در ابن قنبر حيث قال
(ومن دعا الناس إلى ذمّه ... ذمّوه بالحقّ وبالباطل)
وبعد فقد اشتريت عرضك منه وأمرته بأن لا يعود لذمك تعريضا ولا تصريحا

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا محمد بن سلام قال مرض ابن قنبر فأتوه بخصيب الطبيب يعالجه فقال فيه
(ولقد قلتُ لأهلي ... إذ أتَوْني بخَصِيبِ)
(ليس والله خصيبٌ ... لِلّذِي بي بطبيبِ)
(إنَّما يَعْرِف دائي ... من به مِثل الّذي بي)
قال وكان خصيب عالما بمرضه فنظر إلى مائه فقال زعم جالينوس أن صاحِب هذه العلة إذا صار ماؤه هكذا لم يعش فقيل له إن جالينوس ربما أخطأ فقال ما كنت إلى خطأه أحوج مني إليه في هذا الوقت
قال ومات من علته
صوت
(خليليَّ من سعد ألمَّا فسلِّما ... على مريمٍ لا يبعد الله مريما)
(وقولا لها هذا الفراق عزمته ... فهل من نوال قبل ذاك فنعلما)
الشعر للأسود بن عمارة النوفلي والغناء لدهمان ثاني ثقيل بالوسطى
أخبار الأسود ونسبه
هو فيما أخبرني به الحرمي بن أبي العلاء والطوسي عن الزبير بن بكار عن عمه الأسود بن عمارة بن الوليد بن عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب وكان الأسود شاعرا أيضا
شعره في معشوقته هند
قال الزبير فيما حدثنا به شيخانا المذكوران عنه وحدثني عمي قال كان عمارة بن الوليد النوفلي أبو الأسود بن عمارة شاعرا وهو الذي يقول
صوت
(تلك هندٌ تصُدُّ للبَيْن صدّا ... أدلالاً أم هندُ تهجُرُ جِدّا)
(أم لِتَنْكَا به قُروحَ فؤادي ... أم أرادت قتلي ضِراراً وعمدا)
(قد براني وشفَّني الوجدُ حتى ... صرتُ مما ألقى عظاماً وجِلدا)
(أيها الناصح الأمين رسولاً ... قل لهندٍ عنّي إذا جئتَ هندا)
(عَلِمَ الله أن قد أوتيتِ مني ... غيرَ منٍّ بذاكِ نصحا وودّا)
(ما تقرَّبتُ بالصفاء لأدنو ... منكِ إلاَّ نأيتِ وازددتِ بعدا)
الغناء لعبادل خفيف رمل بالبنصر في مجراها عن إسحاق وفي كتاب حكم الغناء له خفيف رمل وفي كتاب يونس فيه لحن ليونس غير مجنس وفيه ليحيى المكي أو لابنه أحمد بن يحيى ثقيل أول
قال الزبير قال عمي ومن لا يعلم يروى هذا الشعر لعمارة بن الوليد النوفلي قال وكان الأسود يتولى بيت المال بالمدينة وهو القائل
(خليليَّ من سعدٍ ألِمَّا فسلِّما ... على مريمٍ لا يبعد الله مريما)
(وقولا لها هذا الفراق عزمته ... فهل من نوال قبل ذاك فنعلما)
قال وهو الذي يقول لمحمد بن عبيد الله بن كثير بن الصلت
(ذكرناك شُرْطياً فأصبحت قاضياً ... وصرت أميراً أبشري قحطانُ)
(أرى نَزَواتٍ بينهن تفاوت ... وللدهر أحداث وذا حَدَثَانُ)
(أقيمي بني عمرو بن عوف أو اربَعي ... لكل أناس دولة وزمانُ)
قال وإنما خاطب بني عمرو بن عوف ها هنا لأن الكثيري كان تزوج إليهم وإنما قال أبشري قحطان لأن كثير بن الصلت من كندة حليف لقريش
خبره مع معشوقته مريم
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن سليمان النوفلي أحد بني نوفل بن عبد مناف قال كان أبي يتعشق جارية مولده مغنية لامرأة من أهل المدينة ويقال للجارية مريم فغاب غيبة إلى الشام ثم قدم فنزل في طرف المدينة وحمل متاعه على حمالين وأقبل يريد منزله وليس شيء أحب إليه من صفاء مريم فبينا هو يمشي إذ هو بمولاة مريم قائمة على قارعتها وعيناها تدمعان فسألها وساءلته فقال للعجوز ما هذه المصيبة التي أصبت بها قالت لم أصب بشيء إلا مبيعي مريم قال وممن بعتها قالت من رجل من أهل العراق وهو على الخروج وإنما ذهبت بها حتى ودعت أهلها فهي تبكي من أجل ذلك وأنا أبكي من أجل فراقها قال الساعة تخرج قالت نعم الساعة تخرج فبقي متبلدا حائرا ثم ارسل عينيه يبكي وودع مريم وانصرف وقال قصيدته التي أولها
(خليليَّ من سعد ألِمَّا فسلِّما ... على مريمٍ لا يُبعِد الله مريما)
(وقُولاَ لها هذا الفراق عزمته ... فهل من نوال قبل ذاك فنعلما)
قال وهي طويلة وقد غنى بعض أهل الحجاز في هذين البيتين غناء زيانبيا
هكذا قال ابن عمار في خبره
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو العباس أحمد بن مالك اليمامي عن
عبد الله بن محمد البواب قال سألت الخيزران موسى الهادي أن يولي خاله الغطريف اليمن فوعدها بذلك ودافعها به ثم كتبت إليه يوما رقعة تتنجزه فيها أمره فوجه إليها برسولها يقول خيريه بين اليمن وطلاق ابنته أو مقامي عليها ولا أوليه اليمن فأيهما اختار فعلته فدخل الرسول إليها ولم يكن فهم عنه ما قال فأخبرها بغيره ثم خرج إليه فقال تقول لك ولاية اليمن فغضب وطلق ابنته وولاه اليمن ودخل الرسول فأعلمه بذلك فارتفع الصياح من داره فقال ما هذا فقالوا من دار بنت خالك قال أو لم تختر ذلك قالوا لا ولكن الرسول لم يفهم ما قلت فأدى غيره وعجلت بطلاقها ثم ندم ودعا صالحا صاحب المصلى وقال له أقم على رأس كل رجل بحضرتي من الندماء رجلا بسيف فمن لم يطلق امرأته منهم فلتضرب عنقه ففعل ذلك ولم يبرح من حضرته أحد إلا وقد طلق إمرأته قال ابن البواب وخرج الخدم إلي فأخبروني بذلك وعلى الباب رجل واقف متلفع بطيلسانه يراوح بين رجليه فخطر ببالي

(خليليَّ من سعد ألّمَا فسلِّما ... على مريمٍ لا يُبعد اللهُ مَريَما)
(وقُولاَ لها هذا الفراق عزمِته ... فهل من نوال قبل ذاك فنعلَمَا)
فأنشدته فيعلما بالياء فقال لي فنعلما بالنون فقلت له فما الفرق بينهما فقال إن المعاني تحسن الشعر وتفسده وإنما قال فنعلما ليعلم هو القصة وليس به حاجة إلى أن يعلم الناس سره فقلت أنا أعلم بالشعر منك قال فلمن هو قلت للأسود بن عمارة قال أو تعرفه قلت لا
قال فأنا هو فاعتذرت إليه من مراجعتي إياه ثم عرفته خبر الخليفة فيما فعله فقال أحسن الله عزاءك وانصرف وهو يقول هذا أحق منزل بترك

يسخر من محمد بن عبيد الله حين تولى المدينة

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال كان محمد بن عبيد الله بن كثير بن الصلت على شرطة المدينة ثم ولي القضاء ثم ولاه أبو جعفر المدينة وعزل عبد الصمد بن علي فقال الأسود بن عمارة
(ذكرتك شُرْطياً فأصبحتَ قاضياً ... فصرتَ أميراً أبْشري قَحْطَانُ)
(أرى نَزَواتٍ بينهنَّ تفاوتٌ ... وللدهر أحداث وذا حَدَثَانُ)
(أرى حَدَثاً مِيطانُ منقَطعٌ له ... ومنقطع مِنْ بعده وَرقانُ)
(أقيمي بني عمرو بن عوف أو اربعي ... لكلّ أناس دولةٌ وزمانُ)

صوت

(هل لدهر قد مضى من مَعادِ ... أو لِهمٍّ داخلٍ من نَفادِ)
(أذكرتْني عِيشةً قد توَّلت ... هاتفاتٌ نُحْنَ في بطنِ وادي)
(هِجْنَ لي شوقاً وأَلهبْنَ ناراً ... للهوى في مستقَرِّ الفؤادِ)
(بان أحبابي وغُودرتُ فرداً ... نُصْبَ ما سرَّ عيونَ الأعادي)
الشعر لعلي بن الخليل والغناء لمحمد الرف ولحنه خفيف رمل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة

أخبار علي بن الخليل

هو رجل من أهل الكوفة مولى لمعن بن زائدة الشيباني ويكنى أبا الحسن وكان يعاشر صالح بن عبد القدوس لا يكاد يفارقه فاتهم بالزندقة وأخذ من صالح ثم أطلق لما انكشف أمره
قال محمد بن داود بن الجراح حدثني محمد بن الأزهر عن زياد بن الخطاب عن الرشيد أنه جلس بالرافقة للمظالم فدخل عليه علي بن الخليل وهو متوكئ على عصا وعليه ثياب نظاف وهو جميل الوجه حسن الثياب في يده قصة فلما رآه أمر بأخذ قصته فقال له يا أمير المؤمنين أنا أحسن عبارة لها فإن رأيت أن تأذن لي في قراءتها فعلت
قال إقرأها فاندفع ينشده فيها قصيدته
(يا خير من وَخَدَت بأَرْحُلِه ... نُجُبُ الرِّكابِ بِمَهْمَهٍ جَلْسِ)
فاستحسنها الرشيد وقال له من أنت قال أنا علي بن الخليل الذي يقال فيه إنه زنديق فضحك وقال له أنت آمن وأمر له بخمسة آلاف درهم وخص به بعد ذلك وأكثر مدحه

مدحه الرشيد حين أطلقه من السجن

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال كان الرشيد قد أخذ صالح بن عبد القدوس وعلي بن الخليل في الزندقة وكان علي بن الخليل استأذن أبا نواس في الشعر فأنشده علي بن الخليل
(يا خير من وخدَتْ بأَرْحُلِه ... نُجبٌ تخُبُّ بمَهْمَهٍ جَلْسِ)
(تطوي السباسِبَ في أزمَّتها ... طَيَّ التِّجار عمائمَ البُرْسِ)
(لما رأتك الشمسُ إذ طلعتْ ... كسفتْ بوجهك طلعةُ الشمس)
(خير البرية أنت كلُّهمُ ... في يومك الغادي وفي أمسِ)
(وكذاك لن تنفكَّ خيرَهُمُ ... تُمسي وتُصبح فوق ما تُمسي)
(للّه ما هرون من مَلِكٍ ... برِّ السريرة طاهر النَّفس)
(ملك عليه لربِّه نِعَمٌ ... تزدادُ جِدَّتُها على اللُّبس)
(تحكي خلافتُه ببهجتِها ... أَنقَ السرور صبيحةَ العُرْسِ)
(من عِترةٍ طابت أرومَتُهمْ ... أهلِ العفاف ومنتهى القُدْسِ)
((نُطُقٍ إذا احتُضِرت مجالسُهم ... وعن السفاهة والخنا خُرس
(إني إليك لجأتُ من هربٍ ... قد كان شرَّدني ومن لَبسِ)
(واخترتُ حكمَك لا أجاوزُهُ ... حتى أوسَّدَ في ثرَى رَمْسي)
(لما استخرتُ اللهَ في مَهَلٍ ... يَمّمتُ نحوَك رحلةَ العَنْسِ)
(كم قد قطعتُ إليك مُدَّرِعاً ... ليلاً بَهيمَ اللَّونِ كالنَّقسِ)
(إن هاجني من هاجسٍ جزعٌ ... كان التوكل عنده تُرسي)
(ما ذاك إلا أنني رجل ... أصبو إلى بَقَرٍ من الإنسِ)
(بقرٍ أوانسَ لا قُرونَ لها ... نُجْلِ العيونِ نواعِمٍ لُعْسِ)
(رَدْعُ العَبيرِ على ترائبِها ... يُقبلْنَ بالترحيب والخلْسِ)
(وأشاهد الفتيان بينهمُ ... صفراءُ عند المزْجِ كالوَرْسِ)
(للماء في حافاتها حَبَبٌ ... نُظُمٌ كرقْمٍ صحائف الفُرْسِ)
(والله يعلم في بقيته ... ما إن أضعْتُ إقامَةَ الخَمْسِ)
فأطلقه الرشيد وقتل صالح بن عبد القدوس واحتج عليه في أنه لا يقبل له توبة بقوله
(والشيخ لا يترك أخلاقه ... حتى يُوارَى في ثرى رَمْسِه)
وقال إنما زعمت ألا تترك الزندقة ولا تحول عنها أبدا
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني أحمد بن زهير بن حرب قال كان عافية بن يزيد يصحب ابن علاثة فأدخله علىالمهدي فاستقصاه معه بعسكر المهدي وكانت قصة يعقوب مع أبي عبيد الله كذلك أدخله إلى المهدي ليعرض عليه

فغار عليه فقال علي بن الخليل في ذلك
(عجباً لتصريف الأمور ... مسرّةً وكراهيهْ)
(رثّتْ ليعقوبَ بن داود ... حبالُ معاويه)
(وعدت على ابن عُلاثَة القاضي ... بوائقُ عافيه)
((أدخلتَه فعَلا عليك ... كذاك شؤمُ الناصيه
(وأخذتَ حتفكَ جاهداً ... بيمينك المتراخيه)
(يعقوبُ ينظر في الأمور ... وأنت تنظرُ ناحيهْ)
خبر ابن الجهم مع المأمون
أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عمرو بن فراس الذهلي عن أبيه قال قال لي محمد بن الجهم البرمكي قال لي المأمون يوما يا محمد أنشدني بيتا من المديح جيدا فاخرا عربيا لمحدث حتى أوليك كورة تختارها
قال قلت قول علي بن الخليل
(فمع السماءِ فروعُ نَبْعتهم ... ومع الحضيضِ مَنابتُ الغَرْس)
(متهلِّلين على أسِرَّتهم ... ولدى الهياج مَصاعبٍ شُمْس)
فقال أحسنت وقد وليتك الدينور فأنشدني بيت هجاء على هذه الصفة حتى أوليك كورة أخرى فقلت قول الذي يقول
(قبُحتْ مناظرُهم فحين خَبَرتهم ... حسنُت مناظرُهم لقُبح المَخبَر)
فقال قد أحسنت قد وليتك همذان فأنشدني مرثية على هذا حتى أزيدك كورة أخرى فقلت قول الذي يقول
(أرادوا ليُخفوا قبرَه عن عدوّه ... فطِيبُ تراب القبر دل على القبر)
فقال قد أحسنت قد وليتك نهاوند فأنشدني بيتا من الغزل على هذا الشرط حتى أوليك كورة أخرى فقلت قول الذي يقول
(تعالَيْ نجدّد دارس العِلم بيننا ... كلانا على طول الجفاء مَلُوم)
فقال قد أحسنت قد جعلت الخيار إليك فاختر فاخترت السوس من كور الأهواز فولاني ذلك أجمع ووجهت إلى السوس بعض أهلي
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد عن التوزي قال نزل أبو دلامة بدهقان يكنى أبا بشر فسقاه شراباً أعجبه فقال في ذلك
(سقاني أبو بشر من الراح شَربةً ... لها لذَّةٌ ما ذُقتها لشراب)
(وما طبخوها غير أنّ غلامهمْ ... سعى في نواحي قرمها بشِهاب)
قال فأنشد علي بن الخليل هذين البيتين فقال أحرقه العبد أحرقه الله
تهنئته ليزيد بن مزيد بمولوده الجديد
أخبرني الحسن بن علي وعمي الحسن بن محمد قالا حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمران الضبي عن علي بن يزيد قال ولد ليزيد بن مزيد ابن فأتاه علي بن الخليل فقال اسمع أيها الأمير تهنئة بالفارس الوارد فتبسم وقال هات فأنشده
((يزيدُ يابن الصَّيد من وائلٍ ... أهل الرياسات وأهلِ المعالْ
(يا خير من أنجبَه والد ... لِيَهنِك الفارسُ ليث النزالْ)
(جاءت به غَرَّاءُ ميمونة ... والسعد يبدو في طلوع الهِلالْ)
(عليه من مَعْن ومن وائلٍ ... سيمَا تباشيرٍ وسيمَا جَلال)
(والله يُبقيه لنا سيّداً ... مدافِعاً عنَّا صُروفَ اللّيالْ)
(حتى نراه قد علا مِنبراً ... وفاض في سُؤاله بالنوال)
(وسَدَّ ثَغْراً فكفى شرَّه ... وقارَعَ الأبطالَ تحت العَوالْ)
(كما كفانا ذاك آباؤه ... فَيحتذِي أفعالَهمْ عن مِثال)
فأمر له عن كل بيت بألف دينار
المهدي يذكره بشعره في الخمر
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني ابن الأعرابي المنجم الشيباني عن علي بن عمرو الأنصاري قال دخل علي بن الخليل على المهدي فقال له يا علي أنت على معاقرتك الخمر وشربك لها قال لا والله يا أمير المؤمنين قال وكيف ذاك قال تبت منها قال فأين قولك
(أُولِعتْ نفسي بلذّتها ... ما ترى عن ذاك إقصارا)
وأين قولك
(إذا ما كنتَ شاربَها فسِرّاً ... ودع قولَ العواذل واللَّواحي)
قال هذا شيء قلته في شبابي وأنا القائل بعد ذلك
(على اللّذّات والراح السلامُ ... تقضّى العهدُ وانقطع الذِّمامُ)
(مضى عهد الصِّبا وخرجتُ منه ... كما مِن غِمده خرج الحسامُ)
(وقُرتُ على المَشيب فليس منّي ... وصالُ الغانيات ولا المُدام)
(ووَلّى اللهوُ والقَيْناتُ عنّي ... كما ولّى عن الصبح الظلامُ)
(حلبْتُ الدهرَ أشطُرَه فعندي ... لصَرف الدهر محمودٌ وذَامُ)
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسن بن الحرون عن علي بن عبيدة الشيباني قال دخل علي بن الخليل ذات يوم إلى معن بن زائدة فحادثه وناشده ثم قال له معن هل لك في الطعام قال إذا نشط الأمير فأتيا بالطعام فأكلا ثم قال هل لك في الشراب قال إن سقيتني ما أريد شربت وإن سقيتني من شرابك فلا حاجة لي فيه فضحك ثم قال قد عرفت الذي تريد وأنا أسقيك منه فأتي بشراب عتيق فلما شرب منه وطابت نفسه أنشأ يقول
(يا صاح قد أنعمتَ إصباحي ... ببارد السَّلسال والراحِ)
(قد دارت الكأسُ برَقْراقةٍ ... حياةِ أبدانٍ وأرواح)

(تجري على أغيَدَ ذي رَونقٍ ... مهذَّب الأخلاق جَحْجاح)
(ليس بفحّاش على صاحب ... ولا على الراح بفَضَّاح)
((تسرّه الكأسُ إذا أقبلت ... بريح أُترجٍّ وتُفَّاح
(يَسعَى بها أزهر في قُرْطَقٍ ... مقلَّد الجِيد بأوضاح)
(كأنها الزُّهرة في كفّه ... أو شُعلة في ضوءِ مصباح)
هجا صديقا له من الدهاقين لأنه تعالى عليه
حدثنا علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال كان لعلي بن الخليل الكوفي صديق من الدهاقين يعاشره ويبره فغاب عنه مدة طويلة وعاد إلى الكوفة وقد أصاب مالا ورفعة وقويت حاله فادعى أنه من بني تميم فجاءه علي بن الخليل فلم يأذن له ولقيه فلم يسلم عليه فقال يهجوه
(يَروح بِنِسبة المَوْلَى ... ويصبح يَدَّعي العَرَبا)
(فلا هذا ولا هذاك ... يدركُه إذا طَلبا)
(أتيناه بِشَبُّوطٍ ... ترى في ظهرِه حَدَبا)
(فقال أمَا لبخلك من ... طعامٍ يُذهب السَّغَبا)
(فصد لأخيك يَرْبُوعاً ... وضَبّاً واترك اللعبا)
(فَرِشتُ له قَريح المسك ... والنِّسرينَ والغَرَبا)
(فأمسكَ أنفَه عنها ... وقام مولّياً هَربا)
((يشمُّ الشّيحَ والقَيْصومَ ... كي يستوجبَ النسبا
(وقام إليه ساقينا ... بكأسٍ تَنظِم الحبَبا)
(معتّقةٍ مروّقةٍ ... تسلّى همَّ من شربا)
(فآلَى لا يُسلْسِلها ... وقال اصبُبْ لنا حَلَبا)
(وقد ابصرتُه دهراً ... طويلاً يشتهي الأدبا)
(فصار تشبُّهاً بالقوم ... جِلفاً جافياً جَشِبا)
(إذا ذُكر البَريرُ بكى ... وأبدَى الشوقَ والطَّرَبا)
(وليس ضميرُه في القوم ... م إلاَّ التِّينَ والعنبا)
(جحدت أباك نسبتَه ... وأرجو أن تفيد أبا)
قال علي بن سليمان وأنشدني محمد بن يزيد وأحمد بن يحيى جميعا لعلي بن الخليل في هذا الذكر وذكر ثعلب أن إسحاق بن إبراهيم أنشد هذه الأبيات لعلي قال
(يا أيُّها الراغب عن أصله ... ما كنتَ في موضع تهجين)
(متى تعرّبتَ وكنت امرأً ... من الموالي صالحَ الدِّين)
(لو كنتَ إذ صرتَ إلى دعوة ... فزتَ من القوم بتمكين)
(لكفَّ من وجدي ولكنني ... أراك بين الضَّبِّ والنُّونِ)
((فلو تراه صارفاً أنفَه ... من ريحِ خِيريٍّ ونِسرينِ
(لقلتَ جِلفٌ من بني دارمٍ ... حنَّ إلى الشِّيح بِيبْرينِ)
(دُعْموصُ رمل زَلَّ عن صخرةٍ ... يعاف أرواحَ البساتين)
(تنبو عن الناعم أعطافُه ... والخَزِّ والسِّنجابِ واللِّينِ)
أخبرني جحظة ومحمد بن مزيد جميعا قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال كان علي بن الخليل جالسا مع بعض ولد المنصور وكان الفتى يهوى جارية لعتبة مولاة المهدي فمرت به عتبة في موكبها والجارية معها فوقفت عليه وسلمت وسألت عن خبره فلم يوفها حق الجواب لشغل قلبه بالجارية فلما انصرفت أقبل عليه علي بن الخليل فقال له
(راقِب بطَرْفك مَن تخاف ... إذا نظرت إلى الخليل)
(فإذا أمِنتَ لِحاظَهمْ ... فعليك بالنظر الجميل)
(إن العيون تَدُلُّ بالنظر ... المليح على الدَّخِيل)
(إمَّا على حبٍّ شديدٍ ... أوعلى بُغضٍ أصيل)
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال كان علي بن الخليل يصحب بعض ولد جعفر بن المنصور فكتب إليه
والبة بن الحباب يدعوه ويسأله ألا يشتغل بالهاشمي يومه ذلك عنه ويصف له طيب مجلسه وغناء حصله وغلاما دعاه فكتب إليه علي بن الخليل
(أمَا ولحاظِ جارية ... تُذيب حُشاشةَ المُهَجِ)
(وسحرِ جفونها المُضْنيك ... بين الفَتْرِ والدَّعَجِ)
(مليحةِ كلِّ شيء ما ... خلا من خُلْقها السَّمِج)
(وحُرْمةِ دَنِّك المبزول ... والصهباءِ منه تجي)
(كأنَّ مجيئها في الكأس ... حين تُصَبُّ من وَدَجِ)
(لو انعرج الأنام إلى ... بشاشة مجلسٍ بَهِج)
(وكنت بجانب جدْبٍ ... لكان إليك مُنعرَجي)
وصار إليه في إثر الرقعة
أخبار محمد الزف
هو محمد بن عمرو مولى بني تميم كوفي الأصل والمولد والمنشأ والزف لقب غلب عليه وكان مغنيا ضاربا طيب المسموع صالح الصنعة مليح النادرة أسرع خلق الله أخذا للغناء وأصحهم أداء له وأذكاهم إذا سمع الصوت مرتين أو ثلاثا أداه لا يكون بينه وبين من أخذه عنه فرق وكان يتعصب على ابن جامع ويميل إلى إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق فكانا يرفعان منه ويقدمانه ويجتلبان له الرفد والصلات من الخلفاء وكانت فيه عربدة إذا سكر فعربد بحضرة الرشيد مرة فأمر

بإخراجه ومنعه من الوصول إليه وجفاه وتناساه وأحسبه مات في خلافته أو في خلافة الأمين
أمثلة على قوة حفظه
أخبرني بذلك ذكاء وجه الرزة عن محمد بن أحمد بن يحيى المكي المرتجل
أخبرني ابن جعفر جحظة قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال غنى ابن جامع يوما بحضرة الرشيد
صوت
(جسورٌ على هجري جبانٌ على وصلي ... كَذوب غدا يستتبع الوعد بالمطل)
(مقدِّم رجل في الوصال مؤخِّر ... لأخرى يشوب الجِدّ في ذاك بالهزل)
(يهمّ بنا حتى إذا قلتُ قد دنا ... وجاد ثَنى عِطفاً ومال إلى البخل)
(يزيد امتناعاً كلّما زدت صبوةً ... وأزداد حرصاً كلَّما ضنَّ بالبذل)
فأحسن فيه ما شاء وأجمل فغمزت عليه محمدا الزف وفطن لما أردت واستحسنه الرشيد وشرب عليه واستعاده مرتين أو ثلاثا ثم قمت للصلاة وغمزت الزف وجاءني وأومأت إلى مخارق وعلويه وعقيد فجاؤوني فأمرته بإعادة الصوت فأعاده وأداه كأنه لم يزل يرويه فلم يزل يكرره على الجماعة حتى غنوه ودار لهم ثم عدت إلى المجلس فلما انتهى الدور إلي بدأت فغنيته قبل كل شيء غنيته فنظر إلي ابن جامع محددا نظره وأقبل علي الرشيد فقال أكنت تروي هذا الصوت فقلت نعم يا سيدي فقال ابن جامع كذب والله ما أخذه إلا مني الساعة فقلت هذا صوت أرويه قديما وما فيمن حضر أحد إلا وقد أخذه مني وأقبلت عليه فغناه علويه ثم عقيد ثم مخارق فوثب ابن جامع فجلس بين يديه وحلف بحياته وبطلاق امرأته أن اللحن صنعه منذ ثلاث ليال ما سمع منه قبل ذلك الوقت فأقبل علي فقال بحياتي اصدقني عن القصة فصدقته فجعل يضحك ويصفق ويقول لكل شيء آفة وآفة ابن جامع الزف
لحن هذا الصوت خفيف ثقيل أول بالبنصر والصنعة لابن جامع من رواية الهشامي وغيره
قال أبو الفرج وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مزيد عن حمّاد عن أبيه بخلاف هذه الرواية فقال فيه قال محمد الزف أروى خلق الله للغناء وأسرعهم أخذا لما سمعه منه ليست عليه في ذلك كلفة وإنما يسمع الصوت مرة واحدة وقد أخذه وكنا معه في بلاء إذا حضر فكان من غنى منا صوتا فسأله عدو له أو صديق أن يلقيه عليه فبخل ومنعه إياه سأل محمدا الزف أن يأخذه فما هو إلا أن يسمعه مرة واحدة حتى قد أخذه وألقاه على من سأله فكان أبي يبره ويصله ويجديه من كل جائزة وفائدة تصل إليه فكان غناؤه عنده حمى مصونا لا يقربه ولم يكن طيب المسموع ولكنه كان أطيب الناس نادرة وأملحهم مجلسا وكان مغرى بابن جامع خاصة من بين المغنين لبخله فكان لا يفتح ابن جامع فاه بصوت إلا وضع عينه عليه وأصغى سمعه إليه حتى يحكيه وكان في ابن جامع بخل شديد لا يقدر معه على أن يسعفه ببر ورفد فغنى يوما بحضرة الرشيد
غناء لابن جامع بحضرة الرشيد
صوت
(أرسلت تُقرئ السلامَ الرَّبابُ ... في كتابٍ وقد أتانا الكتابُ)
(فيه لو زُرتَنا لزرناك ليلاً ... بمِنىً حيث تستقلّ الركاب)
(فأجبتُ الرَّباب قد زرت لكن ... ليَ منكم دون الحجاب حجاب)
(إنما دهرك العتاب وذمّي ... ليس يُبقي على المحبّ عتابُ)
ولحنه من الثقيل الأول فأحسن فيه ما شاء ونظرت إلى الزف فغمزته وقمت إلى الخلاء فإذا هو قد جاءني فقلت له أي شيء عملت فقال قد فرغت لك منه قلت هاته فرده علي ثلاث مرات وأخذته وعدت إلى مجلسي وغمزت عليه عقيدا ومخارقا فقاما وتبعهما فألقاه عليهما وابن جامع لا يعرف الخبر فلما عاد إلى المجلس أومأت إليهما أسألهما عنه فعرفاني أنهما قد أخذاه فلما بلغ الدور إلي كان الصوت أول شيء غنيته فحدد الرشيد نظره إلي ومات ابن جامع وسقط في يده فقال لي الرشيد من أين لك هذا قلت أنا أرويه قديما وقد أخذه عني مخارق وعقيد فقال غنياه فغنياه فوثب ابن جامع فجلس بين يديه ثم حلف بالطلاق ثلاثا بأنه صنعه في ليلته الماضية ما سبق إليه ابن جامع أحد فنظر الرشيد إلي فغمزته بعيني أنه صدق وجد الرشيد في العبث به بقية يومه ثم سألني بعد ذلك عن الخبر فصدقته عنه وعن الزف فجعل يضحك ويقول لكل شيء آفة وآفة ابن جامع الزف قال حماد وللزف صنعة يسيرة جيدة منها في الرمل الثاني
صوت
(لمن الظعائن سيرُهنَّ تزحُّفُ ... عَوْمَ السَّفين إذا تَقَاذَفَ مِجذَفُ)
(مرَّت بذي حُسُمٍ كأنَّ حُمولَها ... نخل بيثربَ طلعُها متزحِّف)
(فلئن أصابتْني الحروب لربَّما ... أُدعَى إذا مُنع الرِّدافُ فأردف)
(فأثير غاراتٍ وأشهد مَشْهَدَا ... قلبُ الجبان به يَطيش فَيرجُفُ
قال ومن مشهور صنعته في هذه الطريقة
صوت
(إذا شئت غنَّتني بأجراع بِيشةٍ ... أو النخلِ من تَثْليثَ أو من يَلَمْلَمَا)
(مطوَّقةٌ طَوْقاً وليس بِحلْيةٍ ... ولا ضربَ صوّاغٍ بكفيه دِرهما)
(تُبكِّي على فرخٍ لها ثم تَغتدي ... مدلَّهةً تَبغِي له الدهرَ مَطعمَا)
(تؤمل منه مؤنساً لانفرادها ... وتبكي عليه إن زَقَا أو ترنما)
ومن صنعته في هذه الطريقة
صوت
(يا زائرَيْنا من الخيامِ ... حيَّاكما الله بالسلامِ)
(يحزنني أن أطعتُماني ... ولم تَنالاَ سوى الكلامِ)
(بُورك هارونُ من إمامٍ ... بطاعة الله ذي اعتصامِ)
له إلى ذي الجلال قُربى ... ليست لعدل ولا إمام) وله في هذ الطريقة
صوت
(بان الحبيبُ فلاحَ الشَّيبُ في راسي ... وبتُّ منفرداً وحدي بِوَسْواس)

(ماذا لقيتُ فدتك النفسُ بعدَكم ... من التبرم بالدنيا وبالناس)
(لو كان شيء يسلي النفسَ عن َشجَن ... سلّت فؤاديَ عنكم لذَّةُ الكاس)
صوت
(بأبي ريمٌ رَمَى قلبي ... بألحاظٍ مِراضِ)
(وحمَى عيني أن تلتَذ ... ّ طِيبَ الاغتماض)
(كلّما رمْت انبساطاً ... كفّ بسْطي بانقباض)
(أو تعالَى أملي فيه ... رَمَاهُ بانخفاض)
(فمتى ينتصفُ المظلومُ ... والظالمُ قاضي)
الشعر لأبي الشبل البرجمي والغناء لعثعث الأسود خفيف ثقيل أول بالوسطى وفيه لكثير رمل ولبنان خفيف رمل
أخبار أبي الشبل ونسبه
أبو الشبل اسمه عاصم بن وهب من البراجم مولده الكوفة ونشأ وتأدب بالبصرة
اتصاله بالمتوكل
أخبرني بذلك الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن علي بن الحسن الأعرابي
وقدم إلى سر من رأى في ايام المتوكل ومدحه وكان طبا نادرا كثير الغزل ماجنا فنفق عند المتوكل بإيثاره العبث وخدمه وخص به فأثري وأفاد فذكر لي عمي عن محمد بن المرزبان بن الفيرزان عن أبيه أنه لما مدحه بقوله
(أقبلي فالخيرُ مقبلْ ... واتركي قولَ المعلّلْ)
(وثِقِي بالنُّجح إذ أبصرت ... وجه المتوكِّلْ)
(ملِكٌ يُنْصِفُ يا ظالمتي ... فيكِ ويَعدِلْ)
(فهوَ الغايةُ والمأمول ... يرجوهُ المؤمِّلْ)
أمر له بألف درهم لكل بيت وكانت ثلاثين بيتا فانصرف بثلاثين ألف درهم
الغناء في هذه الأبيات لأحمد المكي رمل بالبنصر
أخبرني يحيى بن علي عن أبي أيوب المديني عن أحمد بن المكي قال غنيت المتوكل صوتا شعره لأبي الشبل البرجمي وهو
(أقبلي فالخير مقبلْ ... ودعي قول المعلّلْ)
فأمر لي بعشرين ألف درهم فقلت يا سيدي أسأل الله أن يبلغك الهنيدة فسأل عنها الفتح فقال يعني مائة سنة فأمر لي بعشرة آلاف أخرى
وحدثنيه الحسن بن علي عن هارون بن محمد الزيات عن أحمد بن المكي مثله
حدثني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أبو الشبل عاصم بن وهب الشاعر وهو القائل
(أقبلي فالخير مقبلْ ... ودعي قول المعلّلْ)
قال كانت لي جارية اسمها سكر فدخلت يوما منزلي ولبست ثيابي لأمضي إلى دعوة دعيت إليها فقالت أقم اليوم في دعوتي أنا فأقمت وقلت
(أنا في دعوةِ سُكَّرْ ... والهوى ليس بمنكَرْ)
(كيف صبري عن غزالٍ ... وجهُهُ دلو مُقَيَّرْ)
فلما سمعت الأول ضحكت وسرت فلما أنشدتها البيت الثاني قامت إلي تضربني وتقول لي هذا البيت الأخير الذي فيه دلو لمالك لولا الفضول فما زالت يعلم الله تضربني حتى غشي علي
خبره مع مالك بن طوق
وذكر ابن المعتز أن ابا الأغر الأسدي حدثه قال مدح أبو الشبل مالك بن طوق بمدح عجيب وقدر منه ألف درهم فبعث إليه صرة مختومة فيها مائة دينار فظنها دراهم فردها وكتب معها قوله
(فليت الذي جادت به كفُّ مالكٍ ... ومالكَ مدسوسان في اسْت أمِّ مالِكِ)
(فكانَ إلى يوم القيامةِ في استِها ... فأيسَرُ مفقودٍ وأيسرُ هالكِ)
وكان مالك يومئذ أميرا على الأهواز فلما قرأ الرقعة أمر بإحضاره فأحضر فقال له يا هذا ظلمتنا واعتديت علينا فقال قد قدرت عندك ألف درهم فوصلتني بمائة درهم فقال افتحها ففتحتها فإذا فيها مائة دينار فقال أقلني أيها الاميرقال قد أقلتك ولك عندي كل ما تحب أبدا ما بقيت وقصدتني
حدثنا الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال قال لي أبو الشبل البرجمي كان في جيراني طبيب أحمق فمات فرثيته فقلت
(قد بكاه بَولُ المرِيضِ بدمعٍ ... واكِفٍ فوق مُقلتيه ذَرُوفِ)
((ثم شقَّت جيوبَهن القوارير ... عليه ونُحْنَ نَوْحَ اللَّهيفِ
(يا كسادَ الخِيار شنْبَرَ والأقراص ... طرّاً ويا كسادَ السَّفوفِ)
(كنتَ تمشي مع القويِّ فإن جاء ... ضعيفٌ لم تَكترثْ بالضعيفِ)
(لهفَ نفسي على صُنوفِ رَقاعاتٍ ... تولَّت منه وعقلٍ سخيفِ)
سخريته بخالد بن يزيد
حدثنا الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا أبو الشبل قال إن خالد بن يزيد بن هبيرة كان يشرب النبيذ فكان يغشانا وكانت له جارية صفراء مغنية يقال لها لهب فكانت تغشانا معه فكنت أعبث بهما كثيرا ويشتماني فقام مولاها يوما إلى الخابية يستقي نبيذا فإذا قميصه قد انشق فقلت فيه
(قالت له لهبٌ يوماً وجادَلَها ... بالشعر في باب فَعْلانٍ ومفعولِ)
(أمّا القميص فقد أودى الزمان به ... فليت شعري ما حال السراويل)
فبلغ الشعر أبا الجهم أحمد بن يوسف فقال
(حالُ السراويلِ حالٌ غيرُ صالحة ... تَحكي طرائقُه نسجَ الغرابيلِ)
(وتحته حفرة قَوْراء واسعة ... تسيل فيها مَيازيبُ الأحاليلِ)

قال أبو الشبل وكانت أم خالد هذا ضراطة تضرط على صوت العيدان وغيرها في الإيقاع فقلت فيه
(في الحَيِّ من لا عدِمْتُ خُلَّتَه ... فتىً إذا ما قطعتُهُ وَصَلاَ
(له عجوز بالحَبْق أبصر مَنْ ... أبصرتَه ضارباً ومرتجِلا)
(نادمتُها مرَّةً وكنت فتىً ... ما زلتُ أهوَى وأشتهي الغَزَلا)
(حتى إذا ما أمالَها سَكَرٌ ... يَبْعث في قلبها لها مَثَلاَ)
(إتَّكأتْ يَسرةً وقد حَرَقتْ ... أشراجَها كي تقوِّم الرَّملا)
(فَلَمْ تَزَلْ باستها تُطارحني ... إسمَعْ إلى مَنْ يَسومُني العِلَلاَ)
حدثني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أبو الشبل قال لما عرض لي الشعر أتيت جارا لي نحويا وأنا يومئذ حديث السن أظنه قال إنه المازني فقلت له إن رجلا لم يكن من أهل الشعر ولا من أهل الرواية قد جاش صدره بشيء من الشعر فكره أن يظهره حتى تسمعه قال هاته وكنت قد قلت شعرا ليس بجيد إنما هو قول مبتدئ فأنشدته إياه فقال من العاض بظر أمه القائل لهذا فقمت خجلا فقلت لأبي الشبل فأي شيء قلت له أنت قال قلت في نفسي أعضك الله بظر أمك وبهضك
ذكر بعض نوادره
أخبرني عمي عن محمد بن المرزبان بن الفيرزان قال كنت أرى أبا الشبل كثيرا عند أبي وكان إذا حضر أضحك الثكلى بنوادره فقال له أبي يوما حدثنا ببعض نوادرك وطرائفك قال نعم من طرائف أموري أن ابني زنى بجارية سندية لبعض جيراني فحبلت وولدت وكانت قيمة الجارية
عشرين دينارا فقال يا أبت الصبي والله ابني فساومت به فقيل لي خمسون دينارا فقلت له ويلك كنت تخبرني الخبر وهي حبلى فأشتريها بعشرين دينارا ونربح الفضل بين الثمنين وأمسكت عن المساومة بالصبي حتى اشتريته من القوم بما أرادوا ثم أحبلها ثانيا فولدت له ابنا آخر فجاءني يسألني أن ابتاعه فقلت له عليك لعنة الله ما يحملك أن تحبل هذه فقال يا أبت لا أستحب العزل وأقبل على جماعة عندي يعجبهم مني ويقول شيخ كبير يأمرني بالعزل ويستحله فقلت له يابن الزانية تستحل الزنا وتتحرج من العزل فضحكنا منه
وقلت له وأي شيء أيضا قال دخلت أنا ومحمود الوراق إلى حانة يهودي خمار فأخرج إلينا منها شيئا عجيبا فظنناه خمرا بنت عشر قد أنضجها الهجير فأخرج إلينا منها شيئا عجيبا وشربنا فقلت له اشرب معنا قال لا أستحل شرب الخمر فقال لي محمود ويحك رأيت أعجب مما نحن فيه يهودي يتحرج من شرب الخمر ونشربها ونحن مسلمون فقلت له أجل والله لا نفلح أبدا ولا يعبأ الله بنا ثم شربنا حتى سكرنا وقمنا في الليل فنكنا بنته وامرأته وأخته وسرقنا ثيابه وخرينا في نقيوات نبيذ له وانصرفنا
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال أخبرنا عون بن محمد الكندي قال وقعت لأبي الشبل البرجمي إلى هبة الله بن إبراهيم بن المهدي حاجة فلم يقضها فهجاه فقال
(صَلَفٌ تندقُّ منه الرقبهْ ... ومساوٍ لم تُطِقْها الكَتَبَهْ)
(كلَّما بادَرَهُ رَكْبٌ بما ... يشتهيه منه نادى يا أبَهْ)
(ليته كان الترى الفَرْجُ به ... لم يزد في هاشمٍ هذي هِبَهْ)
يعني غلاما لهبة الله كان يسمى بدرا وكان غالبا على أمره
حدثني الصولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال قال رأى أبو الشبل إبراهيم بن العباس يكتب فأنشأ يقول
(ينظِّم اللؤلؤَ المنثورَ منطقُه ... وينظِم الدرَّ بالأقلام في الكُتُبِ)
حدثنا الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أبو الشبل البرجمي قال حضرت مجلس عبيد الله بن يحيى بن خاقان وكان إلي محسنا وعلي مفضلا فجرى ذكر البرامكة فوصفهم الناس بالجود وقالوا في كرمهم وجوائزهم وصلاتهم فأكثروا فقمت في وسط المجلس فقلت لعبيد الله أيها الوزير إني قد حكمت في هذا الخطب حكما نظمته في بيتي شعر لا يقدر أحد أن يرده علي وإنما جعلته شعرا ليدور ويبقى فيأذن الوزير في إنشادهما قال قل فرب صواب قد قلته فقلت
(رأيتُ عبيدَ الله أفضلَ سُوددا ... وأكرمَ مِن فضلٍ ويحيي بن خالدِ)
(أولئك جادوا والزَّمانُ مُساعِدٌ ... وقد جاد ذا والدهرُ غيرُ مساعِدِ)
فتهلل وجه عبيد الله وظهر السرور فيه وقال أفرطت أبا الشبل ولا كل هذا فقلت والله ما حابيتك أيها الوزير ولا قلت إلا حقا واتبعني القوم في وصفه وتقريظه فما خرجت من مجلسه إلا وعلي الخلع وتحتي دابة بسرجه ولجامه وبين يدي خمسة آلاف درهم
خبره مع جاريتين تقولان الشعر
حدثني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني علي بن الحسن الشيباني قال حدثني أبو الشبل الشاعر قال كنت أختلف إلى جاريتين من جواري النخاسين كانتا تقولان الشعر فأتيت إحداهما فتحدثت إليها ثم أنشدتها بيتا لأبي المستهل شاعر منصور بن المهدي في المعتصم
(أقام الإمامُ مَنَارَ الهُدَى ... وأخرسَ ناقوسَ عَمُّوريَّهْ)
ثم قلت لها أجيزي فقالت
(كساني المليكُ جلابيبَه ... ثيابٌ عَلاها بسَمُّوريَهْ)
ثم دعت بطعام فأكلنا وخرجت من عندها فمضيت إلى الأخرى فقالت من أين يا ابا الشبل فقلت من عند فلانة قالت قد علمت أنك تبدأ بها وصدقت كانت أجملهما فكنت أبدأ بها ثم قالت أما الطعام فاعلم أنه لا حيلة لي في أن تأكله لعلمي بأن تلك لا تدعك تنصرف أو تأكل فقلت أجل قالت فهل لك في الشراب قلت نعم فأحضرته وأخذنا في الحديث ثم قالت فأخبرني ما دار بينكما فأخبرتها فقالت هذه المسكينة كانت تجد البرد وبيتها أيضا هذا الذي جاءت به يحتاج إلى سمورية أفلا قالت
((فأضحَى به الدِّين مستبشراً ... وأضحت زنادُهما واريَهْ
فقلت أنت والله أشعر منها في شعرها وأنت والله في شعرك فوق أهل عصرك والله أعلم
ذكره للشيب في شعره
أخبرنا الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال أنشدني أبو الشبل لنفسه

(عَذِيري مِن جَواري الحي ... إذ يَرغبن عن وصلي)
(رأين الشيبَ قد ألبسـني ... أُبَّهَةَ الكَهْلِ)
(فأعرضْنَ وقد كُنَّ ... إذا قيل أبو الشبل)
(تَساعَيْن فرقَّعن الكُوَى ... بالأعيُن النُّجل)
قال وهذا سرقه من قول العتبي
(رأين الغواني الشيب لاح بمفرقي ... فأعرضْنَ عنيِّ بالخدودِ النواضِرِ)
(وكُنَّ إذا أبصرنَني أو سمِعْنَني ... سَعَيْنَ فرقَّعْنَ الكُوَى بالمَحَاجِرِ)
حدثني الحسن قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني أبو الشبل قال
كان حاتم بن الفرج يعاشرني ويدعوني وكان أهتم قال أبو الشبل وأنا أهتم وهكذا كان أبي وأهل بيتي لا تكاد تبقى في أفواههم حاكة فقال أبو عمرو أحمد بن المنجم
(لِحاتِمٍ في بُخله فِطنةٌ ... أدقُّ حِساًّ من خُطا النمل)
(قد جعل الهُتمانَ ضَيْفاً له ... فصار في أمنٍ من الأكل)
(ليس على خبز امرئ ضَيعةٌ ... أكيلُه عُصمٌ أبو الشبل)
(ما قدرُ ما يحمله كفُّه ... إلى فمٍ من سِنِّه عُطْلِ)
(فحاتِمُ الجُودِ أخو طيئ ... مضى وهذا حاتمُ البخل)
نسيبه بجارية سوداء
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو العيناء قال كانت لأبي الشبل البرجمي جارية سوداء وكان يحبها حبا شديدا فعوتب فيها فقال
(غدتْ بطولِ الملامِ عاذلةٌ ... تلومُني في السواد والدَّعَجِ)
(ويحكِ كيف السلوّ عن غُرَرٍ ... مفترقات الأرجاءِ كالسَّبَجِ)
(يحملن بين الأفخاذ أسْنِمَةً ... تحرق أوبارها من الوَهَجِ)
(لا عذَّب اللهُ مسلماً بهِم ... غيري ولا حان منهمُ فَرَجِي)
(فإنَّني بالسواد مبتهجٌ ... وكنتُ بالبيض غيرَ مبتهج
حدثني عمي قال حدثني أحمد بن الطيب قال حدثني أبو هريرة البصري النحوي الضرير قال كان أبو الشبل الشاعر البرجمي يعابث قينة لهاشم النحوي يقال لها خنساء وكانت تقول الشعر فعبث بها يوما فأفرط حتى أغضبها فقالت له ليت شعري بأي شيء تدل أنا والله أشعر منك لئن شئت لأهجونك حتى أفضحك فأقبل عليها وقال
(حسناءُ قد أفرطتْ علينا ... فليس منها لنا مجيرُ)
(تاهت بأشعارها علينا ... كأنَّما ناكَها جريرُ)
قال فخجلت حتى بان ذلك عليها وأمسكت عن جوابه
شعره في ذم المطر
قال عمي قال أحمد بن الطيب حدثني أبو هريرة هذا قال حدثني أبو الشبل أنها وعدته أن تزوره في يوم بعينه كان مولاها غائبا فيه فلما حضر ذلك اليوم جاء مطر منعها من الوفاء بالموعد قال فقلت أذم المطر
(دعِ المواعيدَ لا تَعرضْ لِوجهتِها ... إن المواعيد مقرونٌ بها المطرُ)
(إنَّ المواعيد والأعيادَ قد مُنِيتْ ... منه بأنكدِ ما يُمنَى به بَشَرُ)
(أمّا الثياب فلا يغررْك إن غسِلتْ ... صحوٌ شديد ولا شمس ولا قمرُ)
(وفي الشخوصِ له نوءٌ وبارِقةٌ ... وإن تبيِّت فذاك الفالجُ الذكر)
(وإن هممتَ بأن تدعو مغنِّيةً ... فالغيث لا شكّ مقرونٌ به السَّحَرُ)
حدثني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال كان لعبيد الله بن يحيى بن خاقان غلام يقال له نسيم فأمره عبيد الله بقضاء حاجة كان أبو الشبل البرجمي سأله إياها فأخرها نسيم فشكاه إلى عبيد الله فأمر عبيد الله غلاما له آخر فقضاها بين يديه فقال أبو الشبل يهجو نسيما
(قل لنسيمٍ أنتَ في صورة ... خُلِقْتَ من كلبٍ وخِنزيرَهْ)
(رَعَيت دهراً بعد أعفاجِها ... في سَلْحِ مخمورٍ ومخموره)
(حتى بدا رأسك مِن صَدْعِها ... زانية بالفسقِ مشهوره)
(لا تقرب الماء إذا أجنَبتْ ... ولا تَرَى أن تقربَ النُّوره)
(ترى نباتَ الشَّعر حَوْلَ استها ... دَرَابِزيناً حول مَقْصُوره)
حدثني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثني ابن مهرويه قال كان أبو الشبل يعاشر محمد بن حماد بن دلقيش ثم تهاجرا بشيء أنكره عليه فقال أبو الشبل فيه
(لابن حمّاد ايادٍ ... عندنا ليست بدونِ)
(عنده جارية تشفِي ... من الداء الدفينِ)
(ولها في رأس مولاها ... أكاليلُ قُرونِ)
(ذات صَدْعٍ حاتميِّ الفعل ... في كِنٍ مَكِينِ)
(لا يرى مَنْعَ الذي يحوي ... ولو أمَّ البنين)
قال شعرا في كبش أفلت منه
حدثني عمي قال حدثني أحمد بن الطيب قال حدثني أبو هريرة النحوي قال كان أبو الشبل البرجمي قد اشترى كبشا للأضحى فجعل يعلفه ويسمنه فأفلت يوما على قنديل له كان يسرجه بين يديه وسراج وقارورة للزيت فنطحه فكسره وانصب الزيت على ثيابه وكتبه وفراشه فلما عاين ذلك ذبح الكبش قبل الأضحى وقال يرثي سراجه
(يا عين بكّي لفقد مسْرَجةٍ ... كانت عمود الضياء والنورِ)
(كانت إذا ما الظلام ألبسني ... من حِندِس الليل ثوب دَيْجُورِ)
(شقّت بنيرانها غياطِلَهُ ... شقّاً دَعَا الليلَ بالدَّياجِيرِ)

(صينية الصين حين أبدعها ... مصوِّر الحسن بالتصاوير)
(وقيل ذا بدعةٌ أتيح لها ... من قِبَل الدَّهر قرنُ يَعْفُور)
(وصَكّها صَكّةً فما لبثت ... أنْ وردت عسكر المكاسير)
(وإن تولّت فقدْ لها تركَتْ ... ذِكراً سيبقى على الأعاصير)
(من ذا رأيتَ الزمانَ يأسره ... فلم يَشُب يُسره بتعسير)
(ومن أباح الزمانُ صفوتَه ... فلم يشب صفوه بتكدير)
(مسْرجتي لو فديت ما بَخِلَتْ ... عنكَ يدُ الجود بالدنانير)
(ليس لنا فيكِ ما نقدِّره ... لكنما الأمر بالمقادير)
((مسرجتي كم كشفتِ من ظُلَمٍ ... جَلَّيتِ ظلماءها بتنوير
(وكم غزالٍ على يديكِ نجا ... من دقّ خُصييه بالطوامير)
(من لي إذا ما النديمُ دبَّ إلى النّدمان ... في ظُلمةِ الدّياجِير)
(وقامَ هذا يَبُوس ذاك وذا ... يعْنِق هذا بغير تقدير)
(وازدوجَ القومُ في الظلام فما ... تسمعُ إلاّ الرِّشاء في البِير)
(فما يُصلُّون عند خَلوتهمْ ... إلاّ صلاةً بغير تطهير)
(أوحشتِ الدارُ من ضيائكِ والبيت ... إلى مطبخ وتنُّور)
(إلى الرواقين فالمجالسُ فالمِربَد ... مذ غبتِ غير معمور)
(قلبي حزين عليك إذ بخلتْ ... عليك بالدمع عينُ تنمير)
(إن كان أودى بكِ الزمان فقد ... أبقيتِ منك الحديثَ في الدُّور)
(دع ذكرها واهجُ قَرْنَ ناطِحِها ... واسرد أحاديثَه بتفسير)
(كان حديثي أني اشتريتُ فما اشتريت ... كَبْشاً سليلَ خِنزير)
(فلم أزَلْ بالنّوى أسمّنه ... والتبن والقَتّ والأثاجير)
(أبرِّد الماء في القِلال له ... وأتّقي فيه كلّ محذور)
(تخدمه طولَ كلّ ليلتها ... خِدمَةَ عبدٍ بالذل مأسور)
((وهي من التِّيه ما تكلمني الفصيح ... إلا من بعد تفكير
(شمس كأنّ الظلام ألبسَها ... ثوباً من الزِّفت أو من القِير)
(من جلدها خُفُّها وبرقعها ... حَوراء في غير خِلقة الحُور)
(فلم يزل يغتذي السرورَ وما المحزونُ ... في عيشةٍ كمسرور)
(حتى عدا طوره وحُقّ لمن ... يكفُر نُعْمَى بقُربِ تغيير)
(فمدَّ قرنيه نحو مسرجةٍ ... تُعَدّ في صون كلّ مذْخور)
(شدَّ عليها بقَرْن ذي حَنَقٍ ... معوَّدٍ للنِّطاح مشهور)
(وليس يَقوى بروْقه جَبَلٌ ... صَلْدٌ من الشّمّخ المذاكِير)
(فكيف تَقْوَى عليه مِسْرَجَةٌ ... أرقُّ من جوهر القوارير)
(تكسَّرتْ كسرةً لها ألمٌ ... وما صحيحُ الهوى كمكسور)
(فأدركته شَعُوبُ فاشعبتْ ... بالرَّوع والشِّلْو غير مقتور)
(أُديلَ منه فأدركتْه يدٌ ... من المنايا بحدِّ مطرور)
(يَلتهب الموتُ في ظُباه كما ... تلتهب النارُ في المساعير)
((ومزّقتْه المُدَى فما تركت ... كفَّ القِرَا منه غيرَ تعسير
(واغتاله بعد كسرها قَدَرٌ ... صيره نُهْزَة السَّنانير)
(فمزَّقتْ لحمَه بَراثِنُهَا ... وبذَّرَتْه أشدَّ تبذير)
(واختلستْهُ الحِداءُ خَلْساً مع الغِرْبَانِ لم تزدجرْ لتكبير)
(وصار حَظَّ الكلاب أعظمُهُ ... تهشِمِ أنحاءها بتكسير)
(كم كاسرٍ نحوَه وكاسرةٍ ... سلاحُها في شَفَا المناقير)
(وخامِعٍ نحوَه وخامعةٍ ... سلاحُها في شَبَا الأظافير)
(قد جعلتْ حول شِلْوِهِ عُرُساً ... بلا افتقار إلى مزامير)
(ولا مُغَنٍّ سوى هَماهِمِها ... إذا تمطَّت لواردِ العِير)
(يا كبشُ ذق إذ كسرتَ مسرجتي ... لمدية الموت كأس تنحير)
(بغيتَ ظُلماً والبغيُ مصرعُ من ... بَغَى على أهله بتغيير)
(أُضحيَّة ما أظن صاحبها ... في قَسْمه لَحمها بمأجور)
سرق منه ثلث قرطاس فرثاه
أخبرني الحسن بن علي الشيباني قال دخلت على أبي الشبل يوماً فوجدت تحت مخدته ثلث قرطاس فسرقته منه ولم يعلم بي فلما كان بعد
أيام جاءني فأنشدني لنفسه يرثي ذلك الثلث القرطاس
(فِكَر تَعتري وحزنٌ طويلُ ... وسقيمٌ أنْحَى عليه النُّحُولُ)
(ليس يبكي رسْماً ولا طَلَلاً مَحَّ ... كما تَنْدب الرُّبا والطُّلول)
(إنما حزنُه على ثُلُثٍ كان ... لحاجاته فغالتْه غُول)
(كان للسرِ والأمانة والكتمان ... إن باح بالحديث الرسول)
(كان مِثلَ الوكيلِ في كلّ سوق ... إنْ تلكَّا أو ملَّ يوماً وكيل)
(كان للهمّ إن تراكَمَ في الصدر ... فلم يُشْفَ من عليلٍ غليل)
(لم يكن يبتغي الحِجَاب من الحُجاب ... إن قيل ليس فيها دخول)

(إنْ شكا حاجباً تَشدَّد في الإذن ... فللحاجب الشقيِّ العويلُ)
(يرفَع الخيرُ عنه والرزق والكسوةُ ... فهو المطرود وهو الذليل)
(كان يُثْنَى في جيبِ كلِّ فتاةٍ ... دونَها خندقٌ وسُورٌ طويل)
(يقف الناس وهو أوَّل من يدخله ... القصرَ غادةٌ عُطْبول)
(فإذا أبرزَتْه باح به في القصر ... مسكٌ وعنبرٌ مَعْلول)
(وله الحبُّ والكرامة ممن ... باتَ صَبّاً والشمُّ والتقبيل)
(ليس كالكاتب الذي بأبي الخطّاب ... يُكْنَى قد شابه التطفيل)
(ذا كريمٌ يُدْعَى وهذا طفيليٌّ ... وهذا وذا جميعاً دليل
(ذاك بالبشر والجماعة يُلقَى ... ولهذا الحجاب والتنكيل)
(لم يفِد وفدُه الزمانَ على الألسن منه عطفٌ ولا تنويل)
(كان مع ذا عدل الشهادة مقبولاً ... إذا عَزَّ شاهداً تعديلُ)
(وإذا ما التوى الهوى بالأليفين ... فلم يَرْعَ واصلاً مَوْصُولُ)
(فهو الحاكمُ الَّذي قولُه بين ... الأليفَين جائزٌ مقبول)
(فلئن شتَّت الزمانُ به شملَ ... دواتي وحانَ منه رحيل)
(لَقديماً ما شَتَّت البينُ والأُلفةُ ... من صاحبٍ فصبرٌ جميل)
(لا تَلُمْني على البكاء عليه ... إنَّ فقدَ الخليل خطبٌ جليل)

قال فرددته عليه وكان اتهم به أبا الخطاب الذي هجاه في هذه القصيدة فقال لي ويلك نجيت ووقع أبو الخطاب بلا ذنب ولو عرفت أنك صاحبها لكان هذا لك ولكنك قد سلمت

أخبار عثعث

كان عثعث أسود مملوكا لمحمد بن يحيى بن معاذ ظهر له منه طبع وحسن أخذ وأداء فعلمه الغناء وخرجه وأدبه فبرع في صناعته ويكنى أبا دليجة وكان مأبونا والله أعلم

أخبرني بذلك محمد بن العباس اليزيدي عن ميمون بن هارون قال حدثني عثعث الأسود قال مخارق كناني بأبي دليجة وكان السبب في ذلك أن أول صوت سمعني أغنيه

(أبا دُلَيْجَةَ مَنْ توصِي بأرمَلةٍ ... أم من لأشعثَ ذي طِمْرَين مِمحالِ)

فقال لي أحسنت يا أبا دُلَيجة فقبلتُها وقبلت يده وقلت أنا يا سيدي أبا المهنا أتشرف بهذه الكنية إذا كانت نحلة منك قال ميمون وكان مخارق يشتهي غناءه ويحزنه إذا سمعه

خبره في مجلس غناء

قال أبو الفرج نسخت من كتاب علي بن محمد بن نصر بخطه حدثني يعني ابن حمدون قال كنا يوما مجتمعين في منزل أبي عيسى بن المتوكل وقد عزمنا على الصبوح ومعنا جعفر بن المأمون وسليمان بن وهب وإبراهيم بن المدبر وحضرت عريب وشارية وجواريهما ونحن في أتم سرور فغنت بدعة جارية عريب

(أعاذلتي أكثرت جَهْلاً من العذلِ ... على غير شيءٍ من مَلامي وفي عَذْلي)

والصنعة لعريب وغنت عرفان

(إذا رام قلبي هجرها حال دونه ... شفيعان مِنْ قلبي لها جَدِلان)

والغناء لشارية وكان أهل الظرف والمتعانون في ذلك الوقت صنفين عريبية وشارية فمال كل حزب إلى من يتعصب له منهما من الاستحسان والطرب والاقتراح وعريب وشارية ساكتتان لا تنطقان وكل واحدة من جواريهما تغني صنعة ستها لا تتجاوزها حتى غنت عرفان

(بأبِي مَن زارني في منامي ... فدنا منِّي وفيهِ نِفار)

فأحسنت ما شاءت وشربنا جميعا فلما أمسكت قالت عريب لشارية يا أختي لمن هذا اللحن قالت لي كنت صنعته في حياة سيدي تعني إبراهيم بن المهدي وغنيته إياه فاستحسنه وعرضه على إسحاق وغيره فاستحسنوه فأسكتت عريب ثم قالت لأبي عيسى أحب يا بني فديتك أن تبعث إلى عثعث فتجيئني به فوجه إليه فحضر وجلس فلما اطمأن وشرب وغنى قالت له يا أبا دليجة أوتذكر صوت زبير بن دحمان عندي وأنت حاضر فسألته أن يطرحه عليك قال وهل تنسى العذراء أبا عذرها نعم والله إني لذاكره حتى كأننا أمس افترقنا عنه قالت فغنه فاندفع فغنى الصوت الذي ادعته شارية حتى استوفاه وتضاحكت عريب ثم قالت لجواريها خذوا في الحق ودعونا من الباطل وغنوا الغناء القديم فغنت بدعة وسائر جواري عريب وخجلت شارية وأطرقت وظهر الانكسار فيها ولم تنتفع هي يومئذ بنفسها ولا أحد من جواريها ولا متعصبيها أيضا بأنفسهم

غناؤه في مجلس المتوكل

قال وحدثني يحيى بن حمدون قال قال لي عثعث الأسود دخلت يوما على المتوكل وهو مصطبح وابن المارقي يغنيه قوله

(أقاتلتي بالجِيد والقدِّ والخدَّ ... وباللون في وجهٍ أرقَّ من الوردِ)

وهو على البركة جالس وقد طرب واستعاده الصوت مرارا وأقبل عليه فجلست ساعة ثم قمت لأبول فصنعت هزجا في شعر البحتري الذي يصف فيه البركة

صوت

(إذا النجومُ تراءت في جوانبها ... ليلاً حسبتَ سماءً ركِّبت فيها)
(وإن عَلَتْها الصَّبا أبدت لها حُبُكاً ... مثلَ الجَواشنِ مصقولاً حواشيها)
(وزادها زينةً من بعد زينتها ... أن اسمه يومَ يُدْعَى من أساميها)

فما سكت ابن المارقي سكوتا مستوجبا حتى اندفعت أغني هذا الصوت فأقبل علي وقال لي أحسنت وحياتي أعد فأعدت فشرب قدحا ولم يزل يستعيدنيه ويشرب حتى اتكأ ثم قال للفتح بحياتي ادفع إليه الساعة ألف دينار وخلعة تامة واحمله على شهري فاره بسرجه ولجامه فانصرفت بذلك أجمع

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت
(أعاذِلتي أكثرتِ جَهْلاً مِنَ العَذْلِ ... على غير شيءٍ من مَلامي ولا عَذْلي)
(نأيتِ فلم يُحدِث لي الناسُ سَلوةً ... ولم أُلف طول النأي عن خُلةٍ يُسْلي)
عروضه من الطويل الشعر لجميل والغناء لعريب ثقيل أول بالبنصر ومنها
صوت
(إذا رامَ قلبي هجرَها حالَ دونَه ... شفيعان من قلبي لها جَدِلانِ)
(إذا قلتُ لا قالا بلى ثم أصبَحا ... جميعاً على الرأي الّذي يَريان)
عروضه من الطويل والناس ينسبون هذا الشعر إلى عروة بن حزام وليس له
الشعر لعلي بن عمرو الأنصاري رجل من أهل الأدب والرواية كان بسر من رأى كالمنقطع إلى إبراهيم بن المهدي والغناء لشارية ثقيل أول بالوسطى وقيل إنه من صنعة إبراهيم ونحلها إياه وفيه لعريب خفيف رمل بالبنصر ومنها
صوت
(بأبي مَن زارني في منامي ... فدنا منّي وفيه نِفارٌ)
(ليلةً بعد طُلوع الثُّريَّا ... وليالي الصَّيف بُتْر قِصار)
(قلت هُلْكي أم صلاحي فعَطْفاً ... دون هذا منك فيه الدَّمارُ)
(فدنا منّي وأعطى وأرضى ... وشفى سُقْمي ولذَّ المَزارُ)
لم يقع إلينا لمن الشعر والغناء لزبير بن دحمان ثقيل أول بالوسطى وهو من جيد صنعته وصدور أغانيه
أخبرني ابن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا أحمد بن طيفور قال كتب صديق لأحمد بن يوسف الكاتب في يوم دجن يومنا يوم ظريف النواة رقيق الحواشي قد رعدت سماؤه وبرقت وحنت وارجحنت وأنت قطب السرور ونظام الأمور فلا تفردنا منك فنقل ولا تنفرد عنا فنذل فإن المرء بأخيه كثير وبمساعدته جدير قال فصار أحمد بن يوسف إلى الرجل وحضرهم عثعث بن الأسود فقال أحمد
صوت
(أرى غَيْماً يؤلِّفه جَنُوبُ ... وأحسبه سيأتينا بهَطْلِ)
(فعينُ الرأي أن تأتي برِطْلٍ ... فتشربَه وتدعو لي برطل)
(وتسقيه نَدامانا جميعاً ... فينصرفون عنه بغير عقْل)
(فيومُ الغَيْم يومُ الغَمّ إن لم ... تبادر بالمُدامة كلَّ شغل)
(ولا تُكْرِه محرِّمَها عليها ... فإنّي لا أراه لها بأهل)
قال وغَنَّى فيه عثعث اللحن المشهور الذي يغنى به اليوم
صوت
(نرى الجُندَ والأعرابَ يغشَون بابَه ... كما وردت ماءَ الكُلاب هَوامِلُهْ)
(إذا ما أتَوا أبوابه قال مرحباً ... لِجُوا الدار حتى يقتلَ الجوعَ قاتِلُهْ)
عروضه من الطويل
الهوامل التي لا رعاء لها ولجوا ادخلوا يقال ولج يلج ولجا وقوله حتى يقتل الجوع قاتله أي يطعمكم فيذهب جوعكم جعل الشبع قاتلا للجوع
الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدي والغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق

أخبار عبد الله بن الزبير ونسبه

عبد الله بن الزبير بن الأشيم بن الأعشى بن بجرة بن قيس بن منقذ بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة
أخبرني بذلك أحمد عن الخراز عن ابن الأعرابي وهو شاعر كوفي المنشأ والمنزل من شعراء الدولة الأموية وكان من شيعة بني أمية وذوي الهوى فيهم والتعصب والنصرة على عدوهم فلما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أتي به أسيرا فمن عليه ووصله وأحسن إليه فمدحه وأكثر وانقطع إليه فلم يزل معه حتى قتل مصعب ثم عمي عبد الله بن الزبير بعد ذلك ومات في خلافة عبد الملك بن مروان ويكنى عبد الله أبا كثير وهو القائل يعني نفسه
(فقالت ما فعلتَ أبا كثِير ... أصح الودّأم أخلفتَ بَعدي)
وهو أحد الهجائين للناس المرهوب شرهم

قصته مع عبد الرحمن والي الكوفة

قال ابن الأعرابي كان عبد الرحمن بن أم الحكم على الكوفة من قبل خاله معاوية بن أبي سفيان وكان ناس من بني علقمة بن قيس بن وهب بن الأعشى بن بجرة بن قيس بن منقذ قتلوا رجلا من بني الأشيم من رهط عبد الله بن الزبير دنية فخرج عبد الرحمن بن أم الحكم وافدا إلى معاوية ومعه ابن الزبير ورفيقان له من بني أسد يقال لأحدهما أكل بن ربيعة من بني جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين وعدي بن الحرث أحد بني العدان من بني نصر فقال عبد الرحمن بن أم الحكم لابن الزبير خذ من بني عمك ديتين لقتيلك فأبى ابن الزبير وكان ابن أم الحكم يميل إلى أهل القاتل فغضب عليه عبد الرحمن ورده عن الوفد من منزل يقال له فياض فخالف ابن الزبير الطريق إلى يزيد بن معاوية فعاذ به فأعاذه وقام بأمره وأمره يزيد بأن يهجو ابن أم الحكم وكان يزيد يبغضه وينتقصه ويعيبه فقال فيه ابن الزبير قصيدة أولها قوله
(أبَى الليلُ بالمَرَّان أن يتصرَّما ... كأنّي أسومُ العَينَ نوماً مُحرَّما)
(ورِدٌ بثنْيَيه كأن نجومه ... صِوارٌ تناهَى من إرانٍ فقوَّما)
(إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني ... أمَصّ بناتِ الدر ثدياً مُصرَّماً)
(وسوقَ نساء يسلبون ثيابها ... يُهادُونها هَمْدانَ رِقّاً وخَثعَما)
(على أي شيء يا لؤيُّ بن غالب ... تُجيبون مَن أجرَى عليَّ وألجما)
((وهاتوا فقُصُّوا آية تقرؤونها ... أحلَّتْ بلادي أن تباح وتُظلمَا)

(وإلاّ فأقصَى الله بيني وبينكم ... وولّي كثيرَ اللؤم مَن كان ألأما)
(وقد شهدَتْنا من ثقيفٍ رِضاعةٌ ... وغيَّب عنها الحَوْمَ قُوَّامُ زمزما)
(بنو هاشم لو صادفوك تجُدُّها ... مججتَ ولم تملك حَيازيمَك الدما)
(ستعلم إن زلَّتْ بك النعلُ زَلَّةً ... وكلّ امرئ لاقى الذي كان قدَّما)
(بأنك قد ماطَلْتَ أنيابَ حيَّةٍ ... تزجّي بعينيها شُجاعاً وأرقَما)
(وكم من عدو قد أراد مساءتي ... بغيبٍ ولو لاقيتُه لتندَّما)
(وأنتم بني حامِ بن نُوح أرَى لكم ... شِفاهاً كأذناب المشاجِر ورُمّا)
(فإن قلتَ خالي من قريش فلم أجِد ... من الناس شرّاً من أبيك وألأما)
(صغيراً ضغا في خرقة فأمضَّه ... مُربِّيه حتى إذ أهمّ وأفطما)
(رأى جلدةً من آل حامٍ متينةً ... ورأساً كأمثال الجَريب مُؤَوّما)
(وكنتم سقيطاً في ثقيفٍ مكانكم ... بني العبد لا تُوفي دماؤكمو دما)

شعره في عزل عبد الرحمن عن الكوفة

قال ابن الأعرابي ثم عزل ابن أم الحكم عن الكوفة ووليها عبيد الله بن زياد فقال ابن الزبير
(أبلِغ عبيدَ الله عنّي فإنني ... رميتُ ابن عودٍ إذ بدَتْ لي مقاتِلُهْ)
(على قفرةٍ إذ هابَه الوفدُ كلُّهم ... ولم أكُ أشوي القِرنَ حين أناضِله)
(وكان يُماري مِن يزيدَ بوقعةٍ ... فما زال حتى استدرجَتْه حبائلُه)
(فتُقصيه من ميراث حربٍ ورهْطِه ... وآلَ إلى ما ورَّثَتْه أوائِلُه)
(وأصبحَ لمَّا أسلمَتْه حبالُهم ... ككلب القطار حلّ عنه جَلاجِلُه)

ونسخت من كتاب جدي لأمي يحيى بن محمد بن ثوابة قال يحيى بن حازم وحدثنا علي بن صالح صاحب المصلى عن القاسم بن معدان أن عبد الرحمن بن أم الحكم غضب على عبد الله بن الزبير الأسدي لما بلغه أنه هجاه فهدم داره فأتى معاوية فشكاه إليه فقال له كم كانت قيمة دارك فاستشهد أسماء بن خارجة وقال له سله عنها فسأله فقال ما أعرف يا أمير المؤمنين قيمتها ولكنه بعث إلى البصرة بعشرة آلاف درهم للساج فأمر له معاوية بألف درهم قال وإنما شهد له أسماء كذلك ليرفده عند معاوية

ولم تكن داره إلا خصاص قصب

وكان عبد الرحمن بن أم الحكم لما ولي الكوفة أساء بها السيرة فقدم قادم من الكوفة إلى المدينة فسألته امرأة عبد الرحمن عنه فقال لها تركته يسأل إلحافا وينفق إسرافا وكان محمقا ولاه معاوية خاله عدة أعمال فذمه أهلها وتظلموا منه فعزله واطرحه وقال له يا بني قد جهدت أن أنفقك وأنت تزداد كسادا

وقالت له أخته أم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب يا أخي زوج ابني بعض بناتك فقال ليس لهن بكفء فقالت له زوجني أبو سفيان أباه وأبو سفيان خير منك وأنا خير من بناتك فقال لها يا أخية إنما فعل ذلك أبو سفيان لأنه كان حينئذ يشتهي الزبيب وقد كثر الآن الزبيب عندنا فلن نزوج إلا كفئا

خبره مع عمرو بن عثمان بن عفان

حدثنا الحسن بن الطيب البلخي قال حدثني أبو غسان قال بلغني أن أول من أخذ بعينة في الإسلام عمرو بن عثمان بن عفان أتاه عبد الله بن الزبير الأسدي فرأى عمرو تحت ثيابه ثوبا رثا فدعا وكيله وقال اقترض لنا مالا فقال هيهات ما يعطينا التجار شيئا قال فأربحهم ما شاؤوا فاقترض له ثمانية آلاف درهم وثانيا عشرة آلاف فوجه بها إليه مع تخت ثياب فقال عبد الله بن الزبير في ذلك
((سأشكر عمراً إن تراخت منيّتي ... أياديَ لم تُمْنَنْ وإن هي جلّتِ
(فتًى غير محجوبِ الغِنى عن صديقِه ... ولا مُظهِرِ الشكوى إذا النعلُ زَلَّتِ)
(رأى خَلَّتي من حيثُ يخفَى مكانُها ... فكانت قَذَى عينيه حتى تجلَّت)

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي إجازة قال حدثني أحمد بن عرفة المؤدب قال أخبرني أبو المصبح عادية بن المصبح السلولي قال أخبرني أبي قال كان عبد الله بن الزبير الأسدي قد مدح أسماء بن خارجة الفزاري فقال

صوت
(تراه إذا ما جئتَه متهلِّلاً ... كأنَّك تعطيه الذي أنت نائلُهْ)
(ولو لم يكن في كفّه غيرُ رُوحه ... لجاد بها فليتّقِ اللهَ سائله)

فأثابه أسماء ثوابا لم يرضه فغضب وقال يهجوه
(بَنَت لكُم هندٌ بتلذيع بَظْرِها ... دكاكينَ من جِصٍّ عليها المَجالسُ)
(فوالله لولا رَهْزُ هند ببظرها ... لَعُدَّ أبوها في اللئام العوابِسُ)

فبلغ ذلك أسماء فركب إليه فاعتذر من فعله بضيقة شكاها وأرضاه وجعل على نفسه وظيفة في كل سنة واقتطعه جنتيه فكان بعد ذلك يمدحه ويفضله وكان أسماء يقول لبنيه والله ما رأيت قط جصا في بناء ولا غيره إلا ذكرت بظر أمكم هند فخجلت

ابن أم الحكم يحبسه في جناية وضعها عليه

أخبرني عمي عن ابن مهرويه عن أبي مسلم عن ابن الأعرابي قال حبس ابن أم الحكم عبد الله بن الزبير وهو أمير في جناية وضعها عليه وضربه ضربا مبرحا لهجائه إياه فاستغاثت بأسماء بن خارجة فلم يزل يلطف في أمره ويرضي خصومه ويشفع إلى ابن أم الحكم في أمره حتى يخلصه فأطلق شفاعته وكساه أسماء ووصله وجعل له ولعياله جراية دائمة من ماله فقال فيه هذه القصيدة التي أولها الصوت المذكور بذكر أخبار ابن الزبير يقول فيها
(ألم تَرَ أنَّ الجُودَ أرْسَلَ فانتَقَى ... حَليفَ صفاءٍ وأتَلَى لا يُزايِلُهْ)
(تخيَّر أسماء بن حِصنٍ فبُطِّنتْ ... بفعلِ العُلا أيمانُهُ وشمائِلُهْ)
(ولا مجدَ إلا مجدُ أسماءَ فوقَهُ ... ولا جرَى إلا جَري أسماءَ فاضِلُهْ)
(ومحتملٍ ضغناً لأسماءَ لو جرى ... بسَجْلَيْن مِن أسماءَ فارت أباجِلُهْ)
((عوَى يستجيشُ النابِحاتِ وإنما ... بأنيابه صُمُّ الصَّفا وجنادِلُهْ

(وأقصرَ عن مجراةِ أسماء سعيهُ ... حَسِيراً كما يلقى من التُّرب ناخِلُهْ)
(وفضَّل أسماءَ بنَ حِصنٍ عليهمُ ... سماحةُ أسماءِ بن حصن ونائِلُهْ)
(فَمن مثلُ أسماءَ بن حصن إذا غَدَتْ ... شآبِيبُهُ أم أيُّ شيءٍ يُعادِلُهْ)
(وكنتُ إذا لاقيتِ منهم حَطِيطَةً ... لقيتُ أبا حسانَ تَنْدَى أصائِلُهْ)
(تَضَيَّفُه غسَّانُ يرجون سَيْبَهُ ... وذو يَمَنٍ أُحبوشُه ومَقاوِلُهْ)
(فتًى لا يزال الدهر ما عاش مُخْصِباً ... ولو كان بالمَوْماة تَخْدِي رَواحِلُهْ)
(فأصبح ما في الأرض خَلْقٌ علمتُهُ ... من الناس إلا باعُ أسماءَ طائلُهْ)
(تراه إذا ما جئتَه متهلِّلاً ... كأنك تعطيه الّذي أنت سائِلُهْ)
(ترى الجندَ والأعراب يغشونَ بابه ... كما وردت ماءَ الكُلاب نواهِلُهْ)
(إذا ما أتَوْا أبوابه قال مرحباً ... لِجُوا البابَ حتى يقتلَ الجوعَ قاتِلُهْ)
(ترى البازلَ البُخْتيَّ فوق خِوانِهِ ... مقطَّعةً أعضاؤه ومفاصِلُهْ)
((إذا ما أتوا أسماءَ كان هو الذي ... تحلَّب كفاه الندى وأنامِلُهْ)
(تراهُمْ كثيراً حين يغشونَ بابَه ... فتسترهم جُدْرَانُهُ ومنازِلُهْ)
قال فأعطاه أسماء حين أنشده هذه القصيدة ألفي درهم
أنشد عبد الله بن زياد من شعره
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا العباس بن ميمون طائع قال حدثني أبو عدنان عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش وقال ابن الأعرابي أيضا دخل عبد الله بن الزبير على عبيد الله بن زياد بالكوفة وعنده أسماء بن خارجة حين قدم ابن الزبير من الشام فلما مثل بين يديه أنشأ يقول
(حنَّت قَلوصيَ وهْناً بعد هدأتها ... فهيَّجتْ مغرَماً صَبّاً على الطَّرَبِ)
(حنّت إلي خير من حُثَّ المطيُّ له ... كالبدر بين أبي سفيان والعُتُب)
(تذكَّرَتْ بِقُرَى البَلقاء نائلَه ... لقد تذكرتُه من نازحٍ عَزِب)
(والله ما كان بي لولا زيارته ... وأن أُلاقِي أبا حسان من أَرَب)
(حنَّت لتَرجِعني خلفي فقلت لها ... هذا أمامك فالقَيْه فتى العرب)
(لا يحسب الشرّ جاراً لا يفارقه ... ولا يعاقِب عند الحِلم بالغضب)
(مِن خير بيت عَلِمناه وأكرمه ... كانت دماؤهم تُشفي من الكَلَب)
ابن الأعرابي كانت العرب تقول من أصابه الكلب والجنون لا يبرأ منه إلى أن يسقى من دم ملك فيقول إنه من أولاد الملوك

بقية أخبار عبد الله بن الزبير

أسباب كراهية الشيعة لأسماء بن خارجة

أخبرني أحمد بن عيسى العجلي بالكوفة قال حدثنا سليمان بن الربيع البرجمي قال حدثنا مضر بن مزاحم عن عمرو بن سعد عن أبي مخنف عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحارث بن محمد قال حدثنا ابن سعد عن الواقدي وذكر بعض ذلك ابن الأعرابي في روايته عن المفضل وقد دخل حديث بعضهم في حديث الآخرين أن المختار بن أبي عبيد خطب الناس يوما على المنبر فقال لتنزلن نار من السماء تسوقها ريح حالكة دهماء حتى تحرق دار أسماء وآل أسماء وكان لأسماء بن خارجة بالكوفة ذكر قبيح عند الشيعة يعدونه في قتلة الحسين عليه السلام لما كان من معاونته عبيد الله بن زياد على هانىء بن عروة المرادي حتى قتل وحركته في نصرته على مسلم بن عقيل بن أبي طالب وقد ذكر ذلك شاعرهم فقال
(أيركب أسماءُ الهماليجَ آمِناً ... وقد طلبتْه مَذْحِجٌ بقتيل)
يعني بالقتيل هانئ بن عروة المرادي وكان المختار يحتال ويدبر في قتله من غير أن يغضب قيسا فتنصره فبلغ أسماء قول المختار فيه فقال أوقد سجع بي أبو إسحاق لا قرار على زأر من الأسد وهرب إلى الشام فأمر المختار بطلبه ففاته فأمر بهدم داره فما تقدم عليها مضري بتة لموضع أسماء وجلالة قدره في قيس فتولت ربيعة واليمن هدمها وكانت بنو تيم الله وعبد القيس مع رجل من بني عجل كان على شرطة المختار فقال في ذلك عبد الله بن الزبير
(تأوَّبَ عينَ ابن الزَّبير سُهودُها ... وولَّى على ما قد عراها هُجُودُها)
(كأنَّ سواد العين أبطَنَ نحلةً ... وعاوَدَها مما تذكَّرُ عِيدُها)
(مخصَّرةً من نحل جَيْحانَ صعبةً ... لوَى بجناحيها وليدٌ يَصِيدُها)
(من الليل وهْناً أو شَظِيَّةَ سُنبلٍ ... أذاعت به الأرواحُ يُذرَى حَصِيدُها)
(إذا طُرِفت أذرَتْ دموعاً كأنها ... نَثِيرُ جُمانٍ بانَ عنها فريدُها)
(وبتُّ كأنَّ الصدرَ فيه ذُبَالةٌ ... شبَا حرَّها القِنديل ذاكٍ وَقُودُها)
(فقلتُ أناجي النفسَ بيني وبينها ... كذاكِ الليالي نحسُها وسُعودُها)
((فلا تجزعِي مما ألمَّ فإنّني ... أرى سَنَةً لم يَبْقَ إلا شَرِيدُها)
(أتاني وعُرْضُ الشام بيني وبينها ... أحاديثُ والأنباءُ يَنمِي بعيدُها)
(بأنّ أبا حَسانٍ تهدِم دارَه ... لُكَيْزٌ سَعت فُسَّاقها وعَبِيدُها)
(جَزَتْ مُضَراً عَنِّي الجوازي بفعلها ... ولا أصبحتْ إلاَّ بشرٍّ جُدودُها)
(فما خيرُكم لا سيِّداً تنصرونه ... ولا خائفاً إن جاء يوماً طَرِيدُها)
(أخِذلانَه في كلِّ يومِ كَرِيهةٍ ... ومسألة ما إن ينادَى وليدُها)
(لأمِّكم الوَيْلاتُ أنَّى أَتِيتُم ... جماعات أقوامٍ كثير عديدُها)
(فَيَا لَيتَكُم مِنْ بعد خذلانِكُمْ له ... جوارٍ على الأعناق منها عُقودُها)
(ألم تغضبوا تَبّاً لكم إذ سَطَتْ بكم ... مجوسُ القُرى في داركم ويهودُها)
(تركتُمْ أبا حسَّان تُهدَم دارُه ... مشيَّدةً أبوابُها وحديدُها)
(يهدِّمها العِجْلِيُّ فيكُمْ بشرْطة ... كما نَبَّ في شِبْلِ التُّيوس عَتُودُها)

(لعمري لقد لفَّ اليهوديُّ ثوبَهْ ... على غَدرة شنعاءَ باق نَشيدُها)
(فلو كان من قحطانِ أسماء شمَّرت ... كتائبُ من قحطانَ صُعْرٌ خدودُها)
(ففي رجب أو غُرَّةِ الشهر بعده ... تزورُكُمْ حُمْرُ المنايا وسُودُها
(ثمانون ألفاً دينَ عثمانَ دينُهم ... كتائبُ فيها جَبْرَئيل يقودُها)
(فمن عاش منكم عاش عبداً ومن يمت ... ففي النار سُقياه هناك صَدِيدُها)
وقال ابن مهرويه أخبرني به الحسن بن علي عنه حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي أن مصعب بن الزبير لما ولي العراق لأخيه هرب أسماء بن خارجة إلى الشام وبها يومئذ عبد الملك بن مروان قد ولي الخلافة وقتل عمرو بن سعيد وكان أسماء أموي الهوى فهدم مصعب بن الزبير داره وحرقها فقال عبد الله بن الزبير في ذلك
(... تأوَّب عين ابن الزبير سهودها)
وذكر القصيدة بأسرها وهذا الخبر أصح عندي من الأول لأن الحسن بن علي حدثني قال حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال لما ولي مصعب بن الزبير العراق دخل إليه عبد الله بن الزبير الأسدي فقال له إيه يابن الزبير أنت القائل
(إلى رَجَب السبعين أو ذاك قبلَه ... تصبِّحكم حُمر المنايا وسودُها)
(ثمانون ألفاً نصرُ مروانَ دينهُم ... كتائبُ فيها جَبْرَئيلُ يقودُها)
فقال أنا القائل لذلك وإن الحقين ليأبى العذرة ولو قدرت على جحده لجحدته فاصنع ما أنت صانع فقال أما إني ما أصنع بك إلا خيرا أحسن إليك قوم فأحببتهم وواليتهم ومدحتهم ثم أمر له بجائزة وكسوة ورده إلى منزله مكرما فكان ابن الزبير بعد ذلك يمدحه ويشيد بذكره فلما قتل مصعب بن الزبير اجتمع ابن الزبير وعبيد الله بن زياد بن ظبيان في مجلس فعرف ابن الزبير خبره وكان عبيد الله هو الذي قتل مصعب بن الزبير فاستقبله بوجهه وقال له
(أبا مطر شلَّت يمينٌ تفرَّعَتْ ... بسيفك رأس ابن الحَواريِّ مصعبِ)
فقال له ابن ظبيان فكيف النجاة من ذلك قال لا نجاة هيهات سبق السيف العذل قال فكان ابن ظبيان بعد قتله مصعبا لا ينتفع بنفسه في نوم ولا يقظة كان يهول عليه في منامه فلا ينام حتى كل جسمه ونهك فلم يزل كذلك حتى مات

شعره في حضرة عبيد الله بن زياد

وقال ابن الأعرابي لما قدم ابن الزبير من الشام إلى الكوفة دخل على عبيد الله بن زياد بكتاب من يزيد بن معاوية إليه يأمره بصيانته وإكرامه وقضاء دينه وحوائجه وإدرار عطائه فأوصله إليه ثم استأذنه في الإنشاد فأذن له فأنشده قصيدته التي أولها

صوت

(أَصَرْمٌ بليلى حادِثٌ أم تجنُّبُ ... أم الحبلِ منها واهِنٌ متقضِّبُ)
(أم الودُّ من ليلى كعهدي مكانه ... ولكنَّ ليلَى تستزيد وتَعتبُ)
غنى في هذين البيتين حنين ثاني ثقيل عن الهشامي
(ألم تعلمي يا لَيْلَ أنّيَ لَيِّنٌ ... هَضومٌ وأنّي عَنْبَسٌ حين أغضبُ)
(وأني متى أُنفقْ من المال طارِفاً ... فإني أرجو أن يَثُوبَ المثوِّبُ)
(أأن تلِفَ المالُ التِّلادُ بحقِّه ... تَشمّسُ ليلَى عن كلامي وتَقْطِبُ)
(عشيةَ قالت والركابُ مُناخةٌ ... بأكوارها مشدودةً أين تذهبُ)
(أفي كل مصرٍ نازحٍ لك حاجةٌ ... كذلك ما أمرُ الفتى المتشعِّبُ)
(فوالله ما زالت تُلَبِّثُ ناقتي ... وتقسم حتى كادت الشَّمسُ تغربُ)
(دعينيَ ما للموت عنيَ دافعٌ ... ولا للذي ولَّى من العيشِ مَطْلَبُ)
(إليك عبيدَ الله تَهْوي ركابُنا ... تَعَسَّفُ مجهولَ الفلاةِ وتدأبُ)
(وقد ضمرت حتَّى كأنَّ عيونَها ... نِطافُ فَلاةٍ ماؤها متصبِّبُ)
(فقلت لها لا تشتكي الأَيْنَ إنه ... أمامكِ قَرْمٌ من أمية مُصْعَبُ)
(إذا ذكروا فضلَ امرئ كان قبلَه ... ففضلُ عبيدِ الله أثرى وأطيبُ)
(وأنك لو يُشفى بك القَرْحُ لم يعُد ... وأنت على الأعداء نابٌ ومخلبُ)
(تصافى عبيدُ الله والمجدُ صفوةَ الحليفين ... ما أرسَى ثَبِيرٌ ويَثْرِبُ)
(وأنت إلى الخيراتِ أوّل سابق ... فأبشِر فقد أدركت ما كنتَ تطلبُ)
(أعِنِّي بسَجْل من سِجالِك نافع ... ففي كل يوم قد سرى لك مِحلبُ)
(فإنك لو إيَّاي تطلب حاجةً ... جرى لك أهلٌ في المقال ومَرْحبُ)
قال فقال له عُبيد الله وقد ضحك من هذا البيت الأخير فإني لا أطلب إليك حاجة كم السجل الذي يرويك قال نوالك أيها الأمير يكفيني فأمر له بعشرة آلاف درهم

شعره في صديقه نعيم بن دجانة

قال ابن الأعرابي كان نعيم بن دجانة بن شداد بن حذيفة بن بكر بن
قيس بن منقذ بن طريف صديقا لعبيد الله بن الزبير ثم تغير عليه وبلغه عنه قول قبيح فقال في ذلك
(ألا طَرَقَتْ رُوَيْمةُ بعد هَدْءٍ ... تَخَطَّى هولَ أنمارٍ وأسْدِ)
(تَجُوس رحالنا حتى أتتنا ... طُرُوقاً بين أعرابٍ وجُنْدِ)
(فقالت ما فعلت أبا كثير ... أصحَّ الودُّ أم أخلفتَ عهدي)
(كأنَّ المسك ضمَّ على الخُزَامَى ... إلي أحشائها وقضيبَ رَنْدِ)
(ألا مَنْ مُبْلِغ عني نُعيْماً ... فسوف يجرِّبُ الإخوانَ بعدي)
(رأيتك كالشموس تُرى قريباً ... وتمنع مسحَ ناصيةٍ وخَدِّ)
(فإنّي إن أقَعْ بك لا أُهَلِّلْ ... كوقع السيفِ ذي الأثْرِ الفِرندِ)
(فأَوْلَى ثم أوْلَى ثم أوْلَى ... فهل للدَّرِّ يُحْلَبُ من مَرَدِّ)

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني عيسى بن إسماعيل تينة وأخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثني عيسى بن إسماعيل عن المدائني عن خالد بن سعيد عن أبيه قال كان عبد الله بن الزبير صديقا لعمرو بن الزبير بن العوام فلما أقامه أخوه ليقتص منه بالغ كل ذي حقد عليه في ذلك وتدسس فيه من يتقرب إلى أخيه وكان أخوه لا يسأل من ادعى عليه شيئا بينة ولا يطالبه بحجة وإنما يقبل قوله ثم يدخله إليه السجن ليقتص منه فكانوا يضربونه والقيح ينتضح من ظهره وأكتافه على الأرض لشدة ما يمر به ثم يضرب وهو على تلك الحال ثم أمر بأن يرسل عليه الجعلان فكانت تدب عليه فتثقب لحمه وهو مقيد مغلول يستغيث فلا يغاث حتى مات على تلك الحال فدخل الموكل به على أخيه عبد الله بن الزبير وفي يده قدح لبن يريد أن يتسحر به وهو يبكي فقال له ما لك أمات عمرو قال نعم قال أبعده الله وشرب اللبن ثم قال لا تغسلوه ولا تكفنوه وادفنوه في مقابر المشركين فدفن فيها فقال ابن الزبير الأسدي يرثيه ويؤنب أخاه بفعله وكان له صديقا وخلا ونديما

(أيا راكباً إمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ ... كبيرَ بني العَوَّام إن قيل مَنْ تَعْنِي)
(ستعلم إن جالت بك الحربُ جولةً ... إذا فَوَّق الرامون أسهمَ من تُغْنِي)
(فأصبحتِ الأرحامُ حين وَليتها ... بكفَّيك أكراشاً تُجرُّ على دِمْنِ)
(عقدتم لعمرو عُقدةً وغدرتمْ ... بأبيضَ كالمصباح في ليلة الدَّجْنِ)
((وكبَّلْتَه حَوْلاً يجود بنفسه ... تَنوء به في ساقه حَلَقُ اللَّبْنِ
(فما قال عمرو إذ يجودُ بنفسهِ ... لضاربهِ حتى قضى نَحْبَه دَعْنِي)
(تحدَّثُ من لاقيتَ أنك عائذ ... وصرَّعتَ قتلَى بين زمزمِ والرُّكنِ)
(جعلتم لضرب الظَّهر منه عِصيَّكم ... تُراوحهُ والأصبحيَّةُ للبطنِ)
(تُعَذِّرُ منه الآن لمَّا قتلتَه ... تَفاوُتَ أرجاءِ القَليبِ من الشَّطْنِ)
(فلم أرَ وَفْداً كان للغدر عاقداً ... كوفدِكَ شدُّوا غيرَ مُوفٍ ولا مُسْنِي)
(وكنتَ كذاتِ الفِسْقِ لم تدرِ ما حَوَتْ ... تَخَيَّرُ حالَيْهَا أتسرق أم تزني)
(جزى الله عني خالداً شرَّ ما جزى ... وعُروةَ شرّاً من خَليلٍ ومن خِدْنِ)
(قتلتم أخاكم بالسِّياطِ سفاهةً ... فيا لَكَ للرأي المضلَّلِ والأفْنِ)
(فلو أنكُمْ أجهزتُم إذ قتلتُمُ ... ولكنْ قتلتمْ بالسِّياط وبالسِّجْنِ)
(وإني لأرجو أن أرى فيك ما ترى ... به من عِقابِ الله ما دونه يُغني)
(قطعتَ من الأرحام ما كان واشِجاً ... على الشَّيب وابتعتَ المخافةَ بالأمنِ)
(وأصبحتَ تسعَى قاسِطاً بكتيبةٍ ... تُهَدِّمُ ما حول الحَطيمِ ولا تبني)
(فلا تجزعَنْ من سُنَّةٍ قد سَنَنْتَها ... فما للدماء الدهرَ تُهْرَقُ من حَقْنِ)

شعره في رثاء يعقوب بن طلحة

أخبرني عمي قال حدثني الخراز عن المدائني قال قتل يعقوب بن طلحة يوم الحرة وكان يعقوب ابن خالة يزيد بن معاوية فقال يزيد يا عجبا قاتلني كل أحد حتى ابن خالتي قال وكان الذي جاء بنعيه إلى الكوفة رجل يقال له الكروس فقال ابن الزبير الأسدي يرثيه

(لعمرك ما هذا بعيشٍ فيُبْتَغَى ... هنيءٍ ولا موتٍ يُريحُ سريعِ)
(لعمري لقد جاء الكَرَوَّسُ كاظماً ... على أمرِ سوءٍ حين شاع فظيعِ)
(نعى أسرةً يعقوبُ منهم فأقفرتْ ... منازِلُهم من رومةٍ فَبَقيعِ)
(وكلهمُ غيثٌ إذا قُحِطَ الورى ... ويعقوبُ منهم للأنام ربيعِ)

وقال ابن الأعرابي كان على ابن الزبير دين لجماعة فلازموه ومنعوه التصرف في حوائجه وألح عليه غريم له من بني نهشل يقال له ذئب فقال ابن الزبير

(أحابسَ كيدِ الفيل عن بطنِ مكَّةٍ ... وأنتَ على ما شئتَ جمُّ الفواضِلِ)
(أرحْنِي من اللائي إذا حَلَّ دَينُهم ... يمشُّون في الدارات مشيَ الأرامِلِ)
(إذا دخلوا قالوا السلام عليكم ... وغير السلام بالسلام يُحاوَلُ)
(ألِينُ إذا اشتدَّ الغريمِ وألتوى ... إذا استدَّ حتى يُدركَ الدينَ قايِلُ)
(عرضت على زَيْدٍ ليأخذ بعض ما ... يحاوله قبل اشتغال الشواغِلِ)
(تثاءب حتى قلتُ داسِع نفسِه ... وأخرَجَ أنياباً له كالمَعاولِ)

وقال ابن الأعرابي استجار ابن الزبير بمروان بن الحكم وعبد الله بن عامر لما هجا عبد الرحمن بن أم الحكم فأجاراه وقاما بأمره ودخل مع مروان إلى المدينة وقال في ذلك

((أجِدِّي إلى مَرْوانَ عَدْواً فَقَلِّصي ... وإلاّ فروحي واغتدِي لابن عامرِ
(إلى نفرٍ حولَ النَّبيِّ بيوتُهم ... مكاريمُ للعافي رِقاقُ المآزِرِ)
(لهمْ سورة في المجد قد عُلِمَتْ لهم ... تُذَبْذِبُ باعَ المتعَبِ المتقاصِرِ)
(لهم عامِر البَطحاءِ من بطنِ مكَّة ... ورُومة تسقى بالجمالِ القياسِرِ)

شعره لما حبسه زفر بن الحارث

وقال ابن الأعرابي عرض قوم من أهل المدراء لابن الزبير الأسدي في طريقه من الشام إلى الكوفة وقد نزل بقرقيسياء فاستعدوا عليه زفر بن الحارث الكلابي وقالوا إنه أموي الهوى وكانت قيس يومئذ زبيرية وقرقيسياء وما والاها في يد ابن الزبير فحبسه زفر أياما وقيده وكان معه رفيق من بني أمية يقال له أبو الحدراء فرحل وتركه في حبسه أياما ثم تكلمت فيه جماعة من مضر فأطلق فقال في ذلك

(أغادٍ أبو الحَدراء أم متروِّحُ ... كذاك النَّوى مما تُجِدّ وتَمزحُ)
(لعمري لقد كانت بلادٌ عريضةٌ ... لي الرَّوْحُ فيها عنكَ والمتسرَّحُ)
((ولكنه يدنو البغيضُ ويبعد الحبيبُ ... ويناى في المَزار وينزَحُ
(ألا ليت شعري هل أتى أمَّ واصِلٍ ... كُبُولٌ أعَضُّوهَا بساقيَّ تَجْرَحُ)
(إذا ما صرفتُ الكعبَ صاحت كأنها ... صريفُ خَطاطِيفٍ بدَلوين تَمتَحُ)

(تُبَغِّي أباها في الرفاق وتنثني ... وأَلوَى به في لُجَّةِ البحرِ تمْسَحُ)
(أمر تَحِلٌ وفدُ العراقِ وغُودِرت ... تَحِنُّ بأبوابِ المدينةِ صَيْدَحُ)
(فإنكِ لا تدرين فيما أصابني ... أريثُك أم تعجيلُ سيرك أنجحُ)
(أظَنَّ أبو الحدراء سَجنى تجارةً ... ترجَّى وما كل التجارة تُرْبِحُ)
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل قال حدثني محمد بن معاوية الأسدي قال لما قدم الحجاج الكوفة واليا عليها صعد المنبر فخطبهم فقال يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق إن الشيطان قد باض وفرخ في صدوركم ودب ودرج في حجوركم فأنتم له دين وهو لكم قرين (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) ثم حثهم على اللحاق بالمهلب بن أبي صفرة وأقسم ألا يجد منهم أحدا اسمه في جريدة المهلب بعد ثالثة بالكوفة إلا قتله فجاء عمير بن ضابئ البرجمي فقال أيها الأمير إني شيخ لا فضل في ولي ابن شاب جلد فاقبله بدلا مني فقال له عنبسة بن سعيد بن العاص أيها الأمير هذا جاء إلى عثمان وهو مقتول فرفسه وكسر ضلعين من أضلاعه وهو يقول
(... أين تركتَ ضابئاً يا نَعْثَلُ)
فقال له الحجاج فهلا يومئذ بعثت بديلا يا حرسي اضرب عنقه وسمع الحجاج ضوضاء فقال ما هذا فقال هذه البراجم جاءت لتنصر عميرا فيما ذكرت فقال أتحفوهم برأسه فرموهم براسه فولوا هاربين فازدحم الناس على الجسر للعبور إلى المهلب حتى غرق بعضهم فقال عبد الله بن الزبير الأسدي
(أقول لإبراهيمَ لمّا لقيتُهُ ... أرى الأمر أمسى واهياً متشعبَا)
(تخيرْ فإما أن تزور ابنَ ضابىءٍ ... عميراً وإمَّا أن تزور المهلَّبَا)
(هما خطَّتا خَسْفٍ نَجاؤك منهما ... ركوبُكَ حَوْليّاً من الثلج أشهبا)
(فأضْحَى ولو كانت خُراسانُ دونَهُ ... رآها مكانَ السُّوقِ أو هي أقربا)
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني علي بن عثام الكلابي قال دخل عبد الله بن الزبير الأسدي على مصعب بن الزبير بالكوفة لما وليها وقد مدحه فاستأذنه الإنشاد فلم يأذن له وقال له ألم تسقط السماء علينا وتمنعنا قطرها في مديحك لأسماء بن خارجة ثم قال لبعض من حضر أنشدها فأنشده
(إذا ماتَ ابنُ خارجةَ بن حِصنٍ ... فلا مَطَرَتْ على الأرض السماءُ)
(ولا رجعَ الوُفودِ بغُنمِ جيشٍ ... ولا حَمَلَتْ على الطُّهْرِ النساءُ)
(ليومٍ منك خيرٌ من أُناسٍ ... كثيرٍ حولَهم نَعَمٌ وشاءُ)
(فَبُورِكَ في بنيكَ وفي أبيهمْ ... إذا ذُكِروا ونحن لك الفداء)
فالتفت إليه مصعب وقال له اذهب إلى أسماء فما لك عندنا شيء فانصرف وبلغ ذلك أسماء فعوضه حتى أرضاه ثم عوضه مصعب بعد ذلك وخص به وسمع مديحه وأحسن عليه ثوابه
مدحه لبشر بن مروان
قال ابن الأعرابي لما ولي بشر بن مروان الكوفة أدنى عبد الله بن الزبير الأسدي وبره وخصه بأنسه لعلمه بهواه في بني أمية فقال يمدحه
(ألمْ تَرَني والحمد للهِ أنني ... برئت وداواني بمعْرُوفِهِ بِشْرُ)
(رعى ما رعى مروانُ مِنِّي قَبْلَهُ ... فصحَّت له منِّي النَّصيحةُ والشُّكْرُ)
(ففي كلِّ عام عاشَهُ الدَّهرَ صالحاً ... عليَّ لربِّ العالَمِين له نَذْرُ)
(إذا ما أبو مروان خَلَّى مكانَهُ ... فلا تَهنأ الدنيا ولا يُرسَلِ القطرُ)
(ولا يَهنِيءِ الناسَ الولادةُ بينهم ... ولا يَبْقَ فوق الأرض من أهلها شَفْرُ)
((فليس البُحور بالتي تخبرونني ... ولكن أبو مروان بشرٌ هو البحرُ
وقال فيه أيضا فذكر قطبة بنت بشر بن مالك ملاعب الأسنة
(جاءت به عُجُزٌ مقابلةٌ ... ما هن مِن جَرْمٍ ومن عُكْلِ)
(يا بشرُ يابن الجعفريَّة ما ... خَلَقَ الإلهُ يديْك للبُخْلِ)
(أنت ابن سادات لأجمعِهم ... في بطن مَكَّةَ عِزَّةُ الأصلِ)
(بحر من الأعياص جُدْنَ به ... في مغرسٍ للجُودِ والفضلِ)
(متهلّلٌ تَنْدَى يَداهُ إذا ... ضَنَّ السحابُ بوابِلٍ سَجْلِ)
خبره مع الحجاج بن يوسف
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش قال أخبرني مشيخة من بني أسد أن ابن الزبير الأسدي لما قفل من قتال الأزارقة صوب بعث إلى الري قال فكنت فيه وخرج الحجاج إلى القنطرة يعني قنطرة الكوفة التي بزبارة ليعرض الجيش فعرضهم وجعل يسأل عن رجل رجل من هو فمر به ابن الزبير فسأله من هو فأخبره فقال أنت الذي تقول
(تَخَيَّرْ فإما أن تزورَ ابنَ ضابئٍ ... عُمَيْراً وإمَّا أنْ تزورَ المُهَلَّبَا)
قال بلى أنا الذي أقول
(ألم تَرَ أنِّي قد أخَذْتُ جَعِيلةً ... وكنتُ كمَنْ قاد الجَنيبَ فأسمَحا)
فقال له الحجاج ذلك خير لك فقال
(وأوقَدَتِ الأعداء يا مَيُّ فاعلَمِي ... بكلِّ شرًى ناراً فَلَمْ أرَ مَجْمَحَا)
فقال له الحجاج قد كان بعض ذلك فقال
(ولا يَعدَمِ الدَّاعي إلى الخير تابعاً ... ولا يَعْدَمِ الداعي إلى الشَّرِّ مَجْدَحَا)
فقال له الحجاج إن ذلك كذلك فامض إلى بعثك فمضى إلى بعثه فمات بالري
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال لما ولي عبد الرحمن بن أم الحكم الكوفة مدحه عبد الله بن الزبير فلم يثبه وكان قدم في هيئة رثة فلما اكتسب وأثرى بالكوفة تاه وتجبر فقال ابن الزبير فيه
((تبقَّلْت لما أن أتيتَ بلادَكُمْ ... وفي مصرنا أنت الهمام القَلَمَّسُ

(ألستَ ببغل أمّه عربية ... أبوك حمار أدبرُ الظهر يُنخَسُ)
قال وكان بنو أمية إذا رأوا عبد الرحمن يلقبونه البغل وغلبت عليه حتى كان يشتم من ذكر بغلا يظنه يعرض به
أرضى الحجاج بشعر قاله في مقتل عبد الله بن الزبير
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن العمري عن العتبي قال لما قتل عبد الله بن الزبير صلب الحجاج جسده وبعث برأسه إلى عبد الملك فجلس على سريره وأذن للناس فدخلوا عليه فقام عبد الله بن الزبير الأسدي فاستأذنه في الكلام فقال له تكلم ولا تقل إلا خيرا وتوخ الحق فيما تقوله فأنشأ يقول
(مشى ابن الزبير القَهْقَرَى فتقدمت ... أميّةُ حتّى أحرزوا القَصَبَاتِ)
(وجئتَ المجلّي يابنَ مروان سابقاً ... أمامَ قريش تنفُضِ العُذُرَاتِ)
(فلا زلتَ سبّاقاً إلى كلِّ غايَةٍ ... من المَجْدِ نَجَّاءً من الغَمَرَاتِ)
قال فقال له أحسنت فسل حاجتك فقال له أنت أعلى عينا بها وأرحب صدرا يا أمير المؤمنين فأمر له بعشرين ألف درهم وكسوة ثم قال له كيف قلت فذهب يعيد هذه الأبيات فقال لا ولكن أبياتك في المحل في وفي الحجاج التي قلتها فأنشده
((كأني بعبد اللهِ يركبِ رَدْعَهُ ... وفيه سنان زاعبيٌّ مُجَرَّبُ)
(وقد فرّ عنه الملحِدون وحلّقَتْ ... به وبمن آساهُ عَنْقَاءُ مُغْرِبُ)
(تولّوا فخلّوه فشالَ بشِلوِهِ ... طويل من الأجذاع عارٍ مشذَّبُ)
(بِكَفّي غلام من ثقيفٍ نَمَتْ به ... قريش وذو المجدِ التليدِ مُعَتَّبُ)
فقال له عبد الملك لا تقل غلام ولكن همام وكتب له إلى الحجاج بعشرة آلاف درهم أخرى والله أعلم
هجاؤه ابن الزبير ومدحه بشر بن مروان
أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن مجالد قال قتل ابن الزبير من شيعة بني أمية قوما بلغه أنهم يتجسسون لعبد الملك فقال فيه عبد الله بن الزبير في ذلك يهجوه ويعيره بفعله
(أيها العائذ في مَكّةَ كَمْ ... من دمٍ أهرَقْتَهُ في غير دمْ)
(أيدٌ عائذةٌ معصمةٌ ... ويد تقتل مَنْ حَلَّ الحَرَمْ)
قال أبو الفرج ونسخت من كتاب لإسحاق بن إبراهيم الموصلي فيه إصلاحات بخطه والكتاب بخط النضر بن حديد من أخبار عبد الله بن الزبير وشعره قال دخل عبد الله بن الزبير على بشر بن مروان وعليه ثياب كان بشر خلعها عليه وكان قد بلغ بشرا عنه شيء يكرهه فجفاه فلما وصل إليه وقف
بين يديه وجعل يتأمل من حواليه من بني أمية ويجيل بصره فيهم كالمتعجب من جمالهم وهيئتهم فقال له بشر إن نظرك يابن الزبير ليدل أن وراءه قولا فقال نعم قال قل فقال
(كأن بني أمية حول بشر ... نجومٌ وَسْطَها قمر منيرُ)
(هو الفرع المقدَّم من قريش ... إذا أخذتْ مآخِذَها الأمورُ)
(لقد عمّت نوافلُه فأضحى ... غنيّاً مِن نوافله الفقيرُ)
(جَبَرْتَ مَهِيضَنا وعَدَلْتَ فينا ... فعاش البائس الكَلُّ الكَسِيرُ)
(فأنت الغيثُ قد علمتْ قريش ... لنا والواكِفُ الجَوْنُ المَطِيرُ)
قال فأمر له بخمسة آلاف درهم ورضي عنه فقال ابن الزبير
(لِبشْرِ بن مروانٍ على الناس نعمة ... تروح وتغدو لا يطاقُ ثوابُها)
(به أمّن اللهُ النفوسَ من الردى ... وكانت بحال لا يَقَرُّ ذُبابُها)
(دمغتَ ذوي الأضغان يا بشر عَنوةً ... بسيفك حتى ذَلَّ منها صِعابُها)
(وكنت لنا كهفاً وحِصناً ومَعْقِلاً ... إذا الفِتنة الصَّمَّاء طارت عُقَابُها)
(وكم لك يا بشر بنَ مروانَ من يدٍ ... مهذَّبةٍ بيضاءَ راسٍ ظِرابُها)
((وَطَدْتَ لنا دينَ النَّبيِّ محمد ... بِحلمك إذ هرَّت سفاهاً كِلابُها
(وسُدتَ ابنَ مروانٍ قريشاً وغيرها ... إذا السنةُ الشهباءُ قلَّ سحابُها)
(رأبْتَ ثَأَناً واصطنعتَ أياديا ... إلينا ونارُ الحربِ ذاكٍ شِهابُها)
قال النضر بن حديد في كتابه هذا ودخل عبد الله بن الزبير إلى بشر بن مروان متعرضا له ويسمعه بيتا من شعره فيه فقال له بشر أراك متعرضاً لأن أسمع منك وهل أبقى أسماء بن خارجة منك أو من شعرك أو من ودك شيئا لقد نزحت فيه بحرك يابن الزبير فقال أصلح الله الأمير إن أسماء بن خارجة كان للمدح أهلا وكانت له عندي أياد كثيرة وكنت لمعروفه شاكرا وأيادي الأمير عندي أجل وأملي فيه أعظم وإن كان قولي لا يحيط بها ففي فضل الأمير على أوليائه ما قبل به ميسورهم وإن أذن لي في الإنشاد رجوتُ أن أوفق للصواب فقال هات فقال
(تداركني بشرُ بنُ مروانَ بعدما ... تعاوَتْ إلى شِلوي الذئابُ العواسِلُ)
(غِياثُ الضعاف المُرمِلين وعصمةُ اليتامى ... ومَنْ تأوي إليه العَباهِلُ)
(قَريعُ قريشٍ والهمامُ الذي له ... أقرَّت بنو قحطان طرّاً ووائلُ)
(وقيسُ بن عَيلان وخِندَفُ كلُّها ... أقرَّت وجِنُّ الأرض طرّاً وخابِلُ)
((يداك ابنَ مروان يدٌ تقتل العِدَا ... وفي يدك الأخرى غياثٌ ونائلُ
(إذا أمطَرَتْنا منك يوماً سحابَةٌ ... روينا بما جادت علَيْنا الأنامِلُ)
(فلا زلت يا بشر بن مروانَ سيِّداً ... يُهِلّ علينا منك طَلٌّ ووابلُ)
(فأنت المصفَّى يابنَ مروانَ والّذي ... توافت إليه بالعطاء القبائِلُ)
(يرجُّون فضلَ اللهِ عند دعائِكُم ... إذا جمعَتْكُم والحَجيجَ المنازلُ)
(ولولا بنو مروان طاشَتْ حلومُنا ... وكُنَّا فراشاً أحرقتْها الشعائِلُ)
فأمر له بجائزة وكساه خلعة وقال له إني أريد أن أوفدك على أمير المؤمنين فتهيأ لذلك يابن الزبير قال أنا فاعل أيها الأمير قال فماذا تقول له إذا وفدت عليه ولقيته إن شاء الله فارتجل من وقته هذه القصيدة ثم قال
(أقول أميرَ المؤمنين عَصَمتَنَا ... ببشر من الدَّهر الكثير الزَّلازلِ)

(وأطفأتَ عنا نارَ كلّ منافِقٍ ... بأبيضَ بُهْلولٍ طويلِ الحمائِلِ)
(نَمَتْهُ قُرومٌ من أمية للعُلا ... إذا افتخرَ الأقوامُ وَسْطَ المحافِلِ)
هو القائد الميمونُ والعِصْمَةُ التي ... أتى حقُّها فينا على كل باطِلِ)
(أقام لنا الدينَ القويمَ بحِلمِهِ ... ورأيٍ له فضلٌ على كلّ قائِلِ)
(أخوكَ أميرِ المؤمنين ومن بِهِ ... نُجادُ ونُسقَى صَوْبَ أسحَمَ هاطِلِ)
((إذا ما سألنا رِفده هطَلَت لنا ... سحابة كفّيه بجوْدٍ ووابِلِ
(حليمٌ على الجُهَّال مِنَّا ورَحْمَةٌ ... على كُلِّ حافٍ من مَعَدٍّ وناعِلِ)
فقال بشر لجلسائه كيف تسمعون هذا والله الشعر وهذه القدرة عليه فقال له حجار بن أبجر العجلي وكان من أشراف أهل الكوفة وكان عظيم المنزلة عند بشر هذا أصلح الله الأمير أشعر الناس وأحضرهم قولا إذا أراد فقال محمد بن عمير بن عطارد وكان عدوا لحجار أيها الأمير إنه لشاعر وأشعر منه الذي يقول
(لبشر بن مروانٍ على كلِّ حالة ... من الدهرِ فضلٌ في الرخاء وفي الجهدِ)
(قريع قريش والذي باع ماله ... ليَكسِبَ حَمْداً حين لا أحدٌ يُجْدِي)
(ينافس بشر في السماحة والنَّدى ... ليُحْرز غاياتِ المكارمِ بالحمدِ)
(فكم جبرتْ كفَّاك يا بِشْرُ من فتًى ... ضَريكٍ وكم عيَّلت قوماً على عَمْدِ)
(وصيَّرت ذا فقرٍ غنيّاً ومثرياً ... فقيراً وكلاًّ قد حذوتَ بلا وعْدِ)
خبره مع حجار بن أبجر
فقال بشر من يقول هذا قال الفرزدق وكان بشر مغضبا عليه فقال ابعث إليه فأحضره فقال له هو غائب بالبصرة وإنما قال هذه الأبيات وبعث بها لأنشدكها ولترضى عنه فقال بشر هيهات لست راضيا عنه حتى يأتيني فكتب محمد بن عمير إلى الفرزدق فتهيأ للقدوم على بشر ثم بلغه أن البصرة
قد جمعت له مع الكوفة فأقام وانتظر قدومه فقال عبد الله بن الزبير لمحمد بن عمير في مجلسه ذلك بحضرة بشر
(بني دارِمٍ هل تعرفون محمداً ... بِدعوَتِهِ فيكم إذا الأمر حُقِّقَا)
(وساميتُم قوماً كراماً بمجدكم ... وجاء سُكَيْتاً آخر القوم مخفِقَا)
(فأصلُك دُهْمان بنُ نصرٍ فردَّهم ... ولا تكُ وَغْداً في تميم معلَّقا)
(فإن تميماً لستَ منهم ولا لهم ... أخاً يابنَ دُهمانٍ فلا تكُ أحمقا)
(ولولا أبو مروان لاقَيْتَ وابِلاً ... من السوط يُنسيك الرَّحيقَ المعتَّقا)
(أحينَ عَلاكَ الشيبُ أصبحتَ عاهراً ... وقلت اَسقني الصَّهباء صِرفاً مروَّقا)
(تركت شرابَ المسلمين ودينَهم ... وصاحبتَ وغْداً من فَزارة أزرقا)
(تبيتان من شرب المدامةِ كالَّذي ... أُتيح له حبلٌ فأضحى مخنَّقا)
فقال بشر أقسمت عليك إلا كففت فقال أفعل أصلحك الله والله لولا مكانك لأنفذت حضنيه بالحق وكف ابن الزبير وأحسن بشر جائزته وكسوته وشمت حجار بن أبجر بمحمد بن عمير وكان عدوه وأقبلت بنو
أسد على ابن الزبير فقالوا عليك غضب الله أشمت حجارا بمحمد والله لا نرضى عنك حتى تهجوه هجاء يرضى به محمد بن عمير عنك أو لست تعلم أن الفرزدق أشعر العرب قال بلى ولكن محمدا ظلمني وتعرض لي ولم أكن لأحلم عنه إذ فعل فلم تزل به بنو أسد حتى هجا حجارا فقال
(سليلَ النصارى سُدتَ عِجلاً ولم تكن ... لذلك أهْلاً أن تسودِ بني عِجْلِ)
(ولكنَّهم كانوا لئاماً فَسُدتَّهمْ ... ومثلُك من ساد اللئامَ بلا عَقْلِ)
(وكيف بِعجلٍ إن دنا الفِصْحُ واغتدتْ ... عليك بَنُو عِجل ومِرجَلُكم يَغْلي)
(وعندك قِسّيس النصارى وصُلبُها ... وعانيَّةٌ صَهْباءُ مثلُ جَنَى النحل)
قال فلما بلغ حجارا قوله شكاه إلى بشر بن مروان فقال له بشر هجوت حجارا فقال لا والله أعز الله الأمير ما هجوته لكنه كذب علي فأتاه ناس من بني عجل وتهددوه بالقتل فقال فيهم
(تُهدِّدني عجلٌ وما خِلتُ أنَّني ... خَلاةٌ لعجلٍ والصليبُ لها بعلُ)
(وما خِلتُني والدهرُ فيه عجائبٌ ... أُعمَّر حتى قد تهدِّدني عجلُ)
(وتوعِدُني بالقتل منهم عصابةٌ ... وليس لهم في العزّ فرعٌ ولا أصلُ)
(وعجلٌ أسود في الرخاء ثعالبٌ ... إذا التقت الأبطالِ واختلف النَّبلُ)
(فإن تَلْقَنا عجلٍ هناك فما لنا ... ولا لهمُ مِ الموتِ مَنْجًى ولا وَعْلُ)
مدح سويد بن منجوف لأنه ساعده على الخروج إلى الشام
وقال النضر في كتابه لما منع عبد الرحمن بن أم الحكم عبد الله بن الزبير الخروج إلى الشام وأراد حبسه لجأ إلى سويد بن منجوف واستجار به فأخرجه مع بني شيبان في بلادهم وأجازه عمل ابن أم الحكم فقال يمدحه
(أليس ورائي إن بلادٌ تجهَّمتْ ... سويدُ بنُ مَنْجُوفٍ وبكر بن وائِلِ)
(حصونٌ براها الله لم يُرَ مِثلُها ... طِوالٌ أعاليها شِدادُ الأسافِلِ)
(هُم أصْبحوا كَنْزي الذي لَسْتُ تاركاً ... ونبلي التي أعددتُها للمُناضِلِ)
وقال أيضا في هذا الكتاب جاء عبد الله بن الزبير يوما إلى بشر بن مروان فحجبه حاجبه وجاء حجار بن أبجر فأذن له وانصرف ابن الزبير يومئذ ثم عاد بعد ذلك إلى بشر وهو جالس جلوسا فدخل إليه فلما مثل بين يديه أنشأ يقول
(ألم تر أن الله أعطى فَخَصَّنا ... بأبيضَ قَرمٍ من أمية أزهرا)
(طَلوع ثنايا المجد سامٍ بطَرفه ... إذا سُئِل المعروفَ ليس بأوْعَرا)
(فلولا أبو مروان بِشرٌ لقد غدت ... ركابيَ في قَيْف من الأرض أغبرا)
(سِراعاً إلى عبد العزيز دوائباً ... تَخَلَّلُ زيتوناً بمصر وعَرْعَرا)
((وحاربتُ في الإسلام بكرَ بنَ وائل ... كحربِ كليب أو أمرٍ وأمْقَرا
(إذا قَادتِ الإسلامَ بَكر بن وائلٍ ... فهبْ ذاك ديناً قد تغيَّر مُهترا)
(بأيِّ بلاءٍ أم بأيِّ نصيحةٍ ... تُقدِّم حَجَّاراً أمامي ابنَ أبجَرا)

(وما زلتُ مذ فارقتُ عثمان صَادِياً ... ومروانَ مُلتاحاً عن الماء أزورا)
(ألا ليتني قُدِّمتُ واللهِ قَبْلَهُمْ ... وأن أخي مَرْوان كان المؤخرا)
(بهم جُمع الشملُ الشَّتيتُ وأصْلَح الإله ... وداوَى الصَّدْعَ حتَّى تَجَبَّرا)
(قضى اللهُ لا ينفكُّ منهم خليفةٌ ... كريم يسوس الناسَ يركبُ مِنبرا)
فاعتذر إليه بشر ووصله وحمله وأنكر على حاجبه ما تشكاه وأمر أن يأذن له عند إذنه لأخص أهله وأوليائه
وقال النضر في كتابه هذا كان الزبير بن الأشيم أبو عبد الله بن الزبير شاعرا وكان لعبد الله بن الزبير ابن يقال له الزبير شاعر فأما أبوه الزبير بن الأشيم فهو الذي يقول
(ألا يا لقومي للرّقاد المؤرِّقِ ... وللرَّبْع بعد الغِبْطَةِ المتفرِّقِ)
(وهمٍّ الفتى بالأمْرِ من دون نَيْله ... مراتبُ صعباتٌ على كُلّ مُرْتَقي)
(ويوم بصحراء البَدِيدَيْنِ قِلته ... بمنزلة النُّعمان وابن محرِّقِ)
((وذلك عيش قد مضى كان بَعْدَه ... أمورٌ أشابَتْ كلَّ شأنٍ ومَفْرَقِ
(وغيَّر ما استنكرتِ يا أم واصلٍ ... حوادثُ إلاَّ تَكْسر العظمَ تَعرِق)
(فراقُ حبيبٍ أو تغيُّر حالةٍ ... من الدهر أو رامٍ لشخصي مُفوِّق)
(على أنني جَلْدٌ صبورٌ مرزَّأٌ ... وهل تتركُ الأيامُ شيئاً لمشفِقِ)
وأما ابنه الزبيرِ بن عبد الله بن الزبير فهو القائل يمدح محمد بن عيينة بن أسماء بن خارجة الفزاري
(قالت عبيدةُ موهِناً ... أين اعْتَراكَ الهمُّ أينَهْ)
(هل تبلغنَّ بِكِ المُنَى ... ما كنت تأمُلُ في عُيينهْ)
(بدرٌ له الشِّيَم الكرائم ... كاملاتٌ فاعْتَلَيْنَهْ)
(والجوعُ يَقْتُلُه النَّدَى ... منه إذا قَحْطٌ ترَيْنَه)
(فهناك يَحْمَدُه الورَى ... أخلاق غيركم اشتكينه)
قال وهو القائل في بعض بني عمّه
(ومولًى كداءِ البَطْنِ أو فوق دائه ... يزيدُ موالي الصدق خيراً وينقصُ)
(تلوَّمتُ أرجو أن يَثُوب فيرعْوي ... به الحلمُ حتّى استيأسَ المتربِّص)
لجوؤه إلى معاوية
وقال النضر في كتابه هذا لما هرب ابن الزبير من عبد الرحمن بن أم الحكم إلى معاوية أحرق عبد الرحمن داره فتظلم منه وقال أحرق لي دارا قد قامت علي بمائة ألف درهم فقال معاوية ما أعلم بالكوفة دارا أنفق عليها هذا القدر فمن يعرف صحة ما ادعيت قال هذا المنذر بن الجارود حاضر ويعلم ذلك فقال معاوية للمنذر ما عندك في هذا قال إني لم آبه لنفقته على داره ومبلغها ولكني لما دخلت الكوفة وأردت الخروج عنها أعطاني عشرين ألف درهم وسألني أن أبتاع له بها ساجا من البصرة ففعلت فقال معاوية إن دارا اشتري لها ساج بعشرين ألف درهم لحقيق أن يكون سائر نفقتها مائة ألف درهم وأمر له بها فلما خرجا أقبل معاوية على جلسائه ثم قال لهم أي الشيخين عندكم أكذب والله إني لأعرف داره وما هي إلا خصاص قصب ولكنهم يقولون فنسمع ويخادعوننا فنخدع فجعلوا يعجبون منه
أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن يحيى قالا حدثنا محمد بن زكريا الغلابي عن عبد الله بن الضحاك عن الهيثم بن عدي قال أتى عبد الله بن الزبير إبراهيم بن الأشتر النخعي فقال له إني قد مدحتك بأبيات فاسمعهن فقال إني لست أعطي الشعراء فقال اسمعها مني وترى رأيك فقال هات إذا فأنشده قوله
(اللهُ أعْطَاكَ المهابةَ والتُّقَى ... وأحلَّ بيتَك في العَدِيدِ الأكثرِ)
(وأقرَّ عينَك يوم وقْعَةِ خازرٍ ... والخيلُ تعثُر بالقَنا المتكسِّرِ)
((إنِّي مدحتُك إذ نَبَا بيَ منزلي ... وذممتُ إخوانَ الغِنَى مِنْ مَعْشَرَ
(وعرفتُ أنك لا تخيِّب مِدْحتي ... ومتى أكن بسبيل خيرٍ أشكرِ)
(فهلمَّ نحوي من يمينك نَفحةً ... إن الزمان ألحَّ يابنَ الأشْتَرِ)
فقال كم ترجو أن أعطيك فقال ألف درهم أصلح بها أمر نفسي وعيالي فأمر له بعشرين ألف درهم
صوت
(ما هاج شوقَك من بُكاء حَمَامَةٍ ... تَدْعُو إلى فَنَن الأراك حَماما)
(تَدعو أخا فَرْخين صَادَف ضَارياً ... ذَا مِخلبين من الصُّقُور قَطاما)
(إلا تَذَكُّركَ الأوانسَ بَعْدَما ... قطع المطيُّ سَباسِباً وهُياما)
الشعر لثابت قطنة وقيل إنه لكعب الأشقري والصحيح أنه لثابت والغناء ليحيى المكي خفيف ثقيل أول بالبنصر من رواية ابنه والهشامي أيضا
أخبار ثابت قطنة
هو ثابت بن كعب وقيل ابن عبد الرحمن بن كعب ويكنى ابا العلاء أخو بني أسد بن الحارث بن العتيك وقيل بل هو مولى لهم ولقب قطنة لأن سهما أصابه في إحدى عينيه فذهب بها في بعض حروب الترك فكان يجعل عليها قطنة وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية وكان في صحابة يزيد بن المهلب وكان يوليه أعمالا من أعمال الثغور فيحمد فيها مكانه لكفايته وشجاعته
فأخبرني إبراهيم بن ايوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال كان ثابت قطنة قد ولي عملا من أعمال خراسان فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام الكلام فتعذر عليه وحصر فقال (سيجعل الله بعد عسر يسرا) وبعد عي بيانا وأنتم إلى أمير فعال أحوج منكم إلى أمير قوال
((وإلاَّ أكن فيكمْ خطيباً فإنَّني ... بسَيفي إذا جدَّ الوغَى لخطيبُ
فبلغت كلماته خالد بن صفوان ويقال الأحنف بن قيس فقال والله ما علا ذلك المنبر أخطب منه في كلماته هذه ولو أن كلاما استخفني فأخرجني من بلادي إلى قائله استحسانا له لأخرجتني هذه الكلمات إلى قائلها وهذا الكلام بخالد بن صفوان أشبه منه بالأحنف
هجاه حاجب الفيل لعيه في الكلام

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني أحمد بن زهير بن حرب عن دعبل بن علي قال كان يزيد بن المهلب تقدم إلى ثابت قطنة في أن يصلي بالناس يوم الجمعة فلما صعد المنبر ولم يطق الكلام قال حاجب الفيل يهجوه
(أبا العَلاءِ لقد لُقِّيتَ معضلةً ... يومَ العَروبة من كربٍ وتخنيق)
(أمّا القُرانِ فلم تخلَق لمحكَمِه ... ولم تسدَّد من الدنيا لتوفيق)
(لمَّا رمتْكَ عيونُ الناسِ هِبتَهمُ ... فكدتَ تَشرقَ لمَّا قمتَ بالرِّيق)
(تلوي اللسان وقد رُمْتَ الكلامَ به ... كما هَوَى زَلِقٌ من شاهق النِّيق)
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الصباح قال كان سبب هجاء حاجب بن ذبيان المازني وهو حاجب الفيل
والفيل لقب لقبه به ثابت قطنة وكعب الأشقري أن حاجبا دخل على يزيد بن المهلب فلما مثل بين يديه أنشده
(إليك أمتطيتُ العِيسَ تسعين ليلة ... أرجِّي ندَى كفَّيكَ يابن المهلّبِ)
(وأنت امرؤٌ جادَتْ سماءُ يمينِه ... على كل حيٍّ بين شرْق ومَغْرِب)
(فَجُدْ لي بطرْف أعوجيٍّ مشهَّرٍ ... سَليمِ الشَّظَا عَبْلِ القوائم سَلْهَبِ)
(سبوحٍ طموحِ الطَّرف يستنُّ مِرجَم ... أُمِرَّ كإمرارِ الرِّشاء المشذَّب)
(طوى الضُّمرُ منه البطنَ حتى كأنه ... عقاب تدلَّت من شماريخ كَبْكَب)
(تُبادِر جُنْحَ الليل فَرْخين أقْوَيا ... من الزاد في قَفْرٍ من الأرض مجدِب)
(فلمَّا رأت صَيْداً تدلَّتْ كأنها ... دَلاةٌ تَهاوَى مَرْقَباً بعد مَرقَبِ)
(فشكّت سوادَ القلب من ذئبٍ قَفرةٍ ... طويلِ القَرا عاري العِظامِ معصَّب)
(وسابغةٍ قد أتْقَن القَينُ صنعَها ... وأسمرَ خَطِّيٍّ طويلٍ مُجَرَّب
(وأبيضَ من ماء الحديدِ كأنه ... شِهابٌ متى يَلْقَ الضَّريبةَ يَقْضِبِ)
(وقل لي إذا ما شئتَ في حَوْمة الوغى ... تقدَّمْ أو اركبْ حومةَ الموت أركبِ)
(فإني امرؤٌ من عُصْبَةٍ مازنيَّةٍ ... نَماني أبٌ ضخمٌ كريمُ المركَّب)
قال فأمر له يزيد بدرع وسيف ورمح وفرس وقال له قد عرفت ما شرطت لنا على نفسك فقال أصلح الله الأمير حجتي بينة وهي قول الله عز وجل (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون) فقال له ثابت قطنة ما أعجب ما وفدت به من بلدك في تسعين ليلة مدحت الأمير ببيتين وسألته حوائجك في عشرة أبيات وختمت شعرك ببيت تفخر عليه فيه حتى إذا أعطاك ما أردت حدت عما شرطت له على نفسك فأكذبتها كأنك كنت تخدعه فقال له يزيد مه يا ثابت فإنا لا نخدع ولكنا نتخادع وسوغه ما أعطاه وأمر له بألفي درهم ولج حاجب يهجو ثابتا فقال فيه
(لا يعرفُ الناسُ مِنْه غيرَ قُطنَتِه ... وما سِواها من الأنْسابِ مَجْهُولُ)
خبره مع حاجب الفيل عند يزيد بن المهلب
قال ودخل حاجب يوما على يزيد بن المهلب وعنده ثابت قطنة وكعب الأشقري وكانا لا يفارقان مجلسه فوقف بين يديه فقال له تكلم يا حاجب
فقال يأذن لي الأمير أن أنشده أبياتا قال لا حتى تبدأ فتسأل حاجتك قال أيها الأمير إنه ليس أحد ولو أطنب في وصفك موفيك حقك ولكن المجتهد محسن فلا تهجني بمنعي الإنشاد وتأذن لي فيه فإذا سمعت فجودك أوسع من مسألتي فقال له يزيد هات فما زلت مجيدا محسنا مجملا فأنشده
(كم من كميٍّ في الهياج تركتَه ... يَهوي لِفيه مُجدَّلا مقتولا)
(جلّلتَ مفرقَ رأسِه ذا رَونقٍ ... عضْبَ المهزَّة صارماً مصقولا)
(قُدْتَ الجِيادَ وأنت غِرٌّ يافعٌ ... حتى اكتهلتَ ولم تزل مأمولا)
(كم قد حَرَبْتَ وقد جَبَرتَ مُعاشراً ... وكم امتننت وكم شفيتَ غليلا)
فقال له يزيد سل حاجتك فقال ما على الأمير بها خفاء فقال قل قال إذا لا أقصر ولا أستعظم عظيما أسأله الأمير أعزه الله مع عظم قدره قال أجل فقل يفعل فلست بما تصير إليه أغبط منا قال تحملني وتخدمني وتجزل جائزتي فأمر له بخمسة تخوت ثياب وغلامين وجاريتين وفرس وبغل وبرذون وخمسة آلاف درهم فقال حاجب
(شِمِ الْغَيْثَ وانظُرْ وَيْكَ أين تبعَّجتْ ... كُلاه تَجِدْها في يَدِ ابنِ المهلَّب)
(يداه يدٌ يُخزي بها اللهُ مَن عَصَى ... وفي يَدِهِ الأخْرَى حياةُ المعصَّب)
قال فحسده ثابت قطنة وقال والله لو على قدر شعرك أعطاك لما خرجت بملء كفك نوى ولكنه أعطاك على قدره وقام مغضبا وقال لحاجب يزيد بن المهلب إنما فعل الأمير هذا ليضع منا بإجزاله العطية لمثل هذا وإلا فلو أنا اجتهدنا في مديحه ما زادنا على هذا وقال ثابت قطنة يهجو حاجبا حينئذ
(أحاجِبُ لولا أنَّ أصْلَك زَيِّفٌ ... وأنَّك مطبوعٌ على اللؤم والكفر)
(وأنّيَ لو أكثرتُ فيكَ مقصِّرٌ ...رميتُك رمياً لا يَبيد يَدَ الدهر)
(فقل لي ولا تكذِبْ فإنّيَ عالِمٌ ... بمِثْلِكَ هل في مازنٍ لك من ظَهر)
(فإنك مِنْهمْ غير شكٍّ ولم يَكُنْ ... أبوكَ من الغُرِّ الجَحاجِحة الزُّهر)
(أبوكَ دِيافيٌّ وأمُّك حُرَّةٌ ... ولكنَّها لا شكَّ وافيةُ البَظْرِ)
(فلست بهاجٍ ابن ذُبيان إنني ... سأُكْرِمُ نفسي عن سِبابِ ذوي الهُجْر)
هجاء حاجب له
فقال حاجب والله لا أرضى بهجاء ثابت وحده ولا بهجاء الأزد كلها ولا أرضى حتى أهجو اليمن طرا فقال يهجوهم
((دعُوني وقحطاناً وقولوا لثابتٍ ... تنحَّ ولا تقربْ مُصاوَلة البُزْل
(فَلَلزنج خيرٌ حين تُنْسَبُ والداً ... من أبناء قحطانَ العفاشلة الغُرْل)
(أناسٌ إذا الهيجاء شبَّتْ رأيتَهمْ ... أذَلَّ على وَطْءِ الهَوَانِ من النَّعْل)
(نساؤهُم فوضَى لمن كان عاهِراً ... وجِيرانهمْ نَهبُ الفَوارس والرَّجْل)
اخبرني وكيع قال حدثنا أحمد بن زهير قال وحدثني دعبل قال بلغني أن ثابت قطنة قال هذا البيت في نفسه وخطر بباله

يوما فقال
(لاَ يَعْرِف الناسُ منه غيرَ قطنته ... وما سِوَاها من الأنْسابِ مجهولُ)
وقال هذا بيت سوف أهجي به أو بمعناه وأنشده جماعة من أصحابه وأهل الرواية وقال اشهدوا أني قائله فقالوا ويحك ما أردت إلا أن تهجو نفسك به ولو بالغ عدوك ما زاد على هذا فقال لا بد من أن يقع على خاطر غيري فأكون قد سبقته إليه فقالوا له أما هذا فشر قد تعجلته ولعله لا يقع لغيرك فلما هجاه به حاجب الفيل استشهدهم على أنه هو قائله فشهدوا على ذلك فقال يرد على حاجب
(هَيْهاتَ ذلك بيتٌ قد سُبقت به ... فاطلبْ له ثَانِياً يا حاجبَ الفيل)
ميله إلى قول المرجئة
أخبرني أحمد بن عثمان العسكري المؤدب قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا قعنب بن المحرز الباهلي عن أبي عبيدة قال كان ثابت قطنة قد جالس قوما من الشراة وقوما من المرجئة كانوا يجتمعون فيتجادلون
بخراسان فمال إلى قول المرجئة وأحبه فلما اجتمعوا بعد ذلك أنشدهم قصيدة قالها في الإرجاء
(يا هندُ إنِّي أظنُّ العيشَ قد نفِدا ... ولا أَرَى الأمرَ إلا مُدْبِراً نَكِدا)
(إني رَهِينَةُ يومٍ لستُ سابقه ... إلاّ يكن يومُنا هذا فقد أفِدا)
(بايعت ربِّي بيعاً إن وفيتُ به ... جاورتُ قتلَى كراماً جاوَروا أُحُدا)
(يا هندُ فاستمعي لي إنّ سيرتَنا ... أن نَعْبُد اللهَ لمْ نشركْ به أحدَا)
(نُرجِي الأمورَ إذا كانتْ مشبَّهةً ... ونَصدُق القولَ فيمن جارَ أو عندا)
(المسلمون على الإسلام كلُّهم ... والمشركون أشتُّوا دينهمْ قِدَدا)
(ولا أرى أن ذنباً بالغٌ أحَداً ... مِ الناسِ شِركاً إذا ما وحَّدوا الصمَدا)
(لا نَسفِك الدمَ إلا أن يراد بنا ... سَفْكُ الدماء طريقاً واحداً جدَدَا)
(من يتّقِ اللهَ في الدنيا فإنّ له ... أجرَ التَّقيِّ إذا وَفَّى الحسابَ غدا)
(وما قَضَى اللهُ من أمرٍ فليسَ له ... ردٌّ وما يَقضِ من شيءٍ يكن رَشَدا)
(كلّ الخوارج مُخطٍ في مَقَالته ... ولو تَعبَّد فيما قالَ واجْتَهدا)
(أما عليٌّ وعثمانٌ فإنهما ... عَبْدان لَم يُشركا بالله مذ عَبَدا)
(وكان بينهما شَغْبٌ وقد شهدا ... شقَّ العصا وبعيْن الله ما شَهِدا)
حذف
((يُجزَى عليٌّ وعثمانٌ بسَعْيهما ... ولستُ أدري بحقٍّ أيَّةً وَرَدا
(اللهُ يعلم ماذا يَحضُران به ... وكلُّ عبدٍ سيلقَى اللهَ منفردا)
قال أبو الفرج ونسخت من كتاب بخط المرهبي الكوفي في شعر ثابت قطنة قال لما ولي سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية خراسان بعد عزل عبد الرحمن بن نعيم جلس يعرض الناس وعنده حميد الرؤاسي وعبادة المحاربي فلما دعي بثابت قطنة تقدم وكان تام السلاح جواد الفرس فارسا من الفرسان فسأل عنه فقيل هذا ثابت قطنة وهو أحد فرسان الثغور فأمضاه وأجاز على اسمه فلما انصرف قال له حميد وعبادة هذا أصلحك الله الذي يقول
(إنا لضرَّابون في حَمَس الوَغَى ... رأسَ الخليفة إن أراد صدودا)
فقال سعيد علي به فردوه وهو يريد قتله فلما أتاه قال له أنت القائل
(... إنا لضرَّابون في حَمَس الوغى)
قال نعم أنا القائل
(إنا لضرَّابون في حَمَس الوغى ... رأسَ المتوَّج إنْ أراد صُدُودا)
(عن طَاعة الرحمن أو خُلَفَائه ... إن رامَ إفساداً وكرَّ عُنُودا)
فقال له سعيد أولى لك لولا أنَّك خرجتَ منها لضربتُ عنقكَ قال وبلغ ثابتاً ما قاله حميد وعبادة فأتاه عبادة معتذرا فقال له قد قبلت عذرك ولم يأته حميد فقال ثابت يهجوه
(وما كان الحُنَيد ولا أخوه ... حميدٌ من رؤوسٍ في المَعالي)
((فإن يكِ دغْفلٌ أمسى رهيناً ... وزيدٌ والمقيم إلى زوال
(فعندكُمُ ابن بِشرٍ فاسألوه ... بمرو الرُّوذِ يَصدقُ في المقال)
(ويخبر أنه عبدٌ زنيمٌ ... لئيم الجدّ من عمٍّ وخال)
هجاؤه لمحمد بن مالك لأنه لم يكرمه
قال واجتاز ثابت قطنة في بعض أسفاره بمدينة كان أميرها محمد بن مالك بن بدر الهمداني ثم الخيواني وكان يغمز في نسبه وخطب إلى قوم من كندة فردوه فعرف خبر ثابت في نزوله فلم يكرمه ولا أمر له بقرى ولا تفقده بنزل ولا غيره فلما رحل عنه قال يهجوه ويعيره برد من خطب إليه
(لو أنَّ بَكيلاً هُم قومهُ ... وكان أبوه أبا العاقِبِ)
(لأكرَمَنَا إذ مَرِرْنَا به ... كرامةَ ذي الحَسَبِ الثاقِبِ)
(ولكنَّ خيوانَ همْ قومُهُ ... فبئس هم القومُ للصَّاحِبِ)
(وأنتَ سَنِيدٌ بِهمِ مُلصَق ... كما ألصِقتْ رُقعةُ الشاعبِ)
((وحَسْبُكَ حَسْبُكَ عند الثّنا ... بأفعالِ كِندَةَ من عائبِ
(خَطبتَ فجازَوْك لما خطبتَ ... جزاءَ يسارٍ من الكاعِبِ)
(كذبتَ فزيّفْتَ عقدَ النكاح ... لِمتّكَ بالنَّسَبِ الكاذبِ)
(فلا تخطبنْ بعدها حُرَّةً ... فتُثنَى بِوسْمٍ على الشارِبِ)
هجاؤه لقتيبة بن مسلم
قال أبو الفرج ونسخت من هذا الكتاب قال كان لثابت قطنة راوية يقال له النضر فهجا ثابت قطنة قتيبة بن مسلم وقومه وعيرهم بهزيمة انهزموها عن الترك فقال
(توافَتْ تميمٌ في الطِّعان وعرَّدتْ ... بُهَيْلَةُ لما عاينتْ معشراً غُلْبا)

(كُماة كُفاة يرهَب الناسُ حَدَّهم ... إذا ما مَشَوْا في الحرب تَحْسَبهم نُكْبَا)
(تُسَامُونَ كعباً في العُلا وكِلاَبَها ... وهيهاتَ أن تَلْقَوْا كِلاباً ولا كَعْباً)
قال فأفشى عليه راويته ما قاله فقال ثابت فيه وقد كان استكتمه هذه الأبيات
(يا ليت لي بأخي نضرٍ أخا ثقةٍ ... لا أرهب الشَّرَّ منه غابَ أم شَهِدا)
(أصبحتُ منك على أسبابِ مَهْلكةٍ ... وزَلّةٍ خائفاً مِنك الرَّدَى أبدا)
(ما كنتَ إلا كذئب السُّوءِ عارضَهُ ... أخوه يدمي فَفَرَّى جِلْدَه قِدَدَا)
(أهم بالصَّرْفِ أحياناً فيمنعني ... حيًّا ربيعةَ والعَقْدُ الذي عَقَدَا)
شعره في رثاء المفضل بن المهلب
ونسخت منه أيضا قال لما قتل المفضل بن المهلب دخل ثابت قطنة على هند بنت المهلب والناس حولها جلوس يعزونها فأنشدها
(يا هند كيف بِنُصْبٍ بات يَبْكِيني ... وعائرٍ في سَواد الليل يؤذيني)
(كأنَّ لَيْلِي والأصداءُ هاجدةٌ ... ليلُ السَّليم وأعيا من يُداويني)
(لمّا حتى الدهرُ من قَوْسِي وعذَّرني ... شيبي وقاسيت أمرَ الغِلْظِ واللين
(إذا ذكرتُ ابا غَسَّان أَرَّقَنِي ... همٌّ إذا عَرَّس السَّارُونَ يُشجيني)
((أصبحتُ منك على أسبابِ مَهْلكة ... وزلّةٍ خائفاً مِنك الرَّدَى أبدا
(ما كنتَ إلا كذئب السُّوءِ عارضَهُ ... أخوه يدمى فَفَرَّى جِلْدَه قِدَدَا)
(أو كابن آدم خَلّى عن أخيه وقد ... أدْمَى حَشَاهُ ولم يبسط إليهِ يَدَا)
(أو كابن آدم خَلَّى عن أخيه وقد ... أدْمَى حَشَاهُ ولم يبسطِ إليهِ يَدَا)
(أهم بالصَّرْفِ أحياناً فيمنعني ... حيًّا ربيعةَ والعَقْدُ الذي عَقَدَا)
شعره في رثاء المفضل بن المهلب
ونسخت منه أيضا قال لما قتل المفضل بن المهلب دخل ثابت قطنة على هند بنت المهلب والناس حولها جلوس يعزونها فأنشدها
(يا هند كيف بِنُصْبٍ بات يَبْكِيني ... وعائرٍ في سَواد الليل يؤذيني)
(كأنَّ لَيْلِي والأصداءُ هاجدةٌ ... ليلُ السَّليم وأعيا من يُداويني)
(لمّا حنى الدهرُ من قَوْسِي وعذَّرني ... شيبي وقاسيت أمرَ الغِلْظِ واللين)
(إذا ذكرتُ أبا غَسَّان أَرَّقَنِي ... همٌّ إذا عَرَّس السَّارُونَ يُشجيني)
((كان المفضَّلُ عِزّاً في ذوي يَمَنٍ ... وعِصمةً وثِمالاً للمساكين
(ما زلتُ بعدَكَ في همٍّ تجيش به ... نَفْسِي وفي نَصَبٍ قد كادَ يُبْلِيني)
(إنِّي تذكَّرْتُ قتلَي لو شهدتُهم ... في حَوْمَةِ الموْتِ لم يَصْلَوا بها دُوني)
(لا خير في العَيْش إن لم أجن بعدَهم ... حرباً تُبِيء بهم قتلي فيشفوني)
فقالت له هند اجلس يا ثابت فقد قضيت الحق وما من الملاثية بد وكم من ميتة ميت أشرف من حياة حي وليست المصيبة في قتل من استشهد ذابا عن دينه مطيعا لربه وإنما المصيبة فيمن قلت بصيرته وخمل ذكره بعد موته وأرجو ألا يكون المفضل عند الله خاملا يقال إنه ما عزي يومئذ بأحسن من كلامها
قال أبو الفرج ونسخت من كتابه أيضا قال كان ابن الكواء اليشكري مع الشراة والمهلب يحاربهم وكان بعض بني أخيه شاعرا فهجا المهلب وعم الأزد بالهجاء فقال لثابت أجبه فقال له ثابت
(كلُّ القبائل من بكرٍ نهدُّهم ... واليشكُريُّون منهمْ الأمُ العرَب)
(أثرى لجيم وأثرى الحصن إذ قعدتْ ... بيشكرٍ أمُّه المَعرورةِ النَّسب)
(نَحّاكُمُ عن حياضِ المجدِ والكُرُم ... فما لكم في بني البَرْشَاءِ من نَسَبَ)
((أنتم تَحُلُّونَ من بكرٍ إذا نُسبوا ... مثل القُراد حواليْ عُكْوَةِ الذَّنَبِ
(نُبِّئتُ أن بني الكَوّاء قد نبحوا ... فِعلَ الكلاب تتلّى اللَّيثَ في الأشبِ)
(يَكْوِي الأُبَيْجِر عبد الله شيخكم ... ونحن نُبري الذي يَكوى من الكَلَبِ)
ونسختُ من كتابه أيضا قال كتب ثابت قطنة إلى يزيد بن المهلب يحرضه
(إن امرأً حدبت ربيعةُ حولَه ... والحيُّ من يَمَنٍ وهابَ كَؤودا)
(لَضعيفُ ما ضمّت جوانِحُ صدرِهِ ... إن لم يَلُفَّ إلى الجُنودِ جنودا)
(أيزيد كُنْ في الحَرْب إذ هيّجتَها ... كأبيك لا رَعِشا ولا رِعْدِيدا)
(شاوِرْ أكْرمَ من تناول ماجد ... فرأيتُ هَمَّكَ في الهموم بعيدا)
(ما كان في أبويك قادحُ هُجْنةٍ ... فيكون زندُكَ في الزِّنادِ صَلودا)
(إنا لضرَّابونَ في حَمَس الوَغَى ... رأسِ المتوَّج إن أراد صدودا)
(وقُرٌ إذا كَفَرَ العَجاج تَرى لنا ... في كلِّ معركة فوارسَ صِيدا)
(يا ليت أسْرتكَ الّذين تَغَيَّبوا ... كانوا ليومك بالعِراق شهُودا)
(وترى مواطنهم إذا اختلف القنا ... والمشرفيَّة يلتظين وقودا)
فقال يزيد لما قرأ كتابه إن ثابتا لغافل عما نحن فيه ولعمري لأطيعنه وسيرى ما يكون فاكتبوا إليه بذلك
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي قال أنشد مسلمة بن عبد الملك بعد قتل يزيد بن المهلب قول ثابت قطنة
(يا ليت أسْرتكَ الذين تَغَيَّبُوا ... كانوا ليومِكَ يا يزيدُ شُهُودا)
فقال مسلمة وأنا والله لوددت أنهم كانوا شهودا يومئذ فسقيتهم بكأسه قال فكان مسلمة أحد من أجاب شعرا بكلام منثور فغلبه
خطب امرأة فتزوجها صديقه
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني عبيد الله بن أحمد بن محمد الكوفي قال حدثني محمد القحذمي عن

سليمان بن ناصح الأسدي قال خطب ثابت قطنة امرأة كان يميل إليها فجعل السفير بينه وبينها جويبر بن سعيد المحدث فاندس فخطبها لنفسه فتزوجها ودفع عنها ثابتا فقال ثابت حين بان له الأمر
(أفْشَى عليَّ مقالةً ما قلتها ... وسعى بأمرٍ كان غيرَ سديدِ)
(إني دعوت الله حين ظَلَمْتَنِي ... ربِّي وليس لمن دعا ببعيد)
(أن لا تزال متيَّماً بخريدةٍ ... تَسبِي الرجال بمقلتين وجيد)
(حتى إذا وجب الصَّداق تلبَّستْ ... لك جلدَ أغْضَفَ بارزٍ بصعيدِ)
(تدعو عليك الحاريات مُرِّة ... فترى الطلاق وأنت غيرُ حميدِ)
قال فلقي جويبر كل ما دعا عليه ثابت به ولحقه من المرأة كل شر وضر حتى طلقها بعد أن قبضت صداقها منه
شعره في رثاء يزيد بن المهلب
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال كان ثابت قطنة مع يزيد بن المهلب في يوم العقر فلما خذله أهل العراق وفروا عنه فقتل قال ثابت قطنة يرثيه
(كل القبائلِ بايَعوك على الذي ... تدعو إليه وتابَعوك وساروا)
(حتى إذا حَمِيَ الوَغَى وجعلتَهم ... نصبَ الأسنَّة أسلموك وطاروا)
(إن يقتلوك فإنَّ قتلَك لم يكن ... عاراً عليك وبعضُ قتلٍ عار)
قال أبو الفرج ونسخت من كتاب المرهبي قال كانت ربيعة لما حالفت اليمن وحشدت مع يزيد بن المهلب تنزل حواليه هي والأزد فاستبطأته ربيعة في بعض الأمر فشغبت عليه حتى أرضاها فيه فقال ثابت قطنة يهجوهم
(عصافير تَنْزُو في الفساد وفي الوغى ... إذا راعَها رَزْعٌ جَمَامِيحُ بَرْوَق)
الجماميح ما نبت على رؤوس القصب مجتمعا وواحده جماح فإذا دق تطاير وبروق نبت ضعيف
(أأحلمُ عن ذِبَّان بكر بنِ وائلٍ ... ويعلق من نفسي الأذى كلَّ مَعلق)
(ألم أكُ قلَّدتكم طوقَ خِزْيَةٍ ... وأنكلتُ عنكمْ فيكُم كلَّ مُلصَق
(لعمركَ ما استخلفتُ بكراً ليشغبوا ... عليَّ وما في حِلْفِكم من مُعلَّق)
(ضممتكُم ضمّاً إليَّ وأنتمُ ... شتَاتٌ كفَقْعِ القاعةِ المتفرّقِ)
(فأنتُمْ على الأدنى أسودٌ خَفِيَّةٍ ... وأنتم على الأعداءِ خزَّانُ سَمْلَق)
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو بكر العامري قال قال القحذمي دخل ثابت قطنة على بعض أمراء خراسان أظنه قتيبة بن مسلم فمدحه وسأله حاجة فلم يقضها له فخرج من بين يديه وقال لأصحابه لكن يزيد بن المهلب لو سألته هذا أو أكثر منه لم يردني عنه وأنشأ يقول
(أبا خالدٍ لم يَبْقَ بعدك سُوقَةٌ ... ولا مَلكٌ ممَّن يعين على الرِّفْدِ)
(ولا فاعلٌ يرجو المقلُّونَ فضلَهُ ... ولا قاتلٌ يَنْكا العدوَّ على حقدِ)
(لو آن المنايا سامحتْ ذا حَفيظَة ... لأكرمنه أو عُجْنَ عنه على عمدِ)
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال عتب ثابت قطنة على قومه من الأزد في حال استنصر عليها بعضهم فلم ينصره فقال في ذلك
(تَعَفَّفْتُ عن شَتْمِ العشيرةِ إنَّني ... وجدتُ أبي قد عَفَّ عن شَتْمِهَا قَبْلِي)
(حليماً إذا ما الحلمُ كان مروءةً ... وأجهَلُ أحياناً إذا التمسوا جهلي)
خبره مع أمية بن عبد الله
أخبرني عمي قال حدثني العنزي عن مسعود بن بشر قال كان ثابت قطنة بخراسان فوليها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسد لعبد الملك بن مروان فأقام بها مدة ثم كتب إلى عبد الملك إن خراج خراسان لا يفي بمطبخي وكان أمية يحمق فرفع ثابت قطنة إلى البريد رقعة وقال أوصل هذه معك فلما أتى عبد الملك أوصل إليه كتاب أمية ثم نثل كنانته بين يديه فقرأ ما فيها حتى انتهى إلى رقعة ثابت قطنة فقرأها ثم عزله عن خراسان
صوت
(طَربتُ وهاجَ لي ذاك ادّكارا ... بِكَشٍّ وقد أطلت به الحِصارا)
(وكنتُ ألَذُّ بعضَ العيشِ حتّى ... كبرتُ وصار لي هَمِّي شعارا)
(رأيتُ الغانياتِ كرِهْنَ وصلي ... وأبدين الصَّرِيمَةَ لي جِهارا)
الشعر لكعب الأشقري ويقال إنه لثابت قطنة والصحيح أنه لكعب والغناء للهذلي ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة وذكر في نسخته الثانية أن هذا اللحن لقفا النجار
أخبار كعب الأشقري ونسبه
هو كعب بن معدان الأشاقر والأقار قبيلة من الأزد وأمه من عبد القيس شاعر فارس خطيب معدود في الشجعان من أصحاب المهلب والمذكورين في حروبه للأزارقة وأوفده المهلب إلى الحجاج وأوفده الحجاج إلى عبد الملك
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا أبي قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي عن قتادة قال سمعت الفرزدق يقول شعراء الإسلام أربعة أنا وجرير والأخطل وكعب الأشقري
أخبرني وكيع قال حدثني أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا أبي قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي عن المتلمس قال قلت للفرزدق
يا أبا فراس أشعرت أنه قد نبغ من عمان شاعر من الأزد يقال له كعب فقال الفرزدق إي والذي خلق الشعر
أنشد الحجاج عن وقعة الأزارقة
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد وأخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي واللفظ له وخبره أتم قال أوفد المهلب بن أبي صفرة كعبا الأشقري ومعه مرة بن التليد الأزدي إلى الحجاج بخبر وقعة كانت له مع الأزارقة فلما قدما عليه ودخلا داره بدر كعب بن معدان فأنشد الحجاج قوله
(يا حَفْصَ إنيِّ عداني عنكُم السَّفَرُ ... وقد سهرْتُ فأذَى عينيَ السَّهَرُ)
(عُلِّقتَ يا كعبُ بعد الشَّيب غانيةً ... والشيب فيه عن الأهواء مزدجرُ)
(أممسِكٌ أنتَ منها بالّذي عهدتْ ... أم حبلُها إذ نَأتْكَ اليومَ منبترُ)

(ذكرتُ خَوْداً بأعلى الطَّفِّ منزلُها ... في غُرفةٍ دونَها الأبوابُ والحجرُ)
(وقد تركتُ بشطِّ الزَّابِيَيْنِ لها ... داراً بها يسعد البادُون والحضَرُ)
(واخترتُ داراً بها قومٌ أُسِرٌّ بِهِمْ ... ما زال فيهم لمن تختارهم خِيَرُ)
(أبا سعيدٍ فإني سِرتُ مُنْتَجِعاً ... وطالبُ الخَيْرِ مُرْتاد ومنتظِرُ)
(لولا المهلَّب ما زُرْنا بلادَهُم ... ما دامَتِ الأرضُ فيها الماء والشجرُ)
((وما من الناس من حيٍّ علمتُهمُ ... إلاَّ يُرَى فيهمُ من سَيْبِكم أثَر
وهي قصيدة طويلة قد ذكرها الرواة في الخبر فتركت ذكرها لطولها يقول فيها
(فما يجاوز بابَ الجِسْرِ من أحدٍ ... قد عَضَّتِ الحربُ أهلَ المصر فانْجَحروا)
(كنّا نهوّن قبل اليوم شأنَهُم ... حتى تَفاقَمَ أمرٌ كانَ يُحْتَقَرُ)
(لمّا وَهَنَّا وقد حلُّوا بساحَتِنَا ... واستنفَرَ الناسُ تاراتٍ فما نَفَرُوا)
(نادى امرؤٌ لا خلافٌ في عشيرته ... عنه وليس به عن مثلها قِصَرُ)
حتى انتهى إلى قوله بعد وصفه وقائعهم مع المهلب في بلد بلد فقال
(خَبُّوا كَمِينَهم بالسَّفْحِ إذ نزلوا ... بكازَرُونَ فما عَزُّوا وما نَصَرُوا)
(باتَتْ كتائِبُنَا تَرْدِي مسوَّمةً ... حولَ المهلَّبِ حتى نوّر القمرُ)
(هناك ولَّوا خزايا بعد ما هُزِمُوا ... وحالَ دُونَهُمُ الأنهارُ والجُدُرُ)
(تأبى علينا حزازاتُ النفوس فما ... نُبقي عليهمْ ولا يُبقونَ إن قَدروا)
فضحك الحجاج وقال له إنك لمنصف يا كعب ثم قال الحجاج أخطيب أنت أم شاعر فقال شاعر وخطيب فقال له كيف كانت حالكم مع عدوكم قال كنا إذا لقيناهم بعفونا وعفوهم فعفوهم تأنيس منهم فإذا لقيناهم بجهدنا وجهدهم طمعنا فيهم قال فكيف كان بنو المهلب قال
حماة للحريم نهارا وفرسان بالليل أيقاظا قال فأين السماع من العيان قال السماع دون العيان قال صفهم رجلا رجلا قال المغيرة فارسهم وسيدهم نار ذاكية وصعدة عالية وكفى بيزيد فارسا شجاعا ليث غاب وبحر جم العباب وجوادهم قبيصة ليث المغار وحامي الذمار ولا يستحي الشجاع أن يفر من مدرك فكيف لا يفر من الموت الحاضر والأسد الخادر وعبد الملك سم ناقع وسيف قاطع وحبيب الموت الذعاف إنما هو طود شامخ وفخر باذخ وأبو عيينة البطل الهمام والسيف الحسام وكفاك بالمفضل نجدة ليث هدار وبحر موار ومحمد ليث غاب وحسام ضراب قال فأيهم أفضل قال هم كالحلقة المفرغة لا يعرف طرفاها قال فكيف جماعة الناس قال على أحسن حال أدركوا ما رجوا وأمنوا مما خافوا وأرضاهم العدل وأغناهم النفل قال فكيف رضاهم عن المهلب قال أحسن رضا وكيف لا يكونون كذلك وهم لا يعدمون منه رضا الوالد ولا يعدم منهم بر الولد قال فكيف فاتكم قطري قال
كدناه فتحول عن منزله وظن أنه قد كادنا قال فهلا تبعتموه قال حال الليل بيننا وبينه فكان التحرز إلى أن يقع العيان ويعلم امرؤ ما يصنع أحزم وكان الحد عندنا آثر من الفل فقال له المهلب كان أعلم بك حيث بعثك وأمر له بعشرة آلاف درهم وحمله على فرس وأوفده على عبد الملك بن مروان فأمر له بعشرة آلاف أخرى

عبد الملك بن مروان ينشد لكعب في المهلب وولده

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أبو عمرو بندار الكرجي قال حدثنا أبو غسان التميمي عن أبي عبيدة قال كان عبد الملك بن مروان يقول للشعراء تشبهوني مرة بالأسد ومرة بالبازي ومرة بالصقر ألا قلتم كما قال كعب الأشقري في المهلب وولده
(بَراكَ اللَّه حِينَ براكَ بَحْراً ... وفَجَّر مِنْكَ أنهاراً غِزارا)
(بنوكَ السابقون إلى المعالي ... إذا ما أعظمَ الناسُ الخِطارا)
(كأنَّهُمُ نجومٌ حولَ بَدْرٍ ... دَراريٌّ تَكَمَّل فاستَدَارا)
(ملوكٌ ينزلون بكلِّ ثَغْرٍ ... إذا ما الهامُ يومَ الرَّوْعِ طارا)
(رزانٌ في الأمور تَرى عليهم ... من الشَّيخ الشمائلَ والنجارا)
((نجومٌ يُهتَدَى بهمُ إذا ما ... أخو الظَّلْمَاء في الغَمَراتِ حارا
وهذه الأبيات من القصيدة التي أولها
(... طربتُ وهاج لي ذاك ادّكارا)
التي فيها الغناء

اتصل الهجاء بينه وبين زياد الأعجم

أخبرني محمد بن الحسين الكندي قال حدثنا غسان بن ذكوان الأهوازي قال ذكر العتبي أن زيادا الأعجم هاجى كعبا الأشقري واتصل الهجاء بينهما ثم غلبه زياد وكان سبب ذلك أن شرا وقع بين الأزد وبين عبد القيس وحربا سكنها المهلب وأصلح بينهم وتحمل ما أحدثه كل فريق على الآخر وأدى دياته فقال كعب يهجو عبد القيس
(إنِّي وإن كنتُ فرعَ الأزْد قد عَلموا ... أخْزَى إذا قيل عبْد القيس أخْوالي)
(فَهْمٌ أبو مالكٍ بالمجدِ شرَّفني ... ودنَّس العبدُ عبدُ القيس سِرْبَالي)
قال فبلغ قوله زيادا الأعجم فغضب وقال يا عجبا للعبد ابن العبد ابن الحيتان والسرطان يقول هذا في عبد القيس وهو يعلم موضعي فيهم والله
لأدعنه وقومه غرضا لكل لسان ثم قال يهجوه
(نُبِّئت أشقرَ تَهْجُونا فقلتُ لهمْ ... ما كنتُ أحسبهمْ كانوا ولا خلقوا)
(لا يَكْثُرونَ وإن طالت حياتُهم ... ولو يبول عليهمْ ثعلبٌ غَرِقُوا)
(قومٌ من الحَسَبِ الأدنى بمنزلةٍ ... كالفَقْع بالقاع لا أصْلٌ ولا وَرَقُ)
(إنَّ الأشاقرَ قد أضْحَوْا بمنزلة ... لو يُرْهَنُون بنَعْلَيِ عبدِنا غَلِقوا)
قال وقال فيه أيضا
(هل تسمَع الأزْدَ ما يقال لها ... في ساحة الدَّار أم بها صَمَمُ)
(اِختَتَنَ القومُ بعد ما هَرِمُوا ... واستعرَبُوا ضَلَّةً وهمْ عَجَمُ)

قال فشكاه كعب إلى المهلب وأنشده هذين البيتين وقال والله ما عنى بهما غيرك ولقد عم بالهجاء قومك فقال المهلب أنت أسمعتنا هذا وأطلقت لسانه فينا به وقد كنت غنيا عن هجاء عبد القيس وفيهم مثل زياد فاكفف عن ذكره فإنك أنت بدأته ثم دعا بزياد فعاتبه فقال أيها الأمير اسمع ما قال في وفي قومي فإن كنت ظلمته فانتصر وإلا فالحجة عليه ولا حجة على امرىء انتصر لنفسه وحسبه وعشيرته وأنشده قول كعب فيهم

(لعلَّ عُبيدَ القيسِ تحسَبُ أنَّها ... كتغلبَ في يومِ الحفيظةِ أو بَكرِ)

(يُضعضِعُ عبدَ القيس في النَّاس مَنصِب ... دنيءٌ وأحسابٌ جِبرنَ على كَسْرِ)

(إذا شاعَ أمرُ الناس وانشقَّت العصا ... فإنَّ لُكَيْزاً لا تَريشُ ولا تَبْرى

فقال المهلب قد قلت له أيضا قال لا والله ما انتصرت ولولاك ما قصرت وأي انتصار في قولي له

(يا أيُّها الجاهلُ الجاري ليُدْرِكَني ... أقْصِرْ فإنَّكَ إن أدركتَ مصروعُ)

(يا كعبُ لا تَكُ كالعَنْزِ الَّتي بَحَثتْ ... عن حَتْفِهَا وجَنابُ الأرض مَرْبُوعُ)

وقولي

(لئِن نصبتَ لي الرَّوْقين مُعْترضاً ... لأرمينَّكَ رَمْياً غيرَ ترفيعِ)

(إنَّ المآثر والأحسابَ أورثني ... منها المجاجيعُ ذِكْراً غيرَ مَوْضُوعِ)

هجاؤه لعمرو بن عبد القيس

يعني مجاعة بن مرة الحنفي ومجاعة بن عمرو بن عبد القيس فأقسم عليهما المهلب أن يصطلحا فاصطلحا وتكافا ومما هجا كعب الأشقري عبد القيس به قوله

(ثَوَى عامين في الجِيَفِ اللَّواتي ... مطرَّحة على باب الفصيل)

(أحَبُّ إليَّ من ظِلٍّ وكِنٍّ ... لعبد القيس في أصلِ الفَسِيل)

(إذا ثارَ الفُساءُ بهِم تغنَّوْا ... ألم تَربَعْ على الدِّمَن المُثولِ)

(تَظَلُّ لها ضَباباتٌ علينا ... موانعُ من مَبيتٍ أو مَقيلِ)

قال أبو الفرج ونسخت من كتاب للنضر بن حديد كانت ربيعة واليمن متحالفة فكان المهلب وابنه يزيد ينزلان هاتين القبيلتين في محلتهما فقال كعب الأشقري ليزيد

(لا ترجونَّ هِنائيّاً لصالحةٍ ... واجعلهمُ وهَداداً أسوةَ الحُمُرِ)

(حَيَّانِ ما لهما في الأزْدِ مأثُرَةٌ ... غيرُ النَّواكة والإفراطِ في الهذَرِ)

(واجعل لُكَيْزاً وراءِ الناسِ كلِّهمِ ... أهلَ الفُساءِ وأهلَ النَّتْنِ والقَذَرِ)

(قومٌ علينا ضَبابٌ من فُسائهمُ ... حتى ترانا له ميداً من السُّكُرِ)

(أبلغ يزيدَ بأنّا ليس ينْفعُنا ... عيشٌ رَغيدٌ ولا شيءٌ من العِطرِ)

(حتى تَحِلَّ لُكَيْزاً فوقَ مَدْرَجةٍ ... من الرِّياحِ على الأحياءِ مِنْ مُضَرَ)

(لِيأْخُذُوا لنزار حَظَّ سَبَّتِها ... كما أخذنا بحظِّ الحِلْفِ والصِّهرِ)

شعره في المهلب

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدثنا أبي قال كتب الحجاج بن يوسف إلى المهلب يأمره بمناجزة الأزارقة ويستبطئه ويضعفه ويعجزه في تأخيره أمرهم ومطاولتهم فقال المهلب لرسوله قل له إنما البلاء أن الأمر إلى من يملكه لا إلى من يعرفه فإن كنت نصبتني لحرب هؤلاء القوم على أن أدبرها كما أرى فإن أمكنتني الفرصة انتهزتها وإن لم تمكني توقفت فأنا أدبر ذلك بما يصلحه وإن أردت مني أن أعمل وأنا حاضر برأيك وأنت غائب فإن كان صوابا فلك وإن كان خطأ

فعلي فابعث من رأيت مكاني وكتب من فوره بذلك إلى عبد الملك فكتب إليه عبد الملك لا تعارض المهلب فيما يراه ولا تعجله ودعه يدبر أمره وقام الأشقري إلى المهلب فأنشده بحضرة رسول الحجاج

(إن ابنَ يوسفَ غرَّه من غزوكُمْ ... خفضُ المُقامِ بجانبِ الأمصارِ)

(لو شاهدَ الصَّفَّين حين تَلاَقيا ... ضاقت عليه رَحِيبةُ الأقطارِ)

(من أرضِ سابُورِ الجُنودِ وخَيْلُنَا ... مِثْلُ القِداحِ بَرَيْتَها بِشِفارِ)

(من كلِّ خنذيذٍ يُرى بلبانهِ ... وقْعُ الظُّباةِ مع القنا الخَطَّارِ)

(ورأى معاودَةَ الرِّباعِ غنيمةً ... أزمانَ كان محالفَ الإقتارِ)

(فدعِ الحروبَ لشِيبها وشَبابها ... وعليك كلَّ خريدةٍ مِعطارِ)

فبلغت أبياته الحجاج فكتب إلى المهلب يأمره بإشخاص كعب الأشقري إليه فأعلم المهلب كعبا بذلك وأوفده إلى عبد الملك من تحت ليلته وكتب إليه يستوهبه منه فقدم كعب على عبد الملك واستنشده فأعجبه ما سمع منه فأوفده إلى الحجاج وكتب إليه يقسم عليه أن يعفو عنه ويعرض عما بلغه من شعره فلما وصل إليه ودخل عليه قال إيه يا كعب

(... ورأى معاوَدَةَ الرِّباعِ غنيمةً)

فقال له أيها الأمير والله لقد وددت في بعض ما شاهدته في تلك الحروب وأزماتها وما يوردناه المهلب من خطرها أن أنجو منها وأكون حجاما أو حائكا فقال له الحجاج أولى لك لولا قسم أمير المؤمنين لما نفعك ما أسمع فالحق بصاحبك ورده من وقته

شعره حين هرب إلى عمان

قال أبو الفرج ونسخت من كتاب النضر بن حديد لمّا عزل يزيد بن المهلب عن خراسان ووليها قتيبة بن مسلم مدحه كعب الأشقري ونال من يزيد وثلبه ثم بلغته ولاية يزيد على خراسان فهرب إلى عمان على طريق الطبسين وقال

(وإنِّي تاركٌ مَرْواً ورائي ... إلى الطَّبَسَيْن معتامٌ عُمانا)

(لآوي معقِلاً فيها وحِرزاً ... فكُنّا أهل ثروتها زمانا)

فأقام بعمان مدة ثم اجتواها وساءت حاله بها فكتب إلى المهلب معتذرا

(بئس التبدُّل من مَرْوٍ وساكِنِها ... أرضُ عمانَ وسُكنى تحت أطوادِ)

(يُضحِي السحابُ مَطيراً دونَ مُنصِفِها ... كأنَّ أجبالَها غُلَّت بفِرصادِ)

(يا لهف نفسي على أمرٍ خطِلت به ... وما شفيتُ به غِمْري وأحقادي)

(أفنيتُ خمسين عاماً في مديحكُم ... ثم اغتررتُ بقول الظالم العادي)
(أبلغ يزيدَ قرينَ الجُود مألُكةً ... بأنَّ كعباً أسيرٌ بين أصفادِ)
(فإن عفوتَ فبيتُ الجودِ بيتُكُم ... والدهرُ طَوْران من غَيٍّ وإرشادِ)
(وإن مننْتَ بصفحٍ أو سمحتَ به ... نزعتُ نحوَكَ أطنابي وأوتادي)
وذكر المدائني أن يزيد بن المهلب حبسه ودس إليه ابن أخ له فقتله
شعره في مقتل بني الأهتم
قال أبو الفرج ونسخت من كتاب النضر أيضا أن الحجاج كتب إلى يزيد بن المهلب يأمره بقتل بني الأهتم فكتب إليه يزيد إن بني الأهتم أصحاب مقال وليسوا بأصحاب فعال فلا تقدر أن نحدث فيهم ضررا وفي قتلهم عار وسبة واستوهبهم منه فتغافل عنهم ثم انضموا إلى المفضل بن المهلب فكتب إليه الحجاج يأمره بقتلهم فكتب إليه بمثل ما كتب به أخوه فأعفاهم ثم ولى قتيبة بن مسلم فخرجوا إليه والتقوا معه وذكروا بني المهلب فعابوهم فقبلهم قتيبة واحتوى عليهم فكانوا يغرون الجند عليه ويحملونهم على سوء الطاعة فكتب يشكوهم إلى الحجاج فكتب إليه يأمره بقتلهم جميعا فقال كعب الأشقري في ذلك
(قل للأهاتم من يعود بفضْلِهِ ... بعد المفضَّل والأغرِّ يزيدِ)
(ردَّا صحائفَ حتْفِكم بمعاذرٍ ... رجعتْ أشائمَ طيرِكم بسعودِ)
(ردَّا على الحجّاج فيكمْ أمرَه ... فجزيتُم إحسانَه بجحودِ)
(فاليوم فاعتبروا فَعالَ أخيكُم ... إنَّ القياس لجاهل ورشيدِ)
قال أبو الفرج ونسخت من كتابه أيضا قال ولى يزيد بن المهلب رجلا من اليحمد يقال له عمرو بن عمير الزم فلقيه كعب الأشقري فقال له أنت شيخ من الأزد يوليك الزم ويولي ربيعة الأعمال السنية وأنشده
(لقد فَازتْ ربيعةُ بالمعالي ... وفازَ اليحمديُّ بعهْدِ زمِّ)
(فإن تَكُ راضياً منهمْ بهذا ... فزادَكَ ربُّنا غماً بغَمِّ)
(إذا الأزْدِيُّ وضَّحَ عارِضَاهُ ... وكانت أُمُّهُ مِنْ حيِّ جَرْمِ)
(فثَمَّ حماقةٌ لا شكَّ فيها ... مُقَابلةٌ فمن خالٍ وعمِّ)
فرد اليحمدي عهد يزيد عليه فحلف لا يستعمله سنة فلما أجحفت به المؤونة قال لكعب
(لو كنتَ خلّيتَني يا كعبُ متّكئاً ... في دُورِ زَمَّ لما أقفرتُ مِن عَلفِ)
(ومن نبيذٍ ومن لحمٍ أُعَلُّ به ... لكنَّ شِعرك أمرٌ كان من حرفِي)
(إنَّ الشقيَّ بمروٍ من أقام بها ... يُقارع السُّوقَ من بَيْعٍ ومن حَلِفِ)
أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدثني الرياشي عن الأصمعي قال قال كعب الأشقري يهجو زيادا الأعجم
(وأقلفَ صلّى بعد ما ناكَ أمَّه ... يرى ذاك في دِينِ المَجوس حَلالا)
فقال له زياد يابن النمامة أهي أخبرتك أني أقلف فغلبه زياد
والقصيدة التي أولها
(... طربتُ وهاج لي ذاك ادّكارا)
أبيات له فيها غناء
وفيه الغناء المذكور بذكره خبر كعب الأشقري يمدح بها المهلب بن أبي صفرة ويذكر قتاله الأزارقة وفيها يقول بعد الأبيات الأربعة التي فيها الغناء
(عَرِضْنَ بمجلسي وكرِهْنَ وَصْلِي ... أوانَ كُسِيتُ من شَمَطٍ عِذارا)
(زَرَيْنَ عليَّ حين بدَا مَشِيبي ... وصارت ساحَتِي للهمِّ دارا)
(أتاني والحديثُ له نَماءٌ ... مقالةُ جائر أحفى وجارا)
(سلوا أهلَ الأباطِحِ من قريشٍ ... عن العزِّ المؤيّدِ أين صارا)
(ومَنْ يحمي الثغورَ إذا استحرَّت ... حروبٌ لا يَنون لها غِرارا)
(لقومي الأزد في الغَمَراتِ أمضي ... وأوفَى ذِمَّةً وأعزُّ جارا)
(هُمُ قادوا الجِيادَ على وَجَاها ... من الأمصارِ يقذِفْنَ المِهارا)
(بكلِّ مفازة وبكلِّ سَهْبٍ ... بَسابِسَ لا يَرَوْنَ لها مَنارا)
((إلى كرمانَ يحملن المنايا ... بكلِّ ثنيّة يوقِدن نارا
(شوازب لم يصبن الثارَ حتى ... رددناها مكلَّمةً مِرارا)
(ويشجرن العوالي السُّمرَ حتَّى ... تَرَى فيها عنِ الأسَلِ ازورِارا)
(غداة تركن مصرعَ عبدِ ربٍّ ... يثِرْنَ عليه من رَهجٍ عِصارا)
(ويومَ الزحفِ بالأهوازِ ظِلْنا ... نروِّي منهمُ الأسَلَ الحِرارا)
(فقرَّت أعيُنٌ كانت حديثاً ... ولم يكُ نومها إلا غِرارا)
(صنائعنا السَّوابِغ والمذَاكي ... ومَن بالمِصر يحتلب العِشارا)
(فهنَّ يبحن كلَّ حِمًى عزيزٍ ... ويحمين الحقائقَ والذِّمارا)
(طُوالاتُ المُتونِ يُصَنَّ إلا ... إذا سار المهلَّب حيث سارا)
(فلولا الشَّيخ بالمِصْرين يَنْفِي ... عدوَّهُم لقد تركوا الديارا)
(ولكنْ قارع الأبطالَ حتى ... أصابوا الأمنَ واجتنبوا الفِرارا)
((إذا وَهَنوا وحلَّ بهمْ عظيم ... يدُقُّ العظمَ كان لهمْ جبارا
(ومبْهمَةٍ يحيد الناسُ عنها ... تَشُبُّ الموتَ شدَّ لها الإزارا)
(شِهابٌ تنجلي الظَّلماء عنه ... يَرى في كلِّ مبهمة منارا)
(بل الرحمنُ جارُكَ إذ وَهَنَّا ... يدفعكَ عن محارمِنا اختِيَارا)
(بَراكَ اللهُ حين بَراكَ بَحْرا ... وفجَّر منك أنهاراً غِزَارا)
وقد مضت هذه الأبيات متقدمة فيما سلف من أخبار كعب وشعره

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد الكراني قال حدثني العمري عن العتبي قال قال عبد الملك بن مروان يا معشر الشعراء تشبهوننا بالأسد الأبخر والجبل الوعر والملح الأجاج ألا قلتم كما قال كعب الأشقري في المهلب وولده
(لقد خاب أقوامٌ سَرَوْا ظُلَمَ الدُّجَى ... يَؤُمُّونَ عَمراً ذا الشعير وذا البُرِّ)
(يؤمُّونَ من نال الغِنَى بعد شَيْبه ... وقاسى وليداً ما يقاسِي ذوو الفقر)
(فقل لِلجيم يا لبكر بن وائل ... مقالةَ من يَلحَى أخاه ومن يُزْري)
(فلو كنتُم حياً صميماً نَفَيتم ... بخيلكمُ بالرَّغم منه وبالصُّغْر)
(ولكنَّكم يا آل بكرِ بن وائلٍ ... يسودُكُم من كان في المالِ ذا وَفْرِ)
(هو المانع الكلبَ النُّباحَ وضَيْفُهُ ... خَمِيصُ الحَشَا يرعَى النُّجومَ التي تَسْري)

سبب هجائه لأخيه

قال وكان بين كعب وبين ابن أخيه هذا تباعد وعداوة وكانت أمه سوداء فقال يهجوه
(إنَّ السواد الذي سُرْبِلت تعرفه ... ميراث جَدِّك عن آبائه النُّوبِ)
(أشبهتَ خالَكَ خالَ اللؤمِ مؤتَسِياً ... بِهَدْيهِ سالكاً في شرِّ أُسلُوبِ)
قال المدائني في خبره وكان ابن أخي كعب هذا عدوا له يسعى عليه فلما سأل مجزأة بن زياد بن المهلب أباه في كعب فخلاه دس إليه زياد بن المهلب ابن أخيه الشاعر وجعل له مالا على قتله فجاءه يوما وهو نائم تحت شجرة فضرب رأسه بفأس فقتله وذلك في فتنة يزيد بن المهلب وهو بعمان يومئذ وكان لكعب أخ غير أخيه الذي قتله ابنه فلما قتل يزيد بن المهلب فرق مسلمة بن عبد الملك أعماله على عمال شتى فولى البصرة وعمان عبد الرحمن بن سليمان الكلبي فاستخلف عبد الرحمن على عمان محمد بن جابر الراسبيّ فأخذ أخو كعب الباقي ابن أخيه الذي قتل كعبا فقدمه إلى محمد بن جابر وطلب القود منه بكعب فقيل له قتل أخوك بالأمس وتقتل قاتله وهو ابن أخيك اليوم وقد مضى أخوك وانقضى فتبقى فردا كقرن الأعضب فقال نعم إن أخي كعبا كان سيدنا وعظيمنا ووجهنا فقتله هذا وليس فيه خير ولا في بقائه عز ولا هو خلف من كعب فأنا أقتله به فلا خير في بقائه بعد كعب فقدّمه محمد بن جابر فضرب عنقه والله أعلم

مدح قتيبة بن مسلم وهجاء يزيد بن المهلب

أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي ولقيط وغيرهما قالوا حاصر يزيد بن المهلب مدينة خوارزم في أيام ولايته فلم يقدر على فتحها واستصعب عليه ثم عزل وولي قتيبة بن مسلم فزحف إليها فحاصرها ففتحها فقال كعب الأشقري يمدحه ويهجو يزيد بن المهلب بقوله
(رمتكَ فِيلٌ بما فيها وما ظَلَمَتْ ... من بعد ما رامها الفَجْفاجَةُ الصَّلِفُ)
(قيسٌ صريحٌ وبعضُ الناسِ يجمعهمْ ... قُرًى وريفٌ ومنسوبٌ ومُقترفُ)
(منهم شَنَاسٌ ومَرداذاءُ نَعرفه ... وفَسْخَراء قبورٌ حَشْوُها القُلُفُ)
(لم يركَبُوا الخيلَ إلا بعدما هَرِموا ... فهمْ ثِقالٌ على أكتافِها عُنُفُ)
قال الفيل الذي ذكره هو حصن خوارزم يقال له الكهندر والكهندر الحصن العتيق والفجفاجة الكثير الكلام وشناس اسم أبي صفرة فغيره وتسمى ظالما ومرداذاء أبو أبي صفرة وسموه بسراق لما تعربوا وفسخراء جده وهم قوم من الخوز من أهل عمان نزلوا الأزد ثم ادعوا أنهم صليبة صرحاء منهم

صوت

(لأسماءَ رسمٌ أصبح اليومَ دارساً ... وقفتُ به يوماً إلى الليل حابِسا)
((فجئنا بهيتٍ لا نري غيرَ منزلٍ ... قليل به الآثار إلاّ الروامِسا)
(يدورون بي في ظلّ كلّ كنيسةٍ ... فينسُونَني قومي وأهوَى الكنائِسَا)
البيت الأول من الشعر للعباس بن مرداس السلمي وبيت العباس مصراعه الثاني
(... توهّمتُ منه رَحْرَحَانَ فرائِسا)
وغيره يزيد بن معاوية فقال مكان هذا المصراع
(... وقفتُ به يوماً إلى الليل حابِسا)
والبيت الثاني للعباس بن مرداس والثالث ليزيد بن معاوية ذكر بعض الرواة أنه قاله على هذا الترتيب وأمر بديحا أن يغني فيه ففعل ولم يأت ذلك من جهة يوثق بها والصحيح أن الغناء لمالك خفيف ثقيل بالبنصر عن الهشامي ويحيى المكي وهذا صوت زعموا أن مالكا صنعه على لحن سمعه من الرهبان
أخبرني الحسن بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أحمد المكي عن أبيه عن سياط أن مالكا دخل مع الوليد بن يزيد ديرا فسمع لحنا من بعض الرهبان فاستحسنه فصنع عليه
(...ليس رسمٌ على الدَّفِينِ ببالي)
فلما غناه الوليد قال له الأول أحسن فعد إليه اللحن الثاني الذي لمالك ثقيل بالبنصر عن الهشامي وعمرو وأوله
(دَرَّ دَرُّ الشَّباب والشعر الأسوَد ... ِ والضامراتِ تحت الرحالِ)
(والخناذيذ كالقداح من الشوحط ... يحملن شِكّة الأبطالِ)

أخبار العباس بن مرداس ونسبه

العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ويكنى أبا الهيثم وإياه يعني أخوه سراقة بقوله يرثيه
(أعَيْنُ ألا أبكي أبا الهَيْثَمِ ... وأَذْرِي الدموعَ ولا تسأمي)
وهي أبيات تذكر في أخباره وأمه الخنساء الشاعرة بنت عمرو بن الشريد وكان العباس فارسا شاعرا شديد العارضة والبيان سيدا في قومه من كلا طرفيه وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ووفد إلى النبي فلما أعطى المؤلفة قلوبهم فضل عليه عيينة بن حصن والأقرع بن حابس فقام وأنشده شعرا قاله في ذلك فأمر بلالا فأعطاه حتى رضي وخبره في ذلك يأتي بعد هذا الموضع والله أعلم

خبره مع صنمه ضمار

أخبرني محمد بن جرير الطبري قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن منصور بن المعتمر عن قبيصة عن عمرو والخزاعي عن العباس بن مرداس بن أبي عامر أنه قال كان لأبي صنم اسمه ضمار فلما

حضره الموت أوصاني به وبعبادته والقيام عليه فعمدت إلى ذلك الصنم فجعلته في بيت وجعلت آتيه في كل يوم وليلة مرة فلما ظهر أمر رسول الله سمعت صوتا في جوف الليل راعني فوثبت إلى ضمار فإذا الصوت في جوفه يقول
(قل للقبائلِ من سُليمٍ كلِّها ... هلَكَ الأنِيسُ وعاشَ أهلُ المسجدِ)
(إن الذي وَرِثَ النبوّة والهدى ... بعد ابن مريمَ من قريشٍ مهتدي)
(أودَى الضِّمارُ وكان يعبَدُ مَرَّةً ... قبل الكتابِ إلى النبيّ محمدِ)
قال فكتمت الناس ذلك فلم أحدث به أحدا حتى انقضت غزوة الأحزاب فبينا أنا في إبلي في طرف العقيق وأنا نائم إذ سمعت صوتا شديدا فرفعت رأسي فإذا أنا برجل على حيالي بعمامة يقول إن النور الذي وقع بين الاثنين وليلة الثلاثاء مع صاحب الناقة العضباء في ديار بني أخي العنقاء فأجابه طائف عن شماله لا ابصره فقال بشر الجن وأجناسها أن وضعت المطي أحلاسها وكفت السماء أحراسها وأن يغص السوق أنفاسها قال
فوثبت مذعورا وعرفت أن محمدا رسول الله مصطفى فركبت فرسي وسرت حتى انتهيت إليه فبايعته وأسلمت وانصرفت إلى ضمار فأحرقته بالنار

خرج إلى النبي وأسلم

وقال أبو عبيدة كانت تحت العباس بن مرداس حبيبة بنت الضحاك بن سفيان السلمي أحد بني رعل بن مالك فخرج عباس حتى انتهى إلى إبله وهو يريد النبي فبات بها فلما أصبح دعا براعيه فأوصاه بإبله وقال له من سألك عني فحدثه أني لحقت بيثرب ولا أحسبني إن شاء الله تعالى إلا آتياً محمدا وكائنا معه فإني أرجو أن نكون برحمة من الله ونور فإن كان خيرا لم أسبق إليه وإن كان شرا نصرته لخؤولته على أني قد رأيت الفضل البين وكرامة الدنيا والآخرة في طاعته ومؤازرته واتباعه ومبايعته وإيثار أمره على جميع الأمور فإن مناهج سبيله واضحة وأعلام ما يجيء به من الحق نيرة ولا أرى أحدا من العرب ينصب له إلا أعطي عليه الظفر والعلو وأراني قد ألقيت علي محبة له وأنا باذل نفسي دون نفسه أريد بذلك رضا إله السماء والأرض قال ثم سار نحو النبي وانتهى الراعي نحو إبله فأتى امرأته فأخبرها بالذي كان من أمره ومسيره إلى النبي فقامت فقوضت بيتها ولحقت بأهلها فذلك حيث يقول عباس بن مرداس حين أحرق ضمارا ولحق بالنبي
((لَعَمْري إنِّي يومَ أجْعَلُ جاهداً ... ضِماراً لربِّ العالمين مُشارِكَا
(وتركي رسول اللّه والأوسُ حوله ... أولئك أنصار له ما أولئكا)
(كتارك سهلِ الأرضِ والحزنِ يبتغي ... ليَسلُك في غيب الأمور المسالكا)
(فآمنتُ باللّه الّذي أنا عبدُه ... وخالفتُ من أمسَى يريد الممالكا)
(وَوَجَّهتُ وجهي نحو مكّة قاصداً ... وتابعت بين الأخشبين المبَاركا)
(نبيٌّ أتانا بعدَ عيسى بناطق ... من الحقّ فيه الفضل منه كذلكا)
(أميناً على الفرقان أوّل شافع ... وآخر مبعوثٍ يجيب الملائكا)
(تَلافَى عُرا الإسلام بعد انفصامها ... فأحكَمها حتَّى أقام المَناسِكا)
(رأيتك يا خير البريّة كلّها ... توسَّطتَ في القربى من المجد مالكا)
(سبقتَهم بالمجد والجُود والعُلا ... وبالغاية القصوى تَفوت السَّنابكا)
(فأنتَ المصفَّى من قريش إذا سمتْ ... غَلاصِمُها تبغي القُروم الفواركا)
قال فقدم عباس على رسول الله المدينة حيث أراد المسير إلى مكة عام الفتح فواعد رسول الله قديدا
وقال القني أنت وقومك بقديد فلما نزل رسول الله قديدا وهو ذاهب لقيه عباس في ألف من بني سليم ففي ذلك يقول عباس بن مرداس
(بلِّغْ عبادَ اللّه أنَّ محمداً ... رسولَ الإله راشد أين يمّما)
(دعا قومَه واستنصر اللّهَ ربَّه ... فأصبح قد وافَى الإله وأنعما)
(عشيّة واعدنا قُدَيداً محمَّداً ... يؤُم بنا أمراً من اللّه مُحكَما)
(حلفت يميناً بَرَّةً لمحمَّد ... فأوفيته ألفاً من الخيل مُعلَما)
(سرايَا يراها اللّه وهو أميرُها ... يؤم بها في الدِّين من كان أظلَما)
(على الخيل مشدوداً علينا دُروعنا ... وخيلاً كدفَّاع الأتِيِّ عرمرما)
(أطعناك حتّى اسلم الناس كلهم ... وحتّى صبَحْنا الخيلَ أهل يَلَمْلَما)
وهي قصيدة طويلة

ارتحلت زوجته عنه بعد إسلامه

قال ولما عرف راعي العباس بن مرداس زوجته بنت الضحاك بن سفيان خبره وإسلامه قوضت بيتها وارتحلت إلى قومها وقالت تؤنبه
(ألم ينه عباس بن مِرْداسَ أنّني ... رأيت الورى مخصوصةً بالفجائع)
((أتاهمْ من الأنصارِ كلُّ سَمَيْدَعٍ ... من القوم يَحمِي قومَه في الوقائع
(بكلِّ شديد الوَقْعِ عضْبٍ يقودُه ... إلى الموت هامَ المُقربات البرائع)
(لَعَمري لئن تابعت دينَ محمد ... وفارقت إخوانَ الصَّفا والصنائع)
(لبدَّلت تلك النفسَ ذلاًّ بعِزَّة ... غداةَ اختلاف المُرهَفات القواطع)
(وقوم هم الرأس المقدَّم في الوغى ... وأهلُ الحِجا فينا وأهلُ الدَّسائع)
(سيوفُهُم عِزُّ الذَّليل وخيلُهم ... سِهامُ الأعادي في الأمور الفظائع)

خبر توزيع الغنائم من قبل النبي

فأخبرني أحمد بن محمد بن الجعد قال حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي قال حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب وأخبرني عمر بن إسماعيل بن أبي غيلان الثقفي قال حدثنا داود بن عمرو الضبي قال حدثنا محمد بن راشد عن ابن اسحاق وحدثنيه محمد بن جرير قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق وقد دخل حديث بعضهم في حديث بعض أن رسول الله قسم غنائم هوازن فأكثر العطايا لأهل مكة وأجزل القسم لهم ولغيرهم ممن خرج إلى حنين حتى إنه كان يعطي الرجل الواحد مائة ناقة والآخر ألف شاة وزوى كثيرا من القسم عن أصحابه

فأعطى الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن والعباس بن مرداس عطايا فضل فيها عيينة والأقرع على العباس فجاءه العباس فأنشده

((وكانت نِهاباً تلافيتُها ... بِكَرِّي على المُهْرِ في الأجرَع
(وإيقاظِي الحيَّ أن يرقُدوا ... إذا هجع القومُ لم أهجَع)
(فأصبحَ نَهبِي ونَهبُ العبيدِ ... بين عُيينةَ والأقرع)
(وقد كنتُ في الحرب ذا تُدْرَإٍ ... فلم أُعطَ شيئاً ولم أُمنَع)
(وما كان حصنٌ ولا حابسٌ ... يفوقان مرداسَ في مجمع)
(وما كُنْت دون امرئ منهما ... ومن تضع اليومَ لا يُرفع)

فبلغ قوله رسول الله فدعاه فقال له أنت القائل أصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة فقال أبو بكر بأبي أنت وأمي يا رسول الله لم يقل كذلك ولا والله ما أنت بشاعر ولا ينبغي لك الشعر وما أنت براويه قال فكيف قال فأنشده أبو بكر رضي الله عنه فقال هما سواء لا يضرك بأيهما بدأت بالأقرع أم بعيينة فقال رسول الله اقطعوا عني لسانه وأمر بأن يعطوه من الشاء والنعم ما يرضيه ليمسك فأعطي قال فوجدت الأنصار في أنفسها وقالوا نحن أصحاب موطن وشدة فآثر قومه علينا وقسم قسماً لم يقسمه لنا وما نراه فعل هذا الا وهو يريد الإقامة بين أظهرهم فلما بلغ قولهم رسول الله أتاهم في منزلهم فجمعهم وقال من كان ها هنا من غير الأنصار فليرجع إلى أهله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا معشر الأنصار قد بلغتني مقالة قلتموها وموجدة وجدتموها في أنفسكم ألم آتكم ضلالا فهداكم الله قالوا بلى

قال ألم آتكم قليلاً فكثركم الله قالوا بلى قال ألم آتكم أعداء فألف الله بين قلوبكم قالوا بلى

قال محمد بن إسحاق وحدثني يعقوب بن عيينة أنه قال ألم آتكم وأنتم لا تركبون الخيل فركبتموها قالوا بلى قال أفلا تجيبون يا معشر الأنصار قالوا لله ولرسوله علينا المن والفضل جئتنا يا رسول الله ونحن في الظلمات فأخرجنا الله بك إلى النور وجئتنا يا رسول الله ونحن على شفا حفرة من النار فأنقذنا الله وجئتنا يا رسول الله ونحن أذلة قليلون فأعزنا الله بك فرضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا

فقال أما والله لو شئتم لأجبتموني بغير هذا فقلتم جئتنا طريدا فآويناك ومخذولا فنصرناك وعائلا فأغنيناك ومكذبا فصدقناك وقبلنا منك ما رده عليك الناس لقد صدقتم

فقال الأنصار لله ولرسوله علينا المن والفضل ثم بكوا حتى كثر بكاؤهم وبكى رسول الله وقال يا معشر الأنصار وجدتم في أنفسكم في الغنائم أن آثرت بها ناسا أتألفهم على الإسلام ليسلموا ووكلتكم إلى الإسلام أولا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل وترجعوا برسول الله إلى رحالكم والذي نفس محمد بيده لو سلك الناس شعبا وسلك الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار ولولا الهجرة لكنت آمرأ من الأنصار ثم بكى القوم ثانية حتى أخضلوا لحاهم وقالوا رضينا يا رسول الله بالله وبرسوله حظا وقسما وتفرق القوم راضين وكانوا بما قال لهم رسول الله أشد اغتباطا من المال

وقال أبو عمرو الشيباني في هذا الخبر أعطى رسول الله جماعة من أشراف العرب عطايا يتألف بها قلوبهم وقومهم على الإسلام فأعطى كل رجل من هؤلاء النفر وهم أبو سفيان بن حرب وابنه معاوية وحكيم بن حزام والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى وصفوان بن أمية والعلاء بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى كل واحد من مخرمة بن نوفل وعمير بن وهب أحد بني عامر بن لؤي وسعيد بن يربوع ورجلا من بني سهم دون ذلك ما بين الخمسين وأكثر وأقل وأعطى العباس بن مرداس أباعر فتسخطها وقال الأبيات المذكورة فأعطاه حتى رضي

حدثنا وكيع قال حدثنا الكراني قال حدثنا عطاء بن مصعب عن عاصم بن الحدثان قال كتب عبد الملك بن مروان إلى عبد الله بن الزبير كتابا يتوعده فيه وكتب فيه

(إني لَعِندَ الحرب تحمل شِكَّتي ... إلى الرَّوْع جَرْداء السَّيَالة ضامرُ)

والشعر للعباس بن مرداس فقال ابن الزبير أبالشعر يقوي علي والله لا أجيبه إلا بشعر هذا الرجل فكتب إليه

(إذا فُرس العَوالي لم يخالجْ ... هُمومي غير نصرٍ واقترابِ)
(وإنّا والسَّوابحِ يومَ جُمْعٍ ... وما يتلو الرسولُ من الكتاب)
(هزمْنا الجمعَ جمعَ بني قِسِيٍّ ... وحكّت بَرْكَها ببني رئاب)

هذه الأبيات من قصيدة يفخر فيها العباس برسول الله

ونصره له وفيها يقول

(بذي لَجب رسولُ الله فيه ... كتيبتُه تعرَّضُ للضِّراب)
(ولو أدركن صِرم بني هلالٍ ... لآمَ نساؤهمْ والنَّقْع كابي)

خبر مقتل أخيه هريم

قال أبو عبيدة وكان هريم بن مرداس مجاورا في خزاعة في جوار رجل منهم يقال له عامر فقتله رجل من خزاعة يقال له خويلد وبلغ ذلك أخاه العباس بن مرداس فقال يحض عامرا على الطلب بثأر جاره فقال

(إذا كان باغٍ منكَ نالَ ظُلامةً ... فإنّ شفاء البغي سيفُك فافصِلِ)
(ونبّئت أن قد عوّضوك أباعراً ... وذلك للجيران غزل بمغزل)
(فخذها فليست للعزيز بنُصرةٍ ... وفيها متاعٌ لامرئ متذلّل)

وهذا البيت الأخير كتب به الوليد بن عقبة إلى معاوية لما دعاه علي عليه السلام إلى البيعة وتحدث الناس أنه وعده أن يوليه الشام إذا بايعه قال فلما بلغته هذه الأبيات آلى لا يصيب رأسه ولا جسده ماء بغسل حتى يثأر بهريم ثم إن أبا حليس النصري لقي خويلدا قاتل هريم فقتله فقال بنو نصر بؤ بدم فلان النصري كانت خزاعة قتلته فقال أبو الحليس لا بل هو بؤ بدم هريم بن مرداس وبلغ العباس فقال يمدحه بقوله

(أتاني من الأنباء أنّ ابنَ مالكٍ ... كفى ثائراً من قومه مَن تغَيَّبَا)
((وبَلقاك ما بين الخَميس خُويلدٌ ... أرى عَجَباً بل قتله كان أعجبا
(فِدًى لكَ أمِّي إذ ظَفِرتَ بقتلِه ... وأقسم أبغي عنكَ أمّاً ولا أبا)
(فمثلُكَ أدّى نُصرةَ القوم عَنوةً ... ومثلُك أعيا ذا السّلاح المجرّبَا)

شعره في خروجه لحرب بني نصر

قال أبو عبيدة أغارت بنو نصر بن معاوية على ناحية من أرض بني سليم فبلغ ذلك العباس بن مرداس فخرج إليهم في جمع من قومه فقاتلهم حتى أكثر فيهم القتل وظهرت عليهم بنو سليم وأسروا ثلاثين رجلا منهم وأخذت بنو نصر فرسا للعباس عائرة يقال لها زرة فانطلق بها عطية بن سفيان النصري وهو يومئذ رئيس القوم فقال في ذلك العباس
(أبى قومنا إلا الفرارَ ومن تكن ... هوازنُ مولاهِ من الناسِ يُظلِمِ)
(أغار علينا جمعُهمْ بين ظالمٍ ... وبين ابن عمٍّ كاذبِ الودِّ أيْهَمِ)
(كلابٌ وما تفعل كلابٌ فإنَّها ... وكعب سراة البيت ما لم تهدَّمِ)
(فإن كان هذا صُنعُكم فتجرَّدوا ... لألفينِ منَّا حاسرٍ ومُلأَّمِ)
(وحربٍ إذا المرءِ السَّمين تمرسَتْ ... بأعطافه بالسيف لم يترمرمِ)
((ولم أحتَسِبْ سفيانَ حتى لقيتُه ... على مأقط إذ بيننا عِطر مَنْشِمِ
(فقلت وقد صاح النساء خلالَهمْ ... لخيلي شُدِّي إنهم قومُ لَهذَمِ)
(فما كان تهليلٌ لُدن أن رميتُهم ... بزرَّةَ رَكْضاً حاسِراً غيرَ مُلجَمِ)
(إذا هي صدّت نحرَها عن رماحِهم ... أقدِّمها حتى تَنعَّلَ بالدمِ)
(وما زال منهم رائغٌ عن سبيلها ... وآخرُ يَهوي لليدينِ وللفم)
(لَدُن غُدوةً حتى استُبيحوا عشيّةً ... وذلّوا فكانوا لحمةَ المتلحِّمِ)
(فآبوا بها عُرْفاً وألقَيتُ كَلْكَلي ... على بَطَلٍ شاكي السِّلاح مكلَّم)
(ولن يمنع الأقوامَ إلاَّ مُشايحٌ ... يُطارِد في الأرض الفضاء ويرتمي)
قال ثم إن العباس بن مرداس جمع الأسارى من بني نصر وكانوا ثلاثين رجلا فأطلقهم وظن أنهم سيثيبونه بفعله وأن سفيان سيرد عليه فرسه زرة فلم يفعلوا فقال في ذلك
(أزرّة خيرٌ أم ثلاثون منكُم ... طليقاً رددناه إليكُم مسلَّما)
قال وجعل العباس يهجو بني نصر فبلغه أن سفيان بن عبد يغوث يتوعده في ذلك فلقيه عباس في المواسم فقال له سفيان والله لتنتهين أو لأصرمنك فقال عباس
((أتوعدني بالصَّرْم إن قلت اوفني ... فأوفِ وزِدْ في الصَّرم لِهزمَةَ النتن
وقال العباس أيضا فيه
(ألا مَن مُبلغ سُفيانَ عنِّي ... وظنّي أن سيبلغه الرسولُ)
(ومولاه عطيّة أنّ قِيلاً ... خلا منِّي وأن قد بات قِيلُ)
(سئمتمْ ربَّكمْ وكفرتموه ... وذلكُم بأرضكُم جميلُ)
(ألا تُوفي كما أوفَى شبيبٌ ... فحلّ له الولايةُ والشُّمولُ)
(أبوه كان خيركم وفاءً ... وخيركم إذا حُمِد الجميلُ)
(ألامِ على الهِجاء وكلّ يومٍ ... تلاقيني من الجيران غولُ)
(سأجعلها لأجمعَكم شعاراً ... وقد يَمضي اللسانُ بما يقولُ)
وهذه الأبيات من شعر العباس بن مرداس التي ذكرنا أخباره بذكرها وفيه الغناء المنسوب من قصيدة قالها في غزاة غزاها بني زبيد باليمن
شعره في خروجه على بني زبيد
قال أبو عمرو وأبو عبيدة جمع العباس بن مرداس بن أبي عامر وكان يقال للعباس مقطع الأوتاد جمعا من بني سليم فيه من جميع بطونها ثم خرج بهم حتى صبح بني زبيد بتثليث من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة فقتل فيها عددا كثيرا وغنم حتى ملأ يديه فقال في ذلك
(لأسماءَ رسمٌ أصبح اليومَ دارساً ... وقفتُ به يوماً إلى اللَّيل حابسَا)
يقول فيها
((فدعْ ذا ولكنْ هل أتاك مَقادنا ... لأعدائنا نزجي الثقالَ الكَوادِسا
(سموْنا لهم تسعاً وعشرين ليلةً ... نُجيزُ من الأعراض وَحشاً بَسابِسا)
(فلم أرَ مِثلَ الحيِّ حيّاً مصبَّحاً ... ولا مِثلَنا يوم التقَينا فوارسا)
(إذا ما شددْنا شدّةً نصَبوا لنا ... صدورَ المَذاكي والرماحَ المَداعِسا)
(وأحصَنَّا منهمْ فما يبلغوننا ... فوارسُ منَّا يحبسون المَحابسا)
(وجُرْدٌ كأنّ الأسد فوق متونها ... من القوم مرؤوساً كَمِيّاً ورائسا)
(وكنتُ أمامَ القوم أوّلَ ضاربٍ ... وطاعنتُ إذ كان الطِّعان مُخالسا)
(ولو مات منهمْ من جرحْنا لأصبحتْ ... ضِباعٌ بأكناف الأرَاكِ عرائسا)
فأجابه عمرو بن معد يكرب عن هذه القصيدة بقصيدة أولها
(لِمن طللٌ بالخَيْفِ أصبحَ دارساً ... تبدَّل آراماً وعِيناً كوانِسا)
وهي طويلة لم يكن في ذكرها مع أخبار العباس فائدة وإنما ذكرت هذه الأبيات من قصيدة العباس لأن الغناء المذكور في أولها
ونصره له وفيها يقول
(بذي لَجب رسولُ الله فيه ... كتيبتُه تعرَّضُ للضِّراب)
(ولو أدركن صِرم بني هلالٍ ... لآمَ نساؤهمْ والنَّقْع كابي)
خبر مقتل أخيه هريم
قال أبو عبيدة وكان هريم بن مرداس مجاورا في خزاعة في جوار رجل منهم يقال له عامر فقتله رجل من خزاعة يقال له خويلد وبلغ ذلك أخاه العباس بن مرداس فقال يحض عامرا على الطلب بثأر جاره فقال
(إذا كان باغٍ منك نالَ ظُلامةً ... فإنَّ شفاء البغي سيفُك فافصِلِ)
(ونبّئت أن قد عوّضوك أباعراً ... وذلك للجيران غزل بمغزل)
(فخذها فليست للعزيز بنُصرةٍ ... وفيها متاعٌ لامرئ متدلِّلِ)

وهذا البيت الأخير كتب به الوليد بن عقبة إلى معاوية لما دعاه علي عليه السلام إلى البيعة وتحدث الناس أنه وعده أن يوليه الشام إذا بايعه قال فلما بلغته هذه الأبيات آلى لا يصيب رأسه ولا جسده ماء بغسل حتى يثأر بهريم ثم إن أبا حليس النصري لقي خويلدا قاتل هريم فقتله فقال بنو نصر بؤ بدم فلان النصري كانت خزاعة قتلته فقال أبو الحليس لا بل هو بؤ بدم هريم بن مرداس وبلغ العباس فقال يمدحه بقوله
(أتاني من الأنباء أنّ ابنَ مالكٍ ... كفى ثائراً من قومه مَن تغَيَّبَا)
((ويَلْقاكِ ما بين الخَميس خُويلدٌ ... أرى عَجَباً بل قتله كان أعجبا
(فِدًى لك أمِّي إذ ظَفِرتَ بقتلِه ... وأقسم أبغي عنكَ أمّاً ولا أبا)
(فمثلُكَ أدَّى نُصرةَ القوم عَنوةً ... ومثلُك أعيا ذا السِّلاح المجرِّبَا)
شعره في خروجه لحرب بني نصر
قال أبو عبيدة أغارت بنو نصر بن معاوية على ناحية من أرض بني سليم فبلغ ذلك العباس بن مرداس فخرج إليهم في جمع من قومه فقاتلهم حتى أكثر فيهم القتل وظهرت عليهم بنو سليم وأسروا ثلاثين رجلا منهم وأخذت بنو نصر فرسا للعباس عائرة يقال لها زرة فانطلق بها عطية بن سفيان النصري وهو يومئذ رئيس القوم فقال في ذلك العباس
(أبى قومنا إلا الفِرارَ ومن تكن ... هوازنُ مولاهُ من الناسِ يُظلَمِ)
(أغار علينا جمعُهمْ بين ظالمٍ ... وبين ابن عمٍّ كاذبِ الودِّ أَيْهَمِ)
(كلاب وما تفعل كلابٌ فإنَّها ... وكعب سراةُ البيت ما لم تهدَّمِ)
(فإن كان هذا صُنعُكم فتجرَّدوا ... لألفين منَّا حاسرٍ ومُلأَّمِ)
(وحربٍ إذا المرءِ السَّمين تمرَّستْ ... بأعطافه بالسيف لم يترمرمِ)
((ولم أحتَسِبْ سُفيانَ حتى لقيتُه ... على مأقط إذ بيننا عِطرِ مَنْشِمِ
(فقلت وقد صاح النساء خلالَهمْ ... لخيلي شُدِّي إنهم قومُ لَهذَمِ)
(فما كان تهليلٌ لُدن أن رميتُهم ... بزرَّةَ رَكْضاً حاسِراً غيرَ مُلجَمِ)
(إذا هي صدّت نحرَها عن رماحِهم ... أُقدِّمها حتى تَنعَّل بالدمِ)
(وما زال منهم رائغٌ عن سبيلها ... وآخرُ يهوي لِليدين وللفمِ)
(لَدُن غُدوةً حتى استُبيحوا عشيّةً ... وذَلّوا فكانوا لحْمَة المتلحِّمِ)
(فآبوا بها عُرْفاً وألقَيتُ كَلْكَلِي ... على بَطَلٍ شاكي السِّلاح مكلَّمِ)
(ولن يمنع الأقوام إلاَّ مُشايحٌ ... يُطارِد في الأرض الفضاء ويرتمي)
قال ثم إن العباس بن مرداس جمع الأسارى من بني نصر وكانوا ثلاثين رجلا فأطلقهم وظن أنهم سيثيبونه بفعله وأن سفيان سيرد عليه فرسه زرة فلم يفعلوا فقال في ذلك
(أزرّة خيرٌ أم ثلاثون منكُم ... طليقاً رددناه إليكُمْ مسلَّما)
قال وجعل العباس يهجو بني نصر فبلغه أن سفيان بن عبد يغوث يتوعده في ذلك فلقيه عباس في المواسم فقال له سفيان والله لتنتهين أو لأصرمنك فقال عباس
((لدى الخصم إذ عند الأمير كَفاهُم ... فكان إليه فصلُها وجدالُها
(ومُعضِلة للحاملين كفيتها ... إذا أنهلت هُوج الرياح طِلالُها)
وقد روى العباس بن مرداس عن النبي ونقل عنه الحديث
حدثنا الحسين بن الطيب الشجاعي البلخي بالكوفة قال حدثنا أيوب بن محمد الطلحي قال حدثنا عبد القاهر بن السري السلمي قال حدثنا عبد الله بن كنانة بن عباس بن مرداس السلمي أن أباه حدثه عن جده عباس بن مرداس أن النبي دعا لأمته عشية عرفة قال فأجيب لهم بالمغفرة إلا ما كان من مظالم العباد بعضهم لبعض قال فإني آخذ للمظلوم من الظالم قال أي رب إن شئت أعطيت للمظلوم من الجنة وغفرت للظالم فلم يجب في حينه فلما أصبح في المزدلفة أعاد الدعاء فأجيب لهم بما سأل فضحك النبي أو تبسم فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه بأبي أنت وأمي إن هذه لساعة ما كنت تضحك فيها أو تبسم فقال إن إبليس لما علم أن الله غفر لأمتي جعل يحثو التراب على رأسه ويدعو بالويل والثبور فضحكت من جزعه
تمت أخبار العباس
صوت
(ارجوكَ بعد أبي العبَّاس إذ بانا ... يا أكرمَ الناس أعراقاً وعِيداناً)
(أرجوك من بعدِهِ إذ بان سيِّدنا ... عنَّا ولولاك لاستسلمت إذ بانا)
((فأنت أكرمُ من يمشي على قدم ... وأنضرُ الناس عند المحَلْ أغصانا
(لو مَجّ عُودٌ على قومٍ عُصارَته ... لمجّ عودُك فينا المِسكَ والبانا)
الشعر لحماد عجرد والغناء لحكم الوادي ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالبنصر في مجراها
أخبار حماد عجرد ونسبه
هو حماد بن يحيى بن عمر بن كليب ويكنى أبا عمر مولى بني عامر بن صعصعة وذكر ابن النطاح أنه مولى بني سراة وذكر سليمان بن أبي شيخ عن صالح بن سليمان أنه مولى بني عقيل واصله ومنشؤه بالكوفة وكان يبري النبل وقيل بل أبوه كان نبالا ولم يتكسب هو بصناعة غير الشعر
وقال صالح بن سليمان كان عم لحماد عجرد يقال له مؤنس بن كليب وكانت له هيئة وابن عمه عمارة بن حمزة بن كليب إنتقلوا عن الكوفة ونزلوا واسطا فكانوا بها وحماد من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية إلا أنه لم يشتهر في أيام بني أمية شهرته في ايام بني العباس وكان خليعا ماجنا متهما في دينه مرميا بالزندقة
هجاء بشار له
أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال قال أبو دعامة حدثني عاصم بن أفلح بن مالك بن أسماء قال كان يحيى أبو حماد عجرد مولى لبني هند بنت أسماء بن خارجة وكان وكيلا لها في ضيعتها بالسواد فولدت هند من بشر بن مروان عبد الملك بن بشر فجر عبد الملك ولاء موالي
أمه فصاروا مواليه قال ولما كان والد حماد عجرد بالسواد في ضيعتها نبطه بشار لما هجاه بقوله

(واشدُدْ يديك بحمّاد أبي عُمرٍ ... فإنَّه نَبَطِيٌّ من زنابير)
قال وإنما لقبه بعجرد عمرو بن سندي مولى ثقيف لقوله فيه
(سَبَّحَتْ بغلةٌ ركبتَ عليها ... عَجَباً منك خَيبةً للمَسِير)
(زعمتْ أنها تراهُ كبيراً ... حَمِلها عجرد الزِّنا والفُجور)
(إن دهراً ركِبتَ فيه على بَغْلٍ وأوقفْته بباب الأمير)
(لجديرٌ ألاَّ نَرى فيه خيراً ... لصغير منَّا ولا لِكَبير)
(ما امرؤ ينْتَقِيك يا عُقْدةَ الكَلْبِ ... لأسراره بجدٍّ بَصِير)
(لا ولا مجلسٌ أجَنَّك للذَّاتِ ... يا عَجْرَدَ الخَنَا بستَير)
يعني بهذا القول محمد بن أبي العباس السفاح وكان عجرد في ندمائه فبلغ هذا الشعر أبا جعفر فقال لمحمد ما لي ولعجرد يدخل عليك لا يبلغني أنك أذنت له قال وعجرد مأخوذ من المعجرد وهو العريان في اللغة يقال تعجرد الرجل إذا تعرى فهو يتعجرد تعجردا وعجردت الرجل أعجرده عجردة إذا عريته

هو واحد من ثلاثة حمادين كانوا يتنادمون على الشراب

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة ونسخت من كتاب عبد الله بن المعتز حدثني الثقفي عن إبراهيم بن عمر العامري قال كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمادون حماد عجرد وحماد الراوية وحماد بن الزبرقان يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرة جميلة وكانوا كأنهم نفس واحدة يرمون بالزندقة جميعا وأشهرهم بها حماد عجرد
أخبرنا الفضل بن الحباب الجمحي أبو خليفة إجازة عن التوزي أن حمادا لقب بعجرد لأن أعرابيا مر به في يوم شديد البرد وهو عريان يلعب مع الصبيان فقال له تعجردت يا غلام فسمي عجردا
قال أبو خليفة المتعجرد المتعري والعجرد أيضا الذهب

سبب مهاجاة بشار

أخبرني أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى عن علي بن مهدي عن عبد الله بن عطية عن عباد بن الممزق وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال كان السبب في مهاجاة حماد عجرد بشارا أن حمادا كان نديما لنافع بن عقبة فسأله بشار تنجز حاجة له من نافع فأبطأ عنها فقال بشار فيه
(مواعيدُ حَمّادٍ سماءٌ مُخيلةٌ ... تَكشّفُ عن رعد ولكن ستَبْرُقُ)
(إذا جئتَه يوماً أحالَ على غدٍ ... كما وعد الكمُّون ما ليس يصدقُ)
(وفي نافع عنّي جَفاءٌ وإنّني ... لأُطرقُ أحيانا وذو اللُّبّ يُطرق)
(وللنَّقرَى قومٌ فلو كنتُ منهمُ ... دُعيتُ ولكن دوني البابُ مغلقُ)
(أبا عُمَرٍ خَلَّفْتُ خلفَكَ حاجتي ... وحاجةُ غيري بين عينيك تَبْرُقُ)
(وما زلتُ أستأنيك حتى حسرتَني ... بوعدٍ كجاري الآلِ يَخفَى ويخفقُ)
قال فغضب حماد وأنشد نافعا الشعر فمنعه من صلة بشار فقال بشار
(أبا عُمَرٍ ما في طِلابيكَ حاجةٌ ... ولا في الَّذي مَنَّيتنا ثمّ أصحرا)
(وَعَدْتَ فلم تَصدُق وقلتَ غداً غداً ... كما وُعِدَ الكَمُّون شِرْباً مؤخَّرا)
قال فكان ذلك السبب في التهاجي بين بشار وحماد
رمي بالزندقة لمجونه
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أبو إسحاق الطلحي قال حدثني أبو سهيل قال حدثني أبو نواس قال كنت أتوهم أن حماد عجرد إنما رمي بالزندقة لمجونه في شعره حتى حبست في حبس الزنادقة فإذا حماد عجرد إمام من أئمتهم وإذا له شعر مزاوج بيتين بيتين يقرؤون به في صلاتهم قال وكان له صاحب يقال له حريث على مذهبه وله يقول بشار حين مات حماد عجرد على سبيل التعزية له
(بَكَى حُريثٌ فوقَّره بتعزيَةٍ ... مات ابن نِهْيَا وقد كانا شريكَيْن)
(تَفَاوَضَا حين شابَا في نسائهما ... وحَلَّلاَ كلَّ شيءٍ بين رِجْلَيْن)
(أمْسَى حُريثٌ بما سدّى له غَيراً ... كراكب اثنين يرجو قوّةَ اثنين)
(حتى إذا أخذَا في غير وجهِهِما ... تفرّقا وهوًى بين الطَّريقَيْن)
يعني أنه كان يقول بقول الثنوية في عبادة اثنين فتفرق وبقي بينهما حائرا قال وفي حماد يقول بشار أيضا وينسبه إلى أنه ابن نهيا
(يابن نِهْيَا رأسٌ عليَّ ثقيلُ ... واحتمالُ الرؤوس خَطْبٌ جليلُ)
(أُدْعُ غيري إلى عبادة الأثْنَيْن ... فإنّي بواحدٍ مشغولُ)
(يابن نِهْيَا برئتُ منك إلى اللهِ ... جهاراً وذاك منّي قليلُ)
قال فأشاع حماد هذه الأبيات لبشار في الناس وجعل فيها مكان فإني بواحد مشغول فإني عن واحد مشغول ليصحح عليه الزندقة والكفر بالله تعالى فما زالت الأبيات تدور في أيدي الناس حتى انتهت إلى بشار فاضطرب منها وتغير وجزع وقال اشاط ابن الزانية بدمي والله ما قلت إلا فإني بواحد مشغول فغيرها حتى شهرني في الناس بما يهلكني
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثني صالح بن سليمان الخثعمي قال قيل لعبد الله بن ياسين إن بشارا المرعث هجا حماد فنبطه فقال عبد الله قد رأيت جد حماد وكان يسمّى كليبا وكانت صناعته صناعة لا يكون فيها نبطي كان يبري النبال ويريشها وكان يقال له كليب النبال مولى بني عامر بن صعصعة

أخباره مع بشار بن برد

أخبرني أحمد بن العباس العسكري المؤدب قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني أحمد بن خلاد قال كان بشار صديقا لسليم بن سالم مولى بني سعد وكان المنصور أيام استتر بالبصرة نزل على سليم بن سالم فولاه أبو جعفر حين أفضى الأمر إليه السوس وجنديسابور فانضم إليه حماد عجرد فأفسده على بشار وكان له صديقا فقال بشار يهجوهما
(أمسَى سُلَيم بأرضِ السُّوس مُرْتَفِقاً ... في خَزِّها بعدَ غِرْبالٍ وأمدادِ)
(ليس النعيم وإن كُنَّا نُزَنّ به ... إلاَّ نعيم سُلَيم ثمّ حمّادِ)

(نِيكَا وناكَا ولم يَشعُر بِذَا أحدٌ ... في غفلةٍ من نبيّ الرَّحمة الهادي)
فنشب الشر بين حماد وبشار
أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه عن عمر بن شبه عن أبي أيوب الزبالي قال كان رجل من أهل البصرة يدخل بين حماد
وبشار على اتفاق منهما ورضا بأن ينقل إلى كل واحد منهما وعنه الشعر فدخل يوما إلى بشار فقال له إيه يا فلان ما قال ابن الزانية في فأنشده
(إنْ تاهَ بشّارٌ عليكُمْ فقدْ ... أمْكَنْتُ بشّاراً من التِّيهِ)
فقال بشار بأي شيء ويحك فقال
(وذاكَ إذ سَمَّيْتُه باسمه ... ولم يكن حرٌّ يسمِّيهِ)
فقال سخنت عينه فبأي شيء كنت أعرف إيه فقال
(فصارَ إنساناً بذكرى له ... ما يبتَغي من بعد ذِكريهِ)
فقال ما صنع شيئا إيه ويحك فقال
(لم أهجُ بشّاراً ولكنَّني ... هجوتُ نفسي بهِجائِيهِ)
فقال على هذا المعنى دار وحوله حام إيه أيضا وأي شيء قال فأنشده
(أنتِ ابنِ برد مِثْلُ بُرْدٍ ... في النَّذالةِ والرَّذَالَهْ)
(منْ كَانَ مثلَ أبيكَ يا ... أعمى أبوهُ فلا أبَا لَهْ)
فقال جود ابن الزانية وتمام الأبيات الأول
(لم آتِ شيئاً قطُّ فيما مضى ... ولستُ فيما عِشتُ آتيهِ)
(أسوأَلي في الناسِ أحدوثةً ... من خطأٍ أخطأتُهُ فيهِ)
(فأصبحَ اليومَ يسَبِّي له ... أعظمَ شأناً من مَوالِيهِ)
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة عن خلاد الأرقط قال أنشد بشارا راويته قول عجرد فيه
((دُعيتَ إلى بُرْدٍ وأنت لغيرِهِ ... فَهَبْكَ ابن بُرْدٍ نكتَ أمَّكَ مَنْ بُرْدُ)
فقال بشار لراويته ها هنا أحد قال لا فقال أحسن والله ما شاء ابن الزانية
أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن يزيد المهلبي قال حدثني محمد بن عبد الله بن أبي عيينة قال قال حماد عجرد لما أنشد قول بشار فيه
(يا ابنَ نِهْيَا رأسٌ عليَّ ثقيلٌ ... واحتمالُ الرأسينِ أمرٌ جليلُ)
(فادعُ غيري إلى عبادة ربَّينِ ... فإنِّي بواحدٍ مشغولُ)
والله ما أبالي بهذا من قوله وإنَّما يغيظني منه تجاهلُهُ بالزندقة يوهم الناس أنه يظن أن الزنادقة تعبد رأسا ليظن الجهال أنه لا يعرفها لأن هذا قول تقوله العامة لا حقيقة له وهو والله أعلم بالزندقة من ماني
أخبرني أحمد بن عبد العزيز وأحمد بن عبيدالله بن عمار وحبيب بن نصر المهلبي قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو أيوب الزبالي قال قال بشار لراوية حماد ما هجاني به اليوم حماد فأنشده
(ألا مَن مُبلغٌ عنِّي الذي ... والدهُ بُرْدُ)
فقال صدق ابن الفاعلة فما يكون فقال
((إذا ما نُسبَ الناسُ ... فلا قَبْلٌ ولا بَعْدُ
فقال كذب ابن الفاعلة وأين هذه العرصات من عقيل فما يكون فقال
(وأعمَى قَلْطَبَانٌ ما ... على قاذِفِه حَدُّ)
فقال كذب ابن الفاعلة بل عليه ثمانون جلدة هيه فقال
(وأعمَى يشبه القِرْدَ ... إذا ما عَمِيَ القِرْدُ)
فقال والله ما أخطأ ابن الزانية حين شبهني بقرد حسبك حسبك ثم صفق بيديه وقال ما حيلتي يراني فيشبهني ولا أراه فأشبهه
وقال أخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ فذكر مثله وقال فيه لما قال حماد عجرد في بشار
(شبيهُ الوجهِ بالقردِ ... إذا ما عَمِيَ القِردُ)
بكى بشار فقال له قائل أتبكي من هجاء حماد فقال والله ما ابكي من هجائه ولكن أبكي لأنه يراني ولا أراه فيصفني ولا أصفه قال وتمام هذه الأبيات
(ولو يَنْكَهُ في صَلْدٍ ... صَفاً لا نصدعَ الصَّلْدُ)
(دنِيٌّ لم يرُح يوماً ... إلى مَجْدٍ ولم يَغْدُ)
(ولم يحضرْ مع الحُضّار ... في خيرٍ ولم يَبْدُ)
(ولَم يُخشَ له ذَمٌّ ... ولم يُرجَ له حَمْدُ)
((جَرَى بالنَّحسِ مذ كان ... ولَمْ يَجْرِ لَهُ سَعْدُ
(هو الكلب إذا ما ماتَ ... لم يوجَد له فَقدُ)
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني خلاد الأرقط قال أشاع بشار في الناس أن حماد عجرد كان ينشد شعرا ورجل بإزائه يقرأ القرآن وقد اجتمع الناس عليه فقال حماد علام اجتمعوا فوالله لما اقول أحسن مما يقول قال وكان بشار يقول لما سمعت هذا من حماد مقته عليه
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال أخبرني أبو إسحاق الطلحي قال حدثني أبو سهيل عبد الله بن ياسين أن بشارا قال في حماد عجرد وسهيل بن سالم وكان سهيل من أشراف أهل البصرة وكان من عمال المنصور ثم قتله بعد ذلك بالعذاب وكان حماد وسهيل نديمين
(ليس النعيمُ وإن كُنَّا نُزَنُّ به ... إلاّ نعيم سُهَيْلٍ ثمّ حَمَّادِ)
(نَاكَا ونِيكَا إلى أن لاَحَ شَيْبُهما ... في غفلةٍ عن نبيّ الرحمةِ الهادي)

(فَهِدَيْن طوراً وفَهّادين آونةً ... ما كانَ قبلَهما فَهْدٌ بفَهَّادِ)
(سبحانك اللّهُ لو شئتَ امتَسَخْتَهُما ... قِرِدَين فاعْتَلَجَا في بيت قَرَّادِ)
قال يعني بقوله ما كان قبلهما فهد بفهاد أي لم يكن الفهد فهادا كما تقول لم يكن زيد بظريف ولم يكن زيد ظريفا قال ابن ياسين وفيه يقول بشار أيضا
(ما لُمتُ حَمّاداً على فِسقِهِ ... يلومه الجاهِلُ والمائِقُ)
(وما هما من أيْرِهِ واستِهِ ... مَلّكه إياهُما الخالِقُ)
(ما بات إلاّ فوقه فاسقٌ ... يَنيكُه أو تحتَهُ فاسقُ)
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال أنشدني ابن أبي سعد لحماد عجرد في بشار قال وهو من أغلظ ما هجاه به عليه
(نهارُهُ أخبثُ من ليلِهِ ... ويومُه أخبثُ من أمسِهِ)
(وليس بالمُقْلِع عن غَيِّه ... حتى يُوارَى في ثَرَى رَمْسِهِ)
قال وكان أغلظَ على بشار من ذلك كله وأوجعه له قوله فيه
(لو طُليتْ جلدتُه عنبراً ... لأفسدتْ جلدتُه العنبَرا)
(أو طُليتْ مِسكاً ذكيّاً إذاً ... تحوَّل المسكُ عليه خَرَا)
قال ابن أبي سعد وقد بالغ بشار في هجاء حماد ولكن حكم الناس عليه لحماد بهذه الأبيات
اتصاله بالربيع بن يونس وزير المنصور
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني أحمد بن إسحاق قال حدثني عثمان بن سفيان العطار قال اتصل حماد عجرد بالربيع يؤدب ولده فكتب إليه بشار رقعة فأوصلت إلى الربيع فطرده لما قرأها وفيها مكتوب
(يا أبا الفضل لا تَنَمْ ... وقعَ الذئبُ في الغنَمْ)
(إنَّ حمّادَ عَجْرَدٍ ... إنْ رأى غفلةً هَجَمْ)
(بين فَخْذَيْهِ حَرْبَةٌ ... في غِلافٍ من الأدَمْ)
(إنْ خَلاَ البيتُ ساعةً ... مَجْمَجَ الميمَ بالقَلَمْ)
فلما قرأها الربيع قال صيرني حماد دريئة الشعراء أخرجوا عني حمادا فأخرج
أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة عن علي بن مهدي عن عبد الله بن عطية عن عباد بن الممزق أن حماد عجرد كان يؤدب ولد العباس بن محمد الهاشمي فكتب إليه بشار بهذه الأبيات المذكورة فقال العباس ما لي ولبشار أخرجوا عني حمادا فأخرج
أخبرني يحيى بن علي قال حدثني محمد بن القاسم قال حدثني عبد الله بن طاهر بن أبي أحمد الزبيري قال لما أخرج العباس بن محمد حمادا عن خدمته وانقطع عنه ما كان يصل إليه منه أوجعه ذلك فقال يهجو بشارا
(لقد صار بشَّار بصيراً بِدُبْره ... وناظِرُه بين الأنام ضَريرُ)
(له مُقلةٌ عمياءُ واستٌ بصيرةٌ ... إلى الأيْرِ من تَحْتِ الثيابِ تشيرُ)
(على وُدِّهِ أن الحمير تَنيكُهُ ... وأنَّ جميعَ العالمينَ حَميرُ)
قال أبو الفرج الأصبهاني وقد فعل مثل هذا بعينه حماد عجرد بقطرب
أخبرني عمي عن عبد الله بن المعتز قال حدثني أبو حفص الأعمى المؤدب عن الربالي قال اتخذ قطرب النحوي مؤدبا لبعض ولد المهدي وكان حماد عجرد يطمع في أن يجعل هو مؤدبه فلم يتم له ذلك لتهتكه وشهرته في الناس بما قاله فيه بشار فلما تمكن قطرب في موضعه صار حماد عجرد كالملقى على الرضف فجعل يقوم ويقعد بقطرب في الناس ثم أخذ رقعة فكتب فيها
(قل للإمامِ جزاكَ اللّه صالِحَةً ... لا تَجْمَعَ الدّهرَ بين السَّخْلِ والذيبِ)
(السَّخْلُ غِرٌّ وهمُّ الذئبِ فُرْصَتُه ... والذئب يعلم ما في السَّخْلِ من طِيبِ)
فلما قرأ هذين البيتين قال انظروا لا يكون هذا المؤدب لوطيا ثم قال إنفوه عن الدار فأخرج عنها وجيء بمؤدب غيره ووكل به تسعون خادما يتناوبون يحفظون الصبي فخرج قطرب هاربا مما شهر به إلى عيسى بن إدريس العجلي بن أبي دلف فأقام معه بالكرج إلى أن مات
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال لما قال حماد عجرد في بشار
(ويا أقبحَ من قِرْدٍ ... إذا ما عَمِىَ القِردُ)
قال بشار لا إله إلا الله قد والله كنت أخاف أن يأتي به والله لقد وقع لي هذا البيت منذ أكثر من عشرين سنة فما نطقت به خوفا من أن يسمع فأهجى به حتى وقع عليه النبطي ابن الزانية
كتابه إلى أبي حنيفة
قال أبو الفرج نسخت من كتاب عبد الله بن المعتز حدثني العجلي قال حدثني أبو دهمان قال كان أبو حنيفة الفقيه صديقا لحماد عجرد فنسك أبو حنيفة وطلب الفقه فبلغ فيه ما بلغ ورفض حمادا وبسط لسانه فيه فجعل حماد يلاطفه حتى يكف عن ذكره وأبو حنيفة يذكره فكتب إليه حماد بهذه الأبيات
(إن كان نسكُكَ لا يتمّ ... بغير شَتمي وانتقاصي)
(أو لم تكن إلاّ به ... ترجو النجاة من القصاص)
(فاقعد وقم بي كيف شئتَ ... مع الأداني والأقاصي)
(فلطالما زكّيْتَني ... وأنا المقيم على المعاصي)
(أيّام تَأخذها وتُعطِي ... في أباريق الرَّصاص)
قال فأمسك أبو حنيفة رحمه الله بعد ذلك عن ذكره خوفا من لسانه
وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف وكيع قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن النضر بن حديد قال كان حماد عجرد صديقا ليحيى بن زياد وكانا يتنادمان ويجتمعان على ما يجتمع عليه مثلهما ثم إن يحيى بن
زياد أظهر تورعا وقراءة ونزوعا عما كان عليه وهجر حمادا وأشباهه فكان إذا ذكر عنده ثلبه وذكر تهتكه ومجونه فبلغ ذلك

حمادا فكتب إليه
(هل تذكرنْ دَلَجي إليكَ ... على المضمرَّة القِلاصِ)
(أيّام تعطيني وتأخُذ ... من أباريقِ الرَّصاصِ)
(إن كان نسكُكَ لا يتمّ ... بغير شتْمي وانتقاصي)
(أو كنتَ لستَ بغيرِ ذاكَ ... تنالُ منزلةَ الخَلاصِ)
(فعليك فاشتمْ آمِناً ... كلَّ الأمان من القِصاصِ)
(واقعد وقمْ بي ما بدا ... لك في الأداني والأقاصي)
(فلَطالما زكَّيتَني ... وأنا المقيمُ على المعاصي)
(أيّام أنتَ إذا ذُكِرْتُ ... مناضِلٌ عني مُناصِي)
(وأنا وأنت على ارتكابِ ... المُوبِقاتِ من الحِراصِ)
(وبنا مواطِنُ مابُنافي ... البِرَّ آهلةُ العِراصِ)
فاتصل هذا الشعر بيحيى بن زياد فنسب حمادا إلى الزندقة ورماه بالخروج عن الإسلام فقال حماد فيه
(لا مؤمِنٌ يُعرَفُ إيمانُهُ ... وليس يَحيى بالفتى الكافِرِ)
(منافقٌ ظاهِرُهُ ناسِكٌ ... مخالِف الباطن للظاهِرِ)
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا ابن أبي سعد عن النضر بن
عمرو قال كان لحماد عجرد إخوان ينادمونه فانقطع عنه الشراب فقطعوه فقال لبعضهم
(لستَ بغَضْبانٍ ولكنّني ... أعرف ما شأنك يا صاحِ)
(أن فَقَدتُ الرَّاحَ جانبتَني ... ما كان حبِّيك على الراحِ)
(قد كنتَ من قبلِ وأنت الذي ... يعنيكَ إمسائي وإصباحي)
(وما أرَى فِعْلَكَ إلاّ وقد ... أفسدني من بعد إصلاحي)
(أنتَ من الناس وإن عبتَهم ... منّي بإفصاحِ)
نادم الوليد بن يزيد
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثني ميمون بن هارون عن أبي محلم أن الوليد بن يزد أمر شراعة بن الزندبوذ أن يسمي له جماعة ينادمهم من ظرفاء أهل الكوفة فسمى له مطيع بن إياس وحماد عجرد والمطيعي المغني فكتب في إشخاصهم إليه فأشخصوا فلم يزالوا في ندمائه إلى أن قتل ثم عادوا إلى أوطانهم
أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثني حماد عن أبيه عن محمد بن الفضل السكوني قال تزوج حماد عجرد امرأة فدخلنا إليه صبيحة بنائه بها نهنئه ونسأله عن خبره فقال لنا كنت البارحة جالسا مع أصحابي أشرب وأنا منتظر لامرأتي أن يؤتى بها حتى قيل لي قد دخلت فقمت إليها فوالله ما لبثتها حتى افتضضتها وكتبت من وقتي إلى أصحابي
((قد فتحتُ الحِصنَ بعد امتناعٍ ... بمُشيحٍ فاتِحٍ للقِلاعِ
(ظَفِرتْ كفّي بتفريقِ شَمْلٍ ... جاءنا تفريقُهُ باجتماعِ)
(فإذا شَعبي وشَعْبُ حَبيبي ... إنما يَلتامُ بعد انصداعِ)
أخبرني محمد بن القاسم الأنباري عن أبيه وأخبرني الحسن بن علي عن القاسم بن محمد الأنباري قال حدثنا الحسن بن عبد الرحمن عن أحمد بن الأسود بن الهيثم عن إبراهيم بن محمد بن عبد الحميد قال اجتمع عمي سهم بن عبد الحميد وجماعة من وجوه أهل البصرة عند يحيى بن حميد الطويل ومعهم حماد عجرد وهو يومئذ هارب من محمد بن سليمان ونازل على عقبة بن سلم وقد أمن وحضر الغداء فقيل له سهم بن عبد الحميد يصلي الضحى فانتظر وأطال سهم الصلاة فقال حماد
(ألا أيُّهذا القانِتُ المتهجِّدُ ... صلاتُكَ للرَّحمن أم لي تَسجُدُ)
(أما والذي نادَى من الطُّورِ عبدَه ... لِمَنْ غيرِ ما بِرٍّ تقومُ وتقعدُ)
(فهلاّ اتّقيتَ اللّهَ إذ كنتَ والياً ... بصنعاءِ تَبْري من وَليتَ وتَجردُ)
(ويَشهد لي أنّي بذلك صادقٌ ... حُرَيْثٌ ويحيى لي بذلك يَشهدُ)
(وعند أبي صَفوانَ فيك شهادةٌ ... وبَكْرٍ وبكرٌ مسلِمٌ متهجِّدُ)
(فإنْ قلتَ زِدْني في الشهودِ فإنّه ... سيشهد لي أيضاً بذاك محمَّدُ)
قال فلما سمعها قطع الصلاة وجاء مبادراً فقال له قبحك الله يا زنديق فعلت بي هذا كله لشرهك في تقديم أكل وتأخيره هاتوا طعامكم فأطعموه لا أطعمه الله تعالى فقدمت المائدة
شعر محمد بن الفضل في الاعتذار إليه
أخبرني يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق الموصلي عن محمد بن الفضل السكوني قال لقيت حماد عجرد بواسط وهو يمشي وأنا راكب فقلت له إنطلق بنا إلى المنزل فإني الساعة فارغ لنتحدث وحبست عليه الدابة فقطعني شغل عرض لي لم أقدر على تركه فمضيت وأنسيته فلما بلغت المنزل خفت شره فكتبت إليه
(أبا عُمَرٍ اغفِرْ هُديتَ فإنَّني ... قد اذنبتُ ذنباً مخطئاً غيرَ عامِدِ)
(فلا تَجِدن فيه عليَّ فإنَّني ... أُقِرُّ بإجرامي ولستُ بعائِدِ)
(وهبْهُ لنا تفديك نفسي فإنَّني ... أرى نِعمةً إنْ كنتَ لستَ بواجِدِ)
(وعُدْ منك بالفضل الذي أنتَ أهلُهُ ... فإنَّكَ ذو فضلٍ طريفٍ وتالِدِ)
فكتب إلي مع رسولي
(محمدُ يابن الفَضْلِ يا ذا المحامِدِ ... ويا بهجةَ النادي وزينَ المَشاهِدِ)
(وحقِّكَ ما أذنبتِ منذ عرفتَني ... على خطإٍ يوماً ولا عَمْدِ عامِدِ)
(ولو كان ما ألفَيْتَني متسرِّعاً ... إليكَ به يوماً تسرُّعَ واجِدِ)
أي لو كان لك ذنب ما صادفتني مسرعا إليك بالمكافأة
(ولو كان ذو فضل يسمَّى لفضلِهِ ... بغير اسمه سُميت أُمَّ القلائِدِ)
قال فبينا رقعته في يدي وأنا أقرأها إذ جاءني رسوله برقعة فيها

(قد غَفَرْنَا يابن الفضل والذنبُ عظيمُ)
((ومسيءٌ أنتَ يابن الفضلِ ... في ذاك مُليمُ
(حينَ تخشاني على الذنبِ ... كما يُخْشَى اللّئيمُ)
(ليس لي إن كان ما خِفتَ ... من الأمر حَريمُ)
(أنا واللهِ ولا أفخرُ ... للغيظِ كَظُومُ)
(ولأصحابي وَلاءٌ ... رَبُّه بَرٌّ رحيمُ)
(وبما يُرضِيهم عنّي ... ويرضيني عليمُ)
مديحه لجلّة من أبناء الملوك
أخبرني يحيى بن علي عن أبيه عن إسحاق قال خرج حماد عجرد مع بعض الأمراء إلى فارس وبها جلة من أبناء الملوك فعاشر قوما من رؤسائها فأحمد معاشرتهم وسر بمعرفتهم فقال فيهم
(ربّ يوم بِفَساءٍ ... ليس عندي بذميم)
(قد قرعتُ العيشَ فيه ... مع نَدْمانٍ كريم)
(من بني صَهْبُونَ في البيتِ ... المعلّى والصَّميمِ)
(في جِنانٍ بين أنهارٍ ... وتعريشِ كُرومِ)
(نَتَعاطَى قهوةً تُشْخِصِ ... يقظانَ الهُموم)
(بنتَ عشرٍ تترك المُكْثِرَ ... منها كالأميمِ)
(فيها دَأْباً أحيِّي ... ويحيّيني نديمي)
((في إناءٍ كِسرَوِيٍّ ... مستخِفٍّ للحليمِ
(شَرْبةٌ تَعْدِلِ منه ... شربتي أمّ حَكيم)
(عندنا دِهْقانَةٌ حُسانةٌ ... ذاتُ هَمِيم)
(جَمعتْ ما شئتَ من حُسنٍ ... ومن دَلٍّ رَخيم)
(في اعتدال من قَوامٍ ... وصفاءٍ من أَدِيم)
(وبَنانٍ كالمَداري ... وثَنايَا كالنجوم)
(لم أَنلْ منها سوى غَمْزَةٍ ... كفٍّ أو شَمِيم)
(غيرَ أن أَقْرُصَ منها ... عُكْنَةَ الكَشْحِ الهضيم)
(وبَلَى أَلْطِمُ منها ... خدَّها لطمَ رَحِيم)
(وبنفسي ذاكَ يا أَسْوَدُ ... من خدّ لَطِيم)
يعني الأسود بن خلف كاتب عيسى بن موسى
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي النضر قال كان حريث بن أبي الصلت الحنفي صديقا لحماد عجرد وكان يعابثه بالشعر ويعيبه بالبخل وفيه يقول
(حُرَيثٌ أبو الفضل ذو خِبْرةٍ ... بما يُصْلِحُ المعِدَ الفاسدهْ)
(تخوَّفَ تُخمَةَ أضيافه ... فعوّدهم أكلةً واحدهْ)
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة عن ابن عائشة قال ضرط رجل في مجلس حماد عجرد ومطيع بن إياس فتجلد ثم ضرط أخرى متعمدا ثم ثلث ليظنوا أن ذلك كله تعمد فقال له حماد حسبك يا أخي فلو ضرطت ألفا لعلم بأن المخلف الأول مفلت
حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثني معاذ بن عيسى مولى بني تميم قال كان سليمان بن الفرات على كسكر ولاه أبو جعفر المنصور وكان قريش مولى صاحب المصلى بواسط في ضياع صالح وهو سندي فحدثني معاذ بن عيسى قال كنا في دار قريش فحضرت الصلاة فتقدم قريش فصلى بنا وحماد إلى جنبي فقال لي حماد حين سلم اسمع ما قلت وأنشدني
(قد لقيتُ العامَ جَهْداً ... من هِناتٍ وهَناتِ)
(من همومٍ تعتريني ... وبلايَا مطبِقاتِ)
(وجوىً شيَّب رأسي ... وحَنى منّي قَناتي)
(وغُدُوّي ورواحِي ... نحو سَلْمِ بن الفراتِ)
(وائتمامِي بالقَماري ... قريشٍ في صَلاتي)
أخباره مع غلام أمرد وجارية
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أبو أيوب المديني عن مصعب الزبيري قال حدثني أبو يعقوب الخريمي قال كنت في مجلس فيه حماد عجرد ومعنا غلام أمرد فوضع حماد عينه عليه وعلى الموضع الذي ينام فيه فلما كان الليل اختلفت مواضع نومنا فقمت فنمت في موضع الغلام قال ودب حماد إلي يظنني الغلام فلما أحسست به أخذت يده فوضعتها على (عيني العوراء لأعلمه أني أبو يعقوب قال فنتر يده ومضى في شأنه وهو يقول (وفديناه بذبح عظيم
أخبرني عمي قال حدثني مصعب قال كان حماد عجرد ومطيع بن إياس يختلفان إلى جوهر جارية أبي عون بن المقعد وكان حماد يحبها ويحن بها وفيها يقول
(إنّي لأهوَى جوهراً ... ويحِبُّ قلبي قلبَها)
(وأُحِبُّ من حبِّي لها ... مَن وَدَّها وأَحبَّها)
(وأحبُّ جاريةً لها ... تُخفِي وتَكتُمُ ذنبَها)
(وأحبُّ جيراناً لها ... وابنَ الخبيثةِ ربَّها)
أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الكراني قال حدثني أبيض بن عمرو قال كان حماد عجرد يعاشر الأسود بن خلف ولا يكادان يفترقان فمات الأسود قبله فقال يرثيه وفي هذا الشعر غناء
صوت
(قلتُ لحنّانةٍ دَلوح ... تَسُحُّ من وابِلٍ سَفُوح)

(جادَتْ علينا لها رَبابٌ ... بواكِفٍ هاطِلٍ نَضُوحِ)
(أُمِّي الضَّريحَ الذي أُسمِّي ... ثم استهِلّي على الضَّريحِ)
(على صَدَى أسودَ المُوارَى ... في اللَّحدِ والتُّرب والصَّفِيحِ)
(فاسقيهِ رِيّاً وأوطِنِيه ... ثم اغتدي نحوَه ورُوحِي)
(إغدي بسُقيايَ فاصبِحيه ... ثم اغبِقِيه مع الصَّبوحِ)
(ليس من العدل أن تَشِحِّي ... على امرئ ليس بالشحيحِ)
الغناء ليونس الكاتب ذكره في كتابه ولم يجنسه
هجاؤه لأبي عون مولى جوهر الجارية
أخبرني عمي قال أنشدنا الكراني قال أنشد مصعب لحماد عجرد يهجو أبا عون مولى جوهر وكان يقين عليها وكان حماد عجرد يميل إليها فإذا جاءهم ثقل ولم يمكن أحداً من أصدقائها أن يخلو بها فيضر ذلك بأبي عون فجاءه يوما وعنده أصدقاء لجاريته فحجبها عنه فقال فيه
((إنَّ أبا عونٍ ولن يرعَوِي ... ما رقَّصتْ رَمْضاؤها جُنْدُبَا
(ليس يَرى كَسْباً إذا لم يكن ... من كسبِ شُفْرَى جوهرٍ طيِّبَا)
(فسلَّط اللهُ على ما حَوَى ... مئزرُها الأفعى أو العقربَا)
(يُنْسَبُ بالكشخ ولا يَشْتَهِي ... بغير ذاكَ الاسمِ أن يُنْسَبَا)
وقال فيه أيضاً
(إن تكن أغلقتَ دونيَ باباً ... فلقد فتَّحت للكَشْخِ بابا)
وقال فيه أيضا
(قد تخرطمتَ علينا لأنَّا ... لم نكن نأتيك نبغي الصَّوابا)
(إنَّما تُكْرِم مَنْ كانَ منَّا ... لسنانِ الحَقْوِ منها قِرابا)
وقال فيه أيضا
(يا نافعُ ابن الفاجرَهْ ... يا سيِّدَ المؤاجِرَهْ)
(يا حِلْفَ كلِّ داعِرٍ ... وزوجَ كلِّ عاهِرَهْ)
(ما أَمَةٌ تملِكها ... أو حُرَّةٌ بطاهِرَهْ)
(تجارةٌ أحدثْتَها ... في الكشخِ غيرُ بائِرَهْ)
(لو دخلتْ عفيفةٌ ... بيتَك صارت فاجِرَهْ)
((حتَّى متى تَرْتَعَ في الخُسْرانِ ... يابنَ الخاسرَهْ
(تجمَع في بيتك بينَ ... العِرْس والبرابِرَهْ)
وقال يهجوه
(أنتَ إنسانٌ تُسَمَّي ... دارُه دارَ الزَّواني)
(قد جرى ذلك بالكَرْخِ ... على كلِّ لسانِ)
(لك في دارِ حِرِيزنِي ... وفي دارِ حِرانِ)
وقال فيه
(تفرحُ إن نيكَتْ وإنْ لم تُنَكْ ... بتَّ حزينَ القلب مستعبِرَا)
(أسكرَكَ القومُ فساهَلْتَهم ... وكنتَ سهلاً قبل أن تَسْكَرا)
وقال فيه
(قل للشقيِّ الجَدِّ غيرِ الأسعَدِ ... أتحِبُّ أنَّكَ فقْحةُ ابنِ المُقْعَدِ)
(لو لم يجد شيئاً يسكِّنها به ... يوماً لسكَّنها بزُبِّ المَسْجِدِ)
وقال فيه
(أبا عونٍ لقد صَفَّرَ ... زُوَّارُكَ أُذْنَيْكَا)
(وعيناكَ تَرَى ذاك ... فأعْمَى اللهُ عينيكَا)
هجاؤه لبشار بن برد
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال لما قال حماد عجرد في بشار
(نُسِبْتَ إلى بُرْدٍ وأنتَ لغَيْره ... وهَبْكَ لبُرْدٍ نِكْتَ أُمِّك مَن بُرْدُ)
قال بشار تهيأ له علي في هذا البيت خمسة معان من الهجاء قوله نسبت إلى برد معنى ثم قوله وأنت لغيره معنى آخر ثم قوله فهبك لبرد معنى ثالث وقوله نكت أمك شتم مفرد واستخفاف مجدد وهو معنى رابع ثم ختمها بقوله من برد ولقد طلب جرير في هجائه للفرزدق تكثير المعاني ونحا هذا النحو فما تهيأ له أكثر من ثلاثة معان في بيت وهو قوله
(لمّا وضعتُ على الفرزدقِ مِيْسَمِي ... وضَغَا البَعِيثُ جَدَعتُ أنفَ الأخطلِ)
فلم يُدرك أكثر من هذا
أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال قال أبو عبيدة ما زال بشار يهجو حماد ولا يرفث في هجائه إياه حتى قال حماد
(مَنْ كانَ مِثْلَ أبيكَ يا ... أعَمى أبوه فلا أبا لَهْ)
(أنت ابنُ بُرْدٍ مِثْلُ بُرْدٍ ... في النَّذالة والرذالهْ)
(زَحَرَتْك من جُحْرِ استِها ... في الحُشِّ خارئةٍ غَزَالَه)
(من حيث يخرج جعْرُ منتِنة ... مدنَّسة مُذالهْ)
((أعمى كستْ عينيه مِن ... وذَحِ آستِها وكست قَذالَهْ
(خِنزيرةٌ بَظْراء منتنةٌ ... البُداهة والعُلالَهْ)
(رَسْحاء خضراءُ المَغابِنِ ... ريحُها ريحُ الإهالَهْ)

(عَذْراءُ حُبلَى يا لَقَوْمي ... للمِجَانة والضَّلاله)
(مَرَقَتْ فصارت قَحبةً ... بجعالةٍ وبلا جِعَالَهْ)
(ولقد أقلتُك يابنَ بُرْدٍ ... فاجترأتَ فلا إقالَهْ)
فلما بلغت هذه الأبيات بشارا أطرق طويلا ثم قال جزى الله ابن نهيا خيراً فقيل له علام تجزيه الخير أعلى ما تسمع فقال نعم والله لقد كنت أرد على شيطاني أشياء من هجائه إبقاء على المودة ولقد أطلق من لساني ما كان مقيدا عنه وأهدفني عورة ممكنة منه فلم يزل بعد ذلك يذكر أم حماد في هجائه إياه ويذكر أباه اقبح ذكر حتى ماتت أم حماد فقال فيها يخاطب جارا لحماد
(أبا حامدٍ إن كنتَ تَزني فَأسْعِدِ ... وبكِّ حِراً ولَّتْ به أمُّ عَجرَدِ)
(حِرًّا كان للعُزَّاب سَهلاً ولم يكن ... أبيّاً على ذي الزوجة المتودّدِ)
(أُصيبَ زُناةُ القومِ لمَّا توجَّهتْ ... به أمُّ حمّادٍ إلى المضجَعِ الرَّدي)
(لقد كان للأدنى وللجارِ والعِدا ... وللقاعد المعترِّ والمتزيِّدِ)
أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال قال يحيى بن الجون العبدي راوية بشار أنشدت بشارا يوما قول حماد
(ألا قل لعبد الله إنَّك واحدُ ... ومثلُك في هذا الزمان كثيرُ)
(قَطعتَ إخائي ظالماً وهجرتَني ... وليس أخي مَن في الإخاء يَجُورُ)
(أُديمُ لأهل الودّ ودّي وإنَّني ... لمن رام هجري ظالماً لهجُورُ)
(ولو أن بَعضي رابَنِي لقطعتُه ... وإنِّي بقطع الرائبين جديرُ)
(فلا تحسبنْ منْحِي لك الودَّ خالصاً ... لعِزٍّ ولا أنِّي إليك فقيرُ)
(ودونَكَ حظِّي منْكَ لستُ أريدُهُ ... طوالَ اللّيالي ما أقامَ ثَبيرُ)
فقال بشار ما قال حماد شعرا قط هو أشد علي من هذا قلت كيف ذاك ولم يهجك فيه وقد هجاك في شعر كثير فلم تجزع قال لأن هذا شعر جيد ومثله يروى وأنا أنفس عليه أن يقول شعرا جيدا
محمد بن النطاح ينشد أخاه قول حماد في بشار
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني هارون بن علي بن يحيى المنجم قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني محمد بن النطاح قال كنت شديد الحب لشعر حماد عجرد فأنشدت يوما أخي بكر بن النطاح قوله في بشار
(أسأتَ في رَدِّي على ابن استِها ... إساءةً لم تُبْقِ إحسانا)
(فصار إنساناً بذكري له ... ولم يكن من قبلُ إنسانا)
(قَرَعْتُ سِنِّي ندماً سادِماً ... لو كان يغني ندمي الآنا)
(يا ضيعةَ الشعر ويا سَوْءَتا ... لي ولأزمانيَ أزمانا)
(من بعد شتمي القِردَ لا والذي ... أنزلَ توراةً وقرآنا)
(ما أحدٌ من بعد شَتْمِي له ... أنذَلُ مِنّي كانَ من كانا)
قال فقال لي لمن هذا الشعر فقلت لحماد عجرد في بشار فأنشأ يتمثل بقول الشاعر
(ما يَضُرُّ البحرَ أمسى زاخراً ... أنْ رَمَى فيه غلامٌ بحجَرْ)
ثم قال يا أخي إنس هذا الشعر فنسيانه أزين بك والخرس كان أستر على قائله
أخبرني علي بن سليمان قال حدثني هرون بن يحيى قال حدثني علي بن مهدي قال أجمع العلماء بالبصرة أنه ليس في هجاء حماد عجرد لبشار شيء جيد إلا أربعين بيتا معدودة ولبشار فيه من الهجاء أكثر من ألف بيت جيد قال وكل واحد منهما هو الذي هتك صاحبه بالزندقة وأظهرها عليه وكانا يجتمعان عليها فسقط حماد عجرد وتهتك بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه وبقي بشار على حاله لم يسقط وعرف مذهبه في الزندقة فقتل به
هجاه مجاشع بن مسعدة
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل عن إسحاق الموصلي أن مجاشع بن مسعدة أخا عمرو بن مسعدة هجا حماد عجرد وهو صبي حينئذ ليرتفع بهجائه حمادا فترك حماد وشبب بأمه فقال
(راعتْك أمُّ مُجاشعٍ ... بالصَّدِّ بعد وصالِها)
(واستبدلَتْ بِكَ والبلاءُ ... عليك في استبدالها)
(جِنِّيَّةٌ من بَرْبَرٍ ... مشهورةٌ بجمالها)
(فحرامُها أشهى لنا ... ولها من استحلالها)
فبلغ الشعر عمرو بن مسعدة فبعث إلى حماد بصلة وسأله الصفح عن أخيه ونال أخاه بكل مكروه وقال له ثكلتك أمك أتتعرض لحماد وهو يناقف بشارا ويقاومه والله لو قاومته لما كان لك في ذلك فخر ولئن تعرضت له ليهتكنك وسائر أهلك وليفضحنا فضيحة لا نغسلها أبدا عنا
أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد الكراني قال حدثني أبو علي بن عمار قال كان حماد عجرد عند أبي عمرو بن العلاء وكانت لأبي عمرو جارية يقال لها منيعة وكانت رسحاء عظيمة البطن وكانت تسخر بحماد فقال حماد لأبي عمرو أغن عني جاريتك فإنها حمقاء وقد استغلقت لي فنهاها أبو عمرو فلم تنته فقال لها حماد عجرد
(لو تأتّى لكِ التحوُّلُ حتَّى ... تجعل خَلفكَ اللطيفَ أماما)
(ويكونُ القُدَّامُ ذو الخِلْقَة الجَزْلة ... خَلْفاً مؤثّلاً مستَكاما)
(لإذاً كنتِ يا مَنِيعةُ خير النّاس ... خَلْفاً وخيرهم قُدَّاما)
أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثني الحسن بن عمارة قال نزل حماد عجرد على محمد بن طلحة فأبطأ عليه بالطعام فاشتد جوعه فقال فيه حماد
(زرتُ امرأً في بيته مرَّةً ... له حَياءٌ وله خيرُ)
(يَكره أن يُتخِم أضيافَه ... إنَّ أذى التُّخْمة محذورُ)
(ويَشتهي أن يؤجَروا عندَه ... بالصَّوم والصالحُ مأجورُ)
قال فلما سمعها محمد قال له عليك لعنة الله أي شيء حملك على هجائي وإنما انتظرت أن يفرغ لك من الطعام قال

الجوع وحياتك حملني عليه وإن زدت في الإبطاء زدت في القول فمضى مبادرا حتى جاء بالمائدة
أخبرني الحسين بن يحيى وعيسى بن الحسين ووكيع وابن أبي الأزهر قالوا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال كان حفص بن أبي وزة صديقا لحماد عجرد وكان حفص مرميا بالزندقة وكان أعمش أفطس أغضف مقبح الوجه فاجتمعوا يوما على شراب وجعلوا يتحدثون ويتناشدون فأخذ حفص بن أبي وزة يطعن على مرقش ويعيب شعره ويلحنه فقال له حماد
(لقد كان في عينيك يا حفصُ شاغلٌ ... وأنفٌ كَثِيل العَوْدِ عمّا تَتَبَّعُ)
(تَتَبَّعُ لحناً في كلامِ مرقِّشٍ ... ووجهك مبنيٌّ على اللَّحن أجمعُ)
(فأذْناك إقواءٌ وأنفُكَ مُكْفَأٌ ... وعيناك إيطاءٌ فأنت المرقَّعُ)
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال ذكر أبو دعامة عن عاصم بن الحارث بن أفلح قال رأى حماد عجرد على بعض الكتاب جبة خز دكناء فكتب إليه
(إنَّني عاشق لجبَّتك الدكناء ... عشقاً قد هاج لي أطرابي)
(فبحقِّ الأمير إلا أتتْني ... في سراحٍ مقرونةٍ بالجوابِ)
(ولك اللهُ والأمانةُ أن أجعلَها ... أشهراً أميرَ ثيابي)
فوجه إليه بها وقال للرسول قل له وأي شيء لي من المنفعة في أن تجعلها أمير ثيابك وأي شيء علي من الضرر في غير ذلك من فعلك لو جعلت مكان هذا مدحا لكان أحسن ولكنك رذلت لنا شعرك فاحتملناك
عتابه لمطيع بن إياس لأنه لم يعده في مرضه
أخبرني أحمد بن العباس العسكري والحسن بن علي الخفاف قالا حدثنا الحسن بن عليل العنزي عن علي بن منصور قال مرض حماد عجرد فلم يعده مطيع بن إياس فكتب إليه
(كفاكَ عيادتي من كان يرجو ... ثوابَ اللهِ في صلةِ المريضِ)
(فإنْ تُحدِثْ لك الأيامُ سقماً ... يحولُ جَريضُه دونَ القَريضِ)
(يكُنْ طُولَ التأوُّهِ منكَ عندي ... بمنزلة الطَّنين مِن البَعوضِ)
أخبرني عمي قال حدثنا ابن أبي سعد قال زعم أبو دعامة أن التيحان بن أبي التيحان قال كنت عند حماد عجرد فأتاه والبة بن
الحباب فقال له ما صنعت في حاجتي فقال ما صنعت شيئا فدعا والبة بدواة وقرطاس وأملى علي
(عثمانُ ما كانت عِداتُك ... بالعِدات الكاذبهْ)
(فعَلامَ يا ذا المَكرُماتِ ... وذا الغُيوثِ الصائبهْ)
(أخَّرْتَ وهيَ يسيرةٌ ... في الرُّزْءِ حاجةَ والبَهْ)
(فأبو أسامةَ حَقُّه ... أحدُ الحقوق الواجبه)
(فاستحيي مِن تَرْدادِه ... في حاجةٍ متقاربه)
(ليستْ بكاذبةٍ ولو ... واللهِ كانت كاذبه)
(فقضَيتَها أحمَدْتَ غِبَّ ... قضائها في العاقبة)
(إنِّي وما رَأيي بعادِم ... عاتبٍ أو عاتبه)
(لأرى لِمثلك كلَّما ... نابت عليه نائبه)
(ألاَّ يرُدَّ يَدَ امرئٍ ... بُسطت إليه خائبه)
قال فلقيت والبة بعد ذلك فقلت له ما صنعت فقال قضى حاجتي وزاد
أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه عن الزبالي قال بلغ حماد عجرد أن المفضل بن بلال أعان بشارا عليه وقدمه وقرظه فقال فيه
(عَجباً للمفضَّل بن بلالٍ ... ما له يا أبا الزُّبير ومالي)
((عربيٌّ لا شكَّ ولا مِرْ ... ية ما بالهُ وبالُ الموالي
قال وأبو الزبير هذا الذي خاطبه هو قبيس بن الزبير وكان قبيس ويونس بن أبي فروة كانت عيسى بن موسى صديقين له وكانوا جميعا زنادقة وفي يونس يقول حماد عجرد وقد قدم من غيبة كان غابها
(كيفَ بعدِي كنتَ يا يو ... نسُ لا زلتَ بخير)
(وبغير الخيرِ لا زا ... لَ قُبيسُ بنُ الزبير)
(أنت مطبوعٌ على ما ... شِئتَ مِن خَيْرٍ ومَيْر)
(وهو إنسانٌ شبيهٌ ... بكُسَيْرٍ وعُوَيْر)
(رَغْمُه أهوَنُ عند الن ... مِن ضَرْطةِ عير)
خبره مع جارية مغنية يقال لها سعاد
أخبرني علي بن سلمان الأخفش ووكيع قالا حدثنا الفضل بن محمد اليزيدي قال حدثني إسحاق الموصلي عن السكوني قال ذكر محمد بن سنان أن حماد عجرد حضر جارية مغنية يقال لها سعاد وكان مولاها ظريفا ومعه مطيع بن إياس فقال مطيع
(قبِّليني سعادُ باللهِ قُبلَهْ ... واسأليني لها فديتك نِحلهْ)
فوربِّ السماءِ لو قلتِ لي ص ... لِّ لوجهي جعلته الدهرَ قِبله)
فقال لحماد اكفنيه يا عم فقال حماد
(إنّ لي صاحباً سِواكَ وَفِيّاً ... لا مَلولاً لنا كما أنتَ مَلّهْ)
((لا يُباع التقبيل بَيْعاً ولا يُشرَى ... فلا تَجعل التعشُّقَ عِلَّهْ
فقال مطيع يا حماد هذا هجاء وقد تعديت وتعرضت ولم تأمرك بهذا فقالت الجارية وكانت بارعة ظريفة أجل ما أردنا هذا كله فقال حماد
(أنا واللهِ أشتهي مِثلَها منك ... بنُحلٍ والنُّحْلِ في ذاكَ حِلَّهْ)
(فأجيبي وأنعِمي وخُذي البَذلَ ... وأطفِي بقُبلةٍ منكِ غُلَّه)
فرضي مطيع وخجلت الجارية وقالت اكفياني شركما اليوم وخذا فيما جئتما له

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أبو أيوب المديني عن مصعب الزبيري عن أبي يعقوب الخريمي قال أهدى مطيع بن إياس إلى حماد عجرد غلاما وكتب إليه قد بعثت إليك بغلام تتعلم كظم الغيظ
هو ومطيع يشببان ببنت دهقان
أخبرني وكيع قال حدثنا أبو ايوب المديني قال ذكر محمد بن سنان أن مطيع بن إياس خرج هو وحماد عجرد ويحيى بن زياد في سفر فلما نزلوا في بعض القرى عرفوا ففرغ لهم منزل وأتوا بطعام وشراب وغناء فبينا هم على حالهم يشربون في صحن الدار إذ أشرفت بنت دهقان من سطح لها بوجه مشرق رائق فقال مطيع لحماد ما عندك فقال حماد خذ فيما شئت فقال مطيع

(ألا يا بأبي الناظر ... من بينهمُ تحوي)

فقال حماد عجرد

((ألا يا لَيتَ فوقَ الحَقْو ... ِ منها لاصقاً حَقْوي

فقال مطيع

(وأنّ البُضْعَ يَا حمّاد ... ُ منها شَوْبُك المُرْوي)

فقال يحيى بن زياد

(ويا سَقْياً لسطْح أشرقتْ ... من بينهمْ حَذْوي)

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه
أن حماد عجرد قال في جوهر جارية أبي عون قال وفيه غناء
صوت

(إنّي أحبُّك فاعملي ... إن لم تكوني تعلمينَا)
(حبّاً أقلُّ قليلِه ... كجَميع حُبِّ العالمينَا)

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال كان حماد عجرد صديقا لأبي خالد الأحول أبي أحمد بن أبي خالد فأراد الخروج إلى واسط وأراد وداع أبي خالد فلما جاءه لذلك حجبه الغلام وقال له هو مشغول في هذا الوقت فكتب إليه يقول

(عليك السلامُ أبا خالدٍ ... وما لِلوَداعِ ذكرتُ السلامَا)
(ولكنْ تحيّة مستطربٍ ... يُحِبُّك حبّ الغَويِّ المداما)
((أردت الشُّخُوصَ إلى واسطٍ ... ولستُ أطيلُ هناك المُقاما
(فإن كنتَ مكتفياً بالكِتاب ... دون اللِّمام تركتُ اللِّماما)
(وإلاّ فأوصِ هَدَاك المَليكُ ... بوّابَكم بي وأوصِ الغلاما)
(فإن جئتُ أدخلت في الدّاخلين ... إمَّا قعوداً وإمَّا قياما)
(فإنْ لم أكن منكَ أهلاً لذاكَ ... فلا لومَ لَستُ أحِبُّ الملاما)
(لأنّي أذمّ إليكَ الأنَامَ ... أخزاهُم اللهُ طرّاً أناما)
(فإنّي وجدتُهمُ كلّهمْ ... يُميتون حمداً ويُحيُون ذاما)
(سوى عُصبةٍ لستُ أعنِيهمُ ... كرامٍ فإنّي أحبّ الكراما)
(وأقلِلْ عَديدَهم إنْ عددتَ ... فما أكثرَ الأرذَلين اللّئاما)

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثني أبو أيوب المديني قال قال ابن عبد الأعلى الشيباني حضر حماد عجرد ومطيع بن إياس مجلس محمد بن خالد وهو أمير الكوفة لأبي العباس فتمازحا فقال حماد

(يا مُطيعُ يا مُطيعُ ... أنتَ إنسانٌ رَقيعُ)
(وعن الخير بطيءٌ ... وإلى الشرّ سريع)

فقال مطيع

(إنّ حمّاداً لئيمُ ... سِفْلةُ الأصلِ عديمُ)
(لا تَراه الدهرَ إلاّ ... بهن العَيْرِ يهيمُ)

فقال له حماد ويلك أترميني بدائك والله لولا كراهتي لتمادي الشر ولجاج الهجا لقلت لك قولا يبقى ولكني لا أفسد مودتك ولا أكافئك إلا بالمديح ثم قال

(كل شيء لي فداءٌ ... لمطيع بن إياس)
(رجلٌ مستملَحٌ في ... كلّ لينٍ وشِماس)
(عِدْلُ روحي بين جَنْبيّ ... وعينيّ براسي)
(غَرسَ اللهُ له في ... كبِدي أحلَى غِراس)
(لستُ دهري لمطيع بن ... إياسٍ ذا تناس)
(ذاكَ إنسانٌ له فضلٌ ... على كلّ أُناس)
(فإذا ما الكأسِ دراتْ ... واحتساها مَن أحاسي)
(كان ذِكراناً مُطيعاً ... عندها رَيْحَانَ كاسي)

هجاؤه لصديقه عيسى بن عمرو
أخبرني أحمد بن العباس العسكري ومحمد بن عمران الصيرفي قالا حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا التوزي قال كان عيسى بن عمرو بن يزيد صديقا لحماد عجرد وكان يواصله أيام خدمته للربيع فلما طرده الربيع واختلت حاله جفاه عيسى وإنما كان يصله لحوائج يسأل له الربيع فيها فقال حماد عجرد فيه

(أوصلُ الناسِ إذا كانت له ... حاجةٌ عيسَى وأقضاهمْ لِحَقْ)
(ولعيسى إنْ أتى في حاجة ... مَلَقٌ يُنسى به كلَّ مَلَق)
((فإن آستغنى فما يعدِلُ ... نخوةً كِسرَى على بَعْضِ السُّوَقْ
(إن تكن كنتَ بعيسى واثقاً ... فبهذا الخُلْق من عيسى فثِقْ)

قال العنزي وأنشدني بعض أصحابنا لحماد في عيسى بن عمر أيضاً

(كم مِن أخٍ لستَ تنكِرُهُ ... ما دمتَ من دنياكَ في يُسُر)
(متصنّعٍ لك في مودَّتِه ... يلقاك بالتَّرحيب والبشر)
(يُطري الوفاءَ وذا الوفاءِ ويَلحَى ... الغدرَ مجتهداً وذا الغَدْر)
(فإذا عَدَا والدهرُ ذو غِيَرٍ ... دهرٌ عليك عَدَا مع الدهر)
(فارفض بإجمالٍ مودَّةَ مَن ... يَقلي المُقِلَّ ويَعشَقَ المُثري)
(وعليك مَن حالاه واحدةٌ ... في العُسْرِ إمّا كنتَ واليسر)
(لا تخلطَّنهمُ بغيرهمُ ... من يَخلط العِقْيَان بالصُّفْر)
أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال حدثني ابن أبي فنن قال حدثني العتابي وأخبرني عمي عن أحمد بن أبي طاهر قال قال العتابي وحديث ابن أبي طاهر أتم قال كان رجل من أهل الكوفة من الأشاعثة يقال له حشيش وكانت أمه حارثية فمدحه حماد عجرد فلم يثبه وتهاون به فقال يهجوه
(يا لَقومي للبلاءِ ... ومَعاريض الشَّقاءِ)
(قَسمتْ ألويةً بين ... رجالٍ ونساءِ)
(ظفرتْ أخْت بني الحارث ... منها بِلِواء)
(حادثٌ في الأرض يرتاعُ ... له أهلُ السماء)
قال فعُرِضتْ أسماء العمّال على المنصور فكان فيها اسم حُشيش فقال أهو الذي يقول فيه الشاعر
(يا لَقومي للبلاء ... ومَعاريض الشقاءِ)
قالوا نعم يا أمير المؤمنين فقال لو كان في هذا خير ما تعرض لهذا الشاعر ولم يستعمله قال وقال حماد فيه أيضا يخاطب سعيد بن الأسود ويعاتبه على صحبة حشيش وعشرته
(صِرتَ بعدي يا سعيد ... مِن أخِلاَّء حُشَيْش)
(أتلوَّطْتَ أم استُخلِفتَ ... بعدي أم لأيش)
(حَلَقيٌّ استُه أوسعُ ... من استِ بُحَيْش)
(ثم بَغّاءٌ على ذا ... أبلَغُ الناس لقَيْش)
(يا بَني الأشعَث ما عَيْشُكُم ... عندي بعَيْش)
(حين لا يُوجد منكمْ ... غيرَه قائدُ جَيْش)
قال وكان بحيش هذا رجلا من أهل البصرة لم يكن بينه وبين حماد شيء فلما بلغه هذا الشعر وفد من البصرة إلى حماد قاصدا وقال له يا هذا ما لي ولك وما ذنبي إليك قال ومن أنت قال أنا بحيش أما وجدت أحدا أوسع دبرا مني يتمثل به فضحك ثم قال هذه بلية صبتها عليك القافية وأنت ظريف وليس يجري بعد هذا مثله

هجاؤه لأبي عون

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسن بن الحرون قال كان حماد عجرد يعاشر أبا عون جد ابن أبي عون العابد وكان ينزل الكرخ وكان عجرد إذا قدم بغداد زاره فبلغ أبا عون أنه يحدث الناس أنه يهوى جارية يقال لها جوهر فجحبه وجفاه واطرحه فقال يهجو أبا عون
(أبا عَوْنٍ لحَاكَ اللّه ... يا عُرَّةُ إنسانَا)
(فقد اصبحتَ في الناس ... إذا سُمِّيت كَشْخانا)
(بَنَيْتِ اليومَ في الكَشْح ... لأهلِ الكَرْخ بنيانا)
(وشرَّفتَ لهم في ذَا ... لنا أبواباً وحيطانا)
(وألفَيْتَ على ذاكَ ... من الفُسّاق أعوانا)
(ومُجّاناً ولَنْ تَعدَم ... مَنْ يَمْجُن مُجَّانا)
(فأخزَى اللّه من كنتَ ... أخاه كان من كانا)
(ولا زلت ولا زال ... بأخلاقك خَزْيانا)
(وعُرْياناً كما أصبحت ... من دِينك عُرْيانا)
وقال فيه أيضاً
(إنّ أبا عَوْن ولا ... أقولُ فيه كَذِبَا)
(غاوٍ أتَى مدينَةً ... فسَنَّ فيها عَجَبا)
(إخوانُه قد جعلوا ... أمَّ بَنيه مَركَبَا)
(واتَّخذوا جوهرةً ... مِبْوَلَةً ومَلْعَبا)
(إن نِكتَها أرضيتَه ... أو لم تَنِكْها غضِبا
(أحَبَّهمْ إليه مَن ... أدخَلَ فيها ذَنَبا)
(ومَن إذا ما لَمْ يَنِك ... جرَّ إليها جَلَبا)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الغلابي عن مهدي بن سابق قال استعمل محمد بن أبي العباس وهو يلي البصرة غيلان جد عبد الصمد بن المعذل على بعض أعشار البصرة وظهر منه على خيانة فعزله وأخذ ما خانه فيه فقال حماد عجرد يهجوه
(ظَهَرَ الأميرُ عليكَ يا غَيْلانُ ... إذ خُنتَه إنَّ الأميرَ مُعانُ)
(أمع الدمامة قد جَمعتَ خِيانةً ... قبحَ الدَّميمُ الفاجرُ الخَوَّانُ)
شعره في غلام كان يهواه
أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر عن أبي دعامة قال أنشد بشار قول حماد عجرد في غلام كان يهواه يقال له أبو بشر
صوت
(أخي كُفّ عن لومي فإنَّك لا تدري ... بما فعل الحبُّ المبرِّح في صدري)
(أخي أنت تَلحاني وقلبُك فارغٌ ... وقلبيَ مشغولُ الجوانح بالفِكر)

(أخي إنّ دائي ليس عندي دواؤه ... ولكن دوائي عند قلبِ أبي بشر)
(دوائي ودائي عند من لو رأيتَه ... يقلّب عينيه لأقصرتَ عن زَجري)
(فأقسم لو اصبحت في لوعة الهوى ... لأقصرتَ عن لومي وأطنبتَ في عذري)
(ولكن بلائي منك أنّك ناصحٌ ... وأنّك لا تدري بأنك لا تدري)
فطرب بشار ثم قال ويلكم أحسن والله من هذا قالوا حماد عجرد قال أوه وكلتموني والله بقية يومي بهم طويل والله لا أطعم بقية يومي طعاما ولأصوم غما بما يقول النبطي ابن الزانية مثل هذا
في الأول والثاني من هذه الأبيات لحن من الثقيل الأول ذكر الهشامي أنه لعطرد
أنشدني جحظة عن حماد بن إسحاق عن أبيه لحماد عجرد
(خليلي لا يَفي أبَداً ... يمنّيني غداً فغَدَا)
(وبعدَ غدٍ وبعدَ غدٍ ... كذا لا ينقضي أبدا)
(له جَمْرٌ على كبدي ... إذا حَرّكتَه اتَّقدا)
شعره في يحيى بن زياد
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الزبالي قال كان المهدي سأل أباه أن يولي يحيى بن زياد عملا فلم يجبه وقال هو خليع متخرق في النفقة ماجن فقال إنه قد تاب وأناب وتضمن عنه ما يحب فولاه بعض أعمال الأهواز فقصده حماد عجرد إليها وقال فيه
(فمن كان يسأل ابنَ الفَعالِ ... فعندي شفاءٌ لِذا الباحثِ)
(مَحَلُّ النَّدى وفَعالُ النُّهى ... وبيتُ العُلاَ في بني الحارثِ)
((حَلَلْنَ بيَحيى فخالفْنَه ... حَياءً من الباعث الوارثِ
(فلا تعدِلنَّ إلى غيره ... لعاجِل أمرٍ ولا رائثِ)
(فإنَّ لديه بلا مِنَّةٍ ... عطاءَ المرحِّل والماكثِ)
قال وقال فيه أيضا
(يحيى امرؤٌ زيَّنَه ربُّه ... بفعله الأقدَمِ والأحدَثِ)
(إن قال لم يَكذِب وإن وَدَّ لم ... يَقطَع وإن عاهَد لم يَنكُث)
(أصبحَ في أخلاقه كلِّها ... موكَّلاً بالاسهل الأدمَثِ)
(طبيعةٌ منه عليها جَرَى ... في خُلُق ليس بمستحدَث)
(ورَّثَه ذاكَ أبوه فيا ... طِيبَ ثَنَا الوارث والمُورِثِ)
فوصله يحيى بصلة سنية وحمله وكساه واقام عنده مدة ثم انصرف
وفي عيسى بن عمرو
أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن النضر بن عمرو قال ولي عيسى بن عمرو إمارة البصرة من قبل محمد بن أبي العباس السفاح لما خرج عنها عليلا فقال له حماد عجرد
(قل لعيسى الأمير عيسى بن عمرو ... ذي المساعي العِظام في قَحْطانِ)
(والبناءِ العالي الّذي طال حتَّى ... قَصُرَتْ دونَه يَدا كلِّ بانِ)
(يابن عمرٍو المَكارِم والتقوى ... وعَمرو والنَّدَى وعمرو الطِّعانِ)
((لك جارٌ بالمِصر لَم يجعلِ الله ... له مِنكَ حرمةَ الجيران
(لا يصلّي ولا يصومُ ولا يَقْرأ حرفاً من مُحكَم القرآن)
(إنَّما مَعدِن الزُّناة من السِّفلةِ ... في بَيته ومأوَى الزَّواني)
(وهو خِدنُ الصِّبيان وهو ابن سبعين ... فماذا يهوَى من الصِّبيان)
(طَهِّرِ المصر منه يأيُّها المولى ... المسمَّى بالعدل والإحسان)
(وتقرَّبْ بذاك فيه إلى الله ... تفُزْ منه فوزَ أهلِ الجِنان)
(يابن بُرْد إخسأْ إليكَ فمِثلُ الكلبِ ... في الناسِ أنتَ لا الإنسانِ)
(ولَعمري لأنت شرٌّ من الكَلْبِ وأولى منه بكلّ هَوانِ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال حدثني محمد بن صالح الجبلي قال كان حماد عجرد قد مدح يقطينا فلم يثبه فقال يهجوه
(متى أرَى فيما أرَى دولةً ... يعِزّ فيها ناصرُ الدِّين)
(ميمونة مجَّدها ربُّها ... بصادق النيَّة ميمونِ)
(تردُّ يقطيناً واشياعه ... منها إلى أبزار يقطين)
قال وكان يقطين قبل ظهور الدولة العباسية بخراسان حائكا
قال ومر يوما بيونس بن فروة الذي كان الربيع يزعم أنه ابنه فلم يهش له كما عوده فقال يهجوه
((أما ابنُ فروة يونسٌ فكأنّه ... من كِبْره ابنٌ للإمام القائمِ
وقال فيه
(ولقد رضِيتَ بعُصبة آخيتَهمْ ... وإخاؤهم لكَ بالمَعرَّة لازمُ)
(فعلمتُ حين جعلتَهم لك دِخْلةً ... أنّي لِعرضي في إخائك ظالمُ)
ولد لبشار ابن فقال حماد فيه شعرا
أخبرني عمي قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبي قال حدثني أبو معاذ النميري أن بشارا ولد له ابن فلما ولد قال فيه حماد عجرد
(سائلْ أُمامة يابن بُردٍ ... من أبو هذا الغلام)
(أمِن الحلالِ أتتْ به ... أم مِن مقارَفَة الحرامِ)
(فلتُخبِرنَّك أنَّه ... بينَ العراقِي والشآمي)
(والآخَر الروميِّ والنَّبَطِيِّ أيضاً وابن حامِ)

(أجَعلتَ عِرسَكَ شِقْوةً ... غرضاً لأسهُم كلِّ رامِ)
أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني مسعود بن بشر قال مر حماد عجرد بقصر شيرين فاستظل من الحر بين سدرتين كانتا بإزاء القصر وسمع إنسانا يغني في شعر مطيع بن إياس
(أسعِداني يا نَخْلتيْ حُلْوانِ ... وارثيا لي مِن رَيْب هذا الزمان)
((أسعِداني وأيقِنا أنَّ نَحساً ... سوف يلقاكما فتفترقان
فقال حماد عجرد
(جعلِ الله سِدرتيْ قصرِ شيرينَ ... فداءً لنخلتيْ حُلوانِ)
(جئتُ مستسعِداً فلم يُسعِداني ... ومطيعٌ بكت له النَّخْلتانِ)
أخبرني يحيى بن علي أجازة عن أبيه عن إسحاق عن محمد بن الفضل السكوني قال كان محمد بن أبي العباس قد وعد حماد عجرد أن يحمله على بغل ثم تشاغل عنه فكتب إليه حماد
(طلبتُ البَذْلَ ممَّن خُلقتْ ... كفَّاه للبذل)
(ومن يَنفِي عن المُمحِل ... بالجُود أذَى المَحْل)
(ألا يابن أبي العبَّاس ... يا ذا النائل الجَزل)
(أما تَذكر يا مولاي ... ميعادَك في البغل)
(وذاك الرِّجْس في الدار ... جليسٌ لأبي سَهْل)
(يريك الحزمَ في الإخلاف ... للميعاد والمَطْل)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثنا سليمان المديني قال كان عثمان بن شيبة مبخلا وكان حمادِ عجرد يهجوه فجاء رجل كان يقول الشعر إلى حماد فقال له
(أعِنِّي مِنْ غِناكَ ببيتِ شِعْرٍ ... على فقري لعثمانَ بن شَيْبهْ)
فقال له حماد
(فإنّك إنْ رَضِيتَ به خليلاً ... ملأتَ يديك من فقرٍ وخَيبهْ)
فقال له الرجل جزاك الله خيرا فقد عرفتني من أخلاقه ما قطعني عن مدحه فصنت وجهي عنه
هجاؤه مطيع بن إياس
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا ابن اسحاق عن أبيه قال كان حماد عجرد يهوى غلاما من أهل البصرة من موالي العتيك يقال له أبو بشر الحلو ابن الحلال أحسبه من موالي المهلب وكان موصوفا بالجمال فاندس له مطيع بن إياس ولم يزل يحتال عليه حتى وطئه فغضب حماد عجرد من ذلك ونشب بينهما بسببه هجاء فقال فيه حماد
(يا مطيعُ النَّذْلُ أنتَ اليومَ ... مخذولٌ جَهولُ)
(لا يغرَّنْك غَرورٌ ... ذو أفانينَ مَلولُ)
(ليس يحلو الفِعلُ منه ... وهو يحلو ما يقولُ)
(مَلِذانيٌّ مع الرِّيح ... إذا مالت يميلُ)
(وجَوادٌ بالمواعيدِ ... والبَذْل بخيلُ)
(ليس يُرضِيه من الجُعْل ... كثيرٌ أو قليلُ)
(ذاكَ ما اخترت خليلاً ... بئس واللّهِ الخليلُ)
(إنما يكفيك أن يأتيك ... في السِّرِّ رسول)
(ساخراً منكَ يمنِّيك ... أمانيَّ تطول)
وقال في مطيع أيضا وقد لج الهجاء بينهما
(عجبتُ للمدَّعي في الناس منزلةً ... وليس يَصلح للدّنيا وللدِّين)
(لو أبصَروا فيك وجهَ الرأيِ ما تركوا ... حتى يشدُّوك كَرْهاً شدَّ مجنونِ)
(ما نالَ قطُّ مطيعٌ فضلَ منزلةٍ ... إلاَّ بأن صرتُ أهجوه ويهجوني)
(ولو تركتُ مطيعاً لا أجاوِبُه ... لكان ما فيه م الآفات يكفيني)
(يختار قربَ الفُحول المُردِ معتمِداً ... جَهْلاً ويترُك قُربَ الخُرَّدِ العِين)
أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة عن أبيه عن إسحاق قال قال حماد عجرد في داود بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس يمدحه ويعزيه عن ابن مات له ويستجيزه
(إنَّ أرجَى الأنامِ عندي وأوْلاهُمْ ... بمَدْحي ونصرتي داود)
(إن يعِشْ لي أبو سليمان لا أحْفِلُ ... ما كادني به من يكيد)
(هدّ رُكني فَقدِي اباكَ فقد شدّ ... بكَ اليومَ ركنيَ المهدود)
(قائلٌ فاعلٌ أبيٌّ وفيٌّ ... مُتلِفٌ مُخلِفٌ مُفيدٌ مُبيد)
(وَفَتِي السِّنِّ في كمالِ ابن خمسينَ ... دَهاءً وإرْبةً بل يزيد)
(مِخلَطٌ مِزْيَلٌ أريبٌ أديبٌ ... راتقٌ فاتقٌ قريبٌ بعيد)
(وهو الذائد المدافِع عنِّي ... وعزيزٌ ممنَّعٌ من يَذودُ)
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عبد الملك بن شيبان قال ولى أبو جعفر المنصور محمد بن أبي العباس السفاح البصرة فقدمها ومعه جماعة من الشعراء والمغنين منهم حماد عجرد وحكم الوادي ودحمان فكانوا ينادمونه ولا يفارقونه وشرب الشراب وعاث فبلغ ذلك أبا جعفر فعزله قال وكان ابن أبي العباس كثير الطيب يملأ لحيته بالغالية حتى تسيل على ثيابه فتسود فلقبوه أبا الدبس وقال فيه بعض شعراء أهل البصرة
(صِرنا من الرِّبح إلى الوَكْس ... إذْ وَلِي المِصرَ أبو الدِّبس)
(ما شئت من لُؤْمٍ على نفسِهِ ... وجنسُهُ من أكرم الجِنْس)
عرف بالمجون والزندقة
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا علي بن محمد النوفلي قال حدثني أبي قال كان أبو جعفر المنصور يبغض محمد بن أبي العباس ويجب عيبه فولاه البصرة بعقب مقتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن

فقدمها وأصحبه المنصور قوما يعاب بصحبتهم مجانا زنادقة منهم حماد عجرد وحماد بن يحيى ونظراء لهم ليغض منه ويرتفع ابنه المهدي عند الناس وكان محمد بن أبي العباس محمقا فكان يغلف لحيته إذا ركب بأواق من الغالية فتسيل على ثيابه فيصير شهرة فلقبه أهل البصرة أبا الدبس قال ولما أقام بالبصرة مدة قال لأصحابه قد عزمت على أن أعترض أهل البصرة بالسيف في يوم الجمعة فأقتل كل من وجدت لأنهم خرجوا مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن فقالوا له نعم نحن نفعل ذلك لما يعرفونه منه ثم جاؤوا إلى أمه سلمة بنت أيوب بن سلمة المخزومية فأعلموها بذلك وقالوا والله لئن هم بها ليقتلن ولنقتلن معه فإنما نحن في أهل البصرة أكلة رأس فخرجت إليه وكشفت عن ثدييها وأقسمت عليه بحقها حتى كف عما كان عزم عليه

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال حدثني أبي عن إسحاق الموصلي قال كان حماد عجرد في ناحية محمد بن أبي العباس السفاح وهو الذي أدبه وكان محمد يهوى زينب بنت سليمان بن علي وكان قد قدم البصرة أميرا عليها من قبل عمه أبي جعفر فخطبها فلم يزوجوه لشيء كان في عقله وكان حماد وحكم الوادي ينادمانه فقال محمد لحماد قل فيها شعرا فقال حماد فيها على لسان محمد بن أبي العباس وغنى فيه حكم الوادي

صوت من الزيانب

صوت

(زينبُ ما ذنبي وماذا الّذي ... غضِبتُم منه ولم تُغْضَبُوا)
((واللهِ ما أعرِفُ لي عندكمْ ... ذنباً ففيمَ الهجرُ يا زينبُ
(إن كنتُ قد أغضبتُكمْ ضَلّةً ... فاستعتِبوني إنني أُعتِب)
(عُودُوا على جهلي بأحلامكمْ ... إني وإن لم أذنبِ المذنبُ)

الغناء لحكم في هذه الأبيات خفيف ثقيل الأول بالوسطى عن عمرو والهشامي وفيه هزَج يقال إنه لخليد بن عبيد الوادي ويقال لعريب

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا الحسين بن يحيى أبو الجمان الكاتب قال حدثني عمرو بن بانة قال كان لمحمد بن أبي العباس السفاح شعر في زينب وغنى فيه حكم الوادي

صوت

(قُولاَ لزينبَ لو رأيتِ ... تشوُّفي لكِ واشترافي)
(وتلفُّتي كيما أراكِ ... وكان شخصُكِ غيرَ جافِ)
(وشَمَمْتُ ريحَكِ ساطعاً ... كالبيت جُمِّر للطَّوافِ)
(فتركتِني وكأنّما ... قلبي يغرَّ بالأشافي)

أخبرني محمد بن يحيى أيضا قال حدثني الحارث بن أبي أسامة عن المدائني قال خطب محمد بن أبي العباس زينب بنت سليمان ثم ذكر مثل هذا الحديث سواء إلا أنه قال فيه فقال محمد بن أبي العباس فيها وذكر الأبيات كلها ونسبها إلى محمد ولم يذكر حمادا

قال أبو الفرج مؤلف هذا الكتاب هذا فيما أراه غلط من رواته لما سمعوا ذكر زينب ولحن حكم نسبوه إلى محمد بن أبي العباس وقد ذكر هذا الشعر بعينه إسحاق الموصلي في كتابه ونسبه إلى ابن رهيمة وهو من زيانب يونس الكاتب المشهورة معروف ومنها فيه يقول

(فذَكرتُ ذاكَ ليونسٍ ... فذكرتُه لأخٍ مُصافِ)

وذكر إسحاق أن لحن يونس فيه خفيف رمل بالبنصر في مجرى الخنصر وأن لحن حكم من الثقيل الأول بالبنصر قال محمد بن يحيى ولمحمد بن أبي العباس في زينب أشعار كثيرة مما غنى فيها المغنون منها

صوت آخر من الزيانب

صوت

(زينبُ ما لي عنكِ من صبرِ ... وليس لي منكِ سوى الهجر)
(وجهُكِ واللهِ وإن شَفَّنِي ... أحسنُ من شمسٍ ومن بدر)
(لو أَبْصَرَ العاذلُ منكِ الذي ... أبصرتُه أسرع بالعذر)

الغناء في هذه الأبيات لحكم خفيف رمل بالوسطى

وأخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الغلابي قال حدثني عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد قال دخل دحمان المغني مولى بني مخزوم وهو المعروف بدحمان الأشقر على محمد بن أبي العباس وعنده حكم الوادي فأحضر محمد عشرة آلاف درهم وقال من سبق منكما إلى صوت يطربني فهذه له فابتدأ دحمان فغنى في شعر قيس بن الخطيم

((حَوْرَاءُ ممكورَةٌ منعَّمةٌ ... كأنما شفَّ وجهَها تَرَفُ

فلم يهش له فغنى حكم في شعر محمد في زينب

(زينبُ ما لي عنكِ من صبر ... وليس لي منكِ سوى الهجر)

قال فطرب وضرب برجله وقال له خذها وأمر لدحمان بخمسة آلاف درهم قال ومن شعره فيها الذي غنى فيه حكم أيضا

صوت

(أحببتُ من لا يُنصفُ ... ورجوتُ من لا يُسعِفُ)
(نسبٌ تليدٌ بيننا ... ووِدادُنا مستطرَفُ)
(باللهِ أحلِفُ جاهداً ... ومصدَّقٌ مَن يحلِفُ)
(إني لأكتُمُ حبَّها ... جَهْدِي لِمَا أتخوَّفُ)
(والحبّ يَنطق أن سكتُّ ... بما أُجِنُّ ويُعرفُ)

الغناء في هذه الأبيات لحكم الوادي ولحنه ثيقل أول قال ومن شعر محمد فيها الذي غنى فيه حكم

صوت

(أسعِدِ الصَّبَّ يا حَكَم ... وأعِنْهُ على الألمْ)
(وأدِرْ في غنائه ... نُغما تشبه النِّعَمْ)
(أجميلٌ بأن تُرَى ... نائماً وهو لم يَنَمْ)

(لائمي في هوايَ زينَبَ ... َ أنصِفْ ولا تَلُمْ)
((لَيس الجسمُ حُلّةً ... في هواها من السَّقَمْ
غناه حكم ولحنه هزج
وقد أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني قال قال بريه الهاشمي حدثني من حضر محمد بن أبي العباس وبين يديه حماد وحكم الوادي يغنيه وندماؤه حضور وهم يشربون حتى سكر وسكروا فكان محمد أول من أفاق منهم فقام إلى جماعتهم ينبههم رجلا رجلا فلم يجد فيهم فضلا سوى حماد عجرد وحكم الوادي فانتبها وابتدؤوا يشربون فقال عجرد على لسانه وغنى فيه حكم
(أسعِدِ الصَّبَّ يا حَكَم ... وأعِنْهُ على الألَمْ)
(أجميلٌ بأن ترى ... نائماً وهو لَمْ يَنَمْ)
هكذا ذكر هذا الخبر الحسن ولم يزد على هذين البيتين شيئا
محمد بن أبي العباس يشبب بزينب بنت سليمان
أخبرني محمد بن يحيى قال أنشدني أبو خليفة وأبو ذكوان والغلابي لمحمد بن أبي العباس في زينب بنت سليمان بن علي
(يا قمرَ المِرْبَد قد هِجتِ لي ... شوقاً فما أنفَكّ بالمِرْبَدِ)
(أُراقِبُ الفرقَدَ من حُبِّكُمْ ... كأنّني وُكِّلتُ بالفَرْقَدِ)
(أهيمُ ليلي ونهاري بكُمْ ... كأنّني منكُمْ على مَوْعِدِ)
(عُلِّقْتُها رَيّا الشَّوى طَفْلَةً ... قريبة المولِد من مَولدي)
((جَدِّي إذا ما نُسبتْ جدّها ... في الحَسَبِ الثاقِبِ والمحتَدِ
(واللّه ما أنساكِ في خَلوتي ... يا نورَ عينيّ ولا مَشْهَدِي)
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني الحارث بن أبي أسامة قال حدثني المدائني قال كان محمد بن أبي العباس نهاية في الشدة فعاتبه يوما المهدي فغمز محمد ركابه حتى انضغطت رجل المهدي في الركاب ثم لم تخرج حتى رد محمد الركاب بيده فأخرجها المهدي حينئذ
أخبرني محمد قال حدثنا أبو ذكوان قال حدثنا العتبي قال كان محمد بن أبي العباس شديدا قويا جوادا ممدحا وكان يلوي العمود ثم يلقيه إلى أخته ريطة فترده وفيه يقول حماد عجرد
(أرجوك بعدَ أبي العبَّاس إذ بانا ... يا أكرمَ الناس أعراقاً وعِيدانَا)
(فأنتِ أكرمُ من يمشِي على قَدَمٍ ... وأنضرُ الناس عند المَحْلِ أغصانَا)
(لو مَجَّ عُودٌ على قوم عُصارتَه ... لَمَجَّ عُودُكَ فينا المِسْكَ والبانَا)
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الغلابي قال حدثني محمد بن عبد الرحمن قال لما أراد محمد بن أبي العباس الخروج عن البصرة لما عزله المنصور عنها قال
(أيا وقفةَ البينِ ماذا شَبَبْتِ ... من النَّارِ في كَبِدِ المُغرمِ)
(رَميتِ جوانحَه إذ رَميتِ ... بقوسٍ مُسدَّدَةِ الأسْهُمِ)
((وقفنا لزينبَ يومَ الوداع ... على مِثل جَمرِ الغَضى المُضْرَمِ
(فمِنْ صَرْف دمع جرى للفراقِ ... لمتزجٍ بعدُهُ بالدَّمِ)
أخبرني محمد قال حدثنا الفضل بن الحباب قال حدثنا أبو عثمان المازني قال قال حماد عجرد يشبب بزينب سليمان على لسان محمد بن أبي العباس
(ألا مَن لقلبٍ مستهامٍ معذَّبِ ... بحبٍّ غزالٍ في الحِجالِ مُربَّبِ)
(يراه فلا يستطيع ردّاً لطَرْفِهِ ... إليه حِذَار الكاشِحِ المترقِّبِ)
(ولولا مليكٌ نافذٌ فيه حُكمُهُ ... لأدنَى وِصالاً ذاهباً كلَّ مَذهبِ)
(تغيرْتُ خَلْفَ اللَّهو بعد صِراوةٍ ... فبحتُ بما ألقاهُ من حُبّ زينبِ)
قال فبلغ الشعر محمد بن سليمان فنذر دمه ولم يقدر عليه لمكانه من محمد
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني الغلابي عن محمد بن عبد الرحمن قال مات محمد بن أبي العباس في أول سنة خمسين ومائة فقال حماد يرثيه بقوله
(صرتُ للدهرِ خاشعاً مستكيناً ... بعدما كنت قد قهرتُ الدهورا)
(حين أودى أمير ذاك الذي كنتُ ... به حيث كنتُ أدعى أميرا)
((كنتُ إذ كان لي أجير به الدهر ... فقد صِرتُ بعدَه مستجيرا
(يا سمي النبي يابن أبي العباس ... حقّقتَ عنديَ المحذورا)
(سلبتْني الهمومُ إذ سلبتنيك ... سروري فلستُ أرجو سرورا)
(ليتني مِتّ حين موتكِ لا بل ... ليتني كنت قبلَكَ المقبورا)
(أنت ظلّلتني الغمامَ بنُعماك ... ووطّأتَ لي وِطاءً وَثيرا)
(لم تَدَعْ إذ مضيتَ فينا نظيرا ... مِثل ما لم يدع أبوك نظيرا)
موت محمد بن أبي العباس
حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا محمد بن سلام الجمحي قال كان خصيب الطبيب نصرانيا نبيلا فسقى محمد بن أبي العباس شربة دواء وهو على البصرة فمرض منها وحمل إلى بغداد فمات بها واتهم خصيب فحبس حتى مات وسئل عن علته وما به فقال قال جالينوس إن مثل هذا لا يعيش صاحبه فقيل له إن جالينوس ربما أخطأ فقال ما كنت قط إلى خطئه أحوج مني اليوم وفي خصيب يقول ابن قنبر
(ولقد قلتُ لأهلي ... إذ أتَوْني بخَصِيبِ)
(ليس واللّه خصيبٌ ... لِلّذي بي بطبيبِ)
(إنّما يعرف ما بي ... من به مِثْلُ الّذي بي)
أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عبد الله بن شيبان

وابن داحة وأخبرني
يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال حدثني أبي عن إسحاق قال لما مات محمد بن أبي العباس طلب محمد بن سليمان حماد عجرد لما كان يقوله في أخته زينب من الشعر فعلم أنه لا مقام له معه بالبصرة فمضى فاستجار بقبر أبيه سليمان بن علي وقال فيه
(مِن مقرٍ بالذنب لم يوجب الله ... عليه بسيء إقرارا)
(ليس إلاَّ بفضل حِلمِك يعتدّ ... بلاءً وما يُعِدّ اعتذارا)
(يابن بِنت النَّبي أحمدَ لا أجعَلُ ... إلاَّ إليكَ منك الفرارا)
(غيرِ أنِّي جعلتُ قبرَ أبي أيّوبَ ... لي مِن حوادث الدهر جارا)
(وحَريٌّ من استجار بذاكَ القبر ... أن يأمنَ الردى والعِثارا)
(لم أجِد لي مِن العباد مجيراً ... فاستجرتُ الترابَ والأحجارا)
(لستُ أعتاضُ منك في بغية العِزَّةِ ... قحطانَ كلَّها ونِزارا)
(فأنا اليوم جارُ مَن ليس في الأرضِ ... مجيرٌ أعزُّ منه جِوارا)
(يابن بيتِ النَّبيِّ يا خيرَ من حَطَّتْ ... إليه الغواربُ الأكوارا)
(إن أكن مذنباً فأنت ابنُ من كان ... لمن كان مذنبا غفَّارا)
(فاعفُ عنِّي فقد قدَرتَ وخيرُ العفو ... ما قلتَ كن فكان اقتدارا)
(لو يطيل الأعمارَ جارٌ لِعِزٍّ ... كان جاري يطوِّل الأعمارا)
أخبرني أحمد بن العباس العسكري ومحمد بن عمران الصيرفي قالا حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني علي بن الصباح قال كان محمد بن سليمان قد طلب حماد عجرد بسبب تشبيبه بأخته زينب ولم يكن يقدر
عليه لمكانه من محمد بن أبي العباس فلما هلك محمد جد ابن سليمان في طلبه وخافه حماد خوفا شديدا فكتب إليه
(يابن عمِّ النَّبيِّ وابنِ النبيِّ ... لعليٍّ إذا انتَمَى وعليّ)
(أنت بدرُ الدُّجى المُضِيءُ إذا أظلَمَ ... واسودَّ كلُّ بدر مُضِيِّ)
(وحَيَا الناس في المُحولِ إذا لم ... يَجُدْ غيثُ الربيعِ والوَسْمِيِّ)
(إنّ مولاكَ قد أساءَ ومن أعتب ... من ذنبه فغير مُسِيِّ)
(ثم قد جاء تائباً فاقبل التوبة ... منه يا بنَ الوَصِيِّ الرَّضِيِّ)
هجاؤه لمحمد بن سليمان
قال ومضى إلى قبر أبيه سليمان بن علي فاستجار به فبلغه ذلك فقال والله لأبلن قبر أبي من دمه فهرب حماد إلى بغداد فعاذ بجعفر بن المنصور فأجاره فقال لا أرضى أو تهجو محمد بن سليمان فقال يهجوه
(قل لوجه الخَصِيِّ ذي العارِ إنِّي ... سوف أُهْدِي لزينبَ الأشعارا)
(قد لعمري فررتُ من شدَّة الخوفِ ... وأنكرتُ صاحِبيَّ نهارا)
(وظننتُ القبورَ تمنَع جارا ... فاستجرتُ الترابَ والأحجارَا)
(كنتُ عند استجارتي بأبي أيّوبَ ... أبغِي ضلالةً وخسارا)
(لم يُجِرني ولم أجد فيه حظّاً ... أضرم اللهُ ذلك القبرَ نارا)
قال وقال فيه
((له حَزْمُ بُرغوثٍ وحِلمُ مُكاتبٍ ... وغُلْمَةُ سِنَّوْرٍ بليْل تُوَلْولُ)
وقال فيه يهجوه
(يابنَ سليمانَ يا محمَّدُ يا ... مَن يشتري المكرُمات بالسِّمَن)
(إنْ فخرتْ هاشمٌ بمَكْرُمَةٍ ... فخِرْتَ بالشَّحمِ منكَ والعُكَن)
(لُؤْمكَ بادٍ لمن يراكَ إذا ... أقبلتَ في العارضَين والذَّقَن)
(ليتَكَ إذ كنتَ ضيِّقاً نَكِرا ... لم تُدْعَ من هاشِمٍ ولم تَكُن)
(جَدَّاكَ جَدَّانِ لم تُعَب بهما ... لكنَّما العيبُ منكَ في البَدَن)
قال فبلغ هجاؤه محمد بن سليمان فقال والله لا يفلتني أبدا وإنما يزداد حتفا بلسانه ولا والله لا أعفو عنه ولا أتغافل أبدا وقد اختلف في وفاة حماد
خبر مقتله
فأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو داحة وعبد الملك بن شيبان أن حمادا هرب من محمد بن سليمان فأقام بالأهواز مستترا وبلغ محمدا خبره فأرسل مولى له إلى الأهواز فلم يزل يطلبه حتى ظفر به فقتله غيلة
وأخبرني أحمد بن العباس وأحمد بن يحيى ومحمد بن عمران قالوا حدثنا الحسن بن عليل العنزي عن أحمد بن خلاد أن حمادا نزل بالأهواز على سليم بن سالم فأقام عنده مدة مستترا من محمد بن سليمان ثم خرج من عنده
يريد البصرة فمر بشير زاذان في طريقه فمرض بها فاضطر إلى المقام بها بسبب علته فاشتد مرضه فمات هناك ودفن على تلعة وكان بشار بلغه أن حمادا عليل لما به ثم نعي إليه قبل موته فقال بشار
(لو عاش حمَّاد لهونا به ... لكنَّه صار إلى النار)
فبلغ هذا البيت حمادا قبل أن يموت وهو في السياق فقال يرد عليه
(نُبِّئتُ بشّاراً نَعاني وللموت ... براني الخالِقُ الباري)
(يا ليتني مِتُّ ولم أهْجُهُ ... نعم ولو صرتُ إلى النَّار)
(وأيُّ خِزيٍ هو أخزى مِنْ أنْ ... يقالَ لي يا سِبَّ بشّار)
قال فلما قتل المهدي بشارا بالبطيحة اتفق أن حمل إلى منزله ميتا فدفن مع حماد على تلك التلعة فمر بهما أبو هشام الباهلي الشاعر البصري الذي كان يهاجي بشارا فوقف على قبريهما وقال
(قد تَبِع الأعمى قَفا عجردٍ ... فأصبحا جارين في دار)
(قالت بِقاعُ الأرض لا مَرْحبا ... بقرب حمّاد وبَشّار)

(تجاوَرَا بعد تنائِيهما ... ما أبغَضَ الجارَ إلى الجارِ)
(صارا جميعاً في يديْ مالِكٍ ... في النَّار والكافِرُ في النار)
صوت
(هل قَلْبُكَ اليومَ عن شَنْبَاء منصرفُ ... وأنتَ ما عشتَ مجنونٌ بها كَلِفُ)
(ما تُذكر الدهرَ إلا صدَّعت كَبِداً ... حَرَّى عليكَ وأَذْرتْ دمعةً تَكِفُ)
ذكر أبو عمرو الشيباني أن الشعر لحريث بن عتاب الطائي وذكر عمرو بن بانة أنه لاسماعيل بن يسار النساء والصحيح أنه لحريث والغناء لغريض ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وذكر الهشامي أنه لمالك

أخبار حريث ونسبه

حريث بن عتاب بالنون ابن مطر بن سلسلة بن كعب بن عوف بن عنين بن نائل بن أسودان وهو نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية وليس بمذكور من الشعراء لأنه كان بدويا مقلا غير متصد بالشعر للناس في مدح ولا هجاء ولا يعدو شعره أمر ما يخصه

تشبيبه بحبّي بنت الأسود

أخبرني بنسبه وما أذكره من أخباره عمي عن الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه وتمام الأبيات التي فيها الغناء بعد البيتين الأولين قوله
(يدومُ وُدِّي لمن دامت مودَّتُهُ ... وأصرف النفسَ أحياناً فتنصرفُ)
(يا وَيْحَ كلِّ محبٍّ كيف أرحمُهُ ... لأنَّني عارف صدقَ الذي يصفُ)
(لا تأمنَنْ بعد حُبّي خُلَّةً أبَداً ... على الخيانَة إنَّ الخائنَ الطَّرِف)
(كأنها ريشةٌ في أرضِ بلقَعَه ... من حيثما واجهتهَا الريحُ تنصرفُ)
(يُنسِي الخليلين طولُ النأي بينهما ... وتلتقي طُرُفٌ شتّى فتأتَلِفُ)
قال أبو عمرو قال حريث هذه القصيدة في امرأة يقال لها حبّى بنت الأسود من بني بحتر بن عتود وكان يهواها ويتحدث إليها ثم خطبها فوعده أهلها أن يزوجوه ووعدته ألا تجيب إلى تزويج إلا به فخطبها رجل من بني ثعل وكان موسرا فمالت إليه وتركت حريثا وقد خيرت بينهما فاختارت الثعلي فتزوجها فطفق حريث يهجو قومها وقوم المتزوج بها من بني بحتر وبني ثعل فقال يهجو بني ثعل
(بني ثُعَل أهلَ الخنا ما حديثُكُمْ ... لكم منطق غاوٍ وللنَّاس مَنْطِقُ)
(كأنَّكُم معزىً قواصِعُ جِرَّةٍ ... من العِيِّ أو طير يخَفَّان يَنْعِق)
(ديافيَّة قُلْفٌ كأنَّ خطيبهُم ... سراةَ الضُّحى في سَلْحه يتمطَّقُ)
قال أبو عمرو ولم يزل حريث يهجو بني بحتر وبني ثعل من أجل حبّى فبينا هو ذات يوم بخيبر وقد نزل على رجل من قريش وهو جالس بفنائه ينشد الشعر الذي قاله يهجو به بني ثعل وبني بحتر ابني عتود وبخيبر يومئذ رجل من بني جشم بن أبي حارثة بن جدي بن تدول بن بحتر يقال له أوفى بن حجر بن أسيد بن حيي بن ثرملة بن ثرغل بن خثيم بن أبي حارثة عند بني أخت له من قريش فمر أوفى هذا بحريث بن عناب وهو ينشد شعرا هجا به بني بحتر فسمعه أوفى وهو ينشد قوله
(وإنَّ أحَقَّ النَّاس طُرّاً إهانَةً ... عَتُودٌ يُباريه فَريرٌ وثَعلَبُ)
العتود التيس الهرم والفرير ولد الظبية ويباريه يفعل فعله فدنا منه أوفى وقال إني رجل أصم لا أكاد أسمع فتقرب إلي فقال له ومن أنت فقال أنا رجل من قيس وأنا أهاجي هذا الحي من بني ثعل وبني بحتر وأحب أن أروي ما قيل فيهم من الهجاء فأدنو منه وكانت معه هراوة قد اشتمل عليها فلما تمكن من ابن عناب جمع يديه بالهراوة ثم ضرب بها أنفه فحطمه وسقط على وجهه ووثب القرشي على أوفى فأخذه فوثب بنو أخته فانتزعوه من القرشي وكاد أن يقع بينهم شر وأفلت أوفى ودوري ابن عناب حتى صلح واستوى أنفه فقال أوفى في ذلك
(لاقَى ابنُ عَنّاب بخيبرَ ماجداً ... يَزَعُ اللئامَ وينصرُ الأحسابا)
(فضربتُهُ بهراوتي فتركتُه ... كالحِلْس منعفرَ الجبينِ مصابا)
قال ثم لحق أوفى بقومه فلما كان بعد ذلك بمدة اتهمه رجل من قريش بأنه سرق عبدا له وباعه بخيبر فلم يزل القرشي يطلبه حتى أخذه وأقام عليه البينة فحبس في سجن المدينة وجعلت للقرشي يده فبعث ابن عناب إلى عشيرته بني نبهان فأبوا أن يعاونوه وأقبل عرفاء بني بحتر إلى المدينة يريدون أن يؤدوا صدقات قومهم فيهم حصن وسلامة ابنا معرض وسعد بن عمرو بن لام ومنصور بن الوليد بن حارثة وجبار بن أنيف فلقوا القرشي وانتسبوا له وقالوا نحن نعطيك العوض من عبدك ونرضيك ولم يزالوا به حتى قبل وخلى سبيله فقال حريث يمدحهم ويهجو قومه الأدنين من بني نبهان
(لما رأيتُ العبدَ نَبْهَانَ تاركي ... بلماعةٍ فيها الحوادثُ تَخطِرُ)
(نُصِرتُ بمنصورٍ وبابْني معرِضٍ ... وسعدٍ وجبَّارٍ بل اللهُ يَنْصُرُ)
(وذو العرش أعطاني المودَّةَ منهُمُ ... وثَبَّتَ ساقي بعدما كِدتُ أعثُرُ)
(إذا رِكبَ الناسُ الطريقَ رأيتَهم ... لهم خابِطٌ أعمَى وآخر مُبصِرُ)
(لكلِّ بني عمرو بن غَوْثٍ رباعة ... وخيرُهُم في الشَّرِّ والخير بُحْتُرُ)
وقال أبو عمرو مر ابن عناب بعدما أسن بنسوة من بني قليع وهو يتوكأ على عصا فضحكن منه فوقف عليهن وأنشأ يقول
(هزئت نساءُ بني قُلَيع أن رأتْ ... خَلَقَ القميص على العصا يَتَركَّعُ)
(وجعلْنَنِي هُزُؤاً ولو يعرفْنَنِي ... لعلمن أنّي عند ضيمي أرْوَعُ)
(شعره حين أغار على قوم من بني أسد
قال أبو عمرو وكان حريث بن عناب أغار على قوم من بني أسد فاستاق إبلاً لهم فطلبه السلطان فهرب من نواحي المدينة وخيبر إلى جبلين في بلاد طيء يقال لهما مرى والشموس حتى غرم عنه قومه ما طلب ثم عاود وقال في ذلك
(إذا الدِّين أودَى بالفساد فقل له ... يَدعْنا ورُكْناً من مَعَدٍّ نصادِمُهْ)
(بِبِيضٍ خِفافٍ مرهَفاتٍ قواطعٍ ... لداودَ فيها أثْرُه وخواتِمُهْ)
(وزرْقٍ كستْها ريشَها مَضْرَحيَّةٌ ... أثِيثٌ خَوافِي ريشِها وقوادِمُهْ)
(إذا ما خرجْنا خَرَّت الأكْم سُجَّداً ... لعزٍّ عَلاَ حَيْزُومُه وعلاَجِمُهْ)

(إذا نحن سِرْنَا بين شرقٍ ومَغربٍ ... تحرَّكَ يقظانُ التُّرابَ ونائِمُهْ)
(وتفزَعِ مِنَّا الإِنْسُ والجِنُّ كلُّها ... ويُشرب مهجورُ المِياه وعائِمُهْ)
(ستمْنَع مُرَّى والشُّموسُ أخاهما ... إذا حكم السلطان حُكْماً يُضاجِمُهْ)
يميل فيه ويروى يصاحبه وقال أبو عمرو يصاحبه يزاحمه والأصحم منه مأخوذ إلى هنا انتهى الجزء الرابع عشر من كتاب الأغاني ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الخامس عشر منه وأوله أخبار جعفر بن الزبير ونسبه
حذف
بسم الله الرحمن الرحيم
صوت منسرح
(هَلْ في ادِّكار الحبيبِ من حَرَجِ ... أمْ هَلْ لِهمِّ الفؤادِ مِن فَرَجِ)
(أم كيف أنْسَى رحيلَنا حُرُماً ... يوم حلَلْنا بالنَّخلِ من أمَجِ)
(يومَ يقولُ الرسولُ قد أذِنَتْ ... فائْتِ على غير رِقْبةٍ فَلِجِ)
(أقبلْتُ أسعَى إلى رحالِهِمُ ... في نَفحةٍ من نسيمِها الأرِجِ)
الشعر لجعفر بن الزبير والغناء للغَرِيض خفيف ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق
وذكر عمرو بن بانة أنه لدحمان في هذه الطريقة والمجرى
وذكره يونس بغير طريقة وقال فيه لحنان لابن سريج والغريض
وذكر الهشامي أنّ لحن ابن سريج رمل بالوسطى
1 - خبار جعفر بن الزّبير ونسبه
جعفر بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصيّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب
وأم جعفر بن الزبير زينب بنت بشر بن عبد عمرو من بني قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل
أخبرني الطوسي قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني مصعب بن عثمان قال أخبرني جدّك عبد الله بن مصعب عن أبي عثمان بن مصعب عن شعيب بن جعفر بن الزبير قال فرض سليمان بن عبد الملك للناس في خلافته وعرض الفرض
قال وكان ابن حزم في ذلك محسناً يعلم الله إنّه كان يأمر الغلمان أن يتطاولوا على خفافهم ليرفعهم بذلك
قال شعيب بن جعفر بن الزّبير فقال لي سليمان بن عبد الملك من أنت قلت شعيب بن جعفر بن الزّبير
فقال ما فعل جعفر فقال له عمر بن عبد العزيز يا أمير المؤمنين على الكبر والعيال
فقال قل له يحضر الباب
فقال لجعفر احضر الباب
فدعا المنذر بن عبيدة بن الزبير فرفع معه رقعة وأرسله إلى عمر بن عبد العزيز فيها قوله سريع
(يا عُمَر بن عمر بن الخطّابْ ... إنّ وقوفي من وراء الأبوَابْ)
(...يَعدِلُ عندي حَطْمَ بعضِ الأنيابْ)
قال فلما قرأها عمر عذره عند سليمان فأمر له سليمان بألف دينار في دينه وألف دينار معونة على عياله وبرقيق من البيض والسّودان وكثير من طعام الجاري وأن يدان من الصّدقة بألفي دينار
قال فلما جاء ذلك إلى أبي قال أعطيته من غير مسألة فقيل نعم
قال الحمد لله ما أسخى هذا الفتى ما كان أبوه سخيّاً ولا ابن سخيٍّ
ولكن هذا كأنه من آل حرب
ثم قال طويل
(فما كنت دَيَّاناً فقد دِنْتُ إذ بَدَتْ ... صُكوكُ أميرِ المؤمنيْنَ تدورُ)
(بوَصْلِ أُولي الأرحامِ قَبْلَ سؤالِهِمْ ... وذلك أمرٌ في الكرامِ كثيرُ)
قال بعض من روى هذا الخبر عن الزبير الناس لا ينظرون في عيب أنفسهم وما كان لجعفر أن يعيب أحداً بالبخل وما رئي في الناس أحد أبخل منهم أهل البيت ولا من عبد الله بن الزبير خاصة وما كان فيهم جواد غير مصعب
قال الزبير حدثني عمي قال كان السلطان بالمدينة إذا جاء مال الصدقة أدان من أراد من قريش منه وكتب بذلك صكّا عليه فيستعبدهم به ويختلفون إليه ويديرونه فإذا غضب على أحد منهم استخرج ذلك منه حتّى كان هارون الرشيد فكلّمه عبد - الله بن مصعب في صكوك بقيت من ذلك على غير واحد من قريش فأمر بها فخرقت عنهم فذلك قول ابن الزبير - طويل
(فما كنت دَيَّاناً فقد دِنْتُ إذ بَدَتْ ... صُكوكُ أميرِ المؤمنيَن تدورُ)
قال الزبير وحدّثني عمّي مصعب قال شهد جعفر بن الزبير مع أخيه عبد الله حربه واستعمله عبد الله على المدينة وقاتل طويل -يومَ قتل عبد الله بن الزبير حتي جمِد الدم على يده وفي ذلك يقول جعفر
(لَعَمْرُكَ إنّي يوم أجْلَتْ رِكائِبي ... لأطْيَبُ نَفْساً بالجِلادِ لدى الرُّكن)
(ضَنِيْنٌ بمن خَلفِي شحيحٌ بطاعتي ... طِرادُ رجال لا مُطاردة الحُصُن)
الحُصن جمع حصان يقول هذا طراد القتال لا طراد الخيل في الميادين
(غداةَ تحامتْنا تُجيبُ وغافِقٌ ... وهَمْدانُ تبكي من مُطاردةِ الضُّبْن)
- قال الزبير وحدّثني عمي مصعب بن عثمان أنّ جعفر بن الزبير كانت بينه وبين أخيه عروة معاتبة فقال في ذلك - طويل
(لا تَلْحَيَنّي يابنَ أمّي فإنّني ... عدُوٌّ لمن عاديْتَ يا عُرْوَ جاهدُ)
(وفارقْتُ إخواني الذين تَتَابَعوا ... وفارقْتُ عبدَ الله والموتُ عائد)
(ولولا يمينٌ لا أزال أبرُّها ... لقد جمعتْنا بالفِناء المقاعد)
- قال الزبير أنشدتني عمّتي أسماء بنت مصعب بن ثابت لجعفر بن الزبير وأنشدنيه غيرُها يرثي ابناً له - طويل
صوت
(أهاجَكَ بَيْنٌ من حبيبٍ قدِ احتمَلْ ... نعَمْ ففؤادي هائمُ العقلِ مُخْتَبَلْ)
(وقالوا صُحَيرات اليمامِ وقدَّموا ... أوائِلَهمْ من آخرِ الليلِ في الثَّقَلْ)
((مررْنَ على ماءِ العُشَيْرة والهوى ... على مَلَلٍ يا لهْفَ نفسي على مَلَلْ)
(فَتى السنِّ كهلُ الحِلْمِ يهتزُّ للندَى ... أمرُّ من الدِّفْلَى وأحلى من العَسَلْ)

في هذه الأبيات خفيف رمل بالبنصر نسبه يحيى المكي إلى ابن سريج ونسبه الهشاميّ إلى الأبجر قال ويقال إنه لابن سهيل
أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائني وخبره أتمّ قال اصطحب قوم في سفر ومعهم رجل يغنّي وشيخ عليه أثر النّسك والعبادة فكانوا يشتهون أن يغنّيهم الفتى ويستحيون من الشّيخ إلى أن بلغوا إلى صحيرات اليمام فقال له المغنّي أيها الشيخ إنّ عليّ يميناً أن أنشد شعراً إذا انتهيت إلى هذا الموضع وإنّي أهابك وأستحي منك فإن رأيت أن تأذن لي في إنشاده أو تتقدّم حتى أوفي بيميني ثم نلحق بك فافعل
قال وما عليّ من إنشادك أنشد ما بدا لك
- فاندفع يغني - طويل
(وقالوا صُحَيْرات اليمام وقدَّموا ... أوائلَهمْ من آخر الليل في الثَّقَلْ)
(وردْنَ على ماءِ العُشَيْرة والهوى ... على مَلَلٍ يا لَهْفَ نفسي على مَلَلْ)
فجعل الشيخ يبكي أحرّ بكاء وأشجاه فقالوا له ما لك يا عمّ تبكي فقال لا جزيتم خيراً هذا معكم طول هذا الطريق وأنتم تبخلون عليّ به أتفرّج به ويقطع عني طريقي وأتذكّر أيام شبابي
فقالوا لا والله ما كان يمنعنا منه غير هيبتك
قال فأنتم إذاً معذورون
ثم أقبل عليه فقال عد فديتك إلي ما كنت عليه
فلم يزل يغنيهم طول سفرهم حتى افترقوا
- قال الزبير وأخبرني مصعب بن عثمان أن أمّ عروة بنت جعفر بن الزبير أنشدته لأبيها جعفر وكان يرقّصها بذلك - رجز
(يا حبّذا عُرْوَةُ في الدَّمالِج ... أَحَبُّ كلِّ داخلٍ وخارج)
قال وأخبرتني أن أخاها صالح بن جعفر غزا أرض الروم فقال فيه جعفر رجز البسيط
(قد راحَ يوم السبتِ حِينَ راحُوا ... مع الجَمَالِ والتُّقى صَلاحُ)
(من كلِّ حيٍّ نَفَرٌ سِماحُ ... بيضُ الوجوهِ عَرَبٌ صِحاحُ)
(وفزعوا وأخذ السلاحُ ... وهُمْ إذا ما كُرِه الشِّياحُ)
(... مصاعبٌ يكرهها الجراحُ)
قال الزبير ولجعفر شعر كثير قد نحل عمر بن أبي ربيعة ودخل في شعره فأمّا الأبيات التي ذكرت فيها الغناء فمن الناس من يرويها لعمر بن أبي ربيعة ومنهم من يرويها للأحوص وللعرجيّ وقد أنشدنيها جماعة من أصحابنا لجعفر بن الزبير وأخبرني بذلك الحرمي والطوسيّ وحبيب بن نصر المهلّبي وذكر الأبيات
وأخبرنيه عمّي عن ابن أبي سعيد عن سعيد بن عمرو عن أم عروة بنت جعفر مثله
قال ابن أبي سعد قال الحزاميّ الناس يروونها للعرجيّ وأمّ عروة أصدق
أخبرني الطوسيّ قال حدثنا الزبير قال حدثني سعيد بن عمرو الزبيري قال تزوج جعفر بن الزبير امرأة من خزاعة وفيها
- يقول - منسرح
(...هل في ادّكار الحبيبِ من حَرَجِ)
الأبيات
وزاد فيها بيتين وهما
(تُسفِر عن واضح إذا سَفَرتْ ... ليس بذي آمَةٍ ولا سَمِجِ)
وسقط البيت الآخر من الأصل
قال الزبير في رواية الطوسي حدّثني مصعب بن عثمان وعمي مصعب قالا
كان جماعة من قريش منتجين عن المدينة فصدر عن المدينة بدويّ فسألوه هل كان للمدينة خبر قال نعم مات أبو الناس قالوا وأنى ذلك قال شهده أهل المدينة جميعاً وبكي عليه من كلّ دار
فقال القوم هذا جعفر ابن الزبير فجاءهم الخبر بعد أنّ جعفر بن الزبير مات
أخبرني عمي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني إبراهيم بن معاوية عن أبي محمد الأنصاريّ عن عروة بن هشام بن عروة عن أبيه قال لمّا تزوّج الحجّاج وهو أمير المدينة بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أتى رجل سعيد ابن المسيب فذكر له ذلك فقال إني لأرجو أن لا يجمع الله بينهما ولقد دعا داعٍ بذلك فابتهل وعسى الله فإن أباها لم يزوّج إلا الدراهم
فلما بلغ ذلك عبد الملك بن مروان أبرد البريد إلى الحجاج وكتب إليه يغلظ له ويقصّر به ويذكر تجاوزه قدره ويقسم بالله لئن هو مسّها ليقطعنّ أحبّ أعضائه إليه ويأمره بتسويغ أبيها المهر وبتعجيل فراقها
ففعل فما بقي أحد فيه خير إلا سرّه ذلك
طويل -وقال جعفر بن الزبير وكان شاعراً في هذه القصة
(وجدْتُ أميرَ المؤمنين ابنَ يوسُفٍ ... حَمِيّاً من الأمرِ الذي جئْتَ تَنْكَفُ)
(ونُبِّئْتُ أنْ قد قالَ لمّا نكحتَها ... وجاءت به رسْلٌ تَخُبُّ وتُوجِف)
(ستَعلمُ أنّي قد أنِفْتُ لمَا جَرَى ... ومثلُكَ منه عَمْرَكَ الله يُؤنفُ)
(ولولا انتكاسُ الدهر ما نالَ مثلها ... رجاؤُك إذ لم يَرْجُ ذلكَ يوسُفُ)
(أبِنْتَ المصفَّى ذِي الجناحَيْن تبتغي ... لقد رُمْتَ خَطْباً قدرُه ليس يُوصَفُ)
صوت طويل
(كأنْ لم يكُن بينَ الحَجُونِ إلى الصَّفا ... أنيس ولم يَسْمُرْ بمكّة سامرُ)
(بَلَى نحنُ كنّا أهلها فأبادنا ... صروفُ الليالِي والجدودُ العواثر)
عروضه من الطويل
الشعر فيما ذكر ابنُ إسحاق صاحب المغازي لمُضَاض بن عمرو الجُرْهُميّ
وقال غيره بل هو للحارث بن عمرو بن مضاض
أخبرنا بذلك الجوهريُّ عن عمر بن شبة عن أبي غسان محمد بن يحيى عن غسان بن عبد الحميد

وقال عبد العزيز بن عمران هو عمرو بن الحارث بن مضاض
والغناء ليحيى المكي رمل بالوسطى عن عمرو
وفيه لإبراهيم الموصلي ماخوريّ بالبنصر
وفيه لأهل مكة لحن قديم ذكره إبراهيم ولم يجنّسه

ذكر خبر مضاض بن عمرو

هو مضاض بن عمرو بن الحارث الجرهمي
وكان جده مضاض قد زوّج ابنته رعلة إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن فولدت له اثني عشر رجلاً أكبرهم قيذار ونابت
وكان أبوه إبراهيم عليه السلام أمره بذلك لأنه لما بنى مكة وأنزلها ابنه قدم عليه قدمة من قدماته فسمع كلام العرب
وقد كانت طائفة من جرهم نزلت هنالك مع إسماعيل فأعجبته لغتهم واستحسنها فأمر إسماعيل عليه السلام أن يتزوج إليهم فتزوج بنت مضاض بن عمرو وكان سيدهم
فأخبرنا محمد بن جرير قال حدّثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق
وأخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا إسحاق بن أحمد الخزاعي قال حدثنا محمد بن عبد الله الأزرقي قال حدّثني جدي عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن محمد بن إسحاق
ورواية إسحاق بن أحمد أتمّ
وقد جمعتها أن نابت بن إسماعيل ولي البيت بعد أبيه ثم توفي فولي مكانه جدّه لأمه مضاض بن عمرو الجرهمي فضم ولد نابت بن إسماعيل إليه ونزلت جرهم مع ملكهم مضاض بن عمرو بأعلى مكة ونزلت قطوراء مع ملكهم السميدع أجياد أسفل مكة
وكان هذان البطنان خرجا
سيارة من اليمن وكذلك كانوا لا يخرجون إلا مع ملك يملكونه عليهم فلما رأوا مكة رأوا بلداً طيباً وماء وشجراً فنزلا ورضي كل واحد منهما بصاحبه ولم ينازعه فكان مضاض يعشر من جاء مكة من أعلاها وكان السميدع يعشر من جاءها من أسفلها ومن كداء لا يدخل أحدهما على صاحبه في أمره ثم إن جرهما وقطوراء بغى كل واحد منهما على صاحبه فتنافسوا في الملك حتى نشبت الحرب بينهم وكانت ولاية البيت إلى مضاض دون السميدع فخرج مضاض من بطن قعيقعان مع كتيبته في سلاح شاك يتقعقع فيقال ما سميت قعيقعان إلا بذلك وخرج السميدع من شعب أجياد في الخيل الجياد والرجال ويقال ما سميت أجياداً إلا بذلك حتى التقوا بفاضح فاقتتلوا قتالاً شديداً وفضحت قطوراء ويقال ما سمّي فاضحاً إلا بذلك ثم تداعى القوم إلى الصلح فساروا حتى نزلوا المطابخ شعباً بأعلى مكة وهو الذي يقال له الآن شعب ابن عامر فاصطلحوا هناك وسلّموا الأمر إلى مضاض فلمّا اجتمع له أمر مكة وصار ملكها دون السميدع نحر للناس فطبخوا هناك الجزر فأكلوا وسمي ذلك الموضع المطابخ
- فيقال إنّ هذا أول بغي بمكة فقال مضاض بن عمرو في تلك الحرب - طويل
(ونحنُ قتلنا سيِّدَ الحيِّ عَنْوَةً ... فأصبحَ منها وهو حَيْرانُ مُوجَعُ)
يعني أنّ الحيَّ أصبح حيرانَ موجَعاً
(وما كانَ يبغي أن يكون سِوَاؤنا ... بها مَلِكاً حتّى أتانا السَّميدعُ)
((فذاقَ وبالاً حين حاوَلَ مُلْكَنا ... وحاوَلَ مِنّا غُصَّةً تُتَجَرَّعُ)
(ونحنُ عَمَرْنا البيتَ كُنّا وُلاتَه ... نُضارِب عنه مَنْ أتانا ونَدْفَعُ)
(وما كان يبغي ذاك في الناس غيرُنا ... ولم يَكُ حيٌّ قبلنا ثَمَّ يمنعُ)
(وكُنّا ملوكاً في الدهور التي مضَتْ ... ورِثْنا مُلوكاً لا تُرام فتُوضَعُ)
قال عثمان بن ساج في خبره وحدثني بعض أهل العلم أن سيلاً جاء فدخل البيت فانهدم فأعادته جرهم على بناء إبراهيم بناه لهم رجل منهم يقال له أبو الجدرة واسمه عمر الجارود وسمّي بنوه الجدرة
قال ثم استخفت جرهم بحقّ البيت وارتكبوا فيه أموراً عظاماً وأحدثوا فيه أحداثاً قبيحة وكان للبيت خزانة وهي بئر في بطنه يلقى فيها الحلي والمتاع الذي يهدى له وهو يومئذ لا سقف عليه فتواعد عليه خمسة من جرهم أن يسرقوا كلّ ما فيه فقام على كل زاوية من البيت رجل منهم واقتحم الخامس فجعل الله عز وجل أعلاه أسفله وسقط منكّساً فهلك وفرّ الأربعة الآخرون
قالوا ودخل إساف ونائلة البيت ففجرا فيه فمسخهما الله حجرين فأخرجا من البيت
وقيل إنّه لم يفجر بها في البيت ولكنه قبّلها في البيت
وذكر عثمان بن ساج عن أبي الزناد أنه إساف بن سهيل وأنها نائلة بنت عمرو بن ذئب
وقال غيره إنها نائلة بنت ذئب
فأخرجا من الكعبة ونصبا ليعتبر بهما من رآهما ويزدجر النّاس عن مثل ما ارتكبا فلما غلبت خزاعة على مكة ونسي حديثهما حوّلهما عمرو بن لحيّ بن كلاب بعد ذلك فجعلهما تجاه الكعبة يذبح عندهما عند موضع زمزم
قالوا فلما كثر بغي جرهم بمكة قام فيهم مضاض بن عمرو بن الحارث ابن مضاض فقال يا قوم احذروا البغي فإنه لا بقاء لأهله وقد رأيتم من كان قبلكم من العماليق استخفوا بالحرم ولم يعظموه وتنازعوا بينهم واختلفوا حتّى سلطكم الله عليهم فاجتحتموهم فتفرقوا في البلاد فلا تستخفوا بحق الحرم وحرمة بيت الله ولا تظلموا من دخله وجاءه معظماً لحرماته أو خائفاً أو رغب في جواره فإنّكم إن فعلتم ذلكم تخوّفت أن تخرجوا منه خروج ذل وصغار حتى لا يقدر أحد منكم أن يصل إلى الحرم ولا إلى زيارة البيت الذي هو لكم حرز وأمن والطير تأمن فيه
فقال قائل منهم يقال له مجدع ومن الذي يخرجنا منه ألسنا أعزّ العرب وأكثرهم مالاً وسلاحاً فقال مضاض إذا جاء الأمر بطل ما تذكرون فقد رأيتم ما صنع الله بالعماليق قالوا وقد كانت العماليق بغت في الحرم فسلّط الله عزّ وجل عليهم الذر فأخرجهم منه ثم رموا بالجدب من خلفهم حتى ردهم الله إلى مساقط رؤوسهم ثم أرسل عليهم الطوفان قال والطوفان الموت قال فلما رأى مضاض بن عمرو بغيهم ومقامهم عليه عمد إلى كنوز الكعبة وهي غزالان من ذهب وأسياف قلعية فحفر لها ليلاً في موضع زمزم ودفنها
فبيناهم على ذلك إذ سارت القبائل من أهل مأرب ومعهم طريقة الكاهنة حين خافوا سيل العرم وعليهم مزيقياء وهو عمرو بن عامر بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن

يشجب بن يعرب بن قحطان فقالت لهم طريفة لما قاربوا مكة وحق ما أقول وما علّمني ما أقول إلا الحكيم المحكم ربّ جميع الأمم من عرب وعجم
قالوا لها ما
شأنك يا طريفة قالت خذوا البعير الشدقم فخضبوه بالدم تكن لكم أرض جرهم جيران بيته المحرم
فلما انتهوا إلى مكة وأهلها أرسل إليهم عمرو ابنة ثعلبة فقال لهم يا قوم إنا قد خرجنا من بلادنا فلم ننزل بلدة إلا أفسح أهلها لنا وتزحزحوا عنا فنقيم معهم حتى نرسل رواداً فيرتادوا لنا بلداً يحملنا فافسحوا لنا في بلادكم حتى نقيم قدر ما نستريح ونرسل روادنا إلى الشأم وإلى الشرق فحيثما بلغنا أنه أمثل لحقنا به وأرجو أن يكون مقامنا معكم يسيراً فأبت ذلك جرهم إباءً شديداً واستكبروا في أنفسهم وقالوا لا والله ما نحب أن تنزلوا فتضيقوا علينا مرابعنا ومواردنا فارحلوا عنا حيث أحببتم فلا حاجة لنا بجواركم
فأرسل إليهم إنه لا بدّ من المقام بهذا البلد حولاً حتى ترجع إليّ رسلي التي أرسلت فإن أنزلتموني طوعاً نزلت وحمدتكم وآسيتكم في الرعي والماء وإن أبيتم أقمتُ على كرهكم ثم لم ترتعوا معي إلاّ فضلاً ولم تشربوا إلا رنقا وإن قاتلتموني قاتلتكم ثم إن ظهرت عليكم سبيت النساء وقتلت الرجال ولم أترك منكم أحداً ينزل الحرم أبداً فأبت جرهم أن تنزله طوعاً وتعبت لقتاله فاقتتلوا ثلاثة أيام أفرغ عليهم فيها الصبر ومنعوا النصر ثم انهزمت جرهم فلم يفلت منهم إلا الشريد
وكان مضاض بن عمرو قد اعتزل حربهم ولم يعنهم في ذلك وقال قد كنت أحذركم هذا ثم رحل هو وولده وأهل بيته حتّى نزلوا قنوني وما حوله فبقايا جرهم به إلى اليوم وفني الباقون
أفناهم السيف في تلك الحروب
قالوا فلما حازت خزاعة أمر مكة وصاروا أهلها جاءهم بنو إسماعيل وقد كانوا اعتزلوا حرب جرهم وخزاعة فلم يدخلوا في ذلك فسألوهم السكنى معهم وحولهم فأذنوا لهم فلما رأى ذلك مضاض بن عمرو بن الحارث وقد كان أصابه من الصبابة إلى مكة أمر عظيم أرسل إلى خزاعة يستأذنها ومتّ إليهم برأيه وتوريعه قومه عن القتال وسوء العشرة في الحرم
واعتزاله الحرب فأبت خزاعة أن يقروهم ونفوهم عن الحرم كله وقال عمرو بن لحي لقومه من وجد منكم جرهمياً قد قارب الحرم فدمه هدر فنزعت إبل لمضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو من قنوني تريد مكة فخرج في طلبها حتى وجد أثرها قد دخلت مكة فمضى على الجبال نحو أجياد حتى ظهر على أبي قبيس يتبصر الإبل في بطن وادي مكة
- فأبصر الإبل تنحر وتؤكل ولا سبيل له إليها فخاف إن هبط الوادي أن يقتل فولّى منصرفاً إلى أهله وأنشأ يقول - طويل
(كأنْ لم يكن بينَ الحَجُونِ إلى الصّفا ... أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكّةَ سامرُ)
(ولم يَتَربَّعْ واسِطاً فَجنوبَه ... إلى المُنْحنَى من ذي الأراكة حاضر)
((بَلَى نحنُ كنّا أهلَها فأبادنا ... صروفُ اللّيالي والجدود العواثر
(وأبدلَنا ربّي بها دارَ غُرْبةٍ ... بها الذئبُ يعوي والعدوُّ المخامر)
(أقولُ إذا نام الخَلِيُّ ولم أنَمْ ... أذَا العَرْشِ لا يَبْعَدْ سُهيلٌ وعامر)
(قد ابدِلْتُ منهمْ أوجُهاً لا أريدُها ... وحِمْيَرُ قد بُدّلْتُها واليُحَابرُ)
(فإن تَمِلِ الدُّنيا علينا بكَلّها ... ويُصبِحُ شرٌّ بيننا وتشاجُرُ)
(فنحنُ ولاةُ البيتِ مِن بعد نابتٍ ... نُمشّى به والخيرُ إذْ ذاكَ ظاهر)
(وأنكحَ جدّي خيْرَ شخصٍ علمتُه ... فأبناؤه مِنّا ونحنُ الأصاهر)
(وأخْرَجنا منها المليكُ بقدرةٍ ... كذلك يا لَلنّاس تجري المقادر)
(فصرنا أحاديثاً وكنّا بغِبطةٍ ... كذلك عَضَّتْنا السّنونَ الغوابرُ)
(وسحَّتْ دموعُ العينِ تبكي لبلدةٍ ... بها حَرَمٌ أمْنٌ وفيها المشاعر)
(ويا ليتَ شعري مَنْ بأجيادَ بعدَنا ... أقامَ بمُفْضَى سيله والظَّواهِر)
(فبطنُ مِنىً أمسَى كأنْ لم يكنْ بهِ ... مُضَاضٌ ومِنْ حَيَّيْ عديٍّ عمائرُ)
(فهل فَرَجٌ آتٍ بشَيْءٍ نحِبُّه ... وهل جَزَعٌ مُنْجِيكَ ممّا تحاذرُ)
- قالوا وقال أيضاً - بسيط
(يا أيُّها الحيُّ سيروا إنَّ قَصرَكُمُ ... أن تُصبِحوا ذاتَ يومٍ لا تسيرونا)
(إنّا كما أنتمُ كُنّا فغيَّرنَا ... دهرٌ بصَرْفٍ كما صِرْنا تصيرونا)
(أزجوا المطيَّ وأرخُوا مِن أزِمَّتها ... قَبْلَ المماتِ وقَضُّوا ما تُقَضُّونا)
(قد مال دهرٌ علينا ثمَّ أهلَكَنا ... بالبَغْي فيه فقد صِرْنا أفانينا)
(كنّا زماناً ملوكَ الناس قَبلكُم ... نأوي بلاداً حراماً كان مسكونا)
قال الأزرقي فحدثني محمد بن يحيى قال حدثني عبد العزيز بن عمران قال
وخرج أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي قبيل الإسلام في نفر من قريش يريدون اليمن فأصابهم عطش شديد ببعض الطريق وأمسوا على غير الطريق فتشاوروا جميعاً فقال لهم أبو سلمة إنّي أرى ناقتي تنازعني شقاً أفلا أرسلها وأتبعها قالوا فافعل
فأرسل ناقته وتبعها فأضحوا على ماء وحاضر فاستقوا وسقوا فإنهم لعلى ذلك إذ أقبل إليهم رجل فقال من القوم قالوا من قريش
فرجع إلى شجرة أمام الماء فتكلم عندها بشيء ثم رجع إلينا فقال أينطلق معي أحدكم إلى رجل ندعوه قال أبو سلمة فانطلقت معه فوقف بي تحت شجرة فإذا وكر معلق فصوت يا أبت فزعزع شيخ رأسه فأجابه
فقال هذا الرجل
فقال لي ممن الرجل قلت من قريش
قال من أيها قلت من بني مخزوم بن يقظة
قال من أيهم قلت أنا أبو سلمة بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة
- قال أيهات منك أنا ويقظة سن أتدري من يقول - طويل
(كأنْ لم يكن بينَ الحَجُونِ إلى الصّفا ... أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكّةَ سامرُ)

(بَلَى نحنُ كنّا أهلَهَا فأبادَنا ... صُروفُ اللّيالي والجدودُ العواثر)
قلت لا
قال أنا قائلها أنا عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي
أتدري لم سمي أجياد أجياداً قلت لا
قال جادت بالدماء يوم التقينا نحن وقطوراء أتدري لم سمي قعيقعان قلت لا
قال لتقعقع السلاح على ظهورنا لما طلعنا عليهم منه
وأخبرني بهذا الخبر الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثنا عبد العزيز بن عمران قال حدثني راشد بن حفص بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال قال أبو سلمة بن عوف
وخرجت في نفر من قريش يريدون اليمن
وذكر الخبر مثل حديث الأزرقي
والله أعلم
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن يحيى قال حدثنا غسان بن عبد العزيز بن عبد الحميد أن ربيعة بن أمية بن خلف كان قد أدمن الشراب وشرب في شهر رمضان فضربه عمر رضي الله عنه وغربه إلى ذي المروة فلم يزل بها حتى توفي واستخلف عثمان رضي الله
عنه فقيل له قد توفي عمر واستخلف عثمان فلو دخلت المدينة ما ردك أحد
قال لا والله لا أدخل المدينة فتقول قريش قد غربه رجل من بني عدي بن كعب
فلحق بالروم وتنصر فكان قيصر يحبوه ويكرمه فأعقب بها
قال غسان حدثني أبي قال قدم رسول يزيد بن معاوية على معاوية من بلاد الروم فقال له معاوية هل كان للناس خبر
قال بينا نحن محاصرون مدينة كذا وكذا إذ سمعنا رجلاً فصيح اللسان مشرفا من بين شرفتين من شرف الحصن وهو
- ينشد - طويل
(كأنْ لم يكن بينَ الحَجُون إلى الصّفا ... أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكّةَ سامرُ)
فقال معاوية ويحك ذاك الربيع بن أمية يتغنى بشعر عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي
أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم قال قال لي أبي مر بالدواب تسرج سحراً حتى نغدو إلى ابن جامع نستقبله بالياسرية بسحرة لا تأخذنا الشمس قال فأمرت بذلك
وركبنا في السحر فأصبحنا دون الياسرية وقد طلعت علينا الشمس
قال فجئنا إلى ابن جامع وإذا به مختضب وعلى رأسه ولحيته خرق الخضاب وإذا بقدر تطبخ في الشمس فلما نظر إلينا رحب بنا وقام إلينا فسلم علينا ثم دعا الماء فغسل رأسه ولحيته ثم دعا بالغداء فأتي بغدائه فغرف لنا من تلك القدر التي في الشمس فتقززت وبشعت من ذلك الطعام الذي طبخ فأشار إليّ أبي بأن كل
فأكلنا حتى فرغنا من غدائنا فلما غسلنا أيدينا نادى ابن جامع يا غلام هات شرابنا فأتي بنبيذٍ في زكرة قد كانت الزكرة في الشمس فكرهت ذلك فأشار إليّ أبي أن لا تمتنع ثم أتوا بقدح جيشاني ملءِ الكف فصب النبيذ فيه وهو يشبه ماء
- قد أغلي بالنار ثم غنى ابن جامع فقال - طويل
(كأنْ لم يكنْ بينَ الحَجُون إلى الصّفا ... أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكّةَ سامرُ)
(بَلَى نحنُ كنّا أهلَها فأزالنا ... صرُوفُ اللّيالي والجُدُودُ العواثرُ)
صوت
- ثم غنى للعرجي - بسيط
(لو أنَّ سلمَى رأتْنا لا يَرَاعَ لنا ... لَمَا هَبَطْنا جميعاً أبْطُنَ السوقِ)
(وكَسْرَنا وكُبُولُ القَيْنِ تنكؤنا ... كالأُسْدِ تَكشِرُ عن أنيابِها الرُّوق)
صوت
- ثم تغنى - وافر
(أُجَرَّرُ في الجوامِعِ كُلَّ يومٍ ... فيا للهِ مَظْلمَتي وصَبْري)
ثم أمر بالرحيل
وقد غنى هذه الثلاثة الأصوات
فقال لي أبي يا بني بشعت لما
رأيتَ من طعام ابن جامع وشرابه فعلي عتق ما أملك إن لم يكن شرب الدم مع هذا طيبا
ثم قال أسمعت بني غناء قط أحسن من هذا فقلت لا والله ما سمعت
قال ثم خرج ابن جامع حتى نزل بباب أمير المؤمنين الرشيد ليلاً واجتمع المغنون على الباب وخرج الرسول إليهم فأذن لهم والرشيد خلف الستارة فغنوا إلى السحر فأعطاهم ألف دينار إلاّ ابن جامع فلم يعطه شيئاً وانصرفوا متوجهين له
وعرضوا عليه جميعاً فلم يقبل وانصرفوا فلما كان في الليلة الثانية دعوا فغنوا ساعة ثم كشفت الستارة وغنى ابن جامع
- صوتاً عرض فيه بحاله وهو - طويل
صوت
(تقولُ أقِمْ فينا فقيراً وما الذي ... تَرَى فيه ليلَى أن أُقيمَ فقيرا)
(ذَرِيني أَمُتْ يا ليل أو أكسِبَ الغنى ... فإنّي أرى غَيرَ الغنيِّ حقيرا)
(يُدَفَّعِ في النادي ويُرفَض قوله ... وإن كان بالرأي السَّديدِ جديرا)
(ويُلزَمُ ما يَجنِي سواه وإن يَطِفْ ... بذنبٍ يكن منه الصغيرُ كبيرا)
قالوا فأعجب الرشيد ذلك الشعر واللحن فيه وأمال رأسه نحوه كالمستدعي له
- وغناه أيضاً - طويل
صوت
(لئن مِصرُ فاتَتْني بما كنْتُ أرتجي ... وأخلَفَني منها الذي كنتُ آمُلُ)
(فما كلُّ ما يخشى الفتى نازلٌ بهِ ... ولا كلُّ ما يرجو الفتى هو نائلُ)

(وَوَاللهِ ما فرّطت في وجهِ حِيلةٍ ... ولكنَّ ما قد قَدَّر الله نازل)
(وقد يَسْلَم الإنسانُ من حيث يتَّقي ... ويُؤتَى الفتى مِن أمنِهِ وهو غافلُ)
ثم أمر بالانصراف فانصرفوا فلمّا بلغوا الستر صاح به الخادم يا قرشيّ مكانك
فوقف مكانه فخرج إليه بخلع وسبعة آلاف دينار وأمر إن شاء أن يقيم وإن شاء أن ينصرف
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال ذكر الكلبي عن أبيه أنّ الناس بينا هم في ليلة مقمرة في المسجد الحرام إذ بصروا بشخص قد أقبل كأن قامته رمح فهربوا من بين يديه وهابوه فأقبل حتى طاف بالبيت الحرام سبعاً ثم وقف
- فتمثل - طويل
(كأنْ لم يكُنْ بينَ الحَجُون إلى الصّفا ... أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكّةَ سامرُ)
قال فأتاه رجل من أهل مكة فوقف بعيداً منه ثم قال سألتك بالذي خلقك أجني أنت أم إنسي فقال بل إنسي أنا امرأة من جرهم كنا سكان هذه الأرض وأهلها فأزالنا عنها هذا الزمان الذي يبلي كل جديد وبغيره ثم انصرفت خارجة عن المسجد حتى غابت عنهم ورجعوا إلى مواضعهم
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي عن جدي قال قال لي يحيى بن خالد يوماً أخبرك برؤيا رأيتها قلت خيراً رأيتَ
قال رأيت كأنّي خرجت من داري راكباً ثم التفت يميناً وشمالاً فلم أرَ معي أحداً حتى صرت إلى الجسر فإذا بصائح يصيح
- من ذلك الجانب - طويل
(كأنْ لم يكن بينَ الحَجُون إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكّةَ سامرُ)
فأجبته بقوله
(بَلَى نحنُ كنَّا أهلَها فأبادنَا ... صرُوفُ اللَّيالي والجُدُودُ العواثرُ)
فانصرفت إلى الرشيد فغنيته الصوت وخبرته الخبر فعجب منه وما مضت الأيام
حتى أوقع بهم
صوت خفيف
(شاقَني الزائراتُ قَصْرَ نَفيْسٍ ... مُثْقَلاتِ الأعجاز قُبَّ البُطونِ)
(يتربَّعْنَهُ الربيعَ وينزلْ ... إذا صِفْنَ منزلَ الماجِشونِ)
يتربعنه ينزلنه في أيام الربيع
يقال لمنزل القوم في أيام الربيع متربعهم
- قال الشاعر - طويل
(أمِن آلِ ليلى بالملاَ متربَّعُ ... كما لاحَ وشْمٌ في الذِّراع مُرَجَّعُ)
والماجشون رجل من أهل المدينة يروى عنه الحديث
والماجشون لقب لقبته به سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وهو اسم لون من الصبغ أصفر تخالطه حمرة وكذلك كان لونه
ويقال إنها ما لقبت أحداً قط بلقب إلاّ لصق به
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا مصعب الزبيري قال حدثني ابن الماجشون قال نظرت سكينة إلى أبي فقالت كأن هذا الرجل الماجشون وهو صبغ أصفر تخالطه حمرة فلقب بذلك
قال عبد العزيز ونظرت إلى رجلٍ من ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكانت فيه غلظة فقالت هذا الرجل في قريش كالشيرج في الأدهان فكان
ذلك الرجل يسمى فلان شيرج حتى مات
الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء لإبراهيم الموصلي
خفيف رمل مطلق في مجرى البنصر وفيه لبصبص جارية ابن نفيس التي قيل هذا الشعر فيها رمل
وذكر حبش أن لها فيه أيضاً ثقيل أول بالوسطى
3 - كر أخبار بصبص جارية ابن نفيس وأخبارها
كانت بصبص هذه جارية مولدة من مولدات المدينة حلوة الوجه حسنة الغناء قد أخذت عن الطبقة الأولى من المغنين وكان يحيى بن نفيس مولاها وقيل نفيس بن محمد والأول أصح صاحب قيان يغشاه الأشراف ويسمعون غناء جواريه وله في ذلك قصص نذكرها بعد وكانت بصبص هذه أنفسهن وأشدهن تقدماً
وذكر ابن خرداذبه أنّ المهدي اشتراها وهو ولي العهد سراً من أبيه بسبعة عشر ألف دينار فولدت منه علية بنت المهدي
وذكر غيره أن ابن خرداذبه غلط في هذا وأن الذي صح أن المهدي اشترى بهذه الجملة جارية غيرها وولدت علية
وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أن ابن القداح حدثه قال كانت مكنونة جارية المروانية وليست من آل مروان بن الحكم وهي زوجة الحسين بن عبد الله بن العباس أحسن جارية بالمدينة وجهاً وكانت رسحاء وكان بعض من يمازحها يعبث بها ويصيح طست طست وكانت حسنة الصدر والبطن وكانت توضح بهما وتقول ولكن هذا
فاشتريت للمهدي في حياة أبيه بمائة ألف درهم فغلبت عليه حتى كانت الخيرزان تقول ما ملك أمة أغلظ عليّ منها واستتر أمرها على المنصور حتى مات
وولدت من المهدي علية بنت المهدي
والذي قال ابن خرداذبه غير مردود إذا كان هذا صحيحاً
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن غرير بن طلحة قال اتعد محمد بن يحيى بن زيد بن علي ابن الحسين وعبد الله بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير وعبد الله بن مصعب الزبيري وأبو بكر بن محمد بن عثمان الربعي ويحيى بن عقبة أن يأتوا بصبص جارية ابن نفيس فعجل محمد بن يحيى وكان من أصحاب عيسى بن موسى
- ليخرج إلى الكوفة فقال عبد الله بن مصعب - سريع
(أرائحٌ أنتَ أبا جعفرٍ ... من قبل أن تَسمع مِنْ بَصْبَصا)
(هيهاتَ أن تَسمع منها إذا ... جاوَزَتِ العِيسُ بك الأعوصا)
(فخُذْ عليها مجلسَيْ لذّةٍ ... ومجلساً مِنْ قَبل أن تَشْخَصا)

(أحلِفُ باللهِ يميناً ومَنْ ... يحلفُ باللهِ فقد أخْلَصا)
(لو أنَّها تدعُو إلى بَيْعة ... بايعتُها ثمّ شققْتُ العصا)
قال وفيها غناء لبصبص
قال فاشتراها أبو غسان مولى منيرة للمهدي بسبعة عشر ألف دينار
قال حماد وحدثني أبي عن الزبير أن عبد الله بن مصعب خاطب بهذا
الشعر أبا جعفر المنصور لما حج فاجتاز بالمدينة منصرفاً من الحج لا أبا جعفر محمد بن يحيى بن زيد
أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي إجازة قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن سلام قال حدثني موسى بن مهران قال كانت بالمدينة قينة لآل نفيس بن محمد يقال لها بصبص وكان مولاها صاحب قصر نفيس الذي يقول فيه
- الشاعر - خفيف
(شاقَني الزائراتُ قَصْرَ نَفيْسٍ ... مُثقَلاتِ الأعجاز قُبَّ البُطونِ)
قال وكان عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يأتيها فيسمع منها وكان يأتيها فتيان من قريش فيسمعون
- منها فقال عبد الله بن مصعب حين قدم المنصور منصرفاً من الحج ومر بالمدينة يذكر بصبص - سريع
(أراحِلٌ أنت أبا جعفرٍ ... مِن قبلِ أن تَسمعَ مِنْ بصبصا)
وذكر الأبيات فبلغت أبا جعفر فغضب فدعا به فقال أما إنكم يا آل الزبير قديماً ما قادتكم النساء وشققتم معهن العصا حتى صرت أنت آخر الحمقى تبايع المغنيات فدونكم يا آل الزبير هذا المرتع الوخيم
- قال ثم بلغ أبا جعفر بعد ذلك أن عبد الله بن مصعب قد اصطبح مع بصبص وهي تغنيه بشعره - سريع
صوت
(إذَا تَمزَّزْتُ صُراحيّةً ... كمثل ريحِ المسكِ أو أطيبُ)
((ثم تَغنّي لي بأهزاجِهِ ... زيدٌ أخو الأنصارِ أو أشعبُ
(حسبْتُ أنّي مالكٌ جالسٌ ... حَفَّتْ به الأملاكُ والموكِبُ)
(فلا أُبالي وإلهِ الوَرَى ... أشرَّقَ العالَمُ أم غرَّبوا)
الغناء لزيد الأنصاري هزج مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي وغيره وذكر غيره أنه لأشعب
فقال أبو جعفر العالم لا يبالون كيف أصبحت وكيف أمسيت
ثم قال أبو جعفر ولكن الذي يعجبني أن يحدو بي الحادي الليلة بشعر طريف العنبري فهو آلف في سمعي من غناء بصبص وأحرى أن يختاره أهل العقل
قال فدعا فلاناً الحادي قد ذكره وسقط اسمه وكان إذا حدا وضعت الإبل رؤوسها لصوته وانقادت انقياداً عجيباً فسأله المنصور ما بلغ من حسن حدائه قال تعطش الإبل ثلاثاً أو قال خمساً وتدنى من الماء ثم أحدو فتتبع كلها صوتي ولا تقرب الماء
- فحفظ الشعر وكان - كامل
(إنّي وإن كان ابن عمِّي كاشحاً ... لَمُزاحِمٌ من دُونه ووَرائِهِ)
(ومُمِدُّهُ نَصْري وإنْ كان امرأً ... متزحزِحاً في أرضِهِ وسمائِهِ)
(وأكونُ مأوى سِرِّه وأصونُه ... حتَّى يَحِقَّ عليّ يومُ أدائه)
(وإذَا أتَى من غَيبِهِ بطَرِيفةٍ ... لم أطَّلِعْ ماذا وراءَ خِبائه)
(وإذا تحيَّفَتِ الحوادثُ مالَه ... قُرِنَتْ صحيحتُنا إلى جَرْبائه)
(وإذا تريَّشَ في غِناه وفَرْتُه ... وإذا تَصعلَكَ كنْتُ من قرنائهِ)
((وإذا غدا يوماً ليركب مَركَباً ... صَعْباً قعدْتُ له على سيسائِهِ
فلما كان الليل حدا به الحادي بهذه الأبيات فقال هذا والله أحث على المروءة وأشبه بأهل الأدب من غناء بصبص
قال فحدا به ليلة فلما أصبح قال يا ربيع أعطِه درهماً
فقال له يا أمير المؤمنين حدوت بهشام بن عبد الملك فأمر لي بعشرين ألف درهم وتأمر أنت بدرهم قال إنّا لله ذكرت ما لم نحب أن تذكره ووصفت أنّ رجلاً ظالماً أخذ مال الله من غير حله وأنفقه في غير حقه
يا ربيع اشدد يديك به حتى يرد المال
فبكى الحادي وقال يا أمير المؤمنين قد مضت لهذا السنون وقضيت به الديون وتمزقته النفقات ولا والذي أكرمك بالخلافة ما بقي عندي منه شيء
فلم يزل أهله وخاصته يسألونه حتى كف عنه وشرط عليه أن يحدو به ذاهباً وراجعاً ولا يأخذ منه شيئاً
أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني القاسم بن زيد المديني قال اجتمع ذات يوم عند بصبص جارية ابن نفيس عبد الله بن مصعب الزبيري ومحمد بن عيسى الجعفري في أشراف من أهل المدينة فتذاكروا مزبداً المديني صاحب النوادر وبخله فقالت بصبص أنا آخذ لكم منه درهماً
فقال لها مولاها أنت حرة لئن فعلت إن لم أشتر لك مخنقة بمائة ألف دينار وإن لم أشتر لك ثوب وشي بما شئت وأجعل لك مجلساً بالعقيق أنحر لك فيه بدنة لم تقتب ولم تركب
فقالت جئ به وارفع عني الغيرة
فقال أنت حرة أن لو رفع برجليك لأعنته على ذلك
فقال عبد الله بن
مصعب فصليت الغداة في مسجد المدينة فإذا أنا به فقلت أبا إسحاق أما تحب أن ترى بصبص جارية ابن نفيس فقال امرأته طالق إن لم يكن الله ساخطاً عليّ فيها وإن لم أكن أسأله أن يرينيها منذ سنة فما يفعل
فقلت له اليوم إذا صليت العصر فوافني ههنا
قال امرأته طالق إن برحت من ههنا حتى تجيء صلاة العصر
قال فتصرفت في حوائجي حتى كانت العصر ودخلت المسجد فوجدته فيه فأخذت بيده وأتيتهم به فأكلوا وشربوا وتساكر
- القوم وتناوموا فأقبلت بصبص على مزبد فقالت أبا إسحاق كأن في نفسك تشتهي أن أغنيك الساعة - مجزوء الوافر
(لقد حَثُّوا الجِمال لِيَهْرَبُوا ... منّا فلم يَئِلوا)

فقال زوجته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ قال فغنته ساعة ثم مكثت ساعة فقالت أبا إسحاق كأن
- في نفسك تشتهي أن تقوم من مجلسك فتجلس إلى جانبي فتقرصني قرصات وأغنيك - بسيط
(قالتْ وقد أبْثَثْتُها وجْدي فبُحْتُ به ... قد كنْتَ قِدْماً تحبُّ السِتّرَ فاستتر)
(ألسْتَ تُبصِرُ مَن حولي فقلْتُ لها ... غَطّى هواكِ وما ألقَى على بصري)
فقال امرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في الأرحام وما تكسب الأنفس غدا وبأي أرض تموت فغنته ثم قالت برح الخفاء
- أنا أعلم أنك تشتهي أن تقبلني شق التين وأغنيك هزجا - هزج
(أنا أبصرْتُ بالليل ... غُلاماً حَسَنَ الدَّلِّ)
(كغصن البان قد أصْبَحَ مَسْقِياً من الطَّلِّ)
لم يذكر صانعه وهو هزج على ما ذكر
فقال أنت نبية مرسلة فغنته ثم قالت أبا إسحاق أرأيت أسقط من هؤلاء يدعونك ويخرجونني إليك ولا يشترون ريحاناً بدرهم أي أبا إسحاق هلم درهماً نشتري به ريحاناً فوثب وصاح واحرباه أي زانية أخطأت استك الحفرة انقطع والله عنك الوحي الذي كان يوحى إليك وعطعط القوم بها وعلموا أن حيلتها لم تنفذ عليه ثم خرجوا فلم يعد إليها وعاود القوم مجلسهم فكان أكثر شغلهم فيه حديث مزيد معها والضحك منه
وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أنشدني الزبير بن بكار قال أنشدني غرير بن طلحة لابن أبي الزوائد وهو ابن
- ذي الزوائد في بصبص
(بَصْبَصُ أنتِ الشمسُ مُزدانةً ... فإنْ تبذَّلْتِ فأنتِ الهِلالْ)
(سُبحانَكَ اللّهمَّ ما هكذا ... فيما مَضَى كان يكونُ الجَمالْ)
(إذا دَعَتْ بالعُودِ في مَشهدٍ ... وعاونَتْ يُمْنى يَدَيها الشِّمالْ)
(غنَّت غناءً يستفزُّ الفتى ... حِذْقاً وزانَ الحَذْقَ منها الدلالْ)
- قال هارون قال الزبير وأنشدني غرير أيضاً لنفسه يهجو مولاها - بسيط
(يا ويحَ بَصْبَصَ من يَحيى لقد رُزِقَتْ ... وجهاً قبيحاً وأنفاً من جَعاميس)
(يمجُّ مِنْ فيهِ في فيها إذا هَجَعَتْ ... ريقاً خبيثاً كأرواح الكراييس)
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي قال هوي محمد بن عيسى الجعفري بصبص جارية ابن نفيس فهام بها وطال ذلك عليه فقال لصديق له لقد شغلتني هذه عن صنعتي وكل أمري وقد وجدت مس السلو فاذهب بنا حتى أكاشفها بذلك فأستريح
- فأتياها فلما غنت لهما قال لها محمد بن عيسى أتغنين - وافر
(وكنتُ أحِبُّكُمْ فسلوْتُ عنكُمْ ... عليكُمْ في دياركُم السَّلامُ)
- فقالت لا ولكني أغني - وافر
(تحمَّلَ أهلُها عنها فبانوا ... علَى آثارِ مَن ذَهَبَ العفاء)
- فاستحيا وازداد بها كلفاً ولها عشقاً فأطرق ساعة ثم قال أتغنين - طويل
(وأخضَعُ بالعُتْبَى إذا كنْتُ مذْنِباً ... وإن أذنبَتْ كنتُ الذي أتنصَّلُ)
- قالت نعم وأغني أحسن منه - طويل
(فإن تُقْبِلوا بالودِّ نقبلْ بمثلِه ... ونُنزلْكُمُ منَّا بأقربِ مَنزِلِ)
قال فتقاطعا في بيتين وتواصلا في بيتين
وفي هذه الأبيات الأربعة غناء كان محمد قريض وذكاء وغيرهما ممن شاهدنا من الحذاق يغنونه في الابتداءين لحنين من الثقيل الأول وفي الجوابين لحنين من خفيف الثقيل ولا أعرف صانعهما
أخبرني عمي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني أبو
- أيوب المديني عن مصعب قال حضر أبو السائب المخزومي مجلساً فيه بصبص جارية يحيى بن نفيس فغنت - منسرح
(قلبي حبيسٌ عليكِ موقوفُ ... والعينُ عَبرَى والدَّمْعُ مذروفُ)
(والنَّفسُ في حسرةٍ بغُصَّتِها ... قد شَفَّ أرجاءها التَّساويفُ)
(إن كُنتِ بالحسنِ قد وُصِفْتِ لنا ... فإنَّني بالهوى لمَوْصُوفُ)
(يا حسرتَا حسرةً أموتُ بها ... إن لم يكنْ لي لديك معروفُ)
قال فطرب أبو السائب ونعر وقال لا عرف الله قدره إن لم أعرف لك معروفك
ثم أخذ قناعها عن رأسها وجعله على رأسه وجعل يلطم ويبكي ويقول لها بأبي والله أنت إني لأرجو أن تكوني عند الله أفضل من الشهداء لما توليناه من السرور وجعل يصيح واغوثاه يا لله لما يلقى العاشقون
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو بكر العامري قال حدثني عمرو بن عبد الله البصري قال حدثنا الحسين بن يحيى عن عثمان بن محمد الليثي قال كنت يوماً في مجلس ابن نفيس فخرجت إلينا جاريته بصبص وكان في القوم فتى يحبها فسألته حاجة فقام ليأتيها بها فنسي أن يلبس نعله ومشى حافياً فقالت يا فلان نسيت نعلك
- فلبسها وقال أنا والله كما قال الأول - طويل
(وحُبُّكِ يُنسِيني عن الشَّيء في يدي ... ويَشْغَلُني عن كلِّ شيءٍ أحاولُهْ)
فأجابته فقالت
(وبي مثلُ ما تشكوه منِّي وإنَّني ... لأُشفِق من حُبٍّ أراكَ تزاولُهْ)
صوت منسرح
(يَشتاقُ قلبي إلى مُلَيْكَة لو ... أمْسَتْ قريباً ممن يطالبُها)
(ما أحسنَ الجِيدَ من مُلَيكةَ واللَّبَّاتِ ... إذ زانَها ترائبُها)
(يا ليتَني ليلةً إذا هجع النَّاسُ ... ونامَ الكلابُ صاحبُها)
(في ليلةٍ لا يُرَى بها أحدٌ ... يَسعَى علينا إلاّ كواكبُها)
الشعر لأحيحة بن الجُلاح والغناء لابن سريج
رمل بالخنصر في مجرى البنصر

وفيه لحن لمالك من رواية يونس
4 - كر أحيحة بن الجلاح ونسبه وخبره والسبب الذي من أجله قال الشعر
هو أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس
ويكنى أحيحة أبا عمرو
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز قال ركب الوليد بن عبد الملك إلى المساجد فأتى مسجد العصبة فلما صلى قال للأحوص يا أحوص أين الزوراء التي قال فيها
- صاحبكم - بسيط
(إنِّي أُقِيمُ على الزَّوراءِ أعمُرُها ... إنَّ الكريمَ على الإخوانِ ذُو المالِ)
((لها ثلاثُ بئارٍ في جوَانِبِها ... في كلِّها عُقَبٌ تُسقَى بأقبال
(إستَغْنِ أو مُتْ ولا يَغْرُرْكَ ذو نشبٍ ... من ابنِ عَمٍّ ولا عَمٍّ ولا خالِ)
قال الزبير القب الذي في أول المال عند مدخل الماء والطلب الذي في آخره
قال فأشار له الأحوص إليها وقال ها هي تلك لو طولت لأشقرك هذا لجال عليها فقال الوليد إن أبا عمرو كان يراه غنياً بها فعجب الناس يومئذ لعناية الوليد بالعلم حتى علم أن كنية أحيحة أبو عمرو
- وفي بعض هذا الشعر غناء وهو - بسيط
صوت
(إستَغْنِ أو مُتْ ولا يَغْرُرْكَ ذو نشبٍ ... من ابنِ عَمٍّ ولا عَمٍّ ولا خالِ)
(يَلْوُوْنَ مالَهُمُ عن حقِّ أقربِهِمْ ... وعَنْ عشيرتِهِمْ والحقُّ للوالي)
غناه الهذلي رملاً بالوسطى من رواية الهشامي وعمرو بن بانة
وأما السبب في قول أحيحة هذا الشعر فإن أحمد بن عبيد المكتب ذكر أن محمد بن يزيد الكلبي حدثنا وحدثه أيضاً هشام بن محمد بن الشرقي بن القطامي قال هشام وحدثني به أبي أيضاً
قال وحدثني رجل من قريش عن أبي عبيدة بن عمار بن ياسر قال وحدثني عبد الرحمن بن سليمان الأنصاري قالوا جميعاً أقبل تبع الأخير وهو أبو كرب بن حسان بن أسعد الحميري من اليمن سائراً يريد المشرق كما كانت التبابعة تفعل فمر بالمدينة فخلف بها ابناً له ومضى حتى قدم الشام ثم سار من الشام حتى قدم العراق فنزل بالمشقر فقتل ابنه
- غيلة بالمدينة فبلغه وهو بالمشقر مقتل ابنه فكرّ راجعاً إلى المدينة وهو يقول - كامل
(يا ذا مُعاهِرِ ما تَزَالُ تَرُودُ ... رَمَدٌ بعينِكَ عادها أم عُودُ)
(منعَ الرُّقادَ فما أغمِّضُ ساعةً ... نَبَطٌ بيثربَ آمنون قُعودُ)
(لا يستقِي بيدَيكَ إنْ لم تلْقِها ... حَرْباً كأنَّ أشاءها مجرود)
ثم أقبل حتى دخل المدينة وهو مجمع على إخرابها وقطع نخلها واستئصال أهلها وسبي الذرية فنزل بسفح أحد فاحتفر بها بئراً فهي البئر التي يقال لها إلى اليوم بئر الملك ثم أرسل إلى أشراف أهل المدينة ليأتوه فكان فيمن أرسل إليه زيد بن ضبيعة بن زيد بن عمرو بن عوف وابن عمه زيد بن أمية بن زيد وابن عمه زيد بن عبيد بن زيد وكانوا يسمون الأزياد وأحيحة بن الجلاح فلما جاء رسوله قال الأزياد إنما أرسل إلينا ليملكنا على أهل يثرب
- فقال أحيحة والله ما دعاكم لخير وقال - مديد
(ليتَ حَظِّي من أبي كَربٍ ... أنْ يَرُدَّ خَيْرُهُ خَبَلَهْ)
فذهبت مثلا
وكان يقال إن مع أحيحة تابعاً من الجن يعلمه الخبر لكثرة صوابه لأنه كان لا يظن شيئاً فيخبر به قومه إلا كان كما يقول فخرجوا إليه وخرج أحيحة ومعه قينة له وخباء فضرب الخباء وجعل فيه القينة والخمر ثم خرج حتى استأذن على تبع فأذن له وأجلسه معه على زربية تحته وتحدث معه وسأله عن أمواله بالمدينة فجعل يخبره عنها وجعل تبع كلما أخبره عن شيء منها يقول كل ذلك على هذه الزربية
يريد بذلك تبع قتل أحيحة ففطن أحيحة أنه يريد قتله فخرج من عنده فدخل خباءه فشرب الخمر وقرض أبياتاً وأمر القينة
- أن تغنيه بها وجعل تبع عليه حرساً وكانت قينته تدعى مليكة فقال - منسرح
يشتاقُ قَلْبي إلى مَلَيكة لو ... أمْسَتْ قريباً ممن يطالبُها) الأبيات)
- وزاد فيها مما ليس فيه غناء - منسرح
(لِتبكِني قَيْنَةٌ ومِزْهَرُها ... ولتبكِني قهوةٌ وشارِبُها)
(ولْتبكني ناقةٌ إذا رُحِلَتْ ... وغابَ في سرْدحٍ مناكبُها)
(ولْتبكِني عُصْبَةٌ إذا جُمِعتْ ... لم يعلمِ الناسُ ما عواقِبُها)
فلم تزل القينة تغنيه بذلك يومه وعامة ليلته فلما نام الحراس قال لها إني ذاهب إلى أهلي فشدي عليك الخباء فإذا جاء رسول الملك فقولي له هو نائم فإذا أبوا إلاّ يوقظوني فقولي قد رجع إلى أهله وأرسلني إلى الملك برسالة
فإن ذهبوا بك إليه فقولي له يقول لك أحيحة اغدر بقينة أو دع
ثم انطلق فتحصن في أطمه الضحيان وأرسل تبع من جوف الليل إلى
الازياد فقتلهم على فقارة من فقار تلك الحرة
وأرسل إلى أحيحة ليقتله فخرجت إليهم القينة فقالت هو راقد
فانصرفوا وترددوا عليها مراراً كل ذلك تقول هو راقد
ثم عادوا فقالوا لتوقظنه أو لندخلن عليك
قالت فإنه قد رجع إلى أهله وأرسلني إلى الملك برسالة
فذهبوا بها إلى الملك فلما دخلت عليه سألها عنه فأخبرته خبره وقالت يقول لك اغدر بقينة أو دع
فذهبت كلمة أحيحة هذه مثلا فجرد له كتيبة من خيله ثم أرسلهم في طلبه فوجدوه قد تحصن في أطمه
فحاصروه ثلاثاً يقاتلهم بالنهار ويرميهم بالنبل والحجارة ويرمي إليهم بالليل بالتمر فلما مضت الثلاث رجعوا إلى تبع فقالوا بعثتنا إلى رجل يقاتلنا بالنهار ويضيفنا بالليل فتركه وأمرهم أن يحرقوا نخله
وشبت الحرب بين أهل المدينة أوسها وخزرجها ويهودها وبين تبع وتحصنوا في الآطام

فخرج رجل من أصحاب تبع حتى جاء بني عدي بن النجار وهم متحصنون في أطمهم الذي كان في قبلة مسجدهم فدخل حديقة من حدائقهم فرقي عذقاً منها يجدها فاطلع إليه رجل من بني عدي بن النجار من الأطم يقال له أحمر أو صخر بن سليمان من بني سلمة فنزل إليه فضربه بمنجل حتى قتله ثم ألقاه في بئر وقال جاءنا يجد نخلنا إنما النخل لمن أبره فأرسلها مثلاً
فلما انتهى ذلك إلى تبع زاده حنقاً وجرد إلى بني النجار جريدة من خيله فقاتلهم بنو النجار ورئيسهم عمرو بن طلة أخو بني معاوية بن مالك بن النجار وجاء بعض تلك الخيول إلى بني عدي وهم متحصنون في أطمهم الذي في قبلة مسجدهم فراموا بني عدي بالنبل فجعلت نبلهم تقع في جدار الأطم فكان على أطمهم مثل الشعر من النبل فسمي ذلك الأطم الأشعر ولم تزل بقايا النبل فيه حتى جاء الله عز وجل بالإسلام وجاء بعض جنوده إلى بني الحارث بن الخزرج فجذموا نخلهم من أنصافها فسميت تلك النخل جذمان وجدعوا هم فرساً لتبع فكان تبع يقول لقد صنع بي أهل يثرب شيئاً ما صنعه بي أحد قتلوا ابني وصاحبي وجدعوا فرسي قالوا فبينا تبع يريد إخراب المدينة وقتل المقاتلة وسبي الذرية وقطع الأموال أتاه حبران من اليهود فقالا أيها الملك انصرف عن هذه البلدة فإنها محفوظة وإنا نجد اسمها كثيراً في كتابنا وأنها مهاجر نبي من بني إسماعيل اسمه أحمد يخرج من هذا الحرم من نحو البيت الذي بمكة تكون داره وقراره ويتبعه أكثر أهلها
فأعجبه ما سمع منهما وكف عن الذي أراد بالمدينة وأهلها وصدق الحبرين بما حدثاه وانصرف تبع عما كان أراد بها وكف عن حربهم وآمنهم حتى دخلوا عسكره ودخل جنده المدينة فقال عمرو بن مالك بن النجار يذكر شأن تبع ويمدح عمرو بن - طلة - مديد

(أصَحَا أم انتحىَ ذِكَرَهْ ... أم قضَى من لذّةٍ وطَرَهْ)
(بعدما وَلَّى الشباب وما ... ذِكْرُهُ الشَّبابَ أو عُصُرَه)
(إنّها حربٌ يمانيَةٌ ... مثلها آتى الفتى عِبَرَهْ)
(سائِلي عِمْرَانَ أو أسَداً ... إذْ أتَتْ تعدُو مع الزُّهَرَهْ)
(فَيْلَقٌ فيه أبو كَرِبٍ ... سَبُعٌ أبدانُه ذَفِرَهْ)
((ثم قالوا مَنْ يؤُمُّ بنا ... أبنو عوفٍ أم النَّجَرَهْ
(يا بَني النّجارِ إنَّ لنا ... فِيكُمُ ذَحْلاً وإنَّ تِرَه)
(فتلقّتْهمْ مُسايِفةٌ ... مَدُّها كالغَبْيَةِ النَّثِرَه)
الغبية السحابة التي فيها مطر وبرق برعد
(فيهمُ عَمرو بن طَلّةَ لا ... هُمَّ فامنحْ قومَه عُمُرَه)
(سيِّدٌ سامَى الملوكَ ومَنْ ... يدْعُ عَمْرا لا يَجِدْ قَدَرَهْ)
- وقال في ذلك رجل من اليهود - متقارب
(تكلّفني مِن تَكاليفها ... نَخِيلَ الأساوِيف والمِصْنَعَه)
(نخيلاً حَمَتْها بنو مالكٍ ... جنودُ أبي كَرِبَ المُفْظِعَه)
- وقال أحَيحة يرثي الأزياد الذين قَتَلَهم تُبّع - وافر
(ألا يا لَهْفَ نفسي أيَّ لَهْفِ ... على أهلِ الفَقَارةِ أيَّ لَهْفِ)
(مَضَوا قَصْدَ السَّبيلِ وخلّفوني ... إلى خَلَفٍ من الأبْرام خَلْفِ)
(سُدىً لا يكتَفون ولا أراهُمْ ... يُطيعونَ أمراً إن كان يكفي)
قالوا فلما كفّ تبّع عن أهل المدينة اختلطوا بعسكره فبايعوه وخالطوهم
ثم إنّ
تبعاً استوبأ بئره التي حفرها وشكا بطنه عن مائها فدخلت عليه امرأة من بني زريق يقال لها فكهة بنت زيد بن كلدة بن عامر بن زريق وكانت ذات جلد وشرف في قومها فشكا إليها وبأبئره فانطلقت فأخذت قرباً وحمارين حتى استقت له من ماء رومة فشربه فأعجبه وقال زيديني من هذا الماء
فكانت تختلف إليه في كل يوم بماء رومة فلما حان رحيله دعاها فقال لها يا فكهة إنه ليس معنا من الصفراء والبيضاء شيء ولكن لك ما تركنا من أزوادنا ومتاعنا
فلما خرج تبع نقلت ما تركوه من أزوادهم ومتاعهم فيقال إنه لم تزل فكهة أكثر بني زريق مالاً حتى جاء الإسلام
قال وخرج تبع يريد اليمن ومعه الحبران اللذان نهياه عن المدينة قال حين شخص من منزله هذه قباء الأرض فسميت قباء
ومر بالجرف فقال هذا جرف الأرض
فسمي الجرف وهو أرفعها
ومر بالعرصة وتسمى السليل فقال هذه عرصة الأرض
ثم انحدر في العقيق فقال هذا عقيق الأرض فسمي العقيق
ثم خرج يسير حتى نزل البقيع فنزل على غدير ماء يقال له براجم فشرب منه شربة فدخلت في حلقه علقة فاشتكى منها
فقال فيما ذكر أبو مسكين قوله
((ولقد شربتُ على براجِمَ شَربةً ... كادت بباقيةِ الحياة تُذِيعُ
ثم مضى حتى إذا كان بحمدان جاءه نفر من هذيل فقالوا له اجعل لنا جعلا وندلك على بيت مال فيه كنوز من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد والذهب والفضة ليست لأهله منعة ولا شرف
فجعل لهم على ذلك جعلا فقالوا له هو البيت الذي تحجه العرب بمكة
وأرادوا بذلك هلاكه
فتوجه نحوه فأخذته ظلمة منعته من السير فدعا الحبرين فسألهما فقالا هذا لما أجمعت عليه في هذا البيت والله مانعه منك ولن تصل إليه فاحذر أن يصيبك ما أصاب من انتهك حرمات الله وإنما أراد القوم الذين أمروك به هلاكك لأنه لم يرمه أحد قط بشر إلا أهلكه الله فأكرمه وطف به واحلق رأسك عنده

فترك الذي كان أجمع عليه وأمر بالهذليين فقطع أيديهم وأرجلهم ثم خرج يسير حتى أتى مكة فنزل بالشعب من الأبطح وطاف بالبيت وحلق رأسه وكساه الخصف
قال هشام وحدثني ابن لجرير بن يزيد البجلي عن جعفر بن محمد عن أبيه
قال هشام وحدثني أبي عن صالح عن ابن عباس قال لما أقبل تبع يريد هدم البيت وصرف وجوه العرب إلى اليمن بات صحيحاً فأصبح وقد سالت عيناه على خديه فبعث إلى السحرة والكهان والمنجمين فقال ما لي فوالله لقد بت ليلتي ما أجد شيئاً وقد صرت إلى ما ترون
فقالوا حدث نفسك بخير
ففعل فارتد بصيراً وكسا البيت الخصف
هذه رواية جعفر بن محمد عن أبيه
وفي رواية ابن عباس فأتي في المنام
فقيل له اكسه أحسن من هذا
فكساه الوصائل قال وهي برود العصب سميت الوصائل لأنها كانت يوصل بعضها ببعض قال فأقام بمكة ستة أيام يطعم الطعام وينحر في كل يوم ألف بعير ثم سار إلى اليمن وهو يقول خفيف
(ونَحَرْنا بالشِّعْبِ ستَّة آلاف ... تَرى الناس نَحْوَهُنَّ وُرُودا)
(وكَسَونْا البيتَ الذي حَرَّمَ اللّهُ مُلاَءً معضَّدا وبُرودا)
(وأقَمنا بهِ من الشَّهرِ سِتّاً ... وجعلْنا له بهِ إقليدا)
(ثم أُبْنَا منه نؤمُّ سُهَيلاً ... قد رَفَعْنا لواءنا المعقودا)
قال وتهود تبع وأهل اليمن بذينك الحبرين
أخبرني محمد بن مزيد قال أخبرني حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني أبو البختري عن أبي إسحاق قال أخبرني أيوب بن عبد الرحمن أن رجلاً من بني مازن بن النجار يقال له كعب بن عمرو تزوج امرأة من بني سالم بن عوف فكان يختلف إليها فقعد له رهط من بين جحجبى بمرصد فضربوه حتى قتلوه أو كادوا فأدركه القواقل فاستنقذوه فلما بلغ ذلك أخاه عاصم بن عمرو خرج وخرج معه بنو النجار وخرج أحيحة بن الجلاح ببني عمرو بن عوف فالتقوا بالرحابة فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل أخا عاصم يومئذ أحيحة بن الجلاح وكان
يكنى أبا وحوحة فأصابه في أصحابه حين انهزموا وطلب عاصم أحيحة حتى انتهى إلى البيوت فأدركه عاصم عند باب داره فزجه بالرمح ودخل أحيحة الباب ووقع الرمح في الباب ورجع عاصم وأصحابه فمكث أياماً
ثم إنّ عاصماً طلب أحيحة ليلاً ليقتله في داره فبلغ ذلك أحيحة وقيل له إنّ عاصماً قد رئي البارحة عند الضحيان والغابة وهي أرض لأحيحة والضحيان أطم له وكان أحيحة إذ ذاك سيد قومه من الأوس وكان رجلاً صنعا للمال شحيحاً عليه يبيع بيع الربا بالمدينة حتى كاد يحيط بأموالهم وكان له تسع وتسعون بعيراً كلّها ينضح عليها وكان له بالجرف أصوار من نخل قل يوم يمر به إلاّ يطلع فيه وكان له أطمان أطم في قومه يقال له المستظل وهو الذي تحصن فيه حين قاتل تبعاً أسعد أبا كرب الحميري وأطمه الضحيان بالعصبة في أرضه التي يقال لها الغابة بناه بحجارة سود وبنى عليه نبرة بيضاء مثل الفضة ثم جعل عليها مثلها يراها الراكب من مسيرة يوم أو نحوه وكانت الآطام هي عزهم ومنعتهم وحصونهم التي يتحرزون فيها من عدوهم
ويزعمون أنه لما بناه أشرف هو وغلام له ثم قال لقد بنيت حصناً حصينا ما بنى مثله رجل من العرب أمنع ولا أكرم ولقد عرفت موضع حجر منه لو نزع لوقع جميعاً فقال غلامه أنا أعرفه
فقال فأرنيه يا بني
قال هو هذا
وصرف إليه رأسه
فلما رأى أحيحة أنه قد عرفه دفعه من رأس الأطم فوقع على رأسه فمات وإنما قتله إرادة ألا يعرف ذلك الحجر أحد
ولما بناه قال رجز
((بنيْتُ بعد مستظَلٍّ ضاحيا ... بنيته بعُصْبةٍ من ماليا
(والسِّرُّ مما يتبع القواصيا ... أخشى رُكَيْبا أو رُجَيلا عاديا)
وكان أحيحة إذا أمسى جلس بحذاء حصنه الضحيان ثم أرسل كلاباً له تنبح دونه على من يأتيه ممن لا يعرف حذراً أن يأتيه عدو يصيب منه غرة فأقبل عاصم بن عمرو يريده في مجلسه ذلك ليقتله بأخيه وقد أخذ معه تمراً فلما نبحته الكلاب حين دنا منه ألقى لها التمر فوقفت فلما رآها أحيحة قد سكنت حذر
فقام فدخل حصنه ورماه عاصم بسهم فأحرزه منه الباب فوقع السهم بالباب فلما سمع أحيحة وقع السهم صرخ في قومه فخرج عاصم بن عمرو فأعجزهم حتى أتى قومه
ثم إن أحيحة جمع لبني النجار فأراد أن يغترهم فواعدهم وقومه لذلك وكانت عند أحيحة سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش إحدى نساء بني عدي بن النجار له منها عمرو بن أحيحة وهي أم عبد المطلب بن هاشم خلف عليها هاشم بعد أحيحة وكانت امرأة شريفة لا تنكح الرجال إلاّ وأمرها بيدها إذا كرهت من رجل شيئاً تركته
فزعم ابن إسحاق أنه حدثه أيوب بن عبد الرحمن وهو أحد رهطها قال حدثني شيخ منا أن أحيحة لما أجمع بالغارة على قومها ومعها ابنها عمرو بن أحيحة وهو يومئذ فطيم أو دون الفطيم وهو مع أحيحة في حصنه عمدت إلى ابنها فربطته بخيط حتى إذا أوجعت الصبي تركته فبات يبكي وهي تحمله وفات أحيحة معها ساهراً يقول ويحك ما لابني فتقول والله ما أدري ما له
حتى إذا ذهب الليل أطلقت الخيط عن الصبي فنام
وذكروا أنها ربطت رأس ذكره فلما هدأ الصبي قالت وارأساه فقال أحيحة هذا والله ما لقيت من سهر هذه الليلة
فبات يعصب لها رأسها ويقول ليس بك بأس
حتى إذا لم يبق
من الليل إلا أقله قالت له قم فنم فإني أجدني صالحة قد ذهب عني ما كنت أجده
وإنما فعلت به ذلك ليثقل رأسه وليشتد نومه على طول السهر

فلما نام قامت وأخذت حبلاً شديداً وأوثقته برأس الحصن ثم تدلت منه وانطلقت إلى قومها فأنذرتهم وأخبرتهم بالذي أجمع هو وقومه من ذلك فحذر القوم وأعدوا واجتمعوا
فأقبل أحيحة في قومه فوجد القوم على حذر قد استعدوا فلم يكن بينهم كبير قتال ثم رجع أحيحة فرجعوا عنه وقد فقدها أحيحة حين أصبح فلما رأى القوم على حذر قال هذا عمل سلمى خدعتني حتى بلغت ما أرادت
وسماها قومها المتدلية لتدليها من رأس الحصن
- فقال في ذلك أحيحة وذكر ما صنعت به سلمى - وافر
(تفهَّمْ أيُّها الرَّجُلُ الجَهُولُ ... ولا يَذهَبْ بِكَ الرأيُ الوبيلُ)
(فإنَّ الجهلَ محمَلُهُ خفيفٌ ... وإنَّ الحِلْمَ مَحمَلُه ثقيلُ)
- وفيها يقول - وافر
(لَعَمرُ أبيكَ ما يُغني مَقامي ... من الفتيانِ رائحةٌ جَهولُ)
(نَؤُوم ما يقلِّصُ مستقِلاًّ ... على الغايات مَضجعُه ثقيلُ)
(إذا باتت أعَصِّبُها فنامت ... علَيَّ مكانَها الحُمَّى الشَّمولُ)
(لعلَّ عِصابَها يَبغِيْك حَرْباً ... ويأتيهمْ بعوْرَتِك الدَّليلُ)
(وقد أعددْتُ للحدثان عَقْلاً ... لَو انَّ المرء تنفعه العُقولُ)
وقال فيها وفيما صنعت به خفيف
(أخْلَقَ الرَّبْعُ من سُعادَ فأمسى ... رَبْعُهُ مُخلِقاً كدَرْس المُلاةِ)
(بَالياً بعد حاضرٍ ذي أنيسٍ ... مِن سليمى إذْ تغتدي كالمَهَاةِ)
وهي قصيدة طويلة يقال إن في هذين البيتين منها غناء
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه عن أبي مسكين أنّ قيس بن زهير بن جذيمة أتى أحيحة بن الجلاح لما وقع الشر بينه وبين بني عامر وخرج إلى المدينة ليتجهز بعث إليهم حين قتل خالد بن جعفر زهير بن جذيمة فقال قيس لأحيحة يا أبا عمرو نبئت أن عندك درعاً ليس بيثرب درع مثلها فإن كانت فضلا فبعنيها أو فهبها لي
فقال يا أخا بني عبس ليس مثلي يبيع السلاح ولا يفضل عنه ولولا أني أكره أن استليم إلى بني عامر لوهبتها لك ولحملتك على سوابق خيلي ولكن اشترها يا أبا أيوب فإن البيع مرتخص وغال
فأرسلها مثلاً
- فقال له قيس فما تكره من استلامتك إلى بني عامر قال كيف لا أكره ذلك وخالد بن جعفر الذي يقول - طويل
(إذا ما أرَدْتَ العزَّ في آل يثربٍ ... فنادِ بصوتٍ يا أحيحةُ تُمنَعِ)
(رأيت أبا عمرو أحيحةَ جارُه ... يبيْتُ قَرير العين غيرَ مروَّعِ)
(ومَن يأته مِن خائفٍ يَنْسَ خوفَه ... ومَن يأته من جائعِ الجَوْفِ يشبعِ)
(فضائلُ كانت للجلاحِ قديمةً ... وأكرِمْ بفخرٍ من خصالكَ الأربعِ)
فقال قيس وما عليك بعد ذلك من لوم
فلها عنه ثم عاوده فساومه فغضب أحيحة وقال له بت عندي
- فبات عنده فلما شرب تغنى أحيحة وقيس يسمع - وافر
(ألا يا قيسُ لا تَسُمَنَّ دِرْعي ... فما مِثلي يُساوَم بالدُّروع)
(فلولا خَلَّةٌ لأبي جُوَيٍّ ... وأنِّي لستُ عنها بالنَّزوعِ)
(لأُبْتَ بمثلِها عَشْرٍ وطِرْفٍ ... لَحُوقِ الإطْل جَيّاشٍ تَلِيعِ)
(لكنْ سَمِّ ما أحببْتَ فيها ... فليس بمنكَرٍ غَبْنُ البيوعِ)
(فما هِبة الدُّروع أخا بغيضٍ ... ولا الخيلِ السَّوابِقِ بالبديعِ)
وقال فأمسك بعد ذلك عن مساومته
أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أخي أحمد بن علي عن عافية بن شبيب قال حدثني أبو جعفر الأسدي عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي وأخبرنا به إسماعيل بن يونس الشيعي إجازة عن عمر بن شبة عن إسحاق قال دعاني الفضل بن الربيع يوماً فأتيته فإذا عنده شيخ حجازي حسن الوجه والهيئة فقال لي أتعرف هذا قلت لا
قال هذا ابن أنيسة بنت معبد فسله عما أحببت من غناء جده
فقلت يا أخا أهل الحجاز كم غناء جدك قال ستون صوتاً
- ثم غناني - منسرح
(ما أحْسَنَ الجِيدَ من مُليكة واللَّبَّاتِ ... إذ زانَها ترائبُها)
قال فغناه أحسن غناء في الأرض ولم آخذه منه اتكالاً على قدرتي عليه
واضطرب الأمر على الفضل وصار إلى التغيب وشخص الشيخ إلى المدينة فبقيت أنشد الشعر وأسأل عنه مشايخ المغنين وعجائز المغنيات فلا أجد أحداً يعرفه حتى قدمت البصرة وكنت آتي جزيرتها في القيظ فأبيت بها ثم أبكر بالغداة إلى منزلي
فإني لداخل يوماً إذا بامرأتين نبيلتين قد قامتا فأخذتا بلجام حماري فقلت لهما مه قال أبو زيد في خبره فقالت إحداهما كيف عشقك اليوم لما أحْسَنَ الجِيدَ من مُليكة وشغفك به فقد بلغني أنك كنت تطلبه من كل أحد وقد كنت رأيتك في مجلس الفضل وقد استخفك الطرب لهذا الصوت حتى صفقت
قال فقلت لها أشد والله ما كنت عشقاً له وقد ألهبت بذكرك إياه في قلبي جمراً ولقد طلبته ببغداد كلها فلم أجد أحداً يسمعنيه
قالت أفتحب أن أغنيك إياه
قلت نعم
فغنته والله أحسن مما سمعته قديماً بصوت خافض فنزلت إليها فقبلت يديها ورجليها وقلت أغنيك وتغنيني يومنا إلى الليل

قالت أنت والله أطفس من أن تفعل ذاك وإنما هو عرض ولكني أغنيك حتى تأخذه
فقلت بأبي أنت وأمي وجعلني الله فداك من أنت قالت أنا وهبة جارية محمد بن عمران القروي التي يقول فيها فروح الرفاء الطلحي
صوت بسيط
(يا وَهْبَ لم يَبْقَ لي شيءٌ أُسَرُّ به ... إلاّ الجلوسُ فتَسقِيني وأسقيكِ)
(وتمزُجين بريقٍ منكِ لي قَدَحاً ... كأنّ فيه رضابَ المِسْكِ من فيكِ)
(يا أطيبَ الناس ريقاً غيرَ مُختبَرٍ ... إلاّ شهادَةَ أطرافِ المَساويكِ)
(قد زُرْتِنا زورةً في الدّهر واحدةً ... ثنّي ولا تجعلِيها بيضةَ الديكِ)
(ما نلْتُ منكِ سِوى شيءٍ أسَرُّ به ... ولستُ أبصِر شيئاً من مَساويك)
(قالت مُلِكْتَ ولم تملِكْ فقُلْتُ لها ... ما كلُّ مالكةٍ تُزري بمملوكِ)
قال أبو زيد خاصّة قال إسحاق وأنشدتنيه وغنتني فيه بصوت مليح قد صنعته فيه ثم صارت إليّ بعد ذلك وكانت من أحسن الناس غناء وأحسنهم رواية
فما كانت تفوق فيه من صنعتها سائر الناس صوتها وهو
صوت منسرح
(لا بُدَّ من سَكْرةٍ على طَرَبِ ... لعلَّ رَوْحاً يُدَالُ من كَرَبِ)
(فَعاطِنِيها صفراءَ صافيةً ... تضحكُ من لؤلؤ على ذهَبِ)
قال ولها فيه عملٌ فاضل
- ومن صنعتها قوله - مجزوء الكامل
صوت
(الكأسُ بعد الكأس قد ... تُصبي لَكَ الرجلَ الحليما)
(وتُقَرِّب النَّسبَ البعيدَ ... وتَبْسُطُ الوجْهَ الشّتِيما)
خفيف -قال وممّا برّزت فيه من صنعتها
صوت
(هاتِها سُكَّرِيَّةً كشُعاعِ الشَّمْس لا ... قَرْقَفاً ولا خَنْدَرِيسا)
(في رُبىً يخلَع الوليُّ عليها ... ما يحيّي به الجليسُ الجليسا)
(فَلنُوّارها نسيمٌ إذا ما ... حرّكتْه الرِّياح ردَّ النُّفوسا)
صوت بسيط
(أمْسى لسَلاَّمَةَ الزَّرقاءِ في كَبِدي ... صَدْعٌ مقيمٌ طَوَالَ الدَّهرِ والأبدِ)
(لا يستطيعُ صَنَاعُ القومِ يَشْعَبَه ... وكيف يُشْعَب صَدْعُ الحبِّ في الكبِد)
(إلاّ بوصْلِ التي من حبِّها انصدعَتْ ... تلك الصُّدوعُ من الأسقام والكمَدِ)
الشعر والغناء لمحمد بن الأشعث بن فجوة الكاتب الكوفي أحد بني زهرة من قريش
ولحنه من خفيف الثّقيل الأوّل بالبنصر
وسلاّمة الزرقاء هذه جارية ابن رامين وكانت إحدى القينات المحسنات
5 - ذكر خبر سلامة الزرقاء وخبر محمد بن الأشعث
نسخت ذلك من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات ذكر أن أبا أيوب المديني حدثه عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود قال كان محمد ابن الأشعث القرشي ثم الزهري كاتباً وكان من فتيان أهل الكوفة وظرفائهم وأدبائهم وكان يقول الشعر ويتغنى فيه
- فمن ذلك قوله في زرقاء جارية ابن رامين وكان يألفها - بسيط
(... أمسى لسَلاّمة الزَّرقاءِ في كبدي)
وذكر الأبيات
قال ومن شعره فيها يخاطب مولاها وقد كان حج وأخرج جواريه كلهن هكذا ذكر أحمد بن إبراهيم
وهذا الشعر الثاني لإسماعيل بن عمار الأسدي وقد ذكرت أخباره في موضع آخر
صوت سريع
(أيّةُ حالٍ يابنَ رامينِ ... حالُ المحبِّينَ المساكينِ)
تَرَكْتَهُمْ موتى ولم يَتْلَفوا ... قد جُرِّعوا منكَ الأمَرّين) ويروى تركتهم موتى وما موتوا وجدته بخط حماد)
(وسِرتَ في رَكْبٍ على طِيّةٍ ... رَكْبٍ تَهامٍ ويمانِين)
(يا راعِيَ الذَّودِ لقد رُعْتَهمْ ... ويلَكَ من رَوْعِ المحبّين)
(فرّقْتَ جمعاً لا يُرى مثلُهُمْ ... بين دُروب الرُّومِ والصِّين)
الغناء لمحمد بن الأشعث نشيد خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها عن ابن المكي وغيره
قال ودخل ابن الأشعث يوماً على ابن رامين فخرجت إليه الزرقاء فبينما هو يلقي عليها إذ بصر بوصيفة من وصائفها
- فأعجبته فقال شعراً في وقته وتغنى فيه فأخذته منه الزرقاء وهو قوله - خفيف
صوت
(قل لأختي التي أحبُّ رضاها ... أنتِ لي فاعلميه رُكنٌ شديدُ)
(إنّ لي حاجةً إليكِ فقولي ... بين أُذْني وعاتقي ما تريد)
يعني قولي ما تريد في عنقي حتى أفعله
ففطنت الزرقاء للذي أراد فوهبت له الوصيفة فخرج بها
الغناء فيه رمل بالوسطى
ذكر عمرو بن بانة أنه لابن سريج وقد وهم في ذلك بل الغناء لمحمد بن الأشعث لا يشك فيه
قال هارون وحدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال وحدثني أبو عبد الله الأسك أمير المغنين أن محمد بن الأشعث

الزهري وهشام بن محمد بن أبي عثمان السلمي اجتمعا عند ابن رامين وكان هشام قد أنفق في منزله مالاً عظيماً وكان يقال لأبيه بسياردرم وتفسيره بالعربية الكثير الدراهم فقال محمد بن الأشعث يا هشام قل ما تشاء
خفيف -قال
((قل لأختي التي أحبُّ رضاها ... أنتِ لي فاعلميه رُكنٌ شديدُ
وأشار بذلك إلى سلامة الزرقاء
قالت وقد سمعت فقل
- فقال - خفيف
(إنَّ لي حاجةً إليكِ فقولي ... بين أُذْنِي وعاتقي ما تريد)
ففطنت الزرقاء للذي أراد فقالت بين أذني وعاتقي ما تريد فما هو قال وصيفتك هذه فإنها قد أعجبتني
قالت هي لك
فأخذها فما رد ذلك ابن رامين ولا تكلم فيه
وهذا الشعر والغناء فيه لمحمد بن الأشعث
قال هارون وحدثني أبو أيوب عن أحمد بن إبراهيم قال ذكر عمرو بن نوفل بن أنس بن زيد التميمي أن محمد بن الأشعث كان ملازماً لابن رامين ولجاريته سلامة الزرقاء فشهر بذلك وكان رجلاً قصافاً فلامه قومه في فعله فلم يحفل بمقالتهم وطال ذلك منه ومنهم حتى رأى بعض ما كره في منزل ابن رامين فمال إلى سحيقة جارية زريق بن منيح مولى عيسى بن موسى
وكان زريق شيخاً سخياً كريماً نبيلاً يجتمع إليه أشراف الكوفة من كل حي وكان الغالب على منزله رجلاً من ولد القاسم بن عبد الغفار العجلي كغلبة محمد بن الأشعث على منزل ابن رامين فتواصلا على ملازمة بيت زريق
- ففي ذلك يقول محمد بن الأشعث - خفيف
(يابن رامين بحْتَ بالتَّصريح ... في هَوايَ سَحِيقَةَ ابن منيح)
(قَيْنَةٌ عِفّةٌ ومولىً كريمٌ ... ونديمٌ من اللُّبابِ الصَّريح)
((ربَعِيٌّ مهذَّبٌ أرْيَحيٌّ ... يشتري الحَمْدَ بالفَعَال الرَّبيح
(نحنُ منه في كلِّ ما تشتهي الأنفُس ... من لذّةٍ وعيشٍ نجيح)
(عندَ قَرْمٍ من هاشم في ذُرَاها ... وغناءٍ من الغزالِ المليح)
(في سرورٍ وفي نعيمٍ مقيمٍ ... قد أمِنَّا من كلِّ أمرٍ قبيح)
(فاسْلُ عنا كما سَلَوْناكَ إنّي ... غيرِ سالٍ عن ذاتِ نَفْسي ورُوحِي)
(حافظٌ منك كلَّ ما كنْتَ قد ضيْتَعْتَ ... مما عصيْتَ فيه نصيحي)
(فالقِلَى ما حَييتَ منّي لك الدَّهرَ ... بودٍّ لمُنْيتي ممنوح)
(يابنَ رامينَ فالزَمَنْ مَسْجِدَ الحَيْي ... وطُولَ الصَّلاة والتَّسبيح)
قال عمرو بن نوفل فلم يدع ابن رامين شريفاً بالكوفة إلاّ تحمل به على ابن الأشعث وأن يرضى عنه ويعاود زيارته فلم يفعل حتى تحمل عليه بالجحواني وهو محمد بن بشر بن جحوان الأسدي وكان يومئذ على الكوفة فكلمه فرضي عنه ورجع إلى زيارته ولم يقطع منزل زريق
وقال في سحيقة وافر
(سحيقةُ أنتِ واحدة القيانِ ... فما لكِ مُشْبِهٌ فيهنَّ ثانِ)
(فَضَلْتِ على القيان بفَضلِ حِذقٍ ... فحُزْتِ على المدى قَصَبَ الرِّهان)
(سجدْنَ لكِ القيانُ مكفِّراتٍ ... كما سجدَ المجوسُ لمرزُبانِ)
(ولا سِيَمَا إذا غنَّيْتِ صوتاً ... وحَرَّكْتِ المَثالث والمثاني)
((شربتُ الخمرَ حتّى خلْتُ أنّي ... أبو قابوسَ أو عبدُ المَدَانِ
(فإعمال اليَسار على المَلاوي ... ومِن يُمْناكِ ترجمةُ البيان)
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان عن حماد عن أبيه قال كان روح بن حاتم المهلبي كثير الغشيان لمنزل ابن رامين وكان يختلف إلى الزرقاء جارية ابن رامين وكان يهواها محمد بن جميل وتهواه فقال لها إن روح بن حاتم قد ثقل علينا
قالت فما أصنع قد غمر مولاي ببره فقال احتالي له
فبات عندهم روح ليلة فأخذت سراويله وهو نائم فغسلته فلما أصبح سأل عنه فقالت غسلناه
ففطن أنه أحدث فيه فاحتيج إلى غسله فاستحيا من ذلك وانقطع عنها وخلا وجهها لابن جميل
قال هارون وأخبرني حماد عن أبيه قال إن رامين اسمه عبد الملك بن رامين مولى عبد الملك بن بشر بن مروان وجواريه سعدة وربيحة وسلامة الزرقاء
- وفيهن يقول إسماعيل بن عمار الأسدي وأنشدناه الحرمي عن الزبير عن عمه وروايته أتم - بسيط
(هَل مِن شفاءٍ لقلبٍ لَجَّ محزونِ ... صَبَا وصبٍّ إلى رِيم ابن رامين)
(إلى رُبيحة إنَّ اللهَ فضَّلَها ... بحُسنها وسَماعٍ ذي أفانينِ)
((نَعَمْ شفاؤك منها أن تقولَ لها ... قَتَلْتِنِي يومَ دَيرِ اللُّجِّ فاحيِيني
(أنتِ الطبيبُ لداءٍ قد تَلبَّس بي ... من الجوَى فانفُثي في فيَّ وارقيني)
(نفسِي تأبَّى لكمْ إلاّ طَوَاعيةً ... وأنتِ تَحْمَينَ أنفاً أن تُطيعيني)
(فتلك قِسمةُ ضِيَزى قد سمِعْتُ بها ... وأنتِ تَتْلِينها ما ذاكِ في الدين)
(ما عائِذُ اللهِ لي إلفٌ ولا وطنٌ ... ولا ابنُ رامينَ لولا ما يمنِّيني)
(يا ربِّ ما لابن رامينٍ له بَقَرٌ ... عِينٌ وليس لنا غيرُ البراذينِ)
(لو شئْتَ أعطيْتَه مالاً على قدَرٍ ... يَرضَى به منكَ غيرَ الخُرَّدِ العِين)
(لِعائِذِ اللهِ بيتٌ ما مررْتُ به ... إلاّوُجِئتُ على قلبي بسِكِّين)
(يا سعدةُ القينةُ البيضاءُ أنتِ لنا ... أُنسٌ لأنَّكِ في دار ابن رامين)
(لا تَحْسَبِنَّ بياضَ الحِصِّ يؤنسني ... وأنتِ كنْتِ كمثل الخزِّ في اللين)

(لولا رُبَيْحَة ما استأنسْتُ ما عَمَدتْ ... نفسي إليكِ ولو مُثِّلْتِ في طين)
(لم أنسَ سَعْدَة والزَّرقاءَ يومَهما ... باللُّجِّ شرقيَّه فوقَ الدَّكاكين)
(تُغنّيانِ ابنَ رامينٍ ضَحاءَهما ... بالمَسْجِحِيِّ وتشبيبِ المحبِّين)
(فما دَعوتُ به من عيش مَمْلكةٍ ... ولم نَعِشْ يومنا عيشَ المساكين
(أذاكَ أنْعَمُ أم يومٌ ظَلِلْتُ به ... منعَّمَ العيشِ في سُتانِ سُورين)
(يسْقِي لنا الشَّيخ سُورينٌ دواجِنَه ... بالجَرْدَناجِ وسحاجِ الشقابين)
(نُسقَى شراباً لعمرانٍ يعتِّقه ... يُمسِي الأصحّاءُ منه كالمجانين)
يعني عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله
(إذا ذكرنا صلاة بَعدما فَرَطَتْ ... قُمْنا إليها بلا عقلٍ ولا دين)
(نمشِي إليها بِطاءً لا حَراكَ بنا ... كأنَّ أرْجُلَنا تُقْلَعْنَ من طين)
(نمشِي وأرجُلنا عُوْجٌ مطارحُها ... مَشْيَ الإوَزِّ التي تأتي من الصين)
(أو مَشْيَ عُميانِ دِيرٍ لا دليلَ لهمْ ... إلاّ العصيُّ إلى عِيد السَّعانين)
- وقال فيه أيضا - خفيف
(لابن رامينَ خُرَّدٌ كَمَها الرَّمْلِ ... حِسانٌ وليس لي غير بَغْلِ)
(ربِّ فضَّلْتَه عليَّ ولو شئتَ ... لفضَّلتني عليه بفَضْلِ)
قال حماد وأخبرني أبي قال حدّثني السكوني أنّ جعفر بن سليمان اشترى ربيحة بمائة ألف درهم واشترى صالحٌ ابن عليّ سعدة بتسعين ألف درهم واشترى معن بن زائدة الزرقاء
قال مؤلف هذا الكتاب هذا خطأ الزّرقاء اشتراها جعفر بن سليمان ولعلَ معنا اشترى غيرها
أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي
ابن الحسن الشيباني عن عبد الملك بن ثوبان قال قال إسماعيل بن عمار كنت أختلف إلى منزل ابن رامين فأسمع جاريتيه الزرقاء وسعدة وكانت سعدة أظرف من الزرقاء فأعجبت بها وعلمت ذلك مني وكانت سعدة كاتبة فكتبت إليها
- أشكو ما ألقى بها فوعدتني فكتبت إليها رقعة مع بعض خدمهم - بسيط
(يا ربِّ إنَّ ابن رامينٍ له بَقَرٌ ... عِينٌ وليس لنا غيرُ البراذِين)
وذكر الأبيات الماضية
قال فجاءني الخادم وقال ما زالت تقرأ رقعتك وتضحك من قولك
(فإن تجودي بذاك الشيءِ أحْيِ بهِ ... وإنْ بَخِلْتِ به عنّي فزَنِّيْنِي)
وكتبت إلي حاشاك من أن أزنيك ولكني أسير إليك فأغنيك وألهيك وأرضيك
وصارت إلي فأرضتني بعد ذلك
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الحسين بن محمد الحراني وأخبرني الجوهري عن علي بن محمد النوفلي عن أبيه أن جعفر بن سليمان اشترى الزرقاء صاحبة ابن رامين بثمانين ألف درهم وسترها عن أبيه وأبوه يومئذ على البصرة في خلافة المنصور وقد تحرك في تلك الأيام عبد الله بن علي فهجم عليهما يوماً سليمان بن علي فأخفيا العود تحت السرير ودخل فقال له ويحك نحن على هذه الحال نتوقع الصيلم وأنت تشتري جارية بثمانين ألف درهم وأظهر له غضباً عليه وتسخطاً لما فعل فغمز خادماً كان على رأسه فأخرجها إلى سليمان فأكبت على رأسه فقبلته ودعت له وكانت عاقلة مقبولة متكلمة فأعجبه ما رأى منها وقام عنهما فلم يعد لمعاتبة ابنه بعد ذلك
قال ولما مضت لها مدة عند جعفر سألها يوماً هل ظفر منك أحد ممن كان يهواك بخلوة أو قبلة فخشيت أن يبلغه شيء كانت فعلته بحضرة جماعة أو يكون قد بلغه فقالت لا والله إلا يزيد بن عون العبادي الصيرفي فإنه قبلني قبلة وقذف في فيَّ لؤلؤة بعتها بثلاثين ألف درهم
فلم يزل جعفر يحتال له ويطلبه حتى وقع في يده فضربه بالسياط حتى مات
قال هارون وحدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني أبو عوف الدوسي عن عبد الرحمن بن مقرن قال كتبت إلى ابن رامين أستأذنه في إتيانه فكتب إلي قد سبقك روح بن حاتم فإن كنت لا تحتشم منه فرح
فرحت فكنا كأننا فرسا رهان والتقينا فعانقني وقال لي أنى تريد قلت حيث أردت
قال فالحمد لله
فدخلنا فخرجت الزرقاء في إزار ورداء قوهيين موردين كأن الشمس طالعة من بين رأسها وكتفيها فغنتنا ساعة ثم جاء الخادم الذي يأذن لها وكان الإذن عليها دون مولاها فقام دون الباب وهي تغني حتى إذا قطعت نظرت إليه فقالت من
فقال يزيد بن عون العبادي الصيرفي الملقب بالماجن على الباب
فقالت أدخله
فلما استقبلها كفر ثم أقعى بين يديها
قال فوجدت والله له ورأيت أثر ذلك وتنوقت تنوقاً خلاف ما كانت تفعل بنا
فأدخل يده في ثوبه فأخرج لؤلؤتين وقال انظري يا زرقاء جعلت فداك ثم حلف أنه نقد فيهما بالأمس أربعين ألف درهم
فقالت فما أصنع بذلك قال أردت أن تعلمي
فغنت صوتاً ثم قالت يا ماجن هبها لي ويحك
قال إن شئت والله فعلت
قالت قد شئت
قال واليمين التي حلفت بها لازمة لي إن أخذتهما إلا بشفتيك من شفتي
قال فذهب روح يتسرع إليه فقالت له ألك في بيت القوم حاجة قال نعم
فقلت إنما يتكسبون مما ترى
وقام ابن رامين فقال ضع لي يا غلام ماء
ثم خرج عنا فقالت هاتهما
فمشى على ركبتيه وكفيه

وهما بين شفتيه
فقال هاك
فلما ذهبت بشفتيها جعل يصد عنها يميناً وشمالاً ليستكثر منها فغمزت جارية على رأسها فخرجت كأنها تريد حاجة ثم عطفت عليه فلما دنا منها وذهب ليزوغ دفعت منكبيه وأمسكتهما حتى أخذت الزرقاء اللؤلؤتين بشفتيها من فمه ورشح جبينها حياء مناً
ثم تجلدت علينا فأقبلت عليه فقالت له المغبون في استه عود فقال أما أنا فما أبالي لا يزال طيب هذه الرائحة في أنفي وفمي أبداً ما حييت
قال هارون وحدثني ابن النطاح عن المدائني عن علي بن أبي سليمان عن أبي عبد الله القرشي عن أبي زاهر بن أبي الصباح قال أتيت منزل ابن رامين مع رجل من قريش فأخرج الزرقاء وسعدة فقام القرشي ليبول وترك مطرفه فلبسته سعدة وخرجت فرجع القرشي وعليها المطرف قد خاطته فصار درعاً فقالت أرأيتم أسرع من هذا صار المطرف درعاً فقال القرشي هو لك
قال وعلي طيلسان مثنى فأردت أن أبول فلففته وقمت فقالت سعدة دع طيلسانك
فقلت لا أدعه أخاف أن يتحول مطرفاً
وحدثني قبيصة بن معاوية قال قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي شربت زرقاء ابن رامين دواءً فأهدى لها ابن المقفع ألف دراجة على جمل قراسي
قال هارون وحدثني حماد عن أبيه أن محمد بن جميل كان يتعشق الزرقاء وكان أبوه جميل يغدو كل يوم يسأل من يقدم عن ابنه محمد إلى أن مر به صديق له يكنى أبا ياسر فسأله عنه فقال له أبو ياسر تركته أعظم الناس قدرا يعامل الخليفة كل يوم في خراجه فيحتاج إليه ولده وصاحب شرطته وصاحب حرسه وخدمه
فقال
له يا أخي فكيف بهذه الجارية التي قد شهر بها فقال له الرجل لا تهتم بها قد مازحه أمير المؤمنين فيها وخاطبه بشعر قيل فيه
- قال وما هو قال - سريع
(وابنُ جميلٍ فاعلموا عاجلاً ... لا بدّ موقوف على مَسْطَبَهْ)
(يُوقَف في زرقاءَ مشهورةٍ ... تُجِيد ضَرْبَ العُودِ والعَرْطَبَهْ)
فقال جميل والله ما بي من هذا الأمر إلا أني أتخوف أن يكون قد شهر بها هذه الشُّهرَةَ ولم ينكها
قال هارون وأحسب هذه القصة لزرقاء الزراد لا زرقاء ابن رامين
قال هارون وحدثني أبو أيوب قال حدثني محمد بن سلام قال اجتمع عند ابن رامين معن بن زائدة وروح بن حاتم وابن المقفع فلما تغنت الزرقاء وسعدة بعث معن إليها بدرة فصبت بين يديها فبعث روح إليها أخرى فصبت بين يديها ولم يكن عند ابن المقفع دراهم فبعث فجاء بصك ضيعته وقال هذه عهدة ضيعتي خذيها فأما الدراهم فما عندي منها شيء
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا فضل اليزيدي قال حدثني إسحاق الموصلي قال قال سليمان الخشاب دخلت منزل ابن رامين فرأيت الزرقاء جاريته وهي وصيفة حين شال نهودها ثوبها عن صدرها لها شارب كأنه خط بمسك يلحظه الطرف
- ويقصر عنه الوصف وابن الأشعث الكوفي يلقي عليها والغناء له - سريع
(أيَةُ حالٍ يا ابنَ رامين ... حالُ المحِبِّين المساكِين)
(تَرَكْتَهُمْ موتَى وما موِّتوا ... قد جُرِّعوا منكَ الأمَرِّين)
((وسِرْتُ في رَكْبٍ على طِيّةٍ ... ركبٍ تَهَامٍ ويَمانِين
(يا راعيَ الذّود لقد رُعْتَنا ... ويلَكَ من رَوْع المحبِّين)
(فَرَّقْتَ جمعاً لا يُرَى مثلُهُمْ ... فَجَّعتهمْ بالرَّبرب العِين)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني هارون بن محمد الزيات قال قال أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل كان ابن رامين مولى الزرقاء أجل مقين بالكوفة وأكبرهم ورامين أبوه مولى بشر بن مروان
قال هارون فحدثني سليمان المديني قال قال حماد بن إسحاق قال أبي قال معاذ بن الطبيب أتيت ابن رامين وعنده جواريه الزرقاء وصواحباتها وعندهن فتى حسن الوجه نظيف الثياب عطر الريح يلقي عليهن فسألت عنه فقيل لي هذا محمد بن الأشعث بن فجوة الزهري
فمضيت به إلى منزلي وسألته المقام ففعل وأتيته بطعام وشراب وغنيته أصواتا من غناء أهل الحجاز فسألني أن ألقيها عليه فقلت نعم وكرامة وحباً على أن تلقي عليَّ أصواتا من صنعتك ألتذ بها وأقطع طريقي برواياتها وأطرف أهل بلدي بها
- ففعلت وفعل فكان مما أخذته عنه من صنعته - رمل
صوت
(صاحِ إنِّي عادَ لي ما ذَهَبا ... مِن هوىً هاجَ لقلبي طَرَبا)
(أذكَرتني الشّوق سَلاّمةُ أن ... لم أكُنْ قضيتُ منها أرَبا)
(وإذا ما لامَ فيها لائمٌ... زاد في قلبي لحبِّي عجبا)
(مِن ذَوات الدّلِّ لو دبَّ على ... جِلدها الذَّرُّ لأبدَى نَدَبا)
الغناء لمحمد بن الأشعث ثقيل أول عن الهشامي
وفيه ليونس خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق
وذكر أحمد بن عبيد أن فيه لحناً من الثقيل الثاني لا يدرى لمن هو
قال ومنها طويل
صوت
(لِذِكْرِ الحبيبِ النَّازحِ المتعتِّبِ ... طربْتُ ومَن يَعرِضْ له الشوق يَطْرَبِ)
لحنه رمل
- وقال منها - طويل
صوت

(خليليَّ عُوجا ساعةً ثم سلِّما ... على زَينبٍ سَقْياً ورَعْياً لزينبِ)
لحنه رمل
- وقال منها - مجزوء الكامل
صوت
(رَحُبَتْ بلادُك يا أمامهْ ... وسَلِمْتِ ما سَجَعَتْ حَمَامَهْ)
(وسقى ديارَك كلَّما ... حنَّت إلى السُّقيا غَمَامَهْ)
(إنِّي وإن أقصَيتني ... سَفَهاً أحبُّ لكِ الكرامهْ)
(وأرى أمورَكِ طاعةً ... مفروضةً حتّى القيامه)
لحنه خفيف رملٍ
- قال ومنها - مجزوء الرجز
صوت
(ما بالمَغَاني مِن أحَدْ ... إلاّ حماماتٌ فُرُدَ)
((أضحت خَلاءً دَرَّساً ... للرِّيح فيها مُطَّرِدْ)
(عهدِي بِها فيما مضى ... ينتابُها بِيضٌ خُرُدْ)
(فاستبدلَتْ وَحشاً بهمْ ... والوُرْق تدعو والصُّرَد)
لحنه هزج
قال ومنها
صوت مجزوء الرمل
(ليتَ مَن طَيَّرَ نومي ... ردَّ في عيني المناما)
(أو شَفَى جسماً سقيماً ... زاده الهجرُ سَقَاما)
(نظرَتْ عيني إليها ... نَظرَةً هاجتْ غَراما)
(تركَتْ قلبي حزيناً ... بهواها مُستَهاما)
لحنه رمل
قال ابن الطبيب وأخذت منه مع هذه أصواتاً كثيرة ورأيت الناس بعد ذلك ينسبونها إلى قدماء المغنين
قال هارون وحدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني إسماعيل بن جعفر بن سليمان أن الزرقاء صاحبة ابن رامين صارت إلى أبيه وكان يقال لها أم عثمان
وأن ربيحة جارية ابن رامين صارت إلى محمد بن سليمان وكانت حظية عنده
قال إسماعيل فأتى سليمان بن علي ابنه جعفراً فأخرج إليه الزرقاء فقال لها سليمان غنيني
قالت أي شيءٍ تحب قال غنيني - مجزوء الوافر
((إذا ما أمُّ عبدِ اللّهِ لم تَحْلُلْ بِواديهِ
(ولم تَشْفِ سقيماً هَيْيجَ ... الحُزن دواعيهِ)
فقالت فديتك قد ترك الناس ذا منذ زمان
ثم غنته إياه
قال إسماعيل قد مات سليمان منذ ثلاث وسبعين سنة وينبغي أن يكون رأى الزرقاء قبل موته بسنتين أو ثلاث
قال وقالت هي قد ترك الناس هذا منذ زمان
فهذا من أقدم ما يكون من الغناء
- قال هارون وقال شراعة بن الزندبوذ - بسيط
(قالوا شُراعَةَ عِنِّينٌ فقلْتُ لهمْ ... اللّه يعلمُ أنِّي غيرُ عِنِّين)
(فإنْ أبيتمْ وقلتمْ مثلَ قولهمُ ... فأقحِموني في دارِ ابنِ رامين)
(ثم انظروا كيفَ طَعْني عند مُعتركي ... في حِرِ مَنْ كنتُ أرميها وتَرميني)
قال هارون وحدثني أبو أيوب المديني عن أحمد بن إبراهيم قال قال بعض المدنيين أتيت منزل ابن رامين فوجدت عنده جارية قد رفع ثديها قميصاً لها شارب أخضر ممتد على شفتيها امتداد الطراز كأنما خطت طرتها وحاجباها بقلم لا يلحقها في ضرب من ضروب حسنها وصف واصف فسألت عن اسمها فقيل هذه الزرقاء
نسبة الصوت الذي في الخبر صوت مجزوء الوافر
(إذا ما أمُّ عبدِ اللّهِ لم تَحْلُلْ بِواديهِ)
(ولم تَشْفِ سقيماً هَيْيجَ الحُزْنُ دَواعيهِ)
((غَزالٌ راعَه القَنَّاصُ ... تحميه صَواصيه
(عَرَفْتُ الربعَ بالإكليل ... عَفَّتْهُ سوافيهِ)
(بجوٍّ ناعِمِ الحَوْذانِ ... مُلتفٍّ رَوَابيه)
(وما ذِكري حبيباً وقليلاً ما أُواتيهِ)
(كذِي الخمرِ تمنَّاها ... وقد أسرَفَ ساقِيهِ)
ذكر الزبير بن بكار أن الشعر لعدي بن نوفل وقيل إنه للنعمان بن بشير الأنصاري وذاك أصح
وقد أخرجت أخبار النعمان فيه مفردة في موضع آخر
وذكرت القصيدة بأسرها
ورواها ابن الأعرابي وأبو عمرو الشيباني للنعمان ولم يذكر أنها لعدي غير الزبير بن بكار
والغناء فيما ذكر عمرو بن بانة لمعبد خفيف رمل بالوسطى
وذكر إسحاق أن فيه خفيف رمل بالسبابة في مجرى البنصر يمان
وفيه للغريض ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي في الأول والثاني والرابع والخامس
6 - نسب عدي بن نوفل وخبره

هو عدي بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي
وأمه آمنة بنت جابر بن سفيان أخت تأبط شراً
وكان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه استعمله أو عثمان بن عفان رضي الله عنه فيما أخبرنا به الطوسي عن الزبير بن بكار على حضرموت
- قال الزبير ودار عدي بن نوفل بين المسجد والسوق معروفة وفيها يقول إسماعيل بن يسار النسائي - خفيف
(إنّ مَمْشاكِ نحوَ دار عَديٍّ ... كان للقلب شِقْوةً وفُتونا)
(إذْ تراءت على البَلاط فلمّا ... واجَهْتَها كالشَّمس تُعشِي العُيونا)
(قال هارونُ قِفْ فيا ليتَ أنّي ... كنتُ طاوعْتُ ساعةً هارونا)
وقد قيل إن هذه الأبيات لعمر بن أبي ربيعة
قال الزبير كان تحت عدي بن نوفل أم عبد الله بنت أبي البختري بن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى فغاب مدة
- وكتب إليها أن تشخص إليه فلم تفعل فكتب إليها قوله - مجزوء الوافر
(إذا ما أمُّ عبدِ اللّهِ ... لم تَحْلُلْ بِواديهِ)
وذكر البيتين فقط فقال لها أخوها الأسود بن أبي البختري وهما لأب وأم أمهما عاتكة بنت أمية بن الحارث بن أسد بن عبد العزى قد بلغ الأمر هذا من ابن عمك
فاشخصي إليه
صوت متقارب
(أعينيَّ جُودَا ولا تَجْمُدَا ... ألاَ تبكيانِ لصَخْرِ النَّدَى)
(ألا تبكيانِ الجَريَّ الجميلَ ... ألا تبكيانِ الفتَى السيِّدا)
الشعر للخنساء بنت عمرو بن الشريد ترثي أخاها صخراً والغناء لإبراهيم الموصلي ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق
وفيه لابن سريج خفيف رمل بالوسطى عن عمرو والهشامي وحبش
7 - نسب الخنساء وخبرها وخبر مقتل أخويها صخر ومعاوية
هي الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر
واسمها تماضر
- والخنساء لقب غلب عليها وفيها يقول دريد بن الصمة وكان خطبها فردته وكان رآها تهنأ بعيراً - كامل
(حَيُّوا تُماضِرَ واربَعُوا صحبِي ... وقِفُوا فإنّ وقوفَكُمْ حسبِي)
((أخُناسُ قد هامَ الفؤادُ بكمْ ... وأصابه تَبْلٌ من الحُبِّ)
(ما إن رأيتُ ولا سمِعْتُ بهِ ... كاليومِ طاليَ أيْنُقٍ جُرْبِ)
(متبذِّلاً تبدو محاسنُه ... يَضعِ الهِناءَ مواضعَ النُّقْبِ)
قال أبو عبيدة ومحمد بن سلام لما خطبها دريد بعثت خادماً لها وقالت انظري إليه إذا بال فإن كان بوله يخرق الأرض ويخد فيها ففيه بقية وإن كان بوله يسيح على وجهها فلا بقية فيه
فرجعت إليها وأخبرتها فقالت لا بقية في هذا
- فأرسلت إليه ما كنت لأدع بني عمي وهم مثل عوالي الرماح وأتزوج شيخاً فقال - وافر
(وقاكِ اللّهُ يا ابنةَ آلِ عمرو ... مِن الفتيانِ أشباهي ونَفْسِي)
(وقالت إنّني شيْخٌ كبيرٌ ... وما نَبّأتُها أنّي ابنُ أمسِ)
(فلا تَلِدِي ولا يَنكحْكِ مثلي ... إذا ما ليلة طرَقَتْ بِنَحْسِ)
(تريدُ شَرَنْبَثَ القَدَمَيْنِ شَثْناً ... يُباشِر بالعَشيّة كلَّ كِرْسِ)
وافر -فقالت الخنساء تُجيبه
((مَعَاذَ اللّهِ يَنْكِحُني حَبَرْكَي ... يقال أبوه مِن جُشَمَ بن بكْرِ)
(ولو أصبحْتُ في جُشَمٍ هَدِيّاً ... إذاً أصبحْتُ في دَنَسٍ وفَقْرِ)
وهذا الشعر ترثي به أخاها صخراً وقتله زيد بن ثور الأسدي يوم ذي الأثل
أخبرنا بالسبب في ذلك محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة وأضفت إليه رواية الأثرم عن أبي عبيدة
قال غزا صخر بن عمرو وأنس ابن عباس الرعلي في بني سليم بني أسد بن خزيمة قال أبو عبيدة وزعم السلمي أن هذا اليوم يقال له يوم الكلاب ويوم ذي الأثل في بني عوف وبني خفاف وكانا متساندين وعلى بني خفاف صخر بن عمرو الشريدي وعلى بني عوف أنس بن عباس
قال فأصابوا في بني أسد بن خزيمة غنائم وسبياً وأخذ صخر يومئذ بديلة امرأة
قال وأصابت صخراً يومئذ طعنة طعنه رجل يقال له ربيعة بن ثور ويكنى أبا ثور فأدخل جوفه حلقاً من الدرع فاندمل عليه حتى شق عنه بعد سنين وكان سبب موته
قال أبو عبيدة وقال غيره بل ورد هو وبلعاء بن قيس الكناني
قال وكانا
أجمل رجلين في العرب
قال فشربا عند يهودي خمار كان بالمدينة
قال فحسدهما لما رأى من جمالهما وهيئتهما وقال إني لأحسد العرب أن يكون فيهم مثل هذين فسقاهما شربة جوياً منها
قال فمر بصخر طبيب بعد ما طال مرضه فأراه ما به فقال أشق عنك فتفيق
قال فعمد إلى شفار فجعل يحميها ثم يشق بها عنه فلم ينشب أن مات
قال أبو عبيدة وأما أبو بلال بن سهم فإنه قال اكتسح صخر أموال بني أسد وسبي نساءهم فأتاهم الصريخ فتبعوه فتلاحقوا بذات الأثل فاقتتلوا قتالاً شديداً فطعن ربيعة بن ثور الأسدي صخراً في جنبه وفات القوم فلم يقعص وجوي منها

ومرض قريباً من حول حتى مله أهله
قال فسمع صخر امرأة وهي تسأل سلمى امرأة صخر كيف بعلك فقالت سلمى لا حي فيرجى ولا ميت فينعى لقينا منه الأمرين قال وزعم آخر أن التي قالت هذه المقالة بديلة الأسدية التي كان سباها من بني أسد فاتخذها لنفسه
- فأنشد هذا البيت - طويل
(ألا تِلْكُمُ عِرْسي بُدَيلةُ أوجَسَتْ ... فِراقي وملَّتْ مَضجَعي ومكاني)
- وأما أبو بلال بن سهم فزعم أن صخراً حين سمع مقالة سلمى امرأته قال - طويل
(أرى أمَّ صخرٍ لا تَمَلُّ عيادتي ... وملَّتْ سُليمَى مَضجِعي ومَكانِي)
(وما كنتُ أخشى أن أكونَ جنازةً ... عليكِ ومَن يغتَرُّ بالحَدَثانِ)
(أهُمُّ بأمرِ الحَزْمِ لو أستطيعُهُ ... وقد حِيلَ بين العَيْرِ والنَّزَوانِ)
(لَعَمري لقد نَبَّهْتِ مَن كان نائماً ... وأسمَعتِ مَن كانت له أُذُنانِ)
(ولَلْمَوْتُ خيرٌ من حياةٍ كأنَّها ... مَحَلَّةُ يَعْسوبٍ برأسِ سِنانِ)
(وأيُّ امرىءٍ ساوَى بأمٍّ حليلةً ... فلا عاشَ إلاّ في شَقاً وهَوانِ)
فلما طال عليه البلاء وقد نتأت قطعة مثل اللبد في جنبه في موضع الطعنة قالوا له لو قطعتها لرجونا أن تبرأ فقال شأنكم
فأشفق عليه بعضهم فنهاهم فأبى وقال الموت أهون علي مما أنا فيه فأحموا له شفرة ثم قطعوها فيئس من نفسه
- قال وسمع صخر أخته الخنساء تقول كيف كان صبره فقال صخر في ذلك - طويل
(أجارَتَنا إنّ الخطوبَ تنُوبُ ... على النَّاسِ كلَّ المخطئين تُصِيبُ)
(فإن تسأليني هَلْ صبرتَ فإنَّني ... صَبُورٌ على رَيْبِ الزمانِ صَليبُ)
(كأنّي وقد أدنَوْا إليّ شِفارَهم ... من الصَّبر دامي الصَّفحتين رَكوبُ)
(أجارَتَنا لَسْتُ الغداةَ بظاعنٍ ... ولكنْ مقيمٌ ما أقامَ عسيبُ)
عن أبي عبيدة عسيب جبل بأرض بني سليم إلى جنب المدينة فقبره هناك معلم
وقال أبو عبيدة فمات فدفن هناك فقبره قريب من عسيب
- فقالت الخنساء ترثيه - متقارب
(ألا ما لِعَيْنِكَ أم ما لَها ... لقد أخضَلَ الدَّمعُ سِربالَهَا)
(أبَعْدَ ابنِ عمرٍو مِن آلِ الشَّريدِ ... حلَّتْ به الأرضُ أثقالَها)
(فإنْ تَكُ مُرَّةُ أودتْ به ... فقد كان يُكْثِرُ تقتالَهَا)
(سأحْمِلُ نفسي على خُطَّةٍ ... فإمّا عليها وإمّا لها)
(فإنْ تصبرِ النَّفسُ تَلْقَ السُّرورَ ... وإنْ تجزعِ النفسُ أشقَى لها)
غنّى فيه ابن سريج خفيف رمل بالبنصر
قال السلمي ليست هذه في صخر هذه إنّما رثت بها معاوية أخاها وبنو مرة قتلته
بسيط -ولكنها قالت في صخر
(قَذىً بعينِكَ أم بالعَينِ عُوَّارُ ... أم أقفرَتْ إذْ خلَتْ من أهلِها الدارُ)
(تبكي لصخرٍ هي العَبرى وقد ثَكِلَتْ ... ودونَه من جَديدِ التّربِ أستارُ)
(لا بدَّ من مِيتةٍ في صَرْفِها غِيَرٌ ... والدَّهرُ في صَرْفِه حَوْلٌ وأطوارُ)
(يا صخرُ ورّادَ ماءٍ قد تناذَرَه ... أهلُ الموارِدِ ما في وِرْدِه عارُ)
(مَشْيَ السَّبَنْتَى إلى هيجاءَ مُعضِلَةٍ ... له سلاحانِ أنيابٌ وأظفارُ)
(فما عَجُولٌ على بَوٍّ تُطيفُ به ... لها حنينانِ إصْغارٌ وإكْبارُ)
(تَرْتَعُ ما رتعتْ حتّى إذا ادَّكرتْ ... فإنَّما هي إقبالٌ وإدبارُ)
(لا تَسْمَنُ الدَّهرَ في أرضٍ وإنْ رتعَتْ ... فإنَّما هي تَحنانٌ وتَسجارُ)
(يوماً بأوجَدَ منّي يومَ فارَقَني ... صخرٌ وللدَّهرِ إحلاءٌ وإمرارُ)
(فإنّ صخراً لَوَالِينا وسيِّدُنا ... وإنّ صخراً إذا نَشتُو لنحّارُ)
(وإنَّ صخراً لتأتمُّ الهُداةُ به ... كأنّه عَلَمٌ في رأسِه نارُ)
غنّى في هذين البيتين الأولين ابن سريج من رواية يونس
(لم تَرَه جارةٌ يمشي بساحتِها ... لِرِيْبةٍ حين يُخلي بيتَه الجارُ)
(ولا تراه وما في البيتِ يأكلُه ... لكنّه بارزٌ بالصَّحنِ مِهمارُ)
(مثلُ الرُّدَينيِّ لم تنفدْ شبيبَتُه ... كأنّه تحتَ طَيِّ البُرْدِ أُسْوارُ)
(في جوفِ رَمْسٍ مُقيمٍ قد تضمَّنَه ... في رمسِهِ مُقمَطِرَّاتٌ وأحجارُ)
(طَلْقُ اليدينِ بِفعلِ الخيرِ ذو فَجَرٍ ... ضَخْمُ الدَّسيعةِ بالخيراتِ أمّارُ)
(ورُفقةٍ حارَ هاديهِمْ بِمَهْلِكَةٍ ... كأنَّ ظلمتَها في الطِّخيةِ القارُ)
عروضه ثان من البسيط
العوار والعائر وجع وهو مثل الرمد
وذرفت قطرت قطراً متتابعاً لا يبلغ أن يكون سيلاً
والعبرى يقال امرأة عبرى وعابر
والعبرة سخنة العين
والوله ما يصيب الرجل والمرأة من شدة الجزع على الولد
حول وأطوار أي تحول وتقلب وتصرف
قد تناذره أي أنذر بعضهم بعضاً هوله وصعوبته
ويروى تبادره
وقولها ما في ورده عار أرادت ما في ترك ورده عار أي لا يعير أحد إن عجز عنه من صعوبة ورده

العجول الثكول
والبو أن ينحر ولد الناقة ويؤخذ جلده فيحشى ويدنى من أمه فترأمه
إحلاء وإمرار يقال ما أحلى ولا أمر أي ما أتى بحلوة ولا مرة
والمعنى أن الدهر يأتي بالمشقة والمحبة
كأنه علم في رأسه نار أي إنه مشهور
والعلم الجبل وجمعه أعلام
كأنه تحت طي البرد أسوار أي من لطافة بطنه وهيفه شبيه أسوار من ذهب
والرديني الرمح منسوب إلى ردينة امرأة كانت تقوم الرماح
أي هو معصوب البدن ليس بمهبج منحل
وهذا كله من انتفاخ الجلد والسمن والاسترخاء
وقال أبو عمرو مقمطرات صخور عظام
والأحجار صغار
ذو فجر يتفجر
بالمعروف
والدسيعة العطاء
الطخية من الطخاء وهو الغيم الرقيق الذي يواري النجوم فيتحير الهادي
- وقالت الخنساء أيضاً ترثي صخراً - وافر
(بَكَتْ عيني وعاوِدَها قَذَاها ... بعُوّارٍ فما تَقْضِي كَرَاها)
(على صخرٍ وأيُّ فتىً كصخرٍ ... إذا ما النابُ لم تَرأَمْ طَلاها)
الطلا الولد أي لم تعطف عليه من الجدب
(فتَى الفتيانِ ما بلغوا مَدَاها ... ولا يُكدِي إذا بلغتْ كُداها)
(لئن جزعتْ بنو عمرو عليه ... لقد رزئت بنو عمرو فتاها)
غنى في هذه الأبيات ابنُ جامع ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى
وذكر حبش أنّ له أيضاً فيه خفيف رمل بالبنصر
(ترى الشُّمَّ الجَحَاجِحَ من سُلَيم ... وقد بَلَّتْ مَدَامِعُها لِحاها)
إذا وصف السيد بالشمم فإنه لا يدنو لدناءة ولا يضع لها أنفه
(وخَيلٍ قد كففْتُ بجَوْلِ خيلٍ ... فدارتْ بين كَبْشَيْها رحاها)
وجوْل خيل جولان
ويقال قطعة خيل تجول أي تذهب وتجيء
(ترفّعَ فَضْلَ سابغةٍ دِلاصٍ ... على خَيفانةٍ خَفِقٍ حَشاها)
(وتسعى حينَ تشتجِرُ العوالي ... بكأس الموت ساعَةَ مُصْطلاها)
(محافَظَةً ومَحْمِيَةً إذا ما ... نبَا بالقومِ من جَزَعٍ لظَاها)
(فتتركُها قد اشتجرتْ بطعنٍ ... تضمّنه إذا اختلفت كُلاها)
(هُنالك لو نزلْتَ بآلِ صخرٍ ... قِرَى الأضيافِ سُخْناً من ذُراها)
(فمن للضّيف إنْ هبّت شمالٌ ... مُزعزِعةٌ يجاوبُها صَداها)
(وألجأ بردُها الأشْوالَ حُدْباً ... إلى الحجَرات بارزةً كُلاها)
(أطعِمَكُمْ وحامِلَكُمْ تَرَكْتُمْ ... لدى غَبراءَ منهدمٍ رَجاها)
(لَبَيْكَ عليكَ قومُك للمعالي ... وللهيْجاءِ إنّك ما فتاها)
(وقد فَوّزْتَ طَلْعَةَ فاستراحتْ ... فليْتَ الخيلَ فارسُها يراها)
وافر -وقال خفاف بن عمير يرثي صخراً ومعاوية ابني عمرو ورجالاً منهم أصيبوا
((تطاول همُّه بِيراقِ سِعرٍ ... لذكراهمْ وأيُّ أوانِ ذِكر
(كأنَّ النارَ تُخرجها ثيابي ... وتدخلُ بعد نومِ الناسِ صدري)
(لبَاتت تَضْرِبُ الأمثالَ عندي ... على نابٍ شَرِبْتُ بها وبَكْر)
(وتَنْسى مَنْ أُفارقُ غيرَ قالٍ ... وأصبرُ عنهمُ من آل عمرو)
(وهل تدرين أنْ ما رُبَّ خَرْقٍ ... رُزِئتُ مُبرَّأٍ بقِصاصٍ وِتر)
(أخِي ثقة إذا الضَّرَّاءُ نابت ... وأهلِ حِياءِ أضيافٍ ونحرٍ)
(كصخرٍ للسَّرِيّة غادروه ... بِذَرْوَةَ أو معاوية بن عمرو)
(وميْتٍ بالجنَاب أثَلَّ عرشِي ... كصخرٍ أو كعمرٍو أو كبِشْر)
(وآخرَ بالنواصِفِ من هدامٍ ... فقد أودى وربِّ أبيكَ صبري)
(فلم أرَ مثلَهمْ حَيّاً لَقَاحاً ... أقاموا بين قاصيةٍ وحَجْر)
(أشدَّ على صُروف الدهر إدّاً ... وآمَرَ منهم فيها بِصَبر)
(وأكرَم حين ضَنَّ الناسُ خِيماً ... وأحمد شِيمةً ونَشِيلَ قِدْر)
((إذا الحسناء لم ترحَضْ يدَيْها ... ولم يُقصرْ لها بَصَرٌ بِسِتْر
(قَرَوْا أضيافَهمْ رَبَحاً ببُحٍّ ... تجيءُ بعبقريِّ الوَدْقِ سُمْر)
(رماحُ مثقّفٍ حَملتْ نِصالاً ... يَلُحْنَ كأنّهن نجومُ فَجْر)
(جَلاها الصَّيْقَلُونَ فأخلَصُوها ... مواضيَ كلُّها يَفْرِي بِبَتْر)
(همُ الأيسارُ إن فَحَطَتْ جُمادَى ... بكلِّ صَبير ساريةٍ وقَطْر)
(يَصُدُّون المُغيرةَ عن هَواها ... بطعْنٍ يَفلِقُ الهاماتِ شَزْر)
(تعلَّمْ أنّ خَيرَ الناسِ طُرّاً ... لِولدانٍ غداةَ الريح غُبْر)

(وأرملةٍ ومُعْتَرٍّ مُسيفٍ ... عديم المال عِجْزَةُ أمِّ صخْرِ)
- ومما رثت به الخنساء صخراً وغني فيه - متقارب
صوت
(أعَينيَّ جُودا ولا تَجْمُدا ... ألا تبكيانِ لصخر الندَى)
(ألاَ تبكيانِ الجريءِ الجميلَ ... ألا تبكيان الفتى السيِّدا)
(طويلُ النِّجادِ رفيعُ العِمادِ ... ساد عشيرتَه أمْرَدا)
(إذا القومُ مَدُّوا بأيْدِيهمُ ... إلى المجد مَدَّ إليه يدا)
(فنالَ الذي فوقَ أيديهمُ ... من المجدِ ثمَّ مضى مُصْعِدا)
(يحمِّلُه القومُ ما عالَهمْ ... وإن كان أصغَرَهمْ مَولِدا)
(ترى المجدَ يهوي إلى بيته ... يرى أفضَلَ المجد أن يُحْمَدَا)
(وإن ذُكر المجدُ ألفيْتَه ... تأزَّر بالمجد ثمَّ ارتدَى)
ونذكر الآن هاهنا خبر مقتل معاوية بن عمرو أخيهما إذ كانت أخبارهما وأخبارها يدعو بعضها إلى بعض
قال أبو عبيدة حدثني أبو بلال بن سهم بن عباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد بن عبس بن رفاعة بن الحارث بن بهثة بن سليم بن منصور قال غزا معاوية بن عمرو أخو خنساء بني مرة بن سعد بن ذبيان وبني فزارة ومعه خفاف بن عمير بن الحارث وأمه ندبة سوداء وإليها ينسب فاعتوره هاشم ودريد ابنا حرملة المريان
قال ابن الكلبي وحرملة هو حرملة بن الأسعر ابن إياس بن مريطة بن ضمرة بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان
قال أبو عبيدة فاستطرد له أحدهما ثم وقف وشد عليه الآخر فقتله فلما تنادوا قتل معاوية قال
خفاف قتلني الله إن رمت حتى أثأر به فشد على مالك بن حمار الشمخي وكان سيد بني شمخ بن فزارة فقتله قال وهو
- مالك بن حمار بن حزن بن عمرو بن جابر بن عقيل بن هلال بن مازن بن فزارة فقال خفاف في ذلك - طويل
(فإنْ تكُ خيلي قد أُصِيبَ صميمُها ... فعَمْداً على عَيْنٍ تَيَمَّمْتُ مالكا)
يعني مالك بن حمار الشمخي
قال أبو عبيدة فأجمل أبو بلال الحديث
قال وأما غيره فذكر أن معاوية وافى عكاظ في موسم من مواسم العرب فبينا هو يمشي بسوق عكاظ إذ لقي أسماء المرية وكانت جميلة وزعم أنها كانت بغياً فدعاها إلى نفسه فامتنعت عليه وقالت أما علمت أني عند سيد العرب هاشم بن حرملة فقال أما والله لأقارعنه عنك
قالت شأنك وشأنه
فرجعت إلى هاشم فأخبرته بما قال معاوية وما قالت له فقال هاشم فلعمري لا يريم أبياتنا حتى ننظر ما يكون من جهده
قال فلما خرج الشهر الحرام وتراجع الناس عن عكاظ خرج معاوية بن عمرو غازياً يريد بني مرة وبني فزارة في فرسان أصحابه من بني سليم حتى إذا كان بمكان يدعى الحوزة أو الجوزة والشك من أبي عبيدة دومت عليه طير وسنح له ظبي فتطير منهما ورجع في أصحابه وبلغ ذلك هاشم بن حرملة فقال ما منعه من الإقدام إلا الجبن قال فلما كانت السنة المقبلة غزاهم حتى إذا كان في ذلك المكان سنح له ظبي وغراب فتطير فرجع ومضى أصحابه وتخلف في تسعة عشر فارساً منهم لا يريدون قتالا إنما تخلف عن عظم الجيش راجعاً إلى بلاده فوردوا ماء وإذا عليه بيت
شعر فصاحوا بأهله فخرجت إليهم امرأة فقالوا ما أنت ممن أنت قالت امرأة من جهينة أحلاف لبني سهم بن مرة بن غطفان
فوردوا الماء يسقون فانسلت فأتت هاشم بن حرملة فأخبرته أنهم غير بعيد وعرفته عدتهم وقالت لا أرى إلا معاوية في القوم
فقال يا لكاع أمعاوية في تسعة عشر رجلاً شبهت أو أبطلت قالت بل قلت الحق ولئن شئت لأصفنهم لك رجلاً رجلا
قال هاتي
قالت رأيت فيهم شاباً عظيم الجمة جبهته قد خرجت من تحت مغفره صبيح الوجه عظيم البطن على فرس غرّاء
قال نعم هذه صفته
يعني معاوية وفرسه الشماء
قالت ورأيت رجلاً شديد الأدمة شاعراً ينشدهم
قال ذلك خفاف بن عمير
قالت ورأيت رجلاً ليس يبرح وسطهم إذا نادوه رفعوا أصواتهم
قال ذاك عباس الأصم
قالت ورأيت رجلاً طويلاً يكنونه أبا حبيب ورأيتهم أشد شيء له توقيراً
قال ذاك نبيشة بن حبيب
قالت ورأيت شاباً جميلاً له وفرة حسنة
قال ذاك العباس بن مرداس السلمي
قالت ورأيت شيخاً له ضفيرتان فسمعته يقول لمعاوية بأبي أنت أطلت الوقوف قال ذاك عبد العزى زوج الخنساء أخت معاوية
قال فنادى هاشم في قومه وخرج وزعم المري أنه لم يخرج إليهم إلا في مثل عدتهم من بني مرة
قال فلم يشعر السلميون حتى طلعوا عليهم فثاروا إليهم فلقوهم فقال لهم خفاف لا تنازلوهم رجلاً رجلاً فإن خيلهم تثبت للطراد وتحمل ثقل السلاح وخيلكم قد أمنها الغزو وأصابها الحفا
قال فاقتتلوا ساعة وانفرد هاشم ودريد ابنا حرملة المريان لمعاوية فاستطرد له أحدهما فشد عليه معاوية وشغله واغتره الآخر فطعنه فقتله
واختلفوا أيهما استطرد له وأيهما قتله وكانت بالذي استطرد له طعنة طعنه إياها معاوية
ويقال هو هاشم
وقال آخرون بل دريد أخو هاشم

قال وشد خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد على مالك بن حمار سيد بني شمخ بن فزارة فقتله
وقال خفاف في ذلك وهو ابن ندبة وهي أمة سوداء كانت سباها الحارث بن الشريد حين أغار على بني الحارث بن كعب فوهبها لابنه عمير فولدت له خفافا
ويقال في ندبة إنها ابنة الشيطان بن بنان من بني الحارث ابن كعب
- فقال - طويل
(أقولُ له والرمْحُ يأطِرُ مَتْنَهُ ... تأمَّلْ خُفافاً إنني أنا ذلكا)
(وقفْتُ له جَلْوَى وقد خامَ صُحبتي لأبنِيَ مَجْداً أو لأثْأرَ هالكا)
(لَدُنْ ذرّ قرْنُ الشّمس حين رأيتُهمْ ... سراعاً على خيلٍ تؤمُّ المسالكا)
(فلمّا رأيْتُ القومَ لا وُدَّ بينهمْ ... شريجَيْنِ شتَّى طالباً ومُواشِكا)
(تَيَمَّمْتُ كبشَ القومِ حتّى عَرَفْتُهُ ... وجانَبْتُ شُبّان الرجالِ الصعالِكا)
((فجادت له يُمنى يَدَيَّ بطعْنةٍ ... كستْ متنَه من أسودِ اللون حالكا
(أنا الفارسُ الحامي الحقيقةِ والذي ... به أُدْرِكُ الأبطال قِدْماً كذلكا)
(فإنْ يَنْجُ منها هاشمٌ فبطعنةٍ ... كَستْه نجيعاً من دم الجوفِ صائكاً)
فحقق خفاف في شعره أنّ الذي طعن معاوية هو هاشم بن حرملة
- وقالت الخنساء ترثي أخاها معاوية - طويل
(ألا لا أرى في الناس مثلَ معاويةٍ ... إذا طَرَقَتْ إحدى الليالي بداهيهْ)
(بداهيةٍ يُصغِي الكلابَ حسيْسُها ... وتُخرِج من سِرِّ النجيِّ عَلانيه)
(ألا لا أرى كفارس الوَرْد فارساً ... إذا ما عَلَتْهُ جُرْأةٌ وغَلابَيَه)
(وكان لِزازَ الحربِ عند شُبوبها ... إذا شمّرت عن ساقِها وهي ذاكيه)
(وقَوّادَ خيلٍ نحوَ أخرى كأنها ... سَعالٍ وعِقبانٌ عليها زَبانيه)
(بلينا وما تُبْلَى تِعَارٌ وما ترى ... على حدث الأيام إلا كما هيه)
(فأقسمْتُ لا ينفكُّ دمعي وعَوْلتِي ... عليكَ بحزنٍ ما دعا اللّه داعيَه)
- وقالت الخنساء في كلمة أخرى ترثيه أيضاً - متقارب
(ألا ما لعينيكِ أمْ ما لَها ... لقد أخْضَلَ الدمعُ سِرْبالَها)
(أبَعْدَ ابن عمرٍو مِنَ آل الشريدِ ... حلّت به الأرضُ أثقالها)
((وأقسمْتُ آسَى على هالكٍ ... وأسألُ نائحةً ما لَهَا
(سأحملُ نفسي على آلةٍ ... فإمّا عليها وإمّا لها)
(نُهينُ النفوسَ وهَوْنُ النُّفوس ... يومَ الكريهة أبقَى لها)
(ورجراجةٍ فوقَها بيضُها ... عليها المضاعَفُ زفْنا لها)
(كَكِرْفِئَةِ الغَيْثِ ذاتِ الصَّبِير ... ترمي السحابَ ويرمي لها)
(وقافيةٍ مثل حدِّ السِّنان ... تبْقَى ويهلِكُ مَن قالها)
(نطقْتَ ابنَ عمرٍو فسهَّلْتَها ... ولم ينطِقِ الناسُ أمثالَهَا)
(فإن تَكُ مُرَّةُ أوْدَتْ به ... فقد كان يُكْثِرُ تَقتالَها)
(فزالَ الكواكبُ من فَقْدِهِ ... وجُلِّلَتِ الشمسُ أجلالها)
(وداهيةٍ جَرَّها جارمٌ ... تُبِيْلُ الحَواصنَ أحْبالَها)
(كفاها ابنُ عمرٍو ولم يَستْعِنْ ... ولو كان غيرُك أدنى لها)
(وليس بأولَى ولكنَّه ... سيكْفي العشيرةَ ما عالها)
((بمُعْتَرَكٍ ضيِّقٍ بيْنَه ... تجرُّ المنيةُ أذيالَها
(وبيضٍ مَنَعْتَ غداة الصباح ... تكشف للرَّوع أذيالها)
(ومُعْمَلةٍ سُقْتَها قاعداً ... فأعْلَمْتَ بالسيف أغفالَهَا)
(وناجيةٍ كأتَانِ الثَّمِيل ... غادرْتَ بالخَلِّ أوصالها)
(إلى مَلِكٍ لا إلى سُوقة ... وذلك ما كان إعمالَها)
(وتمنح خيلَكَ أرضَ العدوِّ ... وتَنبذُ بالغَزْوِ أطفالَها)
ونوحٍ بعثْتَ كمثلِ الإراخ ... آنستِ العِينُ أسبالها) التفسير عن أبي عبيدة)
قوله حلت به الأرض قال بعضهم حلت من الحلية أي زينت به الأرض موتاها حين دفن بها
وقال بعضهم حلت من حللت الشيء
والمعنى ألقت مراسيها كأنه كان ثقلاً عليها
- قال اللفظ لفظ الاستفهام والمعنى خبر كما قال جرير - وافر
(ألستم خيرَ مَن ركِب المطايا ... وأندى العالَمِين بطونَ راحِ)
قال جواب أبعد في آسى أي أبعد ابن عمرو آسى وأسأل نائحة ما لها وقال أبو عبيدة هذا البيت لمية بنت ضرار بن عمرو الضبية ترثي أخاها
قال أبو الحسن
الأثرم سمعت أبا عمرو الشيباني يقول أمور الناس جارية على أذلالها أي على مسالكها واحدها ذل آلة حالة
تقول فإما أن أموت وإما أن أنجو
ولو قالت على ألة لم تنج لأن الألة هي الحربة
هممت بنفسي قال أبو عبيدة هذا توعد
قال الأصمعي كل الهموم
قال الأثرم كأنها أرادت أن تقتل نفسها
أبو عبيدة التكدس التتابع يتبع بعضها بعضاً أي يغزو ويجاهد في الغزو كما تتوقل الوعول في الجبال عن أبي عبيدة

قال الأصمعي التكدس أن تحرك مناكبها إذا مشت وكأنها تنصب إلى بين يديها وإنما وصفتها بهذا
تقول لا تسرع إلى الحرب ولكن تمشي إليها رويداً
وهذا أثبت له من أن يلقاها وهو يركض
ويقال جاء فلان يتكدس وهي مشية من مشي الغلاظ القصار
وقال أبو زياد الكلابي الكداس عطاس الضأن
قال السلمي التكدس تكدس الأوعال وهو التقحم
والتكدس هو أن يرمي بنفسه رمياً شديداً في جريه
نهين النفوس تريد غداة الكريهة
وقولها أبقى لها لأنها إذا تذامرت وغشيت القتال كان أسلم لها من الانهزام
وافر -كقول بشر بن أبي خازم
(ولا يُنجي من الغَمَرات إلاّ ... بَراكاءُ القِتال أو الفِرارُ
قال بعضهم أبقى لها في الذكر وحسن القول
والرجراجة التي تتمخض من كثرتها
وقال الأصمعي الكرفئة وجمعها كرفىء قطع من السحاب بعضها فوق بعض
وقوله ترمي السحاب أي تنضم إليه وتتصل به
ويرمي لها أي ينضم إليها السحاب حتى يستوي
مثل حد السنان لأنها ماضية
سهلتها جئت بها سهلة
وجللت الشمس أي كسفت الشمس وصار عليها مثل الجل
تبيل الحواصن وهي الحوامل من النساء أولادها من شدة الفزع أي ما كان وليها ولا دنا إليها ولكنه يكفي القريب والبعيد
ما عالها قال أبو عمرو عالها غلبها
وقال أبو عبيدة يقال إنه ليعولني ما عالك أي يغمني ما غمك
ويقال افعل كذا وكذا لا يعلك أن تأتي غيره أي لا يعجزك
ويقال قد يعولك أن تفعل كذا أي قد دنا لك أن تفعل
- وأنشد - مخلع البسيط
(ضَرْباً كما تَكَدَّسُ الوُعولُ ... يَعُول أن أُنْيطَها يَعُولُ)
أي قد دنا ذلك
ويقال عال كذا وكذا منك أي دنا منك
ويروى وليس بأدنى ولكنه
وقولها معملة إبل وقولها قاعداً أي على فرسك
- قال النابغة - طويل
(... قُعوداً على آل الوجيهِ ولا حق)
والأغفال ما لا سمة عليها واحدها غفل
والأثان الصخرة
والثميل
بقية الماء في الصخرة
والخل الطريق في الرمل
يقول أعيت فتركتها هنالك
ويروى
(... غادرْتَ بالنَّخْل أوصالها)
قال الأصمعي ناجية سريعة
ويروى إلى ملك وإلى شانىء
تقول تقود خيلك إلى ملك أو عدو
ويروى ما كان إكلالها
ما صلة
الإراخ بقر الوحش
تقول خرجت من بيوتهن كما خرجت هذه البقر من كنسها فرحاً بالمطر
- ومثله في الفرح بالمطر لابن الأحمر قوله - بسيط
(ماريّةٌ لُؤْلُؤانُ اللونِ أَوْرَدَها ... طَلٌّ وبَنَّس عنها فَرْقَدٌ خَصِرُ)
أي قوى أنفسها المطر لما رأته
- ومثله - وافر
(ألا هَلَكَ امرؤٌ قامَتْ عليه ... بجَنْبِ عُنَيزةَ البَقَرُ الهجودُ)
أي لم يقرن في البيوت فتسترهن البيوت بل هن ظواهر
وإنما شبه اجتماع هؤلاء النساء باجتماع العين وخروجهن للمطر
قال وبقر الوحش تفرح بالمطر
- وقال دريد يرثي معاوية أخا الخنساء لما قتلته بنو مرة - وافر
(ألا بَكَرَتْ تَلُومُ بغير قَدْرٍ ... فقد أحْفَيتني ودخلْتِ سِتري)
(فإنْ لم تَترُكي عَذْلي سَفَاهاً ... تَلُمْكِ عليَّ نفسُكِ أيَّ عَصْرِ)
(أسَرَّكِ أن يكونَ الدهرَ هذا ... عليَّ بشَرِّهِ يغدو ويسري

(وألاَّ تُرْزَئِي نَفْساً ومالاً ... يضرُّك هُلْكُه في طُولِ عمري)
(فقد كذَبَتْكِ نفسُكِ فاكذبيها ... فإنْ جزَعٌ وإنْ إجمالُ صبر)
(وإنَّ الرزء يومَ وقفْتُ أدعو ... فلم أسمِعِ مُعاويةَ بنَ عمرو)
(رأيت مكانَه فعرَضْتُ بَدْءاً ... وأيُّ مَقِيلِ رُزْءٍ يا ابنَ بَكْرِ)
(إلى إرَمٍ وأحجارٍ وصِيرٍ ... وأغصانٍ من السَّلَمَاتِ سُمْرِ)
صير الواحدة صيرة وهي حظيرة الغنم
وقوله وأغصان من السلمات أي ألقيت على قبره
(وبنيان القبور أتى عليها ... طوالُ الدَّهرِ من سنةٍ وشهر)
(ولو أسمعْتِهِ لسرَى حثيثاً ... سَريْعَ السَّعيِ أو لأتاكِ يجري)
(بشِكَّةِ حازمٍ لا عيْبَ فيه ... إذا لبِسَ الكُماةُ جلودَ نُمْرِ)
أي كأنّ ألوانهم ألوان النمور سواد وبياض من السلاح
عن أبي عبيدة
(فإمَّا تُمْسِ في جَدَثٍ مقيماً ... بمَسْهَكَةٍ من الأرواحِ قَفْرِ)
(فعزَّ عليَّ هُلكُكَ يا ابنَ عمرو ... وما لي عنكَ من عَزْمٍ وصَبْرِ)
قال أبو الحسن الأثرم فلما دخل الشهر الحرام فيما ذكر أبو عبيدة عن أبي بلال بن سهم من السنة المقبلة خرج صخر بن عمرو حتى أتى بني مرة بن عوف ابن ذبيان فوقف على ابني حرملة فإذا أحدهما به طعنة في عضده قال لم يسمه أبو بلال بن سهم
فأما خفاف بن عمير فزعم في كلمته تلك أن المطعون هاشم فقال أيكما قتل أخي معاوية فسكتا فلم يحيرا إليه شيئاً فقال
الصحيح للجريح ما لك لا تجيبه فقال وقفت له فطعنني هذه الطعنة في عضدي وشد أخي عليه فقتله فأينا قتلت أدركت ثأرك إلا أنا لم نسلب أخاك
قال فما فعلت فرسه الشماء قال ها هي تلك خذها
فردها عليه فأخذها ورجع فلما أتى صخر قومه قالوا له اهجهم
قال إن ما بيننا أجل من القذع ولو لم أكفف نفسي إلا رغبة عن الخنا لفعلت
- وقال صخر في ذلك - طويل
(وعاذلةٍ هَبَّتْ بليل تلومني ... ألا لا تلوميني كَفَى اللومَ ما بيا)
- قال أراد تباكره باللوم ولم يرد الليل نفسه إنما أراد عجلتها عليه باللوم كما قال النمر بن تولب العكلي - مديد
(... بَكَرتْ باللَّوم تَلْحانا)
- وقال غيره تلومه بالليل لشغله بالنهار عنها بفعل المكارم والأضياف والنظر في الحمالات وأمور قومه لأنّه قوامهم - طويل
(تقولُ ألا تهجو فوارسَ هاشمٍ ... وما لِيَ إذْ أهجوهُمُ ثم ما ليا)
(أبَى الشتمَ أنِّي قد أصابوا كريمتي ... وأنْ ليس إهداءُ الخَنَا من شِمالِيا)
أي من شمائلي
ويروى من فعاليا
(إذا ذُكِرَ الإخوانُ رقرقْتُ عبرةً ... وحيَّيْتُ رمساً عند لِيَّةَ ثاويا)
(إذا ما امرؤٌ أهدَى لِمَيْتٍ تحيّةً ... فحيَّاكَ ربُّ الناس عنِّي معاويا)
((وهوّنَ وجدِي أنّني لم أقلْ له ... كذبْتَ ولم أبخلْ عليه بماليا)
(فَنِعْمَ الفتى أدَّى ابن صِرْمَةَ بزَّه ... إذا الفحلُ أضحى أحدبَ الظَّهر عاريا)
قال أبو عبيدة ثم زاد فيها بيتاً بعد أن أوقع بهم فقال
(وذي أخوةٍ قطّعْتُ أقرانَ بينِهِمْ ... كما تَرَكوني واحداً لا أخاليا)
قال أبو عبيدة فلما كان في العام المقبل غزاهم وهو على فرسه الشماء فقال إني أخاف أن يعرفوني ويعرفوا غرة الشماء فيتأهبوا
قال فحمم غرتها
قال فلما أشرفت على أدنى الحيّ رأوها
فقالت فتاة منهم هذه والله الشماء فنظروا فقالوا الشماء غرّاء وهذه بهيم فلم يشعروا إلاّ والخيل دوائس فاقتتلوا فقتل
- صخر دريداً وأصاب بني مرة فقال - كامل
(ولقد قتلْتُكُم ثُناءَ ومَوْحداً ... وتركْتُ مُرّةَ مثلَ أمسِ المُدْبِرِ)
قال الأثرم مثنى وثناء لا ينونان
- قال ابن عنمة الضبي - طويل
(... يُباعُون بالنِّغْرانِ مثنى ومَوحَدا)
لا ينونان لأنهما مما صرف عن جهته والوجه أن يقول اثنين اثنين
وكذلك ثلاث ورباع
- قال صخر الغي - وافر
(مَنَتْ لكَ أن تُلاقِيَنِي المنايا ... أُحادَ أُحادَ في الشهر الحلالِ)
متقارب -قال ولا تجاوز العرب الرباع غير أن الكميت قال
((فلم يَستْريثُوكَ حتّى رميتَ ... فوقَ الرجالِ خِصالاً عُشَارَا)
- كامل -
(ولقد دفعْتَ إلى دُرَيْدَ بطعنةٍ ... نجلاءَ تُزغِلِ مثلَ عَطِّ المنحَرِ)
تزغل تخرج الدم قطعاً قطعاً
قال والزغلة الدفعة الواحدة من الدم والبول

- قال - سريع
(... فأزغَلَتْ في الحَلْقِ إزغالةً)
- وقال صخر أيضاً فيمن قتل من بني مرة - وافر
(قتلْتُ الخالِدَيْنِ به وبشراً ... وعَمْراً يومَ حَوْزَةَ وابنَ بِشْرِ)
(ومِن شَمْخٍ قتلْتُ رجالَ صِدْقٍ ... ومن بَدرٍ فقد أوفيْتُ نذْري)
(ومُرّةُ قد صبحْناها المنايا ... فروَّينا الأسنّةَ غيرَ فَخْرِ)
(ومِن أفناءِ ثعلبةَ بن سعدٍ ... قَتلْتُ وما أبيئُهُمْ بِوِتْرِ)
(ولكنّا نُريد هلاكَ قومٍ ... فنقتلُهُمْ ونشْرِيهِمْ بكَسْرِ)
- وقال صخر أيضاً - طويل
(ألا لا أرى مستعْتِبَ الدَّهر مُعْتِبَا ... ولا آخِذٌ منه الرضا إنْ تَغَضَّبا)
(وذي إخوةٍ قَطَّعْتُ أقرانَ بينِهِم ... إذا ما النُّفوسُ صِرْنَ حَسْرَى ولُغَّبا)
(أقولُ لِرَمْسٍ بين أجراعِ بِيْشَةٍ ... سقاكَ الغوادي الوابلَ المتحلِّبا)
(لَنِعْمَ الفتى أدّى ابنُ صِرْمَةَ بَزَّه ... إذا الفحلُ أمسى عاريَ الظهرِ أحدبا)
قال أبو عبيدة ثم إن هاشم بن حرملة خرج غازياً فلما كان ببلاد جشم بن بكر بن هوازن نزل منزلاً وأخذ صفنا وخلا لحاجته بين شجر ورأى غفلته قيس ابن الأصور الجشمي فتبعه وقال هذا قاتل معاوية لا وألت نفسي إن وأل فلما قعد على حاجته تقتر له بين الشجر حتى إذا كان خلفه أرسل إليه معبلة فقتله فقالت الخنساء في ذلك قال ابن الكلبي وهي الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن شريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم - وافر
(فِدىً للفارسِ الجُشَمِي نَفْسِي ... وأَفْدِيه بمن لي مِن حَميمِ)
(أفدِّيه بجُلِّ بني سُلَيْمٍ ... بظاعِنِهم وبالأَنَسِ المُقيْمِ)
((كما مِن هاشمٍ أقررْتُ عيني ... وكانت لا تَنام ولا تُنيم
- قال أبو عبيدة وكان هاشم بن حرملة بن صرمة بن مرة أسود العرب وأشدّهم وله يقول الشاعر - رجز
(أحيا أباه هاشمُ بن حَرْمَله ... يومَ الهَبَاتَين ويومَ اليَعْمَلَه)
(يقتلُ ذا الذَّنْبِ ومن لا ذنبَ له ... إذِ الملوكُ حولَه مُغربلَهْ)
(... وسيفُه للوالدات مثكلَهْ)
حدثني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسن بن الحرون قال حدثنا الكسروي عن الأصمعي قال
- مررت بأعرابي وهو يخضد شجرة وقد أعجبته سماحتها وهو يرتجز ويقول - رجز
(لو كنتِ إنساناً لكنْتِ حاتمَا ... أو الغلامَ الجُشَمِيَّ هاشما)
قلت من هاشم هذا قال أو لا تعرفه قلت لا
- قال هو الذي يقول - طويل
(وعاذلةٍ هَبَّتْ بليلٍ تلومُني ... كأنّي إذا أنفقْتُ مالي أَضِيمُها)
(دعِيني فإنّ الجودَ لن يتلِفَ الفتى ... ولن يُخْلِدَ النفسَ اللئيمةَ لُومُها)
(وتُذْكَر أخلاقُ الفتى وعظامُه ... مفرَّقةٌ في القبر بادٍ رميمُها)
((سَلِي كلَّ قيسٍ هل أباري خيارَها ... ويُعرض عنّي وَغْدُها ولئيمُها
(وتذكرُ فِتيانيتِي وتكرمي ... إذا ذُمَّ فِتيانيُّها وكريمُها)
قلت لا أعرفه
- قال لا عرفت هو الذي يقول فيه الشاعر - رجز
(أحيا أباه هاشمُ بن حرمَلَهْ ... يقتُل ذا الذنب ومَن لا ذنبَ لَهْ)
(... تَرَى الملوكَ حولَه مُغربَلَه)
صوت بسيط
(تأبد الرَّبعُ من سَلْمَى بأحفار ... وأقفرتْ من سُليمَى دِمْنَةُ الدّارِ)
(وقد تحُلُّ بها سلمى تحدّثني ... تَساقُطَ الحَلي حاجاتي وأسراري)
الشعر للأخطل والغناء لعمر الوادي هزج بالسبابة في مجرى الوسطى وفيهما رمل بالبنصر يقال إنه لابن جامع ويقال إنه لغيره وفيهما خفيف رمل بالوسطى ذكر الهشامي أنه لحكم
وذكر حبش أن فيهما لإبراهيم خفيف ثقيل أول بالوسطى
ومما يغنى فيه من هذه القصيدة
(وشاربٍ مُربِحٍ بالكأس نادَمَني ... لا بالحَصُورِ ولا فيها بِسَآرِ)
((نازعْتُه طيِّبَ الراحِ الشَّمولِ وقد ... صاح الدَّجاجُ وحانت وَقعةُ الساري
(لما أتَوْها بمصباحٍ ومبزلِهمْ ... سمَتْ إليهم سموَّ الأبجلِ الضاري)
الغناء في هذه الأبيات لابن سريج خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي
وذكر غيره أنها للدلال
ومنها
(فَرْدٌ تغنِّيه ذِبّانُ الرِّياضِ كما ... غَنَّى الغُواةُ بصَنْجٍ عند أسوارِ)
(كأنَّه من نَدى القُرّاصِ مُغْتَمِرٌ ... بالوَرْسِ أو خارجٌ من بيت عطّارِ)
غناه ابن سريج ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق
وذكر الهشامي أن لمالك فيه ثقيلاً أولاً
- ووافقه يونس في نسبته إلى مالك ولحكم في قوله - بسيط
(... فَرْدٌ تغنِّيه ذِبّانُ الرِّياضِ كما)
وبعده قوله

(صَهباء قد عَنَسَتْ من طُولِ ما حُبِسَتْ ... في مُخْدَعٍ بين جناتٍ وأنهار)
خفيف ثقيل بالبنصر
ومنها
(لَسَكَّنَتْني قريشٌ في ظِلالِهِمُ ... وموَّلَتْني قريشٌ بعد إقتار
(قومٌ إذا حاربوا شَدُّوا مآزرَهُمْ ... عن النِّساء ولو باتتْ بأطهار)
ليونس فيها لحن من كتابه ولم يجنسه
وهذه القصيدة مدح بها الأخطل يزيد بن معاوية لما منع من قطع لسانه حين هجا الأنصار وكان يزيد هو الذي أمره بهجائهم
فقيل إن السبب في ذلك كان تشبب عبد الرحمن بن حسان برملة بنت معاوية وقيل بل حمي لعبد الرحمن بن الحكم
أخبرني الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو يحيى الزهري قال حدثني ابن أبي زريق قال شبب عبد
- الرحمن بن حسان برملة بنت معاوية فقال - خفيف
(رَمْلَ هل تذكرين يومَ غزالٍ ... إذْ قَطَعْنا مَسِيرَنا بالتّمنّي)
(إذْ تقولين عُمْرَكَ اللّه هل شَيءٌ ... وإنْ جلَّ سوف يُسْليكَ عنّي)
(أمْ هَلْ اطمِعْتَ منكُم بابن حَسّان ... كما قد أراك أُطمِعْتَ منّي)
قال فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فغضب فدخل على معاوية فقال يا أمير المؤمنين ألا ترى إلى هذا العلج من أهل يثرب يتهكم بأعراضنا ويشبب بنسائنا قال ومن هو قال عبد الرحمن بن حسان وأنشده ما قال فقال يا يزيد ليست العقوبة من أحد أقبح منها من ذوي القدرة ولكن أمهل حتى يقدم وفد الأنصار ثم ذكرني
قال فلما قدموا أذكره به فلما دخلوا عليه قال يا عبد الرحمن ألم يبلغني أنك تشبب برملة بنت أمير المؤمنين قال بلى ولو علمت
أن أحداً أشرف به شعري أشرف منها لذكرته
قال وأين أنت عن أختها هند قال وإن لها لأختا قال نعم
قال وإنما أراد معاوية أن يشبب بهما جميعاً فيكذب نفسه
قال فلم يرض يزيد ما كان من معاوية في ذلك أن يشبب بهما جميعاً فأرسل إلى كعب بن جعيل فقال أهج الأنصار
فقال أفرق من أمير المؤمنين ولكن أدلك على الشاعر الكافر الماهر
قال من هو قال الأخطل
قال فدعا به فقال أهج الأنصار
قال أفرق من أمير المؤمنين فقال لا تخف شيئاً أنا لك بذلك
- قال فهجاهم فقال - كامل
(وإذا نَسَبْتَ ابنَ الفُريعةِ خِلْتَه ... كالجحش بين حِمارةٍ وحمار)
(لعنَ الإلهُ من اليهود عِصابةً ... بالجزْع بين صُلَيْصِلٍ وصِرار)
(قومٌ إذا هَدَرَ العصيرُ رأيتهم ... حُمراً عيونُهم من المُصطار)
(خَلُّوا المكارمَ لستمُ من أهلِها ... وخُذوا مساحِيَكُمْ بني النجّار)
(إنّ الفوارس يعلمون ظهورَكُمْ ... أولادَ كلِّ مُقَبَّحٍ أكّار)
(ذَهبتْ قريشٌ بالمكارم والعُلا ... واللؤمُ تحتَ عمائمِ الأنصار)
فبلغ ذلك النعمان بن بشير فدخل على معاوية فحسر عن رأسه عمامته وقال يا أمير المؤمنين أترى لؤماً قال لا بل أرى كرماً وخيراً ما ذاك قال زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائمنا
قال أو فعل قال نعم
قال لك لسانه
وكتب فيه أن يؤتى به
فلما أتي به سأل الرسول ليدخل إلى يزيد أولا فأدخله عليه فقال هذا الذي كنت أخاف
قال لا تخف شيئاً
ودخل على معاوية فقال علام أرسل إلى هذا الرجل وهو يرمي من وراء جمرتنا قال هجا الأنصار
قال ومن زعم ذلك قال النعمان بن بشير
قال لا تقبل قوله عليه وهو يدعي لنفسه ولكن تدعوه بالبينة فإن ثبت شيئاً أخذته به له
فدعاه بالبينة فلم يأت بها فخلى سبيله
- فقال الأخطل - طويل
(وإنّي غداةَ استُعْبِرَتْ أمُّ مالكٍ ... لرَاضٍ من السُّلطان أن يتهدّدا)
(ولولا يزيدُ ابنُ الملوكِ وَسَعْيُهُ ... تجلّلْتُ حِدْباراً من الشرّ أنكدا)
(فكم أنقذَتْني مِن خُطوبٍ حِبالُهُ ... وخرساءَ لو يرمى بها الفيلُ بَلدَا)
(ودافع عنّي يوم جِلّقَ غَمْرَةً ... وهَمّاً يُنسِّيني السُّلافَ المبرَّدا)
(وباتَ نَجِيّاً في دمشقَ لحيّةٍ ... إذا همّ لم يُنمِ السليمَ فأقصدا)
(يُخافِتُهُ طوراً وطوراً إذا رأى ... من الوجه إقبالاً ألحَّ وأجهدا)
(وأطفأتَ عنّي نارَ نُعمانَ بعدما ... أعدَّ لأمرٍ فاجرٍ وتجردا)
(ولما رأى النُّعمانُ دوني ابنَ حُرّةٍ ... طوَى الكَشْحَ إذْ لم يستطعني وعَرّدا)
حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني عن أبي عبد الرحمن بن المبارك قال شبب عبد الرحمن
ابن حسان بأخت معاوية فغضب يزيد فدخل على معاوية فقال يا أمير المؤمنين اقتل عبد الرحمن بن حسان
قال ولم قال شبب بعمتي
- قال وما قال قال قال - خفيف

(طال ليلي وبتُّ كالمحزونِ ... ومَلِلْتُ الثَّواءَ في جَيْرونِ)
قال معاوية يا بني وما علينا من طول ليله وحزنه أبعده الله قال إنه يقول
(فلذاكَ اغتَرَبْتُ بالشام حتَّى ... ظنّ أهلي مُرجَّماتِ الظنون)
قال يا بني وما علينا من ظن أهله قال إنه يقول
(هي زهراءُ مثلُ لؤلؤةِ الغَوْاص ... مِيزَتْ من جوهرٍ مكنونِ)
قال صدق يا بني
قال إنه يقول
(وإذا ما نَسَبْتَها لم تجِدْها ... في سناءٍ من المكارمِ دُونِ)
قال صدق يا بني هي هكذا
قال إنه يقول
(ثم خاصرتُها إلى القُبَّة الخضراءِ ... تمشي في مَرْمَرٍ مَسنونِ)
خاصرتها أخذت بخصرها وأخذت بخصري
قال ولا كل هذا يا بني ثم ضحك وقال أنشدني ما قال أيضاً
فأنشده قوله
(قُبّةٌ من مَرَاجلٍ نَصَبُوْها ... عند حَدِّ الشتاءِ في قَيْطونِ
(عن يساري إذا دخلْتُ من الباب ... وإن كنْتُ خارجاً فيميني)
(تجعل النَّدَّ والأُلُوَّةَ والعُودَ ... صِلاَءً لها على الكانونِ)
(وقِبابٌ قد أُسْرِجَتْ وبيوتٌ ... نُطِّقت بالريحان والزَّرجُونِ)
قال يا بني ليس يجب القتل في هذا والعقوبة دون القتل ولكنا نكفه بالصلة له والتجاوز
نسبة ما في هذه الأبيات من الغناء
صوت خفيف
(هي زهراءُ مثلُ لؤلؤةِ الغَوْاص ... مِيزَتْ من جوهرٍ مكنونِ)
(وإذا ما نَسَبْتَها لم تجِدْها ... في سناءٍ من المكارمِ دُونِ)
نسخت من كتاب ابن النطاح وذكر الهيثم بن عدي عن ابن دأب قال حدثنا شعيب بن صفوان أن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت كان يشبب بابنة معاوية ويذكرها في شعره فقال الناس لمعاوية لو جعلته نكالا فقال لا ولكن أداويه بغير ذلك
فأذن له وكان يدخل عليه في أخريات الناس ثم أجلسه
على سريره معه وأقبل عليه بوجهه وحديثه ثم قال ابنتي الأخرى عاتبة عليك
قال في أي شيء قال في مدحتك أختها وتركك إياها
قال فلها العتبى وكرامة أنا ذاكرها وممتدحها
فلما فعل وبلغ ذلك الناس قالوا قد كنا نرى أن نسيب ابن حسان بابنة معاوية لشيء فإذا هو عن رأي معاوية وأمره
وعلم من كان يعرف أنه ليس له بنت أخرى أنه إنما خدعه ليشبب بها ولا أصل لها فيعلم الناس أنه كذب على الأولى لما ذكر الثانية
وقد قيل في حمل يزيد بن معاوية الأخطل على هجاء الأنصار إنه فعل ذلك تعصباً لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص بن أمية أخي مروان بن الحكم في مهاجاته عبد الرحمن وغضباً له لما استعلاه ابن حسان في الهجاء
8 - ذكر خبرهما في التهاجي والسبب في ذلك
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السكري
قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال أخبرني أبو الخطاب الأنصاري قال كان عبد الرحمن بن حسان خليلاً لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص مخالطاً له فقيل له إن ابن حسان يخلفك في أهلك
فراسل امرأة ابن حسان فأخبرت بذلك زوجها وقالت أرسل إلي إني أحبك حباً أراه قاتلي فأرسل ابن حسان إلى امرأة ابن الحكم وكانت تواصله وقال للرسول اذهب إليها وقل لها إن امرأتي تزور أهلها اليوم فزوريني حتى نخلو
فزارته فقعد معها ساعة ثم قال لها قد والله جاءت امرأتي
فأدخلها بيتاً إلى جنبه وأمر امرأته فأرسلت إلى عبد الرحمن بن الحكم إنك ذكرت حبك إياي وقد وقع ذلك في قلبي وإن ابن حسان قد خرج اليوم إلى ضيعته فهلم فتهيأ ثم أقبل
فإنه لقاعد معها إذ قالت له قد جاء ابن حسان فادخل هذا البيت فإنه لا يشعر بك
فأدخلته البيت الذي فيه امرأته فلما رآها أيقن بالسوأة ووقع الشر بينهما وهجا كل واحد منهما صاحبه
قال أبو عبيدة هذه رواية أبي الخطاب الأنصاري وأما قريش فإنهم يزعمون أن امرأة ابن حسان كانت تحب عبد الرحمن وتدعوه إلى نفسها فيأبى
ذلك حفظاً لما بينه وبين زوجها وبلغ ذلك ابن حسان فراسل امرأة ابن الحكم حتى فضحها وبلغ ذلك ابن الحكم وقيل له إنك إذا أتيت ضيعتك أرسلت إلى ابن حسان فكان معها
فأمر ابن الحكم أهله فقال عالجوا سفرة حتى أطالع مالي بمكان كذا وكذا
فخرج وبعثت امرأته إلى ابن حسان فجاء كما كان يفعل ورجع ابن الحكم حين ظن أن ابن حسان قد صار عندها فاستفتح فقالت ابن الحكم والله وخبأته خلفها في بيت ودخل عبد الرحمن فبعث إلى امرأة ابن حسان إنه قد وقعت لك في قلبي مقة فأقبلي إلي الساعة
فتهيأت وأقبلت حتى دخلت عليه فوضعت ثيابها وزوجها ينظر فقال لها قد كنت أكثرت الإرسال إلي فما شأنك قالت إني والله هالكة من حبك
قال وزوجها يسمع وإنما أراد أن يعلمه أنها قد كانت ترسل إليه ويأبى عليها
وزعم أنها هي التي قالت لابن الحكم إن ابن حسان يخلفك في أهلك
فلما فرغ من كلامه وأسمعه زوجها قال لها قد جاءت امرأتي
وأدخلها البيت الذي فيه ابن حسان فلما جمعهما في مكان واحد خرج عنهما فخرجا وطلق امرأته

أخبرني ابن دريد قال أخبرني الرياشي قال حدثنا ابن بكير عن هشام ابن الكلبي عن خالد بن سعيد عن أبيه قال رأيت مروان بن الحكم يطوف بالبيت ويقول اللهم أذهب عني الشعر وأخوه عبد الرحمن يقول اللهم إني أسألك ما استعاذ منه فذهب الشعر عن مروان وقاله عبد الرحمن
وأما هشام بن الكلبي فإنه حدث عن خالد وإسحاق ابني سعيد بن العاصي أن سبب التهاجي بينهما أنهما خرجا إلى - الصيد بأكلب لهما في إمارة مروان فقال ابن الحكم لابن حسان - كامل
(أُزْجُرْ كلابكَ إنها قَلَطِيّةٌ ... بُقعٌ ومثلُ كلابكم لم تَصْطَدِ)
فردّ عليه ابنُ حسان
(مَن كان يأكلُ من فَريسةِ صيدِه ... فالتَّمْرُ يُغْنينا عنِ المتصيَّدِ)
(إنا أناسٌ ريِّقون وأُمُّكُمْ ... ككلابِكُمْ في الوَلْغِ والمتردَّدِ)
(حُزْناكُمُ للضَّبِّ تحترشونه ... والريفِ نمنعُكُمْ بكلِّ مهنَّدِ)
- ثم رجعا إلى المدينة فجعلا يتقارضان فقال عبد الرحمن بن الحكم في قصيدة - بسيط
(ومثلُ أمِّكَ أمُّ العبدِ قد ضُرِبَتْ ... عندي ولي بِفِنائي مِزْهَرٌ حَرِمُ)
(وأنتَ عند ذُنَاباها تُعاونها ... على القُدور تَحَسَّى خاثرَ البُرَمِ)
- فنقضها عبد الرحمن بن حسان عليه بقصيدته التي يقول فيها - بسيط
(يا أيُّها الراكبُ المُزْجِي مَطيَّته ... إذا عرَضْتَ فسائِل عن بني الحكمِ)
(القائلين إذَا لاقَوْا عدوَّهُمُ ... فِرُّوا فكُرُّوا على النِّسوان والنَّعَمِ)
(كم من أمينٍ نَصيح الجيب قال لكمْ ... ألاّ نهيتمْ أخاكم يا بني الحَكَمِ)
(عَن رجلٍ لا بَغيضٍ في عشيرتهِ ... ولا ذليلٍ قصيرِ الباع مُعتصِمِ)
وقال ابن حسان بسيط
(صار الذليل عزيزاً والعزيزُ به ... ذُلٌّ وصارَ فُروع الناسِ أذنابا)
((إنِّي لملتمسٌ حتّى يبينَ لكمْ ... فيكمْ متى كنتُمُ للنَّاسِ أربابا
(فارْقَوْا على ظَلْعكم ثمَّ انظروا وسَلُوا ... عَنّا وعنكمْ قديمَ العلم نَسّابا)
(فسوفَ يضحك أو تعتاده ذِكَرٌ ... يا بؤسَ للدهر للإنسان رَيّابا)
ولهما نقائض كثيرة لا معنى لذكر جميعها ههنا
قال دماذ وحدثني أبو عبيدة عن أبي الخطاب قال لما كثر التهاجي بينهما وأفحشا كتب معاوية يومئذ وهو الخليفة إلى سعيد بن العاص وهو عامله على المدينة أن يجلد كل واحد منهما مائة سوط
قال وكان ابن حسان صديقاً لسعيد وما مدح أحداً قط غيره فكره أن يضربه أو يضرب ابن عمه فأمسك عنهما ثم ولي مروان فلما قدم أخذ ابن حسان فضربه مائة سوط ولم يضرب أخاه فكتب ابن حسان إلى النعمان بن بشير وهو بالشأم - وكان كبيراً مكيناً عند معاوية - خفيف
(ليتَ شِعْري أغائبٌ أنت بالشامِ ... خليلي أم راقدٌ نَعْمانُ)
(أيّةً ما يكنْ فقد يرجع الغائب ... يوماً ويُوقَظ الوَسْنان)
(إنّ عَمْراً وعامرا أبوَيْنا ... وحراماً قِدْماً على العهد كانوا)
(أفَهُمْ مانِعوك أمْ قِلّة الكُتّابِ ... أم أنتَ عاتبٌ غضبانُ)
(أم جفاءٌ أم أعْوَزَتْكَ القراطيسُ ... أمْ أمْري به عليكَ هوانُ)
(يومَ أنبئْتَ أنَّ ساقِيَ رُضَّتْ ... وأتاكمْ بذلك الرُّكبان)
((ثمَّ قالوا إنّ ابنَ عمِّك في بَلْوى ... أمورٍ أتَى بها الحَدَثان
(فتَئطُّ الأرحامُ والودُّ والصُّحبةُ ... فيما أتى به الحدثان)
(إنما الرمح فاعلمنَّ قَناةٌ ... أو كبعض العيدان لولا السِّنانُ)
وهي قصيدة طويلة فدخل النعمان على معاوية فقال له يا أمير المؤمنين إنك أمرت سعيداً أن يضرب ابن حسان وابن الحكم مائة مائة فلم يفعل ثم وليت مروان فضرب ابن حسان ولم يضرب أخاه
قال فتريد ماذا قال أن تكتب إليه بمثل ما كتبت إلى سعيد
فكتب إلى معاوية يعزم عليه أن يضرب أخاه مائة وبعث إلى ابن حسان بحلة فلما قدم الكتاب على مروان بعث إلى ابن حسان إني مخرجك وإنما أنا مثل والدك وما كان ما كان مني إليك إلا على سبيل التأديب لك
واعتذر إليه فقال حسان ما بدا له في هذا إلا لشيء قد جاءه
وأبى أن يقبل منه فأبلغ الرسول ذلك مروان فوجهه إليه بالحلة فرمى بها في الحش
فقيل له حلة أمير المؤمنين وترمي بها في الحش قال نعم وما أصنع بها وجاءه قومه فأخبروه الخبر فقال قد علمت أنه لم يفعل ما فعل إلا لأمر قد حدث
فقال الرسول لمروان ما تصنع بهذا قد أبى أن يعفو فهلم أخاك
فبعث مروان إلى الأنصار وطلب إليهم أن يطلبوا إليه أن يضربه خمسين فإنه ضعيف
فطلبوا إليه فأجابهم فأخرجه فضربه خمسين فلقي ابن حسان بعض من كان لا يهوى ما ترك من ذلك فقال له أضربك مائة ويضربه خمسين بئس ما صنعت إذ وهبتها له
قال إنه عبد وإنما ضربه ما يضرب العبد نصف ما يضرب الحر فحمل هذا الكلام حتى شاع بالمدينة وبلغ ابن الحكم فشق عليه فأتى أخاه مروان فخبره الخبر وقال فضحتني لا حاجة لي فيما تركت فهلم فاقتص
كامل -فضرب ابن الحكم خمسين أخرى فقال عبد الرحمن يهجو ابن الحكم
((دعْ ذا وعَدِّ قريضَ شعْرِك في امرىءٍ ... يَهذِي ويُنشِد شعرَه كالفاخِرِ
(عُثمانُ عمُّكُمُ ولستُمْ مِثلَه ... وبنو أميّة منكُمُ كالآمرِ)
(وبنو أبيه سَخيفةٌ أحلامُهمْ ... فُحُشُ النفوسِ لدى الجليس الزائر)
(أحياؤهُمْ عارٌ على أمواتِهمْ ... والميِّتون مَسَبّةٌ للغابرِ)
(همْ ينظرونَ إذا مَدْدت إليهمْ ... نظرَ التيُّوس إلى شِفار الجازر)

(خُزْرَ العيونِ منكِّسِي أذقانِهِمْ ... نَظَرَ الذَّليلِ إلى العزيزِ القاهرِ)
- فقال ابن الحكم - وافر
(لقد أبقى بنو مروانَ حُزْناً ... مُبِيناً عارُه لبني سَوَادِ)
(أطافَ به صَبِيحٌ في مَشِيدٍ ... ونادى دعوةً يابْنَيْ سُعادِ)
(لقد أسمعْتَ لو نادَيْتَ حيّاً ... ولكن لا حياةَ لمن تنادي)
قال أبو عبيدة فاعتن أبو واسع أحد بني الأسعر من بني أسد بن خزيمة لابن حسان دون ابن الحكم فهجاه وعيره بضرب
- ابن المعطل أباه حسان على رأسه وعيرهم بأكل الخصى فقال - وافر
(إنَّ ابنَ المُعَطَّلِ من سُلَيم ... أذَلَّ قِيادَ رأسِكَ بالخِطامِ)
(عَمِدْتَ إلى الخُصَى فأكلْتَ منها ... لقد أخطأتَ فاكهةَ الطعامِ)
(وما للجارِ حينَ يُحِلُّ فيكُمْ ... لديكم يا بني النجّارِ حامِ)
(يَظَلُّ الجارُ مفترشاً يديه ... مخافَتَكم لدى مَلَثِ الظَّلامِ)
((وينظُرُ نظرةً في مِذْرَوَيْهِ ... وأخرى في استِهِ والطَّرْفُ سامِ
قال فلما عم بني النجار بالهجاء ولا ذنب لهم دعوا الله عز وجل عليه فخرج من المدينة يريد أهله فعرض له الأسد
- فقضقضه فقال ابن حسان في ذلك - سريع
(أبلغْ بني الأسعرِ إن جئتَهُمْ ... ما بالُ أبناءِ بني واسعِ)
(والليثُ يعلوهُ بأنيابه ... مُعْتَفِراً في دمه الناقعِ)
(إذ تركوهُ وَهْوَ يدعوهُمُ ... بالنَّسبِ الداني وبالشاسعِ)
(لا يرفَعِ الرحمنُ مصروعَكُمْ ... ولا يُوهِّي قوّةَ الصارعِ)
فقالت له امرأته ما دعا أحد قبلك للأسد بخير قط
قال ولا نصر أحداً كما نصرني
وقال ابن الكلبي كان الأخطل ومسكين الدارمي صديقين لابن الحكم فاستعان بهما على ابن حسان فهجاه الأخطل وقال له مسكين ما كنت لأهجو أحداً أو أعذر إليه
- فكتب إليه مسكين بقصيدته اللامية يدعوه إلى المفاخرة والمنافرة فقال في أولها - وافر
(ألا إنَّ الشّبابَ ثيابُ لُبْسٍ ... وما الأموالُ إلاّ كالظِّلالِ)
((فإن يَبْلُ الشّبابُ فكلُّ شيءٍ ... سمعْتَ بهِ سوى الرحمنِ بالِ
وهي طويلة جداً يفخر فيها بمآثر بني تميم
- فأجابه ابن حسان فقال - وافر
(أتاني عنك يا مسكينُ قولٌ ... بذلْتُ النِّصْفَ فيه غيرَ آلِ)
(دعوْتُ إلى التناضُلِ غيرَ قَحْمٍ ... ولا غُمْرٍ يَطيرُ لدى النضالِ)
وهي أطول من قصيدة مسكين
ثم انقطع التناضل بينهما
قال دماذ فحدثني أبو عبيدة قال حدثني أبو حية النميري قال حدثني الفرزدق قال كنا في ضيافة معاوية ومعنا كعب بن جعيل التغلبي فحدثني أن يزيد بن معاوية قال له إن ابن حسان فضح عبد الرحمن بن الحكم وغلبه وفضحنا فاهج الأنصار قال فقلت له أرادي أنت في الشرك أأهجو قوماً نصروا رسول الله وآله وآووه ولكني أدلك على غلام منا نصراني لا يبالي أن يهجوهم كأن لسانه لسان ثور
قال من هو قلت الأخطل
فدعاه وأمره بهجائهم فقال على أن تمنعني قال نعم
قال أبو عبيدة إن معاوية دس إلى كعب وأمره بهجائهم فدله على الأخطل فقال الأخطل قصيدته التي هجا فيها الأنصار وقد مضت ومضى خبرها وخبر النعمان بن بشير
كامل -وزاد أبو عبيدة عمن روينا ذلك عنه أن النعمان بن بشير رد على الأخطل فقال
((أبلِغْ قبائلَ تغلبَ ابنةِ وائلٍ ... مَنْ بالفراتِ وجانِبِ الثَّرثارِ
(فاللؤمُ بين أنوفِ تغلبَ بَيِّنٌ ... كالرَّقْمِ فوقَ ذراعِ كلِّ حمارِ)
- قال فخافه الأخطل أن يهجوه فقال فيه - وافر
(عَذَرْتُ بني الفُرَيعةِ أن هَجَوني ... فما بالي وبالُ بني بشيرِ)
(أُفَيْجِجُ من بني النجّارِ شَثْنٌ ... شديدُ القُصْرَيَيْنِ من السَّحورِ)
ولم يرد على هذين البيتين شيئاً في ذكره
قال أبو عبيدة في خبره أيضاً إن الأنصار لما استعدوا عليه معاوية قال لهم لكم لسانه إلا أن يكون ابني يزيد قد أجاره ودس إلى يزيد من وقته إني قد قلت للقوم كيت وكيت فأجره
- فأجاره فقال يزيد بن معاوية في إجارته إياه - طويل
(دعا الأخطلُ الملهوفُ بالشَّرِّ دَعْوَةً ... فأيَّ مجيبٍ كُنْتُ لمَّا دعانيا)
(ففرّجَ عنه مَشْهَدَ القومِ مَشْهدي ... وألسِنَةَ الواشين عنه لسانيا)
صوت خفيف
(كان لي يا شُقَير حُبُّكِ حَيْنَا ... كادَ يقضي عليَّ لمَّا التقينا)
(يعلمُ اللهُ أنكُمْ لو نأيتمْ ... أو قَرُبْتُمْ أحبُّ شيءٍ إلينا)
الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء لحبابة جارية يزيد بن عبد الملك ولحنها ثاني ثقيل بالوسطى وجعلت مكان يا شقير يا يزيد
وفي هذا
الشعر للهذلي خفيف ثقيل أول مطلق بالوسطى
وزعم عمرو بن بانة أنه للأبجر

وقال الهشامي لحن الأبجر ثقيل أول بالبنصر
وفيه للدارمي وابن فروخ خفيف ثقيل ولحن الدارمي فيهما مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق
9 - أخبار حبابة
كانت حبابة مولدة من مولدات المدينة لرجل من أهلها يعرف بابن رمانة وقيل ابن مينا
وهو خرجها وأدبها
وقيل كانت لآل لاحق المكيين
وكانت حلوة جميلة الوجه ظريفة حسنة الغناء طيبة الصوت ضاربة بالعود
وأخذت الغناء عن ابن سريج وابن محرز ومالك ومعبد وعن جميلة وعزة الميلاء
وكانت تسمى العالية فسماها يزيد لما اشتراها حبابة
وقيل إنها كانت لرجل يعرف بابن مينا
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عمر بن شبة قال
حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال حدثني حاتم بن قبيصة قال وكانت حبابة لرجل يدعى ابن مينا فأدخلت على
- يزيد بن عبد الملك في إزار له ذنبان وبيدها دف ترمي به وتتلقاه وتتغنى - منسرح
(ما أحْسَنَ الجِيدَ من مُلَيكَةَ واللبَّاتِ ... إذْ زانَها ترائبُها)
(يا ليتني ليلةً إذَا هجع النّاسُ ... ونام الكلابِ صاحبُها)
(في ليلةٍ لا يُرَى بها أحدٌ ... يسعَى علينا إلاّ كواكبُها)
ثم خرج بها مولاها إلى إفريقية فلما كان بعد ما ولي يزيد اشتراها
وروى حماد عن أبيه عن المدائني عن جرير المديني ورواه الزبير بن بكار عن إسماعيل بن أبي أويس عن أبيه قال قال لي يزيد بن عبد الملك ما تقر عيني بما أوتيت من الخلافة حتى أشتري سلامة جارية مصعب بن سهيل الزهري وحبابة جارية لاحق المكية
- فأرسل فاشتريتا له فلما اجتمعتا عنده قال أنا الآن كما قال القائل - طويل
(فألقَتْ عصاها واستقرَّت بها النوى ... كما قَرَّ عيناً بالإيابِ المسافرُ)
قال إسحاق وحدثني أبو أيوب عن عباية قال كانت حبابة لآل رمانة ومنهم ابتيعت ليزيد
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني الزبير بن بكار قال أخبرني محمد بن سلمة عن ابن مافنه عن شيخ من أهل ذي خشب قال خرجنا نريد ذا خشب ونحن مشاة فإذا قبة فيها جارية وإذا
- هي تغني - مجزوء الرمل
(سلكوا بطنَ مَحِيصٍ ... ثم ولَّوْا راجعينا)
(أورثوني حِينَ وَلَّوْا ... طُولَ حُزْنٍ وأنينا)
قال فسرنا معها حتى أتينا ذا خشب فخرج رجل معها فسألناه وإذا هي
حبابة جارية يزيد فلما صارت إلى يزيد أخبرته بنا فكتب إلى والي المدينة يعطي كل واحد ألف درهم ألف درهم
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق عن المدائني
وروى هذا الخبر حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني وخبره أتم أن حبابة كانت تسمى العالية وكانت لرجل من الموالي بالمدينة فقدم يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان فتزوج سعدة بنت عبد الله بن عمرو ابن عثمان على عشرين ألف دينار وربيحة بنت محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر على مثل ذلك واشترى العالية بأربعة آلاف دينار فبلغ ذلك سليمان فقال لأحجرن عليه
فبلغ يزيد قول سليمان فاستقال مولى حبابة ثم اشتراها بعد ذلك رجل من أهل إفريقية فلما ولي يزيد اشترتها سعدة امرأته وعلمت أنه لا بد طالبها ومشتريها فلما حصلت عندها قالت له هل بقي عليك من الدنيا شيء لم تنله فقال نعم العالية
فقالت هذه هي وهي لك
فسماها حبابة وعظم قدر سعدة عنده
ويقال إنها أخذت عليها قبل أن تهبها له أن توطئ لابنها عنده في ولاية العهد وتحضرها ما تحب إذا حضرت
وقيل إن أم الحجاج أم الوليد بن يزيد هي التي ابتاعتها له وأخذت عليها ذلك فوفت لها بذلك
هكذا ذكر الزبير فيما أخبرنا به الحسن بن علي بن هارون ابن محمد عنه عن عمه
قال ومن زعم أن سعدة اشترتها فقد أخطأ
قال المدائني ثم خطب يزيد إلى أخيها خالد بنت أخ له فقال أما يكفيه أن سعدة عنده حتى يخطب إلى بنات أخي وبلغ يزيد فغضب فقدم عليه خالد يسترضيه فبينا هو في فسطاطه إذ أتته جارية لحبابة في خدمها فقالت له أم داود تقرأ عليك السلام وتقول لك قد كلمت أمير المؤمنين فرضي عنك
فالتفت فقال من أم داود فأخبره من معه أنها حبابة وذكر له قدرها ومكانها من يزيد
فرفع رأسه إلى الجارية فقال قولي لها إن الرضا عني بسبب لست به
فشكت ذلك إلى يزيد فغضب وأرسل إلى خالد فلم يعلم بشيء حتى أتاه رسول حبابة به فيمن معه من الأعوان فاقتلعوا فسطاطه وقلعوا أطنابه حتى سقط عليه وعلى أصحابه فقال ويلكم ما هذا قالوا رسل حبابة هذا ما صنعت بنفسك
فقال ما لها أخزاها الله ما أشبه رضاها بغضبها
قال إسحاق وحدثني محمد بن سلام عن يونس بن حبيب أن يزيد بن عبد الملك اشترى حبابة وكان اسمها العالية
- بأربعة آلاف دينار فلما خرج بها قال الحارث بن خالد فيها - كامل
(ظَعَنَ الأميرُ بأحسنِ الخَلْقِ ... وغَدَوْا بلُبِّك مطلِعَ الشرقِ)
(مرَّت على قَرَنٍ يُقادُ بها ... تعدو أمامَ بَرَاذِنٍ زُرْقِ)
(فظِلِلْتُ كالمقمور مُهْجَتَه ... هذا الجنونُ وليس بالعشقِ)
(يا ظبيةً عَبِقَ العبيرُ بها ... عَبَقَ الدِّهانِ بجانب الحُقِّ)
وغنته حبابة في الشعر وبلغ يزيد فسألها عنه فأخبرته فقال لها غنيني به

فغنته فأجادت وأطربته فقال إسحاق ولعمري إنه من جيد غنائها
قال أبو الفرج الأصبهاني هذا غلط ممن رواه في أبيات الحارث بن خالد لأنه قالها في عائشة بنت طلحة لما تزوجها مصعب بن الزبير وخرج بها
وفي أبياته يقول
(في البيت ذي الحَسَب الرفيع ومِن ... أهل التُّقَى والبِرِّ والصِّدْقِ)
وقد شرح ذلك في أخبار عائشة بنت طلحة
- قال إسحاق وأخبرني الزبيري أن يزيد اشتراها وهو أمير فلما أراد الخروج بها قال الحارث بن خالد فيها - بسيط
(قد سَلَّ جسمي وقد أودَى به سَقَمٌ ... من أجل حَيٍّ جلَوْا من بلدةِ الحَرِمِ)
(يحنُّ قلبي إليها حين أذكرها ... وما تذكَّرْتُ شوقاً آب من أمَمِ)
(إلاّ حنيناً إليها إنّها رَشأٌ ... كالشَّمس رُوْدٌ ثَقالٌ سهلة الشيمِ)
(فضَّلها اللهُ ربُّ الناس إذ خُلِقَتْ ... على النساءِ منَ أهل الحزم والكرمِ)
وقال فيها الشعراء فأكثروا وغنى في أشعارهم المغنون من أهل مكة والمدينة وبلغ ذلك يزيد فاستشنعه فقال هذا قبل رحلتنا وقد هممنا فكيف لو ارتحلنا وتذكر القوم شدة الفراق وبلغه أيضاً أن سليمان قد تكلم في ذلك فردها ولم تزل في قلبه حتى ملك فاشترتها سعدة امرأته العثمانية ووهبتها له
أخبرني ابن عمار قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال حدثني أبو ذفافة المنهال بن عبد الملك عن مروان بن بشر بن أبي سارة مولى الوليد بن يزيد قال أول ما ارتفعت به منزلة حبابة عند يزيد أنه أقبل يوماً إلى البيت الذي هي خفيف -فيه فقام من وراء الستر فسمعها تترنم وتغني وتقول
((كان لي يا يزيدُ حبُّكَ حَيْنا ... كاد يقضي عليَّ لما التقينا
والشعر كان يا شقير فرفع الستر فوجدها مضطجعة مقبلة على الجدار فعلم أنها لم تعلم به ولم يكن ذاك لمكانه فألقى نفسه عليها وحركت منه
قال المدائني غلبت حبابة على يزيد وتبنى بها عمر بن هبيرة فعلت منزلته حتى كان يدخل على يزيد في أي وقت شاء وحسد ناس من بني أمية مسلمة بن عبد الملك على ولايته وقدموا فيه عند يزيد وقالوا إن مسلمة إن اقتطع الخراج لم يحسن يا أمير المؤمنين أن تفتشه أو تكشفه عن شيء لسنه وحقه وقد علمت أن أمير المؤمنين لم يدخل أحداً من أهل بيته في الخراج
فوقر ذلك في قلب يزيد وعزم على عزله وعمل ابن هبيرة في ولاية العراق من قبل حبابة فعملت له في ذلك
وكان بين ابن هبيرة وبين القعقاع بن خالد عداوة وكانا يتنازعان ويتحاسدان فقيل للقعقاع لقد نزل ابن هبيرة من أمير المؤمنين منزلة إنه لصاحب العراق غداً
فقال ومن يطيق ابن هبيرة حبابة بالليل وهداياه بالنهار مع أنه وإن بلغ فإنه رجل من بني سكين فلم تزل حبابة تعمل له حتى وليها
حدثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال سمعت إسحاق بن إبراهيم يحدث بهذا الحديث فحفظته ولم أحفظ إسناده
وحدثنا محمد بن خلف وكيع قال حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا مصعب الزبيري عن مصعب بن عثمان
وقد جمعت روايتيهما قالا أراد يزيد بن عبد الملك أن
يشبه بعمر بن عبد العزيز وقال بماذا صار عمر أرجى لربه جل وعز مني فشق ذلك على حبابة فأرسلت إلى الأحوص هكذا في رواية وكيع وأما عمر بن شبة فإنه ذكر أن مسلمة أقبل على يزيد يلومه في الإلحاح على الغناء والشرب وقال له إنك وليت بعقب عمر بن عبد العزيز وعدله وقد تشاغلت بهذه الأمة عن النظر في الأمور والوفود ببابك وأصحاب الظلامات يصيحون وأنت غافل عنهم
فقال صدقت والله وأعتبه وهم بترك الشرب ولم يدخل على حبابة أياماً فدست حبابة إلى الأحوص أن يقول أبياتاً في ذلك وقالت له إن رددته عن رأيه فلك ألف دينار
فدخل الأحوص إلى يزيد فاستأذن في الإنشاد فأذن له
- قال إسحاق في خبره فقال الأحوص - طويل

صوت
(ألاَ لاَ تلُمْهِ اليومَ أنْ يتبلَّدا ... فقد غُلِب المحزونُ أن يَتَجَلَّدَا)
(بكيْتُ الصِّبا جهدِي فمن شاء لامني ... ومَن شاء آسَى في البكاء وأسْعَدا)
(وإنّي وإنْ فُنِّدْتُ في طلبِ الغنى ... لأعلمُ أنّي لستُ في الحبِّ أوحدا)
((إذا أنتَ لم تعشق ولم تَدْرِ ما الهوى ... فكنْ حجراً من يابس الصخر جلمدا
(فما العيشُ إلا ما تلَذُّ وتشتهي ... وإنْ لامَ فيه ذو الشَّنَان وفَنّدا)
الغناء لمعبد - خفيف ثقيل أول - بالبنصر وفيه رمل للغريض
ويقال إنه لحبابة
قال ومكث جمعة لا يرى حبابة ولا يدعو بها فلما كان يوم الجمعة قالت لبعض جواريها إذا خرج أمير المؤمنين إلى الصلاة فأعلميني
فلما أراد الخروج أعلمتها فتلقته والعود في يدها فغنت البيت الأول فغطى وجهه وقال مه لا تفعلي
ثم غنت
(... وما العيشُ إلا ما تلَذُّ وتشتهي)
فعدل إليها وقال صدقت والله فقبح الله من لامني فيك يا غلام مر مسلمة أن يصلي بالناس
وأقام معها يشرب وتغنيه وعاد إلى حاله
وقال عمر بن شبة في حديثه فقال يزيد صدقت والله فعلى مسلمة لعنة الله وعاود ما كان فيه ثم قال لها من يقول هذا الشعر قالت الأحوص
- فأحضره ثم أنشده قصيدة مدحه فيها وأولها قوله - بسيط

(يا مُوقِدِ النار بالعَلياء من إِضَمٍ ... أوقِدْ فقد هجْتَ شوقاً غيرَ منصرمِ)
وهي طويلة
فقال له يزيد ارفع حوائجك
فكتب إليه في نحو من أربعين ألف درهم من دين وغيره فأمر له بها
وقال مصعب في خبره بل استأذن الأحوص على يزيد فأذن له فاستأذن في الإنشاد فقال ليس هذا وقتك
فلم يزل به حتى أذن له
- فأنشده هذه الأبيات فلما سمعها وثب حتى دخل على حبابة وهو يتمثل - طويل
(وما العيشُ إلا ما تلَذُّ وتشتهي ... وإنْ لامَ فيه ذو الشَّنَان وفَنّدا)
فقالت له ما ردك يا أمير المؤمنين فقال أبيات أنشدنيها الأحوص فسلي ما شئت
قالت ألف دينار تعطيها الأحوص
فأعطاه ألف دينار
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء
صوت بسيط
(يا مُوقِدِ النار بالعَلْياء من إضَمِ ... أوقِدْ فقد هِجْتَ شوقاً غيرَ منْصرمِ)
(يا مُوقِدَ النار أوقِدْها فإنَّ لها ... سَنَاً يَهيج فؤادَ العاشِقِ السَّدِمِ)
الشعر للأحوص والغناء لمعبد - خفيف ثقيل أول - بالوسطى عن يونس وإسحاق وعمرو
وذكر حبش أن فيه خفيف ثقيل آخر لابن جامع
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني علي بن القاسم بن بشير قال لما غلب يزيد بن عبد الملك أهله وأبى أن يسمع منهم كلموا مولى له خراسانياً ذا قدر عندهم وكانت فيه لكنة فأقبل على يزيد يعظه وينهاه عما قد ألح عليه من السماع للغناء والشراب فقال له يزيد فإني أحضرك هذا الأمر الذي تنهى عنه فإن نهيتني عنه بعد ما تبلوه وتحضره انتهيت وإني مخبر جواري أنك عم من عمومتي فإياك أن تتكلم فيعلمن أني كاذب وأنك لست بعمي
- ثم أدخله عليهن فغنين والشيخ يسمع ولا يقول شيئاً حتى غنين - طويل
(وقد كنتُ آتيكُمْ بِعِلّةِ غيركُمْ ... فأفنْيتُ عِلّاتي فكيف أقولُ)
فطرب الشيخ وقال لا قيف جعلني الله فداكن يريد لا كيف
فعلمن أنه ليس عمه وقمن إليه بعيدانهن ليضربنه بها حتى حجزهن يزيد عنه
ثم قال له بعدما انقضى أمرهن ما تقول الآن أدعُ هذا أم لا قال لا تدعه
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني خالد بن يزيد بن بحر الخزاعي الأسلمي عن محمد بن سلمة عن أبيه عن حماد الراوية قال كانت حبابة فائقة في الجمال والحسن وكان يزيد لها عاشقاً فقال لها يوماً قد استخلفتك على ما ورد عليّ ونصبت لذلك مولاي فلاناً فاستخلفيه لأقيم معك أياماً وأستمتع بك
قالت فإني قد عزلته
فغضب عليها وقال قد استعملته وتعزلينه وخرج من عندها مغضباً فلما ارتفع النهار وطال عليه هجرها دعا خصياً له وقال انطلق فانظر أي شيء تصنع حبابة فانطلق الخادم ثم أتاه فقال رأيتها مؤتزرة بإزار خلوقي قد جعلت له ذنبين وهي تلعب بلعبها
فقال ويحك احتل لها حتى تمر بها علي
فانطلق الخادم إليها فلاعبها ساعة ثم استلب لعبة من لعبها وخرج فجعلت تحضر في أثره فمرت بيزيد فوثب وهو يقول قد عزلته وهي تقول قد استعملته فعزل مولاه وولاه وهو لا يدري
فمكث معها خالياً أياماً حتى دخل عليه أخوه مسلمة فلامه وقال ضيعت حوائج الناس واحتجبت عنهم أترى هذا مستقيماً لك وهي تسمع مقالته فغنت لما خرج طويل
(...ألاَ لاَ تَلُمْهُ اليومَ أنْ يتبلَّدا)
فذكرت الأبيات
فطرب وقال قاتلك الله أبيت إلا أن ترديني إليك
وعاد إلى ما كان عليه
أخبرني إسماعيل قال حدثني عمي قال حدثني إسحاق قال حدثني الهيثم بن عدي عن صالح بن حسان قال قال مسلمة ليزيد تركت الظهور وشهود الجمعة الجامعة وقعدت في منزلك مع هذه الإماء وبلغ ذلك حبابة وسلامة فقالتا للأحوص قل في ذلك شعراً
- فقال - طويل
(وما العيشُ إلا ما تلَذُّ وتشتهي ... وإنْ لامَ فيه ذو الشَّنَانِ وفَنّدَا)
(بكيْتُ الصِّبا جَهدِي فمن شاء لامني ... ومن شاءَ آسَى في البكاء وأسْعَدا)
(وإنِّي وإنْ أغرقت في طَلَب الصبا ... لأعلمُ أنِّي لستُ في الحبِّ أوحدا)
(إذا كنتَ عِزْهاةً عن اللَّهو والصبا ... فكنْ حجراً من يابس الصخر جَلمدا)
قال فغنتا يزيد فيه فلما فرغتا ضرب بخيزرانته الأرض وقال صدقتما صدقتما فعلى مسلمة لعنة الله وعلى ما جاء به
قال وطرب يزيد فقال هاتيا
فغنتاه من هذه القصيدة
(وعَهدِي بها صفراءَ رُوداً كأنما ... نَضَا عَرَقٌ منها على اللون مُجْسَدَا)
(مهفهفة الأعلى وأسفل خلقِها ... جرى لحمُه ما دونَ أن يتخددا)
(من المُدْمَجات اللحمِ جَدْلاً كأنّها ... عِنانُ صَناعٍ مدمجُ الفتْل مُحْصَدا)
(كأنّ ذكِيَّ المسك بادٍ وقد بَدَتْ ... وريحَ خُزامى طَلّةٍ تنفح الندى)
فطرب يزيد وأخذ فيه من الشراب قدره الذي كان يطرب منه ويسره ولم تره أظهر شيئاً مما كان يفعله عند طربه فغنته

(ألاَ لاَ تلُمْه اليومَ أنْ يتبلَّدا ... فقد غُلِب المحزونُ أن يَتَجَلَّدَا)
(نظرْتُ رجاءً بالموقَّر أن أرى ... أكاريس يحتلُّون خاخاً فمنشِدا)
(فأوفيْتُ في نَشْزٍ من الأرض يافع ... وقد تُسْعِفُ الأيفاعُ من كان مُقْصَدا)
فلما غنته بهذا طرب طربه الذي تعهده وجعل يدور ويصيح الدخن بالنوى والسمك في بيطار جنان
وشق حلته وقال لها أتأذنين أن أطير قالت وإلى من تدع الناس قال إليك
قال وغنته سلامة من هذه القصيدة
(فقلتُ ألا يا ليت أسماءَ أصقَبَتْ ... وهل قولُ ليتٍ جامعٌ ما تبدّدا)
(وإنِّي لأهواها وأهوى لِقاءها ... كما يَشتهي الصادي الشرابَ المبرَّدا)
(علاقةَ حبٍّ لَجَّ في سَنَن الصِّبا ... فأبلَى وما يزداد إلاّ تجدُّدا)
(سُهوبٌ وأعلام تخال سرابَها ... إذا استنّ في القَيظ المُلاَءَ المعضَّدا)
قال وغنته حَبابة منها أيضاً
(كريمُ قريشٍ حين يُنسبُ والذي ... أقَرّت له بالملك كَهْلاً وأمردا)
(وليس عطاءٌ كان منه بمانع ... وإن جَلَّ من أضعاف أضعافه غدا)
(أهانَ تِلاد المالِ في الحمد إنه ... إمامُ هدىً يَجري على ما تعوّدا)
(تردَّى بمجدٍ من أبيه وأمِّهِ ... وقد أورَثَا بنيانَ مجد مشيَّدا)
فقال لها يزيد ويحك يا حبابة ومن مِن قريش هذا قالت أنت
قال ومن يقول هذا الشعر قالت الأحوص يا أمير المؤمنين
وقالت سلامة فليسمع أمير المؤمنين باقي ثنائه عليه فيها
ثم اندفعت فغنته
(ولو كان بذلُ الجودِ والمالِ مُخْلِدا ... من الناس إنساناً لكنْتَ المخلَّدا)
(فأقسمُ لا أنفكّ ما عِشْتُ شاكراً ... لنعماكَ ما طارَ الحَمامُ وغَرّدا)
أخبرني إسماعيل قال حدثنا عمر بن شبة قال علي بن الجعد قال حدثني أبو يعقوب الخريمي عن أبي بكر بن عياش أن
- حبابة وسلاّمة اختلفتا في صوت معبد - وافر
(ألاَ حيِّ الديار بسَعْدَ إنّي ... أحِبُّ لحبِّ فاطمةَ الديارا)
فبعث يزيد إلى معبد فأتى به فسأل لم بعث إليه فأخبر فقال لأيتهما المنزلة عند أمير المؤمنين فقيل لحبابة
فلما عرضتا عليه الصوت قضى لحبابة فقالت سلامة والله ما قضى إلا للمنزلة وإنه ليعلم أن الصواب ما غنيت ولكن ائذن
لي يا أمير المؤمنين في صلته لأن له عليّ حقا
قال قد أذنت
فكان ما وصلته به أكثر من حبابة
- نسبة هذا الصوت - وافر
(ألاَ حيِّ الديارَ بسَعْدَ إنّي ... أحِلُّ لحبِّ فاطمةَ الديارا)
(إذا ما حَلَّ أهلكِ يا سُلَيْمى ... بدارَةِ صُلْصُلٍ شَحَطوا مَزارا)
الشعر لجرير والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال نزل الفرزدق على الأحوص حين قدم المدينة فقال له
الأحوص ما تشتهي قال شواء وطلاء وغناء
قال ذلك لك
ومضى به إلى قينة بالمدينة فغنته
(ألاَ حيِّ الديار بسَعْدَ إنّي ... أحِبُّ لحبِّ فاطمةَ الديارا)
(أرادَ الظاعنون ليحزنُوني ... فهاجُوا صَدْعَ قلبيَ فاستطارا)
فقال الفرزدق ما أرق أشعاركم يا أهل الحجاز وأملحها قال أو ما تدري لمن هذا الشعر فقال لا والله
قال هو لجرير يهجوك به
فقال ويل ابن المراغة ما كان أحوجه مع عفافه إلى صلابة شعري وأحوجني مع شهواتي إلى رقة شعره
- وقد روى صالح بن حسان أن الصوت الذي اختلفت فيه حبابة وسلامة هو - كامل
(وترى لها دَلاًّ إذا نَطَقَتْ به ... تَرَكَتْ بناتِ فُؤاده صُعْرا)
ذكر ذلك حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي أنهما اختلفتا في هذا الصوت بين يدي يزيد فقال لهما من أين جاء اختلافكما
والصوت لمعبد ومنه أخذتماه فقالت هذه هكذا أخذته وقالت الأخرى هكذا أخذته
فقال يزيد قد اختلفتما ومعبد حي بعد فكتب إلى عامله بالمدينة يأمره بحمله إليه
ثم ذكر باقي الخبر مثل ما ذكره أبو بكر بن عياش
- قال صالح بن حسان فلما دخل معبد إليه لم يسأله عن الصوت ولكنه أمره أن يغني فغناه فقال - طويل
(فيا عَزَّ إنْ واشٍ وشَى بيَ عندَكُمْ ... فلا تُكْرِميهِ أن تقولي له مَهْلا)
فاستحسنه وطرب ثم قال إن هاتين اختلفتا في صوت لك فاقض بينهما
فقال لحبابة
غني
فغنت وقال لسلامة غني فغنت وقال الصواب ما قالت حبابة
فقالت سلامة والله يا ابن الفاعلة إنك لتعلم أن الصواب ما قلت ولكنك سألت أيتهما آثر عند أمير المؤمنين فقيل لك حبابة
فاتبعت هواه ورضاه فضحك يزيد وطرب وأخذ وسادة فصيرها على رأسه وقام يدور في الدار ويرقص ويصيح السمك الطري
أربعة أرطال عند بيطار جنان حتى دار الدار كلها ثم رجع فجلس مجلسه وقال شعراً وأمر معبداً أن يغني فيه فغنى فيه
بسيط -وهو
((أَبْلِغْ حَبابة أسْقَى رَبْعَها المطرُ ... ما للفؤادِ سِوى ذكراكُمُ وَطَرُ

(إنْ سار صحبي لم أملِكْ تذكُّرَكُمْ ... أو عَرَّسوا فهمومُ النفس والسَّهرُ)
فاستحسنه وطرب
هكذا ذكر إسحاق في الخبر
وغيره يذكر أن الصنعة فيه لحبابة ويزعم ابن خرداذبه أن الصنعة فيه ليزيد
وليس كما مر وإنما أراد أن يوالي بين الخلفاء في الصنعة فذكره على غير تحصيل والصحيح أنه لمعبد
قال معبد فسر يزيد لما غنيته في هذين البيتين وكساني ووصلني ثم لما انصرم مجلسه انصرفت إلى منزلي الذي أنزلته
فإذا ألطاف سلامة قد سبقت ألطاف حبابة وبعثت إلي إني قد عذرتك فيما فعلت ولكن كان الحق أولى بك
فلم أزل في ألطافهما جميعاً حتى أذن لي يزيد فرجعت إلى المدينة
نسبة الصوت الذي غناه معبد الذي أوّله طويل
(... فيا عَزَّ إنْ واشٍ وشَى بي عندَكُمْ)
صوت
(ألم يأنِ لي يا قلبُ أنْ أتركَ الجهلا ... وأنْ يُحدث الشيبُ المِلمُّ ليَ العقلا)
(على حين صار الرأسُ منّي كأنما ... عَلَتْ فوقَه ندّافةُ العُطْبِ الغزْلا)
(فيا عَزَّ إنْ واشٍ وشَى بي عندكُمْ ... فلا تُكرميه أنْ تقولي له مهلا)
(كما لو وشَى واشٍ بودِّكِ عندنا ... لقلْنا تزحزَحْ لا قَريباً ولا سَهْلا)
(فأهلاً وسهلاً بالذي شدَّ وصلنا ... ولا مرحباً بالقائِل اصرم لها حَبلا)
الشعر لكثير والغناء لحنين ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق
وذكر ابن المكي وعمرو والهشامي أنه لمعبد
وفيه ثاني ثقيل ينسب إلى
ابن سريج وليس بصحيح
- أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثتني ظبية قالت أنشدت حبابة يوماً يزيد بن عبد الملك - وافر
(لعمركَ إنّني لأُحِبُّ سَلْعاً ... لرؤيتها ومَنْ بجَنوب سَلْعِ)
ثم تنفست تنفساً شديداً فقال لها ما لك أنت في ذمة أبي لئن شئت لأنقلنه إليك حجراً حجراً
قالت وما أصنع به ليس إياه أردتإنما أردت صاحبه
وربما قالت ساكنه
نسبة هذا الصوت
(لعمركَ إنّني لأُحِبُّ سَلْعاً ... لرؤيتها ومَنْ بجَنوبِ سَلْعِ)
(تَقَرُّ بقُربها عيني وإنّي ... لأخشَى أن تكونَ تريدُ فجعِي)
(حلفْتُ بربِّ مكةَ والهدايا ... وأيدي السَّابحاتِ غداةَ جَمْعِ)
(لأنتِ على التنائي فاعلميهِ ... أحبُّ إليَّ مِن بَصري وسمْعي)
الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى مما لا يشك فيه من غنائه
قال الزبير وحدثني ظبية أن يزيد قال لحبابة وسلامة أيتكما غنتني ما في نفسي فلها حكمها
- فغنت سلامة فلم تصب ما في نفسه وغنته حبابة - خفيف
(حِلَقٌ من بني كِنانةَ حَولي ... بِفِلَسْطينَ يُسرعون الركوبا)
فأصابت ما في نفسه فقال احتكمي
فقالت سلامة تهبها لي ومالها
قال اطلبي غيرها
فأبت فقال أنت أولى بها ومالها
فلقيت سلامة من ذلك أمراً عظيماً فقالت لها حبابة لا ترين إلا خيراً فجاء يزيد فسألها أن تبيعه إياها بحكمها فقالت
أشهدك أنها حرة واخطبها إليّ الآن حتى أزوجك مولاتي
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق عن المدائني بنحو هذه القصة
وقال فيها فجزعت سلامة فقالت لها لا تجزعي فإنما ألاعبه
نسبة هذا الصوت خفيف
(حِلَقٌ من بني كِنانةَ حَولي ... بِفِلَسْطِينَ يُسرعون الركوبا)
(هَزِئَتْ أن رأت مشيبِيَ عِرسي ... لا تلُومي ذوائبي أن تشيبا)
الشعر لابن قيس الرقيات والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق
قال حماد بن إسحاق حدثني أبي عن المدائني وأيوب بن عباية قالا كانت سلامة المتقدمة منهما في الغناء وكانت
حبابة تنظر إليها بتلك العين فلما حظيت عند يزيد ترفعت عليها فقالت لها سلامة ويحك أين تأديب الغناء وحق التعليم
أنسيت قول جميلة لك خذي أحكام ما أطارحك إياه من سلامة فلن تزالي بخير ما بقيت لك وكان أمركما مؤتلفا
قالت صدقت يا خليلتي والله لا عدت إلى شيء تكرهينه
فما عادت بعد ذلك لها إلى مكروه
وماتت حبابة وعاشت سلامة بعدها دهراً
قال المدائني فرأى يزيد يوماً حبابة جالسة فقال ما لك فقالت أنتظر سلامة
قال تحبين أن أهبها لك قالت لا والله ما أحب أن تهب لي أختي
قال المدائني وكانت حبابة إذا غنت وطرب يزيد قال لها أطير فتقول له فإلى من تدع الناس فيقول إليك
والله تعالى أعلم
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أيوب بن عباية أن البيذق الأنصاري القارئ كان يعرف
حبابة ويدخل عليها بالحجاز فلما صارت إلى يزيد بن عبد الملك وارتفع أمرها عنده خرج إليها يتعرض لمعروفها ويستميحها
فذكرته ليزيد وأخبرته بحسن صوته

قال فدعاني يزيد ليلة فدخلت عليه وهو على فرش مشرفة قد ذهب فيها إلى قريب من ثدييه وإذا حبابة على فرش أخر مرتفعة وهي دونه فسلمت فرد السلام وقالت حبابة يا أمير المؤمنين هذا أبي
وأشارت إلي بالجلوس فجلست وقالت لي حبابة اقرأ يا أبت
فقرأت فنظرت إلى دموعه تنحدر ثم قالت إيه يا أبت حدث أمير المؤمنين وأشارت إليّ أن غنه
- فاندفعت في صوت ابن سريج - مجزوء الخفيف
(من لِصَبٍّ مفنَّدِ ... هائمِ القلبِ مُقْصَدِ)
فطرب والله يزيد فحذفني بمدهن فيه فصوص من ياقوت وزبرجد فضرب صدري فأشارت إليّ حبابة أن خذه
فأخذته فأدخلته كمي فقال يا حبابة ألا ترين ما صنع بنا أبوك أخذ مدهننا فأدخله في كمه فقالت يا أمير المؤمنين ما أحوجه والله إليه ثم خرجت من عنده فأمر لي بمائة دينار
نسبة هذا الصوت
(من لِصَبٍّ مفنَّدِ ... هائمِ القلبِ مُقْصَدِ)
(أنتِ زوَّدته الضَّنى ... بِئْسَ زادُ المزوَّدِ)
((ولَوَ اني لا أرتجيكِ لقد خَفَّ عوَّدي
(ثاوياً تحتَ تُربةٍ ... رهنَ رمسٍ بفدفدِ)
(غيرَ أنِّي أعلِّل النَفسَ باليومِ أو غدِ)
الشعر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان
وذكر الزبير بن بكار أنه لجعفر بن الزبير والغناء لابن سريج خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى
- وقال حماد حدثني أبي عن مخلد بن خداش وغيره أن حبابة غنت يزيد صوتاً لابن سريج وهو قوله - منسرح
(ما أحسنَ الجِيدَ من مُليكةَ واللَّبَّاتِ ... إذْ زانَها ترائبُها)
فطرب يزيد وقال هل رأيت أحداً أطرب مني قلت نعم ابن الطيار معاوية بن عبد الله بن جعفر فكتب فيه إلى عبد الرحمن بن الضحاك فحمل إليه فلما قدم أرسلت إليه حبابة إنما بعث إليك لكذا وكذا وأخبرته فإذا دخلت عليه فلا تظهرن طربا حتى أغنيه الصوت الذي غنيته
فقال سوأة على كبر سني فدعا به يزيد وهو على طنفسة خز ووضع لمعاوية مثلها فجاؤوا بجامين فيهما مسك فوضعت إحداهما بين يدي يزيد والأخرى بين يدي معاوية فقال فلم أدر كيف أصنع
فقلت انظر كيف يصنع فاصنع مثله
فكان يقلبه فيفوح ريحه وأفعل مثل ذلك فدعا بحبابة فغنت فلما غنت ذلك الصوت أخذ معاوية الوسادة فوضعها على رأسه وقام يدور وينادي الدخن بالنوى يعني اللوبيا
قال فأمر له بصلات عدة دفعات إلى أن خرج فكان مبلغها ثمانية آلاف دينار
أخبرني إسماعيل بن يونس قال أخبرني الزبير بن أبي بكر عن ظبية
أن حبابة غنت يوماً بين يدي يزيد فطرب ثم قال لها هل رأيت قط أطرب مني قالت نعم مولاي الذي باعني
- فغاظه ذلك فكتب في حمله مقيدا فلما عرف خبره أمر بإدخاله إليه فأدخل يرسف في قيده وأمرها فغنت بغتة - متقارب
(تُشِطٌّ غداً دارُ جيراننا ... ولَلدّارُ بعد غدٍ أبْعَدُ)
فوثب حتى ألقى نفسه على الشمعة فأحرق لحيته وجعل يصيح الحريق يا أولاد الزنا فضحك يزيد وقال لعمري إن هذا لأطرب الناس فأمر بحل قيوده ووصله بألف دينار ووصلته حبابة ورده إلى المدينة
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمربن شبة قال قال إسحاق كان يزيد بن عبد الملك قبل أن تفضي إليه الخلافة
- تختلف إليه مغنية طاعنة في السن تدعى أم عوف وكانت محسنة فكان يختار عليها - بسيط
(متى أُجِرْ خائفاً تَسرحْ مَطِيَّتُه ... وإن أُخِفْ آمِناً تنبو به الدارُ)
(سِيروا إليَّ وأرْخُوا من أعنَّتِكُمْ ... إنِّي لكلِّ امرىءٍ من وتْرِه جارُ)
- فذكرها يزيد يوماً لحبابة وقد كانت أخذت عنها فلم تقدر أن تطعن عليها إلا بالسن فغنت - طويل
(أبى القلبُ إلاّ أمَّ عوْفٍ وَحُبَّها ... عجوزاً ومن يُحْبِبْ عجوزاً يُفَنَّدِ)
فضحك وقال لمن هذا الغناء فقالت لمالك
فكان إذا جلس معها للشرب يقول غنيني صوت مالك في أم عوف
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني
عبد الله بن أحمد بن الحارث العدوي قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال حدثني أبو غانم الأزدي قال نزل يزيد بن عبد الملك ببيت رأس بالشام ومعه حبابة فقال زعموا أنه لا تصفو لأحد عيشة يوماً إلى الليل إلا يكدرها شيء عليه وسأجرب ذلك
ثم قال لمن معه إذا كان غداً فلا تخبروني بشيء ولا تأتوني بكتاب
وخلا هو وحبابة فأتيا بما يأكلان فأكلت رمانة فشرقت بحبة منها فماتت فأقام لا يدفنها ثلاثاً حتى تغيرت وأنتنت وهو يشمها ويرشفها فعاتبه على ذلك ذوو قرابته وصديقه وعابوا عليه ما يصنع وقالوا قد صارت جيفة بين يديك حتى أذن لهم في غسلها ودفنها وأمر فأخرجت في نطع وخرج معها لا يتكلم حتى جلس على قبرها فلما دفنت قال أصبحت والله كما
- قال كثير - طويل
(فإن يَسْلُ عنكِ القلبُ أو يدعِ الصِّبا ... فباليأس يَسلو عنك لا بالتجلُّدِ)
وكلُّ خليلٍ راءني فهو قائلٌ ... مِنَ اجلِكِ هذا هامَةُ اليومِ أو غدِ) فما أقام إلا خمس عشرة ليلة حتى دفن إلى جنبها)
أخبرني أحمد قال حدثني عمر قال حدثني إسحاق الموصلي قال حدثني الفضل بن الربيع عن أبيه عن إبراهيم بن جبلة بن مخرمة عن أبيه أن مسلمة بن عبد الملك قال ماتت حبابة فجزع عليها يزيد فجعلت أؤسيه وأعزيه وهو ضارب بذقنه على صدره ما يكلمني حتى دفنها ورجع فلما بلغ إلى بابه التفت إليّ وقال
(فإن تَسْلُ عنكِ النَّفسُ أو تدعِ الصِّبا ... فباليأس تَسلو عنك لا بالتجلُّدِ)
ثم دخل بيته فمكث أربعين يوماً ثم هلك
قال وجزع عليها في بعض أيامه فقال انبشوها حتى أنظر إليها

فقيل تصير حديثاً فرجع فلم ينبشها
وقد روى المدائني أنه اشتاق إليها بعد ثلاثة أيام من دفنه إياها فقال لا بد من أن تنبش
فنبشت وكشف له عن وجهها وقد تغير تغيراً قبيحاً فقيل له يا أمير المؤمنين اتق الله ألا ترى كيف قد صارت فقال ما رأيتها قط أحسن منها اليوم أخرجوها
فجاء مسلمة ووجوه أهله فلم يزالوا به حتى أزالوه عن ذلك ودفنوها وانصرف فكمد كمداً شديداً حتى مات فدفن إلى جانبها
قال إسحاق وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله الشفافي عن العباس بن محمد أن يزيد بن عبد الملك أراد الصلاة على حبابة فكلمه مسلمة في أن لا يخرج وقال أنا أكفيك الصلاة عليها
فتخلف يزيد ومضى مسلمة حتى إذا مضى الناس انصرف مسلمة وأمر من صلى عليها
وروى الزبير عن مصعب بن عثمان عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال خرجت مع أبي إلى الشأم في زمن يزيد بن عبد الملك فلما ماتت حبابة وأخرجت لم يستطع يزيد الركوب من الجزع ولا المشي فحمل على منبر على رقاب الرجال فلما دفنت قال لم أصل عليها انبشوا عنها
فقال له مسلمة نشدتك الله يا أمير المؤمنين إنما هي أمة من الإماء وقد واراها الثرى فلم يأذن للناس بعد حبابة إلا مرة واحدة
قال فوالله ما استتم دخول الناس حتى قال الحاجب أجيزوا رحمكم الله
ولم ينشب يزيد أن مات كمداً
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال حدثني ابن أبي الحويرث الثقفي قال لما ماتت حبابة جزع عليها
يزيد جزعاً شديداً فضم جويرية لها كانت تخدمها إليه فكانت تحدثه وتؤنسه فبينا هو يوماً يدور في قصره إذ قال لها هذا الموضع الذي كنا فيه
- فتمثلت - طويل
(كَفَى حَزَناً للهائم الصبِّ أن يَرى ... مَنازلَ مَن يهوى معطَّلةً قَفْرَا)
فبكى حتى كاد يموت
ثم لم تزل تلك الجويرية معه يتذكر بها حبابة حتى مات
صوت طويل
(أيَدْعُونَني شَيْخاً وقد عِشْتُ حِقْبَةً ... وهُنَّ من الأزواج نحوي نوازعُ)
(وما شابَ رأسي من سِنِينَ تَتَابَعَتْ ... عليَّ ولكنْ شَيَّبَتْهُ الوقائعُ)
الشعر لأبي الطفيل صاحب رسول الله والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وغيره
10 - أخبار أبي الطفيل ونسبه
هو عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمير بن جابر بن حميس بن جدي بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ابن نزار
وله صحبة برسول الله ورواية عنه
وعمر بعده عمراً طويلاً وكان مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وروى عنه أيضاً وكان من وجوه شيعته وله منه محل خاص يستغنى بشهرته عن ذكره ثم خرج طالباً بدم الحسين بن علي عليهما السلام مع المختار بن أبي عبيد وكان معه حتى قتل وأفلت هو وعمر أيضاً بعد ذلك
حدثني أحمد بن الجعد قال حدثنا محمد بن يوسف بن أسوار الجمحي بمكة قال حدثنا يزيد بن أبي حكيم قال حدثني يزيد بن مليل عن أبي الطفيل أنه رأى النبي في حجة الوداع يطوف بالبيت الحرام على ناقته ويستلم الركن بمحجنه
أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا أبو عاصم عن معروف بن خربوذ عن أبي الطفيل بمثله وزاد فيه ثم يقبل المحجن
حدثني أبو عبيد الله الصيرفي قال حدثنا الفضل بن الحسن المصري قال حدثنا أبو نعيم عن بسام الصيرفي عن أبي الطفيل قال سمعت علياً عليه السلام يخطب فقال سلوني قبل أن تفقدوني
فقام إليه ابن الكواء فقال ما (الذاريات ذروا) قال الرياح
قال (فالجاريات يسرا) قال السفن
قال (فالحاملات وقراً) قال السحاب
قال (فالمقسمات أمراً) قال الملائكة
قال فمن (الذين بدلوا نعمة الله كفراً) قال الأفجران من قريش بنو أمية وبنو مخزوم
قال فما كان ذو القرنين أنبياً أم ملكاً قال كان عبداً مؤمناً أو قال صالحاً أحب الله وأحبه ضرب ضربة على قرنه الأيمن فمات ثم بعث وضرب ضربة على قرنه الأيسر فمات
وفيكم مثله
وكتب إليّ إسماعيل بن محمد المري الكوفي يذكر أن أبا نعيم حدثه بذلك عن بسام
وذكر مثله
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال بلغني أن بشر بن مروان حين كان على العراق قال لأنس بن زنيم أنشدني أفضل شعر قالته كنانة
- فأنشده قصيدة أبي الطفيل - طويل
(أَيَدْعُونَني شيخاً وقد عِشْتُ برهةً ... وهنَّ من الأزواج نَحوي نوازعُ)
فقال له بشر صدقت هذا أشعر شعرائكم
قال وقال له الحجاج أيضاً أنشدني قول شاعركم أيدعونني شيخاً فأنشده إياه فقال قاتله الله منافقاً ما أشعره حدثني أحمد بن عيسى العجلي الكوفي المعروف بابن أبي موسى قال حدثنا الحسين بن نصر بن مزاحم قال حدثني أبي قال حدثني عمرو بن شمر عن جابر الجعفي قال سمعت ابن حذيم الناجي يقول لما استقام لمعاوية أمره لم يكن شيء

أحب إليه من لقاء أبي الطفيل عامر بن واثلة فلم يزل يكاتبه ويلطف له حتى أتاه فلما قدم عليه جعل يسائله عن أمر الجاهلية ودخل عليه عمرو بن العاص ونفر معه فقال لهم معاوية أما تعرفون هذا هذا خليل أبي الحسن
ثم قال يا أبا الطفيل ما بلغ من حبك لعلي قال حب أم موسى لموسى
قال فما بلغ من بكائك عليه قال بكاء العجوز الثكلى والشيخ الرقوب وإلى الله أشكو التقصير
قال معاوية إن أصحابي هؤلاء لو سئلوا عني ما قالوا فيّ ما قلت في صاحبك
قالوا إذا والله ما نقول الباطل
قال لهم معاوية لا والله ولا الحق تقولون
- ثم قال معاوية وهو الذي يقول - طويل
(إلى رجَبِ السَّبْعِين تَعْترفونني ... مع السيف في حَوّاءَ جَمٍّ عديدُها)
(رجوفٍ كمتْنِ الطَّود فيها معاشرٌ ... كغُلْبِ السِّباع نُمرُها وأسودُها)
(كهولٌ وشبّانٌ وسادات معشرٍ ... على الخيل فُرسانٌ قليلٌ صدودها)
(كأنَّ شعاع الشَّمس تحتَ لوائِها ... إذا طَلعتْ أعشَى العيونَ حديدُها)
(يَمورون مَوْرَ الرِّيح إما ذُهِلْتُم ... وزلّت بأكفالِ الرجال لبودُها)
(شِعارُهُمُ سِيما النبيِّ ورايةٌ ... بها انتقَمَ الرحمنُ ممن يَكيدها)
((تخطَّفُهمْ إياكُمُ عندَ ذكرهِمْ ... كخَطْف ضواري الطَّير طيراً تصيدها
فقال معاوية لجلسائه أعرفتموه قالوا نعم هذا أفحش شاعر وألأم جليس
فقال معاوية يا أبا الطفيل أتعرفهم فقال ما أعرفهم بخير ولا أبعدهم من شر
- قال وقام خزيمة الأسدي فأجابه فقال - طويل
(إلى رجبٍ أو غُرّةِ الشهر بعده ... تصبِّحكُمْ حُمْرُ المنايا وسُودُها)
(ثمانون ألفاً دِينَ عثمانَ دينُهُمْ ... كتائبُ فيها جِبرَئيلُ يقودها)
(فمن عاشَ منكم عاش عبداً ومن يمت ... ففي النار سُقياهُ هناكَ صديدُها)
أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائني عن أبي مخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق قال لما رجع محمد بن الحنفية من الشام حبسه ابن الزبير في سجن عارم فخرج إليه جيش من الكوفة عليهم أبو الطفيل عامر بن واثلة حتى أتوا سجن عارم فكسروه وأخرجوه فكتب ابن الزبير إلى أخيه مصعب أن يسير نساء كل من خرج لذلك
فأخرج مصعب نساءهم وأخرج فيهن أم الطفيل امرأة أبي الطفيل وابناً له صغيراً يقال له يحيى فقال أبو الطفيل في ذلك - - متقارب
(إنْ يكُ سَيَّرهَا مُصْعَبُ ... فإني إلى مصعبٍ مذنبُ)
(أقود الكتيبةَ مُسْتَلْئِماً ... كأنّي أخو عُرّةٍ أجْرَبُ)
((عليَّ دِلاصٌ تخيَّرتُها ... وفي الكفّ ذو رَونَقٍ مِقْضَبُ
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن حميد الرازي قال حدثنا سلمة بن الفضل عن فطر بن خليفة قال سمعت أبا الطفيل يقول لم يبق من الشيعة غيري
- ثم تمثل - طويل
(وخلّفتُ سَهْماً في الكنانة واحداً ... سيُرمَى به أو يكسِر السهمَ كاسرُه)
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو عاصم قال حدثني شيخ من بني تيم اللات قال كان
- أبو الطفيل مع المختار في القصر فرمي بنفسه قبل أن يؤخذ وقال - طويل
(ولما رأيْتُ البابَ قد حِيلَ دونه ... تكسَّرْتُ باسمِ الله فيمن تكسَّرا)
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أحمد بن عبد الله بن شداد النشابي قال حدثني المفضل بن غسان قال حدثني عيسى بن واضح عن سليم ابن مسلم المكي عن ابن جريج عن عطاء قال دخل عبد الله بن صفوان على عبد الله بن
- الزبير وهو يومئذ بمكة فقال أصبحت كما قال الشاعر - بسيط
(فإنْ تُصِبْكَ من الأيامِ جائحةٌ ... لا أبْكِ منكَ على دُنيا ولا دِين)
قال وما ذاك يا أعرج قال هذا عبد الله بن عباس يفقه الناس وعبيد الله أخوه يطعم الناس فما بقيا لك فأحفظه ذلك فأرسل صاحب شرطته عبد الله بن مطيع
فقال له انطلق إلى ابني عباس فقل لهما أعمدتما إلى راية ترابية قد وضعها الله فنصبتماها بددا عني جمعكما ومن ضوى إليكما من ضلال أهل العراق وإلا فعلت وفعلت فقال ابن عباس قل لابن الزبير يقول لك ابن عباس ثكلتك أمك والله
- ما يأتينا من الناس غير رجلين طالب فقه أو طالب فضل فأي هذين تمنع فأنشأ أبو الطفيل عامر بن واثلة - بسيط
(لا دَرَّ درُّ الليالي كيف تُضحِكنا ... منها خطوب أعاجيبٌ وتبكينا)
(ومثلُ ما تحدِثُ الأيامُ مِن غِيَرٍ ... يا ابنَ الزبير عن الدنيا يُسلّينا)
(كنّا نجيءُ ابنَ عباسٍ فَيُقبِسنا ... عِلماً ويُكسِبُنا أجْراً ويَهدينا)
(ولا يزالُ عبيدُ الله مترعَةً ... جِفانُه مُطْعِماً ضَيْفاً ومسكينا)
(فالبِرُّ والدِّينُ والدُّنيا بدارِهما ... ننال منها الذي نبغي إذا شِينا)
(إن النبيَّ هو النور الذي كُشِفَتْ ... به عَمَاياتُ باقينا وماضينا)
(ورهطُه عِصمةٌ في ديننا ولهمْ ... فضلٌ علينا وحقٌّ واجبٌ فينا)
(ولسْتَ فاعلمْهُ أولى مِنْهُمُ رحماً ... يا ابنَ الزبير ولا أولَى به دِينا)
(ففيمَ تَمنعُهُمْ عَنَّا وتمنعنا ... منهم وتؤذيهم فينا وتؤذينا)
(لن يؤتي الله مَنْ أخزى ببغضهمُ ... في الدين عِزّاً ولا في الأرض تمكينا)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني بعض
- أصحابنا أن أبا الطفيل عامر بن واثلة دعي في مأدبة فغنت فيها قينة قوله يرثي ابنه - بسيط
(خَلّى طفيلٌ عليَّ الهمَّ وانشعبا ... وهدَّ ذلك ركنِي هَدّةً عجبا)

فبكى حتى كاد يموت
وقد أخبرني بهذا الخبر عمي عن طلحة بن عبد الله الطلحي عن أحمد بن إبراهيم أن أبا الطفيل دعي إلى وليمة فغنت - قينة عندهم - بسيط
(خَلَّى عليَّ طُفيلُ الهمَّ وانشعبا ... وهدَّ ذلك رُكنِي هَدّةً عجبا)
(وابنَيْ سُمية لا أنساهما أبداً ... فيمن نَسِيتُ وكلٌّ كان ليْ وَصَبا)
فجعل ينشج ويقول هاه هاه طفيل ويبكي حتى سقط على وجهه ميتاً
وأخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه بخبر أبي الطفيل هذا فذكر مثل ما مضى وزاد في الأبيات
(فامِلكْ عزاءَكَ إنْ رزءٌ بِليتَ به ... فلنْ يردَّ بكاءُ المرءِ ما ذهبا)
(وليس يَشفِي حزيناً مِنْ تذكُّره ... إلاّ البكاءُ إذا ما ناح وانتحبا)
(فإذْ سلكْتَ سبيلاً كنْتَ سالكَها ... ولا محالةَ أن يأتي الذي كُتبا)
(فما لبطنك من ريٍّ ولا شبَعٍ ... ولا ظلِلْتَ بباقي العيش مُرتَقِبا)
وقال حماد بن إسحاق حدثني أبي قال حدثني أبو عبد الله الجمحي عن أبيه قال بينا فتية من قريش ببطن محسر يتذاكرون الأحاديث ويتناشدون الأشعار إذ أقبل طويس وعليه قميص قوهي وحبرة قد ارتدى بها وهو يخطر في مشيته فسلم ثم جلس فقال له القوم يا أبا عبد المنعم لو غنيتنا قال نعم وكرامة أغنيكم بشعر شيخ من أصحاب رسول الله من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام وصاحب رايته أدرك الجاهلية والإسلام وكان سيد قومه وشاعرهم
- قالوا ومن ذاك يا أبا عبد المنعم فدتك أنفسنا قال ذلك أبو الطفيل عامر بن واثلة ثم اندفع فغنى - طويل
(أيَدعونني شيخاً وقد عِشْتُ حِقْبَةً ... وهُنَّ من الأزواج نَحْوي نوازعُ)
فطرب القوم وقالوا ما سمعنا قط غناء أحسن من هذا
وهذا الخبر يدل على أن فيه لحناً قديماً ولكنه ليس يعرف
صوت خفيف
(لمن الدارُ أقفرتْ بمَعَانِ ... بين شاطي اليَرْموك فالصَّمّانِ)
(فالقُرَيّات من بَلاسَ فدَارِيَّا ... فسَكّاءَ فالقُصورِ الدواني)
(ذاكَ مَغْنىً لآل جفنةَ في الدَّهر ... وحَقٌّ تَصَرُّفُ الأزمانِ)
(صلوات المسيحِ في ذلك الدير ... دعاءُ القِسِّيس والرُّهبانِ)
الشعر لحسان بن ثابت والغناء لحنين بن بلوع خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى
وهذا الصوت من صدور الأغاني ومختارها وكان إسحاق يقدمه ويفضله
- ووجدت في بعض كتبه بخطه قال الصيحة التي في لحن حنين - خفيف
(... لمن الدارُ أقفرتْ بمَعَانِ)
أخرجت من الصدر ثم من الحلق ثم من الأنف ثم من الجبهة ثم نبرت فأخرجت من القحف ثم نونت مردودة إلى الأنف ثم قطعت
وفي هذه الأبيات وأبيات غيرها من القصيدة ألحان لجماعة اشتركوا فيها واختلف أيضاً مؤلفو الأغاني في ترتيبها ونسبة بعضها مع بعض إلى صاحبها الذي صنعها فذكرت هاهنا على ذلك وشرح ما قالوه فيها
- فمنها - خفيف
صوت
(قد عفا جاسمٌ إلى بيت رأسٍ ... فالحواني فجانِبُ الجَوْلانِ)
(فحِمى جاسمٍ فأبنيةُ الصُّفر ... مَغْنَى قنابلٍ وهِجانِ)
(فالقُرَيّات من بَلَاس فداريَّا ... فَسَكّاءَ فالقصورِ الدَّواني)
(قد دنا الفِصْح فالولائدُ يَنظِمْنَ ... سِراعاً أكِلّةَ المَرْجانِ)
((يتبارَيْنَ في الدعاءِ إلى اللّهِ ... وكلُّ الدّعاءِ للشيطانِ
(ذاك مغنىً لآل جَفْنَةَ في الدّهر ... وحَقٌّ تَصَرُّفُ الأزمانِ)
(صلواتُ المسيح في ذلك الدّير ... دعاءُ القسِّيس والرُّهبان)
(قد أراني هُناك حقَّ مَكينٍ ... عند ذي التاج مَقْعدِي ومكاني)
ذكر عمرو بن بانة أن لابن محرز في الأول من هذه الأبيات والرابع خفيف ثقيل أول بالبنصر
وذكر علي بن يحيى أن لابن سريج في الرابع والخامس رملاً بالوسطى وأن لمعبد فيهما وفيما بعدهما من الأبيات خفيف ثقيل ولمحمد بن إسحاق بن برثع ثقيل أول في الرابع والثامن
وذكر الهشامي أن في الأول لمالك خفيف ثقيل ووافقه حبش
وذكر حبش أن لمعبد في الأول والثاني والرابع ثقيلاً أول بالبنصر
أخبار حسان وجبلة بن الأيهم
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني هارون بن عبد الله الزهري قال حدثني يوسف بن الماجشون عن أبيه قال قال حسان بن ثابت أتيت جبلة بن الأيهم الغساني وقد مدحته فأذن لي فجلست بين يديه وعن يمينه رجل له ضفيرتان وعن يساره رجل لا أعرفه فقال أتعرف هذين فقلت أما هذا فأعرفه وهو النابغة وأما هذا فلا أعرفه
قال فهو علقمة بن عبدة فإن شئت أن تسكت سكت
قلت فذاك
- قال فأنشده النابغة - طويل
(كِليني لهمٍّ يا أميمة ناصبِ ... وليلٍ أقاسيه بطيءِ الكواكِبِ)
قال فذهب نصفي
ثم قال لعلقمة أنشد

- فأنشد - طويل
(طَحا بك قلبٌ في الحسان طروبُ ... بُعيدَ الشبابِ عَصْرَ حانَ مَشيبُ)
فذهب نصفي الآخر فقال لي أنت أعلم الآن إن شئت أن تنشد بعدهما أنشدت وإن شئت أن تسكت سكت فتشددت ثم قلت لا بل أنشد
قال هات
- فأنشدته - كامل
(لله دَرُّ عِصَابَةٍ نادمْتُها ... يوماً بجِلِّقَ في الزَّمان الأوَّلِ)
(أولادُ جَفْنَةَ عندَ قبر أبيهمُ ... قبر ابن ماريَةَ الكريمِ المُفْضِلِ)
(يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البريصَ عليْهِم ... كأساً تُصَفَّقُ بالرحيق السلسلِ)
(يُغشَوْنَ حتّى ما تَهِرُّ كلابُهُمْ ... لا يسألون عن السَّوَّاد المُقْبِلِ)
(بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهُمْ ... شُمُّ الأنوفِ من الطِّرازِ الأوّلِ)
فقال لي أدنه أدنه لعمري ما أنت بدونهما
ثم أمر لي بثلاثمائة دينار وعشرة أقمصة لها جيب واحد وقال هذا لك عندنا في كل عام
وقد ذكر أبو عمرو الشيباني هذه القصة لحسان ووصفها وقال إنما فضله عمرو بن الحارث الأعرج ومدحه بالقصيدة اللامية وأتى بالقصة أتم من هذه الرواية
قال أبو عمرو قال حسان بن ثابت قدمت على عمرو بن الحارث فاعتاص الوصول علي إليه فقلت للحاجب بعد مدة إن أذنت لي عليه وإلا هجوت اليمن كلها ثم انقلبت عنكم
فأذن لي فدخلت عليه فوجدت عنده النابغة وهو جالس عن يمينه وعلقمة بن عبدة وهو جالس عن يساره فقال لي يا ابن الفريعة قد عرفت عيصك ونسبك في غسان فارجع فإني باعث إليك بصلة سنية ولا أحتاج إلى الشعر فإني أخاف
- عليك هذين السبعين النابغة وعلقمة أن يفضحاك وفضيحتك فضيحتي وأنت والله لا تحسن أن تقول - طويل
(رِقاقُ النِّعال طَيِّبٌ حُجُزاتُهُمْ ... يُحَيَّوْنَ بالريحانِ يوم السَّباسِبِ)
فأبيت وقلت لا بد منه
فقال ذاك إلى عميك
فقلت لهما بحق الملك إلا قدمتماني عليكما
فقالا قد فعلنا
فقال عمرو بن الحارث هات يا ابن الفريعة
- فأنشأت - كامل
(أسألْتَ رسمَ الدَّار أم لم تَسْألِ ... بَينَ الجوابي فالبَضيعِ فَحَوملِ)
فقال فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل عن موضعه سروراً حتى شاطر البيت وهو يقول هذا وأبيك الشعر لا ما تعللاني به منذ اليوم هذه والله البتارة التي قد
بترت المدائح أحسنت يا ابن الفريعة هات له يا غلام ألف دينار مرجوحة وهي التي في كل دينار عشرة دنانير فأعطيت ذلك ثم قال لك عليّ في كل سنة مثلها
ثم أقبل على النابغة فقال قم يا زياد فهات الثناء المسجوع
فقام النابغة فقال ألا أنعم صباحاً أيها الملك المبارك السماء غطاؤك والأرض وطاؤك ووالداي فداؤك والعرب وقاؤك والعجم حماؤك والحكماء جلساؤك والمداره سمارك والمقاول إخوانك والعقل شعارك والحلم دثارك والسكينة مهادك والوقار غشاؤك والبر وسادك والصدق رداؤك واليمن حذاؤك والسخاء ظهارتك والحمية بطانتك والعلاء علايتك وأكرم الأحياء أحياؤك وأشرف الأجداد أجدادك وخير الآباء آباؤك وأفضل الأعمام أعمامك وأسرى الأخوال أخوالك وأعف النساء حلائلك وأفخر الشبان أبناؤك وأطهر الأمهات أمهاتك وأعلى البنيان بنيانك وأعذب المياه أمواهك وأفيح الدارات داراتك وأنزه الحدائق حدائقك وأرفع اللباس لباسك قد حالف الإضريج عاتقيك ولاءم المسك مسكك وجاور العنبر ترائبك وصاحب النعيم جسدك
العسجد آنيتك واللجين صحافك والعصب مناديلك والحوارى طعامك والشهد إدامك واللذات غذاؤك والخرطوم شرابك والأبكار مستراحك والأشراف مناصفك والخير بفنائك والشر بساحة أعدائك والنصر منوط بلوائك والخذلان مع ألوية حسادك والبر فعلك
قد طحطح عدوك غضبك وهزم مغايبهم مشهدك وسار في الناس عدلك وشسع بالنصر ذكرك وسكن قوارع الأعداء ظفرك الذهب عطاؤك والدواة رمزك والأوراق لحظك وإطراقك وألف دينار مرجوحة إنماؤك أيفاخرك المنذر اللخمي فوالله لقفاك خير من وجهه ولشمالك خير من يمينه ولأخمصك خير من رأسه ولخطاؤك خير من صوابه ولصمتك خير من كلامه ولأمك خير من أبيه ولخدمك خير من قومه
فهب لي أسارى قومي واسترهن بذلك شكري فإنك من أشراف قحطان وأنا من سروات عدنان
فرفع عمرو رأسه إلى جارية كانت قائمة على رأسه وقال بمثل هذا فليثن على الملوك ومثل ابن الفريعة فليمدحهم وأطلق له أسرى قومه
وذكر ابن الكلبي هذه القصة نحو هذا وقال فقال له عمرو اجعل المفاضلة بيني وبين المنذر شعراً فإنه أسير فقال - متقارب
(ونُبِّئْتُ أنَّ أبا منذرٍ ... يُسامِيكَ للحدَثِ الأكبرِ)
(قَذَالُكَ أحسنُ من وجهه ... وأمّكَ خيرٌ من المنذرِ)
(ويُسرْاك أجْوَدُ من كفّه اليمين فقُولا له أخِّرِ)
وقد ذكر المدائني أن هذه الأبيات والسجع الذي قبلها لحسان وهذا أصح
قال أبو عمرو الشيباني لما أسلم جبلة بن الأيهم الغساني وكان من ملوك آل جفنة كتب إلى عمر رضي الله عنه يستأذنه في القدوم عليه فأذن له عمر فخرج إليه في خمسمائة من أهل بيته من عك وغسان حتى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عمر يعلمه بقدومه فسر عمر رضوان الله عليه وأمر الناس باستقباله وبعث إليه بأنزال وأمر جبلة مائتي

رجل من أصحابه فلبسوا الديباج والحرير وركبوا الخيول معقودة أذنابها وألبسوها قلائد الذهب والفضة ولبس جبلة تاجه وفيه قرطا مارية وهي جدته ودخل المدينة فلم يبق بها بكر ولا عانس إلا تبرجت وخرجت تنظر إليه وإلى زيه فلما انتهى إلى عمر رحب به وألطفه وأدنى مجلسه ثم أراد عمر الحج فخرج معه جبلة فبينا هو يطوف بالبيت وكان مشهوراً بالموسم إذ وطئ إزاره رجل من بني فزارة فانحل فرفع جبلة يده فهشم أنف الفزاري فاستعدى عليه عمر رضوان الله عليه فبعث إلى جبلة فأتاه

فقال ما هذا قال نعم يا أمير المؤمنين إنه تعمد حل إزاري ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف فقال له عمر قد أقررت فإما أن رضي الرجل وإما أن أقيده منك

قال جبلة ماذا تصنع بي قال آمر بهشم أنفك كما فعلت

قال وكيف ذاك يا أمير المؤمنين وهو سوقة وأنا ملك قال إن الإسلام جمعك وإياه فلست تفضله بشيء إلا بالتقى والعافية

قال جبلة قد ظننت يا أمير المؤمنين أني أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية

قال عمر دع عنك هذا فإنك إن لم ترض الرجل أقدته منك

قال إذاً أتنصر

قال إن تنصرت ضربت عنقك لأنك قد أسلمت فإن ارتددت قتلتك

فلما رأى جبلة الصدق من عمر قال أنا ناظر في هذا ليلتي هذه

وقد اجتمع بباب عمر من حي هذا وحي هذا خلق كثير حتى كادت تكون بينهم فتنة فلما أمسوا أذن له عمر في الانصراف حتى إذا نام الناس وهدؤوا تحمل جبلة بخيله ورواحله إلى الشأم فأصبحت مكة وهي منهم بلاقع فلما انتهى إلى الشأم تحمل في خمسمائة رجل من قومه حتى أتى القسطنطينية فدخل إلى هرقل فتنصر هو وقومه فسر هرقل بذلك جداً وظن أنه فتح من الفتوح عظيم وأقطعه حيث شاء وأجرى عليه من النزل ما شاء وجعله من محدثيه وسماره هكذا ذكر أبو عمرو

وذكر ابن الكلبي أن الفزاري لما وطئ إزار جبلة لطم جبلة كما لطمه فوثبت غسان فهشموا أنفه وأتوا به عمر ثم ذكر باقي الخبر نحو ما ذكرناه

وذكر الزبير بن بكار فيما أخبرنا به الحرمي بن أبي العلاء عنه أن محمد بن الضحاك حدثه عن أبيه أن جبلة قدم على عمر رضي الله عنه في ألف من أهل بيته فأسلم

قال وجرى بينه وبين رجل من أهل المدينة كلام فسب المديني فرد عليه فلطمه جبلة فلطمه المديني فوثب عليه أصحابه فقال دعوه حتى أسأل صاحبه وأنظر ما عنده

فجاء إلى عمر فأخبره فقال إنك فعلت به فعلاً ففعل بك مثله

قال أو ليس عندك من الأمر إلا ما أرى

قال لا فما الأمر عندك يا جبلة

قال من سبنا ضربناه ومن ضربنا قتلناه

قال إنما أنزل القرآن بالقصاص

- فغضب وخرج بمن معه ودخل أرض الروم فتنصر ثم ندم وقال - طويل

(... تنصَّرتِ الأشرافُ من عار لطمةٍ)

وذكر الأبيات وزاد فيها بعد طويل

(ويا ليتَ لي بالشأم أدنَى معيشةٍ ... أجالسُ قومي ذاهبَ السمعِ والبصَرْ)

(أدين بما دانوا به من شريعةٍ ... وقد يحبس العَوْدُ الضَّجور على الدَّبَرْ)

وذكر باقي خبره فيما وجه به إلى حسان مثله وزاد فيه أن معاوية لما ولي بعث إليه فدعاه إلى الرجوع إلى الإسلام ووعده إقطاع الغوطة بأسرها فأبى ولم يقبل

ثم إن عمر رضي الله عنه بدا له أن يكتب إلى هرقل يدعوه إلى الله جل وعز وإلى الإسلام ووجه إليه رجلا من أصحابه وهو جثامة بن مساحق الكناني فلما انتهى إليه الرجل بكتاب عمر أجاب إلى كل شيء سوى الإسلام فلما أراد الرسول الانصراف قال له هرقل هل رأيت ابن عمك هذا الذي جاءنا راغباً في ديننا قال لا

قال فالقه

قال الرجل فتوجهت إليه فلما انتهيت إلى بابه رأيت من البهجة والحسن والسرور ما لم أرَ بباب هرقل مثله فلما أدخلت عليه إذا هو في بهو عظيم وفيه من التصاوير ما لا أحسن وصفه وإذا هو جالس على سرير من قوارير قوائمه أربعة أسد من ذهب وإذا هو رجل أصهب سبال وعثنون وقد أمر بمجلسه فاستقبل به وجه الشمس فما بين يديه من آنية الذهب والفضة يلوح فما رأيت أحسن منه

فلما سلمت رد السلام ورحب بي وألطفني ولامني على تركي النزول عنده ثم أقعدني على شيء لم أثبته فإذا هو كرسي من ذهب فانحدرت عنه فقال مالك فقلت إن رسول الله نهى عن هذا

فقال جبلة

أيضاً مثل قولي في النبي حين ذكرته وصلى عليه

ثم قال يا هذا إنك إذا طهرت قلبك لم يضرك ما لبسته ولا ما جلست عليه

ثم سألني عن الناس وألحف في السؤال عن عمر ثم جعل يفكر حتى رأيت الحزن في وجهه فقلت ما يمنعك من الرجوع إلى قومك والإسلام قال أبعد الذي قد كان قلت قد ارتد الأشعث بن قيس ومنعهم الزكاة وضربهم بالسيف ثم رجع إلى الإسلام

فتحدثنا ملياً ثم أومأ إلى غلام على رأسه فولى يحضر فما كان إلا هنيهة حتى أقبلت الأخونة يحملها الرجال فوضعت وجيء بخوان من ذهب فوضع أمامي فاستعفيت منه فوضع أمامي خوان خلنج وجامات قوارير وأديرت الخمر فاستعفيت منها فلما فرغنا دعا بكأس من ذهب فشرب به خمساً عدداً

ثم أومأ إلى غلام فولى يحضر فما شعرت إلا بعشر جوار يتكسرن في الحلي فقعد خمس عن يمينه وخمس عن شماله ثم سمعت وسوسة من ورائي فإذا أنا بعشر أفضل من الأول عليهن الوشي والحلي فقعد خمس عن يمينه وخمس عن شماله وأقبلت جارية على رأسها طائر أبيض كأنه لؤلؤة مؤدب وفي يدها اليمنى جام فيه مسك وعنبر قد خلطا وأنعم

سحقهما وفي اليسرى جام وفيه ماء ورد فألقت الطائر في ماء الورد فتمعك بين جناحيه وظهره وبطنه ثم أخرجته فألقته في جام المسك والعنبر فتمعك فيها حتى لم يدع فيها شيئاً ثم نفرته فطار فسقط على تاج جبلة ثم رفرف ونفض ريشه فما بقي عليه شيء إلا سقط على رأس جبلة ثم قال للجواري أطربنني

- فخفقن بعيدانهن يغنين - كامل

(لله دَرُّ عصابةٍ نادمْتُهُمْ ... يوماً بجِلِّقَ في الزمان الأوّلِ)

(بِيضِ الوجوه كريمة أحسابُهمْ ... شمِّ الأنوف من الطِّراز الأوّلِ)

((يُغْشَونَ حتّى ما تَهِرُّ كلابُهُمْ ... لا يسألون عن السَّواد المقبل

فاستهل واستبشر وطرب ثم قال زدنني

فاندفعن يغنين خفيف

(لمن الدارُ أقفرَتْ بمعَانِ ... بين شاطِي اليرموك فالصَّمّان)

(فَحِمي جاسمٍ فأبنية الصُّفرِ ... مَغْنَى قنابلٍ وهِجان)

(فالقُرَيّاتِ من بَلاسَ فدارَ ... يّا فَسكّاءَ فالقصورِ الدواني)

(ذاكَ مغنىً لآل جفنةَ في الدّار ... وحَقٌّ تعاقُبُ الأزمان)

(قد دنا الفِصْحُ فالولائدَ يَنْظِمْنَ ... سِراعاً أكِلّةَ المَرْجان)

(لم يُعلِّلْنَ بالمغافِيرِ والصّمغ ... ولا نَقْفِ حَنظلِ الشّرْيان)

(قد أرانِي هناكَ حقّاً مكينا ... عند ذي التاج مَقْعدِي ومكاني)

فقال أتعرف هذه المنازل قلت لا

قال هذه منازلنا في ملكنا بأكناف دمشق وهذا شعر ابن الفريعة حسان بن ثابت شاعر رسول الله

قلت أما إنه مضرور البصر كبير السن

قال يا جارية هاتي

فأتته بخمسمائة دينار وخمسة أثواب من الديباج فقال ادفع هذا إلى حسان وأقرئه مني السلام

ثم أرادني على مثلها فأبيت فبكى ثم قال لجواريه أبكينني

- فوضعن عيدانهن وأنشأن يقلن - طويل

(تنصّرَتِ الأشرافُ من عارِ لطمةٍ ... وما كان فيها لو صَبرْتُ لها ضَرَرْ)

(تكنّفني فيها لجَاجٌ ونَخوةٌ ... وبِعْتُ بها العيْنَ الصحيحةَ بالعَوَرْ)

(فيا ليتَ أمّي لم تَلِدْني وليتني ... رجعْتُ إلى القول الذي قال لِي عُمَرْ)

((ويا ليتني أرعَى المخاضَ بقَفرةٍ ... وكنتُ أسيراً في ربيعةَ أو مُضر

(ويا ليت لي بالشأم أدنى معيشةٍ ... أجالِسُ قومي ذاهبَ السّمْعِ والبَصَرْ)

ثم بكى وبكيت معه حتى رأيت دموعه تجول على لحيته كأنها اللؤلؤ ثم سلمت عليه وانصرفت فلما قدمت على عمر سألني عن هرقل وجبلة فقصصت عليه القصة من أولها إلى آخرها فقال أورأيت جبلة يشرب الخمر قلت نعم

قال أبعده الله تعجل فانية اشتراها بباقية فما ربحت تجارته فهل سرح معك شيئاً قلت سرح إلى حسان خمسمائة دينار وخمسة أثواب ديباج

فقال هاتها

وبعث إلى حسان فأقبل يقوده قائده حتى دنا فسلم وقال يا أمير المؤمنين إني لأجد أرواح آل جفنة

فقال عمر رضي الله عنه قد نزع الله تبارك وتعالى لك منه على رغم أنفه وأتاك بمعونة

- فانصرف عنه وهو يقول 6 - كامل

(إنَّ ابنَ جفنةَ من بقيّة مَعْشَرٍ ... لم يَغْذُهُمْ آباؤهُمْ باللُّومِ)

(لم يَنسنِي بالشّأم إذ هو ربُّها ... كَلاّ ولا متنصِّراً بالرومِ)

(يُعطِي الجزيلَ ولا يَراه عنده ... إلاّ كبعض عطيّةِ المَذْمُومِ)

(وأتيْتُه يوماً فقرّب مجلسِي ... وسقَى فروّاني من الخُرطومِ)

فقال له رجل في مجلس عمر أتذكر قوماً كانوا ملوكاً فأبادهم الله وأفناهم فقال ممن الرجل قال مزني

قال أما والله لولا سوابق قومك مع رسول الله لطوقتك طوق الحمامة

وقال ما كان خليلي ليخل بي فما قال لك قال قال إن وجدته حياً فادفعها إليه وإن وجدته ميتاً فاطرح الثياب على قبره وابتع بهذه الدنانير بدنا فانحرها على قبره

فقال حسان ليتك وجدتني

ميتاً ففعلت ذلك بي أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال قال لي عبد الرحمن بن عبد الله الزبيري قال الرسول الذي بعث به إلى جبلة

ثم ذكر قصته مع الجارية التي جاءت بالجامين والطائر الذي تمعك فيهما وذكر قول حسان

إنّ ابن جفنةَ من بقيّة مَعْشَرِ ...) - كامل - ولم يذكر غير ذلك)

هكذا روى أبو عمرو في هذا الخبر

وقد أخبرني به أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال قال عبد الله بن مسعدة الفزاري وجهني معاوية إلى ملك الروم فدخلت عليه فإذا عنده رجل على سرير من ذهب دون مجلسه فكلمني بالعربية فقلت من أنت يا عبد الله قال أنا رجل غلب عليه الشقاء أنا جبلة بن الأيهم إذا صرت إلى منزلي فالقني

- فلما انصرف وانصرفت أتيته في داره فألفيته على شرابه وعنده قينتان تغنيانه بشعر حسان بن ثابت - خفيف

قد عَفا جاسمٌ إلى بيت رأسٍ ... فالحوانِي فجانب الجَوْلان) وذكر الأبيات)

فلما فرغتا من غنائهما أقبل علي ثم قال ما فعل حسان بن ثابت قلت شيخ كبير قد عمي

فدعا بألف دينار فدفعها إليّ وأمرني أن أدفعها إليه ثم قال أترى صاحبك يفي لي إن خرجت إليه قال قلت قل ما شئت أعرضه عليه

قال يعطيني الثنية فإنها كانت منازلنا وعشرين قرية من الغوطة منها دارياً وسكاء ويفرض بجماعتنا ويحسن جوائزنا

قال قلت أبلغه
فلما قدمت على معاوية قال وددت أنك أجبته إلى ما سأل فأجزته له
وكتب إليه معاوية يعطيه
ذلك فوجده قد مات
قال وقدمت المدينة فدخلت مسجد رسول الله فلقيت حسان فقلت يا أبا الوليد صديقك جبلة يقرأ عليك السلام
فقال هات ما معك
قلت وما علمك أن معي شيئاً قال ما أرسل إليّ بالسلام قط إلا ومعه شيء
قال فدفعت إليه المال
أخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه عن أهل المدينة قالوا بعث جبلة إلى حسان بخمسمائة دينار وكسى وقال للرسول إن وجدته قد مات فابسط هذه الثياب على قبره
فجاء فوجده حياً فأخبره فقال لوددت أنك وجدتني ميتاً
نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني
صوت طويل
تنصَّرتِ الأشرافُ من عار لطمةٍ ... وما كانَ فيها لو صَبَرْتُ لها ضَرَرْ) الأبيات الخمسة)
الشعر لجبلة بن الأيهم والغناء لعريب نصب خفيف
وبسيط رمل بالوسطى
- ومنها - كامل
صوت
(إنَّ ابن جفنةَ من بقيةِ مَعْشَرٍ ... لم يَغْذُهُمْ آباؤهُمْ باللُّومِ)
الأبيات الأربعة
الشعر لحسان بن ثابت والغناء لعريب هزج بالبنصر
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عمي يوسف بن محمد قال
حدثني عمي إسماعيل بن أبي محمد قال قال الواقدي حدثني محمد بن صالح قال كان حسان بن ثابت يغدو على جبلة بن الأيهم سنة ويقيم سنة في أهله فقال لو وفدت على الحارث بن أبي شمر الغساني فإن له قرابة ورحماً بصاحبي وهو أبذل الناس للمعروف وقد يئس مني أن أفد عليه لما يعرف من انقطاعي إلى جبلة
قال فخرجت في السنة التي كنت أقيم فيها بالمدينة حتى قدمت على الحارث وقد هيأت له مديحاً فقال لي حاجبه وكان لي ناصحاً إن الملك قد سر بقدومك عليه وهو لا يدعك حتى تذكر جبلة فإياك أن تقع فيه فإنه إنما يختبرك وإن رآك قد وقعت فيه زهد فيك وإن رآك تذكر محاسنه ثقل عليه فلا تبتدئ بذكره وإن سألك عنه فلا تطنب في الثناء عليه ولا تعبه امسح ذكره مسحاً وجاوزه إلى غيره فإن صاحبك يعني جبلة أشد إغضاء عن هذا من هذا أي أشد تغافلاً وأقل حفلاً به وذلك أن صاحبك أعقل من هذا وأبين وليس لهذا بيان فإذا دخلت عليه فسوف يدعوك إلى الطعام وهو رجل يثقل عليه أن يؤكل طعامه ولا يبالي الدرهم والدينار ويثقل عليه أن يشرب شرابه أيضاً فإذا وضع طعامه فلا تضع يدك حتى يدعوك وإذا دعاك فأصب من طعامه بعض الإصابة
قال فشكرت لحاجبه ما أمرني به
قال ثم دخلت عليه فسألني عن البلاد وعن الناس وعن عيشنا بالحجاز وعن رجال يهود وكيف ما بيننا من تلك الحروب فكل ذلك أخبره حتى انتهى إلى ذكر جبلة فقال كيف تجد جبلة فقد انقطعت إليه وتركتنا فقلت إنما جبلة منك وأنت منه فلم أجر إلى مدح ولا عيب وجاز ذلك إلى غيره ثم قال الغداء
فأتي بالغداء ووضع الطعام فوضع يده فأكل أكلاً شديداً وإذا رجل جبار فقال بعد ساعة ادن فأصب من هذا
فدنوت فخططت تخطيطاً فأتي بطعام كثير ثم رفع الطعام وجاء وصفاءُ كثير عددهم معهم الأباريق فيها ألوان الأشربة
ومعهم مناديل اللين فقاموا على رؤوسنا ودعا أصحاب برابط من الروم فأجلسهم وشرب فألهوه وقام الساقي على رأسي فقال اشرب
فأبيت حتى قال هو اشرب
فشربت فلما أخذ فينا الشراب أنشدته شعراً فأعجبه ولذ به فأقمت عنده أياماً فقال لي حاجبه إن له صديقاً هو أخف الناس عليه وهو جاء فإذا هو جاء جفاك وخلص به وقد ذكر قدومه فاستأذنه قبل أن يقدم عليه فإنه قبيح أن يجفوك بعد الإكرام والإذن اليوم أحسن
قلت ومن هو قال نابغة بني ذبيان
فقلت للحارث إن رأى الملك أن يأذن لي في الانصراف إلى أهلي فعل
قال قد أذنت لك وأمرت لك بخمسمائة دينار وكسى وحملان
فقبضتها وقدم النابغة وخرجت إلى أهلي
صوت طويل
(ألا إنّ لَيلَى العامريّةَ أصبحَتْ ... على النأي منّي ذنبَ غيريَ تنقِمُ)
(وما ذاك من شيءٍ أكونُ اجترمته ... إليها فتجزيني به حيثُ أعلم)
(ولكن إنساناً إذا مَلَّ صاحباً ... وحاول صرماً لم يزل يتجرّم)
(وما زال بي ما يُحدِثُ النأيُ والذي ... أعالج حتّى كدْتُ بالعيش أبْرَمُ)
(وما زال بي الكِتْمانُ حتّى كأنني ... يرَجْعِ جَوابِ السائِلي عنك أعجمُ)
(لأسلمَ من قول الوُشاةِ وتسلمي ... سلِمْتِ وهل حيٌّ من الناس يسلمُ)
عروضه من الطويل
الشعر لنصيب ومن الناس من يروي الثلاثة الأبيات الأول

للمجنون
والغناء لبديح مولى عبد الله بن جعفر رحمهما الله
وفي الأبيات الأول منها ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي وحبش
وذكر حماد بن إسحاق ولم يجنسه
وفيه لابن سريج هزج خفيف بالبنصر في مجراها عن إسحاق في البيتين الأخيرين
وفيه لمعبد في البيتين الأولين خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق
12 - خبر بديح في هذا الصوت وغيره
بديح مولى عبد الله بن جعفر وكان يقال له بديح المليح
وله صنعة يسيرة وإنما كان يغني أغاني غيره مثل سائب خاثر ونشيط وطويس وهذه الطبقة
وقد روى بديح الحديث عن عبد الله بن جعفر
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا العباس بن محمد الدوري قال حدثنا أبو عاصم النبيل عن جويرية بن أسماء عن عيسى بن عمر بن موسى عن بديح مولى عبد الله بن جعفر قال لما قدم يحيى بن الحكم المدينة دخل إليه عبد الله بن جعفر في جماعة فقال له يحيى جئتني بأوباش من أوباش خبثة فقال عبد الله سماها رسول الله طيبة وتسميها أنت خبثة
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال قال داود بن جميل حدثني من سمع هذا الحديث من ابن العتبي يذكره عن أبيه قال دخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان وهو يتأوه فقال يا أمير المؤمنين لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب وفنون الأسمار قال لست صاحب هزل والجد مع
علتي أحجى بي
قال وما علتك يا أمير المؤمنين قال هاج بي عرق النسا في ليلتي هذه فبلغ مني
قال فإن بديحاً مولاي أرقى الناس منه
فوجه إليه عبد الملك فلما مضى الرسول سقط في يدي ابن جعفر وقال كذبة قبيحة عند خليفة
فما كان بأسرع من أن طلع بديح فقال كيف رقيتك من عرق النسا
قال أرقى الخلق يا أمير المؤمنين
قال فسري عن عبد الله لأن بديحاً كان صاحب فكاهة يعرف بها فمد رجله فتفل عليها ورقاها مراراً فقال عبد الملك الله أكبر وجدت والله خفاً يا غلام ادع فلانة حتى تكتب الرقية فإنا لا نأمن هيجها بالليل فلا نذعر بديحاً
فلما جاءت الجارية قال بديح يا أمير المؤمنين امرأته الطلاق إن كتبتها حتى تعجل حبائي
فأمر له بأربعة آلاف درهم فلما صار المال بين يديه قال وامرأته الطلاق إن كتبتها أو يصير المال إلى منزلي
فأمر به فحمل إلى منزله فلما أحرزه قال يا أمير المؤمنين امرأته الطلاق إن كنت قرأت على رجلك إلا أبيات نصيب - طويل -
(ألا إنّ لَيلَى العامريّةَ أصبحَتْ ... على النأي منِّي ذَنْبَ غيريَ تنقِمُ)
وذكر الأبيات وزاد فيها
(وما زلْتُ أستصفِي لكِ الودّ أبتغي ... مُحاسَنَةً حتَّى كأنّي مُجْرِمُ)
قال ويلك ما تقول قال امرأته الطلاق إن كان رقاك إلا بما قال
قال فاكتمها علي
قال وكيف ذاك وقد سارت بها البرد إلى أخيك بمصر فطفق عبد الملك ضاحكاً يفحص برجليه
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني الأصمعي عن المنتجع النبهاني عن أبيه بهذا الخبر مثل الذي قبله
- وزاد في الشعر - طويل
(فلا تصرميني حينَ لا لِيَ مَرجِعٌ ... ورائي ولا لي عنكُمُ متقدَّمُ)
وقال فيه فسكن ما كان يجده عبد الملك وأمر لبديح بأربعة آلاف درهم فقال ابن جعفر لبديح ما سمعت هذا الغناء منك مذ ملكتك فقال هذا من نتف سائب خاثر
أخبرني إسماعيل قال حدثنا عمر قال حدثني القاسم بن محمد بن عباد عن الأصمعي عن ابن أبي الزناد عن نافع أراه نافع الخير مولى ابن جعفر بهذا الخبر مثله وزاد فيه أن بديحا رفع صوته يغنيه به لما قال له أن يكتب الرقية
وزاد فيه فجعل عبد الملك يقول مهلاً يا بديح
فقال إنما رقيتك كما علمت يا أمير المؤمنين
أخبرني إسماعيل قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو سلمة الغفاري عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال كان ابن جعفر يحب أن يسمع عبد الملك غناء بديح فدخل إليه يوماً فشكا إليه عبد الملك ركبته فقال له ابن جعفر يا أمير المؤمنين إن لي مولى كانت أمه بربرية وكانت ترقي من هذه العلة وقد أخذ ذلك عنها
قال فادع به
فدعي بديح فجعل يتفل على ركبة عبد الملك ويهمهم ثم قال قم يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك
فقام عبد الملك لا يجد شيئاً فقال عبد الله يا أمير المؤمنين مولاك لا بد له من صلة
قال حتى تكتب رقيته
ثم أمر جارية له فكتبت بسم الله الرحمن الرحيم
فقال ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم
قال كيف تكون ويلك رقية ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم قال فهو ذاك
قال فاكتبيها على ما فيها
طويل -فأملى عليها
((ديارَ سُليمى بين عَيقة فالمُهدِي ... سُقِيتِ وإن لم تَنطقي سَبَلَ الرَّعْدِ
ثم قال له ابن جعفر لو سمعته منه

قال أويجيد قال نعم
قال هات
فما برح والله حتى أفرغها في مسامعه
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله قال حدثني سليمان بن أبي شيخ قال كنا عند أبي نعيم الفضل بن دكين فجاءه رجل فقال يا أبا نعيم إن الناس يزعمون أنك رافضي
- قال فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وهو يبكي وقال يا هذا أصبحت فيكم كما قال نصيب - طويل
(وما زال بي الكِتمانِ حتى كأنني ... يرَجْعِ جوابِ السَّائلي عنكِ أعْجَمُ)
(لأسلَم من قول الوُشاةِ وتَسلمي ... سَلِمْتِ وهل حيٌّ من الناس يَسْلَمُ)
صوت رمل
(يا غرابَ البَيْنِ أسْمعْتَ فقُلْ ... إنّما تنطق شيئاً قد فُعِلْ)
(إنَّ للخيرِ وللشّرّ مَدىً ... لِكلا ذَيْنِكَ وقتٌ وأجَلْ)
(كلُّ بؤسٍ ونعيمٍ زائلٌ ... وبنات الدهرِ يَلعبْنَ بكلّ)
(والعَطِيّاتُ خِساسٌ بينهمْ ... وسواءٌ قبرُ مُثْرٍ ومقِلّ)
الشعر لعبد الله بن الزبعرى السهمي يقوله في غزاة أحد وهو يومئذ مشرك
والغناء لابن سريج خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو على مذهب إسحاق
وفيه لحن لابن مسجح من رواية حماد عن أبيه في كتاب ابن مسجح
13 - نسب ابن الزبعرى وأخباره وقصة غزوة أحد
هو عبد الله بن الزبعرى بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار
وهو أحد شعراء قريش المعدودين
وكان يهجو المسلمين ويحرض عليهم كفار قريش في شعره ثم أسلم بعد ذلك فقبل النبي إسلامه وأمنه يوم الفتح
وهذه الأبيات يقولها ابن الزبعرى في غزوة أحد
حدثنا بالخبر في ذلك محمد بن جرير الطبري قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال حدثني محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمرو بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلهم قد حدث ببعض هذا الحديث فقد اجتمع حديثهم كلهم فيما سقت من الحديث عن يوم أحد
قالوا لما أصيبت قريش أو من قاله منهم يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القليب فرجع فلهم إلى مكة ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كان له في تلك العير من قريش تجارة فقال أبو سفيان يا معشر قريش إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك ثأراً ممن أصيب منا
ففعلوا فاجتمعت قريش لحرب رسول الله حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة وكل أولئك قد استغووا على حرب رسول الله
وكان أبو عزة عمرو ابن عبد الله الجمحي قد من عليه رسول الله يوم بدر وكان في الأسارى فقال يا رسول الله إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن علي صلى الله عليك
فمن عليه رسول الله فقال صفوان بن أمية يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر فاخرج معنا فأعنا بنفسك
فقال إن محمداً قد من علي فلا أريد أن أظاهر عليه
فقال بلى فأعنا بنفسك ولك الله إن رجعت أن أعينك وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر أو يسر
فخرج أبو عزة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة وخرج مسافع بن عبدة بن وهب بن حذافة بن جمح إلى بني مالك بن كنانة يحرضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله ودعا جبير بن مطعم غلاماً يقال له وحشي وكان حبشياً يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطئ بها فقال اخرج مع الناس فإن أنت قتلت عم محمد بعمي طعيمة بن عدي فأنت عتيق
وخرجت قريش بحدها وأحابيشها ومن معها من بني كنانة وأهل تهامة
وخرجوا بالظعن التماس الحفيظة ولئلا يفروا
وخرج أبو سفيان بن حرب وهو قائد الناس معه هند بنت عتبة بن ربيعة وخرج عكرمة بن أبي جهل بن هشام ابن المغيرة وخرج صفوان بن أمية بن خلف ببرزة وقيل ببرة من قول أبي جعفر بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية وهي أم عبد الله بن صفوان
وخرج عمرو ابن العاص وخرج طلحة بن أبي طلحة وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بسلافة بنت سعد بن سهيل وهي أم بني طلحة مسافع والجلاس وكلاب قتلوا يومئذ وأبوهم
وخرجت خناس بنت مالك بن المضرب إحدى نساء بني مالك بن حسل مع ابنها أبي عزة بن عمير وهي أم مصعب بن عمير
وخرجت عمرة بنت علقمة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مناة ابن كنانة
وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة إذا مرت بوحشي أو مر بها قالت إيه أبا دسمة اشتف
فنزلوا ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي مما يلي المدينة فلما سمع بهم رسول الله والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال رسول الله للمسلمين (إني قد رأيت بقراً تذبح فأولتها خيراً ورأيت في ذباب سيفي ثلما ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة وهي المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشر مقام وإن هم دخلوا علينا فيها قاتلناهم)
ونزلت قريش منزلها من أحد يوم الأربعاء فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم الجمعة وراح رسول الله حين صلى الجمعة فأصبح بالشعب من أحد فالتقوا يوم السبت للنصف من شوال

وكان رأي عبد الله بن
أبي بن سلول مع رأي رسول الله يرى رأيه في ذلك أن لا يخرج إليهم وكان رسول الله يكره الخروج من المدينة فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله جل ثناؤه بالشهادة يوم أحد وغيرهم ممن فاته بدر وحضوره يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا
فقال عبد الله بن أبي ابن سلول يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا يدخلها علينا إلا أصبنا منهم فدعهم يا رسول الله فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوق رؤوسهم وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤوا
فلم يزل برسول الله الذين كان من أمرهم حب لقاء العدو حتى دخل رسول الله فلبس لأمته وذلك يوم الجمعة حين فرغ رسول الله من الصلاة
وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو أحد بني النجار فصلى عليه رسول الله ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا استكرهنا رسول الله ولم يكن ذلك لنا فخرج رسول الله عليهم فقالوا يا رسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا فإن شئت فاقعد صلى الله عليك
فقال عليه السلام (ما ينبغي لنبي لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل) قال فخرج رسول الله في ألف رجل من أصحابه حتى إذا كانوا بالشوط بين أحد والمدينة انخزل عنه عبد الله بن أبي ابن سلول بثلث الناس وقال أطاعهم فخرج وعصاني والله ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس
فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه من أهل النفاق والريب واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أحد بني سلمة يقول يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوهم
فقالوا لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكنا لا نرى أنه
يكون قتال
فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف قال أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عز وجل عنكم
وقال محمد بن عمر الواقدي انخزل عبد الله بن أبي عن رسول الله من لشيخين بثلاثمائة فبقي رسول الله في سبعمائة وكان المشركون في ثلاثة آلاف والخيل مائتا فارس والظعن خمس عشرة امرأة
قال وكان في المشركين سبعمائة دارع ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان فرس لرسول الله وفرس لأبي بردة بن نيار الحارثي فادلج رسول الله من الشيخين حتى طلع الحمراء وهما أطمان كان يهودي ويهودية أعميان يقومان عليهما فيتحدثان فلذلك سميا الشيخين وهما في طرف المدينة
قال وعرض رسول الله المقاتلة بعد المغرب فأجاز من أجاز ورد من رد
قال وكان فيمن رد زيد بن ثابت وأبو عمرو أسيد بن ظهير والبراء بن عازب وعرابة بن أوس
- قال وهو عرابة الذي قال فيه الشماخ - وافر
(إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ ... تَلَقَّاها عَرَابةُ باليمين)
قال ورد أبا سعيد الخدري وأجاز سمرة بن جندب ورافع بن خديج
وكان رسول الله قد استصغر رافعاً فقام على خفين له فيهما رقاع وتطاول على أطراف أصابعه فلما رآه رسول الله أجازه
قال محمد بن جرير فحدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال كانت أم سمرة تحت مري بن سنان بن ثعلبة عم أبي سعيد
الخدري وكان ربيبه فلما خرج رسول الله إلى أحد وعرض أصحابه فرد من استصغر رد سمرة بن جندب وأجاز رافع بن خديج فقال سمرة لربيبه مري ابن سنان أجاز رافعاً وردني وأنا أصرعه فقال يا رسول الله رددت ابني وأجزت رافع بن خديج وابني يصرعه فقال النبي لرافع وسمرة اصطرعا
فصرع سمرة رافعاً فأجازه رسول الله فشهدها مع المسلمين وكان دليل النبي أبو خيثمة الحارثي
رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق
ومضى رسول الله حتى سلك في حرة بني حارثة فذب فرس بذنبه فأصاب كلاب سيف فاستله فقال رسول الله وكان يحب الفأل ولا يعتاف لصاحب السيف (شم سيفك فإني أرى السيوف ستستل اليوم) ثم قال رسول الله لأصحابه (من رجل يخرج بنا على القوم من كثب من طريق لا يمر بنا عليهم) فقال أبو خيثمة أخو بني حارثة بن الحارث أنا يا رسول الله
فقدمه فنفذ به في حرة بني حارثة وبين أموالهم حتى سلك به في مال المربع بن قيظي وكان رجلاً منافقاً ضرير البصر فلما سمع حس رسول الله ومن معه من المسلمين قام يحثي التراب في وجوههم ويقول إن كنت رسول الله فلا أحل لك أن تدخل حائطي
قال وقد ذكر لي أنه أخذ حفنة من تراب في يده ثم قال لو أني أعلم أني لا أصيب بها غيرك لضربت بها وجهك فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله (لا تفعلوا بهذا الأعمى البصر الأعمى القلب) وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بني عبد الأشهل حين نهى رسول الله عنه فضربه بالقوس في رأسه فشجه ومضى رسول الله على وجهه حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي إلى الجبل فجعل ظهره وعسكره إلى أحد
وقال لا يقاتلن أحد أحداً حتى نأمره بالقتال
وقد سرحت قريش الظهر والكراع في زروع كانت بالصمغة من قناة للمسلمين فقال رجل من المسلمين حين نهى رسول الله عن القتال أترعى زروع بني قيلة ولما نضارب وتعبى رسول الله وهو في سبعمائة رجل وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائتا فارس قد جنبوا خيولهم فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل وأمر رسول الله على الرماة عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف وهو يومئذ معلم بثياب بيض والرماة خمسون رجلاً وقال انضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا فاثبت بمكانك لا نؤتين من قبلك
وظاهر رسول الله بين درعين
قال محمد بن جرير فحدثنا هارون بن إسحاق قال حدثنا مصعب بن المقدام قال حدثنا أبو إسحاق عن البراء قال لما كان يوم أحد ولقي رسول الله المشركين أجلس رسول الله رجالاً بإزاء الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال لهم (لا تبرحوا) مكانكم وإن رأيتمونا ظهرنا عليهم وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا

فلما لقي القوم هزم المشركين حتى رأيت النساء قد رفعن عن سوقهن وبدت خلاخيلهن فجعلوا يقولون الغنيمة الغنيمة
فقال عبد الله مهلاً أما علمتم ما عهد إليكم رسول الله فأبوا فانطلقوا فلما أتوهم صرفت وجوههم فأصيب من المسلمين سبعون رجلاً
قال محمد بن جرير حدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس
قال أقبل أبو سفيان في ثلاث ليال خلون من شوال حتى نزل أحداً وخرج رسول الله فأذن في الناس فاجتمعوا
وأمر الزبير على الخيل ومعه يومئذ المقداد الكندي وأعطى رسول الله الراية رجلاً من قريش يقال له مصعب بن عمير
وخرج حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه بالجيش وبعث حمزة بين يديه
وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين ومعه عكرمة بن أبي جهل فبعث رسول الله الزبير وقال استقبل خالد بن الوليد فكن بإزائه حتى أوذنك
وأمر بخيل أخرى فكانوا من جانب آخر فقال لا تبرحن حتى أوذنكم
وأقبل أبو سفيان يحمل اللات والعزى فأرسل رسول الله إلى الزبير أن يحمل فحمل على خالد بن الوليد فهزمه الله تعالى ومن معه فقال جل وعز (ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه) إلى قوله تبارك اسمه وتعالى (من بعد ما أراكم ما تحبون) وإن الله تعالى وعد المؤمنين النصر وأنه معهم
وإن رسول الله بعث ناساً من الناس فكانوا من ورائهم فقال رسول الله كونوا هاهنا فردوا وجه من فر منا وكونوا حرساً لنا من قبل ظهورنا
وإنه عليه السلام لما هزم القوم هو وأصحابه قال الذين كانوا جعلوا من ورائهم بعضهم لبعض ورأوا النساء مصعدات في الجبل ورأوا الغنائم انطلقوا إلى رسول الله وأدركوا الغنائم قبل أن تسبقوا إليها
وقالت طائفة أخرى بل نطيع رسول الله فنثبت مكاننا
فقال ابن مسعود ما شعرت أن أحداً من أصحاب رسول الله كان يريد الدنيا وعرضها حتى كان يومئذ
قال محمد بن جرير حدثني محمد بن الحسين قال حدثنا أحمد بن الفضل قال حدثنا أسباط عن السدي قال لما برز رسول الله بأحد إلى المشركين أمر الرماة فقاموا بأصل الجبل في وجوه خيل المشركين وقال لهم لا تبرحوا مكانكم إن رأيتم قد هزمناهم فإنا لا نزال غالبين ما ثبتم مكانكم
وأمر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوات بن جبير
ثم إن طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قام فقال يا معاشر أصحاب محمد إنكم تزعمون أن الله عز وجل تعجلنا بسيوفكم إلى النار وتعجلكم بسيوفنا إلى الجنة فهل منكم أحد يعجله الله بسيفي إلى الجنة أو يعجلني بسيفه إلى النار فقام إليه علي بن أبي طالب عليه السلام فقال والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى يعجلك الله عز وجل بسيفي إلى النار أو يعجلني بسيفك إلى الجنة فضربه علي فقطع رجله فبدت عورته فقال أنشدك الله والرحم يا ابن عم
فتركه فكبر رسول الله وقال لعلي وأصحابه ما منعك أن تجهز عليه قال إن ابن عمي ناشدني حين انكشفت عورته فاستحييت منه
ثم شد الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزماهم وحمل النبي وأصحابه فهزموا أبا سفيان فلما رأى ذلك خالد بن الوليد وهو على خيل المشركين حمل فرمته الرماة فانقمع فلما نظر الرماة إلى رسول الله وأصحابه في جوف عسكر المشركين ينتهبونه بادروا الغنيمة فقال بعضهم لا نترك أمر رسول الله
وانطلق عامتهم فلحقوا بالعسكر فلما رأى خالد قلة الرماة صاح في خيله ثم حمل فقتل الرماة وحمل على أصحاب رسول الله فلما رأى المشركون أن خيلهم تقاتل تبادروا فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم
رجع إلى حديث ابن إسحاق
فقال رسول الله من يأخذ هذا السيف بحقه فقام إليه رجال فأمسكه بينهم حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة أخو بني ساعدة فقال ما حقه يا رسول الله قال أن تضرب به في العدو حتى ينحني
فقال أنا آخذه بحقه يا رسول الله
فأعطاه إياه
وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب إذا كانت وكان إذا أعلم على رأسه بعصابة له حمراء علم الناس أنه سيقاتل فلما أخذ السيف من يد رسول الله أخذ عصابته تلك فعصب بها رأسه ثم جعل يتبختر بين الصفين
قال محمد بن إسحاق حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رجل من الأنصار من بني سلمة قال قال رسول الله حين رأى أبا دجانة يتبختر إنها مشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن
وقد أرسل أبو سفيان رسولاً فقال يا معشر الأوس والخزرج خلوا بيننا وبين ابن عمنا ننصرف عنكم فإنه لا حاجة بنا إلى قتالكم
فردوه بما يكره
وعن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة أن أبا عامر عمرو بن صيفي بن النعمان بن مالك بن أمية أحد بني ضبيعة وقد خرج إلى مكة مباعداً لرسول الله ومعه خمسون غلاماً من الأوس منهم عثمان بن حنيف وبعض الناس يقول كانوا خمسة عشر فكان يعد قريشاً أن لو قد لقي محمداً لم يختلف عليه منهم رجلان
فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش
وعبدان أهل مكة فنادى يا معشر الأوس أنا أبو عامر
قالوا فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق
وكان أبو عامر يسمى في الجاهلية الراهب فسماه رسول الله الفاسق
فلما سمع ردهم عليه قال لقد أصاب قومي بعدي شر ثم قاتلهم قتالا شديداً ثم راضخهم بالحجارة
وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال يا بني عبد الدار إنكم وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زالوا فإما أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلوا بيننا وبينه فسنكفيكموه
فهموا به وتوعدوه وقالوا نحن نسلم إليك لواءنا ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع وذلك الذي أراد أبو سفيان
فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة في النسوة اللواتي معها وأخذن الدفوف يضربن خلف

- الرجال ويحرضنهم فقالت هند فيما تقول - مجزوء الرجز
(إنْ تُقبلوا نُعانقْ ... ونَفرِش النمارقْ)
(أو تدبروا نفارقْ ... فِراقَ غير وامقْ)
- وتقول - مجزوء الرجز
(إيهاً بني عبدِ الدارْ ... إيهاً حُماةَ الأدبارْ)
(... ضَرْباً بكلِّ بتَّارْ)
واقتتل الناس حتى حميت الحرب وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس وحمزة ابن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب عليهما السلام في رجال من المسلمين فأنزل الله نصره وصدقهم وعده فحسوهم بالسيف حتى كشفوهم وكانت الهزيمة
وعن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده قال قال الزبير والله لقد رأيتني أنظر إلى هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير إذ مالت الرماة إلى الكر حتى كشفنا القوم عنه يريدون النهب وخلوا ظهورنا للخيل فأتينا من أدبارنا وصرخ صارخ ألا إن محمداً قد قتل فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو إليه أحد من القوم
وعن محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم أن اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش فلاذوا بها وكان اللواء مع صواب غلام لبني أبي طلحة حبشي فكان آخر من أخذه منهم فقاتل حتى قطعت يداه فبرك عليه وأخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قتل عليه وهو يقول اللهم قد أعذرت فقال حسان بن ثابت في قطع يد صواب حين تقاذفوا بالشعر وافر
(فَخِرْتُمْ باللواءِ وشرُّ فَخْرٍ ... لواءٌ حينَ رُدّ إلى صوابِ)
(جعلتُم فَخرَكُمْ فيها لعبدٍ ... مِن الأمِ مَن وَطِي عَفَرَ التراب)
(ظننتمْ والسَّفيه له ظُنونٌ ... وما إن ذاكَ مِن أمر الصَّواب)
(بأنَّ جلادَنا يومَ التقينا ... بمكةَ بَيْعُكُمْ حُمْرَ العِياب)
(أقَرَّ العينَ إن عُصِبَتْ يداه ... وما أن يُعْصَبانِ على خِضابِ)
قال محمد بن جرير وحدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا حبان بن علي عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده قال لما قتل أصحاب الألوية يوم أحد قتلهم علي بن أبي طالب عليه السلام أبصر رسول الله جماعة من مشركي قريش فقال لعلي احمل عليهم
فحمل علي ففرق جمعهم وقتل عمرو بن عبد الله بن الجمحي ثم أبصر جماعة من مشركي قريش فقال لعلي احمل
فحمل علي ففرق جمعهم وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بن لؤي فقال جبريل عليه السلام يا رسول الله إن هذه للمواساة
- فقال رسول الله (هو مني وأنا منه) فقال جبريل عليه السلام وأنا منكم قال فسمعوا صوتاً - مجزوء الكامل
(لا سيْفَ إلاّ ذو الفَقار ... ولا فتىً إلاَّ عَلِي)
فلما أتي المسلمون من خلفهم انكشفوا وأصاب منهم المشركون وكان المسلمون لما أصابهم ما أصابهم من البلاء أثلاثاً ثلث قتيل وثلث جريح وثلث منهزم وقد جهدته الحرب حتى ما يدري ما يصنع
وأصيبت رباعية رسول الله السفلى وشقت شفته وكلم في وجنته وجبهته في أصول شعره وعلاه ابن قمئة بالسيف على شقه الأيمن وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص
قال محمد بن جرير وحدثنا ابن يسار قال حدثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس بن مالك قال لما كان يوم أحد كسرت رباعية رسول الله وشج فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول (كيف يفلح قوم خضبوا وجه (نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى الله تعالى) فأنزل الله عز وجل (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم الآية
(وقد قال رسول الله حين غشيه القوم (من رجل يشري لي نفسه
قال محمد فحدثني ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن إسحاق قال حدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن محمود بن عمرو بن يزيد بن السكن قال فقام زياد بن السكن في نفر خمسة من الأنصار وبعض الناس يقول إنما هو عمارة بن زياد بن السكن فقاتلوا دون
رسول الله رجلاً ثم رجلاً يقتلون دونه حتى كان آخرهم زياد بن عمارة بن زياد بن السكن فقاتل حتى أثبتته الجراحة ثم فاءت من المسلمين فئة حتى أجهضوهم عنه فقال رسول الله أدنوه مني
فأدنوه منه فوسده قدمه فمات وخده على قدم رسول الله
وترس من دون النبي أبو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثرت فيه النبل
ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله
قال سعد فلقد رأيته يناولني ويقول فداك أبي وأمي حتى إنه ليناولني السهم ما فيه نصل فيقول ارم به
وعن محمد بن إسحاق قال حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده وأصيبت يومئذ عين قتادة حتى وقعت على وجنته
وعن محمد بن إسحاق قال حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ردها بيده فكانت أحسن عينيه وأحدهما
وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ومعه لواؤه حتى قتل وكان الذي أصابه ابن قمئة الليثي وهو يظن أنه رسول الله فرجع إلى قريش فقال قد قتلت محمداً فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله اللواء علي بن أبي طالب عليه السلام
وقاتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه حتى قتل أرطاة بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ثم مر به سباع بن عبد العزى الغبشاني وكان يكنى أبا نيار فقال له حمزة هلم إلي يا ابن مقطعة البظور وكانت أمه ختانة بمكة مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي فلما التقيا ضربه حمزة عليه السلام فقتله فقال وحشي غلام جبير بن مطعم إني لأنظر إلى

حمزة يهذ الناس بسيفه ما يليق شيئاً يمر به مثل الجمل الأورق إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى فقال له حمزة هلم إلي يا ابن مقطعة البظور
فضربه فما أخطأ رأسه وهززت حربتي حتى إذا ما رضيت دفعتها عليه فوقعت عليه في لبته حتى خرجت من بين رجليه وأقبل نحوي فغلب فوقع فأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذت حربتي ثم تنحيت إلى العسكر ولم يكن لي بشيء حاجة غيره
وقد قتل عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أحد بني عمرو بن عوف مسافع ابن طلحة وأخاه كلاب بن طلحة كلاهما يشعره سهماً فيأتي أمه فيضع رأسه في حجرها فتقول يا بني من أصابك فيقول سمعت رجلاً يقول حين رماني خذها إليك وأنا ابن أبي الأقلح فتقول أقلحي فنذرت لله إن الله أمكنها من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر
وكان عاصم قد عاهد الله عز وجل أن لا يمس مشركاً ولا يمسه
عن ابن إسحاق قال حدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النجار قال انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم فقال ما يجلسكم ههنا فقالوا قتل رسول الله قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا كراماً على ما مات عليه
ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل
وبه سمي أنس بن مالك
عن ابن إسحاق قال حدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة وطعنة فما عرفته إلا أخته عرفته بحسن بنانه
عن ابن إسحاق قال كان أول من عرف رسول الله بعد الهزيمة وقول الناس قتل رسول الله كما حدثني ابن شهاب الزهري كعب بن مالك أخو بني سلمة
قال عرفت عينيه تزهران تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله فأشار إلي أن أنصت
فلما عرف المسلمون رسول الله نهضوا به ونهض نحو الشعب معه أبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام والحارث بن الصمة في رهط من المسلمين رضي الله عنهم أجمعين
فلما أسند رسول الله في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول يا محمد لا نجوت إن نجوت فقال القوم يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا فقال دعوه
فلما دنا تناول رسول الله الحربة من الحارث بن الصمة
قال يقول بعض الناس فيما ذكر لي فلما أخذها رسول الله انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ بها عن فرسه مراراً
وكان أبي بن خلف كما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن صالح عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف يلقى رسول الله بمكة فيقول يا محمد إن عندي العود أعلفه كل يوم فرقاً من ذرة أقتلك عليه فيقول رسول الله بل أنا أقتلك إن شاء الله تعالى
فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في حلقه خدشاً غير كبير فاحتقن الدم قال قتلني والله محمد قالوا ذهب والله فؤادك والله ما بك بأس
قال إنه
كان بمكة قال لي أنا أقتلك فوالله لو بصق عليّ لقتلني
فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به إلى مكة فلما انتهى رسول الله إلى فم الشعب خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ درقته من المهراس ثم جاء به إلى رسول الله فشرب منه وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول (اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه)
قال محمد بن إسحاق حدثني صالح بن كيسان عمن حدثه عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يقول والله ما حرصت على قتل رجل قط ما حرصت على قتل عتبة ابن أبي وقاص وإن كان ما علمت لسيئ الخلق مبغضاً في قومه ولقد كفاني منه (قول رسول الله (اشتد غضب الله عز وجل على من دمى وجه رسول الله
قال حدثنا محمد بن إسحاق قال حدثني صالح بن كيسان قال خرجت هند والنسوة اللواتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله يجدعن الآذان والآنف حتى اتخذت هند من آذان الرجال وآنفهم خدماً وقلائد وأعطت خدمها وقلائدها وقرطها وحشياً غلام جبير بن مطعم وبقرت عن كبد حمزة عليه السلام فأخرجت كبده فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ثم علت على صخرة مشرفة فصاحت بأعلى صوتها بما قالت من الشعر حين ظفروا بما أصابوا من أصحاب رسول الله
قال حدثني صالح بن كيسان أنه حدث أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال لحسان يا ابن الفريعة لو سمعت ما تقول هند ورأيت أشرها قائمة على
صخرة ترتجز بنا وتذكر ما صنعت بحمزة قال له حسان والله إني لأنظر إلى الحربة تهوي وإني على رأس فارع يعني أطمه فقلت والله إن هذه لسلاح ما هي بسلاح العرب وكأنها إنما تهوي إلى حمزة ولا أدري أسمعني بعض قولها أكفكموها
- قال فأنشده عمر بعض ما قالت فقال حسان يهجو هنداً - كامل
(أشِرَتْ لَكاعِ وكان عادتُها ... لؤماً إذا أشِرَتْ مع الكُفْر)
(لعنَ الإلهُ وزوجَها معها ... هِند الهنود طويلةَ البَظْر)
(أخَرجْتِ مُرْقِصةً إلى أُحُدٍ ... في القوم مُقتِبةً على بَكْر)
(بَكْرٍ ثَفَالٍ لا حَراكَ به ... لا عن مُعاتبةٍ ولا زَجْر)
(وعِصاكِ استُكِ تتقينَ بها ... دقِّي العَجايَة منك بالفِهْر)
(قَرِحَتْ عجيزتُها ومَشْرَجُها ... من دأبِها نصّاً على القَتْر)
(ظلّتْ تُداويها زميلتُها ... بالماء تَنضَحه وبالسِّدْرَ)
((أخَرَجْتِ ثائرةً مبادِرةً ... بأبيك فاتِكِ يومِ ذي بَدْر)
(وبعمِّكِ المستَوهِ في رَدَع ... وأخيك مُنعفِرَيْن في الجَفْر)

(وَنَسِيتِ فاحشةً أتيْتِ بها ... يا هندُ ويحكِ سَيِّئَةَ الذكْرِ)
(فَرَجَعْتِ صاغِرةً بلا تَرِهٍ ... منّا ظَفِرتِ بها ولا نَصْرِ)
(زعمَ الولائدُ أنّها وَلَدَتْ ... وَلَداً صغيراً كان من عَهْرِ)
قال محمد بن جرير ثم إن أبا سفيان بن حرب أشرف على القوم فيما حدثنا هارون بن إسحاق قال حدثنا مصعب بن المقدام قال حدثنا إسرائيل وحدثنا ابن وكيع قال حدثنا أبي عن إسرائيل قال حدثنا ابن إسحاق عن البراء قال ثم إن أبا سفيان أشرف علينا فقال أفي القوم محمد فقال رسول الله لا تجيبوه
مرتين ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاثاً
فقال رسول الله لا تجيبوه
ثم التفت إلى أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا لو كانوا في الأحياء لأجابوا فلم يملك عمر بن الخطاب رضي الله عنه نفسه أن قال كذبت يا عدو الله قد أبقى الله لك ما يخزيك
فقال أعل هبل أعل هبل فقال رسول الله أجيبوه
قالوا ما نقول قال قالوا (الله أعلى وأجل) قال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم
فقال رسول الله أجيبوه
قالوا ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم
قال أبو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال أما إنكم ستجدون في القوم مثلاً لم آمر بها ولم تسؤني
قال ابن إسحاق في حديثه لما أجاب عمر رضي الله عنه أبا سفيان قال له أبو سفيان هلم يا عمر
فقال رسول الله ايته فانظر ما شأنه فجاءه فقال له أبو
سفيان أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمداً فقال عمر اللهم لا وإنه ليسمع كلامك الآن
قال أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر لقول ابن قمئة لهم إني قتلت محمداً
ثم نادى أبو سفيان فقال إنه قد كان مثل والله ما رضيت ولا سخطت ولا أمرت ولا نهيت وقد كان الحليس بن زبان أخو بني الحارث بن عبد مناة وهو يومئذ سيد الأحابيش قد مر بأبي سفيان بن حرب وهو يضرب في شدق حمزة عليه السلام وهو يقول ذق عقق فقال الحليس يا بني كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه كما ترون لحماً فقال اكتمها علي فإنها كانت زلة قال فلما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى أن موعدكم بدر العام المقبل
(فقال رسول الله لرجل من أصحابه (قل نعم هي بيننا وبينك موعد
ثم بعث رسول الله علي بن أبي طالب عليه السلام فقال اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون فإن كانوا قد جنبوا وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة فوالذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم ثم لأناجزنهم
قال علي فخرجت في آثارهم أنظر ما يصنعون فلما جنبوا الخيل وامتطوا الإبل توجهوا إلى مكة وكان رسول الله قال لي أي ذلك كان فأخفه حتى يأتيني
قال علي فلما رأيتهم قد توجهوا إلى مكة أقبلت أصيح ما أستطيع أن أكتم الذي أمرني به رسول الله لما بي من الفرح إذ رأيتهم انصرفوا إلى مكة عن المدينة وفرغ الناس لقتلاهم
فقال رسول الله كما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني أخي بني النجار أن رسول الله قال (من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع وسعد أخو بني الحارث بن الخزرج أفي الأحياء هو أم في الأموات) فقال رجل من الأنصار أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل فنظر فوجده جريحاً في القتلى به رمق
قال فقلت له إن رسول الله أمرني أن أنظر له أفي الأحياء أنت أم في
الأموات قال فأنا في الأموات
أبلغ رسول الله وقل له إن سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله خير ما جزى نبياً عن أمته وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم إن سعد بن الربيع يقول لا عذر لكم عند الله جل وعز إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف
ثم لم أبرح حتى مات رحمه الله فجئت رسول الله وأخبرته
وخرج رسول الله فيما بلغني يلتمس حمزة بن عبد المطلب عليه السلام فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع أنفه وأذناه
وعن ابن إسحاق قال فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير أن رسول الله قال حين رأى بحمزة ما رأى (لولا أن تحزن صفية أو تكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في أجواف السباع وحواصل الطير ولئن أنا أظهرني الله على قريش في موطن (من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم
فلما رأى المسلمون حزن رسول الله وغيظه على ما فعل بعمه قالوا والله لئن أظهرنا الله عليهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط
وعن محمد بن إسحاق قال حدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي عن محمد بن كعب القرظي عن ابن عباس قال ابن حميد قال سلمة وحدثني محمد بن إسحاق قال فحدثنا الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن مقسم عن ابن عباس أن الله عز وجل أنزل في ذلك من قول رسول الله (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) إلى آخر السورة
فعفا رسول الله وصبر ونهى عن المثلة
قال ابن إسحاق فيما بلغني خرجت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إلى حمزة وكان أخاها لأمها فقال رسول الله لابنها الزبير القها فأرجعها لا ترى ما
بأخيها
فلقيها الزبير فقال يا أمه إن رسول الله يأمرك أن ترجعي
فقالت ولم فقد بلغني أنه مثل بأخي وذلك في الله جل وعز قليل فما أرضانا بما كان من ذلك لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله تعالى فلما جاء الزبير رسول الله فأخبره بذلك قال خل سبيلها
فأتته فنظرت إليه وصلت عليه واسترجعت واستغفرت له ثم أمر رسول الله به فدفن

قال حدثني محمد بن إسحاق قال حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد قال لما خرج رسول الله إلى أحد رجع حسيل بن جابر وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان وثابت بن وقش بن زعورا في الآطام مع النساء والصبيان فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران لا أبا لك ما تنتظر فوالله إن بقي لواحد منا من عمره إلا ظمء حمار إنما نحن هامة اليوم أو غد أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله لعل الله يرزقنا شهادة معه فأخذا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا في الناس ولم يعلم أحد بهما
فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون وأما حسيل بن جابر اليمان فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولم يعرفوه فقال حذيفة أبي قالوا والله إن عرفناه
وصدقوا
قال حذيفة يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين
فأراد رسول الله أن يديه فتصدق حذيفة بديته على المسلمين فزادته عند رسول الله خيراً
قال حدثني محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال كان فينا رجل أتي لا ندري من أين هو يقال له قزمان فكان رسول الله يقول إذا ذكره (إنه لمن أهل النار) فلما كان يوم أحد قاتل قتالاً شديداً فقتل هو وحده ثمانية من المشركين أو تسعة وكان شهماً شجاعاً ذا بأس فأثبتته الجراحة فاحتمل إلى دار بني ظفر قال فجعل رجال من المسلمين يقولون والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فأبشر
قال بم أبشر فوالله إن قاتلت إلا على أحساب قومي ولولا ذلك ما قاتلت
فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهماً من كنانته فقطع رواهشه فنزفه الدم فمات فأخبر رسول الله بذلك فقال إني رسول الله حقاً
وعن محمد بن إسحاق قال حدثني حسين بن عبد الله عن عكرمة قال كان يوم أحد يوم السبت للنصف من شوال فلما كان الغد من يوم أحد وذلك يوم الأحد لست عشرة ليلة خلت من شوال أذن مؤذن رسول الله في الناس بطلب العدو وأذن مؤذنه أن لا يخرجن معنا إلا من حضر يومنا بالأمس
فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري فقال يا رسول الله إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع وقال لي يا بني إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة بلا رجل فيهن ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله على نفسي فتخلف على أخواتك
فتخلفت عليهن
فأذن له رسول الله فخرج معه وإنما خرج رسول الله مرهباً للعدو وأنهم خرجوا في طلبهم فيظنون أن بهم قوة وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم
عن محمد بن إسحاق قال فحدثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان بن عفان أن رجلا من أصحاب رسول الله من بني عبد الأشهل كان شهد أحداً
قال فشهدت رسول الله أنا وأخ لي فرجعنا جريحين فلما أذن مؤذن رسول الله بالخروج في طلب العدو قلت لأخي وقال لي أتفوتنا غزوة مع رسول الله والله ما لنا من دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل
فخرجنا مع رسول الله وكنت أيسر جرحاً منه فكنت إذا غلب عليه حملته عقبة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون فخرج إليه
رسول الله حتى انتهينا إلى حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال فأقام بها ثلاثاً الاثنين والثلاثاء والأربعاء ثم رجع إلى المدينة
قال ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه مر برسول الله معبد الخزاعي وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة رسول الله لا يخفون عليه شيئاً كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ولوددت أن الله قد أعفاك منهم
ثم خرج من عند رسول الله بحمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان بن حرب بالروحاء ومن معه وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله وقالوا أصبنا جد أصحابه وقادتهم وأشرافهم ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم فلما رأى أبو سفيان معبداً قال ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط
قال ويلك ما تقول قال والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل
قال فوالله لقد أجمعنا الكرة لنستأصل شأفتهم
قال فإني أنهاك عن ذلك فوالله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيه أبياتاً من شعر
- قال وماذا قلت قال قلت - بسيط
(كادت تُهَدُّ من الأصوات راحلتي ... إذْ سالتِ الأرضُ بالجُرْد الأبابيل)
(فظِلْتُ عدْواً أظنُّ الأرضَ مائلة ... لمّا سَمَوْا برئيسٍ غير مخذول)
(فقلْتُ ويلَ بن حربٍ من لقائِكُمُ ... إذا تَغَطْمَطَتِ البطحاءُ بالجِيْل)
(إنّي نذيرٌ لأهل السَّيْلِ ضاحيةً ... لكلِّ ذي إرْبَةٍ منهُمْ ومعقولِ)
(من جيش أحمدَ لا وَخْشٍ تنابلةٍ ... وليس يُوْصَفُ ما أنذرْتُ بالقِيل)
قال فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه ومر به ركب من عبد القيس فقال أين تريدون قالوا نريد المدينة
قال فلم قالوا نريد الميرة
قال فهل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها إليه وأحمل لكم إبلكم هذه غداً زبيباً بعكاظ إذا وافيتموها قالوا نعم قال فإذا جئتموه فأخبروه أن قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل شأفتهم
(فمر الركب برسول الله فأخبروه بالذي قال أبو سفيان فقال رسول الله وأصحابه (حسْبُنا الله ونعم الوكيل
- صوت - وافر
(أمِنْ ريحانَةَ الداعي السَّميعُ ... يؤرِّقُني وأصحابي هُجوعُ)
(براني حبُّ مَن لا أستطيعُ ... ومن هو للذي أهوَى مَنُوعُ)
(إذا لم تستطعْ شيئاً فَدَعْهُ ... وجاوزْهُ إلى ما تستطيعُ)

الشعر لعمرو بن معد يكرب الزبيدي والغناء للهذلي ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى من رواية إسحاق
وفيه ثقيل أول على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة
وفيه لابن سريج رمل بالوسطى من رواية حماد عن أبيه
14 - ذكر عمرو بن معديكرب وأخباره
هو عمرو بن معديكرب بن عبد الله بن عمرو بن عصم بن عمرو بن زبيد وهو منبه
هكذا ذكر محمد بن سلام فيما أخبرنا به أبو خليفة عنه
وذكر عمر بن شبة عن أبي عبيدة أنه عمرو بن معديكرب بن ربيعة بن عبد الله بن عمرو بن عصم بن زبيد بن منبه بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان
ويكنى أبا ثور وأمه وأم أخيه عبد الله امرأة من جرم فيما ذكر وهي معدودة من المنجبات
أخبرنا محمد بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال عمرو بن معديكرب فارس اليمن وهو مقدم على زيد الخيل في الشدة والبأس
وروى علي بن محمد المدائني عن زيد بن قحيف الكلابي قال سمعت أشياخنا يزعمون أن عمرو بن معديكرب كان يقال له مائق بني زبيد فبلغهم أن خثعم تريدهم فتأهبوا لهم وجمع معديكرب بني زبيد فدخل عمرو على أخته فقال أشبعيني إني غداً لكتيبة
قال فجاء معديكرب فأخبرته ابنته فقال هذا المائق يقول ذاك قالت نعم
قال فسليه ما يشبعه
فسألته فقال فرق من ذرة وعنز رباعية
قال وكان الفرق يومئذ ثلاثة أصوع
فصنع له ذلك وذبح العنز وهيأ له الطعام
قال فجلس عليه فسلته جميعاً
وأتتهم خثعم الصباح فلقوهم وجاء عمرو فرمى بنفسه ثم رفع رأسه فإذا لواء أبيه قائم فوضع رأسه فإذا لواء أبيه قد زال فقام كأنه سرحة محرقة فتلقى أباه وقد انهزموا فقال انزل عنها فاليوم ظلم
فقال له إليك يا مائق فقال له بنو زبيد خله أيها الرجل وما يريد فإن قتل كفيت مؤنته وإن ظهر فهو لك
فألقى إليه سلاحه فركب ثم رمى خثعم بنفسه حتى خرج من بين أظهرهم ثم كر عليهم وفعل ذلك مراراً وحملت عليهم بنو زبيد فانهزمت خثعم وقهروا فقيل له يومئذ فارس زبيد
قال أبو عمرو الشيباني كان من حديث عمرو بن معديكرب بن ربيعة بن عبد الله بن زبيد بن منبه بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك وهو مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان أنه قال لقيس بن مكشوح المرادي وهو ابن أخت عمرو حين انتهى إليهم أمر رسول الله يا قيس إنك سيد قومك وقد ذكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقال له نبي فانطلق بنا حتى نعلم علمه وبادر فروة لا يغلبك على الأمر
فأبى قيس ذلك وسفه رأيه وعصاه فركب عمرو متوجهاً إلى النبي وقال خالفتني يا قيس وقال عمرو في ذلك - مجزوء - الوافر
(أمَرْتُك يومَ ذي صَنعاءَ ... أمْراً بيِّنا رَشَدُهْ)
(أمَرْتُك باتِّقاء اللهِ ... تأتيه وتتَّعِدُهْ)
(فكنتَ كذي الحُمَيِّرِ غرَّهُ ... من أيرِهِ وَتَدُهْ)
قال أبو عبيدة حدثنا غير واحد من مذحج قالوا قدم علينا وفد مذحج مع فروة بن مسيك المرادي على النبي فأسلموا وبعث فروة صدقات من أسلم منهم وقال له ادع الناس وتألفهم فإذا وجدت الغفلة فاهتبلها واغز
قال أبو عمرو الشيباني وإنما رحل فروة مفارقاً لملوك كندة مباعداً لهم إلى رسول الله وقد كانت قبل الإسلام بين مراد وهمدان وقعة أصابت فيها همدان من مراد حتى أثخنوهم في يوم يقال له يوم الرزم وكان الذي قاد همدان إلى مراد الأجدع بن مالك بن حريم الشاعر الهمداني بن مسروق بن الأجدع ففضحهم يومئذ وفي ذلك يقول فروة بن مسيك وافر -المرادي
((فإن نَغلِبْ فغلاّبون قِدْماً ... وإن نُهْزَمْ فغير مُهَزَّمِينا
- فلما توجه فروة إلى النبي أنشأ يقول - كامل
(لمَّا رأيتُ ملوكَ كِندَةَ أعرضَتْ ... كالرِّجْل خانَ الرجْلَ عِرْقُ نَساها)
(يَمَّمْتُ راحلتي أمامَ محمدٍ ... أرجو فواضلَها وحسنَ ثَراها)
فلما انتهى إلى رسول الله قال له فيما بلغنا هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرزم قال يا رسول الله من ذا الذي يصيب قومه مثل الذي أصاب قومي ولا يسوؤه فقال له أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً واستعمله على مراد وزبيد ومذحج كلها
- قال أبو عبيدة فلم يلبث عمرو أن ارتد عن الإسلام فقال حين ارتد - وافر
(وجدنا مُلْكَ فروةَ شرَّ مُلْكٍ ... حِمارٌ سافَ مِنْخَرَه بقَذْرْ)
(وإنَّك لو رأيتَ أبا عميرٍ ... مَلأْتَ يديك من غدْرٍ وخَتْرْ)
قال أبو عبيدة فلما ارتد عمرو مع من ارتد عن الإسلام من مذحج استجاش فروة النبي فوجه إليهم خالد بن سعيد بن العاص وخالد بن الوليد وقال لهما إذا اجتمعتم فعلي بن أبي طالب أميركم وهو على الناس
ووجه علياً عليه السلام فاجتمعوا بكسر من أرض اليمن فاقتتلوا وقتل بعضهم ونجا بعض فلم يزل جعفر وزبيد وأود بنو سعد العشيرة بعدها قليلة
وفي هذا الوجه وقعت
الصمصامة إلى آل سعيد وكان سبب وقوعها إليهم أن ريحانة بنت معديكرب سبيت يومئذ ففداها خالد وأثابه عمرو الصمصامة فصار إلى أخيه سعيد فوجد سعيد جريحاً يوم عثمان بن عفان رضي الله عنه حين حصر وقد ذهب السيف

والغمد ثم وجد الغمد فلما قام معاوية جاءه أعرابي بالسيف بغير غمد وسعيد حاضر فقال سعيد هذا سيفي فجحد أعرابي مقالته فقال سعيد الدليل على أنه سيفي أن تبعث إلى غمده فتغمده فيكون كفافه
فبعث معاوية إلى الغمد فأتى به من منزل سعيد فإذا هو عليه فأقر الأعرابي أنه أصابه يوم الدار فأخذه سعيد منه وأثابه فلم يزل عنده حتى أصعد المهدي من البصرة فلما كان بواسط بعث إلى سعيد فيه فقال إنه للسبيل
فقال خمسون سيفاً قاطعاً أغنى من سيف واحد
فأعطاهم خمسين ألف درهم وأخذه
وذكر ابن النطاح أن المدائني حكى عن أبي اليقظان عن جويرية بن أسماء قال أقبل النبي من غزاة تبوك يريد المدينة فأدركه عمرو بن معديكرب الزبيدي في رجال من زبيد فتقدم عمرو ليلحق برسول الله فأمسك حتى أوذن به فلما تقدم رسول الله يسير قال حياك الله إلهك أبيت اللعن فقال رسول الله (إن لعنة الله وملائكته والناس أجمعين على الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
(فآمن بالله يؤمنك يوم الفزع الأكبر
فقال عمرو بن معديكرب وما الفزع الأكبر قال رسول الله (إنه فزع ليس كما تحسب وتظن إنه يصاح بالناس صيحة لا يبقى حي إلا مات إلا ما شاء الله من ذلك ثم يصاح بالناس صيحة لا يبقى ميت إلا نشر ثم تلج تلك الأرض بدوي تنهد منه الأرض وتخر منه الجبال وتنشق السماء انشقاق القبطية الجديد ما شاء الله في ذلك
ثم تبرز النار فينظر إليها حمراء مظلمة قد صار لها لسان في السماء ترمي بمثل رؤوس الجبال من شرر النار فلا يبقى ذو روح إلا انخلع قلبه وذكر ذنبه
(أين أنت يا عمرو) قال إني أسمع أمراً عظيماً فقال رسول الله (يا عمرو أسلم تسلم
فأسلم وبايع لقومه على الإسلام وذلك منصرف رسول الله من غزاة تبوك وكانت في رجب من سنة تسع
وقال أبو هارون السكسكي البصري حدثني أبو عمرو المديني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا نظر إلى عمرو قال الحمد لله الذي خلقنا وخلق عمراً تعجباً من عظم خلقه
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة عن خالد بن خداش عن أبي نميلة قال أخبرني رميح عن أبيه قال رأيت عمرو بن معديكرب في خلافة معاوية شيخاً أعظم ما يكون من الرجال أجش الصوت إذا التفت التفت بجميع جسده
وهذا خطأ من الرواية والصحيح أنه مات في آخر خلافة عمر رضي الله عنه ودفن بروذة بين قم والري
ومن الناس من يقول إنه قتل في وقعة نهاوند قبره في ظاهرها موضع يعرف بقبديشجان وأنه دفن هناك يومئذ هو والنعمان بن مقرن
وروي أيضاً من وجه ليس بالموثوق به أنه أدرك خلافة عثمان رضي الله عنه روى ذلك ابن النطاح عن مروان ابن ضرار عن أبي إياس البصري عن أبيه عن جويرية الهذلي في حديث طويل قال رأيت عمرو بن معديكرب وأنا في مسجد الكوفة في خلافة عثمان حين وجهه إلى الري كأنه بعير مهنوء
وقال ابن الكلبي حدثني أسعر عن عمرو بن جرير الجعفي قال سمعت خالد بن قطن يقول خرج عمرو بن معد يكرب في خلافة عثمان رضي الله عنه إلى الري ودستبى فضربه الفالج في طريقه فمات بروذة
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرني خالد بن خداش قال حدثنا حماد بن زيد عن مجالد عن الشعبي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرض لعمرو بن معد يكرب في ألفين فقال له يا أمير المؤمنين ألف ههنا وأومأ إلى شق بطنه الأيمن وألف ههنا وأومأ إلى شق بطنه الأيسر فما يكون هاهنا وأومأ إلى وسط بطنه
فضحك عمر رضوان الله عليه وزاده خمسمائة
قال علي بن محمد قال أبو اليقظان قال عمرو بن معد يكرب لو سرت بظعينة وحدي على مياه معد كلها ما خفت أن أغلب عليها ما لم يلقني حراها أو عبداها
فأما الحران فعامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب وأما العبدان فأسود بني عبس يعني عنترة والسليك بن السلكة وكلهم قد لقيت
فأما عامر بن الطفيل فسريع الطعن على الصوت وأما عتيبة فأول الخيل إذا غارت وآخرها إذا آبت
وأما عنترة فقليل الكبوة شديد الكلب
وأما السليك فبعيد الغارة كالليث الضاري
- قالوا فما تقول في العباس بن مرداس قال أقول فيه ما قال فيّ - طويل
(إذا مات عمروٌ قلْتُ للخيل أوطئوا ... زُبيداً فقد أودى بنجدتِها عَمرُو)
وقام مغضبا وعلم أنهم أرادوا توبيخه بالعباس
قال علي وقال أبو اليقظان أحسب في اللفظ غلطاً وأنه إنما قال هجينا مضر لأن عنترة استرق والعباس لم يسترق قط
أخبرني أبو خليفة قال حدثنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أحمد بن جناب عن عيسى ابن يونس عن اسماعيل عن قيس أن عمر رضي الله عنه كتب إلى سعد بن أبي وقاص إني قد أمددتك بألفي رجل عمرو بن معد يكرب وطليحة بن خويلد وهو طليحة الأسدي فشاورهما في الحرب ولا تولهما شيئاً
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أحمد بن جناب قال حدثنا عيسى بن يونس عن إسماعيل عن قيس قال شهدت القادسية وكان سعد على الناس فجاء رستم فجعل يمر بنا وعمرو بن معد يكرب الزبيدي يمر على الصفوف يحض الناس ويقول يا معشر المهاجرين كونوا أسداً أغنى شأنه فإنما الفارسي تيس بعد أن يلقي نيزكه
قال وكان مع رستم أسوار لا تسقط له نشابة
فقال له يا أبا ثور اتق ذاك فإنا لنقول له ذلك إذ رماه رمية فأصاب فرسه وحمل عليه عمرو فاعتنقه ثم ذبحه وسلبه سواري ذهب كانا عليه وقباء ديباج
قال أبو زيد فذكر أبو عبيدة أن عمراً حمل يومئذ على رجل فقتله ثم
صاح يا معشر بني زبيد دونكم فإن القوم يموتون
وقال علي بن محمد المدائني وأخبرنا محمد بن الفضل وعبد ربه بن نافع عن إسماعيل عن قيس بن أبي حازم قال حضر عمرو الناس وهم يقاتلون فرماه رجل من العجم بنشابة فوقعت في كتفه وكانت عليه درع حصينة فلم تنفذ وحمل على

- العلج فعانقه فسقطا إلى الأرض فقتله عمرو وسلبه ورجع بسلبه وهو يقول - سريع
(أنا أبو ثَور وسيفِي ذو النُّونْ ... أَضْرِبُهُمْ ضَرْبَ غلامٍ مجنونْ)
(... يالَ زُبيد إنَّهم يموتونْ)
- قال أبو عبيدة وقال في ذلك عمرو بن معد يكرب - سريع
صوت
(أَلْمِمْ بسلمَى قبلَ أن تَظْعَنَا ... إنَّ لنا من حبِّهَا دَيْدَنَا)
(قد عَلِمَتْ سَلمى وجاراتُها ... ما قطَّرَ الفارسَ إلا أنا)
(شككْتُ بالرمح حيازيمَه ... والخيلُ تعدو زِيَماً بيننا)
غنى فيه الغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر
وفيه رمل بالبنصر يقال إنه لمعبد
ويقال إنه من منحول يحيى المكي
قال أبو عبيدة في رواية أبي زيد عمر بن شبة شهد عمرو بن معد يكرب القادسية وهو ابن مائة وست سنين
وقال بعضهم بل ابن مائة وعشر
قال ولما قتل العلج عبر نهر القادسية هو وقيس بن مكشوح المرادي ومالك بن الحارث الأشتر
قال فحدثني يونس أن عمرو بن معد يكرب كان آخرهم وكانت فرسه ضعيفة فطلب غيرها فأتي بفرس فأخذ بعكوة ذنبه وأخلد به إلى الأرض فأقعى الفرس فرده وأتي بآخر ففعل به مثل ذلك فتحلحل ولم يقع فقال هذا على كل حال أقوى من تلك وقال لأصحابه إني حامل وعابر الجسر فإن أسرعتم بمقدار جزر الجزور وجدتموني وسيفي بيدي أقاتل به تلقاء وجهي وقد عقر بي القوم وأنا قائم بينهم وقد قتلت وجردت
وإن أبطأتم وجدتموني قتيلا بينهم وقد قتلت وجردت
ثم انغمس فحمل في القوم فقال بعضهم يا بني زبيد تدعون صاحبكم والله ما نرى أن تدركوه حياً
فحملوا فانتهوا إليه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها وإن الفارس ليضرب الفرس فما تقدر أن تتحرك من يده
فلما غشيناه رمى الأعجمي بنفسه وخلى فرسه فركبه عمرو وقال أنا أبو ثور كدتم والله تفقدونني قالوا أين فرسك قال رمي بنشابة فشب فصرعني وعار
وروى هذا الخبر محمد بن عمر الواقدي عن ابن أبي سبرة عن أبي عيسى الخياط
ورواه علي بن محمد أيضاً عن مرة عن أبي إسماعيل الهمذاني عن طلحة بن مصرف
فذكرا مثل هذا
قال الواقدي وحدثني أسامة بن زيد عن أبان بن صالح قال قال عمرو بن معد يكرب يوم القادسية ألزموا خراطيم الفيلة السيوف فإنه ليس لها مقتل إلا خراطيمها
ثم شد على رستم وهو على الفيل فضرب فيله فجذم عرقوبيه فسقط وحمل رستم على فرس وسقط من تحته خرج فيه أربعون ألف دينار فحازه
المسلمون وسقط رستم بعد ذلك عن فرسه فقتله
قال علي بن محمد المدائني حدثني علي بن مجاهد عن ابن إسحاق قال لما ضرب عمرو الفيل وسقط رستم سقط على رستم خرج كان على ظهر الفيل فيه أربعون ألف دينار فمات رستم من ذلك وانهزم المشركون
وقال الواقدي حدثني ابن أبي سبرة عن موسى بن عقبة عن أبي حبيبة مولى آل الزبير قال حدثنا نيار بن مكرم الأسلمي قال شهدت القادسية فرأيت يوماً اشتد فيه القتال بيننا وبين الفرس ورأيت رجلاً يفعل يومئذ بالعدو أفاعيل يقاتل فارساً ثم يقتحم عن فرسه ويربط مقوده في حقوه فيقاتل فقلت من هذا جزاه الله خيراً قالوا هذا عمرو بن معد يكرب
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي عن خالد بن سعيد عن أبي محمد المرهبي قال كان شيخ يجالس عبد الملك بن عمير فسمعته يحدث قال قدم عيينة بن حصن الكوفة فأقام بها أياماً ثم قال والله ما لي بأبي ثور عهد منذ قدمنا هذا الغائط يعني عمرو بن معد يكرب أسرج لي يا غلام فأسرج له فرسا أنثى من خيله فلما قربها إليه قال له ويحك أرأيتني ركبت أنثى في الجاهلية فأركبها في الإسلام فأسرج له حصاناً فركبه وأقبل إلى محلة بني زبيد فسأل عن محلة عمرو فأرشد إليها فوقف ببابه ونادى أي أبا ثور اخرج إلينا
فخرج إليه مؤتزراً كأنما كسر وجبر فقال أنعم صباحاً أبا مالك
فقال أوليس قد أبدلنا الله تعالى بهذا السلام عليكم قال دعنا مما لا نعرف انزل فإن عندي كبشاً ساحا فنزل
211 - فعمد إلى الكبش فذبحه ثم كشط عنه وعضاه وألقاه في قدر جماع وطبخه حتى إذا أدرك جاء بجفنة عظيمة فثرد فيها فأكفأ القدر عليها فقعدا فأكلاه ثم قال له أي الشراب أحب إليك أللبن أم ما كنا نتنادم عليه في الجاهلية قال أو ليس قد حرمها الله جل وعز علينا في الإسلام قال أنت أكبر سناً أم أنا قال أنت
قال فأنت أقدم إسلاماً أم أنا قال أنت
قال فإني قد قرأت ما بين دفتي المصحف فوالله ما وجدت لها تحريماً إلا أنه قال (فهل أنتم منتهون) فقلنا لا فسكت وسكتنا فقال له أنت أكبر سناً وأقدم إسلاماً
فجاءا فجلسا يتناشدان ويشربان ويذكران أيام الجاهلية حتى أمسيا فلما أراد عيينة الانصراف
قال عمرو لئن انصرف أبو مالك بغير حباء إنه لوصمة علي
فأمر بناقة له أرحبية كأنها جبيرة لجين فارتحلها وحمله عليها ثم قال يا غلام هات المزود
فجاء بمزود فيه أربعة آلاف درهم فوضعها بين يديه فقال أما المال فوالله لا قبلته
قال والله إنه لمن حباء عمر بن الخطاب رضي الله عنه
- فلم يقبله عيينة وانصرف وهو يقول - طويل

(جُزيتَ أبا ثَورٍ جزاءَ كرامةٍ ... فنِعْمَ الفتى المِزدارُ والمتضيِّفُ)
(قريْتَ فأكرمْتَ القِرى وأَفَدْتَنا ... نَخيلَةَ عِلمٍ لم يكن قطُّ يعرفِ)
((وقلت حَلالٌ أن تُدِيرَ مُدامةً ... كلونِ انعقاقِ البرقِ والليلُ مُسْدِفُ
(وقدّمتَ فيها حُجّةً عربية ... تَرُدُّ إلى الإنصافِ مَن ليس ينصِفِ)
(وأنت لنا واللهِ ذي العرشِ قُدوةٌ ... إذا صَدَّنا عن شربِها المتكلِّفُ)
(تَقولُ أبو ثَورٍ أحلَّ حرامَها ... وقولُ أبي ثور أسدُّ وأعرف)
وقال علي بن محمد حدثني عبد الله بن محمد الثقفي عن أبيه والهذلي عن الشعبي قال جاءت زيادة من عند عمر بعد القادسية فقال عمرو بن معد يكرب لطليحة أما ترى أن هذه الزعانف تزاد ولا نزاد انطلق بنا إلى هذا الرجل حتى نكلمه فقال هيهات كلا والله لا ألقاه في هذا أبداً فلقد لقيني في بعض فجاج مكة فقال يا طليحة أقتلت عكاشة فتوعدني وعيداً ظننت أنه قاتلي ولا آمنه
قال عمرو لكني ألقاه
قال أنت وذاك
فخرج إلى المدينة فقدم على عمر رضي الله عنه وهو يغدي الناس وقد جفن لعشرة عشرة فأقعده عمر مع عشرة فأكلوا ونهضوا ولم يقم عمرو فأقعد معه تكملة عشرة فأكلوا ونهضوا ولم يقم عمرو فأقعده مع عشرة حتى أكل مع ثلاثين ثم قام فقال يا أمير المؤمنين إنه كانت لي مآكل في الجاهلية منعني منها الإسلام وقد صررت في بطني صرتين وتركت بينهما هواء فسده
قال عليك حجارة من حجارة الحرة فسده به يا عمرو إنه بلغني أنك تقول إن لي سيفاً يقال له الصمصامة وعندي سيف أسميه المصمم وإني إن وضعته بين أذنيك لم أرفعه حتى يخالط أضراسك
وذكر ابن الكلبي ومحمد بن كناسة أن جبيلة بن سويد بن ربيعة بن رباب لقي عمرو بن معد يكرب وهو يسوق ظعناً له فقال عمرو لأصحابه قفوا حتى آتيكم بهذه الظعن
فقرب نحوه حتى إذا دنا منه قال خل سبيل الظعن
قال فلم
إذاً ولدتني ثم شد على عمرو فطعنه فأذراه عن فرسه وأخذ فرسه فرجع إلى أصحابه فقالوا ما وراءك قال كأني رأيت منيتي في سنانه
وبنو كنانة يذكرون أن ربيعة بن مكدم الفراسي طعن عمرو بن معد يكرب فأذراه عن فرسه وأخذ فرسه
وأنه لقيه مرة أخرى فضربه فوقعت الضربة في قربوس السرج فقطعه حتى عض السيف بكاثبة الفرس فسالمه عمرو وانصرف
قال المدائني حدثني مسلمة بن محارب عن داود بن أبي هند قال حمل عمرو بن معد يكرب حمالة فأتى مجاشع بن مسعود يسأله فيها
وقال خالد بن خداش حدثني أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن قال بلغني أن عمراً أتى مجاشع بن مسعود فقال له أسألك حملان مثلي وسلاح مثلي
قال إن شئت أعطيتك ذاك من مالي
ثم أعطاه حكمه
وكان الأحنف أمر له بعشرين ألف درهم وفرس جواد عتيق وسيف صارم وجارية نفيسة فمر ببني حنظلة فقالوا له يا أبا ثور كيف رأيت صاحبك فقال لله بنو مجاشع ما أشد في الحرب لقاءها وأجزل في اللزبات عطاءها وأحسن في المكرمات ثناءها لقد قاتلتها فما أقللتها وسألتها فما أبخلتها وهاجيتها فما أفحمتها
وقال أبو المنهال عيينة بن المنهال سمعت أبي يحدث قال جاء رجل
وعمرو بن معد يكرب واقف بالكناسة على فرس له فقال لأنظرن ما بقي من قوة أبي ثور
فأدخل يده بين ساقيه وبين السرج وفطن عمرو فضمها عليه وحرك فرسه فجعل الرجل يعدو مع الفرس لا يقدر أن ينزع يده حتى إذا بلغ منه قال يا ابن أخي ما لك قال يدي تحت ساقك فخلى عنه وقال يا ابن أخي إن في عمك لبقية
وكان عمرو مع ما ذكرنا من محله مشهوراً بالكذب
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي المبرد ولم يتجاوزه
وذكر ابن النطاح هذا الخبر بعينه عن محمد بن سلام وخبر المبرد أتم قال كانت الأشراف بالكوفة يخرجون إلى ظاهرها يتناشدون الأشعار ويتحدثون ويتذاكرون أيام الناس فوقف عمرو إلى جانب خالد بن الصقعب النهدي فأقبل عليه يحدثه ويقول أغرت على بني نهد فخرجوا إليّ مسترعفين بخالد بن الصقعب يقدمهم فطعنته طعنة فوقع وضربته بالصمصامة حتى فاضت نفسه فقال له الرجل يا أبا ثور إن مقتولك الذي تحدثه
فقال اللهم غفراً إنما أنت محدث فاسمع إنما نتحدث بمثل هذا وأشباهه لنرهب هذه المعدية
قال محمد بن سلام وقال يونس أبت العرب إلا أن عمراً كان يكذب
قال وقلت لخلف الأحمر وكان مولى الأشعريين وكان يتعصب لليمانية أكان عمرو يكذب قال كان يكذب باللسان ويصدق بالفعال
أخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة أن سعدا كتب إلى عمر رضي الله عنه يثني على عمرو بن معد يكرب فسأله عمر عن سعد فقال هو لنا كالأب أعرابي في نمرته أسد في تامورته يقسم بالسوية ويعدل في القضية وينفر في السرية وينقل إلينا حقنا كما تنقل الذرة فقال عمر رضوان الله عليه لشد ما تقارضتما الثناء
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحارث عن ابن سعد عن الواقدي عن بكير بن مسمار عن زياد مولى سعد قال سمعت سعداً يقول وبلغه أن عمرو بن معد يكرب وقع في الخمر وأنه قد دله
فقال لقد كان له موطن صالح يوم القادسية عظيم الغناء شديد النكاية للعدو
فقيل له فقيس بن مكشوح فقال هذا أبذل لنفسه من قيس وإن قيساً لشجاع
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة
ونسخت هذا الخبر من رواية ابن الكلبي خاصة حدثني أسعر بن عمرو بن جرير عن خالد بن قطن قال حدثني من شهد

موت عمرو بن معد يكرب والرواية قريبة وحكايتا عمر بن شبة وابن قتيبة عن أنفسهما ولم يتجاوزاها قالا كانت مغازي العرب إذ ذاك الري ودستبى فخرج عمرو مع شباب من مذحج حتى نزل الخان الذي دون روذة فتغدى القوم ثم ناموا وقام كل رجل منهم لقضاء حاجته وكان عمرو إذا أراد الحاجة لم يجترئ أحد أن
يدعوه وإن أبطأ فقام الناس للرحيل وترحلوا إلا من كان في الخان الذي فيه عمرو فلما أبطأ صحنا به يا أبا ثور فلم يجبنا وسمعنا علزا شديداً ومراسا في الموضع الذي دخله وقصدناه فإذا به حمرة عيناه مائلاً شدقه مفلوجاً فحملناه على فرس وأمرنا غلاماً شديد الذراع فارتدفه ليعدل ميله فمات بروذة ودفن على قارعة الطريق
- فقالت امرأته الجعفية ترثيه - طويل
(لقد غَادَرَ الركبُ الذين تحمَّلُوا ... بِرُوذَةَ شخصاً لا ضعيفاً ولا غُمْرا)
(فقل لزُبيدٍ بل لمذحِجَ كلِّها ... فَقَدْتُم أبا ثورٍ سِنانَكُمْ عَمْرا)
(فإن تجزعوا لا يُغْنِ ذلك عنكُمُ ... ولكن سَلُوا الرحمن يُعْقِبكُم صَبْرا)
والأبيات العينية التي فيها الغناء وبها افتتح ذكر عمرو يقولها في أخته ريحانة بنت معد يكرب لما سباها الصمة بن بكر وكان أغار على بني زبيد في قيس فاستاق أموالهم وسبى ريحانة وانهزمت زبيد بين يديه وتبعه عمرو وأخوه عبد الله ابنا معد يكرب ثم رجع عبد الله واتبعه عمرو
فأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام أن عمراً اتبعه يناشده أن يخلي عنها فلم يفعل فلما يئس منها ولى وهي تناديه
- بأعلى صوتها يا عمرو فلم يقدر على انتزاعها وقال - وافر
(أمِنْ ريحانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ ... يؤرِّقني وأصحابي هُجوعُ)
(سَباها الصِّمَّةُ الجشميُّ غَصْباً ... كأنَّ بياضَ غرَّتِها صَدِيعُ)
(وحالت دونَها فُرسانُ قيسٍ ... تكشَّفُ عن سواعدِها الدُّروعُ)
(إذا لم تستطِع شيئاً فَدَعْهُ ... وجاوِزْه إلى ما تستطيعُ)
وزاد الناس في هذا الشعر وغنّى فيه
(وكيف أحبُّ من لا أستطيعُ ... ومن هو للذي أهوى مَنوعُ)
(ومَن قد لامني فيه صديقي ... وأهلي ثمَّ كُلاًّ لا أطيعُ)
(ومَن لو أظهرَ البغضاءَ نحوي ... أتاني قابضُ الموتِ السريعُ)
(فدىً لهُمُ معاً عمِّي وخالي ... وشَرْخُ شبابِهِمْ إن لم يُطيعوا)
وقد أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي وأما قصة ريحانة فإن عمرو بن معد يكرب تزوج امرأة من مراد وذهب مغيراً قبل أن يدخل بها فلما قدم أخبر أنه قد ظهر بها وضح وهو داء تحذره العرب فطلقها وتزوجها رجل آخر من
- بني مازن بن ربيعة وبلغ ذلك عمراً وأن الذي قيل فيها باطل فأخذ يشبب بها فقال قصيدته وهي طويلة - وافر
(أمِنْ ريحانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ ... يؤرِّقني وأصحابي هُجوعُ)
وكان عبد الله بن معد يكرب أخو عمرو رئيس بني زبيد فجلس مع بني مازن في شرب منهم
فتغنى عنده حبشي عبد للمخزم أحد بني مازن في امرأة من بني زبيد فلطمه عبد الله وقال له أما كفاك أن تشرب معنا حتى تشبب بالنساء فنادى الحبشي يا آل بني مازن فقاموا إلى عبد الله فقتلوه وكان الحبشي عبداً للمخزم فرئس عمرو مكان أخيه وكان عمرو غزا هو وأبي المرادي فأصابوا غنائم فادعى أبي أنه قد كان مساندا فأبى عمرو أن يعطيه شيئاً وكره أبي أن يكون بينهما شر لحداثة قتل أبيه فأمسك عنه
وافر -وبلغ عمراً أنه توعده فقال عمرو في ذلك قصيدة له أولها
صوت
(أعاذلَ شِكتي بدني ورُمْحي ... وكلُّ مقلّصٍ سَلِسِ القِيادِ)
(أعاذلَ إنّما أفنى شبابي ... وأقْرحَ عاتقي ثِقَلُ النِّجاد)
(تمنَّاني ليلقاني أُبَيٌّ ... وَدِدْتُ وأينما منِّي ودادي)
(ولو لاقيتني ومعي سِلاحي ... تكشَّفَ شحْمُ قلبِكَ عن سوادِ)
(أريد حِباءه ويريدُ قتْلي ... عذيرك مِن خليلكَ من مرادِ)
وتمام هذه الأبيات
(تمنَّاني وسابغتي دِلاصٌ ... كأنَّ قَتِيرَها حَدَقُ الجرادِ)
((وسيفي كان من عهدِ ابن صدٍّ ... تخيَّرِه الفتى من قوم عاد
(ورمحي العنبريُّ تخال فيه ... سِناناً مثلَ مِقباسِ الزِّناد)
(وعِجْلِزَةٍ يزِلُّ اللِّبْدُ عنها ... أمَرَّ سَراتَها حَلْقُ الجياد)
(إذا ضُربتْ سمعْتَ لها أزيزاً ... كوقع القَطْرِ في الأدم الجِلادِ)
(إذاً لوجدْتَ خالكَ غيرَ نِكْسٍ ... ولا مُتعلِّماً قَتْلَ الوحاد)
(يقلِّب للأمور شَرَنْبَثَاتٍ ... بأظفارٍ مَغارِزُها حِداد)
لابن سريج في الأول والثاني ثاني ثقيل بالبنصر ولابن محرز في السادس والخامس ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى وفي الرابع والخامس والسادس لحن للهذلي من رواية يونس
وهذا البيت الخامس كان علي بن أبي طالب عليه السلام إذا نظر إلى ابن ملجم تمثل به
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا حيان بن بشر قال حدثنا جرير عن حمزة الزيات
- قال كان علي عليه السلام إذا نظر إلى ابن ملجم قال - وافر
(أريد حِباءه ويريدُ قتْلي ... عذيرك مِن خليلكَ من مرادِ)
حدثني العباس بن علي بن العباس ومحمد بن خلف وكيع قالا حدثنا أحمد بن منصور الرمادي قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب
عن ابن سيرين عن عبيدة السلماني قال كان علي بن أبي طالب إذا أعطى الناس فرأى ابن ملجم قال
(أريد حِباءه ويريدُ قتْلي ... عذيرك مِن خليلكَ من مرادِ)
حدثني محمد بن الحسن الأشناني قال حدثنا علي بن المنذر الطريفي قال حدثنا محمد بن فضيل قال حدثنا فطر بن

خليفة عن أبي الطفيل عامر بن واثلة والأصبغ بن نباتة قال قال علي عليه السلام ما يحبس أشقاها والذي نفسي بيده لتخضبن هذه من هذا
قال أبو الطفيل وجمع علي الناس للبيعة فجاء عبد الرحمن بن ملجم المرادي فرده مرتين أو ثلاثاً ثم بايعه ثم قال ما يحبس أشقاها فوالذي نفسي بيده لتخضبن هذه من هذا
ثم تمثل بهذين البيتين وافر
(أشْدُدْ حيازيمكَ للموتِ ... فإنَّ الموت يأتيكَ)
(ولا تجزعْ من القتل ... إذا حلَّ بواديكَ)
رجع الخبر إلى سياقة خبر عمرو
قال وجاءت بنو مازن إلى عمرو فقالوا إن أخاك قتله رجل منا سفيه وهو سكران ونحن يدك وعضدك فنسألك الرحم وإلا أخذت الدية ما أحببت فهم عمرو بذلك
- وقال - بسيط
(... إحدى يديَّ أصابَتْني ولم تردِ)
فبلغ ذلك أختاً لعمرو يقال لها كبشة وكانت ناكحاً في بني الحارث بن كعب فغضبت فلما وافى الناس من الموسم قالت
- شعراً تعير عمراً - طويل
(أرسلَ عبدُ الله إذ حانَ يومُه ... إلى قومه لا تَعقِلوا لهُمُ دمِي)
(ولا تأخذوا مِنهم إفالاً وأبكُراً ... وأُتْرَكَ في بيتٍ بِصَعْدَةَ مظلمِ)
(ودَعْ عنك عَمْراً إنَّ عمراً مُسالِمٌ ... وهل بطنُ عمرو غيرُ شبْرٍ لمِطعم)
(فإن أنتُمُ لم تقبلوا واتَّديْتُم ... فمشُّوا بآذان النَّعام المُصَلَّمِ)
(أيقتلُ عبدَ الله سيِّدَ قومه ... بنو مازنٍ أن سُبَّ راعي المخزَّمِ)
- فقال عمروٌ قصيدةً له عند ذلك يقول فيها - متقارب
صوت
(أرِقتُ وأمسيْتُ لا أرقُدُ ... وساوَرَني المُوجِعُ الأسْوَدُ)
(وبتُّ لذِكرى بني مازنٍ ... كأنِّي مرتفقٌ أرمدُ)
فيه لحن من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى نسبه يحيى المكي إلى ابن محرز وذكر الهشامي أنه منحول
- ثم أكب على بني مازن وهم غارون فقتلهم وقال في ذلك شعراً - وافر
(خُذُوا حُقُقاً مُخَطَّمَةً صفايا ... وكَيْدِي يا مخزَّم أن أكيدا)
(قتلتُمْ سادتِي وتركتموني ... على أكتافِكُمْ عِبئاً جديدا)
(فمن يأبى من الأقوام نَصْراً ... ويتركنَا فإنَّا لن نريدا)
وأرادت بنو مازن أن ترد عليهم الدية لما آذنهم بحرب فأبى عمرو وكانت بنو مازن من أعداء مذحج وكان عبد الله أخا كبشة لأبيها وأمّها دون عمرو وكان
عمرو قد هم بالكف عنهم حين قتل من قتل منهم فركبت كبشة في نساء من قومها وتركت عمراً أخاها وعيرته فأحمته فأكب عليهم أيضاً بالقتل فلما أكثر فيهم القتل تفرقوا فلحقت بنو مازن بصاحبهم بتميم ولحقت ناشرة ببني أسد وهم رهط الصقعب بن الصحصح ولحقت فالج بسليم بن منصور
وفالج وناشرة ابنا أنمار بن مازن بن ربيعة بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة وأمهما هند بنت عدس ابن زيد بن عبد الله بن دارم
- فقال كابية بن حرقوص بن مازن - كامل
(يا ليلتي ما ليلتي بالبَلْدَةِ ... رُدَّتْ عليَّ نجومُها فارتدَّتِ)
(مَن كان أسرعَ في تفرُّق فالج ... فَلَبُونُه جَرِبَتْ معاً وأغدَّتِ)
(هَلاَّ كَنَاشِرَةَ الذي ضَيَّعْتُمُ ... كالغصن في غُلْوائه المتنبِّت)
- وقال عمرو في ذلك - وافر
(تمنَّتْ مازنٌ جَهْلاً خِلاطي ... فذاقت مازنٌ طَعْمَ الخِلاطِ)
(أطَلْتُ فِراطَكُمْ عاماً فعاماً ... وَدَيْنُ المَذحِجِيِّ إلى فِراطِ)
(أطلْتُ فِراطَكُمْ حتَّى إذا ما ... قتلْتُ سَراتَكُمْ كانت قَطَاطِ)
(غَدَرْتُمْ غدرةً وغدرتُ أخرى ... فما إنْ بَيْنَنَا أبداً يَعَاطِ)
أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي قال المدائني حدثني رجل من قريش قال كنا عند فلان القرشي فجاءه رجل بجارية فغنته - سريع
(بالله يا ظبي بنِي الحارثِ ... هل مَن وَفَى بالعهدِ كالناكثِ)
- وغنته أيضاً بغناء ابن سريج - منسرح
(يا طولَ ليلِي وبتُّ لم أنَمِ ... وسادي الهمُّ مُبطنٌ سَقَمي)
فأعجبته واستام مولاها فاشتط عليه فأبى شراءها وأعجبت الجارية بالفتى فلما امتنع مولاها من البيع إلا بشطط قال القرشي فلا حاجة لنا في جاريتك
- فلما قامت الجارية للانصراف رفعت صوتها تغني وتقول - وافر
(إذا لم تستطعْ شيئاً فدعْهُ ... وجاوزْه إلى ما تستطيعُ)
قال فقال الفتى القرشي أفأنا لا أستطيع شراءك والله لأشترينك بما بلغت
قالت الجارية فذاك أردت
قال القرشي إذا لأجبتك
وابتاعها من ساعته
والله أعلم
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت سريع
(باللّه يا ظَبيَ بني الحارثِ ... هل من وفى بالعهدِ كالناكِثِ)
(لا تخدَعَنّي بالمنى باطلاً ... وأنت بي تلعبُ كالعابثِ)
عروضه من السريع الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء لابن سريج رمل بالبنصر وفيه لسياط خفيف ثقيل أول بالوسطى وفيه لإبراهيم الموصلي لحن من رواية بذل
- ومنها - منسرح
صوت
(يا طول ليلي وبتُّ لم أنَم ... وسادِيَ الهَمُّ مُبْطَنٌ سَقَمِي)
(إذْ قمْتُ ليلاً على البلاط فأبْصَرْتُ ... ربيباً فليْتَ لم أقُمِ
(فقلتُ عُوجِي تُخبِّري خَبراً ... وأنتِ منه كصاحب الحُلُم)
قالتْ بلَ اخشى العيونَ إذْ حضرتْ ... حَولي وقلبي مُباشِرُ الألم) عروضه من المنسرح)
والشعر والغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق
وذكر محمد بن الفضل الهاشمي قال حدثنا أبي قال كان المأمون قد أطلق لأصحابه الكلام والمناظرة في مجلسه فناظر بين يديه محمد بن العباس الصولي علي بن الهيثم جونقا في الإمامة فتقلدها أحدهما ودفعها الآخر فلجت المناظرة بينهما إلى أن نبط محمد علياً فقال له علي إنما تكلمت بلسان غيرك ولو كنت في غير هذا المجلس لسمعت أكثر مما قلت فغضب المأمون وأنكر على محمد ما قاله وما كان منه من سوء الأدب بحضرته ونهض عن فرشه ونهض الجلساء فخرجوا وأراد محمد الانصراف فمنعه علي بن صالح صاحب المصلى وهو إذ ذاك يحجب المأمون وقال أفعلت ما فعلت بحضرة أمير المؤمنين ونهض على الحال التي رأيت ثم تنصرف بغير إذن اجلس حتى نعرف رأيه فيك
وأمر بأن يجلس
قال ومكث المأمون ساعة فجلس على سريره وأمر بالجلساء فردوا إليه فدخل إليه علي بن صالح فعرفه ما كان من قول علي بن محمد في الانصراف وما كان من منعه إياه فقال دعه ينصرف إلى لعنة الله
فانصرف وقال المأمون لجلسائه أتدرون لم دخلت إلى النساء في هذا الوقت قالوا لا
قال إنه لما كان من أمر هذا الجاهل ما كان لم آمن فلتات الغضب وله بنا حرمة فدخلت إلى النساء فعابثتهن حتى سكن غضبي
قال وما مضى محمد عن وجهه إلا إلى طاهر فسأله الركوب إلى المأمون وأن يستوهبه جرمه فقال طاهر ليس هذا من أوقاتي وقد كتب إلي خليفتي في الدار أنه دعا بالجلساء
فقال أكره أن أبيت ليلة وأمير المؤمنين علي ساخط
فلم يزل به حتى ركب طاهر معه فأذن له فدخل ومجير الخادم واقف على رأس المأمون فلما بصر المأمون بطاهر أخذ منديلاً فمسح به عينيه مرتين أو ثلاثاً إلى أن وصل إليه وحرك شفتيه بشيء أنكره طاهر ثم دنا فسلم فرد السلام وأمره بالجلوس فجلس في موضعه فسأله عن مجيئه في غير وقته فعرفه الخبر واستوهبه ذنب محمد فوهبه له وانصرف وعرّف محمداً ذلك
ثم دعا بهارون ابن خنعويه وكان شيخاً خراسانياً داهية ثقة عنده فذكر له فعل المأمون وقال له الق كاتب مجير والطف له واضمن له عشرة آلاف درهم على تعريفك ما قاله المأمون
ففعل ذلك ولطف له فعرفه أنه لما رأى طاهراً دمعت عيناه وترحم على محمد الأمين ومسح دمعه بالمنديل فلما عرف ذلك طاهر ركب من وقته إلى أحمد بن أبي خالد الأحول وكان طاهر لا يركب إلى أحد من أصحاب المأمون وكلهم يركب إليه فقال له جئتك لتوليني خراسان وتحتال لي فيها
وكان أحمد يتولى فض الخرائط بين يدي المأمون وغسان بن عباد يتولى إذ ذاك خراسان فقال له أحمد هلا أقمت بمنزلك وبعثت إلي حتى أصير إليك ولا يشهر الخبر فيما تريده بما ليس من عادتك لأن المأمون يعلم أنك لا تركب إلى أحد من أصحابه وسيبلغه هذا فينكره فانصرف واغض عن هذا الأمر وأمهلني مدة حتى أحتال لك
ولبث مدة وزور ابن أبي خالد كتابا عن غسان بن عباد إلى المأمون يذكر فيه أنه عليل وأنه لا يأمن على نفسه ويسأل أن يستخلف غيره على خراسان وجعله في خريطة وفضها بين يدي المأمون في خرائط وردت عليه فلما قرأ على المأمون الكتاب اغتم به وقال له ما ترى فقال لعل هذه علة عارضة تزول وسيرد بعد هذا غيره فيرى حينئذ أمير المؤمنين رأيه ثم أمسك أياماً وكتب كتابا آخر
ودسه في الخرائط يذكر فيه أنه تناهى في العلة إلى ما لا يرجو معه نفسه فلما قرأه المأمون قلق وقال يا أحمد إنه لا مدفع لأمر خراسان فما ترى فقال هذا رأي إن أشرت فيه بما أرى فلم أصب لم أستقبله وأمير المؤمنين أعلم بخدمه ومن يصلح بخراسان منهم
قال فجعل المأمون يسمي رجالاً ويطعن أحمد على واحدٍ واحدٍ منهم إلى أن قال فما ترى في الأعور قال إن كان عند أحد قيام بهذا الأمر ونهوض فيه فعنده
فدعا به المأمون فعقد له على خراسان وأمره أن يعسكر فعسكر بباب خراسان
ثم تعقب الرأي فعلم أنه قد أخطأ فتوقف عن امضائه وخشي أن يوحش طاهراً بنقضه فمضى شهر تام وطاهر مقيم بمعسكره
ثم إن المأمون في السحر من ليلة أحد وثلاثين يوماً من عقده له عقد اللواء لطاهر ظاهراً وأمر بإحضار مخارق المغني
- فأحضر وقد صلى المأمون الغداة مع طلوع الفجر فقال يا مخارق أتغني - وافر
(إذا لم تستطع شيئاً فدعْهُ ... وجاوزْهُ إلى ما تستطيعُ)
(وكيف تريدُ أن تُدعَى حكيماً ... وأنت لكلِّ ما تهوى تَبوع)
قال نعم
قال هاته
فغناه فقال ما صنعت شيئاً فهل تعرف من يقوله أحسن مما تقوله قال نعم علويه الأعسر
فأمر بإحضاره فكأنه كان وراء الستر فأمره أن يغنيه فغناه واحتفل فقال ما صنعت شيئاً أتعرف من يقوله أحسن مما تقوله

قال نعم عمرو بن بانة شيخنا
فأمر بإحضاره فدخل في مقدار دخول علويه فأمر بأن يغنيه الصوت فغناه فأحسن فقال أحسنت ما شئت هكذا ينبغي أن يقال ثم قال يا غلام اسقني رطلا واسق صاحبيه رطلاً رطلاً
ثم دعا له بعشرة آلاف درهم وخلعة ثلاثة أثواب ثم أمره بإعادته فأعاده فرد القول الذي قاله وأمر له بمثل ما أمر حتى فعل ذلك عشراً وحصل لعمرو مائة ألف درهم وثلاثون ثوباً ودخل المؤذنون فأذنوه بالظهر فعقد إصبعه الوسطى بإبهامه وقال برق يمان برق يمان
وكذلك كان يفعل إذا أراد أن ينصرف من بحضرته من الجلساء
فقال عمرو يا أمير المؤمنين قد أنعمت علي وأحسنت إلي فإن رأيت أن تأذن لي في
مقاسمة أخوي ما وصل إليّ فقد حضراه فقال ما أحسن ما استمحت لهما بل نعطيهما نحن ولا نلحقهما بك
وأمر لكل واحد بمثل نصف جائزة عمرو وبكر إلى طاهر فرحله فلما ثنى عنان دابته منصرفاً دنا منه حميد الطوسي فقال اطرح على ذنبه تراباً
فقال اخسأ يا كلب ونفذ طاهر لوجهه وقدم غسان بن عباد فسأله عن علته وسببها فحلف له أنه لم يكن عليلاً ولا كتب بشيء في هذا
فعلم المأمون أن طاهراً احتال عليه بابن أبي خالد وأمسك على ذلك
فلما كان بعد مدة من مقدم طاهر إلى خراسان قطع الدعاء للمأمون على المنبر يوم الجمعة فقال له عون بن مجاشع بن مسعدة صاحب البريد لم تدع في هذه الجمعة لأمير المؤمنين فقال سهو وقع فلا تكتب به
وفعل مثل ذلك في الجمعة الثانية وقال لعون لا تكتب به وفعله في الجمعة الثالثة فقال له عون إن كتب التجار لا تنقطع من بغداد وإن اتصل هذا الخبر بأمير المؤمنين من غيرنا لم آمن أن يكون سبب زوال نعمتي
فقال اكتب بما أحببت
فكتب إلى المأمون بالخبر فلما وصل كتابه دعا بأحمد بن أبي خالد وقال إنه لم يذهب علي احتيالك في أمر طاهر وتمويهك له وأنا أعطي الله عهداً لئن لم تشخص حتى توافيني به كما أخرجته من قبضتي وتصلح ما أفسدته علي من أمر ملكي لأبيدن غضراءك فشخص أحمد وجعل يتلوم في الطريق ويقول لأصحاب البرد اكتبوا بخبر علة أجدها
فلما وصل الري لقيته الأخبار ووافاه رسل طلحة بن طاهر بوفاة طاهر فأغذ السير حتى قدم خراسان فلقيه طلحة على حد غفلة فقال له أحمد لا تكلمني ولا ترني وجهك فإن أباك عرضني للعطب وزوال النعمة مع احتيالي له وسعيي كان في محبته
فقال له أبي قد مضى لسبيله ولو أدركته لما خرج عن
طاعتك وأما أنا فأحلف لك بكل ما تسكن به نفسك وأبذل كل ما عندي من مال وغيره فاضمن له عني حسن الطاعة وضبط الناحية والإخلاص في النصيحة
فكتب أحمد بخبره وخبر طاهر وخبر طلحة إلى المأمون وأشار بتقليده فأنفذ المأمون إليه اللواء والخلع والعهد وانصرف أحمد إلى مدينة السلام
أخبرني وكيع قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال مدح ابن هرمة رجلاً من قريش فلم يثبه فقال له ابن عم له لا تفعل فإنه شاعر مفوه
- فلم يقبل منه فقال فيه ابن هرمة - وافر
(فهلاَّ إذْ عجزْتَ عن المعالي ... وعمَّا يفعل الرجُل القريعُ)
(أخذتَ برأي عمرو حين ذَكَّى ... وشبَّ لناره الشرفُ الرفيع)
(إذا لم تستطع شيئاً فدَعْه ... وجاوزْه إلى ما تستطيع)
- ومما قاله عمرو بن معد يكرب في ريحانة أخته وغني فيه قوله - بسيط
(هاج لكَ الشوقُ من ريحانةَ الطربا ... إذْ فارقَتْكَ وأمستْ دارُها غُرُبَا)
(ما زلْتُ أحبِس يومَ البَيْنِ راحلتي ... حتَّى استمروا وأذْرَتْ دَمْعَها سَرَبا)
(حتَّى ترَفَّعَ بالحُزّانِ يركُضها ... مثلَ المَهاة مَرَتْه الريحُ فاضطربا)
(والغانياتُ يقتِّلْنَ الرجال إذا ... ضَرَّجْنَ بالزعفران الرَّيْطَ والنقُبَا)
(من كلِّ آنسةٍ لم يَغْذُها عَدَمٌ ... ولا تشدُّ لشيءٍ صوتَها صَخَبَا)
(إنَّ الغوانيَ قد أهْلَكْنَني وأرى ... حِبالَهُنَّ ضعيفاتِ القُوى كُذُبَا)
غنى في هذا الشعر ابن سريج خفيف ثقيل من رواية حماد وفيه رمل نسبه حبش إليه أيضاً
وقال الأصمعي هذا الشعر لسهل بن الحنظلية الغنوي ثم الضبيني ثم الجابري وهو جابر بن ضبينة
قال أبو الفرج الأصبهاني وسهل بن الحنظلية أحد أصحاب رسول الله وقد روى عنه حديثاً كثيراً
فذكر الأصمعي أن السبب في قوله هذا الشعر أنه اجتمع ناس من العرب بعكاظ منهم قرة بن هبيرة القشيري في سنين تتابعت على الناس فتواعدوا وتواقفوا أن لا يتغاوروا حتى يخصب الناس ثم قالوا ابعثوا إلى المنتشر بن وهب الباهلي ثم الوائلي فليشهد أمرنا ولندخله معنا
فأتاهم فأعلموه ما صنعوه قال فما يأكل قومي إلى ذاك فقال له ابن جارم الضبي إنك لهناك يا أخا باهلة قال أما أنا فالغسل والنساء علي حرام حتى آكل من قمع إبلك
فتفرقوا ولم يكن إلا ذلك
وقال ابن جارم للمنتشر عند قوله استك أضيق من ذاك فأغار
المنتشر على ابن جارم فلما رآه ابن جارم رمى بنفسه في وجار ضبع وأطرد المنتشر إبله ورعاءها فقال سهل في ذلك
(... هاج لك الشّوقُ من ريحانَةَ الطربا)
في قصيدة طويلة له حسنة
- وقال في ذلك أعشى باهلة - طويل
(فدىً لك نفسي إذْ تركْتَ ابنَ جَارِمٍ ... أجبَّ السَّنام بعدَ ما كان مُصْعَبَا)
- وقال المخبل في ذلك - طويل

(إنَّ قشيرا من لِقاحِ ابنِ جارم ... كغاسلةٍ حَيْضاً وليست بطاهر)
(وأنبأتماني أنَّ قُرّةَ آمنٌ ... فناك أباه من مجيرٍ وخافرِ)
(فلا تُوكلوها الباهليَّ وتقعُدوا ... لَدى غَرَضٍ أرميكُمُ بالنواقر)
(إذا هي حلَّتْ بالذَّهاب وذي حُساً ... وراحتْ خِفافَ الوَطْءِ حُوْسَ الخواطر)
أخبرنا أحمد بن عمار قال أخبرني يعقوب بن إسرائيل قال حدثني قعنب
ابن المحرز قال أخبرنا الهيثم بن عدي عن ابن عياش عن محمد بن المنتشر قال أخبرني من شهد الأشعث بن قيس وعمرو بن معد يكرب وقد تنازعا في شيء فقال عمرو للأشعث نحن قتلنا أباك ونكنا أمك فقال سعد قوما أف لكما فقال الأشعث لعمرو والله لأضرطنك
فقال كلا إنها عزوز موثقة
قال جرير بن عبد الله البجلي فأخذت بيد الأشعث فنترته فوقع على وجهه ثم أخذت بيد عمرو فجذبته فما تحلحل والله ولكأنما حركت أسطوانة القصر
وقال أبو عبيدة قدم عمرو بن معد يكرب والأجلح بن وقاص الفهمي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتياه وبين يديه مال يوزن فقال متى قدمتما قالا يوم الخميس
قال فما حبسكما قالا شغلنا بالمنزل يوم قدمنا ثم كانت الجمعة ثم غدونا عليك اليوم
فلما فرغ من وزن المال نحاه ثم أقبل عليهما فقال هيه فقال عمرو يا أمير المؤمنين هذا الأجلح بن وقاص شديد المرة بعيد الفرة وشيك الكرة والله ما رأيت مثله من الرجال صارعاً ومصروعاً والله لكأنه لا يموت فقال عمر للأجلح بن وقاص وأقبل عليه هيه
قال وأنا أعرف الغضب في وجهه فقلت يا أمير المؤمنين الناس صالحون كثير نسلهم دارة أرزاقهم خصب نباتهم أجرياء على عدوهم جبان عدوهم عنهم صالحون بصلاح إمامهم والله ما رأينا مثلك إلا من تقدمك فنستمتع الله بك
فقال ما منعك أن تقول في صاحبك مثل الذي قال فيك قال منعني ما رأيت في وجهك
قال قد أصبت أما لو قلت له مثل الذي لك لأوجعتكما عقوبة فإن تركتك لنفسك فسوف أتركه لك والله لوددت لو سلمت لكم حالكم هذه أبداً أما إنه سيأتي عليك يوم تعضه وينهشك وتهره وينبحك ولست له يومئذ وليس لك فإن لم يكن بعهدكم فما أقربه منكم
قال أبو عبيدة حدثنا يونس وأبو الخطاب قالا لما كان يوم القادسية أصاب المسلمون أسلحة وتيجاناً ومناطق ورقابا فبلغت مالاً عظيماً فعزل سعد الخمس ثم فض البقية فأصاب الفارس ستة آلاف والراجل ألفان فبقي مال دثر
فكتب إلى عمر رضي الله عنه بما فعل فكتب إليه أن رد على المسلمين الخمس وأعط من لحق بك ممن لم يشهد الوقعة
ففعل فأجراهم مجرى من شهد وكتب إليه عمر بذلك فكتب إليه أن فض ما بقي على حملة القرآن
فأتاه عمرو بن معد يكرب فقال ما معك من كتاب الله تعالى فقال إني أسلمت باليمن ثم غزوت فشغلت عن حفظ القرآن قال ما لك في هذا المال نصيب
قال وأتاه بشر بن ربيعة الخثعمي صاحب جبانة بشر فقال ما معك من كتاب الله قال بسم الله الرحمن الرحيم
- فضحك القوم منه ولم يعطه شيئاً فقال عمرو في ذلك - بسيط
(إذا قُتِلنا ولا يَبْكي لنا أحدٌ ... قالت قريشٌ إلاَ تِلْكَ المقاديرُ)
(نُعْطى السَّوِيَّةَ من طَعْنٍ له نَفَذٌ ... ولا سويّةَ إذ تُعْطَى الدنانير)
- وقال بشر بن ربيعة - طويل
(أنختُ بباب القادسيّةِ ناقتي ... وسَعْدُ بن وقّاصٍ عليَّ أميرُ)
(وسعدٌ أمير شرُّه دون خيره ... وخيرُ أميرٍ بالعراق جريرُ)
((وعند أميرِ المؤمنين نوافلٌ ... وعند المثنَّى فضّةٌ وحرير
(تذكَّرْ هداكَ اللهُ وَقْعَ سيوفِنا ... بباب قُدَيسٍ والمَكَرُّ عسير)
(عشيةَ وَدَّ القومُ لو أنَّ بعضَهُمْ ... يُعار جَناحَيْ طائر فيطير)
(إذا ما فرغنا من قِراعِ كتيبةٍ ... دَلَفْنا لأخرى كالجبال تسير)
(ترى القومَ فيها واجمين كأنَّهُمْ ... جمالٌ بأحمالٍ لهنَّ زفير)
فكتب سعد إلى عمر رضي الله تعالى عنه بما قال لهما وما ردا عليه وبالقصيدتين فكتب أن أعطهما على بلائهما فأعطى كل واحد منهما ألفي درهم
قال وحدثني أبو حفص السلمي قال كتب عمر إلى سلمان بن ربيعة الباهلي إن في جندك عمرو بن معد يكرب وطلحة بن خويلد الأسدي فإذا حضر الناس فأدنهما وشاورهما وابعثهما في الطلائع وإذا وضعت الحرب أوزارها فضعهما حيث وضعا أنفسهما
يعني بذلك ارتدادهما وكان عمرو ارتد وطليحة تنبأ
قال وحدثنا أبو حفص السلمي قال عرض سلمان بن ربيعة جنده بأرمينية فجعل لا يقبل إلا عتيقاً فمر به عمرو بن معد يكرب بفرس غليظ فقال سلمان هذا هجين
فقال عمرو والهجين يعرف الهجين فبلغ عمر رضي الله تعالى عنه قوله فكتب إليه أما بعد فإنك القائل لأميرك ما قلت وإنه بلغني أن عندك سيفاً تسميه الصمصامة وعندي سيف أسميه مصمماً وأقسم لئن وضعته بين أذنيك لا أقلع حتى يبلغ قحفك
وكتب إلى سلمان يلومه في حلمه عنه
قال وزعموا أن عمراً شهد فتح اليرموك وفتح القادسية وفتح نهاوند مع النعمان بن مقرن المزني وكتب عمر إلى النعمان إن في جندك رجلين عمرو بن معد يكرب وطليحة بن خويلد الأسدي من بني قعين فأحضرهما الحرب وشاورهما في الأمر ولا تولهما عملاً
والسلام
- صوت - طويل

(خليليَّ هُبَّا طالما قد رَقَدْتُما ... أجِدَّكُما لا تَقْضِيان كَرَاكُمَا)
(سأبكيكما طولَ الحياةِ وما الذي ... يَرُدُّ على ذي لَوْعةٍ إنْ بكاكما)
ويروى ذي عولة
الشعر لقس بن ساعدة الإيادي فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي في خبر أنا ذاكره هاهنا
وذكر يعقوب بن السكيت أنه لعيسى بن قدامة الأسدي
وذكر العتبي أنه لرجل من بني عامر بن صعصعة يقال له الحسن بن الحارث
والغناء لهاشم بن سليمان ثقيل أول بالوسطى عن عمرو
15 - ذكر خبر قس بن ساعدة ونسبه وقصته في هذا الشعر
هو قس بن ساعدة بن عمرو وقيل مكان عمرو شمر بن عدي بن مالك بن أيدعان بن النمر بن واثلة بن الطمثان بن زيد مناة بن يقدم بن أفصى بن دعمي بن إياد
خطيب العرب وشاعرها وحليمها وحكيمها في عصره
يقال إنه أول من علا على شرف وخطب عليه
وأول من قال في كلامه أما بعد وأول من اتكأ عند خطبته على سيف أو عصا
وأدركه رسول الله قبل النبوة ورآه بعكاظ فكان يأثر عنه كلاماً سمعه منه وسئل عنه فقال يحشر أمة وحده
وقد سمعت خبره من جهات عدة إلا أنه لم يحضرني وقت كتبت هذا الخبر غيره وهو إن لم يكن من أقواها على مذهب أهل الحديث إسناداً فهو من أتمها
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أبو شعيب صالح بن عمران قال حدثني عمر بن عبد الرحمن بن حفص النسائي قال حدثني عبد الله بن محمد قال حدثني الحسن بن عبد الله قال حدثني محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس قال لما قدم وفد إياد على النبي قال ما فعل قس بن ساعدة قالوا مات يا رسول الله
قال كأني أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أورق وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة ما أجدني أحفظه
فقال رجل من القوم أنا أحفظه يا رسول الله
قال كيف سمعته يقول قال سمعته يقول أيها الناس اسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ليل داج وسماء ذات أبراج بحار تزخر ونجوم تزهر وضوء وظلام وبر وآثام ومطعم ومشرب وملبس ومركب ما لي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا فناموا وإله قس بن ساعدة ما على وجه الأرض دين أفضل من دين قد أظلكم زمانه وأدرككم أوانه فطوبى لمن أدركه فاتبعه وويل لمن خالفه
- ثم أنشأ يقول - مجزوء الكامل
(في الذَّاهبين الأوَّلين ... من القُرون لنا بصائرْ)
(لمَّا رأيْتُ موارداً ... للموت ليس لها مَصادِرْ)
(ورأيتُ قومي نحوها ... يَمضِي الأصاغرُ والأكابرْ)
(أيقنْتُ أنِّي لا مَحالةَ ... حيثُ صار القومُ صائرْ)
(فقال النبي (يرحم الله قساً إني لأرجو أن يبعث يوم القيامة أمة وحده
فقال رجل يا رسول الله لقد رأيت من قس عجبا
قال وما رأيت قال بينا أنا بجبل يقال له سمعان في يوم شديد الحر إذ أنا بقس بن ساعدة تحت ظل شجرة عند عين ماء وعنده سباع كلما زأر سبع منها على صاحبه ضربه بيده وقال كف حتى يشرب الذي ورد قبلك
قال ففرقت فقال لا تخف
وإذا أنا بقبرين بينهما مسجد فقلت له ما هذان القبران قال هذان قبرا أخوين كانا لي فماتا فاتخذت بينهما مسجداً أعبد الله جل وعز فيه حتى ألحق بهما
- ثم ذكر أيامهما فبكى ثم أنشأ يقول - طويل
(خليليَّ هُبَّا طالما قد رَقَدْتُما ... أجِدَّكُما لا تَقْضِيان كَرَاكُمَا)
(ألم تعلما أنِّي بِسِمْعانَ مفردٌ ... وما ليَ فيه من حبيبٍ سِواكما)
(أقيمُ على قبريْكما لستُ بارحاً ... طوَالَ الليالي أو يُجيبَ صداكما)
(كأنَّكما والموتُ أقربُ غايةٍ ... بجسميَ في قبريْكما قد أتاكما)
(فلو جُعِلَتْ نفسٌ لنفسٍ وقاية ... لجُدْتُ بنفسي أن تكون فِداكما)
(فقال النبي (يرحم الله قساً
وأما الحكاية عن يعقوب بن السكيت أن الشعر لعيسى بن قدامة الأسدي فأخبرني بها علي بن سليمان الأخفش عن السكوني قال قال يعقوب بن السكيت
قال عيسى بن قدامة الأسدي وكان قدم قاسان وكان له نديمان فماتا وكان يجيء فيجلس عند القبرين وهما براوند في - موضع يقال له خزاق فيشرب ويصب على القبرين حتى يقضي وطره ثم ينصرف وينشد وهو يشرب - طويل
(خليليَّ هُبَّا طالما قد رَقَدْتُما ... أجِدَّكما لا تقضيانِ كَراكُمَا)
(ألم تعلما ما لي براوَنْدَ هذهِ ... ولا بخُزاقٍ من نديمٍ سواكُما)
(مقيمٌ على قبريْكما لستُ بارحاً ... طِوَالَ الليالي أو يجيبَ صَداكما)
(جَرى الموتُ مجرى اللحمِ والعظمِ منكما ... كأنَّ الذي يسقي العُقارَ سَقاكما)
(تحمَّلَ مَنْ يَهوي القُفولَ وغادَروا ... أخاً لكما أشجاه ما قد شجاكما)
(فأيُّ أخٍ يجفو أخاً بعد موته ... فلستُ الذي مِن بَعْد موتٍ جفاكما)
(أصُبُّ على قبريْكما من مُدامةٍ ... فإلاّ تَذُوقا أُرْوِ منها ثَراكما)
(أناديكما كيما تجيبا وتَنْطقا ... وليس مجاباً صوتُه مَن دعاكما)
(أمِنِ طولِ نومٍ لا تُجيبان داعياً ... خليليَّ ما هذا الذي قد دهاكما)
(قضيْتُ بأنِّي لا محالةَ هالِكٌ ... وأني سيعروني الذي قد عراكما)
(سأبكيكما طولَ الحياة وما الذي ... يردُّ على ذي عَوْلةٍ إنْ بكاكما)

وأخبرني ابن عمار أبو العباس أحمد بن عبيد الله بخبر هؤلاء عن أحمد بن يحيى البلاذري قال حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي قال بلغني أن ثلاثة نفر من أهل الكوفة كانوا في الجيش الذي وجهه الحجاج إلى الديلم وكانوا يتنادمون لا يخالطون غيرهم فإنهم لعلى ذلك إذ مات أحدهم فدفنه صاحباه وكانا يشربان عند قبره فإذا بلغه الكأس هراقاها على قبره وبكيا
ثم إن الثاني مات فدفنه الباقي إلى جنب صاحبه وكان يجلس عند قبريهما فيشرب ويصب الكأس على الذي يليه ثم على الآخر ويبكي وقال فيهما
نديميَّ هُبَّا طالما قد رَقَدْتُما ...) وذكر بعض الأبيات التي تقدم ذكرها)
وقال مكان براوند هذه بقزوين وسائر الخبر نحو ما ذكرناه
قال ابن عمار فقبورهم هناك تعرف بقبور الندماء
ذكر العتبي عن أبيه أن الشعر للحزين بن الحارث أحد بني عامر بن صعصعة وكان أحد نديميه من بني أسد والآخر من - بني حنيفة فلما مات أحدهما كان يشرب ويصب على قبره ويقول - رمل
(لا تُصَرِّدْ هامةً من كأسها ... واسقِهِ الخمرَ وإن كان قُبِرْ)
(كان حُرّاً فهوى فيمن هوى ... كلُّ عودٍ ذي شُعُوبٍ يَنْكَسِرْ)
قال ثم مات الآخر فكان يشرب عند قبريهما وينشد
خليليَّ هبا طالما قد رَقَدْتُما ...) الأبيات)
قال ثم قالت له كاهنة إنك لا تموت حتى تنهشك حية في شجرة بوادي كذا
وكذا
فورد ذلك الوادي في سفر له وسأل عنه فعرفه وقد كان خط في أصل شجرة ومد رجله عليه فنهشته حية فأنشأ يقول - - طويل
(خليليَّ هذا حيثُ رَمْسِي فَعَرِّجَا ... عليَّ فإنّي نازلٌ فَمُعَرِّسُ)
(لَبِسْتُ رداءَ العيش أَحْوَى أجُرّه العَشيّاتِ ... حتّى لم يكنْ فيه مَلْبَسُ)
(تَرَكْتُ خِبائي حيثُ أرسَى عمادَه ... عليَّ وهذا مَرْمَسِي حيث أُرْمَسُ)
(أحَتْفِي الذي لا بدَّ أنَّك قاتلي ... هَلَمَّ فما في غابرِ العيش مَنْفَسُ)
(أبعدَ نديميَّ اللذَيْن بعاقلٍ ... بَكَيْتُهما حولاً مَدى أتوجَّس)
16 - ذكر هاشم بن سليمان وبعض أخباره
هو هاشم بن سليمان مولى بني أمية ويكنى أبا العباس وكان موسى الهادي يسميه أبا الغريض
- وهو حسن الصنعة عزيزها وفيه يقول الشاعر - سريع
(يا وَحشتي بعدك يا هاشمُ ... غِبْتَ فَشَجْوي بك لي دائمُ)
(اللهوُ واللذّةُ يا هاشمُ ... ما لم تكن حاضرَه مأتَمُ)
أخبرني علي بن عبد العزيز قال حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه قال كان موسى الهادي يميل إلى هاشم بن سليمان ويمازحه ويلقبه أبا الغريض
وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد قال بلغني أن هاشم بن سليمان دخل يوماً على موسى الهادي فغناه - مجزوء - الكامل
صوت
(لو يُرسِل الأَزْلُ الظِّباء ... تَرودُ ليس لهنَّ قائدْ)
(لَتيَمَّمَتْكَ تدلُّها ... ريّاكَ للسُّبُل الموارد)
((وإذا الرياحُ تنكَّرتْ ... نُكْباً هواجِرُها صَوَارِدْ)
(فالناس سائلةٌ إليكَ ... فصادرا تُغنِي ووارِدْ)
الشعر لطريح بن إسماعيل الثقفي يقوله في الوليد بن يزيد بن عبد الملك
والغناء لهاشم بن سليمان خفيف ثقيل أول بالبنصر
فطرب موسى وكان بين يديه كانون كبير ضخم عليه فحم فقال له سلني ما شئت
قال تملأ لي هذا الكانون
فأمر له بذلك وفرغ الكانون فوسع ست بدور فدفعها إليه
وقد أخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن أبي توبة عن محمد - بن جبر عن هاشم بن سليمان قال أصبح موسى أمير المؤمنين يوماً وعنده جماعة منا فقال يا هاشم غنني - كامل
(... أبَهَارُ قد هيَّجْتِ لي أوجاعا)
فإن أصبت مرادي فيه فلك حاجة مقضية
فغنيته فقال قد أصبت وأحسنت سل حاجتك
فقال يا أمير المؤمنين تأمر أن يملأ هذا الكانون دراهم
قال وبين يديه كانون عظيم فأمر به فملئ فوسع ثلاثين ألف درهم فلما حصلتها قال يا ناقص الهمة والله لو سألتني أن أملأه دنانير لفعلت
فقلت أقلني يا أمير
المؤمنين
فقال لا سبيل إلى ذلك فلم يسعدك الجد به
- نسبة هذا الصوت - كامل
(أبهارُ قد هيَّجْتِ لي أوجاعاً ... وتركتِني عبداً لكُمْ مِطْوَاعا)
(بحديثِكِ الحسَنِ الذي لو كُلِّمتْ ... وحْشُ الفلاةِ به لَجِئْنَ سِراعا)
(وإذا مررتُ على البَهَارِ مُنضَّدا ... في السُّوقِ هَيَّجَ لي إليكِ نزاعا)
(واللهِ لو عَلِم البَهارُ بأنَّها ... أضحَتْ سميَّتَه لصار ذِراعا)

الغناء لهاشم ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو وفيه ثقيل أول بالبنصر ينسب إلى إبراهيم الموصلي وإلى يحيى المكي وإلى إسحاق
أخبرني أحمد بن عبد العزيز واسماعيل بن يونس قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني بعض أصحابنا قال كنا في منزل محمد بن اسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس وكان عالماً بالغناء والفقه جميعاً وقد كان يحيى بن أكثم وصفه للمأمون بالفقه ووصفه أحمد بن يوسف بالعلم بالغناء فقال المأمون ما أعجب ما اجتمع فيه العلم بالفقه والغناء فكتبت إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن يتحول إلينا وكان في جوارنا وعندنا يومئذ محمد بن أيوب بن جعفر ابن سليمان وذكاء وصغير غلاما أحمد بن يوسف الكاتب فكتب إلينا إسحاق جعلت فداءكم قد أخذت دواء فإذا خرجت منه حملت قدري وصرت إليكم
- وكتب في أسفل كتابه - رجز
(أنا شماطيط الذي حُدِّثتَ بِهْ ... مَتَى أنبَّهْ للغَدَاءِ أنتبهْ)
(ثم أدور حولَه وأحتبِهْ ... حتّى يقال شرِهٌ ولستُ بِهْ)
ثم جاءنا ومعه بديح غلامه فتغدينا وشربنا فغنى ذكاء غلام أحمد بن يوسف
أبهارُ قد هيّجْتِ لي أوجاعا ...) كامل)
فسأله إسحاق أن يعيده فأعاده مراراً ثم قال له ممن أخذت هذا فقال من معاذ بن الطبيب
قال والصنعة فيه له
فقال له إسحاق أحب أن تلقيه على بديح
ففعل
فلما صليت العشاء انصرف ذكاء وقعد أبو جعفر يشرب يعني مولاه وعنده قوم وتخلف صغير فغنانا فقال له إسحاق أنت والله يا غلام ماخوري
- وسكر محمد بن إسماعيل في آخر النهار فغنانا - متقارب
(دَعُوني أغُضُّ إذا ما بَدَتْ ... وأملِكُ طَرْفِي فلا أنظرُ)
فقال إسحاق لمحمد بن الحسن آجرك الله في ابن عمك أي قد سكر فأقدم على الغناء بحضرتي
نسبة هذا الصوت
- صوت - متقارب
(هَبُوني أغُضُّ إذا ما بَدَتْ ... وأملِكِ طَرْفِي فلا أنظُرُ)
(فكيف احتيالي إذا ما الدموعُ ... نَطَقْنَ فَبُحْنَ بما أضمِرُ)
(أيا مَنْ سروري به شِقْوةٌ ... ومَنْ صفوِ عيشي به أكْدرُ)
(أمِنّي تخاف انتشارَ الحديثِ ... وحظّي في سَتْرِه أوفَرُ)
(ولو لم أصُنْه لِبُقْيَا عليك ... نظرْتُ لنفسي كما تنظر)
الشعر للعباس بن الأحنف والغناء للزبير بن دحمان ثقيل أول بالوسطى عن عمرو في الأبيات الثلاثة الأول
وفيها لعمرو بن بانة ماخوري
وفي
(... أيا مَن سُروري به شِقْوَةٌ)
لسليم هزج
وفيه ثاني ثقيل ينسب إلى حسين بن محرز وإلى عباس منقار
- صوت - رجز
(هذا أوانُ الشدِّ فاشتدِّي زِيَمْ ... قد لَفَّها الليلُ بسوّاقٍ حُطمْ)
(ليسَ براعي إبلٍ ولا غَنمْ ... ولا بجَزّارٍ على ظهرِ وَضَمْ)
عروضه من الرجز
الشعر لرشيد بن رميض العنزي يقوله في الحطم وهو شريح بن ضبيعة وأمه هند بنت حسان بن عمرو بن مرثد والغناء ليزيد حوراء - خفيف - ثقيل أول بالبنصر وفيه خفيف رمل يقال إنه لأحمد المكي
قال أبو عبيدة كان شريح بن ضبيعة غزا اليمن في جموع جمعها من ربيعة فغنم وسبى بعد حرب كانت بينه وبين كندة أسر فيها فرعان بن مهدي بن معد يكرب عم الأشعث بن قيس وأخذ على طريق مفازة فضل بهم دليلهم ثم هرب منهم ومات فرعان في أيديهم عطشاً وهلك منهم ناس كثير بالعطش
وجعل الحطم يسوق بأصحابه سوقاً عنيفاً
حتى نجوا ووردوا الماء
- فقال فيه رشيد - رجز
(هذا أوانُ الشدِّ فاشتدي زِيَمْ ... ليسَ براعي إبلٍ ولا غنمْ)
((ولا بجزّارَ على ظهرٍ وضَمٍ ... نامَ الحداةُ وابن هندٍ لم يَنَمْ
(باتتْ يقاسيها غلامٌ كالزّلَمْ ... خَدلَّج السَّاقين خَفّافُ القدمْ)
(... قد لفَّها الليلُ بسَوّاقٍ حُطَمْ)
فلقب يومئذ الحطم لقول رشيد هذا فيه
وأدرك الحطم الإسلام فأسلم ثم ارتد بعد وفاة رسول الله
حدثنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا عبد الله بن سعد الزهري قال أخبرنا عمي يعقوب قال أخبرني سيف قال خرج العلاء بن الحضرمي نحو البحرين وكان من حديث البحرين أن رسول الله لما مات ارتدوا ففاءت عبد القيس منهم وأما بكر فتمت على ردتها
وكان الذي ثنى عبد القيس الجارود بن المعلى
فذكر سيف عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن بن أبي الحسن قال قدم الجارود بن المعلى على النبي مرتاداً وقال أسلم يا جارود فقال إن لي ديناً قال له النبي إن دينك يا جارود ليس بشيء وليس بدين

فقال له الجارود فإن أنا أسلمت فما كان من تبعة في الإسلام فعليك قال نعم
فأسلم وأقام بالمدينة حتى فقه
حدثنا محمد بن جرير قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن أبي إسحاق قال اجتمعت ربيعة بالبحرين فقالوا ردوا الملك في آل المنذر فملكوا المنذر بن النعمان بن المنذر وكان يسمى الغرور ثم أسلم بعد ذلك وقال لست بالغرور ولكني المغرور
حدثنا محمد بن جرير قال حدثنا عبد الله بن سعد قال أخبرني عمي قال أخبرنا سيف عن إسماعيل بن مسلم عن عمير بن فلان العبدي قال لما مات
رسول الله خرج الحطم بن ضبيعة في بني قيس بن ثعلبة ومن اتبعه من بكر بن وائل على الردة ومن تأشب إليه من غير المرتدين ممن لم يزل كافراً حتى نزل القطيف وهجر واستغوى الخط و من كان بهما من الزط والسيابجة وبعث بعثاً إلى دارين فأقا موا له ليجعل عبد القيس بينهم وبينه وكانوا مخالفين له يمدون المنذرو المسلمين وأرسل إلى الغرور بن سويد بن المنذر ابن أخي النعمان بن المنذر فقال له اثبت فإني إن ظفرت ملكتك البحرين حتى تكون كالنعمان بالحيرة وبعث إلى رواثا وقيل إلى جؤاثا فحاصرهم وألح عليهم فاشتد الحصار على المحصورين من المسلمين وفيهم رجل من صالحي المسلمين يقال له عبد الله بن حذف أحد بني أبي بكر بن كلاب فاشتد عليه وعليهم الجوع حتى كادوا يهلكون
- فقال عبد الله بن حذف - وافر
(ألاَ أبلِغْ أبا بكرٍ رسولاً ... وفتيانَ المدينةِ أجمعينا)
(فهلْ لَكُمُ إلى قومٍ كرامٍ ... قُعُودٍ في جؤاثاً مُحْصَرينا)
(كأنَّ دماءَهُمْ في كل فَجٍّ ... شُعاعُ الشمسِ يُعشي الناظرينا)
(توكَّلْنا على الرحمن إنّا ... وجَدْنا النَّصْرَ للمتوكلينا)
حدثني محمد بن جرير قال كتب إلى السري بن يحيى عن شعيب بن إبراهيم عن سيف بن عمر عن الصقعب بن عطية بن بلال عن سهم بن
منجاب عن منجاب بن راشد قال بعث أبو بكر العلاء بن الحضرمي على قتال أهل الردة بالبحرين فتلاحق به لم من لم يرتد من المسلمين وسلك بنا الدهناء حتى إذا كنا في بحبوحتها أراد الله عز وجل أن يرينا آية فنزل العلاء وأمر الناس بالنزول فنفرت الإبل في جوف الليل فما بقي بعير ولا زاد ولا مزاد ولا بناء يعني الخيم قبل أن يحطوا فما علمت جمعاً هجم عليه من الغم ما هجم علينا وأوصى بعضنا إلى بعض ونادى منادي العلاء اجتمعوا
فاجتمعنا إليه فقال ما هذا الذي ظهر فيكم وغلب عليكم فقال الناس وكيف نلام ونحن إن بلغنا غداً لم تحم شمسه حتى نصير حديثاً فقال أيها الناس لا تراعوا ألستم مسلمين ألستم في سبيل الله ألستم أنصار الله قالوا بلى
قال فأبشروا فوالله لا يخذل الله تبارك وتعالى من كان في مثل حالكم
ونادى المنادي بصلاة الصبح حين طلع الفجر فصلى بنا ومنا المتيمم ومنا من لم يزل على طهوره فلما قضى صلاته جثا لركبتيه وجثا الناس معه فنصب في الدعاء ونصبوا فلمع لهم سراب فأقبل على الدعاء ثم لمع لهم آخر كذلك فقال الرائد ماء
فقام وقام الناس فمشينا حتى نزلنا عليه فشربنا واغتسلنا فما تعالى النهار حتى أقبلت الإبل من كل وجه وأناخت إلينا فقام كل رجل إلى ظهره فأخذه فما فقدنا سلكا فأرويناها العلل بعد النهل وتروحنا
وكان أبو هريرة رفيقي فلما غبنا عن ذلك المكان قال لي كيف علمك بموضع ذلك الماء فقلت أنا أهدى الناس بهذه البلاد قال فكر معي حتى تقيمني عليه
فكررت به فأنخت على ذلك
المكان بعينه فإذا هو لا غدير به ولا أثر للماء فقلت له والله لولا أني لا أرى الغدير لأخبرتك أن هذا هو المكان وما رأيت بهذا المكان ماء قبل ذلك
فنظر أبو هريرة فإذا إداوة مملوءة فقال يا سهم هذا والله المكان ولهذا رجعت ورجعت بك
وملأت إداوتي هذه ثم وضعتها على شفير الوادي فقلت إن كان منا من المن وكانت آية عرفتها وإن كان غياثاً عرفته فإذا من من المن وحمدت الله جل وعز
ثم سرنا حتى نزلنا هجر فأرسل العلاء إلى الجارود ورجل آخر أن انضما في عبد القيس حتى تنزلا على الحطم مما يليكما
وخرج هو فيمن معه وفيمن قدم عليه حتى ينزل مما يلي هجر
وتجمع المسلمون كلهم إلى العلاء بن الحضرمي ثم خندق المسلمون والمشركون فكانوا يتراوحون القتال ويرجعون إلى خندقهم فكانوا كذلك شهراً
فبينا الناس ليلة كذلك إذ سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاء شديدة فكأنها ضوضاء هزيمة فقال العلاء من يأتينا بخبر القوم فقال عبد الله بن حذف أنا آتيكم بخبر القوم وكانت أمه عجلية فخرج حتى إذا دنا من خندقهم أخذوه فقالوا له من أنت فانتسب لهم وجعل ينادي يا أبجراه فجاء أبجر بن بجير فعرفه فقال ما شأنك فقال لا أضيعن الليلة بين اللهازم علام أقتل وحولي عساكر من عجل وتيم اللات وعنزة وقيس أيتلاعب بي الحطم ونزاع القبائل وأنتم شهود فتخلصه وقال والله إني لأظنك بئس ابن الأخت لأخوالك الليلة
قال دعني من هذا وأطعمني فقد مت جوعاً
فقرب إليه طعاماً فأكل
ثم قال زودني واحملني وجوزني انطلق إلى طيتي
ويقول ذلك لرجل قد غلب عليه الشراب ففعل وحمله على بعير
وزوده وجوزه
وخرج عبد الله حتى دخل عسكر المسلمين فأخبرهم أن القوم سكارى فخرج القوم عليهم حتى اقتحموا عسكرهم فوضعوا فيهم السيوف حيث شاؤوا واقتحموا الخندق هرابا فمترد وناج ودهش ومقتول ومأسور واستولى المسلمون على ما في العسكر ولم يفلت رجل إلا بما عليه
فأما أبجر فأفلت وأما الحطم فإنه بعل ودهش وطار فؤاده فقام إلى فرسه والمسلمون خلالهم يجوسونهم ليركبه فلما

وضع رجله في الركاب انقطع فمر به عفيف بن المنذر أحد بني عمرو بن تميم والحطم يستغيث ويقول ألا رجل من بني قيس ابن ثعلبة يعقلني فرفع صوته فعرفه عفيف فقال أبو ضبيعة قال نعم
قال أعطني رجلك أعقلك
فأعطاه رجله يعقلها فنفحها فأطنها من الفخذ وتركه فقال أجهز علي
فقال إني لأحب أن لا تموت حتى أمضك
وكان مع عفيف عدة من ولد أبيه فأصيبوا ليلتئذ وجعل الحطم يقول ذلك لمن لا يعرفه حتى مر به قيس بن عاصم فقال له ذلك فعرفه فمال عليه فقتله فلما رأى فخذه نادرة قال واسوأتاه لو عرفت الذي به لم أحركه
وخرج المسلمون بعد ما أحرزوا الخندق على القوم يطلبونهم فاتبعوهم فلحق قيس بن عاصم أبجر وكان فرس أبجر أقوى من فرس قيس فلما خشي أن يفوته طعنه في العرقوب فقطع العصب وسلم النسا
- فقال عفيف بن المنذر في ذلك - طويل
(فإن يَرْقَأ العرقوبُ لا يرقأ النَّسا ... وما كلُّ مَن يبقى بذلك عالمُ)
(ألم تَرَ أنَّا قد فَلَلْنا حُماتَهُمْ ... بأسرةِ عمروٍ والرِّباب الأكارمِ)
وأسر عفيف بن المنذر الغرور ابن أخي النعمان بن المنذر فكلمته
الرباب فيه وكان ابن أختهم وسألوه أن يجيره فجاء به إلى العلاء قال إني أجرته
قال ومن هو قال الغرور
قال العلاء أنت غررت هؤلاء قال أيها الملك إني لست بالغرور ولكني المغرور
قال أسلم
فأسلم وبقي بهجر
وكان الغرور اسمه ليس بلقب
وقتل العفيف أيضاً المنذر بن سويد أخا الغرور لأمه وكان له يومئذ بلاء عظيم فأصبح العلاء يقسم الأنفال ونفل رجالاً من أهل البلاء ثيابا فكان فيمن نفل عفيف بن المنذر وقيس بن عاصم وثمامة بن أثال
فأما ثمامة فنفل ثيابا فيها خميصة ذات أعلام وكان الحطم يباهي فيها
وباع الباقي وهرب الفل إلى دارين فركبوا إليها السفن فجمعهم الله عز وجل بها وندب العلاء الناس إلى دارين وخطبهم فقال إن الله عز وجل قد جمع لكم أحزاب الشيطان وشذاذ الحرب في هذا اليوم وقد أراكم من آياته في البر لتعتبروا بها في البحر فانهضوا إلى عدوكم ثم استعرضوا البحر إليهم فإن الله جل وعز قد جمعهم به
فقالوا نفعل ولا نهاب والله بعد الدهناء هولاً ما بقينا فارتحل وارتحلوا حتى أتى ساحل البحر فاقتحموا على الخيل هم والحمولة والإبل والبغال الراكب والراجل ودعا ودعوا وكان دعاؤه و دعاؤهم يا أرحم الراحمين يا كريم يا حليم يا صمد يا حي يا محيي الموتى يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت يا ربنا
فأجازوا ذلك الخليج بإذن الله يمشون على
مثل رملة ميثاء فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل وبين الساحل ودارين مسيرة يوم وليلة لسفن البحر
ووصل المسلمون إليها فما تركوا من المشركين بها مخبرا وسبوا الذراري واستاقوا الأموال فبلغ من ذلك نفل الفارس من المسلمين ستة آلاف والراجل ألفين
- فلما فرغوا رجعوا عودهم على بدئهم وفي ذلك يقول عفيف - طويل
(ألم تَرَ أنَّ الله ذَلَّل بحرَه ... وأنزلَ بالكفَّار إحدى الجلائلِ)
(دَعَوْنا الذي شقَّ البحارَ فجاءنا ... بأعجبَ مِن شقِّ البحار الأوائلِ)
وأقفل العلاء الناس إلا من أحب المقام فاختار ثمامة بن أثال الذي نفله العلاء خميصة الحطم حين نزل على ماء لبني قيس بن ثعلبة فلما رأوه عرفوا الخميصة فبعثوا إليه رجلاً فسألوه أهو الذي قتل الحطم قال لا ولوددت أني قتلته
قالوا فأنى لك حلته قال نفلتها
قالوا وهل ينفل إلا القاتل قال إنها لم تكن عليه إنما كانت في رحله
قالوا كذبت
فقتلوه وكان بهجر راهب فأسلم فقيل له ما دعاك إلى الإسلام فقال ثلاثة أشياء خشيت أن يمسخني الله بعدها إن أنا لم أفعل فيض في الرمال وتمهيد أثباج البحور ودعاء سمعته في عسكرهم في الهواء من السحر
قالوا وما هو قال اللهم إنك أنت الرحمن الرحيم لا إله غيرك والبديع ليس قبلك شيء والدائم غير الغافل والحي الذي لا يموت وخالق ما يرى وما لا يرى وكل يوم أنت في شأن وعلمت اللهم كل شيء بغير تعليم
فعلمت أن القوم لم يعاونوا بالملائكة إلا وهم على أمر الله جل وعز
فلقد كان أصحاب رسول الله يسمعون هذا من ذلك الهجري بعد
- خفيف- صوت
(يا خليليَّ من مَلامٍ دعاني ... وألمَّا الغداةَ بالأظعان)
(لا تَلوما في آلِ زينبَ إنَّ القلبَ ... رَهْنٌ بآلِ زينبَ عانِ)
الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء للغريض خفيف رمل بالبنصر
وهذا الشعر يقوله في زينب بنت موسى أخت قدامة بن موسى الجمحي
أخبرني حرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة قال حدثني قدامة بن موسى قال خرجت بأختي زينب بنت موسى إلى العمرة فلما كنت بسرف لقيني عمر بن أبي ربيعة على فرس فسلم عليّ فقلت إني أراك متوجهاً يا أبا الخطاب قال ذكرت لي امرأة من قومي برزة الجمال فأردت الحديث معها
قلت أما علمت أنها أختي قال لا والله
واستحيا وثنى عنق فرسه راجعاً إلى مكة
أخبرني حرمي قال حدثني الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهري قال نسب ابن أبي ربيعة
- بزينب بنت موسى الجمحي أخت قدامة بن موسى فقال - خفيف

(... يا خليليَّ من مَلامٍ دعانِي)
وذكر البيتين وبعدهما
(لمْ تَدَعْ للنِّساء عندي نَصِيباً ... غيرَ ما قلْتُ مازحاً بلساني)
فقال له ابن أبي عتيق أما قلبك فمغيب عنا وأما لسانك فشاهد عليك
أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال قال عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهري لما نسب عمر بن أبي ربيعة بزينب قال
(لمْ تَدَعْ للنِّساء عندي نَصِيباً ... غيرَ ما قلْتُ مازحاً بلساني)
قال له ابن أبي عتيق رضيت لهما بالمودة وللنساء بالدهفشة
قال والدهفشة التجميش والخديعة بالشيء اليسير
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال أخبرني مثل ذلك عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجشون قال فبلغ ذلك أبا وداعة السهمي فأنكره فقيل لابن أبي عتيق أبو وداعة قد اعترض لعمر بن أبي ربيعة دون زينب بنت موسى الجمحي وقال لا أقر له أن يذكر في الشعر امرأة من بني هصيص
فقال ابن أبي عتيق لا تلوموا أبا وداعة أن ينعظ من سمرقند على أهل عدن
- قال عبد الملك وفيها يقول أيضاً عمر - خفيف
(طالَ عن آل زينبِ الإعراضُ ... للتعزِّي وما بنا الإبغاضُ)
(ووليداً قد كان علَّقها القلْبُ ... إلى أنْ علا الرؤوسَ البياض)
(حَبْلُها عندنا متينٌ وحَبلِي ... عندَها واهنُ القوى أنقاضُ)
غناه ابن محرز رمل بالبنصر عن حبش
خفيف -وفيها يقول أيضاً
صوت
(أيها الكاشِح المعيِّر بالصُّرْمِ ... تزحزَحْ فما بها الهِجرانُ)
(لا مطاعٌ في آل زينبَ فارجعْ ... أو تكلَّمْ حتّى يملَّ اللسان)
(فاجعل الليلَ مَوْعِداً حين يمسي ... ويُعفِّي حديثَنا الكتمان)
(كيف صبري عن بَعضِ نفسِي وهل يَصبِرُ ... عنِ بعضِ نفسِه إنسان)
(ولقد أشهدُ المحدّث عند القَصر ... فيه تعفُّفٌ وبيان)
(في زمانٍ من المعيشة لَذٍّ ... قد مضى عصرُه وهذا زمانُ)
عروضه من الخفيف غناه ابن سريج ولحنه رمل بالوسطى من نسخة عمرو بن بانة الثانية ووافقته دنانير
وذكر يونس أن فيه لابن محرز ولابن عباد الكاتب لحنين ولم يجنسهما
وأول لحن عباد لا مطاع في آل زينب وأول لحن ابن محرز ولقد أشهد المحدث
قال وفيها يقول أيضاً طويل
صوت
(أحدِّثُ نفسي والأحاديثُ جَمْةٌ ... وأكْبَرُ همِّي والأحاديثُ زينبُ)
(إذا طَلَعَتْ شمسُ النهار ذكرْتُها ... وأحدِثُ ذكراها إذا الشمسُ تغرب)
ذكر حماد عن أبيه أن فيه للهذلي لحناً لم ينسبه
- صوت - مجزوء الكامل
(يا نُصْبَ عَيْنِيَ لا أرى ... حيثُ التَفَتُّ سواكِ شَيّا)
(إنِّي لَمَيْتٌ إنْ صَدَدْتِ ... وإن وَصَلْتِ رَجَعْتُ حيّا)
الشعر لعليّ بن أديم الجعفي الكوفي والغناء لعمرو بن بانة رمل بالوسطى
17 - ذكر علي بن أديم وخبره
هو رجل من تجار أهل الكوفة كان يبيع البز وكان متأدبا صالح الشعر يهوى جارية يقال لها منهلة واستهيم بها مدة ثم بيعت فمات أسفاً عليها
وله حديث طويل معها في كتاب مفرد مشهور صنعه أهل الكوفة لهما فيه ذكر قصصهما وقتاً وقتا وما قال فيها من الأشعار وأمرهما متعالم عند العامة وليس مما يصلح الإطالة به
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن داود بن الجراح قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال قال دعبل بن علي كان بالكوفة رجل يقال له علي بن أديم وكان يهوى جارية لبعض أهلها فتعاظم أمره وبيعت الجارية فمات جزعاً عليها وبلغها خبره فماتت
قال وحدثني بعض أهل الكوفة أنه علقها وهي صبية تختلف إلى الكتاب فكان يجيء إلى ذلك المؤدب فيجلس عنده لينظر إليها فلما أن بلغت باعها مواليها لبعض الهاشميين فمات جزعاً عليها
- قال وأنشدني له أيضاً - كامل
صوت
(صاحُوا الرَّحيلُ وحثّني صَحْبي ... قالوا الرواحُ فطيَّروا لُبِّي)
((واشتقْتُ شوقاً كاد يقتلني ... والنفسُ مشرفة على نَحْبِ)
(لم يَلْقَ عند البَيْن ذو كَلَفٍ ... يوماً كما لاقيْتُ من كَرَبِ)
(لا صَبْرَ لي عند الفراق على ... فَقْدِ الحبيب ولوعةِ الحبِّ)
الشعر لعلي بن أديم الكوفي الجعفي والغناء لحكم الوادي
وذكر حبش أن لابراهيم بن أبي الهيثم فيه لحناً
والله أعلم
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو بكر العمري قال حدثني دعبل بن علي قال كان بالكوفة رجل من بني أسد يقال له علي بن أديم فهوي جارية لبعض نساء بني عبس فباعتها لرجل من بني هاشم فخرج بها عن الكوفة فمات

علي بن أديم جزعاً عليها بعد ثلاثة أيام من خروجها وبلغها خبره فماتت بعده فعمل أهل الكوفة لهما أخباراً هي مشهورة عندهم
حدثني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أبو بكر العمري قال حدثنا محمد بن سماعة قال آخر من مات من العشق علي بن أديم الجعفي مر بمكتب في بني عبس بالكوفة فرأى فيه جارية تسمى منهلة عليها ثياب سواد فاستهيم بها
- وأعجبته وكلف بها وقال فيها - مجزوء الكامل
(إنِّي لمَا يعتادني ... من حبِّ لابسةِ السوادِ)
(في فتنةٍ وبليَّةٍ ... ما إنْ يطيقُهُما فُؤادي)
(فبقيتُ لا دُنْيا أصبْتُ ... وفاتني طلبُ المعادِ)
وسأل عنها فإذا لها مالكة عبسية وكان ابن أديم خزازاً فتحمل أبوه بجماعة من التجار على مولاتها لتبيعها فأبت وخرج إلى أم جعفر ورفع إليها قصته يسألها فيها المعونة على الجارية فخرج له توقيع بما أحب وأقام يتنجز تمام أمره فبينا هو
ذات يوم على باب أم جعفر إذ خرجت امرأة من دارها فقالت أين العاشق فأشاروا إليه فقالت أنت عاشق وبينك وبين من تحب القناطر والجسور والمياه والأنهار مع ما لا يؤمن من حدوث الحوادث فكيف تصبر على هذا إنك لجسور صبور فخامر قلبه هذا القول وجزع فبادر فاكترى بغلاً إلى الكوفة على الدخول فمات يوم دخول الكوفة
18 - ذكر عمرو بن بانة
هو عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد مولى ثقيف
وكان أبوه صاحب ديوان ووجهاً من وجوه الكتاب وينسب إلى أمه بانة بنت روح القحطبية
وكان مغنياً محسناً وشاعراً صالح الشعر وصنعته صنعة متوسطة النادر منها ليس بالكثير وكان يقعده عن اللحاق بالمتقدم في الصنعة أنه كان مرتجلاً والمرتجل من المحدثين لا يلحق الضراب
وعلى ذلك فما فيه مطعن ولا يقصر جيد صنعته عن صنعة غيره من طبقته وإن كانت قليلة وروايته أحسن رواية
وكتابه في الأغاني أصل من الأصول وكان يذهب مذهب إبراهيم بن المهدي في الغناء وتجنيسه ويخالف إسحاق ويتعصب عليه تعصباً شديداً ويواجهه بذلك وينصر إبراهيم بن المهدي عليه
وكان تياهاً معجبا شديد الذهاب بنفسه وهو معدود في ندماء الخلفاء ومغنيهم على ما كان به من الوضح
- وفيه يقول الشاعر - متقارب
(أقولُ لعمرو وقد مرَّ بي ... فَسَلَّمَ تَسْلِيمَةً جافيهْ)
(لئن فضَّلوك بفضْل الغناء ... لقد فضل الله بالعافيهْ)
وقال ابن حمدون كان عمرو حسن الحكاية لمن أخذ الغناء عنه حتى كان من يسمعه لو توارى عن عينه عمرو ثم غنى لم يشكك في أنه هو الذي أخذ عنه لحسن حكايته وكان محظوظا ممن يعلمه ما علم أحداً قط إلا خرج نادراً مبرزاً
فأخبرني جحظة قال حدثني أبو العبيس بن حمدون قال قال لي عمرو بن بانة علمت عشرة غلمان كلهم تبينت فيهم الثقافة والحذق وعلمت أنه يتقدم أحدهم أنت وتمرة وما تبينت قط من أحد خلاف ذلك فعلمته
وقال محمد بن الحسن الكاتب حدثني أبو حارثة الباهلي عن أخيه أبي معاوية قال سمعت عمرو بن بانة يقول لإسحاق في كلام جرى بينهما ليس مثلي يقاس بمثلك لأنك تعلمت الغناء تكسبا وتعلمته تطربا وكنت أضرب لئلا أتعلمه وكنت تضرب حتى تتعلمه
وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسن بن الحرون قال اجتمع عمرو بن بانة والحسين بن الضحاك في منزل ابن شعوف وكان له خادم يقال له مفحم وكان عمرو يتهم به فلما أخذ فيه الشراب سأل عمرو
- الحسين بن الضحاك أن يقول في مفحم شعراً ليغني فيه فقال الحسين - منسرح
(وا بأبي مُفْحَمٌ لِغِرّته ... قلْتُ له إذ خَلَوْتُ مكتتما)
(تحبُّ بالله من يخصُّك بالحُبِّ ... فما قال لا ولا نعما)
الشعر للحسين بن الضحاك والغناء لعمرو بن بانة ثاني ثقيل بالبنصر
قال فغنى فيه عمرو
ولم يزل هذا الشعر غناءهم وفيه طربهم إلى أن
تفرقوا
وأتاهم في عشيتهم إسحاق بن إبراهيم الموصلي فسألوا ابن شعوف أن لا يأذن له فحجبه وانصرف إسحاق بن إبراهيم الموصلي إلى منزله فلما تفرقوا مر به الحسين بن الضحاك وهو سكران فأخبره بجميع ما دار بينهما في مجلسهم فكتب
- إسحاق إلى ابن شعوف - منسرح
(يا ابن شعوفٍ أمَا سَمِعْتَ بما ... قد صار في الناسِ كلِّهمْ عَلَما)
(أتاك عمروٌ فبات ليلتَه ... في كلِّ ما يُشتهى كما زَعَما)
(حتَّى إذا ما الظلامُ خالطَه ... سرى دَبِيباً فجامع الخدَما)
(ثُمَّتَ لم يَرْضَ أن يفوز بذَا ... سِرّاً ولكن أبدى الذي كَتما)
(حتّى تَغَنّى لفرط صَبْوَتِهِ ... صَوْتاً شفَى من فؤاده السَّقَما)
(وا بأبي مُفْحَمٌ لِغِرّته ... قلْتُ له إذ خَلَوْتُ مكتتما)
(تحبُّ بالله من يخصُّك بالودِّ ... فما قال لا ولا نعما)
فهجر ابن شعوف عمرو بن بانة مدة وقطع عشرته
وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي بهذا الخبر قال حدثني ميمون بن الأزرق قال كان لمحمد بن شعوف الهاشمي ثلاثة غلمان مغنين ومنهم اثنان صقلبيان محبوبان خاقان وحسين وكان خاقان أحسن الناس غناء وكان حسين يغني غناء متوسطاً وهو مع ذلك أضرب الناس وكان قليل الكلام جميل الأخلاق أحسن الناس وجهاً وجسماً وكان الغلام الثالث فحلاً
- يقال له حجاج حسن الوجه رومي حسن الغناء فتعشق عمرو بن بانة منهم المعروف بحسين وقال فيه - منسرح
(وا بأبي مُفْحَمٌ لِغِرّته ... قلْتُ له إذ خَلَوْتُ مكتتما)
(تحبُّ بالله من يخصُّك بالودِّ ... فما قال لا ولا نعما)

ولم يذكر غير هذا
وقال محمد بن الحسن حدثني أبو الحسين العاصمي قال دخلت أنا
وصديق لي على عمرو بن بانة في يوم صائف فصادفناه جالساً في ظل طويل ممتع فدعاني إلى مشاركته فيه وجعل
- يغنينا يومه كله لحنه - وافر
صوت
(نِقابُكِ فاتنٌ لا تفتنينا ... ونَشْرُكِ طيّبٌ لا تحرمينا)
(وخاتَمكِ اليمانِي غيرَ شَكٍّ ... خَتَمْتِ به رقابَ العالمينا)
الغناء لعمرو بن بانة هزج خفيف بالبنصر
قال فما طربت لغناء قط طربي له ولا سمعت أشجى ولا أكثر نغما ولا أحسن من غنائه
أخبرني جحظة قال حدثني أبو حشيشة قال كنت يوماً عند عمرو بن بانة فزاره خادم كان يحبه فأقام عنده فطلب عمرو
في الدنيا كلها من يضرب عليه فلم يجد أحداً فقال له جعفر الطبال إن أنا غنيتك اليوم على عود يضرب به عليك أي شيء
لي عندك قال مائة درهم ودستيجة نبيذ
وكان جعفر حاذقاً متقدماً نادراً طيباً وكان نذل الهمة فقال أسمعني مخرج صوتك
ففعل فسوى عليه طبله كما يسوى الوتر واتكأ عليه بركبته فأوقع عليه
ولم يزل عمرو يغني بقية يومه على إيقاعه لا ينكر منه شيئاً حتى انقضى يومنا ودفع إليه مائة درهم وأحضر الدستيجة
فلم يكن له من يحملها فحملها جعفر على عنقه وغطاها بطيلسانه وانصرفنا
قال أبو حشيشة فحدثت بهذا الحديث إسحاق بن عمرو بن بزيع وكان صديق إبراهيم بن المهدي فحدثني أن إبراهيم بن
المهدي قال له يا جعفر حذق فلانة جاريتي ضرب الطبل ولك مائة دينار أعجل لك منها خمسين
قال نعم
فعجلت له الخمسون وعلمها فلما حذقت طالب إبراهيم بتتمة المائة فلم يعطه فاستعدى عليه أحمد بن أبي دواد
الحسني خليفته فأعداه ووكل إبراهيم
وكيلاً فلما تقدم مع الوكيل إلى القاضي أراد الوكيل أن يكسر حجة جعفر فقال أصلح الله القاضي سله من أين له هذا
الذي يدعي وما سببه فقال جعفر أصلح الله القاضي أنا رجل طبال وشارطني إبراهيم على مائة دينار على أن أحذق
جاريته فلانة وعجل لي بخمسين ديناراً ومنعني الباقي بعد أن رضي حذقها فيحضر القاضي الجارية وطبلها وأحضر أنا
طبلي ويسمعنا القاضي فإن كانت مثلي قضى لي عليه وإلا حذقتها فيه حتى يرضى القاضي
فقال له القاضي قم عليك وعليها لعنة الله وعلى من يرضى بذلك منك ومنها
فأخذ الأعوان بيده فأقاموه
وقال علي بن محمد الهشامي حدثني جدي ابن حمدون قال كنت عند عمرو بن بانة يوماً ففتح باب داره فإذا بخادم أبيض
شيخ قد دخل يقود بغلاً له عليه مزادة فلما رآه عمرو صرخ لا إله إلا الله ما أعجب أمرك يا دنيا فقلت له ما لك قال يا أبا
- عبد الله هذا الخادم رزق غلام علويه المغني الذي يقول فيه الحسين بن الضحاك الشاعر - سريع
(يا ليت رزقاً كان من رزقي ... يا ليته حظي من الخَلْقِ)
قد صار إلى ما ترى
ثم غناني لحناً له في هذا الشعر فما سمعت أحسن منه منذ خلقت
نسبة هذا اللحن
صوت
(يا ليْتَ رزقاً كان من رزقي ... يا ليتَه حظّي من الخَلْقِ)
(يا شادناً ملّكْتُه رقِّي ... فلستُ أرجُو راحةَ العِتْقِ)
الشعر للحسين بن الضحاك والغناء لعمرو بن بانة ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى
وقال علي بن محمد الهشامي حدثني جدي يعني ابن حمدون قال
كنا عند المتوكل ومعنا عمرو بن بانة في آخر يوم من شعبان فقال له عمرو يا أمير المؤمنين جعلني الله فداءك تأمر لي
بمنزل فإنه لا منزل لي يسعني
فأمر المتوكل عبيد الله بن يحيى بأن يبتاع له منزلاً يختاره
قال وهجم الصوم وشغل عبيد الله وانقطع عمرو عنا فلما أهل شوال دعا بنا المتوكل فكان أول صوت غناه عمرو في شعر
- هذا - منسرح
صوت
(مِلاَّكَ ربِّي الأعيادِ تُخْلِقُها ... في طولُ عمرٍ يا سيدَ الناس)
(دُفِعْتُ عن منزل أَمرْتَ به ... فإنَّني عنه مباعَد خاس)
(فمرْ بتسليمِهِ إليّ على ... رَغْمِ عدوِّي بحرمة الكاس)
(أعوذ بالله والخليفة أن ... يرجع ما قلته على راسي)
لحن عمرو في هذا الموضع هزج بالبنصر
فدعا المتوكل بعبيد الله بن يحيى فقال له لم دافعت عمراً بابتياع المنزل الذي كنت أمرتك بابتياعه فاعتل بدخول الصوم
وتشعب الأشغال
فتقدم إليه أن لا يؤخر ابتياع ذلك إليه فابتاع له الدور التي في دور سر من رأى بحضرة المعلى بن أيوب
وفيها توفي عمرو
أخبرني محمد بن إبراهيم قريص قال سمعت أحمد بن أبي العلاء يحدث أستاذي يعني محمد بن داود بن الجراح قال
جمع عبد الله بن طاهر بين المغنين وأراد أن يمتحنهم وأخرج بدرة دراهم سبقاً لمن تقدم منهم وأحسن فحضره
مخارق وعلويه وعمرو بن بانة ومحمد بن الحارث بن بسخنر فغنى فلم يصنع شيئاً وتبعه محمد بن الحارث فكانت هذه
سبيله وامتدت الأعين إلى مخارق وعمرو فبدأ مخارق فغنى مجزوء الكامل
(إني امرؤٌ من خيرهمْ ... عمِّي وخالي من جذامْ)

فما نهنهه عمرو مع انقطاع نفسه حتى غنى سريع
(يا ربْعَ سلاّمة بالمنحنى ... بخَيف سلْعٍ جادكَ الوابلُ)
وكان إبراهيم بن المهدي حاضراً فبكى طرباً وقال أحسنت والله واستحققت فإن أعطيته وإلا فخذه من مالي يا حبيبي عني أخذت هذا الصوت وقد والله زدت علي فيه وأحسنت غاية الإحسان ولا يزال صوتي عليك أبداً
فقال له عبد الله من حكمت له بالسبق فقد حصل
وأمر له بالبدرة فحملت إلى عمرو
ثم حدثنا بعد ذلك أن إسحاق لقي عمرو بن راشد الخناق فقال له قد بلغني خبر المجلس الذي جمع عبد الله فيه المغنين يمتحنهم ولو شاء لكان في راحة من ذلك
قلت وكيف قال أما مخارق فأحسن القوم غناء إذا اتفق له أن يحسن وقلما يتفق له ذلك
وأما محمد بن الحارث فأحسنهم شمائل وأملحهم إشارة بأطراف وجهه في الغناء وليس له غير ذلك
وأما عمرو بن بانة فأعلم القوم وأرقاهم
وأما علويه فمن أدخله ابن الزانية مع هؤلاء
نسبة هذين الصوتين
صوت مجزوء الكامل
(إني امرؤٌ من خيرهمْ ... عمِّي وخالي من جذامْ)
(خَوْدٌ كضوء البدر أو ... أضوَا لدَى الليلِ التمامْ)
(يجري وشاحاها على ... نَحْرٍ نقيٍّ كالرُّخام)
والغناء لابن جامع رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق
صوت خفيف
(يا خليليَّ من بني شيبانٍ ... أنا لا شكَّ ميّتٌ فابكياني)
(إنّ روحي لم يَبْقَ منها سوى شيءٍ ... يسيرٍ مُعَلّقٍ بلساني)
الشعر لأبي العتاهية والغناء لإبراهيم رمل بالوسطى عن عمرو والهشامي وإبراهيم
وهذا الشعر يخاطب به أبو العتاهية عبد الله وزائدة بن معن بن زائدة الشيباني وكان صديقاً وخاصاً بهما
ثم إن يزيد بن معن غضب لمولاة لهم يقال لها سعدى وكان أبو العتاهية يشبب بها فضربه مائة سوط فهجاه وهجا إخوته ثم أصلح بينهم مندل بن علي العبدي وهو مولى أبي العتاهية فعاد إلى ما كان عليه لهم
فأخبرني وكيع قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه
وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه قالا قول أبي العتاهية
(... يا خَليليَّ من بني شيبان)
يخاطب به عبد الله ويزيد ابني معن بن زائدة أو قال عبد الله وزائدة
أخبرني ابن عمار قال حدثني زيد بن موسى بن حماد
وأخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن سعيد قال حدثني أبو سويد عبد القوي بن محمد ابن أبي العتاهية قال كان أبو العتاهية في حداثته يهوى امرأة من أهل الحيرة نائحة لها حسن وجمال ودماثة وكان ممن يهواها أيضاً عبد الله - بن معن بن زائدة أبو الفضل وكانت مولاة لهم يقال لها سعدى وكان أبو العتاهية مغرماً بالنساء فقال فيها - طويل
(ألا يا ذَواتِ السّحْقِ في الغرب والشرق ... أَفِقْنَ فإنّ النَّيْكَ أشهى من السحق)
(أَفِقْنَ فإنَّ الخبز بالأُدْم يُشتَهى ... وليس يسوغ الخبزُ بالخبزِ في الحَلْق)
(أراكنَّ تَرْقَعْنَ الخروقَ بمثلها ... وأيُّ لبيب يرقع الخَرْقَ بالخَرْق)
(وهل يَصلُح المِهراسُ إلاّ بعوده ... إذا احتيج منه ذاتَ يومٍ إلى الدقّ)
- قال وقال فيه أيضاً - خفيف
(قلتُ للقلب إذْ طوى وَصْلَ سُعدَى ... لهواهُ البعيدة الأنسابِ)
(أنت مثل الذي يفرُّ من القَطْر ... حِذارَ الندى إلى الميزاب)
- قال محمد بن محمد في خبره فغضب عبد الله بن معن لسعدى فضرب أبا العتاهية مائة فقال - مجزوء الخفيف
(جلَدَتْني بكفِّها ... بنْتُ مَعْن بن زائدَه)
(جَلَدَتْني بكفِّها ... بأبي أنتِ جالدَه)
(جلدتني وبالغَتْ ... مائةً غيرَ واحده)
(إجْلدي إجلدي اجلدِي ... إنّما أنتِ والده)
أخبرني وكيع قال حدثني أبو أيوب المديني قال احتال عبد الله بن معن فضرب أبا العتاهية ضرباً غير مبرح إشفاقاً مما يغنّى به فقال
((إجْلدي إجلدي اجلدِي ... إنّما أنتِ والده
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الغلابي قال حدثني مهدي قال تهدد عبد الله بن معن أبا العتاهية وخوفه ونهاه أن - يعرض لمولاته سعدى فقال أبو العتاهية قوله - مجزوء الوافر
(ألا قلْ لابن مَعْنٍ والذي ... في الودِّ قد حالا)
(لقد بُلّغْتُ ما قال ... فما باليْتُ ما قالا)
(ولو كان من الأُسْد ... لما راعَ ولا هالا)
(فَصُغْ ما كنْتَ حلَّيْتَ ... به سيفَكَ خَلخالا)
(فما تصنع بالسيف ... إذا لم تَكُ قَتّالا)
(ولو مَدّ إلى أُذُنَيْه ... كَفَّيْه لما نالا)
(قَصير الطُّول والطَّوْل ... فلا شبَّ ولا طالا)
(أرى قومَكَ أبطالا ... وقد أصبحْتَ بطّالا)
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني الحسن بن علي الرازي قال حدثني أحمد بن أبي فنن قال كنا عند ابن الأعرابي

- فذكر قول يحيى بن نوفل في عبد الملك بن عمير القاضي - طويل
(إذا كلّمَتْهُ ذاتُ دلٍّ لحاجةٍ ... فهمَّ بأن يقضي تنحنحَ أو سعلْ)
وأن عبد الملك بن سليمان بن عمير قال تركني والله وإن السعلة لتعرض لي في الخلاء فأذكر قوله فأتركها
قال فقلت له هذا عبد الله بن معن بن زائدة يقول له أبو العتاهية - مجزوء الوافر
(فصُغْ ما كنْتَ حلّيْتَ ... به سيفكَ خلخالا)
(وما تصنعُ بالسيف ... إذا لم تكُ قتَّالا)
قال فقال عبد الله ما لبست السيف قط فلمحني إنسان إلا قلت إنه يحفظ شعر أبي العتاهية فيّ فينظر إليّ بسببه
فقال ابن الأعرابي اعجبوا إليه لعنه الله يهجو مولاه وكان أبو العتاهية من موالي بني شيبان
- وقال محمد بن موسى في خبره وقال أبو العتاهية يهجو عبد الله بن معن - سريع
(لا تُكثِرا يا صاحبيَّ رحلِي ... في شتْمِ مَنْ أكثرَ من عَذْلِي)
(سبحانَ من خصَّ ابنَ معنٍ بما ... أرى به من قلّةِ العقل)
(قال ابنُ معنٍ وَجَلاَ نفسَه ... على مَن الجِلوةُ يا أهلي)
(أنا فتاةُ الحيِّ من وائلٍ ... في الشّرَفِ الباذخِ والنُّبْلِ)
(ما في بني شيبانَ أهلِ الحِجى ... جاريةٌ واحدةٌ مثلي)
(يا ليتَني أبصرتُ دلاّلة ... تدلُّني اليومَ على فحلِ)
(والهْفَتَا اليومَ على أمْرَدٍ ... يُلْصِقُ منّي القُرْطَ بالحِجْلِ)
(أتيْتُه يوماً فصافحْتُه ... فقال دَعْ كفّي وخذْ رِجلي)
(يُكنَى أبا الفضلِ فيا مَن رأى ... جاريةً تكنى أبا الفضلِ)
(قد نقّطتْ في خدّها نقطةً ... مخافةَ العينِ من الكُحْلِ)
(إنْ زُرْتموها قال حُجّابُها ... نحنُ عنِ الزوّار في شُغْلِ)
(مولاتُنا خاليةٌ عندَها ... بَعْلٌ ولا إذْنَ على البعلِ)
(قولا لعبد الله لا تجهلَنْ ... وأنتَ رأسُ النَّوْكِ والجهلِ)
(أتجلِدُ الناسَ وأنت امرؤٌ ... تُجلَدُ في الدُّبْرِ وفي القُبَلِ)
(تبذُل ما يمنع أهلُ الندى ... هذا لعمري مُنتهى البَذْلِ)
(ما ينبغي للناس أن يَنسبُوا ... من كان ذا جُودٍ إلى البخل)
- وقال في ضربه إياه - خفيف
(ضربَتْني بكفِّها بنتُ معنٍ ... أوْجَعَتْ كفَّها وما أوْجَعتْني)
(ولعمري لولا أذى كفِّها إذ ... ضربَتْني بالسَّوط ما تركَتْني)
أخبرني ابن عمار قال حدثني محمد بن موسى
وأخبرني محمد بن يحيى قال حدثني جبلة بن محمد قالا لما اتصل هجاء أبي العتاهية بعبد الله بن معن غضب من ذلك
- أخوه يزيد بن معن فهجاه أبو العتاهية فقال - وافر
(بَنَى معْنٌ ويهدِمُه يزيدُ ... كذاك اللهُ يفعلُ ما يريدُ)
(فمعنٌ كان للحساد غمّاً ... وهذا قد يُسرُّ به الحسود)
(يزيدُ يزيدُ في منْعٍ وبُخلٍ ... وينقصُ في النوال ولا يزيد)
أخبرني محمد بن يحيى عن جبلة بن محمد قال حدثني أبي قال لما هجا أبو العتاهية بني معن فمضوا إلى مندل وحيان ابني علي العنزيين الفقيهين وكانا من سادات أهل الكوفة وهما من بني عمرو بن عمرو بطن من يقدم بن عنزة فقالوا لهما نحن بيت واحد وأهل ولا فرق بيننا وقد أتانا من مولاكم هذا ما لو أتى من بعيد الولاء لوجب أن تردعاه
فأحضرا أبا العتاهية ولم يكن يمكنه الخلاف عليهما فأصلحا بينه وبين عبد الله ويزيد ابني معن وضمنا عنه خلوص النية وعنهما ألا يتتبعاه بسوء وكانا ممن لا يمكن خلافهما فرجعت الحال إلى المودة والصفاء وجعل الناس يعذلون أبا العتاهية
- فيما فرط منه ولامه آخرون على صلحه لهم فقال - مجزوء الرمل
(ما لعذّالي وما لي ... أمروني بالضلالِ)
((عَذلوني في اعتفاري ... لابن معنٍ واحتمالِي
(أنا منه كنت أكْبَى ... زَندةً في كل حالِ)
(كلُّ ما قد كان منه ... فلِقُبْحٍ من فِعالي)
(إنّما كانت يميني ... صَرمتْ جهلاً شِمالي)
(مالُه بل نفسُه لي ... وله نفسي ومالي)
(قل لمن يعجَب من حسن ... رُجوعي وانتقالي)
(قد رأينا ذا كثيراً ... جارياً بين الرجال)
(رُبَّ وصْلٍ بعد صدٍّ ... وقِلىً بعد وصال)
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا محمد بن موسى قال كان أبو العباس زائدة بن معن صديقاً لأبي العتاهية ولم يعن
- أخويه عليه فمات فرثاه فقال - وافر
(حزنْتُ لموت زائدةَ بن معْنٍ ... حقيقٌ أن يطولَ عليه حزني)
(فَتى الفتيانِ زائدةُ المصفَّى ... أبو العباسِ كان أخي وخِدْني)
(فَتَى قومِي وأيُّ فتىً توارت ... به الأكفانُ تحت ثرىً ولِبْن)
(ألا يا قبرَ زائدةَ بنِ معْنٍ ... دعَوتُك كي تجيبَ فلم تجبني)
(سلِ الأيامَ عن أركانِ قومي ... أُصِبْتُ بهنّ ركناً بعد ركن)
صوت طويل
(فما روضةٌ بالحَزْنِ طيّبةُ الثرى ... يمجُّ الندى جَثجاثُها وعَرارُها)
((بأطيبَ من أردانِ عَزّة مَوْهِناً ... وقد أُوقِدَتْ بالمَنْدَلِ الرَّطْبِ نارُها

(فإنْ خَفِيَتْ كانت لعينيك قُرّةً ... وإن تَبْدُ يوماً لم يُعَمِّمْك عارها)
(من الخفِرات البيض لم تَرَ شِقوةً ... وفي الحسب المكنون صافٍ نِجارُها)
الشعر لكثير والغناء لمعبد في الأول والثاني ولحنه من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق
وذكر عمرو بن بانة أنه لابن سريج
وللغريض في الرابع والثالث ثقيل أول بالبنصر عن عمرو وحبش
وذكر الهشامي أن في الأول والثاني رملاً لابن سريج بالوسطى
وذكر عمرو وحبش أن فيه رملاً لابن جامع بالبنصر
وفي الأبيات خفيف ثقيل يقال إنه لمعبد ويقال إنه للغريض وأحسبه للغريض
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة هكذا موقوفاً لم يتجاوز
وأخبرني أن كثير بن عبد الرحمن كان غالياً في التشيع
وأخبر عن قطام صاحبة ابن ملجم في قدمة قدمها الكوفة فأراد الدخول عليها ليوبخها فقيل له لا تردها فإن لها جواباً
فأبى وأتاها فوقف على بابها فقرعه فقالت من هذا فقال كثير بن عبد الرحمن الشاعر
فقالت لبنات عم لها تنحين حتى يدخل الرجل
فولجن البيت وأذنت له فدخل وتنحت من بين يديه فرآها وقد ولت فقال لها أنت قطام قالت نعم
قال صاحبة علي بن أبي طالب عليه السلام قالت
صاحبة عبد الرحمن بن ملجم
قال أليس فيك قتل علي بن أبي طالب قالت بل مات بأجله
قال أما والله لقد كنت أحب أن أراك فلما رأيتك نبت عيني عنك فما احلوليت في خلدي
قالت والله إنك لقصير القامة عظيم الهامة قبيح المنظر وإنك لكما قال الأول تسمع بالمعيدي خير من أن تراه
- فقال - طويل
(رأتْ رجلاً أودَى السِّفارُ بوجهه ... فلم يَبْقَ إلا منظرٌ وجَناجِنُ)
(فإنْ أكُ معروقَ العظام فإنني ... إذا وُزِنَ الأقوامُ بالقوم وازن)
(وإنّي لِمَا استَوْدَعْتِني من أمانةٍ ... إذا ضاعت الأسرار للسر دافن)
فقلت أنت لله أبوك كثير عزة قال نعم
قالت الحمد لله الذي قصر بك فصرت لا تعرف إلا بامرأة فقال الأمر كذلك فوالله لقد سار بها شعري وطار بها ذكري وقرب
- من الخليفة مجلسي وأنا لكما قلت - طويل
(فإن خَفِيَتْ كانت لعينك قُرّةً ... وإن تَبْدُ يوماً لم يَعُمَّك عارُها)
(فما روضةٌ بالحَزْنِ طَيِّبَةُ الثَّرَى ... يمجُّ الندى جَثْجاثُها وعَرارُها)
(بأطيبَ من أردانِ عزّةَ موهِنا ... وقد أُوقِدتْ بالمَنْدَلِ اللَّدْنِ نارُها)
طويل -فقالت بالله ما رأيت شاعراً قطّ أنقص عقلاً منك ولا أضعف وصفاً أين أنت من سيدك امرئ القيس حيث يقول
((ألم تَرَياني كلّما جئْتُ طارقا ... وَجَدْتُ بها طِيباً وإن لم تَطَيَّبِ
- فخرج وهو يقول - كامل
(ألحقُّ أبلجُ لا يخِيل سبيلُه ... والحقُّ يعرفه ذوو الألباب)
- صوت - مجزوء الرمل
(هاكَ فاشربها خليلي ... في مَدَى الليل الطويل)
(قهوةً في ظلِّ كَرْمٍ ... سُبِيَتْ مِن نهر بِيْل)
(في لسانِ المرءِ منها ... مثلُ طَعْمِ الزنجبيل)
(قل لمن يَلْحاكَ فيها ... مِن فقيهٍ أو نبيل)
(أنتَ دعْها وارجُ أخرى ... مِن رحيقِ السلسبيل)
(تَعطش اليومَ وتُسقَى ... في غدٍ نَعْتَ الطُّلول)
الشعر لآدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز والغناء لإبراهيم الموصلي هزج بالنصر عن حبش
ولإبراهيم بن المهدي في الخامس والسادس والأول خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي
ولهاشم فيها ثاني ثقيل بالبنصر وقيل لعبد الرحيم

ذكر آدم بن عبد العزيز وأخباره

آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف
وأمه أم عاصم بنت سفيان بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أيضاً
وهو أحد مَن منّ عليه أبو العباس السفاح من بني أمية لما قتل من وجد منهم
وكان آدم في أول أمره خليعاً ماجناً منهمكاً في الشراب ثم نسك بعد ما عمر ومات على طريقة محمودة
وأخبرني الحسين بن علي عن أحمد بن سعيد الدمشقي عن الزبير بن بكار عن عمه أن المهدي أنشد هذه الأبيات
- وغني فيها بحضرته - مجزوء الرمل
(أنتَ دعْها وارجُ أخرى ... مِن رحيق السلسبيل)
فسأل عن قائلها فقيل آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فدعا به فقال له ويلك تزندقت قال لا والله يا أمير
المؤمنين ومتى رأيت قرشياً تزندق والمحنة
في هذا إليك ولكنه طرب غلبني وشعر طفح على قلبي في حال الحداثة فنطقت به
فخلى سبيله
قال وكان المهدي يحبه ويكرمه لظرفه وطيب نفسه
وروي هذا الخبر عن مصعب الزبيري وإسحاق بن إبراهيم الموصلي قال كان آدم بن عبد العزيز يشرب الخمر ويفرط في
المجون وكان شاعراً فأخذه المهدي فضربه ثلاثمائة سوط على أن يقر بالزندقة فقال والله ما أشركت بالله طرفة عين
- ومتى رأيت قرشياً تزندق قال فأين قولك - مجزوء الرمل

(اسقِني واسقِ غُصَيْنَا ... لا تبِعْ بالنقد دَيْنَا)
(اسقِنِيها مُزة الطعم ... تُريك الشَّيْنَ زَيْنا)
في هذين البيتين لعمرو بن بانة ثاني ثقيل بالوسطى ولإبراهيم هزج بالبنصر قال فقال لئن كنت ذاك فما هو مما يشهد على قائله بالزندقة
- قال فأين قولك - مجزوء الرمل
(اسقني واسقِ خليلي ... في مَدَى الليل الطويل)
(قهوةً صهْباءَ صِرْفاً ... سُبِيَتْ من نهر بِيل)
(لونُها أصفرُ صافٍ ... وهْي كالمِسك الفتيل)
(في لسانِ المرء منها ... مثلُ طعم الزنجبيل)
((ريحُها يَنفح منها ... ساطعاً من رأس ميل
(من يَنَلْ منها ثلاثاً ... يَنْسَ مِنهاجَ السبيل)
(فمتى ما نال خَمْساً ... تركَته كالقَتيل)
(ليس يدري حينَ ذاكمْ ... ما دَبِيرٌ من قَبِيل)
(إنّ سمعي عن كلام اللائِم ... فيها الثقيل)
(لشَدِيدُ الوقْرِ إنّي ... غير مِطْواعٍ ذليل)
(قلْ لمن يلحاكَ فيها ... مِن فقيهٍ أو نبيل)
(أنتَ دَعْها وارجُ أخرى ... مِن رحيق السلسبيل)
(نعطش اليومَ ونُسْقى ... في غدٍ نَعْتَ الطلول)
فقال كنت فتى من فتيان قريش أشرب النبيذ وأقول ما قلت على سبيل المجون والله ما كفرت بالله قط ولا شككت فيه فخلى سبيله ورقّ له
- قال مصعب وهو الذي يقول - مجزوء الخفيف
صوت
(اسقني يا معاويْة ... سبعةً أو ثمانيهْ)
(اسقنيها وغَنِّني ... قبلَ أخذِ الزَّبانيهْ)
(اسقنيها مُدامةً ... مُزّةَ الطعم صافيه)
(ثمَّ مَن لامَنا عليها ... فذاك ابنُ زانيه)
فيه خفيف رمل بالبنصر ينسب إلى أحمد بن المكي وإلى حكم الوادي
وافر -قال وآدم الذي يقول
((أقولُ وراعنَي إيوانُ كسرى ... برأس مَعَانَ أو أدْرُوسِفانِ
(وأبصرتُ البِغالَ مُربَّطاتٍ ... به من بعد أزمِنةٍ حسان)
(يعزُّ على أبي ساسان كسرى ... بموقِفكنَّ في هذا المكانِ)
(شربْتُ على تذكُّر عيشِ كسرى ... شراباً لونُه كالزعفرانِ)
(ورحتُ كأنّني كسرى إذا ما ... عَلاهُ التاجُ يوم المِهْرجانِ)
- قال وهو الذي يقول - متقارب
(أحبُّك حُبَّينِ لي واحدٌ ... وآخر أنّكِ أهلٌ لذاكِ)
(فأما الذي هو حبُّ الطباع ... فشيءٌ خُصِصْتِ به عن سواكِ)
(وأما الذي هو حبُّ الجمال ... فلستُ أرى ذاك حتّى أراكِ)
(ولستُ أمنُّ بهذا عليكِ ... لك المنُّ في ذا وهذا وذاكِ)
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي عن فليح بن سليمان قال مررنا يوماً مع خالصة في موكبها فوقفت على آدم بن عبد العزيز فقالت يا أخي طلبت منا حاجة فرفعناها لك إلى السيدة وأمرت بها وهي في الديوان فساء ظنك بها فقعدت عن تنجزها
قال فموه لها عذراً اعتذر به فوقفت عن الموكب حتى مضت ثم قلت له أخملت نفسك والله ما أحسب أنه حبسك عنها إلا الشراب أنت ترى الناس يركضون خلفها وهي ترف عليك لحاجتك
فقال والله هو ذاك إذا أصبحت فكل كسرة ولو بملح وافتح دنك فإن
كان حامضاً دبغ معدتك وإن كان حلواً خرطك وإن كان مدركاً فهو الذي أردت
قلت لا بارك الله عليك
ومضيت ثم أقلع بعد ذلك وتاب
فاستأذن يوماً على يعقوب بن الربيع وأنا عنده فقال يعقوب ارفعوا الشراب فإن هذا قد تاب وأحسبه يكره أن يراه
(فرفع وأذن له فلما دخل قال (إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون
قال يعقوب هو الذي وجدت ولكننا ظننا أن يثقل عليك لتركك الشراب
قال إي والله إنه ليثقل عليّ ذاك
قال فهل قلت في ذلك شيئاً منذ تركته قال قلت طويل
(ألا هلْ فتيً عن شُربها اليومَ صابر ... لِيَجْزِيَهُ يوماً بذلك قادِرُ)
(شربْتُ فلمّا قيل ليس بنازعٍ ... نَزعْتُ وثوبي من أذَى اللُّوم طاهرُ)
أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أبو هفان عن إسحاق قال كان مع المهدي رجل من أهل الموصل يقال له سليمان بن المختار وكانت له لحية عظيمة فذهب يوماً ليركب فوقعت لحيته تحت قدمه في الركاب فذهب عامتها فقال
- آدم بن عبد العزيز قوله - مجزوء الوافر
(قدِ استوجَبَ في الحكمِ ... سليمانُ بنُ مختار)
(بما طَوَّل من لحيتهِ ... جزّاً بمنشار)

(أو السيفِ أو الحَلْقِ ... أو التحريق بالنار)
(فقد صار بها أشهرَ ... من رايةِ بَيطار)
فقال ثم أنشدها عمر بن بزيغ المهدي فضحك وسارت الأبيات فقال أسيد بن أسيد وكان وافر اللحية ينبغي لأمير المؤمنين أن يكف هذا الماجن عن الناس
- فبلغت آدم بن عبد العزيز فقال - مجزوء الرمل
(لحيةٌ تمّتْ وطالت ... لأسيد بن أسيدِ)
(كشِراعٍ من عَباءٍ ... قطعت حَبْلَ الوريد)
(يَعجب الناظرُ منها ... مِن قريبٍ وبعيدِ)
(هي إنْ زادت قليلاً ... قطَعَتْ حبلَ الوريد)
وقال وكان المهدي يدني آدم ويحبه ويقربه وهو الذي قال لعبد الله بن علي لما أمر بقتله في بني أمية بنهر أبي فطرس إن أبي لم يكن كآبائهم وقد علمت مذهبه فيكم
فقال صدقت وأطلقه
وكان طيب النفس متصوفاً ومات على توبة ومذهب جميل
صوت مجزوء الوافر
(ألا يا صاحِ للعَجبِ ... دَعوتُكَ ثم لم تُجبِ)
(إلى القَيْنات واللَذّاتِ ... والصَّهباءِ والطَّربِ)
(ومنهنّ التي تَبَلَتْ ... فؤادك ثمّ لم تتبِ)
الشعر ليزيد بن معاوية يقوله للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام
والغناء لسائب خاثر خفيف رمل بالوسطى عن حبش
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني المدائني قال قدم سلم بن زياد على يزيد فنادمه فقال له ليلة ألا أوليك خراسان قال بلى وسجستان
خفيف -فعقد له في ليلته فقال
((اسقِني شربةً فروِّ عظامي ... ثم عُدْ واسقِ مثلَها ابنَ زيادِ
(موضع السرِّ والأمانةِ منّي ... وعلى ثغر مغْنمي وجِهادي)
قال ولما رجع في خلافة أبيه جلس بالمدينة على شراب فاستأذن عليه عبد الله بن العباس والحسين بن علي فأمر بشرابه فرفع وقيل له إن ابن عباس إن وجد ريح شرابك عرفه
فحجبه وأذن للحسين فلما دخل وجد رائحة الشراب مع الطيب فقال لله در طيبك هذا ما أطيبه وما كنت أحسب أحداً يتقدمنا في صنعة الطيب فما هذا يا ابن معاوية فقال يا أبا عبد الله هذا طيب يصنع لنا بالشأم
ثم دعا بقدح فشربه ثم دعا بقدح آخر فقال اسق أبا عبد الله يا غلام
فقال الحسين عليك شرابك أيها المرء لا عين عليك مني
- فشرب وقال - مجزوء الوافر
(ألا يا صاحِ للعَجبِ ... دَعوتُكَ ثم لم تُجبِ)
(إلى القَيْنات واللَذّاتِ ... والصَّهباءِ والطَّربِ)
(وباطيةٍ مُكلَّلَةٍ ... عليها سادةُ العرب)
(وفيهن التي تَبَلَتْ ... فؤادَك ثمّ لم تتبِ)
فوثب الحسين عليه السلام وقال بل فؤادك يا ابن معاوية
- صوت - وافر
(أإن نادَى هديلاً يومَ فَلْجٍ ... مع الإشراق في فَنَنٍ حَمامُ)
(ظلِلْتَ كأنّ دمعَك دُرُّ سِلْكٍ ... وَهَى خيطاً وأسلمه النِّظامُ)
((تموتُ تشوُّقاً طوراً وتحيا ... وأنت جديرُ أنكَ مُستهامُ
(كأنّك مِن تذكُّرِ أمِّ عمرو ... وحَبْلُ وصالِها خَلَقٌ رمام)
(سلامُ الله يا مطرٌ عليها ... وليس عليكَ يا مطرُ السلام)
(فإنْ يكنِ النكاحُ أحلَّ أنثى ... فإنَّ نكاحها مطراً حرام)
(ولا غفرَ الإله لمُنكِحيها ... ذنُوبَهُمُ وإنْ صلَّوا وصاموا)
(فطلِّقْها فلسْتَ لها بكُفْءٍ ... وإلاّ عضَّ مَفرقَك الحُسام)
الشعر للأحوص والغناء لمعبد من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالبنصر في مجرى الوسطى
ولإبراهيم الموصلي في الأربعة الأبيات الأول ثاني ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن ثابت بن إبراهيم ابن خلاد الأنصاري قال حدثني أبو عبد الله بن سعد الأنصاري قال قدم الأحوص البصرة فخطب إلى رجل من تميم ابنته وذكر له نسبه فقال هات لي شاهداً واحداً يشهد أنك ابن حمي الدبر وأزوجك
فجاءه بمن شهد له على ذلك فزوجه إياها وشرطت عليه ألا يمنعها من أحد من أهلها فخرج إلى المدينة وكانت أختها عند رجل من بني تميم قريباً من طريقهم فقالت
له اعدل بي إلى أختي
ففعل فذبحت لهم وأكرمتهم وكانت من أحسن الناس وكان زوجها في إبله فقالت زوجة الأحوص له أقم حتى يأتي
فلما أمسوا راح مع إبله ورعائه وراحت غنمه فراح من ذلك أمر كثير
وكان يسمى مطراً فلما رآه الأحوص ازدراه واقتحمته عينه وكان قبيحاً دميماً فقالت له زوجته قم إلى سلفك وسلم عليه
- فقال وأشار إلى أخت زوجته بإصبعه - وافر
(سلامُ الله يا مطرٌ عليها ... وليس عليكَ يا مطرُ السلام)
وذكر الأبيات وأشار إلى مطر بإصبعه فوثب إليه مطر وبنوه وكاد الأمر يتفاقم حتى حجز بينهم

قال الزبير قال محمد بن ثابت أبو عبد الله بن سعد الذي حدث بهذا الحديث أمه بنت الأحوص وأمها التميمية أخت زوجة مطر
وأخبرنا الحسين بن يحيى قال حدثنا حماد عن أبيه أن امرأة الأحوص التي تزوجها إحدى بني سعد بن زيد مناة بن تميم
- وذكر باقي القصيدة وهو قوله - وافر
(كأنكَ من تذكُّرِ أمِّ عمرو ... وحَبْلُ وِصالِها خَلَقٌ رِمامُ)
(صَريعُ مُدامةٍ غَلَبَتْ عليه ... تموتُ لها المفاصِلُ والعِظامُ)
(وأنَّى مِن بِلادِكِ أمَّ عمرو ... سقَى داراً تُحلُّ بها الغمامُ)
(تحلُّ النَّعْفَ من أُحُدٍ وأدنى ... مَساكِنها الشُّبَيكة أو سَنامُ)
(فلو لم ينكِحوا إلا كفِيّاً ... لكان كفيَّها الملكُ الهمامُ)
أخبرني الحسين قال قال حماد قرأت على أبي حدثنا ابن كناسة قال مر بنا أشعب ونحن جماعة في المجلس فأتى جار لنا صاحب جوار يقال له أبان بن سليمان وعليه رداء خلق قد بدا منه ظهره وبه آثار فسلم علينا فرددنا عليه السلام فلما مضى قال بعض القوم مدني مجلود فأراه سمعها أو سمعها رجل يمشي معه فأخبره فلما انصرف وانتهى إلى المجلس
- قال - وافر
(سلامُ اللّه يا مطرٌ عليها ... وليس عليكَ يا مطرُ السلامُ)
فقلت للقوم أنتم والله مطر
ومثل ما جرى في هذا الخبر من قوله في المرأة خبر له آخر شبيه به مع ابن حزم
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن فضالة عن جميع ابن يعقوب قال خطب أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بنت عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر إلى أخيها معمر بن عبد الله فزوجه إياها فقال الأحوص أبياتاً وقال لفتى من بني عمرو بن عوف أنشدها معمر بن عبد الله في مجلسه ولك هذه الجبة
فقال الفتى نعم
- فجاءه وهو في مجلسه فقال - بسيط
(يا معمرٌ يا ابن زيدٍ حين تَنكحها ... وتستبدُّ بأمر الغيِّ والرشَدِ)
فقال كان ذلك الرجل غائباً
- فقال الفتى - بسيط
(أما تذكّرْتَ صيفياً فتحفظه ... أو عاصماً أو قتيلَ الشِّعْب من أُحُدِ)
قال ما فعلتُ ولا تذكّرتُ
فقال الفتى
(أكنْتَ تجهل حزماً حين تَنكِحها ... أم خفْتَ لا زلتَ فيها جائع الكبدِ)
قال معمر لم أجهل حزماً
فقال الفتى
(أبعدَ صهر بني الخطّاب تجعلهُمْ ... صِهراً وبعد بني العوّامِ من أسدِ)
فقال معمر قد كان ذلك
فقال الفتى
(هَبْها سليلَة خَيلٍ غيرِ مُقْرفةٍ ... مظلومةً حُبِستْ للعَيْر في الجَدِدِ)
قال نعم أعانها الله وصبّرها
فقال الفتى
(فكلُّ ما نالنَا من عار مَنكَحها ... سَوىً إذا فارقَتْه وهي لم تلدِ)
قال نعم إلى الله عز وجل في ذلك الرغبة
قال الزبير أما قوله صهر بني الخطاب فإن جميلة بنت أبي الأقلح كانت عند عمر بن الخطاب فولدت له عاصم بن عمر وأما صهر بني العوام فإن نهيسة بنت النعمان بن عبد الله بن أبي عقبة كانت عند يحيى بن حمزة بن عبد الله ابن الزبير فولدت له أبا بكر ومحمداً
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني مصعب قال قال الهدير كرهت أم جعفر أصواتاً من الغناء القديم
- فأرسلت لها رسولاً يلقيها في البحر ثم غنتها جارية بعد ذلك - وافر
(سلامُ اللّه يا مطرٌ عليها ... وليس عليكَ يا مطرُ السلامُ)
فقالت هذا أرسلوا به رسولاً مفرداً إلى دهلك ليلقيه في البحر خاصة
قال والذي حمل أم جعفر على هذا التطير على ابنها محمد الأمين من هذه
- الأصوات أيام محاربته المأمون فمنها قوله - طويل
(كُلَيْبٌ لَعَمْري كان أكثرَ ناصراً ... وأيسرَ جُرْماً منك ضُرِّج بالدمِ)
- ومنها قوله - طويل
(هُمُ قتَلوه كي يكونوا مكانَه ... كما غَدَرَتْ يوماً بِكسرى مَرازِبُهْ)
- ومنها قوله - طويل
(رأيت زهيراً تحت كلكل خالدٍ ... فأقبلْتُ أسعى كالعَجُول أبادِرُ)
- ومنها قوله - طويل
(أبا منذرٍ أفنيْتَ فاستَبْقِ بَعْضَنَا ... حَنانَيْكَ بعضُ الشرِّ أهْوَنُ من بعضِ)
مضى الحديث
صوت طويل
(وكنّا كنَدْمانَيْ جَذِيمةَ حِقْبَةً ... من الدَّهر حتَّى قيل لن يتصدَّعا)
((فلما تفرَّقنا كأني ومالكاً ... لطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا
الشعر لمتمم بن نويرة يرثي أخاه مالكاً

والغناء لسياط
20 - ذكر متمم وأخباره وخبر مالك ومقتله
هو متمم بن نويرة بن عمرو بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار
ويكنى متمم بن نويرة أبا نهشل
ويكنى أخوه مالك أبا المغوار
وكان مالك يقال له فارس ذي الخمار قيل له ذلك بفرس كان عنده يقال له ذو الخمار وفيه يقول وقد أحمده في بعض - وقائعه - طويل
(جزاني دَوائي ذُو الخِمار وصَنْعتي ... بما باتَ أطْواءً بنيَّ الأصاغرُ)
أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال كان مالك بن نويرة شريفاً
فارساً وكان فيه خيلاء وتقدم وكان ذا لمة كبيرة وكان يقال له الجفول
وكان مالك قتل في الردة قتله خالد بن الوليد بالبطاح في خلافة أبي بكر وكان مقيماً بالبطاح فلما تنبأت سجاح اتبعها ثم أظهر أنه مسلم فضرب خالد عنقه صبراً فطعن عليه في ذلك جماعة من الصحابة منهم عمر بن الخطاب وأبو قتادة الأنصاري لأنه تزوج امرأة مالك بعده وقد كان يقال إنه يهواها في الجاهلية واتهم لذلك أنه قتله مسلماً ليتزوج امرأته بعده
حدثنا بالسبب في مقتل مالك بن نويرة محمد بن جرير الطبري قال كتب إليّ السري بن يحيى يذكر عن شعيب بن إبراهيم التيمي عن سيف ابن عمر عن الصقعب بن عطية عن أبيه أن رسول الله استعمل عماله على بني تميم فكان مالك بن نويرة عامله على بني يربوع
قال ولما تنبأت سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان وسارت من الجزيرة راسلت مالك بن نويرة ودعته إلى الموادعة فأجابها وقناها عن غزوها وحملها على أحياء من بني تميم فأجابته وقالت نعم فشأنك بمن رأيت وإنما أنا امرأة من بني يربوع وإن كان ملك فهو ملككم
فلما تزوجها مسيلمة الكذاب ودخل بها انصرفت إلى الجزيرة وصالحته أن يحمل عليها النصف من غلات اليمامة فارعوى حينئذ مالك بن نويرة وندم وتحير في أمره فلحق بالبطاح ولم يبق في بلاد بني حنظلة شيء يكره إلا ما بقي من أمر مالك بن نويرة ومن تأشب إليه بالبطاح فهو على حاله متحير ما يدري ما يصنع
وقال سيف فحدثني سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد وعمرو بن شعيب قالا لما أراد خالد بن الوليد المسير خرج من ظفر وقد استبرأ أسداً وغطفان وطيئاً فسار يريد البطاح دون الحزن وعليها مالك بن نويرة وقد تردد عليه أمره وقد ترددت الأنصار على خالد وتخلفت عنه وقالوا ما هذا بعهد الخليفة إلينا فقد عهد إلينا إن نحن فرغنا من البزاخة واستبرأنا بلاد القوم أن يكتب إلينا بما نعمل
فقال خالد إن يكن عهد إليكم هذا فقد عهد إليّ أن أمضي وأنا الأمير وإليّ تنتهي الأخبار ولو أنه لم يأتني له كتاب ولا أمر ثم رأيت فرصة إن أعلمته بها فاتتني لم أعلمه حتى أنتهزها
وكذلك لو ابتلينا بأمر ليس منه عهد إلينا فيه لم ندع أن نرى أفضل ما بحضرتنا ونعمل به
وهذا مالك بن نويرة بحيالنا وأنا قاصد له بمن معي من المهاجرين والتابعين لهم بإحسان ولست أكرههم
ومضى خالد وبرمت الأنصار وتذامروا وقالوا لئن أصاب القوم خيراً إنه لخير حرمتموه ولئن أصابتهم مصيبة ليجتنبنكم الناس فأجمعوا على اللحاق بخالد وجردوا إليه رسولاً فأقام عليهم حتى لحقوا به ثم سار حتى لحق البطاح فلم يجد به أحداً
قال السري عن شعيب عن سيف عن خزيمة بن شجرة العقفاني عن عثمان بن سويد عن سويد بن المنعبة الرياحي قال قدم خالد بن الوليد البطاح فلم يجد عليه أحداً ووجد مالك بن نويرة قد فرقهم في أموالهم ونهاهم
عن الاجتماع فبعث السرايا وأمرهم بداعية الإسلام فمن أجاب فسالموه ومن لم يجب وامتنع فاقتلوه
وكان فيما أوصاهم أبو بكر إذا نزلتم منزلاً فأذنوا وأقيموا فإن أذن القوم وأقاموا فكفوا عنهم وإن لم يفعلوا فلا شيء إلا الغارة
ثم اقتلوهم كل قتلة الحرق فما سواه
فإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم فإن هم أقروا بالزكاة قبلتم منهم وإلا فلا شيء إلا الغارة ولا كلمة
فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع ومن بني عاصم وعبيد وعرين وجعفر واختلفت السرية فيهم وفيهم أبو قتادة
وكان ممن شهد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا
فلما اختلفوا فيهم أمر بحبسهم في ليلة باردة لا يقوم لها شيء وجعلت تزداد برداً فأمر خالد منادياً فنادى دافئوا أسراكم
وكان في لغة كنانة إذا قالوا دافأنا الرجل وأدفئوه فذلك معنى اقتلوه من الدفء
فظن القوم أنه يريد القتل فقتلوهم
فقتل ضرار بن الأزور مالكاً فسمع خالد الواعية فخرج وقد فرغوا منهم فقال إذا أراد الله أمراً أصابه
وقد اختلف القوم فيهم فقال أبو قتادة هذا عملك
فزبره خالد فغضب ومضى حتى أتى أبا بكر فغضب عليه أبو بكر حتى كلمه عمر بن الخطاب فيه فلم يرض إلا بأن يرجع إليه فرجع إليه فلم يزل معه حتى قدم المدينة وقد كان تزوج خالد أم تميم بنت المنهال وتركها لينقضي طهرها وكانت العرب تكره النساء في الحرب وتعايره فقال عمر لأبي بكر إن في سيف خالد رهقاً وحق عليه أن
تقيده
وأكثر عليه في ذلك
وكان أبو بكر لا يقيد من عماله ولا من وزعته فقال هبه يا عمر تأول فأخطأ
فارفع لسانك عن خالد
وودى مالكاً وكتب إلى خالد أن يقدم عليه ففعل وأخبره خبره فعذره
وقبل منه وعنفه بالتزويج الذي كانت العرب تعيب عليه من ذلك
فذكر سيف عن هشام بن عروة عن أبيه قال شهد قوم من السرية أنهم أذنوا وأقاموا وصلوا وشهد آخرون أنه لم يكن من ذلك شيء فقتلوا

وقدم أخوه متمم ينشد أبا بكر دمه ويطلب إليه في سبيهم فكتب له برد السبي وألح عليه عمر في خالد أن يعزله وقال إن في سيفه لرهقاً فقال له لا يا عمر لم أكن لأشيم سيفاً سله الله على الكافرين
حدثنا محمد بن إسحاق قال كتب إلى السري عن شعيب عن سيف عن خزيمة عن عثمان عن سويد قال كان مالك من أكثر الناس شعراً وإن أهل العسكر أثفوا القدور برؤوسهم فما منها رأس إلا وصلت النار إلى بشرته ما خلا مالكاً فإن القدر نضجت وما نضج رأسه من كثرة شعره ووقى الشعر البشرة من حر النار أن تبلغ منه ذلك
- قال وأنشد متمم عمر بن الخطاب ذكر خمصه يعني قوله - طويل
(لقد كَفَّن المِنهالُ تحت ردائه ... فتىً غيرَ مِبطانِ العشيّاتِ أرْوَعا)
فقال أكذاك كان يا متمم قال أما ما أعني فنعم
أخبرني اليزيدي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب
وحدثنيه أحمد بن الجعد قال حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي قال حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب أن مالك بن نويرة كان من أكثر الناس شعراً وأن خالداً لما قتله أمر برأسه فجعل أثفية لقدر فنضج ما فيها قبل أن تبلغ النار إلى شواته
أخبرني محمد بن جرير قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا مسلمة عن ابن إسحاق عن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه
أن أبا بكر كان من عهده إلى جيوشه أن إذا غشيتم داراً من دور الناس فسمعتم فيها أذانا للصلاة فأمسكوا عن أهلها حتى تسألوهم ماذا نقموا وإذا لم تسمعوا أذانا فشنوا الغارة واقتلوا وحرقوا
فكان ممن شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الأنصاري واسمه الحارث بن ربعي أخو بني سلمة وقد كان عاهد الله أنه لا يشهد حرباً بعدها أبداً
وكان يحدث أنهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل فأخذ القوم السلاح
قال فقلنا لهم إنا المسلمون
فقالوا ونحن المسلمون
قلنا فما بال السلاح معكم فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح
ففعلوا ثم صلينا وصلوا
وكان خالد يعتذر في قتله أنه قال له وهو يراجعه ما إخال صاحبكم يعني النبي إلا وقد كان يقول كذا وكذا
فقال خالد أو ما تعده صاحباً ثم قدمه فضرب عنقه وأعناق أصحابه فلما بلغ قتلهم عمر بن الخطاب تكلم فيه عند أبي بكر رضي الله عنه وقال عدو الله عدا على امرىء مسلم
فقتله ثم نزا على امرأته
وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قباء له وعليه صدأ الحديد معتجراً بعمامة قد غرز فيها أسهما فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها ثم قال أقتلت امرأ مسلماً ثم نزوت على امرأته والله لأرجمنك بأحجارك ولا يكلمه خالد بن الوليد ولا يظن إلا أن رأي أبي بكر على مثل رأي عمر فيه حتى دخل على أبي بكر فأخبره الخبر واعتذر إليه فعذره أبو بكر وتجاوز له عما كان في حربه تلك
فخرج خالد حين رضي عنه أبو بكر وعمر جالس في المسجد الحرام فقال هلم إلي يا ابن أم شملة
فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه فلم يكلمه ودخل بيته
وكان الذي قتل مالك بن نويرة عبد بن الأزور الأسدي
وقال محمد بن جرير قال ابن الكلبي الذي قتل مالك بن نويرة ضرار بن الأزور
وهكذا روى أبو زيد عمر بن شبة عن أصحابه وأبو خليفة عن محمد بن سلام قال قدم مالك بن نويرة على النبي فيمن قدم من أمثاله من العرب فولاه صدقات قومه بني يربوع فلما مات النبي اضطرب فيها فلم يحمد أمره وفرق ما في يده من إبل الصدقة فكلمه الأقرع بن حابس المجاشعي والقعقاع بن معبد بن زرارة الدارمي فقالا له إن لهذا الأمر قائماً وطالباً فلا تعجل بتفرقة ما في يدك
- فقال - وافر
(أراني الله بالنَّعَمِ المُنَدَّى ... بِبُرْقَةِ رَحْرَحانَ وقد أراني)
((تُمَشّي يابنَ عَوْذَةَ في تميم ... وصاحِبُك الأُقَيْرَعُ تَلْحَياني)
(حَمَيْتُ جميعَها بالسَّيف صَلْتاً ... ولم تُرعَشْ يداي ولا بَناني)
يعني أم القعقاع وهي معاذة بنت ضرار بن عمرو
- وقال أيضاً - طويل
(وقلْتُ خُذوا أموالَكُمْ غيرَ خائفٍ ... ولا ناظرٍ فيما يجيءُ من الغدِ)
(فإنْ قامَ بالأمر المُخَوِّفِ قائمٌ ... مَنَعْنا وقلنا الدِّينُ دين محمَّدِ)
قال ابن سلام فمن لا يعذر خالداً يقول إنه قال لخالد وبهذا أمرك صاحبك يعني النبي وأنه أراد بهذه القرشية
ومن يعذر خالداً يقول إنه أراد انتفاء من النبوة ويحتج بشعريه المذكورين آنفاً
ويذكر خالد أن النبي لما وجهه إلى ابن جلندى قال له يا أبا سليمان إن رأت عينك مالكاً فلا تزايله أو تقتله
قال محمد بن سلام وسمعني يوماً يونس وأنا أراد التميمية في خالد وأعذره فقال لي يا أبا عبد الله أما سمعت بساقي أم تميم يعني زوجة مالك التي تزوجها خالد لما قتله وكان يقال إنه لم ير أحسن من ساقيها
قال وأحسن ما سمعت من عذر خالد قول متمم بأن أخاه لم يستشهد
ففيه دليل على عذر خالد
أخبرنا اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثني محمد بن الحكم البجلي عن الأنصاري قال صلى متمم بن نويرة مع أبي بكر الصبح ثم أنشده قوله - كامل
((نِعْمَ القتيلُ إذا الرياحُ تَناوحَتْ ... تحت الإزار قَتَلْتَ يا ابن الأزور
(أدَعَوْتَه بالله ثُمّ قَتَلْتَهُ ... لو هُوْ دَعاكَ بِذمّةٍ لم يَغدر)
فقال أبو بكر والله ما دعوته ولا قتلته

- فقال - كامل
(لا يُضمِرِ الفحشاءَ تحت ردائه ... حلوٌ شمائله عفيفُ المِئزر)
(ولَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرع أنت وحاسراً ... ولنعمْ مَأوى الطارقِ المتنوِّر)
قال ثم بكى حتى سالت عينه ثم انخرط على سية قوسه متكئاً
يعني مغشياً عليه
أخبرني اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثني محمد بن صخر بن خلخلة قال
ذكر متمم بن نويرة أخاه في المدينة فقيل له إنك لتذكر أخاك فما كانت صفته أوصفه لنا فقال كان يركب الجمل الثفال في الليلة الباردة يرتوي
لأهله بين المزادتين المضرجتين عليه الشملة الفلوت يقود الفرس الجرور ثم يصبح ضاحكاً
أخبرني اليزيدي قال حدثنا أحمد بن زهير عن الزبير بن حبيب بن بدر الطائي وغيره أن المنهال رجلاً من بني يربوع مر
- على أشلاء مالك بن نويرة لما قتله خالد فأخذ ثوباً وكفنه فيه ودفنه ففيه يقول متمم - طويل
صوت
(لعمري وما دَهْري بتأبينِ مالكٍ ... ولا جَزعٍ مما أصابَ فأوجَعا)
(لقد كَفَّن المِنهالُ تحت ردائه ... فتىً غيرَ مِبطانِ العشيّاتِ أرْوَعا)
غناه عمرو بن أبي الكنات ثقيل أول بالوسطى عن حبش
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا الحسن بن محمد البصري قال حدثنا الحسن بن إسماعيل القضاعي قال حدثني أحمد بن عمار العبدي وكان من العلم بموضع قال حدثني أبي عن جدي قال صليت مع عمر ابن الخطاب الصبح فلما انفتل من صلاته إذا هو برجل قصير أعور متنكباً قوساً وبيده هراوة فقال من هذا فقال متمم بن نويرة
طويل -فاستنشده قوله في أخيه فأنشده
((لعمري وما دَهْري بتأبينِ مالكٍ ... ولا جَزعٍ مما أصابَ فأوجَعا
(لقد كَفَّن المِنهالُ تحت ثيابه ... فتىً غيرَ مِبطانِ العشيّاتِ أرْوَعا)
- حتى بلغ إلى قوله - طويل
(وكنا كَندمانَيْ جَذيمةَ حِقْبةً ... من الدهر حتّى قِيل لن يتصدّعا)
(فلما تفرَّقنا كأنّي ومالكاً ... لِطُول اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا)
فقال عمر هذا والله التأبين ولوددت أني أحسن الشعر فأرثي أخي زيداً بمثل ما رثيت به أخاك
فقال متمم لو أن أخي مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته وكان قتل باليمامة شهيداً وأمير الجيش خالد بن الوليد فقال لعمر ما عزاني أحد عن أخي بمثل ما عزاني به متمم
قال وكان عمر يقول ما هبت الصبا من نحو اليمامة إلا خيل إليّ أني أشم ريح أخي زيد
قال وقيل لمتمم ما بلغ من وجدك على أخيك فقال أصبت بإحدى عيني فما قطرت منها دمعة عشرين سنة فلما قتل أخي استهلت فما ترقأ
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا عبد الله بن لاحق عن ابن أبي مليكة قال مات عبد الرحمن بن أبي بكر بالحبشي خارج مكة فحمل فدفن بمكة فقدمت عائشة فوقفت
- على قبره وقالت متمثلة - طويل
(وكنا كَندمانَيْ جَذيمةَ حِقْبةً ... من الدهر حتّى قِيل لن يتصدّعا)
(فلما تفرَّقنا كأنّي ومالكاً ... لِطُول اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا)
أما والله لو حضرتك لدفنت حيث مت ولو شهدتك ما زرتك
أخبرني إبراهيم بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة أن متمم بن نويرة دخل على عمر بن الخطاب فقال له عمر ما أرى في أصحابك مثلك
فقال يا أمير المؤمنين أما والله إني مع ذلك لأركب الجمل الثفال وأعتقل الرمح الشطون وألبس الشملة الفلوت
ولقد أسرتني بنو تغلب في الجاهلية فبلغ ذلك أخي مالكاً فجاء ليفديني منهم فلما رآه القوم أعجبهم جماله وحدثهم فأعجبهم حديثه فأطلقوني له بغير فداء
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني النوفلي عن أبيه وأهله قالوا لما أنشد متمم بن نويرة عمر بن الخطاب قوله يرثي
- أخاه مالكاً - طويل
(وكنا كَندمانَيْ جَذيمةَ حِقْبةً ... من الدهر حتّى قِيل لن يتصدّعا)
(فلما تفرَّقنا كأنّي ومالكاً ... لِطُول اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا)
قال له عمر هل كان مالك يحبك مثل محبتك إياه أم هل كان مثلك فقال وأين أنا من مالك وهل أبلغ مالكاً والله يا أمير المؤمنين لقد أسرني حي من العرب فشدوني وثاقاً بالقد وألقوني بفنائهم فبلغه خبري فأقبل على راحلته حتى انتهى إلى القوم وهم جلوس في ناديهم فلما نظر إليّ أعرض عني ونظر القوم إليه فعدل إليهم وعرفت ما أراد فسلم عليهم وحادثهم وضاحكهم وأنشدهم فوالله إن زال كذلك حتى ملأهم سروراً وحضر غداؤهم فسألوه ليتغدى معهم فنزل وأكل ثم نظر إلي وقال إنه لقبيح بنا أن نأكل ورجل ملقى بين أيدينا لا يأكل معنا وأمسك يده عن الطعام
فلما رأى ذلك القوم نهضوا وصبوا الماء على قدي حتى لان وخلوني ثم جاؤوا فأجلسوني معهم على الغداء فلما أكلنا قال لهم
أما ترون تحرم هذا بنا وأكله معنا إنه لقبيح بكم أن تردوه إلى القد
فخلوا سبيلي فكان كما وصفت
وما كذبت في شيء من صفته إلا أني وصفته خميص البطن وكان ذا بطن
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن نصر العتيقي قال حدثني محمد بن الحسن بن مسعود الزرقي عن أبيه عن مروان بن موسى
ووجدت هذا الخبر أيضاً في كتاب محمد بن علي بن حمزة العلوي عن علي بن محمد النوفلي عن أبيه أن عمر بن الخطاب قال لمتمم بن نويرة إنكم أهل بيت قد تفانيتم فلو تزوجت عسى أن ترزق ولداً يكون فيه بقية منكم

- فتزوج امرأة بالمدينة فلم ترض أخلاقه لشدة حزنه على أخيه وقلة حفله بها فكانت تماظه وتؤذيه فطلقها وقال - طويل
(أقولُ لِهندٍ حينَ لم أرْضَ فِعلَها ... أهذا دِلالُ الحبِ أم فعلُ فاركِ)
(أمِ الصَّرْمُ ما تبغي وكلُّ مَفارقٍ ... يسيرٌ علينا فَقْدُهُ بعدَ مالكِ)
أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني النحوي قال حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن معاوية عن سلمويه بن أبي صالح عن عبد الله بن المبارك عن نعيم بن أبي عمرو الرازي قال بينا طلحة والزبير يسيران بين مكة والمدينة إذ عرض لهما أعرابي فوقفا ليمضي فوقف فتعجلا ليسبقاه فتعجل فقالا ما أثقلك يا أعرابي تعجلنا لنسبقك فتعجلت فوقفنا لتمضي فوقفت فقال لا إله إلا الله مفني أغدر الناس أغدر بأصحاب محمد هباني
خفت الضلال فأحببت أن أستدل بكما أو
خفت الوحشة فأحببت أن أستأنس بكما
فقال طلحة من أنت قال أنا متمم ابن نويرة
فقال طلحة واسوأتاه لقد مللنا غير مملول
هات بعض ما ذكرت في أخيك من البكاء
- فزوجوه أم خالد فبينا هو واضع رأسه على فخذها إذ بكى فقالت لا إله إلا الله أما تنسى أخاك فأنشأ يقول - طويل
(أقولُ لها لما نهتني عن البُكا ... أفي مالكٍ تَلْحَيْنني أمَّ خالدِ)
(فإنْ كان إخواني أصيبوا وأخطأتْ ... بَني أمك اليومَ الحُتوفُ الرواصدُ)
(فكلُّ بني أمِّ سيُمْسُونَ ليلةً ... ولم يَبْقَ من أعيانِهمْ غيرُ واحِدِ)
أما معنى قول متمم
(... وكنا كَندمانَيْ جَذيمةَ حِقْبةً)
فإنه يعني نديمي جذيمة الأبرش الملك وهو جذيمة بن مالك بن فهم ابن غانم بن دوس بن عدثان الأسدي
وكان الخبر في ذلك ما أخبرنا به علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري عن محمد بن حبيب
وذكر ابن الكلبي عن أبيه والشرقي وغيره من الرواة أن جذيمة الأبرش وأصله من الأزد وكان أول من ملك قضاعة بالحيرة وأول من حدا النعال وأدلج من الملوك ورفع له الشمع قال يوماً لجلسائه قد ذكر لي عن غلام من لخم مقيم في أخواله من إياد له ظرف ولب فلو بعثت إليه يكون في ندماني ووليته كأسي والقيام بمجلسي كان الرأي
فقالوا الرأي ما رأى الملك فليبعث إليه
ففعل فلما قدم فعل به ما أراد له فمكث كذلك مدة طويلة ثم أشرفت عليه يوماً رقاش ابنة الملك أخت جذيمة فلم تزل تراسله
حتى اتصل بينهما ثم قالت له يا عدي إذا سقيت القوم فامزج لهم واسق الملك صرفاً فإذا أخذت منه الخمر فاخطبني إليه فإنه يزوجك وأشهد القوم عليه إن هو فعل
ففعل الغلام ذلك فخطبها فزوجه وانصرف الغلام بالخبر إليها فقالت عرس بأهلك
ففعل فلما أصبح غدا مضرجاً بالخلوق فقال له جذيمة ما هذه الآثار يا عدي قال آثار العرس
قال أي عرس قال عرس رقاش
قال فنخر وأكب على الأرض ورفع عدي جراميزه فأسرع جذيمة في طلبه فلم يحسسه وقيل إنه قتله وكتب إلى أخته - خفيف
(حَدِّثِيني رَقاشِ لا تَكذِبيني ... أبِحُرٍّ زنيتِ أم بِهجين)
(أم بعبدٍ فأنتِ أهلٌ لِعَبْدٍ ... أم بِدُونٍ فأنت أهلٌ لدونِ)
قالت بل زوجتني امرأ عربياً
فنقلها جذيمة وحصنها في قصره واشتملت على حمل فولدت منه غلاماً وسمته عمراً وربته فلما ترعرع حلته وعطرته وألبسته كسوة مثله ثم أرته خاله فأعجب به وألقيت عليه منه محبة ومودة حتى إذا وصف خرج الغلمان يجتنون الكمأة في سنة قد أكمأت وخرج معهم وقد خرج جذيمة فبسط له في روضة فكان الغلمان إذا أصابوا الكمأة أكلوها وإذا أصابها
- عمرو خبأها ثم أقبلوا يتعادون وهو معهم يقدمهم ويقول - سريع
(هذا جنايَ وخياره فيهْ ... إذْ كلُّ جانٍ يده إلى فيهْ)
فالتزمه جذيمة وحباه وقرب من قلبه وحل منه بكل مكان
ثم إن الجن استطارته فلم يزل جذيمة يرسل في الآفاق في طلبه فلم يسمع له بخبر فكفّ عنه
ثم أقبل رجلان يقال لأحدهما عقيل والآخر مالك ابنا فالج وهما يريدان الملك بهدية فنزلا على ماء ومعهما قينة يقال لها أم عمرو فنصبت قدراً وأصلحت طعاماً فبينما هما يأكلان إذ أقبل رجل أشعث أغبر قد طالت أظفاره وساءت حاله حتى جلس مزجر الكلب فمد يده فناولته شيئاً فأكله ثم مد يده فقالت إن يعط العبد كراعاً يتسع ذراعاً فأرسلتها مثلاً
- ثم ناولت صاحبيها من شرابها وأوكأت دنها فقال عمرو بن عدي - وافر
صوت
(صَددْتِ الكأسَ عنا أمَّ عمرو ... وكان الكأسُ مَجراها اليمينا)
(وما شرُّ الثلاثة أمَّ عمرو ... بصاحبِك الذي لا تَصْبَحِينا)
غناه معبد فيما ذكر عن إسحاق في كتابه الكبير
وقد زعم بعض الرواة أن هذا الشعر لعمرو بن معد يكرب
وأخبرنا اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد النوشجاني قال حدثنا حفص بن عمرو عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش أن هذا الشعر لعمرو بن معد يكرب في ربيعة بن نصر اللخمي
رجع الحديث إلى سياقه
فقال الرجلان ومن أنت فقال إن تنكراني أو تنكرا نسبي فإنني عمرو وعدي أبي فقاما إليه فلثماه وغسلا رأسه وقلما أظفاره وقصرا من لمته وألبساه من طرائف ثيابهما وقالا ما كنا لنهدي إلى الملك هدية أنفس عنده ولا هو عليها أحسن صفداً من ابن أخته فقد رده الله عز وجل إليه فخرجا حتى إذا دفعا إلى باب الملك بشراه به فصرفه إلى أمه فألبسته ثياباً من ثياب الملوك وجعلت في عنقه طوقاً كانت تلبسه إياه وهو صغير وأمرته بالدخول على خاله فلما رآه قال شب عمرو

عن الطوق فأرسلها مثلاً
وقال للرجلين اللذين قدما به احكما فلكما حكمكما
قالا منادمتك ما بقيت وبقينا
قال ذلك لكما
فهما نديما جذيمة اللذان ذكرهما متمم وضربت بهما الشعراء المثل
- قال أبو خراش الهذلي - طويل
(ألم تَعلمي أنْ قد تفرَّقَ قبلنا ... خليلاَ صفاءٍ مالكٌ وعقيلُ)
قال ابن حبيب في خبره وكان جذيمة من أفضل الملوك رأياً وأبعدهم مغاراً وأشدهم نكاية وهو أول من استجمع له الملك بأرض العراق وكانت منازله ما بين الأنبار وبقة وهيت وعين التمر وأطراف البر والقطقطانة والحيرة فقصد في جموعه عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر العاملي من عاملة العماليق فجمع عمرو جموعه ولقيه فقتله جذيمة وفض جموعه فانفلوا وملكوا عليهم ابنته الزباء وكانت من أحزم الناس فخافت أن تغزوها ملوك العرب فاتخذت لنفسها نفقاً في حصن كان لها على شاطئ الفرات وسكرت الفرات في وقت قلة الماء وبنت أزجا من الآجر والكلس متصلاً بذلك النفق وجعلت نفقاً آخر في البرية متصلاً بمدينة لأختها ثم أجرت الماء عليه فكانت إذا خافت عدواً دخلت النفق
فلما اجتمع لها أمرها واستحكم ملكها أجمعت على غزو جذيمة ثائرة بأبيها فقالت لها أختها وكانت ذات رأي وحزم إنك إن غزوت جذيمة فإنه امرؤ له ما يصده فإن ظفرت أصبت ثأرك وإن ظفر بك فلا بقية لك والحرب سجال ولا تدرين كيف تكون ألك أم عليك ولكن ابعثي إليه فأعلميه أنك قد رغبت في أن تتزوجيه وتجمعي ملكك إلى ملكه وسليه أن يجيبك إلى ذلك لأنه إن اغتر ففعل ظفرت به بلا مخاطرة
فكتبت الزباء في ذلك إلى جذيمة تقول له إنها قد رغبت في صلة بلدها ببلده وإنها في ضعف من سلطانها وقلة ضبط لمملكتها وإنها لم تجد كفأ غيره وتسأله الإقبال عليها وجمع ملكها إلى ملكه
فلما وصل ذلك إليه استخفه وطمع
فيه فشاور أصحابه فكل صوب رأيه في قصدها وإجابتها إلا قصير بن سعد بن عمرو بن جذيمة بن قيس بن هلال بن نمارة بن لخم فقال هذا رأي فاتر وغدر حاضر فإن كانت صادقة فلتقبل إليك وإلا فلا تمكنها من نفسك فتقع في حبالها وقد وترتها في أبيها
فلم يوافق جذيمة ما قال وقال له أنت امرؤ رأيك في الكن لا في الضح
ورحل فقال له قصير في طريقه انصرف ودمك في وجهك
فقال جذيمة ببقة قضي الأمر فأرسلها مثلاً
ومضى حتى إذا شارف مدينتها قال لقصير ما الرأي قال ببقة تركت الرأي
قال فما ظنك بالزباء قال القول رداف والحزم عيرانة لا تخاف
واستقبله رسلها بالهدايا والألطاف فقال يا قصير كيف ترى قال خطر يسير في خطب كبير وستلقاك الخيول فإن سارت أمامك فالمرأة صادقة وإن أخذت في جنبيك وأحاطت بك فالقوم غادرون
فلقيته الخيول فأحاطت به فقال له قصير اركب العصا فإنها لا تدرك ولا تسبق يعني فرساً له كانت تجنب قبل أن يحولوا بينك وبين جنودك
فلم يفعل فجال قصير في ظهرها فمرت به تعدو في أول أصحاب جذيمة
ولما أحيط بجذيمة التفت فرأى قصيراً على فرسه العصا في أول القوم فقال لحازم من يجري العصا في أول القوم
فذكر أبو عبيدة والأصمعي
أنها لم تكن تقف حتى جرت ثلاثين ميلاً ثم وقفت فبالت هناك فبني على ذلك الموضع برج يسمى العصا وأخذ جذيمة فأدخل على الزباء فاستقبلته قد كشفت عن فرجها فإذا هي قد ضفرت الشعر عليه فقالت يا جذيم أذات عروس ترى قال بل أرى متاع أمة لكعاء غير ذات خفر
ثم قال بلغ المدى وجف الثرى وأمر غدر أرى
قالت والله ما ذلك من عدم مواس ولا قلة أواس ولكنها شيمة ما أناس
ثم قالت لجواريها خذن بعضد سيدكن
ففعلن ثم دعت بنطع فأجلسته عليه وأمرت برواهشه فقطعت في طست من ذهب يسيل دمه فيه وقالت له يا جذيم لا يضيعن من دمك شيء فإني أريده للخبل
فقال لها وما يحزنك من دم أضاعه أهله وإنما كان بعض الكهان قال لها إن نقط من دمه شيء في غير الطست أدرك بثأره فلم يزل دمه يجري في الطست حتى ضعف فتحرك فنقطت من دمه نقطة على أسطوانة رخام ومات
قال والعرب تتحدث في أن دماء الملوك شفاء من الخبل
- قال المتلمس - طويل
(من الدارمِيِّينَ الذين دماؤهُمْ ... شِفاءٌ من الداءِ المجَنَّةِ والخَبْلِ)
قال وجمعت دمه في برنية وجعلته في خزانتها ومضى قصير إلى عمرو بن
عبد الجر التنوخي فقال له اطلب بدم ابن عمك وإلا سبتك به العرب
فلم يحفل بذلك فخرج قصير إلى عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة فقال هل لك في أن أصرف الجنود إليك على أن تطلب بثأر خالك فجعل ذلك له فأتى القادة والأعلام فقال لهم أنتم القادة والرؤساء وعندنا الأموال والكنوز
فانصرف إليه منهم بشر كثير فالتقى بعمرو التنوخي فلما صافوا القتال تابعه التنوخي ومالك بن عمرو بن عدي فقال له قصير انظر ما وعدتني في الزباء
فقال وكيف وهي أمنع من عقاب الجو فقال أما إذ أبيت فإني جادع أنفي وأذني ومحتال لقتلها فأعني وخلاك ذم فقال له عمرو وأنت أبصر
فجدع قصير أنفه ثم انطلق حتى دخل على الزباء فقالت من أنت قال أنا قصير ولا ورب البشر ما كان على ظهر الأرض أحد أنصح لخدمته مني ولا أغش لك حتى جدع عمرو بن عدي أنفي وأذني فعرفت أني لن أكون مع أحد أثقل عليه منك

فقالت أي قصير نقبل ذلك منك ونصر لك في بضاعتنا
وأعطته مالاً للتجارة فأتى بيت مال الحيرة فأخذ منه بأمر عدي ما ظن أنه يرضيها وانصرف إليها به فلما رأت ما جاء به فرحت وزادته ولم يزل حتى أنست به فقال لها إنه ليس من ملك ولا ملكة إلا وقد ينبغي له أن يتخذ نفقاً يهرب إليه عند حدوث حادثة يخافها
فقالت أما أني قد فعلت واتخذت نفقاً تحت سريري هذا يخرج إلى نفق تحت سرير أختي
وأرته إياه فأظهر لها سروراً بذلك وخرج في تجارته كما كان يفعل وعرف عمرو بن عدي ما فعله فركب عمرو في ألفي دارع على ألف بعير في الجوالق حتى إذا صاروا إليها تقدم قصير يسبق الإبل ودخل على الزباء فقال لها اصعدي في حائط مدينتك فانظري إلى مالك وتقدمي إلى بوابك فلا يعرض لشيء من أعكامنا فإني قد جئت بمال صامت
وقد كانت أمنته فلم تكن تتهمه ولا تخافه
فصعدت كما أمرها فلما نظرت إلى ثقل مشي الجمال قالت وقيل إنه مصنوع منسوب إليها رجز
(ما لِلجِمالِ مَشْيُها وئيدا ... أجَنْدلاً يَحمِلْنَ أم حديدا)
(أم صَرَفاناً بارداً شديداً ... أم الرجالَ جُثَّما قُعودا)
فلما دخل آخر الجمال نخس البواب عكما من الأعجام بمنخسة معه فأصابت خاصرة رجل فضرط فقال البواب شر والله عكمتم به في الجوالقات
فثاروا بأهل المدينة ضرباً بالسيف فانصرفت راجعة فاستقبلها عمرو بن عدي فضربها فقتلها وقيل بل مصت خاتمها وقالت بيدي لا بيد عمرو وخربت المدينة وسبيت الذراري وغنم عمرو كل شيء كان لها ولأبيها وأختها وقال الشعراء في ذلك تذكر ما كان من قصير في مشورته على جذيمة وفي جدعه أنفه فأكثروا
- قال عدي بن زيد - وافر
(ألا يا أيُّها المُثْري المُرَجَّى ... ألم تَسمعْ بِخَطْبِ الأوّلينا)
(دَعا بالبَقَّة الأمراءُ يَوْماً ... جذيمةَ ينتحي عُصَباً ثُبِينا)
(فطاوَعَ أمرَهُمْ وعصى قصيراً ... وكان يقول لو سَمِعِ اليقينا)
وهي طويلة
- وقال المتلمس يذكر جدع قصير أنفه - طويل
(ومِن حَذَرِ الأيام ما حَزَّ أنفَه ... قصيرٌ وخاضَ الموتَ بالسيف بيهسُ)
وكان جذيمة الملك شاعراً وإنما قيل له الوضاح لبرص كان به وكان يعظم أن يسمى بذلك فجعل مكانه الأبرش والوضاح
- وهو الذي يقول - مجزوء الكامل
(والمُلْكُ كان لذي نُواسٍ ... حَوله تَردِي يُحابِرْ)
(بالسابغاتِ وبالقَنا ... والبيض تَبرق والمَغَافر)
(أزمانَ لا مُلْكٌ يُجير ... ولا ذِمامَ لِمن يُجاوِرْ)
(أوْدَى بهمْ غِيَرُ الزمانِ ... فمنجدٌ منهمْ وغائرْ)
- وهو الذي يقول - مديد
(ربَّما أوفيْتُ في عَلَمٍ ... تَرْفَعْن ثوبي شمالاتُ)
(في شبابٍ أنا رابئهم ... همْ لذي العَورة صِمّات)
(ليتَ شعري ما أطافَ بهمٍ ... نحن أدلَجْنا وهُم باتوا)
(ثُمَّ أبْنا غانِمِينَ وكم ... كَرَّ ناسٌ قبلنا ماتوا)
فيه غناء يقال إنه ليمانٍ ويقال إنه لمعبد ولم يصح
صوت بسيط
(في كَفِّه خيزُرانٌ ريحُه عَبِقٌ ... من كفِّ أرْوَعَ في عِرْنينه شَمَمُ)
(يُغضي حياءً ويُغْضَى من مَهابته ... فما يُكلَّمُ4 إلا حين يبتسمُ)
الشعر لحزين بن سليمان الديلي والغناء لإسحاق ثاني ثقيل بالبنصر عن حبش وفيه لعريب رمل عمله على لحن ابن سريج
21 - أخبار الحزين ونسبه
ذكر الواقدي أنه من كنانة وأنه صليبة وأن الحزين لقب غلب عليه وأن اسمه عمرو بن عبيد بن وهيب بن مالك ويكنى أبا الشعثاء بن حريث بن جابر بن بجير وهو راعي الشمس الأكبر بن يعمر بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة أخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة عن الواقدي
قال وأما عمر بن شبة فإنه ذكر أن الحزين مولى وأنه الحزين بن سليمان ويكنى سليمان أبا الشعثاء ويكنى الحزين أبا الحكم
من شعراء الدولة الأموية حجازي مطبوع ليس من فحول طبقته
وكان هجاء خبيث اللسان ساقطاً يرضيه اليسير ويتكسب بالشر وهجاء الناس وليس ممن خدم الخلفاء ولا انتجعهم بمدح ولا كان يريم الحجاز حتى مات
وهذا الشعر يقوله الحزين في عبد الله بن عبد الملك بن مروان
وكان
عبد الله من فتيان بني أمية وظرفائهم وكان حسن الوجه حسن المذهب وأمه أم ولد
وزوجة عبد الله رملة بنت عبد الله بن عبد الله وعبد الله هذا هو عبد الحجر بن عبد المدان بن الديان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن عمرو
وزوجته هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود بن مطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي تزوجها لما كان يقال إنها ناتق في ولادها فمات عنها ولم تلد له فخلفه محمد بن علي بن عبد الله بن العباس على رملة فولدت له محمداً وإبراهيم وموسى وبنات
أخبرني بذلك عمر بن عبد الله بن جميل العتكي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري ويحيى بن علي بن يحيى قالوا حدثنا

عمر بن شبة عن ابن رواحة وغيره
وأخبرني به الطوسي والحرمي عن الزبير عن عمه
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثني الزبير قال حدثني عمي أن عبد الله بن عبد الملك حج فقال له أبوه سيأتيك الحزين الشاعر بالمدينة وهو ذرب اللسان فإياك أن تحتجب عنه وأرضه
وصفته أنه أشعر ذو بطن عظيم الأنف
فلما قدم عبد الله المدينة وصفه لحاجبه وقال له إياك أن ترده
فلم يأت الحزين حتى قام فدخل لينام فقال له الحاجب قد ارتفع
فلما ولى ذكر فلحقه فقال ارجع فاستأذن له فأدخله فلما صار بين يديه ورأى جماله وبهاءه وفي يده قضيب خيزران وقف ساكتاً فأمهله عبد الله حتى ظن أنه قد أراح ثم قال له السلام رحمك الله أولاً
فقال عليك السلام وحيا الله وجهك أيها الأمير إني قد كنت مدحتك بشعر فلما دخلت عليك ورأيت جمالك وبهاءك أذهلني عنه فأنسيت ما كنت قلته وقد قلت في مقامي هذا بيتين
بسيط -فقال ما هما قال
(في كَفِّه خيزُرانٌ ريحُها عَبِقٌ ... من كفِّ أرْوَعَ في عِرْنينه شَمَمُ
(يُغضي حياءً ويُغْضَى من مَهابته ... فما يُكلَّمُ إلا حين يبتسمُ)
فأجازه فقال أخدمني أصلحك الله فإنه لا خادم لي
فقال اختر أحد هذين الغلامين
فأخذ أحدهما فقال له عبد الله أعلينا ترذل خذ الأكبر
والناس يروون هذين البيتين للفرزدق في أبياته التي يمدح بها علي بن الحسين بن أبي طالب عليه السلام التي أولها - - بسيط
(هذا الذي تعرف البطحاءُ وطأتَه ... والبيْتُ يعرفه والحِلُّ والحرمُ)
وهو غلط ممن رواه فيها
وليس هذان البيتان مما يمدح به مثل علي بن الحسين عليهما السلام وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد
حدثني محمد بن محمد بن سليمان الباغندي قال حدثني محمد بن عمر العدني قال حدثني سفيان بن عيينة عن الزهري قال ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين
حدثني محمد قال حدثنا يوسف بن موسى القطان قال حدثنا جرير بن المغيرة قال كان علي بن الحسين يبخل فلما مات وجدوه يعول مائة أهل بيت بالمدينة
حدثني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن معرس قال حدثنا محمد ابن ميمون قال حدثنا سفيان عن ابن أبي حمزة الثمالي قال كان علي بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره فيتصدق به ويقول إن صدقة الليل تطفئ غضب الرب
حدثني أبو عبد الله الصيرفي قال حدثنا الفضل بن الحسين المصري قال
حدثنا أحمد بن سليمان قال حدثنا ابن عائشة قال حدثنا سعد بن عامر عن جويرية بن أسماء عن نافع قال قال علي بن الحسين ما أكلت بقرابتي من رسول الله شيئاً قط
حدثنا الحسن بن علي قال حدثني عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني إسحاق بن موسى الأنصاري قال حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال كان ناس من أهل المدينة يعيشون ما يدرون من أين عيشهم فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به بالليل
وأما الأبيات التي مدح بها الفرزدق علي بن الحسين وخبره فيها فحدثني بها أحمد بن محمد بن الجعد ومحمد بن يحيى قالا حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا ابن عائشة قال حج هشام بن عبد الملك في خلافة الوليد أخيه ومعه رؤساء أهل الشام فجهد أن يستلم الحجر فلم يقدر من ازدحام الناس فنصب له منبر فجلس عليه ينظر إلى الناس وأقبل علي بن الحسين وهو أحسن الناس وجهاً وأنظفهم ثوباً وأطيبهم رائحة فطاف بالبيت فلما بلغ الحجر الأسود تنحى الناس كلهم وأخلوا له الحجر ليستلمه هيبة وإجلالاً له فغاظ ذلك هشاماً وبلغ منه فقال رجل لهشام من هذا أصلح الله الأمير قال لا أعرفه وكان به عارفاً ولكنه خاف أن يرغب فيه أهل الشام ويسمعوا منه
فقال الفرزدق وكان لذلك كله حاضراً أنا أعرفه فسلني يا شامي
- قال ومن هو قال - بسيط
(هذا الذي تعرفُ البطحاءِ وَطْأتَهُ ... والبيْتُ يعرفه والحِلُّ والحَرَمُ)
(هذا ابنُ خيرِ عِبادِ الله كلِّهِمُ ... هذا التَّقِيُّ النقي الطاهِرُ العلَمُ)
(إذا رأته قُرَيْشٌ قال قائلها ... إلى مكارِمِ هذا ينتهي الكَرَمُ)
(يكاد يُمسِكه عِرْفانَ راحته ... رُكْنُ الحَطِيمِ إذا ما جاء يستلمُ)
(فليس قولُك مَن هذا بضائِره ... العُرْبُ تَعْرفُ من أنكرْتَ والعجم
(أيُّ الخلائق ليست في رِقابِهِمُ ... لأوّليةِ هذا أو لَهُ نِعَم)
(مَن يعرف الله يعرفْ أوّليةَ ذا ... فالدينُ من بيتِ هذا ناله الأمم)
- فحبسه هشام فقال الفرزدق - طويل
(أيحبسني بين المدينة والتي ... إليها قلوبُ الناس يَهوي مُنِيبُها)
(يُقلِّب رأساً لم يكن رأس سيدٍ ... وعيناً له حَولاءَ بادٍ عيوبُها)
فبعث إليه هشام فأخرجه ووجه إليه علي بن الحسين عشرة آلاف درهم وقال اعذر يا أبا فراس فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به
فردها وقال ما قلت ما كان إلا لله وما كنت لأرزأ عليه شيئاً
فقال له علي قد رأى الله مكانك فشكرك ولكنا أهل بيت إذا أنفذنا شيئاً ما نرجع فيه
فأقسم عليه فقبلها
ومن الناس أيضاً من يروي هذه الأبيات لداود بن سلم في قثم بن العباس ومنهم من يرويها لخالد بن يزيد فيه فهي في روايته

- بسيط -
(كم صارخٍ بك من راجٍ وراجيةٍ ... يَرجُوك يا قُثَمَ الخيراتِ يا قُثَمُ)
(أيُّ العمائرِ ليست في رقابِهِمُ ... لأوّلية هذا أو لَهُ نِعَمُ)
(في كَفِّه خيزُرانٌ ريحُها عَبِقٌ ... من كفِّ أَرْوَعَ في عِرْنينه شَمَمُ)
(يُغضِي حياءً ويُغْضَى من مَهابته ... فما يُكلَّمُ إلا حين يبتسِمُ)
وممن ذكر لنا ذلك الصولي عن الغلابي عن مهدي بن سابق أن داود بن سلم قال هذه الأبيات الأربعة سوى البيت الأول في شعره في علي بن الحسين عليه السلام
وذكر الرياشي عن الأصمعي أن رجلاً من العرب يقال له داود وقف لقثم
- فناداه وقال - بسيط
(يكاد يُمسِكه عِرْفانَ راحتِه ... رُكْنُ الحَطيم إذا ما جاء يستلِمُ)
(كما صارخٍ بك من راجٍ وراجيةٍ ... في الناس يا قُثَمَ الخيراتِ يا قُثَمُ)
فأمر له بجائزة سنية
والصحيح أنها للحزين في عبد الله بن عبد الملك
وقد غلط ابن عائشة في إدخاله البيتين في تلك الأبيات
وأبيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعاني متشابهة تنبئ عن نفسها
- وهي - بسيط
(اللّه يعلمُ أنْ قد جُبْتُ ذا يَمَنٍ ... ثمَّ العراقَيْن لا يَثْنِينِيَ السَّأَمُ)
(ثم الجزيرةَ أعلاها وأسفَلها ... كذاك تَسري على الأهوال بِي القدمُ)
(ثم المواسمَ قد أَوْطَنْتُها زمناً ... وحيث تُحلَقُ عند الجمرة اللِّممُ)
(قالوا دِمشقُ يُنبّيك الخبير بها ... ثم ائتِ مصرَ فثَمَّ النائلُ العَمَم)
(لمَّا وقفت عليها في الجموع ضُحىً ... وقد تَعرَّضَتِ الحجّابُ والخَدَمُ)
(حَيّيته بسَلامٍ وهو مرتفقٌ ... وضَجَّةُ القومِ عند الباب تَزدحمُ)
(في كَفِّه خيزُرانٌ ريحُها عَبِقٌ ... من كفِّ أَرْوَعَ في عِرْنِينه شَمَمُ)
(يُغْضي حياءً ويُغْضَى مِنْ مَهابته ... فما يُكلَّمُ إلاّ حينَ يبتسمُ)
(ترى رؤوسَ بني مَروانَ خاضعةً ... يمشُون حولَ ركابِه وما ظلموا)
(إنْ هشَّ هشُّوا له واستبشَروا جَذَلاً ... وإنْ هُمُ آنسوا إعراضَه وجَموا)
(كلتا يديه ربيعٌ عند ذي خُلُفٍ ... بحرٌ يفيض وهادِي عارضٍ هَزِم)
ومن الناس من يقول إن الحزين قالها في عبد العزيز بن مروان لذكره دمشق ومصر
وقد كان ثم عبد الله بن عبد الملك أيضاً في مصر والحزين بها
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن يحيى أبو غسان عن عبد العزيز بن عمران الزهري قال وفد الحزين على عبد الله بن عبد الملك وفي الرقيق أخوان فقال عبد الله للحزين أي الرقيق أعجب إليك قال ليختر لي الأمير
قال عبد الله قد رضيت لك هذا لأحدهما فإني رأيته حسن الصلاح
قال الحزين لا حاجة لي به فأعطني أخاه
فأعطاه إياه
قال والغلامان مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز وتميم أبو محمد بن تميم وهو الذي اختاره الحزين
- قال فقال في عبد الله يمدحه - بسيط
(... الله يعلمُ أنْ قد حَيَّيْتُ ذا يَمَنٍ)
وذكر القصيدة بطولها على هذا السبيل
أخبرني وكيع عن محمد بن علي بن حمزة العلوي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال كان على المدينة طائف يقال له صفوان مولى لآل محرمة بن نوفل فجاء الحزين الديلي إلى شيخ من أهل المدينة فاستعاره حماره وذهب إلى العقيق فشرب وأقبل على الحمار وقد سكر فجاء به الحمار حتى وقف به على باب المسجد كما كان صاحبه عوده إياه فمر به صفوان فأخذه فحبسه وحبس الحمار فأصبح والحمار محبوس معه
- فأنشأ يقول - وافر
(أيا أهلَ المدينةِ خبِّروني ... بأيِّ جريرة حُبِس الحمارُ)
(فما للعَيْرِ من جُرْمٍ إليكُمْ ... وما بالعير إنْ ظُلِم انتصارُ)
طويل -فردوا الحمار على صاحبه وضربوا الحزين الحد فأقبل إلى مولى صفوان وهو في المسجد فقال
((نَشَدْتُك بالبيتِ الذي طِيفَ حولَه ... وزمزمَ والبيتِ الحرامِ المحجَّبِ
(لِزانيةٍ صفوانُ أمْ لعفيفةٍ ... لأعلمَ ما آتي وما أتجنّبُ)
فقال مولاه هو لزانية
فخرج وهو ينادي إن صفوان ابن الزانية فتعلق به صفوان فقال هذا مولاك يشهد أنك ابن زانية
فخلى عنه
وقال محمد بن علي بن حمزة وأخبرني الرياشي أن ابن عم للحزين استشاره في امرأة يتزوجها فقال له إن لها إخوة مشائيم وقد ردوا عنها غير واحد وأخشى أن يردوك فتطلق عليك ألسنا كانت عنك خرساً فخطبها ولم يقبل منه فردوه
- فقتال الحزين - طويل
(نَهَيْتُكَ عن أمرٍ فلم تَقْبَلِ النُّهَى ... وحذَّرتك اليومَ الغُواةَ الأشائما)
(فصرْتَ إلى ما لم أكنْ منه آمِناً ... وأشْمَتَّ أعدائي وأنطقْتَ لائما)
(وما بِهِمُ مِن رغبةٍ عنك قلْ لَهُمْ ... فإن تسألوني تسألوا بِيَ عالما)
نسخت من كتاب لعلي بن محمد الشامي حدثني أبو محلم

ولم يتجاوزه
وأخبرني عيسى بن الحسن قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثني عمر بن سلام مولى عمر بن الجعاب أن الحزين الديلي خرج مع ابن لسهيل بن عبد الرحمن بن عوف إلى منتزه لهم فسكر الحزين وانصرف فبات في الطريق وسلب ثيابه فأرسل إلى سهيل يخبره الخبر ويستمنحه فلم يمنحه وبلغ الخبر سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان - فأرسل إليه بجميع ما يحتاج إليه وعوضه ثمن ثيابه فقال الحزين في ذلك - منسرح
(هَلاَّ سهيلاً أشبهْتَ أو بعض أعْمامِكَ ... يا ذا الخلائِقِ الشَّكِسَهْ)
((ضَيَّعْتَ نَدْمانك الكريمَ ولم ... تُشْفِقْ عليه من ليلةٍ نَجِسَهْ)
(ثم تعالَلْتَ إذ أتاك له ... صُبْحاً رسولٌ بعِلّة طفِسَهْ)
(لكنّ سفيانَ لم يكن وَكَلاً ... لمَّا أتتْنا صِلاتُه سَلِسَهْ)
(سما به أرْوَعٌ ونفسُ فتىً ... أرْوَعَ ليست كنفسك الدَّنِسَهْ)
حدثنا الصولي قال حدثنا ثعلب قال حدثني عبد الله بن شبيب قال
- مرّ الحزين الديلي على مجلس لبني كعب بن خزاعة وهو سكران فضحكوا عليه فوقف عليهم وقال - بسيط
(لا بارَكَ اللهُ في كَعْبٍ ومجلِسِهمْ ... ماذا تجمّع من لؤم ومن ضَرَعِ)
(لا يدرسون كتابَ الله بينهُمُ ... ولا يصومون من حِرْص على الشبعِ)
فوثب إليه مشايخهم فاعتذروا منه وسألوه الكف وأن لا يزيد شيئاً على ما قاله فأجابهم وانصرف
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عمرو بن أبي بكر المؤملي قال حدثني عبد الله بن أبي عبيدة قال كان الحزين قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين درهمين في كل شهر منهم ابن أبي عتيق فجاءه لأخذ درهميه وهو على حمار أعجف قال وكثير مع ابن أبي عتيق فدعا ابن أبي عتيق للحزين بدرهمين فقال له الحزين من هذا معك قال هذا أبو صخر كثير بن أبي جمعة
قال وكان قصيراً دميماً فقال له الحزين أتأذن لي أن أهجوه ببيت قال لا لعمري لا آذن لك أن تهجو جليسي ولكن أشتري عرضه منك بدرهمين
آخرين
ودعا له بهما فأصغى ثم قال لا بد لي من هجائه ببيت
قال أو أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين ودعا له بهما فأخذهما وقال ما أنا بتاركه حتي أهجوه
قال أو أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين فقال له كثير ائذن له وما عسى أن يقول فيّ فأذن له ابن أبي عتيق فقال - - طويل
(قصير القميص فاحشٌ عند بيته ... يَعَضُّ القُرادَ باسته وهو قائمُ)
فوثب كثير إليه فوكزه فسقط هو والحمار وخلص ابن أبي عتيق بينهما وقال لكثير قبحك الله أتأذن له وتبسط إليه يدك قال كثير وأنا ظننته يبلغ في هذا كله في بيت واحد ولكثير مع الحزين أخبار أخر قد ذكرت في أخبار كثير
أخبرني الحرمي قال حدثني عمي عن الضحاك بن عثمان قال حدثني ابن عروة بن أذينة قال كان الحزين صديقاً لأبي وعشيراً على النبيذ وكان كثيراً ما يأتيه وكان بالمدينة قينة يهواها الحزين ويكثر غشيانها فبيعت وأخرجت عن المدينة - فأتى الحزين أبي وهو كئيب حزين كاسمه فقال له أبي ما لك يا أبا حكيم قال أنا والله يا أبا عامر كما قال كثير - طويل
(لعمري لئن كانَ الفؤادُ من الهوى ... بَغَى سَقَماً إني إذاً لسقيمُ)
(سألْتُ حكيماً أين شَطّتْ بها النوى ... فخبَّرني ما لا أحبُّ حكيمُ)
فقال له أبي أنت مجنون إن أقمت على هذا
أخبرني أحمد بن سليمان الطوسي قال حدثنا الزبير قال حدثني مصعب قال
مر الحزين على جعفر بن محمد بن عبد الله بن نوفل بن الحارث وعليه أطمار فقال له يا ابن أبي الشعثاء إلى أين أصبحت غادياً قال أمتع الله بك نزل عبد الله بن عبد الملك الحرة يريد الحج وقد كنت وفدت إليه بمصر فأحسن إلي
قال أفما وجدت شيئاً تلبسه غير هذه الثياب قال قد استعرت من أهل المدينة فلم يعرني أحد منهم غير هذه الثياب
فدعا جعفر غلاماً فقال ائتني بجبة صوف وقميص ورداء
فجاءه بذلك فقال أبل وأخلق
فلما ولى الحزين قال جلساء جعفر له ما صنعت إنه يعمد إلى هذه الثياب التي كسوته إياها فيبيعها ويفسد بثمنها
قال ما أبالي إذا كافأته بثيابه ما صنع بها
فسمع الحزين قولهم وما رد عليهم ومضى حتى أتى عبد الله بن عبد الملك فأحسن إليه وكساه
- فلما أصبح الحزين أتى جعفراً ومعه القوم الذين لاموه بالأمس وأنشده - طويل
(وما زال ينمو جعفرُ بنُ محمّدٍ ... إلى المجد حتّى عَبْهَلَتْهُ عواذلُهْ)
(وقُلْنَ له هلْ مِن طريفٍ وتالدٍ ... من المال إلاّ أنت في الحقِّ باذلُهْ)
(يُحاولْنَه عن شيمةٍ قد علِمْنَها ... وفي نفسه أمرٌ كريمٌ يُحاولهْ)
ثم قال له بأبي أنت وأمي سمعت ما قالوا وما رددت عليهم
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن الضحاك عن أبيه قال صحب الحزين رجلاً من بني عامر بن لؤي يلقب أبا بعرة وكان استعمل على سعايات فلم يصنع إليه خيراً وكان قد صحب قبله عمرو بن مساحق وسعد بن نوفل طويل -فأحمدهما فقال له
((صحبتُك عاماً بعد سَعدِ بن نوفلٍ ... وعمرو فما أشبهْتَ سَعْداً ولا عَمْرَا
(وجادا كما قَصَّرْتَ في طلب العلا ... فحُزْتَ به ذماًّ وحازا به شكرا)
قال وأبو بعرة هذا هو الذي كان يعبث بجارية لابن أبي عتيق فشكته إليه فقال لها عديه فإذا جاءك فأدخليه إليّ ففعلت فأدخلته عليه وهو وشيخ من نظرائه جالسان في حجلة فلما رآهما قال أقسم بالله ما اجتمعتما إلا على ريبة فقال له ابن أبي عتيق استر علينا ستر الله عليك
قال وآل أبي بعرة هم موالي آل أبي سمير

قال فلما ولي المهدي باعوا ولاءهم منه
- قال الزبير وأنشدني عمي تمام الأبيات التي هجا بها أبا بعرة وسماه لي فقال وكان اسمه عيسى وهي - طويل
(أولاكَ الجِعاد البيض من آل مالكٍ ... وأنتُمْ بنو قَيْنٍ لَحِقْتُمْ به نَزْرا)
نصب نزرا على الحال كأنه قال لحقتم به نزراً قليلاً من الرجال
(نسوق بَيَعْوراً أميرا كأنما ... نَسوق به في كلّ مَجمعةٍ وَبْرا)
(فإن يكن البَيْعور ذمَّ رفيقُه ... قراه فقد كانت إمارتُه نكْرا)
(ومُتَّعُ البَيْعُور يرجُو نوالَه ... فقد زاده البَيْعُورُ في فَقْره فَقْرا)
أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني صالح عن عامر بن صالح قال مدح الحزين عمرو بن عمرو بن الزبير فلم يعطه شيئاً
وأخبرني بهذا الخبر عمي تاما واللفظ له ولم يذكر الزبير منه إلا يسيراً قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري قال حدثني عطاء بن مصعب عن
عاصم بن الحدثان قال دخل الحزين على عمرو بن عمرو بن الزبير بن العوام منزله فامتدحه وسأله حاجة فقال له ليس إلى ما تطلب سبيل ولا نقدر أن نملأ الناس معاذير وما كل من سألنا حاجة استحق أن نقضيها ولرب مستحق لها قد منعناه حاجته
فقال الحزين أفمن المستحقين أنا قال لا والله وكيف تكون مستحقا لشيء من الخير وأنت تشتم أعراض الناس وتهتك حريمهم وترميهم بالمعضلات إنما المستحق من كف أذاه وبذل نداه ووقم أعداه
فقال له الحزين أفمن هؤلاء أنت فقال له عمرو أين تبعدني لا أم لك من هذه المنزلة وأفضل منها فوثب الحزين من عنده
- وأنشأ يقول - وافر
(حلَفْتُ وما صَبرْتُ على يمينٍ ... ولو أُدعى إلى أيمانِ صَبْر)
(بربِّ الراقصاتِ بِشُعْثِ قومٍ ... يُوافون الجِمارَ لِصُبحِ عشر)
(لو انَّ اللؤمَ كان مع الثريَّا ... لكان حليفَه عمرُو بنُ عمرو)
(ولو أنّي عرَفْتُ بأنَّ عَمْراً ... حليفُ اللؤمِ ما ضيَّعْتُ شِعري)
فقال العمري وحدثني لقيط أن الحزين قال فيه أيضاً يهجوه ويمدح محمد بن مروان بن الحكم وجاءه فشكا إليه عمراً فوصله وأحسن إليه
- قال - طويل
(إذا لم يكنْ للمرء فضلٌ يَزينُه ... سوى ما ادَّعَى يوماً فليس له فَضْلُ)
(وتَلْقَى الفتى ضخماً جميلاً رُواؤه ... يَروُعك في النّادي وليس له عَقْلُ)
(وآخرُ تنبو العين عنه مهذَّبٌ ... يجود إذا ما الضَّخمِ نَهْنَهَهُ البخل)
((فيا راجياً عمرو بنَ عمرو وسَيْبَه ... أتعرف عَمْراً أم أتاهُ بك الجهل
(فإن كنْتَ ذا جهلٍ فقد يُخطئ الفتى ... وإن كنْتَ ذا حزمٍ إذاً حارتِ النّبل)
(جَهِلْتَ ابنَ عمروٍ فالتمسْ سَيْبَ غيره ... ودونك مَرْمىً ليس في جِدّه هَزْلُ)
(عليك ابنَ مروانَ الأغرَّ محمداً ... تجدْه كريماً لا يطيش له نَبْلُ)
قال لقيط فلما أنشد الحزين محمد بن مروان هذا الشعر أمر له بخمسة آلاف درهم وقال له اكفف يا أخا بني ليث عن عمرو بن عمرو ولك حكمك
فقال لا والله ولا بحمر النعم وسودها لو أعطيتها ما كففت عنه لأنه ما علمت كثير الشر قليل الخير متسلط على صديقه فظ على أهله
وخير ابن عمرو بالثريا معلق
فقال له محمد بن مروان هذا شعر
فقال بعد ساعة يصير شعراً ولو شئت لعجلته
- ثم قال - طويل
(شرُّ ابنِ عمروحاضرٌ لصديقه ... وخَيرُ ابنِ عمرو بالثريّا معلَّقُ)
(ووجهُ ابن عمرو باسرٌ إنْ طَلَبْتَهُ ... نوالاً إذا جاد الكريم الموفّق)
(فبئس الفتي عمرو بن عمرو إذا غَدَتْ ... كتائب هيجاء المنيّة تبرق)
(فلا زال عمروٌ للبلايا دَرِيَّةً ... تباكِره حتّى يموت وتطرُق)
(يهرُّ هرير الكلب عمروٌ إذا رأى ... طعاماً فما ينفكّ يبكي ويَشهَقُ)
قال فزجره محمد عنه وقال له أفٍّ لك قد أكثرت الهجاء وأبلغت في الشتيمة
قال العمري وحدثني عطاء بن مصعب عن عبد الله بن الليث الليثي قال قال الحزين الديلي يهجو عمرو بن عمرو بن الزبير
- - طويل
(لعمرك ما عمرو بن عمرو بماجدٍ ... ولكنّه كَزُّ اليدين بخيلُ)
(ينام عن التقوى ويُوقِظه الخِنا ... فيخبِطُ أثناءَ الظلام يجولُ)
(فلا خَيرٍ في عمرو لجارٍ ولا له ... ذِمامٌ ولكنْ للئام وصولُ)
(مواعيدُ عمرو تُرَّهاتٌ ووجهُهُ ... على كلِّ ما قد قلْت فيه دليل)
(جبانٌ وفحَّاشٌ لئيمٌ مذمَّمٌ ... وأكذبُ خَلْقِ الله حين يقول)
(كلام ابنِ عمرو صُوفةٌ وسط بَلْقَعٍ ... وكفُّ ابنِ عمرو في الرَّخاء تطول)
(وإنْ حَزَبَتْه الحازباتُ تَشنَّجتْ ... يداه ورمحٌ في الهياج كليلُ)
فبلغ شعره عمراً فقال ما له لعنه الله ولعن من ولده لقد هجاني بنية صادقة ولسان صنع ذلق وما عداني إلى غيري
قال فلقي الحزين عروة بن أذينة الليثي فأنشده هذه الأبيات فقال له ويحك بعضها كان يكفيك فقد بنيتها ولم تقم أودها وداخلتها وجعلت معانيها في أكمتها
قال الحزين ذلك والله أرغب للناس فيها

فقال له عروة خير الناس من حلم عن الجهال وما أراه إلا قد حلم عنك
فقال الحزين حلم والله عني شاء أو أبى برغمه وصغره
قال العمري فحدثنا عطاء عن عاصم بن الحدثان قال لقي شبان من ولد الزبير الحزين فتناولوه بألسنتهم وهموا بضربه فحال بينهم وبينه ابن لمصعب
ابن الزبير فقال الحزين يهجوهم ويهجو جماعة من بني أسد بن عبد العزى سوى بني مصعب الذين منعوهم منه قال - طويل -
(لحا الله حيّاً من قُريشٍ تحالفوا ... على البُخلِ بالمعروف والجودِ بالنُّكْر)
(فصاروا لخلقِ اللهِ في اللؤمِ غاية ... بهِمْ تُضْرَبُ الأمثالُ في النثرِ والشعر)
(فيا عمرو لو أشبهت عَمْرا ومصعبا ... حُمِدْتَ ولكنْ أنت منقبضُ البِشْر)
(بني أسدٍ سادَتْ قريشٌ بجودها ... معداً وسادتْكُمْ معدٌّ يَدَ الدّهر)
(تجود قريشٌ بالنَّدى ورضِيتُم ... بني أسد باللُّؤم والذّلّ والغدْر)
(أعمرو بن عمرو لست ممن تَعدُّه ... قريشٌ إذا ما كاثَروا الناسَ بالفخر)
(أبَتْ لك يا عمرو بن عمرو دناءةٌ ... وخُلْقٌ لئيم أن تَريش وأن تَبري)
أخبرني الحرمي قال حدّثنا الزبير قال حدثني محمد بن الضحاك الحزامي قال حدثني أبي قال كان الحزين سفيهاً نذلاً - يمدح بالنّزر إذا أعطيه ويهجو على مثله إذا منع فنزل بعاصم بن عمرو بن عثمان فلم يقره فقال يهجوه بقوله - طويل
(سيروا فقد جُنَّ الظّلامُ عليكُمُ ... فَبِاسْتِ الذي يرجو القِرى عند عاصمِ)
(ظَلِلنا عليه وهو كالتّيس طاعماً ... نَشُدّ على أكبادِنا بالعمائم)
(وما ليَ من ذَنْبٍ إليه عَلِمْتُهُ ... سوى أنّني قد جِئْتُه غيرَ صائم)
فقيل له إنّ عاصماً كثيراً ما تسمّي به قريش
طويل -فقال أمَا والله لأبيِّننَّه لهم فقال
((إليك ابن عثمان بن عفانٍ عاصم بنَ ... عمرو سَرَتْ عَنْسِي فخابَ سُراها
(فقد صادَفَتْ كزَّ اليدين مبخَّلا ... جباناً إذا ما الحرب شُبَّ لظاها)
(بخيلا بما في رحلِه غير أنهُ ... إذا ما خَلَتْ عِرْسُ الخليل أتاها)
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن الضحاك عن أبيه قال قال الحزين لهلال بن يحيى بن طلحة قوله - - طويل
(هلالُ بن يحيى غُرّةٌ لا خفَا بِها ... على الناس في عُسرِ الزمانِ ولا اليُسر)
(وسعْدُ بن إبراهيمَ ظُفْرٌ موسَّخٌ ... فهل يستريح الناسُ من وَسَخ الظُّفْر)
يعني سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وكان ولي قضاء المدينة من هشام بن عبد الملك فلم يعط الحزين شيئاً فهجاه
- وقال فيه أيضاً - طويل
(أتيْتُ هلالاً أرتجي فَضْلَ سَيْبِه ... فأفلتَني ممّا أحبُّ هِلالُ)
(هِلال بن يحيى غُرّةٌ لا خفا بها ... لكلِّ أُناسٍ غُرَّةٌ وهلال)
- صوت - طويل
(ألم تَشهدِ الجَوْنين والشِّعْبَ ذا الصَّفا ... وكَرّاتِ قَيْسٍ يَوْمَ دَيْرِ الجماجِمِ)
((تحرِّضُ يابنَ القَيْن قيساً لِيَجعلوا ... لقومك يوماً مثلَ يوم الأراقمِ
(بسيفِ أبي رَغْوانَ سيْفِ مُجاشعٍ ... ضربْتَ ولم تَضربْ بسيفِ ابن ظالمِ)
ضرِبْتَ به عند الإمام فأرعِشَتْ ... يداك وقالوا مُحدَثٌ غير صارمِ) الشعر لجرير والغناء لابن محرز ثقيل أول بالبنصر)
وهذه الأبيات يقولها جرير يهجو الفرزدق ويعيره بضربة ضربها بسيفه رجلاً من الروم فحضره سليمان بن عبد الملك فلم يصنع شيئاً
فحدثنا بخبره في ذلك محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا صالح بن سليمان عن إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي وكان شيخاً كبيراً وكان من أصحاب عبد الملك بن مروان ثم كان من أصحاب المنصور قال كنت حاضراً سليمان بن عبد الملك
وأخبرنا علي بن سليمان الأخفش واليزيدي عن السكري عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة وعن قتادة عن أبي عبيدة في كتاب النقائض عن رؤبة بن العجاج قال حج سليمان بن عبد الملك ومعه الشعراء وحججت معهم فمر بالمدينة منصرفاً فأتي بأسرى من الروم نحو من أربعمائة فقعد سليمان وعنده عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام وعليه ثوبان ممصران وهو أقربهم منه مجلساً فأدنوا إليه بطريقهم وهو في جامعة فقال لعبد الله بن الحسن قم فاضرب عنقه
فقام فما أعطاه أحد سيفاً حتى دفع إليه حرسي سيفاً كليلاً فضربه فأبان عنقه وذراعه وأطن ساعده وبعض الغل
فقال له سليمان اجلس فوالله ما ضربته بسيفك ولكن بحسبك
وجعل يدفع الأسرى إلى
الوجوه وإلى الناس فيقتلونهم حتى دفع إلى جرير رجلاً فدست إليه بنو عبس سيفاً قاطعاً في قراب أبيض فضربه فأبان رأسه ودفع إلى الفرزدق أسيراً فدست إليه القيسية سيفاً كليلاً فضرب به الأسير ضربات فلم يصنع شيئاً فضحك سليمان وضحك الناس معه
هذه رواية أبي عبيدة عن رؤبة
وأما سليمان بن أبي شيخ فإنه ذكر في خبره أن سليمان لما دفع إليه الأسير دفع إليه سيفاً وقال له اقتله به
فقال لا بل أضربه بسيف مجاشع واخترط سيفه فضربه به فلم يغن شيئاً فقال له سليمان أما والله لقد بقي عليك عارها
- وشنارها فقال جرير قصيدته التي يهجوه فيها ومنها الصوت المذكور وأولها قوله - طويل
(ألاَ حيِّ رَبْعَ المنزلِ المتقادِمِ ... وما حُلَّ مُذْ حَلّتْ به أمُّ سالِمِ)
وهي طويلة

فقال الفرزدق
- صوت - طويل
(فهل ضَربةُ الرُّوميِّ جاعلةٌ لكُمْ ... أباً عن كُليبٍ أو أباً مِثلَ دارمِ)
(كذاك سيوفُ الهندِ تَنْبو ظُباتُها ... وتَقطعِ أحياناً مَناط التمائمِ)
(ولا نَقتُل الأسرى ولكنْ نفكُّهمْ ... إذا أثْقَلَ الأعناقَ حملُ المَغَارمِ)
ذكر يونس أن في هذه الأبيات لحناً لابن محرز ولم يجنسه
طويل -وقال يعرّض بسليمان ويعيّره بنبو سيف ورقاء بن زهير العبسي عن خالد بن جعفر وبنو عبس أخوال سليمان قال
(فإنْ يكُ سيفٌ خانَ أو قدَرٌ أتى ... بتعجيل نفسٍ حَتْفُها غير شاهِدِ
(فسيفُ بني عَبسٍ وقد ضَربوا به ... نَبَا بيدَيْ وَرْقاءَ عن رأسِ خالدِ)
(كذاك سيوفُ الهند تنبو ظُباتُها ... وتقطع أحياناً مَناطَ القلائدِ)
وروي هذا الخبر عن عوانة بن الحكم قال فيه إن الفرزدق قال لسليمان يا أمير المؤمنين هب لي هذا الأسير
فوهبه له فأعتقه وقال الأبيات التي تقدم ذكرها ثم أقبل على رواته وأصحابه فقال كأني بابن المراغة وقد بلغه خبري
- فقال - طويل
(بَسيفِ أبي رَغْوانَ سيفِ مُجاشعٍ ... ضَربتَ ولم تضربْ بسيفِ ابن ظالِمِ)
(ضَرَبْتَ به عِند الإمام فأُرعِشَتْ ... يداك وقالوا مُحْدَثٌ غيرُ صارمِ)
قال فما لبثنا غير مدة يسيرة حتى جاءتنا القصيدة وفيها هذان البيتان فعجبنا من فطنة الفرزدق
وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف وكيع قال حدثنا محمد بن عيسى بن حمزة العلوي قال حدثنا أبو عثمان المازني قال
زعم جهم بن خلف أن رؤبة بن العجاج حدثه
فذكر هذه القصيدة وزاد فيها
- قال واستوهب الفرزدق الأسير فوهبه له سليمان فأعتقه وكساه وقال قصيدته التي يقول فيها - طويل
(ولا نقتُل الأسرى ولكن نفكُّهمْ ... إذا أثقَلَ الأعناقَ حملُ المغارمِ)
طويل -قال وقال في ذلك
((تَباشَرُ يربوعٌ بنبوةِ ضربةٍ ... ضَربْتُ بها بين الطُّلاَ والحراقِدِ
(ولو شئْتُ قدَّ السيفُ ما بين عُنْقه ... إلى عَلَق بين الحجابَيْن جامدِ)
(فإنْ يَنْبُ سيفٌ أو تراخَتْ منيّةٌ ... لميقاتِ نَفْسٍ حتفُها غيرُ شاهدِ)
(فسيفُ بني عبسٍ وقد ضَربوا به ... نَبا بِيدَيْ ورقاءَ عن رأسِ خالدِ)
- قال وقال في ذلك - بسيط
(أيَضْحَكُ الناسُ أن أضحكْتُ سيِّدَهُمْ ... خليفةَ الله يُستَسْقَى به المَطَرُ)
(فما نبا السيفُ عن جُبنٍ ولا دَهَشٍ ... عند الإمام ولكنْ أخَّرَ القَدَرُ)
(ولو ضَربْتُ به عمراً مقلَّدَه ... لخرَّ جُثمانُه ما فوقَه شَعَر)
(وما يقدِّم نفساً قبل مِيتَتِها ... جمعُ اليدَين ولا الصَّمصامةُ الذَّكَرُ)
فأما يوم الجونين الذي ذكره جرير فهو اليوم الذي أغار فيه عتيبة بن الحارث بن شهاب على بني كلاب وهو يوم الرغام
أخبرني بخبره علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيدي عن السكري عن ابن حبيب ودماذ عن أبي عبيدة
وعن إبراهيم بن سعدان عن أبيه أن عتيبة بن الحارث بن شهاب أغار في بني ثعلبة بن يربوع على طوائف من بني كلاب
يوم الجونين فاطرد إبلهم وكان أنس بن العباس الأصم أخو بني رعل من بني سليم مجاوراً في بني كلاب وكان بين بني
ثعلبة بن يربوع وبين بني رعل عهد لا يسفك دم ولا يؤكل مال
فلما سمع الكلابيون الدعوى يال ثعلبة يال
عبيد يال جعفر عرفوهم فقالوا لأنس بن العباس قد عرفنا ما بين بني رعل وبني ثعلبة بن يربوع فأدركهم فاحبسهم علينا
حتى نلحق
فخرج أنس في آثارهم حتى أدركهم فلما دنا منهم قال عتيبة بن الحارث لأخيه حنظلة أغن عنا هذا الفارس فاستقبله
حنظلة فقال له أنس إنما أنا أخوكم وعقيدكم وكنت في هؤلاء القوم فأغرتم على إبلي فيما أغرتم عليه وهو معكم
فرجع حنظلة إلى أخيه فأخبره الخبر فقال له حياك الله وهلم فوال إبلك أي اعزلها
قال والله ما أعرفها وبنو أخي وأهل بيتي معي وقد أمرتهم بالركوب في أثري وهم أعرف بها مني
فطلع فوارس بني كلاب فاستقبلهم حنظلة بن الحارث في فوارس فقال لهم أنس إنما هم بني وبنو أخي
وإنما يربثهم لتلحق فوارس بني كلاب
فلحقوا فحمل الحوثرة بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر على حنظلة فقتله وحمل لأم ابن سلمة أخو بني ضبارى بن
عبيد بن ثعلبة على الحوثرة هو وابن مزنة أخو بني عاصم بن عبيد فأسراه ودفعاه إلى عتيبة فقتله صبراً وهزم الكلابيون
ومضى بنو ثعلبة بالإبل وفيها إبل أنس فلم تقر أنساً نفسه حتى اتبعهم رجاء أن يصيب منهم غرة وهم يسيرون في
شجراء
فتخلف عتيبة لقضاء حاجته وأمسك برأس فرسه فلم يشعر إلا بأنس قد مر في آثارهم فتقدم حتى وثب عليه فأسره
فأتى به عتيبة أصحابه فقال بنو عبيدة قد عرفنا أن لأم بن سلمة وابن مزنة قد أسرا الحوثرة فدفعاه إليك فضربت عنقه
فأعقبهما في أنس بن عباس فمن قتلته خير من أنس
فأبى عتيبة أن يفعل ذلك حتى افتدى أنس نفسه بمائتي بعير
كامل -فقال العباس بن مرداس يعير عتيبة بن الحارث بفعله
((كثُر الضَّجاجُ وما سمعْتُ بغادرٍ ... كعُتيبةَ بنِ الحارث بن شهاب
(جَلَّلْتَ حنظلةَ المخَانَة والخَنا ... ودَنِسْتَ آخرَ هذه الأحقاب)
(وأسَرتُمُ أنساً فمَا حاولْتُمُ ... بإسارِ جارِكُمُ بني المِيقاب)
الميقاب التي تلد الحمقى
والوقب الأحمق

(باستِ التي ولدتك واستِ معاشرٍ ... تَرَكوك تحرسهمْ من الأحساب)
- فقال عتيبة بن الحارث - وافر
(غدرتمْ غدرةً وغدرْتُمُ أخرى ... فليسَ إلى توافينا سبيلُ)
(كأنّكُمُ غداة بني كلابٍ ... تفاقدتمْ عليَّ لكُمْ دليلُ)
قوله تفاقدتم دعاء عليهم أن يفقد بعضهم بعضاً
- صوت - طويل
(وبالعُفْر دارٌ من جميلَة هَيَّجَتْ ... سوالفَ حُبٍّ في فؤادكَ مُنْصِبِ)
(وكنتَ إذا ناءت بها غربة النوى ... شديدَ القوى لم تَدْرِ ما قولُ مِشْغَبِ)
(كريمة حُرِّ الوجه لم تَدْعُ هالكاً ... من القوم هُلكاً في غدٍ غير مُعْقِبِ)
(أسيلةُ مَجرى الدمع خُمْصانةُ الحشا ... بَرُوق الثّنايا ذاتُ خَلْقٍ مُشَرْعَبِ)
العفر منازل لقيس بالعالية
سوالف مواض
يقول هيّجت حبّاً قد كان ثم انقطع
ومنصب ذو نصب
ونأت وناءت وبانت بمعنى واحد أي بعدت
ومشغب ذو شغب عليك وخلاف في حبها
ويروى مشعب أي متعدّد
يصرفك عنها
وقوله لم تدع هالكاً أي لم تندب هالكاً هلك فلم يخلف غيره ولم يعقب
ومعنى ذلك أنها في عدد وقوم يخلف بعضهم بعضا في المكارم لا كمن إذا مات سيد قومها أو كريم منهم لم يقم أحد منهم مقامه
والمشرعب الجسيم الطويل
والشرعبي الطويل
الشعر لطفيل الغنوي والغناء لجميلة ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي
وذكره حماد عن أبيه لها ولم يجنسه
وروى إسحاق عن أبيه عن سياط عن يونس أن هذا أحسن صوت صنعته جميلة
22 - نسب الطفيل الغنوي وأخباره
قال ابن الكلبي هو طفيل بن عوف بن كعب بن خلف بن ضبيس بن خليف بن مالك بن سعد بن عوف بن كعب بن غنم بن غني بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان
ووافقه ابن حبيب في النسب إلا في خلف بن ضبيس فإنه لم يذكر خلفا وقال هو طفيل بن عوف بن ضبيس
- قال أبو عبيدة اسم غني عمرو واسم أعصر منبه وإنما سمي أعصر لقوله - كامل
(قالتْ عُميرةُ ما لِرأسِكَ بعد ما ... فُقِدَ الشبابُ أتَى بلونٍ مُنْكَرِ)
(أعُميرَ إنّ أباكِ غيَّر رأسَه ... مرُّ الليالي واختلافُ الأعصر)
فسمي بذلك
وطفيل شاعر جاهلي من الفحول المعدودين ويكنى أبا قران يقال إنه من أقدم شعراء قيس
وهو من أوصف العرب للخيل
أخبرني هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك أبو دلف الخزاعي قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن قريب الأنصاري قال قال لي عمي إن رجلاً من العرب سمع الناس يتذاكرون الخيل ومعرفتها والبصر بها فقال كان يقال إن طفيلاً ركب الخيل ووليها لأهله
وإن أبا دواد الأيادي ملكها لنفسه ووليها لغيره كان يليها للملوك وأن النابغة الجعدي لما أسلم الناس وآمنوا اجتمعوا وتحدثوا ووصفوا الخيل فسمع ما قالوه فأضافه إلى ما كان سمع وعرف قبل ذلك في صفة الخيل
وكان هؤلاء نعات الخيل
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عبد الرحمن قال حدثني عمي قال كان طفيل أكبر من النابغة وليس في قيس فحل أقدم منه
قال وكان معاوية يقول خلوا لي طفيلاً وقولوا ما شئتم في غيره من الشعراء
أخبرني عبد الله بن مالك النحوي قال حدثنا محمد بن حبيب قال كان طفيل الغنوي يسمى طفيل الخيل لكثرة وصفه إياها
أخبرني محمد بن الحسين الكندي خطيب مسجد القادسية قال حدثني الرياشي قال حدثني الأصمعي قال كان أهل الجاهلية يسمون طفيلاً الغنوي المحبر لحسن وصفه الخيل
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد قال قال أبو عبيدة طفيل الغنوي والنابغة الجعدي وأبو دواد الإيادي أعلم العرب بالخيل وأوصفهم لها
أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد الكراني قال حدثنا العمري عن لقيط قال قال قتيبة بن مسلم لأعرابي من غني بسيط -قدم عليه من خراسان أي بيت قالته العرب أعف قال قول طفيل الغنوي
((ولا أكونُ وكاءَ الزاد أحبسه ... لقد علمْتُ بأنّ الزاد مأكولُ
- قال فأيُّ بيتٍ قالته العرب في الحرب أجود قال قول طفيل - طويل
(بحيٍّ إذا قيل اركبوا لم يقل لهمْ ... عَواويرُ يَخْشَوْنَ الرَّدَى أين نَركبُ)
- قال فأي بيت قالته العرب في الصبر أجود قال قول نافع بن خليفة الغنوي - طويل
(ومن خير ما فينا من الأمر أنّنا ... متى ما نُوافِي مَوْطِنِ الصّبر نَصْبِرِ)
- قال فقال قتيبة ما تركت لإخوانك من باهلة قال قول صاحبهم - طويل

(وإنا أُناسٌ ما تَزالُ سَوامُنا ... تُنَوِّرُ نيرانَ العدوِّ مَناسِمُهْ)
(وليس لنا حيٌّ نُضافُ إليهِمُ ... ولكن لنا عَوْدٌ شديدٌ شكائمهْ)
(حرامٌ وإن صَلَّيْتَه ودَهَنْتَهُ ... تأوُّدُهُ ما كان في السيف قائمُهْ)
وهذه القصيدة المذكورة فيها الغناء يقولها طفيل في وقعة أوقعها قومه بطيئ وحرب كانت بينه وبينهم
وذكر أبو عمرو الشيباني والطوسي فيما رواه عن الأصمعي وأبي عبيدة أنّ رجلاً من غني يقال له قيس الندامى وفد على بعض الملوك
وكان قيس سيداً جواداً فلما حفل المجلس أقبل الملك على من حضره من وفود العرب فقال لأضعن تاجي على أكرم رجل من العرب
فوضعه على رأس قيس وأعطاه ما شاء ونادمه مدة ثم أذن له في الانصراف إلى بلده فلما قرب من بلاد طيىء خرجوا إليه وهم لا يعرفونه فلقوه برمان فقتلوه فلما علموا أنه قيس ندموا لأياديه كانت فيهم فدفنوه وبنوا عليه بيتاً
ثم إن طفيلاً جمع جموعاً من قيس فأغار على طيىء فاستاق من مواشيهم ما شاء وقتل منهم قتلى كثيرة
- وكانت هذه الوقعة بين القنان وشرقي سلمى فذلك قول طفيل في هذه القصيدة - طويل
(فذُوقوا كما ذُقْنا غَداةَ محجَّرٍ ... من الغَيْظ في أكبادنا والتحوُّبِ)
(فبالقتل قَتْلٌ والسَّوامُ بمثله ... وبالشَّلِّ شَلٌّ الغائط المتصوِّبِ)
أخبرني علي بن الحسن بن علي قال حدثنا الحارث بن محمد عن المدائني عن سلمة بن محارب قال لما مات محمد بن الحجاج بن يوسف جزع عليه الحجاج جزعاً شديداً ودخل الناس عليه يعزونه ويسلونه وهو لا يسلو ولا يزداد إلا جزعاً وتفجعاً وكان فيمن دخل عليه رجل كان الحجاج قتل ابنه يوم الزاوية فلما رأى جزعه وقلة ثباته للمصيبة شمت به وسر
- لما ظهر له منه وتمثل بقول طفيل - طويل
(فذُقوا كما ذُقْنا غَداةَ محجَّرٍ ... من الغَيْظ في أكبادنا والتحوُّبِ)
- وفي هذه القصيدة يقول طفيل - طويل
(تَرَى العينُ ما تَهوى وفيها زِيادةٌ ... من اليُمْنِ إذْ تبدو ومَلْهىً لِمَلْعبِ)
(وبيتٍ تهبُّ الرِّيحُ في حَجَراته ... بأرضٍ فضاءٍ بابُه لم يحجَّب)
(سَماوتُه أسمالُ بُرْدٍ مُحَبَّر ... وصَهْوتُه مِنْ أتْحَمِيٍّ مُعَصَّبِ)
أخبرني عيسى بن الحسين بن الوراق قال حدثنا الرياشي عن العتبى عن أبيه قال قال عبد الملك بن مروان لولده وأهله أي بيت ضربته العرب على عصابة ووصفته أشرف حواء وأهلا وبناء فقالوا فأكثروا وتكلم من حضر فأطالوا فقال عبد
- الملك أكرم بيت وصفته العرب بيت طفيل الذي يقوله فيه - طويل
(وبيتٍ تهبُّ الرِّيحُ في حَجَراته ... بأرضٍ فضاءٍ بابُه لم يحجَّب)
(سَماوتُه أسمالُ بُرْدٍ مُحَبَّر ... وصَهْوتُه مِنْ أتْحَمِيٍّ مُعَصَّبِ)
(وأطنابُه أرسانُ جُرْدٍ كأنّها ... صُدورُ القَنَا من بادىءٍ ومُعَقِّبِ)
(نصبْتُ على قومٍ تُدِرّ رماحُهُمْ ... عروقَ الأعادِي من غَرِيرٍ وأشيْبِ)
وقال أبو عمرو الشيباني كانت فزارة لقيت بني أبي بكر بن كلاب وجيرانهم من محارب فأوقعت بهم وقعة عظيمة ثم أدركتهم غني فاستنقذتهم فلما قتلت طيىء قيس الندامى وقتلت بنو عبس هريم بن سنان بن عمرو بن يربوع بن طريف ابن خرشة بن عبيد بن سعد بن كعب بن جلان بن غنم بن غني وكان فارساً حسيباً
قد ساد ورأس قتله ابن هدم العبسي طريد الملك فقال له الملك كيف قتلته قال حملت عليه في الكبة وطعنته في السبة حتى خرج الرمح من اللبة
وقتل أسماء بن واقد بن رفيد بن رياح بن يربوع بن ثعلبة بن سعد بن عوف بن كعب بن جلان وهو من النجوم وحصن بن يربوع بن طريف وأمهم جندع بنت عمرو بن الأغر بن مالك بن سعد بن عوف
فاستغاثت غني ببني أبي بكر وبني محارب فقعدوا عنهم فقال طفيل في ذلك يمن عليهم بما كان منهم في نصرتهم
- ويرثي القتلى قال - طويل
(تأوَّبَني هَمٌّ من اللّيلِ مُنْصِبُ ... وجاء من الأخبارِ ما لا أُكَذِّبُ)
(تتابَعْنَ حتّى لم تكنْ لِيَ رِيبةٌ ... ولم يكُ عمّا خَبَّروا مُتَعقَّبُ)
(وكان هُريمٌ من سِنانٍ خليفةً ... وحِصْنٌ ومن أسماءَ لمّا تَغَيَّبوا)
(ومِن قيسٍ الثّاوي بِرمّان بيتُه ... ويومَ حَقِيلٍ فادَ آخرُ مُعْجِبُ)
(أشَمُّ طويلُ السّاعدين كأنه ... فَنِيقُ هِجانٍ في يديه مُركَّبُ)
((وبالسَّهْبِ ميمونُ النَّقيبة قولُه ... لملتمس المعروف أهلٌ ومَرْحَبُ
صوت طويل
(كواكُب دَجْنٍ كلَّما انقضَّ كوكبٌ ... بَدا وانجَلَتْ عنه الدُّجُنَّةُ كَوكبُ)
الغناء لسليم أخي بابويه ثاني ثقيل عن الهشامي
وهي قصيدة طويلة وذكرت منها هذه الأبيات من أجل الغناء الذي فيها
- ومن مختار مرثيته فيها قوله - طويل
(لعمري لقد خَلَّى ابنُ جَنْدَعَ ثَلمةً ... ومن أينَ إنْ لم يرأبِ اللّه تُرأبُ)
(ندامَايَ أمسَوْا قد تخلَّيْتُ عنْهُمُ ... فكيف ألَذُّ الخمرَ أم كيف أشربُ)
(مضَوْا سلَفاً قَصْدَ السَّبيل عليهمِ ... وصَرْفُ المنايا بالرجال تقلَّبُ)
- صوت - سريع
(فَدَيْتُ مَنْ باتَ يُغَنِّيني ... وبتُّ أسقِيهِ ويَسقيني)
(ثم اصطبَحْنا قَهوةً عُتِّقتْ ... مِن عَهد سابورَ وشِيرين)
الشعر والغناء لمحمد بن حمزة بن نصير وجه القرعة ولحنه فيه رمل أول بالبنصر لا نعرف له صنعة غيره
23 - سب محمد بن حمزة بن نصير الوصيف وأخباره
هو محمد بن حمزة بن نصير الوصيف مولى المنصور ويكنى أبا جعفر ويلقب وجه القرعة

وهو أحد المغنين الحذاق الضراب الرواة
وقد أخذ عن إبراهيم الموصلي وطبقته وكان حسن الأداء طيب الصوت لا علة فيه إلا أنه كان إذا غنى الهزج خاصة خرج بسبب لا يعرف إلا لآفة تعرض للحس في جنس من الأجناس فلا يصح له بتة
فذكر محمد بن الحسن الكاتب أن إسحاق بن محمد الهاشمي حدثه عن أبيه أنه شهد إسحاق بن إبراهيم الموصلي عند عمه هارون بن عيسى وعنده محمد بن الحسن بن مصعب قال فأتانا محمد بن حمزة وجه القرعة فسر به عمي وكان شرس الخلق أبيَّ النفس فكان إذا سئل الغناء أباه فإذا أمسك عنه كان هو المبتدئ به فأمسكنا عنه حتى طلب
- العود فأتي به فغنى وقال - مجزوء الرمل
(مَرَّ بي سِرْبُ ظِباءِ ... رائحاتٍ من قُباءِ)
قال وكان يحسنه ويجيده فجعل إسحاق يشرب ويستعيده حتى شرب ثلاثة
أرطال ثم قال أحسنت يا غلام هذا الغناء لي وأنت تتقدمني فيه ولا يخلق الغناء ما دام مثلك ينشأ فيه
قال وحدثني إسحاق الهاشمي عن أبيه قال كنا في البستان المعروف ببستان خالص النصراني ببغداد ومعنا محمد بن
- حمزة وجه القرعة فيغنينا قوله - مجزوء الكامل
(يا دارُ أقفَرَ رَسْمُها ... بين المُحَصَّب والحَجُونِ)
(يا بِشْرُ إنّي فاعلمي ... واللهِ مجتهداً يميني)
فإذا برجل راكب على حمار يؤمنا وهو يصيح أحسنت يا أبا جعفر أحسنت والله فقلنا اصعد إلينا كائنا من كنت
فصعد وقال لو منعتموني من الصعود لما امتنعت
ثم سفر اللثام عن وجهه فإذا هو مخارق
فقال يا أبا جعفر أعد عليّ صوتك
فأعاده فشرب رطلاً من شرابنا وقال لولا أني مدعو الخليفة لأقمت عندكم واستمعت هذا الغناء الذي هو أحسن من الزهر غب المطر
نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء
- منها - مجزوء الرمل
صوت
(مَرَّ بي سِرْبُ ظِباءِ ... رائحاتٍ من قُباءِ)
((زُمَراً نحوَ المُصَلَّى ... يتمشَّيْنَ حِذائي)
(فتجاسَرْتُ وألقيْتُ ... سَرابيلَ الحَياء)
(وقديماً كان لَهْوي ... وفُتوني بالنِّساءِ)
الغناء لإسحاق مما لا يشك فيه من صنعته ولحنه من ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى
وذكر محمد بن أحمد المكي أنه لجدّه يحيى
وذكر حبش أنّ فيه لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى
- ومنها - مجزوء الكامل
صوت
(يا بِشْرُ إني فاعلمِي ... واللهِ مُجتهداً يميني)
(ما إن صَرَمْتُ حِبالَكمْ ... فَصِلِي حبالِي أو ذَريني)
(استبدَلُوا طَلَبَ الحِجاز ... وسُرَّةَ البلدِ الأمين)
(بحدائقٍ محفوفةٍ ... بالبيتِ من عِنَبٍ وتينِ)
(يا دارُ أقفرَ رَسْمُها ... بين المُحَصَّب والحَجُون)
(أقْوَتْ وغيَّرَ آيَها ... طُولُ التَّقادُم والسِّنين)
الشعر للحارث بن خالد والغناء لابن جامع في الأربعة الأبيات الأول رمل بالوسطى ولابن سريج في الخامس والسادس والأول والثاني ثقيل أول بالبنصر
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن مهرويه قال حدثنا عبد الله ابن أبي سعد قال حدثني الفضل بن المغنّي عن محمد بن جبر قال دخلنا على
إسحاق بن إبراهيم الموصلي نعوده من علة كان وجدها فصادفنا عنده مخارقاً وعلويه وأحمد بن المكي وهم يتحدثون فاتصل الحديث بينهم وعرض إسحاق عليهم أن يقيموا عنده ليتفرج بهم ويخرج إليهم ستارته يغنون من ورائها ففعلوا وجاء محمد بن حمزة وجه القرعة على بقية ذلك فاحتبسه إسحاق معهم ووضع النبيذ وغنوا فغنى مخارق أو علويه صوتاً من الغناء القديم فخالفه محمد فيه وفي صانعه وطال مراؤهما في ذلك وإسحاق ساكت ثم تحاكما إليه فحكم لمحمد وراجعه علويه فقال له إسحاق حسبك فوالله ما فيكم أدرى بما يخرج من رأسه منه
- ثم غنى أحمد بن يحيى المكي قوله - بسيط
(... قل للجُمانةِ لا تَعجَلْ بإسراج)
فقال محمد هذا اللحن لمعبد ولا يعرف له هزج غيره
فقال أحمد أما على ما شرط أبو محمد آنفاً من أنه ليس في الجماعة أدرى بما يخرج من رأسه منك فلا معارض لك
فقال له إسحاق يا أبا جعفر ما عنيتك والله فيما قلت ولكن قد قال إنه لا يعرف لمعبد هزج غير هذا وكلنا نعلم إنه لمعبد فأكذبه أنت بهزج آخر له مما لا يشك فيه
فقال أحمد ما أعرف
نسبة هذا الصوت
قال محمد بن الحسن وحدثني إسحاق الهاشمي عن أبيه أن محمداً دخل معه على إسحاق الموصلي مهنئاً له بالسلامة من علة كان فيها فدعا بعود فأمر به إسحاق فدفع إلى محمد فغنى أصواتاً للقدماء وأصواتاً لإبراهيم وأصواتاً لإسحاق في إيقاعات مختلفة فوجه إسحاق خادماً بين يديه إلى جواري أبيه فخرجن حتى سمعنه من وراء حجاب ثم ودعه وانصرف فقال إسحاق

للجواري ما عندكن في هذا الفتى فقلن ذكرنا والله أباك فيما غناه
فقال صدقتن
ثم أقبل علينا فقال هو مغن محسن ولكنه لا يصلح للمطارحة لكثرة زوائده ومثله إذا طارح جسر الذي يأخذ عنه فلم ينتفع به ولكنه ناهيك به من مغن مطرب
قال إسحاق وحدثت أنه صار إلى مخارق عائداً فصادف عنده المغنين جميعا فلما طلع تغامزوا عليه فسلم على مخارق وسأله به فأقبل عليه مخارق ثم قال له يا أبا جعفر إن جواريك اللواتي في ملكي قد تركن الدرس من مدة فأحب أن تدخل إليهن وتأخذ عليهن وتصلح من غنائهن
ثم صاح بالخدم فسعوا بين يديه إلى حجرة الجواري ففعل ما سأله مخارق ثم خرج فأعلمه أنه قد أتى ما أحبه والتفت إلى المغنين فقال قد رأيت غمزكم فهل فيكم أحد رضي أبو المهنا أعزه الله حذقه وأدبه وأمانته ورضيه لجواريه غيري ثم ولى فكأنما ألقمهم حجراً فما أجابه أحد
- صوت - كامل
(عَفَتِ الدِّيارُ مَحلُّها فمُقامُها ... بِمَنى تأبّدَ غَوْلُها فرِجامُها)
(فَمَدَافِعُ الرَّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُها ... خَلَقاً كما ضَمِنَ الوُحِيَّ سِلامُها)
(فاقنعْ بما قسمَ الإلهُ فإنّما ... قَسَمَ الخلائقَ بيننا عَلاَّمُها)
عروضه من الكامل
عفت درست
ومنى موضع في بلاد بني عامر وليس منى مكة
تأبد توحش
والغول والرجام جبلان بالحمى
والريان واد
مدافعه مجاري الماء فيه
وعري رسمها أي ترك وارتحل عنه
يقول عري من أهله
وسلامها صخورها واحدتها سلمة
الشعر للبيد بن ربيعة العامري والغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لابن محرز خفيف رمل أول بالوسطى عن حبش وذكر الهشامي أن فيه رملاً آخر للهذلي في الثالث والأول
24 - نسب لبيد وأخباره
هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر
وكان يقال لأبيه ربيع المقترين لجوده وسخائه
وقتلته بنو أسد في الحرب التي كانت بينهم وبين قومهم وقومه
- وعمه أبو براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة سمي بذلك لقول أوس بن حجر فيه - طويل
(فلاعَبَ أطرافَ الأسنّة عامرٌ ... فراحَ له حظُّ الكتيبةِ أجمعُ)
وأم لبيد تامرة بنت زنباع العبسية إحدى بنات جذيمة بن رواحة
ولبيد أحد شعراء الجاهلية المعدودين فيها والمخضرمين ممن أدرك الإسلام وهو من أشراف الشعراء المجيدين الفرسان القراء المعمرين يقال إنه عمر مائة وخمسا وأربعين سنة
أخبرني بخبره في عمره أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة عن عبد الله بن محمد بن حكيم
وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن علي بن الصباح عن ابن الكلبي
وعن علي بن المسور عن الأصمعي وعن المدائني وعن رجال ذكرهم منهم أبو اليقظان وابن دأب وابن جعدبة والوقاصي أن لبيد بن ربيعة قدم على رسول الله وفد بني كلاب بعد وفاة أخيه أربد وعامر بن الطفيل فأسلم وهاجر وحسن إسلامه ونزل الكوفة أيام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فأقام بها
ومات بها هناك في آخر خلافة معاوية فكان عمره مائة وخمساً وأربعين سنة منها تسعون سنة في الجاهلية وبقيتها في الإسلام
- قال عمر بن شبة في خبره فحدثني عبد الله بن محمد بن حكيم أن لبيدا قال حين بلغ سبعاً وسبعين سنة بسيط
(قامتِ تَشَكَّى إليَّ النَّفسُ مُجْهِشةً ... وقد حَمَلْتُك سبعاً بعد سبعينا)
(فإنْ تُزادِي ثلاثاً تبلُغي أملاً ... وفي الثّلاثِ وفاءٌ للثمانينا)
طويل -فلما بلغ التسعين قال
((كأنّي وقد جاوزْتُ عِشرين حِجّةً ... خَلَعْتُ بِها عن مَنكِبيَّ ردائيا
- فلما بلغ مائة وعشرا قال - بسيط
(أليسَ في مائةٍ قد عاشَها رجلٌ ... وفي تكامُل عَشْربعدَها عُمُرُ)
- فلما جاوزها قال - كامل
(ولقد سئِمْتُ من الحياةِ وطُولِها ... وسُؤالِ هذا الناس كيفَ لَبيدُ)
(غَلَبَ الرّجالَ وكان غيرَ مغلَّبٍ ... دَهرٌ طويلٌ دائمٌ ممدودُ)
(يوماً أرى يأتي عليَّ وليلةٌ ... وكلاهما بَعدَ المضاءِ يعودُ)
(وأراه يأتي مثلَ يوم لقيتُه ... لم يُنتَقصْ وضَعُفْتُ وهو يزيد)
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم السجستاني قال حدثنا الأصمعي قال وفد عامر بن مالك ملاعب الأسنة وكان يكنى أبا البراء في رهط من بني جعفر ومعه لبيد بن ربيعة ومالك بن جعفر وعامر بن مالك عم لبيد على النعمان فوجدوا عنده الربيع بن زياد العبسي وأمه فاطمة بنت الخرشب وكان الربيع نديماً للنعمان مع رجل من تجار الشام يقال له زرجون بن توفيل وكان حريفاً للنعمان يبايعه وكان أديباً حسن الحديث والندام فاستخفه النعمان وكان إذا

أراد أن يخلو على شرابه بعث إليه وإلى النطاسي متطبب كان له وإلى الربيع بن زياد فخلا بهم فلما قدم الجعفريون كانوا يحضرون النعمان لحاجتهم فإذا خرجوا من عنده خلا به الربيع فطعن فيهم وذكر معايبهم وكانت بنو جعفر له أعداء فلم يزل بالنعمان حتى صده عنهم فدخلوا
عليه يوماً فرأوا منه جفاء وقد كان يكرمهم ويقربهم فخرجوا غضابا ولبيد متخلف في رحالهم يحفظ متاعهم ويغدو بإبلهم كل صباح يرعاها فأتاهم ذات ليلة وهم يتذاكرون أمر الربيع فسألهم عنه فكتموه فقال والله لا حفظت لكم متاعاً ولا سرحت لكم بعيراً أو تخبروني فيم أنتم وكانت أم لبيد يتيمة في حجر الربيع فقالوا خالك قد غلبنا على الملك وصد عنا وجهه
فقال لبيد هل تقدرون على أن تجمعوا بيني وبينه فأزجره عنكم بقول ممض لا يلتفت إليه النعمان أبداً فقالوا وهل عندك شيء قال نعم
قالوا فإنا نبلوك
قال وما ذاك قالوا تشتم هذه البقلة وقدامهم بقلة دقيقة القضبان قلية الورق لاصقة بالأرض تدعى التربة فقال هذه التربة التي لا تذكي ناراً ولا تؤهل داراً ولا تسر جاراً عودها ضئيل وفرعها كليل وخيرها قليل أقبح البقول مرعى وأقصرها فرعاً وأشدهما قلعاً
بلدها شاسع وآكلها جائع والمقيم عليها قانع فالقوا بي أخا عبس أرده عنكم بتعس وأتركه من أمره في لبس
قالوا نصبح ونرى فيك رأينا
فقال عامر انظروا إلى غلامكم هذا يعني لبيداً فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء إنما هو يتكلم بما جاء على لسانه وإن رأيتموه ساهراً فهو صاحبه
فرمقوه فوجدوه وقد ركب رحلاً وهو يكدم وسطه حتى أصبح فقالوا أنت والله صاحبه
فعمدوا إليه فحلقوا رأسه وتركوا ذؤابته وألبسوه حلة ثم غدا معهم وأدخلوه على النعمان فوجدوه يتغدى ومعه الربيع بن زياد وهما يأكلان لا ثالث لهما والدار والمجالس مملوءة من الوفود فلما فرغ من الغداء أذن للجعفريين فدخلوا عليه وقد رجز -كان أمرهم تقارب فذكروا الذي قدموا له من حاجتهم فاعترض الربيع بن زياد في كلامهم فقال لبيد في ذلك
(أكلَّ يومٍ هامتي مُقَزَّعَهْ ... يا رُبَّ هيجا هي خيرٌ من دَعَهْ
(نحن بني أمِّ البنينَ الأربعهْ ... سيوفُ حَزٍّ وجِفان مُتْرَعَهْ)
(نحنُ خيارُ عامرِ بن صَعْصَعَهْ ... الضاربون الهامَ تحتَ الخَيْضَعَهْ)
(والمطعمون الجفْنة المُدَعْدَعهْ ... مهلاً أبيْتَ اللَّعْنَ لا تأكلْ معهْ)
(إنَّ استَه من بَرَصٍ مُلمَّعه ... وإنّه يُدخِل فيها إصْبَعَهْ)
(يُدخِلها حتّى يُواري أشْجَعَه ... كأنّه يطلُب شيئاً ضَيَّعَهْ)
فرفع النعمان يده من الطعام وقال خبثت والله علي طعامي يا غلام وما رأيت كاليوم
فأقبل الربيع على النعمان فقال كذب والله ابن الفاعلة ولقد فعلت بأمه كذا وكذا
فقال له لبيد مثلك فعل ذلك بربيبة أهله والقريبة من أهله وإن أمي من نساء لم يكن فواعل ما ذكرت
وقضى النعمان حوائج الجعفريين ومضى من وقته وصرفهم ومضى الربيع بن زياد إلى منزله من وقته فبعث إليه النعمان بضعف ما كان يحبوه وأمره بالانصراف إلى أهله فكتب إليه الربيع إني قد عرفت أنه قد وقع في صدرك ما قال لبيد وإني لست بارحاً حتى تبعث إليّ من يجردني فيعلم من حضرك من الناس أني لست كما قال لبيد
فأرسل إليه إنك لست صانعاً بانتفائك مما قال لبيد شيئاً ولا قادراً على رد ما زلت به الألسن فالحق بأهلك
- فلحق بأهله ثم أرسل إلى النعمان بأبيات شعر قالها وهي - بسيط
(لئن رَحَلَتُ جِمالي لا إلى سَعَةٍ ... ما مثلُها سَعَةٌ عَرْضاً ولا طُولا)
(بحيثُ لو وَزَنَتْ لخمٌ بأجْمَعِها ... لم يَعدِلوا رِيشةً من رِيش سَمْويلا)
(ترعى الروائمُ أحرارَ البقولِ بها ... لا مثلَ رَعْيكمُ مِلحاً وغَسْويلا)
(فاثبُتْ بأرضك بعدي واخلُ متكئاً ... مع النِّطاسيّ طوراً وابن تُوفيلا)
- فأجابه النعمان بقوله - بسيط
(شرِّدْ برحلكَ عنّي حيثُ شئْتَ ولا ... تُكثِر عليَّ وَدَعْ عنكَ الأباطيلا)
(فقد ذُكِرْتَ بشيءٍ لستُ ناسيَه ... ما جاورت مِصرُ أهلَ الشّامِ والنِّيلا)
(فما انتفاؤك منه بعد ما جَزَعَتْ ... هُوجُ المطيِّ به نحو ابن سَمْويلا)
(قد قيل ذلك إنْ حقّاً وإنْ كذباً ... فما اعتذارُك من قولٍ إذا قيلا)
(فالحقْ بحيثُ رأيتَ الأرضَ واسعةً ... فانْشر بها الطَّرْفَ إنْ عَرْضاً وإن طُولا)
قال وقال لبيد يهجو الربيع بن زياد ويزعمون أنها مصنوعة
- قال - رجز
(ربيعُ لا يَسُقْكَ نحوي سائقُ ... فتُطلَبَ الأذْحالُ والحقائقُ)
(ويُعلمَ المُعْيا به والسّابقُ ... ما أنتَ إن ضُمَّ عليك المازقُ)
(إلاّ كشيءٍ عاقَه العوائق ... إنّك حاسٍ حُسْوَةً فذائقُ)
(لا بدّ أن يغمز منك العاتق ... غَمْزاً ترى أنك منه ذارق)
(إنّك شيخٌ خائن منافقُ ... بالمخزيات ظاهرٌ مطابق)
كامل -وكان لبيد يقول الشعر ويقول لا تظهروه حتى قال
(... (عفَتِ الّديارُ محلُّها فمقامُها
وذكر ما صنع الربيع بن زياد وضمرة بن ضمرة
ومن حضرهم من وجوه الناس فقال لهم لبيد حينئذ أظهروها
قال الأصمعي في تفسير قوله الخيضعة أصله الخضعة بغير ياء يعني الجلبة والأصوات فزاد فيها الياء
وقال في قوله بالمخزيات ظاهر مطابق يقال طابق الدابة إذا وضع يديه ثم رفعهما فوضع مكانهما رجليه وكذلك إذا كان يطأ في شوك

والمأزق المضيق
والنازق الخفيف
نسخت من كتاب مروي عن أبي الحكم قال حدثني العلاء بن عبد الله الموقع قال اجتمع عند الوليد بن عقبة سماره وهو أمير الكوفة وفيهم لبيد فسأل لبيدا عما كان بينه وبين الربيع بن زياد عند النعمان فقال له لبيد هذا كان من أمر الجاهلية وقد جاء الله بالإسلام
فقال له عزمت عليك وكانوا يرون لعزمة الأمير حقاً فجعل يحدثهم فحسده رجل من غني فقال ما علمنا بهذا
قال أجل يا ابن أخي لم يدرك أبوك مثل ذلك وكان أبوك ممن لم يشهد تلك المشاهد فيحدثك
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثني العمري قال حدثني الهيثم عن ابن عياش عن محمد بن المنتشر قال لم يسمع من لبيد فخره في الإسلام غير يوم واحد فإنه كان في رحبة غني مستلقياً على ظهره قد سجى نفسه بثوبه إذ أقبل شاب من غني فقال قبح الله طفيلاً حيث يقول - طويل -
(جَزَى الله عنّا جعفراً حيثُ أشرقَتْ ... بنا نَعْلُنا في الوَاطِئينَ فَزَلَّتِ)
(أبَوْا أن يَملُّونا ولو أنّ أُمَّنَا ... تُلاقِي الذي يَلقَوْن منّا لَمَلَّتِ)
(فذو المال موفورٌ وكل مُعَصَّبٍ ... إلى حُجُراتٍ أَدْفَأَتْ وأَظَلَّتِ)
((وقالت هَلُمُّوا الدار حتّى تَبَيَّنُوا ... وتنجليَ الغَمَّاءُ عمّا تجلَّتِ
ليت شعري ما الذي رأى من بني جعفر حيث يقول هذا فيهم قال فكشف لبيد الثوب عن وجهه وقال يا ابن أخي إنك أدركت الناس وقد جعلت لهم شرطة يزعون بعضهم عن بعض ودار رزق تخرج الخادم بجرابها فتأتي برزق أهلها وبيت مال يأخذون منه أعطيتهم ولو أدركت طفيلاً يوم يقول هذا لم تلمه
ثم استلقى وهو يقول أستغفر الله
فلم يزل يقول أستغفر الله حتى قام
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد قال مر لبيد بالكوفة على مجلس بني نهد وهو يتوكأ على محجن له فبعثوا إليه رسولاً يسأله عن أشعر العرب فسأله فقال الملك الضليل ذو القروح
فرجع فأخبرهم فقالوا هذا امرؤ القيس
ثم رجع إليه فسأله ثم من فقال له الغلام المقتول من بني بكر
فرجع فأخبرهم فقالوا هذا طرفة
ثم رجع فسأله ثم من فقال ثم صاحب المحجن يعني نفسه
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو عبيدة قال لم يقل لبيد في الإسلام إلا بيتاً واحداً وهو -بسيط-
((الحمدُ للَّه إذْ لم يأتني أجَلي ... حتّى لبِسْتُ من الإسلام سِربالا
أخبرني أحمد قال أخبرني عمي قال حدثني محمد بن عباد بن حبيب المهلبي قال حدثنا نصر بن دأب عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة أن استنشد من قبلك من شعراء مصرك ما قالوا في الإسلام
فأرسل إلى الأغلب الراجز العجلي فقال له أنشدني
- فقال - رجز
(أرَجَزاً تريدُ أم قصيداً ... لقد طلبْتَ هيّناً موجودا)
ثم أرسل إلى لبيد فقال أنشدني
فقال إن شئت ما عفي عنه يعني الجاهلية فقال لا أنشدني ما قلت في الإسلام
فانطلق فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم أتى بها وقال أبدلني الله هذه في الإسلام مكان الشعر
فكتب بذلك المغيرة إلى عمر فنقص من عطاء الأغلب خمسمائة وجعلها في عطاء لبيد فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة
فكتب الأغلب يا أمير المؤمنين أتنقص عطائي أن أطعتك فرد عليه خمسمائة وأقر عطاء لبيد على ألفين وخمسمائة
قال أبو زيد وأراد معاوية أن ينقصه من عطائه لما ولي الخلافة وقال هذان الفودان يعني الألفين فما بال العلاوة يعني الخمسمائة
فقال له لبيد إنما أنا هامة اليوم أو غد فأعرني اسمها فلعلي لا أقبضها أبداً فتبقى لك العلاوة والفودان
فرق له وترك عطاءه على حاله فمات ولم يقبضه
وقال عمر بن شبة في خبره الذي ذكره عن عبد الله بن محمد بن حكيم
وأخبرني به إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قالا كان لبيد من جوداء العرب وكان قد آلى في الجاهلية أن لا تهب صباً إلا أطعم وكان له جفنتان يغدو بهما ويروح في كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم فهبت الصبا يوماً والوليد بن عقبة على الكوفة فصعد الوليد المنبر فخطب الناس ثم قال إن أخاكم لبيد بن ربيعة قد نذر في الجاهلية ألا تهب صباً إلا أطعم وهذا يوم من أيامه وقد هبت صباً فأعينوه وأنا أول من فعل
- ثم نزل عن المنبر فأرسل إليه بمائة بكرة وكتب إليه بأبيات قالها - وافر
(أرى الجزّارَ يشحَذُ شَفْرَتَيْهِ ... إذا هبَّتْ رياحُ أبي عَقيلِ)
(أشَمُّ الأنفِ أصْيَدُ عامريٌّ ... طويلُ الباعِ كالسَّيفِ الصَّقيلِ)
(وفَى ابنُ الجعفريِّ بحَلْفَتَيْهِ ... على العِلاَّتِ والمالِ القليلِ)
(ينحَرُ الكُومِ إذ سَحَبَتْ عليه ... ذيولُ صباً تَجَاوَبُ بالأصيلِ)
فلما بلغت أبياته لبيدا قال لابنته أجيبيه فلعمري لقد عشت برهة وما أعيا بجواب شاعر
- فقالت ابنته - وافر
(إذا هبَّتْ رياحُ أبي عَقيلٍ ... دعَوْنا عند هَبَّتِها الوليدا)
((أشمَّ الأنفِ أرْوَعَ عبشَميّاً ... أعانَ على مروءته لَبيدا
(بأمثالِ الهضابِ كأنّ رَكْباً ... عليها من بني حامٍ قُعودا)

(أبا وَهْبٍ جَزَاكَ اللهُ خيراً ... نَحَرْناها فأطعَمْنا الثَّريدا)
(فَعُدْ إنَّ الكريمَ له مَعَادٌ ... وظنِّي يا ابنَ أروى أن تَعُودا)
فقال لها لبيد أحسنت لولا أنك استطعمته
فقالت إن الملوك لا يستحيا من مسألتهم
فقال وأنت يا بنية في هذه أشعر
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد ابن عمران الضبي قال حدثني القاسم بن يعلى - عن المفضل الضبي قال قدم الفرزدق فمر بمسجد بني أقيصر وعليه رجل ينشد قول لبيد - كامل
(وَجَلا السُّيولُ عن الطُّلول كأنها ... زُبُرٌ تُجِدُّ مُتونَها أقلامُها)
فسجد الفرزدق فقيل له ما هذا يا أبا فراس فقال أنتم تعرفون سجدة القرآن وأنا أعرف سجدة الشعر
أخبرنا أحمد بن عبد الله بن عمار قال حدثنا يعقوب الثقفي وابن عياش ومسعر بن كدام كلهم عن عبد الملك بن عمير قال
أخبرني من أرسله القراء الأشراف قال الهيثم فقلت لابن عياش من القراء الأشراف قال سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة الفزاري وخالد بن عرفطة الزهري ومسروق بن الأجدع الهمداني وهانئ بن عروة المرادي إلى لبيد ابن ربيعة وهو في المسجد وفي يده محجن فقلت يا أبا عقيل إخوانك يقرئونك السلام ويقولون أي العرب أشعر قال الملك الضليل ذو القروح
فردوني إليه وقولوا ومن ذو القروح قال امرؤ القيس
فأعادوني إليه وقالوا ثم من قال الغلام ابن ثماني عشرة سنة
فردوني إليه فقلت ومن هو فقال طرفة
- فردوني إليه فقلت ثم من قال صاحب المحجن حيث يقول - رمل
(إنَّ تقوى ربِّنا خيرُ نَفَلْ ... وبإذن الله رَيْثي وعَجَلْ)
(أحْمَدُ اللهَ ولا نِدَّ له ... بيديهِ الخيرُ ما شاءَ فَعَلْ)
(مَن هَداه سُبُلَ الخير اهتدى ... ناعمَ البالِ ومَنْ شاءَ أضلّ)
يعني نفسه
ثم قال أستغفر الله
أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة عن ابن البواب قال جلس المعتصم يوماً للشراب فغناه - بعض المغنين قوله - رمل
(وبَنُو العباسِ لا يأتون لا ... وعلى ألسنهمْ خفَّتْ نَعَمْ)
(زَيَّنت أحلامُهُمْ أحسابَهُمْ ... وكذاك الحلمُ زينٌ للكرمْ)
فقال ما أعرف هذا الشعر فلمن هو قيل للبيد
فقال وما للبيد وبني العباس قال المغنِّي إنما قال
(...وبنو الدّيّان لا يأتون)
فجعلته وبنو العباس
فاستحسن فعله ووصله
وكان يعجب بشعر لبيد فقال من منكم يروي قوله
- بَلِينا وما تَبْلَى النجومُ الطوالعُ ...) - طويل)
فقال بعض الجلساء أنا
فقال أنشدنيها
فأنشد
(بَلِينا وما تَبلَى النُّجومُ الطوالِعُ ... وتَبقَى الجبالُ بعدَنا والمصانِعُ)
(وقد كنتُ في أكنافِ جار مَضَنَّةٍ ... ففارقني جارٌ بأَرْبَدَ نافعُ)
فبكى المعتصم حتى جرت دموعه وترحم على المأمون وقال هكذا كان رحمة الله عليه ثم اندفع وهو ينشد باقيها ويقول
(فلا جَزَعٌ إنْ فَرَّقَ الدّهرُ بيننا ... فكلُّ امرىءٍ يوماً له الدهرُ فاجعُ)
(وما الناسُ إلاّ كالدِّيارِ وأهلِها ... بها يومَ حَلُّوها وبَعْدُ بلاقعُ)
(ويمضون أرسالاً ونخلُف بعدهمْ ... كما ضمَّ إحدى الراحتين الأصابعُ)
(وما المرءُ إلا كالشِّهابِ وضوئه ... يَحُورُ رَماداً بَعْدَ إذْ هو ساطع)
(وما البرُّ إلاّ مُضْمَراتٌ من التُّقى ... وما المالُ إلا عارياتٌ ودائعُ)
(أليسَ ورائي إنْ تراخَتْ منيَّتي ... لُزُومُ العصا تُحنَى عليها الأصابعُ)
(أُخبِّرُ أخبارَ القرونِ التي مضت ... أدِبُّ كأنّي كلما قُمْتُ راكعُ)
(فأصبحْتُ مثلَ السَّيفِ أَخْلَقَ جَفْنَه ... تقادمُ عهدِ القَيْنِ والنَّصْلُ قاطعُ)
(فلا تَبْعَدَنْ إنَّ المنيَّةَ مَوعِدٌ ... علينا فدانٍ للطُّلوعِ وطالع)
(أعاذلَ ما يُدْرِيكِ إلاَّ تَظَنِّياً ... إذا رحَل الفتيانُ مَنْ هو راجع)
(أتجزعُ مما أحدثَ الدهرُ بالفتى ... وأيُّ كريم لم تُصِبْه القوارع)
(لعمركَ ما تدري الضَّواربُ بالحصى ... ولا زاجراتُ الطَّير ما اللهُ صانع)
قال فعجبنا والله من حسن ألفاظه وصحة إنشاده وجودة اختياره
أخبرني الحسين بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه
وحدثنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا محمد بن حميد الرازي قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق قال كان عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة فتفكر يوماً في نفسه فقال والله ما ينبغي لمسلم أن يكون آمنا في جوار كافر ورسول الله خائف
فجاء إلى الوليد بن المغيرة فقال له أحب أن تبرأ من جواري

قال لعله رابك ريب
قال لا ولكن أحب أن تفعل
قال فاذهب بنا حتى أبرأ منك حيث أجرتك
فخرج معه إلى المسجد الحرام فلما وقف على جماعة قريش قال لهم هذا ابن مظعون قد كنت أجرته ثم سألني أن ابرأ منه أكذاك يا عثمان قال نعم
قال اشهدوا أني منه بريء
- قال وجماعة يتحدثون من قريش معهم لبيد بن ربيعة ينشدهم فجلس عثمان مع القوم فأنشدهم لبيد - طويل
(...ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللّهَ باطلُ)
فقال له عثمان صدقت
فقال لبيد
(... وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ)
فقال عثمان كذبت
فلم يدر القوم ما عنى
فأشار بعضهم إلى لبيد أن يعيد فأعاد فصدقه في النصف الأول وكذبه في الآخر لأن نعيم الجنة لا يزول
فقال لبيد يا معشر قريش ما كان مثل هذا يكون في مجلسكم
فقام أبي بن خلف أو ابنه فلطم وجه عثمان فقال له قائل لقد كنت في منعة من هذا بالأمس
فقال له ما أحوج عيني هذه الصحيحة إلى أن يصيبها ما أصاب الأخرى في الله
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش قال كتب عبد الملك إلى الحجاج يأمره بإشخاص الشعبي إليه فأشخصه فألزمه ولده وأمر بتخريجهم ومذاكرتهم قال فدعاني يوماً في علته التي مات فيها فغص بلقمة وأنا بين يديه فتساند طويلاً ثم قال أصبحت كما قال الشاعر - - طويل
(كأنّي وقد جاوزْتُ سبعين حجّة ... خلعْتُ بها عنّي عذارَ لجامِ)
(إذا ما رآني الناسُ قالوا ألم يكنْ ... شديدَ مَحال البطشِ غيرَ كَهامِ)
(رمتني بناتُ الدَّهر من حيثُ لا أرى ... وكيف بمن يُرمَى وليس بِرامِ)
(ولو أنّني أُرْمَى بسهمٍ رأيتُه ... ولكنّني أُرمى بغير سهامِ)
- فقال الشعبي فقلت إنّا للّه استسلم الرجل واللّه للموت فقلت أصلحك الله ولكن مثلك ما قال لبيد - بسيط
(باتت تشكّى إليّ الموتَ مُجْهِشَةً ... وقد حَمَلْتُك سبعاً بعد سبعينا)
((فإن تُزادِي ثلاثاً تبلغي أملاً ... وفي الثّلاث وفاءٌ للثمانينا
- فعاش إلى أن بلغ مائة تسعين سنة فقال - طويل
(كأنّي وقد جاوزْتُ تسعين حجة ... خلعْتُ بها عن مَنْكِبيَّ ردائيا)
فعاش إلى أن بلغ مائة وعشر سنين
- قال - بسيط
(أليس في مائةٍ قد عاشها رجلٌ ... وفي تكاملِ عَشْرٍ بعدها عُمُرُ)
- فعاش إلي أن بلغ مائة وعشرين سنة فقال - كامل
(ولقد سئِمْتُ من الحياة وطولِها ... وسؤَالِ هذا الناسِ كيفَ لبيدُ)
(غَلَبَ الرجالَ وكان غير مغلَّبٍ ... دَهْرٌ جديدٌ دائمٌ ممدودُ)
(يومٌ أرى يأتي عليه وليلةٌ ... وكلاهما بعدَ المضاءِ يَعودُ)
ففرح واستبشر وقال ما أرَى بأساً وقد وجدت خفّاً
وأمر لي بأربعة آلاف درهم فقبضتها وخرجت فما بلغت الباب حتى سمعت الواعية عليه
- وغنّي في هذه الأبيات التي أوّلها - كامل
(... غَلَب الرجالَ وكان غيرَ مغلّبٍ)
عمر الوادي خفيف رمل مطلق بالوسطى عن عمرو
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا هارون بن مسلم عن العمري عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية قال
نظر النابغة الذبياني إلى لبيد بن ربيعة وهو صبي مع أعمامه على باب النعمان بن المنذر فسأل عنه فنسب له فقال يا غلام إن عينيك لعينا شاعر أفتقرض من الشعر شيئاً قال نعم يا عم
قال فأنشدني شيئاً مما قلته
- فأنشده قوله - وافر
(... ألم تَربَعْ على الدِّمن الخوالي)
فقال له يا غلام أنت أشعر بني عامر زدني يا بنيّ
فأنشده
- طَلَلٌ لخولة بالرَّسَيس قديمُ ...) - كامل)
فضرب بيديه إلى جنبيه وقال اذهب فأنت أشعر من قيسٍ كلها أو قال هوازن كلها
وأخبرني بهذا الخبر عمي قال حدثنا العمري عن لقيط عن أبيه وحماد الراوية عن عبد الله بن قتادة المحاربي قال كنت مع النابغة بباب النعمان بن المنذر فقال لي النابغة هل رأيت لبيد بن ربيعة فيمن حضر قلت نعم
قال أيهم أشعر قلت الفتى الذي رأيت من حاله كيت وكيت
فقال اجلس بنا حتى يخرج إلينا
قال فجلسنا فلما خرج قال له النابغة إلي يا ابن أخي
فأتاه فقال أنشدني

- فأنشده قوله - وافر
(ألم تُلمِمْ على الدِّمن الخوالي ... لسَلْمَى بالمذَانِب فالقُفالِ)
فقال له النابغة أنت أشعر بني عامر زدني
- فأنشده - كامل
(طَلَلٌ لخولةَ بالرُّسَيس قديمُ ... فبعاقلٍ فالأنعَمَيْن رُسومُ)
- فقال له أنت أشعر هوازن زدني فأنشده قوله - كامل
(عَفَتِ الدِّيارُ محلُّها فمُقامها ... بمنىً تأبَّدَ غَوْلُها فَرِجامُها)
فقال له النابغة اذهب فأنت أشعر العرب
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد أن لبيداً لما حضرته الوفاة قال لابن أخيه ولم يكن له ولد ذكر يا بني إن أباك لم يمت ولكنه فني
فإذا قبض أبوك فأقبله القبلة وسجه بثوبه ولا تصرخن عليه صارخة وانظر جفنتي اللتين كنت أصنعهما فاصنعهما ثم احملهما إلى المسجد فإذا سلم الإمام فقدمها إليهم فإذا طعموا فقل لهم فليحضروا جنازة أخيهم
- ثم أنشد قوله - مجزوء الكامل
(وإذا دَفَنْتَ أباك فاجعَلْ ... فوقَه خشباً وطِينا)
(وسَقائفاً صُمّاً رَوَاسِيها ... يُسَدِّدْن الغصونا)
(لِيَقِينَ حُرَّ الوجهِ سفساف ... التُّراب ولن يَقِينا)
قال وهذه الأبيات من قصيدة طويلة
وقد ذكر يونس أنّ لابن سريج لحناً في أبيات من قصيدة لبيد هذه ولم يجنسه
- صوت - مجزوء الكامل
(أبُنيَّ هل أبْصَرْتَ أعمامي ... بني أمِّ البنينا)
((وأبي الذي كان الأراملُ ... في الشّتاء له قَطينا
(وأبا شَريكٍ والمُنازِلُ في المضِيق إذا لقينا)
(ما إنْ رأيتُ ولا سمعْتُ ... بمثلهمْ في العالَمينا)
(فبقيتُ بعدَهُمُ وكنتُ ... بطول صُحبتِهم ضَنِينا)
(دَعْني وما مَلَكَتْ يَميني ... إنْ سددْتُ بها الشؤونا)
(وافعلْ بمالِك ما بدا ... لكِ مُستعاناً أو مُعينا)
- قال وقال لابنتيه حين احتضر وفيه غناء - طويل
(تمنَّى ابنتايَ أن يعيشَ أبوهما ... وهَلْ أنا إلاَّ من ربيعةَ أو مُضَرْ)
(فإنْ حانَ يوماً أن يموت أبوكما ... فلا تَخمِشا وَجْهاً ولا تحلِقَا شَعَرْ)
(وقولا هو المرءُ الذي لا حليفَه ... أضاعَ ولا خانَ الصَّديقَ ولا غَدَرْ)
(إلى الحَوْلِ ثم اسمُ السَّلامِ عليكما ... ومَن يَبْكِ حَوْلاً كاملاً فقد اعتذر)
في هذه الأبيات هزج خفيف مطلق في مجرى الوسطى
وذكر الهشامي أنه لإسحاق
وذكر أحمد بن يحيى أنه لإبراهيم
قال فكانت ابنتاه تلبسان ثيابهما في كل يوم ثم تأتيان مجلس بني جعفر بن كلاب فترثيانه ولا تُعولان فأقامتا على ذلك حولاً ثم انصرفتا
- صوت - وافر
(سألناهُ الجزيلَ فما تأبَّى ... فأعطى فوقَ مُنْيتِنا وزادا)
(وأحسَنَ ثمّ أحسَنَ ثم عُدْنا ... فأحسَنَ ثم عُدْت له فعادا)
(مراراً ما دنوْتُ إليه إلاّ ... تبسَّم ضاحكاً وثَنَى الوسادا)
الشعر لزياد الأعجم والغناء لشارية خفيف رمل بالبنصر مطلق
25 - خبار زياد الأعجم ونسبه
زياد بن سليمان مولى عبد القيس أحد بني عامر بن الحارث ثم أحد بني مالك بن عامر الخارجية
أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري
وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عن ابن حبيب قال هو زياد بن جابر بن عمرو مولى عبد القيس وكان ينزل إصطخر فغلبت العجمة على لسانه فقيل له الأعجم
وذكر ابن النطاح مثل ذلك في نسبه وخالف في بلده وذكر أن أصله ومولده ومنشأه بأصبهان ثم انتقل إلى خراسان فلم يزل بها حتى مات
وكان شاعراً جزل الشعر فصيح الألفاظ على لكنة لسانه وجريه على لفظ أهل بلده
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثت عن المدائني أن زياداً الأعجم دعا غلاماً له ليرسله في حاجة فأبطأ فلما جاءه قال له منذ لدن دأوتك إلى أن قلت لبي ما كنت تسنأ يريد منذ لدن دعوتك إلى إن قلت لبيك ماذا كنت تصنع
فهذه ألفاظه كما ترى في نهاية القبح واللُّكنة
- وهو الذي يقول يرثي المغيرة بن المهلب بقوله - كامل
صوت
(قُلْ للقَوافِلِ والغَزِيِّ إذا غَزَوْا ... والباكرين وللمُجِدِّ الرائح)
(إنّ المروءةَ والسّماحةَ ضُمِّنا ... قبراً بمَرْوَ على الطّريق الواضح)
(فإذا مررْتَ بقبرِهِ فاعقِرْ بهِ ... كُومَ الهِجانِ وكلَّ طِرْفٍ سابح)
(وانضحْ جوانب قبره بدِمائها ... فلقد يكون أخا دمٍ وذبائح)

((يا مَن بمهوَى الشَّمس من حيٍّ إلى ... ما بين مَطلع قَرْنها المتنازح
(ماتَ المغيرةُ بعد طولِ تعرُّضٍ ... للموتِ بين أسنّةٍ وصفائح)
(والقتلُ ليس إلى القتال ولا أرى ... حيّاً يؤخِّر للشَّفيق الناصح)
وهي طويلة
وهذا من نادر الكلام ونقي المعاني ومختار القصيد وهي معدودة من مراثي الشعراء في عصر زياد ومقدمها
لابن جامع في الأبيات الأربعة الأول غناء أوله نشيد كله ثم تعود الصنعة إلى الثاني والثالث في طريقة الهزج بالوسطى
وقد أخبرني علي بن سليمان الأخفش عن السكري عن محمد بن حبيب أن من الناس من يروي هذه القصيدة للصلتان العبدي
وهذا قول شاذ والصحيح أنها لزياد قد دونها الرواة غير مدفوع عنها
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني إسحاق بن محمد النخعي قال حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال رثى زياد الأعجم - المغيرة بن المهلب فقال - كامل
(إنّ الشَّجاعة والسَّماحةَ ضُمِّنا ... قبراً بمَرْوَ على الطَّريق الواضح)
(فإذا مررتَ بقبرهِ فاعقِرْ به ... كُومَ الهِجان وكلَّ طِرْفٍ سابح)
فقال له يزيد بن المهلب يا أبا أمامة أفعقرت أنت عنده قال كنت على بنت الهمار
يريد الحمار
أخبرني مالك بن محمد الشيباني قال كنت حاضراً في مجلس أبي العباس فقلت وقد قرئ عليه شعر زياد الأعجم فقرئت - عليه قصيدته - كامل
(قل للقوافِلِ والغزيِّ إذا غَزَوا ... والباكرين وللمجدِّ الرائح)
قال فقلت إنّها من مختار الشعر ولقد أنشدت لبعض المحدثين في نحو هذا المعنى أبياتاً حسنة
- ثم أنشدنا - خفيف
(أيُّها الناعيانِ مَنْ تنعيانِ ... وعلى مَنْ أراكما تبكيانِ)
(اندُبا الماجِدَ الكريمَ أبا إسْحاقَ ... ربَّ المعروفِ والإحسانِ)
(واذهبا بي إنْ لم يكنْ لكما عَقْرٌ ... إلى جَنْب قَبرهِ فاعقِراني)
(وانضحَا من دمِي عليه فقد كا ... ن دمي مِن نَداهُ لو تعلمانِ)
أخبرني وكيع قال حدثني إسحاق بن محمد النخعي عن ابن عائشة عن أبيه قال كان المهلب بن أبي صفرة بخراسان فخرج إليه زياد الأعجم فمدحه فأمر له بجائزة فأقام عنده أياماً
- قال فإنا لبعشية نشرب مع حبيب بن المهلب في دارٍ له وفيها حمامة إذ سجعت الحمامة فقال زياد - وافر
(تَغَنَّيْ أنتِ في ذِممِي وعَهدي ... وذمّةِ والدي إنْ لم تُطاري)
(وبيتُك فاصلِحيهِ ولا تخافي ... على صُفْرٍ مزغّبة صِغار)
((فإنّكِ كلّما غَنَّيْتِ صوتاً ... ذكرْتُ أحبَّتي وذكرْتُ داري
(فإما يَقتلوكِ طلبْتُ ثأراً ... له نبأٌ لأنك في جِواري)
فقال حبيب يا غلام هات القوس
فقال له زياد ما تصنع بها قال أرمي جارتك هذه
قال والله لئن رميتها لأستعدين عليك الأمير
فأتى بالقوس فنزع لها سهماً فقتلها فوثب زياد فدخل على المهلب فحدثه الحديث وأنشده الشعر فقال المهلب علي بأبي بسطام فأتي بحبيب فقال له أعط أبا أمامة دية جارته ألف دينار
فقال أطال الله بقاء الأمير إنما كنت ألعب
قال أعطه كما آمرك
- فأنشأ زياد يقول - طويل
(فللّه عينا مَنْ رأى كَقَضيّةٍ ... قَضَى لي بها قَرْمُ العِراق المهلَّبُ)
(رماها حبيبُ بن المهلّب رِميةً ... فأثبتَها بالسَّهم والسهمُ يغرب)
(فألْزَمَهُ عَقْلَ القَتيل ابنُ حُرّةٍ ... وقال حبيبٌ إنَّما كنتُ ألعبُ)
(فقال زيادٌ لا يروَّعُ جارُه ... وجارة جاري مثل جِلدي وأقربُ)
قال فحمل حبيب إليه ألف دينار على كره منه فإنه ليشرب مع حبيب يوماً إذ عربد عليه حبيب وقد كان حبيب ضغن عليه - مما جرى فأمر بشق قباء ديباج كان عليه فقام فقال - طويل
(لعمرك ما الدِّيباجَ خرَّقْت وحدهُ ... ولكنّما خرَّقْت جلْد المهلَّب)
فبعث المهلب إلى حبيب فأحضره وقال له صدق زياد ما خرقت إلا جلدي تبعث هذا على أن يهجوني
ثم بعث إليه فأحضره فاستل سخيمته من صدره وأمر له بمال وصرفه
وقد أخبرني وكيع بهذا الخبر أيضاً
قال أحمد بن الهيثم بن فراس قال العمري عن الهيثم بن عدي قال تهاجى قتادة بن مغرب اليشكري وزياد الأعجم بخراسان وكان زياد يخرج وعليه قباء ديباج تشبها بالأعاجم فمر به يزيد بن المهلب وهو على حاله تلك فأمر به فقنع - أسواطاً ومزقت ثيابه وقال له أبأهل الكفر والشرك تتشبه لا أم لك فقال زياد - طويل
(لعمرك ما الدِّيباجَ خرَّقْت وحدهُ ... ولكنّما خرَّقْت جلْد المهلَّب)
وذكر باقي الخبر مثله وقال فيه فدعا به المهلب فقال له يا أبا أمامة قلت شيئاً آخر قال لا والله أيها الأمير
قال فلا تقل
وأعتبه وكساه وحمله وأمر له بعشرة آلاف درهم وقال له اعذر ابن أخيك يا أبا أمامة فإنه لم يعرفك
وهذه الأبيات التي فيها الغناء يقولها زياد الأعجم في عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي
أخبرني بخبره في ذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال أتى زياد الأعجم عمر بن عبيد الله بن

- معمر بفارس وقدم عليه عراك بن محمد الفقيه من مصر فكان عراك يحدثه بحديث الفقهاء فقال زياد - طويل
(يحدِّثنا أنَّ القيامةَ قد أتَتْ ... وجاء عِراكٌ يبتغي المالَ من مِصر)
(فكم بينَ بابِ التُّوبِ إنْ كنتَ صادقاً ... وإيوان كسرى من فَلاةٍ ومن قصْر)
- وقال يمدح عمر بن عبيد الله - وافر
(سألناه الجزيلَ فما تأبَّى ... وأعطى فوقَ مُنْيتِنا وزادا)
وذكر الأبيات الثلاثة
نسخت من كتاب ابن أبي الدنيا أخبرني محمد بن زياد عن ابن عائشة
وأخبرني هاشم بن محمد قال حدثني عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشة وخبر ابن أبي الدنيا أتم
قال كان زياد الأعجم صديقاً لعمر بن عبيد الله بن معمر قبل أن يلي فقال له عمر يا أبا أمامة لو قد وليت لتركتك لا تحتاج إلى أحد أبداً
- فلما ولي فارس قصده فلما لقيه أنشأ يقول - طويل
(أبلغْ أبا حفصٍ رسالةَ ناصحٍ ... أتَتْ من زيادٍ مستبيناً كلامُها)
(فإنّكَ مثلُ الشّمس لا سِتْرَ دونَها ... فكيف أبا حفص عليَّ ظَلامُها)
فقال له عمر لا يكون عليك ظلامها أبداً
- فقال زياد - طويل
(لقد كنتُ أدعو اللّه في السّرّ أن أرى ... أمورَ معدٍّ في يديك نظامُها)
فقال له قد رأيتَ ذلك
فقال
(فلما أتاني ما أردْتُ تباشرتْ ... بناتي وقلْنَ العامَ لا شكَّ عامُها)
قال فهو عامهنّ إن شاء الله تعالى
فقال
(فإنّي وأرْضاً أنت فيها ابنَ معمرٍ ... كمكّةَ لم يَطربْ لأرضٍ حَمامها)
قال فهي كذلك يا زياد
فقال
(إذا اخترْت أرضاً للمقامِ رضيتُها ... لنفسي ولم يثقُلْ عليَّ مُقامُها)
((وكنتُ أمنَّي النفسَ منك ابنَ معمر ... أمانيَّ أرجو أن يتمَّ تمامُها
قال قد أتمّها الله عليك
فقال
(فلا أكُ كالمُجْري إلى رأس غايةٍ ... يُرجِّي سَماءً لم يصِبْه غَمامُها)
قال لست كذلك فسل حاجتك
قال نجيبة ورحالتها وفرس رائع وسائسه وبدرة وحاملها وجارية وخادمها وتخت ثياب ووصيف يحمله
فقال قد أمرنا لك بجميع ما سألت وهو لك علينا في كل عام
- فخرج من عنده حتى قدم على عبد الله بن الحشرج وهو بسابور فأنزله وألطفه فقال في ذلك - كامل
(إنَّ السَّماحةَ والمروءةَ والنَّدى ... في قُبّةٍ ضُربت على ابن الحَشرج)
(مَلِكٌ أغرُّ متوَّجٌ ذو نائلٍ ... للمُعْتَفِين يمينُه لم تَشنج)
(يا خَير من صعِد المنابر بالتقى ... بعد النبيِّ المصطفى المتحرِّج)
(لما أتيتُك راجياً لنوالكمْ ... ألفيتُ بابَ نوالكم لم يُرتَج)
فأمر له بعشرة آلاف درهم
أخبرنا محمد بن خلف وكيع عن عبد الله بن محمد عن عبيد بن الحسن بن عبد الرحمن بهذا الخبر فقال فيه أتى زياد عبد الله بن عامر بن كريز
والخبر الأول أصح
- وزاد في الشعر - وافر
(أخٌ لك لا تراه الدّهرَ إلاَّ ... على العِلاَّتِ بسّاماً جَوادا)
فقال له عمر أحسنت يا أبا أمامة ولك لكل بيت ألف
قال دعني أتمها مائة
قال أما إنك لو كنت فعلت لفعلت ولكن لك ما رزقت
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا ابن عائشة قال حدثني أبي قال لما خرج ابن الأشعث أرسل عبد الملك إلى عمر بن عبيد الله ابن معمر ليقدم عليه فلما كان بضمير وهي من الشام مات بالطاعون فقام عبد الملك على قبره وقال أما والله لقد علمت قريش أن قد فقدت اليوم ناباً من أنيابها
وقال جد خلاد بن أبي عمرو الأعمى وكانوا موالي أبي وجرة بن أبي عمرو بن أمية أهو اليوم ناب لما مات وكان أمس ضرساً كليلة أما والله لوددت أن السماء وقعت على الأرض فلم يعش بينهما أحد بعده وسمعها عبد الملك فتغافل عنها
- قال وقال الفرزدق يرثيه - بسيط
(يا أيُّها الناس لا تَبكُوا على أحدٍ ... بعد الذي بضُمير وافق القدرا)
(كانت يداه لنا سَيْفاً نَصُول به ... على العدُوّ وغيْثاً ينبت الشَّجرا)
(أمّا قريشٌ أبَا حفصٍ فقد رُزئت ... بالشّام إذ فارقتك البأسِ والظَّفرا)
(مَنْ يقتُل الجوعَ مِن بعد الشهيدِ ومَنْ ... بالسيف يقتل كَبْش القوم إذ عَكرا)
(إنّ النوائح لم يعدُدْنَ في عمرٍ ... ما كان فيه إذا المولي به افتخرا)
(إذَا عددْنَ فعالاً أو لَهُ حسباً ... ويومَ هيجاءَ يُعْشي بأسُه البصرا)
((كم مِن جَبانٍ إلى الهيجا دنوتَ له ... يومَ اللّقاء ولولا أنت ما صَبَرا

أخبرنا أحمد حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عفان بن مسلم قال حدثنا حماد بن سلمة قال أخبرنا حميد عن سليمان بن قتة قال بعث عمر بن عبيد الله ابن معمر إلى ابن عمر والقاسم بن محمد بألف دينار فأتيت عبد الله بن عمر وهو يغتسل في مستحم له فأخرج يده فصببتها في يده فقال وصلت رحما وقد جاءتنا على حاجة
وأتيت القاسم فأبى أن يقبلها فقالت لي امرأته إن كان القاسم ابن عمه فأنا لابنة عمه
فأعطيتها
قال فكان عمر يبعث بهذه الثياب العمرية يقسمها بين أهل المدينة فقال ابن عمر جزى الله من اقتنى هذه الثياب بالمدينة خيراً
وقال لي عمر لقد بلغني عن صاحبك شيء كرهته
قلت وما ذاك قال يعطي المهاجرين ألفاً ألفاً ويعطي الأنصار سبعمائة سبعمائة
فأخبرته فسوى بينهم
أخبرنا أحمد قال حدثنا أبو زيد قال كانت لرجل جارية يهواها فاحتاج إلى بيعها فابتاعها منه عمر بن عبيد الله بن معمر فلما
- قبض ثمنها أنشأت تقول - طويل
(هنيئاً لكِ المال الذي قد قَبَضْتَه ... ولم يَبْقَ في كَفَّيَّ غيرُ التَّحَسُّرِ)
(فإنّي لحُزْنٍ من فِراقكَ مُوْجَعٌ ... أناجِي به قلباً طويلَ التفكُّرِ)
فقال لا ترحلي
ثم قال
(ولولا قُعود الدّهر بي عنكِ لم يكن ... يفرقنا شيءٌ سوى الموتِ فاعذري)
(عليك سلامٌ لا زيارةَ بيننا ... ولا وَصْلَ إلا أنْ يشاء ابنُ معمر)
فقال قد شئت خذ الجارية وثمنها
فأخذَها وانصرف
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن زياد
- قال حدثني ابن عائشة قال استبطأ زياد الأعجم عمر بن عبيد الله بن معمر في زيارته إياه فقال - طويل
(أصابت علينا جُودَكَ العينُ يا عُمرُ ... فنحنُ لها نبغي التمائمَ والنُّشَرْ)
(أصابتك عينٌ في سماحِكِ صلبةٌ ... ويا رُبَّ عينٍ صُلبةٍ تَفْلِقُ الحَجَرْ)
(سنَرقيكَ بالأشعار حتّى تَملَّها ... فإنْ لم تُفِقْ يوماً رقَيْناكَ بالسُّوَرْ)
فبلغته الأبيات فأرضاه وسرحه
أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثني العمري قال حدثني من سمع حماداً الراوية يقول امتدح زياد الأعجم عباد بن الحصين الحبطي وكان على شرطة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الذي يقال له القباع وطلب حاجة فلم يقضها
- فقال زياد - متقارب
(سألْتُ أبا جَهْضَمٍ حاجةً ... وكنتُ أراه قريباً يسيرا)
(فلو أنني خِفْتُ منه الخِلافَ ... والمنْعَ لي لم أسَلْهُ نقيرا)
(وكيف الرَّجاءُ لِمَا عندَه ... وقد خالط البخلُ منه الضميرا)
(أقِلْني أبا جهضم حاجتي ... فإني امرؤٌ كان ظَنِّي غُرُورا)
أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن العمري عن عطاء بن مصعب عن عاصم بن الحدثان قال مرّ يزيد بن حبناء الضبي بزياد الأعجم وهو ينشد شعراً قد هجا به قتادة بن مغرب فأفحش فيه فقال له يزيد بن حبناء ألم يأن لك أن ترعوي وتترك تمزيق أعراض قومك ويحك حتى متى تتمادى في الضلال
- كأنك بالموت قد صبحك أو مساك فقال زياد فيه - طويل
(يحذّرني الموتَ ابنُ حبناءَ والفتى ... إلى الموت يَغدو جاهداً ويَرُوحُ)
(وكلُّ امرىءٍ لا بدّ للموتِ صائرٌ ... وإن عاشَ دهراً في البلاد يسيح)
(فقلْ ليزيدٍ يا ابنَ حَبْناء لا تَعِظْ... أخاكَ وَعِظْ نَفْساً فأنت جَنوحُ)
(تركْتَ التُّقى والدينَ دينُ محمدٍ ... لأهلي التُّقى والمسلمين يلوحُ)
(وتابَعْتَ مُرّاقَ العراقَيْنِ سادراً ... وأنتَ غليظ القُصْرَيَيْنِ صحيح)
فقال له يزيد بن عاصم الشني قبحك الله أتهجو رجلاً وعظك وأمرك بمعروف بمثل هذا الهجاء هلا كففت إذ لم تقبل أراه والله سيأتي على نفسك ثم لا تحبق فيك عنزان اذهب ويحك فأته واعتذر إليه لعله يقبل عذرك
فمشى إليه بجماعة من عبد القيس فشفعوا إليه فيه فقال لا تثريب لست واجداً عليه بعد يومي هذا
أخبرني أحمد بن علي قال سمعت جدي علي بن يحيى يحدث عن أبي الحسن عن رجل من جعفي قال كنت جالساً عند المهلب إذ أقبل رجل طويل مضطرب فلما رآه المهلب قال اللهم إني أعوذ بك من شره فجاء فقال أصلح الله الأمير إني قد مدحتك ببيت صفده مائة ألف درهم
فسكت المهلب فأعاد القول فقال له أنشده
- فأنشده - طويل
(فتىً زادَهُ السُّلطانُ في الخير رغبة ... إذا غيَّرَ السُّلطانُ كلَّ خليل)
فقال له المهلب يا أبا أمامة مائة ألف فوالله ما هي عندنا ولكن ثلاثون ألفاً فيها عروض
وأمر له بها فإذا هو زياد الأعجم
أخبرني عمي قال حدثني الكراني وأبو العيناء عن القحذمي قال لقي الفرزدق زياداً الأعجم فقال له الفرزدق لقد هممت أن أهجو عبد القيس وأصف من فسوهم شيئاً
قال له زياد كما أنت حتى أسمعك شيئاً
ثم قال قل إن شئت أو أمسك
قال هات
- قال - طويل

(وما تَرَكَ الهاجون لي إن هجوتُه ... مَصَحّاً أراه في أديمِ الفرزدقِ)
(فإنّا وما تُهدِي لنا إنْ هجوْتَنا ... لكالبحر مَهما يُلْقَ في البحر يَغرقِ)
فقال له الفرزدق حسبك هلم نتتارك
قال ذاك إليك
وما عاوده بشيء
وأخبرني بهذا الخبر محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا العتبي عن العباس بن هشام عن أبيه قال حدثني خراش وكان عالماً راوية لأبي ولمؤرج ولجابر بن كلثوم قال أقبل الفرزدق وزياد ينشد الناس في المربد وقد اجتمعوا حوله فقال من هذا قيل الأعجم
فأقبل نحوه فقيل له هذا الفرزدق قد أقبل عليك
فقام فتلقاه وحيّا كل واحد منهما صاحبه فقال له الفرزدق ما زالت تنازعني نفسي إلى هجاء عبد القيس منذ دهر
قال زياد وما
يدعوك إلى ذلك قال لأني رأيت الأشقري هجاكم فلم يصنع شيئاً وأنا أشعر منه وقد عرفت الذي هيج بينك وبينه
قال وما هو قال إنكم اجتمعتم في قبة عبد الله بن الحشرج بخراسان فقلت له قد قلت شيئاً فمن قال مثله فهو أشعر
- مني ومن لم يقل مثله ومد إلي عنقه فإني أشعر منه فقال لك وما قلت فقلت قلت - طويل
(وقافيةٍ حَذّاءَ بتُّ أحُوكُها ... إذا ما سُهيْلٌ في السّماء تَلآلا)
- فقال لك الأشقري - طويل
(وأقلف صلَّى بعد ما ناك أمَّه ... يرى ذاك في دِينِ المجوس حَلالا)
فأقبلت على من حضر فقلت يا لأم كعب أخزاها الله تعالى ما أنمها حين تخبر ابنها بقلفتي فضحك الناس وغلبت عليه في المجلس
فقال له زياد يا أبا فراس هب لي نفسك ساعة ولا تعجل حتى يأتيك رسولي بهديتي ثم ترى رأيك
- وظن الفرزدق أنه سيهدي إليه شيئاً يستكفه به فكتب إليه - طويل
(وما ترَك الهاجُون لي إن أردْتُه ... مَصَحّاً أراهُ في أديم الفرزدقِ)
(وما تركوا لحماً يدقّون عَظْمَه ... لآكِلِه أبْقَوْه للمتعرِّق)
(سأحطِمُ ما أبقَوْا له من عِظامه ... فأنكتُ عظمَ الساق منه وأنتقِي)
((فإنّا وما تُهدِي لنا إنْ هجوْتَنا ... لكالبحر مَهما يُلْقَ في البحر يَغرقِ
فبعث إليه الفرزدق لا أهجو قوماً أنت منهم أبداً
قال أبو المنذر زياد أهجى من كعب الأشقري وقد أوثر عليه في عدة قصائد
- منها التي يقول فيها - متقارب
(قُبَيِّلةٌ خيرُها شرُّها ... وأصدقُها الكاذبِ الآثمُ)
(وضيفُهُمُ وسْطَ أبياتهمْ ... وإن لم يكن صائماً صائمُ)
- وفيه يقول - طويل
(إذا عذَّبَ اللهُ الرجالَ بِشِعرهِمْ ... أمِنْتُ لكعبٍ أنْ يُعذَّبَ بالشعر)
- وفيه يقول - وافر
(أتتْكَ الأزدُ مصفرّاً لِحَاها ... تَساقَطُ من مناخرها الجُوَافُ)
أخبرني وكيع قال حدثني أحمد بن عمر بن بكير قال حدثنا الهيثم عن ابن عياش قال دخل أبو قلابة الجرمي مسجد
- البصرة وإذا زياد الأعجم فقال زياد من هذا قال أبو قلابة الجرمي فقام على رأسه فقال - طويل
(قمْ صاغراً يا كهلَ جَرْمٍ فإنّما ... يقال لكَهلِ الصِّدق قُمْ غيرَ صاغِرِ)
((فإنّك شيخٌ ميّتٌ ومورّثٌ ... قضاعةَ ميراثَ البَسوسِ وقاشِرِ
(قضى الله خَلْقَ النّاس ثم خُلِقْتُمُ ... بقيّةَ خَلْق اللّهِ آخِرَ آخر)
(فلم تسمعوا إلاّ بما كان قبلَكُمْ ... ولم تُدركوا إلاّ بِدَقِّ الحوافر)
(فلو ردّ أهلُ الحق مَن مات منكُمُ ... إلى حقّه لم تُدفَنوا في المقابر)
فقيل له فأين كانوا يدفنون يا أبا أمامة قال في النواويس

أخبار شارية

قال أبو الفرج علي بن الحسين
كانت شارية مولدة من مولدات البصرة يقال إن أباها كان رجلا من بني سامة بن لؤي المعروفين ببني ناجية وأنه جحدها وكانت أمها أمة فدخلت في الرق وقيل بل سرقت فبيعت فاشترتها امرأة من بني هاشم فأدبتها وعلمتها الغناء ثم اشتراها إبراهيم بن المهدي فأخذت غناءها كله أو أكثره عنه وبذلك يحتج من يقدمها على عريب ويقول إن إبراهيم خرجها وكان يأخذها بصحة الأداء لنفسه وبمعرفة ما يأخذها به ولم تكن هذه حال عريب لأن المراكبي لم يكن يقارب إبراهيم في العلم ولا يقاس به في بعضه فضلا عن سائره
أخبرني بخبرها محمد بن إبراهيم قريض
أن ابن المعتز دفع إليه كتابه الذي ألفه في أخبارها وقال له أن يرويه عنه فنسخت منه ما كان يصلح لهذا الكتاب على شرطي فيه وأضفت إليه ما وجدته من أخبارها عن غيره في الكتب وسمعته أنا عمن رويته عنه
قال ابن المعتز حدثني عيسى بن هارون المنصوري
أن شارية كانت لامرأة من الهاشميات بصرية من ولد جعفر بن سليمان فحملتها لتبيعها ببغداد فعرضت على إسحاق بن إبراهيم الموصلي فأعطى بها ثلثمائة دينار ثم استغلاها بذلك ولم يردها فجيء بها إلى إبراهيم بن المهدي فعرضت عليه فساوم بها فقالت له مولاتها قد بذلتها لإسحاق بن إبراهيم بثلثمائة دينار وأنت أيها الأمير أعزك الله بها أحق فقال زنوا لها ما قالت فوزن لها ثم دعا بقيمته فقال خذي هذه الجارية ولا تربنيها سنة وقولي للجواري يطرحن عليها فلما كان بعد سنة أخرجت إليه فنظر إليها وسمعها فأرسل إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي فدعاه وأراه إياها وأسمعه غناءها وقال هذه جارية تباع فبكم تأخذها

لنفسك قال إسحاق آخذها بثلاثة آلاف دينار وهي رخيصة بها قال له إبراهيم أتعرفها قال لا قال هذه الجارية التي عرضتها عليك الهاشمية بثلثمائة دينار فلم تقبل فبقي إسحاق متحيرا يعجب من حالها وما انقلبت إليه
وقال ابن المعتز حدثني الهشامي عن محمد بن راشد أن شارية كانت مولدة البصرة وكانت لها أم خبيثة منكرة تدعي أنها بنت محمد بن زيد من بني سامة بن لؤي
قال ابن المعتز وحدثني غيره أنها كانت تدعي أنها من بني زهرة
قال الهشامي فجيء بها إلى بغداد وعرضت على إبراهيم بن المهدي فأعجب بها إعجابا شديدا فلم يزل يعطي بها حتى بلغت ثمانية آلاف درهم فقال لي هبة الله بن إبراهيم بن المهدي إنه لم يكن عند أبي درهم ولا دانق فقال لي ويحك قد أعجبتني والله هذه الجارية إعجابا شديدا وليس عندنا شيء فقلت له نبيع ما نملكه حتى الخزف ونجمع ثمنها فقال لي قد فكرت في شيء اذهب إلى علي بن هشام فأقرئه مني السلام وقل له جعلني الله فداءك قد عرضت علي جارية قد أخذت بمجامع قلبي وليس عندي ثمنها فأحب أن تقرضني عشرة آلاف درهم فقلت له إن ثمنها ثمانية آلاف درهم فلم تكثر على الرجل بعشرة آلاف
درهم فقال إذا اشتريناها بثمانية آلاف درهم لا بد أن نكسوها ونقيم لها ما تحتاج إليه
فصرت إلى علي بن هشام فأبلغته الرسالة فدعا بوكيل له وقال له ادفع إلى خادمه عشرين ألفا وقل له أنا لا أصلك ولكن هي لك حلال في الدنيا والآخرة قال فصرت إلى أبي بالدراهم فلو طلعت عليه بالخلافة لم تكن تعدل عنده تلك الدراهم
وكانت أمها خبيثة فكانت كلما لم يعط إبراهيم ابنتها ما تشتهي ذهبت إلى عبد الوهاب بن علي ودفعت إليه رقعة يرفعها إلى المعتصم تسأله أن تأخذ ابنتها من إبراهيم
قال ابن المعتز وأخبرني عبد الواحد بن إبراهيم بن محمد بن الخصيب قال ذكر يوسف بن إبراهيم المصري صاحب إبراهيم بن المهدي
أن إبراهيم وجه به إلى عبد الوهاب بن علي في حاجة كانت له قال فلقيته وانصرفت من عنده فلم أخرج من دهليز عبد الوهاب حتى استقبلتني امرأة فلما نظرت في وجهي سترت وجهها فأخبرني شاكري أن المرأة هي أم شارية جارية إبراهيم فبادرت إلى إبراهيم وقلت له أدرك فإني رأيت أم شارية في دار عبد الوهاب وهي من تعلم وما يفجؤك
إلا حيلة قد أوقعتها فقال لي في جواب ذلك أشهدك أن جاريتي شارية صدقة على ميمونة بنت إبراهيم بن المهدي ثم أشهد ابنة هبة الله على مثل ذلك وأمرني بالركوب إلى دار ابن أبي دواد وإحضار من قدرت عليه من الشهود المعدلين عنده فأحضرته أكثر من عشرين شاهدا وأمر بإخراج شارية فخرجت فقال لها أسفري فجزعت من ذلك فأعلمها أنه إنما أمرها بذلك لخير يريده بها ففعلت فقال لها تسمي فقالت أنا شارية أمتك فقال لهم تأملوا وجهها ففعلوا ثم قال فإني أشهدكم أنها حرة لوجه الله تعالى وأني قد تزوجتها وأصدقتها عشرة آلاف درهم يا شارية مولاة إبراهيم بن المهدي أرضيت قالت نعم يا سيدي قد رضيت والحمد لله على ما أنعم به علي فأمرها بالدخول وأطعم الشهود وطيبهم وانصرفوا فما أحسبهم بلغوا دار ابن أبي دواد حتى دخل علينا عبد الوهاب بن علي فأقرأ عمه سلام المعتصم ثم قال له يقول لك يا أمير المؤمنين من المفترض علي طاعتك وصيانتك عن كل ما يعرك إذ كنت عمي وصنو أبي وقد رفعت إلي امرأة من قريش قصة ذكرت فيها أنها من بني زهرة صليبة وأنها أم شارية واحتجت بأنه لا تكون بنت امرأة من قريش أمة
فإن كانت هذه المرأة صادقة في أن شارية بنتها وأنها من بني زهرة فمن المحال أن تكون شارية أمة والأشبه بك والأصلح إخراج شارية من دارك وسترها عند من تثق به من أهلك حتى نكشف ما قالت هذه المرأة فإن ثبت ما قالته أمرت من جعلتها عنده بإطلاقها وكان في ذلك الحظ لك في دينك ومروءتك وإن لم يصح ذلك أعيدت الجارية إلى منزلك وقد زال عنك القول الذي لا يليق بك ولا يحسن فقال له إبراهيم فديتك يا أبا إبراهيم هب شارية بنت زهرة بن كلاب أتنكر على ابن عباس بن عبد المطلب أن يكون بعلا لها فقال عبد الوهاب لا فقال إبراهيم فأبلغ أمير المؤمنين أطال الله بقاءه السلامة وأخبره أن شارية حرة وأني قد تزوجتها بشهادة جماعة من العدول
وقد كان الشهود بعد منصرفهم من عند إبراهيم صاروا إلى ابن أبي دواد فشم منهم من رائحة الطيب ما أنكره فسألهم عنه فأعلموه أنهم حضروا عتق شارية وتزوج إبراهيم إياها فركب إلى المعتصم فحدثه بالحديث معجبا له منه فقال ضل سعي عبد الوهاب ودخل عبد الوهاب على المعتصم فلما رآه يمشي في صحن الدار سد المعتصم أنف نفسه وقال يا عبد الوهاب أنا أشم رائحة صوف محرق وأحسب أن عمي لم يقنعه ردك إلا وعلى أذنك صوفة حتى أحرقها فشممت رائحتها منك فقال الأمر على ما ظن أمير المؤمنين وأقبح
ولما انصرف عبد الوهاب من عند إبراهيم ابتاع إبراهيم من بنته ميمونة شارية بعشرة آلاف درهم وستر ذلك عنها فكان عتقه إياها وهي في ملك غيره ثم ابتاعها من ميمونة فحل له فرجها فكان يطؤها على أنها أمته وهي تتوهم أنه يطؤها على أنها حرة فلما توفي طلبت مشاركة أم محمد بنت خالد زوجته في الثمن فأظهرت خبرها وسئلت ميمونة وهبة الله عن الخبر فأخبرا به المعتصم فأمر المعتصم بابتياعها من ميمونة فابتيعت بخمسة آلاف
وخمسمائة دينار فحولت إلى داره فكانت في ملكه حتى توفي
قال ابن المعتز وقد قيل إن المعتصم ابتاعها بثلثمائة ألف درهم
قال وكان منصور بن محمد بن واضح يزعم أن إبراهيم اقترض ثمن شارية من ابنته وملكها إبراهيم ولها سبع سنين فرباها تربية الولد حتى لقد ذكرت أنها كانت في حجره جالسة وقد أعجب بصوت أخذته منه إذ طمثت أول طمثها فأحس بذلك فدعا قيمة له فأمرها بأن تأتيه بثوب خام فلفه عليها فقال احمليها فقد اقشعرت وأحسب برد الحش قد آذاها
قال وحدثت شارية أنها كانت معه في حراقة قد توسط بها دجلة في ليلة مقمرة وهي تغني إذ اندفعت فغنت
(لقد حثوا الجِمال ليهربوا ... منا فلم يَئِلوا)
فقام إليها فأمسك فاها وقال أنت والله أحسن من الغريض وجها وغناء فما يؤمنني عليك أمسكي
قال وحدث حمدون بن إسماعيل أنه دخل على إبراهيم يوما فقال له أتحب أن أسمعك شيئا لم تسمعه قط قال نعم فقال هاتوا شارية فخرجت فأمرها أن تغني لحن إسحاق
(...هل بالديار التي حَيَّيْتَها أحد)
قال حمدون فغنتني شيئا لم أسمع مثله قط فقلت لا والله يا سيدي ما سمعت هكذا فقال أتحب أن تسمعه أحسن من هذا فقلت لا يكون فقال بلى والله تقر بذاك فقلت على اسم الله فغناه هو فرأيت فضلا عجيبا فقلت ما ظننت أن هذا يفضل ذاك هذا الفضل قال أفتحب أن تسمعه أحسن من هذا وذاك فقلت هذا الذي لا يكون فقال بلى والله فقلت فهات

قال بحياتي يا شارية قوليه وأحيلي حلقك فيه فسمعت والله فضلا بينا فأكثرت التعجب فقال لي يا أبا جعفر ما أهون هذا على السامع تدري بالله كم مرة رددت عليها موضعا في هذا الصوت قلت لا قال فقل وأكثر قلت مائة مرة قال اصعد ما بدا لك قلت ثلثمائة قال أكثر والله من ألف مرة حتى قالته كذا
قال وكانت ريق تقول إن شارية كانت إذا اضطربت في صوت فغاية ما عنده من عقوبتها أنه يقيمها تغنيه على رجليها فإن لم تبلغ الذي يريد ضربت ريق
قال ويقال إن شارية لم تضرب بالعود إلا في أيام المتوكل لما اتصل الشر بينها وبين عريب فصارت تقعد بها عند الضرب فضربت هي بعد ذلك

إبراهيم يمتنع من بيعها

قال ابن المعتز وحدث محمد بن سهل بن عبد الكريم المعروف بسهل الأحول وكان قاضي الكتاب في زمانه وكان يكتب لإبراهيم وكان شيخا ثقة قال أعطى المعتصم إبراهيم بشارية سبعين ألف دينار فامتنع من بيعها فعاتبته على ذلك فلم يجبني بشيء ثم دعاني بعد أيام فدخلت وبين يديه مائدة لطيفة فأحضره الغلام سفودا فيه ثلاث فراريج فرمى إلي بواحدة فأكلتها وأكل اثنتين ثم شرب رطلا وسقانيه ثم أتي بسفود آخر ففعل كما فعل وشرب كما شرب وسقاني ثم ضرب سترا كان إلى جانبه فسمعت حركة العيدان ثم قال يا شارية تغني فسمعت شيئا ذهب بعقلي فقال يا سهل هذه التي عاتبتني في أن أبيعها بسبعين ألف دينار لا والله ولا هذه الساعة الواحدة بسبعين ألف دينار
قال وكانت شارية تقول إن أباها من قريش وإنها سرقت صغيرة فبيعت بالبصرة من امرأة هاشمية وباعتها من إبراهيم بن المهدي والله أعلم
أخبرني عمي قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال أمرني المعتز ذات يوم بالمقام عنده فأقمت فأمر فمدت الستارة وخرج
من كان يغني وراءها وفيهن شارية ولم أكن سمعتها قبل ذلك فاستحسنت ما سمعت منها فقال لي أمير المؤمنين المعتز يا عبيد الله كيف ما تسمع منها عندك فقلت حظ العجب من هذا الغناء أكثر من حظ الطرب فاستحسن ذلك وأخبرها به فاستحسنته
قال ابن المعتز وأخبرني الهشامي قال قالت لي ريق كنت ألعب أنا وشارية بالنرد بين يدي إبراهيم وهو متكىء على مخدة ينظر إلينا فجرى بيني وبين شارية مشاجرة في اللعب فأغلظت لها في الكلام بعض الغلظة فاستوى إبراهيم جالسا وقال أراك تستخفين بها فوالله لا أحد يخلفك غيرها وأومأ إلى حلقه بيده
قال وحدثني الهشامي قال حدثني عمرو بن بانة قال حضرت يوما مجلس المعتصم وضربت الستارة وخرجت الجواري وكنت إلى جانب مخارق فغنت شارية فأحسنت جدا فقلت لمخارق هذه الجارية في حسن الغناء على ما تسمع ووجهها وجه حسن فكيف لم
يتحرم بها إبراهيم بن المهدي فقال لي أحد الحظوظ التي رفعت لهذا الخليفة منع إبراهيم بن المهدي من ذلك
قال عبد الله بن المعتز وحدثني أبو محمد الحسن بن يحيى أخو علي بن يحيى عن ريق قالت
استزار المعتصم من إبراهيم بن المهدي جواريه وكان في جفوة من السلطان تلك الأيام فنالته ضيقة قالت فتحمل ذهابنا إليه على ضعف فحضرنا مجلس المعتصم ونحن في سراويلات مرقعة فجعلنا نرى جواري المعتصم وما عليهن من الجوهر والثياب الفاخرة فلم تستجمع إلينا أنفسنا حتى غنوا وغنينا فطرب المعتصم على غنائنا ورآنا أمثل من جواريه فتحولت إلينا أنفسنا في التيه والصلف وأمر لنا المعتصم بمائة ألف درهم

غناؤها وكرمها

قال وحدثني أبو العبيس عن أبيه قال كانت شارية أحسن الناس غناء منذ توفي المعتصم إلى آخر خلافة الواثق
قال أبو العبيس وحدثتني ريق أن المعتصم افتضها وأنها كانت معها في تلك الليلة
قال أبو العبيس وحدثتني طباع جارية الواثق أن الواثق كان يسميها ستي وكانت تعلم فريدة فلم تبق في تعليمها غاية إلى أن وقع بينهما شيء بحضرة الواثق فحلفت أنها لا تنصحها ولا تنصح أحدا بعدها فلم تكن تطرح بعد ذلك صوتا إلا نقصت من نغمه وكان المعتمد قد تعشق شرة جاريتها وكانت أكمل الناس ملاحة وخفة روح وعجز عن شرائها فسأل أم المعتز أن تشتريها له فاشترتها من شارية بعشرة آلاف دينار وأهدتها إليه ثم تزوجت بعد وفاة المعتمد بابن البقال المغني وكان يتعشقها فقال عبد الله بن المعتز وكان يتعشقها
(أقول وقد ضاقت بأحزانها نفسي ... ألا رب تطليقٍ قريب من العُرس)
(لئن صِرتِ للبقال يا شر زوجة ... فلا عجب قد يربِض الكلب في الشمس)
وقال يعقوب بن بنان كانت شارية خاصة بصالح بن وصيف فلما بلغه رحيل موسى بن بغا من الجبل يريده بسبب قتله المعتز أودع شارية جوهره فظهر لها جوهر كثير بعد ذلك فلما أوقع موسى بصالح استترت شارية عند هارون بن شعيب العكبري وكان أنظف خلق الله طعاما وأسراه مائدة وأوسخه كل شيء بعد ذلك وكان له بسر من رأى منزل فيه بستان كبير وكانت شارية تسميه أبي وتزوره إلى منزله فتحتمل معها كل شيء تحتاج إليه حتى الحصير الذي تقعد عليه
قال وكانت شارية من أكرم الناس عاشرها أبو الحسن علي بن الحسين عند هارون هذا ثم أضاق في وقت فاقترض منها على غير رهن عشرة آلاف دينار ومكثت عليه أكثر من سنة ما أذكرته بها ولا طالبته حتى ردها ابتداء
قال يعقوب بن بنان وكان أهل سر من رأى متحازبين فقوم مع شارية وقوم مع عريب لا يدخل أصحاب هذه مع هؤلاء ولا أصحاب هذه في هؤلاء فكان أبو الصقر إسماعيل بن بلبل عريبيا فدعا علي بن الحسين يوم جمعة أبا الصقر إسماعيل بن بلبل وعنده عريب وجواريها فاتصل الخبر بشارية فبعثت بجواريها إلى علي بن الحسين بعد يوم أو يومين وأمرت إحداهن وما أدري من هي مهرجان أو مطرب أو قمرية إلا أنها إحدى الثلاثة أن تغني قوله
(لا تعودنّ بعدها ... فترى كيف أصنع)
فلما سمع علي الغناء ضحك وقال لست أعود
قال وكان المعتمد قد وثق بشارية فلم يكن يأكل إلا طعامها فمكثت دهرا من الدهور تعد له في كل يوم جونتين وكان طعامه منهما في أيام المتوكل
قال ابن المعتز وحدثني أحمد بن نعيم عن ريق قالت كان مولاي إبراهيم يسمي شارية بنتي ويسميني أختي
حدثني جحظة قال كنت عند المعتمد يوما فغنته شارية بشعر مولاها إبراهيم بن المهدي ولحنه

(يا طول عِلةِ قلبيَ المعتادِ ... إلفَ الكرامِ وصحبةَ الأمجادِ)
فقال لها أحسنت والله فقالت هذا غنائي وأنا عارية فكيف لو كنت كاسية فأمر لها بألف ثوب من جميع أنواع الثياب الخاصية فحمل ذلك إليها فقال لي علي بن يحيى المنجم اجعل انصرافك معي ففعلت فقال لي هل بلغك أن خليفة أمر لمغنية بمثل ما أمر به أمير المؤمنين اليوم لشارية قلت لا فأمر بإخراج سير الخلفاء فأقبل بها الغلمان يحملونها في دفاتر عظام فتصفحناها كلها فما وجدنا أحدا قبله فعل ذلك
نسبة هذا الصوت
صوت
(يا طول عِلةِ قلبيَ المعتادِ ... إلفَ الكرامِ وصحبةَ الأمجاد)
(ما زلت آلف كل قَرْم ماجدٍ ... متقدِّم الآباء والأجداد)
الشعر لإبراهيم بن المهدي والغناء لعلويه - خفيف رمل - لشارية بالبنصر ولم يقع إلينا فيه طريقة غير هذه
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني عبد الله بن أبي سعيد قال حدثني محمد بن مالك الخزاعي قال حدثتني ملح العطارة وكانت من أحسن الناس غناء وإنما سميت العطارة لكثرة استعمالها العطر المطيب قالت غنت شارية يوما بين يدي المتوكل وأنا واقفة مع الجواري
(بالله قولوا لي لمن ذا الرَّشا ... المثقلُ الردِف الهضيمُ الحشا)
(أظرف ما كان إذا ما صحا ... وأملح الناس إذا ما انتشى)
(وقد بنى برج حمام له ... أرسل فيه طائراً مُرعَشا)
(يا ليتني كنت حَماماً له ... أو باشَقاً يفعل بي ما يشا)
(لو لبس القُوهيّ من رقةٍ ... أوجعه القُوهيّ أو خدَّشا)
وهو - هزج - فطرب المتوكل وقال لشارية لمن هذا الغناء فقالت أخذته من دار المأمون ولا أدري لمن هو فقلت له أنا أعلم لمن هو فقال لمن هو يا ملح فقلت أقوله لك سرا قال أنا في دار النساء وليس يحضرني إلا حرمي فقوليه فقلت الشعر والغناء جميعا لخديجة بنت المأمون قالته في خادم لأبيها كانت تهواه وغنت فيه هذا اللحن فأطرق طويلا ثم قال لا يسمع هذا منك أحد
صوت
(أحبك يا سَلْمي على غير ريبة ... وما خير حب لا تعف سرائرهْ)
(أحبك حباً لا أعنِّف بعده ... محباً ولكني إذا ليم عاذرهْ)
(وقد مات حُبِّي أول الحب فانقضى ... ولو مت أضحى الحب قد مات آخرهْ)
(ولما تناهى الحب في القلب وارداً ... أقام وسدّت فيه عنه مصادرهْ)
الشعر للحسين بن مطير الأسدي والغناء لإسحاق هزج بالبنصر
أخبار الحسين بن مطير ونسبه
هو الحسين بن مطير بن مكمل مولى لبني أسد بن خزيمة ثم لبني سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد وكان جده مكمل عبدا فأعتقه مولاه وقيل بل كاتبه فسعى في مكاتبته حتى أداها وأعتق وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية شاعر متقدم في القصيد والرجز فصيح قد مدح بني أمية وبني العباس
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار عن محمد بن داود بن الجراح عن محمد بن الحسن بن الحرون أنه كان من ساكني زبالة وكان زيه وكلامه يشبه مذاهب الأعراب وأهل البادية وذلك بين في شعره
ومما يدل على إدراكه دولة بني أمية ومدحه إياهم ما أخبرنا به يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال أخبرني أبي عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن مروان بن أبي حفصة قال دخلت أنا وطريح بن
الثقفي والحسين بن مطير الأسدي في عدة من الشعراء على الوليد بن يزيد وهو في فرش قد غاب فيها وإذا رجل كلما أنشد شاعر شعرا وقف الوليد على بيت بيت منه وقال هذا أخذه من موضع كذا وكذا وهذا المعنى نقله من شعر فلان حتى أتى على أكثر الشعراء فقلت من هذا قالوا هذا حماد الراوية فلما وقفت بين يدي الوليد لأنشده قلت ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين وهو لحانة فتهانف الشيخ ثم قال يا بن أخي أنا رجل أكلم العامة وأتكلم بكلامها فهل تروي من أشعار العرب شيئا فذهب عني الشعر كله إلا شعر ابن مقبل فقلت نعم لابن مقبل فأنشدته
(سل الدار من جنبي حِيرٍ فواهبٍ ... الى ما رأى هضبَ القليبِ المُضَيَّحُ)
ثم جزت فقال قف ماذا يقول فلم أدر ما يقول فقال يا بن أخي أنا أعلم الناس بكلام العرب يقال تراءى الموضعان إذا تقابلا
وفوده على معن بن زائدة
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار والحسن بن علي ويحيى بن علي قالوا حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا أحمد بن عبد الله بن علي قال حدثني أبي
أن الحسين بن مطير وفد على معن بن زائدة لما ولي اليمن وقد مدحه فلما دخل عليه أنشده
(أتيتك إذ لم يبق غيرك جابر ... ولا واهب يعطِي اللُّها والرغائبا)
فقال له معن يا أخا بني أسد ليس هذا بمدح إنما المدح قول نهار بن توسعة أخي بني تيم الله بن ثعلبة في مسمع بن مالك
((قلدّته عُرا الأمور نِزار ... قبل أن تهلِكَ السراة البحور
قال وأول هذا الشعر
(اظعني من هراة قد مر فيها ... حِجج مذ سكنتِها وشهور)
(اظعني نحو مِسمع تجديه ... نعم ذو المُنَثَنى ونعم المَزور)
(سوف يكفيك إن نبتْ بك أرض ... بخراسان أو جفاك أمير)
(من بني الجِصن عامل بن بريح ... لا قليلُ الندى ولا منزور)
(والذي يفزع الكماة إليه ... حين تدمى من الطعان النحور)
(فاصطنع يا بن مالك آل بكرٍ ... واجبر العظم إنه مكسور)
فغدا إليه بأرجوزته التي مدحه بها وأولها

(... حديث ربا حَبّذا إدلالُها)
(... تسأل عن حالي وما سؤالها)
(... عن امرىء قد شفّه خيالها)
(... وهي شفاء النفس لو تنالها)
يقول فيها يمدحه
(... سلّ سيوفاً محدثاً صِقالُها)
(... صاب على أعدائه وبالها)
(...وعند معن ذي الندى أمثالها)
فاستحسنها وأجزل صلته
أخبرني ابن عمار ويحيى بن علي قالا حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو المثنى أحمد ابن يعقوب ابن أخت أبي بكر الأصم قال
كنا في مجلس الأصمعي فأنشده رجل لدعبل بن علي
(... أين الشبابُ وأيةً سلكا)
فاستحسنا قوله
(لا تعجبي يا سَلْمُ من رجلٍ ... ضحِكَ المشيب برأسِهِ فبكى)
فقال الأصمعي هذا أخذه من قول الحسين بن مطير
(أين أهل القِبابِ بالدهناءِ ... أين جِيراننا على الأحساءِ)
(فارقونا والأرض مُلبَسة نور ... الأقاحِي يُجَاد بالأنواء)
(كلّ يوم بأقحوان جديد ... تضحك الأرض من بكاء السماء)
أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني محمد بن القاسم الدينوري قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال
أبياته تسهر المهدي
قال المهدي للمفضل الضبي أسهرتني البارحة أبيات الحسين بن مطير الأسدي قال وما هي يا أمير المؤمنين قال قوله
(وقد تغدر الدنيا فيضحِي فقيرها ... غنياً ويغنى بعد بؤسٍ فقيرُها)
(فلا تقرب الأمر الحرام فإنه ... حلاوته تفنى ويبقى مَريرها)
(وكم قد رأينا من تغير عيشة ... وأخرى صفا بعد اكدرار غديرها)
فقال له المفضل مثل هذا فليسهرك يا أمير المؤمنين
وقد أخبرني بهذا الخبر عمي رحمه الله أتم من هذا قال نسخت من كتاب المفضل بن سلمة قال أبو عكرمة الضبي قال المفضل الضبي
كنت يوما جالسا على بابي وأنا محتاج إلى درهم وعلي عشرة آلاف درهم إذ جاءني رسول المهدي فقال أجب أمير المؤمنين فقلت ما بعث إلي في هذا الوقت إلا لسعاية ساع وتخوفته لخروجي كان مع إبراهيم بن
عبد الله بن حسن فدخلت منزلي فتطهرت ولبست ثوبين نظيفين وصرت إليه فلما مثلت بين يديه سلمت فرد علي وأمرني بالجلوس فلما سكن جأشي قال لي يا مفضل أي بيت قالته العرب أفخر فتشككت ساعة ثم قلت بيت الخنساء وكان مستلقيا فاستوى جالسا ثم قال وأي بيت هو قلت قولها
(وإنّ صخراً لتأتمُّ الهداة به ... كأنه عَلَم في رأسِهِ نارُ)
فأومأ إلى إسحاق بن بزيع ثم قال قد قلت له ذلك فأباه فقلت الصواب ما قاله أمير المؤمنين ثم قال حدثني يا مفضل قلت أي الحديث أعجب إلى أمير المؤمنين قال حديث النساء فحدثته حتى انتصف النهار ثم قال لي
يا مفضل أسهرني البارحة بيتا ابن مطير وأنشد البيتين المذكورين في الخبر الأول ثم قال ألهذين ثالث يا مفضل قلت نعم يا أمير المؤمنين فقال وما هو فأنشدته قوله
(وكم قد رأينا من تغير عِيشةٍ ... وأخرى صفا بعد اكدرار غديرها)
وكان المهدي رقيقا فاستعبر ثم قال يا مفضل كيف حالك قلت كيف يكون حال من هو مأخوذ بعشرة آلاف درهم فأمر لي بثلاثين ألف درهم وقال اقض دينك وأصلح شأنك فقبضتها وانصرفت
مدحه المهدي
أخبرني يحيى بن علي عن علي بن يحيى إجازة وحدثنا الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم عن عبد الله بن أبي سعد قال حدثني إسحاق بن عيسى بن موسى بن مجمع أحد بني سوار بن الحارث الأسدي قال أخبرني جدي موسى بن مجمع قال
قال الحسين بن مطير في المهدي قصيدته التي يقول فيها
(إليك أمير المؤمنين تعسفتْ ... بنا البيدَ هَوجاءُ النَّجاءِ خَبوب)
(ولو لم يكن قدامها ما تقاذفت ... جبال بها مغبرة وسُهوب)
(فتى هو من غير التخلق ماجد ... ومن غير تأديب الرجال أديب)
(علا خَلْقُه خَلق الرجال وخُلْقه ... إذا ضاق أخلاق الرجال رحيب)
(إذا شاهد القوّاد سار أمامهم ... جريء على ما يتقون وَثوب)
(وإن غاب عنهم شاهدتهم مهابة ... بها يقهر الأعداء حين يغيب)
(يعف ويستحيي إذا كان خالياً ... كما عف واستحيا بحيث رقيب)
فلما أنشدها المهدي أمر له بسبعين ألف درهم وحصان جواد
وكان الحسين من الثعلبية وتلك داره بها قال ابن أبي سعد وأرانيها الشيخ
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد عن إسحاق بن عيسى قال
دخل الحسين بن مطير على المهدي فأنشده قوله
(لو يعبد الناس يا مهدي أفضلهم ... ما كان في الناس إلا أنت معبود)

(أضحت يمينك مِن جودٍ مصوّرة ... لا بل يمينك منها صُوِّر الجود)
(لو أن من نوره مثقال خردلة ... في السود طراً إذن لابيضت السود)
فأمر له لكل بيت بألف درهم
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ قال حدثني أبي قال خرج المهدي يوما فلقيه الحسين بن مطير فأنشده قوله
(أضحت يمينك من جود مصوّرة ... لا بل يمينك منها صوّر الجود)
فقال كذبت يا فاسق وهل تركت من شعرك موضعا لأحد بعد قولك في معن بن زائدة حيث تقول
(ألِمّا بمعنٍ ثم قولا لقبره ... سقِيت الغوادي مَرْبَعاً ثم مربعا)
أخرجوه عني فأخرجوه
وتمام الأبيات
(أيا قبر معن كنت أوّل حفرةٍ ... من الأرض خُطت للمكارم مضجعا)
(أيا قبر معنٍ كيف واريت جوده ... وقد كان منه البر والبحر مترَعا)
(بلى قد وسعت الجود والجود ميت ... ولو كان حياً ضِقت حتى تصدعا)
(فتى عيش في معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه ممرعا)
(أبَى ذكر معن أن تموت فِعاله ... وإن كان قد لاقى حِماماً ومصرعا)
أخبرني أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني علي بن عبيد الكوفي قال حدثني الحسين بن أبي الخصيب الكاتب عن أحمد بن يوسف الكاتب قال
كنت أنا وعبد الله بن طاهر عند المأمون وهو مستلق على قفاه فقال لعبد الله بن طاهر يا أبا العباس من أشعر من قال الشعر في خلافة بني هاشم قال أمير المؤمنين أعلم بهذا وأعلى عينا فقال له على ذاك فقل وتكلم أنت أيضا يا أحمد بن يوسف فقال عبد الله بن طاهر أشعرهم الذي يقول
((أيا قبر معن كنت أوّل خِطة ... من الأرض خطت للمكارم مضجعا
فقال أحمد بن يوسف بل أشعرهم الذي يقول
(وقف الهوى بي حيث أنتِ فليس لي ... متأخَّر عنه ولا متقدم)
فقال أبيت يا أحمد إلا غزلاً أين أنتم عن الذي يقول
(يا شقيق النفس من حكم ... نمتَ عن ليلى ولم أنم)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أبو خليفة عن التوزي قال قلت لأبي عبيدة ما تقول في شعر الحسين بن مطير فقال والله لوددت أن الشعراء قاربته في قوله
(مخصرة الأوساط زانت عقودها ... بأحسن مما زينتها عقودُها)
(فصفر تراقيها وحمر أكفها ... وسود نواصيها وبيض خدودها)

شعره في وصف السحاب والمطر

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أنشدنا محمد بن يزيد للحسين بن مطير قال
كان سبب قوله هذه الأبيات أن واليا ولي المدينة فدخل عليه الحسين بن مطير فقيل له هذا من أشعر الناس فأراد أن يختبره وقد كانت سحابة مكفهرة نشأت وتتابع منها الرعد والبرق وجاءت بمطر جود فقال له صف هذه السحابة فقال
(مستضحِك بلوامع مستعبِر ... بمدامعٍ لم تَمْرِها الأقذاء)
(فله بلا حزن ولا بمسرة ... ضحِك يراوح بينه وبكاء)
(كثرت لكثرة ودقه أطباؤه ... فإذا تَحَلَّبَ فاضتِ الأطباء)
(وكأن بارقه حريق تلتقي ... ريح عليه وعرفج وألاء)
(لو كان من لجج السواحل ماؤه ... لم يبق في لجج السواحل ماء)

صوت

(إذا ما أم عبد الله ... لم تحْلل بواديهِ)
(ولم تمس قريباً هيج ... الحزن دواعيه)
(غزال راعه القناص ... تحميه صياصيه)
(وما ذكري حبيباً وقليل ... ما أواتيه)
(كذي الخمر تمناها ... وقد أنزف ساقيه)
(عرفت الربع بالإكليل ... عفته سوافِيه)
(بجو ناعم الحوذان ... ملتف روابيه)
الشعر مختلط بعضه للنعمان بن بشير الأنصاري وبعضه ليزيد بن معاوية فالذي للنعمان بن بشير منه الثلاثة الأبيات الأول والبيت الأخير وباقيها ليزيد بن معاوية ورواه من يوثق به وبروايته لنوفل بن أسد بن عبد العزى فأما من ذكر أنه للنعمان بن بشير فأبو عمرو الشيباني وجدت ذلك عنه في كتابه وخالد بن كلثوم نسخته من كتاب أبي سعيد السكري في مجموع شعر النعمان وتمام الأبيات للنعمان بن بشير بعد الأربعة الأبيات التي نسبتها إليه فإنها متوالية قال
((فبحت اليوم بالأمر الّلَذي ... قد كنت تخفيهِ
(فإن أكتمه يوماً ... فإني سوف أبديهِ)
(وما زلت أفديّهِ ... وأدنيهِ وأرقيهِ)
(وأسعى في هواه أبداً حتي ألاقيه)
(فبات الريم مني حذراً ... زلّت مراقيه)
والغناء لمعبد - خفيف رمل - بالوسطى عن عمرو وذكره إسحاق في - خفيف الرمل - بالسبابة في مجرى البنصر ولم ينسبه إلى أحد وفيه للغريض - ثقيل - أول بالوسطى عن الهشامي وحنين

أخبار النعمان بن بشير ونسبه

هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن

الخزرج وأمه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة التي يقول فيها قيس بن الخطيم
(أجَدَّ بعمرة غُنيانُها ... فتهجرَ أم شانُنا شانُها)
(وعمرة من سَروات النساء ... تنفح بالمسك أردانها)
وله صحبة بالنبي ولأبيه بشير بن سعد وكان جاء إلى النبي
ومعه آخر ليشهد معه غزوة له فيما قيل فاستصغرهما فردهما
وأبوه بشير بن سعد أول من قام يوم السقيفة من الأنصار إلى أبي بكر رضي الله عنه فبايعه ثم توالت الأنصار فبايعته
وشهد بشير بيعة العقبة وبدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها واستشهد يوم عين التمر مع خالد بن الوليد
وكان النعمان عثمانيا وشهد مع معاوية صفين ولم يكن معه من الأنصار غيره وكان كريما عليه رفيعا عنده وعند يزيد ابنه بعده وعمر إلى خلافة مروان بن الحكم وكان يتولى حمص فلما بويع لمروان دعا إلى ابن الزبير وخالف على مروان وذلك بعد قتل الضحاك بن قيس بمرج راهط فلم يجبه أهل حمص إلى ذلك فهرب منهم وتبعوه فأدركوه فقتلوه وذلك في سنة خمس وستين
ويقال إن النعمان بن بشير أول مولود ولد بالمدينة بعد قدوم رسول الله إياها وقد قيل ذلك في عبد الله بن الزبير إلا أن النعمان أول مولود ولد بعد
مقدمه من الأنصار روى ذلك عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم
وروى النعمان بن بشير عن النبي كثيرا
حدثني أحمد بن محمد بن الجعد الوشاء قال حدثني أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا عباد بن العوام عن الحصين عن الشعبي قال
سمعت النعمان بن بشير يقول أعطاني أبي عطية فقالت أمي عمرة لا أرضى حتى تشهد رسول الله فأتى رسول الله فقال ابني من عمرة أعطيته عطية فأمرتني أن أشهدك فقال أعطيت كل ولدك مثل هذا قال لا فقال فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا محمد بن سعيد قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن مجالد عن الشعبي قال
أمر معاوية لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير في أعطيتهم وعامله يومئذ على الكوفة وأرضها النعمان بن بشير وكان عثمانيا وكان يبغض أهل الكوفة لرأيهم في علي عليه السلام فأبى النعمان أن ينفذها لهم فكلموه وسألوه بالله فأبى أن يفعل وكان إذا خطب على المنبر أكثر قراءة القرآن وكان يقول لا ترون على منبركم هذا أحدا بعدي يقول إنه سمع رسول الله فصعد المنبر يوما فقال يا أهل الكوفة فصاحوا ننشدك الله والزيادة فقال اسكتوا فلما أكثروا قال أتدرون ما مثلي ومثلكم قالوا لا قال مثل
الضبع والضب والثعلب فإن الضبع والثعلب أتيا الضب في وجاره فناداه أبا الحسل فقال سميعا دعوتما قالا أتيناك لتحكم بيننا قال في بيته يؤتى الحكم قالت الضبع إني حللت عيبتي قال فعل الحرة فعلت قال فلقطت ثمرة قال طيبا لقطت قالت فأكلها الثعلب قال لنفسه نظر قالت فلطمته قال بجرمه قالت فلطمني قال حر انتصر قالت فاقض بيننا قال قد فعلت قال حدث امرأة حديثين فإن أبت فعشرة
فقال عبد الله بن همام السلولي
(زيادتَنا نعمانَ لا تحبِسنها ... خفِ اللهَ فينا والكتابَ الذي تتلو)
(فإنك قد حُمِّلت منا أمانة ... بما عجزت عنه الصَّلاخِمة البُزْل)
(فلا يك باب الشر تحسن فتحه ... وباب الندى والخيِّرات له قفل)
(وقد نلت سلطاناً عظيماً فلا يكن ... لغيرك جَمّات الندى ولك البخل)
(وأنت امرؤ حلو اللسان بليغه ... فما باله عند الزيادة لا يحلو)
((وقبلك قد كانوا علينا أئمة ... يهمهُم تقويمنا وهم عُصْل)
(إذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا ... ولكنّ حسن القول خالفه الفعل)
(يذمون دنياهم وهم يرضِعونها ... أفاويقَ حتى ما يدرّ لهم ثَعل)
(فيا معشر الأنصار إني أخوكم ... وإني لمعروفٍ أتى منكم أهل)
(ومن أجل إيواء النبيّ ونصره ... يحبكُم قلبي وغيركم الأصل)
فقال النعمان بن بشير لا عليه ألا يتقرب فوالله لا أجيزها ولا أنفذها أبدا
النعمان يقول عزة تزيد النفس طيبا
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الأصمعي قال حدثني شيخ قديم من أهل المدينة وأخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان عن أبي السائب المخزومي وأخبرني الحسين بن يحيى المرداسي عن
حماد بن إسحاق عن أبيه قال ذكر لي عن جعفر بن محرز الدوسي قال
دخل النعمان بن بشير المدينة في أيام يزيد بن معاوية وابن الزبير فقال والله لقد أخفقت أذناي من الغناء فأسمعوني فقيل له لو وجهت إلى عزة الميلاء فإنها من قد عرفت فقال إي ورب الكعبة إنها لممن تزيد النفس طيبا والعقل شحذا ابعثوا إليها عن رسالتي فإن أبت صرت إليها فقال له بعض القوم إن النقلة تشتد عليها لثقل بدنها وما بالمدينة دابة تحملها فقال النعمان بن بشير وأين النجائب عليها الهوادج فوجه إليها بنجب فذكرت علة فلما عاد الرسول إلى النعمان قال لجليسه أنت كنت أخبر بها قوموا بنا فقام هو مع خواص أصحابه حتى طرقوها فأذنت وأكرمت واعتذرت فقبل النعمان عذرها وقال لها غني فغنت
صوت
(أجدَّ بعَمرة غُنيانها ... فتهجرَ أم شانُنا شانُها)
(وعمرة من سَروات النساء ... تنفَح بالمسك أردانها)
قال فأشير إليها أنها أمه فأمسكت فقال غني فوالله ما ذكرت إلا كرما وطيبا ولا تغني سائر اليوم غيره فلم تزل تغنيه هذا اللحن فقط حتى انصرف

قال إسحاق فتذاكروا هذا الحديث عند الهيثم بن عدي فقال ألا أزيدكم فيه طريفة فقلنا بلى يا أبا عبد الرحمن فقال قال لقيط ونحن
عند سعيد الزبيري قال عامر الشعبي
اشتاق النعمان بن بشير إلى الغناء فصار إلى منزل عزة الميلاء فلما انصرف إذا امرأة بالباب منتظرة له فلما خرج شكت إليه كثرة غشيان زوجها إياها فقال النعمان لأقضين بينكما بقضية لا ترد علي قد أحل الله له من النساء أربعا مثنى وثلاث ورباع له مرتان بالنهار ومرتان بالليل
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الكلبي وأخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قالوا

الأعشى يمدح النعمان والأخطل يهجو الأنصار

خرج أعشى همدان إلى الشام في ولاية مروان بن الحكم فلم ينل فيها حظا فجاء إلى النعمان بن بشير وهو عامل على حمص فشكا إليه حاله فكلم له النعمان اليمانية وقال لهم هذا شاعر اليمن ولسانها واستماحهم له فقالوا نعم يعطيه كل واحد منا دينارين من عطائه فقال أعطوه دينارا واجعلوا ذلك معجلا فقالوا له أعطه إياه من بيت المال واحتسب ذلك على كل رجل من عطائه ففعل النعمان ذلك وكانوا عشرين
ألفا فأعطاه عشرين ألف دينار وارتجعها منهم عند العطاء فقال الأعشى يمدح النعمان
(ولم أر للحاجات عند التماسها ... كنعمانَ نعمانِ الندى ابن بشير)
(إذا قال أوفى ما يقول ولم يكن ... كمُدْلٍ إلى الأقوام حبل غرورِ)
(متى أكفر النعمان لا أُلْف شاكراً ... وما خير من لا يقتدي بشَكُور)
(فلولا أخو الأنصار كنت كنازل ... ثَوَى ما ثوى لم ينقلب بنَقير)
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا يحيى الزبيري قال حدثني ابن أبي زريق قال
شبب عبد الرحمن بن حسان برملة بنت معاوية فقال
(رملَ هل تذكرين يوم غزال ... إذ قطعنا مسيرنا بالتمني)
(إذ تقولين عمرك الله هل شيء ... وإنْ جلّ سوف يُسْلِيكَ عني)
(أم هَلْ أُطْمِعْتَ منكم يا بن حسان ... كما قد أراك أُطعمتَ مني)
فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فغضب ودخل على معاوية فقال يا أمير المؤمنين ألا ترى إلى هذا العلج من أهل يثرب يتهكم بأعراضنا ويشبب بنسائنا فقال ومن هو قال عبد الرحمن بن حسان وأنشده ما
قال فقال يا يزيد ليس العقوبة من أحد أقبح منها بذوي القدرة ولكن أمهل حتى يقدم وفد الأنصار ثم اذكرني به فلما قدموا أذكره به فلما دخلوا قال يا عبد الرحمن ألم يبلغني أنك شببت برملة بنت أمير المؤمنين قال بلى ولو علمت أن أحدا أشرف لشعري منها لذكرته فقال فأين أنت عن أختها هند قال وإن لها لأختا يقال لها هند قال نعم وإنما أراد معاوية أن يشبب بهما جميعا فيكذب نفسه قال فلم يرض يزيد ما كان من معاوية في ذلك فأرسل إلى كعب بن الجعيل فقال اهج الأنصار فقال أفرق من أمير المؤمنين ولكن أدلك على هذا الشاعر الكافر الماهر الأخطل قال فدعاه فقال له اهج الأنصار فقال أفرق من أمير المؤمنين قال لا تخف شيئا أنا بذلك لك فهجاهم فقال
(وإذا نسبت ابن الفُريعة خِلته ... كالجحش بين حمارةٍ وحمار)
(لعن الإله من اليهود عصابة ... بالجِزْع بين صُليصلٍ وصُدار)
(قوم إذا هدر العصيرُ رأيتهم ... حمراً عيونهمُ من المُسْطار)
((خَلُّوا المكارم لستمُ من أهلها ... وخذوا مساحيكم بني النجار
(إن الفوارس يعرفون ظهوركم ... أولادَ كل مقبَّح أكار)
(ذهبت قريش بالمكارم والعلا ... واللؤم تحت عمائم الأنصار)
فبلغ ذلك النعمان بن بشير فدخل على معاوية فحسر عمامته عن رأسه وقال يا أمير المؤمنين أترى لؤما قال بل أرى كرما وخيرا فما ذاك قال زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائم الأنصار قال أوفعل ذلك قال نعم قال لك لسانه وكتب فيه أن يؤتى به فلما أتى به سأل الرسول أن يدخله إلى يزيد أولا فأدخله عليه فقال له هذا الذي كنت أخاف قال لا تخف شيئا ودخل إلى معاوية فقال علام أرسل إلى هذا الرجل الذي يمدحنا ويرمي من وراء جمرتنا قال هجا الأنصار قال ومن زعم ذلك قال النعمان بن بشير قال لا تقبل قوله عليه وهو المدعي لنفسه ولكن تدعوه بالبينة فإن أثبت شيئا أخذت به له فدعاه بالبينة فلم يأت بها فخلى سبيله فقال الأخطل
(وإني غداة استعبرتْ أم مالك ... لَراضٍ من السلطان أن يتهددا)
(ولولا يزيد ابن الملوك وسعيُه ... تجللتُ حِدْباراً من الشر أنكدا)
((فكم أنقذتْني من خطوب حبالُه ... وخَرْساء لو يُرْمَى بها الفيل بَلّدا
(ودافع عني يوم جِلَّقَ غمرة ... وهمّاً يِنسّيني الشراب المبرَّدا)
(وبات نَجيّاً في دمشقَ لحيةٍ ... إذا همّ لم يَنَم السليمُ وأقصدا)
(يُخافته طوراً وطوراً إذا رأى ... من الوجه إقبالاً ألحّ وأجهدا)
(أبا خالد دافعت عني عظيمة ... وأدركت لحمي قبل أن يتبددا)
(وأطفأت عني نار نعمان بعدما ... أغذ لأمر فاجر وتجردا)
(ولما رأى النعمان دوني ابن حرّة ... طوى الكشح إذ لم يستطعني وعرّدا)
حدثني عمي قال حدثنا احمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن أبي بكر الهذلي قال
لما أمر يزيد بن معاوية بن كعب بن الجعيل بهجاء الأنصار قال له أرادي أنت إلى الكفر بعد الإسلام أأهجو قوما آووا رسول الله ونصروه قال أما إذ كنت غير فاعل فأرشدني إلى من يفعل ذلك قال غلام منا خبيث الدين نصراني فدله على الأخطل
أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن أبي الخطاب قال
لما كثر الهجاء بين عبد الرحمن بن حسان بن ثابت وعبد الرحمن بن
الحكم بن أبي العاص وتفاحشا كتب معاوية إلى سعيد بن العاص وهو عامله على المدينة أن يجلد كل واحد منهما مئة

سوط وكان ابن حسان صديقا لسعيد وما مدح أحدا غيره قط فكره أن يضربه أو يضرب ابن عمه فأمسك عنهما ثم ولى مروان فلما قدم أخذ ابن حسان فضربه مئة سوط ولم يضرب أخاه فكتب ابن حسان إلى النعمان بن بشير وهو بالشام وكان كبيرا أثيرا مكينا عند معاوية

(ليت شعري أغائبٌ ليس بالشام ... خليلي أم راقدٌ نعمان)
(أيةً ما يكن فقد يرجع الغائب ... يوماً ويوقظ الوسنان)
(إن عمراً وعامراً أبوينا ... وحراماً قِدْما على العهد كانوا)
(أفهم مانعوك أم قلة الكتّاب ... أم أنت عاتب غضبان)
(أم جفاء أم أعوزتك القراطيس ... أمَ امري به عليك هوانُ)
(يوم أنبئتَ أن ساقيَ رُضَّت ... وأتتكم بذلك الركبان)
(ثم قالوا إن ابن عمك في بلوى ... أمور أتى بها الحِدْثانُ)
(فنسيت الأرحام والودّ والصحبة ... فيما أتت به الأزمان)
(إنما الرمح فاعلمنّ قناة ... أو كبعض العيدان لولا السنان)

وهي قصيدة طويلة فدخل النعمان بن بشير على معاوية فقال يا أمير المؤمنين إنك أمرت سعيدا بأن يضرب ابن حسان وابن الحكم مئة مئة فلم يفعل ثم وليت أخاه فضرب ابن حسان ولم يضرب أخاه قال فتريد ماذا قال أن تكتب إليه بمثل ما كتبت به إلى سعيد فكتب معاوية إليه يعزم عليه أن يضرب أخاه مئة فضربه خمسين وبعث إليه ابن حسان بحلة وسأله أن يعفو عن خمسين ففعل وقال لأهل المدينة إنما ضربني حد الحر مئة وضربه حد العبد خمسين فشاعت هذه الكلمة حتى بلغت ابن الحكم فجاء إلى أخيه فأخبره وقال لا حاجة لي فيما عفا عنه ابن حسان فبعث إليه مروان لا حاجة لنا فيما تركت فهلم فاقتص من صاحبك فحضر فضربه به مروان خمسين أخرى

أخبرني الحسن بن علي قال أخبرنا أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائني عن يعقوب بن داود الثقفي ومعاوية بن محارب أن معاوية تزوج امرأة من كلب فقال لامرأته ميسون أم يزيد بن

معاوية ادخلي فانظري إلى ابنة عمك هذه فأتتها فنظرت إليها ثم رجعت فقالت ما رأيت مثلها ولقد رأيت خالا تحت سرتها ليوضعن تحت مكانه في حجرها رأس زوجها فتطير من ذلك فتزوجها حبيب بن سلمة ثم طلقها فتزوجها النعمان بن بشير فلما قتل وضعوا رأسه في حجرها

قالوا وكان النعمان بن بشير لما قتل الضحاك بن قيس بمرج راهط في خلافة مروان بن الحكم أراد أن يهرب من حمص وكان عاملا عليها فخالف ودعا لابن الزبير فطلبه أهل حمص فقتلوه واحتزوا رأسه فقالت امرأته هذه الكلبية ألقوا رأسه في حجري فأنا أحق به فألقوه في حجرها فضمته إلى جسده وكفنته ودفنته

أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ قال حدثنا أبو عبيدة قال

نظر معاوية إلى رجل في مجلسه فراقه حسنا وشارة وجسما فاستنطقه فوجده سديدا فقال له ممن أنت قال ممن أنعم الله عليه بالإسلام فاجعلني حيث شئت يا أمير المؤمنين قال عليك بهذه الأزد الطويلة العريضة الكثير عددها التي لا تمنع من دخل فيهم ولا تبالي من خرج منهم فغضب النعمان بن بشير ووثب من بين يديه وقال أما والله إنك ما علمت لسيء المجالسة لجليسك عاق بزورك قليل الرعاية لأهل الحرمة بك فأقسم عليه إلا جلس فجلس فضاحكه معاوية طويلا ثم قال له إن قوما أولهم غسان وآخرهم الأنصار لكرام وسأله عن حوائجه فقضاها حتى رضي

باكورة شعر النعمان

نسخت من كتاب أبي سعيد السكري بخطه أخبرنا ابن حبيب قال قال خالد بن كلثوم

خرج النعمان بن بشير في ركب من قومه وهو يومئذ حديث السن حتى نزلوا بأرض من الأردن يقال لها حفير وحاضرتها بنو القين فأهدت لهم امرأة من بني القين يقال لها ليلى هدية فبينا القوم يتحدثون ويذكرون الشعراء إذ قال بعضهم يا نعمان هل قلت شعرا قال لا والله ما قلت فقال شيخ من الحارث بن الخزرج يقال له ثابت بن سماك لم تقل شعرا قط قال لا قال فأقسم عليك لتربطن إلى هذه السرحة فلا تفارقها حتى يرتحل القوم أو تقول شعرا فقال عند ذلك وهو أول شعر قاله

(يا خليليّ ودعا دار ليلى ... ليس مثلي يحل دار الهوان)
(إن قَيْنية تحل مُحِباً ... وحفيراً فجنبتي تَرْفُلان)
(لا تؤاتيك في المغيب إذا ما ... حال من دونها فروع قَنان)
(إن ليلى ولو كلفت بليلى ... عاقها عنك عائق غيرُوان)

قال وضرب الدهر على ذلك وأتى عليه زمن طويل ثم إن ليلى القينية قدمت عليه بعد ذلك وهو أمير على حمص فلما رآها عرفها فأنشأ يقول

(ألا استأذنت ليلى فقلنا لها لِجِي ... ومالكِ ألا تدخلي بسلام)
(فإن أناساً زرتِهم ثم حَرَّموا ... عليك دخول البيت غير كرام)

وأحسن صلتها ورفدها طول مقامها إلى أن رحلت عنه

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن الحسن بن مسعود عن أبيه عن مشيخة من الأنصار قال

حضرت وفود الأنصار باب معاوية بن أبي سفيان فخرج إليهم حاجبه سعد أبو درة وقد حجب بعده عبد الملك بن مروان فقالوا له استأذن للأنصار فدخل إليه وعنده عمرو بن العاص فاستأذن لهم فقال له عمرو ما هذا اللقب يا أمير المؤمنين اردد القوم إلى أنسابهم فقال معاوية إني أخاف من ذلك الشنعة فقال هي كلمة تقولها إن مضت عضتهم ونقصتهم وإلا فهذا الاسم راجع إليهم فقال له اخرج فقل من كان ههنا من ولد عمرو بن عامر فليدخل فقالها الحاجب فدخل ولد عمرو بن عامر كلهم إلا الأنصار فنظر معاوية إلى عمرو نظرا منكرا فقال له باعدت جدا فقال اخرج

فقل من كان ههنا من الأوس والخزرج فليدخل فخرج فقالها فلم يدخل أحد فقال له معاوية اخرج فقل من كان ههنا من الأنصار فليدخل فخرج فقالها فدخلوا يقدمهم النعمان بن بشير وهو يقول

(ياسعد لا تُعِد الدعاء فما لنا ... نسب نجيب به سوى الأنصار)
(نسب تخيّره الإله لقومنا ... أثْقِل به نسباً على الكفار)

(إن الذين ثَوَوْا ببدر منكُم ... يوم القَليب همُ وقود النار)
فقال معاوية لعمرو قد كنا أغنياء عن هذا
والنعمان بن بشير هو من المعروفين في الشعر سلفا وخلفا جده شاعر وأبوه شاعر وعمه شاعر وهو شاعر وأولاده وأولاد أولاده شعراء
فأما جده سعد بن الحصين فهو القائل
(إن كنت سائلة والحق مَعْتبة ... فالأزد نسبتُنا والماء غسان)
(شم الأنوف لهم عز ومكرمة ... كانت لهم من جبال الطَّوْد أركان)
وعمه الحسين بن سعد أخو بشير بن سعد القائل
(إذ لم أزر إلا لآكل أكلة ... فلا رفعت كفي إليّ طعامي)
(فما أكلة إن نلتها بغنيمة ... ولا جَوْعة إن جعتها بغرام)
وأبوه بشير بن سعد الذي يقول
(لعمرةَ بالبطحاء بين معرِّفٍ ... وبين المطافِ مسكن ومحاضر)
(لعمري لَحَيٌّ بين دارِ مزاحم ... وبين الجُثا لا يجشم السير حاضر)
(وحي حِلال لا يروع سَرْبُهم ... لهم من وراء القاصيات زوافر)
(أحق بها من فتية وركائبٍ ... يقطع عنها الليلَ عوج ضوامر)
(تقول وتذري الدمع عن حر وجهها ... لعلك نفسي قبل نفسِك باكر)
(أباح لها بِطريق فارس غائطاً ... لها من ذرا الجَوْلان بقل وزاهر)
(فقرّبتها للرحل وهي كأنها ... ظَلِيم نعامٍ بالسماوة نافر)
(فأوردتها ماء فما شربت به ... سوى أنه قد بُلّ منها المشافر)
(فباتت سُراها ليلة ثم عرست ... بيثرب والأعراب بادٍ وحاضر)
قال خالد بن كلثوم
ودخل النعمان بن بشير على معاوية لما هجا الأخطل الأنصار فلما مثل بين يديه أنشأ يقول
(معاويَ إلاّ تعطنا الحق تعترفْ ... لِحَي الأزد مشدوداً عليها العمائم)
(أيشتمنا عبد الأراقم ضَلة ... وماذا الذي تجدي عليك الأراقم)
(فماليَ ثأر غيرَ قطع لسانه ... فدونك من يرضيه عنك الدراهم)
(وَأرْعِ رويداً لا تَسُمنا دَنِية ... لعلكَ في غِب الحوادث نادم)
(متى تلق منا عصبة خزرجية ... أو الأوس يوماً تخترمك المخارم)
(وتلقك خيل كالقطا مسبطِرّةٌ ... شماطيطُ أرسال عليها الشكائم)
(يسوّمِها العَمْرانِ عمرو بن عامر ... وعِمران حتى تستباح المحارم)
(ويبدو من الخَودِ الغريرة حِجلها ... وتبيض من هول السيوف المَقادم)
(فتطلبِ شَعْب الصدع بعد انفتاقِه ... فتعيا به فالآنَ والأمر سالم)
(وإلا فبَزّي لأمة تُبَعِية ... مواريث آبائي وأبيض صارم)
(وأجرد خوار العِنان كأنه ... بدومةَ موشيّ الذراعين صائم)
(وأسمر خَطّيٌ كأنّ كعوبه ... نوى القَسْبِ فيها لَهْذميّ ضُبارم)
(فإن كنت لم تشهد ببدر وقيعة ... أذلت قريشاً والأنوف رواغم
(فسائل بنا حَيَّيْ لؤيٍّ بن غالب ... وأنت بما تخفي من الأمر عالم)
(ألم تبتدركم يوم بدر سيوفنا ... وليلك عما ناب قومك نائم)
(ضربناكُم حتى تفرّق جمعكم ... وطارت أكف منكُم وجماجم)
(وعاذت على البيت الحرام عوانِس ... وأنتِ على خوفٍ عليكِ تمائم)
(وعضت قريش بالأنامل بِغضة ... ومن قبلُ ما عضت علينا الأباهم)
(فكنا لها في كل امر تكيده ... مكان الشّجا والأمر فيه تفاقم)
(فما إن رمى رامٍ فأوهى صَفاتَنا ... ولا ضامنا يوماً من الدهر ضائم)
(وإني لأغضي عن أمور كثيرة ... ستَرقَى بها يوماً إليك السلالم)
(أصانع فيها عبد شمس وإنني ... لتلك التي في النفس مني أكاتم)
(فلا تشتُمنّا يابن حرب فإنما ... ترقَّي إلى تلك الأمور الأشائم)
(فما أنت والأمرَ الذي لستَ أهله ... ولكن ولي الحق والأمر هاشم)
(إليهم يصير الأمر بعد شتاته ... فمن لك بالأمر الذي هو لازم)
(بهم شرع الله الهدى واهتدى بهم ... ومنهم له هادٍ إمامٌ وخاتم)
قال فلما بلغت هذه الأبيات معاوية أمر بدفع الأخطل إليه ليقطع لسانه فاستجار بيزيد بن معاوية فمنع منه وأرضوا النعمان حتى رضي وكف عنه
وقال عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه لما ضرب مروان بن الحكم عبد الرحمن بن حسان الحد ولم يضرب أخاه حين تهاجيا وتقاذفا كتب عبد الرحمن إلى النعمان بن بشير يشتكي ذلك إليه فدخل إلى معاوية وأنشأ يقول
(يابن أبي سفيانَ ما مثلُنا ... جار عليه ملك أو أميرْ)
(اذكر بنا مَقْدمَ أفراسنا ... بالحِنْو إذ أنت إلينا فقير)
(واذكر غداة الساعديّ الذي ... آثركم بالأمر فيها بشير)
(واحذر عليهم مثل بدر فقد ... مر بكم يومٌ ببدر عسير)
(إن ابن حسان له ثائر ... فأعطه الحق تَصِحّ الصدور)
(ومثلُ أيام لنا شتتت ... ملكاً لكم أمرك فيها صغير)
(أما ترى الأزد وأشياعها ... نحوك خُزْراً كاظمات تَزير)

(يطوف حولي منهمُ معشر ... ان صُلْتُ صالوا وهم لي نصير)
(يأبى لنا الضيم فلا يعتلي ... عز منيع وعديد كثير)
(وعنصر في حرِّ جرثومة ... عاديّة تنقل عنها الصخور)
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني أحمد بن الهيثم الفراسي قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال حضرت الأنصار باب معاوية ومعهم النعمان بن بشير فخرج إليهم سعد أبو درة وكان حاجب معاوية ثم حجب عبد الملك بن مروان فقال استأذن لنا فدخل فقال لمعاوية الأنصار بالباب فقال له عمرو بن العاص ما هذا اللقب الذي قد جعلوه نسبا اردّدهم إلى نسبهم فقال معاوية إن علينا في ذلك شناعة قال وما في ذلك إنما هي كلمة مكان كلمة ولا مرد لها فقال له معاوية اخرج فناد من بالباب من ولد عمرو بن عامر فليدخل فخرج فنادى بذلك فدخل من كان هناك منهم سوى الأنصار فقال له اخرج فناد من كان ههنا من الأوس والخزرج فليدخل فخرج فنادى ذلك فوثب النعمان بن بشير فأنشأ يقول
(يا سعد لا تُعِد الدعاء فما لنا ... نسب نجيب به سوى الأنصار)
(نسب تخيره الإله لقومنا ... أثقل به نسباً على الكفار)
(إن الذين ثوَوا ببدر منكم ... يوم القليب همُ وقود النار)
وقام مغضبا وانصرف فبعث معاوية فرده فترضاه وقضى حوائجه وحوائج من حضر معه من الأنصار
من محتار شعر النعمان
ومن مختار شعر النعمان قوله رواها خالد بن كلثوم واخترت منها
(إذا ذُكرت أم الحويرث أخضلت ... دموعي على السربال أربعة سكبا)
(كأنّي لما فرَّقتْ بيننا النَّوى ... أجاور في الأغلال تغلب أو كلبا)
(وكنا كماء العين والجفن لا تَرَى ... لواش بغَى نقض الهوى بيننا إرْبا)
(فأمسى الوشاة غيَّروا ودَّ بيننا ... فلا صلةٌ ترعى لديّ ولا قُربى)
((جرى بيننا سعي الوشاة فأصبحت ... كأنّي - ولم أذنب - جَنيتُ لها ذنبا
(فإن تصرميني تصرمي بيَ واصلاً ... لَدَى الود مِعْراضاً إذا ما التوى صعبا)
(عزوفاً إذا خاف الهوان عن الهوى ... ويأبى فلا يعطي مودته غصبا)
(فإن أستطع أصبر وإن يغلب الهوى ... فمثل الذي لاقيت كلفني نُصْبا)
واخترت هذه الأبيات من قصيدة أخرى وأولها
(أهيَّجَ دمعَك رسمُ الطللْ ... عفا غيرَ مطَّردٍ كالخِلَلْ)
(نعم فاستهلّ لعرفانه ... يَسِح ويَهْمي بفَيْضٍ سَبَل)
(ديار الألوف وأترابِها ... وأنت من الحب كالمختبَل)
(ليالي تَسْبي قلوب الرجال ... تحت الخدور بحسن الغزل)
(من الناهضات بأعجازهنّ ... حين يقوم جزيل الكفل)
(كأن الرُّضاب وصَوْب السحابِ ... بات يشاب بذَوْب العسل)
(من الليل خالط أنيابها ... بُعيد الكرى واختلافِ العَلَل)
أخذ هذا المعنى جميل منه فقال
(وكأن طارقها على عَلَل الكرى ... والنجمُ وَهْناً قد دنا لتَغَوُّر)
((يشتمّ ريح مدامةٍ معلولة ... يسحيق مسك في ذكي العنبر
وفي هذه القصيدة يقول النعمان
(وأروعَ ذي شرف حازم ... صروم وصولٍ حبال الخُلل)
(كريم البلاء صبور اللقاء ... صافي الثناء قليل العذَل)
(عظيم الرماد طويل العمادِ ... واري الزناد بعيد القَفَل)
(أقمت له ولأصحابه ... عمود السُّرى بذمولٍ رمل)
(مداخَلةٍ سَرْحة جسرةٍ ... على الأين دَوْسرةٍ كالجمل)
ومن شعراء ولد النعمان بن بشير ابنه عبد الله بن النعمان وهو القائل
(ماذا رجاؤك غائبا ... من لا يَسرك شاهدا)
(وإذا دنوت يزيده ... منك الدنو تباعدا)
ومنهم عبد الخالق بن أبان بن النعمان بن بشير شاعر مكثر وهو القائل في قصيدة طويلة
(وشاد أبونا الشيخ عمرو بن عامر ... بأعلى ذرا العلياء ركناً تأثلا)
(وخطّ حياض المجد مترعة لنا ... مِلاءً فعَلّ الصفوَ منها وأنهلا)
((وأشرع فيها الناس بعدُ فما لهم ... من المجد إلا سؤْره حين أفضلا
(وفي غيرنا مجد من الناس كلهم ... فأما كمثل العُشْر من مجدنا فلا)
وله أشعار كثيرة لم أحب الإطالة بذكرها
ومنهم شبيب بن يزيد بن النعمان بن بشير شاعر مكثر مجيد وهو القائل من قصيدة طويلة يعاتب بني أمية عند اختلاف أمرهم في أيام الوليد بن يزيد وبعده أولها
(يا قلب صبراً جميلاً لا تمتْ حزَنا ... قد كنتَ من أن تُرى جَلْد القُوَى قَمنَا)
يقول فيها
(بل أيها الراكبُ المُزْجِي مطيته ... لُقِّيتَ حيث توجهتَ الثَّنا الحسنا)
(أبلغْ أمية أعلاها وأسفلَها ... قولا ينفِّر عن نُوّامها الوسَنا)
(إن الخلافة أمر كان يُعْظِمه ... خيار أوّلكم قِدْما وأوّلنا)
(فقد بقرتم بأيديكم بطونكُم ... وقد وعظتم فما أحسنتم الأذُنا)
(أغريتُم بكمُ جهلاً عدوكُم ... في غير فائدة فاستوسَقوا سَنَنا)
(لما سفكتم بأيديكم دماءكُم ... بغياً وغشَّيتُم أبوابكم درنا)

ومنهم إبراهيم بن بشير بن سعد أخو النعمان شاعر مكثر وهو القائل في قصيدة طويلة
(أشاقتك أظعانُ الحُدوج البواكر ... كنخل النُّجَيرِ الشامخاتِ المَواقر)
((على كل فَتْلاء الذراعين جَسْرةٍ ... وأعْيَس نَضّاخ المَهَدّ عُذافِر
(نعم فاستدرت عبرة العين لوعة ... وما أنت عن ذكرى سليمى بصابر)
(ولم أرَ سلمى بعد إذ نحن جيرة ... من الدهر إلا وقفةً بالمَشاعر)
(ألا ربَّ ليل قد سريتُ سواده ... الى رُدُح الأعجاز غُرِّ المحاجر)
(لياليَ يدعوني الصِّبا فأجيبه ... أجر إزاري عاصياً أمر زاجري)
(وإذ لمتِي مثل الجناح أثيثةٌ ... أمشّي الهُوَيْنَى لا يروّع طائري)
(فأصبحت قد ودعت كُمْ بغيره ... مخافة ربي يوم تُبلَى سرائري)
وبنت النعمان بن بشير واسمها حميدة كانت شاعرة ذات لسان وعارضة وشر فكانت تهجو أزواجها وكانت تحت الحارث بن خالد المخزومي وقيل بل كانت تحت المهاجر بن عبد الله بن خالد فقالت فيه
(كهولُ دمشق وشبانُها ... أحب إليّ من الجاليهْ)
(صُماحهمُ كصماح التيوس ... أعيا على المسك والغاليه)
(وقملٌ يدب دبيب الجرادِ ... أكاريسَ أعيا على الفاليه)
فطلقها فتزوجها روح بن زنباع فهجته وقالت تخاطب أخاها الذي زوجها من روح وتقول
(أضل الله حلمك من غلام ... متى كانت مَناكحَنا جذامُ)
(أترضى بالأكارع والذُّنابَى ... وقد كنا يَقِر لنا السنام)
وقالت تهجو روحا
(بكى الخزُّ من روح وأنكر جلدَه ... وعَجَّت عجيجاً من جُذامَ المطارفُ)
(وقال العَباء نحن كنا ثيابهم ... وأكسيةٌ كدْريّة وقطائف)
فطلقها روح وقال سلط الله عليك بعلا يشرب الخمر ويقيئها في حجرك فتزوجت بعده الفيض بن أبي عقيل الثقفي وكان يسكر ويقيء في حجرها فكانت تقول أجيبت في دعوة روح وقالت في الفيض
(سُمِّيت فَيْضاً وما شيءٌ تفيض به ... إلا بِسَلْحِكَ بين البابِ والدار)
(فتلك دعوة رَوْح الخير أعرفها ... سقى الإله صَداه الأوطفَ الساري)
وقالت فيه
(وَهَل أنا إلا مُهْرة عربية ... سليلة أفراس تجلّلها بغل)
((فإن نُتِجت مهراً كريماً فبالحَرَى ... وإن كان إقرافٌ فما أنجب الفحل
هكذا روى خالد بن كلثوم هذين البيتين لها وغيره يرويهما لمالك بن أسماء لما تزوج الحجاج أخته هندا وهي القائلة لما تزوج الحجاج أختها أم أبان
(قد كنت أرجو بعض ما يرجو الراجْ ... أن تنكحيه ملكاً أو ذا تاجْ)
(إذا تذكرت نكاح الحجاجْ ... تضرّم القلب بحزن وهّاج)
(وفاضت العين بماء ثَجّاج ... لو كان نعمان قتيلُ الأعلاج)
(مستويَ الشخص صحيح الأوداج ... ما نلتَ بَختَلْ الدُّراج)
فأخرجها الحجاج من العراق وردها إلى الشام
صوت
(نفرتْ قَلوصي من حجارة حَرّةٍ ... بُنيتْ على طلْق اليدين وَهوبِ)
(لا تنفري يا ناقَ منه فإنه ... شِرِّيب خمر مِسعْر لحروب)
(لا يَبعَدنّ ربيعةُ بن مكدَّم ... وسقى الغوادي قبره بذنوب)
((لولا السِّفارُ وبُعْد خَرْقٍ مَهْمَةٍ ... لتركتُها تحبو على العُرْقوب
يقال إن الشعر لحسان بن ثابت الأنصاري ويقال إنه لضرار بن الخطاب الفهري
أخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام قال الصحيح أن هذه الأبيات لعمرو بن شقيق أحد بني فهر بن مالك ومن الناس من يرويها لمكرز بن حفص بن الأحنف الفهري وعمرو بن شقيق أولى بها
والغناء لمالك - خفيف ثقيل - بإطلاق الوتر في مجرى البنصر

أخبار مقتل ربيعة ونسبه

وهذا الشعر قيل في قتل ربيعة بن مكدم بن عامر بن حرثان بن جذيمة بن علقمة بن جذل الطعان بن فراس بن عثمان بن ثعلبة بن مالك بن كنانة أحد فرسان مضر المعدودين وشجعانهم المشهورين قتله نبيشة بن حبيب السلمي في يوم الكديد
وكان السبب في ذلك فيما ذكره محمد بن الحسن بن دريد إجازة عن أبي حاتم عن أبي عبيدة ونسخته أيضا من رواية الأصمعي وحماد صاحب أبي غسان دماذ والأثرم فجمعتها ههنا
قال أبو عبيدة قال أبو عمرو بن العلاء وقع تدارؤ بين نفر من بني سليم بن منصور وبين نفر من بني فراس بن مالك بن كنانة فقتلت بنو فراس رجلين من بني سليم بن منصور ثم إنهم ودوهما ثم ضرب الدهر ضرباته
فخرج نبيشة بن حبيب السلمي غازياً فلقي ظعنا من بني كنانة بالكديد في نفر من قومه وبصر بهم نفر من بني فراس بن مالك فيهم عبد الله بن جذل الطعان بن فراس والحارث بن مكدم أبو الفارعة وقال بعضهم أبو الفرعة أخو ربيعة بن مكدم قال وهو مجدور يومئذ يحمل في محفة فلما رآهم أبو الفارعة قال هؤلاء بنو سليم يطلبون دماءهم فقال أخوه ربيعة بن مكدم أنا أذهب حتى أعلم علم القوم فآتيكم بخبرهم فتوجه نحوهم فلما ولى قال بعض الظعن هرب ربيعة فقالت أخته أم عزة بنت مكدم أين تنتهي نفرة الفتى فعطف وقدسمع قول النساء فقال
(لقد علمنَ أنّني غير فَرقْ ... لأطعُنن طعنة وأعتنقْ)
(أُعْمِل فيهم حين تحمر الحَدَق ... عَضْباً حساماً وسناناً يأتلق)
قال ثم انطلق يعدو به فرسه فحمل عليه بعض القوم فاستطرد له في طريق الظعن وانفرد به رجل من القوم فقتله ربيعة

ثم رماه نبيشة أو طعنه فلحق بالظعن يستدمي حتى أتى إلى أمه أم سيار فقال اجعلي على يدي عصابة وهو يرتجز ويقول
(... شدي عليّ العَصْب أم سيارْ)
(... لقد رُزيتِ فارساً كالدينار)
(... يطعُن بالرمح أمام الأدبار)
فقالت أمه
(إنا بنو ثعلبة بن مالكِ ... مُرَزّأٌ أخيارنا كذلكِ)
((من بين مقتول وبين هالكٌ ... ولا يكون الرزء إلا ذلك
قال أبو عبيدة وشدت أمه عليه عصابة فاستسقاها ماء فقالت إنك إن شربت الماء مت فكر على القوم فكر راجعا يشد على القوم ويذبهم ونزفه الدم حتى أثخن فقال للظعن أوضعن ركابكن خلفي حتى تنتهين إلى أدنى بيوت الحي فإني لما بي وسوف أقف دونكن لهم على العقبة وأعتمد على رمحي فلن يقدموا عليكن لمكاني ففعلن ذلك فنجون إلى مأمنهن
قال أبو عبيدة قال أبو عمرو بن العلاء ولا نعلم قتيلا ولا ميتا حمى ظعائن غيره قال وإنه يومئذ لغلام له ذؤابة قال فاعتمد على رمحه وهو واقف لهن على متن فرسه حتى بلغن مأمنهن وما تقدم القوم عليه فقال نبيشة بن حبيب إنه لمائل العنق وما أظنه إلا قد مات فأمر رجلا من خزاعة كان معه أن يرمي فرسه فرماها فقمصت وزالت فمال عنها ميتا قال ويقال بل الذي رمى فرسه نبيشة فانصرفوا عنه وقد فاتهم الظعن
قال أبو عبيدة ولحقوا يومئذ أبا الفرعة الحارث بن مكدم فقتلوه وألقوا على ربيعة أحجارا
أشعار في رثائه
فمر به رجل من بني الحارث بن فهر فنفرت ناقته من تلك الأحجار التي أهيلت على ربيعة فقال يرثيه ويعتذر ألا يكون عقر ناقته على قبره وحض على قتلته وعير من فر وأسلمه من قومه
((نفرت قلوصي من حجارة حَرة ... بُنيت على طلق اليدين وهوبِ
(لا تنفري يا ناق منه فإنه ... سبّاء خمر مِسعْر لحروب)
(لولا السّفار وبعد خرق مهمه ... لتركتها تحبو على العرقوب)
(مر الفوارس عن ربيعة بعدما ... نَجّاهُم من غُمّة المكروب)
(يدعو علياً حين أسلم ظهره ... فلقد دعوتَ هناك غير مجيب)
(للّه دِر بني عليّ إنهم ... لم يُحمشوا غزواً كولْغ الذيب)
(نِعْمَ الفتى أدى نبيشة بَزّه ... يوم الكديد نبيشةُ بن حبيب)
(لا يبعَدن ربيعة بن مكدم ... وسقى الغوادي قبره بذَنوب)
قال أبو عبيدة ويقال إن الذي قال هذا الشعر هو ضرار بن الخطاب بن مرداس أحد بني محارب بن فهر وقال آخر هو حسان بن ثابت وقال الأثرم أنشدني أبو عبيدة مرة أخرى هذا البيت
(... وسقى الغوادي قبره بذَنوب)
واحتج به في قول الله عز وجل (ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم) فسألته لمن هذا البيت فقال لمكرز بن حفص بن الأحنف أحد بني عامر بن لؤي رجل من قريش الظواهر ولم يسمه ههنا
وقال عبد الله بن جذل الطعان واسمه بلعاء
((لأطلبنْ بربيعة بن مكدم ... حتى أنال عُصَيّة بن مَعيص
يقال إن عصية من بني سليم وهو عصية بن معيص بن عامر بن لؤي
(وتقاد كل طِمِرةٍ ممحوصةٍ ... ومقلّص عَبْل الشوَّى ممحوص)
وقال رجل من بني الحارث بن الخزرج من الأنصار يرثي ربيعة بن مكدم وقال أبو عبيدة زعم أبو الخطاب الأخفش أنه لحسان بن ثابت يحض على قتله
(ولأصرفن سِوى حذيفة مِدْحتي ... لفتى الشتاء وفارس الأجراف)
(مأوى الضّريك إذا الرياح تناوحت ... ضخم الدّسيعة مُخلِفٍ مِتلاف)
(من لا يزال يَكُب كل ثقيلة ... كَوْماء غير مُسائل منزاف)
(رَحْب المَباءة والجناب موطّأ ... مأوىً لكل مُعتَّق بسِواف)
(فسقى الغوادي قبرك ابن مكدم ... من صَوْب كل مُجلجِل وَكّاف)
(أبلغ بني بكر وخُص فوارساً ... لحِقوا الملامة دون كل لحاف)
(أسلمتُم جِذل الطعان أخاكُم ... بين الكديد وقُلة الأعراف)
(الأعراف رمل قال الأثرم الأعراف كل ما ارتفع ومنه قول الله تعالى (ونادى أصحاب الأعراف
(حتى هوى مُتزايِلاً أوصاله ... للّحْد بين جنادل وقِفاف)
(للّه در بني علي إن هُم ... لم يثأروا عوفاً وحيَّ خِفاف)
قال الأثرم وأنشدنا أبو عبيدة هذه القصيدة مرة لقيس بن الخطيم حين قتل قاتل أبيه فقال
(... تذكر ليلى حُسنَها وصفاءَها)
وقال ابن جذل الطعان في ذلك أيضا
(ألا للّه در بني فِراس ... لقد أُورثتُمُ حزناً وجيعا)
(غداة ثوى ربيعة في مَكَرّ ... تمج عروقه عَلَقاً نَجيعا)
(فلن أنسى ربيعةَ إذ تَعالَى ... بكاء الظُّعْن تدعو يا ربيعا)
وقال كعب بن زهير وأمه من بني أشجع بن عامر بن الليث بن بكر بن كنانة يرثي ربيعة بن مكدم ويحض على بني سليم ويعير بني كنانة بالدماء
التي أدوها إلى بني سليم وهم لا يدركون قتلاهم عندهم بدرك قتل فيهم ولا دية
(بان الشبابُ وكل إلفٍ بائن ... ظعن الشباب مع الخليط الظاعنِ)

(قالت أُميمة ما لجسمك شاحباً ... وأراك ذا بَثٍّ ولست بدائن)
(غُضِّي ملامكِ إن بي من لومكم ... داءً أظن مُماطِلي أو فاتني)
(أبلغ كنانة غَثَّها وسمينها ... الباذلين رباعها بالقاطن)
(أن المذلة أن تُطَلَّ دماؤكم ... ودماء عوفٍ ضامن في العاهن)
(أموالكم عوض لِهم بدمائهم ... ودماؤكم كَلَف لهم بظعائن)
(طلبوا فأدرك وترهم مولاهمُ ... وأبت محامِلكم إباء الحارن)
(شدُوا المآزر فاثأروا بأخيكُم ... إن الحفائظ نِعم ربح الثامِن)
(كيف الحياة ربيعةَ بن مكدم ... يُغدَى عليك بمزْهر أو قائن)
(وهو التَّريكة بالعراء وحارثٌ ... فَقْعُ القَراقِر بالمكان الواتن)
(كم غادروا لكَ من أرامل عُيَّا ... جَزَر الضِّباع ومن ضَريكٍ واكن)
وقالت أم عمرو أخت ربيعة ترثي ربيعة
(ما بال عينك منها الدمع مهراقُ ... سَحًّا ولا عازب لالا ولا راقي)
(أبكِي على هالك أودى وأورثني ... بعد التفرق حزناً بعده باقي)
((لو كان يَرجِع ميتا وجدُ ذي رحِم ... أبقي أخي سالماً وجدي وإشفاقي
(أو كان يُفدَى لكان الأهل كلُّهمُ ... وما أُثمِّر من مال له واقي)
(لكنْ سهام المنايا من نصَبْن له ... لم ينجه طِب ذي طِب ولا راقي)
(فاذهب فلا يُبعدنْك الله من رجل ... لاقى الذي كلُّ حي مثله لاقي)
(فسوف أبكيك ما ناحت مطوقة ... وما سريتُ مع الساري على ساقي)
(أبكي لذكرته عَبْرى مفجَّعة ... ما إن يجف لها من ذكره ماقِي)
وقال عبد الله يرثيه
(خَلَّى عليّ ربيعة بن مكدم ... حزناً يكاد له الفؤاد يزولُ)
(فإذا ذكرتُ ربيعةَ بن مكدم ... ظلت لذكراه الدموع تسيل)
(نِعْم الفتى حياً وفارسُ بُهمةٍ ... يَرْدي بشِكته أقبُّ ذؤول)
(سقت الغوادي بالكَديِّدِ رمّة ... والناس إما هالك وقتيل)
(فإذا لقيتَ ربيعة بن مكدم ... فعلى ربيعة من نداه قبول)
(كيف العزاء ولا تزال خريدة ... تبكي ربيعة غادة عُطبول)
(يأبى ليَ الله المذلة إنما ... يعطَى المذلة عاجز تنبيل)
وقال عبد الله أيضا يرثيه
(نادى الظعائنُ يا ربيعةُ بعد ما ... لم يبق غيرُ حُشاشة وفُواق)
((فأجابها والرمح في حيزومه ... أنَفاً بطعن كالشَّعيب دُفاق
(يا رَبْطَ إن ربيعة بن مكدم ... وربيع قومكِ آذنا بفراق)
(ولئن هلكت لرُبَّ فارس بُهْمة ... فرجتُ كُرْبته وضيق خِناق)
وقال أيضا يتوعد بني سليم
(ولستِ لحاضر إن لم أزركم ... كتائب من كنانة كالصريم)
(على قُبِّ الأياطل مضمَرات ... أضرّ بنيِّها علكُ الشكيم)
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثني الطلحي قال أخبرني عبد الله بن إبراهيم الجمحي ومحمد بن الحسن بن زبالة في مجلس واحد قالا مر حسان بن ثابت بقبر ربيعة بن مكدم الكناني بثنية كعب ويقال بثنية غزال فقلعت به راحلته فقال
(نفرت قلوصي من حجارة حَرَّة ... بنيت على طَلق اليدين وهوب)
(لا تنفري يا ناقَ منه فإنه ... شِرّيب خمر مِسْعَر لحروب)
(لولا السِّفار وبعد خَرْق مهمه ... لتركتْها تحبو على العرقوب)
فبلغ شعره بني كنانة فقالوا والله لو عقرها لسقنا إليه ألف ناقة سود الحدق
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا السجستاني قال
حدثنا أبو عبيدة قال
خرج دريد بن الصمة في فوارس من بني جشم حتى إذا كانوا بواد لبني كنانة يقال له الأخرم وهو يريد الغارة على بني كنانة رفع له رجل من ناحية الوادي معه ظعينة فلما نظر إليه قال لفارس من أصحابه صح به أن خل عن الظعينة وانج بنفسك وهو لا يعرفه فانتهى إليه الرجل فصاح به وألح عليه فلما أتى ألقى الزمام وقال للظعينة
(سِيري على رسْلك سير الآمِن ... سير رَداحٍ ذات جأش ساكن)
(إن انثنائي دون قِرني شائني ... وابلِي بلائي واخبُري وعايني)
ثم حمل على الفارس فقتله وأخذ فرسه فأعطاه الظعينة فبعث دريد فارسا آخر لينظر ما صنع صاحبه فرآه صريعا فصاح به فتصامم عنه فظن أنه لم يسمعه فغشيه فألقى الزمام إليها ثم حمل على الفارس فطعنه فصرعه وهو يقول
(خلِّ سبيل الحُرة المنيعهْ ... إنك لاقٍ دونها ربيعهْ)
(في كفه خَطِّية مطِيعه ... أو لا فخذها طعنةً سريعه)
(... فالطعن مني في الوغى شريعه)
فلما أبطأ على دريد بعث فارسا آخر لينظر ما صنعا فانتهى إليهما فرآهما صريعين ونظر إليه يقود ظعينته ويجرر رمحه فقال له الفارس
خل عن الظعينة فقال لها ربيعة اقصدي قصد البيوت ثم أقبل عليه فقال
(ماذا تريد من شَتيم عابس ... ألم تر الفارس بعد الفارس)
(... أرداهما عامل رمح يابِس)

ثم طعنه فصرعه وانكسر رمحه فارتاب دريد وظن أنهم قد أخذوا الظعينة وقتلوا الرجل فلحق بهم فوجد ربيعة لا رمح معه وقد دنا من الحي ووجد القوم قد قتلوا فقال دريد أيها الفارس إن مثلك لا يقتل وإن الخيل ثائرة بأصحابها ولا أرى معك رمحا وأراك حديث السن فدونك هذا الرمح فإني راجع إلى أصحابي فمثبط عنك فأتى دريد أصحابه وقال إن فارس الظعينة قد حماها وقتل فوارسكم وانتزع رمحي ولا طمع لكم فيه فانصرف القوم وقال دريد في ذلك

(ما إنْ رأيتُ ولا سمعت بمثله ... حامي الظعينة فارساً لم يُقتل)
(أردى فوارسَ لم يكونوا نُهْزة ... ثم استمرّ كأنه لم يفعل)
(متهلل تبدو أسرَّة وجهه ... مثلَ الحمام جلته كف الصيقل)
(يُزجِي ظعينته ويسحب رمحه ... متوجهاً بمُناه نحو المنزل)
(وترى الفوارسَ من مخافة رمحه ... مثل البغاثِ خَشين وقع الأجدل)
(يا ليت شعري من أبوه وأمه ... يا صاح من يك مثلَه لم يُجهل)

فقال ربيعة

((إن كان ينفعكِ اليقينُ فسائلي ... عني الظعينة يوم وادي الأخرمِ
(هل هِي لأول من أتاها نُهزة ... لولا طِعان ربيعة بن مكدم)
(إذ قال لي أدنى الفوارس مِيتة ... خَلِّ الظعينة طائعاً لا تندم)
(فصرفتُ راحلة الظعينة نحوه ... عبداً ليعلم بعض ما لم يعلم)
(وهتكت بالرمح الطويل إهابه ... فهوى صريعاً لليدين وللفم)
(ومنحت آخر بعده جياشة ... نجلاء فاغرة كشدق الأضجم)
(ولقد شفعتهما بآخر ثالث ... وأبى الفرارَ ليَ الغداة تكرمي)

قال

فلم يلبث بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة بن مكدم أن أغاروا على بني جشم رهط دريد فقتلوا وأسروا وغنموا وأسروا دريد بن الصمة فأخفى نسبه فبينا هو عندهم محبوس إذ جاء نسوة يتهادين إليه فصرخت امرأة منهن فقالت هلكتم وأهلكتم ماذا جر علينا قومنا هذا والله الذي أعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة ثم ألقت عليه ثوبها وقالت يا آل فراس أنا جارة له منكم هذا صاحبنا يوم الوادي فسألوه من هو فقال أنا دريد بن الصمة فمن صاحبي قالوا ربيعة بن مكدم قال فما فعل قالوا قتله بنو سليم قال فمن الظعينة التي كانت معه قالت المرأة ريطة بنت جذل الطعان وأنا هي وأنا امرأته فحبسه القوم وآمروا أنفسهم وقالوا لا ينبغي أن تكفر نعمة دريد على صاحبنا وقال بعضهم والله لا يخرج من أيدينا إلا برضا المخارق الذي أسره وانبعثت المرأة في الليل فقالت

(سنجزي دريدا عن ربيعة نعمة ... وكل فتى يُجزَى بما كان قَدّما)
(فإن كان خيراً كان خيراً جزاؤه ... وإن كان شراً كان شراً مذمَّما)
((سنجزيه نُعمى لم تكن بصغيرة ... بإعطائه الرمح السديد المقوّما
(فقد أدركتْ كفاه فينا جزاءه ... وأهلٌ بأن يجزَى الذي كان أنعما)
(فلا تكفروه حق نُعماه فيكمُ ... ولا تركبوا تلك التي تملأ الفما)
(فلو كان حياً لم يضق بثوابه ... ذراعاً غنياً كان أو كان معدِما)
(ففُكوا دريداً من إسار مُخارق ... ولا تجعلوا البؤسَى إلى الشر سلما)

فأصبح القوم فتعاونوا بينهم فأطلقوه وكسته ريطة وجهزته ولحق بقومه ولم يزل كافا عن غزو بني فراس حتى هلك
أحيل الناس وأشجعهم وأجبنهم

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني محمد بن يعقوب بن أبي مريم العدوي البصري قال حدثني محمد بن عمر الأزدي قال حدثني أبو البلاد الغطفاني وقبيصة بن ميمون الصادري قالا

سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن معد يكرب الزبيدي من أشجع من رأيت فقال والله يا أمير المؤمنين لأخبرنك عن أحيل الناس وعن أشجع الناس وعن أجبن الناس فقال له عمر هات فقال أربعت المدينة فخرجت كأحسن ما رأيت وكانت لي فرس شمقمقة طويلة سريعة

الإبقاء تمطق بالعرق تمطق الشيخ بالمرق فركبتها ثم آليت لا ألقى أحدا إلا قتلته فخرجت وعلي مقدي فإذا أنا بفتى بين غرضين فقلت له خذ حذرك فإني قاتلك فقال والله ما أنصفتني يا أبا ثور أنا كما ترى أعزل أميل عوارة والعوارة الذي لا ترس معه فأنظرني حتى آخذ نبلي فقلت وما غناؤها عنك قال أمتنع بها قلت خذها قال لا والله أو تعطيني من العهود ما يثلجني أنك لا تروعني حتى آخذها فأثلجته فقال وإله قريش لا آخذها أبدا فسلم والله مني وذهبت فهذا أحيل الناس ثم مضيت حتى اشتمل علي الليل فوالله إني لأسير في قمر زاهر كالنور الظاهر إذا بفتى على فرس يقود ظعينة وهو يقول

(يا لُدَينا يا لُدَينا ... ليتنا يُعدَى علينا)
(... ثم يُبْلَى ما لدينا)

ثم يخرج حنظلة من مخلاته فيرمي بها في السماء فلا تبلغ الأرض حتى ينظمها بمشقص من نبله فصحت به خذ حذرك ثكلتك أمك فإني قاتلك فمال عن فرسه فإذا هو في الأرض فقلت إن هذا إلا استخفاف فدنوت منه وصحت به ويلك ما أجهلك فما تحلحل ولا زال عن
موضعه فشككت الرمح في إهابه فإذا هو كأنه قد مات منذ سنة فمضيت وتركته فهذا أجبن الناس

ثم مضيت فأصبحت بين دكادك هرشى إلى غزال فنظرت إلى أبيات فعدلت إليها فإذا فيها جوار ثلاث كأنهن نجوم الثريا فبكين حين رأينني فقلت ما يبكيكن فقلن لما ابتلينا به منك ومن ورائنا أخت هي أجمل منا فأشرفت من فدفد فإذا بمن لم أر شيئا قط أحسن من وجهه وإذا بغلام يخصف نعله عليه ذؤابة يسحبها فلما نظر إلي وثب على الفرس مبادرا ثم ركض فسبقني إلى البيوت فوجدهن قد ارتعن فسمعته يقول لهن

(مهلاً نُسَيّاتي إذن لا ترتعْنْ ... ان يمنع اليوم نساء تُمنعْنْ)
(... أرخين أذيال المروط وارتَعنْ)

فلما دنوت منه قال أتطردني أم أطردك قلت أطردك فركض وركضت في أثره حتى إذا مكنت السنان في لفتته واللفتة

أسفل من الكتف اتكأت عليه فإذا هو والله مع لبب فرسه ثم استوى في سرجه فقلت
أقلني قال اطرد فتبعته حتى إذا ظننت أن السنان في ماضغيه اعتمدت عليه فإذا هو والله قائم على الأرض والسنان ماض زالج واستوى على فرسه فقلت أقلني قال اطرد فطردته حتى إذا مكنت السنان في متنه اتكأت عليه وأنا أظن أني قد فرغت منه فمال في ظهر فرسه حتى نظرت إلى يديه في الأرض ومضى السنان زالجا ثم استوى وقال أبعد ثلاث تريد ماذا أطردني ثكلتك أمك فوليت وأنا مرعوب منه فلما غشيني ووجدت حس السنان التفت فإذا هو يطردني بالرمح بلا سنان فكف عني واستنزلني فنزلت ونزل فجز ناصيتي وقال انطلق فإني أنفس بك عن القتل فكان ذلك والله يا أمير المؤمنين عندي أشد من الموت فذاك أشجع من رأيت وسألت عن الفتى فقيل ربيعة بن مكدم الفراسي من بني كنانة وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري هذا الخبر وفيه خلاف للأول قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن موسى الهذلي قال حدثني سكين بن محمد قال
دخل عمرو بن معد يكرب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له يا أبا ثور من أين أقبلت قال من عند سيد بني مخزوم أعظمها هامة وأمدها قامة وأقلها ملامة وأفضلها حلما وأقدمها سلما وأجرئها مقدما قال ومن هو قال سيف الله وسيف رسوله قال وأي شيء صنعت عنده قال أتيته زائرا فدعا لي بكعب وقوس وثور فقال
عمر وأبيك إن في هذا لشبعا قال لي أو لك يا أمير المؤمنين قال لي ولك قال له فوالله إني لآكل الجذعة وأشرب التبن من اللبن رثيئة وصرفا فلم تقول هذا يا أمير المؤمنين فقال له عمر أي أحياء قومك خير قال مذحج وكل قد كان فيه خير شداد فوارسها فوارس أبطالها أهل الربا والرباح قال عمر وأين سعد العشيرة قال هم أشدنا شريسا وأكثرنا خميسا وأكرمنا رئيسا وهم الأوفياء البررة المساعير الفجرة قال عمر يا أبا ثور ألك علم بالسلاح قال على الخبير سقطت سل عما بدا لك قال أخبرني عن النبل قال منايا تخطيء وتصيب قال فأخبرني عن الرمح قال أخوك وربما خانك قال فأخبرني عن الترس قال ذاك مجن وعليه تدور الدوائر قال أخبرني عن الدرع قال مشغلة للفارس متعبة للراجل قال أخبرني عن السيف قال عنه قارعتك لأمك الهبل قال لا بل لأمك قال عمرو بل لأمك فرفع عمر الدرة فضرب بها عمرا وكان عمرو محتبيا فانحلت حبوته فاستوى قائما وأنشأ يقول

(أتضربني كأنك ذو رُعَين ... بخير معيشة أو ذو نواس)
((فكم مُلْك قديم قد رأينا ... وعز ظاهر الجبروت قاسي)
(فأضحى أهله بادوا وأضحى ... ينقَّل من أناس في أناس)

قال صدقت يا أبا ثور وقد هدم ذلك كله الإسلام أقسمت عليك لما جلست فجلس فقال له عمر هل كععت من فارس قط ممن لقيت قال
اعلم يا أمير المؤمنين أني لم أستحل الكذب في الجاهلية فكيف أستحله في الإسلام ولقد قلت لجبهة من خيلي خيل بني زبيد أغيروا بنا على بني البكاء فقالوا بعيد علينا المغار فقلت فعلى بني مالك بن كنانة قال فأتينا على قوم سراة فقال عمر ما علمك بأنهم سراة قال رأيت مزاود خيلهم كثيرة وقدورا مثفاة وقباب أدم فعرفت أن القوم سراة فتركت خيلي حجرة وجلست في موضع أتسمع كلامهم فإذا بجارية منهم قد خرجت من خيمتها فجلست بين صواحب لها ثم دعت وليدة من ولائدها فقالت ادعي فلانا فدعت لها برجل من الحي فقالت له إن نفسي تحدثني أن خيلا تغير على الحي فكيف أنت إن زوجتك نفسي فقال أفعل وأصنع وجعل يصف نفسه فيفرط فقالت له انصرف حتى أرى رأيي وأقبلت على صواحباتها فقالت ما عنده خير ادعي لي فلانا فدعت بآخر فخاطبته بمثل ما خاطبت به صاحبه فأجابها بنحو جوابه فقالت له انصرف حتى أرى رأيي وقالت لصواحباتها ولا عند هذا خير أيضا ثم قالت للوليدة ادعي لي ربيعة بن مكدم فدعته فقالت له مثل
قولها للرجلين فقال لها إن أعجز العجز وصف المرء نفسه ولكني إذا لقيت أعذرت وحسب المرء غناء أن يعذر فقالت له قد زوجتك نفسي فاحضر غدا مجلس الحي ليعلموا ذلك فانصرف من عندها وانتظرت حتى ذهب الليل ولاح الفجر فخرجت من مكمني وركبت فرسي وقلت لخيلي أغيري فأغارت وتركتها وقصدت نحو النسوة ومجلسهن فكشفت عن خيمة المرأة فإذا أنا بامرأة تامة الحسن فلما ملأت بصرها مني أهوت إلى درعها فشقته وقالت واثكلاه والله ما أبكي على مال ولا تلاد ولكن على أخت من وراء هذا القوز تبقى بعدي في مثل هذا الغائط فتهلك ضيعة وأومأت بيدها إلى قوز رمل إلى جانبهم فقلت هذه غنيمة من وراء غنيمة فدفعت فرسي حتى أوفيت على الأيفاع فإذا أنا برجل جلد نجد أهلب أغلب يخصف نعله وإلى جنبه فرسه وسلاحه فلما رآني رمى بنعله ثم استوى على فرسه وأخذ رمحه ومضى ولم يحفل بي فطفقت أشجره بالرمح خفقا وأقول له يا هذا استأسر فمضى ما يحفل بي حتى أشرف على الوادي فلما رأى الخيل تحوي إبله استعبر باكيا وأنشأ يقول

(قد علمتْ إذ منحتني فاها ... أني سأحوي اليوم من حَواها)
(... بل ليت شعري اليوم من دهاها)

فأجبته

((عمرو على طول الوجَى دهاها ... بالخيل يحميها على وجاها)
(... حتى إذا حل بها احتواها)

فحمل علي وهو يقول

(أهْون بنضر العيش في دار نَدَمْ ... أفيض دمعاً كلما فاض انسجمْ)
(أنا ابن عبد الله محمود الشيم ... مؤتمن الغيب وفيّ بالذمم)
(أكرم من يمشي بساق وقدم ... كالليث إن هم بتَقْصام قَصَم)

فحملت عليه وأنا أقول

(أنا ابن ذي التقليد في الشهر الأصمّ ... أنا ابن ذي الإكليل قتال البُهَم)
(من يلقَني يُودِ كما أودت إرَم ... أتركه لحماً على ظهر وضَمْ)

وحمل علي وهو يقول

(هذا حِمًى قد غاب عنه ذائده ... الموت ورْد والأنام وارده)

وحمل علي فضربني فرغت وأخطأني فوقع سيفه في قربوس السرج فقطعه وما تحته حتى هجم على مسح الفرس ثم ثنى بضربة أخرى فرغت وأخطأني فوقع سيفه على مؤخر السرج فقطعه حتى وصل إلى فخذ الفرس وصرت راجلا فقلت

ويحك من أنت فوالله ما ظننت أحدا من العرب يقدم علي إلا ثلاثة الحارث بن ظالم للعجب والخيلاء وعامر بن الطفيل للسن والتجربة وربيعة بن مكدم للحداثة والغرة فمن
أنت ويلك قال بل الويل لك فمن أنت قلت عمرو بن معد يكرب قال وأنا ربيعة بن مكدم قلت يا هذا إني قد صرت راجلا فاختر مني إحدى ثلاث إن شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الأعجز وإن شئت اصطرعنا فأينا صرع صاحبه حكم فيه وإن شئت سالمتك وسالمتني قال الصلح إذن إن كان لقومك فيك حاجة وما بي أيضا على قومي هوان قلت فذاك لك وأخذت بيده حتى أتيت أصحابي وقد حازوا نعمه فقلت هل تعلمون أني كععت عن فارس قط من الأبطال إذا لقيته قالوا نعيذك من ذاك قال قلت فانظروا هذا النعم الذي حزتموه فخذوه مني غدا في بني زبيد فإنه نعم هذا الفتى والله لا يوصل إلى شيء منه وأنا حي فقالوا لحاك الله فارس قوم أشقيتنا حتى إذا هجمنا على الغنيمة الباردة فثأتنا عنها قال قلت إنه لا بد لكم من ذلك وأن تهبوها لي ولربيعة بن مكدم فقالوا وإنه لهو قلت نعم فردوها وسالمته فأمن حربي وأمنت حربه حتى هلك

وفي بعض هذه الأراجيز التي جرت بين عمرو بن معد يكرب وربيعة بن مكدم غناء نسبته وقد جمع شعراهما معا في لحن واحد وهو

صوت

(أنا ابن ذي التقليد في الشهر الأصمّ ... أنا ابن عبد الله قتّال البُهَمْ)
((أكرم من يمشي بساقٍ وقدم ... من يلقَنِي يودِ كما أودت إرَم
(أتركه لحماً على ظهرِ وَضَم ... كالليث إن همَّ بتقْصام قَصم)
(... مؤتمَنُ الغيب وفيٌّ بالذمم)

ذكر أحمد بن يحيى المكي أن الغناء في هذا الشعر لحنين - خفيف ثقيل - بإطلاق الوتر في مجرى البنصر وذكر الهشامي أنه لابن سرجيس الملقب بقراريط
حدثتني قمرية العمرية جارية عمرو بن بانة أنها أخذت عن أحمد بن العلاء هذا اللحن فقال لها انظري أي صوت أخذت فوالله لقد أخذته عن مخارق فلما استوى لي قال لي مخارق انظر أي صوت أخذت فوالله لقد أخذته عن يحيى المكي فلما غنيته الرشيد أطربه فوهب ليحيى عشرة آلاف درهم
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسن الأحول عن الطرسوسي عن ابن الأعرابي قال أجود بيت وصفت به الطعنة قول أهبان بن عادياء قاتل ربيعة بن مكدم حيث يقول

(ولقد طعنتُ ربيعة بن مكدمٍ ... يوم الكديد فخرّ غير موسَّدِ)
(في ناقع شرَقت بما في جوفه ... منه بأحمر كالعقيق المجسَد)

صوت

(! أدركتِ ما منيتُ نفسي خالياً ... لله درك يابنة النعمانِ)
(إني لِحَلْفِك بالصليبِ مصدق ... والصُّلْب أصدق حَلْفةِ الرهبان)
(ولقد رددتِ على المغيرةِ ذهنه ... إن الملوك بطيئة الإذعان)
(يا هند حسبكِ قد صدقتِ فأمسِكِي ... والصدق خير مقالة الإنسان)

الشعر للمغيرة بن شعبة الثقفي يقوله في هند بنت النعمان بن المنذر وقد خطبها فردته وخبره في ذلك وغيره يذكر هاهنا إن شاء الله والغناء لحنين ثاني - ثقيل - بالبنصر عن الهشامي وإبراهيم

أخبار المغيرة بن شعبة ونسبه

هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسي وهو ثقيف ويكنى أبا عبد الله وكان يكنى أبا عيسى فغيرها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكناه أبا عبد الله وأمه أسماء بنت الأفقم بن أبي عمرو بن ظويلم بن جعيل بن عمرو بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن
وكان المغيرة بن شعبة من دهاة العرب وحزمتها وذوي الرأي منها والحيل الثاقبة وكان يقال له في الجاهلية والإسلام مغيرة الرأي وكان يقال ما اعتلج في صدر المغيرة أمران إلا اختار أحزمهما
وصحب النبي وشهد معه الحديبية وما بعدها وبعثه أبو بكر رضي الله عنه إلى أهل النجير وشهد فتح اليمامة وفتوح الشام وكان أعور أصيبت عينه في يوم اليرموك وشهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص فلما أراد مراسلة رستم لم يجد في العرب أدهى منه ولا أعقل فبعث به إليه وكان السفير بينهما حتى وقعت الحرب
وولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عدة ولايات إحداها البصرة
ففتح وهو واليها ميسان ودست ميسان وأبرقباذ وقاتل الفرس بالمرغاب فهزمهم ونهض إلى من كان بسوق الأهواز فقاتلهم وهزمهم وفتحها وانحازوا إلى نهر تيرى ومناذر الكبرى فزحف إليهم فقاتلهم وهزمهم وفتحها وخرج إلى المشرق مع النعمان بن المقرن وكان المغيرة على ميسرته وكان عمر قد عهد إن هلك النعمان فالأمير حذيفة فإن هلك حذيفة فالأمير المغيرة بن شعبة
ولما فتحت نهاوند سار المغيرة في جيش إلى همذان ففتحها
وولاه عمر رضي الله عنه بعد ذلك الكوفة فقتل عمر وهو واليها وولاه أيضا إياها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فكان عليها إلى أن مات بها
وهو أول من وضع ديوان الإعطاء بالبصرة ورتب الناس فيه فأعطاهم على الديوان ثم صار ذلك رسما لهم بعد ذلك يحتذونه

إسلامه

قال محمد بن سعد كاتب الواقدي أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني محمد بن سعيد الثقفي وعبد الرحمن بن عبد العزيز وعبد الملك بن عيسى الثقفي وعبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى بن كعب ومحمد بن يعقوب بن عتبة عن أبيه وغيرهم قالوا قال المغيرة بن شعبة
كنا قوما من العرب متمسكين بديننا ونحن سدنة اللات فأراني لو رأيت قوما قد أسلموا ما تبعتهم فأجمع نفر من بني مالك الوفود على المقوقس وأهدوا له هدايا فأجمعت الخروج معهم فاستشرت عمي عروة بن مسعود فنهاني وقال لي ليس معك من بني أبيك أحد فأبيت
إلا الخروج وخرجت معهم وليس معهم أحد من الأحلاف غيري حتى دخلنا الإسكندرية فإذا المقوقس في مجلس مطل

على البحر فركبت قاربا حتى حاذيت مجلسه فنظر إلي فأنكرني وأمر من يسائلني ما أنا وما أريد فسألني المأمور فأخبرته بأمرنا وقدومنا عليه فأمر بنا أن ننزل في الكنيسة وأجرى علينا ضيافة ثم دعا بنا فنظر إلى رأس بني مالك فأدناه إليه وأجلسه معه ثم سأله أكل القوم من بني مالك فقال نعم إلا رجلا واحدا من الأحلاف فعرفه إياي فكنت أهون القوم عليه ووضعوا هداياهم بين يديه فسر بها وأمر بقبضها وأمر لهم بجوائز وفضل بعضهم على بعض وقصر بي فأعطاني شيئا قليلا لا ذكر له

وخرجنا فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم وهم مسرورون ولم يعرض علي أحد منهم مواساة وخرجوا وحملوا معهم خمرا فكانوا يشربون منها وأشرب معهم ونفسي تأبى أن تدعني معهم وقلت ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا وما حباهم به الملك ويخبرون قومي بتقصيره بي وازدرائه إياي فأجمعت على قتلهم فقلت أنا أجد صداعا فوضعوا شرابهم ودعوني فقلت رأسي يصدع ولكني أجلس وأسقيكم فلم ينكروا شيئا وجلست أسقيهم وأشرب القدح بعد القدح فلما دبت الكأس فيهم اشتهوا الشراب فجعلت أصرف لهم وأترع الكأس فيشربون ولا يدرون فأهمدتهم الكأس حتى ناموا ما يعقلون فوثبت إليهم فقتلتهم جميعا وأخذت جميع ما كان معهم

فقدمت على النبي فوجدته جالسا في المسجد مع أصحابه وعلي ثياب السفر فسلمت بسلام الإسلام فنظر إلي أبو بكر بن أبي قحافة وكان بي عارفا فقال ابن أخي عروة قلت نعم جئت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقال رسول الله الحمد لله الذي هداك إلى الإسلام فقال أبو بكر رضي الله عنه أفمن مصر أقبلتم قلت نعم

قال فما فعل المالكيون الذين كانوا معك قلت كان بيني وبينهم بعض ما يكون بين العرب ونحن على دين الشرك فقتلتهم وأخذت أسلابهم وجئت بها إلى رسول الله ليخمسها ويرى فيها رأيه فإنما هي غنيمة من مشركين وأنا مسلم مصدق بمحمد فقال رسول الله أما إسلامك فنقبله ولا نأخذ من أموالهم شيئا ولا نخمسها لأن هذا غدر والغدر لا خير فيه

فأخذني ما قرب وما بعد وقلت يا رسول الله إنما قتلتهم وأنا على دين قومي ثم أسلمت حين دخلت عليك الساعة قال فإن الإسلام يجب ما كان قبله وكان قتل منهم ثلاثة عشر إنسانا فبلغ ذلك ثقيفا بالطائف فتداعوا للقتال ثم اصطلحوا على أن يحمل عمي عروة بن مسعود ثلاث عشرة دية

قال المغيرة وأقمت مع النبي حتى اعتمر عمرة الحديبية في ذي القعدة سنة ست من الهجرة فكانت أول سفرة خرجت معه فيها وكنت أكون مع أبي بكر وألزم النبي فيمن يلزم

وبعثت قريش عام الحديبية عروة بن مسعود إلى النبي فأتاه يكلمه وجعل يمس لحية رسول الله وأنا قائم على رأسه مقنع في الحديد فقلت لعروة وهو يمس لحية رسول الله اكفف يدك قبل ألا تصل إليك فقال عروة يا محمد من هذا ما أفظه وأغلظه فقال هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة فقال عروة يا عدو الله ما غسلت عني سوءتك إلا بالأمس يا غدر

أخبرني محمد بن خلف قال حدثني أحمد بن الهيثم الفراسي قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن مجالد عن الشعبي قال قال المغيرة بن شعبة

أول ما عرفني به العرب من الحزم والدهاء أني كنت في ركب من قومي في طريق لنا إلى الحيرة فقالوا لي قد اشتهينا الخمر وما معنا إلا

درهم زائف فقلت هاتوه وهلموا زقين فقالوا وما يكفيك لدرهم زائف زق واحد فقلت أعطوني ما طلبت وخلاكم ذم ففعلوا وهم يهزأون بي فصببت في أحد الزقين شيئا من ماء ثم جئت إلى خمار فقلت له كل لي ملء هذا الزق فملأه فأخرجت الدرهم الزائف فأعطيته إياه فقال لي ما هذا ويحك أمجنون أنت فقلت مالك قال إن ثمن هذا الزق عشرون درهما جيادا وهذا درهم زائف فقلت أنا رجل بدوي وظننت أن هذا يصلح كما ترى فإن صلح وإلا فخذ شرابك فاكتال مني ما كاله وبقي في زقي من الشراب بقدر ما كان فيه من الماء فأفرغته في الزق الآخر وحملتهما على ظهري وخرجت وصببت في الزق الأول ماء

ودخلت إلى خمار آخر فقلت إني أريد ملء هذا الزق خمرا فانظر إلى ما معي منه فإن كان عندك مثله فأعطني فنظر إليه وإنما أردت ألا يستريب بي إذا رددت الخمر عليه فلما رآه قال عندي أجود منه قلت هات فأخرج لي شرابا فاكتلته في الزق الذي فيه الماء ثم دفعت إليه الدرهم الزائف فقال لي مثل قول صاحبه فقلت خذ خمرك فأخذ ما كان كاله لي وهو يرى أني خلطته بالشراب الذي أريته إياه وخرجت فجعلته مع الخمر الأول

ولم أزل أفعل ذلك بكل خمار في الحيرة حتى ملأت زقي الأول وبعض الآخر ثم رجعت إلى أصحابي فوضعت الزقين بين أيديهم

ورددت درهمهم فقالوا لي ويحك أي شيء صنعت فحدثتهم فجعلوا يعجبون وشاع لي الذكر في العرب بالدهاء حتى اليوم

قال محمد بن سعد أخبرنا محمد بن معاوية النيسابوري قال حدثنا داود بن خالد عن العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس قال

أول من خضب بالسواد المغيرة بن شعبة خرج على الناس وكان عهدهم به أبيض الشعر فعجب الناس منه

قال محمد وأخبرني شهاب بن عباد قال حدثنا إبراهيم بن حميد الرواسي عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي خازم عن المغيرة بن شعبة قال

كنت جالسا عند أبي بكر إذ عرض عليه فرس له فقال له رجل من الأنصار احملني عليها فقال أبو بكر لأن أحمل عليها غلاما قد ركب الخيل على غرلته أحب إلي من أن أحملك عليها فقال له الأنصاري أنا خير منك ومن أبيك قال المغيرة فغضبت لما قال ذلك لأبي بكر رضي الله عنه فقمت إليه فأخذت برأسه فركبته وسقط على أنفه فكأنما كان عزالي مزادة فتوعدني الأنصار أن يستقيدوا مني فبلغ ذلك أبا بكر فقام فقال أما بعد فقد بلغني عن رجال منكم زعموا أني مقيدهم من المغيرة ووالله لأن أخرجهم من دارهم أقرب إليهم من أن أقيدهم من وزعة الله الذين يزعون إليه

يخطب هند ابنة التسعين عاما

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن سلام الجمحي قال حدثنا حسان بن العلاء الرياحي عن أبيه عن الشعبي قال

ركب المغيرة بن شعبة إلى هند بنت النعمان بن المنذر وهي بدير هند متنصرة عمياء بنت تسعين سنة فقالت له من أنت قال أنا المغيرة بن شعبة قالت أنت عامل هذه المدرة تعني الكوفة قال نعم قالت فما حاجتك قال جئتك خاطبا إليك نفسك قالت أما والله لو كنت جئت تبغي جمالا أو دينا أو حسبا لزوجناك ولكنك أردت أن تجلس في موسم من مواسم العرب فتقول تزوجت بنت النعمان بن المنذر وهذا والصليب أمر لا يكون أبدا أو ما يكفيك فخرا أن تكون في ملك النعمان

وبلاده تدبرهما كما تريد وبكت
فقال لها أي العرب كان أحب إلى أبيك قالت ربيعة قال فأين كان يجعل قيسا قالت ما كان يستعتبهم من طاعة قال فأين كان يجعل ثقيفا قالت رويدا لا تعجل بينا أنا ذات يوم جالسة في خدر لي إلى جنب أبي إذ دخل عليه رجلان أحدهما من هوازن والآخر من بني مازن كل
واحد منهما يقول إن ثقيفا منا فأنشأ أبي يقول
(إن ثقيفاً لم يكن هوازنا ... ولم يناسب عامراً ومازنا)
(... إلا قريباً فانشرِ المحاسِنا)
فخرج المغيرة وهو يقول
(! أدركتِ ما منيتُ نفسيَ خالياً ... لله درك يابنة النعمانِ)
وذكر الأبيات التي مضت وذكرت الغناء فيها
أخبرني محمد بن خلف قال أخبرنا الحارث بن محمد قال قال أبو عبيدة قال العلاء بن جرير العنبري
بينا حسان بن ثابت ذات يوم جالس بالخيف من منى وهو يومئذ مكفوف إذ زفر زفرة ثم أنشأ يقول
(وكأن حافرها بكل خميلةٍ ... صاع يكيل به شحيح معدِمُ)
(عاري الأشاجع من ثقيفٍ أصله ... عبد ويزعم أنه مِنْ يَقْدُمُ)
قال والمغيرة بن شعبة يسمع ما يقول فبعث إليه بخمسة آلاف درهم فلما أتاه بها الرسول قال من بعث بهذه قال المغيرة بن شعبة سمع ما قلت فقال واسوأتاه وقبلها
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل
العتكي قال حدثنا محمد بن سلام الجمحي قال
أحصن المغيرة بن شعبة إلى أن مات ثمانين امرأة فيهن ثلاث بنات لأبي سفيان بن حرب وفيهن حفصة بنت سعد بن أبي وقاص وهي أم ابنه حمزة بن المغيرة وعائشة بنت جرير بن عبد الله
وقال أبو اليقظان
صلى المغيرة بالناس سنة أربعين في العام الذي قتل فيه علي بن أبي طالب عليه السلام فجعل يوم الأضحى يوم عرفة أظنه خاف أن يعزل فسبق ذلك فقال الراجز
(سِيري رُويداً وابتغي المغيرهْ ... كلفتُها الإدلاجَ بالظهيرة)
قال وكان المغيرة مطلاقا فكان إذا اجتمع عنده أربع نسوة قال إنكن لطويلات الأعناق كريمات الأخلاق ولكني رجل مطلاق فاعتددن
وكان يقول النساء أربع والرجال أربعة رجل مذكر وامرأة مؤنثة فهو قوام عليها ورجل مؤنث وامرأة مذكرة فهي قوامة عليه ورجل مذكر وامرأة مذكرة فهما كالوعلين ينتطحان ورجل مؤنث وامرأة مؤنثة فهما لا يأتيان بخير ولا يفلحان
المغيرة يتزوج تسعا وثمانين امرأة
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا أبو هلال عن مطير الوراق قال قال المغيرة بن شعبة
نكحت تسعا وثمانين امرأة أو قال أكثر من ثمانين امرأة فما أمسكت
امرأة منهن على حب أمسكها لودها ولحسبها ولكذا ولكذا
قال أبو زيد وبلغني أنهم ذكروا النساء عند المغيرة بن شعبة فقال أنا أعلمكم بهن تزوجت ثلاثا وتسعين امرأة منهن سبعون بكرا فوجدت اليمانية كثوبك أخذت بجانبه فاتبعك بقيته ووجدت الربعية أمتك أمرتها فأطاعتك ووجدت المضرية قرنا ساورته فغلبته أو غلبك
حدثنا ابن عمار قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو عاصم قال رأى المغيرة امرأة له تخلل بعد صلاة الصبح فطلقها فقالت علام طلقتني قيل رآك تخللين فظن أنك أكلت فقالت أبعده الله والله ما أتخلل إلا من السواك
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني موسى بن إسماعيل قال حدثنا حماد بن سلمة عن زيد بن أسلم
أن رجلا جاء فنادى يستأذن لأبي عيسى على أمير المؤمنين فقال عمر أيكم أبو عيسى قال المغيرة بن شعبة أنا فقال له عمر هل لعيسى من أب أما يكفيكم معاشر العرب أن تكتنوا بأبي عبد الله وأبي عبد الرحمن
فقال له رجل من القوم أشهد أن النبي كناه بها فقال له عمر إن النبي قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأنا لا أدري ما يفعل بي فكناه أبا عبد الله
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال حدثني عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ قال كان الجمال بالكوفة ينتهي إلى أربعة نفر المغيرة بن شعبة وجرير بن عبد الله والأشعث بن قيس وحجر بن عدي وكلهم كان أعور فكان المغيرة والأشعث وجرير يوما متواقفين بالكوفة بالكناسة فطلع عليهم أعرابي فقال لهم المغيرة دعوني أحركه قالوا لا تفعل فإن للأعراب جوابا يؤثر قال لا بد قالوا فأنت أعلم قال له يا أعرابي هل تعرف المغيرة بن شعبة قال نعم أعرفه أعور زانيا فوجم ثم تجلد فقال هل تعرف الأشعث بن قيس قال نعم ذاك رجل لا يعرى قومه قال وكيف ذاك قال لأنه حائك ابن حائك قال فهل تعرف جرير بن عبد الله قال وكيف لا أعرف رجلا لولاه ما عرفت عشيرته قالوا له قبحك الله فإنك شر جليس فهل تحب أن نوقر لك بعيرك هذا مالا وتموت أكرم العرب قال فمن يبلغه أهلي إذن فانصرفوا عنه وتركوه
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني أبو سعيد السكري قال حدثنا محمد بن أبي السري واسم أبي السري سهل بن سلام الأزدي قال حدثني هشام بن محمد قال أخبرنا عوانة بن الحكم قال
خرج المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يومئذ ومعه الهيثم بن الأسود النخعي بعد غب مطر يسير بظهر الكوفة والحوف فلقي ابن لسان الحمرة أحد بني تيم الله بن ثعلبة وهو لا يعرف المغيرة فقال له المغيرة من أين أقبلت يا أعرابي قال من السماوة قال فكيف تركت الأرض خلفك قال عريضة أريضة قال وكيف كان المطر قال عفى الأثر وملأ الحفر قال ممن أنت قال من بكر بن وائل قال فكيف علمك بهم قال إن جهلتهم لم أعرف غيرهم قال فما تقول في بني شيبان قال سادتنا وسادة غيرنا قال فما تقول في بني ذهل قال سادة نوكى قال فقيس بن ثعلبة قال إن جاورتهم سرقوك وإن

ائتمنتهم خانوك قال فبنو تيم الله بن ثعلبة قال رعاء البقر وعراقيب الكلاب قال فما تقول في بني يشكر قال صريح تحسبه مولى قال هشام لأن في ألوانهم حمرة قال فعجل قال أحلاس الخيل قال فحنيفة قال يطعمون الطعام ويضربون الهام قال فعنزة قال لا تلتقي بهم الشفتان لؤما قال فضبيعة أضجم قال جدعا وعقرا قال فأخبرني عن النساء قال النساء أربع ربيع مربع وجميع تجمع وشيطان سمعمع وغل لا يخلع قال فسر قال أما الربيع المربع فالتي إذا نظرت إليها سرتك وإذا أقسمت عليها أبرتك وأما التي هي جميع تجمع فالمرأة تتزوجها ولها نشب فتجمع نشبك إلى نشبها وأما الشيطان السمعمع فالكالحة في وجهك إذا دخلت والمولولة في أثرك إذا خرجت وأما الغل الذي لا يخلع فبنت عمك السوداء القصيرة الفوهاء الدميمة التي قد نثرت لك بطنها إن طلقتها ضاع ولدك وإن أمسكتها فعلى جدع أنفك فقال له المغيرة بل أنفك ثم قال له ما تقول في أميرك المغيرة بن شعبة قال أعور زناء فقال الهيثم فض الله فاك ويلك هذا الأمير المغيرة فقال إنها كلمة والله تقال فانطلق به المغيرة إلى منزله وعنده يومئذ أربع نسوة وستون أو سبعون أمة قال له ويحك هل يزني الحر وعنده مثل هؤلاء ثم قال لهن المغيرة ارمين إليه بحلاكن ففعلن
فخرج الأعرابي بملء كسائه ذهبا وفضة

يغش علي ويخدع مصقلة الشيباني

أخبرني عبيد الله بن محمد قال حدثنا الخراز عن المدائني عن أبي مخنف وأخبرني أحمد بن عيسى العجلي قال حدثنا الحسن بن نصر قال حدثني أبي نصر بن مزاحم قال حدثنا عمر بن سعد عن أبي مخنف عن رجاله
أن المغيرة بن شعبة جاء إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له اكتب إلى معاوية فوله الشام ومره بأخذ البيعة لك فإنك إن لم تفعل وأردت عزله حاربك فقال علي عليه السلام (ما كنت متخذ المضلين عضدا) فانصرف المغيرة وتركه فلما كان من غد جاءه فقال إني فكرت فيما أشرت به عليك أمس فوجدته خطأ ووجدت رأيك أصوب فقال له علي لم يخف علي ما أردت قد نصحتني في الأولى وغششتني في الآخرة ولكني والله لا آتي أمرا أجد فيه فسادا لديني طلبا لصلاح دنياي فانصرف المغيرة
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني إبراهيم بن سعيد بن شاهين قال حدثني محمد بن يونس الشيرازي قال حدثني محمد بن غسان الضبي قال حدثني زاجر بن عبد الله الثقفي مولى الحجاج بن يوسف قال
كان بين المغيرة بن شعبة وبين مصقلة بن هبيرة الشيباني تنازع
فضرع له المغيرة وتواضع في كلامه حتى طمع فيه مصقلة واستعلى عليه فشتمه فقدمه المغيرة إلى شريح وهو القاضي يومئذ فأقام عليه البينة فضربه الحد فآلى مصقلة ألا يقيم ببلدة فيها المغيرة بن شعبة ما دام حيا وخرج إلى بني شيبان فنزل فيهم إلى أن مات المغيرة ثم دخل الكوفة فتلقاه قومه وسلموا عليه فما فرغ من التسليم حتى سألهم عن مقابر ثقيف فأرشدوه إليها فجعل قوم من مواليه يلتقطون له الحجارة فقال ما هذا قالوا ظننا أنك تريد أن ترجم قبره فقال ألقوا ما في أيديكم فألقوه وانطلق حتى وقف على قبره ثم قال والله لقد كنت نافعا لصديقك ضائرا لعدوك وما مثلك إلا كما قال مهلهل في أخيه كليب
(إن تحت الأحجار حزماً وعزماً ... وخَصيماً ألدّ ذا مِعلاق)
(حيةٌ في الوجار أربدُ لا ينْفع ... منه السليمَ نفثُ الراقي)
وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المرزبان عن أحمد بن القاسم عن العمري عن الهيثم بن عدي عن مجالد عن الشعبي
أن مصقلة قال له والله إني لأعرف شبهي في عروة ابنك فأشهد عليه بذلك وجلده الحد وذكر باقي الخبر مثل الذي قبله
عمر لا ينخدع
أخبرني محمد بن عبد الله الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن
المدائني عن مسلمة بن محارب قال
قال رجل من قريش لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه ألا تتزوج أم كلثوم بنت أبي بكر فتحفظه بعد وفاته وتخلفه في أهله فقال عمر بلى إني لأحب ذاك فاذهب إلى عائشة فاذكر لها ذلك وعد إلي بجوابها فمضى الرسول إلى عائشة فأخبرها بما قال عمر فأجابته إلى ذلك وقالت له حبا وكرامة ودخل إليها بعقب ذلك المغيرة بن شعبة فرآها مهمومة فقال لها مالك يا أم المؤمنين فأخبرته برسالة عمر وقالت إن هذه جارية حدثة وأردت لها ألين عيشا من عمر فقال لها علي أن أكفيك وخرج من عندها فدخل على عمر فقال بالرفاء والبنين قد بلغني ما أتيته من صلة أبي بكر في أهله وخطبتك أم كلثوم فقال قد كان ذاك قال إلا أنك يا أمير المؤمنين رجل شديد الخلق على أهلك وهذه صبية حديثة السن فلا تزال تنكر عليها الشيء فتضربها فتصيح يا أبتاه فيغمك ذلك وتتألم له عائشة ويذكرون أبا بكر فيبكون عليه فتجدد لهم المصيبة به مع قرب عهدها في كل يوم فقال له متى كنت عند عائشة واصدقني فقال آنفا فقال عمر أشهد أنهم كرهوني فتضمنت لهم أن تصرفني عما طلبت وقد أعفيتهم فعاد إلى عائشة فأخبرها بالخبر وأمسك عمر عن معاودتها

المغيرة يزني وأبو بكرة يشهد عليه

حدثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا علي بن محمد النوفلي عن محمد بن
سليمان الباقلاني عن قتادة عن غنيم بن قيس قال
كان المغيرة بن شعبة يختلف إلى امرأة من ثقيف يقال لها الرقطاء فلقيه أبو بكرة فقال له أين تريد قال أزور آل فلان فأخذ بتلابيبه وقال إن الأمير يزار ولا يزور
وحدثنا بخبره لما شهد عليه الشهود عند عمر رضي الله عنه أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز قالا حدثنا عمر بن شبة فرواه عن جماعة من رجاله بحكايات متفرقة
قال عمر بن شبة حدثني أبو بكر العليمي قال أخبرنا هشام عن عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن عن أبيه عن أبي بكرة
قال عمر بن شبة وحدثنا عمرو بن عاصم قال حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن يزيد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة
قال أبو زيد عمر بن شبة وحدثنا علي بن محمد بن حباب بن موسى عن مجالد عن الشعبي
قال وحدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري قال حدثنا عوف عن قسامة بن زهير
قال أبو زيد عمر بن شبة قال الواقدي حدثنا عبد الرحمن بن محمد ابن أبي بكرة عن أبيه عن مالك بن أوس بن الحدثان
قال وحدثني محمد بن الجهم عن علي بن أبي هاشم عن إسماعيل بن أبي عبلة عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس

بن مالك
أن المغيرة بن شعبة كان يخرج من دار الإمارة وسط النهار وكان أبو بكرة يلقاه فيقول له أين يذهب الأمير فيقول آتي حاجة فيقول له حاجة ماذا إن الأمير يزار ولا يزور
قال وكانت المرأة التي يأتيها جارة لأبي بكرة قال فبينا أبو بكرة في غرفة له مع أصحابه وأخويه نافع وزياد ورجل آخر يقال له شبل بن معبد وكانت غرفة جارته تلك بحذاء غرفة أبي بكرة فضربت الريح باب المرأة ففتحته فنظر القوم فإذا هم بالمغيرة ينكحها فقال أبو بكرة هذه بلية ابتليتم بها فانظروا فنظروا حتى أثبتوا فنزل أبو بكرة فجلس حتى خرج عليه المغيرة من بيت المرأة فقال له إنه قد كان من أمرك ما قد علمت فاعتزلنا قال وذهب ليصلي بالناس الظهر فمنعه أبو بكرة وقال له لا والله لا تصلي بنا وقد فعلت ما فعلت فقال الناس دعوه فليصل فإنه الأمير واكتبوا بذلكم إلى عمر فكتبوا إليه فورد كتابه بأن يقدموا عليه جميعا المغيرة والشهود
وقال المدائني في حديثه عن حباب بن موسى وبعث عمر بأبي موسى الأشعري على البصرة وعزم عليه ألا يضع كتابه من يده حتى يرحل المغيرة بن شعبة قال قال علي بن أبي هاشم في حديثه إن أبا موسى قال لعمر لما أمره أن يرحله من وقته أو خير من ذلك يا أمير المؤمنين نتركه يتجهز ثلاثا ثم يخرج قال فصلينا صلاة الغداة بظهر المربد ودخلنا المسجد فإذا هم يصلون الرجال والنساء مختلطين فدخل رجل على المغيرة فقال له
إني رأيت أبا موسى في جانب المسجد عليه برنس فقال له المغيرة ما جاء زائرا ولا تاجرا فدخلنا عليه ومعه صحيفة ملء يده فلما رآنا قال الأمير فأعطاه أبو موسى الكتاب فلما قرأه ذهب يتحرك عن سريره فقال أبو موسى مكانك تجهز ثلاثا وقال الآخرون إن أبا موسى أمره أن يرحل من وقته فقال له المغيرة لقد علمت ما وجهت فيه فألا تقدمت فصليت فقال له أبو موسى ما أنا وأنت في هذا الأمر إلا سواء فقال له المغيرة فإني أحب أن أقيم ثلاثا لأتجهز فقال قد عزم علي أمير المؤمنين ألا أضع عهدي من يدي إذا قرأته عليك حتى أرحلك إليه قال إن شئت شفعتني وأبررت قسم أمير المؤمنين قال وكيف قال تؤجلني إلى الظهر وتمسك الكتاب في يدك قالوا فقد رئي أبو موسى يمشي مقبلا ومدبرا وإن الكتاب لفي يده معلقا بخيط فتجهز المغيرة وبعث إلى أبي موسى بعقيلة جارية عربية من سبي اليمامة من بني حنيفة ويقال إنها مولدة الطائف ومعها خادم لها وسار المغيرة حين صلى الظهر حتى قدم على عمر وقال في حديث محمد بن عبد الله الأنصاري فلما قدم على عمر قال له إنه قد شهد عليك بامر إن كان حقا لأن تكون مت قبل ذلك كان خيرا لك
قال أبو زيد وحدثني الحكم بن موسى قال حدثنا يحيى بن حمزة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري عن مصعب بن سعد
أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جلس ودعا المغيرة والشهود فتقدم
أبو بكرة فقال له أرأيته بين فخذيها قال نعم والله لكأني أنظر إلى تشريم جدري بفخذيها فقال له المغيرة لقد ألطفت النظر فقال له لم آل أن أثبت ما يخزيك الله به فقال له عمر لا والله حتى تشهد لقد رأيته يلج فيه كما يلج المرود في المكحلة فقال نعم أشهد على ذلك فقال له اذهب عنك مغيرة ذهب ربعك
ثم دعا نافعا فقال له علام تشهد قال على مثل شهادة أبي بكرة قال لا حتى تشهد أنه كان يلج فيه ولوج المرود في المكحلة فقال نعم حتى بلغ قذذه فقال اذهب عنك مغيرة ذهب نصفك ثم دعا الثالث فقال علام تشهد فقال على مثل شهادة صاحبي فقال له علي بن أبي طالب عليه السلام اذهب عنك مغيرة ذهب ثلاثة أرباعك قال حتى مكث يبكي إلى المهاجرين فبكوا وبكى إلى أمهات المؤمنين حتى بكين معه وحتى لا يجالس هؤلاء الثلاثة أحد من أهل المدينة قال ثم كتب إلى زياد فقدم على عمر فلما رآه جلس له في المسجد واجتمع إليه رؤوس المهاجرين والأنصار قال المغيرة ومعي كلمة قد رفعتها لأكلم القوم قال فلما رآه عمر مقبلا قال إني لأرى رجلا لن يخزي الله على لسانه رجلا من المهاجرين
قال أبو زيد وحدثنا عفان قال حدثنا السري بن يحيى قال حدثنا عبد الكريم بن رشيد عن أبي عثمان النهدي قال
لما شهد عند عمر الشاهد الأول على المغيرة تغير لذلك لون عمر ثم جاء آخر فشهد فانكسر لذلك انكسارا شديدا ثم جاء رجل شاب يخطر بين يديه فرفع عمر رأسه إليه وقال له ما عندك يا سلح العقاب وصاح أبو
عثمان صيحة تحكي صيحة عمر قال عبد الكريم لقد كدت أن يغشى علي
وقال آخرون قال المغيرة فقمت إلى زياد فقلت له لا مخبأ لعطر بعد عروس ثم قلت يا زياد اذكر الله واذكر موقف يوم القيامة فإن الله وكتابه ورسوله وأمير المؤمنين قد حقنوا دمي إلا أن تتجاوز إلى ما لم تر مما رأيت فلا يحملك شر منظر رأيته على أن تتجاوزه إلى ما لم تر فوالله لو كنت بين بطني وبطنها ما رأيت أين سلك ذكري منها قال فترنقت عيناه واحمر وجهه وقال يا أمير المؤمنين أما أن أحق ما حق القوم فليس ذلك عندي ولكني رأيت مجلسا قبيحا وسمعت نفسا حثيثا وانبهارا ورأيته متبطنها فقال له أرأيته يدخله كالميل في المكحلة فقال لا
وقال غير هؤلاء إن زيادا قال له رأيته رافعا برجليها ورأيت خصيتيه تترددان بين فخذيها ورأيت حفزا شديدا وسمعت نفسا عاليا فقال له أرأيته يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة فقال لا فقال عمر الله أكبر قم إليهم فاضربهم فقام إلى أبي بكرة فضربه ثمانين وضرب الباقين وأعجبه قول زياد ودرأ عن المغيرة الرجم فقال أبو بكرة بعد أن ضرب فإني أشهد أن المغيرة فعل كذا وكذا فهم عمر بضربه فقال له علي عليه السلام إن ضربته رجمت صاحبك ونهاه عن ذلك
قال يعني أنه إن ضربه جعل شهادته بشهادتين فوجب بذلك الرجم على المغيرة
قال واستتاب عمر أبا بكرة فقال إنما تستتيبني لتقبل شهادتي قال أجل قال لا أشهد بين اثنين ما بقيت في الدنيا قال فلما ضربوا
الحد قال المغيرة الله أكبر الحمد لله الذي أخزاكم فقال له عمر اسكت أخزى الله مكانا رأوك فيه قال وأقام أبو بكرة على قوله وكان يقول والله ما أنسى رقط فخذيها قال وتاب الاثنان فقبلت شهادتهما قال وكان أبو بكرة بعد ذلك إذا دعي إلى شهادة يقول اطلب غيري فإن زيادا قد أفسد علي شهادتي
قال أبو زيد وحدثني سليمان بن داود بن علي قال حدثني إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال
لما ضرب أبو بكرة أمرت أمه بشاة فذبحت وجعلت جلدها على ظهره قال فكان أبي يقول ما ذاك إلا من ضرب شديد
حدثنا ابن عمار والجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا علي بن محمد عن يحيى بن زكريا عن مجالد عن الشعبي قال
كانت أم جميل بنت عمر التي رمي بها المغيرة بن شعبة بالكوفة تختلف إلى المغيرة في حوائجها فيقضيها لها قال

ووافقت عمر بالموسم والمغيرة هناك فقال له عمر أتعرف هذه قال نعم هذه أم كلثوم بنت علي فقال له عمر أتتجاهل علي والله ما أظن أبا بكرة كذب عليك وما رأيتك إلا خفت أن أرمى بحجارة من السماء
حدثني أحمد بن الجعد قال حدثنا محمد بن عباد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر قال
قال علي بن أبي طالب عليه السلام لئن لم ينته المغيرة لأتبعنه أحجاره وقال غيره لئن أخذت المغيرة لأتبعنه أحجاره
أخبرني ابن عمار والجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا المدائني قال
قال حسان بن ثابت يهجو المغيرة بن شعبة في هذه القصة
(لوَ إن اللؤم ينسب كان عبداً ... قبيح الوجه أعور من ثقيفِ)
(تركتَ الدين والإسلام لما ... بدت لك غُدوةً ذاتُ النَّصيف)
(وراجعت الصِّبا وذكرت عهداً ... من القَينات والغمز اللطيف)
أخبرني الجوهري وابن عمار قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا المدائني عن عبد الله بن سلم الفهري قال
لما شخص المغيرة إلى عمر رأى في طريقه جارية فأعجبته فخطبها إلى أبيها فقال له أنت على هذه الحال قال وما عليك إن أعف فهو الذي تريد وإن أقتل ترثني فزوجه
قال أبو زيد قال الواقدي تزوجها بالرقم وهي امرأة من بني مرة فلما قدم بها على عمر قال إنك لفارغ القلب طويل الشبق
وقال محمد بن سعد أخبرني محمد بن عبد الله الأسدي قال حدثنا مسعر عن زياد بن علاقة قال
سمعت جرير بن عبد الله حين مات المغيرة بن شعبة يقول استغفروا لأميركم هذا فإنه كان يحب العافية
قال وكان المغيرة أصهب الشعر جدا أكشف يفرق رأسه
قرونا أربعة أقلص الشفتين مهتوما ضخم الهامة عبل الذراعين بعيد ما بين المنكبين
قال وقال الواقدي حدثني محمد بن موسى الثقفي عن أبيه قال
مات المغيرة بن شعبة بالكوفة سنة خمسين في خلافة معاوية وهو ابن سبعين سنة وكان رجلا طوالا أعور أصيبت عينه يوم اليرموك

صوت

(جِنية ولها جِن يعلمها ... رمي القلوب بقوس ما لها وترُ)
(إن كان ذا قدَراً يعطيكِ نافلة ... منا ويحرمنا ما أنصف القدر)
الشعر لمحمد بن بشير الخارجي والغناء لإبراهيم - هزج - بالبنصر عن الهشامي

أخبار محمد بن بشير الخارجي ونسبه

هو محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن أسعد بن حبيب بن سنان بن عدي بن عوف بن بكر بن يشكر بن عدوان الخارجي من بني خارجة بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر ويقال لعدوان وفهم ابنا جديلة نسبا إلى أمهما جديلة بنت مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ويكنى محمد بن بشير أبا سليمان شاعر فصيح حجازي مطبوع من شعراء الدولة الأموية وكان منقطعا إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة القرشي أحد بني أسد بن عبد العزى وهو جد ولد عبد الله بن الحسن بن الحسن لأمهم هند بنت أبي عبيدة بن زمعة القرشي ولدت لعبد الله محمدا وإبراهيم وموسى وكانت لمحمد بن بشير فيه مدائح ومراث مختارة وهي عيون شعره وكان يبدو في أكثر زمانه ويقيم في بوادي المدينة ولا يكاد يحضر مع الناس
أخبرني بقطعة من أخباره الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني مصعب الزبيري قال أحمد وحدثنا الزبير بن بكار قال حدثني سليمان بن عياش السعدي وعمي مصعب وحدثني بقطعة أخرى منها عيسى بن الحسن الوراق عن الزبير عن سليمان بن عياش وقد ذكرت كل ذلك في مواضعه

عائشة بنت يحيى تأبى أن تتزوجه

قال ابن أبي خيثمة في روايته عن مصعب وعن الزبير عن سليمان بن عياش
كان الخارجي واسمه محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن سعد بن حبيب بن سنان بن عدي بن عوف بن بكر شاعرا فصيحا ويكنى أبا سليمان فقدم البصرة في طلب ميراث له بها فخطب عائشة بنت يحيى بن يعمر الخارجية من خارجة عدوان فأبت أن تتزوجه إلا أن يقيم معها بالبصرة ويترك الحجاز ويكون أمرها في الفرقة إليها فأبى أن يفعل وقال في ذلك
(أرق الحزينُ وعاده سُهُدهْ ... لطوارق الهم التي تَرِدهْ)
(وذكرتُ من لانت له كبدي ... فأبى فليس تلين لي كبده)
(ونأى فليس بنازل بلدي ... أبدا وليس بمُصلِحي بلده)
(فصُدِعت حين أبى مودتَه ... صَدْعَ الزجاجة دائم أبده)
(وعرفت أن الطير قد صدقت ... يوم الكِدانة شرَّ ما تَعِده)
(فاصبر فإن لكل ذي أجل ... يوماً يجيء فينقضي عدده)
(ماذا تعاتب من زمانك إذ ... ظعن الحبيب وحل بي كمَدُهُ)
قالا وخاطب أباها يحيى بن يعمر في ذلك فقال له إنها امرأة برزة عاقلة لا يفتات على مثلها بأمرها وما عندها عنك من رغبة ولكنها امرأة في خلقها شدة ولها غيرة وقد بلغني أن لك زوجتين وما أراها تصبر على أن تكون ثالثة لهما فانظر في أمرك وشاور فيه فإما أن أقمت بالبصرة معها فعفت لك عن صاحبتيك إذ لا مجاورة بينهما وبينها ولا عشرة وإن شئت فارقتهما وأخرجها معك فصار إلى رحله مغموما وشاور ابن عم له يقال له وراد بن عمرو في ذلك فقال له إن في يحيى بن يعمر لرغبة لثروته وكثرة ماله وما ذكرته من جمال ابنته وما نحب أن تفارق زوجتيك وكانت إحداهما ابنة عمه والأخرى من أشجع فتقيم معها السنة بالبصرة ونمضي نحن فإن رغبت فيها تمسكت بها وأقمت بمكانك وإن رغبت في العود إلى بلدك كتبت إلينا فجئناك حتى تنصرف معنا إلى بلدك ففكر ليلة أجمع في ذلك ثم غدا عازما على الرجوع إلى الحجاز وقال
(لئن أقمتُ بحيث الفيضُ في رجب ... حتى أُهِلَّ به من قابلٍ رَجَبَا)
(وراح في السَّفْر ورّاد فهيجني ... ان الغريب إذا هيجته طربا)
(إن الغريب يَهيج الحزنُ صبْوته ... إذا المصاحب حياه وقد ركبا)
(قد قلت أمس لوراد وصاحبه ... عُوجا على الخارجيّ اليوم واحتسِبا)
(وأبلغا أم سعد أنّ عانيها ... أعيا على شفعاء الناس فاجتنبا)

(لما رأيت نجِيَّ القوم قلت لهم ... هل يعدُوَنَّ نجيُّ القوم ما كُتبا)
(وقلت إني متى أجلب شفاعتكم ... أندم وإنّ أشقّ الغيّ ما اجتُلِبا)
(وإنّ مثلي متى يسمع مقالتكم ... ويعرف العين يندم قبل أن يجبا)
(إني وما كبّر الحُجّاج تحملهم ... بُزْل المطايا بجنبي نخلةٍ عُصَبا)
((وما أهلّ به الداعي وما وقفت ... عُلْيا ربيعة ترمي بالحصى الحصِبا
(جهداً لَمَنْ ظن أني سوف أظعنها ... عن ربع غانية أخرى لقد كذبا)
(أأبتغي الحسن في أخرى وأتركها ... فذاك حين تركت الدين والحسبا)
(وما انقضى الهم من سعدى وما عَلِقت ... مني الحبائل حتى رمتُها حِقَبا)
(وما خلوت بها يوماً فتعجبني ... إلا غدا أكثرَ اليومين لي عجبا)
(بل أيها السائِلي ما ليس يدركه ... مهلاً فإنك قد كلفتَني تعبا)
(كم من شفيع أتاني وهو يحسُب لي ... حَسْبا فأُقصِرهُ من دون ما حَسَبا)
(فإن يكن لهواها أو قرابتها ... حب قديم فما غاب ولا ذهبا)
(هما عليّ فإن أرضيتها رضيا ... عني وإن غضبتُ في باطل غضبا)
(كائنْ ذهبتُ فَردّاني بكيدهما ... عما طلبت وجاءاها بما طلبا)
(وقد ذهبت فلم أصبح بمنزلة ... إلا أنازع من أسبابها سببا)
(وَيْلُمِّها خُلّةً لو كنتِ مُسجِحةً ... أو كنتِ ترجع من عصْرَيْك ما ذهبا)
(أنت الظعينة لا تُرْمَى برمتها ... ولا يفجِّعها ابن العم ما اصطحبا)
أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني سليمان بن عياش السعدي قال
قدم أعراب من بني سليم أقحمتهم السنة إلى الروحاء فخطب إلى
بعضهم رجل من الموالي من أهل الروحاء فزوجه فركب محمد بن بشير الخارجي إلى المدينة وواليها يومئذ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة فاستعداه الخارجي على المولى فأرسل إبراهيم إليه وإلى النفر السلميين وفرق بين المولى وزوجته وضربه مائتي سوط وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه فقال محمد بن بشير في ذلك
(شهدتُ غداةَ خصم بني سُليم ... وجوهاً من قضائك غير سود)
(قضيتَ بسنة وحكمت عدلاً ... ولم تَرِث الحكومة من بعيد)
(إذا غُمِز القنا وُجِدتْ لعمري ... قناتك حين تغمز خير عود)
(إذا عض الثِّقاف بها اشمأزت ... أبيَّ النفس بائنة الصعود)
(حمى حَدَباً لحوم بنات قوم ... وهم تحت التراب أبو الوليد)
(وفي المِئَتَيْنِ للمولى نَكال ... وفي سلب الحواجب والخدود)
(إذا كافأتَهم ببنات كِسرى ... فهل يجد الموالي من مَزيد)
(فأي الحق أنصف للموالي ... مِن اصْهار العبيد إلى العبيد)
حدثني عمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني سليمان بن عياش قال
كان للخارجي عبد وكان يتلطف له ويخدمه حتى أعتقه وأعطاه مالا فعمل به وربح فيه ثم احتاج الخارجي بعد ذلك إلى معونة أو قرض في نائبة لحقته فبعث إلى مولاه في ذلك وقد كان المولى أثرى واتسعت حاله فحلف
له أنه لا يملك شيئا فقال الخارجي في ذلك
(يسعى لك المولى ذليلاً مُدقِعا ... ويخذلك المولى إذا اشتدّ كاهلُهْ)
(فأمسِك عليك العبد أوّل وَهْلةٍ ... ولا تنفلِت من راحتيك حبائله)
وقال أيضا
(إذا افتقر المولى سعى لك جاهداً ... لترضى وإن نال الغنى عنك أدبرا)
تأخرت زوجتاه فتزوج ثالثة
حدثني عيسى بن الحسين قال حدثنا الزبير قال حدثني سليمان بن عياش السعدي قال
كان محمد بن بشير الخارجي بين زوجتين له وكان يسكن الروحاء فأجدب عليه منزله فوجه غنما إلى سحابة وقعت برجفان وهو جبل يطل على مضيق يليل فشقت غيبتها عليه فقال لزوجتيه لو تحولتما إلى غنمنا فقالتا له بل تذهب فتطلع إليها وتصرفها إلى موضع قريب حتى نوافيك فيه فمضى وزودتاه وطبين وقالتا له اجمع لنا اللبن ووعدتاه موضعا من رجفان يقال له ذو القشع فانطلق فصرف غنمه إلى ذلك الموضع ثم انتظرهما فأبطأتا عليه وخالفته سحابة إليهما فأقامتا وقالتا يبلغ إلى غنمه ثم يأتينا فجعل يصعد في الجبل وينزل يتبصرهما فلا يراهما فبينما هو كذلك إذ أبصر امرأتين قد نزلتا فقال أنزل فأتحدث إليهما فإذا هو بامرأة مسنة ومعها بنت لها شابة فأعجبته فقال لها أتزوجينني ابنتك هذه قالت إن كنت كفوءا فانتسب لها فقالت أعرف النسب ولا أعرف الوجه ولكن يأتي أبوها فجاء
أبوها فعرفه فأخبرته امرأته بما طلب فقال نعم وزوجه إياها فساق إليها قطعة من غنمه ثم بنى بها وانتظر فلم ير زوجتيه تقدمان عليه فارتحل إليهما بزوجته وبقية غنمه فلما طلع عليهما وقف فأخذ بيدها ثم أنشأ يقول
(كأني مُوف للهلال عشية ... بأسفل ذات القِشع منتظِرَ القَطْر)
(وأنتن تلبسن الجديدة بعدما ... طُردت بطَيِّ الوَطْب في البُلْق والعُفْر)
(فكان الذي قلتن أعْدِدْ بضاعة ... لناهد بيضاء الترائب والنحر)
(كأنّ سُموط الدر منها معلق ... بجَيْداءَ في ضالٍ بوَجْرة أو سدر)
(تكون بلاغاً ثم لست بمخبر ... إذا وَدِيت لي ما ودتن من أمري)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني مصعب قال حدثني أحمد بن زهير وحدثني الزبير بن بكار قال حدثني سليمان بن عياش قالا
كان محمد بن بشير يتحدث إلى امرأة من مزينة وكان قومها قد جاوروهم ثم جاء الربيع وأخصبت بلاد مزينة فارتحلوا فقال محمد بن بشير
(لو بَيَّنتْ لك يوم فراقِها ... أن التفرّق من عشيةَ أو غدِ)

(لشكوت إذ علِق الفؤاد بهائم ... علقٍ حبائلَ هائم لم يُعهد)
(وتبرجت لك فاستَبَتْك بواضح ... صَلت وأسود في النصيف معقّد)
(بيضاء خالصة البياض كأنها ... قمر توسط ليل صيف مُبْرد)
((موسومة بالحسن ذات حواسد ... إن الجمال مظِنة للحسَّد
(لم يُطْغِها سرَف الشباب ولم تضِع ... عنها معاهدة النصيح المرشد)
(خَود إذا كثر الكلام تعوّذت ... بحمى الحياء وإن تكلمْ تقصِدِ)
(وكأن طعم سُلافة مشمولةٍ ... تنصبّ في إثر السواك الأغيدِ)
(وترى مدامعها تُرَقْرِق مقلة ... حوراء ترغب عن سواد الإثمد)
(ماذا إذا برزت غداة رحيلهام ... الحسن تحت رقاق تلك الأبرد)
(وُلدت بأسعدِ أنجمٍ فمحلها ... ومسيرها أبداً بطلق الأسعدُ)
(الله يُسعدها ويُسقِي دارها ... خَضِلَ الرَّباب سرَى ولما يُرْعِدِ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني الزبير قال حدثني سليمان بن عياش قال
صحب محمد بن بشير رفقة من قضاعة إلى مكة وكانت فيهم امرأة جميلة فكان يسايرها ويحادثها ثم خطبها إلى نفسها فقالت لا سبيل إلى ذلك لأنك لست لي بعشير ولا جاري في بلدي ولا أنا ممن تطمعه رغبة عن بلده ووطنه فلم يزل يحادثها ويسايرها حتى انقضى الحج ففرق بينهما
نزوعهما إلى أوطانهما فقال الخارجي في ذلك
(أستغفر الله ربي من مخدَّرة ... يوماً بدا لي منها الكشحُ والكتِدُ)
(من رُفقة صاحبونا في ندائِهمُ ... كلٌّ حرام فما ذُمُّوا ولا حُمِدوا)
(حتى إذا البُدْن كانت في مناحرها ... يعلو المناسمَ منها مُزيد جَسِدِ)
(وحلّق القوم واعتمّوا عمائمهم ... واحتل كل حرامٍ رأسُه لَبِد)
(أقبلتُ أسألها ما بالُ رُفقتها ... وما أبالي أغاب القوم أم شهدوا)
(فقربت لِيَ واحلولت مقالتها ... وعوّقتني وقالت بعضَ ما تجد)
(أنّى ينال حِجازيٌّ بحاجته ... إحدى بني القين أدنى دارها بَرد)
أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا الزبير قال حدثنا سليمان بن عياش قال
خطب محمد بن بشير امرأة من قومه فقالت له طلق امرأتك حتى أتزوجك فأبى وانصرف عنها وقال في ذلك
(أأطلب الحسن في أخرى وأتركها ... فذاك حين تركت الدين والحسبا)
(هي الظعينة لا يُرْمى برمتها ... ولا يفجّعها ابن العم ما اصطحبا)
(فما خلوت بها يوماً فتعجبني ... إلا غدا أكثر اليومين لي عجبا)
حدثني عيسى قال حدثنا الزبير قال بلغني عن صالح بن قدامة بن إبراهيم أن محمد بن حاطب الجمحي يروي شيئا من أخبار الخارجي
وأشعاره فأرسلت إليه مولى من موالينا يقال له محمد بن يحيى كان من الكتاب وسألته أن يكتب لي ما عنده فكان فيما كتب لنا قال
زعم الخارجي واسمه محمد بن بشير وكنيته أبو سليمان وهو رجل من عدوان وكان يسكن الروحاء قال
بينا نحن بالروحاء في عام جدب قليل الأمطار ومعنا سليمان بن الحصين وابن أخته وإذا بقطار ضخم كثير الثقل يهوي قادم من المدينة حتى نزلوا بجانب الروحاء الغربي بيننا وبينهم الوادي وإذا هم من الأنصار وفيهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فلبثنا أياما ثم إذا بسليمان بن الحصين يقول لي أرسل إلي النساء يقلن أمالكم في الحديث حاجة فقلت لهن فكيف برجالكن قلن بلغنا أن لكم صاحبا يعرف بالخارجي صاحب صيد فإن أتاهم فحدثهم عن الصيد انطلقوا معه وخلوتم فتحدثتم قال فقلت لسليمان بئس لعمر الله ما أردت مني أأذهب إلى القوم فأغرهم وآثم وأتعب وتنالون أنتم حاجتكم دوني ما هذا لي برأي قال لي سليمان فأنظرني إذن أرسل إلى النساء وأخبرهن بقولك فأرسل إليهن فأخبرهن بما قلت فقلن قل له احتل لنا عليهم هذه المرة بما قلنا لك وعلينا أن نحتال لك المرة الأخرى
قال الخارجي فخرجت حتى أتيت القوم فحدثتهم وذكرت لهم الصيد فطارت إليه أنفسهم فخرجت بهم وأخذت لهم كلابا وشباكا وتزودنا لثلاث وانطلقت أحدثهم وألهيهم فحدثتهم بالصدق حتى نفد ثم حدثتهم بما يشبه الصدق حتى نفد ثم صرحت لهم بمحض الكذب حتى مضت ثلاث
وجعلت لا أحدثهم حديثا إلا قالوا صدقت وغبت بهم ثلاثا ما أعلم أنا عاينا صيدا فقلت في ذلك
(! إني لأعجَبُ مني كيف افْكِهِهم ... أم كيف أخدع قوماً ما بِهم حُمُق)
(أظل في البيد أُلهيهم وأخبرهم ... أخبار قوم وما كانوا وما خُلقوا)
(ولو صدقت لقلت القومُ قد قدموا ... حين انطلقنا وآتي ساعة انطلقوا)
(أم كيف تُحْرَم أيد لم تخن أحدا ... شيئاً وتظفر أيديهم وقد سرقوا)
(ونرتمي اليوم حتى لا يكون له ... شمس ويرمون حتى يبرُق الأفق)
(يرمون أحور مخضوباً بغير دم ... دفعاً وأنت وشاحا صيدك العَلَق)
(تسعى بكلبين تبغيه وصيدهم ... صيد يرجَّى قليلا ثم يُعْتنق)
(ما زلت أحدوهم حتى جعلتهم ... في أصل مَحْنية ما إن بها طَرَق)
(ولو تركتهم فيها لمزقهم ... شيخا مزينة إن قالا انعِقوا نعقوا)
(إن كنتم أبدا جاريْ صديقِكم ... والدهر مختلف ألوانه طرق)
(فمتعوني فإني لا أرى أحداً ... إلا له أجل في الموتِ مستَبِق)
رثاؤه سليمان بن الحصين
قال سليمان بن عياش ومات سليمان بن الحصين هذا وكان خليلا للخارجي مصافيا له وصديقا مخلصا فجزع عليه وحزن حزنا شديدا فقال يرثيه
(يا أيها المتمني أن يكون فتىً ... مثل ابن ليلى لقد خلّى لك السبلا)

(إن ترحل العيسَ كي تسعى مساعيَه ... يَشقَقْ عليك وتعملْ دونَ ما عملا)
(لو سرت في الناس أقصاهم وأقربهم ... في شُقة الأرض حتى تُحسِرَ الإبلا)
(تبغي فتى فوق ظهر الأرض ما وجدوا ... مثل الذي غيبوا في بطنها رجلا)
(اعْدُد ثلاث خصال قد عُرفن له ... هل سُب من أحد أو سَبَّ أو بخلا)
قال سليمان بن عياش لما مات عبد العزيز بن مروان ونعي إلى أخيه عبد الملك تمثل بأبيات الخارجي هذه وجعل يرددها ويبكي
أخبرني عيسى قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي عن أبيه قال قال الرشيد يوما لجلسائه
أنشدوني شعرا حسنا في امرأة خفرة كريمة فأنشدوا فأكثروا وأنا ساكت فقال لي إيه يا بن مصعب أما إنك لو شئت لكفيتنا سائر اليوم فقلت نعم يا أمير المؤمنين لقد أحسن محمد بن بشير الخارجي حيث يقول
(بيضاء خالصة البياض كأنها ... قمر توسط جنح ليل مُبرد)
(موسومة بالحسن ذات حواسد ... ان الحسان مظنة للحسد)
(وترى مدامعها تُرقرق مقلة ... حوراء ترغب عن سواد الإثمد)
(خَوْد إذا كثر الكلام تعوذت ... بحمى الحياء وإن تكلم تُقْصد)
(لم يطغها شرف الشباب ولم تضع ... منها مُعاهدة النصيح المرشد)
(وتبرجت لك فاستبتك بواضح ... صَلْت وأسود في النصيف معقد)
(وكأن طعم سلافة مشمولة ... بالريق في أثر السواك الأغيد)
فقال الرشيد هذا والله الشعر لا ما أنشدتمونيه سائر اليوم ثم أمر مؤدب ابنيه محمد الأمين وعبد الله المأمون فرواهما الأبيات

الخارجي رجل النساء

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني سليمان بن عياش قال
كان محمد بن بشير الخارجي يتحدث إلى عبدة بنت حسان المزنية ويقيل عندها أحيانا وربما بات عندها ضيفا لإعجابه بحديثها فنهاها قومها عنه وقالوا ما مبيت رجل بامرأة أيم فجاءها ذات يوم فلم تدخله خباءها وقالت له قد نهاني قومي عنك وكان قد أمسى فمنعته المبيت وقالت لا تبت عندنا فيظن بي وبك شر فانصرف وقال فيها
(ظللتُ لدى أطنابها وكأنني ... أسيرٌ مُعَنًّى في مخلخله كَبْلُ)
(أخيِّر إما جَلسةٌ عند دارها ... وإما مَراح لا قريب ولا سهل)
(فإنك لو أكرمتِ ضيفك لم يعب ... عليكِ الذي تأتين حَمْوٌ ولا بعل)
(وقد كان يَنميها إلى ذروة العلا ... أب لا تخطاه المطية والرحْل)
(فهل أنتِ إلا جِنَّة عبقرية ... يخالط من خالطتِ من حبكم خَبْل)
(وهل أنت إلا نبعة كان أصلها ... نضاراً فلم يفضحك فرع ولا أصل)
(صددت امرأ عن ظل بيتك ماله ... بواديك لولاكم صديق ولا أهل)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير قال حدثني سليمان بن عياش قال
خرج محمد وسليمان ابنا عبيد الله بن الحصين الأسلميان حتى أتيا امرأة من الأنصار من بني ساعدة فبرزت لهما وتحدثا عندها وقالا لها هل لك في صاحب لنا ظريف شاعر فقالت من هو قالا محمد بن بشير الخارجي قالت لا حاجة بي إلى لقائه ولا تجيئاني به معكما فإنكما إن أتيتما به لم آذن لكما فجاءا به معهما وأخبراه بما قالت لهما وأجلساه في بعض الطريق وتقدما إليها فخرجت إليهما وجاءهما الخارجي بعد خروجها إليهما فرحبا به وسلما عليه فقالت لهما من هذا قالا هذا الخارجي الذي كنا نخبرك عنه فقالت والله ما أرى فيه من خير وما أشبهه إلا بعبدنا أبي الجون فاستحيا الخارجي وجلس هنيهة ثم قام من عندها وعلقها قلبه فقال فيها
(ألا قد رابني ويريب غيري ... عشية حكمها حيفٌ مريبُ)
(وأصبحت المودة عند ليلى ... منازل ليس لي فيها نصيب)
(ذهبتُ وقد بدا ليَ ذاك منها ... لأهجوها فيغلبني النسيب)
(وأنسى غيظ نفسي إن قلبي ... لمن واددت فَيئته قريب)
(فلا قلب مُصِرٌّ كل ذنب ... ولا راض بغير رضا غضوب)
(فدعها لست صاحبها وراجع ... حديثك إن شأنكما عجيب)
قال وبلغ الأشجعية زوجة محمد بن بشير ما قالته الأنصارية فعيرته بذلك وكانت إذا أرادت غيظه كنته أبا الجون فقال في ذلك
(وأيدي الهدايا ما رأيتُ مُعاتباً ... من الناس إلا الساعديةُ أجملُ)
(وقد أخطأتْني يوم بطحاء منعم ... لها كِفَف يُصطاد فيها وأحبلُ)
(وقد قال أهلي خير كسب كسبته ... أبو الجون فاكسب مثلها حين ترحل)
(فإن بات إيضاعي بأمر مسرة ... لكن فما تسخطن في العيش أطول)
أخبرني الحسن قال حدثنا أحمد قال حدثنا الزبير قال حدثني سليمان بن عياش قال
اجتمع محمد بن بشير الخارجي وسائب بن ذكوان راوية كثير بمكة فوافقا نسوة من بني غفار يتحدثن فجلسا إليهن وتحدثا معهن حتى تفرقن وبقيت واحدة منهن تحدث الخارجي وتستنشده شعره حتى أصبحوا فقال لهم رجل مر بهم أما تبرحون عن هذا الشعر وأنتم حرم ولا تدعون إنشاده وقول الزور في المسجد فقالت المرأة كذبت لعمر الله ما قول الشعر بزور ولا السلام والحديث حرام على محرم ولا محل فانصرف الرجل وقال فيها الخارجي
(أما لك أن تزور وأنت خِلْو ... صحيح القلب أخت بني غفار)
(فما برحت تُعِيرك مقلتيها ... فتعطيك المنية في استتار)
(وتسهو في حديث القوم حتى ... يبينَ بعض ذلك ما تواري)
(فمت يا قلب ما بك من دفاع ... فينجيك الدفاع ولا فرار)
(فلم أر طالباً بدم كمثلي ... أودَّ وحسن مطلوب بثار)

((إذا ذكروا بثأري قلتِ سقيا ... لثأري ذي الخواتمِ والسوار
(وما عرفت دمي فتبوءَ منه ... برهن في حبالي أو ضِمار)
(وقد زعم العواذل أن يومي ... ويومك بالمحصَّب ذي الجمار)
(من الإغباء ثم زعمت أن لا ... وقلت لدى التنازع والتَّمار)
(كذبتم ما السلام بقول زُور ... وما اليوم الحرام بيوم ثار)
(ولا تسليمنا حُرُماً بإثم ... ولا الحب الكريم لنا بعار)
(فإن لم نلقكم فسقى الغوادي ... بلادك والروّياتُ السواري)
قال سليمان وفي هذه المرأة يقول الخارجي وقد رحلوا عن مكة فودعها وتفرقوا
(يا أحسن الناس لولا أن نائلها ... قِدْماً لمن يبتغي ميسورها عَسِرُ)
(وإنما دَلُّها سحر تصيد به ... وإنما قلبها للمشتكي حجر)
(هل تذكرين كما لم أنس عهدكم ... وقد يدوم لعهد الخُلَّة الذَّكر)
(قَوْلي وركبك قد مالت عمائمهم ... وقد سقاهم بكأس الشقوةِ السفرُ)
(يا ليت أني بأثوابي وراحلتي ... عبد لأهلك هذا العام مؤتجر)
(فقد أطلتِ اعتلالاً دون حاجتنا ... بالحج أمس فهذا الحِل والسفر)
(ما بال رأيك إذ عهدي وعهدكم ... إلفان ليس لنا في الود مُزدجَر)
(فكان حظك منها نظرةً طرفتْ ... إنسانَ عينك حتى ما بها نظر)
((أكنتِ أبخل من كانت مواعده ... دَيناً إلى أجلٍ يرجَى وينتظر
(وقد نظرتُ وما ألفيت من أحد ... يعتاده الشوق إلا بدؤه النظر)
(أبقت شجىً لك لا ينسى وقادحة ... في أسود القلب لم يشعر بها أخِر)
(جِنية أوْ لها جن يعلمها ... رمي القلوب بقوس ما لها وتر)
(تجلو بقادمتي ورقاء عن بَرَد ... حمر المفاغر في أطرافها أشر)
(خَوْد مبتَّلة ريا معاصمها ... قدرَ الثياب فلا طول ولا قصر)
(إذا مجاسدها اغتالت فواضلها ... منها روادف فَعْمات ومؤتزر)
(إن هبت الريح حنت في وشائحها ... كما يجاذب عودَ القينة الوتر)
(بيضاء تعشو بها الأبصار إن برزت ... في الحج ليلة إحدى عشرة القمر)
(ألا رسول إذا بانت يبلغها ... عنا وإن لم تؤلِّف بيننا المِرر)
(أني - بأية وجد قد ظفرتِ به ... مني ولم يك في وجدي بكم ظفر)
(قتيلُ يومَ تلاقَينا وأن دمي ... عنها وعمن أجارت من دمي هَدَر -)
(تقضين فِيَّ ولا أقضي عليك كما ... يقضي المليك على المملوك يقتسر)
(إن كان ذا قَدَرا يعطيك نافلةً ... منا ويحرمنا ما أنصف القدر)
أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا الزبير قال حدثني سليمان بن عياش قال
كان الخارجي قدم البصرة فتزوج بها امرأة من عدوان كانت موسرة
فأقام عندها بالبصرة مدة ثم توخم البصرة فطالبها بأن ترحل معه إلى الحجاز فقالت ما أنا بتاركة مالي وضيعتي ههنا تذهب وتضيع وأمضي معك إلى بلد الجدب والفقر والضيق فإما أن أقمت هاهنا أو طلقتني فطلقها وخرج إلى الحجاز ثم ندم وتذكرها فقال
(دامت لعينكَ عَبرة وسُجوم ... وثوت بقلبكَ زَفرة وهُمومُ)
(طيف لزينب ما يزال مؤرقي ... بعد الهدوِّ فما يكاد يَريم)
(إذا تعرض في المنام خيالها ... نكأ الفؤادَ خيالُها المحلوم)
(أجعلتِ ذنبكِ ذنبه وظلمتِه ... عند التحاكم والمُدِل ظلومُ)
(ولئن تجنيتِ الذنوب فإنه ... ذو الداء يَعْذِر والصحيح يلوم)
(ولقد أراكِ غداة بنتِ وعهدُكم ... في الوصل لا حَرج ولا مذموم)
(أضحت تُحَكمك التجارب والنهى ... عنه ويُكْلِفه بك التحكيم)
صوت
(بَرَأ الألى عِلقوا الحبائل قبله ... فنَجوا وأصبح في الوَثاق يهيم)
(ولقد أردت الصبر عنك فعاقني ... عَلَق بقلبي من هواك قديم)
(ضعفت معاهد حبهن مع الصبا ... ومع الشباب فبِن وهو مقيم)
(يبقى على حدِث الزمان وريبه ... وعلى جفائك إنه لكريم)
(وجنيتِ حين صَحَحْت وهو بدائه ... شتان ذاك مصحَّحٌ وسقيم)
(وأدَيْتِه زمناً فعاذ بحلمه ... إن المحب عن الحبيب حليم)
(وزعمت أنك تبخلين وشفَّه ... شوق إليك وإن بخلت أليم)
غنى في هذه الأبيات الدارمي - خفيف رمل - بالوسطى عن الهشامي وفيه لعريب - خفيف ثقيل - مطلق وهو الذي يغنى الآن ويتعارفه الناس
أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا الزبير قال حدثني سليمان بن عياش السعدي قال
كان الخارجي منقطعا إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة وكان يكفيه مؤونته ويفضل عليه ويعطيه في كل سنة ما يكفيه ويغنيه ويغني قومه وعياله من البر والتمر والكسوة في الشتاء والصيف ويقطعه القطعة بعد القطعة من إبله وغنمه وكان منقطعا إليه وإلى زيد بن الحسن وابنه الحسن بن زيد وكلهم به بر وإليه محسن فمات أبو عبيدة وكان ينزل الفرش من ملل وكان الخارجي ينزل الروحاء فقال يرثيه
(ألا أيها الناعي ابن زينب غدوة ... نعيت الندى دارت عليه الدوائر)
(لعمري لقد أمسى قرى الضيف عاتماً ... بذي الفَرش لما غيبتك المقابر)

(إذا سوفوا نادَوا صداك ودونه ... صفيح وخَوّار من الترب مائرُ)
(ينادون من أمسى تَقَطَّعُ دونه ... من البعد أنفاس الصدور الزوافر
(فقومي اضربي عينيك يا هند لن تَرَي ... أباً مثله تسمو إليه المفاخرُ)
قال الزبير فحدثني سليمان بن عياش قال
كانت هند بنت أبي عبيدة عند عبد الله بن حسن بن حسن فلما مات أبوها جزعت عليه جزعا شديدا ووجدت وجدا عظيما فكلم عبد الله بن الحسن محمد بن بشير الخارجي أن يدخل إليها فيعزيها ويسليها عن أبيها فدخل إليها معه فلما نظر إليها صاح بأعلى صوته
(قومي اضربي عينيك يا هند لن تَرَيْ ... أباً مثله تسمو إليه المفاخر)
(وكنتِ إذا فاخرتِ أسميتِ والداً ... يزين كما زان اليدينِ الأساور)
(فإن تُعْوليه يشفِ يوماً عويلُه ... غليلَك أو يعذرك بالنوح عاذر)
(وتحزنك ليلات طوال وقد مضت ... بذي الفرش ليلات تسر قصائر)
(فلقاه رب يغفر الذنب رحمة ... إذا بُليت يوم الحساب السرائر)
(إذا ما ابن زاد الركب لم يمس ليلة ... قفا صفِرٍ لم يقرب الفَرش زائر)
(لقد علم الأقوام أن بناته ... صوادقُ إذ يندبنه وقواصر)
قال فقامت هند فصكت وجهها وعينيها وصاحت بويلها وحربها والخارجي يبكي معها حتى لقيا جهدا فقال له عبد الله بن الحسن ألهذا دعوتك ويحك فقال له أفظننت أني أعزيها عن أبي عبيدة والله ما يسليني عنه أحد ولا لي عنه ولا عن فقده صبر فكيف يسليها عنه من ليس يسلو بعده
يمدح زيد بن الحسن ويبكي سليمان بن الحصين
أخبرني عيسى قال حدثني الزبير قال حدثني سليمان بن عياش قال
وعد رجل محمد بن بشير الخارجي بقلوص فمطله فقال فيه يذمه ويمدح زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام
(لعلك والموعود حق وفاؤه ... بدا لك في تلك القَلوص بَدَاءُ)
(فإن الذي ألقى إذا قال قائل ... من الناس هل أحسستها لعناء)
(يقول الذي يبدي الشَّماتَ وقوله ... عليّ وإشمات العدوّ سواء)
(دعوتُ - وقد أخلفتني الوعد - دعوة ... بزيد فلم يَضْلِل هناك دعاء)
(بأبيض مثل البدر عظّم حقه ... رجال مِنَ آل المصطفى ونساء)
فبلغت الأبيات زيد بن الحسن فبعث إليه بقلوص من خيار إبله فقال يمدحه
(إذا نزل ابن المصطفى بطن تَلْعة ... نفى جدبها واخضر بالنبت عودها)
(وزيد ربيع الناس في كل شَتْوة ... إذا أخلفت أنواؤها ورعودها)
(حمول لأشناق الديات كأنه ... سراج الدجى إذ قارنته سعودها)
أخبرني عيسى قال حدثني الزبير قال حدثني سليمان بن عياش قال
نظر الخارجي إلى نعش سليمان بن الحصين وقد أخرج فهتف بهم فقال
((ألم تروا أن فتىً سيداً ... راح على نعش بني مالك
(لا أنفَسُ العيش لمن بعده ... وأنفَس الهُلك على الهالك)
وقال فيه أيضا
(ألا أيها الباكي أخاه وإنما ... تفرّق يوم الفدفدِ الأخوانِ)
(أخي يوم أحجار الثُّمام بكيته ... ولو حُمَّ يومِي قبله لبكاني)
(تداعت به أيامه فاخترمنه ... وأبقين لي شجواً بكل زمان)
(فليت الذي ينعَى سليمان غُدوة ... بكى عند قبري مثلها ونهاني)
(فلو قسمت في الجن والإنس لوعتي ... عليه بكى من حرّها الثقلان)
(ولو كانت الأيام تطلب فِديةً ... إليه وصرف الدهر ما ألوَاني)
أخبرني عيسى قال حدثنا الزبير قال حدثنا سليمان بن عياش قال
خرج محمد بن بشير يرمي الأروى ومعه جماعة فيهم رجل من الموالي من أهل السيالة فصعد المولى على صفاة بيضاء يرمي من فوقها فزلت قدمه عنها فصاح حتى سقط على الأرض وأحدث في ثيابه فقال الخارجي في ذلك
(حُرِّقِ يا صفاة في ذُراكِ ... بالنار إن لم تمنعِي أرواكِ)
(تَعلَّمِي أن بذي الأراكِ ... أيتها الأروى - ذوي عِراكِ
(قوماً أعَدُّوا شَبَكَ الشِّباكِ ... يبغون ضَبْعاً قتلت أباكِ)
(نِعْمَ مُلَوِّي الجِيدِ المَدَاكِ ... إذا صوت الجالب في أخراك)
(ولم يقل منتصِحاً إياكِ ... بين مقاطِيها ركبْتِ فاكِ)
(فَعُدتِ والطعن على كُلاكِ ... مثل الأضاحي بيد النساكِ)
(يُرمِى بالأكتافِ على الأوراكِ ... كما أطحتِ العبد عن صفاكِ)
(أما السَّياليّ فلن ينساكِ ... لو يرتميك الناس ما رماك)
أخبرني عيسى قال حدثنا الزبير قال حدثنا سليمان بن عياش قال
كانت عند الخارجي بنت عم له فهجاه بعض قرابتها فأجابه الخارجي فغضبت زوجته وقالت هجوت قرابتي فقال الخارجي في ذلك
(أمَّا ما أقول لهم فعابت ... عليّ وقد هُجيت فما تعيب)
(فرمت وقد بدا لي ذاك منها ... لأهجوها فيمنعني النسيب)
(فلا قلب يبصِّر كل ذنب ... ولا راض بغير رضا غَضُوبُ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني مصعب قال وحدثني الزبير عن سليمان بن عياش قالا

تزوج الخارجي جارية من بني ليث شابة وقد أسن وأسنت زوجته العدوانية فضربت دونه حجابا وتوارت عنه ودعت نسوة من عشيرتها فجلسن عندها يلهون ويتغنين ويضربن بالدفوف وعرف ذلك محمد فقال
(لئِن عانسٌ قد شاب ما بين قَرْنِها ... الى كعبها وابيضَّ عنها شبابُها)
(صَبَتْ في طِلاب اللهو يوماً وعَلَّقتْ ... حجاباً لقد كانت يَسِيراً حجابُها)
(لقد مُتِّعت بالعيش حتى تشعَّبت ... من اللهو إذ لا ينكر اللهوَ بابُها)
(فبِيني برغمٍ ثم ظَلِّي فربما ... ثَوى الرغم منها حيث يثوي نقابها)
(لبيضاءَ لم تُنسَبْ لجدٍّ يَعيبها ... هِجانٍ ولم تَنبَحْ لئيماً كلابها)
(تأوّدُ في المَمْشى كأنّ قناعَها ... على ظبية أدْماءَ طابَ شبابها)
(مُهفهفة الأعطافِ خَفّاقةِ الحَشَى ... جميل محياها قليلٍ عِتابها)
(إذا ما دعتْ بابني نِزار وقارَعَتْ ... ذَوي المجد لم يُرْدد عليها انتسابها)
إبراهيم المخزومي يصله بعد استعطاف
حدثنا الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي عن الضحاك بن عثمان قال لما ولي إبراهيم بن هشام الحرمين دخل إليه محمد بن بشير
الخارجي وكان له قبل ذلك صديقا فأعرض عنه ولم يظهر به بشاشة ولا أنسا ثم عاوده فاستأذنه في الإنشاد فأعرض عنه وأخرجه الحاجب من داره وكان إبراهيم بن هشام تياها شديد الذهاب بنفسه فوقف له يوم الجمعة على طريقه إلى المسجد فلما حاذاه صاح به
(يابن الهشامَيْن طُرًّا حُزت مجدَهما ... وما تَخَوَّنه نقضٌ وإمرارُ)
(لا تُشمِتنّ بي الأعداءَ إنهمُ ... بيني وبينك سُمّاعٌ ونُظّار)
(وإن شكريَ إنْ رُدُّوا بغيظهمُ ... في ذمة الله إعلانٌ وإسرار)
(فاكْرر بنائلك المحمود مِنْ سعة ... عليّ إنك بالمعروف كَرّار)
فقال لحاجبه قل له يرجع إلي إذا عدت فرجع فأدخله إليه وقضى دينه وكساه ووصله وعاد إلى ما عهده منه
أخبرني الحسن قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني مصعب عن أبيه قال
عثر بعروة بن أذينة حماره عند ثنية العويقل فقال عروة
(ليتَ العُوَيقلَ مسدودٌ وأصبحَ من ... فوقَ الثنيةِ فيه رَدمُ يأجوج)
(فتستريحَ ذوو الحاجات من غَلَظ ... ويَسلُكَ السهلَ يمشِي كلُّ مَنْتوج)
فقال محمد بن بشير الخارجي يرد عليه
(سبحانَ ربك تبٍ مما أتيتَ به ... ما يسدُدِ اللهُ يُصبحْ وهو مَرْتوجُ)
(وهل يُسدُّ وللحجّاج فيه إذا ... ما أصعدوا فيه تكبيرٌ وتلْجيج)
(ما زال منذُ أذلَّ اللهُ مَوطِئَه ... ومنذ آذَنَ أنّ البيت مَحْجوج)
(يهدِي له الوفدَ وفدَ الله مَطْربة ... كأنه شُطَب بالقِدِّ منسوج)
(خل الطريق إليها إن زائرها ... والساكنينَ بها الشتمِ الأباليج)
(لا يسدُد اللهُ نَقباً كان يسلكه البيض ... البهاليلِ والعُوجِ العَناجيج)
(لو سدَّه الله يوماً ثم عَجَّ له ... من يسلك النقبَ أمسى وهو مفروج)
أخبرني الحسن قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا مصعب قال
كان للخارجي أخ يقال له بشار بن بشير وكان يجالس أعداءه ويعاشر من يعلم أنه مباين له وفيه يقول
(وإني قد نَصحْت فلم تُصدِّق ... بنصحي واعتَددتُ فما تَبالي)
(وإني قد بدا لي أنَّ نُصحي ... لغيبك واعتدادي في ضلال)
(فكم هذا أذودُك عن قِطاعي ... كتذويد المَحَلأة النِّهال)
((فلا تبغِ الذنوب عليَّ واقصِدْ ... لأمركَ من قِطاع أو وِصال
(فسوف أرَى خلالَك مَنْ تُصافِي ... إذا فارقتني وترى خِلالي)
(وإن جزاءَ عهدِك إذْ تَولَّى ... بأن أغضِي وأسكتَ لا أبالي)
أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا سليمان بن عياش قال
كان الخارجي معجبا بزوجته سعدى وكانت من أسوأ الناس خلقا وأشده على عشير فكان يلقى منها عنتا فغاضبها يوما لقول آذته به واعتزلها وانتقل إلى زوجته الأخرى فأقام عندها ثلاثا ثم اشتاق إلى سعدى وتذكرها وبدا له في الرجوع إلى بيتها فتحول إليها وقال
(أرانِي إذا غالبتُ بالصبر حُبَّها ... أبى الصبرُ ما ألقى بسُعدى فأُغلَبُ)
(وقد علِمَتْ عند التعاتب أننا ... إذا ظَلَمْتنا أو ظَلَمنا سنُعْتِب)
(وإنّي وإن لم أجنِ ذنباً سأبتغِي ... رِضاها وأعفو ذنبَها حين تذنب)
(وإني وإن أنبتُ فيها يزيدني ... بها عَجَبا من كان فيها يؤنب)
أخبرني عيسى قال حدثنا الزبير قال حدثنا سليمان بن عياش قال
كان بشار بن بشير أخو محمد بن بشير يعاديه ويجالس أعداءه فقال الخارجي فيه
(كفاني الذي ضَّيعتَ مني وإنما ... يُضيعُ الحقوقَ ظالماً من أضاعَها)
(صنيعةَ من وَلاَّك سوءَ صنيعِها ... وولى سواكَ أجْرَها واصطناعَها)
((أبى لك كسبَ الخير رأيٌ مُقَصِّرٌ ... ونفس أضاق الله بالخير باعها
(إذا هي حثَّته على الخيرِ مرةً ... عصاها وإن همت بشر أطاعها)
(فلولا رجالٌ كاشحون يَسرُّهم ... أذاكَ وقُربى لا أحبُّ انقطاعَها)
(إذاً بان إن زلّتْ بك النعلُ زَلّةً ... فِراقُ خِلال لا تُطِيق ارتجاعها)
(وإني متى أحْمَل على ذاك أطّلِعْ ... عليك عيوباً لا أحبُّ اطلاعها)
(فإنْ تك أحلامٌ تردُّ إخاءنا ... علينا فمن هذا يردُّ سماعها)

(سأنهاك نهياً مُجمِلاً وقصائداً ... نواصح تشفي من شؤون صُداعَها)
(ومن يجتلب نحوي القصائد يجتلب ... قِراهُ ويتبع من يُحِبّ اتباعَها)
(إذا ما الفتى ذو اللب حلت قصائد ... إليه فَيُخْلِ للقوافي رباعَها)
رثاؤه زيد بن حسن
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا الزبير قال حدثنا سليمان بن عياش قال
لما دفن زيد بن حسن وانصرف الناس عن قبره جاء محمد بن بشير إلى الحسن بن زيد وعنده بنو هاشم ووجوه قريش يعزونه فأخذ بعضادتي الباب وقال
(أعينيّ جودا بالدموع وأسعِدا ... بني رحِم ما كان زيدٌ يُهينُها)
(ولا زيدَ إلا أن يجود بعَبرة ... على القبر شاكي نكبة يستكينها)
((وما كنتَ تلقى وجهَ زيد ببلدةٍ ... من الأرض إلا وجهُ زيد يزينها
(لعمر أبي الناعي لعمَّتْ مصيبةٌ ... على الناس واختصت قُصَيًّا رَصينها)
(وأنّى لنا أمثالُ زيد وجَدُّه ... مبلّغُ آيات الهدَى وأمينُها)
(وكانَ حَليفيه السماحةُ والنَّدى ... فقد فارق الدنيا نداها ولينها)
(غدت غُدْوةً ترمِي لُؤيَّ بن غالب ... بجَعْد الثَّرى فوق امرىء ما يَشينها)
(أغرُّ بِطاحِيٌّ بكت من فراقه ... عُكاظُ فبطحاء الصفا فحجَونها)
(فقل للتي يعلو على الناس صوتُها ... ألا لا أعان الله من لا يُعينها)
(وأرملةٍ تبكي وقد شقّ جيبُها ... عليه فآبت وهيَ شُعْث قرونها)
(ولو فقِهت ما يفقه الناس أصبحت ... خواشعَ أعلامُ الفَلاة وعِينها)
(نعاه لنا الناعي فظلنا كأننا ... نرى الأرضَ فيها آيةٌ حانَ حِينها)
(وزالت بنا أقدامنا وتقلبتْ ... ظهورُ روابيها بنا وبطونها)
(وآب ذوو الألباب منا كأنما ... يرون شِمالاً فارقتها يمينها)
(سقى الله سُقْيَا رحمةٍ تُربَ حفْرة ... مقيم على زيدٍ ثراها وطينها)
قال فما رئي يوم كان أكثر باكيا من يومئذ
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني العمري عن لقيط قال
كان محمد بن بشير الخارجي من أهل المدينة وكانت له بنت عم سرية
جميلة قد خطبها غير واحد من سروات قريش فلم ترضه فقال لأبيه زوجنيها فقال له كيف أزوجكها وقد رد عمك عنها أشراف قريش فذهب إلى عمه فخطبها إليه فوعده بذلك وقرب منه فمضى محمد إلى أبيه فأخبره فقال له ما أراه يفعل ثم عاوده فزوجه إياها فغضبت الجارية وقالت له خطبني إليك أشراف قريش فرددتهم وزوجتني هذا الغلام الفقير فقال لها هو ابن عمك وأولى الناس بك فلما بنى بها جعلت تستخف به وتستخدمه وتبعثه في غنمها مرة وإلى نخلها أخرى فلما رأى ذلك من فعلها قال شعرا ثم خلا في بيت يترنم به ويسمعها وهو
(تثاقلتِ أن كُنتُ ابنَ عمِّ نكحتِهِ ... فملتِ وقد يشْفى ذوو الرأي بالعَذلِ)
(فإنك إلاّ تتركي بعضَ ما أرى ... تُنازعْكِ أخرى كالقَرينة في الحبل)
(تَلُزُّك ما اسطاعت إذا كان قَسْمُها ... كَقَسمِك حقّاً في التِّلاد وفي البعْل)
(متى تحمليها منك يوماً لحالة ... فتتبعَها تحمِلك منها على مِثل)
قال فصلحت ولم ير منها بعد ما سمعت شيئا يكرهه
صوت
(علامَ هَجرتِ ولم تُهْجري ... ومثلكِ في الهجر لم يُعذَرَ)
(قطعتِ حبالَكِ من شادنٍ ... أغنَّ قَطوفِ الخُطا أحْوَرِ)
الشعر لسديف مولى بني هاشم والغناء لأبي العبيس بن حمدون - خفيف ثقيل - بالسبابة والوسطى
ذكر سديف وأخباره
هو سديف بن ميمون مولى خزاعة وكان سبب ادعائه ولاء بني هاشم أنه تزوج مولاة لآل أبي لهب فادعى ولاءهم ودخل في جملة مواليهم على الأيام وقيل بل أبوه هو كان المتزوج مولاة اللهبيين فولدت منه سديفا فلما يفع وقال الشعر وعرف بالبيان وحسن العارضة ادعى الولاء في موالي أبيه فغلبوا عليه
وسديف شاعر مقل من شعراء الحجاز ومن مخضرمي الدولتين وكان شديد التعصب لبني هاشم مظهرا لذلك في أيام بني أمية فكان يخرج إلى أحجار صفا في ظهر مكة يقال لها صفي السباب ويخرج مولى لبني أمية معه يقال له سباب فيتسابان ويتشاتمان ويذكران المثالب والمعايب ويخرج معهما من سفهاء الفريقين من يتعصب لهذا ولهذا فلا يبرحون حتى تكون بينهم الجراح والشجاج ويخرج السلطان إليهم فيفرقهم ويعاقب الجناة فلم تزل تلك العصبية بمكة حتى شاعت في العامة والسفلة فكانوا صنفين يقال لهما السديفية والسبابية طول أيام بني أمية ثم انقطع ذلك في أيام بني هاشم وصارت العصبية بمكة في الحناطين والحرارين
أخبرني عمر بن عبيد الله بن جميل العتكي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني فليح بن إسماعيل قال
قال سديف قصيدة يذكر فيها أمر بني حسن بن حسن وأنشدها المنصور بعد قتله لمحمد بن عبد الله بن حسن فلما أتى على هذا البيت
(يا سوءَنا للقوم لا كَفُّوا ولا ... إذ حاربوا كانوا من الأحرار)
فقال له المنصور أتحضهم علي يا سديف فقال لا ولكني أؤنبهم يا أمير المؤمنين
وذكر ابن المعتز أن العوفي حدثه عن أحمد بن إبراهيم الرياحي قال
سلم سديف بن ميمون يوما على رجل من بني عبد الدار فقال له العبدري من أنت يا هذا قال أنا رجل من قومك أنا سديف بن ميمون فقال له والله ما في قومي سديف ولا ميمون قال صدقت لا والله ما كان قط فيهم ميمون ولا مبارك
صوت

(لعمرُك إنني لأحب داراً ... تكون بها سُكينة والرَّبابُ)
(أحبهما وأبذل جُلَّ مالي ... وليس لعاتب عندي عتاب)
الشعر للحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام والغناء لابن سريج
- رمل - بالبنصر وفيه للهذلي ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق

أخبار الحسين بن علي ونسبه

الحسين بن علي بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب وقد تكرر هذا النسب في عدة مواضع من هذا الكتاب واسم أبي طالب عبد مناف واسم عبد المطلب شيبة واسم هاشم عمرو وأم علي بن أبي طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف وكانت أول هاشمية تزوجها هاشمي وهي أم سائر ولد أبي طالب وأم الحسين بن علي بن أبي طالب فاطمة بنت رسول الله وأمها خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي وكانت خديجة تكنى أم هند وكانت فاطمة تكنى أم أبيها ذكر ذلك قعنب بن محرز قال حدثنا أبو نعيم عن حسين بن زيد عن جعفر بن محمد عن أبيه وكان علي بن أبي طالب سمى الحسن حربا فسماه رسول الله الحسن ثم ولد له الحسين فسماه حربا فسماه رسول الله الحسين
حدثني بذلك أحمد بن الجعد قال حدثنا عبد الرحمن بن صالح قال حدثنا يحيى بن عيسى قال حدثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال قال علي بن أبي طالب
كنت رجلا أحب الحرب فلما ولد الحسن هممت أن أسميه حربا فسماه رسول الله الحسن فلما ولد الحسين هممت أن أسميه حربا فسماه رسول الله الحسين ثم قال سميتهما باسمي ابني هارون شبر وشبير
وأخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي قال حدثنا محمد بن يحيى الأحول قال حدثنا خلاد المقرىء قال حدثنا قيس بن الربيع بن أبي حصين عن يحيى بن وثاب عن ابن عمر قال
كان على الحسن والحسين تعويذتان حشوهما من زغب جناح جبريل عليه السلام
وهذا الشعر يقوله الحسين بن علي في امرأته الرباب بنت امرىء القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن كلب بن وبرة بن تغلب ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وأمها هند بنت الربيع بن مسعود بن معاذ بن حصين بن كعب بن عليم بن كلب وفي ابنته منها سكينة بنت الحسين واسم سكينة أميمة وقيل أمينة وقيل آمنة وسكينة لقب لقبت به
قال مصعب فيما أخبرني به الطوسي عن زبير عنه
اسمها آمنة
أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو نعيم عن عمر بن ثابت عن مالك بن أعين قال
سمعت سكينة بنت الحسين تقول عاتب عمي الحسن أبي في أمي فقال
(لعمركَ إنني لأحِبُّ داراً ... تكون بها سُكينة والرَّباب)
(أحبهما وأبذل جُلّ مالي ... وليس لعاتب عندي عتاب)
حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العمري عن ابن الكلبي عن أبيه قال
قال لي عبد الله بن الحسن بن الحسن ما اسم سكينة بنت الحسين فقلت سكينة فقال لا اسمها آمنة
وروى أن رجلا سأل عبد الله بن الحسن عن اسم سكينة فقال أمينة فقال له إن ابن الكلبي يقول أميمة فقال سل ابن الكلبي عن أمه وسلني عن أمي وقال المدائني حدثني أبو إسحاق المالكي قال
سكينة لقب واسمها آمنة وهذا هو الصحيح
حدثني أحمد بن محمد بن سعيد قال حدثنا يحيى بن الحسن العلوي قال حدثنا شيخ من قريش قال حدثنا أبو حذافة أو غيره قال
أسلم امرؤ القيس بن عدي على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فما صلى الله صلاة حتى ولاه عمر وما أمسى حتى خطب إليه علي عليه السلام ابنته الرباب على ابنه الحسين فزوجه إياها فولدت له عبد الله وسكينة ولدي الحسين عليهما السلام وفي سكينة وأمها يقول
(لعمرُك إنني لأحب داراً ... تحل بها سُكينة والرباب)
وذكر البيت الآخر وزاد على البيتين
(فَلَسْتُ لهم وإن غابوا مُضيعاً ... حياتي أو يغيِّبني الترابُ)
ونسخت هذا الخبر من كتاب أبي عبد الرحمن الغلابي وهو أتم قال
حدثنا علي بن صالح عن علي بن مجاهد عن أبي المثنى محمد بن السائب الكلبي قال أخبرنا عبد الله بن حسن بن حسن قال حدثني خالي عبد الجبار بن منظور بن زبان بن سيار الفزاري قال حدثني عوف بن خارجة المري قال
والله إني لعند عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته إذ أقبل رجل أفحج أجلى أمعر يتخطى رقاب الناس حتى قام بين يدي عمر فحياه بتحية الخلافة فقال له عمر فمن أنت قال امرؤ نصراني أنا امرؤ القيس بن عدي الكلبي قال فلم يعرفه عمر فقال له رجل من القوم هذا صاحب بكر بن وائل الذي أغار عليهم في الجاهلية يوم فلج قال فما تريد قال أريد الإسلام فعرضه عليه عمر رضي الله عنه فقبله ثم دعا له برمح فعقد له على من أسلم بالشام من قضاعة فأدبر الشيخ واللواء يهتز على رأسه
قال عوف فوالله ما رأيت رجلا لم يصل لله ركعة قط أمر على جماعة من المسلمين قبله
ونهض علي بن أبي طالب رضوان الله عليه من المجلس ومعه ابناه الحسن والحسين عليهم السلام حتى أدركه فأخذ ثيابه فقال له يا عم أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله وصهره وهذان ابناي الحسن والحسين من ابنته وقد رغبنا في صهرك فأنكحنا فقال قد أنكحتك يا علي المحياة بنت امرىء القيس وأنكحتك يا حسن سلمى بنت امرىء القيس وأنكحتك يا حسين الرباب بنت امرىء القيس
وقال هشام بن الكلبي كانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن فخطبت بعد قتل الحسين عليه السلام فقالت ما كنت لأتخذ حما بعد رسول الله
قال المدائني حدثني أبو إسحاق المالكي قال

قيل لسكينة واسمها آمنة وسكينة لقب أختك فاطمة ناسكة وأنت تمزحين كثيرا فقالت لأنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة - تعني فاطمة بنت رسول الله - وسميتموني باسم جدتي التي لم تدرك الإسلام تعني آمنة بنت وهب أم رسول الله

الرباب ترثي زوجها الحسين

أخبرني عمي قال حدثنا الكناني عن قعنب بن المحرز الباهلي عن محمد بن الحكم عن عوانة قال
رثت الرباب بنت امرىء القيس أم سكينة بنت الحسين زوجها الحسين عليه السلام حين قتل فقالت
(إنّ الذي كان نوراً يُستضاء به ... بكَربلاءَ قتيلٌ غيرِ مدفونِ)
(سِبْطَ النبيّ جَزَاكِ الله صالحةً ... عنا وجُنِّبتَ خُسران الموازين)
((قد كنت لي جَبَلاً صعْباً ألوذ به ... وكنت تصحبنا بالرُّحمِ والدِّين
(من لليتامَى ومن للسائلينَ ومَن ... يُغْنِي ويَأوي إليه كلُّ مسكين)
(والله لا أبتغي صهراً بصهركُم ... حتى أغيَّبَ بين الرمل والطين)

أخبرني الطوسي قال حدثني الزبير عن عمه قال أخبرني إسماعيل بن بكار قال حدثني أحمد بن سعيد عن يحيى بن الحسين العلوي عن الزبير عن عمه قال وأخبرني إسماعيل بن يعقوب عن عبد الله بن موسى قالا
كان الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب خطب إلى عمه الحسين فقال له الحسين عليهم السلام يابن أخي قد كنت أنتظر هذا منك انطلق معي فخرج به حتى أدخله منزله فخيره في ابنتيه فاطمة وسكينة فاختار فاطمة فزوجه إياها وكان يقال إن امرأة تختار على سكينة لمنقطعة القرين في الحسن وقال عبد الله بن موسى في خبره إن الحسين خيره فاستحيا فقال له قد اخترت لك فاطمة فهي أكثرهما شبها بأمي فاطمة بنت رسول الله

أحاديث عن سكينة

حدثني أحمد بن محمد بن سعيد قال حدثني يحيى بن الحسن العلوي قال
كتب إلي عباد بن يعقوب يخبرني عن جدي يحيى بن سليمان بن الحسين العلوي قال
كانت سكينة في مأتم فيه بنت لعثمان فقالت بنت عثمان أنا بنت الشهيد فسكتت سكينة فلما قال المؤذن أشهد أن محمدا رسول الله قالت سكينة هذا أبي أو أبوك فقالت العثمانية لا جرم لا أفخر عليكم أبدا
أخبرني أحمد بن محمد قال حدثنا يحيى قال حدثنا مروان بن موسى القروي قال حدثنا بعض أصحابنا قال
كانت سكينة تجيء في ستارة يوم الجمعة فتقوم بإزاء ابن مطيرة وهو خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم إذا صعد المنبر فإذا شتم عليا شتمته هي وجواريها فكان يأمر الحرس فيضربون جواريها
أخبرني الطوسي عن الزبير عن عمه مصعب قال
كانت سكينة عفيفة سليمة برزة من النساء تجالس الأجلة من قريش وتجتمع إليها الشعراء وكانت ظريفة مزاحة
أخبرني الطوسي قال حدثنا الزبير عن عمه قال حدثني معاوية بن بكر قال
قالت سكينة أدخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن موسى عن أبي أيوب المديني عن مصعب قال
كانت سكينة أحسن الناس شعرا فكانت تصفف جمتها تصفيفا لم ير أحسن منه حتى عرف ذلك فكانت تلك الجمة تسمى السكينية وكان عمر بن عبد العزيز إذا وجد رجلا قد صفف جمته السكينية جلده وحلقه
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار عن أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه عن أبي سفيان الحميري قال
بعثت سكينة بنت الحسين عليهما السلام إلى حبيش بن دلجة بغالية لأنه كان من أخوالها فلما وصلت إليه قال فأين كانت - حبيش بن دلجة - عن الصياح يقدر أن الصياح أرفع من الغالية
قال محمد بن سلام
كانت سكينة مزاحة فلسعتها دبرة فولولت فقالت لها أمها مالك يا سيدتي وجزعت فقالت لسعتني دبيرة مثل الأبيرة فأوجعتني قطيرة
وقال هارون بن أبي عبيد الله حدثني ضمرة بن ضمرة قال
أجلست سكينة شيخا فارسيا على سلة بيض وبعثت إلى سليمان بن يسار كأنها تريد أن تسأله عن شيء فجاءها إكراما لها فأمرت من أخرج إليه ذلك الشيخ جالسا على السلة فيها البيض فولى يسبح
قال وبعثت سكينة إلى صاحب الشرطة بالمدينة أنه دخل علينا شامي
فابعث إلينا بالشرط فركب ومعه الشرط فلما أتى إلى الباب أمرت ففتح له وأمرت جارية من جواريها فأخرجت إليه برغوثا فقال ما هذا قالت هذا الشامي الذي شكوناه فانصرفوا يضحكون
أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن القاسم قال حدثنا أبو هفان قال حدثنا سيف بن إبراهيم صاحب إبراهيم بن المهدي قال حدثني إبراهيم بن المهدي
أن الرشيد لما ولاه دمشق استوهبه صحبة دبية والغاضري وعبيدة بن أشعب وحكم الوادي فوهبهم له فأشخصهم معه قال فكان فيما حدثني به عبيدة قال إبراهيم
ركبت حمارة وهو عديلي ونمت على ظهرها فلما بلغنا ثنية العقاب اشتد علي البرد فاحتجت إلى الزيادة من الدثار فدعوت بدواج سمور فألقيته على ظهري ودعوت بمن كان معي في سمري في تلك الليلة وكانوا
حولي فقلت لابن أشعب حدثني بأعجب ما تعلم من طمع أبيك فقال أعجب من طمع أبي طمع ابنه فقلت وما بلغ من طمعك فقال دعوت آنفا لما اشتد عليك البرد بدواج سمور لتستدفىء به فلم أشك أنك دعوت به لتجعله علي فغلبني الضحك وخلعت عليه الدواج ثم قلت له ما أحسب لك قرابة بالمدينة فقال اللهم غفرا لي بالمدينة قرابات وأي قرابات قلت أيكونون عشرة قال وما عشرة قلت فعشرين قال اللهم غفرا لا تذكر العشرات ولا المئين وتجاوز ذكر الألوف إلى ما هو أكثر منها قلت ويحك ليس بينك وبين أشعب أحد فكيف يكون هذا فقال
إن زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان تزوج سكينة بنت الحسين فخف أبي على قلبها فأحسنت إليه وكانت عطاياها خلاف عطايا مولاه فمال إليها بكليته
قال وحج سليمان بن عبد الملك وهو خليفة فاستأذن زيد بن عمرو سكينة وأعلمها أنها أول سنة حج فيها الخليفة وأنه لا يمكنه التخلف عن الحج معه وكانت لزيد ضيعة يقال لها العرج وكان له فيها جوار فأعلمته أنها لا تأذن له إلا أن يخرج

أشعب معه فيكون عينا لها عليه ومانعا له من العدول إلى العرج ومن اتخاذ جارية لنفسه في بدأته ورجعته فقنع بذلك وأخرج أشعب معه وكان له فرس كثير الأوضاح حسن المنظر يصونه عن
الركوب إلا في مسايرة خليفة أو أمير أو يوم زينة وله سرج يصونه ولا يركب به غير ذلك الفرس وكان معه طيب لا يتطيب به إلا في مثل ذلك اليوم الذي يركب فيه وحلة موشية يصونها عن اللبس إلا في يوم يريد التجمل فيه بها فحج مع سليمان وكانت له عنده حوائج كثير فقضاها ووصله وأجزل صلته وانصرف سليمان من حجه ولم يسلك طريق المدينة وانصرف ابن عثمان يريد المدينة فنزل على ماء لبني عامر بن صعصعة ودعا أشعب فأحضره وصر صرة فيها أربعمائة دينار وأعلمه أنه ليس بينه وبين العرج إلا أميال وأنه إن أذن له في المسير إليها والمبيت بها عند جواريه غلس إليه فوافى وقت ارتحال الناس ووهب له أربعمائة دينار فقبل يده ورجله وأذن له في السير إلى حيث أحب وحلف له أنه يحلف لسكينة بالأيمان المحرجة أنه ما سار إلى العرج ولا اتخذ جارية منذ فارق سكينة إلى أن يرجع إليها فدفع إليه مولاه الدنانير ومضى
قال أبو إسحاق قال ابن أشعب حدثني أبي أنه لا يتوهم أن مولاه سار نصف ميل حتى رأى في الماء الذي كان عليه رحل زيد جاريتين عليهما قربتان فألقتا القربتين وألقتا ثيابهما عنهما ورمتا بأنفسهما في الغدير وعامتا فيه ورأى من مجردهما ما أعجبه واستحسنه فسألهما عند خروجهما من الماء عن نسبهما فأعلمتاه أنهما من إماء نسوة خلوف لبني عامر بن صعصعة هن بالقرب من ذلك الغدير فسألهما هل سبيل إلى مولياتهما لمحادثة شيخ
حسن الخلق طيب العشرة كثير النوادر فقالتا وأنى لهن بمن هذه صفته فقال لهما أنا ذاك فقالتا انطلق معنا فوثب إلى فرس زيد فأسرجه بسرجه الذي كان يسرجه به ويركبه ودعا بحلته التي كان يضن بها فلبسها وأحضر السفط الذي كان فيه طيبه فتطيب منه وركب الفرس ومضى معهما حتى وافى الحي فأقام في محادثة أهله إلى قرب وقت صلاة العصر فأقبل في ذلك الوقت رجال الحي وقد انصرفوا غانمين من غزاتهم وأقبلت تمر به الرعلة بعد الرعلة فيقفون به فيقولون ممن الرجل فينتسب في نسب زيد فيقول كل من اجتاز به ما نرى به بأسا وينصرفون عنه إلى قرب غروب الشمس فأقبل شيخ فان على حجر هرمة هزيل ففعل مثل ما كان يفعل من اجتاز فسأله مثلما يسألون عنه فأخبره بمثل ما كان يخبر من تقدمه فقال مثل قولهم
قال ابن أشعب قال أبي ثم رأيت الشيخ وقد وقف بعد قوله فأوجست منه خيفة لأني رأيته قد جعل يده اليسرى تحت حاجبيه فرفعهما ثم استدار ليرى وجهي فركبت الفرس فما استويت عليه حتى سمعته يقول أقسم بالله ما هذا قرشي وما هذا إلا وجه عبد فركضت وركض خلفي فرأى حجره مقصرة فلما يئس من اللحاق بي انتزع سهما فرماني به فوقع في مؤخرة السرج فكسرها ودخلتني من صوته روعة أحدثت لها في الحلة ووافيت رحل مولاي فغسلت الحلة ونشرتها فلم تجف ليلا وغلس مولاي من العرج فوافاني في وقت الرحيل فرأى الحلة منشورة ومؤخرة السرج
مكسورة والفرس قد أضر بها الركض وسفط الطيب مكسور الختم فسألني عن السبب فصدقته فقال لي ويحك أما كفاك ما صنعت بي حتى انتسبت في نسبي فجعلتني عند أشراف قومي من العرب جماشا وسكت عني فلم يقل لي أحسنت ولا أسأت حتى وافينا المدينة فلما وافاها سألته سكينة عن خبره فقال لها يا بنت رسول الله وما سؤالك إياي ولم يزل ثقتك معي وهو أمين علي فسليه عن خبري يصدقك عنه فسألتني فأخبرتها أني لم أنكر عليه شيئا ولم أمكنه من ابتياع جارية ولم أطلق له الاجتياز بالعرج فاستحلفتني على ذلك فلما حلفت لها بالأيمان المحرجة فيها طلاق أمك وثب فوقف بين يديها وقال أي ابنة عم ويا بنت رسول الله كذبك والله العلج ولقد أخذ مني أربعمائة دينار على أن أذن لي في المصير إلى العرج فأقمت بها يوما وليلة وغسلت بها عدة من جواري وها أنا ذا تائب إلى الله مما كان مني وقد جعلت توبتي هبتهن لك وتقدمت في حملهن إليك وهن موافيات المدينة في عشية اليوم فبيعهن أو عتقهن إليك الأمر فيه وأنت أعلم بما ترين في العبد السوء فأمرتني بإحضار أربعمائة الدينار فأحضرتها فأمرت بابتياع خشب بثلثمائة دينار وأمرت بنشره وليس عندي ولا عند أحد من أهل المدينة علم بما تريده فيه ثم أمرت بأن يتخذ بيت كبير وجعلت النفقة عليه في أجرة النجارين من المائة الدينار الباقية ثم أمرت بابتياع بيض وتبن وسرجين بما بقي من المائة الدينار بعد أجرة النجارين ثم أدخلتني البيت وفيه البيض والتبن والسرجين وحلفت بحق جدها ألا أخرج من ذلك البيت حتى أحضن ذلك البيض كله إلى أن يفقس ففعلت ذلك ولم أزل أحضنه حتى
فقس كله فخرج منه الألوف من الفراريج وربيت في دار سكينة فكانت تنسبهن إلي وتقول بنات أشعب
قال أبو إسحاق قال لي وبقي ذلك النسل في أيدي الناس إلى الآن فكلهم إخواني وأهلي قال فضحكت والله حتى غلبت وأمرت له بعشرة آلاف درهم فحملت بحضرتي إليه

أزواج سكينة

أخبرني الطوسي والحرمي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال
تزوجت سكينة بنت الحسين عليه السلام عدة أزواج أولهم عبد الله بن الحسن بن علي وهو ابن عمها وأبو عذرتها ومصعب بن الزبير وعبد الله بن عثمان الحزامي وزيد بن عمرو بن عثمان والأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ولم يدخل بها وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ولم يدخل بها
قال مصعب ويحيى بن الحسن العلوي إن عبد الله بن حسن زوجها كان يكنى أبا جعفر وأمه بنت السليل بن عبد الله البجلي أخي جرير بن عبد الله
قال ثم خلفه عليها مصعب بن الزبير زوجه إياها أخوها علي بن الحسين ومهرها مصعب ألف ألف درهم
قال مصعب وحدثني مصعب بن عثمان أن علي بن الحسين أخاها حملها إليه فأعطاه أربعين ألف دينار
قال مصعب وحدثني معاوية بن بكر الباهلي قال قالت سكينة
دخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة في الليلة القرة
قال فولدت من مصعب بنتا فقال لها سميها زهراء قالت بل أسميها باسم إحدى أمهاتي وسمتها الرباب فلما قتل مصعب ولي أخوه عروة تركته فزوجها يعني الرباب بنت مصعب ابنه عثمان بن عروة فماتت وهي صغيرة فورثها عثمان بن عروة عشرة آلاف دينار
قال الزبير فحدثني محمد بن سلام عن شعيب بن صخر عن أمه سعدة بنت عبد الله بن سالم قالت
لقيت سكينة بين مكة ومنى فقالت قفي لي يابنة عبد الله فوقفت فكشفت عن بنتها من مصعب فإذا هي قد أثقلتها بالحلي واللؤلؤ فقالت ما ألبستها إياه إلا لتفضحه

قال الزبير وحدثني عمي عن الماجشون قال
قالت سكينة لعائشة بنت طلحة أنا أجمل منك وقالت عائشة بل أنا
فاختصمتا إلى عمر بن أبي ربيعة فقال لأقضين بينكما أما أنت يا سكينة فأملح منها وأما أنت يا عائشة فأجمل منها
فقالت سكينة قضيت لي والله وكانت سكينة تسمي عائشة ذات الأذنين وكانت عظيمة الأذنين
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا المدائني قال
خطب سكينة بنت الحسين عليه السلام عبد الملك بن مروان فقالت أمها لا والله لا يتزوجها أبدا وقد قتل ابن أخي تعني مصعبا
وأما محمد بن سلام الجمحي فإنه ذكر فيما أخبرني به أبو الحسن الأسدي عن الرياشي عنه
أن أبا عذرتها هو عندي عبد الله بن الحسن بن علي ثم خلف عليها العثماني ثم مصعب بن الزبير ثم الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان فقال فيه بعض المدنيين
(نَكَحتْ سُكينة بالحساب ثلاثةً ... فإذا دخلتَ بها فأنت الرابعُ)
قال وكان يتولى مصر فكتبت إليه إن أرض مصر وخمة فبنى لها مدينة تسمى مدينة الأصبغ وبلغ عبد الملك تزوجه إياها فنفس بها عليه فكتب إليه اختر مصر أو سكينة فبعث إليها بطلاقها ولم يدخل بها ومتعها بعشرين ألف دينار ومروا بها في طريقها على منزل فقالت ما اسم هذا المنزل قالوا جوف الحمار قالت ما كنت لأدخل جوف الحمار أبدا
وذكر محمد بن سلام في هذا الخبر الذي رواه الرياشي عن شعيب بن صخر أن الحزامي عبد الله بن عثمان خلف الأصبغ عليها وولدت منه بنتا وذكر عن أمه سعدة بنت عبد الله أن سكينة أرتها بنتها من الحزامي وقد أثقلتها باللؤلؤ وهي في قبة فقالت والله ما ألبستها إياه إلا لتفضحه تريد أنها تفضح الحلي بحسنها لأنها أحسن منه
أخبرني ابن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن صالح بن حسان وغيره
أن سكينة كانت عند عمرو بن حكيم بن حزام ثم تزوجها بعده زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان ثم تزوجها مصعب بن الزبير فلما قتل مصعب خطبها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف فبعثت إليه أبلغ من حمقك أن تبعث إلى سكينة بنت الحسين بن فاطمة بنت رسول الله تخطبها فأمسك عن ذلك
قال ثم تنفست يوما بنانة جارية سكينة وتنهدت حتى كادت أضلاعها تتحطم فقالت لها سكينة مالك ويلك قالت أحب أن أرى في الدار جلبة تعني العرس فدعت مولى لها تثق به فقالت له اذهب إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف فقل له إن الذي كنا ندفعك عنه قد بدا لنا فيه أنت من أخوال رسول الله فأحضر بيتك قال فجمع عدة من بني زهرة وأفناء قريش من بني جمح وغيرهم نحوا من سبعين رجلا أو ثمانين ثم أرسل إلى
علي بن الحسين والحسن بن الحسن وغيرهم من بني هاشم فلما أتاهم الخبر اجتمعوا وقالوا هذه السفيهة تريد أن تتزوج إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف فتنادى بنو هاشم واجتمعوا وقالوا لا يخرجن أحد منكم إلا ومعه عصا فجاؤوا وما بقي إلا الكلام فقال اضربوا بالعصى فاضطربوا هم وبنو زهرة حتى تشاجوا فشج بينهم يومئذ أكثر من مائة إنسان ثم قالت بنو هاشم أين هذه قالوا في هذا البيت فدخلوا إليها فقالوا أبلغ هذا من صنعك ثم جاؤوا بكساء طاروقي فبسطوه ثم حملوها وأخذوا بجوانبه - أو قال بزواياه الأربع - فالتفتت إلى بنانة فقالت يا بنانة أرأيت في الدار جلبة قالت إي والله إلا أنها شديدة
وقال هارون بن الزيات أخبرني أبو حذيفة عن مصعب قال
كان أول أزواج سكينة عبد الله بن الحسن بن علي قتل عنها ولم تلد له
وخلف عليها مصعب فولدت له جارية ثم خلف عليها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام فنشزت عليه فطلقها ثم خلف عليها الأصبغ بن عبد العزيز فأصدقها صداقا كثيرا فقال الشاعر
(نكحت سُكَينة بالحساب ثلاثة ... فإذا دخلت بها فأنت الرابعُ)
(إن البقيع إذا تتابع زرعُه ... خاب البقيعُ وخاب فيه الزارع)
وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فغضب وقال أما تزوجنا أحسابنا حتى تزوجنا أموالنا فطلقها فطلقها فخلف عليها العثماني وشرطت عليه ألا يطلقها ولا يمنعها شيئا تريده وأن يقيمها حيث خلتها أم منظور ولا يخالفها
في أمر تريده فكانت تقول له يابن عثمان اخرج بنا إلى مكة فإذا خرج بها فسارت يوما أو يومين قالت ارجع بنا إلى المدينة فإذا رجع يومه ذاك قالت اخرج بنا إلى مكة فقال له سليمان بن عبد الملك أعلم أنك قد شرطت لها شروطا لم تف بها فطلقها فطلقها فخلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف فكره ذلك أهلها وخاصموه إلى هشام بن إسماعيل فبعث إليها يخيرها فجاء إبراهيم بن عبد الرحمن من حيث تسمع كلامه فقال لها جعلت فداءك قد خيرتك فاختاريني فقالت قلت ماذا بأبي تهزأ بي فعرف ذلك فانصرف وخيروها فقالت لا أريده
قال وماتت فصلى عليها شيبة بن نصاح
وأما ابن الكلبي فذكر فيما أخبرنا به الجوهري عن عمر بن شبة عن عبد الله بن محمد بن حكيم عنه
أن أول أزواجها الأصبغ ومات ولم يرها ثم زيد بن عمرو العثماني قال وولدت له ابنه عثمان الذي يقال له قرين ثم الحزامي ثم خلف عليها مصعب فولدت له جارية ثم خلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ولم يدخل بها
قال عمر بن شبة وحدثني محمد بن يحيى قال
تزوج مصعب سكينة وهو يومئذ بالبصرة عامل لأخيه عبد الله بن الزبير وكان بين مصعب وبين أخيه رسول يقال له أبو السلاس وهو الذي جاء بنعيه فقال ابن قيس فيه
(قد أتانا بما كرهنا أبو السلاَّس ... كانت بنفسه الأوجاع)
وفي هذا الشعر غناء قد ذكر في موضعه وهذا غلط من محمد بن يحيى ليست قصة أبي السلاس مع مصعب وإنما هي مع ابن جعفر
قال محمد بن يحيى ولما تزوج مصعب سكينة على ألف ألف كتب عبد الله بن همام على يد أبي السلاس إلى عبد الله بن الزبير
(أبلغ أمير المؤمنين رسالة ... من ناصح لك لا يريد خِداعا)
(بُضْع الفتاة بألف ألف كاملٍ ... وتبيت سادات الجنود جياعا)
(لو لأبي حفص أقول مقالتي ... وأبث ما أبثثتكم لارتاعا)

قال وكان ابن الزبير قد أوصاه ألا يعطيه أحد كتابا إلا جاء به فلما أتاه بهذا الكتاب قال صدق والله لو يقول هذه المقالة لأبي حفص لارتاع من تزويج امرأة على ألف ألف درهم ثم قال إن مصعبا لما وليته البصرة أغمد سيفه وسل أيره وعزله عن البصرة وأمره أن يجيء على ذات الجيش وقال إني لأرجو أن يخسف الله بك فيها فبلغ عبد الملك بن مروان قول عبد الله في مصعب فقال لكن عبد الله والله أغمد سيفه وأيره وخيره

مغاضبة زيد بن عمرو العثماني لسكينة

قال ابن زيد أخبرني محمد بن يحيى عن ابن شهاب الزهري قال

ذكر أن زيد بن عمرو بن عثمان العثماني خرج إلى مال له مغاضبا لسكينة وعمر بن عبد العزيز يومئذ والي المدينة فأقام سبعة أشهر فاستعدته سكينة على زيد وذكرت غيبته مع ولائده سبعة أشهر وأنها شرطت عليه أنه إن مس امرأة أو حال بينها وبين شيء من ماله أو منعها مخرجا تريده فهي خلية فبعث إليه عمر فأحضره وأمر ابن حزم أن ينظر بينهما

قال حدثني أبو بكر بن عبد الله قال بعثني عمر وبعث معي محمد بن معقل بن يسار الأشجعي إلى ابن حزم وقال اشهدا قضاءه

فدخلنا عليه وعنده زيد جالس وفاطمة امرأة ابن حزم في الحجلة وجاءت سكينة فقال ابن حزم أدخلوها وحدها فقالت والله لا أدخل إلا ومعي ولائدي فأدخلن معها فلما دخلت قالت يا جارية أثني لي هذه الوسادة ففعلت وجلست عليها ولصق زيد بالسرير حتى كاد يدخل في جوفه خوفا منها فقال لها ابن حزم يابنة الحسين إن الله عز وجل يحب القصد في كل شيء فقالت له وما أنكرت مني إني وإياك والله كالذي يرى الشعرة في عين صاحبه ولا يرى الخشبة في عينه فقال لها أما والله لو كنت رجلا لسطوت بك فقالت له يابن فرتنى ألا تزال تتوعدني وشتمته وشتمها فلما بلغا ذلك قال ابن أبي الجهم العدوي ما بهذا أمرنا فأمض الحكم ولا تشاتم فقالت لمولاة لها من هذا قالت أبو بكر بن عبد الله بن أبي الجهم فقالت لا أراك ههنا وأنا اشتم بحضرتك ثم هتفت برجال قريش وحضت ابن أبي الجهم وقالت اما والله لو كان أصحاب الحرة أحياء لقتلوا هذا العبد اليهودي عند شتمه إياي أي عدو الله تشتمني وأبوك الخارج مع يهود صبابة بدينهم لما أخرجهم رسول الله إلى أريحاء يابن فرتنى قال وشتمها وشتمته

قال ثم أحضرنا زيدا فكلمها وخضع لها فقالت ما أعرفني بك يا

زيد والله لا تراني أبدا أتراك تمكث مع جواريك سبعة أشهر لا تقربهن املأ عينك الآن مني فإنك لا تراني بعد الليلة أبدا وجعلت تردد هذا القول ومثله فكلما تكلمت ترفث لابن حزم وامرأته في الحجلة وهو يقلق لسماع امرأته ذلك فيه ثم حكم بينهما بأن سكينة إن جاءت ببينة على ما ادعنه وإلا فاليمين على زيد فقامت وقالت لزيد يابن عثمان تزود مني بنظرة فإنك والله لا تراني بعد الليلة أبدا وابن حزم صامت ثم خرجنا وجئنا إلى عمر بن عبد العزيز وهو ينتظرنا في وسط الدار في ليلة شاتية فسألنا عن الخبر فأخبرناه فجعل يضحك حتى أمسك بطنه ثم دعا زيدا من غد فأحلفه ورد سكينة عليه

وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار عن عمه قال

قالت سكينة لأم أشعب سمعت للناس خبرا قالت لا فبعثت إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف فتزوجته وبلغ ذلك بني هاشم فأنكروه وحملوا العصي وجاؤوا فقاتلوا بني زهرة حتى كثرت الشجاج ثم فرق بينهم وخيرت سكينة فأبت نكاح إبراهيم ثم التفتت إلى أم أشعب وقالت أترين الآن أنه كان للناس اليوم خبر قالت أي والله - بأبي أنت - وأي خبر

زوجها بخيل وهي تبغض أهل الكوفة

قال هارون بن الزيات وجدت في كتاب القاسم بن يوسف حدثني الهيثم بن عدي عن أشعب قال

تزوج زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان سكينة وكان أبخل قرشي رأيته فخرج حاجا وخرجت سكينة معه فلم تدع إوزة ولا دجاجة ولا خبيصا ولا

فاكهة إلا حملته معها وأعطتني مائة دينار وقالت يابن أم حميدة اخرج معنا فخرجت ومعنا طعام على خمسة أجمال فلما أتينا السيالة نزلنا وأمرت بالطعام أن يقدم فلما جيء بالأطباق أقبل أغيلمة من الأنصار يسلمون على زيد فلما رآهم قال أوه خاصرتي باسم الله ارفعوا الطعام وهاتوا الترياق والماء الحار فأتي به فجعل يتوجرهما حتى انصرفوا ورحلنا وقد هلكت جوعا فلم آكل إلا مما اشتريته من السويق فلما كان من الغد أصبحت وبي من الجوع ما الله أعلم به ودعا بالطعام وأتي به قال فأمر بإسخانه وجاءته مشيخة من قريش يسلمون عليه فلما رآهم اعتل بالخاصرة ودعا بالترياق والماء الحار فتوجره ورفع الطعام فلما ذهبوا أمر بإعادته فأتي به وقد برد فقال لي يا أشعب هل إلى إسخان هذا الدجاج سبيل فقلت له أخبرني عن دجاجك هذا أمن آل فرعون فهو يعرض على النار غدوا وعشيا

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عوانة قال

جاء قوم من أهل الكوفة يسلمون على سكينة فقالت لهم الله يعلم أني أبغضكم قتلتم جدي عليا وأبي الحسين وأخي عليا وزوجي مصعبا فبأي وجه تلقونني أيتمتموني صغيرة وأرملتموني كبيرة

أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن المدائني قال بينما

سكينة ذات ليلة تسير إذ سمعت حاديا يحدو في الليل يقول

(... لولا ثلاث هنَّ عيشُ الدهر)

فقالت لقائد قطارها ألحق بنا هذا الرجل حتى نسمع منه ما هذه الثلاث فطال طلبه لذلك حتى أتعبها فقالت لغلام لها سر أنت حتى تسمع منه فرجع إليها فقال سمعته يقول

(... الماء والنوم وأم عمرو)

فقالت قبحه الله أتعبني منذ الليلة

قال وحدثني المدائني أن أشعب حج مع سكينة فأمرت له بجمل قوي يحمل أثقاله فأعطاه القيم جملا ضعيفا فلما جاء إلى سكينة قالت له أعطوك ما أردت قال عرسه الطلاق لو أنه حمل قتبا على الجمل لما حمله فكيف يحمل محملا

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة عن نعيم بن سالم بن علي الأنصاري عن سفيان بن حرب قال رأيت سكينة بنت الحسين عليه السلام ترمي الجمار فسقطت من يدها الحصاة السابعة فرمت بخاتمها مكانها

وقال هارون بن الزيات حدثني أبو حذافة السهمي قال أخبرني غير واحد منهم محمد بن طلحة

أن سكينة ناقلت بمالها بالزوراء إلى قصر يقال له البريدي بلزق الجماء فلما سال العقيق خرجت ومعها جواريها تمشي حتى جاءت السيل فجلست

على جرفه ومالت برجليها في السيل ثم قالت هذا في است المغبون والله لهذه الساعة من هذا القصر خير من الزوراء
قال وكان البريدي قصرا لا غلة له وإنما يتنزه فيه وكانت غلة الزوراء غلة وافرة عظيمة
بدراقس يجري لها عملية جراحية
وقال هارون وحدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه وعمه وغيرهما من مشايخ الهاشميين والطالبيين
أن سكينة بنت الحسين عليه السلام خرجت بها سلعة في أسفل عينها فكبرت حتى أخذت وجهها وعينها وعظم شأنها
وكان بدراقس منقطعا إليها في خدمتها فقالت له ألا ترى ما قد وقعت فيه فقال لها أتصبرين على ما يمسك من الألم
حتى أعالجك قالت نعم فأضجعها وشق جلد وجهها حتى ظهرت السلعة ثم كشط الجلد عنها أجمع وسلخ اللحم من
تحتها حتى ظهرت عروق السلعة وكان منها شيء تحت الحدقة فرفع الحدقة عنه حتى جعلها ناحية ثم سل عروق
السلعة من تحتها فأخرجها أجمع ورد العين إلى موضعها وعالجها وسكينة مضطجعة لا تتحرك ولا تئن حتى فرغ مما أراد
فزال عنها وبرئت منها وبقي أثر تلك الجراحة في مؤخر عينها فكان أحسن شيء في وجهها وكان أحسن على وجهها
من كل حلي وزينة ولم يؤثر ذلك في نظرها ولا في عينها
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال أخبرني عيسى بن إسماعيل عن محمد بن سلام
عن جرير المديني عن المدائني وأخبرني به محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن
أبيه عن محمد بن سلام وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن عمر بن شبة موقوفا عليه قالوا
اجتمع في ضيافة سكينة بنت الحسين عليه السلام جرير والفرزدق وكثير وجميل ونصيب فمكثوا أياما ثم أذنت لهم
فدخلوا عليها فقعدت حيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم ثم أخرجت وصيفة لها وضيئة وقد روت الأشعار والأحاديث
فقالت أيكم الفرزدق فقال لها هأنذا فقالت أنت القائل
(هما دلّتاني من ثمانينَ قامةً ... كما انحط بازٍ أقتم الريش كاسرُه)
(فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا ... أحي يُرجّى أم قتيل نحاذرُه)
(فقلت ارفعوا الأمراس لا يشعروا بنا ... وأقبلتُ في أعجاز ليلٍ أبادِرُه)
(أبادر بوابَيْن قد وُكّلا بنا ... وأحمر من ساج تبصُّ مسامرُه)
قال نعم قالت فما دعاك إلى إفشاء سرها وسرك هلا سترتها وسترت نفسك خذ هذه الألف والحق بأهلك
ثم دخلت على مولاتها وخرجت فقالت أيكم جرير فقال لها هأنذا فقالت أنت القائل
((طرقتكَ صائدة القلوب وليس ذا ... حينَ الزيارةِ فارجعي بسلامِ
(تَجْري السواك على أغرّ كأنه ... بَرَد تحدر من متون غَمام)
(لو كان عهدك كالذي حدثتنا ... لوصلتِ ذاك فكان غير رمامِ)
(إني أواصل من أردتُ وصاله ... بحبالِ لا صلِفٍ ولا لَوّام)
قال نعم قالت أفلا أخذت بيدها ورحبت بها وقلت لها ما يقال لمثلها أنت عفيف وفيك ضعف خذ هذه الألف والحق بأهلك
ثم دخلت على مولاتها وخرجت فقالت أيكم كثير فقال هأنذا فقالت أنت القائل
(وأعجبني يا عَزُّ منك خلائق ... كرام إذا عُدَّ الخلائق أربعُ)
(دنوُّك حتى يطمع الطالبُ الصِّبا ... ودفعك أسبابَ الهوى حين يطمع)
(وقطعُك أسبابَ الكريم ووصلك الْلئيم ... وخَلاَّت المكارم ترفع)
(فوالله ما يدري كريم مماطَلٌ ... أينساك إذ باعدتِ أم يتضرعُ)
قال نعم قالت ملحت وشكلت خذ هذه الثلاثة الآلاف والحق بأهلك
ثم دخلت إلى مولاتها وخرجت فقالت أيكم نصيب قال هأنذا قالت أأنت القائل
(ولولا أن يقال صبا نُصَيْب ... لقلت بنفسيَ النَّشَأُ الصِّغارُ)
((بنفسي كل مهضوم حشاها ... إذا ظُلِمتْ فليس لها انتصار
قال نعم قالت ربيتنا صغارا ومدحتنا كبارا خذ هذه الأربعة الآلاف والحق بأهلك
ثم دخلت على مولاتها وخرجت فقالت يا جميل مولاتي تقرئك السلام وتقول لك والله ما زلت مشتاقة لرؤيتك منذ سمعت قولك
(ألا ليتَ شعري هل أبيتن ليلةً ... بوادي القُرَى إني إذاً لسعيدُ)
(لكلِّ حديثٍ بينهن بشاشة ... وكلُّ قتيل عندهن شهيد)
جعلت حديثنا بشاشة وقتلانا شهداء خذ هذه الأربعة الآلاف الدينار والحق بأهلك
سكينة تحكم في شعر الشعراء
أخبرني ابن أبي الأزهر قال حدثنا حماد عن أبيه عن أبي عبد الله الزبيري قال
اجتمع بالمدينة راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية نصيب وراوية الأحوص فافتخر كل واحد منهم بصاحبه وقال صاحبي أشعر فحكموا
سكينة بنت الحسين بن علي عليهما السلام لما يعرفونه من عقلها وبصرها بالشعر فخرجوا يتقادون حتى استأذنوا
عليها فأذنت لهم فذكروا لها الذي كان من أمرهم فقالت لراوية جرير أليس صاحبك الذي يقول
(طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... حينَ الزيارةِ فارجعي بسلامِ)
وأي ساعة أحلى للزيارة من الطروق قبح الله صاحبك وقبح شعره ألا قال فادخلي بسلام
ثم قالت لراوية كثير أليس صاحبك الذي يقول
(يَقَرّ بعيني ما يقرُّ بعينها ... وأحسن شيء ما به العين قَرّتِ)
فليس شيء أقر لعينها من النكاح أفيحب صاحبك أن ينكح قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قالت لراوية جميل أليس صاحبك الذي يقول
(فلو تَرَكَتْ عقلِي معي ما طلبتُها ... ولكن طِلابيها لما فات من عقلي)
فما أرى بصاحبك من هوى إنما يطلب عقله قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قالت لراوية نصيب أليس صاحبك الذي يقول
(أهيم بدعد ما حييت فإن أَمُت ... فيا حَرَبا من ذا يهيم بها بعدِي)
فما أرى له همة إلا من يتعشقهما بعده قبحه الله وقبح شعره ألا قال

(أهيم بدعد ما حييت فإن أمت ... فلا صَلَحت دعد لذي خُلَّة بعدي)
ثم قالت لراوية الأحوص أليس صاحبك الذي يقول
(مِن عاشقين تواعدا وتراسلا ... ليلا إذا نجمُ الثريا حَلَّقا)
(باتا بأنعمِ ليلة وألذها ... حتى إذا وضَح الصباحُ تفرّقا)
قال نعم قالت قبحه الله وقبح شعره ألا قال تعانقا
قال إسحاق في خبره فلم تثن على أحد منهم في ذلك اليوم ولم تقدمه
قال وذكر لي الهيثم بن عدي مثل ذلك في جميعهم إلا جميلا فإنه خالف هذه الرواية وقال فقالت لراوية جميل أليس صاحبك الذي يقول
(فيا ليتني أعمى أصمُّ تقودني ... بُثَينة لا يَخْفى علي كلامها)
قال نعم قالت رحم الله صاحبك كان صادقا في شعره كان جميلا كاسمه فحكمت له
وفي الأشعار المذكورة في الأخبار أغان تذكر ها هنا نسبتها
فمنها
صوت
(هما دلتانِي من ثمانين قامةً ... كما انقض بازٍ أقتم الريش كاسرُهْ)
(فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا ... أحَيٌّ يرجَّى أم قتيل نحاذره)
عروضه - الطويل - الشعر للفرزدق والغناء للحجبي - ورمل - بالبنصر عن الهشامي وحبش
وأخبرني أبو خليفة في كتابه إلي قال حدثنا محمد بن سلام عن يونس وحدثنا به اليزيدي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا محمد بن سلام عن يونس قال
كان للفرزدق غلامان يقال لأحدهما وقّاع وللآخر زنقطة قال ولوقاع يقول الفرزدق
(تغلغل وقّاع إليها فأقبلت ... تخوض خُداريا من الليل أخضرا)
(لطيف إذا ما انغلَّ أدرك ما ابتغى ... إذا هو للظبي المرَوع تقتَّرا)
وله يقول أيضا
(فأبْلَغَهنّ وحيَ القولِ عني ... وأدخل رأسه تحت القِرامِ)
(أُسَيِّد ذو خُرَيِّطةٍ نهارا ... من المتلقِّطِي قَرَدِ القُمامِ)
(فقلن له نواعدك الثريا ... وذاك إليه مجتمعُ الزِّحام)
صوت
(ثلاث واثنتان فهن خمسٌ ... وسادسة تميل مع السَّنام)
(خرجن إليّ لم يطمثنَ قبلي ... فهُن أصح من بيض النعام)
(فبتن بجانبيَّ مُصَرَّعاتٍ ... وبت أفُضُّ أغلاق الختام)
في هذه الأبيات الثلاثة لابن جامع - خفيف رمل - بالبنصر عن الهشامي
وفيها هزج يمان بالوسطى عن عمرو بن بانة وذكر حبش أن الهزج لفليح وأن لحن ابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى
أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال قال الفرزدق وهو بالمدينة
(هما دلتانِي من ثمانين قامةً ... كما انقض بازٍ أقتم الريش كاسرُه)
(فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا ... أحَيٌّ يُرجَّى أم قتيل نحاذره)
(فقلت ارفعوا الأسباب لا يفطُنوا بنا ... ووليت في أعجاز ليل أبادره)
(أبادر بوابَيْن قد وُكِّلا بنا ... وأحمرَ من ساجٍ تبِصُ مسامرُهْ)
(وأصبحت في القوم الجلوس وأصبحت ... مُغلَّقة دوني عليها دساكرُه)
قال فأنكرت ذلك قريش عليه وأزعجه مروان عن المدينة وهو واليها لمعاوية وأجله ثلاثة أيام فقال
(يا َمْروَ إنّ مطيتي محبوسة ... ترجوا الحِباء وربها لم ييأس)
(وأتيتني بصحيفةٍ مختومةٍ ... أخشى عليّ بها حِباءَ النِّقْرِس)
(ألق الصحيفة يا فرزدقُ لا تكن ... نكداءَ مثلَ صحيفة المتلمس)
وقال في ذلك
(وأخرجني وأجَّلني ثلاثا ... كما وُعِدت لمهلِكِها ثمودُ)
وذكر ذلك جرير في مناقضته إياه فقال
(وشبهتَ نفسك أشقى ثمودٍ ... فقالوا ضَلَلْت ولم تهتدِ)
يعني تأجيل مروان له ثلاثا وقال فيه أيضا جرير
(تدليتَ تزني من ثمانين قامةً ... وقَصَّرت عن باع العلا والمكارم)
وهما قصيدتان
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق أنشدني أجود شعر قلته فأنشده قوله
(عَزَفْتَ بأعشاشٍ وما كدتَ تعزفُ ... وأنكرت من حَدْراء ما كنت تعرفُ)
فقال له زدني فأنشده قوله
(ثلاث واثنتان فهن خمس ... وسادسة تميل إلى الشمام)
فقال له سليمان ما أظنك إلا قد أحللت بنفسك العقوبة أقررت بالزنا عندي وأنا إمام ولا بد لي من إقامة الحد عليك قال إن أخذت في بقول الله عز وجل لم تفعل قال وما قال الله عز وجل قال قال (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون) فضحك سليمان وقال تلافيتها ودرأت عن نفسك وأمر له بجائزة سنية وخلع عليه
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال
نزل الفرزدق هو ومن معه بقوم من العرب فأنزلوه وأكرموه وأحسنوا قراه فلما كان في الليل دب إلى جارية منهم فراودها

عن نفسها فصاحت فتبادر القوم إليها فأخذوها من يده وأنبوه فجعل يفكر واهتم فقال له الرجل الذي نزل به مالك أتحب أن أزوجك من هذه الجارية فقال لا واللَّه ما ذلك بي ولكني كأني بابن المراغة قد بلغه هذا الخبر فقال في
(وكنتَ إذا حللتَ بدار قوم ... رحلتَ بخَزْيَة وتركت عارا)
فقال له الرجل لعله لا يفطن لهذا فقال عسى أن يكون ذلك قال فوالله ما لبثوا أن مر بهم راكب ينشد هذا البيت فسألوه عنه فأنشدهم قصيدة لجرير يعيره بذلك الفعل وفيها هذا البيت بعينه
ومنها
صوت
(طرقتك صائدةُ القلوب وليس ذا ... حِين الزيارة فارجعي بسلامِ)
(تُجْري السواكَ على أغرَّ كأنه ... بَرَد تحدَّر من مُتون غَمام)
((هيهاتَ منزلُنا بجوّ سُوَيْقةٍ ... ممن يَحِلّ بواطن الآجام)
(إقر السلام على سُعاد وقُل لها ... لَوْمَا تردّ رسولنا بسلام)
الشعر لجرير والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن ابن المكي وذكره إسحاق في هذه الطريق أيضا ولم ينسبه إلى أحد وأظنه من منحول يحيى وذكره عمرو بن بانة أيضا لابن سريج في الثاني والرابع في هذه الطريقة وذكر علي بن يحيى أن فيه لابن سريج ثقيل أول في الثاني والثالث وأنكر ذلك حبش وقال هو بالوسطى قال علي بن يحيى ومن الناس من ينسبه إلى سياط وذكر حبش أن فيه للهذلي خفيف ثقيل بالبنصر وللغريض ثاني ثقيل بالوسطى ومنها
صوت
(مِن عاشقين تراسلا وتواعدا ... لِيلاً إذا نجم الثريا حَلَّقا)
(بعثا أمامهما مخافة رقبة ... رَصَداً فمزّق عنهما ما مَزَّقا)
(باتا بأنعم ليلة وألذها ... حتى إذا وضح الصباحُ تفرقا)
الشعر للأحوص والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالبنصر عن يونس والهشامي
رجع الحديث إلى أخبار سكينة
سكينة والفرزدق
وروى أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن أبي يعقوب الثقفي عن عامر الشعبي وذكر أيضا أبو عبيدة معمر بن المثنى
أن الفرزدق خرج حاجا فلما قضى حجه خرج إلى المدينة فدخل على سكينة بنت الحسين عليه السلام مسلما فقالت له يا فرزدق من أشعر الناس قال أنا قالت كذبت أشعر منك الذي يقول
(بنفسيَ من تجنُّبه عزيزٌ ... عليّ ومن زيارته لِمامُ)
(ومن أُمسي وأُصبح لا أراه ... ويَطْرُقني إذا هجَع النِّيامُ)
قال والله لئن أذنت لي لأسمعنك أحسن منه قالت أقيموه فأخرج ثم عاد إليها من الغد فدخل عليها فقالت يا فرزدق من أشعر الناس قال أنا قالت كذبت صاحبك أشعر منك حيث يقول
(لولا الحياء لعادني استعبارُ ... ولزرتِ قبرَك والحبيب يزارُ)
(كانت إذا هجر الضجيعُ فراشها ... كُتِم الحديث وعفَّتِ الأسرارُ)
(لا يُلْبِث القرناءَ أن يتفرقوا ... ليلٌ يكُرّ عليهم ونهارُ)
فقال والله لئن أذنت لي لأسمعنك أحسن منه فأمرت به فأخرج ثم عاد إليها في اليوم الثالث وحولها مولدات كأنهن التماثيل فنظر الفرزدق إلى واحدة منهن فأعجب بها فقالت يا فرزدق من أشعر الناس فقال أنا فقالت كذبت صاحبك أشعر منك حيث يقول
(إن العيون التي في طرفها مَرَض ... قتلننا ثم لم يُحْيِين قتلانا)
(يَصْرَعن ذا اللب حتى لا حَرَاك به ... وهن أضعفُ خلق الله أركانا)
فقال يا بنت رسول الله إن لي عليك حقا عظيما ضربت إليك من مكة أريد التسليم عليك فكان في دخولي إليك تكذيبي ومنعك إياي أن أسمعك وبي ما قد عيل معه صبري وهذه المنايا تغدو وتروح ولعلي لا أفارق المدينة حتى أموت فإن أنا مت فمري أن أدرج في كفني وأدفن في حر تلك الجارية يعني الجارية التي أعجبته فضحكت سكينة وأمرت له بالجارية فخرج بها آخذا بريطتها وأمرت الجواري أن يدفعن في أقفائهما ثم قالت يا فرزدق أحسن صحبتها فإني آثرتك بها على نفسي
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا علي بن محمد النوفلي قال حدثني أبي عن أبيه وعمومته وجماعة من شيوخ بني هاشم
أنه لم يصل على أحد بعد رسول الله بغير إمام إلا سكينة بنت الحسين عليه السلام فإنها ماتت وعلى المدينة خالد بن عبد الملك فأرسلوا إليه فآذنوه بالجنازة وذلك في أول النهار في حر شديد فأرسل إليهم لا تحدثوا حدثا حتى أجيء فأصلي عليها فوضع النعش في موضع المصلى على
الجنائز وجلسوا ينتظرونه حتى جاءت الظهر فأرسلوا إليه فقال لا تحدثوا فيها شيئا حتى أجيء فجاءت العصر ثم لم يزالوا ينتظرونه حتى صليت العشاء كل ذلك يرسلون إليه فلا يأذن لهم حتى صليت العتمة ولم يجيء ومكث الناس جلوسا حتى غلبهم النعاس فقاموا فأقبلوا يصلون عليها جمعا جمعا وينصرفون فقال علي بن الحسين عليه السلام من أعان بطيب رحمه الله قال وإنما أراد خالد بن عبد الملك فيما ظن قوم أن تنتن قال فأتي بالمجامر فوضعت حول النعش ونهض ابن أختها محمد بن عبد الله العثماني فأتى عطارا كان يعرف عنده عودا فاشتراه منه بأربعمائة دينار ثم أتى به فسجر حول السرير حتى أصبح وقد فرغ منه فلما صليت الصبح أرسل إليهم صلوا عليها وادفنوها فصلى عليها شيبة بن نصاح وذكر يحيى بن الحسين في خبره أن عبد الله بن حسن هو الذي ابتاع لها العود بأربعمائة دينار
صوت
(وأنا الأخضرُ من يعرفني ... أخضرُ الجلدة من بيت العَرَبْ)
(من يساجلْني يساجلْ ماجداً ... يملأ الدلوَ إلى عَقْد الكَرَبْ)

(إنما عبد مناف جوهر ... زيَّن الجوهرَ عبدُ المطلِبْ)
(كل قوم صيغة من فضة ... وبنو عبد مناف من ذَهَبْ)
((نحن قوم قد بنى الله لنا ... شرفاً فوق بُيوتات العرب
(بنبي الله وابني عمه ... وبعباس بن عبد المطَّلِبْ)
الشعر للفضل بن العباس اللهبي والغناء لمعبد - ثقيل - أول بالبنصر في الأول والثاني والثالث ولابن محرز في الأول والثاني - خفيف ثقيل - أول مطلق في مجرى البنصر وذكر يونس أن فيهما لمعبد ومالك وابن محرز وابن مسجح وابن سريج خمسة ألحان وذكر الهشامي أن لحن ابن سريج رمل ولحن مالك - خفيف ورمل - ولحن معبد - خفيف ثقيل - ولحن ابن محرز - ثقيل - أول وذكر ابن المكي أن الثقيل الأول لمالك وذكر عمرو بن بانة في كتابه الثاني أن لابن مسجح أو لابن محرز فيه - خفيف رمل - وذكر الهشامي أن فيه رملا آخر بالوسطى لأبي سعيد مولى فائد ولأبي الحسن مولى سكينة في الثالث والرابع - خفيف ثقيل - وذكر حبش أن لابن صاحب الوضوء في الأول
والثاني ثاني - ثقيل - بالبنصر ولابن سريج - ثقيل - أول بالبنصر وذكر حماد عن أبيه أن لابن عائشة فيهما لحنا ووافقه ابن المكي وذكر أنه - خفيف رمل - قال وقيل إنه لدحمان وذكر ابن خرداذبه أن لخليدة المكية في الرابع والثالث - خفيف رمل - وفي الخامس والسادس والأول - رمل - يقال إنه لإبراهيم ويقال إنه لإسحاق والخامس والسادس من هذه الأبيات وإن كان شعر الفضل بن العباس اللهبي فليس من القصيدة التي فيها
(... وأنا الأخضر من يعرفني)
لكن من قصيدة له أولها
(شاب رأسي ولداتي لم تشب ... بعد لهو وشباب ولَعِبْ)
(شيبَ المفرق مني وبدا ... في حفافَيْ لحيتي مثلُ العطَبْ)
في هذين البيتين لهاشم ونفيلة - خفيف رمل - بالوسطى والقصيدة التي فيها
(وأنا الأخضر من يعرفني ... أخضر الجلدة من نسل العرب)
أولها قوله
(طَرب الشيخُ ولا حينَ طَرَبْ ... وتصابى وصِبا الشيخِ عَجَبْ)

أخبار الفضل بن العباس اللهبي ونسبه

الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب واسمه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وكان أحد شعراء بني هاشم المذكورين وفصحائهم وكان شديد الأدمة ولذلك قال
(... وأنا الأخضر من يعرفني)
وهو هاشمي الأبوين أمه بنت العباس بن عبد المطلب
أخبرني بذلك محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله عن ابن حبيب وإنما أتاه السواد من قبل أمه جدته وكانت حبشية
وكان النبي زوج عتبة إحدى بناته فلما بعثه الله تعالى نبيا أقسمت عليه أم جميل أن يطلقها فجاء إلى النبي فقال يا محمد أشهد من حضر أني قد كفرت بربك وطلقت ابنتك فدعا عليه رسول الله أن يبعث الله عليه كلبا من كلابه يقتله فبعث الله عز وجل عليه أسدا فافترسه
أخبرني الحسن بن القاسم البجلي الكوفي قال حدثنا علي بن إبراهيم بن المعلى قال حدثني الوليد بن وهب عن أبي حمزة الثمالي عن عكرمة قال
لما نزلت (والنجم إذا هوى) قال عتبة للنبي أنا أكفر برب
النجم إذا هوى فقال رسول الله اللهم أرسل عليه كلبا من كلابك قال فقال ابن عباس فخرج إلى الشام في ركب فيهم هبار بن الأسود حتى إذا كانوا بوادي الغاضرة وهي مسبعة نزلوا ليلا فافترشوا صفا واحدا فقال عتبة أتريدون أن تجعلوني حجرة لا والله لا أبيت إلا وسطكم فبات وسطهم قال هبار فما أنبهني إلا السبع يشم رؤوسهم رجلا رجلا حتى انتهى إليه فأنشب أنيابه في صدغيه فصاح أي قوم قتلني دعوة محمد فأمسكوه فلم يلبث أن مات في أيديهم
أخبرني الحسن بن الهيثم قال حدثنا علي بن إبراهيم قال حدثني الوليد بن وهب عن أبي حمزة عن هشام بن عروة عن أبيه مثله إلا أنه قال قال عتبة أن بريء من الذي دنا فتدلى قال وقال هبار فضغمه الأسد ضغمة فالتقت أنيابه عليه

الفضل والأحوص

نسخت من كتاب ابن النطاح عن الهيثم بن عدي وقد أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي في كتاب الجوابات قال حدثنا أحمد بن
الحارث عن المدائني إلا أن رواية ابن النطاح أتم واللفظ له قال
مر الفضل اللهبي بالأحوص وهو ينشد وقد اجتمع الناس عليه فحسده فقال له يا أحوص إنك لشاعر ولكنك لا تعرف الغريب ولا تعرب قال بلى والله إني لأبصر الناس بالغريب والإعراب فأسألك قال نعم قال
(ما ذاتُ حَبْلٍ يراها الناس كلهمُ ... وَسْطَ الجحيمِ فلا تخفَى على أحدِ)
(كل الحِبالِ حبالِ الناسِ من شَعَرٍ ... وحبلها وَسْطَ أهلِ النار من مسدِ)
فقال له الفضل بن العباس
(ماذا أردت إلى شتمِي ومَنْقَصتِي ... ماذا أردت إلى حمَّالةِ الحطبِ)
(أذْكَرْتَ بنتَ قُروم سادةٍ نُجُبٍ ... كانت حليلة شيخ ثاقبِ النَّسبِ)
فانصرف عنه

بين الفضل والحزين الديلي والفرزدق

قال ابن النطاح
وحدثت أن الحزين الديلي مر بالفضل يوم جمعة وعنده قوم ينشدهم فقال له الحزين أتنشد الشعر والناس يروحون إلى الصلاة فقال الفضل ويلك يا حزين أتتعرض لي كأنك لا تعرفني قال بلى والله إني لأعرفك
ويعرفك معي كل من قرأ سورة (تبت يدا أبي لهب) وقال يهجوه
(إذا ما كنت مفتخِراً بجَد ... فعرِّج عن أبي لهبٍ قليلا)

(فقد أخزَى الإله أباك دهراً ... وقلّد عِرسه حبلا طويلا)
فأعرض عنه الفضل وتكرم عن جوابه وكان الحزين مغرى به وبهجائه
حدثني الحسن بن علي قال حدثنا القاسم بن محمد الأنباري قال حدثنا أبو عكرمة عامر بن عمران قال
دخل الفرزدق المدينة فنظر إلى الفضل بن العباس بن عتبة ينشد
(من يساجِلْني يساجِلْ ماجداً ... يملأ الدلو إلى عَقْدِ الكَرَبْ)
فقال الفرزدق من المنشد فأخبر به فقال ما يساجلك إلا من عض بظر أمه
حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا محمد بن الحكم قال
قدم الوليد بن عبد الملك حاجا إلى مكة وهو خليفة فدخل عليه
الفضل بن العباس بن عتبة فشكا إليه كثرة العيال وسأله فأعطاه مالا وإبلا ورقيقا فلما مات الوليد ولي سليمان فحج فأتاه فسأله فلم يعطه شيئا فقال
(يا صاحب العيس التي رُحِلت ... محبوسة لعشِيةِ النَّفْرِ)
(امرر على قبر الوليدِ فقل له ... صلَّى الإله عليك من قبر)
(يا واصل الرَّحم التي قُطِعت ... وأصابها الجَفَوات في الدهر)
(إني وجدت الخِلّ بعدك كاذبا ... فبرئت من كذبٍ ومن غَدْر)
(ولقد مررت بنسوةٍ يندبنه ... بيض السواعدِ من بني فِهر)
(تبكي لسيدها الأجل وما ... يبكين من نابٍ ولا بَكْر)
(يبكِينه ويقلن سَيِدَنا ... ضاع الخلافةُ آخر الدهر)
(ماذا لقيتُ جزيتَ صالحة ... من جفوةِ الإخوان لو تدري)
أخبرني وكيع بهذا الخبر قال حدثني محمد بن علي بن حمزة قال حدثنا أبو غسان قال أخبرنا أبو عبيدة عن عبد العزيز بن أبي ثابت قال
كان الفضل بن العباس منقطعا إلى الوليد بن عبد الملك فلما مات الوليد جفاه سليمان وحرمه فقال
((يا راكب العيس التي وُقِفت ... لِلنفْر يوم صبيحةِ النحر
وذكر الأبيات قال وكان الوليد فرض له فريضة يعطاها كل سنة فقال يا أمير المؤمنين بقي شارب الريح قال وما شارب الريح قال حماري افرض له شيئا ففرض له خمسة دنانير فأخذها ولم يكن يطعمه فعمد رجل فكتب رقعة يذكر فيها قصة الحمار وعلقها في عنقه وجاء بها إلى القاضي فأضحك منه الناس
بخل الفضل
حدثنا اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثني أبو الشكر مولى بني هاشم كوفي ظريف قال
كان الفضل بن العباس بخيلا فقدم علي بن عبد الله بن العباس حاجا فأتاه في منزله مسلما عليه فقال كيف أنت وكيف حالك قال بخير نحن في عافية قال فهل من حاجة قال لا والله وإني لأشتهي هذا العنب وقد أغلاه علينا هؤلاء العلوج فغمز غلاما له فذهب فأتاه بسلة عظيمة من عنب فجعل يغسل له عنقودا عنقودا ويناوله فكلما فعل ذلك قال برتك رحم
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير بن بكار عن عمه قال
كان الفضل بن العباس بخيلا وكان ثقيل البدن إذا أراد أن يمضي في حاجة استعار مركوبا فطال ذلك عليه وعلى أهل المدينة من فعله فقال له بعض بني هاشم أنا أشتري لك حمارا تركبه وتستغني عن العارية ففعل
وبعث به إليه فكان يستعير له سرجا إذا أراد أن يركبه فتواصى الناس بألا يعيره أحد سرجا فلما طال عليه ذلك اشترى سرجا بخمسة دراهم وقال
(ولما رأيت المال مَألف أهلِه ... وصان ذوي الأخطار أن يتبذلوا)
(رجعت إلى مالِي فأعتبت بعضه ... فأعتبني إني كذلك أفعل)
ثم قال للذي اشترى له الحمار إني لا أطيق علفه فإما أن تبعث إلي علفه وإلا رددته فكان يبعث إليه بعلف كل ليلة وشعير ولا يدع هو أيضا أن يطلب من كل أحد يأنس به علفا لحماره فيبعث به إليه فيعلفه التبن دون الشعير حتى هزل وعطب فرفع الحزين الكناني إلى ابن حزم أو عبد العزيز بن عبد المطلب رقعة وكتب في رأسها قصة حمار الفضل اللهبي وذكر فيها أنه يركبه ويأخذ علفه وقضيمه من الناس ويعلفه التبن ويبيع الشعير ويأخذ ثمنه ويسأل أن ينصف منه فضحك لما قرأ الرقعة وقال لئن كنت مازحا إني لأراك صادقا وأمر بتحويل حمار اللهبي إلى إصطبله ليعلفه ويقضمه فإذا أراد ركوبه دفع إليه
أخبرني وكيع قال حدثني محمد بن سعد الشامي عن ابن عائشة قال
كان الفضل اللهبي بغير سرج فاستعار سرجا فمطله الرجل حتى خاف أن تفوته حاجته فاشترى سرجا ومضى لحاجته وأنشأ يقول
(... ولما رأيت المال مألف أهله)
وذكر البيتين ولم يزد عليهما شيئا
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال
كان أبي عند إسحاق بن عيسى بن علي وهو والي البصرة وعنده وجوه أهل البصرة وقد كانت فيهم بقية حسنة في ذلك الدهر فأفاضوا في ذكر بني هاشم وما أعطاهم الله من الفضل بنبيه فمن منشد شعرا ومتحدث حديثا وذاكر فضيلة من فضائل بني هاشم فقال أبي قد جمع هذا الكلام الفضل بن العباس اللهبي في بيت قاله ثم أنشد قوله
(ما بات قومٌ كرام يدّعون يدا ... إلا لقومي عليهم مِنَّة ويدُ)
(نحن السَّنام الذي طالت شظِيته ... فما يخالطه الأدواء والعَمَد)
فمن صلى صلاتنا وذبح ذبيحتنا عرف أن لرسول الله يدا عليه بما هداه الله عز وجل إلى الإسلام به ونحن قومه فتلك منة لنا على الناس
وفي هذين البيتين غناء لابن محرز هزج بالبنصر في رواية عمرو بن بانة وقوله طالت شظيته الشظية الشظى قال دريد بن الصمة
(سليم الشَّظَى عَبْلُ الشَّوَى شنِج النسا ... أمين القُوى نهدٌ طويل المقلَّد)

والعمد داء يصيب البعير من مؤخر سنامه إلى عجزه فلا يلبثه أو يقتله
مدحه عبد الملك
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران
قال أخبرني أحمد بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص قال
قدم الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب على عبد الملك بن مروان فأنشده وعنده ابن لعبيد الله بن زياد فقال الزيادي والله ما أسمع شعرا فلما كان العشي راح إليه الفضل فوقف بين يديه ثم قال يا أمير المؤمنين
(أتيتك خالا وابن عم وعمةٍ ... ولم أك شَعْبا لاطه بك مِشعَبُ)
(فصِلْ واشجاتٍ بيننا من قرابة ... ألا صِلةُ الأرحام أبقَى وأقرب)
(ولا تجعلّني كامرىء ليس بينه ... وبينكم قربى ولا متنسَّب)
(أتحدِب من دون العشيرةِ كلها ... فأنت على مولاك أحنى وأحدب)
فقال الزيادي هذا والله يا أمير المؤمنين الشعر فقال عبد الملك النخس يكفيك البطيء وجعل يضحك من استرسال الزيادي في يده وأحسن صلته
وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني النوفلي قال حدثني عمي قال
لما قدم الفضل اللهبي على عبد الملك بن مروان أمر له بعشرة آلاف درهم ثم حج الوليد فأمر له بمثلها فلما قدم الأحيجي على المهدي فمدحه قال المهدي لمن حضر كم كان عبد الملك أعطى الفضل اللهبي لما مدحه فما أعلم هاشميا مدحه غيره فقيل له أعطاه عشرة آلاف درهم قال فكم أعطاه الوليد قالوا مثل عطية أبيه فأمر للأحيجي بثلاثين ألف درهم
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية عن عثمان بن إبراهيم الحاطبي قال
خرج علي بن عبد الله بن العباس بالفضل اللهبي إلى عبد الملك بن مروان بالشام فخرج عبد الملك يوما رائحا على نجيب له ومعه بغلة تجنب فحدا حادي عبد الملك به فقال
(يا أيها البكر الذي أراكا ... عليك سهلَ الأرضِ في ممشاكا)
(ويلَك هل تعلم من علاكا ... إن ابن مروان على ذُراكا)
(خليفة الله الذي امتطاكا ... لم يَعْلُ بكراً مثلُ من علاكا)
فعارضه الفضل اللهبي فحدا بعلي بن عبد الله بن عباس فقال
(يا أيها السائل عن عليّ ... سألت عن بدر لنا بدريّ)
(أغلبَ في العلياء غالبيّ ... وليِّن الشيمةِ هاشمي)
(... حاء على بكر له مهْري)
فنظر عبد الملك إلى علي فقال أهذا مجنون آل أبي لهب قال نعم فلما أعطى قريشا مر به اسمه فحرمه وقال يعطيه علي هكذا رواية عمر بن شبة
وأخبرني ابن عمار بهذا الخبر عن علي بن محمد بن النوفلي عن عمه
أن سليمان بن عبد الملك حج في خلافة الوليد فجاء إلى زمزم فجلس عندها ودخل الفضل اللهبي يستقي فجعل يرتجز ويقول
(يا أيها السائل عن عليّ ... سألت عن بدرٍ لنا بدريِّ)
(مقدَّم في الخير أبطحيِّ ... ولين الشيمةِ هاشميِّ)
(زمزمَنا بوركتِ من ركيِّ ... بوركتِ للساقي وللمسقيِّ)
فغضب سليمان وهم بالفضل فكفه عنه علي بن عبد الله ثم أتاه بقدح
فيه نبيذ من نبيذ السقاية فأعطاه إياه وسأله أن يشربه فأخذه من يده كالمتعجب ثم قال نعم إنه يستحب ووضعه في يده ولم يشربه فلما ولي الخلافة وحج لقيه الفضل فلم يعطه شيئا
نسخت من كتاب ابن النطاح قال
ذكر أبو الحسن المدائني أن الحارث بن خالد المخزومي كان يحسد الفضل اللهبي على شعره ويعاديه لأن أبا لهب كان قامر جده العاصي بن هشام على ماله فقمره ثم قامره على رقة فقمره فأسلمه قينا ثم بعث به بديلا يوم بدر فقتله علي بن أبي طالب عليه السلام فكان إذا أنشد شيئا من شعره يقول هذا شعر ابن حمالة الحطب فقال الفضل في ذلك
(ماذا تحاول من شتمي ومنقصتي ... ماذا تُعَيِّر من حمالة الحطبِ)
(غراء سائلة في المجد غرتها ... كانت حليلة شيخ ثاقِب النسب)
(إنا وإن رسول الله جاء بنا ... شيخ عظيم شؤون الرأس والنشبِ)
(يا لعن الله قوما أنت سيدهم ... في جلدة بين أصل الثِّيل والذنب)
(أبالقيون توافيني تفاخِرني ... وتدعي المجد قد أفرطتَ في الكذبِ)
(وفي ثلاثةِ رهطٍ أنت رابعهم ... توعدني واسطاً جرثومةَ العرب)
(في أسرة من قريش هم دعائمها ... تشفِي دماؤهم للخبْل والكَلَب)
(اما أبوك فعبدٌ لستَ تنكره ... وكان مالكَه جدي أبو لهب)
(النبعُ عيداننا والمجدُ شيمتنا ... لسنا كقومِك من مَرْخ ولا غَرَبِ)
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله بن محمد عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال
كان رجل من بني كنانة يقال له عقرب حناط قد داين الفضل اللهبي فمطله ثم مر به الفضل وهو يبيع حنطة له ويقول
(جاءت بها ضابطة التّجّار ... صافية كقطع الأوتار)
فقال الفضل
(قد تَجَرت عَقْربُ في سوقنا ... يا عجَباً للعقربِ التاجرهْ)
(قد صافتِ العقربُ واستيقنت ... أنْ مالها دنيا ولا آخرهْ)

(فإن تعدْ عادت لما ساءها ... وكانتِ النعلُ لها حاضرهْ)
(إنّ عدُوا كِيدُه في استِهِ ... لَغَيرُ ذي كيدٍ ولا نائرهْ)
(كل عدو يُتّقى مقبلاً ... وعَقْربُ تُخْشَى من الدابِرهْ)
(كأنها إذ خرجت هَوْدجٌ ... شدَّت قُواه رُفعة باكرهْ)
مفاخرته مع عمر بن أبي ربيعة
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ أبو غسان عن أبي عبيدة ووجدته في بعض الكتب عن الرياشي عن زكويه العلائي عن ابن عائشة عن أبيه والروايتان كالمتفقتين
أن عمر بن أبي ربيعة وفد على عبد الملك بن مروان فأدخل عليه فسأله عن نسبه فانتسب فقال له
((لا أنعم الله بقَيْن عينا ... تحية السخطِ إذا التقينا
أأنت لا أم لك القائل
صوت
(نظرت إليها بالمحصَّب مِن مِنىً ... ولي نظر لولا التحرُّج عارِمُ)
(فقلت أشمس أم مصابيح بِيعةٍ ... بدت لك خلف السجفِ أم أنت حالم)
(بعيدةُ مَهْوى القُرْطِ إمّا لنوفل ... أبوها وإما عبدُ شمس وهاشِمُ)
الغناء لابن سريج - رمل - بالوسطى من رواية عمرو بن بانة ومن رواية حماد بن إسحاق عن أبيه ولمعبد فيه لحن من رواية إسحاق - ثقيل - أول بالسبابة في مجرى البنصر أوله
(... بعيدة مهْوَى القرطِ إما لنوفل)
وفي لحن معبد خاصة قوله
(ومد عليها السجف يوم لقيتها ... على عجلٍ تُبَّاعها والخوادم)
وتمام الشعر
(فلم أستطعها غير أنْ قد بدا لنا ... عشية راحت كفُّها والمعاصِمُ)
(معاصم لم تضرب على البَهْم بالضُّحَى ... عصاها ووجه لم تَلُحْه السَّمائم)
نرجع إلى سياقة الخبر
ثم قال له عبد الملك قاتلك الله ما ألأمك أما كانت لك في بنات العرب مندوحة عن بنات عمك فقال عمر بئست والله هذه التحية يا أمير المؤمنين لابن العم على شحط الدار ونأي المزار فقال له عبد الملك أراك مرتدعا عن ذلك فقال إني إلى الله تعالى تائب فقال عبد الملك إذن يتوب الله عليك وسيحسن جائزتك ولكن أخبرني عن منازعتك اللهبي في المسجد الجامع فقد أتاني نبأ ذلك وكنت أحب أن أسمعه منك قال عمر نعم يا أمير المؤمنين بينا أنا جالس في المسجد الحرام في جماعة من قريش إذ دخل علينا الفضل بن العباس بن عتبة فسلم وجلس ووافقني وأنا أتمثل بهذا البيت
(وأصبح بَطنُ مكة مقشعِرًّا ... كأن الأرضَ ليس بها هِشام)
فأقبل علي وقال يا أخا بني مخزوم والله إن بلدة تبحبح بها عبد المطلب وبعث منها رسول الله واستقر بها بيت الله عز وجل لحقيقة ألا تقشعر لهشام وإن أشعر من هذا البيت وأصدق قول من يقول
(إنما عبد مناف جوهر ... زيَّنَ الجوهرَ عبدُ المطلِب)
فأقبلت عليه فقلت يا أخا بني هاشم إن أشعر من صاحبك الذي يقول
(إن الدليل على الخيراتِ أجمعِها ... أبناءُ مخزومَ للخيرات مخزومُ)
فقال لي أشعر والله من صاحبك الذي يقول
(جبريلُ أهْدَى لنا الخيرات أجمعَها ... إذ أمَّ هاشمَ لا أبناءَ مخزوم)
فقلت في نفسي غلبني والله ثم حملني الطمع في انقطاعه علي فخاطبته فقلت بل أشعر منه الذي يقول
(أبناء مخزومٍ الحريقُ إذا ... حركته تارة ترى ضَرَما)
(يَخرج منه الشَّرارُ معْ لَهَبٍ ... من حاد عن حَرِّه فقد سلِما)
فوالله ما تلعثم أن أقبل علي بوجهه فقال يا أخا بني مخزوم أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول
(هاشمُ بحر إذا سما وطما ... أخمد حرّ الحريق واضطرما)
(واعْلَم وخير المقال أصدقُه ... بأنّ من رام هاشماً هُشِما)
قال فتمنيت والله يا أمير المؤمنين أن الأرض ساخت بي ثم تجلدت عليه فقلت يا أخا بني هاشم أشعر من صاحبك الذي يقول
(أبناءُ مخزومَ أنجمٌ طلعتْ ... للناس تجلو بنورها الظُّلما)
(تجود بالنَّيل قبلَ تسألَه ... جُوداً هنيئاً وتضربُ البُهما)
فأقبل علي بأسرع من اللحظ ثم قال أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول
(هاشمُ شمسٌ بالسَّعْدِ مَطْلَعها ... إذا بَدَت أخفت النجومَ مَعَا)
((اختار منها ربِّي النبيَّ فمن ... قارَعَها بعد أحمد قُرِعا
فاسودت الدنيا في عيني ودير بي وانقطعت فلم أحر جوابا ثم قلت له يا أخا بني هاشم إن كنت تفخر علينا برسول الله فما يسعنا مفاخرتك فقال كيف لا أم لك والله لو كان منك لفخرت به علي فقلت صدقت واستغفر الله إنه لموضع الفخار وداخلني السرور لقطعه الكلام ولئلا ينالني عوز عن إجابته فأفتضح ثم إنه ابتدأ بالمناقضة فأفكر هنيهة ثم قال قد قلت فلم أجد بدا من الاستماع فقلت هات فقال
(نحنُ الذين إذا سما لِفَخارهم ... ذو الفخر أقعده هناك القُعْدُدُ)
(افخَر بنا إن كنتَ يوماً فاخراً ... تَلْق الألَى فخروا بفخرك أُفْردوا)
(قل يابن مخزومٍ لكل مفاخرٍ ... منا المباركُ ذو الرسالة أحمد)
(ماذا يقول ذوو الفَخار هُنا لِكُمْ ... هَيهاتَ ذلك هل يُنال الفرقَدُ)
فحصرت والله وتبلدت وقلت له إن لك عندي جوابا فأنظرني وأفكرت مليا ثم أنشأت أقول
(... لا فَخْرَ إلا قد علاه محمدٌ ... فإذا فخرتَ به فإني أشهدُ)

(أنْ قَدْ فخرتَ وفُقْت كلَّ مفاخرٍ ... وإليك في الشرف الرفيع المَعْمَدُ)
(ولنا دعائم قد بناها أوّلٌ ... في المكرمات جرى عليها المَوْلِدُ)
(من رامها حاشى النبيِ وأهله ... بالفخرِ غطمطه الخليجُ المُزْبد)
(دعْ ذا ورحْ لِغناء خَوْدٍ بَضّةٍ ... مما نطقتَ به وغَنَّى مَعْبدُ)
((معْ فتية تَنْدى بطونُ أكفهم ... جُودا إذا هَرَّ الزمانُ الأنكَدُ
(يتناولون سُلافة عانيّة ... طابت لشاربها وطاب المقْعَد)
فوالله يا أمير المؤمنين لقد أجابني بجواب كان أشد علي من الشعر قال لي يا أخا بني مخزوم أريك السها وتريني القمر -
قال أبو عبد الله اليزيدي أدلك على الأمر الغامض وأنت لم تبلغ أن ترى الأمر الواضح وهذا مثل - أتخرج من المفاخرة إلى شرب الراح وهي الخمر المحرمة فقلت له أما علمت أصلحك الله أن الله عز وجل يقول في الشعراء (وأنهم يقولون ما لا يفعلون) فقال صدقت وقد استثنى الله قوما منهم فقال (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فإن كنت منهم فقد دخلت تحت الاستثناء وقد استحققت العقوبة بدعائك إليها وإن لم تكن منهم فالشرك بالله عليك أعظم من شرب الخمر فقلت أصلحك الله لا أجد للمستخذي شيئا أصلح من السكوت فضحك وقال أستغفر الله وقام عني
قال فضحك عبد الملك حتى استلقى وقال يابن أبي ربيعة أما علمت أن لبني عبد مناف ألسنة لا تطاق ارفع حوائجك قال فرفعتها فقضاها وأحسن جائزتي وصرفني
واللفظ في هذا الخبر لمحمد بن العباس
ذكر خبر من لم يمض له خبر ولا يأتي ممن ذكرت صنعته في هذا الخبر
منهم خليدة المكية وهي مولاة لابن شماس كانت هي وعقيلة وربيحة يعرفن بالشماسيات وقد أخذت الغناء عن ابن سريج ومعبد ومالك
فأخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكار عن عمه قال
كانت لهشام بن عروة جفنة يصيب منها هو وبنوه ناحية وكان محمد بن هشام يصنع الطعام الرقيق فيشير إليهم فيمسكون عن الأكل فيفطن هشام فيقول لقد حدث شيء ثم يقوم محمد فيتسلل القوم إليه وجاءت خليدة المكية فصعدوا غرفة فلما غنت إذا حفز ونفس فإذا هو هشام قد طلع وهو ينشد
(يا قدميّ الحقاني بالقوم ... لا تَعِداني كَسَلا بعد اليومْ)
فلما رآهم قال أحسبه قد جلس معهم وقال لخليدة غني فغنت فقال لها اكتبي في صدرك قل هو الله أحد والمعوذتين لا تصيبك العين
أخبرني علي بن عبد العزيز الكاتب عن ابن خرداذبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن الفضل بن الربيع قال ما رأيت ابن جامع يطرب لغناء كما يطرب لغناء خليدة المكية وكانت سوداء وفيها يقول الشاعر
(فتَنَت كاتبَ الأمير رياحا ... يا لقومٍ خُلَيدة المكيهْ)
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة ونسخت هذا الخبر
بعينه من كتاب جعفر بن قدامة بخطه قال حدثني عمر بن شبة قال
بلغني أن محمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أرسل إلى خليدة المكية أبا عون مولاه يخطبها عليه فاستأذن فأذنت له وعليها ثياب رقاق لا تسترها ثم وثبت فقالت إنما ظننتك بعض سفهائك ولكني ألبس لك ثياب مثلك ثم أخرج إليك ففعلت وقالت قل قال أرسلني إليك مولاي وهو من تعلمين بين رسول الله وبين علي وعثمان وهو ابن عم أمير المؤمنين يخطبك وقالت قد نسبته فأبلغت فاسمع نسبي أنا بأبي أنت
إن أبي بيع على غير عقد الإسلام ولا عهده فعاش عبدا ومات وفي رجله قيد وفي عنقه سلسلة وعلى الإباق والسرقة وولدتني امي على غير رشدة وماتت وهي آبقة فأنا من تعلم فإن أراد صاحبك نكاحا مباحا أو زنا صراحا فهلم إليه فنحن له فقال إنه لا يدخل في الحرام قالت ولا ينبغي أن يستحيي من الحلال فأما نكاح السر فلا والله لا فعلته ولا كنت عارا على القيان قال فأتيت محمدا فأخبرته فقال ويلك أتزوجها معلنا وعندي بنت طلحة بن عبيد الله لا ولكن ارجع إليها فقل لها تختلف إلي أردد بصري فيها لعلي أسلو فرجعت فأبلغتها الرسالة فضحكت وقالت أما هذا فنعم لسنا نمنعه منه
صوت
(رُبَّ ليلٍ ناعم أحييتُه ... في عفافٍ عند قبّاءِ الحشَى)
(ونهار قد لهونا بالتي ... لا نرى شبهاً لها فيمن مَشَى)
(لِطلوعِ الشمس حتى آذنت ... بغروب عند إبان العِشا)
(لِسُلَيمى ما دعت قُمْرِيّة ... بهديل فوق غصنٍ من غَضَى)
(وعُقارٍ قهوةٍ باكرتُها ... في ندامَى كمصابيح الدُّجى)
(وجواد سابح أقحمته ... حَوْمة الموت على زُرق القنا)
الشعر للمهاجر بن خالد بن الوليد فيما ذكر الزبير بن بكار وذكر أبو عمرو الشيباني وخالد بن كلثوم أنه لابنه خالد بن المهاجر والغناء لابن محرز - ثقيل - أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لإبراهيم الموصلي لحنان أحدهما - هزج خفيف - بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وابن المكي والآخر - رمل - بالبنصر عن عمرو وابن المكي والهشامي وفيه لمعبد - خفيف ثقيل - بالخنصر والبنصر عن ابن المكي قال وفيه لمالك - خفيف ثقيل - آخر نشيد ووافقه عمرو والهشامي وذكر عمرو في نسخته الأولى أنه لابن محرز والمعمول عليه الرواية الثانية
أخبار المهاجر بن خالد ونسبه وأخبار ابنه خالد
المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب وكان الوليد بن المغيرة سيدا من سادات قريش وجوادا من جودائها وكان يلقب بالوحيد وأمه صخرة بنت الحارث بن عبد الله بن عبد شمس امرأة من بجيلة ثم من قسر ولما مات الوليد بن المغيرة أرخت قريش بوفاته مدة لإعظامها إياه حتى كان عام الفيل فجعلوه تاريخا هكذا ذكر ابن دأب
وأما الزبير بن بكار فذكر عن عمرو بن أبي بكر المؤملي أنها كانت تؤرخ بوفاة هشام بن المغيرة تسع سنين إلى أن كانت السنة التي بنوا فيها الكعبة فأرخوا بها
خالد سيف الله

ولخالد بن الوليد من الشهرة بصحبة رسول الله والغناء في حروبه المحل المشهور ولقبه رسول الله سيف الله وهاجر إلى النبي قبل الفتح وبعد الحديبية هو وعمرو بن العاص
وعثمان بن طلحة فقال النبي لما رآهم رمتكم مكة بأفلاذ كبدها وشهد فتح مكة مع النبي فكان أول من دخلها في مهاجرة العرب من أسفل مكة وشهد يوم مؤتة فلما قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة ورأى ألا طاقة للمسلمين بالقوم انحاز بهم وحامى عليهم حتى سلموا فلقبه يومئذ رسول الله سيف الله
حدثنا بذلك أجمع الحرمي بن أبي العلاء والطوسي عن الزبير بن بكار
وكان خالد يوم حنين في مقدمة رسول الله ومعه بنو سليم فأصابته جراح كثيرة فأتاه رسول الله بعد هزيمة المشركين فنفث على جراحه فاندملت ونهض وله آثار في قتال أهل الردة في أيام أبي بكر رضي الله عنه مشهورة يطول ذكرها وهو فتح الحيرة بعث إليه أهلها عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة فكلمه خالد فقال له من أين أقبلت قال من ورائي قال وأين تريد قال أمامي قال ابن كم أنت قال ابن رجل وامرأة قال فأين أقصى أثرك قال منتهى عمري قال أتعقل قال نعم وأقيد قال ما هذه الحصون قال بنيناها نتقي بها السفيه حتى يردعه الحليم قال لأمر ما اختارك
قومك ما هذا في يدك قال سم ساعة قال وما تصنع به قال أردت أن أنظر ما تردني به فإن بلغت ما فيه صلاح لقومي عدت إليهم وإلا شربته فقتلت نفسي ولم أرجع إلى قومي بما يكرهون فقال له خالد أرنيه فناوله إياه فقال خالد باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثم أكله فتجللته غشية ثم أفاق يمسح العرق عن وجهه فرجع ابن بقيلة إلى قومه فأخبرهم بذلك وقال ما هؤلاء القوم إلا من الشياطين وما لكم بهم طاقة فصالحوهم على ما يريدون ففعلوا
أخبرني بذلك إبراهيم بن السري عن يحيى التميمي عن أبيه عن شعيب بن سيف وأخبرني به الحسن بن علي عن الحارث بن محمد عن محمد بن سعد عن الواقدي
وأمره أبو بكر على جميع الجيوش التي بعثها إلى الشام لحرب الروم وفيهم أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل فرضوا به وبإمارته
قالوا وكان رسول الله قد حلق رأسه ذات يوم فأخذ خالد شعره فجعله في قلنسوة له فكان لا يلقى جيشا وهي عليه إلا هزمه
وروى عن النبي الحديث وحمل عنه ورآه النبي متدليا من هرشى فقال نعم الرجل خالد بن الوليد
أخبرنا بذلك الطوسي والحرمي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني
يعقوب بن محمد عن عبد العزيز بن محمد عن عبد الواحد بن أبي عون عن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة أن رسول الله قال ذلك له
قال الزبير وحدثني محمد بن سلام عن أبان بن عثمان قال
لما مات خالد بن الوليد لم تبق امرأة من بني المغيرة إلا وضعت لمتها على قبره يعني حلقت رأسها ووضعت شعرها على قبره
قال ابن سلام وقال يونس النحوي إن عمر رضي الله عنه قال حينئذ دعوا نساء بني المغيرة يبكين أبا سليمان ويرقن من دموعهن سجلا أو سجلين ما لم يكن نقع أو لقلقة
قال والنقع مد الصوت بالنحيب واللقلقة حركة اللسان بالولولة ونحوها
قال الزبير فيما ذكره لي من رويت عنه حدثني محمد بن الضحاك عن أبيه
أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان أشبه الناس بخالد بن الوليد فخرج عمر سحرا فلقيه شيخ فقال له مرحبا بك يا أبا سليمان فنظر إليه عمر فإذا هو علقمة بن علاثة فرد عليه السلام فقال له علقمة عزلك عمر بن الخطاب فقال له عمر نعم قال ما شبع لا أشبع الله بطنه قال له
عمر فما عندك قال ما عندي إلا السمع والطاعة
فلما أصبح عمر دعا بخالد وحضره علقمة بن علاثة فأقبل على خالد فقال له ماذا قال لك علقمة قال ما قال لي شيئا قال اصدقني فحلف خالد بالله ما لقيه ولا قال له شيئا فقال له علقمة حلا أبا سليمان فتبسم عمر فعلم خالد أن علقمة قد غلط فنظر إليه وفطن علقمة فقال له قد كان ذلك يا أمير المؤمنين فاعف عني عفا الله عنك فضحك عمر وأخبره الخبر
أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني عن شيخ من أهل الحجاز عن زيد بن رافع مولى المهاجرين خالد بن الوليد وعن أبي ذئب عن أبي سهيل أو ابن سهيل
أن معاوية لما أراد أن يظهر العهد ليزيد قال لأهل الشام إن أمير المؤمنين قد كبرت سنه ورق جلده ودق عظمه واقترب أجله ويريد أن يستخلف عليكم فمن ترون فقالوا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فسكت وأضمرها ودس ابن أثال الطبيب إليه فسقاه سما فمات وبلغ ابن أخيه خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد خبره وهو بمكة وكان أسوأ الناس رأيا في عمه لأن أباه المهاجر كان مع علي عليه السلام بصفين وكان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية وكان خالد بن المهاجر على رأي أبيه هاشمي المذهب ودخل مع بني هاشم الشعب فاضطغن ذلك ابن الزبير عليه فألقى عليه زق خمر وصب بعضه على رأسه وشنع عليه بأنه وجد ثملا من الخمر فضربه الحد فلما قتل عمه عبد الرحمن مر به عروة بن الزبير فقال له يا خالد أتدع ابن أثال ينقي أوصال عمك بالشأم وأنت بمكة مسبل إزارك
تجره وتخطر فيه متخايلا فحمي خالد ودعا مولى له يدعى نافعا فأعلمه الخبر وقال له لا بد من قتل ابن أثال وكان نافع جلدا شهما
فخرجا حتى قدما دمشق وكان ابن أثال يمسي عند معاوية فجلس له في مسجد دمشق إلى اسطوانة وجلس غلامه إلى أخرى حتى خرج فقال خالد لنافع إياك أن تعرض له أنت فإني أضربه ولكن احفظ ظهري واكفني من ورائي فإن رابك شيء يريدني من ورائي فشأنك فلما حاذاه وثب عليه فقتله وثار إليه من كان معه فصاح بهم نافع فانفرجوا ومضى خالد ونافع وتبعهما من كان معه فلما غشوهما حملا عليهم فتفرقوا حتى دخل خالد ونافع زقاقا ضيقا ففاتا القوم وبلغ معاوية الخبر فقال هذا خالد بن المهاجر اقلبوا الزقاق الذي دخل فيه ففتش عليه فأتي به فقال لا جزاك الله من زائر خيرا قتلت طبيبي قال قتلت المأمور وبقي الآمر فقال له عليك لعنة الله أما والله لو كان تشهد مرة واحدة لقتلتك به أمعك نافع قال لا قال بلى والله ما اجترأت إلا به ثم أمر بطلبه فوجد فأتي به فضربه مئة سوط ولم يهج خالدا بشيء أكثر من أن حبسه وألزم بني مخزوم دية ابن أثال اثني عشر ألف درهم أدخل بيت المال منها ستة آلاف درهم وأخذ ستة آلاف درهم ولم

يزل ذلك يجري في دية المعاهد حتى ولي عمر بن عبد العزيز فأبطل الذي يأخذه السلطان لنفسه وأثبت الذي يدخل بيت المال

وخالد بن المهاجر الذي يقول

صوت

(يا صاحِ يا ذا الضامِرِ العَنْس ... والرحلِ ذي الأنساع والحِلس)

(سِيْرَ النهار ولستَ تاركه ... وتُجِدُّ سيراً كلما تمسي)

في هذين البيتين وبيت ثالث لم أجده في شعر المهاجر ولا أدري أهو له أم ألحقه به المغنون لحنان - ثقيل - أول - وخفيف ثقيل - ذكر يونس أن أحدهما لمالك ولم يذكر طريقة لحنه ووجدته في جامع غناء معبد عن الهشامي ويحيى المكي له فيه - خفيف ثقيل - وهكذا ذكر علي بن يحيى أيضا ولعله رواه عن ابن المكي وإن كان هذا لمعبد صحيحا فلحن مالك هو الثقيل الأول وذكر حبش وهو ممن لا يحصل قوله أن لحن معبد - ثقيل - أول بالوسطى

رجع الخبر إلى سياقة خبر خالد

قال ولما حبس معاوية خالد بن المهاجر قال في الحبس

(إمَّا خُطَايَ تقارَبَتْ ... مَشْيَ المقيَّد في الحِصار)

(فبما أُمَشِّي في الأباطِح ... يقتفي أثري إزاري)

(دع ذا ولكنْ هل تَرَى ... نارا تُشَبُّ بذي مُرار)

(ما إن تُشَبُّ لِقُرَّة ... للمصطلين ولا قُتار)

(ما بالُ ليلكَ ليس يَنْقُص ... طولَه طول النهار)

(لتقاصُر الأزمانِ أم ... غَرَضِ الأسيرِ من الإسار)

قال فبلغت أبياته معاوية فرق له وأطلقه فرجع إلى مكة فلما قدمها لقي عروة بن الزبير فقال له أما ابن أثال فقد قتلته وذاك ابن جرموز ينقي

أوصال الزبير بالبصرة فاقتله إن كنت ثائرا فشكاه إلى أبي بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام فأقسم عليه أن يمسك عنه ففعل

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثني إسحاق بن محمد قال حدثني عيسى بن محمد القحطبي قال حدثني محمد بن الحارث بن بسخنر قال

غنى إبراهيم بن المهدي يوما بحضرة المأمون وأنا حاضر

(يا صاح يا ذا الضامر العنس ... والرحلِ ذي الأقتابِ والحِلْس)

قال وكانت لي جائزة قد خرجت فقلت تأمر سيدي يا أمير المؤمنين بإلقاء هذا الصوت علي مكان جائزتي فهو أحب إلي منها فقال له يا عم ألق هذا الصوت على محمد فألقاه علي حتى إذا كدت أن آخذه قال اذهب فأنت أحذق الناس به فقلت إنه لم يصلح لي بعده قال فاغد غدا علي فغدوت عليه فأعاده ملتويا فقلت له أيها الأمير لك في الخلافة ما ليس لأحد أنت ابن الخليفة وأخو الخليفة وعم الخليفة تجود بالرغائب وتبخل علي بصوت فقال ما أحمقك إن المأمون لم يستبقني محبة لي ولا صلة لرحمي ولا ليرب المعروف عندي ولكنه سمع من هذا الجرم ما لم يسمعه من غيره قال فأعلمت المأمون بمقالته فقال إنا لا نكدر على أبي إسحاق عفونا عنه فدعه فلما كانت أيام المعتصم نشط للصبوح يوما فقال

أحضروا عمي فجاء في دراعة بغير طيلسان فأعلمت المعتصم بخبر الصوت سرا فقال يا عم غنني

(يا صاح يا ذا الضامر العنس ... والرحلِ ذي الأقتاب والحلس)

فغناه فقال ألقه على محمد فقال قد فعلت وقد سبق مني قول ألا أعيده عليه ثم كان يتجنب أن يغنيه حيث أحضر

صوت

(أقفَر بعد الأحِبّة البلَدُ ... فهْو كأنْ لم يكنْ به أحدُ)

(شجَاكَ نُؤْيٌ عَفَت معالمُهُ ... وهامدٌ في العِراصِ مُلتبدُ)

(أُمُّكَ عَنْسية مهذَّبة ... طابت لها الأُمَّهات والقَصَد)

(تُدْعى زهيرية إذا انتسبتْ ... حيث تلاقى الأنسابُ والعَدَد)

الشعر لحمزة بن بيض والغناء لمعبد - خفيف ثقيل - أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه لابن عباد ثاني - ثقيل - بالوسطى عن الهشامي وعمرو وابن المكي

أخبار حمزة بن بيض ونسبه

حمزة بن بيض الحنفي شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية كوفي خليع ماجن من فحول طبقته وكان كالمنقطع إلى المهلب بن أبي صفرة وولده ثم إلى أبان بن الوليد وبلال بن أبي برده واكتسب بالشعر من هؤلاء مالا عظيما ولم يدرك الدولة العباسية

أخبرني عمي قال حدثنا أبو هفان قال أخبرني أبو محلم عن المفضل قال

أخذ حمزة بن بيض الحنفي بالشعر ألف ألف درهم من مال وحملان

وثياب ورقيق وغير ذلك

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو توبة قال

قدم حمزة بن بيض على بلال بن أبي بردة فلما وصل إلى بابه قال لحاجبه استأذن لحمزة بن بيض الحنفي فدخل الغلام إلى بلال فقال حمزة بن بيض بالباب وكان بلال كثير المزح معه فقال اخرج إليه فقل حمزة بن بيض ابن من فخرج الحاجب إليه فقال له ذلك فقال ادخل فقل له الذي جئت إليه إلى بنيان الحمام وأنت أمرد تسأله أن يهب لك طائرا فأدخلك وناكك ووهب لك طائرا فشتمه الحاجب فقال له ما أنت وذا بعثك برسالة فأخبره بالجواب فدخل الحاجب وهو مغضب فلما رآه بلال ضحك وقال ما قال لك قبحه الله قال ما كنت لأخبر الأمير بما قال فقال يا هذا أنت رسول فأد الجواب قال فأبى فأقسم عليه حتى أخبره فضحك حتى فحص برجله وقال قل له قد عرفنا العلامة فادخل فدخل فأكرمه ورفعه وسمع مديحه وأحسن صلته

قال وأراد بقوله ابن بيض ابن من قول الشاعر فيه

(أنت ابن بِيض لعمري لست أنكره ... وقد صدقت ولكن مِن أبو بِيض)
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسن الأحول عن الأثرم عن أبي عمرو وأخبرني وكيع قال حدثني عبيد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان قال حدثني أبو الحسن الشيباني قال حدثني شعيب بن صفوان قال
حمزة يمدح فيثاب
قدم حمزة بن بيض على مخلد بن يزيد بن المهلب وعنده الكميت
فأنشده قوله فيه
(أتيناك في حاجة فاقضها ... وقل مرحباً يَجِبِ المرحبُ)
(ولا تَكِلَنّا إلى معشر ... متى يعدوا عِدة يكذبوا)
(فإنك في الفرع من أسرة ... لهم خضع الشرق والمغرب)
(وفي أدبٍ منهم ما نشأتَ ... ونعْمَ لعمرك ما أدبوا)
(بلغت لعَشرٍ مضت من سنيك ... ما يبلغ السيدُ الأشيب)
(فهَمُّك فيها جسام الأمور ... وهمُّ لِداتك أن يلعبوا)
(وجُدْتَ فقلت ألا سائل ... فيعطَى ولا راغبٌ يرغب)
(فمنك العطية للسائلين ... وممن ينوبك أن يَطلُبوا)
فأمر له بمئة ألف درهم فقبضها قال وكيع في خبره وسأله عن حوائجه فأخبره بها فقضى جميعها وقال أيضا في خبره فحسده الكميت فقال له يا حمزة أنت كمهدي التمر إلى هجر قال نعم ولكن تمرنا
أطيب من تمر هجر
أخبرني علي بن سليمان قال حدثني محمد بن يزيد النحوي قال قال الجاحظ
أصاب حمزة بن بيض حصر فدخل عليه قوم يعودونه وهو في كرب القولنج إذ ضرط رجل منهم فقال حمزة من هذا المنعم عليه
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال قال علي بن الصباح حدثني هشام بن محمد عن الشرقي قال
زعم هشام بن عروة أن عبد الرحمن بن عنبسة مر فإذا هو بغلام أصبح الغلمان وأحسنهم ولم يكن لعبد الرحمن ولد فسأل عنه فقيل له يتيم من أهل الشام قدم أبوه العراق في بعث فقتل وبقي الغلام هاهنا فضمه ابن عنبسة إليه وتبناه فوقع الغلام فيما شاء من الدنيا ومر يوما على برذون ومعه خدم على ابن بيض وحول ابن بيض عياله في يوم شات وهم شعث عراة فقال ابن بيض من هذا فقيل صدقة يتيم ابن عنبسة فقال
(يَشعْث صِبياننا وما يَتموا ... وأنت صافي الأديم والحدقهْ)
(فليت صِبياننا إذا يَتِموا ... يلقَون ما قد لقيت يا صدقهْ)
(عوّضك الله من أبيك ومن ... أمك في الشام بالعراق مِقهْ)
(كَفاك عبد الرحمن فَقْدَهما ... فأنت في كِسوة وفي نَفَقهْ)
(تظل في دَرْمك وفاكهة ... ولحمِ طير ما شئت أو مرقهْ)
((تأوي إلى حاضن وحاضنة ... زادا على والديك في الشفقهْ
(فكل هنيئاً ما عاش ثم إذا ... مات فَلَغْ في الدماء والسرقهْ)
(وخالِف المسلمين قِبلَتهم ... وضَلَّ عنهم وخادِنِ الفسقه)
(واشتر نهد التلِيل ذا خصَلٍ ... لصوته في الصهيل صَهْصَلَقه)
(واقطع عليه الطريق تُلْفَ غدا ... ربَّ دنانيرَ جمةٍ ورقهْ)
فلما مات عبد الرحمن أصابه ما قال ابن بيض أجمع من الفساد والسرقة وصحبة اللصوص ثم كان آخر ذلك أنه قطع الطريق فأخذ وصلب
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني النوفلي عن أبيه قال ابن عمار وأخبرني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ قال حدثني أبي عن أبي سفيان الحميري قال
خرج حمزة بن بيض يريد سفرا فاضطره الليل إلى قرية عامرة كثيرة الأهل والمواشي من الشاء والبقر كثيرة الزرع فلم يصطنعوا به خيرا فغدا عليهم وقال
(لعن الإله قرية يممتها ... فأضافني ليلاً إليها المغربُ)
(الزارعين وليس لي زرع بها ... والحالبين وليس لي ما أحلُب)
(فلعل ذاك الزرع يُودِي أهلُه ... ولعل ذاك الشاء يوما يَجْرب)
(ولعل طاعوناً يصيب علوجها ... ويصيب ساكنها الزمان فتخرب)
قال فلم يمر بتلك القرية سنة حتى أصابهم الطاعون فأباد أهلها وخربت إلى اليوم فمر بهم ابن بيض فقال كلا زعمت أني لا أعطى منيتي قالوا
وأبيك لقد أعطيتها فلو كنت تمنيت الجنة كان خيرا لك قال أنا أعلم بنفسي لا أتمنى ما لست له بأهل ولكني أرجو رحمة ربي عز وجل
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن زكرياء الغلابي قال قال ابن عائشة
خرج ابن بيض في سفر فنزل بقوم فلم يحسنوا ضيافته وأتوه بخبز يابس وألقوا لبغلته تبنا فأعرض عنهم وأقبل على بغلته فقال
(أحسُبيها ليلة أدلجتُها ... فكلي إن شئت تِبْناً أو ذري)
(قد أتى ربَّكِ خبزٌ يابس ... فتعزّي معه واصطبري)
حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني قال
قال حمزة بن بيض يوما للفرزدق أيما أحب إليك تسبق الخير أو يسبقك قال لا أسبقه ولا يسبقني ولكن نكون معا فأيما أحب إليك أن تدخل إلى بيتك فتجد رجلا قابضا على حر امرأتك أو تجد امرأتك قابضة على أيره فقال كلام لا بد من جوابه والبادي أظلم بل أجدها قابضة على أيره قد أغبته عن نفسها

نسخت من كتاب أبي إسحاق الشايميني قال ابن الأعرابي
وقع بين بني حنيفة بالكوفة وبين بني تميم شر حتى نشبت الحرب بينهم فقال رجل لحمزة بن بيض ألا تأتي هؤلاء القوم فتدفعهم عن قومك فإنك ذو بيان وعارضة فقال
((ألا لا تلمني يابن ماهان إنني ... أخاف على فَخَّارتي أن تَحَطَّما
(ولو أنني أبتاع في السوق مثلَها ... وجدِّك ما باليت أن أتقدّما)
مفاضلة بين ناسك وشارب للنبيذ
قال وكان لابن بيض صديق عامل من عمال ابن هبيرة فاستودع رجلا ناسكا ثلاثين ألف درهم واستودع مثلها نبيذيا فأما الناسك فبنى بها داره وتزوج النساء وأنفقها وجحده وأما النبيذي فأدى إليه الأمانة في ماله فقال حمزة بن بيض فيهما
(ألا لا يغرَّنْك ذو سجدة ... يظل بها دائباً يَخْدَعُ)
(كأن بجبهته جُلْبة ... يسبح طوراً ويسترجع)
(وما للتُّقي لزمت وجهه ... ولكن ليغترَّ مستودِع)
(فلا تنفِرنَّ مِن اهل النبيذِ ... وإن قيل يشرب لا يُقلِع)
(فعندك علم بما قد خبرت ... إن كان علم بهم ينفع)
(ثلاثون ألفاً حواها السجود ... فليست إلى أهلها تَرجع)
(بنى الدار من غير ما ماله ... وأصبح في بيته أربعُ)
(مهائر من غير مال حواه ... يقاتون أرزاقَهم جُوَّعُ)
وأخبرني بهذا الخبر الحسين بن محمد بن زكريا الصحاف قال حدثنا قعنب بن المحرز قال حدثنا أبو عبيدة والأصمعي وكيسان بن المعرف فذكروا نحو هذا الخبر إلا أنه حكى أن حمزة بن بيض هو الذي استودع الرجلين المال وقال
((وأدى أخو الكأس ما عنده ... وما كنت في ردها أطمع
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثني أحمد بن محمد عن ابن داجة قال
اختصم أبو الجون السحيمي وحمزة بن بيض إلى المهاجر بن عبد الله الكلابي وهو على اليمامة فوثب عليه حمزة وقال
(غَمَّضتُ في حاجة كانت تؤرقني ... لولا الذي قلت فيها قلَّ تغميضي)
فقال وما الذي قلت لك قال
(حلفت بالله لي أن سوف تنصفني ... فساغ في الحلق ربقِي بعد تجريضي)
قال وأنا أحلف لأنصفنك قال
(سل هؤلاءِ إلى ماذا شهادتهم ... أم كيف أنت وأصحابَ المعاريض)
قال أوجعهم ضربا فقال
(وسل سُحيما إذا وافاك أجمعُهم ... هل كان بالشرَ حوض قبل تحويضي)
قال فقضى له فأنشأ السحيمي يقول
(أنت ابن بيض لعمري لستُ أُنكره ... حقاً يقيناً ولكن من أبو بيض)
(إن كنت أنبضت لي قوساً لترميني ... فقد رميتك رمياً غير تنبيض)
(أو كنت خَضْخضت لي وطْباً لتسقيني ... فقد سقيتك محضاً غير ممخوض)
قال فوجم حمزة وقطع به فقيل له ويلك ما لك لا تجيبه قال وبم أجيبه والله لو قلت له عبد المطلب بن هاشم أبو بيض ما نفعني ذلك بعد قوله ولكن من أبو بيض
وأخبرني بهذا الخبر ابن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة بمثله وقال فيه إن المخاصم له أبو الحويرث السحيمي
مدح يزيد بن المهلب وسليمان بن عبد الملك فكافآه
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد قال
دخل حمزة بن بيض على يزيد بن المهلب السجن فأنشده
(أغلِق دون السماح والجود والنجدة ... باب حديدُه أشِبُ)
(ابنَ ثلاث وأربعين مضت ... لا ضرع واهن ولا نَكِب)
(لا بَطِر إن تتابعت نِعَم ... وصابر في البلاء محتسِب)
(بَرَّزْتَ سبقَ الجواد في مَهَل ... وقصَّرتْ دون سعيك العرَب)
فقال والله يا حمزة لقد أسأت إذ نوهت باسمي في غير وقت تنويه ولا منزل لك ثم رفع مقعدا تحته فرمى إليه بخرقة مصرورة وعليه صاحب خبر
واقف فقال خذ هذا الدينار فوالله ما أملك ذهبا غيره فأخذه حمزة وأراد أن يرده فقال له سرا خذه ولا تخدع عنه فقال حمزة فلما قال لي لا تخدع عنه قلت والله ما هذا بدينار فقال لي صاحب الخبر ما أعطاك يزيد فقلت أعطاني دينارا فأردت أن أرده عليه فاستحييت منه فلما صرت إلى منزلي حللت الصرة فإذا فص ياقوت أحمر كأنه سقط زند فقلت والله لئن عرضت هذا بالعراق ليعلمن أني أخذته من يزيد فيؤخذ مني فخرجت به إلى خراسان فبعته من رجل يهودي بثلاثين ألفا فلما قبضت المال وصار الفص في يده قال لي
والله لو أبيت إلا خمسين ألف درهم لأخذته منك فكأنما قذف في قلبي جمرة فلما رأى تغير وجهي قال إني رجل تاجر ولست أشك أني قد غممتك قلت إي والله وقتلتني فاخرج إلي مائة دينار فقال أنفق هذه في طريقك لتتوفر عليك تلك
أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد بن إسحاق قرأت على أبي
دخل حمزة بن بيض على يزيد بن المهلب وهو في حبس عمر بن عبد العزيز فأنشده قوله فيه
(أصبح في قيدك السماحة والحامِلُ ... للمعضلات والحَسَبُ)
(لا بطرٌ إن تتابعت نعمٌ ... وصابرٌ في البلاء محتسِبُ)
فقال له ويحك أتمدحني على هذه الحال قال نعم لئن كنت هكذا لطالما أثبت على الثناء فأحسنت الثواب والرفد فهل بأس أن نسلفك الآن قال أما إذ جعلته سلفا فاقنع بما حضر إلى أن يمكن قضاء دينك وأمر غلامه فدفع إليه أربعة آلاف درهم وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال قاتله الله يعطي في الباطل ويمنع الحق يعطي الشعراء ويمنع الأمراء
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا عبد الأول بن مزيد قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال أخبرني مخلد

بن حمزة بن بيض قال
قدم أبي على يزيد بن المهلب وهو عند سليمان بن عبد الملك فأدخله إليه فأنشده
(ساس الخلافةَ والداك كلاهما ... من بين سَخْطة ساخط أو طائع)
(أبواك ثم أخوك أصبح ثالثاً ... وعلى جبينك نُور مَلْكِ الرابع)
(سَرَّيتَ خوف بني المهلَّب بعدما ... نظروا إليك بسمٍّ موتٍ ناقِع)
(ليس الذي ولاك ربُّك منهمُ ... عند الإله وعندهم بالضائع)
فأمر له بخمسين ألفا
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن عمرو قال حدثني جعفر بن محمد العاصمي قال حدثني عيينة بن المنهال قال حدثني الهيثم بن عدي قال حدثني أبو يعقوب الثقفي قال
قال لي حمزة بن بيض لما وفد الكميت بن زيد إلي مخلد بن يزيد بن المهلب وهو يخلف أباه على خراسان وكان واليها وله ثماني عشرة سنة وقد مدحه بقصيدته التي أولها
(... هلاَّ سألتَ معالم الأطلالِ)
وهي التي يقول فيها
(يمشين مشي قطا البطاح تأوُّدا ... قُبّ البطون رواجح الأكفالِ)
وقصيدته التي يقول فيها
(... (هلا سألت منازلا بالأبرقِ
أعطاه مئة ألف درهم سوى العروض والحملان فقدم الكوفة في هيئة لم ير مثلها فقلت في نفسي والله لأنا أولى من الكميت بما ناله من مخلد بن يزيد وإني لحليفه وناصره في العصبية على الكميت وعلى مضر جميعا فهيأت لمخلد مديحا على روي قصيدتي الكميت وقافيتيهما ثم شخصت إليه فلما كان قبل خروجي إليه بيوم أتتني جماعة من ربيعة في خمس ديات عليهم لمضر في البدو فقالوا إنك تأتي مخلدا وهو فتى العرب ونحن نعلم أنك لا تؤثر على نفسك ولكن إذا فرغ من أمرك فأعلمه ممشانا إليك ومسألتنا إياك كلامه فنرجو أن تكون عند ظننا فلما قدمت على مخلد خراسان أنزلني وفرش لي وأخدمني وحملني وكساني وخلطني بنفسه فكنت أسمر معه فقال لي ليلة أعليك دين يابن بيض قلت دعني من مسألتك إياي عن الدين إنك قد أعطيت الكميت عطية لست أرضى بأقل منها وإلا لم أدخل الكوفة ولم أعير بتقصيرك بي عنه فضحك ثم قال لي بل أزيدك على ما أعطيت الكميت فأمر لي بمئة ألف درهم كما أعطى الكميت وزادني عليه وصنع بي في سائر الألطاف كما صنع به فلما فرغت من حاجتي أتيته يوما ومعي تذكرة بحاجة القوم في الديات فلما جلس أنشدته
(أتيناك في حاجة فاقضِها ... وقُلْ مرحباً يجبِ المرحَبُ)
(ولا تَكِلَنَّا إلى معشرٍ ... متى يعِدوا عِدة يكذِبوا)
(فإنك في الفرع من أسرةٍ ... لهم خضع الشرق والمغرب)
((وفي أدب منهم ما نشأتَ ... ونِعْم لعمرُك ما أدَّبوا
(بلغت لعشرٍ مضت من سِنيك ... ما يبلغ السيدُ الأشيب)
(فهمُّك فيها جِسام الأمور ... وهمُّ لِداتك أن يلعبوا)
فقال مرحبا بك وبحاجتك فما هي فأخرجت إليه رقعة القوم وقلت حمالات في ديات فتبسم ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم فقلت أو غير ذلك أيها الأمير قال وما هو قلت أدل على قبر المهلب حتى أشكو إليه قطيعة ولده فتبسم ثم قال زده يا غلام عشرة آلاف أخرى فأبيت وقلت بل أدل على قبر المهلب فقال زده يا غلام عشرة آلاف أخرى فما زلت أكررها ويزيدني عشرة آلاف حتى بلغت سبعين ألفا فخشيت والله أن يكون يلعب أو يهزأ بي فقلت وصلك الله أيها الأمير وآجرك وأحسن جزاءك فقال مخلد أما والله لو أقمت على كلامك ثم أتى ذلك على خراج خراسان لأعطيتكه

المأمون والنضر بن شميل

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني النضر بن شميل قال
دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمرو وعلي أطمار مترعبلة فقال لي يا نضر تدخل على أمير المؤمنين في مثل هذه الثياب فقلت إن حر مرو لا يدفع إلا بمثل هذه الأخلاق فقال لا ولكنك رجل متقشف فتجارينا
الحديث فقال المأمون حدثني هشيم بن بشير عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز هكذا قال سداد بالفتح فقلت صدق يا أمير المؤمنين حدثني عوف الأعرابي عن الحسن أن النبي قال إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز وكان المأمون متكئا فاستوى جالسا وقال السداد لحن يا نضر عندك قلت نعم هاهنا يا أمير المؤمنين وإنما هشيم لحن وكان لحانة فقال ما الفرق بينهما قلت السداد القصد في الدين والطريقة والسبيل والسداد البلغة وكل ما سددت به شيئا فهو سداد وقد قال العرجي
(أضاعوني وأيَّ فتىً أضاعوا ... ليوم كريهة وسِداد ثغر)
قال فأطرق المأمون مليا ثم قال قبح الله من لا أدب له ثم قال أنشدني يا نضر أخلب بيت للعرب قال قلت قول حمزة بن بيض يا أمير المؤمنين
(تقول لي والعيون هاجعة ... أقم علينا يوماً فلم أُقِمِ)
(قالت فأيَّ الوجوه قلت لها ... لأيّ وجه إلا إلى الحَكَم)
(متى يقُلْ حاجبا سرادِقِه ... هذا ابن بِيض بالباب يبتسِمِ)
(قد كنت أسلمت فيك مُقْتَبِلاً ... فهات إذ حلَّ أعطني سلَمِي)
فقال المأمون لله درك كأنما شق لك عن قلبي فأنشدني أنصف بيت للعرب قال قلت قول أبي عروبة المدني
(إني وإن كان ابن عمي عاتبا ... لَمزاحِمٌ من خلفهِ وورائِه)
(ومُفيده نصري وإن كنت امرأً ... متزحزحا عن أرضه وسمائه)
(وأكون والي سِره وأصونه ... حتى يحين عليّ وقتُ أدائه)
(وإذا الحوادث أجحفت بسَوامِه ... قُرنت صَحيحتنا إلى جَرْبائه)

(وإذا دعا باسمي ليركب مَرْكباً ... صعبا قعدتُ له على سِيسائِه)
(وإذا أتى من وجهه بطريفةٍ ... لم أطَّلع ممَّا وراءِ خِبائه)
(وإذا ارتدى ثوباً جميلاً لم أقل ... يا ليت أن عليَّ حسنَ ردائه)
فقال أحسنت يا نضر أنشدني الآن أقنع بيت قالته العرب فأنشدته قول ابن عبدل الأسدي
(إني امرؤ لم أزل وذاك من الله ... قديماً أعلّم الأدبا)
(أقيم بالدار ما اطمأنت بيَ الدار ... وإن كنت نازحاً طربا)
(لا أجتوي خُلّة الصديق ولا ... أُتبع نفسي شيئاً إذا ذهبا)
(أطلب ما يطلب الكريم من الرِّزق ... بنفسي وأُجمِل الطلبا)
(وأحلب الثرة الصفِي ولا ... أُجهِد أخلاف غيرها حَلَبا)
((إني رأيت الفتى الكريم إذا ... رغَّبته في صنيعة رغِبا
(والعبد لا يطلب العَلاء ولا ... يعطيك شيئاً إلا إذا رهِبا)
(مثلُ الحمار المُوَقَعَ السوْءِ لا ... يُحسن مَشْياً إلا إذا ضُربا)
(قد يرزق الخافضُ المقيمُ وما ... شد يعيس رحلا ولا قتَبا)
(ويُحرمُ الرزقَ ذو المطية والرحل ... ومن لا يزال مغتربا)
(ولم أجد عُدّة الخلائق إلاّ ... الدّين لما اعتبرتُ والحَسَبا)
فقال أحسنت يا نضر وكتب لي إلى الحسن بن سهل بخمسين ألفا وأمر خادما بإيصال رقعة وتنجيز ما أمر به لي فمضيت معه إليه فلما قرأ التوقيع ضحك وقال لي يا نضر أنت الملحن لأمير المؤمنين قلت لا بل لهشيم قال فذاك إذن وأطلق لي الخمسين ألف درهم وأمر لي بثلاثين ألفا
وأخبرني الحسين بن يحيى قال حدثنا حماد عن أبيه قال
بلغني أن حمزة بن بيض الحنفي كان يسامر عبد الملك بن بشر بن مروان وكان عبد الملك يعبث به عبثا شديدا فوجه إليه ليلة برسول وقال خذه على أي حال وجدته عليها ولا تدعه يغيرها وحلفه على ذلك وغلظ الأيمان عليه فمضى الرسول فهجم عليه فوجده يريد أن يدخل الخلاء فقال أجب الأمير فقال ويحك إني أكلت طعاما كثيرا وشربت نبيذا حلوا وقد أخذني بطني قال والله لا تفارقني أو أمضي بك إليه ولو سلحت في ثيابك فجهد في الخلاص فلم يقدر عليه فمضى به إلى عبد الملك
فوجده قاعدا في طارمة له وجارية جميلة كان يتحظاها جالسة بين يديه تسجر الند في طارمته فجلس يحادثه وهو يعالج ما هو فيه
قال فعرضت لي ريح فقلت أسرحها وأستريح فلعل ريحها لا يتبين مع هذا البخور فأطلقتها فغلبت والله ريح الند وغمرته فقال ما هذا يا حمزة قلت علي عهد الله وميثاقه وعلي المشي والهدي إن كنت فعلتها وما هذا إلا عمل هذه الفاجرة فغضب واحتفظ وخجلت الجارية فما قدرت على الكلام ثم جاءتني أخرى فسرحتها وسطع والله ريحها فقال ما هذا ويلك أنت والله الآفة فقلت امرأتي فلانة طالق ثلاثا إن كنت فعلتها قال وهذه اليمين لازمة لي إن كنت فعلتها وما هو إلا عمل هذه الجارية فقال ويلك ما قصتك قومي إلى الخلاء إن كنت تجدين حسا فزاد خجلها وأطرقت وطمعت فيها فسرحت الثالثة وسطع من ريحها ما لم يكن في الحساب فغضب عبد الملك حتى كاد يخرج من جلده ثم قال خذ يا حمزة بيد الزانية فقد وهبتها لك وامض فقد نغصت علي ليلتي
فأخذت والله بيدها وخرجت فلقيني خادم له فقال ما تريد أن تصنع قلت أمضي بهذه قال لا تفعل فوالله لئن فعلت ليبغضنك بغضا لا تنتفع به بعدها أبدا وهذه مئة دينار فخذها ودع الجارية فإنه يتحظاها وسيندم على هبته إياها لك قلت والله لا نقصتك من خمس مئة دينار فلم يزل يزايدني حتى بلغ مئتي دينار ولم تطب نفسي أن أضيعها فقلت هاتها فأعطانيها وأخذها الخادم
فلما كان بعد ثلاث دعاني عبد الملك فلما قربت من داره لقيني الخادم
فقال لي هل لك في مئة دينار وتقول ما لا يضرك ولعله أن ينفعك قلت وما ذاك قال إذا دخلت إليه ادعيت إليه عنده الثلاث الفسوات ونسبتها إلى نفسك وتنفح عن الجارية ما قرفتها به قلت هاتها فدفعها إلي ودخلت على عبد الملك فلما وقفت بين يديه قلت ألي الأمان حتى أخبرك بخبر يسرك وتضحك منه قال لك الأمان قلت أرأيت ليلة حضوري وما جرى قال نعم فقلت فعلي وعلي إن كان فسا تلك الفسوات غيري فضحك حتى سقط على قفاه ثم قال ويلك فلم لم تخبرني قلت أردت بذلك خصالا منها أن قمت فقضيت حاجتي وقد كان رسولك منعني منها ومنها أني أخذت جاريتك ومنها أن كافأتك على أذاك لي بمثله فقال فأين الجارية قلت ما برحت من دارك ولا خرجت حتى سلمتها إلى فلان الخادم وأخذت مائتي دينار فسر بذلك وأمر لي بمئتي دينار أخرى وقال هذه لجميل فعلك بي وتركك أخذ الجارية
قال حمزة بن بيض ودخلت إليه يوما وكان له غلام لم ير الناس أنتن إبطا منه فقال لي يا حمزة سابق غلامي حتى يفوح صنانكما فأيكما كان صنانه أنتن فله مئة دينار فطمعت في المائة ويئست منها لما أعلمه من نتن إبط الغلام فقلت أفعل وتعادينا فسبقني فسلحت في يدي ثم لطخت إبطي بالسُّلاح وقد كان عبد الملك جعل بيننا حكما يخبره بالقصة فلما دنا الغلام منه فشمه وثب وقال هذا والله لا يساجله شيء فصحت به لا تعجل بالحكم مكانك ثم دنوت منه فألقمت أنفه إبطي حتى علمت أنه قد
خالط دماغه وأنا ممسك لرأسه تحت يدي فصاح الموت والله هذا بالكنف أشبه منه بالآباط فضحك عبد الملك ثم قال أفحكمت له قال نعم فأخذت الدنانير
أخبرني عمي قال حدثني جعفر العاصمي قال حدثنا عيينة بن المنهال عن الهيثم بن عدي عن أبي يعقوب الثقفي قال قال حمزة بن بيض
دخلت يوما على مخلد بن يزيد فقلت
(إنّ المشارق والمغارب كلها ... تُجْبَى وأنت أميرها وإمامُها)
فضحك ثم قال مه فقلت
(أغفيتُ قبل الصبح نومَ مسهَّدٍ ... في ساعة ما كنت قبلُ أنامها)
قال ثم ماذا كان قلت

(فرأيت أنك جُدت لي بوصيفة ... موسومة حَسَنٍ عليَّ قيامُها)
قال قد فعلت فقلت
(وبَدرة حُمِلت إليّ وبلغة ... سَفْواء ناجية يصِلُّ لجامها)
قال قد حقق الله رؤياك ثم أمر لي بذلك كله وما علم الله أني رأيت من ذلك شيئا
قال مؤلف هذا الكتاب وقد روي هذا الخبر بعينه لابن عبدل الأسدي وذكرته في أخباره
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال حدثنا عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قال
حج حمزة بن بيض الحنفي فقال له ابن عم له أحجج بي معك فأخرجه معه فحوقل عليه بعد نشاطه فقال ابن بيض فيه
(وذي سِنةٍ لم يدر ما السير قبلها ... ولم يعتسِف خَرْقاً من الأرض مَجْهلا)
(ولم يدر ما حَلُّ الحبال وعقدُها ... إذا البردُ لم يترك لكفيه مَعْملا)
(ولم يقر مأجوراً ولا حج حِجة ... فيضربَ سهما أو يصاحبَ مِكتلا)
(غدونا به كالبغل ينفض رأسَه ... نشاطاً بناه الخير حتى تفتَّلا)
(ترى المَحْمِلَ المحسور ناءَ عُرامه ... وباباً إذا أمسى من الشر مُقْفلا)
(وإن قلت ليلاً أين أنت لحاجةٍ ... أجاب بأن لبيك عشراً وأقبلا)
(يسوق مطي القوم طوراً وتارة ... يقود وإن شئنا حدا ثم جلجلا)
(فأجّلته خمساً وقلت له انتظر ... رُويدا وأجلنا المطيّ ليدبُلا)
(فلما صدرنا عن زُبالة وارتمت ... بنا العيس منها مَنْقلاً ثم مَنْقلا)
((ترامت به المَوماة حتى كأنما ... يَسَفُّ بمعسول الخزيرة حنظلا
(وحتّى نَبا عن مِزودِ القومِ ضِرْسُه ... وعادى من الجهدِ الثريدَ المرعبلا)
(وحتى لوَ أن الليثَ ليث خَفَّية ... يحاوله عن نفسه ما تَحَلْحلا)
(وحتى لَوَ أن الله أعطاه سؤله ... وقيل له ما تشتهي قال محملا)
(فقلت له لما رأيتُ الذي به ... وقد خِفت أن ينضِى لدينا ويهزلا)
(أطعني وكُلْ شيئاً فقال معذِرا ... من الجهد أطعِمني تراباً وجندلا)
(فللموت خير منك جاراً وصاحباً ... فدعني فلا لبيك ثم تَجَدلا)
(وقال أقلني عثرتي وارعَ حرمتي ... وقد فر مني مرتين لِيقفِلا)
(فقلت له لا - والذي أنا عبده - ... أقيلُك حتى تمسح الركن أوّلا)
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثني عبد الله بن عمرو بن سعد قال حدثني إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي قال حدثني أبو عمر العمري قال حدثني عطاء بن مصعب عن عاصم بن الحدثان قال
قدم حمزة بن بيض على مخلد بن يزيد بن المهلب فوعده أن يصنع به خيرا ثم شغل عنه فاختلف إليه مرارا فلم يصل إليه وأبطأت عليه عدته فقال ابن بيض
(أمَخْلِد إن الله ما شاء يصنع ... يجود فيعطي من يشاء ويمنعُ)
(وإنّي قد أملت منك سحابة ... فحالت سراباً فوق بيداء تلمع)
(فأجمعت صُرْماً ثم قلت لعله ... يثوب إلى أمر جميل فيرجع)
((فأيأسني من خير مخلدَ أنه ... على كل حال ليس لي فيه مطمع
(يجود لأقوام يودون أنه ... من البغض والشَّنْآن أمسى يُقطَّعُ)
(ويَبْخَل بالمعروف عمن يوَدُّه ... فوالله ما أدري به كيف أصنع)
(أأصرمه فالصُّرم شرٌّ مغبَّةً ... ونفسي إليه بالوصال تَطَلَّع)
(وشتانَ بيني في الوصال وبينَه ... على كل حال أستقيمُ ويَظْلَع)
(وقد كان دهراً واصلاً لي مودةً ... ويمنعني من صرف دهري أضرع)
(وأعقبني صُرْماً على غير إحنة ... وبخلاً وقِدْماً كان لي يتبرع)
(وغيَّره ما غيّر الناسَ قبلَه ... فنفسي بما يأتي به ليس تقنع)
ثم كتبها في قرطاس وختمه وبعث به مع رجل فدفعه إلى غلامه فدفعه الغلام إليه فلما قرأه سأل الغلام من صاحب الكتاب قال لا أعرفه فأدخل إليه الرجل فقال من أعطاك هذا الكتاب ومن بعث به معك قال لا أدري ولكن من صفته كذا وكذا ووصف صفة ابن بيض فأمر فضرب عشرين سوطا على رأسه وأمر له بخمس مئة درهم وكساه وقال إنما ضربناك أدبا لك لأنك حملت كتابا لا تدري ما فيه لمن لا تعرف فإياك أن تعود لمثلها قال الرجل لا والله أصلحك الله لا أحمل كتابا لمن أعرف ولا لمن لا أعرف قال له مخلد احذر فليس كل أحد يصنع بك صنيعي وبعث إلى ابن بيض فقال له أتعرف ما لحق صاحبك الرجل قال لا فحدثه مخلد بقصته فقال ابن بيض والله أصلحك الله لا تزال نفسه تتوق إلى العشرين سوطا مع الخمس مائة أبدا فضحك مخلد وأمر له بخمسة آلاف درهم وخمسة أثواب وقال وأنت والله لا تزال نفسك تتوق إلى عتاب إخوانك أبدا
قال أجل والله ولكن من لي بمثلك يعتبني إذا استعتبته ويفعل بي مثل فعلك ثم قال
(وأبيضَ بُهْلُولٍ إذا جئت داره ... كفاني وأعطاني الذي جئت أسألُ)
(ويُعتِبني يوماً إذا كنت عاتباً ... وإن قلت زدني قال حقًّا سأفعلُ)
(تراه إذا ما جئته تطلب الندى ... كأنك تعطيه الذي جئتَ تسألُ)
(فللّه أبناءُ المهلَّب فتيةً ... إذا لَقِحَتْ حرب عَوانٌ تأكَّل)
(هُم يصطلون الحرب والموتُ كانعٌ ... بسُمْر القنا والمشرفيةُ من عَلُ)
(ترى الموت تحت الخافقات أمامَهُمْ ... إذا وردوا عَلُّوا الرماحَ وأنهلوا)
(يجودون حتى يحسِب الناس أنهم ... لجودهم نذر عليهم يُحَلَّل)
(غيوث لمن يرجو نداهم وجودهم ... سِمام لأقوام ذُعافٌ يُثَمَّلُ)
(وفَى لي أبناءُ المهلّب إنهم ... إذا سئلوا المعروف لم يَتَسَعَّلوا)
(فذلك مِيراث المهلَّب إنه ... كريم نَماه للمكارم أوّلُ)

(جرى وجرت آباؤه فتحرَّزوا ... عن الذمّ في عَيطاء لا تُتَوَقَّل)
فلما أنشده ابن بيض هذه الأبيات أمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب وقال نزيدك ما زدتنا ونضعف لك فقال
(أمَخْلَد لم تترك لنفسي بُغْيَةً ... وزدت على ما كنت أرجو وآملُ)
(فكنتَ كما قد قال مَعْنٌ فإنه ... بصير بما قد قال إذ يتمثّلُ)
(وَجَدْتُ كثير المالِ إذ ضَنَّ مُعدِماً ... يُذَمُّ ويَلْحاه الصديقُ المؤَمِّل)
(وإن أحقّ الناس بالجودِ من رأى ... أباه جَواداً للمكارمِ يجْزل)
(تَرِبٌ الذي قَدَّم كان قَدّضم والد ... أغَرُّ إذا ما جئته يَتَهَلل)
(وَجَدْتَ يزيداً والمهلَّبَ برَّزا ... فقلت فإني مثلَ ذلك أفعل)
(ففزت كما فازا وجاوزتَ غاية ... يُقَصِّر عنها السابق المتمهِّل)
(فأنت غِياث لليتامى وعِصمة ... إليك جِمال الطالبي الخير تُرحل)
(أصاب الذي رجّى نداك مُخِيلةً ... تصُبّ عزاليها عليه وتَهطِل)
(ولم تُلفَ إذ رَجَّوا نوالَك باخلا ... تضَن على المعروف والمالُ يُعْقَلُ)
(وموت الفتى خير له من حياته ... إذا كان ذا مال يَضَنُّ ويبخل)
فقال له مخلد احتكم فأبى فأعطاه عشرة آلاف دينار وجارية وغلاما وبرذونا
أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال
كان حمزة بن بيض شاعرا ظريفا فشاتم حماد بن الزبرقان وكان من ظرفاء أهل الكوفة وكلاهما صاحب شراب وكان حماد يتهم بالزندقة فمشى الرجال بينهما حتى اصطلحا فدخلا يوما على بعض ولاة الكوفة فقال لابن بيض أراك قد صالحت حمادا فقال ابن بيض نعم أصلحك الله على ألا آمره بالصلاة ولا ينهاني عنها

اشتاق إلى أهله فقال شعرا

أخبرني محمد بن زكريا الصحاف قال حدثنا قعنب بن المحرز الباهلي قال حدثني الهيثم بن عدي قال
قدم حمزة بن بيض البصرة زائرا لبلال بن أبي بردة بن أبي موسى وبينهما مودة منذ الصبا فطال مقامه عنده فاشتاق إلى أهله وولده فكتب إلى بلال
(كَلّتْ رحالي وأعواني وأحراسي ... إلى الأمير وإدلاجي وإمْلاسي)
(إلى امرىء مُشْبَع مجدا ومكرُمة ... عادية فهو حالٍ منهما كاسي)
(فلستُ منك ولا مما مَنَنْتَ به ... من فضل ودك كالمرميّ في راسي)
(إني وإياك والإخوانَ كلَّهم ... في العسر واليسر لو قيسوا بمقياس)
(وذاك مما ينوبُ الدهرُ من حَدَث ... كالورد في المَثَل المضروب والآس)
(يبيد هذا فيبلَى بعد جدّته ... غَضًّا وآخره رهن بإيناس)
(وأنت لي دائم باقٍ بشاشته ... يهتز في عود لا عَشٍّ ولا عاسي)
فعجل له بلال صلته وسرحه إلى الكوفة
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا إسحاق بن محمد النخعي قال حدثنا أبو المعارك الضبي قال حدثني أبو مسكين قال
دخل حمزة بن بيض على سليمان بن عبد الملك فلما مثل بين يديه أنشأ يقول
(رأيتك في المنام شننت خزاً ... عليّ بَنَفْسَجاً وقضيت ديني)
(فصدق يا فدتْك النفس رؤيا ... رأتها في المنام لديك عَيْني)
فقال سليمان يا غلام أدخله خزانة الكسوة واشنن عليه كل ثوب خز
بنفسجي فيها فخرج كأنه مشجب ثم قال له كم دينك قال عشرة آلاف درهم فأمر له بها

صوت

(من سره ضرب يُرعِبلُ بعضه ... بعضاً كمعمعة الأباء المُحرَق)
(فليأتِ مأسدة تُسَنُّ سيوفُها ... بين المَذاد وبين جِزْع الخَنْدَق)
ويروى يمعمع بعضه بعضا والمعمعة اختلاف الأصوات وشدة زجلها والمأسدة الموضع الذي تجتمع فيه الأسد وتسن تحد يقال سيف مسنون والمذاد موضع بالمدينة والخندق يعني به الذي احتفره رسول الله وأصحابه حول المدينة والشعر لكعب بن مالك الأنصاري والغناء لابن محرز خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو

أخبار كعب بن مالك الأنصاري ونسبه

هو كعب بن مالك بن أبي كعب واسم أبي كعب عمرو بن القين بن كعب بن سواد وقيل القين بن سواد هكذا قال ابن الكلبي بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن شاردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث
وكان كعب بن مالك من شعراء أصحاب رسول الله المعدودين وهو بدري عقبي وأبوه مالك بن أبي كعب بن القين شاعر وله في حروب الأوس والخزرج التي كانت بينهم قبل الإسلام آثار وذكر وعمه قيس بن أبي كعب شهد بدرا وهو شاعر أيضا وهو الذي حالف جهينة على الأوس وخبره في ذلك يذكر في موضعه بعد أخبار كعب وأبيه
ولكعب بن مالك أصل عريق وفرع طويل في الشعر ابنه عبد الرحمن شاعر وابن ابنه بشير بن عبد الرحمن شاعر والزبير بن خارجة بن عبد الله بن كعب شاعر ومعن بن عمرو بن عبد الله بن كعب شاعر وعبد الرحمن بن عبد الله بن كعب أبو الخطاب شاعر ومعن بن وهب بن كعب شاعر وكلهم مجيد مقدم
وعمر كعب بن مالك وروى عن النبي حديثا كثيرا وكل بني كعب بن مالك قد روى عنه الحديث
فمما رواه ابن ابنه بشير عن أبيه عنه حدثني أحمد بن الجعد قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا أحمد بن عبد الملك قال حدثنا عتاب بن سلمة عن إسحاق بن راشد عن الزهري قال كان بشير بن عبد الرحمن بن كعب يحدث عن أبيه أن كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله قال والذي نفسي بيده لكأنما تنضحونهم بالنبل بما تقولون لهم من الشعر
ومما رواه عنه ابنه عبد الله أخبرني أحمد بن الجعد قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا بكر بن عبد الرحمن قال حدثنا عيسى بن المختار عن ابن أبي ليلى عن إسماعيل بن أمية عن محمد بن مسلم عن عبد الله بن كعب بن مالك

عن أبيه قال كان رسول الله يصلي المغرب ثم يرجع الناس إلى أهاليهم وهم يبصرون مواقع النبل حين يرمون
ومما رواه ابنه محمد أخبرني أحمد بن الجعد قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا محمد بن سابق قال حدثنا إبراهيم بن طهمان عن أبي الزبير عن محمد بن كعب عن أبيه أنه حدثه أن النبي بعثه وأوس بن الحدثان أيام التشريق فنادى
إنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن وأيام منى أيام أكل وشرب
ويقال كان كعب بن مالك عثمانيا وهو أحد من قعد عن علي بن أبي طالب عليه السلام فلم يشهد معه حروبه وخاطبه في أمر عثمان وقتلته خطابا نذكره بعد هذا في أخباره ثم اعتزله وله مراث في عثمان بن عفان رحمه الله وتحريض للأنصار على نصرته قبل قتله وتأنيب لهم على خذلانه بعد ذلك منها قوله
(فلو حُلْتُمُ من دونه لم يزلْ لكم ... يَدَ الدهر عزٌّ لا يبوخُ ولا يَسْري)
(ولم تَقْعدوا والدار كابٍ دُخانها ... يُحرِّق فيها بالسعير وبالجمر)
(فلم أرَ يوماً كان أكثر ضيعةً ... وأقربَ منه للغواية والنُّكْر)
كعب يرثي عثمان في المسجد
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال كان كعب بن مالك الأنصاري أحد من عاون عثمان على المصريين يجري وشهر سلاحه فلما ناشد عثمان الناس أن يغمدوا سيوفهم انصرف ولم ير أن الأمر يخلص إليه ولا ويجري القوم إلي قتله فلما قتل وقف كعب بن مالك على مجلس الأنصار في مسجد رسول الله فأنشدهم
(مَنْ مُبْلِغُ الأنصارِ عنّيَ آيةً ... رُسُلاً تَقُصُّ عليهمُ التِّبيانا)
(أن قد فَعَلْتم فَعْلة مذكورة ... كَسيتِ الفُضُوح وأبدَتِ الشنَّآنا)
(بقعودكم في دوركم وأميركم ... تُحْشَى ضواحي داره النيرانا)
(بينا يرجّي دفعكم عن داره ... مُلِئت حَريقاً كابِياً ودُخانا)
(حتى إذا خَلَصوا إلى أبوابه ... دخلوا عليه صائماً عطشانا)
(يُعلُون قُلّته السيوفَ وأنتم ... متلبّثون مكانكم رضوانا)
(الله يعلم أنني لم أرضه ... لكمُ صنيعاً يوم ذاك وشانا)
(يا لَهْفَ نفسي إذ يقول ألا أرَى ... نَفَراً من الأنصار لي أعوانا)
(والله لو شهد ابن قيسٍ ثابتٌ ... ومعاشر كانوا له إخوانا)
يعني ثابت بن قيس بن شماس
((وأبو دُجانة وابنُ أرقمَ ثابتٌ ... وأخو المَشاهد من بني عَجْلانا
أبو دجانة سماك بن خرشة وابن أرقم ثابت البلوي وأخو المشاهد من بني عجلان معن بن عدي عقبي
(ورفاعة العُمَريُّ وابن مُعاذِهم ... وأخو مُعاويَ لم يخف خذلانا)
رفاعة ابن عبد المنذرِ العُمَريّ وابن معاذ سعد بن معاذ وأخو معاوية المنذر بن عمرو الساعدي عقبي بدري
(قومٌ يَرَوْن الحق نصرَ أميرهم ... ويرون طاعةَ أمره إيمانا)
(إن يتركوا فَوْضَى يَروا في دينهم ... أمْراً يُضَيِّق عنهمُ البُلدانا)
(فَلَيُعْلِيَنَّ الله كعبَ وَليهِ ... ولَيَجْعلَنَّ عَدُوِّه الذُّلاّنا)
(إني رأيت محمداً إختاره ... صِهراً وكان يَعُدّه خُلْصانا)
((مَحْضَ الضرائبِ ماجداً أعراقُه ... من خير خِندِفَ مَنصِباً ومَكانا
(عَرَفَتْ له عُلْيا مَعَدّ كلُّها ... بعدَ النبيِّ الملكَ والسلطانا)
(من مَعْشَرٍ لا يغدِرون بجارهم ... كانوا بمكة يَرْتَعون زمانا)
(يُعْطون سائلهم ويأمنُ جارهم ... فيهم ويُرْدون الكُماة طِعانا)
(فلَوَ انكم مع نصركم لنبيكم ... يوم اللقاء نصرتُمُ عثمانا)
(أنَسِيتُم عهد النبيّ إليكُمُ ... ولقد ألَظَّ ووَكَّد الأيمانا)
قال فجعل القوم يبكون ويستغفرون الله عز وجل
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو عامر عن ابن جريج عن هشام بن عروة عن أبيه قال
رجز راجز من قريش برسول الله فقال
(لم يَغْذُها مُدٌّ ولا نصِيفُ ... ولا تُمَيراتٌ ولا تَعْجِيفِ)
(لكن غذاها اللبنُ الخرِّيفُ ... والمَخْضُ والقارصُ والصَّريفُ)
قال فاحتفظت الأنصار حيث ذكر المد والتمر فقالوا لكعب بن مالك
انزل فنزل فقال
(لم يَغْذُها مدٌّ ولا نَصِيفُ ... لكن غذاها الحنظلُ النَّقيفُ)
(ومَذْقة كطُرَّة الخنيف ... تبيتُ بين الزَّرْب والكَنيفِ)
فقال رسول الله اركبا
أخبرني الجوهري والمهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا هوذة بن خليفة قال حدثنا عوف بن محمد عن محمد بن سيرين في حديث طويل قال
كان يهجوهم يعني قريشا ثلاثة نفر من الأنصار يجيبونهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر وينسبهم إليه ويعلم أن ليس فيهم شيء شر من الكفر فكانوا في ذلك الزمان أشد شيء عليهم قول حسان وكعب وأهون شيء عليهم قول ابن رواحة فلما أسلموا وفقهوا الإسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة
كعب يستأذن الرسول في هجاء قريش
أخبرني الجوهري والمهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا
عبد الله بن بكر السهمي قال حدثني حاتم بن أبي صغيرة قال حدثنا سماك بن حرب قال

أتي رسول الله فقيل إن أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يهجوك فقام ابن رواحة فقال يا رسول الله ائذن لي فيه فقال له أنت الذي تقول فثبت الله قال نعم يا رسول الله أنا الذي أقول
(فثبت الله ما أعطاك من حَسَنٍ ... تثبيت موسى ونَصْراً كالذي نَصَرا)
فقال وأنت فعل الله بك مثل ذلك قال فوثب كعب بن مالك فقال يا رسول الله ائذن لي فيه فقال أنت الذي تقول همت قال نعم يا رسول الله أنا الذي أقول
(همت سَخِينةُ أنْ تغالَب ربَّها ... ولَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلاَّب)
فقال أما إن الله لم ينس لك ذلك
أخبرني الجوهري والمهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الله بن يحيى مولى ثقيف قال حدثنا عبد الواحد بن زياد قال حدثنا مجالد عن الشعبي قال
لما انهزم المشركون يوم الأحزاب قال رسول الله إن المشركين لن يغزوكم بعد اليوم ولكنكم تغزونهم وتسمعون منهم أذى ويهجونكم فمن يحمي أعراض المسلمين فقام عبد الله بن رواحة فقال أنا فقال إنك لحسن الشعر ثم قام كعب فقال أنا فقال وإنك لحسن الشعر
أخبرني الجوهري والمهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني
محمد بن منصور قال حدثني سعيد بن عامر قال حدثني جويرية بن أسماء قال
بلغني أن رسول الله قال أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن وأمرت حسانا فشفى واشتفى
أخبرني الجوهري والمهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن عيسى قال حدثني عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث أن يحيى بن سعيد حدثه عن عبد الله بن أنيس عن أمه وهي بنت كعب بن مالك
أن النبي خرج على كعب وهو في مسجد رسول الله ينشد فلما رآه كأنه انقبض فقال ما كنتم فيه فقال كعب كنت أنشد فقال رسول الله فأنشد فأنشد حتى أتى على قوله
(... مُقاتَلُنا عن جِذْمِنا كُلَّ فَخْمةٍ)
فقال رسول الله لا تقل عن جذمنا ولكن قل مقاتلنا عن ديننا
قال أبو زيد وحدثني سعيد بن عامر قال حدثنا أبو عون عن ابن سيرين قال
وقف رسول الله بباب كعب بن مالك فخرج فقال له رسول الله إيه فأنشده ثم قال إيه فأنشده ثم قال إيه فأنشده ثلاث مرات فقال رسول الله لهذا أشد عليهم من مواقع النبل
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا أبو جعفر محمد بن منصور الربعي وذكر أنه إسناد شآم هكذا قال قال ابن عمار في الخبر
وذكر حديثا فيه طول لحسان بن ثابت والنعمان بن بشير وكعب بن مالك فذكرت ما كان لكعب فيه قال
لما بويع لعلي بن أبي طالب عليه السلام بلغه عن حسان بن ثابت وكعب بن مالك والنعمان بن بشير - وكانوا عثمانية - أنهم يقدمون بني أمية على بني هاشم ويقولون الشأم خير من المدينة واتصل بهم أن ذلك قد بلغه فدخلوا عليه فقال له كعب بن مالك يا أمير المؤمنين أخبرنا عن عثمان أقتل ظالما فنقول بقولك أم قتل مظلوما فنقول بقولنا ونكلك إلى الشبهة فيه فالعجب من تيقننا وشكك وقد زعمت العرب أن عندك علم ما اختلفنا فيه فهاته نعرفه ثم قال
(كَفَّ يديهِ ثم أغلقَ بابه ... وأيقنَ أن الله ليس بغافل)
(وقال لمن في داره لا تقاتلوا ... عفا الله عن كل امرىء لم يقاتلِ)
(فكيف رأيتَ الله صبَّ عليهم العداوة ... والبغضاء بعد التواصلِ)
(وكيف رأيت الخير أدبر عنهمُ ... وولّى كإدبار النعام الجوافلِ)
فقال لهم علي عليه السلام لكم عندي ثلاثة أشياء استأثر عثمان فأساء الأثرة وجزعتم فأسأتم الجزع وعند الله ما تختلفون فيه إلى يوم القيامة فقالوا لا ترضى بهذا العرب ولا تعذرنا به فقال علي عليه السلام أتردون علي بين ظهراني المسلمين بلا بينة صادقة ولا حجة واضحة اخرجوا عني ولا تجاوروني في بلد أنا فيه أبدا فخرجوا من يومهم فساروا حتى أتوا معاوية فقال لهم لكم الولاية والكفاية فأعطى حسان بن ثابت ألف دينار وكعب بن مالك ألف دينار وولى النعمان بن بشير حمص ثم نقله إلى الكوفة بعد
أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائني عن عبد الأعلى القرشي قال
قال معاوية يوما لجلسائه أخبروني بأشجع بيت وصف به رجل قومه فقال له روح بن زنباع قول كعب بن مالك
(نصل السيوفَ إذا قَصُرْن بخطونا ... قِدْماً ونُلْحِقها إذا لم تَلْحَقِ)
فقال له معاوية صدقت
وأما أبوه مالك بن أبي كعب أبو كعب بن مالك فإني أذكر قبل أخباره شيئا مما يغنى فيه من شعره فمن ذلك قوله
صوت
(لَعمرُ أبيها لا تقول حليلتي ... ألا فَرَّ عني مالك بن أبي كعبِ)
(وهم يضربون الكبش يَبْرُق بيضه ... ترى حوله الأبطال في حَلَقٍ شُهْب)
الشعر لمالك بن أبي كعب والغناء لمالك - ثقيل - أول بالبنصر عن يونس والهشامي وفيه لإبراهيم - خفيف ثقيل - بالوسطى جميعا عن الهشامي وزعم ابن المكي أن خفيف الثقيل هو لحن مالك
الخصومة بين أبيه وبرذع بن عدي
وهذا الشعر يقوله مالك بن أبي كعب في حرب كانت بينه وبين رجل من بني ظفر يقال له برذع بن عدي
وكان السبب فيما ذكره جعفر العاصمي عن عيينة بن المنهال ونسخته من كتاب أعطانيه علي بن سليمان الأخفش أن رجلا من طيىء قدم يثرب بإبل له يبيعها فنزل في جوار برذع بن عدي أخي بني ظفر فباع إبله واقتضى أثمانها وكان مالك بن أبي كعب بن القين أخو بني سلمة اشترى منه جملا فجعله ناضحا فمطله مالك بن أبي كعب بثمن جمله وحضر شخوص الطائي فشكا ذلك إلى برذع فمشى معه إلى منزل مالك ليكلمه أن يوفيه ثمن جمله أو يرده عليه فلم يجدا مالكا في منزله ووجدا الجمل باركا بالفناء فبعثه برذع وقال للطائي انطلق بجملك ثم خرجا مسرعين حتى دخلا في دار النبيت فأمنا فارتحل الطائي بالجمل إلى بلاده وبلغ مالكا ما صنع برذع فكره أن ينشب بين قومه وبين النبيت حرب فكف وقد أغضبه ذلك وجعل يسفه برذعا في جراءته عليه وما صنع فقال برذع بن عدي في ذلك

(أمِن شَحْط دار من لُبابة تجزعُ ... وصرف النوى مما يُشِتُّ ويَجمعُ)
(وليس بها إلا ثلاثٌ كأنها ... مُسفَّعة أو قد علاهنَّ أيدعِ)
(قد اقتربت لو كان في قرب دارها ... جداء ولكن قد تضن وتمنع)
(وكان لها بالمنحنَى وجُنوبه ... مصيف ومشتىً قبل ذلكِ ومَرْبَع)
(أتاني وعيد الخزرجيّ كأنني ... ذليل له عند اليهوديّ مَضْرَع)
(متى تَلْقني لا تلقَ نُهْزةَ واجد ... وتعلمُ أني في الهزاهز أروع)
(معي سَمْحَة صفراء من فَرْع نَبعةٍ ... ولَيْنٌ إذا مسّ الضريبةَ يقطع)
((ومطَّردٌ لَدْنٌ إذا هُزَّ متنهُ ... متين كخرص الذابلات وأهزع
(فلا والهي لا يقول مجاوري ... ألا إنني قد خانني اليوم برذع)
(وأحفظ جاري أن أخاتلَ عِرسه ... ومولاي بالنَّكراء لا أتطلع)
(وأجعل مالي دون عِرضِي إنه ... على الوُجْد والإعدام عِرض ممنَّع)
(وأصبر نفسي في الكريهة إنه ... لِذِي كل نفس مستقر ومصرع)
(وإني بحمد الله لا ثوبَ فاجر ... لبست ولا من خَزْيَةٍ أتقنع)
فأجابه مالك بن أبي كعب فقال
صوت
(هل للفؤاد لدى شَنْباءَ تنويلُ ... أم لا نوالٌ فإعراضٌ وتجميل)
(إن النساء كأشجار نبتن معاً ... منهن مُر وبعض المرّ مأكول)
(إنَّ النساء ولو صُوّرن من ذهب ... فيهن من هفوات الجهل تخبيل)
الغناء لسليم هزج بالوسطى عن الهشامي وبذل
(إنك إن تنهَ إحداهن عن خلق ... فإنه واجب لا بدّ مفعول)
(ونعجةٍ من نِعاج الرمل خاذلةٍ ... كأن مآقِيهَا بالحسن مكحول)
(ودَّعتها في مُقامي ثم قلت لها ... حياكِ ربك إني عنكِ مشغول)
(وليلةٍ من جُمادَى قد شربت بها ... والزِّق بيني وبين الشَّرج معدول)
((ومُرجَحِنٍّ على عمد دَلَفْت به ... كأنه رجل في الصفّ مقتول
(ولا أهاب إذا ما الحرب حَرَّشها الأبطال ... واضطربت فيها البهاليل)
(أمضِي أمامَهُمُ والموت مكتنِعٌ ... قُدْماً إذا ما كبا فيها التَّنابيل)
(عليَّ فَضْفاضة كالنِّهي سابغة ... وصارم مثل لون الملح مصقولُ)
(ولدنةٌ في يدي صفراء تعْلُبها ... بعامل كشهاب النار موصول)
(إني من الخزرج الغُرِّ الذين هُم ... أهلُ المكارم لا يلفى لهم جيل)
(في الحرب أنْهكَ منهم للعدوِّ إذا ... شبت وأعظَم نَيلاً إن هم سِيلوا)
(أُشبهتُ من والدي عِزاً ومَكْرُمةً ... وبرذعٌ مُدغَم في الأوس مجهول)
(نُبِّئته يدَّعي عزاً ويُوعِدني ... نُوكاً وعندي له بالسيف تنكيل)
قال ثم إن مالك بن أبي كعب خرج يوما لبعض حاجته فبينا هو يمشي وحده إذ لقيه برذع ومعه رجلان من بني ظفر فلما رأوا مالكا أقبلوا نحوه فبدرهم مالك إلى مكان من الحرة كثير الحجارة مشرف فقام عليه وأخذ في يده أحجارا وأقبلوا حتى دنوا منه فشاتموه وراموه بالحجارة وجعل مالك يلتفت إلى الطريق الذي جاء منه كأنه يستبطىء ناسا فلما رآه برذع وصاحباه يكثر الالتفات ظنوا أنه ينتظر ناسا كانوا معه وخشوا أن يأتوهم على تلك الحال فانصرفوا عنه فقال مالك بن أبي كعب في ذلك
(لعمرُ أبيها لا تقول حليلتي ... ألا فرَّ عني مالك بن أبي كَعْب)
((أقاتل حتى لا أرى لي مُقاتِلا ... وأنجو إذا غُمّ الجبان من الكَرْب
(أبى لِيَ أن أُعْطَى الصَّغار ظلامةً ... جدودي وآبائي الكرامُ أولو السَّلْب)
(هُم يضربون الكبشَ يَبرقُ بيضُه ... ترى حوله الأبطال في حَلَق شُهْب)
(وهم أورثوني مجدَهم وفعالَهم ... فأقسم لا يُزْري بهم أبدا عَقْبي)
ويروى لا يخزيهم
(وأرعى لجاري ما حييتُ ذِمامه ... وأعرف ما حقُّ الرفيق على الصحْبِ)
(ولا أُسمِع النَّدْمان شيئاً يَريبه ... إذا الكأس دارت بالمدام على الشَّرْبِ)
(إذا ما اعترى بعضُ الندامَى لحاجةٍ ... فقولي له أهلاً وسهلاً وفي الرحب)
(إذا أنفدُوا الزِّق الرويّ وصُرِّعوا ... نَشاوَى فلم أقنع بقولهمُ حَسْبي)
(بعثت إلى حانوتها فاستبأتُها ... بغير مِكاس في السَّوام ولا غصْب)
(وقلت اشربوا رِيَّا هنيئاً فإنها ... كماء القَليب في اليسارة والقُرب)
(يطاف عليهم بالسَّديف وعندهم ... قيانٌ يلَهِّينَ المزاهرَ بالضرب)
(فإن يصبِروا لِي الدهرَ أصبِرهم بها ... ويَرْحَبْ لهم باعي ويغزرْ لهم شِرْبي)
(وكان أبي في المَحْل يطعم ضيفه ... ويُروي نداماه ويصبِر في الحرب)
(ويمنع مولاه ويدرك تَبْلَه ... ولو كان ذاك التبلُ في مركبٍ صعب)
((إذا ما منعت المال منكم لثروةٍ ... فلا يَهْنني مالي ولا ينمُ لي كسبي
وقد روي أن الشعر المنسوب إلى مالك بن أبي كعب لرجل من مراد يقال له مالك بن أبي كعب وذكر له خبر في ذلك
أخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عباس عن مجالد عن الشعبي قال
كان رجل من مراد يكنى أبا كعب وكان له ابن يدعى مالكا وبنت يقال لها طريفة فزوج ابنه مالكا امرأة من أرحب فلم تزل معه حتى مات أبو كعب فقالت الأرحبية لمالك إني قد اشتقت إلى أهلي ووطني ونحن هاهنا في جدب وضيق عيش فلو

ارتحلت بأهلك وبي فنزلت على أهلي لكان عيشنا أرغد وشملنا أجمع فأطاعها وارتحل بها وبأمه وبأخته إلى بلاد أرحب فمر بحي كان بينهم وبين أبيه ثأر فعرفوا فرسه فخرجوا إليه وأحدقوا به وقالوا له استسلم وسلم الظعينة فقال أما وسيفي بيدي وفرسي تحتي فلا وقاتلهم حتى صرع فقال وهو يجود بنفسه
(لعمر أبيها لا تقول حليلتي ... ألا فرَّ عني مالك بن أبي كعب)
وذكر باقي الأبيات التي تقدم ذكرها قبل هذا الخبر
قال مؤلف هذا الكتاب وأحسب هذا الخبر مصنوعا وأن الصحيح هو الأول
صوت
(خُيِّرتُ أمرين ضاع الحزم بينهما ... إما الضَّياعُ وإما فِتنة عَمَمُ)
(فقد هممت مِراراً أن أساجلهم ... كأسَ المنيةِ لولا اللّهُ والرَّحِمُ)
الشعر لعيسى بن موسى الهاشمي والغناء لمتيم الهاشمية - خفيف رمل - من روايتي ابن المعتز والهشامي

أخبار عيسى بن موسى ونسبه

عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وقد مضى في عدة مواضع من هذا الكتاب ما تجاوزه نسب هاشم إلى أقصى مدى الأنساب وأمه وأم سائر إخوته وأخواته أم ولد
وعيسى ممن ولد ونشأ بالحميمة من أرض الشام وكان من فحول أهله وشجعانهم وذوي النجدة والرأي والبأس والسودد منهم وقبل أن أذكر أخباره فإني أبدأ بالرواية في أن الشعر له إذ كان الشعر ليس من شأنه ولعل منكرا أن ينكر ذلك إذا قرأه
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وعمي قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد ورأيت هذا الخبر بعد ذلك في بعض كتب ابن أبي سعد فقابلت به ما روياه فوجدته موافقا
قال ابن أبي سعد حدثني علي بن النطاح قال حدثني أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى قال
لما خلع أبو جعفر عيسى بن موسى وبايع للمهدي قال عيسى بن موسى
((خُيِّرْت أمرين ضاع الحزم بينهما ... إما صَغار وإما فتنة عَمَمُ
(وقد هممت مِراراً أن أساقِيهم ... كأس المنية لولا اللّهُ والرَّحِم)
(ولو فعلت لزالت عنهمُ نِعَمٌ ... بكفر أمثالها تُستَنْزَل النّقَمُ)
على هذه الرواية في الشعر روى من ذكرت وعلى ما صدرت من الخلاف في الألفاظ يغنى
أنشدني طاهر بن عبد الله الهاشمي قال أنشدني ابن بريهة المنصوري هذه الأبيات وحكى أن ناقدا خادم عيسى كان واقفا بين يديه ليلة أتاه خبر المنصور وما دبره عليه من الخلع قال فجعل يتململ على فراشه ويهمهم ثم جلس فأنشد هذه الأبيات فعلمت أنه كان يهمهم بها وسألت الله أن يلهمه العزاء والصبر على ما جرى شفقة عليه
قال ابن أبي سعد في الخبر الذي قدمت ذكره عنهم وحدثني محمد بن يوسف الهاشمي قال حدثني عبد الله بن عبد الرحيم قال حدثتني كلثم بنت عيسى قالت قال موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس
رأيت في المنام كأني دخلت بستانا فلم آخذ منه إلا عنقودا واحدا عليه من الحب المرصف ما الله به عليم فولد له عيسى بن موسى ثم ولد لعيسى من قد رأيت
قال ابن أبي سعد في خبره هذا وحدثني علي بن مسلم الهاشمي قال حدثني عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن مالك مولى عيسى بن موسى قال حدثني أبي قال
كنا مع عيسى بن موسى لما سكن الحيرة فأرسل إلي ليلة من الليالي فأخرجني من منزلي فجئت إليه فإذا هو جالس على كرسي فقال لي يا عبد الرحمن لقد سمعت الليلة في داري شيئا ما دخل سمعي قط إلا ليلة بالحميمة والليلة فانظر ما هو فدخلت أستقري الصوت فإذا هو في المطبخ وإذا الطباخون قد اجتمعوا وعندهم رجل من أهل الحيرة يغنيهم بالعود فكسرت العود وأخرجت الرجل وعدت إليه فأخبرته فحلف لي أنه ما سمعه قط إلا تلك الليلة بالحميمة وليلته هذه
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن محمد بن المنذر عن صفية بنت الزبير بن هشام بن عروة عن أبيها قال
كان عيسى بن موسى إذا حج يحج ناس كثير من أهل المدينة يتعرضون لمعروفه فيصلهم قالت فمر أبي بأبي الشدائد الفزاري وهو ينشد بالمصلى
(... عصابة إن حج عيسى حجُّوا)
(... وإن أقام بالعراق دَجُّوا)
(... قد لَعِقوا لُعَيقةً فلَجُّوا)
(... فالقوم قوم حَجُّهم مَعْوجٌّ)
(... ما هكذا كان يكون الحج)
قال ثم لقي أبو الشدائد بعد ذلك أبي فسلم عليه فلم يردد عليه فقال له مالك يا أبا عبد الله لا ترد السلام علي فقال ألم أسمعك تهجو حاج بيت الله الحرام فقال أبو الشدائد
(... إني وَربِّ الكعبةِ المبنيَّهْ)
(... واللّهِ ما هجوتُ مِن ذِي نيهْ)
(...ولا امرىء ذي رِعَةٍ نقيهْ)
(... (لكنني أُرعِي على البريهْ
(... من عُصبةٍ أَغْلَوا على الرعيهْ)
(... بغير أخلاق لهم سَرِيهْ)
صوت
(آثار ربع قَدُما ... أعيا جواباً صَمَما)
(سحت عليه دِيمٌ ... بمائها فانهدَما)
(كان لسُعدَى علماً ... فصار وَحْشاً رِمَما)

(أيامَ سُعدَى سَقَمٌ ... وهي تداوي السَّقَمَا)
الشعر للرقاشي والغناء لابن المكي رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة
أخبار الرقاشي ونسبه
هو الفضل بن عبد الصمد مولى رقاش وهو من ربيعة وكان مطبوعا سهل الشعر نقي الكلام وقد ناقض أبا نواس وفيه يقول أبو نواس
(وجدنا الفضل أكرم مِن رقاشٍ ... لأن الفضل مولاه الرسول)
أراد أبو نواس بهذا نفيه عن ولائه لأنه كان أكرم ممن ينتمي إليه وذهب أبو نواس إلى قول النبي أنا مولى من لا مولى له
وذكر إبراهيم بن تميم عن المعلى بن حميد
أن الرقاشي كان من العجم من أهل الري
الرقاشي شاعر آل برمك
وقد مدح الرقاشي الرشيد وأجازه إلا أن انقطاعه كان إلى آل برمك فأغنوه عن سواهم
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي قال حدثني أبي قال
كان الفضل الرقاشي منقطعا إلى آل برمك مستغنيا بهم عن سواهم وكانوا يصولون به على الشعراء ويروون أولادهم أشعاره ويدونون القليل والكثير منها تعصبا له وحفظا لخدمته وتنويها باسمه وتحريكا لنشاطه فحفظ ذلك لهم فلما نكبوا صار إليهم في حبسهم فأقام معهم مدة أيامهم
ينشدهم ويسامرهم حتى ماتوا ثم رثاهم فأكثر ونشر محاسنهم وجودهم ومآثرهم فأفرط حتى نشر منها ما كان مطويا وأذاع منها ما كان مستورا وجرى على شاكلته بعدهم وكان كالموقوف المديح على جميعهم صغيرهم وكبيرهم ثم انقطع إلى طاهر وخرج معه إلى خراسان فلم يزل بها معه حتى مات
وكان مع تقدمه في الشعر ماجنا خليعا متهاونا بمروءته ودينه وقصيدته التي يوصي فيها بالخلاعة والمجون مشهورة سائرة في الناس مبتذلة في أيدي الخاصة والعامة وهي التي أولها
(أوصَى الرقاشيُّ إلى إخوانِه ... وصِية المحمودِ في نُدْمانِهِ)
وقد رأيت هذه القصيدة بعينها بخط الجاحظ في شعر أبي نعامة من جملة قصيدة له طويلة يهجو فيها جماعة ويأتي في وسطها بقصيدة الرقاشي
وقال عبد الله بن المعتز حدثني ابن أبي الخنساء عن أبيه قال
لما قال أبو دلف
صوت
(ناوليني الرمح قد طال ... عن الحرب جَمامِي)
(مرَّ لي شهران مذْ لم ... أرمِ قوماً بِسِهامِي)
قال الرقاشي يعارضه
(جنبيني الدِّرعَ قد طال ... عن القَصْف جَمامِي)
(واكسِري المِطْرِد والبِيْض ... وأثني بالحُسامِ)
(واقذفي في لُجَّة البحر ... بقوسِي وسِهامِي)
(وبتُرسِي وبرمحِي ... وبسرجي ولجامِي)
(فبحسبي أنْ تَرَيْني ... بين فِتيانٍ كِرامِ)
(سادةٍ نغدو مُجدين ... على حَرْبِ المدامِ)
(واصطِفاقِ العودِ والناياتِ ... في جوف الظلامِ)
(هَزْم أرواح دِنانٍ ... لم ننلها باصطلامِ)
(نهزم الراح إذا ما ... همَّ قومٍ بانهزامِ)
(ثم خلِّ الضرب والطعن ... لأجساد وهامِ)
(لِشقيٍّ قال قد طال ... عن الحرب جَمامِي)
رثاؤه العباس البرمكي وجعفر البرمكي
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن موسى عن ابن النطاح قال
توفي العباس بن محمد بن خالد بن برمك بالخلد والرشيد بالرصافة
في يوم جمعة فأخرجت جنازته مع العصر وحضر الرشيد والأمين وأخرجت المضارب إلى مقابر البرامكة بباب البردان وفرش للرشيد في مسجد هناك وجاء الرشيد في الحلق بالأعلام والحراب فصلى عليه ووقف على قبره حتى دفن فلما خرج يحيى ومحمد أخواه من القبر قبلا يد الرشيد وسألاه الانصراف فقال لا حتى يسوى عليه التراب ولم يزل قائما حتى فرغ من أمره وعزاهما وأمرهما بالركوب فقال الرقاشي يرثي العباس بن محمد بن خالد بن برمك
(أتحسِبني باكرتُ بعدك لذة ... أبا الفضلِ أو رَفَّعت عن عاتقٍ سِترا)
(أو انتفعت عيناي بعدُ بنظرة ... أو ادنيتُ من كأسٍ بمشمولة ثغرا)
(جفانِي إذن يوما إلى الليل مؤنسي ... وأضحت يميني من ذخائرها صفرا)
(ولكنني استشعرت ثوب استكانة ... وبتُّ كأن الموت يحفِر لي قبرا)
غنى في الأول والثاني من هذه الأبيات الرف ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشامي وعبد الله بن موسى وفيه ثقيل أول مجهول أحسبه لبعض جواري البرامكة وفيهما لإبراهيم بن المهدي خفيف رمل عن عبد الله بن موسى
ومن ذلك قوله في جعفر
(كم هاتفٍ بك من باكٍ وباكيةٍ ... يا طيبَ للضيفِ إذ تُدْعَى وللجار)
((إن يُعْدَمِ القطر كنتَ المُزنَ بارقُه ... لمعُ الدنانير لا ما خيِّل الساري
وقوله
(لعمرك ما بالموت عار على الفتى ... إذا لم تصبه في الحياة المَعايرُ)
(وما أحد حيٌّ وإن كان سالماً ... بأسلم ممن غيبته المقابرُ)

(ومن كان مما يُحدث الدهر جازعاً ... فلا بد يوماً أن يُرى وهو صابر)
(وليس لذي عيش عن الموت مَقْصَرٌ ... وليس على الأيام والدهر غابر)
(وكل شباب أو جديد إلى البِلى ... وكل امرىء يوماً إلى الله صائر)
(فلا يُبْعِدَنْكَ الله عني جعفراً ... بروحي ولو دارت عليَّ الدّوائر)
(فآليْت لا أنفكُّ أبكيك ما دَعتْ ... على فَنَنٍ ورقاءُ أو طار طائر)
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان عن عبد العزيز بن أبي ثابت عن محمد بن عبد العزيز
أن الرقاشي الشاعر فني في حب البرامكة حتى خيف عليه
أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي عن أبي عكرمة قال
وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن موسى عن إسماعيل بن مجمع عن أحمد بن الحارث عن المدائني
أنه لما دارت الدوائر على آل برمك وأمر بقتل جعفر بن يحيى وصلب
اجتاز به الرقاشي الشاعر وهو على الجذع فوقف يبكي أحر بكاء ثم أنشأ يقول
(أما واللهِ لولا خوف واشٍ ... وعين للخليفة لا تنامُ)
(لَطُفنا حول جِذعك واستلمنا ... كما للناس بالحَجَر استلام)
(فما أبصرتُ قبلك يابن يحيى ... حساماً قدّهُ السيفُ الحسام)
(على اللذات والدنيا جميعاً ... ودولة آلِ برمكٍ السلام)
فكتب أصحاب الأخبار بذلك إلى الرشيد فأحضره فقال له ما حملك على ما قلت فقال يا أمير المؤمنين كان إلي محسنا فلما رأيته على الحال التي هو عليها حركني إحسانه فما ملكت نفسي حتى قلت الذي قلت قال وكم كان يجري عليك قال ألف دينار في كل سنة قال فإنا قد أضعفناها لك
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي أبو دلف قال حدثنا الرياشي قال
كان الفضل الرقاشي يجلس إلى إخوان له يحادثهم ويألفونه ويأنسون به فتفرقوا في طلب المعاش وترامت بهم الأسفار فمر الرقاشي بمجلسهم الذي كانوا يجلسون فيه فوقف فيه طويلا ثم استعبر وقال
(لولا التطيُّر قلتُ غيَّركم ... ريبُ الزمان فخنتُم عهدي)
(درستْ معالمُ كنت آلِفُها ... من بعدكمْ وتغيرتْ عندي)
أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني النحوي قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثني أبو هفان عن يوسف بن الداية قال
كان أبو نواس والفضل الرقاشي جالسين فجاءهما عمرو الوراق
فقال رأيت جارية خرجت من دور آل سليمان بن علي فما رأيت جارية أحسن منها هيفاء نجلاء زجاء دعجاء كأنها خوط بان أو جدل عنان فخاطبتها فأجابتني بأحلى لفظ وأحسن لسان وأجمل خطاب فقال الرقاشي قد والله عشقتها فقال أبو نواس أو تعرفها قال لا والله ولكن بالصفة ثم أنشأ يقول
(صِفاتٌ وظَنٌّ أورثا القلب لوعةً ... تضرَّم في أحشاء قلب متيَّمِ)
(تُمَثِّلها نفسي لعيني فانثنى ... إليها بطرف الناظرِ المتوسِّم)
(يحمِّلني حبِّي لها فوق طاقتي ... من الشوق دأبَ الحائر المتقسَّم)
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد الحراني قال
قيل لابن دراج الطفيلي أتتطفل على الرؤوس قال وكيف لي بها قيل إن فلانا وفلانا قد اشترياها ودخلا بستان ابن بزيع فخرج يحضر خوفا من فوتهما فوجدهما قد لوحا بالعظام فوقف عليها ينظر ثم استعبر وتمثل قول الرقاشي
((آثار رَبْعٍ قَدُما ... أعيا جوابي صَمَمَا
وابن دراج هذا يقال له عثمان وهو مولى لكندة وكان في زمن المأمون وله شعر مليح وأدب صالح وأخبار طيبة يجري ذكرها ههنا
أخبار ابن دراج الطفيلي
أخبرني الجوهري عن ابن مهرويه عن أبيه قال
قيل لعثمان بن دراج أتعرف بستان فلان قال إي والله وإنه للجنة الحاضرة في الدنيا قيل له فلم لا تدخل إليه فتأكل من ثماره تحت أشجاره وتسبح في أنهاره قال لأن فيه كلبا لا يتمضمض إلا بدماء عراقيب الرجال
أخبرني الجوهري قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الرحيم بن أحمد بن زيد الحراني قال
كان عثمان بن دراج يلزم سعيد بن عبد الكريم الخطابي أحد ولد زيد بن الخطاب فقال له ويحك إني أبخل بأدبك وعلمك وأصونك وأضن بك عما أنت فيه من التطفيل ولي وظيفة راتبة في كل يوم فالزمني وكن مدعوا أصلح لك مما تفعل فقال رحمك الله أين يذهب بك فأين لذة الجديد وطيب التنقل كل يوم من مكان إلى مكان وأين نيلك ووظيفتك من احتفال الأعراس وأين ألوانك من ألوان الوليمة قال فأما إذا أبيت ذاك فإذا ضاقت عليك المذاهب فإني فيئة لك قال أما هذا فنعم فبينا هو عنده ذات يوم إذ أتت الخطابي مولاة له فقالت جعلت فداك زوجت ابنتي من ابن عم لها ومنزلي بين قوم طفيليين لا آمنهم أن يهجموا علي فيأكلوا ما صنعت ويبقى من دعوت فوجه معي بمن يمنعهم فقال
نعم هذا أبو سعيد قم معها يا أبا سعيد فقال مري بين يدي وقام وهو يقول
(ضجت تميمٌ أن تُقَتَّل عامرٌ ... يومَ النسار فأُعتِبوا بالصَّيْلم)
قال وقال الخطابي هذا لابن دراج كيف تصنع بأهل العرس إذا لم يدخلوك قال أنوح على بابهم فيتطيرون بذلك فيدخلوني قال وقال له رجل ما هذه الصفرة في لونك قال من الفترة بين القصفين ومن خوفي كل يوم من نفاد الطعام قبل أن أشبع
أخبرني أحمد قال حدثنا ابن مهرويه عن عبد الرحيم بن أحمد
أن ابن دراج صار إلى باب علي بن زيد أيام كان يكتب للعباس بن المأمون فحجبه الحاجب وقال ليس هذا وقتك قد رأيت القواد يحجبون فكيف يؤذن لك أنت قال ليست سبيلي سبيلهم لأنه يحب أن يراني ويكره أن يراهم فلم يأذن له فبيناهما على ذلك إذ خرج علي بن زيد فقال ما منعك يا أبا سعيد أن تدخل فقال منعني هذا البغيض فالتفت إلى الحاجب فقال

بلغ بك بغضك أن تحجب هذا ثم قال يا أبا سعيد ما أهديت إلي من النوادر قال مرت بي جنازة ومعي ابني ومع الجنازة امرأة تبكيه تقول بك يذهبون إلى بيت لا فرش فيه ولا وطاء ولا ضيافة ولا غطاء ولا خبز فيه ولا ماء فقال لي ابني يا أبة إلى بيتنا والله يذهبون بهذه الجنازة فقلت له وكيف ويلك قال لأن هذه صفة بيتنا فضحك علي وقال قد أمرت لك بثلاث مئة درهم قال قد وفر الله عليك نصفها على أن أتغدى معك قال
وكان عثمان مع تطفيله أشره الناس فقال هي عليك موفرة كلها وتتغدى معنا
وعثمان بن دراج الذي يقول
(لذةَ التطفيل دُومي ... وأقيمي لا تَريمي)
(أنتِ تشفين غليلي ... وتسلّين همومي)
عود إلى الرقاشي
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا العكلي قال
دخل الرقاشي على بعض أمراء الصدقة فقال له قد أصبح خضابك قانيا قال لأني أمسيت له معانيا قال وكيف تفعله قال أنعم الحناء عجنا واجعل ماءه سخنا وأروي شعري قبله دهنا فإن بات قنا وإن لم يفعل أغنى
صوت
(من لعين رأت خيالاً مطيفا ... واقفاً هكذا علينا وقوفا)
(طارقا موهِناً ألم فحيا ... ثم ولّى فهاج قلباً ضعيفاً)
(ليت نفسي وليت أنفس قومِي ... يا يزيد الندى تقيك الحتوفا)
(عَتَكِي مُهَلَّبي كريم ... حاتمي قد نال فرعا منيفا)
عروضه من الخفيف والشعر لربيعة الرقي يمدح يزيد بن حاتم المهلبي والغناء لعبد الرحيم الرف - خفيف رمل - بالوسطى عن عمرو
أخبار ربيعة الرقي ونسبه
هو ربيعة بن ثابت الأنصاري ويكنى أبا شبابة وقيل إنه كان يكنى أبا ثابت وكان ينزل الرقة وبها مولده ومنشؤه فأشخصه المهدي إليه فمدحه بعدة قصائد وأثابه عليها ثوابا كثيرا وهو من المكثرين المجيدين وكان ضريرا وإنما أخمل ذكره وأسقطه عن طبقته بعده عن العراق وتركه خدمة الخلفاء ومخالطة الشعراء وعلى ذلك فما عدم مفضلا لشعره مقدما له
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا محمد بن داود عن ابن أبي خيثمة عن دعبل قال
قلت لمروان بن أبي حفصة من أشعركم جماعة المحدثين يا أبا السمط قال أشعرنا أسيرنا بيتا قلت ومن هو قال ربيعة الرقي الذي يقول
(لَشتانَ ما بين اليزيدين في الندى ... يزيد سُلَيم والأغر ابن حاتم)
وهذا البيت من قصيدة له مدح بها يزيد بن حاتم المهلبي وهجا
يزيد بن أسيد السلمي وبعد البيت الذي ذكره مروان
(يزيدِ سُلَيم سالم المالِ والفتى ... أخو الأزدِ للأموال غير مُسالِم)
(فهَمُّ الفتى الأزديّ إتلاف مالِه ... وهم الفتى القيسيّ جمع الدراهم)
(فلا يحسَبِ التَّمتام أني هجوتُه ... ولكنني فضلت أهل المكارمِ)
(فيابن أُسَيد لا تسامِ ابن حاتم ... فتقرَعَ إن ساميتَه سِنَّ نادم)
(هو البحر إن كَلَّفت نفسك خوضه ... تهالكتَ في موج له متلاطمِ)
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أسيد بن خالد الأنصاري قال
قلت لأبي زيد النحوي إن الأصمعي قال لا يقال شتان ما بينهما إنما يقال شتان ما هما وأنشد قول الأعشى
(... شتانَ ما يومى على كُورِها)
فقال كذب الأصمعي يقال شتان ما هما وشتان ما بينهما وأنشدني لربيعة الرقي واحتج به
(لشتانَ ما بين اليزيدين في الندى ... يزيد سُلَيم والأغرّ ابن حاتم)
وفي استشهاد مثل أبي زيد على دفع مثل قول الأصمعي بشعر ربيعة الرقي كفاية له في تفضيله
وذكره عبد الله بن المعتز فقال كان ربيعة أشعر غزلا من أبي نواس لأن في غزل أبي نواس بردا كثيرا وغزل هذا سليم سهل عذب
نسخت من كتاب لعمي حدثنا ابن أبي فنن قال
اشتهى جواري المهدي أن يسمعن ربيعة الرقي فوجه إليه المهدي من أخذه من مسجده بالرقة وحمل على البريد حتى قدم به على المهدي فأدخل عليه فسمع ربيعة حسا من وراء الستر فقال إني أسمع حسا يا أمير المؤمنين فقال اسكت يابن اللخناء واستنشده ما أراد فضحك وضحكن منه قال وكان فيه لين وكذلك كان أبو العتاهية ثم أجازه جائزة سنية فقال له
(يا أمير المؤمنينَ اللّه ... سَمّاك الأمينا)
(سرَقوني من بلادِي ... يا أمير المؤمنينا)
(سرقوني فاقض فيهم ... بجزاءِ السارقينا)
قال قد قضيت فيهم أن يردوك إلى حيث أخذوك ثم أمر به فحمل على البريد من ساعته إلى الرقة
وفي يزيد بن حاتم يقول أيضا
(يزيدَ الأزدِ إن يزيدَ قومِي ... سميَّك لا يجود كما تجودُ)
(يقودُ جماعة وتقودُ أخرى ... فترزُقُ من تقود ومن يقود)
(فما تِسعون يَحقِرها ثلاث ... يقيم حسابَها رجل شديد)
(وكفّ شَثْنة جُمِعَتْ لوَجْءٍ ... بأنكدَ من عطائك يا يزيد)
كان السبب في غضب الرشيد على العباس بن محمد
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال
امتدح ربيعة الرقي العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بقصيدة لم يسبق إليها حسنا وهي طويلة يقول

فيها
صوت
(لو قيل للعباس يا بن محمدٍ ... قل لا وأنت مخلَّد ما قالِها)
(ما إن أَعُدُّ من المكارم خَصْلة ... إلا وجدتك عمها أو خالَها)
(وإذا الملوك تسايروا في بلدة ... كانوا كواكبها وكنت هلالَها)
(إن المكارم لم تزل معقولة ... حتى حللت براحتيك عِقالها)
في البيت الأول والبيت الأخير - خفيف رمل - بالوسطى يقال إنه لإبراهيم ويقال إنه للحسين بن محرز
قال فبعث إليه بدينارين وكان يقدر فيه ألفين فلما نظر إلى الدينارين كاد يجن غيظا وقال للرسول خذ الدينارين فهما لك على أن ترد الرقعة من حيث لا يدري العباس ففعل الرسول ذلك فأخذها ربيعة وأمر من كتب في ظهرها
(مدحتك مِدحةَ السيفِ المُحَلَّى ... لتجريَ في الكرامِ كما جريتُ)
(فهبها مِدحةً ذهبت ضَياعا ... كذبتُ عليك فيها وافتريتُ)
(فأنت المرءُ ليس له وفاءٌ ... كأني إذ مدحتك قد رثَيتُ)
ثم دفعها إلى الرسول وقال له ضعها في الموضع الذي أخذتها منه فردها الرسول في موضعها فلما كان من الغد أخذها العباس فنظر فيها فلما قرأ الأبيات غضب وقام من وقته فركب إلى الرشيد وكان أثيرا عنده يبجله ويقدمه وكان قد هم أن يخطب إليه ابنته فرأى الكراهة في وجهه فقال ما شأنك قال هجاني ربيعة الرقي فأحضر فقال له الرشيد يا ماص كذا وكذا من أمه أتهجو عمي وآثر الخلق عندي لقد هممت أن أضرب عنقك فقال والله يا أمير المؤمنين لقد مدحته بقصيدة ما قال مثلها أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء ولقد بالغت في الثناء وأكثرت في الوصف فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمره بإحضارها فلما سمع الرشيد ذلك منه سكن غضبه وأحب أن ينظر في القصيدة فأمر العباس بإحضار الرقعة فتلكأ عليه العباس ساعة فقال له الرشيد سألتك بحق أمير المؤمنين إلا أمرت بإحضارها فعلم العباس أنه قد أخطأ وغلط فأمر بإحضارها فأحضرت فأخذها الرشيد وإذا فيها القصيدة بعينها فاستحسنها واستجادها وأعجب بها وقال والله ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها لقد صدق ربيعة وبر ثم قال للعباس كم أثبته عليها فسكت العباس وتغير لونه وجرض بريقه فقال ربيعة أثابني عليها يا أمير المؤمنين بدينارين فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من الموجدة على العباس فقال بحياتي يا رقي كم أثابك قال وحياتك يا أمير المؤمنين ما أثابني إلا بدينارين فغضب الرشيد غضبا شديدا ونظر في وجه العباس بن محمد وقال سوءة لك أية حال قعدت بك عن إثابته أقلة المال فوالله لقد مولتك جهدي أم انقطاع المادة عنك فوالله ما انقطعت عنك أم أصلك فهو الأصل لا يدانيه شيء أم نفسك فلا ذنب لي بل نفسك فعلت ذلك بك حتى فضحت أباك وأجدادك وفضحتني ونفسك فنكس العباس رأسه ولم ينطق
فقال الرشيد يا غلام أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم وخلعة واحمله على بغلة فلما حمل المال بين يديه والبس الخلعة قال له الرشيد بحياتي يا رقي لا تذكره في شيء من شعرك تعريضا ولا تصريحا وفتر الرشيد عما كان هم به أن يتزوج إليه وظهر منه له بعد ذلك جفاء كثير واطراح
عبثه بالعباس بن محمد بحضرة الرشيد
أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أحمد بن أبي فنن الشاعر قال حدثني من لا أحصي من الجلساء أن ربيعة الرقي كان لا يزال يعبث بالعباس بن محمد بحضرة الرشيد العبث الذي يبلغ منه منذ جرى بينهما في مديحه إياه ما جرى من حيث لا يتعلق عليه فيه بشيء فجاء العباس يوما إلى الرشيد ببرنية فيها غالية فوضعها بين يديه ثم قال هذه يا أمير المؤمنين غالية صنعتها لك بيدي اختير عنبرها من شحر عمان ومسكها من مفاوز التبت وبانها من قعر تهامة فالفضائل كلها مجموعة فيها والنعت يقصر عنها
فاعترضه ربيعة فقال ما رأيت أعجب منك ومن صفتك لهذه الغالية عند من إليه كل موصوف يجلب وفي سوقه ينفق وبه إليه يتقرب وما قدر غاليتك هذه أعزك الله حتى تبلغ في وصفها ما بلغت أأجريت بها إليه نهرا أم حملت إليه منها وقرا إن تعظيمك هذا عند من تجبى إليه خزائن الأرض وأموالها من كل بلدة وتذل لهيبته جبابرة الملوك المطيعة والمخالفة وتتحفه بطرف بلدانها وبدائع ممالكها حتى كأنك قد فقت به على كل ما عنده أو أبدعت له ما لا يعرفه أو خصصته بما لم يحوه ملكه لا تخلو فيه من ضعف أو قصر همة أنشدك الله يا أمير المؤمنين إلا جعلت حظي من كل جائزة وفائدة توصلها إلي مدة سنتي الغالية حتى أتلقاها بحقها فقال ادفعوها إليه فدفعت إليه فأدخل يده فيها وأخرج ملئها وحل سراويله وأدخل يده فطلى بها استه وأخذ حفنة أخرى وطلى بها ذكره وأنثييه وأخرج حفنتين فجعلهما تحت إبطيه ثم قال يا أمير المؤمنين مر غلامي أن يدخل إلي فقال أدخلوه إليه وهو يضحك فأدخلوه إليه فدفع إليه البرنية غير مختومة وقال اذهب إلى جاريتي فلانة بهذه البرنية وقل لها طيبي بها حرك واستك وإبطيك حتى أجيء الساعة وأنيكك فأخذها الغلام ومضى وضحك الرشيد حتى غشي عليه وكاد العباس يموت غيظا ثم قام فانصرف وأمر الرشيد لربيعة بثلاثين ألف درهم
وذكر علي بن الحسين بن عبد الأعلى أنه رأى قصيدة لربيعة الرقي مكتوبة في دور بساط من بسط السلطان قديم وكان مبسوطا في دار العامة بسر من رأى فنسخها منه وهي قوله
صوت
(وتزعم أني قد تبدَّلت خُلَّةً ... سِواها وهذا الباطل المتقَوَّلُ)
(لحا الله من باع الصديقَ بغيره ... فقالت نعم حاشاك إن كنت تفعلُ)
(ستَصرِم إنساناً إذا ما صَرمتني ... يحبكَ فانظر بعدَه من تَبدَّلُ)
في هذه الأبيات الثلاثة الأبيات لحن من الثقيل الأول ينسب إلى إبراهيم الموصلي وإلى إبراهيم بن المهدي وفيه لعريب رمل من رواية ابن المعتز
وكان سبب إغراق ربيعة في هجاء يزيد بن أسيد أنه زاره يستميحه لقضاء دين كان عليه فلم يجد عنده ما أحب وبلغ ذلك يزيد بن حاتم المهلبي فطفل على قضاء دينه وبره فاستفرغ ربيعة جهده في مدحه وله فيه عدة قصائد مختارة يطول ذكرها وقد كان أبو الشمقمق عارضه في قوله
(لشتان ما بين اليزيدين في الندى ... يزيد سليم والأغر ابن حاتم)
في قصيدة مدح بها يزيد بن مزيد وسلخ بيت الرقي بل نقله وقال

(لشتان ما بين اليزيدين في الندى ... إذا عُد في الناس المكارمُ والمجدُ)
(يزيدُ بني شَيبانَ أكرم منهما ... وإن غضِبت قيسُ بن عَيلانَ والأزدُ)
(فتى لم تلِده من رُعَين قبيلةٌ ... ولا لَخْمٌ تنميه ولم تنمه نَهْدُ)
(ولكن نمته الغُرُّ من آل وائلٍ ... وبَرَّةُ تَنميه ومِن بعدها هند)
ولم يسر في هذا المعنى شيء كما سار بيت ربيعة
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا محمد بن داود بن الجراح
قال حدثنا محمد بن أبي الأزهر قال
عرض نخاس على أحمد بن يزيد بن أسيد الذي هجاه ربيعة جواري فاختار جاريتين منهن ثم قال للنخاس أيتهما أحب إليك قال بينهما أعز الله الأمير كما قال الشاعر
(لشتان ما بين اليزيدين في الندى ... يزيدِ سليم والأغرّ ابن حاتم)
فأمر بجر رجله وجواريه
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال
لما حج الرشيد لقيه قبل دخوله مكة رجلان من قريش فانتسب له أحدهما ثم قال يا أمير المؤمنين نهكتنا النوائب وأجحفت بأموالنا المصائب ولنا بك رحم أنت أولى من وصلها وأمل أنت أحق من صدقه فما بعدك مطلب ولا عنك مذهب ولا فوقك مسؤول ولا مثلك مأمول وتكلم الآخر فلم يأت بشيء فوصلهما وفضل الأول تفضيلا كثيرا ثم أقبل على الفضل بن الربيع فقال يا فضل
(لشتانَ ما بين اليزيدين في الندى ... يزيد سُلَيم والأغرّ ابن حاتم)

سبب هجائه ليزيد بن أسيد

قال أحمد بن أبي طاهر حدثني أبو دعامة علي بن زيد بن عطاء الملط قال
لما هجا ربيعة يزيد بن أسيد السلمي وكان جليلا عند المنصور والمهدي وفضل عليه يزيد بن حاتم قلت لربيعة يا أبا شبابة ما حملك على أن
هجوت رجلا من قومك وفضلت عليه رجلا من الأزد فقال أخبرك
أملقت فلم يبق لي شيء إلا داري فرهنتها على خمس مئة درهم ورحلت إليه إلى أرمينية فأعلمته ذلك ومدحته وأقمت عنده حولا فوهب لي خمس مئة درهم فتحملت وصرت بها إلى منزلي فلم يبقي معي كبير شيء فنزلت في دار بكراء فقلت لو أتيت يزيد بن حاتم ثم قلت هذا ابن عمي فعل بي هذا الفعل فكيف غيره ثم حملت نفسي على أن أتيته فأعلم بمكاني فتركني شهرا حتى ضجرت فأكريت نفسي من الحمالين وكتبت بيتا في رقعة وطرحتها في دهليزه والبيت
(أراني ولا كفران لله راجعا ... بخُفَّيْ حنينٍ من يزيد بن حاتم)
فوقعت الرقعة في يد حاجبه فأوصلها إليه من غير علمي ولا أمري فبعث خلفي فلما دخلت عليه قال هيه أنشدني ما قلت فتمنعت فقال والله لتنشدني فأنشدته فقال والله لا ترجع كذلك ثم قال انزعوا خفيه فنزعا فحشاهما دنانير وأمر لي بغلمان وجوار وكسا أفلا ترى لي أن أمدح هذا وأهجو ذاك قلت بلى والله ثم قال وسار شعري حتى بلغ المهدي فكان سبب دخولي إليه
أخبرني الحسن بن علي الأدمي قال حدثني محمد بن الحسن بن عباد بن الشهيد القرقيسياني قال حدثني عمي عبد الله بن عباد
أن ربيعة بن ثابت الرقي الأسدي كان يلقب الغاوي وكان يهوى جارية
يقال لها عثمة أمة لرجل من أهل قرقيسياء يقال له ابن مرار وكان بنو هاشم في سلطانهم قد ولوه مصر فأصاب بها مالا عظيما وبلغه خبر ربيعة مع جاريته فأحضره وعرض عليه أن يهبها له فقال لا تهبها لي فإن كل مبذول مملول وأكره أن يذهب حبها من قلبي ولكن دعني أواصلها هكذا فهو أحب إلي
قال وقال فيها
(اعتاد قلبَك من حبيبك عِيدُهُ ... شوقٌ عَراك فأنت عنه تذُودُهُ)
(والشوق قد غلب الفؤاد فقاده ... والشوق يغلب ذا الهوى فيقودُه)
(في دار مَرَّار غزالٌ كَنِيسة ... عَطِرٌ عليه خُزوزه وبُروده)
(ريمٌ أغر كأنه من حسنه ... صنم يَحجُّ بيعه معبوده)
(عيناه عِينا جؤذَر بصَريمة ... وله من الظبي المربَّب جيده)
(ما ضرٌ عَثْمة أن تُلِم بعاشق ... دنِفِ الفؤاد متيمٍ فتعودُه)
(وتَلُده من ريقها فلربما ... نفع السقيم من السَّقام لَدودُه)
وهي قصيدة طويلة مدح فيها بعض ولد يزيد بن المهلب
أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي عن إسحاق بن إبراهيم
الموصلي عن أبي بشر الفزاري قال
لقي ربيعة الرقي معن بن زائدة في قدمة قدمها إلى العراق فامتدحه بقصيدة وأنشده إياها راويته فلم يهش له معن ولا رضي ربيعة لقاءه إياه وأثابه ثوابا نزرا فرده ربيعة وهجاه هجاء كثيرا فمما هجاه به قوله
(معنُ يا معنُ يا بنَ زائدةِ الكلْب ... التي في الذراع لا في البنانِ)
(لا تفاخر إذا فخرت بآبائك ... وافخر بعمك الحَوْفزانِ)
(فهشام من وائلٍ في مكانٍ ... أنت ترضى بدون ذاك المكانِ)
(ومتى كنت يابن ظَبية ترجو ... أن تُثنِّي على ابنةِ الغضبان)
(وهي حَوْراء كالمَهاة هِجانٌ ... لهجانٍ وأنت غير هِجان)
(وبنات السَّليل عند بني ظبية ... أفٍّ لكم بني شيبانِ)
(قيل معن لنا فلما اختبرنا ... كان مرعىً وليس كالسَّعْدانِ)
قال أبو بشر ظبية التي عيره بها أمة كانت لبني نهار بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان لقيها عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك وكانت راعية لأهلها وهي في غنمها فسرقها ووقع عليها فولدت له زائدة بن عبد الله أبا معن بن زائدة ودجاجة

بنت عبد الله قال وبنت السليل التي عناها امرأة من ولد الحوفزان
أخبرني يحيى عن أبيه عن إسحاق عن أبي بشر الفزاري قال
كان ربيعة الرقي يهوى جارية لرجل من أهل الكوفة يقال لها عثمة وكان أهلها ينزلون في جوار جعفي فقال فيها في أبيات له
(جُعْفيّ جيرانُها فقد عَطِرت ... جعفِيّ من نشرها ورياها)
فقال له رجل من جعفي وأنا جار لها بيت بيت والله ما شممت من دارهم ريحا طيبة قط فتشمم ربيعة رائحته وقال وما ذنبي إذا كنت أخشم والله إني لأجد ريحها وريح طيبها منك وأنت لا تجده من نفسك
أخبرني يحيى عن أبيه عن إسحاق عن أبي بشر قال
كنت حاضرا ربيعة الرقي يوما وجاءته امرأة من منزل هذه الجارية فقالت تقول لك فلانة إن بنت مولاي محمومة فإن كنت تعرف عوذة تكتبها لها فافعل فقال اكتب لها يا أبا بشر هذه العوذة
(تفُو تفُو باسم إلهي الذي ... لا يعرِض السقم لمن قد شَفَى)
(أعِيذ مولاتِي ومولاتَها ... وابنتها بعُوذة المصطفَى)
(من شرِّ ما يعرِض من عِلة ... في الصبح والليل إذا أسْدفا)
قال فقلت له يا أبا ثابت لست أحسن أن أكتب تفو تفو فكيف أكتبها قال انضح المداد من رأس القلم في موضعين حتى يكون كالنفث وادفع العوذة إليها فإنها نافعة ففعلت ودفعتها إليها فلم تلبث أن جاءتنا الجارية وهي لا تتمالك ضحكا فقالت له يا مجنون ما فعلت بنا كدنا والله نفتضح بما صنعت قال فما أصنع بك أشاعر أنا أم صاحب تعاويذ
صوت
(ألا مَنْ بَيّن الأخَوين ... أمُّهما هي الثكلى)
(تسائل من رأى ابنيها ... وتستشفي فما تُشفَى)
(فلما استيأست رجعت ... بعبرةِ والهٍ حَرَّى)
(تتابِعُ بين وَلولة ... وبين مدامعٍ تَتْرى)
عروضه من - الهزج - الشعر لجويرية بنت خالد بن قارظ الكنانية وتكنى أم حكيم زوجة عبيد الله بن عبد المطلب في ابنيها اللذين قتلهما بسر بن أرطأة أحد بني عامر بن لؤي باليمن
والغناء لابن سريج ولحنه من القدر الأوسط من - الثقيل - الأول بالخنصر في مجرى البنصر وفيه لحنين الحيري ثاني - ثقيل - عن الهشامي وفيه لأبي سعيد مولى فائد - خفيف ثقيل - الأول مطلق في مجرى الوسطى
ذكر الخبر في مقتل ابني عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب
أخبرني بالسبب في ذلك محمد بن أحمد بن الطلاس قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا علي بن محمد المدائني عن أبي مخنف عن جويرية بن أسماء والصقعب بن زهير وأبي بكر الهذلي عن أبي عمرو الوقاصي
أن معاوية بن أبي سفيان بعث بسر بن أرطاة أحد بني عامر بن لؤي بعد تحكيم الحكمين وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ حي وبعث معه جيشا ووجه برجل من غامد ضم إليه جيشا آخر ووجه الضحاك بن قيس الفهري في جيش آخر وأمرهم أن يسيروا في البلاد فيقتلوا كل من وجدوه من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه وأن يغيروا على سائر أعماله ويقتلوا أصحابه ولا يكفوا أيديهم عن النساء والصبيان فمضى بسر لذلك على وجهه حتى انتهى إلى المدينة فقتل بها ناسا من أصحاب علي عليه السلام وأهل هواه وهدم بها دورا من دور القوم ومضى إلى مكة فقتل نفرا من آل أبي لهب ثم أتى السراة فقتل من بها من أصحابه وأتى نجران فقتل عبد الله بن عبد المدان الحارثي وابنه وكانا من أصهار بني
العباس ثم أتى اليمن وعليها عبيد الله بن العباس عاملا لعلي بن أبي طالب وكان غائبا وقيل بل هرب لما بلغه خبر بسر فلم يصادفه بسر ووجد ابنين له صبيين فأخذهما بسر لعنه الله وذبحهما بيده بمدية كانت معه ثم انكفأ راجعا إلى معاوية وفعل مثل ذلك سائر من بعث به فقصد الغامدي إلى الأنبار فقتل ابن حسان البكري وقتل رجالا ونساء من الشيعة
خطبة الجهاد لعلي
فحدثني العباس بن علي بن العباس النسائي قال حدثنا محمد بن حسان الأزرق قال حدثنا شبابة بن سوار قال حدثنا قيس بن الربيع عن عمرو بن قيس عن أبي صادق قال
أغارت خيل لمعاوية على الأنبار فقتلوا عاملا لعلي عليه السلام يقال له حسان بن حسان وقتلوا رجالا كثيرا ونساء فبلغ ذلك علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فخرج حتى أتى المنبر فرقيه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ثم قال إن الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه ألبسه الله ثوب الذلة وشمله البلاء وديث بالصغار وسيم الخسف وقد قلت لكم اغزوهم قبل أن
يغزوكم فإنه لم يغز قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا فتواكلتم وتخاذلتم وتركتم قولي وراءكم ظهريا حتى شنت عليكم الغارات هذا أخو غامد قد جاء الأنبار فقتل عاملي عليها حسان بن حسان وقتل رجالا كثيرا ونساء والله لقد بلغني أنه كان يأتي المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينزع حجلها ورعاثها ثم ينصرفون موفورين لم يكلم أحد منهم كلما فلو أن امرأ مسلما مات من دون هذا أسفا لم يكن عليه ملوما بل كان به جديرا يا عجبا عجبا يميت القلب ويشعل الأحزان من اجتماع هؤلاء القوم على ضلالتهم وباطلهم وفشلكم عن حقكم حتى صرتم غرضا ترمون ولا ترمون وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون إذا قلت لكم اغزوهم في الحر قلتم هذه حمارة القيظ فأمهلنا وإذا قلت لكم اغزوهم في البرد قلتم هذا أوان قر وصر فأمهلنا فإذا كنتم من الحر والبرد تفرون فأنتم والله من السيف أشد فرارا يا أشباه الرجال ولا رجال ويا طغام الأحلام وعقول ربات الحجال وددت والله أني لم أعرفكم بل وددت أني لم أركم معرفة والله جرعت بلاء وندما وملأتم جوفي غيظا بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب ويحهم هل فيهم أشد مراسا لها
مني والله لقد دخلت فيها وأنا ابن عشرين وأنا الآن قد نيفت على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع
فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أنا كما قال الله تعالى (لا أملك إلا نفسي وأخي) فمرنا بأمرك فوالله لنطيعنك ولو حال بيننا وبينك جمر الغضى وشوك القتاد قال وأين تبلغان مما أريد هذا أو نحوه ثم نزل
رسائل بين علي وأخيه عقيل

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله بن محمد قال حدثني جعفر بن بشير قال حدثني صالح بن يزيد الخراساني عن أبي مخنف عن سليمان بن أبي راشد عن ابن أبي الكنود عبد الرحمن بن عبيد قال
كتب عقيل بن أبي طالب إلى أخيه علي بن أبي طالب عليه السلام
أما بعد فإن الله عز وجل جارك من كل سوء وعاصمك من المكروه إني خرجت معتمرا فلقيت عبد الله بن أبي سرح في نحو من أربعين شابا من أبناء الطلقاء فقلت لهم وعرفت المنكر في وجوههم يا أبناء الطلقاء العداوة والله لنا منكم غير مستنكرة قديما تريدون بها إطفاء نور الله وتغيير أمره فأسمعني القوم وأسمعتهم ثم قدمت مكة وأهلها يتحدثون أن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة فاحتمل من أموال أهلها ما شاء ثم انكفأ راجعا فأف لحياة
في دهر جرأ عليك الضحاك وما الضحاك وهل هو إلا فقع بقرقرة وقد ظننت وبلغني أن أنصارك قد خذلوك فاكتب إلي يابن أم برأيك فإن كنت الموت تريد تحملت إليك ببني أبيك وولد أخيك فعشنا ما عشت ومتنا معك فوالله ما أحب أن أبقى بعدك فواقا وأقسم بالله الأعز الأجل أن عيشا أعيشه في هذه الدنيا بعدك لعيش غير هنيء ولا مريء ولا نجيع والسلام
فأجابه علي بن أبي طالب عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم
أما بعد كلأنا الله وإياك كلاءة من يخشاه بالغيب إنه حميد مجيد فقد قدم علي عبد الرحمن بن عبيد الأزدي بكتابك تذكر فيه أنك لقيت ابن أبي سرح مقبلا من قديد في نحو من أربعين شابا من أبناء الطلقاء وإن بني أبي سرح طال ما كاد الله ورسوله وكتابه وصد عن سبيله وبغاها عوجا فدع بني أبي سرح عنك ودع قريشا وتركاضهم في الضلالة وتجوالهم في الشقاق فإن قريشا قد أجمعت على حرب أخيك إجماعها على حرب رسول الله قبل اليوم فأصبحوا قد جهلوا حقه وجحدوا فضله وبادوه بالعداوة ونصبوا له الحرب وجهدوا عليه كل الجهد وساقوا إليه جيش الأمرين اللهم فاجز عني قريشا الجوازي فقد قطعت رحمي وتظاهرت علي والحمد لله على كل حال
وأما ما ذكرت من غارة الضحاك بن قيس على الحيرة فهو أقل وأذل من أن يقرب الحيرة ولكنه جاء في خيل جريدة فلزم الظهر وأخذ على
السماوة فمر بواقصة وشراف وما والى ذلك الصقع فسرحت إليه جيشا كثيفا من المسلمين فلما بلغه ذلك جاز هاربا فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق وقد أمعن في السير وقد طفلت الشمس للإياب فاقتتلوا شيئا كلا ولا فولى ولم يصبر وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلا ونجا جريضا بعد ما أخذ منه بالمخنق فلأيا بلأي ما نجا
وأما ما سألت عنه أن أكتب إليك فيه برأيي فإن رأيي قتال المحلين حتى ألقى الله لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة ولا تفرقهم عني وحشة لأني محق والله مع الحق وأهله وما أكره الموت على الحق وما الخير كله إلا بعد الموت لمن كان محقا
وأما ما عرضته علي من مسيرك إلي ببنيك وبني أبيك فلا حاجة لي في ذلك فأقم راشدا مهديا فوالله ما أحب أن تهلكوا معي إن هلكت ولا تحسبن ابن أبيك لو أسلمه الزمان والناس متضرعا متخشعا لكني أقول كما قال أخو بني سليم
(فإن تسأليني كيف أنتِ فإنني ... صبور على ريب الزمان صَلِيب)
((يعِزُّ عليّ أن تُرَى بي كآبة ... فيشمتَ عادٍ أو يُساءَ حبيب
والسلام
رجع الخبر إلى سياقة مقتل الصبيين
ثم إن بسر بن أرطأة كر راجعا وانتهى خبره إلى علي عليه السلام أنه قتل عبد الرحمن وقثم ابني عبيد الله بن العباس فسرح حارثة بن قدامة السعدي في طلبه وأمره أن يغذ السير فخرج مسرعا فلما وصل إلى المدينة وانتهى إليه قتل علي بن أبي طالب عليه السلام وبيعة الحسن رضي الله تعالى عنه ركب في السلاح ودعا أهل المدينة إلى البيعة للحسن فامتنعوا فقال والله لتبايعن ولو بأستاهكم فلما رأى أهل المدينة الجد منه بايعوا للحسن وكر راجعا إلى الكوفة فأصاب أم حكيم بنت قارظ ولهى على ابنيها فكانت لا تعقل ولا تصغي إلى قول من أعلمها أنهما قد قتلا ولا تزال تطوف في المواسم تنشد الناس ابنيها بهذه الأبيات
صوت
(يا من أحس بُنَيَّيَّ اللذين هما ... كالدُّرَّتين تَشظَّى عنهما الصدفُ)
(يا من أحس بُنَيَّيَّ اللذين هما ... سمعي وقلبي فقلبي اليوم مختَطَف)
(يا من أحس بُنَيَّيَّ اللذين هما ... مُخُّ العظام فمخي اليوم مُزدَهَفُ)
(نُبئت بُسْراً وما صدّقت ما زعموا ... من قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا)
(أنحى على ودَجَيْ ابنيَّ مُرْهَفَةً ... مشحوذة وكذاك الإثم يقترف)
((حتى لقِيت رجالاً من أرومته ... شم الأنوف لهم في قومهم شرف
(فالآن ألعن بُسْراً حقَّ لعنته ... هذا لعمر أبي بُسْرٍ هو السَّرَف)
(من دلّ والهةً حرّى مدلَّهة ... على صبيين ضلا إذ هوى السلف)
الغناء لأبي سعيد مولى فائد - ثقيل - أول بالوسطى عن عمرو وفيه - خفيف ثقيل - يقال إنه له أيضا وفيه لعريب - رمل - نشيد
قالوا ولما بلغ علي بن أبي طالب عليه السلام قتل بسر الصبيين جزع لذلك جزعا شديدا ودعا على بسر لعنه الله فقال اللهم اسلبه دينه ولا تخرجه من الدنيا حتى تسلبه عقله فأصابه ذلك وفقد عقله فكان يهذي بالسيف ويطلبه فيؤتى بسيف من خشب ويجعل بين يديه زق منفوخ فلا يزال يضربه حتى يسأم ثم مات لعنه الله
ولما كانت الجماعة واستقر الأمر على معاوية دخل عليه عبيد الله بن العباس وعنده بسر بن أرطأة فقال له عبيد الله أأنت قاتل الصبيين أيها الشيخ قال بسر نعم أنا قاتلهما فقال عبيد الله أما والله لوددت أن الأرض كانت أنبتتني عندك فقال بسر فقد أنبتتك الآن عندي فقال عبيد الله إلى السيف فقال له بسر هاك سيفي فلما أهوى عبيد الله إلى السيف ليتناوله أخذه معاوية ثم قال لبسر أخزاك الله شيخا قد كبرت وذهب عقلك تعمد إلى رجل من بني هاشم قد وترته وقتلت ابنيه تدفع إليه سيفك إنك لغافل عن قلوب بني هاشم والله لو تمكن منه لبدأ بي قبلك فقال عبيد الله أجل والله ثم إذن لثنيت به
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال أخبرني محمد بن مسروق قال قال الأصمعي
سمع رجل من أهل اليمن وقد قدم مكة امرأة عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب تندب ابنيها اللذين قتلهما بسر بن

أرطأة بقولها
(يا من أحس بُنَيَّيَّ اللذين هما ... كالدرتين تشظَّى عنهما الصَّدف)
فرق لها فاتصل ببسر حتى وثق به ثم احتال لقتل ابنيه فخرج بهما إلى وادي أوطاس فقتلهما وهرب وقال
(يا بسرُ بسرَ بني أرطاةَ ما طلعت ... شمس النهار ولا غابت على ناس)
(خيرٍ من الهاشميين الذين هُمُ ... عين الهدى وسِمام الأشوس القاسي)
(ماذا أردت إلى طفلي مدلّهة ... تبكي وتندب من أثكلت في الناس)
(إما قتلتهما ظلما فقد شرقت ... في صاحبيك قناتي يوم أوطاس)
(فاشرب بكأسهما ثُكلا كما شربت ... أم الصبيَّين أو ذاق ابن عباس)
صوت
(ألا فاسقياني من شرابكما الوَرْدِي ... وإن كنت قد أنفدتُ فاستَرهِنا بُردي)
(سِواري ودُملوجي وما ملكت يدي ... مباح لكم نَهْبٌ فلا تقطعوا وِرْدِي)
عروضه من - الطويل - والشعر لأم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس والغناء لإبراهيم الموصلي - رمل - بالوسطى من رواية عمرو بن بانة

ذكر أم حكيم وأخبارها

قد مضى ذكر نسبها
وأمها زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وكانت هي وأمها من أجمل نساء قريش فكانت قريش تقول لأم حكيم الواصلة بنت الواصلة وقيل الموصلة بنت الموصلة لأنهما وصلتا الجمال بالكمال
وأم زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام سعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان بن أبي خارجة بن عوف بن أبي حارثة بن لأم الطائي وكانت سعدى بنت عوف عند عبد الله بن الوليد بن المغيرة فولدت له سلمة وريطة ثم توفي عنها فخلف عليها طلحة بن عبيد الله فولدت له يحيى وعيسى ثم قتل عنها فخطبها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فتكلم بنوها وكرهوا أن تتزوج وقد صاروا رجالا فقالت إنه قد بقي في رحم أمكم فضلة شريفة لا بد من خروجها فتزوجها فولدت له المغيرة بن عبد الرحمن الفقيه وزينب وهي أم حكيم
وكان المغيرة أحد أجواد قريش والمطعمين منهم وقد قدم الكوفة على عبد الملك بن بشر بن مروان وكان صديقه وبها جماعة يطعمون الناس من قريش وغيرهم فلما قدم تغيبوا فلم يظهر أحد منهم حتى خرج وبث المغيرة الجفان في السكك والقبائل يطعم الناس فقال فيه شاعر من أهل الكوفة
(أتاك البحرُ طَمَّ على قُريشٍ ... مُغِيريّ فقد راغ ابنُ بِشر)
قال مصعب الزبيري هو - يعني المغيرة - مطعم الجيش بمنى وهو إلى الآن يطعم عنه قال وكانت أخته زينب أحسن الناس وجها وقدا وكأن أعلاها قضيب وأسفلها كثيب فكانت تسمى الموصلة وسميت بنتها أم حكيم بذلك لأنها أشبهتها

زواجها من يحيى بن الحكم

أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني علي بن محمد بن يحيى الكناني عن أبيه قال
كانت زينب بنت عبد الرحمن من لين جسدها يقال لها الموصلة
قال مصعب فتزوج زينب أبان بن مروان بن الحكم فولدت له عبد العزيز بن أبان ثم مات عنها فخطبها يحيى بن الحكم وعبد الملك بن مروان فمالوا إلى عبد الملك فأرسل يحيى إلى المغيرة بن عبد الرحمن كم الذي تأمل من عبد الملك والله لا يزيدها على ألف دينار ولا يزيدك على خمس مئة دينار ولها عندي خمسون ألف دينار ولك عندي عشرة آلاف دينار إن زوجتنيها فزوجه إياها على ذلك فغضب عليه عبد الملك وقال دخل علي في خطبتي والله لا يخطب على منبر ما دمت حيا ولا رأى مني ما يحب فأسقطه فقال يحيى لا أبالي كعكتان وزينب
قال ابن أبي سعد وأخبرت عن محمد بن إسحاق المسيبي قال حدثني عبد الملك بن إبراهيم الطلحي
أنها لما خطبت قالت لا أتزوج والله أبدا إلا من يغني أخي المغيرة فأرسل إليها يحيى بن الحكم أيغنيه خمسون ألف دينار قالت نعم قال فهي له ولك مثلها فقالت ما بعد هذا شيء أرسل إلى أهلك شيئا من طيب وشيئا من كسوة
قال ويقال إن عبد الملك لما تزوجها يحيى قال لقد تزوجت أفوه غليظ الشفتين فقالت زينب هو خير من أبي الذبان فما فما له يعيبه بفمه وقال يحيى قولوا له أقبح من فمي ما كرهت من فمك
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان عن عبد العزيز بن أبي ثابت عن عمه محمد بن عبد العزيز
أن عبد الملك خطب زينب إلى المغيرة أخيها وكتب إليه أن يلحق به وكان بفلسطين أو بالأردن فعرض له يحيى بن الحكم فقال له أين تريد قال أريد أمير المؤمنين قال وما تصنع به فوالله لا يزيدك على ألف دينار يكرمك بها وأربع مئة دينار لزينب ولك عندي ثلاثون ألف دينار سوى صداق زينب فقال المغيرة أو تنقل إلي المال قبل عقد النكاح قال نعم فنقل إليه المال فتجهز المغيرة وسير ثقله ثم دخل على يحيى فزوجه وخرج إلى المدينة فجعل عبد الملك ينتظر المغيرة فلما أبطأ عليه قيل له يا أمير المؤمنين إنه زوج يحيى بن الحكم زينب بنت عبد الرحمن بثلاثين ألف دينار وأعطاه إياها ورجع إلى منزله فغضب على يحيى وخلعه عن ماله وعزله عن عمله فجعل يحيى يقول
((ألا لا أبالي اليوم ما فعل الدهرُ ... إذا بقيت لي كعكتان وزينب

زواج أم حكيم من عبد العزيز بن الوليد

قال وكانت زينب تسمى الموصلة من حسن جسدها وكانت أم حكيم تحت عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك تزوجها في حياة جده عبد الملك ولما عقد النكاح بينهما عقد في مجلس عبد الملك وأمر بإدخال الشعراء ليهنئوهم بالعقد ويقولوا في ذلك أشعارا كثيرة يرويها الناس فاختير منهم جرير وعدي بن الرقاع فدخلا وبدأ عدي لموضعه منهم فقال
(قمرُ السماء وشمسُها اجتمعا ... بالسَّعد ما غابا وما طلعا)
(ما وارت الأستارُ مثلَهما ... مَن ذا رأى هذا ومن سمِعا)
(دام السرور له بها ولها ... وتَهنَّيا طول الحياة معا)
وقال جرير
(جَمع الأمير إليه أكرم حرةٍ ... في كل ما حالٍ من الأحوال)

(حَكَمِيّة عَلَتِ الروابِيَ كلَّها ... بمفاخر الأعمامِ والأخوالِ)
(وإذا النساء تفاخرت بِبعولةٍ ... فخرتهمُ بالسَّيِّد المفضال)
(عبد العزيز ومن يكلف نفسه ... أخلاقه يلْبَثْ بأكسف بال)
(هنأتكم بمودّة ونصيحة ... وصدقت في نفسي لكم ومقالي)
(فلتهنِك النِّعَم التي خُوِّلتَها ... يا خير مأمول وأفضل وال)
فأمر له عبد الملك بعشرة آلاف درهم ولعدي بن الرقاع بمثلها وقضى
لأهله ومواليه يومئذ مئة حاجة وأمر لجميع من حضر من الحرس والكتاب بعشرة دنانير عشرة دنانير فلم تزل أم حكيم عند عبد العزيز مدة ثم تزوج ميمونة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر فملكته وأحبها وذهبت بقلبه كل مذهب فلم ترض منه إلا بطلاق أم حكيم فطلقها فتزوجها هشام بن عبد الملك ثم مات عبد العزيز فتزوج هشام ميمونة أيضا وكان شديد المحبة لأم حكيم فطلق لها ميمونة اقتصاصا لها منها فيما فعلته بها في اجتماعهما عند عبد العزيز وقال لها هل أرضيتك منها فقالت نعم فولدت أم حكيم من هشام ابنه يزيد بن هشام وكان من رجالات بني أمية وكان أحد من يطعن على الوليد بن يزيد بن عبد الملك ويغري الناس به

كأس أم حكيم

قد وكانت أم حكيم منهومة بالشراب مدمنة عليه لا تكاد تفارقه وكأسها الذي كانت تشرب فيه مشهور عند الناس إلى اليوم وهو في خزائن الخلفاء حتى الآن وفيه يقول الوليد بن يزيد

صوت

(عَلِّلاني بعاتقات الكرومِ ... واسقياني بكأس أم حكيمِ)
(إنها تشربُ المدامة صِرفا ... في إناء من الزجاج عظيم)
(جنِّبوني أذاة كل لئيم ... إنه ما علمتُ شرٌّ نديم)
(ثم إن كان في النَّدامى كريمٌ ... فأذيقوه مس بعض النعيم)
(ليت حظي من النساء سُلَيْمَى ... ان سَلْماي جَنّتي ونعيمي)
(فدعوني من الملامة فيها ... إنَّ من لامني لغيرُ حليم)
عروضه من - الخفيف - غناء عمر الوادي من رواية يونس وفي رواية
إسحاق غناه الغزيل أبو كامل خفيف رمل بالسبابة في مجرى البنصر
فيقال إن هذا الشعر بلغ هشاما فقال لأم حكيم أتفعلين ما ذكره الوليد فقالت أو تصدقه الفاسق في شيء فتصدقه في هذا قال لا قالت فهو كبعض كذبه
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال
كان يزيد بن هشام هجا الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقال
(فحسْبُ أبي العباس كأس وقَيْنةٌ ... وزقّ إذا دارت به في الذوائب)
(ومن جلساء الناس مثلُ ابن مالك ... ومثل ابن جَزْء والغلام ابن غالِب)
فقال الوليد يهجوه ويعيره بشرب أمه الشراب
(إن كأس العجوز كأسٌ رَواءٌ ... ليس كأس ككأس أمِّ حكيمِ)
(إنها تشرب الرَّساطون صِرْفا ... في إناء من الزجاجِ عظيم)
(لو به يشرب البعيرُ أو الفيل ... لظَلاّ في سَكرة وغموم)
(ولدته سَكْرى فلم تحسن الطَّلْق ... فوافى لذاك غير حليم)
وكان لهشام منها ابن يقال له مسلمة ويكنى أبا شاكر وكان هشام ينوه باسمه وأراد أن يوليه العهد بعده وولاه الحج فحج بالناس وفيه يقول عروة بن أذينة - لما وفد على هشام - وفرق في الحجاز على أهلها مالا كثيرا
وأحبه الناس ومدحوه
(أتينا نَمُتُّ بأرحامنا ... وجئنا بأمر أبي شاكر)
وفيه يقول الوليد بن يزيد بن عبد الملك في حياة أبيه وأشاع ذلك وغنى فيه وأراد أن يعيره بذلك

صوت

(يا أيها السائلُ عن ديننا ... نحن على دين أبي شاكر)
(نشربها صِرْفاً وممزوجةً ... بالسخن أحياناً وبالفاتر)
فقال بعض شعراء أهل الحجاز يجيبه
(يا أيها السائل عن ديننا ... نحن على دين أبي شاكر)
(الواهبِ البُزْلِ بأرسانها ... ليس بزنديقٍ ولا كافر)
فذكر أحمد بن الحارث عن المدائني
أن هشاما لما أراد أن يوليه العهد كتب بذلك إلى خالد بن عبد الله القسري فقال خالد أنا بريء من خليفة يكنى أبا شاكر فبلغ قوله هشاما فكان سبب إيقاعه به
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن موسى قمطر
عن إسماعيل بن مجمع قال
كنا نخرج ما في خزائن المأمون من الذهب والفضة فنزكي عنه فكان فيما يزكى عنه قائم كأس أم حكيم وكان فيه من الذهب ثمانون مثقالا قال محمد بن موسى سألت إسماعيل بن مجمع عن صفته فقال كأس كبير من زجاج أخضر مقبضه من ذهب هكذا ذكر إسماعيل
وقد حدثني علي بن صالح بن الهيثم بمثله قال حدثنا إبراهيم بن أحمد المادرائي قال
لما أخرج المعتمد ما في الخزائن ليباع في أيام ظهور الناجم بالبصرة أخرج إلينا كأس أم حكيم فكان كأسا مدورا على هيئة القحف يسع ثلاثة أرطال فقوم بأربعة دراهم فعجبنا من حصول مثله في الخزانة مع خساسة قدره فسألنا الخازن عنه فقال هذا كأس أم حكيم فرددناه إلى الخزانة ولعل الذهب الذي كان عليه أخذ منه حينئذ ثم أخرج ليباع
قال محمد بن موسى وذكر لي عبيد الله بن محمد عن أبي الأغر قال كنا مع محمد بن الجنيد الختلي أيام الرشيد فشرب

ذات ليلة فكان صوته
(عَلِّلاني بعاتقات الكرومِ ... واسقياني بكأس أم حكيم)
فلم يزل يقترحه ويشرب عليه حتى السحر فوافاه كتاب خليفته في دار الرشيد إن الخليفة على الركوب وكان محمد أحد أصحاب الرشيد ومن يقدم دابته فقال ويحكم كيف أعمل والرشيد لا يقبل لي عذرا وأنا سكران فقالوا لا بد من الركوب فركب على تلك الحال فلما قدم إلى الرشيد دابته قال له يا
محمد ما هذه الحال التي أراك عليها قال لم أعلم برأي أمير المؤمنين في الركوب فشربت ليلي أجمع قال فما كان صوتك فأخبره
فقال له عد إلى منزلك فلا فضل فيك فرجع إلينا وخبرنا بما جرى وقال خذوا بنا في شأننا فجلسنا على سطح فلما متع النهار إذا خادم من خدم أمير المؤمنين قد أقبل إلينا على برذون في يده شيء مغطى بمنديل قد كاد ينال الأرض فصعد إلينا وقال لمحمد أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك قد بعثنا إليك بكأس أم حكيم لتشرب فيه وبألف دينار تنفقها في صبوحك فقام محمد فأخذ الكأس من يد الخادم وقبلها وصب فيها ثلاثة أرطال وشربها قائما وسقانا مثل ذلك ووهب للخادم مئتي دينار وغسل الكأس وردها إلى موضعها وجعل يفرق علينا تلك الدنانير حتى بقي معه أقلها
صوت
(علقمَ ما أنتِ إلى عامرِ ... الناقض الأوتار والواتر)
(إن تَسُد الحُوص فلم تعدُهُم ... وعامر سادَ بني عامرِ)
(عهدي بها في الحي قد دُرِّعت ... صفراء مثل المُهْرة الضامر)
(قد حَجَم الثديُ على صدرها ... في مُشْرِقٍ ذي بهجة ناضِرِ)
((لو أسندت مَيتاً إلى نحرها ... عاش ولم يُحْمَل إلى قابر
(حتى يقولَ الناس مما رأوا ... يا عَجَبا للميِّتِ الناشِرِ)
عروضه من - السريع - والشعر للأعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة يمدح عامر بن الطفيل ويهجو علقمة بن علاثة والغناء لمعبد في الثالث وما بعده خفيف ثقيل الأول بالبنصر وفي الأبيات لحنين - ثقيل - أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وفيها أيضا لحن آخر ذكره في المجرد ولم يجنسه ولم ينسبه إلى أحد
الخبر في هذه القصة وسبب منافرة عامر وعلقمة وخبر الأعشى وعلقمة وغيره معهما فيها
أخبرني بذلك محمد بن الحسين بن دريد إجازة عن أبي حاتم عن أبي عبيدة ونسخت من روايات ابن الكلبي عن أبيه ومن رواية دماذ والأثرم عن أبي عبيدة والأصمعي ومن رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل ومن رواية أبي عمرو الشيباني عن أصحابه فجمعت رواياتهم ولكل امرىء منهم زيادة على صاحبه ونقصان عنه واللفظ مشترك في الروايات إلا ما حكيته مفردا
قال ابن الكلبي حدثني أبي ومحرز بن جعفر وجعفر بن كلاب الجعفري عن بشر بن عبد الله بن حبان بن سلمى بن مالك بن جعفر عن أبيه عن أشياخه وذكر بعضه أبو مسكين قالوا
سبب المنافرة بين عامر وعلقمة
أول ما هاج النفار بين عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر وبين علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص
وأم عامر كبشة بنت عروة الرحال بن عتبة بن جعفر وأمها أم الظباء بنت معاوية فارس الهرار ابن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة وأمها خالدة بنت جعفر بن كلاب وأمها فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناف وأم
أبيه الطفيل أم البنين بنت ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة
قال أبو الحسن الأثرم وكانت أم علقمة ليلى بنت أبي سفيان بن هلال بن النخع سبية وأم أبيه ماوية بنت عبد الله بن الشيطان بن بكر بن عوف بن النخع مهيرة
أن علقمة كان قاعدا ذات يوم يبول فبصر به عامر فقال لم أر كاليوم عورة رجل أقبح فقال علقمة أما والله ما تثب على جاراتها ولا تنازل كناتها يعرض بعامر فقال عامر وما أنت والقروم والله لفرس أبي حنوة أذكر من أبيك ولفحل أبي غيهب أعظم ذكرا منك في نجد قال وكان فرسه فرسا جوادا نجا عليه يوم بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان وكان فحله فحلا لبني حرملة بن الأشعر بن صرمة بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان
قال الأثرم وأخبرني رجل من جهينة بدمشق قال هو الأشعر بن صرمة
قال الأثرم سمي صرمة غيهب لسواده
قال ابن الكلبي فاستعاره منهم يستطرقه فغلبهم عليه فقال علقمة أما فرسكم فعارة وأما فحلكم فغدرة ولكن إن شئت نافرتك فقال قد شئت
فقال عامر والله أنا أكرم منك حسبا وأثبت منك نسبا وأطول منك قصبا
فقال علقمة لأنا خير منك ليلا ونهارا
فقال عامر لأنا أحب إلى نسائك أن أصبح فيهن منك
فقال علقمة على ماذا تنافرني يا عامر
فقال عامر أنافرك على أني أنحر منك للقاح وخير منك في الصباح وأطعم منك في السنة الشياح
فقال علقمة أنت رجل تقاتل والناس يزعمون أني جبان ولأن تلقى العدو وأنا أمامك أعز لك من أن تلقاهم وأنا خلفك وأنت جواد والناس يزعمون أني بخيل ولست كذلك ولكن أنافرك أني خير منك أثرا وأحد منك بصرا وأعز منك نفرا وأسرح منك ذكرا
فقال عامر ليس لبني الأحوص فضل على بني مالك في العدد وبصري ناقص وبصرك صحيح ولكني أنافرك على أني أنشر منك أمة وأطول منك قمة وأحسن منك لمة وأجعد منك جمة وأبعد منك همة
قال علقمة أنت رجل جسيم وأنا رجل قضيف وأنت جميل وأنا قبيح ولكني أنافرك بآبائي وأعمامي
فقال عامر آباؤك أعمامي ولم أكن لأنافرك بهم ولكني أنافرك أني خير منك عقبا وأطعم منك جدبا
قال علقمة قد علمت أن لك عقبا في العشيرة وقد أطعمت طيبا إذ سارت ولكني أنافرك أني خير منك وأولى بالخيرات منك وقد أكثرنا المراجعة منذ اليوم
قال فخرجت أم عامر وكانت تسمع كلامهما فقالت يا عامر نافره أيكما أولى بالخيرات

قال أبو المنذر قال أبو مسكين قال عامر في مراجعته والله لأنا أركب منك في الحماة وأقتل منك للكماة وخير منك للمولى والمولاة
فقال له علقمة والله إني أعز منك إني لبر وإنك لفاجر وإني لوفي وإنك لغادر ففيم تفاخرني يا عامر فقال عامر والله إني لأنزل منك للقفرة وأنحر منك للبكرة وأطعم منك للهبرة وأطعن منك للثغرة
فقال علقمة والله إنك لكليل البصر نكد النظر وثاب على جاراتك بالسحر
فقال بنو خالد بن جعفر وكانوا يدا مع بني الأحوص على بني مالك بن جعفر لن تطيق عامرا ولكن قل له أنافرك بخيرنا وأقربنا إلى الخيرات وخذ عليه بالكبر فقال له علقمة هذا القول
فقال عامر عنز وتيس وعنز فذهبت مثلا نعم على مئة من الإبل إلى مئة من الإبل يعطاها الحكم أينا نفر عليه صاحبه أخرجها ففعلوا ذلك ووضعوا بها رهنا من أبنائهم على يدي رجل من بني الوحيد فسمي الضمين إلى الساعة وهو الكفيل
قال وخرج علقمة ومن معه من بني خالد وخرج عامر فيمن معه من بني مالك وقد أتى عامر بن الطفيل عمه عامر بن مالك وهو أبو براء فقال يا عماه أعني فقال يابن أخي سبني فقال لا أسبك وأنت عمي قال فسب الأحوص فقال عامر ولا أسب والله الأحوص وهو عمي فقال فكيف إذن أعينك ولكن دونك نعلي فإني قد ربعت فيها أربعين مرباعا فاستعن بها في نفارك
وجعلا منافرتهما إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية فلم يقل بينهما شيئا وكره ذلك لحالهما وحال عشيرتهما وقال أنتما كركبتي البعير الأدرم تقعان بالأرض قالا فأينا اليمين فقال كلاكما اليمين وأبى أن يقضي بينهما فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام فأبى أن يحكم بينهما فوثب مروان بن سراقة ابن قتادة بن عمرو بن الأحوص بن جعفر فقال

(يالَ قريشٍ بيِّنوا الكلاما ... إنا رضينا منكم الأحكاما)
(فبيِّنوا إن كنتمُ حكّاما ... كان أبونا لهمُ إماما)
(وعبد عمْرو منع الفِئاما ... في يوم فخر مُعْلَم إعلاما)
(ودَعْلَجٌ أقدمه إقداما ... لولا الذي أجشمهم إجشاما)
(... لا تخذتْهم مَذْحِج نَعاما)

قال فأبوا أن يقولوا بينهما شيئا
وقد كانت العرب تحاكم إلى قريش فأتيا عيينة بن حصن بن حذيفة فأبى أن يقول بينهما شيئا فأتيا غيلان بن سلمة بن معتب الثقفي فردهما إلى حرملة بن الأشعر المري فردهما إلى هرم بن قطبة بن سنان بن عمرو الفزاري فانطلقا حتى نزلا به

هرم بن قطبة يحكم بينهما

وقال بشر بن عبد الله بن حبان بن سلمى إنهما ساقا الإبل معهما حتى أشتت وأربعت لا يأتيان أحدا إلا هاب أن يقضي بينهما فقال هرم لعمري لأحكمن بينكما ثم لأفصلن ثم لست أثق بواحد منكما فأعطياني موثقا أطمئن إليه أن ترضيا بما أقول وتسلما لما قضيت بينكما وأمرهما بالانصراف ووعدهما ذلك اليوم من قابل فانصرفا حتى إذا بلغ الأجل من قابل خرجا إليه فخرج علقمة ببني الأحوص فلم يتخلف منهم أحد معهم القباب والجزر والقدور ينحرون في كل منزل ويطعمون وجمع عامر بني مالك فقال إنما تخاطرون عن أحسابكم فأجابوه وساروا معه ولم ينهض أبو براء معهم وقال لعامر والله لا تطلع ثنية إلا وجدت الأحوص منيخا بها وكره أبو براء ما كان من أمرهما فقال عامر فيما كره من منافرتهما ودعاء عامر إياه أن يسير معه

(أأُومر أن أسُبَّ أبا شُريح ... ولا والله أفعلُ ما حييتُ)
(ولا أُهدي إلى هرمٍ لِقاحا ... فيُحيي بعد ذلك أو يُميتُ)
(أُكلَّف سعيَ لُقمانَ بن عاد ... فيال أبي شُرَيْح ما لقيتُ)

قال وأبو شريح هو الأحوص فكره كل واحد من البطنين ما كان بينهما وقال عبد عمرو بن شريح بن الأحوص

(لَحَى اللهُ وَفْدينا وما ارتحلا به ... من السَّوءة الباقي عليهم وبالُها)
(ألا إنما بُرْدي صِفاق متينة ... أبى الضيم أعلاها وأُثبتَ حالُها)

فقال فسار عامر وبنو عامر على الخيل مجنبي الإبل وعليهم السلاح قال رجل من غني يا عامر ما صنعت أخرجت بني مالك تنافر بني الأحوص ومعهم القباب والجزر وليس معك شيء تطعمه الناس ما أسوأ ما صنعت فقال عامر لرجلين من بني عمه أحصيا كل شيء مع علقمة من قبة أو قدر أو لقحة ففعلا فقال عامر يا بني مالك إنها المقارعة عن أحسابكم فاشخصوا بمثل ما شخصوا به ففعلوا وثار مع عامر لبيد بن ربيعة والأعشى ومع علقمة الحطيئة وفتيان من بني الأحوص منهم السندري بن يزيد بن شريح ومروان بن سراقة بن قتادة بن عمرو بن الأحوص وهم يرتجزون فقال لبيد

(يا هرما وأنت أهلُ عدلِ ... إن نُفِّر الأحوص يوما قبلي)
(ليذهَبنَّ أهلُه بأهلي ... لا تجْمَعَنَّ شكلَهم وشكلي)
(... ونسلَ آبائِهم ونسلي)

وقال أيضا

(إني امرؤٍ من مالك بن جعفر ... علقم قد نافرت غيرَ مُنْفَر)
(... نافرت سَقْبا من سِقاب العَرْعَر)

فقال قحافة بن عوف بن الأحوص

(نهنهْ إليك الشعرَ يا لَبيدُ ... واصْدُد فقد ينفعك الصُّدود)
(ساد أبونا قبل أن تَسودوا ... سُؤدُدكم مُطَّرف زَهيد)

وقال أيضا

(إني إذا ما نُسِي الحياءُ ... وضاع يوم المَشهد اللِّواء)
(أنْمَى وقد حُقَّ ليَ النماءُ ... إلى ذكورٍ ذِكرها سناء)
(إذ لا تزال جَلدةٌ كوماء ... مبقورة لسَقْبِها دعاء)

(لم يَنْهنا عن نحرِها الصفاء ... لنا عليكم سَوْرَة ولاءُ)
(... المجدُ والسؤْدُدُ والعَطاء)
وقال أيضا
(أنتم هَزَلْتمْ عامرَ بنَ مالكِ ... في شَتَواتِ مُضَرَ الهوالكِ)
(... يا شرَّ أحياءٍ وشرَّ هالك)
قال وأنشدها السندري يومئذ ورفع صوته فقيل من هذا فقال
(أنا لمن أنكر صوتي السَّنْدَريّ ... أنا الفتى الجعد الطويل الجعفريّ)
(... من ولد الأحوص أخوالي غَنِيّ)
فقال عامر أجب يا لبيد فرغب لبيد عن إجابته وذلك لأن السندري كانت جدته أمة اسمها عيساء فقال
(لما دعاني عامرٌ لأسُبَّهم ... أبيتُ وإن كان ابن عَيْساء ظالما)
(لكيما يكونَ السَّندَريُّ نَديدتي ... وأشتُمَ أعماماً عُموماً عَماعما)
(وأُنْشِرَ من تحت القبور أُبُوَّةً ... كراماً هم شَدُّوا عليَّ التّمائما)
((لعِبت على أكتافِهمْ وحُجورهم ... وليداً وسَمَّوني مُفيداً وعاصما
(ألا أينا ما كان شراً لمالكٍ ... فلا زال في الدنيا مَلُوماً ولائما)
قال ووثب الحطيئة فقال
(ما يحبس الحُكّام بالفصْل بعدما ... بدا سابقٌ ذو غُرَّة وحُجُولِ)
وقال أيضا
(يا عامِ قد كنت ذا باعٍ ومكرمة ... لو أن مَسعاة من جاريتَه أَمَمُ)
(جاريتَ قَرْماً أجاد الأحوصان به ... سمحَ اليدين وفي عِرنينه شَمَمُ)
(لا يصعُبُ الأمرُ إلاّ ريثَ يركبُه ... ولا يبيت على مالٍ له قَسَمُ)
(هابتْ بنو مالك مجداً ومَكْرُمَةً ... وغايةً كان فيها الموتُ لو قَدِموا)
(وما أساؤوا فِراراً عن مُجَلّحةٍ ... لا كاهنٌ يَمتري فيها ولا حَكَمُ)

دهاء هرم بن قطبة وذكاؤه

قال وأقام القوم عنده أياما وأرسل إلى عامر فأتاه سرا لا يعلم به علقمة فقال يا عامر قد كنت أرى لك رأيا وأن فيك خيرا وما حبستك هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك أتنافر رجلا لا تفخر أنت وقومك إلا بآبائه فما الذي أنت به خير منه
قال عامر أنشدك الله والرحم أن لا تفضل علي علقمة فوالله لئن فعلت لا أفلح بعدها أبدا هذه ناصيتي فاجززها واحتكم في مالي فإن كنت لا بد فاعلا فسو بيني وبينه قال انصرف فسوف أرى رأيي فخرج عامر وهو لا يشك أنه ينفره عليه ثم أرسل إلى علقمة سرا لا يعلم به عامر فأتاه فقال يا علقمة والله إن كنت لأحسب فيك خيرا وأن لك رأيا وما حسبتك هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك أتفاخر رجلا هو ابن عمك في النسب وأبوه أبوك وهو مع هذا أعظم قومك غناء وأحمدهم لقاء فما الذي أنت به خير منه عشرا علقمة أنشدك الله والرحم ألا تنفر علي عامرا اجزز ناصيتي واحتكم في مالي وإن كنت لا بد أن تفعل فسو بيني وبينه فقال انصرف فسوف أرى رأيي فخرج وهو لا يشك أنه سيفضل عليه عامرا
قال أبي وسمعت أن هرما قال لعامر حين دعاه يا عامر كيف تفاضل علقمة فقال عامر ولم يا هرم قال لأنه أنجل منك عينا في النساء وأكثر منك نفيرا عند ثورة الدعاء قال عامر هل غير هذا قال نعم هو أكثر منك نائلا في الثراء وأعظم منك حقيقة عند الدعاء ثم قال لعلقمة كيف تفاضل عامرا قال ولم يا هرم قال هو أنفذ منك لسانا وأمضى منك سنانا قال علقمة فهل غير هذا قال نعم هو أقتل منك للكماة وأفك منك للعناة
قال ثم إن هرما أرسل إلى بنيه وبني أبيه إني قائل غدا بين هذين الرجلين مقالة فإذا فعلت فليطرد بعضكم عشر جزائر فلينحرها عن علقمة ويطرد بعضكم عشر جزائر فلينحرها عن عامر وفرقوا بين الناس لا تكون لهم جماعة
وأصبح هرم فجلس مجلسه وأقبل الناس وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا فقام لبيد فقال
(يا هَرِم ابنَ الأكرمين مَنصِبا ... إنك قد وُلِّيتَ حُكما مُعْجِبا)
(فاحكم وصوِّب رأس من تصوّبا ... إن الذي يعلو علينا تُرَبّا)
((لخَيرُنا عماً وأماً وأبا ... وعامرٌ خيرهما مُرَكّبا
(... وعامر أدنى لقيسٍ نسبا)
فقام هرم فقال يا بني جعفر قد تحاكمتما عندي وأنتما كركبتي البعير الأدرم تقعان إلى الأرض معا وليس فيكما أحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه وكلاكما سيد كريم
وعمد بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجزر فنحروها حيث أمرهم هرم عن علقمة عشرا وعن عامر عشرا وفرقوا الناس فلم يفضل هرم واحدا منهما على صاحبه وكره أن يفعل وهما ابنا عم فيجلب عداوة ويوقع بين الحيين شرا
قال وكان الأعشى حين رجع من عند قيس بن معد يكرب بما أعطاه طلب الجوار والخفرة من علقمة فلم يكن عنده ما طلب وأجاره وخفره عامر حتى إذا أداه وماله إلى أهله قال
(عَلْقَمَ ما أنت إلى عامر ... الناقض الأوتار والواتر)
ثم أتمها بعد النفار فلما بلغ علقمة ما قال الأعشى وأشاع في العرب أن هرما قد فضل عامرا توعد الأعشى فقال الأعشى
(... لعمري لئن أمسي من الحيّ شاخصا)
قال ابن الكلبي حدثني أبي قال فعاش هرم حتى ادرك سلطان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسأله عمر فقال يا هرم أي الرجلين كنت مفضلا لو فضلت فقال لو قلت ذاك يا أمير المؤمنين لعادت جذعة ولبلغت شعاف هجر فقال عمر نعم مستودع السر ومسند الأمر إليه أنت يا هرم مثل هذا
فليسد العشيرة وقال إلى مثلك فليستبضع القوم أحكامهم

إسلام علقمة

قال مؤلف الكتاب
وقد أدرك علقمة بن علاثة الإسلام فأسلم ثم ارتد فيمن ارتد من العرب فلما وجه أبو بكر خالد بن الوليد المخزومي إلى

بني كلاب ليوقع بهم وعلقمة يومئذ رئيسهم هرب وأسلم ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه فأعلمه أنه قد نزع عما كان عليه فقبل إسلامه وأمنه هكذا ذكر المدائني
وأما سيف بن عمر فإنه روى عن الكوفيين غير ذلك
حدثنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا السري بن يحيى قال حدثنا شعيب بن إبراهيم عن سيف بن عمر عن سهل بن يوسف قال
كان علقمة بن علاثة على كلاب ومن لافها وقد كان علقمة أسلم ثم ارتد في حياة النبي ثم خرج بعد فتح الطائف حتى لحق بالشام مرتدا فلما توفي النبي أقبل مسرعا حتى عسكر في بني كعب مقدما رجلا ومؤخرا أخرى وبلغ ذلك أبا بكر رضي الله عنه فبعث إليه سرية وأمر عليها القعقاع بن عمرو وقال يا قعقاع سر حتى تغير على علقمة بن علاثة لعلك تأخذه لي أو تقتله واعلم أن شفاء النفس الحوص فاصنع ما عندك فخرج في تلك السرية حتى أغار على الماء الذي عليه علقمة وكان لا يبرح أن
يكون على رحل فسابقهم على فرسه مراكضة وأسلم أهله وولده واستبى القعقاع امرأة علقمة وبناته ونساءه ومن أقام من الرجال فاتقوه بالإسلام فقدم بهم على أبي بكر رضي الله عنه فجحدت زوجته وولده أن يكونوا مالؤوا علقمة على أمره وكانوا مقيمين في الدار ولم يكن بلغه عنهم غير ذلك وقالوا لأبي بكر ما ذنبنا نحن فيما صنع علقمة فأرسلهم ثم أسلم علقمة فقبل ذلك منه
أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عمرو بن عثمان قال
كان رسول الله ربما حدث أصحابه وربما تركهم يتحدثون ويصغي إليهم ويتبسم فبينا هم يوما على ذلك يتذاكرون الشعر وأيام العرب إذ سمع حسان بن ثابت ينشد هجاء أعشى بن قيس بن ثعلبة علقمة بن علاثة ومديحه عامر بن الطفيل
(علقمَ ما أنت إلى عامرٍ ... الناقِضِ الأوتارِ والواتر)
(إن تسُد الحُوص فلم تَعدُهمْ ... وعامرٌ سادَ بني عامر)
(ساد وألْفى رهطه سادة ... وكابرا سادوك عن كابر)
فقال رسول الله كف عن ذكره يا حسان فإن أبا سفيان لما شعث مني عند هرقل رد عليه علقمة فقال حسان بن ثابت بأبي أنت وأمي يا رسول الله من نالتك يده فقد وجب علينا شكره
علقمة يموت قبل وصول الحطيئة إليه
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي قال
لما أطلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحطيئة من حبسه قال له
يا أمير المؤمنين اكتب لي كتابا إلى علقمة بن علاثة لأقصده به فقد منعتني التكسب بشعري فقال لا أفعل فقيل له يا أمير المؤمنين وما عليك من ذلك إن علقمة ليس بعاملك فتخشى أن تأثم وإنما هو رجل من المسلمين تشفع له إليه فكتب له بما أراد فمضى الحطيئة بالكتاب فصادف علقمة قد مات والناس منصرفون عن قبره فوقف عليه ثم أنشد قوله
(لعمري لنعم المرءُ من آل جعفرٍ ... بحَوران أمسى أعْلَقَته الحبائلُ)
(فإن تحيَ لا أملَل حياتي وإن تمت ... فما في حياةٍ بعد موتك طائل)
(وما كان بيني لو لقيتُك سالما ... وبين الغِنى إلا ليالٍ قلائلُ)
فقال له ابنه يا حطيئة كم ظننت أن علقمة يعطيك قال مئة ناقة قال فلك مئة ناقة يتبعها مئة من أولادها فأعطاه إياها
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمر بن أبي بكر قال حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد والضحاك بن عثمان قالا
لما قدم علقمة بن علاثة المدينة وكان قد ارتد عن الإسلام وكان لخالد بن الوليد صديقا لقيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد في جوف الليل وكان عمر يشبه بخالد وذلك أن أمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فسلم عليه وظن أنه خالد فقال أعزلك قال كان ذلك قال والله ما هو إلا نفاسة عليك وحسد لك
فقال له عمر فما عندك معونة على ذلك قال معاذ الله إن لعمر علينا سمعا وطاعة وما نخرج إلى خلافه فلما أصبح عمر رضي الله عنه أذن للناس فدخل خالد وعلقمة فجلس علقمة إلى جنب خالد فالتفت عمر إلى علقمة فقال إيه يا علقمة أأنت القائل لخالد ما قلت فالتفت علقمة إلى خالد فقال يا أبا سليمان أفعلتها قال ويحك والله ما لقيتك قبل ما ترى وإني لأراك لقيت الرجل قال أراه والله ثم التفت إلى عمر فقال يا أمير المؤمنين ما سمعت إلا خيرا قال أجل فهل لك أن أوليك حوران قال نعم فولاه إياها فمات بها فقال الحطيئة يرثيه
(لَعمري لنعم الحيُّ من آل جعفر ... بحَوْران أمسى أقصدته الحبائل)
(لقد أقصدَتْ جُوداً ومجداً وسؤدداً ... وحلماً أصيلاً خالفته المجَاهِل)
(فإن تَحي لا أمْلَلْ حياتي وإن تمت ... فما في حياةٍ بعد موتك طائلُ)
وفي أول هذه القصيدة التي رثى بها الحطيئة علقمة غناء نسبته
صوت
(أرى العِيسَ تَخْدِي بين قَوٍّ فضارجٍ ... كما لاح في الصبح الأشاءُ الحواملُ)
(فأتبعتهمْ عيني حتى تفرقتْ ... مع الليل عن ساقِ الفريدِ الجمَائل)
(فلأياً قصرتُ الطرفَ عنهم بجسرةٍ ... أمونٍ إذا واكلتُها لا تواكِلُ)
غنى في هذه الأبيات سائب خاثر ثاني - ثقيل - بالوسطى من رواية حماد بن إسحاق والهشامي
صوت
(لَيتَ شعري أفاحَ رائحةُ المسكِ ... وما إنْ إخال بالخَيْفِ إنْسِي)
(حينَ غابَتْ بنو أميّة عنه ... والبهاليل من بني عبد شمس)
(خُطَباءٌ على المنابر فُرْسانٌ ... عليها وقالةٌ غيرُ خُرْس)
إخال أظن خلت كذا وكذا فأنا إخاله إذا ظننته وخال علي الشيء يخيل إذا شككت فيه وليت شعري كلمة تقولها العرب عند الشيء تحب علمه وتسأل عنه
وأخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثني عمر بن شبة قال سأل رجل أبا عبيدة ما أصل ليت شعري فقال كأنه قال ليتني شعرت بكذا وكذا ليتني علمت حقيقته

الشعر لأبي العباس الأعمى والغناء لابن سريج - رمل - بالبنصر في مجراها
أخبار أبي العباس الأعمى
هو السائب بن فروخ مولى بني ليث وقيل إنه مولى بني الديل وهذا القول هو الصحيح
ذكر محمد بن معاوية الأسدي عن المدائني والواقدي
أن أبا العباس الأعمى الذي يروي عنه حبيب بن أبي ثابت مولى جذيمة بن علي بن الديل بن بكر بن عبد مناة وكان من شعراء بني أمية المعدودين المقدمين في مدحهم والتشيع لهم وانصباب الهوى إليهم وهو الذي يقول في أبي الطفيل عامر بن واثلة صاحب علي بن أبي طالب عليه السلام
(لعمرِكَ إنني وأبا طُفَيلٍ ... لمختلفان والله الشهيدُ)
(أرى عثمانَ مهتدياً ويأبى ... متابعتي وآبى ما يريد)
أخبرني بذلك وكيع عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبيه عن عبد الله بن أبي سعد
وقد روى أبو العباس الأعمى عن صدر من الصحابة الحديث وروى عنه عطاء وعمرو بن دينار وحبيب بن أبي ثابت
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال
حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن عطاء عن أبي العباس الأعمى الشاعر عن عبد الله بن عمر قال إنما جمع منزل تدلج منه إذا شئت
قال حدثنا أحمد بن محمد بن دلان الخيشي قال حدثنا أحمد بن إسماعيل قال حدثنا أبو ضمرة قال حدثني أبو الحارث بن عبد الرحمن عن أبي ذئب عن أبي العباس عن سعيد بن المسيب قال قال علي بن أبي طالب قال رسول الله
إسباغ الوضوء على المكاره وإعمال الأقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة يغسل الخطايا غسلا
حدثني أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي قال حدثنا أبو قلابة قال حدثنا بشر بن عمر قال حدثنا شعبة عن حبيب بن أبي ثابت قال
سمعت أبا العباس السائب بن فروخ الأعمى الشاعر يحدث عن عبد الله بن عمر قال
جاء رجل إلى النبي يستأذنه في الجهاد فقال أحي والداك قال نعم قال فيهما فجاهد
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدثنا الفضل بن عبد الله الخلنجي بجرجان قال حدثني مسلم بن الوليد الأنصاري قال سمعت يزيد بن مزيد يقول سمعت هارون
الرشيد يقول سمعت المهدي يقول سمعت المنصور يقول
خرجت أريد الشأم أيام مروان بن محمد فصحبني في الطريق رجل ضرير فسألته عن مقصده فأخبرني أنه يريد مروان بشعرٍ امتدحه به فاستنشدته إياه فأنشدني
(ليتَ شِعري أفاحَ رائحة المِسك ... وما إن إخال بالخَيف إنسِي)
(حين غابت بنو أُميّةَ عنه ... والبهاليلُ من بني عبد شمس)
(خطباء على المنابر فُرْسانَ ... عليها وقالةٌ غير خُرْس)
(لا يُعابون صامتين وإن قالوا ... أصابوا ولم يقولوا بلَبْس)
(بحُلوم إذا الحلوم تقضَّتْ ... ووجوه مثل الدنانير مُلْس)
ويروى مكان تقضت اضمحلت قال فوالله ما فرغ من إنشاده حتى توهمت أن العمى قد أدركني وافترقنا فلما أفضت الخلافة إلي خرجت حاجا فنزلت أمشي بجبلي زرود فبصرت بالضرير ففرقت من كان معي ثم
دنوت منه فقلت أتعرفني قال لا فقلت أنا رفيقك وأنت تريد الشام أيام مروان فقال أوه
(آمتْ نساءُ بني أميّةَ منهمُ ... وبناتُهمْ بمضِيعةٍ أيتامُ)
(نامتْ جدودُهم وأسْقِط نجمهمْ ... والنجم يسْقُط والجدود تَنام)
(خَلَتِ المنابرُ والأسرّةُ منهمُ ... فعليهمُ حتى المماتِ سلامُ)
فقلت وكم كان مروان أعطاك بأبي أنت قال أغناني أن أسأل أحدا بعده فهممت بقتله ثم ذكرت حق الاسترسال والصحبة فأمسكت عنه وغاب عن عيني فبدا لي فيه فأمرت بطلبه فكأنما البيداء بادت به
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة قال قال أبو عبيدة
هوي أبو العباس الأعمى امرأة ذات بعل فراسلها فأعلمت زوجها فقال أطمعيه فأطمعته ثم قال أرسلي إليه فليأتك فأرسلت إليه فأتاها وجلس زوجها إلى جانبها فقال لها أبو العباس إنك قد وصفت لنا وما نراك فألمسينا فأخذت يده فوضعتها على أيرها فنفر وعلم أن قد كيد فنهض من عندها وقال
صوت
(عليَّ أَلِيَّةٌ ما دمتِ حيّا ... أمَسُّكِ طائعاً إلا بعُودِ)
(ولا أهدِي لأرضٍ أنتِ فيها ... سلامَ الله إلا من بعيدِ)
(رجوتُ غنيمة فوضعتِ كفّي ... على أيرٍ أشدَّ من الحديدِ)
(فخير منكِ من لا خيرَ فيهِ ... وخيرٌ من زيارتكم قُعودِي)
وقرأت هذه الحكاية مروية عن الأصمعي غير مذكور راويها عنه وزعم أن بشارا صاحب القصة وأنه كان له مجلس يسميه البردان يجتمع إليه فيه
النساء فعشق هذه المرأة وقد سمع كلامها ثم ذكر الخبر بطوله وقال فيه فلما وصل إليها أنشأ يقول
(مُلَيكةُ قد وُصِفتِ لنا بحسنٍ ... وإنا لا نراكِ فألمِسِينا)
فأخذ زوجها يده فوضعها على أيره
ذكر إسحاق أن في البيتين الأولين والرابع من هذه الأبيات لحنا من خفيف الثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى ولم ينسبه إلى أحد ووجدته في غناء عمرو بن بانة في هذه الطريقة منسوبا إليه فلا أدري هو ذلك اللحن أو غيره
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أيوب بن عمر أبو سلمة قال
قال أبو العباس الأعمى مولى بني الديل بن بكر يحض بني أمية على عبد الله بن الزبير
(أبنِي أميّةَ لا أرى لَكُم ... شبْهاً إذا ما التفّتِ الشّيَعُ)
(سعَةً وأحلاماً إذا نَزعَتْ ... أهلُ الحلومِ فضرَّها النَّزَعُ)

(وحفيظةً في كلِ نائبةٍ ... شَهباءَ لا يُنْهَى لها الرُّبَعُ)
(اللهُ أعطاكمْ وإنْ رغِمتْ ... من ذاك أنفُ معاشِرٍ رَتَعُوا)
(أبنِي أميةَ غيرَ أنكمُ ... والناس فيما أُطمِعوا طَمِعوا)
(أطْمَعْتُمُ فيكمْ عَدُوَّكُم ... فسما بهمْ في ذاكُمُ الطَّمَعُ)
(فَلَو انَّكُم كنتمْ لِقولِكُم ... مثلَ الذي كانوا لكمْ رجَعوا)
(عما كرهتمْ أو لَرَدَّهُمُ ... حذرُ العقوبة إنها تَزَعُ)
وله أشعار كثيرة في مدائح بني أمية وهجاء آل الزبير وأكثرها في هجاء عمرو بن الزبير ليس ذكرها مما قصدنا له

أبو العباس يهجو ابن الزبير والمجاشعي

ونسخت من كتاب قعنب بن المحرز قال حدثنا المدائني عن جويرية بن أسماء
أن ابن الزبير رأى رجلا من حلفاء بني أسد بن عبد العزى في حالة رثة فكساه ثوبين وأمر له ببر وتمر فقال أبو العباس الأعمى في ذلك

صوت

(كَسَتْ أسدٌ إخوانَها ولَوَ انني ... ببلدةِ إخواني إذاً لكُسيتُ)
(فلم تر عيني مثل حيٍّ تَحمَّلوا ... إلى الشأم مظلومين منذ بُريتُ)
غنى في هذين البيتين دحمان - ثقيل - أول بالبنصر من رواية ابن المكي ورأيت في بعض الكتب لزرزور غلام المارقي فيهما صنعة أيضا
وقال محمد بن معاوية حدثني المدائني قال
قدم البعيث المجاشعي مكة وكان أبو العباس الأعمى الشاعر لا يكاد يفارقها وكانت جوائز أمية تأتيه من الشام وكانت قريش كلها تبره للسانه وتقربا إلى بني أمية ببره قال فصلى البعيث مع الناس وسأل في حمالة كانت عليه وكان سؤولا ملحا شديد الطمع وكان الرجل من قريش يأتيه بالشيء يتحمله عنه فيقول لا أقبله إلا أن تجيء معي إلى الصراف حتى ينقده ويزنه فإن لم يفعل ذمه وهجاه فشكوه إلى أبي العباس الأعمى فقال قودوني إليه ففعلوا فلما عرف مجلسه رفع عصاه فضرب بها رأسه ثم قال له
(فهلْ أنتَ إلا مُلْصَقٌ في مُجاشِعٍ ... نَفاكَ جريرٌ فاضْطُرِرْتَ إلى نَجْدِ)
(... نفاك جرير بالهجاء إلى نجد)
ويروى
(تظلُّ إذا أُعطيتَ شيئاً سألتَه ... تطالبُ من أعطاك بالوزن والنقدِ)
(فلا تطْمَعَنْ من بعدِ ذا في عطيّةٍ ... وثِقْ بقبيحِ المنعِ والدفعِ والردِّ)
(فلستَ بمُبْقٍ في قريشٍ خِزاية ... تُذَم ولو أبْعَدْتَ فيه مَدَى الجَهْدِ)
قال فتضاحك به من حضر واستحيا ولم يحر جوابا فلما جن الليل عليه هرب من مكة
وقال قعنب بن المحرز حدثني المدائني قال
قال عبد الملك بن مروان لأبي العباس الأعمى مولى بني الديل أنشدني مديحك مصعبا فاستعفاه فقال يا أمير المؤمنين إنما رثيته بذلك لأنه كان صديقي وقد علمت أن هواي أموي قال صدقت ولكن أنشدني ما قلته فأنشده
((يرحمُ اللهُ مصعباً فلقد ماتَ ... كريما ورامَ أمراً جسيمَا)
فقال عبد الملك أجل لقد مات كريما ثم تمثل
(ولكنه رام التي لا يرومُها ... من الناس إلا كلّ خِرْق مُعَمَّمِ)
أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني إسحاق بن محمد الأموي قال
لما حج عبد الملك بن مروان جلس للناس بمكة فدخلوا إليه على مراتبهم وقامت الشعراء والخطباء فتكلموا ودخل أبو العباس الأعمى فلما رآه عبد الملك قال مرحبا بك يا أبا العباس أخبرني بخبر الملحد المحل حيث كسا أشياعه ولم يكسك وأنشدني ما قلت في ذلك
فأخبره بخبر ابن الزبير وأنه كسا بني أسد وأحلافها ولم يكسه وأنشده الأبيات فقال عبد الملك أقسم على كل من حضرني من بني أمية وأحلافهم ومواليهم ثم على كل من حضرني من أوليائي وشيعتي على دعوتهم إلا كسا أبا العباس
فخلعت والله حلل الوشي والخز والقوهي وجعلت ترمى عليه حتى إذا غطته نهض فجلس فوق ما اجتمع منها وطرح عليه قال حتى رأيت في الدار من الثياب ما ستر عني عبد الملك وجلساءه وأمر له عبد الملك بمئة ألف درهم
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال حدثني أبي وأهلي
أن عبد الله بن الزبير لما غلب على الحجاز جعل يتتبع شيعة بني مروان فينفيهم عن المدينة ومكة حتى لم يبق بهما أحد منهم ثم بلغه عن أبي العباس الأعمى الشاعر نبذ من كلام وأنه يكاتب بني مروان بعوراته ويمدح عبد الملك وتجيئه جوائزه وصلاته فدعا به ثم أغلظ له وهم به ثم كلم فيه وقيل له رجل مضرور فعفا عنه ونفاه إلى الطائف فأنشأ يقول يهجوه ويهجو آل الزبير
(بني أسد لا تذكروا الفخرَ إنكمْ ... متى تذكروه تُكْذَبوا وتُحَمَّقوا)
(بُعَيْداتِ بَيْنٍ خيرُكُم لصديقكم ... وشرُّكُم يغدو عليه ويَطْرُقُ)
(متى تُسألوا فضلاً تَضَنّوا وتبخلوا ... ونيرانكم بالشرِ فيها تَحَرَّقُ)
(إذا استبقت يوماً قريش خرجتُمُ ... بني أسدٍ سُكْتاً وذو المجد يسبق)
(تجيئون خلف القوم سوداً وجوهكمْ ... إذا ما قريش للأضاميم أصفقوا)
(وما ذاك إلا أن للّؤم طابَعاً ... يلوح عليكم وسْمه ليس يَخْلُقُ)

أبو العباس وعمر بن أبي ربيعة

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني عمي مصعب قال
قال عمر بن أبي ربيعة لأبي العباس الأعمى الشاعر مولى بني الديل بن بكر
(أفْتِني إن كنتَ ثَقْفاً شاعراً ... عن فتىً أعرجَ أعمى مختلِفْ)

(سيىءِ السَّحْنة كابٍ لونُه ... مثلِ عود الخروعِ البالي القصِف
فقال أبو العباس يرد عليه
(أنت الفتى وابن الفتى وأخو الفتى ... وسيدُنا لولا خلائقُ أربعُ)
(نُكُولك في الهيجا وتَقْوالُك الخنا ... وشتمك للمولَى وأنك تُبَّعُ)
قال الزبير يقال رجل تبع نساء وتبع نساء إذا كان كلفا بهن
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي قال حدثني المكيون
أن عمر بن أبي ربيعة كان يرامي جارية لأبي العباس الأعمى ببنادق الغالية فبلغ ذلك أبا العباس فقال لقائده قفني على باب بني مخزوم فإذا مر عمر بن أبي ربيعة فضع يدي عليه فلما مر عمر وضع يده عليه فأخذ بحجزته وقال
(ألا من يشتري جارا نؤوماً ... بجارٍ لا ينام ولا يُنِيمُ)
(ويلبس بالنهار ثيابَ ناسٍ ... وشَطْرَ الليل شيطانٌ رجيمُ)
فنهضت إليه بنو مخزوم فأمسكوا فمه وضمنوا له عن عمر أن لا يعاود ما يكرهه
صوت
(ألا حيِّ من أجل الحبيبِ المَغانيا ... لبِسن البلى لما لَبِسن اللياليا)
(إذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلة ... تقاضاه شيء لا يملّ التقاضيا)
الشعر لأبي حية النميري والغناء لأحمد بن يحيى المكي - خفيف رمل - بالبنصر عن الهشامي
أخبار أبي حية النميري ونسبه
أبو حية الهيثم بن الربيع بن زرارة بن كثير بن جناب بن كعب بن مالك بن عامر بن نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار
وكان يقال لمالك الأصقع وقال قوم إن الأصقع هو الأصم بن مالك بن جناب بن كعب
وأبو حية شاعر مجيد مقدم من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية وقد مدح الخلفاء فيهما جميعا وكان فصيحا مقصدا راجزا من ساكني البصرة وكان أهوج جبانا بخيلا كذابا معروفا بذلك أجمع وكان أبو عمرو بن العلاء يقدمه وقيل إنه كان يصرع
طرائف من أخباره
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني محمد بن سلام الجمحي وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قالوا
كان لأبي حية سيف يسميه لعاب المنية ليس بينه وبين الخشبة فرق وكان من أجبن الناس
قال فحدثني جار له قال دخل ليلة إلى بيته كلب فظنه لصا فأشرفت
عليه وقد انتضى سيفه لعاب المنية وهو واقف في وسط الدار وهو يقول أيها المغتر بنا والمجترئ علينا بئس والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل لعاب المنية الذي سمعت به مشهورة ضربته لا تخاف نبوته اخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك إني والله إن أدع قيسا إليك لا تقم لها وما قيس تملأ والله الفضاء خيلا ورجلا سبحان الله ما أكثرها وأطيبها فبينا هو كذلك إذ خرج الكلب فقال الحمد لله الذي مسخك كلبا وكفاني حربا
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني محمد بن علي بن حمزة قال حدثني أبو عثمان المازني قال حدثني سعيد بن مسعدة الأخفش قال
قال أبو حية النميري أتدري ما يقول القدريون قلت لا قال يقولون الله لا يكلف العباد ما لا يطيقون ولا يسالهم ما لا يجدون وصدق والله القدريون ولكني لا أقول كما يقولون
قال محمد بن علي بن حمزة وحدثني أبو عثمان قال
قال سلمة بن عياش لأبي حية النميري أتدري ما يقول الناس قال وما يقولون قال يقولون إني اشعر منك قال إنا لله هلك والله الناس
قال وكان أبو حية النميري مجنونا يصرع وقد أدرك هشام بن عبد الملك
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال سمعت عمي يقول
أبو حية في الشعراء كالرجل الربعة لا يعد طويلا ولا قصيرا
قال وسمعت أبا عمرو يقول هو أشعر في عظم الشعر من الراعي
أخبرني الحسن بن علي وعلي بن سليمان الأخفش قالا حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال حدثني عبد الصمد بن المعذل وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم قالوا
كان ابو حية النميري من أكذب الناس فحدث يوما أنه يخرج إلى الصحراء فيدعو الغربان فتقع حوله فيأخذ منها ما شاء فقيل له يا أبا حية ارأيت إن أخرجناك إلى الصحراء فدعوتها فلم تأتك فما نصنع بك قال أبعدها الله إذن
قال وحدثنا يوما قال عن لي ظبي يوما فرميته فراغ عن سهمي فعارضه السهم ثم راغ فعارضه السهم فما زال والله يروغ ويعارضه حتى صرعه ببعض الجبانات
قال وقال يوما رميت والله ظبية فلما نفذ سهمي عن القوس ذكرت بالظبية حبيبة لي فعدوت خلف السهم حتى قبضت على قذذه قبل أن يدركها
وذكر يحيى بن علي عن الحسن بن عليل العنزي قال قال الرياشي عن الأصمعي قال
وفد أبو حية النميري على المنصور وقد امتدحه وهجا بني حسن
بقصيدته التي أولها
(عُوجا نحيِّ ديار الحيّ بالسندِ ... وهل بتلك الديار اليوم من أحدِ)
يقول فيها
(أحين شيمَ فلم يتركْ لهم تِرَةً ... سيفٌ تقلّده الرئبال ذو اللِّبَدِ)
(سللتموه عليكم يا بني حسنٍ ... ما إنْ لكم من فلاحٍ آخرَ الأبد)
(قد أصبحتْ لبني العباس صافيةً ... لجدع آناف أهل البغي والحسد)
(وأصبحت كلَهاة الليثِ في فمه ... ومَنْ يحاولُ شيئاً في فم الأسد)

فوصله أبو جعفر بشيء دون ما كان يؤمل فاحتجن لعياله أكثره وصار إلى الحيرة فشرب عند خمارة بها فأعجبه الشرب فكره إنفاد ما معه وأحب أن يدوم له ما كان فيه فسأل الخمارة أن تبيعه بنسيئة وأعلمها أنه مدح الخليفة وجماعة من القواد ففعلت وشرهت إلى فضل النسيئة وكان لأبي حية أير كعنق الظليم فأبرز لها عنه فتدلهت وكانت كلما سقته خطت في الحائط فأنشأ أبو حية يقول

(إذا أسقيتِني كُوزاً بخَطٍّ ... فخُطّي ما بدا لك في الجدار)
(فإن أعطيتني عيناً بدين ... فهاتي العَيْن وانتظري ضِماري)
(خرقتُ مقدّماً من جنب ثوبي ... حيال مكان ذاك من الإزار)
(فقالت ويلَها رجل ويمشي ... بما يمشي به عُجَرُ الحمار)
(وقالت ما تريد فقلت خيراً ... نسيئةَ ما عليّ إلى يساري)
(فصدّت بعدما نظرت إليه ... وقد ألمحتُها عُنُق الحُوار)

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قال

لقي ابن مناذر أبا حية فقال له أنشدني بعض شعرك فأنشده

(... ألا حي من أجل الحبيب المغانيا)

فقال له ابن مناذر وهذا شعر فقال أبو حية ما في شعري عيب هو شر من أنك تسمعه ثم أنشده ابن مناذر شيئا من شعره فقال له أبو حية قد عرفتك ما قصتك

وهذه القصيدة يفخر فيها أبو حية ويذكر يوم النشاش وهو يوم لبني نمير

أخبار أحمد بن يحيى المكي

أحمد بن يحيى بن مرزوق المكي ويكنى أبا جعفر وكان يلقب ظنينا وقد تقدم ذكر أبيه وأخباره وهو أحد المحسنين المبرزين الرواة للغناء المحكمي الصنعة وكان إسحاق يقدمه ويؤثره ويشيد بذكره ويجهر بتفضيله وكتابه المجرد في الأغاني ونسبها أصل من الأصول المعمول عليها وما أعرف كتابا بعد كتاب إسحاق الذي ألفه لشبحا يقارب كتابه ولا يقاس به وكان مع جودة غنائه وحسن صنعته أحد الضراب الموصوفين المتقدمين

أخبرني عمي قال حدثني أبو عبد الله الهشامي عن محمد بن أحمد المكي

أن أباه جمع لمحمد بن عبد الله بن طاهر ديوانا للغناء ونسبه وجنسه فكان محتويا على أربعة عشر ألف صوت

أخبرني جحظة قال حدثني علي بن يحيى ونسخت من بعض الكتب حدثني محمد بن أحمد المكي قال حدثني علي بن يحيى قال

قلت لإسحاق بن إبراهيم الموصلي وقد جرى ذكر أحمد بن يحيى المكي يا أبا محمد لو كان أبو جعفر أحمد بن يحيى المكي مملوكا كم كان يساوي فقال أخبرك عن ذلك

انصرفت ليلة من دار الواثق فاجتزت بدار الحسن بن وهب فدخلت

إليه فإذا أحمد عنده فلما قام لصلاة العشاء الآخرة قال لي الحسن بن وهب كم يساوي أحمد لو كان مملوكا قلت يساوي عشرين ألف دينار قال ثم رجع فغنى صوتا فقال لي الحسن بن وهب يا أبا محمد أضعفها قال ثم تغني صوتا آخر فقلت للحسن يا أبا علي أضعفها ثم أردت الانصراف فقلت لأحمد غنني

صوت

(لولا الحياءُ وأن السِّتْر من خُلُقي ... إذن قعدتُ إليكَ الدهرَ لم أقُم)
(أليس عندك شُكر للتي جعلت ... ما ابيضَّ من قادمات الرأس كالحُمَم)

الغناء فيه لمعبد خفيف ثقيل أول في مجرى البنصر عن إسحاق وذكر عمرو بن بانة أنه لمالك وليس كما قال لحن مالك ثقيل أول ذكره الهشامي ودنانير وغيرهما

قال فغناه أحمد بن يحيى المكي فأحسن فيه كل الإحسان فلما قمت للانصراف قلت للحسن يا أبا علي أضعف الجميع فقال له أحمد ما هذا الذي أسمعكما تقولانه ولست أدري ما معناه قال نحن نبيعك ونشتريك منذ الليلة وأنت لا تدري

وأخبرنا بهذا الخبر يحيى بن علي بن يحيى عن أخيه أحمد بن علي

عن عافية بن شبيب عن أبي حاتم قال

كان إسحاق عندنا في منزل أبي علي الحسن بن وهب وعندنا ظنين بن المكي وذكر الحديث مثله وقال فيه إنه قومه مئة ألف درهم وذكر أن الصوت الذي غناه آخرا

صوت

(أمِن دِمنٍ وخَيم بالياتِ ... وسُفْعٍ كالحمائم جاثماتِ)
(أرقتَ لهنّ شطرَ الليل حتى ... طلعن من المناقب مُنجداتِ)

وأن إسحاق لما سمعه قال كم كنت قومته قال مئة ألف درهم قال أضعفوا القيمة قيمته مئتا ألف درهم

في هذين البيتين لحن من القدر الأوسط من - الثقيل - الأول بالسبابة في مجرى الوسطى ينسب إلى ابن مسجح وإلى ابن محرز وفيه لابن سريج ثاني - ثقيل - بالوسطى عن عمرو وللغريض - خفيف ثقيل - عن الهشامي

مناظرته للمغنين

أخبرني جحظة قال حدثني محمد بن أحمد المكي قال

ناظر أبي بعض المغنين ذات ليلة بين يدي المعتصم وطال تلاحيهما في الغناء فقال أبي للمعتصم يا أمير المؤمنين من شاء منهم فليغن عشرة أصوات لا أعرف منها ثلاثة وأنا أغني عشرة وعشرة وعشرة لا يعرف أحد منهم صوتا منها فقال إسحاق صدق يا أمير المؤمنين واتبعه ابن بسختر وعلويه

فقالا صدق يا أمير المؤمنين إسحاق فيما يقوله فأمر له بعشرين ألف درهم

قال محمد ثم عاد ذلك الرجل إلى مماظته يوما فقال له قد دعوتك إلى النصفة فلم تقبل وأنا أدعوك وأبدأ بما دعوتك إليه فاندفع فغنى عشرة أصوات فلم يعرف أحد منهم منها صوتا واحدا كلها من الغناء القديم والغناء اللاحق به من صنعة المكيين الحذاق الخاملي الذكر فاستحسن المعتصم منها صوتا وأسكت المغنين له واستعاده مرات عدة ولم يزل يشرب عليه سحابة يومه وأمر ألا يراجع أحدا من المغنين كلاما ولا يعارضه أحد منهم إذ كان قد أبر عليهم وأوضح الحجة في انقطاعهم وإدحاض حججهم

كان الصوت الذي اختاره المعتصم عليه وأمر له لما سمعه بألفي دينار
صوت
(لعنَ الله من يلوم محبًّا ... ولحى الله من يُحَبُّ فيَابَى)
(رُبَّ إلفين أضمرا الحُبَّ دهرا ... فعفا الله عنهما حين تابا)
- الغناء ليحيى المكي - رمل
قال محمد قال أبي
وكان المعتصم قد خلع علينا في ذلك اليوم مماطر لها شأن من ألوان
شتى فسألني عبد الوهاب بن علي أن أرد عليه هذا الصوت وجعل لي ممطره فغنيته إياه فلما خرجنا للانصراف إلى منازلنا أمر غلمانه بدفع الممطر إلى غلماني فسلموه إليهم
أخبرني عبد الله بن الربيع عن أبيه قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال
سألني إسحاق بن إبراهيم الموصلي يوما من بقي من المغنين قلت وجه القرعة محمد بن عيسى مولى عيسى بن جعفر فقال صالح كيس ومن أيضا قلت أحمد بن يحيى المكي قال بخ بخ ذاك المحسن المجمل الضارب المغني القائم بمجلسه لا يحوج أهل المجلس إلى غيره ومن بأبي أنت قلت ابن مقامرة قال لا والله ما سمعت بهذا قط فمن مقامرة هذه زامرة أم نائحة أم مغنية قلت لا ولكنها من الناس وليست من أهل صناعته قال ومن أيضا بأبي أنت قلت يحيى بن القاسم ابن أخي سلمة قال الذي كان له أخ يغني مرتجلا قلت نعم قال لم يحسن ذاك ولا أبوه شيئا قط ولا أشك أن هذا كذلك لأنهما مؤدباه
وذكر ابن المكي عن أبيه قال
قال المعتصم يوما لجلسائه ونحن عنده خلعت اليوم على فتى شريف ظريف نظيف حسن الوجه شجاع القلب ووليته المصيصة ونواحيها
فقلنا من هذا يا أمير المؤمنين فقال خالد بن يزيد بن مزيد فقال علويه يا أحمد غن أمير المؤمنين صوتك في مدح خالد فأمسكت عنه فقال المعتصم مالك لا تجيبه فقلت يا أمير المؤمنين ليس هو مما يغنى بحضرة الخليفة فقال ما من أن تغنيه بد قال فغنيته صنعة لي في هذا الشعر
صوت
(علَّمَ النَّاسَ خالدُ بنُ يزيدٍ ... كلَّ حلم وكل بأسٍ وجُودِ)
(فترى الناس هيبةً حين يبدو ... مِن قيامٍ ورُكَّعٍ وسجودِ)
فقال المعتصم يا سمانة خذ أحمد بإلقاء هذا الصوت على الجواري في غد وأمر لي بعشرة آلاف درهم
قال وغنى أبي يوما محمدا الأمين
صوت
(فعش عُمرَ نوحٍ في سرورٍ وغِبْطَةٍ ... وفي خفض عيشٍ ليس في طوله إثمُ)
(تساعدُك الأقدارُ فيه وتنثني ... إليك وترعى فضلَك العُربُ والعُجْمُ)
فأمر له بخمس مئة دينار
وتوفي أحمد بن يحيى المكي في خلافة المستعين في أولها
أخبرني بذلك جحظة البرمكي عن محمد بن أحمد بن يحيى المكي أن أباه توفي في هذا الوقت
انقضت أخباره
صوت
(إن الذين غَدَوا بلُبِّك غادروا ... وشَلاً بعينك ما يزال مَعِينا)
(غَيَّضْن من عبراتهن وقلن لي ... ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا)
غادروا تركوا والوشل الماء القليل والمعين الماء الصافي الجاري وغيضن من عبراتهن أي كففنها ومسحنها حتى تغيض
الشعر لجرير والغناء لإسحاق - رمل - بالوسطى عن عمرو وهو من طريف أرمال إسحاق وعيونها وفيه لابن سريج ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي وعمرو وذكر علي بن يحيى أن فيه لابن سريج رملا آخر وذكر عيسى أن الثقيل الأول لإبراهيم وأن فيه للهذلي ثاني - ثقيل - بالوسطى ولإبراهيم أيضا ماخوري بالبنصر
من غزل جرير
وقد أخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ قال حدثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة
أن هذين البيتين للمعلوط وأن جريرا سرقهما منه وأدخلهما في شعره
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي وغيره قالوا
غدا عبد الله بن مسلم ابن جندب الهذلي على أبي السائب المخزومي في منزله فلما خرج إليه أبو السائب أنشده قول جرير
(إن الذين غَدَوا بلبك غادَروا ... وشَلاً بعينك لا يزال مَعينا)
البيتين فحلف أبو السائب ألا يرد على أحد سلاما ولا يكلمه إلا بهذين البيتين حتى يرجع إلى منزله فخرجا فلقيهما عبد العزيز بن المطلب وهو قاض وكانا يدعيان القرينين لملازمتهما فلما رآهما قال كيف أصبح القرينان فغمز أبو السائب ابن جندب أن أخبره بالقصة وابن جندب يتغافل فقال لابن جندب ما لأبي السائب فجعل أبو السائب يغمزه أي أخبره بيميني قال ابن جندب أحمد الله إليك ما زلت منكرا لفعله منذ خرجنا فانصرف ابن المطلب إلى منزله والخصوم ينتظرونه فصرفهم ودخل منزله مغتما فلما أتى أبو السائب منزله وبرت يمينه خرج إلى ابن جندب فقال اذهب بنا إلى ابن المطلب فإني أخاف أن يرد شهادتي فاستأذنا عليه فأذن
لهما فقال له أبو السائب قد علمت - أعزك الله - غرامي بالشعر وإن هذا الضال جاءني حين خرجت من منزلي فأنشدني بيتين فحلفت ألا أرد على أحد سلاما ولا أكلمه إلا بهما حتى أرجع إلى منزلي فقال ابن المطلب اللهم غفرا ألا تترك المجون يا أبا السائب
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد المطلب بن عبد العزيز قال
أنشدت أبا السائب قول جرير

(غَيَّضْنَ مِن عَبَراتهن وقُلْنَ لي ... ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا)
فقال يابن أخي أتدري ما التغييض قلت لا قال هكذا وأشار بأصبعه إلى جفنه كأنه يأخذ الدمع ثم ينضحه
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا المدائني وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي عن أحمد بن زهير عن الزبير بن بكار قال عن المدائني قال
شهد رجل عند قاض بشهادة فقيل له من يعرفك قال ابن أبي عتيق فبعث إليه يسأله عنه فقال عدل رضا فقيل له أكنت تعرفه قبل اليوم قال لا ولكني سمعته ينشد
(غَيَّضْنَ مِن عَبَراتهن وقُلْنَ لي ... ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا)
فعلمت أن هذا لا يرسخ إلا في قلب مؤمن فشهدت له بالعدالة
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن الحسن ومحمد بن الضحاك قالا
كان أبو السائب المخزومي واقفا على رأس بئر فأنشده ابن جندب
((إن الذين غدوا بلبك غادروا ... وشَلاً بعينك لا يزال مَعينا
فرمى بنفسه في البئر بثيابه فبعد لأي ما أخرجوه
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا محمد بن الحسن الزرقي قال حدثنا العلاء بن عمرو الزبيري من ولد عمرو بن الزبير قال حدثنا يحيى بن أبي قتيلة قال حدثني إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي عليهم السلام عن أشعب قال
جاءني فتية من قريش فقالوا لي نحب أن تسمع سالم بن عبد الله بن عمر صوتا من الغناء وتعلمنا ما يقول لك وجعلوا لي في ذلك جعلا فدخلت عليه فقلت يا أبا عمرو لي مجالسة وحرمة ومودة وسن وأنا مولع بالترنم قال وما الترنم قلت الغناء قال وفي أي وقت قلت في الخلوة ومع الإخوان في الخارج وأحب أن أسمعك فإن كرهته أمسكت عنه ثم غنيته فقال ما أرى بأسا فخرجت إليهم فأعلمتهم فقالوا وما غنيته فقلت غنيته
(قَرِّبا مَرْبَطَ النعامةِ مِني ... لقِحَتْ حربُ وائلٍ عن حيالِ)
قالوا هذا بارد لا حركة فيه ولسنا نرضى فلما رأيت دفعهم إياي وخفت ذهاب ما جعلوا لي رجعت إليه فقلت يا أبا عمرو آخر قال ما لي ولك ولم أملكه أمره حتى غنيت فقال ما أرى بأسا فخرجت إليهم فأعلمتهم قالوا وما غنيته قلت
(لم يُطِيقوا أن ينزلوا ونزلْنا ... وأخو الحرب من أطاق النزولا)
قالوا وليس هذا بشيء فرجعت إليه فقلت آخر فاستكفني فلم أملكه القول حتى غنيته
(غَيَّضْنَ مِن عَبَراتهن وقُلْنَ لي ... ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا)
فقال مهلا مهلا قلت لا والله إلا بذاك الذي فيه تمر عجوة من صدقة عمر فقال هو لك فخرجت عليهم به وأنا أخطر فقالوا مه فقلت أطربت الشيخ حتى أعطاني هذا وقال مرة أخرى حتى فرض لي هذا قال ووالله ما فعل وإنما كان فدية لأصمت وأخذت منهم الجعل
أخبرني يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال حدثت عن حماد بن إسحاق قال حدثني علويه الأعسر قال
أتيت أباك في داره هذه يوما وقد بنى إيوانها وسائرها خراب فجلسنا على تل من تراب فغناني لحنه في
(غَيَّضْنَ مِن عَبَراتهن وقُلْنَ لي ... ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا)
فسألته أن يعيده علي ففعل وأتانا رسول أبيه بطبق رطب فقال للرسول قل له سأرسل إليك برطب أطيب من الرطب الذي بعثت به إلي فأبلغه الرسول ذلك فقال له ومن عنده فأخبره أنني عنده فقال ما أخلقه أن يكون قد أتاني بآبدة أتانا رسوله بعد ساعة فقال ما آن لرطبكم أن يأتينا فأرسلني إليه وقد أخذت الصوت فغنيته إياه فقال أجاد والله أألام على هذا وحبه والله لو لم يكن بيني وبينه قرابة لأحببته فكيف وهو ابني
صوت
(ألستَ ترى يا ضبُّ بالله أنني ... مصاحبة نحو المدينة ارْكُبا)
((إذا قطعوا حَزْنا تَخُبُّ رِكابُهم ... كما حرّكتْ ريحٌ يَراعاً مُثَقَّبا
عروضه من - الطويل - والشعر لنائلة بنت الفرافصة والغناء لابن عائشة ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى ووجدت في كتاب بخط عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أنه مما نحله يحيى المكي لابن عائشة
أخبار نائلة بنت الفرافصة ونسبها
هي نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو وقيل ابن عفر بن ثعلبة وقيل عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب الكلبية زوجة عثمان بن عفان رضي الله عنه تقوله لأخيها لما نقلها إلى عثمان
أخبرني بخبره وخبرها أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد عن أبيه قال
تزوج سعيد بن العاص وهو على الكوفة هند بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة فبلغ ذلك عثمان فكتب إليه بسم الله الرحمن الرحيم
أما بعد فإنه قد بلغني أنك تزوجت امرأة من كلب فاكتب إلي بنسبها وجمالها
فكتب إليه
أما بعد فإن نسبها أنها بنت الفرافصة بن الأحوص وجمالها أنها بيضاء مديدة القامة
فكتب إليه إن كانت لها أخت فزوجنيها
فبعث سعيد إلى الفرافصة يخطب إحدى بناته على عثمان فأمر
الفرافصة ابنه ضبا فزوجها إياه وكان ضب مسلما وكان الفرافصة نصرانيا فلما أرادوا حملها إليه قال لها أبوها يا بنية إنك تقدمين على نساء من نساء قريش هن أقدر على الطيب منك فاحفظي عني خصلتين تكحلي وتطيبي بالماء حتى يكون ريحك ريح شن أصابه مطر
فلما حملت كرهت الغربة وحزنت لفراق أهلها فأنشأت تقول
(ألستَ تَرى يا ضبُّ بالله أنني ... مصاحبةٌ نحو المدينة أَرْكُبا)
(إذا قطعوا حَزْناً تَخُبّ رِكابُهم ... كما حرّكتْ ريحٌ يَراعاً مُثَقَّبا)

(لقد كان في أبناء حِصْن بن ضَمْضمٍ ... لكَ الويلُ ما يغني الخِباءَ المطَنّبا)
فلما قدمت على عثمان رضي الله عنه قعد على سريره ووضع لها سريرا حياله فجلست عليه فوضع عثمان قلنسيته فبدا الصلع فقال يا بنة الفرافصة لا يهولنك ما ترين من صلعي فإن وراءه ما تحبين فسكتت فقال إما أن تقومي إلي وإما أن أقوم إليك فقالت أما ما ذكرت من الصلع فإني من نساء أحب بعولتهن إليهن السادة الصلع وأما قولك إما أن تقومي إلي وإما أن أقوم إليك فوالله ما تجشمت من جنبات السماوة أبعد مما بيني وبينك بل أقوم إليك فقامت فجلست إلى جنبه فمسح رأسها ودعا لها بالبركة ثم قال لها اطرحي عنك رداءك فطرحته ثم قال لها اطرحي خمارك فطرحته ثم قال لها انزعي درعك فنزعته ثم قال حلي إزارك فقالت ذاك إليك فحل إزارها فكانت من أحظى نساءه عنده
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال
((إذا قطعوا حَزْنا تَخُبُّ رِكابُهم ... كما حرّكتْ ريحٌ يَراعاً مُثَقَّبا
عروضه من - الطويل - والشعر لنائلة بنت الفرافصة والغناء لابن عائشة ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى ووجدت في كتاب بخط عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أنه مما نحله يحيى المكي لابن عائشة

كتاب نائلة إلى معاوية

أخبرني أحمد قال حدثني عمر قال حدثنا علي بن محمد عن أبي مخنف عن نمير بن وعلة عن الشعبي ومسلمة بن محارب عن حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية
أن نائلة بنت الفرافصة كتبت إلى معاوية بن أبي سفيان وبعثت بقميص عثمان مع النعمان بن بشير أو عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة
من نائلة بنت الفرافصة إلى معاوية بن أبي سفيان
أما بعد فإني أذكركم بالله الذي أنعم عليكم وعلمكم الإسلام وهداكم من الضلالة وأنقذكم من الكفر ونصركم على العدو وأسبغ النعمة وأنشدكم بالله وأذكركم حقه وحق خليفته الذي لم تنصروه وبعزمة الله عليكم فإنه عز وجل يقول (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله)
وإن أمير المؤمنين بغي عليه ولو لم يكن له عليكم حق إلا حق الولاية ثم أتي بما أتي لحق على كل مسلم يرجو أيام الله أن ينصره لقدمه في الإسلام وحسن بلائه وأنه أجاب داعي الله وصدق كتابه والله أعلم به إذ انتجبه فأعطاه شرف الدنيا وشرف الآخرة
وإني أقص عليكم خبره لأني كنت مشاهدة أمره كله حتى أفضي إليه
وإن أهل المدينة حصروه في داره يحرسونه ليلهم ونهارهم قيام على أبوابه بسلاحهم يمنعونه كل شيء قدروا عليه حتى منعوه الماء يحضرونه
الأذى ويقولون له الإفك فمكث هو ومن معه خمسين ليلة وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر وكان علي مع المحرضين من أهل المدينة ولم يقاتل مع أمير المؤمنين ولم ينصره ولم يأمر بالعدل الذي أمر الله تبارك وتعالى به فظلت تقاتل خزاعة وسعد بن بكر وهذيل وطوائف من مزينة وجهينة وأنباط يثرب ولا أرى سائرهم ولكني سميت لكم الذين كانوا أشد الناس عليه في أول أمره وآخره ثم إنه رمي بالنبل والحجارة فقتل ممن كان في الدار ثلاثة نفر فأتوه يصرخون إليه ليأذن لهم في القتال فنهاهم عنه وأمرهم أن يردوا عليهم نبلهم فردوها إليهم فلم يزدهم ذلك على القتال إلا جراءة وفي الأمر إلا إغراء ثم أحرقوا باب الدار فجاءه ثلاثة نفر من أصحابه فقالوا إن في المسجد ناسا يريدون أن يأخذوا أمر الناس بالعدل فاخرج إلى المسجد حتى يأتوك فانطلق فجلس فيه ساعة وأسلحة القوم مطلة عليه من كل ناحية وما أرى أحدا يعدل فدخل الدار وقد كان نفر من قريش على عامتهم السلاح فلبس درعه وقال لأصحابه لولا أنتم ما لبست درعا فوثب عليه القوم فكلمهم ابن الزبير وأخذ عليهم ميثاقا في صحيفة بعث بها إلى عثمان إن عليكم عهد الله وميثاقه ألا تعروه بشيء فكلموه وتحرجوا فوضع السلاح فلم يكن إلا وضعه حتى دخل عليه القوم يقدمهم ابن أبي بكر حتى أخذوا بلحيته ودعوه باللقب فقال أنا عبد الله وخليفته فضربوه على رأسه ثلاث ضربات وطعنوه في صدره ثلاث طعنات
وضربوه على مقدم الجبين فوق الأنف ضربة أسرعت في العظم فسقطت عليه وقد أثخنوه وبه حياة وهم يريدون قطع رأسه ليذهبوا به فأتتني بنت شيبة بن ربيعة فألقت نفسها معي عليه فوطئنا وطئا شديدا وعرينا من ثيابنا وحرمة أمير المؤمنين أعظم فقتلوه رحمة الله عليه في بيته وعلى فراشه وقد أرسلت إليكم بثوبه وعليه دمه وإنه والله لئن كان أثم من قتله لما يسلم من خذله فانظروا أين أنتم من الله جل وعز فإنا نشكي ما مسنا إليه ونستنصر وليه وصالح عباده ورحمة الله على عثمان ولعن الله من قتله وصرعهم في الدنيا مصارع الخزي والمذلة وشفى منهم الصدور
فحلف رجال من أهل الشام ألا يطأوا النساء حتى يقتلوا قتلته أو تذهب أرواحهم

صوت

(فيا راكباً إما عرضْتَ فبلِّغنْ ... نداماي من نجرانَ أنْ لاَ تلاقيا)
(أبَا كربٍ والأيْهَمين كليهما ... وقيساً بأعلى حضرموت اليَمانِيَا)
(وتضحكُ مِنّي شيخةٌ عَبْشَمِيّةٌ ... كأن لم ترَا قبلي أسيراً يمانيا)
(أقول وقد شدُّوا لساني بِنسعةٍ ... أمعشرَ تيْمٍ أطلِقوا عن لِسانيا)
أول -الشعر لعبد يغوث بن صلاءة الحارثي والغناء لإسحاق - ثقيل

أخبار عبد يغوث ونسبه

هو عبد يغوث بن صلاءة وقيل بل هو عبد يغوث بن الحارث بن وقاص بن صلاءة - وهو قول ابن الكلبي - بن المغفل واسم المغفل ربيعة بن كعب الأرت بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان
قال ابن الكلبي قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح قال وكان يقال ليعرب المرعف
وكان عبد يغوث بن صلاءة شاعرا من شعراء الجاهلية فارسا سيدا لقومه من بني الحارث بن كعب وهو كان قائدهم في يوم الكلاب الثاني إلى بني تميم وفي ذلك اليوم أسر فقتل وعبد يغوث من أهل بيت شعر معرق لهم في الجاهلية والإسلام منهم اللجلاج الحارثي وهو طفيل بن يزيد بن عبد يغوث بن صلاءة وأخوه مسهر فارس شاعر وهو الذي طعن عامر بن الطفيل في عينه يوم فيف الريح ومنهم ممن أدرك الإسلام جعفر بن علبة بن

ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث بن الحارث بن معاوية بن صلاءة وكان فارسا شاعرا صعلوكا أخذ في دم فحبس بالمدينة ثم قتل صبرا وخبره يذكر منفردا لأن له شعرا فيه غناء
والشعر المذكور في هذا الموضع لعبد يغوث بن صلاءة يقوله في يوم الكلاب الثاني وهو اليوم الذي جمع فيه قومه وغزا بني تميم فظفرت به بنو تميم وأسروه وقتل يومئذ

حديث يوم الكلاب

وكان من حديث هذا اليوم فيما ذكر أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء وهشام بن الكلبي عن أبيه والمفضل بن محمد الضبي وإسحاق بن الجصاص عن العنبري قالوا
لما أوقع كسرى ببني تميم يوم الصفا بالمشقر فقتل المقاتلة وبقيت الأموال والذراري بلغ ذلك مذحجا فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا اغتنموا بني تميم ثم بعثوا الرسل في قبائل اليمن وأحلافها من قضاعة فقالت مذحج للمأمور الحارثي وهو كاهن ما ترى فقال لهم لا تغزوا بني تميم
فإنهم يسيرون أغبابا ويردون مياها جبابا فتكون غنيمتكم ترابا قال أبو عبيدة فذكر أنه اجتمع من مذحج ولفها اثنا عشر ألفا وكان رئيس مذحج عبد يغوث بن صلاءة ورئيس همدان يقال له مسرح ورئيس كندة البراء بن قيس بن الحارث فأقبلوا إلى تميم فبلغ ذلك سعدا والرباب فانطلق ناس من أشرافهم إلى أكثم بن صيفي وهو قاضي العرب يومئذ فاستشاروه فقال لهم أقلوا الخلاف على أمرائكم واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل والمرء يعجز لا محالة يا قوم تثبتوا فإن أحزم الفريقين الركين ورب عجلة تهب ريثا واتزروا للحرب وادرعوا الليل فإنه أخفى للويل ولا جماعة لمن اختلف
فلما انصرفوا من عند أكثم تهيؤوا واستعدوا للحرب وأقبل أهل اليمن من بني الحارث من أشرافهم يزيد بن عبد المدان ويزيد بن مخرم ويزيد بن الطيثم بن المأمور ويزيد بن هوبر حتى إذا كانوا
بتيمن نزلوا قريبا من الكلاب ورجل من بني زيد بن رياح بن يربوع يقال له مشمت بن زنباع في إبل له عند خال له من بني سعد يقال له زهير بن بو فلما أبصرهم المشمت قال لزهير دونك الإبل وتنح عن طريقهم حتى آتي الحي فأنذرهم قال فركب المشمت ناقة ثم سار حتى أتى سعدا والرباب وهم على الكلاب فأنذرهم فأعدوا للقوم وصبحوهم فأغاروا على النعم فطردوها وجعل رجل من أهل اليمن يرتجز ويقول
(في كل عام نَعَمٌ ننتابُهُ ... على الكُلاب غُيَّباً أربابُهُ)
قال فأجابه غلام من بني سعد كان في النعم على فرس له فقال
(عما قليل سَتُرى أربابُهُ ... صُلْبَ القناةِ حازماً شبابُهُ)
(... على جيادٍ ضُمَّرٍ عيابه)
قال فأقبلت سعد والرباب ورئيس الرباب النعمان بن جساس ورئيس بني سعد قيس بن عاصم المنقري قال أبو عبيدة اجتمع العلماء على أن الرئيس كان يومئذ قيس بن عاصم فقال ضبي حين دنا من القوم
(في كلِّ عام نعمٌ تحوُونَهُ ... يُلْقِحُهُ قوم وَتَنْتِجُونَهُ)
(أربابُه نوكَى فلا يَحْمونه ... ولا يلاقون طِعاناً دونَهُ)
((أنْعَمَ الأبناءِ تَحْسِبُونَهُ ... هيهاتَ هيهاتَ لما تَرْجُونَهُ
فقال ضمرة بن لبيد الحماسي انظروا إذا سقتم النعم فإن أتتكم الخيل عصبا عصبا وثبتت الأولى للأخرى حتى تلحق فإن أمر القوم هين وإن لحق بكم القوم فلم ينظروا إليكم حتى يردوا وجوه النعم ولا ينتظر بعضهم بعضا فإن أمر القوم شديد وتقدمت سعد والرباب فالتقوا في أوائل الناس فلم يلتفتوا إليهم واستقبلوا النعم من قبل وجوهها فجعلوا يصرفونها بأرماحهم واختلط القوم فاقتتلوا قتالا شديدا يومهم حتى إذا كان من آخر النهار قتل النعمان بن جساس قتله رجل من أهل اليمن كانت أمه من بني حنظلة يقال له عبد الله بن كعب وهو الذي رماه فقال للنعمان حين رماه خذها وأنا ابن الحنظلية فقال النعمان ثكلتك أمك رب حنظلية قد غاظتني فذهبت مثلا وظن أهل اليمن أن بني تميم سيهدهم قتل النعمان فلم يزدهم ذلك إلا جراءة عليهم فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل فباتوا يحرس بعضهم بعضا فلما أصبحوا غدوا على القتال فنادى قيس بن عاصم يال سعد ونادى عبد يغوث يال سعد قيس بن عاصم يدعو سعد بن زيد مناة بن تميم وعبد يغوث يدعو سعد العشيرة فلما سمع ذلك قيس نادى يال كعب فنادى عبد يغوث يال كعب قيس يدعو كعب بن سعد وعبد يغوث يدعو كعب بن عمرو فلما رأى ذلك قيس من صنيع عبد يغوث قال ما لهم أخزاهم الله ما ندعو بشعار إلا دعوا بمثله فنادى قيس يال مقاعس يعني بني الحارث بن عمرو بن كعب وكان يلقب مقاعسا فلما سمع وعلة بن عبد الله الجرمي الصوت وكان صاحب اللواء يومئذ طرحه وكان أول من انهزم من اليمن وحملت عليهم بنو سعد والرباب فهزموهم أفظع هزيمة وجعل رجل منهم يقول
(يا قومُ لا يُفْلِتْكُمُ اليزيدانْ ... مُخَرِّماً أعني به والدَّيانْ)
وجعل قيس بن عاصم ينادي يال تميم لا تقتلوا إلا فارسا فإن الرجالة لكم وجعل يرتجز ويقول
(لما تَوَلَّوا عُصَبا شَوازِبا ... أقسمت لا أطعنُ إلاّ راكبا)
(... إني وجدت الطعنَ فيهم صائبا)
وجعل يأخذ الأسارى فإذا أخذ أسيرا قال له ممن أنت فيقول من بني زعبل وهو زعبل بن كعب أخو الحارث بن كعب وهم أنذال فكأن الأسارى يريدون بذلك رخص الفداء فجعل قيس إذا أخذ أسيرا منهم دفعه إلى من يليه من بني تميم ويقول أمسك حتى أصطاد لك زعبلة أخرى فذهبت مثلا فما زالوا في آثارهم يقتلون ويأسرون حتى أسر عبد يغوث أسره فتى من بني عمير بن عبد شمس وقتل يومئذ علقمة بن سباع القريعي وهو فارس هبود وهبود فرس عمرو بن الجعيد المرادي وكان علقمة قتل عمرا وأخذ فرسه من تحته وأسر الأهتم واسمه سنان بن سمي بن خالد بن منقر ويومئذ سمي الأهتم - رئيس كندة البراء بن قيس وقتلت التيم الأوبر الحارثي وآخر من بني الحارث يقال له معاوية قتلهما النعمان بن جساس وقتل يومئذ من أشرافهم خمسة وقتلت بنو ضبة ضمرة بن لبيد الحماسي الكاهن قتله قبيصة بن ضرار بن عمرو الضبي
وأما عبد يغوث فانطلق به العبشمي إلى أهله وكان العبشمي أهوج فقالت له أمه - ورأت عبد يغوث عظيما جميلا جسيما - من أنت قال أنا سيد القوم فضحكت وقالت قبحك الله من سيد قوم حين أسرك هذا الأهوج فقال عبد يغوث
((وتَضْحَكُ مني شيخةٌ عَبْشَمِيّة ... كأن لم ترا قبلي أسيراً يمانيا
ثم قال لها أيتها الحرة هل لك إلى خير قالت وما ذاك قال أعطى ابنك مئة من الإبل وينطلق بي إلى الأهتم فإني أتخوف

أن تنتزعني سعد والرباب منه فضمن له مئة من الإبل وأرسل إلى بني الحارث فوجهوا بها إليه فقبضها العبشمي فانطلق به إلى الأهتم وأنشأ عبد يغوث يقول
(أأهتمُ يا خيرَ البرية والدا ... ورهْطا إذا ما الناسُ عَدُّوا المساعيا)
(تداركْ أسيراً عانياً في بلادكم ... ولا تثقفنّي التيمُ أَلْقَى الدواهيا)
فمشت سعد والرباب فيه فقالت الرباب يا بني سعد قتل فارسنا ولم يقتل لكم فارس مذكور فدفعه الأهتم إليهم فأخذه عصمة بن أبير التيمي فانطلق به إلى منزله فقال عبد يغوث يا بني تيم اقتلوني قتلة كريمة فقال له عصمة وما تلك القتلة قال اسقوني الخمر ودعوني أنح على نفسي فقال له عصمة نعم فسقاه الخمر ثم قطع له عرقا يقال له الأكحل وتركه ينزف ومضى عنه عصمة وترك معه ابنين له فقالا جمعت أهل اليمن وجئت لتصطلمنا فكيف رأيت الله صنع بك فقال عبد يغوث في ذلك
(ألا لا تلوماني كفى اللومَ ما بيا ... فما لكما في اللوم نفعٌ ولا ليا)
((ألم تعلما أن المَلامة نفعُها ... قليل وما لومي أخي مِن شِماليا
(فيا راكباً إما عرضت فبلِّغنْ ... ندامايَ من نَجْرانَ أنْ لا تلاقيا)
(أبا كَرِبٍ والأيهمين كليهما ... وقيْساً بأعلى حضرموتِ اليمانيا)
(جزى اللّه قومي بالكُلاب ملامةً ... صريحَهم والآخرينَ المَواليا)
(ولو شئتُ نَجَّتْني من الخيل نَهْدةٌ ... ترى خَلْفَها الحُوَّ الجيادَ تواليا)
(ولكنني أحمي ذمار أبيكم ... وكان الرماح يختطفن المحاميا)
(وتضحك مني شيخة عبشمية ... كأن لم ترا قبلي أسيراً يمانيا)
(وقد علمتْ عِرسي مُلَيْكَة أنني ... أنا الليثُ معدواً عليه وعاديا)
(أقول وقد شدوا لساني بنِسعةٍ ... أمعشر تيم أطلقوا لِي لسانيا)
(أمعشر تيم قد ملكتمْ فأسْجِحوا ... فإن أخاكم لم يكن من بَوائيا)
(فإن تقتلوني تقتلوا بيَ سيدا ... وإن تطلقوني تَحْرُبُوني بما ليا)
(أحقًّا عبادَ الله أنْ لستُ سامعا ... نشيدَ الرِّعاء المُعْزِبين المَتاليا)
(وقد كنت نحار الجزور ومُعْمِلَ الْمَطيِّ ... وأمضي حيث لا حيَّ ماضيا)
((وأنحر للشَّرْب الكرامِ مطيتي ... وأصدع بين القَينتين ردائيا
(وعاديةٍ سومَ الجراد وزعتها ... بكفِّي وقد أنحوا إليَّ العواليا)
(كأنيَ لم أركب جواداً ولم أقل ... لخيليَ كُرِّي نَفِّسي عن رجاليا)
(ولم أسْبأ الزِّقّ الرويّ ولم أقل ... لأيسار صدق أعظموا ضوْء ناريا)
قال فضحكت العبشمية وهم آسروه وذلك لما أسروه شدوا لسانه بنسعة لئلا يهجوهم وأبوا إلا قتله فقتلوه بالنعمان بن جساس
فقالت صفية بنت الخرع ترثي النعمان
(نِطاقه هُنْدُوانيٌّ وجُبَّتُهُ ... فَضْفاضة كَأضاة النَّهْيِ مَوْضونهْ)
(لقد أخذنا شفاء النفس لو شُفِيت ... وما قتلْنا به إلا امرأً دونهْ)
وقال علقمة بن سباع لعمرو بن الجعيد
(لما رأيت الأمر مَخْلُوجةً ... أكرهت فيه ذابلا مارِنا)
(قلت له خذها فإني امرؤ ... يعرف رمحي الرجلَ الكاهنا)
قوله يعرف رمحي الرجل الكاهنا يريد أن عمرو بن الجعيد كان كاهنا وهو أحد بني عامر بن الديل بن شن بن أفصى بن عبد القيس ولم يزل ذلك في ولده ومنهم الرباب بن البراء كان يتكهن ثم طلب خلاف أهل الجاهلية فصار على دين المسيح عليه السلام فذكر أبو اليقظان أن الناس سمعوا في زمانه مناديا ينادي في الليل وذلك قبل مبعث النبي خير أهل
الأرض رباب الشني وبحيرا الراهب وآخر لم يأت بعد قال وكان لا يموت أحد من ولد الرباب إلا رأوا على قبره طشا ومن ولده مخربة وهو أحد أجواد العرب وإنما سمي مخربة لأن السلاح خربه لكثرة لبسه إياه وقد أدرك النبي فأسلم فأرسله إلى ابن الجلندى العماني وابنه المثنى بن مخربة أحد وجوه أصحاب المختار وكان قد وجهه إلى البصرة ليأخذها فحاربه عباد بن الحصين فهزمه وكان ابنه بلج بن المثنى جوادا وفيه يقول بعض شعراء عبد القيس
(ألا يا بلْجُ بلجَ بني المُثَنَّى ... وأنت لكل مَكرُمة كِفاءُ)
(ألومُك طائعاً ما دمتُ حيًّا ... عليّ إذَنْ من الله العَفاء)
(كَفَى قوماً مكارمَ ضَيَّعوها ... وأحسنَ حين أبصرهم أساؤوا)
رجع الخبر إلى سياقة حديث عبد يغوث والوقعة
قال فأما وعلة بن عبد الله الجرمي فإنه لحقه رجل من بني سعد فعقر به فنزل وجعل يحضر على رجليه فلحق رجلا من بني نهد يقال له سليط بن قتب من بني رفاعة فقال له لما لحقه أردفني فأبى فطرحه عن فرسه وركب عليها وأدركت الخيل النهدي فقتلوه فقال وعلة في ذلك
(ولما سمعت الخيل تدعوا مقاعِساً ... علمتُ بأن اليومِ أغبرُ فاجرُ)
(نجوتُ نجاءً ليس فيه وتيرة ... كأني عُقاب دون تَيْمَنَ كاسر)
(خُداريَّةٌ صَقْعاء لَبَّد ريشها ... بِطَخفة يومٌ ذو أهاضيبَ ماطِر)
((وقد قلت للنهديّ هل أنت مردِفي ... وكيف رداف الفَلِّ أمك عاثر
(فإن أستطع لا تَبْتئِس بي مقاعِس ... ولا يرني باديهم والحواضِر)
(فِدًى لكما رجليّ أمي وخالتي ... غداة الكُلاب إذ تحز الحناجر)
(فمن كان يرجو في تميم هوادة ... فليست لجَرم في تميم أواصر)
وقالت نائحة عمرو بن الجعيد
(أشابَ قَذال الرأس مَصْرَعُ سيِّد ... وفارسُ هَبُّودٍ أشاب النواصيا)

وقال محرز بن مكعبر الضبي
(فِدىً لقوميَ ما جمَّعت من نَشَبٍ ... إذ ساقت الحرب أقواماً لأقوامِ)
(قد حَدَّثتْ مَذْحج عنا وقد كَذَبَتْ ... أن لا يُورِّع عن نسواننا حامِ)
(دارت رحاهمْ قليلاً ثم واجههمْ ... ضرب يصبح منهم مَسْكَن الهامِ)
(ساروا إلينا وهم صِيد رؤوسهمُ ... فقد جعلنا لهمْ يوماً كأيامِ)
(ظلّت ضباعُ مجيراتٍ يعُدنَهمُ ... وألحموهن منهمْ أيَّ إلْحامِ)
(ظلت تدوس بني كعب بكَلْكلها ... وهَم يومُ بني نهدٍ بإظلامِ)
وقال أوس بن مغراء
((وفي يوم الكُلاب إذ اعترتنا ... قبائلُ أقبلوا متناسِبينا
(قبائلُ مذحجَ اجتمعتْ وجَرْمٍ ... وهَمْدانٍ وكِندةَ أجمعينا)
(وحميرَ ثم ساروا في لُهامٍ ... على جُرْدٍ جميعاً قادِرينا)
(فلما أن أتونا لم نُكَذِّب ... ولم نَسْألْهم أن يُمهلونا)
(قتلنا منهم قَتْلَى ووَلّى ... شريدُهم شَعاعاً هارِبينا)
(وفاظتْ منهم فينا أسارَى ... لدينا منهمُ مُتَخَشِّعِينا)
وقال ذو الرمة غيلان بن عقبة في ذلك
(وعمِّي الذي قاد الرِّباب جماعةً ... وسَعدُهُمُ الرأسُ الرئيسُ المؤَمَّر)
(عشيةَ أعطتنا أزمَّةَ أمرِها ... ضِرارٌ بنو القَرْمِ الأغرّ ومِنْقر)
(وعبدُ يغوثٍ تَحجِل الطيرُ حولَه ... قد احتزَّ عُرْشَيه الحسام المذكَّرُ)
العرشان عِرقان في العنق
(عشيّةَ فرّ الحارثيون بعدما ... قضى نَحْبَه في مَعْرَك الخيل هَوْبَر)
(وقال أخو جَرْمٍ ألا لا هوادةٌ ... ولا وَزَرٌ إلا النجاءُ المشمر)
((أبى اللهُ إلاّ أننا آل خِندِفٍ ... بنا يَسْمَع الصوتَ الأنام ويُبْصر
(إذا ما تمضَّرنا فلا ناسَ غيرُنا ... ونُضْعِف أحيانا ولا نتمضَّر)
وقال أيضا
(فما شَهِدت خيلُ امرىءِ القيس غارةً ... بثهلانَ تحمِي عن ثغور الحقائقِ)
(أثِرنا بِهِ نَقْعَ الكُلابِ وأنتُم ... تُثيرونَ نقعَ الملتقى بالمعازقِ)
(أدَرْنا على جَرْمٍ وأفناءِ مذحِجٍ ... رحَى الموتِ فوق العاملاتِ الخوافِقِ)
(صدمناهُم دُونَ الأمانيّ صَدْمَةً ... عَماساً بأطوادٍ طِوالٍ شواهقِ)
(إذا نطحتْ شهباءُ شهباءَ بينها ... شُعاع القَنا والمشرفيِّ البوارقِ)
وقال البراء بن قيس الكندي
(قَتَلْنا تميمَ يوماً جديدا ... قتل عادٍ وذاكَ يومُ الكُلابِ)
(يوم جئنا يَسوقنا الحَين سوقاً ... نحو قَومٍ كأنهم أسدُ غابِ)
(سرتُ في الأزد والمذاحج طُرَّا ... بين صِلٍّ وكاشِرِ الأنيابِ)
(وبني كِندةِ الملوكِ ولخمٍ ... وجُذامٍ وحميرَ الأربابِ)
(ومُرادٍ وخَثْعم وزُبيد ... وبني الحارث الطوالِ الرِّغابِ)
(وحشدنا الصميمَ نرجو نِهابا ... فلقينا البَوار دون النِّهاب)
(لَقِيتْنا أسود سعدٍ وسعدٌ ... خُلِقت في الحروب سَوْط عذاب)
(تركوني مُسهَّداً في وَثاق ... أرقب النجم ما أُسيغُ شرابي)
(خائفاً للردَى ولولا دفاعي ... بمئينٍ عن مهجتي كالهِضابِ)
(لسُقِيتٍ الرّدَى وكنت كقومِي ... في ضريح مغيباً في التراب)
((تذرفُ الدمع بالعويل نسائي ... كنساءٍ بكت قتيلَ الرِّبابِ
(فلِعيني على اللألى فارقوني ... دِرَر من دموعها بانسكاب)
(كيف أبغي الحياة بعد رجالٍ ... قُتِلوا كالأسودِ قتل الكلاب)
(منهم الحارثيُّ عبدُ يغوثٍ ... ويزيدُ الفِتيانِ وابن شهابِ)
(في مِئينٍ نعدّها ومئينٍ ... بعد ألف مُنوا بقوم غِضابِ)
(برجال من العرانين شُمٍّ ... أسْدِ حربٍ ممحوضةِ الأنسابِ)
وقال وعلة بن عبد الله الجرمي
(عَذَلتني نهد فقلت لنهدِ ... حين حاست على الكُلاب أخاها)
(يوم كنا عليهمُ طيرَ ماء ... وتميم صُقورَها وبُزاها)
(لا تلوموا على الفِرار فسعدٌ ... يال نَهْد يخافها من براها)
(إنما هَمُّها الطّعان إذا ما ... كَرِه الطعن والضرابِ سِواها)
(تركوا مَذْحِجاً حديثاً مشاعاً ... مثل طَسْم وجِمْيَر وصُداها)
(يالَ قحطانَ وادعوا حَيَّ سعدٍ ... وابتغوا سَلْمها وفضل نداها)
(إن سعد السعود أسْدُ غِياض ... باسل بأسها شديد قُواها)
(فُضِحتْ بالكُلاب حارِ بنُ كعبٍ ... وبنو كندةَ الملوكُ أباها)
(أسلموا للمنون عبدَ يغوثٍ ... ولعِضّ الكبول حولاً يَراها)
(بعد ألف سُقوا المنِيّة صِرفا ... فأصابت في ذاكَ سعْدٌ مُناها)
(ليتَ نَهْداً وجَرْمها ومُراداً ... والمذاحيج ذو إناةٍ نَهاها)
(عن تميم فلم تكن فَقْعَ قاعٍ ... تبتدرْها ربابُها ومَناها)

(قل لبكر العراق تَستُر عَمراً ... عمروَ قيسٍ فرأيُ عمرو قَراها
(عن تميم ولو غزتها لكانت ... مثل قطحانَ مستباحاً حماها)
صوت
(ما بالُ شمس أبي الخطاب قد حُجِبَتْ ... أظُنّ يا صاحبيَّ الساعةَ اقتربتْ)
(أوْلا فما بال ريح كنت آنَسُها ... عادتْ عليَّ بصرٍّ بعدما جَنَبَتْ)
(أشكو إليكَ أبا الخطاب جارية ... غريرةً بفؤادي اليوم قد لَعِبتْ)
(وأنت قَيِّمها فانظر لعاشقها ... يا ليتَ قد قَرَّبت مني وما بَعُدَتْ)
عروضه من - البسيط - الشعر والغناء لإبراهيم الموصلي - رمل - بالبنصر عن الهشامي وعلي بن يحيى وذكر محمد بن الحارث بن بسخنر أن فيه هزجا بالبنصر لإبراهيم بن المهدي وذكر عمرو بن بانة أنه لإبراهيم الموصلي أيضا
وأبو الخطاب الذي عناه إبراهيم في شعره هذا رجل نخاس يعرف بقرين مولى العباسة بنت المهدي وكان إبراهيم يهوى جارية له يقال لها خنث وكانت من أجمل النساء وأكملهن وكان لها خال فوق شفتها العليا وكانت تعرف بذات الخال ولإبراهيم ولغيره فيها أشعار كثيرة نذكر منها كل ما كان فيه غناء بعد خبرها إن شاء الله
أخبار ذات الخال
أخبرني بخبرها الحسين بن يحيى قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي
أن جدي كان يتعشق جارية لقرين المكنى بأبي الخطاب النخاس وكان يقول فيها الشعر ويغني فيه فشهرها بشعره وغنائه وبلغ الرشيد خبرها فاشتراها بسبعين ألف درهم فقال لها ذات يوم أسألك عن شيء فإن صدقتني وإلا صدقني غيرك وكذبتك قالت له بل أصدقك قال هل كان بينك وبين إبراهيم الموصلي شيء قط وأنا أحلفه أن يصدقني قال فتلكأت ساعة ثم قالت نعم مرة واحدة فأبغضها وقال يوما في مجلسه أيكم لا يبالي أن يكون كشخانا حتى أهب له ذات الخال فبدر حمويه الوصيف فقال أنا فوهبها له وفيها يقول إبراهيم
(أتحسِبِ ذات الخال راجية ربّا ... وقد فَتَنَتْ قلباً يَهيم بها حُبَّا)
(وما عُذْرها نفسي فداها ولم تدَع ... على أعظمي لحماً ولم تُبق لي لُبَّا)
الشعر والغناء لإبراهيم خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى
وذكر أحمد بن أبي طاهر
أن الرشيد اشتراها بسبعين ألف درهم وذكر قصة حمويه كما ذكرها حماد وقال في خبره فاشتاقها الرشيد يوما بعدما وهبها لحمويه فقال له
ويلك يا حمويه وهبنا لك الجارية على أن تسمع غناءها وحدك فقال يا أمير المؤمنين مر فيها بأمرك قال نحن عندك غدا فمضى فاستعد لذلك واستأجر لها من بعض الجوهريين بدنة وعقودا ثمنها اثنا عشر ألف دينار فأخرجها إلى الرشيد وهو عليها فلما رآها أنكره وقال ويلك يا حمويه من أين لك هذا وما وليتك عملا تكسب فيه مثله ولا وصل إليك مني هذا القدر فصدقه عن أمره فبعث الرشيد إلى أصحاب الجوهر فأحضرهم واشترى الجوهر منهم ووهبه لها ثم حلف ألا تسأله يومه ذلك شيئا إلا أعطاها ولا حاجة إلا قضاها فسألته أن يولي حمويه الحرب والخراج بفارس سبع سنين ففعل ذلك وكتب له عهده به وشرط على ولي العهد بعده أن يتمها له إن لم تتم في حياته
قصة خالها
حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن عبد الله العاصمي قال حدثني أحمد بن عبد الله طماس عن عبد الله وإبراهيم ابني العباس الصولي قالا
كانت للرشيد جارية تعرف بذات الخال فدعته يوما فوعدها أن يصير إليها وخرج يريدها فاعترضته جارية فسألته أن يدخل إليها فدخل وأقام عندها فشق ذلك على ذات الخال وقالت والله لأطلبن له شيئا أغيظه به وكانت أحسن الناس وجها ولها خال على خدها لم ير الناس أحسن منه في موضعه فدعت بمقراض فقصت الخال الذي كان في خدها وبلغ ذلك الرشيد فشق عليه وبلغ منه فخرج من موضعه وقال للفضل بن الربيع انظر من بالباب من الشعراء فقال الساعة رأيت العباس بن الأحنف فقال أدخله فأدخله فعرفه الرشيد القصة وقال اعمل في هذا شيئا على معنى رسمه له فقال
صوت
(تخلَّصْتُ ممن لم يكن ذا حَفِيظةٍ ... وملْت إلى من لا يغيِّره حالُ)
(فإن كان قطعُ الخال لما تطلعتْ ... الى غيرها نفسي فقد ظَلِمَ الخالُ)
غناه إبراهيم فنهض الرشيد إلى ذات الخال مسرعا مسترضيا لها وجعل هذين البيتين سببا وأمر للعباس بألفي دينار وأمر إبراهيم الموصلي فغناه في هذا الشعر
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن الفضل قال
كان محمد بن موسى المنجم يعجبه التقسيم في الشعر ويشغف بجيد الأشعار فكان مما يعجبه قول نصيب
صوت
(أيا بعلَ لَيلَى كيف تجمعُ سَلْمَها ... وحَرْبي وفيما بيننا شَبَّتِ الحربُ)
(لها مثلُ ذنبي اليومَ إن كنتُ مذنبا ... ولا ذنب لي إن كان ليس لها ذنبُ)
عروضه من - الطويل - والشعر لنُصَيب ويروى للمجنون ويروى لكعب بن مالك الخثعمي والغناء لمالك ثاني - ثقيل - بالوسطى عن عمرو
قال وكان محمد بن موسى ينشد كثيرا للعباس بن الأحنف
صوت
(ألا ليتَ ذاتَ الخال تَلْقَى من الهوى ... عَشِير الذي ألْقَى فيلتئمَ الشَّعْبُ)
(إذا رَضِيتْ لم يَهْنِني ذلكِ الرضا ... لعلمي به أن سوف يتبعُه العَتب)
(وأبكي إذا ما أذنبتْ خوفَ صَدِّها ... وأسألها مَرضاتها ولها الذنب)
(وصالُكم صُرْمٌ وحبُّكمُ قِلىً ... وعطفُكم صَدٌّ وسَلْمُكم حَرْب)
ويقول ما أحسن ما قسم حتى جعل بإزاء كل شيء ضده والله إن هذا لأحسن من تقسيمات إقليدس
الغناء في هذه الأبيات الأربعة لإبراهيم الموصلي ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي

وكانت ذات الخال إحدى الثلاث الجواري اللواتي كان الرشيد يهواهن ويقول الشعر فيهن وهن سحر وضياء وخنث وفيهن يقول الرشيد
(إن سِحْراً وضياءً وخُنُثْ ... هنَّ سحر وضياءٌ وخُنُثْ)
(أَخَذَتْ سِحْرٌ ولا ذنبَ لها ... ثُلُثَيْ قلبي وتِرْباها الثُّلُثْ)
حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا أحمد بن محمد الأسدي قال حدثنا أحمد بن عبد الله بن علي بن سويد بن منجوف السدوسي قال حدثني محمد بن إسماعيل بن صبيح قال
وجه الرشيد إلى جاريته سحر لتصير إليه فاعتلت عليه ذلك اليوم بعلة
ثم جاءته من الغد فقال الرشيد
(أيا مَنْ رَدَّ وُدِّي أمْسِ ... لا أُعْطيكَهُ اليومَا)
(ولا واللّه لا أُعطيك ... إلا الصدَّ واللَّوْمَا)
(وإن كان بِقلبي منكِ ... حُبٌّ يمنع النَّوما)
(أيا من سُمْتُه الوَصْلَ ... فأغلى المَهْرَ والسَّوْما)
قال وفيهن يقول وقد قيل إن العباس بن الأحنف قالها على لسانه
صوت
(مَلَكَ الثَّلاثُ الآنساتُ عِنانِي ... وحَلَلْنَ من قلبي بكلِّ مَكانِ)
(ما لي تُطاوعني البريةُ كلها ... وأُطيعهُن وهنّ في عصياني)
(ما ذاك إلا أن سُلْطان الهوى ... وبه عَزَزْن أعزّ من سلطاني)
غنته عريب - خفيف ثقيل - الأول بالوسطى
الرشيد وذات الخال
وروى أحمد بن أبي طاهر عن إسحاق قال
وجه الرشيد إلى ذات الخال ليلة وقد مضى شطر الليل فحضرت فأخرج إلي جارية كأنها المهاة فأجلسها في حجره ثم قال غنني فغنته
(جِئْنَ مِنَ الرومِ وقالِيقَلاَ ... يرفُلْن في المِرْطِ ولين المُلاَ)
((مُقَرْطَقاتٌ بصُنوف الحُلَى ... يا حَبَّذا البِيْضُ وتلك الحُلَى
فاستحسنه وشرب عليه ثم استؤذن للفضل بن الربيع فأذن له فلما دخل قال ما وراءك في هذا الوقت قال كل خير يا أمير المؤمنين ولكن جرى الساعة لي سبب لم يجز لي كتمانه أمير المؤمنين قال وما ذاك قال أخرج إلي في هذا الوقت ثلاث جوار لي مكية ومدينية وعراقية فقبضت المدينية على ذكري فلما أنعظت وثبت المكية فقعدت عليه فقالت لها المدينية ما هذا التعدي ألم تعلمي أن مالكا حدثنا عن الزهري عن عبد الله بن ظالم عن سعيد بن زيد أن النبي قال من أحيا أرضا ميتة فهي له فقالت الأخرى أو لم تعلمي أن سفيان حدثنا عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن النبي قال الصيد لمن صاده لا لمن أثاره فدفعتهما العراقية عنه ووثبت عليه وقالت هذا لي وفي يدي حتى تصطلحا فضحك الرشيد وأمره بحملهن إليه ففعل وحظين عنده وفيهن يقول
(ملكَ الثلاثُ الآنساتُ عِنانِي ... وحَلَلْن من قلبي بكل مكانِ)
حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا الغلابي قال حدثني مهدي بن سابق قال
حججنا مع الرشيد آخر حجة فكان الناس يتناشدون له في جواريه
(ثلاث قد حَلَلن حِمَى فؤادي ... ويُعْطَين الرغائب من ودادي)
(نظمت قلوبَهُن بخيطِ قلْبي ... فهنَّ قرابتي حتى التنادِي)
(فمن يكُ حلَّ من قلب مَحَلاًّ ... فهن مع النواظر والسَّواد)
ومما قاله إبراهيم وغيره في ذات الخال وغنى فيه
صوت
(أذاتَ الخالِ أقصَيْتِ ... مُحبًّا بكُمُ صَبّا)
(فلا أنْسَى حياتَي ما ... عَبدْتُ الدهرَ لي ربّا)
(وقد قلت أنيليني ... فقالت أَفْرَقُ الذَّنْبا)
الشعر والغناء لإبراهيم - هزج - بالوسطى عن عمرو ومنها
صوت
(أذاتَ الخال قد طالَ ... بمن أسقمتِهِ الوجَعُ)
(وليس إلى سواكمِ في الَّلذِي ... يلقَى له فَزَع)
(أما يمنعُكِ الإسلامُ ... من قتلي ولا الوَرَع)
(وما ينفكُّ لي فيكِ ... هوىً تَغتَرُّه خُدَعُ)
الشعر والغناء لإبراهيم - هزج - بالوسطى عن عمرو ومنها
صوت
(ثَعلَبُ يا هذا الكثيرُ العَبَثِ ... باللّه لَمَّا قُلْتَ لي عن خُنُث)
(عن ظبيةٍ تميس في مِشيتها ... أحسنُ من أبصرتُه في شَعَث)
(فقال قالت قل له أنت امرؤ ... مُوَكَّل فيما ترى بالعَبث)
(واللّه لولا خَصْلَةٌ أرقبُها ... لقَلَّ في الدنيا لما بي لَبَثي)
الشعر لإبراهيم وله فيه لحنان أحدهما - ثقيل - الأول عن أبي العنبس والآخر هزج بالبنصر عن عمرو وفيه لعريب - ثقيل - أول آخر وذكر حبش أن فيه لابن جامع هزجا آخر بالوسطى
وذكر هارون بن الزيات أن حماد بن إسحاق حدثه عن أبيه
أن ثعلبا هذا كان مملوكا لإبراهيم فقال هذه الأبيات في خنث جارية جزء بن مغول الموصلي وكانت مغنية محسنة وخاطب ثعلبا فيها مستخبرا له

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك أن حماد بن إسحاق حدثه عن أبيه
أنه قال في خنث جارية جزء بن مغول الموصلي وخاطب في شعره غلاما يقال له ثعلب وكانت خنث مغنية محسنة وكانت تعرف بذات الخال
صوت
(ثعلبُ يا هذا الكثيرَ الخُبُث ... بالله إلا قلت لي عن خُنُث)
وذكر الأبيات
قال وقال له أيضا
صوت
(أبد لذات الخال يا ثعلبُ ... قولَ امرىء في الحبّ لا يكذبُ)
(إني أقول الحق فاستيقِني ... كل امرىء في حُبّه يلعبُ)
الشعر والغناء لإبراهيم له فيه لحنان - رمل - وخفيف ثقيل - عن ابن المكي ومنها
صوت
(جزى الله خيراً من كلِفت بحبه ... وليس به إلا المموهُ من حُبِّي)
(وقالوا قلوب العاشقين رقيقة ... فما بال ذات الخالِ قاسية القلبِ)
(وقالوا لها هذا محبك مُعرضاً ... فقالت أرى إعراضه أيسر الخطبِ)
(فما هو إلا نظرة بتبسم ... فتنشب رجلاه ويسقُطَ للجنب)
ومنها
صوت
(إذا لم يكن حب ذات الخال عَنَّاني ... إذنْ فَحُوِّلْتُ في مَسْكِ ابن زَيدان)
(فإنَّ هذي يمين ما حلفت بها ... إلا على الحق في سري وإعلاني)
الشعر والغناء لإبراهيم - هزج - بالبنصر
ومنها
صوت
(لقد أخلو بذات الخالِ ... والحراسُ قد هَجَعُوا)
(فمن يُبْصِرْ أبا الخطَّاب ... يطلُبُها ويتَّبِعُ)
(ألا لمِ تَرَ محزونا ... تَسَنَّم صبْرَهُ الجزع)
(وقارعَني ففزت بها ... وحازتها لي القُرَعُ)
غناه إبراهيم من رواية بَذْل عنه ولم تذكر طريقته
إبراهيم الموصلي وذات الخال
قال علي بن محمد الهشامي حدثني جدي يعني ابن حمدون قال حدثني مخارق قال
كنت عند إبراهيم الموصلي ومعي ابن زيدان صاحب البرامكة وإبراهيم يلاعبه بالشطرنج فدخل علينا إسحاق فقال له أبوه ما أفدت اليوم فقال أعظم فائدة سألني رجل ما أفخم كلمة في الفم فقلت لا إله إلا الله فقال له أبوه إبراهيم أخطأت هلا قلت دنيا ودينا فأخذ ابن زيدان الشاه فضرب به رأس إبراهيم وقال له يا زنديق أتكفر بحضرتي فأمر إبراهيم غلمانه فضربوا ابن زيدان ضربا شديدا فانصرف من ساعته إلى جعفر بن يحيى
فحدثه بخبره قال وعلم إبراهيم أنه قد أخطأ وجنى فركب إلى الفضل بن يحيى فاستجار به فاستوهبه الفضل من جعفر فوهبه له فانصرف وهو يقول
صوت
(إن لم يكن حب ذات الخال عَنَّاني ... إذاً فَحُوِّلتُ في مَسْك ابن زَيْدان)
(فإن هذي يمين ما حلَفْت بها ... إلا على الصدق في سري وإعلاني)
- قال وله في هذين البيتين صنعة وهي - هزج
منها
صوت
(مَنْ يرحمُ محزونَا ... بذات الخالِ مَفْتونَا)
(أبى فيها فما يسلو ... وكل الناس يَسْلُونا)
(فقد أودى به السُّقْمُ ... وقد أصبح مجنونا)
(فإن دام على هذا ... ثَوَى في اللحد مدفونا)
الشعر والغناء لإبراهيم - خفيف ثقيل - عن الهشامي
ومنها
صوت
(لذات الخال أرَّقني ... خيالٌ بات يَلْثمِني)
(بكى وجرى له دمع ... لما بالقلب من حَزَن)
(فلا أنساه أو أنسَى ... إذا أُدْرِجْت في كَفَني)
الشعر والغناء لإبراهيم - خفيف رمل - بالوسطى عن الهشامي
ومنها
صوت
(هل علمتَ اليومَ يا عاصمُ ... يا خيرَ خَدين)
(أنّ ذات الخال تأتيني ... على رَغم قَرين)
(لا تلُمْني إنّ ذات الخالِ ... دنيايَ وديني)
(وإلى حفص خليلي ... ووَزيري وأميني)

(بُحْت لا أكتُمه شيئاً ... من الداء الدفين)
(إنّ بي من حب ذات الخال ... شيئاً كالجنون)
فيه لإبراهيم - هزج - بالوسطى عن ابن المكي
ومنها
صوت
(تقول ذات الخالِ ... لي يا خَلِيّ البالِ)
(فقلتُ حاشاكِ من أنْ ... يكونَ حالُك حالي)
(أعرَضْتِ عَنِّي لمّا ... أوقعتِني في الحبال)
(إن الخليّ هو الغافِلُ ... الذي لا يُبالي)
- لإبراهيم من كتابه عن حبش فيه لحن وذكر ابن المكي أنه - رمل
ومنها
صوت
(أما تعلمُ ذات الخالِ ... فوقَ الشفة العليا)
(بأني لست أهوى غير ... هاشيئاً من الدنيا)
(وأني عن جميع الناس ... إلا عنهُم أعمى)
(وأني لو سُقِيت الدَّه ... من ريقك لا أرْوَى)
الشعر والغناء لإبراهيم رمل بالوسطى عن عمرو وابن المكي وغيرهما
وقد روي أما تعلم يا ذا الخال وهذا هو الصحيح
ومنها
صوت
(يا ليت شِعرِيَ كيفَ ذاتُ الخالِ ... أمْ أينَ تَحسِبُ حالَها من حالِي)
(هل أنْسَيَنْ منها وضَمَّتْ مرةً ... رأسي إليها ثم قالت مالي)
(ألِزَلّة أقصيتَني نفسي الفدا ... لك أم أطعت مَقالَة العذال)
(والله ما استحسنتُ شيئاً مُونقا ... ألتذُّه إلاّ خَطَرْت ببالي)
الشعر والغناء لإبراهيم وله فيه لحنان هزج بالأصابع كلها عن ابن المكي - وثقيل - أول بالوسطى عن حبش
ومنها
صوت
(يا ليتَ شِعريَ والنساءُ غوادِرٌ ... خُلْفُ العِدات وفَاؤُهن قليلُ)
(هل وصلُ ذاتِ الخال يوماً عائدٌ ... فتزولَ لَوْعاتي وحَرُّ غليلي)
(أم قد تناستْ عهدَنا وأحالَها ... عن ذاك مَلْكُ حال دون خليل)
الشعر والغناء لإبراهيم من كتابه - ثقيل - أول بالبنصر عن إسحاق بن إبراهيم وابن المكي والهشامي
انقضت أخبارها
صوت
(إن من غَرَّهُ النساءُ بشيءٍ ... بعد هندٍ لجَاهلٌ مغرورُ)
((حُلْوة القول واللسان ومُرٌّ ... كل شيء أجَنَّ منها الضميرُ)
(كل أنثى وإن بدا لك منها ... آيةُ الحبِّ حبُّها خَيْتَعُورُ)
الشعر لحجر بن عمرو آكل المرار والغناء لحنين ثاني - ثقيل - بالبنصر عن الهشامي وفيه لنبيه - ثقيل - أول بالوسطى له -عن حبش وفيه - رمل

نسب حجر بن عمرو والسبب الذي من أجله قال هذا الشعر

هو حجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع واسمه عمرو بن ثور وقيل ابن معاوية بن ثور وهو كندة بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان

حجر وزياد بن الهبولة

أخبرني بخبره محمد بن الحسن بن دريد إجازة قال حدثني عمي عن ابن الكلبي عن أبيه عن الشرقي بن القطامي قال أقبل تبع أيام سار إلى العراق فنزل بأرض معد فاستعمل عليهم حجر بن عمرو وهو آكل المرار فلم يزل ملكا حتى خرف وله من الولد عمرو ومعاوية وهو الجون ثم إن زياد بن الهبولة بن عمرو بن عوف بن ضجعم بن حماطة بن سعد بن سليح القضاعي أغار عليه وهو ملك في ربيعة بن نزار ومنزله بغمر ذي كندة وكان قد غزا بربيعة البحرين فبلغ زيادا غزاته فأقبل حتى أغار في مملكة حجر فأخذ مالا كثيرا وسبى امرأة حجر وهي هند ابنة ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية وأخذ نسوة من نساء بكر بن وائل
فلما بلغ حجرا وبكر بن وائل مغاره وما أخذ أقبلوا معه ومعه يومئذ أشراف بكر بن وائل منهم عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان وصليع بن عبد
غنم بن ذهل بن شيبان وسدوس بن شيبان بن ذهل وضبيعة بن قيس بن ثعلبة وعامر بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة فتعجل عمرو بن معاوية وعوف بن محلم قالا لحجر إنا متعجلان إلى الرجل لعلنا نأخذ منه بعض ما أصاب منا فلقياه دون عين أباغ فكلمه عوف بن محلم وقال يا خير الفتيان اردد علي ما أخذته مني فأعطاه إياه وكلمه عمرو بن معاوية في فحل إبله فقال خذه فأخذه عمرو وكان قويا فجعل الفحل ينزع إلى الإبل فاعتقله عمرو فصرعه فقال له ابن الهبولة أما والله يا بني شيبان لو كنتم تعتقلون الرجال كما تعتقلون الإبل لكنتم أنتم أنتم فقال عمرو أما والله لقد وهبت قليلا وشتمت جليلا ولقد جررت على نفسك شرا ولتجدني عند ما ساءك ثم ركض حتى صار إلى حجر فأخبره الخبر
فأقبل حجر في أصحابه حتى إذا كان بمكان يقال له الحفير بالبر وهو دون عين أباغ بعث سدوسا وصليعا يتجسسان له الخبر ويعلمان له علم العسكر فخرجا حتى هجما على عسكره وقد أوقد نارا ونادى مناد له من جاء بحزمة من حطب فله

فدرة من تمر وكان ابن الهبولة قد أصاب في عسكر حجر تمرا كثيرا فضرب قبابه وأجج ناره ونثر التمر بين يديه فمن جاء بحطب أعطاه تمرا فاحتطب سدوس وصليع ثم أتيا به ابن الهبولة فطرحاه بين يديه فناولهما من التمر وجلسا قريبا من القبة فأما صليع فقال هذه آية وعلم ما يريد فانصرف إلى حجر فأعلمه بعسكره وأراه التمر وأما سدوس فقال لا أبرح حتى آتيه بأمر جلي فلما ذهب هزيع من الليل أقبل ناس من أصحابه يحرسونه وقد تفرق أهل العسكر في كل ناحية فضرب سدوس
بيده إلى جليس له فقال له من أنت مخافة أن يستنكر فقال أنا فلان ابن فلان قال نعم ودنا سدوس من القبة فكان حيث يسمع الكلام فدنا ابن الهبولة من هند امرأة حجر فقبلها وداعبها ثم قال لها فيما يقول ما ظنك الآن بحجر لو علم بمكاني منك قالت ظني به والله أنه لن يدع طلبك حتى يطالع القصور الحمر وكأني أنظر إليه في فوارس من بني شيبان يذمرهم ويذمرونه وهو شديد الكلب سريع الطلب يزبد شدقاه كأنه بعير آكل مرار فسمي حجر آكل المرار يومئذ قال فرفع يده فلطمها ثم قال ما قلت هذا إلا من عجبك به وحبك له فقالت والله ما أبغضت ذا نسمة قط بغضي له ولا رأيت رجلا قط أحزم منه نائما ومستيقظا إن كان لتنام عيناه وبعض أعضائه حي لا ينام وكان إذا أراد النوم أمرني أن أجعل عنده عسا مملوءا لبنا فبينا هو ذات ليلة نائم وأنا قريبة منه أنظر إليه إذ أقبل أسود سالخ إلى رأسه فنحى رأسه فمال إلى يديه وإحداهما مقبوضة والأخرى مبسوطة فأهوى إليها فقبضها فمال إلى رجليه وقد قبض واحدة وبسط الأخرى فأهوى إليها فقبضها فمال إلى العس شربه ثم مجه فقلت يستيقظ فيشرب فيموت فأستريح منه فانتبه من نومه فقال علي بالإناء فناولته فشمه فاضطربت يداه حتى سقط الإناء فأهريق وذلك كله بأذن سدوس فلما نامت الأحراس خرج يسري ليلته حتى صبح حجرا فقال

(أتاك المرجِفون برجم غيبٍ ... على دَهَش وجئتك باليقين)
((فمن يَكُ قد أتاك بأمر لبْس ... فقد آتِي بأمر مُستبين

ثم قص عليه جميع ما سمع
فأسف ونادى في الناس الرحيل فساروا حتى انتهوا إلى عسكر ابن الهبولة فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم أصحاب ابن الهبولة وعرفه سدوس فحمل عليه فاعتنقه وصرعه فقتله وبصر به عمرو بن معاوية فشد عليه فأخذ رأسه منه وأخذ سدوس سلبه وأخذ حجر هندا فربطها بين فرسين ثم ركضا بها حتى قطعاها قطعا
هذه رواية ابن الكلبي
وأما أبو عبيدة فإنه ذكر أن ابن الهبولة لما غنم عسكر حجر غنم مع ذلك زوجته هند بنت ظالم وأم أناس بنت عوف بن محلم الشيباني وهي أم الحارث بن حجر وهند بنت حجر ولابنها الحارث ابن يقال له عمرو وله يقول بشر بن أبي خازم

(فإلى ابن أم أناسَ أُعْمِل ناقتي ... عمروٍ فتنجحُ حاجتي أم تُرْجَفُ)
(مَلِك إذا نزل الوفودُ ببابه ... غَرَفوا غواربَ مُزبد ما يُنزَف)

قال وبنتها هند هي التي تزوجها المنذر بن ماء السماء اللخمي قال وكان ابن الهبولة بعد أن غنم يسوق ما معه من السبايا والنعم ويتصيد في
المسير ولا يمر بواد إلا أقام به يوما أو يومين حتى أتى على ضرية فوجدها معشبة فأعجبته فأقام بها أياما وقالت له أم أناس إني لأرى ذات ودك وسوء درك كأني قد نظرت إلى رجل أسود أدلم كأن مشافره مشافر بعير آكل مرار قد أخذ برقبته فسمي حجر آكل المرار بذلك وذكر باقي القصة نحو ما مضى
وقال في خبر ابن الهبولة إن سدوسا أسره وإن عمرو بن معاوية لما رآه معه حسده فطعنه فقتله فغضب سدوس لذلك وقال قتلت أسيري وديته دية الملوك وتحاكما إلى حجر فحكم لسدوس على عمرو وقومه بدية ملك وأعانهم في ذلك بماله وقال سدوس في ذلك يعاتب بني شيبان

(ما بعدكُم عيشٌ ولا معْكُمُ ... عيشٌ لذي أنَف ولا حَسَب)
(لولا بنو ذهل وجَمْعُ بني ... قيس وما جَمَّعْت من نَشَبِ)
(ما سمُتُموني خُطّة غَبَناً ... وعلى ضَرِيَّةَ رمتُم غَلَبِي)

قال وقد روي أن حجرا ليس بآكل المرار وإنما أبوه الحارث آكل المرار وروي أيضا أنه إنما سمي آكل المرار لأن سدوسا لما أتاه بخبر ابن الهبولة ومداعبته لهند وأن رأسه كان في حجرها وحدثه بقولها وقوله فجعل يسمع ذلك وهو يعبث بالمرار وهو نبت شديد المرارة وكان جالسا في موضع فيه منه شيء كثير فجعل يأكل من ذلك المرار غضبا وهو يسمع من سدوس ولا يعلم أنه يأكله من شدة الغضب حتى انتهى سدوس إلى آخر الحديث فعلم حينئذ بذلك ووجد طعمه فسمي يومئذ آكل المرار
قال ابن الكلبي وقال حجر في هند

(لمن النارُ أُوقدَتْ بحَفير ... لم تَنمْ عند مُصْطِلٍ مَقْرور)
((أوقدتْها إحدى الهنود وقالت ... أنت ذا مُوثَقٌ وثاق الأسير
(انّ من غرّه النساء بشيء ... بعدَ هند لجاهلٌ مغرورُ)

وبعده باقي الأبيات المذكورة متقدما وفيها الغناء

صوت

(طَربَ الفؤادُ وعاودتْ أحزانُه ... وتفرّقت فِرقاً به أشجانُهُ)
(وبدا له من بعد ما اندمل الهوى ... برقٌ تألقَ موْهِنا لَمَعانُه)
(يبدو كحاشية الرداءِ ودونه ... صعبُ الذّرَى متمنّع أركانه)
(فالنار ما اشتملت عليه ضُلوعه ... والماء ما جادت به أجفانه)

الشعر لمحمد بن صالح العلوي والغناء لرذاذ ويقال إنه لبنان خفيف ثقيل وفيه ثقيل أول يقال إنه لأبي العنبس ويقال إنه للقاسم بن زرزور وفيه لعمرو الميداني - رمل - طنبوري وهو لحن مشهور

أخبار محمد بن صالح العلوي ونسبه

هو محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ويكنى أبا عبد الله شاعر حجازي ظريف صالح الشعر من شعراء أهل بيته المتقدمين وكان جده موسى بن عبد الله أخا محمد وإبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن الحجازيين الخارجين في أيام المنصور أمهم جميعا هند بنت أبي عبيدة

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكار وأخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني قال حدثنا يحيى بن الحسن العلوي قال حدثني الزبير بن بكار
أن هندا حملت بموسى بن عبد الله ولها ستون سنة قال ولا تحمل لستين إلا قرشية ولا تحمل لخمسين إلا عربية قال
وكان موسى آدم شديد الأدمة وله تقول أمه هند
(إنكَ أنْ تكونَ جَوْنا أنزعا ... أجدرُ أن تضرَّهُمْ وتنفعا)
(وتسلكَ العيش طريقاً مَهْيعا ... فرْداً من الأصحاب أو مُشَيَّعا)
وكان موسى استتر بعد قتل أخويه زمانا ثم ظفر به أبو جعفر فضربه
بالسوط وحبسه مدة ثم عفا عنه وأطلقه
وله أخبار كثيرة ليس هذا موضعها

خروج محمد بن صالح على المتوكل

وكان محمد بن صالح خرج على المتوكل مع من بيض في تلك السنة فظفر به وبجماعة من أهل بيته أبو الساج فأخذهم وقيدهم وقتل بعضهم وأخرب سويقة وهي منزل للحسنيين ومن جملة صدقات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وقعر بها نخلا كثيرا وحرق منازل لهم بها وأثر فيهم آثارا قبيحة وحمل محمد بن صالح فيمن حمل منهم إلى سر من رأى فحبس ثلاث سنين ثم مدح المتوكل فأنشده الفتح قصيدته بعد أن غني في شعره المذكور فطرب وسأل عن قائله فعرفه وتلا ذلك إنشاد الفتح قصيدته فأمر بإطلاقه
وأخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني أحمد بن أبي خيثمة قال
أنكر موسى بن عبد الله بن موسى على ابن أخيه محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بعض ما ينكره العمومة على بني أخيهم في شيء من أمور السلطان وكان محمد بن صالح قد خرج بسويقة فصار أبو الساج إلى سويقة فأسلمه عمه موسى وبنوه بعد أن أعطاه أبو الساج الأمان فطرح سلاحه ونزل إليه فقيده وحمله إلى سر من رأى فلم يزل محبوسا بها ثلاث سنين ثم أطلق وأقام بها إلى أن مات وكان سبب موته أنه جدر فمات في الجدري وهو الذي يقول في الحبس
(طربَ الفؤادُ وعاودتْ أحزانُه ... وتشعبتْ شُعَباً به أشجانُهُ)
(وبدا له من بعدِ ما اندملَ الهوى ... بَرْقٌ تألّق مَوْهِناً لَمَعانه
(يبدو كحاشية الرِّداء ودونَهُ ... صعْب الذُّرا متمنعٌ أركانُه)
(فدنا لينظر كيف لاح فلم يُطِق ... نظرا إليه وردّه سجّانُه)
(فالنار ما اشتملت عليه ضُلوعه ... والماءُ ما سحَّت به أجفانه)
(ثم استعاذ من القبيح وردَّهُ ... نحوَ العزاء عن الصِّبا إيقانه)
(وبدا له أن الذي قد ناله ... ما كان قدَّره له ديّانه)
(حتى اطمأن ضميرُه وكأنما ... هتكَ العلائقَ عاملٌ وسنانه)
(يا قلبُ لا يذهبَ بحلمك باخلٌ ... بالنَّيْل باذلُ تافهٍ منّانه)
(يعِدُ القضاءَ وليس ينجز موعداً ... ويكونُ قبل قضائه ليّانه)
(خَدَلُ الشَّوَى حَسن القَوام مُخَصَّرٌ ... عذبٌ لَماه طيِّب أردانه)
(واقنع بما قسم الإله فأمرُهُ ... ما لا يزال على الفتى إتيانه)
(والبؤس ماض ما يدوم كما مضى ... عصرُ النعيم وزال عنك أوانه)
أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال
كنت مع أبي عبد الله محمد بن صالح في منزل بعض إخواننا فأقمنا إلى أن انتصف الليل وأنا أرى أنه يبيت فإذا هو قد قام فتقلد سيفه وخرج فأشفقت عليه من خروجه في ذلك الوقت وسألته المقام والمبيت وأعلمته خوفي عليه فالتفت إلي متبسما وقال
((إذا ما اشتملتُ السيفَ والليلَ لم أُهَلْ ... لِشيءٍ ولم تَقْرَع فؤادي القوارعُ
أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال
مر محمد بن صالح بقبر لبعض ولد المتوكل فرأى الجواري يلطمن عنده فأنشدني لنفسه
(رأيت بسامَرّا صَبيحةَ جمعة ... عيونا يروق الناظرين فُتورُها)
(تزور العِظامَ الباليات لدى الثَّرَى ... تَجاوزَ عن تلك العظامِ غَفورُها)
(فلولا قضاءُ الله أن تَعْمُرَ الثرى ... الى أن يُنادَى يوم يُنْفَخُ صُورُها)
(لقلتُ عساها أن تَعِيش وأنها ... ستُنْشَرُ من حَرِّا عيونٍ تزورها)
(أسيلاتِ مجرى الدمع إمّا تهلّلتْ ... شؤُون المآقي ثم سَحَّ مَطِيرها)
(بوبْلٍ كأتْوامِ الجمان يُفيضُه ... على نحرها أنفاسُها وزفيرها)
(فيا رحمةً ما قد رحمتِ بَواكيا ... ثقالا تواليها لِطافا خُصورها)

أخبار زوجته حمدونة

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال
جاءني محمد بن صالح الحسني فسألني أن أخطب عليه بنت عيسى بن موسى بن أبي خالد الحري أو أخته حمدونة ففعلت ذلك وصرت إلى عيسى فسألته أن يجيبه فأبى وقال لي لا أكذبك والله ما أرده لأني لا أعرف أشرف وأشهر منه لمن يصاهره ولكني أخاف المتوكل وولده بعده على نعمتي ونفسي فرجعت إليه فأخبرته بذلك فأضرب عن ذلك مدة ثم عاودني بعد
ذلك وسألني معاودته فعاودته ورفقت به حتى أجاب فزوجه أخته فأنشدني بعد ذلك محمد
(خطبتُ إلى عيسى بن موسى فردَّني ... فلِلّهِ والي حُرَّة وعَليقُها)
(لقد ردني عيسى ويعلم أنني ... سليلُ بنات المصطفى وعريقها)
(وإن لنا بعد الولادة نبعةً ... نبيٌّ الإله صِنوُها وشقيقُها)
(فلما أبى بُخْلاً بها وتمنُّعا ... وصَيَّرني ذا خُلَّة لا يُطيقها)

(تداركني المرءُ الذي لم يزل له ... من المكرُمات رحبُها وطليقُها)
(سَمِيٌّ خليلِ اللهِ وابنُ وليه ... وحَمّالُ أعباءِ العُلا وطريقُها)
(وزوَّجها والمنُّ عندي لغيره ... فيا بيعةً وُقِّتِي الربح سوقُها)
(ويا نعمةً لابن المدبّر عندنا ... يجدّ على كر الزمان أنيقها)
قال ابن مهرويه قال لي إبراهيم بن المدبر
فلما نقلت حمدونة إليه شغف بها وكانت امرأة جميلة عاقلة فأنشدني لنفسه فيها
(لعمرُ حمدونةَ إنّي بها ... لمغرمُ القلبِ طويلُ السَّقامْ)
(مجاوزٌ للقدر في حبِّها ... مباينٌ فيها لأهل الملامْ)
(مُطَّرِحٌ للعذل ماضٍ على ... مخافة النفس وهولِ المَقام)
(مُشايعي قلب يخاف الخَنا ... وصارمٌ يقطع صُمَّ العظام)
(جَشَّمني ذلك وَجْدي بها ... وفضلُها بين النساء الوسام)
(ممكورة الساقِ رُدَيْنيَّةٌ ... مع الشَّوَى الخَدْلِ وحسنِ القَوام)
(صامتة الحِجْلِ خَفوقَ الحَشا ... مائرة الساق ثَقالُ القِيام)
((ساجيةِ الطَّرْف نؤوم الضُّحَى ... منيرة الوجه كَبَرْقِ الغَمام
(زينها اللهُ وما شانَها ... وأُعطيت مُنيتَها من تَمام)
(تلك التي لولا غرامي بها ... كنتُ بسامرًّا قليلَ المُقام)
هكذا روى ابن مهرويه عن ابن المدبر في خبر محمد بن صالح وتزويجه حمدونة
وحدثني عمي عن أبي جعفر بن الدهقانة النديم قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال
جاءني يوما محمد بن صالح الحسني العلوي بعد أن أطلق من الحبس فقال لي إني أريد المقام عندك اليوم على خلوة لأبثك من أمري شيئا لا يصلح أن يسمعه غيرنا فقلت أفعل فصرفت من كان بحضرتي وخلوت معه وأمرت برد دابته وأخذ ثيابه فلما اطمأن وأكلنا واضطجعنا قال لي أعلمك أني خرجت في سنة كذا وكذا ومعي أصحابي على القافلة الفلانية فقاتلنا من كان فيها فهزمناهم وملكنا القافلة فبينا أنا أحوزها وأنيخ الجمال إذ طلعت علي امرأة من العمارية ما رأيت قط أحسن منها وجها ولا أحلى منطقا فقالت يا فتى إن رأيت أن تدعو لي بالشريف المتولي أمر هذا الجيش فقلت وقد رأيته وسمع كلامك فقالت سألتك بحق الله وحق رسوله أنت هو فقلت نعم وحق الله وحق رسوله إني لهو فقالت أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى بن أبي خالد الحري ولأبي محل من سلطانه ولنا نعمة إن كنت ممن سمع بها فقد كفاك ما سمعت وإن كنت لم تسمع بها فسل عنها غيري ووالله لا استأثرت عنك بشيء أملكه ولك بذلك عهد الله وميثاقه علي وما أسألك إلا أن تصونني وتسترني وهذه ألف دينار معي لنفقتي فخذها حلالا وهذا حلي علي من خمس مئة دينار فخذه وضمني ما شئت بعده
خذه لك من تجار المدينة أو مكة أو أهل الموسم فليس منهم أحد يمنعني شيئا أطلبه وادفع عني واحمني من أصحابك ومن عار يلحقني فوقع قولها من قلبي موقعا عظيما فقلت لها قد وهب الله لك مالك وجاهك وحالك ووهب لك القافلة بجميع ما فيها ثم خرجت فناديت في أصحابي فاجتمعوا فناديت فيهم إني قد أجرت هذه القافلة وأهلها وخفرتها وحميتها ولها ذمة الله وذمة رسوله وذمتي فمن أخذ منها خيطا أو عقالا فقد آذنته بحرب فانصرفوا معي وانصرفت
فلما أخذت وحبست بينا أنا ذات يوم في محبسي إذ جاءني السجان وقال لي إن بالباب امرأتين تزعمان أنهما من أهلك وقد حظر علي أن يدخل عليك أحد إلا أنهما أعطتاني دملج ذهب وجعلتاه لي إن أوصلتهما إليك وقد أذنت لهما وهما في الدهليز فاخرج إليهما إن شئت ففكرت فيمن يجيئني في هذا البلد وأنا به غريب لا أعرف أحدا ثم قلت لعلهما من ولد أبي أو بعض نساء أهلي فخرجت إليهما فإذا بصاحبتي فلما رأتني بكت لما رأت من تغير خلقي وثقل حديدي فأقبلت عليها الأخرى فقالت أهو هو فقالت إي والله إنه لهو هو ثم أقبلت علي فقالت فداك أبي وأمي والله لو استطعت أن أقيك مما أنت فيه بنفسي وأهلي لفعلت وكنت بذلك مني حقيقا ووالله لا تركت المعاونة لك والسعي في حاجتك وخلاصك بكل حيلة ومال وشفاعة وهذه دنانير وثياب وطيب فاستعن بها على موضعك ورسولي يأتيك في كل يوم بما يصلحك حتى يفرج الله عنك ثم أخرجت إلي كسوة وطيبا ومائتي دينار وكان رسولها يأتيني في كل يوم بطعام نظيف وتواصل برها بالسجان فلا يمتنع من كل شيء أريده
فمن الله بخلاصي ثم راسلتها فخطبتها فقالت أما من جهتي فأنا لك متابعة مطيعة والأمر إلى أبي فأتيته فخطبتها إليه فردني وقال ما كنت لأحقق عليها ما قد شاع في الناس عنك في أمرها وقد صيرتها فضيحة فقمت من عنده منكسا مستحيا وقلت له في ذلك
(رَمَوْني وإياها بِشنعاءَ هُمْ بها ... أحقُّ أدالَ اللهُ منهمْ فعجَّلاَ)
(بأمر تركناه وربِّ محمد ... عِيانا فإما عِفَّة أو تجمُّلا)
فقلت له إن عيسى صنيعة أخي وهو لي مطيع وأنا أكفيك أمره
فلما كان من الغد لقيت عيسى في منزله وقلت له قد جئتك في حاجة لي فقال مقضية ولو كنت استعملت ما أحبه لأمرتني فجئتك وكان أسر إلي فقلت له قد جئتك خاطبا إليك ابنتك فقال هي لك أمة وأنا لك عبد وقد أجبتك فقلت إني خطبتها على من هو خير مني أبا وأما وأشرف لك صهرا ومتصلا محمد بن صالح العلوي فقال لي يا سيدي هذا رجل قد لحقتنا بسببه ظنه وقيلت فينا أقوال فقلت أفليست باطلة قال بلى والحمد لله قلت فكأنها لم تقل وإذا وقع النكاح زال كل قول وتشنيع ولم أزل أرفق به حتى أجاب وبعثت إلى محمد بن صالح فأحضرته وما برحت حتى زوجته وسقت الصداق عنه

مدحه إبراهيم بن المدبر

قال أبو الفرج الأصبهاني
وقد مدح محمد بن صالح إبراهيم بن المدبر مدائح كثيرة لما أولاه من هذا الفعل ولصداقة كانت بينهما فمن جيد ما قاله فيه قوله
(أتخبِر عنهم الدِّمَنُ الدثور ... وقد يُنبي إذا سُئِل الخبيرُ)
(وكيف تُبَيِّنُ الأنباءَ دارٌ ... تعاقَبَها الشمائلُ والدَّبُورُ)

يقول فيها في مدحه
(فهلاَّ في الذي أولاكَ عُرْفا ... تُسَدِّي من مقالِك ما تُنِير
(ثناءً غيرَ مختلَق ومدْحا ... مع الركبان يُنْجِد أو يَغُور)
(أخ واساك في كَلَب الليالي ... وقد خَذَلَ الأقارب والنصيرُ)
(حِفاظاً حين أسلمك الموالي ... وضَنّ بنفسه الرجلُ الصبور)
(فإن تشكر فقد أولى جميلا ... وإن تكفر فإنك لَلْكَفُور)
(وما في آل خاقانَ اعتصامٌ ... إذا ما عُمِّم الخَطْبُ الكبير)
(لئام الناس إثراء وفقرا ... وأعجزُهم إذا حمي القَتير)
(قُوَيْم لا يزوِّجهم كريمٌ ... ولا تُسْنَى لنسوتهم مُهور)
وإنما ذكر آل خاقان ههنا لأن عبيد الله بن يحيى قصر به وتحامل عليه وكان يقول ما يكره ويؤكد ما يوجب حبسه وكان فيه وفي ولده نصب شديد
ولمحمد بن صالح في آل المدبر مدائح كثيرة لا معنى لذكرها في هذا الكتاب
أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال حدثني عبد الله بن طالب الكاتب قال
كان محمد بن صالح العلوي حلو اللسان ظريفا أديبا فكان بسر من رأى مخالطا لسراة الناس ووجوه أهل البلد وكان لا يكاد يفارق سعيد بن
حميد وكانا يتقارضان الأشعار ويتكاتبان بها وفي سعيد يقول محمد بن صالح العلوي
(أصاحِبُ من صاحبتُ ثُمَّتَ أنثَنِي ... إليك أبا عثمانَ عطشانَ صاديا)
(أبى القلبُ أن يُرْوى بهمْ وهو حائمٌ ... إليك وإن كانوا الفروعَ العواليا)
(ولكن إذا جئناكَ لم نبغ مشرباً ... سِواك وروَّيْنا العظامَ الصَّواديا)
قال عبد الله بن طالب
وكان بعض بني هاشم دعاه فمضى إليه وكتب سعيد إليه يسأله المصير إليه فأخبر بموضعه عند الهاشمي فلما عاد عرف خبر سعيد وإرساله إليه فكتب إليه بهذه الأبيات
قال عبد الله وشرب يوما هو وسعيد بن حميد فسكر محمد بن صالح قبله فقام لينصرف والتفت إلى سعيد وقال له
(لعمرُك إنني لما افترقنا ... أخو ضِنّ بخُلصاني سعيدِ)
(تبقَّته المدامُ وأزعجتنِي ... إلى رحلي بتعجيل الورودِ)
سعيد بن حميد يرثي صديقه محمد بن صالح
قال وتوفي محمد بن صالح بسر من رأى وكان يجهد في أن يؤذن له في الرجوع إلى الحجاز فلا يجاب إلى ذلك فقال سعيد يرثيه
(بأيّ يدٍ أسطو على الدهر بعدما ... أبان يدي عضْبُ الذُّبابين قاضبُ)
(وهاضَ جَناحي حادثٌ جَلَّ خطبُه ... وسُدَّت عن الصبر الجميل المذاهب)
((ومن عادة الأيام أنَّ صروفها ... إذا سرَّ منها جانبٌ ساءَ جانب
(لعمري لقد غال التجلدَ أننا ... فقدناك فقدَ الغيثِ والعامُ جادب)
(فما أعرفُ الأيامَ إلا ذميمةً ... ولا الدهرَ إلا وهو بالثأر طالب)
(ولا لي من الإخوان إلا مكاشِرٌ ... فوجه له راضٍ ووجه مُغاضِب)
(فقدتُ فتىً قد كان للأرض زينة ... كما زيَّنَتْ وجهَ السماء الكواكب)
(لعمري لئن كان الردَى بك فاتني ... وكلُّ امرىء يوما إلى الله ذاهب)
(لقد أخذتْ مني النوائبُ حكمَها ... فما تركتْ حَقا عليَّ النوائب)
(ولا تركتني أرهبُ الدهرَ بعدَه ... لقد كلَّ عني نابُه والمخالب)
(سقى جَدَثاً أمسى الكريمُ ابنُ صالح ... يَحُلُّ به دان من المزن ساكب)
(إذا بشَّرَ الرُّواد بالغيث برقه ... مَرَتْه الصَّبا واستحْلبته الجنائب)
(فغادر باقي الدهر تأثيرُ صَوْبه ... ربيعا زَهَت منه الرُّبا والمَذانب)
أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني المبرد قال
لم يزل محمد بن صالح محبوسا حتى توصل بنان له بأن غنى بين يدي المتوكل في شعره
(وبدا له من بعد ما اندمل الهوى ... برق تألق مَوْهِنا لمعانُهُ)
فاستحسن المتوكل الشعر واللحن وسأل عن قائله فأخبر به وكلم في أمره وأحسنت الجماعة رفده وقام الفتح بأمره قياما تاما فأمر بإطلاقه من حبسه على أن يكون عند الفتح وفي يده حتى يقيم كفيلا بنفسه ألا يبرح من سر من رأى فأطلق وأخذ عليه الفتح الأيمان الموثقة ألا يبرح من سر من رأى إلا بإذنه ثم أطلقه
مدحه المتوكل والمنتصر وهجاؤه أبا الساج
ولمحمد بن صالح في المتوكل والمنتصر مدائح جياد كثيرة منها قوله في المتوكل
(ألِفَ التُّقَى ووفَى بنذر الناذِرِ ... وأبى الوقوفَ على المحل الداثر)
(ولقدْ تَهيج له الديارُ صبابةً ... حينا وتَكْلَف بالخليط السائر)
(فرأى الهدايةَ أن أناب وأنهُ ... قصرَ المديحَ على الإمامِ العاشر)
(يابن الخلائف والذين بهَديهمْ ... ظهرَ الوفاء وبانَ غدرُ الغادر)
(وابن الذين حَوَوْا تُراثَ محمدٍ ... دون الأقارب بالنصيب الوافر)
(نَطَق الكتابُ لكم بذاكَ مُصدِّقا ... ومضتْ به سُنَنُ النبيّ الطاهر)
(ووصلتَ أسبابَ الخلافة بالهُدَى ... إذ نِلْتها وأنمتَ عين الساهر)
(أحييتَ سنة من مضى فتجدّدتْ ... وأبنتَ بدعة ذي الضلالِ الخاسر)
(فافخرْ بنفسك أو بجَدِّك مُعْلِنا ... أو دعْ فقد جاوزتَ فخرَ الفاخر)
(ما للمكارم غيرُكُم من أولٍ ... بعدَ النبيّ وما لَها من آخر)

(إني دعوتُك فاستجبتَ لدعوتي ... والموتُ مني قِيدُ شِبْر الشابر)
(فانتشتَني من قَعْر مَوْرِدة الردَى ... أمْنا ولم تسمع مقالة زاجر)
(وفككتَ أسري والبلاءُ مُوَكَّل ... وجبرتَ كَسْرا ما له من جابر)
(وعطفتَ بالرَّحمِ التي ترجُو بها ... قربَ المَحَلِّ من المليك القادر)
(وأنا أعوذ بفضل عفوك أن أُرَى ... غَرَضاً ببابك للمُلِم الفاقِر)
(أو أن أُضَيَّع بعدما أنقذتَني ... من ريب مُهْلِكة وجَدٍّ عاثر)
(ولقد مننتَ فكنتَ غيرَ مكَدِّر ... ولقد نهضتُ بها نهوضَ الشاكر)
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ومحمد بن خلف بن وكيع قالا حدثنا الفضل بن سعيد بن أبي حرب قال حدثني أبو عبد الله الجهني قال
دخلت على محمد بن صالح الحسني في حبس المتوكل فأنشدني لنفسه يهجو أبا الساج
(ألم يحزنْك يا ذلفاءُ أنّي ... سكنتُ مساكن الأموات حيّا)
(وأنَّ حمائلي ونجادَ سيفي ... علونَ مُجَدّعا أشْرُوسَنِيّا)
(فقصَّرهن لما طُلْنَ حتى استوين ... عليه لا أمْسَى سَوِيا)
(أما والراقصاتِ بذات عرق ... تريدُ البيت تحسبها قِسيا)
(لو أمكنني غداتَئذٍ جِلاد ... لألفوني به سَمْحاً سَخيا)
قال ابن عمار وأنشدني عبيد الله بن طاهر أبو محمد لمحمد بن صالح أيضا
(نظرتُ ودوني ماءُ دجلة مَوْهِناً ... بمطروفة الإنسان محسورة جدا)
(لتُؤْنِس لي ناراً بليلٍ توقَّدتْ ... وتالله ما كلفتها نظرا قَصْدا)
(فلو أنها منها لقلتُ كأنني ... أرى النارَ قد أمست تضيء لنا هِنْدا)
(تضيء لنا منها جَبيناً ومَحْجِراً ... ومبتسَماً عَذْباً وذا غُدَر جَعْدا)
انقضت أخباره
صوت
(يا عديّا لقلبكَ المهتاج ... أن عفا رسمُ منزلٍ بالنِّباجِ)
((غيرته الصَّبَا وكُلُّ مُلِثٍّ ... دائمِ الودق ذي أهاضيبَ داج
(وحملنا غلامَنا ثم قُلنا ... هاجِرُ العِيس ليس منك بناج)
(فانتحى مثل ما انتحى بازُ دَجْنٍ ... جوَّعته القُنّاص للدُّرّاج)
الشعر لأبي دواد الإيادي والغناء لحنين ثاني - ثقيل - بالبنصر في مجراها عن إسحاق وذكر عمرو بن بانة أنه لابن عائشة وفيه لعريب - هزج - وفيه - ثقيل - أول ينسب إلى يزيد الحذاء وإلى أحمد النصيبي
ذكر أخبار أبي دواد الإيادي ونسبه
هو فيما ذكر يعقوب بن السكيت جارية بن الحجاج وكان الحجاج يلقب حمران بن بحر بن عصام بن منبه بن حذاقة بن زهير بن إياد بن نزار بن معد وقال ابن حبيب هو جارية بن الحجاج أحد بني برد بن دعمي بن إياد بن نزار شاعر قديم من شعراء الجاهلية وكان وصافا للخيل وأكثر أشعاره في وصفها وله في غير وصفها تصرف بين مدح وفخر وغير ذلك إلا أن شعره في وصف الفرس أكثر
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني الهيثم بن عدي وابن الكلبي عن أبيه والشرقي
أن أبا دواد الإيادي مدح الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان فأعطاه عطايا كثيرة ثم مات ابن لأبي دواد وهو في جواره فوداه فمدحه أبو دواد فحلف له الحارث أنه لا يموت له ولد إلا وداه ولا يذهب له مال إلا أخلفه فضربت العرب المثل بجار أبي دواد وفيه يقول قيس بن زهير
(أُطوّف ما أُطوّفُ ثم آوي ... إلى جار كجار أبي دُوادِ)
هذه رواية هؤلاء وأبو عبيدة يخالف ذلك
أخبرني ابن دريد قال أخبرني أبو حاتم عن أبي عبيدة قال جاور أبو دواد الإيادي كعب بن مامة الإيادي فكان إذا هلك له بعير أو شاة أخلفها
وفيه يقول طرفة يمدح عمرو بن هند
(... جارٌ كجار الحُذاقيّ الذي انتصفا)
وكان لأبي دواد ابن يقال له دواد شاعر وهو الذي يقول يرثي أباه
(فبات فينا وأمسى تحتَ هائرة ... ما بعد يومك من مُمْسًى وإصباح)
(لا يدفع السُّقْمَ إلا أنْ نُفَدِّيَهُ ... ولو ملكنا مسكنا السُّقْمِ بالراح)
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الصباح قال أخبرنا أبو المنذر عن أبيه قال
تزوج أبو دواد امرأة من قومه فولدت له دوادا ثم ماتت ثم تزوج أخرى فأولعت بدواد وأمرت أباه أن يجفوه ويبعده وكان يحبها فلما أكثرت عليه قالت أخرجه عني فخرج به وقد أردفه خلفه إلى أن انتهى إلى أرض جرداء ليس فيها شيء فألقى سوطه متعمدا وقال أي دواد انزل فناولني سوطي فنزل فدفع بعيره وناداه
(أدوادُ إن الأمر أصبح ما ترى ... فانظر دوادُ لأي أرض تُعْمِدُ)
فقال له دواد على رِسلك فوقف له فناداه
(وبأي ظنك أن أقيمَ ببلدةٍ ... جرداءَ ليس بغيرها مُتَلَدَّدُ)
فرجع إليه وقال له أنت والله ابني حقا ثم رده إلى منزله وطلق امرأته
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عمرو الشيباني قال
كانت لأبي دواد امرأة يقال لها أم حبتر وفيها يقول
(في ثلاثين ذَعْذَعتها حقوقٌ ... أصبحت أم حبتر تشكوني)
(زعمت لي بأنني أُفسد المالَ ... وأَزويه عن قضاء ديوني)
(أَمَّلت أن أكون عبداً لمالي ... وتَهَنَّا بنافع المال دوني)

وهي طويلة قال ولها يقول وقد عاتبته على سماحته بماله فلم يعتبها فصرمته
(حاولتُ حين صَرَمْتِنِي ... والمرءُ يعجز لا مَحالهْ)
(والدهر يلعب بالفتى ... والدهر أروغُ من ثُعالهْ)
(والمرء يكسِب مالَهُ ... والشُّحّ يورثُهُ الكَلاَله)
(والعبدُ يُقْرع بالعصا ... والحرُّ تكفيه المقاله)
(والسَّكْت خير للفتى ... فالحَينُ من بعض المقاله)

أبو دواد شاعر الخيل

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبي عن إسحاق عن الأصمعي قال
ثلاثة كانوا يصفون الخيل لا يقاربهم أحد طفيل وأبو دواد
والجعدي فأما أبو دواد فإنه كان على خيل المنذر بن النعمان بن المنذر وأما طفيل فإنه كان يركبها وهو أغرل إلى أن كبر وأما الجعدي فإنه سمع ذكرها من أشعار الشعراء فأخذ عنهم
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني أبو حاتم عن أبي عبيدة قال
أبو دواد أوصف الناس للفرس في الجاهلية والإسلام وبعده طفيل الغنوي والنابغة الجعدي
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن ابن الأعرابي قال
لم يصف أحد قط الخيل إلا احتاج إلى أبي دواد ولا وصف الخمر إلا احتاج إلى أوس بن حجر ولا وصف أحد نعامة إلا احتاج إلى علقمة بن
عبدة ولا اعتذر أحد في شعره إلا احتاج إلى النابغة الذبياني
أخبرني عمي قال حدثني جعفر بن محمد العاصمي قال حدثنا عيينة بن المنهال قال حدثنا شداد بن عبيد الله قال حدثني عبيد الله بن الحر العنزي القاضي عن أبي عرادة قال
كان علي صلوات الله عليه يفطر الناس في شهر رمضان فإذا فرغ من العشاء تكلم فأقل وأوجز فأبلغ فاختصم الناس ليلة حتى ارتفعت أصواتهم في أشعر الناس فقال علي عليه السلام لأبي الأسود الدؤلي قل يا أبا الأسود فقال أبو الأسود وكان يتعصب لأبي دواد الإيادي أشعرهم الذي يقول
(ولقد أغتدِي يدافِعُ رُكْني ... أحْوَذِيٌّ ذو مَيْعة إِضْرِيجُ)
(مِخْلط مِزْيَل مِكَرٌّ مِفَرٌّ ... مِنْفَح مِطْرَح سَبُوحٌ خَرُوج)
(سَلْهَبٌ شَرْجَبٌ كأنَّ رماحاً ... حمَلَتْه وفي السراة دُمُوج)
وكان لأبي الأسود رأي في أبي دواد فأقبل علي على الناس فقال كل شعرائكم محسن ولو جمعهم زمان واحد وغاية واحدة ومذهب واحد في
القول لعلمنا أيهم أسبق إلى ذلك وكلهم قد أصاب الذي أراد وأحسن فيه وإن يكن أحد فضلهم فالذي لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حجر فإنه كان أصحهم بادرة وأجودهم نادرة

أبو دواد يخالف مذاهب الشعراء

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق عن الأصمعي قال
كانت الرواة لا تروي شعر أبي دواد ولا عدي بن زيد لمخالفتهما مذاهب الشعراء قال وكان أبو دواد على خيل المنذر بن ماء السماء فأكثر وصفه للخيل
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني ابن أبي الهيذام قال
اسم أبي دواد الإيادي جويرية بن الحجاج وكانت له ناقة يقال لها الزباء فكانت بنو إياد يتبركون بها فلما أصابتهم السنة تفرقوا ثلاث فرق فرقة سلكت في البحر فهلكت وفرقة قصدت اليمن فسلمت وفرقة قصدت أرض بكر بن وائل فنزلوا على الحارث بن همام
وكان السبب في ذلك أنهم أرسلوا الزباء وقالوا إنها ناقة ميمونة فخلوها فحيث توجهت فاتبعوها وكذلك كانوا يفعلون إذا أرادوا نجعة فخرجت تخوض العرب حتى بركت بفناء الحارث بن همام وكان أكرم الناس جوارا وهو جار أبي دواد المضروب به المثل فقال أبو دواد يمدح الحارث ويذكر ناقته الزباء
(فإلى ابن هَمّام بن مُرّة اصعدتْ ... ظُعُن الخليط بهم فقلّ زيالُها)
(أنعمتَ نِعمةَ ماجد ذي مِنة ... نُصِبَت عليه من العُلا أظلالها)
(وجعلتنا دون الوليّ فأصبحت ... زباءُ منقطعاً إليك عَقالُها)
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا يحيى بن سعيد قال
كانت إياد تفخر على العرب تقول منا أجود الناس كعب بن مامة ومنا أشعر الناس أبو دواد ومنا أنكح الناس ابن ألغز
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال حدثني القحذمي قال
كان ابن ألغز أيرا فكان إذا أنعظ احتكت الفصال بأيره قال وكان في إياد امرأة تستصغر أيور الرجال فجامعها ابن ألغز فقالت يا معشر إياد
أبالركب تجامعون النساء قال فضرب بيده على أليتها وقال ما هذا فقالت وهي لا تعقل ما تقول هذا القمر فضرب العرب بها المثل أريها استها وتريني القمر وأنشد وقد كان الحجاج منع من لحوم البقر خوفا من قلة العمارة في السواد فقيل فيه
(شكونا إليه خرابَ السوادِ ... فحرّم فينا لُحومَ البقَرْ)
(فكنا كمن قال منْ قبلنا ... أُريها اسْتَها وتريني القَمَرْ)

رأي الحطيئة في أبي دواد

أخبرني عمي عن الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي بنحوه
وأخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد الكراني قال حدثني العمري عن لقيط قال أخبرني التوزي عن أبي عبيدة قال
كان الحطيئة عند سعيد بن العاص ليلة فتذاكروا الشعراء وفضلوا بعضهم على بعض وهو ساكت فقال له يا أبا مليكة ما تقول فقال ما ذكرتم والله أشعر الشعراء ولا أنشدتم أجود الشعر فقالوا فمن أشعر الناس فقال الذي يقول
(لا أعدُّ الإقتار عُدماً ولكن ... فقدُ من قد رُزِئته الإعْدام)

والشعر لأبي دواد الإيادي قالوا ثم من قال ثم عبيد بن الأبرص
قالوا ثم من قال كفاكم والله بي إذا أخذتني رغبة أو رهبة ثم عويت في إثر القوافي عواء الفصيل في إثر أمه
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال حدثنا عمي وأخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء عن هجاس بن مرير الإيادي عن أبيه وكان قد أدرك الجاهلية قال
بينا أبو دواد وزوجته وابنه وابنته على ربوة وإياد إذ ذاك بالسواد إذ خرج ثور من أجمة فقال أبو دواد
(وبَدَتْ له أُذُن توجَّسُ ... حرَّةٌ وأحمُّ وارِدْ)
(وقوائمٌ عُوج لها ... من خلفها زَمَعٌ زوائد)
(كمقاعد الرقباء للضُّرَباء ... أيديهمْ نواهد)
ثم قال أنفذي يا أم دواد فقالت
(وبَدَت له أُذُن تَوَجَّسُ ... حُرَّة وأحُمُّ مُولَقْ)
(وقوائمٌ عُوج لها ... من خلفها زَمَعٌ مُعَلَّقْ)
(كمقاعد الرقباء ... للضُّرَباء أيديهمْ تألَّقْ)
ثم قال أنفذ يا دواد فقال
(وبَدَتْ له أُذُن توجَّسُ ... حُرَّة وأحُمُّ مُرْهَفْ)
(وقوائمٌ عُوج لها ... من خلفها زَمَعٌ مُلَفَّفْ)
(كمقاعد الرقباء للضُّرَباء ... أيديهمْ تلَقَّفْ)
ثم قال أنفذي يا دوادة قالت وما أقول مع من أخطأ قالوا ومن أين أخطأناه قالت جعلتم له قرنا واحدا وله قرنان قالوا فقولي قالت
(وبَدَتْ له أُذُن توجَّسُ ... حُرَّة وأحَمّتانْ)
(وقوائمٌ عُوج لها ... من خلفها زَمَعٌ ثَمانْ)
(كمقاعد الرقباء للضُّرَباء ... أيديهمْ دّوانْ)
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه قال
كان أبو دواد الإيادي الشاعر جارا للمنذر بن ماء السماء وإن أبا دواد نازع رجلا بالحيرة من بهراء يقال له رقبة بن عامر بن كعب بن عمرو فقال له رقبة صالحني وحالفني فقال أبو دواد فمن أين تعيش إياد إذا فوالله لولا ما تصيب من بهراء لهلكت وانصرفا على تلك الحال
ثم إن أبا دواد أخرج بنين له ثلاثة في تجارة إلى الشام فبلغ ذلك رقبة البهراني فبعث إلى قومه فأخبرهم بما قال له أبو دواد عند المنذر وأخبرهم أن القوم ولد أبي دواد فخرجوا إلى الشام فلقوهم فقتلوهم وبعثوا برؤوسهم إلى رقبة فلما أتته الرؤوس صنع طعاما كثيرا ثم أتى المنذر فقال له قد اصطنعت لك طعاما كثيرا فأنا أحب أن تتغدى عندي فأتاه المنذر وأبو دواد معه فبينا الجفان ترفع وتوضع إذ جاءته جفنة عليها بعض رؤوس بني أبي دواد فوثب وقال أبيت اللعن إني جارك وقد ترى ما صنع بي وكان رقبة أيضا جارا للمنذر فوقع المنذر منهما في سوءة وأمر برقبة فحبس وقال لأبي دواد أما يرضيك توجيهي بكتيبتي الشهباء والدوسر إليهم قال بلى قال قد فعلت فوجه إليهم بالكتيبتين
فلما بلغ ذلك رقبة قال لامرأته ويحك الحقي بقومك فأنذريهم فعمدت إلى بعض إبل زوجها فركبته ثم خرجت حتى أتت قومها فلما قربت منهم تعرت من ثيابها وصاحت وقالت أنا النذير العريان فأرسلتها مثلا فعرف القوم ما تريد فصعدوا إلى أعالي الشام وأقبلت الكتيبتان فلم تصيبا منهم أحدا فقال المنذر لأبي دواد قد رأيت ما كان منهم وأنا أدي كل ابن لك بمئتي بعير فأمر له بست مئة بعير فرضي بذلك فقال فيه قيس بن زهير العبسي
(سأفعل ما بدا ليَ ثم آوي ... الى جارٍ كجار أبي دُواد)
صوت
(وركْب كأطراف الأسنة عرسوا ... على مثلها والليلُ داج غياهبه)
(لأمْرٍ عليهم أن تتمَّ صدورُه ... وليس عليهم أن تتم عواقبُهْ)
الشعر لأبي تمام الطائي والغناء للقاسم بن زرزور ثاني - ثقيل - بالوسطى في مجرى البنصر وفيه لجعفر بن رفعة خفيف ثقيل
أخبرني إبراهيم بن القاسم بن زرزور عن أبيه وحدثني المظفر بن كيغلغ عن القاسم أيضا
أن المكتفي بالله أخرج إليهم هذين البيتين بالرقة في رقعة وهو أمير وأمر أن يصنع فيهما لحن فصنع القاسم هذا اللحن وصنع جعفر خفيف الثقيل
أخبار أبي تمام ونسبه
أبو تمام حبيب بن أوس الطائي من نفس طيىء صليبة مولده ومنشؤه منبج بقرية منها يقال لها جاسم شاعر مطبوع لطيف الفطنة دقيق المعاني غواص على ما يستصعب منها ويعسر متناوله على غيره وله مذهب في المطابق هو كالسابق إليه جميع الشعراء وإن كانوا قد فتحوه قبله وقالوا القليل منه فإن له فضل الإكثار فيه والسلوك في جميع طرقه والسليم من شعره النادر شيء لا يتعلق به أحد وله أشياء متوسطة ورديئة رذلة جدا
وفي عصرنا هذا من يتعصب له فيفرط حتى يفضله على كل سالف وخالف وأقوام يتعمدون الرديء من شعره فينشرونه ويطوون محاسنه ويستعملون القحة والمكابرة في ذلك ليقول الجاهل بهم إنهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزه إلا بأدب فاضل وعلم ثاقب وهذا مما يتكسب به كثير من أهل هذا الدهر ويجعلونه وما جرى مجراه من ثلب الناس وطلب معايبهم سببا للترفع وطلبا للرياسة وليست إساءة من أساء في القليل وأحسن في الكثير مسقطة إحسانه ولو كثرت إساءته أيضا ثم أحسن لم يقل له عند الإحسان أسأت ولا عند الصواب أخطأت والتوسط في كل شيء أجمل والحق أحق أن يتبع
وقد روي عن بعض الشعراء أن أبا تمام أنشده قصيدة له أحسن في
جميعها إلا في بيت واحد فقال له يا أبا تمام لو ألقيت هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب فقال له أنا والله أعلم منه مثل ما تعلم ولكن مثل شعر الرجل عنده مثل أولاده فيهم الجميل والقبيح والرشيد والساقط وكلهم حلو في نفسه فهو وإن أحب الفاضل لم يبغض الناقص وإن هوي بقاء المتقدم لم يهو موت المتأخر واعتذاره بهذا ضد لما وصف به نفسه في مدحه الواثق حيث يقول

(جاءتكَ من نظم اللسان قِلادَةٌ ... سِمطانِ فيها اللؤلؤُ المكنونُ)
(أَحْذاكَهَا صَنَعُ اللسان يُمدُّه ... جَفْرٌ إذا نَضَبَ الكلامُ مَعِين)
(ويُسيءُ بالإحسان ظنّا لا كمن ... هو بابنه وبشعره مفتون)
فلو كان يسيء بالإساءة ظنا ولا يفتتن بشعره كنا في غنى عن الاعتذار له
وقد فضل أبا تمام من الرؤساء والكبراء والشعراء من لا يشق الطاعنون عليه غباره ولا يدركون - وإن جدوا - آثاره وما رأى الناس بعده إلى حيث انتهوا له في جيده نظيرا ولا شكلا ولولا أن الرواة قد أكثروا في الاحتجاج له وعليه وأكثر متعصبوه الشرح لجيد شعره وأفرط معادوه في التسطير لرديئه والتنبيه على رذله ودنيئه لذكرت منه طرفا ولكن قد أتى من ذلك ما لا مزيد عليه
المعجبون بشعره كثيرون
أخبرني عمي قال حدثني أبي قال سمعت محمد بن عبد الملك الزيات يقول أشعر الناس طرا الذي يقول
(وما أبالي وخيرُ القولِ أصدقُه ... حقنتَ لي ماء وجهي أو حَقَنتَ دمي)
فأحببت أن أستثبت إبراهيم بن العباس وكان في نفسي أعلم من
محمد وآدب فجلست إليه وكنت أجرى عنده مجرى الولد فقلت له من أشعر أهل زماننا هذا فقال الذي يقول
(مطر أبوك أبو أهلَّة وائلٍ ... ملأ البسيطةَ عُدَّةً وعَديدَا)
(نسبٌ كأنّ عليه من شمس الضُّحَى ... نُوراً ومن فَلَق الصباح عَمُودا)
(ورثوا الأُبوَّة والحظوظَ فأصبحوا ... جمعوا جُدودا في العلا وجُدودا)
فاتفقا على أن أبا تمام أشعر أهل زمانه
أخبرني محمد بن يحيى الصولي وعلي بن سليمان الأخفش قالا حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال
قدم عمارة بن عقيل بغداد فاجتمع الناس إليه فكتبوا شعره وشعر أبيه وعرضوا عليه الأشعار فقال بعضهم ها هنا شاعر يزعم قوم أنه أشعر الناس طرا ويزعم غيرهم ضد ذلك فقال أنشدوني قوله فأنشدوه
(غَدَتْ تستجيرُ الدمعَ خوفَ نَوَى غَدٍ ... وعادَ قَتاداً عندها كلُّ مَرقَدِ)
(وأنقذها من غمرة الموت أنّه ... صُدُودُ فراقٍ لا صدودُ تَعَمُّدِ)
(فأجرَى لها الإشفاقُ دمعاً مُوَرَّداً ... من الدم يجري فوق خد مُوَرَّدِ)
(هِيَ البدرُ يغنيها تودُّدُ وجهِها ... الى كلِّ من لاقتْ وإن لم تَوَدَّدِ)
ثم قطع المنشد فقال له عمارة زدنا من هذا فوصل نشيده وقال
(ولكنني لم أحوِ وَفْرا مُجَمَّعا ... ففزْتُ به إلا بشَمْلٍ مُبَدَّدِ)
(ولم تُعْطني الأيام نوماً مُسَكَّنا ... ألَذُّ به إلا بنوم مُشَرَّدِ)
فقال عمارة لله دره لقد تقدم في هذا المعنى من سبقه إليه على كثرة القول فيه حتى لقد حبب إلي الاغتراب هيه فأنشده
(وطولُ مُقامِ المرء في الحيّ مُخْلِقٌ ... لديباجتيه فاغتربْ تتجدَّدِ)
(فإني رأيتُ الشمسَ زيدت محبّةً ... الى الناس أنْ ليستْ عليهمْ بسرْمَدِ)
فقال عمارة كمل والله لئن كان الشعر بجودة اللفظ وحسن المعاني واطراد المراد واتساق الكلام فإن صاحبكم هذا أشعر الناس
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال سمعت علي بن الجهم يصف أبا تمام ويفضله فقال له رجل والله لو كان أبو تمام أخاك ما زدت على مدحك هذا فقال إن لم يكن أخا بالنسب فإنه أخ بالأدب والمودة أما سمعت ما خاطبني به حيث يقول
(إنْ يُكْدِ مُطَّرَفُ الإخاء فإننا ... نغدو ونسري في إخاء تالد)
(أو يختلفْ ماء الوصال فماؤنا ... عذبٌ تحدّر من غمام واحدِ)
(أو يفترقْ نسبٌ يؤلفْ بيننا ... أدبٌ أقمناه مَقَام الوالد)
أخبرني محمد قال حدثني هارون بن عبد الله المهلبي قال
كنا في حلقة دعبل فجرى ذكر أبي تمام فقال دعبل كان يتتبع معاني فيأخذها فقال له رجل في مجلسه وأي شيء من ذلك أعزك الله قال قولي
(وإن امرأً أسدَى إليّ بشافع ... إليه ويرجو الشكرَ مني لأحمقُ)
(شفيعَك فاشكر في الحوائج إنه ... يصونُك عن مكروهِها وهو يَخْلُق)
فقال الرجل فكيف قال أبو تمام فقال قال
(فلقيتُ بين يديكَ حُلْوَ عطائِه ... ولقيت بين يديَّ مُرَّ سُؤالِه)
(وإذا امْرؤ أسدَى إليكَ صَنيعةً ... من جاهه فكأنها من مالِه)
فقال له الرجل أحسن والله فقال كذبت قبحك الله فقال والله لئن كان أخذه منك لقد أجاد فصار أولى به منك وإن كنت أخذته منه فما بلغت مبلغه فغضب دعبل وانصرف
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني عبد الله بن محمد بن جرير قال
سمعت محمد بن حازم الباهلي يقدم أبا تمام ويفضله ويقول لو لم يقل إلا مرثيته التي أولها
(...أصمَّ بك الناعي وإن كان أسمعا)
وقوله
(لو يقدرونَ مَشَوْا على وَجَناتهم ... وجباههم فضلاً عن الأقدامِ)
لكفتاه
أخبرني عمي قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال
كان عمارة بن عقيل عندنا يوما فسمع مؤدبا كان لولد أخي يرويهم قصيدة أبي تمام
(... الحق أبلج والسيوف عَوار)
فلما بلغ إلى قوله

(سُودُ اللباسِ كأنما نَسَجَت لهم ... أيدِي السَّمومِ مَدارعا من قار)
(بَكَروا وأسْرَوا في مُتون ضوامِرٍ ... قِيدت لهم من مَرْبِط النَّجارِ)
(لا يبرحون ومن رآهم خالهم ... أبدا على سَفَر من الأسفار)
فقال عمارة لله دره ما يعتمد معنى إلا أصاب أحسنه كأنه موقوف عليه
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أبو ذكوان قال قال لي إبراهيم بن العباس ما اتكلت في مكاتبتي قط إلا على ما جاش به صدري وجلبه خاطري إلا أني قد استحسنت قول أبي تمام
(فإن باشر الإصحار فالبِيضُ والقنا ... قِراهُ وأحواضُ المنايا مناهلُه)
(وإن يَبن حِيطاناً عليهِ فإنما ... أولئك عُقَّالاتُهُ لا مَعاقِلُه)
(وإلا فأعلمه بأنك ساخطٌ ... عليه فإن الخوف لا شكّ قاتلُه)
فأخذت هذا المعنى في بعض رسائلي فقلت فصار ما كان يحرزهم يبرزهم وما كان يعقلهم يعتقلهم قال ثم قال لي إبراهيم إن أبا تمام اخترم وما استمتع بخاطره ولا نزح ركي فكره حتى انقطع رشاء عمره
أخبرني محمد قال حدثني أبو الحسين بن السخي قال حدثني الحسين بن عبد الله قال
سمعت عمي إبراهيم بن العباس يقول لأبي تمام وقد أنشد شعرا له في المعتصم يا أبا تمام أمراء الكلام رعية لإحسانك
أخبرني محمد قال حدثني هارون بن عبد الله قال لي محمد بن جابر الأزدي وكان يتعصب لأبي تمام
أنشدت دعبل بن علي شعرا لأبي تمام ولم أعلمه أنه له ثم قلت له كيف تراه قال أحسن من عافية بعد يأس فقلت إنه لأبي تمام فقال لعله سرقه

مات أبو تمام فاقتسم الشعراء ما كان يأخذه

أخبرني محمد قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه قال
ما كان أحد من الشعراء يقدر على أن يأخذ درهما بالشعر في حياة أبي تمام فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه
أخبرني عمي والحسن بن علي ومحمد بن يحيى وجماعة من أصحابنا وأظن أيضا جحظة حدثنا به قالوا حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال
لما قدم أبو تمام إلى خراسان اجتمع الشعراء إليه وسألوه أن ينشدهم فقال قد وعدني الأمير أن أنشده غدا وستسمعوني فلما دخل على عبد الله أنشده
(هنَّ عوادي يوسف وصواحبُهْ ... فعزما فقدِما أدرك السؤلَ طالبُهْ)
فلما بلغ إلى قوله
(وقَلقلَ نأيٌ من خراسان جأشَها ... فقلتُ اطمئني أنضرُ الروض عازبُهْ)
(وركبٍ كأطراف الأسنة عَرَّسوا ... على مثلها والليل تسطو غياهِبه)
(لأمر عليهم أن تتم صُدورُه ... وليس عليهم أن تتم عواقبه)
فصاح الشعراء بالأمير أبي العباس ما يستحق مثل هذا الشعر غير الأمير أعزه الله وقال شاعر منهم يعرف بالرياحي لي عنده أعزه الله جائزة وعدني بها وقد جعلتها لهذا الرجل جزاء عن قوله للأمير فقال له بل نضعفها لك ونقوم له بما يجب له علينا فلما فرغ من القصيدة نثر عليه ألف دينار فلقطها الغلمان ولم يمس منها شيئا فوجد عليه عبد الله وقال يترفع عن بري ويتهاون بما أكرمته به فلم يبلغ ما أراده منه بعد ذلك
أخبرني أبو مسلم محمد بن بحر الكاتب وعمي عن الحزنبل عن سعيد بن جابر الكرخي عن أبيه
أنه حضر أبا دلف القاسم بن عيسى وعنده أبو تمام الطائي وقد أنشده قصيدته
(على مثلها من أربُعٍ وملاعبِ ... أُذيلتْ مصُونات الدموع السواكبِ)
فلما بلغ إلى قوله
(إذا افتخرت يوماً تميم بقوسِها ... وزادت على ما وطّدت من مَناقِبِ)
(فأنتم بذي قارٍ أمالتْ سيُوفُكم ... عُروش الذين استْرهَنوا قوسَ حاجبِ)
(محاسنُ من مجد متى تَقْرُنوا بها ... محاسن أقوامٍ تكن كالمعايبِ)
فقال أبو دلف يا معشر ربيعة ما مدحتم بمثل هذا الشعر قط فما عندكم لقائله فبادروه بمطارفهم يرمون بها إليه فقال أبو دلف قد قبلها وأعاركم لبسها وسأنوب عنكم في ثوابه تمم القصيدة يا أبا تمام فتممها فأمر له بخمسين ألف درهم وقال والله ما هي بإزاء استحقاقك وقدرك فاعذرنا فشكره وقام ليقبل يده فحلف ألا يفعل ثم قال له أنشدني قولك في محمد بن حميد
(وما مات حتى ماتَ مَضْرِب سيفهِ ... من الضرب واعتلت عليه القنا السُّمْرُ)
(وقد كان فوتُ الموتِ سهلاً فردّه ... إليه الحِفاظ المرُّ والخُلُقُ الوعْر)
(فأثبت في مستنقَع الموت رجلَه ... وقال لها من تحت أُخْمُصِك الحشر)
(غدا غَدوةً والحمد نَسْجُ ردائهِ ... فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر)
(كأن بني نَبهانَ يوم مُصابه ... نجومُ سماء خرَّ من بينها البدر)
(يُعَزَّوْن عن ثاوٍ يُعزَّى به العُلَى ... ويبكي عليه البأسُ والجود والشعر)
فأنشده إياها فقال والله لوددت أنها في فقال بل أفدي الأمير بنفسي وأهلي وأكون المقدم فقال إنه لم يمت من رثي بهذا الشعر أو مثله

الواثق وابن أبي دواد وخالد الشيباني يمدحونه

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني إسحاق بن يحيى الكاتب قال
قال الواثق لأحمد بن أبي دواد بلغني أنك أعطيت أبا تمام الطائي في قصيدة مدحك بها ألف دينار قال لم أفعل ذلك يا أمير المؤمنين ولكني أعطيته خمس مئة دينار رعاية للذي قاله للمعتصم
(فاشدُدْ بهارونَ الخلافةَ إنه ... سَكَنٌ لوَحشتها ودارُ قَرار)
(ولقد علمت بأن ذلك مِعْصمٌ ... ما كنتَ تتركه بغير سوار)
فابتسم وقال إنه لحقيق بذلك

أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال
خرج أبو تمام إلى خالد بن يزيد بن مزيد وهو بأرمينية فامتدحه فأعطاه عشرة آلاف درهم ونفقة لسفره وقال تكون العشرة الآلاف موفورة فإن أردت الشخوص فاعجل وإن أردت المقام عندنا فلك الحباء والبر قال بل أشخص فودعه ومضت أيام وركب خالد يتصيد فرآه تحت شجرة وبين يديه زكرة فيها شراب وغلام يغنيه بالطنبور فقال أبو تمام قال خادمك وعبدك قال ما فعل المال فقال
(عَلَّمني جودُكَ السماحَ فما ... أبقيت شيئاً لديّ من صِلَتكْ)
(ما مرّ شهر حتى سمحتُ به ... كأنّ لي قدرةً كمقدُرتك)
(تُنفق في اليوم بالهبات وفي الساعة ... ما تجتنيه في سَنَتك)
((فلستُ أدري من أين تنفق لولا ... أن ربي يَمُدّ في هبتك
فأمر له بعشرة أخرى فأخذها وخرج
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا عون بن محمد الكندي قال حدثنا محمد بن سعد أبو عبد الله الرقي وكان يكتب للحسن بن رجاء قال
قدم أبو تمام مادحا للحسن بن رجاء فرأيت منه رجلا عقله وعلمه فوق شعره فاستنشده الحسن ونحن على نبيذ قصيدته اللامية التي امتدحه بها فلما انتهى إلى قوله
(أنا مَن عَرَفْت فإن عرتكَ جَهالة ... فأنا المقيمُ قيامةَ العُذّالِ)
(عادتْ له أيامه مُسْوَدّة ... حتى توهم أنهن ليالِ)
فقال الحسن والله لا تسود عليك بعد اليوم فلما قال
(لا تنكري عَطَل الكريم من الغنى ... فالسيل حربٌ للمكان العالي)
(وتنظّري حَيْث الركابُ ينصُّها ... محيي القريض إلى مميت المالِ)
فقام الحسن بن رجاء على رجليه وقال والله لا أتممتها إلا وأنا قائم فقام أبو تمام لقيامه وقال
(لما بلغنا ساحةَ الحَسن انقضَى ... عنا تملُّكُ دولةِ الإمحالِ)
(بسطَ الرجاء لنا برغْم نوائبٍ ... كثُرتْ بهن مصارعُ الآمالِ)
(أغلَى عَذارى الشعرِ إنّ مُهورَها ... عند الكرام وإن رَخُصن غَوالِ)
(تَردُ الظُّنونُ بنا على تصديقها ... ويُحَكِّم الآمالَ في الأموالِ)
((أضحى سميُّ أبيك فيك مصدِّقا ... بأجلّ فائدةٍ وأيمن فالِ
(ورأيتني فسألتَ نفسك سَيْبَها ... لِي ثم جُدْتَ وما انتظرتَ سؤالِي)
(كالغيث ليس له - أُريد غمامه ... أو لم يرد - بُدٌّ من التَّهطالِ)
فتعانقا وجلسا وقال له الحسن ما أحسن ما جلوت هذه العروس فقال والله لو كانت من الحور العين لكان قيامك لها أوفى مهورها
قال محمد بن سعد وأقام شهرين فأخذ على يدي عشرة آلاف درهم وأخذ غير ذلك مما لم أعلم به على بخل كان في الحسن بن رجاء
أخبرني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال
شهدت دعبلا عند الحسن بن رجاء وهو يضع من أبي تمام فاعترضه عصابة الجرجرائي فقال يا أبا علي اسمع مني ما قاله فإن أنت رضيته فذاك وإلا وافقتك على ما تذمه منه وأعوذ بالله فيك من ألا ترضاه ثم أنشده قوله
(أما إنه لولا الخليطُ المودّعُ ... ومغنًى عفا منه مَصِيفٌ ومَرْبَعُ)
فلما بلغ قوله
(هو السيلُ إن واجهته انقدتَ طَوْعَه ... وتقتادُه من جانبيه فيَتبعُ)
(ولم أر نفعاً عند من ليس ضائراً ... ولم أر ضَرّاً عند من ليس ينفع)
(مَعادُ الوَرَى بعد الممات وسيبُه ... معادٌ لنا قبل المماتِ ومَرجِع)
فقال له دعبل لم ندفع فضل هذا الرجل ولكنكم ترفعونه فوق قدره
وتقدمونه على من يتقدمه وتنسبون إليه ما قد سرقه فقال له عصابة إحسانه صيرك له عائبا وعليه عاتبا
أخبرني الصولي قال حدثنا الحسن بن وداع كاتب الحسن بن رجاء قال
حضرت أبا الحسين محمد بن الهيثم بالجبل وأبو تمام ينشده
(أسْقَى ديارَهُمُ أجشٌ هَزيمُ ... وغدتْ عليهمْ نضرةٌ ونعيمُ)
قال فلما فرغ أمر له بألف دينار وخلع عليه خلعة حسنة وأقمنا عنده يومنا فلما كان من غد كتب إليه أبو تمام
(قد كسانا من كُسوةِ الصيف خِرْقٌ ... مكتسٍ من مَكارمٍ ومَساعِ)
(حُلّةً سابريَّةً ورداءً ... كسَحا القيضِ أو رداءِ الشُّجاع)
(كالسَّراب الرَّقْراق في الحسن إلا ... أنه ليس مثلَه في الخِداع)
(قَصَبيًّا تسترجِفُ الريحُ مَتنيه ... بأمرٍ من الهُبوب مطاع)
(رَجَفَانا كأنه الدهرَ منه ... كبدُ الصَّبِّ أو حشا المُرْتاع)
(لازما ما يليه تحسِبه جُزْءاً ... من المَتْنَيْن والأضلاعِ)
(يَطردُ اليومَ ذا الهَجيرِ ولو شُبِّه ... في حرِّه بيوم الوَداع)
(خِلعةً من أغرَّ أروَعَ رحْبِ الصَّدر ... رحب الفؤاد رحْبِ الذراع)
(سوف أكسوك ما يُعَفّي عليها ... من ثناء كالبُرد بُرْدِ الصَّناع)
((حسن هاتيكَ في العيون وهذا ... حسنه في القلوب والأسماع
فقال محمد بن الهيثم ومن لا يعطي على هذا ملكه والله لا بقي في داري ثوب إلا دفعته إلى أبي تمام فأمر له بكل ثوب كان يملكه في ذلك الوقت
أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل قال لما شخص أبو تمام إلى عبد الله بن طاهر وهو بخراسان أقبل الشتاء وهو هناك فاستثقل البلد وقد كان عبد الله وجد عليه وأبطأ بجائزته لأنه نثر عليه ألف دينار فلم يمسسها

بيده ترفعا عنها فأغضبه وقال يحتقر فعلي ويترفع علي فكان يعث إليه بالشيء بعد الشيء كالقوت فقال أبو تمام
(لم يبقَ للصيف لا رسمٌ ولا طَلَلُ ... ولا قشيبٌ فَيُستَكْسَى ولا سَمَلُ)
(عدلٌ من الدمع أن يُبكى المَصيفُ كما ... يُبكى الشبابُ ويُبكى اللهوُ والغَزلُ)
(يُمْنَى الزمانِ انقضى معروفُها وغَدَتْ ... يُسْراه وهْي لنا من بعدها بَدَلُ)
فبلغت الأبيات أبا العميثل شاعر آل عبد الله بن طاهر فأتى أبا تمام واعتذر إليه لعبد الله بن طاهر وعاتبه على ما عتب عليه من أجله وتضمن له ما يحبه ثم دخل إلى عبد الله فقال أيها الأمير أتتهاون بمثل أبي تمام وتجفوه فوالله لو لم يكن له ماله من النباهة في قدره والإحسان في شعره والشائع من ذكره لكان الخوف من شره والتوقي لذمه يوجب على مثلك رعايته ومراقبته فكيف وله بنزوعه إليك من الوطن وفراقه السكن وقد قصدك عاقدا بك أمله معملا إليك ركابه متعبا فيك فكره وجسمه وفي ذلك ما يلزمك قضاء حقه حتى ينصرف راضيا ولو لم يأت بفائدة ولا سمع فيك منه ما سمع إلا قوله
(تقولُ في قُومَسٍ صحبي وقد أخذتْ ... منا السُّرى وخُطَا المهريّة القُودِ)
(أمَطْلَع الشمسِ تبغي أن تؤمَّ بنا ... فقلت كَلاّ ولكن مَطْلِع الجودِ)
فقال له عبد الله لقد نبهت فأحسنت وشفعت فلطفت وعاتبت فأوجعت ولك ولأبي تمام العتبى ادعه يا غلام فدعاه فنادمه يومه وأمر له بألفي دينار وما يحمله من الظهر وخلع عليه خلعة تامة من ثيابه وأمر ببذرقته إلى آخر عمله
حديث المعاني وسرقة القصائد
أخبرني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال
مر أبو تمام بمخنث يقول لآخر جئتك أمس فاحتجبت عني فقال له السماء إذا احتجبت بالغيم رجي خيرها فتبينت في وجه أبي تمام أنه قد أخذ المعنى ليضمنه في شعره فما لبثنا إلا أياما حتى أنشدت قوله
(ليس الحجابُ بمقصٍ عنكَ لي أملا ... إنّ السماءَ تُرَجَّى حين تَحْتَجِبُ)
أخبرني أبو العباس أحمد بن وصيف وأبو عبد الله أحمد بن الحسن بن محمد الأصبهاني ابن عمي قال حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال
كنا عند دعبل أنا والقاسم في سنة خمس وثلاثين ومئتين بعد قدومه من الشام فذكرنا أبا تمام فثلبه وقال هو سروق للشعر ثم قال لغلامه يا
ثقيف هات تلك المخلاة فجاء بمخلاة فيها دفاتر فجعل يمرها على يده حتى أخرج منها دفترا فقال اقرأوا هذا فنظرنا فيه فإذا فيه قال مكنف أبو سلمى من ولد زهير بن أبي سلمى وكان هجا ذفافة العبسي بأبيات منها
(إن الضُّراطَ به تصاعدَ جَدُّكُم ... فتعاظموا ضَرطاً بني القَعقاعِ)
قال ثم مات ذفافة بعد ذلك فرثاه فقال
(أبعدَ أبي العباسِ يُستَعذَبُ الدهرُ ... فما بعده للدهر حسنٌ ولا عُذْرُ)
(ألا أيُّها الناعي ذُفافةَ والندَى ... تَعَسْتَ وشَلَّت من أناملك العشر)
(أتنعَى لنا مِنْ قيسِ عيلانَ صَخرة ... تفلّق عنها من جبالِ العِدا الصخر)
(إذا ما أبو العباسِ خَلَّى مكانه ... فلا حَمَلَتْ أنثى ولا نالَها طُهْرُ)
(ولا أمطرتْ أرضاً سماءٌ ولا جرتْ ... نجومٌ ولا لذَّتْ لشاربِها الخمر)
(كأنّ بني القعقاعِ يومَ مُصابه ... نجومُ سماءٍ خرَّ من بينها البدرُ)
(تُوُفِّيت الآمالُ يومَ وفاته ... وأصبح في شُغْلٍ عن السَّفْرِ السفْرُ)
ثم قال سرق أبو تمام أكثر هذه القصيدة فأدخلها في قصيدته
(كذا فليجِلَّ الخطبُ وليْفدَحِ الأمرُ ... وليسَ لعين لم يَفضْ ماؤُها عُذْرُ)
أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن موسى قال
كان أبو تمام يعشق غلاما خزريا للحسن بن وهب وكان الحسن يتعشق غلاما روميا لأبي تمام فرآه أبو تمام يوما يعبث بغلامه فقال له والله لئن أعنقت إلى الروم لنركضن إلى الخزر فقال له الحسن لو شئت
حكَّمتنا واحتكمت فقال أبو تمام أنا أشبهك بداود عليه السلام وأشبه نفسي بخصمه فقال الحسن لو كان هذا منظوما خفناه فأما وهو منثور فلا لأنه عارض لا حقيقة له فقال أبو تمام
(أبا عليٍّ لصرف الدهر والغِيَرِ ... وللحوادثِ والأيامِ والعِبَرِ)
(أذكرتني أمر داودٍ وكنتُ فتًى ... مُصَرَّفَ القلب في الأهواءِ والفِكَرِ)
(أعندكَ الشمسُ لم يَحظَ المغيبُ بها ... وأنت مضطربُ الأحشاءِ للقمرِ)
(إن أنت لم تترك السيرَ الحثيث إلى ... جآذرِ الرومِ أعنقنا إلى الخَزَرِ)
(إن القَطُوبَ له مني محلٌّ هوًى ... يحل مني محلَّ السمعِ والبصرِ)
(وربَّ أمنعَ منه جانباً وحِمًى ... أمسى وتكَّتُهُ منّي على خَطَرِ)
(جرَّدتُ فيه جنودَ العزمِ فانكشفت ... منه غَيابَتُها عن نَيكةٍ هَدَرِ)
(سبحانَ من سبَّحتْهُ كلُّ جارحةٍ ... ما فيك من طَمَحانِ الأيرِ والنظرِ)
(أنت المقيمُ فما تغدو رواحلُه ... وأيرُه أبدا منه على سفرِ)
أخبرني الصولي قال حدثني عبد الله بن الحسين قال حدثني وهب بن سعيد قال
جاء دعبل إلى الحسن بن وهب في حاجة بعد موت أبي تمام فقال له رجل في المجلس يا أبا علي أنت الذي تطعن على من يقول
(شهدتُ لقد أقوتْ مغانيكُمُ بعدِي ... ومَحَّتْ كما محت وشائعُ من بُرْدِ)
(وأنجدتم من بعد إتهامِ داركُمْ ... فيا دمعُ أنجدني على ساكني نجدِ)
فصاح دعبل أحسن والله وجعل يردد فيا دمع أنجدني على ساكني نجد ثم قال رحمه الله لو كان ترك لي شيئا من شعره لقلت إنه أشعر الناس
أخبرني علي بن سليمان ومحمد بن يحيى قالا حدثنا محمد بن يزيد قال
مات لعبد الله بن طاهر ابنان صغيران في يوم واحد فدخل عليه أبو تمام فأنشده

(ما زالت الأيامُ تخبرُ سائلا ... أن سَوفَ تفجعُ مُسْهِلاً أو عاقِلا)
(مجدٌ تأوَّبَ طارقاً حتى إذا ... قلنا أقامِ الدهرَ أصبحَ راحلا)
(نجمان شاء الله ألا يَطْلُعا ... إلا ارتدادَ الطرف حتى يأفِلا)
(إن الفجيعة بالرياض نواضراً ... لأجل منها بالرياض ذَوابِلا)
(لو يُنْسبان لكان هذا غاربا ... للمكرمات وكان هذا كاهلا)
(لَهْفي على تلك المخايل منهما ... لو أمْهِلَت حتى تكون شمائِلا)
(لغدا سكونُهما حِجًى وصِباهُما ... حِلْماً وتلك الأريحيةُ نائلا)
(إن الهلالَ إذا رأيت نموَّهُ ... أيقنتَ أنْ سيكونُ بدرا كاملا)
صوت
(باللهِ قلْ يا طَلَلُ ... أهلُك ماذا فعلُوا)
(فإن قلبي حَذِرٌ ... من أن يَبِينوا وَجِلُ)
عروضه من - الرجز - الشعر لأبي الشيص والغناء لأحمد بن يحيى المكي - خفيف ثقيل - بالوسطى من نسخة عمرو بن بانة الثانية ومن رواية الهشامي
أخبار أبي الشيص ونسبه
اسمه محمد بن رزين بن سليمان بن تميم بن نهشل وقيل ابن بهيش - ابن خراش بن خالد بن عبد بن دعبل بن أنس بن خزيمة بن سلامان بن أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو مزيقيا ابن عامر بن ثعلبة
وكان أبو الشيص لقبا غلب عليه وكنيته أبو جعفر وهو ابن عم دعبل بن علي بن رزين لحا وكان أبو الشيص من شعراء عصره متوسط المحل فيهم غير نبيه الذكر لوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع وأبي نواس فخمل وانقطع إلى عقبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعي وكان أميرا على الرقة فمدحه بأكثر شعره فقلما يروى له في غيره وكان عقبة جوادا فأغناه عن غيره
ولأبي الشيص ابن يقال له عبد الله شاعر أيضا صالح الشعر وكان منقطعا إلى محمد بن طالب فأخذ منه جامع شعر أبيه ومن جهته خرج إلى الناس
وعمي أبو الشيص في آخر عمره وله مراث في عينيه قبل ذهابهما وبعده نذكر منها مختارها مع أخباره
وكان سريع الهاجس جدا فيما ذكر عنه فحكى عبد الله بن المعتز أن أبا
خالد العامري قال له من أخبرك أنه كان في الدنيا أشعر من أبي الشيص فكذبه والله لكان الشعر عليه أهون من شرب الماء على العطشان وكان من أوصف الناس للشراب وأمدحهم للملوك
وهكذا ذكر ابن المعتز وليس توجد هذه الصفات كما ذكر في ديوان شعره ولا هو بساقط ولكن هذا سرف شديد
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن النضر بن عمر قال
قال لي أبو الشيص لما مدحت عقبة بن جعفر بقصيدتي التي أولها
(لا تُنكري صَدِّي ولا إعراضي ... ليس المقلُّ عن الزمان براضِ)
أمر بأن تعد وأعطاني لكل بيت ألف درهم
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال أنشدت إبراهيم بن المهدي أبيات أبي يعقوب الخريمي التي يرثي بها عينه يقول فيها
(إذا ما مات بعضُك فابكِ بعضاً ... فإن البعض من بعض قريبُ)
فأنشدني لأبي الشيص يبكي عينيه
(يا نفسُ بكِّي بأدمع هُتُن ... وواكفٍ كالجُمان في سَنَن)
(على دليلي وقائدي ويدي ... ونورِ وجهي وسائس البدنِ)
(أبكي عليها بها مخافةَ أن ... تَقْرنني والظلامَ في قَرَنِ)
وقال أبو هفان حدثني دعبل أن امرأة لقيت أبا الشيص فقالت يا أبا الشيص عميت بعدي فقال قبحك الله دعوتني باللقب وعيرتني بالضرر
مجالس شعرية
أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي عن أحمد بن عبيد قال
اجتمع مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشيص ودعبل في مجلس فقالوا لينشد كل واحد منكم أجود ما قاله من الشعر فاندفع رجل كان معهم فقال اسمعوا مني أخبركم بما ينشد كل واحد منكم قبل أن ينشد قالوا هات فقال لمسلم أما أنت يا أبا الوليد فكأني بك قد أنشدت
(إذا ما علَتْ منا ذؤابةُ واحدٍ ... وإن كان ذا حلم دعته إلى الجهل)
(هل العيشُ إلا أن تروح مع الصِّبا ... وتغدو صريعَ الكأس والأعين النُّجْل)
قال وبهذا البيت لقب صريع الغواني لقبه به الرشيد فقال له مسلم صدقت
ثم أقبل على أبي نواس فقال له كأني بك يا أبا علي قد أنشدت
(لا تبك ليلى ولا تطرب إلى هندِ ... واشربْ على الوَرْد من حمراءَ كالوردِ)
(تَسقيك من عينها خمراً ومن يدها ... خمراً فما لك من سُكرين من بُدِّ)
فقال له صدقت
ثم أقبل على دعبل فقال له وأنت يا أبا علي فكأني بك تنشد قولك
(أين الشبابُ وأيَّةً سَلَكا ... لا أينَ يُطلَب ضلّ بلْ هَلَكا)
(لا تعجبي يا سَلْمَ من رجُلٍ ... ضحكَ المشيبُ برأسه فبكى)
فقال صدقت ثم أقبل على أبي الشيص فقال له وأنت يا أبا جعفر فكأني بك وقد أنشدت قولك
(لا تنكري صدِّي ولا إعراضي ... ليس المقلُّ عن الزمان براضِ)
فقال له لا ما هذا أردت أن أنشد ولا هذا بأجود شيء قلته قالوا فأنشدنا ما بدا له فأنشدهم قوله
صوت

(وقف الهوى بي حيثُ أنتِ فليسَ لي ... متأخَّرٌ عنهُ ولا متقدَّمُ)
(أجدُ الملاَمَة في هواكِ لذيذةً ... حباً لذكرك فليلُمني اللُّوَّم)
(أشبهتِ أعدائي فصرتُ أُحبُّهْم ... إذ كان حظي منكِ حظِّي منهمُ)
(وأهنتِني فأهنتُ نفسيَ صاغراً ... ما مَنْ يهون عليك ممن يُكْرَم)
لعريب في هذا الشعر لحنان ثقيل أول ورمل
قال فقال أبو نواس أحسنت والله جودت وحياتك لأسرقن هذا المعنى منك ثم لأغلبنك عليه فيشتهر ما أقول ويموت ما قلت قال فسرق قوله
(وقَف الهوى بي حيث أنتِ فليس لي ... متأخَّرٌ عنه ولا متقدَّمُ)
سرقا خفيا فقال في الخصيب
(فما جازه جودٌ ولا حل دُونَهُ ... ولكن يسير الجودُ حيث يسيرُ)
فسار بيت أبي نواس وسقط بيت أبي الشيص
نسخت من كتاب جدي لأمي يحيى بن محمد بن ثوابة بخطه
حدثني الحسن بن سعد قال حدثني رزين بن علي الخزاعي أخو دعبل قال
كنا عند أبي نواس أنا ودعبل وأبو الشيص ومسلم بن الوليد الأنصاري فقال أبو نواس لأبي الشيص أنشدني قصيدتك المخزية قال وما هي قال الضادية فما خطر بخلدي قولك
(... (ليس المقلُّ عن الزمان براض
إلا أخزيتك استحسانا لها فإن الأعشى كان إذا قال القصيدة عرضها على ابنته وقد كان ثقفها وعلمها ما بلغت به استحقاق التحكيم الإختيار لجيد الكلام ثم يقول لها عدي لي المخزيات فتعد قوله
(أَغَرُّ أَرْوَعُ يُستسقى الغمامُ به ... لو قارعَ الناسَ عن أحسابهم قَرَعا)
وما أشبهها من شعره قال أبو الشيص لا أفعل إنها ليست عندي عقد در في مفصل ولكني أكاثر بغيرها ثم أنشده قوله
(وقَفَ الهوى بي حيثُ أنت فليسَ لي ... متأخَّر عنه ولا متقدَّمِ)
الأبيات المذكورة فقال له أبو نواس قد أردت صرفك عنها فأبيت أن تخلى عن سلبك أو تدرك في هربك قال بل أقول في طلبي فكيف رأيت هذا الطراز قال أرى نمطا خسروانيا مذهبا حسنا فكيف تركت
(في رداء من الصَّفيح صَقِيلٍ ... وقميصٍ من الحديدِ مُذَالِ)
قال تركته كما ترك مختار الدُّرَّتين إحداهما بما سبق في ألحاظه وزين في ناظره
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني أبي قال
حدثني من قال لأبي نواس من أشعر طبقات المحدثين قال الذي يقول
(يطوفُ علينا بها أحْورٌ ... يداه من الكأس مخضوبتان)
والشعر لأبي الشيص
أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني الفضل بن موسى بن معروف الأصبهاني قال حدثني أبي قال
دخل أبو الشيص على أبي دلف وهو يلاعب خادما له بالشطرنج فقيل له يا أبا الشيص سل هذا الخادم أن يحل أزرار قميصه فقال أبو الشيص الأمير أعزه الله أحق بمسألته قال قد سألته فزعم أنه يخاف العين على صدره فقل فيه شيئا فقال
(وشادنٍ كالبدرِ يجلو الدُّجَى ... في الفرقِ منه المسكُ مذرورُ)
(يُحاذِر العينَ على صَدْره ... فالجيبُ منه الدهرَ مزرورِ)
فقال أبو دلف وحياتي لقد أحسنت وأمر له بخمسة آلاف درهم فقال الخادم قد والله أحسن كما قلت ولكنك أنت ما أحسنت فضحك وأمر له بخمسة آلاف أخرى
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني علي بن سعد بن إياس الشيباني قال تعشق أبو الشيص محمد بن رزين قينة لرجل من أهل بغداد فكان يختلف إليها وينفق عليها في منزل الرجل حتى أتلف مالا كثيرا فلما كف بصره وأخفق جعل إذا جاء إلى مولى الجارية حجبه ومنعه من الدخول فجاءني أبو الشيص فشكا إلي وجده بالجارية واستخفاف مولاها به وسألني المضي معه إليه فمضيت معه فاستؤذن لنا عليه فأذن فدخلت أنا وأبو الشيص فعاتبته في أمره وعظمت عليه حقه وخوفته من لسانه ومن إخوانه فجعل له يوما في الجمعة يزورها فيه فكان يأكل في بيته ويحمل معه نبيذه ونقله فمضيت معه ذات يوم إليها فلما وقفنا على بابهم سمعنا صراخا شديدا من الدار فقال لي ما لها تصرخ أتراه قد مات لعنه الله فما زلنا ندق الباب حتى فتح لنا فإذا هو قد حسر كميه وبيده سوط وقال لنا ادخلا فدخلنا وإنما حمله على الإذن لنا الفرق مني فدخلنا وعاد الرجل إلى داخل يضربها فاستمعنا عليه وأطلعنا فإذا هي مشدودة على سلم وهو يضربها أشد ضرب وهي تصرخ وهو يقول وأنت أيضا فاسرقي الخبز فاندفع أبو الشيص على المكان يقول في ذلك
(يقولُ والسوط على كفّه ... قد حَزّ في جلدتها حَزَّا)
(وهي على السُّلّم مشدودة ... وأنت أيضا فاسرقي الخُبْزا)
قال وجعل أبو الشيص يرددهما فسمعهما الرجل فخرج إلينا مبادرا وقال له أنشدني البيتين اللذين قلتهما فدافعه فحلف أنه لا بد من إنشادهما فأنشده إياهما فقال لي يا أبا الحسن أنت كنت شفيع هذا وقد أسعفتك بما تحب فإن شاع هذان البيتان فضحتني فقل له يقطع هذا ولا يسمعهما وله علي يومان في الجمعة ففعلت ذلك ووافقته عليه فلم يزل يتردد إليه يومين في الجمعة حتى مات
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن عبد الرحمن الكاتب عن أبيه قال
كانت لأبي الشيص جارية سوداء اسمها تِبْر وكان يتعشقها وفيها يقول
(لم تُنْصِفي يا سَمِية الذَّهَبِ ... تتلفُ نفسي وأنت في لَعِبِ)
(يابنة عم المِسكِ الذكي ومن ... لولاك لم يُتخَذْ ولم يَطِبِ)
(ناسَبَكِ المسكُ في السواد وفي الرِّيح ... فأكرم بذاك من نسبِ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا علي بن محمد النوفلي عن عمه قال

كان أبو الشيص صديقا لمحمد بن إسحاق بن سليمان الهاشمي وهما
حينئذ مملقان فنال محمد بن إسحاق مرتبة عند سلطانه واستغنى فجفا أبا الشيص وتغير له فكتب إليه
(الحمدُ لله رب العالَمين على ... قُربي وبعدِكَ مني يابن إسحاقِ)
(يا ليتَ شعري متى تُجْدِي عليّ وقد ... أصبحتَ ربّ دنانير وأوْراقِ)
(تُجْدِي عليَّ إذا ما قيلَ مَنْ راقٍ ... والتفت الساقُ عند الموت بالساقِ)
(يومٌ لَعمري تَهمٌّ الناس أنفسهمْ ... وليس ينفع فيه رُقية الراقِي)
حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أبو العباس بن الفرات قال
كنت أسير مع عبيد الله بن سليمان فاستقبله جعفر بن حفص على دابة هزيل وخلفه غلام له وشيخ على بغل له هرم وما فيهم إلا نضو فأقبل علي عبيد الله بن سليمان فقال كأنهم والله صفة أبي الشيص حيث يقول
(أكلَ الوجيفُ لحومَها ولحومهم ... فأتَوكَ أنقاضاً على أنقاضِ)

مقتل أبي الشيص

وقال عبد الله بن المعتز حدثني أبو مالك عبد الله قال قال لي عبد الله بن الأعمش
كان أبو الشيص عند عقبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعي يشرب فلما ثمل نام عنده ثم انتبه في بعض الليل فذهب يدب إلى خادم له فوجأه بسكين فقال له ويحك قتلتني والله وما أحب والله أن أفتضح أني قتلت في مثل هذا ولا تفضح أنت بي ولكن خذ دستيجة فاكسرها ولوثها بدمي
واجعل زجاجها في الجرح فإذا سئلت عن خبري فقل إني سقطت في سكري على الدستيجة فانكسرت فقتلتني ومات من ساعته ففعل الخادم ما أمره به ودفن أبو الشيص وجزع عقبة عليه جزعا شديدا فلما كان بعد أيام سكر الخادم فصدق عقبة عن خبره وأنه هو قتله فلم يلبثه أن قام إليه بسيفه فلم يزل يضربه حتى قتله

صوت

(هَلاّ سألتَ معالمَ الأطلالِ ... والرسمَ بعد تقادم الأحوالِ)
(دِمَناً تَهيجُ رسومُها بعد البلى ... طَرَباً وكيف سؤالُ أعجمَ بال)
(يمشين مشي قَطا البِطاح تأوُّدا ... قُبَّ البطون رواجح الأكفال)
(من كل آنسة الحديث حييّةٍ ... ليست بفاحشةٍ ولا مِتْفالِ)
(أقصى مذاهبِها إذا لاقيتها ... في الشهر بين أسِرَّةٍ وحِجالِ)
(وتكونُ ريقتُها إذا نبهتُها ... كالشهدِ أو كسُلافة الجِريالِ)
المتفال المنتنة الريح والجريال فيما قيل اسم للون الخمر وقيل بل هو من أسمائها والدليل على أنه لونها قول الأعشى
(وسُلافةٍ مما تعتق بابل ... كدمِ الذبيح سلبتُها جِرْيالَها)
قال سماك بن حرب حدثني يحنس بن متى الحيري راوية الأعشى أنه سأله عن هذا البيت فقال شربتها حمراء وبلتها بيضاء
الشعر في هذا الغناء المذكور للكميت بن زيد والغناء لابن سريج ثقيل أول بالبنصر عن عمرو بن بانة وذكر المكي أنه لابن محرز وفيه لعطرد - خفيف ثقيل - وهذا الشعر من قصيدة للكميت يمدح بها مخلد بن يزيد بن المهلب يقول فيها
(قادَ الجيوشَ لخمسَ عَشْرةَ حِجَّةً ... ولِداتُه عن ذاك في أشغال)
(قَعَدتْ بهم هِماتُهُمْ وسَمَتْ به ... هِممُ الملوك وسَوْرة الأبطال)
(فكأنما عاشَ المهلّبُ بينهمْ ... بأغرَّ قاسَ مثالَه بمثالِ)
(في كَفّه قَصَبات كلّ مُقلَّدٍ ... يومَ الرِّهان وفوزُ كلِّ نِضَالِ)
(ومتى أزِنْكَ بمعشر وأزنهمُ ... بك ألْفِ وزنك أرجحَ الأثقالِ)
تم الجزء السادس عشر من كتاب الأغاني

ذكر الكميت ونسبه وخبره

هو الكميت بن زيد بن خنيس بن مجالد بن وهيب بن عمرو بن سبيع وقيل الكميت بن زيد بن خنيس بن مجالد بن ذؤيبة بن قيس بن عمرو بن سبيع بن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار شاعر مقدم عالم بلغات العرب خبير بأيامها من شعراء مضر وألسنتها والمتعصبين على القحطانية المقارنين المقارعين لشعرائهم العلماء بالمثالب والأيام المفاخرين بها
وكان في أيام بني أمية ولم يدرك الدولة العباسية ومات قبلها وكان معروفا بالتشيع لبني هاشم مشهورا بذلك وقصائده الهاشميات من جيد شعره ومختاره ولم تزل عصبيته للعدنانية ومهاجاته شعراء اليمن متصلة والمناقضة بينه وبينهم شائعة في حياته وبعد وفاته حتى ناقض دعبل وابن أبي عيينة قصيدته المذهبة بعد وفاته
وأجابهما أبو البلقاء البصري مولى بني هاشم عنها وذلك يذكر في موضع آخر يصلح له من هذا الكتاب إن شاء الله
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي عن خلف الأحمر أنه رأى الكميت يعلم الصبيان في مسجد بالكوفة قال ابن قتيبة في خبره خاصة وكانت بينه وبين الطرماح خلطة ومودة وصفاء لم يكن بين اثنين قال فحدثني بعض أصحابه عن محمد بن سهل راوية الكميت قال أنشدت الكميت قول الطرماح
(إذا قُبِضت نفس الطِّرمّاح أخلقتْ ... عُرا المجد واسترخَى عِنان القصائدِ)
قال إي والله وعنان الخطابة والرواية قال وهذه الأحوال بينهما على تفاوت المذاهب والعصبية والديانة كان الكميت شيعيا عصبيا عدنانيا من شعراء مضر متعصبا لأهل الكوفة والطرماح خارجي صفري قحطاني عصبي لقحطان من شعراء اليمن متعصب لأهل الشام فقيل لهما ففيم اتفقتما هذا الاتفاق مع اختلاف سائر الأهواء قالا اتفقنا على بغض العامة
أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الكراني قال حدثنا أبو عمر العمري عن لقيط قال

الكميت عالم بأيام العرب وأشعارها

اجتمع الكميت بن زيد وحماد الراوية في مسجد الكوفة فتذاكرا أشعار العرب وأيامها فخالفه حماد في شيء ونازعه فقال له الكميت أتظن أنك أعلم مني بأيام العرب وأشعارها قال وما هو إلا الظن هذا والله هو اليقين فغضب الكميت ثم قال له لكم شاعر بصير يقال له عمرو ابن فلان تروي ولكم شاعر أعور أو أعمى اسمه فلان ابن عمرو تروي فقال حماد قولا لم يحفظه فجعل الكميت يذكر رجلا رجلا من صنف صنف ويسأل حمادا هل يعرفه فإذا قال لا أنشده جزءا منه حتى ضجرنا

ثم قال له الكميت فإني سائلك عن شيء من الشعر فسأله عن قول الشاعر
(طَرَحُوا أصحابَهُمْ في ورطةٍ ... قَذْفَكِ المَقْلَةَ شَطْرَ المُعْتَرَكْ)
فلم يعلم حماد تفسيره فسأله عن قول الآخر
(تَدَرَّيْنَنَا بالقَوْلِ حتى كأنما ... تَدَرَّيْنَ وِلْدَانا تَصِيدُ الرَّهادِنا)
فأفحم حماد فقال له قد أجلتك إلى الجمعة الأخرى فجاء حماد ولم يأت بتفسيرهما وسأل الكميت أن يفسرهما له فقال المقلة حصاة أو نواة من نوى المقل يحملها القوم معهم إذا سافروا وتوضع في الإناء ويصب عليها الماء حتى يغمرها فيكون ذلك علامة يقتسمون بها الماء والشطر النصيب والمعترك الموضع الذي يختصمون فيه في الماء فيلقونها هناك عند الشر وقوله تدريننا يعني النساء أي ختلننا فرميننا والرهادن طير بمكة كالعصافير

الكميت يحبس في المخيس

وكان خالد بن عبد الله القسري - فيما حدثني به عيسى بن الحسين الوراق قال أخبرنا أحمد بن الحارث الفزاري عن ابن الأعرابي وذكره محمد بن أنس السلامي عن المستهل بن الكميت وذكره ابن كناسة عن جماعة من بني أسد - قد بلغه أن الكميت أنشد قصيدته التي يهجو فيها اليمن وهي
(... ألا حُيِّيتِ عَنَّا يا مَدِينا)
فأحفظته عليه فروى جارية حسناء قصائده الهاشميات وأعدها ليهديها إلى هشام وكتب إليه بأخبار الكميت وهجائه بني أمية وأنفذ إليه قصيدته التي يقول فيها
(! فيا رَبِّ هل إلاّ بكَ النَّصْرُ يُبْتَغَى ... ويا ربّ هل إلاّ عَلَيْكَ المُعَوَّلُ)
وهي طويلة يرثي فيها زيد بن علي وابنه الحسين بن زيد ويمدح بني هاشم فلما قرأها أكبرها وعظمت عليه واستنكرها وكتب إلى خالد يقسم عليه أن يقطع لسان الكميت ويده فلم يشعر الكميت إلا والخيل محدقة بداره فأخذ وحبس في المخيس وكان أبان بن الوليد عاملا على واسط وكان الكميت صديقه فبعث إليه بغلام على بغل وقال له أنت حر إن لحقته والبغل لك وكتب إليه قد بلغني ما صرت إليه وهو القتل إلا أن يدفع الله عز وجل وأرى لك أن تبعث إلى حبى - يعني زوجة الكميت وهي بنت نكيف بن عبد الواحد وهي ممن يتشيع أيضا - فإذا دخلت إليك تنقبت نقابها ولبست ثيابها وخرجت فإني أرجو ألا يؤبه لك

فأرسل الكميت إلى أبي وضاح حبيب بن بديل وإلى فتيان من بني عمه من مالك بن سعيد فدخل عليه حبيب فأخبره الخبر وشاوره فيه فسدد رأيه ثم بعث إلى حبى امرأته فقص عليها القصة وقال لها أي ابنة عم إن الوالي لا يقدم عليك ولا يسلمك قومك ولو خفته عليك لما عرضتك له فألبسته ثيابها وإزارها وخمرته وقالت له أقبل وأدبر ففعل فقالت ما أنكر منك شيئا إلا يبسا في كتفك فاخرج على اسم الله

وأخرجت معه جارية لها فخرج وعلى باب السجن أبو وضاح ومعه فتيان من أسد فلم يؤبه له ومشى والفتيان بين يديه إلى سكة شبيب بناحية الكناسة فمر بمجلس من مجالس بني تميم فقال بعضهم رجل ورب الكعبة وأمر غلامه فاتبعه فصاح به أبو الوضاح يا كذا وكذا لا أراك تتبع هذه المرأة منذ اليوم وأومأ إليه بنعله فولى العبد مدبرا وأدخله أبو الوضاح منزله

ولما طال على السجان الأمر نادى الكميت فلم يجبه فدخل ليعرف خبره فصاحت به المرأة وراءك لا أم لك فشق ثوبه ومضى صارخا إلى باب خالد فأخبره الخبر فأحضر حبى فقال لها يا عدوة الله احتلت على أمير المؤمنين وأخرجت عدوه لأمثلن بك ولأصنعن ولأفعلن فاجتمعت بنو أسد إليه وقالوا ما سبيلك على امرأة منا خدعت فخافهم فخلى سبيلها

قال وسقط غراب على الحائط فنعب فقال الكميت لأبي وضاح إني لمأخوذ وإن حائطك لساقط فقال سبحان الله هذا ما لا يكون إن شاء الله فقال له لا بد من أن تحولني فخرج به إلى بني علقمة - وكانوا يتشيعون - فأقام فيهم ولم يصبح حتى سقط الحائط الذي سقط عليه الغراب

خروجه إلى الشام

قال ابن الأعرابي قال المستهل وأقام الكميت مدة متواريا حتى إذا أيقن أن الطلب قد خف عنه خرج ليلا في جماعة من بني أسد على خوف ووجل وفيمن معه صاعد غلامه قال وأخذ الطريق على القطقطانة - وكان عالما بالنجوم مهتديا بها - فلما صار سحير صاح بنا هوموا يا فتيان فهومنا وقام يصلي

قال المستهل فرأيت شخصا فتضعضعت له فقال مالك قلت أرى شيئا مقبلا فنظر إليه فقال هذا ذئب قد جاء يستطعمكم فجاء الذئب فربض ناحية فأطعمناه يد جزور فتعرقها ثم أهوينا له بإناء فيه ماء فشرب منه وارتحلنا فجعل الذئب يعوي فقال الكميت ما له ويله ألم نطعمه ونسقه وما أعرفني بما يريد هو يعلمنا أنا لسنا على الطريق تيامنوا يا فتيان فتيامنا فسكن عواؤه فلم نزل نسير حتى جئنا الشام فتوارى في بني أسد وبني تميم وأرسل إلى أشراف قريش - وكان سيدهم يومئذ عنبسة بن سعيد بن العاص - فمشت رجالات قريش بعضها إلى بعض وأتوا عنبسة فقالوا يا أبا خالد هذه مكرمة قد أتاك الله بها هذا الكميت بن زيد لسان مضر وكان أمير المؤمنين كتب في قتله فنجا حتى تخلص إليك وإلينا قال فمروه أن يعوذ بقبر معاوية ابن هشام بدير حنيناء فمضى الكميت فضرب فسطاطه عند قبره ومضى عنبسة فأتى مسلمة بن هشام فقال له يا أبا شاكر مكرمة أتيتك بها تبلغ الثريا إن اعتقدتها فإن علمت أنك تفي بها وإلا كتمتها قال وما هي فأخبره الخبر وقال إنه قد مدحكم عامة وإياك خاصة بما لم يسمع بمثله فقال علي خلاصه

فدخل على أبيه هشام وهو عند أمه في غير وقت دخول فقال هشام أجئت لحاجة قال نعم قال هي مقضية إلا أن يكون الكميت

فقال ما أحب أن تستثني علي في حاجتي وما أنا والكميت فقالت أمه والله لتقضين حاجته كائنة ما كانت قال قد قضيتها ولو أحاطت بما بين قطريها قال هي الكميت يا أمير المؤمنين وهو آمن بأمان الله عز وجل وأماني وهو شاعر مضر وقد قال فينا قولا لم يقل مثله قال قد أمنته وأجزت أمانك له فاجلس له مجلسا ينشدك فيه ما قال فينا

مدائحه في بني أمية

فعقد له وعنده الأبرش الكلبي فتكلم بخطبة ارتجلها ما سمع بمثلها قط وامتدحه بقصيدته الرائية ويقال إنه قالها ارتجالا وهي قوله
(... قِفْ بالديار وقوفَ زائرْ)

فمضى فيها حتى انتهى إلى قوله
(ماذا عليكَ مِنَ الوُقُوفِ ... بِها وأنكَ غَيْرُ صاغِرْ)
(دَرَجَتْ عليها الغاديات ... الرَّائحاتُ مِنَ الأعاصر)
وفيها يقول
(فالآن صِرْتُ إلى أُمَيَّة ... والأمورُ إلى المَصايِرْ)
وجعل هشام يغمز مسلمة بقضيب في يده فيقول اسمع اسمع ثم استأذنه في مرثية ابنه معاوية فأذن له فأنشده قوله
(سأبْكِيكَ للدُّنيا وللدِّين إنني ... رأيْتُ يدَ المعروفِ بعدكِ شَلَّتِ)
(فدامتْ عليكَ بالسلام تحيةً ... ملائكةُ اللهِ الكرامُ وصلّتِ)
فبكى هشام بكاء شديدا فوثب الحاجب فسكته
ثم جاء الكميت إلى منزله آمنا فحشدت له المضرية بالهدايا وأمر له مسلمة بعشرين ألف درهم وأمر له هشام بأربعين ألف درهم وكتب إلى خالد بأمانه وأمان أهل بيته وأنه لا سلطان له عليهم
قال وجمعت له بنو أمية بينها مالا كثيرا قال ولم يجمع من قصيدته تلك يومئذ إلا ما حفظه الناس منها فألف وسئل عنها فقال ما أحفظ منها شيئا إنما هو كلام ارتجلته
فقال وودع هشاما وأنشده قوله فيه
(...ذكر القلبُ إلْفَه المذكورَا)
قال محمد بن كناسة وكان الكميت يقول سبقت الناس في هذه القصيدة من أهل الجاهلية والإسلام إلى معنى ما سبقت إليه في صفة الفرس حين أقول
(... يَبْحثُ التُّربَ عن كواسر في المَشرْب ... لا يُجْشِمُ السُّقاةَ الصَّفِيرا)
هذه رواية ابن عمار وقد روى فيه غير هذا

سبب المنافرة بين الكميت وخالد

وقيل في سبب المنافرة بين خالد والكميت غير هذا نسخته من كتاب محمد بن يحيى الخراز قال حدثني أحمد بن إبراهيم الحاسب قال حدثني عبد الرحمن بن داود بن أبي أمية البلخي
قال كان حكيم بن عياش الأعور الكلبي ولعا بهجاء مضر فكانت شعراء مضر تهجوه ويجيبهم وكان الكميت يقول هو والله أشعر منكم قالوا فأجب الرجل قال إن خالد بن عبد الله القسري محسن إلي فلا أقدر أن أرد عليه قالوا فاسمع بأذنك ما يقول في بنات عمك وبنات خالك من الهجاء وأنشدوه ذلك فحمى الكميت لعشيرته فقال المذهبة
(... ألاَ حُيِّيتِ عنّا يا مَدِينَا)
فأحسن فيها وبلغ خالدا خبرها فقال لا أبالي ما لم يجر لعشيرتي ذكر فأنشدوه قوله
(ومِنْ عَجَبٍ عليَّ لعَمْرُ أمٍّ ... غذَتك وغيرِ هاتيّا يمينا)
(تجاوزتِ المياهَ بلا دَليلٍ ... ولا عَلَمٍ تعسَّفَ مخطئينا)
(فإنكَ والتحوّل مِنْ مَعَدٍّ ... كهيلةَ قَبْلَنَا والجالبينا)
((تخطَّت خيرهم حَلَباً ونَسْئاً ... إلى المَوْلَى المغادِرِ هاربينا)
(كعَنْزِ السّوءِ تنطحُ عالِفيها ... وترميها عِصِيُّ الذابحينا)
فبلغ ذلك خالدا فقال فعلها والله لأقتلنه ثم اشترى ثلاثين جارية بأغلى ثمن وتخيرهن نهاية في حسن الوجوه والكمال والأدب فرواهن الهاشميات ودسهن مع نخاس إلى هشام بن عبد الملك فاشتراهن جميعا فلما أنس بهن استنطقهن فرأى فصاحة وأدبا فاستقرأهن القرآن فقرأن واستنشدهن الشعر فأنشدنه قصائد الكيمت الهاشميات فقال ويلكن من قائل هذا الشعر قلن الكميت بن زيد الأسدي قال وفي أي بلد هو قلن في العراق ثم بالكوفة فكتب إلى خالد وهو عامله على العراق ابعث إلي برأس الكميت بن زيد فبعث خالد إلى الكميت في الليل فأخذه وأودعه السجن ولما كان من الغد أقرأ من حضره من مضر كتاب هشام واعتذر إليهم من قتله وآذنهم في إنفاذ الأمر فيه في غد فقال لأبان بن الوليد البجلي - وكان صديقا للكميت - انظر ما ورد في صديقك فقال عز علي والله ما به ثم قام أبان فبعث إلى الكميت فأنذره فوجه إلى امرأته

الكميت وهشام بن عبد الملك

ثم ذكر الخبر في خروجه ومقامها مكانه كما ذكر من تقدمه وقال فيه فأتى
مسلمة بن عبد الملك فاستجار به فقال إني أخشى ألا ينفعك جواري عنده ولكن استجر بابنه مسلمة بن هشام فقال كن أنت السفير بيني وبينه في ذلك ففعل مسلمة وقال لابن أخيه قد أتيتك بشرف الدهر واعتقاد الصنيعة في مضر وأخبره الخبر فأجاره مسلمة بن هشام وبلغ ذلك هشاما فدعا به ثم قال أتجير على أمير المؤمنين بغير أمره فقال كلا ولكني انتظرت سكون غضبه قال أحضرنيه الساعة فإنه لا جوار لك فقال مسلمة للكميت يا أبا المستهل إن أمير المؤمنين أمرني بإحضارك قال أتسلمني يا أبا شاكر قال كلا ولكني أحتال لك ثم قال له إن معاوية بن هشام مات قريبا وقد جزع عليه جزعا شديدا فإذا كان من الليل فاضرب رواقك على قبره وأنا أبعث إليك بنيه يكونون معك في الرواق فإذا دعا بك تقدمت إليهم أن يربطوا ثيابهم بثيابك ويقولوا هذا استجار بقبر أبينا ونحن أحق من أجاره
فأصبح هشام على عادته متطلعا من قصره إلى القبر فقال من هذا فقالوا لعله مستجير بالقبر فقال يجار من كان إلا الكميت فإنه لا جوار له فقيل فإنه الكميت قال يحضر أعنف إحضار فلما دعي به ربط الصبيان ثيابهم بثيابه فلما نظر هشام إليهم اغرورقت عيناه واستعبر وهم يقولون يا أمير المؤمنين استجار بقبر أبينا وقد مات ومات حظه من الدنيا فاجعله هبة له ولنا ولا تفضحنا فيمن استجار به فبكى هشام حتى انتحب ثم أقبل على الكميت فقال له يا كميت أنت القائل
((وإلاَّ تَقُولُوا غيرها تتعرَّفوا ... نَواصِيها تَرْدِي بِنَا وهي شُزَّبُ
فقال لا والله ولا أتان من أتن الحجاز وحشية فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال أما بعد فإني كنت أتدهدى في غمرة وأعوم في بحر غواية أخنى علي خطلها واستفزني وهلها فتحيرت في الضلالة وتسكعت في الجهالة مهرعا عن الحق جائرا عن القصد أقول الباطل ضلالا وأفوه بالبهتان وبالا وهذا مقام العائذ مبصر الهدى ورافض العمى فاغسل عني يا أمير المؤمنين الحوبة بالتوبة واصفح عن الزلة واعف عن الجرمة ثم قال
(كَمْ قالَ قائلُكم لَعالكً ... عند عَثْرتِهِ لعاثِرْ)

(وغَفَرْتُمُ لِذَوي الذنُوب ... من الأكابرِ والأصاغِرْ)
(أبني أُميةَ إنَّكُم ... أهلُ الوسائلِ والأوامِرْ)
(ثِقَتي لكُلِّ مُلِمَّةٍ ... وعشيرتي دونَ العشائرْ)
(أنْتُمْ مَعَادِنُ للخلافة ... قَةِ كابِراً مِنْ بَعْدِ كابِر)
(بالتِّسْعَةِ المتتابعين ... خلائفاً وبخيرِ عاشِرْ)
(وإلى القيامةِ لا تزال ... لِشافِعٍ منكمْ وَوَاتِرْ)
ثم قطع الإنشاد وعاد إلى خطبته فقال إغضاء أمير المؤمنين وسماحته وصباحته ومناط المنتجعين بحبله من لا تحل حبوته لإساءة المذنبين فضلا عن استشاطة غضبه بجهل الجاهلين
فقال له ويلك يا كميت من زين لك الغواية ودلاك في العماية قال الذي أخرج أبانا من الجنة وأنساه العهد فلم يجد له عزما فقال إيه أنت القائل
(فيا مُوقداً ناراً لغيرك ضَوْؤها ... ويا حاطِباً في غير حَبْلك تحطِبُ)
فقال بل أنا القائل
(إلى آلِ بَيْتِ أبي مالكٍ ... مناخٌ هو الأرْحَبُ الأسْهَلُ)
(نَمُتُّ بأرْحامنا الدَّاخِلاتِ ... مِنْ حيْثُ لا يُنْكَرُ المدخَلُ)
(بِبَرَّةَ والنَّضْرِ والمالِكِين ... رَهْطٌ هم الأنبلُ الأنبلُ)
(وبابْنى] خُزيمة بدرِ السماء ... والشمس مفتاحِ ما نَأْمُلُ)
(وجَدْنا قُريشاً قُريشَ البِطاح ... على ما بَنى الأوَّلُ الأوّلُ)
(بهم صَلُح الناسُ بعد الفساد ... وحِيص من الفَتْق ما رَعْبَلُوا)
قال له وأنت القائل
(لا كعَبْدِ المَلِيكِ أو كَوليدْ ... أو سُليمانَ بَعْدُ أو كهشام)
(مَنْ يَمُتْ لا يَمُتْ فقِيداً ومن يَحيى ... فلا ذُو إلٍّ ولا ذُو ذِمام)
ويلك يا كميت جعلتنا ممن لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة فقال بل أنا القائل يا أمير المؤمنين
(فالآنَ صِرْتُ إلى أُميّة ... والأُمورُ إلى المَصَايِرْ)
(والآنَ صِرْتُ بها المُصِيب ... كمُهْتَدٍ بالأمْسِ حَائِرْ)
(يَابْنَ العقائلِ للْعقائِلِ ... والجحاجحةِ الأخايِرْ)
(مِنْ عَبْدِ شمسٍ والأكابِرِ ... مِنْ أُمَيَّةَ فالأكابِرْ)
(إنَّ الخلافة والإلافَ ... برغْمِ ذِي حَسَدٍ ووَاغِرْ)
(دَلفاً مِنَ الشَّرفِ التَّلِيد ... إليكَ بالرِّفْدِ المُوافِرْ)
(فحللتَ مُعْتَلَجَ البِطاح ... وحلَّ غيرك بالظواهِرْ)
قال له إيه فأنت القائل
(فقُلْ لبني أُمَيَّةَ حيْثُ حَلُّوا ... وإنْ خِفْتَ المُهَنَّد والقَطِيعا)
(أجاعَ اللَّهُ مَنْ أشبعتموه ... وأشبعَ مَنْ بِجَوْرِكُمُ أُجِيعَا)
(بمرْضِيِّ السياسةِ هاشميٍّ ... يكونُ حَيّاً لأُمَّتِهِ رَبِيعَا)
فقال لا تثريب يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تمحو عني قولي الكاذب قال بماذا قال بقولي الصادق
(أورَثَتْهُ الحصانُ أمُّ هِشامٍ ... حَسَباً ثاقِباً ووَجْهاً نَضِيرا)
(وتعاطَى به ابنُ عائشةَ البدر ... فأمسى له رَقِيباً نَظِيرا)
(وكساه أبو الخلائفِ مَرْوَانُ ... سَنِيَّ المكارمِ المأثورَا)
(لم تجهَّمْ لَهُ البِطاحُ ولكِنْ ... وَجَدَتْها لَهُ مغاراً ودُورا)
وكان هشام متكئا فاستوى جالسا وقال هكذا فليكن الشعر - يقولها لسالم بن عبد الله بن عمر وكان إلى جانبه - ثم قال قد رضيت عنك يا كميت فقبل يده وقال يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تزيد في تشريفي ولا تجعل لخالد علي إمارة قال قد فعلت وكتب له بذلك وأمر له بأربعين ألف درهم وثلاثين ثوبا هشامية وكتب إلى خالد أن يخلي سبيل امرأته ويعطيها عشرين ألفا وثلاثين ثوبا ففعل ذلك

الكميت وخالد بن عبد الله

وله مع خالد أخبار بعد قدومه الكوفة بالعهد الذي كتب له منها أنه مر به خالد يوما وقد تحدث الناس بعزله عن العراق فلما جاز تمثل الكميت
(أراها - وإن كانت تُحَبُّ - كأنها ... سحابةُ صَيْفٍ عن قليل تَقَشَّعُ)
فسمعه خالد فرجع وقال أما والله لا تنقشع حتى يغشاك منها شؤبوب برد ثم أمر به فجرد فضربه مائة سوط ثم خلى عنه ومضى هذه رواية ابن حبيب
وقد أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا النوفلي علي بن محمد ابن سليمان أبو الحسن قال حدثني أبي قال كان هشام بن عبد الملك قد اتهم خالد بن عبد الله - وكان يقال إنه يريد خلعك - فوجد بباب هشام يوما رقعة فيها شعر فدخل بها على هشام فقرئت عليه وهي
(تألَّقَ بَرْقٌ عندنا وتقابَلَتْ ... أثَافٍ لِقدْرِ الحَرْبِ أخْشَى اقْتِبالَها)
(فدونَك قِدْرَ الحرْبِ وهي مُقِرَّةٌ ... لكفَّيك واجعل دُونَ قِدْرٍ جِعالها)
(ولن تنتهي أو يبلغَ الأمْرَ حَدَّه ... فنَلْهَا برسْلٍ قبل ألاّ تنالَها)
(فتجشَم منها ما جَشِمْتَ مِنَ التي ... بِسُوراء هرَّتْ نحو حالكَ حالها)
(تلافَ أُمورَ الناسِ قبل تفاقُمٍ ... بعقْدَةِ حَزْمٍ لا تَخافُ انحلالَها)
(فما أبرم الأقوامُ يَوْماً لِحِيلةٍ ... مِنَ الأمرِ إلاّ قلَّدُوكَ احتيالَها)
(وقد تُخبِرُ الحربُ العَوانُ بسرِّها ... - وإنْ لم تُبحْ - مَنْ لا يُرِيدُ سؤالَها)
فأمر هشام أن يجمع له من بحضرته من الرواة فجمعوا فأمر بالأبيات فقرئت عليهم فقال شعر من تشبه هذه الأبيات

فأجمعوا جميعا من ساعتهم أنه كلام الكميت بن زيد الأسدي فقال هشام نعم هذا الكميت ينذرني بخالد بن عبد الله ثم كتب إلى خالد بخبره وكتب إليه بالأبيات وخالد يومئذ بواسط
فكتب خالد إلى واليه بالكوفة يأمره بأخذ الكميت وحبسه وقال لأصحابه إنه بلغني أن هذا يمدح بني هاشم ويهجو بني أمية فأتوني من شعره هذا بشيء فأتي بقصيدته اللامية التي أولها
(! ألاَ هَلْ عَمٍ في رَأْيِهِ مُتأمِّلُ ... وهل مُدْبِرٌ بعد الإساءةِ مُقْبِلُ)
فكتبها وأدرجها في كتاب إلى هشام يقول هذا شعر الكميت فإن كان قد صدق في هذا فقد صدق في ذاك
فلما قرئت على هشام اغتاظ فلما قال
(فيا ساسةً هاتوا لنا مِنْ جوابكم ... ففيكم لعَمْري ذُو أفانين مِقْوَلُ)
اشتد غيظه فكتب إلى خالد يأمره أن يقطع يدي الكميت ورجليه ويضرب عنقه ويهدم داره ويصلبه على ترابها
فلما قرأ خالد الكتاب كره أن يستفسد عشيرته وأعلن الأمر رجاء أن يتخلص الكميت فقال لقد كتب إلي أمير المؤمنين وإني لأكره أن أستفسد عشيرته وسماه فعرف عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد ما أراد فأخرج غلاما له مولدا ظريفا فأعطاه بغلة له شقراء فارهة من بغال الخليفة وقال إن أنت وردت الكوفة فأنذرت الكميت لعله أن يتخلص من الحبس فأنت حر لوجه الله والبغلة لك ولك علي بعد ذلك إكرامك والإحسان إليك
فركب البغلة وسار بقية يومه وليلته من واسط إلى الكوفة فصبحها فدخل الحبس متنكرا فخبر الكميت بالقصة فأرسل إلى امرأته وهي ابنة عمه يأمرها أن تجيئه ومعها ثياب من لباسها وخفان ففعلت فقال ألبسيني لبسة النساء ففعلت ثم قالت له أقبل فأقبل وأدبر فأدبر فقالت ما أرى إلا يبسا في منكبيك اذهب في حفظ الله
فخرج فمر بالسجان فظن أنه المرأة فلم يعرض له فنجا وأنشأ يقول
(خرجتُ خروجَ القِدْح قِدْحِ ابن مُقْبِل ... على الرَّغْمِ من تلكَ النوابِح والمُشْلِي)
(عليَّ ثيابُ الغانيات وتحتها ... عزيمةُ أمرٍ أشبهَتْ سَلَّةَ النَّصْلِ)
وورد كتاب خالد على والي الكوفة يأمره فيه بما كتب به إليه هشام فأرسل إلى الكميت ليؤتى به من الحبس فينفذ فيه أمر خالد فدنا من باب البيت فكلمتهم المرأة وخبرتهم أنها في البيت وأن الكميت قد خرج فكتب بذلك إلى خالد فأجابه حرة كريمة آست ابن عمها بنفسها وأمر بتخليتها فبلغ الخبر الأعور الكلبي بالشام فقال قصديته التي يرمي فيها امرأة الكميت بأهل الحبس ويقول أسودين وأحمرينا
فهاج الكميت ذلك حتى قال
(... ألاَ حُيِّيتِ عنّا يا مَدِينا)
وهي ثلاثمائة بيت لم يترك فيها حيا من أحياء اليمن إلا هجاهم وتوارى وطلب فمضى إلى الشام فقال شعره الذي يقول فيه
(... قِفْ بالدِّيار وقوفَ زائرْ)
في مسلمة بن عبد الملك ويقول
((يا مَسْلَمُ ابْنَ أبي الوليد ... لميّتٍ إنْ شئتَ ناشِرْ)
(اليومَ صِرتُ إلى أُميةٍّ ... والأمورُ إلى المصايرْ)
قال أبو الحسن قال أبي إنما أراد اليوم صرت إلى أمية والأمور إلى مصايرها أي بني هاشم وبذلك احتج ابنه المستهل على أبي العباس حين عيره بقول أبيه هذا الشعر
فأذن له ليلا فسأله أن يجيره على هشام فقال إني قد أجرت على أمير المؤمنين فأخفر جواري وقبيح برجل مثلي أن يخفر في كل يوم ولكني أدلك فاستجر بمسلمة بن هشام وبأمه أم الحكم بنت يحيى بن الحكم فإن أمير المؤمنين قد رشحه لولاية العهد
فقال الكميت بئس الرأي أضيع دمي بين صبي وامرأة فهل غير هذا قال نعم مات معاوية ابن أمير المؤمنين وكان يحبه وقد جعل أمير المؤمنين على نفسه أن يزور قبره في كل أسبوع يوما - وسمى يوما بعينه - وهو يزوره في ذلك اليوم فامض فاضرب بناءك عند قبره واستجر به فإني سأحضر معه وأكلمه بأكثر من الجوار
ففعل ذلك الكميت في اليوم الذي يأتيه فيه أبوه فجاء هشام ومعه مسلمة فنظر إلى البناء فقال لبعض أعوانه انظر ما هذا فرجع فقال الكميت بن زيد مستجير بقبر معاوية ابن أمير المؤمنين فأمر بقتله فكلمه مسلمة وقال يا أمير المؤمنين إن إخفار الأموات عار على الأحياء فلم يزل يعظم عليه الأمر حتى أجاره
فحدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ
قال حدثنا حجر بن عبد الجبار
قال خرجت الجعفرية على خالد بن عبد الله القسري وهو يخطب على المنبر وهو لا يعلم بهم فخرجوا في التبابين ينادون لبيك جعفر لبيك جعفر وعرف خالد خبرهم وهو يخطب على المنبر فدهش فلم يعلم ما يقول فزعا فقال أطعموني ماء ثم خرج الناس إليهم فأخذوا فجعل يجيء بهم إلى المسجد ويؤخذ طن قصب فيطلى بالنفط ويقال للرجل احتضنه ويضرب حتى يفعل ثم يحرق فحرقهم جميعا
فلما قدم يوسف بن عمر دخل عليه الكميت وقد مدحه بعد قتله زيد بن علي فأنشده قوله فيه
(خرجْتَ لهم تَمْشِي البَرَاح ولم تكُنْ ... كمَنْ حِصْنُه فيه الرِّتَاجُ المضبَّبُ)
(وما خالدٌ يستَطْعِمُ الماءَ فاغِراً ... بِعِدْلِكَ والدّاعِي إلى الموت ينعَب)

موت الكميت

قال والجند قيام على رأس يوسف بن عمر وهم يمانية فتعصبوا لخالد فوضعوا ذباب سيوفهم في بطن الكميت فوجئوه بها وقالوا أتنشد
الأمير ولم تستأمره فلم يزل ينزفه الدم حتى مات
وأخبرني عمي قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثنا إبراهيم بن عبدالله الطلحي عن محمد بن سلمة بن أرتبيل قال لما دخل الكميت بن زيد على هشام سلم ثم قال يا أمير المؤمنين غائب آب ومذنب تاب محا بالإنابة ذنبه وبالصدق كذبه والتوبة تذهب الحوبة ومثلك حلم عن ذي الجريمة وصفح عن ذي الريبة
فقال له هشام ما الذي نجاك من القسري قال صدق النية في التوبة قال ومن سن لك الغي وأورطك فيه قال الذي

أغوى آدم فنسي ولم يجد له عزما فإن رأيت يا أمير المؤمنين فدتك نفسي إن تأذن لي بمحو الباطل بالحق بالاستماع لما قلته فأنشده
(ذَكَر القلبُ إلْفَهُ المذكورا ... وتلاقَى مِنَ الشباب أخِيرا)
حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني أحمد بن بكير الأسدي قال حدثني محمد بن أنس قال حدثني محمد بن سهل الأسدي قال
دخل المستهل بن الكميت على عبد الصمد بن علي فقال له من
أنت فأخبره فقال لا حياك الله ولا حيا أباك وهو الذي يقول
(فالآن صرتُ إلى أُميةَّ ... والأمورُ إلى المصايرْ)
قال فأطرقت استحياء مما قال وعرفت البيت قال ثم قال لي ارفع رأسك فلئن كان قال هذا فلقد قال
(بخاتمكم كرهاً تجوزُ أمورُهم ... فلم أرَ غَصْباً مِثْلَه حين يُغْصَبُ)
قال فسلي بعض ما كان بي وحادثني ساعة ثم قال ما يعجبك من النساء يا مستهل قلت
(غَرّاء تَسْحَبُ مِنْ قِيامٍ فَرْعَها ...جَثْلاً يُزَيِّنه سَوادٌ أسْحَمُ)
(فكأنها فيه نَهارٌ مُشرِقٌ ... وكأنَّهُ ليلٌ عَلَيْها مُظْلِمُ)
قال يا بني هذه لا تصاب إلا في الفردوس وأمر له بجائزة
أخبرني عمي قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثني إبراهيم بن عبد الله الخصاف الطلحي عن محمد بن أنس السلامي قال
كان هشام بن عبد الملك مشغوفا بجارية له يقال لها صدوف مدنية اشتريت له بمال جزيل فعتب عليها ذات يوم في شيء وهجرها وحلف ألا يبدأها بكلام فدخل عليه الكميت وهو مغموم بذلك فقال مالي أراك مغموما يا أمير المؤمنين لا غمك الله فأخبره هشام بالقصة فأطرق الكميت ساعة ثم أنشأ يقول
(أعتبْتَ أمْ عَتَبَتْ عَلَيْكَ صَدُوفُ ... وعِتابُ مَثْلِك مِثلَها تَشريفُ)
(لا تقعُدَنَّ تَلُومُ نفسَكَ دَائِباً ... فيها وأنتَ بحُبِّها مشغوفُ)
(إنَّ الصريمةَ لا يقومُ بِثِقْلها ... إلاَّ القويُّ بها وأنْتَ ضَعِيفُ)
فقال هشام صدقت والله ونهض من مجلسه فدخل إليها ونهضت إليه فاعتنقته وانصرف الكميت فبعث إليه هشام بألف دينار وبعثت إليه بمثلها
قال الطلحي أخبرني حبيش بن الكميت أخو المستهل بن الكميت بن زيد قال

الكميت ويزيد بن عبد الملك

وفد الكميت بن زيد على يزيد بن عبد الملك فدخل عليه يوما وقد اشتريت له سلامة القس فأدخلها إليه والكميت حاضر فقال له يا أبا المستهل هذه جارية تباع أفترى أن نبتاعها قال إي والله يا أمير المؤمنين وما أرى أن لها مثلا في الدنيا فلا تفوتنك قال فصفها لي في شعر حتى أقبل رأيك فقال الكميت
(هي شمسُ النهارِ في الحُسْنِ إلاّ ... أنها فُضّلت بِقَتْلِ الظِّرافِ)
(غَضَّةٌ بَضَّةٌ رَخيمٌ لَعُوبٌ ... وَعْثَةُ المتنِ شَخْتة الأطراف)
(زانها دَلُّها وثَغْرٌ نَقِيٌّ ... وحَدِيثٌ مُرتَّل غَيْرُ جَافِي)
(خُلِقَتْ فَوْقَ مُنْيَةِ المتمني ... فأقْبَلِ النُّصحَ يابْنَ عَبْدِ مَنَافِ)
فضحك يزيد وقال قد قبلنا نصحك يا أبا المستهل وأمر له بجائزة سنية
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال أخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال
مر الفرزدق بالكميت وهو ينشد - والكميت يومئذ صبي - فقال له الفرزدق يا غلام أيسرك أني أبوك فقال لا ولكن يسرني أن تكون أمي فحصر الفرزدق فأقبل على جلسائه وقال ما مر بي مثل هذا قط
أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني بن عقدة قال أخبرنا علي بن محمد الحسيني قال حدثنا جعفر بن محمد بن عيسى الحمال قال حدثنا مصبح بن الهلقام قال حدثنا محمد بن سهل صاحب الكميت قال
دخلت مع الكميت على أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام فقال له جعلت فداك ألا أنشدك قال إنها أيام عظام قال إنها فيكم قال هات - وبعث أبو عبد الله إلى بعض أهله فقرب - فأنشده فكثر البكاء حين أتى على هذا البيت
(يُصيبُ به الرّامون عن قَوْسِ غيرهم ... فيا آخراً سَدَّى له الغَيَّ أوّلُ)
فرفع أبو عبد الله - عليه السلام - يديه فقال اللهم اغفر للكميت ما قدم وما أخر وما أسر وما أعلن وأعطه حتى يرضى
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال قال محمد بن كناسة حدثني صاعد مولى الكميت قال
دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي - عليهما السلام - فأنشده الكميت قصيدته التي أولها
(... مَنْ لقَلْبٍ متيَّم مُسْتهامِ)
فقال اللهم اغفر للكميت اللهم اغفر للكميت
قال ودخلنا يوما على أبي جعفر محمد بن علي فأعطانا ألف دينار وكسوة فقال له الكميت والله ما أحببتكم للدنيا ولو أردت الدنيا لأتيت من هي في يديه ولكني أحببتكم للآخرة فأما الثياب التي أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبركاتها وأما المال فلا أقبله فرده وقبل الثياب
قال ودخلنا على فاطمة بنت الحسين - عليهما السلام - فقالت هذا شاعرنا أهل البيت وجاءت بقدح فيه سويق فحركته بيدها وسقت الكميت فشربه ثم أمرت له بثلاثين دينارا ومركب فهملت عيناه وقال لا والله لا أقبلها إني لم أحبكم للدنيا
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال أخبرني عمي عن عبيد الله بن
محمد بن حبيب عن ابن كناسة قال
لما جاءت المسودة سخروا بالمستهل بن الكميت وحملوا عليه حملا ثقيلا وضربوه فمر ببني أسد فقال أترضون أن يفعل بي هذا الفعل قالوا له هؤلاء الذين يقول أبوك فيهم
(والمُصيبون بابَ ما أخطأ النَّاس ... ومُرْسُو قواعِدِ الإسلام)
قد أصابوا فيك فلا نكذب أباك
قال ودخل المستهل على أبي مسلم فقال له أبوك الذي كفر بعد إسلامه فقال كيف وهو الذي يقول

(بخاتمكم كرْهاً تجوزُ أمُورهم ... فلم أر غَصْباً مِثْلَه حين يُغْصَبُ)
فأطرق أبو مسلم مستحييا منه
أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد الكراني قال حدثنا الحسن بن بشر السعدي قال
أخذ العسس المستهل بن الكميت في أيام أبي جعفر وكان الأمر صعبا فحبس فكتب إلى أبي جعفر يشكو حاله وكتب في آخر الرقعة
(لئِنْ نحن خِفْنا في زمانِ عدّوكم ... وخِفْناكُمُ إنَّ البلاء لراكِدُ)
فلما قرأها أبو جعفر قال صدق المستهل وأمر بتخليته
حدثني علي بن محمد بن علي إمام مسجد الكوفة قال أخبرنا إسماعيل ابن علي الخزاعي - ابن أخي دعبل - قال حدثني عمي دعبل بن علي قال
رأيت النبي في النوم فقال فقال لي مالك وللكميت بن زيد فقلت
يا رسول الله ما بيني وبينه إلا كما بين الشعراء فقال لا تفعل أليس هو القائل
(فلا زلتُ فيهم حيثُ يتّهمونَنِي ... ولا زلْتُ في أشْياعِهِم أتقلّبُ)
فإن الله قد غفر له بهذا البيت قال فانتهيت عن الكميت بعدها
حدثني علي بن محمد قال حدثني إسماعيل بن علي قال حدثني إبراهيم بن سعد الأسدي قال
سمعت أبي يقول رأيت رسول الله في المنام فقال من أي الناس أنت قلت من العرب قال أعلم فمن أي العرب قلت من بني أسد قال من أسد بن خزيمة قلت نعم قال لي أهلالي أنت قلت نعم قال أتعرف الكميت بن زيد قلت يا رسول الله عمي ومن قبيلتي قال أتحفظ من شعره شيئا قلت نعم قال أنشدني
(... طربْتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطرَبُ)
قال فأنشدته حتى بلغت إلى قوله
(فما لِيَ إلاَّ آلَ أحمدَ شيعةً ... وما ليَ إلاَّ مشْعَب الحقِّ مَشْعَبُ)
فقال لي إذا أصبحت فاقرأ عليه السلام وقل له قد غفر الله لك بهذه القصيدة
وجدت في كتاب بخط المرهبي الكوفي حدثني سليمان بن الربيع بن هشام النهدي الخراز قال
حدثني نصر بن مزاحم المنقري أنه رأى النبي في النوم وبين يديه رجل ينشده
(...من لِقلْبِ مُتَيَّمٍ مُسْتَهامِ)
قال فسألت عنه فقيل لي هذا الكميت بن زيد الأسدي قال فجعل النبي يقول له جزاك الله خيرا وأثنى عليه
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني أحمد بن بكير الأسدي قال حدثني محمد بن أنس السلامي قال حدثني محمد بن سهل راوية الكميت قال

الكميت والفرزدق

جاء الكميت إلى الفرزدق لما قدم الكوفة فقال له إني قد قلت شيئا فاسمعه مني يا أبا فراس قال هاته فأنشده قوله
(طربْتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطربُ ... ولا لَعِباً مني وذو الشيبِ يَلْعَبُ)
(ولكِنْ إلى أهل الفضائلِ والنُّهَى ... وخَيْرِ بني حَوَّاء والخَيْرُ يُطْلَبُ)
فقال له قد طربت إلى شيء ما طرب إليه أحد قبلك فأما نحن فما نطرب ولا طرب من كان قبلنا إلا إلى ما تركت أنت الطرب إليه
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا محمد بن علي النوفلي قال سمعت أبي يقول
لما قال الكميت بن زيد الشعر كان أول ما قال الهاشميات فسترها ثم أتى الفرزدق بن غالب فقال له يا أبا فراس إنك شيخ مضر وشاعرها وأنا ابن أخيك الكميت بن زيد الأسدي قال له صدقت أنت ابن أخي فما حاجتك قال نفث على لساني فقلت شعرا فأحببت أن أعرضه عليك فإن كان حسنا أمرتني بإذاعته وإن كان قبيحاً أمرتني بستره وكنت أولى من ستره علي فقال له الفرزدق أما عقلك فحسن وإني لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك
فأنشدني ما قلت فأنشده
(... طربْتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطرَبُ)
قال فقال لي فيم تطرب يابن أخي فقال
(... ولا لعِباً مني وذو الشيب يَلْعب)
فقال بلى يابن أخي فالعب فإنك في أوان اللعب فقال
(ولم يُلْهِني دارٌ ولا رسْم منزلٍ ... ولم يَتَطَرَّبْنِي بَنانٌ مخضَّب)
فقال ما يطربك يا بن أخي فقال
(ولا السانحاتُ البارحاتُ عشيةً ... أمَرَّ سلِيمُ القَرْنِ أمْ مَرَّ أعْضَبُ)
فقال أجل لا تتطير فقال
(ولكِنْ إلى أهل الفضائل والنُّهَى ... وخَيْرِ بني حَوَّاء والخَيْرُ يُطْلَبُ)
فقال ومن هؤلاء ويحك فقال
(إلى النَّفَر البيض الّذينَ بِحُبِّهم ... إلى اللهِ فيما نَابَنِي أتَقَرَّب)
قال أرحني ويحك من هؤلاء قال
(بَنِي هاشمٍ رَهْطِ النبيِّ فإنني ... بهم ولَهُمْ أرضَى مِراراً وأغْضَبُ)
(خَفَضْتُ لهم مِنّي جَنَاحَيْ مَوَدّةٍ ... إلى كَنَفٍ عِطْفَاهُ أهلٌ ومَرْحَبُ)
(وكنتُ لهم مِنْ هؤلاء وهؤلا ... مُحبّاً على أني أذَمُّ وأقْصَب)
(وأرْمَى وأرْمِي بالعَداوَةِ أهْلَها ... وإني لأُوذَى فِيهِمِ وأؤنّب)
فقال له الفرزدق يا بن أخي أذع ثم أذع فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقي
أخبرني الحسن قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني
أحمد بن بكير قال حدثني محمد بن أنس قال حدثني محمد بن سهل راوية الكميت عن الكميت قال
لما قدم ذو الرمة أتيته فقلت له إني قلت قصيدة عارضت بها قصيدتك

(... ما بال عيْنِك منها الماءُ ينسكب)
فقال لي وأي شيء قلت قال قلت
(هل أنتَ عن طَلَب الأيْفَاعِ مُنْقَلِبُ ... أم كيف يحسنُ مِنْ ذي الشَّيْبَةِ اللَّعِبُ)
حتى أنشدته إياها فقال لي ويحك إنك لتقول قولا ما يقدر إنسان أن يقول لك أصبت ولا أخطأت وذلك أنك تصف الشيء فلا تجيء به ولا تقع بعيدا منه بل تقع قريبا قلت له أو تدري لم ذلك قال لا قلت لأنك تصف شيئا رأيته بعينك وأنا أصف شيئا وصف لي وليست المعاينة كالوصف قال فسكت
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثني إسماعيل بن عبد الله الطلحي عن محمد بن سلمة بن أرتبيل عن حماد الراوية قال
كانت للكميت جدتان أدركتا الجاهلية فكانتا تصفان له البادية وأمورها وتخبرانه بأخبار الناس في الجاهلية فإذا شك في شعر أو خبر عرضه عليهما فيخبرانه عنه فمن هناك كان علمه
أخبرني الحسن بن القاسم البجلي الكوفي قال حدثنا علي بن إبراهيم ابن المعلى قال حدثنا محمد بن فضيل - يعني الصيرفي - عن أبي بكر الحضرمي قال
استأذنت للكميت على أبي جعفر محمد بن علي - عليهما السلام - في أيام التشريق بمنى فأذن له فقال له الكميت جعلت فداك إني قلت فيكم شعرا أحب أن أنشدكه فقال يا كميت اذكر الله في هذه الأيام المعلومات وفي هذه الأيام المعدودات فأعاد عليه الكميت القول فرق له أبو جعفر عليه السلام فقال هات فأنشده قصيدته حتى بلغ
(يُصِيب به الرَّامُون عن قَوْسِ غيرهمْ ... فيا آخراً سَدَّى له الغَيَّ أوَّلُ)
فرفع أبو جعفر يديه إلى السماء وقال اللهم اغفر للكميت
أخبرني جعفر بن محمد بن مروان الغزال الكوفي قال حدثني أبي قال حدثنا أرطأة بن حبيب عن فضيل الرسان عن ورد بن زيد أخي الكميت قال
أرسلني الكميت إلى أبي جعفر فقلت له إن الكميت أرسلني إليك وقد صنع بنفسه ما صنع فتأذن له أن يمدح بني أمية قال نعم هو في حل فليقل ما شاء
أخبرني محمد بن العباس قال أخبرني عمي عن عبيد الله بن محمد بن حبيب عن ابن كناسة قال
مات ورد أخو الكميت فقيل للكميت ألا ترثي أخاك فقال مرثيته ومرزيته عندي سواء وإني لا أطيق أن أرثيه جزعا عليه

الكميت وروايته للحديث والتفسير

وقد روى الكميت بن زيد الحديث وروي عنه
أخبرني جعفر بن محمد بن عبيد بن عتبة في كتابه إلي قال حدثني الحسين بن محمد بن علي الأزدي قال حدثني الوليد بن صالح قال حدثني محمد بن سعيد بن عمير الصيداوي عن أبيه عن الكميت بن زيد قال
حدثني عكرمة أن عبد الله بن عباس بعثه مع الحسين بن علي - عليهما السلام - فجعل يهل حتى رمى جمرة العقبة أو حين رمى جمرة العقبة فسألته عن ذلك فأخبرني أن أباه فعله فحدثت به ابن عباس فقال لي لا أم لك أتسألني عن شيء أخبرك به الحسين بن علي عن أبيه والله إنها لسنة
أخبرنا أبو الحسن بن سراج الجاحظ قال حدثنا مسروق بن عبد الرحمن أبو صالح عن الحسن بن محمد بن أعين عن حفص بن محمد الأسدي قال حدثنا الكميت بن زيد عن مذكور مولى زينب عن زينب قالت
دخل علي النبي وأنا فضل قالت فقلت بيدي هكذا - واستترت - قالت فقال لي إن الله عز وجل زوجنيك
حدثني أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة قال حدثني أحمد بن سراج قال حدثني الحسن بن أيوب الخثعمي قال حدثنا فرات ابن حبيب الأسدي قال حدثني أبي حبيب بن أبي سليمان قال
إن)حدثني الكميت بن زيد قال سألت أبا جعفر عن قول الله عز وجل
الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) قال دخلت أنا وأبي إلى أبي سعيد الخدري فسأله أبي عنها فقال معاد آخرته الموت
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني إسحاق بن محمد بن أبان قال حدثني محمد بن عبد الله بن مهران قال حدثني ربعي بن عبد الله بن الجارود بن أبي سبرة عن أبيه قال
دخل الكميت بن زيد الأسدي على أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام فقال له يا كميت أنت القائل
(فالآن صِرْتُ إلى أُمَيةَ ... والأمورُ إلى المصايرْ)
قال نعم قد قلت ولا والله ما أردت به إلا الدنيا ولقد عرفت فضلكم قال أما أن قلت ذلك فإن التقية لتحل
أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثنا الحسن ابن عبد الرحمن الربعي قال حدثنا أحمد بن بكير الأسدي قال حدثنا محمد بن أنس السلامي الأسدي قال
سئل معاذ الهراء من أشعر الناس قال أمن الجاهليين أم من الإسلاميين قال بل من الجاهليين قال امرؤ القيس وزهير وعبيد بن
الأبرص قالوا فمن الإسلاميين قال الفرزدق وجرير والأخطل والراعي قال فقيل له يا أبا محمد ما رأيناك ذكرت الكميت فيمن ذكرت قال ذاك أشعر الأولين والآخرين
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا العباس بن بكار قال حدثنا أبو بكر الهذلي قال
لما خرج زيد بن علي كتب إلى الكميت اخرج معنا يا أعيمش ألست القائل
(ما أُبالي - إذا حُفِظْتَ أبا القاسم ... - فيكم ملامةَ اللوَّامِ)
فكتب إليه الكميت
(تجودُ لكم نفسي بما دُون وَثْبَةٍ ... تظَلُّ لها الغِرْبان حَوْلِي تَحْجِلُ)
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عن عبيد الله بن محمد بن حبيب عن محمد بن كناسة قال
لما أنشد هشام بن عبد الملك قول الكميت
(فَبِهِمْ صرتَ للبعيد ابْنَ عَمٍّ ... واتَّهمت القريبَ أيَّ اتّهامِ)
(مُبْدِياً صفحتي على الموقف المُعلم ... بالله قوَّتي واعتصامي)
قال استقتل المرائي

الكميت يمدح خالد القسري

قال ودخل الكميت على خالد القسري فأنشده قوله فيه
(لو قِيل للجُود مَنْ حَلِيفُكِ ما ... إنْ كان إلاّ إليك يِنْتَسِبُ)
(أنتَ أخوه وأنْتَ صُورتُهُ ... والرأسُ منه وغيرُك الذَّنَبُ)
(أحرَزْتَ فَضْلَ النِّضالِ في مَهَلٍ ... فَكُلُّ يومٍ يِكفّكَ القصَبُ)
(لو أنّ كَعْباً وحاتماً نُشِرَا ... كانَا جميعاً مِنْ بَعْضِ ما تَهَبُ)
(لا تخلِفُ الوَعْدَ إنْ وَعدتَ ولا ... أنتَ عن المعْتَفِين تحتجِبُ)
(ما دُونَك اليومِ من نَوالٍ ولا ... خَلْفَكَ للراغبين مُنْقَلبُ)
فأمر له بمائة ألف درهم
قال وحضر المستهل بن الكميت باب عيسى بن موسى - وكان يكرمه - فبلغه أنه قد غلب عليه الشراب فاستخف به وكان آخر من يدخل إلى عيسى بن موسى قوم يقال لهم الراشدون يؤذن لهم في القعود فأدخل المستهل معهم فقال
(ألم ترِ أنّي لما حضرت ... دُعِيتُ فكنتُ مع الرّاشدينا)
(ففُزْتُ بأحسنِ أسمائهم ... وأقْبحِ منزلة الدّاخلينا)
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال
دخل الكميت على مخلد بن يزيد بن المهلب فأنشده
(قاد الجيوشَ لخمسَ عَشْرَةَ حِجّةً ... ولِدَاتُه عن ذاكَ في أشْغَالِ)
(قعَدتْ بهم هِمَّاتُهم وسَمْت به ... هِمَمُ الملوكِ وسَوْرَةُ الأبطالِ)
قال وقدام مخلد دراهم يقال لها الرويجة فقال خذ وقرك منها فقال له البغلة بالباب وهي أجلد مني فقال خذ وقرها فأخذ أربعة وعشرين ألف درهم فقيل لأبيه في ذلك فقال لا أرد مكرمة فعلها ابني
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني أبو بكر الأموي قال حدثنا ابن فضيل قال
سمعت ابن شبرمة قال قلت للكميت إنك قلت في بني هاشم فأحسنت وقلت في بني أمية أفضل قال إني إذا قلت أحببت أن أحسن
وأخبرني الحسن بن علي ومحمد بن عمران الصيرفي قالا حدثنا الحسن ابن عليل العنزي قال حدثنا محمد بن معاوية عن ابن كناسة قال
كان الكميت بن زيد طويلا أصم ولم يكن حسن الصوت ولا جيد الإنشاد فكان إذا استنشد أمر ابنه المستهل فأنشد وكان فصيحا حسن الإنشاد

سبب هجائه أهل اليمن

أخبرني عمي وابن عمار قالا حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثنا
إبراهيم بن عبد الله الطلحي عن محمد بن سلمة بن أرتبيل
أن سبب هجاء الكميت أهل اليمن أن شاعرا من أهل الشام يقال له حكيم ابن عياش الكلبي كان يهجو علي بن أبي طالب - عليه السلام - وبني هاشم جميعا وكان منقطعا إلى بني أمية فانتدب له الكميت فهجاه وسبه فأجابه ولج الهجاء بينهما وكان الكميت يخاف أن يفتضح في شعره عن علي - عليه السلام - لما وقع بينه وبين هشام وكان يظهر أن هجاءه إياه في العصبية التي بين عدنان وقحطان فكان ولد إسماعيل بن الصباح بن الأشعث بن قيس وولد علقمة بن وائل الحضرمي يروون شعر الكلبي فهجا أهل اليمن جميعا إلا هذين فإنه قال في آل علقمة
(ولولا آلُ عَلْقَمَةَ اجتَدَعْنا ... بقايا من أنوفِ مُصَلّمينا)
وقال في إسماعيل
(فإنّ لإسماعيل حقّا وإننا ... له شاعِبُو الصَّدْعِ المُقَارِب للشّعْبِ)
وكانت لآل علقمة عنده يد لأن علقمة آواه ليلة خرج إلى الشام وأم إسماعيل من بني أسد فكف عنهما لذلك
قال الطلحي قال أبو سلمة حدثني محمد بن سهل قال قال الكلبي
(ما سَرَّني أنّ أُمّي منْ بني أسدٍ ... وأنّ ربّي نَجَّاني مِنَ النَّار)
(وأنهم زوجوني من بناتهم ... وأنّ لي كل يوم ألف دِينار)
فأجابه الكميت
(يا كلبِ مالكَ أُمٌّ من بني أسد ... معروفة فاحترِق يا كلبُ بالنار)
(لكنَّ أُمّكَ مِنْ قوم شُنِئْت بهم ... قد قنَّعوك قناعَ الخِزْيِ والعار)
قال فقال له الكلبي
(لن يَبْرَحَ اللُّؤْمُ هذا الحيَّ من أسد ... حتى يُفَرِّقَ بين السَّبْتِ والأحدِ)
قال محمد بن أنس حدثني المستهل بن الكميت قال قلت لأبي يا أبت إنك هجوت الكلبي فقلت
(ألا يا سَلْم يا تِرْبي ... أفي أسماء من تِرْب)
وغمزت عليه فيها ففخرت ببني أمية وأنت تشهد عليها بالكفر فألا فخرت بعلي وبني هاشم الذين تتولاهم فقال يا بني أنت تعلم انقطاع الكلبي إلى بني أمية وهم أعداء علي عليه السلام فلو ذكرت عليا لترك ذكري وأقبل على هجائه فأكون قد عرضت عليا له ولا أجد له ناصرا من بني أمية ففخرت عليه ببني أمية وقلت إن نقضها علي قتلوه وإن أمسك عن ذكرهم قتلته غما وغلبته فكان كما قال أمسك الكلبي عن جوابه فغلب عليه وأفحم الكلبي
وفي أول هذه القصيدة غناء نسبته

صوت

(ألاَ يا سَلْم يا تِرْبي ... أفي أسماء من تِرْب)
(ألاَ يا سَلم حُيِّيتِ ... سلِي عنّي وعن صحبي)
(ألاَ يا سلم غَنّينا ... وإنْ هَيّجتُما حُبّي)
(على حادِثة الأيام ... لي نَصْباً من النَّصْبِ)
الغناء لابن سريج ثقيل أول بالبنصر عن عمرو

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرني أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن إبراهيم بن عبد الله الطلحي قال قال محمد بن سلمة
كان الكميت مداحا لأبان بن الوليد البجلي وكان أبان له محبا وإليه محسنا فمدح الكميت الحكم بن الصلت وهو يومئذ يخلف يوسف بن عمر بقصيدته التي أولها
(... طَربتَ وهاجكَ الشوقُ الحَثِيثُ)
فلما أنشده إياها وفرغ دعا الحكم بخازنه ليعطيه الجائزة ثم دعا بأبان بن الوليد فأدخل إليه وهو مكبل بالحديد فطالبه بالمال فالتفت الكميت فرآه فدمعت عيناه وأقبل على الحكم فقال أصلح الله الأمير اجعل جائزتي لأبان واحتسب بها له من هذا النجم فقال له الحكم قد فعلت ردوه إلى السجن فقال له أبان يا أبا المستهل ما حل له علي شيء بعد فقال الكميت للحكم أبي تسخر أصلح الله الأمير فقال الحكم كذب قد حل عليه المال ولو لم يحل لاحتسبنا له مما يحل فقال له حوشب بن يزيد الشيباني - وكان خليفة الحكم - أصلح الله الأمير أتشفع حمار بني أسد في عبد بجيلة فقال له الكميت لئن قلت ذاك فوالله ما فررنا عن آبائنا حتى قتلوا ولا نكحنا حلائل آبائنا بعد أن ماتوا - وكان يقال إن حوشبا فر عن أبيه في بعض الحروب فقتل أبوه ونجا هو ويقال إنه وطىء جارية لأبيه بعد وفاته - فسكت حوشب مفحما خجلا فقال له الحكم ما كان تعرضك للسان الكميت
قال وفي حوشب يقول الشاعر
(نَجَّى حُشاشَتَه وأسلم شيْخَه ... لمَّا رأى وَقْعَ الأسِنَّة حَوْشَبُ)
قال الطلحي في هذا الخبر وحدثني إبراهيم بن علي الأسدي قال
التقت ريا بنت الكميت بن زيد وفاطمة بنت أبان بن الوليد بمكة وهما حاجتان فتساءلتا حتى تعارفتا فدفعت بنت أبان إلى بنت الكميت خلخالي ذهب كانا عليها فقالت لها بنت الكميت جزاكم الله خيرا يا آل أبان فما تتركون بركم بنا قديما ولا حديثا فقالت لها بنت أبان بل أنتم فجزاكم الله خيرا فإنا أعطيناكم ما يبيد ويفنى وأعطيتمونا من المجد والشرف ما يبقى أبدا ولا يبيد يتناشده الناس في المحافل فيحيي ميت الذكر ويرفع بقية العقب
أخبرني عمي وابن عمار قالا حدثنا يعقوب بن نعيم قال حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن زيد الخصاف الطلحي قال قال محمد بن سلمة بن أرتبيل

مولد الكميت وموته ووصيته

ولد الكميت أيام مقتل الحسين بن علي سنة ستين ومات في سنة ست وعشرين ومائة في خلافة مروان بن محمد وكان مبلغ شعره حين مات خمسة
آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتا
وقال يعقوب بن إسرائيل في رواية عمي خاصة عنه حدثت عن المستهل ابن الكميت أنه قال حضرت أبي عند الموت وهو يجود بنفسه ثم أفاق ففتح عينيه ثم قال اللهم آل محمد اللهم آل محمد اللهم آل محمد - ثلاثا ثم قال لي يا بني وددت أني لم أكن هجوت نساء بني كلب بهذا البيت
(مع العُضْرُوطِ والعُسَفَاء ألْقَوْا ... بَرَادِعَهُنّ غير مُحَصَّنِينا)
فعممتهن قذفا بالفجور والله ما خرجت بليل قط إلا خشيت أن أرمى بنجوم السماء لذلك
ثم قال يا بني إنه بلغني في الروايات أنه يحفر بظهر الكوفة خندق يخرج فيه الموتى من قبورهم وينبشون منها فيحولون إلى قبور غير قبورهم فلا تدفني في الظهر ولكن إذا مت فامض بي إلى موضع يقال له مكران فادفني فيه
فدفن في ذلك الموضع وكان أول من دفن فيه وهي مقبرة بني أسد إلى الساعة
قال المستهل ومات أبي في خلافة مروان بن محمد سنة ست وعشرين ومائة

صوت

(أستعين الذي بكفَّيْه نَفْعِي ... ورَجائي على الَّتي قَتَلَتني)
(ولقد كنتُ قد عرفْتُ وأبصرت ... أموراً لَوْ أنَّها نفَعَتْني)
(قلت إني أهوَى شِفَا ما أُلاقي ... مِن خطوب تتابعت فَدَحَتْني)
عروضه من السريع يقال إن الشعر لعمر والغناء لابن سريج ثقيل أول بالوسطى عن حماد عن أبيه وفيه لحن للهذلي وقيل بل لحن ابن سريج للهذلي ذكر ذلك حبش وقيل بل هو مما نسب من غناء ابن سريج إلى الهذلي

خبر ابن سريج مع سكينة بنت الحسين عليهما السلام

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن مصعب الزبيري قال حدثني شيخ من المكيين ووجدت هذا الخبر أيضا في بعض الكتب مرويا عن محمد بن سعد كاتب الواقدي عن مصعب عن شيخ من المكيين والرواية عنهما متفقة قال كان ابن سريج قد أصابته الريح الخبيثة وآلى يمينا ألا يغني ونسك ولزم المسجد الحرام حتى عوفي
ثم خرج وفيه بقية من العلة فأتى قبر النبي وموضع مصلاه فلما قدم المدينة نزل على بعض إخوانه من أهل النسك والقراءة فكان أهل الغناء يأتونه مسلمين عليه فلا يأذن لهم في الجلوس والمحادثة فأقام بالمدينة حولا حتى لم يحس من علته بشيء وأراد الشخوص إلى مكة
وبلغ ذلك سكينة بنت الحسين فاغتمت اغتماما شديدا وضاق به ذرعها وكان أشعب يخدمها وكانت تأنس بمضاحكته ونوادره وقالت لأشعب ويلك إن ابن سريج شاخص وقد دخل المدينة منذ حول ولم أسمع من غنائه قليلا ولا كثيرا ويعز ذلك علي فكيف الحيلة في الاستماع منه ولو صوتا واحدا فقال لها أشعب جعلت فداك وأنى لك بذلك والرجل اليوم زاهد ولا حيلة فيه فارفعي طمعك والحسي تورك تنفعك حلاوة فمك
فأمرت بعض جواريها فوطئن بطنه حتى كادت أن تخرج أمعاؤه وخنقنه حتى كادت نفسه أن تتلف ثم أمرت به فسحب على وجهه حتى أخرج من الدار إخراجا عنيفا فخرج على أسوأ الحالات واغتم أشعب غما شديدا وندم على ممازحتها في وقت لم ينبغ له ذلك فأتى منزل ابن سريج ليلا فطرقه فقيل من هذا فقال أشعب ففتحوا له فرأى على وجهه ولحيته التراب والدم سائلا من أنفه وجبهته على لحيته وثيابه ممزقة وبطنه وصدره وحلقه قد عصرها الدوس والخنق ومات الدم فيها فنظر ابن سريج إلى منظر فظيع هاله وراعه فقال له ما هذا ويحك فقص عليه القصة

امتناعه من الذهاب إليها وحيلة أشعب لإرغامه

فقال ابن سريج إنا لله وإنا إليه راجعون ماذا نزل بك والحمد لله الذي

سلم نفسك لا تعودن إلى هذه أبدا
قال أشعب فديتك هي مولاتي ولا بد لي منها ولكن هل لك حيلة في أن تصير إليها وتغنيها فيكون ذلك سببا لرضاها عني قال ابن سريج كلا والله لا يكون ذلك أبدا بعد أن تركته
قال أشعب قد قطعت أملي ورفعت رزقي وتركتني حيران بالمدينة لا يقبلني أحد وهي ساخطة علي فالله الله في وأنا أنشدك الله إلا تحملت هذا الإثم في فأبى عليه
فلما رأى أشعب أن عزم ابن سريج قد تم على الامتناع قال في نفسه لا حيلة لي وهذا خارج وإن خرج هلكت فصرخ صرخة آذن أهل المدينة لها ونبه الجيران من رقادهم وأقام الناس من فرشهم ثم سكت فلم يدر الناس ما القصة عند خفوت الصوت بعد أن قد راعهم
فقال له ابن سريج ويلك ما هذا قال لئن لم تصر معي إليها لأصرخن صرخة أخرى لا يبقى بالمدينة أحد إلا صار بالباب ثم لأفتحنه ولأرينهم ما بي ولأعلمنهم أنك أردت تفعل كذا وكذا بفلان - يعني غلاما كان ابن سريج مشهورا به - فمنعتك وخلصت الغلام من يدك حتى فتح الباب ومضى ففعلت بي هذا غيظا وتأسفا وأنك إنما أظهرت النسك والقراءة لتظفر بحاجتك منه وكان أهل مكة والمدينة يعلمون حاله معه فقال ابن سريج اغرب أخزاك الله قال أشعب والله الذي لا إله إلا هو وإلا فما أملك صدقة وامرأته طالق ثلاثا وهو نحير في مقام إبراهيم والكعبة وبيت النار والقبر قبر أبي رغال إن أنت لم تنهض معي في ليلتي هذه لأفعلن

نجاح حيلة أشعب

فلما رأى ابن سريج الجد منه قال لصاحبه ويحك أما ترى ما وقعنا فيه وكان صاحبه الذي نزل عنده ناسكا فقال لا أدري ما أقول فيما نزل بنا من هذا الخبيث وتذمم ابن سريج من الرجل صاحب المنزل فقال لأشعب اخرج من منزل الرجل فقال رجلي مع رجلك فخرجا
فلما صارا في بعض الطريق قال ابن سريج لأشعب امض عني قال والله لئن لم تفعل ما قلت لأصيحن الساعة حتى يجتمع الناس ولأقولن إنك أخذت مني سوارا من ذهب لسكينة على أن تجيئها فتغنيها سرا وإنك كابرتني عليه وجحدتني وفعلت بي هذا الفعل
فوقع ابن سريج فيما حيلة له فيه فقال أمضي لا بارك الله فيك فمضى معه
فلما صار إلى باب سكينة قرع الباب فقيل من هذا فقال أشعب قد جاء بابن سريج ففتح الباب لهما ودخلا إلى حجرة خارجة عن دار سكينة فجلسا ساعة ثم أذن لهما فدخلا إلى سكينة فقالت يا عبيد ما هذا الجفاء قال قد علمت بأبي أنت ما كان مني قالت أجل فتحدثا ساعة وقص عليها ما صنع به أشعب فضحكت وقالت لقد أذهب ما كان في قلبي عليه وأمرت لأشعب بعشرين دينارا وكسوة ثم قال لها ابن سريج أتأذنين بأبي أنت قالت وأين قال المنزل قالت برئت من جدي إن برحت داري ثلاثا وبرئت من جدي إن أنت لم تغن إن خرجت من داري شهرا وبرئت من جدي إن أقمت في داري شهرا إن لم أضربك لكل يوم تقيم فيه عشرا وبرئت من جدي إن حنثت في يميني أو شفعت فيك أحدا

مجلس غناء بوجود عزة الميلاء

فقال عبيد وا سخنة عيناه وا ذهاب دنياه وا فضيحتاه ثم اندفع يغني
(أستعينُ الذي بكفّيْه نفْعِي ... ورَجائي على التي قَتَلَتْنِي)
الصوت المذكور آنفا فقالت له سكينة فهل عندك يا عبيد من صبر ثم أخرجت دملجا من ذهب كان في عضدها وزنه أربعون مثقالا فرمت به إليه ثم قالت أقسمت عليك لما أدخلته في يدك ففعل ذلك ثم قالت لأشعب اذهب إلى عزة فأقرئها مني السلام وأعلمها أن عبيدا عندنا فلتأتنا متفضلة بالزيارة فأتاها أشعب فأعلمها فأسرعت المجيء فتحدثوا باقي ليلتهم ثم أمرت عبيدا وأشعب فخرجا فناما في حجرة مواليها
فلما أصبحت هيىء لهم غداؤهم وأذنت لابن سريج فدخل فتغدى قريبا منها مع أشعب ومواليها وقعدت هي مع عزة وخاصة جواريها فلما فرغوا من الغداء قالت يا عز إن رأيت أن تغنينا فافعلي قالت إي وعيشك فتغنت لحنها في شعر عنترة العبسي
(حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تقادَمَ عَهْدُهُ ... أقْوَى وأقفرَ بعد أمِّ الهَيْثَمِ)
(إن كنْتِ أزْمعْتِ الفِراقَ فإنما ... زُمَّت رِكابُكُم بلَيْلٍ مُظْلِمِ)
فقال ابن سريج أحسنت والله يا عزة وأخرجت سكينة الدملج الآخر من يدها فرمته إلى عزة وقالت صيري هذا في يدك ففعلت ثم قالت لعبيد هات غننا فقال حسبك ما سمعت البارحة فقالت لا بد أن تغنينا في كل يوم لحنا فلما رأى ابن سريج أنه لا يقدر على الامتناع مما تسأله غنى
(قالت مَنْ أنْتَ على ذُكْرٍ - فقلت لها ... أنا الذي ساقَهُ للحَيْن مقْدَارُ)
(قد حانَ منكِ - فلا تَبْعُدْ بك الدار - ... بَيْنٌ وفي البَيْنِ للمَتْبُولِ إضْرارُ)
ثم قالت لعزة في اليوم الثاني غني فغنت لحنها في شعر الحارث بن خالد - ولابن محرز فيه لحن - ولحن عزة أحسنهما
(وقرَّتْ بها عَيْنِي وقد كنتُ قبْلَها ... كثيرَ البكاءِ مُشْفِقاً مِنْ صُدُودِها)
(وبِشْرَةَ خَوْدٌ مِثْل تمثالِ بيعَةٍ ... تظلُّ النصارَى حوله يَوْمَ عِيدِها)
قال ابن سريج والله ما سمعت مثل هذا قط حسنا ولا طيبا
ثم قالت لابن سريج هات فاندفع يغني
(أرقتُ فلم أنَمْ طَرَبا ... وبِتّ مُسَهَّداً نَصِبا)
(لِطَيْفِ أحبِّ خَلْقِ الله ... إنساناً وإنْ غَضِبا)
(فلم أردُدْ مقالَتَها ... ولم أكُ عاتِباً عَتَبا)
(ولكنْ صرَّمَتْ حَبْلِي ... فأمسَى الحَبْلُ مُنْقَضِبا)
فقالت سكينة قد علمت ما أردت بهذا وقد شفعناك ولم نردك وإنما كانت يميني على ثلاثة أيام فاذهب في حفظ الله وكلاءته
ثم قالت لعزة إذا شئت ودعت لها بحلة ولابن سريج بمثلها فانصرفت عزة وأقام ابن سريج حتى انقضت ليلته وانصرف فمضى من وجهه إلى مكة راجعا

نسبة الأصوات التي في هذا الخبر
منها
صوت
(حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تقادم عَهْدُه ... أقوَى وأقفر بعد أمِّ الهَيْثَمِ)
الشعر لعنترة بن شداد العبسي والغناء لعزة الميلاء وقد كتب ذلك في أول هذه القصيدة وسائر ما يغنى فيها
ومنها
صوت
(أرِقتُ فلم أنَمْ طَرَبا ... وبِتّ مُسَهَّداً نَصِبا)
(لِطَيْفِ أحبِّ خَلْقِ الله ... إنساناً وإنْ غَضِبا)
(إلى نَفْسي وأوْجَهِهِم ... وإن أمْسَى قَدِ احتجبا)
(وصرَّم حَبْلنا ظُلْماً ... لبلْغَةِ كاشحٍ كذَبا)
عروضه من الوافر الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء لابن سريج ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر
ومنها قوله
صوت
(قد حانَ منكِ - فلا تَبْعُدْ بك الدار ... بَيْنٌ وفي البَيْنِ للمَتْبُولِ إضْرَارُ)
(قالت مَنْ أنْتَ على ذُكْرٍ - فقلت لها ... أنا الذي ساقَني للحَيْنِ مقْدارُ)
الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى
ومنها الصوت الذي أوله
(... وقَرَّتْ بها عَيْني وقد كنتُ قبلها)
أول قوله
صوت
(لبَشْرَةَ أسْرَى الطّيْفُ والخَبْتُ دونَها ... وما بَيْنَنا من حَزْنِ أرْضٍ وبيدِها)
(وقرّتْ بها عَيْنِي وقد كنتُ قبْلها ... كثيراً بُكائي مُشفِقاً من صُدودِها)
(وبِشْرَةُ خَوْدٌ مِثْلُ تمثالِ بِيعَةٍ ... تظلُّ النصارى حَوْلَها يوم عِيدِها)
الشعر للحارث بن خالد المخزومي والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى
وذكر إسحاق هذه الطريقة في هذا الصوت ولم ينسبها إلى أحد ولابن
! محرز في هذه الأبيات ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى وفيها لعزة الميلاء خفيف رمل
وبشرة هذه - التي ذكرها الحارث بن خالد - أمة كانت لعائشة بنت طلحة وكان الحارث يكنى عن ذكر عائشة بها وله فيها أشعار كثيرة
منها مما يغني فيه قوله
صوت
(يا رَبْعَ بِشْرَةَ بالجَنابِ تَكَلَّمِ ... وأبِنْ لنا خَبَراً ولا تَسْتَعْجِمِ)
(ما لِي رأيتُك بعد أهْلِكَ مُوحِشاً ... خَلَقاً كحوض الباقر المتهدِّمِ)
(تسقِي الضجيعَ إذا النجومُ تغوَّرتْ ... طوعُ الضجيعِ وغاية المتوسِّمِ)
(قُبُّ البطون أوانِسٌ شِبْهُ الدُّمَى ... يَخْلِطْنَ ذاكَ بعِفَّةٍ وتكرُّمِ)
عروضه من الكامل والشعر للحارث بن خالد والغناء لمعبد ولحنه
من خفيف الرمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق
وفيه أيضا ثقيل أول بالوسطى على مذهب إسحاق في رواية عمرو ومنها
صوت
(يا رَبْعَ بشْرةِ إنْ أضَرَّ بكَ البلى ... فلقد عهدتُك آهِلاً مَعْمُورا)
(عقبَ الرّذاذُ خلافَه فكأنما ... بسطَ الشّواطِبُ بينهنّ حَصِيرا)
غناه ابن سريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه لحن لمالك وقيل بل هو لابن محرز وعروضه من الكامل
وقوله عقب الرذاذ خلافه يقول جاء الرذاذ بعده ومنه يقال عقب لفلان غنى بعد فقر وعقب الرجل أباه إذا قام بعده مقامه
وعواقب الأمور مأخوذة منه واحدتها عاقبة والرذاذ صغار المطر وقوله خلافه أي بعده قال متمم بن نويرة
(وفَقْدِي بَني أمّ تَدَاعَوْا فلم أكُنْ ... خِلافَهُمُ أنْ أستَكِينَ وأضْرَعا)
أي بعدهم والشواطب النساء اللواتي يشطبن لحاء السعف يعملن منه
الحصر ومنه السيف المشطب والشطيبة الشعبة من الشيء ويقال بعثنا إلى فلان شطيبة من خيلنا أي قطعة
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال كانت مغنية تختلف إلى صديق لها فأتته يوما فوجدته مريضا لا حراك به فدعت بالعود وغنت
(يا رَبْعَ بشْرةِ إنْ أضَرَّ بكَ البلى ... فلقد عهدتُك آهِلاً مَعْمُورا)
ومما يغنى به فيه من هذه الأبيات الرائية
صوت
(أعرفتَ أطلالَ الرُّسومِ تنكَّرتْ ... بَعْدِي وغُيِّرَ آيُهُنَّ دُثُورا)
(وتبدَّلتْ بَعْدَ الأنيس بأهلِها ... عُفْرَ البواقر يرْتَعِينَ وعورَا)
(مِنْ كل مُصْبِيَةِ الحديثِ تَرَى لها ... كَفَلاً كرابيةِ الكثيبِ وثِيرا)
الأطلال ما شخص من آثار الديار الرسوم البقايا من الديار وهي دون الأطلال وأخفى منها وتنكرت تغيرت والداثر الدارس
والعفر الظباء واحدها أعفر والوعور المواضع التي لا أنيس فيها والرابية الأرض المشرفة وهي دون الجبل والكثيب القطعة
العالية المرتفعة من الرمل جمعها كثب والوثير التام المرتفع يقال فراش وثير إذا كان مرتفعا عن الأرض

لإسحاق الموصلي في البيتين الأولين ثاني ثقيل بالبنصر ولإبراهيم فيهما
خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى ولطويس فيهما خفيف ثقيل وقيل إنه ليس له ولابن سريج في الثالث ثم الأول خفيف رمل وقيل بل هو لخليدة المكية وفي البيت الأول والثاني لمالك رمل بالوسطى وقيل الرمل لطويس وخفيف الثقيل لمالك ولمعبد في هذا الصوت لحنان أحدهما ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى والآخر خفيف ثقيل أول
ومنها
صوت
(يا دَارُ حَسَّرها البِلَى تَحْسِيرا ... وسفَتْ عليها الريحُ بعدك مُورَا)
(دُقَّ الترابُ بخَيْلِها فمخيِّمٌ ... بعِراصِها ومُسيَّرٌ تَسْيِيرا)
غنى في هذين البيتين ابن مسجح خفيف ثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى
وللغريض في (أعرفت أطلال الرسوم ...) وما بعده ثقيل أول
بالبنصر وللغريض أيضا ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى
حسرها أذهب معالمها ومنه حسر الرجل عن ذراعه وعن رأسه إذا كشفهما وحسر الصلع شعر الرأس إذا حصه والمور التراب والمخيم المقيم
ومنها صوت أوله
(مِنْ كل مُصْبِيَةِ الحديثِ تَرَى لها ... كَفَلاً كرابيةِ الكثِيبِ وَثِيرا)
(يفْتِنّ - لا يألُون - كُلَّ مغَفَّلٍ ... يملأْنَهُ بحديثهنّ سُرُورا)
ومنها
صوت
(دَعْ ذا ولكنْ هل رأيت ظَعائناً ... قَرَّبن أجمالاً لهُنَّ قُحُورا)
(قرَّبْنَ كلَّ مُخيَّسٍ متحمّلٍ ... بُزْلاً تشبّه هَامُهنَّ قبورا)
القحور واحدها قحر وهو المسن والمخيس المحبوس للرحلة والمتحمل معتاد الحمل
وفي هذه الأربعة الأبيات الأربعة للغريض اللحن الذي ذكرناه ولابن جامع في
(... (دَعْ ذا ولكن هل رأيت ظعائنا
والذي بعده ثاني ثقيل بالوسطى
ومنها
صوت
(إنْ يُمْسِ حَبْلُكِ بعد طُول تواصُلٍ ... خَلَقاً ويصبح بَيْتُكُم مَهْجورا)
(فلقد أراني - والجديدُ إلى بِلىً - ... زمَناً بِوَصْلِكِ راضياً مَسْرُورا)
(جَذِلاً بمالِي عندكم لا أبتغي ... للنفس بعدكِ خُلَّةً وعشِيرا)
(كنتِ الهَوى وأعزَّ من وطِيء الحَصَا ... عندي وكنتُ بذاكِ منكِ جديرا)
لإبراهيم الموصلي ويحيى المكي في هذه الأبيات لحنان كلاهما من الثقيل الثاني فلحن إبراهيم بالوسطى ولحن يحيى بالبنصر ولإسحاق فيهما رمل وقيل إن لابن سريج فيهما أيضا لحنا آخر
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال
حدثني رجل من أهل البصرة قال اشتريت جارية مغنية فأقامت عندي زمنا وهويتني وكرهت أن يراها أهلي فعرضتها للبيع فجزعت وقالت لقد اشتريتني وأنا لك كارهة وإنك لتبيعني وأنا لذلك كارهة فقال أخ لي أرنيها
فقلت هي عند فلانة فانظر إليها فأتاها فنظر إليها وأنا حاضر فلما اعترضها وفرغ من ذلك غنت
(إنْ يُمْسِ حَبْلُكِ بعد طُول تواصُلٍ ... خَلَقاً ويصبح بَيْتُكُم مَهْجورا)
(فلقد أراني - والجديدُ إلى بِلىً - ... زمَناً بِوَصْلِكِ راضياً مَسْرُورا)
ثم بكت وضربت بالعود الأرض فكسرته فخيرتها بين أن أعتقها أو أبيعها ممن شاءت فاختارت البيع وطلبت موضعا ترضاه حتى أصابته فصيرتها إليه
أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبو أيوب المدائني قال حدثني إبراهيم بن علي بن هشام قال
حدثتني جارية يقال لها طباع - جارية محمد بن سهل بن فرخند - قالت غنيت إسحاق في لحنه
(. . . . أعرفت أطلالَ الرسوم تنكرت ... بعدي)
فأنكر علي في مقاطعة شيئا وقال ممن أخذته فقلت من مخارق فقال لي تعثر الجواد بل هو كما أقول لك ورده علي فهو يقال كما يقول مخارق وكما غيره إسحاق
صوت
(أخْشَى على أربدَ الحتُوفَ ولا ... أرهبُ نَوْءِ السِّماكِ والأسَدِ)
((فجَّعني الرَّعْدُ والصَّواعِقُ بالْفارس ... يَوْمَ الكريهةِ النَّجُدِ
(يا عَيْنُ هلاَّ بكَيْتِ أرْبَد إذْ ... قُمنا وقامَ الخصومُ في كَبَدِ)
(إن يَشْغَبُوا لا يُبالِ شَغْبُهُم ... أو يَقْصِدُوا في الخِصام يقْتَصِدِ)
عروضه من المنسرح
النجد البطل ذو النجدة وقال الأصمعي في النجد مثل ذلك وقال النجد - بكسر الجيم - الذي قد عرق جدا والكبد الثبات والقيام
الشعر للبيد بن ربيعة والغناء للأبجر رمل بالبنصر عن عمرو بن بانه ولإبراهيم فيها رمل آخر بالوسطى في مجراها عن إسحاق أوله الثالث والرابع ثم الأول والثاني وذكرت بذل أن في الثالث والرابع لحنا لحنين بن محرز
خبر لبيد في مرثية أخيه
وقد تقدم من خبر لبيد ونسبه ما فيه كفاية يرثي أخاه لأمه أربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر بن كلاب وكانت أصابته صاعقة فأحرقته
أخبرنا بالسبب في ذلك محمد بن جرير الطبري قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن عاصم

عن عمرو بن قتادة قال

وفد بني عامر بن صعصعة

قدم على رسول الله وفد بني عامر بن صعصعة فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر بن كلاب وكان هؤلاء الثلاثة رؤوس القوم وشياطينهم فهم عامر بن الطفيل بالغدر برسول الله وقد قال له قومه يا عامر إن الناس قد أسلموا فأسلم فقال والله لقد كنت آليت ألا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي فأتبع أنا عقب هذا الفتى من قريش ثم قال لأربد إذا أقبلنا على الرجل فإني شاغل عنك وجهه فإذا فعلت ذلك فاعله أنت بالسيف

فلما قدموا على رسول الله قال له عامر يا محمد خالني قال لا والله حتى تؤمن بالله وحده قال يا محمد خالني وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره فجعل أربد لا يحير شيئا فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال يا محمد خالني قال لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا تشرك به فلما أبى عليه رسول الله قال أما والله لأملأنها عليك خيلا حمرا ورجالا سمرا

فلما ولى قال رسول الله اللهم اكفني عامر بن الطفيل فلما خرجوا من عند رسول الله قال عامر لأربد ويلك يا أربد أين ما كنت أوصيتك به والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي منك وآيم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا قال لا تعجل علي لا أبا لك والله ما هممت بالذي أمرتني به من مرة إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف فقال عامر

(بُعِثَ الرسولُ بما تَرَى فكأنما ... عَمْداً أشُدُّ على المَقانِبِ غارَا)

(ولقد وَرَدْنَ بنا المدينة شُزَّباً ... ولقد قَتَلْنَ بجوِّها الأنْصارَا)

موت عامر

وخرجوا راجعين إلى بلادهم حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر الطاعون في عنقه فقتله الله وإنه لفي بيت امرأة من بني سلول فجعل يقول يا بني عامر أغدة كغدة البكر وموت في بيت امرأة من بني سلول فمات

ثم خرج أصحابه حين واروه حتى قدموا أرض بني عامر فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا ما وراءك يا أربد فقال لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بنبلي هذه حتى أقتله فخرج بعد مقالته هذه بيوم أو يومين معه جمل له يبيعه فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما

وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمه

نسخت من كتاب يحيى بن حازم قال حدثنا علي بن صالح صاحب المصلى قال حدثنا ابن دأب قال

وفود لبيد إلى الرسول

كان أبو براء عامر بن مالك قد أصابته دبيلة فبعث لبيد بن ربيعة إلى رسول الله وأهدى له رواحل فقدم بها لبيد وأمره أن يستشفيه من وجعه فقال له رسول الله لو قبلت من مشرك لقبلت منه وتناول من الأرض مدرة فتفل عليها ثم أعطاها لبيدا وقال دفها له بماء ثم إسقه إياه

وأقام عندهم لبيد يقرأ القرآن وكتب منهم (الرحمن علم القرآن) فخرج بها ولقيه أخوه أربد على ليلة من الحي فقال له انزل فنزل فقال يا أخي أخبرني عن هذا الرجل فإنه لم يأته رجل أوثق عندي فيه قولا منك فقال يا أخي ما رأيت مثله وجعل يذكر صدقه وبره وحسن حديثه فقال له هل معك من قوله شيء قال نعم فأخرجها له فقرأها عليه فلما فرغ منها قال له أربد لوددت أني ألقى الرحمن بتلك البرقة فإن لم أضربه بسيفي فعلي وعلي

قال ونشأت سحابة وقد خليا عن بعيريهما فخرج أربد يريد البعيرين حتى إذا كان عند تلك البرقة غشيته صاعقة فمات وقدم لبيد على أبي براء فأخبره خبر رسول الله وأمره قال فما فعل فيما استشفيته قال تالله ما رأيت منه شيئا كان أضعف عندي من ذلك وأخبره بالخبر قال فأين هي قال ها هي ذه معي قال هاتها فأخرجها له فدافها ثم شربها فبرأ

قال ابن دأب فحدثني حنظلة بن قطرب بن إياد أحد بني أبي بكر بن كلاب قال

لما أصاب عامر بن الطفيل ما أصابه بعث بنو عامر لبيدا وقالوا له

اقدم لنا على هذا الرجل فاعلم لنا علمه فقدم عليه فأسلم وأصابه وجع هناك شديد من حمى فرجع إلى قومه بفضل تلك الحمى وجاءهم يذكر البعث والجنة والنار فقال سراقة بن عوف بن الأحوص

(لَعَمْرُ لبيدٍ إنه لابْنُ أمِّه ... ولكنْ أبوه مَسَّهُ قِدَمُ العَهْدِ)

(دَفَعْناك في أرض الحجاز كأنما ... دفعناك فَحْلاً فوقه قَزَعُ اللِّبَدِ)

(فعالجْتَ حُمَّاه وداء ضُلوعِه ... وتَرْنِيقَ عَيْشٍ مَسَّهُ طَرَفُ الجَهْدِ)

(وجئتَ بدِينِ الصابئين تَشُوبُه ... بألواحِ نَجْدٍ بُعْدَ عَهْدِكَ مِنْ عَهْدِ)

(وإنَّ لنا داراً - زعمتَ - ومَرجعاً ... وثمَّ إيابُ القارظَيْنِ وذِي البُرْدِ)

قال فكان عمر يقول وايم الله إياب القارظين وذي البرد

أخبرني عبد العزيز بن أحمد عم أبي وحبيب بن نصر المهلبي وغيرهما قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثتني ظمياء بنت عبد العزيز بن مولة قالت

وفود عامر بن الطفيل على الرسول

حدثني أبي عن جدي مولة بن كثيف أن عامر بن الطفيل أتى رسول الله فوسده وسادة ثم قال أسلم يا عامر

قال على أن لي الوبر ولك المدر فأبى رسول الله فقام عامر مغضبا فولى وقال لأملأنها عليك خيلا جردا ورجالا مردا ولأربطن بكل نخلة فرسا فسألته عائشة من هذا فقال هذا عامر بن الطفيل والذي نفسي بيده لو أسلم فأسلمت بنو عامر معه لزاحموا قريشا على منابرهم قال ثم دعا رسول الله وقال يا قوم إذا دعوت فأمنوا فقال اللهم اهد بني عامر واشغل عني عامر بن الطفيل بما شئت وكيف شئت وأنى شئت فخرج فأخذته غدة مثل غدة البكر فجعل يثب وينزو في السماء ويقول يا موت ابرز لي ويقول غدة مثل غدة البكر وموت في بيت سلولية ومات

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد إجازة عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال أخبرني أسعد بن عمرو الجعفي قال أخبرني خالد بن قطن الحارثي قال

لما مات عامر بن الطفيل خرجت امرأة من بني سلول كأنها نخلة حاسرا وهي تقول

(أنْعَى عامرَ بن الطفيل وأبقى ... وهل يموتُ عامرٌ من حقا)

(... ! وما أرى عامراً ماتَ حقّاً)
قال فما رئي يوم أكثر باكيا وباكية وخمش وجوه وشق جيوب من ذلك اليوم
وقال أبو عبيدة عن الحرمازي قال
لما مات عامر بن الطفيل بعد منصرفه عن النبي نصبت عليه بنو عامر أنصابا ميلا في ميل حمى على قبره لا تنشر فيه ماشية ولا يرعى ولا يسلكه
راكب ولا ماش وكان جبار بن سلمى بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب غائبا فلما قدم قال ما هذه الأنصاب قالوا نصبناها حمى لقبر عامر بن الطفيل فقال ضيقتم علي أبي علي إن أبا علي بان من الناس بثلاث كان لا يعطش حتى يعطش الجمل وكان لا يضل حتى يضل النجم وكان لا يجبن حتى يجبن السيل
قال أبو عبيدة وقدم عامر على النبي وهو ابن بضع وثمانين سنة

لبيد يرثي أخاه

ومما رثى به لبيد أخاه أربد قوله
(ألاَ ذهبَ المُحافِظُ والمُحامِي ... ودَافِعُ ضَيْمِنا يَوْمَ الخِصامِ)
(وأيقَنْتُ التَّفَرُّقَ يومَ قالوا ... تَقسِّمَ مالُ أربدَ بالسِّهامِ)
(وأرْبدُ فارسُ الهَيْجا إذَا ما ... تقعَّرت المشاجِرُ بالفِئامِ)
وهي طويلة يقول فيها
(فودِّعْ بالسَّلامِ أبا حُزِيزٍ ... وَقلَّ ودَاعُ أرْبَدَ بالسَّلاَمِ)
قال وكانت كنية أربد أبا حزاز فصغره ضرورة
وقال فيه أيضا
(ما إن تَعدَّى المنونُ مِنْ أحدِ ... لا والِدٍ مُشْفِقٍ ولا ولَدِ)
(أخْشَى على أرْبَدَ الحتوفَ ولا ... أرهَبُ نَوْءَ السِّماكِ والأسَدِ)
(فجّعني الرَّعْدُ والصَّواعِقُ بالْفارس ... يوْمَ الكريهةِ النَّجُدِ)
((الحارب الجابر الحَرِيب إذا ... جاء نَكِيباً وإن يَعُدْ يعُدِ)
(يَعْفُو على الجَهْدِ والسُّؤال كما ... أُنْزِل صَوْبُ الربيع ذي الرَّصَدِ)
(لم تبلغ العَيْنُ كلَّ نَهْمَتِها ... ليلةَ تُمْسِي الجِيادُ كالقِدَدِ)
(كلُّ بني حُرَّةٍ مَصِيرهمُ ... قُلٌّ وإن أكثرَتْ من العَدَدِ)
(إنْ يُغْبطُوا يُهْبَطوا وإن أُمِروا ... يوماً يَصيرُوا للهُلْكِ والنَّفَدِ)
(يا عَيْنُ هلاَّ بكيتِ أرْبَد إذ ... قُمْنا وقامِ الخصومُ في كَبَدِ)
(يا عَيْنُ هَلاَّ بكيتِ أرْبَد إذ ... ألْوَتْ رياحُ الشتاءِ بالعَضَدِ)
(وأصبحَتْ لاقحاً مُصرَّمةً ... حين تقضَّتْ غَوابرُ المُدَدِ)
(إنْ يشغَبُوا لا يُبال شَغْبَهُم ... أو يقْصِدُوا في الخصام يَقْتَصِدِ)
(حُلْوٌ كريمٌ وفي حلاوَتِه ... مُرٌّ لطيفُ الأحشاءِ والكِبدِ)
نسخت من كتاب ابن النطاح عن المدائني عن علي بن مجاهد قال
أنشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه قول لبيد في أخيه أربد
(لَعمْري لَئِنْ كان المخبِّرُ صادقاً ... لقد رُزِئَتْ في حادث الدَّهْرِ جَعْفَرُ)
(أخٌ لي أمّا كلّ شيءٍ سألته ... فيُعْطِي وأما كلُّ ذَنْبٍ فيغفِرُ)
فقال أبو بكر رضوان الله عليه ذلك رسول الله لا أربد بن قيس
وقد رثاه بعد ذلك بقصائد يطول الخبر بذكرها
ومما رثاه به وفيه غناء قوله

صوت

(بَلِينا وما تَبْلَى النجومُ الطَّوَالِعُ ... وتَبْقَى الجِبالُ بعدنا والمَصانِعُ)
(وقد كنتُ في أكنافِ دارِ مَضِنَّةٍ ... ففارقني جارٌ بأرْبَدَ نافِعُ)
(فلا جَزِعٌ إنْ فرّقَ الدَّهرُ بيننا ... فكلُّ فتىً يوماً به الدَّهرُ فاجِعُ)
(وما المرءُ إلاَّ كالشِّهابِ وضَوْئِه ... يَحُورُ رماداً بعد إذْ هو ساطِعُ)
(أليسَ ورائي إنْ تراخَتْ منيَّتي ... لُزومُ العَصا تُحْنَى عليها الأصابِعُ)
(أُخَبِّر أخبارَ القُرونِ التي مَضَت ... أدِبُّ كأنّي كُلَّما قمتُ راكِعُ)
(فأصبحْتُ مِثْلَ السيفِ أخْلَق جَفْنَه ... تقادمُ عهْدِ القَيْنِ والنَّصلُ قاطِعُ)
(فلا تَبْعَدنْ إنّ المنيةَ موعِدٌ ... علينا فَدانٍ للطُّلوعِ وطالِعُ)
(أعاذِلَ ما يُدْرِيكَ إلاَّ تظَنِّياً ... إذا رحل السُّفَّار مَنْ هو راجِعُ)
(! أتَجْزَعُ مما أحدث الدهرُ لِلْفتى ... وأيُّ كريم لم تُصِبْه القَوارِعُ)
غنى في الأول والخامس والسادس والسابع حنين الحيري خفيف ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي وابن المكي وحماد وفيها ثقيل أول بالوسطى يقال إنه لحنين أيضا ويقال إنه لأحمد النصبي ويقال إنه منحول
ومما رثاه به قوله وهي من مختار مراثيه
((طرِبَ الفؤادُ ولَيْته لم يَطْرَبِ ... وعَنَاه ذِكْرَى خُلّة لم تَصْقَبِ
(سَفهاً ولو أنّي أطَعْتُ عواذِلي ... فيما يُشِرْنَ به بسَفْحِ المذْنَبِ)
(لزَجَرْتُ قَلْباً لا يَرِيعُ لِزاجِرٍ ... إنَّ الغَوِيَّ إذا نُهِي لم يُعْتِبِ)
(فتعزَّ عن هذا وقُلْ في غيْرِهِ ... واذكُرْ شمَائلَ من أخيك المُنْجِبِ)
(يا أرْبَدَ الخَيْرِ الكريم جدودُه ... أفردتني أمشِي بقَرْنٍ أعضب)
(إنَّ الرزيَّة لا رَزِيَّة مثلها ... فِقْدانُ كلِّ أخٍ كضَوْءِ الكوكبِ)
(ذهب الذين يُعاشُ في أكنافهم ... وبقيتُ في خَلْفٍ كجِلْدِ الأجربِ)

(يتأكَّلُونَ مغالةً وخِيَانَةً ... ويُعابُ قائلُهم وإنْ لم يَشْغَبِ)
(ولقد أراني تارةً مِنْ جَعْفَرٍ ... في مثل غَيْثِ الوابلِ المتحَلِّبِ)
(مِنْ كل كَهْلٍ كالسِّنان وسيِّدٍ ... صَعْبِ المقادَةِ كالفَنِيق المُصْعَبِ)
(مِنْ مَعْشرٍ سنَّتْ لهم آباؤهم ... والعزُّ قد يأتي بغير تَطَلُّبِ)
(فبرَى عِظامي بعد لحمي فَقْدهُم ... والدَّهْرُ إنْ عاتبتَ ليس بمُعْتِبِ)
حدثنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا أبو السائب سالم بن جنادة قال حدثنا وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها كانت تنشد بيت لبيد
((ذهب الذين يُعاشُ في أكنافِهِم ... وبقيتُ في خَلْفٍ كجِلْدِ الأجربِ
ثم تقول رحم الله لبيدا فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم
قال عروة رحم الله عائشة فكيف بها لو أدركت من نحن بين ظهرانيهم
قال هشام رحم الله أبي فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم
وقال وكيع رحم الله هشاما فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم
قال أبو السائب رحم الله وكيعا فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم
قال أبو جعفر رحم الله أبا السائب فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم
قال أبو الفرج الأصبهاني ونحن نقول الله المستعان فالقصة أعظم من أن توصف
صوت
(فإن كان حَقّاً ما زعمتِ أتيْتُه ... إليكِ فقامَ النائحاتُ على قَبْري)
(وإن كان ما بُلِّغْتِه كان باطلاً ... فلا متُّ حتى تَسْهَري الليلَ مِنْ ذكري)
عروضه من الطويل والشعر للعباس بن الأحنف يقوله في فوز وخبرهما يأتي هاهنا والغناء لبذل خفيف رمل بالبنصر وفيه لبنان بن عمرو ثاني ثقيل بالبنصر وفيه لحن لابن جامع من كتاب إبراهيم وزعم أبو العباس أن لمعبد اليقطيني فيه خفيف رمل وذكر حبش أن لإبراهيم خفيف الرمل بالوسطى
وذكر علي بن يحيى المنجم أنه لعلية وقيل إن خفيف الرمل بالبنصر للقاسم بن زنقطة والصحيح أنه لبذل
ذكر خبر العباس وفوز
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا محمد بن إسحاق الخراساني قال حدثنا محمد بن النضر قال
كانت فوز جارية لمحمد بن منصور وكان يلقب فتى العسكر ثم اشتراها بعض شباب البرامكة فدبرها وحج بها فلما قدمت قال العباس
(ألاَ قد قَدِمَتْ فَوْزُ ... فقرَّت عَيْنُ عَبَّاسِ)
(لِمَنْ بَشَّرني البشرى ... على العينين والرّاس)
(أيا ديباجة الحُسْن ... ويَا رامُشْنَةَ الآس)
(يلومونى على الحبّ ... وما بالحبِّ مِنْ باس)
أخبرني محمد قال حدثنا محمد بن أحمد بن جعفر الأنباري - وهو أبو عاصم بن محمد الكاتب - قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال
كانت فوز لرجل جليل من أسباب السلطان وكان العباس يتشبه في أشعاره وذكر فوز بما قاله أبو العتاهية في عتبة فحج بها مولاها فقال العباس
(يا رَبِّ رُدَّ عَلَيْنَا ... مَنْ كان أُنساً وزَيْنا)
((مَنْ لا نُسَرُّ بعَيْشٍ ... حتى يكون لدَيْنا)
(يا مَنْ أتاح لِقَلْبي ... هَوَاهُ شُؤْماً وحَيْنا)
(ما زِلْتُ مُذْ غِبْتِ عنِّي ... مِنْ أسْخَن الناسِ عَيْنا)
(ما كان حَجُّكِ عندي ... إلاَّ بلاءً عَلَيْنا)
فلما قدمت قال
(ألاَ قد قدمَتْ فوزُ ... فقرَّت عَيْنُ عَبَّاسِ)
وذكر الأبيات المتقدمة
أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال
حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه أنه دخل على الفضل بن الربيع يوما والعباس بن الأحنف بين يديه فقال العباس للفضل دعني أعابث الأصمعي قال لا تفعل فليس المزاح من شأنه قال إن رأى الأمير أن يفعل قال ذاك إليك قال فلما دخلت قال لي العباس يا أبا سعيد من الذي يقول
(إذا أحْبَبْتَ أن تصنع ... شيئاً يعجب النَّاسا)
(فصوِّر هاهنا فَوْزاً ... وصور ثَمَّ عبَّاسا)
(فإنْ لم يَدْنوَا حتى ... ترى رَأسيهما رَاسا)
(فكَذِّبها بما قاسَتْ ... وكذِّبه بما قاسى)
فقال لي ابن أبي السعلاء الشاعر إنه أراد العبث بك وهو نبطي فأجبه على هذا قال فقلت له لا أعرف هذا ولكني أعرف الذي يقول
(إذا أحببت أنْ تبصر ... شيئاً يعجبُ الخَلْقَا)
(فصوِّر هاهنا زَوراً ... وصوِّر ههنا فَلْقا)
(فإنْ لم يَدْنُوَا حتى ... ترى خَلْقَيهما خَلقَا)
(فكذِّبْها بما لاقَتْ ... وكذِّبه بما يَلْقى)
فعرض بالعباس أنه نبطي فضحك الفضل فوجم العباس فقال له الفضل قد كنت نهيتك عنه فلم تقبل
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن الفضل الهاشمي قال حدثني أبو توبة الحنفي قال
العباس بن الأحنف والجارية فوز

وجه العباس بن الأحنف رسولا إلى فوز فعاد فأخبره أنها تجد صداعا وأنه رآها معصوبة الرأس فقال العباس
(عصبَتْ رأسَها فليتَ صُداعاً ... قد شكَتْه إليَّ كان برأسِي)
(ثم لا تشتكِي وكان لها الأجْر ... وكنتُ السَّقامَ عنها أُقاسِي)
(ذاكَ حتى يقولَ لِي مَنْ رآني ... هكذا يفعلُ المحِبُّ المُواسِي)
قال فبرئت ثم نكست فقال
(إنَّ التي هامت بها النَّفْسُ ... عاودَها مِنْ عارضٍ نُكْسُ)
(كانت إذا ما جاءها المُبْتَلَى ... أبرأَه مِنْ كفِّها اللَّمْسُ)
(وَابأبي الوجْهُ المليحُ الّذي ... قد عشِقَتْهُ الجِنُّ والإِنْسُ)
(إنْ تكنِ الحمَّى أضرَّتْ به ... فربما تَنْكَسِفُ الشمسُ)
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أبو العباس الخلنجي قال حدثني أبو عبد كان الكاتب قال حدثني أبو توبة الحنفي قال
لما قال العباس بن الأحنف
(أمَا والذي أبْلَى المحبَّ وزادَني ... بلاءً لقد أسرفْتِ في الظلم والهَجْرِ)
(فإنْ كان حقّاً ما زعمتِ أتيتُه ... إليكِ فقام النائحاتُ على قبري)
(وإن كان عُدْواناً عليَّ وباطلاً ... فلا مِتُّ حتى تسهَري الليلَ مِنْ ذكري)
بعثت إليه فوز أظننا ظلمناك يا أبا الفضل فاستجيب لك فينا ما زلت البارحة ساهرة ذاكرة لك
أخبرني جحظة البرمكي قال حدثني أبو عبد الله بن حمدون عن أحمد بن إبراهيم قال حدثني محمد بن سلام قال
كان في خلق العباس بن الأحنف شدة فضرب غلاما له وحلف أنه يبيعه فمضى الغلامُ إلى فوز فاستشفع بها عليه فكتبت إليه فيه فقال
(يا مَنْ أتانا بالشفاعاتِ ... مِنْ عِنْد مَنْ فيه لَجاجاتي)
(إنْ كنتُ مولاكَ فإنَّ التي ... قد شفعَتْ فيكَ لمَوْلاتي)
(إرسالها فيكَ إلينا لنا ... كرامةٌ فوق الكرامات)
ورضي عنه ووصله وأعتقه
أخبرني جحظة قال حدثنا أبو عبد الله بن حمدون عن أبيه حمدون بن إسماعيل عن أخيه إبراهيم بن إسماعيل قال
جاءنا العباس بن الأحنف يوما وهو كئيب فنشطناه فأبى أن ينشط فقلنا ما دهاك فقال لقيتني فوز اليوم فقالت لي يا شيخ وما قالت ذلك إلا من حادث ملال فقلنا له هون عليك فإنها امرأة لا تثبت على حال وما أرادت إلا العبث بك والمزاح معك فقال إني والله قد قلت أقبح مما قالت ثم أنشدنا
(هزئَتْ إذ رأت كئيباً مُعَنًّى ... أقصدَتْهُ الخطوبُ فهو حزينُ)
(هزئَتْ بي ونِلْتُ ما شئتُ منها ... يا لقَوْمي فأيُّنا المغبون)
فقلت له لقد انتصفت وزدت
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا علي بن الصباح قال حدثنا أبو ذكوان قال
كانت لفوز جارية يقال لها يمن وكانت تجيء إلى العباس برسالتها فمضت إلى فوز وقد طلبت من العباس شيئا فمنعها إياه وزعمت أنه أرادها ودعاها إلى نفسه فغضبت فوز من ذلك فكتب إليها
(لقد زَعَمَتْ يُمْنٌ بأني أرَدتُها ... على نفسها تَبّاً لذلكَ مِنْ فِعْلِ)
(سَلُوا عن قميصي مثلَ شاهِدِ يُوسفٍ ... فإنّ قميصي لم يكن قُدَّ مِنْ قُبْلِ)
أخبرني محمد قال حدثنا أحمد بن إسماعيل قال حدثني سعيد بن حميد قال
كانت فوز قد مالت إلى بعض أولاد الجند وبلغ ذلك العباس فتركها ولم ترض هي البديل بعد ذلك فعادت إلى العباس وكتبت إليه تعاتبه في جفائه فكتب إليها
(كَتَبَتْ تلومُ وتَستريبُ زيارتي ... وتقولُ لستَ لنا كعَهْدِ العاهِدِ)
(فأجبتُها ودموعُ عيني جمَّةٌ ... تَجري على الخدَّيْن غَيْرَ جَوَامِدِ)
(يا فَوْزُ لم أهجرْكُمُ لملاَلَةٍ ... منِّي ولا لمَقالِ واشٍ حاسدِ)
(لكنَّني جرَّبتكمْ فوجدتُكمْ ... لاَ تصبرونَ على طعامٍ واحدِ)
وقد أنشدني علي بن سليمان الأخفش هذه الأبيات وقال سرقها من أبي نواس حيث يقول
صوت
(ومُظْهِرة لخَلْقِ الله وُدّاً ... وتلْقي بالتحيَّةِ والسلامِ)
(أتيتُ فؤادَها أشكو إليه ... فلم أخلُصْ إليه من الزِّحامِ)
(فيا مَنْ ليس يَكْفِيهِ مُحِبٌّ ... ولا ألْفا مُحِبٍّ كلَّ عامِ)
(أظنُّكِ مِنْ بقية قومِ مُوسى ... فهُمْ لا يصبرون على طَعَامِ)
غنت فيه عريب لحنا ذكره ابن المعتز ولم يذكر طريقته
ومما يغنى فيه من شعر العباس في فوز قوله
صوت
(يا فَوْزُ ما ضَرَّ مَنْ يُمْسِي وأنْتِ له ... ألاَّ يفوزَ بدُنْيَا آلِ عَبّاسِ)
(أبصرتُ شيباً بمولاها فواعَجباً ... منه يراها ويَبْدُو الشَّيْبُ في الرَّاسِ)
غناه سليم رمل مطلق في مجرى الوسطى عن ابن المكي
وأخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا محمد بن الفضل بن الأسود قال
قرأت على أحمد بن أبي فنن شعر العباس بن الأحنف وكان مشغوفا به فسمعته يقول وددت أن أبياته التي يقول فيها
(... يا فَوْزُ ما ضَرَّ من يُمسِي وأنتِ له)
لي بكل شعري
وفي بذل يقول عبد الله بن العباس الربيعي يخاطب عمرا في بذل بقوله

صوت
(تسمَّعْ بحقِّ الله يا عَمْرُو مِنْ بَذْلِ ... فقد أحسنَتْ واللهِ واعتمدت قَتْلي)
(كأني أرى حُبِّيك يرجحُ كلَّما ... تغنَّتْ لإعجابي وأفْقِدِ مِنْ عقْلِي)
غناه عبد الله بن العباس الربيعي ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو وغنى فيه عمرو بن بانة خفيف رمل بالبنصر عن حبش
ذكر بذل وأخبارها
كانت بذل صفراء مولدة من مولدات المدينة وربيت بالبصرة وهي إحدى المحسنات المتقدمات الموصوفات بكثرة الرواية يقال إنها كانت تغني ثلاثين ألف صوت ولها كتاب في الأغاني منسوب الأصوات غير مجنس يشتمل على اثني عشر ألف صوت يقال إنها عملته لعلي بن هشام وكانت حلوة الوجه ظريفة ضاربة متقدمة وابتاعها جعفر بن موسى الهادي فأخذها منه محمد الأمين وأعطاه مالا جزيلا فولدهما جميعا يدعون ولاءها فأخذت بذل عن أبي سعيد مولى فائد ودحمان وفليح وابن جامع وإبراهيم وطبقتهم
وقرأت على جحظة عن أبي حشيشة في كتابه الذي جمعه من أخباره وما شاهده قال
كانت بذل من أحسن الناس غناء في دهرها وكانت أستاذة كل محسن ومحسنة وكانت صفراء مدنية وكانت أروى خلق الله تعالى للغناء ولم يكن لها معرفة
وكانت لجعفر بن موسى الهادي فوصفت لمحمد بن زبيدة فبعث إلى جعفر يسأله أن يريه إياها فأبى فزاره محمد إلى منزله فسمع شيئا لم يسمع مثله فقال لجعفر يا أخي بعني هذه الجارية فقال يا سيدي مثلي لا يبيع جارية قال فهبها لي قال هي مدبرة فاحتال عليه محمد حتى أسكره وأمر ببذل فحملت معه إلى الحراقة وانصرف بها
فلما انتبه سأل عنها فأخبر بخبرها فسكت فبعث إليه محمد من الغد فجاءه وبذل جالسة فلم يقل شيئا فلما أراد جعفر أن ينصرف قال أوقروا حراقة ابن عمي دراهم فأوقرت
قال فحدثني عبد الله بن الحنيني - وكان أبوه على بيت مال جعفر بن موسى - أن مبلغ ذلك المال كان عشرين ألف ألف درهم
قال وبقيت بذل في دار محمد إلى أن قتل ثم خرجت فكان ولد جعفر وولد محمد يدعون ولاءها فلما ماتت ورثها ولد عبد الله بن محمد بن زبيدة
وقد روى محمد بن الحسن الكاتب هذا الخبر عن ابن المكي عن أبيه وقال فيه إن محمدا وهب لها من الجوهر شيئا لم يملك أحد مثله فسلم لها فكانت تخرج منه الشيء بعد الشيء فتبيعه بالمال العظيم فكان ذلك معتمدها مع ما يصل إليها من الخلفاء إلى أن ماتت وعندها منه بقية عظيمة
قال ورغب إليها وجوه القواد والكتاب والهاشميين في التزويج فأبت وأقامت على حالها حتى ماتت
بذل وعلي بن هشام
قال أبو حشيشة في خبره وكنت عند بذل يوما وأنا غلام وذلك في أيام المأمون ببغداد وهي في طارمة لها تمتشط ثم خرجت إلى الباب فرأيت الموكب فظننت أن الخليفة يمر في ذلك الموضع فرجعت إليها فقلت يا ستي الخليفة يمر على بابك فقالت انظروا أي شيء هذا إذ دخل بوابها فقال علي بن هشام بالباب فقالت وما أصنع به فقامت إليها وشيكة جاريتها - وكانت ترسلها إلى الخليفة وغيره في حوائجها - فأكبت على رجلها وقالت الله الله أتحجبين علي بن هشام فدعت بمنديل فطرحته على رأسها ولم تقم إليه فقال إني جئتك بأمر سيدي أمير المؤمنين وذلك أنه سألني عنك فقلت لم أرها منذ أيام فقال هي عليك غضبى فبحياتي لا تدخل منزلك حتى تذهب إليها فتسترضيها
فقالت إن كنت جئت بأمر الخليفة فأنا أقوم فقامت فقبلت رأسه ويديه وقعد ساعة وانصرف فساعة خرج قالت يا وشيكة هاتي دواة وقرطاسا فجعلت تكتب فيه يومها وليلتها حتى كتبت اثني عشر ألف صوت - وفي بعض النسخ رؤوس سبعة آلاف صوت - ثم كتبت إليه يا علي بن هشام تقول قد استغنيت عن بذل بأربعة آلاف صوت أخذناها منها وقد كتبت هذا وأنا ضجرة فكيف لو فرغت لك قلبي كله وختمت الكتاب وقالت لها امضي به إليه
فما كان أسرع من أن جاء رسوله خادم أسود يقال له مخارق - بالجواب يقول فيه يا ستي لا والله ما قلت الذي بلغك ولقد كذب علي عندك إنما قلت لا ينبغي أن يكون في الدنيا غناء أكثر من أربعة آلاف صوت وقد بعثت إلي بديوان لا أؤدي شكرك عليه أبدا وبعث إليها عشرة آلاف درهم وتخوتا فيها خز ووشي وملح وتختا مطبقا فيه ألوان الطيب
أنشدني علي بن سليمان الأخفش لعلي بن هشام يعاتب بذلا في جفوة نالته منها
(تغَيَّرْتِ بَعْدِي والزمانُ مُغَيِّرٌ ... وخِسْتِ بِعَهْدِي والملوكُ تَخِيسُ)
(وأظهرتِ لي هَجْراً وأخفَيْتِ بِغْضةً ... وقَرَّبْتِ وغْداً واللسانُ عَبُوسُ)
(وممَّا شجاني أنني يومَ زُرْتُكِمْ ... حُجِبْتُ وأعدائي لدَيْكِ جُلوسُ)
(وفِي دُونِ ذا ما يَستَدِلُّ به الفتَى ... على الغَدْرِ مِنْ أحْبابه ويَقِيسُ)
(كفرتُ بدِيْنِ الحُبِّ إنْ طُرتُ بابَكم ... وتلك يَمينٌ - ما علمت - غَمُوسُ)
(فإنْ ذَهَبَتْ نفسي عليكم تَشَوُّقاً ... فقد ذهبتْ للعاشقين نُفوسُ)
(ولو كان نَجْمِي في السُّعودِ وَصَلْتُمُ ... ولكنْ نجومُ العاشقينَ نُحُوسُ)
وأخبرني أبو العباس الهشامي المشك عن أهله أن علي بن هشام كان يهوى بذلا ويكتم ذلك وأنها هجرته مدة فكتب إليها بهذه الأبيات
وذكر محمد بن الحسن أن أبا حارثة حدثه عن أخيه أن معاوية قال قالت لي بذل كنت أروي ثلاثين ألف صوت فلما تركت الدرس أنسيت نصفها فذكرت قولها لزرزر الكبير فقال كذبت الزانية
إجادتها صنعة الغناء
أن -قال وحدثني أحمد بن محمد بن الفيزران عن بعض أصحابه
إبراهيم بن المهدي كان يعظمها ويتوافى لها ثم تغير بعد ذلك استغناء عند نفسه عنها فصارت إليه فدعا بعود فغنت - في طريقة واحدة وإيقاع واحد وإصبع واحدة - مائة صوت لم يعرف إبراهيم منها صوتا واحدا ووضعت العود وانصرفت فلم تدخل داره حتى طال طلبه لها وتضرعه إليها في الرجوع إليه
وقال محمد بن الحسن وذكر أحمد بن سعيد المالكي أن إسحاق بن إبراهيم الموصلي خالف بذلا في نسبة صوت غنته

بحضرة المأمون فأمسكت عنه ساعة ثم غنت ثلاثة أصوات في الثقيل الثاني واحدا بعد واحد وسألت إسحاق عن صانعها فلم يعرفه فقالت للمأمون يا أمير المؤمنين هي والله لأبيه أخذتها من فيه فإذا كان هذا لا يعرف غناء أبيه فكيف يعرف غناء غيره فاشتد ذلك على إسحاق حتى رئي ذلك فيه

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني حماد بن إسحاق قال غنت بذل يوما بين يدي أبي

(إنْ تَرَيْني ناحِلَ البَدَنِ ... فلِطول الْهَمِّ والحَزَنِ)

(كان ما أخشى بواحِدتي ... ليته واللهِ لَمْ يَكُنِ)

فطرب أبي والله طربا شديدا وشرب رطلا وقال لها أحسنت يا بنتي والله لا تغنين صوتا إلا شربت عليه رطلا

قال أبو الفرج والغناء في هذا الشعر لبذل خفيف رمل بالوسطى

وذكر أحمد بن أبي طاهر أن محمد بن علي بن طاهر بن الحسين حدثه أن المأمون كان يوما قاعدا يشرب وبيده قدح إذ غنت بذل

(... ألاَ لا أرى شيئاً ألذَّ من الوَعْدِ)

فجعلته

(... ألاَ لا أرى شيئاً ألذّ من السَّحْقِ)

فوضع المأمون القدح من يده والتفت إليها وقال بلى يا بذل النيك ألذ من السحق فتشورت وخافت غضبه فأخذ قدحه ثم قال أتمي صوتك وزيدي فيه

(ومِنْ غَفْلَة الْوَاشي إذا ما أتَيْتُها ... ومِنْ زَوْرَتي أبياتَها خالياً وَحْدِي)

(ومِنْ صيحةٍ في المُلْتَقَى ثم سَكْتَةٍ ... وكلتاهُما عِنْدِي ألذُّ مِنَ الخُلْدِ)

نسبة هذا الصوت

(ألاَ لا أرَى شيئاً ألَذَّ من الوَعْد ... ومن أمَلِي فيه وإنْ كان لا يُجْدِي)

الغناء لإبراهيم خفيف رمل بالبنصر في رواية عمرو بن بانة

صوت

(بانَتْ سُعَادُ فقلبي اليومَ مَتبُولُ ... متيَّمٌ عندها لم يُجْزَ مَكْبُولُ)

(وما سعادُ غداةَ البَيْنِ إذ رحلوا ... إلاّ أغنُّ غضيضُ الطَّرْفِ مكحولُ)

الشعر لكعب بن زهير بن أبي سلمى المزني والغناء لابن محرز ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو بن بانة والهشامي

أخبار كعب بن زهير

كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني وقد تقدم خبر أبيه ونسبه وأم كعب امرأة من بني عبد الله بن غطفان يقال لها كبشة بنت عمار بن عدي بن سحيم وهي أم سائر أولاد زهير

وهو من المخضرمين ومن فحول الشعراء

وسأله الحطيئة أن يقول شعرا يقدم فيه نفسه ثم يثني به بعده ففعل

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قالا

أتى الحطيئة كعب بن زهير - وكان الحطيئة راوية زهير وآل زهير - فقال له يا كعب قد علمت روايتي لكم أهل البيت وانقطاعي إليكم وقد ذهب الفحول غيري وغيرك فلو قلت شعرا تذكر فيه نفسك وتضعني موضعا بعدك وقال أبو عبيدة في خبره تبدأ بنفسك فيه وتثني بي فإن الناس لأشعاركم أروى وإليها أسرع فقال كعب

(فَمَنْ للقوافي شانَها مَنْ يَحُوكها ... إذا ما ثَوَى كَعْبٌ وفَوَّزَ جَرْوَلُ)

(يقولُ فلا يَعْيَا بشيء يَقولُه ... ومِنْ قائليها مَنْ يُسِيء ويَعْمَلُ)

(كفيتُكَ لا تَلْقَى مِن الناسِ واحداً ... تنخَّلَ منها مِثْلَ ما يُتنخَّلُ)

(يُثقِّفُها حتى تَلِينَ مُتُونُها ... فيَقْصُرُ عنها كلُّ ما يُتمثَّلُ)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا علي بن الصباح عن هشام عن إسحاق بن الجصاص قال

قال زهير بيتا ونصفا ثم أكدى فمر به النابغة فقال له أبا أمامة أجز فقال وما قلت قال قلت

(تَزِيد الأرضُ إمّا متَّ خفّاً ... وتَحْيَا إنْ حَيِيتَ بها ثَقِيلا)

(... نزلت بمستقر العرض منها)

أجز قال فأكدى والله النابغة وأقبل كعب بن زهير وإنه لغلام فقال أبوه أجز يا بني فقال وما أجيز فأنشده فأجاز النصف بيت فقال

(... وتمنع جَانِبيهَا أنْ يَزُولا)

فضمه زهير إليه وقال أشهد أنك ابني

زهير ينهاه عن الشعر ثم يأذن له

وقال ابن الأعرابي قال حماد الراوية

تحرك كعب بن زهير وهو يتكلم بالشعر فكان زهير ينهاه مخافة أن يكون لم يستحكم شعره فيروى له ما لا خير فيه فكان يضربه في ذلك فكلما ضربه يزيد فيه فغلبه فطال عليه ذلك فأخذه فحبسه فقال والذي أحلف به لا تتكلم ببيت شعر إلا ضربتك ضربا ينكلك عن ذلك فمكث محبوسا عدة أيام ثم أخبر أنه يتكلم به فدعاه فضربه ضربا شديدا ثم أطلقه وسرحه في بهمة وهو غليم صغير فانطلق فرعى ثم راح عشية وهو يرتجز

(كأنما أحْدُو ببَهمي عِيرَا ... من القُرَى مُوقرةً شعيراً)

فخرج إليه زهير وهو غضبان فدعا بناقته فكفلها بكسائه ثم قعد عليها حتى انتهى إلى ابنه كعب فأخذ بيده فأردفه خلفه ثم خرج فضرب ناقته وهو يريد أن يبعث ابنه كعبا ويعلم ما عنده من الشعر فقال زهير حين برز إلى الحي

(إني لتُعْدِيني على الحيِّ جَسْرَةٌ ... تَخُبُّ بِوَصَّالٍ صَرُومٍ وتُعْنِقُ)

ثم ضرب كعبا وقال له أجز يا لكع فقال كعب

(كبُنْيانةِ القَرْئيّ موضعُ رحلها ... وآثارُ نِسْعَيْها من الدَّفِّ أبْلَقُ)

فقال زهير

(على لاحِبٍ مثل المجَرَّةِ خِلْتَهُ ... إذا ما عَلاَ نَشْزاً من الأرض مُهْرَقُ
أجزيا لكع فقال كعب
(مُنِيرٌ هُداهُ ليلُه كنهاره ... جميعٌ إذا يَعْلُو الحُزُونةَ أفْرُقُ)
قال فتبدى زهير في نعت النعام وترك الإبل يتعسفه عمدا ليعلم ما عنده قال
(وظَلَّ بوَعْساءِ الكَثِيبِ كأنَّه ... خِباءٌ على صَقْبَيْ بِوَانٍ مُرَوَّقِ)
صقبي عمودي بوان عمود من أعمدة البيت فقال كعب
(تَراخى به حُبُّ الضَّحاء وقد رأى ... سَماوَةَ قِشْراءِ الوَظِيفين عوْهَقِ)
فقال زهير
(تَحِنُّ إلى مِثْلِ الحَبابِيرِ جُثَّمٍ ... لدَى منتجٍ مِنْ قَيْضِها المُتَفَلِّقِ)
الحبابير جمع حبارى وتجمع أيضا حباريات فقال كعب
(تحطَّمَ عَنْها قَيْضُها عن خَراطِمٍ ... وعَنْ حَدَقٍ كالنَّبْخ لم يَتَفَتَّقِ)
الخراطم هاهنا المناقير والنبخ الجدري شبه أعين ولد النعامة به
قال فأخذ زهير بيد ابنه كعب ثم قال له قد أذنت لك في الشعر يا بني
فلما نزل كعب وانتهى إلى أهله - وهو صغير يومئذ - قال
(أبِيتُ فلا أهجو الصديقَ ومَنْ يبعْ ... بعِرْضِ أبيه في المعاشر يُنْفق)
قال وهي أول قصيدة قالها
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثني الحجاج بن ذي الرقيبة بن عبد الرحمن بن مضرب بن كعب بن زهير بن أبي سلمى عن أبيه عن جده قال
خرج كعب وبجير ابنا زهير بن أبي سلمى إلى رسول الله حتى بلغا أبرق العزاف فقال كعب لبجير الحق الرجل وأنا مقيم هاهنا فانظر ما يقول لك فقدم بجير على رسول الله فسمع منه وأسلم وبلغ ذلك كعبا فقال
(ألا أبْلِغَا عنّي بُجَيْراً رِسالةً ... على أيِّ شيءٍ - وَيْبَ غَيْرِك - دَلَّكَا)
(على خُلُق لم تُلْفِ أُمّا ولا أباً ... عَلَيْه ولم تُدْرِك عليه أخاً لَكَا)
(سقاكَ أبو بكر بكأسٍ رَوِيَّةٍ ... فأنهلَك المأمونُ مِنْها وعَلَّكَا)

الرسول يهدر دمه

ويروى المأمور قال فبلغت أبياته هذه رسول الله فأهدر دمه وقال من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله
فكتب إليه أخوه بجير يخبره وقال له انجه وما أراك بمفلت وكتب إليه بعد ذلك يأمره أن يسلم ويقبل إلى رسول الله ويقول له إن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسوله قبل منه وأسقط ما كان قبل ذلك فأسلم كعب وقال القصيدة التي اعتذر فيها إلى رسول الله
(بانَتْ سُعادُ فَقَلْبِي اليومَ مَتبُولُ ... مُتَيَّمٌ عِنْدَها لم يجْزَ مَكْبُولُ)
قال ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله وكان مجلسه من أصحابه مكان المائدة من القوم حلقة ثم حلقة ثم حلقة وهو وسطهم فيقبل على هؤلاء يحدثهم ثم على هؤلاء ثم على هؤلاء فأقبل كعب حتى دخل المسجد فتخطى حتى جلس إلى رسول الله فقال يا رسول الله الأمان قال ومن أنت قال كعب بن زهير قال أنت الذي يقول . . كيف قال يا أبا بكر فأنشده حتى بلغ إلى قوله
(سقاكَ أبو بَكْرٍ بكَأْسٍ رَوِيَّةٍ ... وأنْهَلَكَ المأمونَ منها وعَلَّكا)
- فقال رسول الله مأمون والله ثم أنشده - يعني كعبا
(... بانت سعاد فقلبي اليوم مَتْبولُ)
قال عمر بن شبة فحدثني الحزامي قال حدثني محمد بن فليح عن موسى بن عقبة وأخبرني بمثل ذلك أحمد بن الجعد قال حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي قال حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة قال أنشدها رسول الله في مسجده فلما بلغ إلى قوله
((إنَّ الرَّسولَ لسَيْفٌ يُستضاءُ به ... مهنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ الله مَسْلُولُ
(في فِتْيَةٍ مِنْ قريشٍ قال قائلُهم ... بِبَطْنِ مكة لّما أسلموا زُولوا)
(زَالُوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشُفٌ ... عند اللقاء ولا خُورٌ مَعازيل)
أشار رسول الله إلى الحلق أن يسمعوا شعر كعب بن زهير
قال الحزامي قال علي بن المديني لم أسمع قط في خبر كعب بن زهير حديثا قط أتم ولا أحسن من هذا ولا أبالي ألا أسمع من خبره غير هذا

إسلام بجير وكعب

قال أبو زيد عمر بن شبة ومما يروى من خبره أن زهيرا كان نظارا متوقيا وأنه رأى في منامه آتيا أتاه فحمله إلى السماء حتى كاد يمسها بيده ثم تركه فهوى إلى الأرض فلما احتضر قص رؤياه على ولده وقال إني لا أشك أنه كائن من خبر السماء بعدي شيء فإن كان فتمسكوا به وسارعوا إليه
فلما بعث النبي خرج إليه بجير بن زهير فأسلم ثم رجع إلى بلاد قومه فلما هاجر رسول الله أتاه بجير بالمدينة - وكان من خيار المسلمين وشهد يوم الفتح مع رسول الله ويوم خيبر ويوم حنين وقال في ذلك
(صَبَحْناهُم بألْفٍ من سُلَيْمٍ ... وألْف من بني عثمانَ وافِ)
(فرُحْنا والجيادُ تجول فيهم ... بأرْماحٍ مُثَقَّفَةٍ خِفافِ)
(وفي أكتافهم طعْنٌ وضَرْبٌ ... ورَشْقٌ بالمُرَيَّشةِ اللِّطافِ)
ثم ذكر خبره وخبر أخيه كعب مثل ما ذكر الحزامي وزاد في الأبيات التي كتب بها كعب إليه
((فخالفتَ أسبابَ الهُدَى وتبعتَه ... فهل لك فيما قُلْت بالخَيْفِ هَلْ لكا
ثم قال في خبره أيضا إن كعبا نزل برجل من جهينة فلما أصبح أتى النبي عليه السلام فقال يا رسول الله أرأيت إن أتيتك بكعب بن زهير مسلما أتؤمنه قال نعم قال فأنا كعب بن زهير فتواثبت الأنصار تقول يا رسول الله ائذن لنا فيه فقال وكيف

وقد أتاني مسلما وكف عنه المهاجرون ولم يقولوا شيئا فأنشد رسولَ الله قصيدته
(... بانت سعادُ فقَلْبي اليوم متبول)
حتى انتهى إلى قوله
(لا يَقَعُ الطَّعْنُ إلاَّ في نُحورهمُ ... وما بِهم عن حِياضِ المَوْتِ تَهْلِيلُ)
هكذا في رواية عمر بن شبة ورواية غيره تعليل
فعند ذلك أومأ رسول الله إلى الحلق حوله أن تسمع منه قال وعرض بالأنصار في قصيدته في عدة مواضع منها قوله
(كانت مواعيد عُرْقُوبٍ لها مَثَلاً ... وما مواعيدُها إلاَّ الأباطِيلُ)
وعرقوب رجل من الأوس فلما سمع المهاجرون بذلك قالوا
ما مدحنا من هجا الأنصار فأنكروا قوله وعوتب على ذلك فقال
(مَنْ سرَّه كَرَمُ الحياةِ فلا يَزَلْ ... في مِقْنَبٍ مِن صَالحِي الأنصار)
(الباذِلِينَ نفوسَهم لِنَبِيِّهم ... عند الهِياجِ وسَطْوَةِ الجبَّارِ)
(والناظِرِين بأعْيُنٍ محمرَّةٍ ... كالجَمْرِ غَيْرِ كَلِيلةِ الإِبْصارِ)
(والضَّارِبِين الناسَ عن أديانهم ... بالمَشْرَفيِّ وبالقَنا الخَطَّارِ)
(يتطهَّرُون يَرونَه نسكاً لهم ... بدماءِ مَنْ عَلِقُوا مِنَ الكفَّارِ)
(صَدَمُوا الكتيبةَ يوم بَدْرٍ صَدْمَةً ... ذَلَّتْ لِوَقْعَتِها رِقَابُ نِزارِ)
قال أبو زيد الذي عناه كعب رجل من الأوس كان وعد رجلا ثمر نخلة فلما أطلعت أتاه فقال دعها حتى تلقح فلما لقحت قال دعها حتى تزهي فلما أزهت أتاه فقال دعها حتى ترطب ثم أتاه فقال دعها حتى تتمر فلما أتمرت عدا عليها ليلا فجدها فضرب به في الخلف المثل وذلك قول الشماخ
(وَوَاعَدَنِي ما لا أُحاول نَفْعَه ... مواعيدَ عُرْقُوبٍ أخاه بِيَتْرِبِ)
وقال المتلمس لعمرو بن هند
(مَنْ كان خُلْفُ الوعدِ شيمتَه ... والغَدْرُ عرقوبٌ لَهُ مَثَلُ)
وما قالته الشعراء في ذكر عرقوب يكثر
قال إبراهيم بن المنذر حدثني معن بن عيسى قال حدثني الأوقص محمد بن عبد الرحمن المخزومي قال
حدثني علي بن زيد أن كعب بن زهير أنشد رسول الله هذه القصيدة في المسجد الحرام لا في مسجد المدينة
قال إبراهيم حدثني محمد بن الضحاك بن عثمان عن أبيه قال
عنى كعب بن زهير بقوله
(... في فِتْيَةٍ من قريش قال قائلهم)
عمر بن الخطاب رضي الله عنه

صوت

(أبِيني أفي يُمْنَى يَدَيْكِ جَعَلْتِني ... فأفرحَ أمْ صَيَّرتني في شِمالِكِ)
(أبِيتُ كأنّي بين شِقَّيْن مِن عَصاً ... حذارَ الرَّدَى أو خِيفةً من زِيالِكِ)
(تَعَالَلْتِ كي أشجَى وما بِكِ عِلَّة ... تُريدين قَتْلِي قد ظَفِرْتِ بذلكِ)
عروضه من الطويل الشعر لابن الدمينة بعضه وبعضه ألحقه المغنون به وهو لغيره والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى وفيه لإبراهيم ثقيل أول بالبنصر

أخبار ابن الدمينة ونسبه

الدمينة أمه وهي الدمينة بنت حذيفة السلولية واسم ابن الدمينة عبد الله بن عبيد الله أحد بني عامر بن تيم الله بن مبشر بن أكلب بن ربيعة بن عفرس بن حلف بن أفتل وهو خثعم بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك
وقيل إن أكلب هو ابن ربيعة بن نزار ليس ابن ربيعة بن عفرس وإنهم حالفوا خثعم ونزلوا فيهم فنسبوا إليهم
ويكنى ابن الدمينة أبا السري
وكان بلغه أن رجلا من أخواله من سلول يأتي امرأته ليلا فرصده حتى أتاها فقتله ثم قتلها بعده ثم اغتالته سلول بعد ذلك فقتلته
أخبرني بخبره علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة وابن الأعرابي وأضفت إلى ذلك ما رواه الزبير بن بكار عن أصحابه وما اتفقت الروايتان فيه فإذا اختلفتا نسبت كل خبر إلى راويه

مزاحم بن عمرو يرمى بامرأته ويشهر به

قال الزبير حدثني موهوب بن رشيد الكلابي وإبراهيم بن سعد السلمي وعمر بن إبراهيم السعدي عن ميناس بن عبد الصمد عن مصعب بن عمرو السلولي أخي مزاحم بن عمرو قالوا جميعا
إن رجلا من سلول يقال له مزاحم بن عمرو كان يرمى بامرأة ابن الدمينة وكان اسمها حماء قال السكري كان اسمها حمادة فكان يأتيها ويتحدث إليها حتى اشتهر ذلك فمنعه ابن الدمينة من إتيانها واشتد عليها فقال مزاحم يذكر ذلك - وهذا من رواية ابن حبيب وهي أتم وأصح
(يا بْنَ الدُّمينةِ والأخبارُ يرفَعُها ... وخْدُ النّجائبِ والمحقُورُ يُخْفيها)
(يا بْنَ الدُّمَيْنة إنْ تغضَبْ لَما فَعَلَتْ ... فطال خِزْيُكَ أو تغضَبْ مَوالِيها)
(أو تبغضوني فكم مِنْ طعنةٍ نَفَذٍ ... يَغْذُو خِلاَلَ اختلاجِ الجَوْفِ غَاذِيها)
(جاهَدْتُ فيها لكُمْ إني لكُمِ أبداً ... أبْغِي معايبكم عَمْداً فآتيها)
(فذاكَ عندي لكم حتّى تُغَيِّبَنِي ... غَبْراءُ مُظْلِمةٌ هارٍ نَواحِيها)
(أغْشَى نساءِ بني تَيْمٍ إذا هجعتْ ... عنّي العُيُونَ ولا أبغِي مَقارِيها)
(كم كاعبٍ مِنْ بني تَيْمٍ قعدتُ لها ... وعانِسٍ حين ذاقَ النومَ حَامِيها)
(كقِعْدَةِ الأعْسرِ العُلْفوفِ مُنْتَحِياً ... مَتِينةً مِن متون النَّبْلِ يُنْحِيها)
(وشَهْقَةٍ عند حسِّ الماء تشهَقُها ... وقولُ رُكْبَتِها قِضْ حين تثنيها)
(علامَة كيِّة ما بَيْنَ عانَتِها ... وبين سبَّتِها لا شلَّ كاويها)

(وَتَعْدِلُ الأَيْرَ إنْ زاغتْ فتبعثه ... حتى يقيمَ بِرِفقٍ صَدْرَهُ فيها)
(بَيْنَ الصَّفُوقَيْنِ في مستهدفٍ ومِدٍ ... ذِي حَرَّةٍ ذاق طعمَ الموتِ صاليها)
(ماذا تَرى ابن عُبَيْد الله في امرأةٍ ... ليست بمُحْصَنةٍ عَذْراءُ حاويها)
(أيّام أنْتَ طريدٌ لا تقاربُها ... وصادفَ القَوْسَ في الغِرَّاتِ باريها)
(تَرَى عجوزَ بني تيم مِلفّعةً ... شُمْطاً عوارِضُها رُبْداً دَوَاهِيها)
(إذ تجعلُ الدِّفْيس الوَرْهاء عُذْرَتَها ... قُشارةً من أديم ثم تفريها)
(حتى يظلَّ هِدَان القوم يَحْسبُها ... بِكْراً وقَبْلُ هَوَى في الدار هاويها)
قال الزبير عن رجاله وابن حبيب عن ابن الأعرابي
لما بلغ ابن الدمينة شعر مزاحم أتى امرأته فقال لها قد قال فيك هذا الرجل ما قال وقد بلغك قالت والله ما أرى ذلك مني قط قال فمن أين له العلامات قالت وصفهن له النساء قال هيهات والله أن يكون ذلك كذلك ثم أمسك مدة وصبر حتى ظن أن مزاحما قد نسي القصة ثم أعاد عليها القول وأعادت الحلف أن ذلك مما وصفه له النساء فقال لها والله لئن لم تمكنيني منه لأقتلنك فعلمت أنه سيفعل ذلك فبعثت إليه وواعدته ليلا وقعد له ابن الدمينة وصاحب له فجاءها للموعد فجعل يكلمها وهي مكانها فلم تكلمه فقال لها يا حماء ما هذا الجفاء الليلة قال فتقول له هي بصوت ضعيف ادخل فدخل فأهوى بيده ليضعها عليها فوضعها على ابن الدمينة فوثب عليه هو وصاحبه وقد جعل له حصى في ثوب فضرب بها كبده حتى قتله وأخرجه فطرحه ميتا فجاء أهله فاحتملوه ولم يجدوا به أثر السلاح فعلموا أن ابن الدمينة قتله
قال الزبير في حديثه وقد قال ابن الدمينة في تحقيق ذلك
(قالوا هجتْكَ سَلولُ اللُّؤمِ مُخْفِيَةً ... فاليومَ أهْجُو سَلُولاً لا أُخافيها)
(قالوا هجاكَ سلُوليٌّ فقلتُ لهم ... قد أنصف الصَّخْرَةَ الصَّمَّاءِ رَامِيها)
(رِجالُهم شَرُّ من يَمْشِي ونسْوَتُهم ... شرُّ البريَّةِ واستٌ ذَلَّ حامِيها)
(يَحْكُكْنَ بالصَّخْرِ أستاهاً بها نُقَب ... كما يُحَكُّ نِقابَ الجُرْبِ طالِيها)
قال وقال أيضا يذكر دخول مزاحم ووضعه يده عليه
(لكَ الخَيْرُ إنْ واعدْتَ حَمَّاءُ فالْقَها ... نهاراً ولا تُدْلِج إذا الليلُ أظلما)
(فإنَّكِ لا تَدْرِي أبيضاء طَفْلَةً ... تُعانِقُ أمْ لَيْثاً من القومِ قَشْعَما)
(فلما سَرَى عن ساعِدَيَّ ولحيتي ... وأيقن أني لستُ حَمَّاء جَمْجَما)
ابن الدمينة يقتل امرأته
قالوا جميعا ثم أتى ابن الدمينة امرأته فطرح على وجهها قطيفة ثم جلس عليها حتى قتلها فلما ماتت قال
(إذا قَعَدْتَ على عِرْنين جاريةٍ ... فوق القطيفةِ فادْعُوا لي بحَفَّار)
فبكت بنية له منها فضرب بها الأرض فقتلها وقال متمثلا لا تتخذن من كلب سوء جروا
قال الزبير في خبره عن عمه مصعب عن حميد بن أنيف قال
فخرج جناح أخو المقتول إلى أحمد بن إسماعيل فاستعداه على ابن الدمينة فبعث إليه فحبسه
وقالوا جميعا قالت أم أبان والدة مزاحم بن عمرو المقتول وهي من خثعم ترثي ابنها وتحضض مصعبا وجناحا أخويه
(بأهْلي ومالِي بل بِجُلِّ عشيرتي ... قتيلُ بني تَيْمٍ بغير سِلاح)
(فهَلاَّ قَتَلْتُم بالسِّلاح ابْنَ أُختِكم ... فتظهرَ فيه للشهودِ جِرَاحُ)
(فلا تطعموا في الصلح ما دمْتُ حيّةً ... وما دامَ حيّاً مُصْعَبٌ وجَناحُ)
(ألَم تعلموا أنَّ الدَّوائرَ بيننا ... تَدُورُ وأنَّ الطالبين شِحاحُ)
قالوا فلما طال حبسه ولم يجد عليه أحمد بن إسماعيل سبيلا ولا حجة خلاه وقتلت بنو سلول رجلا من خثعم مكان المقتول وقتلت خثعم بعد ذلك نفرا من سلول ولهم في ذلك قصص وأشعار كثيرة
رواية مقتله
قالوا وأقبل ابن الدمينة حاجا بعد مدة طويلة فنزل بتبالة فعدا عليه مصعب أخو المقتول لما رآه وقد كانت أمه حرضته عليه وقالت اقتل ابن الدمينة فإنه قتل أخاك وهجا قومك وذم أختك وقد كنت أعذرك قبل هذا
لأنك كنت صغيرا وقد كبرت الآن فلما أكثرت عليه خرج من عندها وبصر بابن الدمينة واقفا ينشد الناس فغدا إلى جزار فأخذ شفرته وعدا على ابن الدمينة فجرحه جراحتين فقيل إنه مات لوقته وقيل بل سلم تلك الدفعة ومر به مصعب بعد ذلك وهو في سوق العبلاء ينشد فعلاه بسيفه حتى قتله وعدا وتبعه الناس حتى اقتحم دارا وأغلقها على نفسه فجاءه رجل من قومه فصاح به يا مصعب إن لم تضع يدك في يد السلطان قتلتك العامة فاخرج فلما عرفه قال له أنا في ذمتك حتى تسلمني إلى السلطان قال نعم فخرج إليه ووضع يده في يده فسلمه إلى السلطان فقذفه في سجن تبالة
قال السكري في خبره ومكث ابن الدمينة جريحا ليلته ومات في غد فقال في تلك الليلة يحرض قومه ويوبخهم
(هَتفتَ بأَكْلُبٍ ودَعَوْتَ قَيْساً ... فلا خذَلاً دعوْتَ ولا قَلِيلا)
(ثأرتَ مزاحماً وسَرَرت قيْساً ... وكنتَ لِما هممت بِه فَعُولا)
(فلا تَشلَلْ يَدَاكَ ولا تزالاَ ... تُفِيدانِ الغنائمَ والجزيلاَ)
(فلو كان ابْنُ عبْدِ الله حيّاً ... لصبَّحَ في منازلِها سَلُولاَ)
قال وبلغ مصعبا أن قوم ابن الدمينة يريدون أن يقتحموا عليه سجن تبالة فيقتلوه به غيلة فقال يحرض قومه
(لقيتُ أبا السَّرِيِّ وقد تَكَالا ... له حقٌّ العداوَةِ في فؤادي)
(فكاد الغيظُ يُفْرطُني إليه ... بطَعْن دونه طَعْنُ السَّدَادِ)
(إذا نبحَتْ كِلابُ السجنِ حوْلِي ... طَمِعْتُ هشَاشَةً وهَفا فُؤادِي)
(طماعَةَ أنْ يدُقَّ السجْنَ قَوْمِي ... وخَوْفَا أنْ يُبَيِّتني الأعادِي)
(فما ظَنِّي بقومي شرٌّ ظَنٍّ ... ولا أنْ يُسلِمُوني في البلادِ)
((وقد جدّلتُ قاتِلَهُم فأمسَى ... يَمُجُّ دَمَ الوَتِين على الوسادِ
فجاءت بنو عقيل إليه ليلا فكسروا السجن وأخرجوه منه

مصعب السلولي يهرب إلى صنعاء
قال مصعب فلما أفلت من السجن هرب إلى صنعاء فقدم علينا وأبى بها يومئذ وال فنزل على كاتب لأبي كان مولى لهم فرأيته حينئذ ولم يكن جلدا من الرجال
ومما يغنى به من شعر ابن الدمينة قوله من قصيدة أولها
(أقمتُ على زمَّانٍ يوماً وليلةً ... لأنظُرَ ما واشِي أُمَيْمَةَ صانِعُ)
(فقصْرُكِ مني كلَّ عامٍ قَصيدة ... تخُبُّ بِها خُوصُ المَطِيِّ النَّزائِعُ)
وهذه القصيدة ذكر أحمد بن يحيى ثعلب أن عبد الله بن شبيب أنشده إياها عن محمد بن عبد الله الكراني لابن الدمينة والذي يغني به منها قوله
صوت
(أُقَضِّي نَهاري بالحديثِ وبالمُنَى ... ويجمَعُني والهمَّ بالليل جَامِعُ)
(نهاري نَهارُ الناس حتى إذا بَدَا ... ليَ الليلُ شاقتني إليكِ المضاجعُ)
(لقد ثَبتتْ في القلْبِ مِنْكِ محبَّةٌ ... كما ثَبَتتْ في الرَّاحتَيْن الأصابعُ)
غناه إبراهيم رملا بالوسطى عن عمرو بن بانة
نسخت من كتاب أبي سعيد قال حدثنا ابن أبي السري عن هشام قال
هوي ابن الدمينة امرأة من قومه يقال لها أميمة فهام بها مدة فلما وصلته تجنى عليها وجعل ينقطع عنها ثم زارها ذات يوم فتعاتبا طويلا ثم أقبلت عليه فقالت
صوت
(وأنْتَ الذِي أخلَفْتني ما وعدتني ... وأشْمَتَّ بي مَنْ كان فيكَ يَلُومُ)
(وأبرزْتَني للناس ثم تركْتَني ... لهم غَرَضاً أُرْمَى وأنت سَلِيمُ)
(فلولا أنَّ قولاً يَكْلُمُ الجِسْمَ قد بَدَا ... بجسمِي مِن قَوْلِ الوُشاةِ كُلُومُ)
الشعر لأميمة امرأة ابن الدمينة والغناء لإبراهيم الموصلي خفيف رمل بالوسطى عن عمرو والهشامي وذكر حبش أن لإبراهيم أيضا فيه لحنا من الثقيل الأول بالوسطى وذكر حكم الوادي أن هذا اللحن ليعقوب الوادي وفيه لعريب خفيف ثقيل
قال فأجابها ابن الدمينة فقال
(وأنتِ التي قطَّعْتِ قلبِي حزازةً ... ومزَّقْتِ قَرْحَ القَلْبِ فَهْوَ كليمُ)
(وأنتِ التي كلفتْنِي دَلَجَ السُّرَى ... وجُونُ القطا بالجَلْهَتين جُثومُ)
(وأنتِ التي أحفظتِ قومي فكلُّهم ... بعِيدُ الرِّضا داني الصدودِ كظيمُ)
قال ثم تزوجها بعد ذلك وقتل وهي عنده
قصة عاشقين
فأخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد بن إسحاق حدثني أبي قال حدثنا سعيد بن سلم عن أبي الحسن الينبعي قال
بينا أنا وصديق لي من قريش نمشي بالبلاط ليلا إذا بظل نسوة في القمر فالتفتنا فإذا بجماعة نسوة فسمعت واحدة منهن وهي تقول أهو هو فقالت الأخرى نعم والله إنه لهو هو فدنت مني ثم قالت يا كهل قل لهذا الذي معك
(ليسَتْ لَياليك في خَاخٍ بعائدةٍ ... كما عَهِدْتَ ولا أيَّامِ ذِي سَلَمِ)
فقلت له أجب فقد سمعت فقال قد والله قطع بي وأرتج علي فأجب عني فالتفت إليها ثم قلت
(فقلتُ لها يا عَزَّ كلُّ مُصِيبةٍ ... إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النفْسُ ذلَّت)
فقالت المرأة أوه ثم مضت ومضينا حتى إذا كنا بمفرق طريقين مضى الفتى إلى منزله ومضيت أنا إلى منزلي فإذا أنا بجويرية تجذب ردائي فالتفت إليها فقالت المرأة التي كلمتك تدعوك فمضيت معها حتى دخلت دارا ثم صرت إلى بيت فيه حصير وثنيت لي وسادة فجلست عليها ثم جاءت جارية بوسادة مثنية فطرحتها وجاءت المرأة فجلست عليها وقالت أنت المجيب قلت نعم قالت ما كان أفظ جوابك وأغلظه قلت والله ما حضرني غيره فبكت ثم قالت لي والله ما خلق الله خلقا أحب إلي من إنسان كان معك قلت أنا الضامن لك عنه ما تحبين قالت أو تفعل قلت نعم فوعدتها أن آتيها به في الليلة القابلة وانصرفت فإذا الفتى ببابي فقلت ما جاء بك قال علمت أنها سترسل إليك وسألت عنك فلم أجدك فعلمت أنك عندها فجلست أنتظرك فقلت فقد كان كل ما ظننت ووعدتها أن آتيها بك في الليلة القابلة فمضى ثم أصبحنا فتهيأنا ورحنا فإذا الجارية تنتظرنا فمضت أمامنا حتى دخلنا الدار فإذا برائحة الطيب وجاءت فجلست مليا ثم أقبلت عليه فعاتبته طويلا ثم قالت
صوت
(وأنتَ الذي أخلفْتَنِي ما وَعَدْتَني ... وأشمَتَّ بي مَنْ كان فيكَ يلومُ)
(وأبرزْتَني للناسِ ثم تركْتَنِي ... لهم غَرَضاً أُرْمَى وأنتَ سليمُ)
(فلو أنَّ قولاً يَكْلُمُ الجِسْمَ قد بدَا ... بجِسْمي مِن قولِ الوُشاةِ كُلُومُ)
ثم سكتت فسكت الفتى هنيهة ثم قال
(غَدَرْتِ ولم أغْدِرْ وخُنْتِ ولم أخُنْ ... وفِي دُونِ هَذَا للمُحِبِّ عَزَاء)
(جَزَيْتُكِ ضِعْفَ الوُدِّ ثم صَرِمْتِني ... فحبُّكِ في قلبي إليك أَدَاء)
فالتفتت إلي وقالت ألا تسمع ما يقول قد أخبرتك قال فغمزته فكف ثم قالت
صوت
(تجاهَلْتَ وَصْلِي حِيْنَ لَجَّتْ عمايتِي ... وهلا صرمت الحبل إذ أنا مبصرا)
(ولي من قوى الحبل الذي قد قطعته ... نصيب وإذ رأيي جميع موفر)
(ولكنَّما آذَنتَ بالصَّرْمِ بَغْتَةً ... ولستُ على مِثْلِ الذي جئتَ أَقْدِرُ)
غنى في هذه الأبيات إبراهيم الموصلي ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وذكر حبش أن فيها ثاني ثقيل بالبنصر
قال فقال الفتى مجيبا لها

(لقد جَعَلَتْ نَفْسي - وأنت اجْتَرَمْتِه ... وكنتِ أحبّ الناس - عنكِ تَطِيبُ)
فبكت ثم قالت أو قد طابت نفسك لا والله ما فيك خير بعدها فعليك السلام ثم قامت والتفتت إلي وقالت قد علمت أنك لا تفي بضمانك عنه وانصرفنا
أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا حماد بن إسحاق قال
حدثني أبي قال كان العباس بن الأحنف إذا سمع شيئا يستحسنه أطرفني به وأفعل مثل ذلك فجاءني يوما فوقف بين البابين وأنشد لابن الدمينة
صوت
(ألا يا صَبَا نَجْدٍ متى هِجْتَ مِنْ نَجْدِ ... فقد زادَنِي مَسْرَاك وَجْداً على وَجْدِ)
(أإنْ هَتَفَتْ وَرْقاء في رونَقِ الضحى ... على فَنَنٍ غَضِّ النباتِ من الرَّنْدِ)
(بَكَيْتَ كما يَبْكِي الحزينُ صبابةً ... وذُبْت من الشَّوق المُبرِّح والصَّدِّ)
(بكيت كما يَبْكِي الوَليدُ ولم تكن ... جَزوعاً وأبديْتَ الذي لم تكن تُبْدِي)
(وقد زَعَمُوا أنَّ المُحِبَّ إذا دَنَا ... يَمَلُّ وأنَّ النأْيَ يَشفي من الوَجْدِ)
(بكُلٍّ تَدَاوينا فلم يُشْفَ ما بِنا ... على أنَّ قُرْبَ الدار خَيْرٌ مِنَ البُعْدِ)
وزيد على ذلك بيت وهو
(ولكنَّ قُرْبَ الدَّار ليس بنافعٍ ... إذا كان مَنْ تهْواه ليس بذِي وُدّ)
ثم ترنح ساعة وترجح أخرى ثم قال أنطح العمود برأسي من حسن هذا فقلت لا ارفق بنفسك
الغناء في هذه الأبيات لإبراهيم له فيه لحنان أحدهما ما خوري بالبنصر أوله البيت الثاني والآخر خفيف ثقيل بالوسطى أوله البيت الأول
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال
حدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي قال حدثني أحمد بن سعيد عن ابن زبنج راوية ابن هرمة قال
لقي ابن هرمة بعض أصدقائه بالبلاط فقال له من أين أقبلت قال من
المسجد قال فأي شيء صنعت هناك قال كنت جالسا مع إبراهيم بن الوليد المخزومي قال فأي شيء قال لك قال أمرني أن أطلق امرأتي قال فأي شيء قلت له قال ما قلت له شيئا قال فوالله ما قال لك ذلك إلا لأمر أظهرته عليه وكتمتنيه أفرأيت إن أمرتَه بطلاق امرأته أيطلقها قال لا والله قال فابن الدمينة كان أنصف منك كان يهوى امرأة من قومه فأرسلت إليه إن أهلي قد نهوني عن لقائك ومراسلتك فأرسل إليها
صوت
(أطعْتِ الآمِريكِ بقَطْعِ حَبْلِي ... مُرِيهِمْ في أحبّتِهم بذاكِ)
(فإنْ هُمْ طاوعوكِ فطاوِعيهم ... وإنْ عاصَوْكِ فاعصي مَنْ عصاكِ)
(أما والرَّاقِصاتِ بِكلِّ فَجٍّ ... ومَنْ صَلَّى بِنَعْمانِ الأراكِ)
(لقد أضمرْتُ حُبَّكِ في فُؤَادِي ... وما أضْمَرْتُ حُبّاً مِن سِواكِ)
في هذه الأبيات لإسحاق رمل وفيها لشارية خفيف رمل بالوسطى ولعريب خفيف ثقيل ابتداؤه ينشد في الثالث والرابع ثم الثاني والأول وفيه لمتيم خفيف رمل آخر
وحدثني بعض أصدقائنا عن أبي بكر بن دريد - ولم أسمعه منه - قال حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه ووجدته أيضا في بعض الكتب بغير هذا الإسناد عن الأصمعي فجمعت الحكايتين قال
مررت بالكوفة وإذا أنا بجارية تطلع من جدار إلى الطريق وفتى واقف وظهره إلي وهو يقول لها أسهر فيك وتنامين عني وتضحكين مني وأبكي وتستريحين وأتعب وأمحضك المودة وتمذقينها لي وأصدقك وتنافقيني ويأمرك عدوي بهجري فتطيعينه ويأمرني نصيحي بذلك فأعصيه ثم تنفس وأجهش باكيا فقالت له إن أهلي يمنعونني منك وينهونني عنك فكيف أصنع فقال لها
(أطَعْتِ الآمِريكِ بصَرْمِ حَبْلِي ... مُرِيهم في أحِبَّتهم بِذاكِ)
(فإنْ هُمْ طاوَعُوك فطاوعيهم ... وإنْ عاصَوك فاعصي مَنْ عَصَاكِ)
ثم التفت فرآني فقال يا فتى ما تقول أنت فيما قلت فقلت له والله لو عاش ابن أبي ليلى ما حكم إلا بمثل حكمك
تمت أخبار ابن الدمينة
صوت
(وإنَّ الذي بَيْنِي وبَيْنَ بَنِي أبي ... وبَيْنَ بني عَمِّي لمُخْتَلِفٌ جدّا)
(فما أحْمِل الحِقد القديمَ عليهِمُ ... وليس رئيس القومِ من يحمل الحِقدا)
(وليسوا إلي نَصْري سِراعا وإنْ هُمُ ... دعوْني إلى نَصْرٍ أتيتهُم شَدّا)
(إذا أكلوا لَحْمِي وفَرْتُ لحومَهم ... وإنْ هَدمُوا مَجْدِي بنيتُ لهم مَجْدا)
(يعاتِبُني في الدِّين قومِي وإنما ... تديَّنْت في أشياءَ تُكسبهم حَمْدا)
عروضه من الطويل الشعر للمقنع الكندي والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو وفيه من روايته أيضا لمالك خفيف رمل بالوسطى وذكر علي بن يحيى أن لحن ابن سريج خفيف ثقيل وذكر إبراهيم أن فيه لقفا النجار لحنا لم يذكر طريقته وأظنه من خفيف الثقيل
نسب المقنع الكندي وأخباره
المقنع لقب غلب عليه لأنه كان أجمل الناس وجها وكان إذا سفر اللثام عن وجهه أصابته العين
قال الهيثم كان المقنع أحسن الناس وجها وأمدهم قامة وأكملهم خلقا فكان إذا سفر لقع - أي أصابته أعين الناس - فيمرض ويلحقه عنت فكان لا يمشي إلا مقنعا
واسمه محمد بن ظفر بن عمير بن أبي شمر بن فرعان بن قيس بن الأسود ابن عبد الله بن الحارث الولادة - سمي بذلك لكثرة ولده - بن عمرو بن معاوية ابن كندة بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية وكان له محل كبير وشرف ومروءة وسؤدد في عشيرته

قال الهيثم بن عدي أن عمير جده سيد كندة وكان عمه عمرو بن أبي شمر ينازع أباه الرياسة ويساجله فيها فيقصر عنه

المقنع متخرق في عطاياه سمح اليد

ونشأ محمد بن عمير المقنع فكان متخرقا في عطاياه سمح اليد بماله لا يرد سائلا عن شيء حتى أتلف كل ما خلفه أبوه من مال فاستعلاه بنو عمه عمرو بن أبي شمر بأموالهم وجاههم وهوي بنت عمه عمرو فخطبها إلى إخوتها فردوه وعيروه بتخرقه وفقره وما عليه من الدين فقال هذه الأبيات المذكورة

وأخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن زكريا الغلابي عن العتبي قال حدثني أبو خالد من ولد أمية بن خلف قال

قال عبد الملك بن مروان - وكان أول خليفة ظهر منه بخل - أي الشعراء أفضل فقال له كثير بن هراسة يعرض ببخل عبد الملك أفضلهم المقنع الكندي حيث يقول

(إني أحرِّضُ أهْلَ البُخْل كُلَّهم ... لو كان ينفَعُ أهلَ البخل تَحْريضي)

(ما قلَّ مَالِيَ إلاَّ زادَني كَرَماً ... حتى يكونَ برزقِ اللَّهِ تعويضي)

(والمالُ يرفعُ مَنْ لوْلاَ دراهِمُه ... أمْسى يُقلِّبُ فينا طَرْفَ مخفوضِ)

(لن تُخرجَ البيضُ عَفْواً من أكفهُم ... إلاَّ علَى وَجَعٍ منهم وتَمْريضِ)

((كأنَّها مِنْ جُلودِ الباخلين بها ... عند النوائب تُحْذَى بالمقاريضِ)

(فقال عبد الملك - وعرف ما أراد - الله أصدق من المقنع حيث يقول (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا

صوت

(يا بْنَ هشامٍ يا عليّ النَّدَى ... فَدَتْكَ نَفْسِي ووَقَتْكَ الرَّدَى)

(نسيتَ عَهْدِي أوْ تناسيْتَنِي ... لَمّا عَدَانِي عَنْكَ صَرْفُ النَّوَى)

الشعر والغناء لإسحاق الموصلي رمل بالبنصر

خبر لإسحاق وابن هشام

وهذا الشعر يقوله في علي بن هشام أيام كان إسحاق بالبصرة وله إليه رسالة حسنة هذا موضع ذكرها أخبرنا بها علي بن يحيى المنجم عن أبيه ووقعت إلينا من عدة وجوه

أن إسحاق كتب إلى علي بن هشام جعلت فداك بعث إلي أبو نصر مولاك بكتاب منك إلي يرتفع عن قدري ويقصر عنه شكري فلولا ما أعرف من معانيه لظننت أن الرسول غلط بي فيه فما لنا ولك يا عبد الله تدعنا حتى إذا أنسينا الدنيا وأبغضناها ورجونا السلامة من شرها أفسدت قلوبنا وعلقت أنفسنا فلا أنت تريدنا ولا أنت تتركنا فبأي شيء تستحل هذا فأما ما ذكرته من شوقك إلي فلولا أنك حلفت عليه لقلت

(يا مَنْ شكا عَبَثاً إلينا شَوْقَهُ ... شَكْوَى المُحِبِّ وليس بالمُشْتاقِ)

(لو كنْتَ مشتاقاً إلَيَّ تُريدُني ... ما طِبْتَ نفساً ساعةً بفِراقِي)

(وحفِظْتَني حِفْظَ الخليلِ خليلَه ... ووفَيْتَ لي بالعَهْدِ والميثاقِ)

(هيهاتَ قد حدثَتْ أمورٌ بعْدَنا ... وشغِلْتَ باللذَّاتِ عن إسحاقِ)

وقد تركت - جعلت فداك - ما كرهت من العتاب في الشعر وغيره وقلت أبياتا لا أزال أخرج بها إلى ظهر المربد وأستقبل الشمال وأتنسم أرواحكم فيها ثم يكون ما الله أعلم به وإن كنت تكرهها تركتها إن شاء الله

(ألاَ قد أرَى أنَّ الثَّواءَ قَليلُ ... وأنْ لَيْس يَبْقَى للخليلِ خَليلُ)

(وإني وإنْ مُكِّنْتُ في العَيْشِ حِقْبَةً ... كذِي سَفَرٍ قد حان منه رَحِيلُ)

(! فهلْ لي إلى أنْ تنظرَ العيْنُ مَرَّةً ... الى ابْنِ هشامٍ في الحياةِ سَبيلُ)

(فقد خِفْتُ أنْ ألْقَى المنايا بحَسْرةٍ ... وفي النَّفْسِ مِنه حاجةٌ وغَلِيلُ)

وأما بعد فإني أعلم أنك - وإن لم تسل عن حالي - تحب أن تعلمها وأن تأتيك عني سلامة فأنا يوم كتبت إليك سالم البدن مريض القلب

وبعد فأنا - جعلت فداك - في صنعة كتاب مليح ظريف فيه تسمية القوم ونسبهم وبلادهم وأسبابهم وأزمنتهم وما اختلفوا فيه من غنائهم وبعض أحاديثهم وأحاديث قيان الحجاز والكوفة والبصرة المعروفات والمذكورات وما قيل فيهن من الأشعار ولمن كن وإلى من صرن ومن كان يغشاهن ومن كان يرخص في السماع من الفقهاء والأشراف فأعلمني رأيك فيما تشتهي لأعمل على قدر ذلك إن شاء الله

وقد بعثت إليك بأنموذج فإن كان كما قال القائل قبح الله كل دن أوله دردي لم نتجشم إتمامه وربحنا العناء فيه وإن كان كما قال العربي إن الجواد عينه فراره أعلمتنا فأتممناه مسرورين بحسن رأيك فيه إن شاء الله

وهذا مما يدل على أن كتاب الأغاني المنسوب إلى إسحاق ليس له وإنما ألف ما رواه حماد ابنه عنه من دواوين القدماء غير مختلط بعضها ببعض

وكان إسحاق يألف عليا وأحمد ابني هشام وسائر أهلهما إلفا شديدا ثم وقعت بينهم نبوة ووحشة في أمر لم يقع إلينا إلا لمعا غير مشروحة فهجاهم هجاء كثيرا وانفرجت الحال بينه وبينهم

نماذج من شعره

فأخبرني محمد بن خلف وكيع ويحيى بن علي بن يحيى وغيرهما عن أبي أيوب سليمان المديني عن مصعب قال قال لي أحمد بن هشام أما تستحي أنت وصباح بن خاقان وأنتما شيخان من مشايخ المروءة والعلم والأدب أن شبب بذكركما إسحاق في الشعر وهو مغن مذكور فيقول

(قد نهانا مُصْعَبٌ وصباحٌ ... فعصيْنا مُصْعَباً وصبَاحا)

(عَذَلاً ما عَذَلا أمْ ملاماً ... فاسترَحْنا منهما فاستراحا)

ويروى

(... علما في العَذْل أم قد ألاما)

ويروى

(... عذلا عَذْلَهما ثم أناما)

فقلت إن كان فعل فما قال إلا خيرا إنما ذكر أنا نهيناه عن خمر شربها وامرأة عشقها وقد أشاد باسمك في الشعر بأشد من هذا قال وما هو قلت قوله
(وصافيةٍ تغْشَى العيونَ رقيقةٍ ... رهينة عامٍ في الدِّنان وعَامِ)
((أدَرْنا بها الكأسَ الرَّوِيَّةَ مَوْهِناً ... من الليل حتى انْجَاب كلُّ ظَلامِ
(فما ذَرّ قَرْنُ الشَّمْسِ حتى كأننا ... من العي نحكي أحمد بنَ هِشامِ)
قال أو قد فعل العاض بظر أمه قلت إي والله لقد فعل
إلى هاهنا رواية مصعب
ووجدت هذا الخبر في غير روايته وفيه زيادة قد ذكرتها قال فآلى أحمد بن هشام أن يبلغ فيه كل مبلغ يقدر عليه وأن يجتهد في اغتياله
قال إسحاق حضرت بدار الخليفة وحضر علي بن هشام فقال لي أتهجو أخي وتذكره بما بلغني من القبيح فقلت أو يتعرض أخوك لي ويتوعدني فوالله ما أبالي بما يكون منه لأني أعلم أنه لا يقدر لي على ضر والنفع فلا أريده منه وأنا شاعر مغن والله لأهجونه بما أفري به جلده وأهتك مروءته ثم لأغنين في أقبح ما أقوله فيه غناء تسري به الركبان فقال لي أو تهب لي عرضه وأصلح بينكما فقلت ذاك إليك وإن فعلته فلك لا له ففعل ذلك وفعلته به
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي قال
كان صباح بن خاقان المنقري نديما لمصعب الزبيري فقال عبد الرحمن ابن أبي عبد الرحمن بن عائشة - وكان خليعا من - أهل البصرة
(مَنْ يكن إبْطُه كآباطِ ذَا الخَلقْ ... فإبْطاي في عِداد الفِقاح)
(لِيَ إبْطانِ يَرْمِيانِ جَلِيسي ... بشبِيه السُّلاحِ بَلْ بالسُّلاح)
(فكأنّي مِن نَتْنِ هذا وهذا ... جالسٌ بين مُصْعبٍ وصباح)
أخبرني علي بن يحيى المنجم قال حدثني أبي قال حدثني إسحاق قال دخلت على الفضل بن الربيع يوما فقال ما عندك قلت بيتان أرجو أن يكونا فيما يستطرف وأنشدته
(سنُغْضي عن المكروهِ من كلِّ ظالمٍ ... ونصبرُ حتى يصنَع اللهُ بالفَضْل)
(فتنتصر الأحرارُ ممَّنْ يضيمُها ... وتُدْرِكُ أقْصَى ما تطالِبُ من ذَحْلِ)
قال فدمعت عينه وقال من آذاك لعنه الله فقلت بنو هاشم وأخبرته الخبر
قال يحيى بن علي ولم يذكر بأي شيء أخبره
صوت
(قد حَصَّتِ البَيْضةُ رَأسِي فما ... أطعَمُ نوماً غَيْرَ تَهْجاعِ)
(أسْعَى على جُلِّ بني مالكٍ ... كلُّ امرىء في شأنه ساعِ)
(مَنْ يَذُقِ الحَرْبَ يجِدْ طَعْمَها ... مُرّاً وتتركه بجَعْجَاعِ)
(لا نألم القَتْلَ ونَجْزِي به الأعداء ... كَيْلَ الصّاع بالصّاعِ)
الشعر لأبي قيس بن الأسلت والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل أول وقيل بل هو لمعبد
نسب أبي قيس بن الأسلت وأخباره
أبو قيس لم يقع إلي اسمه غير ابن الأسلت والأسلت لقب أبيه واسمه عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عمارة بن مرة بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر
وهو شاعر من شعراء الجاهلية وكانت الأوس قد أسندت إليه حربها وجعلته رئيسا عليها فكفى وساد وأسلم ابنه عقبة بن أبي قيس واستشهد يوم القادسية
وكان يزيد بن مرداس السلمي أخو عباس بن مرداس الشاعر قتل قيس بن أبي قيس بن الأسلت في بعض حروبهم فطلبه بثأره هارون بن النعمان بن الأسلت حتى تمكن من يزيد بن مرداس فقتله بقيس بن أبي قيس وهو ابن عمه ولقيس يقول أبوه أبو قيس بن الأسلت
((أقيسٌ إن هلكتُ وأنت حيٌّ ... فلا تعدَمْ مُواصَلَةَ الفَقِير
وهذا الشعر الذي فيه الغناء يقوله أبو قيس في حرب بعاث
ابن الأسلت قائد الأوس في حربها
قال هشام بن الكلبي كانت الأوس قد أسندوا أمرهم في يوم بعاث إلى أبي قيس بن الأسلت الوائلي فقام في حربهم وآثرها على كل أمر حتى شحب وتغير ولبث أشهرا لا يقرب امرأة ثم إنه جاء ليلة فدق على امرأته وهي كبشة بنت ضمرة بن مالك بن عدي بن عمرو بن عوف ففتحت له فأهوى إليها بيده فدفعته وأنكرته فقال أنا أبو قيس فقالت والله ما عرفتك حتى تكلمت فقال في ذلك أبو قيس هذه القصيدة وأولها
(قالت ولم تَقْصِدْ لقيل الخَنا ... مَهْلاً فقد أبلغْتَ أسْماعِي)
(استنكرتْ لَوْناً لهُ شاحِباً ... والحربُ غُولٌ ذاتُ أوْجاعِ)
(مَنْ يَذُقِ الحَرْبَ يَجدْ طعْمَها ... مُرّاً وتتركه بجَعْجَاعِ)
يوم بعاث
سبب يوم بعاث
فأما السبب في هذا اليوم وهو يوم بعاث فيما أخبرني به محمد بن
جرير الطبري قال حدثنا محمد بن حميد الرازي قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق وأضفت إليه ما ذكره ابن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن أبي عبيدة عن محمد بن عمار بن ياسر وعن عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الله بن حنظلة الغسيل ابن أبي عامر الراهب
أن الأوس كانت استعانت ببني قريظة والنضير في حروبهم التي كانت بينهم وبين الخزرج وبلغ ذلك الخزرج فبعثت إليهم إن الأوس فيما بلغنا قد استعانت بكم علينا ولن يعجزنا أن نستعين بأعدادكم وأكثر منكم من العرب فإن ظفرنا بكم فذاك ما تكرهون وإن ظفرتم لم ننم عن الطلب أبدا فتصيروا إلى ما تكرهون ويشغلكم من شأننا ما أنتم الآن منه خالون وأسلم لكم من ذلك أن تدعونا وتخلوا بيننا وبين إخواننا فلما سمعوا ذلك علموا أنه الحق فأرسلوا إلى الخزرج إنه قد كان الذي

بلغكم والتمست الأوس نصرنا وما كنا لننصرهم عليكم أبدا فقالت لهم الخزرج فإن كان ذلك كذلك فابعثوا إلينا برهائن تكون في أيدينا فبعثوا إليهم أربعين غلاما منهم ففرقهم الخزرج في دورهم فمكثوا بذلك مدة

ثم إن عمرو بن النعمان البياضي قال لقومه بياضة إن عامرا أنزلكم منزل سوء بين سبخة ومفازة وإنه والله لا يمس رأسي غسل حتى أنزلكم منازل بني قريظة والنضير على عذب الماء وكريم النخل ثم راسهلم إما أن تخلوا بيننا وبين دياركم نسكنها وإما أن نقتل رهنكم فهموا أن يخرجوا من ديارهم فقال لهم كعب بن أسد القرظي يا قوم امنعوا دياركم وخلوه يقتل الرهن والله ما هي إلا ليلة يصيب فيها أحدكم امرأته حتى يولد له غلام مثل أحد الرهن

فاجتمع رأيهم على ذلك فأرسلوا إلى عمرو بألا نسلم لكم دورنا وانظروا الذي عاهدتمونا عليه في رهننا فقوموا لنا به فعدا عمرو بن النعمان على رهنهم هو ومن أطاعه من الخزرج فقتلوهم وأبى عبد الله بن أبي وكان سيدا حليما وقال هذا عقوق ومأثم وبغي فلست معينا عليه ولا أحد من قومي أطاعني وكان عنده في الرهن سليم بن أسد القرظي - وهو جد محمد بن كعب القرظي - فخلى عنه وأطلق ناس من الخزرج نفرا فلحقوا بأهليهم فناوشت الأوس الخزرج يوم قتل الرهن شيئا من قتال غير كبير

واجتمعت قريظة والنضير إلى كعب بن أسد أخي بني عمرو بن قريظة ثم توامروا أن يعينوا الأوس على الخزرج فبعث إلى الأوس بذلك ثم أجمعوا عليه على أن ينزل كل أهل بيت من النبيت على بيت من قريظة والنضير فنزلوا معهم في دورهم وأرسلوا إلى النبيت يأمرونهم بإتيانهم وتعاهدوا ألا يسلموهم أبدا وأن يقاتلوا معهم حتى لا يبقى منهم أحد فجاءتهم النبيت فنزلوا مع قريظة والنضير في بيوتهم ثم أرسلوا إلى سائر الأوس في الحرب والقيام معهم على الخزرج فأجابوهم إلى ذلك فاجتمع الملأ منهم واستحكم أمرهم وجدوا في حربهم ودخلت معهم قبائل من أهل المدينة منهم بنو ثعلبة - وهم من غسان - وبنو زعوراء وهم من غسان

فلما سمعت بذلك الخزرج اجتمعوا ثم خرجوا وفيهم عمرو بن النعمان البياضي وعمرو بن الجموح السلمي حتى جاؤوا عبد الله بن أبي وقالوا له قد كان الذي بلغك من أمر الأوس وأمر قريظة والنضير واجتماعهم على حربنا وإنا نرى أن نقاتلهم فإن هزمناهم لم يحرز أحد منهم معقله ولا ملجأه حتى لا يبقى منهم أحد

فلما فرغوا من مقالتهم قام عبد الله بن أبي خطيبا وقال إن هذا بغي منكم

على قومكم وعقوق ووالله ما أحب أن رجلا من جراد لقيناهم وقد بلغني أنهم يقولون هؤلاء قومنا منعونا الحياة أفيمنعوننا الموت والله إني أرى قوما لا ينتهون أو يهلكوا عامتكم وإني لأخاف إن قاتلوكم أن ينصروا عليكم لبغيكم عليهم فقاتلوا قومكم كما كنتم تقاتلونهم فإذا ولوا فخلوا عنهم فإذا هزموكم فدخلتم أدنى البيوت خلوا عنكم فقال له عمرو بن النعمان انتفخ والله سحرك يا أبا الحارث حين بلغك حلف الأوس قريظة والنضير فقال عبد الله والله لا حضرتكم أبدا ولا أحد أطاعني أبدا ولكأني أنظر إليك قتيلا تحملك أربعة في عباءة

وتابع عبد الله بن أبي رجال من الخزرج منهم عمرو بن الجموح الحرامي واجتمع كلام الخزرج على أن رأسوا عليهم عمرو بن النعمان البياضي وولوه أمر حربهم ولبثت الأوس والخزرج أربعين ليلة يتصنعون للحرب ويجمع بعضهم لبعض ويرسلون إلى حلفائهم من قبائل العرب فأرسلت الخزرج إلى جهينة وأشجع فكان الذي ذهب إلى أشجع ثابت بن قيس بن شماس فأجابوه وأقبلوا إليهم وأقبلت جهينة إليهم أيضا وأرسلت الأوس إلى مزينة وذهب حضير الكتائب الأشهلي إلى أبي قيس بن الأسلت فأمره أن يجمع له أوس الله فجمعهم له أبو قيس فقام حضير فاعتمد على قوسه وعليه نمرة تشف عن عورته فحرضهم وأمرهم بالجد في حربهم وذكر ما صنعت بهم الخزرج من إخراج النبيت وإذلال من تخلف من سائر الأوس في كلام كثير

فجعل كلما ذكر ما صنعت بهم الخزرج وما ركبوه منهم يستشيط ويحمى وتقلص خصيتاه حتى تغيبا فإذا كلموه بما يحب تدلتا حتى ترجعا إلى حالهما

فأجابته أوس الله بالذي يحب من النصرة والموازرة والجد في الحرب

قال هشام فحدثني عبد المجيد بن أبي عيسى عن خير عن أشياخ من قومه أن الأوس اجتمعت يومئذ إلى حضير بموضع يقال له الجباة فأجالوا الرأي فقالت الأوس إن ظفرنا بالخزرج لم نبق منهم أحدا ولم نقاتلهم كما كنا نقاتلهم فقال حضير يا معشر الأوس ما سميتم الأوس إلا لأنكم تؤوسون الأمور الواسعة ثم قال

(يا قومِ قد أَصْبَحْتُمُ دَوَارا ... لمعشرٍ قد قَتَلُوا الخِيارا)

(... يُوشِكُ أنْ يستَأْصِلُوا الدِّيارا)

قال ولما اجتمعوا بالجباة طرحوا بين أيديهم تمرا وجعلوا يأكلون وحضير الكتائب جالس وعليه بردة له قد اشتمل بها الصماء وما يأكل معهم ولا يدنو إلى التمر غضبا وحنقا فقال يا قوم اعقدوا لأبي قيس بن الأسلت فقال لهم أبو قيس لا أقبل ذلك فإني لم أرأس على قوم في حرب قط إلا هزموا وتشاءموا برياستي وجعلوا ينظرون إلى حضير واعتزاله أكلهم واشتغاله بما هم فيه من أمر الحرب وقد بدت خصيتاه من تحت البرد فإذا رأى منهم ما يكره من الفتور والتخاذل تقلصتا غيظا وغضبا وإذا رأى منهم ما يحب من الجد والتشمير في الحرب عادتا لحالهما

وأجابت إلى ذلك أوس مناة وجدوا في الموازرة والمظاهرة وقدمت مزينة على الأوس فانطلق حضير وأبو عامر الراهب بن صيفي إلى أبي قيس بن الأسلت فقالا قد جاءتنا مزينة واجتمع إلينا من أهل يثرب ما لا قبل للخزرج به فما الرأي إن نحن ظهرنا عليهم الإنجاز أم البقية فقال أبو قيس بل البقية فقال أبو عامر والله لوددت أن مكانهم ثعلبا ضباحا فقال أبو قيس اقتلوهم حتى يقولوا بزا بزا - كلمة كانوا يقولونها إذا غلبوا - فتشاجروا في ذلك وأقسم حضير ألا يشرب الخمر أو يظهر ويهدم مزاحما أطم عبد الله بن أبي

فلبثوا شهرين يعدون ويستعدون ثم التقوا ببعاث وتخلف عن الأوس بنو حارثة بن الحارث فبعثوا إلى الخزرج إنا والله ما نريد قتالكم فبعثوا إليهم أن ابعثوا إلينا برهن منكم يكونون في أيدينا فبعثوا إليهم اثني عشر رجلا منهم خديج أبو رافع بن خديج

وبعاث من أموال بني قريظة فيها مزرعة يقال لها قورى فلذلك تدعى بعاث الحرب

حشد القوات

وحشد الحيان فلم يتخلف عنهم إلا من لا ذكر له ولم يكونوا حشدوا قبل ذلك في يوم التقوا فيه فلما رأت الأوس الخزرج أعظموهم وقالوا لحضير يا أبا أسيد لو حاجزت القوم وبعثت إلى من تخلف من حلفائك من مزينة فطرح قوسا كانت في يده ثم قال أنتظر مزينة وقد نظر إلي القوم ونظرت إليهم الموت قبل ذلك ثم حمل وحملوا فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت

الأوس حين
وجدوا مس السلاح فولوا مصعدين في حرة قورى نحو العريض وذلك وجه طريق نجد فنزل حضير وصاحت بهم الخزرج أين الفرار ألا إن نجدا سنة - أي مجدب - يعيرونهم
فلما سمع حضير طعن بسنان رمحه فخذه ونزل وصاح واعقراه والله لا أريم حتى أقتل فإن شئتم يا معشر الأوس أن تسلموني فافعلوا
فتعطفت عليه الأوس وقام على رأسه غلامان من بني عبد الأشهل يقال لهما محمود ولبيد - ابنا خليفة بن ثعلبة - وهما يومئذ معرسان ذوا بطش فجعلا يرتجزان ويقولان
(أيَّ غلامَيْ ملكٍ تَرانا ... في الحَرْبِ إذ دَارَتْ بنا رَحانا)
(... وعدَّدَ الناسُ لنَا مَكانا)
مقتل عمرو بن النعمان وانهزام الخزرج
فقاتلا حتى قتلا وأقبل سهم حتى أصاب عمرو بن النعمان رأس الخزرج فقتله لا يدرى من رمى به إلا أن بني قريظة تزعم أنه سهم رجل يقال له أبو لبابة فقتله
فبينا عبد الله بن أبي يتردد على بغلة له قريبا من بعاث يتحسس أخبار القوم إذ طلع عليه بعمرو بن النعمان ميتا في عباءة يحمله أربعة إلى داره فلما رآه عبد الله بن أبي قال من هذا قالوا عمرو بن النعمان قال ذق وبال العقوق
وانهزمت الخزرج ووضعت الأوس فيهم السلاح وصاح صائح يا معشر الأوس أسجحوا ولا تهلكوا إخوتكم فجوارهم خير من جوار الثعالب
فتناهت الأوس وكفت عن سلبهم بعد إثخان فيهم وسلبتهم قريظة والنضير وحملت الأوس حضيرا من الجراح التي به وهم يرتجزون حوله ويقولون
(كَتِيبة زيَّنَها مَوْلاها ... لا كَهْلُها هِدٌّ ولا فَتاها)
وجعلت الأوس تحرق على الخزرج نخلها ودورها فخرج سعد بن معاذ الأشهلي حتى وقف على باب بني سلمة وأجارهم وأموالهم جزاء لهم بيوم الرعل وكان للخزرج على الأوس يوم يقال له يوم مغلس ومضرس وكان سعد بن معاذ حمل يومئذ جريحا إلى عمرو بن الجموح الحرامي فمن عليه
وأجاره وأخاه يوم رعل وهو على الأوس من القطع والحرق فكافأه سعد بمثل ذلك في يوم بعاث
وأقسم كعب بن أسد القرظي ليذلن عبد الله بن أبي وليحلقن رأسه تحت مزاحم فناداه كعب انزل يا عدو الله فقال له عبد الله أنشدك الله وما خذلت عنكم فسأل عما قال فوجده حقا فرجع عنه
وأجمعت الأوس على أن تهدم مزاحما أطم عبد الله بن أبي وحلف حضير ليهدمنه فكلم فيه فأمرهم أن يريثوا فيه فحفروا فيه كوة وأفلت يومئذ الزبير بن إياس بن باطا ثابت بن قيس بن شماس أخا بني الحارث بن الخزرج وهي النعمة التي كافأه بها ثابت في الإسلام يوم بني قريظة
وخرج حضير الكتائب وأبو عامر الراهب حتى أتيا أبا قيس بن الأسلت بعد الهزيمة فقال له حضير يا أبا قيس إن رأيت أن تأتي الخزرج قصرا قصرا ودارا دارا نقتل ونهدم حتى لا يبقى منهم أحد فقال أبو قيس والله لا نفعل ذلك فغضب حضير وقال ما سميتم الأوس إلا لأنكم تووسون الأمر أوسا ولو ظفرت منا الخزرج بمثلها ما أقالوناها ثم انصرف إلى الأوس فأمرهم بالرجوع إلى ديارهم
موت حضير الكتائب الأشهلي
وكان حضير جرح يومئذ جراحة شديدة فذهب به كليب بن صيفي بن عبد الأشهل إلى منزله في بني أمية بن زيد فلبث عنده أياما ثم مات من الجراحة التي كانت به فقبره اليوم في بني أمية بن زيد
قال وكان يهودي أعمى من بني قريظة يومئذ في أطم من آطامهم فقال لابنة له أشرفي على الأطم فانظري ما فعل القوم فأشرفت فقالت أسمع
الصوت قد ارتفع في أعلى قورى وأسمع قائلا يقول اضربوا يا آل الخزرج فقال الدولة إذا على الأوس لا خير في البقاء ثم قال ماذا تسمعين قالت أسمع رجالا يقولون يا آل الأوس ورجالا يقولون يا آل الخزرج قال الآن حمي القتال ثم لبث ساعة ثم قال أشرفي فاسمعي فأشرفت فقالت أسمع قوما يقولون
(... نحن بنو صَخْرَة أصحابُ الرَّعَلْ)
قال تلك بنو عبد الأشهل ظفرت والله الأوس - وصخرة أمهم بنت مرة بن ظفر أم بني عبد الأشهل - ثم وثب فرحا نحو باب الأطم فضرب رأسه بحلق بابه وكان من حجارة فسقط فمات
وكان أبو عامر قد حلف ليركزن رمحه في أصل مزاحم أطم عبد الله بن أبي فخرجت جماعة من الأوس حتى أحاطوا به وكانت تحت أبي عامر جميلة بنت عبد الله بن أبي وهي أم حنظلة الغسيل بن أبي عامر فأشرف عليهم عبد الله فقال إني والله ما رضيت هذا الأمر ولا كان عن رأيي وقد عرفتم كراهتي له فانصرفوا عني فقال أبو عامر لا والله لا أنصرف حتى أركز لوائي في أصل أطمك
فلما رأى حنظلة أنه لا ينصرف قال لهم إن أبي شديد الوجد بي فأشرفوا بي عليه ثم قولوا والله لئن لم تنصرف عنا لنرمين برأسه إليك فقالوا ذلك له فركز رمحه في أصل الأطم ليمينه ثم انصرف فذلك قول قيس بن الخطيم
((صَبَحْنَا به الآطامَ حَوْلَ مُزاحِمٍ ... قَوانِسُ أولَى بَيْضِنا كالكواكب
وأسر أبو قيس بن الأسلت يومئذ مخلد بن الصامت الساعدي أبا مسلمة بن مخلد اجتمع إليه ناس من قومه من مزينة ومن يهود فقالوا اقتله فأبى وخلى سبيله وأنشأ يقول
(أسرت مخلدا فعفوت عنه ... وعند الله صالح ما أتيت)
(مزينة عنده ويهود قورى ... وقومي كل ذلكم كفيت)
رثاء حضير
وقال خِفاف بن ندبة يرثي حضير الكتائب وكان نديمه وصديقه)
(لو انَّ المنايا حِدْنَ عن ذِي مَهابةٍ ... لَهِبْنَ حُضيراً يومَ أغلق وَاقِما)
(أطاف به حتى إذا الليلُ جَنَّهُ ... تَبَوَّأ منه منزلاً مُتَناعِما)
وقال أيضا يرثيه

(أتاني حديثٌ فكذَّبْتُه ... وقيل خَليلُكَ في المَرْمَس)
(فيا عين بَكّي حُضَير النّدَى ... حُضَيرَ الكَتائبِ والمجلس)
((ويومٍ شديدِ أُوار الحديدِ ... تقطَّعُ منه عُرَى الأنفُسِ
(صَلِيتَ به وعليك الحديد ... ُ ما بين سَلعٍ إلى الأعْرُسِ)
(فأوْدَى بنفسكَ يومُ الوَغى ... ونقَّى ثيابك لم تدنَسِ)
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني داود بن محمد بن جميل عن ابن الأعرابي قال قال لي الهيثم بن عدي كنا جلوسا عند صالح بن حسان فقال لنا
وأخبرني عمي عن الكراني عن النوشجاني عن العمري عن الهيثم بن عدي قال قال لنا صالح بن حسان وأخبرني به الأخفش عن المبرد قال قال لي صالح بن حسان
أنشدوني بيتا خفرا في امرأة خفرة شريفة فقلنا قول حاتم
(يُضِيءُ لها البيتُ الظليلُ خصاصُه ... إذا هِيَ يَوْماً حاولَتْ أن تبسَّما)
فقال هذه من الأصنام أريد أحسن من هذا قلنا قول الأعشى
(كأنَّ مِشْيَتَها مِنْ بَيْتِ جارتِها ... مَرُّ السحابة لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ)
فقال هذه خراجة ولاجة كثيرة الاختلاف قلنا بيت ذي الرمة
(تَنُوءُ بأخراها فلأياً قِيامُها ... وتَمْشي الهُوَيْنا مِنْ قَريبٍ فتُبْهَرُ)
فقال هذا ليس ما أردت إنما وصف هذه بالسمن وثقل البدن فقلنا ما عندنا شيء فقال قول أبي قيس بن الأسلت
(ويكرمُها جاراتها فيزرنَها ... وتَعْتَلُّ عن إتيانِهِنَّ فتُعْذَرُ)
(وليس لها أنْ تستهين بجارةٍ ... ولكنها مِنهُنَّ تحْيَا وتخفَرُ)
ثم قال أنشدوني أحسن بيت وصفت به الثريا قلنا بيت ابن الزبير الأسدي
(وقد لاح في الغَور الثُرَّيا كأنما ... به رايةٌ بيضاء تخفقُ للطَّعْن)
قال أريد أحسن من هذا قلنا بيت امرىء القيس
(إذا ما الثريَّا في السماء تعرَّضَتْ ... تعرضَ أثناءِ الوشاحِ المُفصَّل)
قال أريد أحسن من هذا قلنا بيت ابن الطثرية
(إذا ما الثريَّا في السماء كأنها ... جُمانٌ وَهَى مِنْ سِلْكِه فتَسرَّعا)
قال أريد أحسن من هذا قلنا ما عندنا شيء قال قول أبي قيس بن الأسلت
(وقد لاح في الصُّبْح الثريَّا لمن رَأَى ... كعنقود مُلَّاحِيَّة حين نَّورا)
قال فحكم له عليهم في هذين المعنيين بالتقدم

استشهاد عبد الملك بشعر ابن الأسلت

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الحسين بن أحمد بن طالب الديناري قال حدثني أبو عدنان قال حدثني الهيثم بن عدي قال حدثني الضحاك بن زميل السكسكي قال
لما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير خطب الناس بالنخيلة فقال في خطبته أيها الناس دعوا الأهواء المضلة والآراء المتشتتة ولا تكلفونا أعمال المهاجرين وأنتم لا تعملون بها فقد جاريتمونا إلى السيف فرأيتم كيف صنع الله بكم ولا أعرفنكم بعد الموعظة تزدادون جراءة فإني لا أزداد بعدها إلا عقوبة وما مثلي ومثلكم إلا كما قال أبو قيس بن الأسلت
(من يَصْلَ ناري بلا ذَنْبٍ ولا تِرَةٍ ... يصلَ بنارِ كريمٍ غيْرِ غدَّار)
(أنا النذيرُ لكم مِنّي مُجاهِرة ... كي لا ألامَ على نهيٍ وإعذار)
(فإنْ عصيتم مقالي اليومَ فاعترفوا ... أنْ سوف تلقون خِزياً ظاهِرَ العار)
(لتَرْكُنَّ أحاديثاً مُلَعَّنَةً ... عند المقيم وعند المُدْلج السَّاري)
(وصاحبِ الوتْرِ ليس الدهرَ مُدْركَه ... عندي وإني لطلاَّبٌ لأوْتار)
(أُقِيمُ عَوْجَتَهُ إن كان ذا عِوجٍ ... كما يقوِّمُ قِدح النَّبْعَةِ الباري)

صوت

(ترَفَّعْ أيها القمر المنيرُ ... لعلَّكَ أن ترى حُجْراً يَسيرُ)
(يَسير إلى مُعاوية بن حَرْبٍ ... ليقتلَه كما زعم الأميرُ)
((ألا يا حُجْر حِجر بني عَدِيٍّ ... تلقَّتكَ السلامةُ والسرور
(تنعّمت الجبابِرُ بعد حُجْرٍ ... وطاب لها الخورنَقُ والسَّدِيرُ)
الشعر لامرأة من كندة ترثي حجر بن عدي صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه والغناء لحكم الوادي رمل بالوسطى وفيه لحنين هزج خفيف بالوسطى عن ابن المكي والهشامي

خبر مقتل حجر بن عدي

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا محمد بن الحكم قال حدثنا أبو مخنف قال حدثنا خالد بن قطن عن المجالد بن سعيد الهمداني والصقعب بن زهير وفضيل بن خديج والحسن بن عقبة المرادي وقد اختصرت جملا من ذلك يسيرة تحرزا من الإطالة

استنكاره ذم علي ولعنه

أن المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة كان يقوم على المنبر فيذم علي بن أبي طالب وشيعته وينال منهم ويلعن قتلة عثمان ويستغفر لعثمان ويزكيه فيقوم حجر بن عدي فيقول (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم) وإني أشهد أن من تذمون أحق بالفضل ممن تطرون ومن تزكون أحق بالذم ممن تعيبون فيقول له المغيرة يا حجر ويحك أكفف من هذا واتق غضبة السلطان وسطوته فإنها كثيرا ما تقتل مثلك ثم يكف عنه
فلم يزل كذلك حتى كان المغيرة يوما في آخر أيامه يخطب على المنبر فنال من علي بن أبي طالب عليه السلام ولعنه ولعن شيعته فوثب حجر فنعر نعرة أسمعت كل من كان في المسجد وخارجه فقال له إنك لا تدري أيها الإنسان بمن تولع أو هرمت مر لنا بأعطياتنا وأرزاقنا فإنك قد حبستها عنا ولم يكن ذلك لك ولا لمن كان قبلك وقد أصبحت مولعا بذم أمير المؤمنين وتقريظ المجرمين فقام معه أكثر من ثلاثين رجلا يقولون صدق والله حجر مر لنا بأعطياتنا فإنا لا ننتفع بقولك هذا

ولا يجدي علينا وأكثروا في ذلك
فنزل المغيرة ودخل القصر فاستأذن عليه قومه ودخلوا ولاموه في احتماله حجرا فقال لهم إني قد قتلته قالوا وكيف ذلك قال إنه سيأتي أمير بعدي فيحسبه مثلي فيصنع به شبيها بما ترونه فيأخذه عند أول وهلة فيقتله شر قتلة إنه قد اقترب أجلي وضعف عملي وما أحب أن أبتدىء أهل هذا المصر بقتل خيارهم وسفك دمائهم فيسعدوا بذلك وأشقى ويعز معاوية في الدنيا ويذل المغيرة في الآخرة سيذكرونني لو قد جربوا العمال
قال الحسن بن عقبة فسمعت شيخا من الحي يقول قد والله جربناهم فوجدناه خيرهم

زياد يحذره وينذره

قال ثم هلك المغيرة سنة خمسين فجمعت الكوفة والبصرة لزياد
فدخلها ووجه إلى حجر فجاءه وكان له قبل ذلك صديقا فقال له قد بلغني ما كنت تفعله بالمغيرة فيحتمله منك وإني والله لا أحتملك على مثل ذلك أبدا أرأيت ما كنت تعرفني به من حب علي ووده فإن الله قد سلخه من صدري فصيره بغضا وعداوة وما كنت تعرفني به من بغض معاوية وعداوته فإن الله قد سلخه من صدري وحوله حبا ومودة وإني أخوك الذي تعهد إذا أتيتني وأنا جالس للناس فاجلس معي على مجلسي وإذا أتيت ولم أجلس للناس فاجلس حتى أخرج إليك ولك عندي في كل يوم حاجتان حاجة غدوة وحاجة عشية إنك إن تستقم تسلم لك دنياك ودينك وإن تأخذ يمينا وشمالا تهلك نفسك وتشط عندي دمك إني لا أحب التنكيل قبل التقدمة ولا آخذ بغير حجة اللهم اشهد فقال حجر لن يرى الأمير مني إلا ما يحب وقد نصح وأنا قابل نصيحته
ثم خرج من عنده فكان يتقيه ويهابه وكان زياد يدنيه ويكرمه ويفضله والشيعة تختلف إلى حجر وتسمع منه
وكان زياد يشتو بالبصرة ويصيف بالكوفة ويستخلف على البصرة سمرة بن جندب وعلى الكوفة عمرو بن حريث فقال له عمارة بن عقبة
إن الشيعة تختلف إلى حجر وتسمع منه ولا أراه عند خروجك إلا ثائرا فدعاه زياد فحذره ووعظه وخرج إلى البصرة
واستعمل عمرو بن حريث فجعلت الشيعة تختلف إلى حجر ويجيء حتى يجلس في المسجد فتجتمع إليه الشيعة حتى يأخذوا ثلث المسجد أو نصفه وتطيف بهم النظارة ثم يمتلىء المسجد ثم كثروا وكثر لغطهم وارتفعت أصواتهم بذم معاوية وشتمه ونقص زياد وبلغ ذلك عمرو بن حريث فصعد المنبر واجتمع إليه أشراف أهل المصر فحثهم على الطاعة والجماعة وحذرهم الخلاف فوثب إليه عنق من أصحاب حجر يكبرون ويشتمون حتى دنوا منه فحصبوه وشتموه حتى نزل ودخل القصر وأغلق عليه بابه وكتب إلى زياد بالخبر فلما أتاه أنشد يتمثل بقول كعب بن مالك
(فلما غدْوا بالعِرْض قال سَراتنا ... علامَ إذا لم نمنع العِرْض نزرعُ)
ما أنا بشيء إن لم أمنع الكوفة من حجر وأدعه نكالا لمن بعده ويل أمك حجر لقد سقط بك العشاء على سرحان

زياد يعود إلى الكوفة ويأمر بإحضاره

ثم أقبل حتى أتى الكوفة فدخل القصر ثم خرج وعليه قباء سندس ومطرف خز أخضر وحجر جالس في المسجد وحوله أصحابه ما كانوا فصعد المنبر فخطب وحذر الناس ثم قال لشداد بن الهيثم الهلالي أمير الشرط اذهب فائتني بحجر فذهب إليه فدعاه فقال أصحابه لا يأتيه ولا كرامة فسبوا الشرط فرجعوا إلى زياد فأخبروه فقال يا أشراف أهل الكوفة أتشجون بيد وتأسون بأخرى أبدانكم عندي وأهواؤكم مع هذا الهجاجة المذبوب أنتم معي وإخوتكم وأبناؤكم وعشيرتكم مع حجر فوثبوا إلى زياد فقالوا معاذ الله أن يكون لنا فيما ها هنا رأي إلا طاعتك وطاعة أمير المؤمنين وكل ما ظننت أن يكون فيه رضاك فمرنا به قال ليقم كل امرىء منكم إلى هذه الجماعة التي حول حجر فليدع الرجل أخاه وابنه وذا قرابته ومن يطيعه من عشيرته حتى تقيموا عنه كل من استطعتم ففعلوا وجعلوا يقيمون عنه أصحابه حتى تفرق أكثرهم وبقي أقلهم
فلما رأى زياد خفة أصحابه قال لصاحب شرطته اذهب فائتني بحجر فإن تبعك وإلا فمر من معك أن ينتزعوا عمد السيوف ثم يشدوا عليه حتى يأتوا به ويضربوا من حال دونه
فلما أتاه شداد قال له أجب الأمير فقال أصحاب حجر لا والله ولا نعمة عين لا يجيبه فقال لأصحابه علي بعمد السيوف فاشتدوا إليها فأقبلوا بها فقال عمير بن زيد الكلبي أبو العمرطة إنه ليس معك رجل معه سيف غيري فما يغني سيفي قال فما ترى قال قم من هذا المكان فالحق بأهلك يمنعك قومك فقام وزياد ينظر على المنبر إليهم فغشوا حجرا بالعمد فضرب رجل من الحمراء يقال له بكر بن عبيد رأس عمرو بن الحمق بعمود فوقع وأتاه أبو سفيان بن العويمر والعجلان بن ربيعة - وهما رجلان من الأزد - فحملاه فأتيا به دار رجل من الأزد يقال له عبيد الله بن موعد فلم يزل بها متواريا حتى خرج منها
قال أبو مخنف فحدثني يوسف بن زياد عن عبيد الله بن عوف قال
لما انصرفنا عن عروة باجميرى قبل قتل عبد الملك مصعبا بعام فإذا أنا بالأحمري الذي ضرب عمرو بن الحمق يسايرني ولا والله ما رأيته منذ ذلك اليوم وما كنت أرى لو رأيته أن أعرفه فلما رأيته ظننته هو هو وذلك حين نظرنا إلى أبيات الكوفة فكرهت أن أسأله أنت ضارب عمرو بن الحمق فيكابرني فقلت له ما رأيتك منذ اليوم الذي ضربت فيه رأس عمرو بن الحمق بالعمود في المسجد فصرعته حتى يومي ولقد عرفتك الآن حين رأيتك
فقال لي لا تعدم بصرك ما أثبت نظرك كان ذلك أمر السلطان أما والله لقد بلغني أنه قد كان امرأ صالحا ولقد ندمت على تلك الضربة فأستغفر الله
فقلت له الآن ترى لا والله لا أفترق أنا وأنت حتى أضربك في رأسك مثل الضربة التي ضربتها عمرو بن الحمق وأموت أو تموت
قال فناشدني وسألني بالله فأبيت عليه ودعوت غلاما يدعى رشيدا من سبي أصبهان معه قناة له صلبة فأخذتها منه ثم أحمل عليه فنزل عن دابته فألحقه حين استوت قدماه على الأرض فأصفق بها هامته فخر لوجهه وتركته ومضيت فبرأ بعد ذلك فلقيته مرتين من دهري كل ذلك يقول لي الله بيني وبينك فأقول له الله بينك وبين عمرو بن الحمق

رجع الحديث إلى سياقه الأول

قال فقال زياد - وهو على المنبر - لتقم همدان وتميم وهوازن وأبناء بغيض ومذحج وأسد وغطفان فليأتوا جبانة كندة وليمضوا من ثم إلى حجر فليأتوني به ثم كره أن تسير مضر مع اليمن فيقع شغب واختلاف أو تنشب الحمية فيما بينهم فقال لتقم تميم وهوازن وأبناء بغيض وأسد وغطفان ولتمض مذحج وهمدان إلى جبانة كندة ثم ليمضوا إلى حجر فليأتوني

به وليسير أهل اليمن حتى ينزلوا جبانة الصيداويين وليمضوا إلى صاحبهم فليأتوني به
فخرجت الأزد وبجيلة وخثعم والأنصار وقضاعة وخزاعة فنزلوا جبانة الصيداويين ولم تخرج حضرموت مع اليمن لمكانهم من كندة
قال أبو مخنف فحدثني سعيد بن يحيى بن مخنف عن محمد بن مخنف قال فإني لمع أهل اليمن وهم يتشاورون في أمر حجر فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف أنا مشير عليكم برأي فإن قبلتموه رجوت أن تسلموا من اللائمة والإثم أن تلبثوا قليلا حتى تكفيكم عجلة في شباب مذحج وهمدان ما تكرهون أن يكون من مساءة قومكم في صاحبكم
فأجمع رأيهم على ذلك فلا والله ما كان إلا كلا ولا حتى أتينا فقيل لنا
إن شباب مذحج وهمدان قد دخلوا فأخذوا كل ما وجدوا في بني بجيلة

حجر الهارب لا يحب الهلاك لأصحابه

قال فمر أهل اليمن على نواحي دور كندة معذرين فبلغ ذلك زيادا فأثنى على مذحج وهمدان وذم أهل اليمن فلما انتهى حجر إلى داره ورأى قلة من معه قال لأصحابه انصرفوا فوالله ما لكم طاقة بمن اجتمع عليكم من قومكم وما أحب أن أعرضكم للهلاك فذهبوا لينصرفوا فلحقتهم أوائل خيل مذحج وهمدان فعطف عليهم عمير بن يزيد وقيس بن يزيد وعبيدة بن عمرو وجماعة فتقاتلوا معهم فقاتلوا عنه ساعة فجرحوا وأسر قيس بن يزيد وأفلت سائر القوم فقال لهم حجر لا أبا لكم تفرقوا لا تقتلوا فإني آخذ في بعض هذه الطرق
ثم أخذ نحو طريق بني حرب من كندة حتى أتى دار رجل منهم يقال له سليمان بن يزيد فدخل داره وجاء القوم في طلبه ثم انتهوا إلى تلك الدار فأخذ سليمان بن يزيد سيفه ثم ذهب ليخرج إليهم فبكت بناته فقال له حجر ما تريد لا أبا لك فقال له أريد والله أن ينصرفوا عنك فإن فعلوا وإلا ضاربتهم بسيفي هذا ما ثبت قائمه في يدي دونك فقال له حجر بئس والله إذن ما دخلت به على بناتك أما في دارك هذه حائط أقتحمه أو خوخة أخرج منها
عسى الله أن يسلمني منهم ويسلمك فإن القوم إن لم يقدروا علي في دارك لم يضرك أمرهم قال بلى هذه خوخة تخرجك إلى دور بني العنبر من كندة فخرج معه فتية من الحي يقصون له الطريق ويسلكون به الأزقة حتى أفضى إلى النخع فقال عند ذلك انصرفوا رحمكم الله
فانصرفوا عنه وأقبل إلى دار عبد الله بن الحارث أخي الأشتر فدخلها فإنه لكذلك قد ألقى له عبد الله الفرش وبسط له البسط وتلقاه ببسط الوجه وحسن البشر إذ أتي فقيل له إن الشرط تسأل عنك في النخع وذلك أن أمة سوداء يقال لها أدماء لقيتهم فقالت لهم من تطلبون قالوا نطلب حجرا فقالت هو ذا قد رأيته في النخع فانصرفوا نحو النخع فخرج متنكرا وركب معه عبد الله ليلا حتى أتى دار ربيعة بن ناجذ الأزدي فنزل بها فمكث يوما وليلة
فلما أعجزهم أن يقدروا عليه دعا زياد محمد بن الأشعث فقال أما والله لتأتيني بحجر أو لا أدع لك نخلة إلا قطعتها ولا دارا إلا هدمتها ثم لا تسلم مني بذلك حتى أقطعك إربا إربا فقال له أمهلني أطلبه قال قد أمهلتك ثلاثا فإن جئت به وإلا فاعدد نفسك من الهلكى وأخرج محمد نحو السجن وهو منتقع اللون يتل تلا عنيفا فقال حجر بن يزيد الكندي من بني مرة لزياد ضمنيه وخل سبيله ليطلب صاحبه فإنه مخلى سربه أحرى أن يقدر عليه منه إذا كان محبوسا قال أتضمنه لي قال نعم قال أما والله لئن حاص عنك لأوردنك شعوب وإن كنت الآن علي كريما قال إنه لا يفعل فخلى سبيله
ثم إن حجر بن يزيد كلمه في قيس بن يزيد وقد أتي به أسيرا فقال ما عليه من بأس قد عرفنا رأيه في عثمان رضي الله عنه وبلاءه مع أمير المؤمنين بصفين ثم أرسل إليه فأتي به فقال قد علمت أنك لم تقاتل مع حجر أنك ترى رأيه ولكن قاتلت معه حمية وقد غفرنا لك لما نعلمه من حسن رأيك ولكن لا أدعك حتى تأتيني بأخيك عمير قال آتيك به إن شاء الله
قال هات من يضمنه معك قال هذا حجر بن يزيد قال حجر نعم على أن تؤمنه على ماله ودمه قال ذلك لك
فانطلقا فأتيا به فأمر به فأوقر حديدا ثم أخذته الرجال ترفعه حتى إذا بلغ سررها ألقوه فوقع على الأرض ثم رفعوه فألقوه ففعل به ذلك مرارا فقام إليه حجر بن يزيد فقال أولم تؤمنه قال بلى لست أهريق له دما ولا آخذ له مالا فقال هذا يشفي به على الموت
وقام كل من كان عنده من أهل اليمن فكلموه فيه فقال أتضمنونه لي بنفسه متى أحدث حدثا أتيتموني به قالوا نعم فخلى سبيله
ومكث حجر في منزل ربيعة بن ناجذ يوما وليلة ثم بعث إلى ابن الأشعث غلاما رشيدا من سبي أصبهان فقال له إنه قد بلغني ما استقبلك به هذا الجبار العنيد فلا يهولنك شيء من أمره فإني خارج إليك فاجمع نفرا من قومك وادخل عليه واسأله أن يؤمنني حتى يبعثني إلى معاوية فيرى في رأيه

زياد يأمر بحبسه ويطلب رؤوس أصحابه

فخرج محمد إلى حجر بن يزيد وجرير بن عبد الله وعبد الله أخي الأشتر فدخلوا إلى زياد فطلبوا إليه فيما سأله حجر فأجاب فبعثوا إليه رسولا
يعلمونه بذلك فأقبل حتى دخل على زياد فقال له مرحبا يا أبا عبد الرحمن حرب في أيام الحرب وحرب وقد سالم الناس على نفسها تجني براقش فقال له ما خلعت يدا عن طاعة ولا فارقت جماعة وإني لعلى بيعتي فقال هيهات يا حجر أتشج بيد وتأسو بأخرى وتريد إذا أمكننا الله منك أن نرضى هيهات والله فقال ألم تؤمنني حتى آتي معاوية فيرى في رأيه قال بلى انطلقوا به إلى السجن
فلما مضي به قال أما والله لولا أمانة ما برح حتى يلقط عصبه فأخرج وعليه برنس في غداة باردة فحبس عشر ليال وزياد ماله عمل غير الطلب لرؤوس أصحاب حجر
فخرج عمرو بن الحمق ورفاعة بن شداد حتى نزلا المدائن ثم ارتحلا حتى أتيا الموصل فأتيا جبلا فكمنا فيه وبلغ عامل ذلك الرستاق - وهو رجل من همدان يقال له عبيد الله بن بلتعة - خبرهما فسار إليهما في الخيل ومعه أهل البلد فلما انتهى إليهما خرجا فأما عمرو فكان بطنه قد استسقى فلم يكن عنده امتناع وأما رفاعة فكان شابا قويا فوثب على فرس له جواد وقال لعمرو أقاتل عنك قال وما ينفعني أن تقتل انج بنفسك فحمل عليهم فأفرجوا له حتى أخرجه فرسه وخرجت الخيل في طلبه وكان راميا فلم يلحقه فارس إلا رماه فجرحه أو عقره فانصرفوا عنه فأخذ عمرو بن الحمق فسألوه من أنت فقال من إن تركتموه كان أسلم لكم وإن قتلتموه كان أضر عليكم
فسألوه فأبى أن يخبرهم فبعثوا به إلى عبد الرحمن بن عثمان وهو ابن أم الحكم الثقفي فلما رأى عمرا عرفه فكتب إلى معاوية بخبره فكتب إليه معاوية إنه زعم أنه طعن عثمان تسع طعنات وإنه لا يتعدى عليه فاطعنه تسع طعنات كما طعن

عثمان
فأخرج فطعن تسع طعنات فمات في الأولى منهن أو في الثانية وبعث برأسه إلى معاوية فكان رأسه أول رأس حمل في الإسلام
وجد زياد في طلب أصحاب حجر وهم يهربون منه ويأخذ من قدر عليه منهم فجاء قيس بن عباد الشيباني إلى زياد فقال له إن امرأ منا يقال له صيفي ابن فسيل من رؤوس أصحاب حجر وهو أشد الناس عليك فبعث إليه فأتي به فقال له زياد يا عدو الله ما تقول في أبي تراب فقال ما أعرف أبا تراب قال ما أعرفك به أما تعرف علي بن أبي طالب قال بلى قال فذاك أبو تراب قال كلا فذاك أبو الحسن والحسين فقال له صاحب الشرطة أيقول لك الأمير هو أبو تراب وتقول أنت لا قال أفإن كذب الأمير أردت أن أكذب وأشهد له بالباطل كما شهد قال له زياد وهذا أيضا مع ذنبك علي بالعصي فأتي بها فقال ما قولك في علي قال أحسن قول أنا قائله في عبد من عبيد الله أقوله في أمير المؤمنين قال اضربوا عاتقه بالعصي حتى يلصق بالأرض فضرب حتى لصق بالأرض ثم قال أقلعوا عنه ما قولك فيه قال والله لو شرحتني بالمدى والمواسي ما زلت عما سمعت قال لتلعننه أو لأضربن عنقك قال إذا والله تضربها قبل ذلك فأسعد وتشقى إن شاء الله قال أوقروه حديدا واطرحوه في السجن

زياد يأمر رؤوس الأرباع أن يشهدوا على حجر

وجمع زياد من أصحاب حجر بن عدي اثني عشر رجلا في السجن
وبعث إلى رؤوس الأرباع فأشخصهم فحضروا وقال اشهدوا على حجر بما رأيتموه وهم عمرو بن حريث وخالد بن عرفطة وقيس بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة وأبو بردة بن أبي موسى فشهدوا أن حجرا جمع إليه الجموع وأظهر شتم الخليفة وعيب زياد وأظهر عذر أبي تراب والترحم عليه والبراءة من عدوه وأهل حربه وأن هؤلاء الذين معه رؤوس أصحابه وعلى مثل رأيه
فنظر زياد في الشهادة فقال ما أظن هذه شهادة قاطعة وأحب أن يكون الشهود أكثر من أربعة
فكتب أبو بردة بن أبي موسى
بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبي موسى لله رب العالمين شهد أن حجر بن عدي خلع الطاعة وفارق الجماعة ولعن الخليفة ودعا إلى الحرب والفتنة وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة وخلع أمير المؤمنين معاوية وكفر بالله كفرة صلعاء
فقال زياد على مثل هذه الشهادة فاشهدوا والله لأجهدن في قطع عنق الخائن الأحمق فشهد رؤوس الأرباع الثلاثة الآخرون على مثل ذلك ثم دعا الناس فقال اشهدوا على مثل ما شهد عليه رؤوس الأرباع
فقام عثمان بن شرحبيل التيمي أول الناس فقال اكتبوا اسمي فقال زياد ابدأوا بقريش ثم اكتبوا اسم من نعرفه ويعرفه أمير المؤمنين بالصحة والاستقامة فشهد إسحاق وموسى وإسماعيل بنو طلحة بن عبيد الله
والمنذر بن الزبير وعمارة بن عقبة وعبد الرحمن بن هبار وعمر بن سعد ابن أبي وقاص وشهد عنان ووائل بن حجر الحضرمي وضرار بن هبيرة وشداد بن المنذر أخو الحضين بن المنذر وكان يدعى ابن بزيعة
فكتب شداد بن بزيعة فقال أما لهذا أب ينسب إليه ألغوا هذا من الشهود فقيل له إنه أخو الحضين بن المنذر فقال انسبوه إلى أبيه فنسب فبلغ ذلك شدادا فقال والهفاه على ابن الزانية أوليست أمه أعرف من أبيه فوالله ما ينسب إلا إلى أمه سمية
وشهد حجار بن أبجر العجلي وعمرو بن الحجاج ولبيد بن عطارد ومحمد بن عمير بن عطارد وأسماء بن خارجة وشمر بن ذي الجوشن وزحر ابن قيس الجعفي وشبث بن ربعي وسماك بن مخرمة الأسدي صاحب مسجد سماك ودعا المختار بن أبي عبيد وعروة بن المغيرة بن شعبة إلى الشهادة فراغا وشهد سبعون رجلا ودفع ذلك إلى وائل بن حجر وكثير بن شهاب
وبعثهما عليهم وأمرهما أن يخرجوهم
وكتب في الشهود شريح بن الحارث وشريح بن هانىء فأما شريح بن الحارث فقال سألني عنه فقلت أما إنه كان صواما قواما وأما شريح ابن هانىء فقال بلغني أن شهادتي كتبت فأكذبته ولمته
وجاء وائل بن حجر وكثير بن شهاب فأخرجا القوم عشية وسار معهم أصحاب الشرط حتى أخرجوهم فلما انتهوا إلى جبانة عرزم نظر قبيصة بن ضبيعة العبسي إلى داره في جبانة عرزم فإذا بناته مشرفات فقال لوائل وكثير أدنياني أوص أهلي فأدنياه فلما دنا منهن بكين فسكت عنهن ساعة ثم قال اسكتن فسكتن فقال اتقين الله واصبرن فإني أرجو من ربي في وجهي هذا خيرا إحدى الحسنيين إما الشهادة فنعم سعادة وإما الانصراف إليكن في عافية فإن الذي كان يرزقكن ويكفيني مؤنتكن هو الله تبارك وتعالى وهو حي لا
يموت وأرجو ألا يضيعكن وأن يحفظني فيكن ثم انصرف فجعل قومه يدعون له بالعافية
وجاء شريح بن هانيء بكتاب فقال بلغوا هذا عني أمير المؤمنين فتحمله وائل بن حجر
ومضوا بهم حتى انتهوا إلى مرج عذراء فحبسوا به وهم على أميال من دمشق وهم حجر بن عدي الكندي والأرقم بن عبد الله الكندي وشريك بن شداد الحضرمي وصيفي بن فسيل الشيباني وقبيصة بن ضبيعة العبسي وكريم بن عفيف الخثعمي وعاصم بن عوف البجلي وورقاء بن سمي البجلي وكدام بن حيان وعبد الرحمن بن حسان العنزيان ومحرز بن شهاب المنقري وعبد الله بن جؤية التميمي وأتبعهم زياد برجلين وهما عتبة بن الأخنس السعدي وسعيد بن نمران الهمداني الناعطي فكانوا أربعة عشر

كتاب زياد إلى معاوية

فبعث معاوية إلى وائل بن حجر وكثير فأدخلهما وفض كتابهما وقرأه
على أهل الشام
بسم الله الرحمن الرحيم
لعبد الله معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين من زياد بن أبي سفيان
أما بعد فإن الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء فأداله من عدوه وكفاه مؤونة من بغى عليه إن طواغيت الترابية السابة رأسهم حجر بن عدي خلعوا أمير المؤمنين وفارقوا جماعة المسلمين ونصبوا لنا حربا فأطفأها الله عليهم وأمكننا منهم وقد دعوت خيار أهل المصر وأشرافهم وذوي النهى والدين فشهدوا عليهم بما رأوا وعلموا وقد بعثت إلى أمير

المؤمنين وكتبت شهادة صلحاء أهل المصر وخيارهم في أسفل كتابي هذا
فلما قرأ الكتاب قال ما ترون في هؤلاء فقال يزيد بن أسد البجلي أرى أن تفرقهم في قرى الشام فتكفيكهم طواغيتها

كتاب شريح بن هانىء إلى معاوية

ودفع وائل كتاب شريح إليه فقرأه وهو
بسم الله الرحمن الرحيم
لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من شريح بن هانىء
أما بعد فقد بلغني أن زيادا كتب إليك بشهادتي على حجر وإن شهادتي على حجر أنه ممن يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حرام المال والدم فإن شئت فاقتله وإن شئت فدعه
فقرأ كتابه على وائل وقال ما أرى هذا إلا قد أخرج نفسه من شهادتكم فحبس القوم بعد هذا وكتب إلى زياد
فهمت ما اقتصصت من أمر حجر وأصحابه والشهادة عليهم فأحيانا أرى
أن قتلهم أفضل وأحيانا أرى أن العفو أفضل من قتلهم
فكتب زياد إليه مع يزيد بن حجية التيمي قد عجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم مع شهادة أهل مصرهم عليهم وهم أعلم بهم فإن كانت لك حاجة في هذا المصر فلا تردن حجرا وأصحابه إليه
فمر يزيد بحجر وأصحابه فأخبرهم بما كتب به زياد فقال له حجر أبلغ أمير المؤمنين أنا على بيعته لا نقيلها ولا نستقيلها وإنما شهد علينا الأعداء والأظناء
فقدم يزيد بن حجية على معاوية بالكتاب وأخبره يقول حجر فقال معاوية زياد أصدق عندنا من حجر
وكتب جرير بن عبد الله في أمر الرجلين اللذين من بجيلة فوهبهما له وليزيد بن أسد وطلب وائل بن حجر في الأرقم الكندي فتركه وطلب أبو الأعور في عتبة بن الأخنس فوهبه له وطلب حمزة بن مالك الهمداني في سعيد ابن نمران فوهبه له وطلب حبيب بن مسلمة في عبد الله بن جؤية التميمي فخلى سبيله
فقام مالك بن هبيرة فسأله في حجر فلم يشفعه فغضب وجلس في بيته وبعث معاوية هدبة بن فياض القضاعي والحصين بن عبد الله الكلابي وآخر معهما يقال له أبو صريف البدري فأتوهم عند المساء فقال الخثعمي حين رأى الأعور يقتل نصفنا وينجو نصفنا فقال سعيد بن نمران اللهم اجعلني ممن ينجو وأنت عني راض فقال عبد الرحمن بن حسان العنزي اللهم اجعلني ممن يكرم بهوانهم وأنت عني راض فطالما عرضت نفسي للقتل فأبى الله إلا ما أراد

رسول معاوية إلى أصحاب حجر

فجاء رسول معاوية إليهم فإنه لمعهم إذ جاء رسول بتخلية ستة منهم وبقي ثمانية فقال لهم رسول معاوية إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علي واللعن له فإن فعلتم هذا تركناكم وإن أبيتم قتلناكم وأمير المؤمنين يزعم أن دماءكم قد حلت بشهادة أهل مصركم عليكم غير أنه قد عفا عن ذلك فابرأوا من هذا الرجل يخل سبيلكم قالوا لسنا فاعلين فأمر بقيودهم فحلت وأتي بأكفانهم فقاموا الليل كله يصلون فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية يا هؤلاء قد رأيناكم البارحة أطلتم الصلاة وأحسنتم الدعاء فأخبرونا ما قولكم في عثمان قالوا هو أول من جار في الحكم وعمل بغير الحق فقالوا أمير المؤمنين كان أعرف بكم ثم قاموا إليهم وقالوا تبرأون من هذا الرجل قالوا بل نتولاه
فأخذ كل رجل منهم رجلا يقتله فوقع قبيصة في يدي أبي صريف البدري فقال له قبيصة إن الشر بين قومي وقومك أمين أي آمن فليقتلني غيرك فقال برتك رحم فأخذه الحضرمي فقتله
وقتل القضاعي صاحبه ثم قال لهم حجر دعوني أصلي ركعتين فإني والله ما توضأت قط إلا صليت فقالوا له صل فصلى ثم انصرف فقال والله ما صليت صلاة قط أقصر منها ولولا أن يروا أن ما بي جزع من الموت لأحببت أن أستكثر منها ثم قال اللهم إنا نستعديك على أمتنا فإن أهل الكوفة قد شهدوا علينا وإن أهل الشام يقتلوننا أما والله لئن قتلتمونا فإني أول فارس من المسلمين سلك في واديها وأول رجل من المسلمين نبحته كلابها فمشى إليه هدبة بن الفياض الأعور بالسيف فأرعدت خصائله فقال كلا زعمت أنك لا تجزع من الموت فإنا ندعك فابرأ من صاحبك فقال ما لي لا أجزع وأنا أرى قبرا
محفورا وكفنا منشورا وسيفا مشهورا وإني والله إن جزعت لا أقول ما يسخط الرب فقتله
وأقبلوا يقتلونهم واحدا واحدا حتى قتلوا ستة نفر فقال عبد الرحمن بن حسان وكريم بن عفيف ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته فبعثوا إلى معاوية فأخبروه فبعث ائتوني بهما فالتفتا إلى حجر فقال له العنزي لا تبعد يا حجر ولا يبعد مثواك فنعم أخو الإسلام كنت وقال الخثعمي نحو ذلك ثم مضى بهما فالتفت العنزي فقال متمثلا
(كَفَى بشَفَاةِ القبر بُعْداً لِهالِكٍ ... وبالموت قَطَّاعاً لِحَبْلِ القرائن)
فلما دخل عليه الخثعمي قال له الله الله يا معاوية إنك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة ومسؤول عما أردت بقتلنا وفيما سفكت دماءنا فقال ما تقول في علي قال أقول فيه قولك أتبرأ من دين علي الذي كان يدين الله به وقام شمر بن عبد الله الخثعمي فاستوهبه فقال هو لك غير أني حابسه شهرا فحبسه ثم أطلقه على ألا يدخل الكوفة ما دام له سلطان فنزل الموصل فكان ينتظر موت معاوية ليعود إلى الكوفة فمات قبل معاوية بشهر
وأقبل على عبد الرحمن بن حسان فقال له يا أخا ربيعة ما تقول في علي قال أشهد أنه من الذاكرين الله كثيرا والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والعافين عن الناس قال فما تقول في عثمان قال هو أول من فتح أبواب الظلم وأرتج أبواب الحق قال قتلت نفسك قال بل إياك قتلت لا
ربيعة بالوادي يعني أنه ليس ثم أحد من قومه فيتكلم فيه
فبعث به معاوية إلى زياد وكتب إليه إن هذا شر من بعثت به فعاقبه بالعقوبة التي هو أهلها واقتله شر قتلة
فلما قدم به على زياد بعث به إلى قس الناطف فدفنه حيا
قال أبو مخنف عن رجاله فكان من قتل منهم سبعة نفر حجر بن عدي وشريك بن شداد الحضرمي وصيفي بن فسيل الشيباني وقبيصة بن ضبيعة العبسي ومحرز بن شهاب المنقري وكدام بن حيان العنزي وعبد الرحمن بن حسان العنزي ونجا منهم سبعة كريم بن عفيف الخثعمي وعبد الله بن جؤية التميمي وعاصم بن عوف البجلي وورقاء بن سمي البجلي وأرقم بن عبد الله الكندي وعتبة بن الأخنس السعدي من هوازن وسعيد بن نمران الهمداني
وبعث معاوية إلى مالك بن هبيرة لما غضب بسبب حجر مائة ألف درهم فرضي

قال أبو مخنف فحدثني ابن أبي زائدة عن أبي إسحاق قال أدركت الناس يقولون أول ذل دخل الكوفة قتل حجر ودعوة زياد وقتل الحسين
قال وجعل معاوية يقول عند موته أي يوم لي من ابن الأدبر طويل
رسول عائشة إلى معاوية في أمر حجر
قال أبو مخنف وحدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق من بني عامر بن لؤي أن عائشة بعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية في حجر وأصحابه فقدم عليه وقد قتلهم فقال له أين غاب عنك حلم أبي سفيان فقال حين غاب عني مثلك من حلماء قومي وحملني ابن سمية فاحتملت
قال وكانت عائشة رضي الله عنها تقول لولا أنا لم نغير شيئا قط إلا آلت بنا الأمور إلى أشد مما كنا فيه لغيرنا قتل حجر أما والله إن كان لمسلما ما علمته حاجا معتمرا
وقالت امرأة من كندة ترثي حجرا
(ترفّعْ أيُّها القمرُ المُنِيرُ ... لعلَّكَ أن تَرى حُجْراً يَسيرُ)
(يسير إلى معاوية بن حرب ... لِيَقْتُلَهُ كما زعم الأميرُ)
(ألا يا ليتَ حُجْراً ماتَ مَوْتاً ... ولم يُنْحَر كما نُحِر البَعِيرُ)
(ترفّعتِ الجبابرُ بعد حُجْرٍ ... وطاب لها الخَوَرْنَقُ والسَّدِيرُ)
(وأصبحتِ البلادُ له مُحُولاً ... كأنْ لم يُحيها مُزْنٌ مَطِيرُ)
(ألا يا حُجْرُ حُجْرَ بني عَدِيٍّ ... تلقَّتْكَ السلامةُ والسرورُ)
(أخافُ عليكَ سطوةَ آلِ حربٍ ... وشيخاً في دمشقَ له زَئِيرُ)
(يرى قَتْلَ الخِيارِ عليه حقّاً ... له مِنْ شَرِّ أُمَّتِه وَزِيرُ)
(فإنْ تهلِكْ فكلُّ زعيم قومٍ ... إلى هُلْكٍ من الدنيا يَصِيرُ)
صوت
(أحِنُّ إذا رأيْتُ جمالَ سُعْدَى ... وأبكي إن رأيتُ لها قَرِينا)
(وقد أفِدَ الرَّحيل فقُلْ لسُعْدَى ... لعمرِكِ خَبِّري ما تَأمرينا)
الشعر لعمر بن أبي ربيعة يقوله في سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن حبش وقد قيل إن عمر قال هذا البيت مع بيت آخر في ليلى بنت الحارث بن عوف المري وفيه أيضا غناء وهو
صوت
(ألا يا لَيْلَ إنَّ شفَاء نفسي ... نوالُكِ إنْ بخلتِ فزوِّدِينا)
(وقد أفِد الرحيل وحان منّا ... فِراقُك فانظري ما تأمرينا)
غنى به الغريض ثقيلا أول بالبنصر عن عمرو وحبش وفيه خفيف ثقيل يقال إنه أيضا للغريض ومن الناس من ينسبه إلى ابن سريج
أخبار لعمر بن أبي ربيعة
أخبرني حرمي عن الزبير عن طارق بن عبد الواحد قال قال عبد الرحمن المخزومي
كانت سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف جالسة في المسجد فرأت عمر ابن أبي ربيعة في الطواف فأرسلت إليه إذا قضيت طوافك فائتنا فلما قضى طوافه أتاها فحادثها وأنشدها فقالت ويحك يابن أبي ربيعة ما تزال سادرا في حرم الله منتهكا تتناول بلسانك ربات الحجال من قريش فقال دعي هذا عنك أما سمعت ما قلت فيك قالت وما قلت في فأنشدها
(أحِنُّ إذا رأيْتُ جمالَ سعْدَى ... وأبكي إنْ رأيت لها قَرينا)
(أسُعدى إنّ أهلك قد أجَدُّوا ... رحيلاً فانْظُري ما تأمرينا)
فقالت آمرك بتقوى الله وترك ما أنت عليه
قال الزبير وحدثني عبد الله بن مسلم قال أنشد عمر بن أبي ربيعة ابن أبي عتيق قوله
(...أحِنُّ إذا رأيتُ جمالَ سُعدى)
قال فركب ابن أبي عتيق فأتى سعدى بالجناب من أرض بني فزارة فأنشدها قول عمر وقال لها ما تأمرين فقالت آمره بتقوى الله يا بن الصديق
قال الزبير وحدثني طارق بن عبد الواحد عن أبي عبيدة عن عبد الرحمن المخزومي قال
لقي عمر بن أبي ربيعة ليلى بنت الحارث بن عوف المري وهو يسير على بغلة فقال لها قفي أسمعك بعض ما قلت فيك فوقفت فقال
(ألاَ يا ليلَ إنّ شفاء نفسي ... نوالُكِ إنْ بخلتِ فنوِّلينا)
قال فما بلغنا أنها ردت عليه شيئا ومضت
وقد روى هذا الخبر إبراهيم بن المنذر عن محمد بن معن فذكر أن ابن أبي عتيق إنما مضى إلى ليلى بنت الحارث بن عوف فأنشدها هذا البيت وهو الصحيح لأن حلولها بالجناب من أرض فزارة أشبه بها منه بسعدى بنت عبد الرحمن بن عوف ورواية الزبير فيما أروي وهم لاختلاط الشعرين في سعدى وليلى
أخبرني حرمي عن الزبير عن محمد بن سلام قال
كانت سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف جالسة في المسجد الحرام فرأت عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت فأرسلت إليه إذا فرغت من طوافك فائتنا فأتاها فقالت ألا أراك يابن أبي ربيعة إلا سادرا في حرم الله أما تخاف الله ويحك إلى متى هذا السفه قال أي هذه دعي عنك هذا من القول أما سمعت ما قلت فيك قالت لا فما قلت فأنشدها قوله
صوت
(قالت سُعَيْدَةُ والدموعُ ذَوَارِفٌ ... منها على الخدَّيْنِ والجِلْبابِ)
(ليت المغيري الذي لم أجزِهِ ... فيما أطال تصيُّدي وطِلابي)
(كانت تردّ لنا المُنَى أيامُنا ... إذ لا نُلامُ على هوًى وتَصابي)
(أسُعَيدَ ما ماءُ الفراتِ وطِيبُه ... منّي على ظمأ وحُبِّ شراب)
(بألذَّ منك وإن نأيْتِ وقلَّما ... يَرْعَى النساء أمانة الغُيَّابِ)

عروضه من الكامل غناه الهذلي رملا بالوسطى عن الهشامي وغناه الغريض خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو
فقالت أخزاك الله يا فاسق ما علم الله أني قلت مما قلت حرفا ولكنك إنسان بهوت
وهذا الشعر تغني فيه
(... قالت سكينة والدموعُ ذوارفٌ)
وفي موضع
(... أسعيد ما ماءُ الفرات وبَرْده)
أسكين وإنما غيره المغنون ولفظ عمر ما ذكر فيه في الخبر
وقد أخبرني إسماعيل بن يونس عن ابن شبة عن إسحاق قال غنيت الرشيد يوما بقوله
(قالت سُكَيْنَةَ والدموعُ ذَوَارِفٌ ... منها على الخدَّيْن والجِلْبابِ)
فوضع القدح من يده وغضب غضبا شديدا وقال لعنه الله الفاسق ولعنك معه فسقط في يدي وعرف ما بي فسكن ثم قال ويحك أتغنيني بأحاديث الفاسق ابن أبي ربيعة في بنت عمي وبنت رسول الله ألا تتحفظ في غنائك
وتدري ما يخرج من رأسك عد إلى غنائك الآن وانظر بين يديك فتركت هذا الصوت حتى أنسيته فما سمعه مني أحد بعده والله أعلم
صوت
(فلا زال قَبْرٌ بين تُبْنَى وجَاسم ... عليه من الوسْميّ جَوْدٌ ووَابِلُ)
(فينبت حَوْذاناً وعوفاً مُنوِّراً ... سأتبعه مِنْ خيرِ ما قال قائلُ)
عروضه من الطويل والشعر لحسان بن ثابت الأنصاري وهذا القبر الذي ذكره حسان فيما يقال قبر الأيهم بن جبلة بن الأيهم الغساني وقيل إنه قبر الحارث بن مارية الجفني وهو منهم أيضا والغناء لعزة الميلاء خفيف ثقيل أول بالوسطى مما لا يشك فيه من غنائها وقد نسبه قوم إلى ابن عائشة وذلك خطأ

أخبار عزة الميلاء

كانت عزة مولاة للأنصار ومسكنها المدينة وهي أقدم من غنى الغناء الموقع من النساء بالحجاز وماتت قبل جميلة وكانت من أجمل النساء وجها وأحسنهن جسما وسميت الميلاء لتمايلها في مشيها وقيل بل كانت تلبس الملاء وتشبه بالرجال فسميت بذلك وقيل بل كانت مغرمة بالشراب وكانت تقول خذ ملئا واردد فارغا - ذكر ذلك حماد بن إسحاق عن أبيه
والصحيح أنها سميت الميلاء لميلها في مشيتها

آراء في عزة وغنائها

قال إسحاق ذكر لي ابن جامع عن يونس الكاتب عن معبد قال كانت عزة الميلاء ممن أحسن ضربا بعود وكانت مطبوعة على الغناء لا يعيبها أداؤه ولا صنعته ولا تأليفه وكانت تغني أغاني القيان من القدائم مثل سيرين
وزرنب وخولة والرباب وسلمى ورائقة وكانت رائقة أستاذتها فلما قدم نشيط وسائب خاثر المدينة غنيا أغاني بالفارسية فلقنت عزة عنهما نغما وألفت عليها ألحانا عجيبة فهي أول من فتن أهل المدينة بالغناء وحرض نساءهم ورجالهم عليه
قال إسحاق وقال الزبير إنه وجد مشايخ أهل المدينة إذا ذكروا عزة قالوا لله درها ما كان أحسن غناءها ومد صوتها وأندى حلقها وأحسن ضربها بالمزاهر والمعازف وسائر الملاهي وأجمل وجهها وأظرف لسانها وأقرب مجلسها وأكرم خلقها وأسخى نفسها وأحسن مساعدتها
قال إسحاق وحدثني أبي عن سياط عن معبد عن جميلة بمثل ذلك من القول فيها
قال إسحاق وحدثني أبي عن يونس قال
كان ابن سريج في حداثة سنه يأتي المدينة فيسمع من عزة ويتعلم غناءها
ويأخذ عنها وكان بها معجبا وكان إذا سئل من أحسن الناس غناء قال مولاة الأنصار المفضلة على كل من غنى وضرب بالمعازف والعيدان من الرجال والنساء
قال وحدثني هشام بن المرية أن ابن محرز كان يقيم بمكة ثلاثة أشهر ويأتي المدينة فيقيم بها ثلاثة أشهر من أجل عزة وكان يأخذ عنها
قال إسحاق وحدثني الجمحي عن جرير المغني المديني أن طويسا كان أكثر ما يأوي إلى منزل عزة الميلاء وكان في جوارها وكان إذا ذكرها يقول هي سيدة من غنى من النساء مع جمال بارع وخلق فاضل وإسلام لا يشوبه دنس تأمر بالخير وهي من أهله وتنهى عن السوء وهي مجانبة له فناهيك ما كان أنبلها وأنبل مجلسها
ثم قال كانت إذا جلست جلوسا عاما فكأن الطير على رؤوس أهل مجلسها من تكلم أو تحرك نقر رأسه
قال ابن سلام فما ظنك بمن يقول فيه طويس هذا القول ومن ذلك الذي سلم من طويس
قال إسحاق وحدثني أبو عبد الله الأسلمي عن معبد
أنه أتى عزة يوما وهي عند جميلة وقد أسنت وهي تغني على معزفة في شعر ابن الإطنابة قال
(عَلِّلانِي وعَلِّلاَ صاحبيَّا ... واسقِياني مِنَ المروَّق ريّا)
قال فما سمع السامعون قط بشيء أحسن من ذلك قال معبد هذا غناؤها وقد أسنت فكيف بها وهي شابة
قال إسحاق وذكر لي عن صالح بن حسان الأنصاري قال كانت عزة مولاة لنا وكانت عفيفة جميلة وكان عبد الله بن جعفر وابن أبي عتيق وعمر بن أبي ربيعة يغشونها في منزلها فتغنيهم وغنت يوما عمر بن أبي ربيعة لحنا لها في شيء من شعره فشق ثيابه وصاح صيحة عظيمة صعق معها فلما أفاق قال له القوم لغيرك الجهل يا أبا الخطاب قال إني سمعت والله ما لم أملك معه نفسي ولا عقلي
وقال إسحاق وحدثني أبو عبد الله الأسلمي المدني قال
كان حسان بن ثابت معجبا بعزة الميلاء وكان يقدمها على سائر قيان المدينة

عزة تغني شعرا لحسان فيبكي

أخبرني حرمي عن الزبير عن محمد بن الحسن المخزومي عن محرز ابن جعفر قال
ختن زيد بن ثابت الأنصاري بنته فأولم فاجتمع إليه المهاجرون
والأنصار وعامة أهل المدينة وحضر حسان بن ثابت وقد كف بصره يومئذ وثقل سمعه وكان يقول إذا دعي أعرس أم عذار

فحضر ووضع بين يديه خوان ليس عليه إلا عبد الرحمن ابنه فكان يسأله أطعام يد أم يدين فلم يزل يأكل حتى جاؤوا بالشواء فقال طعام يدين فأمسك يده حتى إذا فرغ من الطعام ثنيت وسادة وأقبلت الميلاء وهي يومئذ شابة فوضع في حجرها مزهر فضربت به ثم تغنت فكان أول ما ابتدأت به شعر حسان قال
(فلا زالَ قَبْرٌ بَيْن بُصرى وجِلّق ... عليه من الوَسْمِيّ جَوْدٌ ووَابِلُ)
فطرب حسان وجعلت عيناه تنضحان وهو مصغ لها
أخبرني ابن عبد العزيز الجوهري عن ابن شبة عن الأصمعي عن أبي الزناد قال
قلت لخارجة بن زيد أكان يكون هذا الغناء عندكم قال كان يكون في العرسات ولم يكن يشهد بما يشهد به اليوم من السعة
وكان في إخواننا بني نبيط مأدبة فدعينا وثم قينة أو قينتان تنشدان شعر حسان بن ثابت قال
((انظُرْ خَلِيلِي ببابِ جِلَّقَ هلْ ... تُبْصِرُ دون البَلْقَاء مِنْ أحَدِ
قال وحسان يبكي وابنه يومىء إليهما أن زيدا فإذا زادتا بكى حسان فأعجبني ما يعجبه من أن تبكيا أباه وقد كف بصر حسان بن ثابت يومئذ
أخبرنا وكيع عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال
سمعت خارجة بن زيد يقول دعينا إلى مأدبة في آل نبيط قال خارجة فحضرتها وحسان بن ثابت قد حضرها فجلسنا جميعا على مائدة واحدة وهو يومئذ قد ذهب بصره ومعه ابنه عبد الرحمن فكان إذا أتى طعام سأل ابنه أطعام يد أم يدين يعني باليد الثريد وباليدين الشواء لأنه ينهش نهشا فإذا قال طعام يدين أمسك يده فلما فرغوا من الطعام أتوا بجاريتين إحداهما رائقة والأخرى عزة فجلستا وأخذتا مزهريهما وضربتا ضربا عجيبا وغنتا بقول حسان
(انظر خَلِيلي بباب جلّق هَلْ ... تُبْصرُ دُونَ البَلْقاء من أحَدِ)
فأسمع حسانا يقول
(... قد أراني بها سَمِيعاً بصيرا)
وعيناه تدمعان فإذا سكتتا سكت عنه البكاء وإذا غنتا بكى فكنت أرى ابنه عبد الرحمن إذا سكتتا يشير إليهما أن تغنيا فيبكي أبوه فأقول ما حاجته إلى إبكاء أبيه
قال الواقدي فحدثت بهذا الحديث يعقوب بن محمد الظفري فقال سمعت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان يقول لما انقلب حسان من مأدبة بني
نبيط إلى منزله استلقى على فراشه ووضع إحدى رجليه على الأخرى وقال لقد أذكرتني رائقة وصاحبتها أمرا ما سمعته أذناي بعيد ليالي جاهليتنا مع جبلة بن الأيهم فقلت يا أبا الوليد أكان القيان يكن عند جبلة فتبسم ثم جلس فقال لقد رأيتُ عشر قِيَان خمس روميات يغنين بالرومية بالبرابط وخمس يغنين غناء أهل الحيرة وأهداهن إليه إياس بن قبيصة وكان يفد إليه من يغنيه من العرب من مكة وغيرها وكان إذا جلس للشرب فرش تحته الآس والياسمين وأصناف الرياحين وضرب له العنبر والمسك في صحاف الفضة والذهب وأتي بالمسك الصحيح في صحاف الفضة وأوقد له العود المندى إن كان شاتيا وإن كان صائفا بطن بالثلج وأتي هو وأصحابه بكسا صيفية يتفضل هو وأصحابه بها في الصيف وفي الشتاء الفراء الفنك وما أشبهه ولا والله ما جلست معه يوما قط إلا خلع علي ثيابه التي عليه في ذلك اليوم وعلى غيري من جلسائه هذا مع حلم عمن جهل وضحك وبذل من غير مسألة مع حسن وجه وحسن حديث ما رأيت منه خنى قط ولا عربدة ونحن يومئذ على الشرك فجاء الله بالإسلام فمحا به كل كفر وتركنا الخمرة وما كره وأنتم اليوم مسلمون تشربون هذا النبيذ من التمر والفضيخ من الزهر والرطب فلا يشرب أحدكم ثلاثة أقداح حتى
يصاحب صاحبته ويفارقها وتضربون فيه كما تضرب غرائب الإبل فلا تنتهون
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن أبي أيوب المديني عن مصعب الزبيري عن الضحاك عن عثمان بن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد مثله وزاد فيه
فلما فرغنا من الطعام ثقل علينا جلوس حسان فأومأ ابنه إلى عزة الميلاء فغنت
(انظر خَلِيلي ببابِ جِلَّق هلْ ... تُبْصِرُ دونَ البَلْقاء مِنْ أحَدِ)
فبكى حسان حتى سدر ثم قال هذا عمل الفاسق أما لقد كرهتم مجالستي فقبح الله مجلسكم سائر اليوم وقام فانصرف
أخبرني حرمي عن الزبير عن عمه مصعب قال
ذكر هشام بن عروة عن أبيه أنه دعي إلى مأدبة في زمن عثمان ودعي حسان ومعه ابنه عبد الرحمن ثم ذكر نحو ما ذكره عمر بن شبة عن الأصمعي في الحديث الأول قال
نسبة هذا الصوت
(انظُرْ خليلي بباب جِلّقِ هلْ ... تُؤْنِسُ دُونَ البَلْقَاءِ مِنْ أحَدِ)
(أجمال شَعْثا إنْ هَبَطْنَ من المحبس ... بين الكثبان فالسند)
(يملنَ حورا حورِ المدامع في الرِّيط ... وبيضَ الوُجُوهِ كالبَرَدِ)
((مِنْ دون بُصْرى ودونَها جبل الثّلج ... عليه السَّحابُ كالقِرَدِ)
(إنّي وأيدي المخيَّساتِ وما ... يقْطَعْنَ من كلِّ سَرْبَخ جَدَدِ)
(أهوَى حديثَ النُّدْمان في فَلَقِ الصُّبْح ... وصَوْتَ المُسامر الغَرِدِ)
(تقولُ شَعْثا بعدما هبطت ... بصوْر حُسنى من احتدى بَلَدِي)
(لا أخدِشُ الخَدْشَ بالحبيب ولا ... يَخْشَى نديمي إذا انتشيتُ يَدي)
الشعر لحسان بن ثابت والغناء لعزة الميلاء رمل بالبنصر وفيه خفيف ثقيل ينسب إلى ابن محرز وإلى عزة الميلاء وإلى الهذلي في
(... تقول شعْثاء بعدما هبطت)
وما بعده من الأبيات ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وفيها لعبد الرحيم ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو
حسان بن ثابت وشعثاء
وشعثاء هذه التي شبب بها حسان - فيما ذكر الواقدي ومصعب الزبيري - امرأة من أسلم تزوجها حسان وولدت منه بنتا

يقال لها أم فراس تزوجها عبد الرحمن بن أم الحكم وذكر أبو عمرو الشيباني مثل ما ذكره في نسبها ووصف له أنه خطبها إلى قومها من أسلم فردوه فقال يهجوهم
(لقد أتى عن بني الجَرْباء قولُهم ... ودونهم قُفُّ جُمْدَانٍ فمَوْضُوعُ)
((قد علمت أسلمُ الأرذالُ أنّ لها ... جاراً سيقتُله في داره الجُوعُ
(وأنْ سيمنعُهم ما نَوَوْا حَسَبٌ ... - لن يبلغ المجدَ والعلياء - مقطوعُ)
(وقد علوا - زعموا - عنّي بأختهمُ ... وفي الذُّرا حسبي والمَجْدُ مرفوعُ)
(ويلُ أمِّ شعثاء شيئاً تستغيثُ به ... إذا تجلَّلها النَّعْظُ الأفاقيع)
(كأنه في صَلاها وهي باركةٌ ... ذِرَاعُ بَكْرٍ مِن النَّياط مَنْزُوعُ)
أخبرني حرمي عن الزبير عن إبراهيم بن المنذر عن أبي القاسم بن أبي الزناد عن أخيه عبد الرحمن عن أبيه عن خارجة بن زيد قال شعثاء هذه بنت عمرو من بني ماسكة من يهود وكانت مساكن بني ماسكة بناحية القف وكان أبو الشعثاء قد رأس اليهود التي تلي بيت الدراسة للتوراة وكان ذا قدر فيهم فقال حسان يذكر ذلك
(هل في تَصابِي الكريمِ مِنْ فَنَدِ ... أم هل لمدَى الأيام مِنْ نَفَدِ)
((تقول شَعْثاء لو أفقتَ عن الكاس ... لأُلفِيتَ مُثريَ العَدَدِ
(يَأْبى لي السيفُ واللسانُ وقوْم ... لم يُضَامُوا كلِبْدَة الأسدِ)
وذكر باقي الأبيات التي فيها الغناء
ومما قاله حسان بن ثابت في شعثاء وغني به قوله
(ما هاج حسّانَ رسومُ المُقامْ ... ومظعَنُ الحيّ ومبنى الخِيامْ)
(والنُّؤْيُ قد هَدّم أعضادَهُ ... تقادُمُ العَهْد بوادي تِهَامْ)
(قد أدرك الواشون ما حاولوا ... والحَبْلُ من شَعْثاء رثٌّ رمام)
(جنّيَّةٌ أرَّقني طَيْفُها ... يذهبُ صُبْحاً ويُرى في المنامِ)
(هل هِي إلاّ ظبيةٌ مُطْفِلٌ ... مألَفُها السِّدْر بنعفَيْ بَرَامْ)
(ترعى غزالاً فاتِراً طَرْفُه ... مُقارِبَ الخَطْو ضعيف البُغَامْ)
(كأنَّ فاهَا ثَغَبٌ باردٌ ... في رَصَف تحتَ ظِلالِ الغَمامْ)
(شُجَّ بصَهْبَاء لها سَوْرَةٌ ... من بنت كَرْمٍ عُتّقت في الخِيام)
((تدبُّ في الكأس دَبِيباً كما ... دبَّ دَبَى وسْطَ رِقاقٍ هُيَام
(مِنْ خَمْر بَيْسانٍ تخيَّرتُها ... دِرْياقةً توشِكُ فَتْرَ العظام)
(يَسْعى بها أحمرُ ذُو بُرْنُسٍ ... مُحتلَق الذِّفْرى شَديد الحِزام)
يقول فيها
(قَوْمِي بنو النّجّار إذْ أقبلَت ... شَهْباء تَرْمِي أهلَها بالقَتامْ)
(لا تخذل الجارَ ولا تُسلم المَوْلَى ... ولا تَخْصِمُ يومَ الخِصامُ)
الشعر لحسان والغناء لمعبد خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى في البيت الأول من الأبيات والرابع والتاسع والحادي عشر وذكر الهشامي أن فيه لحنا لابن سريج من الرمل بالوسطى
وهذه الأبيات يقولها حسان في حرب كانت بينهم وبين الأوس تعرف بحرب مزاحم وهو حصن من حصونهم
أخبرني بخبره حرمي عن الزبير عن عمه مصعب قال
جمعت الأوس وحشدت بأحلافها ورأسوا عليهم أبا قيس بن الأسلت يومئذ فسار بهم حتى كان قريبا من مزاحم وبلغ ذلك الخزرج فخرجوا يومئذ عليهم سعد بن عبادة وذلك أن عبد الله بن أبي كان مريضا أو متمارضا
فاقتتلوا قتالا شديدا وقتلت بينهم قتلى كثيرة وكان الطول يومئذ للأوس فقال حسان في ذلك
(ما هاج حسّانَ رسومُ المقامْ ... ومَظْعَنُ الحيّ ومَبْنَى الخِيامْ)
وذكر الأبيات كلها
أخبرني أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن القاسم بن الحسن عن محمد ابن سعد عن الواقدي عن عثمان بن إبراهيم الحاطبي قال
قال رجل من أهل المدينة ما ذكر بيت حسان بن ثابت
(أهْوَى حَديثَ النَّدْمانِ في فَلَقِ الصُّبْح ... وصَوْتَ المُسَامِرِ الغَرِدِ)
إلا عدت في الفتوة كما كنت قال وهذا البيت من قصيدته التي يقول فيها
(انظر خليلي بباب جلّق هل ... تُؤْنِسُ دونَ البَلْقاء مِنْ أحَدِ)
وقد روي أيضا في هذا الخبر غير الروايتين اللتين ذكرتهما
أخبرني بذلك حرمي عن الزبير عن وهب بن جرير عن جويرية بن أسماء عن عبد الوهاب بن يحيى عن عباد بن عبد الله بن الزبير عن شيخ من قريش قال
إني وفتية من قريش عند قينة من قيان المدينة ومعنا عبد الرحمن بن حسان بن ثابت إذ استأذن حسان فكرهنا دخوله وشق ذلك علينا فقال لنا عبد الرحمن أيسركم ألا يجلس قلنا نعم قال فمروها إذا نظرت إليه أن ترفع عقيرتها وتغني
((أولادُ جَفْنَةَ عند قَبْرِ أبيهمُ ... قَبْرِ ابْنِ مارية الكريمِ المُفْضِلِ
(يُغشَوْنَ حتى ما تَهِرُّ كلابُهم ... لا يَسألُون عن السَّوَادِ المقبلِ)
قال فوالله لقد بكى حتى ظننا أنه سقطت نفسه ثم قال أفيكم الفاسق لعمري لقد كرهتم مجلسي سائر اليوم وقام فانصرف والله تعالى أعلم
نسبة هذا الصوت وسائر ما يغنى فيه من القصيدة التي هو منها
صوت
(أولادُ جَفْنَةَ عند قَبْرِ أبيهمُ ... قَبْرِ ابْنِ مارية الجواد المُفْضِلِ)
(يسقُون مَنْ وَرَدَ البَريصَ عليهمُ ... كأساً تصفّق بالرحيق السَّلْسَلِ)
البريص موضع بدمشق

(بِيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهم ... شُمّ الأنوفِ مِنَ الطِّراز الأوَّلِ)
(يُغشَوْنَ حتى ما تَهِرُّ كلابُهم ... لا يَسألُون عن السَّوَادِ المقبلِ)
ذكر حبش أن فيه لسيرين قينة حسان بن ثابت لحنا ثقيلا أول ابتداؤه نشيد وفيه لعريب ثقيل أول لا يشك فيه
ومما يغنى فيه من هذه القصيدة قوله
صوت
(كِلْتاهُما حَلَبُ العَصِير فعَاطِني ... بزُجَاجَةٍ أرْخاهُما للمِفْصَلِ)
(بزُجَاجَةٍ رقَصَتْ بما في قَعْرها ... رَقْصَ القَلُوصِ براكبٍ مستعجلِ)
غناه إبراهيم الموصلي رملا مطلقا في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو وغيرهما ويروى كلتاهما حلب العصير بجعل الفعل للعصير ويروى للمفصل بكسر الميم وفتح الصاد وللمفصل بفتح الميم وكسر الصاد وهو اللسان
أخبرنا بذلك علي بن سليمان الأخفش عن المبرد حكاية عن أصحابه عن الأصمعي
رجع الحديث إلى أخبار عزة الميلاء
قال إسحاق حدثني مصعب الزبيري عن محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مليكة عن أبيه عن جده قال
كان بالمدينة رجل ناسك من أهل العلم والفقه وكان يغشى عبد الله بن جعفر فسمع جارية مغنية لبعض النخاسين تغني
(... بانَتْ سُعَادُ وأمسى حَبْلُها انقَطَعا)
فاستهتر بها وهام وترك ما كان عليه حتى مشى إليه عطاء وطاوس فلاماه فكان جوابه لهما أن تمثل بقول الشاعر
(يلُومني فيكِ أقوامٌ أُجالِسُهم ... فما أُبالِي أطارَ اللَّوْمُ أمْ وَقَعَا)
وبلغ عبد الله بن جعفر خبره فبعث إلى النخاس فاعترض الجارية وسمع غناءها بهذا الصوت وقال لها ممن أخذته قالت من عزة الميلاء فابتاعها بأربعين ألف درهم ثم بعث إلى الرجل فسأله عن خبره فأعلمه إياه وصدقه عنه فقال له أتحب أن تسمع هذا الصوت ممن أخذته عنه تلك الجارية قال نعم فدعا بعزة وقال لها غنيه إياه فغنته فصعق الرجل وخر مغشيا عليه فقال ابن جعفر أثمنا فيه الماء الماء فنضح على وجهه فلما أفاق قال له أكل هذا بلغ بك عشقها قال وما خفي عنك أكثر قال أفتحب أن تسمعه منها قال قد رأيت ما نالني حين سمعته من غيرها وأنا لا أحبها فكيف يكون حالي إن سمعته منها وأنا لا أقدر على ملكها قال أفتعرفها إن رأيتها قال أو أعرف غيرها فأمر بها فأخرجت وقال خذها فهي لك والله ما نظرت إليها إلا عن عرض فقبل الرجل يديه ورجليه وقال أنمت عيني وأحييت نفسي وتركتني أعيش بين قومي ورددت إلي عقلي ودعا له دعاء كثيرا فقال ما أرضى أن أعطيكها هكذا يا غلام احمل معها مثل ثمنها لكيلا تهتم به ويهتم بها
نسبة هذا الصوت
صوت
(بانت سعادُ وأمسى حَبْلُها انقطَعا ... واحتلَّت الغَوْر فالجدَّين فالفَرَعا)
(وأنكرتْنِي وما كان الذي نَكِرَتْ ... من الحوادِثِ إلاَّ الشَّيْبَ والصَّلَعا)
عروضه من البسيط والشعر للأعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة
وزعم الأصمعي أن البيت الثاني هو صنعه ونحله الأعشى
أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال
ما نحلت أحدا من الشعراء شيئا قط لم يقله إلا بيتا واحدا نحلته الأعشى وهو
(وأنكرَتْنِي وما كان الذي نكِرَتْ ... من الحوادث إلاّ الشَّيْبَ والصَّلَعا)
الغناء لعزة الميلاء خفيف ثقيل أول بالوسطى وذكر عمرو بن بانة أنه لمعبد وأنكر إسحاق ذلك ودفعه وفيه للغريض ثقيل أول بالبنصر وقيل إنه لجميلة
عزة تغني في المدينة
قال إسحاق وحدثني ابن سلام عن ابن جعدبة قال
كان ابن أبي عتيق معجبا بعزة الميلاء فأتى يوما عند عبد الله بن جعفر فقال له بأبي أنت وأمي هل لك في عزة فقد اشتقت إليها قال لا أنا اليوم مشغول فقال بأبي أنت وأمي إنها لا تنشط إلا بحضورك فأقسمت عليك إلا ساعدتني وتركت شغلك ففعل فأتياها ورسول الأمير على بابها يقول لها دعي الغناء فقد ضج أهل المدينة منك وذكروا أنك قد فتنت رجالهم ونساءهم فقال له ابن جعفر ارجع إلى صاحبك فقل له عني أقسم عليك إلا ناديت في المدينة أيما رجل فسد أو امرأة فتنت بسبب عزة إلا كشف نفسه بذلك لنعرفه ويظهر لنا ولك أمره فنادى الرسول بذلك فما أظهر أحد نفسه ودخل ابن جعفر إليها وابن أبي عتيق معه فقال لها لا يهولنك ما سمعت وهاتي فغنينا فغنته بشعر القطامي
(إنّا محيُّوك فاسْلَمْ أيُّها الطَّلَلُ ... وإنْ بليت وإن طالتْ بك الطِّيَلُ)
فاهتز ابن أبي عتيق طربا فقال عبد الله بن جعفر ما أراني أدرك ركابك بعد أن سمعت هذا الصوت من عزة
وقد مضت نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني في مواضع أخر
صوت
(مَنْ كان مسروراً بمَقْتَلِ مالكٍ ... فلْيَأْتِ نسوتَنا بوَجْهِ نَهار)
(يَجِدِ النساءَ حواسراً يَنْدُبْنَهُ ... قد قُمْنَ قبل تبلُّج الأسحار)
عروضه من الكامل قوله
(... قد قمن قبل تَبَلُّج الأسحار)
يعني أنهن يندبنه في ذلك الوقت وإنما خصه بالندبة لأنه وقت الغارة يقول فهن يذكرنه حينئذ لأنه كان من الأوقات التي ينهض فيها للحرب والغارات قال الله تبارك وتعالى (فالمغيرات صبحا) وأما قول الخنساء
(يُذَكِّرُني طلوعُ الشمس صَخْراً ... وأذْكُره لكل غُروبِ شَمْسِ)
فإنما ذكرته عند طلوع الشمس للغارة وعند غروبها للضيف
الشعر للربيع بن زياد العبسي والغناء لابن سريج رمل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق والله أعلم
ذكر نسب الربيع بن زياد وبعض أخباره وقصة هذا الشعر والسبب الذي قتل من أجله

هو الربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن ناشب بن هدم بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار
وأمه فاطمة بنت الخرشب واسم الخرشب عمرو بن النضر بن حارثة ابن طريف بن أنمار بن بغيض بن ريث بن غطفان وهي إحدى المنجبات كان يقال لبنيها الكملة وهم الربيع وعمارة وأنس

أم الربيع إحدى المنجبات

ولما سأل معاوية علماء العرب عن البيوتات والمنجبات وحظر عليهم أن يتجاوزوا في البيوتات ثلاثة وفي المنجبات ثلاثا عدوا فاطمة بنت الخرشب فيمن عدوا وقبلها حيية بنت رياح الغنوية أم الأحوص وخالد ومالك وربيعة بني جعفر بن كلاب وماوية بنت عبد مناة بن مالك بن زيد بن عبد الله بن دارم بن عمرو بن تميم وهي أم لقيط وحاجب وعلقمة بني زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم
أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال حدثني محمد بن موسى اليزيدي قال حدثني محمد بن صالح بن النطاح واللفظ له وخبره أتم وأخبرني به أبو الحسن الأسدي قال حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال
ولدت فاطمة بنت الخرشب من زياد بن عبد الله العبسي سبعة فعدت العرب المنجبين منهم ثلاثة وهم خيارهم
قال محمد بن موسى قال محمد بن صالح وحدثني موسى بن طلحة والوليد بن هشام القحذمي بمثل ذلك قال
فمنهم الربيع ويقال له الكامل وعمارة وهو الوهاب وأنس وهو أنس الفوارس وهو الواقعة وقيس وهو البرد والحارث وهو الحرون ومالك وهو لاحق وعمرو وهو الدراك
قال محمد بن موسى قال ابن النطاح وحدثني أبو عثمان العمري
أن عبد الله بن جدعان لقي فاطمة بنت الخرشب وهي تطوف بالكعبة فقال لها نشدتك برب هذه البنية أي بنيك أفضل قالت الربيع لا بل عمارة لا بل أنس ثكلتهم إن كنت أدري أيهم أفضل
قال ابن النطاح وحدثني أبو اليقظان سحيم بن حفص العجيفي قال حدثني أبو الخنساء قال
سئلت فاطمة عن بنيها أيهم أفضل فقالت الربيع لا بل عمارة لا بل أنس لا بل قيس وعيشي ما أدري أما والله ما حملت واحدا منهما تضعا ولا ولدته يتنا ولا أرضعته غيلا ولا منعته قيلا ولا أبته على ماقة
قال أبو اليقظان
أما قولها ما حملت واحدا منهم تضعا فتقول لم أحمله في دبر الطهر وقبل الحيض وقولها ولا ولدته يتنا وهو أن تخرج رجلاه قبل رأسه ولا أرضعته غيلا أي ما أرضعته قبل أن أحلب ثديي ولا منعته قيلا أي لم أمنعه اللبن عند القائلة ولا أبته على ماقة أي وهو يبكي
قال ابن النطاح وحدثني أبو اليقظان قال حدثني أبو صالح الأسدي قال
سئلت فاطمة بنت الخرشب عن بنيها فوصفتهم وقالت في عمارة لا ينام ليلة يخاف ولا يشبع ليلة يضاف وقالت في الربيع لا تعد مآثره ولا تخشى في الجهل بوادره وقالت في أنس إذا عزم أمضى وإذا سئل أرضى وإذا قدر أغضى وقالت في الآخرين أشياء لم يحفظها أبو اليقظان
وقال ابن النطاح وحدثني القحذمي قال حدثني أبي قال حدثني ابن عياش عن رجل من بني عبس قال

ذكاء الربيع

ضاف فاطمة ضيف فطرحت عليه شملة من خز وهي مسك كما هي فلما وجد رائحتها وأعتم دنا منها فصاحت به فكف عنها ثم إنه تحرك أيضا فأرادها عن نفسها فصاحت فكف ثم إنه لم يصبر فواثبها فبطشت به فإذا هي من أشد الناس فقبضت عليه ثم صاحت يا قيس فأتاها فقالت إن هذا أرادني عن نفسي فما ترى فيه فقال أخي أكبر منك فعليك فه فنادت يا أنس فأتاها فقالت إن هذا أرادني عن نفسي فما ترى فيه فقال لها أخي أكبر مني فسليه فنادت يا عمارة فأتاها فذكرت ذلك له فقال لها السيف وأراد قتله فقالت له يا بني لو دعونا أخاك فهو أكبر منك فدعت الربيع فذكرت ذلك له فقال أفتطيعونني يا بني زياد قالوا نعم قال فلا تزنوا أمكم ولا تقتلوا ضيفكم وخلوه يذهب فذهب
قال ابن النطاح وقال بعض الشعراء يمدح بني زياد من فاطمة يقال إنه قيس بن زهير ويقال حاتم طيىء
(بنو جِنِّيَّةٍ وِلدتْ سيوفاً ... قواطعَ كلُّهم ذكرٌ صَنيعُ)
(وجارتُهم حَصانٌ لم تُزَنَّى ... وطاعمةُ الشتاء فما تجوعُ)
(شرى وُدِّي ومكرمتي جميعاً ... طَوالَ زمانه مني الربيع)
وقال سلمة بن الخرشب خالهم فيهم يخاطب قوما منهم أرادوا حربه
(أتيتُم إلينا تَرْجُفُونَ جماعةً ... فأيْن أبو قيس وأين ربيعُ)
(وذاك ابنُ أختٍ زانه ثوبُ خالِه ... وأعمامه الأعمامِ وهو نَزِيعُ)
(رَفيقٌ بداءِ الحرب طبٌّ بصَعْبِها ... إذا شتَّ رأيُ القومِ فهو جَميعُ)
(عطوفٌ على المولى ثقيلٌ على العِدا ... أصمٌّ عن العَوْراء وهو سميعُ)
وقال رجل من طيىء ويقال له الربيع بن عمارة
(فإن تكنِ الحوادثُ أقْطَعَتْنِي ... فلم أرَ هالِكاً كابْنيْ زيادِ)
(هما رُمْحان خَطِّيَّان كانَا ... من السُّمْرِ المثقَّفةِ الجِيادِ)
(تهاب الأرض أنْ يَطأ عليها ... بمثلهما تُسالمُ أو تُعَادي)

وأمه تقتل نفسها خوفا من النار

وقال الأثرم حدثني أبو عمرو الشيباني قال
أغار حمل بن بدر أخو حذيفة بن بدر الفزاري على بني عبس فظفر بفاطمة بنت الخرشب أم الربيع بن زياد إخوته راكبة على جمل لها فقادها بجملها فقالت له أي رجل ضل حلمك والله لئن أخذتني فصارت هذه الأكمة بي وبك التي أمامنا وراءنا لا يكون بينك وبين بني زياد صلح أبدا لأن الناس يقولون في هذه الحال ما شاؤوه وحسبك من شر سماعه قال فإني أذهب بك حتى ترعى علي إبلي فلما أيقنت أنه ذاهب بها رمت بنفسها على رأسها من البعير فماتت خوفا من أن يحلق بنيها عار فيها

وحدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبد الله بن محمد قال أخبرنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال
لبيد يحاول الإيقاع بينه وبين النعمان
وفد أبو براء ملاعب الأسنة - وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب - وإخوته طفيل ومعاوية وعبيدة ومعهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر وهو غلام على النعمان بن المنذر فوجدوا عنده الربيع بن زياد العبسي وكان
الربيع ينادم النعمان مع رجل من أهل الشام تاجر يقال له سرجون بن توفل وكان حريفا للنعمان - يعني سرجون - يبايعه وكان أديبا حسن الحديث والمنادمة فاستخفه النعمان وكان إذا أراد أن يخلو على شرابه بعث إليه وإلى النطاسي - متطبب كان له - وإلى الربيع بن زياد وكان يدعى الكامل
فلما قدم الجعفريون كانوا يحضرون النعمان لحاجتهم فإذا خلا الربيع بالنعمان طعن فيهم وذكر معايبهم ففعل ذلك بهم مرارا وكانت بنو جعفر له أعداء فصده عنهم فدخلوا عليه يوما فرأوا منه تغيرا وجفاء وقد كان يكرمهم قبل ذلك ويقرب مجلسهم فخرجوا من عنده غضابا ولبيد في رحالهم يحفظ أمتعتهم ويغدوا بإبلهم كل صباح فيرعاها فإذا أمسى انصرف بإبلهم فأتاهم ذات ليلة فألفاهم يتذاكرون أمر الربيع وما يلقون منه فسألهم فكتموه فقال لهم والله لا أحفظ لكم متاعا ولا أسرح لكم بعيرا أو تخبروني
وكانت أم لبيد امرأة من بني عبس وكانت يتيمة في حجر الربيع فقالوا خالك قد غلبنا على الملك وصد عنا وجهه فقال لهم لبيد هل تقدرون على أن تجمعوا بينه وبيني فأزجره عنكم بقول ممض ثم لا يلتفت النعمان إليه بعده أبدا فقالوا وهل عندك من ذلك شيء قال نعم قالوا فإنا نبلوك بشتم هذه البقلة - لبقلة قدامهم دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة فروعها بالأرض تدعى التربة - فقال هذه التربة التي لا تذكي نارا ولا تؤهل دارا ولا تسر جارا عودها ضئيل وفرعها كليل وخيرها قليل بلدها شاسع ونبتها خاشع وآكلها جائع والمقيم عليها ضائع أقصر البقول فرعا وأخبثها مرعى وأشدها قلعا فتعسا لها وجدعا ألقوا بي أخا بني عبس أرجعه عنكم بتعس ونكس وأتركه من أمره في لبس
فقالوا نصبح فنرى فيك رأينا فقال لهم عامر انظروا غلامكم فإن
رأيتموه نائما فليس أمره بشيء وإنما يتكلم بما جاء على لسانه ويهذي بما يهجس في خاطره وإذا رأيتموه ساهرا فهو صاحبكم فرمقوه بأبصارهم فوجدوه قد ركب رحلا فهو يكدم بأوسطه حتى أصبح
فلما أصبحوا قالوا أنت والله صاحبنا فحلقوا رأسه وتركوا ذؤابتين وألبسوه حلة ثم غدوا به معهم على النعمان فوجدوه يتغدى ومعه الربيع وهما يأكلان ليس معه غيره والدار والمجالس مملوءة من الوفود
فلما فرغ من الغداء أذن للجعفريين فدخلوا عليه وقد كان تقارب أمرهم فذكروا للنعمان الذي قدموا له من حاجتهم فاعترض الربيع في كلامهم فقام لبيد يرتجز ويقول
(يا رُبَّ هَيْجا هي خَيْرٌ من دَعَهْ ... أكُلَّ يوم هامَتي مقَزَّعهْ)
(نحن بَنُو أمِّ البنينَ الأربعهْ ... ومِنْ خيار عامر بْنِ صَعْصَعهْ)
(المطعمون الجَفْنَةَ المُدَعْدَعَهْ ... والضاربون الهامَ تحت الخَيْضَعهْ)
(يا واهِبَ الخير الكثيرِ مِنْ سَعَهْ ... إليكَ جاوَزْنَا بِلاداً مُسْبِعَهْ)
(يخبر عن هذا خبيرٌ فاسْمَعَهْ ... مَهْلاً - أبيتَ اللَّعْنَ - لا تأكُلْ معَهْ)
(إنّ استَهُ مِنْ بَرَصٍ مُلَمَّعَهْ ... وإنه يُدْخِلُ فيها إصبعهْ)
(يُدْخِلُها حتى يُواري أشْجَعَهْ ... كأنما يطلب شيئاً أطمعهْ)
فلما فرغ من إنشاده التفت النعمان إلى الربيع شزرا يرمقه فقال أكذا
أنت قال لا والله لقد كذب علي ابن الحمق اللئيم فقال النعمان أف لهذا الغلام لقد خبث علي طعامي فقال أبيت اللعن أما إني لقد فعلت بأمه فقال لبيد أنت لهذا الكلام أهل وهي من نساء غير فعل وأنت المرء فعل هذا بيتيمة في حجره فأمر النعمان ببني جعفر فأخرجوا وقام الربيع فانصرف إلى منزله فبعث إليه النعمان بضعف ما كان يحبوه به وأمره بالانصراف إلى أهله
وكتب إليه الربيع إني قد تخوفت أن يكون قد وقر في صدرك ما قاله لبيد ولست برائم حتى تبعث من يجردني فيعلم من حضرك من الناس أني لست كما قال فأرسل إليه إنك لست صانعا بانتفائك مما قال لبيد شيئا ولا قادرا على ما زلت به الألسن فالحق بأهلك
فقال الربيع
(لئن رحلت جِمالي إنَّ لي سعةً ... ما مِثْلُها سَعة عَرْضاً ولا طُولاً)
(بحيْثُ لو وُزنت لَخْمٌ بأجمعها ... لم يَعْدِلُوا ريشة من ريش سمويلا)
(تَرْعَى الرَّوائمُ أحرارَ البقُول بها ... لا مِثْلَ رَعْيِكم مِلْحاً وغَسْوِيلا)
(فابرُقْ بأرضك يا نعمان متَّكِئاً ... مع النطاسيّ يوماً وابن توفيلا)
فكتب إليه النعمان
(شرِّدْ برَحْلكِ عني حيثُ شئتَ ولا ... تكثِرْ عليّ وَدَعْ عنك الأباطيلا)
(فقد ذُكِرتَ به والركبُ حامِلُه ... وِرْداً يُعلِّل أهلَ الشامِ والنِّيلا)
(فما انتِفاؤُك مِنْه بعدما جزعت ... هُوجُ المطيّ به إبْرَاقَ شِمْليلا)
(قد قِيل ذلك إنْ حقّاً وإنْ كذباً ... فما اعتذارُك من شيء إذا قِيلا)
(فالحقْ بحيث رأيتَ الأرضَ واسعة ... وانشر بها الطَّرْفَ إنْ عرضًا وإن طولا)
وأما الشعر الذي فيه الغناء فإن الربيع بن زياد يقوله في مقتل مالك بن زهير وكان قتله في بعض تلك الوقائع التي يعرف مبدؤها بداحس والغبراء
حرب داحس والغبراء
سبب الحرب
وكان السبب في ذلك فيما أخبرني به علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيدي قالا حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب وأبي غسان دماذ عن أبي عبيدة وإبراهيم بن سعدان عن أبيه قال
كان من حديث داحس أن أمه فرس كانت لقرواش بن عوف بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع يقال لها جلوى وكان أبوه يسمى ذا العقال وكان لحوط بن أبي جابر بن أوس بن حميري بن رياح وإنما سمي داحسا لأن بني يربوع احتملوا

ذات يوم سائرين في نجعه وكان ذو العقال مع ابنتي حوط بن أبي جابر بن أوس تجنبانه فمرتا به على جلوى فرس قرواش وديقا فلما
رآها الفرس ودى وصهل فضحك شبان من الحي رأوه فاستحيت الفتاتان فأرسلتاه فنزا على جلوى فوافق قبولها فأقصت
ثم أخذه لهما بعض الحي فلحق بهما حوط وكان رجلا شريرا سيىء الخلق فلما نظر إلى عين الفرس قال والله لقد نزا
فرسي فأخبراني ما شأنه فأخبرتاه الخبر فقال يا آل رياح لا والله لا أرضى أبدا حتى أخرج ماء فرسي فقال له بنو ثعلبة
والله ما استكرهنا فرسك إنما كان منفلتا فلم يزل الشر بينهما حتى عظم
فلما رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا دونكم ماء فرسكم فسطا عليها وأدخل يده في ماء وتراب ثم أدخلها في رحمها حتى ظن
أنه قد أخرج الماء واشتملت الرحم على ما كان فيها فنتجها قرواش مهرا فسماه داحسا لذلك وخرج كأنه أبو ذو العقال
وفيه يقول جرير
(إنَّ الجيادَ يَبِتْنَ حَوْلَ خِبائنا ... مِنْ آلِ أعوجَ أو لذِي العُقَّالِ)
وأعوج فرس لبني هلال
فلما تحرك المهر سام مع أمه وهو فلو يتبعها وبنو ثعلبة سائرون فرآه حوط فأخذه فقالت بنو ثعلبة يا بني رياح ألم تفعلوا
فيه أول مرة ما فعلتم ثم هذا الآن فقالوا هو فرسنا ولن نترككم أو نقاتلكم عنه أو تدفعوه إلينا
فلما رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا إذا لا نقاتلكم عنه أنتم أعز علينا هو فداؤكم ودفعوه إليهم
فلما رأى ذلك بنو رياح قالوا والله لقد ظلمنا إخوتنا مرتين ولقد حلموا
وكرموا فأرسلوا به إليهم مع لقوحين
فمكث عند قرواش ما شاء الله وخرج أجود خيول العرب ثم إن زهير بن قيس بن جذيمة العبسي أغار على بني يربوع فلم
يصب أحدا غير ابنتي قرواش بن عوف ومائة من الإبل لقرواش وأصاب الحي وهم خلوف ولم يشهد من رجالهم غير
غلامين من بني أزنم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع فجالا في متن الفرس مرتدفيه وهو مقيد بقيد من حديد فأعجلهما القوم
عن حل قيده واتبعهما القوم فضبر بالغلامين ضبرا حتى نجوا به ونادتهما إحدى الجاريتين إن مفتاح القيد مدفون في مذود
الفرس بمكان كذا وكذا أي بجنب مذود وهو مكان أي لا تنزلا عنه إلا في ذلك المكان فسبقا إليه حتى أطلقاه ثم كرا
راجعين
فلما رأى ذلك قيس بن زهير رغب في الفرس فقال لهما لكما حكمكما وادفعا إلي الفرس فقالا أو فاعل أنت قال نعم
فاستوثقا منه على أن يرد ما أصاب من قليل وكثير ثم يرجع عوده على بدئه ويطلق الفتاتين ويخلي عن الإبل وينصرف
عنهم راجعا فقل ذلك قيس فدفعا إليه الفرس
فلما رأى ذلك أصحاب قيس قالوا لا نصالحك أبدا أصبنا مائة من الإبل وامرأتين فعمدت إلى غنيمتنا فجعلتها في فرس لك
تذهب به دوننا فعظم في ذلك الشر حتى اشترى منهم غنيمتهم بمائة من الإبل
فلما جاء قرواش قال للغلامين الأزنميين أين فرسي فأخبراه فأبى أن
يرضى إلا أن يدفع إليه فرسه فعظم في ذلك الشر حتى تنافروا فيه فقضي بينهم أن ترد الفتاتان والإبل إلى قيس بن
زهير ويرد عليه الفرس فلما رأى ذلك قرواش رضي بعد شر وانصرف قيس بن زهير ومعه داحس فمكث ما شاء الله
وزعم بعضهم أن الرهان إنما هاجه بين قيس بن زهير وحذيفة بن بدر ابن عمرو بن جوية بن لوذان بن عدي بن فزارة بن
ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار - أن قيسا دخل على بعض الملوك وعنده
قينة لحذيفة بن بدر تغنيه بقول امرىء القيس
(دارٌ لهندٍ والرَّبابِ وَفَرْتَنَى ... ولَمِيسَ قَبْلَ حوادِثِ الأيامِ)
وهن - فيما يذكر - نسوة من بني عبس فغضب قيس بن زهير وشق رداءها وشتمها فغضب حذيفة فبلغ ذلك قيسا فأتاه
يسترضيه فوقف عليه فجعل يكلمه وهو لا يعرفه من الغضب وعنده أفراس له فعابها وقال ما يرتبط مثلك مثل هذه يا أبا
مسهر فقال حذيفة أتعيبها قال نعم فتجاريا حتى تراهنا
وقال بعض الرواة إن الذي هاج الرهان أن رجلا من بني عبد الله بن غطفان ثم أحد بني جوشن - وهم أهل بيت شؤم
أتى حذيفة زائرا - ويقال إن الذي أتاه الورد العبسي أبو عروة بن الورد - قال فعرض عليه حذيفة خيله فقال ما أرى فيها
جوادا مبرا والمبر الغالب قال ذو الرمة
(أبرّ على الخُصومِ فليس خَصْمٌ ... ولا خصْمانِ يَغْلِبُه جِدَالا)
فقال له حذيفة فعند من الجواد المبر فقال عند قيس بن زهير فقال له هل لك أن تراهنني عنه قال نعم قد فعلت فراهنه
على ذكر من خيله وأنثى
ثم إن العبدي أتى قيس بن زهير وقال إني قد راهنت عنك على فرسين من خيلك ذكر وأنثى وأوجبت الرهان
فقال قيس ما أبالي من راهنت غير حذيفة فقال ما راهنت غيره فقال له قيس إنك ما علمت لأنكد
ثم ركب قيس حتى أتى حذيفة فوقف عليه فقال له ما غدا بك قال غدوت لأواضعك الرهان قال بل غدوت لتغلقه قال ما
أردت ذلك فأبى حذيفة إلا الرهان فقال قيس أخيرك ثلاث خلال فإن بدأت فاخترت قبلي فلي خلتان ولك الأولى وإن بدأت
فاخترت قبلك فلك خلتان ولي الأولى
قال حذيفة فابدأ قال قيس الغاية من مائة غلوة - والغلوة الرمية بالنشابة - قال حذيفة فالمضمار أربعون ليلة والمجرى من
ذات الإصاد
ففعلا ووضعا السبق على يدي غلاق او ابن غلاق أحد بني ثعلبة بن سعد بن ثعلبة
فأما بنو عبس فزعموا أنه أجرى الخطار والحنفاء وزعمت بنو فزارة أنه أجرى قرزلا والحنفاء وأجرى قيس داحسا والغبراء
ويزعم بعضهم أن الذي هاج الرهان أن رجلا من بني المعتمر بن قطيعة بن
عبس يقال له سراقة راهن شابا من بني بدر - وقيس غائب - على أربع جزائر من خمسين غلوة فلما جاء قيس كره ذلك
وقال له لم ينته رهان قط إلا إلى شر ثم أتى بني بدر فسألهم المواضعة فقالوا لا حتى نعرف سبقنا فإن أخذنا فحقنا وإن
تركنا فحقنا
فغضب قيس ومحك وقال أما إذ فعلتم فأعظموا الخطر وأبعدوا الغاية قالوا فذلك لك فجعلوا الغاية من واردات إلى ذات
الإصاد وذلك مائة غلوة والثنية فيما بينهما وجعلوا القصبة في يدي رجل من بني ثعلبة بن سعد يقال له حصين ويقال
رجل من بني العشراء من بني فزارة وهو ابن أخت لبني عبس وملؤوا البركة ماء وجعلوا السابق أول الخيل يكرع فيها

ثم إن حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا المدى الذي أرسلن منه ينظران إلى الخيل كيف خروجها منه فلما أرسلت عارضاها فقال حذيفة خدعتك يا قيس قال ترك الخداع من أجرى من مائة فأرسلها مثلا
ثم ركضا ساعة فجعلت خيل حذيفة تبر وخيل قيس تقصر فقال حذيفة سبقتك يا قيس فقال جري المذكيات غلاب فأرسلها مثلا ثم ركضا ساعة فقال حذيفة إنك لا تركض مركضا فأرسلها مثلا وقال سبقت خيلك يا قيس فقال قيس رويدا يعلون الجدد فأرسلها مثلا
قال وقد جعل بنو فزارة كمينا بالثنية فاستقبلوا داحسا فعرفوه فأمسكوه وهو السابق ولم يعرفوا الغبراء وهي خلفه مصلية حتى مضت الخيل واستهلت من
الثنية ثم أرسلوه فتمطر في آثارها أي أسرع فجعل يبدرها فرسا فرسا حتى سبقها إلى الغاية مصليا وقد طرح الخيل غير الغبراء ولو تباعدت الغاية لسبقها فاستقبلها بنو فزارة فلطموها ثم حلؤوها عن البركة ثم لطموا داحسا وقد جاءا متواليين وكان الذي لطمه عمير بن نضلة فجسأت يده فسمي جاسئا
فجاء قيس وحذيفة في آخر الناس وقد دفعتهم بنو فزارة عن سبقهم ولطموا أفراسهم ولم تطقهم بنو عبس يقاتلونهم وإنما كان من شهد ذلك من بني عبس أبياتا غير كثيرة فقال قيس بن زهير يا قوم إنه لا يأتي قوم إلى قومهم شرا من الظلم فأعطونا حسبنا فأبت بنو فزارة أن يعطوهم شيئا - وكان الخطر - عشرين من الإبل - فقالت بنو عبس أعطونا بعض سبقنا فأبوا فقالوا أعطونا جزورا ننحرها نطعمها أهل الماء فإنا نكره القالة في العرب فقال رجل من بني فزارة مائة جزور وجزور واحد سواء والله ما كنا لنقر لكم بالسبق علينا ولم نسبق
فقام رجل من بني مازن بن فزارة فقال يا قوم إن قيسا كان كارها لأول هذا الرهان وقد أحسن في آخره وإن الظلم لا ينتهي إلا إلى الشر فأعطوه جزورا من نعمكم فأبوا فقام إلى جزور من إبله فعقلها ليعطيها قيسا ويرضيه فقام ابنه فقال إنك لكثير الخطأ أتريد أن تخالف قومك وتلحق بهم خزاية بما ليس عليهم فأطلق الغلام عقالها فلحقت بالنعم فلما رأى ذلك قيس بن زهير احتمل عنهم هو ومن معه من بني عبس فأتى على ذلك ما شاء الله

مقتل عوف بن بدر ومالك بن زهير

ثم إن قيسا أغار عليهم فلقي عوف بن بدر فقتله وأخذ إبله فبلغ ذلك بني فزارة فهموا بالقتال وغضبوا فحمل الربيع بن زياد أحد بني عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس دية عوف بن بدر مائة عشراء متلية
العشراء التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر من ملقحها والمتالي التي نتج بعضها والباقي يتلوها في النتاج
وأم عوف وأم حذيفة ابنة نضلة بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة
واصطلح الناس فمكثوا ما شاء الله
ثم إن مالك بن زهير أتى امرأة يقال لها مليكة بنت حارثة من بني عوذ بن فزارة فابتنى بها باللقاطة قريبا من الحاجر فبلغ ذلك حذيفة بن بدر فدس له فرسانا على أفراس من مسان خيله وقال لا تنظروا مالكا إن وجدتموه أن تقتلوه والربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن ناشب العبسي مجاور حذيفة بن بدر وكانت تحت الربيع بن زياد معاذة ابنة بدر فانطلق القوم فلقوا مالكا فقتلوه ثم انصرفوا عنه فجاؤوا عشية وقد جهدوا أفراسهم فوقفوا على حذيفة ومعه الربيع بن زياد فقال حذيفة أقدرتم على حماركم قالوا نعم وعقرناه
فقال الربيع ما رأيت كاليوم قط أهلكت أفراسك من أجل حمار فقال حذيفة لما أكثر عليه من الملامة وهو يحسب أن الذي أصابوا حمارا إنا لم نقتل
حمارا ولكنا قتلنا مالك بن زهير بعوف بن بدر فقال الربيع بئس لعمر الله القتيل قتلت أما والله إني لأظنه سيبلغ ما نكره فتراجعا شيئا من كلام ثم تفرقا فقام الربيع يطأ الأرض وطأ شديدا وأخذ يومئذ حمل بن بدر ذا النون سيف مالك بن زهير قال أبو عبيدة فزعموا أن حذيفة لما قام الربيع بن زياد أرسل إليه بمولدة له فقال لها اذهبي إلى معاذة بنت بدر امرأة الربيع فانظري ما ترين الربيع يصنع فانطلقت الجارية حتى دخلت البيت فاندست بين الكفاء والنضد - والكفاء شقة في آخر البيت والنضد متاع يجعل على حمار من خشب - فجاء الربيع فنفذ البيت حتى أتى فرسه فقبض بمعرفته ثم مسح متنه حتى قبض بعكوة ذنبه - العكوة أصل الذنب - ثم رجع إلى البيت ورمحه مركوز بفنائه فهزه هزا شديدا ثم ركزه كما كان ثم قال لامرأته اطرحي لي شيئا فطرحت له شيئا فاضطجع عليه وكانت قد طهرت تلك الليلة فدنت منه فقال إليك قد حدث أمر ثم تغني وقال

(نامَ الخَلِيُّ وما أُغمِّضُ حارِ ... من سيِّىء النَّبَأ الجليلِ السَّاري)
(مِنْ مِثْله تُمسِي النساءُ حواسِراً ... وتقوم مُعْولةٌ مع الأسحار)
(مَنْ كان مسروراً بمَقْتَل مالكٍ ... فَلْيَأْتِ نِسوَتنا بوَجْهِ نهار)
(يَجدِ النساء حواسراً يَنْدُبْنَه ... يبكين قبل تبلُّجِ الأسحار)
(قد كُنَّ يَخْبأْنِ الوُجوهَ تستُّراً ... فاليوم حين بدَوْنَ للنُّظَّار)
(يَخْمِشْنَ حُرَّات الوُجوهِ على امرىءٍ ... سَهْلِ الخليقة طيِّب الأخبار)
(أفبَعْدَ مَقْتَل مالك بن زُهَيْرٍ ... تَرْجُو النساءُ عواقبَ الأطهار)
(ما إنْ أَرَى في قتلِه لِذَوِي الحِجا ... إلاَّ المطيَّ تُشدُّ بالأكوار)
((ومجنَّباتٍ ما يَذُقْنَ عذُوفةً ... يَقْذِفْنَ بالمُهَرات والأمْهار

العذوف والعدوف واحد وهو ما أكلته

(ومساعِراً صدأُ الحديدِ عليهم فكأنما ... طُلِيَ الوجوهُ بقار)
(يا رُبَّ مَسْرُورٍ بمَقْتَلِ مالكٍ ... ولسوف نصرفُه بشرِّ مَحار)

فرجعت المرأة فأخبرت حذيفة الخبر فقال هذا حين اجتمع أمر إخوتكم ووقعت الحرب
وقال الربيع لحذيفة وهو يومئذ جاره سيرني فإني جاركم فسيره ثلاث ليال ومع الربيع فضلة من خمر فلما سار الربيع دس حذيفة في أثره فوارس فقال اتبعوه فإذا مضت ثلاث ليال فإن معه فضلة من خمر فإن وجدتموه قد أهراقها فهو جاد وقد مضى فانصرفوا وإن لم تجدوه قد أراقها فاتبعوه فإنكم تجدونه قد مال لأدنى منزل فرتع وشرب فاقتلوه فتبعوه فوجدوه قد شق الزق ومضى فانصرفوا
فلما أتى الربيع قومه وقد كان بينه وبين قيس بن زهير شحناء وذلك أن الربيع ساوم قيس بن زهير في درع كانت عنده فلما نظر إليها وهو راكب وضعها بين يديه ثم ركض بها فلم يردها على قيس فعرض قيس لفاطمة ابنة الخرشب الأنمارية

- من أنمار من بغيض وهي إحدى منجبات قيس وهي أم الربيع - وهي تسير في ظعائن من عبس فاقتاد جملها يريد أن يرتهنها بالدرع حتى يرد
عليه فقالت ما رأيت كاليوم فعل رجل أي قيس ضل حلمك أترجو أن تصطلح أنت وبنو زياد وقد أخذت أمهم فذهبت بها يمينا وشمالا فقال الناس في ذلك ما شاؤوا وحسبك من شر سماعه فأرسلتها مثلا فعرف قيس بن زهير ما قالت له فخلى سبيلها وأطرد إبلا لبني زياد فقدم بها مكة فباعها من عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي وقال في ذلك قيس بن زهير

(ألم يبلغك والأنباءُ تَنْمِي ... بما لاقَتْ لَبُونُ بني زيادِ)
(ومَحْبِسُها على القرشي تُشْرَى ... بأدراعٍ وأسيافٍ حِداد)
(كما لاقيتَ مِنْ حَمَلِ بن بَدْرٍ ... وإخوته على ذات الإصاد)
(هُم فَخَرُوا عليّ بغيرِ فَخْرٍ ... وذَادُوا دُونَ غايتِه جَوادي)
(وكنتُ إذا مُنِيتُ بخَصْمِ سوءٍ ... دلفْتُ له بداهيةٍ نَآدا)
(بداهيةٍ تدقُّ الصُّلْبَ منه ... فتقصِمُ أو تجوبُ عن الفؤاد)
(وكنتُ إذا أتاني الدَّهرَ رِبْقٌ ... بداهيةٍ شددتُ لها نِجادي)

الربق ما يتقلده

(ألم تعلم بنو الميقاب أنّي ... كريمٌ غير مُنْغَلِثِ الزِّنادِ)

الوقب الأحمق والميقاب التي تلد الحمقى والمنغلث الذي ليس بمنتقى

(أُطوِّفُ ما أُطوِّفُ ثم آوي ... الى جارٍ كجار أبي دُوَاد

جاره يعني ربيعة الخير بن قرط بن سلمة بن قشير وجار أبي دواد يقال له الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان وكان أبو دواد في جواره فخرج صبيان الحي يلعبون في غدير فغمس الصبيان ابن أبي دواد فيه فقتلوه فخرج الحارث فقال لا يبقى صبي في الحي إلا غرق في الغدير أو يرضى أبو دواد فودي ابن أبي دواد عشر ديات فرضي وهو قول أبي دواد

(إبلي الإبْلُ لا يحوزها الراعون ... ومجَّ النّدَى عليها المُدَامُ)

قال أبو سعيد حفظي لا يحوزها الراعي ومج الندى

(... إليكَ ربيعةَ الخير بن قُرْط وَهُوباً للطَّرِيف وللتَّلادِ)
(كفاني ما أخافُ أبو هلال ... ربيعةُ فانتهتْ عنّي الأعَادِي)
(تَظَلُّ جِيَادُه يحدين حولي ... بذات الرِّمْث كالحِدإ الغَوَادِي)
(كأني إذ أنختُ إلى ابْنِ قرط ... عقلْتُ إلى يَلَمْلَمَ أو نَضَادِ)

وقال أيضا قيس بن زهير

(إن تك حَرْبٌ فلم أجْنِها ... جَنَتْها خيارُهُم أوْ هُمُ)
(حِذَار الرَّدَى إذ رأوا خَيْلَنا ... مُقَدِّمُها سابحٌ أدْهَمُ)
(عليه كَمِيٌّ وسِرْبالُه ... مضاعفة نسجها مُحْكَمُ)
(فإنْ شَمَّرَتْ لكَ عن ساقِها ... فَوَيْهاً ربيعُ ولم يسأمُوا)
(نَهيتُ رَبيعاً فلم يَزْدَجِرْ ... كما انزجر الحارثُ الأضْجَمُ)

قال أبو عبد الله الحارث الأضجم رجل من بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار وهو صاحب المرباع

قال فكانت تلك الشحناء بين بني زياد وبين بني زهير فكان قيس يخاف خذلانهم إياه فزعموا أن قيسا دس غلاما له مولدا فقال انطلق كأنك تطلب إبلا فإنهم سيسألونك فذكر مقتل مالك ثم احفظ ما يقولون فأتاهم العبد فسمع الربيع يتغنى بقوله

(أفَبَعْدَ مَقْتلِ مالكِ بْنِ زُهَير ... ترجُو النساءُ عواقبَ الأطهار)

فلما رجع العبد إلى قيس فأخبره بما سمع من الربيع بن زياد عرف قيس أن قد غضب فاجتمعت بنو عبس على قتال بني فزارة فأرسلوا إليهم أن ردوا علينا إبلنا التي ودينا بها عوفا أخا حذيفة بن بدر لأمه فقال لا أعطيكم دية ابن أمي وإنما قتل صاحبكم حمل بن بدر وهو ابن الأسدية وأنتم وهو أعلم

فزعم بعض الناس أنهم كانوا ودوا عوف بن بدر بمائة من الإبل متلية أي قد دنا نتاجها وأنه أتى على تلك الإبل أربع سنين وأن حذيفة بن بدر أراد أن يردها بأعيانها فقال له سنان بن خارجة المري أتريد أن تلحق بنا خزاية فنعطيهم أكثر مما أعطونا فتسبنا العرب بذلك فأمسكها حذيفة وأبى بنو عبس أن يقبلوا إلا إبلهم بعينها فمكث القوم ما شاء الله أن يمكثوا

مقتل مالك بن بدر

ثم إن مالك بن بدر خرج يطلب إبلا له فمر على بني رواحة فرماه جندب - أحد بني رواحة - بسهم فقتله فقالت ابنة مالك بن بدر في ذلك

(لِلّهِ عَيْنا مَنْ رأى مِثْلَ مالكٍ ... عَقيرةَ قَوْمٍ إنْ جَرَى فَرَسانِ)
(فليتهما لم يَشْرَبا قطُّ قطرةً ... وليتهما لم يُرْسلا لرِهان)
(أُحِلَّ به مِنْ جندبٍ أمسِ نَذْرُه ... فأيُّ قتيلٍ كان في غطفان)
(إذا سجعتْ بالرَّقْمَتَيْن حمامةٌ ... أو الرَّسُّ تبْكِي فارسَ الكَتفانِ)

فرس له كانت تسمى الكتفان

ثم إن الأسلع بن عبد الله بن ناشب بن زيد بن هدم بن أد بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس مشى في الصلح ورهن بني ذبيان ثلاثة من بنيه وأربعة من بني أخيه حتى يصطلحوا جعلهم على يدي سبيع بن عمرو من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان فمات سبيع وهم عنده

فلما حضرته الوفاة قال لابنه مالك بن سبيع إن عندك مكرمة لا تبيد إن أنت احتفظت بهؤلاء الأغيلمة وكأني بك لو قدمت قد أتاك حذيفة خالك - وكانت أم مالك هذا ابنة بدر - فعصر عينيه وقال هلك سيدنا ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم إليه فيقتلهم فلا شرف بعدها فإن خفت ذلك فاذهب بهم إلى قومهم

فلما ثقل جعل حذيفة يبكي ويقول هلك سيدنا فوقع ذلك له في قلب مالك

فلما هلك سبيع أطاف بابنه مالك فأعظمه ثم قال له يا مالك إني خالك وإني أسن منك فادفع إلي هؤلاء الصبيان ليكونوا

عندي إلى أن ننظر في أمرنا ولم يزل به حتى دفعهم إلى حذيفة باليعمرية واليعمرية ماء بواد من بطن نخل من الشربة لبني ثعلبة
فلما دفع مالك إلى حذيفة الرهن جعل كل يوم يبرز غلاما فينصبه غرضا ويرمي بالنبل ثم يقول ناد أباك فينادي أباه حتى يمزقه النبل ويقول لواقد بن جنيدب ناد أباك فجعل ينادي يا عماه خلافا عليهم ويكره أن يأبس أباه بذلك - والأبس القهر والحمل على المكروه - وقال لابن جنيدب بن عمرو بن عبد الأسلع ناد جنيبة - وكان جنيبة لقب أبيه - فجعل ينادي يا عمراه باسم أبيه حتى قتل وقتل عتبة بن قيس بن زهير
ثم إن بني فزارة اجتمعوا هم وبنو ثعلبة وبنو مرة فالتقوا هم وبنو عبس فقتلوا منهم مالك بن سبيع بن عمرو الثعلبي - قتله مروان بن زنباع العبسي - وعبد العزى بن حذار الثعلبي والحارث بن بدر الفزاري وهرم بن ضمضم المري - قتله ورد بن حابس العبسي ولم يشهد ذلك اليوم حذيفة بن بدر فقالت ناجية أخت هرم بن ضمضم المري
((يا لَهْفَ نفسي لِهفةَ المفجوع ... ألاّ أرى هَرِماً على مَوْدُوع
(مِنْ أجل سيّدنا ومَصْرَع جَنْبه ... عَلِقَ الفؤاد بحنظلٍ مجدوع)
مودوع فرسه
بين ذبيان وعبس
ثم إن حذيفة بن بدر جمع وتأهب واجتمع معه بنو ذبيان بن بغيض فبلغ بني عبس أنهم قد ساروا إليهم فقال قيس أطيعوني فوالله لئن لم تفعلوا لأتكئن على سيفي حتى يخرج من ظهري قالوا فإنا نطيعك فأمرهم فسرحوا السوام والضعاف بليل وهم يريدون أن يظعنوا من منزلهم ذلك ثم ارتحلوا في الصبح وأصبحوا على ظهر العقبة وقد مضى سوامهم وضعفاؤهم فلما أصبحوا طلعت عليهم الخيل من الثنايا فقال قيس خذوا غير طريق المال فإنه لا حاجة للقوم أن يقعوا في شوكتكم ولا يريدون بكم في أنفسكم شرا من ذهاب أموالكم فأخذوا غير طريق المال
فلما أدرك حذيفة الأثر ورآه قال أبعدهم الله وما خيرهم بعد ذهاب أموالهم فاتبع المال
وسارت ظعن بني عبس والمقاتلة من ورائهم وتبع حذيفة وبنو ذبيان المال فلما أدركوه ردوه أوله على آخره ولم يفلت منهم شيء وجعل الرجل يطرد ما قدر عليه من الإبل فيذهب بها وتفرقوا واشتد الحرب فقال قيس بن زهير يا قوم إن القوم قد فرق بينهم المغنم فاعطفوا الخيل في آثارهم فلم تشعر بنو ذبيان إلا والخيل دوائس فلم يقاتلهم كبير أحد وجعل بنو ذبيان إنما همة الرجل في غنيمته أن يحوزها ويمضي بها
فوضعت بنو عبس فيهم السلاح حتى ناشدتهم بنو ذبيان البقية ولم يكن لهم هم غير حذيفة فأرسلوا خيلهم مجتهدين في أثره وأرسلوا خيلا تقص الناس ويسألونهم حتى سقط خبر حذيفة من الجانب الأيسر على شداد بن معاوية العبسي وعمرو بن ذهل بن مرة بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة العبسي وعمرو بن الأسلع والحارث بن زهير وقرواش بن هني بن أسيد بن جذيمة وجنيدب
وكان حذيفة قد استرخى حزام فرسه فنزل عنه فوضع رجله على حجر مخافة أن يقتص أثره ثم شد الحزام فوقع صدر قدمه على الأرض فعرفوه وعرفوا حنف نفسه - والحنف أن تقبل إحدى اليدين على الأخرى وفي الناس أن تقبل إحدى الرجلين على الأخرى وأن يطأ الرجل وحشيهما وجمع الأحنف حنف - فاتبعوه ومضى حتى استغاث بجفر الهباءة وقد اشتد الحر فرمى بنفسه ومعه حمل بن بدر وحنش بن عمرو وورقاء بن بلال وأخوه - وهما من بني عدي بن فزارة - وقد نزعوا سروجهم وطرحوا سلاحهم ووقعوا في الماء وتمعكت دوابهم وقد بعثوا ربيئة فجعل يطلع فينظر فإذا لم ير شيئا رجع فنظر نظرة فقال إني قد رأيت شخصا كالنعامة أو كالطائر فوق القتادة من قبل مجيئنا فقال حذيفة هنا وهنا هذا شداد على جروة وجروة فرس شداد والمعنى دع ذكر شداد عن يمينك وعن شمالك واذكر غيره لما كان يخاف من شداد
فبينا هم يتكلمون إذا هم بشداد بن معاوية واقفا عليهم فحال بينهم وبين الخيل ثم جاء عمرو بن الأسلع ثم جاء قرواش حتى تناموا خمسة فحمل جنيدب على خيلهم فاطردها وحمل عمرو بن الأسلع فاقتحم هو وشداد عليهم في الجفر فقال حذيفة يا بني عبس فأين العقول والأحلام فضربه أخوه حمل بن بدر بين كتفيه وقال اتق مأثور القول بعد اليوم فأرسلها مثلا
وقتل قرواش بن هني حذيفة وقتل الحارث بن زهير حمل بن بدر وأخذ منه ذا النون سيف مالك بن زهير وكان حمل أخذه من مالك بن زهير يوم قتله فقال الحارث بن زهير في ذلك
(تركتُ على الهَباءةِ غيرَ فخرٍ ... حُذيفةَ حوله قِصَدُ العَوالِي)
(سيخبرُ عنهمُ حَنَشُ بن عَمْرو ... إذا لاقاهُمُ وابْنَا بِلالِ)
(ويُخبرهم مكانَ النُّون مني ... وما أعطيتُه عرَقَ الخِلالِ)
العرق المكافأة والخلال المودة يقول لم يعطوني السيف عن مكافأة ومودة ولكني قتلت وأخذت
فأجابه حنش بن عمرو أخو بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان
(سيُخْبرك الحديثَ به خبيرٌ ... يُجاهِرك العداوةَ غيرَ آلِي)
(بُداءَتها لِقِرْواشٍ وعَمْرو ... وأنْتَ تجُولُ جَوْبَكَ في الشمال)
الجوب الترس يقول بداءة الأمر لقرواش وعمرو بن الأسلع وهما اقتحما الجفر وقتلا من قتلا وأنت ترسك في يدك يجول لم تغن شيئا ويقال لك البداءة ولفلان العودة
وقال قيس بن زهير
((تعلّم أنّ خيْر الناسِ مَيْتٌ ... على جَفْرِ الهَباءةِ ما يَريمُ
(ولولا ظُلْمُه ما زِلتُ أبْكي ... عليه الدهرَ ما طلع النجوم)
(ولكنَّ الفتى حمَلَ بن بدرٍ ... بَغَى والبَغْيُ مَرْتَعُه وَخِيم)
(أظنُّ الحلِم دلَّ عليَّ قومي ... وقد يُستجهَلُ الرجلُ الحليمُ)
(فلا تَغْشَ المظالم لن تراه ... يُمتَّعُ بالغِنى الرجلُ الظَّلُوم)
(ولا تَعْجَلْ بأمرك واستَدِمْه ... فما صلّى عصاك كمستديم)
(أُلاقي مِن رجالٍ مُنْكراتٍ ... فأنكرها وما أنَا بالغَشُوم)
(ولا يُعْيِيكَ عُرْقُوبٌ بَلأيٍ ... إذا لم يعطكَ النِّصْفَ الخصيم)
(ومارَسْتُ الرجال ومارسُوني ... فمعوجٌّ عليَ ومُستَقِيمُ)

قوله فما صلى عصاك كمستديم يقول عليك بالتأني والرفق وإياك والعجلة فإن العجول لا يبرم أمر أبدا كما أن الذي يثقف العود إذا لم يجد تصليته على النار لم يستقم له
وقال في ذلك شداد بن معاوية العبسي
(مَنْ يَكُ سائلاً عنِّي فإنِّي ... وجِروةَ لا تَرودُ ولا تُعارُ)
(مُقَرَّبة النّساء ولا تراها ... أمام الحيّ يتبعُها المِهار)
(لها في الصيف آصِرةٌ وجُلٌّ ... وسِتٌّ من كرائمها غِزار)
آصرة حشيش وست أي ست أينق تسقى لبنها
(ألاَ أبلغ بني العُشَراء عنِّي ... علانيةً وما يُغْني السِّرار)
(قتلتُ سراتكمْ وحسلْتُ منكم ... حسِيلاً مثلَ ما حَسِل الوبارُ)
حسالة الناس وحفالتهم ورعاعهم وخمانهم وشرطهم وحثالتهم وخشارتهم وغثاؤهم واحد وهم السفلة يقول قتلت سراتكم وجعلتكم بعدهم حسالة كما خلقت الوبار حسالة
وكان ذلك اليوم يوم ذي حسا ويزعم بعض بني فزارة أن حذيفة كان أصاب يومئذ فيمن أصاب من بني عبس تماضر ابنة الشريد السلمية أم قيس فقتلها وكانت في المال وقال
(ولم أقتلكُمْ سِرّاً ولكن ... علانيةً وقد سطع الغُبار)
صوت
(جاء البريدُ بِقرطاسٍ يخبّ به ... فأوجس القلبُ من قِرطاسِه فَزَعا)
(قلنا لك الويلُ ماذا في صحيفتكم ... قال الخليفة أمسى مُثبَتا وجَعا)
عروضه من الكامل الشعر ليزيد بن معاوية والغناء لابن محرز هزج بالوسطى عن عمرو
وهذا الشعر يقوله يزيد في علة أبيه التي مات فيها وكان يزيد يومئذ غازيا غزاة الصائفة
خبر ليزيد بن معاوية
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني السكري والمبرد عن دماذ أبي غسان - واسمه رفيع بن سلمة - عن أبي عبيدة
أن معاوية وجه جيشا إلى بلد الروم ليغزو الصائفة فأصابهم جدري فمات أكثر المسلمين وكان ابنه يزيد مصطبحا بدير مران مع زوجته أم كلثوم فبلغه خبرهم فقال
(إذا ارتفقتُ على الأنماط مصطبِحاً ... بدَيْرِ مُرّان عندي أمُّ كُلْثوم)
(فما أُبَالِي بما لاَقَتْ جنودُهُم ... بالغَذْقَذُونة مِنْ حُمًى ومن مُومِ)
فبلغ شعره أباه فقال أجل والله ليلحقن بهم فليصيبنه ما أصابهم
فخرج حتى لحق بهم وغزا حتى بلغ القسطنطينية فنظر إلى قبتين مبنيتين عليهما ثياب الديباج فإذا كانت الحملة للمسلمين ارتفع من إحداهما أصوات الدفوف والطبول والمزامير وإذا كانت الحملة للروم ارتفع من الأخرى فسأل يزيد عنهما فقيل له هذه بنت ملك الروم وتلك بنت جبلة بن الأيهم وكل واحدة منهما تظهر السرور بما تفعله عشيرتها فقال أما والله لأسرنها ثم صف العسكر وحمل حتى هزم الروم فأحجرهم في المدينة وضرب باب القسطنطينية بعمود حديد كان في يده فهشمه حتى انخرق فضرب عليه لوح من ذهب فهو عليه إلى اليوم
نسخت من كتاب محمد بن موسى اليزيدي حدثني العباس بن ميمون طابع قال حدثني ابن عائشة عن أبيه وحدثني القحذمي
أن ميسون بنت بحدل الكلبية كانت تزين يزيد بن معاوية وترجل جمته قال فإذا نظر إليه معاوية قال
(فإنْ مات لم تُفلح مزينةُ بَعْدَه ... فَنُوطِي عليه يا مزين التَّمائما)
يزيد وعنبسة في حضرة معاوية وهو يحتضر
فلما احتضر معاوية حضره يزيد بن معاوية وعنبسة بن أبي سفيان
فبكى يزيد إلى عنبسة وقال
(لو فات شيء يُرى لفات أبو ... حيّان لا عاجزٌ ولا وَكِلُ)
(الحُوَّلُ القُلَّب الأريب ولن ... يدْفَعَ رَوْءَ المنيةِ الحِيَلُ)
فسمعهما معاوية بعد أن رددهما مرارا فقال يا بني إن أخوف ما أخاف على نفسي شيء صنعته قبل ذلك إني كنت أوضيء رسول الله فكساني قميصا وأخذت شعرا من شعره فإذا أنا مت فكفني قميصه واجعل الشعر في منخري وأذني وفمي وخل بيني وبين ربي لعل ذلك ينفعني شيئا
قال العباس بن ميمون فقلت للقحذمي هذا غلط والدليل على ذلك أن أبا عدنان حدثني - وها هو حي فاسأله - عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش عن الشعبي
أن معاوية مات ويزيد بالصائفة فأتاه البريد بنعيه فأنشأ يقول
(جاء البريدُ بقرطاسٍ يخبُّ به ... فأوجس القلبُ مِن قرطاسه فَزَعا)
(قلنا لك الويلُ ماذا في صحيفتكم ... قال الخليفةُ أمسى مُثْبَتاً وَجَعا)
(مادَتْ بنا الأرضُ أو كادت تَميدُ بنا ... كأنّ ما عزَّ من أركانها انقلعا)
(مَنْ لم تَزَلْ نَفْسُه تُوفِي على وَجلٍ ... تُوشِكْ مقاديرُ تلك النفس أنْ تقعا)
(لما وَردتُ وبابُ القَصْر منطبِقٌ ... لصوت رَمْلَة هُدَّ القلبُ فانصدعا)
الضحاك بن قيس يتولى دفن معاوية
وكان الذي تولى غسله ودفنه الضحاك بن قيس فخطب الناس فقال
إن ابن هند قد توفي وهذه أكفانه على المنبر ونحن مدرجوه فيها ومخلون بينه وبين ربه ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة ولو كان يزيد حاضرا لم يكن للضحاك ولا غيره أن يفعل من هذا شيئا
قال العباس فسكت القحذمي وما رد علي شيئا
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عمي عن جدي عن هشام بن عروة عن أبيه قال صلى بنا عبد الله بن الزبير يوما ثم انفتل من الصلاة فنشج وكان قد نعي له معاوية ثم قال رحم الله معاوية إن كنا لنخدعه

فيتخادع لنا وما ابن أنثى بأكرم منه وإن كنا لنعرفه يتفاوق لنا وما الليث المحرب بأجرأ منه كان والله كما قال بطحاء العذري
(رَكُوبُ المنابر وثَّابها ... مِعَنٌّ بخُطبته يَجْهَرُ)
(تَرِيع إليه عيونُ الكلام ... إذا حَصِر الهذِر المِهْمَرُ)
كان والله كما قالت رقيقة أو قال بنت رقيقة
(ألاَ أبكيه ألا أبكيه ... ألاَ كلُّ الفَتَى فيه)
والله لودي أنه بقي بقاء أبي قبيس لا يتخون له عقل ولا تنقص له قوة
قال فعرفنا أن الرجل قد استوحس
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا ابن أبي سعد قال قال محمد بن إسحاق المسيبي حدثني جماعة من أصحابنا أن ابن عباس أتاه نعي معاوية وولاية يزيد وهو يعشي أصحابه ويأكل معهم وقد رفع إلى فيه لقمة فألقاها وأطرق هنيهة ثم قال جبل تدكدك ثم مال بجميعه في البحر واشتملت عليه الأبحر لله در ابن هند ما كان أجمل وجهه وأكرم خلقه وأعظم حلمه
فقطع عليه الكلام رجل من أصحابه وقال أتقول هذا فيه فقال ويحك إنك لا تدري من مضى عنك ومن بقي عليك وستعلم ثم قطع الكلام

صوت

(إذا زينبٌ زارها أهلُها ... حَشَدتُ وأكرَمْتُ زوّارَها)
(وإن هي زارتهم زُرتُهم ... وإن لم أجد لي هوىً دارها)
(فسَلْمِي لمن سالمتْ زينب ... وحَرْبي لمن أشعلت نارَها)
(وما زلتُ أرعى لها عَهْدَها ... ولم أتّبع ساعة عارَها)
عروضه من المتقارب الشعر لشريح القاضي في زوجته زينب بنت حدير التميمية والغناء لعمرو بن بانة ثاني ثقيل بالبنصر عنه على مذهب إسحاق وذكر إسحاق في كتاب الأغاني المنسوب إليه أنه لابن محرز

ذكر شريح ونسبه وخبره

هو فيما أخبرني به الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا أبو سعيد عن هشام بن السائب وأخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني علي بن عبد الله بن معاوية بن ميسرة بن شريح كلاهما اتفق في الرواية لنسبه
أنه شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائش بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع الكندي قال هشام في خبره خاصة وليس بالكوفة من بني الرائش غيرهم وسائرهم من هجر وحضرموت
وقد اختلف الرواة بعد هذا في نسبه فقال بعضهم شريح بن هانىء - وهذا غلط - ذاك شريح بن هانىء الحارثي واعتل من قال هذا بخبر روي عن مجالد عن الشعبي أنه قرأ كتابا من عمر إلى شريح
من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى شريح بن هانىء وقد يجوز أن يكون كتب عمر رضي الله عنه هذا الكتاب إلى شريح بن هانىء الحارثي وقرأه الشعبي وكلا هذين الرجلين معروف والفرق بينهما النسب والقضاء فإن شريح بن هانىء لم يقض وشريح بن الحارث قد قضى لعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب عليه السلام وقيل شريح بن عبد الله وشريح بن شراحيل والصحيح ابن الحارث وابنه أعلم به
وقد أخبرنا وكيع قال حدثنا أحمد بن عمر بن بكير قال حدثني أبي
عن الهيثم بن عدي عن أبي ليلى أن خاتم شريح كان نقشه شريح بن الحارث وقيل إنه من أولاد الفرس الذين قدموا اليمن مع سيف بن ذي يزن وعداده في كندة وقد روي عنه شبيه بذلك
أخبرنا وكيع قال حدثنا عبد الله بن محمد الحنفي قال حدثنا عبدان قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال حدثنا سفيان الثوري عن ابن أبي السفر عن الشعبي قال
جاء أعرابي إلى شريح فقال ممن أنت قال أنا من الذين أنعم الله عليهم وعدادي في كندة
قال وكيع وقال أبو حسان عن أيوب بن جابر عن أبي حصين قال
كان شريح إذا قيل له ممن أنت قال ممن أنعم الله عليه بالإسلام عديد كندة
قال وكيع وقيل إنما خرج إلى المدينة ثم إلى العراق لأن أمه تزوجت بعد أبيه فاستحيا
وقد اختلف أيضا في سنه فقيل مائة وعشرون سنة وقيل مائة وعشر وقيل أقل من ذلك وأكثر
فمن ذكر أنه عمر مائة وعشرين سنة أشعث بن سوار روى ذلك يحيى بن معين عن المحاربي عن أشعث وأبو سعيد الجعفي روى ذلك عنه أبو إبراهيم الزهري وممن قال أقل من ذلك أبو نعيم
أخبرنا الحسن بن علي عن الحارث عن ابن سعد عن أبي نعيم قال بلغ شريح مائة وثمانين سنة

سنة وفاته

قال الحارث وأخبرني ابن سعد عن الواقدي عن أبي سبرة عن عيسى عن الشعبي قال توفي شريح في سنة ثمانين أو تسع وسبعين
قال أبو سعيد وقال إبراهيم في سنة ست وسبعين وقال أبو إبراهيم الزهري عن أبي سعيد الجعفي إن شريحا مات في زمن عبد الملك بن مروان
أخبرني وكيع قال حدثنا الكراني عن سهل عن الأصمعي قال ولد لشريح وهو ابن مائة سنة
وروى إسماعيل بن أبان الوراق عن علي بن صالح قال قيل لشريح كيف أصبحت قال أصبحت ابن ست ومائة قضيت منها ستين سنة

عمر بن الخطاب يستقضي شريحا

وأخبرني وكيع بخبر عمر حين استقضاه قال حدثنا عبد الله بن محمد بن أيوب قال حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا شعبة قال سمعت سيارا قال سمعت الشعبي يقول
إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ من رجل فرسا على سوم فحمل عليه رجلا فعطب الفرس فقال عمر اجعل بيني وبينك رجلا فقال له الرجل اجعل بيني وبينك شريحا العراقي فقال يا أمير المؤمنين أخذته صحيحا سليما على سوم

فعليك أن ترده كما أخذته قال فأعجبه ما قال وبعث به قاضيا ثم قال ما وجدته في كتاب الله فلا تسأل عنه أحدا وما لم تستبن في كتاب فالزم السنة فإن لم يكن في السنة فاجتهد رأيك
أخبرني وكيع قال أخبرني عبد الله بن الحسن عن النميري عن حاتم بن قبيصة المهلبي عن شيخ من كنانة قال
قال عمر لشريح حين استقضاه لا تشار ولا تضار ولا تشتر ولا تبع
فقال عمرو بن العاص يا أمير المؤمنين
(إن القُضاة إن أرادوا عدْلا ... وفَصلوا بين الخصوم فَصْلا)
(وزَحْزَحُوا بالحكم منهم جهلا ... كانوا كمثل الغيث صَابَ مَحْلاَ)
وله أخبار في قضايا كثيرة يطول ذكرها وفيها ما لا يستغنى عن ذكره منها محاكمة أمير المؤمنين علي عليه السلام إليه في الدرع

شريح يقضي بين علي ويهودي أخذ درعه

حدثني به عبد الله بن محمد بن إسحاق ابن أخت داهر بن نوح بالأهواز قال حدثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام العجلي قال حدثني حكيم بن حزام عن الأعمش عن إبراهيم التيمي قال
عرف علي صلوات الله عليه درعا مع يهودي فقال يا يهودي درعي سقطت مني يوم كذا وكذا فقال اليهودي ما أدري ما تقول درعي وفي يدي بيني وبينك قاضي المسلمين
فانطلقا إلى شريح فلما رآه شريح قام له عن مجلسه فقال له علي اجلس فجلس شريح ثم قال إن خصمي لو كان مسلما لجلست معه بين يديك ولكني سمعت رسول الله يقول لا تساووهم في المجلس ولا تعودوا مرضاهم ولا تشيعوا جنائزهم واضطروهم إلى أضيق الطرق وإن سبوكم فاضربوهم وإن ضربوكم فاقتلوهم ثم قال درعي عرفتها مع هذا اليهودي
فقال شريح لليهودي ما تقول قال درعي وفي يدي
قال شريح صدقت والله يا أمير المؤمنين إنها لدرعك كما قلت ولكن لا بد من شاهد فدعا قنبرا فشهد له ودعا الحسن بن علي فشهد له فقال أما شهادة مولاك فقد قبلتها وأما شهادة ابنك لك فلا فقال علي سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله يقول إن الحسن والحسين سيدا شباب
أهل الجنة قال اللهم نعم قال أفلا تجيز شهادة أحد سيدي شباب أهل الجنة والله لتخرجن إلى بانقيا فلتقضين بين أهلها أربعين يوما ثم سلم الدرع إلى اليهودي
فقال اليهودي أمير المؤمنين مشى معي إلى قاضيه فقضى عليه فرضي به صدقت إنها لدرعك سقطت منك يوم كذا وكذا عن جمل أورق فالتقطتها وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقال علي عليه السلام هذه الدرع لك وهذه الفرس لك وفرض له في تسعمائة فلم يزل معه حتى قتل يوم صفين

خبر زينب بنت حدير وتزويج شريح إياها

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع قال حدثنا ابن أبي زائدة وأبو محمد رجل ثقة قال حدثنا مجالد عن الشعبي قال
قال لي شريح يا شعبي عليكم بنساء بني تميم فإنهن النساء قال قلت وكيف ذاك قال انصرفت من جنازة ذات يوم مظهرا فمررت بدور بني تميم فإذا امرأة جالسة في سقيفة على وسادة وتجاهها جارية رؤد - يعني التي قد بلغت - ولها ذؤابة على ظهرها جالسة على وسادة فاستسقيت فقالت لي أي الشراب أعجب إليك النبيذ أم اللبن أم الماء قلت أي ذلك يتيسر عليكم قالت اسقوا الرجل لبنا فإني إخاله غريبا
فلما شربت نظرت إلى الجارية فأعجبتني فقلت من هذه قالت ابنتي قلت وممن قالت زينب بنت حدير إحدى نساء بني تميم ثم إحدى نساء بني حنظلة ثم إحدى نساء بني طهية قلت أفارغة أم مشغولة قالت بل فارغة قلت أتزوجينيها قالت نعم إن كنت كفيا ولها عم فاقصده
فانصرفت فامتنعت من القائلة فأرسلت إلى إخواني القراء الأشراف مسروق بن الأجدع والمسيب بن نجبة وسليمان بن صرد الخزاعي وخالد بن عرفطة العذري وعروة بن المغيرة بن شعبة وأبي بردة بن أبي موسى فوافيت معهم صلاة العصر فإذا عمها جالس فقال أبا أمية حاجتك قلت إليك قال وما هي قلت ذكرت لي بنت أخيك زينب بنت حدير قال ما بها عنك رغبة ولا بك عنها مقصر وإنك لنهزة
فتكلمت فحمدت الله جل ذكره وصليت على النبي وذكرت حاجتي فرد الرجل علي وزوجني وبارك القوم لي ثم نهضنا فما بلغت منزلي حتى ندمت فقلت تزوجت إلى أغلظ العرب وأجفاها فهممت بطلاقها ثم قلت أجمعها إلي فإن رأيت ما أحب وإلا طلقتها
فأقمت أياما ثم أقبل نساؤها يهادينها فلما أجلست في البيت أخذت بناصيتها فبركت وأخلي لي البيت فقلت يا هذه إن من السنة إذا دخلت المرأة على الرجل أن يصلي ركعتين وتصلي ركعتين ويسألا الله خير ليلتهما ويتعوذا بالله من شرها فقمت أصلي ثم التفت فإذا هي خلفي فصليت ثم التفت فإذا هي على فراشها فمددت يدي فقالت لي على رسلك فقلت إحدى الدواهي منيت بها فقالت إن الحمد لله أحمده وأستعينه إني امرأة غريبة ولا والله ما سرت مسيرا قط أشد علي منه وأنت رجل غريب لا أعرف أخلاقك فحدثني بما تحب فآتيه وما تكره فأنزجر عنه فقلت الحمد لله وصلى الله على محمد قدمت خير مقدم قدمت على أهل دار زوجك سيد رجالهم وأنت سيدة نسائهم أحب كذا وأكره كذا
قالت أخبرني عن أختانك أتحب أن يزوروك فقلت إني رجل قاض وما أحب أن تملوني
قال فبت بأنعم ليلة وأقمت عندها ثلاثا ثم خرجت إلى مجلس القضاء فكنت لا أرى يوما إلا هو أفضل من الذي قبله حتى إذا كان عند رأس الحول دخلت منزلي فإذا عجوز تأمر وتنهى قلت يا زينب من هذه فقالت أمي فلانة قلت حياك الله بالسلام قالت أبا أمية كيف أنت وحالك قلت بخير أحمد الله قالت أبا أمية كيف زوجك قلت كخير امرأة قالت إن المرأة لا ترى في حال أسوأ خلقا منها في حالين إذا حظيت عند زوجها وإذا ولدت غلاما فإن رابك منها ريب فالسوط فإن الرجال والله ما حازت إلى بيوتها شرا من الورهاء المتدللة
قلت أشهد أنها ابنتك قد كفيتنا الرياضة وأحسنت الأدب
قال فكانت في كل حول تأتينا فتذكر هذا ثم تنصرف

شريح يعالج زينب
قال شريح فما غضبت عليها قط إلا مرة كنت لها ظالما فيها وذاك أني
كنت أمام قومي فسمعت الإقامة وقد ركعت ركعتي الفجر فأبصرت عقربا فعجلت عن قتلها فأكفأت عليها الإناء فلما كنت عند الباب قلت يا زينب لا تحركي الإناء حتى أجيء فعجلت فحركت الإناء فضربتها العقرب فجئت فإذا هي تلوى فقلت مالك قالت لسعتني العقرب فلو رأيتني يا شعبي وأنا أعرك أصبعها بالماء والملح وأقرأ عليها المعوذتين وفاتحة الكتاب
وكان لي يا شعبي جار يقال له ميسرة بن عرير من الحي فكان لا يزال يضرب امرأته فقلت
(رأيتُ رجالاً يضربون نساءهم ... فشلَّت يميني يوم أضْربُ زينبا)
يا شعبي فوددت أني قاسمتها عيشي
ومما يغنى فيه من الأشعار التي قالها شريح في امرأته زينب
صوت
(رأيتُ رجالاً يضربُون نساءهم ... فشلَّت يميني يَوْمَ أضربُ زَيْنَبا)
(أأضربها في غير جُرمٍ أتَتْ به ... إليّ فما عذري إذا كُنْتُ مذنبا)
(فتاة تزينُ الحلْي إنْ هي حُلِّيتْ ... كأن بفيها المسكَ خالط مَحلبا)
والغناء ليونس الكاتب من كتابه غير مجنس
صوت
(أمِنْ رسم دارٍ مربعٌ ومصيفُ ... لعينكَ من ماء الشؤون وكِيفُ)
(تذكَّرتُ فيها الجَهْلَ حتى تبادَرتْ ... دُموعي وأصحابي عليّ وقوف)
عروضه من مصرع الطويل الشعر للحطيئة من قصيدة يمدح بها سعيد ابن العاص لما ولي الكوفة لعثمان والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو
أخبار الحطيئة مع سعيد بن العاص
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد عن أبيه قال لقيني إياس بن الحطيئة فقال لي يا أبا عثمان مات أبي وفي كسر بيته عشرون ألفا أعطاه إياها أبوك وقال فيه خمس قصائد فذهب والله ما أعطيتمونا وبقي ما أعطيناكم فقلت صدقت والله
قال أبو زيد فمما قال فيه قوله
(أمِنْ رَسْمِ دارٍ مَربعٌ ومصيفُ ... لعينك من ماء الشؤون وَكِيفْ)
(إليك سعيدَ الخيرِ جُبْتُ مهامِهاً ... يقابلني آلٌ بها وتَنُوف)
(ولولا أصيلُ اللُّبِّ غضّ شبابه ... كريمٌ لأيام المنون عَرُوف)
(إذا همّ بالأعداء لم يَثْن همّه ... كعابٌ عليها لؤلؤ وشُنُوف)
(حَصَانٌ لها في البيت زيٌ وبهجة ... ومَشْيٌ كما تمشي القَطَاة قَطُوفُ)
((ولو شاء وارى الشمس مِنْ دُونِ وَجْهه ... حِجابٌ ومطويّ السراةِ منيف
أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم الطائي عن خالد بن سعيد بن العاص عن أبيه قال كان سعيد بن العاص في المدينة زمن معاوية وكان يعشي الناس فإذا فرغ من العشاء قال الآذِنُ أجيزوا إلا من كان من أهل سمرة قال فدخل الحطيئة فتعشى مع الناس ثم أقبل فقال الآذن أجيزوا حتى انتهى إلى الحطيئة فقال أجز فأبى فأعاد عليه فأبى فلما رأى سعيد إباءه قال دعه وأخذ في الشعر والحطيئة مطرق لا ينطق فقال الحطيئة والله ما أصبتم جيد الشعر ولا شاعر الشعراء قال سعيد من أشعر العرب يا هذا فقال الذي يقول
(لا أعدُّ الإقتارَ عُدْماً ولكن ... فَقْدُ مَنْ قد رُزِئته الإعدامُ)
(مِنْ رجالٍ من الأقارب بانُوا ... من جُذامٍ هم الرؤوس الكرام)
(سلَّط الموتُ والمنونَ عليهم ... فلهم في صُوَى المقابر هَامُ)
(وكذَاكُم سبيل كلِّ أناس ... سوف حقّاً تُبْلِيهمُ الأيام)
قال ويحك من يقول هذا الشعر قال أبو دواد الإيادي قال أو ترويه قال نعم قال فأنشدنيه فأنشدته الشعر كله قال ومن الثاني قال الذي يقول
((أفْلْحْ بما شئتَ فقد يُبْلَغ بالضعف ... وقد يُخدع الأريبُ
قال ومن يقول هذا قال عبيد قال أو ترويه قال نعم قال فأنشدنيه فأنشده ثم قال له ثم من قال والله لحسبك بي عند رهبة أو رغبة إذا وضعت إحدى رجلي على الأخرى ثم رفعت عقيرتي بالشعر ثم عويت على أثر القوافي عواء الفصيل الصادر عن الماء
قال ومن أنت قال الحطيئة قال ويحك قد علمت تشوقنا إلى مجلسك وأنت تكتمنا نفسك منذ الليلة قال نعم لمكان هذين الكلبيين عندك وكان عنده كعب بن جعيل وأخوه وكان عنده سويد بن مشنوء النهدي حليف بني عدي بن جناب الكلبيين فأنشده الحطيئة قوله
(ألستَ بجاعلي كابنَيْ جُعَيْلٍ ... هداكَ الله أو كابْنَيْ جنابِ)
(أديبٌ فلا أُقدِّرَ أنْ تراني ... ودونك بالمدينة ألفُ باب)
(وأحْبَسُ بالعراء المحْل بيتي ... ودونك عازبٌ ضخم الذباب)
العازب الكلأ الذي لم يرع وقد التف نبته
فقال له سعيد لعمر الله لأنت أشعر عندي منهم فأنشدني فأنشده
(سعِيدٌ وما يفعلْ سَعِيدٌ فإنه ... نجيبٌ فَلاهُ في الرِّباط نَجيبُ)
((سعِيدٌ فلا يغررك قِلَّة لحمه ... تخدَّدَ عنه اللحمُ فهو صَلِيبُ
ويروى خفة لحمه
(إذا غاب عنّا غاب عنا رَبِيعُنا ... ونُسقَى الغمامَ الغُرَّ حينَ يَؤُوبُ)
(فنعم الفتى تَعْشُو إلى ضَوْء ناره ... إذا الريحُ هبت والمكانُ جَدِيبُ)

فأمر له بعشرة آلاف درهمِ ثم عاد فأنشده قصيدته التي يقول فيها
(... أمِنْ رسم دارِ مربع ومَصِيف)
يقول فيها
(إذا همَّ بالأعداء لم يثن عَزْمَه ... كعابٌ عليها لؤلؤٌ وشُنُوفُ)
فأعطاه عشرة آلاف أخرى
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة بهذا الحديث نحو ما رواه خالد بن سعيد وزاد فيه فانتهى الشرط إلى الحطيئة فرأوه أعرابيا قبيح الوجه كبير السن سيىء الحال رث الهيئة فأرادوا أن يقيموه فأبى أن يقوم وحانت من سعيد التفاتة فقال دعوا الرجل وباقي الخبر مثله
الحطيئة وخالد بن سعيد بن العاص
قال أبو عبيدة في هذا الخبر وأخبرني رجل من بني كنانة قال أقبل الحطيئة في ركب من بني عبس حتى قدم المدينة فأقام مدة ثم قال له من في رفقته إنا قد أرذينا وأخلينا فلو تقدمت إلى رجل شريف من أهل هذه القرية فقرانا وحملنا فأتى خالد بن سعيد بن العاص فسأله فاعتذر إليه وقال ما
عندي شيء فلم يعد عليه الكلام وخرج من عنده فارتاب به خالد فبعث يسأل عنه فأخبر أنه الحطيئة فرده فأقبل الحطيئة فقعد لا يتكلم فأراد خالد أن يستفتحه الكلام فقال من أشعر الناس فقال الذي يقول
(ومَنْ يجعل المعروفَ مِنْ دونِ عِرْضه ... يَفِرْه ومَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْم يُشْتَمِ)
فقال خالد لبعض جلسائه هذه بعض عقاربه وأمر بكسوة وحملان فخرج بذلك من عنده
صوت
(حبَّذَا لَيْلَتِي بِتَلِّ بَونَّى ... حين نُسقَّى شرابَنا ونُغَنَّى)
(إذْ رأيْنَا جَوارِياً عَطِراتٍ ... وغناءً وقَرْقفاً فنزلنا)
(ما لهم لا يُبَارِكُ اللَّهُ فيهم ... إذ يسألون ويحنا ما فَعَلْنا)
عروضه الضرب الأول من الخفيف الشعر لمالك بن أسماء بن خارجة والغناء لحنين رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق
أخبار مالك بن أسماء بن خارجة ونسبه
هو مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري وقد مضى هذا النسب في أخبار عويف القوافي وقد مضت أخباره وذكر هذا البيت من فزارة وشرفه فيها وسائر قصصه هناك
وكان الحجاج بن يوسف ولى مالك بن أسماء بعد أن تزوج أخته هندا بأصبهان بعد حبس طويل في خيانة ظهرت عليه ثم خلاه بعد ذلك وطالت أيامه بأصبهان فظهرت عليه خيانة أخرى فحبسه وناله بكل مكروه
أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن عيسى بن موسى قال حدثني هشام بن محمد الهلالي قال
اختلف الحجاج وهند بنت أسماء زوجته في وقعة بنات قين فبعث إلى مالك بن أسماء بن خارجة فأخرجه من السجن وكان محبوسا بمال عليه للحجاج فسأله عن الحديث فحدثه به ثم أقبل على هند فقال قومي إلى أخيك فقالت لا أقوم إليه وأنت ساخط عليه فأقبل الحجاج عليه فقال إنك والله ما علمت للخائن أمانته اللئيم حسبه الزاني فرجه فقال إن أذن لي الأمير تكلمت قال قل قال أما قول الأمير الزاني فرجه فوالله لأنا أحقر عند الله عز وجل وأصغر في عين الأمير من أن يجب لله علي حد فلا يقيمه وأما قوله اللئيم حسبه فوالله لو علم الأمير مكان رجل أشرف مني لم يصاهرني وأما قوله إني خؤون فلقد ائتمنني فوفرت فأخذني بما أخذني به فبعت ما كان وراء ظهري ولو ملكت الدنيا بأسرها لافتديت بها من مثل هذا الكلام
قال فنهض الحجاج وقال شأنك يا هند بأخيك
قال مالك بن أسماء فوثبت هند إلي فأكبت علي ودعت بالجواري ونزعن عني حديدي وأمرت بي إلى الحمام وكستني وانصرفت
فلبثت أياما ثم دخلت على الحجاج وبين يديه عهود وفيها عهدي على أصبهان قال خذ هذا العهد وامض إلى عملك فأخذته ونهضت قال وهي ولايته التي عزله عنها وبلغ به ما بلغ من الشر
قال أبو زيد ويقال إنه كان في الحبس في الدفعة الثانية مضيقا عليه في كل أحواله حتى كان يشاب له الماء الذي كان يشربه بالرماد والملح فاشتاق الحجاج
إلى حديثه يوما فأرسل إليه فأحضر فبينا هو يحدثه إذا استسقى ماء فأتي به فلما نظر إليه الحجاج قال لا هات ماء السجن فأتي به وقد خلط بالملح والرماد فسقيه
قال ويقال إنه هرب من الحبس فلم يزل متواريا حتى مات الحجاج
قال وكتب إليه بعض أهله أن يمضي إلى الشام فيستجير ببعض بني أمية حتى يأمن ثم يعود إلى مصره
مالك يكتب لأبيه يسأله شفاعة الحجاج
وقد كان خالد بن عتاب الرياحي فعل ذلك واستجار بزفر بن الحارث الكلابي فأجاره فراجعه عبد الملك في أمره ثم أجاره فكتب مالك إلى أبيه يسأله أن يدخل إلى الحجاج ويسأله في أمره فقال أسماء في ذلك
(أبَنِي فزارةَ لا تُعَنُّوا شَيْخَكم ... مَا لِي وما لزيارةِ الحجَّاجِ)
(شبَّهْتُه شِبْلاً غداةَ لقيتُه ... يُلْقِي الرؤوسَ شَوَاخِبَ الأوْدَاجِ)
(تجري الدماءُ على النّطاعِ كأنها ... راحٌ شَمُولٌ غَيْرُ ذاتِ مزاجِ)
(لا تطلبوا حاجاً إليه فإنه ... بِئس المؤمِّل في طِلابِ الحاجِ)
(يا ليت هنداً أصبحتْ مرموسةً ... أوليْتها جلست عن الأزْوَاجِ)
قال أبو زيد فأما خبر خالد بن عتاب الرياحي فإن الحجاج كان استعمله على الري وكانت أمه أم ولد فكتب إليه الحجاج يلخن أمه ويقول يابن اللخناء أنت الذي هربت عن أبيك حتى قتل وقد كان حلف ألا يسب أحد أمه إلا أجابه كائنا من كان فكتب إليه خالد كتبت إلي تلخنني وتزعم أني فررت عن أبي حتى قتل ولعمري لقد فررت عنه ولكن بعد أن قتل وحين لم أجد لي مقاتلا ولكن أخبرني عنك يا بن اللخناء المستفرمة بعجم زبيب الطائف حين فررت أنت وأبوك يوم الحرة على

جمل ثقال أيكما كان أمام صاحبه فقرأ الحجاج الكتاب وقال صدق
(أنا الَّذي فَرَرْتُ يومِ الحَرَّهْ ... ثم ثَنَّيْتُ كرَّةً بفَرّه)
(... (والشيخُ لا يَفِرُّ إلا مَرَّه
ثم طلبه وهرب إلى الشام وسلم بيت المال ولم يأخذ منه شيئا
زفر بن الحارث يجير خالد بن عتاب
وكتب الحجاج إلى عبد الملك بما كان منه وقدم خالد الشام فسأل عن خاصة عبد الملك فقيل له روح بن زنباع فأتاه حين طلعت الشمس فقال إني جئتك مستجيرا فقال إنني قد أجرتك إلا أن تكون خالدا قال فإني خالد فتغير وقال أنشدك الله إلا خرجت عني فإني لا آمن عبد الملك فقال أنظرني حتى تغرب الشمس فجعل روح يراعيها حتى خرج خالد
فأتى زفر بن الحارث الكلابي فقال إني جئتك مستجيرا قال قد أجرتك قال أنا خالد بن عتاب قال وإن كنت خالدا
فلما أصبح دعا بنين له فتهادى بينهما وقد أسن فدخل على عبد الملك وقد أذن للناس فلما رآه دعا له بكرسي فجعل عند فراشه فجلس ثم قال يا أمير المؤمنين إني قد أجرت عليك رجلا فأجره قال قد أجرته إلا أن يكون خالدا قال فهو خالد قال لا ولا كرامة فقال زفر لابنيه أنهضاني
فلما ولى قال يا عبد الملك أما والله لو كنت تعلم أن يدي تطيق حمل القناة ورأس الجواد لأجرت من أجرت فضحك وقال يا أبا الهذيل قد أجرناه فلا أرينه وأرسل إلى خالد بألفي درهم فأخذها ودفع إلى رسوله أربعة آلاف درهم
رجع الخبر إلى حديث مالك بن أسماء
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرنا محمد بن يزيد النحوي وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم قالا
عشق مالك بن أسماء جارية لأخته هند وعشقها أخوه عيينة بن أسماء بن خارجة فاستعان بأخيها مالك وهو لا يعلم ما يجد بها يشكو إليه حبها فقال مالك
(أعُيَيْنُ هَلاَّ إذْ كَلِفْتَ بها ... كنْتَ استغثْتَ بفارغِ العَقْلِ)
(أرسلتَ تَبْغِي الغَوْثَ مِنْ قِبَلِي ... والمستغاثُ إليه في شغْلِ)
قال ابن قتيبة خاصة وهوي مالك بن أسماء جارية من بني أسد وكانت تنزل دارا من قصب وكانت دار مالك في بني أسد دارا سرية مبنية بالجص والآجر فقال
(يا ليت لي خُصّاً يُجَاوِرُها ... بَدلاً بداري في بني أسدِ)
(الخُصُّ فيه تقرّ أعيننا ... خَيْرٌ مِنَ الآجُرّ والكَمدِ)
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي ويعقوب بن عيسى وأخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثنا أبو هفان عن إسحاق الموصلي عن الزبير
أن عمر بن أبي ربيعة رأى مالك بن أسماء قال أبو هفان في خبره وهو يطوف بالبيت وقد بهر الناس جماله وكماله فأعجب عمر ما رأى منه فسأل عنه فعرفه فعانقه وسلم عليه وقال له أنت أخي حقا فقال له مالك ومن أنا ومن أنت فقال أما أنا فستعرفني وأما أنت فالذي تقول
((إنَّ لي عند كلِّ نفحةِ بستانٍ ... مِنَ الورْدِ أو مِنَ الياسمينا
(نظراً والتفاتةً أتَرَجَّى ... أنْ تكوني حَلَلْتِ فيما يَلِينا)
غنت فيه علية بنت المهدي خفيف رمل بالوسطى
وقال أبو هفان في حديثه قال له عمر ما زلت أحبك منذ سمعت هذا الشعر لك فقال له مالك أنت عمر بن أبي ربيعة قال نعم قال الزبير في خبره خاصة وحدثني ابن أبي كناسة
أن عمر لما لقي مالكا استنشده فأنشده مالك شيئا من شعره فقال له عمر ما أحسن شعرك لولا أسماء القرى التي تذكرها فيه قال مثل ماذا قال مثل قولك
(إنَّ في الرفْقَةِ التي شيَّعتنا ... بجوير سما لزَيْنَ الرِّفَاقِ)
ومثل قولك
(أشَهِدْتنا أم كنتِ غائبةً ... عن ليلتي بحديثةِ القَسْبِ)
ومثل قولك
(حبَّذَا ليلتي بتَلِّ بَوَنَّى ... حين نُسْقَى شرابنا ونُغنَّى)
فقال له مالك هي قرى البلد الذي أنا فيه وهو مثل ما تذكره في شعرك من أرض بلادك قال مثل ماذا قال مثل قولك
((حَيِّ المنازلَ قد دَثَرْنَ خرابا ... بين الجوين وبَيْن رُكْن كُساباً
ومثل قولك
(ما على الرَّسْم بالبُلَيَّيْن لو بَيَّنَ ... رجْعَ السلام أوْ لو أجابا)
فأمسك عنه عمر بن أبي ربيعة
ومالك بن أسماء الذي يقول
(وحديثٍ ألذُّه هُوَ مِمَّا ... ينعَتُ الناعِتون يُوزَنُ وَزْنَا)
(مَنْطِقٌ صائبٌ وتلحَنُ أحيانا ... ً وأحْلَى الحديثِ ما كان لحْنا)
أخبرني يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال
حدثني أبي قال قلت للجاحظ إني قرأت في فصل من كتابك المسمى بكتاب البيان والتبيين إنما يستحسن من النساء اللحن في الكلام واستشهدت ببيتي مالك بن أسماء - يعني هذين البيتين - قال هو كذاك فقال أما سمعت بخبر هند ابنة أسماء بن خارجة مع الحجاج حين لحنت في كلامه فعاب ذلك عليها فاحتجت ببيتي أخيها فقال لها إن أخاك أراد أن المرأة فطنة فهي تلحن بالكلام إلى غير الظاهر بالمعنى لتستر معناه وتوري عنه وتفهمه من أرادت بالتعريض كما قال الله عز وجل (ولتعرفنهم في لحن القول) ولم يرد الخطأ من الكلام والخطأ لا يستحسن من أحد فوجم الجاحظ ساعة ثم قال
لو سقط إلي هذا الخبر أولا لما قلت ما تقدم فقلت له فأصلحه فقال الآن وقد سار به الكتاب في الآفاق وهذا لا يصلح أو كلاما نحو ما ذكرنا فإن أبا أحمد أخبرنا به على سبيل المذاكرة فحفظته عنه

المتوكل يبتاع تل بونى
أخبرني الحسين بن يحيى وجعفر بن قدامة قالا قال حماد حدثني أحمد بن داود السدي قال
ورد علي كتاب أمير المؤمنين المتوكل وأنا على سواد الكوفة أن ابتع لي تل بونى بما بلغت فابتعتها له فإذا قرية صغيرة على تل قد خرب ما حواليها من الضياع فابتعتها له بعشرة آلاف درهم قال فظننته حركه على طلبها أنه غني
(... حبّذا ليلتي بتَلّ بَونَّي)
فسألت عن ذلك فعرفت أن جاريته مكتومة غنته هذا الصوت
قال حماد ومكتومة هذه جارية أهداها أبي إليه لما ولي الخلافة فإنه سأل عنه فعرف أنه قد كف بصره فكتب له بمائة ألف درهم وأمر بإشخاصه إليه مكرما فأشخص إليه وأهدى إليه عدة جوار هذه فيهن
وروي الهيثم بن عدي عن ابن عياش أن الحجاج دعا يوما بمالك بن أسماء فعاتبه عتابا طويلا ثم قال له أنت والله كما قال أخو بني جعدة
(إذا ما سَوْأةٌ غرّاء ماتَتْ ... أتيتَ بسوْءةٍ أُخرى بَهِيم)
((وما تنفكُّ تُرْحَضُ كلَّ يومٍ ... مِنَ السَّوءاتِ كالطَّفْلِ النهيم
(أكُلَّ الدّهر سعيُك في تبابٍ ... تناغي كلَّ مُومِسة أثيم)
فقال له لست كما قال الجعدي ولكني كما قلت
(لكل جوادٍ عَثْرَةٌ يستقيلُها ... وعثرةُ مِثْلي لا تُقَال مَدَى الدَّهْرِ)
(فَهبني يا حجّاج أخطأتُ مرَّةً ... وجُرْتُ عن المُثْلى وغنَّيتُ بالشعر)
(فهل لي إذا ما تبتُ عندك توبةٌ ... تَدارك ما قد فات في سالف العمر)
فقال له الحجاج بلى والله لئن تبت لأقبلن توبتك ولأعفين على ما كان من ذنبك ومن لي بذلك يا مالك قال له لك والله به قال حسبي الله ونعم الوكيل فانظر ما تقول قال الحق أصلحك الله لا يخفى على أحد قال فترك مالك الشراب ووفى بعهده وأظهر النسك ثم طما به الشعر وطال عليه ترك اللذات والشراب فقال
مالك يشرب ولا يقبل العذل
(ونَدمانِ صِدْقٍ قال لي بعد هَدأةٍ ... من الليل قم نَشْرَبْ فقلتُ له مَهْلا)
(فقال أبُخْلاً يابْنَ أسماء هاكها ... كُمَيْتاً كريح المِسْكِ تَزْدهِف العَقْلا)
(فتابعْتُه فيما أرادِ ولم أكُنْ ... بَخِيلاً على النّدمان أو شَكِسا وغْلاَ)
(ولكنني جَلْدُ القُوَى أبذلُ النَّدى ... وأشربُ ما أُعْطِي ولا أقبلُ العَذْلا)
(ضحوكٌ إذا ما دبّت الكأسُ في الفتى ... وغيَّره سُكْرٌ وإنْ أكثرَ الجَهْلاَ)
قال فبلغ الحجاج أن مالكا قد راجع الشراب فقال لا يأتي مالك بخير
سجيس الأوجس قاتل الله أيمن بن خريم حيث يقول
(إذا المرءُ وفَّى الأربعين ولم يكُنْ ... له دُونَ ما يأتِي حِجَابٌ ولا سِتْرُ)
(فدَعْه وما يأتي ولا تعذلنّه ... وإنْ مدّ أسبابَ الحياة له العُمْرُ)
وأنشدنا علي بن سليمان الأخفش أبيات أيمن هذه الرائية وقال أخذ معناها من قول ابن عباس إذا بلغ المرء أربعين سنة ولم يتب أخذ إبليس بناصيته وقال حبذا من لا يفلح أبدا وأول الأبيات هذه
(وصَهْباء جُرجانيّةٍ لم يَطُف بها ... حَنِيفٌ ولم تَنْغرْ بها ساعةً قِدرُ)
(ولم يشهدِ القَسُّ المُهَيْنِمُ نارَها ... طَرُوقاً ولا صلّى على طَبْخِها حَبْرُ)
(أتانِي بها يَحيى وقد نمْتُ نومةً ... وقد غابتِ الجَوْزاء وانحدر النَّسْرُ)
((فقلت اصطبحْها أو لغيري سقَّها ... فما أنا بَعْدَ الشَّيْبِ وَيْحَكَ والخمر
(إذا المرْءُ وفَّى الأربعين ولم يكن ... له دُونَ ما يأتي حِجابٌ ولا سَتْرُ)
(فدَعْه ولا تنفس عليه الذي أتى ... ولو مدَّ أسبابَ الحياة له العمر)
صوت
(تلك عِرْسِي تَرُومُ هَجْري سِفاهاً ... وجَفتني فما تُوافي عِنَاقي)
(زعمتْ أنها تُواتِي مع المالِ ... وأني مُحالف إملاقي)
(وتناست رزيَّةً بدمشقٍ ... أشخصتْ مُهْجَتي فُوَيْقَ التَّراقي)
(يوم نلقى نعشَ ابنِ عُروة محمولا ... بأيدي الرجال والأعناق)
(مستحثّاً به سِياقاً إلى القَبْرِ ... وما إن لحَتْهم من سِياق)
(ثم ولَّيْتُ مُوجَعاً قد شجَاني ... قربُ عَهْدٍ بهم وبعد تلاقِ)
عروضه من الخفيف الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي يرثي محمد بن عروة بن الزبير والغناء لدحمان خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لابن محرز ثقيل أول بالبنصر عن حبش
من أخبار عروة بن الزبير
أخبرنا الطوسي والحرمي بن أبي العلاء قالا حدثنا الزبير قال حدثنا مصعب بن عثمان عن عامر بن صالح عن هشام بن عروة قال
قدم عروة بن الزبير على عبد الملك بن مروان فدخل فأجلسه معه على السرير فجاء قوم فوقعوا في عبد الله بن الزبير فخرج عروة فقال للآذن إن عبد الله بن الزبير ابن أمي وأبي فإذا أردتم أن تقعوا فيه فلا تأذنوا لي عليكم
فذكر ذلك لعبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك قد أخبرني في الآذن بما قلت وإن أخاك لم يكن قتلنا إياه لعداوة ولكنه طلب أمرا وطلبناه فقتل دونه وإن الشام قوم من أخلاقهم ألا يقتلوا أحدا إلا شتموه فإذا أذنا لأحد قبلك فقد جاء من يشتمه فلا تدخل وإذا أذنا لأحد وأنت جالس فانصرف
قدومه على الوليد بن عبد الملك
ثم قدم عروة على الوليد بن عبد الملك حين شلت رجله فقيل له
اقطعها قال إني لأكره أن أقطع مني طابقا فارتفعت إلى الركبة فقيل له إنها إن وقعت في الركبة قتلتك فقطعت ولم يقبض وجهه وقيل له قبل أن يقطعها نسقيك دواء لا تجد معه ألما فقال ما يسعني أن هذا الحائط وقاني أذاها

قال الزبير وحدثني مصعب بن عثمان بن عامر عن صالح عن هشام ابن عروة قال
سقط محمد بن عروة بن الزبير وأمه بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية من سطح في اصطبل دواب الوليد بن عبد الملك فضربته بقوائمها حتى قتلته فأتى عروة رجل يعزيه فقال عروة إن كنت تعزيني برجلي فقد احتسبتها فقال بل أعزيك بمحمد قال وماله فخبره بشأنه فقال
(وكنتُ إذا الأيّامُ أحدَثْنَ نكبةً ... أقول شَوًى ما لم يُصِبْن صَميمي)
اللهم أخذت عضوا وتركت أعضاء وأخذت ابنا وتركت أبناء فإنك إن كنت أخذت لقد أبقيت وإن كنت ابتليت لقد عافيت
فلما قدم المدينة نزل قصره بالعقيق فأتاه ابن المنكدر وقال كيف
(كنت فقال (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا
قال الزبير وحدثني عبد الملك بن عبد العزيز عن ابن الماجشون أن عيسى بن طلحة جاء إلى عروة بن الزبير حين قدم من عند الوليد بن عبد الملك وقد قطعت رجله فقال عروة لبعض بنيه اكشف لعمك عن رجلي ينظر إليها ففعل فقال له عيسى إنا لله وإنا إليه راجعون يا أبا عبد الله ما أعددناك للصراع ولا للسباق ولقد أبقى الله لنا منك ما كنا نحتاج إليه منك رأيك وعلمك فقال عروة ما عزاني أحد عن رجلي مثلك
قال الزبير وحدثني مصعب بن عثمان عن عامر بن صالح عن هشام ابن عروة
الوليد يبعث إليه من هو أعظم بلاء منه
أنه قدم على الوليد رجل من عبس ضرير محطوم الوجه فسأله عن سبب ذلك فقال بت ليلة في بطن واد ولا أعلم في الأرض عبسيا يزيد ماله على مالي فطرقنا سيل فذهب بما كان لي من أهل ومال وولد إلا صبيا مولودا وبعيرا ضعيفا فند البعير والصبي معي فوضعته واتبعت البعير فما جاوزت ابني قليلا إلا ورأس الذئب في بطنه فتركته واتبعت البعير فرمحني رمحة حطم بها وجهي وأذهب عيني فأصبحت لا ذا مال ولا ذا ولد ولا ذا بصر
فقال الوليد بن عبد الملك اذهبوا به إلى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم بلاء منه
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وعمر بن عبد العزيز بن أحمد ومحمد ابن العباس اليزيدي وجماعة أخبروني قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي عن جدي عن هشام بن عروة قال
خرجت مع أبي عروة بن الزبير حاجا ومعنا أخي محمد بن عروة وكان من أحسن الناس وجها فلما كنا في بعض الطريق إذا نحن بعمر بن أبي ربيعة يكلم بعضنا فقلنا هذا أبو الخطاب لو سايرناه فرآنا عروة فقال فيم أنتم قلنا هذا عمر بن أبي ربيعة فضرب عروة إليه راحلته فلما رآها عمر عدل إليه فسلم عليه ثم قال وأين زين المواكب يعني محمد بن عروة فقال قد تقدم فعدل عن عروة واتبع محمدا فقال له عروة نحن أكفى لك وأولى أن تسايرنا فقال إني رجل موكل بالجمال أتبعه حيث كان وضرب راحلته ومضى
صوت
(يا بني الصَّيْداءِ رُدُّوا فَرَسِي ... إنَّما يُفْعَلُ هذا بالذَّلِيلْ)
(عَوّدوا مُهْري الذي عوَّدْتُه ... دَلَجَ الليلِ وإيطاء القتيلْ)
(واستِباء الزِّقِّ مِنْ حانَاتِه ... شائلَ الرِّجلين معصوباً يَمِيلْ)
عروضه من ثاني الرمل
بنو الصيداء بطن من بني اسد والدلج السير في آخر الليل يقال دلج يدلج مخففة إذا سار من آخر الليل وادلج يدلج إذا سار الليل كله واستباء الزق أراد استباء الخمر فيه أي ابتاعها من حاناتها والحانات جمع حانة وهي الموضع الذي تباع فيه الخمر وشائل الرجلين رافعهما
وروى الأصمعي وأبو عمرو
(أحملُ الزِّقَّ على منْسِجه ... فيظلّ الضيفُ نَشْواناً يَميلْ)
الشعر لزيد الخيل الطائي والغناء لابن محرز خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن يحيى المكي وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحد وفيه لعاذل لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس وذكر حبش أن فيه لنبيه لحنا من الثقيل الثاني بالوسطى
أخبار زيد الخيل ونسبه
هو زيد بن مهلهل بن يزيد بن منهب بن عبد رضا ورضا صنم كان لطيئ ابن محلس بن ثور بن عدي بن كنانة بن مالك بن نائل بن نبهان وهو أسود بن عمرو بن الغوث بن جلهمة وهو طيئ سمي بذلك لأنه كان يطوي المناهل في غزواته ابن أدد بن مذحج بن زيد بن يشجب الأصفر بن عريب بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر وهو هود النبي كذا نسبه النسابون والله أعلم
وأم طيئ مدلة بنت ذي منحسان بن عريب بن الغوث بن زهير بن وائل بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومدلة هذه هي مذحج وهو لقبها وهي أم مالك بن أدد وكانت مدلة عند أدد أيضا فولدت له الأشعر واسمه نبت ومرة ابني أدد ومن الناس من يقول مذحج ظرب صغير اجتمعوا عليه وليس بأم ولا أب والله أعلم
النبي يسميه زيد الخير
وكان زيد الخيل فارسا مغوارا مظفرا شجاعا بعيد الصيت في الجاهلية وأدرك الإسلام ووفد إلى النبي ولقيه وسر به وقرظه وسماه زيد الخير
وهو شاعر مقل مخضرم معدود في الشعراء الفرسان وإنما كان يقول الشعر في غاراته ومفاخراته ومغازيه وأياديه عند من مر عليه وأحسن في قراه إليه وإنما سمي زيد الخيل لكثرة خيله وأنه لم يكن لأحد من قومه ولا لكثير من العرب إلا الفرس والفرسان وكانت له خيل كثيرة منها المسماة المعروفة التي ذكرها في شعره وهي ستة وهي الهطال والكميت والورد وكامل ودؤول ولاحق وفي الهطال يقول
(أُقرِّبُ مَرْبِطَ الهطَّالِ إنِّي ... أرى حَرْباً ستَلْقَحُ عن حِيَالِ)
وفي الورد يقول
(أبَتْ عادةٌ للوَرْدِ أنْ يُكرِهَ القَنَا ... وحاجةُ نَفْسي في نُمَيْرٍ وعامِرِ)
وفي دؤول يقول
(فأقسم لا يُفَارِقني دؤول ... أجولُ به إذا كثر الضِّرَابُ)

هذا ما حضرني في تسمية خيله في شعره وقد ذكرها
وكان لزيد الخيل ثلاثة بنين كلهم يقول الشعر وهم عروة وحريث ومهلهل ومن الناس من ينكر أن يكون له من الولد إلا عروة وحريث
وهذا الشعر الذي فيه الغناء يقوله في فرس من خيله ظلع في بعض غزواته بني أسد فلم يتبع الخيل ووقف فأخذته بنو الصيداء فصلح عندهم واستقل
وقيل بل أغزى عليه بعض بني نبهان فنكس عنه وأخذ وقيل إنه خلفه في بعض أحياء العرب ظالعا ليستقل فأغارت عليهم بنو أسد فأخذوا الفرس فيما استاقوه لهم فقال في ذلك زيد الخيل
(يا بني الصَّيْداء ردُّوا فرسي ... إنما يُفْعَلُ هذا بالذَّليلْ)
(لا تُذِيلوه فإني لم أكُنْ ... يا بَنِي الصَّيْداء لمُهْرِي بالمُذِيل)
(عوِّدوه كالذي عوَّدْتُه ... دَلَج اللَّيْل وإيطاء القَتِيلْ)
(أحمِل الزقَّ على مِنْسَجه ... فيظلُّ الضيفُ نشواناً يَميل)
قال أبو عمرو الشيباني وكان زيد الخيل ملحا على بني أسد بغاراته ثم على بني الصيداء منهم ففيهم يقول
(ضجَّتْ بنُو الصَّيْداء من حربنا ... والحربُ من يحللْ بها يضجر)
(بتْنا نُزجِّي نحوهم ضُمَّراً ... معروفةَ الأنساب من منسر)
(حتى صبحناهم بها غُدْوَةً ... نقتلهم قَسْراً على ضُمَّرِ)
(يدعون بالوَيْل وقد مسَّهم ... منا غداةَ الشِّعب ذي الهَيْشَر)
(ضربٌ يُزيلُ الهامَ ذو مصْدَقٍ ... يَعْلُو على البيضة والمِغْفَر)
الهيشر شجر كثير الشوك تأكله الإبل
نسخت من كتاب لأبي المحلم قال حدثني أضبط بن الملوح قال لي أبي أنشد حبيب بن خالد بن نضلة الفقعسي قول زيد الخيل
(... عَوِّدُوا مُهْرِي الذي عَوَّدْتُه)
فضحك ثم قال قولوا له إن عودناه ما عودته دفعناه إلى أول من يلقانا وهربنا

وفوده على النبي وإسلامه

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي إجازة قال حدثني علي بن حرب قال أنبأني هشام بن الكلبي أبو المنذر قال حدثني عباد بن عبد الله النبهاني عن أبيه عن جده وأضفت إلى ذلك ما رواه أبو عمرو الشيباني قالا
وفد زيد الخيل بن مهلهل على رسول الله ومعه وزر بن سدوس النبهاني وقبيصة بن الأسود بن عامر بن جوين الجرمي ومالك بن جبير المغني وقعين بن خليل الطريفي في عدة من طيىء فأناخوا ركابهم بباب المسجد ودخلوا ورسول الله يخطب الناس فلما رآهم قال إني خير لكم من العزى ومما حازت مناع من كل ضار غير يفاع ومن الجبل الأسود الذي تعبدونه من دون الله عز وجل
قال أبو المنذر يعني بمناع جبل طيىء
فقام زيد وكان من أجمل الرجال وأتمهم وكان يركب الفرس المشرف ورجلاه تخطان الأرض كأنه على حمار فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله قال ومن أنت قال أنا زيد الخيل بن مهلهل فقال رسول الله بل أنت زيد الخير وقال الحمد لله الذي جاء بك من سهلك وجبلك ورقق قلبك على الإسلام يا زيد ما وصف لي رجل قط فرأيته إلا كان دون ما وصف به إلا أنت فإنك فوق ما قيل فيك

مات بالحمى

فلما ولى قال النبي أي رجل إن سلم من آطام المدينة فأخذته الحمى فأنشأ يقول
(أَنَخْتُ بآطام المدينة أَرْبَعاً ... وخمساً يغنّي فوقها الليلَ طائِرُ)
(شددتُ عليها رَحْلَها وشَليلَها ... من الدَّرْس والشَّعْراء والبطْنُ ضامر)
فمكث سبعا ثم اشتدت الحمى به فخرج فقال لأصحابه جنبوني بلاد قيس فقد كانت بيننا حماسات في الجاهلية ولا والله لا أقاتل مسلما حتى ألقى الله فنزل بماء لحي من طيىء يقال له فردة واشتدت به الحمى فأنشأ يقول
(أمُرْتَحِلٌ صَحْبِي المشارقَ غدوةً ... وأتركَ في بَيْتٍ بفَرْدَةَ مُنْجِدِ)
(سقى الله ما بين القَفِيل فطابَةٍ ... فما دونَ أرمامٍ فما فوق مُنْشِد)
((هنالك لو أني مرضتُ لعادني ... عوائدُ من لم يَشْفِ منهنّ يَجْهَدِ
(فليت اللواتي عُدْنَني لم يَعُدْنَني ... وليت اللواتي غِبْنَ عنِّي عُوَّدِي)
قال وكتب معه رسول الله لبني نبهان بفيدك كتابا مفردا وقال له أنت زيد الخير فمكث بالفردة سبعة أيام ثم مات فأقام عليه قبيصة بن الأسود المناحة سبعا ثم بعث راحلته ورحله وفيه كتاب رسول الله فلما نظرت امرأته وكانت على الشرك إلى الراحلة ليس عليها زيد ضربتها بالنار وقالت
(ألاَ إنما زيدٌ لكُلِّ عظيمةٍ ... إذا أقبلتْ أوْبَ الجرادِ رِعالها)
(لقَاهُمْ فما طاشَتْ يدَاه بضربِهم ... ولا طَعْنهم حتى تولّى سِجالها)
قال فبلغني أن رسول الله وآله لما بلغه ضرب امرأة زيد الراحلة بالنار واحتراق الكتاب قال بؤسا لبني نبهان
وقال أبو عمرو الشيباني
لما وفد زيد الخيل على رسول الله فدخل إليه طرح له متكأ فأعظم أن يتكئ بين يدي رسول الله وآله فرد المتكأ فأعاده عليه ثلاثا وعلمه دعوات كان يدعو بها فيعرف الإجابة ويستسقي فيسقى وقال يا رسول الله أعطني ثلاثمائة فارس أغير بهم على قصور الروم فقال له أي
رجل أنت يا زيد ولكن أم الكلبة تقتلك يعني الحمى فلم يلبث زيد بعد انصرافه إلا قليلا حتى حم ومات
قال أبو عمرو وأسلموا جميعا إلا وزر فإنه قال لما رأى النبي وآله إني لأرى رجلا ليملكن رقاب العرب ووالله لا يملك رقبتي أبدا فلحق بالشام فتنصر وحلق رأسه فمات على ذلك
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي قال
أقبل زيد الخيل الطائي حتى أتى النبي وكان زيد رجلا جسيما طويلا جميلا فقال له النبي من أنت قال أنا زيد الخيل قال

بل أنت زيد الخير أما إني لم أخبر عن رجل خبرا إلا وجدته دون ما أخبرت به عنه غيرك إن فيك لخصلتين يحبهما الله عز وجل ورسوله قال وما هما يا رسول الله قال الأناة والحلم فقال زيد الحمد لله الذي جبلني على ما يحب الله ورسوله

عمر يسأله عن ملوك طيئ وأصحاب مرابعها

قال ودخل زيد على رسول الله وعنده عمر رضي الله عنه فقال عمر لزيد أخبرنا يا ابا مكنف عن طيئ وملوكها نجدتها وأصحاب مرابعها فقال زيد في كل يا عمر نجدة وبأس وسيادة ولكل رجل من حيه مرباع أما بنو حية فملوكنا وملوك غيرنا وهم القداميس القادة والحماة الذادة والأنجاد السادة

أعظمنا خميسا وأكرمنا رئيسا وأجملنا مجالس وأنجدنا فوارس

فقال له عمر رضي الله عنه ما تركت لمن بقي من طيىء شيئا فقال بلى والله أما بنو ثعل وبنو نبهان وجرم ففوارس العدوة وطلاعو كل نجوة ولا تحل لهم حبوة ولا تراع لهم ندوة ولا تدرك لهم نبوة عمود البلاد وحية كل واد وأهل الأسل الحداد والخيل الجياد والطارف والتلاد

وأما بنو جديلة فأسهلنا قرارا وأعظمنا أخطارا وأطلبنا للأوتار وأحمانا للذمار وأطعمنا للجار

فقال له عمر سم لنا هؤلاء الملوك قال نعم منهم عفير المجير على الملوك وعمرو المفاخر ويزيد شارب الدماء والغمر ذو الجود ومجير الجراد وسراج كل ظلام ولامة وملحم بن حنظلة هؤلاء كلهم من بني حية

وأما حاتم بن عبد الله الثعلي الجواد فلا يجارى والسمح فلا يبارى والليث الضرغامة قراع كل هامة جوده في الناس علامة لا يقر على ظلامة فاعترض رجل من بني ثعل لما مدح زيد حاتما فقال ومنا زيد بن مهلهل النبهاني رئيس قومه وسيد الشيب والشبان وسم الفرسان وآفة الأقران والمهيب بكل مكان أسرع إلى الإيمان وآمن بالفرقان رئيس قومه في الجاهلية وقائدهم إلى أعدائهم على شحط المزار وطموس الآثار وفي الإسلام رائدنا إلى رسول الله ومجيبه من غير تلعثم ولا تلبث

ومنا زيد بن سدوس النبهاني عصمة الجيران والغيث بكل أوان ومضرم النيران ومطعم الندمان وفخر كل يمان

ومنا الأسد الرهيص سيد بني جديلة ومدوخ كل قبيلة قاتل عنترة فارس بني عبس ومكشف كل لبس

فقال عمر لزيد الخيل لله درك يا أبا مكنف فلو لم يكن لطيىء غيرك وغير عدي بن حاتم لقهرت بكما العرب

أخبرني ابن دريد قال أخبرني عمي عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه قال أخبرني شيخ من بني نبهان قال

أصابت بني شيبان سنة ذهبت بالأموال فخرج رجل منهم بعياله حتى أنزلهم الحيرة فقال لهم كونوا قريبا من الملك يصبكن من خيره حتى أرجع إليكن وآلى ألية لا يرجع حتى يكسبهن خيرا أو يموت فتزود زادا ثم مشى يوما إلى الليل فإذا هو بمهر مقيد يدور حول خباء فقال هذا أول الغنيمة فذهب يحله ويركبه فنودي خل عنه واغنم بنفسك فتركه ومضى سبعة أيام حتى انتهى إلى عطن إبل مع تطفيل الشمس فإذا خباء عظيم وقبة من أدم فقال في نفسه ما لهذا الخباء بد من أهل وما لهذه القبة بد من رب وما لهذا العطن بد من إبل فنظر في الخباء فإذا شيخ كبير قد اختلفت ترقوتاه كأنه نسر قال فجلست خلفه فلما وجبت الشمس إذا فارس قد أقبل لم أر فارسا قط أعظم منه ولا أجسم على فرس مشرف ومعه أسودان يمشيان جنبيه وإذا مائة من الإبل مع فحلها فبرك الفحل وبركت حوله ونزل الفارس فقال لأحد عبديه احلب فلانة ثم اسق الشيخ فحلب في عس حتى ملأه ووضعه بين يدي الشيخ وتنحى فكرع منه الشيخ مرة أو مرتين ثم نزع فثرت إليه فشربته فرجع إليه العبد فقال يا مولاي قد أتى على آخره ففرح بذلك وقال احلب فلانة فحلبها ثم وضع العس بين يدي الشيخ فكرع منه واحدة ثم نزع فثرت إليه فشربت نصفه وكرهت أن آتي على آخره فأتهم فجاء العبد فأخذه وقال لمولاه قد شرب وروي فقال دعه ثم أمر بشاة فذبحت وشوى للشيخ منها ثم أكل هو وعبداه فأمهلت حتى إذا ناموا وسمعت الغطيط ثرت إلى الفحل فحللت عقاله وركبته فاندفع بي وتبعته الإبل فمشيت ليلتي حتى الصباح فلما أصبحت نظرت فلم أر أحدا فشللتها إذا شلا عنيفا حتى تعالى النهار ثم التفت التفاتة فإذا أنا بشيء كأنه طائر فما زال يدنو حتى تبينته فإذا هو فارس على فرس وإذا هو صاحبي بالأمس فعقلت الفحل ونثلت كنانتي ووقفت بينه وبين الإبل فقال احلل عقال الفحل فقلت كلا والله لقد خلفت نسيات بالحيرة وآليت ألية لا أرجع حتى أفيدهن خيرا أو أموت قال فإنك لميت حل عقاله لا أم لك فقلت ما هو إلا ما قلت لك فقال إنك لمغرور انصب لي خطامه واجعل فيه خمس عجر ففعلت فقال أين تريد أن أضع سهمي فقلت في هذا الموضع فكأنما وضعه بيده ثم أقبل يرمي حتى أصاب الخمسة بخمسة أسهم فرددت نبلي وحططت قوسي ووقفت مستسلما فدنا مني وأخذ السيف

والقوس ثم قال ارتدف خلفي وعرف أني الرجل الذي شربت اللبن عنده فقال كيف ظنك بي قلت أسوأ ظن قال وكيف قلت لما قليت من تعب ليلتك وقد أظفرك الله بي فقال أترانا كنا نهيجك وقد بت تنادم مهلهلا قلت أزيد الخيل أنت قال نعم أنا زيد الخيل فقلت كن خير آخذ فقال ليس عليك بأس

فمضى إلى موضعه الذي كان فيه ثم قال أما لو كانت هذه الإبل لي لسلمتها إليك ولكنها ليست مهلهل فأقم علي فإني على شرف غارة

فأقمت أياما ثم أغار على بني نمير بالملح فأصاب مائة بعير فقال هذه أحب إليك أم تلك قلت هذه قال دونكها وبعث معي خفراء من ماء إلى ماء حتى وردوا بي الحيرة فلقيني نبطي فقال لي يا أعرابي أيسرك أن لك بإبلك بستانا من هذه البساتين قلت وكيف ذاك قال هذا قرب مخرج نبي يخرج فيملك هذه الأرض ويحول بين أربابها وبينها حتى إن أحدهم ليبتاع البستان من هذه البساتين بثمن بعير

قال فاحتملت بأهلي حتى انتهيت إلى موضع الشيطين فبينما نحن في الشيطين على ماء لنا وقد كان الحوفزان بن شريك أغار على بني تميم فجاءنا رسول الله فأسلمنا وما مضت الأيام حتى شريت بثمن بعير من إبلي بستانا بالحيرة فقال في يوم الملح زيد الخيل

(ويوم الملحِ ملحِ بني نُمَيْرٍ ... أصابتكم بأظفارٍ ونابِ)

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني عمي عن ابن الكلبي عن أبيه والشرقي

أن زيد الخيل قال للنبي إن في الحي رجلين لهما كلاب مضريات تصيد الوحش أفنأكل مما أمسكته ولم تدرك ذكاته فقال (إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله عليه وكل مما أمسك) أو كما قال عليه السلام

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه إسحاق عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية عن ابن أبي ليلى قال

أنشدتني ليلى بنت عروة بن زيد الخيل الطائي شعر أبيها في يوم محجر
(بني عامرٍ هل تعرفون إذا غدَا ... أبو مُكْنِفٍ قد شدَّ عَقْدَ الدوابرِ)
(بجيشٍ تضلُّ البُلْقُ في حَجَراتِه ... ترى الأُكْمَ فيه سُجَّداً للحوافِرِ)
(وجمعٍ كمثل الليل مرتجزِ الوَغَى ... كثيرٍ حواشيه سريع البوادر)
قالت ليلى فقلت لأبي يا أبه أشهدت ذلك اليوم مع أبيك قال إي والله يا بنية لقد شهدته قلت كم كانت خيل أبيك هذه التي وصفت قال ثلاثة أفراس
زيد الخيل يغزو بني عامر
نسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني بخطه عن أبيه
أن زيد الخيل بن مهلهل جمع طيئا وأخلاطا لهم وجموعا من شذاذ العرب فغزا بهم بني عامر ومن جاورهم من قبائل العرب من قيس وسار إليهم فصبحهم من طلوع الشمس فنذروا به وفزعوا به إلى الخيل وركبوها وكان أول من نذر بهم فلقي جمعهم غني بن أعصر وإخوتهم الحارث وهو الطفاوة واسمه مالك بن سعد بن قيس بن عيلان فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزمت بنو عامر فاستحر القتل بغني وفيهم يومئذ فرسان وشعراء فملأت طيىء أيديهم من غنائمهم وأسر زيد الخيل يومئذ الحطيئة الشاعر فجز ناصيته وأطلقه
ثم إن غنيا تجمعت بعد ذلك مع لف من بني عامر فغزوا طيئا في أرضهم فغنموا وقتلوا وأدركوا ثأرهم منهم
وقد كان زيد الخيل قال في وقعته لبني عامر قصيدته التي يقول فيها
(وخيبة من يخيب على غنيٍّ ... وباهلةَ بْنِ أعْصَرَ والكلابِ)
فلما أدركوا ثارهم أجابه طفيل الغنوي فقال
(سَمَوْنا بالجيادِ إلى أعادٍ ... مُغاوِرةً بِجِدٍّ واعتصابِ)
(نؤمّهم على وعْثٍ وشحطٍ ... بقُودٍ يطّلعن من النِّقاب)
وهي طويلة يقول فيها
(أخذنا بالمخطَّم مَنْ أتاهم ... من السُّودِ المزَنَّمةِ الرِّغابِ)
(وقَتَّلْنا سَراتَهم جِهاراً ... وجئنا بالسَّبايا والنِّهابِ)
(سبايا طَيِّىءٍ أبرزن قَسْراً ... وأُبدلن القصورَ من الشِّعابِ)
(سبايا طَيِّىءٍ من كلّ حَيٍّ ... نما في الفرع منها والنِّصابِ)
(وما كانت بناتُهم سبيّاً ... ولا رغباً يعدُّ من الرِّغابِ)
(ولا كانت دماؤهم وفاءً ... لنا فيما يُعدّ من العِقاب)
أخبرني الحسن بن يحيى قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال كان لزيد الخيل ابن يقال له عروة وكان فارسا شاعرا فشهد القادسية فحسن فيها بلاؤه وقال في ذلك يذكر حسن بلائه
(برزتُ لأهْلِ القادسيّة مُعْلِما ... وما كلّ مَنْ يَغْشَى الكريهةَ يُعلِمُ)
(ويوم بأكناف النُّخَيْلة قَبْلَها ... شهدتُ فلم أبْرَحْ أُدمِّي وأُكْلَمُ)
(وأقعصتُ منهم فارساً بَعْدَ فارسٍ ... وما كلّ مَنْ يلقى الفَوارِسَ يَسْلَمُ)
(ونجَّانَي اللهُ الأجَلَّ وجِيرتي ... وسيفٌ لأطراف المرازب مِخْذَمُ)
(وأيقنتُ يوم الدَّيْلَميّين أنني ... متى ينصرف وجْهي عن القوم يُهْزَمُوا)
(فما رُمْتُ حتى مزَّقوا برماحهم ... ثيابي وجتى بلّ أخْمصي الدمُ)
(محافظةً إني امرء ذو حفيظة ... إذا لمْ أجِدْ مستأخراً أتقدَّمُ)
قال وشهد مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه صفين وعاش إلى إمارة معاوية فأراده على البراءة من علي عليه السلام فامتنع عليه وقال
(يحاولُني معاويةُ بن حربٍ ... وليس إلى الذي يَهوى سبيلُ)
(على جَحْدي أبا حسنٍ عليّاً ... وحظّي من أبي حسنٍ جليلُ)
قال وله أشعار كثيرة
قال أبو عمرو كان لتغلب رئيس يقال له الجرار وأدرك النبي وأبى الإسلام وامتنع منه فيقال إن رسول الله بعث إليه زيد الخيل وأمره بقتاله فمضى زيد فقاتله فقتله لما أبى الإسلام وقال في ذلك
(صبّحتُ حَيّ بني الجرّار داهيةً ... ما إن لتغلبَ بعد اليوم جَرّارُ)
(نحوى النِّهابَ ونَحْوِي كلَّ جاريةٍ ... كأن نُقبتها في الخدّ دِينارُ)
قال مؤرج خرج رجل من طيىء يقال له ذؤاب بن عبد الله إلى صهر له من هوازن فأصيب الرجل - وكان شريفا ذا رياسة في حيه - فبلغ ذلك زيدا فركب في نبهان ومن تبعه من ولد الغوث وأغار على بني عامر وجعل كلما أخذ أسيرا قال له ألك علم بالطائي المقتول فإن قال نعم قتله وإن قال لا خلى سبيله ومن عليه وأصاب رجالا من بني الوحيد والضباب وبني نفيل ثم رجع زيد إلى قومه فقالوا ما صنعت فقال ما أصبت بثأر ذؤاب ولا يبوء به إلا عامر ابن مالك ملاعب الأسنة فأما ابن الطفيل فلا يبوء به وأنشأ زيد يقول
(لا أرَى أن بالقَتِيل قَتِيلاً ... عامريّاً يَفِي بقَتْل ذُؤاب)
(ليس مَنْ لاعَب الأسنة في النقع ... وسُمِّي ملاعباً بأرابِ)
(عامرُ ليس عامرَ بنَ طُفيل ... لكن العَمْرُ رأسُ حيّ كِلاب)
(ذاكَ إن ألْقَه أنالُ به الوتْر ... وقَرَّتْ به عيونُ الصِّحابِ)
(أو يَفُتْني فقد سُقِتْ بوترٍ ... مَذْحِجيٍّ وجَدُّ قومِي كابي)
(قد تقنَّصتُ للضِّبابِ رجالاً ... وتكرمتُ عن دماءِ الضِّبابِ)
(وأصبنا مِن الوَحيد رجالاً ... ونُفيلٍ فما أساغُوا شَرَابِي)
فبلغ عامر بن الطفيل قول زيد الخيل وشعره فأغضبه وقال مجيبا له
(قل لزيدٍ قد كنتَ تؤثِرَ بالحلم ... إذا سُفِّهَتْ حلومُ الرِّجال)
(ليس هذا القتيلُ مِنْ سَلَفِ الحي ... كَلاَعٍ ويَحْصُبٍ وكُلاَلِ)

(أو بني آكلِ المُرار ولا صِيد ... بني جَفْنَة الملوك الطِّوالِ)
(وابن ماءِ السماء قد علم النّاسُ ... ولا خَيْرَ في مقالةِ غالِي)
(إنّ في قَتْل عامِرِ بْنِ طُفيلٍ ... لَبَواءً لطيِّيء الأجبالِ)
(إنني والذي يحجُّ له النّاس ... قليلٌ في عامرِ الأمثالِ)
(يوم لا مال للمحاربِ في الحرْب ... سِوَى نَصْل أسمرٍ عَسّالِ)
(ولجامٍ في رَأْسِ أجْرَد كالجِذْعِ ... طُوَالٍ وأبيضٍ قَصّالِ)
((ودِلاَصٍ كالنِّهْي ذاتِ فضولٍ... ذاكَ في حَلْبَةِ الحوادث مالي
(ولِعمِّي فضل الرياسةِ والسنّ ... وَجدٌ على هوازنَ عالِي)
(غيرَ أني أوليِ هوازنَ في الحرب ... بضَرْبِ المتوِّجِ المختالِ)
(وبطَعْنِ الكَمِيّ في حَمَسِ النَّقْعِ ... على مَتْنِ هَيْكَلٍ جَوَّالِ)

زيد الخيل يغير على بني مرة وبني فزارة

قال أبو عمرو الشيباني
لما بلغ زيد الخيل ما كان من الحارث بن ظالم وعمرو بن الإطنابة الخزرجي وهجائه إياه غضب زيد لذلك فأغار على بني مرة بن غطفان فأسر الحارث بن ظالم وامرأته في غارته ثم من عليهما وقال يذكر ذلك
(ألاَ هل أتى غَوْثاً ورُومانَ أننا ... صبحنا بني ذُبْيانَ إحدى العظائمِ)
(وسُقْنا نساءَ الحي مُرَّةَ بالقَنا ... وبالخيلِ تَرْدِي قد حوينا ابن ظالم)
(جَنِيباً لأعضاد النواجي يَقُدْنَه ... على تَعَبٍ بين النَّواجِي الرواسم)
((يقول اقبلُوا مِنّي الفداءَ وأنعِمُوا ... عليّ وجزُّوني مكانَ القَوادِمِ
(وقد مسّ حدُّ الرمح قَوّارَةَ استِه ... فصارت كشِدْقِ الأعْلَمِ المتضاجِمِ)
(وسائِلْ بنا جارَ ابْنِ عَوف فقد رأى ... حليلتَه جالَتْ عليها مقاسمي)
(تُلاعِبُ وِحْدَان العَضاريط بَعْدَمَا ... جَلاَها بسهميه لقيطُ بن حازم)
(أغرّكَ أنْ قيل ابنُ عوف ولا أرى ... عَزِيمكَ إلاَّ وَاهِياً في العزائم)
(غداة سَبَيْنَا مِنْ خَفاجةَ سَبْيَها ... ومرَّتْ لهم مِنّا نحوسُ الأشائم)
(فمن مُبلِغٌ عني الخزارجَ غارةً ... على حيِّ عوفٍ موجفاً غيرَ نائم)
وقال أبو عمرو أغار زيد على بني فزارة وبني عبد الله بن غطفان ورئيسهم يومئذ أبو ضب ومع زيد الخيل من بني نبهان بطنان يقال لهما بنو نصر وبنو مالك فأصاب وغنم وساقوا الغنيمة وانتهى إلى العلم فاقتسموا النهاب فقال لهم زيد أعطوني حق الرياسة فأعطاه بنو نصر وأبى بنو مالك فغضب زيد وانحدر إلى بني نصر فبينما بنو مالك يقتسمون إذ غشيتهم فزارة وغطفان وهم حلفاء فاستنقذوا ما بأيديهم فلما رأى زيد ذلك شد على القوم فقتل رئيسهم أبا ضب وأخذ ما في أيديهم فدفعه إلى بني مالك وكانوا نادوه يومئذ يا زيداه أغثنا فكر على القوم حتى استنقذ ما في أيديهم ورده وقال يذكر ذلك
(كررْتُ على أبطالِ سعْدٍ ومالكٍ ... ومَنْ يَدْعُ الدَّاعِي إذا هو ندّدا)
(فلأياً كررتُ الوَرْدَ حتى رَأيتُهم ... يُكَبّون في الصحراء مَثْنَى ومَوْحَدا)
(وحتى نبذتُم بالصَّعِيد رِماحَكم ... وقد ظهرت دَعوى زُنَيْمٍ وأسْعَدا)
(فما زلتُ أرميهم بغُرَّةِ وَجْهِه ... وبالسيف حتى كلَّ تَحْتي وبَلّدا)
(إذا شكَّ أطرافُ العَوالي لَبانَهَ ... أُقدِّمه حتى يرى المَوتَ أسودا)
((عُلالِتها بالأمسِ ما قد علمتمُ ... وعَلُّ الجواري بيننا أن تُسهَّدا
(لقد عِلمَتْ نَبْهَانُ أنّي حميتُها ... وأني منعتُ السَّبْيَ أنْ يتبدَّدَا)
(عشيَّةَ غادرتُ ابْنَ ضبّ كأنما ... هوى عن عُقابٍ من شماريخ صَنْددا)
(بِذي شُطَبٍ أُغشي الكتيبة سَلْهباً ... أقبّ كسِرْحان الظلام مُعَوَّدا)

زيد الخيل وعامر بن الطفيل

قال أبو عمرو وخرج زيد الخيل يطلب نعما له من بني بدر وأغار عامر بن الطفيل على بني فزارة فأخذ امرأة يقال لها هند واستاق نعما لهم فقالت بنو بدر لزيد ما كنا قط إلى نعمك أحوج منا اليوم فتبعه زيد الخيل وقد مضى وعامر يقول يا هند ما ظنك بالقوم فقالت ظني بهم أنهم سيطلبونك وليسوا نياما عنك
قال فحطأ عجزها ثم قال لا تقول استها شيئا فذهبت مثلا
فأدركه زيد الخيل فنظر إلى عامر فأنكره لعظمه وجماله وغشيه زيد فبرز له عامر فقال يا عامر خل سبيل الظعينة والنعم فقال عامر من أنت قال
فزاري أنا قال عامر والله ما أنت من القلح أفواها فقال زيد خل عنها قال لا أوتخبرني من أنت قال أسدي قال لا والله ما أنت من المتكورين على ظهور الخيل قال خل سبيلها قال لا والله أوتخبرني فأصدقني قال أنا زيد الخيل قال صدقت فما تريد من قتالي فوالله لئن قتلتني لتطلبنك بنو عامر ولتذهبن فزارة بالذكر فقال له زيد خل عنها قال تخلى عني وأدعك والظعينة والنعم قال فاستأسر قال أفعل فجز ناصيته وأخذ رمحه وأخذ هندا والنعم فردها إلى بني بدر وقال في ذلك
(إنا لَنُكْثِرُ في قَيْسٍ وقائعَنا ... وفي تميمٍ وهذا الحيِّ من أسدِ)
(وعامر بن طفيل قد نحوتُ له ... صدْرَ القناة بماضي الحدّ مطّرد)
(لما أحسّ بأنّ الوَرْدَ مُدْركه ... وصارماً ورَبيطَ الجَأْشِ ذا لُبدِ)
(نادَى إليّ بسلْمٍ بعدما أخذَتْ ... منه المنيةُ بالحَيْزومِ واللُّغُدِ)
(ولو تصبَّر لي حتى أُخالِطَه ... أسعْرته طعنةً تكْثار بالزَّبدِ)

زيد الخيل يأسر الحطيئة وكعب بن زهير

قال فانطلق عامر إلى قومه مجزوزا وأخبرهم الخبر فغضبوا لذلك وقالوا لا ترأسنا أبدا وتجهزوا ليغيروا على طيىء ورأسوا عليهم علقمة بن علاثة فخرجوا ومعهم الحطيئة وكعب بن زهير
فبعث عامر إلى زيد الخيل دسيسا ينذره فجمع زيد قومه فلقيهم بالمضيق فقاتلهم فأسر الحطيئة وكعب بن زهير قوما

منهم فحبسهم فلما طال عليهم الأسر قالوا يا زيد فادنا قال الأمر إلى عامر بن الطفيل فأبوا ذلك عليه فوهبهم لعامر إلا الحطيئة وكعبا فأعطاه كعب فرسه الكميت وشكا الحطيئة الحاجة فمن عليه فقال زيد

(أقول لعبدَيْ جَرْوَل إذ أسَرتُهُ ... أثِبْنِي ولا يَغْرُرك أنك شاعِرُ)
(أنا الفارسُ الحامِي الحقيقةُ والذي ... له المَكْرُمات واللُّهى والمآثِرُ)
(وقومي رؤوسُ الناسِ والرأسُ قائد ... إذا الحربُ شبَّتْها الأكُفُّ المساعِرُ)
(فلستُ إذا ما الموتُ حُوذِر وِردُهُ ... وأتْرِع حَوْضاهُ وحمَّجَ ناظِرُ)
(بوَقَّافةٍ يخشى الحُتُوف تَهَيُّباً ... يُباعِدُني عنها من القُبِّ ضامِرُ)
(ولكنني أغْشى الحُتوفَ بصَعْدتي ... مجاهرةً إنّ الكريمَ يُجاهِرُ)
(وأرْوِي سِناني من دِماءٍ عزيزة ... على أهلها إذ لا ترجَّى الأياصِرُ)

فقال الحطيئة لزيد

(إن لم يكن مالِي بآتٍ فإنّني ... سَيأتي ثنائي زيداً بن مُهَلْهِل)
(فأعطيتَ منا الوُدَّ يوم لقيتنا ... ومن آل بَدْرٍ شدَّةً لم تُهَلَّل)
(فما نلتَنا غَدْراً ولكن صبَحْتَنا ... غداةَ التقينا في المضيق بأخْيَل)
((تَفَادَى حماةُ القومِ من وقع رمحه ... تَفَادِي ضعافِ الطَّير مِن وقْع أجدل

وقال فيه الحطيئة أيضا

(وقعْتَ بعَبْس ثم أنعمت فيهم ... ومن آل بدر قد أصبت الأخايرا)
(فإنْ يشكروا فالشكرُ أدنى إلى التُّقى ... وإن يكفروا لا ألْف يا زيدُ كافرا)
(تركتَ المِياهَ من تميمٍ بَلاقِعاً ... بما قد ترى منهم حُلُولاً كراكرا)
(وحيَّ سُلَيْمٍ قد أثَرْتَ شَريدَهم ... وبالأمس ما قتَّلتَ يا زيد عامرا)

فرضي عنه زيد ومن عليه لما قال هذا فيه وعد ذلك ثوابا من الحطيئة وقبله

الحطيئة يمتنع عن هجاء زيد الخيل

فلما رجع الحطيئة إلى قومه قام فيهم حامدا لزيد شاكرا لنعمته حتى أسرت طيىء بني بدر فطلبت فزارة وأفناء قيس إلى شعراء العرب أن يهجوا بني لأم وزيدا فتحامتهم شعراء العرب وامتنعت عن هجائهم فصاروا إلى الحطيئة فأبى عليهم وقال اطلبوا غيري فقد حقن دمي وأطلقني بغير فداء فلست بكافر نعمته أبدا قالوا فإنا نعطيك مائة ناقة قال والله لو جعلتموها ألفا ما فعلت ذلك وقال الحطيئة

(كيف الهِجاءُ وما تنفكُّ صالحةٌ ... من آل لأمٍ بظَهْر الغَيْب تأتِينا)
(المنعمين أقام العِزُّ وسطَهُمُ ... بيضُ الوجوه وفي الهيجَا مَطَاعِينا)

وقد أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال

خرج بجير بن زهير والحطيئة ورجل من فزارة يتقنصون الوحش فلقيهم زيد الخيل فافتدى بجير نفسه بفرس كان لكعب أخيه وكعب يومئذ مجاور في بني ملقط من وطيىء وشكا إليه الحطيئة الفاقة فأطلقه

وقال أبو عمرو غزت بنو نبهان فزارة وهم متساندون ومعهم زيد الخيل فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزمت فزارة وساقت بنو نبهان الغنائم من النساء والصبيان ثم إن فزارة حشدت واستعانت بأحياء من قيس وفيهم رجل من سليم شديد البأس سيد يقال له عباس بن أنس الرعلي كانت بنو سليم قد أرادوا عقد التاج على رأسه في الجاهلية فحسده ابن عم له فلطم عينه فخرج عباس من أعمال بني سليم في عدة من أهل بيته وقومه فنزل في بني فزارة وكان معهم يومئذ ولم يكن لزيد المرباع حينئذ وأدركت فزارة بني نبهان فاقتتلوا قتالا شديدا فلما رأى زيد ما لقيت بنو نبهان نادى يا بني نبهان أأحمل ولي المرباع قالوا نعم فشد على بني سليم فهزمهم وأخذ أم الأسود امرأة عباس بن أنس ثم شد على فزارة والأخلاط فهزمهم وقال في ذلك

(ألاَ ودَّعَتْ جيرانَها أمُّ أسْوَدَا ... وضنَّت على ذي حاجَةٍ أن يُزوّدا)
(وأبغضُ أخلاقِ النساء أشَدُّه ... إليّ فلا تُولنَّ أهلي تشددا)
(وسائلْ بني نَبْهان عنّا وعندهم ... بلاءٌ كحدِّ السيف إذْ قَطَع اليدا)
(دَعَوْا مالكاً ثم اتَّصلنا بمالكٍ ... فكلٌّ ذكا مصباحُهُ فتوقّدا)
(وبشرَ بن عمرو قد تركنا مُجَدَّلاً ... ينوء بخطَّار هناك ومَعْبدا)
(تمطّتْ به قَوْدَاءُ ذاتُ عُلاَلة ... إذا الصَّلْدِم الخِنْذيذ أعْيَا وبَلَّدا)
(لقيناهُمُ نستنقذُ الخيلَ كالقنا ... ويستسلبون السَّمْهَرِيَّ المُقَصَّدا)
(فيا رُبَّ قِدْرٍ قد كفَأنا وجَفْنَةٍ ... بذي الرَّمْثِ إذ يدعون مَثْنَى ومَوْحَدا)
((على أنني أثوي سناني وصَعْدَتي ... - يساقين - زيداً أن يبوء ومعبدا

زيد الخيل وقيس بن عاصم

قال أبو عمرو وقعت حرب بين أخلاط طيىء فنهاهم زيد عن ذلك وكرهه فلم ينتهوا فاعتزل وجاور بني تميم ونزل على قيس بن عاصم فغزت بنو تميم بكر بن وائل وعليهم قيس وزيد معه فاقتتلوا قتالا شديدا وزيد كاف فلما رأى ما لقيت تميم ركب فرسه وحمل على القوم وجعل يدعو يا لتميم ويتكنى بكنية قيس إذا قتل رجلا أو أذراه عن فرسه أو هزم ناحية حتى هزمت بكر وظفرت تميم فصارت فخرا لهم في العرب وافتخر بها قيس

فلما قدموا قال له زيد أقسم لي يا قيس نصيبي فقال وأي نصيب فوالله ما ولي القتال غيري وغير أصحابي فقال زيد

(ألا هل أتاها والأحاديثُ جَمَّةٌ ... مُغلغَلةٌ أنباءُ جَيْشِ اللَّهازمِ)
(فلستُ بوقّافٍ إذا الخيل أحجمت ... ولست بكذّابٍ كقيس بن عاصمِ)
(تُخبِّر مَنْ لاقيتَ أن قد هزمتهم ... ولم تَدرِ ما سيماهُمُ والعمائم)
(بل الفارسُ الطائيُّ فَضَّ جموعَهم ... ومكَّةَ والبيتِ الذي عند هاشم)
(إذا ما دَعَوْا عِجْلاً عَجِلنا عليهمُ ... بمأثورةٍ تَشْفي صُداعَ الجماجمِ)

فبلغ المكشر بن حنظلة العجلي أحد بني سنان قول زيد فخرج في ناس من عجل حتى أغار على بني نبهان فأخذ من نعمهم ما شاء وبلغ ذلك زيد الخيل فخرج على فرسه في فوارس من نبهان حتى اعترض القوم فقال ما لي ولك يا مكشر

فقال قولك
(... إذا ما دعوا عجلاً عجلْنا عليهم)
فقاتلهم زيد حتى استنقذ بعض ما كان في أيديهم ورجع المكشر ببقية ما أصاب فأغار زيد على بني تيم الله بن ثعلبة فغنم وسبى وقال في ذلك
(إذا عركت عِجْلٌ بنا ذَنْبَ غيْرنا ... عَرَكنا بتَيْم اللاتِ ذنْب بني عجل)
وقال أبو عمرو كان حريث بن زيد الخيل شاعرا فبعث عمر بن الخطاب رجلا من قريش يقال له أبو سفيان يستقرىء أهل البادية فمن لم يقرأ شيئا من القرآن عاقبه فأقبل حتى نزل بمحلة بني نبهان فاستقرأ ابن عم لزيد الخيل يقال له أوس بن خالد بن زيد بن منهب فلم يقرأ شيئا فضربه فمات
فأقامت بنته أم أوس تندبه وأقبل حريث بن زيد الخيل فأخبرته فأخذ الرمح فشد على أبي سفيان فطعنه فقتله وقتل ناسا من أصحابه ثم هرب إلى الشام وقال في ذلك
(ألاَ بكَّر الناعِي بأوْسِ بن خالد ... أخي الشَّتْوَة الغَبْراءَ والزَّمَن المَحْلِ)
(فلا تَجْزَعِي يا أمَّ أوسٍ فإنّه ... يلاقي المنايا كلُّ حافٍ وذي نَعْلِ)
(فإنْ يقتلوا أوساً عزيزاً فإنني ... تركتُ أبا سُفْيان ملتزمَ الرَّحْلِ)
((ولولا الأسَى ما عشْتُ في الناس بعده ... ولكنْ إذا ما شئت جاوبني مِثْلي
(أصبْنَا به من خِيرة القوم سَبْعةً ... كِراماً ولم نأكُلْ به حَشَفَ النَّخْلِ)

صوت

(بَشَّرَ الظبْيُ والغرابُ بسُعْدَى ... مَرْحباً بالذي يقول الغرابُ)
(اذْهبي فاقرئي السلام عليهم ... ثم رُدِّي جوابَنا يا رَبابُ)
عروضه من الخفيف الشعر لعبيد الله بن قيس الرقيات والغناء لفند المخنث - مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص - خفيف رمل بالبنصر وذكر حبش أن هذا اللحن ليحيى المكي وليس ممن يحصل قوله

خبر لابن قيس الرقيات

أخبرني بالسبب الذي قال فيه ابن قيس هذا الشعر الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي الحارث الكاتب مولى بني عامر بن لؤي وأبو الحارث هذا هو الذي يقول فيه عمر بن أبي ربيعة
(يا أبا الحارثِ قلبي طائرٌ ... فائتمر أمْرَ رشيد مُؤتمنْ)
قال حدثني عمرو بن عبد الرحمن بن عمرو بن سهل قال حدثني سليمان بن نوفل بن مساحق عن أبيه عن جده قال

عبد العزيز بن مروان وابن قيس الرقيات

أراد عبد الملك بن مروان البيعة لابنه الوليد بعد عبد العزيز بن مروان
وكتب إلى عبد العزيز يسأله ذلك فامتنع عليه وكتب إليه يقول له لي ابن ليس ابنك أحب إلي منه فإن استطعت ألا يفرق بيننا الموت وأنت لي قاطع فافعل فرق له عبد الملك وكف عن ذلك فقال عبيد الله بن قيس في ذلك - وكان عند عبد العزيز -
(يَخلُفكَ البيضُ منْ بنيكَ كما ... يُخْلَفُ عُودُ النُّضارِ في شُعَبِهْ)
(ليسوا مِنَ الخِرْوع الضِّعاف ولا ... أشباهِ عِيدانه ولا غَرَبِهْ)
(نحن على بيعةِ الرسول التي ... أُعطيتْ في عُجمه وفي عَرَبِه)
(نأتي إذا ما دعوتَ في الزَّغَفِ المسْرُودِ ... أبدانُه وفي جُنَنِه)
(نُهدِي رَعِيلاً أمام أرْعَنَ لا ... يعرفُ وجْهُ البلقاء في لَجَبِه)
فقال عبد الملك لقد دخل ابن قيس الرقيات مدخلا ضيقا وتهدده وشتمه وقال أليس هو القائل
(كَيْفَ نومي على الفراش ولما ... تَشْمَلِ الشامَ غارةٌ شعواءُ)
(تُذْهِلُ الشيخَ عن بنيه وتبدي ... عن خِدامِ العقيلةُ العَذْراءُ)
وهو القائل أيضا
(على بَيْعَةِ الإسلام بايَعْنَ مُصْعَبا ... كراديسَ مِنْ خيل وجمعاً مُباركا)
(تدارَكَ أخرانا ويَمْضِي أمامنا ... ويتبع ميمونَ النقيبة ناسكا)
((إذا فرغَتْ أظفارُه مِنْ كتيبةٍ ... أمال على أخرى السيوفَ البواتكا)
قال فلما بلغ عبيد الله قول عبد الملك وشتمه إياه قال
(بَشَّرَ الظَّبْيُ والغُرابُ بسُعْدَى ... مَرْحباً بالذي يقول الغرابُ)
(قال لي إنّ خيرَ سعدى قريب ... قد أنَى أنْ يكون عنه اقتراب)
(قلت أنّي تكون سُعْدَى قريباً ... وعليها الحصونُ والأبواب)
(حبذا الرِّيمُ ذو الوشاحين والخَصْر ... الذي لا ينالُه الأثواب)
(إنَّ في القصرِ لو دخلتَ غزالاً ... مُصْفَقاً موصَداً عليه الحِجابُ)
(أرسلَتْ أن فَدتْكَ نفسي فاحذرْ ... هاهُنا شُرْطةٌ عليك غضاب)
(أقسموا إنْ رأوك لا تَطْعَمِ الماء ... وهمِ حين يقدِرُون ذِئابُ)
(قلت قد يَغْفلِ الرَّقيبُ ويُغْفِي ... شُرْطةٌ أو يحينُ منه انقلاب)
(أو عسى أنْ يُورِّ اللهُ أمرا ... ليس في غَيْبِهِ علينا ارتقابُ)
(اذهبي فاقرئي السلامَ عليها ... ثم رُدِّي يورى جوابَنا يا رَبابُ)
(حدِّثيها ما قد لقيتُ وقُولي ... حَقَّ للعاشق الكريم ثوابُ)
(رجلٌ أنتِ همُّه حين يُمْسِي ... خامَرَتْه مِنْ أجلكِ الأوصابُ)
(لا أشمُّ الريحانَ إلاَّ بعَيْنيّ ... كَرماً إنما يشمُّ الكلابُ)
(رُبَّ زارٍ عليَّ لم يرَ منّي ... عثرةً وهو مُومِسٌ كذّابُ)
(خادَعَ اللّهَ حين حلَّله الشيبُ ... فأضحى قد بان منه الشَّبابُ)
(يأمُرُ الناس أن يبرّوا ويُمْسِي ... وعليهِ من عَيبه جِلْبابُ)

(لا تَعِبْني فليس عندك علم ... لا تنامَنَّ أيُّها المغتابُ)
(تختِلُ الناسَ بالكتاب فهلاّ ... حين تغتابني نهاكَ الكتابُ)
(لَسْتَ بالمُخْبِتِ التقيِّ ولا المُحْضِيه ... ج من مقالتي الاحتساب)
(إنني والتي رمَتْ بك كرهاً ... ساقطاً مُلصَقاً عليك التراب)
(لتذوقَنَّ غِبَّ رأيك فينا ... حين تبْدُو بعرضِكِ الأنداب)
قال الزبير معنى قوله
(لا أشمُّ الريحانَ إلاَّ بعينيّ ... كرَماً إنّما يشمُّ الكلاب)
يعرض بعبد الملك لأنه كان متغير الفم يؤذيه رائحته فكان في يده أبدا ريحان أو تفاحة أو طيب يشمه
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن عمه
أن ابن قيس قال في عبد العزيز بن مروان
(يلتفتُ الناسُ عند مِنْبره ... إذا عمودُ البريّةِ انهدما)
يعني إذا مات عبد الملك لأن العهد كان إليه بعده
قال الزبير فأخبرني مصعب بن عثمان قال
لما بلغ عبد الملك هذا البيت أحفظه وقال بفيه الحجر وحينئذ قال لقد دخل ابن قيس مدخلا ضيقا
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني كثير بن جعفر عن أبيه قال
قال الحجاج يوما لأهل ثقته من جلسائه ما من أحد من بني أمية أشد نصبا لي من عبد العزيز بن مروان وليس يوم من الأيام إلا وأنا أتخوف أن تأتيني منه قارعة فهل من رجل تدلوني عليه له لسان وشعر وجلد قالوا نعم عمران بن عصام العنزي فدعاه فأخلاه ثم قال اخرج بكتابي هذا إلى أمير المؤمنين فاقدح في قلبه من ابنه شيئا من الولاية فقال له عمران دس أيها الأمير إلي دسا فقال له الحجاج إن العوان لا تعلم الخمرة فخرج بكتاب الحجاج فلما دخل على عبد الملك دفع إليه الكتاب وسأله عن الحجاج وأمر العراق فاندفع يقول
(أميرَ المؤمنين إليك أُهدِي ... على الشَّحْط التحيّةَ والسلاما)
(أميرُ من بَنِيك يكن جوابي ... لهم أُكرومةً ولنا نظاما)
(فلو أن الوليدَ أطاعَ فيه ... جعلتَ له الإمامةَ والذِماما)
فكتب عبد الملك إلى عبد العزيز في ذلك ثم ذكر من خبرهما في المكاتبة مثل الخبر الذي قبله وقال فيه فرق عبد الملك رقة شديدة وقال لا يكون إلى الصلة أسرع مني فكف عن ذلك وما لبث عبد العزيز إلا ستة أشهر حتى مات فلما كان زمان ابن الأشعث خرج عمران بن عصام معه على الحجاج فأتي به
حين قتل ابن الأشعث فقتله فبلغ ذلك عبد الملك فقال قطع الله يدي الحجاج أقتله وهو الذي يقول
(وبعثت من ولد الأغرِّ مُعَتّبٍ ... صَقْراً يلوذُ حمَامُه بالعَوْسَجِ)
(وإذا طبختَ بناره أنضجتَها ... وإذا طبخت بغيرها لم تُنْضِجِ)

ذكر فند وأخباره

هو فند أبو زيد مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص ومنشؤه المدينة وكان خليعا متهتكا يجمع بين الرجال والنساء في منزله ولذلك يقول فيه ابن قيس الرقيات

صوت

(قل لِفندٍ يُشَيِّعُ الأظْعانا ... طالما سرَّ عيشَنا وكفَانا)
(صادراتٍ عشيةً منْ قُدَيد ... وارداتٍ مع الضحي عُسفانا)
(زوَّدَتْنا رُقَيَّةُ الأحزانا ... يوم جازت حُمولُها السَّكْرانا)
عروضه من الخفيف غناه مالك بن أبي السمح من روايتي إسحاق وعمرو بن بانة ولحنه من خفيف الثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى
وقد اختلف في اسمه فقيل قند بالقاف وفند بالفاء أصح وبه ضرب المثل في الإبطاء فيقال تعست العجلة

عائشة طلبت نارا فجاءها بها بعد سنة

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال
كانت عائشة بنت سعد أرسلته ليجيئها بنار فخرج لذلك فلقي عيرا خارجا إلى مصر فخرج معهم فلما كان بعد سنة رجع فأخذ نارا ودخل على عائشة وهو يعدو فسقط وقد قرب منها فقال تعست العجلة فقال بعض الشعراء في رجل ذكر بمثل هذه الحال
(ما رأينا لعُبَيْدٍ مثَلاً ... إذْ بعَثْنَاهُ يَجِي بالمَسلَهْ)
(غير فِنْد بعثْوه قابساً ... فثوَى حَوْلاً وسبَّ العَجَلَهْ)
أخبرني الحسين قال قال حماد قرأت على أبي الهيثم بن عدي قال
كان فند أبو زيد مولى لسعد بن أبي وقاص فضربه سعد بن إبراهيم ضربا مبرحا فحلفت عائشة بنت سعد أنها لا تكلمه أبدا أو يرضى عنه - وكانت خالته - فصار إليه سعد طاعة لخالته فوجده وجعا من ضربه فسلم عليه فحول وجهه عنه إلى الحائط ولم يكلمه فقال له أبا زيد إن خالتي حلفت ألا تكلمني حتى ترضى ولست ببارح حتى ترضى عني فقال أما أنا فأشهد أنك مقيت سمج مبغض وقد رضيت عنك على هذه الحال لتقوم عني وتريحني من وجهك ومن النظر إليك
فقام من عنده فدخل على عائشة وأخبرها بما قال له فند فقالت قد صدق وأنت كذلك ورضيت عنه
قال وكان سعد مضطر الخلق سمجا

مروان بن الحكم يتهدده

أخبرني الحسين قال قال حماد قرأت على أبي بكر
وذكر عوانة أن معاوية كان يستعمل مروان بن الحكم على المدينة سنة ويستعمل سعيد بن العاص سنة فكانت ولاية مروان شديدة يهرب فيها أهل الدعارة والفسوق وولاية سعيد لينة يرجعون إليها فبينا مروان يأتي المسجد وفي يده عكازة له وهو يومئذ معزول إذا هو بفند يمسي بين يديه فوكزه بالعكازة وقال له ويلك هيه

(... قل لِفنْد يُشيِّع الأظْعانَا)
أتشيع الأظعان للفساد - لا أم لك - إلى أهل الريبة ستعلم ما يحل بك مني فالتفت إليه فند وقال أنا ذلك وسبحان الله ما أسمجك واليا ومعزولا فضحك مروان وقال له تمتع إنما هي أيام قلائل ثم تعلم ما يمر بك مني
صوت
(حَيِّ الدُّوَيْرَةَ إذ نأتْ ... منّا على عُدَوائِها)
(لا بالفراق تَنِيلنا ... شيئاً ولا بلقائها)
عروضه من الكامل الشعر لنبيه بن الحجاج السهمي والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو
أخبار نبيه ونسبه
هو نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب وأمه وأم أخيه منبه أروى بنت عميلة بن السباق بن عبد الدار بن قصي
وكان نبيه بن الحجاج وأخوه من وجوه قريش وذوي النباهة فيهم وقتلا جميعا يوم بدر مشركين ولهما يقول أعشى بني تميم - وهو ابن النباش بن زرارة وكان أخوه أبو هالة بن النباش زوج خديجة أم المؤمنين في الجاهلية ولها منه أولاد لهم عقب إلى الآن - وكان الأعشى مداحا لهم وفيهم يقول وهي قصيدة طويلة
(لله دَرُّ بني الحجّاج إذْ نُدِبوا ... لا يَشتكي فِعْلَهم ضيفٌ ولا جارُ)
(إن يكسبوا يُطعِموا مِنْ فَضْل كسبِهُم ... وأوفياءُ بعَقْدِ الجار أحرارُ)
وفي نبيه يقول أيضا
(إنَّ نُبيهاً أبا الرزّام أفضلُهم ... حِلْماً وأجودُهم والجودُ تَفْضِيلُ)
(ليس لفعل نُبيهٍ إنْ مَضى خَلَفٌ ... ولا لقول أبي الرزّام تَبْديلُ)
(ثَقْفٌ كلُقْمانَ عَدْلٌ في حكومتِه ... سيْفٌ إذا قام وَسْطَ القومِ مَسْلُولُ)
((وإنَّ بيتَ نُبيهٍ مَنْهَجٌ فَلِجٌ ... مُخضَّر بالندى ما عاش مأهُولُ
(من لا يَعُرُّ ولا يؤذِي عشيرتَه ... ولا نَداهُ عن المُعْتَرّ معدول)
وله أيضا فيهما مراث قالها فيهما لما قتلا ببدر لم أستجز ذكرها لأنهما قتلا مشركين محاربين لله ورسوله
نماذج من شعره
وكان نبيه من شعراء قريش وهو القائل وقد سألته زوجتاه الطلاق ذكر ذلك الزبير بن بكار
(تلك عِرْسايَ تنطقان بِهُجْر ... وتقولان قَوْلَ زُورٍ وهِتْر)
(تسألاني الطلاقَ أنْ رأتاني ... قلَّ مالِي قد جئتماني بِنُكْر)
(فلعليّ أنْ يَكْثُرَ المالُ عِنْدي ... ويخلَّى من المغارم ظَهْري)
(ويُرَى أعْبُدٌ لنا وجِيادٌ ... ومَنَاصِيف مِنْ وَلائِد عَشْرْ)
(ويْكَأنْ مَنْ يكن له نَشَبٌ يُحْبَبْ ... ومن يفتقِر يعِشْ عَيْش ضُرِّ)
(ويُجنَّبْ يُسرَ الأمور ولكنّ ... ذوِي المال حُضَّرٌ كلَّ يُسْرِ)
أخبرني الطوسي والحرمي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني علي بن صالح
أن عامر بن صالح أنشده لنبيه بن الحجاج
((قَصَّرَ العُدْم بي ولو كنت ذا مال ... كثير لأجلبَ الناسُ حَوْلي
(ولقالوا أنت الكريمُ علينا ... ولحطّوا إلى هواي ومَيْلي)
(ولَكِلْتُ المعروفَ كَيْلاً هَنِيّاً ... يَعْجِزُ الناسُ أنْ يكيلوا كَكيلي)
قال الزبير قال علي بن صالح وأنشدني عامر بن صالح لنبيه بن الحجاج أيضا
(قالت سُليمَى إذ طَرَقْتُ أزورُها ... لا أبتغي إلاّ امْرأً ذَا مَالِ)
(لا أبتغي إلاّ امْرأً ذا ثَرْوةٍ ... كيما يَسُدُّ مفَاقِري وخِلالي)
(فلأحرصَنَّ على اكتسابِ محبَّبٍ ... ولأكْسِبَنْ في عِفّةٍ وجمال)
أخبرني الطوسي والحرمي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال
نزل نبيه بن الحجاج قديدا يريد الشام فغيب بعض بني بكر ناقته يريد أخذ الجعالة عليها منه فقال نبيه في ذلك
(وردتُ قُدَيْداً فالْتَوى بذراعِها ... ذؤبان بكرٍ كلُّ أطلسَ أفْحَجِ)
(رجلٌ صديقٌ ما بَدَت لك عَيْنُه ... فإذا تغيَّب فاحتفظْ مِنْ دَعْلَجِ)
قال الزبير الدعلج الكلب والذئب وكل مختلس من السباع فهو دعلج ويقال لاختلاسه الدعلجة وأنشد
((باتت كلابُ الحي تَسْرِي بَيْننا ... يَأكُلْنَ دَعلجةً ويشبعَ مَنْ ثَوَى
يعني بالدعلجة السرقة
قال الزبير ولا عقب للحجاج أبي نبيه ومنبه إلا من ولد نبيه فإن العقب من ولد أبي سلمة إبراهيم بن عبد الله بن عفيف بن نبيه وفي ريطة بنت منبه فإن عمرو بن العاص تزوجها فولدت له عبد الله بن عمرو
وهذا الشعر الذي فيه الغناء يقوله في امرأة كان غلب أباها عليها فاستغاث أبوها بالحلفاء من قريش والحلف المعروف بحلف الفضول فانتزعوها من نبيه وردوها على أبيها
أخبرني الطوسي قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني غير واحد من قريش منهم عبد العزيز بن عمر العنبسي عن مغن واسمه عيينة بن عبد الله بن عنبسة
أن رجلا من خثعم قدم مكة تاجرا ومعه ابنة له يقال لها القتول أوضأ نساء العالمين وجها فعلقها نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم فلم يبرح حتى نقلها إليه وغلب أباها عليها فقيل لأبيها عليك بحلف الفضول فأتاهم فشكا ذلك إليهم فأتوا نبيه بن الحجاج فقالوا أخرج ابنة هذا الرجل وهو يومئذ متبد بناحية مكة وهي معه فقال لا أفعل قالوا فإنا من قد عرفت فقال يا قوم متعوني بها الليلة فقالوا قبحك الله ما أجهلك لا والله
ولا شخب لقحة وهي أوسع أحابيك من السائل فأخرجها إليهم فأعطوها أباها وركبوا وركب معهم الخثعمي فلذلك يقول نبيه بن الحجاج
(راحَ صَحْبي ولم أُحَيّ القَتُولا ... لم أُودّعهمُ وَداعاً جميلا)

(إذْ أجدَّ الفُضولُ أنْ يمنَعُوها ... قد أراني ولا أخافُ الفُضولا)
(لا تخالِي أنّي عشيةَ راحِ الرَّكْبُ هُنْتُم عليّ ألاّ أقُولاَ)
(إنني والذي تحجُّ له شمطُ ... إياد وهلّلوا تهليلا)
(لا تبرّأتُ مِنْ قُتَيْلَةَ بالنَّاسِ ... وهلْ تبْتَغُون إلاّ القتُولا)
(لَمْ أُخبِّر عن الحديث ولا أبْدأ ... رسَّ الحديث والتقبيلا)
(ومبيتاً بذي المجاز ثلاثاً ... ومتى كان حجُّنا تحليلا)
(لن أذيعَ الحديثَ عنها ولا أنقاد ... لو أبيت فيها فتيلا)
(أتلوَّى بها كما تَتَلوَّى ... حيَّةُ الماءِ بالأباء طويلا)
(ثم عدْواً عِداء نَخْلَة ما يدرك ... منهمُ أدنى رَعِيل رَعِيلا)
(وبنو غالب أولئك قومي ... ومتى يفزعوا تراهم قَبِيلا)
(وندامى بيضِ الوجوه كهولٌ ... وشبابٌ أسهرتُ لَيْلاً طَويلا)
(غير هُجن ولا لئامٍ ولا تعرف ... منهمْ إلاَّ فتىً بُهْلُولا)
وفي ذلك يقول نبيه بن الحجاج
(حيِّ الدُّوَيْرَةَ إذْ نأتْ ... مِنَّا على عُدوائِها)
(لا بالفراق تُنِيلُنا ... شيئاً ولا بلقائها)
(أخذَتْ حُشَاشةُ قَلْبِهِ ... ونأتْ فكيف بنائها)
(حلّت تِهامةَ خُلَّةٌ ... مِنْ بَيْتِها ووطائها)
(ولهما بمكةَ مَنْزِلٌ ... مِنْ سهلها وحِرائها)
(رفعوا المحلّة فوقها ... واستعذبوا مِن مائها)
(تَدْعو شِهاباً حولَها ... وتعمٌ في حُلفائها)
(لولا الفُضولُ وأنّه ... لا أمْنَ مِن عُدَوائها)
(لدنوتُ مِنْ أبياتِها ... ولطُفْتُ حَوْلَ خِبائها)
(ولجئتُها أمشي بِلا ... هادٍ لَدَى ظَلْمائها)
(فشربتُ فضلةَ رِيقِها ... ولَبِتُّ في أحشائها)
(فَسَلِي بمكة تُخْبَري ... أنّا مِن أهل وَفائِها)
(قِدْماً وأفضلُ أهلِها ... مِنَّا على أكفائِها)
(نمشي بألْوِيَة الوَغَى ... ونموتُ في أودائِها)

حلف الفضول

أخبرنا به الطوسي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني أبو الحسن الأثرم عن أبي عبيدة قال
كان سبب حلف الفضول أن رجلا من أهل اليمن قدم مكة ببضاعة فاشتراها رجل من بني سهم فلوى الرجل بحقه فسأله متاعه فأبى عليه فقام في الحجر فقال
(يَالَ قُصيٍّ لمظْلُومٍ بِضاعتُه ... ببطْن مكة نائي الدارِ والنَّفَر)
(وأشعثٍ مُحرمٍ لم يَقضِ حُرْمته ... بين المقام وَبيْنَ الرُّكْنِ والحَجَرِ)
وروى بعض الثقات تماما لهذين البيتين وهو
(أقائمٌ مِنْ بني سَهمٍ بذمتهم ... أم ذاهبٌ في ضَلالٍ مالُ مُعْتَمَرِ)
(إنّ الحرامَ لِمَنْ تَمّتْ حرَامتُه ... ولا حرام لثَوْبِ الفاجر الغُدُر)
قال وقال بعض العلماء إن قيس بن شيبة السلمي باع متاعا من أبي بن خلف فلواه وذهب بحقه فاستجار برجل من بني جمح فلم يقم بجواره فقال
(يالَ قُصيٍ كيف هذا في الحَرَمْ ... وحرمةِ البيت وأعلاقِ الكَرَمْ)
(... أُظْلَمُ لا يُمْنَعُ منّي مَنْ ظَلَمْ)
قال وبلغ الخبر العباس بن مرداس السلمي فقال
((إن كان جارُكَ لم تنفعكَ ذِمَّتُه ... وقد شربتَ بكأسِ الغلِّ أنفاسا
(فائْتِ البيوتَ وكُنْ من أهلها صَدداً ... لا تُلْف ناديَهُمْ فُحْشاً ولا باسا)
(وثَمَّ كُنْ بفناء البيتِ مُعْتَصِما ... تَلْقَ ابْنَ حَرْبٍ وتَلْقَ المرء عبّاسا)
(قَرْمى قُريشٍ وحَلاًّ في ذُؤابتِها ... بالمجد والحَزْمِ ما حازا وما ساسا)
(ساقِي الحجيجِ وهذا ياسرٌ فَلَجٌ ... والمجدُ يورثُ أخماساً وأسداسا)
فقام العباس وأبو سفيان حتى ردا عليه واجتمعت بطون قريش فتحالفوا على رد الظلم بمكة وألا يظلم رجل بمكة إلا منعوه وأخذوا له بحقه وكان حلفهم في دار ابن جدعان فكان رسول الله يقول (لقد شهدت حلفا في دار ابن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعيت به لأجبت)
فقال قوم من قريش هذا والله فضل من الحلف فسمي حلف الفضول
قال وقال آخرون تحالفوا على مثل حلف تحالف عليه قوم من جرهم في هذا الأمر ألا يقروا ظلما ببطن مكة إلا غيروه وأسماؤهم الفضل بن شراعة والفضل بن قضاعة والفضل بن سماعة
قال وحدثني محمد بن فضالة عن عبد الله بن سمعان عن ابن شهاب قال
كان شأن حلف الفضول أن بدء ذلك أن رجلا من بني زبيد قدم مكة معتمرا في الجاهلية ومعه تجارة له فاشتراها منه رجل من بني سهم فأواها إلى بيته ثم تغيب فابتغى متاعه الزبيدي فلم يقدر عليه فجاء إلى بني سهم يستعديهم عليه فأغلظوا عليه فعرف أن لا سبيل إلى ماله فطوف في قبائل قريش يستعين بهم فتخاذلت القبائل عنه فلما رأى ذلك أشرف على أبي قبيس حتى أخذت قريش مجالسها في المسجد ثم قال
(يا آل فِهْرٍ لمظلوم بضاعَتُه ... ببطْن مكّة نائي الدار والنَّفَرِ)
(ومُحْرِمٍ شَعِثٍ لم يقضِ عُمرتَهُ ... يا آل فِهرٍ وبين الحِجْرِ والحَجَرِ)

(أقائمٌ من بني سَهْم بِخُفرتهم ... فعادلٌ أم ضلالٌ مالُ معتمر)

الحلف ينعقد بوجود رسول الله

فلما نزل أعظمت قريش ذلك فتكلموا فيه فقال المطيبون والله لئن قمنا في هذا ليغضبن الأحلاف وقال الأحلاف والله لئن تكلمنا في هذا ليغضبن المطيبون وقال ناس من قريش تعالوا فليكن حلفا فضولا دون المطيبين ودون الأحلاف فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان وصنع لهما طعاما يومئذ كثيرا وكان رسول الله يومئذ معهم قبل أن يوحي الله إليه وهو ابن خمس وعشرين سنة فاجتمعت بنو هاشم وأسد وزهرة وتيم وكان الذي تعاقد عليه القوم تحالفوا على ألا يظلم بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد إلا كانوا معه حتى يأخذوا له بحقه ويؤدوا إليه مظلمته من أنفسهم ومن غيرهم ثم عمدوا إلى ماء من زمزم فجعلوه في جفنة ثم بعثوا به إلى البيت فغسلت به أركانه ثم أتوا به فشربوه

قال فحدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

أنها سمعت رسول الله يقول (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلف الفضول أما لو دعيت إليه اليوم لأجبت وما (أحب أن لي به حمر النعم وأني نقضته

مبادىء أهل الحلف

قال وحدثني عمر بن عبد العزيز العنبسي أن الذي اشترى من الزبيدي المتاع العاص بن وائل السهمي

وقال أهل حلف الفضول بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد بن عبد العزى وبنو زهرة وبنو تيم تحالفوا بينهم ألا يظلم بمكة أحد إلا كنا جميعا مع المظلوم على الظالم حتى نأخذ له مظلمته ممن ظلمه شريفا أو وضيعا منا أو من غيرنا

ثم انطلقوا إلى العاص بن وائل ثم قالوا والله لا نفارقك حتى تؤدي إليه حقه فأعطى الرجل حقه فمكثوا كذلك لا يظلم أحد حقه بمكة إلا أخذوه له وكان عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول لو أن رجلا وحده خرج من قومه لخرجت من عبد شمس حتى أدخل في حلف الفضول وليس عبد شمس في حلف الفضول

وحدثني محمد بن حسن عن محمد بن طلحة عن موسى بن عبد الله بن إبراهيم عن أبيه وعن محمد بن فضالة عن هشام بن عروة عن أبيه وعن

إبراهيم بن محمد وعن أبي عبد الله بن الهاد

أن بني هاشم وبني المطلب وبني أسد بن عبد العزى وتيم بن مرة اختلفوا على ألا يدعوا بمكة كلها ولا في الأحابيش مظلوما يدعوهم إلى نصرته إلا أنجدوه حتى يردوا عليه مظلمته أو يبلوا في ذلك عذرا أو على ألا يتركوا لأحد عند أحد فضلا إلا أخذوه وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - وبذلك سمي حلف الفضول - بالله الغالب أن اليد على الظالم حتى يأخذوا للمظلوم حقه ما بل بحر صوفه وعلى التأسي في المعاش

قال محمد بن الحسن قال محمد بن طلحة في حديثه عن موسى بن محمد عن أبيه وعن محمد بن فضالة عن أبيه قال لم يكن بنو أسد بن عبد العزى في حلف الفضول قال وكان بعد عبد المطلب

قال وحدثني محمد بن الحسن عن عيسى بن يزيد بن دأب قال أهل حلف الفضول هاشم وزهرة وتيم قال وقيل له فهل لذلك شاهد من الشعر قال نعم قال أنشدني بعض أهل العلم قول بعض الشعراء

(تيْمُ بن مُرَّةَ إن سألت وهاشمٌ ... وزهرةُ الخير في دار ابن جُدعانِ)

(متحالفون على النَّدى ما غرَّدت ... وَرْقاءُ في فَنَنٍ من جِزْع كُتْمانِ)

فقيل له وأين كتمان فقال واد بنجران فجاء ببيتين مضطربين مختلفي النصفين

وحدثني أبو الحسن الأثرم عن أبي عبيدة قال

تداعى بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد بن عبد العزى وبنو زهرة بن كلاب وتيم بن مرة إلى حلف الفضول فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان فتحالفوا عنده وتعاقدوا ألا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها ولا من غيرهم إلا قدموا معه على من ظلمه حتى يردوا مظلمته وشهد النبي هذا الحلف قبل أن يبعث فهذا حلف الفضول

قال وحدثني إبراهيم بن حمزة عن جدي عبد الله بن مصعب عن أبيه قال إنما سمي حلف الفضول لأنه كان في جرهم رجال يردون المظالم يقال لهم فضيل وفضال وفضل ومفضل قال فلذلك سمي حلف الفضول تعاقدوا أن يردوا المظالم

قال فتحالفوا بالله الغالب لنأخذن للمظلوم من الظالم وللمقهور من القاهر ما بل بحر صوفه

قال وقال أبي قال رسول الله

فشهدت حلفا في دار عبد الله بن جدعان لم يزده الإسلام إلا شدة ولهو أحب إلي من حمر النعم) قال وقال غيره (لو (دعيت إليه لأجبت

لماذا سمي حلف الفضول

قال وحدثني محمد بن حسن عن نوفل بن عمارة عن إسحاق بن الفضل قال إنما سمت قريش في هذا الحلف حلف الفضول لأن نفرا من جرهم يقال لهم الفضل وفضال والفضيل تحالفوا على مثل ما تحالفت عليه هذه القبائل

قال وحدثني رجل عن محمد بن حسن عن محمد بن فضالة عن هشام

ابن عروة عن أبيه عن عائشة

أنها قالت سمعت رسول الله يقول (لقد شهدت في دار ابن جدعان حلف الفضول أما لو دعيت إليه لأجبت وما أحب أني (نقضته وأن لي حمر النعم

قال الزبير وحدثني علي بن صالح عن جدي عبد الله بن مصعب عن أبيه

أن رسول الله قال (والذي نفسي بيده لقد شهدت في الجاهلية حلفا - يعني حلف الفضول - أما لو دعيت إليه اليوم (لأجبت لهو أحب إلي من حمر النعم لا يزيده الإسلام إلا شدة

قال وحدثني أبو الحسن الأثرم عن أبي عبيدة قال حدثني رجل عن محمد بن يزيد الليثي قال سمعت طلحة بن عبد الله بن عوف الزبيري يقول

قال رسول الله

(لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى إليه في الإسلام لأجبت)

قال وحدثني محمد بن حسن عن نصر بن مزاحم عن معروف بن خربوذ قال

تداعت بنو هاشم وبنو المطلب وأسد وتيم فاحتلفوا على ألا يدعوا بمكة كلها ولا في الأحابيش مظلوما يدعوهم إلى نصرته إلا أنجدوه حتى يردوا إليه مظلمته أو يبلوا في ذلك عذرا وكره ذلك سائر المطيبين والأحلاف من أمره وسموه حلف

الفضول عيبا له وقالوا هذا من فضول القوم فسموه حلف الفضول
قال وحدثني محمد بن حسن عن إبراهيم بن محمد عن يزيد بن عبد الله بن الهاد عن محمد بن إبراهيم قال
كان حلف الفضول بين بني هاشم وبني أسد وبني زهرة وبني تيم
قال فحدثني أبو خيثمة زهير بن حرب قال حدثني إسماعيل بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري عن محمد بن حبيب عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف قال
قال رسول الله شهدت مع عمومتي حلف المكيين فما أحب أن لي حمر النعم وأني أنكثه
قال وحدثني محمد بن الحسن عن محمد بن طلحة عن عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي
أنه بلغه أن الذي بدأ بحلف الفضول من هذه القبائل أمر الغزال الذي سرق من الكعبة
حدثني محمد بن الحسن قال حدثنا محمد بن طلحة عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبيه قال
قدم ابن جبير بن مطعم على عبد الملك بن مروان وكان من حلفاء قريش فقال له عبد الملك يا أبا سعيد لم يكن بنو عبد شمس وأنتم يعني بني نوفل في حلف الفضول قال وأنتم أعلم يا أمير المؤمنين قال لتحدثني بالحق من ذلك قال لا والله يا أمير المؤمنين لقد خرجنا نحن وأنتم منه ولم تكن يدنا ويدكم إلا جميعا في الجاهلية والإسلام

أخبار الحسين بن علي

قال وحدثني محمد بن حسن عن إبراهيم بن محمد بن يزيد بن عبد الله بن الهاد الليثي أن محمد بن الحارث التيمي أخبره
أنه كان بين الحسين بن علي عليهما السلام وبين الوليد بن عتبة بن أبي
سفيان كلام والوليد يومئذ أمير المدينة في زمن معاوية بن أبي سفيان في مال كان بينهما بذي المروة فقال الحسين بن علي عليهما السلام استطال علي الوليد بن عتبة في حقي بسلطانه فقلت أقسم بالله لتنصفني في حقي أو لآخذن سيفي ثم لأقومن في مسجد رسول الله ثم لأدعون بحلف الفضول قال فقال عبد الله بن الزبير وكان عند الوليد لما قال الحسين ما قال وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفي ثم لأقومن معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعا فبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري فقال مثل ذلك فبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقال مثل ذلك فلما بلغ الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضي
قال وحدثني أبو الحسن الأثرم علي بن المغيرة عن أبي عبيدة قال حدثني رجل عن يزيد بن عبد الله بن أسامة الليثي أن محمد بن إبراهيم التيمي حدثه مثل حديث محمد بن حسن الذي قبل هذا
قال وحدثني إبراهيم بن حمزة عن جدي عبد الله بن مصعب عن أبيه أن الحسين بن علي عليهما السلام كان بينه وبين معاوية كلام في أرض له فقال له الحسين عليه السلام اختر خصلة من ثلاث خصال إما أن تشتري مني حقي
وإما أن ترده علي أو تجعل بيني وبينك ابن الزبير وابن عمر والرابعة الصيلم قال وما الصيلم قال أن أهتف بحلف الفضول قال فلا حاجة لنا بالصيلم
قال فخرج وهو مغضب فمر بعبد الله بن الزبير فأخبره فقال والله لئن لم ينصفني لأهتفن بحلف الفضول فقال عبد الله بن الزبير والله لئن هتفت به وأنا مضطجع لأقعدن أو قاعد لأقومن ولئن هتفت به وأنا ماش لأسعين ثم لينفدن روحي مع روحك أو لينصفنك
قال فخرج عبد الله بن الزبير فدخل على معاوية فباعه منه وخرج عبد الله فجاء إلى الحسين عليه السلام فقال أرسل فانتقد مالك فقد بعته لك
قال وحدثني علي بن صالح عن جدي عبد الله بن مصعب عن أبيه قال
خرج الحسين عليه السلام من عند معاوية فلقي عبد الله بن الزبير والحسين مغضب فذكر الحسين أن معاوية ظلمه في حق له فقال الحسين أخيره في ثلاث خصال والرابعة الصيلم أن يجعلك أو ابن عمر بيني وبينه أو يقر بحقي ثم يسألني فأهبه له أو يشتريه مني فإن لم يفعل فوالذي نفسي بيده لأهتفن بحلف الفضول قال ابن الزبير والذي نفسي بيده لئن هتفت به وأنا قاعد لأقومن أو قائم لأمشين أو ماش لأشتدن حتى تفنى روحي مع روحك أو ينصفك
قال ثم ذهب ابن الزبير إلى معاوية فقال لقيني الحسين فخيرك في ثلاث خصال والرابعة الصيلم قال معاوية لا حاجة لنا بالصيلم إنك لقيته مغضبا فهات الثلاث قال تجعلني أو ابن عمر بينك وبينه قال فقد جعلتك بيني وبينه أو ابن عمر أو جعلتكما قال أو تقر له بحقه وتسأله إياه قال أنا أقر له بحقه وأسأله إياه قال أو تشتريه منه قال وأنا أشتريه منه قال فلما انتهى إلى الرابعة قال لمعاوية كما قال للحسين عليه السلام إن دعاني إلى حلف الفضول لأجبته فقال معاوية لا حاجة لنا بهذا

أهل الحلف موضع ثقة

قال وبلغني أن عبد الرحمن بن أبي بكرة والمسور بن مخرمة قالا للحسين بن علي عليهما السلام مثل ما قال ابن الزبير فبلغ ذلك معاوية وعنده جبير بن مطعم فقال له معاوية يا أبا محمد أكنا في حلف الفضول قال لا قال فكيف كان قال قدم رجل من ثمالة فباع سلعة له من أبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح فظلمه وكان يسيء المخالطة فأتى الثمالي إلى أهل حلف الفضول فأخبرهم فقالوا اذهب فأخبره أنك أتينا فإن أعطاك حقك وإلا فارجع إلينا فأتاه فأخبره بما قال له أهل حلف الفضول قال فأخرج إليه ماله وأعطاه إياه بعينه وقال
(أيأخذني في بَطْنِ مكّةَ ظالماً ... أُبَيٌّ ولا قَوْمِي لدَيَّ ولا صَحْبِي)
(ونادَيتُ قومي صارِخاً ليُجيبني ... وكم دُونَ قومي من فَيَافٍ ومن سُهْبِ)
(ويأبى لكم حِلْفُ الفضول ظُلامتي ... بني جُمَحٍ والحقُّ يُؤْخَذُ بالغَصْبِ)
وقد روى إبراهيم بن المنذر الحزامي في أمر حلف الفضول غير ما رواه الزبير قال إبراهيم حدثني عبد العزيز بن عمران قال قدم أبو الطمحان القيني الشاعر واسمه حنظلة بن الشرقي فاستجار عبد
الله بن جدعان التيمي ومعه مال له من الإبل فعدا عليه قوم من بني سهم فانتحروا ثلاثة من إبله وبلغه ذلك فأتاهم بمثلها فقال أنتم لها ولأكثر منها أهل فأخذوها فانتحروها ثم أمسكوا عنه زمانا ثم جلسوا على شراب لهم فلما انتشوا غدوا على إبله فاستاقوها كلها فأتى عبد الله بن جدعان يستصرخه فلم يكن فيه ولا في قومه قوة ببني سهم فأمسك عنهم ولم ينصره فقال أبو الطمحان
(ألاَ حنَّت المِرْقَال واشتاقَ رَبُّها ... تذكَّرُ أرْمَاماً وأذكرُ مَعْشَرِي)

(ولو عَلِمت صَرْفَ البيوعِ لسرَّها ... بمكةَ أن تبتاع حَمْضاً بإذخر)
(أجَدَّ بني الشَّرقيّ أنَّ أخَاهُمُ ... متى يَعتلقْ جاراً وإنْ عزَّ يَغْدِر)
(إذا قلتُ وافٍ أدْرَكَتْهُ دُروكه ... فيا مُوزِعَ الجيران بالغيّ أقْصِر)
ثم ارتحل عنهم
ووفد لميس بن سعد البارقي مكة فاشترى منه أبي بن خلف سلعة فظلمه إياها فمشى في قريش فلم يجره أحد فقال
(أيظلمني مالي أبَيٌّ سَفَاهةً ... وبَغْياً ولا قَوْمي لديَّ ولا صَحْبي)
(وناديتُ قومي بارقاً لتجيبَني ... وكم دونَ قومي من فيافٍ ومن سَهْب)
ثم قدم رجل من بني زبيد فاشترى منه رجل من بني سهم يقال له حذيفة سلعة وظلمه حقه فصعد الزبيدي على أبي قبيس ثم نادى بأعلى صوته
((يا آل فِهْرٍ لمظلوم بضاعتُه ... ببَطْنِ مكّةَ نائي الحيْ والنَّفَر
(يا آل فهرٍ لمظلومٍ ومُضْطَهَدٍ ... بين المقام وبين الركن والحجر)
(إنَّ الحرامَ لمن تمَّتْ حَرامته ... ولا حرام لثوب الفاجر الغُدر)
فأعظم الزبير بن عبد المطلب ذلك وقال يا قوم إني والله لأخشى أن يصيبنا ما أصاب الأمم السالفة من ساكني مكة فمشى إلى ابن جدعان وهو يومئذ شيخ قريش فقال له في ذلك وأخبره بظلم بني سهم وبغيهم وقد كان أصاب بني سهم أمران لا يشك أنهما للبغي احتراق المقاييس منهم وهم قيس ومقيس وعبد قيس بصاعقة وأقبل منهم ركب من الشام فنزلوا بماء يقال له القطيعة فصبوا فضلة خمر لهم في إناء وشربوا ثم ناموا وقد بقيت منهم بقية فكرع منها حية أسود ثم تقيأ في الإناء فهب القوم فشربوا منه فماتوا عن آخرهم فأذكره هذا ومثله فتحالف بنو هاشم وبنو المطلب وبنو زهرة وبنو تيم بالله الغالب إنا ليد واحدة على الظالم حتى يرد الحق
وخرج سائر قريش من هذا الحلف إلا أن ابن الزبير ادعاه لبني أسد في الإسلام قال فأخبرني الواقدي وغيره أن محمد بن جبير بن مطعم دخل على عبد الملك بن مروان فسأله عن حلف الفضول فقال أما أنا وأنت يا أمير المؤمنين فلسنا فيه فقال صدقت والله إني لأعرفك بالصدق قال فإن ابن الزبير يدعيه فقال ذاك هو الباطل
قال وكان عتبة بن ربيعة يقول لو أن رجلا خرج عن قومه إلى غيرهم لكرم حلف لخرجت عن قومي إلى حلف الفضول
قال الواقدي قد اختلف فيه لم سمي حلف الفضول فقيل إنه سمي بذلك لأنهم قالوا لا ندع لأحد عند أحد فضلا إلا أخذناه منه وقيل بل سمع بهذا بعض من لم يدخل فيه فقال هذا فضول من الأمر
وقال الواقدي والصحيح أن قوما من جرهم يقال لهم فضل وفضالة وفضال
ومفضل تحالفوا على مثل هذا في أيامهم فلما تحالفت قريش هذا الحلف سموا بذلك

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

(يا لَلرَّجال لمظلومٍ بضاعتُه ... ببَطْنِ مكَّةِ نائي الدار والنفَرِ)
(إنَّ الحرامَ لِمَنْ تَمَّتْ حرامته ... ولا حرامَ لِثَوْبي لابس الغدْرْ)
غناه ابن عائشة ثقيل أول بالبنصر عن حبش
أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا المدائني عن ابن أبي سبرة عن لقيط بن نصر المحاربي قال
كان يزيد بن معاوية أول من سن الملاهي في الإسلام من الخلفاء وآوى المغنين وأظهر الفتك وشرب الخمر وكان ينادم عليها سرجون النصراني مولاه والأخطل وكان يأتيه من المغنين سائب خاثر فيقيم عنده فيخلع عليه ويصله فغناه يوما
(يا للرِّجال لمظلوم بضاعته ... بِبَطْنِ مكةَ نائي الأهْلِ والنَّفَر)
فاعترته أريحية فرقص حتى سقط ثم قال اخلعوا عليه خلعا يغيب فيها حتى لا يرى منه شيء فطرحت عليه الثياب والجباب والمطارف والخز حتى غاب فيها

صوت

(اشربْ هنيئاً عليكِ التاجُ مُرْتَفِقاً ... في رَأس غُمدانَ داراً منك مِحْلالا)
((تلك المكارمُ لا قَعْبانِ من لَبنٍ ... شِيبَا بماءٍ فعادَا بَعْدُ أبوالا
عروضه من البسيط
المرتفق المتكىء على مرفقه وغمدان اسم قصر كان لسيف بن ذي يزن باليمن والمحلال الدار التي يحل فيها أي يقيم فيها وشيبا معناه خلطا والشوب الخلط يقال شاب كذا بكذا إذا خلطهما
الشعر لأمية بن أبي الصلت الثقفي وقيل بل هو للنابغة الجعدي وهذا خطأ من قائله وإنما أدخل النابغة البيت الثاني من هذه الأبيات في قصيدة له على جهة التضمين والغناء لسائب خاثر خفيف رمل بالوسطى من رواية حماد عن أبيه وفيه لطويس لحن من كتاب يونس الكاتب غير مجنس

نسب أمية بن أبي الصلت
وخبره في قوله هذا الشعر

أبو الصلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عمرو بن عقدة بن عنزة بن عوف بن قسي وهو ثقيف شاعر من شعراء الجاهلية قديم وهذا الشعر يقوله في سيف بن ذي يزن لما ظفر بالحبشة يهنيه بذلك ويمدحه
وكان السبب في قدوم الحبشة اليمن وغلبتهم عليها وخروج سيف بن ذي يزن إلى كسرى يستنجد عليهم أن ملكا من ملوك اليمن يقال له ذو نواس غزا
أهل نجران وكانوا نصارى فحصرهم ثم إنه ظفر بهم فخدد لهم الأخاديد وعرضهم على اليهودية فامتنعوا من ذلك فحرقهم بالنار وحرق الإنجيل وهدم بيعتهم ثم انصرف إلى اليمن وأفلت منه رجل يقال له دوس ذو ثعلبان على فرس فركضه حتى أعجزهم في الرمل ومضى دوس إلى قيصر ملك الروم يستغيثه ويخبره بما صنع ذو نواس بنجران ومن قتل من النصارى وأنه خرب كنائسهم وبقر النساء وهدم الكنائس فما فيها ناقوس يضرب به فقال له قيصر بعدت بلادي من بلادكم ولكن أبعث إلى قوم من أهل ديني أهل مملكته قريب منكم فينصرونكم قال دوس ذو ثعلبان فذاك إذا قال قيصر إن هذا الذي أصنعه بكم أذل للعرب أن يطأها سودان ليس ألوانهم على ألوانهم ولا ألسنتهم على ألسنتهم فقال الملك أنظر لأهل

دينه إنما هم خوله
فكتب إلى ملك الحبشة أن أنصر هذا الرجل الذي جاء يستنصرني واغضب للنصرانية فأوطىء بلادهم الحبشة

خبر أرياط

فخرج دوس ذو ثعلبان بكتاب قيصر إلى ملك الحبشة فلما قرأ كتابه أمر أرياط - وكان عظيما من عظمائهم - أن يخرج معه فينصره فخرج أرياط في سبعين ألفا من الحبشة وقود على جنده قوادا من رؤسائهم وأقبل بفيله وكان معه أبرهة بن الصباح وكان في عهد ملك الحبشة إلى أرياط إذا دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها وخرب ثلث بلادها وابعث إلي بثلث نسائها
فخرج أرياط في الجنود فحملهم في السفن في البحر وعبر بهم حتى ورد اليمن وقد قدم مقدمات الحبشة فرأى أهل اليمن جندا كثيرا فلما تلاحقوا قام
أرياط في جنده خطيبا فقال يا معشر الحبشة قد علمتم أنكم لن ترجعوا إلى بلادكم أبدا هذا البحر بين أيديكم إن دخلتموه غرقتم وإن سلتكم البر هلكتم واتخذتم العرب عبيدا وليس لكم إلا الصبر حتى تموتوا أو تقتلوا عدوكم
فجمع ذو نواس جمعا كثيرا ثم سار إليهم فاقتتلوا قتالا شديدا فكانت الدولة للحبشة فظفر أرياط وقتل أصحاب ذي نواس وانهزموا في كل وجه فلما تخوف ذو نواس أن سيؤسر ركض فرسه واستعرض به البحر وقال الموت بالبحر أحسن من إسار أسود ثم أقحم فرسه لجة البحر فمضى به فرسه وكان آخر العهد به
ثم خرج إليهم ذو جدن الهمداني في قومه فناوشهم وتفرقت عنه همدان فلما تخوف على نفسه قال ما الأمر إلا ما صنع ذو نواس فأقحم فرسه البحر فكان آخر العهد به
ودخل أرياط اليمن فقتل ثلثا وبعث ثلث السبي إلى ملك الحبشة وخرب ثلثا وملك اليمن وقتل أهلها وهدم حصونها وكانت تلك الحصون بنتها الشياطين في عهد سليمان لبلقيس واسمها بلقمة وكان مما خرب من حصونهم سلحون وبينون وغمدان حصونا لم ير مثلها فقال
الحميري وهو يذكر ما دخل على حمير من الذل
(هونكَ أين تردُّ العَيْنُ ما فاتا ... لا تهلِكَنْ أسفاً في إثر من فاتا)
(أبعدَ بَيْنونَ لا عَيْنٌ ولا أثر ... وبعد سَلْحون يَبْنِي الناسُ أبياتا)
قال فلما ظفر أرياط أخذ الأموال وأظهر العطاء في أهل الشرف فغضبت الحبشة حين أعطى أشرافهم وترك أهل الفقر منهم واستذلهم وأجاعهم وأعراهم وأتعبهم في العمل وكلفهم ما لا يطيقون فجزع من ذلك الفقراء وشكا ذلك بعضهم إلى بعض وقالوا ما نرانا إلا أذلة أشقياء أينما كنا إن كان قتال قدمنا في نحور العدو وإن كان قتل قتلنا وإن كان عمل فعلينا والبلايا علينا والعطايا لغيرنا مع ما يقصينا ويجفونا

أبرهة وأرياط

فقال لهم عند ذلك رجل من الحبشة يقال له أبرهة من قواد أرياط لو أن رجلا غضب لغضبكم إذا لأسلمتموه حتى يذبح كما تذبح الشاة قالوا لا والمسيح ما كنا نسلمه أبدا فواثقوه بالإنجيل ألا يسلموه حتى يموتوا عن آخرهم
فنادى منادي فيهم فاجتمعوا إليه فبلغ ذلك أرياط أن أبا أصحم أبرهة جمع لك الجموع ودعا الناس إلى قتالك قال أوقد فعل ذلك أبرهة وهو ممن لا بيت له في الحبشة وغضب أرياط غضبا شديدا وقال هو أدنى من ذلك نفسا وبيتا هذا باطل قالوا فأرسل إليه فإن أتاك فهو باطل وإن لم يأتك فاعلم أنه كما يقال فأرسل إليه أجب الملك أرياط فجثا أبرهة على ركبتيه وخر لوجهه وأخذ عودا من الأرض فجعله في فيه وقال للرسول اذهب إلى الملك فأخبره بما رأيت مني أنا أخلعه أشد تعظيما له من ذلك وأنا آتيه على أربع قوائم بحساب البهيمة
فرجع الرسول إلى الملك فأخبره بالخبر فقال ألم أقل لكم قالوا الملك أعقل وأعلم منا
فلما ولى الرسول من عند أبرهة وتوارى عنه صاح أبرهة في الفقراء من الحبشة فاجتمعوا إليه معهم السلاح والآلة التي كانوا يعملون بها ويهدمون بها مدن اليمن المعاول والكرازين والمساحي ثم صفوا صفا وصفوا خلفه آخر بإزائه فلما أبطأ أبرهة على الملك وهو يرى أنه يأتيه على أربع قوائم كما قال وأتى الرسول أرياط فأخبره بما صنع أبرهة ركب في الملوك ومن تبعه من أتباعهم فلبسوا السلاح وجاؤوا بالفيلة وكان معه سبعة فيلة حتى إذا دنا بعضهم من بعض برز أبرهة بين الصفين فنادى بأعلى صوته يا معشر الحبشة الله ربنا والإنجيل كتابنا وعيسى نبينا والنجاشي ملكنا علام يقتل بعضنا بعضا في مذهب النصرانية هذا رجل وأنا رجل فخلوا بيني وبينه فإن قتلني عاد الملك إلى ما كان عليه من أثرة الأغنياء وهلاك الفقراء وإن قتلته سلمتم وعملت فيكم بالإنصاف بينكم ما بقيت
فقال الملوك لأرياط قد أخبرناك أنه صنع ما قد ترى وقد أبيت إلا حسن الرأي فيه وقد أنصفك وكان أرياط قد عرف بالشجاعة والنجدة وكان جميلا وكان أبرهة قصيرا دميما قبيحا منكر الجمة فاستحيا أرياط من الملوك أن يجبن فبرز بين الصفين ومشى أحدهما إلى صاحبه وحمل عليه أرياط فضرب أبرهة ضربة وقع منها حاجباه وعامة أنفه ووقع بين رجلي أرياط فعمد أبرهة إلى عمامته فشد بها وجهه فسكن الدم والتأم الجرح وأخذ عودا وجعله في فيه وقال أيها الملك إنما أنا شاة فاصنع ما أردت فقد أبصرت أمري ففرح أرياط بما صنع وكان أبرهة قد سم خنجرا وجعله في بطن فخذه كأنه خافية نسر

أبرهة يقتل أرياط

فلما رأى أبرهة أن أرياط قد أفلت عنه وهو ينظر يمينا وشمالا لئلا تراه ملوك الحبشة استل خنجره فطعنه في فرج درعه فأثبته وخر أرياط على قفاه وقعد أبرهة على صدره فأجهز عليه فسمي أبرهة الأشرم بتلك الضربة التي شرمت وجهه وأنفه
فملك أبرهة عشرين سنة ثم ملك بعد أبرهة ابنه يكسوم ثم أخوه مسروق بن أبرهة وأمه ريحانة امرأة ذي يزن أم سيف بن يزن الحميري

تحرك سيف بن ذي يزن

فلما طال على أهل اليمن البلاء مشوا إلى سيف بن ذي يزن الحميري فكلموه في الخروج وقالوا إنا نجد فيما روت حمير عن خبر لسطيح أنه يوشك أن هذا البلاء يفرج بيد رجل من أهل بيتك ابن ذي يزن وقد رجونا أن تدرك بثأرنا فأنعم لهم فخرج إلى قيصر ملك الروم فكلمه أن ينصره على الحبشة فأبى
وقال الحبشة على ديني ودين أهل مملكتي وأنتم على دين يهود فخرج من عنده يائسا فخرج عامدا إلى كسرى

فانتهى إلى النعمان بن المنذر بالحيرة فدخل عليه فأخبره بما لقي قومه من الحبشة فقال أقم فإن لي على الملك كسرى إذنا في كل سنة وقد حان ذلك
فلما خرج أخرج معه سيف بن ذي يزن فأدخله على كسرى فقال غلبنا على بلادنا وغلب الأحابيش علينا وأنا أقرب إليك منهم لأني أبيض وأنت أبيض وهم سودان فقال بلادك بلاد بعيدة ولا أبعث معك جيشا في غير منفعة ولا أمر أخافه على ملكي
فلما أيأسه من النصر أمر له بعشرة آلاف درهم واف وكساه كسا
فلما خرج بها من باب كسرى نثرها بين الصبيان والعبيد فرأى ذلك أصحاب كسرى فقالوا ذلك له فأرسل إليه لم صنعت بجائزة الملك تنثرها للصبيان والناس فقال سيف وما أعطاني الملك جبال أرضي ذهب وفضة جئت إلى الملك ليمنعني من الظلم ولم آته ليعطيني الدراهم ولو أردت الدراهم كان ذلك في بلدي كثيرا
فقال كسرى أنظر في أمرك فخرج سيف على طمع وأقام عنده فجعل سيف كلما ركب كسرى عرض له فجمع له كسرى مرازبته وقال ما ترون في هذا العربي وقد رأيته رجلا جلدا فقال قائل منهم إن في السجون قوما قد سجنهم الملك في موجدة عليهم فلو بعثهم الملك معه فإن قتلوا استراح منهم وإن ظفروا بما يريد هذا العربي فهو زيادة في ملك الملك
فقال كسرى هذا الرأي وأمر بهم كسرى فأحضروا فوجد ثمانمائة رجل فولى أمرهم رجلا
معهم يقال له وهرز وكان راميا شجاعا مع مكانة في الفرس وجهزهم وأعطاهم سلاحا وحملهم في البحر في ثماني سفن فغرقت سفينتان وبقي من بقي وهم ستمائة رجل فأرسوا إلى ساحل عدن فلما أرسوا قال وهرز لسيف ما عندك فقد جئنا بلادك فقال ما شئت من رجل عربي وفرس عربي ثم اجعل رجلي مع رجلك حتى نموت جميعا أو نظفر جميعا
وهرز يقتل مسروق بن أبرهة ويملك اليمن
قال وهرز أنصفت فاستجلب سيف من استطاع من اليمن ثم زحفوا إلى مسروق بن أبرهة وقد سمع بهم مسروق وبتعبيتهم فجمع إليه جنده من الحبشة وسار إليهم والتقى العسكران وجعلت أمداد اليمن تثوب إلى سيف وبعث وهرز ابنا له كان معه على جريدة خيل فقال ناوشوهم القتال حتى ننظر قتالهم فناوشهم ابنه وناوشوه شيئا من قتال ثم تورط ابنه في هلكة لم يستطع التخلص منها فاشتملوا عليه فقتلوه فازداد وهرز عليهم حنقا وسيء العرب وفرحت الحبشة فأظهروا الصليب فوتر وهرز قوسه وكان لا يقدر أن يوترها غيرها وقال وهرز والناس في صفوفهم انظروا أين ترون ملكهم قال سيف أرى رجلا قاعدا على فيل تاجه على رأسه بين عينيه ياقوتة حمراء قال ذلك ملكهم وقال وهرز اتركوه ثم وقف طويلا ثم قال انظروا هل تحول قالوا قد تحول على فرس قال هذا منه اختلاط ثم وقف طويلا وقال انظروا هل تحول قالوا قد تحول على بغلة فقال ابنة الحمار ذل الأسود وذل ملكه ثم قال لأصحابه نقتله في هذه الرمية تأملوا النشابة وأخذ النشابة وجعل فوقها في الوتر ثم نزع فيها حتى ملأها وكان أيدا ثم أرسلها فصكت الياقوتة التي بين عيني ملكهم مسروق فتغلغلت النشابة في رأسه حتى خرجت من قفاه وحملت عليهم الفرس فانهزمت الحبشة في كل وجه وجعلت حمير تقتل من
أدركوا منهم وتجهز على جريحهم
وأقبل وهرز يريد أن يدخل صنعاء وكان موضعهم الذي التقوا فيه خارج صنعاء وكان اسم صنعاء أزال فلما قدمت الحبشة بنوها وأحكموها فقالت صنعة فسميت صنعاء وكانت صنعاء مدينة لها باب صغير يدخل منه فلما دنا وهرز من باب المدينة رآه صغيرا فقال لا تدخل رايتي منكسة اهدموا الباب فهدم باب صنعاء ودخل ناصبا رايته وسير بها بين يديه فقال سيف بن ذي يزن ذهب ملك حمير آخر الدهر لا يرجع إليهم أبدا
فملك وهرز اليمن وقهر الحبشة وكتب إلى كسرى يخبره إني قد ملكت للملك اليمن وهي أرض العرب القديمة التي تكون فيها ملوكهم وبعث بجوهر وعنبر ومال وعود وزباد وهو جلود لها رائحة طيبة
كسرى يملك سيفا اليمن والحبشة يغتالونه
فكتب كسرى يأمره أن يملك سيفا ويقدم وهرز إلى كسرى
فخلف على اليمن سيفا فلما خلا سيف باليمن وملكها عدا على الحبشة فجعل يقتل رجالها ويبقر نساءها عما في بطونها حتى أفناها إلا بقايا منها أهل ذلة وقلة فاتخذهم خولا واتخذ منهم جمازين بحرابهم بين يديه
فمكث كذلك غير كثير وركب يوما وتلك الحبشة معه ومعهم حرابهم يسعون بها بين يديه حتى إذا كان وسطا منهم مالوا عليه بحرابهم فطعنوه حتى قتلوه
وكان سيف قد آلى ألا يشرب الخمر ولا يمس امرأة حتى يدرك ثأره من
الحبشة فجعلت له حلتان واسعتان فأتزر بواحدة وارتدى الأخرى وجلس على رأس غمدان يشرب وبرت يمينه وخرج بعد ذلك يتصيد فقتلته الحبشة
وكان ملك أرياط عشرين سنة وملك أبرهة ثلاثا وعشرين سنة وملك يكسوم تسع عشرة سنة وملك مسروق اثنتي عشرة سنة فهذه أربع وسبعون سنة
وكان قدوم أهل فارس اليمن مع وهرز بعد الفجار بعشر سنين وقبل بنيان قريش البيت بخمس سنين ورسول الله وآله ابن ثلاثين سنة أو نحوها لأن رسول الله ولد بعد قدوم الفيل بخمس وخمسين ليلة
ونسخت خبر مديحه سيفا بهذا الشعر من كتاب عبد الأعلى بن حسان قال حدثنا الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وحدثني به محمد بن عمران المؤدب بإسناد لست أحفظ الاتصال بينه وبين الكلبي فيه فاعتمدت هذه الرواية قال
لما ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة وذلك بعد مولد النبي بسنتين أتته وفود العرب وأشرافها لتهنيه وتمدحه وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه فأتته وفود العرب من قريش فيهم عبد المطلب بن هاشم وأمية بن عبد شمس وخويلد بن أسد في ناس من وجوه قريش فأتوه بصنعاء وهو في رأس قصر
له يقال له غمدان فأخبره الآذن بمكانهم فأذن لهم فدخلوا عليه وهو على شرابه وعلى رأسه غلام واقف ينثر في مفرقه المسك وعن يمينه ويساره الملوك والمقاول وبين يديه أمية بن أبي الصلت الثقفي ينشده قوله في هذه الأبيات
أمية يمدح سيفا
(لا يطلُبُ الثأر إلاَّ كابْنِ ذِي يَزَنٍ ... في البَحْرِ خيَّم للأعداء أحوالا)
(أتى هِرَقْلَ وقد شالَتْ نعامَتُهُ ... فلم يَجِدْ عنده النّصر الذي سالا)
(ثم انتحى نحو كِسْرى بعد عاشرة ... من السِّنينَ يُهينُ النفسَ والمالا)

(حتى أتى بِبَنِي الأحرارِ يَقْدُمُهُمْ ... تخالُهم فوقَ مَتْنِ الأرضِ أجْبَالا)
(لله دَرُّهُمُ مِنْ فِتْيَةٍ صَبَروا ... ما إن رأيتَ لهم في الناسِ أمثالا)
(بيضٌ مَرَازِبَةٌ غُلْبٌ أساوِرَةٌ ... أسدٌ تُرَبِّبُ في الغَيضاتِ أشبالا)
(فالْتَطْ من المسك إذ شالت نَعَامتهم ... وأسْبِلِ اليومَ في بُرْدَيْكَ إسبالا)
(واشرب هنيئاً عليك التاجُ مرتفقاً ... في رأس غُمْدانَ داراً منك مِحْلالا)
(تلك المكارم لا قَعْبَان مِنْ لَبَنٍ ... شِيبَا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا)
بنو الأحرار الذين عناهم أمية في شعره هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن وهم إلى الآن يسمون بني الأحرار بصنعاء ويسمون باليمن الأبناء وبالكوفة الأحامرة وبالبصرة الأساورة وبالجزيرة الخضارمة وبالشام الجراجمة

عبد المطلب يهنىء سيفا وسيف يسر إليه بأمارات ظهور النبي

فبدأ عبد المطلب فاستأذن في الكلام فقال له سيف بن ذي يزن إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك فقال عبد المطلب إن الله قد أحلك أيها الملك محلا رفيعا صعبا منيعا شامخا باذخا وأنبتك منبتا طابت أرومته وعزت جرثومته في ملك -أكرم موطن وأطيب معدن فأنت - أبيت اللعن
العرب وربيعها الذي به تخصب وأنت أيها الملك رأس العرب الذي له تنقاد وعمودها الذي عليه العماد ومعقلها الذي إليه يلجأ العباد فسلفك لنا خير سلف وأنت لنا منهم خير خلف فلم يخمل من أنت خلفه ولن يهلك من أنت سلفه نحن أهل حرم الله وسدنة بيته أشخصنا إليك الذي أبهجنا لكشفك الكرب الذي فدحنا فنحن وفود التهنية لا وفود المرزية
قال وأيهم أنت المتكلم قال أنا عبد المطلب بن هاشم قال ابن أختنا قال نعم فأدناه حتى أجلسه إلى جنبه ثم أقبل على القوم وعليه فقال مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا ربحلا يعطي عطاء جزلا قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم وأنتم أهل الشرف والنباهة ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء إذا ظعنتم
ثم استنهضوا إلى دار الضيافة والوفود فأقاموا فيها شهرا لا يصلون إليه ولا يؤذن لهم في الانصراف وأجرى لهم الأنزال ثم انتبه لهم انتباهة فأرسل إلى عبد المطلب فأدناه وأخلى مجلسه ثم قال يا عبد المطلب إني مفوض إليك من سر علمي أمرا لو يكون غيرك لم أبح به إليه ولكني رأيتك موضعه فأطلعتك طلعه فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله فيه فإن الله بالغ أمره
إني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا واحتجناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاء للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة
قال عبد المطلب مثلك أيها الملك من سر وبر فما هو فداك أهل الوبر زمرا بعد زمر قال ابن ذي يزن إذا ولد غلام بتهامة بين كتفيه شامة
كانت له الإمامة ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة
قال عبد المطلب أيها الملك لقد أبت بخير ما آب بمثله وافد ولولا هيبة الملك وإكرامه وإعظامه لسألته أن يزيدني في البشارة ما أزداد به سرورا قال ابن ذي يزن هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد اسمه محمد يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه قد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا أنصارا يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه يضرب بهم الناس عن عرض ويستبيح بهم كرائم الأرض يخمد النيران ويدحر الشيطان ويكسر الأوثان ويعبد الرحمن قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله
فقال عبد المطلب أيها الملك عز جدك وعلا كعبك ودام ملكك وطال عمرك فهل الملك مخبري بإفصاح فقد أوضح لي بعض الإيضاح
فقال ابن ذي يزن والبيت ذي الحجب والعلامات على النصب إنك يا عبد المطلب لجده غير الكذب

سيف يطلب كتم أمر محمد والحذر من اليهود

فخر عبد المطلب ساجدا فقال له ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا أمرك فهل أحسست شيئا مما ذكرته لك فقال عبد المطلب أيها الملك كان لي ابن وكنت به معجبا وعليه رفيقا زوجته كريمة من كرائم قومي اسمها آمنة بنت وهب فجاءت بغلام سميته محمدا مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه قال الأمر ما قلت لك فاحتفظ بابنك واحذر عليه من اليهود فإنهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا واطو ما ذكرت لك عن هؤلاء الرهط الذين معك فإني لا آمن أن تدخلهم النفاسة من أن تكون له الرياسة فينصبون له الحبائل ويطلبون له الغوائل وهم فاعلون وأبناؤهم وبطيء ما يجيبه قومه وسيلقى منهم عنتا والله مبلج حجته ومظهر دعوته وناصر شيعته ولولا أني أعلم أن الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى أصير يثرب دار ملكي فإني أجد
في الكتاب المكنون أن بيثرب استحكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره ولولا أني أتوقى عليه الآفات وأحذر عليه العاهات لأعلنت على حداثة سنه أمره ولكني صارف ذلك إليك من غير تقصير مني بمن معك

سيف يكرم بعثة عبد المطلب ويجزلها العطاء

قال ثم أمر لكل رجل بعشرة أعبد وعشر إماء ومائة من الإبل وحلتين برودا وخمسة أرطال ذهبا وعشرة أرطال فضة وكرش مملوءة عنبرا ثم أمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك
وقال يا عبد المطلب إذا حال الحول فائتني فمات ابن ذي يزن قبل أن يحول الحول
وكان عبد المطلب كثيرا ما يقول يا معشر قريش لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك وإن كثر فإنه إلى نفاد ولكن ليغبطني بما بقي لي شرفه وذكره إلى يوم القيامة فإذا قيل له وما ذاك قال ستعلمون نبأ ما أقول ولو بعد حين
وفي ذلك يقول أمية بن عبد شمس
(جلبْنَا النُّصحَ تحمله المَطايا ... الى أكوارِ أجمالٍ ونُوقِ)
(مغلغلةً مرافِقُها ثِقَالا ... الى صنعاءَ مِنْ فجٍّ عَمِيقِ)
(تَؤُمُّ بنا ابْنَ ذِي يَزَن وتُهدي ... مَخالِيهَا إلى أَمَمِ الطريقِ)
(فلما وافقتْ صَنْعاءَ صارَتْ ... بدارِ المُلْكِ والحَسَبِ العَرِيقِ)
أخبرني علي بن عبد العزيز قال حدثني عبد الله بن عبد الله بن خرداذبة قال
كان أحمد بن سعيد بن قادم المعروف بالمالكي أحد القواد مع طاهر بن الحسين بن عبد الله بن طاهر فكان معه بالري وكان مع محله من خدمة السلطان مغنيا حسن الغناء وله صنعة فحضر مجلس طاهر بن عبد الله وهو متنزه بظاهر الري

بموضع يعرف بشاذمهر وقيل بل حضره بقصره بالشاذياخ فغنى هذا الصوت
(اشْرَبْ هنيئاً عليك التاجُ مُرْتَفِقاً ... في رأس غمدان . . . . . البيت)
فقال ابن عباد الرازي في وقته من الشعر مثل ذلك المعنى وصنع فيه وغنى فيه أحمد بن سعيد لحنا من خفيف الرمل وهو
صوت
(اشْرَبْ هنيئاً عليك التاجُ مُرْتَفِقاً ... بالشاذياخ ودَعْ غُمْدَان لِلَيمَن)
(فأنتَ أوْلَى بتاج المُلْك تَلْبَسُه ... مِنْ هَوْذَة بن علي وابن ذي يزن)
فطرب طاهر فاستعاده مرات وشرب عليه حتى سكر وأسنى لأحمد بن سعيد الجائزة
أما ذكره هوذة بن علي ولبسه التاج فإن السبب في ذلك أن كسرى توج هوذة بن علي الحنفي وضم إليه جيشا من الأساورة فأوقع ببني تميم يوم الصفقة
يوم الصفقة
أخبرني بالسبب في ذلك علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السكري قال حدثنا ابن حبيب ودماذ عن أبي عبيدة قال ابن حبيب قال أبو سعيد وأخبرنا إبراهيم بن سعدان عن أبيه عن أبي عبيدة قال ابن حبيب وأخبرني ابن الأعرابي عن المفضل قال أبو سعيد قالوا جميعا
كان من حديث يوم الصفقة أن باذام عامل كسرى باليمن بعث إلى كسرى عيرا تحمل ثيابا من ثياب اليمن ومسكا وعنبرا وخرجين فيهما مناطق محلاة وخفراء تلك العير فيما يزعم بعض الناس بنو الجعيد المراديون فساروا من اليمن لا يعرض لهم أحد حتى إذا كان بحمض من بلاد بني حنظلة بن يربوع وغيرهم أغاروا عليها فقتلوا من فيها من بني جعيد والأساورة واقتسموها وكان فيمن فعل ذلك ناجية بن عقال وعتبة بن الحارث بن شهاب وقعنب بن عتاب وجزء بن سعد وأبو مليل عبد الله بن الحارث والنطف بن جبير وأسيد بن جنادة فبلغ ذلك الأساورة الذين بهجر مع كزارجر المكعبر فساروا إلى بني حنظلة بن يربوع فصادفوهم على حوض فقاتلوهم قتالا شديدا فهزمت الأساورة وقتلوا قتلا شديدا ذريعا ويومئذ أخذ النطف الخرجين اللذين يضرب بهما المثل
فلما بلغ ذلك كسرى استشاط غضبا وأمر بالطعام فادخر بالمشقر ومدينة اليمامة وقد أصابت الناس سنة شديدة ثم قال من دخلها من العرب فأميروه ما شاء
فبلغ ذلك الناس قال وكان أعظم من أتاها بنو سعد فنادى منادي الأساورة لا يدخلها عربي بسلاح فأقيم بوابون على باب المشقر فإذا جاء الرجل ليدخل قالوا ضع سلاحك وامتر واخرج من الباب الآخر فيذهب به إلى رأس الأساورة فيقتله فيزعمون أنا خيبري بن عبادة بن النوال بن مرة بن عبيد - وهو مقاعس - قال يا بني تميم ما بعد السلب إلا القتل وأرى قوما يدخلون ولا يخرجون فانصرف منهم من انصرف من بقيتهم فقتلوا بعضهم وتركوا بعضا محتبسين عندهم هذا حديث المفضل
وأما ما وجد عن ابن الكلبي في كتاب حماد الراوية فإن كسرى بعث إلى عامله باليمن بعير وكان باذام على الجيش الذي بعثه كسرى إلى اليمن وكانت العير تحمل نبعا فكانت تبذرق من المدائن حتى تدفع إلى النعمان ويبذرقها النعمان بخفراء من بني ربيعة ومضر حتى يدفعها إلى هوذة بن علي الحنفي فيبذرقها حتى يخرجها من أرض بني حنيفة ثم تدفع إلى سعد وتجعل لهم جعالة فتسير فيها فيدفعونها إلى عمال باذام باليمن
فلما بعث كسرى بهذه العير قال هوذة للأساورة انظروا الذي تجعلونه لبني تميم فأعطونيه فأنا أكفيكم أمرهم وأسير فيها معكم حتى تبلغوا مأمنكم فخرج هوذة والأساورة والعير معهم من هجر حتى إذا كانوا بنطاع بلغ بني سعد ما صنع هوذة فساروا إليهم وأخذوا ما كان معهم واقتسموه وقتلوا عامة الأساورة وسلبوهم وأسروا هوذة بن علي فاشترى هوذة نفسه بثلاثمائة بعير فساروا معه إلى هجر فأخذوا منه فداءه ففي ذلك يقول شاعر بني سعد
(ومِنّا رئيسُ القَوْمِ ليلةَ أدلَجُوا ... بِهَوْذَةَ مقرونَ اليدين إلى النَّحْرِ)
(ورَدْنا به نَخْلَ اليمامةِ عانِياً ... عليه وَثاقُ القِدّ والحَلَقِ السُّمْرِ)
فعمد هوذة عند ذلك إلى الأساورة الذين أطلقهم بنو سعد وكانوا قد سلبوا فكساهم وحملهم ثم انطلق معهم إلى كسرى وكان هوذة رجلا جميلا شجاعا لبيبا فدخل عليه فقص أمر بني تميم وما صنعوا فدعا كسرى بكأس من ذهب فسقاه فيها وأعطاه إياها وكساه قباء ديباج منسوجا بالذهب واللؤلؤ وقلنسوة قيمتها ثلاثون ألف درهم وهو قول الأعشى
(له أكاليلُ بالياقوت فصَّلها ... صَوَّاغُها لا ترى عَيْباً ولا طَبَعا)
وذكر أن كسرى سأل هوذة عن ماله ومعيشته فأخبره أنه في عيش رغد وأنه يغزو المغازي فيصيب
فقال له كسرى في ذلك كم ولدك قال عشرة قال فأيهم أحب إليك قال غائبهم حتى يقدم وصغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ قال كسرى الذي أخرج منك هذا العقل حملك على أن طلبت مني الوسيلة وقال
كسرى لهوذة رأيت هؤلاء الذين قتلوا أساورتي وأخذوا مالي أبينك وبينهم صلح
قال هوذة أيها الملك بيني وبينهم حساء الموت وهم قتلوا أبي فقال كسرى قد أدركت ثأرك فكيف لي بهم قال هوذة إن أرضهم لا تطيقها أساورتك وهم يمتنعون بها ولكن احبس عنهم الميرة فإذا فعلت ذلك بهم سنة أرسلت معي جندا من أساورتك فأقيم لهم السوق فإنهم يأتونها فتصيبهم عند ذلك خيلك
ففعل كسرى ذلك وحبس عنهم الأسواق في سنة مجدبة ثم سرح إلى هوذة فأتاه فقال ائت هؤلاء فاشفني منهم واشتف وسرح معهم جوار بودار ورجلا من أردشير خره فقال لهوذة سر مع رسولي هذا فسار في ألف أسوار حتى نزلوا المشقر من أرض البحرين وهو حصن هجر
وبعث هوذة إلى بني حنيفة فأتوه فدنوا من حيطان المشقر ثم نودي إن كسرى قد بلغه الذي أصابكم في هذه السنة وقد أمر لكم بميرة فتعالوا فامتاروا فانصب عليهم الناس وكان أعظم من أتاهم بنو سعد فجعلوا إذا جاؤوا إلى باب المشقر أدخلوا رجلا رجلا حتى يذهب به إلى المكعبر فتضرب عنقه وقد وضع سلاحه قبل أن يدخل فيقال له ادخل من هذا الباب واخرج من الباب الآخر فإذا مر رجل من بني سعد بينه وبين هوذة إخاء أو رجل يرجوه قال للمكعبر هذا من قومي فيخليه له
فنظر خيبري بن عبادة إلى قومه يدخلون ولا يخرجون وتؤخذ أسلحتهم
وجاء ليمتار فلما رأى ما رأى قال ويلكم أين عقولكم فوالله ما بعد السلب إلا القتل

وتناول سيفا من رجل من بني سعد يقال له مصاد وعلى باب المشقر سلسلة ورجل من الأساورة قابض عليها فضربها فقطعها ويد الأسوار فانفتح الباب فإذا الناس يقتلون فثارت بنو تميم
ويقال إن الذي فعل هذا رجل من بني عبس يقال له عبيد بن وهب فلما علم هوذة أن القوم قد نذروا به أمر المكعبر فأطلق منهم مائة من خيارهم وخرج هاربا من الباب الأول هو والأساورة فتبعتهم بنو سعد والرباب فقتل بعضهم وأفلت من أفلت

صوت

(إذا سلكتْ حورانَ مِنْ رَمْلِ عالجٍ ... فقُولاَ لها ليس الطريقُ هنالكِ)
(دَعُوا فَلَجاتِ الشامِ قد حِيل دُونَها ... بضَرْبٍ كأفواه العِشار الأوارِكِ)

عروضه من الطويل الشعر لحسان بن ثابت والغناء لابن محرز ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول مطلق في مجرى البنصر
وهذا الشعر يقوله حسان بن ثابت لقريش حين تركت الطريق الذي كانت تسلكه إلى الشام بعد غزوة بدر واستأجرت فرات بن حيان العجلي دليلا فأخذ
بهم غيرها وبلغ النبي الخبر فأرسل زيد بن حارثة في سرية إلى العير فظفر بها وأعجزه القوم

ذكر الخبر في سرية زيد بن حارثة

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي قال
كان سبب هذه الغزوة أن قريشا قالت قد عور علينا محمد متجرنا وهو على طريقنا وقال أبو سفيان وصفوان بن أمية إن أقمنا بمكة أكلنا رؤوس أموالنا فقال زمعة بن الأسود وأنا أدلكم على رجل يسلك بكم النجدة ولو سلكها مغمض العين لاهتدى فقال صفوان من هو قال فرات بن حيان العجلي فاستأجراه فخرج بهم في الشتاء فسلك بهم ذات عرق ثم سلك بهم على غمرة فانتهى إلى النبي خبر العير فخرج وفيها مال كثير وآنية
من فضة حملها صفوان بن أمية
فخرج زيد بن حارثة فاعترضها فظفر بالعير وأفلت أعيان القوم وكان الخمس عشرين ألفا فأخذه رسول الله فقسم الأربعة الأخماس على السرية وأتي بفرات بن حيان العجلي أسيرا فقيل له إن أسلمت لم يقتلك رسول الله فلما دعا به رسول الله أسلم فأرسله
حدثنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق في خبر هذه السرية بمثل رواية الواقدي وزاد فيها فيما رواه
إن قريشا لما خافت طريقها إلى الشام أخذت على طريق العراق وذكر أن الوقعة كانت على القردة ماء من مياه نجد
أخبرني حرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني يعقوب بن محمد الزهري قال
كتب إبراهيم بن هشام إلى هشام بن عبد الملك إن رأى أمير المؤمنين إذا فرغ من دعوة أعمامه بني عبد مناف أن يبدأ بدعوة أخواله بني مخزوم فكتب إن رضي بذلك آل الزبير فافعل فلما فرغ من إعطاء بني عبد مناف نادى مناديه ببني مخزوم فناداه عثمان بن عروة وقال

(إذا هبطتْ حورانَ مِنْ أرْضِ عالج ... فقُولاَ لها ليسَ الطَّريقُ هنالك)

فأمر مناديه فنادى بني أسد بن عبد العزى ثم مضى على الدعوة
أخبرني محمد بن عبد الله الحضرمي إجازة قال حدثنا ضرار بن صرد
قال حدثنا علي بن هشام عن عمار بن زريق عن أبي إسحاق عن عدي بن حاتم
أن النبي أتي بفرات بن حيان فقال إني مسلم فقال لعلي صلوات الله عليه إن منكم من أكله إلى إيمانه منهم فرات بن حيان وأقطعه أرضا بالبحرين تغل ألفا ومائتين
حدثني أحمد بن يوسف بن سعيد قال حدثنا محمد بن عبيد الله بن عتبة قال حدثنا موسى بن زياد الزيات قال حدثنا عبد الرحمن بن سليمان الأشل عن زكريا بن أبي زائدة عن أبي إسحاق عن جارية بن مضرب عن أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه قال
أتى النبي بفرات بن حيان يوم الخندق وكان عينا للمشركين فأمر بقتله فقال إني مسلم فقال إن منكم من أتألفه على الإسلام وأكله إلى إيمانه منهم فرات بن حيان

صوت

(إذا المرء لم يطلب معاشاً لِنَفْسِهِ ... شكى الفَقْرَ أو لامَ الصَّدِيقَ فأكثرا)
(وصار على الأدْنَيْن كلاًّ وأوشكت ... صِلاَتُ ذَوِي القُرْبى له أن تَنَكَّرا)
(فسِرْ في بلادِ اللهِ والتمس الغِنَى ... تَعِشْ ذَا يَسارٍ أو تموتَ فتُعذرا)
(ولا تَرْضَ مِنْ عيش بدُونٍ ولا تنم ... وكيف ينامُ الليلَ مَنْ كان مُعْسِرا)

عروضه من الطويل الشعر لأبي عطاء السندي والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى من نسخة عمرو الثانية

ذكر أبي عطاء السندي

أبو عطاء اسمه أفلح بن يسار مولى بني أسد ثم مولى عنبر بن سماك ابن حصين الأسدي منشؤه الكوفة وهو من مخضرمي الدولتين مدح بني أمية وبني هاشم وكان أبوه يسار سنديا أعجميا لا يفصح وكان في لسان أبي عطاء لكنة شديدة ولثغة فكان لا يفصح وكان له غلام فصيح سماه عطاء وتكنى به وقال قد جعلتك ابني وسميتك بكنيتي فكان يرويه شعره فإذا مدح من يجتديه أو ينتجعه أمره بإنشاده ما قاله وكان ابن كناسة يذكر أنه كاتب مواليه وأنهم لم يعتقوه

نماذج من شعره

أخبرني بذلك محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن كناسة قال
كثر مال أبي عطاء السندي بعد أن أعتق فأعنته مواليه وطمعوا فيه وادعوا رقه فشكا ذلك إلى إخوانه فقالوا له كاتبهم فكاتبوه على أربعة آلاف وسعى له أهل الأدب والشعر فيها فتركهم وأتى الحر بن عبد الله القرشي وهو حليف لقريش لا من أنفسهم فقال فيه

((أتيتُك لا مِنْ قُرْبَةٍ هي بَيْنَنا ... ولا نعمةٍ قَدَّمتُها أستَثيبُها)
(ولكن مع الرَّاجِين أن كنتَ مَوْرِداً ... إليه بُغَاةَ الدَّيْن تَهْفُو قلوبها)

(أغِثْنِي بِسَجْلٍ مِنْ نَدَاك يكفُّني ... وقاك الرَّدَى مُرْدُ الرِّجَالِ وشِيبُها)
(تسمى ابن عبدالله حرا لوصفه ... وتلك العلا يعنى بها من يصيبها)
فأعطاه أربعة آلاف درهم فأداها في مكاتبته وعتق
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال كان أبو عطاء السندي يجمع بين لثغة ولكنة وكان لا يكاد يفهم كلامه فأتى سليمان ابن سليم فأنشده
(أعوزَتْني الرُّواةُ يابْنَ سُلَيم ... وأبى أنْ يقيم شِعْري لساني)
(وغَلَى بالذي أُجَمْجِمُ صَدْري ... وجَفَاني بعُجْمَتي سلْطاني)
(وازْدَرَتْني العيونُ إذ كان لَوْني ... حالكاً مُجْتَوىً من الألوان)
(فضربتُ الأمورَ ظَهْراً لبَطْنٍ ... كيف أحْتَالُ حِيلَةً للساني)
(وتمنيتُ أنني كنت بالشِّعْ ... فصِيحاً وبانَ بَعْضُ بَناني)
(ثم أصبحتُ قد أنخْتُ ركابِي ... عند رَحْبِ الفِنَاء والأعطان)
(فاكفِني ما يَضِيقُ عنه رُوَاتي ... بفصيحٍ مِنْ صَالحِ الغِلمان)
(يُفْهِمُ الناسَ ما أقول مِن الشِّعر ... فإنَّ البيانَ قَدْ أعياني)
(فاعْتَمِدْني بالشكر يابْنَ سُلَيم ... في بلادِي وسائر البُلْدان)
(ستُوافيهُمُ قَصائدُ غُرٌّ ... فيك سَبَّاقةٌ لكل لسان)
(فقديماً جعلتُ شكري جَزَاء ... كلّ ذِي نعمةٍ بما أوْلاَني)
((لم تَزَلْ تشتري المحامِدَ قِدماً ... بالرَّبيح الغالي من الأثمان
فأمر له بوصيف بربري فصيح فسماه عطاء وتكنى به ورواه شعره فكان إذا أراد إنشاد مديح لمن يجتديه أو مذاكرة لشعره أنشده

أبو عطاء يهجو عنبر الأسدي

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا ثعلب عن أبي العالية الحر بن مالك الشامي قال
لما أثرى أبو عطاء أعتنه مولاه عنبر بن سماك الأسدي حتى ابتاع نفسه منه فقال يهجوه
(إذا ما كنتَ متخذاً خليلاً ... فلا تَثِقَنْ بكلّ أخِي إخَاء)
(وإنْ خُيِّرْتَ بينهمُ فألْصقْ ... بأهلِ العقلِ منهم والحياءِ)
(فإنَّ العقلَ ليس له إذا ما ... تُذُوكِرَتِ الفَضَائِلُ مِنْ كِفاء)
(وإنَّ النَّوْكَ للأحسابِ غُولٌ ... به تأوي إلى دَاءٍ عَيَاء)
(فلا تَثِقَنْ مِن النَّوكي بشَيءٍ ... ولو كانوا بَنِي ماءِ السماء)
(كعَنْبَرٍ الوثيق بناءَ بَيْتٍ ... ولكن عقلُه مِثْلُ الهَبَاءِ)
(وليس بقابلٍ أدباً فَدَعْه ... وكن منه بمنقطعِ الرَّجَاء)
قال وكان أبو عطاء من شعراء بني أمية ومداحهم والمنصبي الهوى إليهم
وأدرك دولة بني العباس فلم تكن له فيها نباهة فهجاهم وفي آخر أيام المنصور مات وكان مع ذلك من أحسن الناس بديهة وأشدهم عارضة وتقدما وشهد أبو عطاء حرب بني أمية وبني العباس فأبلى وقتل غلامه عطاء مع ابن هبيرة وانهزم هو وقيل بل كان أبو عطاء المقتول معه لا غلامه
أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال
كان أبو عطاء يقاتل المسودة وقدامه رجل من بني مرة يكنى أبا يزيد وقد عقر فرسه فقال لأبي عطاء أعطني فرسك حتى أقاتل عني وعنك وقد كانا أيقنا بالهلاك فأعطاه أبو عطاء فرسه فركبه المري ثم مضى وترك أبا عطاء فقال أبو عطاء في ذلك
(لعمرك إنني وأبا يزيد ... لكالساعي إلى وَضَحِ السَّرَابِ)
(رأيْتُ مَخيلةً فطمعتُ فيها ... وفي الطمع المذلَّةُ للرِّقَابِ)
(فما أعياكَ مِنْ طلبٍ ورزقٍ ... كما يعييك في سَرَقِ الدَّوابِ)
(وأشهد أنْ مرّة حيٌّ صِدقٍ ... ولكن لستَ منهم في النِّصابِ)
أخبرني الحسن عن أحمد بن الحارث عن المدائني
أن يحيى بن زياد الحارثي وحمادا الراوية كان بينهما وبين معلى بن هبيرة ما يكون مثله بين الشعراء والرواة من النفاسة وكان معلى بن هبيرة يحب أن يطرح حمادا في لسان شاعر يهجوه

أبو عطاء وحماد الراوية

قال حماد الراوية فقال لي يوما بحضرة يحيى بن زياد أتقول لأبي عطاء السندي أن يقول في زج وجرادة ومسجد بني شيطان قال فقلت له فما تجعله لي على ذلك قال بغلتي بسرجها ولجامها قلت فعدلها على يدي يحيى ابن زياد ففعل وأخذت عليه موثقا بالوفاء
وجاء أبو عطاء السندي فجلس إلينا وقال مرهبا مرهبا هياكم الله فرحبت به وعرضت عليه العشاء فقال لا هاجة لي به فقال أعندكم نبيذ فأتيناه بنبيذ كان عندنا فشرب حتى احمرت عيناه واسترخت علابيه ثم قلت يا أبا عطاء إن إنسانا طرح علينا أبياتا فيها لغز ولست أقدر على إجابته البتة ومنذ أمس إلى الآن ما يستوي لي منها شيء ففرج عني قال هات
فقلت
(أبن لي إنْ سُئلْتَ أبا عطاء ... يقيناً كيف علمُك بالمعانِي)
فقال
(خبيرٌ عالم فاسأل تَجِدني ... بها طَبّاً وآياتِ المَثَانِي)
فقلت
(فما اسمُ حَدِيْدَةٍ في رأس رُمحٍ ... دُوَين الكَعْبِ ليست بالسِّنان)
فقال أبو عطاء
(هو الزُّجُّ الذي إن بات ضَيْفاً ... لصَدْرك لم تَزَلْ لك عَوْلتان)

قلت فرج الله عنك تعني الزج وقلت
(فما صفراء تُدْعى أمَّ عوف ... كأن رُجَيْلَتَيْها مِنْجلانِ)
فقال
(أردتَ زَرَادةً وأَزُنُّ زَنَّا ... بأنَّكَ ما أردتَ سِوَى لساني)
قلت فرج الله عنك وأطال بقاءك تريد جرادة وأظن ظنا وقلت
(أتعرف مسجداً لبني تميم ... فُوَيْقَ المِيل دُونَ بني أبان)
فقال
(بنو سَيْطان دُونَ بني أبان ... كقُرْب أبيك من عَبْدِ المدان)
قال حماد فرأيت عينيه قد احمرتا وعرفت الغضب في وجهه وتخوفته فقلت يا أبا عطاء هذا مقام المستجير بك ولك النصف مما أخذته قال فاصدقني قال فأخبرته فقال لي أولى لك قد سلمت وسلم لك جعلك خذه بورك لك فيه ولا حاجة لي فيه فأخذته وانقلب يهجو معلى بن هبيرة

مدح أبا جعفر فلم يثبه فهجاه

أخبرني الحسن قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني
أن أبا عطاء مدح أبا جعفر فلم يثبه فأظهر الانحراف عنه لعلمه بمذهبه في بني أمية فعاوده بالمدح فقال له يا ماص كذا من أمه ألست القائل في عدو الله الفاجر نصر بن سيار ترثيه
(فاضَتْ دُموعي على نَصْرٍ وما ظلمت ... عينٌ تفيضُ على نصر بن سيَّار)
(يا نَصْرُ مِنْ لِلِقاءِ الحرب إن لَقِحَتْ ... يا نَصْرُ بعدك أو للضيف والجار)
(الخِنْدِفيّ الذي يَحْمِي حَقيقَته ... في كل يَوْمٍ مخوف الشرِّ والعار)
(والقائد الخَيْل قُبَّاً في أعنَّتِها ... بالقوم حتى تلفَّ القار بالقار)
(منْ كُلِّ أبيض كالمصباح مِنْ مُضَرٍ ... يَجْلُو بِسُنَّته الظلماءَ لِلسَّاري)
(ماضٍ على الهَوْل مِقدام إذا اعترضت ... سُمْرُ الرِّماح وولّى كلُّ فَرَّار)
(إنْ قالَ قَوْلاً وَفَى بالقول مَوْعِدُه ... إنَّ الكنانيَّ وافٍ غَيْرُ غَدَّار)
والله لا أعطيك بعد هذا شيئا أبدا قال فخرج من عنده وقال عدة قصائد يذمه فيها منها
(فليت جَوْرَ بني مَرْوَان عادَ لنا ... وليتَ عَدْلَ بني العبّاس في النار)
وقال أيضا
(أليس اللهُ يعلمُ أنَّ قلبي ... يُحِبُّ بني أُميّة ما استطاعا)
((وما بي أنْ يكونوا أهل عَدْلٍ ... ولكنّي رأيتُ الأمْرَ ضاعا
أخبرني الحسن قال حدثني الخراز عن المدائني قال
كان أبو عطاء مع ابن هبيرة وهو يبني مدينته التي على شاطىء الفرات فأعطى ناسا كثيرا صلات ولم يعطه شيئا فقال
(قصائدُ حكتُهنّ لِيَوْمِ فَخْرٍ ... رَجَعْنَ إلي صُفْراً خَالِياتِ)
(رَجَعن وما أَفَأْنَ عليّ شيئاً ... سِوَى أنّي وُعِدت التُّرّهاتِ)
(أقام على الفرات يزيد حَوْلاً ... فقال الناس أيّهما الفراتي)
(فيا عجباً لِبَحْرٍ باتَ يَسْقِي ... جميعَ الخَلْقِ لم يَبْلُلْ لهاتِي)
فقال له يزيد بن عمر بن هبيرة وكم يبل لهاتك يا أبا عطاء قال عشرة آلاف درهم فأمر ابنه بدفعها إليه فقال يمدح ابنه
(أمَّا أبوكَ فَعَيْنُ الجودِ تعرفُه ... وأنتَ أشبَهُ خَلْقِ اللهِ بالجودِ)
(ولولا يزيدٌ ولولا قَبْله عمرٌ ... ألقَتْ إليك معدٌّ بالمَقَاليدِ)
(ما ينبتُ العودُ إلا في أَرُومته ... ولا يكون الجَنَي إلاَّ من العودِ)
أخبرني الحسن قال حدثنا أحمد عن المدائني قال
وهب نصر بن سيار لأبي عطاء جارية فلما أصبح غدا على نصر فقال ما فعلت أنت وهي فقال قد كان شيء مني منعني من بعض حاجتي - يعني النوم - فقال وهل قلت في ذلك شعرا قال نعم وأنشد
(إنّ النكاحَ وإن هَرِمْتَ لصالحٌ ... خَلَفٌ لعَيْنِك مِن لذيذ المَرْقَدِ)
فقال نصر
(ذاك الشقاء فلا تَظُنَّنْ غَيْرَهُ ... ليس المشاهِدُ مِثْلَ مَنْ لم يَشْهَدِ)
فقال أصلحك الله إني قد امتدحتك فائذن لي أن أنشدك قال إني لفي شغل ولكن ائت تميما فأتاه فأنشده فحمله على برذون أبلق فقال له نصر من الغد ما فعل بك تميم فقال
(لئن كان أُغْلِقَ بابُ الندى ... فقد فُتِحَ البابُ بالأبلق)
ثم أنشده قوله
(وهيكلٍ يُقال في جَلالِهِ ... تقصرُ أيْدي الناسِ عَنْ قَذالِه)
(جَعَلْتُ أوصالي على أوصالِهِ ... إنّك حمّالٌ على أمثالِهِ)
أخبرني الحسن قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال لما أمر أبو جعفر الناس بلبس السواد لبسه أبو عطاء فقال
(كُسِيتُ ولم أكفُرْ مِنَ الله نعمةً ... سواداً إلى لوني ودنّا مُلَهْوَجا)
(وبايعتُ كرهاً بيعةً بعد بَيعة ... مُبهرجة إن كان أمرٌ مبهرجا)
أخبرني الحسن قال حدثنا أحمد عن المدائني قال
بعث إبراهيم بن الأشتر إلى أبي عطاء ببيتين من شعر وسأله أن يضيف إليهما بيتين من رويهما وقافيتهما وهما
(وبلدةٍ يزدهي الجِنّانُ طارِقَها ... قطعتها بِكناز اللحْمِ مِعْتاطَهْ)
((وَهْناً وقد حلّق النّسران أو كَرَباً ... وكانت الدلو بالجَوْزاء مُنْتاطَهْ
فقال أبو عطاء
(فانجابَ عنها قميصُ الليل فابتكَرت ... تسير كالفَحْلِ تحت الكُورِ لَطّاطَهْ)
(في أينُقٍ كلما حثّ الحداةُ لها ... بَدَتْ مناسِمُها هَوْجاءَ حَطَّاطَهْ)

أخبرني الحسن قال حدثنا أحمد عن المدائني قال
كان سبب هجاء أبي دلامة بغلته أن أبا عطاء السندي هجاها فخاف أبو دلامة أن تشتهر بذلك وتعره فباعها وهجاها بقصيدته المشهورة قال وأبيات أبي عطاء فيها
(أبغلَ أبي دلامةَ متّ هَزْلاً ... عليه بالسخاءِ تُعَوِّلينا)
(دوابُّ الناسِ تقضِمُ مِلْمَخَالِي ... وأنْتِ مهانَةً لا تَقْضُمينا)
(سَلِيه البيعَ واسْتَعْدي عليه ... فإنّكِ إنْ تُباعِي تسمنينا)
أخبرني الحسن قال حدثنا أحمد عن المدائني قال
كان أبو عطاء منقطعا في طريق مكة وخباؤه مطروح فمر به نهيك بن معبد العطاردي فقال لمن هذا الخباء الملقى فقيل لأبي عطاء السندي فبعث غلمانا له فضربوا له خباء وبعث إليه بألطاف وكسوة فقال من صنع هذا قالوا نهيك بن معبد فنادى بأعلى صوته يقول
((إذا كنتَ مُرْتَادَ الرجال لِنَفْعِهِم ... فنادِ بصَوْت يا نَهيكُ بنَ مَعْبد
فبعث إليه نهيك لا زدنا يا أبا عطاء
فقال أبو عطاء
إنما أعطيناك على قدر ما أعطيتنا فإن زدتنا زدناك والله أعلم
نسخت من كتاب ابن الطحان قال الهيثم بن عدي أخبرنا حماد الراوية قال
أنشدت أبا عطاء السندي في أثناء حديث هذا البيت
(إذا كنْتَ في حاجةٍ مُرسِلاً ... فأرْسِلْ حكيماً ولا تُوصِهِ)
فقال أبو عطاء بئس ما قال فقلت كيف تقول أنت قال أقول
(إذا أرسلتَ في أمرٍ رسولا ... فأفْهِمْهُ وأرسِلْه أدِيبا)
(وإنْ ضيَّعْتَ ذاك فلا تَلُمْهُ ... على أن لم يكن عَلِمَ الغُيُوبا)
شعره في مدح سليمان بن سليم
نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيدي قال الهيثم بن عدي عن حماد بن سلمة الكلبي قال
دخل أبو عطاء السندي على سليمان بن سليم بن بشار فقال له
(أعوزَتْني الرُّواةُ يابن سُليم ... وأبى أن يقيمَ شِعْري لساني)
(وغلا بالذي أجَمْجِم صَدْري ... وشكاني مِن عجمتي شيطاني)
(وعدَتْنِي العيونُ أن كان لَوْني ... حالكاً مُظْلِماً مِنْ الألوان)
(وضربت الأمور ظَهْراً لبطن ... كيف أحتال حيلةً لِبَيَانِي)
((فتمنّيت أنني كُنْتُ بالشعر ... فصيحاً وبانَ بَعْضُ بناني
(ثم أصبحت قد أنخْتُ ركابي ... عند رحب الفِناء والأعطانِ)
(فإلى مَن سِوَاك يابن سليم ... أشتكي كُرْبَتي وما قد عَناني)
(فاكْفِني ما يضيق عنه ذراعي ... بفصيحٍ مِنْ صالحي الغلمان)
(يُفهِم الناسَ ما أقول من الشعر ... فإنَّ البيانَ قد أعياني)
(ثم خذني بالشكر يابن سُليم ... حيْثُ كانتْ داري من البلدان)
فأمر له بوصيف فصيح كان حسن الإنشاد فقال أبو عطاء أيضا
(فأقبلوا نحْوي معا بالقنا ... وكلّهم يسأل ما شأني)
(فقلت شأني كلّه أنني ... في تعب من لفظ جُرْداني)
(يابْنَ سليمَ أنْتَ لي عصمة ... من حدثٍ أفزع جيراني)
(فقد رماني الدَّهْرُ عن فقره ... بسهم فقر غير لَعْبان)
(صادَ فؤادي بعدما قد سلا ... فصرت كالمقتيل العاني)
(فانعَشْ فدَتْكَ النفس مني ومَن ... أطاعَني مِنْ جِلِّ إخواني)
(وهبْ فدتك النفْسُ لي طفلة ... يقمع حِرها رأسَ شيطاني)
(فإن أيري قد عتَا واعتدى ... وصار يبغي بغيةَ الزَّاني)
(فاللهَ ثم الله في قَمْعه ... من قبل أنْ أُمّنى بسلطان)
(يتركني أضحوكةً بعدما ... أضرب في سِرٍّ وإعْلانِ)
فأمر له بجارية قندهارية فارهة فقال
(أحصنني اللهُ بكفَّيْ فتى ... مهذّبٍ مِنْ سرّ قَحْطَان)
(من حمير أهل السَّدى والندى ... وعِصمة الخائفِ والجاني)
(يا خَيْرَ خَلْقِ الله أنت الذي ... أيْأسْتَ مِنْ فسقِي شيطاني)
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا علي بن محمد النوفلي عن أبيه قال
كنت جالسا مع سليمان بن مجالد وعنده أبو عطاء السندي إذ قام راوية أبي عطاء ينشد سليمان مديحا لأبي عطاء وأبو عطاء جالس لا يتكلم إذ قال الراوية في إنشاده
(فما فضلت يمينُك من يمين ... ولا فضلَتْ شمالُك عن شمال)
هكذا بالرفع فغضب أبو عطاء وقال ويلك فما مدهته إذا إنما هزوته يريد فما مدحته إنما هجوته ثم أنشده أبو عطاء
(فما فضَلت يمينَك من يمين ... ولا فضَلت شمالَك عن شمال)
فكدت أضحك ولم أجسر لأني رأيتُ القوم جميعا بهم مثل ما بي وهم لا يضحكون خوفا منه
حدثنا وكيع قال أخبرنا أحمد بن زهير قال حدثنا سليمان بن منصور قال حدثني صالح بن سليمان قال
أبو عطاء السندي على نصر بن سيار فأنشده
(قالت تَريكة بَيْتِي وهي عاتِبةٌ ... إنَّ المقام على الإفْلاس تعْذِيبُ)
(ما بال همٍّ دخيلٍ بات محتضراً ... رأس الفؤادِ فنوم العَيْنِ توجيبُ)

(إني دعاني إليكَ الخَيْرُ مِنْ بلدي ... والخيرُ عنْدَ ذوي الأحساب مطلوبُ)
فأمر له بأربعين ألف درهم
أخبرني محمد بن خلف وكيع والحسن بن علي قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني سليمان بن أبي شيخ عن صالح بن سليمان قال دخل إلي أبي عطاء السندي ضيف فأتاه بطعام فأكل وأتاه بشراب وجلسا يشربان فنظر أبو عطاء إلي الرجل يلاحظ جاريته فأنشأ يقول
(كُلْ هنيئاً وما شربت مَريئاً ... ثم قُمْ صاغراً وأنْتَ ذميمُ)
(لا أحبُّ النديم يُومِض بالطَّرفِ ... إذا ما خلا لعِرْسِ النَّدِيمِ)
صوت
(تجولُ خلاخيلُ النساء ولا أرى ... لرَمْلَةَ خَلْخَالاً يَجول ُولا قُلبا)
(أُحبّ بني العوَّام طُرّاً لحبِّها ... ومِنْ أجلها أحبَبْتُ أخوالها كَلْبا)
(فإن تُسْلِمي نُسْلِم وإن تتنصَّري ... تخطُّ رجالٌ بين أعينهم صُلْبا)
عروضه من الطويل الشعر لخالد بن يزيد بن معاوية يقوله في زوجته رملة بنت الزبير والغناء ليحيى المكي ثاني ثقيل أول بالوسطى من رواية ابنه وأبي العبيس وفيه لعبيد الله بن أبي غسان رمل وفيه لسعيد بن جابر خفيف رمل بالبنصر عن حبش
ذكر خالد ورملة وأخبارهما وأنسابهما
خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان من رجالات قريش سخاء وعارضة وفصاحة وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنى بذلك عمره وأسقط نفسه وأم خالد بن يزيد أم هاشم بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف
أخبرني الطوسي وحرمي قالا حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب قال
كان خالد بن يزيد بن معاوية يوصف بالعلم ويقول الشعر وزعموا أنه هو الذي وضع خبر السفياني وكبره وأراد أن يكون للناس فيه طمع حين غلبه مروان بن الحكم على الملك وتزوج أمه أم هاشم وهذا وهم من مصعب فإن السفياني قد رواه غير واحد وتتابعت فيه رواية الخاصة والعامة وذكر خبر
أمره أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام وغيره من أهل البيت صلوات الله عليهم
حدثني أبو عبد الله الصيرفي قال حدثنا محمد بن علي بن خلف العطار قال حدثنا الحسن بن صالح عن أبي الأسود قال حدثنا صالح بن أبي الأسود يعني أباه عن عبد الجبار بن العباس الهمداني عن عمار الدهني قال
قال أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام كم تعدون بقاء السفياني فيكم قلت حمل امرأة تسعة أشهر قال ما أعلمكم يا أهل الكوفة
حدثني أبو عبد الله قال حدثنا محمد بن علي قال حدثنا الحسن بن صالح قال حدثنا منصور بن الأسود قال
أتيت جابرا الجعفي أنا والأسود أخي فقلنا له إنا قوم نضرب في هذه التجارات وقد بلغنا أن الرايات قد قطع بها الفرات فماذا تشير علينا وماذا تأمرنا قال اذهبوا حيث شئتم من أرض الله تعالى حتى إذا خرج السفياني فأقبلوا عودكم على بدئكم
أخبرني الطوسي وحرمي قالا حدثنا الزبير بن بكار عن عمه قال لما ولدت أم هاشم خالد بن يزيد بن معاوية تركت كنيتها واكتنت بخالد وقال فيها يزيد بن معاوية
(وما نحْنُ يومن استعبرَتْ أمُّ خالدٍ ... بمَرضى ذوي داءٍ ولا بصِحَاح)
ولها يقول وقد قدم من المدينة وقد تزوج أم مسكين بنت عمر بن عاصم
ابن عمر بن الخطاب فحملت إليه بالشام فأعجب بها وجفا أم خالد ودخل عليها وهي تبكي فقال
(مالكِ أُمّض خالدٍ تبكِينْ ... مِنْ قَدَرٍ حلَّ بِكُمْ تَضجّين)
(بَاعَتْ على بَيْعكِ أمُّ مِسكينْ ... ميمونة مِنْ نِسوةٍ مَيَامينْ)
(حَلّتْ محَلّكِ الّذي تَحُلّين ... زارتك مِنْ يثرب في جوارين)
(... في منزل كنت به تكونين)
أخبرني الطوسي وحرمي قالا حدثنا الزبير بن بكار عن عمه أن رملة بنت الزبير كانت أخت مصعب بن الزبير لأمه كانت أمهما أم الرباب بنت أنيف بن عبيد بن مصاد بن كعب بن عليم بن عتاب بن ذهل من كلب وإنما كانت قبل خالد بن يزيد عند عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى فولدت له عبد الله بن عثمان وهو زوج سكينة بنت الحسين بن علي عليهما السلام
معاتبة الحجاج له
قال الزبير فحدثني رجل عن عمر بن عبد العزيز وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال لما قتل ابن الزبير حج خالد بن يزيد بن معاوية فخطب رملة بنت الزبير بن العوام فأرسل إليه الحجاج حاجبه عبيد الله بن موهب وقال له ما كنت أراك تخطب إلى آل الزبير حتى تشاورني وكيف خطبت إلى قوم ليسوا لك بأكفاء وكذلك قال جدك معاوية وهم الذين قارعوا أباك على الخلافة ورموه بكل قبيحة وشهدوا عليه وعلى جدك بالضلالة
فنظر إليه خالد طويلا ثم قال له لولا أنك رسول والرسول لا يعاقب
لقطعتك إربا إربا ثم طرحتك على باب صاحبك قل له ما كنت أرى أن الأمور بلغت بك إلى أن أشاورك في خطبة النساء وأما قولك لي قارعوا أباك وشهدوا عليه بكل قبح فإنها قريش يقارع بعضها بعضا فإذا أقر الله عز وجل الحق قراره كان تقاطعهم وتراحمهم على قدر أحلامهم وفضلهم
وأما قولك إنهم ليسوا بأكفاء فقاتلك الله يا حجاج ما أقل علمك بأنساب قريش أيكون العوام كفؤا لعبد المطلب بن هاشم بتزوجه صفية ويتزوج رسول الله خديجة بنت خويلد ولا تراهم أهلا لأبي سفيان فرجع الحاجب إليه فأعلمه
شعره في رملة
قال وقال عمر بن شبة في خبره قال خالد بن يزيد بن معاوية فيها
(أليس يزيد السيرُ في كل ليلة ... وفي كلّ يومٍ من أحبّتنا قُربا)
(أحِنّ إلى بنت الزبير وقد عَلتْ ... بنا العِيسُ خَرقاً من تهامة أو نقبا)

(إذا نزلت أرضاً تحبّبَ أهلها ... إلينا وإنْ كانت منازلها خرْبا)
(وإن نزلت ماء وإن كان قَبْلَها ... مليحاً وجدْنا ماءه بارداً عَذْبا)
(تجولُ خلاخيلُ النساءِ ولا أرَى ... لِرَمْلَة خلخالا يجولُ ولا قُلْبا
(أقلّوا عليّ اللومَ فيها فإنني ... تخيَّرتُها منهم زُبيريةً قَلْبا)
(أحبُّ بني العوّام طُرّاً لحبِّها ... ومِنْ حبها أحبَبْتُ أخوالها كلبا)
قال أبو زيد وزادوا في الأبيات
(فإن تُسْلِمي نُسْلِم وإن تتنصَّري ... تخطّ رجالٌ بين أعينهم صُلْبا)
فقال له عبد الملك تنصرت يا خالد قال وما ذاك فأنشده هذا البيت فقال له خالد على من قاله ومن نحلنيه لعنة الله
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني موسى بن سعيد بن سلم قال
قدم الحجاج على عبد الملك فمر بخالد بن يزيد بن معاوية ومعه بعض أهل الشام فقال الشامي لخالد من هذا فقال خالد كالمستهزئ هذا عمرو بن العاص فعدل إليه الحجاج فقال إني والله ما أنا بعمرو بن العاصي ولا ولدت عمرا ولا ولدني ولكني ابن الغطاريف من ثقيف والعقائل من قريش ولقد ضربت بسيفي هذا أكثر من مائة ألف كلهم يشهد أنك وأباك من أهل النار ثم لم أجد لذلك عندك أجرا ولا شكرا وانصرف عنه وهو يقول عمرو بن العاصي عمرو بن العاصي
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني قال حدثنا عبد الله بن مسلم القرشي عن مطر مولى يزيد بن عبد الملك
أن محمد بن عمرو بن سعيد بن العاصي قدم الشام غازيا فأتى عمته أمية بنت سعيد وهي عند خالد بن يزيد بن معاوية فدخل خالد فرآه فقال ما يقدم علينا أحد من أهل الحجاز إلا اختار المقام عندنا على المدينة فظن محمد أنه يعرض به فقال له وما يمنعهم من ذلك وقد قدم قوم من أهل المدينة على النواضح فنكحوا أمك وسلبوك ملكك وفرغوك لطلب الحديث وقراءة الكتب وعمل الكيميا الذي لا تقدر عليه انتهى
أمه تقتل زوجها مروان بن الحكم
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخراز عن المدائني عن أبي أيوب القرشي عن يزيد بن حصين بن نمير
أن مروان بن الحكم تزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية فناظر خالدا يوما وأراد أن يضع منه في شيء جرى بينهما فقال له يابن الرطبة فقال له خالد إنك لأمي مختبر وأنت بهذا أعلم ثم أتى أمه فأخبرها وقال أنت صنعت بي هذا فقالت له دعه فإنه لا يقولها لك بعد اليوم
فدخل مروان عليهما فقال لها هل أخبرك خالد بشيء فقالت يا أمير المؤمنين خالد أشد تعظيما لك من أن يذكر لي خبرا جرى بينك وبينه
فلما أمسى وضعت مرفقة على وجهه وقعدت عليها وهي وجواريها حتى مات
وأراد عبد الملك قتلها وبلغها ذلك فقالت أما إنه اشد عليك أن يعلم الناس أن أباك قتلته امرأة فكف عنها
أخبرني محمد قال حدثني الخراز عن المدائني قال وأخبرني الطوسي عن الزبير عن المدائني عن جويرية قال
نشزت سكينة بنت الحسين بن علي عليهما السلام على زوجها عبد الله ابن عثمان - وأمه رملة بنت الزبير - فدخلت رملة على عبد الملك بن مروان وهو عند خالد بن يزيد بن معاوية فقالت يا أمير المؤمنين لولا أن يبتز أمرنا ما كانت لنا رغبة فيمن لا يرغب فينا سكينة بنت الحسين عليه السلام قد نشزت على ابني قال يا رملة إنها سكينة قالت وإن كانت سكينة فوالله لقد ولدنا خيرهم ونكحنا خيرهم وأنكحنا خيرهم تعني بمن ولدوا فاطمة بنت رسول الله ومن نكحوا صفية بنت عبد المطلب ومن أنكحوا النبي
فقال يا رملة غرني منك عروة بن الزبير فقالت ما غرك ولكن نصح لك لأنك قتلت أخي مصعبا فلم يأمني عليك
أخبرني الطوسي قال حدثني عمي مصعب قال تزوج خالد بن يزيد بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام فقال فيها
(جاءتْ بها دُهْمُ البغال وشهبها ... مقنّعة في جَوْفِ حِدْجٍ مُخدَّر)
(مقابلةً بين النبيّ محمد ... وبين عليّ والجَوَاريِ وجَعْفَر)
(مَنافِيَّةٌ جادَت بخالِص وُدِّها ... لعبدٍ مَنافيّ أغرّ مُشَهَّر)
قال مصعب ومن الناس من ينكر تزويجه إياها
ومما يثبته قول شديد بن شداد بن عامر بن لقيط بن جابر بن وهيب بن ضباب بن حجير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي لعبد الملكِ بن مروانٍ هذا يعيره بخالدٍ في تزويجه بنتِ الزبير وبنت عبد الله بن جعفر قال
(لا يستوي الحَبْلاَن حَبْلٌ تَلَبَّست ... قُواهُ وحَبْلٌ قد أُمِرّ شَديدُ)
(عليكَ أميرِ المؤمنين بخالدٍ ... ففي خالدٍ عما تُريدُ صُدُودُ)
(إذا ما نَظَرْنا في مناكح خالدٍ ... عَرَفْنا الذي يَهْوَى وحَيثُ يُريدُ)
خالد يشكو الوليد إلى أبيه عبد الملك
أخبرنا الطوسي قال حدثنا الزبير قال حدثني مصعب بن عثمان قال دخل عبد الله بن يزيد بن معاوية على أخيه خالد فقال لقد هممت اليوم بقتل الوليد بن عبد الملك فقال له خالد بئس ما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين قال إنه لقي خيلي فنفرها وتلاعب بها فقال له خالد أنا أكفيكه إن شاء الله فدخل خالد على عبد الملك وعنده الوليد فقال له يا أمير المؤمنين إن ولي عهد المسلمين الوليد ابن أمير المؤمنين لقي خيل ابن عمه عبد الله بن يزيد فنفرها وتلعب بها فشق ذلك على عبد الله فنكس عبد الملك رأسه وقرع الأرض بقضيب في يده ثم رفع رأسه إليه فقال (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) فقال له خالد (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) فقال له عبد الملك أتكلمني فيه وقد دخل علي لا يقيم لسانه لحنا فقال له خالد يا أمير المؤمنين أفعلى الوليد تعول في اللحن فقال
عبد الملك إن يكن الوليد لحانا فأخوه سليمان قال خالد وإن يكن عبد الله لحانا فأخوه خالد قال الوليد لخالد أتكلمني ولست في عير ولا نفير قال ألا تسمع يا أمير المؤمنين ما يقول هذا أنا والله ابن العير والنفير سيد العير جدي أبو سفيان وسيد النفير جدي عتبة بن ربيعة ولكن لو قلت حبيلات - يعني حبلة العنب - وغنيمات والطائف لقلنا صدقت ورحم الله عثمان

هذا آخر الحديث قال مؤلف هذا الكتاب يعيره بأم مروان وأنها من الطائف ويعيره بالحكم وأن رسول الله طرده إلى الطائف وترحم على عثمان لرده إياه
ضعف معاوية بن مروان
حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن إسحاق بن أيوب
أن معاوية بن مروان كان ضعيفا فقال له خالد بن يزيد يا أبا المغيرة ما الذي هونك على أخيك فلا يوليك ولاية قال لو أردت لفعل قال كلا قال بلى والله قال فسله أن يوليك بيت لهيا قال نعم
فغدا على عبد الملك فقال له معاوية يا أمير المؤمنين ألست أخاك قال بلى والله إنك لأخي وشقيقي قال فولني بيت لهيا قال متى عهدك
بخالد قال عشية أمس قال إياك أن تكلمه
ودخل خالد فقال له كيف أصبحت يا أبا المغيرة قال قد نهانا هذا عن كلامك فغلب على عبد الملك الضحك فقام وتفرق الناس
قال وأفلت لمعاوية هذا باز فصاح أغلقوا أبواب المدينة لا يخرج قال وقال له رجل أنت الشريف ابن أمير المؤمنين وأخو أمير المؤمنين وابن عم أمير المؤمنين عثمان وأمك عائشة بنت معاوية قال فأنا إذا مردد في بن اللخناء ترداد
أخبرني الطوسي عن الزبير عن عمه قال كان خالد بن يزيد يتعصب لكلب على قيس في الحرب التي كانت بينهم لأن كلبا أخوال أبيه يزيد وأخوال زوجته فقال شاعر قيس
(يا خالد بن أبي سفيان قد قَرِحَتْ ... منّا القلوبُ وضاقَ السَّهْلُ والجَبَلُ)
(أأنت تَأمرُ كَلْباً أنْ تقاتِلَنا ... جَهْلاً وتمنعهم منّا إذا قَتَلُوا)
(ها إنّ ذا لا يُقِرّ الطير ساكنةً ... ولا تَبرَّك مِنْ نكرائِه الإبلُ)
صوت
(خَمْسٌ دَسَسْنَ إليّ في لَطَفٍ ... حُور العيون نواعمٌ زُهرُ)
(فطرقتهنّ مع الجَرِيّ وقد ... نام الرّقيبُ وحلَّقَ النّسرُ)
عروضه من الكامل الشعر للأحوص والغناء لمعبد رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق
خبر للأحوص
أخبرني حرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال أخبرني إبراهيم بن عبد الرحمن قال حدثني إسماعيل بن محمد المخزومي قال
اجتمع نسوة عند امرأة من أهل المدينة فقلن أرسلي إلي الأحوص فإنا نحب أن نتحدث معه ونسمع من شعره فقالت لهن إذا لا يزيدكن على أن يخرج إذا عرفكن فيشهركن وينظم الشعر فيكن فلم يزلن بها حتى أرسلت إليه رسولا يذكر له أمرهن ولا يسميهن ويقول له أن يأتيهن مخمر الرأس ففعل وتحدث معهن وأنشدهن فلما أراد الخروج وضع يده في تور بين أيديهن في خلوق فغطى رأسه وخرج ووضع يده على الباب ثم تفقد الموضع الذي كان فيه فغدا إليه وطاف حتى وجد أثر يده في الباب فقال
(خَمْسٌ دَسَسْنَ إليّ في لَطفٍ ... حورُ العيون نواعمٌ زُهْرُ)
(فطرقتهنَّ مع الجَرِيّ وقد ... نامِ الرقيبُ وحلّق النسر)
((مستبطناً للحيّ إذ قرعوا ... عَضْباً يَلُوحُ بمتنِه أثرِ
(فعكفن ليلتهن ناعِمَة ... ثم استفَقْنَ وقد بَدَا الفَجْرُ)
(بأشَمَّ معسولٍ فكاهته ... غضّ الشبابِ رداؤه غَمْرُ)
(رزْنٍ بَعِيد الصَّوت مُشْتَهر ... جيبت له جوب الرحى عَمْرو)
(قامت تخاصِرُه لكِلَّتِها ... تمشي تَأوَّدُ غادةٌ بكرُ)
(فتنازعا من دون نسوتها ... كَلِماً يَسُرُّ كأنه سِحْرُ)
(كلٌّ يَرَى أنْ الشَّبابَ له ... في كل غاية صَبوةٍ عُذْرُ)
(سَيْفَانَةٌ أمْرُ الشبابِ بها ... رَقراقةٌ لم يُبْلها الدَّهرُ)
(حتى إذا أبدى هَوَاهُ لها ... وبدَا هواها مالَهُ سِتْرُ)
(سَفَرَتْ وما سَفَرَتْ لمعرفة ... وجْهاً أغرَّ كأنّهُ البَدْرُ)
قال إسماعيل بن محمد فخرجت وأنا شاب ومعي شباب نريد مسجد رسول الله فذكرنا حديث الأحوص وشعره وقدامنا عجوز عليها بقايا من الجمال فلما بلغنا المسجد وقفت علينا والتفتت إلينا وقالت يا فتيان أنا والله إحدى الخمس كذب ورب هذا القبر والمنبر ما خلت معه واحدة منا ولا راجعته دون نسوتها كلاما
قال الزبير وحدثني غير إبراهيم بن عبد الرحمن
أن نسوة من أهل المدينة نذرن مشيا إلى قباء وصلاة فيه فخرجن ليلا
فطال عليهن الليل فنمن فجاءهن الأحوص متكئا على عرجون ابن طاب فتحدث معهن حتى أصبح ثم انصرف وانصرفن فقال قصيدته
(خَمْسٌ دَسَسْنَ إليّ في لَطفٍ ... حورُ العيون نواعمٌ زُهْرُ)
وحدثني عمي عن أبيه قال قال حبيب بن ثابت
صدرت إلى العقيق فخلا لي الطريق فأنشدت أبيات الأحوص هذه وعجوز سوداء قاعدة ناحية تسمع ما أقول ولا أشعر بها فقالت كذب والله يا سيدي إن سيفه ليلتذ لعرجون ابن طاب يتخصر به وإني لرسولهن إليه
قال الزبير وحدثني عمي عن أبيه عن الزبير بن حبيب قال كنت أنشد قول الأحوص
(... خَمسٌ دَسَسْنَ إليّ في لَطفٍ)
قال فإذا نسوة فيهن عجوز سوداء فأقبلن على العجوز فقلن لها لمن هذا الشعر قالت للأحوص فقلت للأحوص لعمري فقالت لهن أنا والله الجري خرج نسوة يصلين في مسجد قباء ثم تحدثن في رحبة المسجد في ليلة مقمرة فقلن لو كان عندنا الأحوص فخرجت حتى أتيتهن به وهو متخصر
بعرجون ابن طاب فتحدث معهن حتى دنا الصبح فقلن له لا تذكر خبرنا ولا تذكر إلا خيرا قال قد فعلت وأنشدهن تلك

الساعة من الليلة تلك الأبيات ثم استمرت بأفواه الناس تغنى
(... خَمْسٌ دَسَسْنَ إليّ في لَطَفٍ)
الأبيات كلها والله ما قامت معه امرأة ولا كان بينه وبين واحدة منهن سر
صوت
(يابْنَةَ الجُودِيّ قَلْبِي كئِيبُ ... مُسْتَهامٌ عندها ما يُنِيبُ)
(ولقد قالوا فقلت دعوها ... إنَّ مَنْ تَنْهَوْنَ عنه حَبيبُ)
(إنما أبْلَى عِظَامي وجسْمِي ... حبُّها والحبُّ شيءٌ عجيبُ)
عروضه من الرمل الشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه والغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لمالك خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه رمل بالسبابة في مجرى الوسطى لم ينسبه إسحاق إلى أحد وذكر أحمد بن يحيى المكي أنه لأبيه يحيى والله أعلم

ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر وخبره وقصة بنت الجودي

عبد الرحمن بن أبي بكر واسم أبي بكر رضي الله عنه عبدالله - وكان اسمه في الجاهلية عتيقا فسماه رسول الله عبد الله - بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار
وكان اسم عبد الرحمن عبد العزى فسماه رسول الله عبد الرحمن
وأمه وأم عائشة أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة بن خزيمة
هذا قول الزبير وعمه
وحكى إبراهيم بن موسى أنها بنت عويمر بن عتاب بن دهمان بن الحارث ابن غنم

صحبته بالنبي

وروي عن محمد بن عبد الرحمن المرواني أنها بنت عامر بن عويمر بن أذينة بن سبيع بن الحارث بن دهمان بن غنم بن مالك بن كنانة
ولعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه صحبة بالنبي ولم يهاجر مع
أبيه صغرا عن ذلك فبقي بمكانه ثم خرج قبل الفتح مع فتية من قريش وقيل بل كان إسلامه في يوم الفتح وإسلام معاوية بن أبي سفيان في وقت واحد غير مدفوع انتهى
أخبرني الطوسي وحرمي بن أبي العلاء قالا حدثنا الزبير قال حدثني إبراهيم بن حمزة عن سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان أن عبد الرحمن بن أبي بكر خرج في فتية من قريش مهاجرا إلى النبي قبل الفتح قال وأحسبه قال إن معاوية كان معهم
قال الزبير وحدثني عمي مصعب قال
وقف محكم اليمامة على ثلمة فحماها فلم يجز عليه أحد فرماه عبد الرحمن بن أبي بكر فقتله وكان أحد الرماة فدخل المسلمون من تلك الثلمة وهو المخاطب لمروان يوم دعا إلى بيعة يزيد والقائل إنما تريدون أن تجعلوها كسروية أو هرقلية كلما هلك كسرى أو هرقل ملك كسرى أو هرقل فقال مروان أيها الناس هذا الذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي فصاحت به عائشة ألعبد الرحمن تقول هذا كذبت والله ما هو به ولو شئت أن أسمي من أنزلت فيه لسميته ولكن أشهد أن رسول الله لعن أباك وأنت في صلبه فأنت فضض من لعنة الله
حدثنا بذلك أحمد بن الجعد قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني أبي قال حدثنا وهب بن جرير عن جويرية بن أسماء وفي غير رواية أن عائشة قالت له يا مروان أفينا تتأول القرآن وإلينا تسوق اللعن والله لأقومن يوم
الجمعة بك مقاما تود أني لم أقمه فأرسل إليها بعد ذلك وترضاها واستعفاها وحلف ألا يصلي بالناس أو تؤمنه ففعلت

هيامه بليلى بنت الجودي وشعره فيها

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا عبد العزيز بن عمران عن عبد الله بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وأخبرني الطوسي قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن الضحاك عن أبيه عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه قال
استهيم عبد الرحمن بن أبي بكر بليلى بنت الجودي بن عدي بن عمرو بن أبي عمرو الغساني فقال فيها
(تذكرتُ ليلى والسماوةُ دُونَها ... وما لابنَةِ الجُودِيِّ ليلى ومَا لِيا)
(وأنّى تُعاطِي قلبه حارِثِيَّةً ... تحلُّ بِبُصْرَى أو تحل الجَوَابيا)
(وكيف يُلاَقِيها بلَى ولعلَّها ... إذا الناسُ حجّوا قابلاً أن تلاقيا)
قال أبو زيد وقال فيها
((يابْنَةَ الجُودِيّ قَلْبِي كَئِيبُ ... مُسْتَهامٌ عندها ما يُنِيبُ
(جاورَتْ أخوالها حَيَّ عَكٍّ ... فلِعَكٍّ من فؤادِي نَصِيب)
وقد ذكرنا باقي الأبيات فيما تقدم
قال الزبير في خبره
وكان قدم في تجارة فرآها هناك على طنفسة حولها ولائد فأعجبته
وقال أبو زيد في خبره فقال له عمر ما لك ولها يا عبد الرحمن فقال والله ما رأيتها قط إلا ليلة في بيت المقدس في جوار ونساء يتهادين فإذا عثرت إحداهن قالت بابنة الجودي فإذا حلفت إحداهن حلفت بابنة الجودي
فكتب عمر إلى صاحب الثغر الذي هي به إذا فتح الله عليكم دمشق فقد غنمت عبد الرحمن بن أبي بكر ليلى بنت الجودي فلما فتح الله عليهم غنموه إياها
قالت عائشة فكنت أكلمه فيما يصنع بها فيقول يا أخيه دعيني فوالله لكأني أرشف من ثناياها حب الرمان ثم ملها وهانت عليه فكنت أكلمه فيما يسيء إليها كما كنت أكلمه في الإحسان إليها فكان إحسانه أن ردها إلى أهلها
قال الشيخ في خبره
فقالت له عائشة يا عبد الرحمن لقد أحببت ليلى فأفرطت وأبغضت ليلى فأفرطت فإما أن تنصفها وإما أن تجهزها إلى

أهلها فجهزها إلى أهلها
قال الزبير وحدثني عبد الله بن نافع الصائغ عن هشام بن عروة عن أبيه
أن عمر بن الخطاب نفل عبد الرحمن بن أبي بكر بنت الجودي حين فتح دمشق وكانت بنت ملك دمشق
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الصلت بن مسعود قال حدثنا محمد بن شيرويه عن سليمان بن صالح قال قرأت على عبد الله بن المبارك عن مصعب بن ثابت عن عبد الله بن الزبير عن عائشة بنت مصعب عن عروة بن الزبير قال كانت ليلى بنت الجودي بنت ملك من ملوك الشام فشبب بها عبد الرحمن بن أبي بكر وكان قد رآها فيما تقدم بالشام فلما فتح الله عز وجل على المسلمين وقتلوا أباها أصابوها فقال المسلمون لأبي بكر يا خليفة رسول الله أعط هذه الجارية عبد الرحمن فقد سلمناها له قال أبو بكر أكلكم على هذا قالوا نعم فأعطاه وكان لها بساط في بلدها لا تذهب إلى الكنيف ولا إلى الحاجة إلا بسط لها ورمي بين يديها برمانتين من ذهب تتلهى بهما في طريقها فكان عبد الرحمن إذا خرج من عندها ثم رجع إليها رأى في عينيها أثر البكاء فيقول ما يبكيك اختاري خصالا أيها شئت فعلت بك إما أن أعتقك وأنكحك فتقول لا أشتهيه وإن شئت رددتك على قومك قالت ولا أريد وإن أحببت رددتك علي المسلمين قالت لا اريد قال فأخبريني ما يبكيك قالت أبكي الملك من يوم البؤس
أخبرني أحمد قال حدثني أبو زيد قال حدثني هارون بن إبراهيم بن معروف قال حدثني حمزة بن ربيعة عن العلاء بن هارون عن عبد الله بن عون عن يحيى بن يحيى الغساني
أن عبد الرحمن قدم على يعلى بن منية وهو على اليمن فوجدها في السبي فسأله أن يدفعها إليه
أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال
كتب إلي محمد بن زياد بن عبيد الله يذكر أن عبد الرحمن قال فيها
(فإمَّا تُصبِحي بعد اقترابٍ ... بسلْعٍ أو ثنيّات الوَدَاعِ)
(فلم ألفظكِ مِنْ شبَعٍ ولكن ... لأقضي حاجةَ النفس الشَّعاعِ)
(كأنَّ جوانِحَ الأضلاعِ مِنِّي ... بُعَيْدَ النوم مُبْطَنَة اليَرَاعِ)
موته ورثاء عائشة له
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا عبد الله بن لاحق عن أبي مليكة قال
مات عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه بالحبشي جبل من مكة على أميال فحمل فدفن بمكة فقدمت عائشة فوقفت على قبره ثم قالت
(وكُنَّا كنَدْمانَيْ جذيمةَ حِقْبَةً ... من الدَّهْرِ حتى قِيل لن يتصدَّعا)
(فلما تفرَّقْنا كأنّي ومَالِكاً ... لطُولِ اجْتِمَاعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا)
أما والله لو حضرتك لدفنتك حيث مت ولو شهدتك لزرتك

صوت
(أماويّ إنّ المالَ غادٍ ورَائحٌ ... ويَبْقَى مِنَ المالِ الأحاديثُ والذِّكْرُ)
(وقد عَلِمَ الأقوامُ لو أنَّ حاتماً ... أرادَ ثَرَاءَ المالِ أمْسَى له وَفْرُ)
(أماويَّ إنْ يُصْبِحْ صَدايَ بِقَفْرَةٍ ... مِنَ الأرضِ لا ماءٌ لديَّ ولا خَمْرُ)
(تَرَى أنَّ ما أنفقتُ لم يكُ ضَائِري ... وأنَّ يدي مما بخِلْتُ به صِفْرُ)
عروضه من الطويل
الثراء الكثرة في المال وفي عدد القوم أيضا والوفر الغنى ووفور المال والصدى ها هنا كان أهل الجاهلية يذكرون أن طائرا يخرج من جسم الإنسان أو من رأسه فإذا قتل أقبل يصوت على قبره حتى يدرك بثأره والصفر الخالي والصدى العطش والصدى ما يجيب إذا صوت في المكان الخالي وصدأ الحديد مهموز
الشعر لحاتم الطائي والغناء لإسحاق رمل بالسبابة في مجرى البنصر وذكر الهشامي أن فيه ثقيلا أول ولمالك خفيفا وذكر حبش أن فيه لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى وذكر عمرو بن بانة أن فيه لابن جامع خفيف رمل بالوسطى
أخبار حاتم ونسبه
ذكر ابن الأعرابي عن المفضل والأثرم عن أبي عمرو الشيباني وابن الكلبي عن أبيه والسكري عن يعقوب بن السكيت أنه حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي بن أخزم بن أبي أخزم واسمه هزومه بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيىء
وقال يعقوب بن السكيت إنما سمي هزومة لأنه شج أو شج وإنما سمي طيىء طيئا - واسمه جلهمة - لأنه أول من طوى المناهل وهو ابن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان ويكنى حاتم أبا سفانة وأبا عدي كني بذلك بابنته سفانة وهي أكبر ولده وبابنه عدي بن حاتم وقد أدركت سفانة وعدي الإسلام فأسلما وأتى بسفانة النبي في أسرى طيىء فمن عليها
أخبرني بذلك أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدثني سليمان بن الربيع بن ووجدته -هشام الكوفي
في بعض نسخ الكوفيين عن سليمان بن الربيع - أتم من هذا فنسخته وجمعتهما قال حدثنا عبد الحميد بن صالح الموصلي البرجمي قال حدثنا زكريا بن عبد الله بن يزيد الصهباني عن أبيه عن كميل بن زياد النخعي عن علي عليه السلام قال
يا سبحان الله ما أزهد كثيرا من الناس في الخير عجبت لرجل يجيئه أخوه في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كنا لا نرجو جنة ولا نخاف نارا ولا ننتظر ثوابا ولا نخشى عقابا لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق فإنها تدل على سبيل النجاة
فقام رجل فقال فداك أبي وأمي يا أمير المؤمنين أسمعته من رسول الله قال نعم وما هو خير منه لما أتينا بسبايا طيىء كانت في النساء جارية حماء حوراء العينين لعساء لمياء عيطاء شماء الأنف معتدلة القامة درماء الكعبين خدلجة الساقين لفاء الفخذين خميصة الخصر ضامرة الكشحين مصقولة المتنين
فلما رأيتها أعجبت بها فقلت لأطلبنها إلى رسول الله ليجعلها من فيئي فلما تكلمت أنسيت جمالها لما سمعت من

فصاحتها فقالت
يا محمد هلك الوالد وغاب الوافد فإن رأيت أن تخلي عني فلا تشمت بي أحياء العرب فإني بنت سيد قومي كان أبي يفك العاني ويحمي الذمار ويقري الضيف ويشبع الجائع ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط أنا بنت حاتم طيىء
فقال لها رسول الله يا جارية هذه صفة المؤمن لو كان أبوك إسلاميا لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق والله يحب مكارم الأخلاق
وأم حاتم عتبة بنت عفيف بن عمرو بن امرئ القيس بن عدي بن أخزم وكانت في الجود بمنزلة حاتم لا تدخر شيئا ولا يسألها أحد شيئا فتمنعه
سخاء أم حاتم
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا الحرمازي عن العباس ابن هشام عن أبيه قال
كانت عتبة بنت عفيف وهي أم حاتم ذات يسار وكانت من أسخى الناس وأقراهم للضيف وكانت لا تليق شيئا تملكه فلما رأى إخوتها إتلافها حجروا عليها ومنعوها مالها فمكثت دهرا لا يدفع إليها شيء منه حتى إذا ظنوا أنها قد وجدت ألم ذلك أعطوها صرمة من إبلها فجاءتها امرأة من هوازن كانت تأتيها في كل سنة تسألها فقالت لها دونك هذه الصرمة فخذيها فوالله لقد عضني من الجوع ما لا أمنع معه سائلا أبدا ثم أنشأت تقول
(لَعَمْري لَقِدْماً عضَّني الجوعُ عَضَّةً ... فآلَيْتُ ألاَّ أمنَع الدَّهْرَ جائعا
(فقُولاَ لهذا اللائمي اليومَ أعفِني ... فإن أنْتَ لم تفعَلْ فعَضَّ الأصابِعَا)
(فماذا عساكم أن تقُولُوا لأختكم ... سِوَى عَذْلِكم أو عَذْلِ مَنْ كان مانعا)
(وماذا ترَوْنَ اليومَ إلاّ طبيعةً ... فكيف بتَرْكي يابْنَ أُمِّ الطَّبَائعا)
قال ابن الكلبي وحدثني أبو مسكين قال
كانت سفانة بنت حاتم من أجود نساء العرب وكان أبوها يعطيها الصرمة بعد الصرمة من إبله فتنهبها وتعطيها الناس فقال لها حاتم يا بنية إن القرينين إذا اجتمعا في المال أتلفاه فإما أن أعطي وتمسكي أو أمسك وتعطي فإنه لا يبقى على هذا شيء
أخبار في كرم حاتم
قال ابن الأعرابي
كان حاتم من شعراء العرب وكان جوادا يشبه شعره جوده ويصدق قوله فعله وكان حيثما نزل عرف منزله وكان مظفرا إذا قاتل غلب وإذا غنم أنهب وإذا سئل وهب وإذا ضرب بالقداح فاز وإذا سابق سبق وإذا أسر أطلق وكان يقسم بالله ألا يقتل واحد أمه
وكان إذا أهل الشهر الأصم الذي كانت مضر تعظمه في الجاهلية ينحر في كل يوم عشرا من الإبل فأطعم الناس واجتمعوا إليه فكان ممن يأتيه من الشعراء الحطيئة وبشر بن أبي خازم
فذكروا أن أم حاتم أوتيت وهي حبلى في المنام فقيل لها أغلام سمح يقال له حاتم أحب إليك أم عشرة غلمة كالناس ليوث ساعة البأس ليسوا بأوغال ولا أنكاس فقالت بل حاتم فولدت حاتما
فلما ترعرع جعل يخرج طعامه فإن وجد من يأكله معه أكل وإن لم يجد طرحه فلما رأى أبوه أنه يهلك طعامه قال له الحق بالإبل فخرج إليها ووهب له جارية وفرسا وفلوها فلما أتى الإبل طفق يبغي الناس فلا يجدهم ويأتي الطريق فلا يجد عليه أحدا فبينا هو كذلك إذ بصر بركب على الطريق فأتاهم فقالوا يا فتى هل من قرى فقال تسألوني عن القرى وقد ترون الإبل وكان الذين بصر بهم عبيد بن الأبرص وبشر بن أبي خازم والنابغة الذبياني وكانوا يريدون النعمان فنحر لهم ثلاثة من الإبل فقال عبيد إنما أردنا بالقرى اللبن وكانت تكفينا بكرة إذا كنت لا بد متكلفا لنا شيئا فقال حاتم قد عرفت ولكني رأيت وجوها مختلفة وألوانا متفرقة فظننت أن البلدان غير واحدة فأردت أن يذكر كل واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه فقالوا فيه أشعارا امتدحوه بها وذكروا فضله فقال حاتم أردت أن أحسن إليكم فكان لكم الفضل علي وأنا أعاهد الله أن أضرب عراقيب إبلي عن آخرها أو تقدموا إليها فتقتسموها ففعلوا فأصاب الرجل تسعة وتسعين بعيرا ومضوا على سفرهم إلى النعمان
وإن أبا حاتم سمع بما فعل فأتاه فقال له أين الإبل فقال يا أبت طوقتك بها طوق الحمامة مجد الدهر وكرما لا يزال الرجل يحمل بيت شعر أثني به علينا عوضا من إبلك
فلما سمع أبوه ذلك قال أبإبلي فعلت ذلك قال نعم قال والله لا أساكنك أبدا فخرج أبوه بأهله وترك حاتما ومعه جاريته وفرسه وفلوها فقال يذكر تحول أبيه عنه
(وإني لَعَفٌّ الفَقْرِ مُشْتَرَكُ الغِنَى ... وتَارِك شكْلٍ لا يوافقُه شكْلي)
(وشَكْلِيَ شكلٌ لا يقومُ لمثلِه ... منَ الناسِ إلاَّ كلُّ ذي نيقة مِثْلي)
(وأجْعَلُ مالي دونَ عِرْضِي جُنَّةً ... لنفسي وأستغني بما كان مِن فضلي)
(وما ضَرَّني أن سارَ سعْدٌ بأهلِه ... وأفْرَدَني في الدارِ لَيْسَ معي أهلي)
(سيَكفي ابتنائي المجد سَعْدَ بن حَشرج ... وأحمِلُ عنكم كلَّ ما ضاع مِن ثِقْلِ)
(ولي مَع بَذْلِ المال في المجد صَوْلَةٌ ... إذا الحربُ أبْدَتْ عن نَوَاجذها العُصْلِ)
وهذا شعر يدل على أن جده صاحب هذه القصة معه لا أنها قصة أبيه وهكذا ذكر يعقوب بن السكيت ووصف أن أبا حاتم هلك وحاتم صغير فكان في حجر جده سعد بن الحشرج فلما فتح يده بالعطاء وأنهب ماله ضيق عليه جده ورحل عنه بأهله وخلفه في دار فقال يعقوب خاصة
فبينا حاتم يوما بعد أن أنهب ماله وهو نائم إذ انتبه وإذا حوله مائتا بعير أو نحوها تجول ويحطم بعضها بعضا فساقها إلى قومه فقالوا يا حاتم أبق على نفسك فقد رزقت مالا ولا تعودن إلى ما كنت عليه من الإسراف قال فإنها نهبى بينكم فانتهبت فأنشأ حاتم يقول
(تَدَارَكَني مَجْدِي بسَفْحِ مُتَالِعٍ ... فلا يَيْأسَنْ ذو نَوْمَةٍ أنْ يغنَّما
قال ولم يزل حاتم على حاله في إطعام الطعام وإنهاب ماله حتى مضى لسبيله
حاتم وبنو لأم

قال ابن الأعرابي ويعقوب بن السكيت وسائر من ذكرنا من الرواة
خرج الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس ومعه عطر يريد الحيرة وكان بالحيرة سوق يجتمع إليه الناس كل سنة وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبني لأم بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعان بن ذهل بن رومان بن حبيب بن خارجة بن سعد بن قطنة بن طيىء ربع الطريق طعمة لهم وذلك لأن بنت سعد بن حارثة بن لأم كانت عند النعمان وكانوا أصهاره فمر الحكم بن أبي العاصي بحاتم بن عبد الله فسأله الجوار في أرض طيىء حتى يصير إلى الحيرة فأجاره ثم أمر حاتم بجزور فنحرت وطبخت أعضاء فأكلوا ومع حاتم ملحان بن حارثة بن سعد بن الحشرج وهو ابن عمه فلما فرغوا من الطعام طيبهم الحكم من طيبة ذلك فمر حاتم بسعد بن حارثة بن لأم وليس مع حاتم من بني أبيه غير ملحان وحاتم على راحلته وفرسه تقاد فأتاه بنو لأم فوضع حاتم سفرته وقال أطعموا حياكم الله فقالوا من هؤلاء معك يا حاتم قال هؤلاء جيراني قال له سعد فأنت تجير علينا في بلادنا قال له أنا ابن عمكم وأحق من
لم تخفروا ذمته فقالوا لست هناك وأرادوا أن يفضحوه كما فضح عامر بن جوين قبله فوثبوا إليه فتناول سعد بن حارثة بن لأم حاتما فأهوى له حاتم بالسيف فأطار أرنبة أنفه ووقع الشر حتى تحاجزوا فقال حاتم في ذلك
(وَدِدْتُ وبَيْتِ اللَّهِ لو أنَّ أنْفَهَ ... هواءٌ فما مَتَّ المُخَاطُ عن العَظْمِ)
(ولكنَّما لاقاهُ سَيْفُ ابنِ عَمِّهِ ... فآبَ ومرَّ السَّيْفُ منه على الخَطْمِ)
فقالوا لحاتم بيننا وبينك سوق الحيرة فنماجدك ونضع الرهن ففعلوا ووضعوا تسعة أفراس هنا على يدي رجل من كلب يقال له امرؤ القيس بن عدي ابن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن جناب وهو جد سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما ووضع حاتم فرسه ثم خرجوا حتى انتهوا إلى الحيرة وسمع بذلك إياس بن قبيصة الطائي فخاف أن يعينهم النعمان بن المنذر بقويهم بماله وسلطانه للصهر الذي بينهم وبينه فجمع إياس رهطه من بني حية وقال يا بني حية إن هؤلاء القوم قد أرادوا أن يفضحوا ابن عمكم في مجاده أي مماجدته فقال رجل من بني حية عندي مائة ناقة سوداء ومائة ناقة حمراء أدماء وقام آخر فقال عندي عشرة حصن على كل حصان منها فارس
مدجج لا يرى منه إلا عيناه وقال حسان بن جبلة الخير قد علمتم أن أبي قد مات وترك كلأ كثيرا فعلي كل خمر أو لحم أو طعام ما أقاموا في سوق الحيرة ثم قام إياس فقال علي مثل جميع ما أعطيتم كلكم
قال وحاتم لا يعلم بشيء مما فعلوا وذهب حاتم إلى مالك بن جبار ابن عم له بالحيرة كان كثير المال فقال يابن عم أعني على مخايلتي قال والمخايلة المفاخرة ثم أنشد
(يا مالُ إحْدَى خطوبِ الدَّهْرِ قد طَرَقَتْ ... يا مالِ ما أنْتُمُ عنها بِزَحْزاحِ)
(يا مالِ جاءَتْ حِيَاضُ الموتِ وارِدَةً ... من بَيْنِ غَمْرٍ فخُضْنَاه وضَحْضاحِ)
فقال له مالك ما كنت لأحرب نفسي ولا عيالي وأعطيك مالي
فانصرف عنه وقال مالك في ذلك قوله
(إنّا بَنُو عمِّكم لا أنْ نُبَاعِلكم ... ولا نجاوركم إلاَّ على نَاحِ)
(وقد بلَوتُك إذ نلْتَ الثراءَ فلم ... ألقك بالمالِ إلاَّ غير مرتاحِ)
قال أبو عمرو الشيباني في خبره ثم أتى حاتم ابن عم له يقال له وهم بن عمرو وكان حاتم يومئذ مصارما له لا يكلمه فقالت له امرأته أي وهم هذا والله أبو سفانة حاتم قد طلع فقال ما لنا ولحاتم أثبتي النظر فقالت ها هو قال ويحك هو لا يكلمني فما جاء به إلي فنزل حتى سلم عليه ورد سلامه وحياه ثم قال له ما جاء بك يا حاتم قال خاطرت على حسبك وحسبي قال في الرحب والسعة هذا مالي - قال وعدته يومئذ تسعمائة بعير - فخذها مائة مائة حتى تذهب الإبل أو تصيب ما تريد فقالت امرأته يا حاتم أنت تخرجنا من
مالنا وتفضح صاحبنا - تعني زوجها - فقال اذهبي عنك فوالله ما كان الذي غمك ليردني عما قبلي وقال حاتم
(ألاَ أبلِغَا وَهْمَ بن عَمرو رسالةً ... فإنكَ أنْتَ المرءُ بالخير أجْدَرُ)
(رأيتُكَ أدْنَى الناسِ منَّا قرابةً ... وغَيْرَكَ منهم كنتُ أحْبُو وأنصُرُ)
(إذا ما أتَى يومٌ يُفَرِّقُ بيننا ... بموْتٍ فكُنْ يا وَهْمُ ذُو يتأخَّرُ)
ذو في لغة طيىء الذي
قالوا ثم قال إياس بن قبيصة احملوني إلى الملك وكان به نقرس فحمل حتى أدخل عليه فقال أنعم صباحا أبيت اللعن فقال النعمان وحياك إلهك فقال إياس أتمد أختانك بالمال والخيل وجعلت بني ثعل في قعر الكنانة أظن أختانك أن يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن جوين ولم يشعروا أن بني حية بالبلد فإن شئت والله ناجزناك حتى يسفح الوادي دما فليحضروا مجادهم غدا بمجمع العرب
فعرف النعمان الغضب في وجهه وكلامه فقال له النعمان يا أحلمنا لا تغضب فإني سأكفيك
وأرسل النعمان إلى سعد بن حارثة وإلى أصحابه انظروا ابن عمكم حاتما فأرضوه فوالله ما أنا بالذي أعطيكم مالي تبذرونه وما أطيق بني حية
فخرج بنو لأم إلى حاتم فقالوا له أعرض عن هذا المجاد ندع أرش أنف ابن عمنا قال لا والله لا أفعل حتى تتركوا أفراسكم ويغلب مجادكم فتركوا
أرش أنف صاحبهم وأفراسهم وقالوا قبحها الله وأبعدها فإنما هي مقارف فعمد إليها حاتم وأطعمها الناس وسقاهم الخمر وقال حاتم في ذلك
(أبْلِغْ بني لأمٍ فإنَّ خيولَهُم ... عَقْرَى وإنَّ مجاَدهم لم يَمْجُدِ)
(ها إنَّما مَطرَتْ سَماَؤكم دَماً ... ورفعْتَ رأسَكَ مِثل رأسِ الأصْيَدِ)
(ليكونَ جيراني أكَالاً بينَكم ... نُحْلاً لِكنْديٍّ وسَبْيِ مزبد)
(وابن النُّجودِ إذا غَدَا مُتلاطماً ... وابن الغدوَّر ذي العِجَان الأبرد)
(ولثابِتٍ عَيْني جذ متماوت ... وللعمظ أوْس قد عَوَى لمقلد)
(أبْلِغْ بني ثُعَلٍ بأنيَ لم أكُنْ ... أبداً لأفعلَها طوالَ المُسْنَدِ)
(لا جئتُهم فَلاًّ وأترك صُحْبَتِي ... نَهْباً ولم تَغْدرْ بقائمه يَدِي)
وخرج حاتم في نفر من أصحابه في حاجة لهم فسقطوا على عمرو بن أوس بن طريف بن المثنى بن عبد الله بن يشجب بن عبد ود في فضاء من الأرض فقال لهم أوس بن حارثة بن لأم لا تعجلوا بقتله فإن أصبحتم وقد أحدق الناس بكم

استجرتموه وإن لم تروا أحدا قتلتموه فأصبحوا وقد أحدق الناس بهم فاستجاروه فأجارهم فقال حاتم
(عَمرو بن أوسٍ إذا أشياعه غَضِبوا ... فأحرزوه بلا غُرْمٍ ولا عارِ)
(إنَّ بني عَبْدِ وِدٍّ كلَّما وقعت ... إحدى الهنات أتَوْهَا غير أغْمَارِ)
أبو الخيبري وقبر حاتم
أخبرني أحمد بن محمد البزار الأطروش عن علي بن حرب عن هشام
ابن محمد عن أبي مسكين جعفر بن المحرز بن الوليد عن أبيه قال قال الوليد جده وهو مولى لأبي هريرة سمعت محرز بن أبي هريرة يتحدث قال
كان رجل يقال له أبو الخيبري مر في نفر من قومه بقبر حاتم وحوله أنصاب متقابلات من حجارة كأنهن نساء نوائح قال فنزلوا به فبات أبو الخيبري ليلته كلها ينادي أبا جعفر اقر أضيافك قال فيقال له مهلا ما تكلم من رمة بالية فقال إن طيئا يزعمون أنه لم ينزل به أحد إلا قراه
قال فلما كان من آخر الليل نام أبو الخيبري حتى إذا كان في السحر وثب فجعل يصيح واراحلتاه فقال له أصحابه ويلك مالك قال خرج والله حاتم بالسيف وأنا أنظر إليه حتى عقر ناقتي قالوا كذبت قال بلى فنظروا إلى راحلته فإذا هي منخزلة لا تنبعث فقالوا قد والله قراك فظلوا يأكلون من لحمها ثم أردفوه فانطلقوا فساروا ما شاء الله ثم نظروا إلى راكب فإذا هو عدي بن حاتم راكبا قارنا جملا أسود فلحقهم فقال أيكم أبو الخيبري فقالوا هو هذا فقال جاءني أبي في النوم فذكر لي شتمك إياه وأنه قرى راحلتك لأصحابك وقد قال في ذلك أبياتا ورددها حتى حفظتها وهي
(أبَا خيبريٍّ وأنْتَ امرؤٌ ... ظلُومُ العشيرةِ شتَّامُها)
(فماذا أردْتَ إلى رِمَّةٍ ... ببادِيةٍ صَخِبٍ هَامُها)
(تُبَغِّي أذاها وإعسارها ... وحولَك غَوْثٌ وأنعامها)
(وإنَّا لنُطعم أضْيَافَنَا ... مِنَ الكُومِ بالسَّيْف نَعْتامُها)
وقد أمرني أن أحملك على جمل فدونكه فأخذه وركبه وذهبوا
الحارث بن عمر يأسر قوم حاتم وحاتم يطلقهم
أغارت طيىء على إبل للنعمان بن الحارث بن أبي شمر الجفني ويقال هو الحارث بن عمرو رجل من بني جفنة وقتلوا ابنا له وكان الحارث إذا غضب حلف ليقتلن وليسبين الذراري فحلف ليقتلن من بني الغوث أهل بيت على دم واحد فخرج يريد طيئا فأصاب من بني عدي بن أخزم سبعين رجلا وهم ابن عمرو من رهط حاتم - وحاتم يومئذ بالحيرة عند النعمان - فأصابتهم مقدمات خيله فلما قدم حاتم الجبلين جعلت المرأة تأتيه بالصبي من ولدها فتقول يا حاتم أسر أبو هذا فلم يلبث إلا ليلة حتى سار إلى النعمان ومعه ملحان بن حارثة وكان لا يسافر إلا وهو معه فقال حاتم
(ألاَ إنني قَدْ هَاجَنِي الليلَةَ الذِّكْرُ ... وما ذاكَ من حبِّ النساءِ ولا الأشَرْ)
(ولكنه مما أصاب عَشيرتي ... وقومي بأقْرَانِ حَوَالَيْهِم الصِّيَرْ)
الأقران الحبال والصير الحظائر واحدها صيرة
(ليالي نَمشي بين جوٍّ ومِسْطَحٍ ... نَشَاوَى لنا مِن كُلِّ سائمةٍ جُزُرْ)
(فيا ليتَ خَيرَ الناس حيّاً وميِّتاً ... يقول لنا خيراً ويُمْضِي الذي ائتمرْ)
(فإنْ كان شرّاً فالعزاء فإننا ... على وقعاتِ الدَّهرِ مِنْ قَبلِها صُبُرْ)
(سقى اللهُ ربُّ الناسِ سحّاً وديمةً ... جنوبَ السَّرَاة من مآبٍ إلى زُغَرْ)
(بلادَ امرىءٍ لا يعرفُ الذَّمُّ بيته ... له المشربُ الصَّافي ولا يطْعَم الكدرْ)
(تذكرتُ مِنْ وَهْمِ بن عَمْرو جَلادَةً ... وجُرْأةَ مَغْزاه إذا صارخٌ بَكَرْ)
(فأبْشِرْ وقَرَّ العينَ منك فإنَّني ... أجِيِّي كريماً لا ضعيفاً ولا حَصِرْ)
فدخل حاتم على النعمان فأنشده فأعجب به واستوهبهم منه فوهب له بني امرىء القيس بن عدي ثم أنزله فأتي بالطعام والخمر فقال له ملحان أتشرب الخمر وقومك في الأغلال قم إليه فسله إياهم فدخل عليه فأنشده
(إنَّ امرأ القيس أضحَت من صَنيعتكم ... وعبدَ شمس - أبيتَ اللَّعْنَ - فاصطنعوا)
(إنَّ عَدِيّاً إذا مَلَكْتَ جانبها ... من أمْرِ غَوْثٍ على مرأى ومُستَمَع)
(أتبِعْ بني عبد شمسٍ أمْرَ صاحبهم ... أهْلِي فِدَاؤُك إنْ ضَرُّوا وإنْ نَفَعُوا)
(لا تَجْعَلنَّا - أبيتَ اللَّعْنَ - ضَاحيَةً ... كمعشرٍ صُلِمُوا الآذانَ أو جُدِعُوا)
(أو كَالجَنَاحِ إذا سُلَّت قَوَادِمُه ... صارَ الجَنَاحُ لفَضْل الرِّيْش يَتَّبِعُ)
فأطلق له بني عبد شمس بن عدي بن أخزم وبقي قيس بن جحدر بن ثعلبة ابن عبد رضي بن مالك بن ذبيان بن عمرو بن ربيعة بن جرول الأجئي وهو من لخم وأمه من بني عدي وهو جد الطرماح بن حكيم بن نفر بن قيس بن جحدر فقال له النعمان أفبقي أحد من أصحابك فقال حاتم
(فككتَ عَدِيّاً كلَّها من إسارها ... فافْضِلْ وشفِّعْنِي بقَيْس بن جَحْدَر)
(أبُوهُ أبِي والأمهاتُ أمهاتُنا ... فأنْعِمْ فَدَتْكَ اليوم نَفسِي ومَعشَرِي)
فقال هو لك يا حاتم فقال حاتم
(أبْلِغْ الحارثَ بن عَمْرو بأنّي ... حافِظُ الوُدِّ مُرْصِدٌ للثَّوَابِ)
(ومجيبٌ دُعاءه إنْ دَعَاني ... عَجِلاً واحداً وذا أصحابِ)
(إنما بيْنَنَا وبينك فاعْلَمْ ... سَيْرُ تِسعٍ للعاجل المُنْتَابِ)
(فثلاثٌ مِنَ السَّراة إلى الحَلَّةِ ... للخَيْلِ جاهداً والرِّكَابِ)
(وثلاثٌ يُورِدْن تَيماءَ رَهْواً ... وثلاثٌ يُقرِبْنَ بالأعْجَابِ)
(فإذا ما مَرَرْنَ في مُسْبطرٍّ ... فاجْمَح الخَيلَ مثل جَمْحِ الكِعَابِ)
اجمح ارم بهم كما يرمى بالكعاب ويقال إذا انتصب لك أمر فقد جمح
(بينما ذاكَ أصبحَتْ وهي عَضْدى ... مِنْ سبيٍّ مجموعةٍ ونهاب)
عضدى مكسورة الأعضاد
(ليْتَ شعري متى أرَى قُبةً ذات ... قِلاَعٍ للحارث الحَرَّابِ)

(يَفاعٍ وذاك منها تَحِلٌّ ... فَوْقَ مَلْكٍ يدين بالأحساب)
(أيها الموعدي فإنَّ لُبوني ... بين حَقلٍ وبين هَضْبِ ذُبابِ)
(حيث لا أرهبُ الجُرأةَ وحوْلي ... ثُعَلِيُّون كاللُّيوثِ الغِضابِ)
وقال حاتم أيضا
(لم تُنسِني أطلالُ ماويّةٍ يأسِي ... ولا الزمن الماضي الذي مِثْلُه يُنْسِي)
(إذا غَرَبَتْ شَمْسُ النهار وردتُّها ... كما يرد الظمآن آتيةَ الخِمْسِ)
حاتم وماوية بنت عفزر
قال وكنا عند معاوية فتذاكرنا ملوك العرب حتى ذكرنا الزباء وابنة عفزر فقال معاوية إني لأحب أن أسمع حديث ماوية وحاتم وماوية بنت عفزر فقال رجل من القوم أفلا أحدثك يا أمير المؤمنين فقال بلى فقال إن ماوية بنت عفزر كانت ملكة وكانت تتزوج من أرادت وإنها بعثت غلمانا لها وأمرتهم أن يأتوها بأوسم من يجدونه بالحيرة فجاؤوها بحاتم فقالت له استقدم إلى الفراش فقال حتى أخبرك وقعد على الباب وقال إني أنتظر صاحبين لي فقالت دونك أستدخل المجمر فقال استي لم تعود المجمر فأرسلها مثلا فارتابت منه وسقته خمرا ليسكر فجعل يهريقه بالباب فلا تراه تحت الليل ثم قال ما أنا بذائق قرى ولا قار حتى أنظر ما فعل صاحباي فقالت إنا سنرسل إليهما بقرى فقال حاتم ليس بنافعي شيئا أو آتيهما قال فأتاهما فقال أفتكونان عبدين لابنة عفزر ترعيان غنمها أحب إليكما أم تقتلكما فقالا كل شيء يشبه بعضه بعضا وبعض الشر أهون من بعض فقال حاتم الرحيل والنجاة وقال يذكر ابنة عفزر وأنه ليس بصاحب ريبة
(حننتُ إلى الأجبال أجبالِ طيىء ... وحنَّت قَلُوصي أن رأت سوط أحمرا)
(فقلتُ لها إنّ الطريقَ أمامنا ... وإنا ملحيُّو رَبْعِنا إن تَيَسَّرا)
(فيا راكبيْ عَلْيَا جَدِيلَةَ إنما ... تُسامان ضَيْماً مستبيناً فتَنْظُرَا)
(فما نَكِراهُ غيرَ أنَّ ابنَ مِلْقط ... أراهُ وقد أعطى الظُّلامة أَوْجرَا)
((وإني لمُزْجٍ للْمطيِّ على الوجا ... وما أنا من خِلاَّنِكِ ابنةَ عَفْزرا
(وما زلت أسعى بين نَابٍ ودَارَةٍ ... بلَحْيانَ حتى خِفْتُ أن أتنَصَّرا)
(وحتى حسِبْتُ الليلَ والصبحَ إذْ بدا ... حِصَانَيْن سَيَّالَيْن جَوْناً وأشْقَرا)
(لشَعْبٌ من الرَّيَّان أملِكُ بابَه ... أُنادِي به آلَ الكبير وجعْفَرا)
(أحَبُّ إليَّ مِنْ خطيبٍ رأيْتُه ... إذا قلتُ معروفاً تبدل مُنْكَرَا)
(تنادي إلى جاراتِها إنَّ حاتماً ... أراهُ لعَمْري بَعْدَنا قد تَغَيَّرا)
(تغيَّرْتُ إني غيرُ آتٍ لريبةٍ ... ولا قائلٍ يوماً لِذِي العُرْفِ مُنْكَرا)
(فلا تَسأليني واسْألي أيَّ فارس ... إذا بادرَ القومُ الكنيف المُستَّرا)
(ولا تَسأليني واسألِي أيَّ فارسٍ ... إذا الخيلُ جالَت في قَناً قد تكسَّرا)
(فلا هِيَ ما تَرْعَى جميعاً عِشارُها ... ويُصبِحُ ضيفي ساهِمَ الوجهِ أغبرا)
(متى ترني أمشي بسيفي وَسطَهَا ... تَخَفْني وتضمِرْ بينها أن تُجزَّرا)
(وإني ليغشى أبعدُ الحيِّ جَفْنَتِي ... إذا ورقُ الطَّلْحِ الطِوالِ تَحَسَّرا)
(فلا تسأليني واسألي بِي صُحْبَتِي ... إذا ما المَطِيُّ بالْفَلاةِ تضوَّرا)
(وإني لَوَهَّابٌ قُطوعِي ونَاقتِي ... إذا ما انتشَيْتُ والكميت المصدَّرا)
((وإني كأشْلاَء اللِّجَامِ ولَنْ تَرَي ... أخَا الحَرْبِ إلاَّ ساهِمَ الوَجْهِ أغْبَرَا
(أخُو الحَرْبِ إن عضَّتْ به الحَرْبُ عضَّها ... وإنْ شمّرت عن ساقها الحَرْبُ شَمَّرا)
(وإني إذا ما الموْتُ لم يَكُ دونَه ... قِدَى الشِّبرِ أحمِي الأنْف أن أتأخرا)
(متى تبْغِ وُدّاً مِنْ جَدِيلَةَ تَلْقَهُ ... مع الشَّنْءِ مِنْهُ باقياً متأثِّرا)
(فإلاَّ يُفادونا جِهَاراً نُلاقِهِم ... لأعدائنا رِدْءاً دليلاً ومُنْذِرا)
(إذا حال دُوني مِنْ سَلامان رَمْلَةٌ ... وَجَدْتُ توالي الوَصْلِ عِنْدِي ابْتَرا)
وذكروا أن حاتما دعته نفسه إليها بعد انصرافه من عندها فأتاها يخطبها فوجد عندها النابغة ورجلا من الأنصار من النبيت فقالت لهم انقلبوا إلى رحالكم وليقل كل واحد منكم شعرا يذكر فيه فعاله ومنصبه فإني أتزوج أكرمكم وأشعركم فانصرفوا ونحر كل واحد منهم جزورا ولبس ماوية ثيابا لأمة لها وتبعتهم فأتت النبيتي فاستطعمته من جزوره فأطعمها ثيل جمله فأخذته ثم أتت نابغة بني ذبيان فاستطعمته فأطعمها ذنب جزوره فأخذته ثم أتت حاتما وقد نصب قدره فاستطعمته فقال لها قفي حتى أعطيك ما تنتفعين به إذا صار إليك فانتظرت فأطعمها قطعا من العجز والسنام ومثلها من المخدش وهو عند
الحارك ثم انصرفت وأرسل كل واحد منهم إليها ظهر جمله وأهدى حاتم إلى جاراتها مثل ما أسل إليها ولم يكن يترك جاراته إلا بهدية وصبحوها فاستنشدتهم فأنشدها النبيتي
(هلاَّ سألْتِ النَّبيتِيِّين ما حَسبي ... عند الشتاء إذا ما هبَّتِ الرِّيحُ)
(ورَدَّ جازِرُهم حرفاً مصرَّمة ... في الرَّأسِ منها وفي الأصلاء تمليح)
(وقال رائِدُهم سِيَّان مالهُم ... مِثْلاَن مِثْلٌ لمن يرعى وتَسْرِيحُ)
(إذا اللِّقَاحُ غدت مُلْقًى أصرَّتها ... ولا كريمَ مِنَ الولدان مَصْبُوحُ)
فقالت له لقد ذكرت مجهدة
ثم استنشدت النابغة فأنشدها يقول
(هَلا سألتِ بني ذبيانَ ما حَسبي ... إذا الدُّخَانُ تَغَشَّى الأشمطَ البَرَما)
(وهبَّتْ الريحُ مِنْ تلقاءِ ذي أُرُلٍ ... تُزجي مع الليلِ مِنْ صِرَّادِها الصِّرَما)
(إنِّي أتمم أيْساري وأمْنحُهم ... مَثْنَى الأيادي وأكسو الجَفْنَةَ الأُدُما)
فلما أنشدها قالت ما ينفك الناس بخير ما ائتدموا
ثم قالت يا أخا طيئ أنشدني فأنشدها
(أمَاويَّ قد طال التَّجنُّبُ والهَجْرُ ... وقد عذَرَتْنِي في طِلابكم العُذْرُ)

(أَمَاوِيَّ إنَّ المالَ غادٍ ورَائِح ... ويَبْقى مِنَ المال الأحاديثُ والذِّكْرُ)
(أَمَاوِيَّ إنِي لا أقولُ لِسائلٍ ... إذا جاء يَوْماً حِلَّ في مالنا النَّذْرُ)
(أَمَاوِيَّ إمَّا مَانِعٌ فمبِيِّن ... وإما عطاءٌ لا يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ)
(أَمَاوِيَّ ما يُغْنِي الثَّرَاءُ عَن الفتَى ... إذا حشرجَتْ يَوْماً وضاقَ بِهَا الصَّدْرُ)
(إذا أنا دَلاّني الذين أُحِبّهم ... بملحودةٍ زَلْجٍ جوانبُها غُبر)
(وراحُوا سِراعاً ينفضُونَ أكفَّهم ... يقولون قد دَمَّى أناملَنا الحَفْرُ)
(أَمَاوِيَّ إنْ يُصبحْ صَدايَ بِقَفْزَةٍ ... من الأرضِ لا ماء لديّ ولا خَمْرُ)
(تَرَى أنَّ ما أنفقت لم يَكُ ضَرَّني ... وأنَّ يَدِي مما بخلْتُ به صِفْرُ)
(أَمَاوِيَّ إنّي رُبَّ واحِدِ أُمِّهِ ... أخَذْتُ فلا قَتْلٌ عليه ولا أسْرُ)
(وقد عَلِمَ الأقوامُ لو أنَّ حاتماً ... أرادَ ثراءَ المالِ كان لَهُ وَفْرُ)
(فإني لا آلُو بِمالِي صَنِيعةً ... فأوَّلُه زادٌ وآخِرُهُ ذُخْرُ)
(... يُفَكّ به العاني ويُؤْكَلُ طيّباً ... وما إنْ تعرّتْه القِدَاحُ ولا الخَمْرُ)
(ولا أظلِمِ ابنَ العمّ إن كان إخوتي ... شُهوداً وقد أودَى بإخوتِه الدَّهْرُ)
(غنينا زماناً بالتَّصَعْلُكِ والغِنَى ... وكلاًّ سقاناه بِكَأْسِهما العَصْرُ)
((فما زادنا بَغْياً على ذِي قَرَابةٍ ... غِنَانا ولا أزرَى بأحْسابِنَا الفَقْرُ
(وما ضَرَّ جاراً يابْنَةَ القومِ فاعْلَمِي ... يجاورني ألاَّ يكون له سِتْرُ)
(بعيني عن جاراتِ قَوْمي غَفْلَةٌ ... وفي السَّمْعِ منّي عن حديثِهم وَقْرُ)
فلما فرغ حاتم من إنشاده دعت بالغداء وكانت قد أمرت إماءها أن يقدمن إلى كل رجل منهم ما كان أطعمها فقدمن إليهم ما كانت أمرتهن أن يقدمنه إليهم فنكس النبيتي رأسه والنابغة فلما نظر حاتم إلى ذلك رمى بالذي قدم إليهما وأطعمهما مما قدم إليه فتسللا لواذا وقالت إن حاتما أكرمكم وأشعركم
فلما خرج النبيتي والنابغة قالت لحاتم خل سبيل امرأتك فأبى فزودته وردته فلما انصرف دعته نفسه إليها وماتت امرأته فخطبها فتزوجته فولدت عديا
إسلام عدي بن حاتم
وقد كان عدي أسلم وحسن إسلامه فبلغنا أن النبي قال له وقد سأله عدي يا رسول الله أن أبي كان يعطي ويحمل ويوفي بالذمة ويأمر بمكارم الأخلاق فقال له رسول الله إن أباك خشبة من خشبات جهنم
فكأن النبي رأى الكآبة في وجهه فقال له يا عدي إن أباك وأبي وأبا إبراهيم في النار
وكانت ماوية عنده زمانا وإن ابن عم لحاتم كان يقال له مالك قال لها ما تصنعين بحاتم فوالله لئن وجد شيئا ليتلفنه وإن لمن يجد ليتكلفن وإن مات ليتركن ولده عيالا على قومك فقالت ماوية صدقت إنه كذلك
وكان النساء - أو بعضهن - يطلقن الرجال في الجاهلية وكان طلاقهن أنهن إن كن في بيت من شعر حولن الخباء فإن كان بابه قبل المشرق حولنه قبل المغرب وإن كان بابه قبل اليمن حولنه قبل الشام فإذا رأى ذلك الرجل علم أنها قد طلقته فلم يأتها وإن ابن عم حاتم قال لماوية - وكانت أحسن نساء الناس - طلقي حاتما وأنا أنكحك وأنا خير لك منه وأكثر مالا وأنا أمسك عليك وعلى ولدك فلم يزل بها حتى طلقت حاتما فأتاها حاتم وقد حولت باب الخباء فقال يا عدي ما ترى أمك عدي عليها قال لا أدري غير أنها قد غيرت باب الخباء وكأنه لم يلحن لما قال فدعاه فهبط به بطن واد وجاء قوم فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون فتوافوا خمسين رجلا فضاقت بهم ماوية ذرعا وقالت لجاريتها اذهبي إلى مالك فقولي له إن أضيافا لحاتم قد نزلوا بنا خمسين رجلا فأرسل بناب نقرهم ولبن نغبقهم وقالت لجاريتها انظري إلى جبينه وفمه فإن شافهك بالمعروف فاقبلي منه وإن ضرب بلحيته على زوره وأدخل يده في رأسه فاقفلي ودعيه وإنها لما أتت مالكا وجدته متوسدا وطبا من لبن وتحت بطنه آخر فأيقظته فأدخل يده في رأسه وضرب بلحيته على زوره فأبلغته ما أرسلتها به ماوية وقالت إنما هي الليلة حتى يعلم الناس مكانه
فقال لها اقرئي عليها السلام وقولي لها هذا الذي أمرتك أن تطلقي حاتما فيه فما عندي من كبيرة قد تركت العمل وما كنت لأنحر صفية غزيرة بشحم كلاها وما عندي لبن يكفي أضياف حاتم
فرجعت الجارية فأخبرتها بما رأت منه وما قال فقالت ائت حاتما فقولي إن أضيافك قد نزلوا الليلة بنا ولم يعلموا بمكانك فأرسل إلينا بناب ننحرها ونقرهم وبلبن نسقهم فإنما هي الليلة حتى يعرفوا مكانك
فأتت الجارية حاتما فصرخت به
فقال حاتم لبيك قريبا دعوت فقالت إن ماوية تقرأ عليك السلام وتقول لك إن أضيافك قد نزلوا بنا الليلة فأرسل إليهم بناب ننحرها ولبن نسقهم فقال نعم وأبي ثم قام إلى الإبل فأطلق ثنيتين من عقالهما ثم صاح بهما حتى أتى الخباء فضرب عراقيبهما فطفقت ماوية تصيح وتقول هذا الذي طلقتك فيه تترك ولدك وليس لهم شيء فقال حاتم
(هل الدَّهرُ إلاَّ اليومُ أو أمسِ أو غَدُ ... كذاكِ الزمانُ بيننا يَتَرَدَّدُ)
(يَرُدُّ علينا ليلةً بعد يَوْمِها ... فلا نَحْنُ ما نَبْقى ولا الدهْرُ يَنْفَدُ)
(لنا أجَلٌ إمَّا تَنَاهَى أمامه ... فنحن على آثاره نتورَّدُ)
(بنو ثُعَلٍ قومِي فما أنا مُدَّعٍ ... سِوَاهُمْ إلى قوم وما أنا مُسْنِدُ)
(بِدَرْئِهم أغْشَى دُرُوءَ مَعَاشِرٍ ... ويحنف عَنّي الأَبْلَخُ المُتَعَمِّدُ)
(فمهلاً فِداكِ اليومَ أمّي وخالتي ... فلا يأمُرنّي بالدَّنِيَّةِ أسْوَدُ)
(على حين أن ذَكِيت واشتدَّ جانبي ... أُسامُ التي أعْيَيْتُ إذْ أنا أمْرَدُ)
(فهلِ تركَتْ قَبْلِي حضُورَ مكانِها ... وهل مَنْ أَتَى ضَيْماً وخَسْفاً مخلَّد)
(ومعتسفٍ بالرُّمْحِ دونَ صِحابه ... تعسَّفْتُهُ بالسَّيْفِ والقومُ شُهَّدُ)
(فخرَّ على حُرِّ الجبين وذَادَه ... الى الموت مَطْرورُ الوَقِيعةِ مِذْوَدُ)
((فما رمْتُه حتى أزَحْتُ عَوِيصَهُ ... وحتى عَلاَهُ حَالِكُ اللَّوْنِ أسودُ
(فأقسمتُ لا أمشي على سِرِّجارتي ... يَدَ الدَّهْرِ ما دام الحَمامُ يغرِّدُ)
(ولا أشْتَري مالاً بِغَدْرٍ عِلِمْتُهُ ... ألاَ كُلُّ مَالٍ خالطَ الغَدْرَ أنْكَدُ)

(إذا كان بعضُ المالِ ربّاً لأهْلِهِ ... فإنّي بحمد الله مَالِي مُعَبَّدُ)
(يُفَكُّ به العانِي ويُؤكل طيِّباً ... ويُعطَى إذا ضَنَّ البخيل المُصَرَّدُ)
(إذا ما البخيلُ الخِبُّ أخْمَدَ نارَه ... أقولُ لِمَنْ يصْلَى بنارِيَ أوْقِدُوا)
(توسَّعْ قليلاً أو يكن ثَمَّ حَسْبُنَا ... ومُوقدها البادِي أعَفُّ وأحمدُ)
(كذاكَ أمُورُ الناسِ رَاضٍ دَنِيَّةً ... وسامٍ إلى فَرْعِ العُلا مُتَوَرِّدُ)
(فمنهم جوادٌ قد تلفَّت حَوْلَه ... ومنهم لئيم دائم الطرف أقْوَدُ)
(وَدَاعٍ دَعاني دَعْوَةً فأجَبْتُه ... وهل يَدَعُ الدّاعِين إلا اليَلَنْدَدُ)
أسرت عنزة حاتما فجعل نساء عنزة يدارئن بعيرا ليفصدنه فضعفن عنه فقلن يا حاتم أفاصده أنت إن أطلقنا يديك قال نعم فأطلقن إحدى يديه فوجأ لبته فاستدمينه ثم إن البعير عضد أي لوى عنقه أي خر فقلن ما صنعت قال هكذا فصادتي فجرت مثلا قال فلطمته إحداهن فقال ما أنتن نساء عنزة بكرام ولا ذوات أحلام وإن امرأة منهن يقال لها عاجزة أعجبت به فأطلقته ولم ينقموا عليه ما فعل فقال حاتم يذكر البعير الذي فصده
((كذَلِكَ فَصْدِي إنْ سألتِ مَطِيَّتي ... دَمُ الجَوْفِ إذْ كلُّ الفِصَادِ وَخِيمُ
أقبل ركب من بني أسد من قيس يريدون النعمان فلقوا حاتما فقالوا له إنا تركنا قومنا يثنون عليك خيرا وقد أرسلوا إليك رسولا برسالة قال وما هي فأنشده الأسديون شعرا لعبيد ولبشر يمدحانه وأنشد القيسيون شعرا للنابغة فلما أنشدوه قالوا إنا نستحي أن نسألك شيئا وإن لنا لحاجة قال وما هي قالوا صاحب لنا قد أرجل فقال حاتم خذوا فرسي هذه فاحملوا عليها صاحبكم فأخذوها وربطت الجارية فلوها بثوبها فأفلت فاتبعته الجارية فقال حاتم ما تبعكم من شيء فهو لكم فذهبوا بالفرس والفلو والجارية
وإنهم وردوا على أبي حاتم فعرف الفرس والفلو فقال ما هذا معكم فقالوا مررنا بغلام كريم فسألناه فأعطى الجسيم قال وكنا عند معاوية فتذاكرنا الجود فقال رجل من القوم أجود الناس حيا وميتا حاتم فقال معاوية وكيف ذلك فإن الرجل من قريش ليعطي في المجلس ما لم يملكه حاتم قط ولا قومه فقال أخبرك يا أمير المؤمنين أن نفرا من بني أسد مروا بقبر حاتم فقالوا لنبخلنه ولنخبرن العرب أنا نزلنا بحاتم فلم يقرنا فجعلوا ينادون يا حاتم ألا تقري أضيافك وكان رئيس القوم رجل يقال له أبا الخيبري فإذا هو بصوت ينادي في جوف الليل
(أبَا خَيْبريٍّ وأنت امرؤٌ ... ظلوم العشيرة شَتّامُها)
إلى آخرها فذهبوا ينظرون فإذا ناقة أحدهم تكوس على ثلاثة أرجل عقيرا قال فعجب القوم من ذلك جميعا
حاتم وأوس بن سعد
وكان أوس بن سعد قال للنعمان بن المنذر أنا أدخلك بين جبلي طيئ حتى يدين لك أهلهما فبلغ ذلك حاتما فقال
(ولقد بَغَى بِجَلاد أوسٌ قومَه ... ذُلاًّ وقد علِمَتْ بذلكَ سِنْبِسُ)
(حَاشَا بَنِي عَمْرو بْنِ سِنْبِسَ إنهم ... مَنَعُوا ذِمَارَ أبيهم أنْ يدنَسوا)
(وتواعَدُوا وِرْدَ القُرَيَّة غُدْوَةً ... وحلفْتُ باللّهِ العزيز لنَحْبِسُ)
(واللّهُ يعلَمُ لو أتَى بِسُلافِهِم ... طَرَفُ الجَرِيض لَظَلَّ يَوْمٌ مِشْكَسُ)
(كالنار والشّمسِ التي قالَتْ لها ... بيد اللُّوَيمِسِ عالماً ما يَلْمَسُ)
(لا تطعمنَّ الماء إنْ أوْرَدْتَهم ... لِتَمامِ ظِمْئِكُم ففوزُوا واجْلِسُوا)
(أو ذو الحصين وفارسٌ ذُو مِرَّة ... بكَتِيبةٍ مَنْ يُدْرِكُوه يُفْرَسُ)
(ومُوَطَّأ الأكنافِ غير ملعَّن ... في الحيِّ مَشّاء إليه المَجْلِسُ)
قال وجاور في بني بدر زمن احتربت جديلة وثعل وكان ذلك زمن الفساد فقال يمدح بني بدر
((إن كنْتِ كارِهةً مَعِيشتنا ... هاتِي فَحُلِّي في بَنِي بَدْرِ
(جاوَرتُهم زَمَنَ الفسادِ فَنِعْم ... الحيُّ في العَوْصاء واليُسر)
(فسُقيتُ بالماء النَّمير ولم ... يُنْظَرْ إليَّ بأعيُنٍ خُزْر)
(الضاربين لدَى أعنَّتِهم ... والطاعنين وخَيْلُهم تَجْري)
(الخالطين نَحِيتُهم بنُضَارِهْم ... وَذَوِي الغِنَى منهم بِذِي الفَقْرِ)
وزعموا أن حاتما خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة فلما كان بأرض عنزة ناداه أسير لهم يا أبا سفانة أكلني الإسار والقمل قال ويلك والله ما أنا في بلاد قومي وما معي شيء وقد أسأت بي إذ نوهت باسمي ومالك مترك فساوم به العنزيين فاشتراه منهم فقال خلوا عنه وأنا أقيم مكانه في قيده حتى أؤدي فداءه ففعلوا فأتي بفدائه
حديث ماوية عن كرم حاتم
وحدث الهيثم بن عدي عمن حدثه عن ملحان ابن أخي ماوية امرأة حاتم قال قلت لماوية ياعمة حدثيني بعض عجائب حاتم فقالت كل أمره عجب فعن أيه تسأل قال قلت حدثينى ما شئت قالت أصابت الناس سنة فأذهبت الخف والظلف فإني وإياه ليلة قد أسهرنا الجوع قالت فأخذ عديا وأخذت سفانة وجعلنا نعللهما حتى ناما حتى أقبل علي يحدثني ويعللني بالحديث كي أنام فرققت له لما به من الجهد فأمسكت عن كلامه لينام فقال لي أنمت مرارا فلم أجب فسكت فنظر في فتق الخباء فإذا شيء قد أقبل فرفع رأسه فإذا امرأة فقال ما هذا قالت يا أبا سفانة أتيتك من عند صبية يتعاوون كالذئاب جوعا فقال أحضريني صبيانك فوالله لأشبعنهم قالت فقمت سريعا فقلت بماذا يا حاتم فوالله ما نام صبيانك من الجوع إلا بالتعليل فقال والله لأشبعن صبيانك مع صبيانها
فلما جاءت قام إلى فرسه فذبحها ثم قدح نارا ثم أججها ثم دفع إليها شفرة فقال اشتوي وكلي ثم قال أيقظي صبيانك قالت فأيقظتهم ثم قال والله إن هذا للؤم تأكلون وأهل الصوم حالهم مثل حالكم فجعل يأتي الصرم بيتا بيتا فيقول انهضوا عليكم بالنار قال فاجتمعوا حول تلك الفرس وتقنع بكسائه فجلس ناحية فما أصبحوا ومن الفرس على الأرض قليل ولا كثير إلا عظم وحافر وإنه لأشد جوعا منهم وما ذاقه
حاتم والمحرق عمرو بن هند
أتى حاتم محرقا فقال له محرق بايعني فقال له إن لي أخوين ورائي فإن يأذنا لي أبايعك وإلا فلا قال فاذهب إليهما فإن أطاعاك فأتني بهما وإن أبيا فأذن بحرب فلما خرج حاتم قال
(أتاني مِن الريّان أمْسِ رسالةٌ ... وعُدْوَى وَغيٌّ ما يقول مُواسِلُ)

(هُما سألاني ما فعلتَ وإنني ... كذلك عما أحْدثا أنا سائل)
(فَقُلْتُ ألا كيف الزمانُ عليكما ... فقالا بِخَيْر كلُّ أرضِك سائلُ)
فقال محرق ما أخواه قال طرفا الجبل فقال ومحلوفه لأجللن مواسلا
الربط مصبوغات بالزيت ثم لأشعلنه بالنار فقال رجل من الناس جهل مرتقى بين مداخل سبلات فلما بلغ ذلك محرقا قال لأقدمن عليك قريتك ثم إنه أتاه رجل فقال له إنك إن تقدم القرية تهلك فانصرف ولم يقدم
غزت فزارة طيئا وعليهم حصين بن حذيفة وخرجت طيىء في طلب القوم فلحق حاتم رجلا من بدر فطعنه ثم مضى فقال إن مر بك أحد فقل له أنا أسير حاتم فمر به أبو حنبل فقال من أنت قال أنا أسير حاتم فقال له إنه يقتلك فإن زعمت لحاتم أو لمن سألك أني أسرتك ثم صرت في يدي خليت سبيلك فلما رجعوا قال حاتم يا أبا حنبل خل سبيل أسيري فقال أبو حنبل أنا أسرته فقال حاتم قد رضيت بقوله فقال أسرني أبو حنبل فقال حاتم
(إنَّ أباكَ الجَوْنَ لم يَكُ غادراً ... ألاَ مِنْ بَنِي بدر أتتْكَ الغوائلُ)
صوت
(وهاجرةٍ مِنْ دُونِ مَيَّةَ لم تَقِلْ ... قَلُوصِي بها والجُندبُ الجَوْنُ يَرْمَحُ)
(بتيْهاءِ مِقْفَارٍ يَكادُ ارْتكاضُها ... بآل الضُّحَى والهجْرُ بالطَّرْفِ يَمْصَحُ)
الهجر ها هنا مرفوع بفعله كأنه قال يكاد ارتكاضها بالآل يمصح بالطرف هو والهجر ويمصح يذهب بالطرف
(كأنَّ الفِرِنْدَ المَحْضَ معصوبةٌ بِهِ ... ذُرَا قُورِها يَنْقَدُّ عنها ويُنْصَحُ)
(إذا ارفضَّ أطرافُ السِّيَاطِ وهَلَّلتْ ... جُرُومُ المَهاري عُدَّ مِنهنَّ صَيْدَحُ)
عروضه من الطويل
الهاجرة تكون وقت الزوال والجندب الجرادة والجون الأسود والجون الأبيض أيضا وهو من الأضداد وقوله يرمح أي ينزو من شدة الحر لا يكاد يستقر على الأرض والتيهاء من الأرض التي يتاه فيها والمقفار التي لا أحد فيها ولا ساكن بها ذكر ذلك أبو نصر عن الأصمعي وارتكاضها يعني ارتكاض هذه التيهاء وهو نزولها بالآل والآل السراب والهجر والهاجرة واحد وقوله الهجر بالطرف يمصح رفع الهجر بفعله كأنه قال يكاد ارتكاضها بالآل يمصح بالطرف هو والهجر يمصح يذهب بالطرف والفرند الحرير الأبيض والمحض الخالص يقول كأن هذا السراب حرير أبيض وقد عصبت به ذرى قورها وهي الجبال الصغار والواحدة قارة فتارة يغطيها وتارة ينجاب عنها وينكشف فكأنه إذا انكشف عنها ينقد عنها وكأنه إذا غطاها ينصح عنها أي يخاط ويقال نصحت الثوب إذا خطته والناصح الخياط والنصاح الخيط وقوله ارفض أطراف السياط يعني أنها انفتحت أطرافها من طول السفر وأصل الأرفضاض التفرق والجروم الأبدان واحدها جرم بالكسر وقوله هللت جروم المطايا يعني أنها صارت كالأهلة في الدقة وصيدح اسم ناقته
الشعر لذي الرمة والغناء لإبراهيم الموصلي ماخوري بالوسطى
تم الجزء السابع عشر من كتاب الأغاني
ويليه الجزء الثامن عشر وأوله ذكر ذي الرمة وخبره

ذكر ذي الرمة وخبره

اسمه غيلان بن عقبة بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ملكان بن عدي بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر
وقال ابن سلام هو غيلان بن عقبة بن بهيش بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ملكان ويكنى أبا الحارث وذو الرمة لقب يقال لقبته به مية وكان اجتاز بخبائها وهي جالسة إلى جنب أمها فاستسقاها ماء فقالت لها أمها قومي فاسقيه وقيل بل خرق إداوته لما رآها وقال لها اخرزي لي هذه فقالت والله ما أحسن ذلك فإني لخرقاء قال والخرقاء التي لا تعمل بيدها شيئا لكرامتها على قومها فقال لأمها مريها أن تسقيني ماء فقالت لها قومي يا خرقاء فاسقيه ماء فقامت فأتته بماء وكانت على كتفه رمة وهي قطعة من حبل فقالت اشرب يا ذا الرمة فلقب بذلك
وحكى ابن قتيبة أن هذه القصة جرت بينه وبين خرقاء العامرية
وقال ابن حبيب لقب ذا الرمة لقوله
(...أشعَث باقي رُمَّةِ التّقليدِ)
وقيل بل كان يصيبه في صغره فزع فكتبت له تميمة فعلقها بحبل فلقب بذلك ذا الرمة
ونسخت من كتاب محمد بن داود بن الجراح حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن محمد بن صالح العدوي عن أبيه وعن أشياخه وعدة من أهل البادية من بني عدي منهم زرعة بن أذبول وابنه سليمان وأبو قيس وتميم وغيرهم من علمائهم
أن أم ذي الرمة جاءت إلى الحصين بن عبدة بن نعيم العدوي وهو يقرىء الأعراب بالبادية احتسابا بما يقيم لهم صلاتهم فقالت له يا أبا الخليل إن ابني هذا يروع بالليل فاكتب لي معاذة أعلقها على عنقه فقال لها ائتيني برق أكتب فيه قالت فإن لم يكن فهل يستقيم في غير رق أن يكتب له قال فجيئيني بجلد فأتته بقطعة جلد غليظ فكتب له معاذة فيه فعلقته في عنقه فمكث دهرا ثم إنها مرت مع ابنها لبعض حوائجها بالحصين وهو جالس في ملأٍ من أصحابه ومواليه فدنت منه فسلمت عليه وقالت يا أبا الخليل ألا تسمع قول غيلان وشعره قال بلى فتقدم فأنشده وكانت المعاذة مشدودة على يساره في حبل أسود فقال الحصين أحسن ذو الرمة فغلبت عليه
وقال الأصمعي أم ذي الرمة امرأة من بني أسد يقال لها ظبية وكان له إخوة لأبيه وأمه شعراء منهم مسعود وهو الذي يقول يرثي أخاه ذا الرمة ويذكر ليلى بنته
((إلى اللّه أشكو لا إلى الناس أنني ... وليلَى كِلانا مُوجعٌ مات وافِدُهْ)
ولمسعود يقول ذو الرمة
صوت
(أقولُ لمسعود بِجَرْعاءِ مالكٍ ... وقد همَّ دَمْعِي أن تَسِحَّ أوائِلُهْ)
(ألا هل تَرى الأظعان جاوَزْنَ مُشرفاً ... من الرمل أو سالت بهنَّ سلاسلُهْ)
غنى فيه يحيى بن المكي ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو
ومسعود الذي يقول يرثي أخاه أيضا ذا الرمة ويرثي أوفى بن دلهم ابن عمه وأوفى هذا أحد من يروى عنه الحديث

وقال هارون بن الزيات أخبرني ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال كان لذي الرمة إخوة ثلاثة مسعود وجرفاس وهشام كلهم شعراء وكان الواحد منهم يقول الأبيات فيبني عليها ذو الرمة أبياتا أخر فينشدها الناس فيغلب عليها لشهرته وتنسب إليه
(نَعى الركبُ أوفَى حين آبتْ رِكابُهم ... لعَمْري لقد جاؤوا بشَرٍّ فأوجعوا)
(نَعَوْا باسِقَ الأخلاقِ لا يُخلِفونَه ... تكادُ الجبالُ الصُّمُّ منه تَصدَّعُ)
(خوى المسجدُ المعمورُ بَعْدَ ابْنِ دَلْهمٍ ... فأضحى بأوْفَى قومُهُ قد تضعضعوا)
(تعزَّيتُ عن أوفَى بغَيْلانَ بَعْدَ ... عَزاءً وجَفنُ العينِ ملآنُ مُترَعُ)
(ولم تُنْسِني أوفَى المصيبات بعده ... ولكنْ نِكاءُ القَرْحِ بالقَرْحِ أوْجَعُ)
وأخوه الآخر هشام وهو رباه وكان شاعرا ولذي الرمة يقول
(أغَيلانُ إن ترجِع قُوى الوُدّ بيننا ... فكلُّ الذي ولّي من العيشِ راجع)
(فكنْ مثل أقصَى الناسِ عندِي فإنني ... بطول التَّنائي مِنْ أخِي السوءِ قانِعُ)
وقال ذو الرمة لهشام أخيه
(أغرَّ هشاماً من أخيه ابنِ أمه ... قوادِمُ ضَأنٍ أقبلَتْ ورَبيعُ)
(وهل تُخلِفُ الضأنُ الغزارُ أخَا النَّدى ... إذا حَلَّ أمرٌ في الصُّدورِ فَظِيعُ)
فأجابه هشام فقال
(إذا بانَ مالِي مِنْ سَوامِك لم يكُنْ ... إليك ورَبِّ العالمين رُجوعُ)
(فأنْتَ الفتى ما اهتزّ في الزّهرِ النَّدي ... وأنتَ إذا اشتدّ الزمانُ مَنُوعُ)
وذكر المهلبي عن أبي كريمة النحوي قال
خرج ذو الرمة يسير مع أخيه مسعود بأرض الدهناء فسنحت لهما ظبية فقال ذو الرمة
(أقولُ لدَهناويةٍ عَوهَجٍ جرتْ ... لنا بين أعلى بُرْقةٍ بالصّرائمِ)
(أيا ظَبْيَةَ الوَعْساءِ بين جُلاجِلٍ ... وبين النَّقا آأنتِ أمْ أمُّ سالمِ)
وقال مسعود
(فلو تُحْسِنُ التشبيهَ والنعْتَ لم تقُلْ ... لِشاةِ النَّقا آأنْتِ أمْ أمِّ سالمِ)
(جعلت لها قَرْنَيْن فوق قُصاصِها ... وظِلْفَين مُسوَدَّين تحت القوائِمِ)
وقال ذو الرمة
(هِيَ الشِّبْهُ لولا مِذْرواها وأُذْنُها ... سواء ولولا مَشْقَةٌ في القَوَائِمِ)
وكان ذو الرمّة كثيراً ما يأتي الحضر فيقيم بالكوفة والبصرة وكان طفيليا
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني الحسن بن علي قال حدثني ابن سعيد الكندي قال سمعت ابن عياش يقول حدثني من رأى ذا الرمة طفيليا يأتي العرسات
بعض صفاته
نسخت من كتاب محمد بن داود الجراح حدثني هارون بن الزيات قال أخبرني محمد بن صالح العدوي قال قال زرعة بن أذبول
كان ذو الرمة مدور الوجه حسن الشعرة جعدها أقنى أنزع خفيف العارضين أكحل حسن الضحك مفوها إذا كلمك كلمك أبلغ الناس يضع لسانه حيث يشاء
وقال حماد بن إسحاق حدثني إدريس بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة عن عمته عافية وغيرها من أهله أنهم رأوا ذا الرمة باليمامة عند المهاجر بن عبد الله شيخا أجنأ سناطا متساقطا
وقال هارون بن الزيات حدثني علي بن أحمد الباهلي قال حدثني ربيح النميري قال
اجتمع الناس مرة وتحلقوا عن ذي الرمة وهو ينشدهم فجاءت أمه فاطلعت من بينهم فإذا رجل قاعد وهو ذو الرمة وكان دميما شختا أجنأ
فقالت أمه استمعوا إلى شعره ولا تنظروا إلى وجهه
قال هارون وأخبرني يعقوب بن السكيت عن أبي عدنان قال أخبرني أسيد الغنوي قال
سمعت بباديتنا من قوم هضبوا في الحديث أن ذا الرمة كان ترعية وكان كناز اللحم مربوعا قصيرا وكان أنفه ليس بالحسن
أخبرني ابن عمار عن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه عن صالح بن سليمان قال
كان الفرزدق وجرير يحسدان ذا الرمة وأهل البادية يعجبهم شعره
قالو كان صالح بن سليمان راوية لشعر ذي الرمة فأنشد يوما قصيدة له وأعرابي من بني عدي يسمع فقال أشهد عنك - أي أنك - لفقيه تحسن ما تتلوه وكان يحسبه قرآنا
نسخت من كتاب محمد بن داود وحدثني هارون بن الزيات عن محمد بن صالح العدوي قال قال حماد الراوية
قال الكميت حين سمع قول ذي الرمة
((أعاذِلُ قد أكثرتِ مِنْ قول قائلٍ ... وعَيْبٌ على ذي الوُدّ لَوْمُ العواذلِ
هذا والله ملهم وما علم بدوي بدقائق الفطنة وذخائر كنز العقل المعد لذوي الألباب أحسن ثم أحسن
قال محمد بن صالح وحدثني محمد بن كناسة بذلك عن الكميت وقال
لما أنشد قوله في هذه القصيدة
(دعاني وما دَاعِيَ الهوى مِنْ بلادِها ... إذا ما نأتْ خَرْقَاءُ عنّي بِغافِلِ)
فقال الكميت لله بلاد هذا الغلام ما أحسن قوله وما أجود وصفه ولقد شفع البيت الأول بمثله في جودة الفهم والفطنة
وقال قول مستسلم
قال ابن كناسة وقال لي حماد الراوية ما أخر القوم ذكره إلا لحداثة سنه وأنهم حسدوه
آراء في شعره
قال محمد بن صالح وقال لي خالد بن كلثوم وأبو عمرو قال أبو حزام وأبو المطرف
لم يكن أحد من القوم في زمانه أبلغ من ذي الرمة ولا أحسن جوابا كان كلامه أكثر من شعره
وقال الأصمعي ما أعلم أحدا من العشاق الحضريين وغيرهم شكا حبا أحسن من شكوى ذي الرمة مع عفة وعقل رصين

قال وقال أبو عبيدة
ذو الرمة يخبر فيحسن الخبر ثم يرد على نفسه الحجة من صاحبه فيحسن الرد ثم يعتذر فيحسن التخلص مع حسن إنصاف وعفاف في الحكم
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثنا الفضل بن إسحاق الهاشمي عن مولى لجده قال
رأيت ذو الرمة بسوق المربد وقد عارضه رجل يهزأ به فقال له يا أعرابي أتشهد بما لم تر قال نعم قال بماذا قال أشهد أن أباك ناك أمك
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله عن ابن حبيب عن عمارة بن عقيل قال
كان جرير عند بعض الخلفاء فسأله عن ذي الرمة فقال أخذ من طريف الشعر وحسنه ما لم يسبقه إليه أحد غيره
أخبرني وكيع عن حماد بن إسحاق قال قال حماد الراوية
قدم علينا ذو الرمة الكوفة فلم أر أفصح ولا أعلم بغريب منه
نسخت من كتاب ابن النطاح حدثني أبو عبيدة عن أبي عمرو
قال ختم الشعر بذي الرمة وختم الرجز برؤبة
قال فما تقول في هؤلاء الذين يقولون قال كل على غيرهم إن قالوا حسنا فقد سبقوا إليه وإن قالوا قبيحا فمن عندهم
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن بعض أصحابه عن حماد الراوية قال
أحسن الجاهلية تشبيها امرؤ القيس وذو الرمة أحسن أهل الإسلام تشبيها
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله عن ابن حبيب عن عمارة بن عقيل
أن جريرا والفرزدق اتفقا عند خليفة من خلفاء بني أمية فسأل كل واحد منهما على انفراد عن ذي الرمة فكلاهما قال أخذ من طريف الشعر وحسنه ما لم يسبقه إليه غيره فقال الخليفة أشهد لاتفاقكما فيه أنه أشعر منكما جميعا أخبرني جحظة عن حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال
أنشد الصيقل شعر ذي الرمة فاستحسنه وقال ماله قاتله الله ما كان إلا ربيقة هلا عاش قليلا
وقال هارون بن محمد أخبرني علي بن أحمد الباهلي قال حدثني محمد بن إسحاق البلخي عن سفيان بن عيينة عن ابن شبرمة قال سمعت ذا الرمة يقول إذا قلت كأنه ثم لم أجد مخرجا فقطع الله لساني
قال هارون وحدثني العباس بن ميمون طائع قال قال الأصمعي كان ذو الرمة أشعر الناس إذا شبه ولم يكن بالمفلق
وحدثني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال
كان لذي الرمة حظ في حسن التشبيه لم يكن لأحد من الإسلاميين كان علماؤنا يقولون أحسن الجاهلية تشبيها امرؤ القيس وأحسن أهل الإسلام تشبيها ذو الرمة
ذو الرمة ومية المنقرية
أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد عن أبيه عن أبي عقيل عمارة بن عقيل عن عمته أم القاسم ابنة بلال بن جرير عن جارية كانت لأم مي قالت
كنا نازلين بأسفل الدهناء وكان رهط ذي الرمة مجاورين لنا فجلست مية - وهي حينئذ فتاة حين نهد ثدياها أحسن من رأيته - تغسل ثيابا لها ولأمها في بيت منفرد وكان بيتا رثا قد أخلق ففيه خروق فلما فرغت ولبست ثيابها جاءت فجلست عند أمها فأقبل ذو الرمة حتى دخل إلينا ثم سلم ونشد ضالة وجلس ساعة ثم خرج فقالت مية إني لأرى هذا العدوي قد رآني منكشفة واطلع علي من حيث لا أدري فإن بني عدي أخبث قوم في الأرض فاذهبي فقصي أثره فخرجت فوجدته ما يثبت مقامه فقصصت أثره ثانية حتى رأيته وقد تردد أكثر من ثلاثين طرقة كل ذلك يدنو فيطلع إليها ثم يرجع على عقبيه ثم يعود فيطلع إليها فأخبرتها بذلك ثم لم ننشب أن جاءنا شعره فيها من كل وجه ومكان
وذكر علي بن سعيد بن بشر الرازي أن هارون بن مسلم بن سعد حدثه عن حسين بن براق الأسدي عن عمارة بن ثقيف قال
حدثني ذو الرمة أن أول ما قاد المودة بينه وبين مية أنه خرج هو وأخوه وابن عمه في بغاء إبل لهم قال بينا نحن نسير إذ وردنا على ماء وقد أجهدنا العطش فعدلنا إلى حواء عظيم فقال لي أخي وابن عمي ائت الحواء فاستسق لنا فأتيته وبين يديه في رواقه عجوز جالسة قال فاستسقيت فالتفتت وراءها فقالت يا مي اسقي هذا الغلام فدخلت عليها فإذا هي تنسج علقة لها وهي تقول
(يا مَنْ يرى بَرْقاً يَمُرُّ حينا ... زَمْزَمَ رَعْداً وانتحى يمينا)
(كأنَّ في حافاتِهِ حنينا ... أو صوتَ خيل ضُمَّرٍ يَرْدِينَا)
قال ثم قامت تصب في شكوتي ماء وعليها شوذب لها فلما انحطت على القربة رأيت مولى لم أر أحسن منه قال فلهوت بالنظر إليها وأقبلت تصب الماء في شكوتي والماء يذهب يمينا وشمالا قال فأقبلت علي العجوز وقالت يا بني ألهتك مي عما بعثك أهلك له أما ترى الماء يذهب يمينا وشمالا فقلت أما والله ليطولن هيامي بها
قال وملأت شكوتي وأتيت أخي وابن عمي ولففت رأسي فانتبذت
ناحية وقد كانت مي قالت لقد كلفك أهلك السفر على ما أرى من صغرك وحداثة سنك فأنشأت أقول
(قد سخِرَتْ أُختُ بني لَبِيدِ ... منّي ومِنْ سَلْمٍ ومِنْ وَلِيدِ)
(رأتْ غُلامَيْ سَفَرٍ بعيدِ ... يَدَّرِعانِ اللَّيلَ ذا السُّدودِ)
(... مثل ادِّرَاع اليَلْمَق الجديد)
قال وهي أول قصيدة قلتها ثم أتممتها
(... هل تعرف المنزل بالوَحِيدِ)
ثم مكثت أهيم بها في ديارها عشرين سنة
ذو الرمة وزوج مي
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن النوفلي قال سمعت أبي يقول
ضاف ذو الرمة زوج مي في ليلة ظلماء وهو طامع في ألا يعرفه زوجها فيدخله بيته فيراها ويكلمها ففطن له الزوج وعرفه فلم يدخله وأخرج إليه قراه وتركه بالعراء وقد عرفته مية فلما كان في جوف الليل تغني غناء الركبان قال
(أراجعةٌ يا ميُّ أيامُنا الأُلَى ... بذِي الأَثْلِ أم لاَ ما لهنّ رجوعُ)

فغضب زوجها وقال قومي فصيحي به يابن الزانية وأي أيام كانت لي معك بذي الأثل فقالت يا سبحان الله ضيف والشاعر يقول فانتضى السيف وقال والله لأضربنك به حتى آتي عليك أو تقولي فصاحت به كما أمرها زوجها فنهض على راحلته فركبها وانصرف عنها مغضبا يريد أن يصرف مودته عنها إلى غيرها فمر بفلج في ركب وبعض أصحابه يريد أن يرقع خفه فإذا هو بجوار خارجات من بيت يردن آخر وإذا خرقاء فيهن - وهي امرأة من بني عامر - فإذا جارية حلوة شهلاء فوقعت عين ذي الرمة عليها فقال لها يا جارية أترقعين لهذا الرجل خفه فقالت تهزأ به أنا خرقاء لا أحسن أن أعمل فسماها خرقاء وترك ذكر مي يريد أن يغيظ بذلك ميا فقال فيها قصيدتين أو ثلاثا ثم لم يلبث أن مات

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن الأصمعي عن عمارة بن عقيل قال

قال جرير خرجت مع المهاجر بن عبد الله إلى حجة فلقينا ذا الرمة فاستنشده المهاجر فأنشده

(ومِنْ حاجتي لَوْلاَ التَّنائي وربَّما ... منحتُ الهوَى مَنْ ليس بالمُتَقَارِب)

((عطابيلُ بيضٌ مِنْ ربيعة عامرٍ ... عِذابُ الثنايا مُثقَلاتُ الحقائب

(يَقِظْنَ الحِمى والرمْلُ منهن محضَرٌ ... ويَشْرَبْنَ ألبانَ الهِجان النجائب)

فالتفت إلي المهاجر وقال أتراه مجنونا

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال أخبرنا أبو البيداء الرياحي قال

قال جرير قاتل الله ذا الرمة حيث يقول

(ومُنْتزِعٍ مِنْ بين نِسْعَيْهِ جِرَّةً ... نشيجَ الشَّجَا جاءَت إلى ضِرْسِهِ نَزْرَا)

أما والله لو قال ما بين جنبيه لما كان عليه من سبيل

أخبرني الطوسي وحبيب المهلبي عن ابن شبة عن أبي غزالة عن هشام بن محمد الكلبي عن رجل من كندة قال

سئل جرير عن شعر ذي الرمة فقال بعر ظباء ونقط عروس يضمحل عن قليل

أخبرني أبو خليفة عن ابن سلام قال كان أبو عمرو بن العلاء يقول إنما شعر ذي الرمة نقط عروس يضمحل عن قليل وأبعار لها مشم في أول شمة ثم تعود إلى أرواح البعر

الفرزدق لا يعده من الفحول

قال أبو زيد بن شبة قال أبو عبيدة

وقف الفرزدق على ذي الرمة وهو ينشد قصيدته الحائية التي يقول فيها

(إذا ارْفَضّ أطرافُ السِّياط وهُلِّلَتْ ... جُرومُ المطايا عدّبتهنّ صَيْدَحُ)

فقال ذو الرمة كيف تسمع يا أبا فراس قال أسمع حسنا قال فمالي لا أعد في الفحول من الشعراء قال يمنعك من ذلك ويباعدك ذكرك الأبعار وبكاؤك الديار ثم قال

(ودَوِّيَّةٍ لو ذُو الرُّمَيْمةِ رامَها ... لقصَّرَ عنها ذو الرُّمَيْم وصَيْدَحُ)

(قطعتُ إلى معروفها منكراتِها ... إذا اشتدّ آلُ الأمْعَز المتوضِّحُ)

وقال عمر بن شبة في هذا الخبر فقام إليه ذو الرمة فقال أنشدك الله أبا فراس أن تزيد عليهما شيئا فقال إنهما بيتان ولن أزيد عليهما شيئا

قال وكان عمر بن شبة يقول عمن أخبره عن أبي عمرو إنما شعره نقط عروس تضمحل عما قليل وأبعار ظباء لها مشم في أول شمها ثم تعود إلى أرواح الأبعار

وكان هوى ذي الرمة مع الفرزدق على جرير وذلك لما كان بين جرير وابن لجأ التيمي وتيم وعدي اخوان من الرباب وعكل أخوهم ولذلك يقول جرير لعكل

((فلا يضغَمنّ الليثُ عُكْلاً بغِرَّةٍ ... وعُكلٌ يَشمُّونَ الفَريسَ المنيَّبا

الفريس ها هنا ابن لجأ وكذلك يفعل السبع إذا ضغم شاة ثم طرد عنها أو سبقته أقبلت الغنم تشم موضع الضغم فيفترسها السبع وهي تشم ولذلك قال جرير لبني عدي

(وقُلْتُ نَصاحةً لبَني عَدِيٍّ ... ثيابَكُم ونَضْحَ دمِ القَتِيل)

يحذر عديا ما لقي ابن لجأ

أخبرني أبو خليفة عن ابن سلام أن أبا يحيى الضبي قال قال ذو الرمة يوما لقد قلت أبياتا إن لها لعروضا وإن لها لمرادا ومعنى بعيدا قال له الفرزدق ما هي قال قلت

(أحِينَ أعاذَتْ بي تميمٌ نساءَها ... وجُرِّدْتُ تجريدَ اليَمانِي من الغِمْدِ)

(ومَدَّتْ بضَبْعَيَّ الرِّبابُ ومالِكٌ ... وعَمْرٌو وشالتْ مِنْ ورائي بنو سَعْدِ)

(ومن آلِ يَرْبُوعٍ زُهَاءٌ كأنّه ... زُهَا اللَّيْلِ محمودُ النِّكايَةِ والرِّفْدِ)

فقال له الفرزدق لا تعودن فيها فأنا أحق بها منك قال والله لا أعود ولا أنشدها أبدا إلا لك فهي قصيدة الفرزدق التي يقول فيها

(وكُنَّا إذا القَيْسِيُّ نَبّ عَتُوده ... ضَرَبْنَاه فوْق الأُنثيين على الكَرْدِ)

- - الأنثيان الأذنان والكرد العنق

وروى هذا الخبر حماد عن أبيه عن أبي عبيدة عن الضحاك الفقيمي قال

بينا أنا بكاظمة وذو الرمة ينشد قصيدته التي يقول فيها

(... أحينَ أعاذَتْ بي تَميمٌ نساءَها)

إذا راكبان قد تدليا من نقب كاظمة مقنعان فوقفا فلما فرغ ذو الرمة حسر الفرزدق عن وجهه وقال لراويته يا عبيد اضمم إليك هذه الأبيات قال له ذو الرمة نشدتك الله يا أبا فراس فقال له أنا أحق بها منك وانتحل منها هذه الأربعة الأبيات

ذو الرمة وهشام المرئي

حدثنا محمد قال حدثنا أبو الغراف قال

مر ذو الرمة بمنزل لامرىء القيس بن زيد مناة يقال له مرأة به نخل فلم ينزلوه ولم يقروه فقال

(نَزلْنَا وقد طال النهارُ وأوْقَدَتْ ... علينا حصى المَعزاءِ شَمْسٌ تنالُها)

(أَنَخْنا نظَلِّلنا بأَبْرَادِ يُمْنَةٍ ... عِتاقٍ وأسيافٍ قديمٍ صِقالُها)

(فلما رآنَا أهْلُ مَرْأَة أغلقوا ... مخادِعَ لم ترفَعْ لخيرٍ ظِلالُها)

(وقد سُمِّيَتْ باسْمِ امرىء القيس قَرِيةٌ ... كِرامٌ صَوَادِيها لِئامٌ رجالُها)
فلج الهجاء بين ذي الرمة وبين هشام المرئي فمر الفرزدق بذي الرمة وهو ينشد
صوت
(وقَفْتُ على رَبْعٍ لِمَيَّة ناقتي ... فما زلْتُ أبْكِي عِنده وأُخَاطِبُه)
(وأسقِيهِ حتى كاد مما أبُثُّه ... تُكلِّمني أحجارُه ومَلاعِبُه)
غنى فيه إبراهيم ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر وسيأتي خبره بعد لئلا ينقطع هذا الخبر
فقال له الفرزدق ألهاك البكاء في الديار والعبد يرتجز بك في المقابر يعني هشاما
وكان ذو الرمة مستعليا هشاما حتى لقي جرير هشاما فقال غلبك العبد يعني ذا الرمة قال فما أصنع يا أبا حزرة وأنا راجز وهو يقصد والرجز لا يقوم للقصيد في الهجاء ولو رفدتني فقال جرير - لتهمته ذا الرمة بالميل إلى الفرزدق - قل له
(غَضِبْتُ لرَجْلٍ مِنْ عَدِيِّ تشمَّسوا ... وفي أيِّ يَوْمٍ لم تَشَمَّسْ رجالُها)
(وفيمَ عَدِيٌّ عند تَيْمٍ من العُلاَ ... وأيامنا اللاتي تُعَدُّ فَعَالُها)
(وضَبَّةُ عَمي يابْنَ جَلٍّ فلا تَرُمْ ... مَساعِيَ قومٍ ليس مِنكَ سِجالُهَا)
(يُماشي عَدِيّاً لؤمُها لا تُجِنُّه ... من الناس ما مشَّت عَدِيّاً ظِلالُها)
(فقل لعديٍّ تَستعِنْ بنسائِها ... عليّ فقد أعيا عَدِيّاً رجالُها)
(إذَا الرُّمَّ قد قَلّدْتَ قومَك رُمَّةً ... بطيئاً بأمر المُطْلَقين انحلالُها)
قال أبو عبد الله فحدثني أبو الغراف قال
لما بلغت الأبيات ذا الرمة قال والله ما هذا بكلام هشام ولكنه كلام ابن الأتان
أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا ابن سلام قال وحدثني أبو البيداء قال
لما سمعها قال هو والله ينتمي شعر حنظلي عذري وغلب هشام على ذي الرمة بها
نسخت من كتاب ابن النطاح حدثني أبو عبيدة قال حدثني فلان المرئي قال
أتانا جرير على حمار وأنا لا أعرفه فأتي بنبيذ فشرب فلما أخذ فيه قال أين هشام فدعي فقال له أنشدني ما قلت في ذي الرمة فأنشده فجعل كلما أنشده قصيدة قال لم تصنع شيئا ثم قال له قد دنا رواحي فاردد هذه الأبيات ومر شبانكم بروايتها وذكر الأبيات التي اولها قوله
(... غَضِبْتَ لرَجْلٍ من تميم تَشَمَّسُوا)
ذو الرمة يعاتب جريرا
قال فغلبه هشام بها فلما كان بعد ذلك لقي ذو الرمة جريرا فقال تعصبت على خالك للمرئي فقال جرير حيث فعلت ماذا قال حين تقول للمرئي كذا وكذا فقال جرير لأنك ألهاك البكاء في دار مية حتى استقبحته محارمك
قال وقول ذي الرمة تعصبت على خالك أن النوار بنت جل أم حنظلة بن مالك وهي من رهط ذي الرمة وكذلك عنى جرير بقوله
((ولولا أن تقولَ بنو عديٍّ ... ألم تكُ أُمَّ حنظلة النَّوارُ)
(أتتْكم يا بني مِلْكانَ منّي ... قصائدُ لا تعاوَرُها البِحارُ)
فقال ذو الرمة لا ولكن اتهمتني بالميل مع الفرزدق عليك قال كذلك هو قال فوالله ما فعلت وحلف له بما يرضيه قال فأنشدني ما هجوت به المرئي فأنشده قوله
(نَبَتْ عَيْنَاك عن طَلَلٍ بِحُزْوَى ... عَفَتْه الريح وامتصح القِطَارا)
فأطال جدا فقال له جرير ما صنعت شيئا أفأرفدك قال نعم قال قل
(يَعدُّ الناسِبُون إلى تميم ... بُيوتَ المجْدِ أربعةً كبارا)
(يَعُدُّونَ الرِّبابَ وآلَ سَعْدٍ ... وعَمْراً ثم حنظلةَ الخِيارا)
(ويَهْلِك بينها المَرئيُّ لَغْواً ... كما ألغيْتَ في الدِّيَةِ الحُوَارا)
ويروى ويذهب بينها
فغلبه ذو الرمة بها
قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال حدثني جماعة من أهل العلم أن ذا الرمة مر بالفرزدق فقال له أنشدني أحدث ما قلت في المرئي فأنشده هذه الأبيات فأطرق الفرزدق ساعة ثم قال أعد فأعاد فقال كذبت وايم الله ما هذا لك ولقد قاله أشد لحيين منك وما هذا إلا شعر ابن الأتان
فلما سمعها المرئي جعل يلطم رأسه ويصرخ ويدعو بويله ويقول قتلني جرير قتله الله هذا والله شعره الذي لو نقطت منه نقطة في البحر لكدرته قتلني وفضحني
فلما استعلى ذو الرمة على هشام أتى هشام وقومه جريرا فقالوا يا أبا حزرة عادتك الحسنى فقال هيهات ظلمت أخوالي قد أتاني ذو الرمة فاعتذر إلي وحلف فلست أعين عليهم
فلما يئسوا من عنده أتوا لهذا المكاتب وقد طلع بمكاتبته فأعطوه عشرة أعنز وأعانوه على مكاتبته فقال أبياتا عينية يفضل فيها بني امرئ القيس على بني عدي وهشاما على ذي الرمة ومات ذو الرمة في تلك الأيام فقال الناس غلبه هشام
قال ابن النطاح إنما مات ذو الرمة بعقب إرفاد جرير إياه على المرئي فقال الناس غلبه ولم يغلبه إنما مات قبل الجواب
أخبرني اليزيدي عن محمد بن الحسن الأحول عن بعض أصحابه عن الشبو بن قسيم العذري قال
سمعت ذا الرمة يقول من شعري ما طاوعني فيه القول وساعدني ومنه ما أجهدت نفسي فيه ومنه ما جننت به جنونا فأما ما طاوعني القول فيه فقولي
(... خليليّ عُوجا مِنْ صُدورِ الرَّواحِلِ)
وأما ما أجهدت نفسي فيه فقولي
(... أأنْ تَوسّمت من خَرْقاء منزلة)
أما ما جننت به جنونا فقولي
(...ما بالُ عينك منها الدَّمْعُ ينسكِبُ)

أخبرني علي بن سليمان عن محمد بن يزيد عن عمارة بن عقيل قال كان جرير يقول ما أحببت أن ينسب إلي من شعر ذي الرمة إلا قوله
(... ما بَالُ عَيْنِكَ منها الماءُ يَنْسَكِبُ)
فإن شيطانه كان له فيها ناصحا
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال
قال حماد الراوية ما تمم ذو الرمة قصيدته التي يقول فيها
(... ما بالُ عَيْنِك منها الماء ينسكب)
حتى مات كان يزيد فيها منذ قالها حتى توفي
ذو الرمة في سوق المربد
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبي عدنان قال أخبرنا جابر بن عبد الله بن جامع بن جرموز الباهلي عن كثير بن ناجية قال
بينا ذو الرمة ينشد بالمربد والناس مجتمعون إليه إذا هو بخياط يطالعه ويقول يا غيلان
(أأنتَ الذي تستنطق الدارَ واقفاً ... مِنَ الجهل هل كانت بكنّ حلولُ)
فقال ذو الرمة وفكر زمانا ثم عاد فقعد في المربد ينشد فإذا الخياط قد وقف عليه ثم قال
(أأنت الذي شبَّهت عَنْزاً بقفرة ... لها ذَنَبٌ فوق استِها أُمَّ سالم)
(وَقَرْنانِ إمّا يَلزقا بِكَ يَترُكا ... بجَنْبَيْكَ يَا غيلاَنُ مِثلَ المواسمِ)
(جعلت لها قرنين فوق شواتها ... ورَابَك منها مَشْقَةٌ في القَوَائِمِ)
فقام ذو الرمة فذهب ولم ينشد بعدها في المربد حتى مات الخياط قال وأراد الخياط بقوله هذا قول ذي الرمة
(أقول لدَهْنَاوِيّةٍ عَوْهَجٍ جَرَتْ ... لنا بين أعلَى بُرقةٍ في الصَّرائم)
(أيا ظبية الوَعْسَاء بين جُلاَجِلٍ ... وبين النَّقَا آأَنْتِ أم أُمُّ سالِمِ)
(هي الشِّبْهُ لولا مِدْرياها وأذْنها ... سواء وإلا مَشْقَةٌ في القَوَائم)
فانتبه ذو الرمة لذلك فقال
(أقولُ بذِي الأرْطَى عشِيَّةَ أرشَقَتْ ... الى الرَّكْبِ أعناقُ الظِّباءِ الخَواذلِ)
(لأدماءَ مِنْ آرام بين سُوَيْقَةٍ ... وبين الجبال العُفْرِ ذاتِ السَّلاَسِلِ)
(أرى فيكِ من خرقاءَ يا ظبيةَ اللِّوى ... مشابهَ جُنِّبْتِ اعتلاقَ الحبائِل)
((فعيناكِ عيناها وجِيدُكِ جِيدُها ... ولونك لولا أنها غيرُ عاطل
في البيتين الأخيرين من هذه الأبيات رمل بالوسطى لإبراهيم
أخبرني علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري عن يعقوب ابن السكيت عن محمد بن سلام عن أبي الغراف قال
قال ذو الرمة لرؤبة ما عنى الراعي بقوله
(أنَاخَا بأسْوَا الظَّنّ ثمّتَ عرَّسَا ... قَليلاً وقد أبقى سُهَيْلٌ فعَرّدا)
فجعل رؤبة يقول هي كذا هي كذا لأشياء لا يقبلها ذو الرمة فقال له رؤبة فمه ويحك قال هي الأرض بين المكلئة وبين المجدبة
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبي عدنان عن إبراهيم بن نافع
أن الفرزدق دخل على الوليد بن عبد الملك أو غيره فقال له من أشعر الناس قال أنا قال أفتعلم أحدا أشعر منك قال لا إلا أن غلاما من بني عدي بن كعب يركب أعجاز الإبل وينعت الفلوات ثم أتاه جرير
فسأله فقال له مثل ذلك ثم أتاه ذو الرمة فقال له ويحك أنت أشعر الناس قال لا ولكن غلام من بني عقيل يقال له مزاحم يسكن الروضات يقول وحشيا من الشعر لا نقدر على أن نقول مثله
وقال وكان ذو الرمة يتشبب بمي بنت طلبة بن قيس بن عاصم المنقري وكانت كثيرة أمة مولدة لآل قيس بن عاصم وهي أم سهم بن بردة اللص الذي قتله سنان بن مخيس القشيري أيام محمد بن سليمان فقالت كثيرة
(على وَجْه مَيٍّ مسْحَةٌ مِنْ مَلاَحةٍ ... وتحت الثيابِ الخَزْيُ لو كان بَادِيا)
(ألم تر أنّ الماءَ يخبثُ طعْمهُ ... ولو كان لَوْنُ الماء في العين صَافيا)
ونحلتها ذا الرمة فامتعض من ذلك وحلف بجهد إيمانه ما قالها
قال وكيف أقول هذا وقد قطعت دهري وأفنيت شبابي أشبب بها وأمدحها ثم أقول هذا ثم اطلع على أن كثيرة قالتهما ونحلتهما إياه
أخباره مع مية
وقال هارون بن محمد حدثني عبد الرحمن بن عبد الله قال حدثني هارون بن سعيد قال حدثني أبو المسافر الفقعسي عن أبي بكر بن جبلة الفقعسي قال
وقف ذو الرمة في ركب معه على مية فسلموا عليها فقالت وعليكم
إلا ذا الرمة فأحفظه ذلك وغمه ما سمع منها بحضرة القوم فغضب وانصرف وهو يقول
(أيا ميّ قد أشمتِّ بي ويحك العِدَا ... وقطَّعتِ حَبْلاً كان يا ميّ باقيا)
(فيا ميّ لا مرجوعَ للْوَصْلِ بيننا ... ولكنّ هَجْراً بيننا وتَقَاليا)
(ألم تر أنّ الماءَ يَخْبُثُ طعْمُه ... وإنْ كان لون الماء في العين صافيا)
أخبرني الحسن بن علي الأدمي عن ابن مهرويه عن ابن النطاح عن محمد بن الحجاج الأسيدي من بني أسيد بن عمرو بن تميم قال
مررت على مية وقد أسنت فوقفت عليها وأنا يومئذ شاب فقلت يا مية ما أرى ذا الرمة إلا قد ضيع فيك قوله حيث يقول صوت
(أما أنْتَ عن ذِكراك مَيَّة مُقْصِرُ ... ولا أنتَ ناسي العَهْدِ منها فتذكُرُ)
(تَهيمُ بها ما تستفيقُ ودُونها ... حِجابٌ وأبوابٌ وسِتْرٌ مُسَتَّر)

قال فضحكت وقالت رأيتني يا بن أخي وقد وليت وذهبت محاسني ويرحم الله غيلان فلقد قال هذا في وأنا أحسن من النار الموقدة في الليلة القرة في عين المقرور ولن تبرح حتى أقيم عندك عذره ثم صاحت يا أسماء اخرجي فخرجت جارية كالمهاة ما رأيت مثلها فقالت أما لمن شبب بهذه وهويها عذر فقلت بلى فقالت والله لقد كنت أزمان كنت مثلها أحسن منها ولو رأيتني يومئذ لا زدريت هذه ازدراءك إياي اليوم انصرف راشدا
في هذين البيتين لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى
أخبرني أبو خليفة قال قال محمد بن سلام قال أبو سوار الغنوي
رأيت مية وإذا معها بنون لها صغار فقلت صفها لي فقال مسنونة الوجه طويلة الخد شماء الأنف عليها وسم جمال فقالت ما تلقيت بأحد من بني هؤلاء إلا في الإبل قلت أفكانت تنشدك شيئا مما قاله ذو الرمة فيها قال نعم كانت تسح سحا ما رأى أبوك مثله
فأما ابن قتيبة فقال في خبره
مكثت مية زمانا لا ترى ذا الرمة وهي تسمع مع ذلك شعره فجعلت لله عليها أن تنحر بدنة يوم تراه فلما رأته رجلا دميما أسود وكانت من أجمل الناس قالت واسوأتاه وابؤساه واضيعة بدنتاه فقال ذو الرمة
(على وَجْه مَيٍّ مَسحةٌ من مَلاحةٍ ... وتحت الثيابِ الشَّيْنُ لو كانَ بادِيا)
قال فكشفت ثوبها عن جسدها ثم قالت أشينا ترى لا أم لك فقال
(ألم تَر أنَّ الماء يخبُثُ طَعْمُهُ ... وإنْ كان لونُ الماء أبيضَ صافيا)
فقالت أما ما تحت الثياب فقد رأيته وعلمت أن لا شين فيه ولم يبق إلا أن أقول لك هلم حتى تذوق ما وراءه ووالله لا ذقت ذاك أبدا فقال
(فيا ضيعةَ الشِّعر الذي لجّ فانقضَى ... بِميٍّ ولم أملك ضلالَ فؤادِيا)
قال ثم صلح الأمر بينهما بعد ذلك فعاد لما كان عليه من حبها
وذكر محمد بن علي بن حفص الجبيري الحنفي - من ولد أبي جبيرة - أن النوار بنت عاصم المنقرية - وأمها مية صاحبة ذي الرمة - أخبرته وقد ذكر عندها ذا الرمة وأنشدها قوله في أمها
((هي البُرْء والأسقام والهمُّ والمُنَى ... ومَوتُ الهوى في القَلْب مني المبرِّحُ
(وكان الهوى بالنأي يُمْحَى فيمَّحي ... وحُبُّكِ عندي يَستجِدُّ ويربح)
يربح أي يزيد الربح هكذا ذكره الأصمعي
(إذا غَيَّر النأيُ المحِبِّين لم أجد ... رَسيسَ الهوى مِنْ حُبِّ ميَّةَ يَبرح)
فلما سمعت قوله
(. ... . . إذا غَيَّر النَّأيُ المحبِّين)
قالت قبحه الله هو الذي يقول أيضا
(على وَجْه مَيٍّ مَسحةٌ مِنْ مَلاَحةٍ ... وتحت الثياب الشَّين لو كان بادِيا)
فقلت لها أكانت مية جدتك قالت لا بل أمي فقلت لها كم تعدين قالت ستين سنة
أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي عن محمد بن سلام قال
كانت مي صاحبة ذي الرمة من ولد طلبة بن قيس بن عاصم المنقري وكانت لها بنت عم من ولد قيس يقال لها كثيرة أم سلهمة فقالت على لسان ذي الرمة
(... على وَجْه ميٍّ سَسْحَةٌ من مَلاَحة)
الأبيات فكان ذو الرمة إذا ذكر له ذلك يمتعض منه ويحلف أنه ما قالها قط
أخبرني بهذا الخبر أبو خليفة عن محمد بن سلام عن أبي الغراف الضبي بمثله وقال فيه
إن كثيرة مولاة لهم وهي أم سلهمة اللص الذي قتله خيل محمد بن سليمان والله أعلم
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب المهلبي عن ابن شبة عن المدائني عن سلمة عن محارب قال
كان ذو الرمة يقرأ ويكتب ويكتم ذلك فقيل له كيف تقول عزير ابن الله أو عزير بن الله فقال أكثرهما حروفا
أخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قال
قال عيسى بن عمر قال لي ذو الرمة ارفع هذا الحرف فقلت له أتكتب فقال بيده على فيه اكتم علي فإنه عندنا عيب
أخبرني ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي عن محمد بن أبي بكر المخزومي قال
قال رؤبة كلما قلت شعرا سرقه ذو الرمة فقيل له وما ذاك قال قلت
(...حيٌّ الشهيق ميّتُ الأنفاس)
فقال هو
(يَطْرحن بالمهارق الأغفال ... كلَّ جَهيضٍ لَثِقِ السِّرْبالِ)
(... حيِّ الشهيق مَيّتِ الأوصالِ)
فقلت له فقوله والله أجود من قولك وإن كان سرقة منك فقال ذلك أغم لي
أخبرني ابن عبد العزيز عن ابن شبة قال
قيل لذي الرمة إنما أنت راوية الراعي فقال أما والله لئن قيل ذاك ما مثلي ومثله إلا شاب صحب شيخا فسلك به طرقا ثم فارقه فسلك الشاب بعده شعابا وأودية لم يسلكها الشيخ قط
أخبرني محمد بن أحمد بن الطلاس عن الخراز عن المدائني وأخبرني به إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم عن ابن أخي الأصمعي عن عمه دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال
إنما وضع من ذي الرمة أنه كان لا يحسن أن يهجو ولا يمدح وقد مدح بلال بن أبي بردة فقال
(رأيتُ الناس ينتجعون غَيْثاً ... فقلتُ لِصَيْدحَ انتجِعي بِلاَلاَ)
فلما أنشده قال له أو لم ينتجعني غير صيدح يا غلام أعطه حبل
(قلت) لصيدح فأخجله
أخبرني أبو خليفة عن ابن سلام قال حدثني أبو الغراف قال
عاب الحكم بن عوانة الكلبي ذا الرمة في بعض قوله فقال فيه

(فلو كنت من كَلْبٍ صميماً هجوتكُم ... جميعاً ولكن لا إخالُكَ من كَلْبِ)
(ولكنما أُخبِرتُ أنك مُلْصَقٌ ... كما ألصِقَتْ من غيرها ثُلْمَةُ القعْبِ)
(تَدهْدَى فخرَّتْ ثُلْمَةٌ من صميمه ... فَكِيفَ بأخرى بالغِراء وبالشَّعْبِ)
أخباره مع بلال بن أبي بردة
أخبرني أبو خليفة عن ابن سلام قال وحدثني أبو الغراف قال
دخل ذو الرمة علي بلال بن أبي بردة وكان بلال راوية فصيحا أديبا فأنشده بلال أبيات حاتم طيىء قال
(لحا اللّهُ صُعْلُوكاً مُناهُ وهمُّه ... مِنَ العَيْش أن يلقى لَبُوساً ومَطْعَما)
(يَرَى الخِمْسَ تعذيباً وإنْ نال شَبْعَةً ... يَبِتْ قلْبُه مِنْ شِدَّة الهَمِّ مُبْهَما)
هكذا أنشد بلال فقال ذو الرمة يرى الخمص تعذيبا وإنما الخمس للإبل وإنما هو خمص البطن فمحك بلال - وكان محكا - وقال هكذا أنشدنيه رواة طيىء فرد عليه ذو الرمة فضحك ودخل أبو عمرو بن العلاء فقال له بلال كيف تنشدهما وعرف أبو عمرو الذي به
فقال كلا الوجهين جائز فقال أتأخذون عن ذي الرمة فقال إنه لفصيح وإنا لنأخذ عنه بتمريض وخرجا من عنده فقال ذو الرمة لأبي عمرو والله لولا أني أعلم أنك حطبت في حبله وملت مع هواه لهجوتك هجاء لا يقعد إليك اثنان بعده
نسخت من كتاب محمد بن داود بن الجراح حدثني هارون بن محمد الزيات قال حدثني حماد بن إسحاق عن عمارة بن عقيل قال قيل لبِلال بِنِ جرِيرٍ أيِّ شِعرِ ذي الرمة أجود فقال
(... هل حبل خَرْقاء بَعْدَ اليَوْمِ مَرمُوم)
إنها مدينة الشعر
حدثنا أبو خليفة عن ابن سلام قال
كان ذو الرمة من جرير والفرزدق بمنزلة قتادة من الحسن وابن
سيرين كان يروي عنهما ويروي عن الصحابة وكذلك ذو الرمة هو دونهما ويساويهما في بعض شعره
أخبرني الجوهري قال حدثنا ابن شبة عن ابن معاوية قال قال حماد الراوية
قدم علينا ذو الرمة الكوفة فلم نر أحسن ولا أفصح ولا أعلم بغريب منه فغم ذلك كثيرا من أهل المدينة فصنعوا له أبياتا وهي قوله
(رأى جملاً يوماً ولم يكُ قبلها ... من الدَّهر يدري كيف خَلْقُ الأباعر)
(فقال شظايا مَعْ ظبايا ألا لنا ... وأجفل إجفال الظَّلِم المبادر)
(فقلت له لا ذَهْلَ مِلْكَيْل بعد ما ... مَلا نَيفَق التُّبَّان منه بعاذر)
قال فاستعادها مرتين وثلاثا ثم قال ما أحسب هذا من كلام العرب
أخبرني أبو الحسن الأسدي عن العباس بن ميمون طائع قال حدثنا أبو عثمان المازني عن الأصمعي عن عنبسة النحوي قال
قلت لذي الرمة وسمعته ينشد ويقول
(وعَيْنَان قال اللّه كُونا فكانَتا ... فَعُولَيْن بالألْبَابِ ما تَفعَل الخَمْرُ)
قال فقلت له فهلا قلت فعولان فقال لو قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر كان خيرا لك أي أنك أردت القدر وأراد ذو الرمة كونا فعولين بالألباب وأراد عنبسة وعينان فعولان
وروى هذا الخبر ابن الزيات عن محمد بن عبادة عن الأصمعي عن العلاء بن أسلم فذكر مثله
وحكي أن إسحاق بن سويد المعارض له قال وأخبرني الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي قال حدثني عبد الصمد بن المعذل قال حدثني أبي عن أبيه قال
قدم ذو الرمة الكوفة فوقف ينشد الناس بالكناسة قصيدته الحائية حتى أتى على قوله
(إذا غَيَّر النَّأْيُ المُحِبِّين لم يَكدْ ... رَسِيسُ الهوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ)
فناداه ابن شبرمة يا غيلان أراه قد برح فشنق ناقته وجعل يتأخر بها ويفكر ثم عاد فأنشد قوله
(... إذا غَيَّر النَّأْيُ المحبين لم أجِدُ)
قال فلما انصرفت حدثت أبي فقال أخطأ ابن شبرمة حين أنكر على ذي الرمة ما أنشد وأخطأ ذو الرمة حين غير شعره لقول ابن شبرمة إنما هذا مثل قول الله عز وجل (ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها) وإنما معناه لم يرها ولم يكد
أخبرني الجوهري عن ابن شبرمة عن يحيى بن نجيم قال
قال رؤبة لبلال بن أبي بردة علام تعطي ذا الرمة فوالله إنه ليعمد إلى مقطعاتنا فيصلها فيمدحك بها فقال والله لو لم أعطه إلا على تأليفه لأعطيته وأمر له بعشرة آلاف درهم
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة حدثنا إسحاق الموصلي عن الأصمعي قال
قال رجل رأيت ذا الرمة بمربد البصرة وعليه جماعة مجتمعة وهو قائم وعليه برد قيمته مائتا دينار وهو ينشد ودموعه تجري على لحيته
(... ما بالُ عَيْنِك منها الماءُ يَنْسَكِبُ)
فلما انتهى إلى قوله
(تُصْغِي إذَا شَدَّها بالكُورِ جانحةً ... حتى إذا ما استَوى في غرْزها تَثِبُ)
قلت يا أخا بني تميم ما هكذا قال عمك قال وأي أعمامي يرحمك الله قلت الراعي قال وما قال قلت قوله
(ولا تُعْجِل المرء قبل الوُروك ... وَهْيَ بركبته أبْصَرُ)
((وهِيَّ إذَا قَام في غَرْزها ... كمثل السفينة إذ تُوقَرَ)
(ومُصْغية خَدَّها بالزِّمام ... فالرأس منها لَهُ أصعر)
(حتى إذا ما استَوَى طَبَّقَتْ ... كما طَبَّقَ المِسحَلُ الأغْبَرُ)
قال فأرتج عليه ساعة ثم قال إنه نعت ناقة ملك ونعت ناقة سوقة فخرج منها على رؤوس الناس
أخباره مع خرقاء

فأما السبب بين ذي الرمة وخرقاء فقد اختلف فيه الرواة فقيل إنه كان يهواها وقيل بل كاد بها مية وقيل بل كانت كحالة فداوت عينه فشبب بها
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن النوفلي عن أبيه
أن زوج مية أمرها أن تسب ذا الرمة غيرة عليها فامتنعت فتوعدها بالقتل فسبته فغضب وشبب بخرقاء العامرية يكيد مية بذلك فما قال فيها إلا قصيدتين أو ثلاثا حتى مات
أخبرني حبيب بن نصر عن ابن شبة عن العتبي عن هارون بن عتبة قال
شبب ذو الرمة بخرقاء العامرية بغير هوى وإنما كانت كحالة فداوت عينه من رمد كان بها فزال فقال لها ما تحبين حتى أعطيك فقالت عشرة أبيات تشبب بي ليرغب الناس في إذا سمعوا أن في بقية للتشبيب ففعل
أخبرنا أبو خليفة عن ابن سلام قال
كان ذو الرمة شبب بخرقاء إحدى نساء بني عامر بن ربيعة وكانت تحل
فلجا ويمر بها الحاج فتقعد لهم وتحادثهم وتهاديهم وكانت تجلس معها فاطمة بنتها فحدثني من رآهما فلم تكن فاطمة مثلها وكانت تقول
أنا منسك من مناسك الحج لقول ذي الرمة فيها
(تمامُ الحجِّ أنْ تقِفَ المطايَا ... على خَرْقَاءَ واضِعَةَ اللِّثَام)
قال ابن سلام في خبره وأرسلت خرقاء إلى القحيف العقيلي تسأله أن يشبب بها فقال
صوت
(لقد أرسلتْ خرقاءُ نَحوي جَريّها ... لتجعلَني خَرْقَاءُ فِيمن أضلَّتِ)
(وخَرْقاءُ لا تزدادُ إلاّ مَلاحةً ... ولو عُمِّرَتْ تعميرَ نُوحٍ وجَلَّتِ)
حدثني حبيب بن نصر عن الزبير عن موهوب بن رشيد عمن حدثه قال
نزل ركب بأبي خرقاء العامرية فأمر لهم بلبن فسقوه وقصر عن شاب منهم فأعطته خرقاء صبوحها وهي لا تعرفه فشربه ومضوا فركبوا فقال لها أبوها أتعرفين الرجل الذي سقيته صبوحك قالت لا والله قال هو ذو
الرمة القائل فيك الأقاويل فوضعت يدها على رأسها وقالت واسوأتاه وابؤساه ودخلت بيتها فما رآها أبوها ثلاثا
حدثني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال قال الضبي
كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حججت فقال لي يوما هل لك إلى أن أريك خرقاء صاحبة ذي الرمة فقلت إن فعلت بررت فتوجهنا جميعا نريدها فعدل بي عن الطريق قدر ميل ثم أتينا أبيات شعر فاستفتح بيتا ففتح له وخرجت امرأة طويلة حسنة بها قوة فسلمت وجلست فتحدثنا ساعة ثم قالت لي هل حججت قط قلت غير مرة قالت فما منعك من زيارتي أما علمت أني منسك من مناسك الحج قلت وكيف ذاك قلت أما سمعت قول ذي الرمة
(تمام الحجِّ أن تقِفَ المطايا ... على خَرْقَاءَ واضعةَ اللِّثَام)
أخبرني وكيع عن أبي أيوب المدائني عن مصعب الزبيري قال شبب ذو الرمة بخرقاء ولها ثمانون سنة
قال هارون بن الزيات حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم عن محمد بن يعقوب عن أبيه قال
رأيت خرقاء بالبصرة وقد ذهبت أسنانها وإن في ديباجة وجهها لبقية فقلت أخبريني عن السبب بينك وبين ذي الرمة فقالت اجتاز بنا في ركب ونحن عدة جوار على بعض المياه فقال أسفرن فسفرن غيري فقال لئن لم تسفري لأفضحنك فسفرت فلم يزل يقول حتى أزبد ثم لم أره بعد ذلك
أخبرني الحرمي ابن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني موهوب بن رشيد قال حدثني جدي قال
كنت مع خرقاء ذي الرمة إذ نزل بابها ركب من بني تميم فأمر لهم بلبن فسقوه وقصر اللبن عن شاب منهم فأمرت له خرقاء بغبوقها فلما أن رحل عنهم الركب قال لها أبوها يا خرقاء أتعرفين من سقيت غبوقك اليوم قالت لا والله ما أعرفه قال ذاك ذو الرمة فوضعت يدها على رأسها وقالت واسوأتاه ودخلت خدرها
قال الزبير وحدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي قال حدثنا أبو الشبل المعدي قال
كانت خرقاء البكائية أصبح من القبس وبقيت بقاء طويلا حتى شبب بها القحيف العقيلي
أخبرنا أبو الحسن الأسدي عن أحمد بن سليمان عن أبي شيخ عن أبيه عن علي بن صالح بن سليمان عن صباح بن الهذيل أخي زفر بن الهذيل قال
خرجت أريد الحج فمررت بالمنزل الذي تنزله خرقاء فأتيتها فإذا امرأة جزلة عندها سماطان من الأعراب تحدثهم وتناشدهم فسلمت فردت ونسبتني فانتسبت لها وهي تنزلني حتى انتسبت إلى أبي فقالت حسبك أكرمت ما شئت ما اسمك قلت صباح قالت وأبو من قلت أبو
المغلس قالت أخذت أول الليل وآخره قال فما كان لي همة إلا الذهاب عنها
نسخت من كتاب محمد بن صالح بن النطاح حدثني محمد بن الحجاج الأسدي التميمي - وما رأيت تميميا أعلم منه - قال
حججت فلما صرت بمران منصرفا فإذا أنا بغلام أشعث الذؤابة قد أورد غنيمات له فجئته فاستنشدته فقال لي إليك عني فإني مشغول عنك وألححت عليه فقال أرشدك إلى بعض ما تحب انظر إلى ذلك البيت الذي يلقاك فإن فيه حاجتك هذا بيت خرقاء ذي الرمة فمضيت نحوه فطوحت بالسلام من بعيد فقالت ادنه فدنوت فقالت إنك لحضري فمن أنت قلت من بني تميم - وأنا أحسب أنها لا معرفة لها بالناس - قالت من أي تميم فأعلمتها فلم تزل تنزلني حتى انتسبت إلى أبي فقالت الحجاج بن عمير بن يزيد قلت نعم قالت رحم الله أبا المثنى قد كنا نرجو أن يكون خلفا من عمير بن يزيد قلت نعم فعاجلته المنية شابا قالت حياك الله يا بني وقربك من أين أقبلت قلت من الحج قالت فما لك لم تمر بي وأنا أحد مناسك الحج إن حجك ناقص فأقم حتى تحج أو تكفر بعتق قلت وكيف ذلك قالت أما سمعت قول غيلان عمك
(تمامُ الحجِّ أنْ تَقِفَ المطايَا ... على خَرْقَاءَ واضعةَ اللِّثَامِ)
قال وكانت هي قاعدة بفناء البيت كأنها قائمة من طولها بيضاء شهلاء فخمة الوجه قال فسألتها عن سنها فقالت لا أدري إلا أني كنت
أذكر شمر بن ذي الجوشن حين قتل الحسين عليه السلام مر بنا وأنا جارية ومعه كسوة فقسمها في قومه قالت وكان أبي قد أدرك الجاهلية وحمل فيها حمالات قال ولما أنشدتني خرقاء بيت ذي الرمة فيها قلت هيهات يا عمة قد ذهب ذلك

منك قالت لا تقل يا بني أما سمعت قول قحيف في
(وخَرْقاء لا تزدادُ إلاَّ ملاحةً ... ولو عُمِّرت تعميرَ نُوح وجلَّتِ)
ثم قالت رحم الله ذا الرمة فقد كان رقيق البشرة عذب المنطق حسن الوصف مقارب الرصف عفيف الطرف فقلت لها لقد أحسنت الوصف فقالت هيهات أن يدركه وصف رحمه الله ورحم من سماه اسمه فقلت ومن سماه قالت سيد بني عدي الحصين بن عبدة بن نعيم ثم أنشدتني لنفسها في ذي الرمة
(لقد أصبحتُ في فَرْعيْ مَعَدٍّ ... مكان النّجم في فَلَك السماء)
(إذا ذُكِرت محاسنُه تدرَّت ... بِحارُ الجود من نحوِ السماء)
(حُصَيْنٌ شادَ باسمِك غيرَ شَكٍّ ... فَأنْتَ غِياثُ مَحْلٍ بالفِناء)
(إذا ضَنَّتْ سَحابةُ ماءِ مُزْنٍ ... تَثُجُّ بحارُ جُودك بارتواءِ)
(لقد نُصِرت باسمِك أرضُ قَحطٍ ... كما نُثِرت عديٌّ بالثَّراءِ)
فقلت أحسنت يا خرقاء فهل سمع ذلك منك ذو الرمة قالت إي وربي قلت فماذا قال قالت قال شكر الله لك يا خرقاء نعمة ربيت شكرها من ذكرها فقالت أثقلنا حقها ثم قالت اللهم غفرا هذا في اللفظ ونحتاج إلى العمل
أخبرني جحظة عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن كناسة عن خيثم بن حجية العجلي قال حدثني رجل من بني النجار قال
خرجت أمشي في ناحية البادية فمررت على فتاة قائمة على باب بيت فقمت أكلمها فنادتني عجوز من ناحية الخباء ما يقيمك على هذا الغزال النجدي فوالله ما تنال خيرا منه ولا ينفعك قال وتقول هي دعيه يا أماه يكن كما قال ذو الرمة
(وإن لم يكن إلاّ مُعَرَّسُ ساعةٍ ... قليلاً فإني نافعٌ لِي قليلُها)
فسألت عنهما فقيل لي العجوز خرقاء ذي الرمة والفتاة بنتها
روايات في وفاته
وتوفي ذو الرمة في خلافة هشام بن عبد الملك وله أربعون سنة
وقد اختلفت الرواة في سبب وفاته
أخبرني علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري عن يعقوب بن السكيت أنه بلغ أربعين سنة وفيها توفي وهو خارج إلى هشام بن عبد الملك ودفن بحزوى وهي الرملة التي كان يذكرها في شعره
أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني ابن أبي عدي قال
قال ذو الرمة بلغت نصف الهرم وأنا ابن أربعين سنة
قال ابن سلام وحدثني أبو الغراف أنه مات وهو يريد هشاما وقال في طريقه في ذلك
(بلادٌ بها أهلُون لستُ ابن أهلها ... وأُخْرَى بها أهلون ليس بها أهلُ)
وقال هارون بن محمد بن عبد الملك حدثني القاسم بن محمد الأسدي قال حدثني جبر بن رباط قال
أنشد ذو الرمة الناس شعرا له وصف فيه الفلاة بالثعلبية فقال له حلبس الأسدي إنك لتنعت الفلاة نعتا لا تكون منيتك إلا بها
قال وصدر ذو الرمة على أحد جفري بني تميم وهما على طريق الحاج من البصرة فلما أشرف على البصرة قال
((وإنِّي لعاليها وإني لخائفٌ ... لِما قال يومَ الثَّعْلَبِيَّة حَلْبَسُ
قال ويقال إن هذا آخر شعر قاله فلما توسط الفلاة نزل عن راحلته فنفرت منه ولم تكن تنفر منه وعليها شرابه وطعامه فلما دنا منها نفرت حتى مات فيقال إنه قال عند ذلك
(ألاَ أبلغ الفِتيان عنِّي رِسالةً ... أهِينوا المَطايا هُنَّ أهْلُ هَوَانِ)
(فقد تركَتْنِي صَيْدَحٌ بمَضَلَّةٍ ... لِسانِيَ مُلْتَاثٌ مِنَ الطَّوَانِ)
قال هارون وأخبرني أحمد بن محمد الكلابي بهذه القصة وذكر أن ناقته وردت على أهله في مياههم فركبها أخوه وقص أثره حتى وجده ميتا وعليه خلع الخليفة ووجد هذين البيتين مكتوبين على قوسه
أخبرني أحمد بن عبد العزيز عن الرياشي عن الأصمعي عن أبي الوجيه قال
دخلت على ذي الرمة وهو يجود بنفسه فقلت له كيف تجدك قال أجدني والله أجد ما لا أجد أيام أزعم أني أجد ما لم أجد حيث أقول
(كأنّي غداة الزُّرْق يا مَيُّ مُدْنَفٌ ... يَجودُ بنَفْسٍ قد أحَمَّ حِمَامُها)
(حِذارَ اجْتذامِ البَيْن أقرانَ نيّة ... مُصَابٌ ولوعاتُ الفؤاد انجذامُها)
قال وكان آخره ما قاله
(يا ربِّ قد أشرفَتْ نَفْسِي وقد عَلِمَتْ ... عِلْماً يقيناً لقد أحصَيْتَ آثاري)
(يا مُخرِجَ الرّوح من جسمي إذا احْتُضِرت ... وفارجَ الكَرْبِ زَحْزِحني عن النّار)
قال أبو الوجيه وكانت منيته هذه في الجدري وفي ذلك يقول
((ألَمْ يَأْتِها أنِّي تلبّستُ بعدها ... مُفَوَّفَةً صَوَّاغُها غيرُ أخرقِ
نسخت من كتاب هارون بن الزيات حدثني عبد الوهاب بن إبراهيم الأزدي قال حدثني جهم بن مسعدة قال حدثني محمد بن الحجاج الأسدي عن أبيه قال
وردت حجرا وذو الرمة به فاشتكى شكايته التي كانت منها منيته وكرهت أن أخرج حتى أعلم بما يكون في شكاته وكنت أتعهده وأعوده في اليوم واليومين فأتيته يوما وقد ثقل فقلت يا غيلان كيف تجدك فقال أجدني والله يا أبا المثنى اليوم في الموت لا غداة أقول
(كأني غداة الزُّرق يا ميّ مدنَفٌ ... يكيد بنَفْسٍ قد أحمّ حِمامُها)
فأنا والله الغداة في ذلك لا تلك الغداة
قال هارون بن الزيات حدثني موسى بن عيسى الجعفري قال أخبرني أبي قال أخبرني رجل من بني تميم قال
كانت ميتة ذي الرمة أنه اشتكى النوطة فوجعها دهرا فقال في ذلك
(ألِفتُ كلاب الحيِّ حتى عَرَفْنِي ... ومُدَّتْ نِساجُ العنكبوت على رَحْلِي)
قال ثم قال لمسعود أخيه يا مسعود قد أجدني تماثلت وخفت الأشياء عندنا واحتجنا إلى زيارة بني مروان فهل لك بنا

فيهم فقال نعم فأرسله إلى إبله يأتيه منها بلبن يتزوده وواعده مكانا وركب ذو الرمة ناقته فقمصت به وكانت قد أعفيت من الركوب وانفجرت النوطة التي كانت
به قال وبلغ موعد صاحبه وجهد وقال أردنا شيئا وأراد الله شيئا وإن العلة التي كانت بي انفجرت فأرسل إلى أهله فصلوا عليه ودفن برأس حزوى وهي الرملة التي كان يذكرها في شعره

قبره بالدهناء

نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيدي قال أبو عبيدة وذكر هارون بن الزيات عن محمد بن علي بن المغيرة عن أبيه وعن أبي عبيدة عن المنتجع بن نبهان قال
لما احتضر ذو الرمة قال إني لست ممن يدفن في الغموض والوهاد قالوا فكيف نصنع بك ونحن في رمال الدهناء قال فأين أنتم من كثبان حزوى - قال وهما رملتان مشرفتان على ما حولهما من الرمال - قالوا فكيف نحفر لك في الرمل وهو هائل قال فأين الشجر والمدر والأعواد قال فصلينا عليه في بطن الماء ثم حملنا له الشجر والمدر على الكباش وهي أقوى على الصعود في الرمل من الإبل فجعلوا قبره هناك وزبروه بذلك الشجر والمدر ودلوه في قبره فأنت إذا عرفت موضع قبره رأيته قبل أن تدخل الدهناء وأنت بالدو على مسيرة ثلاث
قال هارون وحدثني محمد بن صالح العدوي قال ذكر أبو عمرو المرادي
إن قبر ذي الرمة بأطراف عناق من وسط الدهناء مقابل الأواعس وهي أجبل شوارع يقابلن الصريمة صريمة النعام وهذا الموضع لبني سعد ويختلط معهم الرباب
قال هارون وحدثني هارون بن مسلم عن الزيادي عن العلاء بن برد قال
ما كان شيء أحب إلى ذي الرمة إذا ما ورد ماء من أن يطوي ولا يسقي فأخبرني مخبر أنه مر بالجفر وقد جهده العطش قال فسمعته يقول

(يا مخرجَ الرّوح من جِسْمي إذا احتُضِرتْ ... وفارجَ الكرْب زَحْزِحْني عن النار)

ثم قضى
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه عن عيسى بن عمر قال
كان ذو الرمة ينشد الشعر فإذا فرغ قال والله لأكسعنك بشيء ليس في حسابك سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر
أخبرني الحسن بن علي ووكيع عن أبي أيوب قال حدثني أبو معاوية الغلابي قال
كان ذو الرمة حسن الصلاة حسن الخشوع فقيل له ما أحسن صلاتك فقال إن العبد إذا قام بين يدي الله لحقيق أن يخشع
نسخت من كتاب عبيد الله اليزيدي قال حدثني عبد الرحمن عن عمه عن أبي عمرو بن العلاء قال
كان مسعود أخو ذي الرمة يمشي معي كثيرا إلى منزلي فقال لي يوما وقد بلغ قريبا من منزلي أنا الذي أقول في أخي ذي الرمة

(إلى الله أشكو لا إلى الناس إنني ... ولَيْلى كلانا مُوجَعٌ مات وافدُهْ)

فقلت له من ليلى فقال بنت أخي ذي الرمة
ذكر خبر إبراهيم في هذه الأصوات الماخورية
أخبرني أحمد بن عبد العزيز عن ابن شبة عن إسحاق الموصلي عن أبيه قال
صنعت لحنا فأعجبني وجعلت أطلب له شعرا فعسر ذلك علي فأريت في المنام كأن رجلا لقيني فقال لي يا إبراهيم أوقد أعياك شعر لغنائك هذا الذي تعجب به قلت نعم قال فأين أنت من قول ذي الرمة

(ألا يا اسْلَمي يا دارَ ميّ على البِلَى ... ولا زال مُنْهَلاًّ بجرعائكِ القَطْرُ)

قال فانتبهتُ فرحاً بالشعر فدعوت من ضرب علي فغنيته فإذا هو أوفق ما خلق الله فلما علمت هذا الغناء في شعر ذي الرمة نبهت عليه وعلى شعره فصنعت فيه ألحانا ماخورية منها

(أَمَنْزِلَتيْ مَيٍّ سلامٌ عليكما ... هل الأزمُن اللائي مَضَيْنَ رَواجعُ)

وغنيت بها الهادي فاستحسنها وكاد يطير فرحا وأمر لكل صوت بألف دينار

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

(ألا يا اسلَمي يا دارَ ميّ على البِلَى ... ولا زال مُنهلاً بجرعائكِ القَطْرُ)
(ولو لم تكوني غير شامٍ بقفرةٍ ... تجرُّ بها الأذيالَ صيفيَّةٌ كُدْرُ)

عروضه من الطويل وقوله يا اسلمي ها هنا نداء كأنه قال يا دار مي اسلمي ويا هذه اسلمي يدعو لها بالسلامة ومثله قول الله عز وجل (ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض) فسره أهل اللغة هكذا كأنه قال يا قوم اسجدوا لله ومي ترخيم مية إلا أنه أقامه ها هنا مقام الاسم الذي لم يرخم فنونه وقوله على البلى أي اسلمي وإن كنت قد بليت والمنهل الجاري يقال انهل المطر انهلالا إذا سال والجرعاء والأجرع من الرمل الكثير الممتد والشام موضع يخالف لون الأرض وهو جمع واجدته شامة والقفر ما لم يكن فيه نبات ولا ماء تجر بها الأذيال صيفية يعني الرياح الصيفية الحارة وأذيالها مآخيرها التي تسفي التراب على وجه الأرض شبهها بذيل المرأة وعني بها أوائلها والكدر التي فيها الغبرة من القتام والفجاج فهي تعفي الآثار وتدفنها غناه إبراهيم الموصلي ماخوريا بالوسطى ومنها

صوت

(أمَنزلَتيْ ميٍّ سَلامٌ عليكما ... هلِ الأزْمُنُ اللائي مَضينَ رواجعُ)
(وهل يرجعُ التّسليمَ أو يكشف العَمى ... ثلاثُ الأثافي والدِّيارُ البلاقع)
(توهمتُها يوماً فقلتُ لصاحبي ... وليس لها إلاَّ الظباءُ الخواضعُ)
(ومَوْشيَّةٌ سُحْمُ الصّياصِي كأنها ... مُجَلَّلةٌ حُوٌّ عليها البراقعُ)

عروضه من الطويل غناه إبراهيم ماخوريا بالوسطى والأزمن والأزمان جمع زمان والعمى الجهالة والأثافي الثلاث هي الحجارة التي تنصب عليها القدر واحدتها أثفية والخواضع من الظباء اللاتي قد طأطأت رؤوسها والموشية يعني البقر والصياصي القرون واحدتها صيصية والمجللة التي كأن عليها جلالا سودا والحوة حمرة في سواد ومما يغنى فيه من هذه

القصيدة قوله
صوت
(قِفِ العَنْسَ ننظُرْ نظرةً في ديارها ... وهل ذاك مِن داء الصبابة نافعُ)
(فقال أما تغشى لِميّةَ منزلا ... من الأرضِ إلا قُلتَ هل أنا رابعُ)
(وقلّ لأطلالٍ لميٍّ تحيّةٌ ... تُحيًّا بها أو أن تُرشّ المدامعُ)
العنس الناقة والرابع المقيم وقل لأطلال أي ما أقل لهذه الأطلال مما أفعله وترش المدامع أي تكثر نضحها الدموع غناه إبراهيم الموصلي ماخوريا
وذكر ابن الزيات عن محمد بن صالح العذري عن الحرمازي قال
مر الفرزدق على ذي الرمة وهو ينشد
(... أمنزلتي ميٍّ سلام عليكما)
فلما فرغ قال له يا أبا فراس كيف ترى قال أراك شاعرا قال فما أقعدني عن غاية الشعراء قال بكاؤك على الدمن ووصفك القطا وأبوال الإبل
حدثني ابن عمار والجوهري وحبيب المهلبي عن ابن شبة عن إسحاق الموصلي عن مسعود بن قند قال
تذاكرنا ذا الرمة يوما فقال عصمة بن مالك إياي فاسألوا عنه قال كان حلو العينين حسن النغمة إذا حدث لم تسأم حديثه وإذا أنشدك بربر وحش صوته جمعني وإياه مربع مرة فقال لي هيا عصمة إن مية من منقر ومنقر أخبث حي وأقفاه لأثر وأثبته في نظر وأعلمه بشر وقد عرفوا آثار إبلي فهل عندك من ناقة نزدار عليها مية قلت إي والله عندي الجؤذر بنت يمانية الجدلي قال فعلي بها فأتيته بها فركب وردفته فأتينا محلة مية والقوم خلوف والنساء في الرحال فلما رأين ذا الرمة اجتمعن إلى مي وأنخنا قريبا وأتيناهن فجلسن إليهن فقالت ظريفة منهن أنشدنا يا ذا الرمة فقال لي أنشدهن يا عصمة فأنشدت قصيدته التي يقول فيها
(نظرتُ إلى أظعانِ مَيٍّ كأنها ... ذُرا النّخْلِ أو أثلٌ تميل ذوائبُهْ)
((فأسبلت العينان والقلبُ كاتمٌ ... بمُغْرَوْرِقٍ نَمَّت عليه سَوَاكِبُهْ)
(بكاء فتًى خاف الفِراقَ ولم تُجِلْ ... جوائلَها أسرارُه ومعاتبُهْ)
قالت الظريفة فالآن فلتجل ثم أنشدت حتى أتيت على قوله
(وقد حلفتْ بالله ميّة ما الذي ... أحدّثها إلاّ الذي أنا كاذبُهْ)
(إذاً فرمانِي اللهُ من حيثُ لا أرى ... ولا زال في أرضي عدوٌّ أحاربُهْ)
فقالت مية ويحك يا ذا الرمة خف الله وعواقبه ثم أنشدت حتى أتيت على قوله
(إذا سرَحَتْ من حبّ ميٍّ سوارحٌ ... على القلبِ أبّتْه جميعاً عوازبُهْ)
فقالت الظريفة قتلته قتلك الله فقالت مية ما أصحه وهنيئا له فتنفس ذو الرمة تنفيسة كاد حرها يطير بلحيتي ثم أنشدت حتى أتيت على قوله
(إذا نازعتْك القولَ ميّةُ أو بدَا ... لك الوجهُ منها أو نضا الدِّرعَ سالبُهْ)
(فما شئتَ من خدٍّ أسيلٍ ومنطقٍ ... رخيمٍ ومن خَلْقٍ تَعلّل جادبُه)
فقالت الظريفة فقد بدا لك الوجه وتنوزع القول فمن لنا بأن ينضو الدرع سالبه فقالت لها مية قاتلك الله فماذا تأتين به فتضاحكت الظريفة وقالت إن لهذين لشأنا فقوموا بنا عنهما فقامت وقمن معها وقمت فخرجت وكنت قريبا حيث أراهما وأسمع ما ارتفع من كلاميهما فوالله ما رأيته تحرك من مكانه الذي خلفته فيه حتى ثاب أوائل الرجال فأتيته فقلت انهض بنا فقد ثاب القوم فودعها فركب وردفته وانصرفنا ومنها
صوت
(إذا هَبَّتِ الأرْواحُ من أيِّ جانبٍ ... به أهلُ ميٍّ هاج قلبي هُبُوبُها)
(هوًى تذرف العينانِ منه وإنما ... هوى كلُّ نفس حيثُ كان حبيبُها)
الغناء لابراهيم ماخوري بالوسطى عن الهشامي
صوت
(إني تُذكِّرني الزُّبيرَ حمامةٌ ... تدعُو بمجمعِ نخلتين هَديلا)
(أفتى النّدى وفتَى الطّعان قتلتُم ... وفتَى الرِّياح إذا تَهُبُّ بَلِيلا)
(لو كنت حُرّاً يابن قين مجاشعٍ ... شيَّعْتُ ضيْفَكَ فَرْسخاً أو مِيلاً)
وفي أخرى فرسخين وميلا
(قالت قريشٌ ما أذلّ مُجاشعاً ... جاراً وأكرم ذا القتيل قتيلا)
الشعر لجرير يهجو الفرزدق ويعيره بقتل عشيرته الزبير بن العوام يوم الجمل والغناء للغريض ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو

ذكر مقتل الزبير وخبره

الزبير وعلي بن أبي طالب

حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز عن ابن شبة قالا حدثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي عن قتادة قال
سار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه من الزاوية يريد طلحة والزبير وعائشة وصاروا من الفرضة يريدونه فالتقوا عند قصر عبيد الله بن زياد يوم الخميس النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس وعليه سلاحه فقيل لعلي صلوات الله عليه هذا الزبير فقال أما والله إنه أحرى الرجلين إن ذكر بالله أن يذكره وخرج طلحة وخرج علي عليه السلام إليهما فدنا منهما حتى اختلفت أعناق دوابهم فقال لهما لعمري لقد أعددتما خيلا ورجالا إن كنتما أعددتما عند الله عذرا فاتقيا الله ولا تكونا (كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا) ألم أكن أخاكما في دينكما تحرمان دمي وأحرم دماءكما فهل من حدث أحل لكما دمي فقال له طلحة ألبت الناس على عثمان فقال يا طلحة أتطلبني بدم عثمان فلعن الله قتلة عثمان يا زبير أتذكر يوم مررت مع رسول الله وآله في بني غنم فنظر إلي وضحك وضحكت إليه فقلت لا يدع ابن أبي طالب زهوه فقال مه ليس بمزهو ولتقاتلنه وأنت له ظالم فقال اللهم نعم ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا والله لا أقاتلك أبدا وانصرف علي صلوات الله عليه إلى أصحابه وقال أما الزبير فقد أعطى

الله عهدا ألا يقاتلني
قال ورجع الزبير إلى عائشة فقال لها ما كنت في موطن مذ عقلت إلا وأنا أعرف فيه أمري غير موطني هذا قالت وما تريد أن تصنع قال أدعهم وأذهب فقال له ابنه عبد الله أجمعت بين هذين الغارين حتى إذا حدد بعضهم لبعض أردت أن تذهب وتتركهم أخشيت رايات ابن أبي طالب وعلمت أنها تحملها فتية أنجاد فأحفظه فقال إني حلفت ألا أقاتله قال كفر عن يمينك وقاتله فدعا غلاما له يدعى مكحولا فأعتقه فقال عبد الرحمن بن سليمان التيمي
(لم أر كاليوم أخا إخوانِ ... أعجبَ من مُكَفِّرِ الأيْمانِ)
(... بالعِتقِ في مَعْصِيَةِ الرَّحمن)
وقال بعض شعرائهم
((يُعتِق مَكْحولاً لصَوْنِ دِينِهْ ... كفّارةً لِلّه عن يمينهْ)
(... والنَّكْثُ قد لاح على جَبِينِهْ)
حدثني ابن عمار والجوهري قال حدثنا ابن شبة عن علي بن محمد النوفلي عن الهذلي عن قتادة قال
وقف الزبير على مسجد بني مجاشع فسأل عن عياض بن حماد فقال له النعمان بن زمام هو بوادي السباع فمضى يريده
حدثني ابن عمار والجوهري عن عمر قال حدثني المدائني عن أبي مخنف عمن حدثه عن الشعبي قال
خرج النعمان مع الزبير حتى بلغ النجيب ثم رجع
قال وحدثنا عن مسلمة بن محارب عن عوف وعن أبي اليقظان قالا
مر الزبير ببني حماد فدعوه إلى أنفسهم فقال اكفوني خيركم وشركم فوالله ما كفوه خيرهم وشرهم ومضى ابن فرتنى إلى الأحنف وهو بعرق سويقة فقال هذا الزبير قد مر فقال الأحنف ما أصنع به جمع بين غارين من المسلمين فقتل بعضهم بعضا ثم مر يريد أن يلحق بأهله فقام عمرو بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع بن كعب أحد بني عوف - ويقال نفيع بن عمير - فلحقوه بالعرق فقتل قبل أن ينتهي إلى عياض قتله عمرو بن جرموز
حدثني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجلي الكوفي وجعفر بن محمد بن الحسن العلوي الحسني والعباس بن علي بن العباس وأبو عبيد
الصيرفي قالوا حدثنا محمد بن علي بن خلف العطار قال حدثنا عمرو بن عبد الغفار عن سفيان الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عليه السلام قال حدثني ابن عباس قال
قال لي علي صلوات الله عليه ائت الزبير فقل له يقول لك علي بن أبي طالب نشدتك الله ألست قد بايعتني طائعا غير مكره فما الذي أحدثت فاستحللت به قتالي
وقال أحمد بن يحيى في حديثه قل لهما إن أخاكما يقرأ عليكما السلام ويقول هل نقمتما علي جورا في حكم أو استئثارا بفيء فقالا لا ولا واحدة منهما ولكن الخوف وشدة الطمع
وقال محمد بن خلف في خبره فقال الزبير مع الخوف شدة المطامع فأتيت عليا عليه السلام فأخبرته بما قال الزبير فدعا بالبغلة فركبها وركبت معه فدنوا حتى اختلفت أعناق دابتيهما فسمعت عليا صلوات الله عليه يقول نشدتك الله يا زبير أتعلم أني كنت أنا وأنت في سقيفة بني فلان تعالجني وأعالجك فمر بي - يعني النبي فقال كأنك تحبه فقلت وما يمنعني قال أما إنه ليقاتلنك وهو لك ظالم فقال الزبير اللهم نعم ذكرتني ما نسيت وولى راجعا ونادى منادي علي ألا لا تقاتلوا القوم حتى يستشهدوا منكم رجلا فما لبث أن أتي برجل يتشحط في دمه فقال علي عليه السلام اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد وأمر الناس فشدوا عليهم وأمر الصراخ فصرخوا لا تذففوا على جريح ولا تتبعوا مدبرا ولا تقتلوا أسيرا
حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن أيوب المخزومي عن سعيد بن محمد الجرمي عن أبي الأحوص عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش ولا أحسبه إلا قال
كنت قاعدا عند علي عليه السلام فأتاه آت فقال هذا ابن جرموز قاتل الزبير بن العوام يستأذن على الباب قال ليدخلن (قاتل ابن صفية النار إني سمعت رسول الله يقول (إن لكل نبي حواري وإن حواري الزبير
أخبرني الطوسي وحرمي عن الزبير عن علي بن صالح عن سالم بن عبد الله بن عروة عن أبيه أن عمرا أو عويمر بن جرموز قاتل الزبير أتى مصعبا حتى وضع يده في يده فقذفه في السجن وكتب إلى عبد الله بن الزبير يذكر له أمره فكتب إليه عبد الله بئس ما صنعت أظننت أني أقتل أعرابيا من بني تميم بالزبير خل سبيله فخلاه
عاتكة ترثي الزبير
أخبرني الطوسي والحرمي عن الزبير عن عمه قال قتل الزبير وهو ابن سبع وستين أو ست وستين سنة فقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ترثيه
(غَدَرَ ابنُ جُرْمُوزٍ بفارسِ بُهْمَةٍ ... يومَ اللقاء وكان غيرَ مُعَرِّدِ)
(يا عمرُو لو نَبَّهتَه لوجدتَه ... لا طائشاً رَعِشَ اللسانِ ولا اليَدِ)
(شَلَّتْ يمينُك إن قتلتَ لمُسلِماً ... حلَّت عليك عقوبةُ المُستَشْهِدَ)
(إنَّ الزُّبير لذُو بلاءٍ صادقٍ ... سَمْحٌ سَجِيَّته كريمُ المَشْهَدِ)
(كم غمرةٍ قد خاضها لم يَثْنِه ... عنها طِرادُك يابْنَ فَقْعِ القَرْدَدِ)
((فاذهب فما ظَفِرت يداك بمثلِه ... فِيمن مضى مِمن يَروحُ ويَغْتَدِي
وكانت عاتكة قبل الزبير عند عمر وقبل عمر عند عبد الله بن أبي بكر
أخبرني بخبرها محمد بن خلف وكيع عن أحمد بن عمرو بن بكر قال حدثنا أبي قال حدثنا الهيثم بن عدي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وأخبرنا وكيع قال حدثني إسماعيل بن مجمع عن المدائني
وأخبرني الطوسي والحرمي قالا حدثنا الزبير عن عمه عن أبيه وأخبرني اليزيدي عن الخليل بن أسد عن عمرو بن سعيد عن الوليد بن هشام بن يحيى الغساني
وأخبرني الجوهري عن ابن شبة قال حدثنا محمد بن موسى الهذلي وكل واحد منهم يزيد في الرواية وينقص منها وقد جمعت رواياتهم قالوا
تزوج عبد الله بن أبي بكر الصديق عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت امرأة لها جمال وكمال وتمام في عقلها

ومنظرها وجزالة رأيها وكانت قد غلبته على رأيه فمر عليه أبو بكر أبوه وهو في علية يناغيها في يوم جمعة وأبو بكر متوجه إلى الجمعة ثم رجع وهو يناغيها فقال يا عبد الله
أجمعت قال أوصلى الناس قال نعم - قال وقد كانت شغلته عن سوق وتجارة كان فيها - فقال له أبو بكر قد شغلتك عاتكة عن المعاش والتجارة وقد ألهتك عن فرائض الصلاة طلقها فطلقها تطليقة وتحولت إلى ناحية فبينا أبو بكر يصلي على سطح له في الليل إذ سمعه وهو يقول
(أعاتِكُ لا أنساكِ ما ذرَّ شارقٌ ... وما ناح قُمْريُّ الحمامِ المُطَوَّقُ)
(أعاتِكُ قلبي كلَّ يومٍ وليلة ... لديكِ بما تُخفي النفوسُ مُعلَّقُ)
(لها خُلُقٌ جَزْلٌ ورأيٌ ومنطقٌ ... وخَلْقٌ مصونٌ في حياءٍ ومصدَقُ)
(فلم أرَ مثلي طلَّق اليوم مثلَها ... ولا مثلَها في غير شيءٍ تُطَلَّقُ)
فسمع أبو بكر قوله فأشرف عليه وقد رق له فقال يا عبد الله راجع عاتكة فقال أشهدك أني قد راجعتها وأشرف على غلام له يقال له أيمن فقال له يا أيمن أنت حر لوجه الله تعالى أشهدك أني قد راجعت عاتكة ثم خرج إليها يجري إلى مؤخر الدار وهو يقول
(أعاتِكُ قد طُلِّقتِ في غيرِ ريبةٍ ... ورُوجعتِ للأمرِ الذي هو كائنُ)
(كذلك أمرُ اللهِ غادٍ ورائحٌ ... على الناس فيه أُلفةٌ وتبايُن)
(وما زال قلبي للتَّفرُّق طائراً ... وقلبي لما قد قَرَّب اللهُ ساكِنُ)
(لِيَهْنِكِ أني لا أرى فيكِ سَخْطةً ... وأنكِ قد تَمَّتْ عليكِ المحاسنُ)
(فإنكِ مِمَّنْ زيَّن اللهُ وجهَه ... وليس لِوَجْهٍ زانَه اللهُ شائنُ)
قال وأعطاها حديقة له حين راجعها على ألا تتزوج بعده فلما مات من السهم الذي أصابه بالطائف أنشأت تقول
((فلِلَّه عينَا مَنْ رأى مثلَه فتىً ... أكَرَّ وأحمَى في الهِياجِ وأصْبَرا
(إذا شُرِعت فيه الأسنَّةُ خاضَها ... الى الموت حتى يترُكَ الرُّمحَ أحمرَا)
(فأقسمتُ لا تنفَكُّ عيني سَخِينَةً ... عليكَ ولا ينفكُّ جِلْدِيَ أغبرا)
(مَدَى الدَّهْرِ ما غنَّت حمامةُ أيكةٍ ... وما طردَ الليلُ الصَّباحَ المُنَوَّرَا)
عمر بن الخطاب وعاتكة
فخطبها عمر بن الخطاب فقالت قد كان أعطاني حديقة على ألا أتزوج بعده قال فاستفتي علي بن أبي طالب عليه السلام فقال ردي الحديقة على أهله وتزوجي فتزوجت عمر فسرح عمر إلى عدة من أصحاب رسول الله فيهم علي بن أبي طالب صلوات الله عليه - يعني دعاهم - لما بنى بها فقال له علي إن لي إلى عاتكة حاجة أريد أن أذكرها إياها فقل لها تستتر حتى أكلمها فقال لها عمر استتري يا عاتكة فإن ابن أبي طالب يريد أن يكلمك فأخذت عليها مرطها فلم يظهر منها إلا ما بدا من براجمها فقال يا عاتكة
(فأقسمتُ لا تنفَكُّ عيني سخِينَةً ... عليكَ ولا ينفكُّ جِلْدِيَ أغبرا)
فقال له عمر ما أردت إلى هذا فقال وما أرادت إلى أن تقول ما لا تفعل وقد قال الله تعالى (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) وهذا شيء كان في نفسي أحببت والله أن يخرج فقال عمر ما حسن الله فهو حسن فلما قتل عمر قالت ترثيه
(عينُ جُودِي بِعَبْرةٍ ونَحيبِ ... لا تمَلِّي على الإمامِ النَّجِيبِ)
((فجعتنا المَنُونُ بالفارسِ المُعْلَمِ ... يومَ الهِياجِ والتَّلْبِيبِ
(عِصْمَةِ اللهِ والمُعِينِ على الدَّهْرِ ... غِياثِ المُنْتابِ والمَحْرُوبِ)
(قل لأهْلِ الضَّرَّاءِ والبُؤْسِ مُوتُوا ... قد سَقَتْه المَنونُ كأسَ شَعُوبِ)
قالت ترثيه أيضا
صوت
(مَنعِ الرُّقادُ فعاد عَيْنِيَ عِيدُ ... مَمَّا تضمَّن قَلْبِيَ المَعْمودُ)
(يا ليلةً حُبِستْ عليَّ نُجُومُها ... فسهِرتُها والشامِتُون هُجودُ)
(قد كان يُسهِرُني حِذارُكِ مرَّةً ... فاليومَ حقٌّ لِعَينِيَ التسهيدُ)
(أبكي أميرَ المُؤْمِنِين ودونَه ... لِلزّائرين صَفائحٌ وصعِيد)
غنى فيه طويس خفيف رمل عن حماد والهشامي
فلما انقضت عدتها خطبها الزبير بن العوام فتزوجها فلما ملكها قال يا عاتكة لا تخرجي إلى المسجد وكانت امرأة عجزاء بادنة فقالت يا ابن العوام أتريد أن أدع لغيرتك مصلى صليت مع رسول الله وأبي بكر وعمر فيه قال فإني لا أمنعك فلما سمع النداء لصلاة الصبح توضأ وخرج فقام لها في سقيفة بني ساعدة فلما مرت به ضرب بيده على عجيزتها فقالت مالك قطع الله يدك ورجعت فلما رجع من المسجد قال يا عاتكة ما لي لم أرك في مصلاك قالت يرحمك الله أبا عبد الله فسد الناس بعدك الصلاة اليوم في القيطون أفضل منها في البيت وفي البيت أفضل منها في الحجرة فلما قتل عنها الزبير بوادي السباع رثته فقالت
((غَدرَ ابنُ جُرموزٍ بفارسِ بُهْمةٍ ... يومَ اللقاءِ وكان غيرَ مُعَرِّدِ
(يا عَمرو لو نَبَّهْتَه لوجدْتَه ... لا طائِشاً رعِشَ اللِّسانِ ولا اليَدِ)
(هبِلَتْكَ أمُّكَ إن قَتلْتَ لَمُسْلِماً ... حلَّت عليكَ عُقوبةُ المُتَعَمِّدِ)
فلما انقضت عدتها تزوجها الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام فكانت أول من رفع خده من التراب - صلى الله عليه وآله ولعن قاتله والراضي به يوم قتل - وقالت ترثيه
(وحُسَيْناً فلا نَسِيتُ حُسَيْناً ... أقصدَتْه أسِنَّةُ الأعداء)
(غادَروه بكَرْبلاءَ صَريعاً ... جادَتِ المُزنُ في ذَرَى كَرْبَلاء)
ثم تأيمت بعده فكان عبد الله بن عمر يقول من أراد الشهادة فليتزوج بعاتكة ويقال إن مروان خطبها بعد الحسين عليه السلام فامتنعت عليه وقالت ما كنت لأتخذ حما بعد رسول الله
أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثني العمري قال حدثنا أسامة بن زيد عن القاسم بن

محمد قال
لم يزل السهم الذي أصاب عبد الله بن أبي بكر عند ابي بكر حتى قدم وفد ثقيف فأخرجه إليهم فقال من يعرف هذا منكم فقال سعيد بن عبيد من بني علاج هذا سهمي وأنا بريته وأنا رشته وأنا عقبته وأنا رميت به يوم الطائف فقال أبو بكر فهذا السهم الذي قتل عبد الله والحمد لله الذي أكرمه بيدك ولم يهنك بيده

طويس يغني شعرا لعاتكة

أخبرني اليزيدي عن الزبير عن أحمد بن عبيد الله بن عاصم بن المنذر بن الزبير قال
لما قتل الزبير وخلت عاتكة بنت زيد خطبها علي بن أبي طالب عليه السلام فقالت له إني لأضن بك على القتل يابن عم رسول الله
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام قال حدثني أبي قال
بينا فتية من قريش ببطن محسر يتذاكرون الأحاديث ويتناشدون الأشعار إذ أقبل طويس وعليه قميص قوهي وحبرة قد ارتدى بها وهو يخطر في مشيته فسلم ثم جلس فقال له القوم يا أبا عبد الله غننا شعرا مليحا له حديث ظريف فغناهم بشعر عاتكة بنت زيد ترثي عمر بن الخطاب
(مُنِع الرُّقادُ فعادَ عَيْنِي عِيدُ ... مِمَّا تَضمَّن قَلبِي المَعمودُ)
الأبيات فقال القوم لمن هذه الأبيات يا طويس قال لأجمل خلق الله وأشأمهم فقالوا بأنفسنا أنت من هذه قال هي والله من لا يجهل نسبها ولا يدفع شرفها تزوجت بابن خليفة نبي الله وثنت بخليفة خليفة نبي الله وثلثت بحواري نبي الله وربعت بابن نبي الله وكلا قتلت قالوا جميعا
جعلنا فداك إن أمر هذه لعجيب بآبائنا أنت من هذه قال عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل فقالوا نعم هي على ما وصفت قوموا بنا لا يدرك مجلسنا شؤمها قال طويس إن شؤمها قد مات معها قالوا أنت والله أعلم منا

صوت

(يا دَنانِيرُ قد تَنَكّر عَقْلِي ... وتَحيَّرتُ بين وَعْدٍ ومَطْلِ)
(شَغَفِي شافِعِي إليكِ وإلاّ ... فاقتُلِيني إن كنتِ تَهْوَين قتْلِي)
الشعر والغناء لعقيد مولى صالح بن الرشيد خفيف ثقيل وفيه لعريب رمل بالوسطى وهذا الشعر يقوله في دنانير مولاة البرامكة وكان خطبها فلم تجبه وقيل بل قاله أحد اليزيديين ونحله إياه

ذكر أخبار دنانير وأخبار عقيد

كانت دنانير مولاة يحيى بن خالد البرمكي وكانت صفراء مولدة وكانت من أحسن الناس وجها وأظرفهن وأكملهن أدبا وأكثرهن رواية للغناء والشعر
وكان الرشيد لشغفه بها يكثر مصيره إلى مولاها ويقيم عندها ويبرها ويفرط حتى شكته زبيدة إلى أهله وعمومته فعاتبوه على ذلك
ولها كتاب مجرد في الأغاني مشهور وكان اعتمادها في غنائها على ما أخذته من بذل وهي خرجتها وقد أخذت أيضا عن الأكابر الذين أخذت بذل عنهم مثل فليح وإبراهيم وابن جامع وإسحاق ونظرائهم
أخبرني جحظة قال حدثني المكي عن أبيه قال
كنت أنا وابن جامع نعايي دنانير جارية البرامكة فكثيرا ما كانت تغلبنا
أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي عن ابن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي قال قال لي أبي قال لي يحيى بن خالد إن ابنتك دنانير قد عملت صوتا اختارته وأعجبت به فقلت لها لا يشتد إعجابك حتى تعرضيه على شيخك فإن رضيه فارضيه لنفسك وإن كرهه فاكرهيه فامض حتى يتعرضه عليك قال فقال لي أبي فقلت له أيها الوزير فكيف إعجابك أنت به فإنك والله ثاقب الفطنة صحيح التمييز قال أكره أن أقول لك أعجبني فيكون عندك غير معجب إذ كنت عندي رئيس صناعتك تعرف منها ما لا أعرف وتقف من لطائفها على ما لا أقف وأكره أن أقول لك لا يعجبني وقد بلغ من قلبي مبلغا محمودا وإنما يتم السرور به إذا صادف ذلك منك استجادة وتصويبا قال فمضيت إليها وقد تقدم إلى خدمه يعلمهم أنه سيرسل بي إلى داره وقال لدنانير إذا جاءك إبراهيم فاعرضي عليه الصوت الذي صنعته واستحسنته فإن قال لك أصبت سررتني بذلك وإن كرهه فلا تعلميني لئلا يزول سروري بما صنعت قال إسحاق قال أبي فحضرت الباب فأدخلت وإذا الستارة قد نصبت فسلمت على الجارية من وراء الستارة فردت السلام وقالت يا أبت أعرض عليك صوتا قد تقدم لا شك إليك خبره وقد سمعت الوزير يقول إن الناس يفتنون بغنائهم فيعجبهم منه ما لا يعجب غيرهم وكذلك يفتنون بأولادهم فيحسن في أعينهم منهم ما ليس يحسن وقد خشيت على الصوت أن يكون كذلك فقلت هات فأخذت عودها وتغنت تقول

صوت

(نَفْسِي أكنتُ عليك مُدّعِياً ... أم حين أزمع بَيْنَهم خُنتِ)
(إن كنت مولعةً بذكرهمُ ... فعلى فراقِهمُ ألا مُتِّ)
قال فأعجبني والله غاية العجب واستخفني الطرب حتى قلت لها أعيديه فأعادته وأنا أطلب لها فيه موضعا أصلحه وأغيره عليها لتأخذه عني فلا والله ما قدرت على ذلك ثم قلت لها أعيديه الثالثة فأعادته فإذا هو كالذهب المصفى فقلت أحسنت يا بنية وأصبت وقد قطعت عليك بحسن إحسانك وجودة إصابتك أنك قائدة للمعلمين إذ قد صرت تحسنين الاختيار وتجيدين الصنعة قال ثم خرج فلقيه يحيى بن خالد فقال كيف رأيت صنعة ابنتك دنانير قال أعز الله الوزير والله ما يحسن كثير من حذاق المغنين مثل هذه الصنعة ولقد قلت لها أعيديه وأعادته علي مرات كل ذلك أريد إعناتها لأجتلب لنفسي مدخلا يؤخذ عني وينسب إلي فلا والله ما وجدته فقال لي يحيى وصفك لها يقوم مقام تعليمك إياها وقد - والله - سررتني وسأسرك فوجه إليه بمال عظيم

يحيى بن خالد يشتريها والرشيد يعجب بها

وذكر محمد بن الحسن الكاتب قال حدثني ابن المكي قال
كانت دنانير لرجل من أهل المدينة وكان خرجها وأدبها وكانت أروى الناس للغناء القديم وكانت صفراء صادقة الملاحة فلما رآها يحيى وقعت بقلبه فاشتراها وكان الرشيد يسير إلى منزله فيسمعها حتى ألفها واشتد عجبه بها فوهب لها هبات سنية منها أنه وهب لها في ليلة عيد عقدا قيمته ثلاثون ألف دينار فرد عليه في مصادرة البرامكة بعد ذلك وعلمت أم

جعفر خبره فشكته إلى عمومته فصاروا جميعا إليه فعاتبوه فقال ما لي في هذه الجارية من أرب في نفسها وإنما أربي في غنائها فاسمعوها فإن استحقت أن يؤلف غناؤها وإلا فقولوا ما شئتم فأقاموا عنده ونقلهم إلى يحيى حتى سمعوها عنده فعذروه وعادوا إلى أم جعفر فأشاروا عليها ألا تلح في أمرها فقبلت ذلك وأهدت إلى الرشيد عشر جوار منهن ماردة أم المعتصم ومراجل أم المأمون وفاردة أم صالح

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أخبرني محمد بن عبد الله الخزاعي قال

حدثني عباد البشري قال مررت بمنزل من منازل طريق مكة يقال لها النباج فإذا كتاب على حائط في المنزل فقرأته فإذا هو النيك أربعة

فالأول شهوة والثاني لذة والثالث شفاء والرابع داء وحر إلى أيرين أحوج من أير إلى حرين وكتبت دنانير مولاة البرامكة بخطها

أخبرني إسماعيل بن يونس عن ابن شبة أن دنانير أخذت عن إبراهيم الموصلي حتى كانت تغني غناءه فتحكيه فيه حتى لا يكون بينهما فرق وكان إبراهيم يقول ليحيى متى فقدتني ودنانير باقية فما فقدتني

قال وأصابتها العلة الكلبية فكانت لا تصبر عن الأكل ساعة واحدة فكان يحيى يتصدق عنها في كل يوم من شهر رمضان بألف دينار لأنها كانت تلا تصومه وبقيت عند البرامكة مدة طويلة

الرشيد يأمر بصفعها بسبب رفضها الغناء

أخبرني ابن عمار وابن عبد العزيز وابن يونس عن ابن شبة عن إسحاق

وأخبرني جحظة عن أحمد بن الطيب أن الرشيد دعا بدنانير البرمكية بعد قتله إياهم فأمرها أن تغني فقالت يا أمير المؤمنين إني آليت ألا أغني بعد سيدي أبدا فغضب وأمر بصفعها فصفعت وأقيمت على رجليها وأعطيت العود وأخذته وهي تبكي أحر بكاء واندفعت فغنت

صوت

(يا دارَ سَلْمَى بنازحِ السَّنَدِ ... بين الثَّنايا ومَسْقَط اللِّبَدِ)

(لَمَّا رأيتُ الدِّيارَ قد دَرَسَتْ ... أيقنتُ أنَّ النَّعيم لم يَعُدِ)

الغناء للهذلي خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى وذكر علي بن يحيى المنجم وعمرو أنه لسياط في هذه الطريقة

قال فرق لها الرشيد وأمر بإطلاقها وانصرفت ثم التفت إلى إبراهيم بن المهدي فقال له كيف رأيتها قال رأيتها تختله برفق وتقهره بحذق

قال علي بن محمد الهشامي حدثني أبو عبد الله بن حمدون أن عقيدا مولى صالح بن الرشيد خطب دنانير البرمكية وكان هويها وشغف بذكرها فردته واستشفع عليها مولاه صالح بن الرشيد وبذل والحسين بن محرز فلم تجبه وأقامت على الوفاء لمولاها فكتب إليها عقيد قوله

(يا دنانيرُ قد تَنَكَّر عَقْلِي ... وتحيّرتِ بين وَعْدٍ ومَطْلِ)

(شَفِّعي شافِعِي إليكِ وإلاّ ... فاقتُلِيني إن كنت تَهْوَيْن قَتْلي)

(أنا باللّه والأمير وما آملُ ... من موعد الحسين وبَذْل)

(ما أُحِبُّ الحياةَ يا حِبُّ إن لم ... يجمع اللّه عاجلا بكِ شَمْلِي)

فلم يعطفها ذلك على ما يحب ولم تزل على حالها إلى أن ماتت

وكان عقيد حسن الغناء والضرب قليل الصنعة ما سمعنا منه بكبير صنعة ولكنه كان بموضع من الحذق والتقدم

قال محمد بن الحسن حدثني أبو حارثة عن أخيه أبي معاوية قال

شهدت إسحاق يوما وعقيد يغنيه

صوت

(هلاّ سألتِ ابنةَ العَبْسِيّ ما حَسَبِي ... عند الطِّعان إذا ما احمرَّت الحَدَقُ)

(وجالت الخَيلُ بالأبطال عابِسةً ... شُعْثَ النَّواصي عليها البيضُ تَأْتَلِقُ)

الشعر يقال إنه لعنترة ولم يصح له والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى قال فجعل إسحاق يستعيده ويشرب ويصفق حتى والى بين أربعة أرطال وسأله بعض من حضر من أحسن الناس غناء قال من سقاني أربعة أرطال

وفي دنانير يقول أبو حفص الشطرنجي

صوت

(أشبهَكِ المسكُ وأشبهتِهِ ... قائمةً في لونه قاعدهْ)

(لا شكّ إذ لونُكما واحدٌ ... أنّكما من طينةٍ واحدهْ)

غناه ابن جامع هزجا بالبنصر وقيل إنه لأبي فارة

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن علي بن محمد النوفلي عن مولاة ابن جامع أن مولاها كان يهوى جارية صفراء فقال فيها هذا الشعر وغنى فيه وأظن هذا وهما لأنا لم نسمع لابن جامع بشعر قط ولعله غناه في شعر أبي حفص الشطرنجي فظننته له

ومما غناه عقيد في دنانير والشعر للموصلي إلا البيت الأول فليس له

صوت

(هذِي دَنانيرُ تَنْسانِي فأَذْكُرها ... وكيف تنسى مُحِبّاً ليس يَنْساها)

(واللّهِ واللّهِ لو كانت إذا بَرَزَتْ ... نَفْسُ المُتَيَّمِ في كَفَّيْه أَلْقاها)

والشعر والغناء لعقيد ولحنه من الرمل المطلق في مجرى الوسطى وفيه هزج خفيف محدث

قال أحمد بن أبي طاهر حدثني علي بن محمد قال حدثني جابر بن مصعب عن مخارق قال

مرت بي ليلة ما مر بي قط مثلها جاءني رسول محمد الأمين وهو

خليفة فأخذني وركض بي إليه ركضا فحين وافيت أتي بإبراهيم بن المهدي على مثل حالي فنزلنا وإذا هو في صحن لم أر مثله قد مليء شمعا من شمع محمد الأمين الكبار وإذا به واقف ثم دخل في الكرج والدار مملوءة بالوصائف يغنين على الطبول والسرنايات ومحمد في وسطهن يرتكض في الكرج فجاءنا رسوله فقال قوما في هذا الباب مما يلي الصحن فارفعا

أصواتكما مع السرناي أين بلغ وإياكما أن أسمع في أصواتكما تقصيرا عنه قال فأصغينا فإذا الجواري والمخنثون يزمرون ويضربون
(هَذِي دَنانيرُ تَنْسانِي وأَذْكُرها ... وكيف تنسى مُحِبّاً ليس ينساها)
(أعوذُ باللهِ من هِجران جاريةٍ ... أصبحتُ من حبِّها أهذِي بذكراها)
(قد أكملَ الحسن في تركيبِ صورتها ... فارتجَّ أسفلُها واهتزَّ أعلاها)
(قامت تَمشَّى فليت الله صَيَّرني ... ذاكَ الترابَ الذي مَسَّتْه رجلاها)
(واللهِ واللهِ لو كانت إذا برزتْ ... نفْسُ المُتيَّم في كَفَّيه ألْقاها)
فما زلنا نشق حلوقنا مع السرناي ونتبعه حذرا من أن نخرج عن طبقته أو نقصر عنه إلى الغداة ومحمد يجول في الكرح ما يسأمه يدنو إلينا مرة في جولانه ويتباعد مرة وتحول الجواري بيننا وبينه حتى أصبحنا
صوت
(ألا طَرَقتْ أسماءُ لا حين مَطْرَقِ ... وأنَّى إذا حلَّتْ بنَجْرانَ نلتقِي)
((يَوَجٍّ وما بالي بِوَجٍّ وبالُها ... ومَن يلقَ يوماً جِدَّة الحبِّ يُخْلَقِ
عروضه من الطويل الشعر لخفاف بن ندبة والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه لابن سريج ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق أيضا وذكر عمرو بن بانة أن فيه لحنا لمعبد ثاني ثقيل بالوسطى وفيه لعلوية خفيف رمل بالوسطى وفيه
للقاسم بن زرزور خفيف رمل آخر صحيح في غنائه وفيه لابن مسجح ثقيل أول عن إبراهيم ويحيى المكي والهشامي وفيه لمخارق رمل بالبنصر

أخبار خفاف ونسبه

هو خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار وندبة أمه وهي أمة سوداء وكان خفاف أسود أيضا وهو شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانهم وجعله ابن سلام في الطبقة الخامسة من الفرسان مع مالك بن نويرة ومع ابني عمه صخر ومعاوية ابني عمرو بن الشريد ومالك بن حمار الشمخي

كان أحد أغربة العرب

أخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام قال
كان خفاف بن ندبة - وهي أمه - فارسا شجاعا شاعرا وهو أحد أغربة العرب وكان هو ومعاوية بن الحارث بن الشريد أغار على بني ذبيان يوم حوزة فلما قتلوا معاوية بن عمرو قال خفاف والله لا أريم اليوم أو أقيد به سيدهم فحمل على مالك بن حمار وهو يومئذ فارس بني فزارة وسيدهم
فطعنه فقتله وقال
(فإن تكُ خَيلي قد أُصيب صَمِيمُها ... فعمْداً على عيني تيممْتُ مالِكَا)
(رفعتُ له ما جرَّ إذ جَرَّ موته ... لأبْنِيَ مَجْداً أو لأثأر هالِكا)
(أقول له والرُّمح يأطِر مَتْنه ... تأمَّل خُفافاً إنَّني أنا ذَلكا)
قال ابن سلام وهو الذي يقول
(يا هِندُ يا أختَ بني الصّاردِ ... ما أنا بالباقي ولا الخالدِ)
(إن أُمسِ لا أملِكُ شيئاً فقد ... أملكُ أمر المَنْسِرِ الحاردِ)
في هذين البيتين لعبيد الله بن أبي غسان خفيف ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي
خفاف والعباس بن مرداس
أخبرني عمي عن عبد الله بن أبي سعد عن أحمد بن عمر عن عمر بن خالد بن عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن الحجاج السلمي قال
كان بدء ما كان بين خفاف بن ندبة والعباس بن مرداس أن خفافا
كان في ملأ من بني سليم فقال لهم إن عباس بن مرداس يريد أن يبلغ فينا ما بلغ عباس بن أنس ويأبى ذلك عليه خصال قعدن به فقال له فتى من رهط العباس وما تلك الخصال يا خفاف قال اتقاؤه بخيله عند الموت واستهانته بسبايا العرب وقتله الأسرى ومكالبته للصعاليك على الأسلاب ولقد طالت حياته حتى تمنينا موته فانطلق الفتى إلى العباس فأخبره الخبر فقال العباس يا بن أخي إن لم أكن كالأصم في فضله فلست كخفاف في جهله وقد مضى الأصم بما في أمس وخلفني بما في غد فلما أمسى تغنى وقال
(خُفافٌ ما تزال تجرُّ ذيلاً ... إلي الأمر المُفارِق للرَّشادِ)
(إذا ما عاينتكَ بنو سُلَيمٍ ... ثَنَيْت لهم بداهيةٍ نآدِ)
(وقد علم المَعاشِرُ من سُلَيْم ... بأنِّي فيهمُ حَسَنُ الأيادي)
(فأوردْ يا خُفافُ فقد بُلِيتم ... بني عوف بحيَّة بَطْن وادي)
قال ثم أصبح فأتى خفافا وهو في ملأ من بني سليم فقال قد
بلغني مقالتك يا خفاف والله لا أشتم عرضك ولا أسب أباك وأمك ولكني رام سوادك بما فيك وإنك لتعلم أني أحمي المصاف وأتكرم على السلب وأطلق الأسير وأصون السبية وأما زعمك أني أتقي بخيلي الموت فهات من قومك رجلا اتقيت به وأما استهانتي بسبايا العرب فإني أحذو القوم في نسائهم بفعالهم في نسائنا وأما قتلى الأسرى فإني قتلت الزبيدي بخالك إذ عجزت عن ثأرك وأما مكالبتي الصعاليك على الأسلاب فوالله ما أتيت على مسلوب قط إلا لمت سالبه وأما تمنيك موتي فإن مت قبلك فأغن غنائي وإن سليما لتعلم أني أخف عليهم مؤونة وأثقل على عدوهم وطأة منك وإنك لتعلم أني أبحث حمى بني زبيد وكسرت قرني الحارث وأطفأت جمرة خثعم وقلدت بني كنانة قلائد العار ثم انصرف فقال خفاف أبياتا لم يحفظ الشيخ منها إلا قوله
(ولم تقتُل أسيرَك من زُبيدٍ ... بخالي بل غَدَرْتَ بمُسْتقادِ)
(فَزَنْدُك في سُلَيْم شر زَنْدٍ ... وزادُك في سُلَيْم شَرُّ زادِ)
فأجابه العباس بقوله

(ألا مَنْ مُبلغٌ عنّي خُفافاً ... فإنّي لا أحاشِي من خُفافِ)
(نكحتَ وليدةً ورضعتَ أخْرَى ... وكانِ أبوكَ تحمِلهُ قَطافِ)
(فلستُ لحاصِنٍ إن لم نُزرِها ... تُثيرُ النَّقعَ من ظَهْرِ النِّعافِ)
(سِراعاً قد طواها الأينُ دُهْماً ... وكُمتاً لونُها كالوَرس صافِ)
قال ثم كف العباس وخفاف حتى أتى ابن عم للعباس يكنى أبا عمرو بن بدر وكان غائبا فقال يا عباس ما نقول فيك إلا خيرا إلا وهو
باطل قال وكيف ذلك ويحك قال أخبرني عنك أكل الذي أقررت به من خفاف في نفيه أباك وتهجينه عرضك ليأس من نصر قومك أو ضعف من نفسك قال لا ولا واحدة منهما ولكني أحببت البقيا قال فاسمع ما قلته قال هات فأنشأ يقول
(أرى العباس ينفضُ مِذْرَوَيْه ... دَهِينَ الرأس تَقْلِيه النساءُ)
(وقد أزرَى بوالده خُفافٌ ... وبُحسَب مثله الداءُ العَياء)
(فلا تُهدِ السِّبابَ إلى خُفافٍ ... فإن السَّبَّ تُحسِنُه الإماءُ)
(ولا تكذِب وأهْدِ إليه حرباً ... مُعَجَّلَةً فإن الحرب داءُ)
(أذلّ الله شرّكما قَبِيلاً ... ولا سَقَّت له رَسْماً سَماءُ)
قال العباس قد آذنت خفافا بحرب ثم أصبحا فالتقيا بقومهما فاقتتلوا قتالا شديدا يوما إلى الليل وكان الفضل للعباس على خفاف فركب إليه مالك بن عوف ودريد بن الصمة الجشمي في وجوه هوازن فقام دريد خطيبا فقال يا معشر بني سليم إنه أعجلني إليكم صدر واد ورأى جامع وقد ركب صاحباكم شر مطية وأوضعا إلى أصعب غاية فالآن قبل أن يندم الغالب ويذل المغلوب ثم جلس فقال مالك بن عوف فقال يا معشر بني سليم إنكم نزلتم منزلا بعدت فيه هوازن وشبعت منكم فيه بنو تميم وصالت عليكم فيه بكر بن وائل ونالت فيه منكم بنو كنانة فانزعوا وفيكم
بقية قبل أن تلقوا عدوكم بقرن أعضب وكف جذماء قال فلما أمسينا تغنى دريد بن الصمة فقال
(سُلَيمُ بنَ منصورٍ ألمَّا تُخَبَّرُوا ... بما كان من حَربَيْ كُلَيْبٍ وداحِسِ)
(وما كان في حربِ اليَحابِرِ من دمٍ ... مباحٍ وجَدْعٍ مؤلمٍ للمَعاطِسِ)
(وما كان في حَرْبَيْ سُلَيمٍ وقبلهم ... بحربِ بُعاثٍ من هلاكِ الفوارسِ)
(تسافهت الأحلامُ فيها جهَالةً ... وأضرم فيها كلُّ رَطبٍ ويابِسِ)
(فكُفُّوا خُفافاً عن سفاهَةِ رأيِهِ ... وصاحِبَه العبّاسَ قبل الدّهارسِ)
(وإلاّ فأنتم مثلُ مَنْ كان قبلكم ... ومَنْ يعقِلِ الأمثالَ غيرُ الأكايسِ)
وقال مالك بن عوف النصري
(سُليم بن منصورٍ دعوا الحربَ إنما ... هي الهُلكُ للأقْصَيْن أو لِلأقاربِ)
(ألم تعلموا ما كانَ في حربِ وائِلٍ ... وحرب مُرادٍ أو لُؤَيّ بن غالبِ)
(تفرّقت الأحياء منهم لَجاجَةً ... وهم بين مغلوبٍ ذليلٍ وغالبِ)
(فما لِسُلَيمٍ ناصرٌ من هوازنٍ ... ولو نُصِروُا لم تُغنِ نُصرةُ غائبِ)
قال ثم أصبحنا فاجتمعت بنو سليم وجاء العباس وخفاف فقال لهما دريد بن الصمة ولمن حضر من قومهما يا هؤلاء إن أولكم كان خير أول وكل حي سلف خير من الخلف فكفوا صاحبيكم عن لجاج الحرب
وتهاجي الشعر قال فاستحيا العباس فقال فإنا نكف عن الحرب ونتهادى الشعر قال فقال دريد فإن كنتما لا بد فاعلين فاذكرا ما شئتما ودعا الشتم فإن الشتم طريق الحرب فانصرفا على ذلك فقال العباس بن مرداس
(فأبلغ لدَيْك بني مالكٍ ... فأنتم بأنبائنا أخْبَرُ)
(فأما النَّخِيلُ فليست لنا ... نخيلٌ تُسَقَّى ولا تُؤبَرُ)
(ولكنَّ جَمعاً كجِذْل الحِكاك ... فيه المقَنَّع والحُسَّرُ)
(مغاوير تحمِل أبطالَنا ... الى الموت ساهِمةٌ ضُمَّرُ)
(وأعددتُ للحربِ خَيفانةً ... تُدِيم الجِراء إذا تَخْطِرُ)
(صَنِيعاً كقارورة الزّعفرانِ ... ممَّا تُصانُ ولا تُؤْثَرُ)
ويقال صيغا قال فأجابه خفاف فقال
(أعبّاسُ إنّ استعارَ القَصِيدِ ... في غيرِ مَعْشَره مُنكَرُ)
(علامَ تَناوَلُ ما لا تَنالُ ... فتقطَعُ نفسَك أو تَخسرُ)
(فإنَّ الرِّهانَ إذا ما أُرِيد ... فصاحبُه الشامخُ المُخْطِرِ)
(تَخاوَص لم تستطِعْ عُدَّةً ... كأنك من بُغضِنا أعوَرُ)
(فقصرُك مَأثورةٌ إن بقِيتُ ... أصحو بها لك أو أسكَرُ)
(لساني وسيفي معاً فانظُرَنْ ... الى تلك أيُّهما تُبْدَرُ)
قال فلما طال الأمر بينهما من الحرب والتهاجي قال عباس إني والله ما رأيت لخفاف مثلا إلا شبام بني زبيد فإنه كان يلقى من ابن عمه ثروان بن مرة من الشتم والأذى ما ألقى من خفاف فلما لج في شتمه تركه وما هو فيه فقال
(وهبتُ لثَروانَ بن مُرّةَ نفسَه ... وقد أمكَنَتني من ذُؤابَتِه يدِي)
(وأحمِل ما في اليوم من سُوءِ رأيِهِ ... رَجاء التي يأتي بها الله في غدِ)
فقال خفاف إني والله ما وجدت لعباس مثلا إلا ثروان بني زبيد فإنه كان يلقى من شبام ما ألقى من العباس من الأذى فقال ثروان
(رأيتُ شِباماً لا يزال يَعيبُنِي ... فلِلّه ما بالي وبالُ شِبامِ)
(فقَصْرُك منّي ضربةٌ مازِنيَّةٌ ... بكفِّ فتىً في القوم غير كَهامِ)
(فتُقصِر عني يا شِبامُ بن مالكٍ ... وما عَضَّ سيفي شاتمي بحرَامِ)
فقال عباس جزاك الله عني يا خفاف شرا فقد كنت أخف بني سليم من دمائها ظهرا وأخمصها بطنا فأصبحت العرب تعيرني بما كنت أعيب عليها من الاحتمال وأكل الأموال وصرت ثقيل الظهر من دمائها منفضج البطن من أموالها وأنشأ يقول

(ألم ترَ أني تركتُ الحروبَ ... وأنّي نَدِمتِ على ما مَضَى)
(ندامةَ زارٍ على نفسه ... لتِلك التي عارُها يُتَّقى)
(فلم أُوقِد الحربَ حتى رَمى ... خُفافٌ بأسهمه مَنْ رَمَى)
(فإن تَعطِف القومَ أحلامُهم ... فيرجِعَ من وُدِّهم ما نأى)
(فلستُ فَقِيراً إلى حَرْبِهم ... وما بيَ عن سلْمِهم من غِنَى)
فقال خفاف
(أعبَّاسُ إمَّا كَرِهْتَ الحروبَ ... فقد ذُقْتَ من عَضِّها ما كَفَى)
(أألْقَحْتَ حَرباً لها شِدَّة ... زَماناً تُسعِّرُها باللّظَى)
(فلمّا تَرَقَّيْتَ في غَيِّها ... دَحَضْت وزَلَّ بكَ المرتَقَى)
((فلا زلتَ تَبكي على زَلَّة ... وماذا يردُّ عليك البُكَا)
(فإن كنتَ أخطأتْ في حَرْبنا ... فلَسْنا نُقِيلُك هذا الخَطَا)
(وإن كُنتَ تَطْمَعُ في سَلْمِنا ... فزاولْ ثَبِيراً ورُكْنَيْ حِرَا)
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني مسعود بن عيسى العبدي عن يحيى بن عبد الله بن الفضل الفزاري وكان علامة بأمر قيس قال
كان خفاف بن ندبة في جماعة من قومه فقال إن عباس بن مرداس ليريد أن يبلغ فينا مبلغ عباس بن أنس وتأبى عليه خصال قعدن به عن ذلك فقال فتى من رهط عباس ما تلك الخصال يا خفاف فقال اتقاؤه بخيله عند الموت ومكالبة الصعاليك على الأسلاب وقتله الأسرى واستهانته بسبايا العرب وايم الله لقد طالت حياته حتى تمنينا موته فانطلق الفتى إلى العباس فحدثه الحديث فقال العباس يابن أخي إلا أكن كالأصم في فضله فلست كخفاف في جهله وقد مضى الأصم بما في أمس وخلفني لما في غد فلما أمسى تغنى فقال
(خُفافُ أما تزال تجرُّ ذَيلاً ... الى الأمر المقرِّب للفسادِ)
(وقد علم المعاشِرُ من سُلَيْم ... بأنّي فيهمُ حَسَنُ الأيادي)
(وأنّي يومَ جَمْعِ بني عُطَيْفٍ ... حملت بحالكٍ وَهِجِ المرادِي)
(وأنّي لا أُعَيَّر في سُلَيْم ... بردِّ الخيلِ سالمةَ الهوادِي)
((وأنّي في مُلِمَّة كلّ يومٍ ... أَقِي صَحْبِي وفي خيلِي تعادِي
(ولم أسلِب بحمد الله كَبْشاً ... سلاحاً بين مختلف الصِّعادِ)
(ولم أحلُلِ لمُحْصَنَةٍ نِطاقاً ... ولم أرَ عِتْقَها إلا مُرادِي)
(فأورِدْ يا خُفاف فقد مُنِيتم ... بني عوفٍ بحيّة بطن وادي)
فلما أصبح أتى خفافا وهو في ملأ من قومه فقال قد بلغني مقالك يا خفاف وايم الله إنك لتعلم أني أحمي المصاف وأكره السلب وأطلق الأسير وأصون السبية
فأما زعمك أني أتقي بخيلي عند الموت فهات لي من قومك رجلا اتقيت به وأما قتلي الأسرى فإني قتلت الزبيدي بخالك وأما سلبي الأسير فوالله ما أتيت على مسلوب قط إلا لمت سالبه وأما استهانتي بالسبايا فإني أحذو القوم في سباياهم فعالهم في سبايانا وأما تمنيك موتي فإن مت قبلك فأغن غنائي ثم انصرف فقال خفاف مجيبا للعباس عن قوله
(لعمرُ أبيك يا عبّاسُ إني ... لمُنْقَطِعُ الرِّشاء من الأعادِي)
(وإني قد تعاتبني سُلَيْم ... على جرِّ الذيولِ إلى الفسادِ)
(أكُلَّ الدهر لا تَنْفَكّ تجري ... إلى الأمر المفارق للسَّدادِ)
(إذا ما عايَنَتْكَ بَنُو سُلَيم ... تَبيتُ لهم بداهية نآدِ)
(فزَندك في سُلَيْم شرُّ زَنْدٍ ... وزادُك في المعاشِرِ شرّ زادِ)
(ألا لله دَرُّك من رئيسٍ ... إذَا عادَيْتَ فانظرْ مَنْ تُعَادِي)
(جريْتُ مُبَرِّزاً وجَريتَ تَكبو ... على تَعَبٍ فهل لك من مَعادِ)
(ولم تقتل أسيرَك من زُبيدٍ ... بخالي بل غدرت بمُستَقادِ
ومستقاد الزبيدي
وإن رهط خفاف لاموه وقالوا اكفف عن الرجل فقال كيف أكف عن رجل يريد أن يترنا أمرنا بغير فضل وقال رهط العباس له أيها الرجل اكفف فقال قولا جميلا وقال العباس عند ذلك
(هل تعرف الطَّلَل القديمَ كأنّه ... وشْمٌ بأسفلِ ذي الخيامِ مُرَجَّعُ)
(بقِيتْ معارفُه على مرِّ الصَّبا ... بعد الجميع كأنه قد يمْرُعُ)
(دارُ التي صادت فؤادك بعدما ... شمِلَ المفارقَ منك شيبٌ أروعُ)
(وزعمتَ أنّك لا تُراحُ إلى الصَّبا ... وعَلَتْك منه شبيبةٌ لا تَرجِعُ)
(يا أيها المرءُ السفيهُ ألاَ ترى ... أني أضرُّ إذا هَوِيتُ وأنفعُ)
(وأعيش ما قَدَرَ الإلهُ على القِلَى ... وأعِفُّ نفسي عن مطامع تُطمِعُ)
(كرماً على الخطر اليسير ولا ترى ... نفسي إلى الأمرِ الدنيِّ تطلّعُ)
(وأردُّ ذا الضِّغنِ اللئيمَ برأيه ... حتى يموت وليس فينا مَطمعُ)
(لله درُّك لا تَمَنَّ مماتَنا ... فالموتُ ويحك قصْرُنا والمرجعُ)
(لو كان يَهلِك مَنْ تَمَنَّى موتَه ... حلّت عليك دُهَية لا تُرْقَعُ)
(ومكثت في دار الهوان موطَّأً ... بالذّلِّ ليس لداركم مَنْ يمنعُ)
فقال خفاف مجيبا له
(عَجِبَتْ أُمامَةُ إذ رَأَتْنِيَ شاحباً ... خَلَقَ القميص وأنّض رأسي أصلَعُ)
(وتنفست صُعُداً فقلتُ لها اقصري ... إني امرؤ فيما أضرّ وأنفعُ)
(مهلاً أبا أنس فإني للذّي ... خلّى عليك دُهَيّةً لا تُرْقَعُ)
(وضَرَبْتُ أُمَّ شؤون رأسك ضربةً ... فاستكَّ منها في اللّقاء المسمَعُ)

(نَعْلَى حَذْوُ نِعالِها ولربّما ... أحذو العِدَا ولكلِّ عادٍ مَصرعُ)
((لا تفخرنّ فإنَّ عُودِيَ نبعَةٌ ... أعيت أبا كَربٍ وعودُك خِروَعُ
(ولقد أقود إلى العدوّ مُقَلِّصاً ... سَلِسَ القِيادِ له تَليلٌ أتْلَعُ)
(نَهْدَ المراكلِ والدَّسيع يَزينُه ... شَنِجُ النَّسا وأباجلٌ لا تُقْطَعُ)
(وعَليَّ سابغةٌ كأنَّ قَتيرها ... حَدَقَ الجنادب لَيْسَ فيها مطمعُ)
(زَغفٌ مُضاعَفَة تَخَيَّر سَرْدَها ... ذو فائشٍ وبنو المرار وتُبَّعُ)
(في فِتيةٍ بيضِ الوجوه كأنهم ... أُسْدٌ على لحم ببيشةَ طُلَّعُ)
(لا ينكُلون إذا لَقُوا أعداءَهم ... إنّ الحِمامَ هو الطريق المهْيَعُ)
كان خفاف قد كف عن العباس حتى أتاه غلام من قومه فقال أبي العباس إلا جرأة عليك وعيبا لك فغضب خفاف ثم قال ما يدعوه إلى ذلك فوالله إن أباه لرابط السهم وإن أمه لخفية الشخص ولئن طلب مسعاي ليعلمن أنه قصير الخطوة أجذم الكف وما ذنبنا إليه إلا أنا استنقذنا أباه من عصي بني حزام وكافحنا دونه يوم بني فراس ونصرنا أباه على حرب بن أمية وقال خفاف في ذلك
((لن يترك الدهرَ عَبَّاسٌ تَقَحُّمَه ... حتى يذوق وبالَ البَغْي عَبَّاسُ
(أمسكتُ عن رَمْيِه حولاً ومَقْتَلُه ... بادٍ لتعذرني في حَرْبِه الناس)
(عمداً أجرّ له ثوبي لأخدَعه ... عن رأيه ورجائي عنده ياسُ)
(فالآن إذ صرّحت منه حقيقَتُه ... ظُلْماً فليس بشتمي شاتمي بَاسُ)
(أجُدُّ يوماً بقولي كُلَّ مبتدىء ... كما يَجُدُّ بكفّ الجازرِ الفاسُ)
(تأبى سُلَيْم إذا عَدّت مساعِيَها ... أن يُحرِزَ السَّبقَ عبّاسٌ ومِرداسُ)
(أودى أبو عامرٍ عبّاس مُعْتَرِفاً ... أنّا إذا ما سُلَيم حصَّلت راسُ)
فبلغ العباس أمر خفاف فأتاه فالتقيا عند أسماء بن عروة بن الصلت بن حزام بن عبد الله بن حازم بن الصلت وكان مأمونا في بني سليم فقال العباس قد بلغني قولك يا خفاف ولعمري لا أشتم أباك ولا أمك ولكني رام سوادك بما فيك والله ما كنت إلى ذمك بالهيمان ولا إلى لحمك بالقرم وإن سليما لتعلم أني أبحت حمي بني زبيد وأطفأت جمرة خثعم وكسرت قرني بني الحارث بن كعب وقلدت بني كنانة قلائد العار وإني يا خفاف لأخف منك على بني سليم مؤونة وأثقل منك على عدوهم وطأة وقال مجيبا له
(إني رأيت خُفافاً ليس يُهنِئُه ... شيء سوى شتم عبّاس بن مرداس)
(مهلاً خُفافُ فإنَّ الحق مَعْضَبةٌ ... والحمق ليس له في الناس من آسي)
(سائلْ سُلَيماً إذا ما غارة لَحِقتْ ... منها فوارسُ حُشْدٌ غيرُ أنكاس)
((مِن خَثعَم وزُبَيدٍ أو بني قَطَنٍ ... أو رَهْط فروةَ دهراً أو شجا الناس
(يُنْبوا من الفارسُ الحامي حقيقَتَه ... إذا أتوْك بِجامٍ غير عبّاس)
(لا يحسب النّاس قولَ الحقِ مُعترفاً ... فانظر خُفافُ فما في الحق من باس)
(مَنْ زار خيل بني سعد مُسوَّمة ... يُهدِي لأولها لأيُ بن شمّاس)
(يومِ اعترضتُ أبا بدر بجائفةٍ ... تعوِي بعرق من الأحشاء قلاّس)
(أدعى الرئيسُ إذا ما حربكم كشَفَت ... عن ساقها لكُم والأمر للرَّاس)
(حتى إذا انكشفت عنكم عَمايتُها ... أنشأت تضرب أخماساً لأسداس)
وسعى أهل الفساد إلى خفاف فقالوا إن عباسا قد فضحك فقال خفاف
(ألاَ أيُّها المُهْدِي لِيَ الشَّتْمَ ظالِماً ... ولستُ بأهْلٍ حين أُذكَر للشَّتْمِ)
(أبي الشَّتْمَ أنّي سَيّدٌ وابنُ سادةٍ ... مطاعِينَ في الهيْجا مَطاعِيمَ لِلَّحْمِ)
(همُ مَنَحوا نَصْراً أباك وطاعنوا ... وذَلِك إذْ تُرْمَى ذَلِيلاً ولا تَرْمِي)
(كمُسْتَلْحِمٍ في ظُلمةِ اللَّيْل بَعْدَ ما ... رأى المَوتَ صِرْفاً والسيوفُ بها تَهْمي)
(أدِبُّ على أنماطِ بيضاءِ حُرَّةٍ ... مقابَلَة الجِدَّين ماجدةَ العَمِّ)
(وأنت لَحنْفاء اليَدَيْن لَوَ انَّها ... تُباع لما جاءت بزَنْدٍ ولا سَهْمِ)
(وإني على ما كان أولُ أوّلٍ ... عليه كذاك القَرْم يُنتَجُ للقَرْمِ)
(وأكرم نَفسِي عن أمورٍ دَنِيئة ... أصونُ بها عِرْضِي وأسو بها كَلْمي)
(وأصفحُ عَمّن لو أشاءُ جزيْتُه ... فيمنعني رُشْدِي ويُدرِكُني حِلْمِي)
((وأغفرِ للمولَى وإنْ ذو عَظيمَةٍ ... على البَغْيِ منها لا يَضِيقُ بِها حَزْمِي
(فَهذِي فَعالي ما بقيتُ وإنَّني ... لَمُوصٍ به عَقْبِي إذا كُنتُ في رَجْمي)
فقال له قومه لو كان أول قولك كآخره يا خفاف لأطفأت النائرة وأذهبت سخائم النمائم فقال العباس مجيبا له
(ألاَ أيُّها المُهْدِي لَيَ الشَّتْم ظالماً ... تَبَيَّنْ إذا راميتَ هَضْبَة من تَرْمِي)
(أبي الذَّمَّ عِرضِي إنَّ عرضي طاهرٌ ... وإني أبِيٌّ من أُباةٍ ذوي غَشْمِ)
(وإنّي من القوم الذين دماؤُهم ... شِفاءٌ لطُلاّب التراثِ من الوَغْمِ)
وقال أيضا
(إن تَلْقَني تَلقَ ليثاً في عَرِينَتِه ... من أُسْد خِفّانَ في أرساغه فَدَعُ)
(لا يبرح الدهرَ صيداً قد تقنّصه ... من الرجال على أشداقه القَمَعُ)
وكان العباس وخفاف قد هما بالصلح وكرهت بنو سليم الحرب فجاء غوي من رهط العباس فقال للعباس إن خفافا قد أنحى عليك وعلى والديك فغضب العباس ثم قال قد والله هجاني فكان أعظم ما عابني به أصغر عيب فيه ثم هجا والدي فما ضرهما ولا نفعه ثم برزت له فأخفى شخصه واتقاني بغيره ولو شئت لشتمت أباه وثلبت عرضه ولكني وإياه كما قال شبام بن زبيد لابن عم له يقال له ثروان بن مرة كان أشبه الناس بخفاف
((وهبتُ لثَرْوانَ بن مُرَّةَ نفسَه ... وقد أمكنتني من ذُؤابَتِه يدِي
(وأحمِلُ ما في اليوم من سوُء رأيه ... رجاءَ الذي يأتي به الله في غد)

(ولستُ عليه في السِّفاه كنفسه ... ولَستُ إذا لم أهجُه بمُوعِّدِ)
وقال
(أراني كُلما قاربتُ قومي ... نأوْا عني وقَطعُهم شدِيدُ)
(سئِمت عِتابَهم فصفحتُ عنهم ... وقلتُ لعلّ حلمَهُم يعودُ)
(وعلّ الله يُمكِن من خِفافٍ ... فأسقِيه التي عنها يَحِيدُ)
(بما اكتسبت يداهُ وجرَّ فينا ... من الشحْنا التي ليست تَبيدُ)
(وأنّى لي يؤدِّبني خُفافٌ ... وعوفٌ والقلوبُ لها وَقودُ)
(وإني لا أزال أُريدُ خيراً ... وعند الله من نَعمٍ مَزيدُ)
(فضاقت بي صدورُهم وغصَّت ... حُلوقٌ ما يَبِضُّ لها وريدُ)
(متى أبعُدْ فشرُّهُم قريبٌ ... وإن أقرُبْ فوُدُّهم بعيدُ)
(أقول لهم وقد لَهجُوا بشتِمي ... ترَقَّوْا يا بني عوفٍ وزيدُوا)
(فما شتْمي بنافعِ حيِّ عَوفٍ ... أينقصُني الهبوطُ أم الصُّعودُ)
(أتجعلُني سَراةُ بني سُلَيم ... ككلبٍ لا يهِرُّ ولا يصيدُ)
(كأنّي لم أقُد خيلاً عِتاقاً ... شوازِبَ ما لها في الأرض عودُ)
(أجَشَّمها مَهامِهَ طامِساتٍ ... كأنّ رمالَ صَحصَحِها قُعودُ)
(عليها من سَراة بني سُلَيم ... فوارسُ نجدةٍ في الحربِ صِيدُ)
(فأوطِي مَنْ تُريد بني سُلَيم ... بِكَلْكلِها ومن ليست تُريدُ)
فلما بلغ خفافا قول العباس قال والله ما عبت العباس إلا بما فيه وإني لسليم العود صحيح الأديم ولقد أدنيت سوادي من سواده فلم أحجم ولا نكصت عنه وإني وإياه كما قال ثروان لشبام بني زبيد وكان يلقى منه ما لقي من العباس قال
(رأيتُ شِباماً لا يزال يَعيبني ... فللهِ ما بالي وبالُ شِبامِ)
(فقَصرُك منّي ضَربةٌ مازنيَّةٌ ... بكفّ امرىء في الحرب غيرِ كَهامِ)
(من اليوم أو من شَيْعِه بمهنَّدٍ ... خَصومٍ لهامات الرجال حُسامِ)
(فتُقصِر عني يا شِبامُ بن مالكٍ ... وما عضَّ سيفي شاتمي بحَرامِ)
وقال خفاف
(أرى العباسَ ينقصُ كلَّ يوم ... ويزعم أنه جَهلاً يَزيدُ)
(فلو نُقِضت عزائمُه وزادت ... سلامتُه لكان كما يريدُ)
(ولكنَّ المَعالمَ أفسدته ... وخُلْقٌ في عشيرته زَهيدُ)
(فعبّاسُ بن مِرداس بن عمْرو ... وكِذْبُ المرءِ أقبحُ ما يُفيدُ)
(حلفتُ بربِّ مكةَ والمُصلَّى ... وأشياخٍ محلّقة تَنُودُ)
(بأنك من مودَّتِنا قريبٌ ... وأنتَ من الذي تَهوَى بعيدُ)
(فأبشِر أن بقِيتَ بيوم سوء ... يَشيبُ له من الخوف الوليدُ)
(كيومك إذ خرجت تفوق ركضاً ... وطار القلبُ وانتفخ الوريدُ)
(فدَعْ قولَ السفاهةِ لا تَقُلْه ... فقد طال التّهدُّدُ والوعيدُ)
(رأينا من نُحاربُه شَقياً ... ومن ذَا في بني عَوف سَعيدُ)
وقال خفاف أيضا
(أعبّاسُ إنّا وما بينَنا ... كصَدْعِ الزُّجاجة لا يُجبَرُ)
(فلستَ بكفءٍ لأعراضِنا ... وأنت بشَتْمِكَنا أجدَرُ)
(ولسنا بأهلٍ لما قُلْتُم ... ونحن بشَتْمِكُمُ أعذرُ)
(أراكَ بَصيراً بتلك التي ... تُريدُ وعن غيرها أعوَرُ)
(فقصرُك مني رَقيقُ الذُّبابِ ... عضبٌ كريهتُه مِبْتَرُ)
(وأزرقُ في رأسِ خَطِّيَّة ... إذا هُزَّ أكعبُها تَخطُرُ)
(يَلوح السِّنانُ علَى متنِها ... كنار على مَرْقَب تُسعَرُ)
(وزَغْفٌ دِلاَصٌ حَباها العزيزُ ... توارثها قبلَه حِمْيَرُ)
(فتلك وجرداءُ خَيْفَانَةٌ ... إذا زُجِر الخيلُ لا تُزجَرُ)
(إذا ألقت الخيلُ أذيالَها ... فأنت على جريها أقدرُ)
(متى يبلُلِ الماءُ أعطافَها ... تبُذُّ الجِيادَ وما تُبْهَرُ)
(أنهنه بالسوطِ من غَرْبِها ... وأُقدِمُها حيث لا يُنْكَرُ)
(وأرحَضُها غيرَ مذمومةٍ ... بلَّباتِها العَلَق الأحمرُ)
(أقولُ وقد شكَّ أقرانُها ... غدرتَ ومِثلي لا يغدِرُ)
(وأشهدُها غمراتِ الحروب ... فسِيَّانِ تَسلَم أو تعقرُ)
وقال العباس
(خُفاف ألم ترَ ما بيننا ... يزيدُ استعاراً إذا يُسعَرُ)
(ألم ترَ أنا نُهينُ التِّلادَ ... للسائلين وما نُعذِرُ)
(لأنا نُكلِّفُ فوق التي ... يُكلِّفها الناسُ لو تخبُرُ)
(لنا شِيَمٌ غيرُ مجهولةٍ ... تُوارِثها الأكبرُ الأكبرُ)
(وخيلٌ تكدَّسُ بالدّارعين ... تنْجِر في الرَّوعِ أو تُعقَرُ)
(عليها فوارسُ مَخبورةٌ ... كجنِّ مساكنُها عبقَرُ)
(ورَجْرَاجةٌ مثلُ لونِ النجوم ... لا العُزْلُ فيها ولا الحُسَّرُ)
(وبيضٌ سوابغُ مَسرودةٌ ... مواريثُ ما أورثت حِمْيَرُ)

(فقد يعلم الحيُّ عند الصِّياح ... بأن العَقِيلةَ بي تُستَرُ)
(وقد يعلم الحَيُّ عند الرهانِ ... أنّي أنا الشامخ المُخْطِر)
(وقد يعلم الحيُّ عند السؤالِ ... أنّي أجودُ وأُستَمْطَرُ)
(فأنّى تعيِّرني بالفخار ... فها أنا هذا هو المُنْكَر)
صوت
(ألا لا أُبالي بعد ريَّا أوافقتْ ... نَوَانا نَوَى الجِيران أم لم تُوافِق)
(هِجانُ المُحَيَّا حُرَّةُ الوجه سُرْبِلَتْ ... من الحُسن سربالاً عتيقَ البنائق)
الشعر لجبهاء الأشجعي والغناء لإسحاق رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق
أخبار جبهاء ونسبه
جبهاء لقب غلب عليه يقال جبهاء وجبيهاء جميعا واسمه يزيد بن عبيد ويقال يزيد بن حميمة بن عبيد بن عقيلة بن قيس بن رويبة بن سحيم بن عبيد بن هلال بن زبيد بن بكر بن أشجع شاعر بدوي من مخاليف الحجاز نشأ وتوفي في أيام بني أمية وليس ممن انتجع الخلفاء بشعره ومدحهم فاشتهر وهو مقل وليس من معدودي الفحول ومن الناس من يروي هذه الأبيات لأبي ريبس الثعلبي وليس ذلك بصحيح وهي في شعر جبهاء موجودة
جبهاء والفرزدق
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو الحسن الأحول عن الطوسي عن أبي عمرو الشيباني قال
قدم جبيهاء الأشجعي البصرة بجلوبة له يريد بيعها فلقيه الفرزدق بالمربد فقال ممن الرجل قال من أشجع قال أتعرف شاعرا منكم يقال له جبهاء أو جبيهاء قال نعم قال أفتروي قوله
(أمِنَ الجَمِيع بذي البقاع ربوعُ ... هاجت فؤادك والرُّبوعُ تَروعُ)
قال نعم قال فأنشدنيها فأنشده قوله منها
(من بعد ما نَكِرت وغَيَّر آيَها ... قَطْرٌ ومُسبِلَةُ الدّموع خَريعُ)
(يا صاحِبَيَّ ألا ارْفَعا لي آيةً ... تَشْفي الصُّداع فيُذهَل المرفوعُ)
(ألواح ناجِيَة كأنَّ تَلِيلَها ... جِذْعٌ تُطِيف به الرُّقاةُ مَنيعُ)
حتى أتى على آخرها فقال الفرزدق فأقسم بالله إنك لجبهاء أو إنك لشيطانه
قال الأخفش في خبره عن أصحابه الخريع الذاهبة العقل شبه السحابة بها لأنها لا تتمالك من المطر
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن عبيد المكتب قال حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال
قدم جبيهاء الأشجعي المدينة بجلوبة له فبينا هو يبيعها والفرزدق يومئذ بالمدينة إذ مر به فقال له ممن أنت قال من أشجع قال أتعرف شاعرا منكم يقال له جبهاء أو جبيهاء قال نعم قال أتروي قصيدته
(ألاَ لا أُبالي بعد ريَّا أوافَقَتْ ... نَوانا نَوى الجِيران أم لم تُوافِق)
قال نعم قال أنشدنيها فأنشده إياها فقال الفرزدق أقسم بالله إنك لجبيهاء أو إنك لشيطانه
جبهاء يهاجر إلى المدينة ويجاور بني تميم
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي عن سليمان بن عياش قال
قالت زوجة جبهاء الأشجعي له لو هاجرت بنا إلى المدينة وبعت إبلك وافترضت في العطاء كان خيرا لك قال أفعل فأقبل بها وبإبله حتى إذا كان بحرة واقم من شرقي المدينة شرعها بحوض واقم ليسقيها فحنت ناقة منها ثم نزعت وتبعتها الإبل وطلبها ففاتته فقال لزوجته هذه إبل لا تعقل تحن إلى أوطانها ونحن أحق بالحنين منها أنت طالق إن لم ترجعي وفعل الله بك وفعل وردها وقال
(قالت أُنيْسَةُ دَعْ بلادَك والتمِس ... داراً بطَيْبَة ربَّةِ الآطامِ)
(تَكتُب عِيالَك في العَطاءِ وتَفترِض ... وكذاك يفعلُ حازمُ الأقوامِ)
(فهمَمْتُ ثم ذكرتُ ليلَ لِقاحِنا ... بِلِوَى عُنَيْزَةَ أو بقُفِّ بشَامِ)
(إذ هُنَّ عن حَسبي مَذاود كلّما ... نزل الظَّلامُ بعُصْبةٍ أغْتامِ)
(إن المَدينةَ لا مَدِينَة فالْزمِي ... حِقْفَ السِّناد وقُنَّة الأرجامِ)
(يُجْلَب لكِ اللَّبنُ الغَرِيض ويُنْتزع ... بالعيسِ من يَمنٍ إليكِ وشامِ)
(وتُجاوري النفرَ الذين بِنَبْلِهم ... أرمِي العَدوَّ إذا نهضت أُرامِي)
(الباذلين إذا طلبت تِلادَهم ... والمانِعي ظَهْري من الغُرّامِ)
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني أحمد بن زهير قال حدثني مصعب قال جاور جبهاء الأشجعي في بني تيم بطن من أشجع فاستمنحه مولى لهم عنزا فمنحه إياها فأمسكها دهرا فلما طال على جبهاء ألا يردها قال جبهاء
(أمولَى بني تَيْمٍ ألستَ مُؤَدِّياً ... مَنِيحتَنا فيما تُرَدُّ المَنائِحُ)
(لها شَعَرٌ صافٍ وجِيدٌ مُقلِّص ... وجسم زُخاريٌّ وضِرْسٌ مُجالحُ)
فأرسل إليه التيمي يقول
(بَلَى سنؤدِّيها إليكَ ذميمَةً ... لِلتَنْكِحها إن أعْوَزَتْكَ المَناكِحُ)
فعمد به جبهاء فنزل وقال
(لو كنتُ شيخاً من سَواةَ نكحتُها ... نِكاحَ يَسارٍ عنزه وهْيَ سارحُ)
قال وهم يعيرون بنكاح العنز
جبهاء وموسى بن زياد
أخبرني وكيع قال حدثني أبو أيوب المديني عن مصعب قال استطرق جبهاء الأشجعي موسى بن زياد الأشجعي كبشا فوعده ثم مطله فقال جبهاء
(واعَدَني الكبشَ موسى ثم أخلفَني ... وما لمِثْليَ تُعتَلُّ الأكاذيبُ)
(يا ليتَ كَبشَك يا موسى يُصادِفُه ... بين الكُراع وبين الوَجْنَةِ الذِّيبُ)
(أمسى بذي الغُصر أو أمسى بذي سَلَمٍ ... فَقَحَّمَتْه إلى أبياتِك اللُّوبَ)

(فجاء والحيُّ أيقاظٌ فطاف بهم ... طوفيْنِ ثم أقرَّته الأحاليبُ)
(فبات ينظُره حرّانَ مُنطَوياً ... كأنه طالبٌ للوتْرِ مَكروبُ)
(وقام يَشتدّ حتى نال غِرّته ... طاوي الحَشا ذَربُ الأنيابِ مِذْبوبُ)
(بغَفْلةٍ من زُرَيقٍ فاستمرّ به ... ودونه آكمُ الحِقْفِ الغرابيبُ)
(سَلْ عنْه أرخمةً بِيضاً وأغربةً ... سوداً لهنّ حَنًى أطْمَى سَلاهيبُ)
(يَردين رُدْي العَذارى حول دمنتِهِ ... كما يطوف على الحوضِ المعاقيبُ)
(فجاء يحمل قرنيه ويندبه ... فكلُّ حيٍّ إذا ما مات مندوبُ)
صوت
(ولها ولا ذَنْبَ لها ... حُبٌّ كأَطْراف الرِّماحِ)
(في القَلْب يَجْرَحُ والحَشا ... فالقَلْبُ مَجروحُ النَّواحِي)
الشعر لوالبة بن الحباب والغناء ليزيد رمل بالوسطى عن الهشامي وعمرو وفيه لسبك الزامر لحن عن ابن خرداذبة
أخبار والبة بن الحباب
والبة بن الحباب أسدي صليبة كوفي شاعر من شعراء الدولة العباسية يكنى أبا أسامة وهو أستاذ أبي نواس وكان ظريفا شاعرا غزلا وصافا للشراب والغلمان المرد وشعره في غير ذلك مقارب ليس بالجيد وقد هاجى بشارا وأبا العتاهية فلم يصنع شيئا وفضحاه فعاد إلى الكوفة كالهارب وخمل ذكره بعد
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي وأخبرني محمد بن القاسم الأنباري والحسن بن علي الأدمي جميعا عن القاسم بن محمد الأنباري قال حدثنا يعقوب بن عمر قال حدثني أحمد بن سلمان قال حدثني أبو عدنان السلمي الشاعر قال
قال المهدي لعمارة بن حمزة من أرق الناس شعرا قال
والبة بن الحباب الأسدي وهو الذي يقول
(ولها ولا ذَنْبَ لها ... حُبٌّ كأَطْراف الرِّماحِ)
(في القَلْب يَقْدحُ والحَشا ... فالقلبُ مَجروحُ النَّواحِي)
قال صدقت والله قال فما يمنعك عن منادمته يا أمير المؤمنين قال يمنعني قوله
(قُلتُ لِساقِينا على خَلوةٍ ... أدْنِ كذا رأسَك من راسِي)
(ونَمْ على صَدْرِكِ لي ساعةً ... إنّي امرؤٌ أنكَحُ جُلاّسِي)
أفتريد أن نكون من جلاسه على هذه الشريطة
أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي إجازة حدثني عبد الله بن مسلم بن قتيبة
ووجدته في بعض الكتب عن ابن قتيبة وروايته أتم فجمعتهما قال
حدثني الدعجلي غلام أبي نواس قال أنشدت يوما بين يدي أبي نواس قوله
(يا شقيقَ النفْس من حَكَمِ ... نمتَ عنْ ليْلي ولم أنمِ)
وكان قد سكر فقال أخبرك بشيء على أن تكتمه قلت نعم قال أتدري من المعني بقوله يا شقيق النفس من حكم قلت لا قال أنا والله المعني بذلك والشعر لوالبة بن الحباب قال وما علم بذلك غيرك وأنت أعلم فما حدثت بهذا حتى مات
قال وقال الجاحظ كان والبة بن الحباب ومطيع بن إياس ومنقذ بن عبد الرحمن الهلالي وحفص بن أبي وردة وابن المقفع ويونس بن أبي فروة وحماد عجرد وعلي بن الخليل وحماد بن أبي ليلى الراوية وابن
الزبرقان وعمارة بن حمزة ويزيد بن الفيض وجميل بن محفوظ وبشار المرعث وأبان اللاحقي ندماء يجتمعون على الشراب وقول الشعر ولا يكادون يفترقون ويهجو بعضهم بعضا هزلا وعمدا وكلهم متهم في دينه
والبة وأبو العتاهية يتهاجيان
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال حدثني محمد بن القاسم قال حدثني إسحاق بن إبراهيم بن محمد السالمي الكوفي التيمي قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال
رأيت أبا العتاهية جاء إلى أبي فقال له إن والبة بن الحباب قد هجاني ومن أنا منه أنا جرار مسكين وجعل يرفع من والبة ويضع من نفسه فأحب أن تكلمه أن يمسك عني قال فكلم أبي والبة وعرفه أن أبا العتاهية جاءه وسأله ذلك فلم يقبل وجعل يشتم أبا العتاهية فتركه ثم جاء أبو العتاهية فسأله عما عمل في حاجته فأخبره بما رد عليه والبة فقال لأبي لي الآن إليك حاجة قال وما هي قال لا تكلمني في أمره قال قلت له هذا أول ما يجب لك قال فقال أبو العتاهية يهجوه
(أوالِبُ أنت في العرَبِ ... كمِثْل الشِّيصِ في الرُّطَبِ)
(هَلُمَّ إلى المَوالِي الصِّيدِ ... في سعةٍ وفي رَحَبِ)
(فأنتَ بنا لعَمْرُ الله ... أشبهُ منك بالعرَبِ)
(غضِبْتُ عليك ثم رأيتُ ... وجهَك فانْجَلى غَضبِي)
(لَمَا ذكَّرتني من لونِ أجْدادي ... ولونِ أبِي)
((فقُلْ ما شئتَ أقبلْه ... وإن أطنبتَ في الكَذِبِ
(لقد أُخبِرت عنك وعن ... أبيك الخالص العرَبي)
(فقال العارفُون به ... مُصاصٌ غيرُ مُؤْتَشِبِ)
(أتانا من بلاد الرُّومِ ... مُعْتَجِراً على قَتَبِ)
(خفيفَ الحَاذِ كالصَّمْصامِ ... أطلسَ غيرَ ذي نَشَبِ)
(أوالبُ ما دهاكَ وأنتَ ... في الأعراب ذو نَسبِ)
(أراك وُلِدتَ بالمِرِّيخِ ... يابنَ سَبائِك الذهبِ)
(فجئتَ أُقَيْشِرَ الخدَّيْن ... أزرقَ عارِمَ الذَّنَبِ)
(لقد أخطأتَ في شتمِي ... فخبِّرْني ألم أُصِبِ)
وقال في والبة أيضا
(نَطقتْ بنو أسَدٍ ولم تَجهرْ ... وتكلَّمَت خَفْيا ولم تَظهرْ)

(وأما وربِّ البيت لو نطقتْ ... لتركتها وصِبَاحُها أغبرْ)
(أيرومُ شِتمِي منهمُ رجلٌ ... في وجهه عِبَرٌ لِمَن فكَّرْ)
(وابنُ الحُبابِ صَلِيبةً زعموا ... ومن المحالِ صليبةً أشقَرْ)
(ما بال مَنْ آباؤه عُرُبٌ الألْوان ... يُحسب من بني قيصرْ)
(أترون أهلَ البدو قد مُسِخوا ... شُقراً أما هذا من المُنْكَرْ)
قال وأول هذه القصيدة
((صرِّح بما قد قلته واجهَرْ ... لابن الحُباب وقل ولا تَحْصَرْ
(ما لي رأيتُ أباك أسوادَ غِربيب ... القَذَالِ كأنه زرْزُرْ)
(وكأنّ وجهَك حُمرةً رئةٌ ... وكأنَّ رأسَك طائرٌ أصفرْ)
قال وبلغ الشعر والبة فجاء إلى أبي فقال قد كلمتني في أبي العتاهية وقد رغبت في الصلح قال له أبي هيهات إنه قد أكد علي إن لم تقبل ما طلب أن أخلي بينك وبينه وقد فعلت فقال له والبة فما الرأي عندك فإنه فضحني قال تنحدر إلى الكوفة فركب زورقا ومضى من بغداد إلى الكوفة وأجود ما قاله والبة في أبي العتاهية قوله
(كان فينا يُكنى أبا إسحاقِ ... وبها الرَّكبُ سار في الآفاق)
(فتَكنَّى معتوهُنا بعتاهٍ ... يا لها كُنيةً أتت باتفاق)
(خلق الله لِحْيَةً لك لا تَنْفكُّ ... معقودةً لدى الحلاَّقِ)
وله فيه وهو ضعيف سخيف من شعره
(قل لابنِ بائعةِ القِصار ... وابنِ الدَّوارقِ والجرار)
(تَهوى عُتَيْبَةَ ظاهراً ... وهواك في أيْرِ الحِمارِ)
(تهجو مواليك الأُلى ... فكُّوك من ذلِّ الإسار)
والبة وعلي بن ثابت
أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني ابن أبي فنن قال
كان والبة بن الحباب خليلا لعلي بن ثابت وصديقا ودودا وفيه يقول
((حَيِّ بها والبَةَ المُصْطَفَى ... حَيَّ كَريماً وابنَ حُرٍّ هِجانِ
(وواسِماً نَفْسِي فدَتْ قاسِماً ... من حَدَثِ المَوْتِ ورَيْبِ الزَّمانِ)
قال ولما مات والبة رثاه فقال
(بكتِ البَرِيَّةُ قاطِبَهْ ... جَزَعاً لِمَصْرعِ والِبَهْ)
(قامَتْ لِمَوْتِ أبي أُسامةَ ... في الرِّفاقِ النَّادِبَهْ)
قال وكان والبة أستاذ أبي نواس وعنه أخذ ومنه اقتبس قال وكان والبة قد قصد أبا بجير الأسدي وهو يتولى للمنصور الأهواز فمدحه وأقام عنده فألفى أبا نواس هناك وهو أمرد فصحبه وكان حسن الوجه فلم يزل معه فيقال إنه كشف ثوبه ليلة فرأى حمرة أليتيه وبياضهما فقبلهما فضرط عليه أبو نواس فقال له لم فعلت هذا ويلك قال لئلا يضيع قول القائل ما جزاء من يقبل الاست إلا ضرطة
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل قال حدثني أبو سلهب الشاعر قال
كان والبة بن الحباب صديقي وكان ماجنا طبعا خفيف الروح خبيث الدين وكنا ذات يوم نشرب بغمى فانتبه يوما من سكره فقال لي يا أبا سلهب اسمع ثم أنشدني قال
((شَربتُ وفاتِكٌ مِثْلي جَمُوحٌ ... بِغُمَّى بالكؤوس وبالبَواطِي
(يُعاطِيني الزُّجَاجَةَ أرْيَحِيٌّ ... رَخِيمُ الدلِّ بُورِك من مُعاطِي)
(أقول له على طَرَبٍ ألِطْني ... ولو بمُؤاجِرٍ عِلْجٍ نَباطِي)
(فما خَيرُ الشَّرابِ بغَيْرِ فِسقٍ ... يُتابَعُ بالزِّناء وباللِّواطِ)
(جعلتُ الحجَّ في غُمَّى وبنَّا ... وفي قُطْرُبُّلٍ أبداً رباطِي)
(فقل للخَمْسِ آخِرُ مُلتَقانا ... إذا ما كان ذاكَ على الصِّراطِ)
يعني الصلوات
قال وحدثني أنه كان ليلة نائما وأبو نواس غلامه إلى جانبه نائم إذ أتاه آت في منامه فقال له أتدري من هذا النائم إلى جانبك قال لا قال هذا أشعر منك وأشعر من الجن والإنس أما والله لأفتنن بشعره الثقلين ولأغرين به أهل المشرق والمغرب قال فعلمت أنه إبليس فقلت له فما عندك قال عصيت ربي في سجدة فأهلكني ولو أمرني أن أسجد له ألفا لسجدت
حكم الوادي يغني شعره
أخبرني الحسين بن يحيى قال حدثنا حماد بن إسحاق قال
قرأت على أبي عن أبيه أن حكم الوادي أخبره أنه دخل على
محمد بن العباس يوما بالبصرة وهو يتململ خمارا وبيده كأس وهو يجتهد في شربها فلا يطيقه وندماؤه بين يديه في أيديهم أقداحهم وكان يوم نيروز فقال لي يا حكم غنني فإن أطربتني فلك كل ما أهدي إلي اليوم قال وبين يديه من الهدايا أمر عظيم فاندفعت أغني في شعر والبة بن الحباب
صوت
(قد قابلتنا الكؤوسُ ... ودابَرَتْنا النُّحوسُ)
(واليوم هرمزروز ... قد عظَّمتْه المَجوسُ)
(لم نُخطِه في حِسابٍ ... وذاك ممّا نَسوسُ)
فطرب واستعاد فأعدته ثلاث مرات فشمرت قدحه واستمر في شربه وأمر بحمل كل ما كان بين يديه إلي فكانت قيمته ثلاثين ألف درهم
لحن حكم الوادي في هذا الشعر هزج بالبنصر عن الهشامي وإبراهيم وغيرهما
صوت

(لقد زادَ الحَياةَ إليَّ حُبًّا ... بناتِي إنَّهُنَّ مِن الضِّعافِ)
(مخافَةَ أن يَذُقْنَ البُؤسَ بَعدِي ... وأن يَشْرَبْنَ رَنْقاً بعد صافِ)
(وأن يَعرَيْن إن كُسِيَ الجَواري ... فيُبدي الضُّرُّ عن هُزْلٍ عِجافِ)
((ولولاهنَّ قد سَوَّمْتُ مُهري ... وفي الرَّحْمان للضُّعفاءِ كافِ
الشعر لعمران بن حطان فيما ذكر أبو عمرو الشيباني وذكر المدائني أنه لعيسى الحبطي وكلاهما من الشراة والغناء لمحمد بن الأشعث الكوفي خفيف رمل بالوسطى من رواية عمرو بن بانة

أخبار عمران بن حطان ونسبه

هو عمران بن حطان بن ظبيان بن لوذان بن عمرو بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل

وقال ابن الكلبي هو عمران بن حطان بن ظبيان بن معاوية بن الحارث ابن سدوس ويكنى أبا شهاب شاعر فصيح من شعراء الشراة ودعاتهم والمقدمين في مذهبهم وكان من القعدة لأن عمره طال فضعف عن الحرب وحضورها فاقتصر على الدعوة والتحريض بلسانه

وكان قبل أن يفتن بالشراة مشتهرا بطلب العلم والحديث ثم بلي بذلك المذهب فضل وهلك لعنه الله وقد أدرك صدرا من الصحابة وروي عنهم وروى عنه أصحاب الحديث فما روي عنه ما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا أبو الوليد الطيالسي عن أبي عمرو بن العلاء عن أبي صالح بن سرح اليشكري عن عمران بن حطان قال كنت عند عائشة فتذاكروا القضاة فقالت قال رسول الله (يؤتى بالقاضي العدل فلا يزال به ما يرى من شدة الحساب (حتى يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في تمرة

وكان أصله من البصرة فلما اشتهر بهذا المذهب طلبه الحجاج فهرب إلى الشام فطلبه عبد الملك فهرب إلى عُمان وكان يتنقل إلى أن مات في تواريه

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا منيع بن أحمد السدوسي عن أبيه عن جده قال

كان عمران بن حطان من أهل السنة والعلم فتزوج امرأة من الشراة من عشيرته وقال أردها عن مذهبها إلى الحق فأضلته وذهبت به

الحجاج يطلبه فيهرب إلى الشام

وأخبرني بخبره في هربه من الحجاج عمر بن عبد الله بن جميل العتكي ومحمد بن العباس اليزيدي قالا حدثنا الرياشي قال حدثنا الحكم بن مروان قال حدثنا الهيثم بن عدي قال

طلب الحجاج عمران بن حطان السدوسي وكان من قعدة الخوارج فكتب فيه إلى عماله وإلى عبد الملك

وأخبرني بهذا الخبر أيضا الحسن بن علي الخفاف ومحمد بن عمران الصيرفي قالا حدثنا العنزي قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد الدارع قال حدثنا أبو عبيدة معمر بن المثنى عن أخيه يزيد بن

المثنى أن عمران بن حطان خرج هاربا من الحجاج فطلبه وكتب فيه إلى عماله وإلى عبد الملك فهرب ولم يزل يتنقل في أحياء العرب وقال في ذلك

(حَلَلْنا في بني كَعْبٍ بن عَمْرٍو ... وفي رِعْلٍ وعامر عَوْثَبانِ)
(وفي جَرْمٍ وفي عمرو بن مُرٍّ ... وفي زيدٍ وحَيِّ بني الغُدانِ)

ثم لحق بالشام فنزل بروح بن زنباع الجذامي فقال له روح ممن أنت قال من الأزد أزد السراة قال وكان روح يسمر عند عبد الملك فقال له ليلة يا أمير المؤمنين إن في أضيافنا رجلا ما سمعت منك حديثا قط إلا حدثني به وزاد فيما ليس عندي قال ممن هو قال من الأزد قال إني لأسمعك تصف صفة عمران بن حطان لأنني سمعتك تذكر لغة نزارية وصلاة وزهدا ورواية وحفظا وهذه صفته فقال روح وما أنا وعمران ثم دعا بكتاب الحجاج فإذا فيه

أما بعد فإن رجلا من أهل الشقاق والنفاق قد كان أفسد علي أهل العراق وحببهم بالشراية ثم إني طلبته فلما ضاق عليه عملي تحول إلى الشام فهو ينتقل في مدائنها وهو رجل ضرب طوال أفوه أروق قال قال روح هذه والله صفة الرجل الذي عندي ثم أنشد عبد الملك يوما قول عمران يمدح عبد الرحمن بن ملجم - لعنه الله - بقتله علي بن أبي طالب صلوات الله عليه

(يا ضَربةً من كَريمٍ ما أرادَ بها ... إلا ليبلُغ من ذِي العَرْشِ رِضوانا)
(إني لأُفْكر فيه ثم أحْسَبه ... أوفَى البَرِيَّةِ عند اللهِ ميزانًا)

ثم قال عبد الملك من يعرف منكم قائلها فسكت القوم جميعا فقال لروح سل ضيفك عن قائلها قال نعم أنا سائله وما أراه يخفي على ضيفي ولا سألته عن شيء قط فلم أجده إلا عالما به وراح روح إلى أضيافه فقال إن أمير المؤمنين سألنا الذي يقول

(. . . . . يا ضَرْبَةَ من كَريمٍ ما أراد بِها)

ثم ذكر الشعر وسألهم عن قائله فلم يكن عند أحد علم فقال له عمران هذا قول عمران بن حطان في ابن ملجم قاتل علي بن أبي طالب قال فهل فيها غير هذين البيتين تفيدنيه قال نعم

(لله دَرُّ المُرادِيِّ الذي سَفَكت ... كفّاه مُهْجَة شرّ الخَلْقِ إنسانا)
(أمسى عَشِيّة غشّاه بضَرْبَتِه ... ممّا جَناهُ من الآثام عُرْيانا)

صلوات الله على أمير المؤمنين ولعن الله عمران بن حطان وابن ملجم - فغدا روح فأخبر عبد الملك فقال من أخبرك بذلك - فقال ضيفي قال أظنه عمران بن حطان فأعلمه أني قد أمرتك أن تأتيني به قال أفعل فراح روح إلى أضيافه فأقبل على عمران فقال له إني ذكرتك لعبد الملك فأمرني أن آتيه بك قال كنت أحب ذلك منك وما منعني من ذكره إلا الحياء منك وأنا متبعك فانطلق فدخل روح على عبد الملك فقال له أين أجد صاحبك فقال قال لي أنا متبعك قال أظنك والله سترجع فلا تجده فلما رجع روح إلى منزله إذا عمران قد مضى وإذا هو قد خلف رقعة في كوة عند فراشه وإذا فيها يقول

((يا رَوحُ كم من أخِي مَثْوىً نزلت به ... قد ظنَّ ظَنَّك من لخمٍ وغسّانِ
(حتى إذا خِفتُه فارقتُ منزِلَه ... من بعد ما قِيلَ عمرانُ بنُ حِطّانِ)
(قد كنتُ ضيفَك حَولاً لا تروِّعَنِي ... فيه الطوارقُ من إنْسٍ ولا جانِ)

(حتى أردت بِيَ العُظْمى فأوحَشَني ... ما أوحشَ الناسَ من خوفِ ابن مَرْوانِ)
(فاعذِرِ أخاكَ ابنَ زِنْباعٍ فإنّ له ... في الحادثاتِ هَناتٍ ذاتَ ألوانِ)
(يوما يمانٍ إذا لاقيتُ ذا يمنٍ ... وإن لَقِيتُ مَعَدِّياً فعَدْناني)
(لو كنتُ مستغفِراً يوماً لطاغِيةٍ ... كُنتَ المُقدَّمَ في سِرِّي وإعلاني)
(لكن أبتْ ذاك آياتٌ مُطَهَّرةٌ ... عند التِّلاوة في طَهَ وعِمران)
عمران ينزل بزفر بن الحارث بقرقيسيا
قال ثم أتى عمران بن حطان الجزيرة فنزل بزفر بن الحارث الكلابي بقرقيسيا فجعل شباب بني عامر يتعجبون من صلاته وطولها وانتسب لزفر أوزاعيا فقدم على زفر رجل من أهل الشام قد كان رأى عمران بن حطان بالشام عند روح بن زنباع فصافحه وسلم عليه فقال زفر للشامي أتعرفه قال نعم هذا شيخ من الأزد فقال له زفر أزدي مرة وأوزاعي أخرى إن كنت خائفا آمناك وإن كنت عائلا أغنيناك فقال إن الله هو المغني وخرج من عنده وهو يقول
(إن الَّتي أصبحَتْ يَعْيَا بها زُفَرٌ ... أعْيت عَياءً على رَوْحِ بن زنباعِ)
(أمسي يُسائِلني حولاً لأُخْبِره ... والناسُ من بين مَخدوعٍ وخَدّاعِ)
(حتى إذا انْجَذَمتْ مِنّي حَبائِلُه ... كَفَّ السُّؤالَ ولم يُولَع بإهلاعِي)
(فاكْفُف كما كَفَّ رَوْحٌ إنّني رجلٌ ... إمّا صريحٌ وإمّا فَقْعَةُ القاعِ)
(أمَّا الصَّلاةُ فإني غيرُ تارِكِها ... كلُّ امرىءٍ للّذي يُعنَى به ساعِي)
(فاكفف لِسانَك عن هَزْيِي ومَسْألتي ... ماذا تُريد إلى شيخٍ لأوزاعِ)
(أكرِمْ بِرَوْح بن زِنباعٍ وأُسرتِه ... قوماً دَعا أوّلِيهم للعُلا داعي)
(جاورتُهم سَنةً فيما دعوتُ به ... عِرضِي صَحيحٌ ونَوْمي غيرُ تَهجاعِ)
(فاعمَلْ فإنك مَنْعِيٌّ بحادِثَةٍ ... حَسْبُ اللَّبيبِ بهذا الشيبِ من ناعِي)
وصوله إلى روذميسان ووفاته بها
ثم خرج فنزل بعمان بقوم يكثرون ذكر أبي بلال مرداس بن أدية ويثنون عليه ويذكرون فضله فأظهر فضله ويسر أمره عندهم وبلغ الحجاج مكانه فطلبه فهرب فنزل في روذميسان - طسوج من طساسيج السواد إلى جانب الكوفة - فلم يزل به حتى مات وقد كان نازلا هناك على رجل من الأزد فقال في ذلك
(نَزلتُ بحَمْدِ اللهِ في خَيْرِ أُسرةٍ ... أُسرُّ بما فيهم من الإنْسِ والخَفَرْ)
(نزلتُ بقومٍ يجمَعُ اللهُ شملَهم ... وما لهم عُودٌ سِوى المَجْدِ يُعْتَصرْ)
(ومن الأزْدِ إنّ الأزْدَ أكرمُ أسرةٍ ... يمانية قَرْبوا إذا نُسِبِ البَشَرْ)
قال اليزيدي الإنس بالكسر الاستئناس وقال الرياشي أراد قربوا
فخفف قال
(وأصبحتُ فيهم آمِناً لا كَمَعْشَرٍ ... بَدَوْني فقالوا مِن ربيعةَ أو مُضَرْ)
(أو الحيِّ قَحْطانٍ وتِلْك سَفاهةٌ ... كما قال لِي رَوْحٌ وصاحِبُه زُفَر)
(وما مِنهمُ إلا يُسرُّ بنسبةٍ ... تُقرِّبني منهم وإن كان ذا نَفر)
(فنحن بَنو الإسلام واللهُ واحدٌ ... وأولى عِباد الله بالله مَن شكر)
أخبرنا اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي عن المعتمر بن سليمان قال
كان عمران بن حطان رجلا من اهل السنة فقدم عليه غلام من عمان كأنه نصل فقلبه عن مذهبه في مجلس واحد
أخبرني اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا مسدد بن مسرهد قال حدثنا بشر بن المفضل عن سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا عمرو بن علي القلاس وعباس العنبري ومحمد بن عبد الله المخزومي قالوا حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن بشر بن المفضل عن سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال
تزوج عمران بن حطان امرأة من الخوارج فقيل له فيها فقال أردها عن مذهبها فذهبت هي به
نسخت عن بعض الكتب حدثنا المدائني عن جويرية قال
كتب عيسى الحبطي إلى رجل منهم يقال له أبو خالد كان تخلف عن الخروج مع قطري أو غيره منهم
(أبا خالدٍ انفرْ فلستَ بخالدٍ ... وما ترَكَ الفُرقانُ عُذْراً لِقاعدِ)
(أتزعمُ أنّا الخارجون على الهدى ... وأنت مُقيمٌ بين لِصٍّ وجاحدِ
فكتب إليه ما منعني عن الخروج إلا بناتي والحدب عليهن حين سمعت عمران بن حطان يقول
(لقد زاد الحياةَ إليَّ حُبّاً ... بناتي إنّهن من الضِّعافِ)
(ولولا ذاك قد سوَّمتُ مُهري ... وفي الرَّحمن للضُّعفاء كاف)
قال فجلس عيسى يقرأ الأبيات ويبكي ويقول صدق أخي إن في ذلك لعذرا له وإن في الرحمن للضعفاء كافيا
الأخطل يقول عمران أشعر الشعراء
وقال هارون أخذت من خط أبي عدنان أخبرني أبو ثروان الخارجي قال سمعت أشياخ الحي يقولون
اجتمعت الشعراء عند عبد الملك بن مروان فقال لهم أبقي أحد أشعر منهم قالوا لا فقال الأخطل كذبوا يا أمير المؤمنين قد بقي من هو أشعر منهم قال ومن هو قال عمران بن حطان قال وكيف صار أشعر منهم قال لأنه قال وهو صادق ففاقهم فكيف لو كذب كما كذبوا
أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه عن ابن أبي سعد عن أحمد بن محمد بن علي بن حمزة الخراساني عن محمد بن يعقوب بن عبد الوهاب عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن القارئ عن الزهري عن أبيه
أن غزالة الحرورية لما دخلت على الحجاج هي وشبيب الكوفة
تحصن منها وأغلق عليه قصره فكتب إليه عمران بن حطان وقد كان الحجاج لج في طلبه قال
(أسدٌ عليَّ وفي الحروبِ نَعامةٌ ... ربداءُ تَجْفَلُ من صَفيرِ الصافرِ)
(هلاّ بَرزتَ إلى غَزالة في الوغَى ... بل كان قَلبك في جَناحَيْ طَائرِ)

(صدعَتْ غَزالةُ قلبه بفوارسٍ ... تركتْ مدابِرَه كأمْس الدَّابر)
ثم لحق بالشام فنزل على روح بن زنباع
أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن خالد أبو حرب قال حدثنا محمد بن عباد المهلبي قال حدثنا جرير بن حازم قال
كان عمران بن حطان أشد الناس خصومة للحرورية حتى لقيه أعرابي حروري فخاصمه فصار عمران حروريا ورجع عن رأيه
قال جرير بن حازم كان الفرزدق يقول لقد أحسن بنا ابن حطان حيث لم يأخذ فيما أخذنا فيه ولو أخذ فيما أخذنا فيه لأسقطنا يعني لجودة شعره
نسخت من كتاب ابن سعد قال أخبرني الحسن بن عليل العنزي قال أخبرني أحمد بن عبد الله بن سويد بن منجوف السدوسي قال أخبرني أحمد بن مؤرج عن أبيه قال حدثني به تميم بن سوادة وهو ابن أخت مؤرج قال حدثني أبو العوام السدوسي قال
كان مالك المذموم رجلا من بني عامر بن ذهل وكان من الخوارج وكان الحجاج يطلبه قال أبو العوام فدخلت عليه يوما وهو في تواريه فأنشدني يقول
((ألم يأنِ لي يا قَلبُ أن أتْرُكَ الصِّبا ... وأن أزجرَ النفسَ اللَّجُوجَ عن الهَوَى
(وما عُذْرُ مَنْ يَعْمَى وقد شابَ رأسُه ... ويُبصِر أبوابَ الضَّلالةِ والهُدَى)
(ولو قُسِمَ الذَّنبُ الذي قد أصبْتُه ... على النَّاسِ خافَ النَّاسُ كُلّهم الرَّدَى)
(فإن جُنَّ ليلٌ كُنتُ باللّيل نائما ... وأُصبِح بَطَّالَ العَشيَّاتِ والضُّحَى)
قال فلما فرغ من إنشادها قال سيغلبني عليها صاحبكم يعني عمران بن حطان فكان كذلك لما شاعت رواها الناس لعمران وكان لا يقول أحد من الشعراء شعرا إلا نسب إليه لشهرته إلا من كان مثله في الشهرة مثل قطري وعمرو القنا وذويهما قال ثم هرب إلى اليمامة من الحجاج فنزل بحجر فأتاه آل حكام الحنفيون فقال
(طَيَّروني من البلادِ وقالوا ... مالَكَ النِّصفُ من بني حَكَّامِ)
(ناقَ سِيري قد جَدّ حَقّاً بنا السَّيرُ ... وكوني جَوَّالةً في الزِّمامِ)
(فَمتى تَعْلَقِي يَدَ المَلِكِ الأسوَدِ ... تَستَبْقِني بألاّ تُضامِي)
(قد أُرانِي ولي من الحاكم النِّصْفُ ... بحَدِّ السِّنانِ أو بالحُسامِ)
قال والملك الأسودِ إبراهيم بن عربي والي اليمامة لعبد الملك وكان ابن حكام على شرطته قال
(ومُنينا بِطمْطِمٍ حَبَشيٍّ ... حالكِ الوجْنَتَيْنِ من آلِ حامِ)
(لا يُبالِي إذا تَضَلَّع خَمْراً ... أَبِحِلٍّ زَمَاكَ أم بِحرامِ)
قال العنزي فأخبرني محمد بن إدريس بن سليمان بن أبي حفصة عن أبيه قال كان مالك المذموم من أحسن الناس قراءة للقرآن فقرأ ذات ليلة فسمعت قراءته امرأة من آل حكام فرمت بنفسها من فوق سطح كانت عليه
فسمع الصوت أهلها فأتوه فضربوه ضربات فاستعدى عليهم إبراهيم بن عربي وكان عبد الله بن حكام على شرطته فلم يعده عليهم فهجاه بالأبيات الماضية وهجاه بقصيدته التي أولها
(دارَ سَلْمى بالجِزْعِ ذي الآطام ... خَبِّرينا سُقِيتِ صوبَ الغَمامِ)
وهي طويلة ينسبونها أيضا إلى عمران بن حطان
الفرزدق يعترف بتفوقه
أخبرني أحمد بن الحسين الأصبهاني ابن عمي قال حدثني أبو جعفر بن رستم الطبري النحوي قال حدثنا أبو عثمان المازني قال حدثنا عمرو بن مرة قال
مر عمران بن حطان على الفرزدق وهو ينشد والناس حوله فوقف عليه ثم قال
(أيُّها المادِحُ العبادَ ليُعْطَى ... إنَّ لِلَّهِ ما بأيْدِي العِبادِ)
(فاسألِ اللَّهَ ما طلبتَ إليهم ... وارجُ فضلَ المُقسِّمِ العَوَّادِ)
(لا تقُل في الجَوادِ ما ليس فيه ... وتُسمِّي البخِيلَ باسمِ الجَوادِ)
فقال الفرزدق لولا أن الله عز وجل شغل عنا هذا برأيه للقينا منه شرا
وقال هارون بن الزيات أخبرني عبد الرحمن بن موسى الرقي قال حدثنا أحمد بن محمد بن حميد بن سليمان بن حفص بن عبد الله بن أبي جهم بن حذيفة بن غانم العدوي قال حدثنا يزيد بن مرة عن أبي عبيدة معمر بن المثنى عن عيسى بن يزيد بن بكر المدني قال
اجتمع عند مسلمة بن عبد الملك ناس من سماره فيهم عبد الله بن عبد الأعلى الشاعر فقال مسلمة أي بيت قالته العرب أوعظ وأحكم فقال له عبد الله قوله
(صَبا ما صَبا حتى عَلاَ الشَّيبُ رأسَه ... فلما علاه قال لِلْباطل أبْعُد)
فقال مسلمة إنه والله ما وعظني شعر قط كما وعظني شعر ابن حطان حيث يقول
(فيُوشِكُ يومٌ أن يُقارنَ لَيلَةً ... يَسوقانِ حتْفاً راح نَحْوكَ أو غدا)
فقال بعض من حضر والله لقد سمعته أجل الموت ثم أفناه وما صنع هذا غيره فقال مسلمة وكيف ذاك قال قال
(لا يُعجِزُ المَوتَ شيءٌ دُونَ خالِقِه ... والموتُ فانٍ إذا ما ناله الأجَلُ)
(وكُلُّ كَرْبٍ أمامَ الموتِ مُتَّضِعٌ ... للموت والمَوتُ فيما بَعْدَه جَلَلُ)
فبكى مسلمة حتى اخضلت لحيته ثم قال رددهما علي فرددهما عليه حتى حفظهما
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا منيع بن أحمد بن مؤرج السدوسي عن ابيه عن جده قال
تزوج عمران بن حطان حمزة بنت عمه ليردها عن مذهب الشراية فذهبت به إلى رأيهم فجعل يقول فيها الشعر فمما قال فيها
((يا حَمْزَ إنّي على ما كان من خلقي ... مُثْنٍ بخَلاّتِ صِدْقٍ كُلُّها فيكِ
(اللهُ يعلَم أنّي لم أقُل كَذِباً ... فيما عَلِمْتُ وأنّي لا أُزكِّيكِ)
أخبرني الحسن قال حدثنا محمد بن موسى وحدثني بعض أصحابنا عن العمري عن الهيثم بن عدي

أن امرأة عمران بن حطان قالت له ألم تزعم أنك لا تكذب في شعرك قال بلى قالت أفرأيت قولك
(وكذاك مَجْزَأة بن ثَوْرٍ ... كان أشجعَ من أُسامَهْ)
أيكون رجل أشجع من الأسد قال نعم إن مجزأة بن ثور فتح مدينة كذا والأسد لا يقدر على فتح مدينة
صوت
(نَدِيميَّ قد خَفَّ الشَّرابُ ولم أجد ... له سَوْرةً في عَظْم رأسي ولا جِلْدي)
(نَدِيميَّ هذِي غِبُّهم فاشربا بها ... ولا خَيْرَ في شُرْبٍ يكون على صَرْدِ)
الشعر لعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي والغناء لابن سريج خفيف ثقيل

أخبار عمارة بن الوليد ونسبه

عمارة بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب وهو أحد أزواد الركب ويقال له الوحيد وكان أزواد الركب لا يمر عليهم أحد إلا قروه وأحسنوا ضيافته وزودوه ما يحتاج إليه لسفره وكان عمارة بن الوليد فخورا معنا متعرضا لكل ذي عارضة من قريش فأخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثنا الزبير بن بكار عن الحزامي قال
مر عمارة بن الوليد بمسافر بن عمرو فوقف عليه وهو منتش فقال
(خُلِقَ البِيضُ الحِسانُ لنا ... وجِيادُ الرَّيْطِ والأُزُرِ)
(كابِراً كُنّا أحقّ به ... حين صِيغ الشَّمْسُ والقَمَرُ)
فأجابه مسافر بن عمرو بن أمية فقال
(أعُمارَ بنَ الوليد لقد ... يذكُر الشَّاعِرِ مَنْ ذَكَرِهْ)
(هل أخو كَأْسٍ مُخَفِّفِها ... ومُوَقٍّ صَحبه سَكَرهْ)
(ومُحيِّيهم إذا شَربُوا ... ومُقِلٍّ فيهم هَذَرَهْ)
(خُلِق البِيضُ الحِسانُ لنا ... وجِياد الرَّيْطِ والحَبَرهْ)
((كابِراً كُنّا أحقَّ به ... كلُّ حيٍّ تابِعٌ أَثَرَهْ
أخبرنا عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية أن عمارة بن الوليد خطب امرأة من قومه فقالت لا أتزوجك أو تترك الشراب والزنا قال أما الزنا فأتركه وأما الشراب فلا أتركه ولا أستطيع ثم اشتد وجده بها فحلف ألا يشرب فتزوجها ومكث حينا لا يشرب ثم إنه لبس ذات يوم حلته وركب ناقته وخرج يسير فمر بخمار وعنده شرب يشربون فدعوه فدخل عليهم وقد أنفدوا ما عندهم فقال للخمار أطعمهم ويلك فقال ليس عندي شيء فنحر لهم ناقته فأكلوا منها فقال اسقهم ولم يكن معهم شيء يشربون به فسقاهم ببردته ومكثوا أياما ذوات عدد ثم خرج فأتى أهله فلما رأته امرأته قالت له ألم تحلف ألا تشرب ولامته فقال
(ولسنا بشَرْبٍ أُمَّ عمروٍ إذا انتشوْا ... ثِيابُ النَّدامَى عندهم كالغنائِم)
(ولكننا يا أُمَّ عَمْرٍو نديمُنا ... بمنزلة الرِّيّان ليس بعائمِ)
(أسرَّكِ لما صرّع القومَ نشوةٌ ... أنَ اخرُجَ منها سالماً غير غارمِ)
(خَلِيّاً كأنّي لم أكن كُنتُ فيهمُ ... وليس الخِداعُ مُرتضًى في التّنادِمِ)
عمارة وعمرو بن العاص
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد بن قادم مولى بني هاشم قال حدثني عمي أحمد بن جعفر عن ابن دأب قال
قدم رجل من تجار الروم بحلة من لباس قيصر على أهل مكة فأتى بها عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي فعرضها عليه بمائة حق من الإبل فاستغلاها فأتى بها عمرو بن العاص فقال له هل أتيت بها أحدا قال نعم عمارة بن الوليد فاستغلاها وقال لن تعدم لها غويا من بني سهم قال قد أخذتها فاشتراها بمائة حق يعني مائة بعير ثم أقبل يخطر فيها حتى أتى بني مخزوم فناداه عمارة أتبيع الحلة يا عمرو فغضب والتفت إلى عمارة فقال
(عليكَ بجزّ رأسِ أبيكَ إنّا ... كفيناك المُسَهَّمة الرِّقاقا)
(زَوَوْها عنكُم وغَلَتْ عليكم ... وأعطينا بها مائةً حِقاقا)
(وقلتم لا نطيق ثيابَ سَهْمٍ ... وكلٌّ سوف يَلبُسُ ما أطاقا)
قال فغضب عمارة وقال يا عمرو ما هذا التهور إنك لست بعتبة بن ربيعة ولا بأبي سفيان بن حرب ولا الوليد بن المغيرة ولا سهيل بن عمر ولا أبي بن خلف فقال عمرو إلا أكن بعضهم فإن كل واحد منهم خير ما فيه في من عتبه حلمه ومن أبي سفيان رأيه ومن سهيل جوده ومن أبي بن خلف نجدته وأما الوليد فوالله ما أحب أن في كل ما فيه من خير وشر ولكنك والله مالك عقل الوليد ولا بأس الحارث بن هشام وخالد بن الوليد ولا لسان أبي الحكم يعني أبا جهل وانصر فأمر عمارة بجزور فنحرت على طريق عمرو وأقبل عمرو فقال لمن هذه الجزور قيل لعمارة فقال له أطعمنا منها يا عمارة فضحك منه ثم قال
((عليكِ بجَزْر أير أبيك إنا ... كفيناك المُشَاشة والعُراقَا
(ومَنسَبَة الأطايب من قريشٍ ... ولم تَر كأسَنا إلاّ دِهاقا)
(ونلبس في الحوادث كلَّ زَغْفٍ ... وعند الأمن أبْراداً رقاقا)
فوقع الشر بينهم فقال عمرو
(لعَمْرُ أبيكَ والأخبار تَنْمِي ... لقد هَيَّجْتَني يا بنُ الوليدِ)
(فلا تعجلِ عُمارةُ إنَّ سَهْماً ... لمخزومِ بن يَقْظةَ في العديدِ)
(وأوردْ يا عُمارة إنّ عودِي ... منَ اعواد الأباطح خيرُ عودِ)
فأجابه عمارة فقال
(ألا يا عمرو هل لكَ في قُريشٍ ... أبٌ مثلُ المُغيرة والوليدِ)
(وجَدٌّ مثلُ عبدِ الله يَنْمِي ... الى عمرو بن مخزومٍ يعودِ)
(إذا ما عُدَّت الأعواد نَبْعاً ... فَمالِي في الأباطح من نَدِيدِ)
(وقد عَلِمتْ سَراةُ بني لُؤَيٍّ ... بأنّي غيرُ مؤتَشِبٍ زهيدِ)

(وإني للمُنابذِ من قريشٍ ... شَجاً في الحَلْق من دون الوريدِ)
(أحوطُ ذِمارَهم وأكفُّ عنهم ... وأصبِر في وغى اليوم الشّديدِ)
(وأبذُل ما يضنّ به رجالٌ ... وتُطْمِعُني المروءةُ في المزيدِ)
(وإنك من بني سَهْمِ بن عَمرو ... مكان الرِّدْفِ من عَجُز القَعودِ)
(وكان أبوك جَزّاراً . . وكانت ... له فأس وقِدْرٌ من حديدِ)
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن العمري عن أبي عوانة عن عبد الملك بن عمير أن عمر بن الخطاب قسم برودا في المهاجرين
قال العمري هكذا ذكر أبو عوانة وقد حدثني الهيثم عن أبي يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير قال أخبرني من شهد ذلك
أن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي بعث إلى عمر بن الخطاب بحلل من اليمن فقال عمر علي بالمحمدين فأتي بمحمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر بن أبي طالب ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن حاطب بن أبي بلتعة ومحمد بن حطاب أخي حاطب وكلهم سماه النبي محمدا فأقبلوا فاطلع محمد بن حطاب فيها فقال له عمر يا شيبة معمر - يعني عما له قتل يوم بدر - اكفف وكان زيد بن ثابت الأنصاري عنده فقال له عمر أعطهم حلة حلة فنظر إلى أفضلها وكانت أم أحدهم عنده فقال عمر ما هذا فقال هذه لفلان الذي هو ربيبه فقال عمر اردده وتمثل بقول عمارة بن الوليد
(أسرَّك لمّا صرَّع القومَ نشوةٌ ... أن اخرُجَ منها سالماً غيرَ غارمِ)
(خَلِيّاً كأني لم أكن فيهمُ ... وليس الخِداعُ مُرتضىً في التّنادمِ)
وقال أبو عوانة . . . . من تصافي التنادم
ثم أمر بالبرود فغطيت بثوب ثم خلطها ثم قال ليدخل كل امرىء يده فليأخذ حلته وما قسم له
صوت
(قد يجمعُ المالَ غيرُ آكِلِه ... ويأكلُ المالَ غيرُ من جَمعَهْ)
(فاقبَلْ من الدّهر ما أتاك به ... مَنْ قَرَّ عيناً بعيشه نَفَعَهْ)
(لكلِّ همٍّ من الهموم سَعَهْ ... والصُّبح والمُسْيُ لا فلاحَ معه)
الشعر للأضبط بن قريع والغناء لأحمد بن يحيى المكي ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر من روايته وسمعناه يغني في طريقة خفيف رمل فسألت عنه ذكاء وجه الرزة فذكر أنه سمعه من محمد بن يحيى المكي في هذه الطريقة ولم يعرف صانعه ولا سأل عنه
أخبار الأضبط ونسبه
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني عبد الله بن طاهر قال قال أبو محلم أخبرني ضرار بن عيينة أحد بني عبد شمس قال كان الأضبط بن قريع مفركا وكان إذا لقي في الحرب تقدم أمام الصف ثم قال
(أنا الذي تفركُه حلائلُهْ ... ألا فتىً مُعشَّقٌ أنازلُهْ)
قال فاجتمع نساؤه ذات ليلة يسمرن فتعاقدن على أن يصدقن الخبر عن فرك الأضبط فأجمعن أن ذلك لأنه بارد الكمرة فقالت لإحداهن خالتها أتعجز إحداكن إذا كانت ليلته منها أن تسخن كمرته بشيء من دهن فلما سمع قولها صاح يا آل عوف يا آل عوف فثار الناس وظنوا أنه قد أتي فقال أوصيكم بأن تسخنوا الكمرة فإنه لا حظوة لبارد الكمرة فانصرفوا يضحكون وقالوا تبا لك ألهذا دعوتنا
قال أبو محلم كانت أم الأضبط عجيبة بنت دارم بن مالك بن حنظلة وخالته الطموح بنت دارم أم جشم وعبد شمس ابني كعب بن سعد فحارب بنو
الطموح قوما من بني سعد فجعل الأضبط يدس إليهم الخيل والسلاح ولا يصرح بنصرتهم خوفا من أن يتحزب قومه حزبين معه وعليه وكان يشير عليهم بالرأي فإذا أبرمه نقضوه وخالفوا عليه وأروه مع ذلك أنهم على رأيه فقال في ذلك
(لكل هَمٍّ من الهموم سَعَهْ ... والمُسْيُ والصُّبح لا فلاحَ معه)
(لا تحقِرنَّ الفقيرَ علَّكَ أن ... تركع يوماً والدهرُ قد رَفعهْ)
(وصِلْ حِبال البعيد إن وَصلَ الحبْل ... واقْصِ القريبَ إن قطعهْ)
(قد يجمع المال غيرُ آكِلِه ... ويأكل المالَ غيرُ من جَمعهْ)
(ما بال مَن غيُّه مُصيبُك لا ... يملك شيئاً من أمره وَزَعه)
(حتى إذا ما انجلَتْ غَوايتُه ... أقبل يَلحي وغيُّه فجعهْ)
(أذودُ عن نفسي ويخدَعُني ... يا قومِ مَنْ عاذِري من الخُدَعهْ)
(فأقْبَلْ من الدّهر ما أتاك به ... مَنْ قَرَّ عيناً بعيشه نفعهْ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الخراز عن المدائني قال
كان الأضبط بن قريع قد تزوج امرأة على مال ووصيفة فنشزت عليه ففارقها ولم يعطها ما كان ضمن لها فلما احتملت أنشأ يقول
(ألم تَرَها بانت بغير وصيفةٍ ... إذا ما الغواني صاحبتها الوَصَائِفُ)
(ولكنها بانت شَموسٌ بَزِيَّة ... مُنعَّمةُ الأخلاق حدباءُ شارفُ)
(لو أنَّ رسولَ اللّهْو سلّم واقِفا ... عليها لرامتْ وَصله وهو واقفُ)
أخبرنا وكيع قال حدثنا ابن أبي سعد قال
حدثنا الجماز قال أنشدت أبا عبيدة وخلفا الأحمر شعر الأضبط
وصل حبال البعيد إن وصل الحبل وأقص القريب إن قطعه
فما عرفا منه إلا بيتا وعجز بيت فالبيت الذي عرفاه
فاقبل من الدهر ما أتاك به
والعجز
(... يا قوم مَنْ عاذِري من الخُدَعَهْ)

والخدعة قوم من بني سعد بن زيد مناة بن تميم
صوت
(وما أنا في أمري ولا في خصومتي ... بمُهْتَضَمٍ حقِّي ولا قارعٍ سِنِّي)
(ولا مُسلمٍ مولاي عند جنايةٍ ... ولا خائفٍ مولاي من شرِّ ما أجْنِي)
الشعر لأعشى بني ربيعة والغناء لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو
أخبار الأعشى ونسبه
الأعشى اسمه عبد الله بن خارجة بن حبيب بن قيس بن عمرو بن حارثة بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة الحصين بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار شاعر إسلامي من ساكني الكوفة وكان مرواني المذهب شديد التعصب لبني أمية
الأعشى وعبد الملك بن مروان
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عمي محمد بن عبيد الله عن محمد بن حبيب وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن عمه العباس بن هشام عن أبيه قالا
قدم أعشى بني ربيعة على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك ما الذي بقي منك قال أنا الذي أقول
(وما أنا في أمري ولا في خُصومتِي ... بمُهْتَضَمٍ حقِّي ولا قارعٍ سِنّي)
(ولا مُسلمٍ مولاي عند جنايةٍ ... ولا خائفٍ مولاي من شرِ ما أجني)
(وإن فُؤادي بين جَنبيَّ عالمٌ ... بما أبصرتْ عيني وما سَمِعَتْ أُذْنِي)
(وفضَّلني في الشِّعرِ واللُّبِّ أنَّنِي ... أقولُ على عِلمٍ وأعرِفُ مَن أعْنِي)
((فأصبحتُ إذ فَضَّلتُ مروانَ وابنَه ... على الناسِ قد فضَّلتُ خيرَ أبٍ وابن
فقال عبد الملك من يلومني على هذا وأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة تخوت ثياب وعشر فرائض من الإبل وأقطعه ألف جريب وقال له امض إلى زيد الكاتب يكتب لك بها وأجرى له على ثلاثين عيلا فأتى زيدا فقال له ائتني غدا فأتاه فجعل يردده فقال له
(يا زيدُ يا فِداكَ كُلُّ كاتبِ ... في الناسِ بين حاضرٍ وغائبِ)
(هل لك في حَقٍّ عليكَ واجبِ ... في مثلِه يرغبُ كُلُّ راغِبِ)
(وأنت عَفٌّ طَيِّبُ المكاسبِ ... مُبَرَّأٌ من عَيْبِ كلِّ عائِبِ)
(ولستَ - إن كفيْتني وصاحِبِي ... طُولَ غُدُوٍّ ورَواحٍ دائبِ)
(وسُدَّةَ الباب وعُنفَ الحاجِبِ ... - من نِعْمةٍ أسدَيْتها بخائبِ)
فأبطأ عليه زيد فأتى سفيان بن الأبرد الكلبي فكلمه سفيان فأبطأ عليه فعاد إلى سفيان فقال له
(عُدْ إذ بدأتَ أبا يَحيى فأنت لَها ... ولا تُكُن حينَ هابَ النَّاسُ هيّابا)
(واشفَعْ شفاعةَ أنفٍ لم يكن ذَنَباً ... فإنَّ من شُفَعاءِ النَّاسِ أذْنابا)
فأتى سفيان زيدا الكاتب فلم يفارقه حتى قضى حاجته
قال محمد بن حبيب دخل أعشى بني أبي ربيعة على عبد الملك وهو يتردد في الخروج لمحاربة ابن الزبير ولا يجد فقال له يا أمير المؤمنين ما لي أراك متلوما ينهضك الحزم ويقعدك العزم وتهم بالإقدام وتجنح إلى الإحجام انقد لبصيرتك وأمض رأيك وتوجه إلى عدوك فجدك مقبل
وجده مدبر وأصحابه له ماقتون ونحن لك محبون وكلمتهم مفترقة وكلمتنا عليك مجتمعة والله ما تؤتى من ضعف جنان ولا قلة أعوان ولا يثبطك عنه ناصح ولا يحرضك عليه غاش وقد قلت في ذلك أبياتا فقال هاتها فإنك تنطق بلسان ودود وقلب ناصح فقال
(آلُ الزُّبيرِ من الخلافة كالّتي ... عَجِلَ النِّتاجُ بحَمْلِها فأحالَها)
(أو كالضِّعاف من الحَمولة حُمِّلَت ... ما لا تُطِيق فضيَّعت أحمالَها)
(قُوموا إليهم لا تَناموا عنهمُ ... كَمِ للغُواةِ أطَلْتُمو إمْهالَها)
(إنَّ الخِلافةَ فيكمُ لا فيهمُ ... ما زِلْتمُ أركانها وثِمَالَها)
(أمسَوا على الخيرات قُفْلاً مغلقاً ... فانهض بيُمْنِك فافتَحْ أقفالَها)
فضحك عبد الملك وقال صدقت يا أبا عبد الله إن أبا خبيب لقفل دون كل خير ولا نتأخر عن مناجزته إن شاء الله ونستعين الله عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل وأمر له بصلة سنية
الأعشى والحجاج
قال ابن حبيب كان الحجاج قد جفا الأعشى واطرحه لحالة كانت عند بشر بن مروان فلما فرغ الحجاج من حرب الجماجم ذكر فتنة ابن الأشعث وجعل يوبخ أهل العراق ويؤنبهم فقال من حضر من أهل
البصرة إن الريب والفتنة بدآ من أهل الكوفة وهم أول من خلع الطاعة وجاهر بالمعصية فقال أهل الكوفة لا بل أهل البصرة أول من أظهر المعصية مع جرير بن هميان السدوسي إذ جاء مخالفا من السند وأكثروا من ذلك فقام أعشى بني أبي ربيعة فقال أصلح الله الأمير لا براءة من ذنب ولا ادعاء الله في عصمة لأحد من المصرين قد والله اجتهدوا جميعا في قتالك فأبى الله إلا نصرك وذلك أنهم جزعوا وصبرت وكفروا وشكرت وغفرت إذ قدرت فوسعهم عفو الله وعفوك فنجوا فلولا ذلك لبادوا وهلكوا فسر الحجاج بكلامه وقال له جميلا وقال تهيأ للوفادة إلى أمير المؤمنين حتى يسمع هذا منك شفاها انتهى
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال بلغ الحجاج أن أعشى بني أبي ربيعة رثى عبد الله بن الجارود فغضب عليه فقال يعتذر إليه
(أبِيتُ كأنَّني من حِذارِ ابنِ يُوسُفٍ ... طَريدُ دَمٍ ضاقتْ عليه المَسالكُ)
(ولو غَيْرُ حَجّاجٍ أراد ظُلامتي ... حَمَتْني من الضَّيمِ السُّيوفُ الفواتِكُ)
(وفِتيانُ صِدْقٍ من ربيعة قُصْرةً ... إذا اختلَفَت يومَ اللِّقاءِ النّيازكُ)
(يُحامون عن أحسابِهم بسيُوفِهم ... وأرماحِهم واليَومُ أسودُ حالكُ)
أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني أحمد بن عبد الله بن علي بن

سويد بن منجوف عن ابن مؤرج عن أبيه قال
دخل أعشى بني أبي ربيعة على عبد الملك بن مروان فأنشده قوله
(رَأيتُك أمسِ خيرَ بني معدٍّ ... وأنتَ اليومَ خيرٌ منكَ أمسِ)
(وأنتَ غداً تَزيدُ الضِّعفَ ضِعفاً ... كذاك تزيد سادةُ عَبْدِ شَمْسِ)
فقال له من أي بني أبي ربيعة أنت قال فقلت له من بني أمامة قال فإن أمامة ولد رجلين قيسا وحارثة فأحدهما نجم والآخر خمل فمن أيهما أنت قال قلت أنا من ولد حارثة وهو الذي كانت بكر بن وائل توجته قال فقام بمخصرة في يده فغمز بها في بطني ثم قال يا أخا بني أبي ربيعة هموا ولم يفعلوا فإذا حدثتني فلا تكذبني فجعلت له عهدا ألا أحدث قرشيا بكذب أبدا
الأعشى يمدح أسماء بن خارجة
أخبرني عمي قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني أحمد بن الهيثم السلمي قال حدثني أبو فراس محمد بن فراس عن الكلبي قال
أتى أعشى بني أبي ربيعة أسماء بن خارجة فامتدحه فأعطاه وكساه فقال
(لأسماءَ بنُ خارجَةَ بنِ حِصْنٍ ... على عِبْءِ النَّوائِبِ والغَرامَهْ)
((أقَلُّ تَعَلُّلاً يوماً وبُخْلاً ... على السُّؤَّالِ من كَعْبِ بنِ مامَهْ
(ومَصْفَقَةُ الذي يَبْتاع بَيْعاً ... رَبيحاً فوقَ ناجِيةِ بنِ سامَهْ)
قال الكلبي جعل ناجية رجلا وهي امرأة لضرورة الشعر
قال أبو فراس فحدثني الكلبي عن خداش قال
دخل أعشى بني أبي ربيعة على سليمان بن عبد الملك وهو ولي عهد فقال
(أتَينا سُليمانَ الأميرَ نزورُه ... وكان امرأً يُحْبَى ويُكرمُ زائِرُهْ)
(إذا كُنتَ في النَّجْوى به مُتَفرِّداً ... فلا الجُودُ مُخْلِيه ولا البُخْلُ حاضِرُه)
(كِلا شافِعَيْ سُؤَّالِهِ من ضميره ... على البُخْلِ ناهِيه وبالجود آمِرُه)
فأعطاه وأكرمه وأمر كل من كان بحضرته من قومه ومواليه بصلته فوصلوه فخرج وقد ملأ يديه
صوت
(نَأَتْكِ أُمامةُ إلاّ سُؤالاَ ... وإلاّ خيالاً يُوافِي خَيالاَ)
(يُوافِي مع الليل مِيعادُها ... ويأبى مع الصُّبح إلا زيالاَ)
(فذلك يَبذُلُ من وُدَّها ... ولو شَهِدت لم تُواتِ النَّوالا)
(فقد ريعَ قَلبيَ إذْ أعلنُوا ... وقيل أجدَّ الخلِيطُ احْتِمالاَ)
الشعر لعمرو بن قميئة والغناء لحنين خفيف رمل بالوسطى من رواية احمد بن يحيى المكي وذكر الهشامي وغيره أنه من منحول يحيى إلى حنين
أخبار عمرو بن قميئة ونسبه
هو فيما ذكر أبو عمرو الشيباني عن أبي برزة عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار
قال ابن الكلبي ليس من العرب من له ولد كل واحد منهم قبيلة مفردة قائمة بنفسها غير ثعلبة بن عكابة فإنه ولد أربعة كل واحد منهم قبيلة شيبان بن ثعلبة وهو أبو قبيلة وقيس بن ثعلبة وهو أبو قبيلة وذهل بن ثعلبة وهو أبو قبيلة وتيم الله بن ثعلبة وهو أبو قبيلة
وكان عمرو بن قميئة من قدماء الشعراء في الجاهلية ويقال إنه أول من قال الشعر من نزار وهو أقدم من امرئ القيس ولقيه امرؤ القيس في آخر عمره فأخرجه معه إلى قيصر لما توجه إليه فمات معه في طريقه وسمته العرب عمرا الضائع لموته في غربة وفي غير أرب ولا مطلب
نسخت خبره من روايتي أبي عمرو الشيباني ومؤرج وأخبرني ببعضه الحسن بن علي عن أبيه عن ابن أبي سعد عن ابن الكلبي فذكرت ذلك في مواضعه ونسبته إلى رواته قالوا جميعا
كان عمرو بن قميئة شاعرا فحلا متقدما وكان شابا جميلا حسن الوجه مديد القامة حسن الشعر ومات أبوه وخلفه صغيرا فكفله عمه مرثد بن سعد وكانت سبابتا قدميه ووسطياهما ملتصقتين وكان عمه محبا له معجبا به رقيقا عليه
وأخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا أبو عمر العمري عن لقيط وذكر مثل ذلك سائر الرواة
أن مرثد بن سعد بن مالك عم عمرو بن قميئة كانت عنده امرأة ذات جمال فهويت عمرا وشغفت به ولم تظهر له ذلك فغاب مرثد لبعض أمره وقال لقيط في خبره مضى يضري بالقداح فبعثت امرأته إلى عمرو تدعوه على لسان عمه وقالت للرسول ائتني به من وراء البيوت ففعل فلما دخل أنكر شأنها فوقف ساعة ثم راودته عن نفسه فقال لقد جئت بأمر عظيم وما كان مثلي ليدعى لمثل هذا والله لو لم أمتنع من ذلك وفاء لأمتنعن منه خوف الدناءة والذكر القبيح الشائع عني في العرب قالت والله لتفعلن أو لأسوأنك قال إلى المساءة تدعينني ثم قام فخرج من عندها
وخافت أن يخبر عمه بما جرى فأمرت بجفنة فكفئت على أثر عمرو فلما رجع عمه وجدها متغضبة فقال لها مالك قالت إن رجلا من قومك قريب القرابة جاء يستامني نفسي ويريد فراشك منذ خرجت قال من هو قالت أما أنا فلا أسميه ولكن قم فاقتفد أثره تحت الجفنة فلما رأى الأثر عرفه
هروبه من عمه مرثد إلى الحيرة
قال مؤرج في خبره فحدثني أبو برزة وعلقمة بن سعد وغيرهما من بني قيس بن ثعلبة قالوا
وكان لمرثد سيف يسمى ذا الفقار فأتى ليضربه به فهرب فأتى الحيرة فكان عند اللخميين ولم يكن يقوى على بني مرثد لكثرتهم وقال لعمرو بن هند أنا القوم اطردوني فقال له ما فعلوا إلا وقد أجرمت وأنا أفحص عن أمرك فإن كنت مجرما رددتك إلى قومك فغضب وهم بهجائه وهجاء مرثد ثم أعرض عن ذلك ومدح عمه واعتذر إليه انتهى
وأما أبو عمرو فإنه قال
لما سمع مرثد بذلك هجر عمرا وأعرض عنه ولم يعاقبه لموضعه من قلبه فقال عمرو ويعتذر إلى عمه
(خليليَّ لا تَستَعْجِلا أن تَزَوَّدا ... وأنْ تجمعا شَمْلِي وتَنْتَظِرا غَدَا)

(فما لَبَثِي يوماً بسائِق مغْنَمِ ... ولا سُرْعتِي يوماً بسائِقة الرَّدى)
(وإن تُنْظِراني اليومَ أَقضِ لُبانةً ... وتستوجبا مَنَّا عليَّ وتُحْمدا)
(لعمرك ما نَفْسٌ بجِدٍّ رَشيدةٍ ... تؤامرني سُوءاً لأصرم مَرْثَدا)
(وإن ظهَرت مني قوارِصُ جَمَّةٌ ... وأفرعَ من لَوْمِي مِراراً وأصعدا)
(على غير جُرْمٍ أن أكون جَنَيْته ... سوى قولِ باغٍ كادَني فتَجهَّدا)
(لعَمري لَنِعْم المَرْءُ تدعو بِخَيْلِه ... إذا ما المُنادِي في المَقامةِ ندَّدا)
(عَظيمُ رَمادِ القِدْرِ لا مُتعبِّسٌ ... ولا مُؤيسٌ منها إذا هو أوقَدَا
(وإن صرَّحت كَحْلٌ وهَبَّت عَرِيَّةٌ ... من الرِّيح لم تَتْرُك من المال مِرْفدا)
(صَبرتُ على وَطْءِ المَوالي وخَطْبِهم ... إذا ضَنَّ ذُو القُربى عليهم وأخْمدا)
يعني أخمد نارِه بخلا وروي أجمدا المجمد البخيل
(ولم يحمِ فَرْجَ الحَيِّ إلا مُحافظٌ ... كريم المُحَيَّا ماجِدٌ غَيرُ أجْرَدا)
الأجرد الجعد اليد البخيل
حماد الراوية يرى أنه أشعر الناس
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل بن إسحاق عن الهيثم بن عدي قال
سأل رجل حمادا الراوية بالبصرة وهو عند بلال بن أبي بردة من أشعر الناس قال الذي يقول
(رَمَتْني بناتُ الدَّهْر من حَيثُ لا أرَى ... فما بالُ مَن يُرمَى ولَيْس بِرام)
قال والشعر لعمرو بن قميئة
قال علي بن الصباح في خبره عن ابن الكلبي
وعمر ابن قميئة تسعين سنة فقال لما بلغها
(كأنِّي وقد جاوزتُ تِسعينَ حِجَّةً ... خلَعتُ بها عَنِّي عِنانَ لِجامي)
(على الرَّاحَتَيْنِ مَرَّةً وعلى العَصا ... أنوءُ ثلاثاً بَعْدَهُنَّ قِيامِي)
((رمتْني بناتُ الدَّهر من حَيْثُ لا أرَى ... فما بالُ من يُرْمَى وليس بِرامِ
(فلو أنَّ ما أُرمَى بنَبلٍ رَمَيتُها ... ولكنَّما أُرمَى بغَير سِهامِ)
(إذا ما رآني النَّاسُ قالوا ألم يَكُن ... حَدِيثاً جَدِيدَ البَرْيِ غيرُ كَهامِ)
(وأفْنَي وما أُفنِي من الدهر ليلةً ... ولم يُفْنِ ما أفنيتُ سِلْكَ نِظامِ)
(وأهلكَني تأميلُ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ ... وتأميلُ عامٍ بعد ذاك وعامِ)
أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد بن إسحاق قرأت على أبي حدثنا الهيثم بن عدي عن مجالد عن الشعبي قال دخلت على عبد الملك بن مروان في علته التي مات فيها فقلت كيف تجدك يا أمير المؤمنين فقال أصبحت كما قال عمرو بن قميئة
(كأنِّي وقد جاوزتُ تِسعينَ حِجَّةً ... خَلَعْتُ بها عَنِّي عِنانَ لِجام)
(رمَتْني بناتُ الدَّهرِ من حَيْثُ لا أرَى ... فكيف بمن يُرْمَى وليس بِرامِ)
(فلو أنَّها نَبْلٌ إذاً لاتَّقَيْتُها ... ولكنَّما أُرمَى بغير سِهامِ)
(وأهلكَني تأميلُ يَومٍ ولَيْلَةٍ ... وتأميلُ عامٍ بعد ذاك وعامِ)
فقلت لست كذلك يا أمير المؤمنين ولكنك كما قال لبيد
(قامَتْ تَشَكَّى إليَّ الموتَ مُجْهِشةً ... وقد حملتُك سَبْعاً بعد سَبْعِينا)
(فإن تُزادِي ثَلاثاً تَبْلُغِي أمَلاً ... وفي الثّلاثِ وَفاءٌ للثمانِينا)
فعاش حتى بلغ التسعين فقال
(كأني وقد جاوزت تِسْعين حِجَّةً ... خلعتُ بها عن مَنْكِبيَّ ردائيا)
فعاش حتى بلغ عشرا ومائة سنة فقال
((أليسَ في مائةٍ قد عاشها رَجُلٌ ... وفي تكامل عَشْرٍ بعدها عِبَرُ
فعاش والله حتى بلغ مائة وعشرين سنة فقال
(وغَنِيتُ سَبْتاً قبل مجرَى داحِسٍ ... لو كان للنّفس اللجُوجِ خلُودُ)
ويروى دهرا قبل مجرى داحس فعاش حتى بلغ مائة وأربعين سنة فقال
(ولقد سَئِمتُ من الحياة وطُولِها ... وسؤالِ هذا النَّاسِ كَيْفَ لَبِيدُ)
فتبسم عبد الملك وقال لقد قويت من نفسي بقولك يا عامر وإني لأجد خفا وما بي من بأس وأمر لي بصلة وقال لي اجلس يا شعمي فحدثني ما بينك وبين الليل فجلست فحدثته حتى أمسيت وخرجت من عنده فما أصبحت حتى سمعت الواعية في داره
خروجه إلى قيصر
أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن طهمان السلمي عن إسحاق بن مرار الشيباني قال
نزل امرؤ القيس بن حجر ببكر بن وائل وضرب قبته وجلس إليه وجوه بكر بن وائل فقال لهم هل فيكم أحد يقول الشعر فقالوا ما فينا شاعر إلا شيخ قد خلا من عمره وكبر قال فأتوني به فأتوه بعمرو بن قميئة وهو شيخ فأنشده فأعجب به فخرج به معه إلى قيصر وإياه عني امرؤ القيس بقوله
(بَكَى صاحِبِي لَمَّا رأى الدَّرْبَ دُونَه ... وأيْقَن أنَّا لاحِقانِ بقَيْصَرا)
(فقُلتُ له لا تَبْكِ عينُك إنَّما ... نُحاولُ مُلْكاً أو نَموتَ فتُعْذَرَا)
وقال مؤرج في هذا الخبر إن امرأ القيس قال لعمرو بن قميئة في سفره ألا تركب إلى الصيد فقال عمرو
(شكَوتُ إليه أنَّني ذُو جلالةٍ ... وأنِّي كَبِيرٌ ذُو عِيالٍ مُجَنِّبُ)
(فقال لنا أهلاً وسهلاً ومرحباً ... إذا سرَّكم لحمٌ من الوَحْش فاركَبُوا)
صوت

(يا آحِ من حَرِّ الهَوَى إنَّما ... يَعرف حَرَّ الحُبِّ مَنْ جَرَّبا)
(أصبحتُ للحُبِّ أسِيراً فقد ... صعَّدني الحُبُّ وقد صوَّبا)
(لا شكَّ أنّي ميِّتٌ حَسْرَةً ... إن لم أزُر قَبْلَ غدٍ زَيْنَبا)
(تِلْكَ الّتي إن نِلْتُها لم أُبَلْ ... مَنْ شَرَّقَ الدَّهْرَ أو غَرَّبا)
الشعر للمؤمل بن جميل بن يحيى بن أبي حفصة بن عمرو بن مروان بن أبي حفصة والغناء لابن جامع رمل بالوسطى عن إبراهيم والهشامي

أخبار المؤمل بن جميل

قد مضى نسب أبي حفصة في أخبار مروان وكان يحيى بن أبي حفصة يكنى أبا جميل والمؤمل بن جميل يكنى أبا جميل وأم جميل أميرة بنت زياد بن هوذة بن شماس بن لؤي من بني أنف الناقة الذين يمدحهم الحطيئة وأم المؤمل شريفة بنت المذلق بن الوليد بن طلبة بن قيس بن عاصم المنقري وكان جميل يلقب قتيل الهوى ولقب بذلك لقوله
(قُلن من ذا فَقُلتُ هذا اليماني ... قَتيلُ الهوى أبو الخطابِ)
(قُلن بالله أنت ذاك يَقيناً ... لا تَقُل قولَ مازحٍ لَعابِ)
(إن تكن أنتَ هُو فأنت مُنانا ... خالياً كنتَ أو مع الأصحابِ)
أخبرني بذلك يحيى بن علي إجازة عن محمد بن إدريس بن سليمان عن أبيه وحكى أبو أحمد - رحمه الله - عن محمد بهذا الإسناد
أن أبا جميل اشترى غلاما مدنيا مغنيا مجلوبا من مولدي السند
على البراءة من كل عيب يقال له المطرز فدعا أصحابا له ذات يوم ودعا شيخين من أهل اليمامة مغنيين يقال لأحدهما السائب وللآخر شعبة فلما أخذ القوم مجلسهم ومعهم المطرز اندفع الشيخان فغنيا فقال المطرز لأبي جميل مولاه ويلك يا أبا جميل يابن الزانية أتدري ما فعلت ومن عندك فقال له ويلك أجننت مالك قال أما أنا فأشهد أنك تأمن مكر الله حين أدخلت منزلك هذين
قال وبعثه يوما يدعو أصدقاء له فوجدهم عند رجل من أهل اليمامة يقال له بهلول وهو في بستان له فقال لهم مولاي أبو جميل قد أرسلني أدعوكم وقد بلغتكم رسالته وإن شاورتموني أشرت عليكم فقالوا أشر علينا قال أرى ألا تذهبوا إليه فمجلسكم والله أنزه من مجلسه وأحسن فقالوا قد أطعناك قال وأخرى قالوا وما هي قال تحلفون علي ألا أبرح ففعلوا فأقام عندهم
وغضب عليه أبو جميل يوما فبطحه يضربه وهو يقول ويلك أبا جميل اتق الله في الله في أمري أما علمت ويلك خبري قبل أن تشتريني قال وكان يبعثه إلى بئر لهم عذبة في بستان له يستقي منها لهم ماء فكان يستقيه ثم يصبه لجيران لهم في حيهم ثم يستقي مكانه من بئر لهم غليظة فإذا أنكر مولاه قال له سل الغلمان إذا أتيت البستان هل استقيت منه فيسألهم فيجده صادقا
حدثنا يحيى بن محمد بن إدريس عن أبيه
أن يحيى بن أبي حفصة زوج ابنه جميلا شريفة بنت المذلق بن الوليد بن طلبة بن قيس بن عاصم فولدت له المؤمل بن جميل وكان شاعرا ظريفا غزلا وكان منقطعا إلى جعفر بن سليمان بالمدينة ثم قدم العراق فكان مع عبد الله بن مالك وذكره للمهدي فحظي عنده وهو الذي يقول في شكاة اشتكاها عبد الله بن مالك
((ظلّت عليَّ الأرضُ مُظلمةً ... إذْ قيلَ عبدُ الله قد وُعِكاَ
(يا ليتَ ما بكَ بي وإن تَلِفت ... نفسِي لذاك وقلَّ ذاكَ لكاَ)
وهو الذي يقول
(يا آحِ من حَرِّ الهَوَى إنَّما ... يَعرف حَرَّ الحُبِّ مَنْ جَرَّبا)
وذكر الأبيات التي تقدم ذكرها والغناء فيها
صوت
(إني وهَبتُ لظالِمي ظُلِمي ... وغفرتُ ذاكَ له على عِلْمِ)
(ما زال يَظلِمني وأَرحَمُه ... حتَّى رَثَيتُ له من الظّلم)
الشعر لمساور الوراق والغناء لإبراهيم بن أبي العبيس ثاني ثقيل بالوسطى أخبرني بذلك ذكاء وغيره

أخبار مساور ونسبه

هو مساور بن سوار بن عبد الحميد من آل قيس بن عيلان بن مضر ويقال إنه مولى خويلد من عدوان كوفي قليل الشعر من أصحاب الحديث ورواته وقد روى عن صدر من التابعين وروى عنه وجوه أصحاب الحديث
أخبرني علي بن طيفور بن غالب النسائي قال حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب قال حدثنا حماد بن أسامة عن مساور الوراق قال حدثني جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه قال
كأني أنظر إلى النبي وهو على ناقته يخطب وعليه عمامة سوداء قد أرخاها بين كتفيه
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا الأشنانداني عن الأصمعي قال
كان قوم يجلسون إلى ابن أبي ليلى فكتب قوما منهم لعيسى بن
موسى وأشار عليه أن يشغلهم ويصلهم فأتى مساور الوراق فكلمه أن يجعله فيهم فلم يفعل فأنشأ يقول
(أراكَ تُشير بأهل الصلاح ... فهل لكَ في الشاعر المُسلم)
(كَثيرِ العيالِ قليل السؤالِ ... عفٍّ مطاعِمُه مُعْدِمِ)
(يُقيم الصَّلاةَ ويؤْتي الزَّكاةَ ... وقد حَلَّق العامَ بالمَوْسِمِ)
(وأصبح واللهِ في قومِه ... وأمسى وليس بذي دِرْهَمِ)
قال فقال ابن أبي ليلى لا حاجة لنا فيه فقال فيه مساور أبياتا قال أبو بكر بن دريد كرهنا ذكرها صيانة لابن أبي ليلى
أخبرني محمد قال حدثني التوزي قال
كان مساور الوراق وحماد عجرد وحفص بن أبي بردة مجتمعين فجعل حفص يعيب شعر المرقش الأكبر فأقبل عليه مساور فقال
(لقد كان في عَيْنيك يا حَفْصُ شاغِلٌ ... وأنفٌ كَثِيلِ العَوْدِ عما تَتَبَّعُ)

(تَتَبَّعْتَ لحناً في كلام مُرَقِّشٍ ... ووجهُك مبنيٌّ على اللحن أجمع)
فقام حفص من المجلس خجلا وهاجر مدة
وصية مساور لابنه
نسخت من كتاب عبيد الله اليزيدي بخطه حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال كان مساور الوراق من جديلة قيس ثم من عدوان مولى لهم فقال لابنه يوصيه
(شمِّر ثيابَك واستعدَّ لقائلٍ ... واحْكُكْ جَبينَك للقضاء بثُومِ)
(إنَّ العهودَ صَفَتْ لكل مُشمِّرٍ ... دَبِرِ الجبينِ مُصَفَّرٍ موسومِ)
(أحسِنْ وصاحِبْ كُلَّ قارٍ ناسكٍ ... حسنِ التّعهُّد للصلاة صَؤُومِ)
(من ضَرْبِ حَمَّادٍ هُناك ومِسْعَرٍ ... وسِمَاكٍ العَتَكِيّ وابنِ حَكِيمِ)
(وعليك بالغَنَويّ فاجلِسْ عنده ... حتى تصيبَ وَديعةً لِيَتِيمِ)
(تَغنيك عن طلب البُيوع نَسيئةً ... وتكفّ عنك لِسانَ كُلِّ غَرِيمِ)
(وإذا دخلت على الرَّبيعِ مُسلِّماً ... فاخْصُصْ شَبابَةَ منك بالتَّسْلِيمِ)
قال ففعل ما أوصاه به أبوه فلم يلبث مساور أن ولاه عيسى بن موسى عملا ودفع إليه عهده فانكسر عليه الخراج فدفع إلى بطين صاحب عذاب عيسى يستأديه فقال مساور
(وجدت دواهِرَ البَقَّال أهْنَى ... من الفُرْنيِّ والجَدْيِ السَّمين)
(وخَيراً في العواقِب حين تُبلى ... إذا كان المَردُّ إلى بَطِين)
(فكُنْ يا ذا المُطِيفِ بقاضِيَيْنا ... غداً من عِلمِ ذاك على يَقين)
((وقُلْ لهما إذا عَرَضا بعهدٍ ... بَرئتُ إليّ عُرَيْنَةَ من عرين
(فإنك طالما بَهْرجْتَ فيها ... بمثل الخُنْفُساء على الجَبين)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال
مر مساور الوراق بمقبرة حميد الطوسي وكان له صديقا فوقف عليها مستعبرا وأنشأ يقول
(أبا غانِمٍ أمَّا ذَرَاكَ فواسِعٌ ... وقَبرُكَ مَعمورُ الجوانبِ مُحْكَمُ)
(وما يَنْفَعُ المقبورَ عُمْرانُ قَبْرِه ... إذا كان فيه جِسمُهُ يتَهَدَّمُ)
أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا محمد بن الصباح عن سفيان بن عيينة ونسخت هذا الخبر أيضا من بعض الكتب أن حامد بن يحيى البلخي حدث عن سفيان بن عيينة وهذه الرواية أتم وقال
لما سمع مساور الوراق لغط أصحاب أبي حنيفة وصياحهم أنشأ يقول
(كنَّا من الدِّين قبلَ اليوم في سَعةٍ ... حتى بُلِينا بأصحاب المَقاييس)
(قومٌ إذا اجتمعوا صَجُّوا كأنّهمُ ... ثعالبٌ ضَبَحتْ بين النَّواويس)
فبلغ ذلك أبا حنيفة وأصحابه فشق عليهم وتوعدوه فقال أبياتا ترضيهم وهي وهي
((إذا ما النَّاس يوماً قايسُونا ... بآبدَةٍ من الفُتْيا طَريفَهْ
(أتيْناهُم بِمقْياسٍ ظَريفٍ ... مُصيبٍ من قِياسِ أبي حَنيفَهْ)
(إذا سَمِعَ الفَقِيهُ بها وَعاها ... وأثبتها بِحِبْرٍ في صَحيفَهْ)
فبلغ أبا حنيفة فرضي قال مساور ثم دعينا إلى وليمة بالكوفة في يوم شديد الحر فدخلت فلم أجد لرجلي موضعا من الزحام وإذا أبو حنيفة في صدر البيت فلما رآني قال إلي مساور فجئت فإذا مكان واسع وقال لي اجلس فجلست فقلت في نفسي نفعتني أبياتي اليوم قال وكان إذا رآني بعد ذلك يقول لي ها هنا ها هنا ويوسع لي إلى جنبه ويقول إن هذا من أهل الأدب والفهم انتهى
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو المعمر عبد الأول بن مزيد أحد بني أنف الناقة قال
كان مساور الوراق لا يضيع حقا لجار له فماتت بنته فلم يشهدها من جيرانه إلا نفر يسير فقال مساور في ذلك
(تَغيَّب عنّي كُلُّ جافٍ ضرورةً ... وكلّ طُفَيلِي من القومِ عاجِز)
(سَريعٍ إذا يُدْعَى ليومِ وَليمةٍ ... بطيءٍ إذا ما كان حَمْلُ الجَنائِز)
أخبرني محمد بن الحسن قال حدثنا عبد الأول قال
قدم جار لمساور الوراق من سفر فجاءه يسلم عليه فقال يا جارية هاتي لأبي القاسم غداء فجاءت برغيف فوضعته على الخوان فمد يده يأكل مع مساور وقال له يا أبا القاسم كل من هذا الخبز فما أكلت خبزا أطيب منه فقال مساور في ذلك
((ما كنتُ أحسبُ أنَّ الخُبزَ فاكهةٌ ... حتّى رأيتُك يا وَجْهَ الطَّبَرْزِين
(كأنَّ لِحيَته في وجهه ذَنَبٌ ... أو شِعْرَةٌ فوق بَظرٍ غير مَخْتونِ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال دخل مساور الوراق على أبي العيص الجرمي يعوده وكان صديقه فكلمه فلم يجبه فبكى مساور جزعا عليه وأدنى رأسه منه يكلمه فقال أبو العيص
(أفي كلّ عامٍ مَرْضةٌ بعد نَقْهةٍ ... وتَنْعَى ولا تُنْعَى متى ذا إلى متى)
(سيوشك يومٌ أن يجيء ولَيْلَةٌ ... يَسوقان حَتْفاً راحَ نحوك أو غَدَا)
(فتُمسي صَرِيعاً لا تُجيب لدَعوةٍ ... ولا تَسْمع الدَّاعي وإن جَدَّ في الدُّعا)
ثم لم يلبث أن مات رحمه الله
صوت
(تَنامِينَ عن لَيْلِي وأسهَرُهُ وَحْدِي ... وأنهَى جُفوني أن تَبُثَّكِ ما عِنْدِي)
(فإن كُنتِ ما تدْرينَ ما قد فعلتِه ... بنا فانظُري ماذا على قاتل العَمْدِ)
الشعر لسعيد بن حميد الكاتب والغناء لعريب خفيف ثقيل مطلق بالسبابة في مجرى الوسطى
أخبار سعيد بن حميد ونسبه
سعيد بن حميد بن سعيد بن حميد بن بحر يكنى أبا عثمان من أولاد الدهاقين وأصله من النهروان الأوسط وكان هو يقول إنه مولى بني سامة بن لؤي من أهل بغداد بها ولد ونشأ ثم كان يتنقل في السكنى بينها وبين سر من رأى كاتب شاعر مترسل حسن الكلام فصيح وكان أبوه وجها من وجوه المعتزلة فخالف أحمد بن أبي دواد في بعض مذهبه فأغرى

به المعتصم وقال إنه شعوبي زنديق فحبسه مدة طويلة ثم بانت براءته له أو للواثق بعده فخلى سبيله وكان شاعرا أيضا فكان يهجو أحمد بن
أبي دواد وأنشدنيها جماعة من أصحابنا قال
(لقد أصبحتَ تُنْسبِ في إيادٍ ... بأن يُكْنَى أبوكَ أبا دُوادِ)
(فلو كان اسمُه عمرو بن معْدِي ... دُعِيت إلى زُبيْدٍ أو مُرادِ)
(لئن أفسدْتَ بالتَّخويف عيْشِي ... لما أصلحتَ أصلَك في إيادِ)
(وإن تكُ قد أصبتَ طريف مالٍ ... فبُخْلُكَ باليَسير من التِّلادِ)
فذكر محمد بن موسى أن أبا يوسف بن الدقاق اللغوي أخبره أن حميد بن سعيد بن حميد دفع إليه ابنه سعيدا وهو صبي فقال له امض به معك إلى مجلس ابن الأعرابي قال فحضرناه ذات يوم فأنشدنا أرجوزه لبعض العرب فاستحسنتها ولم تكن معنا محبرة نكتبها منها فلما انصرفنا قلت له فاتتنا هذه الآرجوزه فقال لم تفتك أتحب أن أنشدكها قلت نعم فأنشدنيها وهي نيف وعشرون بيتا قد حفظها عنه وإنما سمعها مرة واحدة فلقيت أباه من غد فقال لي كيف رأيت سعيدا قلت له إنك أوصيتني به وأنا أسألك الآن أن توصيه بي فضحك وسألني عن الخبر فأعلمته فسر به
خبره مع أبي العباس بن ثوابة
أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني ابن أبي المدور قال
دخل سعيد بن حميد يوما على أبي العباس بن ثوابة وكان أبو العباس يعاتبه على الشغف بالغلمان المرد فرأى على رأسه غلاما أمرد حسن
الوجه عليه منطقة وثياب حسان فقال له يا أبا العباس
(أزعمْتَ أنَّك لا تَلوطُ فقُل لنا ... هذا المُقَرْطَقُ قائماً ما يَصنعُ)
(شهِدت مَلاحتُه عليك بريبةٍ ... وعلى المُريبِ شَواهدٌ لا تُدفَعُ)
فضحك أبو العباس وقال خذه لا بورك لك فيه حتى نستريح من عتبك
أخبرني عمي رحمه الله قال قال لي محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات الكاتب كان سعيد بن حميد يهوى غلاما له من أولاد الموالي فغاب عنه مدة ثم جاءه مسلما فقال له غبت عني هذه المدة ثم تجيئني فلا تقيم عندي فقال له قد أمسينا فقال تبيت قال لا والله لا أقدر ولم يزل به حتى اتفقا على أنه إذا سمع أذان العتمة انصرف فقال له قد رضيت ووضع النبيذ فجعل سعيد يحث السقي بالأرطال فلما قرب وقت العتمة أخذ رقعة فكتب فيها إلى إمام المسجد وهو مؤذنه قوله
(قل لداعي الفِراق أخِّرْ قليلا ... قد قَضيْنا حَقَّ الصّلاةِ طويلا)
(أخر الوقْتَ في الأذانِ وقدِّم ... بعدها الوقت بكرةً وأصيلا)
(ليس في ساعةٍ تُؤخِّرها وزْرٌ ... فنحيا بها وتأتي جميلا)
(فتُراعي حقَّ الفُتُوَّةِ فينا ... وتُعافَى من أن تكون ثقيلا)
فلما قرأ المؤذن الرقعة ضحك وكتب إليه يحلف أنه لا يؤذن ليلته تلك العتمة وجعل الفتى ينتظر الأذان حتى أمسى وسمع صوت الحارس فعلم أنها حيلة وقعت عليه وبات في موضعه وقال سعيد في ذلك
((عرَضتُ بالحُبِّ له وعرَّضا ... حتى طَوَى قلبي على جَمْر الغَضَى
(وأظْهرتْ نفسي عن الدَّهْر الرِّضا ... ثم جَفاني وتولَّى مُعرِضا)
(لم ينقضِ الحبُّ بَلَى صبري انقضى ... فِداكَ مَنْ ذاق الكرَى أو غَمَّضَا)
(حتى طرقتَ فنسيتُ ما مضى ... سألتُه حُوَيْجَةً فأعرضا)
(وقال لا قولَ مُجيبٍ برضَا ... فكان ما كان وكابرْنا القضا)
في هذه الأبيات هزج لأحمد بن صدقة أخبرني بذلك ذكاء وجه الرزة
وجدت في بعض الكتب
حدثني أحمد بن سليمان بن وهب أنه كان في مجلس فيه سعيد بن حميد فلما سكروا قام سعيد قومة بعد العصر فلم نشعر إلا وقد أخذ ثيابه فلبسها وأخذ بعضدتي الباب وأنشأ يقول
(سلامٌ عليكم حالت الرَّاحُ بيننا ... وألوتْ بنا عن كل مرأىً ومَسْمَعِ)
(ولم يَبْقَ إلا أن يَميلَ بنا الكرَى ... ويجمع نومٌ بين جَنْبٍ ومضْجعِ)
فقام له أهل المجلس وقالوا يا سيدنا اذهب في حفظ الله وفي ستره فانصرف وودعهم
اعتذاره لفضل الشاعرة وإخباره معها
حدثني محمد بن الطلاس أبو الطيب قال حدثني عبد الله بن طالب الكاتب قال
قرأت رقعة بخط سعيد بن حميد إلى فضل الشاعرة يعتذر إليها من تغير ظنته به وفي آخرها
((تَظنُّون أني قد تبدّلتُ بعدكم ... بديلاً وبعضُ الظَّنِّ إثمٌ ومُنكَرُ)
(إذا كان قلبي في يديكِ رَهينةً ... فكيف بلا قلب أصافي وأهْجُرُ)
في هذين البيتين لابن القصار الطنبوري رمل وفيهما لمحمد قريض خفيف رمل
أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال حدثني أبو علي المادراني أنه كان في مجلس فيه كعب جارية أبي عكل المقين وكان بعض اهل المجلس يهواها قال فدخل إلينا سعيد بن حميد فقام إليه أهل المجلس جميعا سوى الجارية والفتى فأخذ سعيد الدواة فكتب رقعة وألقاها في حجرها فإذا فيها قوله
(ما على أحسن خلْق ... الله أن يحسنَ فِعلُهْ)
(بأبِي أنتَ وأمِّي ... من مَليكٍ قَلَّ عَدْله)
(وبَخيلٍ بالهوَى لو ... كان يُسلَى عنه بخلُه)
(أكثرَ العاذِلُ في حُبِّك ... لو ينفع عَذْله)
(فهو مَشْغولٌ بعذْلِي ... وفؤادي بك شُغْلُه)
(أُكثِرُ الشكْوى وأستَعدي ... على مَنْ قَلَّ بذْله)
فوثبت الجارية فقبلت رأسه وجلست إلى جنبه فقال الرجل الذي كان يهواها هذا والله كلام الشياطين ورقية الزنا وبهذا

يتم الأمر أما أنا فإني
أشهدكم لا قرأت اليوم في صلاتي غير هذه الأبيات لعلها تنفعني فضحك سعيد وقال بحياتي قومي فارجعي إليه حتى تكون الأبيات قد نفعته قبل أن يقرأها في صلاته وسريني بذلك فقامت فرجعت إلى موضعها
قال علي بن العباس وحدثني أبو علي المادراني أنه كان عنده يوما فدخلت إليه جارية - كان يهواها - غفلة على غير وعد فسر بذلك وقال لها قد كنت على عتابك فأما الآن فلا فقالت أما العتاب فلا طاقة لي به ووالله ما جئتك إلا عند غفلة البواب فقال سعيد في ذلك
(زارك زَورٌ على ارتقابِ ... مُغتَنِماً غَفْلَةَ الحُجّابِ)
(مستتراً بالنّقابِ يبدُو ... ضِياءُ خدّيه في النّقاب)
(كالشّمسِ تبدو وقد طَواها ... دُونك سِتْرٌ من السَّحابِ)
(قد كان في النفس منك عَتْبٌ ... يدعو إلى شدَّة اجْتِنابِ)
(فمِلتُ بالعَتْب عن حبيبٍ ... يَضعُف عن موقف العِتابِ)
(والذَّنبُ منه وأنت تَخْشَى ... في هَجْره صولةَ العِقابِ)
أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن داود قال كان أبي يستحسن قول سعيد بن حميد
(تَظنُّون أنّي قد تَبَدَّلْتُ بعدكم ... بدَيلاً وبعَضُ الظَّنِّ إثمٌ ومُنْكَرُ)
(إذا كان قَلْبي في يَدَيْكِ رَهِينةً ... فكيف بلا قَلْبٍ أُصافِي وأهجُرُ)
ويقول لئن عاش هذا الغلام ليكونن له في الشعر شأن
في هذين البيتين غناء من خفيف الرمل وذكر قريض أنه له
أخبرني ابن أبي طلحة قال حدثني إسحاق بن مسافر أنه كان عند سعيد بن حميد يوما إذ دخلت عليه فضل الشاعرة على غفلة فوثب إليها وسلم
عليها وسألها أن تقيم عنده فقالت قد جاءني وحياتك رسول من القصر فليس يمكنني الجلوس وكرهت أن أمر ببابك ولا أراك فقال سعيد من وقته على البديهة
(قَرُبتِ ولا نَرْجُو اللّقاء ولا نَرَى ... لنا حِيلَةً يُدْنِيكِ منّا احْتيالُها)
(فأصبحْتِ كالشمس المُنيرةِ ضَوءها ... قريبٌ ولكن أيْنَ منّا مَنَالُها)
(كَظاعِنةٍ ضَنَّتْ بها غُرْبةُ النّوَى ... علينا ولكن قد يُلِمُّ خيالُها)
(تُقرِّبها الآمالُ ثم تَعُوقُها ... مُماطَلة الدّنيا بها واعتلالُها)
(ولكنها أُمنيّةٌ فلعلها ... يجودُ بها صَرْفُ النّوَى وانْتِقالُها)
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود قال
تغاضب سعيد بن حميد وفضل الشاعرة أياما ثم كتب إليها
(تعالَيْ نُجدّدُ عهدَ الرّضا ... ونصفح في الحُبِّ عمَّا مضى)
(ونَجري على سُنَّةِ العاشقين ... ونضمن عني وعنكِ الرِّضا)
(ويبذُلُ هذا لهذا هواهُ ... ويصبر في حُبِّه للقضا)
(ونخضع ذُلاًّ خضوع العَبيدِ ... لمولىً عزيزٍ إذا أعرضا)
(فإنّيَ مُذْ لَجَّ هذا العِتابُ ... كأنّي أبطنْتُ جَمرَ الغضَى)
فصارت إليه وصالحته
في هذه الأبيات لهاشم بن سليمان ثقيل أول بالوسطى وفيها لابن القصار خفيف رمل
أخبرني ابن أبي طلحة قال حدثنا أبو العباس بن أبي المدور قال
بات سعيد بن حميد عند أبي الفضل بن أحمد بن إسرائيل واصطبحا
على غناء حسن كان عندهما فجاءه رسول الحسن بن مخلد وقد أمر ألا يفارقه لأمر مهم فقام فلبس ثيابه وأنشأ يقول
(يا ليلةً باتَ النُّحوسُ بَعيدةً ... عنها على رَغْمِ الرَّقيب الرَّاصِدِ)
(تدعُ العَواذِلَ لا يقمْن لِحاجةٍ ... وتقوم بهجتُها بِعذرِ الحاسدِ)
(ضَنَّ الزّمانُ بها فلمَّا نِلْتُها ... ورَدَ الفراقُ فكان أقبحَ وارِدِ)
(والدَّمعُ ينطق للضمير مُصدِّقاً ... قَوْلَ المُقِرّ مُكذِّباً للجاحدِ)
أخبرني ابن أبي طلحة قال حدثني أبو العباس بن أبي المدور قال
كان سعيد بن حميد صديقا لأبي العباس بن ثوابة فدعاه يوما وجاءه رسول فضل الشاعرة يسأله المصير إليها فمضى معه وتأخر عن أبي العباس فكتب إليه رقعة يعاتبه فيها معاتبة فيها بعض الغلظة فكتب إليه سعيد
(أقلِلْ عِتابكَ فالبقاءُ قليلُ ... والدهرُ يَعدِل تارةً ويَميلُ)
(لم أبكِ من زَمنٍ ذَممتُ صروفَه ... إلا بكيتُ عليه حين يَزولُ)
(ولِكلِّ نائبةٍ ألمَّت مُدَّةٌ ... ولكلِّ حالٍ أقبلت تحويلُ)
(والمنتمون إلى الإخاء جماعةٌ ... إن حصّلوا أفناهم التَّحصيلُ)
(ولعلَّ أحداثَ الليالي والرّدى ... يَوْماً ستَصْدَعُ بيننا وتحولُ)
(فلئن سبقتُ لتبكِينَّ بحسرة ... وليكثُرن عليَّ منكَ عويلُ)
(ولتُفجَعَنَّ بمخلصٍ لك وامقٍ ... حبلُ الوفاء بحبله موصولُ)
(وليذهبنَّ جمالُ كلِّ مروءة ... وليعفُونَّ فِناؤها المأهولُ)
(ولئن سبقْتَ ولا سبَقْتَ ليمضِيَن ... مَنْ لا يشاكله لديَّ عديلُ)
((وأراك تَكْلَف بالعتاب وودُّنا ... باقٍ عليه من الوفاء دليلُ)
(ودٌّ بدا لذَوي الإخاء جميلُه ... وبدت عليه بهجةٌ وقبولُ)
(ولعلَّ أيام الحياة قصيرةٌ ... فَعلامَ يكثُر عتبنا ويطولُ)
أخبرني الطلحي قال حدثني أبو علي بن أبي الرعد أن سعيد بن حميد كان يهوى مظلومة جارية الدقيقي فبلغه أنها

تواصل بعض أعدائه فهجرها مدة فكتبت إليه تعاتبه وتتشوقه فكتب إليها
(أمري وأمرُك شيءٌ غير مُتَّفق ... والهجر أفضل من وصلٍ على مَلَق)
(لا أكْذِبُ اللَّه ما نفسِي بسالِيَةٍ ... ولا خليقةُ أهل الغدْرِ مِنْ خُلُقِي)
(فإن وثقتِ بُودٍّ كنتُ أبذُله ... فعاوِدِي سوءَ ظن بي ولا تَثِقِي)
وذكر اليوسفي الكاتب أنه حضر سعيدا في منزل بعض إخوانه وعندهم هبة المغنية وكان سعيد يتعشقها ويهيم بها فغضبت عليه يوما لبعض الكلام على النبيذ ودخلت بعد ذلك وهو في القوم فسلمت عليهم سواه فقالوا لها أتهجرين أبا عثمان فقالت أحب أن تسألوه ألا يكلمني فقال سعيد
(اليوم أيقنتُ أنّ الهجرَ مَتلَفَةٌ ... وأنَّ صاحبَه منه على خَطَرِ)
(كيف الحياة لِمَن أمسى على شَرَفٍ ... من المنيّة بين الخَوْفِ والحَذَرِ)
(يلومُ عَينَيه أحياناً بذَنْبهما ... ويحمِل الذنبَ أحياناً على القَدَرِ)
(تنأوْن عنه وينأى قلبُه معكم ... فقلبُه أبداً منه على سَفَرِ)
فوثبت إليه وقبلت رأسه وقالت لا أهجرك والله أبدا ما حييت
أخبرني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال
غضبت فضل الشاعرة على سعيد بن حميد فكتب إليها
(يا أيها الظالم ما لِي ولَكْ ... أهكذا تَهْجر مَنْ واصَلَكْ)
(لا تصرفِ الرّحمة عن أهلِها ... قد يعطِف المولَى على منْ مَلَّكْ)
(ظلمتَ نفساً فيكَ عَلّقتُها ... فدَارَ بالظُّلم عليَّ الفَلَكْ)
(تباركَ اللّه فما أعلم اللّه ... بما ألقَى وما أغفلَكْ)
فراجعت وصله وصارت إليه جوابا للرقعة
في هذه الأبيات لعريب ثاني ثقيل وهزج عن ابن المعتز وأخبرني ذكاء وجه الرزة أن الثقيل لأحمد بن أبي العلاء
أخبرني الطوسي الطلحي قال حدثنا محمد بن السري أن سعيد بن حميد كان في مجلس الحسن بن مخلد إذ جاءه الغلام برقعة فضل الشاعرة تشكو فيها شدة شوقها فقرأها وضحك فقال له الحسن بن مخلد بحياتي عليك أقرئنيها فدفعها إليه فقرأها وضحك وقال له قد وحياتي ملحت فأجب فكتب إليها
(يا واصفَ الشوقِ عندي من شواهده ... قلبٌ يهيم وعَينٌ دَمعُها يكِفُ)
(والنّفسُ شاهدةٌ بالوُدّ عارفةٌ ... وأنفُسُ الناس بالأهواء تأتلفُ)
(فكن على ثِقَةٍ مِنّي وبيِّنةٍ ... إنّي على ثقةٍ من كل ما تصِف)
أخبرني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال
لما عشقت فضل الشاعرة بنان بن عمرو المغني وعدلت عن سعيد بن حميد إليه أسف عليها وأظهر تجلدا ثم قال فيها
(قالوا تَعزّ وقد بانوا فقلتُ لهم ... بانَ العزاءُ على آثار مَنْ بانا)
(وكيف يملكُ سلواناً لحبِّهم ... مَنْ لم يُطِق للهوى سَتْراً وكتمانا)
(كانت عزائمُ صَبْري أستعين بها ... صارتْ عليّ بحمد اللّه أعوانا)
(لا خَيْرَ في الحبِّ لا تبدو شواكِلُهُ ... ولا تَرَى منه في العينين عُنوانا)
قال أبو الحسن جحظة وغنى فيه بعض المحدثين لحنا حسنا وأظنه عنى نفسه
أخبرني الطلحي قال حدثني أبو عيسى الكاتب أن أبا هفان بلغه عن سعيد بن حميد كلام فيه جفاء وطعن على شعره فتوعد بالهجاء وكان الحاكي عن ذلك كاذبا فبلغ سعيدا ما جرى فكتب إلى أبي هفان
(أمسَى يُخَوِّفني العبديُّ صولَتَه ... وكيف آمنُ بأسَ الضَّيْغَم الهَصِر)
(من ليس يُحرزُني من سيفِه أجلِي ... وليس يمنعني مِنْ كيده حذَري)
(ولا أُبارزُه بالأمر يَكرهه ... ولو أُعِنْتُ بأنصار من الغِيَر)
(له سِهامٌ بلا ريشٍ ولا عَقَبٍ ... وقَوْسُه أبداً عُطْلٌ من الوَتر)
(وكيف آمنُ مَنْ تَجرِي له غَرضٌ ... وسَهمُه صائبٌ يَخْفَى عن البَصر)
أخبرني الطلحي قال حدثني محمد بن السري أنه سار إلى سعيد بن حميد وهو في دار الحسن بن مخلد في حاجة له قال فإني عنده إذ جاءته رقعة فضل الشاعرة وفيها هذان البيتان
صوت
(الصبر ينقُص والسَّقامُ يزيدُ ... والدّارُ دانِيةٌ وأنتَ بعيدُ)
(أشكوك أم أشكو إليك فإنه ... لا يستطيع سِواهُما المجهودُ)
أنا يا أبا عثمان في حال التلف ولم تعدني ولا سألت عن خبري
فأخذ بيدي فمضينا إلينا فسأل عن خبرها فقالت هو ذا أموت وتستريح مني فأنشأ يقول
(لا مُتِّ قبلِي بل أحيا وأنتِ معاً ... ولا أعيشُ إلى يومِ تَمُوتِينا)
(لكن نَعيش بما نَهوَى ونأمُلُه ... ويُرغِمُ اللّه فينا أنْفَ واشِينا)
(حتى إذا قدَّر الرحمنُ ميتتنا ... وحان من أمرنا ما ليس يَعْدُونا)
(مِتْنا جميعاً كغُصْنَيْ بانةٍ ذَبُلا ... مِنْ بعد ما نَضَرا وَاستوسقا حِينا)
(ثمَّ السَّلام علينا في مضاجعنا ... حتى نعودَ إلى ميزان مُنْشِينا)
أخبرني إبراهيم بن القاسم بن زرزور قال قال لي أبي
كانت فضل الشاعرة تتعشق سعيد بن حميد مدة طويلة ثم تعشقت بنانا وعدلت عنه فقال فيها قصيدته الدالية التي يقول فيها
(... تَنامينَ عن ليلي وأسهَرُه وَحدِي)
فلم تتعطف عليه وبلغها بعد ذلك أنه قد عشق جارية من جواري القيان فكتبت إليه
((يا عاليَ السنِّ سَيِّءَ الأدَبِ ... شِبتَ وأنتَ الغُلام في الطَّرِبِ)
(ويحك إنَّ القِيانَ كالشَّرك المَنْصوب ... بينَ الغُرور والعَطَبِ)

(لا تَصدَّيْنَ للفقير ولا ... يَطْلُبْن إلا معادِنَ الذهبِ)
(بينا تَشكَّى هواكِ إذ عدلَتْ ... عن زفراتِ الشّكْوى إلى الطَّلبِ)
(تَلْحَظ هذا وذَاكَ وَذا ... لحظ مُحِبٍّ وفِعْلَ مُكْتسبِ)
أخبرني إبراهيم قال وحدثني أبي قال
افتصد سعيد بن حميد فسألتني فضل الشاعرة وسألت عريب أن نمضي إليه ففعلنا وأهدت إليه هدايا فكان منها ألف جدى وحمل وألف دجاجة فائقة وألف طبق ريحان وفاكهة ومع ذلك طيب كثير وشراب وتحف حسان فكتب إليها سعيد إن سروري لا يتم إلا بحضورك فجاءته في آخر النهار وجلسنا نشرب فاستأذن غلامه بنان فأذن له فدخل إلينا وهو يومئذ شاب طرير حسن الوجه حسن الغناء نظيف الثياب شكل فذهب بها كل مذهب وأقبلت عليه بحديثها ونظرها فتشمز سعيد واستطير غضبا وتبين بنان القصة فانصرف وأقبل عليها سعيد يعذلها ويؤنبها ساعة ثم أمسك فكتبت إليه
(يا من أطلتُ تَفرُّسِي ... في وَجْهه وتَنفُّسِي)
(أفديك من مُتدلِّلٍ ... يُزْهَى بقَتلِ الأنفُسِ)
(هَبْني أسأتُ وما أسأْتُ ... بَلَى أُقِرُّ أنا المُسِي)
(أحْلفتَنِي ألاَّ أُسارق ... نَظْرةً في مَجْلِسي)
(فنظرتُ نَظرةَ مُخطِىءٍ ... أتْبعْتُها بتَفَرُّسِ)
((ونَسيتُ أنّي قد حَلَفْتُ ... فما عُقوبةُ مَنْ نسي
فقام سعيد فقبل رأسها وقال لا عقوبة عليه بل نحتمل هفوته ونتجافى عن إساءته وغنت عريب في هذا الشعر هزجا فشربنا عليه بقية يومنا ثم افترقنا وأثر بنان في قلبها وعلقت به فلم تزل حتى واصلته وقطعت سعيدا
وجدت في بعض الكتب عن عبد الله بن المعتز قال قال لي إبراهيم بن المهدي
كانت فضل الشاعرة من أحسن خلق الله خطا وأفصحهم كلاما وأبلغهم في مخاطبة وأثبتهم في محاورة فقلت يوما لسعيد بن حميد أظنك يا أبا عثمان تكتب لفضل رقاعها وتقيدها وتخرجها فقد أخذت نحوك في الكلام وسلكت سبيلك فقال لي وهو يضحك ما أخيب ظنك ليتها تسلم مني ولا آخذ كلامها ورسائلها والله يا أخي لو أخذ أفاضل الكتاب وأماثلهم عنها لما استغنوا عن ذلك
صوت
(كلُّ حَيٍّ لاقِي الحِمام فَمُودِي ... ما لِحَيٍّ مُؤمِّلٍ مِنْ خُلودِ)
(لا تَهابُ المَنونُ شيئاً ولا تُبْقِي ... على والدٍ ولا مَولُودِ)
الشعر لابن مناذر والغناء لبنان ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى من كتابه الذي جمع فيه صنعته وفيه لساجي جارية عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ثقيل أول أيضا على مذهب النوح ابتداؤه نشيد

أخبار ابن مناذر ونسبه

هو محمد بن مناذر مولى بني صبير بن يربوع ويكنى ابا جعفر وقيل إنه كان يكنى أبا عبد الله
ووجدت في بعض الكتب رواية عن ابن حبيب أنه كان يكنى أبا ذريح وقد كان له ابن يسمى ذريحا فمات وهو صغير وإياه عنى بقوله
(كأنَّك للمنايا يا ... ذَريحُ اللهُ صَوَّركَا)
(فناطَ بوَجْهك الشِّعْرَى ... وبالإكليل قَلَّدكَا)
ولعله اكتنى به قبل وفاته
وقال الجاحظ كان محمد بن مناذر مولى سليمان القهرمان وكان سليمان مولى عبيد الله بن أبي بكرة مولى رسول الله وكان أبو بكرة
عبدا لثقيف ثم ادعى عبيد الله بن أبي بكرة أنه ثقفي وادعى سليمان القهرمان أنه تميمي وادعى ابن مناذر أنه صليبة من بني صبير بن يربوع فابن مناذر مولى مولى مولى وهو دعي مولى دعي وهذا ما لا يجتمع في غيره قط ممن عرفناه وبلغنا خبره

كان فصيحا مقدما في العلم باللغة

ومحمد بن مناذر شاعر فصيح مقدم في العلم باللغة وإمام فيها وقد أخذ عنه أكابر أهلها وكان في أول أمره يتأله ثم عدل عن ذلك فهجا الناس وتهتك وخلع وقذف أعراض أهل البصرة حتى نفي عنها إلى الحجاز فمات هناك وهذه الأبيات يرثي بها ابن مناذر عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي وكان عبد الوهاب محدثا جليلا وقد روى عنه وجوه المحدثين وكبراء الرواة وكان ابن مناذر يهوى عبد المجيد هذا فكان في أيام حياته مستورا متألها جميل الأمر فلما مات عبد المجيد حال عن جميع ما كان عليه وأخبارهما تذكر في مواضعها
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال
كان ابن مناذر مولى صبير بن يربوع وكان إماما في علم اللغة وكلام العرب وكان في أول أمره ناسكا ملازما للمسجد كثير النوافل جميل الأمر إلى أن فتن بعبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي فتهتك بعد ستره وفتك بعد نسكه ثم ترامى به الأمر بعد موت عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي إلى أن شتم الأعراض وأظهر البذاء وقذف المحصنات ووجبت عليه حدود فهرب إلى مكة وبقي بها حتى مات
وكان يجالس سفيان بن عيينة فيسأله سفيان عن معاني حديث النبي فيخبره بها ويقول له كذا وكذا مأخوذ من كذا فيقول سفيان كلام العرب بعضه يأخذ برقاب بعض قال وأدرك المهدي ومدحه ومات في أيام المأمون
أخبرني علي بن سليمان قال حدثني محمد بن يزيد وغيره أن محمد بن مناذر كان إذا قيل له ابن مناذر بفتح الميم يغضب ثم يقول أمناذر الصغرى أم مناذر الكبرى وهما كورتان من كور الأهواز إنما هو مناذر على وزن مفاعل من ناذر فهو مناذر مثل ضارب فهو مضارب وقاتل فهو مقاتل
قال محمد بن يزيد ولما عدل محمد بن مناذر عما كان عليه من النسك والتأله وعظته المعتزلة فلم يتعظ وأوعدته بالمكروه فلم يزدجر ومنعوه من دخول المسجد فنابذهم وطعن عليهم وهجاهم وكان يأخذ المداد بالليل فيطرحه في مطاهرهم فإذا توضؤوا به سود وجوههم وثيابهم وقال في توعد المعتزلة إياه
(أبلِغْ لديك بني تَميمٍ مَألُكاً ... عَنِّي وعَرِّج في بَني يَرْبُوعِ)

(أنّي أخٌ لكُمُ بِدارِ مَضِيعَةٍ ... بُومٌ وغِرْبانٌ عليه وُقوعُ
(يا لَلْقبائل من تميمٍ ما لكُم ... رَوْبى ولَحْمُ أخيكم بمَصِيعِ)
(هُبُّوا له فلقد أراه بنصْرِكُم ... يأوي إلي جَبَلٍ أشَمَّ مَنِيعِ)
(وإذا تحزَّبت القَبائلُ كُنْتُمُ ... ثِقتِي لِكُلِّ مُلِمَّةٍ وفظِيعِ)
(إن أنتمُ لن تَثْأرُوا لأخيكُم ... حتى يُباءَ بِوِتْرِه المتْبُوعِ)
(فخُذوا المَغازِل بالأكُفِّ وأيقِنوا ... ما عِشْتُمُ بمَذَلَّةٍ وخضوعِ)
(إن كنتمُ حُدُباً علي أحسابكم ... سُمُعاً فقد أسمعتُ كُلَّ سَمِيعِ)
(أين الصُّبَيْرِيُّون لم أرَ مِثْلَهم ... في النائبات وأين رَهْطَ وَكِيعِ)
قال ثم استحيا من قوله أين الصبيريون لقلة عددهم فقال أين الرياحيون
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني الحسن بن علي قال حدثني مسعود بن بشر قال
قال لي ابن مناذر ولع بي قوم من المعتزلة ففرقت منهم قال وكان مولى صبير بن يربوع فقلت بنو صبير نفسان ونصف فمن أدعو منهم فقلت ليس إلا إخوتهم بنو رياح فقلت أبياتا حرضتهم فيها وحضضت بنو رياح فقلت
(أين الرِّياحيُّون لم أرَ مِثلَهم ... في النَّائبات وأينَ رَهْط وكيع)
قال فجاء خمسون شيخا من بني رياح فطردوهم عني
أخبرني علي بن سليمان قال حدثني محمد بن يزيد قال حدثني الجاحظ عن مسعود بن بشر عن أبي عبيدة قال
ما زادت بنو صبير بن يربوع قط على سبعة نفر كلما ولد منهم مولود مات منهم ميت
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثني إسحاق بن محمد النخعي قال حدثني أبو عثمان المازني قال
كان ابن مناذر من أهل عدن وإنما صار إلى البصرة في طلب الأدب لتوافر العلماء فيها فأقام فيها مدة ثم شغل بعبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي فتطاول أمره إلى أن خرج عنها وكان مقيما بمكة فلما مات عبد المجيد نسك وقوم يقولون إنه كان دهريا

خلاعته وكره الناس له

وذكر أبو دعامة عن عطاء الملط قال
كان ابن مناذر يؤم الناس في المسجد الذي في قبيلته فما أظهر ما أظهره من الخلاعة والمجون كرهوا أن يصلي بهم وأن يأتموا به فقالوا شعرا وذكروا ذلك فيه وهجوه وألقوا الرقعة في المحراب فلما قضى صلاته قرأها ثم قلبها وكتب فيها يقول
(نُبِّئْت قافيةً قِيلت تَناشَدَها ... قومٌ سأترك في أعراضهم نَدَبا)
(ذَاك الذين رَوَوْها أُمَّ قائِلِها ... وناك قائلُها أُمَّ الذي كَتَبا)
ثم رمى بهم إليهم ولم يعد إلى الصلاة بهم
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال
حدثنا أبو الفضل بن عبدان بن ابي حرب الصفار قال حدثني الفضل بن موسى مولى بني هاشم قال
دخل ابن مناذر المسجد الجامع بالبصرة فوقعت عينه على غلام مستند ألى سارية فخرج والتمس غلاما ورقعة ودواة فكتب أبياتا مدحه بها وسأل الغلام الذي التمسه أن يوصل الرقعة إلى الفتى المستند إلى السارية فذهب بها إلى الغلام فلما قرأها قلبها وكتب على ظهرها يقول
(مِثلُ امْتِداحِك لي بلا وَرِقٍ ... مثلُ الجِدار بُنِي على خُصِّ)
(وألَذُّ عِنْدِي من مديحك لي ... سُودُ النِّعالِ ولَيِّن القُمْصِ)
(فإذا عَزَمْتَ فهَيِّ لي وَرِقاً ... فإذا فعلت فلستُ أسْتَعْصِي)
فلما قرأها ابن مناذر قام إليه فقال له ويلك أأنت أبو نواس قال نعم فسلم عليه وتعانقا وكان ذلك أول المودة بينهما
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني أبو حاتم قال
اجتمع أبو العتاهية ومحمد بن مناذر فقال له أبو العتاهية يا ابا عبد الله كيف أنت في الشعر قال أقول في الليلة إذا سنح القول لي واتسعت القوافي عشرة أبيات إلى خمسة عشر فقال له أبو العتاهية لكنى لو شئت أن أقول في الليلة ألف بيت لقلت فقال ابن مناذر أجل والله إذا أردت أن أقول مثل قولك
(ألا يا عُتْبَةَ السَّاعَهْ ... أموتُ السَّاعةَ السَّاعَهْ
قلت ولكني لا أعود نفسي مثل هذا الكلام الساقط ولا أسمح لها به فخجل أبو العتاهية وقام يجر رجله
أخبرني به الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني سهل بن محمد أبو حاتم وأحمد بن يعقوب بن المنير ابن أخت أبي بكر الأصم قال ابن مهرويه وحدثني به يحيى بن الحسن الربيعي عن غسان بن المفضل قال
اجتمع أبو العتاهية وابن مناذر فاجتمع الناس إليهما وقالوا هذان شيخا الشعراء فقال أبو العتاهية لابن المناذر يا أبا عبد الله كم تقول في اليوم من الشعر وذكر باقي الخبر مثل المتقدم سواء
أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا العباس بن ميمون طائع قال
سمعت الأصمعي يقول حضرنا مأدبة ومعنا أبو محرز خلف الأحمر وحضرها ابن مناذر فقال لخلف الأحمر يا أبا محرز إن يكن النابغة وامرؤ القيس وزهير قد ماتوا فهذه أشعارهم مخلدة فقس شعري إلى شعرهم واحكم فيها بالحق فغضب خلف ثم أخذ صحفة مملوءة مرقا فرمى بها عليه فملأه فقام ابن مناذر مغضبا وأظنه هجاه بعد ذلك أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا خلاد الأرقط قال لقيني ابن مناذر بمكة فأنشدني قصيدته
(...كُلُّ حَيٍّ لاقِي الحِمام فمُودِي)
ثم قال لي أقرىء أبا عبيدة السلام وقل له يقول لك ابن مناذر اتق الله واحكم بين شعري وشعر عدي بن زيد ولا تقل ذلك جاهلي وهذا إسلامي وذاك قديم وهذا محدث فتحكم بين العصرين ولكن حكم بين الشعرين ودع العصبية قال وكان ابن مناذر ينحو نحو عدي بن زيد في شعره ويميل إليه ويقدمه
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عثمان الكزبري قال أخبرني محمد بن الحجاج الجراداني قال

قلت لابن مناذر من أشعر الناس قال من كنت في شعره فقلت له ومن ذاك فقال عدي بن زيد وكان ينحو نحوه في شعره ويقدمه ويتخذه إماما
والأبيات التي فيها الغناء أول قصيدة لمحمد بن مناذر رثى بها عبد المجيد بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي وكان يهواه وكان عبد المجيد هذا فيما يقال من أحسن الناس وجها وأدبا ولباسا وأكملهم في كل حال وكان على غاية المحبة لابن مناذر والمساعدة له والشغف به وكان يبلغ خبره أباه على جلالته وسنه وموضعه في العلم فلا ينكر ذلك لأنه لم تكن تبلغه عنه ريبة وكان ابن مناذر حينئذ حميد الأمر حسن المروءة عفيفا فحدثني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن حدان قال حدثني قدامة بن نوح قال
قيل لعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي إن ابن مناذر قد أفسد ابنك وذكره في شعره وشبب به فقال عبد الوهاب أولا يرضى ابني أن يصحبه مثل ابن مناذر ويذكره في شعره
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال
أم عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي الذي كان يشبب به ابن مناذر بانة بنت أبي العاصي وهي مولاة جنان التي يشبب بها أبو نواس قال فحدثني من رأى محمد بن مناذر يوم ثالث بانة هذه وقد خرج جواريها إلى قبرها فخرج معهن نحو الجبانة بالبصرة قال فقلت له يا أبا عبد الله أين تريد فقال
(اليومُ يومُ الثُّلاثا ... ويومُ ثالثِ بانَهْ)
(اليوم تَكثُر فيه الظِّباءُ ... في الجَبَّانَهْ)
قال أبو الحسن ولدت بانة من عبد الوهاب بن عبد المجيد أولاده عبد المجيد وأبا العاصي وزيادا وزياد الذي عناه أبو نواس في قوله يشبب بجنان
(جفْنُ عيني قد كاد يَسقط ... من طولِ ما اختلَجْ)
(وفؤادِي مِنْ حرِّ حُبِّكِ ... قد كاد أو نَضِجْ)
(خَبِّريني فَدَتْكِ نَفْسِي ... وأَهْلِي مَتَى الفَرَج)
(كان ميعادُنا خُروجَ ... زيادٍ فقد خَرَجْ)
قال ابن عمار قال لي النوفلي في هذه الأبيات غناء حلو مليح لو سمعته لشربت عليه أربعة أرطال
قال النوفلي وكان لعبد الوهاب ابن يقال له محمد كان أسن ولده ويقال إنه كان يتعشق بانة ابنة أبي العاصي هذه امرأة ابيه وإن زياد بن عبد الوهاب منه وكان أشبه الناس به
حدثني ابن عمار قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبي قال
خرج ابن مناذر يوما من صلاة التراويح وهو في المسجد بالبصرة وخرج عبد المجيد بن عبد الوهاب خلفه فلم يزل يحدثه إلى الصبح وهما قائمان إذا انصرف عبد المجيد شيعة ابن مناذر إلى منزله فإذا بلغه وانصرف ابن مناذر شيعة عبد المجيد لا يطيب أحدهما نفسا بفراق صاحبه حتى أصبحا فقيل لعبد الوهاب بن عبد المجيد ابن مناذر قد أفسد ابنك فقال أو ما يرضي ابني أن يرضى بما يرضى به ابن مناذر
ابن مناذر وعبد المجيد بن عبد الوهاب
وفي عبد المجيد يقول ابن مناذر يمدحه وهو من مختار ما قاله فيه أنشدنيها علي بن سليمان الأخفش عن محمد بن زيد من قصيدة أولها
(شَيَّبَ ريْبُ الزَّمان رأسِي ... لَهْفي على ريبِ ذَا الزّمانِ)
(يَقدَحُ في الصُّمِّ من شَرورَى ... ويَحْدُر الصُّمَّ من أبانِ)
يقول فيها يمدح عبد المجيد
(مِنّي إلي الماجد المُرَجَّى ... عبدِ المَجيد الفَتَى الهجانِ)
((خَير ثَقِيفٍ أباً وَنَفْساً ... إذا التَقَت حَلْقتَا البِطانِ
(نفسِي فِداءٌ له وأهْلِي ... وكُلُّ ما تَمْلِك اليَدانِ)
(كأنَّ شمسَ الضُّحى وبدر الدُّجى ... عليه مُعلَّقان)
(نِيطا معاً فوق حاجِبَيْه ... والبدرُ والشَّمسُ يَضْحَكانِ)
(مُشمِّرٌ همُّه المتعالِي ... ليس بِرَثٍّ ولا يوانِي)
(بَنَى له عَزَّةً وَمَجداً ... في أولِ الدَّهر بانيان)
(بانٍ تَلقَّاه مِن ثَقِيفٍ ... ومِن ذُرا الأزدِ خيرُ بانِي)
(فاسألْه ممَّا حوت يداه ... يهْتَزُّ كالصَّارم اليَماني)
أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو توبة صالح بن محمد قال
مرض عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي مرضا شديدا بالبصرة وكان ابن مناذر ملازما له يمرضه ويخدمه ويتولى أمره بنفسه لا يكله إلى أحد فحدثني بعض أهلهم قال حضرت يوما عنده وقد أسخن له ماء حار ليشربه واشتد به الأمر فجعل يقول آه بصوت ضعيف فغمس ابن مناذر يده في الماء الحار وجعل يتأوه مع عبد المجيد ويده تحترق حتى كادت يده تسقط فجذبناها وأخرجناها من الماء وقلنا له أمجنون أنت أي شيء هذا أينتفع به ذاك فقال أساعده وهذا جهد من مقل ثم استقل من علته تلك وعوفي مدة طويلة ثم تردى من سطح فمات فجزع عليه جزعا شديدا حتى كاد يفضل أهله وإخوته في البكاء والعويل وظهر منه من الجزع ما عجب الناس له ورثاه بعد ذلك بقصيدته المشهورة فرواها أهل البصرة ونيح بها على عبد المجيد وكان الناس يعجبون بها ويستحسنونها
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم النوشجاني قال سمعت أبي يقول
حضرت سفيان بن عيينة يقول لابن مناذر أنشدني ما قلت في عبد المجيد فأنشده قصيدته الطويلة الدالية قال سفيان بارك الله فيك فلقد تفردت بمراثي أهل العراق
فأخبرني عمي قال حدثني أبو هفان قال قال الجماز
تزوج عبد المجيد امرأة من أهله فأولم عليها شهرا يجتمع عنده في كل يوم وجوه أهل البصرة وأدباؤها وشعراؤها فصعد ذات يوم إلى السطح فرأى طنبا من أطناب الستارة قد انحل فأكب عليه ليشده فتردى على رأسه ومات من سقطته فما رأيت مصيبة قط كانت أعظم منها ولا أنكأ للقلوب

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني الحسن بن عليل العنزي قال حدثني العباس بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان قال حدثني محمد بن عمر الخراز قال
قال لي ابن مناذر ويحك لست أرى نساء ثقيف ينحن على عبد المجيد نياحة على استواء قلت فما تحب قال تخرج معي حتى أطارحك فطارحني القصيدة التي يقول فيها
(إنَّ عبدَ المجيد يومَ تَولَّى ... هَدَّ رُكناً ما كان بالمَهْدُودِ)
(هَدَّ عبدُ المجيد رُكْنِي وقد كُنْتُ ... بِرُكْنٍ أبوءُ منه شديدِ)
قال فما زلت حتى حفظتها ووعيتها ووضعنا فيها لحنا فلما كان في الليلة التي يناح بها على عبد المجيد فيها صلينا العشاء الآخره في المسجد الجامع ثم خرجنا إلى دارهم وقد صعد النساء على السطح ينحن عليه فسكتن سكتة لهن فاندفعنا أنا وهو ننوح عليه فلما سمعننا أقبلن يلطمن
ويصحن حتى كدن ينقلبن من السطح إلى أسفل من شدة تشرفهن علينا وإعجابهن بما سمعنه منا وأصبح أهل المسجد ليس لهم حديث غيرنا وشاع الخبر بالبصرة وتحدث به الناس حتى نقل من مجلس إلى مجلس
وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال لي حدثني موسى بن حماد بن عبد الله القرشي قال حدثني محمد بن النعمان بن جبلة الباهلي قال لما قال ابن مناذر
(لأُقِيمَنَّ مأتماً كَنُجومِ اللّيْلِ ... زُهْراً يَلْطُمْنَ حُرَّ الخُدُودِ)
(مُوجَعاتٍ يَبكِين للكَبِدِ ... الحَرَّى عليه وللفُؤادِ العَمِيدِ)
قالت أم عبد المجيد والله لأبرن قسمه فأقامت مع أخوات عبد المجيد وجواربه مأتما عليه وقامت تصيح عليه واي ويه واي ويه فيقال إنها أول من فعل ذلك وقاله في الإسلام
وأخبرني بهذا الخبر ابن عمار عن علي بن محمد النوفلي عن عمه
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد عن محمد بن عامر النخعي قال
أنشدني محمد بن مناذر لنفسه يرثي عبد المجيد بن عبد الوهاب يقول
(يا عَينُ حَقَّ لك البُكاءُ ... لحادِثِ الرُّزء الجَليلِ)
(فابْكِي على عبد المجيد ... وأَعولِي كلَّ العَوِيل)
(لا يُبْعِدُ اللهُ الفَتى الفَيَّاضَ ... ذَا الباعِ الطَّويل)
(عَجِلَ الحِمامُ به فودَّ ... عَنا وآذنَ بالرَّحِيلِ)
(لَهفِي على الشَّعَرِ المُعَفّرِ ... منكَ والخَدِّ الأَسيلِ)
(كَسَفتْ لِفقْدِك شَمسُنا ... والبدْرُ آذن بالأُفولِ)
حدثني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثني النضر بن عمرو عن المازني قال حدثنا حيان
أن ابن مناذر دفع قصيدته الدالية إليه وقال اعرضها على ابي عبيدة فأتيته وهو على باب أبي عمرو بن العلاء فقرأت عليه منها خمسة أبيات فلم تعجبه وقال دعني من هذا فإني قد تشاغلت بحفظ القرآن عنه وعن مثله قال وكان أبو عبيدة يبغضه ويعاديه لأنه هجاه
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال ابن مناذر قلت
(... يَقدَحُ الدهرُ في شماريخ رَضْوَى)
ثم مكثت حولا لا أدري بن أتممه فسمعت قائلا يقول هبود قلت وما هبود فقال لي جبيل في بلادنا فقلت
(... ويحُطُّ الصُّخورَ من هَبُّودِ)
قال إسحاق وسمع أعرابي هذا البيت فقال ما أجهل قائله بهبود والله إنها لأكيمة ما توارى الخارىء فكيف يحط منها الصخور
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثني أبو حاتم قال سمعت أبا مالك عمرو بن كركرة يقول
أنشدني ابن مناذر قصيدته الدالية التي رثى فيها عبد المجيد فلما بلغ إلى قوله
(يَقدَحُ الدهرُ في شماريخ رَضْوَى ... ويحُطُّ الصُّخورَ مِنْ هَبُّودِ)
قلت له هبود أي شيء هو فقال جبل فقلت سخنت عينك هبود والله بئر باليمامة ماؤها ملح لا يشرب منه شيء خلقه الله وقد والله خريت فيها مرات فلما كان بعد مدة وقفت عليه في مسجد البصرة وهو ينشدها فلما بلغ هذا البيت أنشدها
(... ويحطُ الصُّخورَ من عَبُّود)
فقلت له عبود أي شيء هو ذا فقال جبل بالشام فلعلك يا بن الزانية خريت عليه أيضا فضحكت ثم قلت لا ما خريت عليه ولا رأيته وانصرفت عنه وأنا أضحك
أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي قال
كان يحيى بن زياد يرمى بالزندقة وكان من أظرف الناس وأنظفهم فكان يقال أظرف من الزنديق
وكان الحاركي واسمه محمد بن زياد يظهر الزندقة تظارفا فقال فيه ابن مناذر
(يا بنَ زيادٍ يا أبا جعفرَ ... أظهرتَ دِيناً غيرَ ما تُخفي)
(مُزَنْدَقَ الظاهِرِ باللفظ في ... باطنِ إسلامِ فَتىً عَف)
(لستَ بزنديقٍ ولكنّما ... أَرَدْتَ أن تُوسَم بالظَّرْفِ)
وقال فيه أيضا
(يا أبا جَعْفرٍ كأنك قد صِرْت ... على أجْردٍ طَوِيلِ الجِرانِ)
(من مَطايا ضَوامِرٍ ليس يَصْهَلْنَ ... إذا ما رُكِبْنَ يوم رِهانِ)
(لم يُذلَّلنَ بالسُّرُوج ولا أَقْرَح ... أشداقَهنَّ جذبُ العِنان)
(قائماتٍ مُسوَّمات لدى الجِسْرِ ... لأمثالِكم من الفِتْيان)
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة عن ابن عائشة قال
كان عتبة النحوي من أصحاب سيبويه وكان صاحب نحو فهما بما يشرحه ويفسره على مذاهب أصحابه وكان ابن مناذر يتعاطى ذلك ويجلس إليه قوم يأخذونه عنه فجلس عتبة قريبا من حلقته فتقوض الناس إليه وتركوا ابن مناذر فلما كان في يوم الجمعة الأخرى قام ابن مناذر من حلقته فوقف على عتبة ثم أنشأ يقول

(قُوموا بنا جميعاً ... لحَلْقَة العَذاري)
(تَجمعن للشقاء ... إلى عُتْبةِ الخَسار)
(ما لي ومَا لِعُتْبَة ... إذ يبتغي ضِراري)
قال فقام عتبة إليه فناشده ألا يزيد ومنع من كان يجلس إلى ابن مناذر من حضور حلقته وجلس هو بعيدا من ابن مناذر بعد ذلك
حدثني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال
كان لابن مناذر جار يقال له ابن عمير من المعتزلة فكان يسعى بابن
مناذر إليهم ويسبه ويذكره بالفسق ويغريهم به فقال يهجوه
(بَنو عُمير مَجدُهم دارُهْم ... وكُلّ قَوْم فلَهُم مَجْدُ)
(كأنهم قَفْعٌ بِدَوِّيَّةٍ ... وليس لهم قَبْلٌ ولا بَعْدُ)
(بَثّ عُمير لؤمَه فيهمُ ... فكُلُّهم من لُؤمه جَعْدُ)
وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن النوفلي بمثله وزاد فيه وعبد الله بن عمير - أبو هؤلاء الذين هجاهم - أخو عبد الله بن عامر لأمه أمهما دجاجة بنت إسماعيل بن الصلت السلمي
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا الخليل بن أسد قال
كان ابن مناذر من أحضر الناس جوابا قال له رجل ما شانك قال عظم في أنفي
قال وسأله رجل يوما ما الجرباء فأومأ بيده إلى الأرض قال هذه يهزأ به وإنما الجرباء السماء
ابن مناذر والخليل بن أحمد
أخبرني أحمد بن العباس العسكري المؤدب قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني جعفر بن محمد عن دماذ قال دار بين الخليل بن أحمد وبين ابن مناذر كلام فقال له الخليل
إنما أنتم معشر الشعراء تبع لي وأنا سكان السفينة إن قرظتكم ورضيت قولكم نفقتم وإلا كسدتم فقال ابن مناذر والله لأقولن في الخليفة قصيدة أمتدحه بها ولا أحتاج إليك فيها عنده ولا إلى غيرك فقال في الرشيد قصيدته التي أولها
(ما هَيَّجَ الشوقَ من مُطَوَّقَةٍ ... أوفَتْ على بانةٍ تُغَنِّينَا)
يقول فيها
(ولو سألْنا بحُسْنِ وَجْهك يا ... هارونُ صَوْبَ الغمام أُسقِينَا)
قال وأراد أن يفد بها إلى الرشيد فلم يلبث أن قدم الرشيد البصرة حاجا ليأخذ على طريق النباج وكان الطريق قديما فدخلها وعديله إبراهيم الحراني فتحمل عليه ابن مناذر بعثمان بن الحكم الثقفي وأبي بكر السلمي حتى أوصلاه إلى الرشيد فأنشده إياها فلما بلغ آخرها كان فيها بيت يفتخر فيه وهو
(قومي تَميمٌ عند السِّماك لهم ... مَجْدٌ وعِزٌّ فما ينالونا)
فلما أنشده هذا البيت تعصب عليه قوم من الجلساء فقال له بعضهم يا جاهل أتفخر في قصيدة مدحت بها أمير المؤمنين وقال آخر هذه حماقة بصرية فكفهم عنه الرشيد ووهب له عشرين ألف درهم
الرشيد يبعث له بجائزة وهو بالحجاز
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثني سهيل السلمي أن الرشيد استسقى في سنة قحط فسقي الناس فسر
بذلك وقال لله در ابن مناذر حيث يقول
(ولو سألْنا بحُسْنِ وَجْهك يا ... هارونُ صَوْبَ الغمام أُسقِينَا)
وسأل عن خبره فأخبر أنه بالحجاز فبعث إليه بجائزة
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي عن محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العنزي قال حدثنا نصر بن علي الجهضمي قال حدثني محمد بن عباد المهلبي قال
شهد بكر بن بكار عند عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن الحر العنزي بشهادة فتبسم ثم قال له يا بكر مالك ولابن مناذر حيث يقول
(أعوذُ باللّه من النّار ... ومنكَ يا بَكْرَ بنَ بَكَّار)
فقال أصلح الله القاضي ذاك رجل ماجن خليع لا يبالي ما قال فقال له صدقت وزاد تبسمه وقبل شهادته وقام بكر وقد تشور وخجل قال العنزي فحدثني أبو غسان دماذ قال
أنشدني ابن مناذر هذا الشعر الذي قاله في بكر بن بكار وهو
(أعوذُ باللّه من النّار ... ومنكَ يا بكرَ بنَ بَكَّار)
(يا رَجُلاً ما كان فيما مَضى ... لآلِ حِمرانَ بزوّارِ)
(ما منزلٌ أحدثْتُه رابعاً ... مُعْتَزِلاً عن عَرْصَة الدّار)
(ما تَبْرحُ الدَّهرَ على سوْأةٍ ... تطرحُ حَبّاً للخُشْنشار)
(يا معشرَ الأحداثِ يا وَيْحكم ... تَعوَّذُوا بالخالِق الباري)
((مِن حَرْبةٍ نِيطَت على حَقْوه ... يَسْعَى بها كالبَطَل الشّاري)
(يوم تَمنَّى أنَّ في كَفِّه ... أيْرَ أبي الخِضْر بدينار)
قال ابن مهرويه في خبره والخشنشار هو معاوية الزيادي المحدث ويكنى أبا الخضر وكان جميل الوجه
وقال العنزي في حديثه حدثني إسحاق بن عبد الله الحمراني وقد سألته عن معنى هذا الشعر فقال الخشنشار غلام أمرد جميل الوجه كان في محلتنا وهذا لقبه وكان بكر بن بكار يتعشقه فكان يجيء إلى أبي فيذاكره الحديث ويجالسه وينظر إلى الخشنشار
قال العنزي حدثني عمر بن شبة قال
بلغني أن عبيد الله بن الحسن لقي ابن مناذر فقال له ويحك ما أردت إلى بكر بن بكار ففضحته وقلت فيه قولا لعلك لم تتحققه فبدأ ابن مناذر يحلف له بيمين ما سمعت قط أغلظ منها أن الذي قاله في بكر شيء يقوله معه كل من يعرف بكرا ويعرف الخشنشار ويجمع عليه ولا يخالفه فيه فانصرف عبيد الله مغموما بذلك قد بان فيه فلما بعد عنا قلت لابن مناذر

برىء الله منك ويلك ما أكذبك أكل من يعرف بكر بن بكار يقول فيه مثل قولك حتى حلفت بهذه اليمين فقال سخنت عينك فإذا كنت أعمى القلب أي شيء أصنع أفتراني كنت أكذب نفسي عند القاضي إنما موهت عليه وحلفت له أن كل من يعرفها يقول مثل قولي وعنيت ما ابتدأت به من الشعر
وهو قولي
(... أعوذُ بالله من النّار)
أفتعرف أنت أحدا يعرفهما أو يجهلهما إلا يقول كما قلت أعوذ بالله من النار إنما موهت على القاضي وأردت تحقيق قولي عنده
قال مؤلف هذا الكتاب وبكر بن بكار رجل محدث قد روى عن ورقاء عن ابن أبي نجيح تفسير مجاهد وروى حديثا صالحا
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا بكر بن بكار عن عبد الله بن المحرز عن قتادة عن أنس
(أن النبي قال (زينوا القرآن بأصواتكم
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني الأحوص بن الفضل البصري قال حدثنا ابن معاوية الزيادي
وأبوه الخشنشار الذي يقول فيه ابن مناذر
(... تطرحُ حبّاً للخُشَنْشار)
قال حدثني من لقي ابن مناذر بمكة فقال ألا تشتاق إلى البصرة فقال له
أخبرني عن شمس الوزانين أعلى حالها قال نعم قال وثيق بن يوسف الثقفي حي قال نعم قال فغسان بن الفضل الغلابي حي قال نعم قال لا والله لا دخلتها ما بقي فيها واحد من الثلاثة قال وشمس الوزانين في طرف المربد بحضرة مسجد الأنصار في موضع حيطانه قصار
لا تكاد الشمس تفارقه
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال
كان محمد بن عبد الوهاب الثقفي أخو عبد المجيد يعادي محمد بن مناذر بسبب ميله إلى أخيه عبد المجيد وكان ابن مناذر يهجوه ويسبه ويقطعه وكل واحد منهما يطلب لصاحبه المكروه ويسعى عليه فلقي محمد بن عبد الوهاب ابن مناذر في مسجد البصرة ومعه دفتر فيه كتاب العروض بدوائره ولم يكن محمد بن عبد الوهاب يعرف العروض فجعل يلحظ الكتاب ويقرؤه فلا يفهمه وابن مناذر متغافل عن فعله ثم قال له ما في كتابك هذا فخبأه في كمه وقال وأي شيء عليك مما فيه فتعلق به ولببه فقال له ابن مناذر يا أبا الصلت الله الله في دمي فطمع فيه وصاح يا زنديق في كمك الزندقة فاجتمع الناس إليه فأخرج الدفتر من كمه وأراهم إياه فعرفوا براءته مما قذفه به ووثبوا على محمد بن عبد الوهاب واستخفوا به وانصرف بخزي وقال ابن مناذر يهجوه
(إذا أنتَ تَعلّقْتَ ... بحَبْلٍ من أبي الصَّلْتِ)
(تَعلّقْتَ بحَبْلٍ واهن ... القُوَّة مُنْبَتِّ)
(إذا ما بَلغ المجدَ ... ذَوُو الأحساب بالمَتِّ)
(تقاصَرْتَ عن المَجْد ... بأمرٍ رائبٍ شَخْتِ)
(فلا تَسْمُو إلى المَجْد ... فما أمرُك بالثَّبْتِ)
(فلا فَرُعك في العِيدانِ ... عُودٌ ناضِرُ النَّبْتِ)
(وما يُبقِي لكم ياقومُ ... من أثْلَتِكم نَحْتِي)
((فها فأسمَع قَرِيضاً من ... رقيقٍ حَسَنِ النَّعْتِ
(يقول الحقَّ إن قال ... ولا يرميك بالبَهْتِ)
(وفي نَعْتٍ لِوَجْعاء ... قد استَرْخَت من الفَت)
(فعِنْدِي لكَ يا مأبُونُ ... مِثلُ الفالجِ البُخْتِي)
(عُتُلٌّ يَعمِلُ الكُومَ ... من السَّبْتِ إلى السَّبْتِ)
(له قَيْشَلَةٌ إن أُدْ ... خِلَتْ واسعةُ الخَرْتِ)
(وإلا فاطْلِ وجعاءكَ ... بالخَضْخاضِ والزِّفْتِ)
(ألم يبلغْكَ تَسآلِي ... لدى العَلاَّمةِ المَرْتِ)
(فقال الشيخُ سَرْجُويه ... داءُ المرء من تَحْتِ)
(فخُذْ من وَرَقِ الدِّفْلَى ... وخذ من ورق القَتِّ)
(وخذ من جَعْر كَيْسانٍ ... ومن أظفارِ نِسَّخْتِ)
(فغَرْغِرْه به واسْعَطْ ... بذَا في دَائِه أُفْتِي)
قال ونسخت لقب أبي عبيدة وهو اسم من أسماء اليهود لقب به تعريضا بأن جده كان يهوديا وكان أبو عبيدة وسخا طويل الأظفار أبدا والشعر وكان يغضب من هذا اللقب
فأخبرني الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن علي بن محمد النوفلي قال لما قال ابن مناذر هذه الأبيات
(إذا أنت تعلّقْتَ ... بحَبْلٍ من أبي الصَّلْتِ)
(تَعلّقْتَ بحبْلٍ واهنٍ ... القُوَّة مُنْبَتِّ)
(وقال الشيخُ سرْجُويه ... داء المَرْء من تَحت)
فبلغ ذلك سرجويه فجاء إلى محمد بن عبد الوهاب فوقف عليه في مجلسه وعنده جماعة من أهله وإخوانه وجيرانه فسلم عليه وكان أعجميا لا يفصح ثم قال له بركست كمن كفتم أن كسر مناذر كفت داء المرء من تحت فكاد القوم أن يفتضحوا من الضحك وصاح به محمد اعزب قبحك الله فظن أنه لم يقبل عذره فأقبل يحلف له مجتهدا ما قال ذاك ومحمد يصيح به ويلك اعزب عني وهو في الموت منه وكلما زاده من الصياح إليه زاده في العذر واجتهد في الأيمان وضحك الناس حتى غلبوا وقام محمد خجلا فدخل منزله وتفرقوا
قال أبو الحسن النوفلي ثم مضى لذلك زمان وهجا أبو نعامة أبا عبد الله هريسة الكاتب فقال فيه
(ورَوَى شيخُ تَمِيمٍ ... خالدٌ أنَّ هَرِيسَهْ)
(يُدْخِلُ الأصلعَ ذا الخُرْجَيْن ... في جَوْفِ الكَنِيسَهْ)

فلقي خالد بن الصباح هذا هريسة وكان يعاديه وأراد أن يخجله فحلف له مجتهدا أنه لم يقل فيه ما قاله أبو نعامة فقال هريسة يا بارد لم
ترد أن تعتذر إنما أردت أن تتشبه بابن مناذر ومحمد بن عبد الوهاب وبأبي الشمقمق وأحمد بن المعذل ولست من هؤلاء في شيء
قرأت في بعض الكتب عن ابن أبي سعد قال حدثني أبو الخطاب الحسن بن محمد عن محمد بن إسحاق البلخي قال دخلت على ابن مناذر يوما وعنده رجل ضرير جالس عن يمينه ورجل بصير جالس عن شماله ساكت لا ينطق قال فقلت له ما خبرك فقال
(بين أَعْمَى وأخْرَسٍ أخْرَس اللهِ ... لسانَ الأعمَى وأعْمَى البَصِيرا)
قال فوثبا فخرجا من عنده وهما يشتمانه
اخباره مع سفيان بن عيينة
ونسخت من كتاب ابن أبي الدنيا حدثني أبو محمد التميمي قال حدثني إبراهيم بن عبد الله عن الحسن بن علي قال كنا عند باب سفيان بن عيينة وقد هرب منا وعنده الحسن بن علي التختاخ ورجل من الحجبة ورجل من أصحاب الرشيد فدخل بهم وليس يأذن لنا فجاء ابن مناذر فقرب من الباب ثم رفع صوته فقال
(بعَمْرٍو وبالزُّهْريّ والسَّلَفِ الأُلَى ... بهِم ثَبَتَتْ رِجْلاك عند المَقاوِمِ)
(جعلتَ طَوالَ الدهرِ يَوْماً لصالحٍ ... ويوْماً لصبَّاحٍ ويوماً لحاتِمِ)
(وللحسَنِ التَّخْتاخ يوماً ودونهم ... خصصتَ حُسَيْناً دُونَ أهلِ المواسِمِ)
((نظرتُ وطالَ الفِكْر فيك فلم أجِد ... رَحاك جَرَت إلاّ لأخْذِ الدَّراهِمِ
فخرج سفيان وفي يده عصا وصاح خذوا الفاسق فهرب ابن مناذر منه وأذن لنا فدخلنا
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو بكر المؤدب قال حدثني محمد بن قدامة قال
سمعت سفيان بن عيينة يقول لابن مناذر يا أبا عبد الله ما بقي أحد أخافه غيرك وكأني بك قد مت فرثيتني فلما مات سفيان بن عيينة قال ابن مناذر يرثيه
(راحوا بسُفيانَ علي نَعْشِه ... والعِلْمُ مَكسُوّيْن أكْفانا)
(إنّ الذي غُودِرَ بالمُنْحَنَى ... هَدَّ من الإسلام أركانا)
(لا يُبعِدَنْكَ اللّهُ من ميّتٍ ... وَرَّثْنا عِلْماً وأحزانا)
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ قال
حدثني شيخ من أهل الكوفة يقال له عوام قال سمعت سفيان بن عيينة وقد تكلم بكلام استحسن فسأله محمد بن مناذر أن يمليه عليه فتبسم سفيان وقال له هذا كلام سمعتك تتكلم به فاستحسنته فكتبته عنك قال وعلى ذلك أحب أن تمليه علي فإني إذا رويته عنك كان أنفق له من أن أنسبه إلى نفسي
قال عوام وأنشدني ابن عائشة لابن مناذر يرثي سفيان بن عيينة بقوله
(يَجْنِي من الحِكْمة نُوّارَها ... ما تَشْتَهي الأنْفُسُ ألوانا)
(يا واحدَ الأمّة في عِلْمِه ... لَقِيتَ من ذِي العَرشِ غُفرانا)
(راحوا بسُفْيانَ على نَعْشِه ... والعلمِ مكسُوَّين أكفانا)
أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا محمد بن يزيد عن محمد بن عامر الحنفي قال
لما مات عبد المجيد بن عبد الوهاب خرج ابن مناذر إلى مكة وترك النسك وعاد للمجون والخلع وقال في هذا المعنى شعرا كثيرا حتى إذا مدح أو فخر لم يجعل افتتاح شعره ومباديه إلا المجون وحتى قال في مدحه للرشيد
(هل عندكم رُخْصةٌ عن الحسنِ الْبَصْريِّ ... في العِشْقِ وابن سِيرينا)
(إنَّ سَفاهاً بذِي الجَلاَلَة والشَّيْبة ... ألاَّ يزالَ مَفْتونا)
وقال أيضا في هذا المعنى
(ألا يا قمر المَسْجد ... هل عنْدَك تَنْوِيلُ)
(شِفائي منك - إن ... نَوَّلْتَنِي - شَمٌّ وتقْبِيلُ)
(سَلاَ كُلٌّ فُؤادٍ و ... فؤادي بكَ مَشْغُولُ)
(لقد حُمِّلْت من حُبِّك ... مالا يَحمِلِ الفِيلُ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثنا العباس بن الفضل الربعي قال حدثني التوزي قال
قال ابن مناذر ليونس النحوي يعرض به أخبرني عن جبل
أتنصرف أم لا وكان يونس من أهلها فقال له قد عرفت ما أردت يا بن الزانية فانصرف ابن مناذر فأعد شهودا يشهدون عليه بذلك وصار إليه وسأله هل تنصرف جبل وعلم يونس ما أراد فقال له الجواب ما سمعته أمس
اخباره مع حجاج الصواف
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثني إسحاق بن محمد النخعي قال حدثني إسحاق بن عمرو السعدي قال حدثني الحجاج الصواف وأخبرني الحسن بن علي أيضا قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني إسحاق بن محمد قال حدثني أمية بن أبي مروان قال حدثني حجاج الصواف الأعور قال
خرجت إلى مكة فكان هجيراي في الطريق ابن مناذر وكان لي إلف وخدنا وصديقا فدخلت مكة فسألت عنه فقالوا لا يبرح المسجد فدخلت المسجد فالتمسته فوجدته بفناء زمزم وعنده أصحاب الأخبار والشعراء يكتبون عنه فسلمت وأنا أقدر أن يكون عنده من الشوق إلي مثل ما عندي فرفع رأسه فرد السلام ردا ضعيفا ثم رجع إلى القوم يحدثهم ولم يحفل بي فقلت في نفسي أتراه ذهبت عنه معرفتي فبينا أنا أفكر إذ طلع أبو الصلت بن عبد الوهاب الثقفي من باب بني شيبة داخلا المسجد فرفع رأسه فنظر إليه ثم أقبل علي فقال أتعرف هذا فقلت نعم هذا الذي يقول فيه من قطع الله لسانه
(إذا أنتَ تعلَّقْتَ ... بحَبْلٍ من أبِي الصَّلْتِ)
(تَعلّقتَ بحَبلٍ واهنِ ... القُوَّةِ مُنْبَتِّ)
قال فتغافل عني وأقبل عليهم ساعة ثم أقبل علي فقال من أي البلاد أنت قلت من أهل البصرة فقال وأين تنزل منها

قلت بحضرة بني عائش الصوافين قال أتعرف هناك ابن زانية يقال له حجاج الصواف قلت نعم تركته ينيك أم ابن زانية يقال له ابن مناذر فضحك وقام إلي فعانقني
قال مؤلف هذا الكتاب ولابن مناذر هجاء في حجاج الصواف على سبيل العبث وهو قوله
(إنَّ ادِّعاءِّ الحجَّاج في العَرَبِ ... عنْدَ ثَقيفٍ من أعْجَب العَجُبِ)
(وهو ابنُ زانٍ لألف زَانيةٍ ... وألف عِلْجٍ مُعَلْهَج النَّسبِ)
(ولو دَعاهُ داعٍ فقال له ... يا ألأم النَّاس كُلِّهم أجِبِ)
(إذاً لقالَ الحجَّاج لبَّيْكَ مِنْ ... داعٍ دَعاني بالحَقِّ لا الكَذِبِ)
(ولو دَعاه دَاعٍ فقال له ... مِن المُعَلَّى في اللؤمِ قال أبي)
(أبوه زَانٍ والأمُّ زَانيَةٌ ... بِنتُ زُناةٍ مَهْتُوكَةُ الحُجُبِ)
(تقول عَجِّلْ أدْخِلْ لِنائِكِها ... اتركْه في اسْتي إن شئْتَ أو ركَبِي)
(مَنْ ناكَنِي فيهما فأوْسَعَنِي ... رَهْزاً دِراكاً أعطيتُه سَلَبِي)
(هَمُّ حِري النَّيكُ فابتَغُوا لِحري ... أيْرَ حِمارٍ أقضي به أرَبِي)
(أُحِبُّ أيرَ الحِمار وا بِأبِي ... فَيْشةُ أيْرِ الحِمار وابِأبِي)
((إذا رأتْه قالت فديتَك يا ... قُرَّة عَيْنِي ومُنْتَهى طَلَبِي
(إذا سمعْتُ النَّهيقَ هاج حِري ... شوْقاً إليه وهاج لي طَرَبِي)
(يأخُذُني في أسافِلي وحِري ... مِثلُ اضْطرام الحريق في الحَطَبِ)
(شَكَتْ إلى نِسْوَة فقلْن لها ... وهي تنادي بالوَيْل والحَرَبِ)
(كُفِّي قَليلاً قالت وكَيْفَ وبِي ... في جَوفِ صَدْعِي كَحِكَّة الجَرَبِ)
(أرى أيورَ الرِّجال من عصبٍ ... ليتَ أيورَ الرِّجال من خَشَبِ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن محمد الرازي أبو عبد الله قال حدثني أبو بجير قال كان ابن مناذر يجلس إلى إسكاف بالبصرة فلا يزال يهجوه بالأبيات فيصبح من ذلك ويقول له أنا صديقك فاتق الله وأبق على الصداقة وابن مناذر يلح فقال الإسكاف فإني أستعين الله عليك وأتعاطى الشعر فلما أصبح غدا عليه ابن مناذر كما كان يفعل فأخذ يعبث به ويهجوه فقال الإسكاف
(كَثُرَتْ أُبوَّتُه وقَلَّ عَديدُه ... ورمى القَضاءِ به فِراشَ مُناذِرِ)
(عبدَ الصُّبيْرِيِّين لم تَكُ شاعِراً ... كيف ادَّعيت اليومَ نِسبَة شاعِرِ)
فشاع هذان البيتان بالبصرة ورواهما أعداؤه وجعلوا يتناشدونهما إذا رأوه فخرج من البصرة إلى مكة وجاور بها فكان هذا سبب هربه من البصرة
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن أبي حاتم قال
قال ابن مناذر ما مر بي شيء قط أشد علي مما مر بي من قول أبي العسعاس في
(كَثُرت أُبوَّتُه وقَلَّ عَديدُه ... ورمى القَضاءُ به فِراشَ مَناذِرِ)
انظر بكم صنف قد هجاني في هذا البيت قبحه الله ثم منعني من مكافأته أنى لم أجد له نباهة فأغضها ولا شرفا فأهدمه ولا قدرا فأضعه
أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثني بشر بن دحية الزبادي أبو معاوية قال
سمعت ابن مناذر يقول إن الشعر ليسهل علي حتى لو شئت ألا أتكلم إلا بشعر لفعلت
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا العباس بن ميمون طايع قال حدثني بعض أصحابنا قال
رأيت ابن مناذر بمكة وهو يتوكأ على رجل يمشي معه وينشد
(إذا ما كِدْتُ أشْكُوها ... إلى قَلْبِي لها شَفَعَا)
(ففرَّق بيننا دَهْرٌ ... يُفرِّق بين ما اجْتَمعَا)
فقلت إن هذا لا يشبه شعرك فقال إن شعري برد بعدك
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا أبو أيوب المديني قال
حدثنا بعض أصحابنا أن محمد بن عبد الوهاب الثقفي تزوج امرأة من ثقيف يقال لها عمارة وكان ابن مناذر يعاديه فقال في ذلك
(لمّا رأيتُ القَصْفَ والشَّارَهْ ... والبَزَّ قد ضاقَتْ به الحارَهْ)
(والآسَ والرَّيحان يُرْمَى به ... مِن فَوْقِ ذِي الدَّارَةِ والدَّارَه)
(قُلتُ لِمَنْ ذا قِيلَ أُعجوبةٌ ... مُحمَّدٌ زَوجُ عَمّارَهْ)
(لا عَمَّرَ اللَّهُ بها رَبْعَه ... فإنّ عَمّارةَ بَدْ كارَه)
((وَيْحَكِ فرِّي واعصُِي فاكِ لي ... فهذه أُختُكِ فَرَّارَهْ
قال فوالله ما لبثت عنده إلا مديدة حتى هربت وكانت لها أخت قبلها متزوجة إلى بعض أهل البصرة ففركته وهربت منه فكانوا يعجبون من موافقة فعلها قول ابن مناذر
قال أبو أيوب وحدثت أن أبا امية واسمه خالد - وهو الذي يقول فيه أبو نواس
(أيها المُقْبِلان من حَكَمان ... كيف خَلَّفْتُما أبا عُثْمان)
(وأبا أُمَيَّة المُهَذَّب والمَاجِد ... والمُرتَجَى لرَيْبِ الزَّمانِ)
كان خطب امرأة من ثقيف ثم من ولد عثمان بن أبي العاصي فرد عنها وتصدى للقاضي أن يضمنه مالا من اموال - اليتامى فلم يجبه إلى ذلك ولم يثق به فقال فيه ابن مناذر
(أبا أُميَّة لا تَغْضَبْ عليَّ فَما ... جزاءُ ما كان فيما بيننا الغَضَبُ)
(إن كان رَدَّكَ قومٌ عن فَتاتِهِمُ ... ففي كَثير من الخُطّابِ قد رَغِبوا)
(قالوا عَلَيْك دُيونٌ ما تَقومُ بها ... في كلِّ عامٍ بها تُستَحْدَثُ الكُتُبُ)
(وقد تَقَحّمَ مِن خَمْسينَ غايَتُها ... معْ أنه ذو عِيال بَعْدَ ما انْشَعَبُوا)
(وفي الَّتي فَعَل القاضي فلا تَجِدَنْ ... فلَيْس في تلك لي ذَنْبٌ ولا ذَنَبُ)

(أردتَ أموالَ أيتام تُضَمِّنُها ... وما يُضَمِّنُ إلاَّ مَنْ له نَشَبُ
نماذج من شعره في الرثاء والهجاء والمدح
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني أحمد بن زهير قال سمعت إبراهيم بن المنذر الخزامي يقول
بلغ ابن مناذر عن ابن دأب قول قبيح قال فدعاني وقال اكتب
(فمن يَبْغِ الوَصاةَ فإنَّ عِندي ... وَصاةً للكُهولِ وللشَّبابِ)
(خُذُوا عنْ مالِكٍ وعن ابْنِ عَوْنٍ ... ولا تَرْوُوا أحاديثَ ابنِ دابِ)
(ترى الغاوين يَتَّبِعون منها ... ملاهِيَ من احاديثٍ كِذابِ)
(إذا التُمِسَتْ منَافِعُها اضمَحَلَّتْ ... كما يَرْفَضُّ رَقْراقُ السَّحابِ)
قال فرويت وافتضح بها ابن دأب قال الحزامي فلما قدمت العراق وجدتهم قد جعلوها
(... خُذُوا عن يُونُسٍ وعَنِ ابن عَوْنِ)
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا أبو حاتم قال
كان الرشيد قد وصل ابن مناذر مرات صلات سنية فلما مات الرشيد رثاه ابن مناذر فقال
(مَنْ كان يَبكِي للعُلا ... مَلِكاً وللهِمَمِ الشَّرِيفَهْ)
((فليَبْكِ هارونَ الخَلِيفَةَ ... للخَلِيفَةِ والخَلِيفَة
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة عن محمد بن سلام قال
كان محمد بن طليق وسائر بني طليق أصدقاء لابن مناذر فلما ولي المهدي الخلافة استقضى خالد بن طليق وعزل عبيد الله بن الحسن بن الحر فقال ابن مناذر يهجو خالدا مجونا وخبثا منه
(أصبح الحاكمُ يا للناسِ ... من آلِ طَلِيقِ)
(جالِساً يَحكُمِ في النّا ... سِ بِحُكْمِ الجاثَلِيقِ)
(يدعِ القَصْدَ ويَهْوي ... في بُنَيّاتِ الطَّريقِ)
(يا أبَا الهَيْثَمِ ما كنتَ ... لهذا بخَلِيقِ)
(لا ولا كنتَ لما حُمِّلتَ ... منه بمُطِيقِ)
(حَبْلُه حَبْلُ غرورٍ ... عنده غيرُ وثيقِ)
قال ابن سلام فقلت لابن مناذر ويحك إذا بلغ إخوانك وأصدقاءك من آل طليق أنك هجوتهم ما يقولون لك وبأي شيء تعتذر إليهم فقال لا يصدقون إذا بلغهم أني هجوتهم بذلك لأنهم يثقون بي
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني الحسن بن عليل عن مسعود بن بشر قال حدثنا محمد بن مناذر قال
كنت بمكة فاشتكيت فلم يعدني من قريش إلا بنو مخزوم وحدهم فقلت أمدحهم
((جاءت قُريشٌ تعودُني زُمراً ... فقد وَعَى أجرَها لها الحَفَظَهْ
(ولم تَعُدْنِي تَيْمٌ وإخوتُها ... وزارَني الغُرُّ من بني يقَظَهْ)
(لن يَبْرَحَ العِزُّ منهمُ أبداً ... حتى تَزُولَ الجِبالُ من قُرَظَهْ)
أخبرني الحسن عن ابن مهرويه عن إسحاق بن محمد النخعي قال
كنا عند ابن عائشة فقال لعبد الرحمن ابنه أنشدني مرثية ابن مناذر عبد المجيد فجعل ينشدها فكلما أتى على بيت استحسنه حتى أتى على هذا البيت
(لأقِيمَنَّ مَأتماً كَنُجومِ اللَّيْلِ ... زُهْراً يَخْمِشْنَ حُرَّ الخُدودِ)
فقال ابن عائشة هذا كلام لين كأنه من كلام المخنثين فلما أتى على هذا البيت
(كُنتَ لي عِصْمةً وكُنتَ سماءً ... بك تَحْيا أرضِي ويَخْضَرُّ عُودِي)
فقال هذا بيتها ثم أنشد
(إنَّ عبدَ المَجِيد يوم تَوَلَّى ... هَدَّ رُكْناً ما كان بالمَهْدُودِ)
(ما دَرَى نَعشُه ولا حامِلُوه ... ما علي النَّعشِ مِن عفافٍ وجُودِ)
(وأرانا كالزَّرعِ يَحصُدُنا الدَّهْر ... فمِن بين قائمٍ وحَصيدِ)
فقال ابن عائشة أحصلنا زرعا يحصدنا الله فليس هذا من كلام المسلمين ألا ترى إلى قوله إنه يقول
(يَحكُم الله ما يشاءَ فَيُمْضِي ... ليس حُكْمُ الإله بالمَرْدُودِ)
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن موسى ولم يتجاوزه بالإسناد
ونسخت هذا الخبر من كتاب ابن أبي مريم الحاسب حدثني ابن القداح وعبد الله بن إبراهيم بن قدامة الجمحي قالا حدثنا ابن مناذر قال
حج الرشيد بعد إيقاعه بالبرامكة وحج معه الفضل بن الربيع وكنت مضيقا مملقا فهيأت فيه قولا أجدت تنميقه وتنوقت فيه فدخلت إليه في يوم التروية وإذا هو يسأل عني ويطلبني فبدرني الفضل بن الربيع قبل أن أتكلم فقال يا أمير المؤمنين هذا شاعر البرامكة وما دحهم وقد كان البشر ظهر لي في وجهه لما دخلت فتنكر وعبس في وجهي فقال الفضل مره يا أمير المؤمنين أن ينشدك قوله فيهم
(... أتانا بَنُو الأملاك من آلِ بَرْمك)
فقال لي أنشد فأبيت فتوعدني واكرهني فأنشدته
(أتانَا بَنُو الأملاكِ من آلِ بَرْمَكٍ ... فيا طِيبَ أخبارٍ ويا حُسْنَ مَنْظَرِ)
(إذا وردوا بطحاءَ مكةَ أشرقت ... بيَحْيَى وبالفضلِ بن يحيى وجعفرِ)
(فتُظلم بَغدادٌ ويَجْلُو لنا الدُّجى ... بمكّة ما حجّوا ثلاثةُ أقْمُرِ)
(فما صلَحت إلا لجُودٍ أكُفُّهم ... وأرجلُهم إلا لأعوادِ مِنْبَرِ)
(إذا راضَ يحيى الأمرَ ذَلَّتْ صِعَابُه ... وحَسْبُكَ مِنْ رَاعٍ له ومُدَبِّرِ)
(ترى الناسَ إجلالاً له وكأنَّهم ... غرانيقُ ماءٍ تحت بازٍ مُصَرْصَرِ)
ثم أتبعت ذلك بأن قلت كانوا أولياءك يا أمير المؤمنين أيام مدحتهم وفي طاعتك لم يلحقهم سخطك ولم تحلل بهم نقمتك

ولم أكن في ذلك مبتدعا ولا خلا أحد من نظرائي من مدحهم وكانوا قوما قد أظلني فضلهم وأغناني رفدهم فأثنيت بما أولوا فقال يا غلام الطم وجهه فلطمت والله حتى سدرت وأظلم ما كان بيني وبين أهل المجلس ثم قال اسحبوه على وجهه ثم قال والله لأحرمنك ولا تركت أحدا يعطيك شيئا في هذا العام فسحبت حتى أخرجت وانصرفت وأنا أسوأ الناس حالا في نفسي وحالي وما جرى علي ولا والله ما عندي ما يقيم يومئذ قوت عيالي لعيدهم فإذا بشاب قد وقف علي ثم قال أعزز علي والله يا كبيرنا بما جرى عليك ودفع إلي صرة وقال تبلغ بما في هذه فظننتها دراهم فإذا هي مائة دينار - قال الصولي في خبره فإذا هي ثلاثمائة دينار - فقلت له من أنت جعلني الله فداءك قال أنا أخوك أبو نواس فاستعن بهذه الدنانير واعذرني فقبلتها وقلت وصلك الله يا أخي وأحسن جزاءك

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا يحيى بن الحسن الربيعي قال حدثنا أبو معاوية الغلابي قال قال سفيان بن عيينة

كلمني ابن مناذر في أن أكلم له جعفر بن يحيى فكلمته له وقد كان ابن مناذر ترك الشعر فقال إن أحب أن يعود إلى الشعر أعطيته خمسين ألفا وإن أحب أن أعطيه على القراءة أعطيته عشرة آلاف فذكرت ذلك له فقال لي خذ لي على القراءة فإني لا آخذ على الشعر وقد تركته

أخبرني عمي عن الكراني عن الرياشي قال قال العتبي

جاءت قصيدة لا يدرى من قائلها فقال ابن مناذر

(هَذِه الدَّهماءُ تَجري فِيكُم ... أُرْسِلَتْ عَمْداً تَجُرُّ الرَّسَنَا)

قال الكراني وحدثني الرياشي قال سمعت خلف بن خليفة يقول

قال لي ابن مناذر قال لي جعفر بن يحيى قل في وفي الرشيد شعرا تصف فيه الألفة بيننا فقلت

(قد تُقطَعِ الرَّحِمُ القريبُ وتُكفَر ... النُّعمى ولا كَتَقارُبِ القَلْبينِ)

(يُدْنِي الهوَى هذا ويُدْنِي ذَا الهوى ... فإذا هُما نَفْسٌ تُرَى نَفْسَيْنِ)

قال مؤلف هذا الكتاب هذا أخذه من كلام رسول الله نقلا فإن ابن عيينة روى عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس عن ابن (عباس أن النبي قال (إن الرحم تقطع وإن النعم تكفر ولن ترى مثل تقارب القلوب

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا العباس بن ميمون قال حدثنا سليمان الشاذكوني قال

كنا عند سفيان بن عيينة فحدث عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله عز وجل (قالوا سلاما) قالوا سدادا قال فقال ابن مناذر وهو إلى جنبي التنزيل أبين من التفسير

ابن مناذر وخبره مع أبي حية النميري

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن أبي حاتم عن العتبي عن أبي معبد قال

مر بنا أبو حية النميري ونحن عند ابن مناذر فقال لنا علام اجتمعتم فقلنا هذا شاعر المصر فقال له أنشدني فأنشده ابن مناذر فلما فرغ قال له أبو حية

ألم أقل لك أنشدني فقالوا له أنشدنا أنت يا أبا حية فأنشدهم قوله

(ألا حَيِّ من أجْلِ الحَبيبِ المَغانِيا ... لَبِسْنَ البِلَى ممّا لَبِسْنَ اللَّيَالِيا)

(إذا ما تَقَاضَى المرءَ يومٌ وليلةٌ ... تَقاضاه شيءٌ لا يَملُّ التَّقَاضِيَا)

فلما فرغ قال له ابن مناذر ما أرى في شعرك شيئا يستحسن فقال له ما في شعري شيء يعاب إلا استماعك إياه فكادا أن يتواثبا ثم افترقا

أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن ابن عائشة قال

ولي خالد بن طليق القضاء بالبصرة وعيسى بن سليمان الإمارة بها فقال محمد بن مناذر يهجوهما بقوله

(الحمدُ لله على ما أرى ... خالدٌ القاضي وعيسَى أمير)

(لكنّ عيسَى نوكُه ساعة ... ونوكُ هذا مَنْجَنُونٌ يدُور)

وقال في شيرويه الزيادي وشيرويه لقب واسمه أحمد وسأله حاجة فأبى أن يقضيها إلا على أن يمدحه

((يا سَمِيَّ النَّبِيِّ بالعَرَبيّهْ ... وسَمِيَّ اللُّيُوثِ بالفارِسيّهْ

(إن غَضِبنَا فأنت عَبدُ ثَقِيفٍ ... أو رَضِينا فأنتَ عبدُ أُمَيَّهْ)

فغضب شيرويه وجعل يشتمه وشاع الشعر بالبصرة فكان بعد ذلك إذا قيل لشيرويه ابن مناذر عليك غضبان أو عنك راض يشتم من يقول له ذلك

أخبرني الحسن بن القاسم الكوكبي قال حدثنا ابن أبي الدنيا قال سمعت محمد بن قدامة الجوهري يقول سمعت سفيان بن عيينة يقول لمحمد بن مناذر كأنك بي قد مت فرثيتني فلما مات قال ابن مناذر يرثيه

(إنّ الذي غُودِرِ بالمُنْحَنى ... هَدّ من الإسلامِ أركانا)

(راحوا بسُفيانَ على نَعْشِه ... والعِلمِ مكسُوَّيْن أكفانا)

(لا يُبعِدَنْكَ اللهُ من هالِكٍ ... وَرَّثتنا عِلْماً وأحزانا)

أخبرنا عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا عبد الله بن مروان بن معاوية الفزاري قال حدثنا سفيان قال سمعت أعرابية تقول من يشتري مني الحزاة فقلت لها وما الحزاة قالت تشتريها النساء للطشة والخافية والإقلات قال عبد الله بن مروان فسألت ابن مناذر عن تفسير ذلك فقال الطشة وجع يصيب الصبيان في رؤوسهم كالزكام والخافية ما خفي من العلل المنسوبة إلى أذى الجن والإقلات قلة الولد وأنشدني ابن مناذر بعقب ذلك

(بُغاثُ الطَّيْر أكثرُها فِراخاً ... وأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلاتٌ نَزُورُ)

أي قليلة الفراخ

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني أبو حاتم قال

سمعت محمد بن مناذر يقول العذراء البتول والبتور والبتيل واحد

وهي المنقطعة إلى ربها

قال وسأله - يعني ابن مناذر - أبو هريرة الصيرفي بحضرتي فقال كيف تقول أما لا أو إمالا فقال له مستهزئا به أمالا ثم التفت إلي فقال أسمعت أعجب من هذه المسألة

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني العباس بن الفضل الربعي قال حدثنا التوزي قال

سألت أبا عبيدة عن اليوم الثاني من النحر ما كانت العرب تسميه قال ليس عندي من ذلك علم فلقيت ابن مناذر بمكة فأخبرته بذلك فعجب وقال أيسقط هذا عن مثل أبي عبيدة هي أربعة أيام متواليات كلها على الراء أولها يوم النحر والثاني يوم القر والثالث يوم النفر والرابع يوم الصدر فحدثته - يعني أبا عبيدة - فكتبه عن ابن مناذر وقد روى ابن مناذر الحديث المسند ونقله عنه المحدثون

بعض روايات له

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا الخليل بن أسد عن محمد بن مسعدة الدراع أبي الجهجاه قال
حدثني محمد بن مناذر الشاعر قال حدثني سفيان الثوري عن الأغر عن وهب بن منبه قال كان يقال الحياء من الإيمان والمذى مكسور الميم مقصور من النفاق فقلت إن الناس يقولون المذاء فقال هو كما أخبرتك فقلت له وما المذا قال اللين في أمر النساء ومنه درع ماذي وعسل ماذي
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني
إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد قال حدثني حامد بن يحيى البلخي قال
حدثني محمد بن مناذر الشاعر قال حدثني يحيى بن عبد الله بن مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عبد الله قال لما نظر رسول الله يوم بدر إلى القتلى وهم مصرعون قال لأبي بكر لو أن أبا طالب حي لعلم أن أسيافنا قد أخذت بالأماثل يعني قول أبي طالب
(كذبتُم وبَيْتِ الله إن جَدَّ ما أرى ... لتَلْتَبِسَنْ أسيافُنا بالأماثِل)
أخبرني محمد بن خلف قال حدثني إسحاق بن محمد النخعي قال
حدثنا ابن مناذر حدثنا سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال قال علي عليه السلام ما قام بي من النساء إلا الحارقة أسماء قال ابن مناذر الحارقة التي تجامع على جنب
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي عن العباس بن عبد الواحد عن محمد بن عمرو عن محمد بن مناذر عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن أبي هريرة قال جاء الشيطان إلى عيسى قال ألست تزعم أنك صادق قال بلى قال فأوف على هذه الشاهقة فألق نفسك منها فقال ويلك ألم يقل الله يا بن آدم لا تبلني بهلاكك فإني أفعل ما أشاء
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال
نظر محمد بن مناذر إلى غلام حسن الوجه في مسجد البصرة فكتب إليه بهذه الأبيات
(وجدتُ في الآثار في بَعْض ما ... حدثنا الأشياخُ في المُسْنَدِ)
(مِمّا رَوَى الأعمَشُ عن جابرٍ ... وعامِرِ الشَّعبي والأسودِ)
((وما روى شُعْبةُ عن عاصمٍ ... وقاله حَمّاد عن فَرْقَدِ
(وصيَّةً جاءت إلى كل ذي ... خدٍّ خَلا من شَعْرٍ أسودِ)
(أن يَقْبَلُوا الرّاغب في وَصْلِهم ... فاقبَلْ فإني فيك لم أزْهَدِ)
(نَوِّلْ فكَم من جمْرَةٍ ضَمَّها ... قَلْبي من حُبِّك لم تبْرُدِ)
فلما قرأها الفتى ضحك وقلب الرقعة وكتب في ظهرها لست شاعرا فأجيبك ولا فاتكا فأساعدك وأنا أعوذ بالله ربك من شرك
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا محمد بن عبد الله العبدي قال حدثنا علي بن المبارك الأحمر قال
لقي أبو العتاهية ابن مناذر بمكة فجعل يمازحه ويضاحكه ثم دخل على الرشيد فقال يا أمير المؤمنين هذا ابن مناذر شاعر البصرة يقول قصيدة في سنة وأنا أقول في سنة مائتي قصيدة فقال الرشيد أدخله إلي فأدخله إليه وقدر أنه يضعه عنده فدخل فسلم ودعا فقال ما هذا الذي يحكيه عنك أبو العتاهية فقال ابن مناذر وما ذاك يا أمير المؤمنين قال زعم أنك تقول قصيدة في سنة وأنه يقول كذا وكذا قصيدة في السنة فقال يا أمير المؤمنين لو كنت أقول كما يقول
(ألا يا عُتْبَة السَّاعةْ ... أموتُ السَّاعةَ السَّاعةْ)
لقلت منه كثيرا ولكني الذي أقول
(إنَّ عبدَ المَجِيدِ يوم تولَّى ... هَدَّ رُكْناً ما كان بالمَهْدُودِ)
(ما دَرَى نَعْشُه ولا حامِلُوه ... ما عَلَى النَّعْشِ مِنْ عَفافٍ وجُودِ)
فقال له الرشيد هاتها فأنشدنيها فأنشده فقال الرشيد ما كان ينبغي أن تكون هذه القصيدة إلا في خليفة أو ولي عهد ما لها عيب إلا أنك قلتها في سوقة وأمر له بعشرة آلاف درهم فكاد أبو العتاهية يموت غما وأسفا
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا إبراهيم بن الجنيد قال
سألت يحيى بن معين عن محمد بن مناذر الشاعر فقال لم يكن بثقة ولا مأمون رجل سوء نفي من البصرة ووصفه بالمجنون والخلاعة فقلت إنما تكتب شعره وحكايات عن الخليل بن أحمد فقال هذا نعم وأما الحديث فلست أراه موضعا له

خبر وفاته

أخبرني الحسن قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال
رأيت ابن مناذر في الحج سنة ثمان وتسعين ومائة قد كف بصره وتقوده جويرية حرة وهو واقف يشتري ماء قربة فرأيته وسخ الثوب والبدن فلما صرنا إلى البصرة أتتنا وفاته في تلك الأيام
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا خلاد الأرقط قال
تذاكرنا ابن مناذر في حلقة يونس فقدح فيه أكثر أهل الحلقة حتى نسبوه إلى الزندقة فلما صرت في السقيفة التي في مقدم المسجد سمعت قراءة قريبة من حائط القبلة فدنوت فإذا ابن مناذر قائم يصلي فرجعت إلى الحلقة فقلت لأهلها قلتم في الرجل ما قلتم وها هو ذا قائم يصلي حيث لا يراه إلا الله عز وجل
أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني النحوي قال حدثنا أحمد بن القاسم البرقي قال حدثنا أحمد بن يعقوب قال حدثني أحمد بن يحيى

الهذلي التمار عن عبد الله بن عبد الصمد الضبي قال
كنا يوما جلوسا في حلقة هبيرة بن جرير الضبي إذ أقبل محمد بن مناذر في برد قد كسته إياه بانة بنت أبي العاصي فسلم علي وحدي ولم يعرف منهم أحدا ثم قام فجلس إلى أبي خيرة فخاطبه مخاطبة خفيفة وقام مغضبا فقال لي هبيرة من هذا فقلت محمد بن مناذر فقال إنا لله قوموا بنا فقام إلى أبي خيرة فقال له ماذا قال لك ابن مناذر قال سألني عن شيء وكنت مشغولا عنه فقال يا أبا خيرة إن العشائر تغبطنا لعلمك وما جعل الله عندك فنشدناك الله أن تكون لنا كما كان عرادة لبني نمير فإنه تعرض لجرير فهجاه فعمهم فقال
(عَرادَةُ من بَقيَّةِ قَوْمِ لُوطٍ ... ألاَ تَبّاً لِمَا فَعَلوا تَبابا)
أتدري من كان عندك آنفا قال لا قال ابن مناذر وما تعرض لأعراض قوم قط إلا هتكها وهتكهم فإذا جاءك يسألك عن شيء فأجبه ولا تعتل عليه بالبول ولا تطلب منه شيئا وكل ما أردت من جهته ففي مالي قال أفعل قال وكان أبوه خيرة إذا سأله إنسان عن شيء ولم يعطه شيئا يعتل عليه بالبول فما شعرنا من غد إلا بابن مناذر وقد أقبل فعلمنا أنه قصد أبا خيرة فأتيناه فلما رأى جمعنا استحيا منا وسلم علينا وتبسم ثم قال يا أبا خيرة قد قلت شعرا وقبيح بمثلي أن يسأل عنه فلا يدري ما فيه وإني ذكرت فيه إنسانا فشبهته بالأفار فأي شيء هو فاحمر وجه أبي خيرة واضطرب وقال هو التيس الوثاب الذي ينزو وقضيبه رخو فلا يصل فقال جزيت خيرا ووثب وهو يضحك فقمنا إليه وقلنا قد علمنا أنك عنيت هذا الشيخ فإن رأيت أن تهبه لنا فافعل فإنه شيخنا قال والله ما عنيت غيره وقد وهبته لكم وكرامة والله لا يسمع مني أحد ما قلت فيه ولا أذكره إلا بخير أبدا وإن كان قد أساء العشرة أمس

صوت

(لا زلتَ تَنشرُ أعياداً وتَطْوِيها ... تمضي بها لَكَ أَيّامٌ وتُمْضِيها)
(ولا تَقضَّت بكَ الدنيا ولا بَرِحَتْ ... تَطْوِي لك الدهرَ أياماً وتُفْنِيها)
الشعر لأشجع السلمي والغناء لإبراهيم الموصلي ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر وفيه لمحمد قريض لحن من الثقيل الأول وهو من مشهور غنائه ومختاره

نسب أشجع وأخباره

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي والحسن بن علي قالا حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني علي بن الفضل السلمي قال
كان أشجع بن عمرو السلمي يكنى أبا الوليد من ولد الشريد بن مطرود السلمي تزوج أبوه امرأة من أهل اليمامة فشخص معها إلى بلدها فولدت له هناك أشجع ونشأ باليمامة ثم مات أبوه فقدمت به أمه البصرة تطلب ميراث أبيه وكان له هناك مال فماتت بها وربي أشجع ونشأ بالبصرة فكان من لا يعرفه يدفع نسبه ثم كبر وقال الشعر وأجاد وعد في الفحول وكان الشعر يومئذ في ربيعة واليمن ولم يكن لقيس شاعر معدود فلما نجم أشجع وقال الشعر افتخرت به قيس وأثبتت نسبه وكان له أخوان أحمد وحريث ابنا عمرو وكان أحمد شاعرا ولم يكن يقارب أشجع ولم يكن لحريث شعر ثم خرج أشجع إلى الرقة والرشيد بها فنزل على بني سليم فتقبلوه وأكرموه ومدح البرامكة وانقطع إلى جعفر خاصة وأصفاه مدحه فأعجب به ووصله إلى الرشيد ومدحه فأعجب به أيضا فأثرى وحسنت حاله في أيامه وتقدم عنده

أخباره مع الرشيد

أخبرني محمد بن عمران قال حدثني العنزي قال حدثني
صخر بن أسد السلمي قال حدثني أبي أسد بن جديلة قال حدثني أشجع السلمي قال شخصت من البصرة إلى الرقة فوجدت الرشيد غازياً ونالتني خَلَّة فخرجت حتى لقيته منصرفا من الغزو وكنت قد اتصلت ببعض أهل داره فصاح صائح ببابه من كان ها هنا من الشعراء فليحضر يوم الخميس فحضرنا سبعة وأنا ثامنهم وأمرنا بالبكور في يوم الجمعة فبكرنا وأدخلنا وقدم واحد منا ينشد على الأسنان وكنت أحدث القوم سنا وأرثهم حالا فما بلغ إلي حتى كادت الصلاة أن تجب فقدمت والرشيد على كرسي وأصحاب الأعمدة بين يديه سماطان فقال لي أنشدني فخفت أن أبتدىء من أول قصيدتي بالتشبيب فتجب الصلاة ويفوتني ما أردت فتركت التشبيب وأنشدته من موضع المديح في قصيدتي التي أولها
(تذكَّر عهدَ البِيضِ وَهْو لها تِرْبُ ... وأَيّامُ يُصبي الغَانياتِ ولا يَصْبُو)
فابتدأت قولي في المديح
(إلى مَلِكٍ يَستغرِقُ المالَ جُودُه ... مكارِمُه نَثْر ومَعْروفُه سَكْبُ)
(وما زالَ هارونُ الرِّضا بنُ مُحمَّد ... له من مياهِ النَّصْرِ مَشْرَبُها العَذْبُ)
(متى تَبلُغ العِيسُ المَراسِيلُ بابَه ... بنا فهناكَ الرُّحبُ والمنزلُ الرَّحْبُ)
(لقد جُمِعت فيكَ الظُّنون ولم يكن ... بغيرِك ظَنٌّ يستريح له القَلْبُ)
(جَمعتَ ذَوِي الأهواءِ حتى كأنَّهم ... على مَنهجٍ بَعْدَ افتراقِهِم رَكْبُ)
(بَثَثْتَ على الأعداءِ أبناءَ دُرْبِةٍ ... فلم يَقِهِم منهم حُصونٌ ولا دَرْبُ)
((وما زلتَ تَرْمِيهم بهم مُتَفرِّداً ... أنِيساك حَزْمُ الرَّأيِ والصَّارمُ العضبِ
(جَهَدْتُ فلم أبلغ عُلاكَ بِمدحَةٍ... وليس على مَنْ كان مُجتهِداً عَتْبُ)
فضحك الرشيد وقال لي خفت أن يفوت وقت الصلاة فينقطع المديح عليك فبدأت به وتركت التشبيب وأمرني بأن أنشده التشبيب فأنشدته إياه فأمر لكل واحد من الشعراء بعشرة آلاف درهم وأمر لي بضعفها
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن سيار الجرجاني وكان راوية شاعرا مداحا ليزيد بن مزيد قال
دخلت أنا وأشجع والتيمي وابن رزين الخراساني على الرشيد في قصر له بالرقة وكان قد ضرب أعناق قوم في تلك الساعة فجعلنا نتخلل الدماء حتى وصلنا إليه فأنشده أبو محمد التيمي قصيدة له يذكر فيها نقفور ووقعته ببلاد الروم فنثر عليه مثل الدر من جودة شعره وأنشده أشجع قوله
(قَصْرٌ عليه تَحِيَّةٌ وسَلامُ ... أَلقَتْ عليه جَمالَها الأَيّامُ)
(قَصُرتْ سُقوفُ المزنِ دُون سُقُوفِه ... فيه لأَعلامِ الهُدَى أعلامُ)
(تُثنِي على أيَّامِكَ الأيَّامُ ... والشاهِدانِ الحِلُّ والإِحْرامُ)
(أدنتك من ظل النبي وصيّة ... وقرابةٌ وشَجَت بها الأرحام)

(برقت سماؤك في العدو وأمطرت ... هاماً لها ظلّ السيوف غمام)
(وإذا سيوفك صافحت هام العِدَى ... طارت لهن عن الرؤوس الهامُ)
(وعلي عَدُوِّك يابْن عَمِّ محمّدٍ ... رَصَدانِ ضوءُ الصُّبْح والإظْلامُ)
(فإذا تَنَبَّه رُعْتَه وإذا غَفَا ... سلَّت عليه سيُوفَك الأحْلامُ)
وأنشدته أنا قولي
(... زَمَنٌ بأعْلى الرَّقْمَتَيْن قَصِير)
حتى انتهيت إلى قولي
(لا تَبْعَدِ الأيّامُ إذ وَرَقُ الصِّبا ... خَضِلٌ وإذ غَضُّ الشبابِ نضِيرُ)
فاستحسن هذا البيت ومضيت في القصيدة حتى أتممتها فوجه إلي الفضل بن الربيع أنفذ إلي قصيدتك فإني أريد أن أنشدها الجواري من استحسانه إياها
قال وركب الرشيد يوما قبة وسعيد بن سالم معه في القبة فقال أين محمد البيذق وكان رجلا حسن الصوت ينشد الشعر فيطرب بحسن صوته أشد من إطراب الغناء فحضر فقال أنشدني قصيدة الجرجاني فأنشده فقال الشعر في ربيعة سائر اليوم فقال له سعيد بن سالم يا أمير المؤمنين استنشده قصيدة أشجع بن عمرو فأبى فلم يزل به حتى أجاب إلى استماعها فلما أنشده هذين البيتين
(... وعلى عَدُوِّك يابْن عَمّ محمّدٍ)
والذي بعده قال له سعيد بن سالم والله يا أمير المؤمنين لو خرس بعد هذين لكان أشعر الناس
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبي قال
بلغني أن أشجع لما أنشد الرشيد هذين البيتين
(... وعلى عَدُوِّك يابْن عَمِّ مُحمَّدٍ)
والذي بعده طرب الرشيد وكان متكئا فاستوى جالسا وقال أحسن والله هكذا تمدح الملوك
أخبرني أحمد بن إسحاق العسكري والحسن بن علي قالا حدثنا أحمد بن سعيد بن سالم الباهلي عن أبيه قال كنت عند الرشيد فدخل إليه أشجع ومنصور النمري فأنشده أشجع قوله
(وعلي عَدُوِّك يابْن عَمِّ محمَّدٍ ... رَصَدانِ ضوءُ الصُّبْحِ والإظْلامُ)
(فإذا تَنَبَّه رُعتَه وإذا غفَا ... سلَّت عليه سيُوفَك الأحْلامُ)
فاستحسن ذلك الرشيد وأومأت إلى أشجع أن يقطع الشعر وعلمت أنه لا يأتي بمثلهما فلم يفعل ولما أنشده ما بعدهما فتر الرشيد وضرب بمخصرة كانت بيده الأرض واستنشد منصورا النمري فأنشده قوله
(ما تنْقَضِي حَسْرةٌ مِنّي ولا جَزَعُ ... إذا ذَكرتُ شباباً ليس يُرْتَجَعُ)
فمر والله في قصيدة قل ما تقول العرب لها فجعل الرشيد يضرب بمخصرته الأرض ويقول الشعر في ربيعة سائر اليوم فلما خرجنا قلت لأشجع غمزتك أن تقطع فلم تفعل ويلك ولم تأت بشيء فهلا مت بعد البيتين أو خرست فكنت تكون أشعر الناس

أخباره مع جعفر بن يحيى

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني موسى بن عيسى قال اشترى جعفر بن يحيى المرغاب من آل الرشيد بعشرين ألف ألف درهم ورده على أصحابه فقال أشجع السلمي يمدحه بذلك ويقول
(ردَّ السِّباخَ نَدَى يَدَيْه وأهلُها ... منها بمنزلة السِّماكِ الأعزَلِ)
(قد أيقَنُوا بذهابِها وهلاكِهم ... والدَّهرُ يُوعِدُهم بيَوْمٍ أعضَلِ)
(ففاتكَّها لهم وهم من دَهْرهم ... بين الجِرانِ وبين حدِّ الكَلْكَلِ)
(ما كان يُرجَى غيرُه لفَكاكِها ... يُرجَى الكَرِيمُ لكل خَطْبٍ مُعضِلِ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن محمد حران عن قدامة بن نوح قال
جلس جعفر بن يحيى بالصالحية يشرب على مستشرف له فجاءه أعرابي من بني هلال فاشتكى واستماح بكلام فصيح ولفظ مثله يعطف المسؤول فقال له جعفر بن يحيى أتقول الشعر يا هلالي فقال قد كنت أقوله وأنا حدث أتملح به ثم تركته لما صرت شيخا قال فأنشدنا لشاعركم حميد بن ثور فانشده قوله
(لِمَنِ الدِّيارُ بجانب الحُمْسِ ... كمَخَطِّ ذي الحاجاتِ بالنّفْسِ)
حتى أتى على آخرها فاندفع أشجع فأنشده مديحا له فيه قاله لوقته على وزنها وقافيتها فقال
(ذهبَتْ مكارمُ جَعْفَرٍ وفِعالُه ... في النّاس مِثْلَ مذاهب الشمْسِ)
(مَلِك تسوسُ له المَعالِي نفسَه ... والعقلُ خَيْرُ سياسةِ النَّفْسِ)
(فإذا تراءتْه المُلوكُ تراجَعوا ... جَهْرَ الكلام بمَنْطِقٍ هَمْسِ)
(سادَ البرامِكَ جَعْفرٌ وهم الألى ... بعد الخلائف سادَةُ الإنْسِ)
(ما ضرَّ منْ قَصَدَ ابنَ يحيى راغباً ... بالسّعْدِ حلَّ به أم النَّحسِ)
فقال له جعفر صف موضعنا هذا فقال
(قُصُورُ الصالِحيَّة كالعَذارَى ... لَبِسْنَ ثيابَهُنَّ ليَوْمِ عُرْسِ)
(مطلاّتٌ على بَطْنٍ كَسَتْه ... أيادِي الماءِ وَشْياً نَسْجَ غَرْسِ)
(إذا ما الطّلُّ أثّر في ثَراه ... تَنفسَ نَوْرُه من غير نَفْسِ)
(فتَغْبِقُه السَّماءُ بِصِبْغ وَرسٍ ... وتُصْبحه بأكْؤُس عَين شَمسِ)
فقال جعفر للأعرابي كيف ترى صاحبنا يا هلالي فقال أرى خاطره طوع لسانه وبيان الناس تحت بيانه وقد جعلت له ما تصلني به قال بل نقرك يا أعرابي ونرضيه وأمر للأعرابي بمائة دينار ولأشجع بمائتين
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو دعامة قال حدثني أشجع السلمي قال

كنت ذات يوم في مجلس بعض إخواني أتحدث وأنشد إذ دخل عليهم أنس بن أبي شيخ النصري صاحب جعفر بن يحيى فقام له جميع القوم غيري ولم أعرفه فأقوم له فنظر إلي وقال من هذا الرجل قالوا أشجع السلمي الشاعر قال أنشدني بعض قولك فأنشدته فقال إنك لشاعر فما يمنعك من جعفر بن يحيى فقلت ومن لي بجعفر بن يحيى فقال أنا فقل أبياتا ولا تطل فإنه يمل الإطالة فقلت لست بصاحب إطالة فقلت أبياتا على نحو ما رسم لي وصرت إلى أنس فقال تقدمني إلى الباب فتقدمت فلم يلبث أن جاء فدخل وخرج أبو رمح الهمذاني حاجب جعفر بن يحيى فقال أشجع فقمت فقال ادخل فدخلت فاستنشدني فأنشدته أقول

(وتَرَى المُلوكَ إذا رَأيْتَهُمُ ... كُلٌّ بعيد الصَّوْت والجَرْس)

(فإذا بَدَا لَهم ابنُ يحيى جعفرٌ ... رجَعوا الكلاَمَ بمَنْطِق هَمْسِ)

(ذَهَبَتْ مكارمُ جعْفرٍ وفِعالُه ... في النَّاسِ مِثْلَ مذاهِبِ الشَّمْسِ)

قال فأمر له بعشرة آلاف درهم قال وكان أشجع يحب الثياب وكان يكتري الخلعة كل يوم بدرهمين فيلبسها أياما ثم يكتري غيرها فيفعل بها مثل ذلك قال فابتعت أثوابا كثيرة بباب الكرخ فكسوت عيالي وعيال إخوتي حتى أنفقتها

أشجع والفضل بن يحيى

ثم لقيت المبارك مؤدب الفضل بن يحيى بعد أيام فقال لي أنشدني ما قلته في جعفر فأنشدته فقال ما يمنعك من الفضل فقلت ومن لي بالفضل فقال أنا لك به فأدخلني عليه فأنشدته

(وما قدَّم الفَضْلَ بنَ يحيى مكانُه ... على غيرِه بل قدَّمَتْه المَكارمُ)

(لقد أرهَبَ الأعداءَ حتى كأنما ... على كل ثَغْرٍ بالمَنِيَّةِ قائمُ)

فقال لي كم أعطاك جعفر فقلت عشرة آلاف درهم فقال أعطوه عشرين ألفا

أخبرني علي بن صالح قال حدثني أحمد بن أبي فنن قال حدثني داود بن مهلهل قال

لما خرج جعفر بن يحيى ليصلح أمر الشام نزل في مضربه وأمر بإطعام الناس فقام أشجع فأنشده قوله

(فِئتان بَاغِيةٌ وطاغِيةٌ ... جلَّت أمورُهما عن الخَطْبِ)

(قد جاءكُم بالخيلِ شازِبَةً ... ينقلن نحوكم رَحَى الحرْبِ)

(لم يَبْقَ إلا أن تدُورَ بكم ... قد قام هاديها على القُطْبِ)

قال فأمر له بصلة ليست بالسنية وقال له دائم القليل خير من منقطع الكثير فقال له ونزره أكثر من جزيل غيره فأمر له بمثلها قال وكان يجري عليه في كل جمعة مائة دينار مدة مقامه ببابه

أخبرني محمد بن النحوي صهر المبرد قال حدثني الفضل بن محمد اليزيدي قال حدثنا إسحاق الموصلي قال

دخلت إلى الرشيد يوما وهو يخاطب جعفر بن يحيى بشيء لم أسمع ابتداءه وقد علا صوته فلما رآني مقبلا قال لجعفر بن يحيى أترضى بإسحاق قال جعفر والله ما في علمه مطعن إن أنصف فقال لي أي شيء تروي للشعراء المحدثين في الخمر أنشدني من أفضل ما عندك وأشده تقدما فعلمت أنهما كانا يتماريان في تقديم أبي نواس فعدلت عنه إلى غيره لئلا أخالف أحدهما فقلت لقد أحسن أشجع في قوله

(ولقد طَعَنتُ الليلَ في أعجازه ... بالكأس بين غَطارفٍ كالأنْجُمِ)

(يَتمايلُون على النعيم كأنّهم ... قُضُبٌ من الهنديّ لم تتثلّمِ)

(وسعَى بها الظّبيُ الغرير يزيدُها ... طِيباً ويَغْشِمِها إذا لم تَغْشِمِ)

(والليلُ مُنْتقِبٌ بفضْلِ ردائِه ... قد كاد يَحْسِر عن أغرٍّ أرْثَمِ)

(فإذا أدارَتْها الأكفُّ رأيتَها ... تَثْنِي الفصيحَ إلى لسان الأعجمِ)

(وعلى بَنانِ مُديرِها عِقْيانَةٌ ... من سَكْبِها وعلى فضول المِعْصَمِ)

(تَغْلي إذا ما الشِّعْريانِ تَلَظّيا ... صيفا وتَسْكُن في قلوعِ المِرْزَمِ)

(ولقد فَضَضْناها بخاتَم ربِّها ... بِكْراً وليس البِكْرُ مثلَ الأيِّمِ)

(ولها سُكونٌ في الإناء وخلفَها ... شغَبٌ يُطوِّحُ بالكَمِيِّ المُعْلِمِ)

((تُعطي على الظّلم الفتى بقيادِها ... قَسْراً وتَظلمه إذا لم يَظْلِمِ

فقال لي الرشيد قد عرفت تعصبك على أبي نواس وإنك عدلت عنه متعمدا ولقد أحسن أشجع ولكنه لا يقول أبدا مثل قول أبي نواس

(يا شَقِيقَ النَّفس من حَكَمٍ ... نِمْتَ عن لَيْلي ولم أنَمِ)

فقلت له ما علمت ما كنت فيه يا أمير المؤمنين وإنما أنشدت ما حضرني فقال حسبك قد سمعت الجواب

قال الفضل وكان في إسحاق تعصب على أبي نواس لشيء جرى بينهما

شعر أشجع يطرب الواثق

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال

اصطبح الواثق في يوم مطير واتصل شربه وشربنا معه حتى سقطنا لجنوبنا صرعى وهو معنا على حالنا فما حرك أحد منا عن مضجعه وخدم الخاصة يطوفون علينا ويتفقدوننا وبذلك أمرهم وقال

لا تحركوا أحدا عن موضعه فكان هو أول من أفاق منا فقام وأمر بإنباهنا فأنبهنا فقمنا فتوضأنا وأصلحنا من شأننا وجئت إليه وهو جالس وفي يده كأس وهو يروم شربها والخمار يمنعه فقال لي يا إسحاق أنشدني في هذا المعنى شيئا فأنشدته قول أشجع السلمي

(ولقد طعنت الليلَ في أعْجازه ... بالكأس بين غَطارِفٍ كالأنجُمِ)

(يتمايلُون على النَّعيمِ كأنَّهم ... قُضُبٌ من الهنديّ لم تَتَثلّمِ)

(وسعَى بها الظّبيُ الغرير يَزيدُها ... طيباً ويَغْشِمها إذا لم تُغْشِمِ)

((والليل مُنْتَقِب بفضل ردائِه ... قد كان يُحسر عن أغرٍّ أرْثَمِ

(وإذا أدارتها الأكفُّ رأيتها ... تثْنِي الفَصِيحَ إلى لِسانِ الأعْجَمِ)

(وعلى بَنانِ مُديرِها عِقْيانَةٌ ... من لونها وعلى فُضُولِ المِعْصَمِ)

(تَغَلي إذا ما الشِّعريانِ تَلَظّياً ... صيفا وتسكُن في طُلُوع المِرْزَمِ)

(ولقد فَضَضْناها بخاتَم رَبِّها ... بِكْراً وليس البِكْرُ مثلَ الأيِّمِ)
(ولها سُكونٌ في الإناءِ وخلفَها ... شغَبٌ يُطوِّحُ بالكَمِيِّ المُعْلَمِ)
(تُعطِي على الظُّلْمِ الفتَى بِقِيادِها ... قَسْراً وتَظلمه إذا لم يَظْلِمِ)
فطرب وقال أحسن والله أشجع وأحسنت يا أبا محمد بحياتي فأعدتها وشرب كأسه وأمر لي بألف دينار
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثنا أبو هفان قال
ذكر أبو دعامة أن أشجع دخل على الفضل بن الربيع وقد توفي ابنه العباس والناس يعزونه فعزاه فأحسن ثم استأذنه في إنشاد مرثية قالها فيه فأذن له فأنشده
(لا تبكِيَنَّ بعَيْن غير جائدةٍ ... وكلُّ ذِي حَزَنٍ يبكِي كما يجِدُ)
(أيُّ امريءٍ كان عباسٌ لنائبةٍ ... إذا تَقَنَّع دونَ الوالد الوَلَدُ)
(لم يُدنِه طمعٌ من دار مُخْزِيَةٍ ... ولم يَعِزّ له من نعمة بلَدُ)
(قد كنتُ ذا جَلَدٍ في كلّ نائبةٍ ... فبانَ مِنّي عليك الصبرُ والجلَدُ)
(لمَّا تسامتْ بِك الآمالُ وابتهجت ... بك المروءةُ واعتدَّت بكِ العُدَدُ)
(ولم يكُن لِفتَى في نفسه أملٌ ... إلا إليك به من أرضِه يَفِدُ)
(وحين جِئت أمام السّابقين ولم ... يبلل عِذارَك مِيْدانٌ ولا أمدُ)
((وافاكَ يومٌ على نَكْراءِ مشتمِلٌ ... لم يَنْجُ من مِثلِه عادٌ ولا لُبَدُ)
(فما تَكشّفَ إلا عن مُوَلْوِلَةٍ ... حرّى ومُكْتئبٍ أحشاؤُه تَقِدُ)
قال فبكى الفضل وبكى الناس معه وما انصرفوا يومئذ يتذاكرون غير أبيات أشجع
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الحسن بن محمد بن طالب الديناري قال حدثني علي بن الجهم قال
دخل أشجع على الرشيد وقد مات ابن له والناس يعزونه فأنشده قوله
(نقْصٌ من الدين ومن أهله ... نقصُ المنايا من بني هاشمِ)
(قدّمته - فاصبِر على فقدِه - ... إلى أبِيه وأبي القاسمِ)
فقال الرشيد ما عزاني اليوم أحد أحسن من تعزية أشجع وأمر له بصلة
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا العنزي قال حدثني عبد الرحمن بن النعمان السلمي قال كنا بباب جعفر بن يحيى وهو عليل فقال لنا الحاجب إنه لا إذن عليه فكتب إليه أشجع
(لمَّا اشتَكَى جعفرُ بنُ يحيى ... فارقَني النَّومُ والقَرارُ)
(ومَرَّ عَيشِي عليَّ حتى ... كأنّما طَعمُه المُرارُ)
(خوفاً على جعفرِ بن يحيى ... لا حُقِّقَ الخَوفُ والحِذارُ)
(إن يُعفِه الله لا نُحاذِرْ ... ما أحدثَ الليلُ والنهارُ)
قال فأوصل الحاجب رقعته ثم خرج فأمره بالوصول وحده وانصرف سائر الناس
أخبرني الحسن قال حدثنا العنزي قال حدثني محمد بن الحسين عن عمرو بن علي أن أشجع السلمي كتب إلى الرشيد وقد أبطأ عنه شيء أمر له به
(أبلِغْ أميرَ المؤمنين رسالَةً ... لها عَنَقٌ بين الرُّواةِ فسيحُ)
(بأنّ لسانَ الشعر يُنْطِقُه النَّدى ... ويُخرسه الإبطاءُ وهو فصيحُ)
فضحك الرشيد وقال له لن يخرس لسان شعرك وأمر له بتعجيل صلته
مدحه محمد بن منصور
أخبرني الحسن ومحمد بن يحيى الصولي قالا حدثنا العنزي قال حدثني أحمد بن محمد بن منصور بن زياد وكان يقال لأبيه فتى العسكر قال
أقبل أشجع إلى باب أبي فرأى ازدحام الناس عليه فقال
(على بابِ ابنِ منصور ... علاماتٌ من البَذْلِ)
(جماعاتٌ وحسْبُ البابِ ... نُبْلاً كثرةُ الأهلِ)
فبلغ أبي بيتاه هذان فقال هما والله أحب مدائحه إلي
أخبرني عمي والحسن بن علي قال حدثنا الفضل بن محمد اليزيدي قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال
لما ولى الرشيد جعفر بن يحيى خراسان جلس للناس فدخلوا عليه يهنئونه ثم دخل الشعراء فأنشدوه فقام أشجع آخرهم فاستأذن في الإنشاد فأذن له فأنشده قوله
(أتصبِرُ للبَيْن أم تجزَعُ ... فإنّ الدِّيارَ غداً بَلْقَعُ)
(غداً يتفرّقُ أهلُ الهوى ... ويكثُر باكٍ ومُسْتَرجِعُ)
حتى انتهى إلى قوله
(ودوِّيَّةٍ بين أقطارِها ... مقاطيعُ أرضِينَ لا تُقْطَعُ)
(تَجاوزتُها فوق عَيْرانَةٍ ... من الريح في سَيرِها أسرعُ)
(إلى جعفرٍ نزعتْ رَغبةٌ ... وأيّ فتىً نحوه تَنْزِعُ)
(فما دُونه لامرِيءٍ مَطْمَعٌ ... ولا لامرِيءٍ غيره مقنعُ)
(ولا يرفع الناسُ من حَطّه ... ولا يَضعُون الذي يَرفَعُ)
(يُريدُ الملوكُ مَدَى جعفرٍ ... ولا يَصنعُون كما يَصنَعُ)
(وليس بأوْسعِهم في الغِنَى ... ولكنّ معروفه أوسعُ)
(تلوذُ الملوكُ بآرائه ... إذا نالها الحدَثُ الأفظعُ)
(بَديهتهُ مِثلُ تَدْبيرِه ... متى رُمْتَه فهو مُسْتَجْمِعُ)
(وكم قائلٍ إذْ رأى ثَرْوَتي ... وما في فضول الغنى أصنعُ)
(غدَا في ظِلال نَدَى جعفرٍ ... يَجُرُّ ثِيابَ الغِنَى أشجعُ)
(فقُلْ لخراسانَ تحيا فقد ... أتاها ابنُ يحيى الفَتَى الأروعُ)

فأقبل عليه جعفر بن يحيى ضاحكا واستحسن شعره وجعل يخاطبه
مخاطبة الأخ أخاه ثم أمر له بألف دينار
قال ثم بدا للرشيد في ذلك التدبير فعزل جعفرا عن خراسان بعد أن أعطاه العهد والكتب وعقد له العقد وأمر ونهى فوجم لذلك جعفر فدخل عليه أشجع فأنشده يقول
(أمست خُراسانُ تُعزَّى بما ... أخْطأها من جعفر المُرْتَجَى)
(كان الرشيدُ المُعتَلَى أمرُه ... ولى عليها المُشرقَ الأبلَجَا)
(ثم أراه رأيُه أنّه ... أمسَى إليه منهمُ أحْوَجا)
(فكمْ به الرَّحمنُ من كُربة ... في مُدَّةٍ تقصُرُ قد فَرّجا)
فضحك جعفر ثم قال لقد هونت علي العزل وقمت لأمير المؤمنين بالعذر فسلني ما شئت فقال قد كفاني جودك ذلة السؤال فأمر له بألف دينار آخر
مدحه محمد الأمين وهو طفل
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن أبي دعامة عن أشجع قال
دخلت على محمد الأمين حين أجلس مجلس الأدب للتعليم وهو ابن أربع سنين وكان يجلس فيه ساعة ثم يقوم فأنشدته
(ملكٌ أبوه وأمُّه من نَبْعَةٍ ... منها سِراجُ الأُمَّةِ الوَهَّاجُ)
(شرِبَتْ بمكة في رُبا بَطْحائها ... ماءَ النُّبوّة ليس فيه مِزاجُ)
يعني النبعة قال فأمرت له زبيدة بمائة ألف درهم قال ولم
يملك الخلافة أحد أبوه وأمه من بني هاشم إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ومحمد بن زبيدة
أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن يحيى الصولي قالا حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا المهزمي قال
لما ولى إبراهيم بن عثمان بن نهيك الشرطة دخل عليه أشجع فأنشده قوله فيه
(لِمَنِ المنازلُ مثلُ ظَهْرِ الأرقَمِ ... قَدُمت وعَهْدُ أنيسِها لم يَقْدُمِ)
(فَتَكَتْ بها سنَتانِ تَعْتورانِها ... بالمُعْصِفات وكلّ أسْحَمِ مُرزِمِ)
(دِمَنٌ إذا استَثْبَتَّ عينك عهدَها ... كرَّت إليك بنَظْرَة المُتوهِّمِ)
(ولقد طعَنْتُ الليلَ في أعْجَازه ... بالكأسِ بين غَطارفٍ كالأنْجُمِ)
(يتمايَلُون على النَّعيم كأنَّهم ... قُضُبٌ من الهِنْديّ لم تَتَثلَّمِ)
(والليلُ مُشْتَمِلٌ بِفَضْلِ ردائِه ... قد كاد يَحسِرُ عن أغرٍّ أرثَمِ)
(لِبَني نَهيكٍ طاعةٌ لو أنها ... زُحِمت جوانبها ببأسٍ مُحْطِمِ)
(في سيْف إبراهيمَ خوفٌ واقعٌ ... لِذَوي النِّفاق وفيه أمْنُ المُسْلِمِ)
(ويَبيتُ يَكْلأُ - والعيونُ هواجعٌ - ... مالَ المُضيع ومُهْجَةَ المُستَسْلِمِ)
(لَيلٌ يُواصِلُه بضَوْءِ نَهاره ... يقظانُ ليس يَذُوق نومَ النُّوَّمِ)
(شدَّ الخِطامَ بأنفِ كلِّ مُخالفٍ ... حتى استقام له الذي لم يُخْطَمِ)
(لا يُصلِح السُّلطانَ إلا شِدَّةٌ ... تَغْشَى البَريءَ بفضل ذَنْب المُجْرِمِ)
(مَنَعتْ مهابَتُك النفوسَ حَديثَها ... بالشيء تكرهه وإن لم تَعْلَمِ)
(ونهَجْتَ في سُبُل السِّياسة مَسْلَكاً ... ففهِمت مذهبَها الذي لم يُفْهَمِ)
فوصله وحمله وخلع عليه
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا الغلابي قال حدثنا مهدي بن سابق قال
أعطى جعفر بن يحيى مروان بن أبي حفصة - وقد مدحه - ثلاثين ألف درهم وأعطى أبا البصير عشرين ألفا وأعطى أشجع - وقد أنشده معهما - ثلاثة آلاف درهم وكان ذلك في أول اتصاله به فكتب إليه أشجع يقول
(أعطيتَ مروانَ الثَّلاثينَ ... التي دَلَّت رِعاتَهْ)
(وأبا البَصير وإنما ... أعطيتَني منهم ثلاثَهْ)
(ما خانَني حَوْكُ القريض ... ولا اتّهمتَ سِوَى الحداثَهْ)
فأمر له بعشرين ألف درهم أخرى
حدثني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري قال حدثني أبو هفان قال حدثني سعيد بن هريم وأبو دعامة قالا
كان انقطاع أشجع إلى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن
العباس فقال الرشيد للعباس يوما يا عم إن الشعراء قد أكثروا في مدح محمد بسببي وبسبب أم جعفر ولم يقل أحد منهم في المأمون شيئا وأنا أحب أن أقع على شاعر فطن ذكي يقول فيه فذكر العباس ذلك لأشجع وأمره أن يقول فيه فقال
(بَيْعَةُ المأمونِ آخِذَةٌ ... بِعِنان الحَقِّ في أُفُقِهْ)
(أُحكِمتْ مِرَّاتُها عَقداً ... تَمنع المُختال في نَفَقِهْ)
(لن يفكّ المرءُ رِبْقَتَها ... أو يفكَّ الدِّين من عُنُقهْ)
(وله من وَجه والِدِه ... صُورةٌ تمَّت ومن خُلُقِهْ)
قال فأتى بها العباس الرشيد وأنشده إياها فاستحسنها وسأله لمن هي فقال هي لي فقال قد سررتني مرتين بإصابتك ما في نفسي وبأنها لك وما كان لك فهو لي وأمر له بثلاثين ألف دينار فدفع إلى أشجع منها خمسة آلاف درهم وأخذ باقيها لنفسه
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال
وعد يحيى بن خالد أشجع السلمي وعدا فاخره عنه فقال له قوله
(رأيتُكَ لا تَستَلِذُّ المِطالَ ... وتُوفِي إذا غَدَرَ الخائنُ)
(فماذا تُؤخِّر من حاجتي ... وأنتَ لتَعْجِيلها ضامنُ)
(ألَمْ تَرَ أنَّ احتباسَ النَّوالِ ... لمَعْرُوفِ صاحِبِه شائنُ)

فلم يتعجل ما أراد فكتب إليه
(رُويدَكَ إنَّ عِزَّ الفَقْرِ أدنى ... إليَّ من الثّراء مع الهَوانِ)
(وماذا تَبلُغُ الأيَّامُ مِنّي ... بريْبِ صُروفِها ومعِي لِساني
فبلغ قوله جعفرا فقال له ويلك يا أشجع هذا تهدد فلا تعد لمثله ثم كلم أباه فقضى حاجته فقال
(كَفاني صُروفَ الدَّهْرِ يَحْيى بنُ خالد ... فأصبَحتُ لا أرتاعُ للحَدَثانِ)
(كَفاني - كفاه اللهُ كُلَّ مُلِمَّةٍ - ... طِلابَ فُلانٍ مَرَّةً وفُلانِ)
(فأصبَحْتُ في رغْدٍ من العَيْش واسعٍ ... أُقلِّبُ فيه ناظِري ولِساني)
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العنزي عن ابن النطاح قال
ولى جعفر بن يحيى أشجع عملا فرفع إليه أهله رفائع كثيرة وتظلموا منه وشكوه فصرفه جعفر عنهم فلما رجع إليه من عمله مثل بين يديه ثم أنشأ يقول
(أمُفسِدةٌ سُعادُ عليَّ دِيني ... ولائِمَتي على طُولِ الحَنِينِ)
(وما تَدري سُعادُ إذا تَخلَّتْ ... مِن الأشجانِ كَيفَ أخُو الشُّجُونِ)
(تَنامُ ولا أنامُ لِطُول حُزْني ... وأيْنَ أخُو السُّرور مِن الحَزين)
(لقد راعَتْكَ عند قَطِين سُعْدى ... رواحِلُ غادياتٌ بالقَطِين)
(كأنَّ دُموعَ عَيْني يومَ بانوا ... عِيانا سَحُّ مُطّرِدٍ مَعِين)
(لقد هَزَّت سِنانَ القَوْلِ مِنّي ... رجالُ رَفِيعَةٍ لم يعرِفوني)
(هُمُ جازُوا حِجابَكَ يا بْنَ يَحْيى ... فقالوا بالذي يَهْوَوْنَ دُوني)
(أطافُوا بي لديكَ وغِبتُ عنهم ... ولو أدنَيْتَني لتجَنّبوني)
(وقد شهِدتْ عُيونُهُمُ فمالَت ... عليَّ وغُيِّبتْ عنهم عُيوني
(ولَمَّا أن كَتبْتُ بما أرادُوا ... تَدرَّعَ كُلُّ ذي غَمْزٍ دَفِين)
(كَففتُ عن المقاتِل بادِياتٍ ... وقد هَيَّأتُ صَخْرَةَ مَنْجَنُونِ)
(ولو أرسلتُها دَمَغَتْ رِجالاً ... وصالَت في الأخِشَّة والشُّؤُون)
(وكنت إذا هززتُ حُسامَ قَوْلٍ ... قطعت بحُجّتي عَلَقَ الوَتِين)
(لعلّ الدهرَ يُطلِق من لساني ... لهم يوماً ويَبْسط من يَميني)
(فأقضِيَ دَينَهم بوفاء قَوْلٍ ... وأثقلهم لصدقي بالديون)
(وقد علِموا جَمِيعاً أنّ قَولِي ... قريبٌ حين أدْعُوه يجِيني)
(وكُنتُ إذا هَجَوتُ رَئِيسَ قَومٍ ... وسَمْتُ على الذُّؤابة والجَبِين)
(بخطٍّ مثلِ حَرْقِ النّارِ باقٍ ... يلوح على الحَواجِب والعُيون)
(أمائِلَةٌ بوُدِّك يابْنَ يَحْيى ... رجالاتٌ ذَوُو ضِغْنٍ كَمِين)
(يَشِيمون السُّيوفَ إذا رَأوْني ... فإن وَلّيتُ سُلَّت من جُفونِ)
(ولو كُشِفَت سرائِرُنا جَمِيعاً ... علمتَ مَن البَريءُ من الظَّنين)
(علامَ - وأنتَ تَعْلَمُ نُصْحَ جَنْبي ... وأخْذِي منكَ بالسَّبَبِ المتين)
(وعَسفِي كُلَّ مَهْمَهةٍ خلاءٍ ... إليكَ بكلِ يَعْمَلَةٍ أمُون
(وإحْيائي الدُّجَى لك بالقوافِي ... أقِيمُ صدُورَهُنَّ على المُتون)
(تُقرِّب منك أعْدائي وأُنأى ... ويجلسُ مَجْلِسي مَنْ لا يَليني)
(ولو عاتبت نَفْسكَ في مكاني ... إذاً لنَزلتُ عندكَ باليَمِين)
(ولَكِنَّ الشُّكُوكَ نَأيْنَ عَنّي ... بودّكَ والمَصِيرُ إلى اليقِين)
(فإن أنصفْتَني أحرقتَ منهم ... بنُضْجِ الكَيِّ أثْباجَ البطونِ)
اتصاله بجعفر بن المنصور
أخبرني محمد بن يحيى الصولي والحسن بن علي قالا حدثنا العنزي قال حدثنا علي بن الفضل السلمي قال
أول ما نجم به أشجع أنه اتصل بجعفر بن المنصور وهو حدث وصله به أحمد بن يزيد السلمي وابنه عوف فقال أشجع في جعفر بن المنصور قوله
(اذكُروا حُرمَةَ العَواتِكِ مِنّا ... يا بني هاشمِ بن عبدِ منافِ)
(قد وَلَدْناكُم ثَلاثَ ولاداتٍ ... خَلَطْنَ الأشرافَ بالأشرافِ)
(مَهَّدت هاشِماً نجومُ قُصَيٍّ ... وبنو فالِجٍ حجُور عَفافِ)
(إنَّ أرماحَ بُهْثَةَ بنِ سُلَيْمٍ ... لعِجافُ الأطرافِ غيرُ عِجافِ)
(ولأسيافِهم قِرىً غيرُ لَدٍّ ... راجِعٌ في مَراجِعِ الأكتافِ)
(معشَرٌ يُطْعِمُون من ذِرْوَةِ الشَّول ... ويَسقُون خَمْرَةَ الأقْحاف)
(يَضرِبونَ الجَبّارَ في أخدَعَيْه ... ويُسقُّونه نَقِيعَ الذُّعافِ
فشاع شعره وبلغ البصرة ولم يزل أمره يتراقى إلى أن وصلته زبيدة بعد وفاة أبيها بزوجها هارون الرشيد فأسنى جوائزه وألحقه بالطبقة العليا من الشعراء
أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن المرزبان قال حدثني شيبة بن أحمد بن هشام قال حدثني أحمد بن العباس الربيعي أن الذي أوصل أشجع السلمي إلى الرشيد جده الفضل بن الربيع وأنه أوصله له وقال له هو أشعر شعراء أهل هذا الزمان وقد اقتطعته عنك البرامكة فأمره بإحضاره وإيصاله مع الشعراء ففعل فلما وصل إليه أنشده قوله
(قَصرٌ عليه تَحِيَّةٌ وسَلامُ ... نَثَرت عليه جمالَها الأيّامُ)
(فيه اجْتَلى الدُّنْيا الخليفَةُ والْتقتْ ... للملك فيه سَلامَةٌ وسَلامُ)
(قَصرٌ سقُوفُ المُزْنِ دُونَ سُقُوفِه ... فيه لأعلامِ الهُدَى أعْلامُ)
(نَشَرت عليه الأرضُ كُسوتَها التي ... نَسجَ الرَّبيعُ وزخرَفَ الإرْهامُ)
(أدنَتْكَ من ظِلّ النّبيِّ وَصِيَّةٌ ... وقرابَةٌ وُشِجَتْ بها الأرحامُ)

(برقَتْ سَماؤُك في العَدُوِّ وأمْطَرت ... هَاماً لها ظِلُّ السُّيوف غَمامُ)
(وإذا سُيوفُك صافَحتْ هامَ العِدَا ... طارت لهُنَّ عن الرؤوس الهامُ)
(تثني علي أيَّامِكَ الأيَّامُ ... والشَّاهِدان الحِلُّ والإحْرامُ)
(وعَلَى عَدُوِّك يابْنَ عَمِّ مُحمَّدٍ ... رَصَدان ضَوءُ الصُّبح والإظلامُ)
(فإذا تنبَّه رُعته وإذا غَفَا ... سلَّتْ عليه سُيوفَك الأَحْلامُ)
قال فاستحسنها الرشيد وأمر له بعشرين ألف درهم فمدح الفضل بن الربيع وشكر له إيصاله إياه إلى الرشيد فقال فيه قصيدته التي أولها
(غَلَبَ الرُّقادُ على جُفونِ المُسْهَدِ ... وغَرِقْتُ في سَهَرٍ وليلٍ سَرْمَدِ)
(قد جَدَّ بي سَهَرٌ فلم أرقُد له ... والنَّومُ يلعب في جُفون الرُّقَّدِ)
(ولَطَالَما سَهِرَتْ لِحُبِّيَ أعْيُنٌ ... أهدَى السُّهاد لها ولَمَّا أسْهَدِ)
(أيَّامَ أرعى في رياضِ بِطالةٍ ... ورْدَ الصِّبا منها الذي لم يُورَدِ)
(لَهْوٌ يُساعده الشَّبابُ ولم أجِدْ ... بعد الشَّبيبَة في الهوى من مُسْعِدِ)
(وخَفِيفَةِ الأحشاء غيرِ خَفِيفةٍ ... مَجْدُولَةٍ جَدْلَ العِنانِ الأجْرَدِ)
(غَضِبَتْ على أعْطافِها أردافُها ... فالحَرْبُ بين إزارها والمِجْسَدِ)
(خالفتُ فيه عاذِلا ليَ ناصحا ... فرشَدْتُ حين عَصَيْتُ قَول المُرْشِدِ)
(أُقِيمُ مُحتَمِلاً لِضَيمِ حَوادِثٍ ... مع هِمَّةٍ موصولة بالفَرْقَدِ)
(وأرَى مخايلَ ليس يُخلِفُ نَوؤُها ... للفضل إن رَعَدتْ وإن لم تَرْعَدِ)
(للفضل أموالٌ أطافَ بها النَّدَى ... حتى جَهِدْن وجُودُه لم يَجْهَدِ)
(يابْنَ الرَّبيعِ حَسَرتُ شُكْرِي بالتي ... أوليْتَني في عَوْدِ أمرِك والبَدِي)
(أوصَلْتَني ورَفَدْتَني وكلاهُما ... شَرفٌ فقأتُ به عيونَ الحُسَّدِ)
(ووصَفْتَني عند الخَليفة غائباً ... وأذِنْتَ لي فشَهِدْتُ أفخَر مَشْهَدِ)
(وكفَيْتَنِي مِنَنَ الرِّجال بنائلٍ ... أغنَى يَدِي عن أن تُمَدَّ إلى يَدِ)
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العنزي قال حدثني صخر بن أحمد السلمي عن أبيه قال
كنت أنا وأشجع بالرقة جلوسا فمر بنا غلام أمرد رومي جميل الوجه فكلمه أشجع وسأله هل يبيعه مالكه فقال نعم فقال أشجع يمدح جعفر بن يحيى وسأله ابتياعه له فقال
(ومُضْطربِ الوِشاحِ لمُقْلَتَيْه ... علائِقُ ما لِوَصْلتِها انْقِطاعُ)
(تعرَّض لِي بِنَظْرَةِ ذِي دَلالٍ ... يُريعُ بمُقْلَتيه ولا يُراعُ)
(لِحاظٌ ليس تُحجَب عن قُلُوبٍ ... وأمرٌ في الذي يهوى مُطاعُ)
(ووسْعِي ضَيِّقٌ عنه ومالَي ... وضِيقُ الأمرِ يَتْبَعه اتِّساعُ)
(وتعْويلي على مال ابنِ يَحيى ... إليه حَنَّ شَوْقِي والنِّزاعُ)
(وثِقْتُ بجَعْفَرٍ في كلِّ خَطْب ... فلا هُلْكٌ يُخافُ ولا ضَياعُ)
فأمر له بخمسة آلاف درهم وقال اشتره بها فإن لم تكفك فازدد
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث قال
كانت لأشجع جارية يقال لها ريم وكان يجد بها وجدا شديدا فكانت تحلف له إن بقيت بعده لم تعرض لغيره وكان يذكرها في شعره فمن ذلك قوله في قصيدته التي يرثي بها الرشيد
(وليس لأحزان النِّساء تَطاولٌ ... ولكنَّ أحزانَ الرِّجال تَطولُ)
(فلا تَبْخَلِي بالدَّمْعِ عَنِّي فإنّ من ... يَضِنُّ بدَمْعٍ عن هَوىً لَبخيلُ)
(فلا كُنتُ ممن يُتْبِع الرِّيح طَرفَه ... دَبُوراً إذا هَبَّت له وقَبُولُ)
(إذَا دارَ فَيءٌ أتبعَ الفَيءَ طَرفَه ... يَميل مع الأيَّام حَيْثُ تَميلُ)
قال وقال فيها أيضا
(إذا غَمَّضَتْ فَوْقي جفونُ حَفيرَةٍ ... من الأرض فابْكِيني بما كُنتُ أصنَعُ)
(تُعزِّكِ عَنّي عند ذلك سَلْوَةٌ ... وأنْ ليس فِيمَن وارَت الأرضُ مَطْمَعُ)
(إذا لم ترَيْ شَخْصِي وتُغْنِيكِ ثروتي ... ولم تَسْمَعِي منّي ولا منكِ أسمَعُ)
(فحِينئذٍ تَسْلِينَ عنّي وإن يكن ... بُكاءٌ فأقصى ما تُبَكِّين أربَعُ)
(قَليلٌ ورَبِّ البيْتِ يا ريمُ ما أرى ... فَتاةً بمَنْ وَلَّى به الموتُ تَقْنَعُ)
(بمن تَدفَعِين الحادِثاتِ إذا رَمى ... عليكِ بها عامٌ من الجدْبِ يَطلُعُ)
(فحينئذ تَدْرين مَنْ قد رُزِيته ... إذا جَعَلَتْ أركانٌ بينك تُنْزَعُ)
قال فشكته ريم إلى أخيه أحمد بن عمرو فأجابه عنها بشعر نسبه إليها ومدح فيه الفضل أيضا فاختير شعره على شعر أخيه وهو
(ذكرتُ فِراقاً والفراقُ يُصدِّعُ ... وأيُّ حياةٍ بعد مَوْتك تَنْفَعُ)
(إذا الزَّمنُ الغَرَّار فَرَّق بيننا ... فما ليَ في طِيبٍ من العيش مَطْمَعُ)
(ولا كان يومٌ يابْنَ عَمْرٍو وليلةٌ ... يُبدَّدُ فيها شمْلُنا ويُصدَّعُ)
(ولا كان يومٌ فيه تَثْوي رهينةً ... فتَروَى بجسمي الحادِثاتُ وتَشبعُ)
(وألطمُ وجهاً كنتُ فيكَ أصونُه ... وأخشعُ مما لم أكُن منه أخشَعُ)
(ولو أنني غُيِّبْتُ في اللَّحْد لم تَبْلَ ... ولم تَزل الراؤون لي تَتوجَّعُ)
(وهل رجلٌ أبصرته متوجِّعاً ... على امرأةٍ أو عينُه الدَّهرَ تدمعُ)
(ولكن إذا ولَّتْ يقولُ لها اذهبي ... فمِثلُكِ أخرى سوفَ أهوَى وأتبَعُ)
(ولو أبصرَتْ عيناكَ ما بي لأبْصرَت ... صبابةَ قلبٍ غيمُها ليس يُقْشَعُ)
(إلى الفَضل فارْحَلْ بالمديح فإنه ... مَنيعُ الحِمَى معروفُه ليس يُمْنَعُ)

(وزْرُه تَزْرْ حِلْماً وعِلْماً وسُودَداً ... وبأساً به أنفُ الحوادث يُجدَعُ)
(وأبدِعْ إذا ما قلتَ في الفَضْلِ مِدْحَةً ... كما الفضل في بذل المواهب يُبْدِعُ)
(إذا ما حِياضُ المجدِ قلَّتْ مِياهُها ... فحوضُ أبي العَبَّاسِ بالجودِ مُتْرَعُ)
(وإن سَنةٌ ضَنَّتْ بخصبٍ على الوَرَى ... ففي جُودِه مرعىً خصيبٌ ومَشْرَعُ)
(وما بَعُدتْ أرضٌ بها الفَضْلُ نَازِلٌ ... ولا خابَ مَنْ في نائِل الفَضْلِ يَطْمَعُ)
(فنِعمَ المُنادَى الفَضْلُ عند مُلِمَّةٍ ... لدفعِ خُطوبٍ مِثْلُها ليس يُدفَعُ)
(إليكَ أبا العَبَّاسِ سارتْ نجائِبٌ ... لها هِمَمٌ تَسْمُو إليك وتَنْزِعُ)
(يذكْرِك نَحدُوهَا إذا ما تأخَّرَتْ ... فتمضِي على هَوْلِ المُضِيِّ وتُسرِعُ)
(وما لِلِسانِ المدحِ دونك مَشْرَعٌ ... ولا للمطايا دُون بابك مَفْزَعُ)
(إليكَ أبا العَبَّاسِ أحملُ مِدْحَةً ... مَطِيَّتُهَا - حتى توافيك - أشجَعُ)
(فَزِعْتُ إلى جَدْواك فيها وإنما ... الى مفزع الأملاكِ يُلْجا ويُفزَعُ)
قال فأنشدها أشجع الفضل وحدثه بالقصة فوصل أخاه وجاريته ووصله
وقال أحمد بن الحارث فقيل لأحمد بن عمرو أخي أشجع مالك لا تمدح الملوك كما يمدحهم أخوك فقال إن أخي بلاء علي وإن كان فخرا لأني لا أمدح أحدا ممن يرضيه دون شعري ويثيب عليه بالكثير من الثواب إلا قال أين هذا من قول أشجع فقد امتنعت من مدح أحد لذلك
قال أحمد بن الحارث وقال أحمد بن عمرو يهجو أخاه أشجع وقد كان أحمد مدح محمد بن جميل بشعر قاله فيه فسأل - أخاه أشجع إيصاله ودفع القصيدة إليه فتوانى عن ذلك فقال يهجوه - أخبرني بذلك أحمد بن محمد بن جميل
(وسائلةٍ لِي ما أشْجَعُ ... فقلتُ يضر ولا يَنفعُ)
(قريبٌ من الشَّرِّ واعٍ له ... أصَمٌّ عن الخير ما يَسمَعُ)
(بَطيءٌ عن الأمر أحظَى به ... إلى كل ما ساءني مُسرِعُ)
(شَرودُ الودادِ على قُربه ... يُفَرِّقُ منه الذي أجمَعُ)
(أُسَبُّ بأنّي شقيقٌ له ... فأنْفِي به أبداً أجدَعُ)
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
دخلت على الفضل بن يحيى وقد بلغ الرشيد إطلاقه يحيى بن عبد الله بن حسن وقد كان أمره بقتله فلم يظهر له أنه بلغه إطلاقه فسأله عن خبره هل قتلته فقال لا فقال له فأين هو قال ولم قال لأنه سألني بحق الله وبحق رسوله وقرابته منه ومنك وحلف لي أنه لا يحدث حدثا وأنه يجيبني متى طلبته فأطرق ساعة ثم قال امض بنفسك في طلبه حتى تجيئني به واخرج الساعة فخرج قال فدخلت عليه مهنئا بالسلامة فقلت له ما رأيت أثبت من جنانك ولا أصح من رأيك فيما جرى وأنت والله كما قال أشجع
(بديهتُه وفكرتُه سَواءٌ ... إذا ما نابَه الخَطْبُ الكَبِيرُ)
(وأحزمُ ما يَكونُ الدَّهرَ رأياً ... إذا عَيَّ المُشاورُ والمُشِيرُ)
(وصَدرٌ فيه للهمِّ اتِّساعٌ ... إذا ضاقَت بما تَحوي الصُّدورُ)
فقال الفضل انظروا كم أخذ أشجع على هذه القصيدة فاحملوا إلى أبي محمد مثله قال فوجده قد أخذ ثلاثين ألف درهم فحملت إلي
أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي إجازة قال حدثني محمد بن عجلان قال حدثنا ابن خلاد عن حسين الجعفي قال كان أشجع إذا قدم بغداد ينزل على صديق له من أهلها فقدمها مرة فوجده قد مات والنوح والبكاء في داره فجزع لذلك وبكى وأنشأ يقول
(وَيْحَها هل دَرَتْ على مَنْ تَنوحُ ... أسَقيمٌ فُؤادُها أم صَحِيحُ)
(قَمَرٌ أطبَقوا عليه ببغدَادَ ... ضريحاً ماذا أجَنَّ الضَّريحُ)
(رحِمَ اللهُ صاحِبي ونَدِيمي ... رحمةً تَغْتدِي وأُخرى تَرُوحُ)
وهذه القصيدة التي فيها الأبيات المذكورة والغناء فيها من قصيدة يمدح بها أشجع الرشيد ويهنئه بفتح هرقلة وقد مدحه بذلك وهنأه جماعة من
الشعراء وغنى في جميعها فذكرت خبر فتح هرقلة لذكر ذلك

سبب غزاه الرشيد هرقلة

أخبرني بخبره علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال
كان من خبر غزاة الرشيد هرقلة أن الروم كانت قد ملكت امرأة لأنه لم يكن بقي في أهل زمانها من أهل بيتها - بيت المملكة - غيرها وكانت تكتب إلى المهدي والهادي والرشيد أول خلافته بالتعظيم والتبجيل وتدر عليه الهدايا حتى بلغ ابن لها فحاز الملك دونها وعاث وأفسد وفاسد الرشيد فخافت على ملك الروم أن يذهب وعلى بلادهم أن تعطب لعلمها بالرشيد وخوفها من سطوته فاحتالت لابنها فسملت عينه فبطل منه الملك وعاد إليها فاستنكر ذلك أهل المملكة وأبغضوها من أجله فخرج عليها نقفور وكان كاتبها فأعانوه وعضدوه وقام بأمر الملك وضبط أمر الروم فلما قوي على أمره وتمكن من ملكه كتب إلى الرشيد

نقفور والرشيد

من نقفور ملك الروم إلى الرشيد ملك العرب أما بعد فإن هذه المرأة كانت وضعتك وأباك وأخاك موضع الملوك ووضعت نفسها موضع السوقة وإني واضعك بغير ذلك الموضع وعامل على من تطرق بلادك والهجوم على أمصارك أو تودي إلى ما كانت المرأة تودي إليك والسلام
فلما ورد كتابه على الرشيد كتب إليه
بسم الله الرحمن الرحيم - من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم أما بعد فقد فهمت كتابك وجوابك عندي ما تراه عيانا لا ما تسمعه ثم شخص من شهره ذلك يؤم بلاد الروم في جمع لم يسمع بمثله وقواد لا يجارون نجدة ورأيا فلما بلغ ذلك نقفور ضاقت عليه الأرض بما رحبت وشاور في أمره وجد الرشيد يتوغل في بلاد الروم فيقتل ويغنم ويسبي ويخرب الحصون ويعفي الآثار حتى صار إلى طرق متضايقة دون قسطنطينية فلما بلغها وجدها وقد أمر نقفور

بالشجر فقطع ورمي به في تلك الطرق وألقيت فيه النار فكان أول من لبس ثياب النفاطين محمد بن يزيد بن مزيد فخاضها ثم أتبعه الناس فبعث إليه نقفور بالهدايا وخضع له أشد الخضوع وأدى إليه الجزية عن رأسه فضلا عن أصحابه فقال في ذلك أبو العتاهية

(إمامَ الهُدَى أصبَحْتَ بالدِّين مَعْنِيّاً ... وأصبحتَ تَسقِي كُلَّ مستمطِرٍ ريا)
(لك اسمانِ شُقّا من رَشادٍ ومن هُدىً ... فأنت الذي تُدعَى رَشيداً ومَهْدِيًّا)
(إذا ما سَخِطْتَ الشيءِ كان مُسخَّطاً ... وإن تَرضَ شَيْئاً كان في النَّاس مَرْضِيًّا)
(بَسَطْتَ لنا شَرْقاً وغَرْباً يَدَ العُلا ... فأوسعتَ شَرْقِيّاً وأوسَعْتَ غَرْبِيًّا)
(ووشَّيْتَ وَجْهَ الأرض بالجُودِ والنَّدى ... فأصبحَ وَجهُ الأرض بالجُودِ مَوْشِيًّا)
(وأنت - أمير المؤمنين - فَتى التقَى ... نشرتَ من الإحسان ما كان مَطْوِيًّا)

وإني واضعك بغير ذلك الموضع وعامل على تطرق بلادك والهجوم على أمصارك أو تؤدي إلى ما كانت المرأة تودى إليك والسلام

فلما ورد كتابه على الرشيد كتب إليه

بسم الله الرحمن الرحيم - من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم أما بعد فقد فهمت كتابك وجوابك عندي ما تراه عيانا لا ما تسمعه ثم شخص من شهره ذلك يؤم بلاد الروم في جمع لم يسمع بمثله وقواد لا يجارون نجدة ورأيا فلما بلغ ذلك نقفور ضاقت عليه الأرض بما رحبت وشاور في أمره وجد الرشيد يتوغل في بلاد الروم فيقتل ويغنم ويسبي ويخرب الحصون ويعفي الآثار حتى صار إلى طرق متضايقة دون قسطنطينية فلما بلغها وجدها وقد أمر نقفور

بالشجر فقطع ورمي به في تلك الطرق وألقيت فيه النار فكان أول من لبس ثياب النفاطين محمد بن يزيد بن مزيد فخاضها ثم أتبعه الناس فبعث إليه نقفور بالهدايا وخضع له أشد الخضوع وأدى إليه الجزية عن رأسه فضلا عن أصحابه فقال في ذلك أبو العتاهية

(إمامَ الهُدَى أصبَحْتَ بالدِّين مَعْنِيّاً ... وأصبحتَ تَسقِي كُلَّ مستمطِرٍ ريا)
(لك اسمانِ شُقّا من رَشادٍ ومن هُدَى ... فأنت الذي تُدعَى رَشيداً ومَهْدِيًّا)
(إذا ما سَخِطْتَ الشيءِ كان مُسخَّطاً ... وإن تَرضَ شَيْئاً كان في النَّاس مَرْضِيًّا)
(بَسَطْتَ لنا شَرْقاً وغَرْباً يَدَ العُلا ... فأوسعتَ شَرْقِيًّا وأوسَعْتَ غَرْبِيًّا)
(ووشَّيتَ وَجْهَ الأرض بالجُودِ والنَّدى ... فأصبحَ وَجهُ الأرض بالجُودِ مَوْشِيًّا)
(وأنت - أميرَ المؤمنين - فَتى التقَى ... نشرتَ من الإحسان ما كان مَطْوِيًّا)
((قَضَى اللهُ أن يَبْقى لِهارونَ مُلْكُه ... وكان قَضاءُ اللهِ في الخَلْق مَقْضِيًّا)
(تجلَّلَت الدُّنْيا لِهارُونَ ذِي الرِّضا ... وأصبح نَقْفُورٌ لهارون ذِمِّيًّا)

فرجع الرشيد - لما أعطاه نقفور ما أعطاه - إلى الرقة فلما سقط الثلج وأمن نقفور أن يغزى اغتر بالمهلة ونقض ما بينه وبين الرشيد ورجع إلى حالته الأولى فلم يجترىء يحيى بن خالد - فضلا عن غيره - على إخبار الرشيد بغدر نقفور فبذل هو وبنوه الأموال للشعراء على أن يقولوا أشعارا في إعلام الرشيد بذلك فكلهم كع وأشفق إلا شاعرا من أهل جدة كان يكنى أبا محمد وكان مجيدا قوي النفس قوي الشعر وكان ذو اليمينين اختصه في أيام المأمون ورفع قدره جدا فإنه أخذ من يحيى وبنيه مائة ألف درهم ودخل على الرشيد فأنشده

(نَقَضَ الذي أعْطاكه نَقْفورُ ... فعَليه دائرةُ البَوارِ تَدُورُ)
(أبشِرْ أميرَ المُؤْمِنين فإنّه ... فَتْحٌ أتاك به الإلهُ كَبيرُ)
(فلقَد تباشَرَت الرَّعِيّةُ أن أتى ... بالنَّقْض عنه وافِد وبَشيرُ)
(ورجَتْ بيُمْنِكَ أن تُعجِّلَ غَزوةً ... تَشفِي النُّفوسَ نَكالُها مَذْكُورُ)
(أعْطاكَ جِزيَتَه وطَأْطَأَ خَدَّه ... حَذَرَ الصَّوارِمِ والرَّدَى مَحْذُورُ)
(فأجرتَه من وَقْعِها وكأنَّها ... بأكُفِّنا شُعَلُ الضِّرامِ تَطِيرُ)
((وصرفت في طول العساكر قافلا ... عنه وجارُك آمِنٌ مَسْرُورُ)
(نَقْفورُ إنَّك حين تَغْدِرُ أنْ نَأَى ... عنكَ الإمامُ لجاهِلٌ مَغْرُورُ)
(أظَنَنْتَ حين غدَرْت أنك مُفْلِتٌ ... هَبِلَتْكَ أُمُّك ما ظَنَنْت غُرورُ)
(ألقاكَ حَيْنُك في زواخِرِ بَحْرِه ... فطَمَت عليك من الإمامِ بُحورُ)
(إنَّ الإمامَ على اقْتِسارِكَ قادِرٌ ... قَرُبَت دِيارُك أو نَأَت بِكَ دُورُ)
(لَيْسَ الإمامُ وإن غَفِلنا غافِلاً ... عما يَسُوس بحزمِه ويُدير)
(مَلِكٌ تَجرَّدَ للجهادِ بنَفْسِه ... فَعدُوُّه أبداً به مَقْهورُ)
(يا مَن يُريد رضا الإله بسَعْيِه ... واللهُ لا يَخْفى عليه ضَميرُ)
(لا نُصْحَ ينفَع مَنْ يَغشُّ إمامَه ... والنُّصْحُ من نُصَحائِه مَشْكُورُ)
(نُصْحُ الإمام على الأنامِ فَريضةٌ ... ولأهله كفَّارةٌ وطَهُورُ)

فتح هرقلة

قال فلما أنشده قال الرشيد أو قد فعل وعلم أن الوزراء احتالوا في إعلامه ذلك فغزاه في بقية من الثلج فافتتح هرقلة في ذلك الوقت فقال أبو العتاهية في فتحه إياها

(ألا نادَت هِرقَلةُ بالخرابِ ... من المَلِكِ المُوَفَّق للصَّوابِ)
(غَدَا هارونُ يُرعِدُ بالمَنايا ... ويُبرِق بالمُذَكَّرةِ القِضابِ)
(وراياتٍ يَحُلُّ النَّصرُ فيها ... تمرُّ كأنّها قِطَعُ السَّحابِ)
(أميرَ المؤمنينَ ظَفِرتَ فاسْلَمْ ... وأبشِر بالغَنيمة والإيابِ)

قال محمد وجعل الرشيد قبل وصوله إلى هرقلة يفتح المدن والحصون ويخربها حتى أناخ على هرقلة وهي أوثق حصن وأعزه جانبا وأمنعه ركنا

فتحصن أهلها وكان بابها يطل على واد ولها خندق يطيف بها فحدثني شيخ من مشايخ المطوعة وملازمي الثغور يقال له علي بن عبد الله قال حدثني جماعة أن الرشيد لما حصر أهل هرقلة وغمهم وألح بالمجانيق والسهام والعرادات فتح

الباب فاستشرف المسلمون لذلك فإذا برجل من أهلها كأكمل الرجال قد خرج في أكمل السلاح فنادى قد طالت مواقعتكم إيانا فليبرز إلي منكم رجلان ثم لم يزل يزيد حتى بلغ عشرين رجلا فلم يجبه أحد فدخل وأغلق باب الحصن وكان الرشيد نائما فلم يعلم بخبره إلا بعد انصرافه فغضب ولام خدمه وغلمانه على تركهم إنباهه وتأسف لفوته فقيل له إن امتناع الناس منه سيغويه ويطغيه وأحر به أن يخرج في غد فيطلب مثل ما طلب فطالت على الرشيد ليلته وأصبح كالمنتظر له ثم إذا هو بالباب قد فتح وخرج طالبا للمبارزة وذلك في يوم شديد الحر وجعل يدعو بأنه يثبت لعشرين منهم فقال الرشيد من له فابتدره جلة القواد كهرثمة ويزيد بن مزيد وعبد الله بن مالك وخزيمة بن حازم وأخيه عبد الله وداود بن يزيد وأخيه فعزم على إخراج بعضهم فضجت المطوعة حتى سمع ضجيجهم فأذن لعشرين منهم فاستأذنوه في المشورة فأذن لهم فقال قائلهم يا أمير المؤمنين قوادك مشهورون بالبأس والنجدة وعلو الصوت ومداوسة الحروب ومتى خرج واحد منهم فقتل هذا العلج لم يكبر ذلك وإن قتله العلج كانت وضيعة على العسكر عجيبة وثلمة لا تسد ونحن عامة لم يرتفع لأحد منا صوت إلا كما يصلح للعامة فإن رأى أمير

المؤمنين أن يخلينا نختار رجلا فنخرجه إليه فإن ظفر علم أهل الحصن أن أمير المؤمنين قد ظفر بأعزهم على يد رجل من العامة ومن أفناء الناس ليس ممن يوهن قتله ولا يؤثر وإن قتل الرجل فإنما استشهد رجل ولم يؤثر ذهابه في العسكر ولم يثلمه وخرج إليه رجل بعده مثله حتى يقضي الله ما شاء قال الرشيد قد استصوبت رأيكم هذا فاختاروا رجلا منهم يعرف بابن الجزري وكان معروفا في الثغر بالبأس والنجدة فقال الرشيد أتخرج قال نعم وأستعين الله فقال أعطوه فرسا ورمحا وسيفا وترسا فقال يا أمير المؤمنين أنا بفرسي أوثق ورمحي بيدي أشد ولكني قد قبلت السيف والترس فلبس سلاحه واستدناه الرشيد فوعده واستتبعه بالدعاء وخرج معه عشرون رجلا من المطوعة فلما انقض في الوادي قال لهم العلج وهو يعدهم واحدا واحدا إنما كان الشرط عشرين وقد زدتم رجلا ولكن لا بأس فنادوه ليس يخرج إليك منا إلا رجل واحد فلما فصل منهم ابن الجزري تأمله الرومي وقد أشرف أكثر الروم من الحصن يتأملون صاحبهم والقرن حتى ظنوا أنه لم يبق في الحصن أحد إلا أشرف فقال الرومي أتصدقني عما أستخبرك قال نعم فقال أنت بالله ابن الجزري قال اللهم نعم فكفر له ثم أخذا في شأنهما فاطعنا حتى طال الأمر بينهما وكاد الفرسان أن يقوما وليس يخدش واحد منهما صاحبه ثم تحاجزا بشيء فزج كل واحد منهما برمحه وأصلت سيفه فتجالدا مليا واشتد الحر عليهما وتبلد الفرسان وجعل ابن الجزري يضرب الرومي الضربة التي يرى أنه قد بلغ فيها فيتقيها الرومي وكان ترسه حديدا فيسمع لذلك صوت منكر ويضربه الرومي ضرب منذر لأن ترس ابن الجزري كان درقة فكان العلج يخاف أن يعض بالسيف فيعطب فلما يئس من وصول كل واحد منهما إلى صاحبه انهزم ابن الجزري فدخلت المسلمين كآبة لم يكتئب مثلها قط وعطعط المشركون اختيالا وتطاولا وإنما كانت هزيمته حيلة منه فأتبعه العلج وتمكن منه ابن الجزري فرماه بوهق فوقع في عنقه وما أخطأه وركض فاستله عن فرسه ثم عطف عليه فما وصل إلى الأرض حيا حتى فارقه رأسه فكبر المسلمون أعلى تكبير وانخذل المشركون وبادروا الباب يغلقونه واتصل الخبر بالرشيد فصاح بالقواد اجعلوا النار في المجانيق وارموها فليس عند القوم دفع ففعلوا وجعلوا الكتان والنفط على الحجارة وأضرموا فيها النار ورموا بها السور فكانت النار تلصق به وتأخذ الحجارة وقد تصدع فتهافتت فلما أحاطت بها النيران فتحوا الباب مستأمنين ومستقبلين فقال الشاعر المكي الذي كان ينزل جدة

صوت

(هَوَتْ هِرَقْلَةُ لَمَّا أن رأتْ عَجَباً ... حوائِماً تَرْتَمِي بالنِّفط والنَّار)

(كأنَّ نيرَانَنا في جَنْب قَلْعتِهِم ... مُصَبَّغاتٌ على أرْسانِ قَصَّار)

في هذين البيتين لابن جامع لحن من الثقيل الأول بالبنصر

قال محمد بن يزيد وهذا كلام ضعيف لين ولكن قدره عظيم في ذلك الموضع والوقت وغنى فيه المغنون بعد ذلك وأعظم الرشيد الجائزة للجدي الشاعر وصبت الأموال على ابن الجزري وقود فلم يقبل التقويد إلا بغير رزق ولا عوض وسأل أن يعفى وينزل بمكانه من الثغر فلم يزل به طول عمره

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا أحمد بن علي بن أبي نعيم المروزي قال خرج الرشيد غازيا بلاد الروم فنزل بهرقلة فدخل عليه ابن جامع فغناه

(هوت هَرَقْلة لَمَّا أنْ رأت عَجَباً ... حوائِماً ترتَمِي بالنِّفْط والنَّار)

فنظر الرشيد إلى ماشية قد جِيء بها فظن أن الطاغية قد أتاه فخرج يركض على فرس له وفي يده الرمح وتبعه الناس فلما تبين له أنها ماشية رجعوا فغناه ابن جامع

صوت

(رأى في السَّما رَهْجا فيَمَّمم نحوَه ... يجُرُّ رُدَيْنِيّاً وللرَّهْج يَسْتَقْري)

(تناولتَ أطرافَ البلادِ بقُدرَةٍ ... كأنَّك فيها تَقْتَفي أثَر الخِضْر)

الغناء لابن جامع ثاني ثقيل عن بذل وابن المكي

أشجع يهنىء الرشيد بفتح هرقلة

أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي قال حدثني الفضل بن محمد اليزيدي عن إسحاق الموصلي قال لما انصرف الرشيد من غزاة هرقلة قدم الرقة في آخر شهر رمضان فلما عيد جلس للشعراء فدخلوا عليه وفيهم أشجع فبدرهم وأنشأ يقول

(لا زلتَ تَنشرُ أعياداً وتَطْوِيها ... تَمْضِي بها لكَ أيام وتُثْنِيها)

(مُستَقبِلاً زينةَ الدُّنيا وبَهْجَتِها ... أيامنا لك لا تَفْنَى وتُفْنِيها)

(ولا تَقضَّت بكِ الدُّنيا ولا بَرِحَتْ ... يَطْوي لك الدَّهرُ أياماً وتَطويها)

(ولْيَهْنِكَ الفتحُ والأيام مُقبِلةٌ ... إليكَ بالنصرِ مَعقوداً نواصيها)

(أمستْ هِرَقْلَةُ تَهْوِي من جوانِبِها ... وناصرُ اللهِ والإسلامِ يَرْمِيها)

(مُلِّكْتَها وقَتلتَ النَّاكِثين بها ... بنَصْرِ مِنْ يملِكُ الدُّنيا وما فيها)

(ما رُوعي الدِّينُ والدُّنيا على قَدَم ... بمِثْل هارون رَاعِيهِ وراعِيها)

قال فأمر له بألف دينار وقال لا ينشدني أحد بعده فقال أشجع والله لأمره بألا ينشده أحد بعدي أحب إلي من صلته

حدثني أحمد بن وصيف ومحمد بن يحيى الصولي قالا حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال حدثني عبد الله بن عمرو

الوراق قال حدثني أحمد بن محمد بن منصور بن زياد عن أبيه قال
دخل أشجع على الرشيد ثاني يوم الفطر فأنشده
صوت
(استَقْبِلِ العيدِ بعُمْرٍ جَديد ... مَدَّتِ لك الأيَّامُ حبْلَ الخُلود)
(مُصَعِّداً في دَرَجاتِ العُلاَ ... نجْمُكَ مقرونٌ بِسعْدِ السُّعود)
(واطْوِ رداءَ الشَّمسِ ما أطلعَتْ ... نُوراً جديداً كلَّ يومٍ جَدِيد)
(تَمضِي لك الأيامُ ذا غِبْطة ... إذا أتَى عِيدٌ طَوَى عُمرَ عِيد)
فوصله بعشرة آلاف درهم وأمر أن يغنى في هذه الأبيات
أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال حدثني أبو عبد الله النخعي قال
دخل أشجع على الرشيد فأنشده قوله
(أبَتْ طَبرِسْتانُ غيرَ الذي ... صَدَعْتَ به بين أعضائِها)
(ضَمَمْتَ مَناكِبَها ضَمَّةً ... رمَتْك بما بين أحشائِها)
(سَمَوْتَ إليها بمثْلِ السَّماء ... تدَلَّى الصَّواعِقُ في مائِها)
(فلمَّا نظرتَ إلى جُرحِها ... وضَعْتَ الدَّواءَ على دَائِها)
((فَرَشْتَ الجهادَ ظُهورَ الجِياد ... بأبنائه وبأبنائِها
(بنَفْسِك تَرمِيهِمُ والخُيول ... كَرْمِي العُقابِ بأفْلائِها)
(نظرتَ برأيك لَمَّا هممتَ ... دُونَ الرِّجال وآرائها)
قال فأمر له بألف دينار
أخبرني محمد بن جعفر قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثني أبو عمرو الباهلي البصري قال
دخل أشجع بن عمرو السلمي على هارون الرشيد حين قدم من الحج وقد مطر الناس يوم قدومه فأنشده يقول
(إنَّ يُمْنَ الإمام لَمَّا أتانا ... جَلَب الغَيْثَ من متونِ الغمامِ)
(فابْتِسامُ النَّباتِ في أثَرِ الغَيْثِ ... بنَوَّارِه كسُرج الظَّلام)
(مَلِكٌ من مَخافة الله مُغْضٍ ... وهو مُغْضًى له من الإعظام)
(ألِف الحَجَّ والجهادَ فما يَنْفَكُّ ... من سَفْرَتيْن في كُلِّ عام)
(سَفَرٍ للجِهاد نحو عَدُوٍّ ... والمطايا لسَفْرَةِ الإحرام)
(طَلَبِ اللّهَ فهو يَسْعَى إليه ... بالمَطايا وبالجِياد السَّوامِي)
(فيَداهُ يَدٌ بمكَّة تدْعوهُ ... وأُخْرى في دَعْوةِ الإسلام)
أخبرني محمد بن جعفر قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال أخبرني أبو عبد الله النخعي قال
أمر الرشيد بحفر نهر لبعض أهل السواد وقد كان خرب وبطل ما
عليه فقال أشجع السلمي يمدحه
(أجرَى الإمامُ الرَّشيدُ نَهْراً ... عاش بعُمرانِه المَواتُ)
(جادَ عليه بِريق فيهِ ... وسِرِّ مَكْنُونه الفُراتُ)
(ألْقَمَه دَرَّة لَقُوحاً ... يَرْضَع أخْلافَهَا النَّباتُ)
أخبرني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال
رأى الرشيد فيما يرى النائم كأن امرأة وقفت عليه وأخذت كف تراب ثم قالت له هذه تربتك عن قليل فأصبح فزعا وقص رؤياه فقال له أصحابه وما هذا قد يرى الناس أكثر مما رأيت وأغلظ ثم لا يضر فركب وقال والله إني لأرى الأمر قد قرب فبينا هو يسير إذ نظر إلى امرأة واقفة من وراء شباك حديد تنظر إليه فقال هذه والله المرأة التي رأيتها ولو رأيتها بين ألف امرأة ما خفيت علي ثم أمرها أن تأخذ كف تراب فتدفعه إليه فضربت بيدها إلى الأرض التي كانت عليها فأعطته منها كف تراب فبكى ثم قال هذه والله التربة التي أريتها وهذه المرأة بعينها ثم مات بعد مدة فدفن في ذلك الموضع بعينه اشتري له ودفن فيه وأتي نعيه بغداد فقال أشجع يرثيه
(غَربت بالمَشْرِق الشَّمْسُ ... فقل للعين تَدْمَعْ)
(ما رأينَا قَطُّ شمسًا ... غَربت من حَيْث تَطْلُعْ)
أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال
كان حرب بن عمرو الثقفي نخاسا وكانت له جارية مغنية وكان الشعراء والكتاب وأهل الأدب ببغداد يختلفون إليها
يسمعونها وينفقون في
منزله النفقات الواسعة ويبرونه ويهدون إليه فقال أشجع
(جاريةٌ تهتَزُّ أردافُها ... مُشْبِعةُ الخَلْخالِ والقُلْبِ)
(أشكُو الذي لاقَيتُ من حُبِّها ... وبُغْضِ مَوْلاها إلى الرَّبِّ)
(من بُغض مولاها ومن حُبِّها ... سَقِمتُ بين البُغض والحُبِّ)
(فاخْتَلَجا في الصدر حتى استَوى ... أمرُهما فاقْتَسَما قَلْبي)
(تَعجَّل اللهُ شِفائي بها ... وعَجَّل السُّقْم إلى حَرْبِ)
قال مؤلف هذا الكتاب فأخذ هذا المعنى بعض المحدثين من أهل عصرنا فقال في مغنية تعرف بالشاة
(بِحُبِّ الشَّاةِ ذُبْتُ ضَنًى ... وطال لزوجِها مَقْتِي)
(فلو أنِّي مَلَكْتُهما ... لأسْعِد في الهوَى بَخْتِي)
(فأُدْخِل في استِها أيْري ... ولِحيَة زَوْجها في استِي)
أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثني صالح بن سليمان قال
اعتل يحيى بن خالد ثم عوفي فدخل الناس يهنئونه بالسلامة ودخل أشجع فأنشد
(لقد قَرعتْ شَكَاةُ أبي عَليٍّ ... قُلوبَ مَعاشِرٍ كانوا صِحاحا)
(فإن يَدْفَع لنا الرَّحمنُ عنه ... صُروفَ الدَّهْرِ والأجَل المُتاحَا)

(فقد أمسى صَلاحُ أبي عَليٍّ ... لأهلِ الدِّينِ والدّنيا صَلاحَا)
(إذا ما المَوْتُ أخطأ قَلسنا ... نُبالِي الموتَ حيث غَدَا وَراحَا)
قال فما أذن يومئذ لأحد سواه في الإنشاد لاختصاص البرامكة إياه
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا محمد بن عمران الضبي قال سمعت محمد بن أبي مالك الغنوي يقول دخل أشجع السلمي على علي بن شبرمة يعوده فأنشأ يقول
(إذا مَرِضَ القاضي مَرِضْنا بأسرنا ... وإن صَحَّ لم يُسمَع لنا بمَريض)
(فأصبحتُ - لما اعتَلّ يوماً - كَطائرٍ ... سَما بجَناحٍ للنهوض مَهِيض)
قال فشكره ابن شبرمة وحمله على بغلة كانت له
أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمران قال سمعت محمد بن أبي مالك يقول
جاء أشجع ليدخل على أبان بن الوليد البجلي فمنعه حاجبه وانتهره غلمانه فقال فيه
(ألا أيُّها المُشْلِي عليّ كِلابَه ... وَلِي - غير أنْ لم أشْلِهِنّ - كِلابُ)
(رُويدَك لا تَعْجَلْ عليّ فقد جرى ... بخزيك ظَبيٌ أعْضَبٌ وغُرابُ)
(علامَ تَسدّ البابَ والسِّرُّ قد فَشا ... وقد كنتَ مَحْجُوباً ومالك بابُ)
(فلو كُنتُ مِمَّن يَشْرَبِ الخَمر سادِراً ... إذاً لم يَكُن دُوني عليك حِجابُ)
(ولكنّه يَمْضِي ليَ الحول كامِلاً ... ومالِيَ إلاّ الأبيَضيْن شَرابُ)
(من الماءِ أو من شَخْبِ دَهْماء ثَرّةٍ ... لها حالبٌ لا يَشْتَكِي وحِلابُ)
أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثنا علي بن الجهم قال حدثني ابن أشجع السلمي قال
لما مر أبي وعماي أحمد ويزيد - وقد شربوا حتى انتشوا - بقبر الوليد بن عقبة وإلى جانبه قبر أبي زبيد الطائي - وكان نصرانيا - والقبران مختلفان كل واحد منهما متجه إلى قبلة ملته وكان أبو زبيد أوصى لما احتضر أن يدفن إلى جنب الوليد بالبليخ قال فوقفوا على القبرين وجعلوا يتحدثون بأخبارهما ويتذاكرون أحاديثهما فأنشأ أبي يقول
(مَررتُ على عِظامِ أبي زُبيدٍ ... وقد لاحَت بِبَلْقَعَةٍ صَلُودِ)
(وكان له الوَليدُ نديمَ صِدْقٍ ... فنادم قَبرُهُ قَبْرَ الوَليدِ)
(أَنِيسا أُلفَةٍ ذَهَبَتْ فأمْسَتْ ... عظامُهُما تَآنس بالصَّعِيدِ)
(وما أدْري بمَنْ تبدا المَنايا ... بأحْمَدَ أو بأشْجَعَ أو يَزيدِ)
قال فماتوا والله كما رتبهم في الشعر أولهم أحمد ثم أشجع ثم يزيد
صوت
(حيّ ذا الزَّوْرَ وانْهَه أن يَعودَا ... إنَّ بالبابِ حارسِينَ قُعُودَا)
(من أساوِيرَ ما يَنُون قِياماً ... وخلاخيلَ تُذهِل المَوْلُودا)
(لا ذَعَرتُ السَّوامَ في فَلَق الصُّبْح ... مُغِيراً ولا دُعِيتُ يَزيدَا)
(يوم أُعطِي مخافَة المَوْت ضَيْماً ... والمَنايا يَرْصُدْنَني أنْ أحِيدا)
الشعر ليزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري والغناء لسياط خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق وذكر أحمد بن المكي أنه لأبيه يحيى وذكر الهشامي أنه لفليح قال ومن هذا الصوت سرق لحن
(...تِلْكَ عِرْسِي تلُومُني في التَّصابي)

أخبار ابن مفرغ ونسبه

هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ ولقب جده مفرغا لأنه راهن على سقاء لبن أن يشربه كله فشربه كله حتى فرغه فلقب مفرغا ويكنى أبا عثمان وهو من حمير فيما يزعم أهله وذكر ابن الكلبي وأبو عبيدة أن مفرغا كان شعابا بتبالة فادعى أنه من حمير وقال علي بن محمد النوفلي ليس أحد بالبصرة من حمير إلا آل الحجاج بن ناب الحميري وبيتا آخر ذكره ودفع بيت ابن مفرغ
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرني أحمد بن الهيثم القرشي قال أخبرني العمري عن لقيط بن بكر المحاربي قال
هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري حليف قريش ثم حليف آل خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس قال العمري وكان ابن المكي يقول كان مفرغ عبدا للضحاك بن عبد عوف الهلالي فأنعم عليه
قال محمد بن خلف أخبرني محمد بن عبد الرحمن الأسدي عن محمد بن رزين قال قال الأخفش
كان ربيعة بن مفرغ شعابا بالمدينة وكان يُنسب إلى حمير وإنما سمي مفرغا لتفريغه العس وكان شاعرا غزلا محسنا والسيد من ولده
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو العيناء قال
سئل الأصمعي عن شعر تبع وقصته ومن وضعهما فقال ابن مفرغ وذلك أن يزيد بن معاوية لما سيره إلى الشام وتخلصه من عباد بن زياد أنزله الجزيرة وكان مقيما برأس عين وزعم أنه من حمير ووضع سيرة تبع وأشعاره وكان النمر بن قاسط يدعي أنه منهم
وقال الهيثم بن عدي هو يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ اليحصبي من حمير يحصب بن مالك بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان
أخبرني بخبره جماعة من مشايخنا منهم أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن عمر بن شبة ومحمد بن خلف بن المرزبان عن جماعة من أصحابه وأحمد بن عبد العزيز الجوهري عن علي بن محمد النوفلي عن أبيه فما اتفقت رواياتهم من خبره جمعتها في ذكره وما اختلفت أفردت كل منفرد منهم بروايته

ابن مفرغ وعباد بن زياد

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن مسلمة بن محارب وأخبرني الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال قرأت على محمد بن الحسن بن دريد عن ابن الأعرابي

وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد ابن الهيثم قال حدثنا العمري عن لقيط بن بكير قالوا جميعا
لما ولي سعيد بن عثمان بن عفان خراسان استصحب يزيد بن ربيعة ابن مفرغ واجتهد به أن يصحبه فأبى عليه وصحب عباد بن زياد فقال له سعيد بن عثمان أما إذ أبيت أن تصحبني وآثرت عبادا فاحفظ ما أوصيك به إن عبادا رجل لئيم فإياك والدالة عليه وإن دعاك إليها من نفسه فإنها خدعة منه لك عن نفسك وأقلل زيارته فإنه طرف ملول ولا تفاخره وإن فاخرك فإنه لا يحتمل لك ما كنت احتمله ثم دعا سعيد بمال فدفعه إلى ابن مفرغ وقال استعن به على سفرك فإن صلح لك مكانك من عباد وإلا فمكانك عندي ممهد فائتني ثم سار سعيد إلى خراسان وتخلف ابن مفرغ عنه وخرج مع عباد
قال ابن دريد في خبره عن مسلمة بن محارب
فلما بلغ عبيد الله بن زياد صحبه ابن مفرغ أخاه عبادا شق عليه فلما سار أخوه عباد شيعه وشيع الناس معه وجعلوا يودعونه ويودع الخارجون مع عباد عبيد الله بن زياد فلما أراد عبيد الله أن يودع أخاه دعا ابن مفرغ فقال له
إنك سألت عبادا أن تصحبه وأجابك إلى ذلك وقد شق علي فقال له ابن مفرغ ولم أصلحك الله قال لأن الشاعر لا يقنعه من الناس ما يقنع بعضهم من بعض لأنه يظن فيجعل الظن يقينا ولا يعذر في موضع العذر وإن عبادا يقدم على أرض حرب فيشتغل بحروبه وخراجه عنك فلا تعذره أنت وتكسبنا شرا وعارا فقال له
لست كما ظن الأمير وإن لمعروفه عندي لشكرا كثيرا وإن عندي - إن أغفل أمري - عذرا ممهدا قال لا ولكن تضمن لي إن أبطأ عنك ما تحبه ألا تعجل عليه حتى تكتب إلي قال نعم قال امض إذا على الطائر الميمون قال فقدم عباد خراسان واشتغل بحربه وخراجه فاستبطأه ابن مفرغ ولم يكتب إلى عبيد الله بن زياد يشكوه كما ضمن له ولكنه بسط لسانه فذمه وهجاه
وكان عباد عظيم اللحية كأنها جوالق فسار يزيد بن مفرغ يوما مع عباد فدخلت الريح فنفشتها فضحك ابن مفرغ وقال لرجل من لخم كان إلى جنبه قوله
(ألا لَيْتَ اللِّحَى كانَتْ حَشِيشاً ... فَنَعْلِفَها خِيولَ المُسْلِمينا
فسعى به اللخمي إلى عباد فغضب من ذلك غضبا شديدا وقال لا يجمل بي عقوبته في هذه الساعة مع الصحبة لي وما أؤخرها إلا لأشفي نفسي منه لأنه كان يقوم فيشتم أبي في عدة مواطن وبلغ الخبر ابن مفرغ فقال إني لأجد ريح الموت من عباد
ثم دخل عليه فقال له أيها الأمير إني كنت مع سعيد بن عثمان وقد بلغك رأيه في ورأيت جميل أثره علي وإني اخترتك عليه فلم أحظ منك بطائل وأريد أن تأذن لي في الرجوع فلا حاجة لي في صحبتك فقال له أما اختيارك إياي فإني اخترتك كما اخترتني واستصحبتك حين سألتني وقد أعجلتني عن بلوغ محبتي فيك وقد طلبت الإذن لترجع إلى قومك فتفضحني فيهم وأنت على الإذن قادر بعد أن أقضي حقك فأقام وبلغ عبادا أنه يسبه ويذكره وينال من عرضه وأجرى عباد الخيل فجاء سابقا فقال ابن مفرغ
(... سَبَقَ عَبَّادٌ وصَلَّت لِحْيَتُه)
وطلب عليه العلل ودس إلى قوم كان لهم عليه دين فأمرهم أن يقدموه إليه ففعلوا فحبسه وأضر به فبعث إليه أن بعني الأراكة وبردا وكانت الأراكة قينة لابن مفرغ وبرد غلامه رباهما وكان شديد الضن بهما فبعث إليه ابن مفرغ مع الرسول أيبيع المرء نفسه أو ولده فأضر به عباد حتى
أخذهما منه هذه رواية مسلمة
وأما لقيط وعمر بن شبة فإنهما ذكرا أنه باعهما عليه فاشتراهما رجل من أهل خراسان قال لقيط فلما دخلا منزله قال له برد وكان داهية أريبا أتدري ما اشتريت قال نعم اشتريتك وهذه الجارية قال لا والله ما اشتريت إلا العار والدمار والفضيحة أبدا ما حييت فجزع الرجل وقال له كيف ذلك ويلك قال نحن ليزيد بن ربيعة بن مفرغ والله ما أصاره إلى هذه الحال إلا لسانه وشره أفتراه يهجو ابن زياد وهو أمير خراسان وأخوه أمير العراقين وعمه الخليفة في أن استبطأه ويمسك عنك وقد ابتعتني وابتعت هذه الجارية وهي نفسه التي بين جنبيه والله ما أرى أحدا أدخل بيته أشأم على نفسه وأهله مما أدخلته منزلك فقال فاشهد أنك وإياها له فإن شئتما أن تمضيا إليه فامضيا على أني أخاف على نفسي إن بلغ ذلك ابن زياد وإن شئتما أن تكونا له عندي فافعلا قال فاكتب إليه بذلك فكتب الرجل إلى ابن مفرغ في الحبس بما فعله فكتب إليه يشكر فعله وسأله أن يكونا عنده حتى يفرج الله عنه
قال وقال عباد لحاجبه ما أرى هذا يعني ابن مفرغ يبالي بالمقام في الحبس فبع فرسه وسلاحه وأثاثه واقسم ثمنها بين غرمائه ففعل ذلك وقسم الثمن بينهم وبقيت عليه بقية حبسه بها فقال ابن مفرغ يذكر غلامه بردا وجاريته الأراكة وبيعهما
(شريتَ بُرداً ولو مُلِّكت صَفْقَته ... لَمَا تطلَّبت في بَيْع له رَشَدَا)
(لولا الدَّعِيُّ ولولا ما تَعرَّض لي ... من الحوادث ما فارقتُه أبَدَا)
(يا بُردُ ما مسَّنا بَرْدٌ أضرَّ بنا ... من قَبْل هذا ولا بِعْنا له وَلَدا)
(أمّا الأراكُ فكانَتْ من مَحارِمِنا ... عَيْشاً لَذِيذاً وكانت جَنَّةً رَغَدا)
(كانت لنا جَنَّةً كُنَّا نَعِيشُ بِها ... نغنى بها إن خَشِينَا الأَزْلِ والنَّكَدا)
(يا لَيْتَني قبل ما نابَ الزَّمانُ به ... أهلي لقيت على عُدْوانِه الأسَدا)
(قد خَانَنا زَمَنٌ لم نَخْشَ عَثْرَته ... مَنْ يأمَنِ اليومَ أم مَنْ ذا يَعِيشُ غَدَا)
(لامَتْنِيَ النَّفْسُ في بُرْد فقلت لها ... لا تَهْلَكِي إثْرَ بُرْدٍ هَكَذا كَمَدَا)
(كَمْ من نَعِيمٍ أصبْنا من لذاذَتِه ... قُلْنا له إذ تولَّى ليته خَلَدَا)
هربه إلى البصرة
قالوا وعلم ابن مفرغ أنه أقام على ذم عباد وهجائه وهو في محبسه زاد نفسه شرا فكان يقول للناس إذا سألوه عن حبسه ما سببه رجل أدبه أمير ليقوم من أوده أو يكف من غربه وهذا العمري خير من جر الأمير ذيله على مداهنة لصاحبه فلما بلغ عبادا قوله رق له وأخرجه من السجن فهرب حتى أتى البصرة ثم خرج منها إلى الشام وجعل ينتقل في مدنها هاربا ويهجو زيادا وولده
وقال المدائني في خبره
لما بلغ عباد بن زياد أن ابن المفرغ قال

(... سَبَق عَبَّاد وصَلَّت لِحْيَتُه)
دعا ابنه والمجلس حافل فقال له له أنشدني هجاء أبيك الذي هجي به فقال أيها الأمير ما كلف أحد قط ما كلفتني فأمر غلاما له أعجميا وقال له قم على رأسه فإن أنشد ما أمرته به وإلا فصب السوط على رأسه أبدا أو ينشده فأنشده أبياتا هجي بها أبوه أولها
(قَبَحَ الأِلهُ ولا يُقبِّح غيره ... وَجْهَ الحمار رَبيعةَ بن مُفرِّغ)
وجعل عباد يتضاحك به فخرج ابن ابن مفرغ من عنده وهو يقول والله لا يذهب شتم شيخي باطلا وقال يهجوه بقوله
(أصَرَمْتَ حبلك من أُمامَهْ ... من بعد أيَّام برامَهْ)
(فالرِّيحُ تَبكي شَجْوَها ... والبرقُ يَضْحَكُ في الغَمامَهْ)
(لَهفي على الأمْر الذي ... كانت عواقِبُه نَدامَهْ)
(تَرْكِي سَعِيداً ذَا النَّدى ... والبَيْت تَرْفَعُه الدِّعامَهْ)
(فُتِحتْ سَمَرْقَنْدٌ له ... وبَنى بعَرْصَتِها خِيامَهْ)
(وتَبِعْتُ عَبْدَ بَني عِلاجٍ ... تِلْك أشراطُ القِيامَهْ)
(جاءت به حَبَشِيَّةٌ ... سَكَّاءُ تحسَبُها نَعامَهْ)
(وشَرَيْتُ بُرداً لَيْتَني ... من بَعْد بُردٍ كُنتُ هامَهْ)
(أو بُومَةً تدعُو صَدىً ... بين المُشقَّر واليمامَهْ)
(فالهولُ يركَبُه الفَتَى ... حَذَرَ المَخازي والسَّآمَهْ)
(والعَبْدُ يُقْرَعُ بالعَصَا ... والحُرُّ تَكْفِيه المَلامَهْ)
قال ثم لج في هجاء بني زياد حتى تغنى أهل البصرة في أشعاره فطلبه عبيد الله طلبا شديدا حتى كاد يؤخذ فلحق بالشام
واختلفت الرواة فيمن رده إلى ابن زياد فقال بعضهم معاوية وقال
بعضهم يزيد والصحيح أنه يزيد لأن عباد بن زياد إنما ولي سجستان في أيام يزيد وقال بعضهم بل الذي ولاه معاوية وهو الذي ولى سعيد بن عثمان خراسان
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي وعبيد الله بن محمد الرازي قالا حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال
دخل سعيد بن عثمان على معاوية بن أبي سفيان فقال علام جعلت يزيد ولي عهدك دوني فوالله لأبي خير من أبيه وأمي خير من أمه وأنا خير منه وقد وليناك فما عزلناك وبنا نلت ما نلت فقال له معاوية أما قولك إن أباك خير من أبيه فقد صدقت لعمر الله إن عثمان لخير مني وأما قولك إن أمك خير من أمه فحسب المرأة أن تكون في بيت قومها وأن يرضاها بعلها وأن ينجب ولدها وأما قولك إنك خير من يزيد فوالله يا بني ما يسرني أن لي بيزيد ملء الغوطة مثلك وأما قولك إنكم وليتموني فما عزلتموني فما وليتموني وإنما ولاني من هو خير منكم عمر فأقررتموني وما كنت بئس الوالي لكم لقد قمت بثأركم وقتلت قتلة أبيكم وجعلت الأمر فيكم وأغنيت فقيركم ورفعت الوضيع منكم فكلمه يزيد في أمره فولاه خراسان
رجع الحديث إلى سياقة أخبار ابن مفرغ
هجاؤه بني زياد
قالوا فلم يزل ينتقل في قرى الشام ونواحيها ويهجو بني زياد وأشعاره فيهم ترد البصرة وتنتشر وتبلغهم فكتب عبيد الله بن زياد إلى معاوية وقال الآخرون إنه كتب إلى يزيد وهو الصحيح يقول له إن ابن مفرغ هجا زيادا وبني زياد بما هتكه في قبره وفضح بنيه طول الدهر وتعدى ذلك إلى أبي سفيان فقذفه بالزنا وسب ولده فهرب من خراسان إلى البصرة وطلبته حتى لفظته الأرض فلجأ إلى الشام يتمضغ لحومنا
بها ويهتك أعراضنا وقد بعثت إليك بما هجانا به لتنتصف لنا منه ثم بعث بجميع ما قاله ابن مفرغ فيهم
فأمر يزيد بطلبه فجعل ينتقل من بلد إلى بلد فإذا شاع خبره انتقل حتى لفظته الشام فأتى البصرة ونزل على الأحنف بن قيس فالتجأ به واستجار فقال له الأحنف إني لا أجير على ابن سمية فأعزل وإنما يجير الرجل على عشيرته فأما على سلطانه فلا فإن شئت أجرتك من بني سعد وشعرائهم فلا يريبك أحد منهم فقال له ابن مفرغ بأستاه بني سعد وما عساهم أن يقولوا في هذا ما لا حاجة لي فيه
ثم أتى خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فاستجار به فأبى أن يجيره فأتى عمر بن عبيد الله بن معمر فوعده وأتى طلحة الطلحات فوعده وأتى المنذر بن الجارود العبدي فأجاره وكانت بحرية بنت المنذر تحت عبيد الله وكان المنذر من أكرم الناس عليه فاغتر بذلك وأدل بموضعه منه وطلبه عبيد الله وقد بلغه وروده البصرة فقيل له أجاره المنذر بن الجارود فبعث
عبيد الله إلى المنذر فأتاه فلما دخل عليه بعث عبيد الله بالشرط فكبسوا داره وأتوه بابن مفرغ فلم يشعر المنذر إلا بابن مفرغ قد أقيم على رأسه فقام المنذر إلى عبيد الله فكلمه فيه فقال أذكرك الله - أيها الأمير - أن تخفر جواري فإني قد أجرته فقال عبيد الله يا منذر ليمدحن أباك وليمدحنك ولقد هجاني وهجا أبي ثم تجيره علي لا ها الله لا يكون ذلك أبدا ولا أغفرها له فغضب بتطليق البتة فخرج المنذر من عنده وأقبل عبيد الله على ابن مفرغ فقال له بئسما صحبت به عبادا قال بئسما صحبني به عباد اخترته على سعيد وأنفقت على صحبته كل ما أفدته وكل ما أملكه وظننت أنه لا يخلو من عقل زياد وحلم معاوية وسماحة قريش فعدل عن ظني كله ثم عاملني بكل قبيح وتناولني بكل مكروه من حبس وغرم وشتم وضرب فكنت كمن شام برقا خلبا في سحاب جهام فأراق ماءه طمعا فيه فمات عطشا وما هربت من أخيك إلا لما خفت من أن يجري في إلى ما يندم عليه وقد صرت الآن في يدك فشأنك فاصنع بي ما أحببت فأمر بحبسه
وكتب إلى يزيد بن معاوية يسأله أن يأذن له في قتله فكتب إليه إياك وقتله ولكن عاقبة بما ينكله ويشد سلطانك ولا تبلغ نفسه فإن له عشيرة هي جندي وبطانتي ولا ترضى بقتله مني ولا تقنع إلا بالقود منك فاحذر ذلك واعلم أنه الجد منهم ومني وأنك مرتهن بنفسه ولك في دون تلفها مندوحة تشفي من الغيظ فورد الكتاب على عبيد الله بن زياد فأمر بابن مفرغ فسقي نبيذا حلوا قد خلط معه الشبرم فأسهل بطنه وطيف به وهو في تلك الحال وقرن بهرة وخنزيرة فجعل يسلح والصبيان يتبعونه ويقولون له بالفارسية
أين جيست فيقول

آبست نبيذ است عصارات زبيبست سمية روسبيد است
وجعل كلما جر الخنزيرة ضجت فجعل يقول
(ضَجّتْ سُمّيّة لما لزّها قَرني ... لا تَجزَعي إنّ شَرَّ الشّيمة الجزَعُ)
فجعل يطاف به في أسواق البصرة والصبيان خلفه يصيحون به وألح عليه ما يخرج منه حتى أضعفه فسقط فعرف ابن زياد ذلك فقيل إنه لما به لا نأمن أن يموت فأمر به أن يغسل ففعلوا ذلك به فلما اغتسل قال
(يَغسل الماءُ ما فعلتَ وقولي ... راسخٌ منك في العِظام البَوالي)
عبيد الله يرده إلى الحبس
فرده عبيد الله إلى الحبس وأمره بأن يسلم محجما وقدموا له علوجا وأمر بأن يحجمهم فكان يأخذ المشارط فيقطع بها رقابهم فيتوارون منه فتركه ورده إلى محبسه وقامت الشرط على رأسه تصب عليه السياط ويقولون له احجمهم فقال
(وما كنتُ حجّاماً ولكن أحلّني ... بمنزلةِ الحجّام نأيي عن الأهل)
وقال عمر بن شبة في خبره جمع عباد بن زياد كل شيء هجاه به ابن مفرغ وكتب به إلى أخيه عبيد الله وهو يومئذ وافد على معاوية فكان فيما
كتب إليه قوله
(إذا أَوْدَى معاويةُ بنُ حربٍ ... فبشِّرْ شَعْبَ قعْبك بانصِداع)
(فأشهدُ أن أمّك لم تباشر ... أبا سفيان واضعةَ القِناع)
(ولكن كان أمرٌ فيه لَبْس ... على وَجَل شديدٍ وامتناع)
وقوله
(ألا أبلغْ معاويةَ بنَ حَرْبٍ ... مُغلْغَلةً مِن الرّجل اليَماني)
(أتغضبُ أنْ يُقال أبوك عفٌّ ... وتَرضى أنْ يُقال أبُوك زاني)
(فأشهدُ أنَّ رحْمَكَ مِن زيادٍ ... كرِحْمِ الفيلِ من ولَدِ الأتانِ)
(وأشهدُ أنها ولدت زياداً ... وصخرٌ من سُمَيَّةَ غيرُ داني)
فدخل عبيد الله بن زياد على معاوية فأنشده هذه الأشعار واستأذنه في قتله فلم يأذن له وقال أدبه أدبا وجيعا منكلا ولا تتجاوز ذلك إلى القتل وذكر باقي الحديث كما ذكره من تقدم
قالوا جميعا وقال ابن مفرغ يذكر جوار المنذر بن الجارود إياه وأمانه
(تركتُ قُرَيْشاً أن أجاور فيهمُ ... وجاورتُ عَبدَ القَيْس أهلَ المُشقَّرِ)
(أُناسٌ أجارونا فكان جِوارُهم ... أعاصيرَ من قَسْوِ العِراقِ المُبَذَّرِ)
(فأصبح جاري من خُزَيْمةَ قائماً ... ولا يمنع الجيرانَ غيرُ المُشمَّرِ)
وقال أيضا في ذلك
(أصبحتُ لا مِن بَني قَيْسٍ فتَنْصُرني ... قيسُ العِراقِ ولم تغْضَب لنا مُضَرُ)
((ولم تَكَلَّمْ قُرَيشٌ في حَليفِهمُ ... إذ غابَ ناصِرُه بالشّام واحتضَروا
(واللّه يعلم ما تُخفِي النُّفوس وما ... سرَّى أُمَيَّةُ أو ما قال لي عُمَرُ)
(وقال لي خالدٌ قولاً قَنِعتُ به ... لو كنت أعلم أنّى يَطْلع القَمَرُ)
(لو أنني شَهِدَتْني حِمْيَرٌ غضِبَتْ ... دُوني فكان لهم فيما رَأَوا عِبَرُ)
(أو كُنتُ جارَ بَني هِنْدٍ تَداركني ... عوفُ بنُ نُعْمان أو عِمْرانُ أو مَطَرُ)
وقال أيضا يذكر ذلك وما فعل به ابن زياد
(دارَ سَلْمى بالخَبْتِ ذي الأطْلالِ ... كيف نَومُ الأسير في الأغلالِ)
أينَ مِنّي السَّلامُ من بَعْد نَأْيٍ ... فارْجعي لي تَحِيَّتي وسُؤالي) ( )
(أينَ مِنّي نَجائبي وجِيادِي ... وغَزالِي سقَى الإلهُ غَزالي)
(أينَ لا أينَ جَنّتي وسِلاحي ... ومطايا سَيَّرتُها لارْتحالي)
(هدمَ الدّهرُ عَرْشَنا فتداعَى ... فبَلِينا إذ كُلُّ عَيْش بالِي)
(إذ دعانا زَوالُه فأجَبْنَا ... كُلُّ دُنْيا ونِعْمةٍ لِزَوالِ)
(أم قَضَيْنا حاجاتنا فإلى المَوْتِ ... مَصيرُ الملوكِ والأقْيَالِ)
(لا وصَوْمِي لِربّنا وزَكاتِي ... وصَلاتي أدعُو بها وابتِهالي)
(ما أتيتُ الغداةَ أمراً دَنِيّاً ... ولَدَى اللّه كابرُ الأعمالِ)
(أيُّها المالكُ المُرهِّب بالقَتْل ... بَلَغْتَ النَّكال كُلَّ النَّكالِ)
(فاخشَ ناراً تَشْوِي الوُجوهَ ويَوْماً ... يَقْذِفُ الناسَ بالدَّواهِي الثِّقالِ)
((قد تعدَّيتَ في القِصاصِ وأدْرَكْتَ ... ذُحولاً لِمَعْشرٍ أقْتالِ
(وكَسرْتَ السِّنَّ الصَّحيحةَ مِنّي ... لا تُذِلَّنْ فمُنْكِرٌ إذْلالِي)
(وقَرَنْتم مع الخنازير هِرّاً ... ويَميني مَغْلولة وشِمالِي)
(وكِلاباً يَنْهشْنَني من وَرائِي ... عَجِبَ النَّاسُ ما لهُنَّ ومَالي)
(وأطَلْتم مع العُقُوبة سِجْناً ... فكَم السّجْن أو متَى إرْسالِي)
(يَغسلُ الماءُ ما صَنَعْتَ وقَولي ... راسِخٌ مِنك في العِظام البَوالي)
(لو قبِلْتَ الفِداءَ أو رُمْتَ مالي ... قُلتُ خُذْه فِداء نَفْسيَ مالي)
(لو بِغَيري من مَعْشَري لَعِبَ الدَّهر ... لما ذَمَّ نُصرَتي واحتِيالي)
(كم بَكاني مِن صاحِبٍ وخَليل ... حافِظِ الغَيْبِ حامدٍ للخِصالِ)
(ليتَ أَنِّي كُنتُ الحَليفَ لِلَخْم ... وجُذامٍ أو طَيِّءِ الأجْمالِ)
(بَدَلاً مِن عِصابَة من قُرَيْش ... أسلَمُوني للخَصْمِ عند النِّضالِ)
(البَهالِيلُ من بني عَبْدِ شَمْس ... فَضَلُوا النّاسَ بالعُلاَ والفِعالِ)
(وبنو التَّيْم تَيْمِ مُرَّةَ لَمَّا ... لَمَعَ المَوتُ في ظِلالِ العَوالي)

(مَنَعُوا البَيْتَ بَيْتَ مَكَّةَ ذا الحِجْرِ ... إِذِ الطَّيْرُ عُكَّفٌ في الظِّلالِ)
(والبَهالِيلُ خالِدٌ وسَعِيدٌ ... شَمْسُ دَجْنٍ ووُضَّحٌ كالهِلالِ)
(في الأروماتِ والذُّرى من بَنِي العِيصِ ... قُرومٌ إذا تُعَدُّ المَعالِي)
(كُنتُ منهم ما حَرَّموا فحَرَام ... لم يُرامُوا وحِلُّهُم من حَلال)
(وذوو المجد من خزاعة كانوا ... أهل ودي في الخصب والأمحال)
(خذلوني وهم لذاك دعوني ... ليس حامي الذمار بالخذّال)
(لا تَدَعِيني فِداكِ أهلِي ومالِي ... إنَّ حَبْلَيْكِ من مَتِينِ الحِبالِ)
(حَسَرْتِا إذ أطَعْتُ أمْرَ غُواتِي ... وعَصَيْتُ النَّصِيحَ ضَلَّ ضَلالِي)

يهجو عبادا ويذكر سعيد بن عثمان

وقال يهجو عباد بن زياد ويذكر سعيد بن عثمان

(أيُّها الشاتِم جَهْلاً سَعِيداً ... وسَعِيدٌ في الحَوادِثِ نَابُ)
(ما أبوكم مُشبِهاً لأبيه ... فاسألوا الناسَ بذاكم تُجابُوا)
(سادَ عَبّادٌ ومُلِّكَ جَيْشاً ... سَبَّحت من ذاكَ صُمٌّ صِلاَبُ)
(إنّ عاماً صِرْتَ فيه أميراً ... تَمْلِكُ النّاسَ لَعامٌ عُجابُ)

قال واتصل هجاؤه زيادا وولده وهو في الحبس فرده عبيد الله إلى أخيه عباد بسجستان ووكل به رجالا ووجههم معه وكان لما هرب من عباد يهجوه ويكتب كل ما هجاه به على حيطان الخانات وأمر عبيد الله الموكلين به أن يأخذوه بمحو ما كتبه على الحيطان بأظافيره وأمرهم ألا يتركوه يصلي إلا إلى قبلة النصارى إلى المشرق فكانوا إذا دخلوا بعض الخانات التي نزلها فرأوا فيها شيئا مما كتبه من الهجاء أخذوه بأن يمحوه بأظافره فكان يفعل ذلك ويحكه حتى ذهبت أظافره فكان يمحوه بعظام أصابعه ودمه حتى سلموه إلى عباد فحبسه وضيق عليه قال عمر بن شبة في خبره فقال ابن مفرغ

سَرَتْ تحت أقطاعِ من اللَّيلِ زَينَبُ ... سلامٌ عليكم هَلْ لما فاتَ مَطْلَبُ) ويروى)

(... ألاَ طَرقْتنا آخرَ اللَّيلِ زَيْنَبُ)
(أصابَ عَذابِي اللونَ فاللَّونُ شاحِبٌ ... كما الرأسُ من هَوْلِ المنيّة أشيبُ)
(قُرِنتُ بخِنْزِير وهِرٍّ وكلْبةٍ ... زماناً وشانَ الجلدَ ضربٌ مُشذَّبُ)
(وجُرِّعتُها صهباءَ من غير لَذَّة ... تُصعِّد في الجُثمانِ ثم تُصوَّبُ)
(وأطعِمتُ ما إن لا يَحِلّ لآكلٍ ... وصَلَّيْتُ شَرْقاً بَيتُ مكَّة مَغرِبُ)
(من الطَّفِّ مجنوناً إلى أرضِ كابُلٍ ... فمَلُّوا وما مَلَّ الأسيرُ المُعذَّبُ)
(فلو أنَّ لَحْمِي إذ هَوَى لَعِبتْ به ... كِرامُ المُلوكِ أو أسودٌ وأذْؤُبُ)
(لَهوَّنَ وَجْدِي أو لزَادتْ بَصِيرتِي ... ولكنما أوْدَتْ بلَحْمِيَ أكْلُبُ)
(أعَبَّادُ ما لِلُّؤْمِ عنك مُحوَّلٌ ... ولا لَكَ أُمٌّ في قُرَيْش ولا أبُ)
(سينْصرُني مَنْ ليس تَنْفع عِنْده ... رُقاكَ وقَرْمٌ من أُميَّة مُصْعَبُ)
(وقل لعُبَيْد الله مالَكَ والِدٌ ... بحقٍّ ولا يَدري امرؤٌ كيف تُنْسَبُ)

في أول هذا الشعر غناء نسبته

صوت

(ألا طرَقَتْنا آخِرَ اللَّيلِ زينَبُ ... سلامٌ عليكم هَلْ لِما فاتَ مَطْلَبُ)
(وقالت تَجَنَّبْنا ولا تَقْرَبَنَّنَا ... فكَيْفَ وأنتُم حاجَتِي أتَجَنَّبُ)

الغناء لسياط ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي

وقالوا جميعا فلما طال مقام ابن مفرغ في السجن استأجر رسولا إلى دمشق وقال له إذا كان يوم الجمعة فقف على درج جامع دمشق ثم اقرأ هذين البيتين بأرفع ما يمكنك من صوتك وكتبهما في رقعة وهما

(أبلِغْ لديكَ بني قَحْطان قاطِبةً ... عضّت بأيْرِ أبيها سادةُ اليَمَنِ)
(أضحَى دَعِيٌّ زيادٍ فَقْعَ قَرْقَرةٍ ... - يا لَلْعجائب - يلهو بابن ذِي يزَنِ)

ففعل الرسول ما أمره به فحميت اليمانية وغضبوا له ودخلوا على معاوية فسألوه فيه فدفعهم عنه فقاموا غضابا وعرف معاوية ذلك في

وجوههم فردهم ووهبه لهم ووجه رجلا من بني أسد يقال له خمخام ويقال جهنام بريدا إلى عباد وكتب له عهدا وأمره بأن يبدأ بالحبس فيخرج ابن مفرغ منه ويطلقه قبل أن يعلم عباد فيم قدم فيغتاله ففعل ذلك به فلما خرج من الحبس قربت إليه بغلة من بغال البريد فركبها فلما استوى على ظهرها قال

(عَدَسْ ما لعَبَّادٍ عليكِ إمارةٌ ... نجوتِ وهذا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ)
(فإن الَّذي نَجَّى من الكَرْب بَعدَما ... تَلاحَمَ في دَرْبٍ عليكِ مضيقُ)
(أتاكِ بخَمْخامٍ فأنْجاك فالْحقِي ... بأهْلِك لا تُحبسْ عليكِ طَرِيقُ)
(لعمْري لقد أنجاكَ من هُوَّةِ الرَّدَى ... إمامٌ وحبلٌ للأنام وثِيقُ)
(سأشكُر ما أوليتَ من حُسْن نِعمة ... ومِثْلي بشكْرِ المُنْعِمين حَقِيقُ)

معاوية يعفو عنه

قال عمر بن شبة في خبره ووافقه لقيط بن بكير فلما أدخل على معاوية بكى وقال ركب مني ما لم يركب من مسلم قط على غير حدث في الإسلام ولا خلع يد من طاعة ولا جرم فقال ألست القائل

(ألا أبلِغْ مُعاويةَ بنَ حَرْبٍ ... مُغلْغَلةً مِن الرَّجل اليَماني)
(أتغضَبُ أنْ يُقال أبوك عَفٌّ ... وتَرضى أنْ يُقال أبُوكَ زانِ)
(فأشهدُ أنَّ رِحْمَكَ مِن زيادٍ ... كرِحْمِ الفيلِ من وَلَدِ الأتانِ)
(وأشهدُ أنها ولدت زياداً ... وصخرٌ من سُمَيَّةَ غيرُ دانِ)

فقال لا والذي عظم حقك يا أمير المؤمنين ما قلته ولقد بلغني أن عبد الرحمن بن الحكم قاله ونسبه إلي قال أفلم تقل

((شَهِدتُ بأنَّ أمّك لم تباشر ... أبا سُفيان واضعةَ القِنَاعِ

(ولكن كان أمرٌ فيهِ لَبْسٌ ... على وَجَلٍ شديدٍ وارتياع)
أولست القائل
(إنَّ زياداً ونافِعاً وأبَا ... بَكْرَةَ عِنْدي مِن أعْجَبِ العَجَب)
(إنّ رِجالاً ثَلاثَةً خُلِقُوا ... في رَحْمِ أُنْثَى ما كُلهم لأبِ)
(ذا قُرَشِيٌّ كما يَقُولُ وذا ... مَوْلىً وهذا بزعمه عَرَبِي)
في أشعار كثيرة قلتها في هجاء زياد وبنيه اذهب فقد عفوت عن جرمك ولو إيانا تعامل لم يكن شيء مما كان فاسكن أي أرض شئت فاختار الموصل فنزلها ثم ارتاح إلى البصرة فقدمها فدخل على عبيد الله ابن زياد واعتذر إليه وسأله الصفح والأمان فأمنه وأقام بها مدة ثم دخل عليه بعد أن أمنه فقال أصلح الله الأمير إني قد ظننت أن نفسك لا تطيب لي بخير أبدا ولي أعداء لا آمن سعيهم علي بالباطل وقد رأيت أن أتباعد فقال له إلى أين شئت فقال كرمان فكتب له إلى شريك بن الأعور وهو عليها بجائزة وقطيعة وكسوة فشخص فأقام بها حتى هرب عبيد الله من البصرة فعاد إليها هذه رواية عمر بن شبة
وقال محمد بن خلف في روايته عن أحمد بن الهيثم عن المدائني وعن العمري عن لقيط
أن ابن مفرغ لما طال حبسه وبلاؤه ركب طلحة الطلحات إلى الحجاز ولقي قريشا - وكان ابن مفرغ حليفا لبني أمية - فقال لهم طلحة يا معشر قريش إن أخاكم وحليفكم ابن مفرغ قد ابتلي بهذه الأعبد من بني زياد وهو عديدكم وحليفكم ورجل منكم ووالله ما أحب أن يجري الله عافيته على يدي دونكم ولا أفوز بالمكرمة في أمره وتخلوا منها فانهضوا معي بجماعتكم إلى يزيد بن معاوية فإن أهل اليمن قد تحركوا بالشام فركب خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وأمية بن عبد الله أخوه وعمر بن عبيد الله بن معمر ووجوه من خزاعة وكنانة وخرجوا إلى يزيد فبينا هم يسيرون ذات ليلة إذ سمعوا راكبا يتغنى في سواد الليل بقول ابن مفرغ ويقول
(إنَّ تركِي نَدَى سعِيدِ بن عثمانَ ... بنِ عفّانَ ناصِري وعدِيدِي)
(واتّباعي أخَا الضَّرَاعةِ واللُّؤم ... لنقصٌ وفَوتُ شأوٍ بعيدِ)
(قلتُ واللّيلُ مُطبِقٌ بعُراه ... ليتَنِي مِتُّ قبلَ تركِ سعِيدِ)
(ليتني مِتُّ قبل تَرْكِي أخا النَّجْدة ... والحَزْمِ والفِعالِ السّديدِ)
(عَبْشَمِيٌّ أبُوه عبدُ مَنافٍ ... فازَ منها بتاجِها المَعقُودِ)
(ثُمَّ جُودٌ لو قِيلَ هل من مَزيدٍ ... قلتُ للسائلين ما من مَزِيدِ)
(قُلْ لقَوْمي لَدَى الأباطح مِنْ آل ... لُؤَيِّ بن غالبٍ ذِي الجُودِ)
(سامَنِي بعدَكم دَعِيُّ زيادٍ ... خُطَّةَ الغادرِ اللئيم الزَّهيد)
(كانَ ما كانَ في الأراكة واجتَبَّ ... ببُرْدٍ سَنامَ عِيسِي وجِيدِي)
(أوْغلَ العَبدُ في العُقوبة والشَّتْم ... وأوْدَى بطارِفي وتليدِي)
(فارحلوا في حليفكم وأخِيكم ... نحوَ غوْث المُسْتَصْرِخِين يزيدِ)
(فاطلبوا النَّصفَ من دعيِّ زيادٍ ... وسلُوني بما ادّعيْتُ شهُودِي)
قال فدعا القوم بالراكب فقالوا له ما هذا الذي سمعناه منك تغني به فقال هذا قول رجل والله إن أمره لعجب رجل ضائع بين قريش واليمن وهو رجل الناس قالوا ومن هو قال ابن مفرغ قالوا والله ما رحلنا إلا فيه وانتسبوا له فضحك وقال أفلا أسمعكم من قوله أيضا قالوا بلى فأنشدهم قوله
((لَعمْرِيَ لو كانَ الأسيرُ ابنَ مَعْمرٍ ... وصاحِبَه أو شِكلَه ابنَ أسِيدِ
(ولو أنّهم نالوا أُميَّة أرقَلَتْ ... براكبِها الوَجناءُ نحو يزيدِ)
(فأبلغتُ عذراً في لؤيِّ بنِ غالبٍ ... وأتلفتُ فيهم طارفي وتَليدي)
(فإن لم يُغيِّرْها الإمامُ بحقِّها ... عَدلتُ إلى شُمٍّ شَوامِخَ صِيدِ)
(فناديتُ فيهم دعوةً يَمنيَّةً ... كما كان آبائي دَعَوْا وجُدُودِي)
(ودافعتُ حتى أبلغ الجهدَ عنهمُ ... دِفاعَ امرىءٍ في الخيرِ غيرِ زَهيدِ)
(فإن لم تكُونوا عند ظَنِّي بنصْركم ... فليس لها غيرُ الأغرِّ سَعِيدِ)
(بنفسي وأهلي ذاك حيّاً وميّتاً ... نضارٌ وعودُ المرءِ أكرمُ عودِ)
(فكم من مقامٍ في قريش كفيته ... ويومٍ يُشيبُ الكاعِباتِ شديدِ)
(وخَصْمٍ تحاماه لُؤَيُّ بنُ غالِبٍ ... شَبَبتُ له نارِي فهاب وَقُودِي)
(وخيرٍ كثير قد أفأتُ عليكم ... وأنتم رُقودٌ أو شبيهُ رُقودِ)
قال فاسترجع القوم لقوله وقالوا والله لا نغسل رؤوسنا في العرب إن لم نغسلها بفكه فأغذ القوم السير حتى قدموا الشام
وفد اليمانية إلى يزيد بن معاوية
وبعث ابن مفرغ رجلا من بني الحارث بن كعب فقام على سور
حمص فنادى بأعلى صوته الحصين بن نمير - وكان والي حمص - بهذه الأبيات وكان عظيم الجبهة
(أبلِغْ لديك بني قَحْطان قاطبةً ... عَضّتْ بأيْر أبيها سادةُ اليَمَن)
(أمسى دَعِيُّ زيادٍ فَقْعَ قَرْقَرَةٍ ... - يا لَلْعجائبِ - يلهو بابن ذِي يَزَنِ)
(والحِميريُّ طريحٌ وسط مَزبلةٍ ... هذا لعَمرُكمُ غَبنٌ من الغبن)
(ولأجبَهُ ابنُ نُميرٍ فوق مَفْرشه ... يدنُو إلى أحْوَرِ العَيْنَيْن ذي غُنَنِ)
(قُوموا فقولُوا أميرَ المؤمنين لنا ... حَقٌّ عليك ومنٌّ ليس كالمِنَنِ)
(فاكفُف دَعِيَّ زيادٍ عن أكارمنا ... ماذا يُريدُ على الأحقادِ والإحَنِ)
فاجتمعت اليمانية إلى حصين فعيروه بما قاله ابن مفرغ فقال الحصين ليس لي رأي دون يزيد بن أسد ومخرمة بن شرحبيل فأرسل إليهما فاجتمعوا في منزل الحصين فقال لهما الحصين اسمعا ما أهدى إلي شاعركم وقاله لكم في أخيكم - يعني نفسه - وأنشدهم فقال يزيد بن أسد قد جئتكم بأعظم من هذا وهو قوله

(وما كنتُ حجَّاماً ولكِنْ أحلَّنِي ... بِمنزلةِ الحَجَّامِ نَأْيِي عن الأَصلِ)
فقال الحصين والله لقد أساء إلينا أمير المؤمنين في صاحبنا مرتين إحداهما أنه هرب إليه فلم يجره وأخرى أنه أمر بعذابه غير مراقب لنا فيه وقال يزيد بن أسد إني لأظن أن طاعتنا ستفسد ويمحوها ما فعل بابن مفرغ ولقد تطلع من نفسي شيء للموت أحب إلي منه وقال مخرمة بن شرحبيل أيها الرجلان اعقلا فإنه لا معاوية لكما واعرفا أن صاحبكما لا تقدح فيه الغلظة فاقصدا التضرع فركب القوم إلى دمشق وقدموا على يزيد بن معاوية وقد سبقهم الرجل فنادى بذلك الشعر يوم الجمعة على درج مسجد دمشق فثارت اليمانية وتكلموا ومشى بعضهم إلى بعض وقدم وفد القرشيين في أمره مع طلحة الطلحات فسبقوا القرشيين ودخلوا على يزيد بن معاوية فتكلم الحصين بن نمير فذكر بلاءه وبلاء قومه وطاعتهم وقال يا أمير المؤمنين إن الذي أتاه ابن زياد إلى صاحبنا لا قرار عليه وقد سامنا عبيد الله وعباد خطة خسف وقلدانا قلادة عار فأنصف كريمنا من صاحبه فوالله لئن قدرنا لنعفون ولئن ظلمنا لننتصرن وقال يزيد بن أسد يا أمير المؤمنين إنا لو رضينا بمثلة ابن زياد بصاحبنا وعظيم ما انتهك منه لم يرض الله عز ذكره بذلك ولئن تقربنا إليك بما يسخط الله ليباعدننا الله منك وإن يمانيتك قد نفرت لصاحبها نفرة طار غرابها وما أدري متى يقع وكل نائرة تقدح في الملك وإن صغرت لم يؤمن أن تكبر وإطفاؤها خير من إضرامها لا سيما إذا كانت في أنف لا يجدع ويد لا تقطع فأنصفنا من ابني زياد وقال مخرمة بن شرحبيل وكان متألها عظيم الطاعة في أهل اليمن إنه

لا يد تحجزك عن هواك ولو مثلت بأخينا وتوليت ذلك منه بنفسك لم يقم فيه قائم ولم يعاتبك فيه معاتب ولكن ابني زياد استخفانا بما يثقل عليك من حقنا وتهاونا بما تكرمه منا وأنت بيننا وبين الله ونحن بينك وبين الناس فأنصفنا من صاحبيك ولينفعنا بلاؤنا عندك

فقال يزيد إن صاحبكم أتى عظيما نفي زيادا من أبي سفيان ونفى عبادا وعبيد الله من زياد وقلدهم طوق الحمامة وما شجعه على ذلك إلا نسبه فيكم وحلفه في قريش فأما إذ بلغ الأمر ما أرى وأشفى بكم على ما أشفى فهو لكم وعلي رضاكم

وفد القرشيين إلى يزيد

قال وانتهى القرشيون إلى الحاجب فاستأذن لهم وقال لليمانيين قد أتتكم يرى الذهب من أهل العراق فدخلوا وسلموا والغضب يتبين في وجوههم فظن يزيد الظنون وقال لهم ما لكم انفتق فتق أو حدث حدث فيكم قالوا لا فسكن فقال طلحة الطلحات

يا أمير المؤمنين أما كفى العرب ما لقيت من زياد حتى استعملت عليها ولده يستكثرون لك أحقادها ويبغضونك إليها إن عبيد الله وأخاه أتيا إلى ابن مفرغ ما قد بلغك فأنصفنا منهما إنصافا تعلم العرب أن لنا منك خلفا من أبيك فوالله لقد خبأ لك فعلهما خبئا عند أهل اليمن لا تحمده لك ولا تحمده لنفسك

وتكلم خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فقال

يا أمير المؤمنين إن زيادا ربي في شر حجر ونشأ في أخبث نشء فأثبتم نصابه في قريش وحملتموه على رقاب الناس فوثب ابناه على أخينا وحليفنا وحليفك ففعلا به الأفاعيل التي بلغتك وقد غضبت له قريش الحجاز ويمن الشام ممن لا أجب والله لك غضبه فأنصفنا من ابني زياد

وتكلم أخوه أمية بنحو مما تكلم أخوه وقال

والله يا أمير المؤمنين لا أحط رحلي ولا أخلع ثياب سفري أو تنصفنا من ابني زياد أو تعلم العرب أنك قد قطعت أرحامنا ووصلت ابني زياد بقطعنا وحكمت بغير الحق لهما علينا

وقال ابن معمر يا أمير المؤمنين إن ابن مفرغ طالما ناضل عن عرضك وعرض أبيك وأعراض قومك ورمى عن جمرة أهلك وقد أتى بنو زياد فهي ما لو كان معاوية حيا لم يرض به وهذا رجل له شرف في قومه وقد نفروا له نفرة لها ما بعدها فأعتبهم وأنصف الرجل ولا تؤثر مرضاة ابني زياد على مرضاة الله عز وجل

يزيد يرحب بالوفدين

فقال يزيد مرحبا بكم وأهلا والله لو أصابه خالد ابني بما ذكرتم لأنصفته منه ولو رحلتم في جميع ما تحيط به العراق لوهبته لكم وما عندي إلا إنصاف المظلوم ولكن صاحبكم أسرف على القوم وكتب يزيد ببناء داره ورد ماله وتخلية سبيله وألا إمرة لأحد من بني زياد عليه وقال لولا أن في القود بعد ما جرى منه فسادا في الملك لأقدته من عباد

وسرح يزيد رجلا من حمير يقال له خمخام وكتب معه إلى عباد بن زياد نفسك نفسك وإن تسقط من ابن مفرغ شعرة فأقيدك والله به ولا سلطان لك ولا لأخيك ولا لأحد غيري عليه فجاء خمخام حتى انتزعه جهارا من الحبس بمحضر الناس وأخرجه

قالوا فلما دخل على يزيد قال له يا أمير المؤمنين اختر مني خصلة

من ثلاث خصال في كلها لي فرج إما أن تقيدني من ابن زياد وإما أن تخلي بيني وبينه وإما أن تقدمني فتضرب عنقي فقال له يزيد قبح الله ما اخترته وخيرتنيه أما القود من ابن زياد فما كنت لأقيدك من عامل كان عليك ظلمته وشتمت عرضه وعرضي معه وأما التخلية بينك وبينه فلا ولا كرامة ما كنت لأخلي بينك وبين أهلي تقطع أعراضهم وأما ضرب عنقك فما كنت لأضرب عنق مسلم من غير أن يستحق ذلك ولكني أفعل ما هو خير لك مما اخترته لنفسك أعطيك ديتك فإنهم قد عرضوك للقتل واكفف عن ولد زياد فلا يبلغني أنك ذكرتهم وانزل أي البلاد شئت وأمر له بعشرة آلاف درهم

اعتذاره لعبيد الله بن زياد

فخرج حتى أتى الموصل وأقام ما شاء الله ثم خرج ذات يوم يتصيد فلقي دهقانا على حمار له فقال من أين أقبلت قال من العراق قال من أيها قال من البصرة ثم من الأهواز قال فما فعل المسرقان قال على حاله قال أفتعرف أناهيد بنت أعنق قال نعم قال ما فعلت قال على أحسن ما عهدت

قال فضرب برذونه وسار حتى أتى الأهواز ولم يعلم أهله ولا غيرهم بمسيره

ثم أتى عبيد الله بن زياد فدخل عليه واعتذر إليه وسأله الأمان فأمنه ثم سأله أن يكتب له إلى شريك بن الأعور فكتب له ووصله

هجاؤه بني زياد

وخرج فأقام بكرمان حتى غلب ابن الزبير على العراق وهرب ابن زياد وكان أهل البصرة قد أجمعوا على قتله فخرج عن البصرة هاربا فعاد ابن مفرغ إلى البصرة وعاود هجاء بني زياد فقال يذكر هرب عبيد الله وتركه أمه بقوله

(أعُبَيدُ هَلاّ كنتَ أوَّلَ فارسٍ ... يوم الهِياج دعا بحَتْفِك داع)
(أسلمْتَ أُمَّكَ والرِّماحُ تَنوشُها ... يا ليتني لك ليلةَ الإفزاع)
(إذ تَستغيث وما لنفسِك مانعٌ ... عبْدٌ تردِّده بدار ضَياع)
(هلاّ عجوزك إذ تُمَدُّ بثَدْيِها ... وتَصيح ألاّ تَنْزِعُنَّ قِناعِي)
(أنقذتَ من أيدي العُلوجِ كأنها ... رَبداءُ مُجفِلةٌ ببطنِ القاع)
(فركبتَ رأسَك ثم قلتَ أرى العِدا ... كَثُروا وأخلفَ موْعِدي أشْياعِي)
(فانْجى بنَفْسِك وابتغي نَفَقاً فما ... لي طاقةٌ بك والسلامُ وَداعِي)
(ليسَ الكَرِيمُ بمَنْ يُخلِّف أُمَّه ... وفَتاتَه في المَنزلِ الجَعجاع)
(حَذَرَ المَنِيَّةِ والرِّماحُ تَنوشُه ... لم يَرْمِ دون نِسائه بكُراع)
(مُتأبِّطاً سيفاً عليه يَلْمَقٌ ... مثل الحمار أثرتَه بيَفاع)
(لا خيرَ في هَذِرٍ يهزُّ لسانَه ... بكلامه والقلبُ غيرُ شُجاع)
((لابنُ الزُّبير غَداةَ يَذْمُر مُنْذِراً ... أوْلى بغايَة كلِّ يومِ وقاع
(وأحقُّ بالصبر الجميلِ من امرئٍ ... كزٍّ أناملُه قصيرِ الباع)
(جَعْدِ اليدين عن السَّماحة والنَّدى ... وعنِ الضَّريبة فاحشٍ مَنَّاع)
(كم يا عُبيدَ الله عندك من دَمٍ ... يسعَى ليُدركَه بقَتلك ساع)
(ومعاشرٍ أنُفٍ أبحْتَ حريمهم ... فرَّقتَهم من بعد طُول جِماع)
(اذكُرْ حُسَيْناً وابنَ عُروَةَ هانئاً ... وابنَي عَقِيلٍ فارسَ المِرْباع)
وقال أيضا يذكر هربه
(أقَرَّ بعيني أنّه عَقَ أُمَّه ... دعَتْه فولاّها استَه وهو يَهرُبُ)
(وقال عليكِ الصبرَ كُوني سَبِيَّةً ... كما كنتِ أو مُوتي فذلك أقرَبُ)
(وقد هتفت هندٌ بماذا أمرتَنِي ... أيْنَ لي وحَدَّثني إلى أينَ أذهبُ)
(فقال اقْصِدي للأزْدِ في عَرَصاتِها ... وبكْرٍ فما إن عنهُم مُتجَنَّبُ)
(أخافُ تَمِيماً والمَسالِحُ دونَها ... ونيرانُ أعدائي عليَّ تلهَّبُ)
(وولَّى وماءُ العين يَغسِلُ وجْهَها ... كأنْ لم يكُن والدَّهرِ بالناس قُلَّبُ)
(بما قَدَّمتْ كَفَّاك لا لكَ مَهرَبٌ ... إلى أيِّ قومٍ والدِّماء تَصبَّبُ)
(فكمْ من كَريمٍ قد جَرَرْتَ جَريرةً ... عليه فمَقْبورٌ وعانٍ يُعَذَّبُ)
((ومن حُرَّةٍ زهراءَ قامت بسَحْرةٍ ... تُبكِّي قتيلاً أو صدًى يَتأوَّبُ
(فصبراً عُبيدَ بنَ العَبِيد فإنما ... يُقاسِي الأمورَ المُستَعِدُّ المُجرِّبُ)
(وذُقْ كالذي قد ذاقَ منك معاشِرٌ ... لَعِبْتَ بهم إذ أنت بالنَّاسِ تلعَبُ)
(فلو كنتَ حُرّاً أو حَفِظْتَ وَصِيَّةً ... عطَفْتَ على هِندٍ وهِندٌ تُسحَّبُ)
(وقاتلتَ حتى لا تُري لك مَطْمَعاً ... بسَيْفِك في القومِ الذين تَحزَّبُوا)
(وقلتَ لأُمِّ العَبْدِ أُمِّك إنني ... وإن كثُرَ الأعداءُ حامٍ مُذَبِّبُ)
(ولكن أبى قلبٌ أُطِيرَتْ بَناتُه ... وعِرْقٌ لكم في آلِ مَيْسانَ يَضرِبُ)
وقال في ذلك أيضا
(ألاَ أبلِغْ عُبيْدَ اللهِ عنّي ... عُبيدَ اللؤم عبدَ بني عِلاجِ)
(عَلَيَّ لكم قلائدُ باقِياتٌ ... يُثِرْنَ عليكمُ نَقْعَ العَجاج)
(تدَّعيت الخضارمَ من قُريشٍ ... فما في الدِّين بعدك من حِجاج)
(أينَ لي هل بيثْربَ زندُ ورْدٍ ... قُرَى آبائك النَّبط العَجاج)
وقال فيه أيضا
(عُبَيدِ الله عَبْدُ بني عِلاجٍ ... كذاكَ نسبتُه وكذاكَ كانا)
(أعبْدَ الحارثِ الكِنديِّ ألاَّ ... جعلتَ لإسْتِ أمِّكَ دَيْدبانا)
((فتَستُرَ عَورةً كانتْ قدِيماً ... وتمنعَ أمّك النَّبَطَ البِطانا
وقال يهجو عبيد الله وعبادا أنشدناه جماعة منهم هاشم بن محمد الخزاعي عن دماذ عن أبي عبيدة وهذا من قصيدة له طويلة أولها
(جرتْ أمُّ الظِّباءِ بِبَيْن لَيلى ... وكلُّ وصالِ حَبْلٍ لانقطاعِ)
يقول فيها
(ولا لاَقيتُ من أيّامِ بُؤْسٍ ... ولا أمرٍ يَضيقُ به ذِراعِي)
(ولم تَكُ شِيمتِي عَجْزاً ولُؤْما ... ولم أكُ بالمُضَلَّلِ في المسَاعي)
(سِوى يومِ الهَجِين ومَنْ يُصاحِبْ ... لئامَ الناس يَغضِ على القذاع)
(حَلَفتُ بربِّ مَكّة لو سِلاحِي ... بكفي إذ تُنازعني مَتاعِي)
(لباشَرَ أُمَّ رأسِك مَشرَفِيٌّ ... كذاكَ دَواؤنا وجعِ الصُّداع)
(أفِي أحسابِنا تَزري علينا ... هُبِلْتَ وأنتَ زائدةُ الكُراع)
(تبغَّيْتَ الذُّنوب عليَّ جَهْلاً ... جُنوناً ما جُنِنْتَ ابنَ اللَّكاعِ)
(فما أسفِي على تَرْكي سَعِيداً ... وإسحاقَ بنَ طَلحةَ واتّباعِي)
(ثَنايا الوَبْرِ عبدَ بني عِلاجٍ ... عُبيْدةَ فقْعَ قَرْقَرةٍ بِقاع)
(إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجد ... وودّع أهلُها خيرَ الوَداع)
(فأير في استِ أمّك من أمير ... كذاكَ يقال للحمق اليراع)
((ولا بُلَّتْ سماؤك من أميرٍ ... فبئسَ مُعَرَّسُ الرّكْبِ الجِياع
(ألم تَرَ إذْ تُحالِف حِلْف حَرْبٍ ... عليك غَدَوْتَ من سَقَطِ المتَاع)

(وكدتَ تَموتُ أنْ صاح ابن آوَى ... ومثْلُك مات من صوت السِّباعِ)
(ويَوْمَ فَتَحتَ سيفَكَ مِن بَعيدٍ ... أَضِعْتَ وكلُّ أمرك للضّياعِ)
(إذ أودَى معاويةُ بنُ حَرْبٍ ... فبشِّرْ شعْبَ قَعْبكَ بانْصِداعِ)
(فأشهدُ أنَّ أُمَّك لم تُباشِرْ ... أبا سُفيانَ واضعةَ القِناعِ)
(ولكن كانَ أمراً فيه لَبْسٌ ... على عجَلٍ شديدٍ وارْتياعِ)
قال وكان عباد في بعض حروبه ذات ليلة نائما في عسكره فصاحت بنات آوى فثارت الكلاب إليها ونفر بعض الدواب ففزع عباد وظنها كبسة من العدو فركب فرسه ودهش فقال افتحوا سيفي فعيره بذلك ابن مفرغ ومما قاله ابن مفرغ في هجاء بني زياد وغني فيه
صوت
(كم بالدُّروبِ وأرضِ الهِندِ مِن قَدَمٍ ... ومِنْ جَماجم قَتلَى ما هُمُ قُبِرُوا)
(ومِن سَرابيلِ أبطالٍ مضرّجةٍ ... ساروا إلى الموت ما خامُوا ولا ذُعِروا)
(بقَنْدَهارَ ومَن تُختَمْ منيَّتُه ... بقُندهارَ يُرجّم دونَه الخَبَرُ)
غنى في هذه الأبيات ابن جامع
(أجِدّ أهلُك لا يأتيهمُ خَبرٌ ... منّا ولا منهم عَيْنٌ ولا أَثَرُ)
(ولم تكلّم قُرَيْش في حَلِيفِهِمُ ... إذ غابَ أنصارُه بالشّامِ واحتُضِروا)
(لو أنّني شهِدتني حِمْيَرٌ غَضِبَتْ ... إذاً فكان لها فيما جرَى غِيَرُ)
(رَهطُ الأغرِّ شراحِيل بن ذِي كَلَعٍ ... ورهطُ ذي فائشٍ ما فوقهم بَشر)
(قولاَ لطَلْحة ما أغنتْ صَحيفتكم ... وهل لجارك إذ أوردْتَه صَدَرُ)
(فمَنْ لنا بشَقيقٍ أو بأُسرته ... ومَنْ لنا ببني ذُهْلٍ إذا خَطَرُوا)
(همُ الذينَ سمَوْا والخيلُ عابِسَةٌ ... والناسُ عند زياد كلهم حَذِرُ)
(لولاهمُ كان سلاّمٌ بمَنْزلَتي ... أوْلَى لهم ثمَّ أولَى بعدما ظَفِرُوا)
أخبرني محمد بن خلف عن أبي بكر العامري عن إسحاق بن محمد عن القحذمي قال هجا سلام الرافعي مقاتل بن مسمع فقال فيه
(أبَى لك يا ذا المَجْدِ أنَّ مُقاتِلاً ... زَنَى واستَحَلَّ الفارسِيَّ المُشَعْشَعَا)
في أبيات هجاه بها فحبسه مقاتل بالعربة فركب شقيق بن ثور في جماعة من بني ذهل إلى الحبس فأخرجه فضرب به ابن مفرغ المثل في الشعر الماضي
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو عبد الله اليماني قال حدثنا الأصمعي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال
قال لي عبيد الله بن زياد ما هجيت بشيء أشد علي من قول ابن مفرغ
(فكِّرْ ففي ذاك إن فكَّرتَ مُعْتَبَرٌ ... هل نِلْتَ مكرُمةً إلا بتأميرِ)
((عاشتْ سُمَيَّةُ ما تَدْري وقد عَمِرَتْ ... أنَّ ابنها من قُرَيْشٍ في الجَماهِيرِ
وروى اليزيدي في روايته عن الأحول قال أبو عبيدة
كان زياد يزعم أن أمه سمية بنت الأعور من بني عبد شمس بن زيد مناة بن تميم فقال ابن مفرغ يرد ذلك عليه
(فأقسِمِ ما زيادٌ من قُرَيْشٍ ... ولا كانت سُمَيَّة مِن تَميمِ)
(ولكنْ نَسْلُ عَبْدٍ من بَغيٍّ ... عريق الأصل في النَّسَبِ اللَّئِيمِ)
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دماذ قال أنشدني أبو عبيدة لابن مفرغ يهجو ابن زياد ويرميه بالأبنة
(أبلِغْ قُرَيشاً قَضَّها وقَضِيضَها ... أهلَ السَّمَاحةِ والحُلُومِ الرَّاجِحَهْ)
(أنّي ابتُلِيت بحَيَّةٍ ساوَرْتُه ... بيَدٍ لعمْري لم تكُنْ لِي رابِحَهْ)
(صَفِقَ المُبَخَّل صَفْقةً ملعُونَةً ... جرَّتْ عليه من البلايا فادِحَهْ)
(شتَّانَ مَنْ بِطحاءُ مَكّةَ دارُه ... وبَنُو المُضافِ إلى السِّباخِ المالحهْ)
(جَعُدَتْ أناملُه ولامَ نِجارُه ... وبذاكَ تُخبِرُنا الظِّباءُ السانِحَهْ)
(... فإذا أُميَّةُ صَلْصَلَتْ أحسابُها فبَنُو زيادٍ في الكلاب النّابِحَهْ)
(قالوا يُناكُ فقلتُ في جَوْفِ استِه ... وبذاك خَبَّرَني الصَّدُوقُ الفاضِحَهْ)
(لم يبقَ أيرٌ أسودٌ أو أبيضٌ ... إلاَّ له استُكَ في الخَلاءِ مُصافِحَهْ)
مقتل عبيد الله بن زياد
وأخبرني إبراهيم بن السري بن يحيى قال حدثني أبي عن شعيب عن سيف قال
لما قتل عبيد الله بن زياد يوم الزاب قتله أصحاب المختار بن أبي عبيد ويقال إن إبراهيم بن الأشتر حمل على كتيبته فانهزموا ولقي عبيد الله فضربه فقتله وجاءه إلى أصحابه فقال إني ضربت رجلا فقددته نصفين فشرقت يداه وغربت رجلاه وفاح منه المسك وأظنه ابن مرجانة وأومأ لهم إلى موضعه فجاؤوا إليه وفتشوا عليه فوجدوه كما ذكر وإذا هو ابن زياد فقال ابن مفرغ يهجوه
(إنَّ الذِي عاش خَتَّاراً بذِمَّته ... وعاش عَبْداً قَتِيلُ الله بالزَّابِ)
(العَبْدُ للعبد لا أصْلٌ ولا طَرَفٌ ... أَلْوَتْ به ذَاتُ أظْفارٍ وأنْيابِ)
(إنّ المَنايا إذا ما زُرْنَ طاغِيةً ... هَتَكْن عنه سُتوراً بين أبْوابِ)
(هَلاَّ جُموعَ نِزار إذ لقِيتَهمُ ... كنتَ امرأً من نِزارٍ غير مُرتابِ)
(لا أنتَ زاحمتَ عن مُلْكٍ فتمنَعَه ... ولا مَدَدْتَ إلى قَوْمٍ بأَسْبابِ)
(ما شَقَّ جَيبٌ ولا ناحَتْكَ نائحَةٌ ... ولا بَكَتْك جيادٌ عند أسلابِ)
(لا يترك اللهُ أنْفاً تَعْطِسُون بها ... بني العَبيد شُهوداً غيرَ غُيَّابِ)
((أقولُ بُعْداً وسُحْقاً عند مَصْرعه ... لابن الخَبِيثَةِ وابن الكَوْدَنِ الكَابِي
والقصيدة المذكورة بها غناء فيه منها وقال

(حَيِّ ذا الزَّوْرَ وانهَهُ أن يَعُودا ... إنَّ بالبابِ حارسِينَ قُعودَا)
(من أساوِيرَ ما يَنُون قِياماً ... وخَلاخِيلَ تُذْهِلِ المَوْلُودا)
(وطَماطِيمَ من مشايخ جُونٍ ... أَلْبَسُونِي مع الصَّباح قُيُودا)
(أيَّ بلوى معيشة قد بلَوْنا ... فنَعِمْنا وما رَجونا خُلودا)
(ودهورٍ لَقِينَنا مُوجِعاتٍ ... وزمانٍ يُكسِّر الجِلمودا)
(فصبرنا على مواطِن ضِيقٍ ... وخطوبٍ تُصيِّرُ البِيضَ سُودا)
(ظلَّ فيها النصيحُ يُرسِل سِرًّا ... لا تُهالَنَّ إن سمِعتَ الوعيدا)
(أفإنْسٌ ما هكذا صبرُ إنْسٍ ... أم من الجِنَّ أم خُلِقْتَ حَدِيدَا)
(لا ذَعَرْتُ السَّوامَ في فلَقِ الصُّبح ... مغيراً ولا دُعِيتُ يزيدا)
(يومَ أُعطِي مخافةَ الموت ضَيْماً ... والمنايا يرصُدْنَنِي أن أحيدا)
قال وهي قصيدة طويلة
وتمثل الحسين بن علي صلوات الله عليه بهذين البيتين لما خرج من المدينة إلى مكة عند بيعة يزيد
(لا ذَعَرْتُ السَّوامَ في فلَقِ الصُّبح ... مغيراً ولا دُعِيتُ يزيدا)
(يومَ أُعطِي مخافةَ الموت ضَيْماً ... والمنايا يرصُدْنَنِي أن أحيدا)
حدثني أحمد بن عيسى أبو موسى العجلي العطار بالكوفة فقال حدثني الحسين بن نصر بن مزاحم المنقري قال حدثني أبي قال حدثنا عمر بن
سعد عن أبي مخنف قال حدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن أبي سعيد المقبري قال
والله لرأيت حسينا عليه السلام وهو يمشي بين رجلين يعتمد على هذا مرة وعلى هذا مرة حتى دخل المسجد وهو يقول
لا ذعرت السوام البيتين
قال فقلت عند ذلك إنه لا يلبث إلا قليلا حتى يخرج فما لبث أن خرج فلحق بمكة فلما خرج من المدينة قال (فخرج منها خائفا أن يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين) ولما توجه نحو مكة قال (ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل)

ابن مفرغ ومروان بن الحكم

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال
لما قدم ابن مفرغ إلى معاوية مع خمخام الذي وجهه إليه فانتزعه من عباد بن زياد نزل على مروان بن الحكم وهو يومئذ عند معاوية فأعطاه وكساه وقام بأمره واسترفد له كل من قدر عليه من بني أبي العاص بن أمية فقال ابن مفرغ يمدحه من قصيدته
(وأقمتُمْ سُوقَ الثَّناء ولم تكُن ... سُوقُ الثَّناء تُقامُ في الأسْوَاقِ)
(فكأنما جَعَلَ الإلهُ إليكُمُ ... قَبْضَ النُّفوسِ وقِسمْةَ الأرزاقِ)
أخبرني هشام بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال
كان ابن مفرغ يهوى أناهيد بنت الأعنق وكان الأعنق دهقانا من الأهواز له ما بين الأهواز وسرق ومناذر والسوس وكان لها أخوات يقال لهن أسماء والجمانة وأخرى قد سقط اسمها عن دماذ فكان يذكرهن جميعا في شعره فمن ذلك قوله في صاحبته أناهيد من أبيات
(سيري أناهِيدُ بالعيْرَيْن آمنةً ... قد سلَّم اللهُ من قومٍ بهم طَبَعُ)
(لا باركَ اللهُ فيهم معشراً جُبُناً ... ولا سقى دارَهم قَطْراً ولا رُبعوا)
(السارِقِين إذا جاءوا نَزِيلَهُمُ ... والأخبَثِين بطُوناً كلما شبِعُوا)
(لا تأمنَنَّ حِزاميًّا نزلتَ به ... قومٍ لديهم تناهى اللُّؤمُ والضَّرَعُ)
(جاورْ بني خَلَفٍ تَحْمَدْ جِوارَهُمُ ... الأعْظَمِينَ دِفاعاً كلما دفعوا)
(والمطعِمين إذا ما شَتْوَةٌ أزَمتْ ... فالناس شتّى إلى أبوابهم شَرَعُ)
(هم خير قومهم إن حدَّثوا صدقوا ... أو حاولوا النفعَ في أشياعهم نفعوا)
(المانعين من المخزاة جارَهُمُ ... والرّافعين من الأدنَيْن ما صَنَعُوا)
(انزلْ بطلحةَ يوماً إنَّ مَنْزِلَه ... سَهلُ المباءَة بالعلياء مرتفع)
وفي أسماء أختها يقول
(تَعلَّقَ من أسماءَ ما قد تَعلَّقا ... ومثل الذي لاقَى من الحُبِّ أَرَّقَا)
((وحسبُكَ من أسماء نَأْيٌ وأنها ... إذا ذُكِرتْ هاجَتْ فُؤاداً مُعَلَّقا
(سقَى هَزِمُ الإرعادِ مُنْبَجِسُ العُرَى ... منازلَها بالمَسْرُقَانِ فَسُرَّقا)
(وتُستَر لا زالت خَصِيباً جنابُها ... الى مَدْفَعِ السُّلاَّنِ من بطن دَوْرَقا)
(إلى الكَوثَج الأعلى إلى رامَهُرْمُزٍ ... الى قَريات الشِّيح من فوق سَفْسَقا)
رامهرمز بلد من أعمال الأهواز معروف
(بلادٌ بنات الفارسية إنَّها ... سقتنا على لَوْح شراباً مُعَتَّقا)
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي وأخبرنا هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ أبو غسان عن أبي عبيدة قالا
لما فصل ابن مفرغ من عند معاوية نزل بالموصل على أخواله من آل ذي العشراء من حمير قال الهيثم في روايته فزوجوه امرأة منهم ولم يذكر ذلك أبو عبيدة فلما كان اليوم الذي يكون البناء في ليلته خرج يتصيد ومعه غلامه برد فإذا هو بدهقان على حمار يبيع عطرا وأدهانا فقال له ابن مفرغ من أين أقبلت قال من الأهواز قال ويحك كيف خلفت المسرقان وبرد مائة قال على حاله قال ما فعلت دهقانة يقال لها أناهيد بنت أعنق قال أصديقه ابن مفرغ قال نعم قال ما تجف جفونها من البكاء عليه فقال لغلامه أي برد أما تسمع قال بلى قال هو بالرحمن كافر إن لم يكن هذا وجهي إليها فقال له برد أكرمك القوم وقاموا دونك وزوجوك كريمتهم ثم تصنع هذا بهم وتقدم على ابن زياد بعد

خلاصك منه من غير أمره ولا عهد منه ولا عقد ابق أيها الرجل على نفسك وأقم بموضعك وابن بأهلك وانظر في أمرك فإن جد عزمك كنت حينئذ وما تختاره قال دع ذا عنك هو بالرحمن كافر إن عدل عن الأهواز ولا عرج على شيء غيرها ومضى لوجهه من غير أن يعلم أهله وقال قصيدته

(سَمَا برقُ الجُمانة فاستَطارا ... لعلّ البرقَ ذاك يَحورُ نارا)
(قعدتُ له العِشاءَ فهاج شوقي ... وذكَّرني المَنازلَ والدّيارا)
(ديارٌ للجُمانة مقفِراتٌ ... بَلِين وهِجْن للقلْب ادِّكارا)
(فلم أملِك دُموعَ العَيْن مِنّي ... ولا النَّفسَ التي جاشَت مِرارا)
(بُسرّقَ فالقُرى من صهرتاجٍ ... فدير الراهب الطلل القِفارا)
(فقلتُ لصاحبي عرِّجْ قَليلاً ... نُذاكِرْ شوقَنا الدُّرس البَوارا)
(بآية ما غَدَوْا وهُمُ جَميعٌ ... فكاد الصبُّ ينتَحِر انْتِحارا)
(فقال بكَوْا لفقدك منذ حِين ... زمانا ثم إنَّ الحيَّ سارا)
(بدِجْلَةَ فاستمرَّ بهم سَفِينٌ ... يشُقُّ صدُورُها اللُّجَجَ الغِمارا)
(كأن لم أغْنَ في العَرَصاتِ منها ... ولم أذْعَرْ بقاعَتِها صُوارا)
(ولم أسمع غِناءً من خَليل ... وصوتَ مُقَرْطَقٍ خَلَع العِذَار)

قال فقدم البصرة فذكر لعبيد الله بن زياد مقدمه فلم يعرض له وأرسل إليه أن أقم آمنا فأقام بالبصرة أشهرا يختلف من البصرة إلى الأهواز فيزور أناهيد ويقيم عندها

ثم أتى عبيد الله بن زياد فقال له إني امرؤ لي أعداء ولست آمن بعضهم أن يقول شيئا على لساني يحفظ الأمير علي وأحب أن يأذن لي أن أتنحى عنه فقال له حل حيث شئت فخرج حتى قدم على شريك بن الأعور الحارثي وهو يومئذ عامل عبيد الله بن زياد على فارس وكرمان فأعطاه ثلاثين ألف درهم فقدم بها الأهواز فأعطاها أناهيد

ابن مفرغ وعبيد الله بن أبي بكرة

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال

حدثني محمد بن الحكم عن عوانة

أن عبيد الله بن أبي بكرة كتب إلى يزيد بن مفرغ إني قد توجهت إلى سجستان فالحق بي فلعلك إن قدمت علي ألا تندم ولا يذم رأيك فتجهز ابن مفرغ وخرج حتى قدم سجستان ممسيا فدخل عليه فشغله بالحديث وأمر له بمنزل وفرش وخدم وجعل يطاوله حتى علم أنه قد استتم له ما أمر له به ثم صرفه إلى المنزل الذي قد هيىء له ثم دعا به في اليوم الثاني فقال له يابن مفرغ إنك قد تجشمت إلي شقة بعيدة واتسع لك الأمل فرحلت إلي لأقضي عنك دينك ولأغنيك عن الناس وقلت أبو حاتم بسجستان فمن لي بالغنى بعده فقال والله ما أخطأت أيها الأمير ما كان في نفسي فقال عبيد الله أما والله لأفعلن ولأقلن لبثك عندي ولأحسنن صلتك وأمر له بمائة ألف درهم ومائة وصيفة ومائة نجيبة وأمر له بما ينفقه إلى أن يبلغ بلده سوى المائة الألف ومن يكفيه الخدمة من غلمانه وأعوانه وقال له إن من خفة السفر ألا تهتم بخف ولا حافر وكان مقامه عنده سبعة أيام

ثم ارتحل وشيعه عبيد الله إلى قرية على أربعة فراسخ يقال لها زالق ثم قال له يا بن مفرغ إنه ينبغي للمودع أن ينصرف وللمتكلم أن يسكت وأنا من قد عرفت فأبق على الأمل وحسن ظنك بي ورجائك في وإذا بدا لك أن تعود فعد والسلام

قال وسار ابن مفرغ حتى أتى رامهرمز فنزل بقرية أبجر فنزلت إليه بنت الأبجر فقالت يا بن مفرغ لمن هذا المال قال لابنة أعنق دهقانة الأهواز وإذا رسولها في القافلة بكتابها إنك لو كنت على العهد الأول لتعجلت إلي ولم تساير ثقلك ولكن قد علمت أن المال الذي أعطاكه عبيد الله قد شغلك عني قال فأعطى رسولها مالا على أن يقول فيه خيرا وقد قال لابنة أبجر في جواب قولها له

(حَيّاني عُبيْدُ الله يابنةَ أبجر ... بهذا وهذا للجُمانة أجْمعُ)
(يَقَرّ بعيني أن أراها وأهلَها ... بأفضل حالٍ ذاك مرْأى ومَسمَعُ)
(وخَبّرتُها قالت لقد حال بَعدنا ... فقد جعلت نفسي إليها تَطَلّعُ)
(وقلتُ لها لمّا أتاني رسولُها ... وأيُّ رَسولٍ لا يضرُّ وينفعُ)
(أُحِبُّك ما دامَتْ بنَجْدٍ وشيجةٌ ... وما رفِعت يوماً إلى الله إصبعُ)
(وإني مَلءٌ يا جُمانةُ بالهَوى ... وصِدْقِ الهوى إن كان ذلك يُقْنِعُ)

قال فلما انتهت رسل عبيد الله بن أبي بكرة معه إلى الأهواز قالوا له

قد بلغنا حيث أمرنا قال أجل ثم أمر ابنة أعنق أن تفتح الباب وقال لها كل ما دخل دارك فهو لك

مدحه عبيد الله بن أبي بكرة

وأقام بالأهواز ودعا ندماء كانوا له من فتيان العرب فلم يبق طريف ولا مغن إلا أتاه واستماحه جماعة قصدوه من أهل البصرة والكوفة والشام فأعطاهم ولم يفارق أناهيد ومعه شيء من المال وجعل القوم يسألونه عن عبيد الله بن أبي بكرة وكيف هو وأخلاقه وجوده فقال

(يُسائِلُني أهلُ العِراق عن النَّدَى ... فقلتُ عُبيْدُ الله حِلْفُ المكارِم)
(فتى حاتمِيٌّ في سِجستانَ رَحله ... وحَسبُك جُوداً أن يكون كحاتِم)
(سَما لِينالَ المكْرُماتِ فنالَها ... بِشِدّة ضِرْغامٍ وَبَذْلِ الدّراهِم)
(وحِلْمٍ إذا ما سَوْرَةُ الحقْد أطلَقت ... حُبَا القَوْم عند الفادِحِ المُتفاقِم)
(وإنّ له في كلّ حيٍّ صَنيعةً ... يُحدِّثها الرُّكبانُ أهلَ المَواسِم)
(دَعاني إليه جودُه ووفاؤه ... ومَنْ دون مَسراه عُداةُ الأعاجِم)
(فلم أبْقَ إلا جُمْعةً في جِوارِه ... ويَوْمَين حلاًّ من أليَّةِ آثِم)
(إلى أن دَعاني زانَه الله بالعُلا ... فأنبَت ريشي من صَميم القَوادِم)
(وقال إذا ما شئتَ يا بنَ مُفرِّغ ... فعُدْ عودةً ليست كأضْغاثِ حالم)
(فقلتُ له - لا يُبعد اللهُ دارَه - ... أعودُ إذا ما جئتُكم غيرَ حاشِم)
(وأحمدْتُ ورْدِي إذْ وردتُ حِياضَه ... وكلُّ كريم نُهزَةٌ للأكارِم)

(فأصبَح لا يرجُو العِراقُ وأهلُه ... سِواهِ لِنَفع أو لِدفْع العَظائم)
((وإنّ عُبيْدَ اللّه هنّأ رفدَه ... سَرَاحاً وأعْطى رِفدَه غيرَ غانِم
وقال الهيثم في خبره كان عمرو بن مفرغ عم يزيد بن ربيعة بن مفرغ رجلا له جاه وقدر عند السلطان وكان ذا مال وثروة وذا دين وفضل وصلاح فكان يعنف ابن أخيه في أمر أناهيد عشيقته ويعذله ويعيره بها فلما أكثر عليه أتاه يوما فقال له يا عم جعلت فداك إن لي بالأهوازحاجة ولي على قوم بها نحو من ثلاثين ألف درهم قد خفت أن تتوى علي فإن رأيت أن تتجشم العناء معي إليها حتى تطالب لي بحقي وتعينني بجاهك علي غرمائي وكان عمرو بن مفرغ قد استخلفه ابن عباس عليها إذ كان عامل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وعلى آله على البصرة وكان عامل الأهواز حين سأل ابن مفرغ عمه أن يخرج معه ميمون بن عامر أخو بني قيس بن ثعلبة الذي يقال لدراهمه اليوم اليمونية فلم يزل ابن مفرغ بعمه حتى أجابه إلى الخروج فاستأجر سفينة وتوجه إلى الأهواز وكتب إلى أناهيد أن تهيئي وتزيني بأحسن زينتك واخرجي إلي مع جواريك فإني موافيك ومنزلها يومئذ بين سرق ورامهرمز
فلما نزلوا منزلها خرجت إليهم وجلست معهم في هيئتها وزيها وحليها وآلتها فلما رآها عمه قال له قبحك الله أفهلا إذ فعلت ما فعلت كنت علقت مثل هذه فقال يا عم أوقد أعجبتك فقال ومن لا تعجبه هذه قال ألجد هذا منك قال نعم والله قال فإنها والله هذه بعينها فقال يا خبيث إنما أشخصتني لهذا يا غلام ارحل بنا فانصرف عمه إلى البصرة وأقام هو معها ولم يزل يتردد كذلك حتى مات في الطاعون في أيام مصعب بن الزبير
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا القحذمي قال لزم يزيد بن مفرغ غرماؤه بدين فقال لهم انطلقوا نجلس على باب الأمير عسى أن يخرج الأشراف من عنده فيروني فيقضوا عني فانطلقوا به فكان أول من خرج إما عمر بن عبيد الله بن معمر وإما طلحة الطلحات فلما رآه قال أبا عثمان ما أقعدك ها هنا قال غرمائي هؤلاء لزموي بدين لهم علي قال وكم هو قال سبعون ألفا قال علي منها عشرة آلاف درهم ثم خرج الآخر على الأثر فسأله كما سأل صاحبه فقال هل خرج أحد قبلي قالوا نعم فلان قال فما صنع قالوا ضمن عشرة آلاف درهم قال فعلي مثلها
قال ثم جعل الناس يخرجون فمنهم من يضمن الألف إلى أكثر من ذلك حتى ضمنوا أربعين ألفا
وكان يأمل عبيد الله بن أبي بكرة فلم يخرج حتى غربت الشمس فخرج مبادرا فلم يره حتى كاد يبلغ بيته فقيل له إنك مررت بابن مفرغ ملزوما وقد مر به الأشراف فضمنوا عنه فقال واسوأتاه إني أخاف أن يظن أني تغافلت عنه فكر راجعا فوجده قاعدا فقال له أبا عثمان ما يجلسك ها هنا قال غرمائي هؤلاء يلزمونني قال كم عليك قال سبعون ألفا قال وكم ضمن عنك قال أربعون ألفا قال فاستمتع بها وعلي
دينك أجمع فقال فيه يخاطِبِ نفسه
(لو شِئتِ لم تَغْنَيْ ولم تَنْصَبي ... عِشْتِ بأسبابِ أبي حاتِم)
(عِشْتِ بأسباب الجَوادِ الذي ... لا يَخْتِم الأموالَ بالخاتَمِ)
(من كفّ بُهلولٍ له عُدّةٌ ... ما إن لمَن عاداه من عاصِم)
(المطْعِمِ النّاسَ إذا حاردتْ ... نكباؤها في الزّمن العارِم)
(والفاصِلِ الخطةَ يومِ اللّجا ... للأمر عند الكُرْبةِ اللازِمِ)
(جاورتُه حِيناً فأحْمَدْتُه ... أُثني وما الحامدُ كاللائم)
(كم من عدُوٍّ شامتٍ كاشِحٍ ... أخزيْتَه يوماً ومن ظالِم)
(أذقْتَه الموتَ على غِرّةٍ ... بأبيضَ ذِي رونَقٍ صارِمِ)
أخبرني عمي قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال
قدم بديح الكوفة فغنى بها دهرا وأصاب مالا كثيرا ثم خرج إلى البصرة ثم أتى الأهواز ثم عاد إلى البصرة فصحب ابن مفرغ في سفينة حتى إذا كان في نهر معقل تغنى وهو لا يعرف ابن مفرغ بقوله
(سَمَا برقُ الجُمانة فاستَطارا ... لعلّ البرقَ ذاك يعودُ نارا)
قال فطرب ابن مفرغ وقال يا ملاح كر بنا إلى الأهواز فكر وهو يغنيه ثم كر راجعا إلى البصرة وكروا معه وهو يعيد هذا الصوت قال ووصل ابن مفرغ بديحا وكساه
صوت
(رَضِيتُ الهَوى إذ حَلّ بي مُتَخيِّراً ... نديماً وما غَيرِي له من يُنادِمُهْ)
(أُعاطِيه كأسَ الصّبر بيني وبينه ... يُقاسِمُنِيها مرّةً وأُقاسِمُهْ)
يقال إن الشعر لبشار والغناء للزبير بن دحمان هزج بالوسطى عن الهشامي وأحمد بن المكي
أخبار الزبير بن دحمان
الزبير والرشيد
قد مضت أخبار أبيه ونسبه وولاؤه في متقدم الكتاب وكان الزبير أحد المحسنين المتقنين الرواة الضراب المتقدمين في الصنعة وقدم على الرشيد من الحجاز وكان المغنون في أيامة حزبين أحدهما في حزب إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق والآخر في حزب ابن جامع وابن المهدي وكان إبراهيم بن المهدي أوكد أسباب هذا التحزب والتعصب لما كان بينه وبين إسحاق وكان الزبير بن دحمان في حزب إسحاق وأخوه عبيد الله في حزب إبراهيم بن المهدي
فأخبرني محمد بن مزيد قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال
لما قدم الزبير بن دحمان على الرشيد من الحجاز قدم رجل ما شئت من رجل عقلا ونبلا ودينا وأدبا وسكونا ووقارا وكان أبوه قبله كذلك وقدم معه أخوه عبيد الله فلما وصلا إلى الرشيد وجلسا معنا تخيلت في الزبير الفضل فقلت لأبي يا أبت أخلق بالزبير أن يكون أفضل من أخيه فقال هذا لا يجيء بالظن والتخيل والجواد إنما يمتحن في الميدان فقلت له فالجواد عينه فراره فضحك وقال ننظر في فراستك فلما غنيا بان فضل الزبير وتقدمه فاصطفاه أبي واصطفيته لأنفسنا وقرظناه ووصفناه وصار
في حيزنا وغنى الرشيد غناء كثيرا من غناء المتقدمين فأجاد وأحسن وسأله الرشيد أن يغنيه شيئا من صنعته فالتوى بعض الإلتواء وقال قد سمع أمير المؤمنين غناء الحذاق من المتقدمين وغناء من بحضرته من خدمه ومن وفد عليه من الحجازيين وما عسى أن يأتي من صنعتي فأقسم عليه أن يغنيه شيئا من صنعته وجد به في ذلك فكان أول صوت غناه

منها
صوت
(ارحَلاَ صاحِبَيَّ حانَ الرَّحِيلُ ... وابْكِيانِي فليس تَبْكِي الطُّلُولُ)
(قد تَوَلَّى النَّهارُ وانقَضَتِ الشَّمسُ ... يَمِيناً وحان منها أُفولُ)
لحن هذا الصوت خفيف ثقيل
قال
فسمعت والله صنعة حسنة متقنة لا مطعن عليها فطرب الرشيد واستعاده هذا الصوت ثلاث مرات وأمر له بثلاثين ألف درهم ولأخيه بعشرين ألف درهم ثم لم يزل زبير معنا كواحد منا وانحاز عبيد الله إلى جنبه إبراهيم بن المهدي فكان معه قال حماد فقلت لأبي كيف كانت صنعة عبيد الله قال أنا أجمل لك القول لو كان زبير مملوكا لاشتريته بعشرين ألف دينار ولو كان عبيد الله مملوكا ما طابت نفسي على أن أشتريه بأكثر من عشرين دينارا فقلت قد أجبتني بما يكفيني
حدثني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي ومحمد بن الحارث بن
بسخنر أن الرشيد كتب في إشخاص الزبير بن دحمان إلى مدينة السلام فوافاها واتفق قدومه في وقت خروج الرشيد إلى الري لمحاربة بندارهرمز أصبهذ طبرستان فأقام الزبير بمدينة السلام إلى أن دخل الرشيد فلما قدم دخل عليه بالخيزرانة وهو الموضع الذي يعرف بالشماسية فغناه في أول غنائه صوتا في شعر قاله هو أيضا في الرشيد مدحه به وذكر خروجه إلى طبرستان وهو
صوت
(ألا إنَّ حِزْبَ اللهِ ليس بِمُعْجِزٍ ... وأنصارُه في مَنْعَة المُتَحَرِّزِ)
(أبَى اللهُ أن يُعصَى لِهارُونَ أمرُه ... وذَلَّت له طَوْعاً يَدُ المُتَعزِّزِ)
(إذا الرَّايَةُ السَّوداءُ راحَتْ أو اغْتَدَتْ ... إلى هاربٍ فليس بِمُعْجِزِ)
(لَطاعَتْ لِهارُونَ العُداةُ لدى الوَغَى ... وكَبَّر للإسلام بندارُ هُرْمُزُ)
لم أجد هذا الصوت منسوبا في شيء من الكتب إلا في كتاب بذل وهو فيه غير مجنس
وذكر إبراهيم بن المهدي أن الشعر للزبير بن دحمان وهذا خطأ الشعر لأبي العتاهية وهو موجود في شعره من قصيدة طويلة مدح بها الرشيد
قال أبو إسحاق فاستحسن الرشيد الشعر والغناء وأمر له بألف دينار فدفعت إليه ومكث ساعة ثم غنى صوتا ثانيا وهو
صوت
(وأحور كالغُصْنِ يَشْفِي السَّقَام ... ويَحكِي الغَزالَ إذا ما رَنا)
(شَرِبتُ المُدامَ على وَجْهه ... وعاطَيْتُه الكأسَ حتى انْثَنَى)
(وقُلتُ مَديحاً أُرَجِّي به ... من الأجْرِ حظّاً ونَيْلَ الغِنَى)
(وأعنِي بذاك الإمامَ الذي ... به اللهُ أعطى العِبادَ المُنَى)
لحن هذا الصوت ثاني ثقيل مطلق
قال فما فرغ من الصوت حتى أمر له بألف دينار آخر فقبضه وخف على قلبه واستظرفه فأغناه في مدة يسيرة من الأيام
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو توبة عن القطراني عن محمد بن حبيب قال
كان الرشيد بعد قتله البرامكة شديد الأسف عليهم والتندم على ما فعله بهم ففطن الزبير بن دحمان فكان يغنيه في هذا المعنى ويحركه فغناه يوما والشعر لامرأة من بني أسد
(مَنْ للخُصومِ إذا جدّ الخِصامُ بهم ... يومَ النِّزال ومَنْ للضُّمَّر القُودِ)
(وموقفٍ قد كَفيتَ النّاطِقِين به ... في مَجْمَعٍ من نَواصِي النّاس مَشْهْودِ)
(فَرّجتَه بلسان غير مُلْتَبِسٍ ... عند الحِفاظ وقولٍ غير مردودِ)
فقال له الرشيد أعد فأعاد فقال له ويحك كأن قائل هذا الشعر يصف به يحيى بن خالد وجعفر بن يحيى وبكى حتى جرت دموعه ووصل الزبير صلة سنية
الزبير وإسحاق
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد قال
كان أبي يقول ما كان دحمان يساوي على الغناء أربعمائة درهم وأشبه خلق الله به غناء ابنه عبيد الله وكان يفضل الزبير بن دحمان على أبيه وأخيه تفضيلا بعيدا وفي الزبير يقول إسحاق وله فيه غناء وهو
صوت
(أسعْد بدَمْعِك يا أبا العَوَّامِ ... صَبّاً صريعَ هَوىً ونِضْوَ سِقامِ)
(ذَكَر الأحِبَّةَ فاستُجِنَّ وهاجه ... للشوق نوحُ حمامةٍ وحَمامِ)
(لم يبدِ ما في الصَّدْرِ إلاّ أنَّه ... حيَّا العِراقَ وأهلَه بِسلامِ)
(ودعاه داعٍ للهَوَى فأجابَه ... شَوقاً إليه وقادَه بزمامِ)
الشعر والغناء لإسحاق ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وهذا الشعر قاله إسحاق وهو بالرقة مع الرشيد يتشوق إلى العراق
أخبرني عمي قال حدثني علي بن محمد بن نصر قال حدثني جدي حمدون بن إسماعيل قال قال لي إسحاق
كنا مع الرشيد بالرقة وخرج يوما إلى ظهرها يصيد وكنت في موكبه أساير الزبير بن دحمان فذكرني بغداد وطيبها وأهلي وإخواني وحرمي فتشوقت لذلك شوقا شديدا وعرض لي هم وفكر حتى أبكاني فقال لي الزبير مالك يا أبا محمد فشكوت إليه ما عرض وقلت
(أسعِدْ بِدَمْعِكَ يا أبا العَوَّامِ ... صَبّاً صريعَ هَوىً ونِضْوَ سَقامِ)
وذكر باقي الأبيات وعلمت أن الخبر سينمي إلى الرشيد فصنعت في الأبيات لحنا فلما جلس الرشيد للشرب ابتدأت فغنيته إياه فقال لي

تشوقت والله يا إسحاق وشوقت وبلغت ما أردت وأمر لي بثلاثين ألف درهم وللزبير بعشرين ألفا ورحل إلى بغداد بعد أيام
أخبرني يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال أخبرني أبي قال قال لي إسحاق وأخبرني به الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال
جاءني الزبير بن دحمان ذات يوم مسلما فاحتبسته فقال قد أمرني الفضل بن الربيع بأن أصير إليه فقلت
(أقِمْ يا أبا العَوَّامِ وَيْحك نَشْرَبُ ... ونَلْهُو مع اللاَّهِين يوماً ونَطرِبُ)
(إذا ما رأيتَ اليومَ قد جاء خَيرُه ... فخُذْهُ بشُكْرٍ واترك الفَضْلَ يَغْضَبُ)
قال فأقام عندي فشربنا باقي يومنا ثم سار الزبير إلى الفضل فسأله عن سبب تأخره عنه فحدثه بالحديث وأنشده الشعر فغضب وحول وجهه عني وأمر عونا حاجبه ألا يدخلني اليوم ولا يستأذن لي عليه ولا يوصل لي رقعة إليه قال فقلت
(حَرامٌ عليَّ الكَأسُ ما دُمْتَ غَضْباناً ... وما لم يَعُد عَنِّي رضاكَ كما كانا)
(فأحسِنْ فإنِّي قد أسأتُ ولم تَزَل ... تُعَوِّدُني عند الإساءة إحسانا)
قال وأنشدته إياهما فضحك ورضي عني وعاد لي إلى ما كان عليه
وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه بهذا الخبر فذكر نحو ما ذكره الآخران وزاد فيه وقلت في عون حاجبه
(عونُ يا عونُ ليس مثلَك عَوْنُ ... أنتَ لي عُدَّةٌ إذا كان كَوْنُ)
(لكَ عندي واللهِ إن رَضِيَ الفَضْل ... غُلامٌ يُرْضِيك أو بِرْذَوْنُ)
فأتى عون الفضل بالشعرين جميعا فلما قرأهما ضحك وقال له ويلك إنما عرض لك بقوله غلام يرضيك بالسوأة فقال قد وعدني ما سمعت فإن شئت أن تحرمنيه فأنت أعلم فأمره أن يرسل إلي وأتاني رسوله فضرت إليه ورضي عني
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني إسحاق قال
كان عندي الزبير بن دحمان يوما فغنيت لحن أبي
(أشاقَك من أرض العراق طُلُولُ ... تَحَمَّلَ منها جيرَةٌ وحُمولُ)
فقال لي الزبير أنت الأستاذ وابن الأستاذ السيد وقد أخذت عن أبيك هذا الصوت وأنا أغنيه أحسن فقلت له والله إني لا أحب أن يكون ذلك كذلك فغضب وقال فأنا والله أحسن غناء منك وتلاحينا طويلا فقلت له هلم نخرج إلى صحراء الرقة فيكون اكلنا وشربنا هناك ونرضى في الحكم بأول من يطلع علينا قال أفعل فأخرجنا طعامنا وشرابنا وجلسنا نشرب على الفرات فأقبل حبشي يحفر الأرض بالبال فقلت له أترضى بهذا قال نعم فدعوناه فأطعمناه وسقيناه وبدرني الزبير بالغناء فغنى الصوت فطرب الحبشي وحرك رأسه حتى طمع الزبير في ثم أخذت العود فغنيته فتأملني الحبشي ساعة ثم صاح وأي شيطان هوه ومد بها صوته فما أذكر أني ضحكت مثل ضحكي يومئذ وانخذل الزبير
نسبه هذا الصوت
صوت
(أشاقَك من أرض العراقِ طُلُولُ ... تَحمَّل منها جِيرَةٌ وحُمولُ)
(وكيف ألذُّ العيشَ بعد مَعاشرٍ ... بهم كنتُ عند النَّائِباتِ أصولُ)
الشعر لأبي العتاهية والغناء لإبراهيم ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن أحمد بن المكي وفيه للحسين بن محرز ثقيل أول بالوسطى
وهذا البيتان من قصيدة مدح بها أبو العتاهية الفضل بن الربيع قال أنشدنيها عبد الله بن الربيع الربيعي قال أنشدنيها أبو سويد عبد القوي بن محمد بن أبي العتاهية لجده يمدح الفضل بن الربيع وإنما ذكرت ذلك ها هنا لأن من الناس من ينسبهما إلى غيره فذكرت الأبيات الأول وفيها يقول في مدح الفضل بن الربيع
(قبائِل من أقْصَى وأدْنَى تَجَمَّعَتْ ... فهُنَّ على آلِ الرَّبِيعِ كلولُ)
(تمرُّ رِكابُ السَّفْرِ تُثنِي عليهِمُ ... عليها من الخَيْرِ الكَثِيرِ حُمولُ)
(إليكَ أبا العَبَّاسِ حَنَّتْ بأهلِها ... مغانٍ وحَنَّت ألسنٌ وعقولُ)
(وأنت جَبِينُ المُلْكِ بل أنتَ سَمعُهُ ... وأنت لِسانُ المُلْكِ حين تَقولُ)
(وللمُلْكِ ميزانٌ يَداكَ تُقيمُه ... يزول مع الإحسان حيث يَزولُ)
حدثني الصولي قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبي قال حدثنا الزبير قال حدثني رجل من ثقيف قال
غضب الرشيد على أم جعفر ثم ترضاها فأبت أن ترضى عنه فأرق
ليله ثم قال افرشوا لي على دجلة ففعلوا فقعد ينظر إلى الماء وقد رأى زيادة عجيبة فسمع غناء في هذا الشعر
صوت
(جَرَى السيلُ فاستَبْكانِيَ السَّيْلُ إذ جَرَى ... وفاضَت له من مُقْلَتَيَّ غُرُوبُ)
(وما ذاكَ إلاّ حين خُبِّرتُ أنَّه ... يمرُّ بوادٍ أنتِ منه قَريبُ)
(يكونُ أُجاجاً ماؤُه فإذا انْتَهَى ... إليكم تَلقَّى طِيبَكم فيَطِيبُ)
(فيا ساكِني شرْقيِّ دِجْلة كلُّكم ... الى القَلْب من أجلِ الحَبِيبِ حَبيبُ)
الشعر للعباس بن الأحنف والغناء للزبير بن دحمان خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي
فسأل عن الناحية التي فيها الغناء فقيل دار ابن المسيب فبعث إليه أن ابعث بالمغني فإذا هو الزبير بن دحمان فسأله عن الشعر فقال هو للعباس بن الأحنف فأحضر واستنشده فأنشده إياه وجعل الزبير يغنيه وعباس ينشده وهو يستعيدهما حتى أصبح وقام فدخل إلى أم جعفر فسألت عن سبب دخوله فعرفته فوجهت إلى العباس بألف دينار وإلى الزبير بألف دينار أخرى
أخبرني عمي قال حدثني علي بن محمد عن جده حمدون قال
تشوق الرشيد بغداد وهو بالرقة فانحدر إليها وأقام بها مدة وخلف هناك بعض جواريه وكانت حظية له فيهن خلفها لمغاضبة كانت بينه
وبينها فتشوقها تشوقا شديدا وقال فيها
صوت

(سَلامٌ على النَّازِح المُغْتَربْ ... تحيَّة صبٍّ به مُكْتَئِبْ)
(غَزالٌ مراتِعه بالبَلِيخِ ... إلى دير زَكَّى فجِسرِ الخَشَبْ)
(أيا مَنْ أعان على نفْسِه ... بتخليفِه طائِعاً مَنْ أحَبّْ)
(سأسْتُر والسِّتر من شِيمَتي ... هَوَى من أُحِبّ لمن لا أُحِبُّ)
وجمع المغنين فحضر إبراهيم الموصلي وابن جامع وفليح وزبير بن دحمان والمعلى بن طريف وحسين بن محرز وسليم بن سلام ويحيى المكي وابنه وإسحاق وأبو زكار الأعمى وأعطاهم الشعر وقال ليعمل كل واحد منكم فيه لحنا قال فلقد عملوا فيه عشرين لحنا فما أعجب منها إلا بلحن الزبير وحده أعجب به إعجابا شديدا وأجازه خاصة دون الجماعة بجائزة سنية
غنى إبراهيم في هذه الأبيات ولحنه ماخوري بالوسطى ولفليح فيها ثاني ثقيل بالوسطى ولابن جامع رمل بالبنصر ولابن المكي ثقيل أول بالوسطى وللزبير بن دحمان خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر وللمعلى خفيف رمل بالوسطى ولإسحاق رمل بالوسطى وللحسين بن محرز هزج بالوسطى
صوت
(يا ناعِشَ الجَدّ إذا الجَدُّ عَثَرْ ... وجابِرَ العَظْم إذا العَظْمُ انْكَسَرْ)
(أنتَ ربيعِي والرَّبيعُ يُنْتَظَرْ ... وخيرُ أنواءِ الرَّبيع ما بَكَرْ)
الشعر للعماني الراجز والغناء لشارية خفيف رمل من كتاب ابن المعتز وروايته
نسب العماني وخبره
اسمه محمد بن ذويب بن محجن بن قدامة بن بلهية الحنظلي ثم الدارمي صليبة وقيل العماني وهو بصري لأنه كان شديد صفرة اللون وليس هو ولا أبوه من أهل عمان وكان شاعرا راجزا متوسطا من شعراء الدولة العباسية ليس من نظراء الشعراء الذين شاهدهم في عصره مثل أشجع وسلم ومروان ولكنه كان لطيفا داهيا مقبولا فأفاد بشعره أموالا جليلة
العماني والرشيد
أخبرني ابن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن جبر بن رباط الأسدي
أن عبد الملك بن صالح أدخل العماني على الرشيد فأنشده
(يا ناعِشَ الجَدّ إذا الجَدّ عَثَرْ ... وجابر العَظْم إذا العَظْم انْكَسَرْ)
(أنت ربيعِي والربيعُ يُنْتَظَرْ ... وخير أنواءِ الرَّبيع ما بَكَرْ)
فقال له الرشيد إذا يبكر عليك ربيعنا يا فضل أعطه خمسة آلاف دينار وخمسين ثوبا
قال إسحاق قال جبر لما دخل الرشيد الرقة استقبله العماني فلما
بصر به ناداه
(هارونُ يا بنَ الأكْرمِين مَنْصبا ... لما ترحَّلْتَ فصِرتَ كَثَبا)
(من أرض بَغْداد تؤُمُّ المَغْربا ... طابت لنا ريحُ الجَنوبِ والصَّبا)
(ونَزَل الغيْثُ لنا حتى ربا ... ما كان من نَشزٍ وما تَصَوَّبا)
(... فمَرْحَباً ومَرحَباً ومَرحَبا)
فقال له الرشيد وبك مرحبا يا عماني وأهلا وأجزل صلته
أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد المعروف بابن الصيدلاني قال حدثنا محمد بن موسى عن حماد قال قال العتبي
لما وجه الفضل بن يحيى الوفد من خراسان إلى الرشيد يحضونه على البيعة لابنه محمد قعد لهم الرشيد وتكلم القوم على مراتبهم وأظهروا السرور بما دعاهم إليه من البيعة لابنه وكان فيمن حضر محمد بن ذؤيب العماني فقام بين صفوف القواد ثم أنشأ يقول
(لما أتانا خَبرٌ مُشَهَّرُ ... أغرُّ لا يَخْفَى على مَنْ يُبصِرُ)
(جاء به الكُوفِيُّ والمُبصِّرُ ... والراكِبُ المُنجِدُ والمُغوِّرُ)
(يُخَبِّر النّاسَ وما يَسْتَخْبِرُ ... قلتُ لأصحابي ووَجْهي مُسْفِرُ)
(وللذرجال حَسْبُكُم لا تُكْثِروا ... فاز بها محمد فأقْصِروا)
(قد كان هذا قبل هذا يُذْكَرُ ... في كُتُب العِلم التي تُسطَّرُ)
(فقل لمن كان قديماً يَتجرُ ... قد نُشِر العَدْل فبيعُوا واشْتَرُوا)
(وشرِّقُوا وغرِّبوا وبَشِّروا ... فقد كَفَى اللهُ الذي يُسْتَقْدَرُ)
(بمنّه أفعال ما قد يُحْذَرُ ... والسيفُ عَنَّا مُغْمَدٌ ما يُشهَرُ)
(وقُلِّد الأمرَ الأغرُّ الأزهَرُ ... نَوءُ السِّماكَيْن الذي يُستَمْطَرُ)
(بوَجْهِه إن كان عام أغْبَرُ ... سرَّت به أسِرَّةٌ ومِنبرُ)
(وابتَهج النّاسُ به واسْتَبْشَروا ... وهَلّلو لربِّهم وكَبَّروا)
(شُكراً ومن حقّهم أن يَشكُرُوا ... إذ ثَبَتَتْ أوتادُ ملك يَعْمُرُ)
(من هاشم في حَيْث طابَ العُنْصر ... وطاح مَنْ كان عليها يزفِرُ)
(إنّ بني العبّاس لم يُقَصِّروا ... إذ نهضوا لملكِهم فشمَّرُوا)
(وعَقَدوا ونَزَعوا وأمَّرُوا ... ودبَّروا فأحْكَمُوا ما دَبَّروا)
(وأوردُوا بالحَزْم ثم أصدَرُوا ... والحَزْم رأيٌ مثلُه لا يُنْكَرُ)
(إذا الرِّجالُ في الرِّجال خُيِّروا ... يا أيها الخليفة المطَهَّرُ)
(والمؤمنُ المُبارِكُ المُوقَّرُ ... والطَّيِّبُ الأغْصانِ والمُظَفَّرُ)
(ما النَّاس إلا غَنَم تَنَشَّرُ ... إن لم تَداركْهم براعٍ يَخْطِرُ)
(على قَوَاصِي طُرْقِها ويستُرُ ... ويمنَع الذِّئبَ فلا يُنفِّرُ)
(فامْنُن علينا بيَدٍ لا تُكفَر ... مَشْهورةٍ ما دام زَيْتٌ يُعْصَرُ)

(وانظر لنا وخلِّ مَنْ لا ينظُرِ ... واجْسِرْ كما كان أبوك يَجْسِرُ)
(لا خير في مُجَمْجَمٍ لا يَظْهَرُ ... ولا كتابِ بَيْعةٍ لا يُنْشَرُ)
(وقد تربصت فليس تُعْذَر ... فليت شِعْري ما الذي تَنْتَظِرُ)
(أنت قائِمٌ به أم تَسْخَرُ ... ما لك في محمدٍ لا تَعْذِرُ)
(وليتَ شِعْري والحديثُ يُؤْثَرُ ... أترقُدُ الليلَ ونحن نَسهَرُ)
(خوفاً على أمورنا ونَضْجَرُ ... واللهِ واللهِ الذي يُستَغْفَرُ)
(لأنْ يموتَ مَعْشَرٌ ومَعْشَرُ ... خَيرٌ لنا من فِتْنَةٍ تَسعَّرُ)
(يَهلِك فيها دينُهم ويُوزَروا ... وقد وَفَى القومُ الذين انْتَصَروا)
(لصاحب الرُّوم وذاك أصغرُ ... منه وهذا البَحْرُ لا يُكَدَّرُ)
(وذاكم العِلْجُ وهذا الجَوْهَرُ ... يَنْمِي به محمدٌ وجَعْفَرُ)
(والخُلفاءُ والنَّبِيُّ الأكبرُ ... ونبعةٌ من هاشِمٍ وعُنْصُرُ)
(واعلمْ وأنتَ المرءُ لا يُبصَّرُ ... والله يبقيك لنا وتجبر)
(منّا ذوي العُسرْة حتى يُوسِرُوا ... أنَّ الرِّجالَ إن وَلُوها آثَرُوا)
(ذَوي القَراباتِ بها واستأثَروا ... بها وضَلَّ أمرهُم واستَكْبَرُوا)
(والمُلْك لا رِحْمَ له فيأصِرُ ... ذا رَحِمٍ والناسُ قد تَغَيَّرُوا)
(فأحكِم الأمرَ وأنتَ تَقْدِرُ ... فمِثْلُ هذا الأمْرِ لا يُؤَخَّرُ)

فلما فرغ من أرجوزته قال له الرشيد أبشر يا عماني بولاية محمد العهد فقال إي والله يا أمير المؤمنين بشرى الأرض المجدبة بالغيث والمرأة النزور بالولد والمريض المدنف بالبرء قال ولم ذاك قال لأنه نسيج وحده وحامي مجده وموري زنده قال فما لك في عبد الله قال مرعى ولا كالسعدان فتبسم الرشيد وقال قاتله الله من أعرابي ما أعرفه بمواضع الرغبة وأسرعه إلى أهل البذل والعائدة وأبعده من أهل الحزم والعزم والذين لا يستمنح ما لديهم بالثناء أما والله إني لأعرف في عبد الله حزم المنصور ونسك المهدي وعز نفس الهادي ولو أشاء أن أنسبه إلى الرابعة لنسبته إليها

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا علي بن الحسن الشيباني وأخبرني به محمد بن جعفر عن محمد بن موسى عن حماد عن أبي محمد المطبخي عن علي بن الحسن الشيباني قال أخبرني أبو خالد الطائي عن جبير بن ضبينة الطائي قال أخبرني الفضل قال

حضرت الرشيد يوما وجلس للشعراء فدخل عليه الفضل بن الربيع وخلفه العماني فأدناه الرشيد واستنشده فأنشده أرجوزة له فيه حتى انتهى إلى هذا الموضع

(قُلْ للإمام المقْتَدَى بأمِّه ... ما قاسمٌ دونَ مَدى ابن أُمِّهِ)
(... وقد رَضِيناه فقُمْ فسمِّهِ)

قال فتبسم الرشيد ثم قال ويحك أما رضيت أن أوليه العهد وأنا جالس حتى أقوم على رجلي فقال له العماني ما أردت يا أمير المؤمنين قيامك على رجليك إنما أردت قيام العزم قال فإنا قد وليناه العهد وأمر بالقاسم أن يحضر ومر العماني في أرجوزته يهدر حتى أتى على آخرها

وأقبل القاسم فأومأ إليه الرشيد فجلس مع أخويه فقال له يا قاسم عليك جائزة هذا الشيخ فقد سألنا أن نوليك العهد وقد فعلنا فقال حكمك يا أمير المؤمنين فقال وما أنا وهذا بل حكمك وأمر له الرشيد بجائزة وأمر له القاسم بجائزة أخرى مفردة

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال دخل محمد بن ذؤيب العماني على أبي الحر التميمي بالبصرة فأطعمه وسقاه وجلله بكساء فقال له

(إن أبا الحُرِّ لَعَينُ الحُرِّ ... يدفع عنَّا سَبراتِ القُرِّ)
(باللحم والشَّحم وخُبز البُرِّ ... ونُطْفة مكنونة في الجَرِّ)
(يَشْرَبُها أشياخُنا في السِّرِّ ... حتى نرى حديثَنا كالدُّرِّ)

العماني يمدح عبد الملك بن صالح

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال

قصد العماني عبد الملك بن صالح الهاشمي متوسلا به إلى الرشيد في الوصول إليه مع الشعراء ومدح عبد الملك بقصيدته التي يقول فيها

(نمَتْه العَرانينُ من هاشمٍ ... الى النَّسَبِ الأوضحِ الأصْرَحِ)
(إلى نبْعةٍ فرعُها في السماء ... ومغرسُها سُرَّةُ الأبطَحِ)

فأدخله عبد الملك إلى الرشيد بالرقة فأنشده

(هارونُ يابنَ الأكرمين حَسبَا ... لما ترحَّلْتَ فكنت كَثَبَا)
(مِن أرض بغدادَ تؤمُّ المغربا ... طابَتْ لنا ريحُ الجنوبِ والصَبا)
(ونَزلَ الغيثُ لنا حتى رَبا ... ما كان من نَشْزٍ وما تصوّبا)
(... فمرْحباً ومَرْحباً ومَرْحبا)

فأعطاه خمسة آلاف دينار وخمسين ثوبا

أخبرني عمي والحسين بن القاسم الكوكبي قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا إسحاق بن عبد الله الأزدي عن محمد بن عبد الله العامري القرشي عن العماني الشاعر

أنه تغدى مع محمد بن سليمان بن علي فكان أول ما قدم إليهم فرنية في لبن عليها سكر ثم تتابع الطعام فقال له قل فيما أكلت شعرا تصفه فقال

(جاؤوا بفُرْنَي لهم مَلْبونِ ... بات يُسَقَّى خالصِ السُّمُونِ)
(مُصوْمعٍ أكومٍ ذي غُصونِ ... قد حُشِيَتْ بالسُّكَّر المَطحُونِ)
(ولَوّنوا ما شِئْت من تلوينِ ... من باردِ الطَّعامِ والسّخينِ)
(ومن شراسِيف ومن طُرْدين ... ومن هُلامٍ ومَصُوصٍ جُونِ)

(ومن إوَزٍّ فائقٍ سَمِين ... ومن دَجاجٍ قِيتَ بالعجِين)
(فالشَّحْمُ في الظُّهورِ والبُطونُ ... وأَتْبِعُوا ذلك بالجَوْزين)
(وبالخَبِيصِ الرَّطْبِ واللَّوْزين ... وفَكِّهُوا بعِنبٍ وتِين)
((والرُّطَبِ الأزاذِ والهَيْرون ... محمد يا سيِّدَ البَنِين
(وبِكْرِ بِنْت المُصطفى الأمين ... الصادقِ المُباركِ المَيْمُونِ)
(وابنِ وُلاةِ البَيْتِ والحَجُونِ ... اسمعْ لنعتٍ غيرِ ذي تَفنين)
(يخْرُجُ من فنٍّ إلى فُنونِ ... إن الحديثَ فيكَ ذو شُجُونِ)
أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أحمد بن أبي كامل قال حدثني أبو هاشم القيني قال
كان محمد بن ذؤيب العماني الراجز من أهل البصرة ويكنى أبا عبد الله وإنما قيل له العماني لأنه أقبل يوما وقد خرج من علة ووجهه أصفر فقال له بعض أصحابنا يا أبا عبد الله قد خرجت من هذه العلة كأنك جمل عماني قال وكانت جمال عمان تحمل الورس من اليمن إلى عمان فتصفر قال وهو من بني تميم ثم من بني فقيم
قال فقدم على عيسى بن موسى فلما وصل إليه أنشده مديحا له وفد إليه به فاستحسنه ووصله واقتطعه إليه وخصه وجعله في جلسائه فقال العماني فيه
(ما كنتُ أدري ما رَخاءُ العَيْش ... ولا لبِستُ الوَشْيَ بعد الخَيْش)
(حتى تمدَّحتُ فتى قُرَيش ... عِيسى وعيسى عند وقْت الهَيْش)
(حين يخفّ غَيرُه للطَّيش ... زَيْن المقيمين وعِزّ الجَيش)
(...راش جَناحيَّ وفوق الرِّيش)
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن علي بن أبي نعيم قال حدثنا موسى بن صبيح المروزي قال
خرج الرشيد غازيا بلاد الروم فنزل بهرقلة ونصب الحرب عليها فدخل عليه العماني وهو يذكر بغداد وطيبها وما فيه أهلها من النعمة فأنشده العماني قصيدة له في هذا المعنى يذكر فيها طيب العيش ببغداد وسعة النعم وكثرة اللذات يقول فيها
(ثم أتَوْهم بالدَّجاجِ الدُّجَّجِ ... بين قَديدٍ وشِواءٍ مُنضَجِ)
(وبعَبيطٍ ليس بالمَلْهْوَجِ ... فدُقَّ دقَّ الكُودنيِّ الدَّيْزَجِ)
(حتى مَلاَ أعفاج بطنٍ نُفَّجِ ... وقال للقَيْنَة صُبِّي وامزُجِي)
قال فوهب له على القصيدة ثلاثين ألف درهم
ثم دخل إليه ابن جامع وقد أمر الرشيد أن يوضع الكبريت والنفط الأبيض على الحجارة وتلف بالمشاقة وتوقد فيها النار ثم توضع في كفة المنجنيق ويرمى بها السور ففعلوا ذلك وكانت النار تثبت في السور وتصدعه حتى طلبوا الأمان حينئذ فغناه ابن جامع وقال
((هَوَتْ هِرَقْلَةُ لَمَّا أن رأتْ عَجَباً ... جوائماً تَرْتَمِي بالنِّفطِ والنَّار
(كأنَّ نِيرانَنا في جَنْب قَلْعتِهم ... مُصَبَّغاتٌ على أرسان قَصَّار)
فأمر له بثلاثين ألف درهم أخرى
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني أبو هفان قال حدثني أحمد بن سليمان قال قال يزيد بن عقال
كنا وقوفا والمهدي قد أجرى الخيل فسبقها فرس له يقال له الغضبان فطلب الشعراء فلم يحضر أحد منهم إلا أبو دلامة فقال له قلده يا زند فلم يفهم ما أراد فقلده عمامته فقال له المهدي يابن اللخناء أنا أكثر عمائم منك إنما أردت أن تقلده شعرا ثم قال يا لهفي على العماني فلم يتكلم بها حتى أقبل العماني فقيل له ها هوذا قد أقبل الساعة يا أمير المؤمنين فقال قدموه فقدموه فقال قلد فرسي هذا فقال غير متوقف
(قد غَضِبَ الغَضْبانُ إذ جدَّ الغَضَبْ ... وجاء يحمي حَسَباً فَوقَ الحَسَبْ)
(من إرْثِ عَبَّاس بنِ عبدِ المُطَّلِبْ ... وجاءت الخَيْلُ به تَشْكُو التَّعَبْ)
(... له عليها ما لَكُم على العَرَبْ)
فقال له المهدي أحسنت والله وأمر له بعشر آلاف درهم
صوت
(لقد عَلِمْتُ وما الإسرافُ من خُلُقي ... أن الذي هو رِزْقِي سوفَ يأتِيني)
(أسعَى له فيُعَنّيني تَطلُّبُه ... ولو قعدتُ أتاني لا يُعَنِّينِي)
الشعر لعروة بن أذينة والغناء لمخارق ثقيل أول بالبنصر عن عمرو
أخبار عروة بن أذينة ونسبه
هو عروة بن أذينة وأذينة لقبه واسمه يحيى بن مالك بن الحارث بن عمرو بن عبد الله بن زحل بن يعمر وهو الشداخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار وسمي يعمر بالشداخ لأنه تحمل ديات قتلى كانت بين قريش وخزاعة وقال قد شدخت هذه الدماء تحت قدمي فسمي الشداخ
قال ابن الكلبي الشداخ بضم الشين
ويكنى عروة بن أذينة أبا عامر وهو شاعر غزل مقدم من شعراء أهل المدينة وهو معدود في الفقهاء والمحدثين روى عنه مالك بن أنس وعبيد الله بن عمر العدوي أخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن عمر بن شبة وروى جده مالك بن الحارث عن علي بن أبي طالب عليه السلام
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن ابن دأب عن عروة بن أذينة عن أبيه قال حدثني أبي مالك بن الحارث قال
خرج مع علي بن أبي طالب عليه السلام رجل من قومي كان مصطلما فخرجت في أثره وخشيت انقراض أهل بيته فأردت أن استأذن له من علي فأدركت عليا عليه السلام بالبصرة وقد هزم الناس ودخل البصرة فجئته فقال
مرحبا بك يابن الفقيمة أبدا لك فينا بداء قلت والله إن نصرتك لحق وإني لعلى ما عهدت أحب العزلة ثم ذاكرته أمر ابن

عمي ذلك فلم يبعد عنه فكنت آتية أتحدث إليه فركب يوما يطوف وركبت معه فإني لأسير إلى جانبه إذ مررنا بقبر طلحة فنظر إليه نظرا شديدا ثم أقبل علي فقال أمسى والله أبو محمد بهذا المكان غريبا ثم تمثل
(وما تَدْري وإن أزمعْتَ أمْراً ... بأيّ الأرْض يُدْركُك المَقِيلُ)
والله إني لأكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب قال فوقع العراقيون يشتمون طلحة وسكت علي وسكت حتى إذا فرغوا أقبل علي عليه السلام علي فقال إيه يا بن الفقيمة والله إنه وإن قالوا ما سمعت لكما قال أخو جعفي
(فَتىً كان يُدْنيه الغِنى من صَدِيقه ... إذا ما هو استَغْنَى ويُبْعِدُه الفَقْرُ)
ثم أردت أن أكلمه بشيء فقلت يا أمير المؤمنين فقال وما منعك أن
تقول يا أبا الحسن فقلت أبيت فقال والله إنها لأحبهما إلي لولا الحمقى ولوددت أني خنقت بحبل حتى أموت قبل أن يفعل عثمان ما فعل وما أعتذر من قيام بحق ولكن العافية مما ترى كانت خيرا

عروة بن أذينة يرى حريق الكعبة

حدثنا محمد بن خلف وكيع والحسن بن علي الخفاف قالا حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي عن عبيد الله بن يزيد عن عروة بن أذينة قال
قدمت مع أبي مكة يوم احترقت الكعبة فرأيت الخشب وقد خلصت إليه النار ورأيت الكعبة متجردة من الحريق ورأيت الركن قد اسود وتصدع من ثلاثة أمكنة فقلت ما أصاب الكعبة فأشاروا إلى رجل من أصحاب ابن الزبير فقالوا هذا احترقت بسببه أخذ قبسا في رأس رمح فطيرت الريح منه شيئا فضربت أستار الكعبة فيما بين اليماني إلى الأسود

وفود على هشام بن عبد الملك

حدثني محمد بن جرير الطبري وحفظته وأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عمر بن مخروس الوراق بن أقيصر السلمي قال حدثنا يحيى بن عروة بن أذينة قال
أتى أبي وجماعة من الشعراء هشام بن عبد الملك فنسبهم فلما عرف أبي قال له أنت القائل
(لقد عَلِمْتُ وما الإسرافُ من خُلُقي ... أنَّ الذي هو رِزْقِي سوفَ يأْتِيني)
(أسعَى له فيُعَنّيني تَطلُّبُه ... ولو جلستُ أتاني لا يُعنِّيني)
هذان البيتان فقط ذكرهما المهلبي والجوهري وذكر محمد بن جرر في خبره الأبيات كلها
(وأنَّ حظَّ امرىءٍ غيري سَيَبْلُغُه ... لا بُدَّ لا بُدَّ أن يحتازَه دُوني)
(لا خَيرَ في طَمَعٍ يُدني لِمَنْقَصةٍ ... وغُفَّة من قَوامِ العيش تَكْفِيني)
(لا أركبُ الأمرَ تُزْري بي عَوَاقِبُه ... ولا يُعابُ به عِرْضِي ولا دِيني)
(كم مِنْ فَقِيرٍ غَنِيِّ النَّفْسِ تعرفُه ... ومِن غَنِيٍّ فَقِيرِ النَّفس مِسْكِينِ)
(ومن عَدوٍّ رمانِي لو قَصدتُ له ... لم يأخُذِ النّصفَ مني حين يرميني)
(ومن أخٍ لي طوى كَشْحاً فقلتُ له ... إنَّ انْطِوَاءَكَ عني سوف يَطْويني)
(إني لأنْطِقِ فيما كان من أرَبِي ... وأُكْثِرُ الصَّمْتَ فيما ليس يَعْنِيني)
(لا أبْتغي وصْلَ من يَبْغِي مفارقتي ... ولا أَلِينُ لمَنْ لا يَشْتَهِي لِيني)
فقال له ابن أذينة نعم أنا قائلها قال أفلا قعدت في بيتك حتى يأتيك رزقك
وغفل عنه هشام فخرج من وقته وركب راحلته ومضى منصرفا ثم افتقده هشام فعرف خبره فأتبعه بجائزة وقال للرسول قل له أردت أن تكذبنا وتصدق نفسك فمضى الرسول فلحقه وقد نزل على ماء يتغذى عليه فأبلغه رسالته ودفع الجائزة فقال قل له صدقني ربي وكذبك
قال يحيى بن عروة وفرض له فريضتين فكنت أنا في إحداهما
أخبرنا وكيع قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني أبو غزية قال حدثني أنس بن حبيب قال
خرج ابن أذينة إلى هشام بن عبد الملك في قوم من أهل المدينة وفدوا عليه وكان ابنه مسلمة بن هشام سنة حج أذن لهم في الوفود عليه فلما دخلوا على هشام انتسبوا له وسلموا عليه فقال ما جاء بك يا ابن أذينة فقال
(أتينا نمُتُّ بأرحامِنا ... وجِئْنا بإذْنِ أبي شَاكِرِ)
(فإنَّ الذي سارَ معروفُه ... بنجْدٍ وغار مع الغَائِرِ)
(إلى خَيْرِ خِنْدِفَ في ملكها ... لِبادٍ من النَّاس أو حَاضِرِ)
فقال له هشام ما اراك إلا قد أكذبت نفسك حيث تقول
(لقد عَلِمْتُ وما الإسرافُ من خُلُقي ... أن الذي هو رِزْقِي سوفَ يأْتِيني)
(أسعَى له فيُعَنّيني تَطلُّبُه ... ولو جلست أتاني لا يُعنِّيني)
فقال له ابن أذينة ما أكذبت نفسي يا أمير المؤمنين ولكني صدقتها وهذا من ذاك ثم خرج من عنده فركب راحلته إلى المدينة فلما أمر لهم هشام بجوائزهم فقده فقال أين ابن أذينة فقالوا غضب من تقريعك له يا أمير المؤمنين فانصرف راجعا إلى المدينة فبعث إليه هشام بجائزته
أخبرنا وكيع قال حدثنا هارون بن محمد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي عن عروة بن عبيد الله قال
كان عروة بن أذينة نازلا مع أبي في قصر عروة بالعقيق وخرج أبي يوما يمشي وأنا معه وابن أذينة ونظر إلى غنم كانت له في يدي راع يقال له
كعب وهي مهملة وكعب نائم حجرة فجعل ابن أذينة ينزو حوله وهو يضربه ويقول
(لو يَعْلَم الذِّئبُ بنَوْم كَعْبِ ... إذاً لأمْسَى عندنا ذا ذَنْبِ)
(أضربُه ولا يَقُول حَسْبِي ... لا بدَّ عند ضَيْعَةٍ من ضَرْبِ)
ابن عائشة يغني بشعره
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي وإسماعيل بن يونس الشيعي قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان محمد بن يحيى عن بعض أصحابه قال
مر ابن عائشة المغني بعروة بن أذينة فقال له قل لي أبياتا هزجا أغني فيها فقال له اجلس فجلس فقال
صوت

(سُلَيْمَى أجمَعَتْ بَيْنا ... فأينَ تقولُها أينا)
(وقد قالت لأترابٍ ... لها زُهرٍ تلاقَينا)
(تعالَيْنَ فقد طابَ ... لنا العَيْشُ تَعالَيْنا)
(وغابَ البَرمُ الليْلة ... والعَيْنُ فلا عَيْنا)
(فأقبلنَ إليها مُسر ... عاتٍ يتهادَيْنا)
(إلى مثل مَهاة الرّمِ ... تكسو المَجلسَ الزَّينا)
(تمنَّين مُناهُنّ ... فكُنَّا ما تمنّينا)
قال أبو غسان فحدثت أن ابن عائشة رواها ثم ضحك لما سمع قوله
(تمنَّين مُناهُنّ ... فكُنَّا ما تمنّينا)
ثم قال يا ابا عامر تمنيتك لم أأقبل بخرك وأدبر ذكرك
قال عمر بن شبة قال قال أبو غسان فحدثني حماد الحسيني قال
ذكر ابن أذينة عند عمر بن عبد العزيز فقال نعم الرجل أبو عامر على أنه الذي يقول
(وقد قالت لأترابٍ ... لها زُهرٍ تلاقَينا)
وأخبرني بهذا الخبر وكيع قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن الزبير عن محمد بن يحيى عن إسحاق بن إبراهيم عن قسطاس قال
مر ابن عائشة بابن أذينة ثم ذكر الخبر مثل الذي قبله
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي والحرمي بن أبي العلاء قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني أبو معاوية عبد الجبار بن سعيد المساحقي وأخبرنا به وكيع قال حدثنا أبو أيوب المدائني عن الحارث بن محمد العوفي قال
وقفت سكينة بنت الحسين بن علي عليهما السلام على عروة بن
أذينة في موكبها ومعها جواريها فقالت يا أبا عامر أنت الذي تزعم أن لك مروءة وأن غزلك من وراء عفة وأنك تقي قال نعم قالت أفأنت الذي تقول
صوت
(قالت وأبْثَثْتُها وَجْدِي فبُحتُ به ... قد كنتَ عندي تحبُّ السَّتر فاستَتر)
(ألستَ تُبصِر مَنْ حَولي فقلت لها ... غَطّى هواكِ وما ألقَى على بَصري)
قال لها بلى قالت هن حرائر إن كان هذا خرج من قلب سليم أو قالت من قلب صحيح
في هذين البيتين لعلويه رمل بالبنصر وفيهما لأسحاق هزج بالوسطى وفيهما لمخارق ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي وعمر بن بانة وذكر حبش أن الثقيل الأول لمعبد اليقطيني
وذكر علي بن محمد بن نصر البسامي أن خاله أبا عبد الله بن حمدون بن إسماعيل قال
كنت جالسا بين يدي المتوكل وبين يديه المنتصر فأحضر
المعتز وهو صبي صغير فلعب فأفرط في اللعب والمنتصر يرمقه كالمنكر لفعله فنظر إليه المتوكل عدة دفعات ثم التفت إلى المنتصر فقال يا محمد
(قالتْ وأبْثَثْتُها وَجْدِي فبُحتُ به ... قد كنُتَ عندي تحُبُّ السّتر فاسْتَتر)
قال فاعتذر إليه المنتصر عذرا قبله وهو مقطب معرض قال وكان المنتصر أشد خلق الله بغضا للمعتز وطعنا عليه ولقد دخلت إليه يوما ودخل إليه أبو خالد المهلبي بعد قتل المتوكل وإفضاء الخلافة إليه ومع المهلبي درع كأنها فضة فقال يا أمير المؤمنين هذه درع المهلب فأخذها وقام فلبسها ورأى المعتز وعليه وشي مثقل وما أشبه ذلك فتمثل ببيت جرير
(لَبِسْتُ سِلاحِي والفرزدقُ لُعبةٌ ... عليه وشاحاً كُرَّجٍ وجلاجِلُهْ)
أخبرني وكيع قال حدثني هارون بن محمد قال حدثني عبد الله بن شعيب الزبيري قال حدثني عبد العزيز بن أبي سلمة قال
مرت امرأة بابن أذينة وهو بفناء داره فقالت له أأنت ابن أذينة قال نعم قالت أأنت الذي يقول الناس إنك امرؤ صالح وأنت الذي تقول
(إذا وَجدتُ أُوارَ الحُبِّ في كَبِدِي ... عَمَدتُ نحوَ سِقاء القَوْمِ أبْتَرِدُ)
(هَبْنِي بَرَدْتُ ببَردِ الماءِ ظاهره ... فمَنْ لِحَرٍّ على الأحشاء يَتَّقِدُ)
أبو السائب المخزومي يطلب سماع شعر عروة
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي عن عروة بن عبد الله وأخبرنا به وكيع عن هارون بن الزيات عن الزبيري عن عمه عن عروة بن عبد الله وذكره حماد عن أبيه عن الزبيري عن عروة هذا قال
كان عروة في أذينة نازلا في دار أبي بالعقيق فسمعه ينشد
صوت
(إنَّ التي زعمَتْ فُؤادَك ملَّها ... جُعِلَتْ هَواكَ كما جُعِلْتَ هوًى لها)
(فَبكَ الّذِي زَعَمَتْ بها وكِلاكُما ... يُبدِي لِصاحِبه الصَّبابةَ كُلَّها)
(ويبيتُ بين جَوانِحي حُبٌّ لها ... لو كان تحت فِراشِها لأقَلّها)
(ولعمرُها لو كان حبُّك فوقها ... يوماً وقد ضَحِيَتْ إذاً لأظلّها)
(وإذا وجدتُ لها وَساوسَ سَلْوَةٍ ... شَفَعَ الفُؤادُ إلى الضَّمير فسلَّهَا)
(بيضاءُ باكَرَها النَّعيمُ فصاغَها ... بِلَباقَةٍ فأدَقَّها وأجَلَّها)
(لما عَرضْتُ مُسَلِّماً لي حاجَةٌ ... أرجُو مَعونَتها وأخْشَى دَلَّها)
(مَنَعَتْ تَحِيَّتَها فقلتُ لصاحِبي ... ما كان أكْثَرها لنا وأقَلَّها)
(فدنا فقال لَعَلَّها مَعْذُورةٌ ... من أجلِ رِقْبَتِها فقلتُ لَعَلَّها)
قال فأتاني أبو السائب المخزومي وأنا في دار بالعقيق فقلت له بعد الترحيب هل بدت لك حاجة فقال نعم أبيات لعروة بن أذينة بلغني
أنك سمعتها منه فقلت له وأية أبيات فقال وهل يخفى القمر قوله

(... إنّ الّتِي زَعَمَتْ فؤادك مَلَّها)
فأنشدته إياها فلما بلغت إلى قوله فقلت لعلها قال أحسن والله هذا والله الدائم العهد الصادق الصبابة لا الذي يقول
(إن كان أهلُكِ يَمْنَعونكِ رَغْبَةً ... عَنّي فأهْلِي بي أضَنُّ وأرغَبُ)
اذهب لاصحبك والله ولا وسع عليك يعني قائل هذا البيت لقد عدا الأعرابي طوره وإني لأرجو أن يغفر الله لصاحبك يعني عروة لحسن ظنه بها وطلبه العذر لها قال فعرضت عليه الطعام فقال لا والله ما كنت لآكل بهذه الأبيات طعاما إلى الليل وانصرف
ذكر ما في هذا الخبر من الغناء
في الشعر المذكور فيه لعروة في البيت الأول والرابع من الأبيات خفيف رمل بالوسطى نسبه ابن المكي إلى ابن مسجح وقيل إنه من منحوله إليه وفيهما وفي البيت الثالث من شعر ابن أذينة خفيف ثقيل لابن الهربذ والبيت
(ويبيتُ بين جَوانحي حُبٌّ لها ... لو كان تحت فِرَاشِها لأقَلَّها)
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عمر بن أبي بكر المؤملي قال أخبرنا عبد الله بن أبي عبيدة قال قلت لأبي السائب المخزومي ما أحسن عروة بن أذينة حيث يقول
صوت
(لَبِثوا ثَلاثَ مِنىً بِمَنْزِلِ غِبْطَةٍ ... وهُم على غَرَضٍ لَعَمْرُك ما هُمُ)
(مُتجاورين بِغَيْر دارِ إقامةٍ ... لو قد أجدَّ رَحيلُهم لم يَنْدَمُوا)
(ولَهُنَّ بالبَيْتِ العتِيق لُبانةٌ ... والبَيْتُ يعرِفهنَّ لَوْ يَتَكَلَّمِ
(لو كان حيّاً قَبْلَهنَّ ظعائِناً ... حَيّا الحطِيمُ وُجُوهَهنَّ وزَمْزَمُ)
(وكأنَّهُنّ وقد حَسَرْنَ لواغِباً ... بِيضٌ بأكْناف الحطِيم مُرَكَّمُ)
في هذه الأبيات الثلاثة لابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو
قال فقال لا والله ما أحسن ولا أجمل ولكنه أهجر وأخطل في صفتهن بهذه الصفة ثم لا يندم على رحيلهن أهكذا قال كثير حيث يقول
صوت
(تَفرّق أهواءُ الحجِيجِ على مِنىً ... وَصدَّعَهم شَعْبُ النَّوَى صُبْحَ أربَعِ)
(فَريقان مِنْهُم سَالِكٌ بَطْنَ نَخْلة ... وآخرُ منهم سَالِك بطنَ تَضْرُعِ)
في هذين البيتين للدلال ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي وحبش
(فلم أرَ داراً مِثْلَها دارَ غِبطَةٍ ... ومَلقًى إذا التَفَّ الحَجيجُ بمَجْمَعِ)
(أقلَّ مُقِيماً راضِياً بمَكانِه ... وأكثرَ جاراً ظاعِناً لم يُوَدَّعِ)
انظر إليه كيف تقدمت شهادته علمه وكبا لسانه ببيانه هل يغتبط عاقل بمقام لا يرضى به ولكن مكره أخوك لا بطل والعرجي كان أوفى بالعهد
منهما وأولى بالصواب حين تعرض لها نافرة من منى فقال لها عاتبا مستكينا
(عُوجِي عليَّ فَسلِّمي جَبرُ ... فِيمَ الصُّدودُ وأنتمُ سَفْرُ)
(ما نَلْتَقِي إلاّ ثلاثَ مِنىً ... حتى يُفرِّقَ بَيْنَنا النَّفْرُ)
في هذين البيتين غناء قد تقدمت نسبته في أخبار ابن جامع في أول الكتاب
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني جعفر بن موسى اللهبي قال
كان عبد الملك بن مروان إذا قدم مكة أذن للقرشيين في السلام عليه فإذا أراد الخروج لم يأذن لأحد منهم وقال أكذبنا إذا قول الملحي يعني كثيرا حيث يقول
(تَفرّق أهواء الحجِيج على مِنىً ... وَصدَّعهم شعْب النَوى صُبحَ أربَعِ)
وذكر الأبيات الأربعة
أخبرنا علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدث الزبيري عن خالد صامة وكان أحد المغنين قال قدمت على الوليد بن يزيد فدخلت إليه وهو في مجلس ناهيك به وهو على سرير وبين يديه معبد ومالك وابن عائشة وأبو كامل فجعلوا يغنون حتى بلغت النوبة إلي فغنيته
صوت
(سَرَى هَمِّي وهَمُّ المرءِ يَسْرِي ... وغارَ النَّجْم إلا قِيسَ فِتْر)
(أُراقِبُ في المَجرَّة كُلَّ نَجمٍ ... تعرَّضَ للمَجَرَّةِ كيف يَجْري)
(لهمٍّ ما أزال له مديماً ... كأن القلب أُضْرِم حرَّ جمر
(على بَكْرٍ أخِي وَلَّى حَمِيداً ... وأيُّ العَيْش يصفو بعد بَكْر)
فقال لي الوليد أعد يا صام ففعلت فقال لي من يقول هذا الشعر قلت عروة بن أذينة يرثي أخاه بكرا فقال لي وأي العيش لا يصفو بعده هذا العيش والله الذي نحن فيه على رغم أنفه والله لقد تحجر واسعا
لابن سريج في هذه الأبيات ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو وابن المكي وغيرهما وفيها رمل ينسب إلى ابن عباد الكاتب وإلى حاجب الحزور وإلى مسكين بن صدقة
حدثنا الأخفش عن محمد بن يزيد قال قال الزبيري
حدثت أن سكينة بنت الحسين عليه السلام أنشدت هذا الشعر فقالت من بكر هذا أليس هو الأسود الدحداح الذي كان يمر بنا قالوا نعم فقالت لقد طاب كل شيء بعده حتى الخبز والزيت
وأخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال لقي ابن أبي عتيق عروة بن أذينة فأنشده قوله
(لا بَكْرَ لي إذ دَعوتُ بَكْراً ... ودُونَ بَكْرٍ ثَرىً وطِينُ)
حتى فرغ منها ثم أنشده
(...سرَى هَمِّي وهَمُّ المرءِ يَسري)
حتى بلغ إلى قوله

(... وأيُّ العَيْش يصفُو بعد بَكْر)
فقال له ابن أبي عتيق كل العيش والله يصلح بعده حتى الخبز والزيت فغضب عروة من قوله وقام عن مجلسه وحلف ألا يكلمه أبدا فماتا متهاجرين

ذكر مخارق وأخباره

هو مخارق بن يحيى بن ناووس الجزار مولى الرشيد وقيل بل ناووس لقب أبيه يحيى ويكنى أبا المهنأ كناه الرشيد بذلك وكان قبله لعاتكة بنت شهدة وهي من المغنيات المحسنات المتقدمات في الضرب ذكر ذلك مخارق واعترف به ونشأ بالمدينة وقيل بل كان منشؤه بالكوفة
وكان أبوه جزارا مملوكا وكان مخارق وهو صبي ينادي على ما يبيعه أبوه من اللحم فلما بان طيب صوته علمته مولاته طرفا من الغناء ثم أرادت بيعه فاشتراه إبراهيم الموصلي منها وأهداه للفضل بن يحيى فأخذه الرشيد منه ثم أعتقه
أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد حدثني زكريا مولاهم وأخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك قال حدثنا حماد بن إسحاق عن زكريا مولاهم قال

مخارق يصير إلى الرشيد

قدمت مولاة مخارق به من الكوفة فنزلت المخرم وصار إبراهيم
إلى جدي الأصبع بن سنان المقين وسيرين بن طرخان النخاس فقالا له إن ها هنا امرأة من اهل الكوفة قد قدمت ومعها غلام يتغنى فأحب أن تنفعها فيه قال فوجهني مع مولاته لأحمله فوجدته متمرغا في رمل الجزيرة التي بإزاء المخرم وهو يلعب فحملته خلفي وأتيت به إبراهيم فتغنى بين يديه فقال لها من أملك فيه قالت عشرة آلاف درهم قال قد أخذته بها وهو خير منها فقالت أقلني قال قد فعلت فكم أملك فيه قالت عشرون ألفا قال قد أخذته بها وهو خير منها فقالت والله ما تطيب نفسي أن أمتنع من عشرين ألف درهم بكبد رطبة فهل لك في خصلة تعطيني به ثلاثين ألف درهم ولا أستقيلك بعدها فقال قد فعلت وهو خير منها فصفقت على يده وبايعته وأمر بالمال فأحضر وأمر بثلاثة آلاف درهم فزيدت عليه وقال تكون هذه لهدية تهدينها أو كسوة تكتسينها ولا تثلمين المال
وراح إلى الفضل بن يحيى فقال له ما خبر غلام بلغني أنك اشتريته قال هو ما بلغك قال فأرنيه فأحضره فلما تغنى بين يدي الفضل قال له ما أرى فيه الذي رأيت قال أنت تريد أن يكون في الغناء مثلي في ساعة واحدة ولم يكن مثله في الدنيا ولا يكون أبدا فقال بكم تبيعه فقال اشتريته بثلاثة وثلاثين ألف درهم وهو حر لوجه الله تعالى إن بعته إلا بثلاثة وثلاثين ألف دينار فغضب الفضل وقال إنما أردت أن تمنعنيه أو تجعله سببا لأن تأخذ مني ثلاثة وثلاثين ألف دينار فقال له أصنع بك خصلة أبيعك نصفه بنصف هذا المال وأكون شريكك في نصفه وأعلمه
فإن أعجبك إذا علمته أتممت لي باقي المال وإلا بعته بعد ذلك وكان الربح بيني وبينك فقال له الفضل إنما أردت أن تأخذ مني المال الذي قدمت ذكره فلما لم تقدر على ذلك أردت أن تأخذ نصفه
وغضب فقال له إبراهيم فأنا أهبه لك على أنه يساوي ثلاثة وثلاثين ألف دينار قال قد قبلته قال قد وهبته لك وغدا إبراهيم على الرشيد فقال له يا إبراهيم ما غلام بلغني أنك وهبته للفضل قال فقلت غلام يا أمير المؤمنين لم تملك العرب ولا العجم مثله ولا يكون مثله أبدا قال فوجه إلى الفضل فأمره بإحضاره فوجه به إليه فتغنى بين يديه فقال لي كم يساوي قال قلت يساوي خراج مصر وضياعها
فقال لي ويلك أتدري ما تقول مبلغ هذا المال كذا وكذا فقلت وما مقدار هذا المال في شيء لم يملك أحد مثله قط قال فالتفت إلى مسرور الكبير وقال
قد عرفت يميني ألا أسأل أحدا من البرامكة شيئا بعد فنفنة فقال مسرور فأنا أمضي إلى الفضل فأستوهبه منه فإذا وهبه لي وكان عبدي فهو عبدك فقال له شأنك فمضى مسرور إلى الفضل فقال له قد عرفتم ما وقعتم فيه من أمر فنفنة وإن منعتموه هذا الغلام قامت القيامة واستوهبه منه فوهبه له فبلغ ما رأيت فكان علويه إذا غضب على مخارق يقول له حيث يقول أنا مولى أمير المؤمنين متى كنت كذلك إنما أنت عبد الفضل بن يحيى أو مولى مسرور
أخبرني ابن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال كان مخارق بن ناووس الجزار وإنما لقب بناووس لأنه بايع رجلا أنه
يمضي إلى ناووس الكوفة فيطبخ فيه قدرا بالليل حتى تنضج فطرح رهنه بذلك فدس الرجل الذي راهنه رجلا فألقى نفسه في الناووس بين الموتى فلما فرغ من الطبيخ مد الرجل يده من بين الموتى وقال له أطعمني فعرف ملء المغرفة من المرقة فصبها في يد الرجل فأحرقها وضربها بالمغرفة وقال له اصبر حتى نطعم الأحياء أولا ثم نتفرغ للموتى فلقب بناووس لذلك فنشأ ابنه مخارق وكان ينادي عليه إذا باع الجزور فخرج له صوت عجيب فاشتراه أبي وأهداه للرشيد فأمره بتعليمه فعلمه حتى بلغ المبلغ الذي بلغه

مخارق يغني للرشيد

وكان يقف بين يدي الرشيد مع الغلمان لا يجلس ويغني وهو واقف فغني ابن جامع ذات يوم بين يدي الرشيد
(كأنَّ نِيرَانَنا في جَنْب قَلْعتِهِم ... مُصَبَّغاتٌ على أَرْسانِ قَصّار)
(هَوَتْ هِرَقْلَةُ لَمَّا أن رأتْ عَجَباً ... حوائماً تَرتمِي بالنِّفط والنَّار)
فطرب الرشيد واستعاده عدة مرات وهو شعر مدح به الرشيد في فتح هرقلة وأقبل يومئذ على ابن جامع دون غيره فغمز مخارق إبراهيم بعينه وتقدمه إلى الخلاء فلما جاءه قال له مالي أراك منكسرا قال أما ترى إقبال أمير المؤمنين على ابن جامع بسبب هذا الصوت فقال قد والله أخذته فقال له ويحك إنه الرشيد وابن جامع من تعلم ولا يمكن معارضته إلا بما يزيد على غنائه وإلا فهو الموت قال دعني وخلاك ذم وعرفه أني أغني به فإن أحسنت فإليك ينسب وإن أسأت فإلي يعود فقال للرشيد يا أمير المؤمنين أراك متعجبا من هذا الصوت بغير ما يستحقه وأكثر مما يستوجبه
فقال لقد أحسن ابن جامع ما شاء قال أو لابن جامع هو قال نعم كذا ذكر قال له فإن عبدك مخارقا يغنيه فنظر إلى مخارق فقال نعم يا أمير المؤمنين فقال هاته فغناه وتحفظ فيه فأتى بالعجائب فطرب الرشيد حتى كاد يطير فرحا وشرب ثم أقبل على ابن جامع فقال له ويلك ما هذا فابتدأ يحلف له بالطلاق وكل محرجة أنه لم يسمع ذلك الصوت قط إلا منه ولا صنعه غيره وأنها حيلة جرت عليه فأقبل على إبراهيم وقال اصدقني بحياتي فصدقه عن قصة مخارق فقال له أكذلك هو يا مخارق قال نعم يا مولاي فقال اجلس إذن مع أصحابك فقد تجاوزت مرتبة من يقوم وأعتقه ووصله بثلاثة آلاف دينار وأقطعه ضيعة ومنزلا

أخبرني محمد بن خلف وكيع وحدثني محمد بن خلف بن المرزبان قال وكيع حدثني هارون بن مخارق وقال ابن المرزبان ذكر هارون ابن مخارق قال
كان أبي إذا غنى هذا الصوت
(يا رَبْعَ سَلْمى لقد هيَّجْتَ لي طَرَباً ... زدْتَ الفؤادَ على عِلاَّتِهِ وَصَبَا)
(رَبْعٌ تَبدَّلَ مِمَّن كانَ يَسْكُنُه ... عُفْرَ الظِّباء وظِلماناً بهِ عصبا)
يبكي ويقول أنا مولى هذا الصوت فقلت له وكيف ذاك يا أبت
فقال غنيته مولاي الرشيد فبكى وشرب عليه رطلا ثم قال أحسنت يا مخارق فسلني حاجتك فقلت أن تعتقني يا أمير المؤمنين أعتقك الله من النار فقال أنت حر لوجه الله فأعد الصوت فأعدته فبكى وضرب رطلا ثم قال أحسنت يا مخارق فسلني حاجتك فقلت ضيعة تقيمني غلتها قال قد أمرت لك بها أعد الصوت فأعدته فبكى وقال سل حاجتك فقلت يا أمير المؤمنين تأمر لي بمنزل وفرش وخادم قال ذلك لك أعد الصوت فأعدته فبكى وقال سل حاجتك فقبلت الأرض بين يديه وقلت حاجتي أن يطيل الله بقاءك ويديم عزك ويجعلني من كل سوء فداءك فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاي

المأمون يسأل عن مخارق

وذكر محمد بن الحسن الكاتب أن أبان بن سعيد حدثه
أن المأمون سأل إسحاق عن إبراهيم بن المهدي ومخارق فقال يا أمير المؤمنين إذا تغنى إبراهيم بن المهدي بعلمه فضل مخارقا وإذا تغنى مخارق بطبعه وفضل صوته فضل إبراهيم فقال له صدقت
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا المبرد بهذا الخبر فقال حدثني بعض حاشية السلطان
أن إبراهيم الموصلي غنى الرشيد يوما هذا الصوت فأعجب به وطرب له واستعاده مرارا فقال له فكيف لو سمعته من عبدك مخارق فإنه أخذه عني وهو يفضل فيه الخلق جميعا ويفضلني فدعا بمخارق فأمره أن يغنيه وذكر باقي الخبر مثل الذي تقدم
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي الدنيا عن إسحاق بن محمد النخعي عن الحسين بن الضحاك عن مخارق
أن الرشيد قال يوما للمغنين وهو مصطبح من منكم يغني
(... يا رَبْعَ سَلْمى لقد هَيَّجتَ لي طَرَباً)
فقمت فقلت أنا أمير المؤمنين فقال هاته فغنيته فطرب وشرب
ثم قال علي بهرثمة بن أعين فقلت في نفسي ما يريد منه فجاؤوا بهرثمة فأدخل إليه وهو يجر سيفه فقال له يا هرثمة مخارق الشاري الذي قتلناه بناحية الموصل ما كانت كنيته فقال أبو المهنأ فقال انصرف فانصرف ثم أقبل علي وقال قد كنيتك أبا المهنأ لإحسانك وأمر لي بمائة ألف درهم فانصرفت بها وبالكنية
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن محمد بن نصر البسامي قال حدثني خالي أبو عبد الله بن حمدون قال رحنا إلى الواثق وأمه عليلة فلما صلى المغرب دخل إلى أمه وأمر بألا نبح وكان في الصحن حصر غير مفروشة فقال لي مخارق امض بنا حتى نفرش حصيرا من هذه الحصر فنجلس على بعضه ونتكىء على المدرج منه وكانت ليلة مقمرة فمضينا ففرشنا بعض تلك الحصر واستلقينا وتحدثنا وأبطأ الواثق عند أمه فاندفع مخارق فغنى
((أيا بَيْتَ لَيْلى إنَّ لَيْلَى غَريبةً ... بِرَاذانَ لا خالٌ لديها ولا ابنُ عَمِ
فاجتمع علينا الغلمان وخرج الواثق فصاح يا غلام فلم يجبه أحد ومشى من المجلس إلي أن توسط الدار فلما رأيته بادرت إليه فقال لي ويلك هل حدث في داري شيء فقلت لا يا سيدي فقال فمالي أصيح فلا أجاب فقلت مخارق يغني والغلمان قد اجتمعوا عليه فليس فيهم فضل لسماع غير ما يسمعونه منه فقال عذر والله لهم يا بن حمدون وأي عذر ثم جلس وجلسنا بين يديه إلى السحر
وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك أن مخارقا كان ينادي على اللحم الذي يبيعه أبوه فيسمع له صوت عجيب فاشترته عاتكة بنت شهدة وعلمته شيئا من الغناء ليس بالكثير ثم باعته من آل الزبير فأخذه منهم الرشيد وسلمه إلى إبراهيم الموصلي فأخذ عنه وكان إبراهيم يقدمه ويؤثره ويخصه بالتعليم لما تبينه منه ومن جودة طبعه
كان مملوكا لعاتكة بنت شهدة
أخبرني علي بن عبد العزيز الكاتب قال حدثني ابن خرداذبه قال
كان مخارق بن يحيى بن ناووس الجرار وكان عبدا لعاتكة بنت شهدة وكانت عاتكة أحذق الناس بالغناء وكان ابن جامع يلوذ منها بالترجيع
الكثير فتقول له أين يذهب بك هلم إلى معظم الغناء ودعني من جنونك قال فحدثني من حضرهما أن عاتكة أفرطت يوما في الرد على ابن جامع بحضرة الرشيد فقال لها أي أم العباس أنا بشهد الله أحب أن تحتك شعرتي بشعرتك فقالت له اسكت قطع الله لسانك ولم تعاود بعد ذلك أذيته قال وكانت شهدة أم عاتكة نائحة هكذا ذكر ابن خرداذبه وليس الأمر في ذلك كما ذكره
حدثني محمد بن يحيى الصولي حدثنا الغلابي قال حدثني علي ابن محمد النوفلي عن عبد الله بن العباس الربيعي أنه كان هو وابن جامع وإبراهيم الموصلي وإسماعيل بن علي عند الرشيد ومعهم محمد بن داود بن علي فغنى المغنون جميعا ثم اندفع محمد بن داود فغناه

صوت

(أمَّ الوَليد سَلَبتِني حِلمي ... وقتلْتِني فتَحلَّلي إثْمي)
(باللّه يا أمَّ الوَليد أمَا ... تَخْشَين فيَّ عواقبَ الظّلْم)
(وتَركْتِني أبغي الطَّبيبَ وَما ... لِطبيبنا بالدَّاء من عِلم)
قال فاستحسنه الرشيد وكل من حضر وطربوا له فسأله الرشيد عمن أخذته فقال أخذته عن شهدة جارية الوليد بن يزيد قال عبد الله بن العباس هي أم عاتكة بنت شهدة
الأبيات المذكورة التي فيها الغناء لعبيد الله بن قيس الرقيات
وتمامها
(لله دَرُّكِ في ابنِ عَمِّك قَدْ ... زَوَّدتِه سُقْماً على سُقمِ)
(في وجهها ماءُ الشَّباب ولم ... تُقيل بمَكْروهٍ ولا جَهمِ)

والغناء فيه لابن محرز لحنان كلاهما له أحدهما ثقيل الأول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق والآخر خفيف ثقيل الأول بالنصر عن عمرو بن بانة وفيه لمالك ثاني ثقيل عن الهشامي وحبش وفيه لسليمان خفيف رمل بالبنصر عنهما وثقيل أول للحسين بن محرز

مخارق والواثق

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال أبي

قال الواثق أمير المؤمنين خطأ مخارق كصواب علويه وخطأ إسحاق كصواب مخارق وما غناني مخارق قط إلا قدرت أنه من قلبي خلق ولا غناني إسحاق إلا ظننت أنه قد زيد في ملكي ملك آخر

قال وكان يقول أتريدون أن تنظروا فضل مخارق على جميع أصحابه انظروا إلى هؤلاء الغلمان الذين يقفون في السماط فكانوا يتفقدونهم وهم وقوف فكلهم يسمع الغناء من المغنين جميعا وهو واقف مكانه ضابط لنفسه فإذا تغنى مخارق خرجوا عن صورهم فتحركت أرجلهم ومناكبهم وبانت أسباب الطرب فيهم وازدحموا على الحبل الذي يقفون من ورائه

قال هارون وحدثت أنه خرج مرة إلى باب الكناسة بمدينة

السلام والناس يرتحلون للخروج إلى مكة فنظر إليهم واجتماعهم وازدحامهم فقال لأصحابه الذين خرجوا معه قد جاء في الخبر أن ابن سريج كان يتغنى في أيام الحج والناس بمنى فيستوقفهم بغنائه وسأستوقف لكم هؤلاء الناس وأستلهيهم جميعا لتعلموا أنه لم يكن ليفضلني إلا بصنعته دون صوته ثم اندفع يؤذن فاستوقف أولئك الخلق واستلهاهم حتى جعلت المحامل يغشى بعضها بعضا وهو كالأعمى عنها لما خامر قلبه من الطرب لحسن ما يسمع

مخارق وأبو العتاهية

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ابن أخت الحاركي وأبو سعيد الرامهرمزي وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد الأزدي عن أحمد بن عيسى الجلودي عن محمد بن سعيد الترمذي وكان إسحاق إذا ذكر محمدا وصفه بحسن الصوت ثم قال قد أفلتنا منه فلو كان يغني لتقدمنا جميعا بصوته قالوا

جاء أبو العتاهية إلى باب مخارق فطرقه واستفتح فإذا مخارق قد خرج إليه فقال له أبو العتاهية يا حسان هذا الأقليم يا حكيم أرض بابل أصبب في أذني شيئا يفرح به قلبي وتنعم به نفسي فقال انزلوا فنزلنا فغنانا قال محمد بن سعيد فكدت أسعى على وجهي طربا قال وجعل أبو العتاهية يبكي ثم قال له يا دواء المجانين لقد رققت حتى كدت أحسوك فلو كان الغناء طعاما لكان غناؤك أدما ولو كان شرابا لكان ماء الحياة

نسخت من كتاب ابن أبي الدنيا حدثني بعض خدم السلطان قال

قال رجل لأبي العتاهية وقد حضرته الوفاة هل في نفسك شيء تشتهيه قال أن يحضر مخارق الساعة فيغنيني

(سيُعرِض عن ذِكري وتُنْسَى مودَّتي ... ويحدثُ بعدي للخليل خليلُ)

(إذا ما انقضت عنّي من الدهر مدَّتي ... فإن غَناء الباكيات قليلُ)

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن علي بن حمزة العلوي قال حدثنا علي بن الحسين بن الأعرابي قال

لقي مخارق أبا العتاهية فقال له يا أبا إسحاق أأنت القائل

(اصْرِف بطَرْفِكَ حيثُ شِئتَ ... فلن تَرى إلاَّ بخيلا)

قال له نعم قال بخلت الناس جميعا قال فاصرف بطرفك يا أبا المهنأ فانظر فإنك لن ترى إلا بخيلا وإلا فأكذبني بجواد واحد فالتفت مخارق يمينا وشمالا ثم أقبل عليه فقال صدقت يا أبا إسحاق فقال له أبو العتاهية فديتك لو كنت مما يشرب لذررت على الماء وشربت

عندما يغني مخارق يترك الناس أعمالهم

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني بعض آل نوبخت قال

كان أبي وعبد الله بن أبي سهل وجماعة من آل نوبخت وغيرهم وقوفا بكناسة الدواب في الجانب الغربي من بغداد يتحدثون فإنهم لكذلك إذ أقبل مخارق على حمار أسود وعليه قميص رقيق ورداء مسهم قال فيم كنتم فأخبروه فقال دعوني من وسواسكم هذا أي شيء لي عليكم إن رميت بنفسي بين قبرين من هذه القبور وغطيت وجهي وغنيت صوتا فلم يبق

بهذه الكناسة ولا في الطريق من مشتر ولا بائع ولا صادر ولا وارد إلا ترك عمله وقرب مني واتبع صوتي فقال له عبد الله إني لأحب أن أرى هذا فقل ما شئت فقال فرسك الأشقر الذي طلبته منك فمنعتنيه قال هو لك إن فعلت ما قلت ثم دخلها ورمى بنفسه بين قبرين وتغطى بردائه ثم اندفع يغني فغنى في شعر أبي العتاهية

(نادَتْ بوَشْكِ رَحِيلَكَ الأَيَامُ ... أفلسْتَ تسمَعُ أمْ بك استِصْمامُ)

قال فرأيت الناس يتقوضون إلى المقبرة أرسالا من بين راكب وراجل وصاحب شول وصاحب جدي ومار بالطريق حتى لم يبق بالطريق أحد ثم قال لنا من تحت ردائه هل بقي أحد قلنا لا وقد وجب الرهن فقام فركب حماره وعاد الناس إلى صنائعهم فقال لعبد الله أحضر الفرس فقال على أن تقيم اليوم عندي قال نعم فانصرفنا معهما وسلم الفرس إليه وبره وأحسن إليه وأحسن رفده

نسبة هذا الصوت

صوت

(نادَتْ بوَشْكِ رَحِيلِك الأيَامُ ... أفلسْتَ تَسْمَعُ أم بك استِصْمامُ)

(ومضَى أمامكَ مَنْ رأيت وأنْت لِلْباقين ... حتّى يَلْحقوكَ إمامُ)

(مالي أراكَ كأنَّ عينَكَ لا تَرى ... عِبراً تمرُّ كأنَّهن سِهامُ)

(تمضي الخُطوبُ وأنت مُنتَبهٌ لها ... فإذا مَضَتْ فكأنَّها أحلامُ)

الشعر لأبي العتاهية والغناء لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى وفيه لمخارق هزج بالوسطى كلاهما عن عمرو وفيه رمل يقال إنه لعلويه ويقال إنه لمخارق عن الهشامي

أخبرني جحظة قال ذكر ابن المكي المرتجل عن أبيه

أن أبا العتاهية دخل يوما إلى صديق له وعنده جارية تغني فقال أبا إسحاق إن هذه الجارية تغني صوتا حسنا في شعر لك أفتنشط إلى سماعه قال هاتيه فغنته لحنا لعمرو بن بانة في قوله

(... نادَت بِوَشْك رحيلك الأيَّامُ)

فعبس وبسر وقال لا جزى الله خيرا من صنع هذه الصنعة في شعري قال فإنها تغني فيه لحنا لمخارق قال فلتغنه فغنته فأعجبه وطرب حتى بكى ثم قال جزى الله هذا عني خيرا وقام فانصرف
وقد روى هذا الخبر هارون بن الزيات عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن غزوان أنه كان وعبيد الله بن أبي غسان وأبو العتاهية ومحمد بن عمرو الرومي عند ابن أبي مريم ومعهم مغنية يقال لها بنت إبليس فغنى عبيد الله ابن أبي غسان في لحن مخارق
(... نادتْ بوَشْكِ رَحِيلَكَ الأيَّامُ)
فلم يستحسنه أبو العتاهية ثم غنى فيه لحنا لإبراهيم بن المهدي فأطربه وقال جزى الله عني هذا خيرا
أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال بلغني أن المتوكل دخل إلى جارية من جواريه وهي تغني
صوت
(أمِنْ قَطْرِ النَّدى نظَّمْتَ ... ثغرَك أم من البَرَدِ)
(وريقُكَ من سُلافِ الكَرْمِ ... أم من صفوةِ الشَّهْدِ)
(أيا مَنْ قد جرى منِّي ... كمجْرَى الرُّوحِ في الجسدِ)
(ضَمِيرُكَ شاهِدي فيما ... أقاسِيه من الكَمَدِ)
والغناء لمخارق رمل فقال لها ويحك لمن هذا الغناء فقالت أخذته من مخارق قال فألقيه على الجواري جميعا ففعلت فلما أخذنه عنها أمر بإخراجهن إليه ودعا بالنبيذ وأمر بألا يغنينه غيره ثلاثة أيام متوالية وكان ذلك بعد وفاة مخارق
وأخبرنا إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال قال عمر بن نوح بن جرير
سألت أبا المضاء الأسدي أن ينشدني فقال أنشدك من شعري شيئا قلته لرجل لقيته على الجسر ببغداد فأعجبه مني ما يرى من دماثتي وأقبلت أحدثه وهو ينصت لي وأنشده وهو يحسن الإصغاء إلي أنشادي ويحدثني فيحسن الحديث حتى بلغنا منزله فأدخلني فغداني ثم لم يرم حتى كساني وسقاني فرواني ثم أسمعني والله شيئا ما طار في مسامعي شيء قط أحسن منه فلما خرجت سألت عنه فقال لي غلمانه هذا أبو المهنأ مخارق فقلت فيه
(أعاد اللهُ يومَ أبي المُهنَّا ... علينا إنَّه يومٌ نضِيرُ)
(تغيَّبَ نَحسُه عنَّا وأرخَى ... علينا وابلٌ جَودٌ مطيرُ)
قال يا إسحاق هذا والله صاحب اللواء غدا إن مات أبوك
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني هارون بن مخارق عن أبيه قال رأيت وأنا حدث كأن شيخا جالسا على سرير في روضة حسنة قد دعاني فقال لي غنني يا مخارق فقلت أصوتا تقترحه أم ما حضر فقال ما حضر فغنيته بصنعتي في
صوت
(دَعِي القَلبَ لا يزْدَدْ خَبالاً مع الذي ... به منك أو داوِي جَواهِ المُكتَّما)
(وليس بتزْويقِ اللسانِ وصوْغِه ... ولكنَّه قد خالط اللَّحمَ والدَّمَا)
ولحن مخارق فيه ثقيل أول وفيه لابن سريج رمل
قال فقال لي أحسنت يا مخارق ثم أخذ وترا من أوتار العود فلفه على المضراب ودفعه إلي فجعل المضراب يطول ويغلظ والوتر ينتشر ويعرض حتى صار المضراب كالرمح والوتر كالعذبة عليه وصار في يدي علما ثم انتبهت فحدثت برؤياي إبراهيم الموصلي فقال لي الشيخ بلا شك إبليس وقد عقد لك لواء صنعتك فأنت ما حييت رئيس أهلها
قال مؤلف هذا الكتاب وأظن أن الشاعر الذي مدح مخارقا إنما عنى هذه الرؤيا بقوله
(لقد عَقَدَ الشَّيخُ الذي غرَّ آدما ... وأخرجَه من جَنَّةٍ وحدائقِ)
(لِواءَيْ فُنونٍ للقريض وللغِنا ... وأقسَم لا يُعطِيها غيرَ حاذقِ)
وذكر محمد بن الحسن الكاتب أن هارون بن مخارق حدثه فقال
كان الواثق شديد الشغف بأبي وكان قد اقتطعه عنا وأمر له بحجرة في قصره وجعل له يوما في الأسبوع لنوبته في منزله وكان جواريه يختلفن لذلك اليوم قال فانصرف إلينا مرة في نوبته فصلى الغداة مع الفجر على أسرة في صحن الدار في يوم صائف وجلس يسبح فما راعنا إلا خدم بيض قد دخلوا فسلموا عليه وقالوا إن أمير المؤمنين قد دعا بنا في هذه الساعة فأعدنا عليه الصوت الذي طرحته علينا فلم يرضه من أحد منا وأمرنا بالمصير إليك لنصححه عليك قال فأمر غلمانه فطرحوا لهم عدة كراسي فجلسوا عليها ثم قال لهم ردوا الصوت فردوه فلم يرضه من أحد منهم فدعا بجاريته عميم فردته عليهم فلم يرضه منها قال فتحول إليهم ثم اندفع فرد الصوت على الخدم فخرج الوصائف من حجر جواريه حتى وقفن حوالى الأسرة ودخل غلام من غلمانه وكان يستقي الماء فهجم على الصحن بدلوه وجاءت جارية على كتفها جرة من جرار المزملات حتى وقفت بالقرب منه قال وسبقتني عيناي فما كففت دموعها حتى فاضت
ثم قطع الصوت حين استوفاه فرجع الوصائف الأصاغر سعيا إلى حجر الجواري وخرج الغلام السقاء يشتد إلى بغلة ورجعت الجارية الحاملة الجرة المزملة شدا إلى الموضع الذي خرجت منه فتبسم أبي وقال ما شأنك يا هارون فقلت يا أبت جعلني الله فداءك ما ملكت عيني قال وأبوك أيضا لم يملك عينه
مخارق وإبراهيم بن المهدي
وذكر هارون بن الزيات عن أصحابه قال
جمع إبراهيم بن المهدي المغنين ذات يوم في منزله فأقاموا فلما دخلوا في الليل ثمل مخارق وسكر سكرا شديدا فسألوه أن يغني صوتا فغني هذا البيت من شعر عمر بن أبي ربيعة المخزومي
(قال ساروا وأمعَنوا واستَقلّوا ... وبرْغمِي لو استَطعتُ سبيلا)
فانتهى منه إلى قوله واستقلوا وانثنى نائما فقال إبراهيم بن المهدي مهدوه ولا تزعجوه فمهدوه ونام حتى مضى أكثر الليل ثم استقل من نومه فانتبه وهو يغني تمام البيت
(... وبَرْغمِي لو اسْتَطعتُ سبيلا)
وهو تمام البيت من حيث قطعه وسكت عليه من صوته

قال فجعل إبراهيم يتعجب منه ويعجب منه من حضره من جودة طبعه وذكائه وصحة فهمه
حدثنا يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال حدثنا حماد بن إسحاق قال قال محمد بن الحسن بن مصعب
قلت لإسحاق يوما أسألك بالله إلا صدقتني في مخارق وإبراهيم بن المهدي أيهما أحذق وأحسن غناء فقال لي إسحاق أجاد أنت والله ما تقاربا قط والدليل على فضل مخارق عليه أن إبراهيم لا يؤدي صوتا قديما ثقيلا جيدا أبدا ولا يستوفيه وإنما يغني الأهزاج والغناء الخفيف وأما الذي فيه عمل شديد فلا يصيبه
أخبرني يحيى قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثني بعض ولد سعيد بن سلم قال
دخل مخارق على سعيد بن سلم فسأله حاجة فلما خرج قيل له أما تعرف هذا هذا مخارق فقال ويحكم دخل ولم نعرفه وخرج ولم نعرفه
ردوه فردوه فقال له دخلت علينا ولم نعرفك فلما عرفناك أحببنا ألا تخرج حتى نسمعك فقال له أي شيء تشتهي أن أسمعك فقال
(يا ريحُ ما تَصنَعِين بالدِّمَنِ ... كم لك من مَحْوِ منْظرٍ حَسَن)
فغناه مخارق فلما خرج قال لبعض بنيه أبوكم هذا نكس يشتهى على مثلي
(... يا ريحُ ما تَصنَعين بالدِّمَنِ)
أخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني عمي محمد قال
سمعت أبي يقول وقد غنى مخارق الفسيله نعم الفسيلة غرس إبليس في الأرض
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد قال سمع محمد بن سعيد القارىء مهدية جارية يعقوب بن الساحر تغني صوتا لمخارق بحضرته وقد كانت أخذته عنه وهو
(ما لقلبي يزداد في اللهو غيَّا ... والليالي قد أنضجَتْني كَيَّا)
(سَهَلت بعدك الحوادثُ حتّى ... لستُ أخشى ولا أُحاذِرُ شيَّا)
(فأحسنت فيه ما شاءت وانصرف محمد بن سعيد وقرأ على لحنه (يا يحيى خذ الكتاب بقوة
حدثني عمي قال حدثنا عبد الله قال حدثني محمد قال
كنت عند مخارق أنا وهارون بن أحمد بن هشام فلعب مع هارون بالنرد فقمره مخارق مائتي رطل باقلا طريا فقال مخارق وأنتم عندي أطعمكم من لحم جزور من الصناعة يعني من صناعة أبيه يحيى بن ناووس الجزار
قال ومر بهارون بن أحمد فصيل ينادي عليه فاشتراه بأربعة دنانير ووجه به إلى مخارق وقال يكون ما تطعمنا من هذا الفصيل فاجتمعنا وطبخ مخارق بيده جزورية وعمل من سنامه وكبده ولحمه غضائر شويت في التنور وعمل من لحمه لونا يشبه الهريسة بشعير مقشر في نهاية الطيب فأكلنا وجلسنا نشرب فإذا نحن بامرأة تصيح من الشط يا أبا المهنا الله الله في حلف زوجي علي بالطلاق أن يسمع غناءك ويشرب عليه فقال اذهبي وجيئي به فجاء فجلس فقال له ما حملك على ما صنعت فقال له يا سيدي كنت سمعت صوتا من صنعتك فطربت عليه حتى استخفني الطرب فحلفت أن أسمعه منك ثقة بإيجابك حق زوجتي وكانت زوجته داية هارون بن مخارق فقال وما هو الصوت فقال
صوت
(بكَرتْ عليّ فهيَّجَتْ وَجْدَا ... هُوجُ الرياحِ وأذْكرتْ نَجْدا)
(أتحِنُّ من شوْقٍ إذا ذُكِرَتْ ... نجدٌ وأنْت تركتَها عَمْدا)
الشعر لحسين بن مطير والغناء لمخارق ثقيل أول وفيه لإسحاق ثقيل أول آخر فغناه إياه وسقاه رطلا وأمره بالانصراف ونهاه أن يعاود وخرج فما لبثنا أن عادت المرأة تصرخ الله الله في يا أبا المهنا قد أعاد زوجي المشؤوم اليمين أنك تغنيه صوتا آخر فقال لها أحضريه فأحضرته أيضا فقال له ويلك مالي ولك أي شيء قصتك فقال له يا سيدي أنا رجل طروب وكنت قد سمعت صوتا لك آخر فاستفزني الطرب إلى أن حلفت بالطلاق ثلاثا أني أسمعه منك قال وما هو قال لحنك
(أبلغ سَلامةَ أنَّ البَينَ قد أفِدا ... وأنَّ صَحْبَك عنها رائحُون غَدَا)
(هذا الفِراقُ يَقيناً إن صَبرتَ لهُ ... أوْ لا فإنّك منها ميِّتٌ كَمَدا)
(لا شَكَّ أنَّ الذي بي سَوْف يُهلِكُني ... إن كانَ أهلكَ حُبٌّ قبله أحدَا)
فغناه إياه مخارق وسقاه رطلا وقال له احذر ويلك أن تعاود فانصرف ولم تلبث أن عاودت الصياح تصرخ يا سيدي قد عاود اليمين ثلاثة الله الله في وفي أولادي قال هاتيه فأحضرته فقال لها انصرفي أنت فإن هذا كلما انصرف حلف وعاد فدعيه يقيم يومه كله فتركته وانصرفت فقال له مخارق ما قصتك أيضا قال قد عرفتك يا سيدي أنني رجل طروب وكنت سمعت صوتا من صنعتك فاستخفني الطرب له فحلفت أني أسمعه منك قال وما هو قال
(ألِفَ الظَّبْيُ بِعادِي ... ونَفَى الهمُّ رُقادِي)
((وعَدَا الهجْرُ على الوصْلِ ... بأسيافٍ حِدادِ
(قل لِمَنْ زيَّف وُدِّي ... لستَ أهلاً لِودادي)
قال فغناه إياه وسقاه رطلا ثم قال يا غلام مقارع فجيء بها فأمر به فبطح وأمر بضربه فضرب خمسين مقرعة وهو يستغيث فلا يكلمه ثم قال له احلف بالطلاق أنك لا تذكرني أبدا وإلا كان هذا دأبك إلى الليل فحلف الطلاق ثلاثا على ما أمره به ثم أقيم فأخرج عن الدار فجعلنا نضحك بقية يومنا من حمقه
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا أحمد بن محمد قال حدثني إسحاق بن عمر بن بزيع قال
أتيت مخارقا ذات يوم ومعي زرزور الكبير لنقيم عنده فوجدته قد أخرج رأسه من جناح له وهو مشرف على المقابر يغني هذا البيت ويبكي
(... أينَ الملوكُ التي كانت مُسَلَّطةً)
قال فاستحسنا ما سمعناه منه استحسان من لم يسمع قط غناء غيره فقال لنا انصرفوا فليس في فضل اليوم بعد ما رأيتم قال محمد وكان والله مخارق ممن لو تنفس لأطرب من يسمعه استماع نفسه
الظباء تصغي لغناء مخارق
وذكر محمد بن الحسن الكاتب أن محمد بن أحمد بن يحيى المكي حدثه عن أبيه قال
خرج مخارق مع بعض إخوانه إلى بعض المتنزهات فنظر إلى قوس مذهبه مع أحد من خرج معه فسأله إياها فكأن المسؤول ضن بها قال وسنحت ظباء بالقرب منه فقال لصاحب القوس أرأيت إن تغنيت صوتا فعطفت عليك به خدود هذه

الظباء أتدفع إلي هذه القوس قال نعم فاندفع يغني
صوت
(ماذا تقُول الظِّباءُ ... أفُرْقةٌ أمْ لِقاء)
(أمْ عهْدُها بسُلَيْمَى ... وفي البيان شِفاءُ)
(مرَّتْ بنا سانحاتٍ ... وقد دَنا الإمساءُ)
(فما أحارَتْ جواباً ... وطال فيها العَناء)
في هذه الأبيات ليحيى المكي ثقيل أول بالوسطى
قال فعطفت الظباء راجعة إليه حتى وقفت بالقرب منه مستشرفة تنظر إليه مصغية تسمع صوته فعجب من حضر من رجوعها ووقوفها وناوله الرجل القوس فأخذها وقطع الغناء فعاودت الظباء نفارها ومضت راجعة على سننها
قال ابن المكي وحدثني رجل من أهل البصرة كان يألف مخارقا ويصحبه قال
كنت معه مرة في طيار ليلا وهو سكران فلما توسط دجلة اندفع بأعلى صوته فغنى فما بقي أحد في الطيار من ملاح ولا غلام ولا خادم إلا بكى من رقة صوته ورأيت الشمع والسرج من جانبي دجلة في صحون القصور والدور يتساعون بين يدي أهلها يستمعون غناءه
حدثني الصولي قال حدثني محمد بن عبد الله التميمي الحزنبل قال
كنا في مجلس ابن الأعرابي إذ أقبل رجل من ولد سعيد بن سلم كان يلزم ابن الأعرابي وكان يحبه ويأنس به فقال له ما أخرك عني فاعتذر
بأشياء منها أنه قال كنت مع مخارق عند بعض بني الرشيد فوهب له مائة ألف درهم على صوت غناه إياه فاستكثر ابن الأعرابي ذلك واستهوله وعجب منه وقال له بأي شيء غناه قال غناه بشعر العباس بن الأحنف
صوت
(بكتْ عَيْنِي لأنواعٍ ... من الحُزْن وأوْجاعِ)
(وإنِي كلَّ يوم عندكم ... يَحْظى بيَ السَّاعِي)
فقال ابن الأعرابي أما الغناء فما أدري ما هو ولكن هذا والله كلام قريب مليح
لحن مخارق في هذين البيتين ثقيل أول من جامع صنعته وفيهما لإبراهيم الموصلي ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة وذكر حبش أن فيهما لإبراهيم بن المهدي لحنا ماخوريا
أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال
غنت شارية يوما بحضرة أبي صوتا فأحد النظر إليها وصبر حتى قطعت نفسها ثم قال لها أمسكي فأمسكت فقال لها قد عرفت إلي أي شيء ذهبت أردت أن تتشبهي بمخارق في تزايده قالت نعم يا سيدي قال
إياك ثم إياك أن تعودي فإن مخارقا خلقه الله وحده في طبعه وصوته ونفسه يتصرف في ذلك أجمع كيف أحب ولا يلحقه في ذلك أحد وقد أراد غيرك أن يتشبه به في هذه الحال فهلك وافتضح ولم يلحقه فلا أسمعنك تتعرضين لمثل هذا بعد وقتك هذا
غلمان المعتصم يتركونه لدى سماعهم غناء مخارق
أخبرني عمي قال حدثني علي بن محمد بن نصر البسامي قال حدثني خالي أبو عبد الله عن أبيه قال
كنا بين يدي المعتصم ذات ليلة نشرب إلى أن سكرنا جميعا فقام فنام وتوسدنا أيدينا ونمنا في مواضعنا ثم انتبه فصاح فلم يجبه أحد وسمعنا صياحه فتبادرنا نسأل عن الغلمان فإذا مخارق قد انتبه قبلنا فخرج إلى الشط يتنسم الهواء واندفع يغني فتلاحق به الغلمان جميعا فجئت إلى المعتصم فأخبرته وقلت مخارق على الشط يغني والغلمان قد اجتمعوا عليه فليس فيهم فضل لشيء غير استماعه فقال لي يا بن حمدون عذر والله وأي عذر ثم جلس وجلسنا بين يديه إلى السحر
وذكر محمد بن الحسن الكاتب أن أبان بن سعيد حدثه
أن المأمون سأل إسحاق عن إبراهيم بن المهدي ومخارق فقال يا أمير المؤمنين إذا تغنى إبراهيم بعلمه فضل مخارقا وإذا تغنى مخارق بطبعه وفضل صوته فضل إبراهيم فقال له صدقت
مخارق ومحمد الأمين
نسخت من كتاب هارون بن الزيات
حدثني هارون بن مخارق عن أبيه قال دعاني محمد الأمين يوما وقد اصطبح فاقترح علي
((استقبلَتْ وَرَقَ الرّيحانِ تَقْطِفُهُ ... وَعنْبَرَ الهِنْد والوِرْدِيَّة الجُدُدا
(ألستَ تَعرفني في الْحَيّ جاريةً ... وَلَمْ أَخُنْكَ ولم ترْفع إلي يدا)
فغنيته إياه فطرب طربا شديدا وشرب عليه ثلاثة أرطال ولاء وأمر لي بألف دينار وخلع علي جبة وشي كانت عليه مذهبة ودراعة مثلها وعمامة مثلها تكاد تعشي البصر من كثرة الذهب فلما لبست ذلك ورآه علي ندم وكان كثيرا ما يفعل ذلك فقال لبعض الخدم قل للطباخ يأتينا بمصلية معقودة الساعة فأتى بها فقال لي كل معي وكنت أعرف الناس بمذهبه وبكراهته لذلك فامتنعت فحلف أن آكل معه فحين أدخلت يدي في الغضارة رفع يده ثم قال أف نغصتها علي والله وقذرتها عندي بإدخالك يدك فيها ثم رفس القصعة رفسة فإذا هي في حجري وودكها يسيل على الخلعة حتى نفذ إلى جلدي فقمت مبادرا فنزعتها وبعثت بها إلى منزلي وغيرت ثيابي وعدت وأنا مغموم منها وهو يضحك فلما رجعت إلى منزلي جمعت كل صانع حاذق فجهدوا في إخراج ذلك الأثر منها فلم يخرج ولم أنتفع بها حتى أحرقتها فأخذت ذهبها وضرب الدهر بعد ذلك ضرباته
مخارق والمأمون
ثم دعاني المأمون يوما فدخلت إليه وهو جالس وبين يديه مائدة عليها رغيفان ودجاجتان فقال لي تعال فكل فامتنعت فقال لي تعال ويلك فساعدني فجلست فأكلت معه حتى استوفى ووضع النبيذ ودعا علوية
فجلس وقال لي يا مخارق أتغني
(أقولُ التِماسَ العذْرِ لمَّا ظلمْتِنِي ... وحَمَّلتِني ذَنباً وما كنتُ مُذْنِبا)
فقلت نعم يا سيدي قال غنه فغنيته فعبس في وجهي ثم قال

قبحك الله أهكذا يغني هذا ثم أقبل علي علوية فقال أتغنيه قال نعم يا سيدي قال غنه فغناه فوالله ما قاربني فيه فقال أحسنت والله وشرب رطلا وأمر له بعشرة آلاف درهم واستعاده ثلاثا وشرب عليه ثلاثة أرطال يعطيه مع كل عشرة آلاف درهم ثم خذف بإصبعه وقال برق يمان وكان إذا أراد قطع الشرب فعل ذلك وقمنا فعلمت من أين أتيت
فلما كان بعد أيام دعاني فدخلت إليه وهو جالس في ذلك الموضع بعينه يأكل هناك فقال لي تعال ويلك فساعدني فقلت الطلاق لي لازم إن فعلت فضحك ثم قال ويلك أتراني بخيلا على الطعام لا والله ولكنني أردت أن أؤدبك إن السادة لا ينبغي لعبيدها أن تؤاكلها أفهمت فقلت نعم قال فتعال الآن فكل على الأمان فقلت أكون إذا أول من أضاع تأديبك إياه واستحق العقوبة من قريب فضحك حتى استغرب ثم أمر لي بألف دينار ومضيت إلى حجرتي المرسومة لي للخدمة وأتيت هناك بطعام فأكلت ووضع النبيذ ودعاني وبعلوية فلما جلسنا قال له يا علي أتغني
(ألم تَقُولي نَعَمْ قالت أرَى وَهَماً ... منّي وهل يُؤْخذ الإنسانُ بالوَهَمِ)
فقال نعم يا سيدي فقال هاته فغناه فعبس في وجه وبسر وقال قبحك الله أتغني هذا هكذا ثم أقبل علي فقال أتغنيه يا مخارق فقلت نعم يا سيدي وعلمت أنه أراد أن يستقيد لي من علويه ويرفع مني وإلا فما أتى علويه بما يعاب فيه فغنيته فطرب وشرب رطلا وأمر لي بعشرة آلاف درهم وفعل ذلك ثلاث مرات كما فعل به
ثم أمر بالانصراف فانصرفنا وما عاودت بعد ذلك مؤاكلة خليفة إلى وقتنا هذا
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء
صوت
(استقبلتْ وَرَقَ الرّيحان تقطُفهُ ... وعَنْبَر الهِنْد والوردِيَّة الجدُدا)
(ألستَ تعرفِني في الْحي جاريةً ... ولم أخنك ولم تَمْدُد إليَّ يَدا)
الشعر فيما يقال لعمر بن أبي ربيعة والغناء للغريض خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وأصله يماني وفيه لابن جامع هزج
صوت
(أقولُ التِماسَ العُذْر لمَّا ظلمْتِنِي ... وحَمَّلتِني ذَنباً وما كنتُ مُذْنِبا)
(هبيني امرأً إمَّا بريئاً ظلمتِه ... وإمَّا مُسيئاً قد أناب وأعتبا)
الشعر للأحوص والغناء لمالك خفيف رمل بالوسطى عن عمرو
صوت
(ألم تَقُولي نَعَمْ قالت أرَى وهَماً ... منّي وهل يُؤْخَذ الإنسان بالوَهَمِ)
(قُولِي نَعمْ إنّ لا - إن قُلت - قاتلتي ... ماذا تُريدين من قَتْلي بغير دمِ)
الغناء لسياط خفيف رمل بالبنصر عن عمرو ولم يقع إلي لمن الشعر
قال هارون وحدثني أبو معاوية الباهلي قال
حضرت علويه ومخارقا مجتمعين في مجلس فغنى علويه صوتا فأحسن فيه وأجاده فأعاده مخارق وبرز عليه وزاد فرده علوية وتعمل فيه واجتهد فزاد على مخارق فجثا مخارق على ركبتيه وغناه وصاح فيه حتى اهتز منكباه فما ظننا إلا أن الأرض قد زلزلت بنا وغلب والله ما سمعنا على عقولنا ونظرت إلى لون علويه وقد امتقع وطار دمه فلما فرغ مخارق توقعنا أن يغني علويه فما فعل ولا غنى بقية يومه قال وكان مخارق إذا صاح قطع أصحاب النايات
أخبرني وسواسة بن الموصلي وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدثنا حماد بن إسحاق قال
قال لي مخارق دعاني يوما محمد المخلوع فدخلت عليه وعنده إبراهيم بن المهدي فقال غنني يا مخارق فغنيته أصواتا عديدة فلم يطرب لها وقال هذا كله معاد فغنني
(... لقد أزمعت للبين هندٌ زيالها)
فقلت والله ما أحسنه فقال غنني
(... لا والذي نُحِرتْ له البُدْنُ)
فقلت لا والله ما أحسنه فقال غنني
(... يا دارَ سُعْدَى سقى أطلالَكِ الدِّيَما)
فقلت لا والله لا أحسنه فغضب وقال ويلك أسألك عن ثلاثة أصوات فلا تحسن منها واحدا فقال له إبراهيم بن المهدي ما ذنبه إسحاق أستاذه وعليه يعتمد وهو يضايقه في صوت يعلمه إياه فقلت قد والله صدق ما يعطيني شيئا ولا يعلمنيه قال فما دواؤه فقد والله أعياني فقال له إبراهيم توكل به من يصب على رأسه العذاب حتى يعلمه مائة صوت قال أما هذا فبعيد ولكن اذهب إليه عني فمره أن يعلمك هذه الثلاثة الأصوات فإن فعل وإلا فصب السوط على رأسه حتى يعلمك فدخلت إلى إسحاق فجلست بغير أمره وسلمت سلاما منكرا ثم أقبلت عليه فقلت يأمرك أمير المؤمنين أن تعلمني كذا وكذا قال ما أحسنه
فقلت إني أنفذ فيك ما أمرني به فقال تنفذ في ما أمرت به ألا تستحي ويحك مني ومن تربيتي إياك قلت فلا بد من أن تعلمني ما أمرك به أمير المؤمنين قال فإني لست أحسنه ولكن فلانة تحسنه هاتوها فجاءت وجعلت تطارحني حتى أخذت الأصوات الثلاثة وجعل كل من جاء يومئذ لا يحجبه ليروني وجاريته تطارحني
فلما أخذت الأصوات رجعت إلى محمد وأخبرته الخبر وحضر إسحاق فغنيته إياها فطرب وجعل إبراهيم بن المهدي يقول أحسن والله أحسن والله فلما فرغت قال إسحاق لا والله ما أحسن ولا أصاب هو ولا إبراهيم في استحسانه ولقد جهدت الجارية جهدها أن يأخذه عنها فلم يتوجه له ثم اندفع فغناها فكأني والله كنت ألعب عندما سمعت
ثم أقبل على إبراهيم بن المهدي فقال له كم أقول لك ليس هذا من علمك ولا مما تحسنه وأنت تكابر وتدخل نفسك فيما لا تحسنه فقال ألا تراه يا أمير المؤمنين يصيرني مغنيا فقال له إسحاق ولم تجحد ذلك أو أسررت إلي منه شيئا لم تظهره للناس وتعلمهم إياه ومتى صرت تأنف من هذا وأنت تتبجح به فليتك تحسنه والله ما تفرق بين الخطأ والصواب فيه وإن شئت الآن ألقيت عليك ثلاثين مسألة من أي علم شئت فإن أجبت في واحدة منهن وإلا علمت أنك متكلف فقال يا أمير المؤمنين يستقبلني بهذا بين يديك قال وما هذا مما لا أستقبلك به فقال له محمد نعم اختر ما شئت حتى نسألك عنه فقال إنما يفعل هذا الصبيان وانكسر حتى رحمته فقلت لمحمد يا أمير المؤمنين لعلك ترى مع هذا القول أنه لا يحسن بلى والله إنه ليحسن كل شيء وما يقدر أحد أن يقول هذا غيري وإنه ليتقدم كثيرا من الناس في كل شيء

فجعل محمد يضحك وهو يقول تشجه بيد وتدهنه بيد وتجرحه بيد وتأسوه بيد
نسبة هذه الأصوات
صوت
(لقد أزمعتْ لِلبين هندٌ زيالَها ... وزَمُّوا إلى أَرْض العِراقِ جِمالَها)
(فما ظَبيةٌ أدْماءُ واضحةُ القَرَا ... تَنُصُّ إلى بَرْد الظِّلالِ غَزَالَها)
(تَحُتُّ بقرنيها بَرِيرَ أراكةٍ ... وتَعْطو بظِلْفَيْها إذا الغُصْنُ طالَها)
(بأَحْسنَ منها مُقلةً ومُقلّداً ... وجيداً إذا دانَتْ تنوطُ شِكالَها)
الشعر لكثير والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وفيه لابن سريج في الثالث والثاني ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ولإبراهيم ثقيل أول بالوسطى عن عمرو في الثاني ثم في الثالث وفي كتاب حكم لحكم فيه خفيف ثقيل وعن حبش لطويس فيه رمل بالوسطى وذكر أيضا أن لحن معبد ثاني ثقيل
صوت
(يا دارَ سُعدَى سَقَى أطْلالَكِ الدِّيما ... مُسْقِي الرَّوايا وإن هِيَّجتِ لي سَقَما)
((دارٌ خَلَتْ وعفَتْ منها معالِمُها ... إلاّ الثُّمامَ وإلاّ النُّؤْيَ والحُمَمَا)
الغناء لقفا النجار ثقيل أول بالوسطى عن عمرو والهشامي وإبراهيم
صوت
(لا والذي نُحِرتْ له البُدُنُ ... وله بمَكَّةَ قُبِّلَ الرُّكْنُ)
(ما زلتُ يا سَكَنِي أخا أَرَقٍ ... مُتكنِّفاً بي الهمُّ والحزَنُ)
(أخشى عليك وبعضه شَفَقٌ ... أن يَفْتنوك وأنت مُفْتَتنُ)
الغناء لابن سريج رمل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق وذكر الهشامي أنه لسليمان الوادي أوله فيه لحن ونسبه إبراهيم إلى ابن عباد ولم يجنسه
أخبرني عمي حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال
حدثني عبد الوهاب المؤذن قال انحدرنا مع المعتصم من السن ونحن في حراقته وحضر وقت الأذان فأذنت فلما فرغت من الأذان اندفع مخارق بعدي فأذن وهو جاث على ركبتيه فتمنيت والله أن دجلة أهرقت لي فغرقت فيها
مخارق والمعتصم
أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن عبد الله بن حمدون قال حدثني أبي قال
غضب المعتصم على مخارق فأمر به أن يجعل في المؤذنين ويلزمهم ففعل ذلك وأمهل حتى علم أن المعتصم يشرب وأذنت العصر فدخل هو إلى الستر حيث يقف المؤذن للسلام ثم رفع صوته جهده وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته الصلاة يرحمك الله فبكى حتى جرت دموعه وبكى كل من حضره ثم قال أدخلوه إلي ثم أقبل علينا وقال سمعتم هكذا قط هذا الشيطان لا يترك أحدا يغضب عليه فأمر به فأدخل إليه فقبل الأرض بين يديه فدعاه المعتصم إليه وأعطاه يده فقبلها وأمره بإحضار عوده فأحضر فأعاده إلى مرتبته
وجدت في بعض الكتب عن علي بن محمد البسامي عن جده حمدون بن إسماعيل قال
غنى علويه يوما بين يدي إسحاق الموصلي
(هجرتُكِ إشفاقاً عليكِ من الأذى ... وخَوْفَ الأعادِي واتِّقاءَ النَّمائِمِ)
فقال له إسحاق أحسنت يا أبا الحسن أحسنت واستعاده ثلاثا وشرب فقال له علويه يا أستاذ أين أنا الآن من صاحبي يعني مخارقا مع قولك هذا لي فقال لا ترد أن تعرف هذا قال بي والله إلى معرفته أعظم الحاجة فقال إذا غنيتما ملكا اختاره عليك وأعطاه الجائزة دونك فضجر علويه وقال لإسحاق أف من رضاك وغضبك
نسبة هذا الصوت
صوت
(هجرتُكِ إشفاقاً عليكِ من الأذى ... وخَوْفَ الأعادِي واتِّقاءَ النَّمائِمِ)
((وإنّي وذاك الهجْرَ لو تَعلمِينَه ... كسالِيةٍ عن طِفلِها وهي رائمُ)
الشعر لهلال بن عمر الأسدي والغناء لعلويه ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وقال الجاحظ قال أبو يعقوب الخريمي ما رأيت كثلاثة رجال كانوا يأكلون الناس أكلا حتى إذا رأوا ثلاثة رجال ذابوا كما يذوب الرصاص على النار كان هشام بن الكلبي علامة نسابة وراوية للمثالب عيابة فإذا رأى الهيثم بن عدي ذاب كما يذوب الرصاص وكان علي بن الهيثم جونقا مفقعا نيا صاحب تقعر يستولي على كل كلام لا يحفل بخطيب ولا شاعر فإذا رأى موسى الضبي ذاب كما يذوب الرصاص وكان علويه واحد الناس في الغناء رواية وحكاية ودراية وصنعة وجودة ضرب وأضراب وحسن خلق فإذا رأى مخارقا ذاب كما يذوب الرصاص على النار
أخبرني علي بن عبد العزيز الكاتب عن ابن خرداذبة قال
هوي مخارق جارية لأم جعفر فحج في السنة التي حجت فيها أم جعفر بسبب الجارية فقال أحمد بن هشام فيه
(يحجُّ النَّاسُ من بِرٍّ وتَقْوى ... وحجُّ أبي المُهنَّا للتَّصابي)
قال وكان المعتصم قد وهب دار مخارق لما قدم بغداد ليونازة خليفة الأفشين فقال عيسى بن زينب في ذلك
(يا دارُ غيَّر رسمَها يُونَازهْ ... وبَقِي مُخارق قاعداً في فازهْ)
(لا تَجْزعن أبا المُهنَّا إنَّها ... دُنيا تُنالُ بِذلّة وعَزازهْ)
أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة وحدثني محمد بن يحيى الصولي قال وجدت بخط عبد الله بن الحسين حدثني الحسن بن إبراهيم بن رياح قالا
كان مخارق يهوى جارية لأم جعفر يقال لها بهار ويستر ذلك عن أم جعفر حتى بلغها ذلك فأقصته ومنعته من المرور ببابها وكان بها كلفا قال الصولي في خبره فلما علم أن الخبر قد بلغ أم جعفر قطعها وتجافاها إجلالا لأم جعفر وطمعا في السلو عنها وضاق ذرعه بذلك فبينا هو ذات ليلة في زلال وقد انصرف من دار المأمون وأم جعفر تشرب على دجلة إذ حاذى دارها فرأى الشمع يزهر فيها فلا صار بمسمع منها ومرأى اندفع فغنى
صوت

(إن تمنَعوني مَمرِّي قُربَ دارِهمُ ... فسوف أنظُرُ من بُعْدٍ إلى الدَّار)
(سِيما الهوى شُهِرتْ حتى عُرِفْتُ بها ... أنِّي مُحِبٌّ وما بالحِبِّ من عار)
(ما ضَرّ جِيرانَكم - واللّه يُصلِحهم ... لولا شَقائي - إقبالي وإدْباري)
(لا يَقْدِرونَ على منعِي ولو جَهَدُوا ... إذا مررتُ وتَسليمي بإضْماري)
الشعر للعباس بن الأحنف والغناء لمخارق رمل بالوسطى
فقالت أم جعفر مخارق والله رده فصاحوا بملاحه قدم فقدم وأمره الخدم بالصعود فصعد وأمرت له أم جعفر بكرسي وصينية فيها نبيذ فشرب وخلعت عليه وأمرت الجواري فغنين ثم ضربن عليه فغنى فكان أول ما غنى
صوت
(أغِيبُ عنكِ بوُدٍّ ما يُغيِّرُه ... نأْيُ المَحلِّ ولا صَرفٌ من الزَمنِ)
(فإن أعِشْ فلعلَّ الدَّهرَ يجمعُنا ... وإن أمُتْ فقَتِيل الهمِّ والحزَنِ
(قد حَسَّنَ اللّه في عَيْنيَّ ما صنعَتْ ... حتّى أرى حسَناً ما ليس بالحَسَنِ)
الشعر للعباس بن الأحنف والغناء لمخارق رمل
قال فاندفعت بهار فغنت كأنها تباينه وإنما أجابته عن معنى ما عرض لها به
(تعتلُّ بالشُّغل عنا ما تُلِمُّ بنا ... والشُّغْلُ للقلب ليس الشُّغل للبَدَنِ)
ففطنت أم جعفر أنها خاطبته بما في نفسها فضحكت وقالت ما سمعنا بأملح مما صنعتما وقال إسماعيل بن يونس في خبره ووهبتها له
وقال هارون بن الزيات
حدثني هارون بن مخارق عن أبيه أن المأمون سأله لما قدم مكة عن أحدث صوت صنعه فغناه
صوت
(أقبلَتْ تحصِب الجِمارَ وأقْبَلْتُ ... لِرَمْي الجمارِ من عرَفاتِ)
(لَيتَنِي كُنتُ في الجِمار أنا المحصُوب ... من كَفِّ زينَبٍ حَصَياتِ)
الشعر للنميري والغناء لمخارق خفيف رمل بالبنصر قال فضحك ثم قال لعمري إن هذا لأحدث ما صنعت ولقد قنعت بيسير وما أظن بهار كانت تبخل عليك بأن تحصبك بحصاة كما تحصب الجمار واستعاده الصوت مرات
أخبرني جعفر بن قدامة قال
حدثني هارون بن مخارق قال حدثني أبي قال كنا عند المأمون يوما فجاءه الخادم الحرمي فأسر إليه شيئا فوثب فدخل معه ثم أبطأ علينا ساعة
وعاود وعينه تذرف فقال لنا دخلت الساعة إلى جارية لي كنت أتحظاها فوجدتها في الموت فسلمت عليها فلم تستطع رد السلام إلا إيماء بإصبعها فقلت هذين البيتين
(سلامٌ على مَن لم يُطِق عند بَيْنِه ... سلاماً فأوْمَى بالبَنان المخضَّبِ)
(فما اسطَعْتُ توديعاً له يسوَى البُكا ... وذلك جهْد المُستهامِ المُعذَّبِ)
ثم قال غن فيها يا مخارق ففعلت فما استعادني ذلك الغناء قط إلا بكى
أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي إجازة قال حدثني أحمد بن أبي العلاء قال حدثني أبي قال
حج رجل مع مخارق فلما قضيا الحج وعادا قال له الرجل في بعض طريقه بحقي عليك غنني صوتا فغناه
(رَحلنا فشرَّقْنا وراحوا فغَرَّبوا ... ففاضَتْ لرَوْعاتِ الفراقِ عُيونُ)
فرفع الرجل يده إلى السماء وقال اللهم إني أشهدك أني قد وهبت حجتي له
وتوفي مخارق في أول خلافة المتوكل وقيل بل في آخر خلافة الواثق وذكر ابن خرداذبة أن سبب وفاته أنه أكل قنبيطية باردة فقتلته من فوره
صوت
(إذا مِتّ فادفِنّي إلى جنبِ كَرْمَة ... تُرَوِّي مُشاشِي بعد موتي عُرُوقُها)
(ولا تَدْفِنَنِّي بالفلاةِ فإنّني ... أخافُ إذا ما مِتُّ ألاَّ أذوقَها)
عروضه من الطويل ويروى
(... إذا رحت مدفوناً فلستُ أذوقها)
الشعر لأبي محجن الثقفي والغناء لإبراهيم الموصلي ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وفيه لحنين لحن ذكره إبراهيم ولم يجنسه
إلى هنا انتهى الجزء الثامن عشر من كتاب الأغاني ويليه الجزء التاسع عشر وأوله ذكر أبي محجن ونسبه
بسم الله الرحمن الرحيم
ذكر أبي محجن ونسبه
أبو محجن عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن عنزة بن عوف قسي وهو ثقيف وقد مضى نسبه في عدة مواضع
وأبو محجن من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام وهو شاعر فارس شجاع معدود في أولي البأس والنجدة وكان من المعاقرين للخمر المحدودين في شربها
عمر ينفيه إلى جزيرة حضوضى
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن الحسن الأحول عن ابن الأعرابي عن المفضل قال
لما كثر شرب أبي محجن الخمر وأقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عليه الحد مراراً وهو لا ينتهي نفاه إلى جزيرة في البحر يقال لها
حضوضى وبعث معه حرسيّا يقال له ابن جهراء فهرب منه على ساحل البحر ولحق بسعد بن أبي وقاص وقال في ذلك يذكر هربه من ابن جهراء
(الحَمْدُ للّهِ نَجّاني وخَلَّصَني ... من ابن جَهْراءَ والبُوصِيُّ قد حُبِسَا)
(من يَجشَمِ البَحْرَ والبُوصِيُّ مَرْكَبُه ... إلى حَضَوْضَى فبئْس المَرْكَبُ الَتمسا)

(أبلِغْ لَدَيْك أبا حَفْص مُغَلْغَلةً ... عبدَ الإله إذا ما غارَ أو جَلَسَا)
(أنّي أكُرُّ على الأُولى إذا فَزِعوا ... يوماً وأحبِس تحت الرّايةِ الفَرَسَا)
(أغشَى الهياجَ وتَغْشاني مُضاعَفةٌ ... من الحَديد إذا ما بعضهم خَنَسَا)
هذه رواية ابن الأعرابي عن المفضل قال ابن الأعرابي وحدثني ابن دأب بسببِ نفي عمر إياه فذكر أن أبا محجن هوي امرأة من الأنصار يقال لها شموس فحاول النظر إليها بكل حيلة فلم يقدر عليها فآجر نفسه من عامل يعمل في حائط إلى جانب منزلها فأشرف من كوة في البستان فرآها فأنشأ يقول
(ولقد نظرتُ إلى الشَّموسِ ودُونها ... حَرَجٌ من الرّحمن غيرُ قليل)
(قد كنتُ أحْسَبُني كأغْنَى واحدٍ ... وَرَدَ المدينةَ عن زراعة فُولِ)
فاستعدى زوجها عليه عمر بن الخطاب فنفاه إلى حضوضى وبعث معه رجلاً يقال له ابن جهراء قد كان أبو بكر رضي الله عنه يستعين به قال له عمر لا تدع أبا محجن يخرج معه سيفاً فعمد أبو محجن إلى سيفه فجعل نصله في غرارة وجعل جفنه في غرارة أخرى فيهما دقيق له
فلما انتهى به إلى الساحل وقرب البوصي اشترى أبو محجن شاةً وقال لابن جهراء هلم نتغدّ ووثب إلى الغِرارة كأنه يخرج منها دقيقاً فأخذ السيف فلما رآه ابن جهراء والسيف في يده خرج يعدو حتى ركب بعيره راجعاً إلى عمر فأخبره الخبر
أبو محجن يقاتل يوم أرماث
وأقبل أبو محجن إلى سعد بن أبي وقاص وهو يقاتل العجم يوم القادسية وبلغ عمر خبرُه فكتب إلى سعد بحبسه فحبسه فلما كان يوم أرماث والتحم القتال سأل ابو محجن امرأة سعد أن تعطيه فرس سعد وتحل قيده ليقاتل المشركين فإن استشهد فلا تبعه عليه وإن سلم عاد حتى يضع رجله في القيد فأعطته الفرس وخلت سبيله وعاهدها على الوفاء فقاتل فأبلى بلاء حسناً إلى الليل ثم عاد إلى حبسه
حدثني بهذا الحديث عمي الخراز عن المدائني عن إبراهيم بن حكيم عن عاصم بن عروة
أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه غرب رجلاً من ثقيف وهو أبو محجن وكان يدمن الخمر وأمر ابن جهراء النصريّ ورجلاً آخر أن يحملاه في البحر وذكر الخبر مثل الذي قبله وزاد فيه وقال أبو محجن أيضاً
صوت
(صاحِبَا سَوْءٍ صَحِبتُهما ... صاحَباني يوم أرْتحِلُ)
(ويقولان ارتحِل معنا ... فأُنادِي إنّني ثَمِلُ)
(إنّني باكرتُ مترعةً ... مُزّةً راووقها خَضِلُ)
الغناء في البيتين الأخيرين لنشو خفيف رمل وأوله
(... ويقولان اصْطبح معَنا)
قال الأصبهاني وهذه القصة كانت لأبي محجن في يوم من أيام حرب القادسية يقال له يوم أرماث وكانت أيامها المشهورة يوم أغواث ويوم أرماث
ويوم الكتائب وخبرها يطول جداً وليس في كلها كان لأبي محجن خبر وإنما ذكرنا هاهنا خبره فذكرنا منها ما كان اتصاله بخبر أبي محجن
حدثنا بذلك محمد بن جرير الطبري قال كتب إلي السري بن يحي يذكر عن شعيب عن سيف عن محمد بن طلحة وزياد وابن مخراق عن رجل من طيء قال
لما كان يوم الكتائب اقتتل المسلمون والفرس منذ أصبحوا إلى أن انتصف النهار فلما غابت الشمس تزاحف الناس فاقتتلوا حتى انتصف الليل وهذه الليلة كان في صبيحتها يوم أرماث وقد كان المسلمون يوم أغواث أشرفوا على الظفر وقتلوا عامة أعلام الفرس وجالت خيلهم في القلب فلولا أن رجلهم ثبتوا حتى كرت الخيل لكان رئيسهم قد أخذ لأنه كان ينزل عن فرسه ويجلس على سريره ويأمر الناس بالقتال قالوا فلما انتصف الليل تحاجز الناس وبات المسلمون ينتمون منذ لدن أمسوا
وسمع ذلك سعد فاستلقى لينام وقال لبعض من عنده إن تم الناس على الانتماء فلا توقظني فإنهم أقوياء على عدوهم وإن سكتوا وسكت العدو فلا تنبهني فإنهم على السواء وإن سمعت العدو ينتمون وهؤلاء سكوت فأنبهني فإن إنتماء العدو من السوء
قالوا ولما اشتد القتال في تلك الليلة وكان أبو محجن قد حبسه سعد بكتاب عمر وقيده فهو في القصر صعد أبو محجن إلى سعد يستعفيه
ويستقيله فزبره ورده فنزل فأتى سلمى بنت أبي حفصة فقال يا بنت آل أبي حفصة هل لك إلى خير قالت وما ذاك قال تخلين عني وتعيرينني البلقاء فلله علي إن سلمني الله أرجع إلى حضرتك حتى تضعي رجلي في قيدي فقالت وما أنا وذاك فرجع يوسف في قيوده ويقول
(كَفَى حزَناً أن تَرْدِيَ الخَيْلُ بالقَنا ... وأُترَكَ مَشْدُوداً عليَّ وِثاقِيَا)
(إذا قُمتُ عَنَّاني الحديدُ وغُلِّقت ... مصاريعُ من دوني تُصِمُّ المُنادِيا)
(وقد كُنتُ ذا مالٍ كَثيرٍ وإخوةٍ ... فقد تركوني واحداً لا أخَالِيا)
(وقد شَفَّ جِسْمِي أنّني كلَّ شَارِقٍ ... أُعالِج كَبْلاً مُصْمَتاً قد بَرانِيَا)
(فلِلّه دَرِّي يومَ أُترَكُ مُوثَقا ... وتَذهَلُ عنّي أُسْرَتي ورِجالِيا)
(حَبِيساً عن الحَرْبِ العَوانِ وقد بدت ... وإعمالُ غَيْري يوم ذَاكَ العَوَالِيَا)
(ولِلّهِ عَهْدٌ لا أخِيسُ بعَهْده ... لئن فُرِجَت ألاّ أزُورَ الحوانِيَا)
فقالت له سلمى إني استخرت الله ورضيت بعهدك فأطلقته وقالت
أما الفرس فلا أعيرها ورجعت إلى بيتها فاقتداها أبو محجن وأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق فركبها ثم دب عليها حتى إذا كان بحيال الميمنة وأضاء النهار وتصاف الناس كبر ثم حمل على ميسرة القوم فلعب برمحه وسلاحه بين الصفين ثم رجع من خلف المسلمين إلى القلب فبدر أمام الناس فحمل على القوم فلعب بين الصفين برمحه وسلاحه وكان يقصف الناس ليلتئذ قصفاً منكراً فعجب الناس منه وهم لا يعرفونه ولم يروه بالأمس فقال بعض القوم هذا من أوائل

أصحاب هشام بن عتبة أو هشام بنفسه وقال قوم إن كان الخضر يشهد الحروب فهو صاحب البلقاء وقال آخرون لولا أن الملائكة لا تباشر القتال ظاهراً لقلنا هذا ملاك بيننا وجعل سعد يقول وهو مشرف ينظر إليه الطعن طعن أبي محجن والضبر ضبر البلقاء ولولا محبس أبي محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء فلم يزل يقاتل حتى انتصف الليل فتحاجز أهل العسكرين وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر ووضع عن نفسه ودابته وأعاد رجليه في القيد وأنشأ يقول

(لقد عَلِمتْ ثقيفٌ غيرَ فخر ... بأنّا نحن أكرمُهم سيوفَا)
(وأكثرُهم دُروعاً سابِغاتٍ ... وأصبرُهم إذا كرِهوا الوُقوفَا)
(وأنّا رِفْدُهم في كلِّ يوم ... فإن جحدوا فَسلْ بهمُ عَرِيفَا)
(ولَيْلَةَ قادسٍ لم يَشْعُروا بي ... ولم أُكْرِهْ بمخرجيَ الزُّحوفَا)
(فإن أُحبَسْ فقد عَرفوا بَلائِي ... وإن أُطلَقْ أُجرِّعْهم حُتوفَا)

فقالت له سلمى يا أبا محجن في أي شيء حبسك هذا الرجل فقال

أما والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته ولكني كنت صاحب شراب في الجاهلية وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لساني فينفثه أحياناً فحبسني لأني قلت

(إذا مِتُّ فادفنِّي إلى أصل كَرْمةٍ ... تُروِّي عِظامِي بعد مَوْتي عُروقُها)
(ولا تَدْفِنَنِّي في الفَلاة فإنني ... أخافُ إذا ما مِتُّ ألاّ أذُوقُها)
(لِيُروَى بخمر الحُصِّ لَحمِي فإنَّني ... أسيرٌ لها من بعد ما قد أسُوقُها)

سعد بن أبي وقاص يفرج عن أبي محجن

قال وكانت سلمى قد رأت في المسلمين جولة وسعد بن أبي وقاص في القصر لعلة كانت به لم يقدر معها على حضور الحرب وكانت قبله عند المثنى بن حارثة الشيباني فلما قتل خلف عليها سعد فلما رأت شدة البأس صاحت وامثنياه ولا مثنى لي اليوم فلطمها سعد فقالت أف لك أجبنا وغيرة وكانت مغاضبة لسعد عشية أرماث وليلة الهدأة وليلة السواد حتى إذا أصبحت أتته وصالحته وأخبرته خبر أبي محجن فدعا به وأطلقه وقال اذهب فلست مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله قال لا جرم والله إني لا أجبت لساني إلى صفة قبيح أبداً

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبّة قال حدثنا محمد بن حاتم قال حدثنا محمد بن حازم قال حدثنا عمرو بن المهاجر عن إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن الحسن بن دينار مولى بني هاشم عن ابن الأعرابي عن المفضل وروايته أتم قالوا

كان أبو محجن الثقفي فيمن خرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب الأعاجم فكان سعد يؤتى به شارباً فيتهدده فيقول له لست تاركها إلا لله عز وجل فأما لقولك فلا قالوا فأتي به يوم القادسية وقد شرب الخمر فأمر به إلى القيد وكانت بسعد جراحه فلم يخرج يومئذ إلى الناس فاستعمل على الخيل خالد بن عرفطة فلما التقى الناس قال أبو محجن

(كفى حَزَناً أن تَرْدِيَ الخيلُ بالقَنَا ... وأُترَكَ مَشْدُوداً عليّ وثاقِيَا)

وذكر الأبيات وسائر خبره مثل ما ذكره محمد بن جرير وزاد فيه فجاءت زبراء امرأة سعد هكذا قال والصحيح أنها سلمى فأخبرت سعداً بخبره فقال سعد أما والله لا أضرب اليوم رجلاً أبلى الله المسلمين على يده ما أبلاهم فخلي سبيله فقال أبو محجن قد كنت أشربها إذ كان الحد يقام علي وأطَّهَّر منها فأما إذ بهرجتني فلا والله لا أشربها أبداً وقال ابن الأعرابي في خبره وقال أبو محجن في ذلك

(إن كانت الخمرُ قد عزَّت وقد مُنِعَتْ ... وحالَ من دونها الإسلامُ والحَرَجُ)
(فقد أُباكِرُها صِرْفاً وأمزُجُها ... رِيّاً وأطرب أحياناً وأمتزج)
(وقد تَقومُ على رأسي مُنَعَمَّةٌ ... خَوْدٌ إذا رَفَعت في صَوْتها غُنُجُ)
(تُرَفِّعُ الصّوتَ أحياناً وتخفِضُه ... كما يَطِنُّ ذُبابُ الرَّوضَةِ الهَزِجُ)

أخبرني الجوهري والمهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال

لما انصرف أبو محجن ليعود إلى محبسه رأته امرأة فظنته منهزماً فأنشأت تعيره بفراره

(مَنْ فارسٌ كَرِه الطِّعان يُعيرني ... رُمْحاً إذا نزلوا بمرج الصُّفَّر)

فقال لها أبو محجن

(إن الكِرامَ على الجِياد مَبِيتُهُم ... فَدَعِي الرِّمَاحَ لأهْلِها وتَعَطَّري)

أبو محجن يرثي أبا عبيد بن مسعود

وذكر السري عن شعيب عن سيف في خبره ووافقته رواية ابن الأعرابي عن المفضل

أن الناس لما التقوا مع العجم يوم قس الناطف كان مع الأعجام فيل يكر عليهم تقوم له الخيل فقال أبو عبيد بن مسعود هل له مقتل فقيل له نعم خرطومه إلا أنه لا يفلت منه من ضربه قال فأنا أهب نفسي لله وكمن له حتى إذا أقبل وثب إليه فضرب خرطومه بالسيف فرمى به ثم شد عليه الفيل فقتله ثم استدار فطحن الأعاجم وانهزموا فقال أبو محجن الثقفي أبا عبيد

(أَنّى تَسَدَّت نَحوَنا أُمُّ يوسُفٍ ... ومِنْ دُونِ مَسْرَاهَا فَيَافٍ مَجَاهِلُ)
(إلى فِتيةٍ بالطَّفِّ نِيلَت سَرَاتُهم ... وغُودِر أفراسٌ لهم ورَواحِلُ)
(وأضْحَى أبو جَبْرٍ خلاءً بيُوتُه ... وقد كان يَغْشاها الضِّعافُ الأرامِلُ)
(وأضْحى بَنو عمرو لدَى الجِسْرِ منهمُ ... إلى جانب الأبيَات جُودٌ ونائِلٌ)
(وما لُمْتُ نفسِي فيهمُ غَيرَ أنّها ... لها أجَلٌ لم يأْتِها وهو عاجِلُ)
(وما رمتُ حتى خرّقُوا بسِلاحهم ... إهابي وجادَت بالدِّماءِ الأباجِلُ)
(وحتى رأيتُ مُهرتي مُزْوَئِرَّةً ... مِنَ النَّبْلِ يَدْمى نَحْرُها والشَّواكِلُ)
(وما رُحْتُ حتى كنتُ آخِرَ رائحٍ ... وصُرِّع حولي الصَّالِحُون الأماثِلُ)
(مَرَرْتُ على الأنصار وَسْطَ رِحالِهم ... فقلتُ ألا هَلْ منكمُ اليوم قافِلُ)
(وقرَّبْتُ رَوَّاحاً وكُوراً ونُمرقاً ... وغُودِر في أُلّيس بكْرٌ ووائِلُ)
(ألا لَعن اللهُ الذين يَسرُّهم ... رَدَايَ وما يَدْرون ما اللهُ فاعِلُ)

قال الأخفش في روايته عن الأحول عن ابن الأعرابي عن المفضل قال أبو محجن في تركه الخمر

(رأيتُ الخَمر صالحةً وفيها ... مناقبُ تُهلِك الرّجل الحَليما)
(فلا واللهِ أشربُها حَيَاتي ... ولا أسقي بها أبداً نَدِيماً)
أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد الكراني قال حدثنا العمري عن لقيط عن الهيثم بن عدي وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قالوا دخل ابن أبي محجن على معاوية فقال له أليس أبوك الذي يقول
(إذا مِتُّ فادفني إلى أصل كَرْمَةٍ ... تُروِّي عِظامي بعد مَوتي عروقُها)
(ولا تَدْفِنَنِّي بالفلاة فإنّني ... أخاف إذا ما متّ ألاّ أذوقُها)
فقال ابن أبي محجن لو شئت لذكرت ما هو أحسن من هذا من شعره قال وما ذاك قال قوله
(لا تَسألِي الناسَ عن مالي وكَثْرَتِه ... وسائلي الناسَ ما فِعْلي وما خُلُقي)
(أُعطِي السِّنانَ غداة الرَّوْعِ حِصته ... وعامِلَ الرُّمح أرويه من العَلق)
(وأطعن الطعنةَ النَّجلاءَ عن عُرُضٍ ... وأحفظُ السرَّ فيه ضَرْبةَ العُنق)
(عَفٌّ المَطالب عمّا لستُ نائلَه ... وإن ظُلِمتُ شديدُ الحِقْد والحَنَقَ)
(وقد أجودُ ومالي بذِي فَنَعٍ ... وقد أكرُّ وراء المُجحَرِ البَرِق)
(والقومُ أعلَم أني من سَراتِهِمُ ... إذا سَما بَصَرُ الرِّعديدة الشَّفِق)
(قد يُعسِر المرءُ حيناً وهو ذو كَرَم ... وقد يَثوب سَوامُ العاجز الحَمِق)
(سيَكثُر المالُ يوماً بعد قِلّته ... ويكتسي العُودُ بعد اليُبس بالوَرَق)
فقال معاوية لئن كنا أسأنا لك القول لنحسنن لك الصفد ثم أجزل جائزته وقال إذا ولدت النساء فلتلد مثلك
عمر بن الخطاب يحدّه في شرب الخمر
أخبرني الحسن بن علي وعيسى بن الحسين الوراق قالا حدثنا ابن مهرويه قال حدثني صالح بن عبد الرحمن الهاشمي عن العمري عن العتبي قال أتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجماعة فيهم أبو محجن الثقفي وقد شربوا الخمر فقال أشربتم الخمر بعد أن حرمها الله ورسوله فقالوا ما حرمها الله ولا رسوله إن الله تعالى يقول
ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات) فقال عمر لأصحابه ما ترون فيهم فاختلفوا فيهم فبعث إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فشاوره فقال علي
إن كانت هذه الآية كما يقولون فينبغي أن يستحلّوا الميتة والدم ولحم الخنزير فسكتوا فقال عمر لعلي ما ترى فيهم قال أرى إن كانوا شربوها مستحلين لها أن يقتلوا وإن كانوا شربوها وهم يؤمنون أنها حرام أن يحدوا فسألهم فقالوا والله ما شككنا في أنها حرام ولكنا قدرنا أن لنا نجاة فيما قلناه فجعل يحدهم رجلاً رجلاً وهم يخرجون حتى انتهى إلى أبي محجن فلما جَلده أنشأ يقول
(ألم تَرَ أنّ الدهرَ يعثُر بالفتى ... ولا يستطيع المَرءُ صرفَ المَقادر)
(صَبرتُ فلم أجزَع ولم أكُ كائعاً ... لحادثِ دَهْرٍ في الحُكومة جائر)
(وإني لذو صَبرٍ وقد مات إخوتي ... ولستُ عن الصهباء يوماً بصابر)
(رَماها أميرُ المؤمنين بحتفِها ... فخُلاّنُها يبكون حول المَعاصر)
فلما سمع عمر قوله
(... ولستُ عن الصَّهْباء يوماً بصابر)
قال قد أبديت ما في نفسك ولأزيدنك عقوبة لإصرارك على شرب الخمر فقال له علي عليه السلام ما ذلك لك وما يجوز أن تعاقب رجلاً قال لأفعلن وهو لم يفعل وقد قال الله في الشعراء (وأنهم يقولون ما لا يفعلون) فقال عمر قد استثنى الله منهم قوماً فقال (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فقال علي عليه السلام أفهؤلاء عندك منهم وقد قال رسول الله لا (يشرب العبد الخمر حين يشربها وهو مؤمن
أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال أخبرني من مر بقبر أبي محجن الثقفي في نواحي أذربيجان أو قال في نواحي جرجان فرأيت قبره وقد نبتت عليه ثلاثة أصول كرم قد طالت وأثمرت وهي معروشة وعلى قبره مكتوب هذا قبر أبي محجن الثقفي فوقفت طويلاً أتعجب مما اتفق له حتى صار كأمنية بلغها حيث يقول
(إذا مِتُّ فادْفِنّي إلى أصلِ كَرْمةٍ ... تُروِّي عِظامي بعد مَوْتي عُروقُها)
(ألا يا لَقومي لا أرى النَّجْمَ طالعاً ... ولا الشّمسَ إلاّ حاجِبي بيَمِينِي)
(مُعزبِّتِي خَلْفَ القفا بعمودِها ... فجُلُّ نكيري أن أقولَ ذَرِيني)
(أمينٌ على أسرارهنّ وقد أُرَى ... أكونُ على الأسرار غيرَ أمين)
(فلَلموتُ خيرٌ من حِداجٍ مُوطَّإٍ ... مع الظُّعْن لا يأتي المحلَّ لحين)
عروضه من الطويل والمعزبة امرأة تكون مع الشيخ الخَرِف تكلؤه وقوله
(. ... . . أمينٌ على أسرارهنّ)
أي أن النساء صرن يتحدثن بين يدي بأسرارهن ويفعلن ما كن قبل ذلك يرهبنني فيه لأني لا أضرهن والحداج والحدج مركب من مراكب النساء
الشعر لزهير بن جناب الكلبي والغناء لأهل مكة ولحنه من خفيف الثقيل الأول بالوسطى عن الهشامي وحبش وفيه لحنين ثاني ثقيل بالوسطى
أخبار زهير بن جناب ونسبه
زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة
شاعر جاهلي وهو أحد المعمرين وكان سيد بني كلب وقائدهم في حروبهم وكان شجاعاً مظفراً ميمون النقيبة في غزواته وهو أحد من مل عمره فشرب الخمر صرفاً حتى قتلته
ولم يوجد شاعر في الجاهلية والإسلام ولد من الشعراء أكثر ممن ولد زهير وسأذكر أسماءهم وشيئاً من شعرهم بعقب ذكر خبره إن شاء الله تعالى

غزوة غطفان
قال ابن الأعرابي كان سبب غزوة زهير بن جناب غطفان أن بني بغيض حين خرجوا من تهامة ساروا بأجمعهم فتعرضت لهم صداء وهي قبيلة من مذحج فقاتلوهم وبنو بغيض سائرون بأهليهم ونسائهم وأموالهم فقاتلوا عن حريمهم فظهروا على صداء فأوجعوا فيهم ونكأوا وعزت بنو بغيض بذلك وأثرت وأصابت غنائم فلما رأوا ذلك قالوا أما والله لنتخذن حرماً مثل حرم مكة لا يقتل صيده ولا يعضد شجره ولا يهاج عائذه فوليت ذلك بنو مرة ابن عوف
ثم كان القائم على أمر الحرم وبناء حائطه رياح بن ظالم ففعلوا ذلك وهم على ماء لهم يقال له بس وبلغ فعلهم وما أجمعوا عليه زهير بن جناب وهو يومئذٍ سيد بني كلب فقال والله لا يكون ذلك أبداً وأنا حي ولا أخلي غطفان تتخذ حرماً أبداً
فنادى في قومه فاجتمعوا إليه فقام فيهم فذكر حال غطفان وما بلغه عنها وأن أكرم مأثرة يعتقدها هو وقومه أن يمنعوهم من ذلك ويحولوا بينهم وبينه فأجابوه واستمد بني القين من جشم فأبوا أن يغزوا معه فسار في قومه حتى غزا غطفان فقاتلهم فظفر بهم زهير وأصاب حاجته فيهم وأخذ فارساً منهم أسيراً في حرمهم الذي بنوه فقال لبعض أصحابه اضرب رقبته فقال إنه بسل فقال زهير وأبيك ما بسل علي بحرام
ثم قام إليه فضرب عنقه وعطل ذلك الحرم ثم من على غطفان ورد النساء واستاق الأموال وقال زهير في ذلك
(ولم تَصْبِر لنا غطفَانُ لَمّا ... تلاقَيْنا وأحرزَت النِّساءُ)
(فَلَوْلا الفضْلُ منّا ما رَجَعتم ... إلى عذراءَ شيمَتُها الحَياءُ)
(وكم غادَرتُم بَطَلاً كَمِيّاً ... لدى الهَيْجَاء كان له غَنَاءُ)
(فدُونكم دُيوناً فاطْلُبُوها ... وأوْتاراً ودُونكم اللِّقاءُ)
(فإنّا حَيْثُ لا نَخْفَى عليكم ... لُيوثٌ حين يحتَضِرُ اللِّوَاءِ)
(فَخَلّي بعدَهَا غطفانُ بُسّاً ... وما غَطَفانُ والأرض الفَضَاءِ)
((فقد أضْحى لِحَيّ بني جَنابٍ ... فَضاءُ الأرضِ والماءُ الرَّواءُ)
(ويصدُق طَعنُنَا في كلّ يوم ... وعِنْدَ الطّعن يُختبَر اللِّقاءُ)
(نَفيْنَا نَخْوَةَ الأعداء عنّا ... بأرْمَاحٍ أسِنّتُها ظِماءُ)
(ولولا صبرُنا يوم التَقَيْنا ... لَقِينَا مِثْل ما لقيتْ صُدَاءُ)
(غداةَ تَعرَّضوا لِبَني بغيضٍ ... وصِدْقُ الطّعنِ للنَّوْكى شِفِاءُ)
(وقد هَرَبَتْ حِذارَ الموتِ قَيْنٌ ... على آثارِ مَنْ ذَهَبَ العَفاءُ)
(وقد كُنّا رَجوْنا أن يُمِدّوا ... فأخْلَفنا من أُخْوتِنا الرَّجاءُ)
(وألْهَى القَينَ عن نَصر الموالي ... حِلابُ النِّيبِ والمرعى الضَّرَاء)
وقال أبو عمرو الشيباني كان أبرهة حين طلع نجداً أتاه زهير بن جناب فأكرمه أبرهة وفضله على من أتاه من العرب ثم أمره على ابني وائل تغلب وبكر فوليهم حتى أصابتهم سنة شديدة فاشتد عليهم ما يطلب منهم زهير فأقام بهم زهير في الجدب ومنعهم من النجعة حتى يؤدّوا ما عليهم فكادت مواشيهم تهلك فلما رأى ذلك ابن زيّابة أحد بني تيم الله بن ثعلبة وكان رجلاً فاتكاً بيت زهيراً وكان نائماً في قبة له من أدم فدخل فألفى
زهيراً نائماً وكان رجلاً عظيم البطن فاعتمد التيمي بالسيف على بطن زهير حتى أخرجه من ظهره مارقاً بين الصفاق وسلمت أعفاج بطنه وظن التيمي أنه قد قتله وعلم زهير أنه قد سلم فتخوف أن يتحرك فيجهز عليه فسكت وانصرف ابن زيابة إلى قومه فقال لهم قد والله قتلت زهيراً وكفيتكموه فسرهم ذلك ولما علم زهير أنه لم يقدم عليه إلا عن ملأ من قومه بكر وتغلب وإنما مع زهير نفر من قومه بمنزلة الشرط أمر زهير قومه فغيبوه بين عمودين في ثياب ثم أتوا القوم فقالوا لهم إنكم قد فعلتم بصاحبنا ما فعلتم فأذنوا لنا في دفنه ففعلوا فحملوا زهيراً ملفوفاً في عمودين والثياب عليه حتى إذا بعدوا عن القوم أخرجوه فلففوه في ثيابه ثم حفروا حفيرة وعمقوا ودفنوا فيها العمودين ثم ساروا ومعهم زهير فلما بلغ زهير أرض قومه جمع لبكر وتغلب الجموع وبلغهم أن زهيرا حي فقال ابن زيابة
(طَعْنَةً ما طَعنتُ في غَبَشِ اللّيل ... زُهَيرا وقد تَوافَى الخُصومُ)
(حين تَجْبِي له المواسِمَ بَكْرٌ ... أينَ بَكْر وأيْنَ منها الحُلومُ)
(خانَنِي السيفُ إذ طَعنتُ زُهَيْراً ... وهو سيفٌ مُضَلّلٌ مَشؤومُ)
زهير يغزو بكراً وتغلب
قال وجمع زهير بني كلب ومن تجمع له من شُذاذ العرب والقبائل ومن أطاعه من أهل اليمن فغزا بكراً وتغلب ابني وائل وهم على ماء يقال له الحبي وقد كانوا نذروا به فقاتلهم قتالاً شديداً ثم انهزمت بكر
وأسلمت بني تغلب فقاتلت شيئاً من قتال ثم انهزمت وأسر كليب ومهلهل ابنا ربيعة واستيقت الأموال وقتلت كلب في تغلب قتلى كثيرة وأسروا جماعة من فرسانهم ووجوههم وقال زهير بن جناب في ذلك
(تَبّاً لِتَغْلِبَ أنْ تُساقَ نِساؤُهم ... سَوْقَ الإماء إلى المواسِمِ عُطَّلا)
(لحِقتْ أوائِلُ خَيلِنا سرَعانَهم ... حتى أسَرْنَ علي الحُبَيِّ مُهَلْهلاً)
(إنَّا مُهَلْهِلُ مَا تَطِيشُ رِماحُنَا ... أيام تَنقُفُ في يديك الحَنْظَلاَ)
(وَلَّت حُماتُك هاربين من الوَغَى ... وبَقِيتَ في حَلَقِ الحديد مُكبَّلاَ)
(فلئِن قُهِرْتَ لقد أسرتُك عَنْوَةً ... ولئن قُتِلْتَ لقد تَكُون مُؤَمَّلاَ)
وقال أيضاً يعير بني تغلب بهذه الوقعة في قصيدة أولها
(حيِّ داراً تَغَيَّرت بالجَنابِ ... أقْفَرَتْ من كواعبٍ أترابِ
يقول فيها
((أيْنَ أيْنَ الفِرارُ من حذَر المَوْتِ ... وإذا يَتَّقُون بالأسلابِ
(إذْ أسِرنَا مُهلْهِلاً وأخاهُ ... وابنَ عَمْرو في القِدِّ وابنَ شِهَابِ)
(وسَبَيْنا من تَغْلِبٍ كلَّ بَيْضاءَ ... رَقُودِ الضُّحى برُود الرُّضابِ)
(يَومَ يدعُو مُهلْهِلٌ يا لَبَكْرِها ... أهَذِي حفيظَةُ الأحسابِ)
(ويْحَكم ويْحكم أُبيح حِماكُم ... يا بني تغْلبٍ أمَا من ضِرابِ)

(وهُمُ هارِبُون في كلِّ فجٍّ ... كشَريدِ النَّعامِ فوقَ الرّوابِي)
(واستدارَت رَحَى المنَايَا عليهم ... بِلُيوثٍ مِن عامِرٍ وجَنابِ)
(طَحَنتهم أرحاؤُها بطَحونٍ ... ذاتِ ظُفرٍ حديدةِ الأنيابِ)
فَهُمُ بَيْن هاربٍ ليس يألُوا ... وَقَتيلٍ مُعفَّرٍ في التُّرابِ)
(فضَلَ العِزُّ عِزَّنا حين نَسْمُوا ... مِثْلَ فَضْلِ السَّماءِ فَوْقَ السَّحابِ)
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا عمي عن ابن الكلبي عن أبيه قال
وفد زهير بن جناب وأخوه حارثة على بعض ملوك غسان فلما دخلا عليه حدثاه وأنشداه فأعجب بهما ونادمهما فقال يوماً لهما إن أمي عليلة شديدة العلة وقد أعياني دواؤها فهل تعرفان لها دواء فقال حارثة كميرة حارة وكانت فيه لوثة فقال الملك أي شيء قلت فقال له زهير كميئة حارة تطعمها فوثب الملك وقد فهم الأولى والآخرة يريهما أنه يأمر بإصلاح الكمأة لها وحلم عن مقالة حارثة وقال حارثة لزهير يا زهير اقلب ما شئت ينقلب فأرسلها مثلاً
بلغ عمراً طويلاً فكان يخرج تائهاً
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن الغيث الباهلي عن أبيه قال
كان من حديث زهير بن جناب الكلبي أنه كان قد بلغ عمراً طويلاً حتى ذهب عقله وكان يخرج تائها لا يدري أين يذهب فتلحقه المرأة من أهله والصبي فترده وتقول له إني أخاف عليك الذئب أن يأكلك فأين تذهب فذهب يوماً من أيامه ولحقته ابنة له فردته فرجع معها وهو يهدج كأنه رأل وراحت عليهم سماء في الصيف فعلتهم منها بغشة ثم أردفها غيث فنظر وسمع له الشيخ زجلاً منكراً فقال ما هذا يا بنية فقالت عارض هائل إن أصابنا دون أهلنا هلكنا فقال انعتيه لي فقالت أراه منبطحاً مسلنطحاً قد ضاق ذرعاً وركب ردعاً ذا هيدب يطير وهماهم وزفير ينهض نهض الطير الكسير عليه مثل شباريق الساج في ظلمة الليل الداج يتضاحك مثل شعل النيران تهرب منه الطير وتوائل منه الحشرة قال أي بنية وائلي منه إلى عصر قبل أن لا عين ولا أثر
أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثني أحمد ابن عبيد عن ابن الكلبي عن مشيخة من الكلبيين قالوا
عاش زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله خمسين ومائتي سنة أوقع فيها مائتي وقعة في العرب ولم تجتمع قضاعة إلا عليه وعلى حن بن العذري ولم يكن في اليمن أشجع ولا أخطب ولا أوجه عند الملوك من زهير وكان يدعى الكاهن لصحة رأيه
قال هشام ذكر حماد الراوية أن زهيرا عاش أربعمائة وخمسين سنة قال وقال الشرقي بن القطامي عاش زهير أربعمائة سنة فرأته ابنة له فقالت لابن ابنها خذ بيد جدك فقال له من أنت فقال فلان بن فلان بن فلانة فأنشأ يقول
(أَبَنِيَّ إنْ أَهْلِكْ فقد ... أَوْرَثْتُكُمْ مَجْداً بَنِيَّهْ)
(وتَرَكْتُكُم أبناءَ ساداتٍ ... زِنَادُكم وَرِيَّهْ)
((ولكُلُّ ما نالَ الفَتَى ... قد نِلْتُه إلا التَّحِيَّهْ)
(والموتُ خَيْرٌ لِلفَتَى ... فَلْيَهْلِكَنْ وبه بَقِيَّهْ)
(مِن أنْ يُرَى الشَّيْخَ البَجالَ ... وَقَدْ تَهادَى بالعَشِيَّهْ)
(ولقد شَهِدتُ النَّارَ للأسْلافِ ... تُوقَد في طَمِيَّهْ)
(ولقد رَحَلْتُ البازِلَ الكَوْماءِ ... ليس لها وَلِيَّهْ)
(وخَطَبتُ خُطْبَةَ ماجِدٍ ... غَيْرِ الضَّعيفِ ولا العَيِيَّهْ)
(ولقد غَدوتُ بمُشرِفِ القُطْرين ... لم يَغمِزْ شَظِيَّهْ)
(فأصبتُ من بَقَرِ الجَناب ... ضُحىًومن حُمُرِ القَفِيَّهْ)
قال ابن الكلبي وقال زهير في كبره أيضاً
(ألا يالَقَوْمِي لا أرى النَّجم طَالِعاً ... ولا الشَّمسَ إلا حاجِبي بِيَميني)
(مُعَزِّبتِي عند القَفا بعَمُودِها ... فأقْصى نَكِيري أن أقول ذَرِيني)
(أَمِينٌ على أسرَارِهنَّ وقد أُرَى ... أكُونُ على الأسرارِ غَيرَ أمِينِ)
((فلَلْموتُ خيرٌ من حداجٍ مُوطَّإٍ ... على الظَّعنِ لا يأتي المحلَّ لحِين
قال وقال زهير أيضاً في كبره
(إن تُنْسِيَ الأيامُ إلا جلالَةَ ... أمُتْ حين لا تأسَى عليَّ العوائِدُ)
(فَيأذَى بيَ الأدنى ويشْمت بي العدا ... ويأمَن كَيْدي الكاشِحُون الأباعدُ)
قال وقال زهير أيضاً
(لقد عُمِّرتُ حتى لا أُبالِي ... أحتْفِي في صَباحِي أم مَسائي)
(وحُقَّ لمن أتَتْ مِائتَان عاماً ... عليه أنْ يملَّ من الثَّواءِ)
(شهِدتُ المُوقدِين على خَزَازَى ... وبالسُّلاَّن جمْعاً ذا زُهاءِ)
(ونادمتُ المُلوكَ مِنَ آلِ عَمْرو ... وبعدهُمُ بني ماءِ السماءِ)
قال ابنُ الكلبي وكان زهير إذا قال ألا إن الحي ظاعن ظعنت قضاعة وإذا قال ألا إن الحي مقيم نزلوا وأقاموا فلما أن أسن نصب ابن أخيه عبد الله ابن عليم للرياسة في كلب وطمع أن يكون كعمه وتجتمع قضاعة كلها عليه فقال زهير يوماً ألا إن الحي ظاعن فقال عبد الله ألا إن الحي مقيم فقال زهير ألا إن الحي مقيم فقال عبد الله ألا إن الحي ظاعن فقال زهير من هذا المخالف علي منذ اليوم فقالوا ابن أخيك عبد الله بن عليم فقال أعدى الناس للمرء ابن أخيه إلا أنه لا يدع قاتل عمه أو يقتله ثم أنشأ يقول
((وكَيْفَ بِمَنْ لا أستَطِيعُ فِراقَه ... ومَنْ هو إن لم تَجْمَعِ الدَّارُ آلِفُ
(أَمِيرُ شِقاقٍ إنْ أُقِم لا يُقِم مَعِي ... ويَرْحَلْ وإن أرحَل يُقِم ويخالِفُ)
ثم شرب الخمر صرفا حتى مات
قال وممن شرب الخمر صرفاً حتى مات عمرو بن كلثوم التغلبي وأبو براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة
قال هشام عاش هبل بن عبد الله جد زهير بن جناب ستمائة سنة وسبعين وهو القائل

(يا رُبَّ يَومٍ قد غَنِي فيهِ هُبَلْ ... له نَوالٌ ودُرُورٌ وجَذَلْ)
(... كأنَّه في العِزِّ عَوْفٌ أو حَجَلْ)
قال عوف وحجل قبيلتان من كلب
وقال أبو عمرو الشيباني كان الجلاح بن عوف السحمي قد وطأ لزهير بن جناب وأنزله معه فلم يزل في جناحه حتى كثر ماله وولده وكانت أخت زهير متزوجة في بني القين بن جسر فجاء رسولها إلى زهير ومعه برد فيه صرار رمل وشوكة قتاد فقال زهير لأصحابه أتتكم شوكة شديدة وعدد كثير فاحتملوا
فقال له الجلاح أنحتمل لقول امرأة والله لا نفعل فقال زهير
(أمَّا الجُلاحُ فإنَّني فارِقْتُه ... لا عن قِلىً ولقدتَشِطُّ بنا النَّوى)
(فَلئن ظَعَنْتُ لأُصبِحَنَّ مُخَيِّماً ... ولَئن أقمتَ لأظعَنَنَّ على هَوَى)
حارب الجيش وقتل رئيساً منهم
قال فأقام الجلاح وظعن زهير وصبحهم الجيش فقتل عامةُ قوم الجلاح وذهبوا بماله
قال واسم الجلاح عامر بن عوف بن بكر بن عوف بن عامر بن عوف ابن عذرة
ومضى زهير لوجهه حتى اجتمع مع عشيرته من بني جناب وبلغ الجيش خبره فقصدوه فحاربهم وثبت لهم فهزمهم وقتل رئيساً منهم فانصرفوا عنه خائبين فقال زهير
(أمِن آلِ سَلْمى ذا الخَيالُ المُؤَرِّقُ ... وقد يَمِقُ الطيفَ الغريبُ المُشوَّقُ)
(وأنَّى اهْتَدَت سَلمَى لِوَجْهِ محلِّنا ... وما دونها من مَهْمَه الأرض يَخفِقُ)
(فلم تَرَ إلا هاجعاً عند حُرَّةٍ ... على ظهرها كُورٌ عَتيقٌ ونُمْرُقُ)
(ولمّا رأتني والطّلِيحَ تَبَسَّمَتْ ... كما انهلَّ أعْلى عارضٍ يتألّقُ)
(فحُيِّيتِ عنَّا زَوِّدينا تحيّةً ... لعلَّ بها العاني من الكَبْل يُطْلَقُ)
(فردَّت سَلاماً ثم وَلَت بحاجَةٍ ... ونحن لعَمْري يابْنَةَ الخَيْر أشْوَقُ)
(فيا طِيبَ ما رَيّا ويا حُسْنَ مَنْظَرٍ ... لَهَوْتُ به لو أنَّ رُؤْياكِ تَصْدُقُ)
(ويومَ أُثالَى قد عرفتُ رُسومَها ... فعُجْنا إليها والدُّموعُ تَرَقْرَقُ)
(وكادت تُبِينُ القَولَ لَمّا سألتُها ... وتُخْبِرُني لو كانت الدارُ تَنْطِقُ)
(فيا دارَ سَلْمى هِجْتِ للعين عَبْرةً ... فماءُ الهوى يرفَضُّ أو يَتَرَقْرَقُ)
وقال زهير في هذه القصيدة يذكر خلاف الجلاح عليه
(أيا قَوْمَنا إن تَقبَلوا الحَقَّ فانْتَهوا ... وإلا فأنيابٌ من الحرب تَحْرُقُ)
(فجاؤوا إلى رَجْراجةٍ مُكفَهِرَّة ... يكاد المديرُ نحوَها الطَّرْفَ يَصْعَقُ)
(سيوفٌ وأرماحٌ بأيدي أعزَّةٍ ... ومَوْضُونةٌ مِمَّا أفاد مُحَرِّقُ)
(فما بَرِحُوا حتى تَرَكْنا رئيسَهم ... وقد مار فيه المَضْرَحِيُّ المُذَلَّقُ)
(وكائنْ تَرَى من ماجدٍوابْن ماجدٍ ... له طَعْنَةٌ نجلاءُ للوَجْه يشْهَقُ)
وقال زهير في ذلك أيضاً
(سائِلْ أُمَيْمَةَ عَنِّي هل وَفَيْتُ لها ... أم هل منعْتُ من المخْزاة جيرانا)
(لا يَمْنَع الضَّيفَ إلا ماجدٌ بطَلٌ ... إنَّ الكريمَ كريمٌ أينما كانا)
(لَمَّا أبَى جيرَتي إلا مُصَمِّمةً ... تكسُو الوُجوه من المخْزاة ألوانَا)
(ملْنا عليهم بورد لا كفاء له ... يفْلقْن بالبيض تحت النَّقْع أبْدانَا)
(إذا ارجحَنُّوا علَونا هامَهم قُدُماً ... كأنَّما نَخْتَلي بالهام خُطْبانَا)
(كم من كريم هَوَى للوَجْه مُنْعفِراً ... قد اكْتَسَى ثوبُه في النَّقْع ألوانَا)
(ومِنْ عَمِيدٍ تَناهَى بعد عَثْرَته ... تَبدُو نَدامتُه للقَوْم خَزيانَا)
نماذج من أولاده الشعراء
وأما الشعراء من ولد زهير
فمنهم مصاد بن أسعد بن جنادة بن صهبان بن امرئ القيس بن زهير بن جناب وهو القائل
(تَمَنَّيْتَ أن تَلْقَى لِقاحَ ابن محْرِز ... وقبلك شامتها العُيونُ النَّواظِرُ)
(مُمَنَّحةٌ في الأقربين مُناخةٌ ... وللضَّيف فيها والصَّديق مَعاقِرُ)
(فهَلاَّ بَني عَيْناء عاينتَ جَمْعَهمْ ... بحالة إذ سَدَّت عليك المَصادرُ)
ومنهم حُرَيْثُ بن عامر بن الحارث بن امرئ القيس بن زهير بن جناب وهو القائل
(أرى قَوْمي بني قَطَنٍ أرادُوا ... بألاّ يتركوا بِيَديَّ مالاَ)
(فإن لم أجزِهم غَيْظاً بغَيْظٍ ... وأُوردْهُم على عَجَلٍ شِلالاَ)
(فَلَيْتَ التَّغْلَبيَّة لم تَلِدْني ... ولا أغْنَتْ بما ولدت قِبالا)
ومنهم الحزنبل بن سلامة بن زهير بن أسعد بن صهبان بن امرئ القيس
ابن زهير بن جناب وهو القائل
(عَبِثَت بمنْخَرق القَميص كأنَّه ... وَضَحُ الهِلال على الخُمُور مُعذِلِ)
(يا سَلْمَ وَيْحكِ والخَلِيل مُعاتبٌ ... أزْمعْتِ أن تَصِلي سِواي وتَبْخَلي)
(لَمَّا رأيتِ بعارضَيَّ ولِمَّتي ... غِيَرَ المَشيب على الشباب المُبْدَلِ)
(صَرَّمتِ حبْلَ فتىً يهشُّ إلى النَّدى ... لو تَطْلُبين نداه لم يَتَعَلَّلِ)
(إنا لَنصبر عند مُعترك الوغى ... ونَبُذُّ مكرُمة الكريم المُفْضِلِ)
ومنهم غرير بن أبي جابر بن زهير بن جناب وهو القائل
(أبلِغ أبَا عمرٍو وأنْت ... عليَّ ذُو النِّعَمِ الجَزيلَهْ)
(أنَّا منَعْنا أنْ تَذِلَّ ... بلادُكُمْ وبَنُو جَديلَهْ)
(وطرقْتُهم لَيلاً أُخَبِّرهم ... بهم ومعِي وَصِيلَهْ)

(فصدَقْتُهُم خَبَري فَطارُوا ... في بِلادِهم الطَّويلَهْ)
ومنهم عرفجة بن جنادة بن أبي بن النعمان بن زهير بن جناب وهو القائل
(عفا أبرقُ العَزَّاف من أُمّ جابرٍ ... فمُنْعرجُ الوادي عفا فَحفِيرُ)
(فَرَوْضُ ثُوَيْرٍ عن يمينِ رَوِيَّةٍ ... كأن لَمْ تَرَبَّعْه أوانِسُ حُورُ)
(رِقاقُ الثَّنايا والوُجوه كأنها ... ظِباءُ الفلا في لَحْظِهن فُتُورُ)
ومنهم المسيب بن رفل بن حارثة بن جناب بن قيس بن امرئ القيس ابن أبي جابر بن زهير بن جناب وهو القائل
(قَتَلْنا يَزِيدَ بن المُهَلَّب بعد ما ... تَمَنَّتُمُ أن يَغْلِبَ الحَقَّ باطِلُه)
(وما كان منكم في العِراقِ مُنافِقٌ ... عن الدِّين إلا من قُضاعة قاتِلُه)
(تَجلَّله قَحْلٌ بأبْيضَ صارِمٍ ... حُسامٍ جَلاَ عن شفرتَيْه صَياقِلُه)
يعني بالقحل ابن عياش بن شمر بن أبي شراحيل بن غرير بن أبي جابر بن زهير بن جناب وهو الذي قتل يزيد بن المهلب
ومن بني زُهَير شعراء كثير ذكرت منهم الفحول دون غيرهم
صوت
(تَدَّعي الشوقَ إن نَأَتْ ... وتَجنَّى إذا دَنَتْ)
(سرَّني لو صبرتُ عنها ... فتُجزَى بما جَنَتْ)
(إنَّ سَلْمَى لو اتَّقَتْ ... ربَّها فِيَّ أنْجَزتْ)
(زَرعت في الحَشَا الهَوَى ... وسقَتْه حتى نَبَتْ)
الشعر لمسلم بن الوليد والغناء لعريب خفيف ثقيل وقيل إنه لأبي العبيس بن حمدون وذكر الهشامي أن لإسحاق في إنّ سلمى وما بعده لحنا من الثقيل الأول بالبنصر

نسب مسلم بن الوليد وأخباره

وهو مسلم بن الوليد أبوه الوليد مولى الأنصار ثم مولى أبي أمامة أسعد بن زرارة الخزرجي يُلقب صريع الغواني شاعر متقدم من شعراء الدولة العباسية منشؤه ومولده الكوفة وهو فيما زعموا أول من قال الشعر المعروف بالبديع هو لقب هذا الجنس البديع واللطيف وتبعه فيه جماعة وأشهرهم فيه أبو تمام الطائي فإنه جعل شعره كله مذهباً واحداً فيه
ومسلم كان متفنناً متصرفاً في شعره
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال قال أبو العباس محمد بن يزيد
كان مسلم شاعرا حسن النمط جيد القول في الشراب وكثير من الرواة يقرنه بأبي نواس في هذا المعنى وهو أول من عقد هذه المعاني الظريفة واستخرجها
حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال سمعت أبي يقول أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد جاء بهذا الذي سماه الناس البديع ثم جاء الطائي بعده فتفنن فيه

مسلم ويزيد بن مزيد

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم الدينوري قال
كان مسلم بن الوليد وأخوه سليمان منقطعين إلى يزيد بن مزيد ومحمد ابن منصور بن زياد ثم الفضل بن سهل بعد ذلك وقلد الفضل مسلماً المظالم بجرجان فمات بها
أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا محمد بن يزيد قال
كان السبب في قول مسلم
(تَدّعِي الشوقَ إن نأتْ ... وَتجَنَّى إذا دَنَتْ)
أنه علق جارية ذات ذكر وشرف وكان مَنزلها في مهب الشمال من منزله وفي ذلك يقول
صوت
(أُحِبُّ الرِّيحَ ما هَبَّتْ شَمالا ... وأحسدُها إذا هَبَتْ جَنُوبا)
(أهابُكِ أن أبوحَ بذاتِ نَفْسِي ... وأفرَقُ إنْ سأَلْتُكِ أن أخِيبا)
(وأهجُرُ صاحِبي حُبَّ التَّجنِّي ... عليه إذا تَجنَّيْتِ الذُّنوبا)
(كأنّي حين أُغضِي عن سِواكمْ ... أخافُ لكم على عيْني رَقيبا)
غنى عبد الله بن العباس الربيعي في هذه الأبيات هزجاً بالبنصر عن الهشامي
قال وكانت له جارية يرسلها إليها وبيثها سره وتعود إليه بأخبارها ورسائلها فطال ذلك بينهما حتى أحبتها الجارية التي علقها مسلم ومالت إليها وكلتاهما في نهاية الحسن والكمال
وكان مسلم يحب جاريته هذه محبة شديدة ولم يكن يهوى تلك إنما كان يريد الغزل والمجون والمراسلة وأن يشيع له حديث بهواها وكان يرى ذلك من الملاحة والظرف والأدب فلما رأى مودة تلك لجاريته هجر جاريته مظهراً لذلك وقطعها عن الذهاب إلى تلك وذلك قوله
(وأهْجُر صاحِبي حُبَّ التَجَنِّي ... عليه إذا تجنَّيْت الذُّنُوبا)
وراسلها مع غير جاريته الأولى وذلك قوله
(تَدَّعي الشوقَ إن نأتْ ... وتجنَّى إذا دنتْ)
(واعدتنا وأخلفتْ ... ثم ساءتْ فأحسنت)
(سرَّني لو صبرتُ عنها فتُجْزَى بما جنتْ)
(إنَّ سَلْمَى لو اتَّقت ... ربّها فيّ أنجزَتْ)
(زرعت في الحشا الهوى ... وسقته حتى نَبَتْ)

مسلم يختلف مع أبي نواس في الشعر

أخبرني الحسين بن يحي ومحمد بن يزيد قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
لقي مسلم بن الوليد أبا نواس فقال له ما أعرف لك بيتاً إلا فيه سقط قال فما تحفظ من ذلك قال قل أنت ما شئت حتى أريك سقطه فيه فأنشده

(ذكر الصّبوحَ سُحَيرةً فارتاحا ... وأمَلَّه دِيكُ الصبّاح صِيَاحَا)
فقال له مسلم فلم أمله وهو الذي أذكره وبه ارتاح فقال أبو نواس فأنشدني شيئاً من شعرك ليس فيه خلل فأنشده مسلم
(عاصَى الشّبَابَ فراح غير مُفنَّد ... وأقام بين عزيمة وتَجَلُّدِ)
فقال له أبو نواس قد جعلته رائحاً مقيماً في حال واحدة وبيت واحد فتشاغبا وتسابا ساعة وكلا البيتين صحيح المعنى
أخبرني جعفر بن قدامة قال قال لي محمد بن عبد الله بن مسلم حدثني أبي قال
اجتمع أصحاب المأمون عنده يوماً فأفاضوا في ذكر الشعر والشعراء فقال له بعضهم أين أنت يا أمير المؤمنين عن مسلم بن الوليد قال حيث يقول ماذا قال حيث يقول وقد رثى رجلاً
(أرادوا ليُخْفوا قبرَه عن عَدُوِّه ... فَطِيبُ تُرابِ القبر دلّ عَلَى القَبْر)
وحيث مدح رجلاً بالشجاعة فقال
(يَجودُ بالنَّفْس إذْ ضَنّ الجَواد بها ... والجُودُ بالنَّفْس أقْصَى غايةِ الجُودِ)
وهجا رجلاً بقبح الوجه والأخلاق فقال
(قَبُحَتْ مناظِرُه فحين خَبرتُه ... حَسُنَتْ مناظرُه لِقُبْحِ المَخْبَر)
وتغازل فقال)
(هَوىً يَجِدُّ وحَبيبٌ يَلْعَبُ ... أنْتَ لَقىً بينهما مُعَذَّبُ)
فقال المأمون هذا أشعر من خضتم اليوم في ذكره
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي والحسن بن علي الخفاف قالا حدثنا الحسن بن عليل العنزيّ قال حدثني قعنب بن المحرز وابن النطاح عن القحذمي قال
قال يزيد بن مزيد أرسل إلى الرشيد يوماً في وقت لا يرسل فيه إلى مثلي فأتيته لابساً سلاحي مستعداً لأمر إن أراده فلما رآني ضحك إلي ثم قال يا يزيد خبرني من الذي يقول فيك
(تَراهُ في الأمْنِ في دِرْعٍ مُضاعَفَةٍ ... لا يأمَنُ الدَّهرَ أن يُدْعَى على عَجَل)
(صَافِي العِيان طَمُوحُ العَيْن هِمَّتُه ... فَكُّ العُناةِ وأسْرُ الفَاتِك الخَطِل)
(لله من هاشِم في أرضِه جَبَلٌ ... وأنتَ وابنُك رُكْنَا ذلك الجَبَل)
فقلت لا أعرفه يا أمير المؤمنين قال سوءة لك من سيد قوم يمدح بمثل هذا الشعر ولا تعرف قائله وقد بلغ أمير المؤمنين فرواه ووصل قائله وهو مسلم بن الوليد فانصرفت فدعوت به ووصلته ووليته

يزيد بن مزيد يأمر له بجائزة

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي والحسن بن علي الخفاف قالا حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني أبو عبد الله أحمد بن محمد بن سليمان الحنفي ذو الهدمين قال حدثني أبي قال
دخل يزيد بن مزيد على الرشيد فقال له يا يزيد من الذي يقول فيك
(لا يَعبِقُ الطِّيبُ خَدَّيْه ومفرقَه ... ولا يُمسِّح عَيْنَيه من الكُحُل)
(قد عَوَّدَ الطَّير عاداتٍ وَثِقْن بها ... فهُنَّ يَتْبَعْنَه في كُلِّ مُرْتَحَل)
فقال لا أعرف قائله يا أمير المؤمنين فقال له هارون أيقال فيك مثل هذا الشعر ولا تعرف قائله فخرج من عنده خجلاً فلما صار إلى منزله دعا حاجبه فقال له من بالباب من الشعراء قال مسلم بن الوليد فقال وكيف حجبته عني فلم تعلمني بمكانه قال أخبرته أنك مضيق وأنه ليس في يديك شيء تعطيه إياه وسألته الإمساك والمقام أياماً إلى أن تتسع قال فأنكر ذلك عليه وقال أدخله إلي فأدخله إليه فأنشده قوله
(أجْررتُ حبلَ خَلِيعٍ في الصِّبا غَزِلِ ... وشَمَّرتْ هِمَمُ العُذَّالِ في عَذَلِي)
(رَدَّ البُكاءَ على العَيْنِ الطَّمُوحِ هَوىً ... مُفرَّقٌ بين تَوديعٍ ومُرْتَحَلِ)
(أمَا كَفَى البَيْنَ أن أُرمَى بأسْهُمِه ... حتى رَمانِي بلَحْظِ الأعيُنِ النُّجُلِ)
(مما جَنَت لي وإن كانت مُنىً صَدَقَتْ ... صَبَابَةً خُلَسُ التَّسلِيم بالمُقَلِ)
فقال له قد أمرنا لك بخمسين ألف درهم فاقبضها واعذر فخرج
الحاجب فقال لمسلم قد أمرني أن أرهن ضيعة من ضياعه على مائة ألف درهم خمسون ألفاً لك خمسون ألفاً لنفقته وأعطاه إياها وكتب صاحب الخبر بذلك إلى الرشيد فأمر ليزيد بمائتي ألف درهم وقال أقض الخمسين الألف التي أخذها الشاعر وزده مثلها وخذ مائة ألف لنفقتك فافتك ضيعته وأعطى مسلما خمسين ألفاً أخرى
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي بن عبيد الكوفي وعلي بن الحسن كلاهما قال أخبرني علي بن عمرو قال
حدثني مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغوائي قال كنت يوما جالسا في دكان خياط بإزاء منزلي إذ رأيت طارقاً ببابي فقمت إليه فإذا هو صديق لي من أهل الكوفة قد قدم من قم فسررت به وكأن إنساناً لطم وجهي لأنه لم يكن عندي درهم واحد أنفقه عليه فقمت فسلمت عليه وأدخلته منزلي وأخذت خفين كانا لي أتجمل بهما فدفعتهما إلي جاريتي وكتبت معهما رقعة إلى بعض معارفي في السوق أسأله أن يبيع الخفين ويشتري لي لحماً وخبزاً بشيء سميته فمضت الجارية وعادت إلي وقد اشترى لها ما قد حددته له وقد باع الخفين بتسعة دراهم فكأنها إنما جاءت بخفين جديدين فقعدت أنا وضيفي نطبخ وسألت جاراً لي أن يسقينا قارورة نبيذ فوجه بها إلي وأمرت الجارية بأن تغلق باب الدار مخافة طارق يجيء فيشركنا فيما نحن فيه ليبقى لي وله ما نأكله إلى أن ينصرف فإنا لجالسان نطبخ حتى طرق الباب طارق فقلت لجاريتي انظري من هذا فنظرت من شق الباب فإذا رجل عليه سواد وشاشية ومنطقة ومعه شاكري فخبرتني بموضعه فأنكرت أمره ثم رجعت إلى نفسي فقلت لست بصاحب دعارة ولا للسلطان على سبيل ففتحت الباب وخرجت إليه فنزل عن دابته وقال أأنت مسلم بن الوليد قلت نعم فقال كيف لي بمعرفتك قلت الذي دلك على منزلي يصحح لك معرفتي فقال لغلامه
امض إلى الخياط فسله عنه فمضى فسأله عني فقال نعم هو مسلم بن الوليد فأخرج إلي كتاباً من خفه وقال هذا كتاب الأمير يزيد بن مزيد إلي يأمرني ألا أفضه إلا عند لقائك فإذا فيه أذا لقيت مسلم بن الوليد فادفع إليه هذه العشرة آلاف

درهم التي أنفذتها تكون له في منزله وادفع ثلاثة آلاف درهم نفقة ليتحمل بها إلينا فأخذت الثلاثة والعشرة ودخلت إلى منزلي والرجل معي فأكلنا ذلك الطعام وازددت فيه وفي الشراب واشتريت فاكهة واتسعت ووهبت لضيفي من الدراهم ما يهدي به هدية لعياله وأخذت في الجهاز ثم ما زلت معه حتى صرنا إلى الرقة إلى باب يزيد فدخل الرجل وإذا هو أحد حجابه فوجده في الحمام فخرج إلي فجلس معي قليلاً ثم خبر الحاجب بأنه قد خرج من الحمام فأدخلني إليه وإذا هو على كرسي جالس وعلى رأسه وصيفة بيدها غلاف مرآة وبيده هو مرآة ومشط يسرح لحيته فقال لي يا مسلم ما الذي بطأ بك عنا فقلت أيها الأمير قلة ذات اليد قال فأنشدني فأنشدته قصيدتي التي مدحته فيها

(أجْرَرْتُ حَبل خَلِيع في الصِّبَا غزلِ ... وشَمّرتْ هِمَمُ العُذّالِ في عَذَلِي)

فلما صرت إلى قولي

(لا يعبَقُ الطِّيبُ خَدّيْه ومفرقَه ... ولا يُمَسِّحُ عَيْنَيْه من الكُحُلِ)

وضع المرآة في غلافها وقال للجارية انصرفي فقد حرم علينا مسلم الطيب فلما فرغت من القصيدة قال لي يا مسلم أتدري ما الذي حداني إلى أن وجهت إليك فقلت لا والله ما أدري قال كنت عند الرشيد منذ ليال أغمز رجليه إذ قال لي يا يزيد من القائل فيك

(سَلّ الخَلِيفَةُ سَيْفاً مِن بَنِي مَطَرِ ... يَمضي فَيَخْتَرِمُ الأجسادَ والهاما)

(كالدّهْرِ لا يَنْثَنِي عمّا يَهُمّ به ... قد أوسَعَ الناسَ إنعاماً وإرغاماً)

فقلت لا والله ما أدري فقال لي الرشيد يا سبحان الله أنت مقيم على أعرابيتك يقال فيك مثل هذا الشعر ولا تدري من قائله فسألت عن قائله فأخبرت أنك أنت هو فقم حتى أدخلك على أمير المؤمنين

الرشيد يجيزه ويحذره

ثم قام فدخل على الرشيد فما علمت حتى خرج علي الإذن فأذن فدخلت على الرشيد فأنشدته ما لي فيه من الشعر فأمر لي بمائتي ألف درهم فلما انصرفت إلى يزيد أمر لي بمائة وتسعين ألفاً وقال لا يجوز لي أن أعطيك مثل ما أعطاك أمير المؤمنين وأقطعني إقطاعات تبلغ غلتها مائتي ألف درهم

قال مسلم ثم أفضت بي الأمور بعد ذلك إلى أن أغضبني فهجوته فشكاني إلى الرشيد فدعاني وقال أتبيعني عرض يزيد فقلت نعم يا أمير المؤمنين فقال لي بكم فقلت برغيف خبز فغضب حتى خفته على نفسي وقال قد كنت علي أن أشتريه منك بمال جسيم ولست أفعل ولا كرامة فقد علمت إحسانه إليك وأنا نفي من أبي ووالله ثم والله لئن بلغني أنك هجوته لأنزعن لسانك من بين فكيك فأمسكت عنه بعد ذلك وما ذكرته بخير ولا شر

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن عبد الله اليعقوبي قال حدثني البيدق الراوية وكان من أهل نصيبين قال دخلت دار يزيد بن مزيد يوما وفيها الخلق وإذا فتى شاب جالس في أفناء الناس ولم يكن يزيد عرفه بعد وإذا هو مسلم بن الوليد فقال لي ما في نفسي أن أقول شعراً أبداً فقلت ولم قال لأني قد مدحت هذا الرجل بشعر ما مدح بمثله قط ولست أجد من يوصله فقلت له أنشدني بعضه فأنشدني منه

(مُوفٍ على مُهَجٍ في يومِ ذِي رَهَجٍ ... كأنّه أجَلٌ يَسْعَى إلى أمَلِ)

(يَقري السُّيوفَ نُفوسَ النّاكِثِين به ... ويَجعَلُ الرُّوسَ تِيجَانَ القَنَا الذُّبُلِ)

(لا يَعبَقُ الطِّيبُ خَدّيْه ومَفْرِقَه ... ولا يُمَسّح عَيْنَيْه من الكُحُلِ)

(إذا انتَضَى سَيفَه كانت مسالِكُه ... مسالكَ المَوْت في الأجسام والقُلَلِ)

(وإن خَلَتْ بحَدِيث النَّفْسِ فِكرَتُه ... عاش الرّجاءُ وماتَ الخَوْفُ من وَجَلِ)

(كاللّيث إن هِجْتَه فالمَوْتُ راحتُه ... لا يَستَرِيحُ إلى الأيّام والدُّوَلِ)

(للهِ من هاشمٍ في أرضِه جَبَلٌ ... وأنتَ وابْنُكَ رُكْناً ذَلِكَ الجَبَلِ)

(صَدّقْتَ ظَنّي وصدَّقتَ الظُّنونَ به ... وَحَطَّ جُودُكَ عَقْدَ الرَّحْلِ عن جملي)

قال فأخذت منها بيتين ثم قلت له أنشدني أيضا ما لك فيه فأنشدني قصيدة أخرى ابتداؤها

(طيفَ الخيال حَمِدْنا منكَ إلمامَا ... داوَيْتَ سُقْماً وقد هَيّجْتَ أسقامَا)

يقول فيها

(كالدّهْرِ لا يَنْثَنِي عَمّا يَهُمّ به ... قد أوسعَ النَّاس إنعاماً وإرغامَا)

قال فأنشدت هذه الأبيات يزيد بن مزيد فأمر له بخمسمائة درهم ثم ذكرته بالرقة فقلت له هذا الشاعر الذي قد مدحك فأحسن يقتصر به على خمسمائة درهم فبعث إليه بخمسمائة درهم أخرى قال فقال لي مسلم جاءتني وقد رهنت طيلساني على رؤوس الإخوان فوقعت مني أحسن موقع

أخبرني محمد بن عمران قال حدثنا العنزي عن محمد بن بدر العجلي عن إبراهيم بن سالم عن أبي فرعون مولى يزيد بن مزيد قال

ركب يزيد يوماً إلى الرشيد فتغلف بغالية ثم لم يلبث أن عاد فدعا بطست فغسل الغالية وقال كرهت أن أكذب قول مسلم بن الوليد

(لا يَعبَقُ الطِّيبُ خَدّيْهِ ومَفرقَه ... ولا يُمَسِّح عَينَيْه من الكُحُلِ)

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو توبة قال

كان مسلم بن الوليد جالساً بين يدي يزيد بن مزيد فأتاه كتاب فيه مهم له فقرأه سراً ووضعه ثم أعاد قراءته ووضعه ثم أراد القيام فقال له مسلم بن الوليد

(الحَزْمُ تَحْرِيقُهُ إن كنت ذا حَذَرٍ ... وإنَّما الحَزْم سُوءُ الظَّنِّ بالنَّاسِ)

(لقد أتاك وقد أدّى أمانتَه ... فاجعل صِيانَتَه في بَطْنِ أرماسِ)

قال فضحك يزيد وقال صدقت لعمري وخرق الكتاب وأمر بإحراقه

حدثني عمي وجحظة قالا حدثنا علي بن الحسين بن عبد الأعلى قال حدثني أبو محلم وحدثني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو توبة قال

كان مسلم بن الوليد صديقاً ليزيد بن مزيد ومداحاً له فلما مات انقطع إلى ابنه محمد بن يزيد ومدحه كما مدح أباه فلم يصنع له خيراً ولم يرضه ما فعله به فهجره وانقطع عنه فكتب إليه يستحفيه ويلومه على انقطاعه عنه ويذكره حقوق أبيه عليه فكتب إليه مسلم

(لَبْستُ عَزاءً عن لِقاءِ محمدٍ ... وأعرضتُ عنه مُنْصِفاً ووَدُودَا)
(وقُلتُ لنَفْسٍ قادَها الشَّوقُ نحوه ... فَعوَّضَها حُبُّ اللّقاء صُدودَا)
(هَبِيه امرأً قد كان أصْفاكِ وُدَّه ... فمات وإلاَّ فاحسُبِيه يَزيدَا)
(لَعَمْري لقد ولَّى فلم ألقَ بعده ... وَفاءً لِذِي عَهْدٍ يُعَدُّ حَمِيدَا)
رثاؤه يزيد بن مزيد
أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثني أحمد ابن محمد بن أبي سعد قال
أهديت إلى يزيد بن مزيد جارية وهو يأكل فلما رفع الطعام من بين يديه وطئها فلم ينزل عنها إلا ميتاً وهو ببرذَعة فدفن في مقابر برذَعة
وكان مسلم معه في صحابته فقال يرثيه
(قَبرٌ ببَرْذَعة استَسرَّ ضَرِيحُه ... خَطَراً تقاصَرُ دُونَه الأخْطارُ)
(أبقَى الزَّمانُ على رَبِيعَة بعده ... حُزْناً كعُمر الدّهر لَيْس يُعارُ)
(سلكت بك العُربُ السَّبيلَ إلى العُلا ... حتى إذا بَلَغوا المَدَى بك حَارُوا)
ويروى
(... حتى إذا سَبق الرَّدَى بك حاروا)
هكذا أنشده الأخفش
(نُفِضَتْ بك الأحلاس نَفْضَ إقامةٍ ... واسترجَعَت رُوَّادَها الأمصارُ)
(فاذهَبْ كما ذَهَبتْ غَوادِي مُزْنَةٍ ... أثنى عليها السَّهلُ والأوْعارُ)
نسخت من كتاب جدي يحي بن محمد بن ثوابة حدثني الحسن بن سعيد عن أبيه قال
كان داود بن يزيد بن حاتم المهلبي يجلس للشعراء في السنة مجلسا واحداً فيقصدونه لذلك اليوم وينشدونه فوجه إليه بن الوليد روايته بشعره الذي يقول فيه
(جعلتُه حيث تَرتابُ الرّياح به ... وتحسُد الطَّيرَ فيه أضْبُعُ البِيدِ)
فقدم عليه يوم جلوسه للشعراء ولحقه بعقب خروجهم عنه فتقدم إلى
الحاجب وحسر لثامه عن وجهه ثم قال له استأذن لي على الأمير قال ومن أنت قال شاعر قال قد انصرم وقتك وانصرف الشعراء وهو على القيام
فقال له ويحك قد وفدت على الأمير بشعر ما قالت العرب مثله قال وكان مع الحاجب أدب يفهم به ما يسمع فقال هات حتى أسمع فإن كان الأمر كما ذكرت أوصلتك إليه فأنشده بعض القصيدة فسمع شيئاً يقصر الوصف عنه فدخل على داود فقال له قد قدم على الأمير شاعر بشعر ما قيل فيه مثله فقال أدخل قائلة فأدخله فلما مثل بين يديه سلم وقال قدمت على الأمير أعزه الله بمدح يسمعه فيعلم به تقدمي على غيري ممن امتدحه فقال هات فلما افتتح القصيدة وقال
(لا تَدْعُ بي الشَّوق إني غَيرُ مَعْمودِ ... نَهَى النُّهى عن هَوَى البيض الرَّعاديد)
استوى جالساً وأطرق حتى أتى الرجل على آخر الشعر ثم رفع رأسه إليه ثم قال أهذا شعرك قال نعم أعز الله الأمير قال في كم قلته يا فتى قال في أربعة أشهر أبقاك الله قال لو قلته في ثمانية أشهر لكنت محسناً
وقد اتهمتك لجودة شعرك وخمول ذكرك فإن كنت قائل هذا الشعر فقد أنظرتك أربعة أشهر في مثله وأمرت بالإجراء عليك فإن جئتنا بمثل هذا الشعر وهبت لك مائة ألف درهم وإلا حرمتك فقال أو الإقالة أعز الله الأمير قال أقلتك قال الشعر لمسلم بن الوليد وانا راويته الوافد عليك بشعره فقال أنا ابن حاتم إنك لما افتتحت شعره فقلت
(... لا تَدْعُ بي الشّوْقَ إنّي غيْرُ مَعْمودِ)
سمع كلام مسلم يناديني فأجبت نداءه واستويت جالساً ثم قال يا غلام أعطه عشرة آلاف درهم واحمل الساعة إلى مسلم مائة ألف درهم
أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني مسعود بن عيسى العبدي قال أخبرني موسى بن عبد الله التميمي قال
الفضل بن سهل يوليه جرجان
دخل مسلم بن الوليد الأنصاري على الفضل بن سهل لينشده شعراً فقال له أيها الكهل إني أجلك عن الشعر فسل حاجتك قال بلى تستتم اليد عندي بأن تسمع فأنشده
(دُموعُها من حِذار البَيْن تَنْسكِبُ ... وقَلبُها مُغرَمٌ من حَرّها يَجِبُ)
(جدَّ الرَّحِيلُ به عنها ففارَقَها ... لَبَيْنِه اللَّهوُ واللَّذّاتُ والطَّربُ)
(يَهْوَى المَسِيرَ إلى مَرْوٍ ويَحزنُه ... فِراقُها فهو ذو نَفْسَيْن يرتَقِبُ)
فقال له الفضل إني لأجلك عن الشعر قال فأغني بما أحببت من عملك فولاه البريد بجرجان
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني الحسين بن أبي السري وأخبرني بهذه الأخبار محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني إبراهيم بن محمد الوراق عن الحسين بن أبي السري قال قيل لمسلم بن الوليد أي شعرك أحب إليك قال إن في شعري لبيتاً أخذت معناه من التوراة وهو قولي
(دَلَّت على عَيْبِها الدُّنْيَا وصَدَّقَها ... ما استَرْجَع الدَّهرُ ممّا كان أعْطاني)
قال الحسين وحدثني جماعة من أهل جرجان أن راوية مسلم جاء إليه بعد أن تاب ليعرض عليه شعره فتغافله مسلم ثم أخذ منه الدفتر الذي في يده فقذف به في البحر فلهذا قل شعره فليس في أيدي الناس منه إلا ما كان بالعراق وما كان في أيدي الممدوحين من مدائحهم
قال الحسين وحدثني الحسين بن دعبل قال قال أبي لمسلم ما معنى قولك
(... (لا تَدْعُ بي الشّوقَ إنّي غَيرُ مَعْمُود
قال لا تدعني صريع الغواني فلست كذلك وكان يلقب هذا اللقب وكان له كارهاً
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال عتب عيسى بن داود على مسلم بن الوليد فهجره وكان إليه محسناً فكتب إليه مسلم
(شَكَرتُك للنُّعْمى فلمّا رَمَيْتَني ... بِصدِّكَ تأديباً شكرتُك في الهَجْرِ)

(فعِنديَ للتَّأديب شُكْرٌ وللنّدى ... وإن شِئْت كان العَفْوُ أدْعى إلى الشُّكر)
(إذا ما اتّقاك المستليمُ بعُذْره ... فَعفْوك خَيْر من مَلامٍ على عُذْر)
قال فرضي عنه وعاد إلى حاله
دعبل يقول كان مسلم من أبخل الناس
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني محمد بن الأشعث قال حدثني دعبل بن علي قال
كان مسلم بن الوليد من أبخل الناس فرأيته يوماً وقد استقبل الرضا عن غلام بعد موجدة فقال له قد رضيت عنك وأمرت لك بدرهم
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمرو بن سعيد قال
خرج دعبل إلى خراسان لما بلغه خطوة مسلم بن الوليد عند الفضل بن سهل فصار إلى مرو وكتب إلى الفضل بن سهل
(لا تَعْبَأنْ بِابْن الوَليد فإنه ... يرمِيك بعد ثَلاثَةٍ بمَلاَلِ)
(إنَّ المَلُولَ وإن تَقادَم عَهْدُه ... كانت مَودَّته كَفيْءِ ظِلالِ)
قال فدفع الفضل إلى مسلم الرقعة وقال له انظر يا أبا الوليد إلى رقعة دعبل فيك فلما قرأها قال له هل عرفت لقب دعبل وهو غلام أمرد وهو يفسق به قال لا قال كان يلقب بمياس ثم كتب إليه
(مَيَّاس قل لي أين أنْتَ من الورَى ... لا أنتَ معلومٌ ولا مجْهولُ)
(أمّا الهِجاءُ فدَقَّ عِرضك دونَه ... والمَدْح عنك كما عَلِمْتَ جَليلُ)
(فاذهَبْ فأنتَ طَلِيقُ عِرضك إنّه ... عِرضٌ عزَزْتَ به وأنتَ ذَليلُ)
أخبرني محمد بن الحسين الكندي الكوفي مؤدبي قال حدثني أزهر بن محمد قال
حدثني الحسين بن دعبل قال سمعت أبي يقول بينا أنا جالس بباب الكرخ إذ مرت بي جارية لم أر أحسن منها وجهاً ولا قداً تتثنى في مشيها وتنظر في أعطافها فقلت متعرضاً لها
(دُمُوع عيينِي بها انْبِساطٌ ... ونَومُ عيني به انْقِباضُ)
فأجابتني بسرعة فقالت
(وذا قليلٌ لمَن دَهَتْه ... بلَحْظِها الأعيُنُ المِراضُ)
فأدهشتني وعجبت منها فقلت
(فهل لِموْلاَي عَطفُ قَلْبٍ ... وللَّذي في الحَشَا انقِراضُ)
فأجابتني غير مُتوقّفة فقالت
(إن كُنتَ تهوى الودادَ منا ... فالوُدُّ في دِيننا قِراضُ)
قال فما دخل أذني كلام قط أحلى من كلامها ولا رأيت أنضر وجهاً منها فعدلت بها عن ذلك الشعر وقلت
(أتُرى الزَّمانُ يَسرُّنا بتَلاقِ ... ويَضُمُّ مشتَاقاً إلى مُشْتاقِ)
فأجابتني بسرعة فقالت
(ما لِلزَّمانِ وللتَّحكُّمِ بيننا ... أنتَ الزّمان فسُرَّنا بتَلاقِ)
قال فمضيت أمامها أؤمّ بها دار مسلم بن الوليد وهي تتبعني فصرت إلى منزله فصادفته على عسرة فدفع إلي منديلاً وقال اذهب فبعه وخذ لنا ما نحتاج إليه وعد فمضيت مسرعاً فلما رجعت وجدت مسلماً قد خلا بها في سرداب فلما أحس بي وثب إلي وقال عرفك الله يا أبا علي جميل ما فعلت ولقاك ثوابه وجعله أحسن حسنة لك فغاظني قوله وطنزه وجعلت أفكر أي شيء أعمل به فقال بحياتي يا أبا علي أخبرني من الذي يقول
(بِتُّ في دِرْعِها وبات رفيقِي ... جُنُب القَلبْ طاهرَ الأطْرافِ)
فقلت
(مَن لَهُ في حِرِ أُمِّه ألفُ قَرْنٍ ... قد أنافَت على عُلُوٍّ مناف)
وجعلت أشتمه وأثب عليه فقال لي يا أحمق منزلي دخلت ومنديلي بعت ودراهمي أنفقت على من تحرد أنت وأي شيء سبب حردك يا قواد فقلت له مهما كذبت علي فيه من شيء فما كذبت في الحمق والقيادة
نماذج من هجائه
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه والعنزي عن محمد ابن عبد الله العبدي قال
هجا مسلم بن الوليد سعيد بن سلم ويزيد بن مزيد وخزيمة بن خازم فقال
(ديُونُك لا يُقضَى الزَّمانِ غَريمُها ... وبخلُك بُخلُ الباهِلِيِّ سعِيدِ)
(سعِيدُ بن سَلْم أبخلُ النّاس كُلِّهم ... وما قَومُه من بُخْلِه ببَعيد)
(يَزِيدُ له فَضْلٌ ولكنَّ مَزْيداً ... تَدارَك فينا بخلُه بيَزيد)
(خُزيمةُ لا عَيبٌ له غير أنه ... لمطبخه قُفلٌ وباب حَدِيدِ)
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال حدثنا الأصمعي قال
قال لي سعيد بن سلم قدمت علي امرأة من باهلة من اليمامة فمدحتني
بأبيات ما تم سروري بها حتى نغصنيها مسلم بن الوليد بهجاء بلغني أنه هجاني به فقلت ما الأبيات التي مدحت بها فأنشدني
(قُتَيْبَةُ قَيْسٍ سادِ قَيْساً وسَلْمها ... فلما تَولَّى ساد قَيْساً سعيدُها)
(وسَيِّدُ قَيْسٍ سيّدُ النّاس كلّهم ... وإن مات من رَغْمٍ وذُلٍّ حَسودُها)
(هُمُ رفعوا كَفَّيْك بالمَجْد والعُلا ... ومَنْ يرفَعُ الأبناءَ إلا جُدودُها)
(إذا مدَّ للعليا سَعِيدٌ يَمينَه ... ثنت كَفُّه عنها أكُفّاً تُريدُها)
قال الأصمعي فقلت له فبأي شيء نغصها عليك مسلم فضحك وقال كلفتني شططاً ثم أنشد
(وأحببتُ من حُبِّها الباخِلين ... حتى ومِقْتُ ابنَ سَلْم سعيدا)
(إذا سِيلَ عُرفاً كسا وَجهَه ... ثِياباً من النَّقْع صُفْراً وسُودَا)
(يَغار على المَالِ فِعْل الجَواد ... وتأبى خلائقُه أن يَجُودَا)
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثني النوشجاني الخليل بن أسد قال حدثني علي بن عمرو قال

وقف بعض الكتاب على مسلم بن الوليد وهو ينشد شعراً في محفل فأطال ثم انصرف وقال لرجل كان معه ما أدري أي شيء أعجب الخليفة والخاصة من شعر هذا فوالله ما سمعت منه طائلاً فقال مسلم ردوا علي الرجل فرد إليه فأقبل عليه ثم قال
(أمّا الهِجاءُ فدَقَّ عِرضُك دونه ... والمدْحُ عنكَ كما علِمْتَ جليلُ)
(فاذْهبْ فأنتَ طَليقُ عِرْضِك إنه ... عِرضٌ عَزَزْت به وأنت ذليلُ)
دعبل يأخذ عن مسلم ويستقي من بحره
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني إبراهيم بن محمد الوراق قال حدثني الحسين بن أبي السري قال كان مسلم بن الوليد أستاذ دعبل وعنه أخذ ومن بحره استقى وحدثني دعبل أنه كان لا يزال يقول الشعر فيعرضه على مسلم فيقول له إياك أن يكون أول ما يظهر لك ساقطاً فتعرف به ثم لو قلت كل شيء جيداً كان الأول أشهر عنك وكنت أبداً لا تزال تعير به حتى قلت
(... أينَ الشَّبابُ وأيّةَ سَلَكا)
فلما سمع هذه قال لي أظهر الآن شعرك كيف شئت
قال الحسين وحدثني أبو تمام الطائي قال
ما زال دعبل متعصباً لمسلم مائلاً إليه معترفاً بأستاذيته حتى ورد عليه جرجان فجفاه مسلم وهجره دعبل فكتب إليه
(أبا مَخْلَدٍ كُنّا عَقِيدَيْ مَوَدّة ... هَوانا وقَلْبانا جَميعاً مَعاً مَعَا)
(أحوطُك بالغَيْبِ الذي أنتَ حائِطي ... وأجزَعُ إشفاقاً بأنْ تَتَوجَّعا)
(فصَيَّرتَني بعد انْتِكاثِك مُتْهماً ... لنفسي عليها أرهَبُ الخَلْقِ أجْمَعَا)
(غَشَشْتَ الهوى حتى تداعَتْ أصولُه ... بنا وابتَذَلْتَ الوَصلَ حتى تَقطَّعَا)
(وأنزلتَ من بين الجوانح والحَشا ... ذَخِيرَةَ وُدٍّ طال ما قد تمنَّعَا)
(فلا تَلْحَيَنّي ليس فيكَ مَطْمَعٍ ... تَخرَّقْتَ حتى لم أجِد لكَ مَرْقَعَا)
(فَهبْكَ يَميني استأكَلَتْ فَقَطَعتُها ... وجَشَّمتُ قلبي صَبرَه فَتَشَجَّعَا)
قال ثم تهاجرا بعد ذلك فما التقيا حتى ماتا
أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال أخبرني أحمد بن أبي
أمية قال لقي أخي محمد بن أمية مسلم بن الوليد وهو يتثنى ورواته مع بعض أصحابه فسلم عليه ثم قال له قد حضرني شيء فقال هاته قال على أنه مزاح ولا تغضب قال هاته ولو كان شتما فأنشدته
(مِن رأى فيما خَلاَرَجُلا ... تِيهُه أربى على جِدَتِهْ)
(يتَمشّى راجلاً وله ... شاكريٌّ في قَلَنْسِيَتِهِ)
فسكت عنه مسلم ولم يجبه وضحك ابن أبي أمية وافترقا
قال وكان لمحمد برذون يركبه فنفق فلقيه مسلم وهو راجل فقال ما فعل برذونك قال نفق قال فنجازيك إذا على ما أسلفتناه ثم أنشده
(قل لابنِ مَيٍّ لا تُكُن جازعاً ... لن يَرْجع البِرْذَوْنُ باللَّيْتِ)
(طامِنَ أحشاءك فِقدانُه ... وكُنْتَ فيه عالِيَ الصَّوتِ)
(وكُنتَ لا تَنْزِل عن ظَهْرِه ... ولو من الحُشِّ إلى البَيْتِ)
(ما مات من سُقْم ولكنّه ... ماتَ من الشّوقِ إلى المَوْتِ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني أحمد بن سعيد الحريري أن أبا تمام حلف ألا يصلي حتى يحفظ شعر مسلم وأبي نواس فمكث شهرين كذلك حتى حفظ شعرهما قال ودخلت عليه فرأيت شعرهما بين يديه فقلت له ما هذا فقال اللات والعُزّى وأنا أعبدهما من دون الله
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني سمعان بن عبد الصمد قال حدثني دعبل بن علي قال كان أبو نواس يسألني أن أجمع بينه وبين مسلم بن الوليد وكان مسلم
يسألني أن أجمع بينه وبين أبي نواس وكان أبو نواس إذا حضر تخلف مسلم وإذا حضر مسلم تخلف أبو نواس إلى أن اجتمعا فأنشده أبو نواس
(أجارَةَ بَيْتَيْنا أبُوكِ غَيُورُ ... وَمَيْسُور ما يُرْجَى لَدَيْكِ عَسيرُ)
وأنشده مسلم
(للّهِ من هاشِمٍ في أرْضِه جَبَلٌ ... وأنتَ وابنُكَ رُكْنَاَ ذَلِك الْجَبَل)
فقلت لأبي نواس كيف رأيت مسلماً فقال هو أشعر الناس بعدي
وسألت مسلماً وقلت كيف رأيت أبا نواس فقال هو أشعر الناس وأنا بعده
أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن عبد الخالق الأنصاري من ولد النعمان بن بشير قال حدثني مسلم بن الوليد قال وجه إلي ذو الرياستين فحملت إليه فقال أنشدني قولك
(بالغَمْرِ من زينبَ أطْلاَلُ ... مرّتْ بها بعدك أحوالُ)
فأنشدته إياها حتى انتهيت إلى قولي
(وقائلٍ ليست له هِمَّةٌ ... كلاَّ ولكن لَيس لي مالُ)
(وهِمَّةُ المُقْتِرِ أُمْنِيَّةٌ ... هَمٌّ مع الدَّهر وأشْغالُ)
(لا جِدَةٌ أُنْهِضُ عَزْمي بها ... والناسُ سُؤَّالٌ وبُخَّالُ)
(فاقعُد مع الدَّهر إلى دَوْلَةٍ ... ترفَعُ فيها حَالَك الحَالُ)
قال فلما أنشدته هذا البيت قال هذه والله الدولة التي ترفع حالك وأمر لي بمال عظيم وقلدني أوقال قبلني جوز جرجان
الرشيد يهدّده بسبب الهجاء
حدثني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال
كان مسلم بن الوليد قد انحرف عن معن بن زائدة بعد مدحه إياه لشيء أوحشه منه فسأله يزيد بن مزيد أن يهبه له فوعده ولم يفعل فتركه يزيد خوفاً منه فهجاه هجاءً كثيراً حتى حلف له الرشيد إن عاود هجاءه قطع لسانه فمن ذلك قوله

فيه
(يا مَعْنُ إنكَ لم تزل في خَزْيَةٍ ... حتى لَفَفتَ أباكَ في الأكفان)
(فاشكُرْ بَلاءَ الموتِ عِنْدكَ إنّه ... أودى بلُؤْم الحَيِّ من شَيْبَانِ)
قال وهجا أيضاً يزيد بن مزيد بعد مدحه إياه فقال
(أيزيدُ يا مَغْرورُ ألأمَ مَنْ مشَى ... تَرْجُو الفَلاحَ وأنتَ نُطْفَة مَزْيَدِ
(إن كنتَ تُنكِر منطِقي فاصرُخ به ... يومَ العَرُوبة عند بابِ المَسْجِدِ)
(في مَنْ يَزيدُ فإن أصبتَ بِمَزْيدٍ ... فَلْساً فَهاكَ على مُخاطرةٍ يَدِي)
هكذا روى جحظة في هذا الخبر والشعران جميعاً في يزيد بن مزيد فالأول منهما أوله
(... أيَزيدُ إنّك لم تَزَل في خَزْيَةٍ)
وهكذا هو في شعر مسلم ولم يلق مسلم معن بن زائدة ولا له فيه مدْح ولا هجاء
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله بن جشم قال
كان يزيد بن مزيد قد سأل مسلم بن الوليد عما يكفيه ويكفي عياله فأخبره فجعله جراية له ثم قال ليس هذا مما تحاسب به بدلاً من جائزة أو ثواب مديح فكان يبعث به إليه في كل سنة فلما مات يزيد رثاه مسلم فقال
(أحقّاً أنه أودَى يزيدُ ... تبيّنْ أيُّها النّاعِي المُشِيدُ)
(أتدْري من نَعَيْتَ وكيف دارت ... به شَفَتاك دار بها الصَّعِيدُ)
(أحامِي المجْدِ والإسْلامِ أودَى ... فما لِلأرْض وَيْحك لا تَمِيدُ)
(تأمَّلْ هل تَرَى الإسْلامَ مالت ... دعائِمُه وهل شابَ الوَلِيدُ)
(وهل شِيمَت سُيوفُ بَنِي نِزار ... وهل وُضِعت عن الخَيْل اللُّبودُ
(وهل تَسقِي البِلادَ عِشارُ مُزْنٍ ... بِدِرَّتِها وهل يَخْضَرُّ عُودُ)
(أما هُدّت لمصْرعِه نِزارٌ ... بلى وتقوَّض المَجْدُ المَشِيدُ)
(وحلَّ ضَرِيحَه إذ حلّ فيه ... طريفُ المَجْدِ والحَسَبُ التَّلِيدُ)
(أما واللّه ما تنفكُّ عَيْنِي ... عليك بدَمْعِها أبداً تَجودُ)
(وإن تَجْمُدْ دُموعُ لَئِيم قومٍ ... فليس لدَمْعِ ذي حَسَبٍ جُمودُ)
(أبعْد يَزيدَ تَخْتزنُ البواكِي ... دُموعاً أو تُصَانُ لها خُدُودُ)
(لَتَبْكِكَ قُبّةُ الإسلام لَمَّا ... وَهَتْ أطنابُها ووَهَى العَمُودُ)
(ويبكِكَ شاعِرٌ لم يُبقِ دَهْرٌ ... له نَشَباً وقد كَسَد القَصِيدُ)
(فإن يَهلِك يَزيدُ فكُلُّ حيٍّ ... فَريس للمَنِيّةِ أو طَرِيدُ)
هكذا في الخبر والقصيدة للتيمي
يمدح الفضل بن سهل ثم يرثيه
أخبرني محمد بن يحي الصولي قال حدثنا الهشامي قال حدثني
عبد الله بن عمرو قال حدثني موسى بن عبد الله التميمي قال دخل مسلم بن الوليد على الفضل بن سهل فأنشده قوله فيه
(لو نَطَق الناسُ أو أنْبَوْا بعلمِهِمُ ... ونَبَّهتْ عن مَعالِي دَهْرِكَ الكُتبُ)
(لم يَبلُغوا منك أدْنى ما تَمُتُّ به ... إذا تفاخرتِ الأملاكُ وانْتَسَبُوا)
فأمر له عن كل بيت من هذه القصيدة بألف درهم
ثم قتل الفضل فقال يرثيه
(ذَهَلْتُ فلم أنقَع غَلِيلاً بعَبْرةٍ ... وأكبرتُ أن ألقى بِيَوْمِك ناعِيَا)
(فلمَّا بَدَا لي أنّه لاعِجُ الأسَى ... وأنْ لَيْسَ إلا الدَّمعُ للحُزْنِ شافِيَا)
(أقمتُ لكَ الأنواحَ تَرتَدُّ بينها ... مآتِمُ تندبنَ النّدَى والمَعَاليا)
(وما كان مَنْعِي الفَضْلِ مَنْعاةَ واحِدٍ ... ولكنّ مَنْعَى الفَضْلِ كان مَناعِيا)
(ألِلبأسِ أم لِلجُود أم لمقاوِمٍ ... من المُلْكِ يَزْحَمْنَ الجبالَ الرَّوَاسِيَا)
(عَفَتْ بعدَك الأيّام لا بل تَبدّلت ... وكُنّ كأعْيادٍ فعُدْنَ مَباكِيَا)
(فلم أرَ إلاّ قَبْل يَوْمِك ضاحِكاً ... ولم أرَ إلا بَعْدَ يَوْمِك باكِيَا)
أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثنا محمد بن عجلان قال حدثنا يعقوب بن السكيت قال أخبرني محمد بن المهنأ قال
كان العباس بن الأحنف مع إخوان له على شراب فذكروا مسلم بن
الوليد فقال بعضهم صَرِيعُ الغواني فقال العباس ذاك ينبغي أن يسمى صريع الغيلان لا صريع الغواني وبلغ ذلك مسلما فقال يهجوه
(بَنُو حَنِيفَةَ لا يَرْضَى الدّعيُّ بِهِم ... فاتْرُكْ حَنِيفَةَ واطلُب غيرَها نَسَبَا)
(فاذهبْ فأنت طَلِيقُ الحِلْم مُرْتَهَنٌ ... بسَوْرَة الجَهْلِ ما لم أمْلِكِ الغَضَبَا)
(اذْهَبْ إلى عَرَبٍ تَرْضَى بِنِسبْتهم ... إني أرَى لَكَ خَلْقاً يُشبِهُ العَرَبا)
(مُنِّيتَ مِنّي وقد جَدّ الجِرَاءُ بنا ... بغَايةٍ مَنَعَتْكَ الفَوْتَ والطَّلَبَا)
أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن جده قال قلت لمسلم بن الوليد ويحك أما استحييت من الناس حين تهجو خزيمة بن خازم ولا استحييت منا ونحن إخوانك وقد علمت أنا نتولاه وهو من تعرف فضلاً وجوداً فضحك وقال لي يا أبا إسحاق لغيرك الجهل أما تعلم أن الهجاء آخذ بضبع الشاعر وأجدي عليه من المديح المضرع وما ظلمت مع ذلك منهم أحداً وما مضى فلا سبيل إلى رده ولكن قد وهبت لك عرض خزيمة بعد هذا قال ثم أنشدني قوله في سعيد بن سلم
(دُيونُكَ لا يُقْضَى الزّمانَ غَرِيمُها ... وبُخْلُك بُخلُ البَاهِلِيِّ سَعِيدِ)
(سَعِيدُ بنُ سَلْم أبْخَلُ الناس كُلِّهم ... وما قومُه من بُخله بِبَعيدِ)

فقلت له وسَعيدُ بنُ سَلْم صَديقي أيضاً فهبه لي فقال إن أقْبَلتَ على ما يَعنيك وإلا رَجعْت فيما وهبت لك من خزيمة فأمسكت عنه راضياً بالكفاف

يمدح محمد بن يزيد بن مزيد ثم الفضل بن يحيى

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الله بن محمد بن موسى بن عمر بن حمزة بن بزيع قال حدثني عبد الله بن الحسن اللهبي قال

كان مسلم بن الوليد مداحاً ليزيد بن مزيد وكان يؤثره ويقدمه ويجزل صلته فلما مات وفد على ابنه محمد فمدحه وعزاه عن أبيه وأقام ببابه أياماً فلم ير منه ما يحب فانصرف عنه وقال فيه

(لَيستْ عَزاءً عن لِقاءِ محمدٍ ... وأعرضتُ عنه مُنْصِفاً وَوَدُودا)
(وقلتُ لِنَفْسٍ قادَها الشّوقُ نحوَه ... فَعوَّضها منه اللِّقاءُ صُدُودَا)
(هَبِيبهِ امرأً قد كان أصفاكِ وُدَّه ... وماتَ وإلا فاحسِبِيه يَزيداً)
(لعَمري لقد ولَّى فلم ألْقَ بَعدَه ... وفاءً لذي عَهْدٍ يُعَدُّ حَمِيدَا)

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود قال

دخل مسلم بن الوليد يوماً على الفضل بن يحيى وقد كان أتاه خبر مسيره فجلس للشعراء فمدحوه وأثابهم ونظر في حوائج الناس فقضاها وتفرق الناس عنه وجلس للشرب ومسلم غير حاضر لذلك وإنما بلغه حين انقضى المجلس فجاءه فأدخل إليه فاستأذن في الإنشاد فأذن له فأنشده وقوله فيه

((أتتْكَ المطَايا تَهْتَدِي بمَطِيَّة ... عليها فَتىً كالنَّصْلِ مُؤنِسُه النَّصْلُ)

يقول فيها

(وَردتُ رِواقَ الفَضْلِ آمِلُ فَضلَه ... فحطَّ الثَّناءَ الجَزْلَ نائِلُه الجَزْلُ)
(فتىً تَرتْعِي الآمالُ مُزنَة جُودِه ... إذا كان مَرْعَاها الأمانِيُّ والمَطْلُ)
(تساقطُ يُمناه النَّدى وشِمالُه الرَّدَى ... وعيونُ القَوْلِ مَنطِقُه الفَصْلُ)
(ألحّ على الأيامِ يَفري خُطوبَها ... على مَنْهجٍ ألْفى أباه به قَبْلُ)
(أنافَ به العلياءَ يَحْيى وَخالدٌ ... فلَيس له مِثْلٌ ولا لَهُما مِثْلُ)
(فُروعٌ أصابت مَغْرِساً مُتَمَكِّناً ... وأصْلاً فطابت حيث وجّهها الأصلُ)
(بكفِّ أبي العَبّاسِ يُستَمطَر الغِنَى ... وتُستَنْزَل النُّعمى ويُسْتَرعَف النَّصلُ)

قال فطرب الفضل طربا شديداً وأمر بأن تعد الأبيات فعدت فكانت ثمانين بيتا فأمر له بثمانين ألف درهم وقال لولا أنها أكثر ما وصل به الشعراء لزدتك ولكنه شأوٌ لا يمكنني أن أتجاوزه يعني أن الرشيد رسمه لمروان ابن أبي حفصة وأمره بالجلوس معه والمقام عنده لمنادمته فأقام عنده وشرب معه وكانت على رأس الفضل وصيفة تسقيه كأنها لؤلؤة فلمح الفضل مسلماً ينظر إليها فقال قد وحياتي يا أبا الوليد أعجبتك فقل فيها أبياتاً حتى أهبها لك فقال

(إن كُنتِ تَسْقِين غيرَ الرَّاحِ فاسقِيني ... كأساً ألذّ بها من فِيكِ تَشْفِيني)
((عَيْناكِ راحِي ورَيْحاني حَدِيثُكِ لي ... ولَونُ خَدَّيْكِ لَونُ الوَردِ يَكْفِيني)
(إذا نَهاني عن شُرْبِ الطِّلا حَرَجٌ ... فخَمْرُ عَيْنَيْكِ يُغنِيني ويَجْزِيني)
(لولاَ علاماتُ شَيبٍ لو أتَت وَعَظَت ... لقد صَحوتُ ولكِن سوف تَأتِيني)
(أرضِي الشَّبابَ فإن أهلِكْ فعن قَدَرٍ ... وإن بَقيتُ فإن الشَّيبَ يُشقِيني)

فقال له خذها بورك لك فيها وأمر بتوجيهها مع بعض خدمها إليه

يتنسك بعد موت زوجته

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن إبراهيم قال

كانت لمسلم بن الوليد زوجة من أهله كانت تكفيه أمره وتسره فيما تليه له منه فماتت فجزع عليها جزعاً شديداً وتنسك مدة طويلة وعزم على ملازمة ذلك فأقسم عليه بعض إخوانه ذات يوم أن يزوره ففعل فأكلوا وقدموا الشاب فامتنع منه فسلم وأباه وأنشأ يقول

(بُكاءٌ وكأسٌ كيف يَتَّفِقانِ ... سَبِيلاهُما في القَلْبِ مُختَلِفانِ)
(دَعاني وإفراطَ البُكاءِ فإنَّني ... أرى اليومَ فيه غيرَ ما تَرَيانِ)
(غَدَتْ والثَّرى أولَى بها مِن وَلِيّها ... إلى منزلٍ ناءٍ لعَيْنكَ دَانِ)
(فلا حُزْنَ حتى تَذرِفَ العَيْنُ ماءها ... وتعترِفَ الأحشاءُ للخَفَقَانِ)
(وكَيفَ بِدَفْعِ اليأسِ للوَجْدِ بعدَها ... وسَهْمَاهُما في القلب يَعْتَلِجانِ)

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الصباح قال حدثني مالك بن إبراهيم قال

كان مسلم بن الوليد يهاجي الحكم بن قنبر المازني فغلب عليه ابن قنبر

مدة وأخرسه ثم أثاب مسلم بعد أن انخزل وأفحم فهتك ابن قنبر حتى كف عن مناقضته فكان يهرب منه فإذا لقيه مسلم قبض عليه وهجاه وأنشده ما قاله فيه فيمسك عن إجابته ثم جاءه ابن قنبر إلى منزله واعتذر إليه مما سلف وتحمل عليه بأهله وسأله الإمساك فوعده بذلك فقال فيه

(حَلُمَ ابنُ قَنْبَرَ حين أقْصَرَ جهلُه ... هل كان يَحلُم شاعِرٌ عن شاعِرِ)
(ما أنتَ بالحَكَم الذي سُمِّيتَه ... غالَتْكَ حِلْمَكَ هَفْوَةٌ من قاهِرِ)
(لو لا اعْتِذارُك لارْتَمى بك زاخِرٌ ... مَرِحُ العُبابِ يَفوتُ طرفَ النَّاظِرِ)
(لا تُرتِعَنْ لَحمِي لِسانَك بعدَها ... إنّي أخاف عليك شَفْرَةَ جَازِرِ)
(واستَغْنِم العَفوَ الذي أُوتِيتَه ... لا تأمَنَنَّ عُقوبةً من قادِرِ)

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن ا لقاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن عبد الله أبو بكر العبدي قال

رأيت مسلم بن الوليد وابن قنبر في مسجد الرصافة في يوم جمعة وكل واحد منهما بإزاء صاحبه وكانا يتهاجيان فبدأ مسلم فقال

(أنا النَّار في أحجارها مُستكِنَّةٌ ... فإن كنتَ ممن يقدحُ النّارَ فاقدحِ)

فأجابه ابن قنبر فقال

(قد كنتَ تَهوي وما قوسى بمُوتَرة ... فكيف ظنُّك بي والقوسُ في الوَتر)
قال فوثب إليه مسلم وتواخزا وتواثبا وحجز الناس بينهما فتفرقا
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي بن عبيد الكوفي قال حدثني علي بن عمروس الأنصاري قال
جاء رجل من الأنصار ثم من الخزرج إلى مسلم بن الوليد فقال له ويلك
ما لنا ولك قد فضحتنا وأخزيتنا تعرضت لابن قنبر فهاجيته حتى إذا أمكنته من أعراضنا انخزلت عنه وأرعيته لحومنا فلا أنت سكت ووسعك ما وسع غيرك ولا أنت لما انتصرت انتصفت فقال له مسلم فما أصنع فأنا أصبر عليه فإن كف وإلا تحملت عليه بإخوانه فإن كف وإلا وكلته إلى بغيه ولنا شيخ يصوم الدهر ويقوم الليل فإن أقام على ما هو عليه سألته أن يسهر له ليلة يدعو الله عليه فيها فإنها تهلكه فقال له الأنصاري سخنت عينيك أو بهذا تنتصف ممن هجاك ثم قال له
(قد لاذ من خوفِ ابنِ قَنبر مُسلمٌ ... بدُعاء والِده مع الأسحارِ)
(ورأيتُ شرَّ وعيده أن يشتكي ... ما قد عراه إلى أخٍ أو جارِ)
(ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ قد هتكْتَ حريمنَا ... وفضَحت أُسرتَنا بني النجارِ)
(عمَّمتَ خَزْرَجَنا ومَعشَرَ أَوْسِنا ... خِزياً جَنيتَ به على الأنصارِ)
(فعليكَ من مولىً وناصرِ أُسرةٍ ... وعشيرةٍ غضَبُ الإله الباري)
قال فكاد مسلم أن يموت غماً وبكاء وقال له أنت شر علي من ابن قنبر ثم أثاب رحمي فهتك ابن قنبر ومزقه حتى تركه وتحمل عليه بابنه وأهله حتى أعفاه من المهاجاة
ونسخت هذا الخبر من كتاب جدي يحي بن محمد بن ثوابة بخطه قال
حدثني الحسن بن سعيد قال حدثني منصور بن جمهور قال
لما هجا ابن قنبر مسلم بن الوليد أمسك عنه مسلم بعد أن أشلى عليه لسانه قال فجاءه عم له فقال له يا هذا الرجل إنك عند الناس فوق ابن قنبر في عمود الشعر وقد بعث عليك لسانه ثم أمسكت عنه فإما أن قارعته أو سالمته فقال له مسلم إن لنا شيخاً وله مسجد يتهجد فيه وله بين ذلك
دعوات يدعو بهن ونحن نسأله أن يجعله من بعض دعواته فإنا نكفاه فأطرق الرجل ساعة ثم قال
(غلب ابنُ قَنبر واللئيمُ مُغلَّبٌ ... لما اتَّقيتَ هِجاءه بدُعاءِ)
(ما زال يقْذِف بالهجاء ولذعِه ... حتى اتّقوه بدَعوة الآباءِ)
قال فقال له مسلم والله ما كان ابن قنبر يبلغ مني هذا كله فأمسك لسانك عني وتعرف خبره بعد هذا قال فأمسك لسانك عني وتعرف خبره بعد هذا قال فبعث والله عليه من لسان مسلم ما أسكته هكذا جاء في الأخبار
وقد حدثني بخبر مناقضته ابن قنبر جماعة ذكروا قصائدهما جميعا فوجدت في الشعر الفضل لابن قنبر عليه لأن له عدة قصائد لا نقائض لها يذكر فيها تعريده عن الجواب وقصائد يذكر فيها أن مسلماً فخر على قريش وعلى النبي بأشياء تبيح دمه فكف مسلم عن مناقضته خوفاً منها وجحد أشياء كان قالها فيه
فممن أخبرني بذلك هاشم بن محمد الخزاعي قال
حدثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن الوليد مولى الأنصار وكان عالماً بشعر مسلم بن الوليد وأخباره قال
سبب المهاجاة بينه وبين ابن قنبر
كان سبب المهاجاة بين مسلم بن الوليد والحكم بن قنبر أن الطرماح بن حكيم قد كان هجا بني تميم بقصيدته التي يقول فيها
(لا عَزّ نصرُ امرئٍ أضحى له فرسٌ ... على تميم يريد النصرَ من أحدِ)
(إذا دعا بشعار الأزْدِ نَفَّرهم ... كما يُنفِّر صوتُ الليث بالنَّقَدِ)
(لو حانَ وِردُ تميم ثم قيل لهم ... حَوضُ الرسولِ عليه الأزدُ لم تَرِدِ)
(أو أنزل اللّه وحْياً أن يعذِّبها ... إن لم تَعُد لقتال الأزد لم تَعُدِ)
وهي قصيدة طويلة وكان الفرزدق أجاب الطرماح عنها ثم إن ابن قنبر المازني قال بعد خبر طويل يرد على الطرماح
(يا عاوياً هاج لَيْثاً بالعُواء له ... شَثْنَ البراثن وَرْدَ اللون ذا لِبَدِ)
(أيّ الموارد هابت جَمَّ غَمْرته ... بنو تميم على حال فلم تَرِدِ)
(ألم تَرِدْ يوم قَنْدَابيل مُعلمَة ... بالخَيْل تَضْبِر نحو الأزْد كالأُسُدِ)
(بفتيةٍ لم تنازعْهَا فتطبَعها ... بلؤمها طَيِّئٌ ثدياً ولم تلدِ)
(خاضت إلى الأزد بحراً ذا غوارب من ... سُمْر طوالٍ وبحراً من قَناً قِصَدِ)
(فأوردَتْها مَناياها بمُرْهَفَةٍ ... مُلْس المضارب لم تُفْلَلْ ولم تَكِدِ)
وهي قصيدة طويلة وقد كان الطرماح قال أيضاً
(تميمٌ بطُرْقِ اللؤمِ أهدى منَ القَطَا ... ولو سلَكتْ طُرْقَ المكارمِ ضَلَّتِ)
(أرى الليلَ يجلوه النهارُ ولا أرى ... عظامَ المخازي عن تميم تَجلَّتِ)
وقد كان الفرزدق أيضاً أجابه عنها فقال ابن قنبر ينقضها
(لَعمرُكِ ما ضَلَّتْ تَميمٌ ولا جَرَتْ ... على إثر أشْياخٍ عن المَجْد ضَلَّتِ)
(ولا جَبُنت بل أقدَمت يوم كسَّرت ... لها الأزدُ أغمادَ السُّيوفِ وسَلَّتِ)
(بغائط قنْدابيل والموتُ خائضٌ ... عليها بآجالٍ لها قد أظلَّت)
(فما بَرحت تُسقَى كُؤوسَ حِمامِها ... إذا نَهِلتْ كرُّوا عليها فَعلَّتِ)
(إلى أن أبادَتْهم تَميمٌ وأكذبت ... أمانِيَّ للشَّيطان عنها اضمحلّتِ)
وحانَ فِراقٌ منهمُ كُلَّ خَدْلة ... مُفارِقةٍ بَعلاً به قد تَمَلَّتِ) وهي أيضاً طويلة قال فبلغ مسلم بن الوليد هجاء ابن قنبر للأزد وطيء ورده على الطرماح بعد موته فغضب من ذلك وقال ما المعنى في مناقضة رجل ميت وإثارة الشر بذكر القبائل لا سيما وقد أجابه الفرزدق عن قوله فأبى ابن قنبر إلا تماديا في مناقضته فقال مسلم قصيدته التي أولها
(آياتُ أطلالٍ برامةَ دُرَّس ... هِجْن الصَّبابة إذ ذكرْتُ مُعرَّسِي)

(أوحَتْ إلى دِرَرِ الدُّموع فأسْبَلت ... واستَفْهَمْتها غيرَ أنْ لَمْ تَنبسِ)
يقول فيها يصف الخمر
(صفراءَ من حَلَب الكروم كسوتُها ... بيضاء من حَلَب الغُيُوم البُجَّسِ)
(طارت ولاوَذَها الحَبَابُ فحَاكَها ... فكأن حِلْيَتها جَنِيُّ النَّرجِسِ)
ويقول فيها يصف السيوف
(وتُفارِقُ الأغمادَ تبدو تارةً ... حُمْراً وتَخفى تارة في الأرْؤُسِ)
(حَربٌ يكون وَقودُها أبناءَها ... لَقِحَتْ على عُقْرٍ ولمَّا تُنْفِسِ)
(من هاربٍ رَكِبَ النَّجاء ومُقعَصٍ ... جَثَمت منيتهُ على المتنفَّسِ)
(غصَبْته أطرافُ الأسِنَّة نفسَه ... فثوى فَريسةَوَلَّغٍ أو نُهَّسِ)
(إن كنتِ نازلةَ اليفاع فَنَكِّبي ... دارَ الرِّباب وخَزْرجي أو أوْسِي)
(وتجنَّبي الجَعْراءَ إنَّ سيوفَهم حُدُثٌ وإن قناتَهم لم تضرُسِ)
(هل طَيءُّ الأجبال شاكِرةٌ امرئٍ ... ذادَ القوافي عن حِماها مِردسِ)
(أحمي أبا نفرٍ عِظامَ حُفَيْرةٍ ... دَرَستْ وباقي غَرْسِها لم يَدرُسِ)
(كافأتَ نِعْمتها بضِعْفِ بلائِها ... ثم انفردْتَ بمنصِبٍ لم يَدْنَسِ)
(وإذا افتخرتَ عددتُ سَعيِ مآثرٍ ... قَصرت على الإغضاء طَرْفَ الأشْوسِ)
(رفَعت بنو النَّجار حِلْفي فيهمُ ... ثم انفردتُ فأفسحُوا عن مجلِسي)
(فاعقِلْ لسانَك عن شتائِم قومِنا ... لا يعلقنّك خادرٌ من مأنَسِ)
((أخلفْتَ فَخْرَك من أبيك وجئتني ... بأبٍ جَديدٍ بعد طُول تَلمُّسِ
(أخذَتْ عليه المحكَماتُ طريقَها ... فَغدا يُهاجي أعظُماً في مَرْمَسِ)
قال فلم يُجبه ابن قنبر عن هذه بشيء ثم التقيا فتعاتبا واعتذر كل واحد منهما إلى صاحبه فقال مسلم يهجوه
(حَلُمَ ابنُ قَنْبر حين قَصَّر شِعرُه ... هل كان يَحلُمُ شاعرٌ عن شاعِرِ)
مسلم يهجو قريشا ويفخر بالأنصار
وقد مضت هذه الأبيات متقدما قال ومكث ابن قنبر حينا لا يجيبه عن هذا ولا عن غيره بشيء طلباً للكفاف ثم هجا مسلم قريشاً وفخر بالأنصار فقال
(قل لِمَن تاه إذ بنا عَزَّ جهْلاً ... ليس بالتِّيه يفخَرِ الأحرارُ)
(فتناهَوْا وأقصِروا فلقد جارَت ... عن القَصْد فيكمُ الأنصارُ)
(أيُّكم حاطَ ذا جِوارٍ بعزٍّ ... قبل أنْ تحتويه مِنَّا الدّارُ)
(أو رجا أن يفوتَ قَوماً بوتْرٍ ... لم تَزلْ تَمتطِيهِمُ الأوتارُ)
(لم يَكُن ذاك فيكُمُ فدَعوا الفخرِ... بما لا يَسوغُ فيه افتِخارُ)
(ونِزاراً ففاخِروا تفضُلوهم ... ودعُوا مَنْ له عبيداً نِزارُ)
(فِبنا عَزّ منكم الذُّلُّ والدّهْرُ ... عليكم بريبةٍ كرّارُ)
(حاذِرُوا دولةَ الزَّمان عليكمْ ... إنّه بين أهله أطْوارُ)
(فتُردُّوا ونحن للحالة الأُولى ... وللأوحد الأذلّ الصَّغارُ)
((فاخرتْنا لمّا بَسطنا لها الفخرَ... قريشٌ وفخرُها مُستَعارُ
(ذكرتْ عِزّها وما كان فيها ... قَبْل أن يسْتَجيرَنامُستَجارُ)
(إنَّما كان عِزُّها في جبالٍ ... تَرتَقيها كما تَرقَّى الوِبارُ)
(أيُّها الفاخِرون بالعِزّ والعِزُّ ... لقومٍ سِواهُمُ والفخارُ)
(أخبِرونا من الأعزُّ أَالْمنْصورُ ... حتى اعتلَى أم الأنصارُ)
(فَلنَا العِزُّ قبل عِزِّ قُريشٍ ... وقُريشٌ تِلكَ الدُّهور تِجارُ)
قال فانبرى له ابن قنبر يجيبه فقال
(ألا امثُلْ أميرَ المؤمنين بمسلمِ ... وأفلِق به الأحشاءَ من كلِ مُجرمِ)
(ولا ترجعَنْ عن قَتْله باستِتابةٍ ... فما هو عن شَتْمِ النَّبي بمحرمِ)
(ولا عن مُساواةٍ له ولقومِه ... قُريشٍ بأصداءٍ لِعادٍ وجُرْهُمِ)
(ويفخرِ بالأنصار جَهْلاً على الذي ... بنصرته فازوا بحظٍّ ومَغْنمِ)
(وسمُّوا به الأنصارَ لا عزَّ قائلٌ ... أرادَ قُريشاً بالمَقالِ المُذمَّمِ)
(ومنهمِ رسولُ اللهِ أزكى مَن انتمى ... إلى نَسبٍ زاكٍ ومجْدٍ مُقدَّمِ)
(وما كانَت الأنصار قبل اعْتصامِها ... بنَصْرِ قُريش في المحلِّ المُعظَّمِ)
(ولا بالأُلى يعلون أقدارَ قومِهم ... صُداءٍ وخَولانٍ ولَخمٍ وسلْهِمِ)
(ولكنَّهم باللهِ عاذُوا ونَصرهم ... قريشاً ومن يَستعصِمِ الله يُعصَمِ)
(فعزُّوا وقد كانوا وقُطيون فيهم ... من الذلّ في بابٍ من العِزّ مُبْهمِ)
((يسومهم الفِطْيَوْن ما لا يُسامُه ... كريمٌ ومن لا يُنكرِ الظُّلم يُظلَمِ
(وإنّ قُريشاً بالمآثرِ فُضِّلَتْ ... على الخلق طُرّاً من فَصِيحٍ وأعجَمِ)
(فما بالُ هذا العِلْجِ ضلَّ ضلالُه ... يَمُدّ إليهم كفَّ أجذمَ أعْسمِ)
(يُسامي قُريشاً مُسلمٌ وهمُ هُم ... بمولىً يمانيٍّ وبيتٍ مُهدَّمِ)
(إذا قام فيه غيرهم لم يكن له ... مقامٌ به من لُؤم مبنى ومَدْعَمِ)
(جَعاسيسُ أشباهُ القُرودِ لو انّهم ... يُباعون ما ابتيعوا جميعاً بدِرْهمِ)
(وما مُسلمٌ من هؤلاءِ ولا الألى ... ولكنّه من نسلِ عِلْجٍ مُلَكَّمِ)
(تولّى زماناً غيرهم ثُمّتَ ادّعى ... إليهم فلم يَكرُم ولم يَتكرّمِ)
(فإن يَكُ منهم فالنَّضير ولِفُّهُم ... مواليه لا مَنْ يَدَّعي بالتَّزعُّمِ)

(وإن تدعُه الأنصارُ مولىً أسمهم ... بقافيةٍ تَسْتكره الجِلْدَ بالدَّمِ)
(عِقاباً لهم في إفكهم وادّعائهم ... لأقلفَ منقوشِ الذراعِ مُوَشَّمِ)
(فلا تَدَّعوه وانتفوا منه تسلموا ... بِنَفْيِكُمُوه من مقامٍ ومأثمِ)
(وإلا فغُضُّوا الطَّرْفَ وانتظروا الرَّدى ... إذا اختلفت فيكم صوارِدُ أسهُمِي)
(ولم تَجدوا منها مِجَنّاً يُجِنُّكم ... إذا طلعت من كُلِّ فجٍّ ومعْلَمِ)
(وأنتم بنو أذناب من أنتم له ... ولستم بأبناء السَّنامِ المقدّمِ
(ولا ببني الرأسِ الرفيعِ مَحلُّه ... فيسمو بكم مَولىً مُسَامٍ وينْتمي)
(فكيف رضيتم أن يُسامَى نبيّكم ... ببيتكُم الرَّثِّ القصيرِ المهدَّمِ
(سأحطِم من سَامى النبيَّ تطاوُلاً ... عليه وأكوي مُنتماه بميسَمِ)
(أيُعدلُ بيتٌ يثربيٌّ بكعبةٍ ... ثوتها قُريشٌ في المكان المُحرَّمِ)
(قُريشٌ خِيارُ اللّه واللهُ خصَّهم ... بذلك فاقْعَسْ أيُّها العِلْجُ وارْغَمِ)
(ومَنْ يدّعي منه الولاءَ مُؤخَّرٌ ... إذا قِيل للجَاري إلى المجد أقدِمِ)
مسلم يهجو تميماً وابن قنبر يهجوه
قال وكان مسلم قال هذه القصيدة في قريش وكتمها فوقعت إلى ابن قنبر وأجابه عنها واستعلى عليه وهتكه وأغرى به السلطان فلم يكن عند مسلم في هذا جواب أكثر من الانتفاء منها ونسبتها إلى قنبر والادعاء عليه أنه ألصقها به ونسبها إليه ليعرضه للسلطان وخافه فقال ينتفي من هذه القصيدة ويهجو تميماً
(دعوتَ أميرَ المؤمنين ولم تَكُن ... هُناك ولكن مَنْ يَخَفْ يَتجشَّمِ)
(وإنَّكَ إذ تَدْعُوا الخليفَةَ ناصِراً ... لكالمُترقِّي في السماءِ بسُلَّمِ)
(كذاكَ الصَّدَى تَدْعوه من حيث لا ترَى ... وإن تَتَوهَّمْه تَمُتْ في التَّوهُّمِ)
(هجوتَ قُريْشاً عامداً ونحلْتَني ... رُويدكَ يَظهرْ ما تَقول فيُعلَمِ)
(إذا كان مِثْلي في قَبيلٍ فإنَّه ... على ابنَيْ لُؤيٍّ قُصْرةً غيرُ مُتْهمِ)
(سيكْشِفُك التَّعديلُ عمَّا قَرفْتني ... به فتأخَّرْ عارفاً أو تَقدَّمِ)
(فإنَّ قُريْشاً لا تُغَيِّرُ وُدَّها ... ولا يُستْمالُ عهدُها بالتَّزعُّمِ)
(مضى سَلفٌ منهم وصلَّى بِعَقْبِهم ... لنا سلفٌ في الأوَّلِ المُتقدِّمِ
(جَروْا فجريْنا سابِقين بسبْقِهم ... كما اتَّبعَتْ كفٌّ نواشِرَ مِعْصَمِ)
(وإنَّ الذي يسْعى ليقطَع بيننا ... كمُلتمِسِ اليربُوعِ في جُحرِ أرقَمِ)
(أضلَّك قَدْعُ الآبدات طريقَها ... فأصبحتَ من عَميائِها في تَهَيُّمِ)
(وخانَتك عند الجري لمَّا اتَّبعْتَها ... تميمٌ فحاولتَ العُلا بالتَّقحُّمِ)
(فأصبحت ترميني بسَهمي وتتَّقي ... يدِي بيدِي أُصلِيتَ نارَك فاضْرَمِ)
قال ثم هجاه ابن قنبر بقصيدة أولها
(قُل لعبدِ النَّضيرِ مُسلمِ الوغْدِ ... الدَّنيِّ اللئيم شيْخِ النِّصابِ)
(أخسَ يا كلبُ إذ نبحتَ فإنِّي ... لستُ ممن يجيبُ نبْحَ الكِلابِ)
(أفأرضي ومنصِبي مَنْصبُ العِزِّ ... وبيتي في ذِروةِ الأحسابِ)
(أن أحطَّ الرَّفيعَ من سَمْك بيتي ... بمهاجاة أوشَبِ الأوشَابِ)
(مَنْ إذا سِيل مَن أبُوه بَدا منه ... حياءٌ يحميه رجْع الجوابِ)
(وإذا قِيل حين يُقيلُ من أنْتَ ... ومَنْ تعتزيه في الأنْسابِ)
(قلتَ هاجِي ابنِ قَنْبرٍ فتسربلتَ ... بذكري فخراً لَدَى النُّسَّابِ)
وهي قصيدة فلم يُجبه مسلم عنها بشيء فقال فيه ابن قنبر أيضاً
(لستُ أنفيك إنْ سِوايَ نَفَاكا ... عن أبيكِ الذي له مُنتماكا
(ولماذا أنفيك يا بنَ وليدٍ ... من أبٍ إن ذكرتَه أخزَاكا)
(ولو أنّي طلبتُ ألأمَ منه ... لم أجِده إن لم تكن أنتَ ذاكا)
(لو سِواه أباكَ كان جعَلنا ... إن الناسَ طاوعونا أباكا)
(حاكَ دهراً بغَير حِذقٍ لبُرْدٍ ... وتحوكُ الأشعارَ أنتَ كذاكا)
وهي طويلة فلم يجبه مسلم عنها بشيء فقال ابن قنبر أيضاً يهجوه
(فَخر العبدُ عبدُ قِنِّ اليهودِ ... بضعيفٍ من فخره مَردُودِ)
(فاخِر الغُرَّ من قريش بإخْوان ... خنازيرٍ من يثربٍ والقُرودِ)
(يتولّى بني النَّضير ويدعُو ... بهِمُ الفخْرَ من مكان بَعيدِ)
(وبَنِي الأوسِ والخزارجِ أهْلِ الذُّلِّ ... في سالف الزّمان التَّليدِ)
(إذ رَضُوا بافتضاض فِطْيَوْن منهم ... كلَّ بِكْرٍ ريَّا الروادفِ رُودِ)
(وبنو عمِّها شهُود لمَا يَفْعل ... فِطْيَوْن قُبِّحوا من شُهودِ)
(خَلْفَ بابِ الفِطْيَونِ والبَعلُ منهم ... لا بذي غَيْرةٍ ولا بنجيدِ)
(فإذا ما قَضى اليهوديّ منها ... نحْبَه قُنِّعوا بخِزْيٍ جديدِ)
قال فلما أفحش في هذه القصيدة وفي عدة قصائد قالها ومسلم لا يجيبه مشى إليه قوم من مشيخة الأنصار واستعانوا بمشيخة من قراء تميم وذوي العلم والفضل منهم فمشوا معهم إليه فقالوا له ألا تستحي من أن تهجو من لا يجيبك أنت بدأت الرجل فأجابك ثم عدت فكف وتجاوزت ذلك إلى ذكر أعراض
الأنصار التي كان رسول الله يحميها ويذب عنها ويصونها لغير حال أحلت لك ذلك منهم فما زالوا يغطونه ويقولون له كل قول حتى أمسك عن المناقضة لمسلم فانقطعت
صوت
(ثلاثةٌ تُشرق الدُّنيا ببَهْجتهم ... شمسُ الضحى وأبُو إسحاق والقمرُ)

(يحكِي أفاعيلَه في كلّ نائبةٍ ... الغيثُ والليثُ والصَّمصامةُ الذَّكَرُ)
الشعر لمحمد بن وهيب والغناء لعلويه ثقيل أول بالوسطى وفيه لإبراهيم بن المهدي ثقيل أول آخر عن الهشامي
أخبار محمد بن وهيب
محمد بن وهيب الحميري صليبة شاعر من أهل بغداد من شعراء الدولة العباسية وأصله من البصرة وله أشعار كثيرة يذكرها فيها ويتشوقها ويصف إيطانه إياها ومنشأه بها
وكان يستمنح الناس بشعره ويتكسب بالمديح ثم توسل إلى الحسن ابن سهل بالحسن بن رجاء بن أبي الضحاك ومدحه فأوصله إليه وسمع شعره فأعجب به واقتطعه إليه وأوصله إلى المأمون حتى مدحه وشفع له فأسنى جائزته ثم لم يزل منقطعاً إليه حتى مات وكان يتشيع وله مراث في أهل البيت
وهو متوسط من شعراء طبقته وفي شعره أشياء نادرة فاضلة وأشياء متكلفة
المعتصم يسمعه ويجيزه
أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال زعم أبو محلم وأخبرني عمي عن علي بن الحسين بن عبد الأعلى عن أبي محلم قال اجتمع الشعراء على باب المعتصم فبعث إليهم محمد بن عبد الملك
الزيات أن أمير المؤمنين يقول لكم من كان منكم يحسن أن يقول مثل قول النمري في الرشيد
(خَلِيفَةَ الله إن الجُودَ أودِيَةٌ ... أحلَّك اللَّهُ منها حيث تجتمعُ)
(مَنْ لم يكن بأمِين الله مُعتصِماً ... فليس بالصلواتِ الخمسِ ينتفعُ)
(إن أخلف القطرُ لم تُخلِف مخايله ... أو ضاق أمرٌ ذكرناه فيتّسعُ)
فليدخل وإلا فلينصرف فقام محمد بن وهيب فقال فينا من يقول مثله قال وأي شيء قلت فقال
(ثلاثةٌ تُشرق الدنيا ببهجتهم ... شمسُ الضُّحى وأبو إسحاقَ والقمرُ)
(تحكي أفاعيلَه في كل نائبةٍ ... الغيثُ والليثُ والصَّمصامةُ الذَّكَرُ)
فأمر بإدخاله وأحسن جائزته
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد بن مروان أبو موسى قال حدثني محمد بن وهيب الشاعر قال
لما تولى الحسن بن رجاء بن أبي الضحاك الجبل قلت فيه شعراً وأنشدته أصحابنا دعبل بن علي وأبا سعد المخزومي وأبا تمام الطائي فاستحسنوا الشعر وقالوا هذا لعمري من الأشعار التي تلقى بها الملوك فخرجت إلى الجبل فلما صرت إلى همذان أخبره الحاجب بمكاني فأذن لي فأنشدته الشعر فاستحسن منه قولي
(أجارتَنا إنّ التّعفّفَ بالياس ... وصَبراً على استِدْرار دُنيا بإبْساس)
(حَرِيّان ألاّ يقذِفا بمذلةٍ ... كريماً وألاّ يُحوجاه إلى الناس)
(أجارتنا إنَّ القِداحَ كواذِبٌ ... وأكثرُ أسبابِ النَّجاح مع الياسِ)
فأمر حاجبه بإضافتي فأقمت بحضرته كلما دخلت إليه لم أنصرف إلا بحملان أو خلعة أو جائزة حتى انصرم الصيف فقال لي يا محمد إن الشتاء عندنا علج فأعد يوماً للوداع فقلت خدمة الأمير أحب إلي فلما كاد الشتاء أن يشتد قال لي هذا أوان الوداع فأنشدني الثلاثة الأبيات فقد فهمت الشعر كله فلما أنشدته
(أجارتنَا إن القِداح كواذِبٌ ... وأكثرُ أسبابِ النَّجاح مع الياسِ)
قال صدقت ثم قال عدوا أبيات القصيدة فأعطوه لكل بيت ألف درهم فعدت فكانت اثنين وسبعين بيتاً فأمر لي باثنين وسبعين ألف درهم وكان فيما أنشدته في مقامي واستحسنه قولي
صوت
(دِماءُ المُحبِّين لا تُعقَلُ ... أما في الهوى حَكَمٌ يعدِلُ)
(تعبَّدني حَوَرُ الغانيات ... ودانَ الشبابُ له الأخطل)
(ونظرةِ عين تعلّلتُها ... غِراراً كما ينظر الأحولُ)
(مُقَسَّمةٍ بين وجه الحبيبِ ... وطرف الرقيبِ متى يغفَلُ)
في هذه الأبيات هزج طنبوري سمعته من جحظة فذكر أنه يراه للمسدود ولم يحقق صانعه
قال الأصبهاني وهذه الأبيات له في المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي
قال محمد بن وهيب وأهدي إلى الحسن بن رجاء غلام فأعجب به فكتبت إليه
(ليهنك الزائرُ الجديدُ ... جرى به الطائرُ السعيدُ)
(جاء مشوقٌ إلى مشوقٍ ... فذا وَدُودٌ وذا وَدودُ)
(يَومُ نَعيمٍ ويومُ لهو ... خُصِصْتَ فيه بما تريدُ)
(إلفٌ مشوقٌ أتاه إلفٌ ... فمستفادٌ ومُستفيدُ)
حدثني أحمد بن عبد الله بن عمار بهذا الحديث عن يعقوب بن إسرائيل قرقارة عن محمد بن محمد بن مروان بن موسى عن محمد بن وهيب فذكر مثل الذي قبله وزاد فيه فلم يزل يستعيدني
أجارتنا إن القِداح كواذبٌ ... وأكثر أسباب النّجاح مع الياس) وأنا أعيده عليه فانصرفت من عنده بأكثر مما كنت أؤمل)
أبو دلف يعجب به ويعظمه
حدثني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب قال حدثني أبو هفان
قال حدثني خالي قال
كنت عند أبي دلف القاسم بن عيسى فدخل عليه محمد بن وهيب الشاعر فأعظمه جداً فلما انصرف قال له أخوه معقل يا أخي قد فعلت بهذا ما لم يستحقه ما هو في بيت من الشرف ولا في كمال من الأدب ولا بموضع من السلطان فقال بلى يا أخي إنه لحقيق بذلك أو لا يستحقه وهو القائل
صوت
(يَدُلُّ على أنني عاشقٌ ... من الدمع مُسْتَشْهَدٌ ناطِقُ)
(ولي مالكٌ أنا عبدٌ له ... مُقِرٌّ بأني له وامقُ)
(إذا ما سموتُ إلى وَصلِه ... تعرّض لي دونه عائقُ)

(وحاربني فيه ريبُ الزّمان ... كأنَّ الزّمان له عاشِقُ)
في هذه الأبيات رمل طنبوري أظنه لجحظة
حدثني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال
لما قدم المطلب بن عبد الله بن مالك من الحج لقيه محمد بن وهيب مستقبلاً مع من تلقاه ودخل إليه مهنئاً بالسلامة بعد استقراره وعاد إليه في الثالثة فأنشده قصيدة طويلة مدحه بها يقول فيها
((وما زلت أسترعِي لك الله غائِباً ... وأُظهِرُ إشفاقاً عليك وأكتُم
(وأعلم أنَّ الجودَ ما غِبتَ غائبٌ ... وأنَّ النّدى في حيث كُنتَ مُخيِّمٌ)
(إلى أن زجرتُ الطيرَ سعداً سوانحاً ... وحُمَّ لقاءٌ بالسُّعود ومَقْدَمُ)
(وظلَّ يُناجيني بمدْحِك خاطرٌ ... وليلِيَ ممدودُ الرّواقين أدهمُ)
(وقال طواه الحجُّ فاخشعْ لفقدِه ... ولا عيشَ حتى يستهلَّ المحرَّمُ)
(سيفخِر ما ضمَّ الحطيمُ وزمزمٌ ... بمطّلبٍ لو أنه يتكلّمُ)
(وما خُلِقتْ إلا من الجود كفُّه ... على أنها والبأس خِدْنانِ توأمُ)
(أعدْتَ إلى أكناف مكة بهْجةً ... خُزاعيَّةً كانت تُحِلّ وتُعظِمُ)
(ليالي سُمَّار الحَجون إلى الصّفا ... خزاعة إذ خلّت لها البيتَ جُرهُمُ)
(ولو نطقت بِطحاؤُها وحَجونُها ... وخِيفُ مِنىً والمأزمان وزمزمُ)
((إذا لدَعت أجزاءُ جسمك كلها ... تنافسُ في أقسامه لو تُحكَّمُ
(ولو رُدَّ مخلوقٌ إلى بدءِ خلقه ... إذاً كنت جسماً بينهن تُقسَّمُ)
(سَما بك منها كلُ خيْفٍ فأبطحٍ ... نَما بِك منه الجوهرُ المتقدِّمُ)
(وحنّ إليك الركنُ حتى كأنّه ... وقد جئته خِلٌّ عليك مُسلِّمُ)
قال فوصله صلة سنية وأهدى له هدية حسنة من طرف ما قدم به وحمله والله أعلم
يمدح الحسن بن سهل فيطربه
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني الحسن بن الحسن بن رجاء عن أبيه وأهله قالوا
كان محمد بن وهيب الحميري لما قدم المأمون من خراسان مضاعاً مطرحاً إنما يتصدى للعامة وأوساط الكتاب والقوّاد بالمديح ويسترفدهم فيحظى باليسير فلما هدأت الأمور واستقرت واستوسقت جلس أبو محمد الحسن بن سهل يوماً منفرداً بأهله وخاصته وذوي مودته ومن يقرب من أنسه فتوسل إليه محمد بن وهيب بأبي حتى أوصله مع الشعراء فلما انتهى إليه القول استأذن في الإنشاد فأذن له فأنشده قصيدته التي أولها
(ودائعُ أسرارٍ طَوتْها السرائرُ ... وباحت بمكتوماتِهنّ النّواظرُ)
(مَلكْتُ بها طيَّ الضمير وتحته ... شَبَا لوعةٍ عضبِ الغِرارين باترُ)
(فأعجم عنها ناطقٌ وهو مُعرِبٌ ... وأعربَت العُجمُ الجفونُ العواطِرُ)
((ألم تغذُني السّرّاءُ في رِيِّق الهوى ... غريراً بما تَجْني عليَّ الدّوائِرُ
(تُسلِلني الأيّامُ في عُنفوانِه ... ويكلَؤُني طرْفٌ من الدهر ناظِرُ)
حتى انتهى إلى قوله
(إلى الحسن الباني العُلا يَممَّتْ بنا ... عَوالِي المُنى حيثُ الحَيا المتظاهرُ)
(إلى الأمل المبسوطِ والأجلِ الذي ... بأعدائِه تكبُو الجدودُ العواثِرُ)
(ومن أنبعت عينَ المكارمِ كفُّه ... يقومِ مقام القَطْرِ والروضُ داثِرُ)
(تعصّب تاجَ الملكِ في عُنفوانِه ... وأطّت به عصْرَ الشّبّاب المنابرُ)
(تُعظِّمُه الأوهامُ قبل عِيانه ... ويصدُرُ عنه الطّرف والطّرفُ حاسرُ)
(به تُجتَدَى النُّعمَى وتُستدرَك المُنى ... وتُستكمل الحُسنى وتُرعَى الأواصرُ)
(أصات بنا داعِي نوالِك مؤذِناً ... بجودك إلا أنه لا يُحاوِرُ)
(قسمْتَ صُروفَ الدهر بأساً ونائلاً ... فَمالُك موتورٌ وسيفُك واترُ)
(ولمّا رأى اللّهُ الخلافَة قد وَهتْ ... دعائمُها واللّهُ بالأمر خابرُ)
(بَنى بك أركاناً عليك مُحِيطةً ... فأنت لها دون الحوادِثِ سائرُ)
(وأرعن فيه للسوابغ جُنَّةٌ ... وسقفَ سماءٍ أنشأتْه الحوافِرُ)
يعني أن على الدروع من الغبار ما قد غشيها فصار كالجنة لها
(لها فَلكٌ فيه الأسنّةُ أنجمٌ ... ونقعُ المنايا مُستطيرٌ وثائرُ)
(أجزْتَ قضاءَ الموتِ في مُهَجِ العِدا ... ضُحىً فاستباحتْها المنايا الغوادِرُ)
((لكَ اللّحظاتُ الكالِئاتُ قواصداً ... بنُعمَىوبالبأساءِ وَهْي شَوَازِرُ
(ولم لم تكن إلا بنَفسِك فاخراً ... لما انتسبتْ إلاّ إليك المفاخرُ)
قال فطرب أبو محمد حتى نزل عن سريره إلى الأرض وقال أحسنت والله وأجملت ولو لم تقل قط ولا تقول في باقي دهرك غير هذا لما احتجت إلى القول وأمر له بخمسة آلاف دينار فأحضرت واقتطعه إلى نفسه فلم يزل في جنبته أيام ولايته وبعد ذلك إلى أن مات ما تصدى لغيره
يهجو علي بن هشام
حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال
كان محمد بن وهيب الحميري الشاعر قد مدح علي بن هشام وتردد إليه وإلى بابه دفعات فحجبه ولقيه يوماً فعرض له في طريقه وسلم عليه فلم يرفع إليه طرفه وكان فيه تيه شديد فكتب إليه رقعة يعاتبه فيها فلما وصلت إليه خرّقها وقال أي شيء يريد هذا الثقيل السيء الأدب فقيل له ذلك فانصرف مغضباً وقال والله ما أردت ماله وإنما أردت التوسل بجاهه وسيغني الله جل وعز عنه أما والله ليذمن مغبة فعله وقال يهجوه
(أزرت بجودِ عليٍّ خِيفة العَدَم ... فصدَّ مُنهزماً عن شأْوِ ذِي الهِمَمِ)
(لو كانَ مِنْ فارسٍ في بَيْت مَكرُمةٍ ... أو كان من وَلَد الأملاك في العَجَمِ)

(أو كان أولَه أهلُ البطاحِ أو الرَّكبُ ... المُلَبُّونَ إهلالاً إلى الحَرَمِ)
(أيامَ تُتَّخذ الأصنامُ آلهةً ... فلا تَرَى عاكفاً إلا على صَنَمِ)
(لشجَّعَتْه على فعلِ المُلوكِ لهم ... طَبائعٌ لم تَرُعْها خِيفَةُ العَدَمِ)
(لم تندَ كَفَّاك من بَذْلِ النَّوال كما ... لم ينْدَ سَيْفُك مُذْ قُلِّدته بدَمِ)
(كُنْتَ امرأً رفعتْه فِتْنَةٌ فَعلا ... أيامَها غادِراً بالعَهْدِ والذّمَمِ)
(حتى إذا انكشفَت عنَّا عِمايَتُها ... ورتّبَ النّاسُ بالأحسابِ والقِدَمِ)
(ماتَ التَّخلّقُ وارتَدّتك مُرتَجِعَا ... طَبيعَةٌ نَذْلَة الأخلاقِ والشِّيَمِ)
(كَذاكَ مَنْ كان لا رأساً ولا ذَنَباً ... كَزَّ اليَدَيْن حَدِيثَ العَهْدِ بالنِّعمِ)
(هَيهاتَ ليسَ بحمَّالِ الدِّيات ولا ... مُعطِي الجَزيلِ ولا المَرهُوب ذِي النِّقَمِ)
قال فحدثني بعض بني هاشم أن هذه الأبيات لما بلغت علي بن هشام ندم على ما كان منه وجزع لها وقال لعن الله اللجاج فإنه شر خلق تخلقه الناس ثم أقبل على أخيه الخليل بن هشام فقال الله يعلم أني لا أدخل على الخليفة وعلي السيف إلا وأنا مستحٍ منه أذكر قول ابن وهيب في
(لم تندَ كَفَّاك من بَذْلِ النّوال كما ... لم يَنْدَ سَيْفُكَ مذ قُلِّدتَه بِدَمِ)
حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني ميمون بن هارون قال من سمع ابن الأعرابي يقول
أهجى بيت قاله المحدثون قول محمد بن وهيب
(لم تَندَ كَفَّاك من بَذْلِ النوال كما ... لم يندَ سيفُكَ مذ قُلِّدتَه بِدَمِ)
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني محمد بن مرزوق البصري قال
حدثني محمد بن وهيب قال جلست بالبصرة إلى عطار فإذا أعرابيه سوداء قد جاءت فاشترت من العطار خلوقاً فقلت له تجدها اشترته لابنتها وما ابنتها
إلا خنفساء فالتفتت إلي متضاحكة ثم قالت لا والله لكن مهاة جيداء إن قامت فقناة وإن قعدت فحصاة وإن مشت فقطاة أسفلها كثيب وأعلاها قضيب لا كفتياتكم اللواتي تسمنونهن بالفتوت ثم انصرفت وهي تقول
(إن الفَتُوتَ للفَتاةِ مَضْرطَه ... يَكرُبها في البَطْن حتى تَثلطَه)
فلا أعلمني ذكرتها إلا أضحكني ذكرها
حدثني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا أبو هفان قال
كان محمد بن وهيب يتردد إلى مجلس يزيد بن هارون فلزمه عدة مجالس يملي فيها كلها فضائل أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم لا يذكر شيئاً من فضائل علي عليه السلام فقال فيه ابن وهيب
(آتِي يزيدَ بنَ هارونٍ أدالِجُه ... في كل يومٍ ومَالِي وابنِ هارونَ)
(فلَيتَ لي بيزيدٍ حينَ أشهَدُه ... راحاً وقَصْفاً ونَدْماناً يُسَلِّيني)
(أغدو إلى عُصْبة صمَّتْ مسامعُهم ... عن الهُدَى بين زِنْدِيقٍ ومأفُونِ)
(لا يذكُرون علَيّاً في مَشاهِدِهم ... ولا بَنِيه بَني البيضِ الميامِين)
(اللهُ يعْلَم أني لا أُحِبُّهمُ ... كما هُمُ بيَقينٍ لا يُحِبُّوني)
(لو يَستَطِيعون عن ذكريْ أبا حَسَنٍ ... وفَضْله ... قَطَّعُوني بالسَّكَاكينِ)
(ولستُ أترُك تَفْضِيلي له أبداً ... حتى المَماتِ على رَغْمِ المَلاعين)
مذهبه من شعره
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني إسحاق بن محمد الكوفي قال حدثني محمد بن القاسم بن يوسف وأخبرني به الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن القاسم قال حدثني إسحاق عن محمد بن القاسم بن يوسف قال
كان محمد بن وهيب يأتي أبي فقال له أبي يوماً إنك تأتينا وقد عرفت مذاهبنا فنحبُ أن تعرفنا مذهبك فنوافقك أو نخالفك فقال له في غد أبين لك أمري ومذهبي فلما كان من غدٍ كتب إليه
(أيُّها السَّائلُ قد بيّنتُ ... إن كنتَ ذَكيَّا)
(أحمدُ اللهَ كَثيراً ... بأياديه عَلَيّا)
(شاهِداً أن لا إله ... غيره ما دمتُ حَيّا)
(وعَلَى أحمدَ بالصِّدقِ ... رَسولاً ونَبِيّا)
(ومنحْتُ الودَّ قُرْباهُ ... ووَاليتُ الوَصِيَّا)
(وأتاني خَبرٌ مُطَّرحٌ ... لم يَكُ شَيَّا)
(أنّ عَلَى غيرِ اجْتِماع ... عَقَدُوا الأمرَ بَديَّا)
(فوقَفتُ القَومَ تَيْماً ... وعَدِيّاً وأُمَيَّا)
(غَيْرَ شَتّامٍ ولَكِني ... تولّيتُ عَلِيّا)
حدثني جَحظة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال
بلغ محمد بن وهيب أن دعبل بن علي قال أنا ابن قولي
(لا تَعْجَبي يا سَلْمُ من رَجُلٍ ... ضَحِكَ المَشيبُ برأسِه فَبكَى)
وإن أبا تمام قال أنا ابن قولي
(نَقِّل فؤادَك حَيْث شِئْتَ من الهَوى ... ما الحب إلا للحَبِيب الأوّلِ)
فقال محمد بن وهيب وأنا ابن قولي
(ما لِمَن تَمَّت محاسِنُه ... أن يُعادِي طَرْفَ مَنْ رَمَقَا)
(لكَ أن تُبدي لنا حَسَناً ... ولنا أن نُعمِل الحَدَقَا)
قال أبو الفرج الأصبهاني وهذا من جيد شعره ونادره وأول هذه الأبيات قوله
(نَم فقد وكَّلتَ بي الأرَقا ... لاهياً تُغري بمَنْ عَشِقا)
(إنما أبقيتَ من جسَدي ... شَبَحاً غيرَ الذي خُلِقاً)
(وفَتىً ناداك من كَثَبٍ ... أسعِرَت أحشاؤُه حُرَقَا)

(غَرِقَت في الدَّمعِ مُقلتُه ... فدعا إنسانُها الغَرَقَا)
(إنّما عاقَبتَ ناظِرَه ... أن أعاد اللَّحظَ مُستَرِقا)
(ما لِمَن تَمّت محاسنُه ... أن يُعادِي طَرْفَ مَن رَمَقَا)
(لكَ أن تُبدِي لنا حُسناً ... ولنا أن نُعمِل الحَدَقا)
(قدَحت كَفَّاك زَنْدَ هَوىً ... في سَوادِ القَلْب فاحْتَرَقَا)
حدثني عمي قال حدثني أبو عبد الله الهشامي عن أبيه قال
دخل محمد بن وهيب على أحمد بن هشام يوماً وقد مدحه فرأى بين يديه
غلماناً روقة مردا وخدماً بيضاً فرها في نهاية الحسن والكمال والنظافة فدهش لما رأى وبقي متبلداً لا ينطق حرفاً فضحك
أحمد منه وقال له ما لك ويحك تكلم بما تريد فقال
(قد كانت الأصنامُ وَهي قديمَةٌ ... كُسِرَت وجَدَّعَهُنَّ إبراهيمُ)
(ولَدَيك أصنامٌ سَلِمْنَ من الأذى ... وصفت لَهُنّ غَضارةٌ ونَعِيمُ)
(وبِنا إلى صَنَمٍ نَلُوذِ بِرُكْنِه ... فَقرٌ وأنت إذا هُزِزْتَ كريمُ)
فقال له اختر من شئت فاختار واحداً منهم فأعطاه إياه فقال يمدحه
(فَضَلَتْ مَكارِمُه على الأقوامِ ... وعَلا فَحازَ مَكارِمَ الأيّامِ)
(وعلَتْه أُبَّهَةُ الجَلالِ كأنَّه ... قَمَرٌ بدا لك من خِلالِ غَمامِ)
(إنَّ الأميرَ على البَرِيَّة كُلِّها ... بعد الخَليفةِ أحمدُ بنُ هشامِ)
وأخبرني جعفر بن قدامة في خبره الذي ذكرته آنفاً عنه عن الحسين بن الحسن بن رجاء عن أبيه قال
لما قدِم المأمون لقيه أبو محمد الحسن بن سهل فدخلا جميعاً فعارضهما ابن وهيب وقال
(اليومَ جُدِّدَت النَّعماءُ والمِنَنُ ... فالحمد لله حَلَّ العُقدَةَ الزَّمنُ)
(اليومَ أظهَرتِ الدُّنيا محاسِنَها ... لِلنّاس لما التَقَى المأمونُ والحَسَنُ)
قال فلما جلسنا سأله المأمون عنه فقال هذا رجل من حمير شاعر مطبوع اتصل بي متوسلاً إلى أمير المؤمنين وطالباً
الوصول مع نظرائه فأمر
المأمون بإيصاله مع الشعراء فلما وقف بين يديه وأذن له في الإنشاد أنشده قوله
(طَلَلان طل عليهما الأمَدُ ... دَثَرا فلا عَلَمٌ ولا نَضَدُ)
(لَبِسَا البِلَى فكأنَّما وَجَدَا ... بعد الأحِبّة مثلَ ما أجِدُ)
(حُيِّيتُما طَلَلينِ حالهُما ... بعد الأحبَّة غيرُ ما عَهِدوا)
(إمَّا طَوَاك سُلُوٌّ غانِيَةٍ ... فهَواك لا مَلَلٌ ولا فَنَدُ)
(إن كنتِ صادِقةَ الهوى فردي ... في الحبِّ مَنْهَلِيَ الذي أرِدُ)
(أدَمِي هَرِقْتِ وأنتِ آمنة ... أم ليس لي عَقْلٌ ولا قَوَدُ)
(إن كُنتِ فُتِّ وخانني سَبَب ... فلربّما يُخْطِىءُ مُجتهِدُ)
حتى انتهى إلى قوله في مدح المأمون
(يا خَيرَ مُنتسِبٍ لِمَكْرُمةٍ ... في المجد حيث تَبحبَح العَدَدُ)
(في كل أنمُلةٍ لراحَتِه ... نَوءٌ يَسُحُّ وعارِض حَشِدُ)
(وإذا القَنَا رَعَفَت أسِنَّتُه ... عَلَقاً وصمٌّ كُعوبِها قِصَدُ)
(فكأنَّ ضوءَ جَبِينه قَمرٌ ... وكأنَّه في صَولةٍ أسَدُ)
((وكأنَّه رُوحٌ تُدَبِّرنا ... حَرَكاتُه وكأنَّنا جَسَدُ)
فاستحسنها المأمون وقال لأبي محمد احتكم له فقال أمير المؤمنين أولى بالحكم ولكن إن أذن لي في المسألة سألت
له فأما الحكم فلا فقال سل فقال يلحقه بجوائز مروان بن أبي حفصة فقال ذلك والله أردت وأمر بأن تعد أبيات قصيدته
ويعطى لكل بيت ألف درهم فعدت فكانت خمسين فأعطي خمسين ألف درهم
من مدائحه للمأمون والمطلب بن عبد الله
قال الأصبهاني وله في المأمون والحسن بن سهل خاصة مدائح شريفة نادرة من عيونها قوله في المأمون في قصيدة
أولها
(العُذرُ إن أنصفتَ مُتَّضِحُ ... وشَهيدُ حُبِّك أدمعٌ سُفُحُ)
(فضحَت ضَمِيرَكَ عن وَدائِعِه ... إنّ الجفونَ نَواطِقٌ فُصُحُ)
(وإذا تكلمَّتِ العيونُ على ... إعجامِها فالسِّرُ مُفتضِحُ)
(ربما أبيتُ مُعانِقي قَمَرٌ ... للحُسْنِ فيه مخايِلٌ تَضِحُ)
(نَشَرَ الجمالُ على مَحاسِنه ... بِدَعاً وأذهَبَ هَمَّه الفَرَحُ)
(يَخْتال في حُلَلِ الشّباب به ... مَرَحٌ وداؤُك أنه مَرِحُ)
(ما زال يُلثِمُني مراشِفَه ... ويَعُلُّني الإبريقُ والقَدَحُ)
(حتى استَرَدَّ الّليلُ خِلْعَتَه ... ونَشا خِلالَ سَوادِه وضَحُ)
(وبَدا الصَّباحُ كأن غُرَّتَه ... وَجهُ الخَلِيفةِ حين يُمتَدَحُ)
يقول فيها
(نَشَرَت بك الدُّنيا محاسِنَها ... وتَزيَّنت بصفاتِكَ المِدَحُ)
(وكأنّ ما قد غابَ عنك له ... بإزاء طرفِك عارِضاً شَبَحُ)
((وإذا سَلِمتَ فكلُّ حادِثَةٍ ... جَلَلٌ فلا بُؤسٌ ولا تَرَحُ)
أخبرني هاشمُ بن محمد الخزاعيُّ قال حدثني أهلُنا
أنّ محمد بن وهيب قصد المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي عم أبي وقد ولي الموصل وكان له صديقاً حفياً وكان كثير
الرفد له والثواب على مدائحه فأنشده قوله فيه
صوت

(دِماءُ المُحبيِّين لا تُعقَل ... أما في الهوَى حاكِمٌ يَعدِلُ)
(تَعبدني حورِ الغَانِيات ... ودَانَ الشَّبابُ له الأخطلُ)
(ونَظرةِ عين تَلافَيْتَها ... غِراراً كما يَنظُر الأحولُ)
(مُقسَّمة بين وجهِ الحَبيب ... وطَرْفِ الرَّقيب متى يَغفُلُ)
(أذمُّ على غرباتِ النَّوى ... إليكَ السُّلُوَّ ولا أذهَلُ)
(وقالوا عَزاؤُك بعد الفِراق ... إذا حُمَّ مكروهُه أجمَلُ)
(أقيدي دَماً سفَكتْه العُيونُ ... بإيماض كحلاء لا تُكحَلُ)
(فكُلُّ سِهامِك لي مُقصِدٌ ... وكُلُّ مواقِعِها مَقْتَلُ)
(سلامٌ على المنزل المُستَحِيل ... وإن ضَنَّ بالمَنْطِق المنزلُ)
(وعَضْب الضَّريبة يَلْقى الخُطوب ... بجِدٍّ عن الدّهر لا يَنكِلُ)
(تَغلْغَل شَرقاً إلى مَغربٍ ... فلمّا تبدّت له الموصِلُ)
((ثَوَى حيث لا يستمال الأريب ... ولا يُوْلِف الَّقِينَ الحُوَّلُ)
(لَدى مَلِكٍ قابلَتْه السُّعودُ ... وجانَبَه الأنجمُ الأُفَّلُ)
(لأيّامه سَطَوات الزّمان ... وإنعامُه حينَ لا مَوْئِلُ)
(سما مَالِكٌ بك للبَاهِرات ... وأوْحَدَكَ المَرْبأُ الأطولُ)
(وليس بَعيداً بأن تَحْتَذِي ... مذاهِبَ آسادِها الأشبُلُ)
قال فوصله وأحسن جائزته وأقام عنده مدة ثم استأذنه في الانصراف فلم يأذن له وزاد في ضيافته وجراياته وجدد له صلة فأقام عنده برهة أخرى ثم دخل عليه فأنشده
(ألاَ هل إلى ظِلّ العَقِيق وأهلِه ... إلى قَصْر أوس فالجزير مَعادُ)
(وهل لي بأكنافِ المُصلّى فسفحِه ... إلى السُّور مَغْدىً ناعمٌ ومُرادُ)
(فلم تُنسِني نهرَ الأُبُلَّة نِيّةٌ ... ولا عَرَصاتِ المِرْبَدَيْن بِعادُ)
((هنالك لا تبْني الكواعِبُ خيمةً ... ولا تَتهادى كَلْثَمٌ وسُعادُ)
(أجِدّي لا أَلْقَى النوَى مُطْمَئِنَّةً ... ولا يَزْدَهِيني مَضجَعٌ وجِهادُ)
فقال له أبيت إلا الوطن والنّزاع إليه ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وأوقَر له زورقاً من طرف الموصل وأذن له
حدثني محمد بن يحي الصولي قال حدثني أبو عبد الله الماقطاني عن علي بن الحسين بن عبد الأعلى عن سعيد بن وهيب قال
كان المأمون كثيراً ما يتمثل إذا كربه الأمر
(ألا ربّما ضَاقَ الفَضَاءُ بأهلِه ... وأمكَن من بين الأسِنَّة مَخرَجُ)
قصيدته في ابن عباد
قال الأصبهاني وهذا الشعر لمحمد بن وهيب يقوله في ابن عباد وزير المأمون وكان له صديقاً فلما ولي الوزارة اطرحه لانقطاعه إلى الحسن بن سهل فقال فيه قصيدة أولها
(تكلَّمَ بالوحي البَنانُ المُخَضَّبُ ... ولله شكوى مُعجمٍ كيفَ يُعرِبُ)
(إيماءُ أطراف البنانِ وَوَجهُها ... أبانا له كيف الضَّميرُ المُغيَّبُ)
(وقد كان حُسنُ الظَّنِّ أنجبَ مرّةً ... فأحْمَد عُقْبى أمرِه المتعقّبُ)
(فلما تَدبَّرت الظُّنون مُراقِباً ... تَقَلُّبَ حالَيْها إذا هي تَكذِبُ)
(بدأتَ بإحسانٍ فلما شَكرتُه ... تَنكَرتَ لي حتى كأنِّي مُذنِبُ)
((وكلُّ فتىً يلقي الخطوبَ بعزمه ... له مذهبٌ عَمَّن له عنه مذهبٌ)
(وهل يصرع الحُبُّ الكريمَ وقلبُه ... عَليمٌ بما يأتي وما يتجَنَّبُ)
(تأنَّيْتُ حتى أوضح العِلمُ أنَّني ... مع الدهرِ يوما مُصعِدٌ ومصَوِّبُ)
(وألحقتُ أعجازَ الأمور صُدورَها ... وقَوَّمها غَمزُ القِداح المُقلِّبُ)
(وأيقنتُ أن اليأسَ للعِرضِ صائنٌ ... وأن سوف أغضِي للقذى حين أرغبُ)
(أغادرتني بين الظُّنون مُميِّزاً ... شواكِلَ أمرٍ بينهن مجرِّبُ)
(يُقرِّبني مَن كُنت أُصفيك دونه ... بُوِدّي وتنأى بي فلا أتقرَّبُ)
(فللّهِ حظّي منك كيف أضاعَه ... سُلُوُّك عنّي والأمور تَقلَّبُ)
(أبعدَك أستسْقِي بوارقَ مزنَةٍ ... وإن جاد هَطّالٌ من المُزن هَيْدَبٌ)
(إذا ما رأيتُ البرقَ أغضيْت دونه ... وقلت إذا ما لاح ذَا البرقُ خُلَّبُ)
(وإن سنحت لي فُرصَةٌ لم أسامِها ... وأعرضتَ عنها خوف ما أترقَّبُ)
(تأدَّبتُ عن حُسْن الرّجاء فلن أُرَى ... أعودُ له إن الزّمان مؤدِّبُ)
وقال له أيضاً
(هل الهَمُّ إلا كُربةٌ تتفرَّج ... لها مُعقِب تُحدَى إليه وتُزْعَجُ)
(وما الدَّهر إلا عائدٌ مِثْلُ سالِفٍ ... وما العَيْش إلا جُدُّهُ ثم تَنهَجُ)
(وكيف أشِيمُ البرقَ والبرقُ خُلَّبٌ ... ويُطْمِعُني رَيْعانُه المُتَبَلِّجُ)
((وكيفَ أديم الصبرَ لا بي ضَراعةٌ ... ولا الرِّزقُ محْظورٌ ولا أنا مُحرَجُ)
(ألا ربّما كان التّصبُّرُ ذِلّةً ... وأدنَى إلى الحال التي هي أسمَجُ)
(وهل يَحمِل الهَمَّ الفتَى وهو ضامنٌ ... سُرى الليل رحَّالُ العَشيّات مُدلِجُ)
(ولا صبرَ ما أعدى على الدّهر مطلبٌ ... وأمكن إدلاجٌ وأصحرِ منهجُ)
(ألا ربّما ضاق الفضاءُ بأهلِه ... وأمكن من بين الأسنّة مَخرجُ)
(وقد يُركَبُ الخَطبُ الذي هو قاتِلٌ ... إذا لم يَكُن إلا عليْه مُعرَّجُ)
مدحه الأفشين

حدثني بعض أصحابنا عن أحمد بن أبي كامل قال
كان محمد بن وهيب تياهاً شديد الذهاب بنفسه فلما قدم الأفشين وقد قتل بابك مدحه بقصيدته التي أولها
(طُلولٌ ومَغَانِيها ... تُناجِيها وَتَبْكِيها)
يقول فيها
(بَعثْتَ الخَيلَ وَالخَيرُ ... عَقِيدٌ في نَوَاصِيها)
وهي من جيد شعره فأنشدناها ثم قال ما لها عيب سوى أنها لا أخت لها
قال وأمر المعتصم للشعراء الذين مدحوا الأفشين بثلاثمائة ألف درهم جرت تفرقتها على يد ابن أبي داود فأعطى منها محمد بن وهيب ثلاثين ألفاً وأعطى أبا تمام عشرة آلاف درهم قال ابن أبي كامل فقلت لعلي بن يحي المنجم ألا تعجب من هذا الحظ يعطى أبو تمام عشرة آلاف وابن وهيب ثلاثين الفا وبينهما كما بين السماء والأرض فقال لذلك علة لا تعرفها كان ابن وهيب مؤدب الفتح بن خاقان فلذلك وصل إلى هذه الحال
أخبرني محمد بن يحي الصولي قال حدثني ابو زكوان قال
حدثني من دخل إلى محمد بن وهيب يعوده وهو عليل قال فسألته عن خبره فتشكى ما به ثم قال
(نُفوسُ المَنَايا بالنُّفوسِ تَشعَّبُ ... وكُلٌّ له من مَذهَبِ المَوتِ مَذْهَبُ)
(نُزاعُ لذِكرِ الموتِ ساعةَ ذِكْرِه ... وتَعترِض الدُّنيا فنلْهُو ونلعَبُ)
(وآجالُنا في كلّ يَوْمٍ وليلةٍ ... إلينا على غِرَّاتِنا تتقَرّبُ)
(أأيقَنَ أنَّ الشيبَ يَنْعِي حياته ... مُدِرٌّلأخْلاَفِ الخَطِيئةِ مُذنِبُ)
(يَقِينٌ كأنَّ الشكَّ أغلبُ أمرِهِ ... عليه وعِرفانٌ إلى الجهلِ يُنْسَبُ)
((وقد ذَمَّت الدُّنيا إليّ نَعِيمَها ... وخَاطَبَني إعجامُها وهو مُعْرِبُ)
(ولكنّني منها خُلِقتُ لغَيرِها ... وما كنتُ منه فهو عندي مُحبَّبُ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مُهْرَويه قال حدثني أحمد بن أبي كامل قال
كنا في مجلس ومعنا أبو يوسف الكندي وأحمد بن أبي فنن فتذاكرنا شعر محمد بن وهيب فطعن عليه ابن أبي فنن وقال هو متكلف حسود وإذا أنشد شعراً لنفسه قرظه ووصفه في نصف يوم وشكا أنه مظلوم منحوس الحظ وأنه لا تقصر به عن مراتب القدماء حال فإذا أنشد شعر غيره حسده وإن كان على نبيذ عربد عليه وإن كان صاحياً عاداه واعتقد فيه كل مكروه فقلت له كلاكما لي صديق وما أمتنع من وصفكما جميعاً بالتقدم وحسن الشعر فأخبرني عما أسألك عنه إخبار منصف أو يُعَدُّ متكلفاً من يقول
(أبى ليَ إغضاءَ الجُفونِ على القَذَى ... يَقِينِيَ أن لا عُسْرَ إلاَّ مُفرَّجُ)
(ألا ربَّما ضاق الفَضاءُ بأهلِه ... وأمكن مِن بين الأسِنَّةِ مَخرَجُ)
أو يعد متكلفاً من يقول
(رأتْ وَضَحاً من مَفْرِق الرأس راعها ... شَرِيحين مُبْيَضٌّ به وبَهِيمُ)
فأمسك ابن أبي فنن واندفع الكندي فقال كان ابن وهيب ثنوياً
فقلت له من أين علمت ذاك أكلمك على مذهب الثنوية قط قال لا ولكني استدللت من شعره على مذهبه فقلت حيث يقول ماذا فقال حيث يقول
(... طَلَلاَنِ طال عليهما الأمَدُ)
وحيث يقول
(... (تفترُّ عن سِمْطَيْنِ من ذَهب
إلى غير ذلك مما يستعمله في شعره من ذكر الإثنين
فشغلني والله الضحك عن جوابه وقلت له يا أبا يوسف مثلك لا ينبغي أن يتكلم فيما لم ينفذ فيه علمه
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه قال
سأل محمد بن وهيب محمد بن عبد الملك الزيات حاجة فأبطأ فيها فوقف عليه ثم قال له
(طُبِعَ الكَرِيمُ على وَفائِهْ ... وعَلَى التَّفضُّلِ في إخائِهْ)
(تُغنِي عِنايَتُه الصدِي ... قَ عن التَّعرُّض لاقْتِضائِهْ)
(حَسْبُ الكَريم حَياؤه ... فكِلِ الكَرِيمَ إلى حَيائِهْ)
فقال له حسبك فقد بلغت إلى ما أحببت والحاجة تسبقك إلى منزلك ووفى له بذلك
صوت
(وددْتُ على ما كان مِن سَرَفِ الهَوَى ... وغَيِّ الأماني أنّ ما شِئْتُ يُفعَلُ)
(فترجِعَ أيَّام تَقَضَّت ولَذَّةٌ ... تولّت وهل يُثْنَى مِن الدّهر أوَّل)
الشعر لمزاحم العقيلي والغناء لمقاسمة بن ناصح خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي قال الهشامي وفيه لأحمد بن يحيى المكي رمل

أخبار مزاحم ونسبه

هو مزاحم بن عمرو بن الحارث بن مصرف بن الأعلم بن خويلد بن عوف ابن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن
وقيل مزاحم بن عمرو بن مرة بن الحارث بن مصرف بن الأعلم وهذا القول عندي أقرب إلى الصواب
بدوي شاعر فصيح إسلامي صاحب قصيد ورجز كان في زمن جرير والفرزدق وكان جرير يصفه ويقرظه ويقدمه
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني الفضل بن محمد اليزيدي عن إسحاق الموصلي قال
قال لي عمارة بن عقيل كان جرير يقول ما من بيتين كنت أحب أن أكون سبقت إليهما غير بيتين من قول مزاحم العقيلي
((وَددْتُ على ما كان من سَرَفِ الهوَى ... وغيِّ الأماني أنّ ماشئتُ يُفعَلُ
(فترجِعِ أيَّامٌ مضَيْنَ وَلَذَّةٌ ... تَوَلّت وهل يُثْنَى من العَيْش أوّلُ)
قال المفضل قال إسحاق سرف الهوى خطؤه ومثله قول جرير
(أعطوْا هُنَيْدَة تحدُوها ثَمَانِيَة ... ما في عطائِهِمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ)

أراد أنهم يحفظون مواضع الصنائع لا أنه وصفهم بالاقتصاد والتوسط في الجود
قال إسحاق وواعدني زياد الأعرابي موضعاً من المسجد فطلبته فيه فلم أجده فقلت له بعد ذلك طلبتك لموعدك فلم أجدك فقال أين طلبتني فقلت في موضع كذا وكذا فقال هناك والله سرقتك أي أخطأتك
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال
أنشدني حماد عن أبيه لمزاحم العقيلي قال وكان يستجيدها ويستحسنها
(لِصَفْرَاءَ في قَلْبي من الحُبِّ شُعبَة ... حِمىً لم تُبِحْه الغانياتُ صَمِيمُ)
(بِها حلَّ بَيتُ الحُبِّ ثم ابتَنَى بها ... فبانَت بُيوتُ الحَيِّ وهو مُقِيمُ)
(بَكَت دارُهم من نَأيهم فتهلَّلَت ... دموعي فأيُّ الجَازِعين أَلْوَمُ)
(أَمُسْتَعْبِراً يبكي من الحُزْن والجَوَى ... أم آخرُ يَبكي شجوه فيَهِيمُ)
(تَضمَّنه من حُبِّ صَفْراء بعد ما ... سلا هَيَضات الحب فهو كَليمُ)
(ومن يَتَهَيَّض حبُّهن فؤادَه ... يَمُت أو يَعِش ما عاش وهو سَقِيمُ)
(كحَرَّان صادٍ ذِيدَ عن بَرْد مَشْرَبٍ ... وعن بَلَلاتِ الرِّيق فَهْوَ يَحُومُ)
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السكري قال
أخبرنا محمد بن حبيب عن ابن أبي الدنيا العقيلي قال ابن حبيب وهو صاحب الكسائي وأصحابنا قال
كان مزاحم العقيلي خطب ابنة عم له دنيةً فمنعه أهلها لإملاقه وقلة ماله وانتظروا بها رجلاً موسراً في قومها كان يذكرها ولم يحقق وهو يومئذ غائب فبلغ ذلك مزاحماً من فعلهم فقال لعمه يا عم أتقطع رحمي وتختار علي غيري لفضل أباعر تجوزها وطفيف من الحظ تحظى به وقد علمت أني أقرب إليك من خاطبها الذي تريده وأفصح منه لساناً وأجود كفاً وأمنع جانباً وأغنى عن العشيرة فقال له لا عليك فإنها إليك صائرة وإنما أعلل أمها بهذا ثم يكون أمرها لك فوثق به وأقاموا مدة ثم ارتحلوا ومزاحم غائب وعاد الرجل الخاطب لها فذاكروه أمرها فرغب فيها فأنكحوه إياها فبلغ ذلك مزاحماً فأنشأ يقول
(نَزَلتُ بِمُفْضَى سيلِ حَرْسَيْن والضُّحى ... يَسيلُ بأطراف المخارم آلُها)
(بمسقِيَّة الأجفان أَنفَدَ دَمعَها ... مُقاربةُ الأُلاَّف ثُمَّ زِيالُها)
(فلما نَهاها اليأسُ أن تُونِسَ الحِمَى ... حِمَى البئرِ جَلَّى عَبْرَة العَيْن جالُها)
(أياليلَ إن تَشْحَط بك الدارُ غُربَةً ... سواءً ويُعْيِي النَّفسَ فيك احتيَالُها)
(فكَمْ ثم كَمْ من عَبْرة قد رَدَدْتها ... سَريعٍ على جَيْب القَميص انهِلالُها)
(خليليَّ هل من حِيلَة تَعْلَمَانها ... يُقرِّب من ليلى إلينا احتيالُها)
(فإنَّ بأعْلى الأخشَبَيْن أراكةً ... عَدَتني عنها الحَرْبُ دانٍ ظِلالُها)
(وفي فَرْعِها لو تُستطاع جَنَابُها ... جنىً يجتَنِيه المُجْتَنِي لو يَنالُها)
(هنيئاً لليْلَى مُهْجَةٌ ظَفِرت بها ... وتَزْويجُ لَيْلى حين حان ارتحالُها)
(فقد حَبَسُوها مَحْبِس البُدْن وابتَغَى ... بها الربحَ أقوامٌ تَساخَفَ مَالُها)
(فإنّ مع الرَّكْبِ الذين تحمَّلُوا ... غمامةَ صَيْف زعزعَتْها شمالُها)
حُبس طويلاً ثم هرب من السجن
وقال محمد بن حبيب في خبره قال ابن الأعرابي
وقع بين مزاحم العقيلي وبين رجل من بني جعدة لحاء في ماء فتشاتما وتضاربا بعصيهما فشجه مزاحم شجة أمته فاستعدت بنو جعدة على مزاحم فحبس حبساً طويلاً ثم هرب من السجن فمكث في قومه مدة وعزل ذلك الوالي وولي غيره فسأله ابن عمّ لمزاحم يقال له مغلس أن يكتب أماناً لمزاحم فكتبه له وجاء مغلس والأمان معه فنفر مزاحم منه وظنها حيلة من السلطان فهرب وقال في ذلك
(أتانِي بقرطاس الأمير مُغَلِّسٌ ... فأفزعَ قِرطاسُ الأمير فُؤادِيَا)
(فَقلتُ له لا مَرحباً بكَ مرسلاً ... إليَّ ولا لي من أميركَ داعِيَا)
(أليسَت جِبالُ القَهْرِ قُعساً مكانها ... وعَرْوى وأجبالَ الوَحَاف كما هِيا)
(أخاف ذُنُوبي أن تُعَدّ ببابِه ... وما قد أزلَّ الكاشحونَ أمامِيَا)
(ولا أسْتريم عُقْبَةَ الأمر بعدما ... تورّط في بهماء كَعْبي وساقيا)
أخبرني محمد بن مزْيد وأحمد بن جعفر جحظة قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
كان مزاحم العقيلي يهوى امرأة من قومه يقال لها مية فتزوجت رجلاً كان أقرب إليها من مزاحم فمر عليها بعد أن دخل بها زوجها فوقف عليها ثم قال
(أيَا شَفَتيْ مَيٍّ أما من شَريعةٍ ... من الموت إلا أنتما تُورِدَانِيَا)
(ويا شَفَتيْ ميٍّ أمالِي إليكما ... سبيلٌ وهذا الموت قد حَلَّ دانيا)
(ويا شَفَتَيْ مَيٍّ أما تَبذُلان لي ... بشيء وإن أعطيت أهلي وماليا)
فقالت أعزز علي يا بن عم بأن تسأل ما لا سبيل إليه وهذا أمر قد حيل دونه فاله عنه فانصرف
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال
حدثني عمارة بن عقيل قال قال لي أبي قال عبد الملك بن مروان لجرير يا أبا حَزْرة هل تحب أن يكون لك بشيء من شعرك شيء من شعر غيرك قال لا ما أحب ذلك إلا أن غلاماً ينزل الرّوضات من بلاد بني عقيل يقال له مزاحم العقيلي يقول حسناً من الشعر لا يقدر أحد أن يقول مثله كنت أحب أن يكون لي بعض شعره مقايضة ببعض شعري
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه قال
كان مزاحم العقيلي يهوى امرأةً من قومه يقال لها ليلى فغاب غيبة عن بلاده ثم عاد وقد زوجت فقال في ذلك
(أتانِي بظَهْرِ الغَيْب أن قد تَزوَّجَت ... فظلَّت بيَ الأرضُ الفضاءُ تدُورُ)
(وزايَلَني لُبّي وقد كان حاضِراً ... وكاد جَناني عند ذاك يَطِيرُ)
(فَقلت وقد أيقنْتُ أن ليس بيْنَنا ... تَلاقٍ وعيْني بالدموع تمورُ)
(أيا سُرعةَ الأخبار حين تَزوَّجتْ ... فهل يأتِيَنّي بالطَّلاق بَشيرُ)

(ولستُ بمُحْصٍ حُبَّ ليلى لسائلٍ ... من النَّاس إلا أن أقول كَثِيرُ)
صوت
(لها في سَوادِ القَلْبِ تِسعةُ أسْهُمٍ ... وللناس طُرّاً مِن هَوَاي عَشِيرُ
قال ابن الكلبي ومن الناس من يزعم أن ليلى هذه التي يهواها مزاحم العقيلي هي التي كان يهواها المجنون وأنهما اجتمعا هو ومزاحم في حبها
قال الأصبهاني وقد أخبرني بشرح هذا الخبر الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال
كان مزاحم بن مرة العقيلي يهوى امرأة من قشير يقال لها ليلى بنت موازر ويتحدث إليها مدة حتى شاع أمرهما وتحدثت جواري الحي به فنهاه أهلها عنها وكانوا متجاورين وشكوه إلى الأشياخ من قومه فنهوه واشتدوا عليه فكان يتفلت إليها في أوقات الغفلات فيتحدثان ويتشاكيان ثم انتجعت بنو قشير في ربيع لهم ناحية غير تلك قد نضرها غيث وأخصبها فبعد عليه خبرها واشتاقها فكان يسأل عنها كل وارد ويرسل إليها بالسلام مع كل صادر حتى ورد عليه يوماً راكب من قومها فسأله عنها فأخبره أنها خطبت فزوجت فوجم طويلاً ثم أجهش باكياً وقال
(أتاني بظَهْرِ الغَيْبِ أن قد تَزَوَّجت ... فظلَّت بي الأرضُ الفَضاء تَدورُ)
وذكر الأبيات الماضية
وقد أنشدني هذه القصيدة لمزاحم ابن أبي الأزهر عن حماد عن أبيه فأتى بهذه الأبيات وزاد فيها
(وتَنشرَ نفسي بعد مَوْتي بِذِكْرها ... مراراً فموتٌ مرّةً ونُشورٌ)
(عَجِبْت لربي عَجَّة ما مَلَكتُها ... وربّي بذي الشَّوْق الحزين بَصِيرُ)
(ليرحم ما أَلْقَى ويعلمَ أنَّني ... له بالذي يُسدِي إليَّ شَكُورُ)
(لئن كان يُهدي بردُ أنيابها العُلاَ ... لأحْوجَ مِنّي إنَّني لَفَقيرُ)
مكانته عند الشعراء
حدثني عمي قال حدثني أبو أيوب المديني قال قال أبو عدنان
أخبرنا تميم بن رافع قال حدثت أن الفرزدق دخل على عبد الملك بن مروان أو بعض بنيه فقال له يا فرزدق أتعرف أحداً أشعر منك قال لا إلا غلاماً من بني عقيل يركب أعجاز الإبل وينعت الفلوات فيجيد ثم جاءه جرير فسأله عن مثل ما سأل عنه الفرزدق فأجابه بجوابه فلم يلبث أن جاءه ذو الرمة فقال له أنت أشعر الناس قال لا ولكن غلام من بني عقيل يقال له مزاحم يسكن الروضات يقول وحشياً من الشعر لا يقدر على مثله فقال فأنشدني بعض ما تحفظ من ذلك فأنشده قوله
(خلِيلَيَّ عُوجَا بِي على الدارِ نَسْألِ ... مَتَى عهدُها بالظَّاعِنِ المُتَرحِّلِ)
(فعُجتُ وعاجوا فوق بَيْداء موَّرت ... بها الريح جولان الترابِ المُنَخَّلِ)
حتى أتى على آخرها ثم قال ما أعرف أحداً يقول قولاً يواصل هذا
صوت
(أُكذِّبُ طَرْفي عنكِ فِي كُلِّ ما أرى ... أُسمِعُ أُذْنِي منك ما ليس تَسْمَعُ)
(فلا كَبِدِي تَبلَى ولا لكِ رَحمةٌ ... ولا عنكِ إقصارٌ ولا فيكِ مَطْمَعُ)
(لقِيتُ أموراً فيك لم ألقَ مِثْلَها ... وأعظمُ منها فيك ما أتوقعُ)
(فلا تسأليني في هواكِ زيادةً ... فأيسرُه يُجزي وأدناه يُقنِعُ)
والشعر لبكر بن النطاح والغناء لحسين بن محرز ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي
أخبار بكر بن النطاح ونسبه
بكر بن النطاح الحنفي يكنى أبا وائل هكذا أخبرنا وكيع عن عبد الله بن شبيب وذكر غيره أنه عجلي من بني سعد بن عجل واحتج من ذكر أنه عجلي بقوله
(فإن يَكُ جَدَّ القومِ فِهْرُ بن مالِك ... فجَدِّيَ عِجْلٌ قَرْم بَكْر بن وَائلِ)
وأنكر ذلك من زعم أنه حنفي وقال بل قال
(... فَجدّي لُجيمٌ قَرْمُ بَكْر بنِ وائلِ)
وعجل بن لجيم وحنيفة بن لجيم أخوان
وكان بكر بن النطاح صعلوكاً يصيب الطريق ثم أقصر عن ذلك فجعله أبو دلف من الجند وجعل له رزقاً سلطانياً وكان شجاعاً بطلاً فارساً شاعراً حسن الشعر والتصرف فيه كثير الوصف لنفسه بالشجاعة والإقدام
قصته مع أبي دلف والرشيد
فأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبي قال
قال بكر بن النطاح الحنفي قصيدته التي يقول فيها
(هنيئاً لإخواني ببَغداد عِيدهُم ... وعِيدِي بحُلوانٍ قِراعُ الكَتائِبِ)
وأنشدها أبا دلف فقال له إنك لتكثر الوصف لنفسك بالشجاعة وما رأيت لذلك عندك أثراً قط ولا فيك فقال له أيها الأمير وأي غناء يكون عند الرجل الحاسر الأعْزل فقال أعطوه فرساً وسيفاً وترساً ودرعاً ورمحاً فأعطوه ذلك أجمع فأخذه وركب الفرس وخرج على وجهه فلقيه مال لأبي دلف يحمل من بعض ضياعه فأخذه وخرج جماعة من غلمانه فمانعوه عنه فجرحهم جميعاً وقطعهم وانهزموا وسار بالمال فلم ينزل إلا على عشرين فرسخاً فلما اتصل خبره بأبي دلف قال نحن جنينا على أنفسنا وقد كنا أغنياء عن إهاجة أبي وائل ثم كتب إليه بالأمان وسوغه المال وكتب إليه صر إلينا فلا ذنب لك لأنا نحن كنا سبب فعلك بتحريكنا إياك وترحيضنا فرجع ولم يزل معه يمتدحه حتى مات
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن موسى قال حدثني الحسن ابن إسماعيل عن ابن الحفصي قال قال يزيد بن مزيد
وجه إلي الرشيد في وقت يرتاب فيه البريء فلما مثلت بين يديه قال يا يزيد من الذي يقول
(ومن يَفْتَقِر مِنَّا يَعِيْش بحُسامِهِ ... ومَن يَفْتَقِر مِن سائر النَّاس يَسْألِ)
فقلت له والذي شرفك وأكرمك بالخلافة ما أعرفه قال فمن الذي يقول

(وإن يَكُ جَدُّ القَوْمِ فِهْرَ بن مَالِك ... فجدِّي لُجَيْمٌ قَرْمٌ بَكْر بن وائِل)
قلت لا والذي أكرمك وشرفك يا أمير المؤمنين ما أعرفه قال والذي كرمني وشرفني إنك لتعرفه أتظن يا يزيد أني إذا أوطأتك بساطي وشرفتك بصنيعتي أني أحتملك على هذا أو تظن أني لا أراعي أموركَ وأتقصاها وتحسب أنه يخفى عليّ شيء منها والله إن عيوني لعليك في خلواتك ومشاهدك هذا جلف من أجلاف ربيعة عدا طوره وألحق قريشاً بربيعة فأتني به فانصرفت وسألت عن قائل الشعر فقيل لي هو بكر بن النطاح وكان أحد أصحابي فدعوته وأعلمته ما كان من الرشيد فأمرت له بألفي درهم وأسقطت اسمه من الديوان وأمرته ألا يظهر ما دام الرشيد حياً فما ظهر حتى مات الرشيد فلما مات ظهر فألحقت اسمه وزدت في عطائه
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني محمد بن حمزة العلوي قال حدثني أبو غسان دماذ قال
حضرت بكر بن النطاح الحنفي في منزل بعض الحنفيين وكانت للحنفي جارية يقال لها رامشنة فقال فيها بكر بن النطاح
(حَيَّتْكَ بالرَّامِشْنِ رامِشْنَةٌ ... أحسنُ من رامِشْنَةِ الآسِ)
(جاريةٌ لم يَقْتَسِم بُضْعَها ... ولم تَبِتْ في بَيْتِ نَخَّاسِ)
((أفسدت إنساناً عَلَى أهلِه ... يا مُفْسِدَ النّاسِ على النّاسِ
وقال فيها
(أُكذِّبُ طَرْفي عنكِ والطَّرْفُ صادِقٌ ... وأُسمِعُ أُذْني منكِ ما لَيْس تَسْمَعُ)
(ولم أسكُنِ الأرضَ التي تَسكُنِينها ... لكي لا يقولوا صابرٌ ليس يجْزَعُ)
(فلا كَبِدي تَبْلَى ولا لَكِ رَحْمَة ... ولا عَنْكِ إقصارٌ ولا فيكِ مطْمَعُ)
(لَقِيتُ أُموراً فيكِ لم ألقَ مِثلَها ... وأعظَمُ منها منكِ ما أتوقَّعُ)
(فلا تَسأَلِيني في هَوَاكِ زيادة ... فأيْسَرُه يُجْزِي وأدناه يُقْنِعُ)
المأمون يعطي رأيه بشعره وسلوكه
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه عن علي ابن الصباح وأظنه مرسلاً وأن بينه وبينه ابن أبي سعد أو غيره لأنه لم يسمع من علي بن الصباح قال حدثني أبو الحسين الرواية قال لي المأمون
أنشدني أشجع بيت وأعفه وأكرمه من شعر المحدثين فأنشدته
(ومن يَفْتَقِر منَّا يَعِشْ بحُسامه ... ومن يَفْتَقِرْ من سائِرِ النَّاسِ يسْألِ)
(وإنّا لنَلهُو بالسُّيوف كما لَهَت ... عَروسٌ بعِقدٍ أوسِخابِ قَرَنْفُلِ)
فقال ويحك من يقول هذا فقلت بكر بن النطاح فقال أحسن والله ولكنه قد كذب في وقوله فما باله يسأل أبا دلف ويمتدحه وينتجعه هلا أكل خبزه بسيفه كما قال
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أبو الحسن الكسكري قال
بلغني أن أبا دلف لحق أكراداً قطعوا الطريق في عمله وقد أردف منهم فارس رفيقاً له خلفه فطعنهما جميعاً فأنفذهما فتحدث الناس بأنه نظم بطعنة واحدة فارسين على فرس فلما قدم من وجهه دخل إليه بكر بن النطاح فأنشده
صوت
(قالوا ويَنْظِم فارسَيْن بطَعْنَةٍ ... يومَ اللِّقاء ولا يَراهُ جَليلاَ)
(لا تَعْجَبوا فَلَو أنّ طُولَ قَناتِه ... ميلٌ إذاً نَظَم الفوارسَ ميلاَ)
قال فأمر له أبو دلف بعشرة آلاف درهم فقال بكر فيه
(له راحةٌ لو أنّ مِعْشار جُودِها ... على البَرِّ كان البَرُّ أندى من البَحْرِ)
(ولو أنّ خَلْقَ الله في جِسْمِ فارس ... وبارزَه كان الخليّ من العُمْرِ)
(أبا دُلَف بُورِكْتَ في كل بَلْدةٍ ... كما بُورِكَتْ في شَهْرِها لَيلةُ القَدْرِ)
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وعيسى بن الحسين قالا حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثني أبو زائدة قال
كان بكر بن النطاح الحنفي يتعشق غلاماً نصرانياً ويجن به وفيه يقول
(يا مَنْ إذا دَرَس الإنْجِيلَ كان له ... قَلْبُ التَّقِيِّ عن القُرآن مُنْصَرِفا)
(إنِّي رأيتُك في نومي تُعانِقُني ... كما تُعانِق لامُ الكاتِبِ الألِفا)
أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني الحسن بن عبد الرحمن الربعي قال
كان بكر بن النطاح يأتي أبا دلف في كل سنة فيقول له إلى جنب أرضي أرض تباع وليس يحضرني ثمنها فيأمر له بخمسة آلاف درهم ويعطيه ألفاً لنفقته
فجاءه في بعض السنين فقال له مثل ذلك فقال له أبو دلف ما تفنى هذه الأرضون التي إلى جانب ضيعتك فغضب وانصرف عنه وقال
(يا نفسُ لا تجزَعي من التّلَفِ ... فإن في الله أعظمَ الخَلَفِ)
(إن تَقْنَعي باليَسِير تَغْتَبِطي ... ويُغْنِكِ الله عن أبي دُلَفِ)
قال وكان بَكْر بنُ النَطاح يأتي قرةَ بن محرز الحنفي بكُرمان فيعطيه عشرة آلاف درهم ويُجري عليه في كل شهر يقيم عنده ألف درهم فاجتاز به قرة يوماً وهو ملازم في السوق وغرماؤه يطالبونه بدين فقال له ويحك أما يكفيك ما أعطيك حتى تستدين وتلازم في السوق فغضب عليه وانصرف عنه وأنشأ يقول
(ألا يا قُرّ لاتَكُ سامريّاً ... فتَتْركَ مَنْ يَزُورك في جِهادِ)
(أتعْجَب أنْ رأيتَ عليّ دَيْناً ... وقد أودَى الطَّرِيفُ مع التِّلادِ)
(ملأتُ يَدِي منَ الدُّنيا مِراراً ... فما طَمِعَ العَوَاذِلُ في اقْتِصادي)
(ولا وَجَبت عليّ زَكاةُ مالٍ ... وهل تَجِبُ الزّكاةُ على جَوادِ)
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
كنت يوماً عند علي بن هشام وعنده جماعة فيهم عمارة بن عقيل فحدثته أن بكر بن النطاح دخل إلى أبي دلف وأنا عنده فقال لي أبو دلف يا أبا محمد أنشدني مديحاً فاخراً تستطرفه فبدر إليه بكر وقال أنا أنشدك أيها الأمير بيتين قلتهما فيك طريقي هذا إليك وأحكمك فقال هات فإن شهد لك أبو محمد رضينا فأنشده
(إذا كانَ الشِّتاءُ فأنت شَمْسٌ ... وإن حَضَر المَصِيف فأنتَ ظِلُّ)

(وما تَدْري إذا أَعْطَيْتَ مالاً ... أتُكْثِرُ في سَماحِكِ أم تُقِلُّ)
فقلت له أحسن والله ما شاء ووجبت مكافأته فقال أما إذ رضيت فأعطوه عشرة آلاف درهم فحملت إليه وانصرفت إلى منزلي فإذا أنا بعشرين ألفاً قد سبقت إلي وجه بها أبو دلف قال فقال عمارة لعلي بن هشام فقد قلت أنا في قريب من هذه القصة
(ولا عَيبَ فيهم غيرَ أنَّ أكفَّهم ... لأموالِهم مِثْلَ السِّنين الحَواطم)
(وأنهم لا يُورثون بَنيهمُ ... وإن ورثوا خيراً كنوزَ الدَّراهِم)
ابن النطاح يرثي معقل بن عيسى
أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو توبة قال كان معقل بن عيسى صديقاً لبكر بن النطاح وكان بكر فاتكاً صعلوكاً فكان لا يزال قد أحدث حادثة في عمل أبي دلف أو جنى جناية فيهم به فيقوم دونه معقل حتى يتخلصه فمات معقل فقال بكر بن النطاح يرثيه بقوله
(وحدَّث عنه بعضُ من قال إنَّه ... رأتْ عينُه فيما ترَى عينُ حالِم)
(كأنَّ الذي يَبْكي على قَبْرِ مَعْقِل ... ولم يَرِه يَبكي على قَبْرِ حاتِم)
(ولا قَبرِ كَعْبٍ إذ يَجودُ بنَفْسِه ... ولا قَبْرِ حِلْفِ الجُودِ قَيْسِ بن عاصِمِ)
(فأيقنتُ أنَّ اللهَ فضَّل مَعْقِلاً ... على كل مذْكُور بفَضْلِ المَكارم)
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثني العمري قال
كان بكر بن النطاح الحنفي أبو وائل بخيلاً فدخل عليه عباد بن الممزق يوماً فقدم إليه خبزاً يابساً قليلاً بلا أدم ورفعه من بين يديه قبل أن يشبع فقال عباد يهجوه
(مَن يَشْتري مِني أبا وائِلٍ ... بكرَ بن نَطَّاحٍ بفَلْسَيْنِ)
(كأنما الآكِلُ من خُبزِهِ ... يأكلُه من شَحمةِ العَيْنِ)
قال وكان عباد هذا هجاء ملعوناً وهو القائل
(أنَا المُمزّقِ أعراضَ اللِّئام كما ... كان المُمزِّق أعراضَ اللِّئام أبي)
أخبرني عمي قال حدثنا أبو هفان قال
كان بكر بن النطاح قصد مالك بن طوق فمدحه فلم يرض ثوابه فخرج من عنده وقال يهجوه
(فليتَ جَدَا مَالكٍ كُلَّه ... وما يُرتجى منه من مَطْلَبِ)
(أُصِبْتُ بأضْعاف أضعافِهِ ... ولم أنتجِعْه ولم أرغَبِ)
(أسأتُ أختِياريَ منك الثَّوابَ ... لي الذّنبُ جهْلاً ولم تُذنِبِ)
وكتبها في رقعة وبعث إليه فلما قرأها وجّه جماعة من أصحابه في طلبه
وقال لهم الويل لكم إن فاتكم بكر بن النطاح ولا بد أن تنكفئوا على أثره ولو صار إلى الجبل فلحقوه فردوه إليه فلما دخل داره ونظر إليه قام فتلقاه وقال يا أخي عجلت علينا وما كنا نقتصر بك على ما سلف وإنما بعثنا إليك بنفعه وعولنا بك على ما يتلوها واعتذر كل واحد منهما إلى صاحبه ثم أعطاه حتى أرضاه فقال بكر بن النطاح يمدحه
(أقولُ لمُرتادٍ ندى غير مالِكٍ ... كفى بَذْلَ هذا الخلقِ بعضُ عِداتِه)
(فَتىً جاد بالأموال في كُلِّ جانبٍ ... وأنْهَبَها في عَوْدِه وبِداتِه)
(فلو خَذَلَتْ أموالُه بذْلَ كَفِّه ... لقاسَمَ مَن يَرجُوه شطْرَ حَياتِه)
(ولو لم يجد في العُمْر قِسمة مالِه ... وجاز له الإعطاء من حَسناتِه)
(لجادَ بها من غَيْر كُفْرٍ برَبِّه ... وشاركَهم في صَوْمه وصَلاتِه)
فوصله صلة ثانية لهذه الأبيات وانصرف عنه راضياً
هكذا ذكر أبو هفان في خبره وأحسبه غلطاً لأن أكثر مدائح بكر بن النطاح في مالك بن علي الخزاعي وكان يتولى طريق خراسان وصار إليه بكر بن النطاح بعد وفاة أبي دلف ومدحه فأحسن تقبله وجعله في جنده وأسنى له الرزق فكان معه إلى أن قتله الشراة بحلوان فرثاه بكر بعدة قصائد هي من غرر شعره وعيونه
ابن النطاح يرثي مالك الخزاعي
فحدثني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر عن أبي وائلة السدوسي قال
عاثت الشراة بالجبل عيثاً شديداً وقتلوا الرجال والنساء والصبيان فخرج إليهم مالك بن علي الخزاعي وقد وردوا حلوان فقاتلهم قتالاً شديداً فهزمهم
عنها وما زال يتبعهم حتى بلغ بهم قرية يقال لها حدان فقاتلوه عندها قتالاً شديداً وثبت الفريقان إلى الليل حتى حجز بينهم وأصابت مالكاً ضربة على رأسه أثبتته وعلم أنه ميت فأمر برده إلى حلوان فما بلغها حتى مات فدفن على باب حلوان وبنيت لقبره قبة على قارعة الطريق وكان معه بكر بن النطاح يومئذ فأبلى بلاء حسناً وقال بكر يرثيه
(يا عينُ جُودِي بالدّموع السِّجامْ ... على الأمير اليمنيّ الهُمامْ)
(على فَتى الدنيا وصِنديدِها ... وفارس الدّين وسَيفِ الإمامْ)
(لا تَدْخَري الدمعَ على هالكٍ ... أيْتَم إذ أودى جَميعُ الأنامْ)
(طاب ثَرَى حُلوانَ إذ ضُمِّنت ... عِظامَه سَقْياً لها من عِظامْ)
(أغلقَتِ الخَيراتُ أبوابَها ... وامتَنَعت بعدَك يا بنَ الكِرامْ)
(أغلقَتِ الخَيراتُ أبوبَها ... وامتَنَعت بعدَك يا بنَ الكِرامْ)
(وأصبحَتْ خَيلُك بعد الوَجَا ... والغَزو تَشكُو منك طُولَ الجَمامْ)
(ارحَلْ بنا نَقرُبْ إلى مالكٍ ... كيما نُحيِّي قبرَه بالسَّلامْ)
(كان لأهل الأرض في كَفِّه ... غِنىً عن البحر وصَوْبِ الغَمامْ)
(وكان في الصُّبح كشمس الضُّحى ... وكان في الليل كبَدْرِ الظّلامْ)
(وسائلٍ يعجَب من موتِه ... وقد رآه وهو صَعْبُ المَرامْ)
(قلتُ له عَهدِي به مُعلِماً ... يضربهم عند ارتفاع القَتامْ)
((والحربُ مَنْ طاولها لم يَكَدَ ... يُفلِت من وقْع صقيلٍ حُسامْ

(لم ينظُرِ الدَّهرُ لنا إذ عدا ... على رَبيعِ النّاسِ في كل عامْ)
(لن يستَقيلوا أبداً فقدَه ... ما هَيَّج الشّجوَ دُعاءُ الحَمامْ)
قال وقال أيضاً يرثيه
(أيُّ امرىءٍ خَضَب الخوارجُ ثوبَه ... بدمٍ عَشيَّةَ راح من حُلْوانِ)
(يا حُفْرةً ضمَّتْ محاسِنَ مالِكٍ ... ما فيكِ من كَرَمٍ ومن إحسانِ)
(لَهْفي على البَطَل المعرِّض خَدَّه ... وجبينَه لأسنة الفُرسانِ)
(خَرَق الكتيبة مُعلماً مُتَكَنِّباً ... والمرُهفاتُ عليه كالنّيرانِ)
(ذهبت بَشاشَةُ كلّ شيءٍ بعده ... فالأرضُ مُوحِشة فلا عُمرانِ)
(هدَم الشُّراةُ غَداة مَصْرع مالكٍ ... شرف العُلا ومكارمَ البُنيانِ)
(قَتَلوا فتى العربِ الذي كانت به ... تَقْوى على اللَّزبات في الأزمانِ)
(حرموا مَعَدّاً ما لديه وأوقَعُوا ... عصبيَّةً في قَلب كُلِّ يَماني)
(تَركُوه في رَهَجِ العَجاجِ كأنه ... أسدٌ يَصولُ بساعدٍ وبَنانِ)
(هوتِ الجُدودُ عن السُّعودِ لفقدِه ... وتمسَّكتْ بالنَّحسِ والدَّبَرَانِ)
(لا يبعَدَنَّ أخو خُزاعةَ إذ ثَوى ... مستَشْهداً في طاعة الرَّحمنِ)
(عَزّ الغُواةُ به وذَلَّت أُمّةٌ ... مَحْبُوَّةٌ بحقائق الإيمانِ)
((وبكاه مُصحَفُهُ وصدرُ قَناتِه ... والمُسلمون ودولَةُ السُّلطانِ
(وغدت تُعقَّر خيلُه وتُقسِّمت ... أدراعُه وسوابِغُ الأبدانِ)
(أفتُحمَد الدُّنيا وقد ذَهَبتْ بِمَنْ ... كان المُجيرَ لنا من الحَدَثانِ)
تشوّقه بغداد وهو بالجبل
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال أنشدني أبو غسان دماذ لبكر بن النطاح يتشوق بغداد وهو بالجبل يومئذ
(نَسيمُ المُدامِ وبَرْد السَّحرْ ... هما هيَّجا الشّوقَ حتى ظَهَرْ)
(تقول اجتَنِب دارَنا بالنّهار ... وزُرْنا إذا غاب ضوءُ القَمرْ)
(فإنَّ لنا حَرَساً إن رأوْكَ ... نَدِمتَ وأُعطوا عليك الظَّفَرْ)
(وكم صَنَعَ اللهُ بغدادَ من بلدةٍ ... وساكنَ بَغْداد صَوْبَ المَطَرْ)
(ونُبِّئْتُ أنّ جَواري القُصُور ... صيَّرن ذِكْري حديثَ السَّمَرْ)
(ألا رُبَّ سائلةٍ بالعراق ... عنّي وأخرى تُطيل الذِّكَرْ)
(تقول عَهِدْنا أبا وائلٍ ... كظَبْيِ الفَلاةِ المَليح الحَوَرْ)
(ليالِيَ كنتُ أزور القِيانَ ... كأنَّ ثِيابِي بَهارُ الشَّجَرْ)
حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني ميمون بن هارون قال
كان بكر بن النطاح يهوى جارية من جواري القيان وتهواه وكانت لبعض الهاشميين يقال لها درة وهو يذكرها في شعره كثيراً وكان يجتمع معها في منزل رجل من الجند من أصحاب أبي دلف يقال له الفرز فسعى به إلى مولاها وأعلمه أنه قد أفسدها وواطأها على أن تهرب معه إلى الجبل فمنعه من لقائها
وحجبه عنها إلى أن خرج الكرج مع أبي دلف فقال بكر بن النطاح في ذلك
(أهلُ دارٍ بين الرصافة والجسرْ ... أطالوا غَيْظي بطُول الصُّدودِ)
(عذَّبوني بُبعدهم وابْتَلَوا قَلْبي ... بحُزْنينِ طارفٍ وتَليدِ)
(ما تَهُبُّ الشَّمال إلا تَنَفّت ... وقال الفؤادُ للعَيْن جُودي)
(قلَّ عنهم صَبْري ولم يرحَموني ... فتحيَّرت كالطّريد الشّريدِ)
(وكلتْني الأيامُ فيكِ إلى نفسِي ... فأعيَيْتُ وانتهى مَجْهودِي)
وقال فيها أيضاً وفيه غناء من الرمل الطنبوري
(العَين تُبدِي الحُبَّ والبُغضا ... وتُظهِر الإبرامَ والنَّقْضا)
(دُرَّةُ ما أنصفتِني في الهوى ... ولا رحِمْتِ الجسَدَ المُنْضَى)
(مرّت بنا في قُرطُقٍ أخْضَر ... يعشَق منها بَعضُها بَعْضا)
(غَضْبَى ولا واللهِ يا أهلَها ... لا أشرَبُ الباردَ أو تَرْضَى)
(كيف أطاعَتْكم بهجْري وقد ... جعلتُ خدّيَّ لها أرْضا)
وقال فيها أيضاً وفيه رمل طنبوري
(صدّتْ فأمسى لِقاؤُها حُلما ... واستبدل الطرفُ بالدُّموع دَمَا)
(وسلَّطت حُبَّها على كَبِدي ... فأبدَلَتْني بصِحةٍ سَقَما)
(وصِرْتُ فرداً أبكِي لفُرقتها ... وأقرعُ السِّنَّ بعدها نَدَما)
(شقّ عليها قولُ الوُشاةِ لها ... أصبحتِ في أمر ذا الفتَى عَلَما)
(ولولا شَقائي وما بُليتُ به ... من هَجْرها ما استَتَرْت ما اكتُتِما)
((كم حاجةٍ في الكتاب بُحتُ بها ... أبكيتُ منها القِرطاسَ والقَلَما
وقال فيها أيضاً وفيه رمل لأبي الحسن أحمد بن جعفر جحظة
(بَعُدتِ عني فتغيَّرتِ لي ... وليس عندي لكِ تَغْييرُ)
(فَجدِّدي ما رَثَّ من وَصْلنا ... وكلُّ ذَنْبٍ لكِ مَغْفورُ)
(أُطيِّب النّفسَ بكتمان ما ... سارت به من غدْوِك العِيرُ)
(وَعدُكِ يا سيِّدتي غرّني ... منك ومن يَعْشَق مَغْرورُ)
(يحزُنني علِمي بنَفسي إذا ... قال خَليلي أنتَ مَهجورُ)
(ياليت من زيَّن هذا لها ... جارت لنا فيه المَقَادِيرُ)
(ساقِي النَّدامى سَقِّها صاحبِي ... فإنني وَيْحك مَعْذورُ)

(أأشرَبُ الخَمر على هَجْرها ... إني إذاً بالهَجْر مسرور)
وفيها يقول وقد خرج مع أبي دلف إلى أصبهان
(يا ظَبيةَ السِّيب التي أحببتُها ... ومنحتُها لُطفِي ولِينَ جَناحِي)
(عَينايَ باكِيتانِ بعدَكِ للذّي ... أوْدَعْتِ قلبِي مِن نُدوبِ جِراح)
(سَقْياً لأحمدَ من أخٍ ولِقاسِمٍ ... فَقدا غُدوِّي لاهِياً ورَواحِي)
(وترَدُّدِي من بيتِ فرْزَ آمِناً ... من قُربِ كُلِّ مخالِفٍ ومُلاحِي)
(أيامَ تَغيظُني المُلوكُ ولا أرى ... أحداً له كتدلُّلِي ومَراحِي)
(تَصِفُ القِيانُ إذا خلونَ مجانَتِي ... ويَصِفْنَ للشّرْبِ الكرام سماحِي)
ومما يغنى فيه من شعر بكر بن النطاح في هذه الجارية قوله
صوت
(هل يُبتَلى أحدٌ بِمِثْل بليَّتي ... أم ليس لي في العَالَمين ضَريبُ)
(قالت عَنانُ وأبصرَتْني شاحِباً ... يا بَكْرُ مالكَ قد عَلاك شُحوبُ)
((فأجبتُها يا أختُ لم يلقَ الذي ... لاقيتُ إلا المُبْتَلَى أيُّوبُ)
(قد كنتُ أسمع بالهوى فأظُنُّه ... شيئاً يلَذُّ لأهله ويَطِيبُ)
(حتى ابتُلِيت بِحُلْوه وبمُرِّهِ ... فالحلو منه للقلوب مُذيبُ)
(والمُرّ يعجِز مَنْطِقي عن وصْفِه ... للمُرِّ وصفٌ يا عَنان عَجيبُ)
(فأنا الشّقِيّ بحُلْوه وبمُرّه ... وأنا المُعنَّى الهائِمُ المَكروبُ)
(يا دُرَّ حالَكِ الجَمالُ فَمالَه ... في وَجْه إنسانٍ سواكِ نَصِيبُ)
(كلُّ الوجوه تَشابَهت وبَهَرْتِها ... حُسناً فَوجهُكِ في الوُجوه غريبُ)
(والشمس يغرُب في الحِجاب ضِياؤُها ... عنّا ويُشرِق وجهُك المَحْجوبُ)
ومما يغنّى فيه من شعره فيها أيضاً
(غَضِب الحبيبُ عليَّ في حُبِّي له ... نَفْسِي الفِداءُ لمُذْنِبٍ غَضْبانِ)
(مالِي بما ذكر الرّسولُ يدانِ بل ... إن تَمّ رأيُكَ ذَا خَلْعت عِناني)
(يا مَنْ يَتُوقُ إلى حَبِيبٍ مُذنِبٍ ... طاوعْته فَجزاك بالعِصْيانِ)
(هلاّ انتحرت فكنتَ أولَ هالكٍ ... إن لم يَكُن لك بالصُّدود يدانِ)
(كنّا وكُنْتُم كالبَنانِ وَكَفِّها ... فالكفُّ مفردةٌ بغَيْرِ بَنانِ)
(خُلِق السُّرورُ لمَعْشر خُلِقوا له ... وخُلِقْتُ للعَبَرات والأحزانِ)
صوت
(ليتَ شِعْري أأوَّلُ الهَرْج هذا ... أم زَمانٌ من فِتْنَةٍ غير هَرْجِ)
(إن يَعِشْ مُصعَبٌ فنحن بخَيْر ... قد أتانا من عَيْشِنا ما نُرَجِّي)
(مِلكٌ يُطْعِم الطّعام ويَسْقِي ... لبنَ البُخْت في عِساسِ الْخَلَنْج)
((جَلَب الخَيْلَ من تِهامَةَ حتّى ... بلَغت خيلُه قصور زَرَنْج)
(حيث لم تأتِ قبله خيلُ ذِي الأعتاف ... يُوجِفن بين قُفٍّ ومَرْج)
عروضه من الخفيف الشعر لعبيد الله بن قيس الرقيات والغناء ليونس الكاتب ماخوري بالبنصر وفيه لمالك ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق

مقتل مصعب بن الزبير

وهذا الشعر يقوله عبيد الله بن قيس لمصعب بن الزبير لما حشد للخروج عن الكوفة لمحاربة عبد الملك بن مروان
وكان السبب في ذلك فيما أجاز لنا الحرمي بن أبي العلاء روايته عنه عن الزبير بن بكار عن المدائني قال
لما كانت سنة اثنتين وسبعين استشار عبد الملك بن مروان عبد الرحمن ابن الحكم في المسير إلى العراق ومناجزة مصعب فقال يا أمير المؤمنين قد واليت بين عامين تغزو فيهما وقد خسرت خيلك ورجالك وعامك هذا عام حارد فأرح نفسك ورجلك ثم ترى رأيك فقال إني أبادر ثلاثة أشياء وهي أن الشام أرض بها المال قليل فأخاف أن ينفد ما عندي وأشراف أهل العراق قد كاتبوني يدعونني إلى أنفسهم وثلاثة من أصحاب رسول الله كبروا ونفدت أعمارهم وأنا أبادر بهم الموت أحب أن يحضروا معي
ثم دعا يحي بن الحكم وكان يقول من أراد أمرا فليشاور يحي بن الحكم فإذا أشار عليه بأمر فليعمل بخلافه فقال ما ترى في المسير إلى العراق قال أرى أن ترضى بالشام وتقيم بها وتدع مصعبا بالعراق فلعن الله العراق فضحك عبد الملك
ودعا عبد الله بن خالد بن أسيد فشاوره فقال يا أمير المؤمنين قد غزوت مرة فنصرك الله ثم غزوت ثانية فزادك الله بها عزاً فأقم عامك هذا
فقال لمحمد بن مروان ما ترى قال أرجو أن ينصرك الله أقمت أم غزوت فشمر فإن الله ناصرك فأمر الناس فاستعدوا للمسير فلما أجمع عليه قالت عاتكة بنت يزيد بن معاوية زوجته يا أمير المؤمنين وجه الجنود وأقم فليس الرأي أن يباشر الخليفة الحرب بنفسه فقال لو وجهت أهل الشام كلهم فعلم مصعب أني لست معهم لهلك الجيش كله ثم تمثل
(ومُسْتَخبِرٍ عنّا يُريد بنا الرَّدَى ... ومُستَخبراتٍ والعُيونُ سواكِبُ)
ثم قدم محمد بن مروان ومعه عبد الله بن خالد بن أسيد وبشر بن مروان ونادى مناديه إن أمير المؤمنين قد استعمل عليكم سيد الناس محمد بن مروان وبلغ مصعب بن الزبير مسير عبد الملك فأراد الخروج فأبى عليه أهل البصرة وقالوا عدونا مطل علينا يعنون الخوارج فأرسل إليهم بالمهلب وهو بالموصل وكان عامله عليها فولاه قتال الخوارج وخرج مصعب فقال بعض الشعراء
(أكُلَّ عام لك باجُمَيْرا ... تَغْزُو بنا ولا تُفِيد خَيْراً)
مصعب وعبد الملك
قال وكان مصعب كثيرا ما يخرج إلى باجميرا يريد الشام ثم يرجع فأقبل عبد الملك حتى نزل الأخنونيّه ونزل مصعب بمسكن إلى جنب أوانا وخندق خندقا ثم تحول ونزل دير الجاثليق وهو بمسكن وبين العسكرين ثلاثة فراسخ ويقال

فرسخان فقدم عبد الملك محمدا وبشرا أخويه وكل واحد منهما على جيش والأمير محمد وقدم مصعب إبراهيم بن الأشتر ثم كتب عبد الملك إلى أشراف أهل الكوفة والبصرة يدعوهم إلى نفسه ويمنيهم فأجابوه وشرطوا عليه شروطا وسألوه ولايات وسأله ولاية أصبهان أربعون رجلا منهم فقال عبد
الملك لمن حضره ويحكم ما أصبهان هذه تعجبا ممن يطلبها وكتب إلى إبراهيم بن الأشتر لك ولاية ما سقى الفرات إن تبعتني فجاء إبراهيم بالكتاب إلى مصعب فقال هذا كتاب عبد الملك ولم يخصصني بهذا دون غيري من نظرائي ثم قال فأطعني فيهم قال أصنع ماذا قال تدعوهم فتضرب أعناقهم قال أقتلهم على ظن ظننته قال فأوقرهم حديداً وابعث بهم إلى أرض المدائن حتى تنقضي الحرب قال إذا تفسد قلوب عشائرهم ويقول الناس عبث مصعب بأصحابه قال فإن لم تفعل فلا تمدني بهم فإنهم كالمومسة تريد كل يوم خليلاً وهم يريدون كل يوم أميراً
أرسل عبد الملك إلى مصعب رجلاً يدعوه إلى أن يجعل الأمر شورى في الخلافة فأبى مصعب فقدم عبد الملك أخاه محمدا ثم قال اللهم انصر محمدا ثلاثاً ثم قال اللهم أنصر أصلحنا وخيرنا لهذه الأمة قال وقدم مصعب إبراهيم بن الأشتر فالتقت المقدمتان وبين عسكر مصعب وعسكر ابن الأشتر فرسخ ودنا عبد الملك حتى قرب من عسكر محمد فتناوشوا فقتل رجل على مقدمة محمد يقال له فراس وقتل صاحب لواء بشر وكان يقال له أسيد فأرسل محمد إلى عبد الملك أن بشراً قد ضيع لواءه فصرف عبد الملك الأمر كله إلى محمد وكف الناس وتواقفوا وجعل أصحاب ابن الأشتر يهمون بالحرب ومحمد بن مروان يكف أصحابه فأرسل عبد الملك إلى محمد ناجزهم فأبى فأوفد إليه رسولاً آخر وشتمه فأمر محمد رجلاً فقال له قف خلفي في ناس من أصحابك فلا تدعن أحداً يأتيني من قبل عبد الملك وكان قد دبر تدبيراً سديداً في تأخير المناجزة إلى وقت رآه فكره أن يفسد عبد الملك تدبيره عليه فوجه إليه عبد الملك عبد الله بن خالد بن أسيد فلما رأوه أرسلوا إلى محمد بن مروان هذا عبد الله بن خالد بن أسيد فقال ردوه بأشد مما رددتم من جاء قبله فلما قرب المساء أمر محمد بن مروان أصحابه بالحرب وقال حركوهم قليلاً فتهايج
الناس ووجه مصعب عتاب بن ورقاء الرياحي يعجز إبراهيم فقال له قد قلت لا تمدني بأحد من أهل العراق فلم يقبل واقتتلوا وأرسل إبراهيم بن الأشتر إلى أصحابه بحضرة الرسول ليرى خلاف أهل العراق عليه في رأيه ألا تنصرفوا عن الحرب حتى ينصرف أهل الشام عنكم فقالوا ولم لا ننصرف فانصرفوا وانهزم الناس حتى أتوا مصعبا وصبر إبراهيم بن الأشتر فقاتل حتى قتل فلما أصبحوا أمر محمد بن مروان رجلاً فقال انطلق إلى عسكر مصعب فانظر كيف تراهم بعد قتل ابن الأشتر قال لا أعرف موضع عسكرهم فقال له إبراهيم ابن عدي الكناني انطلق فإذا رأيت النخل فاجعله منك موضع سيفك فمضى الرجل حتى أتى عسكر مصعب ثم رجع إلى محمد فقال رأيتهم منكسرين وأصبح مصعب فدنا منه ودنا محمد بن مروان حتى التقوا فترك قوم من أصحاب مصعب مصعباً وأتوا محمد بن مروان فدنا إلى مصعب ثم ناداه فداك أبي وأمي إن القوم خاذلوك ولك الأمان فأبى قبول ذلك فدعا محمد بن مروان ابنه عيسى ابن مصعب فقال له أبوه انظر ما يريد محمد فدنا منه فقال له إني لكم ناصح إن القوم خاذلوكم ولك ولأبيك الأمان وناشده فرجع إلى أبيه فأخبره فقال إني أظن القوم سيفون فإن أحببت أن تأتيهم فأتهم فقال والله لا تتحدث نساء قريش أني خذلتك ورغبت بنفسي عنك قال فتقدم حتى أحتسبك فتقدم وتقدم ناس معه فقتل وقتلوا وترك أهل العراق مصعباً حتى بقي في سبعة

مقتل مصعب

وجاء رجل من أهل الشام ليحتز رأس عيسى فشد عليه مصعب فقتله ثم شد على الناس فانفرجوا ثم رجع فقعد على مرفقة ديباج ثم جعل يقوم عنها
ويحمل على أهل الشام فيفرجون عنه ثم يرجع فيقعد على المرفقة حتى فعل ذلك مراراً وأتاه عبيد الله بن زياد بن ظبيان فدعاه إلى المبارزة فقال له أعزب يا كلب وشد عليه مصعب فضربه على البيضة فهشمها وجرحه فرجع عبيد الله فعصب رأسه وجاء ابن أبي فروة كاتب مصعب فقال له جعلت فداك قد تركك القوم وعندي خيل مضمرة فاركبها وانج بنفسك فدفع في صدره وقال ليس أخوك بالعبد ورجع ابن ظبيان إلى مصعب فحمل عليه وزرق زائدة بن قدامة مصعباً ونادى يا لثارات المختار فصرعه وقال عبيد الله لغلام له احتز رأسه فنزل فاحتز رأسه فحمله إلى عبد الملك فقال إنه لما وضعه بين يديه سجد قال ابن ظبيان فهممت والله أن أقتله فأكون أفتك العرب قتلت ملكين من قريش في يوم واحد ثم وجدت نفسي تنازعني إلى الحياة فأمسكت
قال وقال يزيد بن الرّقاع العاملي أخو عدي بن الرقاع وكان شاعرً أهل الشام
(نحن قتلْنا ابنَ الحواريّ مُصعَباً ... أخا أسد والمَذْحِجِيّ اليمانيا)
يعني ابن الأشتر قال
((ومرّت عُقاب الموت منا بمُسلمٍ ... فأهْوَت له ظُفراً فأصبَح ثاويا
قال الزبير ويروى هذا الشعر للبعيث اليشكري ومسلم الذي عناه هو مسلم بن عمرو الباهلي
مقتل مسلم بن عمرو الباهلي
حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا محمد بن الحكم عن عوانة قال
كان مسلم بن عمرو الباهلي على ميسرة إبراهيم بن الأشتر فطعن وسقط فارثت فلما قتل مصعب أرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية أن يطلب له الأمان من عبد الملك فأرسل إليه ما تصنع بالأمان وأنت بالموت قال ليسلم لي مالي ويأمن ولدي قال فحمل على سرير فأدخل على عبد الملك بن مروان فقال عبد الملك لأهل الشام هذا أكفر الناس لمعروف ويحك أكفرت معروف يزيد بن معاوية عندك فقال له خالد تؤمنه يا أمير المؤمنين فأمنه ثم حمل فلم يبرح الصحن حتى مات فقال الشاعر
(نحنُ قَتَلْنا ابنَ الحَواريّ مُصعَبا ... أخا أسَدٍ والمذحِجيّ اليمانيا)
حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال
قال رجل لعبيد الله بن زياد بن ظبيان بماذا تحتج عند الله عز وجل من قتلك لمصعب قال إن تركت أحتج رجوت أن أكون أخطب من صعصعة بن صوحان

مصعب وسكينة بنت الحسين

وقال مصعب الزبيري في خبره قال الماجشون
فلما كان يوم قتل مصعب دخل إلى سكينة بنت الحسين عليهما السلام فنزع عنه ثيابه ولبس غلالة وتوشح بثوب وأخذ سيفه فعلمت سكينة أنه لا يريد أن يرجع فصاحت من خلفه واحزناه عليك يا مصعب فالتفت إليها وقد كانت تخفي ما في

قلبها منه فقال أوكل هذا لي في قلبك فقالت أي والله وما كنت أخفي أكثر فقال لو كنت أعلم أن هذا كله لي عندك لكانت لي ولك حال ثم خرج ولم يرجع
قال مصعب وحدثني مصعب بن عثمان أن مصعب بن الزبير لما قدمت عليه سكينة أعطى أخاها علي بن الحسين عليهم السلام وهو كان حملها إليه أربعين ألف دينار
قال مصعب وحدثني معاوية بن بكر الباهلي قال
قالت سكينة دخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة قال وكانت قد ولدت منه بنتاً فقال لها سميها زبراء فقالت بل أسميها باسم بعض أمهاتي فسمتها الرباب
قال فحدثني محمد بن سلام عن شعيب بن صخر عن أمه سعدة بنت عبد الله بن سالم قالت
لقيت سكينة بنت الحسين بين مكة ومنى فقالت قفي يا بنت عبد الله ثم كشفت عن ابنتها فإذا هي قد أثقلتها باللؤلؤ فقالت والله ما ألبستها إياه إلا لتفضحه قال فلما قتل مصعب ولي أمر ماله عروة بن الزبير فزوج ابنه عثمان بن عروة ابنة أخيه من سكينة وهي صغيرة فماتت قبل أن تبلغ فورث عثمان بن عروة منها عشرة آلاف دينار
قال ولما دخلت سكينة الكوفة بعد قتل مصعب خطبها عبد الملك فقالت والله لا يتزوجني بعده قاتله أبداً وتزوجت عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ودخلت بينها وبينه رملة بنت الزبير أخت مصعب حتى تزوجها خوفاً من أن تصير إلى عبد الملك فولدت منه ابناً فسمته عثمان وهو الذي يلقب بقرين وربيحه ابني عبد الله بن عثمان فتزوج ربيحة العباس بن الوليد بن عبد الملك
ابن قيس الرقيات يرثي مصعباً
ثم مات عبد الله بن عثمان عنها فتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فقال عبيد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعباً
صوت
(إن الرَّزِيَّة يومِ مَسْكِنَ ... والمُصِيبَةَ والفَجِيعَهْ)
(يابنِ الحواريِّ الذي ... لم يَعدُه يومُ الوقيعَهْ)
(غَدَرتْ به مُضَرُ العِراق ... وأمكَنَتْ منه رَبيعَهْ)
(تَاللّه لو كانت له ... بالدَّيْر يومَ الدير شِيعَهْ)
(لوجَدْتُموه حين يدْلج ... لا يُعرِّس بالمَضِيعَهْ)
غناه يونس الكاتب من كتابه ولحنه خفيف رمل بالوسطى وفيه لموسى شهوات خفيف رمل بالبنصر عن حبش وقيل بل هو هذا اللحن وغلط من نسبه إلى موسى
وقال عدي بن الرقاع العاملي يذكر مقتله
(لَعَمْري لقد أصحَرَتْ خيلُنا ... بأكنافِ دِجْلَةَ للمُصْعَبِ)
(يَهُزّون كُلَّ طويلِ القناة ... معتدلَ النَّصلِ والثَّعلبِ)
(فِداؤك أُمي وأبناؤُها ... وإن شئتَ زِدتُ عليهم أبي)
(وما قلتُها رَهبَةً إنما ... يَحُلّ العِقابُ على المذنبِ)
(إذا شِئتُ دافعْتُ مُستَقْتِلاً ... أُزاحِمُ كالجَمَلِ الأجربِ)
(فمن يَكُ منّا يبِتْ آمِناً ... ومن يَكُ من غيرنا يَهرُبِ)
غناه معبد من رواية إسحاق ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى
وقال ابن قيس يرثي مصعبا
(لقد أورثَ المِصْرَيْنِ خِزْياً وذِلّةً ... قتيلٌ بدَيْر الجاثَلِيقِ مُقِيمُ)
(فما قاتَلَتْ في اللّهِ بكرُبنُ وائلٍ ... ولا صَبرتْ عند اللّقاءِ تميمُ)
(ولكنه رامَ القِيامَ ولم يَكُن ... لها مُضَرِيٌّ يوم ذاك كَريمُ)
مصعب يسأل عن قتل الحسين
قال الزبير وكان مصعب لما قدم الكوفة يسأل عن الحسين بن علي عليهما السلام وعن قتله فجعل عروة بن المغيرة يحدثه عن ذلك فقال متمثلاًبقول سليمان بن قتة
(فإن الأُلى بالطَّفِّ من آل هاشمٍ ... تأسَّوْا فسَنُّوا لِلكِرام التَّأسِّيا)
قال عروة فعلمت أن مصعبا لا يفر أبداً
قال الزبير وقال أبو الحكم بن خلاد بن قرة السدوسي حدثني أبي قال
لما كان يوم السبخة حين عسكر الحجاج بإزاء شبيب الشاري قال له الناس لو تنحيت أيها الأمير عن هذه السبخة فقال لهم ما تنحوني والله إليه أنتن وهل ترك مصعب لكريم مفرا ثم تمثل قول الكلحبة
(إذا المَرْءُ لم يَغْشَ المكارهَ أوشَكت ... حِبالُ الهُوَيْنَى بالفتى أن تَقَطَّعَا)
قال الزبير وحدثني المدائني عن عوانة والشرقي بن القطامي عن أبي جناب قال
لما أتى عبد الله بن الزبير قتل مصعب أضرب عن ذكره أياماً حتى تحدثت به إماء مكة في الطريق ثم صعد المنبر فجلس عليه ملياً لا يتكلم فنظرت إليه والكآبة على وجهه وجبينه يرشح عرقاً فقلت لآخر إلى جنبي ما له لا يتكلم أتراه يهاب المنطق فوالله إنه لخطيب فما تراه يهاب قال أراه يريد أن يذكر قتل مصعب سيد العرب فهو يفظع لذكره وغير ملوم فقال الحمد لله الذي له الخلق والأمر ومالك الدنيا والآخرة يعز من يشاء ويذل من يشاء ألا إنه يذل والله من كان الحق معه وإن كان مفرداً ضعيفا ولم يعز من كان الباطل معه وإن كان في العدة والعدد والكثرة ثم قال إنه قد أتانا خبر من العراق بلد الغدر والشقاق فساءنا وسرنا أتانا أن مصعباً قتل رحمة الله عليه ومغفرته فأما الذي أحزننا من ذلك فإن لفراق الحميم لذعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم يرعوي من بعد ذو الرأي والدين إلى جميل الصبر وأما الذي سرنا منه فإنا قد علمنا أن قتله شهادة له وأن الله عز وجل جاعل لنا وله ذلك خيرة إن شاء الله تعالى أن أهل العراق أسلموه وباعوه بأقل ثمن كانوا يأخذونه منه وأخسره أسلموه إسلام النعم المخطم فقتل ولئن قتل أبوه وعمه وأخوه وكانوا الخيار الصالحين إنا والله ما نموت حتف أنوفنا ما نموت إلا قتلا قعصا بين قصد الرماح وتحت ظلال السيوف وليس كما يموت بنو مروان والله ما قتل رجل منهم في جاهلية ولا إسلام قط وإنما الدنيا عارية من الملك القهار الذي لا

يزول سلطانه ولا يبيد ملكه فإن تقبل الدنيا عليَّ لا آخذها أخذ الأشر البطر وإن تدبر عني لا أبك عليها بكاء الخرف المهتر ثم نزل
وقال رجل من بني أسد بن عبد العزى يرثي مصعباً
(لعمرُكَ إنّ الموتَ منا لمُولَعٌ ... بِكُلّ فتىً رَحْبِ الذّراع أَرِيبِ)
(فإن يَكُ أمسى مُصعبٌ نال حَتفَه ... لقد كان صُلْبَ العُودِ غيرَ هَيُوب)
(جميلَ المُحيّا يُوهِن القِرنَ غربُه ... وإن عضّه دَهْرٌ فغير رَهُوب)
(أتاه حِمامُ المَوْتِ وَسْطَ جُنودِه ... فطاروا شِلالاً واسْتَقَى بذَنُوب)
(ولو صبروا نالوا حُباً وكرامةً ... ولكنَّهم وَلّوْا بغير قُلوبِ)
عبد الملك لجلسائه مصعب أشجع الناس
قال وقال عبد الملك يوماً لجلسائه من أشجع الناس فأكثروا في هذا المعنى فقال أشجع الناس مصعب بن الزبير جمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وأمه الحميد بنت عبد الله بن عاصم وولي العراقين ثم زحف إلى الحرب فبذلت له الأمان والحباء والولاية والعفو عما خلص في يده فأبى قبول ذلك واطرح كل ما كان مشغوفاً به من ماله وأهله وراء ظهره وأقبل بسيفه قَرماً يقاتل وما بقي معه إلا سبعة نفر حتى قتل كريماً
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال
لما ولي مصعب بن الزبير العراق أقر عبد العزيز بن عبد الله بن عامر على سجستان وأمده بخيل فقال ابن قيس الرقيات
(ليتَ شِعْري أأَوَّلُ الهَرْجِ هذا ... أم زمانٌ من فتنةٍ غيرِ هَرْجِ)
(إن يَعِش مُصعَبٌ فنحن بخيرٍ ... قد أتانا من عَيْشنا ما نُرَجِّي)
(أُعطِيَ النّصرَ والمهابةَ في الأعداءِ ... حتى أتَوْه من كلِ فجِّ)
(حيث لم تأتِ قبله خيلُ ذي الأكتاف ... يُوجِفْن بين قُفٍّ ومَرْجِ)
(ملكٌ يُطعِم الطّعامَ ويَسْقي ... لَبَنَ البُخْتِ في عِساس الخَلَنْجِ)
قال الزبير حدثني عمي مصعب أن عبيد الله بن قيس كان عند عبد الملك فأقبل غلمان له معهم عساس خلنج فيها لبن البخت فقال عبد الملك يا بن قيس أين هذا من عساس مصعب التي تقول فيها
(ملكٌ يطعم الطعام ويسقي ... لبنَ البُخت في عِساس الخَلنج)
فقال لا أين يا أمير المؤمنين لو طرحت عساسك هذه في عس من عساس مصعب لوسعها وتغلغلت في جوفه فضحك عبد الملك ثم قال قاتلك الله يا بن قيس فإنك تأبى إلا كرماً ووفاء
يونس الكاتب والوليد بن يزيد
حدثني عمي قال حدثني أحمد بن الطيب قال قال لي أحمد بن إبراهيم ابن إسماعيل بن داود
خرج يونس الكاتب من المدينة يريد الشام بتجارة فبلغ الوليد بن يزيد مكانه فأتته رسله وهو في الخان وذلك في خلافة هشام والوليد يومئذٍ أمير فقالوا له أجب الأمير قال فذهبت معهم فأدخلوني عليه ولا أدري من هو إلا أنه حسن الوجه نبيل فسلمت عليه فأمرني بالجلوس فجلست ودعا بالشراب والجواري فكنا يومنا وليلتنا في أمر عجيب وغنيته فأعجبه لغنائي وكان مما أعجبه
(لَيْتَ شِعْري أأوَّل الهَرْجِ هذا ... أم زَمانٌ من فِتْنةٍ غيرِ هَرْجِ)
فلم يزل يستعيده إلى الصبح ثم اصطبح عليه ثلاثة أيام فقلت أيها الأمير أنا رجل تاجر قدمت هذا البلد في تجارة لي وقد ضاعت فقال تخرج غداً غُدوة وقد ربحت أكثر من تجارتك وتمم شربه فلما أردت الانصراف لحقني غلام من غلمانه بثلاثة آلاف دينار فأخذتها ومضيت فلما أفضت الخلافة إليه أتيته فلم أزل مقيماً عنده حتى قتل
قال أحمد بن الطيب وذكر مصعب الزبيري أن يونس قال
كنت أشرب مع أصحاب لي فأردت أن أبول فقمت وجلست أبول على كثيب رمل فخطر ببالي قول ابن قيس
(... ليت شعري أأوَّل الهَرْجِ هذا)
فغنيت فيه لحنا استحسنه وجاء عجباً من العجب فألقيته على جاريتي عاتكة ورددته حتى أخذته وشاع لي في الناس فكان أول صوت شاع لي وارتفع به قدري وقرنت بالفحول من المغنين وعاشرت الخلفاء من أجله وأكسبني مالاً جليلاً
صوت
(ألا نادِ جيرانَنا يَقصِدُوا ... فنَقْضي اللُّبانَةَ أو نَعْهدُ)
(كأنَّ على كَبدِي جَمْرةً ... حِذاراً من البَيْنِ ما تَبْردُ)
الشعر لكثير والغناء لأشعب المعروف بالطمع ثاني ثقيل بالوسطى وفي البيت الثاني لابن جامع لحن من الثقيل الأول بالبنصر عن حبش
ذكر أشعب وأخباره
هو أشعب بن جبير واسمه شعيب وكنيته أبو العلاء كان يقال لأمه أم الخلندج وقيل بل أم جميل وهي مولاة أسماء بنت أبي بكر واسمها حميدة وكان أبوه خرج مع المختار بن أبي عبيد وأسره مصعب فضرب عنقه صبراً وقال تخرج علي وأنت مولاي ونشأ أشعب بالمدينة في دور آل أبي طالب وتولت تربيته وكفلته عائشة بنت عثمان عفان
وحكي عنه أنه حكى عن أمه أنها كانت تغري بين أزواج النبي زنت فحلقت وطيف بها وكانت تنادي على نفسها من رآني فلا يزنين فقالت لها امرأة كانت تطلع عليها يا فاعلة نهانا الله عز وجل عنه فعصيناه أو نطيعك وأنت مجلودة محلوقة راكبة على جمل
وذكر رضوان بن أحمد الصيدلاني فيما أجاز لي روايته عنه عن يوسف بن الداية عن إبراهيم بن المهدي
أن عبيدة بن أشعب أخبره وقد سأله عن أولهم وأصلهم أن أباه وجده كانا موليي عثمان وأن أمه كانت مولاة لأبي سفيان بن حرب وأن ميمونة أم المؤمنين أخذتها معها لما تزوجها النبي تدخل إلى أزواج النبي ثم إنها فارقت ذلك وصارت تنقل أحاديث بعضهن إلى بعض وتغري
بينهن فدعا النبي فماتت
وذكروا أنه كان مع عثمان رضي الله عنه في الدار فلما حصر جرد مماليكه السيوف ليقاتلوا فقال لهم عثمان من أغمد سيفه فهو حر قال أشعب فلما وقعت والله في أذني كنت أول من أغمد سيفه فأعتقت

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي قال حدثني الفضل بن الربيع قال
كان أشعب عند أبي سنة أربع وخمسين ومائة ثم خرج إلى المدينة فلم يلبث أن جاء نعيه وهو أشعب بن جبير وكان أبوه مولى لآل الزبير فخرج مع المختار فقتله مصعب صبراً مع من قتل
أخبرني الجوهري قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا أحمد بن إسماعيل اليزيدي قال حدثني التوزي عن الأصمعي قال قال أشعب نشأت أنا وأبو الزناد في حجر عائشة بنت عثمان فلم يزل يعلو وأسفل حتى بلغنا هذه المنزلة
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبيد الله بن الحسن والي المأمون على المدينة قال
حدثني محمد بن عثمان بن عفان قال قلت لأشعب لي إليك حاجة
فحلف بالطلاق لابنه وردان لا سألته حاجة إلا قضاها فقلت له أخبرني عن سنك فأنشد ذلك عليه حتى ظننت أنه سيطلق فقلت له على رسلك وحلفت له إني لا أذكر سنه ما دام حياً فقال لي أما إذ فعلت فقد هونت علي أنا والله حيث حصر جدك عثمان بن عفان أسعى في الدار ألتقط السهام قال الزبير وأدركه أبي
أخبرني أحمد قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن عبد الله اليعقوبي عن الهيثم بن عدي قال قال أشعب كنت ألتقط السهام من دار عثمان يوم حوصر وكنت في شيبتي ألحق الحمر الوحشية عدوا
بغت أمه فطيف بها
أخبرني أحمد قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الرحمن بن الجهم أبو مسلم وأحمد بن إسماعيل قالا أخبرنا المدائني قال
كان أشعب الطامع واسمه شعيب مولى لآل الزبير من قبل أبيه وكانت أمه مولاة لعائشة بنت عثمان بن عفان وكانت بغت فضربت وحلقت وطيف بها وهي تنادي من رآني فلا يزنين فأشرفت عليها امرأة فقالت يا فاعلة نهانا الله عز وجل عن الزنا فعصيناه ولسنا ندعه لقولك وأنت محلوقة مضروبة يطاف بك
أخبرني أحمد قال حدثنا أحمد بن مهرويه قال كتب إلي ابن أبي خيثمة يخبرني أن مصعب بن عبد الله أخبره قال اسم أشعب شعيب ويكنى أبا العلاء ولكن الناس قالوا أشعب فبقيت
عليه وهو شعيب بن جبير مولى آل الزبير وهم يزعمون اليوم أنهم من العرب فزعم أشعب أن أمه كانت تغري بين أزواج النبي وامرأة أشعب بنت وردان ووردان الذي بنى قبر النبيحين بنى عمر بن عبد العزيز المسجد
أخبرني أحمد قال حدثني محمد بن القاسم قال وكتب إلي ابن أبي خيثمة يخبرني أن مصعب بن عبد الله أخبره قال كان أشعب من القراء للقرآن وكان قد نسك وغزا وكان حسن الصوت بالقرآن وربما صلى بهم القيام
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني محمد بن القاسم قال حدثني أحمد بن يحي قال أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال كان أشعب مع ملاحته ونوادره يغني أصواتاً فيجيدها وفيه يقول عبد الله بن مصعب الزبيري
صوت
(إذا تمزَّزْتُ صُراحِيِّةً ... كمثلِ ريحِ المسكِ أو أطْيَبُ)
(ثم تغنَّي لي بأهْزاجِه ... زَيدٌ أخو الأنصار أو أشعبُ)
(حسِبتُ أنّي ملكٌ جالِسٌ ... حَفَّت به الأملاكُ والموْكِبُ)
(وما أُبالي وإلهِ الوَرَى ... أشرَّق العالَمُ أم غَرَّبُوا)
غنى في هذه الأبيات زيد الأنصاري خفيف رمل بالبنصر
وقد روى أشعب الحديث عن جماعة من الصحابة
أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد أن الربيع بن ثعلب حدثهم قال حدثني أبو البختري
حدثني أشعب عن عبد الله بن جعفر قال قال رسول الله دعيت إلى ذراع لأجبت ولو أهدي إلي كراع لقبلت
أشعب وسالم بن عبد الله
قال ابن أبي سعد وروي عن محمد بن عباد بن موسى عن عتاب بن إبراهيم عن أشعب الطامع قال عتاب وإنما حملت هذا الحديث عنه لأنه عليه قال دخلت إلى سالم بن عبد الله بستاناً له فأشرف علي وقال يا أشعب ويلك لا تسأل فإني سمعت أبي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ليأتين أقوام يوم القيامة ما في وجوههم مزعة لحم قد أخلقوها بالمسألة
ويروى عن يزيد بن موهب الرملي عن عثمان بن محمد عن أشعب عن عبد الله بن جعفر أن النبي في يمينه
أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني الأصمعي عن أشعب قال استنشدني ابن لسالم بن عبد الله بن عمر غناء الركبان بحضرة أبيه سالم فأنشدته ورأس أبيه سالم في بت فلم ينكر ذلك
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو مسلم عن عبد الرحمن بن الحكم عن المدائني قال دفعت عائشة بنت عثمان أشعب في البزازين فقالت له بعد حول أتوجهت لشيء قال
نعم تعلمت نصف العمل وبقي نصفه قالت وما تعلمت قال تعلمت النشر وبقي الطي
قال المدائني وقال أشعب تعلقت بأستار الكعبة فقلت اللهم أذهب عني الحرص والطلب إلى الناس فمررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطني أحد شيئاً فجئت إلى أمي فقالت مالك قد جئت خائباً فأخبرتها فقالت لا والله لا تدخل حتى ترجع فتستقيل ربك فرجعت فقلت يا رب أقلني ثم رجعت فلم أمر بمجلس لقريش وغيرهم إلا أعطوني ووهب لي غلام فجئت إلى أمي بحمار موقر من كل شيء فقالت ما هذا الغلام فخفت أن أخبرها بالقصة فتموت فرحاً فقلت وهبوا لي قالت أي شيء قلت غين قالت أي شيء غين قلت لام قالت وأي شيء لام قلت ألف قالت وأي شيء ألف قلت ميم قالت وأي شيء ميم قلت غلام فغشي عليها ولو لم أقطع الحروف لماتت الفاسقة فرحاً
أخبرني أحمد قال حدثني محمد بن القاسم قال حدثني العباس بن ميمون قال سمعت الأصمعي يقول
سمعت أشعب يقول سمعت الناس يموجون في أمر عثمان قال الأصمعي ثم أدرك المهدي
أخبرني أحمد قال حدثني محمد بن القاسم قال حدثني يحي بن
الحسن بن عبد الخالق بن سعيد الربيعي قال حدثني هند بن حمدان الأرقمي المخزومي قال أخبرني أبي قال كان أشعب أزرق أحول أكشف أقرع

قال وسمعت الأرقمي يقول كان أشعب يقول كنت أسقي الماء في فتنة عثمان بن عفان والله أعلم
أخبرني أحمد قال حدثني محمد بن القاسم قال حدثنا عيسى بن موسى قال حدثنا الأصمعي قال
أصاب أشعب ديناراً بالمدينة فاشترى به قطيفة ثم خرج إلى قباء يعرفها ثم أقبل علي فيما أحسب شك أبو يحي فقال أتراها تعرف
قال أحمد وحدثناه أبو محمد بن سعد قال حدثني أحمد بن معاوية بن بكر قال حدثني الواقدي قال كنت مع أشعب نريد المصلى فوجد ديناراً فقال لي يا بن واقد قلت ما تشاء قال وجدت دينار فما أصنع به قال قلت عرفه قال أم العلاء إذا طالق قال قلت فما تصنع به إذا قال أشتري به قطيفة أعرفها
قال وحدثني محمد بن القاسم قال وحدثنيه محمد بن عثمان الكريزي عن الأصمعي أن أشعب وجد ديناراً فتحرج من أخذه دون أن يعرفه فاشترى به قطيفة ثم قام على باب المسجد الجامع فقال من يتعرف الوبدة
أخبرني أحمد الجوهري قال حدثني محمد بن القاسم قال سألت العنزي فقال الوبد من كل شيء الخلق وبد الثوب وومد إذا أخلق
أخبرنا أحمد قال حدثني محمد بن القاسم قال حدثنا عيسى بن موسى قال حدثنا الأصمعي قال رأيت أشعب يغني وكأن صوته صوت بلبل
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا محمد بن القاسم بن عبد الله في رفقة فيها ألف محمل وكان ثم قاص عليهم فجئت فأخذت في أغنية من الرقيق فتركوه وأقبلوا إلي فجاء يشكوني إلى سالم فقال إن هذا صرف وجوه الناس عني قال وأتيت سالماً وأحسبه قال والقاسم فسألتهما بوجه الله العظيم فأعطياني وكانا يبغضانني أو أحدهما يبغضني في الله قال قلنا لا تجعل هذا في الحديث قال بلى
حدثنا أحمد قال حدثنا محمد بن القاسم قال وحدثناه قعنب بن محرز الباهلي قال أخبرنا الأصمعي عن أشعب قال قدم علينا قاص كوفي يقص في رفقته وفيها ألف بعير فخرجنا وأحرمنا من الشجرة بالتلبية فأقبل الناس إلي وتركوه قال ابن أم حميد فجاء إلي عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فقال إن مولاك هذا قد ضيق علي معيشتي
أخبرنا أحمد قال حدثنا محمد بن القاسم قال أخبرنا أبو مسلم عبد الرحمن بن الجهم عن المدائني قال
تغدى أشعب مع زياد بن عبد الله الحارثي فجاؤوا بمضيرة فقال أشعب لخباز ضعها بين يدي فوضعها بين يديه فقال زياد من يصلي بأهل السجن قال ليس لهم إمام قال أدخلوا أشعب يصلي بهم قال أشعب أو غير ذلك أصلح الله الأمير قال وما هو قال أحلف ألا آكل مضيرة أبداً
أخبرنا أحمد قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثني قعنب بن المحرز قال حدثنا الأصمعي قال
ولى المنصور زياد بن عبد الله الحارثي مكة والمدينة قال أشعب فلقيته بالجحفة فسلمت عليه قال فحضر الغداء وأهدي إليه جدي فطبخه مضيرة وحشيت القبة قال فأكلت أكلا أتملح به وأنا أعرف صاحبي ثم أتي بالقبة فشققتها فصاح الطباخ إنا لله شق القبة قال فانقطعت فلما فرغت قال يا أشعب هذا رمضان قد حضر ولا بد أن تصلي بأهل السجن قلت والله ما أحفظ من كتاب الله إلا ما أقيم به صلاتي قال لا بد منه قال قلت أو لا آكل جديا مضيرة قال وما أصنع به وهو في بطنك قال قلت الطريق بعيد أريد أن أرجع إلى المدينة قال يا غلام هات ريشة ذنب ديك قال أشعب والجحفة أطول بلاد الله ريشة ذنب ديك قال فأدخلت في حلقي فتقيأت ما أكلت ثم قال لي ما رأيك قال قلت لا أقيم ببلدة يصاح فيها شق القبة قال لك وظيفة على السلطان وأكره أن أكسرها عليك فقل ولا تشطط قال قلت نصف درهم كراء حمار يبلغني المدينة قال أنصفت وأعطانيه

من طرائف أشعب

أخبرنا أحمد قال حدثنا محمد بن القاسم قال أخبرني أبو مسلم عن المدائني قال
أتي أشعب بفالوذجة عند بعض الولاة فأكل منها فقيل له كيف تراها يا أشعب قال امرأته طالق إن لم تكن عملت قبل أن يوحي الله عز وجل إلى النحل
أخبرنا أحمد قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثنا عبد الله بن شعيب الزبيري عن عمه قال أبو بكر وحدثني ابن أبي سعد قال حدثني عبد الله بن شعيب وهو أتم من هذا وأكثر كلاماً قال
جاء أشعب إلى أبي بكر بن يحي من آل الزبير فشكا إليه فأمر له بصاع من تمر وكانت حال أشعب رثة فقال له أبو بكر بن يحي ويحك يا أشعب أنت في سنك وشهرتك تجيء في هذه الحال فتضع نفسك فتعطى مثل هذا اذهب فادخل الحمام فاخضب لحيتك قال أشعب ففعلت ثم جئته فألبسني ثياب صوف له وقال اذهب الآن فاطلب قال فذهبت إلى هشام بن الوليد صاحب البغلة من آل أبي ربيعة وكان رجلاً شريفاً موسراً فشكا إليه فأمر له بعشرين ديناراً فقبضها أشعب وخرج إلى المسجد وطفق كلما جلس في حلقة يقول أبو بكر بن يحي جزاه الله عني خيراً أعرف الناس بمسألة فعل بي وفعل فيقص قصته فبلغ ذلك أبا بكر فقال يا عدو نفسه فضحتني في الناس أفكان هذا جزائي
أخبرنا أحمد قال قال حدثني محمد بن القاسم قال أخبرني محمد بن الحسين بن عبد الحميد قال
حدثني شيخ أنه نظر إلى أشعب بموضع يقال له الفرع يبكي وقد خضب
بالحناء فقالوا يا شيخ ما يبكيك قال لغربة هذا الجناح وكان على دار واحدة ليس بالفرع غيره
أخبرنا أحمد قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال أخبرني محمد ابن الحسين قال حدثني ابي قال
نظرت إلى أشعب يسلم على رسول الله قال وهو يدعو ويتضرع قال فأدمت نظري إليه فكلما أدمت النظر إليه كلح وبث أصابعه في يده بحذائي حتى هربت فسألت عنه فقالوا هذا أشعب
أخبرني أحمد قال حدثني محمد بن القاسم قال حدثني محمد بن الحسين قال حدثني إسحاق بن إبراهيم بن عجلان الفهري قال
إن أشعب مرّ برش قد رش من الليل في بعض نواحي المدينة فقال كأن هذا الرش كساء برنكانيٌّ فلما توسطه قال أظنني والله قد صدقت وجلس يلمس الأرض
أخبرنا أحمد قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثني محمد بن الحسين قال حدثنا بعض المدنيين قال
كان لأشعب خرق في بابه فينام ويخرج يده من الخرق ويطمع أن يجيء إنسان فيطرح في يديه شيئاً من الطمع
أخبرني أحمد قال حدثني محمد بن القاسم قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري قال
صلى أشعب يوما إلى جانب مروان بن أبان بن عثمان وكان مروان عظيم

الخلق والعجيزة فأفلتت منه ريح عند نهوضه لها صوت فانصرف أشعب من الصلاة فوهم الناس أنه هو الذي خرجت منه الريح فلما انصرف مروان إلى منزله جاءه أشعب فقال له الدية فقال دية ماذا فقال دية الضرطة التي تحملتها عنك والله وإلا شهرتك فلم يدعه حتى أخذ منه شيئاً صالحاً

أخبرنا أحمد قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثني إبراهيم بن الجنيد قال حدثني سوار بن عبد الله قال حدثني مهدي بن سليمان المنقري مولى لهم عن أشعب قال

دخلت على القاسم بن محمد وكان يبغضني في الله وأحبه فيه فقال ما أدخلك علي اخرج عني فقلت أسألك بالله لما جددت عذقاً قال يا غلام جد له عذقاً فإنه سأل بمسألة لا يفلح من ردها أبداً

أخبرنا أحمد قال حدثني محمد بن القاسم قال حدثنا الرياشي قال حدثني أبو سلمة أيوب بن عمر عن المحرزي وهو أيوب بن عباية أبو سليمان قال

كان لأشعب علي في كل سنة دينار قال فأتاني يوماً ببطحان فقال عجل لي ذلك الدنيار ثم قال لقد رأيتني أخرج من بيتي فلا أرجع شهراً مما آخذ من هذا وهذا وهذا

أخبرنا أحمد قال حدثني محمد بن القاسم قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال سمعت أبي يحكي عن بعض المدنيين قال

كبر أشعب فمله الناس وبرد عندهم ونشأ ابنه فتغني وبكى وأندر فاشتهى الناس ذلك فأخصب وأجدب أبوه فدعاه يوماً وجلس هو وعجوزه وجاء ابنه وامرأته فقال له بلغني أنك تغنيت وأندرت وحظيت وأن الناس قد مالوا إليك فهلم حتى أخايرك قال نعم فتغنى أشعب فإذا هو قد انقطع وأرعد وتغنى ابنه فإذا هو حسن الصوت مطرب وانكسر أشعب ثم أندر فكان الأمر كذلك ثم خطبا فكان الأمر كذلك فاحترق أشعب فقام فألقى ثيابه ثم قال نعم فمن أين لك مثل خلقي من لك بمثل حديثي قال وانكسر الفتى فنعرت العجوز ومن معها عليه

أخبرني أحمد قال حدثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدثني علي بن الحسين بن هارون قال حدثني محمد بن عباد بن موسى قال حدثني محمد بن عبد الله بن جعفر بن سليمان وكان جارنا هنا قال حدثني محمد بن حرب الهلالي وكان على شرطة محمد بن سليمان قال

دخلت على جعفر بن سليمان وعنده أشعب يحدثه قال

كانت بنت حسين بن عليّ عند عائشة بنت عثمان تربيها حتى صارت امرأة وحج الخليفة فلم يبق في المدينة خلق من قريش إلا وافى الخليفة إلا من لا يصلح لشيء فماتت بنت حسين بن علي فأرسلت عائشة إلى محمد بن عمرو بن حزم وهو والي المدينة وكان عفيفاً حديداً عظيم اللحية له جارية موكلة بلحيته إذا ائتزر لا يأتزر عليها وكان إذا جلس للناس جمعها ثم أدخلها تحت فخذه

فأرسلت عائشة يا أخي قد ترى ما دخل علي من المصيبة بابنتي وغيبة أهلي وأهلها وأنت الوالي فأما ما يكفي النساء من النساء فأنا أكفيكه بيدي وعيني

وأما ما يكفي الرجال من الرجال فاكفنيه مر بالأسواق أن ترفع وأمر بتجويد عمل نعشها ولا يحملها إلا الفقهاء الألباء من قريش بالوقار والسكينة وقم على قبرها ولا يدخله إلا قرابتها من ذوي الحجا والفضل فأتى ابن حزم رسولها حين تغدى ودخل ليقيل فدخل عليه فأبلغه رسالتها فقال ابن حزم لرسولها أقرئ ابنة المظلوم السلام وأخبرها أني قد سمعت الواعية وأردت الركوب إليها فأمسكت عن الركوب حتى أبرد ثم أصلي ثم أنفذ كل ما أمرت به وأمر حاجبه وصاحب شرطته برفع الأسواق ودعا الحرس وقال خذوا السياط حتى تحولوا بين الناس وبين النعش إلا ذوي قرابتها بالسكينة والوقار ثم نام وانتبه وأسرج له واجتمع كل من كان بالمدينة وأتى باب عائشة حين أخرج النعش فلما رأى الناس النعش التقفوه فلم يملك ابن حزم ولا الحرس منه شيئاً وجعل ابن حزم يركض خلف النعش ويصيح بالناس من السفلة والغوغاء اربعوا أي ارفقوا فلم يسمعوا حتى بلغ بالنعش القبر فصلى عليها ثم وقف على القبر فنادى من هاهنا من قريش فلم يحضره إلا مروان بن أبان بن عثمان وكان رجلاً عظيم البطن بادناً لا يستطيع أن ينثني من بطنه سخيف العقل فطلع وعليه سبعة قمص كأنها درج بعضها أقصر من بعض ورداء عدني يثمن ألفي درهم فسلّم وقال له ابن حزم أنت لعمري قريبها ولكن القبر ضيق لا يسعك فقال أصلح الله الأمير إنما تضيق الأخلاق قال ابن حزم إنا لله ما ظننت أن هذا هكذا كما أرى فأمر أربعة فأخذوا بضبعه حتى أدخلوه في القبر ثم أتى خراء الزنج وهو عثمان بن عمرو ابن عثمان فقال السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله ثم قال واسيدتاه وابنت أختاه فقال ابن حزم تالله لقد كان يبلغني عن هذا أنه مخنث فلم أكن أرى أنه بلغ هذا كله دلوه فإنه عورة هو والله أحق بالدفن منها فلما أدخلا قال مروان

لخراء الزنج تنح إليك شيئاً فقال له خراء الزنج الحمد لله رب العالمين جاء الكلب الإنسي يطرد الكلب الوحشي فقال لهما ابن حزم اسكتا قبحكما الله وعليكما لعنته أيكما الإنسي من الوحشي والله لئن لم تسكتا لآمرن بكما تدفنان ثم جاء خال للجارية من الخاطبيين وهو ناقة من مرض لو أخذ بعوضة لم يضبطها فقال أنا خالها وأمي سودة وأمها حفصة ثم رمى بنفسه في القبر فأصاب ترقوة خراء الزنج فصاح أوه أصلح الله الأمير دق والله عرقوبي فقال ابن حزم دق الله عرقوبك وترقوتك اسكت ويلك ثم أقبل على أصحابه فقال ويحكم إني خبرت أن الجارية بادن ومروان لا يقدر أن ينثني من بطنه وخراء الزنج مخنث لا يعقل سنة ولا دفناً وهذا الخاطبي لو أخذ عصفوراً لم يضبطه لضعفه فمن يدفن هذه الجارية والله ما أمرتني بهذا بنت المظلوم فقال له جلساؤه لا والله ما بالمدينة خلق من قريش ولو كان في هؤلاء خير لما بقوا فقال من هاهنا من مواليهم فإذا أبو هانئ الأعمى وهو ظئر لها فقال ابن حزم من أنت رحمك الله قال أنا أبو هانئ ظئر عبد الله بن عمرو بن عثمان وأنا أدفن أحياءهم وأمواتهم فقال أنا في طلبك ادخل رحمك الله فادفن هؤلاء الأحياء حتى يدلى عليك الموتى ثم أقبل على أصحابه فقال إنا لله وهذا أيضاً أعمى لا يبصر فنادوا من هاهنا من مواليهم فإذا برجل يزيدي يقال له أبو موسى قد جاء فقال له ابن حزم من أنت أيضاً قال أنا أبو موسى صالمين وأنا ابن السميط سميطين والسعيد سعيدين والحمد لله رب العالمين فقال ابن حزم والله العظيم لتكونن لهم خامساً رحمك الله يا بنت رسول الله فما اجتمع على جيفة خنزير ولا كلب ما اجتمع على جثتك فإنا لله وإنا إليه راجعون وأظنه سقط رجل آخر

أخبرني أحمد قال حدثني محمد بن القاسم قال حدثني اليعقوبي محمد ابن عبد الله قال حدثني أبو بكر الزلال الزبيري قال حدثني من رأى أشعب وقد

علق رأس كلبه وهو يضربه ويقول له تنبح الهدية وتبصبص للضيف

أشعب يرضع جدياً لبن زوجته

أخبرنا أحمد قال حدثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد الزبيري أبو الطاهر قال حدثني يحي بن محمد بن أبي قتيلة قال
غذا أشعب جديا بلبن زوجته وغيرها حتى بلغ الغاية قال ومن مبالغته في ذلك أن قال لزوجته أي ابنة وردان إني أحب أن ترضعيه بلبنك قال ففعلت قال ثم جاء به إلى إسماعيل بن جعفر بن محمد فقال بالله إنه لابني قد رضع بلبن زوجتي وقد حبوتك به ولم أر أحداً يستأهله سواك قال فنظر إسماعيل إلى فتنة من الفتن فأمر به فذبح وسمط فأقبل عليه أشعب فقال المكافأة فقال ما عندي والله اليوم شيء ونحن من تعرف وذلك غير فائت لك فلما يئس منه قام من عنده فدخل على أبيه جعفر بن محمد ثم اندفع يشهق حتى التقت أضلاعه ثم قال أخلني قال ما معنا أحد يسمع ولا عين عليك قال وثب ابنك إسماعيل على ابني فذبحه وأنا أنظر إليه قال فارتاع جعفر وصاح ويلك وفيم وتريد ماذا قال أما ما أريد فوالله ما لي في إسماعيل حيلة ولا يسمع هذا سامع أبداً بعدك فجزاه خيراً وأدخله منزله وأخرج إليه مائتي دينار وقال له خذ هذه ولك عندنا ما تحب قال وخرج إلى إسماعيل لا يبصر ما يطأ عليه فإذا به مترسل في مجلسه فلما رأى وجه أبيه نكره وقام إليه فقال يا إسماعيل أو فعلتها بأشعب قتلت ولده قال فاستضحك وقال جاءني بجدي من صفته كذا وخبره الخبر فأخبره أبوه ما كان منه وصار إليه قال فكان جعفر يقول لأشعب رعبتني رعبك الله فيقول روعة ابنك والله إياي في الجدي أكبر من روعتك أنت في المائتي الدينار
أخبرنا أحمد قال حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدثني محمد بن إسحاق المسيبي قال حدثني عمير بن عبد الله بن أبي بكر بن سليمان
ابن أبي خيثمة قال وعمير لقب واسمه عبد الرحمن عن أشعب قال
أتيت خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ليلة أسأله فقال لي أنت على طريقة لا أعطي على مثلها قلت بلى جعلت فداءك فقال قم فإن قدر شيء فسيكون قال فقمت فإني لفي بعض سكك المدينة إذ لقيني رجل فقال يا أشعب إن كان الله قد ساق إليك رزقاً فما أنت صانع قلت أشكرالله وأشكر من فعله قال كم عيالك فأخبرته قال قد أمرت أن أجري عليك وعلى عيالك ما كنت حياً قال من أمرك قال لا أخبرك ما كانت هذه فوق هذه يريد السماء وأشار إليها قال قلت إن هذا معروف يشكر قال الذي أمرني لم يرد شكرك وهو يتمنى ألا يصل مثلك قال فمكثت آخذ ذلك إلى أن توفي خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال فشهدته قريش وحفل له الناس قال فشهدته فلقيني ذلك الرجل فقال يا أشعب انتف رأسك ولحيتك هذا والله صاحبك الذي كان يجري عليك ما كنت أعطيك وكان والله يتمنى مباعدة مثلك قال فحمله والله الكرم إذ سألته أن فعل بك ما فعل قال عمير قال أشعب فعملت بنفسي والله حينئذٍ ما حل وحرم
أخبرني أحمد قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا الزبير ابن بكار قال
كان أشعب يوماً في المسجد يدعو وقد قبض وجهه فصيره كالصبرة المجموعة فرآه عامر بن عبد الله بن الزبير فحصبه وناداه يا أشعب إذا تناجي ربك فناجه بوجه طلق قال فأرخى لحيه حتى وقع على زوره قال فأعرض عنه عامر وقال ولا كل هذا
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني محمد بن القاسم قال حدثني الزبير قال حدثني مصعب قال
جز أشعب لحيته فبعث إليه نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ألم أقل لك إن البطال أملح ما يكون إذا طالت لحيته فلا تجزر لحيتك

طرائف من طمع أشعب وبخله

أخبرني أحمد قال حدثني محمد بن القاسم قال حدثنا أبو الحسن أحمد ابن يحي قال أخبرنا أبو الحسن المدائني قال
وقف أشعب على امرأة تعمل طبق خوص فقال لتكبريه فقالت لم أتريد أن تشتريه قال لا ولكن عسى أن يشتريه إنسان فيهدي إلي فيه فيكون كبيرا خير من أن يكون صغيراً
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني محمد بن القاسم قال أخبرنا أحمد بن يحي قال أخبرنا المدائني قال صديقة أشعب لأشعب هب لي خاتمك أذكرك به قال اذكريني أني منعتك إياه فهو أحب إلي
أخبرني أحمد قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال أخبرنا أبو مسلم قال أخبرنا المدائني قال
قال أشعب مرة للصبيان هذا عمرو بن عثمان يقسم مالا فمضوا فلما أبطأوا عنه اتبعهم يحسب أن الأمر قد صار حقا كما قال
أخبرنا أحمد قال حدثنا محمد بن القاسم قال أخبرنا أحمد بن يحي قال أخبرنا المدائني قال
دعا زياد بن عبد الله أشعب فتغدّى معه فضرب بيده إلى جدي بين يديه
وكان زياد أحد البخلاء بالطعام فغاظه ذلك فقال لخدمه أخبروني عن أهل السجن ألهم إمام يصلي بهم وكان أشعب من القراء لكتاب الله تعالى قالوا لا قال فأدخلوا أشعب فصيروه إماماً لهم قال أشعب أو غير ذلك قالو وما هو قال أحلف لك أصلحك الله ألا أذوق جديا أبداً فخلاه
أخبرنا أحمد قال حدثنا محمد بن القاسم قال أخبرنا أبو مسلم قال أخبرنا المدائني قال
رأيت أشعب بالمدينة يقلب مالا كثيرا فقلت له ويحك ما هذا الحرص ولعلك أن تكون أيسر ممن تطلب منه قال إني قد مهرت في هذه المسألة فأنا أكره أن أدعها فتنفلت مني
أخبرنا أحمد قال حدثنا محمد بن القاسم قال أخبرنا أبو مسلم قال أخبرنا المدائني قال
قيل لأشعب ما بلغ من طمعك قال ما رأيت اثنين يتساران قط إلا كنت أراهما يأمران لي بشيء
أخبرنا أحمد قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثنا أبو مسلم قال أخبرنا المدائني قال
قال أشعب لأمه رأيتك في النوم مطلية بعسل وأنا مطلي بعذرة فقالت يا فاسق هذا عملك الخبيث كساكه الله عز وجل قال إن في الرؤيا شيئاً آخر قالت ما هو قال رأيتني ألطعك وأنت تلطعيني قالت لعنك الله يا فاسق
أخبرنا أحمد قال حدثني محمد بن القاسم قال أخبرنا أبو مسلم قال
أخبرنا المدائني قال
كان أشعب يتحدث إلى امرأة بالمدينة حتى عرف ذلك فقالت لها جاراتها يوما لو سألته شيئاً فإنه موسر فلما جاء قالت إن جاراتي ليقلن لي ما يصلك بشيء فخرج نافراً من منزلها فلم يقربها شهرين ثم إنه جاء ذات يوم فجلس على الباب فأخرجت إليه قدحاً ملآن ماء فقالت اشرب هذا من الفزع فقال اشربيه أنت من الطمع
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثني محمد بن القاسم قال أخبرنا أبو مسلم وأحمد بن يحي واللفظ لأحمد قال أخبرنا

المدائني عن جهم بن خلف قال
حدثني رجل قال قلت لأشعب لو تحدثت عندي العشية فقال أكره أن يجيء ثقيل قال قلت ليس غيرك وغيري قال فإذا صليت الظهر فأنا عندك فصلى وجاء فلما وضعت الجارية الطعام إذا بصديق لي يدق الباب فقال ألا ترى قد صرت إلى ما أكره قال قلت إن عندي فيع عشر خصال قال فما هي قال أولها أنه لا يأكل ولا يشرب قال التسع الخصال لك أدخله قال أبو مسلم إن كرهت واحدة منها لم أدخله
أخبرنا أحمد قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال أخبرنا أبو مسلم قال أخبرنا المدائني قال
دخل أشعب يوماً على الحسين بن علي وعنده أعرابي قبيح المنظر مختلف الخلقة فسبح أشعب حين رآه وقال للحسين عليه السلام بأبي أنت وأمي أتأذن لي أن أسلح عليه فقال الأعرابي ما شئت ومع الأعرابي قوس وكنانة ففوق له سهما وقال والله لئن فعلت لتكونن آخر سلحة سلحتها قال أشعب للحسين جعلت فداءك قد أخذني القولنج
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثني محمد بن القاسم قال أخبرنا أبو مسلم قال أخبرنا المدائني قال
ذكر أشعب بالمدينة رجلاً قبيح الإسم فقيل له يا أبا العلاء أتعرف فلاناً قال ليس هذا من الأسماء التي عرضت على آدم
وجدت في بعض الكتب عن أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال
توضأ أشعب فغسل رجله اليسرى وترك اليمنى فقيل له لم تركت غسل اليمنى قال لأن النبي قال أمتي غر محجلون من آثار الوضوء وأنا أحب أن أكون أغر محجلاً مطلق اليمنى
وأخبرت بهذا الإسناد قال
سمع أشعب حبى المدينّية تقول اللهم لا تمتني حتى تغفر لي ذنوبي فقال لها يا فاسقة أنت لم تسألي الله المغفرة إنما سألته عمر الأبد يريد أنه لا يغفر لها أبداً
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني محمد بن القاسم قال أخبرنا المدائني عن فليح بن سليمان قال
ساوم أشعب رجلاً بقوس عربية فقال الرجل لا أنقصها عن دينار قال أشعب أعتق ما أملك لو أنها إذا رمي بها طائر في جو السماء ووقع مشوياً بين رغيفين مأخذتها بدينار
أخبرنا أحمد قال حدثنا محمد بن القاسم قال أخبرنا مسلم قال أخبرنا المدائني قال
أهدى رجل من بني عامر بن لؤي إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر بن
محمد فالوذجة وأشعب حاضر قال كل يا أشعب فلما أكل منها قال كيف تجدها يا أشعب قال أنا برىء من الله ورسوله إن لم تكن عملت قبل أن يوحي الله عز وجل إلى النحل أي ليس فيها من الحلاوة شيء
أخبرنا أحمد قال حدثنا محمد بن القاسم قال أخبرنا أبو مسلم قال أخبرنا المدائني قال
سأل سالم بن عبد الله أشعب عن طعمه قال قلت لصبياني مرة هذا سالم قد فتح باب صدقة عمر فانطلقوا يعطكم تمراً فمضوا فلما أبطأوا ظننت أن الأمر كما قلت فاتبعتهم
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني محمد بن القاسم قال أخبرنا أبو مسلم قال أخبرني المدائني قال
بينا أشعب يوماً يتغدى إذ دخلت جارة له ومع أشعب امرأته تأكل فدعاها ليتغدّى فجاءت الجارة فأخذت العرقوب بما عليه قال وأهل المدينة يسمونه عرقوب رب البيت قال فقام أشعب فخرج ثم عاد فدفق الباب فقالت له أمرأته يا سخين العين مالك قال أدخل قالت أتستأذن أنت وأنت رب البيت قال لو كنت رب البيت ما كانت العرقوب بين يدي هذه
أخبرني بعض أصحابنا قال حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير قال حدثني مصعب قال قال لي ابن كليب حدثت مرة أشعب بملحة فبكى فقلت ما يبكيك قال أنا بمنزلة شجرة الموز إذا نشأت ابنتها قطعت وقد نشأت أنت في موالي وأنا الآن أموت فإنما أبكي على نفسي
أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا الزبير بن بكار قال
كان أشعب الطمع يغني وله أصوات قد حكيت عنه وكان ابنه عبيدة يغنيها فمن أصواته هذه
(أروني مَن يقوم لكم مقامي ... إذا ما الأمرُ جلّ عن الخِطابِ
(إلى مَن تَفزعون إذا حَثوتُم ... بأيديكم عليّ من الترابِ)
أشعب وسكينة بنت الحسين
أخبرني الحسن بن علي الحفاف قال حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا شعيب بن عبيدة بن أشعب عن أبيه عن جده قال
كانت سكينة بنت الحسين بن علي عليهم السلام عند زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان قال وقد كانت أحلفته ألا يمنعها سفراً ولا مدخلاً ولا مخرجاً فقالت اخرج بنا إلى حمران من ناحية عسفان فخرج بها فأقامت ثم قالت له اذهب بنا نعتمر فدخل بها مكة فأتاني آت فقال تقول لك ديباجة الحرم وهي امرأة من ولد عتاب بن أسيد لك عشرون ديناراً إن جئتني بزيد ابن عمرو الليلة في الأبطح قال أشعب وأنا أعرف سكينة وأعلم ما هي ثم غلب علي طباع السوء والشره فقلت لزيد فيما بيني وبينه إن ديباجة الحرم
أرسلت إلي بكيت وكيت فقال عدها الليلة بالأبطح فأرسلت إليها فواعدتها الأبطح وإذا الديباجة قد افترشت بساطاً في الأبطح وطرحت النمارق ووضعت حشايا وعليها أنماط فجلست عليها فلما طلع زيد قامت إليه فتلقته وسلمت عليه ثم رجعت إلى مجلسها فلم ننشب أن سمعنا شحيج بغلة سكينة فلما استبانها زيد قام فأخذ بركابها واختبأت ناحية فقامت الديباجة إلى سكينة فتلقتها وقبلت بين عينيها وأجلستها على الفراش وجلست هي على بعض النمارق فقالت سكينة أشعب والله صاحب هذا الأمر ولست لأبي إن لم يأت يصيح صياح الهرة لن يقوم لي بشيء أبداً فطلعت على أربع أصيح صياح الهرة ثم دعت جارية معها مجمر كبير فحفنت منه وأكثرت وصبت في حجر الديباجة وحفنت لمن معها فصبته في حجورهن وركبت وركب زيد وأنا معهم فلما صارت إلى منزلها قالت لي يا أشعب أفعلتها قلت جعلت فداءك إنما جعلت لي عشرين دينارا وقد عرفت طمعي وشرهي والله لو جعلت لي العشرين ديناراً على قتل أبوي لقتلتهما قال فأمرت بالرحيل إلى الطائف فأقامت بالطائف وحوطت من ورائها بحيطان ومنعت زيداً أن يدخل عليها قال ثم قالت لي يوماً قد أثمنا في زيد وفعلنا ما لا يحل لنا ثم أمرت بالرحيل إلى المدينة وأذنت لزيد فجاءها
قال الزبير وحدثني عبد الله بن محمد بن أبي سلمة قال
جاء أشعب إلى مجلس أصحابنا فجلس فيه فمرت جارية لأحدهم بحزمة عراجين من صدقة عمر فقال له أشعب فديتك أنا محتاج إلى حطب فمر لي بهذه الحزمة قال لا ولكن أعطيك نصفها على أن تحدثني بحديث ديباجة

الحرم فكشف أشعب ثوبه عن استه واستوفز وجعل يخنس ويقول إن لهذا زماناً وجلعت خصيتاه تخطان الأرض ثم اقل أعطاني والله فلان في حديث ديباجة الحرم عشرين ديناراً وأعطاني فلان كذا وأعطاني فلان كذا حتى عد أموالاً وأنت الآن تطلبها مني بنصف حزمة عراجين ثم قام فانصرف وفي ديباجة الحرم يقول عمر بن أبي ربيعة

صوت

(ذَهِبتَ ولم تُلم بديباجةِ الحرمْ ... وقد كنتَ منها في عَناءٍ وفي سَقَمْ)
(جُننْتَ بها لمّا سمعتَ بذكرها ... وقد كنتَ مجنوناً بجاراتِها القُدُمْ)
(إذا أنتَ لم تعشق ولم تدر ما الهوى ... فكن حجراً بالحزْن من حَرَّةٍ أصمّ)

غناه مالك بن أبي السمح من رواية يونس عن حبيش

قال الزبير وحدثني شعيب بن عبيدة عن أبيه قال

دخل رجل من قريش على سكينة بنت الحسين عليهما السلام قال فإذا أنا بأشعب متفحج جالس تحت السرير فلما رآني جعل يقرقر مثل الدجاجة فجعلت أنظر إليه وأعجب فقالت مالك تنظر إلى هذا قلت إنه لعجب قالت إنه لخبيث قد أفسد علينا أمورنا بغباوته فحضنته بيض دجاج ثم أقسمت أنه لا يقوم عنه حتى ينفق وهذا الخبر عندنا غير مشروح ولكن هذا ما سمعناه ونسخته على الشرح من أخبار إبراهيم بن المهدي التي رواها عنه يوسف ابن إبراهيم وقد ذكر في أخبار سكينة

وروى عن أحمد بن الحسن البزار وجدت بخط ابن الوشاء عن أبي الوشاء عن الكديمي عن أبي عاصم قال قيل لأشعب الطامع أرأيت أحداً قط أطمع منك قال نعم كلباً يتبعني أربعة أميال على مضغ العلك

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء وعمي عبد العزيز بن أحمد وحبيب بن نصر المهلبي قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني مصعب عن عثمان بن المنذر عن عبيد الله بن أبي بشر بن عثمان بن المغيرة قال

سمعت جلبة شديدة مقبلة من البلاط وأسرعت فإذا جماعة مقبلة وإذا امرأة قد فرعتهم طولاً وإذا أشعب بين أيديهم بكفه دف وهو يغني به ويرقص ويحرف استه ويحركها ويقول

(ألا حيِّ التي خرجت ... قُبيلَ الصّبح فاختمرتْ)
(يقال بعينها رَمَدٌ ... ولا واللهِ ما رمِدتْ)

فإذا تجاوز في الرقص الجماعة رجع إليهم يخالطهم ويستقبل المرأة فيغني في وجهها وهي تبسم وتقول حسبك الآن فسألت عنها فقالوا هذه جارية صريم المغنية استلحقها صريم عند موته واعترف بأنها بنته فحاكمت ورثته إلى السلطان فقامت لها البينة فألحقها به وأعطاها الميراث منه وكانت أحسن خلق الله غناء كان يضرب بها المثل في الحجاز فيقال أحسن من غناء الصريمية

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الدمشقي قال حدثنا الزبير بن بكار قال وحدثني أبي قال

اجتازت جنازة الصريمية بأشعب وهو جالس في وقوم من قريش فبكى عليها

ثم قال ذهب اليوم الغناء كله وعلى أنها الزانية كانت لا رحمها الله شر خلق الله فقيل يا أشعب ليس بين بكائك عليها ولعنك إياها فصل في كلامك قال نعم كنا نجيئها الفاجرة بكبش فيطبخ لنا في دارها ثم لا تعشينا يشهد الله إلا بسلق

أشعب والغاضري

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال قال حدثنا مصعب

بلغ أشعب أن الغاضري قد أخذ في مثل مذهبه ونوادره وأن جماعة قد استطابوه فرقبه حتى علم أنه في مجلس من مجالس قريش يحادثهم ويضحكهم فصار إليه ثم قال له قد بلغني أنك قد نحوت نحوي وشغلت عني من كان يألفني فإن كنت مثلي فافعل كما أفعل ثم غضن وجهه وعرضه وشنجه حتى صار عرضه أكثر من طوله وصار في هيئة لم يعرفه أحد بها ثم أرسل وجهه وقال له افعل هكذا وطول وجهه حتى كاد ذقنه يجوز صدره وصار كأنه وجه الناظر في سيفه ثم نزع ثيابه وتحادب فصار في ظهره حدبة كسنام البعير وصار طوله مقدار شبر أو أكثر ثم نزع سراويله وجعل يمد جلد خصييه حتى حك بهما الأرض ثم خلاهما من يده ومشى وجعل يخنس وهما يخطان الأرض ثم قام فتطاول وتمدد وتمطى حتى صار أطول ما يكون من الرجال فضحك والله القوم حتى أغمي عليهم وقطع الغاضري فما تكلم بنادرة ولا زاد على أن يقول يا أبا العلاء لا أعاود ما تكره إنما أنا تلميذك وخريجك ثم أنصرف أشعب وتركه

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم عن إبراهيم بن المهدي عن عبيدة بن أشعب عن أبيه أنه كان مولده في سنة تسع

من الهجرة وأن أباه كان من مماليك عثمان وأن أمه كانت تنقل كلام أزواج النبي بعضهن إلى بعض فتلقي بينهن الشر فتأذى رسول الله فدعا الله عز وجل عليها فأماتها وعمر ابنها أشعب حتى هلك في أيام المهدي

وكان في أشعب خلال منها أنه كان أطيب أهل زمانه عشرة وأكثرهم نادرة ومنها أنه كان أحسن الناس أداء لغناء سمعه ومنها أنه أقوم أهل دهره بحجج المعتزلة وكان أمرأ منهم

قال إبراهيم بن المهدي فحدثني عبيدة بن أشعب عن أبيه قال بلغني أن عبد الله بن عمر كان في مال له يتصدق بثمرته فركبت ناضجاً ووافيته في ماله فقلت يا بن أمير المؤمنين ويا بن الفاروق أوقر لي بعيري هذا تمراً فقال لي أمن المهاجرين أنت قلت اللهم لا قال فمن الأنصار أنت فقلت اللهم لا قال أفمن التابعين بإحسان فقلت أرجو فقال إلي أن يحقق رجاؤك قال أفمن أبناء السبيل أنت قلت لا قال فعلام أوقر لك بعيرك تمراً قلت لأني سائل وقد قال رسول الله (إن أتاك سائل على فرس فلا ترده) فقال لو شئنا أن نقول لك إنه قال لو أتاك على فرس ولم يقل أتاك على ناضح بعير لقلنا ولكني أمسك عن ذلك لاستغنائي عنه لأني قلت لأبي عمر بن الخطاب إذا أتاني سائل على فرس يسألني أعطيته فقال إني سألت رسول الله عما سألتني عنه فقال لي نعم إذا لم تصب راجلاً ونحن أيها الرجل نصيب رجالة فعلام أعطيك وأنت على بعير فقلت له بحق أبيك الفاروق وبحق الله عز وجل وبحق رسول الله صلى الله علية وآله وسلم لما أوقرته لي تمراً فقال لي عبد الله أنا موقره لك تمراً ووحق الله ووحق رسوله لئن عاودت استحلافي لا أبررت لك قسمك ولو أنك اقتصرت على استحلافي بحق

أبي علي في تمرة أعطيكها لما أنفذت قسمك لأني سمعت أبي يقول إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تشد الرحال إلى مسجد لرجاء الثواب إلا إلى المسجد الحرام ومسجدي بيثرب ولا يبر امرؤ قسم مستحلفه إلا أن يستحلفه بحق الله وحق رسوله ثم قال للسودان في تلك الحال أوقروا له بعيره تمراً قال ولما أخذ السودان في حشو

الغرائر قلت إن السودان أهل طرب وإن أطربتهم أجادوا حشو غرائري فقلت يا بن الفاروق أتأذن لي في الغناء فأغنيك فقال لي أنت وذلك فاندفعت في النصب فقال لي هذا الغناء الذي لم نزل نعرفه ثم غنيته صوتاً آخر لطويس المغني وهو
(خليلَيَّ ما أُخفِي من الحب ناطِقٌ ... ودمْعي بما قلتُ الغَداةَ شهيدُ)
فقال لي عبد الله يا هناه لقد حدث في هذا المعنى ما لم نكن نعرفه قال ثم غنيته لابن سريج
(يا عينُ جودِي بالدموع السِّفاحْ ... وابْكي على قَتْلَى قُرِيشِ البِطاحْ)
فقال يا أشعب ويحك هذا يَحْيقُ الفؤاد أراد يحرق الفؤاد لأنه كان ألثغ لا يبين بالراء ولا باللام قال أشعب وكان بعد ذلك لا يراني إلا استعادني هذا الصوت
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال
لقي أشعب صديق لأبيه فقال له ويحك يا أشعب كان أبوك ألحى وأنت أثط فإلى من خرجت قال إلى أمي
أخبرني الحسن بن علي قال أخبرنا أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا مصعب بن عبد الله عن مصعب بن عثمان قال
لقي أشعب سالم بن عبد لله بن عمر فقال يا أشعب هل لك في هريس قد أعد لنا قال نعم بأبي أنت وأمي قال فصر إلي فمضى إلى منزله فقالت له امرأته قد وجه إليك عبد الله بن عمرو بن عثمان يدعوك قال ويحك إن لسالم بن عبد الله هريسة قد دعاني إليها وعبد الله بن عمرو في يدي متى شئت وسالم إنما دعوته للناس فلتة وليس لي بد من المضي إليه قالت إذاً يغضب عبد الله قال آكل عنده ثم أصير إلى عبد الله فجاء إلى سالم وجعل يأكل أكل متعالل فقال له كل يا أشعب وابعث ما فضل عنك إلى منزلك قال ذاك أردت بأبي أنت وأمي فقال يا غلام احمل هذا إلى منزله فحمله ومضى معه فجاء به امرأته فقالت له ثكلتك أمك قد حلف عبد الله أن لا يكلمك شهراً قال دعيني وإياه هاتي شيئاً من زعفران فأعطته ودخل الحمام يمسح على وجهه ويديه وجلس في الحمام حتى صفره ثم خرج متكئاً على عصا يرعد حتى أتى دار عبد الله بن عمرو فلما رآه حاجبه قال ويحك بلغت بك العلة ما أرى ودخل وأعلم صاحبه فأذن له فلما دخل عليه إذا سالم بن عبد الله عنده فجعل يزيد في الرعدة ويقارب الخطو فجلس وما يقدر أن يستقل فقال عبد الله ظلمناك يا أشعب في غضبنا عليك فقال له سالم مالك ويلك ألم
تكن عندي آنفاً وأكلت هريسة فقال له وأي أكل ترى بي قال ويلك ألم أقل لك كيت وكيت وتقل لي كيت وكيت قال له شبه لك قال لا حول ولا قوة إلا بالله والله إني لأظن الشيطان يتشبه بك ويلك أجاد أنت قال علي وعلي إن كنت خرجت منذ شهر فقال له عبد الله أعزب ويحك أتبهته لا أم لك قال ما قلت إلا حقاً قال بحياتي اصدقني وأنت آمن من غضبي قال لا وحياتك لقد صدق ثم حدثه بالقصة فضحك حتى استلقى على قفاه

ابنه عبد الله يذكر بعض طرائفه

أخبرني رضوان بن أحمد بن يوسف بن إبراهيم عن إبراهيم بن المهدي
أن الرشيد لما ولاه دمشق بعث إليه عبد الله بن أشعب وكان يقدم عليه من الحجاز إذا أراد أن يطرب
قال إبراهيم وكان يحدثني من حديث أبيه بالطرائف
عادلته يوماً وأنا خارج من دمشق في قبة على بغل لألهو بحديثه فأصابنا في الطريق برد شديد فدعوت بدواج سمور لألبسه فأتيت به فلما لبسته أقبلت على ابن اشعب فقلت حدثني بشيء من طمع ابيك فقال لي مالك ولأبي ها أنا إذ دعوت بالدواج فما شككت والله في أنك إنما جئت به لي فضحكت من قوله ودعوت بغيره فلبسته وأعطيته إياه ثم قلت له ألأبيك ولد غيرك فقال كثير فقلت عشرة قال أكثر قلت فخمسون قال أكثر كثير قلت مائة قال دع المئين وخذ الألوف فقلت ويلك أي شيء تقوله أشعب أبوك ليس بينك وبينه أب فكيف يكون له ألوف
من الولد فضحك ثم قال لي في هذا خبر ظريف فقلت له حدثني به فقال
كان أبي منقطعاً إلى سكينة بنت الحسين وكانت متزوجة بزيد بن عمرو بن عثمان بن عفان وكانت محبة له فكان لا يستقر معها تقول له أريد الحج فيخرج معها فإذا أفضوا إلى مكة تقول أريد الرجوع إلى المدينة فإذا عاد إلى المدينة قالت أريد العمرة فهو معها في سفر لا ينقضي قال عبد الله فحدثني أبي قال
كانت قد حلفته بما لا كفارة له ألا يتزوج عليها ولا يتسرى ولا يلم بنسائه وجواريه إلا بإذنها وحج الخليفة في سنة من السنين فقال لها قد حج الخليفة ولا بد لي من لقائه قالت فاحلف بأنك لا تدخل الطائف ولا تلم بجواريك على وجه ولا سبب فحلف لها بما رضيت به من الأيمان على ذلك ثم قالت له احلف بالطلاق فقال لا أفعل ولكن ابعثي معي بثقتك فدعتني وأعطتني ثلاثين ديناراً وقالت لي اخرج معه وحلفتني بطلاق بنت وردان زوجتي ألا اطلق له الخروج إلى الطائف بوجه ولا سبب فحلفت لها بما أثلج صدرها فأذنت له فخرج وخرجت معه فلما حاذينا الطائف قال لي يا أشعب أنت تعرفني وتعرف صنائعي عندك وهذه ثلاثمائة دينار خذها بارك الله لك فيها وأذن لي ألم بجواري فلما سمعتها ذهب عقلي ثم قلت يا سيدي هي سكينة فالله الله في فقال أو تعلم سكينة الغيب فلم يزل بي حتى أخذتها وأذنت له فمضى وبات عند جواريه فلما أصبحنا رأيت أبيات قوم من العرب قريبة منا فلبست حلة وشيء كانت لزيد قيمتها ألف دينار وركبت فرسه وجئت إلى النساء فسلمت فرددن ونسبنني فانتسبت نسب زيد فحادثني وأنسن بي وأقبل رجال الحي وكلما جاء رجل سأل عن نسبي فخبر به هابني وسلم علي وعظمني وانصرف إلى أن أقبل شيخ كبير منكر مبطون فلما خبر بي وبنسبي شال حاجبيه عن عينه ثم نظر إلي وقال وأبي ما هذه خلقة قرشي ولا شمائله وما هو إلا عبد لهم ناد وعلمت أنه يريد شراً فركبت الفرس ثم مضيت ولحقني فرماني بسهم فما أخطأ قربوس
السرج وما شككت أنه يلحقني بآخر يقتلني فسلحت يعلم الله في ثيابي فلوثها ونفذ إلى الحلة فصيرها شهرة وأتيت رحل زيد بن عمرو فجلست أغسل الحلة وأجففها وأقبل زيد بن عمرو فرأى ما لحق الحلة والسرج فقال لي ما القصة ويلك فقلت يا سيدي الصدق أنجى وحدثته الحديث فاغتاظ ثم قال لي ألم يكفك أن تلبس حلتي وتصنع بها ما صنعت وتركب فرسي وتجلس إلى النساء حتى انتسبت بنسبي وفضحتني وجعلتني عند العرب ولاجا جماشا وجرى عليك ذل نسب إلي أنا نفي من أبي ومنسوب إلى أبيك إن لم أسؤك وأبلغ في ذلك
ثم لقي الخليفة وعاد ودخلنا إلى سكينة فسألته عن خبره كله فخبرها حتى انتهى إلى ذكر جواريه فقالت إيه وما كان من خبرك في طريقك هل مضيت إلى جواريك بالطائف فقال لها لا أدري سلي ثقتك فدعتني فسألتني وبدأت فحلفت لها بكل يمين محرجة أنه ما مرّ بالطائف ولا دخلها ولا فارقني فقال لها اليمين التي حلف بها لازمة لي إن لم أكن دخلت الطائف وبت عند جواري وغسلتهن جميعا وأخذ مني ثلاثمائة دينار وفعل كذا وكذا وحدثها الحديث كله وأراها الحلة والسرج فقالت لي أفعلتها يا أشعب أنا نفية من أبي إن أنفقتها إلا فيما يسوءك ثم أمرت بكبس منزلي وإحضارها الدنانير

فأحضرت
فاشترت بها خشبا وبيضاً وسرجينا وعملت من الخشب بيتاً فحبستني فيه وحلفت ألا أخرج منه ولا أفارقه حتى أحضن البيض كله إلى أن ينقب فمكثت أربعين يوماً أحضن لها البيض حتى نقب وخرج منه فراريج كثيرة فربتهن وتناسلن فكن بالمدينة يسمين بنات أشعب ونسل أشعب فهؤلاء إلى الآن بالمدينة نسل يزيد على الألوف كلهن أهلي وأقاربي
قال إبراهيم فضحكت والله من قوله ضحكاً ما أذكر أني ضحكت مثله قط ووصلته ولم يزل عندي زماناً حتى خرج إلى المدينة وبلغني أنه مات هناك
أخبرني أحمد قال حدثنا مصعب بن عبد الله بن عثمان قال
قال رجل لأشعب إن سالم بن عبد الله قد مضى إلى بستان فلان ومعه طعام كثير فبادر حتى لحقه فأغلق الغلام الباب دونه فتسور عليه فصاح به سالم بناتي ويلك بناتي فناداه أشعب (لقد علمت مالنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد) فأمر بالطعام فأخرج إليه منه ما كفاه

أشعب يقوقئ مثل الدجاجة

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال
بعثت سكينة إلى أبي الزناد فجاءها تستفتيه في شيء فاطلع أشعب عليه من بيت وجعل يقوقئ مثل ما تقوقئ الدجاجة قال فسبح أبو الزناد وقال ما هذا فضحكت وقالت إن هذا الخبيث أفسد علينا بعض أمرنا فحلفت أن يحضن بيضاً في هذا البيت ولا يفارقه حتى ينقب فجعل أبو الزناد يعجب من فعلها
وقد أخبرني محمد بن جعفر النحوي بخبر سكينة الطويل على غير هذه الرواية وهو قريب منها وقد ذكرته في أخبار سكينة بنت الحسين مفردا عن أخبار أشعب هذه في أخبارها مع زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا مصعب قال حدثني بعض المدنيين قال
كان لأشعب خرق في بابه فكان ينام ثم يخرج يده من الخرق يطمع في أن يجيء إنسان يطرح في يده شيئاً من شدة الطمع فبعث إليه بعض من كان يعبث به من مجان آل الزبير بعبد له فسلح في يده فلم يعد بعدها إلى أن يخرج يده
وأخبرني به الجوهري عن ابن مهرويه عن محمد بن الحسن عن مصعب عن بعض المدنيين فذكر نحوه ولم يذكر ما فعل به الماجن
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد الزبيري أبو طاهر قال حدثنا يحي بن محمد بن أبي قتيلة قال حدثني إسماعيل بن جعفر بن محمد الأعرج أن أشعب حدثه قال
جاءني فتية من قريش فقالوا إنا نحب أن تسمع سالم بن عبد الله بن عمر صوتا من الغناء وتعلمنا ما يقول لك وجعلوا لي على ذلك جعلا فتنني فدخلت على سالم فقلت يا أبا عمر إن لي مجالسة وحرمة ومودة وسناً وأنا مولع بالترنم قال وما الترنم قلت الغناء قال في أي وقت قلت في الخلوة ومع الإخوان في المنزه فأحب ان أسمعك فإن كرهته أمسكت عنه وغنيتُه فقال ما أرى بأساً فخرجت فأعلمتهم قالوا وأي شيء غنيته قلت غنيته
(قَرِّبا مَربَطَ النّعَامَةِ مِنّي ... لَقَحتْ حربُ وائلٍ عن حِيالي
فقالوا هذا بارد ولا حركة فيه ولسنا نرضى فلما رأيت دفعهم إياي وخفت ذهاب ما جعلوه لي رجعت فقلت يا أبا عمر آخر فقال مالي ولك فلم أملكه كلامه حتى غنيت فقال ما رأى بأساً فخرجت إليهم فأعلمتهم فقالوا وأي شيء غنيته فقلت غنيته قوله
(لم يُطيقوا أن يَنْزلوا ونَزلنا ... وأخو الحرب مَنْ أطاق النّزالا)
فقالوا ليس هذا بشيء فرجعت إليه فقال مه قلت وآخر فلم أملكه أمره حتى غنيت
(غَيَّضْن من عَبَراتِهنّ وقُلنَ لي ... ماذا لَقِيتَ من الهوى ولَقِينا)
فقال نهلا نهلا فقلت لا والله إلا بذاك السداك وفيه تمر عجوة من صدقة عمر فقال هو لك فخرجت به عليهم وأنا أخطر فقالوا مه فقلت غنيت الشيخ
(. . . . ... غَيَّضْن من عَبراتِهنّ وقُلْنَ لي)
فطرب وفرض لي فأعطاني هذا وكذبتهم والله ما أعطانيه إلا استكفافاً حتى صمت
قال ابن أبي سعد السداك الزبيل الكبير وفرض لي أي نقطني يعني ما يهبه الناس للمغنين ويسمونه النقط

أشعب المغني

حدثني الجوهري قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثني قعنب بن المحرز عن الأصمعي قال حدثني جعفر بن سليمان قال
قدم أشعب أيام أبي جعفر فأطاف به فتيان بني هاشم وسألوه أن يغنيهم فغنى فإذا ألحانه مطربة وحلقه على حاله فقال له جعفر بن المنصور لمن هذا الشعر والغناء
(لِمَن طَلَلٌ بذاتِ الجَيْش ... أمسى دارساً خَلَقا)
فقال له أخذت الغناء عن معبد وهو للدلال ولقد كنت آخذ اللحن عن معبد فإذا سئل عنه قال عليكم بأشعب فإنه أحسن تأدية له مني
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عبد الله بن مصعب قال
قدم جرير المدينة فاجتمع إليه الناس يستنشدونه ويسألونه عن شعره فينشدهم ويأخذون عنه وينصرفون ولزمه أشعب من بينهم فلم يفارقه فقال له جرير أراك أطولهم جلوساً وأكثرهم سؤالاً وإني لأظنك ألأمهم حسباً فقال له يا أبا حزرة أنا والله أنفعهم قال وكيف ذلك قال أنا آخذ شعرك فأحسنه وأجوده قال كيف تحسنه وتجوده قال فاندفع فغناه في شعره والغناء لابن سريج

صوت

(يا أختَ ناجِيَة السلامُ عليكم ... قبلَ الرحيل وقبلَ لَوْمِ العُذَّل
((لو كنتُ أعلمُ أن آخر عَهْدكم ... يوم الرّحيل فعلْتُ ما لم أفْعل
قال فطرب جرير حتى بكى وجعل يزحف إليه حتى لصقت ركبته بركبته وقال أشهد أنك تحسنه وتجوده فأعطاه من شعره ما أراد ووصله بدنانير وكسوة
حدثني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثني أبي قال الهيثم بن عدي

لقيت أشعب فقلت له كيف ترى أهل زمانك هذا قال يسألونك عن أحاديث الملوك ويعطون إعطاء العبيد
حدثني أحمد قال حدثني محمد بن القاسم حدثنا أحمد بن يحي قال أخبرنا مصعب قال
حجت أم عمر بنت مروان فاستحجبت أشعب وقالت له أنت أعرف الناس بأهل المدينة فأذن لهم على مراتبهم وجلست لهم مليا ثم قامت فدخلت القائلة فجاء طويس فقال لأشعب استأذن لي على أم عمر فقال ما زالت جالسة وقد دخلت فقال له يا أشعب ملكت يومين فلم تفت بعرتين ولم تقطع شعرتين فدق أشعب الباب ودخل إليها فقال لها أنشدك الله يا بنة مروان هذا طويس بالباب فلا تتعرضي للسانه ولا تعرضيني فأذنت له فلما دخل إليها قال لها والله لئن كان بابك غلقاً لقد كان باب أبيك فلقاً ثم أخرج دفه ونقر به وغنى

(ما تمنعني يَقظى فقد تُؤْتَيْنَه ... في النَّوم غير مُصَرَّد محسوبِ)
(كان المُنَى بلقائها فَلقِيتُها ... فلهوتُ من لهو امرئٍ مكذوبِ)

قالت أيهما أحب إليك العاجل أم الآجل فقال عاجل وآجل فأمرت له بكسوة
أخبرني الجوهري قال حدثني ابن مهرويه عن أبي مسلم عن المدائني قال
حدث رجل من أهل المدينة أشعب بحديث أعجبه فقال له في حديثك هذا شيء قال وما هو تقلبيه على الرأس

أشعب والوليد بن يزيد

أخبرني الجوهري قال حدثني ابن مهرويه قال أخبرنا أبو مسلم قال حدثنا المدائني قال
بعث الوليد بن يزيد إلى أشعب بعدما طلق امرأته سعدة فقال له يا أشعب لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تبلغ رسالتي سعدة فقال له أحضر المال حتى انظر إليه فأحضر الوليد بدرة فوضعها أشعب على عنقه ثم قال هات رسالتك يا أمير المؤمنين قال قل لها يقول لك

(أسُعْدَةُ هل إليكِ لنا سبيلٌ ... وهل حتى القيامَة من تلاقِي)
(بلى ولعلَّ دهراً أن يُوَاتِي ... بموتٍ من حليلكِ أو طلاقِ)
(فأُصبِحَ شامتاً وتقرَّ عيني ... ويُجمَعَ شملُنا بعد افتراقِ)

قال فأتى أشعب الباب فأخبرت بمكانه فأمرت ففرشت لها فرش وجلست فأذنت له فدخل فأنشدها ما أمره فقالت لخدمها خذوا الفاسق فقال يا سيدتي إنها بعشرة آلاف درهم قالت والله لأقتلنك أو تبلغه كما بلغتني قال وما تهبين لي قالت بساطي الذي تحتي قال قومي عنه فقامت فطواه ثم قال هاتي رسالتك جعلت فداءك قالت قل له

(أتبكي على لُبْنَى وأنتَ تركتَها ... فقد ذهبتْ لُبْنَى فما أنت صانعُ)

فأقبل أشعب فدخل على الوليد فأنشده البيت فقال أوه قتلتني والله ما تراني صانعاً بك يا بن الزانية اختر إما أن أدليك منكساً في بئر أو أرمي بك من فوق القصر منكسا أو أضرب رأسك بعمودي هذا ضربة فقال ما كنت فاعلا بي شيئاً من ذلك قال ولم قال لأنك لم تكن لتعذب رأساً فيه عينان قد نظرتا إلى سعدة فقال صدقت يا بن الزانية اخرج عني
وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه عن الهيثم ابن عدي أن سعدة لما أنشدها أشعب قوله

(أسُعدَةَ هل إليك لنا سَبيلٌ ... وهل حَتَّى القيامة من تلاقي)

قالت لا والله لا يكون ذلك ابدا فلما أنشدها

(بلى ولعلَّ دهرا أن يُواتِي ... بموْتٍ من حلِيلِكِ أو طلاقِ)

قالت كلا إن شاء الله بل يفعل الله ذلك به فلما أنشدها

(فأُصبِحَ شامِتاً وتَقَرَّ عيني ... ويُجمَعَ شملُنا بعد افْتراقِ)

قالت بل تكون الشماتة به وذكر باقي الخبر مثل حديث الجوهري عن ابن مهرويه
أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال
كتب الوليد بن يزيد في إشخاص أشعب من الحجاز إليه وحمله على البريد فحمل إليه فلما دخل أمر بأن يلبس تبانا ويجعل فيه ذنب قرد ويشد في رجليه أجراس وفي عنقه جلاجل ففعل به ذلك فدخل وهو عجب من العجب فلما رآه ضحك منه وكشف عن أيره قال أشعب فنظرت إليه كأنه ناي مدهون فقال لي اسجد للأصم ويلك يعني أيره فسجدت ثم رفعت رأسي وسجدت أخرى فقال ما هذا قلت الأولى للأصم والثانية لخصيتيك فضحك وأمر بنزع ما كان ألبسنيه ووصلني ولم أزل من ندمائه حتى قتل
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
قال رجل لأشعب إنه أهدي إلى زياد بن عبد الحارثي قبة أدم قيمتها عشرة آلاف درهم فقال امرأته الطلاق لو أنها قبة الإسلام ما ساوت ألف درهم فقيل له إن معها جبة وشيٍ حشوها قز قيمتها عشرون ألف دينار فقال أمه زانية لو أن حشوها زغب أجنحة الملائكة ما ساوت عشرين ديناراً
أخبرني عمي قال حدثني أبو أيوب المدائني قال حدثني مصعب بن عبد الله الزبيري عن أبيه قال حدثني أشعب قال ولي المدينة رجل من ولد عامر بن لؤي وكان أبخل الناس وأنكدهم وأغراه الله بي يطلبني في ليله ونهاره فإن هربت منه هجم على منزلي بالشرط وإن كنت في موضع بعث إلى من أكون معه أو عنده يطلبني منه فيطالبني بأن أحدثه وأضحكه ثم لا أسكت ولا ينام ولا يطعمني ولا يعطيني فلقيت منه جهداً عظيماً وبلاء شديداً وحضر الحج فقال لي يا أشعب كن معي فقلت بأبي أنت وأمي أنا عليل وليست لي نية في الحج فقال عليه وعليه
وقال إن الكعبة بيت النار لئن لم تخرج معي لأودعنك حيث أقدم فخرجت معه مكرهاً فلما نزلنا المنزل أظهر أنه صائم ونام حتى تشاغلت ثم أكل ما في سفرته وأمر غلامه أن يطعمني رغيفين بملح فجئت وعندي أنه صائم ولم أزل أنتظر المغرب أتوقع إفطاره فلما صليت المغرب قلت لغلامه ما ينتظر بالأكل قال قد أكل منذ زمان قلت أو لم يكن صائماً قال لا قلت أفأطوي أنا قال قد أعد لك ما تأكله فكل وأخرج إلي الرغيفين والملح فأكلتها وبت ميتاً جوعاً وأصبحت فسرنا حتى نزلنا المنزل فقال لغلامه ابتع لنا لحماً بدرهم فابتاعه فقال كبب لي قطعاً ففعل فأكله ونصب القدر فلما أغبَّرت قال اغرف لي منها قطعاً ففعل فأكلها ثم قال لي اطرح فيها دقة وأطعمني منها ففعل ثم قال ألق توابلها وأطعمني منها ففعل وأنا جالس أنظر إليه لا يدعوني فلما استوفى اللحم كله قال يا غلام أطعم أشعب ورمى إلي برغيفين فجئت إلى القدر وإذا ليس فيها إلا مرق وعظام فأكلت الرغيفين وأخرج له جرابا فيه فاكهة يابسة فأخذ منها حفنة فأكلها وبقي في كفه كف لوز بقشره ولم يكن له فيه حيلة فرمى به إلي وقال كل هذا يا أشعب فذهبت أكسر واحدة منها فإذا بضرسي قد انكسرت منه قطعة فسقطت بين يدي وتباعدت أطلب حجراً أكسره به فوجدته فضربت به لوزة فطفرت يعلم الله مقدار

رمية حجر وعدوت في طلبها فبينما أنا في ذلك إذ أقبل بنو مصعب يعني ابن ثابت وإخوته يلبون بتلك الحلوق الجهورية فصحت بهم الغوث الغوث العياذ بالله وبكم يا آل الزبير الحقوني وأدركوني فركضوا إلي فلما رأوني قالوا أشعب مالك ويلك قلت خذوني معكم تخلصوني من الموت فحملوني معهم فجعلت أرفرف بيدي كما يفعل الفرخ إذا طلب الزق من أبويه فقالوا مالك ويلك قلت ليس هذا وقت الحديث زقوني مما معكم فقد مت ضراً وجوعاً منذ ثلاث قال فأطعموني حتى تراجعت نفسي وحملوني معهم في محمل ثم قالوا أخبرنا بقصتك فحدثتهم وأريتهم ضرسي المكسورة فجعلوا يضحكون ويصفقون وقالوا ويلك من أين وقعت على هذا هذا من أبخل خلق الله

وأدنئهم نفساً فحلفت بالطلاق أني لا أدخل المدينة ما دام له بها سلطان فلم أدخلها حتى عزل

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثنا إبراهيم بن المهدي قال حدثني عبيدة بن أشعب قال

كان الغاضري منذر أهل المدينة ومضحكهم قبل أبي فأسقطه أبي واطرح وكان الغاضري حسن الوجه ماد القامة عبلا فخما وكان أبي قصيرا دميماً قليل اللحم إلا أنه كان يتضرم ويتوقد ذكاء وحدة وخفة روح وكان الغاضري يحسده إلا أنهما متساويان وكان الغاضري لقيطاً منبوذاً لا يعرف له أب فمر يوماً ومعه فتية من قريش بأبي في المسجد وقد تأذى بثيابه فنزعها وتجرد وجلس عرياناً فقال لهم الغاضري أنشدتكم الله هل رأيتم أعجب من هذه الخلقة يريد خلقة أبي فقال له أبي إن خلقتي لعجيبة وأعجب منها أنه زفني فصرت نضوا وزفك فصرت بختيا قال وأهل المدينة يسمون المهلوس من الفراخ النضو والمسرول البختي فغضب الغاضري عند ذلك وشتمه فسقط واستبرد وترك النوادر بعد ذلك وغلب أبي على أهل المدينة واستطابوه وكان هذا سببه

أشعب وزياد بن عبد الله الحارثي

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال

كان زياد بن عبد الله الحارثي أبخل خلق الله فأولم وليمة لطهر بعض أولاده وكان الناس يحضرون ويقدم الطعام فلا يأكلون منه إلا تعللاً وتشعثاً لعلمهم به فقدم فيما قدم جدي فلم يعرض له أحد وجعل يردده على المائدة ثلاثة أيام والناس يجتنبونه إلى أن انقضت الوليمة فأصغى أشعب إلى بعض من كان هناك فقال امرأته الطلاق إن لم يكن هذا الجدي بعد أن ذبح وشوي أطول عمراً وأمد حياة منه قبل أن يذبح فضحك الرجل وسمعها زياد فتغافل

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك بن إسحاق قال حدثني إبراهيم بن المهدي عن عبيدة بن أشعب قال

غضبت سكينة على أبي في شيء خالفها فيه فحلفت لتحلقَن لحيته ودعت بالحجام فقالت له احلق لحيته فقال له الحجام انفخ شدقيك حتى أتمكن منك فقال له يا بن البظراء أمرتك أن تحلق لحيتي أو تعلمني الزمر خبرني عن امرأتك إذا أردت أن تحلق حرها تنفخ أشداقه فغضب الحجام وحلف ألا يحلق لحيته وانصرف وبلغ سكينة الخبر وما جرى بينهما فضحكت وعفت عنه

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو العيناء عن الأصمعي قال

أهدى كاتب لزياد بن عبد الله الحارثي إليه طعاماً فأتي به وقد تغدى فغضب

وقال ما أصنع به وقد أكلت ادعوا أهل الصفة يأكلونه فبعث إليهم وسأل كاتبه فيم دعا أهل الصفة فعرف فقال الكاتب عرفوه أن في السلال أخبصةً وحلواء ودجاجا وفراخا فأخبر بذلك فأمر بكشفها فلما رآها أمر برفعها فرفعت وجاء أهل الصفة فأعلم فقال اضربوهم عشرين عشرين درة واحبسوهم فإنهم يفسون في مسجد رسول الله المصلين فكلم فيهم فقال حلفوهم ألا يعاودوا وأطلقوهم

أشعب وأبان بن عثمان والأعرابي

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا ابن زبالة قال حدثنا ابن زنبج راوية ابن هرمة عن أبيه قال

كان أبان بن عثمان من أهزل الناس وأعبثهم وبلغ من عبثه أنه كان يجيء بالليل إلى منزل رجل في أعلى المدينة له لقب يغضب منه فيقول له أنا فلان بن فلان ثم يهتف بلقبه فيشتمه أقبح شتم وأبان يضحك فبينما نحن ذات يوم عنده وعنده أشعب إذ أقبل أعرابي ومعه جمل له والأعرابي أشقر أزرق أزعر غضوب يتلظى كأنه أفعى ويتبين الشر في وجهه ما يدنو منه أحدٌ إلا شتمه ونهره فقال أشعب لأبان هذا والله من البادية ادعوه فدعي وقيل له إن الأمير أبان بن عثمان يدعوك فأتاه فسلم عليه فسأله ابان عن نسبه فانتسب له فقال حياك الله يا

خالي حبيب ازداد حباً فجلس فقال له إني في طلب جمل مثل جملك هذا منذ زمان فلم أجده كما أشتهي بهذه الصفة وهذه القامة واللون والصدر والورك والأخفاف فالحمد لله الذي جعل ظفري به من عند من أحبه أتبيعه فقال نعم أيها الأمير فقال فإني قد بذلت لك به مائة دينار وكان الجمل يساوي عشرة دنانير فطمع الأعرابي وسر وانتفخ وبان السرور والطمع في وجهه فأقبل أبان على أشعب ثم قال له ويلك يا أشعب إن خالي هذا من أهلك وأقاربك يعني في الطمع فأوسع له مما عندك فقال له نعم بأبي أنت وزيادة فقال له أبان يا خالي إنما زدتك في الثمن على بصيرة وإنما الجمل يساوي ستين ديناراً ولكن بذلت لك مائة لقلة النقد عندنا وإني أعطيك بها عروضاً تساوي مائة فزاد طمع الأعرابي وقال قد قبلت ذلك أيها الأمير فأسر إلي أشعب فأخرج شيئاً مغطى فقال له أخرج ما جئت به فأخرج جرد عمامة خز خلق تساوي أربعة دراهم فقال له قومها يا أشعب فقال له عمامة الأمير تعرف به ويشهد فيها الأعياد والجمع ويلقى فيها الخلفاء خمسون ديناراً فقال ضعها بين يديه وقال لابن زبنج أثبت قيمتها فكتب ذلك ووضعت العمامة بين يدي الأعرابي فكاد يدخل بعضه في بعض غيظاً ولم يقدر على الكلام ثم قال هات قلنسوتي فأخرج قلنسوة طويلة خلقة قد علاها الوسخ والدهن وتخرقت تساوي نصف درهم فقال قوم فقال قلنسوة الأمير تعلو هامته ويصلي فيها الصلوات الخمس ويجلس للحكم ثلاثون دينارا قال أثبت فأثبت ذلك ووضعت القلنسوة بين يدي الأعرابي فتربد وجهه وجحظت عيناه وهم بالوثوب ثم تماسك وهو متقلقل

ثم قال لأشعب هات ما عندك فأخرج خفين خلقين قد نقبا وتقشرا

وتفتقا فقال له قوم فقال خفا الأمير يطأ بهما الروضة ويعلو بهما منبر النبي دينارا فقال ضعهما بين يديه فوضعهما ثم قال للأعرابي اضمم إليك متاعك وقال لبعض الأعوان اذهب فخذ الجمل وقال لآخر امض مع الأعرابي فاقبض منه ما بقي لنا عليه من ثمن المتاع وهو عشرون دينارا فوثب الأعرابي فأخذ القماش فضرب به وجوه القوم لا يألو في شدة الرمي به ثم قال له أتدري أصلحك الله من أي شيء أموت قال لا قال لم أدرك أباك عثمان فأشترك والله في دمه إذ ولد مثلك ثم نهض

مثل المجنون حتى أخذ برأس بعيره وضحك أبان حتى سقط وضحك كل من كان معه وكان الأعرابي بعد ذلك إذا لقي أشعب يقول له هلم إلي يا بن الخبيثة حتى أكافئك على تقويمك المتاع يوم قوم فيهرب أشعب منه
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال حدثني شيخ من أهل المدينة قال
كانت بالمدينة عجوز شديدة العين لا تنظر إلى شيء تستحسنه إلا عانته فدخلت على أشعب وهو في الموت وهو يقول لبنته يا بنية إذا مت فلا تندبيني والناس يسمعونك فتقولين واأبتاه أندبك للصوم والصلوات واأبتاه أندبك للفقه والقراءة فيكذبك الناس ويلعنوني والتفت أشعب فرأى المرأة فغطى وجهه بكمه وقال لها يا فلانة بالله إن كنت استحسنت شيئاً مما أنا فيه فصل على النبي تهلكيني فغضبت المرأة وقالت سخنت عينك في أي شيء أنت مما يستحسن أنت في آخر رمق قال قد علمت ولكن قلت لئلا تكوني قد استحسنت خفة الموت علي وسهولة النزع فيشتد ما أنا فيه وخرجت من عنده وهي تشتمه وضحك كل من كان حوله من كلامه ثم مات
نماذج من طرائفه
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال حدثنا أبو أيوب المديني عن مصعب قال
لاعب أشعب رجلاً بالنرد فأشرف على أن يقمره إلا بضرب دويكين ووقع الفصان في يد ملاعبه فأصابه زمع وجزع فضرب يكين وضرط مع الضربة فقال له أشعب امرأته طالق إن لم أحسب لك الضرطة بنقطة حتى يصير لك اليكان دو ويك وتقمر وسلم له القمر بسبب الضرطة
أخبرني الحسن قال حدثنا أحمد قال حدثني أبو أيوب عن حماد عن ابن إسحاق عن أبيه قال
قال رجل لأشعب كان أبوك ألحى وأنت أثط فإلى من خرجت قال إلى أمي فمر الرجل وهو يعجب من جوابه وكان رجلاً صالحاً
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني الرياشي قال
سمعت أبا عاصم النبيل يقول رأيت أشعب وسأله رجل ما بلغ من طمعك قال ما زفت عروس بالمدينة إلى زوجها قط إلا فتحت بابي رجاء أن تهدى إلي
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا الزبير بن بكار عن عمه قال تظلمت امرأة أشعب منه إلى أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم وقالت لا يدعني أهدأ من كثرة الجماع فقال له أشعب أتراني أعلف ولا أركب لتكف ضرسها لأكف أيري
قال وشكا خال لأشعب إليه امرأته وأنها تحزنه في ماله فقال له فديتك لا تأمَنَنَّ قحبة ولو أنها أمك فانصرف عنه وهو يشتمه
أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني قعنب بن المحرز عن الأصمعي عن جعفر بن سليمان قال
قدم علينا أشعب أيام أبي جعفر فأطاف به فتيان بني هاشم وسألوه أن يغني فغناهم فإذا ألحانه مطربة وحلقه على حاله فسألوه لمن هذا اللحن
(لِمَنْ طَلَلٌ بذاتِ الجَيْشِ وأمسَى دارساً خَلَقا)
فقال للدلال وأخذته عن معبد ولقد كنت آخذ عنه الصوت فإذا سئل عنه قال عليكم بأشعب فإنه أحسن أداء له مني
أشعب والحسن بن الحسن بن علي
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال ذكر الزبير بن بكار عن شعيب بن عبيدة بن أشعب عن أبيه قال
كان الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام يعبث بأبي أشد عبث وربما أراه في عبثه أنه قد ثمل وأنه يعربد عليه ثم يخرج إليه بسيف مسلول ويريه أنه يريد قتله فيجري بينهما في ذلك كل مستمع فهجره أبي مدة طويلة ثم لقيه يوما فقال له يا أشعب هجرتني وقطعتني ونسيت عهدي فقال له بأبي أنت وأمي لو كنت تعربد بغير السيف ما هجرتك ولكن ليس مع السيف لعب فقال له فأنا أعفيك من هذا فلا تراه مني أبداً وهذه عشرة دنانير ولك حماري الذي تحتي أحملك عليه وصر إلي ولك الشرط ألا ترى في داري
سيفاً قال لا والله أو تخرج كل سيف في دارك قبل أن نأكل ذلك لك قال فجاءه أبي ووفى له بما قال من الهبة وإخراج السيوف وخلف عنده سيفاً في الدار فلما توسط الأمر قام إلى البيت فأخرج السيف مشهوراً ثم قال يا أشعب إنما أخرجت هذا السيف لخير أريده بك قال بأبي أنت وأمي فأي خير يكون مع السيف ألست تذكر الشرط بيننا قال له فاسمع ما أقول لك لست أضربك به ولا يلحقك منه شيء تكرهه وإنما أريد أن أضجعك وأجلس على صدرك ثم آخذ جلدة حلقك بإصبعي من غير أن أقبض على عصب ولا ودج ولا مقتل فأحزها بالسيف ثم أقوم عن صدرك وأعطيك عشرين ديناراً فقال نشدتك الله يا بن رسول الله ألا تفعل بي هذا وجعل يصرخ ويبكي ويستغيث والحسن لا يزيده على الحلف له أنه لا يقتله ولا يتجاوز به أن يحز جلده فقط ويتوعده مع ذلك بأنه إن لم يفعله طائعاً فعله كارهاً حتى إذا طال الخطب بينهما واكتفى الحسن من المزح معه أراه أنه يتغافل عنه وقال له أنت لا تفعل هذا طائعاً ولكن أجيء بحبل فأكتفك به ومضى كأنه يجيء بحبل فهرب أشعب وتسور حائطاً بينه وبين عبد الله بن حسن أخيه فسقط إلى داره فانفكت رجله وأغمي عليه فخرج عبد الله فزعاً فسأله عن قصته فأخبره فضحك منه وأمر له بعشرين دينارا وأقام في منزله يعالجه ويعوله إلى أن صلحت حاله قال وما رآه الحسن بن الحسن بعدها
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال
دعا حسن بن حسن بن علي عليهم السلام أشعب فأقام عنده فقال لأشعب يوماً أنا اشتهي كبد هذه الشاة لشاة عنده عزيزة عليه فارهه فقال له أشعب بأبي أنت وأمي أعطنيها وأنا أذبح لك أسمن شاة بالمدينة فقال أخبرك أني اشتهي كبد هذه وتقول لي أسمن شاة بالمدينة اذبح يا غلام فذبحها وشوى له من كبدها وأطايبها فأكل ثم قال لأشعب من الغد يا أشعب أنا أشتهي من كبد نجيبي هذا لنجيب كان عنده ثمنه ألوف دراهم فقال له أشعب يا سيدي في ثمن هذا والله غناي فأعطنيه وأنا والله أطعمك من كبد كل جزور بالمدينة فقال أخبرك أني أشتهي من كبد هذا وتطعمني من غيره يا غلام انحر فنحر النجيب وشوى كبده فأكلا فلما كان اليوم الثالث قال له يا أشعب أنا والله أشتهي أن آكل من كبدك فقال له سبحان الله أتأكل من أكباد الناس قال قد أخبرتك فوثب أشعب فرمى بنفسه من درجة عالية فانكسرت رجله فقيل له ويلك أظننت أنه يذبحك فقال والله لو أن كبدي وجميع أكباد العالمين جميعاً اشتهاها لأكلها وإنما فعل حسن بالشاة والنجيب ما فعل توطئة للعبث بأشعب تمت أخباره
صوت

(أَلَمّتْ خُناسُ وإلمامُها ... أحاديثُ نَفْسٍ وأحلامُها)
(يَمانِيةٌ من بني مالِكٍ ... تَطَاوَل في المَجْد أعمامُها)
الشعر لعويف القوافي الفزاري والغناء للهذلي رمل بالوسطى عن
عمرو وذكر حماد بن إسحاق عن أبيه أن فيه لحناً لجميلة ولم يذكر طريقته وفيه لأبي العبيس بن حمدون خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى
أخبار عويف ونسبه
هو عويف بن معاوية بن عقبة بن حصن وقيل ابن عقبة بن عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جؤية بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة ابن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار
وعويف القوافي شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية من ساكني الكوفة وبيته أحد البيوت المقدمة الفاخرة في العرب
قال أبو عبيدة حدثني أبو عمرو بن العلاء أن العرب كانت تعد البيوتات المشهورة بالكبر والشرف من القبائل بعد بيت هاشم بن عبد مناف في قريش ثلاثة بيوت ومنهم من يقول أربعة أولها بيت آل حذيفة بن بدر الفزاري بيت قيس وبيت آل زرارة بن عدس الدارميين بيت تميم وبيت آل ذي الجدين بن عبد الله بن همام بيت شيبان وبيت بني الديان من بني الحارث بن كعب بيت اليمن
وأما كندة فلا يعدون من أهل البيوتات إنما كانوا ملوكاً
وقال ابن الكلبي قال كسرى للنعمان هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة قال نعم قال بأبي شيء قال من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء ثم اتصل ذلك بكمال الرابع والبيت من قبيلته فيه قال فاطلب لي ذلك فطلبه
فلم يصبه إلا في آل حذيفة بن بدر بيت قيس بن عيلان وآل حاجب بن زرارة بيت تميم وآل ذي الجدين ببيت شيبان وآل الأشعث بن قيس بيت كندة قال فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائرهم فاقعد لهم الحكام العدول فأقبل من كل قوم منهم شاعرهم وقال لهم ليتكلم كل رجل منكم بمآثر قومه وفعالهم وليقل شاعرهم فيصدق فقام حذيفة بن بدر وكان أسن القوم وأجرأهم مقدما فقال لقد علمت معد أن منا الشرف الأقدم والعز الأعظم ومأثرة الصنيع الأكرم فقال من حوله ولم ذاك يا أخا فزارة فقال ألسنا الدعائم التي لا ترام والعز الذي لا يضام قيل له صدقت ثم قام شاعرهم فقال
(فَزارةُ بيتُ العِز والعِزُّ فيهمُ ... فَزارةُ قَيْسٍ حَسْبُ قَيْسٍ نِضالُها)
(لها العِزّةُ القَعْساءُ والحَسَبُ الذي ... بَناه لِقَيْس في القديم رِجالُها)
(فَمَنْ ذا إذا مُدَّ الأكفُّ إلى العُلا ... يَمُدُّ بأُخْرى مِثْلَها فينالُها)
(فهَيْهاتَ قد أعْيا القُرونَ التي مَضَت ... مآثرُ قَيْس مجدُها وفَعالُها)
(وهل أحدٌ إن مَدَّ يوماً بكَفّه ... إلى الشمسِ في مَجْرى النُّجوم ينالُها)
(وإن يَصْلُحوا يَصْلُحْ لذاك جَميعُنا ... وإن يَفْسُدوا يفْسُدْ على النّاس حالُها)
ثم قام الأشعث بن قيس وإنما أذن له أن يقوم قبل ربيعة وتميم لقرابته
بالنعمان فقال لقد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر وقديم زحفها الأكبر وأنا غياث اللزبات فقالوا لم يا أخا كندة قال لأنا ورثنا ملك كندة فاستظللنا بأفيائه وتقلدنا منكبه الأعظم وتوسطنا بحبوحه الأكرم ثم قام شاعرهم فقال
(إذا قِسْتَ أبياتَ الرِّجالِ بِبَيْتِنا ... وجدتَ له فَضْلاً على من يُفاخِرُ)
(فَمنْ قال كَلاَّ أو أتانا بخُطّةٍ ... يُنافِرُنا يوماً فنحن نُخاطِرُ)
(تَعالوا فعُدُّوا يعلم النّاس أيُّنا ... له الفَضلُ فيما أورثَتْه الأكابِرُ)
ثم قام بسطام بن قيس فقال لقد علمت ربيعة أنا بناة بيتها الذي لا يزول ومغرس عزها الذي لا ينقل قالوا ولم يا أخا شيبان قال لأنا أدركهم للثأر وأقتلهم للملك الجبار وأقولهم للحق وألدهم للخصم ثم قام شاعرهم فقال
(لعَمْري لَبِسْطامٌ أحقُّ بفضلِها ... وأولَى بِبَيْتِ العزِّ عِزِّ القبائلِ)
(فسائِلْ أبيتَ اللّعْن عن عِزّ قَومِنا ... إذا جَدَّ يومِ الفَخْر كُلُّ مناضِلِ)
(ألسنَا أعزَّ الناسِ قوماً وأُسرةً ... وأضْرَبَهم للكَبْش بين القبائلِ)
(فَيُخْبِرَك الأقوامُ عنها فإنها ... وقائعُ لَيستْ نُهزةً للقَبائلِ)
(وقائعُ عِزٍّ كلّها رَبعِيَّةٌ ... تَذِلُّ لهم فيها رِقابُ المَحافِلِ)
(إذا ذُكِرت لم يُنْكِرِ النّاس فضلَها ... وعاذَ بها من شرِّها كُلُّ قائلِ)
((وإنّا ملوكُ النّاسِ في كل بَلْدةٍ ... إذا نَزلت بالنّاس إحْدى الزّلازِلِ
ثم قام حاجب بن زرارة فقال لقد علمت معد أنا فرع دعامتها وقادة زحفها فقالوا له بم ذاك يا أخا بني تميم قال لأنا أكثر الناس إذا نسبنا عدداً وأنجبهم ولداً وأنَّا أعطاهم للجزيل وأحملهم للثقيل ثم قام شاعرهم فقال
(لقد عَلِمتْ أبناءُ خِنْدِفَ أنّنا ... لنا العِزُّ قِدْماً في الخُطوبِ الأوائلِ)
(وأنّا هِجانٌ أهْلُ مجد وثَرْوَةٍ ... وعِزٍّ قديمٍ ليس بالمُتضائِلِ)
(فكَمْ فيهمُ من سَيّدٍ وابْنِ سَيّدٍ ... أغرّ نجيبٍ ذي فَعالٍ ونائِلِ)
(فسائلْ أبيتَ اللّعن عنّا فإنّنا ... دعائمُ هذا النّاسِ عند الجَلائِلِ)
ثم قام قيس بن عاصم فقال لقد علم هؤلاء أنا أرفعهم في المكرمات دعائم وأثبتهم في النائبات مقاوم قالوا ولم ذاك يا أخا بني سعد قال لأنا أمنعهم للجار وأدركهم للثأر وأنا لا ننكل إذ حملنا ولا نرام إذا حللنا ثم قام شاعرهم فقال
(لقد عَلِمت قَيْسٌ وخِنْدِفُ كُلّها ... وجُلُّ تميمٍ والجُموعِ التي تَرَى)
(بأنّا عِمادٌ في الأمور وأنّنا ... لنا الشّرفُ الضّخْمُ المُركّب في النّدى)
(وأنّا لُيوثُ النّاسِ في كل مأزِقٍ ... إذا اجتَرَّ بالبِيضِ الجماجِمُ والطُّلَى)
(وأنّا إذا داعٍ دَعَانا لنَجْدةٍ ... أجبنا سِراعاً في العُلا ثُمَّ مَنْ دَعَا)
(فَمَنْ ذا لِيوم الفَخْر يَعْدِل عاصِماً ... وقَيْساً إذا مُدَّ الأكُفُّ إلى العُلاَ)
((فَهَيْهاتَ قد أعيَا الجميعَ فَعالُهم ... وفاتُوا بيوم الفَخْر مَسْعاةَ مَنْ سَعَى
فلما سمع كسرى ذلك منهم قال ليس منهم إلا سيد يصلح لموضعه فأثنى حباءهم
سبب تسميته عويف القوافي
وإنما قيل لعويف عويف القوافي لبيت قاله نسخت خبره في ذلك من كتاب محمد بن الحسن بن دريد ولم أسمعه منه

قال أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي قال
أقبل عويف القوافي وهو عويف بن معاوية بن عقبة لن حصْن بن حذيفة الفزاري وإنما قيل له عويف القوافي كما حدثني عمار بن أبان بن سعيد بن عيينة ببيت قاله
(سأكذِبُ مَن قد كان يَزعُم أنني ... إذا قُلْتُ قولاً لا أُجِيدُ القَوافِيَا)
قال فوقف على جرير بن عبد الله البجلي وهو في مجلسه فقال
(أصُبّ على بجيلة من شقاها ... هِجائِي حين أدركني المَشيبُ)
فقال له جرير ألا أشتري منك أعراض بجيلة قال بلى قال بكم قال بألف درهم وبرذون فأمر له بما طلب فقال
(لولا جَرِيرٌ هَلَكَتْ بَجِيلَهْ ... نِعْم الفَتَى وبِئْسَتِ القَبِيلَهْ)
فقال جرير ما أراهم نجوا منك بعد
نسخت من كتاب أبي سعيد السكري في كتاب من قال بيتاً فلقب به قال أخبرني محمد بن حبيب قال وإنما قيل لعويف عويف القوافي لقوله
وقد كان بعض الشعراء عيره بأنه لا يجيد الشعر فقال أبياتاً منها
(سأكذِب مَنْ قد كان يزعُم أنني ... إذا قُلْتُ شعْراً لا أُجيدُ القَوَافِيا)
فسمي عويف القوافي
عويف وعبد الملك بن مروان
أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثني أحمد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني عزيز بن طلحة بن عبد الله بن عثمان بن الأرقم المخزومي قال حدثني غير واحد من مشيخة قريش قالوا
لم يكن رجل من ولاة أولاد عبد الملك بن مروان كان أنفس على قومه ولا أحسد لهم من الوليد بن عبد الملك فأذن يوماً للناس فدخلوا عليه وأذن للشعراء فكان أول من بدر بين يديه عويف القوافي الفزاري فاستأذنه في الإنشاد فقال ما بقيت لي بعد ما قلت لأخي بني زهرة قال وما قلت له مع ما قلت لأمير المؤمنين قال ألست الذي تقول
(يا طَلْحَ أنت أخو النَّدى وحَلِيفُه ... إنَّ النَّدَى من بعد طَلْحَة ماتَا)
(إنَّ الفِعال إليك أطلَق رَحْلَه ... فبِحَيْث بِتَّ من المَنازِل بَاتَا)
أو لست الذي تقول
(إذا ما جاءَ يومُكَ يا بنَ عَوْف ... فلا مَطَرتْ على الأرضِ السَّماءُ)
(ولا سار البَشيرُ بغُنْمِ جَيْشٍ ... ولا حَمَلَت على الطُّهْرِ النِّساءُ)
(تَساقَى الناسُ بعدكَ يا بْنَ عَوفٍ ... ذَريعَ المَوْتِ ليس له شِفاءُ)
ألم تقم علينا الساعة يوم قامت عليه لا والله لا أسمع منك شيئاً ولا أنفعك بنافعة أبداً أخرجوه عني
فلما أخرج قال له القرشيون والشاميون وما الذي أعطاك طلحة حين استخرج هذا منك قال أما والله لقد أعطاني غيره أكثر من عطيته ولكن لا والله ما أعطاني أحد قط أحلى في قلبي ولا أبقى شكراً ولا أجدر ألاَّ أنساها ما عرفت الصلات من عطيتَّهِ قالوا وما أعطاك قال قدمت المدينة ومعي بضيعة لي لا تبلغ عشرة دنانير أريد أن أبتاع قعوداً من قعدان الصدقة فإذا برجل في صحن السوق على طنفسة قد طرحت له وإذا الناس حوله وإذا بين يديه إبل معلوفة له فظننت أنه عامل السوق فسلمت عليه فأثبتني وجهلته فقلت أي رحمك الله هل أنت معيني ببصرك على قعود من هذه القعدان تبتاعه لي فقال نعم أو معك ثمنه فقلت نعم فأهوى بيده إلي فأعطيته بضيعتي فرفع طنفسته وألقاها تحتها ومكث طويلاً ثم قمت إليه فقلت أي رحمك الله انظر في حاجتي فقال ما منعني منك إلا النسيان أمعك حبل قلت نعم قال هكذا أفرجوا فأفرجوا عنه حتى استقبل الإبل التي بين يديه فقال اقرن هذه وهذه وهذه فما برحت حتى أمر لي بثلاثين بكرة أدنى بكرة منها ولا دنية فيها خير من بضاعتي ثم رفع طنفسته فقال وشأنك ببضاعتك فاستعن بها على من ترجع إليه فقلت أي رحمك الله أتدري ما تقول فما بقي عنده إلا من نهرني وشتمني ثم بعث معي نفراً فأطردوها حتى أطلعوها من رأس الثنية فوالله لا أنساه ما دمت حياً أبداً
وهذا الصوت المذكور تمثل به إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي يوم مقتله
حدثني ابن عبيد الله بن عمار قال حدثني ميسرة بن سيار أبو محمد قال حدثني إبراهيم بن علي الرافقي عن المفضل الضَّبِّي وحدثنا يحي ابن علي بن يحي المنجم وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عبد الملك بن سليمان عن علي بن الحسن عن المفضل الضَّبِّي ورواية ابن عمار أتم من هذه الرواية
ونسخت هذا الخبر أيضاً من بعض الكتب عن أبي حاتم السجستاني عن أبي عثمان اليقطري عن أبيه عن المفضل وهو أتم الروايات وأكثر اللفظ له قال
قال المفضل خرجت مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن فلما صار بالمربد وقف على رأس سليمان بن علي فأخرج إليه صبيان من ولده فضمهم إليه وقال هؤلاء والله منا ونحن منهم إلا أن آباءهم فعلوا بنا وصنعوا وذكر كلاماً يعتد عليهم فيه بالإساءة ثم توجه لوجهه وتمثل
((مَهْلاً بَني عَمِّنا ظَلاَمتنا ... إنّ بنا سَوْرَةً من القَلَقِ
(لِمِثْلِكم نَحمِل السيوفَ ولا ... تُغمز أحسابُنا من الدَّقَقِ)
(إنِّي لأنمِي إذا انتَميْت إلى ... عزٍّ عزيز ومَعْشَر صُدُقِ)
(بيضٍ سِباطٍ كأنّ أعينَهم ... تكحَل يوم الهياج بالعُلُقِ)
فقلت ما أفحل هذه الأبيات فلمن هي قال لضرار بن الخطاب الفهري قالها يوم الخندق وتمثل بها علي بن أبي طالب عليه السلام يوم صفين والحسين بن علي يوم قتل وزيد بن علي عليهم السلام ولحق القوم ثم مضى إلى باخمرى فلما قرب منها أتاه نعي أخيه محمد فتمثل
(نُبِّئْتُ أنَّ بني رَبِيعة أجمعوا ... أمراً خلالُهم لتقتُلَ خالِدَا)
(إن يَقْتُلوني لا تُصِب أرماحُهم ... ثأري ويَسْعَى القومُ سعْياً جاهِدا)
(أرمِي الطريقَ وإن صُدِدتُ بِضِيقه ... وأنازلُ البطَل الكَمِيَّ الجاحِدَا)
فقلت لمن هذه الأبيات فقال للأحوص بن جعفر بن كلاب تمثل بها يوم شعب جبلة وهو اليوم الذي لقيت فيه قيس تميماً قال وأقبلت عساكر أبي جعفر فقتل من أصحابه وقتل من القوم وكاد أن يكون الظفر له

قال ابن عمار في حديثه قال المفضل فقال لي حركني بشيء فأنشدته هذه الأبيات
(ألا أيُّها النّاهِي فَزارَةَ بعد ما ... أجدَّتْ بسَيْرٍ إنما أنتَ حالِمُ)
(أبى كُلُّ حُرٍّ أن يَبيتَ بوِتْره ... ويُمنعَ منه النومُ إذا أنت نائمُ)
(أقولُ لفِتيان العَشِيِّ تَروّحوا ... على الجُردِ في أفواهِهنّ الشّكائمُ)
(قِفُوا وَقْفَةً مَنْ يَحْيَ لا يَخْزَ بعدها ... ومن يُخْتَرم لا تَتَّبِعه اللّوَائِمُ)
(وهل أنتَ إن باعَدْتَ نفسَكَ منهمُ ... لتَسلْم فيما بعد ذلك سالِمُ)
فقال لي أعد فتنبهت وندمت فقلت أو غير ذلك فقال لا أعدها فأعدتها فتمطى في ركابيه حتى خلته قد قطعهما ثم حمل فكان آخر العهد به
هذه رواية ابن عمار وفي الرواية الأخرى فحمل فطعن رجلاً وطعنه آخر فقلت أتباشر الحرب بنفسك والعسكر منوط بك فقال إليك يا أخا بني ضبة كأن عويفاً أخا بني فزارة نظر في يومنا هذا حيث يقول
(ألمَّت خُناسُ وإلمامُها ... أحاديثُ نفسٍ وأحلامُها)
(يَمانّيةٌ من بني مالكٍ ... تَطاولَ في المجد أعمامُها)
(وإنّ لنا أصلَ جرثُومةٍ ... تَرُدُّ الحوادثَ أيّامُها)
(تردُّ الكَتِيبَةَ مَغْلولَةً ... بها أفْنُها وبها آمُها)
قال وجاءه السهم العائر فشغله عني
عويف وعمر بن عبد العزيز
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن معاوية الأسدي قال حدثني أصحابنا الأسديون عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري قال
حضرت مع عمر بن عبد العزيز جنازة فلما انصرف انصرفت معه وعليه عمامة قد سدلها من خلفه فما علمت به حتى اعترضه رجل على بعير فصاح به
(أجِبْني أبا حَفْص لقيتَ محمداً ... على حَوْضِه مُسْتَبْشِراً ورآكا)
فقال له عمر لبيك وقف ووقف الناس معه ثم قال له فمه فقال
(فأنتَ امرؤٌ كِلْتا يديك مُفِيدَةٌ ... شِمالُك خيرٌ من يمين سِواكا)
قال ثم مه فقال
(بلغتَ مَدَى المُجرين قبلَك إذْ جَرَوْا ... ولم يَبلُغ المُجْرمون بَعدُ مَداكا)
(فجَدَّاك لا جدَّين أكرمُ منهما ... هُناك تَناهَى المَجدُ ثم هُناكا)
فقال له عمر ألا أراك شاعراً مالك عندي من حق قال لا ولكني سائل وابن سبيل وذو سهمة فالتفت عمر إلى قهرمانه فقال أعطه فضل نفقتي
قال وإذا هو عويف القوافي الفزاري
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال
لما كان يوم ابن جرح واقتتلت بنو مرة وبنو حن بن عذرة قال عويف القوافي لبني مرة يهجوهم ويوبخهم بتركهم نصرهم
(كُنَّا لكم يا مُرّ أمّاً حَفِيَّةً ... وكنتُم لنا يا مرّ بَوّاً مُجَلَّدَا)
(وكنتم لنا سَيْفاً وكُنّا وعاءه ... إذا نحن خِفْنا أن يكِلَّ فيُغْمَدَا)
فأجابه عقيل بن عُلَّفة بقصيدته التي أولها
(أماويَّ إنّ الركبَ مُرتحِلٌ غدًا ... وحقّ ثَويٍّ نازلٍ أن يُزَوَّدَا)
يقول فيها يخاطب عويفاً
(إذا قُلتُ قد سامحت سَهْماً ومازناً ... أبَى النَّسَبُ الدّاني وكُفرُهُم اليَدَا)
(وقد أسلَمُوا أسنَاهِهم لقَبيلةٍ ... قُضاعِيَّةٍ يدعون حُنّاً وأصْيَدا)
(فما كنتَ أمّاً بل جعلتُك لي أخاً ... وقد كنتَ في النَّاس الطَّريدَ المُشَرَّدَا)
(عُوَيفَ استْهِا قد رُمتَ وَيْلكِ مَجدَنا ... قديماً فلم تَعْدُ الحِمارَ المُقَيَّدا)
(ولو أنّني يومَ ابن جُرْحٍ لَقِيتُهم ... لجرَّدْتُ في الأعداء عَضْباً مُهَنَّدَا)
وأبيات عويف هذه يقولها يوم مرج راهط وهي الحرب التي كانت بين قيس وكلب
يوم مرج راهط
أخبرني بالسبب فيه أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال أخبرني سليمان بن أيوب بن أعين أبو أيوب المديني قال حدثنا المدائني قال
كان بدء حرب قيس وكلب في فتنة ابن الزبير ما كان من وقعة مرج راهط وكان قصة المرج أن مروان بن الحكم بن أبي العاص قدم بعد هلاك يزيد بن معاوية والناس يموجون وكان سعيد بن بحدل الكلبي على قنسرين فوثب عليه زفر بن الحارث فأخرجه منها وبايع لابن الزبير فلما قعد زفر على المنبر قال الحمد لله الذي أقعدني مقعد الغادر الفاجر وحصر فضحك الناس من قوله وكان النعمان بن بشير على حمص فبايع لابن الزبير وكان حسان بن بحدل على فلسطين والأردن فاستعمل على فلسطين روح بن زنباع الجذامي ونزل هو الأردن فوثب نابل بن قيس الجذامي على رَوْح بن زنباع فأخرجه من فلسطين وبايع لابن الزبير
وكان الضحاك بن قيس الفهري عاملاً ليزيد بن معاوية على دمشق حتى هلك فجعل يقدم رجلاً ويؤخر أخرى إذا جاءته اليمانية وشيعة بني أمية أخبرهم أنه أموي وإذا جاءته القيسية أخبرهم أنه يدعو إلى ابن الزبير فلما قدم مروان قال له الضحاك هل لك أن تقدم على ابن الزبير ببيعة أهل الشام قال نعم وخرج من عنده فلقيه عمرو بن سعيد بن العاص ومالك بن هبيرة وحصين بن نمير الكنديان وعبيد الله بن زياد فسألوه عما أخبره به الضحاك فأخبرهم فقالوا له أنت شيخ بني أمية وأنت عم الخليفة هلم نبايعك فلما فشا ذلك أرسل الضحاك إلى بني أمية يعتذر إليهم ويذكر حسن بلائهم عنده وأنه لم يرد شيئاً يكرهونه فاجتمع مروان بن الحكم وعمرو بن سعيد بن العاص وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية وقال لهم اكتبوا إلى حسان بن بحدل فليسر من الأردن حتى ينزل الجابية ونسير من ها هنا حتى نلقاه فيستخلف رجلاً ترضونه فكتبوا إلى حسان فأقبل في أهل الأردن وسار الضحاك بن قيس وبنو أمية في أهل دمشق فلما استقلت الرايات

من جهة دمشق قالت القيسية للضحاك دعوتنا لبيعة ابن الزبير وهو رجل هذه الأمة فلما تابعناك خرجت تابعاً لهذا الأعرابي من كلب تبايع لابن أخته تابعاً له قال فتقولون ماذا قالوا نقول أن تنصرف وتظهر بيعة ابن الزبير ونظهرها معك فأجابهم إلى ذلك وسار حتى نزل مرج راهط وأقبل حسان حتى لقي مروان بن الحكم فسار حتى دخل دمشق فأتته اليمانية تشكر بلاء بني أمية فساروا مع مروان حتى نزلوا المرج على الضحاك وهم نحو سبعة آلفاً والضحاك في نحو من ثلاثين ألافاً فلقوا الضحاك فقتل الضحاك وقتل معه أشراف من قيس فأقبل زفر هارباً من وجهه ذاك حتى دخل قِرقيسياً وأقام عمير بن الحباب شيئاً على طاعة بني مروان ثم أقبل حتى دخل فرقيسياً على زفر فأقام معه وذلك بعد يوم خازر حين قتل عبيد الله بن زياد

وأقبل زفر يبكي قتلى المرج ويقول

(لعَمْري لقد أبقَت وَقيعةُ راهطٍ ... لِمروان صَدْعا بيننا مُتنائيَا)

((أتذهَبُ كَلْبٌ لم تَنَلْها رماحُنا ... ويُترك قَتْلَى راهطٍ هِيَ ماهيَا

(فقد يَنْبُت المَرْعَى على دِمَن الثَّرى ... وتبقِي حَزازَاتُ النُّفوس كما هِيَا)

(أبعدَ ابنِ صَفْرٍ وابنِ عَمرو تتابعا ... ومَصْرَعِ هَمَّام أُمَنِّي الأمانيا)

فقال ابن المخلاة الكلبي يجيبه

(لعَمْري لقد أبقَت وَقيعةُ راهطٍ ... علي زُفَرٍ داءً من الدَّاءِ باقِيَا)

(تُبَكِّي على قَتْلى سُلَيمٍ وعامرٍ ... وذُبيانَ مغروراً وتُبْكي البَواكيَا)

وقال ابن المخلاة في يوم المرج

(ويومٍ ترى الرّاياتِ فيه كأنَّها ... حوائمُ طَيْرٍ مُسْتَدِيرٌ وواقعُ)

(مضَى أربعٌ بعد اللِّقاءِ وأربعٌ ... وبالمرج باقٍ من دم القوم نافعُ)

(طعَنَّا زياداً في اسْتِه وهو مُدْبِر ... وثورٌ أصابَتْه السُّيوفُ القواطعُ)

(ونَجَّى حُبَيْشاً ملهِبٌ ذُو عُلالةٍ ... وقد جُدَّ من يُمنَى يدَيْه الأصابعُ)

(وقد شَهِد الصَّفَّين عمرو بنُ مُحرزٍ ... فضاق عليه المَرجُ والمرجُ واسعُ

وقال رجل من بني عذرة

(سائل بَني مَرْوان أهلَ العَجِّ ... رَهْطَ النَّبيِّ ووُلاة الحَجِّ)

(عنَّا وعن قَيْسٍ غَداةَ المَرْجِ ... إذ يُثْقِفُون ثَقفاً بنَجِّ)

(تَسْدِيسَ أطْرافِ القَنَا المُعوَجِّ ... إذ أخلَف الضَّحَّاكَ ما يُرَجِّي)

(مُذ تَركوا من بَعْد طول هَرْج ... لَحمَ ابنَ قيسٍ للضِّباع العُرْج)

وقال جواس بن القعطل الكلابي في يوم المرج

((هُمُ قَتلُوا براهطَ جدَّ قَيْسٍ ... سُلَيْماً والقبائلَ من كلابِ

(وهم قَتَلُوا بَني بَدْر وعَبْساً ... وألصق حرُّ وَجْهك بالتُّرابِ)

(تَذكّرتَ الدُّخول فلن تَقَضَّى ... ذحولَك أو تُساقَ إلى الحِسابِ)

(إذا سارت قبائلُ من جَنابٍ ... وعوفٍ أشحنوا شُمَّ الهِضابِ)

(وقد حاربْتَنا فوجَدْتَ حَرْباً ... تُغِصُّك حين تشرَب بالشَّرابِ)

فأقبل عمير يخطر فخرج من قرقيسيا يتطرف بوادي كلب فيغير عليها وعلى من أصاب من قضاعة وأهل اليمن ويخص كلباً ومعشر تغلب قبل أن تقع الحرب بين قيس وتغلب فجعل أهل البادية ينتصفون من أهل القرار كلهم فلما رأت كلب ما لقي أصحابهم وأنهم لا يمتنعون من خيل الحاضرة اجتمعوا إلى حميد بن حريث بن بحدل فسار بهم حتى نزلوا تدمر وبه بنو نمير وقد كان بين النميريين خاصة وبين الكلبيين الذين بتدمر عقد مع ابن بحدل بن بعاج الكلبي فأرسلت بنو نمير رسلاً إلى حميد يناشدونه الحرمة فوثب عليهم ابن بعاج الكلبي فذبحهم وأرسلوا إليهم إنا قد قطعنا الذي بيننا وبينكم فالحقوا بما يسعكم من الأرض فالتقوا فقتل ابن بعاج وظفر بالنميريين فقتلوا قتلا ذريعاً وأسروا فقال راعي الإبل في قتل ابن بعاج ولم يذكر غيره من الكلبيين

(تَجِيءُ ابنَ بعَّاج نُسورٌ كأنَّها ... مجالسُ تَبغي بيْعةً عند تاجر)

(تُطِيف بكَلْبيٍّ عليه جَدِيَّةٌ ... طويل القَرا يقذِفْنَه في الحَناجِر)

((يقولُ له مَن كان يَعْلم علمه ... كذاكَ انْتقام اللهِ من كُل فاجِر

وقد كان زفر بن الحارث لما أغار عمير بن الحباب على الكلبيين قال يعيرهم بقوله

(يا كلبُ قد كَلِب الزَّمان عليكُم ... وأصابكم منّي عَذابٌ مُرسَلُ)

(إن السَّماوةَ لا سماوةَ فالْحقي ... بمنابت الزَّيتون وابنَي بَحْدَلِ)

(وبأرْض عَكٍّ والسَّواحل إنَّها ... أرضٌ تُذَوَّب باللِّقاح وتُهزَلُ

حميد بن بحدل يغير على بوادي قيس

فجمع لهم حميد بن الحريث بن بحدل ثم خرج يريد الغارة على بوادي قيس فانتهى إلى ماء لبني تغلب فإذا النساء والصبيان يبكون فقالت لهم النساء وهن يحسبنهم قيساً ويحكم ما ردكم إلينا فقد فعلتم بنا بالأمس ما فعلتم فقالت لهم كلب ومالكم قالوا أغار علينا بالأمس عمير بن الحباب فقتل رجالنا واستاق أموالنا ولم يشكُكْن أن الخيل خيل قيس وأن عميراً عاد إليهن فقال بعض كلب لحميد ما تريد من نسوة قد أغير عليهن وحربن وصبية يتامى وتدع عميراً فاتبعوه فبينا هم يسيرون إذ أخذوا رجلاً ربيئة للقوم فسألوه فقال لهم هذا الجيش هاهنا والأموال وقد خرج عمير في فوارس يريد الغارة على أهل بيت من بني زهير بن جناب أخبر عنهم مخبر فأقام حميد حتى جن عليه الليل ثم بيت القوم بياتاً وقال حميد لأصحابه شعاركم نحن عباد الله حقاً فأصابوا عامة ذلك العسكر ونجا فيمن نجا رجل عريان قذف ثوبه وجلس على فرس عري فلما انتهى إلى عمير قال عمير قد كنت أسمع بالنذير

العريان فلم أره فهو هذا ويلك مالك قال لا أدري غير أنه لقينا قوم فقتلوا من قتلوا وأخذوا العسكر فقال أفتعرفهم قال لا فقصد عمير القوم وقال لأصحابه إن كانت الأعاريب فسيسارعون إلينا إذا رأونا وإن كانت خيول أهل الشام فستقف وأقبل عمير فقال حميد لأصحابه لا يتحركن منكم أحد وانصبوا القنا فحمل عمير حملة لم تحركهم ثم حمل فلم يتحركوا فنادى مراراً ويحكم من أنتم فلم يتكلموا فنادى عمير أصحابه ويلكم خيل بني بحدل والأمانة انصرف على حاميته فحمل عليه

فوارس من كلب يطلبونه ولحقه مولى لكلب يقال له شقرون فاطعنا فجرح عمير وهرب حتى دخل قرقيسيا إلى زفر ورجع حميد إلى من ظفر به من الأسرى والقتلى فقطع سبالهم وأنفهم فجلعها في خيط ثم ذهب بها إلى الشام وقال قائل بل بعث بها إلى عمير وقال كيف ترى أوقعي أم وقعك فقال في ذلك سنان بن جابر الجهني

(لقد طار في الآفاق أنّ ابن بَحْدلٍ ... حُمَيْداً شَفَى كَلْباً فقرَّت عُيُونُها)
(وعرَّفَ قَيْساً بالهوانِ ولم تكن ... لتَنْزِعِ إلاَّ عند أمرٍ يُهِينُها)
(فقلتُ له قَيسُ بنُ عَيْلان إنَّه ... سريعٌ إذا ما عضَّت الحربُ لِينُها)
(سما بالعِتاق الجُردِ من مَرْجِ راهطٍ ... وتَدْمُرَ يَنْوي بَذْلَها لا يَصونُها)
(فكان لها عَرضُ السَّماوةِ ليلةً ... سَواءٌ عليها سَهْلُها وحُزونُها)
(فمَنْ يَحْتَمِلْ في شأن كَلْبٍ ضَغِينةً ... علينا إذا ما حانَ في الحَرْب حِينُها)
(فإنَّا وكَلْباً كاليدين متى تَضَعْ ... شِمالك في شيْ تُعِنْها يَمينُها)
((لقد تُركتْ قَتْلَى حُمَيدِ بن بَحْدل ... كثيراً ضواحِيها قليلاً دَفينُها
(وقَيْسيَّةٍ قد طَلَّقتْها رماحُنا ... تلقَّتْ كالصَّيْداءِ أودَى جَنينُها)

وقال سنان أيضاً في هذا الأمر بعد ما أوقع ببني فزارة

(يا أختَ قَيْسَ سَلي عنّا علانيَةً ... كي تُخبري من بَيان العلْم تِبْيانَا)
(إنَّا ذَوُو حَسَبٍ مالٍ ومَكْرُمَةٍ ... يومَ الفَخارِ وخيرُ النَّاس فُرْسانا)
(منّا ابنُ مُرَّةَ عَمْرٌو قد سمِعتِ به ... غَيْثُ الأرامل لا يُرْدِينَ ما كانا)
(والبَحْدَليُّ الذي أردت فوارِسُه ... قيساً غَداةَ اللَّوى من رمل عَدْنانا)
(فغادرت حَلْبَساً منها بمُعْتَرَكٍ ... والجعدَ مُنعَفراً لم يُكْسَ أكفانَا)
(كائن تَرَكْنا غداةَ العاهِ من جزرٍ ... للطير منهم ومن ثَكْلَى وثَكْلانَا)
(ومن غوانٍ تُبكِّي لا حَميمَ لها ... بالعاهِ تدعو بني عَمٍّ وإخوانا)

فلما انتهى الخبر إلى عبد الملك بن مروان وعبد الله ومصعب يومئذ حيان وعند عبد الملك حسان بن مالك بن بحدل وعبد الله بن مسعدة بن

حكم الفزاري وجيء بالطعام فقال عبد الملك لابن مسعدة ادن فقال ابن مسعدة لا والله لقد أوقع حميد بسليم وعامر وقعة لا ينفعني بعدها طعام حتى يكون لها غير فقال له حسان أجزعت أن كان بيني وبينكم في الحاضرة على الطاعة والمعصية فأصبنا منكم يوم المرج وأغار أهل قرقيسا بالحاضرة على البادية بغير ذنب فلما رأى حميد ذلك طلب بثأر قومه فأصاب بعض ما أصابهم فجزعت من ذلك وبلغ حميداً قول ابن مسعدة فقال والله لأشغلنه بمن هو أقرب إليه من سليم وعامر

فخرج حميد في نحو من مائتي فارس ومعه رجلان من كلب دليلان حتى انتهى إلى بني فزارة أهل العمود لخمس عشرة مضت من شهر رمضان فقال بعثني عبد الملك بن مروان مصدقاً فابعثوا إلى كل من يطيق أن يلقانا ففعلوا فقتلهم أو من استطاع منهم وأخذ أموالهم فبلغ قتلاهم نحوا من مائة ونيف فقال عويف القوافي

(مَنَا الله أن ألقي حُمَيْد بنَ بَحْدل ... بمنزلة فيها إلى النّصف مُعْلَماً)
(لكيما نُعاطيه ونَبلوَ بيننا ... سُرَيْجِيَّةً يُعجِمن في الهام مُعجماً)
(ألا ليت أنّي صادفَتْني مَنِيَّتي ... ولم أرَ قَتْلَى العامِ يا أمَّ أسْلَما)
(ولم أرَ قَتلَى لم تَدَعْ لي بعدَها ... يدَيْن فما أرجو من العيشِ أجذَما)
(وأقْسِم ما لَيثٌ بخَفّان خادِرٌ ... بأشجع من جعْدٍ جَناناً ومقدَما)

يعني الجعد بن عمران بن عيينة وقتل يومئذٍ

أسماء بن خارجة يشكو حميداً إلى عبد الملك

فلما رجع عبد الملك من الكوفة وقتل مصعب لحقه أسماء بن خارجة بالنخيلة فكلمه فيما أتى حميد به إلى أهل العمود من فزارة وقال حدثنا أنه مصدقك وعاملك فأجبناك وبك عُذنا فعليك وفي ذمتك ما على الحر في ذمته فأقدنا من قضاعي سكير فأبى عبد الملك وقال أنظر في ذلك وأستشير وحميد يجحد وليست لهم بينة فوداهم ألف ألف ومائتي ألف وقال إني حاسبها في أعطيات قضاعة فقال في ذلك عمرو بن مخلاة الكلبي

صوت

(خُذوها يا بَني ذُبْيانَ عَقْلاً ... على الأجياد واعتقدوا الخِداما)
(دَراهِمَ من بني مروانَ بيضاً ... يُنَجِّمها لكم عاماً فعاما)
(وأيقَنَ أنَّه يومٌ طويلٌ ... على قَيسٍ يُذيقُهُم السِّماما)
(ومُختَبٍّ أمامَ القومِ يسْعَى ... كسِرحانِ التَّنُوفَةِ حين ساما)
((رأى شَخْصاً على بلد بَعيد ... فكبَّر حين أبصره وقاما
(وأقبلَ يسألُ البُشْرى إلينا ... فقال رأيتُ إنساً أو نعاما)
(وقال لخَيْله سيرى حُمَيد ... فإنّ لكُلِّ ذي أجَلٍ حِماما)
(فما لاقيتُ من سجحٍ وبدرٍ ... ومُرَّة فاتركي حَطباً حُطاما)
(بكل مُقلَّصٍ عَبْلٍ شَواه ... يَدُقُّ بوقْعِ نابَيْه اللِّجامَا)
(وكل طِمِرَّةٍ مَرطَى سَبوحٍ ... إذا ما شدَّ فارسُها الحِزاما)
(وقائلةٍ على دَهَشٍ وحُزْنٍ ... وقد بَلَّت مدامِعُها اللِّثامَا)
(كأنَّ بَني فَزارةَ لم يكونوا ... ولم يَرْعَوْا بأرْضِهم الثُّمامَا)
(ولم أرَ حاضراً منهم بشاءٍ ... ولا مَن يملِكُ النَّعم الرُّكامَا)

قال فلما أخذوا الدية انطلقت فزارة فاشترت خيلا وسلاحا ثم استتبعت سائر قبائل قيس ثم أغارت على ماء يدعى بنات قين يجمع بطوناً من بطون كلب كثيرة وأكثر من عليه بنو عبد ود وبنو عليم بن جناب وعلى قيس يومئذٍ سعيد ابن عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر وحلحلة بن قيس بن الأشيم بن يسار أحد بني العشراء فلما أغاروا نادوا بني عليم إنا لا نطلبكم بشيء وإنما نطلب بني عبد ود بما صنع الدليلان اللذان حملا حميداً وهما المأمور ورجل آخر اسمه أبو أيوب فقتل

من العبديين تسعة عشر رجلاً ثم مالوا على العليميين فقتلوا منهم خمسين رجلاً وساقوا أموالاً
فبلغ الخبر عبد الملك فأمهل حتى إذا ولي الحجاج العراق كتب إليه يبعث إليه سعيد بن عيينة وحلحلة بن قيس ومعهما نفر من الحرس فلما قدم بهما عليه قذفهما في السجن وقال لكلب والله لئن قتلتم رجلاً لأهريقن دماءكم فقدم عليه من بني عبد ود عياض ومعاوية ابنا ورد ونعمان بن سويد وكان سويد أبوه ابن مالك يومئذٍ أشرف من قتل يوم بنات قين وكان شيخ بني عبد ود فقال له النعمان دماءنا يا أمير المؤمنين فقال له عبد الملك إنما قتل منكم الصبي الصغير والشيخ الفاني فقال النعمان قتل منا والله من لو كان أخاً لأبيك لاختير عليك في الخلافة فغضب عبد الملك غضباً شديداً فقال له معاوية وعياض يا أمير المؤمنين شيخ كبير موتور
فأعرض عنه عبد الملك وعرض الدية وجعل خالد بن يزيد بن معاوية ومن ولدته كلب يقولون القتل ومن كانت أمه قيسية من بني أمية يقولون لا بل الدية كما فعل بالقوم حتى ارتفع الكلام بينهم بالمقصورة فأخرجهم عبد الملك ودفع حلحلة إلى بعض بني عبد ود ودفع سعيد بن عيينة إلى بعض بني عليم وأقبل عليهما عبد الملك فقال ألم تأتياني تستعدياني فأعديتكما وأعطيتكما الدية ثم انطلقتما فأخفرتما ذمتي وصنعتما ما صنعتما فكلمه سعيد بكلام يستعطفه به ويرققه فضرب حلحلة صدره وقال أترى خضوعك لابن الزرقاء نافعك عنده فغضب عبد الملك وقال اصبر حلحلة فقال له أصبر من عود بجنبيه جلب فقتلا وشق ذلك على قيس وأعظمه أهل البادية منهم والحاضرة فقال في ذلك علي بن الغدير الغنوي

(لِحَلْحَلَةَ القَتِيلِ ولابْنِ بدْرٍ ... وأهل دِمَشْقَ أنْجِيةٌ تَبِينُ)
(فبَعْدَ اليَوْمِ أيّامٌ طِوالٌ ... وبعد خمودِ فتنتِكم فُتونُ)
(وكلُّ صَنِيعةٍ رصَدٌ ليومٍ ... تحُلّ به لصاحِبها الزّبونُ)
(خليفة أُمّةٍ قُسِرت عليه ... تخمَّط واستخفَّ بمَنْ يدينُ)
(فقد أتيا حُمَيْدَ ابن المنايَا ... وكُلُّ فتىً ستَشْعَبه المَنونُ)

وقال رجل من بني عبد ودّ

(نحن قتَلْنا سيِّدَهُم بشيْخِنا ... سُوَيدٍ فما كانا وفاءً به دَمَا)

وقال حلحلة وهو في السجن

(لعَمْري لئن شيْخا فَزارَةَ أسلِما ... لقد خَزِيت قَيْسٌ وما ظَفِرت كَلْبُ)

وقال أرطاة بن سهية يحرض قيساً

(أيُقتَلُ شَيْخُنا ويُرى حُمَيْدٌ ... رَخيّ البالِ مُنتَشِياً خُموراً)
(فإن دُمنا بذاك وطال عُمر ... بنا وبكُم و لم نَسمع نَكيراً)
(فناكَتْ أُمَّها قيسٌ جِهاراً ... وعضَّت بعدها مُضَرُ الأُيورا)

وقالت عميرة بنت حسان الكلبية تفخر بفعل حميد في قيس

(سَمَت كلبٌ إلى قَيسٍ بجَمْعٍ ... يَهُدّ مناكِبَ الأكَمِ الصِّعابِ)
(بذِي لَجَبٍ يدُقُّ الأرضَ حتى ... تُضايقَ من دعا بِهَلا وهَابِ)
(نَفَين إلى الجزيرة فلَّ قيسٍ ... إلى بَقٍّ بها وإلى ذُبابِ)
(وألفَينا هَجينَ بني سُلَيمٍ ... يُفدِّي المُهرَ من حُبّ الإيابِ)
(فلولا عَدْوَة المُهرِ المُفدّى ... لأُبْتَ وأبتَ وأنتَ مُنْخَرِقُ الإهابِ)
(ونَجّاه حَثيثُ الرَّكْضِ منا ... أُصَيْلاناً ولَونُ الوجْه كابِي)
(وآضَ كأنه يُطلَى بورْسٍ ... ودُقَّ هُويَّ كاسِرةٍ عُقابِ)
(حَمِدت اللّهَ إذ لَقِّي سُلَيْماً ... على دُهْمان صَقْرَ بَني جَنابِ)
(تركن الرَّوقَ من فَتَيات قَيْس ... أيامَى قد يَئِسن من الخِضابِ)
(فهُنَّ إذا ذَكَرن حُمَيْدَ كَلْبٍ ... نَعقْن برَنّةٍ بعد انْتِحابِ)
(متى تَذْكُر فتى كَلْب حُمَيْداً ... تَرَ القَيْسيَّ يشرَقُ بالشَّرابِ)

عويف يمدح عيينة بن اسماء

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال
أنشدني رجل من بني فزارة لعويف القوافي وهو عويف بن معاوية بن عقبة ابن حصن بن حذيفة الفزاري وكانت أخته عند عيينة بن أسماء بن خارجة فطلقها فكان عويف مراغماً لعيينة وقال الحرة لا تطلق بغير ما بأس فلما حبس الحجاج عيينة وقيده قال عويف

(مَنع الرُّقادَ فما يُحسُّ رُقادُ ... خَبرٌ أتاك ونامت العُوَّادُ)
(خَبرٌ أتاني عن عُيَيْنة موجِعٌ ... ولمِثْله تَتَصدَّعُ الأكبادُ)
(بلغ النفوسَ بلاؤُها فكأننا ... موتى وفينَا الرُّوحُ والأجسادُ)
(ساءَ الأقاربَ يوم ذاك فأصْبحُوا ... بهجينَ قد سُرُّوا به الحُسّادُ)
(يرجون عثْرة جدِّنا ولو أنهم ... لا يدفعون بنا المكارِهَ بادُوا)
(لمَّا أتاني عن عُيَيْنَةَ أنَّه ... عانٍ تَظاهرُ فوقه الأقيادُ)
(نَخَلت له نَفْسي النَّصيحَة إنه ... عند الشّدائِد تَذْهَب الأحقادُ)
(وذَكرتُ أيُّ فتىً يَسدُّ مكانَه ... بالرِّفدِ حين تَقاصرُ الأرفادُ)
(أم مَنْ يُهينُ لنا كَرائمَ مالِه ... ولنا إذا عُدْنا إليه مَعادُ)
(لو كان من حَضَنٍ تضاءَل رُكنُه ... أو من نَضَادَ بكت عليه نَضَادُ)

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال قال العتبي سأل عويف القوافي في حمالة فمر به عبد الرحمن بن محمد بن مروان
وهو حديث السن فقال له لا تسأل أحداً وصر إلي أكفك فأتاه فاحتملها جمعاء له فقال عويف يمدحه

(غلامٌ رماه اللّهُ بالخير يافِعاً ... له سيمياءٌ لا تَشُقُّ على البَصَرْ)
(كأنّ الثُّريا علِّقت في جَبِينِه ... وفي خدّه الشِّعْرَى وفي جِيده القَمَرْ)
(ولمَّا رأَى المجدَ استُعِيرت ثيابُه ... تَرَدَّى رداءً واسِعَ الذيل واتّزرْ)

(إذا قيلَت العَوراءُ أغْضَي كأنّه ... ذليلٌ بلا ذُلٍّ ولو شاء لا نْتَصَرْ)
(رآني فآساني ولو صَدَّ لم ألُم ... على حينَ لا بادٍ يُرجَّى ولا حَضَرْ)
قال أبو زيد هذه الأبيات لابن عنقاء الفزاري يقولها في ابن أخ له كان قوم من العرب أغاروا على نعم ابن عنقاء فاستاقوها حتى لم يبق له منها شيء فأتى ابن أخيه فقال له يا بن أخي إنه نزل بعمك ما ترى فهل من حلوبة قال نعم يا عم يروح المال وأبلغ مرادك فلما راح ماله قاسمه إياه وأعطاه شطره فقال ابن عنقاء
(رآني على ما بي عميلة فاشتكى ... إلى ماله حالي أسرَّ كما جهَرْ)
وذكر بعد هذا البيت باقى الأبيات قال أبو زيد وإنما تمثلها عويف
عويف يمدح عمر بن عبد العزيز ويرثي سليمان بن عبد الملك
أخبرني محمد بن خلف وكيع والحسن بن علي قالا حدثنا الغلابي قالا حدثنا محمد بن عبيد الله عن عطاء بن مصعب عن عاصم بن الحدثان قال لما مات سليمان بن عبد الملك وولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وفد
حذف
إليه عويف القوافي وقال شعراً رثى به سليمان ومدح عمر فيه فلما دخل إليه أنشده
(لاح سحابٌ فرأينا برقَهُ ... ثم تدانَى فسَمِعْنا صَعْقَهُ)
(وراحت الرِّيحُ تُزجِّي بُلْقَهُ ... ودُهْمَه ثم تُزجي وُرْقَهُ)
(ذاك سَقَى قَبْراً فَروَّى وَدْقَهُ ... قبرَ امرىءٍ عَظَّم ربّي حَقَّهُ)
(قبرَ سليمانَ الذي من عَقّهُ ... وجحَد الخيرَ الذي قد بَقَّهُ)
(في المسلمين جِلّة ودِقّهُ ... فارق في الجُحود مِنه صِدْقَهُ)
(قد ابتلى اللّهُ بخيرٍ خلقَهُ ... ألقى إلى خير قريش وَسْقَهُ)
(يا عُمرَ الخيْرِ المُلَقَّى وَفْقَهُ ... سمِّيت بالفاروق فافرُقْ فَرْقَهُ)
(وأرزُق عِيالَ المُسلمِين رِزقَهُ ... واقْصِد إلى الجُودِ ولا تَوقَّهُ)
(بحرُكَ عَذبُ الماء ما أعقّه ... ربُّك فالمَحْروم مَنْ لم يُسْقَهُ)
فقال له عمر لسنا من الشعر في شيء ومالك في بيت المال حق فألح عويف يسأله فقال يا مزاحم انظر فيما بقي من أرزاقنا فشاطره إياه ولنصبر على الضيق إلى وقت العطاء فقال له عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الملك بل توفر يا أمير المؤمنين وعلي رضا الرجل فقال ما أولاك بذلك فأخذ بيده وانصرف به إلى منزله وأعطاه حتى رضي
صوت
(صَفراءُ يَطويها الضَّجِيعُ لصُلْبِهَا ... طيَّ الحِمالَةِ لَيِّنٌ مَتْناها)
((نِعْمِ الضَّجِيعُ إذا النُّجوم تَغوَّرت ... بالغَوْرِ أولاها على أُخْراها
(عَذْبٌ مُقَبِّلُها وثيرٌ رِدْفُها ... عَبْلٌ شَواها طَيِّبٌ مَجْناها)
(يا دارَ صَهْباء التي لا أنْتَهي ... عن حُبِّها أبداً ولا أنْساها)
الشعر لعبد الله بن جحش الصعاليك والغناء فيه لعلي بن هشام ثقيل أول بالوسطى من كتاب أحمد بن المكي
أخبار عبد الله بن جحش
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن يحيى أبو غسان عن غسان بن عبد الحميد قال
كان بالمدينة امرأة يقال لها صهباء من أحسن الناس وجهاً وكانت من هذيل فتزوجها ابن عم لها فمكث حيناً معها لا يقدر عليها من شدة ارتتاقها فأبغضته وطالبته بالطلاق فطلقها ثم أصاب الناس مطر شديد في الخريف فسال العقيق سيلاً عظيماً وخرج أهل المدينة وخرجت صهباء معهم فصادفت عبد الله بن جحش وأصحابه في نزهة فرآها وافترقا
ثم مضت إلى أقصى الوادي فاستنقعت في الماء وقد تفرق الناس وخفوا فاجتاز بها ابن جحش فرآها فتهالك عليها وهام بها وكان بالمدينة امرأة تدل على النساء يقال لها قطنة كانت تداخل القرشيات وغيرهن فلقيها ابن جحش فقال لها اخطبي علي صهباء فقالت قد خطبها عيسى بن طلحة بن عبيد الله وأجابوه ولا أراهم يختارونك عليه فشتمها ابن جحش وقال لها كل مملوك له
فهو حر لئن لم تحتالي فيها حتى أتزوجها لأضربنك ضربة بالسيف وكان مقداماً جسوراً ففرقت منه فدخلت على صهباء وأهلها فتحدثت معهم ثم ذكرت ابن عمها فقالت لعمة صهباء ما باله فارقها فأخبرتها خبرها وقالت لم يقدر عليها وعجز عنها فقالت لها وأسمعت صهباء إن هذا ليعتري كثيراً من الرجال فلا ينبغي أن تتقدموا في أمرها إلا على من تختبرونه وأما والله لو كان ابن جحش لصهباء لثقبها ثقب اللؤلؤ ولو رتقت بحجر ثم خرجت من عندهم فأرسلت إليها صهباء مري ابن جحش فليخطبني فلقيته قطنة فأخبرته الخبر فمضى فخطبها فأنعمت له وأبى أهلها إلا عيسى بن طلحة وأبت هي إلا ابن جحش فتزوجته ودخل بها وافتضها وأحب كل واحد منهما صاحبه فقال فيها
(نِعْمِ الضّجِيعُ إذا النُجومُ تَغوَّرت ... بالغَوْرِ أولاها على أُخراها)
(عَذْبٌ مُقبَّلُها وثيرٌ رِدْفُها ... عَبْلٌ شَواها طَيِّب مَجْناها)
(صفراءُ يَطويها الضجيعُ لِجَنبِها ... طَيَّ الحِمالة لَيِّن مَتْنَاها)
(لو يَستَطِيع ضجيعُها لأجنَّها ... في الجَوْف حبَّ نسيمِها ونشاها)
(يا دارَ صَهباء التي لا أنتَهي ... عن ذكرها أبداً ولا أنْساها)
عبد الملك بن مروان يعجب بشعره
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد بن الفرج قال حدثني محمد بن عبد الله قال
كان عبد الملك بن مروان معجباً بشعر عبد الله بن جحش فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه فورد كتابه وقد توفي فقال إخوانه لابنه
لو شخصت إلى أمير المؤمنين عن إذنه لأبيك لعله كان ينفعك ففعل فبينا هو في طريقه إذ ضاع منه كتاب الإذن فهم بالرجوع ثم مضى لوجهه فلما قدم على عبد الملك سأله عن أبيه فأخبره بوفاته ثم سأله عن كتابه فأخبره بضياعه فقال له أنشدني قول أبيك

صوت
(هل يُبلِغَنْها السلامَ أربعةٌ ... مِنّي وإن يفْعلوا فقد نَفَعُوا)
(على مِصَكَّيْن من جِمالِهُم ... وعَنْتَرِيسَين فيهما سَطَع)
(حَرَّب جيرانُنَا جِمالَهُمُ ... صُبحاً فأضْحَوا بها قد انْتَجَعُوا)
(ما كنتُ أدْري بوَشْكِ بَيْنِهِم ... حتى رأيتُ الحُداةَ قد طَلَعُوا)
(قد كاد قَلْبي والعين تُبْصرهم ... لما تَوَلَّى بالقوم يَنصْدِعُ)
(ساروا وخُلِّفتُ بعدهم دَنِفاً ... أليسَ باللهِ بِئسَ ما صَنَعوا)
قال لا والله يا أمير المؤمنين ما أرويه قال لا عليك فأنشدني قول أبيك
صوت
(أجدّ اليومَ جيرتُك الغِيارا ... رَواحاً أم أرادوه ابتِكارا)
(بعينِك كان ذاك وإن يَبِينوا ... يَزِدْكِ البَينُ صَدْعاً مُسْتَطارا)
(بَلَى أبقَت من الجيران عندي ... أُناساً ما أُوافِقُهم كُثارا)
(وماذا كَثْرةُ الجيران تُغني ... إذا ما بان مَنْ أهوَى فَسارا)
قال لا والله ما أرويه يا أمير المؤمنين قال ولا عليك فأنشدني قول أبيك
((دارٌ لصَهْباء التي لا يَنْثَني ... عن ذكرها قلبي ولا أنساَها
(صَفراءُ يطويها الضّجيعُ لصُلبها ... طَيّ الحمالةِ ليّن مَتْناها)
(لو يَستطيعُ ضَجِيعُها لأجنّها ... في القلب شَهْوَةَ ريحِها ونَشَاها)
قال لا والله يا أمير المؤمنين ما أرويه وإن صهباء هذه لأمي قال ولا عليك قد يبغض الرجل أن يشبب بأمه ولكن إذا نسب بها غير أبيه فأف لك ورحم الله أباك فقد ضيعت أدبه وعققته إذ لم ترو شعره اخرج فلا شيء لك عندنا
صوت
(أماطَتْ كِساءَ الخَزِّ عن حُرِّ وَجْهِها ... وأدنَت على الخَدَّين بُرْداً مُهَلْهَلاَ)
(من اللاّءِ لم يَحجُجْنَ يَبْغِين حِسبْةً ... ولكن يُقَتِّلن البريءَ المُغفّلا)
(رأتْني خَضِيبَ الرّأس شمّرتُ مِئزري ... وقد عَهِدتْني أسودَ الرّأسِ مُسبَلا)
(خَطُوّاً إلى اللّذاتِ أجررْتُ مِئزري ... كإجرارِك الحَبْلَ الجواد المُحَجَّلا)
(صَريعَ الهوى لا يبرحُ الحبُّ قائِدي ... بشرٍّ فلم أعدِل عن الشَّرِّ مَعْدلا)
(لَدَى الجَمْرةِ القُصْوى فريعت وهَلّلت ... ومَن رِيعَ في حجٍّ من الناسِ هَلَّلاَ)
الشعر للعرجي والغناء لعبد الله بن العباس الربيعي ثقيل أول في الأول والثاني والخامس والسادس من هذه الأبيات وهو من جيد الغناء وفاخر الصنعة ويقال إنه أول شعر صنعه ولعزار المكي في الثالث وما بعده ثاني ثقيل عن يحي المكي وغيره وفيه خفيف ثقيل ينسب إلى معبد وإلى ابن سريج وإلى
الغريض وفيه لإبراهيم لحن من كتابه غير مجنس وأنا ذاكر هاهنا أخباراً لهذا الشعر من أخبار العرجي إذ كان أكثر أخباره قد مضى سوى هذه
بعض أخبار للعرجي
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا إسماعيل بن مجمع عن المدائني عن عبد الله بن سليم قال قال عبيد الله بن عمر العمري
خرجت حاجاً فرأيت امرأة جميلة تتكلم بكلام رفثت فيه فأدنيت ناقتي منها ثم قلت لها يا أمة الله ألست حاجة أما تخافين الله فسفرت عن وجه يبهر الشمس حسنا ثم قالت تأمل يا عمي فإني ممن عنى العرجي بقوله
(من اللاءِ لم يَحْجُجْنَ يَبْغين حِسْبَةً ... ولكن لَيَقتُلْنَ البريءَ المُغَفَّلا)
قال فقلت لها فإني أسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالنار قال وبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال أما والله لو كان من بعض بغضاء أهل العراق لقال لها
اعزبي قبحك الله ولكنه ظرف عباد الحجاز
وقد رويت هذه الحكاية عن أبي حازم بن دينار
أخبرني به وكيع قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا مصعب الزبيري قال حدثني عبد الرحمن بن أبي الحسن وقد روى عنه ابن أبي ذئب قال
بينا أبو حازم يرمي الجمار إذ هو بامرأة متشعبذة يعني حاسرة فقال لها أيتها المرأة استتري فقالت إني والله من اللواتي قال فيهن الشاعر قوله
(من اللاءِ لم يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسبَةً ... ولكن لِيَقتُلْن البَريءَ المُغَفّلا)
(وترمي بعَيْنَيْها القُلوبَ ولا تَرَى ... لها رَميةً لم تُصمِ منهن مَقْتَلا)
فقال أبو حازم لأصحابه ادعوا الله لهذه الصورة الحسنة ألا يعذبها بالنار
وأبو حازم هذا هو أبو حازم بن دينار من وجوه التابعين قد روى عن سهل بن سعد وأبي هريرة وروى عنه مالك وابن أبي ذئب ونُظراؤهما
حدثني عمي قال حدثني الكراني قال حدثني العمري عن العتبي عن الحكم بن صخر قال
انصرفت من منى فسمعت زفناً من بعض المحامل ثم ترنمت جارية فتغنت
((من اللاءِ لم يَحْجُجْن يَبغِين حِسبْةً ... ولكن لَيَقْتُلنَ البريءَ المُغفَّلا
فقلت لها أهذا مكان هذا يرحمك الله فقالت نعم وإياك أن تكونه
أخبار عبد الله بن العباس الربيعي
عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع والربيع على ما يدعيه أهله ابن يونس بن أبي فروة وقيل إنه ليس ابنه وآل أبي فروة يدفعون ذلك ويزعمون أنه لقيط وجد منبوذاً فكفله يونس بن أبي فروة ورباه فلما خدم المنصور ادعى إليه وأخباره مذكورة مع أخبار ابنه الفضل في شعر يغنى به من شعر الفضل وهو
(... كنتُ صَبّاً وقَلْبيَ اليوم سالي)

ويكنى عبد الله بن العباس أبا العباس
شعره مطبوع وهو مغن جيد الصنعة
وكان شاعراً مطبوعاً ومغنياً محسناً جيد الصنعة نادرها حسن الرواية حلو الشعر ظريفه ليس من الشعر الجيد الجزل ولا من المرذُول ولكنه شعر مطبوع ظريف مليح المذهب من أشعار المترفين وأولاد النعم
حدثني أبو القاسم الشيربابكي وكان نديماً لجدي يحي بن محمد عن يحي بن حازم قال حدثني عبد الله بن العباس الربيعي قال
دخل محمد بن عبد الملك الزيات عن الواثق وأنا بين يديه أغنيه وقد استعادني صوتاً فاستحسنه فقال له محمد بن عبد الملك هذا والله يا أمير المؤمنين أولى الناس بإقبالك عليه واستحسانك له واصطناعك إياه فقال أجل هذا مولاي وابن مولاي وابن موالي لا يعرفون غير ذلك فقال له ليس كل مولى يا أمير المؤمنين بولي لمواليه ولا كل مولى متجمل بولائه يجمع ما جمع عبد الله من ظرف وأدب وصحة عقل وجودة شعر فقال الحسن له صدقت يا محمد
فلما كان من الغد جئت محمد بن عبد الملك شاكراً لمحضره فقلت له في أضعاف كلامي وأفرط الوزير أعزه الله في وصفي وتقريظي بكل شيء حتى وصفني بجودة الشعر وليس ذلك عندي وإنما أعبث بالبيتين والثلاثة ولو كان عندي أيضاً شيء بعد ذلك لصغر عن أن يصفه الوزير ومحله في هذا الباب المحل الرفيع المشهور فقال والله يا أخي لو عرفت مقدار شعرك وقولك
(يا شادِناً رامٍ إذ مَرّ ... في السَّعانين قَتْلِي)
(يقول لي كَيْفَ أَصْبَحْت ... كيف يُصبِحُ مِثْلي)
لما قلت هذا القول والله لو لم يكن لك شعر في عمرك كله إلا قولك كيف يصبح مثلي لكنت شاعراً مجيداً
حدثني جحظة قال حدثني أحمد بن الطيب قال حدثني حماد بن إسحاق قال
سمعت عبد الله بن العباس الربيعي يقول أنا أول من غنى بالكَنكلة في الإسلام ووضعت هذا الصوت عليها
(أتاني يُؤامِرُني في الصَّبُوح ... ليلاً فقلتُ له غادِها)
سبب تعلمه الغناء
حدثني جعفر بن قدامة قال حدثناعلي بن يحي المنجم قال حدثني عبد الله بن العباس الربيع يقال
كان سبب دخولي في الغناء وتعلمي إياه أني كنت أهوى جارية لعمتي رقية بنت الفضل بن الربيع فكنت لا أقدر على ملازمتها والجلوس معها خوفا من أن يظهر ما لها عندي فيكون ذلك سبب منعي منها فأظهرت لعمتي أنني أشتهي أن أتعلم الغناء ويكون ذلك في ستر عن جدي وكان جدي وعمتي في حال من الرقة علي والمحبة لي لا نهاية وراءها لأن أبي توفي في حياة جدي الفضل فقالت يا بني وما دعاك إلى ذلك فقلت شهوة غلبت على قلبي إن منعت منها مت غما وكان لي في الغناء طبع قوي فقالت لي أنت أعلم وما تختاره والله ما أحب منعك من شيء وإني لكارهة أن تحذق ذلك وتشهر به فتسقط ويفتضح أبوك وجدك فقلت لا تخافي ذلك فإنما آخذ منه مقدار ما ألهو به ولا زمت الجارية لمحبتي إياها بعلة الغناء فكنت آخذ عنها وعن صواحباتها حتى تقدمت الجماعة حذقاً وأقررن لي بذلك وبلغت ما كنت أريد من أمر الجارية وصرت ألازم مجلس جدي فكان يسر بذلك ويظنه تقربا مني إليه وإنما كان وكدي فيه أخذ الغناء فلم يكن يمر لإسحاق ولا لابن جامع ولا للزبير بن دحمان ولا لغيرهم صوت إلا أخذته فكنت سريع الأخذ وإنما كنت أسمعه مرتين أو ثلاثاً وقد صح
لي وأحسست من نفسي قوة في الصناعة فصنعت أول صوت صنعته في شعر العرجي
(أماطَتْ كِساءَ الخَزِّ عن حُرِّ وَجْهِها ... وأدنت على الخَدّين بُرداً مُهَلْهَلا)
ثم صنعت في
(أَقْفَر من بَعْد خُلَّةٍ سَرِفُ ... فالمُنحَنى فالعَقِيقُ فالجُرُفُ)
وعرضتهما على الجارية التي كنت أهواها وسألتها عما عندها فيهما فقالت لا يجوز أن يكون في الصنعة شيء فوق هذا وكان جواري الحارث بن بسخنر وجواري ابنه محمد يدخلن إلى دارنا فيطرحن على جواري عمتي
وجواري جدي ويأخذن أيضاً مني ما ليس عندهن من غناء دارنا فسمعنني ألقي هذين الصوتين على الجارية فأخذنهما مني وسألن الجارية عنهما فأخبرتهن أنهما من صنعتي فسألنها أن تصححهما لهن ففعلت فأخذنهما عنها ثم اشتهر حتى غني الرشيد بهما يوماً فاستطرفهما وسأل إسحاق هل تعرفهما فقال لا وإنهما لمن حسن الصنعة وجيدها ومتقنها ثم سأل الجارية عنهما فتوقفت خوفاً من عمتي وحذراً أن يبلغ جدي أنها ذكرتني فانتهرها الرشيد فأخبرته بالقصة فوجه من وقته فدعا بجدي فلما أحضره قال له يا فضل يكون لك ابن يغني ثم يبلغ في الغناء المبلغ الذي يمكنه معه أن يصنع صوتين يستحسنهما إسحاق وسائر المغنين ويتداولهما جواري القيان ولا تعلمني بذلك كأنك رفعت قدره عن خدمتي في هذا الشأن فقال له جدي وحق ولائك يا أمير المؤمنين ونعمتك وإلا فأنا نفي منهما بريء من بيعتك وعلي العهد والميثاق والعتق والطلاق إن كنت علمت بشيء من هذا قط إلا منك الساعة فمن هذا من ولدي قال عبد الله ابن العباس هو فأحضرنيه الساعة فجاء جدي وهو يكاد أن ينشق غيظاً فدعاني فلما خرجت إليه شتمني وقال يا كلب بلغ من أمرك ومقدارك أن تجسر على أن تتعلم الغناء بغير إذني ثم زاد ذلك حتى صنعت ولم تقنع بهذا حتى ألقيت صنعتك على الجواري في داري ثم تجاوزتهن إلى جواري الحارث بن بسخنر فاشتهرت وبلغ أمرك أمير المؤمنين فتنكر لي ولا مني وفضحت آباءك في قبورهم وسقطت الأبد إلا من المغنين وطبقة الخنياكرين فبكيت غماً بما جرى وعلمت أنه قد صدق فرحمني وضمني إليه وقال قد صارت الآن مصيبتي في أبيك مصيبتين إحداهما به وقد مضى وفات والأخرى بك وهي موصولة بحياتي ومصيبة باقية العار علي وعلى أهلي بعدي وبكى وقال عز علي يا بني أن أراك أبداً ما بقيت على غير ما أحب وليست لي في هذا الأمر حيلة لأنه أمر قد خرج عن يدي ثم قال جئني بعود حتى أسمعك وأنظر كيف أنت فإن كنت
تصلح للخدمة في هذه الفضيحة وإلا جئته بك منفرداً وعرفته خبرك واستعفيته لك فأتيته بعود وغنيته غناء قديماً فقال لا بل غن صوتيك اللذين صنعتهما فغنيته إياهما فاستحسنهما وبكى ثم قال بطلت والله يا بني وخاب أملي فيك فواحزني عليك وعلى أبيك فقلت له يا سيدي ليتني مت من قبل أنكرته أو خرست ومالي حيلة ولكني وحياتك يا سيدي وإلا فعلي عهد الله وميثاقه والعتق والطلاق وكل يمين يحلف بها حالف لازمة لي لا غنيت أبداً إلا لخليفة أو ولي عهد فقال قد أحسنت فيما نبهت عليه من هذا

الرشيد يطرب له ويجيزه
ثم ركب وأمرني فأحضرت فوقفت بين يدي الرشيد وأنا أرعد فاستدناني حتى صرت أقرب الجماعة إليه ومازحني وأقبل علي وسكّن مني وأمر جدي بالانصراف وأمر الجماعة فحدثوني وسقيت أقداحاً وغنى المغنون جميعاً فأومأ إلي إسحاق الموصلي بعينه أن أبدأ فغن إذا بلغت النوبة إليك قبل أن تؤمر بذلك ليكون ذلك أصلح وأجود بك فلما جاءت النوبة إلي أخذت عوداً ممن كان إلى جنبي وقمت قائماً واستأذنت في الغناء فضحك الرشيد وقال غن جالساً فجلست وغنيت لحني الأول فطرب واستعاده ثلاث مرات وشرب عليه ثلاثة أنصاف ثم غنيت الثاني فكانت هذه حاله وسكر فدعا بمسرور فقال له احمل الساعة مع عبد الله عشرة آلاف دينار وثلاثين ثوباً من فاخر ثيابي وعيبة مملوءة طيباً فحمل ذلك أجمع معي
قال عبد الله ولم أزل كلما أراد ولي عهد أن يعلم من الخليفة بعد الخليفة الوالي أهو أم غيره دعاني فأمرني بأن أغني فأعرفه بيميني فيستأذن الخليفة في ذلك فإن أذن لي في الغناء عنده عرف أنه ولي عهد وإلا عرف أنه غيره حتى كان آخرهم الواثق فدعاني في أيام المعتصم وسأله أن يأذن لي في الغناء فأذن لي ثم دعاني من الغد فقال ما غناؤك إلا سبباً لظهور سري وسر الخلفاء قبلي ولقد هممت أن آمر بضرب رقبتك لا يبلغني أنك امتنعت من الغناء عند أحد فوالله لئن بلغني لأقتلنك فأعتق من كنت تملكه يوم حلفت وطلق من كان يوجد عندك من الحرائر واستبدل بهن وعلي العوض من ذلك وأرحنا من يمينك هذه المشؤومة فقمت وأنا لا أعقل خوفاً منه فأعتقت جميع من كان بقي عندي من مماليكي الذين حلفت يومئذٍ وهم في ملكي وتصدقت بجملة واستفتيت في يميني أبا يوسف القاضي حتى خرجت منها وغنيت بعد ذلك إخواني جميعاً حتى اشتهر أمري وبلغ المعتصم خبري فتخلصت منه ثم غضب علي الواثق لشيء أنكره وولي الخلافة وهو ساخط علي فكتبت إليه
(أذْكُرْ أميرَ المؤمنين وسائلي ... أيّامَ أرهَبُ سَطْوَةَ السَّيْفِ)
(أدعُو إلهي أن أراكَ خليفةً ... بين المقام ومسجد الخَيْفِ)
فدعاني ورضي عني
حدثني سليمان بن أبي شيخ قال
دخلت على العباس بن الفضل بن الربيع ذات يوم وهو مختلط مغتاظ
وابنه عبد الله عنده فقلت له مالك أمتع الله بك قال لا يفلح والله ابني عبد الله أبداً فظننته قد جنى جناية وجعلت أعتذر إليه فقال ذنبه أعظم من ذلك وأشنع فقلت وما ذنبه قال جاءني بعض غلمان فحدثني أنه رآه بقطربل يشرب نبيذ الداذي بغير غناء فهل هذا فعل من يفلح فقلت له وأنا أضحك سهلت علي القصة قال لا تقل ذاك فإن هذا من ضعة النفس وسقوط الهمة فكنت إذا رأيت عبد الله بعد ذلك في جملة المغنين وشاهدت تبذله في هذه الحال وانخفاضه عن مراتب أهله تذكرت قول أبيه فيه
قال وسمعته يوما يغني بصنعته في شعر أبي العتاهية
صوت
(أنا عبدٌ لها مُقِرٌّ وما يَمْلِك ... غيرُها من النَّاس رِقا)
(ناصحٌ مُشفِقٌ وإن كنتُ ما أُرزق ... منها والحمدُ للهِ عِتْقا)
(ليتَني مُتُّ فاسترحْتُ فإنّي ... أبداً ما حَيِيتُ منها مُلَقَّى)
لحن عبد الله بن العباس في هذا الشعر رمل
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحي وأحمد بن حمدون عن أبيه وأخبرني جحظة عن أبي عبد الله الهاشمي أن إسحاق الموصلي دخل يوماً إلى الفضل بن الربيع وابن ابنه عبد الله بن العباس في حجره قد أخرج إليه وله نحو السنتين وأبوه العباس واقف بين يديه فقال إسحاق للوقت
((مَدّ لكَ اللهُ الحياةَ مَدّاً ... حتى يكونَ ابنُكَ هذا جَدّاً
(مؤَزَّراً بمَجْده مُردّى ... ثم يُغدّى مثلَ ما تُفدىَّ)
(أشبَه منك سُنَّةً وخَدّاً ... وشِيَماً محمودةً ومَجْدَا)
(... كأنَّه أنتَ إذا تَبَدّى)
قال فاستحسن الفضل الأبيات وصنع فيها إسحاق لحنه المشهور وقال جحظة في خبره عن الهاشمي وهو رمل ظريف من حسن الأرمال ومختارها فأمر له الفضل بثلاثين ألف درهم
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني عبد الله بن عمر قال حدثني محمد ابن عبد الله بن مالك قال
حدثني بعض ندماء الفضل بن الربيع قال كنا عند الفضل بن الربيع في يوم دجن والسماء ترش وهو أحسن يوم وأطيبه وكان العباس يومئذٍ قد أصبح مهموماً فجهدنا أن ينشط فلم تكن لنا في ذلك حيلة فبينا نحن كذلك إذ دخل عليه بعض الشعراء إما الرقاشي وإما غيره من طبقته فسلم وأخذ بعضادتي الباب ثم قال
((ألا انْعِم صَباحاً يا أبا الفَضْلِ واربَع ... على مربع القُطربُّليّ المُشَعْشع
(وعلّل نَداماكَ العِطاشَ بقَهْوَةٍ ... لها مصرعٌ في القَوْمِ غيرُ مروّع)
(فإنك لاقٍ كُلَّما شِئتَ لَيْلَةً ... ويوماً يُغِصّان الجفونَ بأَدْمُع)
قال فبكى العباس وقال صدقت والله إن الإنسان ليلقى ذلك متى يشاء ثم دعا بالطعام فأكل ث دعا بالشراب فشرب ونشط ومر لنا يوم حسن طيب
حدثني عمي قال حدثني أحمد بن المرزبان قال
جاءني عبد الله بن العباس في خلافة المنتصر وقد سألني عرض رقعة عليه فأعلم أني نائم وقد كنت شربت بالليل شرباً كثيراً فصليت الغداة ونمت فلما انتبهت إذا رقعة عند رأسي وفيها مكتوب
(أنا بالبابِ واقفٌ مُنْذ أصبَحْتُ ... على السّرج مُمْسِكٌ بعِناني)
وبعين البوّابِ كُلُّ الذي بي ... ويَراني كأنّه لا يَراني) فأمرت بإدخاله فدخل فعرفته خبري واعتذرت إليه وعرضت رقعته) على المنتصر وكلمته حتى قضى حاجته
عبد الله وإسحاق
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق قال

دعا عبد الله بن العباس الربيعي يوماً أبي وسأله أن يبكر إليه ففعل فلما دخل بادر إليه عبد الله بن العباس ملتقياً وفي يده العود وغناه
(قُم نَصْطَبِح يَفدِيك كُلُّ مُبَخَّلٍ ... عابَ الصَّبوحَ لِحُبِّه لِلمالِ)
(من قَهْوةٍ صفراءَ صِرفٍ مُزّةٍ ... قد عُتِّقَت في الدَّنّ مُذْ أحوالِ)
قال وقدم الطعام فأكلنا واصطبحنا واقترح أبي هذا الصوت عليه بقية يومه قال وأتيته في داره بالمطيرة عائداً فوجدته في عافية فجلسنا نتحدث فأنشدته لذي الرمة
(إذا ما امرؤٌ حاولْنَ أن يَقْتَتِلْنَه ... بلا إحْنَةٍ بين النّفوس ولا ذَحْلِ)
(تبسَّمْنَ عن نَوْرِ الأقاحِيِّ في الثّرى ... وفَتَّرن عن أبصارِ مَكْحُولةٍ نُجْلِ)
(وكَشَّفْن عن أجياد غِزلان رَمْلَةٍ ... هِجانٍ فكان القَتْلُ أو شِبْهَة القَتْلِ)
(وإنّا لنَرضَى حين نشكو بخَلْوَةٍ ... إليهن حاجاتِ النُّفوس بلا بَذْلِ)
(وما الفَقرُ أزرى عندهنّ بوصْلِنا ... ولكن جرَت أخلاقُهنّ على البُخْلِ)
قال فأنشدني هو
(أنّى اهْتَدَتْ لِمُناخِنا جُمْلُ ... ومن الكرى لعُيونِنا كُحْلُ)
(طرَقتْ أخَا سَفَرٍ وناجِيةً ... خرقاءَ عرَّفني بها الرَّحلُ)
(في مَهْمَهٍ هَجَعَ الدّليلُ به ... وتَعَلَّلَتْ بصَرِيفِها البُزْلُ)
(فكأنَّ أحدثَ مَنْ ألَمَّ به ... دَرَجت على آثارِه النَّملُ)
قال إسحاق فقال لي عبد الله بن العباس كل ما يملك في سبيل الله إن
فارقتك ولم نصطبح على هذين الشعرين وأنشدك وتنشدني ففعلنا ذلك وما غنينا ولا غنينا
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
لقيت عبد الله بن العباس يوماً في الطريق فقلت له ما كان خبرك أمس فقال اصطبحت فقلت على ماذا ومع من فقال مع خادم صالح بن عجيف وأنت به عارف وبخبري معه ومحبتي له عالم فاصطبحنا على زنا بنت الخس لما حملت من زنا وقد سئلت ممن حملت فقالت
(أشمُّ كغُصْن البان جَعدٌ مرجّلٌ ... شُغِفْتُ به ولو كان شَيْئاً مُدانِيا)
(ثَكِلتُ أبي إن كُنتُ ذُقْتُ كَرِيقِه ... سُلافاً ولا عَذْباً من الماء صافِيَا)
(وأُقسِم لو خُيِّرتُ بين فِراقِه ... وبين أبي لاخْتَرْتُ أن لا أبا لِيَا)
(فإن لم أُوسَّد ساعِدي بَعْدَ هَجْعةٍ ... غُلاماً هِلالِيّاً فشُلَّت بَنانِيَا)
فقلت له أقمت على لواط وشربت على زنا والله ماسبقك إلى هذا أحد
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال أخبرني ميمون بن هارون قال
كان محمد بن راشد الخناق عند عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع على القاطول في أيام المعتصم وكان لمحمد بن راشد غلام يقال له فائز يغني غناء حسناً فأظلتهم سحابة وهم يشربون فقال عبد الله بن العباس
((محمدُ قد جادتْ علينا بمائِها ... سحابةُ مُزنٍ برقُها يتهلَّلُ
(ونحن من القاطُولِ في مُتَربِّعٍ ... ومنزلُنا فيه المَنابِتُ مُبقِلُ)
(فمُرْ فائزاً يشدُو إذا ما سَقَيْتني ... أعن ظُعُنِ الحيِّ الأُلَى كُنتَ تَسألُ)
(ولا تَسقِني إلا حلالاً فإنّني ... أعافُ من الأشياءِ مالا يُحَلَّلُ)
قال فأمر محمد بن راشد غلامه فائزاً فغناه بهذا الصوت وشرب عليه حتى سكر
قال وكان أبو أحمد بن الرشيد قد عشق فائزا فاشتراه من محمد بن راشد بثلاثمائة ألف درهم فبلغ ذلك المأمون فأمر بأن يضرب محمد بن راشد ألف سوطٍ ثم سئل فيه فكف عنه وارتجع منه نصف المال وطالبه بأكثر فوجده قد أنفقه وقضى دينه ثم حجر على أبي أحمد بن الرشيد فلم يزل محجوراً عليه طوال أيام المأمون وكان أمر ماله مردوداً إلى مخلد بن أبان يشرب الخمر حتى في رمضان
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال أخبرني ابن الجرجاني قال
اتفق يوم النيروز في شهر رمضان فشرب عبد الله بن العباس بن الفضل في تلك الليلة إلى أن بدأ الفجر أن يطلع وقال في ذلك وغنى فيه قوله
(اسقِنِيها صفراءَ صافيةً ... ليلةَ النَّيْروزِ والأحدِ)
(حرَّم الصَّومُ اصطباحَكُما ... فتزوّد شُربَها لغَدِ)
أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني
إبراهيم بن المُدبر قال
قال لي محمد بن الفضل الجرجاني أنشدت عبد الله بن العباس الربيعي للمعلى الطائي
(باكِرْ صَبوحَكَ صَبْحةَ النَّيروز ... واشرَبْ بكأسٍ مُتْرَعٍ وبِكوزِ)
(ضَحِك الربيعُ إليكَ عن نُوّاره ... آسٍ ونسرِينٍ ومَرْماحوزِ)
فاستعادنيهما فأعدتهما عليه وسألني أن أمليهما وصنع فيهما لحنا غنى به الواثق في يوم نيروز فلم يستعد غيره يومئذٍ وأمر له بثلاثين ألف درهم
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحي قال
أنشدني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع لجميل وأنشدنيه وهو يبكي ودموعه تنحدر على لحيته
صوت
(فمالكِ لما خَبَّرَ الناسُ أنّني ... غَدَرتُ بظَهرِ الغيبِ لم تَسلِيْني)
(فأحلِف بَتّاً أو أجيء بشاهدٍ ... من الناس عَدْلٍ إنّهم ظَلَمُوني)
قال وله فيه صنعة من خفيف الثقيل وخفيف الرمل
أخبرني عمي قال حدثني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثنا نافذ مولانا قال
كان عبد الله بن العباس صديقا لأبيك وكان يعاشره كثيرا وكان عبد الله ابن العباس مصطبحا دهره لا يفوته ذلك إلا في يوم

جمعة أو صوم شهر رمضان وكان يكثر المدح للصبوح ويقول الشعر فيه ويغني فيما يقوله قال عبيد الله
فأنشدني نافذ مولانا وغيره من أصحابنا في ذلك منهم حماد بن إسحاق
صوت
(ومُسْتَطِيلٍ على الصَّهْبَاءِ باكرها ... في فِتْيةٍ باصطباح الرَّاح حُذّاقِ)
(فكُلُّ شيءٍ رآه خاله قَدَحاً ... وكُلُّ شَخْصٍ رآه خَالَه الساقِي)
قال ولحنه فيه خفيف رمل ثقيل قال حماد وكان أبي يستجيد هذا الصوت من صنعته ويستحسن شعره ويعجب من قوله
(فكُلُّ شَيْءٍ رآه خاله قدحاً ... وكُلّ شَخْصٍ رآه خَالَه السّاقِي)
ويعجب من قوله
(... ومُستَطيل على الصَّهْبَاءِ باكَرَها)
ويقول وأي شيء تحته من المعاني الظريفة
قال وسمعه أبي يغنيه فقال له كأنك والله يا عبد الله خطيب يخطب على المنبر قال عبد الله بن محمد فأنشدني حماد له في الصبوح
(لا تعذِلَنْ في صَبُوحِي ... فالعَيش شُرْبُ الصَّبُوحِ)
(ما عابَ مصْطَبِحاً قَطّ ... غيْرُ وَغْدٍ شَحِيحِ)
قال عمي قال عبيد الله دخل يوماً عبد الله بن العباس الربيعي على أبي مسلماً فلما استقر به المجلس وتحادثا ساعة قال له أنشدني شيئاً من شعرك فقال إنما أعبث ولست ممن يقدم عليك بإنشاد شعره فقال أتقول هذا وأنت القائل
(... يا شادِناً رامَ إذْ مرَّ في السعَّانين قَتِلْي)
(... تَقول لي كَيْفَ أصبحْت كَيْفَ يُصبح مِثْلِي)
أنت والله أعزك الله أغزل الناس وأرقهم شعراً ولو لم تقل غير هذا البيت
الواحد لكفاك ولكنت شاعراً
أخبرني عمي والحسين بن القاسم الكوكبي قالا حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال حدثني أحمد بن الحسين الهشامي أبو عبد الله قال
حدثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال
كنت جالساً على دجلة في ليلة من الليالي وأخذت دواة وقرطاساً وكتبت شعراً حضرني وقلته في ذلك الوقت
صوت
(أخلَفَكَ الدهرُ ما تَنظِرُه ... فاصبِر فذا جلَّ أمْرِ ذا القَدَر)
(لَعّلنا أن نُديل من زَمَنٍ ... فرَّقنا والزّمانُ ذُو غِيَرِ)
قال ثم أرتج علي فلم أدر ما أقول حتى يئست من أن يجيئني شيء فالتفت فرأيت القمر وكانت ليلة تتمته فقلت
(فانظر إلى البَدْرِ فهو يُشبِهُه ... إن كان قد ضَنَّ عنك بالنَّظَرِ)
ثم صنعت فيه لحناً من الثقيل الثاني قال أبو عبد الله الهشامي وهو والله صوت حسن
أخبرني جحظة عن ابن حمدون وأخبرني به الكوكبي عن علي بن محمد ابن نصر عن خالد بن حمدون قال
كنا عند الواثق في يوم دجن فلاح برق واستطار فقال لو في هذا شيء فبدرهم عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع فقال هذين البيتين
((أعِنِّي على لا مِع بارقٍ ... خفيَّ كلمْحِك بالحاجبِ
(كأنّ تألّقه في السّماء ... يَدا كاتِبٍ أو يَدا حاسِبِ)
وصنع فيه لحناً شرب فيه الواثق بقية يومه واستحسن شعره ومعناه وصنعته ووصل عبد الله بصلة سنية
حدثني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد بن مروان قال حدثني الحسين بن الضحاك قال
كنت عند عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع وهو مصطبح وخادم له قائم يسقيه فقال لي يا أبا علي قد استحسنت سقي هذا الخادم فإن حضرك شيء في قصتنا هذه فقل فقلت
(أحَيتْ صَبوحِي فُكاهةُ اللاّهِي ... وطاب يومِي بقُرْبِ أشباهِي)
(فاستَثِرِ اللهوَ من مَكامِنه ... من قبل يومٍ مُنغّصٍ ناهِي)
(بابنة كَرْمٍ من كَفِّ مُنْتَطِقٍ ... مُؤْتزِرٍ بالمجُونِ تَيّاهِ)
(يسقِيك من طَرْفِه ومن يَدِه ... سَقْيَ لطِيفٍ مُجرِّبٍ داهِي)
(وطاساً وكاساً كأنَّ شاربَها ... حَيرانُ بين الذُّكُور والسَّاهِي)
فاستحسنه عبد الله وغنى فيه لحناً مليحاً وشربنا عليه بقية يومنا
أخبرني عمي قال حدثنا أبو عبد الله أحمد بن المرزبان بن الفيرزان قال حدثني شيبة بن هشام قال
كان عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قد علق جارية نصرانية قد رآها في بعض أعياد النصارى فكان لا يفارق البيع في أعيادهم شغفاً بها فخرج في عيد ما سرجيس فظفر بها في بستان إلى جانب البيعة وقد كان قبل ذلك يراسلها ويعرفها حبه لها فلا تقدر على مواصلته ولا على لقائه إلا على الطريق فلما ظفر بها التوت عليه وأبت بعض الإباء ثم ظهرت له وجلست معه وأكلوا وشربوا وأقام معها ومع نسوة كن معها أسبوعاً ثم انصرفت في يوم خميس فقال عبد الله بن العباس في ذلك وغنى فيه
(رُبَّ صَهْباء من شَرابِ المَجُوس ... قهوةٍ بابِليَّةٍ خَنْدَرِيس)
(قد تَجَلَّيْتُها بنايٍ وعُودٍ ... قبل ضربِ الشَّمّاس بالنّاقوس)
(وغزالٍ مُكَحَّلٍ ذِي دلالٍ ... ساحرِ الطرْفِ سامِريَّ عَرُوس)
(قد خَلَوْنا بطِيبِه نَجْتَلِيه ... يوم سَبْتٍ إلى صَباح الخَمِيس)
(بين وردٍ وبين آسٍ جَنِيٍّ ... وسط بُستانِ دَيْرِ ما سَرْجِيس)
(يَتَثَنَّى بحُسنِ جِيدِ غزالٍ ... وصَلِيبِ مُفَضَّضٍ آبَنُوسِي)
(كم لثمتُ الصلِيّبَ في الجِيد منها ... كهِلالٍ مُكَلَّلٍ بشُمُوس)

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن المرزبان عن شيبة بن هشام قال
كان عبد الله بن العباس يوماً جالساً ينتظر هذه النصرانية التي كان يهواها وقد وعدته بالزيارة فهو جالس ينتظرها ويتفقدها إذ سقط غراب على برادة داره فنعب مرة واحدة ثم طار فتطير عبد الله من ذلك ولم يزل ينتظرها يومه فلم يرها فأرسل رسوله عشاء يسأل عنها فعرف أنها قد انحدرت مع أبيها إلى بغداد
فتنغص عليه يومه وتفرق من كان عنده ومكث مدة لا يعرف لها خبراً فبينا هو جالس ذات يوم مع أصحابه إذ سقط هدهد على برادته فصاح ثلاثة أصوات وطار فقال عبد الله بن العباس وأي شيء أبقى الغراب للهدهد علينا وهل ترك لنا أحداً يؤذينا بفراقه وتطير من ذلك فما فرغ من كلامه حتى دخل رسولها يعلمه أنها قد قدمت منذ ثلاثة أيام وأنها قد جاءته زائرة على إثر رسولها فقال في ذلك من وقته

(سقاكَ اللهُ يا هُدهدُ ... وَسْمِيَّا من القَطْرْ)
(كما بَشَّرتَ بالوَصْلِ ... وما أَنْذَرْت بالَهَجْرْ)
(فكم ذا لكَ من بُشْرَى ... أتتني منك في سِتْرْ)
(كما جاءت سُليمانَ ... فأوفت منه بالنّذْرْ)
(ولا زال غُرابُ البيْن ... في قُفاعَةِ الأسْرْ)
(كما صَرّح بالبَيْن ... وما كُنتُ به أدْري)

ولحنه في هذا الشعر هزج
عبد الله والمتوكل والمنتصر
حدثني عمي قال حدثني ميمون بن هارون قال قال إسحاق بن إبراهيم ابن مصعب
قال لي عبد الله بن العباس الربيعي لما صنعت لحني في شعري

(ألا أصبَحاني يوم السّعانين ... من قَهْوةٍ عُتِّقت بِكر كِين)
(عند أُناسٍ قَلبي بِهِم كلِفٌ ... وإن توَلَّوْا دِيناً سِوَى دِيني)
((قد زيَّن المُلكَ جعفرٌ وحكى ... جُودَ أبيه وبأسَ هارونِ
(وأمَّن الخائِفَ البريءَ كما ... أخافَ أهلَ الإلحاد في الدِّين)

دعاني المتوكل فلما جلست في مجلس المنادمة غنيت هذا الصوت فقال لي يا عبد الله أين غناؤك في هذا الشعر في أيامي هذه من غنائك في

(أماطَت كِساءَ الخَزِّ عَنْ حُرِّ وَجْهِها ... وأدْنَتْ على الخَدَّيْن بُرْداً مُهَلْهلا)

ومن غنائك في

(أقفَر من بعد خُلَّةٍ سَرِفُ ... فالمُنْحَنَى فالعَقِيقُ فالجُرُف)

ومن سائر صنعتك المتقدمة التي استفرغت محاسنك فيها فقلت له يا أمير المؤمنين إني كنت أتغني في هذه الأصوات ولي شباب وطرب وعشق ولو رد علي لغنيت مثل ذلك الغناء فأمر لي بجائزة واستحسن قولي
حدثني عمي قال حدثنا أحمد بن المرزبان قال حدثني أبي قال
ذكر المنتصر يوماً عبد الله بن العباس وهو في قراح النرجس مصطبح فأحضره وقال له يا عبد الله اصنع لحناً في شعري الفلاني وغنني به وكان عبد الله حلف لا يغني في شعره فأطرق ملياً ثم غنى في شعر قاله للوقت وهو

(يا طِيبَ يومْي في قِراح النَّرجِس ... في مَجلِس ما مِثْلُه مِن مَجلِس)
(تُسقَى مُشعْشَعةً كأنَّ شُعاعَها ... نارٌ تُشبُّ لِبائِسٍ مُستْقبِس)

قال فجهد أبي بالمنتصر يوماً واحتال عليه بكل حيلة أن يصله بشيء فلم يفعل حدثني عمي قال حدثني أحمد بن المرزبان قال حدثني أبي فقال غضبت قبيحة على المتوكل وهاجرته فجلس ودخل الجلساء والمغنون وكان فيهم عبد الله بن العباس الربيعي وكان قد عرف الخبر فقال هذا الشعر وغنى فيه

(لستَ مِنّي ولستُ منك فدَعْني ... وامْضِ عنّي مُصاحَباً بسَلامِ)
(لم تَجِد عِلَّةً تَجَنَّى بها الذَّنْبَ ... فصارتْ تعتلُّ بالأحْلامِ)
(فإذا ما شَكَوْتُ ما بيَ قالت ... قد رأيَنا خِلافَ ذَا في المَنامِ)

قال فطرب المتوكل وأمر له بعشرين ألف درهم وقال له إن في حياتك يا عبد الله لأنساً وجمالاً وبقاء للمروءة والظرف
أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن المرزبان قال حدثني أبي قال حدثني عبد الله بن العباس الربيعي قال
كنت في بعض العساكر فأصابتنا السماء حتى تأذينا فضربت لي قبة تركية وطرح لي فيها سريران فخطر بقلبي قول السليك
صوت

(قَرِّب النَّحّامِ واعجلْ يا غُلامْ ... واطْرَحِ السَّرْجَ عليه واللِّجامْ)
(أبلغ الفِتْيانَ أنّي خائِضٌ ... غمْرَةَ الضَّرْب فَمَنْ شاء أقامْ)

فغنيت فيه لحني المعروف وغدونا فدخلت مدينة فإذا أنا برجل يغني به ووالله ما سبقني إليه أحد ولا سمعه مني أحد فما أدري من الرجل ولا من أين كان له وما أرى إلا أن الجنّ أوقعته في لسانه
محمد بن الجهم يحتمل خراجه سنة كاملة
حدثني عمي قال حدثني أحمد بن المرزبان قال حدثني أبي قال حدثني عبد الله بن العباس الربيعي قال
كنت عند محمد بن الجهم البرمكي بالأهواز وكانت ضيعتي في يده فغنيته في يوم مهرجان وقد دعانا للشرب
صوت

(المِهرَجانُ ويومُ الاثْنَيْن ... يومُ سُرورٍ قد حُفَّ بالزّيْنِ)
(ينقل مِن وغْرة المَصِيف إلى ... بَرْدِ شِتاءٍ ما بَيْن فَصْلَيْنِ)
(محمدُ يا بْنَ الجَهْمِ ومَن بَنى ... للمَجْد بيْتاً من خيرِ بيْتَيْنِ)
(عِشْ ألفَ نَيْروز ومَهْرجٍ فَرِحاً ... في طِيبِ عَيْش وقُرَّةِ العَيْن)

قال فسر بذلك واحتمل خراجي في تلك السنة وكان مبلغه ثلاثين ألف درهم

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني أبو توبة القطراني عن محمد بن حسين قال
كنا عند أبي عيسى بن الرشيد في زمن الربيع ومعنا مخارق وعلويه وعبد الله بن العباس الربيعي ومحمد بن الحارث بن بسخنر ونحن مصطبحون في طارمة مضروبة على بستانه وقد تفتح فيه ورد وياسمين وشقائق والسماء متغيمة غيماً مطبقاً وقد بدأت ترش رشاً ساكباً فنحن في أكمل نشاط وأحسن يوم إذ خرجت قيمة دار أبي عيسى فقالت يا سيدي قد جاءت عساليج فقال لتخرج إلينا فليس بحضرتنا من تحتشمه فخرجت إلينا جارية شكلة حلوة حسنة العقل والهيئة الأدب في يدها عود فسلمت فأمرها أبو عيسى بالجلوس فجلست وغنى القوم حتى انتهى الدور إليها وظننا أنها لا تصنع شيئاً وخفنا أن تهابنا فتحصر فغنت غناء حسناً مطرباً متقناً ولم تدع أحداً من حضر إلا غنت صوتاً من صنعته وأدته على غاية الإحكام فطربنا واستحسنا غناءها وخاطبناها بالاستحسان وألح عبد الله بن العباس من بيننا بالاقتراح عليها والمزاح معها والنظر إليها فقال له أبو عيسى عشقتها وحياتي يا عبد الله قال لا والله يا سيدي وحياتك ما عشقتها ولكني استحسنت كل ما شاهدت منها من منظر وشكل وعقل وعشرة وغناء فقال له أبو عيسى فهذا والله هو العشق وسببه ورب جد جره اللعب وشربنا فلما غلب النبيذ على عبد الله غنى أهزاجاً قديمة وحديثة وغنى فيما غنى بينهما هزجاً في شعر قاله فيها لوقته فما فطن له إلا أبو عيسى وهو
صوت
(نَطَق السُّكْرُ بسِرِّي فبَدَا ... كم يُرَى المَكْتُومُ يَخفي لا يَضِحْ)
(سِحْرُ عَيْنَيكِ إذا مارنَتَا ... لم يَدَعْ ذا صَبْوة أو يَفْتَضِحْ)
(مَلَكَتْ قلباً فأمسى عَلِقاً ... عندها صَبّاً بها لم يَسْتَرِحْ)
(بجَمالٍ وغناءٍ حسنٍ ... جلّ عن أن يَنْتَقيه المُقْتَرِحْ)
(أورثَ القلبَ هُموماً ولقد ... كنتُ مسروراً بمرآه فَرِحْ)
(ولكم مُغْتَبِقٍ هَمّاً وقد ... بَكَر اللّهْوَ بُكورَ المُصْطَبُحْ)
الغناء لعبد الله بن العباس هزج فقال له أبو عيسى فعلتها والله يا عبد الله وطار طرباً وشرب على الصوت وقال له صح والله قولي لك في عساليج وأنت
تكابرني حتى فضحك السكر فجحد وقال هذا غناء كنت أرويه فحلف أبو عيسى أنه ما قاله ولا غناه إلا في يومه وقال له احلف بحياتي أن الأمر ليس هو كذلك فلم يفعل فقال له أبو عيسى والله لوكانت لي لوهبتها لك ولكنها لآل يحيى بن معاذ والله لئن باعوها لأملكنك إياها ولو بكل ما أملك ووحياتي لتنصرفن قبلك إلى منزلك ثم دعا بحافظتها وخادم من خدمه فوجه بها معهما إلى منزله والتوى عبد الله قليلاً وتجلد وجاحدنا أمره ثم انصرف
واتصل الأمر بينهما بعد ذلك فاشترتها عمته رقية بنت الفضل بن الربيع من آل يحيى بن معاذ وكانت عندهم حتى ماتت فحدثني جعفر بن قدامة بن زياد عن بعض شيوخه سقط عني اسمه قال قالت بذل الكبيرة لعبد الله بن العباس قد بلغني أنك عشقت جارية يقال لها عساليج فاعرضها علي فإما أن عذرتك وإما أن عذلتك فوجه إليها فحضرت وقال لبذل هذه هي ياستي فانظري واسمعي ثم مريني بما شئت أطعك فأقبلت عليه عساليج وقالت يا عبد الله أتشاور في فو الله ما شاورت فيك لما صاحبتك فنعرت بذل وصاحت إيه أحسنت والله يا صبية ولو لم تحسني شيئاً ولا كانت فيك خصلة تحمد لوجب أن تعشقي لهذه الكلمة أحسنت والله ثم قالت لعبد الله ما ضيعت احتفظ بصاحبتك

عبد الله يغني الواثق فيجيزه

حدثني عمي قال حدثني محمد بن المرزبان عن أبيه عن عبد الله بن العباس قال
دعانا الواثق في يوم نوروز فلما دخلت عليه غنيته في شعر قلته وصنعت فيه لحناً وهو
(هيّ للنّيروز جامَا ... ومُداماً ونَدامَى)
(يَحْمدون اللهَ والواثِقَ ... هارونَ الإماما)
(ما رَأى كِسْرى أنوشِرْ ... وانَ مِثْلَ العامِ عامَا)
(نَرْجِساً غَضّاً ووَرْداً ... وبَهاراً وخُزامَى)
قال فطرب واستحسن الغناء وشرب عليه حتى سكر وأمر لي بثلاثين ألف درهم
حدثني عمي قال حدثني أحمد بن المرزبان قال حدثني شيبة بن هشام قال
ألقت متيم على جوارينا هذا اللحن وزعمت أنها أخذته من عبد الله بن العباس والصنعة له
صوت
(إني اتّخذت عدُوَّةً ... فسَقَى الإلهُ عدُوَّتي)
(وفديتُها بأقاربي ... وبأسرَتِي وبجيرتي)
(واستيقَنت أنّ الفؤاد ... يُحبُّها فأذلّت)
قال ثم حدثتنا متيم أن عبد الله بن العباس كان يتعشق مصابيح جارية الأحدب المقين وأنه قال هذا الشعر فيها وغنى فيه هذا اللّحن بحضرتها فأخذته عنه هكذا ذكر شيبة بن هشام من أمر مصابيح وهي مشهورة من جواري آل يحيى بن معاذ ولعلها كانت لهذا المقين قبل أن يملكها آل يحيى وقبل أن تصل إلى رقية بنت الفضل بن الربيع
وحدثنا أيضاً عمي قال حدثنا أحمد بن المرزبان عن شيبة بن هشام قال
كان عبد الله بن العباس يتعشق جارية الأحدب المقين ولم يسمها في هذا الخبر فغاضبها في شيء بلغه عنها ثم رام بعد ذلك أن يترضاها فأبت وكتب إليها رقعة يحلف لها على بطلان ما أنكرته ويدعو الله على من ظلم فلم تجبه عن شيء مما كتب به ووقعت تحت دعائه آمين ولم تجب عن شيء مما تضمنته الرقعة بغير ذلك فكتب إليها
(أمَّا سُروري بالكتاب ... فليس يَفنى ما بَقِينا)
(وأتى الكتابُ وفيه لي ... آمين ربُّ العالمينا)
قال وزارته في ليلة من ليالي شهر رمضان وأقامت عنده ساعة ثم انصرفت وأبت أن تبيت وتقيم ليلتها عنده فقال هذا الشعر وغنى فيه هزجاً وهو مشهور من أغانيه وهو
صوت
(يا مَنْ لِهمٍّ أمسى يُؤرِّقُني ... حتى مضى شَطرُ لَيْلَةِ الجُهَنِي)

(عَنِّي ولم أدرِ أنَّها حضرت ... كذاكَ مَنْ كانَ حُزْنُه حُزنِي)
(إنِّي سَقِيمٌ مُولَّه دَنِفٌ ... أسقَمني حُسْنُ وَجْهِكِ الحَسَنِ)
(جُودِي له بالشفاء مُنْيَتَه ... لا تَهجُري هائماً عليكِ ضَنِي)
قال وليلة الجهني ليلة تسع عشرة من شهر رمضان قال رجل من جهينة إنه رأى فيها ليلة القدر فيما يرى النائم فسميت ليلة الجهني
أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن المرزبان قال حدثني شيبة بن هشام
قال دعانا محمد بن حماد بن دنقش وكان له ستارة في نهاية الوصف وحضر معنا عبد الله بن العباس فقال عبد الله وغنى فيه
(دَعْ عنكِ لومي فإنّي غيرُ مُنقادِ ... إلى المَلامِ وإن أحببتَ إرْشادِي)
(فلستُ أعرفُ لي يوماً سُرِرْتُ به ... كمِثل يَوْمِيَ في دارِ ابنِ حَمَّادِ)
أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني ابن المكي عن عبد الله بن العباس قال لما صنعت لحني في شعري
صوت
(يا لَيلةً ليس لها صُبْحُ ... وموعِداً ليس له نُجْحُ)
(من شادنٍ مرّ على وعده الميلادُ ... والسُّلَّاقُ والذّبحُ)
هذه أعياد النصارى غنيته الواثق فقال ويلكم أدركوا هذا لا يتنصر وتمام هذا الشعر
(وفي السَّعَانِين لو أنيِّ بهِ ... وكانَ أقْصَى المَوعِدِ الفصْحُ)
(فالله أستَعْدِي على ظالمٍ ... لم يُغْنِ عنه الجُودُ والشُّحُّ)
نسخت من كتاب أبي سعد السكري قال أبو العتاهية وفيه لعبد الله بن العباس غناء حسن
(أنا عَبدٌ لها مُقِرٌّ وما يَمْلِك ... لي غيرُها من الناسِ رقّا)
(ناصحٌ مُشفِقٌ وإن كنت ما أُرزَق ... منها والحمدُ لله عِتْقا)
(ومن الحَيْنِ والشّقاء تعلّقتُ ... مليكاً مُستَكْبِراً حين يُلْقَى)
(إن شكوتُ الذي لَقِيتُ إليه ... صَدَّ عَنّي وقال بُعداً وسُحْقا)
أخبرني عمي قال حدثني علي بن محمد بن نصر عن جده حمدون بن إسماعيل قال
دخلت يوماً إلى عبد الله بن العباس الربيعي وخادم له يسقيه وبيده عوده وهو يغني هذا الصوت
(إذا اصطَبحتُ ثَلاثاً ... وكانَ عُودِي نَدِيمِي)
(والكأسُ تُغْرِب ضَحكاً ... من كفِّ ظَبْيٍ رَخيمِ)
(فما عليَّ طريقٌ ... لطارقاتِ الهُمومِ)
قال فما رأيت أحسن مما حكى حاله في غنائه ولا سمعت أحسن مما غنى
أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني دوسر الخراساني قال
اشترى حزام خادم المعتصم خادماً نظيفاً كان عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع يتعشقه فسأله هبته له أو بيعه منه فأبى فقال عبد الله أبياتاً وصنع فيها غناء وهي قوله
(يومُ سَبْتٍ فصَرِّفا لِي المُدامَا ... واسقِياني لعلَّني أن أنامَا)
(شرَّدَ النومَ حُبُّ ظَبْيٍ غريرٍ ... ما أراه يرَى الحَرام حَرامَا)
(اشتراه يوماً بعُلْفةِ يوم ... أصبحَت عنده الدوابُ صِيامَا)
فاتصلت الأبيات وخبرها بحزام فخشي أن تشتهر ويسمعها المعتصم فيأتي عليه فبعث بالغلام إلى عبد الله وسأله أن يمسك عن الأبيات ففعل
حدثني الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى قال قلت لعبد الله بن العباس إنه بلغني لك خبر مع الرشيد أول ما شهرت بالغناء فحدثني به قال نعم أول صوت صنعته
(أتاني يؤامِرُني في الصبوح ... ليلاً فقلتُ له غادِها)
فلما تأتى لي وضربت عليه بالكنكلة عرضته على جارية لنا يقال لها راحة فاستحسنته وأخذته عني وكانت تختلف إلى إبراهيم الموصلي فسمعها يوماً تغنيه وتناغي به جارية من جواريه فاستعادها إياه وأعادته عليه فقال لها لمن هذا فقالت صوت قديم فقال لها كذبت لو كان قديماً لعرفته وما زال يداريها ويتغاضب عليها حتى اعترفت له بأنه من صنعتي فعجب من ذلك ثم غناه يوماً بحضرة الرشيد فقال له لمن هذا اللحن يا إبراهيم فأمسك عن الجواب وخشي أن يكذبه فينمى الخبر إليه من غيره وخاف من جدي أن يصدقه فقال له مالك لا تجيبني فقال لا يمكنني يا أمير المؤمنين فاستراب بالقصة ثم قال والله وتربة المهدي لئن لم تصدقني لأعاقبنك عقوبة موجعة وتوهم أنه لعلية أو لبعض حرمه فاستطير غضبا فلما رأى إبراهيم الجد منه صدقه فيما بينه وبينه سراً فدعا لوقته الفضل بن الربيع ثم قال له أيصنع ولدك غناء ويرويه الناس ولا تعرفني فجزع وحلف بحياته وبيعته أنه ما عرف ذلك قط ولا سمع به إلا في وقته ذلك فقال له ابن ابنك عبد الله بن العباس أحضرنيه الساعة فقال أنا أمضي وأمتحنه فإن كان يصلح للخدمة أحضرته وإلا كان أمير المؤمنين أولى من ستر عورتنا فقال لا بد من إحضاره فجاء جدي فأحضرني وتغيظ علي فاعتذرت وحلفت له أن هذا شيء ما تعمدته وإنما غنيت لنفسي وما أدري من أين خرج فأمر بإحضار عود فأحضر وأمرني فغنيته الصوت فقال قد عظمت مصيبتي فيك يا بني فحلفت له بالطلاق والعتاق ألا أقبل على الغناء رفداً أبداً
ولا أغني إلا خليفة أو ولي عهد ومن لعله أن يكون حاضراً مجالسهم فطابت نفسه فأحضرني فغنيت الرشيد الصوت فطرب وضرب عليه أقداحاً وأمرني بالملازمة مع الجلساء وجعل لي نوبة وأمر بحمل عشرة آلاف دينار إلى جدي وأمره أن يبتاع ضيعة لي بها فابتاع لي ضيعتي بالأهواز ولم أزل ملازماً للرشيد حتى خرج إلى خراسان وتأخرت عنه وفرق الموت بيننا

الواثق يقترض مالاً ليعطيه له

قال ابن المرزبان فكان عبد الله بن العباس سبباً لمعرفة أولياء العهود برأي الخلفاء فيهم فكان منهم الواثق فإنه أحب أن يعرف هل يوليه المعتصم العهد بعده أم لا فقال له عبد الله أنا أدلك على وجه تعرف به ذلك فقال وما هو فقال تسأل أمير

المؤمنين أن يأذن للجلساء والمغنين أن يصيروا إليك فإذا فعل ذلك فاخلع عليهم وعلي معهم فإني لا أقبل خلعتك لليمين التي علي ألا أقبل رفداً إلا من خليفة أو ولي عهد فقعد الواثق ذات يوم وبعث إلى المعتصم وسأله الإذن إلى الجلساء فأذن لهم فقال له عبد الله بن العباس قد علم أمير المؤمنين يميني فقال له أمض إليه فإنك لا تحنث فمضى إليه وأخبره الخبر فلم يصدقه وظن أنه يطيب نفسه فخلع عليه وعلى الجماعة فلم يقبل عبد الله خلعته وكتب إلى المعتصم يشكوه فبعث إليه اقبل الخلعة فإنه ولي عهدي ونمى إليه الخبر أن هذا كان حيلة من عبد الله فنذر دمه ثم عفا عنه

وسر الواثق بما جرى وأمر إبراهيم بن رياح فاقترض له ثلثمائة ألف درهم ففرقها على الجلساء ثم عرف غضب المعتصم على عبد الله بن العباس واطراحه إياه فاطرحه هو أيضاً فلما ولي الخلافة استمر على جفائه فقال عبد الله

(مالِي جُفِيتُ وكنتُ لا أُجفَى ... أيامَ أرهبُ سطوةَ السَّيْفِ)

(أدعُو إلهي أن أراكَ خليفةً ... بين المقام ومَسجد الخَيْفِ)

ودس من غناه الواثق فلما سمعه سأل عنه فعرف قائله فتذمم ودعا عبد الله فبسطه ونادمه إلى أن مات

وذكر العتابي عن ابن الكلبي أن الواثق كان يشتهي على عبد الله بن العباس

(أيُّها العاذِلُ جَهْلاً تلومُ ... قبل أن يَنْجاب عنه الصَّريمُ)

وأنه غناه يوماً فأمر بأن يخلع عليه خلعة فلم يقبلها ليمينه فشكاه إلى المعتصم فكاتبه في الوقت فكتب إليه مع مسرور سمانة اقبل خلع هارون فإنك لا تحنث فقبلها وعرف الواثق أنه ولي عهد

حدثني عمي قال حدثني أحمد بن المرزبان قال حدثني شيبة بن هشام قال كان عبد الله بن العباس يهوى جارية نصرانية لم يكن يصل إليها ولا يراها إلا إذا خرجت إلى البيعة فخرجنا يوماً معه إلى السعانين فوقف حتى إذا جاءت فرآها ثم أنشدنا لنفسه وغنى فيه بعد ذلك

صوت

(إن كنتَ ذا طِبٍّ فداوِينِي ... ولا تَلُم فاللَّومِ يُغرِينِي)

(يا نظرة أبقَتْ جوىً قاتِلاً ... من شادنٍ يومَ السَّعانِين)

(ونظرةً مِن رَبْربٍ عِين ... خرجْنَ في أحسنِ تَزْيين)

(خرجن يمشين إلى نُزْهةٍ ... عواتِقاً بين البساتِين)

((مُزَنَّراتٌ بِهَماييِنها ... والعَيشُ ما تَحْتَ الهَمايين

لحن عبد الله بن العباس في هذا الشعر هزج

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا محمد بن عمر الجرجاني ومحمد بن حماد كاتب راشد قالا

كتب عبد الله بن العباس الربيعي في يوم نيروز واتفق في يوم الشك بين شهري رمضان وشعبان إلى محمد بن الحارث بن بسخنر يقول

(اسْقِنْي صفراءَ صافيةً ... ليلةَ النَّيروزِ والأحَدِ)

(حَرَّم الصَّومُ اصطِباحَكما ... فتزوَّدْ شربَها لغَدِ)

(وأتِنَا أو فادْعُنا عَجِلاً ... نَشْتَرك في عِيشَةٍ رَغَدِ)

قال فجاءه محمد بن الحارث بن بسخنر فشربا ليلتهما

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثنا أحمد بن المكي قال حدثنا عبد الله بن العباس الربيعي قال

جمع الواثق يوماً المغنين ليصطبح فقال بحياتي إلا صنعت هزجاً حتى أدخل وأخرج إليكم الساعة ودخل إلى جواريه فقلت هذه الأبيات وغنيت فيها هزجاً قبل أن يخرج وهي

صوت

(بأبي زَورٌ أتاني بالغَلَسْ ... قُمْتُ إجلالاً له حتى جَلَسْ)

(فتعانَقْنا جميعاً ساعةً ... كادَتِ الأرواحُ فيها تُختَلَسْ)

((قلتُ يا سُؤْلي ويا بدرَ الدُّجَى ... في ظَلامِ اللَّيلِ ماخِفتَ العَسَسْ

(قال قد خِفْتُ ولكنَّ الهوَى ... آخذٌ بالرُّوحِ منّي والنَّفسْ)

(زارني يَخطِر في مِشيْتِه ... حوله من نُورِ خَدّيْه قَبَسْ)

قال فلما خرج من دار الحرم قال لي يا عبد الله ما صنعت فاندفعت فغنيته فشرب حتى سكر وأمر لي بخمسة آلاف درهم وأمرني بطرحه على الجواري فطرحته عليهن

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا أبو أيوب المديني عن حماد قال من مليح صنعة عبد الله بن العباس الربيعي والشعر ليوسف بن الصيقل ولحنه هزج

صوت

(أبعدَ المواثيق لي ... وبعد السؤال الحَفِي)

(وبعْد اليَمِين التي ... حلَفْتِ على المُصحفِ)

(تركتِ الهوَى بينَنا ... كضوءِ سراجٍ طُفِي)

(فليتكِ إذ لم تَفِي ... بوعدك لم تُخْلِفِي)

حدثني الصولي قال حدثني يزيد بن محمد المهلبي قال

كان الواثق قد غضب على فريدة لكلام أخفته إياه فأغضبته وعرفنا ذلك وجلس في تلك الأيام للصبوح فغناه عبد الله بن العباس

صوت

(لا تأمنِي الصَّرْمَ مِنّي أن ترَيْ كَلَفِي ... وإن مَضَى لصفاءِ الوُدِّ أعصارُ)

((ما سُمِّيَ القَلْبُ إلا من تَقَلُّبه ... والرأيُ يُصرَفُ والأهواءُ أطوارُ

(كم مِنْ ذَوي مِقَةٍ قَبْلي وقَبْلَكمُ ... خانوا فأضحوا إلى الهِجْرانِ قد صارُوا)

فاستعاده الواثق مراراً وشرب عليه وأعجب به وأمر لعبد الله بألف دينار وخلع عليه

الشعر للأحوص والغناء لعبد الله بن العباس هزج بالوسطى عن عمرو
المتوكل يفضله على سائر المغنين
وأخبرني جعفر بن قدامة قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال
(... غنّيتُ المتوكّل ذاتَ يوم)
(أحبّ إلينا منك دَلاًّ وما يَرى ... له عند فِعْلِي من ثَوابٍ ولا أجْرِ)
فطرب وقال أحسنت والله يا عبد الله أما والله لو رآك الناس كلهم كما أراك لما ذكروا مغنياً سواك أبدا
نسخت من كتاب لأبي العباس بن ثوابة بخطه حدثني أحمد بن إسماعيل
ابن حاتم قال قال لي عبد الله بن العباس الربيعي
دخلت على المعتصم أودعه وأنا أريد الحج فقبلت يده وودعته فقال يا عبد الله إن فيك لخصالاً تعجبني كثر الله في موالي مثلك فقبلت رجله والأرض بين يديه وأحسن محمد بن عبد الملك الزيات محضري وقال له إن له يا أمير المؤمنين أدباً حسناً وشعراً جيداً فلما خرجت قلت له أيها الوزير ما شعري أنا في الشعر تستحسنه وتشيد بذكره بين يدي الخليفة فقال دعنا منك تنتفي من الشعر وأنت الذي تقول
(يا شادِياً مرَّ إذا رامَ ... في السَّعانِين قَتْلي)
(يقولُ لي كيف أصبحْتَ ... كيْف يُصبِح مِثْلي)
أحسنت والله في هذا ولو لم تقل غير هذا لكنت شاعراً
أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن المرزبان قال قال أبي قال عبد الله ابن العباس الربيعي
لقيني سوار بن عبد الله القاضي وهو سوار الأصغر فأصغى إلي وقال إن لي إليك حاجة فأتني في خفي فجئته فقال لي إليك حاجة قد أنست بك فيها لأنك لي كالولدفإن شرطت لي كتمانها أفضيت بها إليك فقلت ذلك للقاضي علي شرط وواجب فقال إني قلت أبياتاً في جارية لي أميل إليها وقد قلتني وهجرتني وأحببت أن تصنع فيها ولحنا وتسمعينه وإن أظهرته وغنيته بعد ألا يعلم أحد أنه شعري فلست أبالي أتفعل ذلك قلت نعم حباً وكرامة فأنشدني
صوت
(سَلَبْتُ عِظامي لحمَها فتركْتِها ... عَواريَ في أجلادِها تَتَكَسَّرُ)
(وأخلَيتِ منها مُخَّها فكأنّها ... أنابيبُ في أجوافِها الرِّيح تصفِرُ)
(إذا سَمِعتْ باسْمِ الفِراق ترعَّدَت ... مفاصِلُها من هَوْل ما تتحذَّرُ)
(خُذِي بيدي ثم اكْشِفي الثوبَ فانظُري ... بِلَى جَسَدِي لكِنَّني أتَستَّرُ)
(وليس الذي يجْرِي من العين ماؤُها ... ولكِنَّها رُوحٌ تَذُوبُ فَتَقْطُرُ)
اللحن الذي صنعه عبد الله بن العباس في هذا الشعر ثقيل أول قال عبد الله فصنعت فيه لحناً ثم عرفته خبره في رقعة كتبتها إليه وسألته وعداً يعدني به للمصير إليه فكتب إلي نظرت في القصة فوجدت هذا لا يصلح ولا ينكتم علي حضورك وسماعي إياك وأسأل الله أن يسرك ويبقيك فغنيت الصوت وظهر حتى تغنى به الناس فلقيني سوار يوماً فقال لي يا بن أخي قد شاع أمرك في ذلك الباب حتى سمعناه من بعد كأنا لم نعرف القصة فيه وجعلنا جميعاً نضحك
أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن المرزبان قال
كان بشر خادم صالح بن عجيف عليلاً ثم برئَ فدخل إلى عبد الله بن العباس فلما رآه فتلقاه وأجلسه وشرب سروراً بعافيته وصنع لحناً من الثقيل الأول هو من جيد صنعته
صوت
(مَوْلاَي ليس لِعَيشٍ لستَ حاضره ... قَدْرٌ ولا قِيمَةٌ عندي ولا ثَمَنُ)
(ولا فَقَدتُ من الدُّنيا ولذَّتِها ... شَيئاً إذا كان عندي وَجْهُك الحَسَنُ)
حدثني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثنا عبد الله بن العباس الربيعي قال
جمعنا الواثق يوماً بعقب علة غليظة كان فيها فعوفي وصح جسمه فدخلت إليه مع المغنين وعودي في يدي فلما وقعت عيني عليه من بعيد وصرت بحيث يسمع صوتي ضربت وغنيت في شعر قلته في طريقي إليه وصنعت فيه لحناً وهو
صوت
(اسْلَمْ وعَمَّرك الإله لأمَّةٍ ... بك أصبَحْت قَهَرتْ ذَوي الإلحادِ)
(لو تَستَطِيعُ وَقَتْك كُلَّ أذِيَّةٍ ... بالنَّفْس والأمْوال والأولادِ)
فضحك وسر وقال أحسنت يا عبد الله وسررتني وتيمنت بابتدائك ادن مني فدنوت منه حتى كنت أقرب المغنين إليه ثم استعادني الصوت فأعدته ثلاث مرات وشرب عليه ثلاثة أقداح وأمر لي بعشرة آلاف درهم وخلعة من ثيابه
حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال
كان عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع يهوى جارية نصرانية فجاءته يوماً تودعه فأعلمته أن أباها يريد الانحدار إلى بغداد والمضي بها معه فقال في ذلك وغنى فيه
صوت
(أفدِي التي قُلتُ لها ... والبَينُ منّا قد دَنَا)
(فَقدُكِ قد أنحلَ جِسْمِي ... وأذاب البَدَنا)
(قالت فماذا حِيلَتي ... كذاك قد ذبتُ أنا)
(باليَأس بعدِي فاقتنع ... قلت إذاً قَلّ الغَنَا)
حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني علي بن عيسى ابن جعفر الهاشمي قال
دخل علي عبد الله بن العباس في يوم النصف من شعبان وهو يوم سبت وقد عزمت على الصوم فأخذ بعضادتي باب مجلسي ثم قال يا أميري
(تُصْبِحُ في السّبت غيرَ نشوانِ ... وقد مَضى عنك نِصفُ شعبان)
فقلت قد عزمتُ على الصوم فقال أفعليك وزر إن أفطرت اليوم لمكاني وسررتني بمساعدتك لي وصمت غداً وتصدقت مكان إفطارك فقلت أفعل فدعوت بالطعام فأكلت وبالنبيذ فشربنا وأصبح من غد عندي فاصطبح وساعدته فلما كان اليوم الثالث انتبهت سحراً وقد قال هذا الشعر وغنى فيه

(شعبانُ لم يبقَ منه ... إلا ثَلاثٌ وعَشْرُ)
(فباكِرِ الرّاحَ صِرْفاً ... لا يَسْبِقَنّكَ فَجْرُ)
(فإن بَغتكَ اصطِباحٌ ... فلا يفوتَنْك سُكْرُ)
(ولا تُنادِم فتىً وقتُ ... شُربه الدَّهْرَ عَصرُ)
قال فأطربني واصطبحت معه في اليوم الثالث فلما كان من آخر النهار سكر وانصرف وما شربنا يومنا كله إلى على هذا الصوت
حدثني عمي قال حدثني ابن دهقانة النديم قال
دخل عبد الله بن العباس إلى المتوكل في آخر شعبان فأنشده
(عَلِّلاني نَعِمْتُما بِمدَامِ ... واسْقِياني من قَبْل شَهْر الصِّيامِ)
(حرَّم اللهُ في الصِّيامِ التَّصابي ... فتركناه طاعةً للإمامِ)
(... أظهر العَدْلَ فاستَنار به الدِّينُ ... وأحيا شرائعَ الإسلامَ)
فأمر المتوكل بالطعام فأحضر وبالنديم وبالجلساء فأتي بذلك فاصطبح وغناه عبد الله في هذه الأبيات فأمر له بعشرة آلاف درهم

قصته مع المرابين

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال حدثني عبد الله بن العباس قال
كنت مقيماً بسر من رأى وقد ركبني دين ثقيل أكثر عينة ورباً فقلت في المتوكل
(أسقِياني سَحَراً بالكُبَرَهْ ... ما قَضى اللّهُ فَفِيهِ الخِيَرَهْ)
(أكرَمَ اللّهُ الإمامَ المرتَضَى ... وأطال اللّهُ فينا عُمُرَهْ)
(إن أكُن أُقْعِدْتُ عنه هكذا ... قدّرَ اللّه رَضِينا قَدَرَهْ)
(سرّه اللّهُ وأبقاه لنا ... ألفَ عامٍ وكَفَانَا الفَجَرَهْ)
وبعثت بالأبيات إليه وكنت مستتراً من الغرماء فقال لعبيد الله بن يحيى وقع إليه من هؤلاء الفجرة الذين استكفيت الله شرهم فقلت المغنيون الذين قد ركبني لهم أكثر مما أخذت منهم من الدين بالربا فأمر عبيد الله أن يقضي ديني وأن يحتسب لهم رؤوس أموالهم ويسقط الفضل وينادي بذلك في سُرَّ من رأى حتى لا يقضي أحدُ أحداً إلا رأس ماله وسقط عني وعن الناس من الأرباح زهاء مائة ألف دينار كانت أبياتي هذه سببها
حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال حدثني أبي قال مرض عبد الله بن العباس بسر من رأى في قدمة قدمها إليها فتأخر عنه من كان يثق به فكتب إليهم
(ألا قُلْ لمن بالجانِبَين بأنَّني ... مريضٌ عداني عن زيارتهم مابِي)
(فَلَو بِهم بعضُ الذي بي لزُرتُهم ... وحاشَ لهم من طُولِ سُقْمِي وأوصابِي)
(وإن أقشعت عني سَحابَةُ عِلَّتي ... تَطاوَل عَتْبي إن تأخّر إعتابي)
قال فما بقي أحد من إخوانه إلا جاءه عائداً معتذراً
أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد بن موسى قال
سمعت عبد الله بن العباس يغني ونحن مجتمعون عند علوية بشعر في النصرانية التي كان يهواها والصنعة له
صوت
(إنَّ في القَلْبِ من الظَّبْي كُلومْ ... فَدع اللَّومَ فإن اللَّوْمَ لُومْ)
(حبَّذا يومُ السَّعانِينِ وما ... نِلْتُ فيه من نَعيمٍ لو يَدُومْ)
(إن يَكُن أعظمتَ أنْ هِمتُ به ... فالذي تَرْكَبُ مِن عَذْلي عَظِيمْ)
(لم أكُن أوّلَ مَنْ سَنَّ الهوَى ... فدَع اللَّومَ فذا دَاءٌ قديمْ)
الغناء لعبد الله هزج بالوسطى
حدثني أبو بكر الربيعي قال حدثتني عمتي وكانت ربيت في دار عمها عبد الله بن العباس قالت كان عبد الله لا يفارق الصبوح أبداً إلا في يوم جمعة أو شهر رمضان وإذا حج وكانت له وصيفة يقال لها هيلانة قد رباها وعلمها الغناء فأذكره يوماً وقد اصطبح وأنا في حجره جالسة والقدح في يده اليمنى وهو يلقي على الصبية صوتاً أوله
(صدعَ البينُ الفُؤادَا ... إذ به الصائحُ نَادَى)
فهو يردده ويومىء بجميع أعضائه إليها يفهمها نغمه ويوقع بيده على كتفي مرة وعلى فخذي أخرىوهو لا يدري حتى أوجعني فبكيت وقلت قد أوجعتني مما تضربني وهيلانة لا تأخذ الصوت وتضربني أنا فضحك حتى استلقى واستملح قولي فوهب لي ثوب قصب أصفر وثلاثة دنانير جدداً فما أنسى فرحي بذلك وقيامي به إلى أمي وأنا أعدو إليها وأضحك فرحاً به
نسبة هذا الصوت
صوت
(صدَع البَينُ الفُؤادَا ... إذ به الصائِحُ نادَى)
(بيْنما الأحبابُ مجموعون ... إذ صَاروا فُرَادَى)
(فأتى بعضٌ بلاداً ... وأتى بعضٌ بلادَا)
(كُلَّما قُلْتُ تَناهَى ... حَدَثانُ الدَّهر عادا)
والشعر والغناء لعبد الله هزج بالوسطى عن عمرو
صوت
(حضر الرحيل وشُدَّتِ الأحداجُ ... وغدا بهنّ مُشَمِّرٌ مِزعاجُ)
(للشوق نيرانٌ قَدَحْنَ بقلبه ... حتى استمرّ به الهوى المِلجاجُ)
(أزعج هواكَ إلى الّذين تحبُّهمْ ... إن المحبَّ يسوقُه الإزعاجُ)
(لن يدنينَّك للحبيب ووصله ... إلاّ السُّرَى والبازلُ الهَجهَاجُ)
الشعر لسلم الخاسر والغناء لهاشم بن سليمان ثقيل أول بالوسطى

أخبار سلم الخاسر ونسبه
سلم بن عمر ومولى بن تيمْ بن مرة ثم مولى أبي بكر الصديق رضوان الله عليه بصري شاعر مطبوع متصرف في فنون الشعر من شعراء الدولة العباسية
وهو راوية بشار بن برد وتلميذه وعنه أخذ ومن بحره اغترف وعلى مذهبه ونمطه قال الشعر
ولقب سلم بالخاسر فيما تعال لأنه ورث من أبيه مصحفاً فباعه واشترى بثمنه طنبوراً وقيل بل خلف له أبوه مالا فأنفقه على الأدب والشعر فقال له بعض أهله إنك لخاسرُ الصفقة فلقب بذلك
وكان صديقاً لإبراهيم الموصلي ولأبي العتاهية خاصة من الشعراء والمغنين ثم فسد ما بينه وبين أبي العتاهية وكان سلم منقطعاً إلي البرامكة وإلى الفضل بن يحي خصوصاً من بينهم وفيه يقول أبو العتاهية
(إنما الفضل لِسَلْمٍ وحدَه ... ليس فيه لسوى سَلْمٍ دَرَكْ)
وكان هذا أحد الأسباب في فساد ما بينه وبين أبي العتاهية ولسلم يقول أبو العتاهية وقد حج مع عتبة
(واللهِ واللهِ ما أُبالي متى ... ماتُّ يا سَلْمُ بعدَ ذا السفَر)
أليس قد طُفْتُ حيث طافت وَقّبلتُ ... الذي قبلَتْ من الحجر
وله يقول أبو العتاهية وقد حبس إبراهيم الموصلي
(سَلْمُ يا سلم ليس دونك سِرٌّ ... حُبس الموصليُّ فالعيش مُرُّ)
(ما استطاب اللذاتِ مذ سَكَن المُطبقَ ... رأسُ اللذات واللهِ حُرُّ)
(تَرَكَ الموصليُّ مَن خَلَق اللهُ ... جميعاً وعيشهم مُقْشعِرّ)
سلم ولقبه
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي بن الحسن الواسطي قال حدثني أبو عمرو سعيد بن الحسن الباهلي الشاعر قال
لما مات عمرو أبو سلم الخاسر اقتسموا ميراثه فوقع في قسط سلم مصحف فرده وأخذ مكانه دفاتر شعر كانت عند أبيه فلقب الخاسر بذلك
أخبرني الحسن قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال ورث سلم الخاسر أباه مائة ألف درهم فأنفقها على الأدب وبقي لا شيء عنده فلقبه الجيران ومن يعرفه بسلم الخاسر وقالوا أنفق ماله على ما لا ينفعه ثم مدح المهدي أو الرشيد وقد كان بلغه اللقب الذي لقب به فأمر له بمائة ألف درهم وقال له كذب بهذا المال جيرانك فجاءهم بها وقال لهم هذه المائة الألف التي أنفقتها وربحت الأدب فأنا سلم الرابح لا سلم الخاسر باع مصحفه ليشتري طنبوراً
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه قال
إنما لقب سلم الخاسر لأنه ورث عن أبيه مصحفاً فباعه واشترى بثمنه طنبوراً
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمر الفضل قال
قال لي الجماز سلم الخاسر خالي لحاً فسألته لم لقب الخاسر فضحك ثم قال إنه قد كان نسك مدة يسيرة ثم رجع إلى أقبح ما كان عليه وباع مصحفاً له ورثه عن أبيه وكان لجده قبله واشترى بثمنه طنبوراً فشاع خبره وافتضح فكان يقال له ويلك هل فعل أحد ما فعلت فقال لم أجد شيئاً أتوسل به إلى إبليس هو أقر لعينه من هذا
أخبرني عمي قال أنبأنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن صالح المؤدب وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال حدثني أبي عن أحمد بن صالح قال قال بشار بن برد
صوت
(لا خَيْرَ في العيش إن دُمنا كذا أبداً ... لا نلتقي وسبيلُ المُلْتَقَى نَهَجُ)
(قالوا حَرامٌ تلاقِينا فقلتُ لهمْ ... ما في التَّلاقي ولا في غيره حرجُ)
(مَنْ راقَبَ الناسَ لم يظفَرْ بحاجته ... وفاز بالطيّباتِ الفاتُك اللهجُ)
قال فقال سلم الخاسر أبياتاً ثم أخذ معنى هذا البيت فسلخه وجعله في قوله
(مَن راقب الناسَ مات غماً ... وفاز باللذة الجَسورُ)
سرق معنى بيت لبشار فغضب عليه
فبلغ بيته بشاراً فغضب واستشاط وحلف ألا يدخل إليه ولا يفيده ولا ينفعه مادام حيا فاستشفع إليه بكلِّ صديق له وكل من يثقل عليه رده فكلموه فيه فقال أدخلوه إلي فأدخلوه إليه فاستدناه ثم قال إيه يا سلم من الذي يقول
(من راقب الناسَ لم يظْفَر بَحاجته ... وفاز بالطّيبات الفاتكُ اللهجُ)
قال أنت يا أبا معاذ قد جعلني الله فداءك قال فمن الذي يقول
(من راقب الناس مات غمّاً ... وفاز باللذة الجسورُ)
قال تلميذك وخريجك وعبدك يا أبا معاذ فاجتذبه إليه وقنعه بمخصَرة كانت في يده ثلاثاً وهو يقول لا أعود يا أبا معاذ إلى ما تنكره ولا آتي شيئا تذمه إنما أنا عبدك وتلميذك وصَنيعتك وهو يقول له يا فاسق أتجيء إلى معنى قد سهرت له عيني وتعب فيه فكري وسبقت الناس إليه فتسرقه ثم تختصره لفظاً تقربه به لتزري علي وتذهب بيتي وهو يحلف له إلا يعود والجماعة يسألونه فبعد لأي وجهد ما شفعهم فيه وكف عن ضربه ثم رجع له ورضي عنه
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال أخبرني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدثني عبد الوهاب بن مرار قال حدثني أبو معاذ النميري رواية بشار قال
قد كان بشار قال قصيدة فيها هذا البيت
(من راقب الناس لم يضفَرْ بحاجته ... وفاز بالطيّبات الفاتكُ اللهجُ)
قال فقلت له يا أبا معاذ قد قال سلم الخاسر بيتاً هو أحسن وأخف على الألسن من بيتك هذا قال وما هو فقلت
((من راقب الناسَ مات غمّاً ... وفاز باللذة الجسورُ
فقال بشار ذهب والله بيتنا أما والله لوددت أنه ينتمي في غير ولاء أبي بكر رضي الله عنه وأني مغرم ألف دينار محبة) مني لهتك عرضه وأعراض مواليه قال فقلت له ما أخرج هذا القول منك إلا غم قال أجل فو الله لا طعمت اليوم طعاماً

وصمت
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني ابن إسحاق بن محمد النخعي قال قال أبو معاذ النميري قال بشار قصيدة وقال فيها
من راقب الناسَ لم يظفرْ بحاجتِه ... وفاز بالطيّباتِ الفاتكُ اللهجُ) ... فعرفته أن سلماً قد قال)
(من راقب الناسَ مات غَمّاً ... وفاز باللذة الجسورُ)
فلما سمع بشار هذا البيت قال سار والله بيت سلم وخمل بيتنا قال وكان كذلك لهج الناس ببيت سلم ولم ينشد بيت بشار أحد
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثني الحسن بن عليل العنزي قال حدثني أبو مالك محمد بن موسى اليماني قال
لما بنى صالح بن المنصور قصره بدجلة قال فيه سلم الخاسر
(يا صالحَ الجودِ الذي مجدُه ... أفْسدَ مجدَ الناسِ بالجودِ)
(بَنَيتَ قصراً مشْرفاً عالِياً ... بطائرَيْ سعدٍ ومسعودِ)
(كأنما يَرفعُ بنيانَه ... جِنُّ سليمانَ بن داودِ)
(لازلتَ مسروراً به سالماً ... على اختلاف البيض والسودِ)
يعني الأيام والليالي فأمر له صالح بألف درهم
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني بعض آل ولد حمدون بن إسماعيل وكان ينادم المتوكل عن أبيه قال كان سلم الخاسر من غلمان بشار فلما قال بشار قصيدته الميمية في عمر بن العلاء وهي التي يقول فيها
(إذا نَبّهتْك صعابُ الأمورِ ... فنبَه لها عُمَراً ثم نَمْ)
(فتىً لا يبيت على دِمْنَةٍ ... ولا يَشرب الماءَ إلا بِدَمْ)
بعث بها مع سلم الخاسر إلى عمر بن العلاء فوافاه فأنشده إياها فأمر لبشار بمائة ألف درهم فقال له سلم إن خادمك يعني نفسه قد قال في طريقه فيك قصيدة قال فإنك لهناك قال تسمع ثم تحكم ثم قال هات فأنشده
صوت
(قد عزّني الداءُ فمالِي دَواءُ ... مِمّا ألاقي مِن حِسانِ النساءْ)
(قَلْبٌ صحيحٌ كنت أسطو به ... أصبح مِن سَلْمى بِداء عَياءْ)
(أنفاسها مِسك وفي طَرْفِها ... سِحرٌ ومالي غيرها من دواءْ)
(وَعَدْتِنِي وَعْداً فأوفِي به ... هل تَصْلُح الخمرة إلا بماءْ)
ويقول فيها
(كم كُرْبةٍ قد مسّني ضُرُّها ... نادَيتُ فيها عُمَر بن العلاءْ)
قال فأمر له بعشرة آلاف درهم فكانت أول عطية سنية وصلت إليه
سلم وعاصم بن عتبة
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال وجدت في كتاب بخط الفضل بن مروان
وكان عاصم بن عتبة الغساني جد أبي السمراء الذي كان مع عبد الله بن طاهر صديقاً لسلم الخاسر كثير البر به والملاطفة له وفيه يقول سلم
(الجُود في قحطانٍ ... ما بَقِيتْ غسانُ)
(اسْلَمْ ولا أُبالي ... ما فَعَل الإخْوانُ)
(ما ضَرّ مُرْتَجِيه ... ما فعل الزمانُ)
(مَن غاله مَخُوفٌ ... فعاصمٌ أمانٌ)
وكانت سبعين بيتاً فأعطاه عاصم سبعين ألف درهم وكان مبلغ ما وصل إلى سلم من عاصم خمسائة الف درهم فلما حضرته الوفاة دعا عاصماً فقال له إني ميت ولا ورثة لي وإن مالي مأخوذ فأنت أحق به فدفع إليه خمسائة ألف درهم ولم يكن لسلم وارث قال وكان عاصم هذا جواداً
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن طهمان قال أخبرني القاسم بن موسى بن مزيد
أن يزيد بن مزيد قال ما حسدت أحداً قط على شعر مدح به إلا عاصم بن عتبة الغساني فإني حسدته على قول سلم الخاسر فيه
(لِعاصمٍ سَماءٌ ... عارضُها تَهتانُ)
(أمطارُها اللجينُ ... والدر والعِقيان)
(ونارهُ تنادِي ... إذْ خَبَت النِّيرانُ)
(الجودُ في قحطان ... ما بقيت غسان)
(اسلَمْ ولا أُبالي ... ما فَعل الإخوان)
(صَلْتٌ له المعالي ... والسيف والسنان)
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا يعقوب بن نعيم عن محمد ابن القاسم بن مهرويه وأخبرني به الحسن بن علي عن أبن مهرويه عن الغريبي عن محمد بن عمر الجرجاني قال
كان سلم تلميذ بشار إلا أنه كان تباعد ما بينهما فكان سلم يقدم أبا العتاهية ويقول هو أشعر الجن والإنس إلى أن قال أبو العتاهية يخاطب سلماً
(تعالَى اللهُ يا سلمَ بنَ عمرو ... أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ)
(هَب الدّنيا تصيرُ إليك عَفْواً ... أليس مصيرُ ذاكَ إلى زوال)
قال وبلغ الرشيد هذا الشعر فاستحسنه وقال لعمري إن الحرص لمفسدة لأمر الدين والدنيا وما فتشت عن حريص قط مغيبه إلا انكشف لي عما أذمه وبلغ ذلك سلماً فغضب على أبي العتاهية وقال ويلي على الجرار ابن الفاعلة الزنديق

زعم أني حريص وقد كنز البدور وهو يطلب وأنا في ثوبي
هذين لا أملك غيرهما وانحرف عن أبي العتاهية بعد ذلك
خبره مع أبي العتاهية
أخبرني محمد بن يحيى الصولي حدثنا محمد بن موسى قال أخبرني محمد بن إسماعيل السدوسي قال حدثني جعفر العاصمي وأخبرني عمي عن أحمد بن أبي طاهر عن القاسم بن الحسن عن زكريا بن يحيى المدائني عن علي بن المبارك القضاعي عن سلم الخاسر
أن أبا العتاهية لما قال هذا الشعر فيه كتب إليه
(ما أقبحَ التزهيدَ مِنْ واعظٍ ... يُزَهِّدُ الناسَ ولا يَزْهَدُ)
(لو كان في تزهيدِهِ صادقاً ... أضحى وأمسى بيتَه المسجدُ)
(ورفَضَ الدنيا ولم يَلْقَها ... ولم يكن يسعى ويسْتَرْفِدُ)
(يخاف أن تنفدَ أرزاقُه ... والرزقُ عند الله لا ينفدُ)
(الرِّزقُ مقسومٌ على مَنْ تَرَى ... ينالُه الأبيضُ والأسودُ)
(كُلٌّ يُوفَّى رزقَه كاملاً ... مَنْ كفّ عن جهدٍ ومَن يَجْهدُ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أبو العسكر المسمعي وهو محمد بن سلميان قال حدثني العباس بن عبد الله بن سنان بن عبد الملك بن مسمع قال
كنا عند قثم بن جعفر بن سليمان وهو يومئذ أمير البصرة وعنده أبو العتاهية ينشده شعره في الزهد فقال لي قثم يا عباس اطلب لي الجماز الساعة حيث كان فجئني به ولك سبق فطلبته فوجدته جالساً ناحية عند ركن دار جعفر بن سليمان فقلت له أجب الأمير فقام معي حتى أتى قثم فجلس في
ناحية مجلسه وأبو العتاهية ينشده ثم قام إليه الجماز فواجهه وأنشد قول سلم الخاسر فيه
(ما أقبح التزهيدَ من واعظٍ ... يُزَهِّدُ الناسَ ولا يَزْهَدُ)
(لو كان في تزهيدِهِ صادقاً ... أضحى وأمسى بيتَه المسجدُ)
وذكر الأبيات كلها فقال أبو العتاهية من هذا أعز الله الأمير قال هذا الجماز وهو ابن أخت سلم الخاسر انتصر لخاله منك حيث قلت له
(تعالَى اللهُ يا سلم بنَ عمرو ... أذلّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ)
قال فقال أبو العتاهية للجماز يا بن أخي إني لم أذهب في شعري الأول حيث ذهب خالك ولا أردتُ أن أهتف به ولا ذهبت أيضاً في حضوري وإنشادي حيث ذهبت من الحرص على الرزق والله يغفر لكما ثم قام فانصرف
أخبرني عمي عن أحمد بن أبي طاهر عن أبي هفان قال
وصل إلى سلم الخاسر من آل برمك خاصة سوى ما وصل إليه من غيرهم عشرون ألف دينار ووصل إليه من الرشيد مثلها
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عماي عبيد الله والفضل عن أبيهما عن أبي محمد اليزيدي
أنه حضر مجلس عيسى بن عمر وحضر سلم الخاسر فقال له يا أبا محمد اهجني على روي قصيدة امرىء القيس
(رُبَّ رامٍ مِنْ بَني ثُعَلٍ ... مُخْرِجٌ كفيه في سُتَرِهْ)
قال فقلت له ما دعاك إلى هذا قال كذا أريد فقلت له يا هذا أنا وأنت أغنى الناس عما تستدعيه من الشر فلتسعك العافية فقال إنك لتحتجز
مني نهاية الإحتجاز وأراد أن يوهم عيسى أني مفحم عيبيٌّ لا أقدر على ذلك فقال لي عيسى أسألك يا أبا محمد بحقي عليك إلا فعلت فقلت
(رُبّ مغمومٍ بعاقِبةٍ ... غَمَط النعمةَ من أشَرِهْ)
(وامرىءٍ طالَت سلامتُه ... فرماه الدهرُ من غِيَرِهْ)
(بِسهامٍ غير مُشْوِيَةٍ ... نَقَضَت منه قُوى مِرَرِهْ)
(وكذاك الدهرِ منقلِبٌ ... بالفتى حالين من عُصُرِهْ)
(يَخْلِط العُسْرَ بمَيْسرةٍ ... ويَسارُ المرء في عُسُرِهْ)
(عَقّ سلمٌ أمه صِغَراً ... وأبا سَلْم عَلَى كِبَرِهْ)
(كلَّ يومٍ خلفَه رجُل ... رامحٌ يسعى عَلَى أثَرِهْ)
(يُولج الغُرمولَ سبَّتَه ... كوُلوجِ الضَّبِّ في جُحُرِهْ)
قال فاغتم سلم وندم وقال هكذا تكون عاقبة البغي والتعرض للشر فضحك عيسى وقال له قد جهد الرجل أن تدعه وصيانته ودينه فأبيت إلا أن يدخلك في حر أمك
ترفهه عندما يأتي المهدي
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال سمعت أبي يقول
كان المهدي يعطي مروان وسلماً الخاسر عطية واحدة فكان سلم يأتي باب المهدي على البرذون الفاره قيمته عشرة آلاف درهم بسرج ولجام مفضضين ولباسه الخز والوشي وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان ورائحة المسك والطيب والغالية تفوح منه ويجيء مروان بن أبي حفصة عليه فرو كبل وقميص كرابيس وعمامة كرابيس وخفاً كبل وكساء غليظ وهو منتن الرائحة وكان لا يأكل اللحم حتى يقرم إليه بخلاً فإذا قرم أرسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله فقال له قائل أراك لا تأكل إلا الرأس قال نعم أعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولا أشتري لحماً فيطبخه فيأكله منه والرأس آكل من ه ألواناً آكل منه عينيه لوناً ومن غلصمته لوناً ومن دماغه لوناً
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا يحيى بن الحسن الربيعي قال أخبرني أبي قال
كان سلم الخاسر قد بلي بالكيمياء فكان يذهب بكل شيء له باطلاً فلما أراد الله عز وجل أن يصنع له عرف أن بباب الشام صاحب كيمياء عجيباً وأنه لا يصل إليه أحد إلا ليلاً فسأل عنه فدلوه عليه

قال فدخلت إليه إلى موضع معور فدققت الباب فخرج إلي فقال
من أنت عافاك الله فقلت رجل معجب بهذا العلم قال فلا تشهرني فإني رجل مستور إنما أعمل للقوت قال قلت إني لا أشهرك إنما أقتبس منك قال فاكتم ذلك قال وبين يديه كوز شبه صغير فقال لي اقلع عروته فقلَعتها فقال اسبكها في البوطقة فسبكتها فأخرج شيئاً من تحت مصلاه فقال ذره عليه ففعلت فقال أفرغه فأفرغته فقال دعه معك فإذا أصبحت فاخرج فبعه وعد إلي فأخرجته إلى باب الشام فبعت المثقال بأحد وعشرين درهماً ورجعت إليه فأخبرته فقال اطلب الآن ما شئت قلت تفيدني قال بخمسمائة درهم على أن لا تعلمه أحداً فأعطيته وكتب لي صفة فامتحنتها فإذا هي باطلة فعدت إليه فقيل لي قد تحول وإذا عروة الكوز المشبه من ذهب مركبة عليه والكوز شبه ولذلك كان يدخل إليه من يطلبه ليلاً ليخفي عليه فانصرفت وعلمت أن الله عز وجل أراد بي خيراً وأن هذا كله باطل
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العنزي قال حدثني أبو مالك اليماني قال حدثني أبو كعب قال
لما ماتت البانوكة بنت المهدي رثاها سلم الخاسر بقوله
(أودَى ببانوكَةٌ ريبُ الزمانْ ... مُؤْنسةِ المهديِّ والخيزُرانْ)
(لم تَنْطوِ الأرضُ على مِثلِها ... مولودةٌ حَنّ لها الوالدانْ)
(بانوكُ يا بنتَ إمامِ الهُدَى ... أصبحْتِ مِن زينة أهلِ الجِنانْ)
(بكتْ لكِ الأرضُ وسُكّانُها ... في كل أُفْقٍ بين إنسٍ وجانْ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني علي بن الحسن الشيباني قال حدثني أبو المستهل الأسدي وهو عبد الله بن تميم بن
حمزة قال كان سلم الخاسر يهاجي والبة بن الحباب فأرسلني إليه سلم وقال قل له
(يا والبَ بنَ الحُبَابِ يا حَلَقي ... لَسْتَ من أهل الزناء فانطلق)
(تُدخِلُ فيه الغُرمولَ تولجه ... مثلَ وُلوجِ المِفتاح في الغَلَقِ)
قال فأتيت والبة فقلت له ذلك فقال لي قل له يا بن الزانية سل عنك ريعان التميمي يعني أنه ناكه قال وكان ريعان لوطيا آفة من الآفات وكان علامة ظريفاً
قال فحدثني جعفر بن قدامة عن محمد العجلي عن أحمد بن معاوية الباهلي قال سمعت ريعان يقول نكت الهيثم بن عدي فمن ترونه يفلت مني بعده
وأخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا العنزي قال حدثني أبو مالك محمد بن موسى اليماني قال
كان سلم الخاسر مدح بعض العلويين فبلغ ذلك المهدي فتوعده وهم به فقال سلم فيه
(إني أتتني على المهدي مَعْتَبَةٌ ... تكاد من خوفِها الأحشاء تضطربُ)
(اسمعْ فداكَ بَنُو حواء كُلُّهمُ ... وقد يجوز برأس الكاذب الكذبُ)
((فقد حَلَفتُ يميناً غيرَ كاذبة ... يومَ المَغِيبة لم يُقطَعْ لها سببُ
(ألاّ يحالِفَ مدحي غَيرَكم أبداً ... ولو تلاقَى عليَّ الغَرْضُ والحَقَبُ)
(ولو ملكتُ عنانَ الريح أصْرِفها ... في كلِّ ناحيةٍ ما فاتها الطلبُ)
مولاك مولاك لا تُشمِت أعاديَه ... فما وراءك لي ذِكْرٌ ولا نسبُ) فعفا عنه)
سلم يحسن الرثاء لا المدح
وأخبرني أحمد بن العباس وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدثنا العنزي قال حدثني العباس بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان قال حدثني موسى بن عبد الله بن شهاب المسمعي قال
سمعت أبا عبيدة معمر بن المثنى يقول كان سلم الخاسر لا يحسن أن يمدح ولكنه كان يحسن أن يرثي ويسأل
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي بن الحسن الشيباني قال حدثني أبو المستهل قال
دخلت يوماً على سلم الخاسر وإذا بين يديه قراطيس فيها أشعار يرثي وبعضها أم جعفر وبعضها جارية غير مسماة وبعضها أقواماً لم يموتوا وأم جعفر يومئذ باقية فقلت له ويحك ما هذا فقال تحدث الحوادث فيطالبوننا بأن نقول فيها ويستعجلوننا ولا يجمل بنا أن نقول غير الجيد فنعد لهم هذا قبل كونه فمتى حدث حادث أظهرنا ما قلناه فيه قديماً على أنه قيل في الوقت
أخبرني محمد بن مزيد وعيسى بن الحسين قالا حدثنا الزبير بن بكار قال قال عبد الله بن الحسن الكاتب
أنشد المأمون قول أبي العتاهية
(تعالَى الله يا سلمَ بنَ عمرو ... أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجال)
فقال المأمون صدق لعمر الله إن الحرص لمفسدة للدين والمروءة والله ما رأيت من رجل قط حرصاً ولا شرها فرأيت فيه مصطنعاً فبلغ ذلك سلماً الخاسر فقال ويلي على ابن الفاعلة بياع الخزف كنز البدور بمثل ذلك الشعر المفكك الغث ثم تزهد بعد أن استغنى وهو دائباً يهتف بي وينسبني إلى الحرص وأنا لا أملك إلا ثوبي هذين
سلم وأبو الشمقمق
أخبرني عمّي والحسن بن علي قالا حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا زكريا بن مهران قال
طالب أبو الشمقمق سلماً الخاسر بأن يهب له شيئاً وقد خرجت لسلم جائزة فلم يفعل فقال أبو الشمقمق يهجوه
(يا أمّ سَلمٍ هداكِ اللهُ زُورِينا ... كيما نَنِيكَكِ فَرْداً أو تَنِيكِينا)
((ما إن ذَكَرْتُكِ إلاَّ هاج لي شَبَقٌ ... ومثلُ ذِكْراكِ أمَّ السلم يُشجِينا
قال فجاءه سلم فأعطاه خمسة دنانير وقال أحب أن تعفيني من استنزارتك أمي وتأخذ هذه الدنانير فتنفقها
أخبرني الحسن بنُ عليّ قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال حدثني محمد بن القاسم بن الربيع عن أبيه قال
دخل الربيع على المهدي وأبو عبيد الله جالس يعرض كتباً فقال له أبو عبيد الله مر هذا أن يتنحى يعني الربيع فقال له المهدي تنح فقال لا أفعل فقال كأنك تراني بالعين الأولى فقال لا بل أراك بالعين التي أنت بها قال فلم لا تتنحى إذ أمرتك فقال له أنت ركن الإسلام وقد قتلت ابن هذا فلا آمن أن يكون معه حديدة يغتالك بها فقام المهدي مذعوراً وأمر بتفتيشه فوجدوا بين جوربه وخفه سكيناً فردت الأمور كلها إلى الربيع وعزل أبو عبيد الله وولي يعقوب بن داود فقال سلم الخاسر

فيه
(يعقُوبُ يَنظرُ في الأمور ... وأنت تَنظر ناحِيهْ)
(أدخلته فعلاً عليك ... كذاك شؤم الناصيهْ)
قال وكان بلغ المهدي من جهة الربيع أن ابن عبيد الله زنديق فقال له المهدي هذا حسد منك فقال افحص عن هذا فإن كنت مبطلاً بلغت مني الذي يلزم من كذبك فأتى بابن عبيد الله فقرره تقريراً خفياً فأقر بذلك فاستتابه فأبى أن يتوب فقال لأبيه اقتله فقال لا تطيب نفسي بذلك فقتله وصلبه على باب أبي عبيد الله
قال وكان ابن أبي عبيد الله هذا من أحمق الناس وهب له المهدي وصيفة ثم سأله بعد ذلك عنها فقال ما وضعت بيني وبين الأرض حشية قط أوطأ منها حاشاً سامع فقال المهدي لأبيه أتراه يعنيني أو يعنيك قال بل يَعْني أمه الزانية لا يكني
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني يحيى بن الحسن قال حدثني أبي قال
كنت أنا والربيع نسير قريباً من محمل المنصور حين قال للربيع رأيت كأن الكعبة تصدعت وكأن رجلاً جاء بحبل أسود فشددها فقال له الربيع من الرجل فلم يُجبه حتى إذا اعتل قال للربيع أنت الرجل الذي رأيته في نومي شدد الكعبة فأي شيء تعمل بعدي قال ما كنت أعمل في حياتك فكان من أمره في أخذ البيعة للمهدي ما كان فقال سلم الخاسر في الفضل بن الربيع
(يا بن الذي جَبر الإسلامَ يومَ وهى ... واستنقَذَ الناسَ مِن عَمْياءَ صَيْخودِ)
(قالت قريشٌ غَداةَ انهاضٍ مُلْكُهُمُ ... أين الربيع وأعطَوْا بالمَقاليدِ)
(فقام بالأمر مئناسٌ بوحدَتِه ... ماضِي العزيمةِ ضرّابُ القَماحِيد)
(إن الأمورَ إذا ضاقَتْ مَسالِكُها ... حَلّت يدُ الفضل مِنها كلَّ مَعقودِ)
(إنّ الربيع وإن الفضلَ قد بَنَيا ... رواقَ مجدٍ على العبَّاس ممدودِ)
قال فوهب له الفضلُ خمسة آلاف دينار
أخبرني عمي قال حدثنا أبو هفان قال حدثني سعيد أبو هريم وأبو دعامة قالا لما قال سلم الخاسر في الرشيد حين عقد لابنه محمد الأمين
((قد بايع الثَّقلانِ في مَهْدِ الهُدَى ... لمحمد بن زُبَيْدةَ ابنةِ جعفر
(ولّيته عَهَدَ الأنام وأمْرَهُمْ ... فدمَغْتَ بالمعروف رأسَ المنكر)
أعطته زبيدة مائة ألف درهم
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن عمرو قال حدثني أحمد بن علي الخراساني عن يحيى بن الحسن بن عبد الخالق عن أبيه قال
قال سلم الخاسر في المهدي قصيدته التي يقول فيها
(له شِيمَةٌ عند بَذْل العَطاء ... لا يَعْرِفُ الناسُ مقدارَها)
(ومَهْدِيُّ أمتِنا والذي ... حماها وأدرك أوتارَها)
فأمر له المهدي بخمسمائة ألف درهم
أخبرنا وكيع قال حدثنا عبد الله بن سليمان قال حدثنا منصور بن أبي مزاحم قال شهدت المهدي وقد أمر لمروان بن أبي حفصة بأربعين ألف درهم وفرض له على أهل بيته وجلسائه ثلاثين ألف درهم وأمر الرشيد بعد ذلك لما ولى الخلافة لسلم الخاسر وقد مدحه بسبعين ألف درهم فقال له يا أمير المؤمنين إنّ أكثر ما أعطى المهدي مروان ألف درهم فزدني وفضلني عليه ففعل ذلك وأعطاه تتمة ثمانين ألف درهم فقال سلم
(ألا قُلْ لمروانٍ أتتْكَ رسالةٌ ... لها نَبَأٌ لا يَنْثني عن لِقائكا)
(حَباني أميرُ المؤمنين بنَفْحَةٍ ... مُشَهَّرَةٍ قد طأطأتْ من حِبائكا)
(ثمانين ألفاً حُزْتُ من صُلب ماله ... ولم يك قَسْماً من أُولى وأولائكا)
فأجابه مروان فقال
(أسَلْمَ بنَ عمروٍ قد تَعاطَيْتَ غايةً ... تُقَصّرُ عنها بعد طُول عنائكا)
(فأُقسِم لولا ابنُ الربيع ورِفْدُه ... لما ابْتَلَّتِ الدَّلْوُ التي في رِشائكا)
(وما نِلْت مُذْ صُوِّرتَ إلا عطيّةً ... تَقوم بها مَصرورةً في ردائكا)
مات سلم فوهب الرشيد تركته
حدثني وسواسة بن الموصلي وهو محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدثني حماد عن أبيه قال
استوهب أبي من الرشيد تركة سلم الخاسر وكان قد مات عن غير وارث فوهبها له قبل أن يتسلمها صاحب المواريث فحصل منها خمسين ألف دينار
أخبرني عمي قال حدثني أبو هفان عن سعيد بن هديم وأبي دعامة أنه رفع إلى الرشيد أن سلماً الخاسر قد توفي وخلف مما أخذه منه خاصة ومن زبيدة ألف ألف درهم سوى ما خلفه من عقار وغيره مما اعتقده قديما فقبضه الرشيد وتظلم إليه مواليه من آل أبي بكر الصديق رضوان الله عليه فقال هذا خادمي ونديمي والذي خلفه من مالي فأنا أحق به فلم يعطهم إلا شيئاً يسيراً من قديم أملاكه
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن القحذمي قال كان مالك وشهاب ابنا عبد الملك بن مسمع ومعن بن زائدةمتواخين لا يكادون يفترقون وكان سلم الخاسر ينادمهم ويمدحهم ويفضلون عليه ولا يحوجونه إلى غيرهم فتوفي مالك ثم أخوه ثم معن في مدة متقاربة فقال سلم يرثيهم
(عَيْنُ جُودِي بِعَبْرةٍ تَهْتَانِ ... وانْدُبِي من أصابَ رَيْبُ الزمانِ
(وإذا ما بَكَيتِ قَوماً كِراماً ... فَعَلى مالكٍ أبي غسّانِ)
(أينَ معنٌ أبو الوليدِ ومن كان ... غِياثاً لِلْهالِك الحيرانِ)
(طَرَقَتْك المنونُ لا واهِيٍ مثلُ الحبلِ ... ولا عاقِداً بحِلْفِ يمانِ)
(وشِهابٌ وأين مثلُ شهابٍ ... عند بَذلِ النّدَى وحرِّ الطِّعانِ)
(رُبَّ خِرْقٍ رُزِئْته من بَني قيسٍ وخِرقٍ رُزئتُ من شيبانِ)
(درَّ دَرُّ الأيام ماذا أجَنَّتْ ... منْهُمْ في لفائف الكتانِ)

(ذاكَ معنٌ ثَوى ببست رهيناً ... وشِهابٌ ثَوى بأرضِ عُمانِ)
(وهُما ما هُما لِبَذْلِ العطايا ... ولِلَفِّ الأقرانِ بالأقرانِ)
(يَسْبِقان المنونَ طَعناً وضرباً ... ويَفُكَّانِ كُلَّ كبْلٍ وعانِ)
أخبرني وكيع قال حدثني يزيد بن محمد المهلبي قال حدثني عبد الصمد بن المعذل قال
لما أنشد سلم الخاسر الرشيد قصيدته فيه
(... حَضَرَ الرَّحِيلُ وَشُدَّت الأحْداجُ)
أمر له بمائة ألف درهم
حدثني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال
دخل سلم الخاسر على الفضل بن يحي في يوم نيروز والهدايا بين يديه فأنشده
(أَمِنْ رَبْعٍ تسائلُه ... وقَدْ أقْوَتْ منازِلُهُ)
(بِقَلْبِي مِنْ هَوَى الأصلالِ ... حُبٌّ ما يُزَايِلُهُ)
(رُوَيدَكُمُ عن المَشْغوفِ ... إنَّ الحُبَّ قاتِلُهُ)
(بَلابِلُ صدره تَسْرى ... وقد نامت عواذِلُهُ)
(أحقُّ الناسِ بالتفضيلِ ... مَن تُرْجَى فَوَاضِلُهُ)
(رأيتُ مكارِمَ الأخْلاقِ ... ما ضَنَّت حَمائِلُهُ)
(فلست أرَى فتىً في الناسِ ... إلا الفَضْلُ فاضِلُهُ)
(يقولِ لِسانُه خَيْراً ... فَتَفْعَلُه أناملُهُ)
(ومهما يُرْجَ مِنْ خيرٍ ... فإن الفضل فاعلُهُ)
وكان إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق حاضرين فقال لإبراهيم كيف ترى وتسمع قال أحسن مرئي ومسموع وفضل الأمير أكثر منه فقال خُذوا جميع ما أهدي إلي اليوم فاقتسموه بينكم أثلاثاً إلا ذلك التمثال فإني أريد أن أهديه اليوم إلى دنانير ثم قال لا والله ما هكذا تفعل الأحرار يقوم وندفع إليهم ثمنه ثم نهديه فقوم بألفي دينار فحملها إلى القوم من بيت ماله واقتسموا جميع الهدايا بينهم
أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدثني عيسى بن إسماعيل تينة قال حدثني القحذمي قال
قيل لمعن بن زائدة ما أحسن ما مدحت به من الشعر عندك قال قول سلم الخاسر
(أَبْلِغ الفِتْيانَ مأْلُكةً ... أنَّ خيرَ الوُدِّ ما نَفَعا)
(أنَّ قَرْماً من بَني مَطَرٍ ... أتْلَفَتْ كفّاه ما جَمعا)
(كُلَّما عُدْنا لنائِله ... عاد في معروفه جَذَعا)
أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو توبة وأخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه عن أبي توبة قال حدث في أيام الرشيد أمر فاحتاج فيه إلى الرأي فأشكل وكان الفضل بن يحي غائباً فورد في ذلك الوقت فأخبروه بالقصة فأشار بالرأي في وقته وأنفذ الأمر على مشورته فحمد ما جرى فيه فدخل عليه سلم الخاسر فأنشده
(بَدِيهَتُه وَفِكْرَتُه سواءٌ ... إذا ما نَابَهُ الخَطْبُ الكبيرُ)
(وأَحْزَمُ ما يكونُ الدَّهرَ رأياً ... إذا عيّ المُشَاوِرُ والمشيرُ)
فأمر له بعشرة آلاف درهم
اشترى سكوت أبي الشمقمق عن هجائه
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني أبو العيناء قال حدثني الجماز أن أبا الشمقمق جاء إلى سلم الخاسر يستميحه فمنعه فقال له اسمع إذا ما قلته وأنشده
(حَدَّثُوني أنّ سَلماً ... يَشْتَكي جارةَ أيْرِهْ)
(فَهْوَ لا يَحْسُدُ شيئاً ... غيرَ أيْرٍ في أستِ غيرِهْ)
(وإذا سرّك يَوْماً ... يا خليلي نيْلَ خَيرِهْ)
(قُمْ فَمُرْ راهِبَكَ الأصْلَعَ ... يقرع بابَ دَيرِهْ)
فضحك سلم وأعطاه خمسة دنانير وقال له أحب جعلت فداك أن تصرف راهبك الأصلع عن باب ديرنا
أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أحمد بن أبي كامل قال حدثني أبو دعامة قال
دخل سلم الخاسر على الرشيد فأنشده
(... حَيِّ الأحِبَّةَ بالسلام)
قال الرشيد
(... حياهُم اللهُ بالسلامِ)
فقال
(... عَلَى وَداعٍ أم مُقامِ)
فقال الرشيد حياهم الله على أي ذلك كان فأنشده
(لَمْ يَبق منكَ ومِنْهُم ... غيرُ الجلودِ على الطعام)
فقال له الرشيد بل منك وأمر بإخراجه وتطير منه ومن قوله فلم يسمع منه باقي الشعر ولا أثابه بشيء
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال أتت وفاة المهدي إلى موسى الهادي وهو بجرجان) فبويع له هناك فدخل عليه
سلم الخاسر مع المهنئين فهنأه بخلافة الله ثم أنشده
(لَمَّا أتتْ خيرَ بَني هاشمٍ ... خلافةُ اللهِ بجُرْجانِ)
(شمَّر لِلْحزمِ سرابيلَه ... برَأْيِ لاغَمْرٍ ولا وانِ)
لم يُدخِل الشُّورَى على رأيه ... والحزْمُ لا يمضيه رأيانِ) أخبرني الحسن بن علي وعمي قالا حدثنا محمد بن القاسم) بن مهرويه قال حدثني صالح بن عبد الرحمن عن أبيه قال

دخل سلم الخاسر على الرشيد وعنده العباس بن محمد وجعفر بن يحي فأنشده قوله فيه
(... حَضَرَ الرّحيلُ وشدت الأحداجُ)
فلما انتهى إلى قوله
(إن المنايا في السيوف كَوامِنٌ ... حتى يُهَيِّجَها فتىً هَيّاجُ)
فقال الرشيد كان ذلك معن بن زائدة فقال صدق أمير المؤمنين ثم أنشد حتى انتهى إلى قوله
(ومُدَجَّجٍ يَغْشَى المَضِيقَ بسيْفه ... حتى يكونَ بسيفهِ الإفراجُ)
فقال الرشيد ذلك يزيد بن مزيد فقال صدق أمير المؤمنين فاغتاظ
جعفر بن يحي وكان يزيد بن مزيد عدوا للبرامكة مصافياً للفضل بن الربيع فلما انتهى إلى قوله
(نَزَلَتْ نُجومُ الليل فَوَق رؤوسِهِمْ ... ولِكلِّ قومٍ كوكبٌ وهّاجُ)
قال له جعفر بن يحي من قلة الشعر حتى تمدح أمير المؤمنين بشعر قيل في غيره هذا لبشار في فلان التميمي فقال الرشيد ما تقول يا سلم قال صدق يا سيدي وهل أنا إلا جزء من محاسن بشار وهل أنطق إلا بفضل منطقه وحياتك يا سيدي إني لأروي له تسعة آلاف بيت ما يعرف أحد غيري منها شيئاً فضحك الرشيد وقال ما أحسن الصدق امض في شعرك وأمر له بمائة ألف درهم ثم قال للفضل بن الربيع هل قال أحد غير سلم في طينا المنازل شيئاً وكان الرشيد قد انصرف من الحج وطوى المنازل فوصف ذلك فقال الفضل نعم يا أمير المؤمنين النمري فأمر سلماً أن يثبت قائماً حتى يفرغ النمري من إنشاده فأنشده النمري قوله
(تَخَرّقَ سِرْبالُ الشبابِ مع البُرْدِ ... وحالَتْ لنا أمُّ الوليد عن العهد)
فقال الرشيد للعباس بن محمد أيهما أشعر عندك يا عم قال كلاهما شاعر ولو كان كلام يستفحل لجودته حتى يؤخذ منه نسل لاستفحلت كلام النمري فأمر له بمائة ألف درهم أخرى
أخبرني عمي قال أنشدني أحمد بن أبي طاهر لأشجع السلمي يرثي سلماً ومات سلم قبله
(يا سَلْمُ إن أصبَحْتَ في حُفرةٍ ... موسَّداً تُرْباً وأحجارا)
(فَرُبَّ بيتٍ حسنٍ قُلتَه ... خَلَّفتَه في الناس سيّاراً)
(قَلّدتَه ربّاً وسَيّرتَه ... فكان فخراً منك أو عاراً)
(لو نطق الشعر بكى بعده ... عليه إعلاناً وإسراراً)
صوت
(يا ويحَ من لعب الهَوى بحياته ... فأماته من قبل حينَ مماته)
(مَنْ ذا كذا كانِ الشقي بشادن ... هاروت بين لسانه ولَهاتِه)
(وحياةِ من أهوى فإنّي لم أكن ... يوماً لأحلف كاذباً بحياته)
(لأخالِفَنَّ عَواذِلي في لذّتي ... ولأُسعِدَنّ أخي عَلَى لذّاته)
الشعر لبعض شعراء الحجازيين ولم يقع إلينا اسمه والغناء لأبي صدقة رمل بالبنصر
أخبار أبي صدقة
اسمه مسكين بن صدقة من أهل المدينة مولى لقريش وكان مليح الغناء طيب الصوت كثير الرواية صالح الصنعة من أكثر الناس نادرة وأخفهم روحاً وأشدهم طمعاً وألحهم في مسألة وكان له ابن يقال له ابن صدقة يغني وليس من المعدودين وابن ابنه أحمد بن صدقة الطنبوري أحد المحسنين من الطنبوريين وله صنعة جيدة وكان أشبه الناس بجده في المزح والنوادر وأخباره تذكر بعد أخبار جده وأبو صدقة من المغنين الذي أقدمهم هارون الرشيد من الحجاز في أيامه
أخبرني علي بن عبد العزيز عن عبيد الله بن عبد الله قال
قيل لأبي صدقة ما : أكثر سؤالك وأشد إلحاحك فقال وما يمنعني من ذلك واسمي مسكين وكنيتي أبو صدقة وامرأتي فاقة وابني صدقة
أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال
حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي أن الرشيد قال للحارث بن بسخنر قد اشتهيت أن أرى ندمائي ومن يحضر مجلسي من المغنين جميعا في مجلس واحد يأكلون ويشربون ويتبذلون منبسطين على غير هيبة ولا احتشام بل يفعلون ما يفعلون في منازلهم وعند نظرائهم وهذا لا يتم إلا بأن أكون بحيث لا يرونني عن غير علم منهم برؤيتي إياهم فأعد لي مكاناً أجلس فيه أنا وعمي سليمان وإخوتي إبراهيم بن المهدي وعيسى بن جعفر وجعفر بني يحيى
فإنا مغلسون عليك غداة غد واستزر أنت محمد بن خالد بن برمك وخالداً أخاً مهرويه والخضر بن جبريل وجميع المغنين وأجلسهم بحيث نراهم ولا يروننا وابسط الجميع وأظهر برهم واخلع عليهم ولا تدع من الإكرام شيئاً إلى فعلته بهم ففعل ذلك الحارث وقدم إليهم الطعام فأكلوا والرشيد ينظر إليهم ثم دعا لهم بالنبيذ فشربوا وأحضرت الخلع وكان ذلك اليوم يوماً شديد البرد فخلع على ابن جامع جبة خز طاروني مبطنة بسمور صيني وخلع على إبراهيم الموصلي جبة وشيءٍ كوفي مرتفع مبطنة بفنك وخلع على أبي صدقة دراعة ملحم خراساني محشوة بقز ثم تغنى ابن جامع وتغنى بعده إبراهيم وتلاهما أبو صدقة فغني لابن سريج
(ومِنْ أجْلِ ذات الخال أعملْتُ ناقتي ... أُكلِّفها سَيَرِ الكَلالِ مع الظَّلْع)
فأجاده واستعاده الحارث ثلاثاً وهو يعيده فقال له الحارث أحسنت والله يا أبا صدقة قال له هذا غنائي وقد قرصني البرد فكيف تراه فديتك كان يكون لو كان تحت دراعتي هذه شعيرات يعني الوبر والرشيد يسمع ذلك فضحك فأمر بأن يخلع عليه دراعة ملحم مبطنة بفنك ففعلوا ثم تغنى الجماعة وغنى أبو صدقة لمعبد
(بان الخليط على بُزْلٍ مخيّسةٍ ... هُدْلِ المشافر أدنى سيرها الرَّمَلُ)
ثم تغنى بعده لمعبد أيضاً
(بانَ الخليطُ ولو طُووعت ما بانا ... وقطّعوا من حِبال الوصل أقرانا)
فأقام فيهما جميعاً القيامة فطرب الرشيد حتى كاد أن يخرج إلى المجلس طرباً فقال له الحارث أحسنت والله يا أبا صدقة فديتك وأجملت فقال أبو صدقة فكيف ترى فديتك الحال تكون لو كانت على هذه الدراعة نقيطات يعني الوشي فضحك الرشيد حتى ظهر ضحكه وعلموا بموضعه وعرف علمهم بذلك فأمر بإدخالهم إليه وأمر بأن يخلع على أبي صدقة دراعة أخرى مبطنة فخلعت عليه

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
سأل الحسن بن سليمان أخو عبيد الله بن سليمان الطفيلي الفضل وجعفراً
ابني يحي أن يقيما عنده يوماً فأجاباه فواعد عدة من المغنين فيهم أبو صدقة المدني فقال لأبي صدقة إنك تبرم بكثرة السؤال فصادرني على شيء أدفعه إليك ولا تسأل شيئاً غيره فصادره على شيء أعطاه إياه فلما جلسوا وغنوا أعجبوا بغناء أبي صدقة واقترحوا عليه أصواتاً من غناء ابن سريج ومعبد وابن محرز وغيرهم فغناهم ثم غنى والصنعة له رمل
(يا ويحَ مَن لعب الهوى بحياتِه ... فأماته مِنْ قَبْلِ حين مماتِه)
(مَنْ ذا كذا كان الشقيَّ بِشادِنٍ ... هاروتُ بين لسانِه ولهَاتِه)
وذكر الأبيات الأربعة المتقدم ذكرها قال فأجاد وأحسن ما شاء وطرب جعفر فقال له أحسنت وحياتي وكان عليه دواج خز مبطن بسمور جيد فلما قال له ذلك شرهت نفسه وعاد إلى طبعه فقال لو أحسنت ما كان هذا الدواج عليك ولتخلعنه علي فألقاه عليه ثم غنى أصواتاً من القديم والحديث وغنى بعدها من صناعته في الرمل
(لَمْ يَطُلِ العهدُ فتنساني ... ولَمْ أغِبْ عنك فتنعاني)
(بَدَّلتَ بي غيري وباهتَّني ... ولم تكن صاحبَ بُهتانِ)
(لا وَثِقتْ نفسي بإنسانٍ ... بَعدك في سرٍّ وإعلانِ)
((أعطيتني ما شئتَ من مَوْثِقٍ ... منك ومن عهدٍ وأيمانِ
فقال له الفضل أحسنت وحياتي فقال لو أحسنت لخلعت علي جبة تكون شكلا لهذا الدواح فنزع جبته وخلعها عليه وسكروا وانصرفوا فوثب الحسن بن سليمان فقال له قد وافقتك على ما أرضاك ودفعته إليك على ألا تسأل أحداً شيئاً فلم تف وقد أخذت مالك والله لا تركت عليك شيئاً مما أخذته ثم انتزعته منه كرهاً وصرفه فشكاه أبو صدقة إلى الفضل وجعفر فضحكا منه وأخلفا عليه ما ارتجعه الطفيلي منه من خلعهما
نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الغناء
صوت
(بانَ الخليطُ على بُزْلٍ مُخَيَّسةٍ ... هُدْلِ المشافِرِ أدنى سيرها الرملُ)
(مِنْ كل أعيَس نضَّاح القفا قَطِمٍ ... ينفِي الزمامَ إذا ما حنّت الإبلُ)
الغناء لابن عائشة خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو والهشامي وقال الهشامي خاصة فيه لابن محرز هزج ولإسحاق ثقيل أول ووافقه ابن المكي وما وجدت لمعبد فيه صنعة في شيء من الروايات إلا في المذكور
وأما
(...بان الخليط ولو طووعت ما بانا)
فقد مضى في المائة المختارة ونسب هناك وذكرت أخباره
أسباب إلحاحه
أخبرني رضوان بن أحمد قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال
كان أبو صدقة أسأل خلق الله وألحهم فقال له الرشيد ويلك ما أكثر سؤالك فقال وما يمنعني من ذلك واسمي مسكين وكنيتي أبو صدقة واسم ابني صدقة وكانت أمي تلقب فاقة واسم أبي صدقة فمن أحق مني بهذا
وكان الرشيد يعبث به عبثاً شديداً فقال ذات يوم لمسرور قل لابن جامع وإبراهيم الموصلي وزبير بن دحمان وزلزل وبرصوما وابن أبي مريم المديني إذا رأيتموني قد طابت نفسي فليسألني كل واحد منهم حاجة مقدارها مقدار صلته وذكر لكل واحد منهم مقدار ذلك وأمرهم أن يكتموا أمرهم عن أبي صدقة فقال لهم مسرور ما أمره به ثم أذن لأبي صدقة قبل إذنه لهم فلما جلس قال له يا أبا صدقة قد أضجرتني بكثرة مسألتك وأنا في هذا اليوم ضجر وقد أحببت أن أتفرج وأفرح ولست آمن أن تنغص علي مجلسي بمسألتك فإما أن أعفيتني من أن تسألني اليوم حاجة وإلا فانصرف فقال له يا سيدي لست أسألك في هذا اليوم ولا إلى شهر حاجة فقال له الرشيد أما إذ شرطت لي هذا على نفسك فقد اشتريت منك حوائجك بخمسمائة دينار وها هي ذه فخذها هنيئة
معجلة فإن سألتني شيئاً بعدها في هذا اليوم فلا لوم علي إن لم أصلك سنة بشيء فقال له نعم وسنتين فقال له الرشيد زدني في الوثيقة فقال قد جعلت أمر أم صدقة في يدك فطلقها متى شئت إن شئت واحدة وإن شئت ألفاً إن سألتك في يومي هذا حاجة وأشهد الله ومن حضر على ذلك فدفع إليه المال ثم أذن للجلساء والمغنين فحضروا وشرب القوم
فلما طابت نفس الرشيد قال له ابن جامع يا أمير المؤمنين قد نلت منك ما لم تبلغه أمنيتي وكثر إحسانك إلي حتى كبت أعدائي وقتلتهم وليست لي بمكة دار تشبه حالي فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بمال أبني به داراً وأفرشها بباقيه لأفقأ عيون أعدائي وأزهق نفوسهم فعل فقال وكم قدرت لذلك قال أربعة آلاف دينار فأمر له بها ثم قام إبراهيم الموصليّ فقال له قد ظهرت نعمتك علي وعلى أكابر ولدي وفي أصاغرهم من قد بلغ وأريد تزويجه ومن أصاغرهم من أحتاج إلى أن أطهره ومنهم صغار أحتاج إلى أن أتخذ لهم خدماً فإن رأى أمير المؤمنين أن يحسن معونتي على ذلك فعل فأمر له بمثل ما أمر لابن جامع وجعل كل واحد منهم يقول فيقول من الثناء ما يحضره ويسأل حاجة على قدر جائزته وأبو صدقة ينظر إليهم وإلى الأموال تفرق يميناً وشمالاً فوثب على رجليه قائماً وقال للرشيد يا سيدي أقلني أقال الله عثرتك فقال له الرشيد لا أفعل فجعل يستحلفه ويضطرب ويلح والرشيد يضحك ويقول ما إلى ذلك سبيل الشرط أملك
فلما عيل صبره أخذ الدنانير فرمى بها بين يدي الرشيد وقال له هاكها قد رددتها عليك وزدتك فرج أم صدقة فطلقها إن شئت واحدة وإن شئت ألفاً وإن لم تلحقني بجوائز القوم فألحقني بجائزة هذا البارد ابن الباردة عمرو الغزال وكانت صلته ألف دينار فضحك الرشيد حتى استلقى ثم رد عليه الخمسمائة الدينار وأمر له بألف دينار معها وكان ذلك أكثر ما أخذه منه مذ يوم خدمه إلى أن مات فانصرف يومئذ بألف وخمسمائة دينار
جعفر بن يحي والرشيد يعبثان به
أخبرني رضوان بن أحمد قال حدثني يوسف بن إبراهيم قال حدثني أبو إسحاق قال
مطرنا ونحن مع الرشيد بالرقة مطراً مع الفجر واتصل إلى غد ذلك اليوم وعرفنا خبر الرشيد وأنه مقيم عند أم ولده المسماة بسحر فتشاغلنا في منازلنا فلما كان من غد جاءنا رسول الرشيد فحضرنا جميعاً وأقبل يسأل واحداً واحداً عن يومه الماضي ما صنع فيه فيخبره إلى أن انتهى إلى جعفر بن يحي فسأله عن خبره فقال كان عندي أبو زكار الأعمى

وأبو صدقة فكان أبو زكار كلما غنى صوتاً لم يفرغ منه حتى يأخذه أبو صدقة فإذا انتهى الدور إليه أعاده وحكى أبا زكار فيه وفي شمائله وحركاته ويفطن أبو زكار لذلك فيجن ويموت غيظاً ويشتم أبا صدقة كل شتم حتى يضجر وهو لا يجيبه ولا يدع العبث به وأنا أضحك من ذلك إلى أن توسطنا الشراب وسئمنا من العبث به فقلت له دع هذا وغن غناءك فغنى رملاً ذكر أنه من صنعته طربت له والله يا أمير المؤمنين طربا ما أذكر أني طربت مثله منذ حين هو

صوت

(فَتَنَتْنِي بفاحمِ اللون جَعْدٍ ... وبثَغر كأنه نظم دُرٍّ)

(وبوجهٍ كأنه طلعة البدر ... وعَينٍ في طَرفها نَفْث سِحْر)

فقلت له أحسنت والله يا أبا صدقة فلم أسكت عن هذه الكلمة حتى قال لي إني قد بنيت داراً حتى أنفقت عليها حريبتي وما أعددت لها فرشاً فافرشها لي نجد الله لك في الجنة ألف قصر فتغافلت عنه وعاود الغناء

فتعمدت أن قلت له أحسنت ليعاود مسألتي وأتغافل عنه فسألني وتغافلت فقال لي يا سيدي هذا التغافل متى حدث ذلك سألتك بالله وبحق أبيك عليك إلا أجبتني عن كلامي ولو بشتم فأقبلت عليه وقلت له أنت والله بغيض اسكت يا بغيض واكفف عن هذه المسألة الملحة فوثب من بين يدي وظننت أنه خرج لحاجة وإذا هو قد نزع ثيابه وتجرد منها خوفاً من أن تبتل ووقف تحت السماء لا يواريه منها شيء والمطر يأخذه ورفع رأسه وقال يا رب أنت تعلم أني مله ولست نائحاً وعبدك هذا الذي رفعته وأحوجتني إلى خدمته يقول لي أحسنت لا يقول لي أسأت وأنا منذ جلست أقول له بنيت لم أقل هدمت فيحلف بك جرأة عليك أني بغيض فاحكم بيني وبينه يا سيدي فأنت خير الحاكمين

فغلبني الضحك وأمرت به فتنحى وجهدت به أن يغني فامتنع حتى حلفت له بحياتك يا أمير المؤمنين أني أفرش له داره وخدعته فلم أسم له ما أفرشها به فقال الرشيد طيب والله الآن تم لنا به اللهو وهو ذا أدعو به فإذا رآك فسوف يقتضيك الفرش لأنك حلفت له بحياتي فهو ينتجز ذلك بحضرتي ليكون أوثق له فقل له أنا أفرشها لك بالبواري وحاكمه إليه ثم دعا به فأحضر فما استقر في مجلسه حتى قال لجعفر بن يحي الفرش الذي حلفت لي بحياة أمير المؤمنين أنك تفرش به داري تقدم فيه فقال له جعفر اختر إن شئت فرشتها لك بالبواري وإن شئت بالبردي من الحصر فضج واضطرب

فقال له الرشيد وكيف كانت القصة فأخبره فقال له أخطأت يا أبا صدقة إذ لم تسم النوع ولا حددت القيمة فإذا فرشها لك بالبواري أو بالبردي أو بما دون ذلك فقد وفى يمينه وإنما خدعك ولم تفطن له أنت ولا توثقت وضيعت حقك فسكت وقال نوفر البردي والبواري عليه أيضاً أعزه الله وغنى المغنون حتى انتهى إليه الدور فأخذ يغني غناء الملاحين والبنائين والسقائين وما جرى مجراه من الغناء فقال له الرشيد أيش هذا الغناء ويلك قال من فرشت داره بالبواري والبردي فهذا الغناء كثير منه وكثير أيضاً لمن هذه صلته فضحك الرشيد والله وطرب وصفق ثم أمر له بألف دينار من ماله وقال له افرش دارك من هذه فقال وحياتك لا آخذها يا سيدي أو تحكم لي على جعفر بما وعدني وإلا مت والله أسفاً لفوات ما حصل في طمعي ووعدت به فحكم له على جعفر بخمسمائة دينار فقبلها جعفر وأمر له بها

سبب وصوله إلى السلطان

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال كان سبب وصول أبي صدقة إلى السلطان أن أبي لما حج مر بالمدينة فاحتاج إلى قطع ثياب فالتمس خياطاً حاذقاً فدل على أبي صدقة ووصف له بالحذق في الخياطة والحذق في الغناء وخفة الروح فأحضره فقطع له ما أراد وخاطه وسمع غناءه فأعجبه وسأله عن حاله فشكا إليه الفقر فخلف لعياله نفقة سابغة لسنة ثم أخذه معه وخلطه بالسلطان

قال حماد فقال أبو صدقة يوماً لأبي قد اقتصرت بي على صنعة أبي إسحاق أبيك رحمه الله عندي وأنت لا رب ذلك بشيء فقال له هذه الصينية الفضة التي بين يدي لك إذا انصرفت فشكره وسر بذلك ولم يزل يغنيه بقية يومه فلما أخذ النبيذ فيه قام قومه ليبول فدعا أبي بصينية رصاص فحول قنينته وقدحه فيها ورفع الصينية الفضة فلما أراد أبو صدقة الانصراف شد أبي الصينية في منديل ودفعها إلى غلامه وقال له بت الليلة عندي واصطبح غداً واردد دابتك فقال إني إذا لأحمق أدفع إلى غلامي صينية فضة فيأخذها ويطمع فيها أو يبيعها ويركب الدابة ويهرب ولكني أبيت عندك فإذا انصرفت غداً أخذتها معي وبات وأصبح عندنا مصطبحاً فلما كان وقت انصرافه أخذها

ومضى فلم يلبث من غد أن جاءنا والصينية معه فإذا هو قد وجه بها لتباع فعرفوه أنها رصاص فلما رآه أبي من بعيد ضحك وعرف القصة وتماسك فقال له أبو صدقة نعم الخلافة خلفت أباك وما أحسن ما فعلت بي قال وأي شيء فعلت بك قال أعطيتني صينية رصاص فقال له أبي سخنت عينك سخرت امرأتك بك وأنا من أين لي صينية رصاص فتشكك ساعة ثم قال أظن والله أن ذلك كذلك فقام فقال له أبي إلى أين قال أضع والله عليها السوط فأضربها به حتى ترد الصينية فلما رأى أبي الجد منه قال له اجلس يا أبا صدقة فإنما مزحت معك وأمر له بوزنها دراهم

صوت

(إنّ مَنْ يملِكُ رقّي ... مالكٌ رقّ الرِّقابِ)

(لم يكن يا أحسن العالم ... هذا في حسابي)

الشعر لفضل الشاعرة والغناء لعريب خفيف ثقيل بالوسطى عن ابن المعتز

أخبار فضل الشاعرة

كانت فضل جارية مولدة من مولدات البصرة وكانت أمها من مولدات اليمامة بها ولدت ونشأت في دار رجل من عبد القيس وباعها بعد أن أدبها وخرجها فاشتريت وأهديت إلى المتوكل وكانت هي تزعم أن الذي باعها أخوها وأن أباها وطىء أمها فولدتها منه فأدبها وخرجها معترفاً بها وأن بنيه من غير أمها تواطأوا على بيعها وجحدها ولم تكن تعرف بعد أن أعتقت إلا بفضل العبدية وكانت حسنة الوجه والجسم والقوام أديبة فصيحة سريعة البديهة مطبوعة في قول الشعر ولم يكن في نساء زمانها أشعر منها

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال كانت فضل الشاعرة لرجل من النخاسين بالكرخ يقال له حسنويه فاشتراها محمد بن الفرج أخو عمر بن الفرج الرخجي وأهداها إلى المتوكل فكانت تجلس للرجال ويأتيها الشعراء فألقى عليها أبو دلف القاسم بن عيسى

(قالوا عَشِقْتَ صغيرةً فأجبتُهمْ ... أشهى المَطيِّ إليّ ما لم يُرْكَبِ)

((كم بَيْنَ حبّة لؤلؤ مثقوبةٍ ... نُظِمتْ وحبةِ لؤلؤ لم تُثْقَبِ

فقالت فضل مجيبة له

(إن المطية لا يَلَذُّ رُكوبُها ... ما لم تُذَلَّلْ بالزِّمام وتُركَبِ)
(والدُّرُّ ليس بنافعٍ أصحابَه ... حتى يُؤَلَّفَ للنِّظامِ بمِثْقَبِ)
شعرها في المتوكل
حدثني عمي ومحمد بن خلف قالا حدثنا أبو العيناء قال لما دخلت فضل الشاعرة على المتوكل يوم أهديت إليه قال لها أشاعرة أنت قالت كذا زعم من باعني واشتراني فضحك وقال أنشدينا شيئا من شعرك فأنشدته
(استقبل الملكَ إمامُ الهدى ... عامَ ثلاثٍ وثلاثينا)
تعني سنة ثلاث وثلاثين ومائتين من سني الهجرة
(خلافةٌ أفْضَت إلى جعفر ... وهو ابنُ سبعٍ بعْدَ عِشرينا)
(إنّا لنَرجو يا إمامَ الهدى ... أن تَمْلِكَ الناس ثمانينا)
(لا قدَّسَ اللهُ امرأً لم يَقُلْ ... عندَ دُعائي لك آمينا)
فاستحسن الأبيات وأمر لها بخمسة آلاف درهم وأمر عريب فغنت فيها
حدثني عمي قال حدثني أبو عبد الله أحمد بن حمدون قال عرضت على المعتمد جارية تباع في خلافة المتوكل وهو يومئذ حديث السن فاشتط مولاها في السوم فلم يشترها وخرج بها إلى ابن الأغلب فبيعت هناك فلما ولي المعتمد الخلافة سأل عن خبرها وقد ذكرها فأعلم أنها بيعت وأولدها مولاها فقال لفضل الشاعرة قولي فيها شيئاً فقالت
(عَلَمِ الجمَالِ تركْتني ... في الحُبِّ أشهرَ مِن عَلَمْ)
(وَنَصَبْتَنِي يا مُنْيَتِي ... غَرَضَ المظِنَّةِ والتُّهمْ)
(فارقتِنِي بعدَ الدّنوِّ ... فصِرْتِ عندي كالحُلُمْ)
(فَلَوَ أن نَفْسي فارَقَتْ ... جسمي لِفَقدكِ لم تُلَمْ)
(ما كان ضرّكِ لو وَصَلْت ... فخف عن قَلبي الألمْ)
(برِسالةٍ تُهْدينها ... أو زَوْرَةٍ تحتَ الظُّلَمْ)
(أَوْلاَ فَطَيفي في المنامِ ... فلا أقلَّ من اللَّمَم)
(صِلَةُ المحبِّ حَبِيبَه ... اللّهُ يَعْلَمُه كَرَمْ)
نماذج من شعرها
حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال كتب بعض أهلنا إلى فضل الشاعرة
(أصبحْتُ فَرْدا هائمِ العَقْلِ ... إلى غزالٍ حسنِ الشكلِ)
(أضْنَى فؤادي طولُ عهدي به ... وبُعْدُه منِّي ومِن وَصْلي)
(مُنْيَةُ نفسي في هَوى فَضْلِ ... أنْ يجمعَ اللَّهُ بها شَمْلي)
(أهْواكِ يا فضلُ هوى خالصاً ... فما لِقَلْبي عنكِ من شُغْلِ)
قال فأجابته
صوت
(الصبرُ ينقص والسَّقامُ يَزيدُ ... والدارُ دانيةٌ وأنتَ بَعيدُ)
(أشكُوكَ أمْ أشكو إليكَ فإنه ... لا يَستطيعُ سواهما المجهودُ)
(إني أعوذُ بحُرْمتي بكَ في الهوى ... مِنْ أن يطاعَ لديكَ فيّ حَسودُ)
في هذه الأبيات رمل طنبوري وأظنه لجحظة
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني الحسن بن عيسى الكوفي قال حدثنا أبو دهمان وأخبرني أيضاً به عبد الله بن نصر المروزي قالا
كانت فضل الشاعرة من أحسن الناس وجهاً وخلقاً وخلقاً وأرقهم شعراً فكتب إليها بعض من كان يجمعه وإياها مجلس الخليفة ولا تطلعه على حبها له
(ألا ليتَ شِعري فيكِ هل تَذْكرينَني ... فذِكراكِ في الدنيا إليّ حَبيبُ)
(وهل لي نصيبٌ في فؤادِكِ ثابتٌ ... كما لكِ عندي في الفؤادِ نَصيبُ)
(ولستُ بمَوْصولٍ فأحيا بزَوْرَةٍ ... ولا النفسُ عند اليأس عنكِ تَطيب)
قال فكتبت إليه
(نَعَم وإلهي إنني بكَ صَبّةٌ ... فهل أنتَ يا مَن لا عَدِمتُ مُثيب)
(لِمَنْ أنتَ منه في الفؤادِ مصوَّر ... وفي العَينِ نُصْبَ العينِ حين تَغيب)
(فَثِقْ بودادٍ أنت مُظهِرُ مثلِه ... عَلَى أنّ بي سُقْماً وأنتَ طبيب)
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني يحي بن علي بن يحي المنجم قال حدثني الفضل بن العباس الهاشمي قال حدثتني بنان الشاعرة قالت
اتكأ المتوكل على يدي ويد فضل الشاعرة وجعل يمشي بيننا ثم قال أجيزا لي قول الشاعر
(تعلمتُ أسبابَ الرضا خوفَ عَتْبها ... وعلّمها حُبِّي لها كيف تَغضَب)
فقالت له فضل
(تَصُدُّ وأدنو بالمودةِ جاهدا ... وتَبعُد عني بالوصال وأقرُب)
فقلت أنا
(وعندِي لها العُتبى على كلّ حالة ... فما مِنْه لي بدّ ولا عنه مذهب)
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال ألقى بعض أصحابنا على فضل الشاعرة
(ومستفتِحٍ بابَ البلاءِ بنَظْرةٍ ... تزوَّدَ منها قلبُه حسرَةَ الدهرْ)
فقالت
(فواللهِ ما يَدري أتَدْري بما جَنَت ... عَلَى قلبِه أو أهلكَتْه وما تَدْري)
أخبرني محمد بن خلف قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال

ألقيت أنا على فضل الشاعرة
(عَلَمَ الجمالِ تركْتِني ... بهواكِ أشهرَ مِنْ عَلَمْ)
فقالت على البديهة
(وأبحتَني يا سيِّدي ... سَقَماً يحلّ عن السقَمْ)
(وتركْتني غرضاً فَدَيْتُكَ ... للعواذِلِ والتُّهمْ)
(صِلَةُ المحبِّ حبيبَه ... اللهُ يَعلَمُه كَرَم)
أخبرني محمد بن خلف قال حدثني محمد بن الوليد قال
سمعت علي بن الجهم يقول كنت يوماً عند فضل الشاعرة فلحظتها لحظة استرابت بها فقالت
((يارُبَّ رامٍ حَسَنٍ تَعرُّضُهْ ... يرمي ولا يُشعِر أني غرضُهْ
فقلت
(أيُّ فتى لَحْظُكِ ليس يُمْرِضُهْ ... وأيُّ عَقدٍ محكَمٍ لا يَنْقُضُهْ)
فضحكت وقالت خذ في غير هذا الحديث
حدثني عمي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال
كتبت فضل الشاعرة إلى سعيد بن حميد أيام كانت بينهما محبة وتواصل
(وعيشِكَ لَو صرّحتُ باسمِكَ في الهوى ... لأ قْصَرْتُ عن أشياءَ في الهَزْل والجِدِّ)
(ولكنني أبدِي لهذا مَوَدَّتي ... وذاك وأخلو فيكَ بالبَثِّ والوَجْد)
(مخافَة أن يُغْري بنا قولُ كاشحٍ ... عدُوّاً فيسعى بالوصالِ إلى الصدِّ)
فكتب إليها سعيد
(تنامين عن لَيْلى وأسهَرُه وحدي ... وأنهَى جفوني أن تُبثَّك ما عِنْدي)
(فإنْ كنتِ لا تَدْرين ما قد فعلْتِه ... بنا فانظري ماذا على قاتِلِ العمدِ)
قال عمي هكذا ذكر ابن مهرويه
وحدثني به علي بن الحسين بن عبد الأعلى فذكر أن بيتي سعيد كانا الابتداء وأن أبيات فضل كانت الجواب وذكر لهما خبراً في عتاب عاتبها به ولم أحفظه وإنما سمعته يذكره ثم أخرج إلي كتاباً بعد ذلك فيه أخبار عن علي ابن الحسين فوجدت هذا الخبر فيه فقرأته عليه
قال علي بن الحسين بن عبد الأعلى
حضر سعيد بن حميد مجلساً حضرته فضل الشاعرة وبنان وكان سعيد يهواها وتظهر له هوى ويتهمها مع ذلك ببنان فرأى فيها إقبالاً شديداً على بنانٍ فغضب وانصرف فكتبت إليه فضل بالأبيات الأول وأجابها بالبيتين الآخرين فاتفقت رواية ابن مهرويه وعلي بن الحسين في هذا الخبر
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو يوسف بن الدقاق الضرير قال
صرت أنا وأبو منصور الباخرزي إلى منزل فضل الشاعرة فحجبنا عنها وانصرفنا وما علمت بنا ثم بلغها مجيئنا وانصرافنا فكرهت ذلك وغمها فكتبت إلينا تعتذر
(وما كنْتِ أخشى أن تَرَوْا ليَ زَلّةً ... ولكنّ أمْرَ اللهِ ما عَنْه مَذْهبُ)
(أعُوذ بحُسنِ الصفح منكمْ وقَبْلَنا ... يصفحِ وعفو ما تعوّد مُذْنب)
فكتب إليها أبو منصور الباخرزي
(لَئن أهدِيَت عُتباكِ لي ولإخوتي ... فمِثلُك يا فضلَ الفضائلِ يُعتبُ)
(إذا اعتذر الجانِي محا العذرُ ذنبَه ... وكلُّ امرئ لا يَقْبلُ العُذْرَ مذنِبُ)
حدثني علي بن هارون بن علي بن يحي المنجم قال حدثني عمي عن جدي قال
قال لي المتوكل يوماً وفضل واقفة بين يديه يا علي كان بيني وبين فضل موعد فشربت شرباً فيه فضل فسكرت ونمت وجاءتني للموعد فحركتني بكل ما ينتبه به النائم من قَرص وتحريك وغمز وكلام فلم أنتبه فلما علمت أنه لا حيلة لها في كتبت رقعة ووضعتها على مخدتي فانتبهت فقرأتها فإذا فيها
(قد بَدا شِبْهك يا مولايَ ... يَحْدُو بالظلامِ)
(قُمْ بِنا نَقْضِ لُبناتِ ... التزامٍ والتثامِ)
(قَبْلَ أنْ تَفْضَحنا عَوْدَةُ ... أرواحِ النِّيامِ)
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال
كانت فضل الشاعرة تهاجي خنساء جارية هشام المكفوف وكانت شاعرة وكان أبو شبل عاصم بن وهب يعاون فضلاً عليها ويهجوها مع فضل وكان القصيدي والحفصي يعينان خنساء على فضل وأبي شبل فقال أبو شبل على لسان فضل
(خنساءُ طِيري بجَناحَيْن ... أصبَحْتِ مَعْشوقَةَ نَذْلَيْن)
(مَن كان يهوَى عاشقاً واحداً ... فأنت تَهْوَيْن عَشيقَين)
(هذا القصيديّ وهذا الفتىالحفصي ... قد زاراكِ قَرْدَيْن)
(نَعِمْتِ من هذا وهذا كما ... يَنْعم خِنزير بحُشَّيْن)
فقالت خنساء تجيبها
(ماذا مَقالٌ لكِ يا فضلُ بَلْ ... مقالٌ خِنزيريْن قَرْدَيْن)
(يُكْنَى أبا الشبلِ ولو أبصرَتْ ... عيناهُ شِبلاً راثَ كُرَّيْن)
وقالت فضل في خنساء
(إنّ خنساءِ لا جُعِلْتُ فِداها ... اشتراها الكَسَّارُ من مولاها)
(ولها نَكْهَةٌ يقول محاذيها ... أهذا حَدِيثها أم فُساها)
وقالت خنساء في فضل وأبي شبل
(تَقول له فضلٌ إذا ما تخوَّفتْ ... ركوبَ قبيح الذُلِّ في طلبِ الوصل)
(حِرامْ فتىً لم يَلْقَ في الحبّ ذِلةً ... فقلت لها لا بَلْ حِرامٌّ أبي الشبل)

وقالت خنساء تهجو أبا شبل
(ما يَنْقَضِي فِكْرِي وطولُ تَعَجُّبي ... مِن نعجةٍ تُكْنَى أبَا الشبلِ)
(لَعِبَ الفحولُ بسفْلِها وعِجانها ... فتمرّدت كتمرّدِ الفحلِ)
(لما اكتَنَيْتِ بما اكتنيتِ به ... وتَسَمَّتَ النقصانُ بالفضلِ)
(كادَتْ بنا الدنيا تَمِيد ضحى ... وترَى السماء تَذُوبِ كالمُهْلِ)
قال فغضب أبو شبل لذلك ولم يجبها وقال يهجو مولاها هشاماً
(نِعْمَ مَأْوَى العُزَّاب بَيتُ هشام ... حين يرمِي اللِّئامَ باغي اللئامِ)
(مَنْ أرادَ السرور عند حبيبٍ ... لِينالَ السرور تحتَ الظلامِ)
(فهشامٌ نَهارُه ودُجى اللَيل ... سواءٌ نَفْسِي فِداءُ هشام)
(ذاك حرٌّ دواتُه ليس تخلو ... أبداً من تَخَرُّق الأقلامِ)
فضل وسعيد بن حميد
حدثني عمي قال حدثني ميمون بن هارون قال
زارت فضل الشاعرة سعيد بن حميد ليلة على موعد سبق بينهما فلما حصلت عنده جاءتها جاريتها مبادرة تعلمها أن رسول الخليفة قد جاء يطلبها فقامت مبادرة فمضت فلما كان من غد كتب إليها سعيد
(ضَنَّ الزمانُ بها فلما نِلْتُها ... وَرَدَ الفِراقُ فكان أقبحَ وَارِدِ)
(والدّمعُ ينطق للضمير مصدِّقاً ... قولَ المُقرّ مكذِّباً للجاحدِ)
حدثني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي الدنيا قال حدثني ميسرة ابن محمد قال حدثني عبيد بن محمد قال قلت لفضل الشاعرة للشاعرة ماذا نزل بكم البارحة قال وذلك في صبيحة قتل المنتصر المتوكل فقالت وهي تبكي
(إنَّ الزمانَ بذحْلٍ كان يطلبنا ... ما كان أغفلَنا عنه وأسهانا)
(ما لي ولِلدهر قد أصبحَتْ هِمَّته ... ما لي وللدَّهر ما لِلدَّهْر لا كانا)
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني محمد بن الفضل قال حدثني أبو هفان قال حدثني أحمد بن أبي فنن قال
خرجت قبيحة إلى المتوكل يوم نيروز وبيدها كأس بلور بشراب صاف فقال لها ما هذا فديتك قالت هديتي لك في هذا اليوم عرفك الله بركته فأخذه من يدها وإذا على خدها جعفر مكتوباً بالمسك فشرب الكأس وقبل خدها وكانت فضل الشاعرة واقفة على رأسه فقالت
صوت
(وكاتِبةٍ بالمسك في الخَدِّ جعفرا ... بنَفْسِي سواد المسكِ من حيثُ أثَّرا)
(لئن أثّرتْ بالمسك سطراً بِخَدِّها ... لقد أودعَتْ قلبي من الحزْن أسطُرا)
(فيا مَن مُناها في السريرة جعفرٌ ... سقى الله من سُقيا ثناياكِ جعفرا)
الغناء لعريب خفيف رمل قال وأمر عريب فغنت فيه وقالت فضل في ذلك أيضاً
(سُلافةٌ كالقمَرِ الباهر ... في قَدَح كالكوكب الزاهرِ)
(يُدِيرها خَشْفٌ كَبَدْرِ الدجَى ... فوق قضيبٍ أهيفٍ ناضرِ)
(على فتىً أروعَ من هاشم ... مثل الحسامِ المُرهَف الباترِ)
وقد رويت الأبيات الأول لمحبوبة شاعرة المتوكل ولها أخبار وأشعار كثيرة قد ذكرت بعضها في موضع آخر من هذا الكتاب
أخبرني محمد بن خلف قال أخبرني أبو الفضل المرورذي قال كتبت فضل الشاعرة إلى سعيد بن حميد
(يَثْثْتُ هواك في بَدَني ورُوحي ... فألِّف فيهما طمعاً بِيَاس)
فأجابها سعيد في رقعتها
(كفانا اللهُ شرّ اليأس إني ... لِبُغض اليأس أبغض كل آسي)
فضل وبنان
حدثني عمي قال حدثني ابن أبي المدور الوراق قال
كنت عند سعيد بن حميد وكان قد ابتدأ ما بينه وبين فضل الشاعرة يتشعب وقد بلغه ميلها إلى بنان وهو بين المصدق والمكذب بذلك فأقبل على صديق له فقال أصبحت والله من أمر فضل في غرور أخادع نفسي بتكذيب العيان وأمنيها ما قد حيل دونه والله إن إرسالي إليها بعد ما قد لاح من تغيرها لذل وإن عدولي عنها وفي أمرها شبهه لعجز وإن تصبري عنها لمن دواعي التلف ولله در محمد بن أمية حيث يقول
(يا ليت شِعْرِي ما يكون جوابي ... أمَّا الرسولُ فقد مضى بكتابي)
(وتعجّلتْ نفسي الظنونَ وأشعِرَت ... طمعَ الحريصِ وخِيفَةَ المُرْتاب)
(وتروعني حركاتُ كلِّ محرِّكٍ ... والبابُ يقرعه وليس ببابي)
(كَمْ نحوَ بابِ الدار لي مِن وَثْبةٍ ... أرجو الرسولَ بمَطْمع كذّاب)
(والويلُ لي مِن بعدِ هذا كلِّه ... إن كان ما أخشاه ردَّ جوابي)
حدثني جحظة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال
غضب بنان على فضل الشاعرة في أمر أنكره عليها فاعتذرت إليه فلم يقبل معذرتها فأنشدتني لنفسها في ذلك
(يا فضلُ صبراً إنها مِيتةٌ ... يَجْرَعُها الكاذبُ والصادقُ)
(ظنَّ بُنانٌ أنني خُنتُه ... رُوحي إذاً مِن بَدَني طالقُ)
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو العباس المروزي قال
قال المتوكل لعلي بن الجهم قل بيتاً وطالب فضل الشاعرة بأن تجيزه فقال علي أجيزي يا فضل
(لاذَ بها يشتكي إليها ... فلم يجد عندها ملاذا)
قال فأطرقت هنيهة ثم قالت
((فلم يزل ضارعاً إليها ... تَهْطِل أجفانُه رَذَاذَا
(فعاتَبوه فزاد عِشقا ... فمات وجداً فكان ماذا)

فطرب المتوكل وقال أحسنت وحياتي يا فضل وأمر لها بمائتي دينار وأمر عريب فغنت في الأبيات
قال مؤلف هذا الكتاب أعرف في هذه الأبيات هزجاً لا أدري أهو هذا اللحن أم غيره ولم أره في أغاني عريب ولعله شذ عنها
صوت
(أُمامةُ لا أراك اللّهُ ... ذل معيشة أبداً)
(ألا تستصلحين فتى ... وقاك السوءَ قد فسدا)
(غلام كان أهلُك مرّة ... يدعونه ولَداً)
الشعر لعبد الله بن محمد بن سالم الخياط والغناء للرطاب الجدي ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو وفيه ليحيى المكي ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق وأحمد بن المكي
وذكر عبد الله بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام عن قلم الصالحية
أنها أخذت اللحن المنسوب إلى الرطاب عن تينة وسألته عن صانعه فأخبرها أنه له
بسم الله الرحمن الرحيم
نسب ابن الخياط وأخباره
هو عبد الله بن محمد بن سالم بن يونس بن سالم ذكر الزبير بن بكار أنه مولى لقريش وذكر غيره أنه مولى لهذيل
وهو شاعر ظريف ماجن خليع هجّاء خبيث مخضرم من شعراء الدولة الأموية والعباسية وكان منقطعاً إلى آل الزبير بن العوام مدّاحاً لهم وقدم على المهدي مع عبد الله بن مصعب فأوصله إليه وتوصل له إلى أن سمع شعره وأحسن صلته
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني يونس بن عبد الله بن سالم الخياط قال
دخل أبي على المهدي فمدحه فأمر له بخمسين ألف درهم فقال يمدحه
(أخذتُ بكفِّي كفه أبتغي الغنى ... ولم أدر أن الجود من كفه يُعدي)
(فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى ... أفدتُ وأعداني فأتلفت ما عندي)
قال فبلغ المهديَّ خبره فأضعف جائزته وأمر بحملها إليه إلى منزله
قال الزبير بن بكار سرق ابن الخياط هذا المعنى من ابن هرمة
أخبرني الحسن بن علي الخفّاف قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال حدثني مصعب بن عبد الله قال سمعت أبي يقول
لم يبرح هذه الثنية قطُّ أحد يقذف أعراض الناس ويهجوهم قلت مثل من قال الحزين الكناني والحكم بن عكرمة الدّؤلي وعبد الله بن يونس الخياط وابنه يونس وأبو الشدائد
عقوق ابنه يونس
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال
كان يونس بن الخياط عاقًّا لأبيه فقال أبوه فيه
(يونُس قلبي عليك يلتهفُ ... والعين عبرى دموعها تكِفُ)
(تُلحِفني كسوة العقوق فلا ... بَرِحتَ منها ما عشتَ تلتحف)
(أُمرتَ بالخفض للجناح وبالرفق ... فأمسى يعُوقك الأنَف)
(وتلك والله من زبانية ... إن سُلِّطوا في عذابهم عَنُفوا)
فأجابه ابنُه يونس فقال
(أصبح شيخي يُزري به الخَرَف ... ما إن له حرمة ولا نَصَفُ)
(صِفاتنا في العقوق واحدة ... ما خلتُنا في العقوق نختلف)
(لحَفتَه سالفاً أباك فقد ... أصبحتَ مني كذاك تلتحف)
أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال حدثني طلحةُ بن عبد الله قال حدثني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود قال
مرّ ابن الخياط بدار رجل كان يعرفه قبل ذلك بالضعة وخساسة الحال وقد شيّد بابها وطرمح بناءها فقال
(أطِله فما طول البناء بنافع ... إذا كان فرع الوالدَين قصيرا)
أخبرني وكيع قال أخبرني إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن صالح قال أخبرني العامري قال
هجا ابن الخياط موسى بن طلحة بن بلال التيمي فقال
(عجب الناس لِلعجيبِ المُحالِ ... حاض موسى بنُ طلحةَ بن بلالِ)
(زعموه يحيض في كلّ شهر ... ويَرَى صُفرة لكل هلال)
قال فلقيه موسى فقال يا هذا وأي شيء عليك نعم حضت وحملت وولدت وأرضعت فقال له ابن الخياط أنشدك الله ألا يسمع هذا منك أحد فيجترئ على شعري الناس فلا يكون شيئاً ولن يبلغك عني ما تكره بعد هذا فتكافا
أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني مصعب بن عثمان قال
ما رأيت بريق صلع الأشراف في سوق الرقيق أكثر منها يوم رحب القتيلية جارية إبراهيم بن أبي قتيلة وكان يعشقها وبيعت في دين عليه فبلغت خمسمائة دينار فقال المغيرة بن عبد الله لابن أبي قتيلة ويحك اعتقها فتقوم عليك فتتزوجها ففعل فرفع ذلك إلى أبي عمران وهو القاضي يومئذٍ فقال أخطأ الذي أشار عليه في الحكومة أما نحن في الحكومة فقد عرفنا أن قد بلغت خمسمائة دينار فاذهبوا فقوموها فإن بلغت القيمة أكثر من هذا ألزمناه وإلا فخذوا منه خمسمائة دينار فاستحسن هذا الرأي وليس عليه الناس قبلنا فقال ابن الخياط يذكر ذلك من أمر ابن أبي قتيلةوما كان من أمر جاريته
(يا معشر العشّاق من لم يكن ... مثل القُتَيليّ فلا يعشَق)
(لما رأى السُّوّام قد أحدقوا ... وصيح في المغرب والمَشرقِ)
(واجتمع الناس على دُرَّة ... نظيرها في الخَلْق لم يُخلَق)
(وأبدَت الأموال أعناقها ... وطاحت العسرةُ للمملِق)
(قلَّب فيه الرأي في نفسه ... يدير ما يأتي وما يتّقي)
(أعتقها والنفس في شدقها ... للمعتَق المَنّ على المُعْتِق)
(وقال للحاكم في أمرها ... إن افترقْنا فمتى نلتقي)
وأخبرني بهذا الخبر وكيع قال قال الزبير بن بكار وذكر مثل ما ذكره الحرمي وزاد فيه

فكان فيهم يعني فيمن حضر لابتياعها موسى بن جعفر بن محمد ومحمد بن زيد بن علي والقاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر وغيرهم قال فرأيتهم قياماً في الشمس يتزايدون فيها وقال في خبره ابن أبي قتيلة بالتاء
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني يونس بن عبد الله بن سالم الخياط قال
كنت ذات عشية في مسجد رسول الله وقت العصر في أيام الحاج فإذا أنا برجل جميل عليه مقطعات خز وإذا معه جماعة فوقف إلى جنبي فصلى ركعتين ثم أقبل علي وكان ذلك من أسباب الرزق فقال يا فتى أتعرف عبد الله بن سالم الخياط فقلت نعم فلما صلينا قال امض بنا إليه فمضيت به فاستخرجت له أبي من منزله فقال الرجل بلغني أنك قلت شعراً في أمر العصبية فقال له أبي ومن أنت بأبي أنت وأمي فقال أنا خزيم بن أبي الهيذام فقال له أبي نعم قد قلته وأنشده

(اسقياني من صِرف هذي المدام ... ودعاني وأقصرا من ملامي)
((واشربا حيث شئتما إن قيساً ... قد علا عزُّها فروعَ الأنام
(ليس والله بالشآم يمانٍ ... فيه رُوح ولابغير الشآم)
(يَطعم النوم حين تَكتحل الأعين ... بالنوم عند وقت المنام)
(حَذراً من سيوف ضِرغامةٍ عادٍ ... على الهَول باسلٍ مقدام)
(من بَني مُرةَ الأطايبِ يكنى ... عند دَسر الرماح بالهَيذام)

يونس ينافس أباه على جائزة
قال فأشرع الفتى يده إليه بشيء وجزاه خيراً قال يونس فبادرت فأخذت بيد المري وقلت له لا تعجل فإني قد قلت شعراً أجود من شعره قال أبي ويلك يا يونس يا عاض بظر أمه تحرمني فقلت دع هذا عنك فوالله لا تجوع امرأتي وتشبع امرأتك فقلت ليونس ومن كانت امرأة أبيك يومئذٍ فقال أمي وجمعت والله عقوقهما فقال لي المري أنشد فأنشدته

(اسقياني يا صاحبيّ اسقياني ... ودعاني من الملام دعاني)
(اسقياني هُديتما من كُميتٍ ... بنتِ عَشْر مشمولةٍ اسقياني)
(فُضّ عنها خِتامُها إذ سباها ... واضِحُ الخَد من بني عدنان)
(نَتَحايا بالكأس أربعة في الدّور ... هذان ناعمان وذان)
(ذا لهذا رَيحانة مثل هذاك ... لهذا من طَيّب الريحان)
((فنهضنا لموعد كان منا ... إذ سمعنا تجاوب البُكْمان
(فنعِمنا حولَين بَهْراً وعشنا ... بين دف ومسمع ودنان)
(ثم هِجنا للحرب إذ شبت الحرب ... ففرزنا فيها بسبق الرهان)
(إن قيسا في كل شرق وغرب ... خارج سَهمُها على السُّهمان)
(منع الله ضيمنا بأبي الهيذام ... حِلْفِ السماح والإحسان)
(واليمانون يفخرون أما يدرون ... أن النبيّ غيرُ يمان)

قال فقال الفتى لأبي قد وجب علينا من حقه مثلُ ما وجب علينا من معك يا شيخ واستظرف ما جرى بيني وبين أبي وقسم الدنانير بيننا وكانت خمسين ديناراً
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال حدثني الزبير قال
مر رجل بيونس بن عبد الله بن الخياط وهو يعصر حلق أبيه وكان عاقاً به فقال له ويلك أتفعل هذا بأبيك وخلصه من يده ثم أقبل على الأب يعزيه ويسكن منه فقال له الأب يا أخي لا تلمه واعلم أنه ابني حقا والله لقد خنقت أبي في هذا الموضع الذي خنقني فيه فانصرف عنه الرجل وهو يضحك
يشكو حاله إلى محمد بن سعيد
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن عمه عيسى قال
شكا عبد الله بن يونس الخياط إلى محمد بن سعيد بن المغيرة بن
نوفل بن الحارث بن عبد المطلب حاله وضيقاً قد ناله فأمر له بدنانير وكسوة وتمر فقال يمدحه

(يا بن سعيد يا عَقيدَ الندى ... يا بارع الفضل على المُفضِل)
(حللتَ في الذَروة من هاشم ... وفي يَفاعٍ من بني نَوْفَل)
(فطاب في الفرعين هذا وذا ... ما اعتمّ من منصِبك الأطول)
(قد قلتُ للدهر وقد نالني ... بالناب والمِخلب والكَلكل)
(قد عذت من ضَرّك مستعصِماً ... بهاشمِيّ ماجدٍ نوفلي)
(فقال لي أهلاً وسهلاً معاً ... فُزْتَ ولم يمنع ولم يَبخل)
(الدهر شِقّان فيتقّ له ... لين وشقّ خَشِن المنزل)
(وأخشن الشقّين عنّي نفى ... وشقُّه الألين ما عاش لي)
(فقال لهذا الدهر ما عاش لا ... تُبق ولا تَرُع ولا تأتلي)

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال
أخذ أبي لما ولي الحجاز عبد الله بن يونس الخياط بأن يصلي الصلوات الخمس مع الجماعة في مسجد رسول الله فجاءني هو ومحمد بن الضحاك وجعفر بن الحسين اللهبي فوقف بين يدي ثم أنشدني

(قل للأمير يا كريم الجِنس ... يا خير من بالغَور أو بالجَلْس)
(وعدّتي لولدي ونفسي ... شغلْتَني بالصلوات الخمس)

فقلت له ويلك أتريد أن أستعفيه لك من الصلاة والله ما يعفيك وإن ذلك ليبعثه على اللجاج في أمرك ثم يضرك عنده فمضى وقال نصبر إذن حتى يفرج الله تعالى
أخبرني محمد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا يونس بن الخياط قال
كان لأبي صديق وكان يدعوه ليشرب معه فإذا سكر خلع عليه قميصه فإذا صحا من غد بعث إليه فأخذه منه فقال أبي فيه

(كساني قميصاً مرتين إذا انتشى ... وينزعُه مني إذا كان صاحيا)
(فَلِي فَرحة في سُكره بقميصه ... وروعاته في الصحو حَصَّت شَواتيا)

(فيا ليت حظي من سروري وروعتي ... تكون كَفافاً لا عليَّ ولا ليا)
العقوق المتبادل
أخبرنا وكيعُ قال حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود الزرقي قال
قال يونس بن عبد الله الخياط لأبيه وكان عاقا به
(مازال بي مازال بي ... طعنُ أبي في النسب)
(حتى تريّبت وحتى ... ساء ظني بأبي)
قال ونشأ ليونس ابن يقال له دحيم فكان أعق الناس به فقال يونس فيه
(جلا دحيم عَماية الرِّيب ... والشكَّ مني والطعنِ في النسب)
(ما زال بي الظّنّ والتشكُّك حتى ... عقّني مثلَ ما عقَقتُ أبي)
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني يونس بن الخياط قال
أنشدت سعيد بن عمرو الزبيري
(لو فاح ريح حبيبةٍ من حِبِّها ... فاحت رياح حبيبتي من ريحي)
قال فقال لي سعيد بن عمرو والله إني لأقول النسيب فلا أقدر على مثل هذا فقلت له ومن أين تقدر على مثل هذا يا أبا عثمان لا تقدر والله على مثله حتى يسوء الثناء عليك
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني يونس بن الخياط قال
لما أعطي المهدي المغيرة بن حبيب ألف فريضة يضعها حيث شاء جاءه أبي عبد الله بن سالم وقال له
(ألف تدور على يدٍ لِمُمَدَّحٍ ... ما سُوقُ مادِحِه لديه بكاسد)
(الظنُّ مني لو فرضتَ لواحد ... في الأعجمين خصصتَني بالواحد)
قال فقال له المغيرة أيهما أحب إليك أأفرض لك أم لابنك يونس فقال له أنا شيخ كبير هامةُ اليومَ أو غدٍ افرض لابني يونس ففرض لي في خمسين ديناراً فلما خرجت الأعطية الثلاثة في زمن الرشيد على يدي بكار بن عبد الله قال لي خليفته وخليفة أيوب بن أبي سمير وهما يعرضان أهل ديوان العطاء أنت من هذيل ونراك قد صرت من آل الزبير فنردك إلى فرائض هذيل خمسة عشر ديناراً فقال لهما بكار إنما جعلتما لتتبعا ولا
تبتدعا أمضياه فأعطياني مائة وخمسين ديناراً
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني محمد بن الحسن بن مسعود الزرقي قال حدثنا ابن أبي قباحة الزهري قال
لما عزل ابن عمران وهو عبد الله بن محمد بن عمران التيمي عن القضاء واستعمل هشام بن عبد الله بن عكرمة المخزومي جزع ابن عمران من ذلك فقال بعض أصحابه ليونس بن عبد الله الخياط اهج هشاماً بما يغض منه فقال
(كم تَغنّى لي هشام ... ذلك الحِلف الطويلُ)
(بعد وهْن وهو في المجلس ... سكرانُ يميلُ)
(هَل إلى نار بسَلْع ... آخِرَ الدهْرِ سَبِيلُ)
(قلت للنَّدمان لما ... دارت الراحُ الشَمولُ)
(بأبي مالَ هِشامٌ ... فكما مال فمِيلُوا)
قال وشهرها في الناس وبلغ ذلك هشاماً فقال لعنه الله إن كان لكاذباً فقال ابن أبي قباحة فقلت لابن الخياط كذبت أما والله إنه لأمر من ذلك
أخبرنا وكيع قال حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال قال يونس بن عبد الله بن الخياط
جئت يوما إلى أبي وهو جالس وعنده أصحاب له فوقفت عليهم لأغيظه وقلت ألا أنشدكم شعراً قلته بالأمس قالوا بلى فأنشدتهم
(يا سائِلي مَن أنَا أو من يناسبني ... أنا الذي ما لَه أصل ولا نسبُ)
(الكلب يختال فخراً حين يُبصرني ... والكلب أكرمُ مني حين ينتسب)
(لو قال لي الناس طُرّاً أنت ألأمنا ... ما وَهِم الناس في ذاكمْ ولا كذبوا)
قال فوثب إليّ ليضربني وعدوت من بين يديه فجعل يشتمني وأصحابه يضحكون
عبد الله بن الخياط يجلد الحدّ
أخبرني وكيع قال حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود
أن مالك بن أنس جلد يونس بن عبد الله بن سالم الخياط حدّا في الشراب قال وولي ابن سعيد القضاء بالمدينة فقال يونس فيه
(بكَتْنِيَ النَّاسُ لأنْ ... جُلِدتُ وسْط الرحَبَهْ)
(وأنني أزني وقدْ ... غنّيتُ في المحتسِبهْ)
((أعزف فيهم بعصا ... مالكٍ المقتضَبَهْ)
(فقلت لما أكثروا ... عليَّ فيم الجلبه)
(ذا ابن سعيد قد قضى ... وحالنا مقتربه)
(لا بل له التفضيل فيما ... لم أنلِ والغلبه)
(بحُسن صوت مُطرب ... وزوجةٍ مغْتصَبَه)
أخبرني الحرمي ابن أبي العلاء ووكيع قال الحرمي قال الزبير وقال وكيع قال الزبير بن بكار
أرسل إلي ابن الخياط يقول إني عليل منذ كذا وكذا ومنزلي على طريقك إذا صدرت إلى الثنية وأنا أحب أن أجدد بك عهداً قال فجعلته على طريقي فوجدته على فرش مضربة وحوله وسائد وهو مسجى فكشف ابنه الثوب عن وجهه وقال له فديتك هذا أبو عبد الله فقال له أجلسني فأجلسه وأسنده إلى صدره فجعل يقول بنفس منقطع بأبي أنت وأمي أموت منذ بضع عشرة ليلة ما دخل علي قرشي غيرك وغير الزبير بن هشام وإبراهيم بن المنذر ومحمد بن عبد الله البكري ولا والله ما أعلم أحداً أحب قريشاً كحبي قال زبير وذكر رجلاً كان بيني وبينه خلاف فقال لو كنت شاباً لفعلت بأمه كذا وكذا لا يكني ثم قال
(والله لو عادَت بني مُصعَب ... حليلَتي قلت لَها بيني)

(أو ولدي عن حبِّسهم قصّروا ... ضَغطتهم بالرَّغم والهُون)
(أو نظرَتْ عيني خلافاً لهمْ ... فقأتها عَمداً بسكين)
ثم أقبل على ابنه فقَال يا بنّي أقول لك في أبي عبد الله مَا قَال ابن هرمه لابنه في الحسن بن زيد
(الله جارُعُتيّ دعوةً شفقِا ... من الزمَان وشرِّ الأقرب الوالي)
(من كل أحيدَ عنه لا يُقرِّبه ... وسْط النجيّ ولا في المجلس الخالي)
قال الزبير حدثني محمدُ بنُ عبد الله البكريّ
أنه دخل إليه بعدي في اليوم الذي مات فيه قال فقال لي يا أبا عبد الله أنا أجود بنفْسي منذ كذا وكذا ولا تخرج ما هكذا كانت نفْس عَبِيد ولا لَبِيد ولا الحطيئة ما هي إلا نفس كلب قال فخرجتُ فما أبعدت حتى سمعت الواعية عليه صوت
(بأبي مالَكَ عنّي ... مائلَ الطرف كليلاً)
(وأرى برّك نَزْراً ... وتَجفّيك قليلاً)
(وتسمِّيني عدواً ... وأسميك خليلاً)
(أتعلمّت سلُوّاً ... أم تبدلْت بديلاً)
(أحمَد الله فما أغنى ... الرّجا فيك فَتيلا)
الشعر لعلي بن جبلة والغناء لزرزور غلام المارقي خفيف رمل بالبنصر من روايتي الهشامي وعبد الله بن موسى وفيه لعريب هزج وفيه ثقيل أول من جيد الغناء ينسب إليها وإلى علويه وهو بغنائها أشبه منه بغناء علويه

أخبار علي بن جبلة

هو علي بن جبلة بن عبد الله الأبناوي ويكنى أبا الحسن ويلقب بالعكوك من أبناء الشيعة الخراسانية من أهل بغداد وبها نشأ وولد بالحربية من الجانب الغربي
وكان ضريراً فذكر عطاء الملط أنه كان أكمه وهو الذي يولد ضريراً وزعم أهله أنه عمي بعد أن نشأ
وهو شاعر مطبوع عذب اللفظ جزله لطيف المعاني مداح حسن التصرف واستنفد شعره في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي وأبي غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي وزاد في تفضيلهما وتفضيل أبي دلف خاصة فضل من أجله ربيعة على مضر وجاوز الحد في ذلك
فيقال إن المامون طلبه حتى ظفر به فسل لسانه من قفاه ويقال بل هرب ولم يزل متوارياً منه حتى مت ولم يقدر عليه وهذا هو الصحيح من القولين والآخر شاذ
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفي قال حدثني الحسين بن عبد الله بن جبلة بن علي بن جبلة قال كان لجدي أولاد وكان علي أصغرهم وكان الشيخ يرق عليه فجدر فذهبت إحدى عينيه في الجدري ثم نشأ فأسلم في الكتاب فحذق بعض ما يحذقه الصبيان فحمل على دابة ونثر عليه اللوز فوقعت على عينيه الصحيحة لوزة فذهبت فقال الشيخ لولده أنتم لكم أرزاق من السلطان فإن أعنتموني على هذا الصبي وإلا صرفت بعض أرزاقكم إليه
فقلنا وما تريد قال تختلفون به إلى مجالس الذب قال فكنا نأتي به مجالس العلم ونتشاغل نحن بما يلعب به الصبيان فما أتى عليه الحول حتى برع وحتى كان العالم إذا رآه قال لمن حوله أوسعوا للبغوي وكان ذكياً مطبوعاً فقال الشعر وبلغه أن الناس يقصدون أبا دلف لجوده وما كان يعطي الشعراء فقصده وكان يسمى العكوك فامتدحه بقصيدته التي أولها
(ذاد ورْدَ الغيّ عن صدره ... وارعوى واللهوُ من وَطَره)
يقول فيها في مدحه
(يا دواءَ الأرض إن فسدَت ... ومُديلَ اليُسر من عُسرُه)
(كلّ مَن في الأرض من عَرب ... بين بادِيه إلى حَضَره)
(مستعير منك مكرمة ... يكتسيها يومَ مُفتخَره)
((إنما الدنيا أبو دُلف ... بين مَبْداه ومحتضَره
(فإذا ولّى أبو دلَفٍ ... ولّت الدنيا على أثَره)
امتحنوه فقال قصيدة في وصف الفرس
فلما وصل إلى أبي دلف وعنده من الشعراء وهم لا يعرفونه استرابوه بها فقال له قائده إنهم قد اتهموك وظنوا أن الشعر لغيرك فقال أيها الأمير إن المحنة تزيل هذا قال صدقت فامتحنوه فقالوا له صف فرس الأمير وقد أجلناك ثلاثاً قال فاجعلوا معي رجلاً تثقون به يكتب ما أقول فجعلوا معه رجلاً فقال هذه القصيدة في ليلته وهي
(ربعت لمنشور على مَفرقِهِ ... ذمّ لها عهد الصِّبا حين انتسبْ)
(أهدابُ شَيبٍ جُددٌ في رأسه ... مكروهةُ الجِدّة أنضاء العُقَب)
(أشرقن في أسودَ أزراين به ... كانَ دُجاه لهوى البِيض سبب)
(واعتقن أيامَ الغواني والصِّبا ... عن ميّتٍ مطلبُه حيٌّ الأدبْ)
(لم يزدجِر مُرْعوياً حين ارعوى ... لكنْ يدٌ لم تتصل بمطّلب)
(لم أرَ كالشيب وقاراً يجتَوى ... وكالشبَّاب الغضّ ظِلاً يُستْلَب)
(فنازلٌ لم يُبتهج بقُربه ... وذاهب أبقى جوىً حين ذهب)
(كان الشباب لِمّة أزهَى بها ... وصاحباً حراً عزيز المصطحَب)
(إذ أنا أجري سادراً في غيه ... لا أُعتب الدهرَ إذا الدهر عتب)
((أُبْعِدُ شأوَ اللهو في إجرائه ... وأقصِد الخَودَ وراء المحتجب
(وأذعَرُ الرَّبربَ عن أطفاله ... بأعوجيٍّ دُلَفِيِّ المنتسَب)
(تحسبه من مَرَح العزِّ به ... مستنفراً بروعة أو ملتهب)
(مُرتَهج يرتجُّ من أقطاره ... كالماء جالت فيه ريح فاضطرب)
(تحسبه أقعد في استقباله ... حتى إذا استدبرته قلتَ أكبٌّ)

(وهْو على إرهاقه وطيه ... يقصر عنه المِحزَمان واللّبْب)
(تقول فيه حَنبٌ إذا انثنى ... وهو كمتن القِدح ما فيه حَنب)
(يخطو على عُوج تناهبن الثرى ... لم يتواكل عن شظىً ولا عصب)
(تَحسبِها نائثة إذا خطت ... كأنها واطئة على الرُّكَب)
(شتَا وقاظ بُرْهَتَيْهِ عندنا ... لم يؤتَ من برٍّ به ولا حدَب)
(يصان عصرَى حرِّه وقُرِّه ... وتقصُر الخور عليه بالحَلَب)
(حتى إذا تمَّت له أعضاؤه ... لم تنحبس واحدة على عتَب)
((رُمنا به الصيد فرادَينا به ... أوابد الوحش فأجدى واكتسب
(مُجذّم الجري يباري ظلَّه ... ويُعرق الأحقبَ في شوط الخبب)
(إذا تظنينا به صدقنا ... وإن تظنى فوته العير كذب)
) (لا يبلغ الجهد به راكبُه ... ويَبلُغ الريحَ به حيث طَلب)
(لا يَبلُغ الجهد به ركبُه ... ويَبلُغ الريحَ به حيث طَلب
(ثم انقضى ذاك كأن لم يَعنِه ... وكلٌّ بقيا فإلى يومِ عطَب)
(وخلفَ الدهرُ على أبنائه ... بالقَدْح فيهم وارتجاع ما وهب)
(فحَمِّل الدهر ابن عيسى قاسماً ... ينهضْ به أبلجُ فرّاجُ الكرَب)
(كرونق السيف انبلاجاً بالندى ... وكغِرارِيه على أهل الرِّيب)
(ما وسِنت عين رأت طلعَتَهُ ... فاستيقظت بنَوْبة من النُّوب)
(لولا ابنُ عيسى القَرْمُ كنّا همَلاً ... لم يؤتَثلْ مجد ولم يُرعَ حسب)
(ولم يقم في يوم بأس وندىً ... ولا تلاقى سبب إلى سبب)
(تكاد تبدي الأرض ما تضمره ... إذا تداعَت خيله هَلاَ وهَب)
(ويستَهلُّ أملاً وخيفةً ... جانبُها إذا استهلَّ أو قَطب)
(وهْو وإن كان ابن فرعَيْ وائل ... فيسماعيه يوافي في الحسب)
(وبعُلاه وعُلا آبائه ... تُحوى غداة السبق أخطارُ القصب)
((يا زهرة الدنيا ويا باب الندى ... ويا مجير الرُّعب من يوم الرَّهب
(لولاك ما كان سدىً ولا ندى ... ولا قريش عُرفَت ولا العرب)
(خذها إليك من مليء بالثنا ... لكنه غير مليء بالنَشَب)
(فاثْو في الأرض أو استفزز بها ... أنت عليها الرأس والناس الذنب)
قال فلما غدا عليه بالقصيدة وأنشده إياها استحسنها مَن حضر وقالوا نشهد أن قائل هذه قائل تلك فأعطاه ثلاثين ألف درهم
وقد قيل إن أبا دلف أعطاه مائة ألف درهم ولكن أراها في دفعات لأنه قصده مراراً كثيرة ومدحه بعدة قصائد
قصيدته في أبي دلف
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال حدثني أحمد بن أبي فنن قال قال عبد الله بن مالك
قال المأمون يوماً لبعض جلسائه أقسم على من حضر ممن يحفظ قصيدة علي بن جبلة الأعمى في القاسم بن عيسى إلا أنشدنيها فقال له بعض الجلساء قد أقسم أمير المؤمنين ولا بد من إبرار قسمه وما أحفظها ولكنها مكتوبة عندي
قال قم فجئني بها فمضى وأتاه بها فأنشده إياها وهي
(ذاد وِردَ الغيِّ عن صدَرهْ ... وارعوى واللهو من وَطرهْ)
((وأبت إلا البكاءَ له ... ضحكات الشيب في شعره
(نَدمِي أن الشباب مضى ... لم أبلّغه مدى أشَرِه)
(وانقضت أيامه سَلَماً ... لم أجِد حَوْلاً على غِيره)
(حَسرت عني بشاشتُه ... وذوى المحمود من ثمره)
(ودمٍ أهدرْتُ من رَشاٍ ... لم يُرِد عَقلاً على هدَره)
(فأتت دون الصِّبا هنةٌ ... فليت فُوقي على وتره)
(جارتا ليس الشباب لمن ... راح محنيًّا على كبره)
(ذهبت أشياء كنت لها ... صارَها حِلمي إلى صوره)
(دع جَدا قحطان أو مُضرٍ ... في يمانيه وفي مضره)
(وامتدح من وائل رجلاً ... عَصَرُ الآفاق في عَصَره)
(المنايا في مناقبه ... والعطايا في ذَرا حُجَره)
(ملِك تَندَى أنامله ... كانبلاج النَّوء من مطره)
(مستهِلّ عن مواهبه ... كابتسام الروض عن زَهَره)
(جبَلٌ عزّت مناكبه ... أمِنتْ عدنان في ثَغَره)
(إنما الدنيا أبو دُلف ... بين مَبداه و محتضَره)
(فإذا ولّى أبو دُلف ... ولّت الدنيا على أثره)
((لست أدري ما أقول له ... غير أن الأرض في خَفَره
(يا دواءَ الأرض إن فسدَت ... ومُديل اليُسر من عسره)
(كلّ من في الأرض من عربٍ ... بين باديه إلى حضره)
(مستعير منك مكرمةً ... يكتسيها يوم مفتخَره)
يقول فيها
(وزحوف في صواهله ... كصياح الحشر في أثره)

(قُدْتَه والموت مكتمِنٌ ... في مذاكيه ومشتجَره)
(فرمَت جيلويه منه يد ... طوت المنشورِ من نظِره)
(زرتَه والخيل عابسة ... تحمل البؤس على عُقَره)
(خارجات تحت رايتها ... كخروج الطير من وُكَره)
(وعلَى النعمان عجتَ به ... عَوجةً ذادته عن صَدره)
(غمَط النعمان صفوتها ... فرددتَ الصفو في كدره)
(ولقَرقورٍ أدرتَ رحاً ... لم تكن ترتد في فِكَرِه)
(قد تأنيتَ البقاءَ له ... فأبَى المحتومُ من قدَرِه)
(وطغى حتى رَفَعت له ... خطة شنعاء من ذُكَره)
قال فغضب المأمون واغتاظ وقال لست لأبي إن لم أقطع لسانه أو أسفك دمه
قال ابن أبي فنن وهذه القصيدة قالها علي بن جبلة وقصد بها أبا دلف بعد قتله الصعلوك المعروف بقرقور وكان من أشد الناس بأساً وأعظمهم
فكان يقطع هو وغلمانه على القوافل وعلى القرى وأبو دلف يجتهد في أمره فلا يقدر عليه فبينا أبو دلف خرج ذات يوم يتصيد وقد أمعن في طلب الصيد وحده إذا بقرقور قد طلع عليه وهو راكب فرساً يشق الأرض بجريه فأيقن أبو دلف بالهلاك وخاف أن يُولي عنه فيهلك فحمل عليه وصاح يا فتيان يمنة يمنة يوهمه أن معه خيلاً قد كمنها له فخافه قرقور وعطف على يساره هارباً ولحقه أبو دلف فوضع رمحه بين كتفيه فأخرجه من صدره ونزل فاحتز رأسه وحمله على رمحه حتى أدخله الكرج
قال فحدثني من رأى رمح قرقور وقد أدخل بين يديه يحمله أربعة نفر فلما أنشده علي بن جبلة هذه القصيدة استحسنها وسر بها وأمر له بمائة ألف درهم
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد الأزدي
قال أخبرني إبراهيم بن خلف قال
بينا أبو دلف يسير مع أخيه معقل وهما إذ ذاك بالعراق إذ مرّاً بأمرأتين تتماشيان فقالت إحداهما لصاحبتها هذا أبو دلف قالت ومن أبو دلف قالت الذي يقول فيه الشاعر
(إنما الدنيا أبو دُلَفٍ ... بين باديه ومحتضَره)
(فإذا ولّى أبو دُلَف ... ولّت الدنيا علَى أثره)
قال فاستعبر أبو دلف حتى جرى دمعه قال له معقل مالك يا أخي تبكي قال لأني لم أقض حق علي بن جبلة قال أو لم تعطه مائة ألف درهم لهذه القصيدة قال والله يا أخي ما في قلبي حسرة تقارب حسرتي على أني لم أكن أعطيته مائة ألف دينار والله لو فعلت ذلك لما كنت قاضياً حقه
حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الله بن محمد بن جرير قال
أنشدت أبا تمام قصيدة علي بن جبلة البائية فلما بلغت إلى قوله
(وردّ البِيضَ والبِيضَ ... إلى الأغْماد والحُجُب)
اهتز أبو تمام من فرقه إلى قدمه ثم قال أحسن والله لوددت أن لي هذا البيت بثلاث قصائد من شعري يتخيرها وينتخبها مكانه
أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني أبو نزار
الضبي الشاعر قال
قال لي علي بن جبلة قلت لحميد بن عبد الحميد الطوسي يا أبا غانم إني قد مدحت أمير المؤمنين بمدح لا يحسن مثله أحد من أهل الأرض فاذكرني له قال فأنشدني فأنشدته قال أشهد أنك صادق ما يحسن أحد أن يقول هكذا وأخذ المديح فأدخله إلى المأمون فقال له يا حميد الجواب في هذا واضح إن شاء عفونا عنه وجعلنا ذلك ثواباً لمديحه وإن شاء جمعنا بين شعره فيك وفي أبي دلف وبين شعره فينا فإن كان الذي قاله فيكما أجود ضربنا ظهره وأطلنا حبسه وإن كان الذي قاله فينا أجود أعطيناه لكل بيت ألف درهم وإن شاء أقلناه
فقلت له يا سيدي ومن أنا ومن أبو دلف حتى يمدحنا بأجود من مديحك فقال ليس هذا الكلام من الجواب في شيء فاعرض ما قلت لك على الرجل
فقال أفعل
قال علي بن جبلة فقال لي حميد ما ترى فقلت الإقالة أحب إلي فأخبر المأمون بذلك
فقال هو أعلم ثم قال لي حميد يا أبا الحسن أي شيء يعني من مدائحك لي ولأبي دلف فقلت قولي فيك
(لولا حُمَيدٌ لم يكن ... حسبٌ يُعَد ولا نسبْ)
(يا واحد العَرب الذي ... عَزَّت بعزّته العرب)
وقولي في أبي دلف
(إنما الدنيا أبو دُلَف ... بين بادية ومحتضَره)
(فإذا ولّى أبو دلف ... ولت الدنيا على أثره)
قال فأطرق حُميد ثم قال لقد انتقد عليك أمير المؤمنين فأجاد وأمر لي بعشرة الآف درهم وخلعة وفرس وخادم وبلغ ذلك أبا دلف فأضعف لي العطية وكان ذلك في ستر منهما ما علم به أحد خوفاً من المأمون حتى حدثتك به يا أبا نزار

أبو دلف يبره ويفرط

أخبرني علي بن سليمان قال حدثني محمد بن يزيد قال حدثني علي بن القاسم قال قال لي علي بن جبلة
زرت أبا دلف فكنت لا أدخل إليه إلا تلقاني ببره وأفرط فلما أكثر قعدت عنه حياء منه فبعث إلي بمعقل أخيه فأتاني فقال لي يقول لك الأمير لم هجرتنا لعلك استبطأت بعض ما كان مني فإن كان الأمر كذلك فإني زائد فيما كنت أفعله حتى ترضى فدعوت من كتب لي وأمللت عليه هذه الأبيات ثم دفعتها إلى معقل وسألته أن يوصلها وهي
(هجَرْتك لم أهجرك من كفر نعمة ... وهل يُرتجَى نَيل الزيادة بالكفر)
(ولكنني لما أتيتُك زائراً ... فأفرطت في بِري عجزت عن الشكر)

(فهأنا لا آتيك إلا مسلّماً ... أزورك في الشهرين يوماً وفي الشهر)
(فإن زدتني براً تزايدت جَفوة ... ولم تلقني طول الحياة إلى الحشر)
قال فلما سمعها معقل استحسنها جداً وقال جودت والله أما أن الأمير ليعجب بمثل هذه الأبيات فلما أوصلها إلى أبي دلف قال لله دره ما أشعره وما أرق معانيه ثم دعا بدواة فكتب إلي
(ألا ربّ ضيفٍ طارق قد بسطتُه ... وآنستُه قبل الضِيافة بالبِشر)
(أتاني يرجّيني فما حال دونه ... ودون القِرى من نَائلي عنده سِتري)
(وجَدتُ له فضلاً عليَّ بقصدِه ... إليَّ وبرّاً يستحق به شكري)
(فلم أعدُ أن أدنيتُه وابتدأتُه ... ببشر وإكرام وبرٍّ على بِرّ)
(وزوّدتُه مالاً قليل بقاؤه ... وزوّدني مدحاً يدوم على الدهر)
ثم وجّه بهذه الأبيات مع وصيف يحمل كيساً فيه ألف دينار فذلك حيث قلت له
((إنما الدنيا أبو دُلَفٍ ... بين باديه ومحتضَره
أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني أمد بن القاسم قال حدثني نادر مولانا
أن علي بن جبلة خرج إلى عبد الله بن طاهر والي خراسان وقد امتدحه فلما وصل إليه قال له ألست القائل
(إنما الدنيا أبو دُلَف ... بين بادية ومحتضَره)
(فإذا ولّى أبو دُلَف ... ولّت الدنيَا على أثره)
قال بلى قال فما الذي جاء بك إلينا وعدل بك عن الدنيا التي زعمت أرجع من حيث جئت فارتحل ومر بأبي دُلَف وأعلمه الخبر فأعطاه حتى أرضاه قال نادر فرأيته عند مولاي القاسم بن يوسف وقد سأله عن خبره فقال
(أبو دلف إن تلقه تلقَ مَاجداً ... جواداً كريماً راجح الحلم سيدا)
(أبو دُلَف الخَيرات أنداهُم يداً ... وأبسط معروفاً وأكرم محتِدا)
((تراث أبيه عن أبيه وجدّه ... وكلّ امرىءٍ يجري على ما تعودا
(ولست بِشَاكٍ غيره لنقيصة ... ولكنما الممدوح من كان أمجداً)
علي بن جبلة وحميد الطوسي
قال مؤلف هذا الكتاب والأبيات التي فيها الغناء المذكورة بذكرها أخبار أبي الحسن علي بن جبلة من قصيدة له مدح بها حميداً الطوسي ووصف قصره على دجلة وقال فيها بعد الأبيات التي فيها الغناء
(ليس لي ذنب سوى أنّي ... أسميك خليلا)
(وأناديك عزيزاً ... وتناديني ذليلا)
(أنا أهواك وحاليَك ... صَروماً ووَصولاً)
(ثِق بودٌّ ليس يفنى ... وبعهدٍ لن يحولا)
(جعل الله حُميداً ... لبني الدنيا كفيلا)
(مِلِك لم يجعل الله ... فيهم عديلا)
(فأقاموا في ذَراه ... مطمئنين حُلولا)
(لا ترى فيهم مُقِلاًّ ... يسأل المُثري فُضولا)
(جاد بالأموال حتى ... علّم الجود البخيلا)
(وبنَى الفخر على الفخر ... بناء مستطيلا)
(صار للخائف أمناً ... وعلى الجُود دليلا)
ولما مات حميد الطوسي رثاه بقصيدته العينية المشهورة وهي من نادر الشعر وبديعه وفي أولها غناء من الثقيل الأول يقال إنه لأبي العبيس ويقال إنه للقاسم بن زرزور
((أَللدهر تبكي أم على الدهر تجزع ... وما صاحبُ الأيام إلا مفجَّعُ
(ولو سَهَّلَت عنك الأُسا كان في الأُسا ... عزاءُ مُعَزٍّ للبيب ومقنَعُ)
(تعزَّ بما عزَّيتَ غيرك إنها ... سِهام المنايا حائمات ووُقّع)
(أصِبنا بيومٍ في حُمَيدٍ لو أنه ... أصاب عروش الدهر ظلت تضعضع)
(وأدَّبنا ما أدب الناس قبلنا ... ولكنه لم يبْقَ للصبر موضع)
(ألم تر للأيام كيف تصرَّمت ... به وبه كانت تُذادُ وتُدْفع)
(وكيف التقى مثوىً من الأرض ضيق ... على جبل كانت به الأرض تُمنع)
(ولما انقضَت أيامه انقضت العلا ... وأضحى به أنف النَدى وهو أجدع)
(وراح عدوّ الدِّين جَذلان ينتحي ... أمانيّ كانت في حَشاه تقطع)
(وكان حُمَيد معقِلاً ركَعت به ... قواعدُ ما كانت على الضيم تَركع)
(وكنتُ أراه كالرزايا رُزِئْتُها ... ولم أدْرِ أن الخلق يبكيه أجمع)
(حِمام رماه من مواضع أمنه ... حِمامٌ كذاك الخطب بالخطب يُقدع)
(وليس يغْزُو أن تصيب منية ... حِمى أختها أو أ ن يذلّ المُمنَّع)
(لقد أدركت فينا المنايا بثارها ... وحلّت بخطب وَهْيُه ليس يُرقَع
(نَعاءِ حُمَيداً للسرايا إذا غدت ... تذاد بأطراف الرماح وتوزع)
(وللمُرهَق المكروب ضاقت بأمره ... فلم يَدرِ في حوماتها كيف يصنع)
((ولِلبِيض خلّتها البُعول ولم يَدع ... لها غيره داعي الصباح المفزَّع
(كأن حُمَيداً لم يَقُد جيش عسكر ... إلى عسكر أشياعه لا تُروَّع)
(ولم يبعث الخيل المغيرة بالضحا ... مِراحاً ولم يرجع بها وهي ظُلَّع)
(رواجع يحملن النِّهاب ولم تكن ... كتائبه إلا على النهب ترجع)
(هوَى جبلُ الدنيا المنيعُ وغيثها المَريع ... وحاميها الكميّ المشيع)
(وسيفُ أمير المؤمنين ورمحه ... ومفتاح باب الخطب والخطب أفظع)

(فأقنعه من مُلكه ورباعه ... ونائِله قفر من الأرض بلقَع)
(على أيّ شجو تشتكي النفس بعده ... إلى شجوه أو يَذخَر الدمعَ مَدمع)
(ألم تر أن الشمس حال ضياؤها ... عليه وأضحى لونها وهو أسفع)
(وأوحشت الدنيا وأودى بهاؤها ... وأجدب مرعاها الذي كان يَمرَع)
(وقد كانت الدنيا به مطمئنة ... فقد جعلت أوتادها تتقلع)
(بكى فقدَه روحِ الحياة كما بكى ... نَداة الندى وابنُ السبيل المدفّع)
(وفارقت البيضُ الخدور وأبرزت ... عواطل حسرَى بعده لا تَقنّع)
(وأيقظ أجفاناً وكان لها الكرى ... ونامت عيون لم تكن قبلُ تَهجع)
(ولكنه مقدار يوم ثوى به ... لكل امرىء منه نِهال ومشرَع)
(وقد رأب الله المَلا بمحمد ... وبالأصل ينَمِي فرعُه المتفرع)
(أغرّ على أسيافه ورماحه ... تُقسَّم أنفال الخميس وتُجمع)
((حوى عن أبيه بذلَ راحته الندى ... وطعن الكُلى والزاعبية شرّع
وإنما ذكرت هذه القصيدة على طولها لجودتها وكثرة نادرتها وقد أخذ البحتريّ أكثر معانيها فسلخه وجعله في قصيدتيه اللتين رثى بهما أبا سعيد الثغري
(... انظر إلى العلياء كيف تضام)
(... بأي أسى تثني الدموع الهوامل)
وقد أخذ الطائي أيضاً بعض معانيها ولولا كراهة الإطالة لشرحتُ المواضع المأخوذة وإذا تأمل ذلك منتقد بصير عرفه
أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال حدثني أبو وائلة قال قال رجل لعلي بن جبلة
ما بلغت في مديح أحد ما بلغته في مديحك حميداً الطوسي
فقال وكيف لا أفعل وأدنى ما وصل إلي منه أني أهديت له قصيدة في يوم نيروز فسر بها وأمر أن يحمل إلي كل ما أهدي له فحمل إلي ما قيمته مائتا ألف درهم وأهديت له قصيدة في يوم عيد فبعث إلي بمثل ذلك قال أبو وائلة
وقد كان حميد ركب يوم عيد في جيش عظيم لم ير مثله فقال علي بن جبلة يصف ذلك
(غدا بأميرِ المؤمنين ويُمنِه ... أبو غانم غَدْوَ الندى والسحائِب
(وضَاقت فِجَاج الأرضِ عن كل موكب ... أحَاط به مستعلياً للمواكب)
(كأن سُموّ النّقع والبيضُ فوقهم ... سماوة ليل قُرِّنَت بالكواكب)
(فكانَ لأِهلِ العِيدِ عيد بُنسكهم ... وكان حُمَيد عيدَهم بالمواهب
(ولولا حُمَيد لم تَبَلّج عن الندى ... يمين ولم يدرك غنى كسب كاسب)
(ولو ملك الدنيا لما كان سائل ... ولا اعتام فيها صاحِب فضل صاحب)
(له ضِحكة تستغرق المال بالندى ... على عبسةٍ تُشجِي القنا بالترائب)
(ذهبت بأيام العلا فَارداً بهَا ... وصرَّمت عن مسعَاك شأو المطَالِب)
(وعَدَّلت مَيل الأرض حتى تعدلت ... فلم ينأ منهَا جانب فوق جانِب)
(بَلغت بأدنى الحزم أبعد قُطرِهَا ... كأنك منَها شاهد كلَّ غائِب)
قال والتي أهداهَا له يوم النيروز قصيدته التي فيها
(حُمَيدُ يا قاسِمَ الدنَيا بِنَائله ... وسَيفِه بين أهل النَّكث وَالدِّين)
(أنت الزمَان الذي يجري تصرّفه ... على الأنَام بتشديد وتَليين)
(لو لم تكن كانت الأيَّام قد فَنِيت ... والمكرمَاتُ ومَاتَ المجد مذ حين)
(صورَّك الله من مجد ومن كرم ... وصوَّر النَّاس من مَاء وَمن طين)
نسخت من كتاب بخط محمد بن العباس اليزيديّ
قال أحمد بن إسماعيل الخصيب الكاتب دخل علي بن جبلة يوماً إلى أبي دلف فقال له هات يا علي ما معك
فقال إنه قليل فقال هاته فكم من قليل أجود من كثير فأنشده
(الله أجرى من الأرزاق أكثرَها ... على يديك فشكراً يا أبا دُلفِ)
(أعطى أبو دُلَف والريح عاصفة ... حتى إذا وَقَفَت أعطى ولم يقف)
قال فأمر له بعشرة آلاف درهم فلما كان بعد مدة دخل إليه فقال له هات ما معك فأنشده
(مِن مَلَكَ الموت إلى قاسم ... رسالةٌ في بطن قِرطاس)
(يا فارس الفُرسان يوم الوغى ... مُرْني بمن شئتَ من الناس)
قال فأمر له بألفي درهم وكان قد تطير من ابتدائه في هذا الشعر فقال ليست هذه من عطاياك أيها الأمير فقال بلغ بها هذا المقدارَ ارتياعنا من تحمّلك رسالةَ ملك الموت إلينا
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن عبد الله قال حدثني علي بن جبلة العكوك المروزي قال
جاءني أبو يعقوب الخزيمي فقال لي إن لي إليك حاجة قلت وما هي قال تهجو لي الهيثم بن عدي
فقلت ومالك أنت لا تهجوه وأنت
شاعر فقال قد فعلت فما جاءني شيء كما أريد فقلت له كيف أهجو رجلاً لم يتقدم إلي منه إساءة ولا له إلي جرم يحفظني فقال تقرضني فإني ملي بالقضاء قلت نعم فأمهلني اليوم فمضى وغدوت عليه فأنشدته
(للهَيثم بن عديٍّ نِسبة جمعت ... آباءه فأراحتنا من العدد)
(أَعدُد عديًّا فلو مدّ البقاء له ... ما عُمِّر الناسُ لم يَنقص ولم يزد)
(نفسي فداء بني عبد المدان وقد تلَّتوه للوجه واستعلَوْه بالعمد)
(حتى أزالوه كرهاً عن كريمتهم ... وعرَّفوه بدُلٍّ أين أصل عدي)
(يا بنَ الخبيثة من أهجو فأفضحَه ... إذا هجوتُ وما تُنمى إلى أحد)
قال وكان الهيثم قد تزوج إلى بني الحارث بن كعب فركب محمد بن زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثي أخو يحيى

بن زياد ومعه جماعة من أصحاب الحارثيين إلى الرشيد فسألوه أن يفرق بينهما فقال الرشيد أليس هو الذي يقول فيه الشاعر
(إذا نسبتَ عدياً في بني ثُعلٍ ... فقدّم الدال قبل العين في النسب
قالوا بلى يا أمير المؤمنين قال فهذا الشعر من قاله قالوا هو لرجل من أهل الكوفة من بني شيبان يقال له ذهل بن ثعلبة
فأمر الرشيد داود بن يزيد أن يفرق بينهما فأخذوه فأدخلوه داراً وضربوه بالعصي حتى طلقها
علي بن جبلة وعبد الله بن طاهر
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن الحسن بن الخصيب قال
شخص علي بن جبلة إلى عبد الله بن طاهر والي خراسان وقد مدحه فأجزل صلته واستأذنه في الرجوع فسأله أن يقيم عنده وكان بره يتصل عنده فلما طال مقامه اشتاق إلى أهله فأنشده
(راعه الشيبُ إذ نزلْ ... وكفاه من العذَلْ)
(وانقضت مدة الصبا ... فانقضى اللهو والغزل)
(قد لعمري دَمَلْتُه ... بخضاب فما اندمل)
(فابكِ للشيب إذ بدا ... لا على الرَّبع والطلل)
(وصَلَ الله للأمير ... عُرا الملك فاتصل)
(ملك عزْمه الزمان ... وأفعاله الدولْ)
(كِسرويّ بمجده ... يضرب الضاربُ المثل)
(وإلى ظِلّ عزّه ... يلجأُ الخائف الوجِل)
(كلُّ خَلق سوى الإمام ... لإنعامه خوَل)
(ليته حين جاد لي ... بالغنى جاد بالقَفَل)
قال فضحك وقال أبيت إلا أن توحشنا وأجزل صلته وأذن له
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني أبو وائلة السدوسي قال
دخل علي بن جبلة العكوك على حميد الطوسي في أول يوم من شهر رمضان فأنشده
(جعل الله مَدخل الصوم فوزاً ... لحميد ومتعة في البقاءِ)
(فهْو شهرُ الربيع للقُرّاء ... وفراقُ النّدمان والصهباءِ)
(وأنا الضامنُ المليُّ لمن عاقرها ... مفطراً بطول الظّماءِ)
(وكأني أرى النَّدامى على الخسف ... يُرجّون صبحهم بالمساء)
(قد طَوى بعضُهم زيارة بعض ... واستعاضوا مصاحفاً بالغناء)
يقول فيها
(يحُميد وأين مثلُ حميد ... فخرَت طيّئٌ على الأحياء)
(جوده أظهر السماحة في الأرض ... وأغنى المُقوي عن الإقواء)
(مِلك يأمُل العباد نداه ... مثلَ ما يأمُلون قَطْر السماء)
(صاغه الله مطعِمَ الناس في الأرض ... وصاغ السحاب للإسقاء)
قال فأمر له بخمسة آلاف درهم وقال استعن بهذه على نفقة صومك ثم دخل إليه ثاني شوال فأنشده
(علّلاني بصفو ما في الدّنان ... واتركا ما يقوله العاذلان)
(واسبقا فاجعَ المنيّة بالعيش ... فكلٌّ على الجَديدين فاني)
((عللاني بشَربةٍ تُذهب الهمّ ... وتنفي طوارق الأحزان
(وانفثا في مسامعٍ سدّها الصوم ... رُقى الموصليّ أو دَحْمان)
(قد أتانا شوال فاقتبل العيش ... وأعدى قسراً على رمضان)
(نِعم عون الفتى على نوَب الدهر ... سماعُ القيان والعِيدان)
(وكؤوسٌ تجري بماءِ كُروم ... ومطيُّ الكؤوس أيدي القيان)
(من عُقار تُميت كلُّ احتشام ... وتَسرّ النّدمان بالنّدمان)
(وكأنَّ المِزاج يقدح منها ... شراراً في سبائك العِقيان)
(فاشرب الراح واعص مَنْ لام فيها ... إنها نعم عُدة الفِتيان)
(واصحب الدهر بارتحال وحَلّ ... لا تخف ما يجُرّه الحادثان)
(حسْب مستظهرعلى الدهر ركناً ... بحُميد رداءاً من الحِدثان)
(مِلك يقتني المكارم كنزاً ... وتراه من أكرم الفتيان)
(خُلقت راحتاه للجود والبأس ... وأموالُه لشكر اللسان)
(ملّكتْه على العباد معدّ ... وأقرّت له بنو قحطان)
(أريحيُّ الندى جميل المحيّا ... يده والسماح معتَقدان)
(وجْهه مشرق إلى معتَفيه ... ويداه بالغيث تنفجِران)
(جعل الدهر بين يوميه قسمين ... بعُرف جزل وحرٍّ طعان)
((فإذا سار بالخميس لحرب ... كَلَّ عن نصّ جَريْه الخافقان
(وإذا ما هززتَه لنوال ... ضاق عن رحب صدره الأفقان)
(غَيث جدب إذا أقام ربيع ... يتغشى بالسِّيب كلّ مكان)
(يا أبا غانم بقيتَ على الدهر ... وخُلّدتَ ما جرى العصران)
(ما نُبالي إذا عدَت المنايا ... مَن أصابت بكَلْكَل وجِران)
(قد جعلنا إليك بعث المطايا ... هرَباً من زماننا الخوّان)
(وحملنا الحاجات فوق عتاق ... ضامنات حوائج الرُّكبان)
(ليس جُودُ وراء جودك يُنتاب ... ولا يَعتَفِي لغيرك عاني)

فأمر له بعشرة آلاف درهم وقال تلك كانت للصوم فخفّفت وخففنا وهذه للفطر فقد زدتنا وزدناك
أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن الطيب السرخسي قال حدثنا ابن أخي علي بن جبلة العكوك قال أحمد وكان علي جارنا بالربض هو وأهله وكان أعمى وبه وضح
وكان يهوى جارية أديبة ظريفة شاعرة وكانت تحبه هي أيضاً على قبح وجهه وما به من الوضح حدثني بذلك عمرو بن بحر الجاحظ
قال عمرو وحدثني العكوك أن هذه الجارية زارته يوماً وأمكنته من نفسها حتى افتضّها قال وذلك عنيت في قولي
(ودمٍ أهدرت من رشإٍ ... لم يُرد عقلاً على هَدَره)
وهي القصيدة التي مدح بها أبا دلف يعني بالدم دم البضع قال ثم قصدت حميداً بقصيدتي التي مدحته بها فلما استؤذن لي عليه أبى أن يأذن لي وقل قولوا له أي شيء أبقيت لي بعد قولك في أبي دلف
(إنما الدنيا أبو دُلف ... بين مَبْداه ومحتضره)
(فإذا ولّى أبو دُلَف ... ولت الدنيا على أثره)
فقلت للحاجب قل له الذي قلت فيك أحسن من هذا فإن وصَّلتَني سمعته فأمر بإيصالي فأنشدت قولي فيه
(إنما الدنيا حُميد ... وأياديه الجسامُ)
(فإذا ولّى حُميد ... فعلى الدنيا السلام)
فأمر لي بمائتي دينار فنثرتها في حِجر عشيقتي ثم جئته بقصيدتي التي أقول فيها
(دجلة تسقي وأبو غانم ... يُطعم مَن تسقي من الناس)
فأمر لي بمائتي دينار
حدثني عمي قال حدثني أحمد بن الطيب قال حدثني ابن أخي علي بن جبلة أيضاً
أن عمه علياً كان يهوى جارية وهي هذه القينة وكانت له مساعدة ثم غضبت عليه وأعرضت عنه فقال فيها
(تُسيء ولا تستنكر السوء إنها ... تُدلّ لما تبلوه عندي وتَعرف)
(فمِن أين ما استعطفتها لم ترقّ لي ... ومن أين ما جربتُ صبريَ يضعف)
أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال
تذاكرنا يوماً أقبح ما هجي به الناس في ترك الضيافة وإضاعة الضيف فأنشدنا علي بن جبلة لنفسه
(أقاموا الدّيدَبان على يَفاعٍ ... وقالوا لا تَنَم للدّيدَبان)
(فإن آنست شخصاً من بعيد ... فصفّق بالبنان على البنان)
(تراهم خشية الأضياف خُرساً ... ويأتون الصلاة بلا أذان)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني أبي قال حدثني وهب بن سعيد المَرْوزي كاتب حميد الطوسي قال
جئت حُميداً في أول يوم من شهر رمضان فدفع إلي كيساً فيه ألف دينار وقال تصدقوا بهذه وجاءه ابنه أصرم فسلم عليه ودعا له ثم قال له خادمك علي بن جبلة بالباب فقال وما أصنع به جئتني به يا بني تقابلني بوجهه في أول يوم من هذا الشهر فقال إنه يجيد فيك القول قال فأنشدني بيتاً مما تستجيد له فأنشده قوله
(حِيدي حَيادِ فإنّ غزوة جيشه ... ضمنت لجائلة السباع عِيالها)
فقال أحسن ائذنوا له فدخل فسلّم ثم أنشده قوله
((إن أبا غانم حُمَيداً ... غيث على المعتفين هامي
(صوَّره الله سيفَ حَتف ... وبابَ رزق على الأنام)
(يا مانع الأرض بالعوالي ... والنِّعم الجمة العظام)
(ليس من السّوء في مَعاذ ... من لم يكن منك في ذِمام)
(وما تعمّدتُ فيك وصفاً ... إلا تقدّمْته أمامي)
(فقد تناهت بك المعالي ... وانقطعت مدة الكلام)
(أجِدَّ شهراً وأبلِ شهراً ... واسلم على الدهر ألف عام)
قال فالتفت إلي حميد وقال أعطه ذلك الألف الدينار حتى يخرج للصدقة غيره
حدثني عمي قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قال حدثني أبو سهيل بن سالم مولى حميد الطوسي قال
جاء علي بن جبلة إلى حميد الطوسيّ مستشفعا به إلى أبي دلف وقد كان غضب عليه وجفاه فركب إلى أبي دلف شافعاً وسأله في أمره فأجابه واتصل الحديث بينهما وعلي بن جبلة محجوب فأقبل على رجل إلى جانبه وقال اكتب ما أقول لك فكتب
(لا تتركنّي بباب الدار مطّرَحاً ... فالحرُ ليس عن الأحرار يحتجب)
(هبنا بلا شافع جئنا ولا سبب ... ألستَ أنت إلى معروفك السبب)
قال فأمر بإيصاله إليه ورضي عنه ووصله
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أحمد بن مروان قال حدثني أبو سعيد المخزومي قال
دخلت على حميد الطوسي فأنشدته قصيدة مدحته بها وبين يديه رجل
ضرير فجعل لا يمر ببيت إلا قال أحسن قاتله الله أحسن ويحه أحسن لله أبوه أحسن أيها الأمير
فأمر لي حميد ببدرة فلما خرجت قام إلي البوابون فقلت كم أنتم عرفوني أولاً من هذا المكفوف الذي رأيته بين يدي الأمير فقالوا علي بن جبلة العكوك فارفضضت عرقا
ولو علمت أنه علي بن جبلة لما جسرت على الإنشاد بين يديه

المأمون يدخل علي ولكن بشرط

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح قال
كلم حميد الطوسي المأمون في أن يدخل عليه علي بن جبلة فيسمع منه مديحاً مدحه به فقال وأي شيء يقوله في بعد قوله في أبي دلف
(إنما الدنيا أبو دُلفٍ ... بين مغزاه ومحتضره)

(فإذا ولّى أبو دُلَف ... ولّت الدنيا على أثره)
وبعد قوله فيك
(يا واحد العرَب الذي ... عزّت بعزته العَرَبْ)
أحسن أحواله أن يقول فيَّ مثل ما قاله في أبي دُلف فيجعلَني نظيراً له هذا إن قدر على ذلك ولم يقصر عنه فخيروه بين أن أسمع منه فإن كان مدحه إياي أفضل من مدحه أبا دلف وصلته وإلا ضربت عنقه أو قطعت لسانه وبين أن أقيله وأعفيه من هذا وذا
فخيروه بذلك فاختار الإقالة ثم مدح حميداً الطوسي فقال له وما عساك أن تقول في بعدما قلته في أبي دُلف فقال قد قلت فيك خيراً من ذلك قال هات فأنشده
((دِجلة تَسقِي وأبو غانمٍ ... يُطعم مَن تسقي من ا لنَّاس
(النَّاس جسم وإمام الهدى ... رأس وأنت العين في الراس)
فقال له حميد قد أجدت ولكن ليس هذا مثل ذلك ووصله
قال أحمد بن عبيد ثم مات حميد الطوسي فرثاه علي بن جبلة فلقيته فقلت له أنشدني مرثيتك حميداً فأنشدني
(نَعاءِ حُمَيداً للسرايا إذا غدَتْ ... تُذاد بأطراف الرماح وتوزع)
حتى أتى على آخرها فقُلت له ما ذهب على النحو الذي نحوتَه يا أبا الحسن وقد قاربته وما بَلغته فقال وما هو فقلت أردت قول الخريمي في مرثيته أبا الهيذام
(وأعددتُه ذخراً لكل مُلمة ... وسهم المَنايا بالذخائر مُولع)
فقال صدقت والله أما والله لقد نحوته وأنا لا أطمع في اللحاق به لا والله ولا أمرؤ القيس لو طلبه وأراده ما كان يطمع أن يقاربه في هذه القصيدة
هروبه من المأمون
أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال حدثني ابن أبي حرب الزعفراني قال
لما بلغ المأمون قول علي بن جبلة لأبي دلف
(كلُّ من في الأرض من عرب ... بين باديه إلى حضره)
(مستعير منك مكرمةً ... يكتسيها يوم مفتخَره)
غضب من ذلك وقال اطلبوه حيث كان فطلب فلم يقدر عليه
وذلك أنه كان بالجبل فلما اتصل به الخبر هرب إلى الجزيرة وقد كانوا كتبوا إلى الآفاق في طلبه فهرب من الجزيرة أيضاً وتوسط الشام فظفروا به فأخذوه وحملوه إلى المأمون فلما صارإليه قال له يابن اللَّخناء أنت القائل للقاسم بن عيسى
(كلُّ من في الأرض من عرَب ... بين باديه إلى حضره)
(مستعير منك مكرمةً ... يكتسيها يوم مفتخَرة)
جعلتنا ممن يستعير المكارم منه فقال له يا أمير المؤمنين أنتم أهل بيت لا يقاس بكم أحد لأن الله جل وعز فضلكم على خلقه واختاركم لنفسه وإنما عنيت بقولي في القاسم أشكال القاسم وأقرانه فقال والله ما استثنيت أحداً عن الكلّ سلوا لسانه من قفاه
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى قال وحدثني أحمد بن أبي فنن
أن المأمون لما أدخل عليه علي بن جبلة قال له إني لست استحل دمك لتفضيلك أبا دلف على العرب كلها وإدخالك في ذلك قريشاً وهم آل رسول الله وعترته ولكني أستحله بقولك في شعرك وكفرك حيث تقول القول الذي أشركت فيه
(أنت الذي تنزل الأيامَ منزلها ... وتَنقل الدهرَ من حال إلى حال)
(وما مددْتَ مدَى طَرف إلى أحد ... إلا قضيتَ بأرزاق وآجال)
كذبت يا ماص بظر أمه ما يقدر على ذلك أحد إلا الله عز وجل الملك الواحد القهار سلوا لسانه من قفاه
صوت
(لا بد من سكرة على طَرَبِ ... لعل رَوْحاً يُدال من كُرَبِ)
ويروى
(... لعل روحاً يُديل من كرب)
وهو أصوب
(فعاطنيها صهباء صافية ... تَضحك من لؤلؤ على ذهب)
(خليفةَ الله أنت منتخَب ... لِخير أمٍّ من هاشم وأب)
(أكرمْ بأصلين أنت فرعهما ... من الإمام المنصور في النسب)
الشعر للتيميّ والغناء لسليم بن سلام خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو وفيها لنظم العمياء خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي
أخبار التيميّ ونسبه
هو عبد الله بن أيوب ويكنى أبا محمد مولى بني تيم ثم مولى بني سليم ذكر ذلك ابن النطاح وكان له أخ يقال له أبو التيجان وكلاهما كان شاعراً وهما من أهل الكوفة وهما من شعراء الدولة العباسية أحد الخلعاء المجان الوصافين للخمر وكان صديقاً لإبراهيم الموصلي وابنه إسحاق ونديماً لهما ثم اتصل بالبرامكة ومدحهم واتصل بيزيد بن مزيد فلم يزل منقطعاً إليه حتى مات يزيد واستنفد شعره أو أكثره في وصفه الخمر وهو الذي يقول
((شَربتُ من الخمر يوم الخميس ... بالكأس والطاس والقَنْقَل
(فما زالت الكأس تغتالنا ... وتَذهب بالأول الأول)
(إلى أن توافت صلاة العشا ... ونحن من السكر لم نعقل)
(فمن كان يعرف حقِ الخميس ... وحق المدام فلا يجهل)
(وما إن جرت بيننا مزحة ... تهيج مِراء على السلسل)
وهو القائل
(ولن أنتهي عن طيِّب الراح أو يَرى ... بَوادي عظامي في ضريحيَ لاحدُ)

(أضعتُ شبابي في الشراب تلذّذاً ... وكنت امرأ غِرّ الشباب أكابدُ)
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أبو العيناء عن محمد بن عمر قال أبو محمد التيمي اسمه عبد الله بن أيوب مولى بني تيم
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار عن محمد بن داود بن الجراح قال قال دعبل
كان للتيمي أبي محمد ابن يقال له حبان مات وهو حديث السن فجزع عليه وقال يرثيه
صوت
(أودى بحَبّانَ ما لم يترك الناسا ... فامنح فؤادَك من أحبابك الياسا)
(لما رَمته المنايا إذ قصدن له ... أصبن مني سواد القلب والراسا)
(وإذ يقول لي العُوّاد إذ حضروا ... لابأس أبشِر أبا حبان لا تاسَى)
((فبت أرعى نجوم الليل مكتئباً ... إخال سُنَّته في الليل قرطاسا
غنى في الأول والرابع من هذه الأبيات حكم الوادي ولحنه رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وأول هذه القصيدة
(يا دَير هند لقد أصبحت لي انَساً ... وما عهدتك لي يا دَير مِئْناسا)
وهي مشهورة من شعره
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال قلت
(... وُصف الصدُّ لمن أهوَى فَصَدّ)
ثم أجبلت فمكثت عدة ليال لا يستوي لي تمامه فدخل علي التيمي فرآني مفكراً فقال ما قصتك فأخبرته فقال
(... (وبدا يمزح بالهجر فجَدّ
ثم أتممتها فقلت
(ما له يعدل عني وجهَه ... وهو لا يعدِله عندي أحدْ)
وخرجت إلى مدح الفضل بن الربيع فقلت
(قد أرادوا غِرّة الفضل وهل ... تُطلب الغِرّة في خِيس الأسدْ)
(ملِك ندفَع ما نخشى به ... وبه يَصلح منّا ما فسد)
(يفعل الناسُ إذا ما وعدوا ... وإذا ما فعل الفضل وعد)
لإسحاق في هذا الشعر صنعة ونسبتها
صوت
(وُصف الصدُّ لِمن نهوَى فصدْ ... وبدا يمزح بالهجرِ فجَدْ)
(ما له يَعدل عني وجهَه ... وهو لا يعدله عندي أحد)
الشعر والغناء لإسحاق خفيف رمل بالبنصر وله فيه أيضاً ثقيل أول وفيه لزكريا بن يحيي بن معاذ هزج بالبنصر عن الهشامي وغيره قال الهشامي وقيل إن الهزج لإسحاق وخفيف الرمل لزكريا
أخبرني جحظة عن علي بن يحيي المنجم عن إسحاق قال
اشتركت أنا وأبو محمد التيمي في هذا الشعر
(... وُصف الصد لمن نهوى فصد)
وذكر البيتين
الرشيد يطلب سماع قصيدته في رثاء يزيد بن مزيد
أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن طهمان قال حدثني محمد الراوية الذي يقال له البيذق وكان يقرأ شعر المحدثين على الرشيد قال
قال لي الرشيد يوماً أنشدني مرثية مروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة التي يقول فيها
(كأن الشمس يوم أُصيب معنٌ ... من الإظلام مُلْبَسه جِلالا)
(هو الجبل الذي كانت معدّ ... تَهُدّ من العَدُوّ به الجبالا)
((أقمنا باليمامة بعد معنٍ ... مُقاماً لا نريد به زِيالاً
(وقلنا أين نذهب بعد معنٍ ... وقد ذهب النوال فلا نوالاً)
قال فأنشدته إياها ثم قال لي أنشدني قصيدة أبي موسى التيميّ في مرثية يزيدَ بن مَزْيد فهي والله أحب إليَّ من هذه فأنشدته
(أحقٌ أنه أودَى يَزيدُ ... تبيّن أيها الناعي المُشيد)
(أتدري مَن نعيتَ وكيف فاهت ... به شفتاك كان بِك الصعيد)
(أحامي المجد والإسلام أودى ... فما للأرض ويحكَ لا تميد)
(تأمل هل ترى الإسلام مالت ... دعائمه وهل شاب الوليد)
(وهل شيمت سيوف بني نزار ... وهل وُضعت عن الخيل اللُّبود)
(وهل تسقِي البلادَ عِشار مُزن ... بِدرّتها وهل يخضرّ عود)
(أما هُدت لمِصرَعه نِزارٌ ... بَلَى وتقوّض المجد المَشيد)
(وحلّ ضريحَه إذ حلَّ فيه ... طريفُ المجد والحسبُ التليد)
(أمَا والله ما تنفك عَيني ... عليك بدمعها أبداً تجود)
(فإن تجمُد دموع لئيم قوم ... فليس لدمع ذي حسب جُمود)
(أبعد يزيد تَخْتَزن البواكي ... دموعاً أو تصَانُ لها خدود)
(لِتبكِك قبةُ الإسلامِ لما ... وهت أطنَابها ووهَى العمود)
((ويبكك شاعرٌ لم يُبق دهر ... له نَشَباً وقد كسَد القِصيد
(فمَنْ يدعو الإمامُ لكل خطب ... ينوب وكلِّ معضِلة تؤود)
(ومن يحمي الخميسَ إذا تعايا ... بحيلة نفسه البطلُ النجيد)

(فإن يهلك يزيد فكلّ حيٍّ ... فَرِيسٌ للمنية أو طريد)
(ألم تعجب له أن المنايا ... فتكْن به وهُنَّ له جنود)
(قصدن له وهنّ يحِدن عنه ... إذا ما الحرب شبَّ لها وقود)
(لقد عزَّى ربيعةَ أن يوماً ... عليها مثلَ يومك لا يعود)
قال فبكى هارون الرشيد بكاء اتسع فيه حتى لو كانت بين يديه سكرجة لملأها من دموعه
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا محمد بن عمر قال
خرج كوثر خادم محمد الأمين ليرى الحرب فأصابته رجمة في وجهه فجلس يبكي فوجه محمد من جاءه به وجعل) يمسح الدم عن وجهه وقال
((ضربوا قُرة عيني ... ومن أجلي ضربوهُ
(أخذ الله لِقلبي ... من أناس أحرقوه)
قال وأراد زيادة في الأبيات فلم يواته فقال للفضل بن الربيع من ها هنا من الشعراء فقال الساعة رأيت عبد الله بن أيوب التيمي فقال علي به فلما أدخل أنشده محمد هذين البيتين وقال أجزهما فقال
(ما لِمن أهوى شبيهُ ... فبِهِ الدنيا تتيهُ)
(وصلُه حلو ولكن ... هجره مُرّكريه)
(مَن رأى الناسُ له الفضلَ ... عليهم حسدوه)
مثلَ ما قد حسد القائمَ ... بالملك أخوه) فقال محمد أحسنت هذا والله خير مما أردنا بحياتي عليك يا عباسي إلا) نظرت فإن جاء على الظهر ملأت أحمال ظهره دراهم وإن كان جاء في زورق ملأته فأوقرتُ له ثلاثةُ أبغل دراهم
الفضل بن سهل يتوسط له فيعفو عنه المأمون
قال محمد بن يحيى فحدثني الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن إدريس قال
لما قتل محمد الأمين خرج أبو محمد التيمي إلى المأمون وامتدحه فلم يأذن له فصار إلى الفضل بن سهل ولجأ إليه وامتدحه فأوصله إلى
المأمون فلما سلم عليه قال له المأمون إيه يا تيمي
(مثلَ ما قد حسد القائمَ ... بالملك أخوه)
فقال التيمي بل أنا الذي أقول يا أمير المؤمنين
(نُصر المأمون عبدُالله ... لما ظلموه)
(نقضوا العهد الذي كانوا ... قديماً أكَّدوه)
(لم يعامله أخوه ... بالذي أوصى أبوه)
ثم أنشده قصيدة له امتدحه بها أولها
(جزعتَ ابنَ تيم أن أتاك مشيبُ ... وبان الشباب والشباب حبيب)
قال فلما أنشده إياها وفرغ منها قال قد وهبتك لله عز وجل ولأخي العباسي يعني الفضل بن سهل وأمرت لك بعشرة آلاف درهم
أخبرني محمد بن يحيي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال حدثني عباد بن محمد الكاتب عن أبي محمد التيمي الشاعر قال
أنشدت الأمين محمداً أول ما ولي الخلافة قولي
(لا بدَّ من سَكرة على طرب ... لعل رَوحاً يُديل من كُرب)
الأبيات المذكورة في الغناء قال فأمر لي بمائتي ألف درهم صالحوني منها على مائة ألف درهم
وأخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن يحيي المنجم قال وحدثني حسين بن الضحاك قال قال لي أبو محمد التيمي
دخلت على محمد الأمين أول ما ولي الخلافة فقال يا تيمي وددت أنه قيل في مثل قول طريح بن إسماعيل في الوليد بن يزيد
(طوبى لفرعَيك من هنا وهنا ... طوبى لأعراقك التي تَشجُ)
فإني والله أحق بذلك منه فقلت أنا أقول ذلك يا أمير المؤمنين ثم دخلت إليه من غد فأنشدته قصيدتي
(لا بد من سكرة على طربِ ... لعل رَوحا يُديل من كُرب)
حتى انتهيت إلى قولي
(أكرِمْ بفرعين يَجريان به ... إلى الإمام المنصور في النسب)
فتبسَّم ثم قال لي يا تيمي قد أحسنت ولكنه كما قيل مرعى ولا كالسَّعدان ثم التفت إلى الفضل بن الربيع فقال بحياتي أوقر له زورقه مالاً فقال نعم يا سيدي
فلما خرجت طالبت الفضل بذلك فقال أنت مجنون من أين لنا ما يملأ زورقك ثم صالحني على مائة ألف درهم
التيمي يمدح الفضل بن يحيى
أخبرني وكيع قال حدثني ابن اسحاق قال حدثني أبي قال
كنت على باب الفضل بن يحيى فأتاني التيمي الشاعر بقصيدة في قرطاس وسألني أن أوصلها إلى الفضل فنظرت) فيها ثم خرقت القرطاس فغضب أبو محمد وقال لي أما كفاك أن استخففت بحاجتي منعتني أن أدفعها إلى غيرك فقلت له أنا خير لك من القرطاس ثم دخلت إلى الفضل فلما تحدثنا قلت له معي هدية وصاحبها بالباب وأنشدته فقال كيف حفظتها قلت الساعة دفعها إلي على الباب فحفظتها فقال دع ذا الآن فقلت له فأدخله فأدخل فسأله عن القصة فأخبره فقال أنشدني شيئاً من شعرك ففعل وجعلت أردد أبياته وجعلت أشيعها بالاستحسان ثم خرج التيمي فقلت خذ في حاجة الرجل فقال أما إذ عنيت به فقد أمرت له بخمسة آلاف درهم فقلت له أما إذ أقللتها فعجلها فأمر بها فأحضرت فقلت له أليس لإعنائك إياي ثمن قال نعم قلت فهاته قال لا أبلغ بك في الإعنات ما بلغت بالشاعر في المديح فقلت فهات ما شئت فأمر بثلاثة آلاف درهم فضممتها إلى الخمسة الآلاف ووجهت بها إليه
وذكر أحمد بن طاهر عن أبي هفان عن إسحاق قال كان التيمي

وأخوه أبو التيحان وابن عم له يقال له قبيصة يشربون في حانة حتى سكروا وانصرفوا من غد فقال التيمي يذكر ذلك ويتشوق مثله
صوت
(هل إلي سَكرة بناحية الحيرة ... شنعاءَ يا قَبيص سبيلُ)
(وأبو التيَّحان في كَفَّه القرعة ... والرأس فوقه إكليل)
(وغرار كأنه بيذق الشَّطرنج ... يفتن فيه قالٌ وقيلُ)
الشعر للتيمي والغناء لمحمد بن الأشعث رمل بالوسطى
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أبو العيناء عن أبي العالية قال
أمر محمد الأمين لعبد الله بن أيوب بجائزة عشرة آلاف دينار ثواباً عن بعض مدائحه فاشترى بها ضيعة بالبصرة وقال بعد ابتياعه إياها
(إني اشتريتُ بما وهبتَ لِيَهْ ... أرضاً أمون بها قرابَتِيَه)
(فبحسن وجهك حين أسأل قل ... يابن الربيع احمل إليه مِيَهْ)
فغني بها الأمين فقال للفضل بحياتي يا عباسي أحمل إليه مائة ألف فدعا به فأعطاه خمسين ألفاً وقال له الخمسون الأخر لك علي إذا اتسعت أيدينا
أخبرني الحسن قال حدثني أبو العيناء عن أبي العالية قال
عشق التيمي جارية لبعض النخاسين فشكا وجده بها إلى أبي عيسى بن الرشيد فقال أبو عيسى للمأمون يا أمير المؤمنين إن التيمي يجد
بجارية لبعض النخاسين وقد كتب إلي ببيتين يسألني فيهما ثمنها فقال وما هما فقال
(يا أبا عيسى إليك المشتكَى ... وأخو الصبر إذا عيل شكا)
(ليس لي صبر على فقدانها ... وأعاف المَشربَ المشتركا)
قال فأمر له بثلاثين ألف درهم فاشتراها بها
أخبرني الحسن قال حدثني أبو العيناء عن أبي العالية قال دخل التيمي إلى الفضل بن الربيع في يوم عيد فأنشده
(ألا إنما آلُ الربيع ربيع ... وغيثٌ حَياً للمرمِلين مَريع)
(إذا ما بدا آل الربيع رأيتَهم ... لهم دَرَج فوق العباد رفيع)
فأمر له بعشرة آلاف درهم
أخبرني عيسى بن الحسن قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا الزبير بن بكار قال
مدح أبو محمد التيمي الفضل بن يحيى بثلاث أبيات ودفعها إلى إسحاق الموصلي فعرضها على الفضل بن يحي فأمر له بثلاثة آلاف درهم والأبيات
(لعمرك ما الأشراف في كل بلدة ... وإن عُظموا للفضل إلا صَنائِعُ)
(تَرى عظماء الناس للفضل خُشَّعاً ... إذا ما بدا والفضل لله خاشع)
(تواضَع لمّا زاده الله رفعة ... وكلُّ جليل عنده متواضع)
أخبرني جحظة قال حدثني علي بن يحيي المنجم قال حدثني إسحاق الموصلي عن محمد بن سلام قال
كتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم إني قد نظرت في سني فإذا أنا ابن ثلاث وخمسين سنة وأنا وأنت لدة عام وإن امرأ قد سار إلى منهل خمسين سنة لقريب أن يرده والسلام
فسمع هذا أبو محمد التيمي مني فقال
(إذاذهب القَرْن الذي أنت فيهمُ ... وخُلِّفتَ في قَرن فأنت غريب)
(وإن امرأ قد سار خمسين حِجة ... إلى منهل مِن ورده لقريب)
حدثني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني أبو دعامة علي بن يزيد قال حدثني التيمي أبو محمد قال
دخلت على الحسن بن سهل فأنشدته مديحا في المأمون ومديحا فيه وعنده طاهر بن الحسين فقال له طاهر هذا والله أيها الأمير الذي يقول في محمد المخلوع
(لا بُدَّ من سَكرة عَلَى طَرَبِ ... لعل رَوحاً يُديل من كُرَبِ)
((خليفةُ الله خير منتخَب ... لِخير أم من هاشِم وأب
(خلافة الله قد تَوارثها ... آباؤه في سوالف الكُتُب)
(فهْي له دونكم مورَّثة ... عن خاتم الأنبياء في الحِقب)
(يابن الذُّرا من ذوائب الشرف الأقدم ... أنتم دعائم العرب)
فقال الحسن عرض والله ابن اللخناء بأمير المؤمنين والله لأعلمنه
وقام إلى المأمون فأخبره فقال المأمون وما عليه في ذلك رجل أمل رجلاً فمدحه والله لقد أحسن بنا وأساء إليه إذا لم يتقرب إليه إلا بشرب الخمر ثم دعاني فخلع علي وحملني وأمر لي بخمسة آلاف درهم
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو الشبل البرجمي عن أبيه قال قال لي أبو محمد التيمي
أول شعر به فشاع فيه ذكري ووصلت به إلى الخليفة قولي
صوت
(طاف طَيفٌ في المنام ... بِمحبٍّ مستهامِ)
(زَورة أبقت سَقاماً ... وشفت بعض السَّقام)
(لم يكن ما كان فيها ... من حرام بِحرام)
(لم تكن إلا فُواقاً ... وهْي في ليل التَّمام)
الغناء لإسحاق فقال فصنع فيها إسحاق لحنا وغنى به الرشيد فسأله عن قائل الشعر فقال له صديق لي شاعر ظريف يعرف بالتيمي فطلبت
وأمرت بالحضور فسألت عن السبب الذي دعيت له فعرفته فأتممت الشعر وجعلته قصيدة مدحت بها هارون ودخلت إليه

فأنشدته إياها فأمر له بثلاثين ألف درهم وصرت في جملة من يدخل إليه بنوبة وأمر أن يدون شعري
التيمي وإسحاق الموصلي
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني عمي طياب بن إبراهيم الموصلي قال حدثني أبو محمد التيمي الشاعر قال
اجتزت يوما بأخيك إسحاق فقال ادخل حتي أطعمك طعاماً صرفاًوأسقيك شراباً صرفاً وأغنيك غناء صرفاً فدخلت إليه فأطعمني لحماً مكبّباً وشواء حارّاً وبارداً مبزراً وأسقاني شراباً عتيقاً صدفا وغناني وحده مرتجلاً
(ولو أن أنفاسي أصابت بحرِّها ... حديداً إذاً كاد الحديد يذوبُ)
(ولو أن عيني أطلقَت من وكائها ... لما كان في عام الجُدوب جُدوب)
(ولو أن سلمى تطلع الشمس دونها ... وأمسي وراء الشمس حين تغيب)
(لحدثت نفسي أن تَريع بها النوى ... وقلتُ لقلبي إنها لقريب)
فلم تزل تلك حالي حتى حملت من بيته سكران
أخبرني جحظة قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
دخلت يوماً على عمرو بن مسعدة فإذا أبو محمد التيمي واقف بين يديه
يستأذنه في الإنشاد فقال ذاك إلي أبي محمد يعنيني وكان على التيمي عاتباً فكره أن يمنعه لعلمه بما بيننا من المودة فقلت له أنشد إذ جعل الأمر إلي فأرجو أن يجعل أمر الجائزة أيضاً إلي فتبسم عمرو وأنشده التيمي
(يا أبا الفضل كيف تغفل عني ... أم تَخَلّى عند الشدائد منّي)
(أنسيت الإخاء والعهد والودّ ... حديثاً ما كان ذلك ظني)
(أنا مَن قد بلوتَ في سالف الدهر ... مضَت شِرّتي ولم تفنَ سني)
(فاصطنعني لما ينوب به الدهر ... فإني أجوز في كل فن)
(أنا ليث على عدوّك سِلْمٌ ... لك في الحرب فابتذلني وصِلْني)
(أنا سيف يوم الوغى وسنان ... ومجنٌ إن لم تَثِق بمجن)
(أنا طَبٌ في الرأي في موضع الرأي ... معين على الخصيم المعَنّ)
(وأمينٌ على الودائع والسرّ ... إذا ما هويت أن تأتمني)
قال فأقبل عليّ عمرو وهو يضحك وقال أتعلم هذا الغناء منك أم كان يعلمه قديماً فقلت له لم يكذب أعزك الله فقال أفي هذا وحده أو في الجميع فقلت أما في هذا فأنا أحق كذبة والله أعلم بالباقي ثم أنشده
(وإذا ما أردتَ حجّاً فرحّالٌ ... دليلٌ إن نام كلّ ضِفَنّ)
فقال له إذا عزمنا على الحج امتحناك في هذا فإني أراك تصلح له ثم أنشده
((ولبيب على مقال أبي العباس ... إني أرى به مسّ جِنّ
فقال ما أراه أبعد فقال
(وهو الناصح الشفيق ولكن ... خاف هَيْج الزمان فازورّ عني)
(ظريف عند المزاح خفيف ... في الملاهي وفي الصبا متثن)
(كيف باعدتَ أو جفوتَ صديقاً ... لا ملولاً لالا ولا متجن)
(صرتُ بعد الإكرام والأنس أرضى ... منك بالترّهات ما لم تُهنّي)
(لم تخُنّي ولم أخنك ولا والله ... ربي لا خنت من لم يخني)
(إن أكن تُبتُ أو هجرت الملاهي ... وسُلافاً يَجنها بطن دَنّ)
(فحديثي كالدر فُصِّل بالياقوت ... يجري في جيد ظبي أغَنّ)
فأمر له بخمسة آلاف درهم فقال له هذا شيء تطوعت به فأين موضع حُكمي فقال مثلها فانصرف بعشرة آلاف درهم
أخبرني عمي قال حدثني محمد بن الحسن بن مسعود قال حدثني علي بن عمرو قال مر التيمي بالحيرة على خمار كان يألفه وقد أسن التيمي وأرعش وترك النبيذ فقال له الخمار ويحك أبلغ بك الأمر إلى ما أرى فقال نعم والله لولا ذلك لأكثرت عندك ثم أنشأ يقول
صوت
(هل إلي سكرة بناحية الحيرة ... يوماً قبل الممات سبيل)
(وأبِو التّيّحان في كفه القرعة ... والرأس فوقه الإكليل)
(وعرارٌ كأنه بَيذق الشّطرنج ... يفتنّ فيه قال وقيل)
في هذه الأبيات لمحمد بن الأشعث رمل بالوسطى عن الهشامي
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل قال
كان أبو محمد التيمي يهوى غلاماً وكان الغلام يهوى جارية من جواري القيان فكان بها مشغولاً عنه وكانت القينة تهوي الغلام أيضًا فلا تفارقه فقال التيمي
(ويلي على أغيد ممكور ... وساحر ليس بمسحور)
(تؤثره الحُور علينا كما ... نؤثره نحن على الحور)
(عُلّق من علّق فيه هوى ... منتظم الألفة مغمور)
(وكل من تهواه في أمره ... مقلّبٌ صفقة مقمور)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني أحمد بن محمد الفارسي قال حدثنا غسان بن عبد الله عن أبي محمد التيمي قال
لما أنشدت الأمين قولي فيه
(خليفةُ الله خير منتخَبِ ... لِخير أم من هاشم وأبِ)
(أكرمْ بعِرقين يجريان به ... إلى الإمام المنصور في النسب)
طرب ثم قال للفضل بن الربيع بحياتي أوقر له زورقه دراهم فقال نعم يا سيدي فلما خرجنا طالبته بذلك فقال أمجنون أنت من أين لنا ما يملأ زورقك ثم صالحني على مائة ألف درهم فقبضتها

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثني محمد بن عبد الله
المدني قال حدثني عبد الله بن أحمد التيمي ابن أخت أبي محمد التيمي الشاعر قال أنشدني خالي لنفسه قوله
(لا تخضعنّ لمخلوق على طمع ... فإن ذاك مضرٌّ منك بالدِّين)
(وارغب إلى الله مما في خزائنه ... فإنما هو بين الكاف والنون)
(أما ترى كلّ مَن ترجو وتأمله ... من الخلائق مسكين ابن مسكين)
صوت
(ألم تَرَ أنني أفنيتُ عُمري ... بمَطلَبِها ومطلبُها عسيرُ)
(فلما لم أجدْ سبباًإليها ... يُقرِّبني وأعيتني الأمور)
(حججت وقلت قد حجَّت جِنَان ... فيجمعُني وإياها المسير)
الشعر لأبي نواس والغناء للزبير بن دحمان رمل بالوسطى من رواية أحمد بن المكي وبذْل وغناني محمد بن إبراهيم قريض الجرحي رحمه الله فيه لحناً من خفيف الثقيل فسألته عن صانعه فلم يعرف

أخبار أبي نواس وجنان خاصة

إذا كانت أخباره قد أ فردت خاصة
كانت جنان هذه جارية آل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي المحدث الذي كان ابن مناذر يصحب ابنه عبد المجيد ورثاه بعد وفاته وقد مضت أخبارهما
وكانت حلوة جميلة المنظر أديبة ويقال إن أبا نواس لم يصدق في حبه امرأة غيرها
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني إسحاق بن محمد عن أبي هفان عن أصحاب أبي نواس قالوا
كانت جنان جارية حسناء أديبة عاقلة ظريفة تعرف الأخبار وتروي
الأشعار قال اليؤيؤ خاصة وكانت لبعض الثقفيين بالبصرة فرآها أبو نواس فاستحلاها وقال فيها أشعاراً كثيرة فقلت له يوماً إن جنان قد عزمت على الحج فكان هذا سبب حجه وقال أما والله لا يفوتني المسير معها والحج عامي هذا إن أقامت على عزيمتها فظننته عابثاً مازحاً فسبقها والله إلى الخروج بعد أن علم أنها خارجة وما كان نوى الحج ولا أحدث عزمه له إلا خروجها وقال وقد حج وعاد
(ألم تر أنني أفنيت عُمري ... بمطلَبِها ومطلبُها عسير)
(فلما لم أجدْ سبباً إليها ... يقرِّبني وأعيتني الأمور)
(حججْت وقلت قد حجّت جِنان ... فيجمعُني وإياها المسير)
قال اليؤيؤ فحدثني من شهده لما حج مع جنان وقد أحرم فلما جنه الليل جعل يلبي بشعر ويحدو به ويطرب فغنى به كل من سمعه وهو قوله
(إلهنا ما أعد لكْ ... مليك كلِّ من ملكْ)
(لبيّك قد لبيتُ لك ... لبيّك إنَّ الحمدَ لك)
(والملكَ لا شريك لك ... والليلَ لما أن حلكَ)
(والسابحاتِ في الفلك ... على مجاري المُنْسَلَك)
(ما خاب عَبدٌ أمَّلك ... أنت له حيث سلك)
(لولاك يا ربِّ هلك ... كلٌّ نبيّ وملَك)
(وكلُّ من أهلّ لك ... سبّح أو لبّى فلَك)
(يا مخطئاً ما أغفلك ... عجِّل وبادرْ أجَلَك)
(واختمْ بخير عملك ... لبيك إن الملك لَكْ)
والحمد والنعمة لك ... والعزَّ لاشريك لك) أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري)
قالا حدثنا عمر بن شبة قال
كانت جنان التي يذكرها أبو نواس جارية لآل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي وفيها يقول
(جَفنُ عيني قد كاد يَسْقُطُ ... من طُول ما اختلجْ)
(وفؤادي من حَرِّ حُبك ... والهجر قد نَضِج)
(خبِّريني فدَتك نفسي ... وأهلي متى الفرج)
(كان ميعادُنا خروجَ ... زياد فقد خرج)
(أنت مِن قتل عائذ ... بك في أضيق الحرج)
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني إسحاق بن محمد النخعي قال حدثني الجماز قال ابن عمار وحدثني به قليب بن عيسى قال
كانت جنان قد شهدت عرساً في جوار أبي نواس فانصرفت منه وهو جالس معنا فرآها فأنشدنا بديها قوله
(شَهدتْ جَلْوةَ العروس جِنانٌ ... فاستمالت بِحُسنِها النظارةْ)
(حسبوها العروسَ حينَ رأوها ... فإليها دون العَروس الإشارةْ)
(قال أهلُ العروس حينَ رأوها ... ما دهانا بها سواكِ عمارةْ)
قال وعمارة زوج عبد الرحمن الثقفي وهي مولاة جنان
أخبرني محمد بن يحيي الصولي ومحمد بن خلف قالا حدثنا يزيد بن محمد المهلبي عن محمد بن عمر قال
غضبت جنان من كلام كلمها به أبو نواس فأرسل يعتذر إليها فقالت للرسول قل له لا برح الهجران ربعك ولا بلغت أملك من أحبتك فرجع إليه فسأله عن جوابها فلم يخبره فقال
(فدَيتُك فيم عَتبُك مِن كلامٍ ... نَطقت به على وجهٍ جميل)
(وقولُك للرسول عليك غَيري ... فليس إلى التواصلِ من سبيل)
(فقدْ جاء الرسول له انكسارٌ ... وحال ما عليها من قَبول)
(ولو ردّت جِنانُ مَردَّ خير ... تَبيّن ذاك في وجهِ الرسول)
قال أبو خالد يزيد بن محمد وكان أبو نواس صادقاً في محبته جنان من بين من كان ينسب به من النساء ويداعبه ورأيت

أصحابنا جميعاً يصححون ذاك عنه وكان لها محباً ولم تكن تحبه فمما عاتبها به حتى استمالها بصحة حبه لها فصارت تحبه بعد نبوها عنه قوله
(جِنانُ إنْ جُدتِ يا منايَ بما ... آمل لم تَقطُر السماءُ دما)
(وإن تَمادَيْ ولا تَماديَت في ... منعِك أُصبحْ بِقَفْرةٍ رمَما)
(عَلِقْتُ من لو أتى على أنفسِ الماضيين ... والغابرين ما نَدما)
(لو نظرَتْ عينُه إلى حجر ... وَلّد فيه فتورُها سقَما)
أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال حدثني محمد بن القاسم عن أبي هفان عن الجماز و أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني الجماز قال
كنت عند أبي نواس جالساً إذ مرت بنا امرأة ممن يداخل الثقفيين فسألها عن جنان وألحف في المسألة واستقصى فأخبرته خبرها وقالت قد سمعتها تقول لصاحبة لها من غير أن تعلم أني أسمع ويحك قد آذاني هذا الفتى وأبرسني وأحرج صدري وضيق علي الطرق بحدة نظره وتهتكه فقد لهج قلبي بذكره والفكر فيه من كثرة فعله لذلك حتى رحمته ثم التفتت فأمسكت عن الكلامِ فسر أبو نواس بذلك فلما قامت المرأة أنشأ يقول
(يا ذا الذي عن جِنانٍ ظل يُخبِرنا ... بالله قُل وأعِد يا طيِّبَ الخَبرِ)
(قال اشتَكتك وقالت ما ابتليت به ... أراه من حيثُما أقبلتُ في أثَري)
(ويعمل الطرفَ نحوي إن مررتُ به ... حتى لَيُخجِلني من حِدّة النظرِ)
(وإن وقفْتُ له كيما يكلّمني ... في الموضع الخِلْو لم يَنطِق من الحَصَر)
(ما زال يفعل بي هذا ويُدْمِنه ... حتى لقد صار من همّي ومن وَطري)
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي وأحمد بن سليمان بن أبي شيخ قالا قال ابن عائشة وأخبرني الحسن بن علي وابن عمار عن الغلابي عن ابن عائشة قال ابن عمار وحدثت به عن
الجماز وذكره لي محمد بن داود الجراح عن إسحاق النخعي عن أحمد بن عمير
أن محمد بن حفص بن عمر التميمي وهو أبو ابن عائشة انصرف من المسجد وهو يتولى القضاء فرأى أبا نواس قد خلا بأمرأة يكلمها وقال أحمد بن عمير في خبره وكانت المرأة قد جاءته برسالة جنان جارية عمارة امرأة عبد الوهاب بن عبد المجيد فمر به عمر بن عثمان التيمي وهو قاضي البصرة هكذا ذكر أحمد بن عمير وحده وذكر الباقون جميعاً أنه محمد بن حفص
قال الجماز وكانت عليه ثياب بياض وعلى رأسه قلنسوة مضربة فقال له اتق الله قال إنها حرمتي قال فصنها عن هذا الموضع وانصرف عنه فكتب إليه أبو نواس
صوت
(إنّ التي أبصرتَها ... بكْراً أكلّمها رسولُ)
(أدَّت إليّ رسالةً ... كادت لها نَفْسي تسيل)
(من ساحرِ العينين يجذب ... خصرَه رِدْفٌ ثقيل)
(متقلّد قَوسَ الصِّبا ... يَرْمي وليس له رسيل)
(فلو أنّ أُذْنَك بيننا ... حتى تَسمَّعَ ما تقول)
(لرأيت ما استقْبحتَ من ... أمري هو الأمر الجميل)
في هذه الأبيات لحنان من الرمل و خفيفه كلاهما لأبي العبيس بن حمدون
قال ابن عمير ثم وجه بها فألقيت في الرقاع بين يدي القاضي فلما رآها ضحك وقال إن كانت رسولاً فلا بأس
وقال ابن عائشة في خبره فجاءني برقعة فيها هذه الأبيات وقال لي ادفعها إلى أبيك فأوصلتها إليه ووضعتها بي يديه فلما قرأها ضحك وقال قل له إني لا أتعرض للشعراء
حدثني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال
كان أبو عثمان أخا مولى جنان وكان مولاها أبو مية زوج عمارة وهي مولاتها وكانت له بحكمان ضيعة كان ينزلها وهو ابن عم له يقال له أبو مية فقال أبو نواس فيه قوله
(أسأل القادِمَين من حَكَمانِ ... كيف خلّفتما أبا عثمان)
(وأبا مَيَّة المهذَّب والماجدَ ... والمرتَجى لِرَيب الزمان)
(فيقولان لي جِنانٌ كما سرّكَ ... في حالِها فَسَلْ عن جِنان)
(ما لَهمْ لا يباركُ اللهُ فيهمْ ... كيف لم يُغنِ عندهمْ كِتماني)
لم تكن جنان في موضع عشق
فأخبرني ابن عمار قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن عبد الملك بن مروان الكاتب قالا كنت جالساً بسر من رأى في شارع أبي احمد فأنشدني قول أبي نواس
((أسألُ المقبِلَيْن من حَكَمانِ ... كيف خَلّفتما أبا عثمانِ
وإلى جانبي شيخ جالس فضحك فقلت له لقد ضحكت من أمر فقال أجل أنا أبو عثمان الذي قال أبو نواس فيه هذا الشعر وأبو مية ابن عمي وجنان جارية أخي ولم تكن في موضع عشق ولا كان مذهب أبي نواس النساء ولكنه عبث خرج منه
أخبرني علي بن سليمان قال قال لي أبو العباس محمد بن يزيد
قال النابغة الجعدي
(أكْني بِغَير اسمِها وقد عَلِم الله ... خَفِياتِ كلِّ مُكْتَتِم)
وهو سبق الناسَ إلى هذا المعنى وأخذوه جميعاً منه وأحسنُ مَن أخذه أبو نواس حيث يقول
(أسألُ المُقبلَين من حكمانِ ... كيف خلّفْتُما أبا عثمانِ)
(فيقولان لِي جنانُ كما سرّك ... في حالِها فَسَلْ عن جنان)
(مالَهمْ لا يبارك الله فيهمْ ... كيف لم يُغنِ عندهمْ كِتماني)
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال أنشدني أحمد بن محمد بن صدقة الأنباري لأبي نواس يذكر مأتماً بالبصرة وحضرته جنان

((يا مَنسِيِ المأتم أشجانَه ... لمَّا أتاهمْ في المُعزِّينا
(سَرَتْ قِناعَ الوشيِ عن صُورةٍ ... ألبسها الله التّحاسينا)
(فاستفتنتهن بتِمثالها ... فهنّ للتكليف يبكِينا)
(حَقَّ لِذلكَ الوجهِ أن يزدهِي ... عن حزنه مَنْ كان محزونا)
أخبرني عمي قال حدثني إسحاق بن محمد النخعي قال حدثنا عبد الملك بن عمر بن أبان النخعي وكان صديقاً لأبي نواس
أن أبا نواس أشرف من دار على منزل عبد الوهاب الثقفي وقد مات بعض أهله وعندهم مأتم وجنان واقفة مع النساء تلطم وجهها وفي يدها خضاب فقال
(يا قمراً أبرزه مأتمٌ ... يَندُب شجواً بين أترابِ)
(يَبكي فيُذري الدُّرّ من عينِه ... ويَلطِم الوردَ بعُنابِ)
(لا تبْكِ ميْتاً حلّ في حُفرةٍ ... وابْكِ قتيلاً لَكَ بالبابِ)
(أبرزه المأتمُ لي كارهاً ... برَغْمِ دايات وحجّاب)
(لا زال موتاً دأبُ أحبابه ... ولا تَزَل رؤيته دابي)
فحدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن القاسم حدثني محمد بن عائشة قال
قال لي سفيان بن عيينة لقد أحسن بصريكم هذا أبو نواس حيث يقول وشدد الواو وفتح النون
(يا قَمرا أبصرتُ في مأتمٍ ... يَندُب شَجْواً بين أتراب)
((يَبكي فيُذري الدُّرّ من عينِه ... ويلْطِم الوردَ بعُنّاب
قال وجعل يعجب من قوله ويلطم الورد بعناب
وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد قال حدثني حسين بن الضحاك قال
أنشد ابن عيينة قول أبي نواس
(يَبكي فيُذْري الدُّرّ من طَرْفِه ... ويلطِمُ الوَرْدَ بعُنّاب)
فعجبتُ منه وقال آمنت بالذي خلَقه وقد قيل إن أبا نواس قال هذا الشعر في غير جنان
أخبرني بذلك الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني بعض الصيارف بالكرخ وسماه قال كان حارس درب عون يقال له المبارك وكان يلبس ثيابا نظيفة سرية ويركب حماراً فيطوف عليه السوق بالليل ويكريه بالنهار فإذا رآه من لا يعرفه ظن أنه من بعض التجار وكان يصل إليه في كل شهر من السوق ما يسعه ويفضل عنه وكانت له بنت من أجمل النساء فمات مبارك وحضره الناس فلما أخرجت جنازته خرجت بنته هذه حاسرة بين يديه فقال أبو نواس فيها
(يا قمراً أبرَزه مأتمٌ ... يندُب شَجْواً بين أتراب)
وذكر الأبيات كلّها
أخبرني محمد بن جعفر قال حدثني أحمد بن القاسم عن أبي هفان
عن الجماز واليؤيؤ وأصحاب أبي نواس أن جنان وجهت إليه قد شهرتني فاقطع زيارتك عني أياماً لينقطع بعض القالة ففعل وكتب إليها
(إنّا أهتجرنا للناسِ إذ فَطِنوا ... وبيننَا حين نلتقي حَسَنُ)
(ندافع الأمر وهْو مقتبِلٌ ... فشبّ حتى عليه قد مَرنوا)
(فليس يُقذِي عيناً مُعايَنةٌ ... له وما إنْ لمجّه أُذن)
(ويحَ ثَقيفٍ ماذا يضرّهمُ ... أنْ كان لي في ديارهمْ سكَنُ)
(أربُّ ما بيننا الحديثُ فإن ... زدنا فزيدوا وما لِذا ثَمن)
أخبرني الحسنُ بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني ابن أبي سعد قال بلغني أن أبا نواس كتب إلى جنان من بغداد
(كَفَى حَزناً ألاّ أرى وجهَ حِيلةٍ ... أزورُ بها الأحبابَ في حَكَمانِ)
(وأُقسِمُ لولا أن تَنال مَعاشرٌ ... جِناناً بما لا أشتهي لجِنانِ)
(لأصبحتُ منها دانَي الدار لاصقاً ... ولكنّ ما أخشَى فُديتِ عداني)
(فواحزَنَا حُزْناً يؤدّي إلى الردى ... فأصبحَ مأثوراً بكلّ لِسان)
(أراني انقضَتْ أيامُ وصليَ منكُمِ ... وآذن فيكم بالوَداع زماني)
أخبرني الحسنُ قال حدّثنا ابنُ مهْرويْه عن يحيى بن محمد عن الخزيمي قال
بلغ أبا نواسٍ أن امرأة ذكرت لجنان عشقه لها فشتمته جنان وتنقصته وذكرته أقبح الذكر فقال
((وابِأبي مَنْ إذا ذُكِرتُ له ... وطولُ وَجدي به تَنْقّصني
(لوْ سألوه عن وَجهِ حجّته ... في سبّه لي لقال يَعشقني)
(نَعم إلى الحشرِ والتّنادِ نَعَمْ ... أعشقُه أو ألفَّ في كفني)
(أصبِحُ جِهراً لا أستَسِرُّه ... عَنَّفَني فيه مَن يُعنفني)
(يا معشرَ الناسِ فاسمعوه وعُوا ... أنَّ جِناناً صديقةُ الحسَن)
فبلغها ذلك فهجرته وأطالت هجره فرآها ليلة في منامه وأنها قد صالَحته فكتب إليها
(إذا التقى في النوم طَيفانا ... عاد لنا الوصلُ كما كانا)
(يا قرَّة العينِ فما بالنا ... نَشقى ويلتذُّخيالانا)
(لو شئتِ إذ أحسنْتِ لي في الكرى ... أتمَمْتِ إحسانك يقظاناً)
(يا عاشقين اصطلَحا في الكرى ... وأصبَحا غَضبى وغضبانا)
(كذلك الأحلامُ غَدّارةٌ ... وربما تَصْدقُ أحياناً)
الغناء في هذه الأبيات لابن جامع ثقيل أول بالوسطى عن عمرو

وقال الخزيمي ورآها يوماً في ديار ثقيف فجبهته بما كره فغضب وهجرها مدة فأرسلت إليه رسولاً تصالحه فرده ولم يصالحها ورآها في النوم تطلب صلحه فقال
(دَسّتْ له طَيفها كيما تصالِحَه ... في النوم حين تأبّى الصلحَ يقظانا)
(فلم يَجدْ عند طَيفي طَيفُها فَرَجاً ... ولا رثى لتشكّيه ولا لانا)
(حَسِبتِ أنّ خيالي لا يكون لِما ... أكون من أجلِه غِضبانَ غضبانا)
(جِنانُ لا تَسألينِي الصلحَ سرعةَ ذا ... فلم يكن هيِّناً منك الذي كانا)
وأنشدني علي بن سليمان الأخفش لأبي نواس في جنان
(أما يَفنى حديثُك عن جِنانِ ... ولا تُبقِي عَلَى هذا اللسانِ)
(أكُلَّ الدهرِ قلتُ لها وقالت ... فكم هذا أما هذا بِفانِ)
(جعلْتَ الناسَ كلُّهم سواءً ... إذا حدّثْتَ عنها في البيانِ)
(عدوُّك كالصديق وذا كهذا ... سواءٌ والأباعدُ كالأداني)
(إذا حدّثتَ عن شأنٍ توالت ... عجائبُه أتيتَهم بشانِ)
(فلو مَوَّهت عنها باسمِ أخرى ... علِمنا إذ كنَيت مَن أنت عانِ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني يحي بن محمد السلمي قال جدثني أبو عكرمة الضبي
أن رجلاً قدم البصرة فاشترى جنان من مواليها ورحل بها فقال أبو نواس في ذلك
(أمَّا الديارُ فقلّما لبثوا بها ... بين استياق العيسِ والرُّكْبانِ)
(وضَعوا سِياطَ السَّوْق في أعناقها ... حتى اطّلعْن بِهم على الأوطان)
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثني محمد بن سعد الكراني قال حدثني أبو عثمان الأشنانداني قال كتب أبو نواس إلى جنان
(أكثري المَحْوَ في كتابك وامحيه ... إذا محَوْته باللسان)
(وأمري بالمحاءِ بين ثناياك ... العذابِ المُفلَّجات الحسان)
(إنني كلما مررتُ بِسطرٍ ... فيه مَحوٌ لطعته بِلِساني)
(تلك تَقبيلةٌ لكمْ من بَعيد ... أهديتُ لي وما برحتُ مكاني)
صوت
(تَجنَّى علينا آلُ مكتوبةَ الذَّنبا ... وكانوا لنا سِلْماً فأضحَوْا لنا حَرْبا)
(يقولون عزِّ القلبَ بعد ذَهابه ... فقلت ألا طُوبايَ لو أن لي قلباً)
عروضه من الطويل الشعر لابن أبي عيينة والغناء لسليمان أخي جحظة رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة

نسب ابن أبي عيينة وأخباره

أبو عيينة فيما أخبرنا به علي بن سليمان الأخفش عن محمد بن يزيد اسمه وكنيته أبو المنهال قال وكل من يدعى ابا عيينة من آل المهلب فأبو عيينة اسمه وكنيته أبو المنهال وكل من يدعى أبارهم من بني سدوس فكنيته أبو محمد
وابن أبي عيينة هو محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة وقال أبو خالد الأسلمي هو أبو عيينة بن المنجاب بن أبي عيينة وهو الذي كان يهجو ابن عمه خالداً
واسم أبي صفرة ظالم بن سراق وقيل غالب بن إسراق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأسد بن عمران بن الوضاح بن عمرو بن مزيقياء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن زاد الراكب بن الأزد
هذا النسب الذي عليه آل المهلب وذكر غيرهم أن أصلهم من عجم عمان وأنهم تولوا الأزد فلما سار المهلب وشرف وعلا ذكره استلحقوه
وممن ذكر ذلك الهيثم بن عدي وأبو عبيدة وابن مزروع وابن الكلبي وسائر من جمع كتاباً في المثالب وهجتهم به الشعراء فأكثرت
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال أخبرني الحسن بن عليل العنزي قال حدثني أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حميد بن سليمان العدوي قال
أخبرني الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش الهمذاني قال
وفد ابن الجلندى في الأزد أزد عمان ومواليهم وأحلافهم فكان فيمن وفد منهم أبو صفرة وكان يلقب بذلك لأنه كان يصفر لحيته فدخل على عمر مع ابن الجلندي ولحيته مخضوبة مصفرة فقال عمر لابن الجلندي أكل من معك عربي قال لا فينا العربي وفينا غير ذلك فالتفت عمر رحمه الله إلى أبي صفرة فقال له أعربي أنت قال لا أنا ممن من الله عليه بالإسلام
قال وقدم الحكم بن أبي العاص الثقفي أخو عثمان بأعلاج من شهرك في خلافة عمر قد أسلموا فأمر عمر عثمان بن أبي العاص
أن يختنهم وقد كان أبو صفرة حاضراً فقال ما لهؤلاء يطهرون ليصلوا قال إنهم يختنون
قال إنا والله هكذا مثلهم قال فسمع ذلك عثمان بن أبي العاص فأمر بأبي صفرة فأجلس على جفنة فختن وإنه لشيخ أشمط فكان بها من قال لسنا نشك في أن زوجته كذلك فأحضرت وهي عجوز أدماء فأمر بها القابلة فنظرت إليها وكشفتها وإذا هي غير مختونة وذلك منها قد أحشف فأمر بها فخفضت
وقال في ذلك زياد الأعجم وقد غضب على المهلب
(نحن قطعنا من أبي صُفرةٍ ... قُلْفَته كي يدخل البَصْرَهْ)
(لما رأى عُثمانُ غُر مولَه ... أتَنَّ عَلَى قُلْفَته الشّفْرَه)
وليس هذا من الأقوال المعول عليها لأن أصل المثالب زياد لعنه الله فإنه لما ادعي إلى أبي سفيان وعلم أن العرب لا تقر له بذلك مع علمها بنسبه ومع سوء آثاره فيهم عمل كتاب المثالب فألصق بالعرب كلها كل عيب وعار وحق وباطل ثم بنى على ذلك الهيثم بن عدي وكان دعيا فأراد أن يعر أهل البيوتات تشفياً منهم وفعل ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى وكان أصله يهودياً أسلم جده على يدي بعض آل أبي بكر الصديق رضي الله عنه فانتمى إلى ولاء بني تيم فجدد كتاب زياد وزاد فيه ثم نشأ غيلان الشعوبي لعنه الله وكان زنديقا ثنويا لا يشك فيه عرف في حياته بعض مذهبه وكان

يورّى عنه في عوراته للإسلام بالتشعّب والعصبية ثم انكشف أمره بعد وفاته فأبدع كتاباً عمله لطاهر بن الحسين وكان شديد التشعّب والعصبية خارجاً عن الإسلام بأفاعيله فبدأ فيه بمثالب بني هاشم وذكر مناكحهم وأمهاتهم وصنائعهم وبدأ منهم بالطيب الطاهر رسول الله وذكره ثم والى بين أهل بيته الأذكياء النجباء عليهم السلام ثم ببطون قريش على الولاء ثم بسائر العرب فألصق بهم كل كذب وزور ووضع عليهم كل خبر باطل وأعطاه طاهر على ذلك مائتي ألف درهم فيما بلغني

وإنما جرّ هذا القول ذكر المهلب وما قيل فيه وأني ذكرته فلم أجد بداً من ذكر ما روي فيه وفيما مرّ على أهل النسب ثم قلت ما عندي

عبد الملك يأمر بإحراق كتاب المثالب

أخبرني حبيب بن نصر قال أخبرني عمر بن شبة قال حدثني

محمد بن يحيي أبو عثمان عن أبيه قال

دخل بعض الناس على عبد الملك بن مروان فقال له هل عندك كتاب زياد في المثالب فتلكأ فقال له لا بأس عليك وبحقي إلا جئتني به فمضى فجاء به فقال له اقرأ علي فقرأه وجعل عبد الملك يتغيظ ويعجب مما فيه من الأباطيل ثم تمثل قول الشاعر

(وأجرأُ مَنْ رأيتُ بظَهْرِ غَيْبٍ ... عَلَى عَيْب الرّجال أُولُو العُيُوب)

ثم أمر بالكتاب فأحرق

رجع الخبر إلى سياقه أخبار ابن أبي عيينة

وهو شاعر مطبوع ظريف غزل هجاءٌ وأنفد أكثر أشعاره في هجاء ابن عمه خالد وأخبارهما تذكر على أثر هذا الكلام وما يصلح تصدير أخباره به

وكان من شعراء الدولة العباسية من ساكني البصرة

حدثني عمي والصولي قالا حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي قال حدثني أبي قال

أبو عيينة اسمه كنيته وهو ابن محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة

وأخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثني العنزي قال حدثني أبو خالد الأسلمي قال

أبو عيينة الشاعر هو أبو عيينة بن المنجاب بن أبي عيينة بن المهلب وكان محمد بن أبي عيينة أبو أبي عيينة الشاعر يتولى الري لأبي جعفر المنصور ثم قبض عليه وحبسه وغرمه

وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني يزيد بن محمد المهلبي قال

قال وهب بن جرير رأيت في منامي كأن قائلاً يقول لي

ما يلقى أبو حرب ... تعالى الله من كرب) فلم ألبث أن أخذ المنصور أبا حرب محمد بن أبي عيينة المهلبي فحبسه)

وكان ولاه الري فأقام بها سنين

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق ومحمد بن يحيي الصولي وعمي قالوا حدثنا الحزنبل الأصبهاني قال حدثني الفيض بن مخلد مولى أبي عيينة بن المهلب قال

كان أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة يهوى فاطمة بنت عمر بن حفص الملقب هزار مرد وكانت امرأة نبيلة شريفة وكان يخاف أهلها أن يذكرها تصريحا ويرهب زوجها عيسى بن سليمان فكان يقول الشعر في جارية لها يقال لها دنيا وكانت قيمة دارها ووالية أمورها كلها وأنشدنا لابن أبي عيينة فيها ويكني باسم دنيا هذه

(ما لِقلْبي أرقُّ من كلِّ قلبِ ... ولحُبِّي أشدُّ من كلِ حبِّ)

(ولدنيا على جنوني بدنيا ... أشتهي قُربَها وتكرهُ قُربي)

((نَزلَت بي بليّةٌ من هواها ... والبلايا تكون من كلِّ ضَربِ

(قل لدنيا إن لم تُجبك لما بي ... رَطبةً مِن دموع عينَي كُتْبي)

(فعلام انتهرتِ بالله رسْلي ... وتهددِتهم بحبس وضرب)

(أيُّ ذنب أذنبتُه ليت شِعري ... كان هذا جزاءه أيُّ ذنب)

أخبرني علي بن سليمان قال حدثني محمد بن يزيد قال

كان أبو عيينة من أطبع الناس وأقربهم مأخذاً من غير أدب موصوف ولا رواية كثيرة وكان يقرب البعيد ويحذف الفضول ويقل التكلف وكان أصغر من أخيه عبد الله ومات قبله

وقيل لعبد الله أنت أشعر أم أخوك فقال لو كان له علمي لكان أشعر مني وكان يتعشق فاطمة بنت عمر بن حفص هزار مرد التي تزوجها علي بن سليمان ويسر عشقها ويلقبها دنيا كتمانا لأمرها وكانت امرأة جليلة نبيلة سرية من النساء وكان أبوها من أشد الفرسان وشجعانهم فذكر عيسى بن جعفر أن عيسى بن موسى قال للمهلب بن المغيرة بن المهلب أكان يزيد بن خالد أشجع أم عمر بن حفص هزار مرد فقال المهلب لم أشهد من يزيد ما شهدته من عمر بن حفص وذلك أني رأيته يركض في طلب حمار وحشي حتى إذا حازاه جميع جراميزه وقفز فصار على ظهره فقمص الحمار وجعل عمر بن حفص يحز معرفته إما بسيف وإما بسكين معه حتى قتله

قال محمد بن يزيد وحدثت عن محمد بن المهلب أنه أنكر أن يكون

أبو عيينة يهوى فاطمة وقال إنما كان جندياً في عداد الشطار وكانت فاطمة من أنبل النساء وأسراهن وإنما كان يتعشق جارية لها وهذه الأبيات التي فيها الغناء من قصيدةٍ جيدة مشهورة من شعره يقولها في فاطمة هذه أو جاريتها ويكنى عنها بدنياً فمما اختير منها قوله

(وقالوا تَجَنّبْنَا فقلت أبْعد ما ... غَلَبتُمْ عن قلبي بسُلطانكم غصبا)

(غِضابٌ وقد مَلّوا وقوفي ببابهمْ ... ولكنّ دنيا لا ملولاً ولا غضبي)

(وقد أرسلَتْ في السرّ أني بريّة ... ولم تَرَ لي فيما تَرى منهمُ ذنباً)

(وقالت لكَ العُتبى وعِندي لك الرضا ... وما إن لِهمْ عندي رِضاءٌ ولا عتبى)

(ونبئتها تلهو إذا اشتد شوقُها ... بشعري كما تُلهي المغنّيةُ الشّربا)

(فأحببتُها حُبّاً يقَرّ بعينِها ... وحُبّي أحببتُ لا يشبه الحبا)

(فيا حسرتا نَغّصتُ قُربَ ديارها ... فلا زُلفةً منها أرجّي ولا قُربا)

(لقد شَمِت الأعداء أن حيل بينها ... وبيني ألاَ للشامتين بنا العُقْبَى)
ومما قاله فيها وغني فيه
صوت
(ضيّعتِ عهدَ فتى لِعهدك حافظٍ ... في حفظِه عَجَبٌ وفي تضييعكِ)
(ونأيت عنه فما له من حِيلة ... إلا الوقوفُ إلى أوانِ رجوعكِ)
(متخشِّعاً يُذْري عليكِ دموعَهُ ... أسِفاً ويَعجب من جُمود دموعكِ)
((إن تقتليه وتذهبي بفؤاده ... فبِحُسن وجهك لا بحسن صنيعكِ
عروضه من الكامل الغناء في هذه الأبيات من الثقيل الأول بالوسطى ذكر عمرو بن بانة أنه له وذكر الهشامي أنه لمحمد بن الحارث بن بسخنر وذكر عبد الله بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام أنه لإبراهيم الموصلي
فذكر العتابي ومحمد بن الحسن جميعا أن محمد بن أحمد بن يحيي المكي حدثهما قال حدثني عمرو بن بانة قال ركبت يوما إلى دار صالح بن الرشيد فاجتزت بمحمد بن جعفر بن موسى الهادي وكان معاقراً للصبوح فألفيته في ذلك اليوم خالياً منه فسألته عن السبب في تعطيله إياه فقال نيران علي غضبى يعني جارية لبعض النخاسين ببغداد وكانت إحدى المحسنات وكانت بارعة الجمال ظريفة اللسان وكان قد أفرط في حبها حتى عرف به فقلت له فما تحب قال تجعل طريقك على مولاها فإنه يستخرجها إليك فإذا فعل دفعت رقعتي هذه إليها ودفع إلي رقعة فيها
(ضيعتِ عهدَ فتىً لعهدِك حافظٍ ... في حفظِه عَجَب وفي تضييعك)
(إن سمته أن تذهبي بفؤاده ... فبحُسن وجهك لا بحسن صنيعك)
فقلت له نعم أنا أتحمل هذه الرسالة وكرامة على ما فيها حفظاً لروحك عليك فإني لا آمن أن يتمادى بك هذا الأمر فأخذت الرقعة وجعلت طريقي على منزل النخاس فبعثت إلى الجارية أُخرجي فخرجت فدفعت إليها
الرقعة وأخبرتها بخبري فضحكت ورجعت إلى الموضع الذي أقبلت منه فجلست جلسة خفيفة ثم إذا بها قد وافتني ومعها رقعة فيها
صوت
(وما زلت تعصيني وتغري بيَ الردى ... وتهجُرني حتى مَرنتَ على الهجر)
(وتَقطع أسبابي وتنسى مودتي ... فكيف ترى يا مالِكي في الهوى صبري)
(فأصبحت لا أدري أيأساً تصبِّري ... على الهجر أم جِدَّ البصيرة لا أدري)
غنّى في هذه الأبيات عمْرو بنُ بانةَ ولحنه ثقيل أولُ بالبِنصر و لِمقَّاسة بن ناصح فيها ثقيل آخر بالوُسطى لحن عمرو في الأول والثالث بغير نشيد
قال فأخذْت الرُّقعة منها وأوصلْتها إليه وصرت إلى منزلي فصنَعْت في بَيتَي محمد بن جعفرٍ لحناً وفي أبياتها لحناً ثم صرت إلى الأمير صالح بن الرشيد فعرفته ما كان من خبري وغنيته الصوتين فأمر بإسراج دوابه فأسرجت وركب فركبت معه إلى النخاس مولى نيران فما برحنا حتى اشتراها منه بثلاثة آلاف دينار وحملها إلى دار محمد بن جعفر فوهبها له فأقمنا يومنا عنده
أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثني يزيد بن محمد المهلبي قال
دخلت على الواثق يوماً وهو خليفة و رباب في حجره جالسة وهي
صبية وهو يلقي عليها قوله
(ضيّعتِ عهدَ فتى لعهدك حافظٍ ... في حفظه عجَب وفي تَضييعك)
وهي تغنيه ويردده عليها فما سمعت غناء قط أحسن من غنائهما جميعاً وما زال يردده عليها حتى حفظته
رجع الخبر إلى حديث أبي عيينة
أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا محمد بن يزيد قال قال عبد الله بن محمد بن أبي عيينة أخو أبي عيينة في فاطمة التي كان يشبب بها أخوه بنت عمر بن حفص لما تزوجها عيسى بن سليمان بن علي وكان عيسى مبخّلاً وكانت له محابس يحبس فيها البياح ويبيعه وكانت له ضيعة تعرف بدالية عيسى يبيع منها البقول والرياحين وكان أول من جمع السماد بالبصرة وباعه فقال فيه أبو الشمقمق
(إذا رزُق العبادُ فإنّ عيسى ... له رزقٌ من اسْتاه العِبادِ)
فلما تزوجّ عيسى فاطمةَ بنتَ عُمر بن حفص قال عبد الله بن محمد بن أي عيينة في ذلك
(أفاطِمَ قد زُوِّجْتِ عيسى فأبشري ... لديه بذُلٍّ عاجلٍ غير آجل)
((فإنكِ قد زوّجتِ عن غير خبرة ... فتىً من بني العباس ليس بعاقل
(فإن قُلتِ مِن رَهطِ النبي فإنّه ... وإن كان حرَّ الأصل عبدُ الشمائل)
(وقد قال فيه جعفرٌ ومحمد ... أقاويل حتى قالها كلُّ قائل)
(وما قلتُ ما قالا لأنك أُختُنا ... وفي البيت منّا والذُّرا والكواهل)
(ولعمري لقد أثبتّه في نِصابه ... بأن صِرْتِ منه في مَحلٍّ الحلائل)
(إذا ما بَنو العباس يوماً تنازعوا ... عُرا المجد واختاروا كرامَ الخصائل)
(رأيتَ أبا العباس يسمو بنفسِه ... إلى بَيع بَيّاحاته والمباقل)
قال مؤلف هذا الكتاب وكان عبد الله أخو أبي عيينة شاعراً وكان يقدم على أخيه فأخبرني جحظة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال قال إسحاق الموصلي
شعر عبد الله بن أبي عيينة أحب إلي من شعر أبيه وأخيه قال وكان عبد الله صديقاً لإسحاق
قال محمد بن يزيد ومما قاله في فاطمة وصرح بذكر القرابة بينهما وحقق على نفسه أنه يعنيها قوله
(دعَوتُكِ بالقرابةِ والجِوار ... دعاءَ مصرِّحٍ بادي السِّرار)
(لأني عنكِ مشغولٌ بِنفسي ... ومحترقٌ عليك بغير نار)
(وأنت تَوقَّرين وليس عندي ... على نار الصبابةِ مِن وقار)
((فأنتِ لأن ما بكِ دونَ ما بي ... تُدارين العدوَّ ولا أداري
(ولَوْ واللّهِ تشتاقين شوقي ... جَمحتِ إلى مُخالعة العِذار)

(ألا يا وهبُ فيمَ فضحْتَ دُنيا ... وبُحتَ بسِرِّها بين الجواري)
(أما والراقصات بكلِّ واد ... غوادٍ نحوَ مكةَ أو سَواري)
(لقد فضلتْكِ دنيا في فؤادي ... كفضل يَدِي اليمين علَى اليسار)
(فقُولي ما بدا لك أن تقولي ... فإني لا ألومك أن تضاري)
نماذج من جيّد شعره في فاطمة
قال وقال فيها وهو من ظريف أشعاره
(رَقَّ قلبي لكِ يا نورَ عَيني ... وأبى قلبُكِ لي أن يَرِقَّا)
(فأراكِ الله موتي فإنِّي ... لستُ أرضى أن تموتي وأبقى)
(أنا مِن وجدِبدنيايَ منها ... ومِنَ العُذَّال فيها مُلَقَّى)
صوت
(زعموا أني صديقٌ لدُنيا ... ليت ذا الباطلَ قد صار حقّا)
في هذا البيت ثم الذي قبله ثم الأول لإبراهيم لحن ماخوري بالوسطى عن الهشامي
قال وقال فيها أيضاً في هذا الوزن وفيه غناء محدث رمل طنبوري
(عَيشُها حُلو وعيشُكِ مُرٌّ ... ليس مسرورٌ كمن لا يُسَرُّ)
(كَمَدٌ في الحبّ تَسخُن فيه ... عينُه أكثر مما تَقَرُّ)
((قلتُ للاّئم فيها الْه عنها ... لا يَقعْ بيني وبينك شَرُّ
(أتُراني مُقْصِراً عن هواها ... كلُّ مملوكٍ إذا لي حرُّ)
وقال فيها أيضاً وأنشدناه الأخفش عن المبرد وأنشدناه محمد بن العباس اليزيدي قال أنشدني عمي عبيد الله لأبي عيينة
(حين قالت دنيا عَلامَ نهاراً ... زُرتَ هلا انتظرتَ وقت المساء)
(إن تكن مُعْجَباً برأيك لا تَفْرَق ... فاستحْي يا قليلَ الحياء)
(ذاك إذ رُوحها ورُوحي مِزاجان ... كأصفى خمرٍ بأعذَب ماء)
قال محمد بن يزيد وقد أخذ هذا المعنى غيره منه ولم يسمه وهو البحتري فقال
صوت
(جَعلتُ حبَّكِ من قلبي بمنزلة ... هي المصافاةُ بين الماءِ والراح)
(تهتزّ مثلَ اهتزاز الغصن حرّكه ... مرورُ غيثٍ من الوَسْميّ سَحّاح)
الغناء في هذين البيتين لرذاذثقيل أول مطلق في مجرى البنصر
ومما قاله أبو عيينة في فاطمة هذه وكنى فيه بدنيا قوله
صوت
(ألمْ تَنْهَ قلبَك أن يعشَقا ... ومالكَ والعشقَ لولا الشّقا)
(أمِن بَعدِ شُربك كأسَ النُّهى ... وشَمِّك ريحانَ أهل التُّقى)
((عشِقتَ فأصبحتَ في العالمين ... أشهرَ مِن فرسٍ أبلَقا
أدُنيايَ من غَمر بَحْر الهوى ... خذي بيدي قبل أن أغرقا)
(أنا ابنُ المهلَّبِ ما مثله ... لو أنَّ الخلد لي مرتقى)
غنى فيه أبو العُبيس بن حمدون ولحنه ثاني ثقيل مطلق وفيه لعريب ثقيل أول رواه أبو العبيس عنها
وهذه قصيدة طويلة يذكر فيها دنيا ويفخر بعقب النسيب بأبيه ويذكر مآثر المهلّب بالعراق ولكن مما قاله في دنيا منها قوله
(أدُنياي من غَمر بحر الهوى ... خُذي بيدي قبل أن أغرَقا)
(أنا لكِ عبدٌ فكوني كمَن ... إذا سرّه عبدُه أعتقَا)
(ألم أخدع الناسَ عن وصلِها ... وقد يَخدعُ العاقلُ الأحمقَا)
(بلى فسبقتُهم إنني ... أحبّ إلى الخير أن أسبقَا)
(ويومَ الجنازةِ إذ أرسلَتْ ... على رُقعةٍ أن جُزِ الخَندقَا)
(وعُجْ ثَمَّ فانظر لنا مجلِساً ... برِفق وإياك أن تَخرَقا)
(فجئنا كغُصنَين مِن بانةٍ ... قرينين خِدْنين قد أورقَا)
(فقالت لأختٍ لها استنشديه ... من شعرهِ المحكمِ المنتقى)
(فقلْتُ أمرتِ بكتمانِه ... وحذَّرتِ إن شاعَ أن يسرقَا)
(فقالت بِعيشِك قولي له ... تمنَّع لعلك أن تنفُقَا)
ومن مشهورِ قوله في دنيا وهو مما تهتك فيه وصرّح وأفحش وهي من جيد قوله قصيدته التي يقول فيها
((أنا الفارغُ المشغولُ والشوقُ آفتي ... فلا تسألوني عن فَراغي وعن شُغلي
(عجبْتُ لِترك الحبّ دنيا خليةً ... وإعراضه عنها وإقباله قُبْلي)
(وما بالُها لما كتَبتُ تهاونت ... بكُتْبي وقد أرسلْتُ فانتهزت رُسلي)
(وقد حلفَتْ ألاّ تَخطّ بكفِّها ... إلى قابلٍ خطا إليّ ولا تُملي)
(أبخْلاً علينا كلُّ ذا وقطيعةً ... قضيتِ لدَينا بالقطيعة والبخل)
(سلُوا قلبَ دنيا كيف أطلقَه الهوى ... فقد كان في غُلٍّ وثيقٍ وفي كَبْل)
(فإن جَحَدت فاذكر لها قصر مَعبد ... بمنْصَفِ ما بين الأُبلّة والجبل)
(ومَلعَبنا في النهر والماءُ زاخر ... قَرينَين كالغصنَين فَرْعين في أصل)
(ومن حولِنَا الرّيحانُ غَضّاً وفوقنا ... ظِلالٌ من الكَرْمِ المعرَّش والنخل)
(إذا شئتُ مالت بي إليها كأنني ... إلى غصن بانٍ بين دِغصَين من رَمل)
(ليالِيَ ألقاني الهوى فاستضفتُها ... فكانت ثناياها بِلا حِشمة نُزلي)

(وكم لذّةٍ لي في هواها وشهوةٍ ... ورَكْضي إليها راكباً وعلى رِجل)
(وفي مأتمِ المهديّ زاحمْتُ ركنَها ... بركُنِي وقد وطَّنت نفسي على القتل)
(وبِتنا عَلَى خوفٍ أسكّن قلبها ... بيُسراي واليمنى عضلَى قائم النَّصل)
(فيا طيبَ طعمِ العيش إذ هي جارةٌ ... وإذ نفسُها نفسي وإذ أهلُها أهلي)
(وإذ هي لا تعتلّ عني برقبَةٍ ... ولا خوفِ عينٍ من وُشاةٍ ولا بَعل)
(فقد عَفَت الآثارُ بيني وبينها ... وقد أوحشَت مني إلى دارها سُبْلي)
(ولما بلوتُ الحبَّ بعد فِراقها ... قضَيت عَلَى أم المحبين بالثُّكل)
(وأصبحْت معزولاً وقد كنت والياً ... وشتان ما بين الولاية والعزل)
ومما قاله فيها وفيه غناء
صوت
(ألا في سبيل اللهِ ما حلّ بي منكِ ... وصبرُكِ عني لا صبرَ لي عنكِ)
(وتركُك جِسمي بعد أخذكِ مهجتي ... ضئيلاً فهلاّ كان مِن قَبْل ذا تركي)
(فهل حاكِمٌ في الحب يَحكُم بيننا ... فيأخذَ لي حقي ويُنصفَني منك)
لسليم في هذه الأبيات هزج مطلق في مجرى الوسطى وفي هذه القصيدة يقول يصف قصرا كانوا فيه وهي من عجيب شعره
(لقد كنتُ يومَ القَصر مما ظَنَنْت بي ... بريئاً كما أني بريءٌ من الشّرِكِ)
(يذَكِّرني الفِردَوسَ طوراً فأرعَوي ... وَطوراً يواتيني إلى القَصف والفتك)
(بِغَرسٍ كأبكار الجواري وتُربَةٍ ... كأن ثراها ماءُ وَرِدٍ على مسك)
(وسِربٍ من الغِزلان يرتعْن حولَه ... كما استُلّ منظوم من الدُّر من سِلك)
(وورقاءَ تحكي المَوصِليّ إذا غَدت ... بتغريدها أحببْ بها وَبمَن ولا تحكِي)
(فيا طِيبَ ذاك القصر قصراً ومنزلاً ... بأفيحِ سهلٍ غير وَعْر ولا ضَنْك)
(كأن قصورَ القومِ ينظرن حولَه ... إلى مَلِكٍ مُوف عَلَى مِنبر المُلك)
(يُدِلّ عليها مستطيلاً بِظِله ... فيَضحك منها وهي مُطرِقةٌ تبكي)
الفضل بن الربيع إنه أشعر أهل زماننا
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن عمرو الأنصاري قال سمعت الأصمعي يذكر أن الفضل بن الربيع قال لجلسائه
من أشعر أهل عصرنا فقالوا فأكثروا فقال الفضل بن الربيع أشعر أهل زماننا الذي يقول في قصر عيسى بن جعفر بالخريبة يعني أبا عيينة
(زُرْ واديَ القَصْرُ والوادي ... وحبّذا أهلُه من حاضرٍ بادي)
(تُرْفأ قَراقيرُه والعِيسُ واقفة ... والضبّ والنونُ والملاّح والحادي)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن مجمع قال تزوج
سعيد بن عباد بن حبيب بن المهلب بنت سفيان بن معاوية بن المهلب وقد كان تزوجها قبله رجلان فدفنتهما فكتب إليه أبو عيينة
(رأيتَ أثاثَهَا فرغبتَ فيه ... وكم نَصبتْ لغيرك بالأثاث)
(إلى دار المنون فجهّزتْهم ... تَحُثّهم بأربعةٍ حِثاث)
(فَصيِّرْ أمرَها بيدَيْ أبيها ... وعَيشِك من حِبالك بالثلاث)
(وإلا فالسلامُ عليك منّي ... سأبدأ من غدٍ لك بالمراثي)
أخبرني محمد بن مزيد الصولي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
كان علي بن هشام قد دعاني ودعا أبا عيينة وتأخرت عنه حتى اصطحبنا شديداً وتشاغلت برجل كان عندي من الأعراب وكان فصيحا لأكتب عنه وكان عنده بعض من يعاديني قال حماد كأنه يومئ بهذا القول إلى إبراهيم بن المهدي فسأل ابا عيينة أن يعاتبني بشعر ينسبني فيه إلى الخلف فكتب إلى الخلف فكتب إلى
(يا مليئاً بالوعد والخُلف والمَطْلِ ... بطيئاً عن دَعوة الأصحاب)
(لَهْجاً بالأعراب إنّ لدينا ... بعضَ من تشتهي من الأعراب)
(قد عرفنا الذي شُغلتَ به عنّا ... وإن كان غير ما في الكِتاب)
قال فكتبت إلى الذي حمل أبا عيينة على هذا يعني إبراهيم بن المهدي
(قد فهِمتُ الكِتابَ أصلحك الله ... وعندي إليك رِدُّ الجوابِ)
(ولَعَمري ما تُنصفون ولا كان ... الذي جاء منكمِ في حِسابي)
(لَسْتُ آتيك فاعلَمَنّ ولا لي ... فيك حظ مِن بَعْدِ هذا الكِتاب)
أخبرني عيسى بن الحسين الوراقي قال حدثني عبد الله بن أبي سعدقال حدثني إبراهيم بن إسحاق العمري قال حدثنا أبو هاشم الإسكندراني عن ابن أبي لهيعة قال
حفر حفرٌ في بعض أفنية مكة فوجد فيه حجر عليه منقوش)
(ما لا يكون فلا يكون بحيلةٍ ... أبداً وما هو كائنٌ فيكون)
(سيكون ما هو كائن في وقتِه ... وأخو الجهالةِ مُتَعب محزون)
(يَسعى القويُّ فلا يَنال بسعيه ... حظّاً ويحظى عاجزٌ ومهين)
قال ابن أبي سعد هكذا في الحديث وقد أنشدني هذه الأبيات جماعة لأبي عيينة
حدثني عمي قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك قال حدثني علي بن عمروس الأنصاري عن الأصمعي قال
قال لي الفضل بن الربيع يا أصمعي من أشعر أهل زمانك فقلت أبو نواس قال حيث يقول ماذا قلت حيث يقول
(أما تَرى الشمسَ حلّت الحمَلا ... وقام وزنُ الزمان فاعتدلا)
فقال والله إنه لذهن فطن وأشعر عندي منه أبو عيينة

حدثني عمي قال حدثني فضل اليزيدي اليزيد عن إسحاق أنه أنشده لأبي
عيينة في دنيا التي كان يشبب لها وقد زوجت وبلغه أنها تهدى إلى زوجها وكان إسحاق يستحسن هذا الشعر ويستجيده
(أرى عهدَها كالورْد ليس بدائمٍ ... ولا خيرَ فيمن لا يدوم له عهدُ)
(وعهدِي لها كالآسِ حسناً وبهجة ... له نضرةٌ تبقى إذا ما انقضى الورد)
(فما وَجَد العُذريُّ إذ طال وجدُه ... بعفراء حتى سَلَّ مهجتَه الوجد)
(كوَجدي غداة البين عند التفاتها ... وقد شفَّ عنها دون أترابها البُرد)
(فقلْتُ لأصحابي هي الشمس ضوءها ... قريب ولكن في تناوُلِها بُعد)
(وإنّي لمن تُهدَى إليه لَحاسد ... جرى طائري نَحساً وطائره سعد)
أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبي قال
سألت أبي عن دنيا التي ذكرها أبو عيينة بن محمد بن أبي عينة في شعره وقلت إن قوماً يقولون إنها كانت أمة لبعض مغني البصرة فقال لا يا بني هي فاطمة بنت عمر بن حفص هزار مرد بن عثمان قبيصة أخي المهلب وكان عيسى بن سليمان بن علي أخو جعفر ومحمد ابني سليمان
تزوجها وهجاه عبد الله بن محمد بن أبي عيينة أخو أبي عيينة فقال
(أفاطم قد زُوِّجتِ عيسى فأبشري ... لديه بِذُلٍّ عاجلٍ غير آجل)
(فإنكِ قد زُوِّجت عن غير خِبرة ... فتىً مِن بني العباس ليس بعاقل)
وذكر باقي الأبيات وقد مضت متقدماً
قال أحمد بن يزيد ثم أنشدني أبي لأبي عيينة يصرح بنسبه الجامع له ولفاطمة من أبيات له
(ولأنْتِ إن متُّ المصابةُ بي ... فتجنَّبي قتلي بلا وتر)
(فلئن هلكْتُ لَتَلْطِمِنْ جزعاً ... خدَّيك قائمةً على قبري)
قال أحمد وأنشدني أبي أيضاً في تصديق ذلك وأنه كان يكني بدنيا عن غيرها
(ما لِدُنيا تجفوكَ والذنبُ منها ... إنَّ هذا منها لَخَبٌّ ومَكر)
(عرفَتْ ذنبَها إليَّ فقالت ... ابدأوا القومَ با لصياح يَفرّوا)
(قد أمرْتُ الفؤادَ بالصبر عنها ... غير أنْ ليس لي مع الحبّ أمر)
(وكتمْتُ اسمها حِذاراً من الناس ... ومِن شرّهم وفي الناس شرّ)
(ويقولون بُحْ لنا باسم دُنيَا ... واسمُ دنيا سرٌّ على الناس ذخر)
(ثم قالوا ليعلموا ذات نفسي ... أعوانٌ دنياك أم هيَ بِكر)
(فتنفسْتُ ثم قلت أبكر ... شَبَّ يا إخوتي عن الطَّوق عمرو)
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني أبو خالد الأسلمي قال كان ابن أبي عيينة المهلبي صديقي وهو أبو عيينة بن المنجاب بن أبي عيينة فجاءه رجل من جيرانه كان يستثقله فسأله حاجة فقضاها ثم سأله أخرى فوعده بها ثم سأله ثالثة فقال
(خفِّف عَلَى إخوانك المُؤَنا ... إن شئت أن تَبْقَى لهم سكَناً)
(لا تُلحفنَّ إذا سألت ففي الإجحاف ... إجحاف بهم وعنَا)
فقام الرجل وانصرف
ابن أبي عيينة وأمير البصرة
أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد قال حدثني المبرد قال
وفد ابن أبي عيينة إلى طاهر بن الحسين يسأله أن يعزل أمير البصرة وكان من قبله فدافعه وعرض عليه عوضاً خطيراً من حاجته ووعده أن يستصلح له ذلك الأمير ويزيله عما كرهه فأبى عزله وأجزل صلته فقال ابن أبي عيينة فيه
(يا ذا اليمينَين قد أوقرتَني مِنَنا ... تَترَى هي الغاية القصوى من المنَنِ)
(ولستُ أسطيع مِن شكر أجيء به ... إلا استطاعةَ ذي روحٍ وذي بدن)
(لو كنتُ أعرف فوقَ الشكر منزلة ... أوفى مِن الشكر عند اللهِ في الثمن)
(أخلصْتُها لك من قلبي مهذَّبةً ... حَذْواً عَلَى مثل ما أوليتَ من حسن)
أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي عن أبي عكرمة عامر بن عمران وأخبرني به عمي عن أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه قال
كان إسماعيل بن سليمان والياً على البصرة خليفة لطاهر بن الحسين فأساء مجاورة ابن أبي عيينة حتى تباعد بينهما وقبح وأظهر إسماعيل تنقصه وعيبه فخرج إلى طاهر ليشكو إسماعيل ويسعى في عزله عن البصرة فبعد ذلك عليه بعض البعد وسافر طاهر بن الحسين إلى وجه أمر بالخروج إليه فصحبه ابن أبي عيينة في سفره فتذمم من ذلك وأمر بإيصاله إليه فلما دخل ابن أبي عيينة إليه سأله عن حوائجه وأدناه وأمره برفعها فأنشده
(مَن أوحشَتْه البلادُ لم يقِم ... فيها ومَن آنسته لم يَرِم)
(ومَن يبتْ والهمومُ قادحة ... في صدره بالزِّناد لم ينم)
(ومَن ير النقص من مواطئه ... يُزل عن النقص مَوطِىء القدم)
(والقرب ممن ينأى بجانبه ... صدع عَلَى الشعب غير ملتئم)
(ورُبَّ أمر يعيا اللبيبُ به ... يظلّ منه في حيرة الظُّلم)
(صبرٌ عليه كَظْمٌ عَلَى مَضَض ... وتَركُه مِن مواقع الندم)
(ياذا اليمينَين لم أزرْك وَلم ... آتك من خَلّة ومن عَدَم)
(إني من الله في مراح غِنى ... ومُغتذىً واسعٍ وفي نِعم)
(زارتك بي هِمةٌ مُنازعة ... إلى العلا مِن كرائم اللهمم)
(وإنني لِلجميل محتمِل ... في القَدْر من منصِبي ومن شيمي)
(وقد تعلَّقْت منك بالذمم الكبرى ... التي لا تَخيبُ في الذمم)

(فإن أنلْ بُغْيتي فأنت لها ... في الحق حقّ الرجاء والرَّحِم)
((وإن يَعُقْ عائقٌ فلستَ على ... جميل رأيٍ عندي بمتَّهمِ
(في قدر اللهِ ما أحمَّله ... تعويق أمري في اللّوح والقلم)
(لم يَضق الصبرُ والفِجاجُ على ... حُرّ كريمٍ بالصبر معتصمِ)
(ماضٍ كحدّ السِنان في طرفِ العامل ... أو حَدّ مصلَت خَذِم)
(إذا ابتلاه الزمانُ كشّفه ... عن ثوب حُرّيةٍ وعن كرم)
(ما ساء ظني إلا بواحدة ... في الصدر محصورةٍ عن الكلِمِ)
(ليَهْنَ قومٌ جَزْتَ المدى بهمُ ... ولم تقصّر فيهم ولم تُلم)
(وليس كلُّ الدِّلاءِ راجعةً ... بالنِّصف من مَلئها إلى الوَذم)
(تَرجع بالحمْأة القليلة أحياناً ... ورَنْق الصّبابةِ الأممِ)
(ما تُنبت الأرضُ كلَّ زَهرتها ... ولا تَعمّ السماءُ بالدِّيمِ)
(ما فيّ نَقص عن كلّ منزلة ... شريفةٍ والأمور بالقِسَم)
فأجابه طاهر
(من تستضِفْه الهمومُ لم يَنَم ... إلاّ كَنومِ المريض ذي السّقم)
(ولا يزَلْ قلبُه يكابِد ما ... تُولد فيه الهمومُ من ألم)
(وقد سمعْتُ الذي هتفْتَ به ... وما بأذني عنك من صممِ)
(وقد علِمنا أنْ لستَ تَصحبنا ... لِفَاقةٍ فيك لا ولا عَدِم)
(إلا لِحقٍّ وحُرمةٍ وعلى ... مثلك رَعيُ الحقوق والحُرَمِ)
(أنت امرؤٌ لا تزول عن كرمٍ ... إلا إلى مثلِه من الكرم)
((وأنت من أُسرةٍ جَحَا جة ... فازوا بحسن الفعال والشِّيَم
(فما تَرُمْ من جسيم منزلةٍ ... فالحكم فيه إليك فاحتكِم)
(إن كنت مستسقياً سَماحتنا ... منا تجُدْك اليدان بالدِّيَم)
(أو ترْمِ في بَحرنا بدَلوك لا ... نُعدمِك مَلئاً لها إلى الوَذم)
(إنا أُناس لنا صنائعُنا ... في العُرْب معروفةٌ وفي العجمِ)
(مغتنِمو كسبِ كلِّ مَحْمَدةٍ ... والكسبُ للحمد غيرُ مغتنم)
فاحتكم عليه أبو عُيينة في عزل إسماعيلَ بن جعفر عن البصرة فعزله عنها وأمر له بمائة ألفِ درهم فقال أبو عُيَيْنة في عزله إسماعيل بن جعفر عن إمارة البصرة
(لا تَعدَمِ العَزْل يا أبا الحسن ... ولا هُزَالاً في دولة السِّمَن)
(ولا انتقالاً من دارِ عافية ... إلى ديار البلاء والمِحن)
(أنا الذي إن كفرْتَ نعمته ... أذاب ما في جنبيك من عُكَن)
حدثني عيسى بن الحسين قال حدثني محمد بن عبد الله الحزنبل الأصبهاني قال
كان ابن أبي عيينة قد هجا نزاراً بقصيدة له مشهورة وفضل عليها قحطان فقال ابن زعبل يهجوه ويردد عليه واسمه عمرو بن زعبل
(بَنيّ أبي عُيَيْنة ما ... نطقْتَ به من الّلغط)
(على ما أنت ملتحِف ... من الأوجاع في الوسط)
(لِما في الدُّبْر من نَغَل ... وما في العِرْض من سَقَط)
((أتتنا الخَمسُ والمائتان ... بالنِّعماء والغِبَط
(أمير من هلالٍ مستطيل ... الباع منبَسط)
(شريف ليس بالمدخول ... في عِرضٍ ولا رَهَط)
(أظنك مِن يديه واقعاًلا ... شك في ورَط)
(ووالي الخَرج فياض اليَدَيْن ... بنائل سَبِط)
(له نِعَم حباك بها ... فلم تَحفظ ولم تَحُطِ)
(وقاضٍ من أمير المؤمنين ... يقوم بالقِسَط)
(يَسرُّكَ أنه من آل ... قحطانٍ على شحَط)
(وأنك إن ذُكِرتَ يقال ... شيخٌ فاسقُ الشمَط)
(اعبدٌ من عَبيد عُمان ... عاب مناقب السِّبط)
(وتهجو الغرّ من مُضر ... كفى هذا من الشّطط)
(تيمّمْ في مُقيَّرة ... مسيراً غيرِ مغتبط)
(مجوّفةٍ مزيَّنة ... يوَدْع لاح كالرُّقط)
(بنُوك تَجرها بالقَلْس ... مؤتزرين بالفُوَط)
(متى غمسوا مَرادِيهمْ ... لِجدّ السير تَحتلط)
(وأنتَ بموضع السُّكان ... يُمسكِه بلا غلط)
(عليك عباءةٌ مشكوكةٌ ... بالشوك لم تُخَطِ)
(فطيِّبَ ريحَ بلدتنا ... فِرارُك خيفةَ الشُّرَطِ)
((وأنك قد عُرفتَ بكثرة ... التخليط والغلط
(ترى الخُسران إن لم تَزْن ... في يوم ولم تَلُط)
يفرّ إلى عمان خوفاً من المأمون
قال وكان ابن أبي عيينة لما هجا نزاراً بلغ شعرُه المأمون فنذر دمه فهرب من البصرة وركب البحر إلى عُمان فلم يزل بها متوارياً في نواحي الأزد حتى مات المأمون

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني ابن مهرويه عن أبيه بقصة ابن أبي عيينة مع ابن زعبل فذكر نحو الخبر المتقدم
حدثني عمي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبي قال حدثني أبي قال
كان ابن عيينة يشبب بوهبه جارية القروي وهي التي يقول فيها فروج الزنى قوله
(يا وهب لم يَبقَ لي شيء أسرّ به ... إلا الجلوس فتسقيني وأسقيكِ)
ثم عدل عن التشبيب بها إلى دنيا وذكرهما جميعاً في شعره فقال
(أرسلَتْ وهبةُ لما رأتني ... بَعد سُقْمٍ من هواها مُفيقاً)
(أتغيّرْت كأن لم تكن لي ... قبل أن تعرفَ دُنيا صديقاً)
(قد لَعَمري كان ذاك ولكن ... قَطَعَتْ دُنيا عليكِ الطريقا)
أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن يزيد عن أبيه قال
لما ولي عمر بن حفص هزار مرد البصرة قال ابن أبي عيينة في ذلك وفي دنيا يكنى بها عن فاطمة بنت عمر بن حفص صاحبته
((هنيئاً لِدنيا هنيئاً لها ... قدومُ أبيها على البَصْرهْ
(على أنها أظهرَتْ نَخْوَة ... وقالت لِيَ المُلكُ والقدرهْ)
(فيا نورَ عيني كذا عاجلاً ... عليّ تطاولْتِ بالإمرهْ)
قال وهذا دليل على أنه كان يكنى عن فاطمة بدنيا لا أنه يهوى جاريتها دنيا
قال أحمد بن يزيد وفيها يقول أيضاً
(يا حسنَها يومَ قالت لي مُودِّعة ... لا تنسَ ما قلت من فيها إلى أُذني)
(كأنني لم أَصِلْ دنيا علانيةً ... ولم أزُر أهل دنيا زَورةَ الخَتَن)
(جسمي معي غير أن الروحَ عندكُم ... فالرُّوحُ في وطنٍ والجسمُ في وطن)
(فلْيعجب الناسُ مني أنّ لي جسداً ... لا رُوحَ فيه ولي رُوحٌ بلا بدن)
وفي هذه الأبيات هزَج طُنبوريّ مُحدث
أخبرني عمي قال حدثني أحمدُ بنُ يزيدَ عن أبيه قال
وَرد على ابنِ أبي عُيينة كتابٌ من بعض أهله بأن أخاه داودَ خرج إليه ببريد فمات بهمذان فقال ابنُ أبي عُيينة عند ذلك يرثيه
(أنائحةَ الحمَام قِفي فنوحي ... على داودَ رَهناً في ضريح)
(لدى الأجيال من همذان راحت ... به الأيام للموت المُريح)
(لمَ يشهدْ جنازتَه البواكي ... فتبكيَه بمُنهلٍّ سَفوح)
(وكُوني مثلَه إذ كان حياً ... جواداً بالغَبوق وبالصَّبوح)
(أنائحةَ الحمامِ فلا تشحّي ... عليه فليس بالرجل الشحيح)
((ولا بمُثمِّر مالاً لِدُنيا ... ولا فيها بمِغمار طموح
(يبيع كثير ما فيها بباقٍ ... ثمينٍ من عواقبه ربيحِ)
(ومن آل المهلّب في لُباب ... لُبابِ الخالص المحضِ الصريح)
(همو أبناءُ آخرة ودنيا ... وأهدافُ المراثي والمديح)
أخبرني عمي قال حدثنا أحمد بن يزيد عن أبيه قال
قدم أبو عيينة إلى الكوفة في بعض حوائجه فعاشره جماعة من وجوه أهلها وأقام بها مدة وألف فيها قينة كان يعاشرها وأحبها حباً شديداً فقال فيها
(لَعَمري لقد أُعطيتُ بالكوفة المُنى ... وفوق المُنى بالغانيات النَّواعم)
(ونادمْتُ أختَ الشمس حسناً فوافقت ... هواي ومثلي مثلَها فليُنادمِ)
(وأنشدتُها شعري بِدُنيا فعر بَدَت ... وقالت مَلولٌ عهدُه غيرُ دائم)
(فقلْتُ لها يا ظبيَة الكوفة اغفِري ... فقد تبْتُ مما قلْتُ توبةَ نادم)
(فقالت قد استوجَبْتَ منا عقوبة ... ولكن سنَرعى فيك رُوحَ ابن حاتمِ)
قال أحمد بن يزيد قال لي أبي)
كان لابن أبي عيينة بستان وضيعةٌ في بعض قطائع المهلب بالبصرة فأوطنها وصيرها منزلة وأقام بها وفيها يقول
(يا جنةً فاقت الجِنان فما ... تَبلغُها قيمةٌ ولا ثمَنُ)
(أَلِفتُها فاتخذْتُها وطناً ... إنّ فؤادي لأهلِها وطن)
(زُوِّج حيتانُها الضِّبابَ بها ... فهذه كَنَّةٌ وذا خَتن)
((فانظرْ وفكِّر فيما نطقْتُ به ... إنّ الأريبَ المفكِّر الفطن
(مِن سفن كالنَّعامِ مُقبلة ... ومن نَعام كأنها سفن)
أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن أبا عيينة أنشده لنفسه صوت
(لا يكن منكِ ما بدا لي بعينيكِ ... من اللحظِ حِيلةً واختداعا)
(إن يكن في الفؤاد شيء وإلاّ ... فدَعيني لا تقتليني ضَياعاً)
(فلَعلّي إذا قربتُ تباعدْتِ ... وأظهرْتِ جفوة وامتناعا)
(حين نفسي لا تستطيع لِما قد ... وقعت فيه مِن هواها ارتجاعا)
في هذه الأبيات رمل مطلق محدث
أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن يزيد قال حدثني أبي قال
كان عبد الله بن محمد بن أبي عيينة أخو أبي عيينة شاعراً وهو القائل يعاتب محمد بن يحيى بن خالد البرمكي بأبيات رائية أولها

(اسلَمْ وإن كان فيك عنّي ... قَبْضٌ لِكفّيك وازورارُ)
(تَلحظني عابساً قطوباً ... كأنما بي إليك ثار)
(لو كان أمر عتبتَ فيه ... يجوز منه لِيَ اعتذار)
((أو كنتُ سآلة حريصاً ... لحانَ مِنّي لك الفِرار
(أو كنتُ نَذلاً عَديمَ عقل ... لا مَنصِبٌ لي ولا نِجار)
(أو لم أكن حاملاً بنفسي ... ما تحمل الأنفس الكبار)
(وأنني من خِيار قومي ... وكلُّ أهلي فتى خيار)
(عذرْتُ إن نالني جفاء ... منك وإن نالني ضِرار)
(لكنّ ذنبي إليك أني ... قحطانُ لي الجدّ لا نِزار)
(عليك مني السلام هذا ... أوانُ يَنأى بيَ المزار)
(ما كنت إلا كلَحم مَيْت ... دعا إلى أكله اضطرار)
(راحَت عَلَى الناس لابن يحيى ... محمدٍ دِيمةٌ غزار)
(ولم يكن ما أنلْتُ منه ... بقدْر ما يَنجلي الغبار)
(قد أصبح الناس في زمان ... أعلامُه السِّفْلة الشِّرار)
(يستأخر السابقُ المُذَكّى ... فيه ويَستقدِم الحِمار)
(وليس لِلمرء ما تمنى ... يوماً وما إنْ له اختيار)
(ما قدّر اللهُ فهْو آت ... وفي مقاديره الخيار)
يهجو قبيصة بن روح المهلبي
أخبرني عمي قال حدثنا أبو هفان قال
كان ابن أبي عيينة قد قصد ربيعة بن قبيصة بن روح بن حاتم المهلبي واستماحه فلم يجد عنده ما قدر فيه فانصرف مغاضباً فوجه إليه داود بن مزيد بن حاتم بن قبيصة فترضاه وبلغ ما أحبه ورضيه من بره ومعونته فقال يمدحه ويهجو قبيصة
((أقَبيص لستَ وإن جهدت بمدُرك ... سعيَ ابن عمك ذي العلا داود
(شتان بينك يا قبيص وبينه ... إن المذمَّمَ ليس كالمحمود)
(اختار داودٌ بِناءَ محامد ... واخترت أكلَ شَبارق وثَريد)
(قد كان مجدُ أبيك لو أحببته ... روْحٍ أبي خَلَف كمَجد يزيدِ)
(لكن جرَى داود جَريَ مبرِّزٍ ... فحوَى المدى وجريتَ جريَ بليد)
(داودُ محمود وأنت مذمَّم ... عجباً لذاك وانتما من عود)
(ولرُبّ عُود قد يُشق لِمسجد ... نِصفاً وسائرُه لِحُش يهود)
(فالحشّ أنت له وذاك لمسجد ... كم بين موضع مَسْلَحٍ وسجود)
(هذا جزاؤك يا قبيص لأنه ... جادت يداه وأنت قُفل حديد)
حدَّثني جعفر بن قدامة قال حدثنا حماد بن إسحاق حدثني أبي قال
كانت لأبي حذيفة مولى جعفر بن سليمان جارية مغنية يقال لها بستان فبلغه أن أبا عيينة بن محمد بن عيينة ذكر لبعض إخوانه محبته لها ولاستماع غنائها فدعاه وسأله أن يطرح الحشمة بينه وبينه فأجابه إلى ذلك وقال لما سكر وانصرف من عنده في ذلك
(ألم تَرَني على كسَلِي وفَتري ... أجبت أبا حُذيفة إذ دعاني)
(وكنتُ إذا دُعيت إلى سماع ... أجبْتُ ولم يكن منّي تواني)
(كأنّا من بشاشتِنا ظِلِنا ... بيوم ليس من هذا الزمان)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن عثمان قال
كانت لعيسى بن موسى ضيعة إلى جانب ضيعة ابن أبي عيينة بالبصرة وكان له إلى جانب ضيعته سماد كثير فسأله أن يعطيه بعضه ليعمر ابن أبي عيينة به ضيعته فلم يفعل فقال فيه
(رأيت الناسَ هَمُّهم المعالي ... وعيسى همُّه جمع السّماد)
(ورزق العالمين بِكف ربيٍّ ... وعيسى رزقُه في أسْتِ العباد)
هكذا ذكره ابن مهرويه وهذا بيت فاسد وإنما هو
(إذا رُزق العبادُ فإنّ عيسى ... له رزق من استاه العباد)
أخباره مع ابن عمه خالد
ولابن أبي عيينة مع ابن عمه خالد أخبار جمة اذكرها ها هنا والسبب الذي حمله على هجائه
أخبرني علي بن سليمان الأخفش ببعضها عن محمد بن يزيد المبرد وببعضها عن أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه وقد جمعت روايتهما فيما اتفقا عليه ونسبت كل ما انفرد به أحدهما أو خالف فيه إليه وذكرت في فصول ذلك وخلاله ما لم يأتيا به مما كتبته عن الرواة قالا جميعاً
ولي خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب جرجان فسأل يزيد بن حاتم أبا عيينة أن يصحبه ويخرج معه ووعده الإحسان والولاية وأوسع له المواعيد وكان أبو عيينة جنديا فجرد اسمه في جريدته وأخرج رزقه معه فلما حصل لجرجان أعطاه رزقه لشهر واحد واقتصر على ذلك وتشاغل عنه وجفاه فبلغه أنه قد هجاه وطعن عليه وبسط لسانه فيه وذكره بكل قبيح عند أهل عمله ووجوه رعيته فلم يقدر على معاقبته لموضع أبيه وسنه ومحله في أهله فدعا به وقال له إنه قد بلغني أنك تريد أن تهرب فإما أن أقمت لي كفيلاً برزقك أو رددته فأتاه بكفيل فأعنته ولم يقبله ولم يزل يردده حتى ضجر فجاءه بما قبض من الرزق فأخذه ولجّ أبو عيينة في هجائه وأكثر فيه حتى فضحه فقال في هذا عن أحمد بن يزيد المهلبي
(دنيا دعوتك مسرِعاً فأجيبي ... وبما اصطفَيتُك في الهوى فأثيبي)
(دومي أدُمْ لك بالصفاء على النوَى ... إني بِعهدك واثقٌ فثقي بي)
(ومِن الدليل على اشتياقي عَبْرتي ... ومشيبُ رأسي قبلَ حين مشيبي)

(أبْكي إليكَ إذا الحمامةُ طَرّبت ... يا حسنَ ذاك إليّ من تطريب)
(تبكي على فَنَنِ الغصونِ حزينةً ... حُزنَ الحبيبةِ من فِراق حبيب)
(وأنا الغريبُ فلا ألامُ على البُكا ... إن البُكا حسنٌ بِكلِّ غريب)
(أفلا يُنَادَى للقفُول برحلة ... تَشفي جَوىً من أنفسٍ وقلوبِ)
(مالي اصطفَيت على التعسفِ خالداً ... واللهِ ما أنا بعدَها بأريب)
(تبّاً لصحبة خالدٍ من صحبة ... ولِخَالدِ بن يزيد من مصحوب)
(يا خالد بنَ قبيصةٍ هيّجت بي ... حَرْباً فدُونك فاصطبر لحروبي
(لما رأيت ضميرَ غِشك قد بدا ... وأبيْتَ غير تَجَهُّم وقُطوب)
(وعرفْت منك خلائقاً جرّبتها ... ظهَرتْ فضائحُهَا على التجريب)
(خلّيتُ عنكِ مُفارقاً لك عن قِلىً ... ووهبْتُ للشيطان منك نصيبي)
(فلئن نظرْتُ إلى الرصافة مرة ... نظراً يُفَرجُ كُربَةَ المكروب)
(لأمزّقنّك قائماً أو قاعداً ... ولأروينّ عليك كلّ عجيب)
(ولتأتينَّ أباك فيك قصائد ... حبَّرتها بتَشكُّر مقلوب)
(ولَيُنْشدَنَّ بها الإمام قصيدة ... ولتُشْتَمَنّ وأنت غير مهيب)
(ولأوذِيَنّك مثلما آذيتني ... ولأُشلينَّ على نعاجك ذيبي)
قال أحمد بن يزيد في خبره حدثني أبي قال
أعرس داود بن محمد بن أبي عيينة أخو أبي عيينة بالبصرة وأخوه غائب يومئذٍ مع ابن عمه خالد بجرجان فكتب داود إلى أخيه يخبره بسلامته وسلامة أهل بيته ويخبر نقله أهله إليه فقال أبو عيينة في ذلك
(ألا ما لِعَينك معتلّه ... وما لِدموعك منهلّه)
(وكيف يُجرجان صبرُ امرئٍ ... وحيدٍ بها غير ذي خُلّهْ)
(وأطْولْ بلَيْلِك أطْول به ... إذا عسكر القوم بالأثْله)
(وراعَك مِن خيلِه حاشر ... مِن القوم ليست له قِبله)
(يسوقك نحوهمُ مكرهاً ... وداودُ بالمِصر في غفله)
(عَروسٍ ينعّمُ مِن تحته ... سريرٌ ومِن فوقه كِلَّه
(وما مدْنفٌ بين عُوّاده ... ينادي وفي سمعه ثِقْله)
(بأوجعَ منّي إذا قيل لي ... تأهب إلى الريّ بالرِّحْلَهْ)
(ومالي وللريّ لولا الشقاءُ ... إن كنتَ عنها لفي عُزله)
(أكلّف أجبالها شاتياً ... على فَرَسٍ أو على بَغْلهْ)
(وأهْونُ مِن ذاك لو سهَّلوه ... ركوبُ القراقير في دجلهْ)
(تَروح إلينا بها طَرْبة ... رواحَ الندامى إلى دلّهْ)
(أخالدُ خذ من يدي لطمة ... تَغيظ ومن قدَمِي رَكْله)
(جمعْتَ خصال الردَى جملة ... وبعْتَ خصالَ الندى جمله)
(فمالَكَ في الخير مِن خَلة ... وكم لك في الشر من خله)
(ولما تَناضَل أهلُ العلا ... نُضلْتَ فاذعنْتَ للنّضله)
(فما لَكَ في المجد يا خالدٌ ... مُقَرْطَسة لا ولا خصله)
(وأسرعتَ في هدم ما قد بَني ... أبوك وأشياخُه قبله)
(وكانت من النَّبْع عيدانُهم ... نُضاراً وعودُك من أثْله)
(فيا عجبا نَبْعَةٌ انبتَت ... خِلافاً وريحانةٌ بقَله
(ثيابُك لِلْعبد مطوية ... وعِرضك للشتم والبِذله)
(أجعْتَ بنيك وأعريْتَهم ... ولم تُؤتَ في ذاك من قِلّهْ)
(إذا ما دُعينا لِقبض العطاء ... وهيأت كيسَك للغلّةْ)
(وجُلّةُ تَمرْ تُغادَى بها ... فتأتي على آخر الجِلّةْ)
(وتُقصي بَنيك وهُم بالعراء ... نُزْلُهمُ الملحُ والمُلّة)
(ولو كان خُبز وتَمر لَديك ... لَمَا طمِعوا منك في فَضلهْ)
(وتُصبح تَقْلِس عن تُخمة ... كأنّ جُشَاءكَ عن فُجْلهْ)
(إذا الحيّ راعهُم رائع ... فأوهَنُ مِن غادة طَفلهْ)
(وليثٌ يصول على قِرْنه ... إذا ما دُعيت إلى أكلهْ)
(فلله دَرّك عند الخِونِ ... مِن فارس صادقِ الحملهْ)
(وإن جاءك الناس في حاجة ... تفكرْتَ يومين في العِلهْ)
(وتلقاهُم أبداً كالِحاً ... كأنْ قد عضضْتَ على بَصْلهْ)
(فهذا نصيبيَ من خالد ... لكم هَنة بَتّةً بتلهْ)
(وإني لِصحبتهِ مبغض ... ولا خير في صحبة السِّفْلهْ
حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفي قال حدثني أبو الحسن بن المنجم قال
رأيت مسلم بن الوليد الأنصاري يوماً عند أبي ثم خرج من عنده فلقيه ابن أبي عيينة فسلم عليه وتحفى به ثم قال له ما خبرك مع خالد قال الخبر الذي تعرفه ثم أنشده قوله فيه
(يا حفصُ عاطِ أخاك عاطِهْ ... كأساً تُهيج من نشاطِهْ)
قال ومسلم يبتسم من هجائه إياه حتى مر فيها كلها ثم ختمها بقوله
(وإذا تطاولت الرؤوس ... فغطٌ رأسَك ثم طاطِهْ)
فقال مسلم مه إنا لله هتكته والله وأخزيته وإنما كنت أظن أنك تمزح وتهزل إلى آخر قولك حتى ختمته بالجد القبيح

وأفرطت فيما خرجت به إليه ثم مضى وهو يقول فضحته والله هتكته والله
أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن يزيد قال حدثني أبي قال
لقي دعبل أبا عيينة فقال له
(ياحفص عاط أخاكَ عاطِهْ ... كأساً تُهيج من نشاطِهْ)
(صِرْفاً يعودِ لِوقعِها ... كالظبي أُطلق من رباطه)
(صبًّا طوتْ عنه الهموم ... نَعيمه بعد انبساطه)
(فبكى وحقّ له البكا ... لشقائه بعد اغتباطه)
(جَزِعَ المخنَّثُ خالد ... لمّا وقعتُ على قِماطه
(فانظر إلي نزواته ... من مَنطِقي وإلى اختلاطه)
(دَعني وإيّا خالدٍ ... فلأقطعنّ عُرَى نِياطه)
(إني وجدتُ كلامَه ... فيه مَشابِهُ من ضُراطه)
(رجلٌ يعدّ لك الوعيد ... إذا وطئتَ عَلَى بساطه)
(وإذا انتظرْتَ غداءه ... فخَفِ البوادر من سِياطهْ)
(يا خالِ صَدّ المجدُ عنك ... فلن تجوزَ عَلَى صراطه)
(وعَريتَ من حُلل الندَى ... عُرْيَ اليتيم ومن رباطه)
(فإذ تطاولت الرؤوس ... فغطّ رأسك ثم طاطه)
فقال له دعبل أغرقت والله في النزع وأسرفت وهتكت ابن عمك وقتلته وغضضت منه وإنما استنشدتك وأنا أظن أنك قلت كما يقول الناس قولاً متوسطاً ولو علمت أنك بلغت به هذا كله لما استنشدتك
أخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي وعمي قالا حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني الحسين بن السري قال لقي دعبل أبا عيينة فقال له أنشدني بعض ما قلت في ابن عمك ثم ذكر الخبر مثل ما ذكره أحمد بن يزيد وقال فيه إنما ظننت أنك قلت فيه قولاً أبقيت معه عليه بعض الإبقاء ولو علمت أنك بلغت به هذا كله وأغرقت هذا الإغراق ما استنشدتك وجعل يعيد
فغط رأسك ثم طاطه ...) ويقول قتله والله)
نماذج من هجائه في خالد
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد قال
ومن مختار ما قاله في خالد قوله
(قُل لِدُنيا باللهِ لا تقطعينا ... واذكرينا في بعض ما تذكرينا)
(لا تَخوني بالغيبِ عهدِ صديقٍ ... لم تخافيهِ ساعةً أن يخونا)
(واذكري عيشنا وإذ نَفَض الرِّيح ... علينا الخِيريّ والياسمينا)
(إذ جعلْنا الشاهِسفْرام فِراشاً ... من أذى الأرضِ والظِلالَ غصونا)
(حفِظ الله اخوتي حيث كانوا ... من بِلادٍ سارين أم مُدْلجينا)
(فِتيةٌ نازحون عن كلّ عَيب ... وهُم في المكارمِ الأولونا)
(وهو الأكثرون يَعلم ذاك الناسُ ... والأطيبون للأطيبينا)
(أزعجتْني الأقدار عنهم وقد كنتُ ... بقُربي منهم شحيحاً ضنيناً)
(وتَبدلْتُ خالداً لعنةُ اللّه ... عليه ولعنةُ اللاعنينا)
(رجل يَقهر اليتيمَ ولا يؤتي ... زكاةً ويَنهر المسكينا)
(ويصون الثيابَ والعِرضُ بالٍ ... ويرائي ويمنع الماعونا)
(نزع الله منه صالح ما أعطاه ... آمين عاجلاً آمينا)
(فلَعمرِ المبادرين إلى مكة ... وفداً غادين أو رائحينا)
((إن أضيافَ خالدٍ وبنيه ... ليَجوعون فوق مايشبعونا
(وتراهمْ من غير نُسْك يصومون ... ومن غير عِلّة يحتمونا)
(يا بني خالدٍ دعُوه وفرُّوا ... كم على الجوع ويْحَكم تصبرونا)
قال محمد بن يزيد ومن مشهور شعره فيه قصيدته التي أولها
(ألا خبّروا إن كان عندكم خبرٌ ... أنقفُل أم نَثوي على الهمِّ والضّجرَ)
(نفى النومَ عن عيني تعرُّض رحلة ... بها الهمُّ واستولى بها بعده السهر)
(فإن أشكُ من ليلي بجُرجان طولَه ... لقد كنتُ أشكو فيه بالبصرة القِصر)
(فيا حبَّذا بطنُ الخرير وظهرُه ... ويا حسن واديه إذا ماؤه زَخَر)
(ويا حبَّذا نهرُ الأبلَّةِ منْظراً ... إذا مَدَّ في إبانه النهرُ أو جَزرْ)
(وفتيانُ صِدق همُّهم طلبُ العلا ... وسيماهمُ التحجيل في المجد والغرَر)
(لَعمري لقد فارقتُهم غيرَ طائع ... ولا طيِّبٍ نفساً بذاك ولا مُقِر)
(وقائلةٍ ماذا نأى بك عنهُم ... فقلتُ لها لا عِلمَ لي فَسَلي القدر)
(فيا سفَراً أودى بلَهوي ولذتي ... ونغصني عيشي عَدِمتك من سفَر)
(دعوني وإيّا خالدٍ بعد ساعة ... سيحمله شِعري على الأبلق الأغرّ)
(كأني بصدق القول لما لقيتُه ... وأعلمته ما فيه ألقمتُه الحجر)
(دنِيء به عن كل خير بَلادةٌ ... لِكلّ قبيحٍ عن ذراعيه قد حَسرَ)
(له منظر يحمي العيون سماجة ... وإن يُختبر يوماً فيا سوء مُختَبر)
((أبوك لنا غيثٌ يعاش بوَبْله ... وأنت جراد ليس يُبقي ولا يذر
(له أثر في المكرمات يسرّنا ... وأنت تُعفّي دائماً ذلك الأثر)
(لقد قُنّعتْ قَحطان خزياً بخالد ... فهل لكِ فيه يخزك الله يا مضر)

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال أنشد الرشيد قول ابن أبي عيينة
(لقد قَنّعتْ قحطانُ خزياً بِخالد ... فهل لك فيه يخزك الله يا مضر)
فقال الرشيد بل يوقّرون ويشكرون
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال لنا أبو العباس محمد بن يزيد لم يجتمع لأحد من المحدثين في بيت واحد هجاء رجل ومديح أبيه كما اجتمع لابن أبي عيينة في قوله
(أبوكَ لنا غيثٌ نعيش بِوَبْلِه ... وأنت جراد ليس يبقي ولا يذر)
وقال محمد بن يزيد ومن جيد قوله أيضاً يهجو خالداً هذا
(على إخوتي مني السلامُ تحيةً ... تحيةَ مُثنٍ بالأخُوَّةِ حامدِ)
(وقل لهمُ بعد التحية أنتمُ ... بِنفسي ومالي من طَريف وتالد)
(وعَزَّ عليهمْ أن أقيم ببَلدة ... أخا سَقَم فيها قليلَ العوائد)
(لئن ساءهم ما كان مِن فِعل خالد ... لقد سرهم ما قد فعلْتُ بخالد)
(وقد علموا أن ليس مني بمفلت ... ولا يومُه المسكين مِني بواحد)
((أخالدُ لا زالت من الله لعنةٌ ... عليكَ وإن كنت ابن عمي وقائدي
(أخالدُ كانت صحبَتيك ضلالةً ... عَصيتُ بها ربّي وخالفْتُ والدي)
(وأرسل يَبغي الصلحَ لما تكنَّفت ... عوارضَ جنبَيه سياطُ القصائد)
(فأرسلتُ بعد الشرّ أني مسالم ... إلى غير مالا تشتهي غيرُ عائد)
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال زعم القحذمي أن الرشيد قال للفضل بن الربيع من أهجى المحدثين عندك يا فضل في عصرنا هذا قال الذي يقول في ابن عمه
(لو كما يَنقص يزداد ... إذاً نال السماء)
(خالدٌ لولا أبوه ... كان والكلبَ سواء)
(أنا ما عشتُ عليه ... أسواُ الناس ثناء)
(إنّ مَنْ كان مسيئاً ... لحقيق أن يُساء)
فقال الرشيد هذا ابن أبي عيينة ولعمري لقد صدقت
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبي قال
كان ابن أبي عيينة مع ابن عمه خالد بجرجان فأساء به وجفاه وكان لابن أبي عيينة صديقان من جند خالد من أهل البصرة أحدهما مهلبي والآخر مولى للأزد وكلهم شاعر ظريف فكانوا يمدحون السراة من أهل جرجان فيصيبون منهم ما يقوتهم وولي موسى الهادي الخلافة فكتب ابن أبي عيينة إلى من كان في خدمة الخلفاء من أهله بهذه القصيدة
((كيف صَبري ومنزلي جُرْجانُ ... والعراق البلادُ والأوطانُ
(نحن فيها ثلاثةٌ خُلفَاء ... ونَدامَى على الهوَى إخوانُ)
(نتساقى الهوَى ونَطرب للِذّكر ... كما تَطرب النشاوَى القِيانُ)
(وإذا ما بكى الحمامُ بكَينا ... لِبُكاه كأننا صبيانُ)
(يا زماني الماضي بِبغدادَ عُدْ ... لي طالما قد سَررْتَني يا زمانُ)
(يا زماني المسيء أحسنْ فقِدْما ... كان عندي مِن فعلك الإحسانُ)
(ما يريد العُذّال مني أمَا يترك ... أيضاً يغَمه الإنسان)
(ويقولون أملُك هواكَ وأقصِر ... قلت مالِي على الهوَى سلطانُ)
(أيها الكاتمُ الحديثَ وقد طال ... به الأمرُ وانتهى الكتمانُ)
(قد لعَمري عرّضْتَ حيناً فَبيّنْ ... ليس بعد التعريض إلا البيانُ)
(واتخِذ خالداً عدوًّا مبيناً ... ما تعادَى الإنسان والشيطانُ)
(وإلهُ عنه فما يضرّك منه ... عَضُّ كلبٍ ليست له أسنانُ)
(ولعَمْري لولا أبوه لنالَته ... بسوء منّي يدٌ ولسانُ)
(قل لِفِتياننا المقيمين بالبابِ ... ثِقوا بالنجاح يا فتيانُ)
(لا تخافوا الزمانَ قد قام موسى ... فَلكُمْ من ردَى الزمان أمانُ)
(أوَلم تأته الخلافةُ طوعاً ... طاعةً ليس بعدها عصيانُ)
(فهْي منقادة لموسى وفيها ... عن سواه تَقاعسٌ وحِرانُ)
(قل لموسى يا مالكَ المُلك طوعاً ... بِقياد وفي يديك العِنانُ)
(أنت بَحر لنا ورأيك فينا ... خيرُ رأيٍ رأى لنا سلطانُ)
(فاكفِنا خالداً فقد سامنا الخسفَ ... رماه لحتفه الرحمنُ)
((كَمْ إلى كم يُغضَى على الذّل منه ... وإلى كم يكون هذا الهوانُ
قال فلما قرأ هذه القصيدة موسى الهادي أمر له بصلة وأعطاه ما فات من رزقه وأقفله من جيش خالد إليه
صوت
(أين مَحلّ الحيِّ يا وادي ... خبِّر سقاك الرائح الغادي)
(مُستصحِب لِلحرب خَيفانةً ... مثلَ عُقاب السَّرحة العادي)
(بين خُدور الظُّن محجوبةٌ ... حَدا بِقلبي معها الحادي)
(وأسْمراً في رأسه أزرق ... مِثلَ لِسان الحية الصادي)
الشعر لِدعبل بن علي الخزاعي والغناء لأحمد بن يحيى المكي خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن أبي عبد الله الهشامي
أخبار دعبل بن علي ونسبه
هو دعبل بن علي بن رزين بن سليمان بن تميم بن نهشل بن خداش بن خالد بن عبد بن دعبل بن أنس بن خزيمة بن سلامان بن أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن مزيقيا ويكنى أبا علي

شاعر متقدم مطبوع هجاء خبيث اللسان لم يسلم عليه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ولا ذو نباهة أحسن إليه أو لم يحسن ولا أفلت منه كبير أحد
وكان شديد التعصب على النزارية للقحطانية وقال قصيدة يرد فيها على الكميت بن زيد ويناقضه في قصيدته المذهبة التي هجا بها قبائل اليمن
(... ألا حُيِّيتِ عنا يا مرينا)
فرأى النبي في النوم فنهاه عن ذكر الكميت بسوء
وناقضه أبو سعد المخزومي في قصيدته وهاجاه وتطاول الشر بينهما
فخافت بنو مخزوم لسان دعبل وأن يعمهم بالهجاء فنفوا أبا سعد عن نسبهم وأشهدوا بذلك على أنفسهم

تشيع دعبل

وكان دعبل من الشيعة المشهورين بالميل إلى علي صلوات الله عليه وقصيدته
(... مدارس آيات خلَت من تلاوة)
من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة في أهل البيت عليهم السلام وقصد بها أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام بخراسان فأعطاه عشرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه وخلع عليه خلعة من ثيابه فأعطاه بها أهل قم ثلاثين ألف درهم فلم يبعها فقطعوا عليه الطريق فأخذوها فقال لهم إنها إنما تراد لله عز وجل وهي محرمة عليكم فدفعوا إليه ثلاثين ألف درهم فحلف ألا يبيعها أو يعطوه بعضها ليكون في كفنه فأعطوه فردكم فكان في أكفانه
وكتب قصيدته مدارس آيات فيما يقال على ثوب وأحرم فيه وأمر بأن يكون في أكفانه ولم يزل مرهوب اللسان وخائفاً من هجائه للخلفاء فهو دهره كله هارب متوار
حدثني إبراهيم بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال
رأيت دعبل بن علي وسمعته يقول أنا أحمل خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة لست أجد أحداً يصلبني عليها
حدثني عمي قال حدثنا ميمون بن هرون قال قال إبراهيم بن المهدي للمأمون قولاً في دعبل يحرضه عليه فضحك المأمون وقال إنما تحرضني عليه لقوله فيك
(يا معشر الأجناد لا تَقنطوا ... وارضَوْا بما كان ولا تسخطوا)
(فسوف تعطَون حُنَيْنِيّة ... يلتذها الأمَرد والأشمط)
(والمَعْبَدِيّات لِقُوّادِكم ... لا تَدخلُ الكِيسَ ولا تربط)
(وهكذا يَرزق قُوّاده ... خليفةٌ مصحفه البَربط)
فقال له إبراهيم فقد والله هجاك أنت يا أمير المؤمنين فقال دع هذا عنك فقد عفوت عنه في هجائه إياي لقوله هذا وضحك ثم دخل أبو عباد فلما رآه المأمون من بعد قال لإبراهيم دعبل يجسر على أبي عباد بالهجاء ويحجم عن أحد فقال له وكأن أبا عباد أبسط يداً منك يا أمير المؤمنين قال لا ولكنه حديد جاهل لا يؤمن وأنا أحلم وأصفح والله ما رأيت أبا عباد مقبلاً إلا أضحكني قول دعبل فيه
(أولَى الأمور بضيعة وفساد ... أمرٌ يدبِّره أبو عبّاد)
(وكأنه من دَير هِزْقَل مُفلِت ... حَرِدٌ يجرّ سلاسل الأقْياد)
أخبرني الحسن بن علي الخَفّاف قال حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدثني أبي قال أخبرني دعبل بن علي قال قال لي أبي علي بن رزين ما قلت شيئاً من الشعر قط إلا هذه الأبيات
(خليلَيّ ماذا أرتجي مِن غد امرىء ... طوى الكشحَ عنّي اليومَ وهْو مكين)
(وإن امرأ قد ضَنّ منه بمنطِق ... يُسدّ به فقرُ امرىء لضنين)
وبيتين آخرين وهما
(أقول لمَّا رأيتُ الموتَ يطلبني ... يا ليتني دِرهم في كِيس ميّاح)
(فيا له درهماً طالت صيانته ... لا هالك ضَيعةً يوماً ولا ضاح)
أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الكاتب قال حدثني أبو هفان قال قال لي دعبل قال لي أبو زيد الأنصاري
مم اشتق دعبل قلت لا أدري قال الدعبل الناقة التي معها ولدها
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثني العنزي قال حدثني محمد بن أيوب قال
دعبل اسمه محمد وكنيته أبو جعفر ودعبل لقب لقب به
وحدثني بعض شيوخنا عن أبي عمرو الشيباني قال الدعبل البعير المسن
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال سمعت حذيفة بن محمد الطائي يقول الدعبل الشيء القديم قال ابن مهرويه سمعت أبي يقول ختم الشعر بدعبل قال وقال أبي كان أبو محلم يقول ختم الشعر بعمارة بن عقيل
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال سمعت أبي يقول لم يزل دعبل عند الناس جليل القدر حتى رد على الكميت بن زيد
(... ألا حُيِّيت عنا يا مرينا)
فكان ذلك مما وضعه قال وقال فيه أبو سعد المخزومي
(وأعجبُ ما سمعنا أو رأينا ... هجاءٌ قالَه حيّ لمَيْتِ)
(وهذا دِعبل كَلِفٌ مُعَنّى ... بتسطير الأهاجي في الكُميت)
(وما يهجو الكميت وقد طواه الردى ... إلا ابن زانية بزيتت)
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن زيد قال حدثني دعبل قال
كنت جالساً مع بعض أصحابنا ذات يوم فلما قمت سأل رجل لَمْ يعرفني أصحابنا عني فقالوا هذا دعبل فقال قولوا في جليسكم خيراً كأنه ظن اللقب شتماً
أخبرني علي بن سليمان قال حدثني محمد بن يزيد قال حدثني دعبل قال
صرع مجنون مرة فصحت في أذنه دعبل ثلاث مرات فأفاق
وأخبرني بهذين الخبرين الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن محمد بن يزيد عن دعبل وزاد فيه قال دعبل وصرع مرة

مجنون بحضرتي فصحت به دعبل ثلاث مرات فأفاق من جنونه
سبب خروجه من الكوفة
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي أبو أحمد قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني علي بن عمرو بن شيبان قال حدثني أبو خالد الخزاعي الأسلمي قال العنزي وقد كتبت عن أبي خالد أشياء كثيرة ولم أكتب عنه هذا الخبر قال
كان سبب خروج دعبل بن علي من الكوفة أنه كان يتشطر ويصحب الشطار فخرج هو ورجل من أشجع فيما بين العشاء والعتمة فجلسا على
طريق رجل من الصيارفة وكان يروح كل ليلة بكيسه إلى منزله فلما طلع مقبلاً إليهما وثبا إليه فجرحاه وأخذا ما في كمه فإذا هي ثلاث رمانات في خرقة ولم يكن كيسه ليلتئذ معه ومات الرجل مكانه واستتر دعبل وصاحبه وجد أولياء الرجل في طلبهما وجد السلطان في ذلك فطال على دعبل الإستتار فاضطر إلى أن هرب من الكوفة قال أبو خالد فما دخلها حتى كتبت إليه أعلمه أنه لم يبق من أولياء الرجل أحد
أخبرني محمد بن عمران قال حدثني أبو خالد الخزاعي الأسلمي قال
قلت لدعبل ويحك قد هجوت الخلفاء والوزراء والقواد ووترت الناس جميعاً فأنت دهرك كله شريد طريد هارب خائف فلو كففت عن هذا وصرفت هذا الشر عن نفسك فقال ويحك إني تأملت ما تقول فوجدت أكثر الناس لا ينتفع بهم إلا على الرهبة ولا يبالي بالشاعر وإن كان مجيداً إذا لم يخف شره ولمن يتقيك على عرضه أكثر ممن يرغب إليك في تشريفه وعيوب الناس أكثر من محاسنهم وليس كل من شرفته شرف ولا كل من وصفته بالجود والمجد والشجاعة ولم يكن ذلك فيه انتفع بقولك فإذا رآك قد أوجعت عرض غيره وفضحته اتقاك على نفسه وخاف من مثل ما جرى على الآخر ويحك يا أبا خالد إن الهجاء المقذع آخذ بضبع الشاعر من المديح المضرع فضحكت من قوله وقلت هذا والله مقال من لا يموت حتف أنفه
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني الحمدوي الشاعر قال
سمعت دعبل بن علي يقول أنا ابن قولي
(لا تَعجبني يا سلم من رجل ... ضحك المَشيبُ برأسه فبكى
وسمعت أبا تمام يقول أنا ابن قولي
(نَقّل فؤادكَ حيث شئت من الهوى ... ما الحبّ إلا للحبيب الأول)
قال الحمدوي وأنا ابن قولي في الطيلسان
(طال تَردادُه إلى الرَّفْو حتى ... لو بعثناه وحده لتهدّى)
قال الحمدوي معنى قولنا انا ابن قولي أي أني به عرفت
أخبرني علي بن صالح قال حدثني أبو هفان قال قال مسلم بن الوليد
(مستعبرٌ يبكي على دِمنة ... ورأسه يضحك فيه المَشيبْ)
فسرقه دعبل فقال
(لا تعجبي يا سلم من رَجل ... ضحكَ المَشيب برأسه فبكى)
فجاء به أجود من قول مسلم فصار أحق به منه
قال أبو هفان فأنشدت يوماً بعض البصريين الحمقى قول دعبل
(... ضحكَ المَشيب برأسه فبكى)
فجاءني بعد أيام فقال قد قلت أحسن من البيت الذي قاله دعبل فقلت له وأي شيء قلت فتمنع ساعة ثم قال قلت
(... قهقهَ في رأسك القَتيرُ)
أخبرني بهذه الحكاية الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن أبي هفان
قال ذكر نحوه وزاد فيه ابن مهرويه وحدثني الحمدوي قال سمع رجل قول المأمون
(قبلتُه من بعيد ... فاعتلّ من شفتيه)
فقال
(رَقّ حتى تورّمَتْ شفتاه ... إذ توهّمْتُ أن أقّبل فاه)
أخبرني علي بن الحسن قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني أبو ناجية وزعم أنه من ولد زهير بن أبي سلمى قال
كنت مع دعبل في شهرزور فدعاه رجل إلى منزله وعنده قينة محسنة فغنت الجارية بشعر دعبل
(أين الشباب وأيةً سلَكا ... لا أين يُطلب ظلّ بل هلكَا)
قال فارتاح دعبل لهذا الشعر وقال قد قلت هذا الشعر منذ سبعين سنة
نسبة هذا الصوت
صوت
(أين الشبابُ وأيةً سلكا ... لا أين يطلب ضلّ بل هَلَكا)
(لا تعجَبي يا سَلم من رجل ... ضحِك المشيبُ برأسه فبكى)
(يا ليت شِعري كيف نَومُكما ... يا صاحبي إذا دَمِي سفِكا)
(لا تأخذوا بِظُلامتي أحداً ... قلبي وطرْفي في دَمي اشتركا)
قال والغناء لأحمد بن المكي ثقيل أول بالوسطى مطلق
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أبو المثنى أحمد بن يعقوب ابن أخت أبي بكر الأصم قال
كنا في مجلس الأصمعي فأنشده رجل لدعبل قوله
(لا تعجَبي يا سَلم من رجل ... ضحِك المشيبُ برأسه فبكى)
فاستحسناه فقال الأصمعي إنما سرقه من قول الحسين بن مطير الأسدي
(أين أهلُ القِباب بالدهناء ... أين جيراننا على الأحساء)
(فارقونا والأرْضُ مُلْبَسَةٌ نَوْرَ ... الأقاحي تُجاد بالأنواء)
(كلَّ يوم بأُقحُوان جديد ... تَضحك الأرضُ من بُكاء السماء)
نماذج من هجائه

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثني الحسن بن عليل العنزي قال حدثني أحمد بن خالد قال
كنا يوماً بدار صالح بن علي من عبد القيس ببغداد ومعنا جماعة من أصحابنا فسقط على كنينة في سطحه ديك طار من دار دعبل فلما رأيناه قلنا هذا صيدنا فأخذناه
فقال صالح ما نصنع به قلنا نذبحه فذبحناه وشويناه
وخرج دعبل فسأل عن الديك فعرف أنه سقط في دار صالح فطلبه منا فجحدناه وشربنا يومنا فلما كان من الغد خرج دعبل فصلى الغداة ثم جلس على المسجد وكان ذلك المسجد مجمع الناس يجتمع فيه جماعة من العلماء وينتابهم الناس
فجلس دعبل على المسجد وقال
(أسْرَ المؤذّنَ صالحٌ وضيوفُه ... اسْرَ الكميّ هفا خلال الماقِط)
(بَعثوا عليه بَنِيهِمُ وبناتِهِم ... من بين ناتفةٍ وآخر سامط)
(يتنازعون كأنهم قد أوثقوا ... خاقان أو هزموا كتائب ناعط)
(نهشوه فانتزعَت له أسنانهم ... وتهشمت أقفاؤهم بالحائط)
قال فكتبها الناس عنه ومضوا فقال لي أبي وقد رجع إلى البيت ويحكم ضاقت عليكم المآكل فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دعبل ثم أنشدنا الشعر وقال لي لا تدع ديكاً ولا دجاجة تقدر عليه إلا اشتريته وبعثت به إلى دعبل وإلا وقعنا في لسانه ففعلت ذلك قال وناعط قبيلة من همدان ومجالد بن سعيد ناعطي قال وأصله جبل نزلوا به فنسبوا إليه
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني أحمد بن أبي كامل قال
كان دعبل ينشدني كثيراً هجاء قاله فأقول له فيمن هذا فيقول ما
استحقه أحد بعينه بعد وليس له صاحب فإذا وجد على رجل جعل ذلك الشعر فيه وذكر اسمه في الشعر
وقد أخبرني الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن أحمد بن أبي كامل بهذا الخبر بعينه وزاد فيه فيما ذكر ابن أبي كامل أنه كان عند صالح هذا في يوم أخذه ديك دعبل قال وهو صالح بن بشر بن صالح بن الجارود العبدي
أخبرني محمد بن عمران قال حدثني العنزي قال حدثني أحمد بن محمد بن أبي أيوب قال
مدح دعبل أبا نضير بن حميد الطوسي فقصر في أمره ولم يرضه من نفسه فقال عند ذلك دعبل فيه يهجوه
(أبا نَضِير تَحلحلْ عن مجالِسنا ... فإن فيك لمن جاراك منتقَصا)
(أنت الحِمار حُرناً إن وقعتَ به ... وإن قصدْتَ إلى معروفه قَمَصا)
(إني هززْتُك لا آلوك مجتهداً ... لو كنتَ سيفاً ولكني هززْت عصا)
قال فشكاه أبو نَضير إلى أبي تمام الطائي واستعان به عليه فقال أبو تمام يجيب دعبلا عن قوله ويهجوه ويتوعده
(أدعِيلُ إن تطاولَت الليالي ... عليك فإن شِعري سمّ ساعهْ)
(وما وَفد المشيبِ عليك إلا ... بأخلاق الدناءة والضّراعه)
(ووجهُك إن رضيتَ به نديماً ... فأنت نَسيج وحدِك في الرّقاعه)
(ولو بُدّلته وجهاً بوَجه ... لما صلّيتَ يوماً في جماعه)
((ولكن قد رُزقْت به سِلاحاً ... لو استعصيْتَ ما أعطيتَ طاعه
(مَناسِب طَيئٍ قُسمَت فدعها ... فليستْ مثلَ نِسبتِك المُشاعه)
(وروّح مَنْكِبيك فقد أعيدا ... حُطاماً من زحامك في خُزاعه)
قال العنزي يقول إنك تزاحم خزاعة تدعي أنك منهم ولا يقبلونك
أخبرني محمد بن عمران قال حدثني العنزي قال حدثني محمد بن أحمدبن أيوب قال
تعرض الخاركي النصري وهو رجل من الأزد لدعبل بن علي فهجاه وسبه فقال فيه دعبل
(وشاعرِ عرّض لي نفسَه ... لخارك آباؤه تَنْمي)
(يَشتُم عرضي عند ذِكري وما ... أمسى ولا أصبح مِن همي)
(فقلت لا بل حبذا أمُّه ... خيّرةٍ طاهرة عِلمي)
(أكذِبُ والله علىأمه ... ككِذبه كان على أمي)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال
لقيت دعبل بن علي فقلت له أنت أجسر الناس عندي وأقدمهم حيث تقول
((إني مِن القوم الذين سيوفُهم ... قتلَتْ أخاك وشرّفتك بمقعد
(رَفعوا محلك بَعد طولِ خُموله ... واستنقذوك من الحضيض الأوهد)
فقال يا أبا إسحق أنا أحمل خشبتي منذ أربعين سنة فلا أجد من يصلبني عليها
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال
قال دعبل بن علي يرثي ابن عم له من خزاعة نعي إليه قال محمد بن يزيد ولقد أحسن فيها ما شاء
(كانت خزاعة ملء الأرض ما اتسعت ... فَقّص مر الليالي من حواشيها)
(هذا أبو القاسم الثاوي ببَلْقعة ... تسفي الرياح عليه من سوافيها)
(هبت وقد علمت أن لا هبوب به ... وقد تكون حسيراً إذ يباريها)
(أضحى قرى للمنايا إذ نزلن به ... وكان في سالف الأيام يقريها)
حدثني الحسن بن مهرويه عن أبيه فذكر أن المنعي إلى دعبل أبو القاسم المطلب بن عبد الله بن مالك وأنه نعي إلى دعبل وكان هو بالجبل فرثاه بهذه الأبيات
أخبرني الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال
بلغ إسماعيل بن جعفر بن سليمان أن دعبلاً هجاه فتوعده بالمكروه وشتمه وكان إسماعيل بن جعفر على الأهواز فهرب من زيد بن موسى بن جعفر بن محمد لما ظهر وبيض في أيام أبي السرايا فقال دعبل بن علي يعير إسماعيل بذلك
((لقد خلّف الأهوازَ من خلف ظَهره ... يريد وراء الزاب من أرض كَسْكَر
(يهوّل إسماعيلُ بالبيض والقنا ... وقد فرّ مِن زيد بن موسى بن جعفر)
(وعاينته في يومَ خلّى حريمَه ... فيا قبحَها منه ويا حسنَ منظر)
دعبل يتشطر وهو شاب

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني ابن الأعرابي عن أبي خالد الأسلمي قال
كان دعبل بن علي الخزاعي بالكوفة يتشطر وهو شاب وكانت له شعرة جعدة وكان يدهنها ويرجلها حتى تكاد تقطر دهناً وكان يصلت على الناس بالليل فقتل رجلاً صيرفياً وظن أن كيسه معه فوجد في كمه رماناً فهرب من الكوفة وكنت إذا رأيت دعبلاً يمشي رأيت الشطارة في مشيته وتبختره
أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني الحسن بن أبي السري قال
كان عمير الكاتب أقبح الناس وجهاً فلقي دعبلاً يوماً بكرة وقد خرج
لحاجة له فلما رآه دعبل تطير من لقائه فقال فيه
(خَرجتُ مبكراً من سُرَّ مَن را ... أبادر حاجة فإذا عُمَيرُ)
(فلم أثنِ العِنان وقلت أمضي ... فوجهك يا عميرُ خِراً وخَير)
أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني الحسن بن أبي السري قال حدثني دعبل قال
مدحت عبد الرحمن بن خاقان وطلبت منه برذوناً فبعث إلي ببرذون غامز فكتبت إليه
(حملتَ على قارحٍ غامز ... فلا لِلركوب ولا للثمنْ)
(حملتَ على زَمِنٍ ظالع ... فسوف تُكافا بشُكرٍ زمِن)
فبعث إلي ببرذون غيره فاره بسرجه ولجامه وألفي درهم
قال ابن مهرويه وحدثني إسحاق بن إبراهيم العكبري عن دعبل أنه مدح يحيى بن خاقان فبعث إليه بهذا البرذون
أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال قال الحسين بن دعبل كان أبي يختلف إلى الفضل بن العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث وهو خرجه وفهمه وأدبه فظهر له منه جفاء وبلغه أنه يعيبه ويذكره وينال منه فقال يهجوه
((يا بؤسَ للفضل لو لم يأت ما عابه ... يستفرغ السم من صماء قرضابه
(ما إن يزال وفيه العيب يجمعه ... جهلاً لأعراض أهل المجد عيّابه)
(إن عابني لم يَعِب إلا مؤدِّبه ونفسَه عاب لما عاب أدّابه)
(فكان كالكلب ضَرّاه مكلِّبه ... لِصيده فعدا فاصطاد كَلّابه)
أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أبو جعفر العجلي قال
كان أحمد بن أبي داود يطعن على دعبل بحضرة المأمون والمعتصم ويسبه تقرباً إليهما لهجاء دعبل إياهما وتزوج ابن أبي داود امرأتين من بني عجل في سنة واحدة فلما بلغ ذلك دعبلا قال يهجوه
(غصبْتَ عِجلاً على فَرْجين في سنة ... أفسدتَهُم ثم ما أصلحْتَ من نَسبكْ)
(ولو خَطبْتَ إلى طَوق وأسرته ... فزوجوك لما زادوك في حسبك)
(بِك من هويت ونَلْ ما شئت من نَشب ... أنت ابنُ زرياب منسوباً إلى نَشبك)
((إن كان قومٍ أراد اللهُ خِزيهمُ ... فزوجوك ارتغاباً منك في ذهبك
(فذاك يوجِب أن النبْعَ تجمعه ... إلى خلافك في العيدان أو غَربك)
(ولو سكَتّ ولم تخطب إلى عرب ... لما نشبْتَ الذي تطويه من سببك)
(عُدَّ البيوتَ التي ترضى بِخطبتها ... تجد فَزارةً العكليَّ من عرَبك)
قال فلقيه فزارة العكلي فقال له يا أبا علي ما حملك على ذكري حتى فضحتني وأنا صديقك قال يا أخي والله ما اعتمدتك بمكروه ولكن كذا جاءني الشعر لبلاء صبه الله عز وجل عليك لم أعتمدك به
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني أبو خالد الأسلمي الكوفي قال
اجتمعت مع دعبل في منزل بعض أصحابنا وكانت عنده جارية مغنية صفراء مليحة حسنة الغناء فوقع لها العبث بدعبل والعنت والأذى له ونهيناها عنه فما انتهت فأقبل علينا فقال اسمعوا ما قلت في هذه الفاجرة فقلنا هات فقد نهيناها فلم تنته فقال
(تَخضِب كفّا قُطعت من زَندها ... فتخضِب الحنّا من مُسوّدها)
(كأنها والكحل في مِرْودها ... تَكحَل عينيها ببعض جلدها)
(... أشبهُ شيء استُها بخدّها)
قال فجلست الجارية تبكي وصارت فضيحة واشتهرت بالأبيات فما انتفعت بنفسها بعد ذلك
دعبل يُحبس ويُضرب
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني هارون قال حدثني أبي وخالدٌ
قالا
كان دعبل قد جنى جناية بالكوفة وهو غلام فأخذه العلاء بن منظور الأسدي وكان على شرطة الكوفة من قبل موسى بن عيسى فحبسه فكلمه فيه عمه سليمان بن رزين فقال أضربه أنا خير من أن يأخذه غريب فيقطع يده فلعله أن يتأدب بضربي إياه ثم ضربه ثلثمائة سوط فخرج من الكوفة فلم يدخلها بعد ذلك إلا عزيزاً
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أحمد بن أبي كامل قال
كان دعبل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلها ويرجع وقد أفاد وأثرى وكانت الشراة والصعاليك يلقونه فلا يؤذونه ويؤاكلونه ويشاربونه ويبرونه وكان إذا لقيهم وضع طعامه وشرابه ودعاهم إليه ودعا بغلاميه ثقيف وشعف وكانا مغنيين فأقعدهما يغنيان وسقاهم وشرب معهم وأنشدهم فكانوا قد عرفوه وألفوه لكثرة أسفاره
وكانوا يواصلونه ويصلونه وأنشدني دعبل بن علي لنفسه في بعد أسفاره
(حللْتُ محلاً يقصر البرق دونه ... ويعجِز عنه الطيفُ أن يتجشما)
أخبرني الحسنُ بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال
قال لي البحتري دعبل بن علي أشعر عندي من مسلم بن الوليد
فقلت له وكيف ذلك قال لأن كلام دعبل أدخل في كلام العرب من كلام مسلم ومذهبه أشبه بمذاهبهم وكان يتعصب له
أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا الفضل بن الحسن بن موسى البصري قال
بات دعبل ليلة عند صديق له من أهل الشأم وبات عندهم رجل من أهل بيت لهياني يقال له حوى بن عمرو السككي جميل الوجه فدب إليه صاحب البيت وكان شيخاً كبيراً فانياً قد أتى عليه حين فقال فيه دعبل

(لولا حوىً لبيت لهياني ... ما قام أير العزب الفاني)
(له دواة في سراويله ... يليقها النازح والداني)
قال وشاع هذان البيتان فهرب حوى من ذلك البلد وكان الشيخ إذا رأى دعبلاً سبه وقال فضحتني أخزاك الله
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني محمد بن الأشعث قال سمعت دعبلاً يقول
ما كانت لأحد قط عندي منة إلا تمنيت موته
أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا محمد بن عمر الجرجاني قال
دخل دعبل بن علي الري في أيام الربيع فجاءهم ثلج لم يروا مثله في الشتاء فجاء شاعر من شعرائهم فقال شعراً وكتبه في رقعة هو
((جاءنا دِعبِل بِثلج من الشعر ... فجادت سماؤنا بالثلوج
(نزل الرّيَّ بعد ما سكن البردُ ... وقد أينَعَتْ رياض المروج)
(فكسانا بِبرده لا كساه الله ... ثوباً من كُرْسُفٍ محلوج)
قال فألقى الرقعة في دِهليز دِعبِل فلما قرأها ارتحل عن الرّيّ
أخبرني محمد بن عمران قال حدثنا العنزي قال حدثنا أبو خالد الأسلمي قال
عرضت لدعبل حاجة إلى صالح بن عطية الأضجم فقصر عنها ولم يبلغ ما أحبه دعبل فيها فقال يهجوه
(أحسنُ ما في صالح وجهه ... فقِسْ على الغائب بالشاهد)
(تأملَتْ عيني له خِلقة ... تدعو إلى تَزنية الوالد)
فتحمل عليه صالح بي وبجماعة من إخوانه حتى كف عنه وعرض عليه قضاء الحاجة فأباها
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبي قال
فخر قوم من خزاعة على دعبل بن علي يقال لهم بنو مكلم الذئب وكان جدهم جاء إلى النبي أن الذئب أخذ من غنمه شاة فتبعه فلما غشيه بالسيف قال له ما لي ولك تمنعني رزق الله قال فقلت يا عجبا لذئب يتكلم فقال أعجب منه أن محمداً نبي قد بعث بين أظهركم وأنتم لا تتبعونه فبنوه يفخرون بتكليم الذئب جدهم فقال دعبل بن علي يهجوهم
(تِهْتُمْ علينا بأنّ الذئب كلمكمْ ... فقد لَعَمري أبوكم كلَّم الذيبا
((فكيف لو كلّم الليثَ الهصورَ إذا ... أفنيتم الناسَ مأكولاً ومشروبا
(هذا السُّنَيدي لا أصل ولا طَرَف ... يكلّم الفيل تصعيداً وتصويباً)
دعبل يهجو محمد بن عبد الملك الزيات
حدثني الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني أبي قال
كان دعبل قد مدح محمد بن عبد الملك الزيات فأنشده ما قاله فيه وفي يده طومار قد جعله على فمه كالمتكئ عليه وهو جالس فلما فرغ أمر له بشيء لم يرضه فقال يهجوه
(يا مَن يُقلّب طُوماراً ويلثِمه ... ماذا بقلبك من حُبِّ الطوامير)
(فيه مَشابِه من شيء تُسرّ به ... طُولاً بطول وتدويراً بتدوير)
(لو كنْتَ تجمعَ أموالاً كَجَمْعِكها ... إذا جمعْتَ بيوتاً من دنانير)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أبي قال
نزل دعبل بحمص على قوم من أهلها فبرّوه ووصلوه سوى رجلين منهم يقال لأحدهما أشعث وللآخر أبو الصّناع فارتحل من وقته من حمص وقال فيهما يهجوهما
(إذا نَزل الغريب بأرض حِمص ... رأيتَ عليه عِزّ الإمتناع)
(سُموُّ المكرمات بآل عِيسى ... أحَلّهُم على شرف التّلاع)
(هناك الخزّ يلبَسه المُغَالي ... وعيسى منهمُ سَقَط المتاع)
((فَسدِّد لاست أشعثَ أيرَ بَغل ... وآخرَ في حِرَامِّ أبي الصناع
(فليس بِصانع مَجداً ولكن ... أضاع المجدَ فهْو أبو الضياع)
أخبرني الحسن قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه عن الحسين بن دعبل قال قال أبي في الفضل بن مروان
(نصحتْ فأخلصتُ النصيحة للفضل ... وقلت فسيّرتُ المقالة في الفضل)
(ألا إنّ في الفضل بن سهل لَعبرة ... إن اعتبر الفضلُ بنُ مروان بالفضل)
(ولِلفضل في الفضل بن يحيى مواعظ ... إذا فكّر الفضل بنُ مروان في الفضل)
(فابق جميلاً من حديث تَفُز به ... ولا تدع الإحسان والأخذ بالفضل)
(فإنك قد أصبحت للمُلك قيِّماً ... وصرْتَ مكانَ الفضل والفضل والفضل)
(ولم أرَ أبياتاً من الشّعر قبلها ... جميعُ قوافيها على الفضل والفضل)
(وليس لها عَيب إذا هي أُنشدَت ... سوى أن نصحي الفضل كان من الفضل)
فبعث إليه الفضل بن مروان بدنانير وقال له قدقبلت نصحك فاكفني خيرك وشرك
حدثني عمي قال حدثني ميمون بن هرون قال حدثني أبو الطيب الحراني قال
أنشد رجل دعبل بن علي شعرا له فجعل يعيبه وينبهه على خطئه فيه بيتاً بيتاً ويقول أي شيء صنعت بنفسك ولم تقول الشعر إذا لم تقدر إلا على مثل هذا منه إلى أن مر له بيت جيد فقال دعبل أحسنت أحسنت ما شئت فقال له يا أبا علي أتقول لي هذا بعد ما مضى فقال له يا حبيبي لو أن رجلا ضرط سبعين ضرطة ما كان بمنكر أن يكون فيها دستنبوية واحدة
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن حاتم المؤدب قال
قيل للمأمون إن دعبل بن علي قد هجاك فقال وأي عجب في ذاك هو يهجو أبا عباد ولا يهجوني أنا ومن أقدم على جنون أبي عباد أقدم على حلمي ثم قال للجلساء من كان منكم يحفظ شعره في أبي عباد فلينشدنيه فأنشده بعضهم
(أولي الأمور بضَيعة وفساد ... أمرٌ يدبِّره أبو عبّاد)
(خَرِقٌ على جلسائه فكأنهم ... حضروا لملْحَمَة ويوم جِلاد)
(يَسْطو على كُتابه بِدواته ... فمُضَمَّخ بِدَمٍ ونَضحِ مداد)

(وكأنه من دَبْر هِزْقِلَ مُفلِت ... حَرِدٌ يَجر سلاسِل الأقياد)
(فاشدد أميرَ المؤمنينَ وثاقه ... فأصَحّ منه بقيّةُ الحداد)
قال وكان بقية هذا مجنوناً في المارستان فضحك المأمون وكان إذا نظر إلى أبي عباد يضحك ويقول لمن يقرب منه والله ما كذب دعبل في قوله
حدثني جحظة عن ميمون بن هارون فذكر مثله أو قريبا منه
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ومحمد بن أحمد الحكيم قالا حدثنا أنس بن عبد الله النبهاني قال حدثني علي بن المنذر قال حدثني
عبد الله بن سعيد الأشقري قال حدثني دعبل بن علي قال
لما هربت من الخليفة بت ليلة بنيسابور وحدي وعزمت على أن أعمل قصيدة في عبد الله بن طاهر في تلك الليلة فإني لفي ذلك إذ سمعت والباب مردود علي السلام عليكم ورحمة الله أنج يرحمك الله فاقشعر بدني من ذلك ونالني أمر عظيم فقال لي لا تُرع عافاك الله فإني رجل من إخوانك من الجن من ساكني اليمن طرأ إلينا طارئ من أهل العراق فأنشدنا قصيدتك
(مدارس آياتٍ خلَت من تلاوة ... ومنزلُ وحي مقفرُ العرَصات)
فأحببت أن أسمعها منك قال فأنشدته إياها فبكى حتى خر ثم قال رحمك الله ألا أحدثك حديثاً يزيد في نيتك ويعينك على التمسك بمذهبك قلت بلى قال مكثت حيناً أسمع بذكر جعفر بن محمد عليه السلام فصرت إلى المدينة فسمعته يقول حدثني أبي عن أبيه عن جده أن رسول الله قال علي وشيعته هم الفائزون ثم ودعني لينصرف فقلت له يرحمك الله إن رأيت أن تخبرني باسمك فافعل قال أنا ظبيان بن عامر
أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني إسحاق بن محمد
النخعي وأخبرني به الحليمي عن يعقوب بن إسرائيل عن إسحاق النخعي قال
كنت جالساً مع دعبل بالبصرة وعلى رأسه غلامه ثقيف فمر به أعرابي يرفل في ثياب خز فقال لغلامه ادع لي هذا الأعرابي فأومأ الغلام إليه فجاء فقال له دعبل ممن الرجل قال من بني كلاب قال من أي كلاب أنت قال من ولد أبي بكر فقال دعبل أتعرف القائل
(ونُبئْتُ كلباً من كلاب يسبني ... ومحض كلاب يقطع الصلوات)
(فإن أنا لم أُعلم كلاباً بأنها ... كلاب وأني باسل النَّقِمات)
(فكان إذاً من قيس عَيلان والدي ... وكانت إذاً أمي من الحَبَطات)
قال وهذا الشعر لدعبل يقوله في عمرو بن عاصم الكلابي فقال له الأعرابي ممن أنت فكره أن يقول له من خزاعة فيهجوهم فقال أنا أنتمي إلى القوم الذين يقول فيهم الشاعر
(أناس عليٌّ الخير منهم وجعفر ... وحمزة والسَّجَّاد ذو الثَّفِنات)
(إذا فخَروا يوماً أتَوا بمحمد ... وجبريلَ والفرقان والسُّوَرات)
فوثب الأعرابي وهو يقول ما لي إلى محمد وجبريل والفرقان والسورات مرتقى
أخبرني الكوكبي قال حدثني ابن عبدوس قال
سأل دعبل نصر بن منصور بن بسام حاجة فلم يقضها لشغل عرض له دونها فقال يهجو بني بسام
(حواجبٌ كالجبال سودٌ ... إلى عثانين كالمخالي)
(وأوجهٌ جَهْمة غِلاظٌ ... عُطْل من الحسن والجمال)
أخبرني الكوكبي قال حدثني ميمون بن هرون قال
لما ولي أحمد بن أبي خالد الوزارة في أيام المأمون قال دعبل بن علي يهجوه
(وكان أبو خالد مرّة ... إذا بات متّخماً عاقدا)
(يضيق بأولاده بطنُه ... فيخراهمُ واحداً واحدا)
(فقد ملأ الأرض من سَلحه ... خنافسَ لا تشبه الوالدا)
هرب إلى الجبل وهجا المعتصم
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا أبو ناجية قال
كان المعتصم يبغض دعبلا لطول لسانه وبلغ دعبلاً أنه يريد اغتياله وقتله فهرب إلى الجبل وقال يهجوه
((بكى لِشتات الدّين مكتئب صبّ ... وفاض بفَرْط الدمع من عينه غربُ
(وقام إمام لم يكن ذا هداية ... فليس له دين وليس له لبٌّ)
(وما كانت الآباء تأتي بمثلِه ... يُملَّك يوماً أو تَدين له العُرب)
(ولكن كما قال الذين تتابعوا ... مِن السلَف الماضين إذ عظُم الخطب)
(ملوك بني العباس في الكُتْب سبعة ... ولم تأتنا عن ثامن لهمُ كتب)
(كذلك أهلُ الكهف في الكهفِ سبعة ... خيارٌ إذا عُدّوا وثامنهم كلب)
(وإني لأُعلي كلبَهم عنك رفعةً ... لأنك ذو ذَنْب وليس له ذَنْب)
(لقد ضاع ملكُ الناسِ إذ ساس ملكَهم ... وَصيف وأشناسٌ وقد عظُم الكرب)
(وفضلُ بنُ مروانٍ يُثلِّم ثَلَمةً ... يظل لها الإسلام ليس له شَعْب)
أخبرني عمي قال حدثني ميمون بن هرون قال
لما مات المعتصم قال محمد بن عبد الملك الزيات يرثيه
(قد قلتُ إذ غيّبوه وانصرفوا ... في خَير قبرٍ لخَير مدفون)
(لن يَجبُر اللهُ أمةً فقدت ... مثلَك إلا بمثل هارون)
فقال دعبل يعارضه
(قد قلْتُ إذ غيّبوه وانصرفوا ... في شرّ قبرٍ لشر مدفون)
(اذهب إلى النار والعذاب فما ... خِلْتُك إلا من الشياطين)
(ما زلْتَ حتى عقدتَ بيعة مَن ... أضرّ بالمسلمين والدين)

قال عمي حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال
أنشد دعبل بن علي يوماً قول بعض الشعراء
(... قد قلتُ إذ غيّبوه وانصرفوا)
وذكر البيتين والجواب ولم يسم قائل المرثية ولا نسبه إلى محمد بن عبد الملك الزيات ولا غيره
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال
سألت دعبلا عن هذه الأبيات
(... ملوكُ بني العباس في الكتْب سبعة)
فأنكر أن تكون له فقلت له فمن قالها قال من حشا الله قبره ناراً إبراهيم بن المهدي أراد أن يغري بي المعتصم فيقتلني لهجائي إياه
أخبرني عمي والحسن بن علي جميعا قالا حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبي قال كنت عند أحمد بن المدبر ليلة من الليالي فأنشدته لدعبل في أحمد بن أبي داود قوله
(إنّ هذا الذي دُواد أبوه ... وإياد قد أكثر الأنباء)
(ساحقتْ أمّه ولاطِ أبوه ... ليت شِعري عنه فمِن أين جاء)
(جاء مِن بين صخرين صلوتَينْ ... عقامين يُبيتان الهَباء)
(لا سِفاحٌ ولا نِكاح ولا ما ... يوجب الأمهاتِ والآباء)
قال فاستعادها أربع مرات فظننت أنه يريد أن يحفظها ثم قال لي جئني بدعبل حتى أوصله إلى المتوكل فقلت له دعبل موسوم بهجاء الخلفاء
والتشيع وإنما غايته أن يخمل ذكره فأمسك عني ثم لقيت دعبلافحدثته بالحديث فقال لو حضرت أنا أحمد بن المدبر لما قدرت أن أقول أكثر مما قلت
أخبرني الحسن قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن جرير قال
أنشدني عبيد الله بن يعقوب هذا البيت وحده لدعبل يهجو به المتوكل وما سمعت له غيره فيه
(ولست بقائل قَذْعاً ولكن ... لأمرٍ ما تعبَّدك العبيد)
قال يرميه في هذا البيت بالأبنة
أخبرني الحسن قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال
كنت مع دعبل بالصيمرة وقد جاء نعي المعتصم وقيام الواثق فقال لي دعبل أمعك شيء تكتب فيه فقلت نعم وأخرجت قرطاساً فأملى علي بديها
(الحمدُ لله لا صبر ولا جلَدٌ ... ولا عزاء إذا أهلُ البَلا رَقدوا)
(خليفةٌ مات لم يَحزن له أحد ... وآخرٌ قام لم يَفرح به أحد)
حدثني عمي قال حدثنا أحمد بن عبيد الله بن ناصح قال
قلت لدعبل وقد عرض علي قصيدة له يمدح بها الحسن بن وهب
أولها
(... أعاذِلَتي ليس الهوَى من هوائيا)
فقلت له ويحك أتقول فيه هذا بعد قولك
(أين مَحَلّ الحيِّ يا حادي ... خبِّر سقاك الرائحُ الغادي)
وبعد قولك
(قالت سلاَمة أينُ المال قلت لها ... المال ويحِك لاقى الحمدَ فاصطحبا)
وبعد قولك
(فَعَلى أيمانِنا يجري الندَى ... وعلى أسيافنا تجري المُهجْ)
والله إني أراك لو أنشدته إياها لأمر لك بصَفع قفاك فقال صدقت والله ولقد نبهتني وحذرتني ثم مزقها
أخبرني عمي قال حدثني العنزي قال حدثني الحسين بن أبي السري قال
غضِب دعبل على أبي نصر بن جعفر بن محمد بن الأشعث وكان دعبل مؤدبه قديما لشيء بلغه عنه فقال يهجو أباه
(ما جعفرُ بنُ محمدِ بنِ الأشعث ... عندي بخيرِ أبوّةً من عَثعثِ)
(عبثا تُمارسُ بي تُمارسُ حية ... سوّارة إن هِجتَها لم تلبث)
(لو يَعلم المغرور ماذا حاز من ... خزي لوالده إذاً لم يعبث)
قال فلقيه عثعث فقال له عليك لعنة الله أي شيء كان بيني وبينك حتى ضربت بي المثل في خسة الآباء فضحك وقال لا شيء والله اتفاق اسمك واسمِ ابن الأشعث في القافية أولا ترضى أن أجعلَ أباك وهو أسود خيراً من آباء الأشعث بن قيس
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن سهل القاري وكان يلقب أرزة قال حدثني دعبل بن علي الخزاعي قال
كتبت إلى أبي نهشل بن حميد الطوسي قوله
(إنما العيش في مُنادمةِ الإخوان ... لا في الجلوس عند الكَعَابِ)
(وبِصِرْفٍ كأنها ألسُن البرَق ... إذا استعرضت رقيق السحاب)
(إن تكونوا تركتمُ لذة العيش ... حِذار العِقاب يومَ العقاب)
(فدَعُوني وما ألذّ وأهوَى ... وادفعوا بي في صدر يوم الحساب)
دعبل وعلي بن موسى الرضا
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني موسى بن عيسى المروزي وكان منزله بالكوفة في رحبة طيىء قال
سمعت دعبل بن علي وأنا صبي يتحدث في مسجد المروزية قال دخلت على علي بن موسى الرضا عليهما السلام فقال لي أنشدني شيئاً مما أحدثت فأنشدته

(مدارس آيات خلَتْ من تلاوة ... ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العرَصات)
حتى انتهيت إلى قولي
(إذا وُتِروا مدّوا إلى واتريهمُ ... أكفّاً عن الأوتار منقبضات)
قال فبكى حتى أغمي عليه وأومأ إلي خادم كان على رأسه أن اسكت فسكت ساعة ثم قال لي أعد فأعدت حتى انتهيت إلى هذا البيت أيضاً فأصابه مثل الذي أصابه في المرة الأولى وأومأ الخادم إلي أن اسكت فمكث ساعة أخرى ثم قال لي أعد فأعذت حتى انتهيت إلى هذا البيت أيضاً فأصحابه مثل الذي أصابه في المرة الأولى وأومأ الخادم إلي أن اسكت فسكت فمكث ساعة أخرى ثم قال لي أعد فأعدت حتى انتهيت إلى آخرها فقال لي أحسنت ثلاث مرات ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم مما ضرب باسمه ولم تكن دفعت إلى أحد بعد وأمر لي من في منزله بحلي كثير أخرجه إلي الخادم فقدمت العراق فبعت كل درهم منها بعشرة دراهم اشتراها مني الشيعة فحصل لي مائة ألف درهم فكان أول مال اعتقدته
قال ابن مهرويه وحدثني حذيفة بن محمد
أن دعبلاً قال له إنه استوهب من الرضا عليه السلام ثوباً قد لبسه ليجعله في أكفانه فخلع جبة كانت عليه فأعطاه إياها وبلغ أهل قم خبرها فسألوه أن يبيعهم إياها بثلاثين ألف درهم فلم يفعل فخرجوا عليه في طريقه فأخذوها منه غصباً وقالوا له إن شئت أن تأخذ المال فافعل والا فأنت أعلم فقال لهم إني والله لا أعطيكم إياها طوعاً ولا تنفعكم غصباً وأشكوكم إلى الرضا عليه السلام فصالحوه على أن أعطوه الثلاثين الألف الدرهم وفرد كم من بطانتها فرضي بذلك
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
بويع إبراهيم بن المهدي ببغداد وقد قل المال عنده وكان قد لجأ إليه أعراب من أعراب السواد وغيرهم من أوغاد الناس فاحتبس عنهم العطاء
فجعل إبراهيم يسوفهم ولا يرون له حقيقة إلى أن خرج إليهم رسوله يوما وقد اجتمعوا وضجوا فصرّح لهم بأنه لا مال عنده فقال قوم من غوغاء أهل بغداد أخرجوا إلينا خليفتنا ليغني لأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات ولأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات فتكون عطاء لهم فأنشدني دعبل بعد ذلك بأيام قوله
(يا معشرَ الأجناد لا تقنَطوا ... وارضَوْا بما كان ولا تَسخطوا)
(فسوف تعطَون حُنَيْنِيّة ... يلتذها الأمرد والأشمط)
(والمعبَديّات لقوّادكم ... لا تدخل الكِيسِ ولا تُربط)
(وهكذا يَرزق قوّاده ... خليفةٌ مُصحفُه البَرْبط)
وزادني فيها جعفر بن قدامة
(قد ختم الصك بأرزاقكم ... وصحّح العزمَ فلا تَسخطوا)
(بَيعة إبراهيم مشؤومة ... يُقتَل فيها الخلق أو يُقْحَطُ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أبو علي يحيى بن محمد بن ثوابةالكاتب قال حدثني دعبل قال
كان لي صديق متخلف يقول شعرا فاسدا مرذولا وأنا أنهاه عنه إذا أنشدني فأنشدني يوما
(إنّ ذا الحُبّ شديدٌ ... ليسَ يُنجيه الفِرارُ)
(ونجا مَن كان لا يعشق ... من ذلّ المخازي)
فقلت له هذا لا يجوز البيت الأول على الراء والبيت الثاني على الزاي فقال لا تنقطه فقلت له فالأول مرفوع والثاني مخفوض فقال أنا أقول له لا تنقطه وهو يشكله
أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا محمد بن زكريا بن ميمون الفرغاني قال
سمعت دعبل بن علي يقول في كلام جرى ليسك فأنكرته عليه فقال دخل زيد الخيل على النبي له يا زيد ما وصف لي رجل إلا رأيته دون وصفه ليسك يريد غيرك
أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا علي بن عبد الله بن سعد قال قال لي دعبل وقد أنشدته قصيدة بكر بن خارجة في عيسى بن البراء النصراني الحربي
(زُنّاره في خصره معقود ... كأنه من كِبدي مقدود)
فقال والله ما أعلمني حسدت أحداً على شعر كما حسدت بكراً على قوله كأنه من كبدي مقدود
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال سمعت الجاحظ يقول سمعت دعبل بن علي يقول
مكثت نحو ستين سنة ليس من يوم ذرّ شارقه إلا وأنا أقول فيه شعراً
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبي قال سمعت دعبل بن علي يقول دخلت على أبي الحارث جميز وقد فلج لأعوده وكان صديقي فقلت ما هذا يا أبا الحارث فقال أخذت من شعري ودخلت الحمام فغلط بي الفالج وظن أني قد احتجمت فقلت له لو تركت خفة الروح والمجون في موضع لتركتهما في هذا الموضع وعلى هذه الحال

المأمون يسأل عن شعره

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثنا أحمد بن صدقة قال حدثني أبي قال حدثني عمرو بن مسعدة قال حضرت أبا دلف عند المأمون أي شيء تروي لأخي خزاعة يا قاسم فقال وأي أخي خزاعة يا أمير المؤمنين قال ومن تعرف فيهم شاعراً فقال أما من أنفسهم فأبو الشيص ودعبل وابن أبي الشيص وداود بن أبي رزين وأما من مواليهم فطاهر وابنه عبد الله فقال ومن عسى في هؤلاء أن يسأل عن شعره سوى دعبل هات أي شيء عندك فيه فقال وأي شيء أقول في رجل لم يسلم عليه أهل بيته حتى هجاهم فقرن إحسانهم بالإساءة وبذلهم بالمنع وجودهم بالبخل حتى جعل كل
حسنة منهم بإزاء سيئة قال حين يقول ماذا قال حين يقول في المطلب بن عبد الله بن مالك وهو أصدق الناس له وأقربهم منه وقد وفد إليه إلى مصر فأعطاه العطايا الجزيلة وولاه ولم يمنعه ذلك من أن قال فيه
(اضربْ ندَى طلحةِ الطّلحات متئداً ... بلَوْم مطّلب فينا وكن حكما)
(تخرجْ خزاعة من لؤم ومن كرم ... فلا تُحسُّ لها لؤماً ولا كرما)

قال فقال المأمون قاتله الله ما أغوصه وألطفه وأدهاه وجعل يضحك ثم دخل عبد الله بن طاهر فقال له أي شيء تحفظ يا عبد الله لدعبل فقال أحفظ أبياتاً له في أهل بيت أمير المؤمنين قال هاتها ويحك فأنشده عبد الله قول دعبل
(سَقياً ورَعياً لأيام الصباباتِ ... أيام أرفل في أثواب لذاتي)
(أيام غصني رَطيب من لَيانته ... أصبو إلى غير جارات وكنّات)
(دعْ عنك ذكرَ زمان فات مطلبُه ... واقذِف برجلِك عن مَتن الجهالات)
(واقصِد بكل مديح أنت قائله ... نحو الهداة بنى بَيت الكرامات)
فقال المأمون إنه قد وَجد والله مقالاً فقال ونال ببعيد ذكرهم مالا يناله في وصف غيرهم ثم قال المأمون لقد أحسن في وصف سفر سافره فطال ذلك السفر عليه فقال فيه
(ألمْ يأنِ للسَّفر الذين تَحملوا ... إلى وطنٍ قبلَ الممات رجوع)
(فقلتُ ولم أملكْ سوابقَ عَبرة ... نطقن بما ضُمت عليه ضلوع)
(تبيّنْ فكم دار تفرّق شَملها ... وشملٍ شتيت عاد وهو جميع
(كذاك الليالي صرفُهنّ كما ترى ... لكل أناسٍ جَدْبةٌ وربيع)
ثم قال ما سافرت قطُّ إلا كانت هذه الأبيات نُصب عيني في سفري وهجيري ومسليتي حتى أعود
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني المبرد ومحمد بن الحسن بن الحرون قالا قال دعبل
خرجت إلى الجبل هارباً من المعتصم فكنت أسير في بعض طريقي والمكاري يسوق بي بغلاً تحتي وقد أتعبني تعباً شديداً فتغنى المكاري في قولي
(لا تَعجبي يا سلم من رجل ... ضَحِك المشيب برأسه فبكى)
فقلت له وأنا أريد أن أتقرب إليه وأكف ما يستعلمه من الحث للبغل لئلا يتعبني تعرف لمن هذا الشعر يا فتى فقال لمن ناك أمه وغرم درهمين فما أدري أي أموره أعجب من هذا الجواب أم من قلة الغرم على عظم الجناية
حدثني عمي قال حدثني أحمد بن الطيب السرخسي قال
حضرت مجلس محمد بن طاهر وحضرته مغنية يقال لها شنين مشهورة فغنت
(لا تعجبي يا سلم من رجل ... ضحك المشيب برأسه فبكى)
ثم غنت بعده
(... لقد عجبَتْ سلمى وذاك عجيب)
فقلت لها ما أكثر تعجب سلمى هذه فعلمت أني أعبث بها لأسمع جوابها فقالت متمثلة غير متوقفة ولا متفكرة
(فهُلْك الفتى ألا يَراح إلى نَدىً ... وألا يَرى شيئاً عجيباً فيعجبا)
فعجبت والله من جوابها وحدته وسرعته وقلت لمن حضر والله لو أجاب الجاحظ هذا الجواب لكان كثيراً منه مستظرفاً
نسبة هذا الصوت
صوت
(لقد عجِبَت سلمى وذاك عجيب ... رأت بيَ شيباً عجّلته خُطوب)
(وما شيّبَتْني كَبرةٌ غير أنني ... بِدَهر به رأس العظيم يشيب)
الغناء ليحيى المكي ثقيل أول بالوسطى من كتاب ابنه أحمد
حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني محمد المرتجل بن أحمد بن يحيى المكي قال
كان أبي صديقاً لدعبل كثير العشرة له حافظاً لغيبه وكل شعر يغنى
فيه لدعبل فهو من صنعة أبي و غناني من صنعة أبيه في شعر دعبل والطريقة فيه خفيف ثقيل في مجرى البنصر
صوت
(سَرَى طيفُ ليلى حين آن هُبوبُ ... وقضّيتُ شوقاً حين كاد يذوب)
(فلم أرَمطروقاً يُحَلّ برحله ... ولا طارقاً يَقرى المنى ويُثيب)
وأنشدني عمي هذين البيتين عن أحمد بن أبي طاهر وابن مهرويه جميعاً لدعبل
حدثني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال
سألت دعبلا من الذي يقول
(ملوك بني العباس في الكتْبِ سبعة)
فقال من أضرم الله قبره ناراً إبراهيم بن المهدي قال ابن أبي سعد وحدثني عبد العزيز بن سهل أنه سأله عنها فاعترف بها
حدثني عمي قال أنشدني ابن أخي دعبل لعمه في طاهر بن الحسين وكان قد نقم عليه أمراً أنكره منه
(وذي يمينَين وعينٍ واحدةْ ... نقصانُ عَينٍ ويمينٌ زائدةْ)
(نَزْرُ العطيات قليل الفائدةْ ... أعضّه الله ببَظْر الوالدةْ)
حدثني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال كان دعبل قد مدح دينار بن عبد الله وأخاه يحيى فلم يرض ما فعلاه فقال يهجوهما
((ما زال عصياننا لله يُرذِلنا ... حتى دُفعنا إلى يحيى ودينار
(وَغْدَين عِلْجَين لم تُقطَع ثمارها ... قد طال ما سَجدا للشمس والنار)
قال وفيهما وفي الحسن بن سهل يقول أيضاً دعبل يهجوهم والحسن بن رجاء وأبيه أيضاً
(ألا فاشتروا مِني ملوك المخزمِ ... أبِعْ حَسناً وابني رجاء بدرهمِ)
(وأعطِ رجاء فوق ذاك زيادة ... وأسمحْ بدينارٍ بغير تندُّم)
(فإن رُدَّ من عيب علي جميعُهم ... فليس يَردُّ العيبَ يحيى بنُ أكثم)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو الطيب الحراني قال
كان دعبل منحرفا عن الطاهرية مع ميلهم إليه وأياديهم عنده فأنشدني لنفسه فيهم
(وأبقى طاهر فينا ثلاثاً ... عجائبَ تُستَخَفُّ لها الحلوم)
(ثلاثةَ أعبد لأب وأم ... تُميّز عن ثلاثتِهم أُروم)

(فبعضٌ في قريش منتماه ... ولا غَيرٌ ومجهول قديم)
(وبعضهم يهش لآل كسرى ... ويزعم أنه عِلْج لئيم)
(فقد كثرت مناسبهم علينا ... وكلّهم عَلَى حال زنيم)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أبي قال
كان صالح بن عطية الأضجم من أبناء الدعوة وكان من أقبح الناس وجها وكان ينزل واسطا فقال فيه دعبل
(أحسنُ ما في صالح وجهُهُ ... فقِس على الغائب بالشاهدِ)
(تأملَتْ عيني له خِلقةً ... تدعو إلى تزنيه الوالد)
قال وقال فيه أيضا وخاطب فيها المعتصم
(قل لِلإمام إمامِ آل محمد ... قول امرئ حَدِبٍ عليكَ مُحام)
(أنكرْتُ أن تفتر عنك صنيعةٌ ... في صالح بن عطيةَ الحجّام)
(ليس الصنائعُ عنده بصنائع ... لكنهن طوائل الإسلام)
(اضرب به جيشَ العدوّ فوجهُه ... جيش من الطاعون والبِرسام)
دعبل ومسلم بن الوليد
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرني إبراهيم بن محمد الوراق قال حدثني الحسين بن أبي السري قال قال لي دعبل
ما زلت أقول الشعر وأعرضه على مسلم فيقول لي اكتم هذا حتى قلت
(أين الشباب وأيةً سلكاً ... لا أين يطلب ضلّ بل هلكا)
فلما أنشدته هذه القصيدة قال اذهب الآن فأظهر شعرك كيف شئتَ لمن شئت
قال إبراهيم وحدثني الفتح غلام أبي تمام الطائي وكان أبو سعيد الثغري اشتراه له بثلثمائة دينار لينشد شعره وكان غلاماً أديبا فصيحا وكان إنشاد أبي تمام قبيحاً فكان ينشد شعره عنه فقال سألت مولاي أبا تمام عن نسب دعبل فقال هو دعبل بن علي الذي يقول
(... ضحك المشيب برأسه فبكى)
قال الفتح وحدثني مولاي أبو تمام قال ما زال دعبل مائلاً إلى مسلم بن الوليد مقراً بأستاذيته حتى ورد عليه جرجان فجفاه مسلم وكان فيه بخل فهجره دعبل وكتب إليه
(أبا مَخْلد كنا عقيدَيْ مودة ... هوانا وقلبانا جميعاً معاً مَعا)
(أحُوطك بالغيبِ الذي أنت حائطي ... وأيجع إشفاقاً لأن تتوجعا)
(فصيّرتَني بعد انتكاسك متْهماً ... لنفسي عليها أرهب الخلق أجمعا)
(غششْتَ الهوَى حتى تداعت أصوله ... بنا وابتذلْتَ الوصل حتى تقطعا)
(وأنزلتَ من بين الجوانح والحشا ... ذخيرةَ وُدٍ طالما تَمنعا)
(فلا تعذلنَّي ليس لي فيك مطمع ... تخرقْتَ حتى لم أجد لك مَرْقعا)
(فهبك يميني استأكلَتْ فقطعتُها ... وجشّمت قلبي صبره متشجعا)
ويروى وحملت قلبي فقدها قال ثم تهاجرا فما التقيا بعد ذلك
أخبرني محمد بن خلف قال حدثني إبراهيم بن محمد قال حدثنا الحسين بن علي قال قلت لابن الكلبي
إن دعبلاً قطعي فلو أخبرت الناس أنه ليس من خزاعة فقال لي
يا فاعل مثل دعبل تنفيه خزاعة والله لو كان من غيرها لرغبت فيه حتى تدعيه دعبل والله يا أخي خزاعة كلها
دعبل والمطلب بن عبد الله بن مالك
أخبرني محمد بن المرزبان قال حدثني إبراهيم بن محمد الوراق عن الحسين بن أبي السري عن عبد الله بن أبي الشيص قال حدثني دعبل قال
حججت أنا وأخي رزين وأخذنا كتباً إلى المطلب بن عبد الله بن مالك وهو بمصر يتولاها فصرنا من مكة إلى مصر فصحبنا رجل يعرف بأحمد بن فلان السراج نسي عبد الله بن أبي الشيص اسم أبيه فما زال يحدثنا ويؤانسنا طول طريقنا ويتولى خدمتنا كما يتولاها الرفقاء والأتباع
وأريناه حسن الأدب وكان شاعراً ولم نعلم وكتمنا نفسه وقد علم ما قصدنا له فعرضنا عليه أن يقول في المطلب قصيدة ننحله إياها
فقال إن شئتم وأرانا بذلك سروراً وتقبلاً له فعملنا قصيدة وقلنا له تنشدها المطلب فإنك تنتفع بها
فقال نعم ووردنا مصر به فدخلنا إلى المطلب وأوصلنا إليه كتباً كانت معنا وأنشدناه
فسر بموضعنا ووصفنا له أحمد السراج هذا وذكرنا له أمره فأذن له فدخل عليه ونحن نظن أنه سينشد القصيدة التي نحلناه إياها فلما مثل بين يديه عدل عنها وأنشده
(لم آتِ مطّلِباً إلا بمطّلب ... وهمةٍ بلَغت بي غاية الرُّتب)
((أفردتُه برجاء أن تشاركه ... فيَّ الوسائل أو ألقاه في الكتب
قال وأشار إلى كتبي التي أوصلتها إليه وهي بين يديه فكان ذلك أشد من كل شيء مر بي منه علي ثم أنشده
(رحلْت عَنْسي إلى البيت الحرام على ... ما كان من وصَب فيها ومن نَصَب)
(ألقى بها وبوجهي كلَّ هاجرة ... تكاد تقدح بين الجلد والعصَب)
(حتى إذا ما قَضَتْ نُسْكي ثَنَيت لها ... عِطف الزّمام فأمت سيدَ العرب)
(فيمّمتْك وقد ذابت مفاصلها ... من طول ما تعَبٍ لاقت ومن نَقَب)
(إني استجرْت بأستارين مستلِماً ... رُكْنين مطّلباً والبيتَ ذا الحُجُب)
(فذاك للآجل المأمول ألمَسه ... وأنت للعاجل المرجوّ والطلب)
(هذا ثنائي وهذي مصر سانحةً ... وأنت أنت وقد ناديْت من كثَب)
قال فصاح مطّلب لبيك لبيك ثم قام إليه فأخذه بيده وأجلسه معه وقال يا غلمان البدر فأحضرت ثم قال الخلع فنشرت ثم قال الدواب فقيدت فأمر له من ذلك بما ملأ عينه وأعيننا وصدورنا وحسدناه عليه وكان حسدنا له بما أتفق له من القبول

وجودة الشعر وغيظنا بكتمه إيانا نفسه واحتياله علينا أكثر وأعظم فخرج بما أمر له به وخرجنا صفرا فمكثنا أياماً ثم ولى دعبل بن علي أسوان وكان دعبل قد هجا المطلب غيظاً منه فقال
(تُعلّق مصرُ بكَ المخزيات ... وتبصقُ في وجهك المَوْصلُ)
(وعاديتَ قوماً فما ضرّهم ... وشرّفتَ قوماً فلم ينبُلوا
(شعارك عند الحروب النجاء ... وصاحبُك الأخور الأفشل)
(فأنت إذا ما التقوا آخرٌ ... وأنت إذا انهزموا أول)
وقال فيه
(اضربْ ندَى طلحةِ الطلحات متئّداً ... بلؤم مطّلب فينا وكن حكَما)
(تخرج خزاعة من لؤم ومن كرم ... فلا تعدُّ لها لؤماً ولا كرما)
قال وكانت القصيدة التي مدح بها دعبل المطلبَ قصيدته المشهورة التي يقول فيها
(أبْعدَ مصر وبعد مطّلب ... ترجو الغِنى إن ذا من العجب)
(إن كاثرونا جئنا بأسرته ... أو واحدونا جئنا بمطّلب)
قال وبلغ المطلبَ هجاؤه إياه بعد أن ولاه فعزله عن أسوان فأنفذ إليه كتاب العزل مع مولى له وقال انتظره حتى يصعد المنبر يوم الجمعة فإذا علاه فأوصل الكتاب إليه وامنعه من الخطبة وأنزله عن المنبر واصعد مكانه فلما أن علا المنبر وتنحنح ليخطب ناوله الكتاب فقال له دعبل دعني أخطب فإذا نزلت قرأته قال لا قد أمرني أن أمنعك الخطبة حتى تقرأه فقرأه وأنزله عن المنبر معزولاً
قال فحدثني عبد الله بن أبي الشيص قال قال لي دعبل قال لي المطلب ما تفكرت في قولك قط
(إن كاثرونا جئنا بأسرته ... أو واحدونا جئنا بمطلب)
إلا كنت أحب الناس إلي ولا تفكرت والله في قولك لي
(وعاديْتَ قوماً فما ضرهم ... وقدّمتَ قوماً فلم ينبُلوا)
إلا كنت أبغض الناس إلي
قال ابن المرزبان حدثني من سأل الرياشي عن قوله إستارين قال يجوز على معنى إستار كذا وإستار كذا وأنشدنا الرياشي
(سعى عقالاً فلم يترك لنا سبَدا ... فكيف لو قد سعَى عمرو عِقالَين)
(لأصبَح القوم أوفاضاً فلم يجدوا ... يوم الترحل والهيجا جِمالين)
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد العزيز بن سهل قال لما قصد دعبل عبد المطلب بن عبد الله بن مالك إلى مصر ولم يرض ما كان منه إليه قال فيه
(أمطّلبٌ أنت مستعذِب ... حُمّيا الأفاعي ومستقبِل)
(فإن أشفِ منك تكن سُبّة ... وإن أعفُ عنك فما تعقل)
(ستأتيك إما وردْتَ العراق ... صحائفُ يأثِرها دِعبل)
(منمَّقةٌ بين أثنائها ... مَخازٍ تَحُطُّ فلا تَرحل)
(وضعْتَ رجالاً فما ضرّهم ... وشرّفت قوماً فلم ينبُلوا)
(فأيُّهم الزَّين وسْط المَلا ... عطيةُ أم صالحُ الأحول)
(أمِ الباذِنجانيُّ أم عامر ... أمينُ الحمَام التي تَزْجَل)
(تنوطُ مصرُ بك المخزيات ... وتبصق في وجهك الموصل)
(ويومَ السَّراة تحسّيتَها ... يطيب لدى مثلِها الحنظل)
(توليتَ ركْضاً وفتياننا ... صدورُ القنا فيهمُ تعمَل)
((إذا الحربُ كنت أميراً لها ... فحظهمُ منك أن يُقتَلوا
(فمِنك الرؤوس غداةَ اللقاء ... وممن يحاربك المُنْصُل)
(شعارك في الحرب يومَ الوغى ... إذا انهزَموا عجِّلوا عجِّلوا)
(هزائمك الغرُّ مشهورة ... يقرطِس فيهن من ينضُل)
(فأنتَ لأوّلهم آخرٌ ... وأنت لآخرهم أول)
أخبرني عمي أنشدنا المبرد لدعبل يهجو المطلب بن عبد الله ويعيره بغلامين علي وعمرو وكان يتهم بهما
(فأيرُ عليٍّ له آلة ... وفَقْحة عمرو له ربه)
(فَطوراً تصادفه جَعبةٌ ... وطوراً تصادفه حربه)
وأنشدني ابن عمار عن أحمد بن سليمان بن أبي شيخ لدعبل يمدح المطلب بن عبد الله بن مالك وفيه غناء صوت
(زَمَنِي بمطَّلب سُقِيتَ زماناً ... ما كنْتَ إلا روضة وجِنانا)
(كُلّ الندى إلا نداكَ تكلُّفٌ ... لم أرضَ بعدكَ كائناً مَن كانا)
(أصلحتَني بالبرّ بل أفسدتَني ... فتركتَني أتسخّط الإحسانا)
وقد أخبرني بخبره الأول الطويل مع المطلب الحسن بن علي عن أحمد بن محمد حدان عن أحمد بن يحيى العدوي أن سبب سخطه على المطلب أن رجلاً من العلويين كان قد تحرك بطنجة فكان يبث دعاته إلى مصر وخافه المطلب فوكل بالأبواب من يمنع الغرباء دخولها
فلما جاء دعبل منع فأغلظ للذي منعه فقنعه بالسوط وحبسه فمضى رزين فأخبر المطلب فأمر بإطلاقه ودعا به فخلع عليه فقال له لا أرضى أو تقتل الموكل بالباب فقال له هذا لا يمكن لأنه قائد من قواد السلطان فغضب ثم أنشده الرجل الأبيات المذكورة فأجازه وحكى أن اسمه محمد بن الحجاج لا أحمد بن السراج وسائر الخبر مثله

دعبل والمخزومي

وكان سبب مناقضته أبا سعد المخزومي وما خرج إليه الأمر بينهما قول دعبل قصيدته التي هجا فيها قبائل نزار فحمي لذلك أبو سعد فهجاهم فأجابه أبو سعد ولجّ الهجاء بينهما

وروي أنه نزل بقوم من بني مخزوم فلم يضيّفوه فهجاهم فأجابهم أبو سعد ولجّ الهجاء بينهما
أخبرني عمي والحسن بن علي الخفاف قالا حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن الأشعث قال حدثني دعبل أنه ورزيناً العروضي نزلا بقوم من بني مخزوم فلم يقروهما ولا أحسنوا ضيافتهما فقال دعبل فقلت فيهم
(عِصابةٌ من بني مخزومَ بِتُّ بهم ... بحيث لا تطمع المِسحاة في الطين)
ثم قلت لرزين أجز فقال
(في مَضغِ أعراضهم من خبزهم عِوَض ... بني النفاق وأبناء الملاعين)
قال ابن الأشعث فكان هذا أول الأسباب في مهاجاته لأبي سعد
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثني العنزي قال حدثني علي بن عمرو الشيباني أن الذي هاج الهجاء بين أبي سعد و دعبل قصيدته القحطانية التي هجا فيها نزاراً فأجابه عنها أبو سعد ولج الهجاء بينهما
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثني أحمد بن أبي كامل قال كان سبب وقوع الهجاء بين دعبل وأبي سعد قول دعبل في قصيدة يفخر فيها بخزاعة ويهجو نزاراً وهي التي يقول فيها
(أتانا طالباً وَعْرا ... فأعقبناه بالوَعر)
(وتَرْناه فلم يرض ... فأعقبناه بالوتر)
فغضب أبو سعد وقال قصيدته التي يقول فيها لدعبل وهي مشهورة
(وبالكَرخ هوىً أبقى ... على الدهر من الدهر)
(هوىً والحمد لله ... كفاني كُلفة العذر)
قال ثم التحم الهجاء بينهما بعد ذلك
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أحمد بن هارون قال دخلت على أبي سعد الخزومي يوماً وهو يقول وأي شيء ينفعني أجود الشعر فلا يروى ويرذل فيروى ويفضحني برديئه ولا أفضحه بجيدي فقلت من تعني يا أبا سعد فقال من تراني أعني إلا من عليه لعنة الله دعبلاً فقلت فيه
(لَيْسَ لُبْسِ الطيالِس ... مِن لِباس الفوارسْ)
(لاولا حَوْمَةَ الوغى ... كصُدور المجالس)
(ضَرْبُ أوتار نَفْنف ... غيرُ ضرب القوانس)
((وظُهور الجياد غير ... ظهور الطِنافس
(ليس من ضارسَ الحروب ... كمن لمْ يضارس)
(بِأبي غرسُ فِتية ... من كرام المغارس)
(فتية من بني المُغيرة ... شمِّ المعاطس)
(يطعمون السديف في ... كل شهباء دامس)
(في جِفانٍ كأنها ... مِن جفان العرائس)
(ثم يمشون في السّنَّور ... مشيَ العنابس)
(ويخوضون باللواء ... دماءَ الأبالس)
نحن خير الأنام عند ... قياس المُقايس) فوالله ما التفَت إليها في مصرنا هذا إلا علماء الشعر وقال هو فيّ)
(يا أبا سعدٍ قَوْصَرَه ... زاني الأخت والمَرَه)
(لو تراه مُجَبَّباً ... خلته عَقدَ قنطره)
(أو ترى الأير في آسته ... قلت ساقٌ بِمقطره)
قال فوالله لقد رواه صبيان الكتاب ومارة الطريق والسفل أجتاز والسفل فما اجتاز بموضع إلا سمعته من سفلة يهذرون به فمنهم من يعرفني فيعيبني به ومنهم
من لا يعرفني فأسمعه منه لسهولته على لسانه
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي ومحمد بن يحيى الصولي وعمي قالوا حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني علي بن أبي عمرو الشيباني قال
جاءني إسماعيل بن إبراهيم بن ضمرة الخزاعي فقال لي إني سألت دعبلا أن اقرأ عليه قصيدته التي يناقض بها الكميت
(أفيقي من مَلامك يا ظعينا ... كفاك اللومَ مرُّ الأربعينا)
فقال لي إسماعيل قال لي دعبل يا أبا الحسن فيها أخبار وغريب فليكن معك رجل يقرأها عليّ وأنت معه فيكون أهون علي منك فقلت له لقد اخترت صديقا لي يقال له علي فقال أمن العرب هو قلت نعم قال من أي العرب قلت من بني شيبان قال شيبان كندة فقلت بل شيبان ربيعة فقال لي ويحك أتأتيني برجل أسمعه ما يكره في قومه فقلت له إنه رجل يحتمل ويحب أن يسمع ماله وعليه فقال في مثل هذا رغبة فأتني به فصرنا إليه فلما لقيه قال قد أخبرني عنك أبو الحسن بما سررت به أن كنت رجلا من العرب تحب أن تمسع ما لك وعليك لكيلا تغبن فقرأنا عليه الشعر حتى انتهينا في القصيدة إلى قوله
(مِنَ أي ثَنّية طلعَت قريش ... وكانوا معشراً متنّبطينا)
فقال دعبل معاذ الله أن يكون هذا البيت لي ثم قال لعنه الله وانتقم منه يعني أبا سعد المخزومي دسّه والله في هذا الشعر وضرب بيده إلى سكين كانت معه فجرد البيت بحدها ثم قال لنا أحدثكم عنه بحديث طريف
جاءني يوماً ببغداد أشد ما كان بيني وبينه من الهجاء وبين يدي
صحيفة ودواة وأنا أهجوه فيها إذ دخل علي غلام لي فقال أبو سعد المخزومي بالباب فقلت له كذبت فقال وهو عارف بأبي سعد بلى والله يا مولاي فأمرته برفع الدواة والجلد الذي كان بين يدي وأذنت له في الدخول وجعلت أحمد الله في نفسي فأقول الحمد لله الذي أصلح بيني وبينه من هتك الأعراض وذكر القبيح وكان الابتداء منه فقمت إليه وسلمت عليه وهو ضاحك مسرور فأبديت له مثل ذلك من السرور به ثم قلت أصبحت والله حاسدا لك قال على ماذا يا أبا علي فقلت بسبقك إياي إلى الفضل
فقال لي أنا اليوم في دعوى عندك فقلت قل ما أحببت فقال إن كان عندك ما نأكله وإلا ففي منزلي شيء معد فسألت الغلمان فقالوا عندنا قدر أمسية فقال غاية واتفاق جيد فهل عندك شيء نشربه وإلا وجهت إلى منزلي ففيه شراب معد

فقلت له عندنا ما نشرب فطرح ثيابه ورد دابته وقال أحب ألا يكون معنا غيرنا فتغدينا وشربنا فلما أن أخذ الشراب منا قال مر غلاميك يغنياني فأمرت الغلامين فغنياه فطرب وفرح واستحسن الغناء حتى سرني وأطربني معه ثم قال حاجتي إليك يا أبا علي أن تأمرهما بأن يغنياني في هجائك لي وكان الغلامان لكثرة ما يسمعانه مني في هجائي قد حفظا منه أشياء ولحناها فقلت له سبحان الله يا أبا سعد قد طفئت النائرة وذهبت العداوة بيننا وانقطع الشر فما حاجتك إلى هذا فقال لي سألتك بالله إلا فعلت فليس يشق ذلك علي ولو كرهته لما سألته فقلت في نفسي أترى أبا سعد يتماجن علي يا غلمان غنوه بما يريد فقال غنوه

(يا أبا سعد قوْصَرَة ... زاني الأخت والمره)

فغنوه وهو يحرك رأسه وكتفيه ويطرب ويصفق فما زلنا يومنا مسرورين فلما ثمل ودعني وقام فانصرف وأمرت غلماني فخرجوا معه إلى الباب فإذا غلام منهم قد انصرف إلي بقطعة قرطاس وقال دفعها إلي أبو سعد المخزومي وأمرني أن أدفعها إليك فقرأتها فإذا فيها

(لِدعبلٍ مِنّة يَمنُّ بها ... فلست حتى الممات أنساها)

(أدخلَنا بيته فأكرمنا ... ودَس بامرأته فنكناها)

فقال ويلي على ابن الفاعلة هاتوا جلداً وداوة قال فردوهما علي فعدت غلى هجائه ولقيته بعد يومين أو ثلاثة فما سلم علي ولا سلمت عليه

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا علي بن عبد الله بن سعد أنه سمع دعبلاً يحدث بخيره هذا مع أبي سعد فذكر نحو ما ذكره العنزي

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثني أحمد بن أبي كامل قال رأيت دعبلاً قد لقي أبا سعد في الرصافة وعليهما السواد وسيفاهما على أكتافهما فشد دعبل على أبي سعد فقنعه فركض أبو سعد بين يديه هارباً وركض دعبل في أثره وهو يهرب منه حتى غاب قال وكنت أرى ابا سعد يجلس مع بني مخزوم في دار المأمون فتظلموا منه إلى المأمون وذكروا أنهم لا يعرفون له فيهم نسباً فأمرهم المأمون بنفيه فانتفوا منه وكتبوا بذلك كتاباً فقال دعبل فيه يذكر ذلك من قصيدة طويلة

(غير أن الصِّيد منهمْ ... قنّعوه بخَزايه)

(كتبوا الصّك عليه ... فَهْو بين الناس آيه)

(فإذا أقبل يوماً ... قيل قد جاء النُّفَايه)

وقال فيه أيضاً

(همُ كتبوا الصّك الذي قد علمته ... عليك وشنّوا فوق هامتك القفدا)

قال وكان إذا قيل له بعد ذلك شيء في نسبه قال أنا عبد ابن عبد قال ونظر دعبل فرأى على أبي سعد قباء مروياً مصبوغاً بسواد فقال هذا دعي على دعي

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أحمد بن مروان مولى الهادي قال لقيني أبو سعد المخزومي على ظهر الطريق فقال لي يا أحمد أنا أدرس شكايتك إلى أبيك قال فقلت ولم أبقاك الله قال فما فعل دفتر البزاريات قلت هو ذا أجيئك به فلما صليت الظهر جئت بالدفتر أريده فمررت بدعبل فدققت بابه فسمعته يقول لجاريه له أنظري من بالباب فقالت له أحمد بن مروان فقال افتحي له فلما دخلت قلت له أيش هو دراهم من الأسماء قال سميتم جواريكم دنانير فسمينا جوارينا بدراهم ثم قال ما هذا معك قلت دفتر فيه شعر أبي سعد في البزاريات فأخذه فنظر فيه وابنه علي بن دعبل بن علي معه فلما بلغ من نظره إلى شعره الذي يقول فيه

(مالت إلى قلبك أحزانه ... فهو مُجِمٌّ الهم خزّانه)

قال له ابنه علي فما كان عليه يا أبت لو قال في شعره

(...عادت إلى قلبك أحزانه)

فقال دعبل صدقت والله يا بني أنت والله أشعر منه ثم قال إنه أملى علي دعبل إملاء

(ما كنت أحسب أنّ الدهر يُمهلني ... حتى أرى أحداً يهجوه لا أحدُ)

(إني لأعجب ممن في حقيبته ... من المنِيِّ بُحورٌ كيف لا يلِدِ)

(فإن سمِعت به بعْتُ القنا عبثاً ... فقد أراد قَناً ليست له عُقَدُ)

ثم صرت إلى أبي سعد فلما رآني من بعيد قال يا أحمد من أين أقبلت قلت من عند دعبل قال وما دعبلت عنده فأنشدته شعر دعبل فيه وأخبرته بما قال ابنه في شعره فقال صدق والله في أي سن هو قلت قد بلغ فدعا بدواة وقرطاس وقال اكتب فكتبت

(لا والذي خلق الصهباء من ذهب ... والماء من فِضة لا ساد مَن بَخِلا)

(يقول لي دِعبِل في بطنه حبل ... ولو أصابت ثيابي دِعبل حَبِلا)

(ودِعبل رجل ما شئتَ من رجل ... لو كان أسفلُه من خلقه رجُلا)

قال ثم هجاني أبو سعد فقال

(عدُوٌّ راح في ثوبَيْ صديق ... شريك في الصَبوح وفي الغَبوق)

(له وجهان ظاهره ابنُ عمٍ ... وباطنه ابنُ زانية عتيق)

(يَسرُّك معلِناً ويَسُوءُ سراً ... كذاك يكون أبناء الطريق)

أخبرني عمي والحسن بن علي قالا حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا أبو ناجية شيخ من ولد زهير بن أبي سلمى قال

حضرت بني مخزوم وهم ببغداد وقد اجتمعوا على أبي سعد لما لجّ الهجاء بينه وبين دعبل وقد خافوا لسان دعبل وأن يقطعهم ويهجوهم هجاء

يعمهم جميعاً فكتبوا عليه كتاباً وأشهدوا أنه ليس منهم فحدثني غير واحد أنه أتى حينئذٍ بخاتمه النقاش فنقش عليه أبو سعد العبد ابن العبد بريء من بني مخزوم تهاونا بما فعلوه

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد قال

كان أبو سعد المخزومي قد كان يستعلي على دعبل في أول أمره وكان يدخل إلى المأمون فينشده هجاء دعبل

وللخلفاء ويحرضه عليه وينشده جوابه فلم يجد عند المأمون ما أراده فيه وكان يقول الحق في يدك والباطل في يد غيرك والقول لك ممكن فقل ما يكذبه فأما القتل فإني لست أستعمله فيمن عظم ذنبه أفأستعمله في شاعر فاعترض بينهما ابن أبي الشيص فقال يهجو أبا سعد
(أنا بشّرت أبا سعد ... فأعطاني البشارَهْ)
(بأبٍ صِيدَ له بالأمس ... في دار الإماره)
(فهْو يوماً من تميم ... وهو يوماً من فَزاره)
(كلَّ يوم لأبي سعد ... على الأنساب غاره)
(خزمت مخزوم فاه ... فادعاها بالإشارة)
قال وقال فيه ابن أبي الشيص أيضاً
(أبا سعد بحق الخمس ... والمفروضِ من صومكْ)
(أقلْتَ الحق في النسبة ... أمن تحلُم في نومك)
(أبنْ لي أيّها المغْرورِ ... مِمّن أنت في قومك)
(فولّى قائلاً لو شئت ... قد أقصرْتَ من لومك)
(ودعني أكُ من شئتُ ... إذا لم أكُ من قومك)
وقال فيه دعبل
(إن أبا سعد فتى شاعِرُ ... يُعرف بالكُنية لا الوالدِ)
(يَنْشُد في حيّ معدٍّ أباً ... ضلَّ عن المنشود والناشد)
(فرحمةُ الله على مسلم ... أرشد مفقوداً إلى فاقد)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أحمد بن عثمان الطبري قال
سمعت دعبل بن علي يقول لما هاجيت أبا سعد أخذت معي جوزاً ودعوت الصبيان فأعطيتهم منه وقلت لهم صيحوا به قائلين
(يا أبا سعد قَوْصَره ... زانيَ الأخت والمَرهْ)
فصاحوا به فغلبته
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني أحمد بن مروان قال حدثني أبو سعد المخزومي واسمه عيسى بن خالد بن الوليد قال
أنشدت المأمون قصيدتي الدالية التي رددت فيها على دعبل قوله
(ويسومني المأمون خطةَ عاجز ... أوَ ما رأى بالأمس رأس محمد)
وأول قصيدتي
(أخذ المشيبُ من الشباب الأغيد ... والنائبات من الأنام بمرصَد)
ثم قلت له يا أمير المؤمنين ائذن لي أن أجيئك برأسه قال لا هذا رجل فخر علينا فافخر عليه كما فخر علينا فأما قتله بلا حجة فلا
أخبرني عمي والحسن بن علي عن أحمد بن أبي طاهر قال حدثني أبو السري عمرو الشيباني قال
نظر دعبل يوماً في المرآة فجعل يضحك وكانت في عنفقته سلعة فقلت له من أي شيء تضحك قال نظرت إلى وجهي في المرآة ورأيت هذه السلعة التي في عنفقتي فذكرت قول الفاجر أبي سعد
(وسَلْعَة سوءٍ به سَلْعَةٌ ... ظلمتُ أباه فلم ينتصر)
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال قال عبد الله بن الحسن بن أحمد مولى عمر بن عبد العزيز قال حدثنا محمد بن علي الطالبي قال
لقيت دعبل بن علي فحدثني أن أبا عمرو الشيباني سأله ما هو دعبل فقلت له لا أدري فقال إنها الناقة المسنة قال محمد بن علي الطالبي ثم تحدثنا ساعة فقلت أما ترى لأبي سعد يا أبا علي وانهماكه في هجائك فقال دعبل لكني لم أقل فيه إلا أبياتاً سخيفة يلعب بها الصبيان والإماء وأنشدني قوله فيه
(يا أبا سعدِ قَوْصَره ... زاني الأخت والمره)
(لو تراه مجنّباً ... خلته عقد قنطره)
(أو ترى الأير في استه ... قلتَ ساقٌ بمقطَره)
قال محمد فقلت لدعبل دع عنك ذا فقد الله أوجعك الرجل فإن أجبته بجواب مثله انتصفت وإلا فإن هذا اللغو الذي فخرت به يسقط وتفضح
آخر الدهر قال ثم أنشدته قول أبي سعد فيه
(لم يبقَ لي لذةٌ من طِيَّةٍ بددٍ ... ولا المنازلِ من خَيْف ولا سَنَد)
(أبعد خمسين عادت جاهليتُه ... يا ليت ما عاد منها اليومَ لم يَعد)
(وما تُريد عيونُ العِين من رجل ... كرّ الجديدان في أيامه الجُدُد)
(أبدى سرائرَه وَجْداً بغانية ... ولو أطاع مشيبَ الرأس لم يجِد)
(واستمطرتْ عبراتِ العَين منزلةٌ ... لم يبقَ منها سوى الآريِّ والوتد)
(وما بكاؤك داراً لا أنيس بها ... إلا الخواضبُ من خيطانها الرُّبُد)
(لدِعبل وطَرٌ في كل فاحشة ... لَوْ بادَ لؤم بني قحطانَ لم يَبِد)
(ولي قوافٍ إذا أنزلتُها بلداً ... طارتْ بهن شياطيني إلى بلَد)
(لم ينجُ من خيرها أو شرّها أحدٌ ... فاحذَر شآبيبَها إن كنت من أحد)
(إنّ الطِّرمّاح نالَته صواعقُها ... في ظُلمة القبر بين الهام والصُّرَد)
(وأنت أولى بها إذ كنت وارثه ... فابعُد وجهدُك أن تنجو على البُعد)
(تهجو نِزاراً وترعى في أرومتِها ... وتنتمي في أناس حاكةِ البُرُد)
(إني إذا رجُل دبَّت عقاربه ... سقيتُه سم حيّاتي فلم يَعُدِ)

((زدني أزدك هواناً أنت موضعه ... ومَن يزيد إذا ما نحن لم نَزِد
(لو كنتَ متئداً فيما تُلفقه ... لكان حظك منه حظ متئد)
(أو كنتَ معتمِداً منه على ثقة ... من المكارم قلنا طَوْل معتمد)
(لقد تقلدْتَ أمراً لست نائله ... بلا ولِيّ ولا مولى ولا عضُد)
(وقدِ رميتَ بياض الشمس تحسبه ... بياض بطنِك من لُؤم ومن نكَد)
(لا تُوعدنّي بقوم أنت ناصرهم ... واقعد فإنك نَوْمانٌ من القَعَد)
(لله معتصم بالله طاعتُه ... قضية من قضايا الواحد الصمد)
قال فلما أنشدتها دعبلا قال أنا أشتمه وهو يشتمني فما إدخال المعتصم بيننا وشق ذلك عليه وخافه ثم قال نقيض هذه القصيدة
(... منازل الحيّ من غُمدان فالنَّضَدِ)
وهي طويلة مشهورة في شعره هكذا قال العنزي في الخبر ولم يأت بها
حدثنا محمد قال حدثنا العنزي قال حدثني عبد الله بن الحسين عن محمد بن علي الطالبي قال
عبر دعبل الجسر ببغداد وأبو سعد واقف على دابته عند الجسر وعليه ثوب صوف مشبه بالخز مصبوغ فضرب دعبل بيده على فخذه وقال
دعيّ على دعي
حديث عن شبه بين عبد الله بن طاهر والضبيّ عن نسبه
أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني صهر المبرد قال حدثني محمد بن موسى الضبي راوية العتابي وكان نديما لعبد الله بن طاهر قال
بينما هو ذات ليلة يذاكرنا بالأدب وأهله وشعراء الجاهلية والإسلام إذ بلغ إلى ذكر المحدثين حتى انتهى إلى ذكر دعبل فقال ويحك يا ضبيّ إني أريد أن أحدثك بشيء على أن تستره طول حياتي فقلت له أصلحك الله أنا عندك في موضع ظنه قال لا ولكن أطيب لنفسي أن توثق لي الأيمان لأركن إليها ويسكن قلبي عندها فأحدثك حينئذٍ
قال قلت إن كنت عند الأمير في هذه الحال فلا حاجة به إلى إفشاء سره إلي واستعفيته مراراً فلم يعفني فاستحييت من مراجعته وقلت فلير الأمير رأيه فقال لي يا ضبي قل والله قلت فأمرها علي غموسا مؤكدة بالبيعة والطلاق وكل ما يحلف به مسلم ثم قال أشعرت أن دعبلا مدخول النسب وأمسك فقلت أعز الله الأمير أفي هذا أخذت العهود والمواثيق ومغلظ الأيمان قال إي والله فقلت ولم قال لأني رجل لي في نفسي حاجة ودعبل رجل قد حمل نفسه على المهالك وحمل جذعه على عنقه فليس يجد من يصلبه عليه وأخاف إن بلغه أن يقول فيّ ما يبقى عليّ عاره على الدهر وقصاراي إن ظفرت به وأسلمته اليمن وما أراها تفعل لأنه اليوم لسانها وشاعرها والذابٌّ عنها والمحامي لها والمرامي دونها فأضربه مائة سوط وأثقله حديداً وأصيره في مطبق باب الشام
وليس في ذلك عوض مما سار فيّ من الهجاء وفي عقبي من بعدي فقلت ما أراه يفعل ويقدم عليك
فقال لي يا عاجز أهون عليه مما لم يكن أتراه أقدم على الرشيد والأمين والمأمون وعلى أبي ولا يقدم علي فقلت فإذا كان الأمر كذا فقد وفق الأمير فيما أخذه عليّ
قال وكان دعبل صديقا لي فقلت هذا شيء قد عرفته فمن أين قال الأمير إنه مدخول النسب وهو في البيت الرفيع من خزاعة ولا يتقدمهم غير بني أهبان مكلّم الذئب فقال أسمع أنه كان أيام ترعرع خاملا لا يؤبه له وكان ينام هو ومسلم بن الوليد في إزار واحد لا يملكان غيره ومسلم أستاذه وهو غلام أمرد يخدمه ودعبل حينئذٍ لا يقول شعراً يفكر فيه حتى قال
(لا تعجبني يا سلم من رجل ... ضحك المشيب برأسه فبكى)
وغنى فيه بعض المغنين وشاع فغني به بين يدي الرشيد إما ابن جامع أو ابن المكي فطرب الرشيد وسأل عن قائل الشعر فقيل له دعبل بن علي وهو غلام نشأ من خزاعة فأمر بإحضار عشرة آلاف درهم وخِلْعة من ثيابه فأحضر ذلك فدفعه مع مركب من مراكبه إلى خادم من خاصته وقال له اذهب بهذا إلى خزاعة فاسأل عن دعبل بن علي فإذا دللت عليه فأعطه هذا وقل له ليحضر إن شاء وإن لم يجب ذلك فدعه
وأمر للمغني بجائزة فسار الغلام إلى دعبل وأعطاه الجائزة وأشار عليه بالمسير إليه
فلما دخل عليه وسلم أمره بالجلوس فجلس واستنشده الشعر فأنشده إياه فاستحسنه وأمره بملازمته وأجرى عليه رزقا سنيا فكان أول من حرضه على قول الشعر فوالله ما بلغه أن الرشيد مات حتى كافأه على ما فعله من العطاء السني والغنى بعد الفقر والرفعة بعد الخمول بأقبح مكافأة وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت عليهم السلام وهجا الرشيد
(وليس حيّ من الأحياء نعلَمه ... من ذي يمانٍ ومن بَكرٍ ومن مُضر)
(إلا وهمْ شركاءٌ في دمائهم ... كما تشارَك أيسار عَلَى جزرِ)
(قَتلٌ وأسر وتحريق ومنهبة ... فعل الغُزاة بأرض الروم والخَزَرِ)
(أرى أمية معذورين إن قَتلوا ... ولا أرى لبني العباس من عذُرِ)
(اربع بطُوس عَلَى القبر الزكي إذا ... ما كنت ترَبع من دين عَلَى وطَر)
(قبران في طُوسَ خيرُ الناس كلّهم ... وقبرُ شرِّهم هذا من العِبَر)
(ما ينفع الرّجسَ من قُرب الزكيّ ولا ... عَلَى الزكيّ بقُرب الرجسِ من ضرر)
(هيهات كلُّ امرئ رهن بما كسبت ... له يداه فخذ ما شئت أو فذَر)
يعني قبر الرشيد وقبر الرضا عليه السلام فهذه واحدة
وأما الثانية فإن المأمون لم يزَل يطلبه وهو طائر على وجهَه حتى دسّ إليه قوله
(عِلْم وتحكيمٌ وشَيْبُ مَفارق ... طمَّسْنَ ريعان الشباب الرائق)
(وإمارة في دولة ميمونة ... كانت على اللذات أشغبَ عائق)
(أنى يكون وليس ذاك بكائن ... يَرثِ الخِلافةَ فاسق عن فاسق)
((إن كان إبراهيم مصطلعاً بها ... فَلَتصلُحَنْ من بعده لمُخارق
فلما قرأها المأمون ضحك وقال قد صفحت عن كل ما هجانا به إذ قرن إبراهيم بمخارق في الخلافة وولاه عهده

وكتب إلى أبي أن يكاتبه بالأمان ويحمل إليه مالاً
وإن شاء أن يقيم عنده أو يصير إلى حيث شاء فليفعل
فكتب إلي أبي بذلك وكان واثقا به فصار إليه فحمله وخلع عليه وأجازه وأعطاه المال وأشار عليه بقصد المأمون ففعل فلما دخل وسلّم عليه تبسم في وجهه ثم قال أنشدني
(مدارسُ آيات خلَتْ من تلاوة ... ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العرَصات)
فجزع فقال له لك الأمان فلا تخف وقد رويتها ولكني أحب سماعها من فيك فأنشده إياها إلى آخرها والمأمون يبكي حتى أخضل لحيته بدمعه فوالله ما شعرنا به إلا وقد شاعت له أبيات يهجو بها المأمون بعد إحسانه إليه وأنسه به حتى كان أول داخل وآخر خارج من عنده
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو بكر العامري قال
استدعى بعض بني هاشم دعبل وهو يتولى للمعتصم ناحية من نواحي الشام فقصده إليها فلم يقع منه بحيث ظن وجفاه فكتب إليه دعبل
(دلّيتَني بغُرور وعدك في ... متلاطمٍ من حَوْمة الغرقِ)
(حتى إذا شمِت العدوُّ وقد ... شُهر انتقاصُك شهرةَ البلَق)
((أنشأتَ تحلف أنّ وُدّك لي ... صافٍ وحبلك غيرُ منحذق
(وحسبتَني فَقْعا بِقَرْقَرة ... فوطئتَني وَطئاً على حنَق)
(ونصبتَني علَماً على غَرَض ... تَرْمِينِي الأعداءُ بالحدق)
(وظننتَ أرض الله ضيّقة ... عني وأرضُ الله لم تضق)
(من غير ما جُرمٍ سوى ثقة ... منّي بوعدك حين قلتَ ثِق)
(ومودةٍ تحنو عليك بها ... نفسي بلا منّ ولا ملق)
(فمتى سألتك حاجةً أبداً ... فاشدُد بها قُفْلاً على غلق)
(وقفِ الإخاءِ على شفا جُرُف ... هارٍ فبِعْه بيعة الخَلَق)
(وأعدّ لي قُفلاً وجامعة ... فاشدد يدَيّ بها إلى عنقي)
(أُعفيك مما لا تحبُّ بها ... واسدُد عليّ مذاهب الأفق)
(ما أطولَ الدنيا وأعرضها ... وأدلّني بمسالك الطرق)
يهرب بعد اتهامه بشتم صفية بنت عبد المطلب
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أبي قال
قدم دعبل الدينور فجرى بينه وبين رجل من ولد الزبير بن العوام
كلام وعربدة على النبيذ فاستعدى عليه عمرو بن حميد القاضي وقال هذا شتم صفية بنت عبد المطلب واجتمع عليه الغوغاء فهرب دعبل وبعث القاضي إلى دار دعبل فوكل بها وختم بابه فوجه إليه برقعة فيها ما رأيت قط أجهل منك إلا من ولاك فإنه أهل يقضي في العربدة على النبيذ ويحكم على خصم غائب ويقبل عقلك أني رافضي شتم صفية بنت عبد المطلب
سخنت عينك أفمن دين الرافضة شتم صفية قال أبي فسألني الزبيري القاضي عن هذا الحديث فحدثته فقال صدق والله دعبل في قوله لو كنت مكانه لوصلته وبررته
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن سهل القارىء قال حدثني دعبل قال
كتبت إلى أبي نهشل بن حميد وقد كان نسك وترك شرب النبيذ ولزم دار الحرم
(إنما العَيش في منادمة الإخوان لا في الجلوس عند الكعاب)
(وبِصِرْفٍ كأنها ألْسن البرق ... إذا استعرَضَتْ رقيقَ السحاب)
(إن تكونوا تركتمُ لذة العيش ... حِذَار العِقاب يومَ العقاب)
((فدعُوني وما ألذُ وأهوَى ... وادفعو بي في نحر يوم الحساب
قال فكان بعد ذلك يدعوني وسائر ندمائي فنشرب بين يديه ويستمع الغناء ويقتصر على الأنس والحديث
أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا إبراهيم بن المدبر قال
كنت أنا وإبراهيم بن العباس رفيقين نتكسب بالشعر قال و أنشدني قصيدة دعبل في المطلب بن عبد الله
(أمطّلِبٌ أنت مستعذِب ... سمامَ الأفاعي ومستقبِلُ)
قال وقال لي دعبل نصفها لإبراهيم بن العباس كنت أقول مصراعاً فيجيزه ويقول هو مصراعاً فأجيزه
قال ابن مهرويه وحدثني إبراهيم بن المدبر أن دعبلاً قصد مالك بن طوق ومدحه فلم يرض ثوابه فخرج عنه وقال فيه
(إن ابن طَوقٍ وبنى تغلِب ... لو قُتلوا أو جُرِحوا قُصْره)
(لم يأخذوا من دِية درهماً ... يوماً ولا من أرْشِهِمْ بعره)
(دِماؤهم ليس لها طالب ... مَطْلولةٌ مثلُ دم العُذْره)
(وجوههم بيض وأحسابهم ... سود وفي آذانهم صُفره)
حدثنا محمد بن عمران الصيرفي قال حدثني العنزي قال حدثنا عبد الله بن الحسن قال حدثني عمر بن عبد الله أبو حفص النحوي مؤدب آل طاهر قال
دخل دعبل بن علي على عبد الله بن طاهر فأنشده وهو ببغداد
(جئتُ بلا حُرمة ولا سبب ... إليك إلا بحرمة الأدب)
(فاقض ذِمامي فإنني رجل ... غيرُ ملحّ عليك في الطلب)
قال فانتعل عبد الله ودخل إلى الحرم ووجه إليه بصرة فيها ألف درهم وكتب إليه
(أعجلتَنا فأتاك عاجلُ برّنا ... ولو انتظرْتَ كثيره لم يَقلِل)
(فخُذ القليل وكن كأنك لم تسلْ ... ونكونُ نحن كأننا لم نفعل)
أخبرني أحمد بن عاصم الحلواني قال حدثنا أبو بكر المدائني قال حدثنا أبو طالب الجعفري ومحمد بن أمية الشاعر جميعاً قالا

هجا دعبل بن علي مالك بن طوق فقال
(سألتُ عنكمْ يا بني مالكٍ ... في نازح الأرضين والدّانيه)
(طُرّاً فلم تُعرف لكم نِسبة ... حتى إذا قلتُ بني الزانية)
(قالوا فدَع داراً على يَمْنةٍ ... وتلك ها دارُهمُ ثانيه)
(لا حدَّ أخشاه على ... من قال أمّك زانيه)
وقال أيضاً في
(يا زانيَ ابنَ الزانِ إبن ... الزانِ إبنَ الزانية)
(أنتَ المردَّد في الزناء ... على السنينَ الخاليه)
(ومردَّد فيه على ... كرِّ السنينَ الباقيه)
وبلغت الأبيات مالكاً فطلبه فهرب فأتى البصرة وعليها إسحاق بن العباس بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان بلغه هجاء دعبل وابن أبي عيينة نزاراً
فأما ابن أبي عيينة فإنه هرب منه فلم يظهر بالبصرة طول أيامه وأما دعبل فإنه حين دخل البصرة بعث فقبض عليه ودعا بالنطع والسيف ليضرب عنقه فجحد القصيدة وحلف بالطلاق على جحدها وبكل يمين تبرىء من الدم أنه لم يقلها وأن عدواً له قالها إما أبو سعد المخزومي أو غيره ونسبها إليه ليغري بدمه وجعل يتضرع إليه ويقبل الأرض ويبكي بين يديه فرق له فقال أما إذا أعفيتك من القتل فلا بد من أن أشهرك ثم دعا بالعصا فضربه حتى سلح وأمر به فألقي على قفاه وفتح فمه فرد سلحه فيه والمقارع تأخذ رجليه وهو يحلف ألا يكف عنه حتى يستوفيه ويبلعه أو يقتله فما رفعت عنه حتى بلع سلحه كله ثم خلاه فهرب إلى الأهواز
وبعث مالك بن طوق رجلاً حصيفاً مقداماً وأعطاه سما وأمره أن يغتاله كيف شاء وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم لم يزل يطلبه حتى وجده في قرية من نواحي السوس فاغتاله في وقت من الأوقات بعد صلاة العتمة فضرب ظهر قدمه بعكاز لها زج مسموم فمات من غد ودفن بتلك القرية
وقيل بل حمل إلى السوس فدفن فيها وأمر إسحاق بن العباس شاعراً يقال له الحسن بن زيد ويكنى أبا الذلفاء فنقض قصيدتي دعبل وابن أبي عيينة بقصيدة أولها
((أما تَنفك متبولاً حزيناً ... تحبّ البيض تَعصِي العاذلينا)
يهجو بها قبائل اليمن ويذكر مثالبهم وأمره بتفسير ما نظمه وذكر الأيام والأحوال ففعل ذلك وسماها الدامغة وهي إلى اليوم موجودة
صوت
(أتهجر مَن تُحب بغير جرمٍ ... أسأتَ إذاً وأنت له ظلوم)
(تؤرقني الهموم وأنت خِلْوٌ ... لعمرُك ما تؤرقك الهموم)
الشعر لجعيفران الموسوس أنشدنيه عمي عن عبد الله بن عثمان الكاتب عن أبيه عن جده وأنشد فيه جحظة عن خالد الكاتب له وأنشدنيه ابن الوشاء عن بعض شيوخه عن سلمة النحوي له ووجدته في بعض الكتب منسوباً إلى أم الضحاك المحاربية والقول الأول أصح والغناء لابن أبي قباحة ثاني ثقيل بالوسطى في مجرى البنصر وفي أبيات أخر من شعر جعيفران غناء فإن لم يصح هذا له فالغناء له في أشعاره الأخر صحيح منها
(ما يفعلُ المرء فهو أهلُه ... كلُّ امرئٍ يشبهه فعلُه)
(ولا ترى أعجز من عاجز ... سكّتنا عن ذمّه بذلُه)
الشعر لجعيفران والغناء لمتيم ومما وجدته من الشعر المنسوب إليه في جامعه وفيه له غناء
(قلبي بِصاحبة الشُّنوف مُعلَّقُ ... وتفِرُّ صاحبة الشنوف وألحق)
أخبار جعيفران ونسبه
هو جعيفران بن علي بن أصفر بن السريّ بن عبد الرحمن الأبناوي من ساكني سرّ من رأى ومولده ومنشؤه ببغداد وكان أبوه من أبناء الجند الخراسانية وكان يتشيع ويكثر لقاء أبي الحسن علي بن موسى بن جعفر
أخبرني بذلك أبو الحسن علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب عن أبيه وأهله
وكان جعيفران أديباً شاعراً مطبوعاً وغلبت عليه المرة السوداء فاختلط وبطل في أكثر أوقاته ومعظم أحواله ثم كان إذا أفاق ثاب إليه عقله وطبعه فقال الشعر الجيد وكان أهله يزعمون أنه من العجم ولد أذين
فأخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني محمد بن مهرويه قال حدثني علي بن سليمان النوفلي قال حدثني صالح بن عطية قال
كان لجعيفران الموسوس قبل أن يختلط عقله أب يقال له علي بن أصفر وكان دهقان الكرخ ببغداد وكان يتشيع فظهر على ابنه جعيفران أنه خالفه إلى جارية له سرية فطرده عن داره
وحجّ فشكا ذلك إلى موسى بن جعفر فقال له موسى إن كنت صادقا عليه فليس يموت حتى يفقد عقله وإن كنت قد تحققت ذلك عليه فلا تساكنه في منزلك ولا تطعمه شيئاً من مالك في حياتك وأخرجه عن ميراثك بعد وفاتك
فقدم فطرده وأخرجه من منزله وسأله الفقهاءعن حيلة يشهد بها في ماله حتى يخرجه عن ميراثه فدلّوه على السبيل إلى ذلك فأشهد به وأوصى إلى رجل فلما مات الرجل حاز ميراثه ومنع منه جعيفران فاستعدى عليه أبا يوسف القاضي فأحضر الوصيّ وسأل جعيفران البينة على نسبه وتركة أبيه فأقام على ذلك بينة عدة وأحضر الوصي بيّنة عدولا على الوصية يشهدون على أبيه بما كان احتال به عليه
فلم ير أبو يوسف ذلك شيئاً وعزم على أن يورثه فدفعه الوصي عن ذلك مرات بعلل ثم عزم أبو يوسف على أن يسجل لجعيفران بالمال فقال له الوصي أيها القاضي أنا أدفع هذا بحجة واحدة بقيت عندي فأبى أبو يوسف أن يقبل منه وجعل جعيفران يحرّج عليه ويقول له قد ثبت عندك أمري فبأي شيء تدافعني وجعل الوصي يسأله أن يسمع منه منفردا فيأبى ويقول لا أسمع منك إلا بحضرة خصمك فقال له أجّلني إلى غد فأجله فجاء إلى منزله وكتب رقعة خبره فيها بحقيقة ما أفتى به موسى بن جعفر ودفعها إلى صديق لأبي يوسف فدفعها إليه فلما قرأها دعا الوصي واستحلفه أنه قد صدق في ذلك فحلف باليمين الغموس فقال له اغد عليّ غدا مع صاحبك فحضر وحضر جعيفران معه فحكم عليه أبو يوسف للوصي فلما أمضى الحكم عليه وسوس جعيفران واختلط منذ يومئذٍ

وأخبرني بجمل أخباره المذكورة في هذا الكتاب علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب عن شيوخ له أخذها عنهم وإجازات وجدتها في الكتب ولم أر أخباره عند أحد أكثر مما وجدتها إلا ما أذكره عن غيره فأنسبه إليه
قال علي بن العباس وذكر عبد الله بن عثمان الكاتب أن أباه عثمان بن محمد حدثه قال
كنت يوماً برصافة مدينة السلام جالسا إذ جاءني جعيفران وهو مغضب فوقف علي وقال
(... استوجب العالَم مِني القتلا)
فقلت ولم يا أبا الفضل فنظر إلي نظرة منكرة خفت منها وقال
(... لمّا شعرت فرأوني فحلا)
ثم سكت هنيهة وقال
(قالوا عليَّ كذِباً وبُطْلاً ... إنيَ مجنون فقَدتُ العقلا)
(قالوا المحال كذِباً وجهلاً ... أقبحْ بهذا الفعل منهم فعلا)
ثم ذهب لينصرف فخفت أن يؤذيه الصبيان فقلت اصبر فديتك حتى أقوم معك فإنك مغضب وأكره أن تخرج على هذه الحال فرجع إلي وقال سبحان الله أتراني أنسبهم إلى الكذب والجهل وأستقبح فعلهم وتتخوف مني مكافأتهم ثم إنه ولّى وهو يقول
(لستُ براضٍ من جَهول جهلا ... ولا مجازيه بفعلٍ فِعلا)
(لكنْ أرى الصفح لِنفسي فضلا ... مَن يُرد الخيرَ يجدْه سهلا)
ثم مضى
وقال علي بن العباس وقال عثمان بن محمد قال أبي
كنت أشرف مرة من سطح لي على جعيفران وهو في دارٍ وحده وقد اعتلّ وتحركت عليه السوداء فهو يدور في الدار طول ليلته ويقول
(طاف به طَيف من الوسواس ... نَفّر عنه لَذَّةَ النٌعاس)
(فما يُرى يأنس بالأناس ... ولا يلَذّ عِشْرة الجُلاّس)
(... فهو غريب بين هذا الناس)
حتى أصبح وهو يرددها ثم سقط كأنه بقلة ذابلة
قال علي وحدثني علي بن رستم النحوي قال حدثني سلمة بن محارب قال
مررت ببغداد فرأيت قوما مجتمعين على رجل فقلت ما هذا فقالوا جعيفران المجنون فقلت قل بيتاً بنصف درهم قال هاته فأعطيته فقال
(لجَّ ذا الهمُّ واعتلَج ... كلّ همّ إلى فرج)
ثم قال زد إن شئت حتى أزيدك
قال علي وحدثني عبد الله بن عثمان عن أبيه قال
غاب عنا جعيفران أياماً ثم جاءنا والصبيان يشدون خلفه وهو عريان وهم يصيحون به يا جعيفران يا خرا في الدار فلما بلغ إلي وقف وتفرقوا عنه فقال يا أبا عبد الله
(رأيتُ الناس يدعوني ... بمجنون على حالي)
(وما بي اليومَ من جِنٍّ ... ولا وسواس بَلبال)
((ولكنْ قولُهم هذا ... لإفلاسي وإقلالي
(ولو كنت أخا وَفْرٍ ... رَخيّاً ناعمَ البال)
(رأوني حسن العقل ... أحُلّ المنزل العالي)
(وما ذاك على خُبرٍ ... ولكن هيبةُ المال)
قال فأدخلته منزلي فأكل وسقيته أقداحاً ثم قلت له تقدر على أن تغير القافية فقال نعم ثم قال بديهة غير مفكر ولا متوقف
(رأيتُ الناس يرمونيَ ... أحياناً بوسواسِ)
(ومَن يَضبط يا صاح ... مقالَ الناس في الناس)
(فدَعْ ما قاله الناس ... ونازعِ صفوة الكاس)
(فتى حُراً صحيحِ الوُدّ ... برٍّ وإيناس)
(فإن الخلْق مَغْرور ... بأمثالي وأجناسي)
((ولو كنتَ أخا مال ... أتَوني بين جُلاّسي)
(يُحِبوني ويَحْبوني ... على العينين والراس)
(ويدعوني عزيزاً غير ... أنّ الذل إفلاسي)
ثم قام يبول فقال بعض من حضر أي شيء معنى عشرتنا هذا المجنون العريان والله ما نأمنه وهو صاح فكيف إذا سكر وفطن جعيفران للمعنى فخرج إلينا وهو يقول
(وندامَى أكلوني ... إذ تغيّبْتُ قليلا)
(زعموا أنّي مجنونٌ ... أرى العُرْي جميلا)
(كيف لا أعرَى وما أبصر ... في الناس مثيلا)
(إن يكن قد ساءكم قُربي ... فخلُّوا لي سبيلا)
(وأتمّوا يومكم ... سرّكم الله طويلا)
قال فرققنا له واعتذرنا إليه وقلنا له والله ما نلتذ إلا بقربك وأتيناه بثوب فلبسه وأتممنا يومنا ذلك معه
أخبرني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال
تقدم جعيفران إلى أبي يوسف الأعور القاضي بسر من رأى في حكومة في شيء كان في يده من وقف له فدفعه عنه وقضى عليه فقال له أراني الله أيها القاضي عينيك سواء فأمسك عنه وأمر برده إلى داره

فلما رجع أطعمه ووهب له دراهم ثم دعا به فقال له ماذا أردت بدعائك أردت أن يرد الله على بصري ما ذهب فقال له والله لئن كنت وهبت لي هذه الدراهم لأسخر منك لأنت المجنون لا أنا أخبرني كم من أعور رأيته عمي قال كثيراً قال فهل رأيت أعور صح قط قال لا قال فكيف توهمت عليّ الغلط فضحك وصرفه

جعيفران يمدح أبا دلف

أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال حدثني أحمد بن القاسم البرتي قال حدثني علي بن يوسف قال كنت عند أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي فاستأذن عليه حاجبه لجعيفران الموسوس فقال له أي شيء اصنع بموسوس قد قضينا حقوق العقلاء وبقي علينا حقوق المجانين فقلت له جعلت فداء الأمير موسوس أفضل كثير من العقلاء وإن له لسانا يتّقى وقولا مأثورا يبقى فالله الله أن تحجبه فليس عليك منه أذى ولا ثقل فأذن له فلما مثل بين يديه قال

(يا أكرمَ العالمِ موجودا ... ويا أعزّ الناس مفقودا)
((لما سألتُ الناسَ عن واحدٍ ... أصبح في الأمة محموداً
(قالوا جميعاً إنه قاسمٌ ... أشبهَ آباءً له صِيدا)
(لو عبدوا شيئاً سوى ربهم ... أصبحْت في الأمة معبودا)
(لا زلْتَ في نعْمى وفي غبطةٍ ... مكرّماً في الناسِ معدوداً)

قال فأمر له بكسوة وبألف درهم فلما جاء بالدراهم أخذ منها عشرة وقال تأمر القهرمان أن يعطيني الباقي مفرقاً كلما جئت لئلا يضيع مني فقال للقهرمان أعطه المال وكلما جاءك فأعطه ما شاء حتى يفرّق الموت بيننا فبكى عند ذلك جعيفران وتنفس الصعداء وقال

(يموت هذا الذي أراه ... وكلُّ شيء له نفاد)
(لو غيرَ ذي العرش دام شيء ... لدام ذا المُفْضِلُ الجواد)

ثم خرج فقال أبو دلف أنت كنت أعلم به مني قال وغبر عني مدة ثم لقيني وقال يا أبا الحسن ما فعل أميرنا وسيدنا وكيف حاله فقلت بخير وعلى غاية الشوق إليك فقال أنا والله يا أخي أشوق ولكني أعرف أهل العسكر وشرههم وإلحاحهم والله ما أراهم يتركونه من المسألة ولا يتركهم كرمه أن يخليهم من العطية حتى يخرج فقيراً فقلت دع هذا عنك وزره فإن كثرة السؤال لا تضر بماله فقال وكيف أهو أيسر من الخليفة قلت لا قال والله لو تبذل لهم الخليفة كما يبذل أبو دلف وأطعمهم في ماله كما يطعمهم لأفقروه في يومين ولكن اسمع ما قلته في وقتي فقلت هاته يا أبا الفضل فأنشأ يقول

(أبا حسنٍ بلِّغَنْ قاسماً ... بأنّي لم أجْفُه عن قلبي)
((ولا عن مَلالٍ لإتيانه ... ولا عن صدودٍ ولا عن غِنى
(ولكنِ تعفّفتُ عن ماله ... وأصفيتُه مِدْحتي والثنا)
(أبو دُلَف سيّد ماجد ... سنيّ العطيةِ رَحبِ الفِنا)
(كريمٌ إذا انتابه المعتفون ... عمّهمُ بجزيل الحِبا)

قال فأبلغتها أبا دلف وحدثته بالحديث الذي جرى فقال لي قد لقيته منذ أيام فلما رأيته وقفت له وسلّمت عليه وتحفيت به فقال لي سر أيها الأمير على بركة الله ثم قال لي

(يا مُعدِيَ الجود على الأموالِ ... ويا كريمَ النفْس في الفعال)
(قد صُنتني عن ذِلة السؤالِ ... بجودك الموفِي على الآمال)
(صانك ذو العزة والجلال ... مِن غِيَر الأيام والليالي)

قال ولم يزل يختلف إلى أبي دلف وبره حتى افترقا

جعيفران يهجو نفسه

سمعت عبد الله بن أحمد عم أبي رحمه الله يحدث فحفظت الخبر ولا أدري أذكر له إسناداً فلم أحفظه أم ذكره بغير إسناد قال

كان جعيفران خبيث اللسان هجاء لا يسلم عليه أحد فاطلع يوما في الحب فرأى وجهه قد تغير وعفا شعره فقال

(ما جَعفرٌ لأبيه ... ولا له بشبيه)
(أضحى لقومٍ كثير ... فكلّهم يدعيه)
(هذا يقول بُنيّي ... وذا يخاصم فيه)
(والأمُّ تضحك منهم ... لِعلمها بأبيه)

حدثني محمد بن الحسن الكِندي خطيب القادسية قال حدثني رجل من كتاب الكوفة قال

اجتاز بي جعيفران مرة فقال أنا جائع فأي شيء عندك تطعمني فقلت سلق بخردل فقال اشتر لي معه بطيخاً فقلت أفعل فادخل وبعثت بالجارية تجيئه به وقدمت إليه الخبز والخردل والسلق فأكل منه حتى ضجر وأبطأت الجارية فأقبل علي وقد غضب فقال

(سلَقتَنا وخَرْدَلت ... ثم ولّت فأدبَرَت)
(وأراها بواحد ... وافرِ الأير قد خلَت)

قال فخرجت يشهد الله أطلبها فوجدتها خالية في الدهليز بسائس لي علي ما وصف

صوت

(ولها مَرْبَعٌ بِبُرْقَة خاخٍ ... ومَصِيف بالقصر قصر قُباءِ)
(كفِّنوني إن متّ في دِرع أروى ... واجعلوا لي مِن بئر عُروة مائي)
(سُخنةٌ في الشتاء باردة الصيف ... سراجٌ في الليلة الظلماء)

الشعر للسريّ بن عبد الرحمن والغناء لمعبد ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي قال وفيهما يعني الثالث والأول رمل مطلق في مجرى الوسطى

أخبار السري ونسبه

السري بن عبد الرحمن بن عتبة بن عويم بن ساعدة الأنصاري ولجده عويم بن ساعدة صحبة بالنبي

والسري شاعر من شعراء أهل المدينة وليس بمكثر ولا فحل إلا أنه كان أحد الغزلين والفتيان والمنادمين على الشراب كان هو وعتير بن سهل بن عبد الرحمن بن عوف وجبير بن أيمن وخالد بن أبي أيوب الأنصاري يتنادمون قال وفيهم يقول
(إذا أنت نادمتَ العُتَير وذا الندى ... جُبَيراً ونازعتَ الزّجاجة خالداً)
(أمِنتَ بإذنِ الله أن تُقرع العصا ... وأن يُنَبهوا من نومة السُّكْر راقداً)
غناه الغَريض ثقيلاً
وكان السري هذا هجا الأحوص وهجا نصيباً فلم يجيباه
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عمي وأخبرني الحسين بن يحيى المرداسي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبي قالا
حبس النصيب في مسجد النبي فأنشد وكان إذا أنشد لوي حاجبيه وأشار بيده فرآه السري بن عبد الرحمن الأنصاري فجاءه حتى وقف بإزائه ثم قال
(فقدتُ الشعرَ حين أتى نُصيباً ... ألم تَستَحْيِي من مَقْتِ الكرام)
(إذا رَفع ابنُ ثَوبة حاجبَيه ... حسبت الكلبَ يُضرِبُ في الكِعام)
قال فقال نصيب من هذا فقالوا هذا ابن عويم الأنصاري قال قد وهبته لله عز وجل ولرسوله ولعويم بن ساعدة قال وكان لعويم صحبة ونصرة
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي عن عبد الرحمن بن عبد الله العمري قال كان السري قصيراً دميماً أزرق وكان يهوى
امرأة يقال لها زينب ويشبب بها فخرج إلى البادية فرآها في نسوة فصار إلى راع هناك وأعطاه ثيابه وأخذ منه جبته وعصاه وأقبل يسوق الغنم حتى صار إلى النسوة فلم يحفلن به وظنن أنه أعرابي فأقبل يقلب بعصاه الأرض وينظر إليهن فقلن له أذهب منك يا راعي الغنم شيء فأنت تطلبه فقال نعم قال فضربت زينب بكمها على وجهها وقالت السري والله أخزاه الله فأنشأ يقول
صوت
(ما زال فينا سقيمٌ يُستَطَبُّ له ... من ريح زينبَ فينا ليلةَ الأحدِ)
(حُزْتِ الجَمالَ ونشراً طيِّباً أرِجاً ... فما تُسمَّينَ إلا مِسكة البلدِ)
(أما فؤادي فشيء قد ذهبتِ به ... فما يضرُّكِ ألا تَحرُبي جسدي)
المهدي يستحسن شعره في الغزل
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا مصعب الزبيري قال قال أبي قال لي المهدي أنشدني شعراً غزلاً فأنشدته قول السري بن عبد الرحمن
(ما زال فينا سقيمٌ يستَطَبُّ له ... من ريح زينبَ فينا ليلةَ الأحدِ)
فأعجبته وما زال يستعيدها مراراً حتى حفظها
أخبرني الحسن قال حدثني أحمد قال حدثني محمد بن سلام
الجمحي قال
كان السري بن عبد الرحمن ينادم عتير بن سهل بن عبد الرحمن بن عوف وجبير بن أيمن بن أم أيمن مولى النبي وخالد بن أيوب الأنصاري وكانوا يشربون النبيذ وكلهم كان على ذلك مقبول الشهادة جليل القدر مستوراً فقال السري
(إذا أنتَ نادمتَ العُتَيْرَ وذا الندى ... جُبَيراً ونازعتَ الزجاجةَ خالداً)
(أمِنتَ بإذنِ الله أن تُقرَعَ العصا ... وأن يُنَبْهوا من نومة السُّكر راقداً)
فقالوا قبحك الله ماذا أردت إلى التنبيه علينا والإذاعة لسرنا إنك لحقيق ألا ننادمك قال والله ما أردت بكم سوءاً ولكنه شعر طفح فنفثته عن صدري قال وخالد بن أبي أيوب الأنصار ي الذي يقول
صوت
(ألا سقَّني كأسي ودعِ قول مَن لحَى ... ورَوِّ عظاماً قَصْرُهن إلى بِلى)
(فإن بُطوء الكأس مَوْتٌ وحبسَها ... وإنَّ دِراك الكأس عندي هو الحيا)
الغناء في هذين البيتين هو لعبد الله بن العباس الربيعي خفيف رمل بالبنصر عن عمرو بن بانة
أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني سليمان بن أبي شيخ قال حدثني مصعب بن عبد الله الزبيري قال حدثني مصعب بن عثمان قال حدثني عبيد الله بن عروة بن الزبير قال
خرجت وأنا غلام أدور في السكك بالمدينة فانتهيت إلى فناء مرشوش وشاب جميل الوجه جالس فلما رآني دعاني ثم قال لي من أنت يا غلام فقلت عبيد الله بن عروة بن الزبير فقال اجلس فجلست فدعا بالغداء فتغدينا جميعا ثم قال يا جارية فأقبلت جارية تتهادى كأنها مهاة وفي يدها قنينية فيها شراب صاف وقلة ماء وكأس فقال لها اسقيني فصبت في الكأس وسكبت عليه ماء وناولته فشرب ثم قال اسقيه فصبت في الكأس وسكبت عليه ماء وناولتني فلما وجدت رائحته بكيت فقال ما يبكيك يا بن أخي فقلت إن أهلي إن وجدوا رائحة هذامني ضربوني فأقبل على الجارية بوجهه وقال لها يخاطبها
(ألا سقّني كأسي ودعْ عنكَ من أبى ... وروَّ عظاماً قَصْرُهن إلى بِلى)
فأخذته من يدي وأعطتْه فشربه وقمت فلما جاوزته سألت عنه فقيل لي هذا خالد بن أبي أيوب الأنصاري الذي يقول فيه الشاعر
(إذا أنتَ نادمتِ العُتَيْر وذا النّدى ... جُبَيْراً ونازعتَ الزجاجة خالداً)
(أمِنت بإذن الله أن تقرعَ العصا ... وأن يوقظوا من سَكرةِ النوم راقدا)
(وصِرتَ بحمدِ الله في خير عُصبةٍ ... حسانِ النّدامى لا تخاف العَرابدا)
السري وابن الماجشون
أخبرنا وكيع قال حدثنا محمد بن علي بن حمزة قال حدثني أبو غسان عن محمد بن يحيى بن عبد الحميد قال
كان السري بن عبد الرحمن يختلف إلى فتية فجاء ابن الماجشون فقال لا أدخل حتى يخرج السري فأخرجته فقال السري

(قَبّح الله أهلَ بيتِ بِسَلْعٍ ... أخرجوني وأدخلوا الماجشونا)
(أدخَلوا هِرةً تُلاعب قِرداً ... ما نراهُم يرَوْن ما يصنعونا)
أخبرني الحسن قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني مصعب قال
أنشدني أبي للسري بن عبد الرحمن في أمة الحميد بنت عبد الله بن عباس وفي ابنتها أمة الواحد
(أمَةُ الحميدِ وبنتُها ... ظَبيانِ في ظلِّ الأراك)
(يَتتبَّعان بَريره ... وظلالَه فهما كذاك)
(حُذِيَ الجَمَالُ عليهما ... حَذْوَ الشِّراك على الشراك)
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني محمد بن الحسن بن مسعود الزرقي قال حدثني يحيى بن عثمان بن أبي قباحة الزهري قال أنشدني أبو غسان صالح بن العباس بن محمد وهو إذ ذاك على المدينةللسري بن عبد الرحمن
(ليتني في المؤذِّنين نَهاراً ... إنهم يبصرون مَن في السطوح)
((فيشيرون أو يُشار إليهم ... حبَّذا كل ذات جِيدٍ مليح
قال فأمر صالح بسدّ المنار فلم يقدر أحد على أن يطلع رأسه حتى عزل صالح
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثني زبير بن بكار عن عمه
أن السري بن عبد الرحمن وقف على عمر بن عمرو بن عثمان وهو جالس على بابه والناس حوله فأنشأ يقول)
(يا بن عثمانَ يا بنَ خيرِ قريشٍ ... أبْغني ما يَكفُّني بقُباء)
(ربما بَلَّني نداك وجَلّى ... عن جبيني عجاجةَ الغُرماءْ)
فأعمره أرضاً بقباء وجعلها طعمة له أيام حياته فلم تزل في يده حتى مات
أخبرني وسواسة بن الموصلي قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن عزيز بن طلحة قال قال معبد خرجت من مكة أريد المدينة فلما كنت قريبا من المنزل أريت بيتاً فعدلت إليه فإذا فيه أسود عنده حبان من ماء وقد جهدني العطش فسلمت عليه واستسقيت فقال تأخر عافاك الله فقلت يا هذا اسقني بسرعة من الماء فقد كدت أموت عطشا فقال والله لا تذوق منه جرعة ولو مت فرجعت القهقرى وأنخت راحلتي واستظللت بظلها من الشمس ثم اندفعت أغني ليبتل لساني
(كفّنوني إن مت في درع أروى ... واستقوا لي من بئر عروة مائي)
فإذا أنا بالأسود قد خرج إلي ومعه قدح خيشاني فيه سويق ملت بماء بارد فقال هل لك في هذا أرب قلت قد منعتني ما هو أقل منه الماء فقال اشرب عافاك الله ودع عنك ما مضى فشربت ثم قال أعد فديتك الصوت فأعدته فقال هل لك بأبي وأمي أن أحمل لك قربة من ماء وأمشي بها معك إلى المنزل وتعيد علي هذا الصوت حتى أتزود منه وكلما عطشت سقيتك قلت افعل ففعل وسارمعي فما زلت أغنيه إياه وكلما عطشت استقيته حتى بلغت المنزل عشاء

صوت

(سلَبَ الشبابُ رداءه ... عنِّي ويتبعهُ إزارهْ)
(ولقد تحلُّ عليّ حلته ... ويعجبني افتخارهْ)
(سائلْ شبابي هل مستُ ... بسوْءةٍ أو ذَلّ جاره)
(ما إن ملكت المال إلاّ ... كان لي وله خياره)
ويروى هل أسأت مساكه
الشعر لمسكين الدارمي والغناء لمقاسه بن ناصح خفيف رمل بالبنصر عن عمرو

أخبار مسكين ونسبه

مسكين لقب غلب عليه واسمه ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن زيد بن عبد الله بن عدس بن دارم بن مالك بن زيد مناة بن تميم وقال أبو عمرو الشيباني مسكين بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم قال أبو عمرو وإنما لقب مسكيناً لقوله
(أنا مسكينٌ لِمن أنكرني ... ولمَن يعرفني جِدُّ نُطُق)
(لا أبيع الناسَ عِرضي إنني ... لو أبيع الناسَ عِرضي لَنَفق)
وقال أيضاً
(سُمّيتُ مسكيناً وكانت لجاجةً ... وإني لمسكين إلى الله راغبُ)
وقال أيضاً
(إنْ أُدعَ مسكيناً فلست بمنكَرٍ ... وهل ينُكَرَنَّ الشمسُ ذَرّ شعاعُها)
(لَعَمرك ما الأسماءُ إلا علامةٌ ... منارٌ ومن خير المنار ارتفاعها)
شاعر شريف من سادات قومه هاجى الفرزدق ثم كافّه فكان الفرزدق بعد ذلك في الشدائد التي أفلت منها

مسكين والفرزدق

حدثني حبيب بن أوس بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة عن أبي عبيدة قال
كان زياد قد أرعى مسكينا الدارمي حمى له بناجية العذيب في عام قحط حتى أخصب الناس وأحيوا ثم كتب له ببئر وتمر وكساه قال فلما مات زياد رثاه مسكين فقال
(رأيتُ زيادةَ الإسلام ولّت ... جِهاراً حين ودّعَنا زيادُ)
فعارضه الفرزدق وكان منحرفاً عن زياد لطلبه إياه وإخافته له فقال
(أمسكينُ أبكي الله عينَك إنما ... جرَى في ضَلال دَمْعُها فتحدّرا)
(بكيتَ على عِلْجٍ بمَيسان كافر ... ككسرى على عِدّانِه أو كقيصرا)
(أقول له لما أتاني نعيُّه به ... لا بظبي بالصريمة أعفرا)
فقال مسكين يجيبه
(ألا أيها المرء الذي لستُ قاعداً ... ولا قائماً في القوم إلا انبرى ليا)
(فجئني بعمٍّ مثل عميَ أو أبٍ ... كمثل أبي أو خالِ صدقٍ كخاليا)
((كعمرو بن عمرو أو زرارةَ ذي الندى ... أو البِشْر من كلٍّ فرعتُ الروابيا

قال فأمسك الفرزدق عنه فلم يجبه وتكافّا
أخبرني ببعض هذا الخبر أبو خليفة عن محمد بن سلاّم فذكر نحواً مما ذكره أبو عبيدة وزاد فيه قال والبشر خال لمسكين من النَّمِر بن قاسِط وقد فخر به فقال
(شُرَيحٌ فارس النعمان عمّي ... وخالي البِشرُ بشرُ بني هلال)
(وقاتِلُ خالِه بأبيه منا ... سماعةُ لم يبع حسباً بمال)
وأخبرني عمي قال حدثنا الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه بمثل هذه الحكاية وزاد فيها قال فتكافّا واتقاه الفرزدق أن يعين عليه جريراً واتقاه مسكين أن يعين عليه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ودخل شيوخ بني عبد الله وبني مجاشع فتكافا
وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة عن أبي عمرو قال قال الفرزدق نجوت من ثلاثة أشياء لا أخاف بعدها شيئا نجوت من زياد حين طلبني ونجوت من ابني رميلة وقد نذرا دمي وما فاتهما أحد طلباه قطُّ ونجوت من مهاجاة مسكين الدارمي لأنه لو هجاني اضطرني أن أهدم شطر حسبي وفخري لأنه من بحبوحة نسبي وأشراف عشيرتي فكان جرير حينئذ ينتصف من بيدي ولساني
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمود بن داود عن أبي عكرمة عامر بن عمران عن مسعود بن بشر عن أبي عبيدة أنه سمعه يقول
أشعر ما قيل في الغيرة قول مسكين الدارمي
(ألا أيها الغائر المستشيط ... فيم تغار إذا لم تُغَرْ)
(فما خير عِرْس إذا خفتَها ... وما خير عِرس إذا لم تُزر)
(تغار على الناس أن ينظروا ... وهل يَفْتِن الصالحاتِ النظَرْ)
(وإني سأخلي لها بيتها ... فتحفظ لي نفسها أو تذر)
(إذ اللهُ لم يُعطني حُبَّها ... فلن يُعطِيَ الحُبَّ سوطٌ مُمَرّ)
مسكين ومعاوية
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدثني عبد الله بن مالك الخزاعي قال حدثني عبد الله بن بشير قال أخبرني أيوب بن أبي أيوب السعدي قال
لما قدم مسكين الدارمي على معاوية فسأله أن يفرض له فأبى عليه وكان لا يفرض إلا لليمن فخرج من عنده مسكين وهو يقول
(أخاكَ أخاكَ إن مَن لا أخا ... له كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح)
(وإن ابنَ عم المرء فاعلم جَناحه ... وهل ينهض البازي بغير جَناح)
(وما طالب الحاجات إلا مغرّر ... وما نال شيئاً طالب كنجاح)
قال السعدي فلم يزل معاوية كذلك حتى غزت اليمن وكثرت وضعضعت عدنان فبلغ معاوية أن رجلاً من أهل اليمن قال يوما لهممت ألا أدع بالشأم أحداً من مضر بل هممت ألا أحل حبوتي حتى أخرج كل نزاري بالشأم فبلغت معاوية ففرض من وقته لأربعة آلاف رجل من قيس سوى خندف وقدم على تفيئة ذلك عطارد بن حاجب على معاوية فقال له ما فعل الفتى الدارمي الصبيح الوجه الفصيح اللسان يعني مسكيناً فقال صالح يا أمير المؤمنين فقال أعلمه أني قد فرضت له في شرف العطاء وهو في بلاده فإن شاء أن يقيم بها أني قد فرضت له في شرف العطاء وهو في بلاده فإن شاء أن يقيم بها أو عندنا فليفعل فإن عطاءه سيأتيه وبشره أني قد فرضت لأربعة آلف من قومه من خندف قال وكان معاوية بعد ذلك يغزي اليمن في البحر ويغزي قيسا في البر فقال شاعر اليمن
(ألا أيها القوم الذين تجمعوا ... بعَكَّا أناسٌ أنتم أم أباعر)
(أتُتْرك قيسٌ آمنين بدارهم ... ونركب ظَهر البحر والبحر زاخر)
(فوالله ما أدري وإني لسائل ... أهمدانُ يُحمى ضَيْمها أم يُحابر)
(أمِ الشرف الأعلى منَ أولاد حِمير ... بنو مالك إذ تَستمر المرائر)
(أأوصى أبوهم بينهم أن تواصَلوا ... وأوصى أبوكم بينكم أن تدابروا)
قال ويقال إن النجاشي قال هذه الأبيات
أخبرني بذلك عبد الله بن أحمد بن الحارث العدوي عن محمد بن عائد عن الوليد بن مسلم عن إسماعيل بن عياش وغيره قالوا
فلما بلغت هذه الأبيات معاوية بعث إلى اليمن فاعتذر إليهم وقال ما أغرينكم البحر إلا لأني أتيمن بكم وأن في قيس نكدا وأخلاقاً لا يحتملها الثغر وأنا عارف بطاعتكم
ونصحكم فأما إذ قد ظننتم غير ذلك فأنا أجمع فيه بينكم وبين قيس فتكونون جميعاً فيه وأجعل الغزو فيه عقبا بينكم فرضوا فعل ذلك فيما بعد
حدثني الحسن بن علي قال حدثنا أحمدبن زهير بن حرب قال حدثني مصعب بن عبد الله قال وحدثنيه زبير عن عمه قال كان أصاغر ولد مروان في حجر ابنه عبد العزيز بن مروان فكتب عبد العزيز إلى بشر كتابا وهو يومئذٍ على العراق فورد عليه وهو ثمل وكان فيه كلام أحفظه فأمر بشر كاتبه فأجاب عبد العزيز جواباً قبيحاً فلما ورد عليه علم أنه كتبه وهو سكران فجفاه وقطع مكاتبته زمانا
وبلغ بشراً عتبه عليه فكتب إليه لولا الهفوة لم احتج إلى العذر ولم يكن لك في قبوله مني الفضل
ولو احتمل الكتاب أكثر مما ضمنته لزدت فيه وبقية الأكابر على الأصاغر من شيم الأكارم
ولقد أحسن مسكين الدارمي حين يقول
(أخاك أخاك إنَّ من لا أخا له ... كساع إلى الهيجا بغير سلاح)
(وإن ابنَ عمّ المرء فاعلم جناحُه ... وهل ينهض البازي بغير جناح)
قال فلما وصل كتابه إلى عبد العزيز دمعت عينه وقال إن أخي كان منتشياً ولولا ذلك لما جرى منه ما جرى فسلوا عمن شهد ذلك المجلس فسئل عنهم فأخبر بهم فقبل عذره وأقسم عليه ألا يعاشر أحداً من ندمائه الذين حضروا ذلك المجلس وأن يعزل كاتبه عن كتابته ففعل

أخبرني محمد بن الحسين الكندي خطيب القادسية قال حدثنا عمر بن شبة عن أبي عبيدة عن أبي عمرو قال
كان الفرزدق يقول نجوت من ثلاث أرجو ألا يصيبني بعدهن شر نجوت من زياد حين طلبني وما فاته مطلوب قط ونجوت من ضربة رئاب بن رميلة أبي البذال فلم يقع في رأسي ونجوت من مهاجاة مسكين الدارمي
ولو هاجيته لحال بيني وبين بيت بني عمي وقطع لساني عن الشعراء
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أبو العيناء عن الأصمعي قال
خطب مسكين الدارمي فتاة من قومه فكرهته لسواد لونه وقلة ماله وتزوجت بعده رجلاً من قومه ذا يسار ليس له مثل نسب مسكين فمر بهما مسكين ذات يوم وتلك المرأة جالسة مع زوجها فقال

(أنا مسكين لِمَن يعرفني ... لَونيَ السُّمرة ألوانُ العَربْ)
(مَن رأى ظبياً عليه لؤلؤ ... واضحَ الخدين مقروناً بضب)
(أكْسَبَتْه الورقُ البيضُ أباً ... ولقد كان وما يُدعى لأب)
(رُبَّ مهزولٍ سمينٌ بيتُه ... وسمينِ البيت مهزولِ النسب)
(أصبحتْ ترزَقَ مِن شحم الذُّرا ... وتخالِ اللؤم دُرّا يُنتهَب)
(لا تَلُمها إنها من نِسوة ... صَخِبات مِلْحُها فوق الرُّكب)
(كشموس الخيل يبدو شَغْبُها ... كلما قيل لها هالٌ وهَب)

يزيد بن معاوية يستعين بمسكين

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثني حماد بن إسحاق الموصلي قال حدثني أبي عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش قال
كان يزيد بن معاوية يؤثر مسكيناً الدارمي ويصله ويقوم بحوائجه عند أبيه فلما أراد معاوية البيعة ليزيد تهيب ذلك وخاف ألا يمالئه عليه الناس لحسن البقية فيهم وكثرة من يرشح للخلافة وبلغه في ذلك ذرء وكلام كرهه من سعيد بن العاص ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر فأمر يزيد مسكيناً أن يقول أبياتاً وينشدها معاوية في مجلسه إذا كان حافلاً وحضره وجوه بني أمية فلما اتفق ذلك دخل مسكين إليه وهو جالس وابنه يزيد عن يمينه وبنو أمية حواليه وأشراف الناس في مجلسه فمثل بين يديه وأنشأ يقول

(إن أدْع مسكيناً فإني ابن معشر ... من الناس أحمي عنهمُ وأذودُ)
(إليك أميرَ المؤمنين رَحَلْتُها ... تثير القطا ليلاً وهنَّ هُجود
(وهاجرةٍ ظلت كأن ظباءها ... إذا ما اتّقَتْها بالقرون سجود)

صوت

(ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر ... ومروانُ أم ماذا يقول سعيد)
(بَني خلفاءِ اللّهِ مهلاً فإنما ... يُبوِّئها الرحمنُ حيث يريد)
(إذا المنبر الغربي خلاّه ربه ... فإن أميرَ المؤمنين يزيد)

الغناء لمعبد ثقيل أول بالبنصر عن عمرو بن بانة

(على الطائر الميمون والجَدُّ صاعد ... لِكلِّ أناسٍ طائر وجُدود)
(فلا زلتَ أعلى الناس كعباً ولا تَزَل ... وفود تُساميها إليك وفود)
(ولا زال بَيت المُلك فوقَك عالياً ... تُشيَّد أطناب له وعمود)
(قُدور ابن حرب كالجوابي وتحتها ... أثافٍ كأمثال الرئال رُكود)

فقال له معاوية ننظر فيما قلت يا مسكين ونستخير الله قال ولم يتكلم أحد من بني أمية في ذلك إلا بالإقرار والموافقة وذلك الذي أراده يزيد ليعلم ما عندهم ثم وصله يزيد ووصله معاوية فأجزلا صلته
أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا العنزي قال حدثنا أبو معاوية بن سعيد بن سالم قال قال لي عقيد
غنيت الرشيد

(...إذا المنبِر الغربي خلاّه ربه)

ثم فطنت لخطابي ورأيت وجه الرشيد قد تغير قال فتداركتها وقلت

(... فإن أمير المحسنين عقيد)

فطرب وقال أحسنت والله بحياتي قل

(... فإن أمير المؤمنين عقيد)

فوالله لأنت أحق بها من يزيد بن معاوية فتعاظمت ذلك فحلف لا أغنيه إلا كما أمر ففعلت وشرب عليه ثلاثة أرطال ووصلني صلة سيئة
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال حدثني عمي قال
كانت لمسكين الدارمي امرأة من منقر وكانت فاركاً كثيرة الخصومة والمماظة فجازت به يوماً وهو ينشد قوله في نادي قومه

(إن أُدْعَ مسكيناً فما قَصَرَتْ ... قِدْري بيوتُ الحي والجُدُرُ)

فوقفت عليه تسمع حتى إذا بلغ قوله

(ناري ونارُ الجار واحدة ... واليه قَبلي تُنزَل القِدر)

فقالت له صدقت والله يجلس جارك فيطبخ قدره فتصطلي بناره ثم ينزلها فيجلس يأكل وأنت بحذائه كالكلب فإذا شبع أطعمك أجل
والله إن القدر لتنزل إليه قبلك فأعرض عنها ومر في قصيدته حتى بلغ قوله

(ما ضَرَّ جاراً لِي أجاوره ... ألا يكون لبيته ستر)

فقالت له أجل إن كان له ستر هتكته فوثب إليها يضربها وجعل قومه يضحكون منهما
وهذه القصيدة من جيد شعره

صوت

(يا فرحتا إذ صَرَفْنا أوجه الإبل ... نحو الأحبة بالإزعاج والعجَلِ)

(نحثُّهن وما يؤنَيْن من دأب ... لكنَّ للشوق حثاً ليس للإبل)
الشعر لأبي محمد اليزيدي والغناء لسليمان ثقيل أول بالبنصر عن عمرو والهشامي
أخبار أبي محمد ونسبه
أبو محمد يحيى بن المبارك أحد بني عدي بن عبد شمس بن زيد مناة بن تميم
سمعت أبا عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد اليزيدي يذكر ذلك ويقول نحن من رهط ذي الرمة
وقيل أنهم موالي بني عدي وقيل لأبي محمد اليزيدي لأنه كان فيمن خرج مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بالبصرة ثم توارى زماناً حتى استتر أمره ثم اتصل بعد ذلك بيزيد بن منصور خال المهدي فوصله بالرشيد فلم يزل معه
وأدب المأمون خاصة من ولده ولم يزل أبو محمد وأولاده منقطعين إليه وإلى ولده ولهم فيهم مدائح كثيرة جياد
وكان أبو محمد عالماً باللغة والنحو راويةً للشعر متصرفاً في علوم
العرب أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب النحوي وأكابر البصريين وقرأ القرآن على أبي عمرو بن العلاء وجود قراءته ورواها عنه وهي المعول عليها في هذا الوقت
وكان بنوه جميعاً في مثل منزلته من العلم والمعرفة باللغة وحسن التصرف في علوم العرب ولسائرهم علم جيد
ونحن نذكر بعد انقضاء أخباره أخبار من كان له شعر وفيه غناء من ولده إذ كنا قد شرطنا ذكر ما فيه صنعة دون غيره
فمنهم محمد بن أبي محمد وإبراهيم بن أبي محمد واسماعيل بن أبي محمد كل هؤلاء ولده لصلبه ولكلهم شعر جيد
ومن ولد ولده أحمد بن محمد بن أبي محمد وهو أكبرهم وكان شاعراً راوية عالماً ومنهم عبيد الله والفضل ابنا محمد بن محمد وقد رويا عن أكابر أهل اللغة وحمل عنهما علم كثير
وآخر من كان بقي من علماء أهل هذا البيت أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد وكان فاضلاً عالماً ثقة فيما يرويه منقطع القرين في الصدق وشدة التوقي فيما ينقله
وقد حملنا نحن عنه وكثير من طلبة العلم ورواته علماً كثيراً فسمعنا
منه سماعاً جماً فأما ما أذكر ها هنا من أخبارهم فإني أخذته عن أبي عبد الله عن عمية عبيد الله والفضل وأضفت إليه أشياء أخر يسيرة أخذتها عن غيره فذكرت ذلك في مواضعه ورويته عن أهله
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله عن عمه إسماعيل بن أبي محمد قال حدثني أبي قال كان الرشيد جالساً في مجلسه فأتي بأسير من الروم فقال لدفافة العبسي قم فاضرب عنقه فضربه فنبا سيفه فقال لابن فليح المدني قم فاضرب عنقه فضربه فنبا سيفه أيضاً فقال أصلح الله أمير المؤمنين تقدمتني ضربة عبسية فقال الرشيد للمأمون وهو يومئذٍ غلام قم فداك أبوك فاضرب عنقه فقام فضرب العلج فأبان رأسه ثم دعا بآخر فأمره بضرب عنقه فضربه فأبان رأسه ونظر إلي المأمون نظر مستنطق فقلت
(أبقى دُفافةُ عاراً بعد ضربته ... عند الإمام لِعَبس آخر الأبدِ)
(كذاك أسرتُه تنبو سيوفهمُ ... كسيف ورقاء لم يقطع ولم يكَد)
(ما بال سيفْك قد خانتك ضربتُه ... وقد ضربت بسيف غير ذي أود)
((هلا كضرْبةِ عبد الله إذ وقعت ... ففرّقت بين رأس العلج والجسد
قال إسماعيل بن أبي محمد في أخباره
كان حمويه ابن أخت الحسن الحاجب وسعيد الجوهري واقفين فذكرا أبا محمد يعني أباه والكسائي ففضل حمويه الكسائي على أبي محمد وفضل سعيد الجوهري أبا محمد على الكسائي
وطال الكلام بينهما إلى أن تراضيا برجل يحكم بينهما فتراهنا على أن من غلب أخذ برذون صاحبه فجعلا الحكم بينهما أبا صفوان الأحوزي فلما دخل سألاه فقال لهما لو ناصح الكسائي نفسه لصار إلى أبي محمد وتعلم منه كلام العرب فما رأيت أحداً أعلم منه به فأخذ الجوهري دابة حمويه وبلغ أبا محمد اليزيدي هذا الخبر فقال
(يا حَمَويه اسمع ثَناً صادقاً ... فيك وما الصادق كالكاذب)
(يا جالبَ الخزي على نفسه ... بُعْداً وسحقاً لكَ من جالب)
(إنْ فخَر الناسِ بآبائهم ... آتيتَهم بالعجب العاجب)
(قلت وأدْغمتَ أباً خاملاً ... أنا ابنُ أخت الحسن الحاجب)
ابو محمد وسلم الخاسر
قال إسماعيل وحدثني أبي قال
كنت ذات يوم جالساً أكتب كتاباً فنظر فيه سلم الخاسر طويلاً
ثم قال
(أيْر يحيى أخط من كفّ يحيى ... إنّ يحيى بأيره لخَطُوطُ)
فقال أبو محمد يحيى
(أمُّ سَلْم بذاك أعلمُ شيء ... إنها تحت أيره لضَروطُ)
(ولها تارةً إذا ما علاها ... أزْملٌ من وداقها وأطيط)
(أمٌّ سَلم تَعلّم الشّعرَ سلماً ... حبّذا شِعر أمك المنقوط)
(ليت شِعري ما بالُ سلم بن عمرو ... كاسفَ البال حين يُذكَر لوط)
(لا يصلِّي عليه فيمن يصلِّي ... بل له عند ذكره تَثْبيط)
فقال له سلم ويحك ما لك خبثت أي شيء دعاك إلى هذا كله فقال أبو محمد بدأت فانتصرت والبادي أظلم
قال أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي حدثني عبيد الله وعمي أبو القاسم عن أبي علي إسماعيل قال قال لي أبي قال سلم الخاسر يوماً
يا أبا محمد قل أبياتاً على قول امرىء القيس
(... رُبّ رامٍ من بني ثُعَلٍ)
ولا أبالي أن تهجوني فيها فقلت
(رُبَّ مغمومٍ بعافية ... غَمَط النُعماء من أشَرِهْ)
(مُوردٌ أمراً يُسرّ به ... فرأى المكروه في صدرهْ)

(وامرىءٍ طالتِ سلامته ... فرماه الدهر مِن غِيّرهْ)
(بسهام غير مُشوية ... نقضَت منه عُرا مِرره)
(وكذاك الدهرُ مختلِف ... بالفتى حالين من عُصُرِهْ)
(يخلِط العُسْرى بمَيسرة ... ويَسارُ المرء في عُسُرهْ)
(عقّ سلم أمّه سفهاً ... وأبا سلم على كبرهْ)
(كلّ يوم خلفَه رجل ... رامح يسعى على أثرِه)
(يُولج الغُرمُول سبّته ... كوُلوج الضّبّ في جُحُرهْ)
فانصرف سلم وهو يشتِمه ويقول ما يحل لأحد أن يكلمك قال وقال لي يوماً أبو حنش الشاعر
يا أبا محمد قل أبياتاً قافيتها على هاءين فقلت له على أن أهجوك فيها فقال نعم فقلت
(قلتُ ونفسي جَمٌّ تأوُّهها ... تصبو إلي إلفها وأندَهُها)
(سقياً لصنعاء لا أرى بلداً ... أوطنَه الموطنون يشبهها)
(حِصْناً وحُسناً ولا كبهجتها ... أعذَى بلادٍ عذاً وأنزهها)
(يعرف صنعاء مَن أقام بها ... أرغدُ أرض عيشاً وأرفهها)
(أبلغْ حضيراً عنّي أبا حنَش ... عائرةً نحوه أوجِّهها)
(تأتيه مثلَ السهام عامدة ... عليه مشهورةً أدَهْدهها)
(كُنيتُه طرحُ نون كنيتِه ... إذا تهجيّتَها ستفقهها)
يريد إسقاط النون من أبي حنش حتى يكون أبا حش
قال أبو عبد الله وحدثني عمي قال حدثني الطلحي وكان له علم وأدب قال
اجتمعت مع أبي محمد عند يونس بن الربيع وكان قد دعانا فأقمنا عنده فاتفق مجلسي إلى جنب مجلس أبي محمد
فقام يونس لحاجته وكان جميلا وسيما فالتفت إلى اليزيدي فقال
(وفتى كالقناة في الطّرْف منه ... إن تأملتَ طرفَه استرخاءُ)
(فإذا الرامح المُشيح تلاه ... وضع الرمح منه حيث يشاء)
أبو محمد وقتيبة الخراساني
قال وحدثني عمي عن عمه إسماعيل عن أبي محمد قال
كان قتيبة الخراساني صاحب عيسى بن عمر يأتيني فيسألني عن مسائل كالمتعنت فإذا أجبته عنها انصرف منكسرا وكان أفطس فقلت له يوماً
(أمُخْبِري أنت يا قتيبةُ عن ... أنفِك أم أنت كاتمٌ خبرهْ)
(بأي جُرم وأيّ ذنب تَرى ... سوّت بخدّيك أنفَك البقَره)
(فصيّرتْه كفَيْشة نبتَت ... في وجهِ قِرد مفضوضة الكمَره)
(قد كان في ذاك شاغل لك عن ... تفتيش باب العرفان والنكره)
وقلت فيه أيضاً
((إذا عافى مَليك الناس عبدا ... فلا عافاك ربّك يا قُتَيْبه
(طلبتَ النحو مذ أن كنت طفلاً ... إلى أن جلّلتك قُبُحْتَ شيبه)
(فما تزداد إلا النقصَ فيه ... وأنت لدى الإياب بشرّ أوبه)
(وكنتَ كغائب قد غاب حيناً ... فطال مُقامه وأتى بخيبه)
قال أبو محمد
كان عيسى بن عمر أعلم الناس بالغريب فأتاني قتيبة الخراساني هذا فقال لي أفدني شيئاً من الغريب أعاني به عيسى بن عمر فقلت له أجود المساويك عند العرب الأراك وأجود الأراك عندهم ما كان متمئراً عجارما جيداً وقد قال الشاعر
(إذا استكْتَ يوماً بالأراك فلا يَكن ... سواكك إلا المتمئرَّ العُجارما)
يعني الأير قال فكتب قتيبة ما قلت له وكتب البيت ثم أتى عيسى بن عمر في مجلسه فقال يا أبا عمر ما أجود المساويك عند العرب فقال الأراك يرحمك الله فقال له قتيبة أفلا أهدي إليك منه شيئا متمئراً عجارما فقال أهده إلى نفسك وغضب وضحك كل من كان في مجلسه وبقي قتيبة متحيراً فعلم عيسى أنه قد وقع عليه بلاء
فقال له ويلك من فضحك وسخر منك بهذه المسألة ومن أهلكك ودمر عليك قال أبو محمد اليزيدي فضحك عيسى حتى فحص برجله وقال هذه والله من مزحاته وبلاياه أراه عنك منحرفا فقد فضحك فقال قتيبة لا أعاود مسألته عن شيء
حدثني عمي قال حدثني عبيد الله بن محمد اليزيدي قال حدثني أخي أبو جعفر قال سمعت جدي أبا محمد يقول صرت يوما إلى الخليل بن أحمد والمجلس غاص بأهله فقال لي ها هنا عندي فقلت أضيّق عليك فقال إن الدنيا بحذافيرها تضيق عن متباغضين وإن شبرا في شبر لا يضيق عن متحابين قال وكان الخليل لأبي محمد صافي الود
حدثنا اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله قال حدثني أخي أحمد قال سمعت جدي أبا محمد يقول
كنت ألقى الخليل بن أحمد فيقول لي أحب أن يجمع بيني وبين عبد الله بن المقفع وألقى ابن المقفع فيقول أحب أن يجمع بيني وبين الخليل بن أحمد فجمعت بينهما فمر لنا أحسن مجلس وأكثره علما ثم افترقنا فلقيت الخليل فقلت له يا أبا عبد الرحمن كيف رأيت صاحبك قال ما شئت من علم وأدب إلا أني رأيت كلامه أكثر من علمه ثم لقيت ابن المقفع فقلت كيف رأيت صاحبك فقال ما شئت من علم وأدب إلا أنّ عقله أكثر من علمه
ناظر الكسائي وغلبه
حدثنا اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله قال حدثني أخي أحمد بن محمد قال حدثني أبي محمد بن أبي محمد قال قال لي أبو محمد
كنا مع المهدي ببلد في شهر رمضان قبل أن يستخلف بأربعة أشهر وكان الكسائي معنا فذكر المهدي العربية وعنده شيبة بن الوليد العبسي عم دفافة فقال المهدي نبعث إلى اليزيدي والكسائي وأنا يومئذٍ مع يزيد بن المنصور خال المهدي والكسائي مع الحسن الحاجب فجاءنا الرسول فجئت أنا فإذا الكسائي على الباب قد سبقني فقال يا أبا محمد

أعوذ بالله من شرّك فقلت والله لا تؤتى من قبلي حتى أوتى من قبلك
فلما دخلنا عليه أقبل علي وقال كيف نسبوا إلى البحرين فقالوا بحراني ونسبوا إلى الحصنين فقالوا حصني ولم يقولوا حصناني كما قالوا بحراني فقلت أصلح الله الأمير لو أنهم نسبوا إلى البحرين فقالوا بحري لم يعرف أإلى البحرين نسبوا أم إلى البحر فلما جاؤوا إلى الحصنين لم يكن موضع آخر يقال له الحصن ينسب إليه غيرهما فقالوا حصني
قال أبو محمد سمعت الكسائي يقول لعمر بن بزيع وكان حاضراً
لو سألني الأمير لأخبرته فيها بعلة هي أحسن من هذه قال أبو محمد قلت أصلح الله الأمير إن هذا يزعم أنك لو سألته لأجاب بأحسن مما أجبت به قال فقد سألته فقال الكسائي لما نسبوا إلى الحصنين كانت فيه نونان فقالوا حصني اجتزاء بإحدى النونين عن الأخرى ولم يكن في البحرين إلا نون واحدة فقالوا بحراني فقلت أصلح الله الأمير فكيف تنسب رجلا من بني جنان فإنه يلزمه على قياسه أن يقول جني إن في جنان نونين فإن قال ذلك فقد سوّى بينه وبين المنسوب إلى الجن
قال فقال لي المهدي وله تناظرا في غير هذا حتى نسمع فتناظرنا في مسائل حفظ فيها قولي وقوله إلى أن قلت له كيف تقول إن من خير القوم أو خيرهم نيةً زيد قال فأطال الفكر لا يجيب فقلت لأن تجيب فتخطئ فتتعلم أحسن من هذه الإطالة فقال إن من خير القوم أو خيرهم نية زيداً قال فقلت أصلح الله الأمير ما رضي أن يلحن حتى لحن وأحال قال وكيف قلت لرفعه قبل أن يأتي باسم إن ونصبه بعد رفعه
فقال شيبة بن الوليد أراد بأو بل فرفع هذا معنى فقال الكسائي ما أردت غير ذلك فقلت فقد أخطأ جميعا أيها الأمير لو أراد بأو بل رفع زيداً لأنه لا يكون بل خيرهم زيداً فقال المهدي يا كسائي لقد دخلت علي مع مسلمة النحوي وغيره فما رأيت كما أصابك اليوم قال ثم قال هذان عالمان ولا يقضي بينهما إلا أعرابي فصيح يلقى عليه المسائل التي اختلفا فيها فيجيب قال فبعث إلى فصيح من فصحاء الأعرب قال أبو محمد وأطرقت إلى أن يأتي الأعرابي وكان المهدي محبا لأخواله ومنصور بن يزيد بن منصور حاضر فقلت أصلح الله الأمير كيف ينشد هذا البيت الذي جاء في هذه الأبيات
(يا أيها السائلي لأُخبره ... عمن بصنعاءَ من ذوي الحسبِ
(حِمْيرُ سادتُها تُقر لها ... بالفضل طرّاً جحاجح العرب)
(وإنَّ من خيرهم وأكرمهمْ ... أو خيرَهم نية أبو كرب)
قال فقال لي المهدي كيف تنشده أنت فقلت أو خيرهم نية أبو كرب على إعادة إن كأنه قال أو إن خيرهم نية أبو كرب فقال الكسائي هو والله قالها الساعة قال فتبسم المهدي وقال إنك لتشهد له وما تدري قال ثم طلع الأعرابي الذي بعث إليه فألقيت عليه المسائل فأجاب فيها كلها بقولي فاستفزني السرور حتى ضربت بقلنسيتي الأرض وقلت أنا أبو محمد فقال لي شيبة أتتكنى باسم الأمير فقال المهدي والله ما أراد بذلك مكروها ولكنه فعل ما فعل للظفر وقد لعمري ظفر فقلت إن الله عز وجل أنطقك أيها الأمير بما أنت أهله وأنطق غيرك بما هو أهله قال فلما خرجنا قال لي شيبة أتخطّئني بين يدي الأمير أما لتعلمن قلت قد سمعت ما قلت وأرجو أن تجد غبها ثم لم أصبح حتى كتبت رقاعاً عدة فلم أدع ديوانا إلا دسست إليه رقعة فيها أبيات قلتها فيه فأصبح الناس يتناشدونها وهي
(عِش بِجَدٍّ ولا يضرُّك نَوك ... إنما عَيش من ترى بالجُدودِ)
(عِش بِجَدّ وكن هَبنّقة القيسيّ ... نَوكاً أو شيبَة بن الوليد)
(شيب يا شيب يا جُدَدي بني القعْقاع ... ما أنت بالحليم الرشيد
(لا ولا فيك خَلّةٌ من خلال الخير ... أحرزتَها لحزم وجود)
(غيرَ ما أنك المجيد لتقطيع ... غناءٍ وضرب دُفّ وعود)
(فعلَى ذا وذاك يحتمِل الدهر ... مجيداً له وغير مجيد)
قال وقال أبو محمد اليزيدي يهجو خلفا الأحمر أستاذ الكسائي أنشدنيه عمي الفضل
(زعم الأحمر المَقيت عليٌّ ... والذي أمّه تُقِرّ بمقتهْ)
(أنه علّم الكسائي نحواً ... فلئن كان ذا كذاك فبِاسته)
الرشيد يأمر له بمال فيستعين بأصحابه على تعجيله
وبهذا الإسناد عن أبي محمد قال
أمر لي الرشيد بمال وحضر شخوصه إلى السن فأتيت عاصماً الغساني وكان أثيراً عند يحيى بن خالد فقلت له إن أمير المؤمنين قد
أمر لي بمال وقد حضر من شخوصه ما قد علمت فأحب أن تذكر أبا علي يحيى بن خالد أمره ليعجله إلي فقال نعم ثم عدت بعد ذلك بيومين فقال لي يتفخم في لفظه ما أصبت بحاجتك موضعاً قال قلت فاجعلها منك أكرمك الله ببال
فلما خرجت لحقني بعض من كان في المجلس فقال لي يا أبا محمد إني لأربأ بك أن تأتي هذا الكلب أو تسأله حاجة قلت وكيف قال سمعته يقول وقد وليت لو أن بيدي دجلة والفرات ما سقيت هذا منها شربة فقيل له ولم ذاك أصلحك الله فإن له قدرا وعلما قال لأنه من مضر ما رأيت مضريا قط يحب اليمانية
قال فأحببت ألا أعجل فعدت إليه من غد فقلت هل كان منك أكرمك الله في الحاجة شيء فقال والله لكأنك تطلبنا بدين فتحقق عندي ما بلغني عنه فقلت له لا قضى الله هذه الحاجة على يدك ولا قضى لي حاجة أبداً إن سألتكها والله لا سلّمت عليك مبتدئاً أبداً ولا رددت عليك السلام إن بدأتني به ونفضت ثوبي وخرجت
فإني لأسير وأفكر في الحيلة لحاجتي إذا براكب يركض حتى لحقني فقال بعثني إليك أبو علي يحيى بن خالد لتقف حتى يلحقك فرجعت مع رسوله إليه فلقيته وكان قريبا فسلمت عليه ثم سايرته فقال لي إن أمير المؤمنين أمرني أن آمرك بطلب مؤدّب لابنه صالح فإني أحدّثك حديثاً حدثني به أبي خالد بن برمك أن الحجاج بن يوسف أراد مؤدباً لولده فقيل له ها هنا رجل نصراني عالم وها هنا مسلم ليس علمه كعلم النصراني قال ادعوا لي المسلم
فلما أتاه قال ألا ترى يا هذا أنّا قد دللنا على نصراني قد ذكروا أنه أعلم منك غير أني كرهت أن أضم إلى ولدي من لا ينبّههم للصلاة عند
وقتها ولا يدلهم على شرائع الإسلام ومعالمه وأنت إن كان لك عقل قادر على أن تتعلم في اليوم ما يعلمه أولادي في جمعة وفي الجمعة ما يعلمهم في الشهر وفي الشهر ما يعلمهم في سنة
ثم قال لي يحيى فينبغي يا أبا محمد أن نؤثر الدين على ما سواه فقلت له قد أصبت من أرضاه وذكرت له الحسن بن

المسور فضمه إليه ثم سألني من أين أقبلت فأخبرته بخبر عاصم وما كان منه فقلت له قد حضر هذا المسير ولست أدري من أي وجه أتقاضاه فضحك وقال ولم لا تدري الق صديقك جعفراً يعني ابنه حتى يكلم أمير المؤمنين أو يذكرني حاجتك فقد تركته على المضي الساعة فانثنيت إلى جعفر وقلت له في طريقي

(يا سائلي عما أخبره ... عن جعفر كرماً وعن شيمهْ)
(إن ابن يحيى جعفراً رجل ... سبطَ السماحُ بلحمه ودمه)
(فعليه لا أبداً محرمةٌ ... وكلامه وقف على نَعَمه)
(وترى مُسابقَه ليدركه ... بمكان حَذْوِ النعل من قدمه)

فلما دخلت إليه أخبرته الخبر وأنشدته الأبيات وأعلمته ما أمرني به أبوه فقال لي قل بيتين تدكره فيهما إلى أن أجد طهرا واكتبهما حتى يكونا معي فأذكر بهما حاجتك فقلت نعم يا سيدي وأخذت الدواة وكتبت

(أحقُّ مَن أنجز موعودَه ... خليفةُ اللهِ على خلقهِ)
(ومَن له إرث نبيِّ الهدى ... بالحق لا يُدفَعُ عن حقه)
(يُنسب في الهَدْي إلى هَدِيه ... بِرّاً وفي الصدقِ إلى صدقه)
(ومَن له الطاعة مفروضة ... لائحة بالوحي في رَقِّه)
(والراتقُ الفتقِ العظيم الذي ... لا يقدر الناس على رتْقه)

قال فأخذ الشعر ومضى إلى الرشيد في حاجتي وأقرأه إياه فصك إلي بالمال عليه وقبضته بعد ذلك بيوم وأنشأت أقول في الغساني

(ألا طَرَقَتْ أسماء أم أنت حالِم ... فأهلاً بطيف زار والليل عاتمُ)
(إذا قيل أيُّ الناس أعظم جفوةً ... وألأمُ قيل الجر مقانيُّ عاصم)
(دعِيٌّ أجاءته إلى اللؤم دعوة ... ومغرس سوءٍ لؤمه متقادم)
(شهيدي على أن ليس حراً صَلِيبةً ... صفيحةُ وجه ابن استِهَا واللهازم)
(صفيحةِ دَقّاق أبوه شبيهه ... وجدّاه سمَّاك لئيم وحاجم)
(أعاصمُ خلِّ المكرمات لأهلها ... وأغْض عَلَى لؤم ووجهُك سالم)
(فكيف تنَال الدهر مجداً وسودَداً ... وفي كل يوم كوكبٌ لك ناجم)
(وأصلك مدخول وفِسقك ظاهر ... وعَجْبك مهموز وعِرْدك عارم)
(تُصانع غساناً لتُلحق فيهمُ ... ورُبَ دَعِيٍّ ألحقته الدراهم)
(فإن راب ريَب أو أصابتك شدة ... رجعتَ إلى شَلْثى وأنفك راغم)

قال وكان اسم ابن شلثى ... فصيره صلتاً

(إذا عاصما يوماً أتيتَ لحاجة ... فلا تلقَه إلا وأيرك قائم)
((وعرِّض له من قبل ذاك بأمرَدِ ... وضيء وسيِمِ أثقَلْته المآكم)
(وإلا فلا تسأله ما عِشت حاجة ... ولا تبكه إن أعولَتْه المآتم)

قال فلما حدث ببني برمك ما حدث قبضت ضيعته في المقبوض من ضياع أسبابهم فصار إلي وكلمني في أمرها وسألني كلام الجوهري في ذلك فقمت له حتى ردت الضيعة عليه فجاءني يشكرني ويعتذر مما جرى من فعله المتقدم فقلت له تناس ما مضى فلست ممن يكافئ على سوء أحداً

أبو محمد يهجو أبا عبيدة

قال أبو محمد كان أبو عبيدة يجلس في مسجد البصرة إلى سارية وكنت أنا وخلف الأحمر نجلس جميعاً إلى أخرى وكان أبو عبيدة من أعضه الناس للناس وأذكرهم لمثالبهم فقال لأصحابه أترون الأحمر واليزيدي إنما يجتمعان على الوقيعة للناس وذكرمساويهم وبلغني ذلك وأنه قد رمانا بمذهبه فقلت لخلف دعه فأنا أكفيكه فلما كان من الأذان جئت أنا وخلف إلى المسجد فكتبت على الجص في الموضع الذي كان يجلس فيه أبو عبيدة

(صلى الإله عَلَى لوط وشيعتِه ... أبا عبيدة قل بالله آمينا)

قال وأصبح الناس وجاء أبو عبيدة فجلس وهو يعلم ما فوق رأسه مكتوبا وأقبل الناس ينظرون إلى البيت ويضحكون ورفع أبو عبيدة رأسه ونظر إليه فخجل ولم يزل منكساً رأسه حتى انصرف الناس وأنا وخلف ناحيةً ننظر إلى ما به ثم قمنا حتى وقفنا عليه فقلنا له ما قال

صاحب هذا البيت إلا حقاً نعم فصلى الله على لوط فأقبل عليّ وقال قد علمت من أين أتيت ولن أعاود التعرض لتلك الجهة ولم يعد لذكرنا بعد ذلك

وقال أبو محمد اعتللتُ علة من حمى ربع طالت عليّ أشهراً فجفاني يزيد بن منصور ولم يمر بي في علتي ولم يتفقدني كما ينبغي فكتبت رقعة إليه ضمنتها هذه الأبيات

(قل للأمير الذي يرجو نوافِلَه ... مَن جاء طالباً للخير منتابا)
(إني صحبتك دهراً كلَّ ذاك أرى ... مِنْ دون خَيرك حُجَّاباً وأبواباً)
(وكم ضريكٍ أجاءته شقاوَتُه ... إليك إذا أنشَبتْ ضَراؤها نابا)
(فما فتحتَ له باباً لميسرة ... ولا سددتَ له من فاقة بابا)
(كغائب شاهدٌ يخفي عليك كما ... من غاب عنك فوافى حظُّه غابا)

فلما قرأها قال جفونا أبا محمد وأحوجناه إلى استبطائنا والله المستعان وبعث إليه بصلة

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي أبو دلف قال حدثني محمد بن عبد الرحمن بن الفهم وكان من أصحاب الأصمعي قال كان خلف الأحمر يعبث بأبي محمد اليزيدي عبثاً شديداً وربما جدّ فيه وأخرجه مخرج المزح فقال فيه ينسبه إلى اللّواط

(إني ومَن وَسَجَ المَطِيُّ له ... حُدْبَ الذرى أذقانها رُجُفُ)
((يَطرحن بالبِيد السِّجال إذا ... حثّ النجاءَ الركبُ وازدَهفوا
(والمُحرمِين لِصوتهم زَجَل ... بِفِناء كعبته إذا هتفوا)
(وإذا قطَعْن مسافَ مَهْمَهة ... قَذَفٍ تعرّضٍ دونها شرَف)
(وافَتْ بهمْ خُوص محزَّمة ... مثلُ القِسيِّ ضوامرٌ شُسُفُ)

(مِنّي إليه غيرَ ذي كذِب ... ما إن رأى قوم ولا عرَفوا)
(في غابر الناس الذين بقُوا ... والفُرَّطِ الماضين إذ سَلَفوا)
(أحداً كيحيي في الطعان إذا افترش ... القنا وتضعضع الحَجَف)
(في معَركٍ يُلقى الكَمِيّ به ... للوجه منبطحاً وينحرف)
(وإذا أكبّ القِرن يتبعه ... طعناً دُوين صَلاهِ ينخسف)
(للّهِ دَرُّك أيّ ذي نَزَلٍ ... في الحرب إذ همّوا وإذ وقفوا)
(لا تخطىء الوجعاء ألّته ... ولا تُصدّ إذا هُم زحفوا)
(وله جِياد لا يُفرِّطها الإحلال ... والمضمار والعلف)
((جُرْد يهان لها السَّوق وألبان ... اللِّقاح كأنها نُزُف
(مُرْد وأطفال تخالهم ... دُرّاً تَطابق فوقه الصَّدَف)
(فهمُ لديه يعكُفون به ... والمَرء منه اللّين واللُّطف)
(ومتى يشا يُجنَب له جَذع ... نَهْدٌ أسِيل الخد مشترف)
(يمشي العِرَضْنَةَ تحت فارسه ... عَبْلَ الشوَى في متنه قَطف)
(رِبذٌ إذا عرقت مَغابنه ... ذَهَب السكون وأقبل العُنف)
(فأعدٌ ذاك لسرجه وله ... في كل غادية لها عُرُف)
(في حَقْوه عَرِدٌ تقدّمه ... صلعاء في خرطومها قَلَف)
(جرداء تُشحَذ بالزاق إذا ... دُعِيَت نزال وهبّ مرتدِف)
(أوفى على قِيدِ الذراع شديدُ ... الجَلْز في يافوخه جَوَف)
(خاظٍ مُمرّ متنه ضرم ... لا خانه خَوَر ولا قَضَف)
((عِرْقُ المجس بمتنه عُجَر ... في جِذره عن فخذه جنَف
(فلوَ أن فياضاً تأمله ... نادى بجهد الويل يلتهف)
(وإذا تمسّحه لِعادته ... ودنا الطعان فمِدْعَس ثَقِف)
(وإذا رأى نفَقاً رَبَا ونزا ... حتى يكاد لعابه يكف)
(لا ناشئاً يُبقي ولا رجلاً ... فِنداً وهذا قلبه كلِف)
(يا ليتني أدري أمنجيتي ... وجناءُ ناجيةٌ بها شَدَف)
(من أن تعلقني حبائلُه ... أو أن يواري هامتِي لُجُف)
(ولقد أقول حِذارَ سطوته ... إيهاً إليك توَقّ يا خلَف)
(ولو أن بيتك في ذُرا علَم ... مِن دون قلة رأسه شعَف)
(زَلِق أعاليه وأسفلُه ... وعر التنائف بيتها قذف)
(لَخَشيت عَرْدك أن يُبِّيتني ... أن لم يكن ليَ عنه منصرَف)
قال الأصمعي فحدثني شيخ من آل أبي سفيان بن العلاء أخي أبي عمرو بن العلاء قال
أنشدت قصيدة خلف الفائية هذه وأعرابي جالس يسمع فلما سمع قوله
((فإذا أكب القرنَ أتبعه ... طعناً دُوين صَلاه ينخسف
قال الأعرابي وأبيك لقد أحب أن يضعه في حاق مقيل ضرطته
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني ابن الفهم قال حدثني الأصمعي قال
كنت مع خلف جالسا فجرى كلام في شيء من اللغة وتكلم فيه أبو محمد اليزيدي وجعل يشغب فقال لي خلف دعني من هذا يا أبا محمد وأخبرني من الذي يقول
(فإذا انتشأتُ فإنني ... رب الجُرِيبة والرُّمَيح)
(وإذا صحوتُ فإنني ... رب الدُّوّية واللوَيح)
يعرض به أنه معلم وأنه يلوط فغضب اليزيدي وقام فانصرف
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني طلحة الخزاعي قال حدثني أبو سعيد عثمان بن يوسف الحنفيُّ قال
غاضب أبو محمد اليزيدي مواليه بني عدي رهط ذي الرمة من بني تميم لأمر استنهضهم فيه فقعدوا عنه فقال يهجوهم
(يا أيها السائل عن قومنا ... لمّا رأى بِزّةَ أحبارهم)
(وحُسن سَمْت منهُم ظاهراً ... إعلانُهم ليس كإسرارهم)
(سائلْ بهم أحمرَ أو غيرَه ... يُنبيك عن قومي وأخبارهم)
((قوم كرام ما عدا أنهم ... صولتهم منهم على جيرانهم
(أسد على الجيران أعداؤهم ... آمنة تخطر في دارهم)
(لو جاءهم مقتبساً جارُهم ... ما قبسوه الدهر من نارهم)
(وقد وترناهمْ فلم نخش مَن ... ينهض في سيره أو ثارهم)
(أحسنُ قوم لمواليهمُ ... إن أيسروا يَوماً لأيسارهم)
(شهادة الزور لهم عادة ... حقاً بها قيمة أخبارهم)
(وما لهم مجد سوى مسجد ... به تعدَّوا فوق أطوارهم)
(لو هُدم المسجد لم يُعرفوا ... يوماً ولم يسمع بأخبارهم)
مدحه المأمون عندما بلغ وصار في حدّ الرجال
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال أخبرني عمي عبيد الله قال حدثني عمي إسماعيل وأخي أحمد قالا
لما بلغ المأمون وصار في حد الرجال أمرنا الرشيد أن نعمل له خطبة يقوم بها يوم الجمعة فعملنا له خطبته المشهورة وكان جهير الصوت حسن اللهجة فلما خطب بها رقَّت قلوب الناس وأبكى من سمعه فقال أبو محمد اليزيدي
(لِتَهْن أميرَ المؤمنين كرامةٌ ... عليه بها شكرُ الإله وُجوبُ)

(بأن وليّ العهد مأمونَ هاشم ... بدا فضله إذ قام وهو خطيبُ)
(ولما رماه الناس من كل جانب ... بأبصارهم والعُود منه صليب)
(رماهم بقول أنصتوا عجباً له ... وفي دونه للسامعين عجيب)
(لما وعَت آذانُهم ما أتى به ... أنابَتْ ورقَّت عند ذاك قلوب)
(فأبكى عيونَ الناس أبلغُ واعظ ... أغرُّ بِطاحيُّ النِّجار نجيب)
(مَهيب عليه لِلوقار سكينة ... جريء جَنانٍ لا أكَعّ هيوب)
(ولا واجبٌ فوق المنابر قلبُه ... إذا ما اعترى قلبَ النجيب وجيب)
(إذا ما علا المأمونُ أعوادَ منبر ... فليس له في العالمين ضريب)
(تصدَّع عنه الناس وهو حديثهم ... تَحدث عنه نازح وقريب)
(شبيه أمير المؤمنين حَزامةً ... إذا وردَتْ يوماً عليه خطوب)
(إذا طاب أصل في عروق مِشاجه ... فأغصانه من طيبه ستطيب)
(فقل لأمير المؤمنين الذي به ... يقدَّم عبد الله فهو أديب)
(كأن لم تغب عن بلدة كان والياً ... عليها ولا التدبيرُ منك يغيب)
(تتبعَ ما يُرضيك في كل أمره ... فسيرته شخص إليك حبيب)
(ورثتم بني العباس إرثَ محمد ... فليس لحَيٍّ في التراث نصيب)
(وإني لأرجو يابن عم محمد ... عطاياك والراجيك ليس يخيب)
(أثبني على المأمون وابنِي محمداً ... نوالاً فإياه بذاك تثيب)
(جِناب أمير المؤمنين مُبارَك ... لنا ولكل المؤمنين خصيب)
(لقد عمَّهم جُود الإمام فكلهم ... له في الذي حازت يداه نصيب)
صوت
فلما وصلت هذه الأبيات إلى الرشيد أمر لأبي محمد بخمسين ألف درهم ولابنه محمد بن أبي محمد بمثله
أخبرني عمي قال حدثنا الفضل بن محمد اليزيدي قال حدثني أخي أحمد عن أبيه قال
أستأذن أبو محمد الرشيد وهو بالرقة في الحج فأذن له فلما أعاد أنشدنا لنفسه
(يا فرحتا إذ صرفنا أوجه الإبل ... إلى الأحبة بالإزعاج والعَجَل)
(نحثهن ولا يُؤتَيْن من دأب ... لكنَّ للشوق حثاً ليس للإبل)
(يا نائياً قربتْ منه وساوسه ... أمسى قرين الهوى والشوقِ والوجل)
(إن طال عهدك بالأحباب مغترباً ... فإن عهدك بالتسهيد لم يطل)
(أمَا اشتفَى الدهرُ من حَرّانَ مُختبَلٍ ... صبِّ الفؤاد إلى حَرانَ مُخْتبَل)
(عِش بالرجاء وأمّل قرب دراهمُ ... لعل نفسك أن تبقى مع الأمل)
أخبار من له شعر فيه صنعة من ولد أبي محمد اليزيدي وولد ولده
فمنهم محمد بن أبي محمد ومما يغنى من شعره قوله
صوت
(أتيتُك عائذاً بكَ منك ... لما ضاقت الحِيلُ)
(وصيَّرني هواك وبي ... لِحَيني يُضْرَب المثل)
(فان سلِمَتْ لكم نفسي ... فما لاقيته جَلَل)
(وإن قَتل الهوى رجلاً ... فإني ذلك الرجل)
الشعر لمحمد بن أبي محمد اليزيدي يكنى أبا عبد الله والغناء لسليم بن سلام ثقيل أول بالبنصر وله أيضاً فيه ماخوري وكان سليم صديق محمد بن أبي محمد اليزيدي كثير العشرة له وليس في شيء من شعره صنعة إلا له وله يقول محمد بن أبي محمد اليزيدي
صوت
(بأبي أنتَ يا سُلَيم وأمي ... ضِقتُ ذَرعاً بهجر من لا أسمِّي)
(صدّ عنّي أقَرُّ مَن خلق الله ... لعيني فاشتد غمي وهمي)
(ما احتيالي إن كان في القدر السابق ... لِلْحَيْن أن أموت بسُقمي)
الغناء لسليم خفيف رمل بالوسطى عن عمرو
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله عن أخيه أبي جعفر عن أبيه محمد بن أبي محمد قال
قال لي أبي نظر إليك أبو ظبية العكلي وقد جاءني فقال لي وقد أقبلت
(يَلِد الرجال بَنيهمُ أولادَهمْ ... وولدْتَ أنت أباً من الأولاد)
قال أبو محمد وكتب أبو ظبية يوماً
(أيحيى لقد زُرناك نلتمس الجَدَا ... وأنت امرؤ يرجَى جَداه ونائله)
(وما صنع المعروف في الناس صانع ... فيُحْمَدَ إلا أنت بالخير فاضله)
(تخيرك الناسَ الخليفةُ لابنه ... وأحكمْتَ من كل أمر يحاوله)
(فما ظنَّ ذو ظنٍّ من الناس علمُه ... كعلمك إلا مخطىء الظن فائله)
(إليك تناهت غايةُ الناس كلِّهم ... إذا اشتبهَتْ عند البصير مسائله)
قال أبو محمد فكتب إليه
(أبا ظبيةَ اسمع ما أقول فخَيْرُ ما ... يقال إذا ما قيل صُدق قائله)
(إذا شئت فانهَدْ بي إلي من أردتَه ... وأمِّلتَ جدواه فإني منازلة)
(فإن يك تقصير ولا يك عارفاً ... بحقك فاعذِله فتكثر عواذله)
حدثني أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله قال حدثني أخي أحمد عن أبي قال

صرت إلى العباس بن الأحنف فقال لي ما حاجتك قلت أمرني أخوك وأبي أن أصير إليك وأستفيد منك فقال لي أتصير إلي وددت أني سبقتك إلى بيتين قلتهما وإني لم أقل من الشعر شيئاً غيرهما فدخلني من السرور ما الله به عليم فقلت وما هما فقال قولك
(يا بَعيد الدار موصولا ... بقلبي ولساني)
(ربُما باعدك الدهر ... وأدنتك الأماني)
سرق معنيين من الشعر لمسلم بن الوليد
حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن داود الجراح قال حدثني أبو القاسم عبيد الله بن محمد اليزيدي قال حدثني أحمد بن محمد قال
سمعت أبي يقول ما سرقت من الشعر شيئاً إلا معنيين قال مسلم بن الوليد
(ذاك ظبي تحيّر الحسنُ في الأركان ... منه وحلّ كل مكانِ)
(عَرَضَتْ دونه الحِجال فما يل ... قاك إلا في النوم أو في الأماني)
فقلت
(يا بعيد الدار موصولاً ... بقلبي ولساني)
(ربما باعدك الدهر ... وأدنتك الأماني)
وقال مسلم أيضاً
(متى ما تسمعي بقتيل حُبٍّ ... أُصيب فإنني ذاك القتيلُ)
فقلت أنا
(أتيتكِ عائذاً بكِ منكِ ... لما ضاقت الحِيلُ)
(وصيّرني هواكِ وبي ... لحيني يُضْرَب المثل)
(فإن سلمَتْ لكم نفسي ... فما لاقيته جَلَل)
(وإن قتَل الهوى رجلاً ... فإني ذلك الرجل)
أخبرني محمد بن العباس قال حدثني عمي عبيد الله عن أخيه أبي جعفر قال
عتب أبي يعني محمد بن أبي محمد على يونس بن الربيع وكان صديقه فكتب إليه
(سأبكيك حّياً لا بكيتك ميّتاً ... بأربعة تجري عليك هُمولاً)
(وأعفيك ممن طول اللقاء وإنني ... أرى اليوم لا ألقاك فيه طويلاً)
(فكيف بصبري عنك لا كيف بعدما ... حللِتَ محلاً في الفؤاد جليلاً)
قال وكتب إليه يونس
(إلى كم قد بَليت وليس يبلى ... عتاب منك لي أبداً طويلُ)
(إذا كثر التجنّي من خليل ... ولم تُذنبْ فقد ظَلم الخليل)
أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن الفهم قال قال لي أبو سمير عبد الله بن أيوب مولى بني أمية
بات عندي ليلة محمد بن أبي محمد اليزيدي فظهر لنا قنفذ فقلت له قل فيه شيئا فأنشأ يقول
((وطارقِ ليل زارنا بعد هَجْعة ... من الليل إلا ما تحدث سامرُ
(فقلتُ لعبد الله ما طارقٌ أتى ... فقال امرؤ سبَقت إليه المقادر)
(قَريناه صفو الزاد حين رأيته ... وقد جاء خفّاق الحشا وهو سادر)
(جميل المحيّا والرضا فإذا أبى ... حمَتْه من الضيم الرماح الشّواجر)
(ولست تراه واضعاً لسلاحه ... مدى الدهر موتوراً ولا هو واتر)
حدثنا اليزيدي قال حدثني عمي الفضل قال حدثني أبو صالح بن يزداد قال حدثني أبي قال
جاء محمد بن أبي محمد اليزيدي إلى باب المأمون وأنا حاضر فاستأذن فقال الحاجب قد أخذ دواء وأمرني ألا آذن لأحد قال فأمرك ألا توصل إليه رقعة قال لا فدفع إليه رقعة فيها
(هديّتي التحيةُ للإمام ... إمام العدل والملِك الهمام)
(لأني لو بذَلْت له حياتي ... وما هوى لقلاًّ للإمام)
(أراك من الدواء اللّهُ نفعاً ... وعافيةً تكون إلى تمام)
(وأعقبك السلامةَ منه ربٌّ ... يُريك سلامة في كل عام)
(أتأذن في السلام بلا كلام ... سوى تقبيل كفك والسلام)
قال فأوصلها وخرج فأذن له فدخل وسلم وحملت معه ألفا دينار
حدثني عمي قال حدثني الفضل اليزيدي قال حدثني أخي أحمد عن أبي
قال دخلْتُ إلى المعتصم وهو ولي عهد وقد طلع القمر فتنفس ثم قال يا محمد قل أبياتاً في معنى طلوع القمر فإنه غاب مدة كما غاب محبوب عن حبيبه ثم طلع فإن كان كما أحب فلك بكل بيت مائة دينار فقلت
صوت
(هذا شبيه الحبيب قد طلعا ... غاب كما غاب ثم قد لمعا)
(وما أرى غيرَه يشاكله ... فاسأله بالله عنه ما صنعا)
(فرّق بيني وبينه قدر ... هو الذي كان بيننا جمَعا)
(فهل له عودة فأرقبَها ... كما رأينا شبِيهه رجعا)
فقال أحسنت وحياتي ثم قال لعلويه غن في هذه الأبيات وكان حاضراً فغنى فيها وشرب عليها ليلته وأمر لي بأربعمائة دينار ولعلويه بمثلها
لحن علوية في هذه الأبيات رمل
المأمون يحكم له بثلاثة آلاف دينار
حدثني عمي قال حدثنا الفضل بن محمد قال حدثني أخي عن أبي قال
شكوت إلى المأمون ديناً علي فقال إن عبد الله بن طاهر اليوم عندي وأريد الخلوة معه فإذا علمت بذلك فاستدع أن يكون

دخولك أو إخراجه إليك فإني سأحكم لك عليه بمال فلما علمت أنهم قد جلسوا للشرب صرت إلى الدار وكتبت بهذين البيتين
((يا خير سادات وأصحاب ... هذا الطفَيليُّ على البابِ
(فصيِّروا لي معكمْ مجلساً ... أو أخرجُوا لي بعض أصحابي)
وبعث بهما إليه فلما قرأهما قال صدق اكتبوا إليه وسلوه أن يختار فكتب إلي أما وصولك فلا سبيل إليه ولكن من تختار لنخرجه إليك فتمضي معه
فكتب ما كنت لأختار على أبي العباس أحداً فقال له المأمون قم إلى صديقك
فقال يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تعفيني من ذلك أتخرجني عما شرفتني به من منادمتك وتبدلني بها منادمة ابن اليزيدي قال لا بد من ذلك أو ترضيه
قال فيلحتكم
قال أخاف أن يشتط أو تقصر أنت ولكني أحكم فأعدل
قال قد رضيت
قال تحمل إليه ثلاثة آلاف دينار معجلة
قال قد فعلت فأمر صاحب بيت المال أن يحملها معي وأمر عبد الله بردها إلى بيت المال
حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال
كان محمد بن أبي أحمد اليزيدي يعشق جارية لسحاب يقال لها عليا وكانت من أظرف النساء لساناً وأحسنهن وجهاً وغناء فأعطي بها ثلاثة آلاف دينار فلم تبع واشتراها المعتصم بخمسة آلا ف دينار وذلك في خلافة المأمون وكان علي بن الهيثم جونقاً صديقاً لمحمد بن ابي أحمد اليزيدي فبلغ المأمون الخبر فدعا محمداً وقال ما قصتك مع عليا قال قد قلت في ذلك أبياتاً فإن أذن أمير المؤمنين أنشدتها
قال هاتها فأنشده
(أشكو إلى الله حُبي للعَليّينا ... وأنني فيهمُ ألقَى الأمرينا)
(حَسْبي علَّيا أمير المؤمنين فقد ... أصبحتُ حقًّا أرى حبّي له دِينا)
((وحبَّ خِلِّي وخُلصاني أبي حسن ... أعني علّياً قريعَ التغلَبيينا
(ورقتي لبُنَيٍّ لي أصِبت به ... وَجْدِي به فوق وجد الآدميينا)
(ورابع قد رمى قلبي باسهمه ... فجُزت في حبه حدّ المحبينا)
(وبعض من لا أسمِّي قد تملّكه ... فرحتُ عنه بما أعيا المداوينا)
(أتاه بالدين والدنيا تمكُّنه ... فلم يدَع ليَ لا دُنيا ولادِينا)
قال فقال المأمون لولا أنه أبو إسحاق لانتزعتها منه ولكن هذا ألف دينار فخذه عوضاً ولقيني المعتصم في الدار فقال لي يا محمد قد علمت ما آل إليه أمر فلانة فلا تذكرنها فقلت السمع والطاعة لأمرك
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو العباس محمد بن الحسن بن دينار مولى بني هاشم قال حدثني جعفر بن محمد اليزيدي عن أبيه محمد بن أبي محمد قال كنت عند المأمون فقال لي يا محمد قل شعراً في نحو هذين البيتين
(صحيح يودّ السُّقم كيما تعودُه ... وإن لم تَعُده عاد منها رسولُها)
(لِيعلم هل ترتاع عند شَكاته ... كما قد يروع المُشفقات خليلُها)
قال فقلت
(صحيحُ وَدّ لو أمسى عليلا ... لتكتبَ أو يرى منكم رسولا)
(رآكِ تسومُه الهجران حتى ... إذا ما اعتلّ كنت له وصولا)
(فودّ ضَنا الحياة بوصل يومٍ ... يكون على هواكَ له دليلا)
(هما موتان موت هوى وهجرٍ ... وموت الهجر شرُّهما سبيلا)
قال فأمر لي بعشرة آلاف درهم
أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثني أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي محمد اليزيدي عن أبيه قال دخلت على المأمون وهو يشرب وعنده عريب ومحمد بن الحارث بن بسخنر يغنيانه فقال أطعموا محمداً شيئاً فقلت قد بدأت بذلك في دار أمير المؤمنين فقال أما ترى كيف عتق هذا الشراب حتى لم يبق إلا أقله ما أحسن ما قيل في قديم الشراب فقلت قول الحكمي
(عتقت حتى لو اتّصلتْ ... بلسان ناطق وفمِ)
(لاحتبتْ في القوم ماثلةً ... ثم قصت قصّة الأممِ)
فقال هذا كان في نفسي ثم قال اسقوا محمداً رطلين وأعطوه عشرين ألف درهم ثم نكت في الأرض ورفع رأسه ثم قال يا محمد
(إنّي وأنت رضيعا قهوةٍ لطفتْ ... عن العِيانِ ودقّت عن مَدَى الفَهمِ)
(لم نرتضعْ غيرَ كأسٍ دَرُّها ذهبٌ ... والكأسُ حُرْمتها أولى من الرَّحمِ)
قال والشعر له قاله في ذلك الوقت
ومما فيه غناء من شعر محمد بن أبي محمد أنشدناه محمد بن العباس عن عمه عبيد الله عن أخيه أحمد
صوت
(أنت امرؤ متجنٍّ ... ولسْت بالغضبان)
(أنت امرؤ لك شأنٌ ... فيما أرى غير شَانِي)
(صرّحْ بما عنه أكْنِي ... أكفّ عنك لسانِي)
((حَسْبي أسأتُ فهلا ... مَنَنْتَ بالغفران
ومنها
صوت
(يا أحسن الأمّة في ... عيني أمَا ترحمُنِي)

(أمَا تراني كامداً ... موكّلاً بالحزَنِ)
(أمَا ترى فيك مُداراتِي ... لأهْلِ الظِنَنِ)
(أصرفُ طَرْفي عنكَ خوْفاً ... منه أن يفْضَحَنِي)
(يَرانيَ اللّه وما ألْقى ... وإنْ لَمْ تَرَنِي)
وممن له شعر فيه صنعة من ولد أبي محمد اليزيدي لصلبه إبراهيم
صوت
(لا تلحَني إن منحتُ عشقاً ... مَن كان للعشق مستحِقاً)
(ولم يقدِّم عليّ خَلقا ... ولم أقدّم عليه خلقا)
(يملكُ رقّي ولستُ أبغي ... من مِلكه ما حييت عتقا)
(لم أر فيمن هويت خَلقا ... أعطفَ منه ولا أرقَّا)
الشعر لإبراهيم بن محمد اليزيدي والغناء لأبي العبيس بن حمدون خفيف ثقيل مطلق وفيه لعريب رمل مزموم
أخبار إبراهيم
أخبرني عمي قال حدثني الفضل بن محمد اليزيدي قال حدثنا أحمد عن عمه إبراهيم قال
كنت مع المأمون في بلد الروم فبينا أنا في ليلة مظلمة شاتية ذات غيم وريح وإلى جانبي قبة فبرقت برقة وإذا في القبة عريب قالت إبراهيم بن اليزيدي فقلت لبيك فقالت قل في هذا البرق أبياتاً ملاحاً لأغني فيها فقلت
(ماذا بقلبي من أليم الخَفْق ... إذا رأيتُ لمعان البرْق)
(مِن قِبَل الأُرْدُنِّ أو دمشق ... لأنّ مَن أهوى بذاك الأفْق)
(فارقتُه وهو أعز الخلق ... عليّ والزور خلاف الحق)
(ذاك الذي يملك مني رقي ... ولستُ أبغي ما حييت عتقي)
قال فتنفست نفساً ظننته قد قطع حيازيمها فقلت ويحك على من هذا فضحكت ثم قالت على الوطن فقلت هيهات ليس هذا كله للوطن فقالت ويلك أفتراك ظننت أنك تستفزني والله لقد نظرت نظرة مريبة في مجلس فادعاها أكثر من ثلاثين رئيساً والله ما علم أحد منهم لمن كانت إلى هذا اليوم
إبراهيم في سيحان
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الفضل بن محمد اليزيدي قال حدثني أخي عن عمي إبراهيم بن أبي محمد أنه كان مع المعتصم لما خرج إلى الغزو قال فكتب في رفقة فيها فتى من أهل البصرة ظريف أديب شاعر راوية فكان لي فيه أنس وكنا لا نفترق حتى غزونا وعدنا فعاد إلى البصرة وكان له بستان حسن بسيحان فكان أكثر مقامه به وعزم لي على الشخوص إلى البصرة لحاجة عرضت لي فكان أكثر نشاطي لها من أجله فوردتها ونظرت فيما وردت له ثم سألت عنه ومضيت إليه فكان أن يستطار بي فرحاً وأقمت بسيحان معه أياماً وقلت في بعضها وقد اصطبحنا في بستانه
(يا مسعدَيّ بسيحانٍ فدَيتكما ... حُثا المدامة في أكناف سيحانا)
(نَهْر كريم من الفِردوس مخرجه ... بذاك خبّرنا من كان أنبانا)
(لا تحسداني رَواحاً أو مباكرة ... طِيبَ المسير على سيحان أحياناً)
(بشَطّ سيحان إنسان كلِفْت به ... نفسي تقي ذلكِ الإنسان إنساناً)
(ريَّاه ريحاننا والكأسُ معملة ... لا شيء أطيب من ريّاه ريحانا)
(حثّا شَرابكما حتى أرى بكما ... سُكراً فإنيَ قد أمسيت سكرانا)
(ريّا الحبيب وكأسٌ من معتقه ... يُهيجّان لنفس الصّبَ أشجاناً)
(سَقياً لسيحانَ من نهرٍ ومن وطن ... وساكنيه من السكان مَن كانا)
(هُم الذين عقَدنا الودّ بينهم ... وبيننا وهُمُ في دِير مُرّانا)
أخبرني محمد بن العباس قال حدثني عمي عبيد اللّه عن جماعة من أهلنا
أن إبراهيم بن أبي محمد اليزيدي كان يعاشر أبا غسان مولى منيرة وكانت له جارية مغنية يقال لها جاني فدعاه يوماً أبو غسان وجلسنا للشرب فقال له لو دعوت ابن أخيك يعني محمد بن أبي محمد لنأنس به فكتب إليه إبراهيم
(يا أكرمَ الناس طُرًّا ... وأكرم الفتيانِ)
(بادِرْ إلينا لكيما ... تُسقَى سُلاف الدِّنانِ)
(على غِناء غزال ... مُهَفهَفٍ فتّان)
(اشرب على وجه جانٍ ... شرابَك الخُسرَواني)
(فما لِجانٍ نظير ... ومالها من مُدان)
(إلا الذي هو فَرد ... وماله من ثان)
(أعنِي الهلال لِستٍّ ... في شهره وثمان)
(للناس بَدرٌ منير ... يُرى بكل مكان)
(وما لنا غيرُ بدر ... لدى أبي غسان)
(ذِكْراه في كل وقت ... موصولة بلساني)
(سبيتُه وسباني ... فحُبُّه قد براني)
(مِن ثم لستَ تراني ... أصبو إلى إنسان)
أنشدنا أبو عبيد اللّه اليزيدي عن عمه الفضل لإبراهيم بن أبي محمد اليزيدي في بعض إخوانه وقد رأى منه جفوة ثم عاد واستصلحه فكتب إليه
(مَن تاه واحدة فتِهْ عَشرْا ... كي لا يجوز بنفسه القدرا)
(وإذا زهَا أحد عليك فكن ... أزهى عليه ولا تكن غُمْراً)
(أرأيتَ مَن لم ترجُ منفعة ... منه ولم تحذر له ضرا)
(لم يُستذَلّ وتُستذلُّ له ... بل كن أشد إذا زها كِبرا)
يشرب ويعربد في مجلس شراب مع المأمون

حدثني عمي والحسن بن علي قالا حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبي عن جعفر بن المأمون قال دخل إبراهيم بن أبي محمد اليزيدي على أبي وهو يشرب فأمره بالجلوس فجلس وأمر له بشراب فشرب وزاد في الشرب فسكر وعربد فأخذ علي بن صالح صاحب المصلى بيده فأخرجه فلما أصبح كتب إلى أبي
(أنا المذنب الخطّاء والعفو واسع ... ولو لم يكن ذنب لَمَا عُرف العفو)
(ثمِلت فأبدتْ منّي الكاس بعض ما ... كرهتُ وما إن يستوي السكر والصحو)
(ولولا حُمَيا الكأس كان احتمال ما ... بَدَهتُ به لا شك فيه هو السّرو)
(ولا سيما إذ كنتُ عند خليفةٍ ... وفي مجلس ما إن يجوز به اللغو)
(تنصلت من ذنبي تنصُّل ضارع ... إلى من لديه يُغْفَرُ العمد والسهو)
(فإن تعف عني تُلْفِ خطويَ واسعاً ... وإلاّ يكن عفو فقد قصر الخطو)
حدثني عمي قال حدثنا الفضل بن محمد اليزيدي قال جاء عمي إبراهيم إلى هارون بن المأمون فصادفه قد خلا هو وجماعة من المعتزلة فلم يصل إليه وحجب عنه فكتب إليه
(غلبتْ عليكم هذه القَدَرِيَّهْ ... فعليكُم مني السلام تحيهْ)
(آتيكمُ شوقاً فلا ألقاكُمُ ... وهمُ لديكم بُكرةً وعشيهْ)
(هرونُ قائدهم وقد حَفّتْ به ... أشياعه وكفى بتلك بليه)
(لكنّ قائدَنا الإمام ورأينا ... ما قد رآه فنحن مأونية)
أخبرني عمي قال حدثني الفضل قال
كان لعمي إبراهيم ابن يقال له إسحاق وكان يألف غلاما من أولاد الموالي فلما خرج المعتصم إلى الشام خرج إبراهيم معه وخرج الغلام الذي يألفه في العسكر وعرف إبراهيم أنه قد صحب فتى من فتيان العسكر غير ابنه فكتب عمي إبراهيم إلى ابنه
(قل لأبي يعقوب إن الذي ... يعرفه قد فعل الحُوبا)
(كان محِبّاً لك فيما مضى ... فالآن قد صادف محبوبا)
(يركب هذا ذا وذا ذا فما ... ينفك تصعيداً وتصويبا)
(فرأس إسحاق فدَيناه فما ... ينفك تصعيداً وتصويباً
(أرى قروناً قد تَجلّلنه ... منصوبةً شُعِّبن تشعيبا)
(أظنه يعجِز عن حملها ... إذ رُكّبت في الرأس تركيبا)
(يا رحمتا لابني على ضعفه ... يحمل منهن أعاجيبا)
حدثني عمي قال حدثني فضل اليزيدي قال
كتبت إلى عمي إبراهيم أستعين به في حاجة لي وأستزيده من عنايته بأموري وأطالبه أن يتوفر نصيبي لديه وفيما أبتغيه منه فكتب إلي
(فديتك لو لم تكن لي قريباً ... وكنت امرأ أجنبيِّا غريبا)
(مع البر منك وما يستجر ... به مسخفاً إليك اللبيبا)
(لما إن جعلْت لخلق سواك ... مثلَ نصيبك مني نصيبا)
(وكنتَ المقدّم ممن أودّ ... وازداد حقك عندي وجوبا)
(تَلطّفْ لما قد تكلمت فيه ... فما زلتَ في الحاج شهماً نجيبا)
(وراوض أبا حسن إن رأيت ... واحتل برفقك حتى يجيبا)
(فإن هو صار إلى ما تريد ... وإلا استعنتَ عليه الحبيبا)
(وما لا يخالف ما تشتهيه ... لِتلفِيَه غيرَ شك مجيبا)
(يودك خاقان وُدّاً عجيبا ... كذاك الأديب يحب الأديبا)
(وأنت تكافيه بل قد تزيد ... عليه وتجمع فيه ضروبا)
(تُثيب أخاك على الورد منه ... وذو اللب يأنف ألا يثيبا)
(ولا سيما إذ بَراه الإله ... كالبدر يدعو إليه القلوبا)
(يرى المُتمنّي له ردْفَه ... كثيباً وأعلاه يحكي القضيبا)
(وقد فاق في العلم والفهم منه ... كما تم مِلْحاً وحسناً وطيباً)
(ويبلغ فيما يقولون ليس ... يعاف إذا ناولوه القضيبا)
(ولكنه وافَق الزاهدين ... فخاب وقد ظن أن لن يخيبا)
((وإن ركِب المرء فيه هواه ... عاث فتطهيره أن يثوبا
(إذا زارت الشاة ذئباً طبيباً ... فلا تأمنَنّ على الشاة ذيبا)
(وعند الطبيب شفاء السقيم ... إذا اعتلّ يوماً وجاء الطبيبا)
(ولستَ ترى فارساً في الأنام ... إلا وَثُوباً يجيد الركوبا)
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله قال وحدثني أخي أحمد قال
زامل المأمون في بعض أسفاره بين يحيى بن أكثم وعبّادةَ المخنَّث فقال عمي إبراهيم في ذلك
(وحاكمٍ زاملَ عبّاده ... ولم يزل تلك له عاده)
(لو جاز لي حُكم لما جاز أن ... يحكم في قيمة لُبّاده)
(كم من غلام عزّ في أهله ... وافتْ قفاه منه سجاده)
وقال في يحيى أيضاً
(وكنا نرجيّ أن نرى العدل ظاهراً ... فأعقبنا بعد الرجاء قُنوط)
(متى تصلحُ الدنيا ويصلحُ أهلها ... وقاضي قضاة المسلمين يلوط)
وأخبرني عمي حدثنا أبو العيناء قال
نظر المأمون إلى يحيى بن أكثم يلحظ خادماً له فقال للخادم تعرض له إذا قمت فإني سأقوم للوضوء وأمره ألا يبرح وعد

إليّ بما يقول لك وقام المأمون وأمر يحيى بالجلوس فلما غَمزه الخادم بعينه قال يحيى (لولا أنتم لكنا مؤمنين) فمضى الخادم إلى المأمون فأخبره فقال له عد
(إليه فقال له (أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين
فخرج الخادم إليه فقال له ما أمره به المأمون فأطرق يحيى وكاد يموت جزعا وخرج المأمون وهو يقول
(متى تصلحُ الدنيا ويصلحُ أهلها ... وقاضي قضاة المسلمين يلوط)
قم وانصرف واتق الله وأصلح نيتك
حدثنا اليزيدي قال حدثني ابن عمي إسحاق بن إبراهيم بن أبي محمد اليزيدي عن أبيه إبراهيم قال
كنت عند المأمون يوماً وبحضرته عريب فقالت لي على سبيل الولع بي يا سلعوس وكان جواري المأمون يلقبنني بذلك عبثاً فقلت لها
(قُلْ لعريبٍ لا تكوني مسلعسه ... وكوني كتنريفٍ وكوني كمونسه)
فقال المأمون
(فإن كثَرت منك الأقاويل لم يكن ... هنالك شك أنّ ذا منك وسوسة)
قال فقلت كذا والله يا أمير المؤمنين أردت أن أقول وعجبت من ذهن المأمون
وممن غني في شعره من ولد أبي محمد اليزيدي أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي محمد
فمن ذلك
صوت
(شوقي إليك على الأيام يزداد ... والقلب مُذ غبْت للأحزان معتادُ)
(يا لهفَ نفسي على دهر فُجعتُ به ... كأنَّ أيامه في الحسن أعياد)
الشعر لأحمد بن محمد بن أبي محمد والغناء لبحر هزج وفيه ثاني ثقيل مطلق ذكر الهشامي أنه لإسحاق وما أراه أصاب ولا هو في جامع إسحاق ولا يشبه صنعته
وكان أحمد راوية لعلم أهله فاضلا أديبا وكان أسن ولد محمد بن أبي محمد وكان إخوته جميعا يأثرون علوم جدهم وعمومتهم عنه وقد أدرك أبا محمد وأظن أنه روى عنه أيضاً إلا أني لم أذكر شيئاً من ذلك وقت ذكري إياه فأحكيه عنه
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الفضل بن محمد اليزيدي قال حدثني أخي أبو جعفر قال
كنت عند جعفر بن المأمون مقيما فلما أردت الانصراف منعني فبتّ عنده وزارته لما أصبحنا عريب في جواريها وبتّ فاحتبسها من غد
فاستطبت المقام أيضاً فأقمت فكتب إلي عمي إبراهيم بن محمد اليزيدي
(شردْتَ يا هذا شُرود البعيرْ ... وطالت الغيبة عند الأميرْ)
(أقمتَ يومين وليليهما ... وثالثاً تُحبَى ببرٍّ كَثير)
(يومُ عَريبٍ مع إحسانها ... إن طالت الأيامُ يوم قصير)
(لها أغانٍ غيرُ مملولة ... منها ولا تخلقُ عند الكرور)
(غيرُ مَلوم يا أبا جعفر ... أن تؤثر اللهوِ ويومَ السرور)
(فاجعل لك منا نصيباً فما ... إن كنتَ عن مجلِسنا بالنَّفور)
(وصِر إلينا غير ما صاغر ... أصارك الرحمن خيرَ المصير)
(إن لم يكن عندي غِناء ولا ... عودٌ فعندي القَمْرُ بالنردشير)
(والذّكر بالعلم الذي قد مضى ... بأهله حادثُ صَرْفِ الدهور)
(وهو جديد عندنا نهجه ... أعلامه تحويه منا الصدور)
(فالحمد لله على كل ما ... أولى وأبلى ولربّي الشُّكور)
حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل قال سمعت أخي أبا جعفر أحمد بن محمد يقول
دخلت إلى المعتصم يوما وبين يديه خادم وضيء جميل وسيم فطلعت عليه الشمس فما رأيت أحسن منها على وجهه فقال لي يا أحمد قل في هذا الخادم شيئاً وصفْ طلوع الشمس عليه وحسنها فقلت
(قد طلعَتْ شمس على شمس ... وطاب لي الهوى مع الأنس)
(وكنت أقلِي الشمس فيما مضى ... فصرتُ أشتاق إلى الشمس)
حدثني اليزيدي قال حدثني عمي الفضل قال
كتب إلى أخي بعض إخوانه ممن كان يألفه ويديم زيارته ثم انقطع عنه يعتذر إليه من تأخره عنه فكتب إليه
(إني امرؤ أعذِر إخواني ... في تركِهم بِرّي وإتياني)
(لأنه لا لهو عندي ولا ... لي اليومَ جاهٌ عند سلطان)
(وأكثر الإخوان في دهرنا ... أصحابُ تمييز ورُجحان)
(فمَن أتاني مُنْعماً مُفْضِلاً ... فشكرُه عنديَ شكرانِ)
(ومَن جفاني لم يكن لومُه ... عندي ولا تعنيفُه شاني) -
(أعفو عن السيّئ من فِعلهم ... وأتبع الحسنَى بإحسان)
(حسْبُ صديقي أنه واثق ... مني بإسراري وإعلاني)
ينشد المأمون شعراً وهو لا يزال غلاماً
حدثني اليزيدي قال حدثني أبي عن عمي عن أبي جعفر أحمد بن محمد قال
دخلت على المأمون وهو في مجلس غاصّ بإهله وأنا يومئذٍ غلام فاستأذنت في الإنشاد فأذن فأنشدته مديحا لي مدحته به وكان يستمع للشاعر ما دام في تشبيب أو وصف ضرب من الضروب حتى إذا بلغ إلى مديحه لم يسمع منه إلا بيتين أو ثلاثة ثم يقول للمنشد حسبك ترفعا فأنشدته
(يا من شكوت إليه ما ألقاه ... وبذلتُ من وَجدي له أقصاهُ)
(فأجابني بخلاف ما أمّلتُه ... ولربما مُنِع الحريصُ مناه)
(أترى جميلاً أن شكا ذو صَبْوة ... فهجرتَه وغضبتَ من شكواه)

(يكفيك صمت أو جواب مؤيس ... إن كنت تَكره وصله وهواه)
(موت المحب سعادة إن كان مَن ... يهواه يزعم أن ذاك رضاه)
فلما صرت إلى المديح قلت
(أبقى لنا اللهُ الإمامَ وزاده ... عزّاً إلى العز الذي أعطاه)
(فالله مكرمنا بأنا معشر ... عُتقاء من نعم العباد سواه)
فسر بذلك وضحك وقال جعلنا الله وإياكم ممن يشكر النعمة ويحسن العمل
أخبرنا محمد بن العباس قال حدثني أبي عن أخيه أبي جعفر قال
دخلت يوماً على المأمون بقارا وهو يريد الغزو فأنشدته شعراً مدحته فيه أوله
(يا قصرَ ذا النّخلات من بارا ... إني حللتُ إليك من قارا)
(أبصرتُ أشجاراً على نهر ... فذكرتُ أشجاراً وأنهارا)
(لله أيامٌ نعِمتُ بها ... بالقُفص أحياناً وفي بارا)
(إذ لا أزال أزور غانية ... ألهو بها وأزور خمّارا)
(لا أستجيب لِمَن دعا لهُدى ... وأجيب شطّاراً ودُعّارا)
(أعصِي النصيحَ وكلّ عاذلة ... وأُطيع أو تاراً ومزمارا)
قال فغضب المأمون وقال أنا في وجه عدو وأحض الناس على الغزو وأنت تذكرهم نزهة بغداد فقلت الشيء بتمامه ثم قلت
(فصحوت بالمأمون عن سُكُري ... ورأيت خير الأمر ما اختارا)
(ورأيت طاعته مؤديةً ... للفَرض إعلاناً وإسرارا)
(فخلعتُ ثوب الهزل عن عنقي ... ورضِيتُ دارَ الجِدّ لي دارا)
(وظللتُ معتصماً بطاعته ... وجِواره وكفَى به جارا)
(إن حَلّ أرضاً فهْي لي وطن ... وأسير عنها حيثما سارا)
فقال له يحيى بن أكثم ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين أخبر أنه كان في سكر وخسار فترك ذلك وارعوى وآثر طاعة خليفته وعلم أن الرشيد فيها فسكن وأمسك
حدثني الصولي قال حدثني محمد بن يحيى بن أبي عباد قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن أبيه قال دعا المعتصم ذات يوم المأمون فجاءه فأجلسه في بيت على سقفه جامات فوقع ضوء الشمس من وراء تلك الجامات على وجه سيما التركي غلام المعتصم وكان المعتصم أوجد الناس به ولم يكن في عصره مثله فصاح المأمون يا أحمد بن محمد اليزيدي وكان حاضراً فقال انظر إلى ضوء الشمس على وجه سيما التركي أرأيت أحسن من هذا قط وقد قلت
(قد طلعت شمس على شمس ... وزالت الوحشة بالأنس)
أجز يا أحمد فقلت
(قد كنت أشنا الشمس فيما مضى ... فصرت أشتاق إلى الشمس)
قال وفطن المعتصم فعض على شفته لأحمد فقال أحمد للمأمون والله لئن لم يعلم الحقيقة من أمير المؤمنين لأقعن معه فيما أكره فدعاه المأمون فأخبره الخبر فضحك المعتصم
فقال له المأمون كثر الله في غلمانك مثله إنما استحسنت شيئاً فجرى ما سمعت لا غيره
حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني أحمد بن محمد اليزيدي قال
كنا بين يدي المأمون فأنشدته مدحاً فقال لئن كانت حقوق أصحابي تجب علي لطاعتهم بأنفسهم فإن أحمد ممن تجب له المراعاة لنفسه وصحبته ولأبيه وخدمته ولجده وقديم خدمته وحرمته وإنه للعريق في خدمتنا فقلت قد علمتني يا أمير المؤمنين كيف أقول ثم تنحيت ورجعت إليه فأنشدته
(لي بالخليفة أعظم السبب ... فيه أمِنتُ بوائق العَطَب)
(مِلِك غذَتني كفّه وأبي ... قَبلي وجدّى كان قبلَ أبي)
(قد خصني الرحمن منه بما ... أسمو به في العجم والعرب)
فضحك وقال قد نظمت يا أحمد ما نثرناه
هذا آخر أخبار اليزيديين وأشعارهم التي فيها صنعة
صوت
(أفي كُلّ يوم أنت من غُبُر الهوى ... إلى الشُّمِّ من أعلاه ميلاء ناظر)
(بعمشاء من طول البكاء كأنما ... بها خَزَرٌ أو طرفُها مُتخازر)
عروضه من الطويل والغبر البقية من الشيء يقال فلان في غبر من علته وأكثر ما يستعمل في هذا ونحوه والشم الطوال والأعلام جمع علم وهو الجبل قالت الخنساء
(وإن صخراً لتأتمّ الهداة به ... كأنه عَلَمَ في رأسه نار)
والخزر ضيق العين وصغرها ومنه سمي الخزر بذلك لصغر أعينهم قال الراجز
(إذا تخازرت وما بي من خَزَرْ ... ثم كسرت الطرف من غير عورْ)
والشعر لرجل من قيس يقال كعب ويلقب بالمخبل والغناء لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى ومن الناس من يروي الشعر لغير هذا الرجل وينسبه إلى ذي الرمة ويجعل فيه مية مكان ميلاء ويقال إن اللحن لابن المكي وقد نسب إلى غيرهما والصحيح ما ذكرناه أولاً
أخبار المخبل القيسي ونسبه
قال عبد الله بن أبي سعد الوراق فيما أخبرني به حبيب بن نصر المهلبي إجازة عنه حدثني علي بن الصباح بن الفرات قال أخبرني علي بن الحسن بن أيوب النبيل عن رباح بن قطيب بن زيد الأسدي قال كانت عند رجل من قيس يقال له كعب بنت عم له وكانت أحب الناس إليه فخلا بها ذات يوم فنظر إليها وهي واضعة ثيابها فقال يا أم عمرو هل ترين أن الله خلق أحسن منك قالت نعم أختي ميلاء هي أحسن مني
قال فإني أحب أن أنظر إليها فقالت إن علمت بك لم تخرج إليك ولكن كن من وراء الستر ففعل وأرسلت إليها فجاءتها فلما

نظر إليها عشقها وانتظرها حتى راحت إلى أهلها فاعترضها فشكا إليها حبها فقالت والله يا ابن عم ما وجدت من شيء إلا وقد وقع لك في قلبي أكثر منه وواعدته مرة أخرى فأتتهما أم عمرو وهما لا يعلمان فرأتهما جالسين فمضت إلى إخوتها وكانوا سبعة فقالت إما أن تزوجوا ميلاء كعبا وإما أن تكفوني أمرها وبلغهما الخبر ووقف إخوتها على ذلك فرمى بنفسه نحو الشام حياء منهم وكان منزله ومنزل أهله الحجاز فلم يدر أهله ولا بنو عمه أين ذهب فقال كعب

شعره في أرض الغربة

(أفِي كلِّ يومٍ أنتَ من لاعجِ الهوى ... إلى الشُّمِّ من أعلامِ ميلاء ناظرُ)
((بعَمْشاءِ من طولِ البكاءِ كأنما ... بها خَزَرٌ أوطرفُها متخازرُ)
(تَمنِّي المُنى حتى إذا ملّت المنى ... جرى واكِفٌ من دمعها متبادرُ)
(كما أرْفضّ عنها بعد ما ضمّ ضمةً ... بخيط الفتيل اللؤلؤُ المتناثرُ)

قال فرواه عنه رجل من أهل الشام ثم خرج بعد ذلك الشامي يريد مكة فاجتاز بأم عمرو وأختها ميلاء وقد ضل الطريق فسلم عليهما ثم سألهما عن الطريق فقالت أم عمرو يا ميلاء صِفي له الطريق فذكر لما نادت يا ميلاء شعر كعب هذا فتمثل به فعرفت أم عمرو الشعر فقالت يا عبد الله من أين أنت قال رجل من أهل الشام قالت من أين رويت هذا الشعر قال رويته عن أعرابي بالشام قالت أو تدري ما اسمه فقال سمعت أنه كعب فأقسمت عليه لا تبرح حتى تعرف أخوتنا بذلك فنحسن إليك نحن وهم وقد أنعمت علينا قال أفعل وإني لأروي له شعراً آخر فما أدري أتعرفانه أم لا فقالت نسألك بالله إلا أسمعتنا قال سمعته يقول

(خليليّ قد قِسْتُ الأمور ورُمتُها ... بِنَفْسِي وبالفِتيان كلِّ زمانِ)
(فلم أُخفِ سوءاً للصديق ولم أجِدْ ... خليّاً ولا ذا البَث يستويانِ)
(من الناس إنسانان دَيني عليهما ... مليئان لو شاءا لقدِ قَضَياني)
(خليليّ أمّا أمُّ عمروٍ فمنهما ... وأما عن الأخرى فلا تَسَلاني)
(بُلينا بهجران ولم أرَ مثلَنا ... من الناس إنسانين يهتجران)
(أشدَّ مصافاةً وأبعدَ من قِلىً ... وأعْصَى لِواشٍ حين يكتفيان)
(تحدَّث طرفانا بما في صدورنا ... إذا استعجمت بالمنطق الشفتان)
((فوالله ما أدري أكلُّ ذَوِي الهوى ... على ما بنا أو نحن مبتَلَيَان
(فلا تَعْجبا مما بيَ اليومَ من هوىً ... ففِي كلَّ يوم مثلُ ما تريان)
(خليليّ عن أيِّ الذي كان بيننا ... من الوصل أم ماضي الهوى تسلان)
(وكنا كريمي معشرٍ حمّ بيننا ... هوى فحفِظناه بحسن صِيان)
(سلاه بأم العَمْرو من هيَ إذ بَدا ... به سِقَم جمٌّ وطول ضمان)
(فما زادنا بعد المدى نقْضَ مرة ... ولا رجَعنا من علْمنا ببيان)
(خليليّ لا والله ما ليَ بالذي ... تريدانِ من هجر الحبيب يدان)
(ولا ليَ بالبين اعتلاءٌ إذا نأت ... كما أنتما بالبين معتليان)

قال ونزل الرجل ووضع رحله حتى جاء إخوتهما فأخبراهم الخبر وكانوا مهتمين بكعب وكان كعب أظرفهم وأشعرهم فأكرموا الرجل وحملوه على راحلة ودلوه على الطريق وطلبوا كعباً فوجدوه بالشام فأقبلوا به حتى إذا كانوا في ناحية ماء أهلهم إذا الناسُ قد اجتمعوا عند البيوت وكان كعب ويحك يا غلام من أبوك فقال رجل يقال له كعب قال وعلى أيَّ شيء قد اجتمع الناس وأحسّ قلبُه بالشرّ قال اجتمعوا على خالتي ميلاء قال وما قصتها قال ماتت فزفر زفرة مات منها مكانَه فدُفن حِذاء قبرها قال وقال كعب وهو بالشام

(أحقاً عبادَ اللهِ أن لستُ ماشياً ... بمرحابَ حتى يُحشَرَ الثقلان)
((ولا لاهياً يوماً إلى الليل كلّه ... ببيضٍ لطيفات الخصور رواني
(يُمنّيننا حتى تَريعَ قلوبنا ... ويَخلِطن مَطْلاً ظاهراً بلَيان)
(فعينيّ ياعينيَّ حتّام أنتما ... بهجران أمِّ العمرو تختلجان)
(أمَا أنتما إلا عليَّ طليعةٌ ... على قُرب أعدائي كما تريان)
(فلو أنّ أمِ العمرو أضحَتْ مقيمة ... بمصر وجثماني بِشحرِ عُمان)
(إذاً لرجوتُ اللهَ يجمع شملَنا ... فإنّا على ما كان ملتقيان)

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

(من الناس إنسانان دَيْني عليهما ... مليئان لو شاءا لقد قضياني)
(خليليّ أما أمّ عمرو فمنهما ... وأما عن الأخرى فلا تسلاني)

عروضه من الطويل الشعر على ما في هذا الخبر لكعب المذكورة قصته وروى المفضل بن سلمة وأبو طالب بن أبي طاهر هذين البيتين مع غيرهما لابن الدمينة الخثعمي والغناء لإبراهيم الموصلي خفيف رمل بالوسطى ذكره أبو العبيس عنه وذكر ابن المكي أنه لعلويه والأبيات التي

ذكرنا أن المفضل بن سلمة وابن أبي طاهر روياها لابن الدمينة مع البيتين اللذين فيهما الغناء هي

(من الناس إنسانان دَيْني عليهما ... مليئان لو شاءا لقد قضياني)
(خليليّ أما أمّ عمرو فمنهما ... وأما عن الأخرى فلا تسلاني)
(مَنُوعان ظَلاَّمان ما يُنصفانني ... بدَليهما والحُسن قد خَلَبانى)
(من البيض نجلاء العيون غذَاهما ... نعيمُ وعَيشٌ ضاربٌ بِجِران)
(أفي كلِّ يومٍ أنت رامٍ بلادَها ... بعَينين إنساناهما غَرِقان)
(إذا اغرَوْرقت عيناي قال صحابتي ... لقد أُولِعتْ عيناك بالهَمَلان)

وقد روي أيضاً أن هذا البيت

(... أفي كلِّ يومٍ أنت رامٍ بلادَها)

لعروة بن حزام

(ألا فاحملاني بارك الله فيكما ... إلى حاضر الرّوحاء ثم ذراني)
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني أبو سعيد القيسي قال حدثني سليمان بن عبد العزيز قال حدثني خارجة المالي قال حدثني من رأى عروة بن حزام يطاف به حول البيت قال فقلت له من أنت قال أنا الذي أقول
(أفي كلِّ يومٍ أنت رامٍ بلادَها ... بعَينَين إنساناهما غَرِقان
(ألا فاحمِلاني باركَ اللهُ فيكما ... إلى حاضر الرّوحاء ثم ذراني)
فقلت زدني قال لا ولا حرف
التغني بالصوت المنسوب إليه يهيج الواثق
ويقال إن الذي هاج الواثق على القبض على أحمد بن الخصيب وسليمان بن وهب أنه غنى هذا الصوت أعني
(... مِن الناس إنسانان دَيْنِي عليهما)
فدعا خادماً كان للمعتصم ثم قال له اصدقني وإلا ضربت عنقك
قال سل يا أمير المؤمنين عما شئت قال سمعت أبي وقد نظر إليك يتمثل بهذين البيتين ويومئ إليك إيماء تعرفه فمن اللذان عنى قال قال لي إنه وقف على إقطاع أحمد بن الخصيب وسليمان بن وهب ألفي دينار وأنه يريد الإيقاع بهما فكان كلما رآني يتمثل بهذين البيتين قال صدقني والله والله سبقاني بهما كما سبقاه ثم أوقع بهما
وأخبرني محمد بن يحيى الصولي حدثني ميمون بن هارون قال نظر الواثق إلى أحمد بن الخصيب يمشي فتمثل
(... مِن الناس إنسانان دَيْني عليهما)
وذكر البيتين وأشار بقوله
(... خليليَّ أمّا أم عمرو فمنهما)
إلى أحمد بن الخصيب فلما بلغ هذا سليمان بن وهب قال إنا لله أحمد بن الخصيب والله أمُّ عمرو وأنا الأخرى قال ونكبهما بعد أيام وقد قيل إن محمد بن عبد الملك الزيات كان السبب في نكتبهما
أخبرنا محمد بن يحيى قال حدثنا عون بن محمد الكندي قال كانت الخلافة أيام الواثق تدور على إيتاخ وعلى كاتبه سليمان بن وهب وعلى أشناس وكاتبه أحمد بن الخصيب فعمل الوزير محمد بن عبد الملك الزيات قصيدة وأوصلها إلى الواثق على أنها لبعض أهل العسكر وهي
(يابنَ الخلائف والأملاكِ إن نُسِبوا ... حُزْتَ الخلافة عن آبائك الأُوَلِ)
(أجُرْتَ أم رقَدتْ عيناك عن عَجبٍ ... فيه البريَّةُ مِن خوفٍ ومن وَهَلِ)
(ولّيتَ أربعةً أمرَ العباد معاً ... وكلُّهم حاطبٌ في حَبْلِ مُحتَبِلِ)
(هذا سليمان قد ملّكتَ راحتَه ... مشارقَ الأرض من سهلٍ ومن جبلِ)
(ملّكته السندَ فالشِّحْرين من عدنٍ ... إلى الجزيرة فالأطراف من مَلَلِ)
(خلافةٌ قد حواها وحده فمضت ... أحكامه في دماء القوم والنَّفَلِ)
(وابنُ الخصيب الذي ملّكت راحته ... خلافَة الشأم والغَازَين والقفل)
((فَنِيل مصرٍ فبحر الشأمِ قد جريا ... بما أراد من الأموال والحُللِ
(كأنهمْ في الذي قسّمتَ بينهم ... بنُو الرشيد زمانَ القَسْم لِلدُّوَلِ)
(حوَى سليمان ما كان الأمينُ حوى ... من الخلافة والتبليغ للأمَلِ)
(وأحمدُ بنُ خصيبٍ في إمارته ... كالقاسم بنِ الرشيد الجامع السُبُلِ)
(أصبحتَ لا ناصحٌ يأتيك مستتراً ... ولا علانيةً خوفاً من الحِيَلِ)
(سَلْ بيتَ مالِكَ أين المال تعرفه ... وسلْ خَرَاجَك عن أموالِك الجُمَلِ)
(كم في حبُوسِك ممّن لا ذُنوبَ لهمْ ... أسرى التكذُّبِ في الأقياد والكَبَلِ)
(سُمِّيتَ باسمِ الرشيدِ المرتضَى فَبِه ... قِسْ الأمورَ التي تُنجِي من الزلل)
(عِثْ فيهمُ مثل ما عاثت يداه معاً ... على البرامِكِ بالتهديم للقُلَلِ)
فلما قرأ الواثق الشعر غاظه وبلغ منه ونكب سليمان بن وهب وأحمد بن الخصيب وأخذ منهما ومن أسبابهما ألف ألف دينار فجعلها في بيتِ المال فقال أحمد بن أبي فنن
(نزلَتْ بالخائنين سَنَه ... سَنَةٌ للناس ممتحِنه)
(سوّغَت ذا النصح بغيته ... وأزالت دولةَ الخونه)
(فترَى أهلَ العفافِ بها ... وهمٌ في دولةٍ حسنه)
(وترى مَن جار هِمّتُه ... أن يُؤدِّي كل ما احتجنه)
وقال إبراهيم بن العباس لابنِ الزيات
(إيهاً أبا جعفرٍ وللدهر كَرّاتٌ ... وعما يريبُ متّسَعُ)
((أرسلتَ ليثاً على فرائسِه ... وأنت منها فانظرْ متى تَقَع
(لكنّه قُوتُه وفيكَ له ... وقد تقضّتْ أقواتُه شِبَع)
وهي أبيات وقد كان أحمد بن أبي داود حمل الواثق على الإيقاع بابن الزيات وأمر علي بن الجهم فقال فيه
(لَعائِنُ الله مُوقّراتِ ... مُصَبّحاتٍ ومهجِّراتِ)
(عَلَى ابن عبد المَلِك الزّياتِ ... عرّضَ شَمل المُلك للشتَاتِ)
(يَرمِي الدواوين بتَوقيعاتِ ... معَقَّدات غير مفتوحاتِ)
(أشبه شيء بِرُقَى الحَياتِ ... كأنّها بالزيت مدهوناتِ)
(بعد ركوب الطوف في الفراتِ ... وبعد بَيع الزيتِ بالحباتِ)
(سبحان مَن جلّ عن الصفاتِ ... هارون يابنِ سيِّد الساداتِ)
(أما ترى الأمورِ مهملاتِ ... تشكو إليك عدمَ الكُفاةِ)
وهي أبيات فهم الواثق بالقبض على ابن الزيات وقال لقد صدق قائل هذا الشعر ما بقي لنا كاتب فطَرَح نفسه على إسحاق بن إبراهيم وكانا مجتمعين على عداوة ابن أبي داود فقال للواثق أمثل ابن الزيات مع خدمته وكفايته يفعل به هذا وما جنى عليك وما خانك وإنما دلك على خونة أخذت ما اختانوه فهذا ذنبه

وبعد فلا ينبغي لك أن تعزل أحداً أو تعد مكانه جماعة يقومون مقامه فمن لك بمن يقوم مقامه فمحا ما كان في نفسه عليه ورجع له
وكان إيتاخ صديقاً لابن أبي داود فكان يغشاه كثيراً فقال له بعض كتابه إن هذا بينه وبين الوزير ما تعلم وهو يجيئك دائماً ولا تأمن أن يظن الوزير بك ممالأة عليه فعرّفه ذلك فلما دخل ابن أبي داود إليه خاطبه في هذا المعنى فقال إني والله ما أجيئك متعززاً بك من ذلة ولا متكثّراً من قلة ولكن أمير المؤمنين رتبك رتبة أوجبت لقاءك فإن لقيناك فله وإن تأخرنا عنك فلنفسك ثم خرج من عنده فلم يعد إليه
وفي هذه القصة أخبار كثيرة يطول ذكرها ليس هذا موضعها وإنما ذكرنا ها هنا هذا القدر منها كما يذكر الشيء بقرائنه
صوت
(عِشْ فَحبِّيكَ سريعاً قاتِلي ... والضنى إن لم تصلنيَ واصلي)
(ظَفِرَ الشوقُ بقلبٍ دَنِفٍ ... فيكَ والسُّقم بجِسْمٍ ناحلِ)
(فهُما بينَ اكتئابٍ وضنىً ... تَركاني كالقضيب الذابِلِ)
الشعر لخالد الكاتب والغناء للمسدود رمل مطلق في مجرى الوسطى وذكر جحظة أن هذا الرمل أخذ عنه وأنه أول صوت سمعه فكتبه
أخبار خالد الكاتب
هو خالد بن يزيد ويكنى أبا الهيثم من أهل بغداد وأصله من خراسان وكان أحد كتاب الجيش ووسوس في آخر عمره قيل إن السوداء غلبت عليه وقال قوم كان يهوى جارية لبعض الوجوه ببغداد فلم يقدر عليها وولاه محمد بن عبد الملك الإعطاء في الثغور فخرج فسمع في طريقه منشداً ينشد ومغنية تغني
(من كان ذا شجَنٍ بالشام يطلبه ... ففِي سِوى الشام أمسى الأهل والشجنُ)
فبكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه ثم أفاق مختلطاً واتصل ذلك حتى وسوس وبطل وكان اتصل بعلي بن هشام وإبراهيم بن المهدي وكان سبب اتصاله بعلي بن هشام أنه صحبه في وقت خروجه إلى قم في جملة كتاب الإعطاء فبلغه وهو في طريقه أن خالداً يقول الشعر فأنس به وسر به وأحضره فأنشده قوله
(يا تاركَ الجِسْمِ بلا قلبِ ... إنْ كنتُ أهواكَ فما ذَنبي)
(يا مُفْرداً بالحسن أفردتَني ... منك بطول الهَجرِ والعتْب)
(إن تَكُ عَيْني أبصرتْ فِتْنةً ... فهلْ على قلبيَ من عتب
(حَسِيبكَ اللهُ لما بي كما ... أنك في فِعلك بي حَسْبي)
للمسدود في هذه الأبيات رمل طنبوري مطلق من رواية الهشامي قال فجعله علي بن هشام في ندمائه إلى أن قتل ثم صحب الفضل بن مروان فذكره للمعتصم وهو بالماحوزة قبل أن يبني سر من رأى فقال خالد
(عزَم السرورُ على المُقام ... بِسُرَّ مَنْ را للإمامِ)
(بَلَدُ المَسرَّة والفتوح ... المستنيراتِ العظامِ)
(وتراه أشبَه منزلٍ ... في الأرض بالبلد الحرام)
(فاللهُ يعمُرُهُ بمن ... أضْحَى به عزُّ الأنام)
فاستحسنها الفضل بن مروان وأوصلها إلى المعتصم قبل أن يقال في بناء سر من رأى شيء فكانت أول ما أنشد في هذا المعنى من الشعر فتبرك بها وأمر لخالد بخمسة آلاف درهم
وذكر ذلك كله إسماعيل بن يحيى الكاتب وذكر اليوسفي صاحب الرسائل أن خالداً قال أيضاً في ذلك
(بيَّن صَفْوُ الزمان عن كَدره ... في ضَحِكات الربيع عن زَهَره)
(يا سُرَّ مَن را بُورِكْت من بَلدٍ ... بُورِك في نَبْته وفي شجره)
(غَرسُ جُدود الأمام ينبته ... بابَكُ والمازيارُ من ثمره)
(فالفتح والنصر ينزلان به ... والخِصب في تُرْبه وفي شجره)
فغنى مخارقٌ في هذه الأبيات فسأله المعتصم لمن هذا الشعر فقال لخالد يا أمير المؤمنين قال الذي يقول
((كيفَ تُرْجَى لذاذةُ الإغتماض ... لمريضٍ من العيون المِراض
فقال محمد بن عبد الملك نعم يا أمير المؤمنين هو له ولكن بضاعته لا تزيد على أربعة أبيات فأمر له المعتصم بأربعة آلاف درهم وبلغ خالداً الخبر فقال لأحمد بن عبد الوهاب صاحب محمد بن عبد الملك وقيل لأبي جعفر أعزه الله إذا بلغت المراد في أربعة أبيات فالزيادة فضل
قال اليوسفي ولما قال خالد في صفة سر من رأى قصيدته التي يقول فيها
(اسْقِنِي في جرائرٍ وزقاقِ ... لتُلاقي السرور يوم التلاقِ)
(من سُلافٍ كأنَّ في الكأس منه ... عبراتٍ من مقلَتيْ مشتاقِ)
(في رياضٍ بسُر مَن را إلى الكرْخ ... ودَعْني من سائر الآفاق)
(بادٌ كَارَاتِ كل فتح عظيم ... لإمامِ الهدى أبي إسحاق)
وهي قصيدة لقيه دعبل فقال يا أبا الهيثم كنت صاحب مقطعات فداخلت الشعراء في القصائد الطوال وأنت لا تدوم على ذلك ويوشك أن تتعب بما تقول وتغلب عليه فقال له خالد لو عرفت النصح منك لغيري لأطعتك في نفسي
خلاف خالد مع الحلبي الشاعر في معنى شعر
قال اليوسفي وحدثني أبو الحسن الشهرزاني أن خالدا وقع بينه وبين الحلبي الشاعر الذي يقول فيه البحتري
(...سِل الحلبيّ عن حلب)
خلافٌ في معنى شعر فقال له الحلبي لا تعد طورك فأخرسك فقال له خالد لست هناك ولا فيك موضع للهجاء ولكن ستعلم أني أجعلك ضحكة سر من رأى وكان الحلبي من أوسخ الناس فجعل يهجو جبته وثيابه وطيلسانه فمن ذلك قوله
(وشاعرٍ ذي منطقٍ رائقِ ... في جبَّةٍ كالعارض البارقِ)
(قطعاءَ شلاَّءَ رقاعِيَّة ... دَهْرِيَّة مرقوعة العاتقِ)
(قدّمها العُرْيُ على نفسه ... لفضلها في القدَر السابق)
وقوله

(وشاعرٍ مُقْدِمٍ له قومُ ... ليس عليهِمْ في نصرِهِ لَومُ)
(قد ساعدوه في الجوع كلُّهمُ ... فَقْرَى فكلٌّ غَداؤُه الصوم)
(يأتيكَ في جُبّة مُرَقعةٍ ... أطولُ أعمار مثلِها يومُ)
(وطيْلسانٍ كالآل يلبسُه ... على قميص كأنه غَيْمُ)
(من حلبَ في صميم سِفْلتِها ... غِناه فقر وعزُّه ضَيم)
قال وقال فيه
(تاهَ على ربِّه فأفقرهُ ... حتى رآه الغِنَى فأنكرهُ)
(فصار من طول حِرفَةٍ علماً ... يقذفه الرزق حيث أبصرهُ)
(يا حلبيّاً الإله له ... بالتِّيه والفقر حين صوَّرهُ)
(لَوْ خلطوه بالمِسكْ وسخّه ... أو طرَحُوهُ في البحر كدَّره
حدثني جحظة قال حدثني خالد الكاتب قال دخلت على إبراهيم بن المهدي فاستنشدني فقلت أيها الأمير أنا غلام أقول في شجون نفسي لا أكاد أمدح ولا أهجو فقال ذلك أشد لدواعي البلاء فأنشدته
صوت
(عاتبتُ نفسي في هواكَ ... فلم أجِدْها تَقْبَلُ)
(وأطعتُ داعيَها إليكَ ... ولم أطِعْ مَن يعذل)
(لا والذي جعل الوجوه ... لحسن وجهك تمثُل)
(لا قلتُ إن البصرَ عنك ... من التصابي أجمل)
لجحظة في هذه الأبيات رمل مطلق بالوسطى
قال فبكى إبراهيم وصاح واي عليك بإبراهيم ثم أنشدته أبياتي التي أقول فيها
(وبكى العاذل من رحْمَتي ... فبُكائي لِبُكا العاذل)
وقال إبراهيم يا رشيق كم معك من العين قال ستمائة وخمسون ديناراً قال اقسمها بيني وبين الفتى واجعل الكسر له صحيحاً فأعطاني ثلاثمائة وخمسين ديناراً فاشتريت بها منزلي بساباط الحسن والحسين فواراني إلى يومي هذا
حدثني جحظة قال حدثني خالد الكاتب قال قال لي علي بن الجهم هب لي بيتك الذي تقول فيه
(ليتَ ما أصْبَحَ مِنْ رقّة ... خدّيك بقَلْبِكْ)
فقلت يا جاهل هل رأيت أحداً يهب ولده
وقال أحمد بن إسماعيل الكاتب لقيت خالداً الكاتب ذات يوم فسألته عن صديق له وكان قد باعده ولم أعلم فأنشأ يقول
(ظَعَن الغريبُ لغيبة الأبد ... حتى المخافة نائيَ البلدِ)
(حيرانَ يُؤنسه ويكلؤه ... يومٌ تَوَعّده بشرِّ غدِ)
(سنحَ الغُرابُ له بأنكر ما ... تغدو النحوسُ به على أحدِ)
(وابتاع أشأمه بأيمنه الجَدُّ ... العثورُ له يداً بيد)
(حتى يُنيخ بأرضِ مهْلكةٍ ... في حيثُ لم يولد ولم يلدِ)
(جزعتْ حليلتُه عليه فما ... تخلو من الزفرات والكمد)
(نزَل الزمانُ بها فأهلكها ... منه وأهدى اليُتم للولد)
(ظفرتْ به الأيام فانحسرت ... عنه بناقِرَةٍ ولم تكدِ)
(فتركْن منه بعد طِيبّه ... مثل الذي أبقَين من لُبَد)
قال فقلت له يا أبا الهيثم مذ كم دخلت في قول الهجاء قال مذ سالمت فحوربت وصافيت فتوقفت
بين خالد وأبي تمام
وقال الرياشي كان خالد مغرماً بالغلمان المرد ينفق عليهم كل ما يفيد فهوي غلاماً يقال له عبد الله وكان أبو تمام الطائي يهواه فقال فيه خالد
(قضيبُ بانٍ جناه وردُ ... تحمله وَجْنَةٌ وخَدُّ)
(لم أثْنِ طَرفي إليه إلا ... مات عزاءٌ وعاش وجْدُ)
(مُلِّكَ طَوْعَ النفوس حتّى ... علَمه الزهوَ حين يبدو)
(واجتَمَعَ الصدُّ فيه حتّى ... ليس لخَلْقٍ سِواه صدّ)
فبلغ أبا تمام ذلك فقال فيه أبياتاً منها
(شِعْرُكَ هذا كلُّ مفرطٌ ... في بَرْدِهِ يا خالدُ الباردُ)
فعلمها الصبيان فلم يزالوا يصيحون به يا خالد يا بارد حتى وسوس قال ومن الناس من يزعم أن هذا السبب كان بينه وبين رجل غير أبي تمام وليس الأمر كذلك وكان خالد قد هجا أبا تمام في هذه القصة فقال فيه
(يا معشرَ المُرْدِ إني ناصِحٌ لكمُ ... والمرءُ في القولِ بيْن الصدقِ والكذب)
(لا ينكِحَنّ حبيباً منكمُ أحدٌ ... فإنّ وجعاءه أعدَى من الجرَب)
(لا تأمنوا أن تَحولُوا بَعد ثالثَةٍ ... فتركبوا عُمُداً ليستْ من الخشب)
حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسن بن إسحاق قال حدثني خالد الكاتب قال لما بويع إبراهيم بن المهدي بالخلافة طلبني
وقد كان يعرفني وكنت متصلاً ببعض أسبابه فأدخلت إليه فقالت أنشدني يا خالد شيئاً من شعرك فقلت يا أمير المؤمنين ليس شعري من الشعر الذي قال فيه رسول الله " إن من الشعر لحكما " وإنما أمزح وأهمل فقال لا تقل هذا فإن جد الأدب وهزله جد هات أنشدني فأنشدته
(عِش فَحُبّيكَ سريعاً قاتلي ... والضني إن لم تَصِلنْي واصلي)
(ظفِرَ الشوق بقَلْبٍ دَنِف ... فيك والسُّقم بجسمٍ ناحل)
(فهما بين اكتئاب وضنىً ... تركاني كالقضيب الذابل)
قال فاستملح ذلك ووصلني

حدثني حمزة بن أبي سلالة الشاعر الكوفي قال دخلت بغداد في بعض السنين فبينا أنا مار بجنينة إذا أنا برجل عليه مبطنة نظيفة وعلى رأسه قلنسية سوداء وهو راكب قصبة والصبيان خلفه يصيحون به يا خالد يا بارد فإذا آذوه حمل عليهم بالقصبة فلم أزل أطردهم عنه حتى تفرقوا وأدخلته بستاناً هناك فجلس واستراح واشتريت له رطباً فأكل واستنشدته فأنشدني

(قدْ حازَ قلبي فصار يملِكُهُ ... فكيف أسْلو وكيف أتركه)
(رَطِيبٌ جسمٍ كالماء تَحْسبه ... يَخْطِر في القلب مِنْه مسلَكُهُ)
(يكادُ يجري من القميص من النعمة ... لولا القميص يُمسكُهُ)

فاستزدته فقال لا ولا حرف

وذكر علي بن الحسين بن أبي طلحة عن أبي الفضل الكاتب أنه دعا خالداً ذات يوم فأقام عنده وخلع عليه فما استقر به المجلس حتى خرج

قال فأتبعته رسولاً ليعرف خبره فإذا هو قد جاء إلى غلام كان يحبه فسأل عنه فوجده في دار القمار فمضى إليه حتى خلع عليه تلك الثياب وقبله وعانقه وعاد إلينا فلما جاء خالد أعطيت الغلام الذي وجهنا به دنانير ودعاه فجاء به إلينا وأخفيناه وسألنا خالداً عن خبره فكتمه وجمجم فغمزنا الرسول فأخرجه علينا فلما رآه خالد بكى ودهش فقلنا له لا ترع فإن من القصة كيت وكيت وإنما أردنا أن نعرف خبرك لا أن نسوءك فطابت نفسه وأجلسه إلى جنبه وقال قد بليت بحبه وبالخوف عليه مما قد بلي به من القمار ثم أنشد لنفسه فيه

(مَحِبٌّ شَفّه ألَمُهْ ... وخامَرَ جِسْمَه سَقَمُهْ)
(وباح بما يُجَمْجِمهُ ... مِن الأسرار مكتَتِمهْ)
(أما تَرْثي لمكتئب ... يُحِبُّك لحمُه ودَمُه)
(يغار على قميصك حِين ... تَلْبَسه ويتّهِمهْ)

من شعره في الشوق

وذكر علي بن الحسين أيضاً أن محمد بن السري حدثه أنه طال الغيبة عن بغداد وقد وسوس خالد فمر به في الرصافة والصبيان يصيحون به يا غلام الشريطي يا خالد البارد ويرجع إليهم فيضربهم ويزيد ويرميهم قال فقلت له كيف أنت يا أبا الهيثم قال كما ترى فقلت له فمن تعاشر اليوم قال من أحذره فعجبت من جوابه مع اختلاله فقلت له ما قلت بعدي من الشعر قال ما حفظه الناس وأنسيته وعلى ذلك قولي

(كَبِدٌ شفها غليلُ التصابي ... بين عَتْب وسَخْطَةٍ وعذاب)
(كلَّ يومٍ تَدْمَى بجرح من الشوق ... ونوع مجدَّدٍ من عذاب)
((يا سقيمَ الجفون أسْقَمتَ جسمي ... فاشفِني كيف شئت لا بِكَ ما بي)
(إنْ أكنْ مذْنباً فكن حَسَنَ العفو ... أو اجعَلْ سوى الصُّدود عقابي)

ثم قال يا أبا جعفر جننت بعدك فقلت ما جعلك الله مجنوناً وهذا كلامك لي ونظمك

حدثني محمد بن الطلاس أبو الطيب قال حضرت جنازة بعض جيراني فلقيت خالداً في المقبرة فقبضت عليه وقلت أنشدني فذهب ليهرب مني فغمزت على يده غمزة أوجعته فقال خل عني أنشدك فأرخيت يدي عن يده فأنشدني

(لَمْ تَرَ عينٌ نَظرَتْ ... أحسنَ من منظرِهِ)
(النورُ والنَّعمة ... في مَخْبره)
(لا تَصلُ الألسنُ بالوصف ... إلى أكثرِهِ)
(كيْف بمَن تَنْتسبُ الشمس ... إلى جوهرِهِ)

حدثني عمي رحمه الله قال مر بنا خالد الكاتب ها هنا والصبيان خلفه يصيحون به فجلس إلي فقال فرق هؤلاء عني ففعلت وألحت عليه جارية تصيح يا خالد يا بارد فقال لها

مري يا منتنة الكس ويا من كسها دس فقلت يا أبا الهيثم أي شيء معنى دس ها هنا قال تشتهي الأير الصغير والكبير والوسط ولا تكره منها شيئاً وأقبل الصبيان يصيحون بتلك الجارية بمثل ما قال لها خالد وهي ترميهم وتهرب منهم حتى غابوا معها عنا فأقبل علي خالد متمثلاً فقال

(وما أنا في أمري ولا في خصومتي ... بمهتضَم حَقّي ولا قارعِ سنِّي)

فاحتسبته عندي يومي ذلك فلما شرب وطابت نفسه أنشدنا لأبي تمام

(أحْبابَه لِمَ تفعلون بِقلْبه ... ما ليس يَفْعَلُه به أعداؤهُ)
(مَطَرٌ مِن العَبراتِ خَدِّي أرضُه ... حتى الصباح ومُقْلتايَ سماؤهُ)
(نفْسي فِداءُ محمدٍ ووقاؤه ... وكذبتُ ما في العالَمين فداؤه)
(أزعمتَ أنَّ البدرَ يحكي وجهه ... والغصن حين يَميدُ فيه ماؤه)
(اسْكت فأين بهاؤه وكماله ... وجمالُه وحياؤه وضياؤه)
(لا تَقْرَ أسماءَ المَلاحة باطلاً ... فيمن سِواه فإنها أسماؤه)

ثم قال وقد عارضه أبو الهيثم يعني خالداً نفسه فقال

(فديتُ محمداً من كل سوء ... يحاذر في رَواحٍ أو غُدوّ)
(أيا قمرَ السماء سَفُلتَ حتى ... كأنك قد ضَجِرْتَ من العُلوِّ)
(رأيتك من حبيبك ذا بِعادٍ وممّن لا يُحِبك ذا دُنُوّ)
(وحسْبُك حسْرَةً لك من حبيب ... رأيتَ زمامه بيدَيْ عَدُوّ)

هكذا أخبرني عمي عن خالد وهذه الأبيات أيضاً تروى لأبي تمام

وقال ابن أبي طلحة حدثني الهلالي قال مررت بخالد وحوله جماعة ينشدهم فقلت له يا أبا الهيثم سلوت عن صديقك قال لا والله قلت فإنه عليل وما عدته فسكت ساعة ثم رفع رأسه إلي وقال

(زَعَمُوا أنني صحوتُ وكلاّ ... أُشهِدُ الله أنني لن أمَلاّ)
(كيف صبري يا من إذا ازداد تِيهاً ... أبداً زدتُه خضوعاً وذُلاّ)

ثم قال احفظه وأبلغه عني

(بِجِسْمِي لا بجسمِك يا عليلُ ... ويكفيني من الألَمِ القليلُ
(تَعدَّاك السَّقام إليَّ إني ... على ما بي لعادِيه حَمولُ)
(إذا كنتَ يا أملي صحيحاً ... فحَالفني وسالَمك النحولُ)
(ألستَ شقيقَ ما ضمّتْ ضُلوعي ... عَلَى أني لِعِلَّتِكَ العليلُ)
قال وحدثني العباس بن يحيى أنهم كانوا عند علي بن المعتصم فغني في شعر لخالد فأمر بإحضاره وطلب فلم يوجد فوجه إلى غلام كان يتعشقه فأحضر وسأله عنه فدل عليه وقال كنا نشرب إلى السحر وقد مضى إلى حمام فلان وهو يخرج ويجلس عند فلان الفقاعي ودكانه مألف للغلمان المرد والمغنين فبعث إليه فأحضر فلما جلس أخرج علي بن المعتصم الغلام وقال هذا دلنا عليك وهو يزعم أنك تعشقه فقال له الغلام نعم أيها الأمير لو لم يكن من فضيحته إياي إلا أنه إذا لم يوجد أحضرت وسئلت عنه فأقبل عليه خالد وقال
(يا تاركَ الجسم بلا قلبِ ... إن كنتُ أهواك فما ذنبي)
(يا مفرداً بالحسن أفْرَدْتني ... منْكَ بطولِ الشوق والحُبِّ)
(إنْ تكُ عيني أبصَرَتْ فتنة ... فهلْ على قَلْبيَ من عَتب)
(حَسِيبُكَ اللهُ لما بي كما ... أنك في فعلِك بي حَسبي)
لجحظة فيه رمل فاستحسن علي الشعر وأمر له بخمسين ديناراً
قال حدثني ابن أبي المدور أنه شهد خالداً عند عبد الرحيم بن الأزهر الكاتب وأنه دخل عليهم غلام من أولاد الكتاب فلما رأى خالداً أعرض عنه فقلت له لم أعرضت عن أبي الهيثم فقال والله لو علمت أنه ها هنا ما دخلت إليكم ما يبالي إذا شرب هذين القدحين ما قال ولا من هتك فقال لي خالد ألا تعينني على ظالمي فقلت بلى والله أعينك فأقبل على الفتى وقال

صوت

(هَبْني أسأتُ فكان ذَنْبي ... مثلَ ذَنْب أبي لَهبْ)
(فأنا أتوبُ وكم أسأتَ ... وكم أسأتَ ولم تَتُب)
فما زلنا مع ذلك الفتى نداريه ونستعطفه له حتى أقبل عليه وكلمه وحادثه فطابت نفسه وسر بقية يومه
في هذين البيتين لأبي العبيس خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ولرذاذ خفيف رمل مطلق
حدثني عبد الله بن صالح الطوسي أن علي بن المعتصم دعا خالداً يوماً وهو يشرب وقد أخرجت إليه وصيفة من وصفاء حظيته تفاحة معضوضة مغلفة بعثت به إليه ستها فقال
(تفاحةٌ خرجتْ بالدُّرِ من فيها ... أشهى إليَّ من الدنيا وما فيها)
(بيضاءُ في حمرة عُلَّتْ بغاليةٍ ... كأنما قُطِفت من خَدِّ مُهْديها)
(جاءت بها قينةٌ من عند غانية ... روحي من السوءِ والمكروهِ تَفديها)
(لو كنتُ ميتاً ونادتني بنغمتها ... إذاً لأسرعتُ من لحدي أُلَبِّيها)
فاستحسن علي بن المعتصم الأبيات وغني فيها وأمر له بتخت ثياب وخمسين ديناراً

أخبار المسدود

المسدود من أهل بغداد وكان منزله في ناحية درب المفضل في الموضع المعروف بخراب المسدود منسوب إليه
وأخبرني جحظة أن اسمه الحسن وكنيته أبو علي وأن أباه كان قصاباً وأنه كان مسدود فرد منخر ومفتوح الآخر وكان يقول لو كان منخري الآخر مفتوحاً لأذهلت بغنائي أهل الحلوم وذوي الألباب وشغلت من سمعه عن أمر دينه ودنياه ومعاشه ومعاده
قال جحظة وكان أشجى الناس صوتاً وأحضرهم نادرة ولم يكتسب أحد من المغنين بطنبور ما كسبه وكان مع يساره وقلة نفقته يقرض بالعينة وكانت له صنعة عجيبة أكثرها الأهزاج قال جحظة قال لي مخارق غلامه قال لي وقد صنع هذين البيتين وهما جميعاً هزج

صوت

(مَن رَأى العِيسَ عَلَيْها الرِّحال ... إضَمٌ قَصْدٌ لَها أم أُثالُ)
(لستُ أدري حيث حلُّوا ولكن ... حيثما حلُّوا فثَمَّ الجَمَالُ)
والآخر
(عُجْ بنا نَجْنِ بطَرْفِ العَينِ ... تُفّاحَ الخُدودْ)
(ونُسلِّ القلبَ عمّن ... حَظُّنا منه الكدود)
ثم قال والله لا تركت بعدي من يهزج قال جحظة والله ما كذب
الواثق ينفي المسدود إلى عمان
أخبرني جحظة قال كان الواثق قد أذن لجلسائه ألا يرد أحد نادرة عن أحد يلاعبه فغنى الواثق يوماً
(نظرتُ كأني من وراء زُجاجةٍ ... إلى الدارِ من ماءِ الصبابة أنظرُ)
وقد كان النبيذ عمل فيه وفي الجلساء فانبعث إليه المسدود فقال أنت تنظر أبداً من وراء زجاجة إن كان في عينيك ماء صبابة أولم يكن فغضب الواثق من ذلك وكان في عينيه بياض ثم قال خذوا برجل العاض بظر أمه فسحب من بين يديه ثم قال ينفى إلى عمان الساعة فنفي من وقته وحدر ومعه الموكلون فلما سلموه إلى صاحب البصرة سأله أن يقيم عنده يوماً ويغنيه ففعل
فلما جلسوا للشراب ابتدأ فقال احذروني يا أهل البصرة على حرمكم فقد دخلت إلى بلدكم وأنا أزنى خلق الله قال فقال له الجماز أما يعني أنه أزنى خلق الله أما فغضب المسدود وضرب بطنبوره الأرض وحلف ألا يغني فسأله الأمير أن يقيم عنده وأمر بإخراج الجماز وكل من حضر فأبى ولج فأحدره إلى عمان
ومكث الواثق لا يسأل عنه سنة ثم اشتاقه فكتب في إحضاره فلما جاءه الرسول ووصل إلى الواثق قبل الأرض بين يديه فاعتذر من هفوته وشكر التفضيل عليه فأمر بالجلوس ثم قال له حدثني بما رأيت بعدي فقال لي حديث ليس في الأرض أظرف منه وأعاد عليه حديثه بالبصرة فقال له الواثق قبحك الله ما أجهلك ويلك فأنت سوقة أنا ملك وكنت صاحياً وكنت منتشياً وبدأت القوم فأجابوك فبلغ بك الغضب ما ذكرته وما بدأتك فتجيبني وبدأتني من المزح بما لا يحتمله النظير لنظيره

ويلك لا تعاود بعدها ممازحة خليفة وإن أذن ذلك في ذلك فليس كل واحد يحضره حلمه كما حضرني فيك
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني عون بن محمد قال سمعت حمدون بن إسماعيل يقول
لم يكن في الخلفاء أحمد أحلم من الواثق ولا أصبر على أذى وخلاف وكان يعجبه غناء أبي حشيشة الطنبوري فوجد المسدود من ذلك فكان يبلغه عنه ما يكره ويتجاوز عنه وكان المسدود قد هجاه ببيتين فكانا معه في رقعة وفي رقعة أخرى حاجة له يريد أن يرفعها إليه فغلط بين الرقعتين فناوله رقعة الشعر وهو يرى أنها رقعة الحاجة فقرأها وفيها
(مِنَ المَسدودِ في الأنفِ ... إلى المَسدود في العَيْن)
(أنا طَبْلٌ له شِقٌ ... فيا طبلاً بشِقَيْن)
فلما قرأ الرقعة علم أنها فيه فقال للمسدود خلطت في الرقعتين فهات الأخرى وخذ هذه واحترز من مثل هذا والله ما زاده على هذا القول

من اجوبت الموجعة

أخبرني جحظة قال تحدث المسدود في مجلس المنتصر بحديث فقال له المنتصر متى كان ذلك قال ليلة لاناه ولا زاجر يعرض له بليلة قتل فيها المتوكل فأغضى المنتصر واحتمله
قال وقالت الذكورية يوماً بين يدي المعتمد غن يا مسدود قال نعم يا مفتوحة وقالت له امرأة كيف آخذ إلى شجرة بابك قال قدامك أطعمك الله من ثمرها
قال وغنى بين يدي المتوكل فسكته وقال لبكران الشيري تغن أنت فقال المسدود أنا أحتاج إلى مستمع فلم يفهم المتوكل ما قال
وقدّم إليه طباخ المتوكل طبقاً وعليه رغيفان ثم قال له أي شيء تشتهي حتى أجيئك به قال خبزاً فبلغ ذلك المتوكل فأمر بالطباخ فضرب مائتي مقرعة
قال جحظة وحدثني بعض الجلساء أنه لما وضع الطباخ الرغيفين بين يديه قال له المسدود هذا حرز فأين النير قال ودعاه بعض الرؤساء فأهدى له برذوناً أشهب فارتبطه ليلته فلما كان من غد نفق وبعث إليه يدعوه بعد ذلك فكتب أنا لا أمضي إلى من يعرف آجال الدواب فيهب ما قرب أجله منها
قال واستوهب من بعض الرؤساء وبراً فأعطاه سموراً قد قرع بعضه فرده وقال ليس هذا سموراً هذا أشكر

صوت

(أجِدَّك ما تَعْفُو كُلومُ مُصيبَةٍ ... على صاحبٍ إلا فُجعتُ بصاحبِ)
(تقطَّع أحشائي إذا ما ذكرتهم ... وتنهلّ عيني بالدموع السواكب)
عروضه من الطويل الشعر لسلمة بن عياش والغناء لحكم وله فيه لحنان رمل بالبنصر وهزج بالوسطى

أخبار سلمة بن عياش

سلمة بن عياش مولى بني حسل بن عامر بن لؤي
شاعر بصري من مخضرمي الدولتين وكان يتدين ويتصون وانقطع إلى جعفر ومحمد ابني سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ومدحهما فأكثر وأجاد ومما مدحهما به وفيه غناء قوله

صوت

(أرِقْتُ وطالت ليلتي بأبانِ ... لِبرْقٍ سرَى بَعد الهدوء يَمانِ)
(يُضيء بأعلام المدينة هُمَّداً ... على أمجٍ فالطلح طلح قنان)
غني في هذين البيتين دحمان ولحنه ثقيل أول بالوسطى عن عمرو قال وفيه لحن لعطرد يقول فيها
(ورِدْتُ خَليجَي جعفرٍ ومحمدٍ ... وكلَّ يَديء من نَداه سقاني)
((إني لأرجو جعفراً ومحمداً ... لأفضل ما يُرْجَى له ملَكان
(هُما ابْنا رسولِ اللّه وابنا ابنِ عمِّه ... فقد كَرُم الجدّان والأبوان)
ومنها ما ذكره محمد بن داود بن الجراح قوله)

صوت

(أنارُ بدَتْ وَهْناً لعينِكِ تُرْمِضُ ... ببغداد أم سارٍ من البرقِ مُومِضُ)
(يضِيء سناه مكْفَهِرّاً كأنه ... حناتِمُ سودٌ أو عِشار تَمخَّضُ)
غني فيهما عطرد ثقيلاً أو ل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق يقول فيها
(ولَوْلا انتظاري جعفراً ونَوالَه ... لَمَا كان في بغداد ما أتبرّضُ)
وقد وجدت هذا الشعر لابن المولى في جامع شعره من قصيدة له وأظن ذلك الصحيح لا ما ذكر محمد بن داود من أنها لسلمة بن عياش أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة وغيره قال قال سلمة بن عياش وذكر محمد بن داود عن عسل بن ذكوان عن أبي حاتم عن الأصمعي عن سلمة بن عياش مولى بني عامر بن لؤي قال
دخلت على الفرزدق السجن وهو محبوس وقد قال قصيدته
((إنّ الذي سَمَك السماءَ بَنى لنا ... بيْتاً دعائمُه أعزُّ وأطولَ
وقد أفحم وأجبل فقلت له ألا أرفدك فقال وهل ذاك عندك فقلت نعم ثم قلت
(بَيْتٌ زُرارةُ مُحتَبٍ بفنائه ... ومُجاشِع وأبو الفوارس نَهْشَل)
فاستجاد البيت وغاظه قولي له فقال لي ممن أنت فقلت من قريش فقال كل أير حمار من قريش فمن أيها أنت قلت من بني عامر بن يؤي قال لئام والله رضعة جاورتهم بالمدينة فما أحمدتهم فقلت ألأم والله منهم قومك وأرضع جاء رسول مالك بن المنذر وأنت سيدهم وشاعرهم فأخذ بأذنك يقودك حتى احتسبك فما اعترضه أحد ولا نصرك فقال قاتلك الله ما أكرمك وأخذ البيت فأدخله في قصيدته
سلمة وبربر الجارية
أخبرنا وكيع قال أخبرني محمد بن سعد الكراني قال حدثنا سهل بن محمد قال حدثني العتبي قال كان سلمة بن عياش وأبو سفيان بن العلاء عند محمد بن سليمان وجارية تغنيهم وتسقيهم يقال لها بربر فقال سلمة
(إلى اللهِ أشكو ما أُلاقي من القِلَى ... لأهلي وما لاقيتُ من حُبِّ بَرْبَر)
(على حينَ ودعَّت الصبابةَ والصبا ... وفارقتُ أخْداني وشمَّرت مِئزَري)

(نأى جعفرٌ عنَّا وكان لِمثلِها ... وأنتَ لنا في النائباتِ كجعفر)
قال فقال محمد بن سليمان لسلمة خذها هي لك فاستحيا وارتدع وقال لا أريدها فألح عليه في أخذها فقال أعتق ما أملك إن أخذتها فقال له أبو سفيان ياسخين العين أعتق ما تملك وخذها فهي خير من كل ما تلك فلما مات أبو سفيان رثاه سلمة فقال
(لَعَمْرُكِ لا تعفُو كلُومُ مصيبةٍ ... علي صاحبٍ إلا فُجِعتُ بصاحبِ)
(تَقطعُ أحشائي إذا ما ذكرتكم ... وتنْهلّ عيني بالدموع السواكبِ)
(وكنتُ أمرأ جلداً على ما يَنوبني ... ومعترفاً بالصبر عند المصائب)
(فهَدَّ أبو سفيان رُكني ولم أكنْ ... جَزِوعاً ولا مستنكِراً للنوائب)
(غَنينا معا بِضْعاً وستين حِجّةً ... خَلِيلَيْ صفاْر ودًّا غيرُ كاذب)
(فأصبحتُ لمّا حالت الأرض دونَه ... على قُرْبِه مِنِّي كمَن لم أصاحب)
وذكر محمد بن داود عن عسل بن ذكوان أن محمد بن سليمان قال له اختر ما شئت غيرها لأن أبا أيوب قد وطئها
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي قال حدثت من غير وجه عن سلمة بن عياش أنه قال قلت لأبي حية النميري أهزأ به ويحك يا أبا حية أتدري ما يقول الناس قال لا قلت يزعمون أني أشعر منك قال إنا لله هلك والله الناس
وفي بربر هذه يقول سلمة بن عياش وفيه غناء وذكر عمر بن شبة أنه لمطيع بن إياس
صوت
(أظنُّ الحبَّ من وجْدي ... سيقتُلني على بَرْبَرْ)
(وبربرُ دُرَّةُ الغواصِ ... مَنْ يَمْلِكْها يُحْبَرْ)
(فخافِي الله يا بَرْبَرْ ... فقد أفتَنْتِ ذا العسكرْ)
(بِحُسْنِ الدَّلّ والشكل ... وريح المسك والعَنْبرْ)
(ووجهٍ يشْبه البَدْرَ ... وعينَيْ جُؤْذُرٍ أحور)
فيه لحكم ثلاثة ألحان رمل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق وخفيف رمل عن هارون بن الزيات وهزج عن أبي أيوب المدني
أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر شبة قال بربر جارية آل سليمان أعتقت وكان لها جوار مغنيات فيهن جارية اسمها جوهر وكان في البصرة فتى يعرف بالصحاف حسن الوجه فبلغ مطيع بن إياس أنه بات مع جوهر جارية بربر فغاظه ذلك فقال
(ناكَ والله جوهرَ الصحّافُ ... وعلَيها قَميصُها الأفوافُ)
(شام فيها أيراً له ذا صُلاع ... لم يَخُنْه نَقص ولا إخطاف)
(زعموها قالت وقد غاب فيها ... قائماً في قيامه استِحْصاف)
(وهو في جارة استها يتلظّى ... وبها شهوة له والتهاف)
((بَعْضَ هذا مهلاً ترفق قليلاً ... ما كذا يا فتى تُناك الظِراف
قال وقال فيها وقد وجهت بجواريها إلى عسكر المهدي
(خافِي الله يا بربرْ ... فقد أفسدتِ ذا العسكرْ)
(أفضْتِ الفِسقَ في الناس ... فصار الفِسْقُ لا يُنْكر)
(ومَنْ ذا يملِك الناس ... إذا ما أقبلَتْ بَرْبرْ)
(وأعطافُ جواريها ... كريحِ المسك والعنبرْ)
(وجوهرُ دُرّةُ الغواص ... مَنْ يَمْلِكها يُحبرْ)
(ألا يا جوهرَ القلْبِ ... لقد زدْتِ على الجوهرْ)
(وقد أكملكِ اللهُ ... بِحُسْنَ الدّل والمنظر)
(إذا غّنيتِ يا أحسنَ خَلقِ اللّهِ بالمِزهرْ)
(فهذا حَزَناً يَبْكي ... وهذا طَرَباً يكفُر)
(وهذا يَشربُ الكأسَ ... وذا من فَرَح ينعِرَ)
(ولا واللّهِ ما المهديُّ ... أولَى منك بالمنبر)
(فما عِشْتِ ففي كفيك ... خَلْعُ ابن أبي جعفر)
قال فبلغ ذلك المهدي فضحك وأمر لمطيع بصلة وقال أنفق هذا عليها وسلها ألا تخلعنا ما عاشت
قال وفي جوهر يقول مطيع
(جاريةٌ أحسنُ من حَلْيِها ... وفيه فَضْل الدُّر والجوهرْ)
(وجِرمُها أطيب مِن طِيبِها ... والطِّيب فيه المسكُ والعنبرْ)
((جاءت بها بربر مَمْكُورةً ... يا حبذا ما جلَبتْ بَربرْ
قال وقال فيها
(أنتِ يا جوهرُ عِندي جَوْهَرهُ ... في بياض الدّرة المشتهره)
(وإذا غنَّت فنارٌ أضْرِمت ... قَدَحَتْ في كلِّ قلب شَرَره)
صوت
(يا عمودَ الإسلام خير عمود ... والذي صِيغ من حياء وجُودِ)
(إن يوماً أراك فيه ليوم ... طلعت شَمسُه بسعد السعود)
الشعر لأبي العتاهية يمدح محمد الأمين والغناء لإسحاق ثقيل أول بالبنصر عن عمرو بن بانة وإسحاق
أخبار لأم جعفر
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا العلائي قال حدثني محمد بن أبي العتاهية قال لما جلس الأمين في الخلافة أنشده أبو العتاهية

(يا بنَ عمِّ النبيِّ خيرَ البَرِيّة ... إنمّا أنتَ رحْمَةٌ للرّعيّهْ)
(يا إمامَ الهدىالأمينَ المصفَّى ... بِلُبَاب الخلافةِ الهاشميهْ)
(لكِ نفسٌ أمّارة لك بالخير ... وكفٌّ بالمكرُمات نَدِيّه)
(إنّ نفساً تحملَتْ منك ما حُمِّلْتَ ... للمسلمين نفسٌ قَويه)
قال ثم خرج إلى دار أم جعفر فقالت له أنشدني ما أنشدت أمير المؤمنين فأنشدها
فقالت أين هذا من مدائحك في المهدي والرشيد فغضب وقال إنما أنشدت أمير المؤمنين ما يستملح وأنا القائل فيه
(يا عمودَ الإسلام خيرَ عمود ... والّذي صِيغَ من حياءٍ وَجُودِ)
(والذي فيه ما يُسلِّي ذوي الأحزان ... عن كلِّ هالكٍ مفقود)
(إنّ يوماً أراك فيه لَيَومٌ ... طلعَت شمسه بسعد السعود)
فقالت له الآن وفيت المديح حقه وأمرت له بعشرة آلاف درهم
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن موسى اليزيدي قال حدثني محمد بن الفضل قال
كان المأمون يوجه إلى أم جعفر زبيدة في كل سنة بمائة ألف دينار جدد وألف ألف درهم فكانت تعطي أبا العتاهية منها مائة دينار وألف درهم فأغفلته سنة فدفع إلي رقعة وقال ضعها بين يديها فوضعتها وكان فيها
(خبَّروني أنَّ في ضرب السَّنهْ ... جُدُداً بيضاً وصُفْراً حسَنهْ)
(سِكَكاً قد أحْدِثَتْ لم أرها ... مثلَ ما كنت أرى كلّ سَنَهْ)
فقالت إنا للّهِ أغفلناه فوجهت إليه بوظيفة على يدي
حدثني محمد بن موسى قال حدثنا جعفر بن الفضل الكاتب قال أحست زبيدة من المأمون بجفاء فوجهت إلى أبي العتاهية تعلمه بذلك وتأمره أن يعمل فيه أبياتاً تعطفه عليها فقال
صوت
(ألا إنّ ريبَ الدهْرِ يُدني ويبعدُ ... ويؤنس بالالآف طوراً ويفقدُ)
(أصابتْ لرَيْبِ الدهْرِ مني يَدِي يَدِي ... فسلّمتُ للإقدارِ واللّهَ أحْمَدُ)
(وقلتُ لِرَيبَ الدهْرِ إنْ ذهبت يدٌ ... فقد بقيت والحمدُ للّه لي يَدُ)
(إذا بَقِي المأمونُ لي فالرشيدُ لي ... ولي جعفرٌ لم يفقَدا ومحمدُ)
الغناء لعلّويه
قال فحسن موقع الأبيات منه وعاد لها المأمون إلى أكثر مما كان لها عليه
وجدت في كتاب محمد بن الحسن الكاتب
حدثني هارون بن مخارق قال حدثني أبي قال ظهرت لأم جعفر جفوة من المأمون فبعثت إلي بأبيات وأمرتني أن أغني فيها المأمون إذا رأيته نشيطاً وأسنت لي الجائزة وكان كاتبها قال الأبيات ففعلت فسألني المأمون عن الخبر فعرفته فبكى ورق لها وقام من وقته فدخل إليها فأكب عليها وقبلت يديه وقال لها يا أمه ما جفوتك تعمدا ولكن شغلت عنك بما لا يمكن إغفاله فقالت يا أمير المؤمنين إذا حسن رأيك لم يوحشني شغلك وأتم يومه عندها والأبيات
(ألاَ إن ريبَ الدهر يُدْني ويُبعدُ ... ويُؤنس بالآلاّف طوراً ويُفْقِدُ)
وذكر باقي الأبيات مثل ما في الخبر الأول
أبو العتاهية ينظم شعراً عن لسانها للمأمون
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني الحسن بن علي الرازي قال
حدثني أبو سهل الرازقي عن أبيه قال عمل أبو العتاهية شعراً على لسان زبيدة بأمرها لما قدم المأمون بغداد أوله
(لخَيرِ إمامٍ قامَ من خير عنصرٍ ... وأفضل راقٍ فوق أعواد مِنْبرِ)
فذكر محمد بن أحمد بن المرزبان عن بعض كتاب السلطان أن المأمون لما قدم مدينة السلام واستقرت به الدار وانتظمت له الأمور أمرت أم جعفر كاتباً لها فقال هذه الأبيات وبعثت بها إلى علويه وسألته أن يصنع فيها لحناً ويغني فيه المأمون ففعل وكان ذلك مما عطفه عليها وأمرت لعلويه بعشرين ألف درهم وقد روي أن الأبيات التي أولها
(... (يا عمود الإسلام خيرَ عمود
لعيسى بن زينب المراكبي
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني الحسين بن يحيى الكاتب قال حدثنا علي بن نجيح قال حدثني صالح بن الرشيد قال
كنا عند المأمون يوما وعقيد المغني وعمرو بن بانة يغنيان وعيسى بن زينب المراكبي حاضر وكان مشهوراً بالأبنة فتغنى عقيد بشعر عيسى
(يا عمودَ الإسلامِ خير عمودِ ... والذي صيغ من حياء وجود)
(لك عندي في كل يومٍ جَديدٍ ... طُرْفَةٌ تستفاد يا بنَ الرشيد)
فقال المأمون لعقيد أنشد باقي هذا الشعر فقال أصون سمع أمير المؤمنين عنه فقال هاته ويحك فقال
(كنتُ في مجلسٍ أنيق ورَيْحان ... وراحٍ ومُسْمِعاتٍ وعُودِ)
(فتغنّى عمرو بن بانةَ إذا ذاكَ ... وهْو ممسكٌ بأيْر عقيدِ)
(يا عمودَ الإسلام خيرَ عمود ... والذي صِيغ من حياءٍ وجُود)
(فتنفستُ ثم قلت كذا كلٌّ ... محبٍّ صبِّ الفؤاد عميد)
فقال المأمون لعيسى بن زينب والله لا فارقتك حتى تخبرني عن تنفسك عند قبض عمرو على أير عقيد لإي شيء هو لا بد من أن يكون ذلك إشفاقاً عليه أو على أن تكون مثله لعن الله تنفسك هذا يا مريب قال وإنما سمي المراكبي لتوليه مراكب المنصور وأمه زينب بنت بشر صاحب طاقات بشر بباب الشام
صوت
(لقيتُ من الغانيات العُجابا ... لو أدرك مني العذارَى الشبابا)
((علام يُكحِّلن حُورَ العيون ... ويُحْدِثْن بَعد الخضابِ الخضابا
(ويُبرقن إلا لما تعلمون ... فلا تمنعُنَّ النساء الضرايا)

الشعر لأيمن بن خريم بن فاتك الأسدي والغناء لإبراهيم الموصلي ولحنه من الثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى من راوية الهشامي

أخبار أيمن بن خريم

وأيمن بن خريم بن فاتك الأسدي لأبيه صحبة برسول الله ورواية عنه وينسب إلى فاتك وهو جد أبيه وهو أيمن بن خريم بن الأخرم بن عمرو بن فاتك بن القليب بن عمرو بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار وكان أيمن يتشيع وكان أبوه أحد من اعتزل حرب الجمل وصفين وما بعدهما من الأحداث فلم يحضرها

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني النوشجاني عن العمري عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش عن مجالد قال كان عبد الملك شديد الشغف بالنساء فلما أسن ضعف عن الجماع وازداد غرامه بهن فدخل إليه يوما أيمن بن خريم فقال له كيف أنت فقال بخير يا أمير المؤمنين قال فكيف قوتك قال كما أحب ولله الحمد إني لآكل الجذعة من الضأن بالصاع من البر وأشرب العس المملوء وأرتحل البعير الصضعب وأنصبه وأركب المهر الأرن فأذلله وأفترع العذراء ولا يقعدوني عنها الكبر ولا يمنعني منها الحصر ولا يُرويني منها الغمر ولا ينقضي مني الوطر فغاظ عبد الملك قوله وحسده فمنعه العطاء وحجبه وقصده بما كره حتى أثّر ذلك في حاله فقالت له امرأته ويحك أصدقني عن حالك هل لك جرم قال لا والله قالت فأي شيء دار بينك وبين أمير المؤمنين آخر ما لقيته فأخبرها فقالت إنا لله من ها هنا أتيت أنا أحتال لك في ذلك حتى أزيل ما جرى عليك فقد حسدك الرجل على ما وصفت به نفسك فتهيأت ولبست ثيابها ودخلت على عاتكة زوجته فقالت أسألك أن تستعدي لي أمير المؤمنين على زوجي قالت وماله قالت والله ما أدري أنا مع رجل أو حائط وإن له لسنين ما يعرف فراشي فسليه أن يفرق بيني وبينه فخرجت عاتكة إلى عبد الملك فذكرت ذلك له وسألته في أمرها فوجه إلى أيمن بن خريم فحضر فسأله عما شكت منه فاعترف به فقال أو لم أسألك عاما أول عن حالك فوصفت كيت وكيت فقال يا أمير المؤمنين إن الرجل ليتجمل عن سلطانه ويتجلد عند أعدائه بأكثر مما وصفت نفسي به وأنا القائل

(لَقيتُ من الغانيات العُجابا ... لو ادركَ مني الغواني الشبابا)
(ولكنَّ جمعَ النساء الحسان ... عناءٌ شديد إذا المرء شابا)
(ولو كِلتَ بالمدِّ للغانيات ... وضاعفْتَ فوق الثياب الثيابا)
(إذا لم تُنِلْهُنّ من ذاك ذاك ... جحدنك عند الأمير الكتابا)
(يَذُدْنَ بكل عصا ذائدٍ ... ويصبِحْن كلَّ غداةٍ صِعابا)
(إذا لم يُخَالَطْنَ كل الخِلاط ... أصبحن مُخْرَنْطماتٍ غضابا)
((عِلامَ يُكَحّلن حور العيون ... ويُحدِثْن بعد الخضاب الخضابا)
(ويعرُكن بالمسْكِ أجيادَهنْ ... ويُدْنِين عند الحِجال العيابا)
(ويبرقْن إلا لما تعلمون ... فلا تحرموا الغانيات الضِّراب)

قال فجعل عبد الملك يضحك من قوله ثم قال أولى لك يابن خريم لقد لقيت منهن ترحاً فما ترى أن نصنع فما بينك وبين زوجتك قال تستأجلها إلى أجل العنين وأدريها العلي أستطيع إمساكها قال أفعل ذلك وردها إليه وأمر له بما فات من عطائه وعاد إلى بره وتقريبه

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي أبو دلف قال حدثنا الرياشي قال ذكر العتبي أن منازعة بين عمرو بن سعيد وعبد العزيز بن مروان فتعصب لكل واحد منهما أخواله وتداعوا بالسلاح واقتتلوا وكان أيمن بن خريم حاضراً للمنازعة فاعتزلهم هو ورجل من قومه يقال له ابن كوز فعاتبه عبد العزيز وعمرو جميعاً على ذلك فقال

(أأقتلُ بينَ حجّاج بن عمرو ... وبين خصيمه عبد العزيز)
(أنقتُل ضلّةً في غير شيء ... ويَبْقى بعدَنا أهلُ الكنوز)
(لعمر أبيك ما أُتيتُ رشدي ... ولا وُفِّقتُ للحِرْز الحريز)
(فإني تاركٌ لهما جميعاً ... ومعتزلٌ كما اعتزل ابنُ كوز)

أيمن يهجو يحيى بن الحكم

أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي قال أصاب حيى بن الحكم جارية في غزاة الصائفة بها وضح فقال أعطوها أيمن بن خريم وكان موضحاً فغضب وأنشأ يقول

(تركت بني مروانِ تندى أكفُّهم ... وصاحبتُ يحيى ضِلّة من ضلاليا)
(فإنك لو أشبهتَ مروان لم تَقُل ... لقوميَ هُجراً أنْ أتَوك ولاليا)

وانصرف عنه فأتى عبد العزيز بن مروان وكان يحيى محمقاً

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل قال حدثني مصعب اليزبدي عن أشياخه أن عبد الملك بن مروان قال يا معشر الشعراء تشبهوننا مرة بالأسد الأبخر ومرة بالجبل الأوعر ومرة بالبحر الأجاج ألا قلتم فينا كما قال أيمن بن خريم في بني هاشم

(نهارُكُمُ مكابدةٌ وصومٌ ... ولَيْلُكمُ صلاة واقتراء)
(وَلِيتم بالقُران وبالتزكّي ... فأسرع فيكُم ذاك البلاء)
(بكى نجدٌ غداة غدٍ عليكم ... ومكةُ والمدينةُ والجِواء)
(وحقّ لكل أرض فارقُوها ... عليكم لا أبالكمُ البكاء)
(أأجعلكم وأقواماً سواءً ... وبينكمُ وبينهم الهواء)
(وهمْ أرض لأرجُلكم وأنتم ... لأرؤسهم وأعينهم سماء)

أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن أبي همام الوليد بن شجاع قال حدثنا عبد الله بن إدريس قال أصاب أيمن بن خريم امرأة له

خطأ يعني قتلها فوداها عبد الملك بن مروان أعطي ورثتها ديتها وكفر عنه كفارة القتل وأعطاه عدة جوار ووهب له مالاً فقال أيمن

(رأيتُ الغوانيَ شيئاً عُجابا ... لَوَ انسَ مِنيِّ الغواني الشبابا)

(ولكنَّ جمعَ العذارى الحسانِ ... عناءٌ شديد إذا المرء شابا)
(ولو كِلتَ بالمُدّ للغانيات ... وضاعفْت فوق الثياب ثيابا)
(إذا لم تُنِلْهِن مِن ذاك ذاك ... بَغَيْنَكَ عِنْد الأمير الكذابا)
(يَذُدن بكل عَصا ذائدٍ ... ويُصبحن كل غداة صعابا)
(إذا لم يُخالِطْنَ كلّ الخِلاط ... تراهِنّ مُخرَنطِماتٍ غِضابا)
(عَلامَ يُكحِّلْن حُور العيون ... ويُحدِثْن بعد الخضاب الخضابا)
(ويَعرُكن بالمسك أجيادَهنّ ... ويدنين عند الحِجال العِيابا)
(ويغمِزن إلا لما تعلمون ... فلا تحرموا الغانيات الضِّرابا)
قال فبلغني أن عبد الملك أنشد هذا الشعر فقال نعم الشفيع أيمن لهن
وأخبرني أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة وإبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال قال له عبد الملك لما أنشده هذا الشعر ما وصف النساء أحد مثل صفتك وعرفهن أحد معرفتك
قال فقال له لئن كنت صدقت في ذلك لقد صدق الذي يقول
صوت
(فإن تسألوني بالنساء فإنني ... خبيرٌ بأدواء النساء طبيبُ)
(إذا شاب رأسُ المرءِ أو قلَّ ماله ... فليس له في وُدِّهنّ نصيب)
(يُرِدْنَ ثراءَ المال حيث علمنه ... وشَرْخُ الشباب عندهن عجيب)
فقال له عبد الملك قد لعمري صدقتما وأحسنتما الشعر لعلقمة بن عبدة والغناء لبسباسة ولحنه خفيف ثقيل أول بالوسطى عن حبش وهذه الأبيات يقولها علقمة بن عبدة يمدح بها الحارث ويسأله إطلاق ابنه شأس
وخبره يذكر وخبر الحارث بعد انقضاء أخبار أيمن بن خريم
رجع الحديث إلى أخبار أيمن
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني المدائني عن أبي بكر الهذلي قال دخل نصيب يوما إلى عبد العزيز بن مروان فأنشده قصيدة له امتدحه بها فأعجبته وأقبل على أيمن بن خريم فقال كيف ترى شعر مولاي هذا قال هو أشعر أهل جلدته
فقال هو أشعر والله منك قال أمِني أيها الأمير
فقال إي والله قال لا والله ولكنك طرف ملول فقال لو كنت كذلك ما صبرت على مؤاكلتك منذ سنة وبك من البرص ما بك
فقال ائذن لي أيها الأمير في الانصراف قال ذلك إليك فمضى لوجهه حتى لحق ببشر بن مروان وقال فيه
(ركبتُ من المقطَّم في جُمادى ... إلى بشرِ بن مروان البَريدا)
(ولو أعطاكَ بشرٌ ألفَ ألفٍ ... رأى حقاً عليه أن يزيدا)
(أميرَ المؤمنين أقِمْ ببِشر ... عمود الدين إنّ له عمودا)
(ودعْ بشراً يقوِّمهم ويُحْدِثْ ... لأهل الزيغ إسلاماً جديداً)
((وإنّا قد وجدنا أُمَّ بشر ... كأُمّ الأُسد مِذْكاراً ولودا)
(كأنّ التاج تاجَ أبي هِرَقْلٍ ... جَلَوْهُ لأعظمِ الأيام عيداً)
(يُحالِف لونُه ديباجَ بشر ... إذا الألْوانُ حالفت الخدودا)
يعرض بنمش كان بوجه عبد العزيز فقبله بشر بن مروان ووصله ولم يزل أثيراً عنده
أيمن يمدح بشر بن مروان
أخبرني عمي قال حدثني الكراني وأبو العيناء عن العتبي قال لما أتى أيمن بن خريم بشر بن مروان نظر الناس يدخلون عليه أفواجاً فقال من يؤذن لنا الأمير أو يستأذن لنا عليه فقيل له ليس على الأمير حجاب ولا ستر فدخل وهو يقول
(يُرى بارزاً للناس بشرٌ كأنه ... إذا لاح في أثوابه قمرٌ بدْرُ)
(ولو شاء بشرٌ أغلق البابَ دونه ... طماطمُ سودٌ أو صقالبةٌ شُقْرُ)
(أبى ذا ولكن سهَّل الإذنَ للتي ... يكون له في غِبِّها الحمد والشكر)
فضحك إليه بشر وقال إنا قوم نحجب الحرم وأما الأموال والطعام فلا وأمر له بعشرةآلاف درهم
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي أبو دلف قال حدثني الرياشي قال حدثنا الأصمعي عن المعتمد بن سليمان قال لما طالت الحرب بين غزالة وبين أهل العراق وهم لا يغنون شيئاً قال أيمن بن خريم
((أتينا بهمْ مائتي فارسٍ ... من السافِكِين الحرامَ العبيطا
(وخمسون من مارقات النساء ... يَسْحَبْنَ لِلمُنديات المُروطا)
(وهُمْ مائتا ألفِ ذي قَوْنسٍ ... يَئِط العراقان منهم أطيطا)
(رأيت غزالة إن طَرَّحَت ... بمكةَ هَودَجها والغَبيطا)
(سمَتْ للعراقين في جمعها ... فلاقى العراقان منها بطيطا)
(ألاَ يستحي اللّهَ أهلُ العِراق ... إن قلَّدوا الغانيات السُّموطا)
(وخيلُ غزالةَ تسبي النِّساء ... وتَحوي النِّهابَ وتحوي النبيطا)
(ولو أنَّ لُوطاً أميرٌ لكم ... لأسْلَمْتُمُ في الملّمّات لُوطا)
صوت
(تصابَيْتَ أم هاجتْ لك الشوقَ زينَبُ ... وكيف تَصابِي المرء والرأسُ أشيب)
(إذا قَرُبتْ زادتْك شوقاً بِقُرْبِها ... وإن جانبت لم يُسلِ عَنها التجنُّب)
(فلا اليأسُ إن ألممتَ يبدو فترعَوي ... ولا أنت مردود بما جئت تطلب)
(وفي اليأس لو يبدُو لك اليأسُ راحةٌ ... وفي الأرض عمَّنْ لا يؤاتيك مذهب)
الشعر لحجية بن المضرب الكندي فيما ذكره إسحاق والكوفيون
وذكر الزبير بن بكار أنه لإسماعيل بن يسار وذكر غيره أنه لأخيه أحمد بن يسار والغناء ليونس الكاتب ولحنه من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى البنصر وفيه ثقيل أول بالبنصر ذكر حبش أنه

لمالك وذكر غيره أنه لمعبد
أخبار حجبة بن المضرب
حدثني ابن عمار قال حدثنا سعيد بن يحيى الأموي وأخبرنا به وكيع عن إسماعيل بن إسحاق عن سعيد بن يحيى الأموي قال حدثني المحبر بن قحذم عن هشام بن عروة عن أبيه قال
لما قدم القاسم بن محمد بن أبي بكر وأخته من مصر وأخبرني بهذا الخبر محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن عوانة قال كان القاسم بن محمد بن أبي بكر يحدث قال
لما قتل معاوية بن حديج الكندي وعمرو بن العاص أبي يعني محمد بن أبي بكر بمصر جاء عمي عبد الرحمن بن أبي بكر فاحتملني وأختا لي من مصر وقد جمعت الروايتين واللفظ لابن أبي الأزهر وخبره أتم قال
فقدم بنا المدينة فبعثت إلينا عائشة فاحتملتنا من منزل عبد الرحمن إليها فما رأيت والدة قط ولا والداً أبرّ منها فلم نزل في حجرها حتى إذا كان ذات يوم وقد ترعرعنا ألبستنا ثياباً بيضاء ثم أجلست كل واحد منا على فخذها ثم بعثت إلى عمي عبد الرحمن فلما دخل عليها تكلمت فحمدت
الله عز وجل وأثنت عليه فما رأيت متكلماً ولا متكلمة قبلها ولا بعدها أبلغ منها ثم قالت
يا أخي إني لم أزل أراك معرضاً عني منذ قبضت هذين الصبيين منك ووالله ما قبضتهما تطاولاً عليك ولا تهمة لك فيهما ولا لشيء تكرهه ولكنك كنت رجلاً ذا نساء وكانا صبيين لا يكفيان من أنفسهما شيئاً فخشيت أن يرى نساؤك منهما ما يتقذرن به من قبيح أمر الصبيان فكنت ألطف لذلك وأحق بولايته فقد قويا على أنفسهما وشبا وعرفا ما يأتيان فهاهما هذان فضمهما إليك وكن لهما كحجية بن المضرب أخي كندة فإنه كان له أخ يقال له معدان فمات وترك أصيبية صغاراً في حجر أخيه فكان أبر الناس بهم وأعطفهم عليهم وكان يؤثرهم على صبيانه فمكث بذلك ما شاء الله ثم إنه عرض له سفر لم يجد بداً من الخروج فيه فخرج وأوصى بهم امرأته وكانت إحدى بنات عمه وكان يقال لها زينب فقال اصنعي ببني أخي ما كنت أصنع بهم ثم مضى لوجهه فغاب أشهراً ثم رجع وقد ساءت حال الصبيان وتغيرت فقال لامرأته ويلك مالي أرى بني معدان مهازيل وأرى بني سماناً قالت قد كنت أواسي بينهم ولكنَّهم كانوا يعبثون ويلعبون فخلا بالصبيان فقال كيف كانت زينب لكم قالوا سيئة ما كانت تعطينا من القوت إلا ملء هذا القدح من لبن وأروه قدحاً صغيراً فغضب على امرأته غضباً شديداً وتركها حتى إذا أراح عليه راعياً إبله قال لهما اذهب فأنتما وإبلكما لبني معدان فغضبت من ذلك زينب وهجرته وضربت بينه وبينها حجاباً فقال والله لا تذوقين منها صبوحاً ولا غبوقاً أبداً وقال في ذلك
(لحِجْنا وَلَجّت هذه في التغضّب ... ولطّ الحجابِ بيننا والتجنُّبِ
(وخطّت بفرديْ إثمدٍ جفنَ عينها ... لتقتلَني وشدَّ ما حُبُّ زينب)
(تلومُ على مالٍ شفاني مكانُه ... فَلُومي حياتي ما بدا لك واغضبي)
(رحِمت بني مَعْدانَ أنْ قلَّ مالُهمْ ... وحق لهم مِني وربِّ المحصَّب)
(وكان اليتامى لا يَسُدُّ اختلالهم ... هدايا لهم في كل قَعْبٍ مشعّب)
(فقلت لعبديْنا أريحا عليهمُ ... سأجعل بيتي بيتَ آخرَ مُعْزِب)
(وقلتُ خذوها واعلموا أن عمّكمْ ... هو اليومَ أولى منكمُ بالتكسب)
(عِيالي أحقُّ أن ينالوا خصاصةً ... وأن يشربوا رَنْقاً إلى حين مكسبي)
(أُحابي بها من لو قصدتُ لمالِه ... حَرِيباً لآساني على كل موكِب)
(أخِي والذي إن أدْعُه لعظِيمة ... يُجِبْني وإن أغضبْ إلى السيف يَغْضب)
إلى ها هنا رواية ابن عمار
وفي خبر إسحاق قال فلما بلغ زينب هذا الشعر وما وهب زوجها خرجت حتى أتت المدينة فأسلمت وذلك في ولاية عمر بن الخطاب فقدم حجية المدينة فطلب زينب أن ترد عليه وكان نصرانياً فنزل بالزبير بن العوام فأخبره بقصته فقال له إياك وأن يبلغ هذا عنك عمر فتلقى منه أذى وانتشر خبر حجية وفشا بالمدينة وعلم فيم كان مقدمه فبلغ ذلك عمر فقال للزبير
قد بلغني قصة ضيفك ولقد هممت به لولا تحرمه بالنزول عليك فرجع الزبير إلى حجية فأعلمه قول عمر فقال حجية في ذلك
(إن الزبيرَ بنَ عوّامٍ تداركني ... منه بسيْب كريم سيْبُه عِصَمُ)
(نفسي فداؤك مأخوذاً بحُجزَتها ... إذ شاط لحمي وإذ زلّت بيِ القدم)
(إذ لا يَقومُ بها إلا فَتىً أُنِفٌ ... عاري الأشاجع في عِرْنينه شَمَمُ)
ثم انصرف من عنده متوجهاً إلى بلده آيساً من زينب كئيباً حزيناً فقال في ذلك
(... تصابيتَ أمْ هاجَتْ لك الشوقَ زينبُ)
الأبيات المذكور فيها الغناء
صوت
(خليلي هُبَّا نَصْطَبِحِ بسواد ... ونُروِ قُلوباً هامُهُنّ صواد)
(وقولا لساقينا زياد يُرقُّها ... فقد هزّ بعضَ القوم سقْي زياد)
الشعر والغناء لإسحاق ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر
خبر إسحاق مع غلامه زياد
هذا الشعر يقوله إسحاق في غلام له مملوك خلاسي يقال له زياد كان مولداً من مولدي المدينة فصيحاً ظريفاً فجعله ساقيه وذكره هو وغيره في شعره فممن ذكره من الشعراء دعبل وله يقول
أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري قال كان زياد الذي يذكره إسحاق في عدة مواضع منها قوله
(... وقولا لِساقينا زيادٍ يُرقّها)
وكان نظيف السقي لبقاً فقال فيه دعبل
(يقول زيادٌ قِف بصحبِك مَرةً ... على الرَّبع مالي والوقوفَ على الربْع)
صوت

(أدِرْها علَى الحبيب فربَّما ... شربتُ على نَأيْ الأحبة والفَجْع)
(فما بلغَنْتِني الكأسَ إلا شربتُها ... وإلا سقَيتُ الأرضَ كأساً من الدمع)
غنى في البيت الثاني والثالث من هذه الأبيات محمد بن العباس بن عبد الله بن طاهر لحناً من خفيف الثقيل الأول بالبنصر
قال أبو الحسن وقد قيل إن هذين البيتين يعني
(... (خلِيليَّ هُبَّا نصطبِحْ بسواد
للأخطل
أخبرني علي بن سليمان قال حدثني أبي قال
قال لي جعفر بن معروف الكاتب وكان قد جاوز مائة سنة لقد شهدت إسحاق يوماً في مجلس أنس وهو يتغنى هذا الصوت
(... خليليَّ هُبّا نصطبح بسواد)
وغلامه زياد جالس على مسورة يسقي وهو يومئذ غلام أمرد أصفر رقيق البدن حلو الوجه ثم أخذ يراجعه ولا أحد يستطيع يقول له زدني ولا انقصني
أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري قال حدثني أحمد بن الهيثم يعني جد أبي رحمه الله قال
كنت ذات يوم جالساً في منزلي بسر من رأى وعندي إخوان لي وكان طريق إسحاق في مضيه إلى دار الخليفة ورجوعه منها على منزلي فجاءني الغلام يوماً وعندي أصدقاء لي فقال لي إسحاق بن إبراهيم الموصلي بالباب فقلت له قل له ويلك يدخل أوفي الخلق أحد يستأذن عليه لإسحاق
فذهب الغلام وبادرت أسعى في أثره حتى تلقيته فدخل وجلس منبسطاً آنساً فعرضنا عليه ما عندنا فأجاب إلى الشرب فأحضرناه نبيذاً مشمساً فشرب منه ثم قال أتحبون أن أغنيكم قلنا إي والله أطال الله بقاءك إنا نحب ذلك قال فلم لم تسألوني قلنا هبناك والله قال فلا
تفعلوا ثم دعا بعود فأحضرناه فاندفع فغنانا فشربنا وطربنا فلما فرغ قال أحسنت أملا فقلنا بلى والله جعلنا الله فداءك لقد أحسنت قال فما منعكم أن تقولوا لي أحسنت
قلنا الهيبة والله لك قال فلا تفعلوا هذا فيما تستأنفون فإن المغني يحب أن يقال له غن ويحب أن يقال له إذا غنى أحسنت ثم غنانا صوته
(... خليليَّ هُبّا نصطبحْ بسواد)
فقلنا له يا أبا محمد من هو زياد الذي عنيته قال هو غلامي الواقف بالباب ادعوه يا غلمان فأدخل إلينا فإذا غلام خلاسي قيمته عشرون ديناراً أو نحوها فأمسكنا عنه فقال أتسألوني عنه فأعرِّفكم إياه ويخرج كما دخل وقد سمعتم شعري فيه وغنائي أشهدكم أنه حر لوجه الله وأني زوجته أمتي فلانه فأعينوه على أمره قال فلم يخرج حتى أوصلنا إليه عشرين ألف درهم أخرجناها له من أموالنا
أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبي قال توفي زياد غلام إسحاق الذي يقول فيه
(... وقولا لِساقينا زيادٍ يُرقِّها)
فقال إسحاق يرثيه
(فَقَدْنا زياداً بعد طول صَحابة ... فلا زال يَسقي الغيثُ قبرَ زياد)
(ستبكيك كأسٌ لم تجد من يُديرُها ... وظمآنُ يستَبْطِي الزجاجة صادِ)

الأمين يطلب إسحاق فيغنيه

أخبرني عمي قال حدثني ابن المكي عن أبيه قال
اصطبح محمد الأمين ذات يوم وأمر بالتوجيه إلى إسحاق فوُجه إليه عدة رسل كلهم لا يصادفه حتى جاء أحدهم به فدخل منشياً ومحمد مغضب فقال له أين كنت ويلك قال أصبحت يا أمير المؤمنين نشيطاً فركبت إلى بعض المنتزهات فاستطبت الموضع وأقمت فيه وسقاني زياد فذكرت أبياتاً للأخطل وهو يسقيني فدار لي فيها لحن حسن فصنعته فيها وقد جئتك به فتبسم ثم قال هات فما تزال تأتي بما يرضي عنك عند السخط فغناه

صوت

(إذا ما زيادٌ علَّني ثم علّني ... ثلاثَ زجاجاتٍ لهنّ هَديرُ)
(خرجْت أجُرُّ الذيل زهواً كأنني ... عليكَ أميرَ المؤمنين أمير)
قال بل على أبيك قبح الله فعلك فما يزال إحسانك في غنائك يمحو إساءتك في فعلك وأمر له بألف دينار
الشعر في هذين البيتين للأخطل والغناء لإسحاق رمل بالبنصر ورواية شعر الأخطل
(... إذا ما نديمي عَلّني ثم علّني)
وإنما غيّره إسحاق فقال إذا ما زياد
أخبرني علي بن سليمان عن محمد بن يزيد النحوي
أن عبد الملك بن مروان قال للأخطل ما يدعوك إلى الخمر فوالله إن أولها لمر وإن آخرها لسُكر قال أجل ولكن بينهما حالة ما ملكك عندها بشيء وقد قلت في ذلك
(إذا ما نَديمي عَلَّني ثم عَلّني ... ثلاثَ زجاجات لهنّ هَديرُ)
((خرجْتُ أجرُّ الذيل زهواً كأنني ... عليكَ أميرَ المؤمنين أمير
قال فجعل عبد الملك يضحك

صوت

(أشارتْ بِطَرْفِ العين خِيفةَ أهلِها ... إشارةَ محزونٍ ولم تتكلمِ)
(فأيقنْت أن الطرف قد قال مَرْحَباً ... وأهلاً وسهلاً بالحبيبِ المسلِّم)
(هنيئاً لكم حُبِّي وصَفوُ مَوَدّتي ... فقد سِيطَ مِن لَحْمي هَواكِ ومن دَمِي)
الشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء لابن عائشة ثاني ثقيل بالبنصر وفيه لدحمان ثقيل أول بالبنصر ويقال إنه لابن سريج وقيل إن الثقيل الأول لابن عائشة والثقيل الثاني لابن سريج وفيه خفيف ثقيل أول ينسب إلى ابن سريج وإلى علي بن

خبر لحبابة مع ابن عائشة
أخبرني الحسن بن يحيى وابن أبي يحيى الأزهر عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني قال
كانت حبابة جارية يزيد بن عبد الملك معجبة بغناء ابن عائشة وكان ابن عائشة حديث السن فلما طال عهدها به اشتاقت إلى أن تسمع غناءه فلم تدر كيف تصنع فاختلفت هي وسلامة في صوت لمعبد فأمر يزيد بإحضاره ووجه في ذلك رسولا فبعثت حبابة إلى الرسول سراً فأمرته أن يأتي ابن عائشة وأمير المدينة في خفاء ويبلغهما رسالتهما بالخروج مع معبد سراً وقالت قل لهما يستران ذلك عن أمير المؤمنين
فلما قدم الرسول إلى عامل المدينة أبلغه ما قالت حبابة فأمر ابن عائشة بالرحلة مع معبد وقال لمعبد انظر ما تأمرك به حبابة فانتبه إليه فقال نعم فخرجا حتى قدما على يزيد وبلغ الخبر حبابة فلم تدر كيف تصنع في أمر ابن عائشة فلما حضر معبد حاكمت سلامة إليه فحكم لها فاندفعت فغنت صوتا لابن عائشة وفيه لابن سريج لحن ولحن ابن عائشة أشهرهما وهو
(... أشارت بِطَرْف العين خيفةَ أهلها)
فقال يزيد يا حبيبتي أنى لك هذا ولم أسمعه منك وهو على غاية الحسن إن لهذ لشأناً فقالت يا أمير المؤمنين هذا لحن كنت أخذته عن ابن عائشة قال ذلك الصبي قالت نعم وهذا أستاذه وأشارت بيدها إلى معبد فقال لمعبد أهذا لحن ابن عائشة أو انتحله فقال معبد هذا أصلح الله الأمير له فقال يزيد لو كان حاضراً ما كرهنا أن نسمع منه فقال معبد هو والله معي لا يفارقني فقال يزيد ويلك يا معبد احتملنا الساعة أمرك فزدتنا ما كرهنا ثم قال لحبابة هذا والله عملك قالت أجل يا سيدي قال لها هذه الشام ولا تحتمل لنا ما تحتمله المدينة قالت يا سيدي أنا والله أنا أحب أن أسمع من ابن عائشة فأحضر فلما دخل قال له صوتاً غنته حبابة
(... أشارت بطرف العين خيفة أهلَها)
فغنّاه فقال هو والله يا حبابة منه أحسن منه منك قالت أجل يا سيدي ثم قال يزيد هات يا محمد ما عندك فغنى
صوت
(قِف بالمنازل قبلَ أن نتفرقا ... واستنطق الربعَ المُحيل المخلِقا)
(عن عِلْمِ ما فعلَ الخليط لعله ... بجواب رجْع حديثهم أن ينطقا)
(فيبين مِنْ أخبارهم لِمُتيّم ... أمسى وأصبح بالرسوم معلّقا)
(كلِفاً بها أبداً تَسُحُّ دموعُهُ ... وَسْطَ الديار مسائلاً مستنطقا)
(ذَرَفَتْ له عينٍ يُرى إنسانُهَا ... في لُجّةٍ ما مائهَا مغرورقا)
(تُجري محاجرُها الدموعَ كأنَّهَا ... درٌّ وَهي من سلكه مستوسقاً)
الغناء لابن عائشة ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى وفيه لشارية خفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى ويقال إن فيه لابن جندب وحنين لحنين قال فقال له يزيد أهلا وسهلا بك يابن عائشة فأنت والله
الحسن الوجه الحسن الغناء وأحسن إليه ووصله
ثم لم يره يزيد بعد هذا المجلس وبعثت إليه حبابة ببر وألطاف وأتبعتها سلامة في ذلك
صوت
(لما سمعتُ الديك صاح بسُحْرة ... وتوسط النسران بَطْنَ العَقْرَبِ)
(وبدا سُهَيل في السماء كأنه ... نور وعارضه هِجان الرّبرب)
(نبّهتُ ندماني وقلت له اصطبح ... يابن الكرام من الشراب الطيب)
(صفراء تبرُق في الزجاج كأنها ... حدق الجرادة أو لُعاب الجندب)
الشعر لأبي الهندي والغناء لإبراهيم الموصليّ ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو
أخبار أبي الهندي ونسبه
اسمه غالب بن عبد القدوس بن شبث بن ربعي وكان شاعراً مطبوعاً وقد أدرك الدولتين دولة بني أمية وأول دولة ولد العباس وكان جزل الشعر حسن الألفاظ لطيف المعاني وإنما أخمله وأمات ذكره بعده من بلاد العرب ومقامه بسجستان وبخراسان وشغفه بالشراب ومعاقرته إياه وفسقه وما كان يتهم به من فساد الدين واستفرغ شعره بصفة الخمر وهو أول من وصفها من شعراء الإسلام فجعل وصفها وكده وقصده ومن مشهور قوله فيها ومختاره
(سقَيتُ أبَا المُطَرِّح إذ أتاني ... وذو الرَّعَثات منتَصِبٌ يصيحُ)
(شراباً يهرب الذِّبّان منه ... ويَلْثَغ حين يشربه الفصيحُ)
أبو نواس يأخذ معانيه في الخمر من شعره
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني فضل اليزيدي أنه سمع إسحاق الموصلي يوما يقول وأنشد شعراً لأبي الهندي في صفة الخمر فاستحسنه وقرّظه فذكر عنده أبو نواس فقال ومن أين أخذ أبو نواس معانيه إلا من هذه الطبقة وأنا أوجدكم سلخه هذه المعاني كلَّها في شعره فجعل ينشد
بيتاً من شعر أبي الهندي ثم يستخرج المعنى والموضع الذي سرقه الحسن فيه حتى أتى على الأبيات كلها واستخرجها من شعره
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني شيخ من أهل البصرة قال
كنا عند أبي عبيدة فأنشد منشد شعراً في صفة الخمر أنسيه الشيخ فضحك ثم قال هذا أخذه من قول أبي المهندي
(سيُغني أبا الهندي عن وَطْب سالم ... أباريقُ لم يَعْلَق بها وَضَر الزُّبْدِ)
(مُفَدَّمةٌ قُزٌّ كأن رقابهَا ... رقاب بنات الماء تفزعُ للرعد)
(جَلَتْها الجوالي حين طَاب مزاجها ... وَطَيّبتَها بالمِسك والعنبر والوَرْد)
(تَمجّ سُلافاً في الأباريق خالصاً ... وفي كلّ كأس من مَهاً حسن القَدّ)
(تَضَمَّنها زِق أَزَبّ كأنه ... صريعٌ من السودانِ ذو شَعَر جَعْدِ)
نسخت من كتاب ابن النطاح حدثني بعض أصحابنا

أن أبا الهندي اشتهى الصبوح في الحانة ذات يوم فأتى خمّاراً بسجستان في محله يقال لها كوه زيان وتفسيره جبل الخسران يباع فيها الخمر والفاحشة ويأوي إليها كل خارب وزانٍ ومغنية فدخل إلى الخمار
فقال له اسقني وأعطاه ديناراً فكال له وجعل يشرب حتى سكر وجاء قوم يسألون عنه فصادفوه على تلك الحال فقالوا للخمار ألحقنا به فسقاهم حتى سكروا فانتبه فسأل عنهم فعرّفه الخمار خبرهم فقال له هذا الآن وقت السكر الآن طاب ألحقني بهم فجعل يشرب حتى سكر وانتبهوا فقالوا للخمار ويحك هذا نائم بعد فقال لا ولقد انتبه فلما عرف خبركم شرب حتى سكر فقالوا ألحقنا به فسقاهم حتى سكروا وانتبه فسأل عن خبرهم فعرّفه فقال والله لألحقن بهم فشرب حتى سكر ولم يزل ذلك دأبه ودأبهم ثلاثة أيام لم يلتقوا وهم في موضع واحد ثم تركوا هم الشرب عمداً حتى أفاق فلقوه
وهذا الخبر بعينه يحكى لوالبة بن الحباب مع أبي نواس وقد ذكر في أخبار والبة والصحيح أنه لأبي الهندي وفي ذلك يقول

(نَدَامَى بَعْدَ ثالثةٍ تلاقَوْا ... يَضمُّهمْ بِكُوه زيَانَ راحُ)
(وقد باكرتُها فتركْت منها ... قتيلاً ما أصابتني جِراحُ)
(وقالوا أيهاالخمارُ مَنْ ذا ... فقال أخٍ تَخَوّنه اصطباحُ)
(فقالوا هاتِ راحَكَ أَلْحِقَنا ... به وتَعَلَّلواثم ولها سلاح)
(فما إن لَبَّثَهم أن رَمَتْهمْ ... بَحدّ سلاحِها ولها سلاح)
(وحان تَنبُّهي فسألتُ عنهمْ ... فقال أتاحَهُمْ قَدَر مُتَاح)
(رأوك مُجَدَّلاً فاستخبروني ... فحرّكَهم إلى الشرب ارتياح)
(فقلْتُ بِهمْ فألحِقني فهبّوا ... فقالوا هل تَنَبّه حين راحوا
(فقال نعم فقالوا ألحقَنّا ... بِهِ قد لاح للرائي صياح)
(فما إن زال ذاك الدأب منّا ... ثلاثاً يُستغبّ ويستباح)
(نَبيتُ معاً وليسَ لنا لقاءٌ ... نبيت ما لنا فيه براحُ)

مات مختنقاً بسبب الشراب

أخبرني عمي الحسن بن أحمد قال حدثني الحسن بن عليل العنزي قال قال صدقة بن إبراهيم البكري
كان أبو الهندي يشرب معنا بمرو وكان إذا سكر يتقلب تقلباً قبيحاً في نومه فكنا كثيراً ما نشد رجله لئلا يسقط من السطح فسكر ليلة وشددنا رجله بحبل وطولنا فيه ليقدر على القيام إلى البول وغير ذلك من حوائجه فتقلب وسقط من السطح وأمسكه الحبل فبقي منكساً وتخنق بما في جوفه من الشراب فأصبحنا فوجدناه ميتاً قال صدقة فمررت بقبره بعد ذلك فوجدت عليه مكتوباً

(اجْعلوا إن متُّ يوماً كفَني ... ورَقَ الكرْم وقبري مَعْصَرهْ)
(إنّني أرجو من الله غداً ... بَعْدَ شربِ الراح حُسنَ المغفرة)

قال فكان الفتيان بعد ذلك يجيئون إلى قبره ويشربون ويصبون القدح إذا انتهى إليه على قبره
قال حماد بن إسحاق عن أبيه في وفاة أبي الهندي إنه خرج وهو سكران في ليلة باردة من حانة خمّار وهو ريان فأصابه ثلج فقتله فوجد من غدٍ ميتاً على الطريق
وروى حماد بن إسحاق عن أبيه قال حج نصر بن سيار وأخرج معه أبا الهندي فلما حضرت أيام الموسم قال له أبا الهندي إنا بحيث ترى وفد الله وزوار بيته فهب لي النبيذ في هذه الأيام واحتكم علي فلولا ما ترى ما منعتك فضمن له ذلك وغلظ عليه الإحتكام ووكل به نصر بن سيار فلما انقضى الأجل مضى في السحر قبل أن يلقى نصراً فجلس في أكمة يشرف منها على فضاء واسع فجلس عليها ووضع بين يديه إداوة وأقبل يشرب ويبكي ويقول

(أديرا عليّ الكأس إني فقدْتها ... كما فقد المَفطْومُ درَّ المَراضِعِ)
(حليف مُدامٍ فارق الراحُ روحَه ... فظل عليها مستهل المَدامع)

قال وعاتب قوم أبا الهندي على فسقه ومعاقرته الشراب فقال

(إذا صلّيتُ خمساً كلَّ يومٍ ... فإنّ الله يغفر لي فُسوُقي)
(ولَم أشرِكْ بِرَبِّ الناسِ شيئاً ... فقد أمسكت بالدِّين الوثيق)
(وجاهدتُ العَدُوّ ونِلْتُ مالاً ... يبَلِّغني إلى البيت العتيق)
(فهذا الدين ليس به خفاء ... دَعُوني من بُنيّات الطريق)

قال إسحاق وشرب يوماً أبو الهندي بكوه زيان عند خمارة هناك وكان
عندها نسوة عواهر ففجر بهن ولم يعطهن شيئاً فجعلن يطالبنه بجعل فلم ينفعهن فقال في ذلك

(آلى يميناً أبو الهنْدِيِّ كاذبةً ... لَيُعطِيِنَّ زاوني لست ماشينا)
(وغرهُنّ فلّما أن قضى وطراً ... قال ارتَحِلْن فأخزى الله ذادينا)

أخبرني عمي عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر عن أبي محلم قال
خطب أبو الهندي غالب بن عبد القدوس بن شبث بن ربعي إلى رجل من بني تميم فقال لو كنت مثل أبيك لزوجتك فقال له غالب لكنك لو كنت مثل أبيك ما خطبت إليك
قال أبو محلم ومر نصر بن سيار بأبي الهندي وهو سكران يتمايل فوقف عليه فعذله وسبه وقال ضيعت شرفك وفضحت أسلافك فلما طال عتابه التفت إليه فقال لولا أني ضيعت شرفي لم تكن أنت على خراسان فانصرف نصر خجلاً
قال أبو محمل وكان بسجستان رجل يقال له برزين ناسكاً وكان أبوه صلب في خرابة فجلس إليه أبو الهندي فطفق يعذله ويعرض له بالشراب فقال له أبو الهندي أحدكم يرى القذاة في عين أخيه ولا يرى الخشبة في است أبيه فأخجله
قال أبو محلم وكان أسرع الناس جواباً

صوت

(لقد قُلتُ حين قَرَّبتِ ... العِيسُ يا نوارُ)
((قِفُوا فاربعوا قليلاً ... فَلم يربعوا وساروا
(فنفسي لها حنين ... وقلبي له انكسارُ)

(وصدري به غليل ... ودمعي له انحدارُ)
الشعر لسعيد بن وهب والغناء لسليم رمل بالوسطى عن الهشامي ومن جامع سليم ونسخة عمرو الثانية
أخبار سعيد بن وهب
سعيد بن وهب أبو عثمان بني سامة بن لؤي بن نصر مولده ومنشؤه بالبصرة ثم سار إلى بغداد فأقام بها وكانت الكتابة صناعته فتصرف مع البرامكة فاصطنعوه وتقدم عندهم
وكان شاعراً مطبوعاً ومات في أيام المأمون وأكثر شعره في الغزل والتشبيب بالمذكر وكان مشغوفاً بالغلمان والشراب ثم تنسك وتاب وحج راجلاً على قدميه ومات على توبة وإقلاع ومذهب جميل
ومات وأبو العتاهية حي وكان صديقه فرثاه
فأخبرني علي بن سليمان الأخفش عن محمد بن مزيد قال
حُدِّثت عن بعض أصحاب أبي العتاهية قال جاء رجل إلى أبي العتاهية ونحن عنده فساره في شيء فبكى أبو العتاهية فقلنا له ما قال لك هذا الرجل يا أبا إسحاق فأبكاك فقال وهو يحدثنا لا يريد أن يقول شعراً
(قالَ لِي ماتَ سعيدُ بن وهب ... رحم اللهُ سعيدَ بنَ وهبِ)
(يا أبا عثمان أبكيتَ عَيْني ... يا أبا عثمان أوجعتَ قلبي)
قال فعجبنا من طبعه وأنه تحدث فكان حديثه شعراً موزوناً
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني سيبويه أبو محمد قال
كان سعيد بن وهب الشاعر البصري مولى بني سامة قد تاب وتزهد وترك قول الشعر وكان له عشرة من البنين وعشر من البنات فكان إذا وجد شيئاً من شعره خرقه وأحرقه
وكان امرأ صدق كثير الصلاة يزكي في كل سنة عن جميع ما عنده حتى إنه ليزكي عن فضة كانت على امرأته
نماذج من شعره
أخبرني عمي قال حدثني علي بن الحسين بن عبد الأعلى قال حدثني أبو عثمان الليثي قال
كان سعيد بن وهب يتعشق غلاماً يتشطر يقال له سعيد فبلغه أنه توعده أن يجرحه فقال فيه
(مَن عذيري مِن سميِّي ... مَنْ عذيري من سعيد)
(أنا باللحم أجاه ... ويجاني بالحديد)
حدثني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال
نظر سعيد بن وهب إلى قوم من كتاب السلطان في أحوال جميلة فأنشأ يقول
(مَن كانَ في الدنيا له شارةٌ ... فنحن مِن نظّارَةِ الدُّنْيا)
(نَرْمُقها من كَثَبٍ حسرةً ... كأنّنا لفظٌ بلا معْنى)
(يَعْلُو بها الناسُ وأيامُنا ... تذهب الأرذَلِ والأدْنى)
أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود قال حدثني عبد الله بن أبي العلاء المغني قال
نظر إلي سعيد بن وهب وأنا على باب ميمون بن إسماعيل حين اخضر شاربي ومعه إسحاق بن إبراهيم الموصلي فسلمت على إسحاق فأقبل عليه سعيد وقال من هذا الغلام فتبسم وقال هذا ابن صديق لي فأقبل علي وقال
(لا تخرجَنَّ مع الغزيِّ لمغنم ... إنّ الغزيَّ يراك أفضلَ مغنمِ)
(في مثل وجهك يستحلُّ ذَوو التقى ... والدينِ والعلماءُ كل محرمٌ)
(ما أنت إلا غادةٌ ممكورة ... لولا شواربُك المُطِلّةُ بالفم)
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني احمد بن أبي طاهر عن أبي دعامة قال مر سعيد بن وهب والكسائي فلقيا غلاماً جميل الوجه فاستحسنه الكسائي وأراد أن يستميله فأخذ يذاكره بالنحو ويتكلم به فلم يمل إليه وأخذ سعيد بن وهب في الشعر ينشده فمال إليه الغلام فبعث به إلى منزله وبعث معه بالكسائي وقال له حدثه وآنسه إلى أن أجيء وتشاغل بحاجة له فمضى به الكسائي فما زال يداريه حتى قضى حاجته وأربه ثم قال له انصرف وجاء سعيد فلم يره فقال
(أبُو حَسَنٍ لا يَفِي ... فمَن ذا يَفي بَعدهُ)
(أثِرْتُ لهُ شادِناً ... فصايَدهُ وحْده)
(وأظهر لي غدْرَةً ... وأخلفني وعْدَهُ)
(سأطلب ما ساءه ... كما ساءني جُهدَهُ)
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال كان سعيد بن وهب لي صديقاً وكان له ابنٌ يكنى أبا الخطاب من أكيس الصبيان وأحسنهم وجهاً وأدباً فكان لا يكاد يفارقه في كل حال لشدة شغفه به ورقته عليه فمات وله عشر سنين فجزع عليه جزعاً شديداً وانقطع عن لذاته فدخلت إليه يوماً لأعاتبه على ذلك وأستعطفه فحين رأى ذلك في وجهي فاضت دموعه ثم انتحب حتى رحمته وأنشدني
(عَينِ جُودي علَى أبي الخَطّابِ ... إذ تَوَلّى غَضّاً بماءِ الشباب)
(لم يقارفْ ذَنباً ولم يَبْلُغ الحنث ... مُرَجًّى مُطهَّرَ الثوابِ)
(فَقَدتْه عَيْني إذا ما سعى أترابه ... مِنْ جماعة الأترابِ)
(إنْ غَدَا مُوحِشاً لِداري فقد أصبح ... أنْسَ الثَّرَى وزينَ التُّرابِ)
(أحمدُ الله يا حَبِيبي فإني ... بِكَ راج منه عظيمَ الثوابِ)
ثم ناشدني ألا أذكره بشيء مما جئت إليه فقمت ولم أخاطبه بحرف
وقد رأيت هذه الأبيات بعينها بخط إسحاق في بعض دفاتره يقول فيه أنشدني سعي بن وهب لنفسه يرثي ابناً له صغيراً وهي على ما ذكره جعفر بن قدامة عن حماد سواء
أخبرني عيسى بن الحسين الوارق قال حدثني أبو هفان قال
حدثني أبو دعامة قال كان سعيد بن وهب مألفة لكل غلام أمرد وفتى ظريف وقينة محسنة فحدثني رجل كان يعاشره قال دخل إليه يوماً وأنا عنده غلامان أمردان فقالا له قد تحاكمنا إليك أينا أجمل وجهاً وأحسن جسماً وجعلنا لك أجر

حكمك أن تختار أينا حكمت له فتقضي حاجتك منه فحكم لأحدهما وقام فقضى حاجته واحتبسهما فشربا عنده نبيذاً ثم مال على الآخر أيضاً وقمت معه فداخلتهما حتى فعلت كفعله فقال لي سعيد هذا يوم الغارات في الحارات ثم قال
(رئمَانِ جاءا فحَكّماني ... لا حُكْمَ قاضٍ ولا أمير)
(هذا كشمس الضحَى جمالاً ... وذَا كبَدْر الدّجى المُنِير)
(وفضْلُ هذا كذا علَى ذا ... فضلُ خميس على عَشير)
(قالا أشِرْ بيننَا برأيٍ ... ونجعلُ الفضل للمشير)
(تباذلا ثم قمت حتى ... أخذْتُ فضلي من الكبير)
(وكان عيباً بأنْ أراني ... أحْرِمُ حَظّي من الصغير)
(فكانَ مِنّي ومِنْ قريني ... إليهما وثْبَةُ المُغير)
(فمَنْ رأى حاكماً كحُكْمي ... أعظمَ جوراً بلا نكير)
وقال وشاعت الأبيات حتى بلغت الرشيد فدعا به فاستننشده إياها فتلكأ فقال له أنشد ولا بأس عليك فأنشد فقال له ويلك اخترت الكبير سناً أو قدراً قال بل الكبير قدراً قال لو قلت غير هذا سقطت عندي واستخففت بك ووصله

سعيد بن وهب والفضل بن يحيي

أخبرني جعفر بن قدامة حدثني أبو العيناء قال
دخل سعيد بن وهب على الفضل بن يحيى في يوم قد جلس فيه للشعراء فجعلوا ينشدونه ويأمر لهم بالجوائز حتى لم يبق منهم أحد فالتفت إلى سعيد بن وهب كالمستنطق فقال له
أيها الوزير إني ما كنت استعددت لهذه الحال ولا تقدمت لها عندي مقدمة فأعرفها ولكن قد حضرني بيتان أرجو أن ينوبا عن قصيدة فقال هاتهما فرب قليل أبلغ من الكثير فقال سعيد
(مدَح الفضلُ نفسَه بالفَعالِ ... فَعلا عن مَدِيحنا بالمقالِ)
(أمرُني بمدحِه قلتُ كلا ... كبُر الفضل عن مِديح الرجالِ)
قال فطرب الفضل وقال له أحسنت والله وأجدت ولئن قل القول ونزر لقد اتسع المعنى وكثر
ثم أمر له بمثل ما أعطاه كل من أنشده مديحاً يومئذ وقال لا خير فيما يجيء بعد بيتيك وقام من المجلس وخرج الناس يومئذ بالبيتين لا يتناشدون سواهما
حدثني عمي قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثت عن الخريمي قال
كان الفضل بن يحيى ينافس أخاه جعفراً وينافسه جعفر وكان أنس بن أبي شيخ خاصاً بجعفر ينادمه ويأنس به في خلواته وكان سعيد بن وهب بهذه المنزلة للفضل
فدخلت يوماً إلى جعفر ودخل إليه سعيد بن وهب فحدثه وأنشده
وتنادر له وحكى عن المتنادرين وأتى بكل ما يسر ويطرب ويضحك وجعفر ساكت ينظر إليه لا يزيد على ذلك
فلما خرج سعيد من عنده تجاهلت عليه وقلت له من هذا الرجل الكثير الهذيان قال أو ما تعرفه قلت لا قال هذا سعيد بن وهب صديق أخي أبي العباس وخلصانه وعشيقه قلت وأي شيء رأى فيه قال لا شيء والله إلا القذر والبرد والغثاثة
ثم دخلت بعد ذلك إلى الفضل ودخل أنس بن أبي شيخ فحدث وندر وحكى عن المضحكين وأتى بك طريفة فكانت قصة الفضل معه قصة جعفر مع سعيد فقلت له بعد أن خرج من حضرته من هذا المبرد قال أو لا تعرفه قلت لا قال هذا أنس بن أبي شيخ صديق أخي أبي الفضل وعشيقه وخاصته قلت وأي شيء أعجبه فيه قال لا أدري والله إلا القذر والبرد وسوء الإختيار
قال وأنا والله أعرف بسعيد وأنس من الناس جميعاً ولكني تجاهلت عليهما و ساعدتهما على هواهما

سعيد والفضل بن الربيع

حدثني عمي قال حدثني ميمون بن هارون قال قال إبراهيم بن العباس
قال لي الفضل بن الربيع ذات يوم عرفتنا أيام النكبة من كنا نجهله من الناس وذلك أنا احتجنا إلى أن نودع أموالنا وكان أمرها كثيراً مفرطاً فكنا
نلقيها على الناس إلقاء ونودعها الثقة وغير الثقة فكان ممن أودعته سعيد بن وهب وكان رجلاً صعلوكاً لا مال له إنما صحبنا على البطالة فظننت أن ما أودعته ذاهب ثم طلبته منه بعد حين فجاءني والله بخواتيمه
وأودعت علي بن الهيثم كاتبنا جملة عظيمة وكان عندي أوثق من أودعته فلما أمنت طالبته بالوديعة فجحدنيها وبهتني وحلف على ذلك فصار سعيد عندي في السماء وبلغت به كل مبلغ وسقط علي بن الهيثم فما يصل إلي ولا يلقاني
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه حدثني عمرو بن بانة قال
كان في جواري رجل من البرامكة وكانت له جارية شاعرة ظريفة يقال لها حسناء يدخل إليها الشعراء ويسألونها عن المعاني فتأتي بكل مستحسن من الجواب فدخل إليها سعيد بن وهب يوماً وجلس إليها فحادثها طويلاً ثم قال لها بعد ذلك
(حاجَيْتك يا حَسْناءُ ... في جِنْسٍ من الشِّعر)
(وفيما طُولُه شِبرٌ ... وَقد يوفي على الشبر)
(له في رأسه شقٌ ... نَطُوفٌ بالنَّدَى يجري)
(إذا ماجَفَّ لم يَجْرِ ... لَدَى بَرٍّ ولا بَحْرِ)
(وإنْ بُلَّ أتَى بالعجب ... العاجب والسحر)
(أجيبي لم أُرِدْ فُحْشاً ... وربِّ الشفع والوتر)
((ولكن صغْتُ أبياتاً ... لها حظ من الزجر)
قال فغضب مولاها وتغير لونه وقال أتفحش على جاريتي وتخاطبها بالخنا فقالت له خفض عليك فما ذهب إلى ظننت وإنما يعني القلم فسري عنه وضحك سعيد وقال هي أعلم منك بما سمعت

صوت

(دايَنْتُ أرْوى والديون تقضى ... فمطَلت بعضاً وأدَّتْ بعضا)
(يا ليتَ أرْوى إذ لَوتْكَ القَرْضا ... جادت بقرض فشكَرْتَ القَرَضا)

الشعر لرؤبة بن العجاج والغناء لعمرو بن بانة رمل بالوسطى
أخبار رؤبة ونسبه
هو رؤبة بن العجاج واسم العجاج عبد الله بن رؤبة بن حنيفة وهو أبو جذيم بن مالك بن قدامة بن أسامة بن الحارث بن عوف بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم
من رجاز الإسلام وفصحائهم والمذكورين المقدمين منهم بدوي نزل البصرة وهو من مخضرمي الدولتين
مدح بني أمية وبني العباس ومات في أيام المنصور وقد أخذ عنه وجوه أهل اللغة وكانوا يقتدون به ويحتجون بشعره ويجعلونه إماماً ويكنى أبا الجحاف وأبا العجاج
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وأحمد بن عمار واللفظ له قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا خلاد بن يزيد قال حدثني يونس بن حبيب قال
كنت جالساً مع أبي عمرو بن العلاء إذ مر بنا شبيل بن عزرة الضبعي قا ل أبو يزيد وكان علامة فقال يا أبا عمرو أشعرت أني سألت رؤبة عن
اسمه فلم يدر ما هو وما معناه قال يونس فقلت له والله لروبة أفصح من معد بن عدنان وأنا غلام رؤبة أفتعرف أنت روبة وروبة وروبة ورؤبة قال فضرب بغلته وذهب فما تكلم بشيء قال يونس فقال لي أبي عمرو ما يسرني أنك نقصتني منها
قال ابن عمار في خبره والروبة اللبن الخاثر والروبة ماء الفحل والروبة الساعة تمضي من الليل والرؤبة الحاجة والرؤبة شعب القدح قال وأنشدني بعد ذلك
(فأما تميمٌ تميمُ بن مرٍّ ... فألفاهم القومُ رَوْبَى نيامَا)
حدثني ابن عمار قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني يحيى بن محمد بن أعين المروزي قال حدثني أبو عبيدة قال
شهدت شبيلاً الضبعي وأبا عمرو فذكر نحوه
أخبرني أبو خليفة في كتابه إلي عن محمد بن سلام قال قلت ليونس هل رأيت عربياً قط أفصح من رؤبة قال لا ما كان معد بن عدنان أفصح منه
قال يونس قال لي رؤبة حتى متى أزخرف لك كلام الشيطان أما ترى الشيب قد بلغ في لحيتك
وقد روى رؤبة بن العجاج الحديث المسند عن رسول الله ورواه أبوه أيضاً
أنشد ابا هريرة فشهد له بالإيمان
أخبرني عبد الله بن أبي داود السجستاني قال حدثنا عبد الله بن
محمد بن خلاد قال حدثنا يعقوب بن محمد الزهري قال حدثنا محمد بن إبراهيم عن يونس بن حبيب عن رؤبة بن العجاج عن أبيه قال أنشدت أبا هريرة
(الحمدُ للهِ الذي تَعَلَّت ... بأمرِه السماءُ واستقلّتِ)
(بإذنه الأرضُ وما تغيّتِ ... أرسَى عليها بالجبال الثّبتِ)
(... الباعثِ الناسَ لِيوم المَوقْت)
قال أبو هريرة أشهد أنك تؤمن بيوم الحساب
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن ابن شبة عن أبي حرب البابي من آل الحجاج بن باب قال حدثنا يونس بن حبيب عن رؤبة بن العجاج عن أبي الشعثاء عن أبي هريرة قال
كنا مع النبي سفر وحاد يحدو
(طافَ الخيالاَنِ فهاجَا سَقَما ... خيالُ لُبْنَى وخيالُ تَكتُما)
(قامت تريك خشيةً أن تصرمَا ... ساقاً بخَنَداةً وكعباً أدْرما)
والنبي يسمع ولا ينكر
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا عبد الله بن عمرو عن محمد بن إسحاق السهمي عن أبي عبيدة الحداد قال حدثنا رؤبة بن العجاج عن أبه قال
سمعت أبا عبيدة يقول السواك يذهب وضر الطعام
أنشد أبا مسلم الخراساني فأجازه
أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد الكراني قال حدثنا أبو حاتم والأشناندانى أبو عثمان عن أبي عبيدة عن رؤبة بن العجاج قال
بعث إلي أبو مسلم لما أفضت الخلافة إلى بني هاشم فلما دخلت عليه رأى مني جزعا فقال اسكن فلا بأس عليك ما هذا الجزع الذي ظهر منك قلت أخافك قال ولم قلت لأنه بلغني أنك تقتل الناس قال إنما أقتل من يقاتلني ويريد قتلي أفأنت منهم قلت لا قال فهل ترى بأساً قلت فأقبل على جلسائه ضاحكاً ثم قال أما ابن العجاج فقد رخّص لنا ثم قال أنشدني قولك
(... وقائِمِ الأعماقِ خاوي المخترَق)
فقلت أو أنشدك أصلحك الله أحسن منه قال هات فأنشدته
(قلتُ وقولي مستجدٌّ حَوْكاً ... لبّيك إذ دعَوْتني لَبَيْكا)
أحمدُ ربّاً ساقني إليكا ...) قال هات كلمتك الأولى قلت أو أنشدك أحسن منها قال هات فأنشدته)
(ما زَال يَبْنِي خَنْدقاً ويهدمه ... ويَستجيشُ عسكراً ويَهزِمُهُ)
(وَمغنماً يَجْمَعه ويقسمه ... مَرْوانُ لما أن تهاوتْ أنجُمهْ)
(... وخانه في حكمه مُنَجِّمهْ)
قال دع هذا وأنشدني وقاتم الأعماق قلت أو أحسن منه قال هات فأنشدته
(رفعتَ بيتاً وخفضتَ بَيْتَا ... وشيدْت رُكن الدين إذ بنيتا) قال هات ما سألتك عنه فأنشدته
(... في الأكرمين من قريش بيتاً)
(ما زال يأتي الأمْر من أقطاره ... على اليمين وعلى يسارهِ)

(مشمَّراً لا يُصطلَى بناره ... حتى أقرّ الملكَ في قَراره)
وفَرّ مروانُ على حماره ...) قال ويحك هات ما دعوتك له وامرتك بإنشاده ولا تنشد شيئاً غيره فأنشدته)
(... وقاتِم الأعماقِ خاوي المخترَق)
فلما صرت إلى قولي
(... يَرْمِي الجلاميد بجُلْمُودٍ مِدَق)
قال قاتلك الله لشد ما ما استصلبت الحافر ثم قال حسبك أنا ذلك الجلمود المدقّ
قال وجيء بمنديل فيه مال فوضع بين يدي فقال أبو مسلم يا رؤبة إنك أتيتنا والأموال مشفوهة وإن لك لعودةً إلينا وعلينا مُعوّلاً والدهر أطرقُ مُستتبٌ فلا تجعل بجنبيك الأسدة
قال رؤبة فأخذت المنديل منه وتالله ما رأيت أعجمياً أفصح منه وما ظننت أن أحداً يعرف هذا الكلام غيري وغير أبي
قال الكراني قال أبو عثمان الأشناندانى خاصة يقال اشتقَّ ما في الإناء وشفهه إذا أتى عليه وأنشد
(وكادَ المالُ يَشفَهه عِيالي ... وما ذو عَيْلتي مَنْ لا أعولُ)

رؤبة آكل الفأر

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد وأخبرني إبراهيم بن أيوب قال حدثني ابن قتيبة قال كان رؤبة يأكل الفأر فقيل له في ذلك وعوتب فقال هو والله أنظف من دواجنكم ودجاجكم اللواتي يأكلن القذر وهل يأكل الفأر إلا نقي البر ولباب الطعام
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن رؤبة قال لما ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة بعث بي الحجاج مع أبي لنلقاه فاستقبلنا الشمال حتى صرنا بباب الفراديس
قال وكان خروجنا في عام مخصب وكنت أصلي الغداة وأجتني من الكمأة ما شئت ثم لا أجاوز إلا قليلً حتى أرى خيراً منها فأرمي بها
وأخذ الآخر حتى نزلنا بعض المياه فأهدي لنا حمل مخرفج ووطب لبن غليظ وزبدة كأنها رأس نعجة حوشية فقطعنا الحمل آراباً وكررنا عليه اللبن والزبدة حتى إذا بلغ إناه انتشلنا اللحم بغير خبز
ثم شربت من مرقه شربة لم تزل لها ذفرياي ترشحان حتى رجعنا إلى حجر
فكان أول من لقينا من الشعراء جريراً فاستعهدنا ألا نعين عليه فكان أول من أذن له من الشعراء أبي ثم أنا فأقبل الوليد على جرير فقال له ويلك ألا تكون مثل هذين عقدا الشفاه عن أعراض الناس فقال إني أظلم فلا أصبر
ثم لقينا بعد ذلك جرير فقال يا بني أم العجاج والله لئن وضعت كلكلي عليكما ما أغنت عنكما مقطعاتكما فقلنا لا والله ما بلغه عنا شيء ولكنه حسدنا لما أذن لنا قبله واستنشدنا قبله
وقد أخبرني ببعض هذا الخبر الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال قال روح بن فلان الكلبي
كنت عند عبد الملك بن بشر بن مروان فدخل جرير فلما رأى العجاج أقبل عليه ثم قال له والله لئن سهرت لك ليلة ليقلن عنك نفع مقطعاتك هذه فقال العجاج يا أبا حرزة والله ما فعلت ما بلغك وجعل يعتذر ويحلف ويخضع فلما خرج قال له رجل لشد ما اعتذرت إلى جرير قال والله لو علمت أنه لا ينفعني إلا السلاح لسلحت
أخبرني أحمد بن العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة عن أحمد بن معاوية عن الأصمعي عن سليمان بن أخضر عن ابن عون قال ما شبهت لهجة الحسن البصري إلا بلهجة رؤبة ولم يوجد له ولا لأبيه في شعرهما حرف مدغم قط
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال قيل ليونس من أشعر الناس قال العجاج ورؤبة فقيل له ولم نعن الرّجاز فقال هما أشعر من أهل القصيد إنما الشعر كلام فأجود أشعره قد قال العجاج
(... قد جَبرَ الدّينَ الإلهُ فجبر)
وهي نحو من مائتي بيت موقوفة القوافي ولو أطلقت قوافيها كانت كلها منصوبة وكذلك عامة أراجيزهما

يقعد اللغويين إليه يوم الجمعة

أخبرني أبو خليفة في كتابه إلي عن محمد بن سلام عن أبي زيد الأنصاري والحكم بن قنبر قالا
كنا نقعد إلى رؤبة يوم الجمعة في رحبة بني تميم فاجتمعنا يوماً فقطعنا الطريق ومرت بنا عجوز فلم تقدر على أن تجوز في طريقها فقال رؤبة بن العجاج
(تَنَحَّ للعجوز عن طَريقها ... إذ أقبلَت رائحةً من سُوقها)
دعْها فما النحويُّ من صديقها ...) أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري النحوي قال
دخل رؤبة بن العجاج السوق وعليه برنكان أخضر فجعل الصبيان يعبثون به ويغرزون شوك النخل في برنكانه ويصيحون به يا مرذوم يا مرذوم فجاء إلى الوالي فقال أرسل معي الوزعة فإن الصبيان قد حالوا بيني وبين دخول السوق فأرسل معه أعواناً فشد على الصبيان وهو يقول
(أَنْحىَ على أمّك بالمرذُومْ ... أعورُ جَعْدٌ مِنْ بَني تميمْ)
(... شرّابُ ألبانِ خلايا الكُومْ)
ففروا من بين يديه فدخلوا داراً في الصيارفة فقال له الشرط أين هم قال دخلوا دار الظالمين فسميت دار الظالمين إلى الآن لقول رؤبة وهي في صيارفة سوق البصرة
وذكر أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال قدم البصرة راجز من أهل المدينة فجلس إلى حلقةٍ فيها الشعراء فقال أنا أرجز العرب أنا الذي أقول
(مروانُ يُعْطِي وسعيدٌ يمنعُ ... مروانُ نَبْعٌ وسعيدٌ خِرْوَعُ)
وددت أني راميت من أحب في الرجز يداً بيد والله لأنا أرجز من العجاج فليت البصرة جمعت بيني وبينه قال والعجاج حاضر وابنه رؤبة معه فأقبل رؤبة على أبيه فقال قد أنصفك الرجل فأقبل عليه العجاج وقال هأنذا العجاج فهلم وزحف إليه فقال وأيُّ العجاجين أنت قال ما خلتك تعني غيري أنا عبد الله الطويل وكان يكنى بذلك فقال له المدني ما عنيتك ولا أردتك فقال وكيف وقد هتفت بي قال وما في الدنيا عجاج سواك قال علمت قال لكني أعلم وإياه عنيت قال فهذا ابني رؤبة

فقال اللهم غفراً ما بيني وبينكما عمل وإنما مرادي غيركما فضحك أهل الحلقة منه وكفا عنه
أخبرني أبو خليفة في كتابه عن محمد بن سلام عن يونس قال
غدوت يوما أنا وإبراهيم بن محمد العطاردي على رؤبة فخرج إلينا كأنه نسر فقال له ابن نوح أصبحت والله كقولك
(كالْكرَّزِ المشدودِ بين الأوتادْ ... ساقَطَ عنه الريشَ كَرُّ الإبراد)
فقال له رؤبة والله يا بن نوح ما زلت لك ماقتاً فقلت بل أصبحت يا أبا الجحاف كما قال الآخر)
((فأبقَينَ منه وأبْقَى الطرادُ ... بَطْناً خميصاً وصُلْباً سمينا
فضحك وقال هات حاجتك
قال ابن سلام ووقف رؤبة على باب سليمان بن علي يستأذن فقيل له قد أخذ الإذريطوس فقال رؤبة
(يا مُنْزِل الوحي على إدريس ... ومُنزل اللعن على إبليس)
(وخالقَ الإثنين والخميس ... باركْ له في شرُبِ إذْرِيطُوس)
أخبرني الحسن بن يحيى قال حماد أخبرني أبي عن الأصمعي قال أنشد رؤبة سلم بن قتيبة في صفة خيل
(... يَهْوِينَ شتّى ويقعْنَ وُقْفاً)
فقال له أخطأت يا أبا الجحاف جعلته مقيداً فقال أدنني أيها الأمير ذنب البعير أصفه لك كما يجب
أخبرني أبو خليفة في كتابه إلي عن محمد بن سلام عن عبد الرحمن بن محمد عن علقمة الضبي قال
خرج شاهين بن عبد الله الثقفي برؤبة إلى أرضه فقعدوا يلعبون بالنرد
فلما أتوا بالخوان قال رؤبة
(يا إخوتي جاء الخِوانُ فارفِعوا ... حنّانةً كِعابُها تُقَعْقِع)
(... لم أدرِ ما ثَلاثُها والأربع)
قال فضحكنا ورفعناها وقدم الطعام
أخبرني الحسن بن علي حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن مالك عن أبيه عن يعقوب بن داود قال
لقيت الخليل بن أحمد يوماً بالبصرة فقال لي يا أبا عبد الله دفنا الشعر واللغة والفصاحة اليوم فقلت وكيف ذاك قال هذا حين انصرفت من جنازة رؤبة
صوت
(لَعمري لقد صاح الغراب بينهم ... فأوجعَ قلبي بالحديث الذي يُبدي)
(فقلت له أفصحتَ لا طِرت بعدها ... بريش فهل للبين ويحك من ردّ)
الشعر لقيس بن ذريح وقد تقدمت أخباره والغناء لعمرو بن أبي الكنّات ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى

أخبار عمرو بن أبي الكنات

هو عمرو بن عثمان بن أبي الكنات مولى بني جمح مكي مغن محسن موصوف بطيب الصوت من طبقة ابن جامع وأصحابه وفيه يقول الشاعر
(أحسنُ فاعلموه غِناء ... رجُل من بني أبي الكنّات)
وله في هذا الشعر غناء مع أبيات قبله لحن ابتداؤه
صوت
(عفَتِ الدارِ بالهِضاب اللواتي ... بِسَوارٍ فملتقى عرفاتِ)
(فالحريّان أوحشا بعد أنس ... فديارٌ بالرّبع ذي السَّلِمات)
(إنّ بالبين مربعاً من سليمى ... فإلى محضرين فالنخلات)
وبعده البيت الأول المذكور
الغناء في هذا الشعر لعمرو بن أبي الكنات وطريقته من الرمل
بالوسطى وقيل إنه لابن سريج وقيل بل لحن ابن سريج غير هذا اللحن وليس فيه البيت الرابع الذي فيه ابن أبي الكنات ويكنى عمرو بن أبي الكنات أبا عثمان وذكر ابن خرداذبه أنه كان يكنى أبا معاذوكان له ابن يغني أيضاً يقال له دراج ليس بمشهور ولا كثير الغناء

الرشيد يؤثره على جمع من المغنين

فذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات في الخبر الذي حكاه عنه من أخباره أن محمداً بن عبد الله المخزومي حدثه قال حدثني محمد بن عبد الله بن فزوة قال
قلت لابن جامع يوماً هل غلبك أحد من المغنين قط قال نعم كنت ليلة ببغداد إذ جاءني رسول الرشيد يأمرني بالركوب فركبت حتى إذا صرت إلى الدار فإذا أنا بفضل بن الربيع معه زلزل العواد وبرصوماً فسلمت وجلست قليلا ثم طلع خادم فقال للفضل هل جاء فقال لا قال فابعث إليه ولم يزل المغنون يدخلون واحداً بعد واحد حتى كنا ستة أو سبعة ثم طلع الخادم فقال هل جاء فقال لا قال قم فابعث في طلبه فقام فغاب غير طويل فإذا هو قد جاء بعمرو بن أبي الكنات فسلم وجلس إلى جنبي فقال لي من هؤلاء قلت مغنون وهذا زلزل وهذا برصوما
فقال والله لأغنيك غناء يخرق هذا السقف وتجيبه الحيطان ولا يفهمون منه شيئاً قال ثم طلع الخصي فدعا بكراسي وخرجت الجواري فلما جلسن قال الخادم للمغنين شدوا فشدوا عيدانهم ثم قال نعم يا بن جامع فغنيت سبعة أو ثمانية أصوات ثم قال اسكت وليغنّ إبراهيم الموصلي
فغنى مثل ذلك أو دونه ثم سكت فلم يزل يمرّ القوم واحداً واحداً حتى فرغوا
ثم قال لابن أبي الكنات غنّ فقال لزلزل شد طبقتك فشد ثم أخذ العود من يده فجسه حتى وقف على الموضع الذي يريده ثم قال على هذا وابتدأ بصوت أوله ألالا فو الله لقد خيل لي أن الحيطان تجاوبه ثم رجع النغم فيه فطلع الخصي فقال له اسكت لا تتم الصوت فسكت
ثم قال يحبس عمرو بن أبي الكنات وينصرف باقي المغنين فقمنا بأكسف حال وأسوإبال لا والله ما زال كل واحد منا يسأل صاحبه عن كل شعر يرويه من الغناء الذي أوله ألالا طمعاً في أن يعرفه أو يوافق غناءه فما عرفه منا أحد وبات عمرو ليلته عند الرشيد وانصرف من عنده بجوائز وصلات وطرف سنية

قال هارون وأخبرني محمد بن عبد الله عن موسى بن أبي المهاجر قال
خرج ابن جامع وابن أبي الكنات حين دفعا من عرفة حتى إذا كانا بين المأزمين جلس عمرو على طرف الجبل ثم اندفع يغني فوقف القطارات وركب الناس بعضهم بعضاً حتى صاحوا واستغاثوا يا هذا الله الله اسكت عنا يجز الناس فضبط
إسماعيل بن جامع بيده على فيه حتى مضى الناس إلى مزدلفة قال هارون وحدثني عبد الرحمن بن سليمان عن علي بن أبي الجهم قال حدثني من أثق به قال
واقفت ابن أبي الكنات المديني على جسر بغداد أيام الرشيد فحدثته بحديث اتصل بي عن ابن عائشة أنه فعله أيام هشام وهو أن بعض
أصحابنا حدثني قال وقف ابن عائشة في الموسم فمر به بعض أصحابه فقال له ما تعمل فقال إني لأعرف رجلاً لو تكلم لحبس الناس فلم يذهب أحد ولم يجيء فقلت له ومن هذا الرجل قال أنا ثم اندفع يغني
صوت
(جُرتْ سُنُحاً فقلت لها أجيزي ... نوى مشمولة فمتى اللقاء)
(بنفسي مَن تذكُّره سَقام ... أعالجه ومطلبه عَناءُ)
قال فحبس الناس واضطربت المحامل ومدت الإبل أعناقها وكادت الفتنة تقع فأتي به هشام فقال يا عدو الله أردت أن تفتن الناس فأمسك عنه وكان تياهاً فقال له هشام أرفق بتيهك فقال ابن عائشة حق لمن كانت هذه قدرته على القلوب أن يكون تياهاً فضحك وأطلقه قال فبرق ابن أبي الكنات وكان معجباً بنفسه وقال أنا أفعل كما فعل وقدرتي على القلوب أكثر من قدرته كانت ثم اندفع فغنى في هذا الصوت ونحن على جسر بغداد
وكان إذ ذاك على دجلة ثلاثة جسور معقودة فانقطعت الطرق وامتلأت الجسور بالناس وازدحموا عليها واضطربت حتى خيف عليها أن تنقطع لثقل من عليها من الناس فأخذ فأتي به الرشيد فقال يا عدو الله أردت أن تفتن الناس فقال لا والله يا أمير المؤمنين ولكنه بلغني أن ابن عائشة فعل مثل هذا في أيام هشام فأحببت أن يكون في أيامك مثله فأعجب من قوله ذلك وأمر له بمال وأمره أن يغني فسمع شيئاً لم يسمع مثله
فاحتسبه عنده شهراً يستزيده في كل يوم استأذنه فيه في الإنصراف يوماً آخر حتى تم له شهر فقال هذا المخبر عنه وكان ابن أبي الكنات كثير الغشيان لي فلما أبطأ توهمته قد قتل فصار إلي بعد شهر بأموال جسيمة وحدثني بما جرى بينه وبين الرشيد
غناؤه يسمع على ثلاثة أميال
قال هارون وأخبرني محمد بن عبد الله المخزومي عن عثمان بن موسى مولانا قال
كنا يوماً باللاحجة ومعنا عمرو بن أبي الكنات ونحن على شرابنا إذ قال لنا قبل طلوع الشمس من تحبون أن يجيئكم قلنا منصور الحجبي فقال أمهلوا حتى يكون الوقت الذي ينحدر فيه إلى سوق البقر فمكثنا ساعة ثم اندفع يغني
(أحسنُ الناس فاعلموه غناءً ... رجل من بني أبي الكنّات)
(عفت الدار بالهضاب اللواتي ... بسوار فملتقى عرفات)
فلم نلبث أن رأينا منصوراً من بعد قد أقبل يركض دابته نحونا فلما جلس إلينا قلنا له من أين علمت بنا قال سمعت صوت عمرو يغني كذا وكذا وأنا في سوق البقر فخرجت أركض دابتي حتى صرت إليكم قال وبيننا وبين ذلك الموضع ثلاثة أميال
قال هارون وأخبرني محمد بن عبد الله قال أخبرني يحيى بن يعلى بن سعيد قال
بينا أنا ليلة في منزلي في الرمضة أسفل مكة إذ سمعت صوت عمرو بن
أبي الكنات كأنه معي فأمرت الغلام فأسرج لي دابتي وخرجت أريده فلم أزل أتبع الصوت حتى وجدته جالساً على الكثيب العارض ببطن عرنة يغني
صوت
(خذي العفو مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سورتي حين أغضب)
(ولا تنقريني نَقَرة الدُّف مرة ... فإنك لا تدرين كيف المغيَّب)
(فإني وجدتُ الحب في الصدر والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحبّ يذهب)
عروضه من الطويل ولحنه من الثقيل الثاني بالوسطى من رواية إسحاق والشعر لأسماء بن خارجة الفزاري وقد قيل إنه لأبي الأسود الدؤلي وليس ذلك بصحيح والغناء لإبراهيم الموصلي وفيه لحن قديم للغريض من رواية حماد عن أبيه
أسماء بن خارجة وابنته هند
أخبرني اليزيدي عن أحمد بن زهير عن الزبير بن بكار قال
زوج أسماء بن خارجة الفزاري بنته هنداً من الحجاج بن يوسف فلما كانت ليلة أراد البناء بها قال لها أسماء بن خارجة يا بنية إن الأمهات يؤدبن البنات وإن أمك هلكت وأنت صغيرة فعليك بأطيب الطيب الماء وأحسن الحسن الكحل وإياك وكثرة المعاتبة فإنها قطيعة للود وإياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق وكوني لزوجك أمة يكن لك عبداً واعلمي أني القائل لأمك
(... خذي العفو مني تستديمي مودتي)
وذكر الأبيات قال وكانت هند امرأة مجرّبة قد تزوجها جماعة من أمراء العراق فقبلت من أبيها وصيته وكان الحجاج يصفها في مجلسه بكل خير وفيها يقول بعض الشعراء يخاطب أباها
(جزاكَ الله يا أسماء خيراً ... كما أرضيت فَيْشلة الأمير)
((بصدغ قد يفوح المسك منه ... عليه مثل كركرة البعير
(إذا أخذ الأمير بمَشعبيها ... سمعتَ لها أزيزاً كالصرير)
(إذا لقحت بأرواح تراها ... تجيد الرَّهز من فوق السرير)
قال مؤلف هذا الكتاب الشعر لعقيبة الأسدي
أخبرني الجوهري وحبيب المهلبي عن ابن شبة قال
لما قدم الحجاج الكوفة أشار عليه محمد بن عمير بن عطارد أن يخطب إلى أسماء ابنته هند فخطبها فزوجه أسماء ابنته فأقبل عليه محمد متمثلاً يقول
(أمِنْ حَذر الهُزال نكحتَ عبداً ... فصهر العبد أدنى للهزال)
فاحتملها عليه أسماء وسكت عن جوابه ثم أقبل على الحجاج يوماً وهند جالسة فقال ما يمنعك من الخطبة إلى محمد

بن عمير ابنته فإن من شأنها كيت وكيت فقال أتقول هذا وهند تسمع فقال موافقتك أحبّ إليّ
من رضا هند فخطبها إلى محمد بن عمير فزوجه إياها فقال أسماء لمحمد بن عمير وضرب بيده على منكبه
(دونك ما أسديته يا بن حاجب ... سواء كعين الديك أوقُدّة النسر)
(بقولك للحجاج إن كنت ناكحاً ... فلا تعدُ هنداً من نساء بني بدر)
(فإن أباها لا يرى أنّ خاطباً ... كفاءٌ له إلا المتوجَ من فِهر)
(فزوجتُها الحجاج لا متكارهاً ... ولا راغباً عنه ونعم أخو الصهر)
(أردتَ ضِراري فاعتمدتَ مسرتي ... وقد يُحسن الإنسان من حيث لا يدري)
(فإن ترها عاراً فقد جئتَ مثلها ... وإن ترها فخراً فهل لك من شكر)

هند أحبّت عبيد الله بن زياد وكان أبا عذرها

قال المدائني حدثني الحرمازي عن الوليد بن هشام القحذميّ وكان كاتب خالداً القسري ويوسف بن عمر أن هنداً بنت أسماء كانت تحت
عبيد الله بن زياد وكان أبا عذرها فلما قتل وكانت معه لبست قباء وتقلدت سيفاً وركبت فرساً لعبيد الله كان يقال لها الكامل وخرجت حتى دخلت الكوفة ليس معها دليل ثم كانت بعد ذلك أشد خلق الله جزعاً عليه ولقد قالت يوماً إني لأشتاق إلى القيامة لأرى وجه عبيد الله بن زياد
فلما قدم بشر بن مروان الكوفة دل عليها فخطبها فزوجها فولدت له عبد الملك بن بشر وكان ينال من الشراب ويكتم ذلك وكان إذا صلى العصر خلا من ناحية من داره ليس معه إلا أعين مولاه صاحب حمام أعين بالكوفة وأخذ في شأنه فلم تزل هند تتجسس خبره حتى عرفته فبعثت مولى لها فأحضرها أطيب شراب وأحده وأشده وأرقه وأصفاه وأحضرت له طعاماً علمت أنه يشتهيه وأرسلت إلى أخويها مالك وعيينة فأتياها وبعثت إلى بشر وأعتلت عليه بعلة فجاءها فوضعت بين يديه ما أعدته فأكل وشرب وجعل مالك يسقيه وعيينة يحدثه وهند تريه وجهها
فلم يزل في ذلك حتى أمسى فقال هل عندكم من هذا شيء نعود عليه غداً فقالت هذا دائم لك ما أردته فلزمها وبقي أعين يتبع الديار بوجهه ولا يرى بشراً إلا أن يبحث عن أمره فعرفه وعلم أنه ليس فيه حظ بعدها قال ومات عنها بشر فلم تجزع عليه فقال الفرزدق في ذلك
(فان تك لا هند بكته فقد بكت ... عليه الثريا في كواكبها الزُّهر)

الحجاج يخلف بشراً في تزوجها

ثم خلف عليها الحجاج وكان السبب في ذلك فيما ذكره المدائني عن الحرمازي عن القحذمي وأخبرني به من ها هنا أحمد بن عبد العزيز عن ابن شبة عن عثمان بن عبد الوهاب عن عبد الحميد الثقفي قالا
كان السبب في ذلك أنه بعث أبا بردة بن أبي موسى الأشعري وهو قاضيه إلى أسماء يقول له إن قبيحاً بي مع بلاء أمير المؤمنين عندي أن أقيم بموضع فيه ابنا أخيه بشر لا أضمهما إلي وأتولى منهما مثل ما أتولى من ولدي فاسأل هنداً أن تطيب عنهما
وقال عمر بن شبة في خبره وأعلمها أنه لابد من التفرقة بينها وبينهما حتى أؤدبهما قال أبو بردة فاستأذنت فأذن لي وهو يأكل وهند معه فما رأيت وجهاً ولا كفاً ولا ذراعاً أحسن من وجهها وكفها وذراعها وجعلت تتحفني وتضع بين يدي
قال أبو زيد في خبره فدعاني إلى الطعام فلم أفعل وجعلت تعبث بي وتضحك فقلت أما والله لو علمت ما جئت له لبكيت فأمسك يدها عن الطعام فقال أسماء قد منعتها الأكل فقل ما جئت له فلما بلغت أسماء ما أرسلت به بكت فلم أر والله دموعاً قط سائلة من محاجر أحسن من دموعها على محاجرها
ثم قالت نعم أرسل بهما إليه فلا أحد أحق بتأديبهما منه
وقال أسماء إنما عبد الملك ثمرة قلوبنا يعني عبد الملك بن بشر وقد أنسنا به ولكن أمر الأمير طاعة فأتيت الحجاج فأعلمته جوابها وهيئتها
فقال ارجع فاخطبها علي فرجعت وهما على حالهما
فلما دخلت قلت إني جئتك بغير الرسالة الأولى قال اذكر ما أحببت قلت قد جئت خاطباً
قال أعلى نفسك فما بنا عنك رغبة قلت لا على من هو خير لها
مني وأعلمته ما أمرني به الحجاج فقال ها هي تسمع ما أديت فسكتت فقال أسماء قد رضيت وقد زوجتها إياه
فقال أبو زيد في حديثه فلما زوجها أبوها قامت مبادرة وعليها مطرف ولم تستقل قائمة من ثقل عجيزتها حتى انثنت ومالت لأحد شقيها من شحمها فانصرفت بذلك إلى الحجاج فبعث إليها بمائة ألف درهم وعشرين تختاً من ثياب وقال يا أبا بردة
إني أحب أن تسلمها إليها ففعلت ذلك وأرسلت إلي من المال بعشرين ألفاً ومن الثياب تختين فقلت ما أقبل شيئاً حتى أستطلع رأي الأمير ثم انصرفت إليه فأعلمته فأمرني بقيضة ووصلني بمثله
وقال أبو زيد في حديثه فأرسل إليها بثلاثين غلاماً مع كل غلام عشرة آلاف درهم وثلاثين جارية مع كل جارية تخت من ثياب وأمر لي بثلاثين ألفاً وثياباً لم يذكر عددها فلما وصل ذلك إلى هند أمرت بمثل ما أمر لي به الحجاج فأبيت قبوله وقلت ليس الحجاج ممن يتعرض له بمثل هذا وأتيت الحجاج فأخبرته فقال قد أحسنت وأضعف الله لك ذلك وأمر له بستين ألفاً وبضعف تلك الثياب وكان أول ما أصبته مع الحجاج وأرسل إليها إني أكره أن أبيت خلواً ولي زوجة فقالت وما احتباس امرأة عن زوجها وقد ملكها وآتاها كرامته وصداقها فأصلحت من شأنها وأتته ليلاً
قال المدائني فسمعت أن ابن كناسة ذكر أن رجلاً من أهل العلم حدثه عن امرأة من أهله قالت كنت فيمن زفها فدخلنا عليه وهو في بيت عظيم في أقصاه ستارة وهو دون الستارة على فرشه فلما أن دخلت سلمت فأومأ إليها بقضيب كان في يده فجلست عند رجليه ومكثت ساعة وهو لا
يتكلم ونحن وقوف فضربت بيدها على فخذه ثم قالت ألم تبعد من سوء الخلق قال فتبسم وأقبل عليها واستوى جالساً فدعونا له وخرجنا وأرخيت الستور

سبب تطليق الحجاج لها

قال ثم قدم الحجاج البصرة فحملها معه فلما بنى قصره الذي دون المحدثة الذي يقول له قصر الحجاج اليوم قال لها هل رأيت قط أحسن من هذا القصر قالت ما أحسنه قال اصدقيني قالت أما إذ أبيت فوالله ما رأيت أحسن من القصر الأحمر

وكان فيه عبيد الله بن زياد وكان دار الإمارة بالبصرة وكان ابن زياد بناه بطين أحمر فطلق هنداً غضباً بما قالته وبعث إلى القصر فهدمه وبناه بلبن ثم تعهده صالح بن عبد الرحمن في خلافة سليمان بن عبد الملك فبناه بالآجر ثم هدم بعد ذلك فأدخل في المسجد الجامع
قال القحذمي عن محمد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي
فخرجنا يوماً نعود عبد الملك بن بشر فسلمنا عليه وعدناه معه ثم خرجنا وتخلف الحجاج فوقفنا ننتظره فلما خرج التفت فرآني فقال يا محمد ويحك رأيت هنداً الساعة فما رأيتها قط أجمل ولا أشب منها حين رأيتها وما أنا بممسٍ حتى أراجعها فقلت أصلح الله الأمير امرأة طلقتها
على عتب يرى الناس أن نفسك تتبعها وتكون لها الحجة عليك قال صدقت الصبر أحجى
قال محمد والله ما كان مني نظراً ولا نصيحة ولكني أنفت لرجل من قريش أن تداس أمه في كل وقت
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني عن جويرية بن أسماء عن عمه قال
حججت فإني لفي رفقة من قومي إذ نزلنا منزلاً ومعنا امرأة فنامت وانتبهت وحية مطوية عليها قد جمعت رأسها وذنبها بين ثدييها فهالنا ذلك وارتحلنا فلم تزل منطوية عليها لا تضيرها حتى دخلنا الحرم فانسابت فدخلنا مكة وقضينا نسكنا فرآها الغريض فقال أي شقية ما فعلت حيتك فقالت في النار قال ستعلمين من أهل النار ولم أفهم ما أراد وظننت أنه مازحها واشتقت إلى غنائه ولم يكن بيني وبينه ما يوجب ذلك فأتيت بعض أهله فسألته ذلك فقال نعم فوجه إليه أن اخرج بنا إلى موضع كذا وقال لي اركب بنا فركبنا حتى سرنا قدر ميل فإذا الغريض هناك فنزلنا فإذا طعام معد وموضع حسن فأكلنا وشربنا ثم قال يا أبا يزيد هات بعض طرائفك فاندفع يغني ويوقع بقضيب
(مرضتُ فلم تحفل عليّ جنوب ... وأُدنفتُ والمَمشى إليّ قريب)
(فلا يُبعد الله الشباب وقولَنا ... إذا ما صبونا صبوة سنتوب)
فلقد سمعنا شيئاً ظننت أن الجبال التي حولي تنطق معه شجا صوت وحسن غناء وقال لي أتحب أن يزيدك فقلت إي والله فقال هذا ضيفك وضيفنا وقد رغب إليك وإلينا فأسعفه بما يريد فاندفع يغني بشعر مجنون بني عامر
إنه لمجنون بني عامر ويقال إنه لعمر بن أبي ربيعة والغناء لابن سريج خفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى وفي الثاني والأول خفيف ثقيل أول بالبنصر مجهول
أخبرني الحرمي عن الزبير عن محمد بن الضحاك عن أبيه قال قال أبو دهبل
(أأترك ليلى ليس بيني وبينها ... سوى ليلة إني إذاً لصبورُ)
(هبوني امرأ منكم أضلّ بعيرَه ... له ذمة إن الذمام كبير)
(ولَلصاحب المتروك أعظم حرمة ... على صاحب من أن يَضلّ بعير)
قال الزبير وقال عمي هذه الأبيات لمجنون بني عامر
قال أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن أبي محمد الشيباني قال قال عبد الملك بن مروان لعمر بن أبي ربيعة أنت القائل
(أأترك ليلى ليس بيني وبينها ... سوى ليلة إني إذاً لصبور)
قال نعم قال فبئس المحبّ أنت تركتها وبينها وبينك غدوة قال يا أمير المؤمنين إنها من غدوات سليمان غدوها شهر ورواحها شهر
أخبرني اليزيدي عن أحمد بن يحيى وابن زهير قال حدثني عمر بن القاسم بن المعتمر الزهري قال قلت لأبي السائب المخزومي أما أحسن الذي يقول
(أأترك ليلى ليس بيني وبينها ... سوى ليلة إني إذاً لصبور)
(هبوني امرأ منكم أضل بعيرَه ... له ذمة إن الذمام كبير)
(ولَلصاحب المتروك أعظم حُرمة ... على صاحب من أن يضلّ بعير)
منطوية عليها فلم ألبث أن صفَرت الحية فإذا الوادي يسيل علينا حيات فنهشنها حتى بقيت عظاماً فطال تعجبنا من ذلك وأرينا ما لم نر مثله قط فقلت لجارية كانت معها ويحك أخبرينا عن هذه المرأة قالت نعم أثكلت ثلاث مرات كل مرة تلد ولداً فإذا وضعته سجرت التنور ثم ألقته فذكرت قول الغريض حين سألها عن الحية فقالت في النار فقال ستعلمين من في النار
نسبة ما في هذه الأصوات من الغناء
فمنها
صوت
(مرضتُ فلم تحفل عليّ جنَوبُ ... وأُدنفتُ والمَمشَى إليّ قريبُ)
(فلا يُبعد الله الشباب وقولَنا ... إذا ما صبونا صبوة سنتوب)
عروضه من الطويل الشعر لحميد بن ثور الهلالي والغناء للغريض من رواية حماد عن أبيه وفيه لعلويه ثقيل أول بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة ومنها
صوت
(عفا الله عن ليلى الغداة فإنها ... إذا وليت حكماً عليّ تجور)
(أأترك ليلى ليس بيني وبينها ... سوى ليلة إني إذاً لصبور)
عروضه من الطويل والشعر يقال لأبي دهبل الجمحي ويقال
إنه لمجنون بني عامر ويقال إنه لعمر بن أبي ربيعة والغناء لابن سريج خفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى وفي الثاني والأول خفيف ثقيل أول بالبنصر مجهول
أخبرني الحرمي عن الزبير عن محمد بن الضحاك عن أبيه قال قال أبو دهبل
(أأترك ليلى ليس بيني وبينها ... سوى ليلة إني إذاً لصبورُ)
(هبوني امرأ منكم أضلّ بعيرَه ... له ذمة إن الذمام كبير)
(ولَلصاحب المتروك أعظم حرمة ... على صاحب من أن يَضلّ بعير)
قال الزبير وقال عمي هذه الأبيات لمجنون بني عامر

قال أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن أبي محمد الشيباني قال قال عبد الملك بن مروان لعمر بن أبي ربيعة أنت القائل

(أأترك ليلى ليس بيني وبينها ... سوى ليلة إني إذاً لصبور)

قال نعم قال فبئس المحبّ أنت تركتها وبينها وبينك غدوة قال يا أمير المؤمنين إنها من غدوات سليمان غدوها شهر ورواحها شهر

أخبرني اليزيدي عن أحمد بن يحيى وابن زهير قال حدثني عمر بن القاسم بن المعتمر الزهري قال قلت لأبي السائب المخزومي أما أحسن الذي يقول

(أأترك ليلى ليس بيني وبينها ... سوى ليلة إني إذاً لصبور)
(هبوني امرأ منكم أضل بعيرَه ... له ذمة إن الذمام كبير)
(ولَلصاحب المتروك أعظم حُرمة ... على صاحب من أن يضلّ بعير)

فقال بأبي أنت كنت والله أجنبك وتثقل علي فأنا الآن أحبك وتخف علي حيث تعرف هذا

صوت

(مِن الخفِرات لم تفضح أخاها ... ولم تَرفع لوالدها شَنارا)
(كأنّ مَجامع الأرداف منها ... نقاً دَرجتْ عليه الريح هارا)
(يعاف وصال ذات البَذل قلبي ... ويتّبع الممنَّعة النَّوارا)

الخفرة الحيية والخفر الحياء والشّنار العار والنقا الكثيب من الرمل درجت عليه الريح مرت هار تهافت وتداعى قال الله تبارك وتعالى (على شفَا جُرُف هارٍ) ويعاف يكره والنوار الصعبة الممتنعة الشديدة الإباء

عروضه من الوافر الشعر للسليك بن السّلكة والغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لابن الهربذ لحن من رواية بذل ولم يذكر طريقته وفيه لابن طنبورة لحن ذكره إبراهيم في كتابه ولم يجنسه

أخبار السليك بن السلكة ونسبه

هو السليك بن عمرو وقيل ابن عمير بن يثربي أحد بني مقاعس وهو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم والسلكة أمه وهي أمة سوداء

وهو أحد صعاليك العرب العدائين الذين كانوا لا يلحقون ولا تعلق بهم الخيل إذا عدوا وهم السليك بن السلكة و الشنفري وتأبط شراً وعمرو بن براق ونفيل بن براقة وأخبارهم تذكر على تواليها ها هنا إن شاء الله تعالى في أشعار لهم يغنى فيها لتتصل أحاديثهم

فأما السليك فأخبرني بخبره الأخفش عن السكري عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال وقرىء لي خبره وشعره على محمد بن الحسن الأحول عن الأثرم

عن أبي عبيدة أخبرني ببعضه اليزيدي عن عمه عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل وقد جمعت رواياتهم فإذا اختلفت نسبت كل مروي إلى راويه

قال أبو عبيدة حدثني المنتجع بن نبهان قال

كان السليك بن عمير السعدي إذا كان الشتاء استودع ببيض النعام ماء السماء ثم دفنه فإذا كان الصيف وانقطعت إغارة الخيل أغار وكان أدل من قطاة يجيء حتى يقف على البيضة وكان لا يغير على مضر وإنما يغير على اليمن فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة

وقال المفضل في روايته

وكان السليك من أشد رجال العرب وأنكرهم وأشعرهم وكانت العرب تدعوه سليك المقانب وكان أدل الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها وأشدهم عدوا على رجليه لا تعلق به الخيل وكان يقول اللهم إنك تهيىء ما شئت لما شئت إذا شئت اللهم إني لو كنت ضعيفاً كنت عبداً ولو كنت امرأة كنت أمة اللهم إني أعوذ بك من الخيبة فأما الهيبة فلا هيبة

من أنباء غارات السليك الصعلوك

فذكروا أنه أملق حتى لم يبق له شيء فخرج على رجليه رجاء أن يصيب غرة من بعض من يمر به فيذهب بإبله حتى أمسى في ليلة من ليالي الشتاء باردة مقمرة فاشتمل الصماء ثم نام واشتمال الصماء أن يرد فضلة ثوبه على عضده اليمنى ثم ينام عليها

فبينا هو نائم إذ جثم رجل فقعد على جنبه فقال استأسر فرفع السليك إليه رأسه وقال الليل طويل وأنت مقمر فأرسلها مثلاً فجعل الرجل يلهزه ويقول يا خبيث استأسر

فلما آذاه بذلك أخرج السليك يده فضم الرجل إليه ضمة ضرط منها وهو فوقه فقال السليك أضرطا وأنت الأعلى فأرسلها مثلاً ثم قال من أنت فقال أنا رجل افتقرت فقلت لأخرجن فلا أرجع إلى أهلي حتى أستغني فآتيهم وأنا غني قال انطلق معي فانطلقا فوجد رجلاً قصته مثل قصتهما فاصطحبوا جميعاً حتى أتوا الجوف جوف مراد

فلما أشرفوا عليه إذا فيه نعم قد ملأ كل شيء من كثرته فهابوا أن يغيروا فيطردوا بعضها فيلحقهم الطلب

فقال لهما سليك

كوناً قريباً مني حتى آتي الرعاء فأعلم لكما علم الحي أقريب أم بعيد

فإن كانوا قريباً رجعت إليكما وإن كانوا بعيداً قلت لكما قولاً أومىء إليكما به فأغيرا

فانطلق حتى أتى الرعاء فلم يزل يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحي فإذا هم بعيد إن طلبوا لم يدركوا

فقال السليك للرعاء ألا أغنيكم فقالوا بلى غننا فرفع صوته وغنى

(يا صاحبيّ ألا لا حيّ بالوادي ... سوى عَبيد وآمٍ بين أذواد)
(أتنظران قريباً رَيثَ غفلتِهم ... أم تغدوان فإن الريح للغادي)

فلما سمعا ذلك أتيا السليك فأطردوا الإبل فذهبوا بها ولم يبلغ الصريخ الحي حتى فاتوهم بالإبل

قال المفضل وزعموا أن سليكاً خرج ومعه رجلان من بني الحارث بن امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم لهما عمرو وعاصم وهو يريد الغارة

فمر على حي بني شيبان في ربيع و الناس مخصبون في شعبة فيها ضباب ومطر فإذا هو ببيت قد انفرد من البيوت وقد أمسى فقال لأصحابه كونوا بمكان كذا حتى آتي أهل هذا البيت فلعلي أن أصيب لكم خيراً أو آتيكم بطعام قالوا افعل

فانطلق وقد أمسى وجن عليه الليل فإذا البيت بيت رويم وهو جد حوشب بن يزيد بن رويم وإذا الشيخ وامرأته بفناء البيت فأتى السليك البيت من مؤخره فدخله فلم يلبث أن راح ابنه بإبله فلما أراحها غضب الشيخ وقال لابنه هلا عشيتها ساعة من الليل فقال له ابنه إنها أبت العشاء فقال العاشية تهيج الآبية فأرسلها مثلا ثم غضب الشيخ ونفض في وجهها فوجعت إلى مراتعها ومعها الشيخ حتى مالت بأدنى روضة فرتعت وجلس الشيخ عندها لتتعشى وغطى وجهه بثوبه من البرد وتبعه سليك

فلما وجد الشيخ مغتراً ختله من ورائه فضربه فأطار رأسه وصاح بالإبل فطردها فلم يشعر صاحباه وقد ساء ظنهما وتخوفا عليه حتى إذا هما بالسليك يطردها فطرداها معه وقال سليك في ذلك

(وعاشيةٍ راحت بِطانا ذِعَرتُها ... بسوط قتيل وسْطها يُتسيف)

(كأنّ عليه لونَ بُرد محبَّر ... إذا ما أتاه صارخ يتلهف)

(فبات لها أهل خلاءُ فناؤهم ... ومرّت بهمْ طير فلم يتعيفوا)

(وباتوا يظنون الظنون وصُحبتي ... إذا ما علَوا نشزا أهلوا وأوجفوا)

(وما نلتُها حتى تصعلكتُ حِقبة ... وكدتُ لأسباب المنية أعرف)

((وحتى رأيتُ الجوع بالصيف ضرّني ... إذا قمت تغشاني ظلال فأسدِف

وقال الأثرم في روايته عن أبي عبيدة

خرج سليك في الشهر الحرام حتى أتى عكاظ فلما اجتمع الناس ألقى ثيابه ثم خرج متفضلاً مترجلاً فجعل يطوف الناس ويقول من يصف لي منازل قومه وأصف له منازل قومي فلقيه قيس بن مكشوح المرادي فقال أنا أصف لك منازل قومي وصف لي منازل قومك فتواقفا وتعاهدا ألا يتكاذبا

قال قيس بن المكشوح خذ بين مهب الجنوب والصبا ثم سر حتى لا تدري أين ظل الشجرة فإذا انقطعت المياه فسر أربعاً حتى تبدو لك رملة وقف بينها الطريق فإنك ترد على قومي مراد وخثعم

فقال السليك خذ بين مطلع سهيل ويد الجوزاء اليسرى العاقد لها من أفق السماء فثم منازل قومي بني سعيد بن زيد مناة

فانطلق قيس إلى قومه فأخبرهم الخبر فقال أبوه المكشوح ثكلتك أمك هل تدري من لقيت قال رجلاً فضلاً كأنما خرج من أهله فقال هو والله سليك بن سعد

فاستعلق واستعوى السليك قومه فخرج أحماس من بني سعد وبني عبد شمس وكان في الربيع يعمد إلى بيض النعام فيملؤه من الماء ويدفنه في طريق اليمن في المفاوز قال فإذا غزا في الصيف مر به فاستثاره فمر بأصحابه حتى إذا انقطعت عنهم المياه قالوا يا سليك أهلكتنا ويحك قال قد بلغتم الماء ما أقربكم منه حتى إذا انتهى إلى قريب من المكان الذي خبأ الماء فيه طلبه فلم يجده وجعل يتردد في طلبه فقال بعض أصحابه لبعض أين يقودكم هذا العبد قد والله هلكتم وسمع ذلك ثم أصاب الماء بعد ما ساء ظنهم فهم السليك بقتل بعضهم ثم أمسك

فانصرفت عنه بنو عبد شمس في طوائف من بني سعد قال ومضى السليك في بني مقاعس ومعه رجل من بني حرام يقال له صرد فلما رأى أصحابه قد انصرفوا بكى ومضى به السليك حتى إذا دنوا من بلاد خثعم ضلت ناقة صرد في جوف الليل فخرج في طلبها فأصابه أناس حين أصبح فإذا هم مراد وخثعم فأسروه ولحقه السليك فاقتتلوا قتالاً شديداً

وكان أول من لقيه قيس بن مكشوح فأسره السليك بعد أن ضربه ضربة أشرفت على نفسه وأصاب من نعمهم ما عجز عنه هو وأصحابه وأصاب أم الحارث بنت عوف بن يربوع الخثعمية يومئذ واستنفذ صرد من أيدي خثعم ثم انصرف مسرعاً فلحق بأصحابه الذين انصرفوا عنه قبل أن يصلوا إلى الحي وهم أكثر من الذين شهدوا معه فقسمها بينهم على سهام الذين شهدوا وقال السليك في ذلك

(بكى صُرَدٌ لما رأى الحيّض أعرضَت ... مهامةُ رملٍ دونَهم وسُهوبُ)

((وخوفه ريبَ الزمان وفقرَه ... بلادُ عدوّ حاضر وجدوب

(ونأيٌ بعيد عن بلاد مقاعس ... وأن مخاريق الأمور تريب)

(فقلت له لا تبكِ عينك إنها ... قضية ما يُقضى لها فتثوب)

(سيكفيك فَقدَ الحي لحمٌ مغرَّض ... وماء قدُور في الجِفان مشوب)

(ألم تر أن الدهر لونان لونهُ ... وطَوران بشْر مرة وكذُوب)

(فما خير من لا يرتجي خير أوبة ... ويُخشى عليه مرِية وحروب)

(رددتُ عليه نفسه فكأنما ... تلاقى عليه منسر وسرُوب)

(فما ذرّ قرن الشمس حتى أريته ... قُصار المنايا والغبار يثوب)

(وضاربتُ عنه القوم حتى كأنما ... يصعّد في آثارهم ويصُوب)

(وقلت له خذ هَجْمة حِميريّةٍ ... وأهلاً ولا يبعد عليك شَروب)

(وليلةَ جابانٍ كررتُ عليهمُ ... على ساعة فيها الإياب حبيب)

(عشيةَ كرّت بالحراميّ ناقة ... بحيِّ هلاً تُدعى به فجيب)

(فضاربت أولى الخيل حتى كأنما ... أميل عليها أيدَع وصبيب)

الأيدع دم الأخوين والصبيب الحناء

السليك القادر على الإحتمال

قال أبو عبيدة وبلغني أن السليك بن السلكة رأته طلائع جيش لبكر بن وائل وكانوا جازوا منحدرين ليغيروا على بني تميم ولا يعلم بهم أحد فقالوا إن علم السليك بنا أنذر قومه فبعثوا إليه فارسين على جوادين فلما هايجاه خرج يمحص كأنه ظبي وطارداه سحابة يومه ثم قالا إذا كان الليل أعيا ثم سقط أو قصر عن العدو فنأخذه

فلما أصبحنا وجدا أثره قد عثر بأصل شجرة فنزعها فندرت قوسه فانحطمت فوجدا قصدة منها قد ارتزت بالأرض فقالا ما له أخزاه الله ما أشده وهما بالرجوع ثم قالا لعل هذا كان من أول الليل ثم فتر فتبعاه فإذا أثره متفاج قد بال فرغا في الأرض وخذها فقالا ما له قاتله الله ما أشد متنه والله لا نتبعه أبداً فانصرفا

ونمى إلى قومه وأنذرهم فكذبوه لبعد الغاية فأنشأ يقول

(يكذّبني العَمْران عمرَو بن جندب ... وعمرو بن سعد والمكِّذب أكذب)
(لعمرُك ما ساعيتُ من سعي عاجز ... ولا أنا بالواني ففيم أكذِّب)
(ثكلتكما إن لم أكن قد رأيتها ... كراديس يهديها إلى الحي موكِب)
(كراديس فيها الحَوْفَزان وقومه ... فوارس همَّام متى يَدْعُ يركبوا)
يعني الحوفزان بن شريك الشيباني
(تفاقدتمُ هل أنكرنّ مغيرة ... مع الصبح يهدين أشقر مغرب)
تفاقدتم يدعو عليهم بالتفاقد
قال وجاء الجيش فأغاروا على جمعهم قال وكان يقال للسليك سليك المقانب وقد قال في ذلك فرار الأسدي وكان قد وجد قوماً يتحدثون إلى امرأته من بني عمها فعقرها بالسيف فطلبه بنو عمها فهرب ولم يقدروا عليه فقال في ذلك
(لَزُوار ليلَى منكم آل برثُن ... على الهول أمضى من سُليك المقانب)
(يزورونها ولا أزور نساءهم ... ألهفى لأولاد الإماء الحواطب)
وقال أبو عبيدة أغار السليك على بني عوار بطن من بني مالك بن ضبيعة فلم يظفر منهم بفائدة وأرادوا مساورته فقال شيخ منهم إنه إذا عدا لم يتعلق به فدعوه حتى يرد الماء فإذا شرب وثقل لم يستطع العدو وظفرتم به فأمهلوه حتى ورد الماء وشرب ثم بادروه فلما علم أنه مأخوذ خاتلهم وقصد لأدنى بيوتهم حتى ولج على امرأة منهم يقال لها فكيهة فاستجار بها فمنعته وجعلته تحت درعها واخترطت السيف وقامت دونه فكاثروها فكشفت خمارها عن شعرها وصاحت بإخوتها فجاؤوا ودفعوا عنه حتى نجا من القتل فقال السليك في ذلك
(لعمر أبيك والأنباء تنمي ... لنعم الجار أخت بني عُوارا)
(من الخفرات لم تفضح أباها ... ولم ترفع لإخوتها شنَارا)
(كأن مجامع الأرداف منها ... نَقاً درَجت عليه الريح هارا)
(يعاف وصال ذاتِ البَذل قلبي ... ويتّبع الممنعّة النّوارا)
(وما عجزت فُكَيهة يوم قامت ... بنصل السيف واستبلوا الخِمارا)
أخبرني الأخفش عن السكري عن أبي حاتم عن الأصمعي أن السليك أخذ رجلاً من بني كنانة بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب يقال له النعمان بن عقفان ثم أطلقه وقال
(سمعتُ بجمعهم فرضختُ فيهم ... بنُعمان بن عُقْفان بن عمرو)
(فإن تكفر فإني لا أبالي ... وإن تشكر فإني لست أدري)
قال ثم قدم بعد ذلك على بني كنانة وهو شيخ كبير وهم بماء لهم يقال له قباقب خلف البشر فأتاه نعمان بابنيه الحكم وعثمان وهما سيدا بني كنانة ونائلة ابنته فقال هذان وهذه لك وما أملك غيرهم فقالوا صدق فقال قد شكرت لك وقدرددتهم عليك
فجمعت له بنو كنانة إبلاً عظيمة فدفعوها إليه ثم قالوا له إن رأيت أن ترينا بعض ما بقي من إحضارك قال نعم وأبغوني أربعين شاباً وأبغوني درعاً ثقيلة فأتوه بذلك فلبس الدرع وقال للشبان الحقوا بي إن شئتم وعدا فلاث العدو لوثاً وعدوا جنبته فلم يلحقوه إلا قليلاً ثم غاب عنهم وكر حتى عاد إلى الحي هو وحده يحضر والدرع في عنقه تضرب كأنها خرقة من شدة إحضاره
أخبرني به هاشم بن محمد الخزاعي عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه فذكر فيه نحو ما تقدم
خبر مقتله
وقال السكري في خبر مقتله إنه لقي رجلاً من خثعم في أرض يقال لها فخة بين أرض عقيل وسعد تميم وكان يقال للرجل مالك بن
عمير نب أبي ذراع بن جشم بن عوف فأخذه ومعه امرأة له من خفاجة يقال لها النوار فقال له الخثعمي أنا أفدي نفسي منك فقال له السليك ذلك لك على ألا تخيس بي ولا تطلع علي أحداً من خثعم فحالفه على ذلك ورجع إلى قومه وخلف امرأته رهينة معه فنكحها السليك وجعلت تقول احذر خثعم فإني أخافهم عليك فأنشأ يقول
(تحذّرني كي أحذَرَ العام خثعما ... وقد علمَت أني امرؤ غير مُسلَم)
(وما خثعم إلا لئام أذلّة ... إلى الذل والإسحاق تنمي وتنتمي)
قال وبلغ ذلك شبل بن قلادة بن عمر بن سعد وأنس بن مدرك الخثعميين فخالفا إلى السليك فلم يشعر إلا وقد طرقاه في الخيل فأنشأ يقول
(... مَن مبلغ جِذمي بأنِي مقتولْ)
(... يا رُبّ نَهب قد حويتُ عُثكولْ)
(... وربّ قِرن قد تركت مجدولْ)
(... وربَّ زوج قد نكحت عُطبول)
(... وربَّ عانٍ قد فككتُ مكبول)
(... ورب واد قد قطعت مسبول)
قال أنس للشبل إن شئت كفيتك القوم واكفني الرجل وإن شئت اكفني القوم أكفك الرجل قال بل أكفيك القوم فشد أنس على السليك فقتله وقتل شبل وأصحابه من كان معه
وكاد الشر يتفاقم بين أنس وبين عبد الملك لأنه كان أجاره حتى
وداّه أنس لما خاف أن يخرج الأمر من يده وقال
(كم مِن أخ لي كريم قد فُجعتُ به ... ثم بقيتُ كأني بعده حَجَرُ)
(لا أستكين على ريب الزمان ولا ... أُغضي على المر يأتي دونه القدر)
(مِرْدَى حروب أدير الأمر حابلَه ... إذ بعضُهم لأمور تعتري جَزِر)
(قد أطعن الطعنة النجلاءُ أتْبعها ... طَرْفاً شديداً إذا ما يَشخَص البصر)
(ويوم حمضة مطلوب دلفتُ له ... بذات وَدْقين لما يُعفها المطر)
وذكر باقي الأبيات التي تتلو هذه

(... إني وقتلي سُلَيكاً ثم أعقِلَه)
كما ذكره من روينا عنه ذلك
أخبرني هاشم بن محمد عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه فذكر ما تقدم
قال أبو عبيدة وحدثني المنتجع بن نبهان قال كان السليك يعطي عبد الملك بن مويلك الخثعمي إتاوةً من غنائمه على أن يجيره فيتجاوز بلاد خثعم إلى من وراءهم من أهل اليمن فيغير عليهم فمر قافلاً من غزوة فإذا بيت من خثعم أهله خلوف وفيه امرأة شابة بضة فسألها عن الحي فأخبرته فتسنمها أ ي علاها ثم جلس حجرة ثم التقم المحجة فبادرت إلى الماء فأخبرت القوم فركب أنس بن مدرك الخثعمي في طلبه فلحقه فقتله فقال عبد الملك والله لأقتلن قاتله أو ليدينه فقال أنس والله لا أديه ولا كرامة ولو طلب في ديته عقالاً لما أعطيته وقال في ذلك
(إني وقتلي سُلَيكاً ثم أعقِلَه ... كالثور يُضرب لما عافت البقر)
(غضبتُ للمرء إذ نيكت حليلتهُ ... وإذ يُشَد على وجعائها الثَّفَر)
(إني لتاركُ هامات بمجزَرة ... لا يزدهيني سواد الليل والقمرُ)
(أغشى الحروب وسِرِ بالي مضاعفة ... تغشى البنانَ وسيفي صارم ذكر)
أخبرني ابن أبي الأزهر عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن فليح بن أبي العوراء قال
كان لي صديق بمكة وكنا لا نفترق ولا يكتم أحد صاحبه سراً فقال لي ذات يوم يا فليح إني أهوى ابنة عم لي ولم أقدر عليها قط وقد زارتني اليوم فأحب أن تسرني بنفسك فإني لا أحتشمك فقلت أفعل وصرت إليهما وأحضرالطعام فأكلنا ووضع النبيذ فشربنا أقداحاً فسألني أن أغنيهما فكأن الله عز وجل أنساني الغناء كله إلا هذا الصوت
(من الخفِرات لم تفضح أباها ... ولم تُلحق بإخوتها شَنَارا)
فلما سمعته الجارية قالت يا أخي أعد فأعدته فوثبت وقالت أحسنت أنا إلى الله تائبة والله ما كنت لأفضح أ بي ولا لأرفع لإخوتي شنارا
فجهد الفتى في رجوعها فأبت وخرجت فقال لي ويحك ما حملك على ما صنعت فقلت والله ما هو شيء اعتمدته ولكنه ألقي على لساني لأمر أريد
بك وبها وهكذا في الخبر المذكور
وقد رواه غير من ذكرته عن فليح بن أبي العوراء فأخبرني اليزيدي عن عمه عبيد الله قال كان إبراهيم بن سعدان يؤدب ولد علي بن هشام وكان يغني بالعود تأدباً ولعباً قال فوجه إلي يوماً علي بن هشام يدعوني فدخلت فإذا بين يديه امرأة مكشوفة الرأس تلاعبه بالنرد فرجعت عجلاً فصاح بي ادخل فدخلت فإذا بين أيديهما نبيذ يشربان منه فقال خذ عوداً وغن لنا ففعلت ثم غنيت في وسط غنائي
(من الخفِرات لم تفضح أباها ... ولم ترفع لإخوتها شَنَارا)
فوثبت من بين يديه وغطت رأسها وقالت إني أشهد الله أني تائبة إليه ولا أفضح أبي ولا أرفع لإخوتي شناراً ففتر علي بن هشام ولم ينطق وخرجت من حضرته فقال لي ويلك من أين صبك الله علي هذه مغنية بغداد وأنا في طلبها منذ سنة لم أقدر عليها إلى اليوم فجئتني بهذا الصوت حتى هربت فقلت والله ما اعتمدت مساءتك ولكنه شيء خطر على غير تعمد
صوت
(أمَسلَم إني يا بنَ كلّ خليفة ... ويا جبَل الدنيا ويا ملِكَ الأرضِ)
(شكرتُك إن الشكر حظ من التقى ... وما كلّ من أوليته نعمة يقضي)
الشعر لأبي نخيلة الحماني والغناء لابن سريج ثقيل بالوسطى عن يحيى المكي
أخبار أبي نخيلة ونسبه
أبو نخيلة اسمه لا كنيته ويكنى أبا الجنيد ذكر الأصمعي ذلك وأبو عمرو الشيباني وابن حبيب لا يعرف له اسم غيره وله كنيتان أبو الجنيد وأبو العرماس وهو ابن حزن بن زائدة بن لقيط بن هرم بن يثربي وقيل ابن أثربي بن ظالم بن مجاسر بن حماد بن عبد العزى بن كعب بن لؤي بن سعد بن زيد مناة بن تميم
وكان عاقاً بأبيه فنفاه أبوه عن نفسه فخرج إلى الشام وأقام هناك إلى أن مات أبوه ثم عاد وبقي مشكوكاً في نسبه مطعوناً عليه
وكان الأغلب عليه الرجز وله قصيد ليس بالكبير
ولما خرج إلى الشام اتصل بمسلمة بن عبد الملك فاصطنعه وأحسن إليه وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد واستماحهم له فأغنوه وكان بعد ذلك قليل الوفاء لهم
انقطع إلى بني هاشم ولقب نفسه شاعر بني هاشم فمدح الخلفاء من بني العباس وهجا بني أميه فأكثر
وكان طامعاً نحمله ذلك أن قال في المنصور أرجوزة يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى ويعقد العهد لابنه محمد المهدي فوصله المنصور بألفي درهم وأمره أن ينشدها بحضرة عيسى بن موسى ففعل فطلبه عيسى فهرب منه وبعث في طلبه مولى له فأدركه في طريق خراسان فذبحه وسلخ جلده
أخبرني هاشم الخزاعي عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال
رأى أبو نخيلة على شبيب حلة فأعجبته فسأله إياها فوعده ومطله فقال فيه
(يا قومِ لا تُسوِّدوا شبيبا ... الخائنَ ابن ا لخائن الكذوبا)
(... هل تلد الذِّيبة إلا الذيبا)
قال فبلغه ذلك فبعث إليه بها فقال
(إذا غَدتْ سعد على شبيبها ... على فتاها وعلى خطيبها)
(من مطلع الشمس إلى مغيبها ... عجبتَ من كثرتها وطيبها)
حدثني حبيب بن نصر المهلبي عن عمر بن شبة قال حدثني الرعل بن الخطاب قال
بنى أبو نخيلة داره فمر به خالد بن صفوان وكان بينهما مداعبة قديمة ومودة وكيدة فوقف عليه
فقال أبو نخيلة يا بن صفوان كيف ترى داري قال رأيتك سألت فيها إلحافاً وأنفقت ما جمعت إسرافاً
جعلت إحدى يديك سطحاً وملأت الأخرى سلحاً فقلت من وضع في سطحي وإلا ملأته بسلحي ثم ولى وتركه

فقيل له ألا تهجوه فقال إذن والله يركب بغلته ويطوف في مجالس البصرة ويصف أبنيتي بما يعيبها
ما عسى أن يضر الإنسان صفة أبنيته بما يعيبها سنة ثم لا يعيد فيها كلمة

أبو نخيلة ومسلمة بن عبد الملك

أخبرني الحسن بن علي الخفاف عن ابن مهرويه عن أبي مسلم المستملي عن الحرمازي عن يحيى بن نجيم قال لما انتفى أبو نخيلة من أبيه خرج يطلب الرزق لنفسه فتأدب بالبادية حتى شعر وقال رجزاً كثيراً وقصيداً صالحاً وشهر بهما وسار شعره في البدو والحضر ورواه الناس

ثم وفد إلى مسلمة بن عبد الملك فرفع منه وأعطاه وشفع له وأوصله إلى الوليد بن عبد الملك فمدحه ولم يزل به حتى أغناه قال يحيى بن نجيم فحدثني أبو نخيلة قال وردت على مسلمة بن عبد الملك فمدحته وقلت له

(أمَسْلَم إني يابنَ كلِّ خليفة ... ويا فارس الهيجا ويا جبل الأرضِ)
(شكرتُك إنّ الشكر حبل من التقي ... وما كل من أوليتَه نعمة يَقضي)
(وألقيت لما أن أتيتكَ زائراً ... علي لحافاً سابغ الطول والعرض)
(وأحييت لي ذكرى وما كان خاملاً ... ولكنّ بعض الذكر أنبهُ من بعض)

قال فقال لي مسلمة ممن أنت فقلت من بني سعد فقال مالكم يا بني سعد والقصيد وإنما حظكم في الرجز قال فقلت له أنا والله أرجز العرب قال فأنشدني من رجزك فكأني والله لما قال ذلك لم أقل رجزاً قط أنسانيه الله كله فما ذكرت منه ولا من غيره شيئاً إلا أرجوزة لرؤبة كان قالها في تلك السنة فظننت أنها لم تبلغ مسلمة فأنشدته إياها فنكس رأسه وتتعتعت فرفع رأسه إلي وقال لا تتعب نفسك فأنا أروى لها منك قال فانصرفت وأنا أكذب الناس عنده وأخزاهم عند نفسي حتى تلطفت بعد ذلك ومدحته برجز كثير فعرفني وقربني

وما رأيت ذلك أثر فيه يرحمه الله ولا قرعني به حتى افترقنا

وحدثني أبو نخيلة قال لما انصرف مسلمة من حرب يزيد بن المهلب تلقيته فلما عاينته صحت به

(مَسْلَم يا مَسْلَمَةَ الحروبَ ... أنت المصفّى من أذى العيوبِ)
(مُضَاضةٌ من كَرمٍ وطيب ... لولا ثقاف ليس بالتدبيب)
(تفري به عن حُجُب القلوب ... لأمست الأمّة شاء الذيب)

ضحك وضمّني إليه وأجزل صلتي

حدثني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبيد الله بن عمار قال

حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه وقد جمعت روايتهما وأكثر اللفظ الأصمعي قال قال أبو نخيلة

وفدت على هشام بن عبد الملك فصادفت مسلمة قد مات وكنت بأخلاق هشام غرا وأنا غريب فسألت عن أخص الناس به فذكر لي رجلان أحدهما من قيس والآخر من اليمن فعدلت إلى القيسي بالتؤدة فقلت هو أقربهما إلي وأجدرهما بما أحب فجلست إليه ثم وضعت يدي على ذراعه وقلت له إني مسستك لتمسني رحمك

أنا رجل غريب شاعر من عشيرتك وأنا غير عارف بأخلاق هذا الخليفة وأحببت أن ترشدني إلى ما أعمل فينفعني عنده وعلى أن تشفع لي وتوصلني إليه فقال ذلك كله لك علي وفي الرجل شدة ليس كمن عهدت من أهله وإذا سئل وخلط مدحه بطلب حرم الطالب فأخلص له المدح فإنه أجدر أن ينفعك واغد إليه غداً فإني منتظرك بالباب حتى أوصلك والله يعينك فصرت من غد إلى باب هشام فإذا بالرجل منتظر لي فأدخلني معه وإذا بأبي النجم قد سبقني فبدأ فأنشده قوله

(إلى هشام وإلى مروانِ ... بيتان ما مثلهما بيتانِ)
(كفّاك بالجود تباريان ... كما تبارى فرسا رهان)
(مال عليّ حَدَثَ الزمان ... وبيعَ مايغلو من الغلمان)
(بالثمن الوَكسْ من الأثمان ... والمُهر بعد المُهر والحصان)

أبو نخيلة يمدح هشاماً فيجيزه

قال فأطال فيها وأكثر المسألة حتى ضجر هشام وتبينت الكراهة في وجهه ثم استأذنت فأذن لي فأنشدته

((لما أتتني بغيةٌ كالشّهد ... والعسل الممزوج بعد الرقد
(يا بَرْدَها لمشْتَفٍ بالبَرْد ... رفعْت من أطمار مستعِدّ)
(وقلت لِلْعِيس اعتلي وجدي ... فَهْي تَخدي أبرح التخدي)
(كم قد تعسّفت بها من نجد ... ومَجْرٍ هدّ بعد مَجْرٍ هدّ)
(قد ادّرعْن في مسير سَمْد ... ليلاً كلَون الطيلسان الجَرْد)
(إلى أمير المؤمنين المُجدي ... ربِّ مَعَدّ وسوى معدّ)
(ممن دعا من أصيدٍ وعبد ... ذي المجد والتشريف بعد المجد)
(في وجهه بدر بدا بالسعد ... أنت الهُمام القَرْمُ عند الجِد)
(طُوِّقتَها مجتمِع الأشُد ... فانهلّ لما قمتَ صوبُ الرعد)

قال حتى أتيت عليها وهممت أن أسأله ثم عزفت نفسي وقلت قد استنصحت رجلاً وأخشى أن اخالفه فأخطىء وحانت مني التفاتة فرأيت وجه هشام منطلقاً فلما فرغت أقبل على جلسائه فقال الغلام السعدي أشعر من الشيخ العجلي وخرجت فلما كان بعد أيام أتتني جائزته ثم دخلت عليه بعد ذلك وقد مدحته بقصيدة فأنشدته إياها فألقى علي جبة خز من جبابه مبطنة بسمور ثم دخلت عليه يوماً آخر فكساني دواجاً كان عليه من خز

أحمر مبطن بسمور ثم دخلت عليه يوماً ثالثاً فلم يأمر لي بشيء فحملتني نفسي على أن قلت له

(كسوتنيها فهي كالتّجفاف ... من خزك المصونة الكِثاف)
(كأنني فيها وفي اللّحاف ... من عبد شمس أبو بني مناف)
(... والخزّ مشتاق إلى الأفواف)

قال فضحك وكانت عليه جبة أفواف وأدخل يده فيها ونزعها ورمى بها إلي وقال خذها فلا بارك الله لك فيها

قال محمد بن هشام في خبره خاصة فلما أفضت الخلافة إلى السفاح نقلها إليه وغيرها وجعلها فيه يعني الأرجوزة الدالية فهي الآن تنسب في شعره إلى السفاح

أبو نخيلة والفرزدق
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني أبو عمر الخصاف عن العتبي قال لما حبس عمر بن هبيرة الفرزدق وهو أمير العراق أبى أن يشفع فيه أحداً فدخل عليه أبو نخيلة في يوم فطر فوقف بين يديه وأنشأ يقول
((أطلقتَ بالأمسِ أسيرَ بَكرِ ... فهل فَداك نَفَري وَوفْري
(مِن سببٍ أو حُجةٍ أو عذرِ ... يُنْجي التميميَّ القليلَ الشكرِ)
(من حَلَق القيد الثِّقال السُّمرِ ... ما زال مجنوناً على آستِ الدهرِ)
(ذا حسبٍ ينمو وعقلٍ يحري ... هبه لأخوالك يوم الفطرِ)
قال فأمر بإطلاقه وكان قد أطلق قبله رجلاً من عِجل جيء به من عين التمر قد أفسد فشفعت فيه بكر بن وائل فأطلقه وإياه عنى أبو نخيلة فلما أخرج الفرزدق سأل عمن شفع له فأخبر فرجع إلى الحبس وقال لا أريمه ولو مت انطلق قبلي بكري وأخرجت بشفاعة دعي والله لا أخرج هكذا ولو من النار فأخبر ابن هبيرة بذلك فضحك ودعا به فأطلقه وقال وهبتك لنفسك وكان هجاه فحبسه لذلك فلما عزل ابن هبيرة وحبس مدحه الفرزدق فقال ما رأيت أكرم منه هجاني أميراً ومدحني أسيراً
وجدت هذا الخبر بخط القاسم بن يوسف فذكر أن أبا القاسم الحضرمي حدثه أن هذه القصة كانت لأبي نخيلة مع يزيد بن عمر بن هبيرة وأنه أتي بأسيرين من الشراة أخذا بعين التمر أحدهما أبو القاسم بن بسطام بن ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة والآخر رجل من بكر بن وائل فتكلم في البكري قومه فأطلقه ولم يتكلم في التميمي أحد فدخل عليه أبو نخيلة فقال
((الحمد لله وليِّ الأمرِ ... هو الذي أخرج كلَّ غَمْرِ
(وكلَّ عُوّارٍ وكلَّ وِغْرِ ... من كلِّ ذي قلبٍ نقيِّ الصدرِ)
(لما أتتْ من نحو عين التمرِ ... سِتٌّ أثافٍ لا أثافي القِدرِ)
(فظلّت القضبان فيهم تجري ... هَبْراً هو الهبر وفوق الهبرِ)
(إني لمهدٍ للإمام الغَمْرِ ... شعري ونُصحَ الحب بعد الشعرِ)
ثم ذكر باقي الأبيات كما ذُكرت في الخبر المتقدم
أخبرني أبو الحسن الأسدي أحمد بن محمد قال حدثني محمد بن صالح بن النطاح قال
ذكر عن العتبي أن أبا نخيلة حج ومعه جريب من سويق قد حلاه بقند فنزل منزلاً في طريقه فأتاه أعرابي من بني تميم وهو يقلب ذلك السويق واستحيا منه فعرض عليه فتناول ما أعطاه فأتى عليه ثم قال زدني يا بن أخ فقال أبو نخيلة
(لما نزلنا منزلاً ممقوتا ... نُريد أن نَرحلَ أو نبيتا)
(جئتَ ولم نَدْرِ من أين جيتا ... إذا سقيتَ المُزبدَ السّحتيتا)
(... (قلت ألا زدني وقد رويتا
فقام الأعرابي وهو يسبه
وحدثني بهذا الخبر هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال
كان أبو نخيلة إذا نزل به ضيف هجاه فنزل به يوماً رجل من عشيرته فسقاه سويقاً قد حلاه فقال له زدني فزاده فلما رحل هجاه وذكر الأبيات بعينها وقال في الخبر قال أبو عبيدة السحتيت السويق الدقاق
أبو نخيلة يعتذر لأبي العباس السفاح
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثني ابن عائشة قال
دخل أبو نخيلة على أبي العباس السفاح فسلم واستأذن في الإنشاد فقال له أبو العباس لا حاجة لنا في شعرك إنما تنشدنا فضلات بني مروان فقال يا أمير المؤمنين
(كنا أناساً نرهب الملاكا ... إذ ركبوا الإعناق والأوراكا)
(قد ارتَجَينا زمناً أباكا ... ثم ارتجينا بعده أخاكا)
(ثم ارتجينا بعده إياكا ... وكان ما قلتُ لِمَن سواكا)
(... زُوراً فقد كفّر هذا ذا كا)
فضحك أبو العباس وأجازه جائزة سنية وقال أجل إن التوبة لتكفر ما قبلها وقد كفر هذا ذاك
وأخبرنا أبو الفياض سوار بن ابي شراعة قال حدثني أبي عن عبد الصمد بن المعذل عن أبيه قال
دخل أبو نخيلة على أبي العباس قال وكان لا يجترىء عليه مع ما يعرفه به من اصطناع مسلمة إياه وكثرة مديحه لبني مروان حتى علم أنه قد عفا عمن هو أكبر محلا من القوم وأعظم جرماً منه فلما وقف بين يديه سلم عليه ودعا له وأثنى ثم استأذنه في الإنشاد فقال له ومن أنت قال عبدك يا أمير المؤمنين أبو نخيلة الحماني فقال لا حياك الله ولا قرب دارك يا نضو السوء ألست القائل في مسلمة بن عبد الملك بالأمس
(أمَسْلَم يا من ساد كلَّ خليفةٍ ... ويا فارس الهيجا ويا قمرَ الأرضِ)
والله لولا أني قد أمنت نظراءك لما ارتد إليك طرفك حتى أخضبك بدمك فقال أبو نخيلة
(... كنّا أناساً نرهب الأملاكا)
وذكر الأبيات المتقدمة كلها مثل ما مضى من ذكرها فتبسم أبو العباس ثم قال له أنت شاعر وطالب خير وما زال الناس يمدحون الملوك في دولهم والتوبة تكفر الخطيئة والظفر يزيد الحقد وقد عفونا عنك واستأنفنا الصنيعة لك وأنت الآن شاعرنا فاتسم بذلك فيزول عنك ميسم بني مروان فقد كفر هذا ذاك كما قلت ثم التفت إلى أبي الخصيب فقال يا مرزوق أدخله دار الرقيق فخيره جارية يأخذها لنفسه ففعل واختار جارية وطفاء كثيرة اللحم فلم يحمدها فلما كان من غد دخل على أبي العباس وعلى رأسه وصيفة حسناء تذب عنه فقال له قد عرفت خبر الجارية التي أخذتها بالأمس وهي كذناكونه فاحتفظ بها فأنشأ يقول
((إني وجدت الكذناذَنُوّكا ... غيرَ مَنيك فابغني مُنَيّكا
(... حتى إذا حركتُه تَحرّكا)
فضحك أبو العباس وقال خذ هذه الوصيفة فإنك إذا خلوت بها تحرك من غير أن تحركه

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال
ادّان أبو نخيلة من بقّال له يقال له ماعز الكلابي باليمامة وكان يأخذ منه أولاً أولاً حتى كثر ما عليه وثقل فطالبه ماعز فمطله ثم بلغه أنه قد استعدى عليه عامل اليمامة فارتحل يريد الموصل وخرج عن اليمامة ليلاً فلم يعد به ماعز إلا بعد ثلاث وقد نجا أبو نخيلة وقال في ذلك
(يا ماعِزَ الكُرّاث خزيتا ... لقد خدعت ولقد هجيتا)
(كِدتَ تَخصينا فقد خُصيتا ... وكنت ذا حظ فقد مُحيتا)
(ويحكَ لم تعلم بمن صُليتا ... ولا بأيّ حَجَر رُميتا)
(إذا رأيت المُزيدَ الهَبوتا ... يركب شِدقاً شَدْقماً هَريتا)
(طِرْ بجناحك فقد أُتيتا ... حَرّان حَرّان فهيتا هيتا)
(والموصَل الموصَل أو تكْريتا ... حيث تبيع النبَطُ البيوتا)
(... (ويأكلون العدسَ المَريتا)
وقال أيضاً لماعز هذا
(يا ماعزَ القَمل وبَيتَ الذّلَ ... بِتْنا وبات البغل في الإصطبل)
(وبات شيطان القوافي يُمْلي ... على امرئ فَحْلٍ وغير فحل)
(لا خير في علمي ولا في جهلي ... لو كان أودَى ماعز بنخلي)
(ما زال يَقلِيني وعَيْمي يغلي ... حتى إذا العَيم رمَى بالجفل)
(... طبّقت تطبيق الجُزار النصل)
نماذج من مدحه وهجائه
نسخت من كتاب اليوسفي حدثني المنمق بن جماع عن أبيه قال
كان أبو نخيلة يرضيه القليل ويسخطه وكان الربيع ينزله عنده ويأمر سائساً يتفقد فرسه فمدح الربيع بأرجوزة ومدح فيها معه سائسه فقال
(لولا أبو الفضل ولولا فضلهُ ... ما اسْطيع باب لا يُسنّى قُفْلُهُ)
(ومن صِلاح راشد إصطبلُه ... نعم الفتى وخيرُ فعل فعله)
(... يسْمَن منه طِرفه وبغله)
فضحك الربيع وقال يا أبا نخيلة أترضى أن تقرن بي السائس في مديح كأنك لو لم تمدحه معي كان يضيع فرسك
قال ونزل أبو نخيلة بسليمان بن صعصعة فأمر غلامه بتعهده وكان
يغاديه ويراوحه في كل يوم بالخبز والحم فقال أبو نخيلة يمدح خباز سليمان بن صعصعة
(بارَك ربّي فيك من خباز ... ما زلت إذ كنتَ على أوفاز)
(... تنصبّ باللحم انصباب الباز)
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال حدثنا أحمد بن المعذل عن علي بن أبي نخيلة الحماني قال
دخلت مع أبي إلى أرض له وقد قدم من مكة فرآها وقد أضر بها جفاء القيم عليها وتهاونه بها وكلما رآه الذين يسقونها زادوا في العمل والعمارة حتى سمعت نقيض الليف فقلت الساعة يقول في هذا شعراً فلم ألبث أن التفت إلي وقال
(شاهد مالاً رَبُّ مال فساسَه ... سياسة شهم حازم وابن حازم)
(أقام بها العصْرين حيناً ولم يكن ... كمن ضنّ عن عُمرانها بالدراهم)
(كأنَّ نقيض الليف عن سعفاته ... نقيضُ رحال المَيس فوق العياهم)
(وأضحت تغالي بالبنات كأنها ... على متن شيخ من شيوخ الأعاجم)
(وما الأصل ما روّيت مضرب عِرقه ... من الماء عن إصلاح فرع بنائم)
أخبرني بهذا الخبر محمد بن مزيد عن أبي الأزهر البوشنجي قال حدثنا حماد بن إسحاق الموصلي عن النضر بن حديد عن أبي محضة عن الأزرق بن الخميس بن أرطأة وهو ابن أخت أبي نخيلة فذكر قريباً مما ذكر في الخبر الذي قبله
وأخبرني عيسى بن الحسن الوراق المروزي قال حدثنا علي بن محمد النوفلي قال حدثني أبي قال
ابتاع أو نخيلة داراً في بني حمان ليصحح بها نسبه وسأل في بنائها فأعطاه الناس اتقاء للسانه وشره فسأل شبيب بن شبة فلم يعطه شيئاً واعتذر إليه فقال
(يا قومِ لا تسوّدوا شبيبا ... المَلَذانَ الخائن الكذوبا)
(... هل تلد الذَيبة إلا الذيبا)
فقال شبيب ما كنت لأعطيه على هذا القول شيئاً فإنه قد جعل إحدى يديه سطحاً وملأ الأخرى سلحاً وقال من وضع شيئاً في سطحي وإلا ملأته بسلحي من أجل دار يريد أن يصحح نسبه بها فسفر بينهما مشايخ الحي حتى يعطيه فأبى شبيب أن يعطيه شيئاً وحلف أبو نخيلة ألا يكف عن عرضه أو يأخذ منه شيئاً يستعين به فلما رأى شبيب ذلك خافه فبعث إليه بما سأل وغدا أبو نخيلة عليه وهو جالس في مجلسه مع قومه فوقف عليهم ثم أنشأ يقول
(إذا عدَتْ سعد على شبيبها ... على فتاها وعلى خطيبها)
(مِن مطلع الشمس إلى مغيبها ... عجبْت من كثرتها وطيبها)
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال
دخل أبو نخيلة على عمر بن هبيرة وعنده رؤبة قد قام من مجلسه فاضطجع خلف ستر فأنشد أبو نخيلة مديحه له ثم قال ابن هبيرة يا أبا
نخيلة أي شيء أحدثت بعدنا فاندفع ينشده أرجوزة لرؤبة فلما توسطها كشف رؤبة الستر وأخرج رأسه من تحته فقال له كيف أنت يا أبا نخيلة فقطع إنشاده وقال بخير أبا العجاج فمعذرة إليك ما علمت بمكانك فقال له رؤبة أم ننهك أن تعرض لشعري إذا كنت حاضراً فإذا ما غبت فشأنك به فضحك أبو نخيلة وقال هل أنا إلا حسنة من حسناتك وتابع لك وحامل عنك فعاد رؤبة إلى موضعه فاضطجع ولم يراجعه حرفاً والله أعلم
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة

أن أبا نخيلة قدم على المهاجرين بن عبد الله الكلابي وكان أبو نخيلة أشبه خلق الله به وجهاً وجسماً وقامة لا يكاد الناظر إلى أحدهما أن يفرق بينه وبين الآخر فدخل عليه فأنشده قوله فيه
(يا دارَ أمِّ مالكٍ ألا أسلمي ... على التنائي من مُقامٍ وأنعَمي)
(كيف أنا إن أنت لم تَكّلمي ... بالوحْي أو كيف بأن تجمجمي)
(تقول لي بنتي ملامَ اللُّوَّم ... يا أبتا إنك يوماً مؤتِمي)
(فقلت كلاّ فاعلمي ثم اعلمي ... أني لِميقات كتابٍ محكَم)
(لو كنتُ في ظلمة شِعبٍ مظلم ... أو في السماء أرتقي بسلَّم)
(لا نصبّ مقداري إلى مُجْرَنثَمي ... إني وربّ الراقصات الرسَّم)
(وربِّ حوض زمزمٍ وزمزِمِ ... لأستبين الخير عند مَقدَمي)
(وعند تَرحالي عن مُخَيَّمي ... على ابنِ عبد الله قَرْمِ الأقرم)
(فإنني بالعِلمِ ذو ترسُّم ... لم أدر ما مهاجِرُ التكرم)
(حتى تبينت قضايا الغشّم ... مُهاجِرُ يا ذا النوال الخِضرِم)
(أنت إذا انتَجعتَ خيرُ مُغنِم ... مُشترِك النائل جمُّ الأنعم)
(ولِتَميمٍ منك خير مَقْسَم ... إذا التقوا شتى معاً كالهُيّم)
(قد علِم الشأم وكلّ موسم ... أنك تحلو لي كحلو المعجَم)
(... طوراً وطوراً أنت مثل العلقم)
قال فأمر له المهاجر بناقة فتركها ومضى مغضباً وقال يهجوه
(إن الكلابيَّ اللئيم الأثرما ... أعطى على المِدْحَةِ ناباً عِرزِماً)
(... ما جبر العظم ولكن تمّما)
فبلغ ذلك المهاجر فبعث فترضاه وقام في أمره بما يجب ووصله فقال أبو نخيلة هذه صلة المديح فأين صلة الشبه فإن التشابه في الناس نسب فوصله حتى أرضاه فلم يزل يمدحه بعد ذلك حتى مات ورثاه بعد وفاته فقال
(خليليّ مالي باليمامة مقعدٌ ... ولا قُرَّةٌ للعين بعد المهاجر)
(مضى ما مضى من مصالح العيش فاربعا ... على ابنِ سبيل مزمِعِ البين عابر)
(فإن تك في مَلحودة يا بن وائل ... فقد كنتَ زين الوفد زين المنابر)
(وقد كنتَ لولا سَلُّك السيف لم يَنمِ ... مقيم ولم تأمن سبيلُ المسافر)
(لَعَزّ على الحيّين قيسٍ وخِندفٍ ... تَبكّي عليٍّ والوليد وجابر)
(هوى قمر من بينهم فكأنما ... هوى البدر من بين النجوم الزواهر)
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال
تزوجت أخت أبي نخيلة برجل يقال له ميار وكان أبو نخيلة يقوم بمالها مع ماله ويرعى سوامها مع سوامه ويستبد عليها بأكثر منافعها فخاصمته يوماً من وراء خدرها في ذلك فأنشأ يقول
(أظلُّ أرعى وتراً هزينا ... مُلَملَماً ترى له غضونا)
(ذا أبنٍ مقوماً عُثنوناً ... يطعن طعناً يقضب الوتينا)
(ويهتك الأعفاج والرُّبينا ... يذهب ميّار وتقعدينا)
(وتفسدين أو تبَذِّرينا ... وتمنحين استك آخرينا)
(... أير الحمار في است هذا دينا)
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال
تزوج أبو نخيلة امرأة من عشيرته فولدت له بنتاً فغمه ذلك فطلقها تطليقة ثم ندم وعاتبه قومه فراجعها فبينما هو في بيته يوما إذ سمع صوت ابنته وأمها تلاعبها فحركه ذلك ورق لها فقام إليها فأخذها وجعل ينزيها ويقول
(يا بنتَ مَن لم يك يهوَى بنتاً ... ما كنتِ إلا خمسة أو ستاً)
(حتى حللتِ في الحشى وحتى ... فتَتِّ قلبي مِنْ جوىً فانفتَّا)
(لأنت خيرٌ من غلام أنْتا ... يُصبح مخموراً ويمسي سَبتا)
جمال شعره يجمل النساء
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثنا أبو هفان قال حدثني أصحابنا الأهتميون قالوا
دخل عقال بن شبة المجاشعي على المهدي فقال له يا أبا الشيظم ما بقي من حبك بنات آدم وما يعجبك منهن التي عصبت عصب الجان وجلدت جدل العنان واهتزت اهتزاز البان أم التي بدنت فعظمت وكملت فتمت فقال يا أمير المؤمنين أحبهما إلي التي وصفها أبو نخيلة فإنه كانت له جارية صغيرة وهبها له عمك أبو العباس السفاح فكان إذا غشيها صغرت عنه وقلت تحته فقال
(إني وجتُ الكذناذّنوكا ... غير منيك فابغني منيّكا)
(... شيئاً إذا حرّكته تحركا)
قال فوهب له المهدي جراية كاملة فائقة متأدبة ربعة فلما أصبح عقال غدا على المهدي متشكراً فخرج المهدي وفي يده مشط يسرح به لحيته وهو يضحك فدعا له عقال وقال له يا أمير المؤمنين مم تضحك أدام الله سرورك قال يا أبا الشيظم إني اغتسلت آنفاً من شيء إذا حركته تحرك وذكرت قولك الآن لما رأيتك فضحكت
أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال حدثني أحمد بن القاسم العجلي البرتي قال حدثني أبو هفان قال حدثتني رقية بنت حمل عن أبيها قال
كان أبو نخيلة مداحاً للجنيد بن عبد الرحمن المري وكان الجنيد له محباً يكثر رفده ويقرب مجلسه ويحسن إليه فلما مات الجنيد قال أبو نخيلة يرثيه
(لعمري لئن رَكبُ الجنيد تحملوا ... إلى الشأم من مرٍّ وراحَت ركائبه)
(لقد غادر الركب الشآمون خلفهم ... فتى غطفانياً يُعلل جانبه)

(فتى كان يسري للعدو كأنما ... سرُوب القطا في كلّ يوم كتائبه)
(وكان كأن البدر تحت لوائه ... إذا راح في جيش وراحت عصائبه)
أخبرنا محمد بن جعفر قال حدثني أحمد بن القاسم قال حدثني أبو هفان عن عبد الله بن داود عن علي بن أبي نخيلة قال
كان أبي شديد الرقة علي معجباً بي فكان إذا أكل خصني بأطيب الطعام وإذا نام أضجعني إلى جنبه فغاظ ذلك امرأته أم حماد الحنفية فجعلت تعذله وتؤنبه وتقول قد أقمت في منزلك وعكفت على هذا الصبي وتركت الطلب لولدك وعيالك فقال أبي في ذلك
(ولولا شهوتي شَفَتي عليَّ ... رَبعتُ على الصحابة والركاب)
(ولكنّ الوسائل من عليّ ... خلَصن إلى الفؤاد من الحجاب)
قال فازدادت غضباً فقال لها
(وليس كأمّ حمّاد خليلٌ ... إذا ما الأمر جلّ عن الخطاب)
(منعمةً أرى فتقرّ عيني ... وتكفيني خلائقُها عتابي)
فرضيت وأمسكت عنا
حدثني عمي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الله قال حدثني سهل بن زكريا قال حدثني عبد الله بن أحمد الباهلي قال
قال أبان بن عبد الله النميري يوماً لجلسائه وفيهم أبو نخيلة والله لوددت أنه قيل في ما قيل في جرير بن عبد الله
(لولا جرير هَلَكتْ بجيله ... نعم الفتى وبئست القبيلة)
وإنني أثبت على ذلك مالي كله فقال له أبو نخيلة هلم الثواب فقد حضرني من ذلك ما تريد فأمر له بدراهم فقال اسمع يا طالب ما يجزيه
(لولا أبانٌ هلكت نُمَيرُ ... نعم الفتى وليس فيهم خَيرُ)
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا سلمة بن خالد المازني عن أبي عبيدة قال
وقف أبو نخيلة على باب أبي جعفر واستأذن فلم يصل وجعلت الخراسانية تدخل وتخرج فتهزأ به فيرون شيخاً أعرابياً جلفاً فيعبثون به فقال له رجل عرفه كيف أنت أبا نخيلة فأنشأ يقول
(أصبحتُ لا يملك بعضي بعضاً ... أشكو العُروق الآبضات أبضاً)
(كما تَشكى الأرحبيُّ الغرضَا ... كأنما كان شبابي قَرضَا)
فقال له الرجل وكيف ترى ما أنت فيه هذه الدولة فقال
(أكثرُ خلق الله من لا يُدرَى ... من أيّ خلق الله حين يُلْقى)
(وحُلةٌ تُنشر ثم تُطوَى ... وطيلسانٌ يشترَى فيُغْلى)
((لِعبد عبدٍ أو لمولى مولى ... يا ويح بيتِ المال ماذا يَلقِى)
وبهذا الإسناد عن أبي عبيدة أن أبا نخيلة قدم علىأبان بن الوليد فامتدحه فكساه ووهب له جارية جميلة فخرج يوماً من عنده فلقيه رجل من قومه فقيل له كيف وجدت أبان بن الوليد يا أبا نخيلة فقال
(أكثرَ والله أبانٌ مَيْري ... ومِن أبانِ الخير كلُّ خيري)
(... ثوبٌ لجلدي وحرٌ لأيري)
نسخت من كتاب اليوسفي حدثني خالد بن حميد عن أبي عمرو الشيباني قال أقحمت السنة أبا نخيلة فأتى القعقاع بن ضرار وهو يومئذٍ على شرطة الكوفة فمدحه وأنزله القعقاع بن ضرار وابنيه وعبديه وركابهم في دار وأقام لهم الأنزال ولركابهم العلوفة
وكان طباخ القعقاع يجيئهم في كل يوم بأربع قصاع فيها ألوان مطبوخة من لحوم الغنم ويأتيهم بتمر وزبد فقال له يوماً القعقاع كيف منزلك أبا نخيلة فقال
(مَا زال عنّا قَصَعاتٌ أربعُ ... شهرين دَأْباً ذُوّدِ ورجع)
(عَبداي وابناي وشيخ يرفع ... كما يقوم الجمل المطبّع)
قال وكان أبو نخيلة يكثر الأكل فأصابته تخمة فدخل على القعقاع فسأله كيف أصبحت أبا نخيلة فقال أصبحت والله بشماً أمرت خبازك فأتاني بهذاالرقاق الذي كأنه الثياب المبلولة قد غمسه في الشحم غمساً وأتبعه بزيد كرأس النعجة الخرسية وتمر كأنه عنز رابضة إذا أخذت التمرة من موضعها تبعها من الرب كالسلوك الممدودة فأمعنت في ذلك وأعجبني حتى بشمت فهل من أقداح جياد وبين يدي القعقاع حجام واقف وسفرة موضوعة فيها المواسي فإذا أتي بشراب النبيذ حلق رؤوسهم ولحاهم
فقال له القعقاع أتطلب مني النبيذ وأنت ترى ما أصنع بشرابه عليك بالعسل والماء البارد فوثب ثم قال
(قد علِم المظَلّ والمبيت ... أني مِن القعقاع فيما شِيت)
(إذا أتتْ مائدةٌ أتيت ... بيدَع لست بها غُذيت)
(وَلّيتَ فاستشفيتُ واستَعديتُ ... كأني كنت الذي وَلّيتُ)
(ولو تمنَّيتُ الذي أعطيت ... ما ازددتُ شيئاً فوق ما لقِيتُ)
(أيا بن بيتٍ دونه البيوتِ ... أقصرْ فقد فوق القِرى قُريتُ)
(ما بين شرابي عسلٌ منعوت ... ولا فُراتٍ صرد بيّوتِ)
(لكنني في النوم قد أريت ... رطلَ نبيذ مُخفِس سُقيت)
(... صلباً إذا جاذبته رويت)
فغمزه على إسماعيل ابن أخيه وأومأ إلى إسماعيل فأخذ بيده ومضى به إلى منزله فسقاه حتى صلح
أبو نخيلة يمدح السفاح
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا قعنب بن المحرز وأبو عمرو الباهلي قالا حدثنا الأصمعي قال
دخل أبو نخيلة على أبي العباس السفاح وعنده أبو صفوان إسحاق بن مسلم العقيلي فأنشده قوله

(صادتْك يومَ الرملتين شَعْفَرُ ... وقد يصيد القانصَ المزعِفَرُ)
(يا صورةً حسّنها المصّور ... للرِّيم منها جيدُها والمَحجَرُ)
يقول فيها في مدح أبي العباس
(حق إذا ما الأوصياءِ عسكروا ... وقام من تِبرِ النبيّ الجوهرُ)
(ومِن بني العبْاس نَبع أصفر ... ينميه فرعٌ طيّب وعنصر)
(أقبل بالناس الهوى المستهِر ... وصاح في الليل نهار أنور)
(أنا الذي لو قيل إني أشعرُ ... جلّى الضباب الرجزِ المخبِّر)
(لمّا مضت لي أشهر و أشهر ... قلت لنفس تُزدَهى فتصبر)
(لا يستخفنَّك ركب يَصدر ... لا مُنجد يَمضي ولا مُغَوِّر)
(وخالفي الأنباءَ فهي المحشر ... أو يسمعَ الخليفة المطهَّر)
(مِنّي فإني كلَّ جنح أحضر ... وإن بالأنبار غيثاً يهمرُ)
(والغيث يُرجَى والديار تنضُر ... ما كان إلا أن أتاها العسكر)
(حتى زهاها مسجد ومِنبر ... لم يبقَ من مروانَ عين تنظر)
((لا غائبٌ ولا أناس حضَّر ... هيهات أودى المنعم المعقّر
(وأمسيت الأنبار داراً تُعمَر ... وخربتْ من الشآم أدوُر)
(حِمصٌ وبابُ التّبن والموقّر ... ودمّرت بعد امتناع تدمر)
(وواسط لم يبق إلا القرقر ... منها وإلا الديربان الأخضر)
ومنها
(... أين أبو الورد وأين الكوثر)
أبو الورد بن هذيل بن زفر وكوثر بن الأسود صاحب شرطة مروان
(وأين مروان وأين الأشقر ... وأين فلّ لم يَفُت محيّر)
(وأين عاديكم المُجَمْهَر ... وعامر وعامر وأعصُر)
قال يعني عامر بن صعصعة وعامر بن ربيعة وأعصر باهلة وغني قال فغضب إسحاق بن مسلم وقال هؤلاء كلهم في جر أمك أبا نخيلة فأنكر الخليفة عليه ذلك فقال إني والله يا أمير المؤمنين قد سمعت
منه فيكم شراً من هذا في مجالس بني مروان وما له عهد وما هو بوفي ولا كريم فبان ذلك في وجه أبي العباس وقال له قولاً ضعيفاً إن التوبة تغسل الحوبة والحسنات يذهبن السيئات وهذا شاعر بني هاشم
وقام فدخل وانصرف الناس ولم يعط أبا نخيلة شيئاً
أبو نخيلة والمنصور
وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفي حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال حدثني أبي عن عبد الله بن أبي سليم مولى عبد الله بن الحارث قال
بينا أنا أسير مع أبي الفضل يعني سليمان بن عبد الله وحدي بين الحيرة والكوفة وهو يريد المنصور وقد هم بتولية المهدي العهد وخلع عيسى بن موسى وهو يروض ذلك إذا هو بأبي نخيلة الشاعر ومعه ابنان له وعبد وهم يحملون متاعه
فقال له يا أبا نخيلة ما هذا الذي أرى قال كنت نازلاً على القعقاع بن معبد أحد ولد معبد بن زرارة فقلت شعراً فيما عزم عليه أمير المؤمنين من تولية المهدي العهد ونزع عيسى بن موسى فسألني التحول عنه لئلا يناله مكروه من عيسى إذ كان صنيعته فقال سليمان يا عبد الله اذهب بأبي نخيلة فأنزله منزلاً وأحسن نزله وبره ففعلت
ودخل سليمان إلى المنصور فأخبره الخبر فلما كان يوم البيعة جاء بأبي نخيلة فأدخله على المنصور فقام فأنشد الشعر على رؤوس الناس وهي قصيدته التي يقول فيها
(بل يا أمينَ الواحد الموحَّدِ ... إنّ الذي ولاك ربُّ المسجدِ)
(ليس وليّ عهدنا بالأسعَد ... عيسى فزحلفها إلى محمد)
(من عند عيسى معهداً عن معهد ... حتى تُؤدَّى من يد إلى يد)
قال فأعطاه المنصور عشرة آلاف درهم قال وبايع لمحمد بالعهد فانصرف عيسى بن موسى إلى منزله قال فحدثني داود بن عيسى بن موسى قال جمعنا أبي فقال يا بني قد رأيتم ما جرى فأيما أحب إليكم أن يقال لكم يا بني المخلوع أو يقال لكم يا بني المفقود فقلنا لا بل يا بني المخلوع فقال وفقتم بني وأول هذه الأرجوزة التي هذه الأبيات منها
(لم يُنسِني يا بنة آل معبَدِ ... ذكراكِ تكرارُ الليالي العُوّدِ)
(ولا ذواتُ العَصب المورّد ... ولو طَلَبن الودَّ بالتودّد)
(ورُحن في الدُّر وفي الزبرجد ... هيهات منهن وإن لم تَعهدي)
(نَجديةٌ ذاتُ مَعانٍ منجد ... كأنّ ريّاها بُعيد المَرقَد)
(ريّا الخُزامي في ثَرىً جَعْدٍ ندي ... كيفَ التصابي فِعلَ من لم يهتد)
(وقد علَتْني درة بادي بَدِي ... ورَثْيةٌ تنهض في تشددي)
(... بعد انتهاَضي في الشباب الأملد)
يقول فيها
(إلى أمير المؤمنين فاعمِدِ ... إلى الذي يُندي ولا يَندَى نَدي)
(سيري إلى وبحر البحار المزْبد ... إلى الذي إن نفِدت لم ينفَد)
(...أو ثمّدت أشراعها لم يَثمِد)
ويقول في ذكر البيعة لمحمد بعد الأبيات التي مضت في صدر الخبر
(فقد رضِينا بالغلام الأمرد ... وقد فَرغنا غير أن لم نشهِد)
(وغيرَ أنّ العَقد لم يؤكد ... فلو سمعنا قولك امددِ امددُ)
(كانت لنا كزعقة الورد الصدي ... فنادِ للبعية جمعاً نَحشدُ)

(في يومنا الحاضر هذا أوغد ... واصنع كما شئت ورُدّ يُردَد)
(وردَّه منك رداء يرتد ... فهو رداء السابق المقلَّد)
(وكان يَروي أنها كأن قد ... عادت ولو قد نقِلَت لم تُردد)
(أقول في كرى أحاديث الغد ... لله دَري من أخ ومنشد)
(... لو نلتُ حظّ الحبشيِّ الأسود)
يعني أبا دلامة
فأخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث قال
حدثنا المدائني أن أبا نخيلة أظهر هذه القصيدة التي رواها الخدم والخاصة وتناشدتها العامة فبلغت المنصور فدعا به وعيسى بن موسى عنده جالس عن يمينه فأنشده إياها وأنصت له حتى سمعها إلىآخرها
قال أبو نخيلة فجعلت أرى فيه السرور ثم قال لعيسى بن موسى ولئن كان هذا عن رأيك لقد سررت عمك وبلغت من مرضاته أقصى ما يبلغه الولد البار السار
فقال عيسى لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين قال أبو
نخيلة فلما خرجت لحقني عقال بن شبة فقال أما أنت فقد سررت أمير المؤمنين ولئن تم الأمر فلعمري لتصيبن خيراً ولئن لم يتم فابتغ نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فقلت له
(... علِقت معالقها وصرّ الجندُب)
قال المدائني وحدثني بعض موالي المنصور قال
لما أراد المنصور أن يعقد للمهدي أحب أن تقول الشعراء في ذلك فحدثني عبد الجبار بن عبيد الله الحماني قال
حدثني أبو نخيلة قال قدمت على أبي جعفر فأقمت ببابه شهراً لا أصل إليه فقال لي عبد الله بن الربيع الحارثي يا أبا نخيلة إن أمير المؤمنين يريد أن يقدم المهدي بين يدي عيسى بن موسى فلو قلت شيئاً تحثه على ما يريد فقلت
(ماذا على شَحْط النوى عناكا ... أم ما مرَى دمعَك من ذكراكا)
(... وقد تبكّيتَ فما أبكاكا)
وذكر أرجوزة طويلة يقول فيها
(خليفةَ الله وأنت ذاكا ... أسنِدْ إلى محمدٍ عصاكا)
(فأحفَظُ الناس لها أدناكا ... وابنُك ما استكفيتَه كفاكا)
(وكلُّنا منتظر لذاكا ... لو قلتَ هاتوا قلتُ هاك هاكا)
قال فأنشدته إياها فوصلني بألفي درهم وقال لي احذر عيسى بن موسى فإني أخافه عليك أن يغتالك قال المدائني
وخلع أبو جعفر عيسى بن موسى فبعث عيسى في طلب أبي نخيلة فهرب منه وخرج يريد خراسان فبلغ عيسى خبره فجرد خلفه مولى له يقال له قطري معه عدة من مواليه وقال له نفسك نفسك أن يفوتك أبو نخيلة فخرج في طلبه مغذاً للسير فلحقه في طريقه إلى خراسان فقتله وسلخ وجهه
ونسخت من كتاب القاسم بن يوسف عن خالد بن حمل أن علي بن أبي نخيلة حدثه أن المنصور أمر أبا نخيلة أن يهرب إلى خراسان فأخذه قطري وكتفه فأضجعه فلما وضع السكين على أوداجه قال إيه يا بن الخناء ألست القائل
(... علِقَت معالقها وصر الجندب)
الآن صَر جندبك فقال لعن الله ذاك جندباً ما كان أشأم ذكره ثم ذبحه قطري وسلخ وجهه وألقى جسمه إلى النسور وأقسم لا يريم مكانه حتى تمزق السباع والطيور لحمه فأقام حتى لم يبق منه إلا عظامه ثم انصرف
أخبرنا جعفر بن قدامة قال حدثنا أبو حاتم السجستاني قال حدثني
الأصمعي عن سعيد بن سلم عن أبيه قال
قلت لأبي الأبرش مات أبو نخيلة قال حتف أنفه قلت لا بل اغتيل فقتل فقال الحمد لله الذي قطع قلبه وقبض روحه وسفك دمه وأراحني منه وأحياني بعده
وكان أبو نخيلة يهاجي الأبرش فغلبه أبو نخيلة
صوت
(ولقد دخلتُ على الفتاة ... الخِدر في اليوم المطير)
(فدفعتُها فتدافعت ... مشيَ القطاة على الغدير)
فلثمتُها فتنفستَ ... كتنفس الظبي البهير) الشعر للمنخل اليشكري والغناء لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو) وأحمد المكي
تم الجزء العشرون من كتاب الأغاني ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الحادي والعشرون وأوله أخبار المنخل ونسبه
بسم الله الرحمن الرحيم
أخبار المنخل ونسبه
هو المنخل بن عمرو - ويقال المنخل بن مسعود - بن أفلت بن عمرو بن كعب بن سواءة بن غنم بن حبيب بن يشكر بن بكر بن وائل
وذكر أبو محلم النسابة أنه المنخل بن مسعود بن أفلت بن قطن بن سوءة بن مالك بن ثعلبة بن حبيب بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر وقال ابن الأعرابي هو المنخل بن الحارث بن قيس بن عمرو بن ثعلبة بن عدي بن جشم بن حبيب بن كعب بن يشكر
اتهمه النعمان بامرأته المتجردة فقتله
شاعر مقل من شعراء الجاهلية وكان النعمان بن المنذر قد اتهمه بامرأته المتجردة وقيل بل وجده معها وقيل بل سعي به إليه في أمرها فقتله وقيل بل حبسه ثم غمض خبره فلم تعلم له حقيقة إلى اليوم فيقال إنه دفنه حيا ويقال إنه غرقه والعرب تضرب به المثل كما تضربه بالقارظ العنزي
ممن هلك ولم يعلم له خبر وقال ذو الرمة
(تُقارب حتى تُطمِعَ التابعَ الصِّبا ... وليست بأدنى من إياب المنخّل)
وقال النمر بن تولب

(وقَوْلِي إذا ما أطلقوا عن بعيرهم ... تلاقونه حتى يؤوبَ لمنخّلُ)
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرني أحمد بن زهير قال أخبرني عبد الله بن كريم قال أخبرني أبو عمرو الشيباني قال
كان سبب قتل المنخل أن المتجردة - واسمها ملوية وقيل هند بنت المنذر بن الأسود الكلبية - كانت عند ابن عم لها يقال له حلم وهو الأسود بن المنذر بن حارثة الكلبي وكانت أجمل أهل زمانها فرآها المنذر ابن المنذر الملك اللخمي فعشقها فجلس ذات يوم على شرابه ومعه حلم وامرأته المتجردة فقال المنذر لحلم إنه لقبيح بالرجل أن يقيم على المرأة زمانا طويلا حتى لا يبقى في رأسه ولا لحيته شعرة بيضاء إلا عرفتها فهل لك أن تطلق امرأتك المتجردة وأطلق امرأتي سلمى قال نعم فأخذ كل واحد منهما على صاحبه عهدا قال فطلق المنذر امرأته سلمى وطلق حلم امرأته المتجردة فتزوجها المنذر ولم يطلق لسلمى أن تتزوج حلما
وهي أم ابنه النعمان بن المنذر - فقال النابغة الذبياني يذكر ذلك
(قد خادعوا حُلماً عن حرّة خَرِدٍ ... حتى تبطَّنها الخدّاع ذو الحُلُم)
قال ثم مات المنذر بن المنذر فتزوجها بعده النعمان بن المنذر ابنه وكان قصيرا دميما أبرش وكان ممن يجالسه ويشرب معه النابغة الذبياني - وكان جميلا عفيفا - والمنخل اليشكري - وكان جميلا - وكان يتهم بالمتجردة فأما النابغة فإن النعمان أمره بوصفها فقال قصيدته التي أولها
(ِمن آل ميّةَ رائح أو مُغْتدي ... عجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مزوَّد)
ووصفها فأفحش فقال
(وإذا طعنتَ طعنتَ في مستهدِفٍ ... رابي المَجسّة بالعَبير مُقَرمَدِ)
(وإذا نزعتَ نزعتَ عن مستحصِفٍ ... نزع الحَزَوّر بالرشاء المحصَدِ)
فغار المنخل من ذلك وقال هذه صفة معاين فهم النعمان بقتل النابغة حتى هرب منه وخلا المنخل بمجالسته وكان يهوى المتجردة وتهواه وقد ولدت للنعمان غلامين جميلين يشبهان المنخل وكانت العرب تقول إنهما منه فخرج النعمان لبعض غزواته - قال ابن الأعرابي بل خرج متصيدا - فبعثت المتجردة إلى المنخل فأدخلته قبتها وجعلا يشربان فأخذت خلخالها وجعلته في رجله وأسدلت شعرها فشدت خلخالها إلى خلخاله الذي في رجله من شدة إعجابها به ودخل النعمان بعقب ذلك فرآها
تلك الحال فأخذه فدفعه إلى رجل من حرسه من تغلب يقال له عكب وأمره بقتله فعذبه حتى قتله فقال المنخل يحرض قومه عليه
(ألا مَن مبلغ الحيّين عنّي ... بأن القوم قد قتلوا أُبَيّا)
(فإن لم تثأروا لي من عِكَبٍّ ... فلا رَوَّيتُمُ أبدا صَدِيا)
وقال أيضا
(ظلّ وسْط النديّ قتلَى بلا جُرم ... وقومي يُنَتِّجون السِّخالا)
وقال في المتجردة
(دِيارٌ لِلّتي قتلتكَ غصباً ... بلا سيفٍ يُعَدُّ ولا نِبالِ)
(بطَرْفٍ ميِّتٍ في عين حيٍّ ... له خَبَلٌ يزيدُ على الخَبالِ)
وقال أيضا
(ولقد دخلتُ على الفتاة ... الخِدرَ في اليومِ المَطِير)
(الكاعبِ الحسناءِ تر ... فُلَ في الدِّمَقْس وفي الحرير)
(دافعتُها فتدافَعَتْ ... مَشْيَ القطاةِ إلى الغدير)
(ولثمتُها فتنفَّستِ ... كتنفُّسِ الظبيِ البَهير)
(ورنَت وقالت يا مُنَخَّلُ ... هل بجسمك من فتور)
((ما مسَّ جسمي غيرُ حُبِّكَ ... فاهدئي عنّي وسيري)
(يا هندُ هل من نائلٍ ... يا هندِ للعاني الأسير)
(وأُحبُّها وتُحِبُّني ... ويُحِبُّ ناقتَها بعِيري)
(ولقد شربتُ من المُدامَةِ ... بالكبير وبالصغير)
(فإذا سكِرْتُ فإنَّني ... ربُّ الخوَرنَق والسَّدير)
(وإذا صحوتُ فإنَّني ... ربُّ الشُّوَيهةِ والبعير)
(يا رُبَّ يومٍ - للمنخَّل ... قد لها فيه - قصير)
رواية أخرى عن علاقته بالمتجردة وشعره فيها
وأخبرني بخبر المنخل مع المتجردة أيضا علي بن سليمان الأخفش قال
أخبرني أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال
كانت المتجردة امرأة النعمان فاجرة وكانت تتهم بالمنخل وقد ولدت للنعمان غلامين جميلين يشبهان المنخل فكان يقال إنهما منه وكان جميلا وسيما وكان النعمان أحمر أبرش قصيرا دميما وكان للنعمان يوم يركب فيه فيطيل المكث وكان المنخل من ندمائه لا يفارقه وكان يأتي المتجردة في ذلك اليوم الذي يركب فيه النعمان فيطيل عندها حتى إذا جاء النعمان آذنتها بمجيئه وليدة لها موكلة بذلك فتخرجه
فركب النعمان ذات يوم وأتاها المنخل كما كان يأتيها فلاعبته وأخذت قيداً فجعلت إحدى حلقتيه في رجله والأخرى في رجلها وغفلت الوليدة عن ترقب النعمان لأن الوقت الذي يجيء فيه لم يكن قرب بعد وأقبل النعمان حينئذ ولم يطل في مكثه كما كان يفعل فدخل إلى المتجردة فوجدها مع المنخل قد قيدت رجلها ورجله بالقيد فأخذه النعمان فدفعه إلى عكب صاحب سجنه ليعذبه - وعكب رجل من لخم - فعذبه حتى قتله وقال المنخل قبل أن يموت هذه الأبيات وبعث بها إلى ابنيه
(ألا َمن مبلغ الحُرّين عنّي ... بأن القوم قد قتلوا أُبيا)
(وإن لم تثأروا لي من عِكَبٍّ ... فلا أرويتما أبداً صَدِيّا)

(يُطوِّف بي عِكَبٌ في معدٍّ ... ويطعن بالصُّمّلة في قَفَيّا)
قال ابن حبيب وزعم ابن الجصاص أن عمرو بن هند هو قاتل المنخل والقول الأول أصح
وهذه القصيدة التي منها الغناء يقولها في المتجردة وأولها قوله
(إن كنتِ عاذلتي فسيري ... نحوَ العراق ولا تَحوري)
(لا تسألي عن جُلِّ ما ... لي وأذكري كرَمي وخِيري)
(وإذا الرياح تناوحتْ ... بجوانب البيت الكسير)
(ألفيتِني هشَّ النديِّ ... بمرِّ قدِحي أو شجيري)
الشجير القدح الذي لم يصلح حسنا ويقال بل هو القدح العارية
((ونَهى أبو أفعى فقلّدني ... أبو أفعى جريري
(وجُلالة خطّارة ... هوجاءَ جائلةَ الضُّفور)
(تعدو بأشعثَ قد وَهَى ... سِرباله باقي المسير)
(فُضُلاً على ظهر الطريق ... إليك علقمةَ بنَ صير)
(الواهب الكومِ الصّفا ... يا والأوانس في الخُدور)
(يُصفيك حين تجيئه ... بالعَصْب والحَلْي الكثير)
(وفوارسٍ كأُوارِ حرِّ ... النار أحلاسِ الذُّكور)
(شدُّوا دوابرَ بِيضِهم ... في كلّ محكمةِ الفتير)
(فاستلأموا وتَلَبَّبُوا ... ان التلبّب للمغير)
(وعلى الجياد المضمَرا ... ت فوارسٌ مثل الصقور)
(يَخرجن من خَلَل الغبا ... ر يَجِفْن بالنَّعَم الكثير)
(فشفيتُ نفسي من أولئك ... والفوائح بالعبير)
((يرفُلن في المسك الذكيّ ... وصائكٍ كدَم النّحير
(يعكُفن مثل أساود التَّنُّوم ... لم تُعكَف لِزور)
(ولقد دخلتُ على الفتا ... ة الخِدرَ في اليوم المَطير)
(الكاعبِ الحسناءِ تر ... فُلَ في الدِّمَقْس وفي الحرير)
(فدفعتُها فتدافَعَتْ ... مَشْيَ القطاةِ إلى الغدير)
(ولثمتُها فتنفّست ... كتنفُّس الظبي البَهير)
(فدَنَت وقالت يا مُنَخَّلُ ... ما بجسمك من فُتور)
(ما شفَّ جسمي غيرُ حُبِّكِ ... فاهدئي عنّي وسيري)
(ولقد شربتُ من المُدا ... مَةِ وبالصغير وبالكبير)
(ولقد شربتُ الخمر بالخيل ... الإناث وبالذُّكور)
(ولقد شربتُ الخمر بال ... الصحيح وبالأسير)
(فإذا سكِرْتُ فإنَّني ... ربُّ الخوَرْنَق والسَّدير)
(وإذا صحوتُ فإنَّني ... ربُّ الشُّوَيهةِ والبعير)
(يا رُبَّ يومٍ للمنخّل ... قد لها فيه قصير)
(يا هندُ هل من نائلٍ ... يا هند للعاني الأسير)
ومن الناس من يزيد في هذه القصيدة
(وأُحِبُّها وتُحِبُّني ... ويُحِبُّ ناقتَها بعيري)
ولم أجده في رواية صحيحة

صوت

(لِمَن شيخان قد نَشَدا كلابا ... كتابَ الله لو قَبِل الكتابا)
(أناشده فيُعرِض في إباءٍ ... فلا وأبي كلابٍ ما أصابا)
الشعر لأمية بن الأسكر الليثي والغناء لعبد الله بن طاهر رمل بالوسطى صنعه ونسبه إلى لميس جاريته وذكر الهشامي أن اللحن لها وذكره عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في جامع أغانيهم ووقع إلي فقال الغناء فيه للدار الكبيرة وكذلك كان يكني عن أبيه وعن إسحاق بن إبراهيم ابن مصعب وجواريهم ويكني عن نفسه وجاريته شاجي وما يصنع في دور إخوته بالدار الصغيرة

أخبار أمية بن الأسكر ونسبه

هو أمية بن حرثان بن الأسكر بن عبد الله بن سرابيل الموت بن زهرة ابن زيينة بن جندع بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار
شاعر فارس مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وكان من سادات قومه وفرسانهم وله أيام مأثورة مذكورة
وكان له أخ يقال له أبو لاعق الدم وكان من فرسان قومه وشعرائهم وابنه كلاب بن أمية أيضا أدرك النبي فأسلم مع أبيه ثم هاجر إلى النبي فقال أبوه فيه شعرا ذكر أبو عمرو الشيباني أنه هذا الشعر وهو خطأ إنما خاطبه بهذا الشعر لما غزا مع أهل العراق لقتال الفرس وخبره في ذلك يذكر بعد هذا
قال أبو عمرو في خبره فأمره بصلة أبيه وملازمته طاعته
وكان عمر بن الخطاب استعمل كلابا على الأبلة فكان أبواه ينتابانه يأتيه أحدهما في كل سنة ثم أبطآ عليه وكبرا فضعفا عن لقائه فقال أبياتا وأنشدها عمر فرق له ورده إليهما فلم يلبث معهما إلا مدة حتى نهشته أفعى فمات وهذا أيضا وهم من أبي عمرو وقد عاش كلاب حتى ولي لزياد الأبلة ثم استعفى فأعفاه وسأذكر خبره في ذلك وغيره هاهنا إن شاء الله تعالى

شعره لابنه كلاب لما طالت غيبته

فأما خبره مع عمر فإن الحسن بن علي أخبرني به قال حدثني الحارث بن محمد قال حدثني المدائني عن أبي بكر

الهذلي عن الزبيري عن عروة بن الزبير قال
هاجر كلاب بن أمية بن الأسكر إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب فأقام بها مدة ثم لقي ذات يوم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام فسألهما أي الأعمال أفضل في الإسلام فقالا الجهاد فسأل عمر فأغزاه في جيش وكان أبوه قد كبر وضعف فلما طالت غيبة كلاب عنه قال
(لِمَن شيخان قد نشدا كلابا ... كتابَ الله إن قَبِل الكتابا)
(أناديه فيُعرض في إباء ... فلا وأبي كلابٍ ما أصابا)
(إذا سجَعتْ حمامةُ بطن وادٍ ... إلى بَيْضاتها دعَوَا كلابا)
(أتاه مهاجران تكنّفاه ... ففارق شيخه خَطِئا وخابا)
(تركتَ أباك مُرعَشةً يداه ... وأمَّك ما تُسيغ لها شرابا)
(تُمسّح مُهره شفقاً عليه ... وتجنُبه أباعرَها الصعابا)
قال تجنبه وتجنبه واحد من قول الله عز وجل (واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) قال
(فإنك قد تركتَ أباك شيخاً ... يطارق أينُقا شُزُباً طِرابا)
(فإنك والتماسَ الأجر بَعدي ... كباغِي الماءِ يتّبع السرابا)
شعره في استرحام عمر لاسترداد ابنه
فبلغت أبياته عمر فلم يردد كلابا وطال مقامه فأهتر أمية وخلط جزعا عليه ثم أتاه يوما وهو في مسجد رسول الله وحوله المهاجرون والأنصار فوقف عليه ثم أنشأ يقول
(أعاذلَ قد عذَلْتِ بغير قدرٍ ... ولا تدرين عاذلَ ما ألاقي)
(فإمّا كنتِ عاذلتي فَرُدّي ... كِلاباً إذ توجَّه للعراق)
(ولم أقضِ اللُّبانة من كِلابٍ ... غداةَ غدٍ وآذَن بالفِراق)
(فتى الفِتيان في عُسْرٍ ويسرٍ ... شديدُ الرُّكنِ في يوم التلاقِي)
(فلا والله ما باليتَ وَجدي ... ولا شفقي عليكَ ولا اشتياقِي)
(وإبقائي عليكَ إذا شتَونا ... وضمَّك تحت نحري واعتناقي)
(فلو فَلَق الفؤادَ شَدِيدُ وجْدٍ ... لهَمَّ سوادُ قلبي بانفلاقِ)
(سأستعدي على الفاروق ربًّا ... له دُفِعَ الحجيجُ إلى بُساقِ)
((وأدعو الله مجتهداً عليه ... ببطن الأخشَبين إلى دُفاق
(إنِ الفاروقُ لم يردد كلاباً ... الى شيخين هامُهما زَواق)
قال فبكى عمر بكاء شديدا وكتب برد كلاب إلى المدينة فلما قدم دخل إليه فقال ما بلغ من برك بأبيك قال كنت أوثره وأكفيه أمره وكنت أعتمد إذا أردت أن أحلب له لبنا أغزر ناقة في إبله وأسمنها فأريحها وأتركها حتى تستقر ثم أغسل أخلافها حتى تبرد ثم أحتلب له فأسقيه فبعث عمر إلى أمية من جاء به إليه فأدخله يتهادى وقد ضعف بصره وانحنى فقال له كيف أنت يا أبا كلاب قال كما تراني يا أمير المؤمنين قال فهل لك من حاجة قال نعم أشتهي أن أرى كلابا فأشمه شمة وأضمه ضمة قبل أن أموت فبكى عمر ثم قال ستبلغ من هذا ما تحب إن شاء الله تعالى ثم أمر كلابا أن يحتلب لأبيه ناقة كما كان يفعل ويبعث إليه بلبنها ففعل فناوله عمر الإناء وقال دونك هذا يا أبا كلاب فلما أخذه وأدناه إلى فمه قال لعمر والله يا أمير المؤمنين إني لأشم رائحة يدي كلاب من هذا الإناء فبكى عمر وقال هذا كلاب عندك حاضرا قد جئناك به فوثب إلى ابنه وضمه إليه وقبله وجعل عمر يبكي ومن حضره وقال لكلاب الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا ثم شأنك بنفسك بعدهما وأمر له بعطائه وصرفه مع أبيه فلم يزل معه مقيما حتى مات أبوه
أصيبت إبله بالهيام فأخرجه قومه
ونسخت من كتاب أبي سعيد السكري أن أمية كانت له إبل هائمة - أي أصابها الهيام وهو داء يصيب الإبل من العطش - فأخرجته بنو بكر مخافة أن يصيب إبلهم فقال لهم يا بني بكر إنما هي ثلاث ليال ليلة بالبقعاء وليلة بالفرع وليلة بلقف في سامر من بني بكر فلم ينفعه ذلك وأخرجوه فأتى مزينة فأجاروه وأقام عندهم إلى أن صحت إبله وسكنت فقال يمدح مزينة
(تكنّفها الهُيامِ وأخرجوها ... فما تأوي إلى إبل صِحاحِ)
(فكان إلى مُزَينةَ منتهاها ... على ما كان فيها من جُناح)
(وما يكن الجُناحُ فإنّ فيها ... خلائقَ ينتمين إلى صلاح)
(ويوما في بني ليث بن بكرٍ ... تُراعى تحت قعقعة الرماح)
(فإمَّا أُصبِحَنْ شيخاً كبيراً ... وراء الدار يُثقِلِني سلاحي)
(فقد آتي الصريخ إذا دعاني ... على ذي مَنْعة عَتِدٍ وَقاح)
(وشرٌّ أخي مؤامرةٍ خَذولٌ ... على ما كان مؤتِكلٌ ولاح)
عمِّر حتى خرف وسُخِر منه
أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن عبد الله الحزنبل عن عمرو بن أبي
عمرو الشيباني عن أبيه وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أبو توبة عن أبي عمرو قال عمر أمية بن الأسكر عمرا طويلا حتى خرف فكان ذات يوم جالسا في نادي قومه وهو يحدث نفسه إذ نظر إلى راعي ضأن لبعض قومه يتعجب منه فقام لينهض فسقط على وجهه فضحك الراعي منه وأقبل ابناه إليه فلما رآهما أنشأ يقول
(يا بْنَي أمية إني عنكما غانٍ ... وما الغنى غير أني مُرعَشٌ فانِ)
(يابْنَي أمية إلّا تحفظا كِبَري ... فإنما أنتما والثُّكْلُ سِيّانِ)
(هل لكما في تُراثٍ تذهبان به ... إن التراثَ لِهَيّان بن بَيّان)
- يقال هيان بن بيان وهي ترى للقريب والبعيد -
(أصبحت هُزْءاً لراعي الضأن يَسخَر بي ... ماذا يَريبك مِنّي راعيَ الضّان)
(اعجَبْ لغيرِيَ إني تابع سلفي ... أعمامَ مجد وأجدادي وإخواني)
(وانعَقْ بضأنك في أرض تُطِيف بها ... بين الأساف وأنتجها بِجِلْذان)

- جلذان موضع بالطائف -
(ببلدة لا ينام الكالئان بها ... ولا يقَرُّ بها أصحابُ ألوان)
إعجاب الإمام علي بشعره
وهذه الأبيات تمثل بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في خطبة له على المنبر بالكوفة
حدثنا بها أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري
قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن أبي رجاء قال حدثنا إبراهيم بن سعد قال قال عبد الله بن عدي بن الخيار شهدت الحكمين ثم أتيت الكوفة وكانت لي إلى علي عليه السلام حاجة فدخلت عليه فلما رآني قال مرحبا بك يابن أم قتال أزائرا جئتنا أم لحاجة فقلت كل جاء بي جئت لحاجة وأحببت أن أجدد بك عهدا وسألته عن حديث فحدثني على ألا أحدث به واحدا فبينا أنا يوما بالمسجد في الكوفة إذا علي صلوات الله عليه متنكب قرنا له فجعل يقول الصلاة جامعة وجلس على المنبر فاجتمع الناس وجاء الأشعث بن قيس فجلس إلى جانب المنبر فلما اجتمع الناس ورضي منهم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنكم تزعمون أن عندي من رسول الله ما ليس عند الناس ألا وإنه ليس عندي إلا ما في قرني هذا ثم نكت كنانته فأخرج منها صحيفة فيها المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم من احدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فقال له الأشعث بن قيس هذه والله عليك لا لك دعها تترحل فخفض علي - صلوات الله عليه - إليه بصره وقال ما يدريك ما علي مما لي عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين حائك ابن حائك منافق ابن منافق كافر ابن كافر والله لقد
الإسلام مرة والكفر مرة فما فداك من واحد منهما حسبك ولا مالك ثم رفع إلي بصره فقال يا عبيد الله
(أصبحتُ قِنًّا لراعي الضأن يلعب بي ... ماذا يَريبك منّي راعيَ الضان)
فقلت بأبي أنت وأمي قد كنت والله أحب أن أسمع هذا منك قال هو والله ذلك قال
(فما قِيلَ لي من بعدها من مقالة ... ولا عَلِقتْ مني جديدا ولا دَرْسا)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحارث عن المدائني قال
لما مات أمية بن الأسكر عاد ابنه كلاب إلى البصرة فكان يغزو مع المسلمين منها مغازيهم وشهد فتوحات كثيرة وبقي إلى أيام زياد فولاه الأبلة فسمع كلاب يوما عثمان بن أبي العاص يحدث أن داود نبي الله - عليه السلام - كان يجمع أهله في السحر فيقول ادعوا ربكم فإن في السحر ساحة لا يدعو فيها عبد مؤمن إلا غفر له إلا أن يكون عشارا أو عريفا فلما سمع ذلك كلاب كتب إلى زياد فاستعفاه من عمله فأعفاه
قال المدائني ولم يزل كلاب بالبصرة حتى مات والمربعة المعروفة بمربعة كلاب بالبصرة منسوبة إليه
وقال أبو عمرو الشيباني كان بين بني غفار قومه وبني ليث حرب فظفرت بنو ليث بغفار فحالف رحضة بن خزيمة بن خلاف بن حارثة بن
وقومه جميعا بني أسلم بن أفصى بن خزاعة فقال أمية بن الأسكر في ذلك وكان سيد بني جندع بن ليث وفارسهم
(لقد طِبْتَ نفساً عن مواليك يا رَحْضا ... وآثرتَ أذنابَ الشوائل والحمضا)
(تُعللنا بالنّصر في كل شتوة ... وكلّ ربيع أنت رافضنا رفضا)
(فلولا تأسّينا وحدُّ رماحنا ... لقد جلاّ قومٌ لحمنا تَرباً قَضّا)
- القض والقضيض الحصا الصغار -
تمثل عبد الله بن الزبير بشعره
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا مصعب بن عبد الله عن أبيه قال
افتعل عمرو بن الزبير كتابا عن معاوية إلى مروان بن الحكم بأن يدفع إليه مالا فدفعه إليه فلما عرف معاوية خبره كتب إلى مروان بأن يحبس عمرا حتى يؤدي المال فحبسه مروان وبلغ الخبر عبد الله بن الزبير فجاء إلى مروان وسأله عن الخبر فحدثه به فقال ما لكم في ذمتي فأطلق عمرا وأدى عبد الله المال عنه وقال والله إني لأؤديه عنه وإني لأعلم أنه غير شاكر ثم تمثل قول أمية بن الأسكر الليثي
(فلولا تأسّينا وحدّ رماحنا ... لقد جرّ قوم لحمنا تَربا قَضّا)
وقال ابن الكلبي حدثنا بعض بني الحارث بن كعب قال
سيدان يخطبان ابنة له جميلة
اجتمع يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطفيل بموسم عكاظ فقدم أمية بن الأسكر ومعه بنت له من أجمل أهل زمانها فخطبها يزيد وعامر فقالت أم كلاب امرأة أمية من هذان الرجلان قال هذا ابن الديان وهذا عامر بن الطفيل قالت أعرف ابن الديان ولا أعرف عامرا قال هل سمعت بملاعب الأسنة قالت نعم والله قال فهذا ابن أخيه
وأقبل يزيد فقال يا أمية أنا ابن الديان صاحب الكثيب ورئيس
مذحج ومكلم العقاب ومن كان يصوب أصابعه فتنطف دما ويدلك راحتيه فتخرجان ذهبا قال أمية بخ بخ
فقال عامر جدي الأحزم وعمي أبو الأصبع وعمي ملاعب الأسنة وجدي الرحال وأبي فارس قرزل قال أمية بخ بخ مرعى ولا كالسعدان فأرسلها مثلا
فقال يزيد يا عامر هل تعلم شاعرا من قومي رحل بمدحه إلى رجل من قومك قال لا قال فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدحهم إلى قومي قال نعم قال فهل لك نجم يمان أو برد يمان أو سيف يمان أو ركن يمان فقال لا قال فهل ملكناكم ولم تملكونا قال نعم فنهض يزيد وقام ثم قال
(أُمَيّ يابنَ الأسكر بن مُدلج ... لا تجعلَنْ هوازنا كَمذحِجِ)
(إنك إن تلهج بأمر تلجَجِ ... ما النّبع في مغرسه كالعَوْسج)
(... ولا الصّريحُ المحضُ كالممزَّج)
وقال مرة بن دودان العقيلي وكان عدوا لعامر بن الطفيل
((يا ليت شعري عنك يا يزيدُ ... ماذا الذي من عامر تريدُ)
(لكلّ قوم فخرُهم عتيدُ ... أمُطلَقون نحن أم عبيدُ)
(... لا بل عَبيدٌ زادنا الهَبيد)
فزوج أمية يزيد فقال يزيد في ذلك

(يا للرَجال لطارق الأحزان ... ولعامر بن طفيلٍ الوسنانِ)
(كانت إتاوةُ قومه لمحرِّق ... زمناً وصارت بعدُ للنعمان)
(عَدِّ الفوارسَ من هوازن كلّهَا ... كثفْا عليّ وجئتُ بالديان)
(فإذا ليَ الفضلُ المبينُ بوالدٍ ... ضخم الدَّسِيعة أزأنيٍّ ويمان)
(يا عامِ إنك فارسٌ متهوّرٌ ... غضٌّ الشباب أخو نَديً وقِيان)
(واعلم بأنك يابن فارس قُرْزُل ... دون الذي تسمو له وتُداني)
(ليستْ فوارسُ عامرٍ بمُقِرَّةٍ ... لك بالفضيلة في بني عَيْلان)
(فإذا لقيتَ بني الخميس ومالكاً ... وبني الضِّباب وحيَّ آل قنان)
(فاسأل مَن المرءُ المنَوَّه باسمه ... والدافعُ الأعداء عن نَجران)
(يُعطَى المَقادةَ في فوارس قومِه ... كرما لعمرك والكريم يمان)
فقال عامر بن الطفيل مجيبا له
(يا للرجال لطارقِ الأحزانِ ... ولما يجيء به بنو الدّيانِ)
(فخروا عليَّ بِحَبْوةٍ لمحرِّق ... وإتاوةٍ سلفت من النعمان)
(ما أنت وابنِ محرقٍ وقبيلَه ... وإتاوةَ اللخميِّ في عَيْلانِ)
((فاقصِد بذَرْعِك قَصْدَ أمرك قصده ... ودع القبائل من بني قحطان
(إذ كان سالفُنا الإتاوة فيهم ... أولى ففخرك فخر كل يمان)
(وافخر بِرَهط بني الحَماس ومالك ... وابن الضِّباب وزعبل وقيان)
(وأنا المنخل وابنُ فارس قُرْزُلٍ ... وأبو نزارٍ زانني ونماني)
(وإذا تعاظمت الأمور موازنا ... كنتُ المنوّهَ باسمه والثاني)
فلما رجع القوم إلى بني عامر وثبوا على مرة بن دودان وقالوا أنت شاعر بني عامر ولم تهج بني الديان فقال
(تكلّفني هوازنُ فخْرَ قومٍ ... يقولون الأنامُ لنا عبيدُ)
(أبوهم مَذْحِج وأبو أبيهم ... إذا ما عُدّت الآباءُ - هودُ)
(وهل لي إن فخَرتُ بغير فخر ... مقالٌ والأنام لهم شهود)
(فإنّا لم نزل لهمُ قطينا ... تجيء إليهمُ منا الوفود)
(فإنّا نضرب الأحلام صفحا ... عن العلياء أو من ذا يكيد)
(فقولوا يا بني عَيلان كنا ... قِنّاً وما عنكم محيد)
وهذا الخبر مصنوع من مصنوعات ابن الكلبي والتوليد فيه بين وشعره شعر ركيك غث لا يشبه أشعار القوم وإنما ذكرته لئلا يخلو الكتاب من شيء قد روي

شعره في يوم المريسيع

وقال محمد بن حبيب فيما روى عنه أبو سعيد السكري ونسخته من كتابه قال أبو عمرو الشيباني
أصيب قوم من بني جندع بن ليث بن بكر بن هوازن رهط أمية بن
الأسكر يقال لهم بنو زبينة أصابهم أصحاب النبي يوم المريسيع في غزوته بني المصطلق وكانوا جيرانه يومئذ - ومعهم ناس من بني لحيان من هذيل ومع بني جندع رجل من خزاعة يقال له طارق فاتهمه بنو ليث بهم وأنه دل عليهم وكانت خزاعة مسلمها ومشركها يميلون إلى النبي على قريش فقال أمية بن الأسكر لطارق الخزاعي
(لعمرك إني والخزاعيُّ طارقا ... كنَعجة عادٍ حتفهَا تتحفّر)
(أثارت عليها شَفرةً بِكُراعِها ... فظلّت بها من آخر الليل تجزَر)
(شَمِتَّ بِقومٍ هم صديقك أُهلِكوا ... أصابهمُ يوم من الدهر أعسر)
(كأنك لم تُنبأْ بيوم ذُؤالة ... ويومِ الرّجيع إذ تنحّر حبتر)
(فهلاّ أباكم في هذيل وعمَّكم ... ثأرتُمْ وهمْ أعدى قلوبا وأوتر)
(ويومِ الأراك يوم أُردِف سبيكم ... صميمُ سَراة الدَّيل عبدٌ ويعمرُ)
(وسعد بن ليث إذ تُسلُّ نساؤكم ... وكلب بن عوف نحرّوكم وعقّروا)
(عجبت لشيخ من ربيعةَ مُهْتَرٍ ... أُمِرّ له يومٌ من الدهر منكَر)
فأجابه طارق الخزاعي فقال
(لعمرك ما أدري وإني لقائل ... ألى أيِّ مَن يظُنّني أتعذّر)
((أُعنِّف أنْ كانت زبينة أُهلكت ... ونال بني لحيان شرّ ونُفّروا
وهذه الأبيات الابتداء والجواب تمثل بابتدائها ابن عباس في رسالة إلى معاوية وتمثل بجوابها معاوية في رسالة أجابه بها
حدثني بذلك أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجلي العطار بالكوفة قال حدثنا الحسين بن نصر بن مزاحم المنقري قال حدثنا زيد بن المعذل النمري قال حدثنا يحيى بن شعيب الخراز قال حدثنا أبو مخنف قال
لما بلغ معاوية مصاب أمير المؤمنين علي - عليه السلام - دس رجلا من بني القين إلى البصرة يتجسس الأخبار ويكتب بها إليه فدل على القيني بالبصرة في بني سليم فأخذ وقتل
وكتب ابن عباس من البصرة إلى معاوية
أما بعد فإنك ودسك أخا بني القين إلى البصرة تلتمس من غفلات قريش مثل الذي ظفرت به من يمانيتك لكما قال الشاعر
(لعمرك إني والخزاعيَّ طارقا ... كنَعجة عادٍ حتفهَا تتحفّر)
(أثارت عليها شَفرةً بكُراعِها ... فظلّت بها من آخر الليل تجزَرُ)
(شَمِتَّ بقومٍ هم صديقك أُهلِكوا ... أصابهمُ يوم من الدهر أمعر)
فأجابه معاوية أما بعد فإن الحسن قد كتب إلي بنحو مما كتبت به وأنبتني بما لم أجن ظنا وسوء رأي وإنك لم تصب مثلنا ولكن مثلنا ومثلكم كما قال طارق الخزاعي
(فوالله ما أدري وإني لصادق ... إلى أيِّ من يَظنُّني أتعذَّر)

(أعنَّف أنْ كانتَ زينبةُ أهلِكت ... ونال بني لِحيان شرّ ونُفِّروا)

صوت

(أبُنيّ إني قد كبِرتُ ورابني ... بَصري وفِيّ لمُصلحٍ مستمَتعُ)
(فلئن كبِرتُ لقد دنوتُ من البلى ... وحلّتْ لكم منّي خَلائقُ أربع)

عروضه من الكامل والشعر لعبدة بن الطبيب والغناء لابن محرز ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالبنصر في مجراها عن إسحاق وفيه لمعبد خفيف ثقيل أول بالبنصر في مجراها عنه أيضا

نسب عبدة بن الطبيب وأخباره

هو فيما ذكر ابن حبيب عن ابن الأعرابي وأبو نصر أحمد بن حاتم عن الأصمعي وأبي عمرو الشيباني وأبي فروة العكلي عبدة بن الطبيب والطبيب اسمه يزيد بن عمرو بن وعلة بن أنس بن عبد الله بن عبد تيم بن جشم بن عبد شمس ويقال عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم

وقال ابن حبيب خاصة وقد أخبرني أبو عبيدة قال

تميم كلها كانت في الجاهلية يقال لها عبد تيم وتيم صنم كان لهم يعبدونه

أجاد الشعر ولم يكثر

وعبدة شاعر مجيد ليس بالمكثر وهو مخضرم أدرك الإسلام فأسلم وكان في جيش النعمان بن المقرن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن وقد ذكر ذلك في قصيدته التي أولها

(هل حَبلُ خَوْلَة بعد الهَجر موصولُ ... أم أنت عنها بَعيدُ الدار مشغولُ)
((حلّت خُويْلة في دارٍ مجاورةً ... أهلَ المدينة فيها الديك والفيل
(يقارعون رؤوس العُجْم ضاحيةً ... منهم فوارس لا عُزْلٌ ولا مِيل)

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال

أرثى بيت قالته العرب قول عبدة بن الطبيب

(فما كان قيس هُلكهُ هُلكَ واحدٍ ... ولكنه بُنيانُ قوم تهدَّما)

وتمام هذه الأبيات أنشدناه علي بن سليمان الأخفش عن السكري والمبرد والأحول لعبدة يرثي قيسا

(عليك سلامُ الله قيسَ بنَ عاصم ... ورحمتُه ما شاء أن يترحّما)
(تحيةَ من أوليتَه منك نعمةً ... إذا زار عن شَحْطٍ بلادَك سلّما)
(وما كان قيس هُلكهُ هلكَ واحد ... ولكنه بُنيانُ قوم تهدَّما)

كان يترفع عن الهجاء ويراه ضعة

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو عثمان الأشنانداني عن التوزي عن أبي عبيدة عن يونس قال

قال رجل لخالد بن صفوان كان عبدة بن الطبيب لا يحسن أن يهجو فقال لا تقل ذاك فوالله ما أبى من عي ولكنه كان يترفع عن الهجاء ويراه ضعة كما يرى تركه مروءة وشرفا قال

((وأجرأ من رأيتُ بِظَهْرِ غيبٍ ... على عيب الرجال أولوا العيوب

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي أن عبد الملك بن مروان قال يوما لجلسائه

أي المناديل أشرف فقال قائل منهم مناديل مصر كأنها غرقىء البيض وقال آخرون مناديل اليمن كأنها نور الربيع فقال عبد الملك مناديل أخي بني سعد عبدة بن الطبيب قال

(لمّا نزلنا نصبنا ظلّ أخبيةٍ ... وفارَ لِلقوم باللحم المراجيلُ)
(وَرْدٌ وأشقرُ ما يؤنيه طابخهُ ... ما غيَّر الغليُ منه فهو مأكول)
(ثُمّتَ قمنا إلى جُرْدٍ مُسوَّمةٍ ... أعرافُهنّ لأيدينا مناديل)

يعني بالمراجيل المراجل فزاد فيها الياء ضرورة

صوت

(إنِ الليالي أسرعَت في نقضي ... أخذن بعَضِي وتركن بَعْضِي)
(حَنَيْنَ طُولي وطَوَيْن عَرْضِي ... أقعدنني من بعد طول نهض)

عروضه من الرجز الشعر للأغلب العجلي والغناء لعمرو بن بانة هزج بالبنصر

أخبار الأغلب ونسبه

هو فيما ذكر ابن قتيبة الأغلب بن جشم بن سعد بن عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل

وهو أحد المعمرين عمر في الجاهلية عمرا طويلا وأدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه وهاجر ثم كان فيمن توجه إلى الكوفة مع سعد بن أبي وقاص فنزلها واستشهد في وقعة بنهاوند فقبره هناك في قبور الشهداء

هو أول من رجز الأراجيز من العرب

ويقال إنه أول من رجز الأراجيز الطوال من العرب وإياه عن الحجاج بقوله مفتخرا

(...إني أنا الأغلب أمسى قد نشد)

قال ابن حبيب كانت العرب تقول الرجز في الحرب والحداء والمفاخرة وما جرى هذا المجرى فتأتي منه بأبيات يسيرة فكان الأغلب أول من قصد الرجز ثم سلك الناس بعده طريقته

أخبرنا الفضل بن الحباب الجمحي أبو خليفة في كتابه إلينا قال أخبرنا محمد بن سلام قال حدثنا الأصمعي وأخبرنا أحمد بن محمد أبو الحسن الأسدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا معمر بن عبد الوارث عن أبي عمرو بن العلاء قال

كانت للأغلب سرحة يصعد عليها ثم يرتجز

(قد عرَفَتْني سرْحتي فأطَّتِ ... وقد شَمِطتُ بعدها واشمطَّتِ)

فاعترضه رجل من بني سعد ثم أحد بني الحارث بن عمرو بن كعب ابن سعد فقال له

أنشد من شعر الجاهلية فأنقص عمر عطاءه

(قَبُحتَ من سالِفةٍ ومن قفا ... عبدٌ إذا ما رسب القوم طفا)
(...كما شِرار الرَّعْي أطرافُ السّفَى)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن عباد بن حبيب المهلبي قال حدثني نصر بن ناب عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال
كتب عمر بن الخطاب إلى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة أن استنشد من قبلك من شعراء قومك ما قالوا في الإسلام فأرسل إلى الأغلب العجلي فاستنشده فقال
(لقد سألتَ هيِّناً موجودا ... أرجَزاً تريد أم قصيدا)
ثم أرسل إلى لبيد فقال له إن شئت مما عفا الله عنه يعني الجاهلية فعلت قال لا أنشدني ما قلت في الإسلام فانطلق لبيد فكتب سورة البقرة في صحيفة وقال أبدلني الله عز وجل بهذه في الإسلام مكان الشعر
فكتب المغيرة بذلك إلى عمر فنقص عمر من عطاء الأغلب خمسمائة وجعلها في عطاء لبيد فكتب إلى عمر يا أمير المؤمنين أتنقص عطائي أن أطعتك فرد عليه خمسمائة وأقر عطاء لبيد على ألفين وخمسمائة
أخبرني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال
حدثنا محمد بن حاتم قال حدثنا علي بن القاسم عن الشعبي قال
دخل الأغلب على عمر فلما رآه قال هيه أنت القائل
(أرجَزاً تريد أم قصيدًا ... لقد سألتَ هيِّناً موجودا)
فقال يا أمير المؤمنين إنما أطعتك فكتب عمر إلى المغيرة أن أردد عليه الخمس المائة وأقر الخمس المائة للبيد
شعره في سجاح حين تزوجت مسيلمة الكذاب
أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال قال الأغلب العجلي في سجاح لما تزوجت مسيلمة الكذاب
(لقد لقيتْ سجاح من بعد العمى ... مُلَوَّحاً في العين مجلود القَرا)
(مثل العَتيق في شبابٍ قد أتى ... من اللُّجَيْميين أصحابِ القِرَى)
(ليس بذي واهنةٍ ولا نَسا ... نشا بلحم وبخبز ما اشترى)
(حتى شتا يَنتح ذِفراه الندى ... خاظي البَضيعِ لحمهُ خظابظا)
(كأنما جمَّع من لحم الخُصى ... إذا تمطّي بين بُرديه صأى)
(كأنَّ عِرق أيره إذا ودى ... حبلُ عجوز ضفِّرت سبعَ قُوى)
(يمشي على قوائمٍ خمس زَكا ... يرفع وُسطاهنّ من بَرد النَّدى)
(قالت متى كنت أبا الخير متى ... قال حديثا لم يغيِّرني البِلى)
(ولم أفارق خُلَّة لي عن قِلَى ... فانتُسفتْ فيشتُه ذاتُ الشَّوى)
(كأن في أجلادها سبعَ كُلَى ... ما زال عنها بالحديث والمُنى)
(والخلُق السَّفسافِ يُردي في الردى ... قال ألا ترَينَه قالت أرى)
(قال ألا أدخله قالت بلى ... فشام فيها مثلَ محارِث الغضى)
(يقول لما غاب فيها واستوى ... لمِثلها كنتُ أُحسِّيك الحَسا)
من أخبار سجاح
وكان من خبر سجاح وادعائها النبوة وتزويج مسيلمة الكذاب إياها ما أخبرنا به إبراهيم بن النسوي يحيى عن أبيه عن شعيب عن سيف
أن سجاح التميمية ادعت النبوة بعد وفاة رسول الله واجتمعت عليها بنو تميم فكان فيما ادعت أنه أنزل عليها يأيها المؤمنون المتقون لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يبغون
واجتمعت بنو تميم كلها إليها لتنصرها وكان فيهم الأحنف بن قيس وحارثة بن بدر ووجوه تميم كلها
وكان مؤذنها شبيب بن ربعي الرياحي فعمدت في جيشها إلى مسيلمة الكذاب وهو باليمامة وقالت يا معشر تميم اقصدوا اليمامة فاضربوا فيها كل هامة وأضرموا فيها نارا ملهامة حتى تتركوها سوداء كالحمامة
وقالت لبني تميم إن الله لم يجعل هذا الأمر في ربيعة وإنما جعله في مضر فاقصدوا هذا الجمع فإذا فضضتموه كررتم على قريش فسارت في قومها وهم الدهم الداهم وبلغ مسيلمة خبرها فضاق بها ذرعا وتحصن في حجر حصن اليمامة وجاءت في جيوشها فأحاطت به فأرسل إلى وجوه قومه وقال ما ترون قالوا نرى أن نسلم هذا الأمر إليها وتدعنا فإن لم نفعل فهو البوار
وكان مسيلمة ذا دهاء فقال سأنظر في هذا الأمر ثم بعث إليها إن الله تبارك وتعالى أنزل عليك وحيا وأنزل علي فهلمي نجتمع فنتدارس ما أنزل الله علينا فمن عرف الحق تبعه واجتمعنا فأكلنا العرب أكلا بقومي وقومك
فبعثت إليه أفعل فأمر بقبة أدم فضربت وأمر بالعود المندلي فسجر فيها وقال أكثروا من الطيب والمجمر فإن المرأة إذا شمت رائحة الطيب ذكرت الباه ففعلوا ذلك
وجاءها رسوله يخبرها بأمر القبة المضروبة للاجتماع فأتته فقالت هات ما أنزل عليك فقال ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج منها نطفة تسعى بين صفاق وحشا من بين ذكر وأنثى وأموات وأحيا ثم إلى ربهم يكون المنتهى قالت وماذا قال ألم تر أن الله خلقنا أفواجا وجعل النساء لنا أزواجا فنولج فيهن الغراميل إيلاجا ونخرجها منهن إذا شئن إخراجا قالت فبأي شيء أمرك قال
(ألا قومي إلى النَّيكِ ... فقد هُيِّي لك المضجعْ)
(فإن شئتي ففي البيت ... وإن شئتي ففي المُخدعْ)
(وإن شئتي سلقناك ... وإن شئتي على أربعْ)
(وإن شئتي بثلثيه ... وإن شئتي به أجمعْ)
قال فقالت لا إلا به أجمع قال فقال كذا أوحى الله إلي فواقعها فلما قام عنها قالت إن مثلي لا يجري أمرها هكذا فيكون وصمة على قومي وعلي ولكني مسلمة النبوة إليك فاخطبني إلى أوليائي يزوجوك ثم أقود تميما معك
فخرج وخرجت معه فاجتمع الحيان من حنيفة وتميم فقالت لهم سجاح إنه قرأ علي ما أنزل عليه فوجدته حقا فاتبعته ثم خطبها فزوجوه إياها وسألوه عن المهر فقال قد وضعت عنكم صلاة العصر فبنو تميم إلى الآن بالرمل لا يصلونها ويقولون هذا حق لنا ومهر كريمة منا لا نرده قال وقال شاعر من بني تميم يذكر أمر سجاح في كلمة له
(أضحَتْ نَبِيّتنا أنثى نطيف بها ... وأصبحت أنبياءُ الله ذُكْرانا)

قال وسمع الزبرقان بن بدر الأحنف يومئذ وقد ذكر مسيلمة وما تلاه عليهم فقال الأحنف والله ما رأيت أحمق من هذا النبي قط فقال الزبرقان والله لأخبرن بذلك مسيلمة قال إذا والله أحلف أنك كذبت فيصدقني ويكذبك قال فأمسك الزبرقان وعلم أنه قد صدق
قال وحدث الحسن البصري بهذا الحديث فقال أمن والله أبو بحر من نزول الوحي قال فأسلمت سجاح بعد ذلك وبعد قتل مسيلمة وحسن إسلامها
صوت
(كم ليلةٍ فيكِ بِتُّ أسهرها ... ولوعةٍ من هواكِ أُضمِرُها)
(وحُرقةٍ والدموعُ تُطفئها ... ثم يعود الجوى فيُسعِرها)
((بيضاءِ رودِ الشباب قد غُمِست ... في خَجلٍ دائبٍ يعصفرها
(الله جارٌ لها فما امتلأت ... عيناي إلا من حيثُ أُبصِرُها)
الشعر للبحتري والغناء لعريب رمل مطلق من مجموع أغانيها وهو لحن مشهور في أيدي الناس والله أعلم
أخبار البحتري ونسبه
هو الوليد بن عبيد الله بن يحيى بن عبيد بن شملال بن جابر بن سلمة بن مسهر بن الحارث بن خيثم بن أبي حارثة بن جدي بن تدول بن بحتر بن عتود بن عثمة بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن جلهمة وهو طيىء بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان
هجاؤه جيد على ندرته
ويكنى أبا عبادة شاعر فاضل فصيح حسن المذهب نقي الكلام مطبوع كان مشايخنا رحمة الله عليهم يختمون به الشعراء وله تصرف حسن فاضل نقي في ضروب الشعر سوى الهجاء فإن بضاعته فيه نزرة وجيده منه قليل وكان ابنه أبو الغوث يزعم أن السبب في قلة بضاعته في هذا الفن أنه لما حضره الموت دعابه وقال له اجمع كل شيء قلته في الهجاء ففعل فأمره بإحراقه ثم قال له يا بني هذا شيء قلته في وقت فشفيت به غيظي وكافأت به قبيحا فعل بي وقد أنقضى أربي في ذلك وإن بقي روي وللناس أعقاب يورثونهم العداء والمودة
وأخشى أن يعود عليك من هذا شيء في نفسك أو معاشك لا فائدة لك ولي فيه قال فعلمت أنه قد نصحني وأشفق علي فأحرقته
أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش عن أبي الغوث
وهذا كما قال أبو الغوث لا فائدة لك ولا لي فيه لأن الذي وجدناه وبقي في أيدي الناس من هجائه أكثره ساقط مثل قوله في ابن شير زاد
(نفقْتَ نُفُوق الحمار الذَّكَرْ ... وبان ضُراطُك عنا فمُرْ)
ومثل قوله في علي بن الجهم
(ولو أعطاك ربُّك ما تمَنَّى ... لزادك منه في غِلَظ الأيور)
(عَلامَ طَفِقْتَ تهجوني مليًّا ... بما لفَقَّت من كذبٍ وزُورِ)
وأشباه لهذه الأبيات ومثلها لا يشاكل طبعه ولا تليق بمذهبه وتنبىء بركاكتها وغثاثة ألفاظها عن قلة حظه في الهجاء وما يعرف له هجاء جيد إلا قصيدتان إحداهما قوله في ابن أبي قماش
(مرّت على عَزْمِها ولم تقفِ ... مُبديةً للشِّنان والشَّنَفِ)
يقول فيها لابن أبي قماش
((قد كان في الواجب المُحقّق أن ... تعرف ما في ضميرها النّطفِ
(بما تَعاطَيتَ في العيوب وما ... أُوتيت من حكمة ومن لَطَفِ)
(أمَا رأيت المرّيخَ قد مازج الزّهرة ... في الجدّ منه والشّرَفِ)
(وأخبرتك النّحوسُ أنكما ... في حالتي ثابت ومُنْصَرِفِ)
(من أين أعملت ذا وأنت على ... التَّقْويم والزِّيج جِدُّ مُنْعكفِ)
(أما زجرتَ الطّير العلا أو تَعَيَّفْت ... المها أو نظرت في الكَتِفِ)
(رذُلت في هذه الصناعةِ أو ... أكديتَ أو رمتها على الخَرَفِ)
(لم تَخْطُ باب الدّهليز منصرفاً ... إلا وخَلخالُها مع الشَّنَفِ)
وهي طويلة ولم يكن مذهبي ذكرها إلا للإخبار عن مذهبه في هذا الجنس وقصيدته في يعقوب بن الفرج النصراني فإنها وإن لم تكن في أسلوب هذه وطريقتها تجري مجرى التهكم باللفظ الطيب الخبيث المعاني وهي
(تظنّ شُجُوني لم تَعْتَلِجْ ... وقد خلج البَيْنُ من قد خَلَجْ)
وكان البحتري يتشبه بأبي تمام في شعره ويحذو مذهبه وينحو نحوه في البديع الذي كان أبو تمام يستعمله ويراه صاحبا وإماما ويقدمه على نفسه ويقول في الفرق بينه وبينه قول مصنف إن جيد أبي تمام خير من جيده ووسطه ورديئه خير من وسط أبي تمام ورديئه وكذا حكم هو على نفسه
من أشعر هو أو أبو تمام
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن علي الباقطاني قال
قلت للبحتري أيما أشعر أنت أو أبو تمام فقال جيده خير من جيدي ورديئي خير من رديئه
حدثني محمد بن يحيى قال حدثني أبو الغوث يحيى بن البحتري قال
كان أبي يكنى أبا الحسن وأبا عبادة فأشير علي في أيام المتوكل بأن أقتصر على أبي عبادة فإنها أشهر فاقتصرت عليها
حدثني محمد قال
سمعت عبد الله بن الحسين بن سعد يقول للبحتري وقد اجتمعنا في دار عبد الله بالخلد وعنده المبرد في سنة ست وسبعين ومائتين وقد أنشد البحتري شعرا لنفسه قد كان أبو تمام قال في مثله أنت والله أشعر من أبي تمام في هذا الشعر قال كلا والله إن أبا تمام للرئيس والأستاذ والله ما أكلت الخبز إلا به فقال له المبرد لله درك يا أبا الحسن فإنك تأبى إلا شرفا من جميع جوانبك
حدثني محمد قال حدثني الحسين بن إسحاق قال

قلت للبحتري إن الناس يزعمون أنك أشعر من أبي تمام فقال والله ما ينفعني هذا القول ولا يضر أبا تمام والله ما أكلت الخبز إلا به ولوددت أن الأمر كان كما قالوا ولكني والله تابع له آخذ منه لائذ به نسيمي يركد عند هوائه وأرضي تنخفض عند سمائه
حدثني محمد بن يحيى قال حدثني سوار بن أبي شراعة عن
البحتري قال وحدثني أبو عبد الله الألوسي عن علي بن يوسف عن البحتري قال
كان أول أمري في الشعر ونباهتي أني صرت إلى أبي تمام وهو بحمص فعرضت عليه شعري وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم فأقبل علي وترك سائر من حضر فلما تفرقوا قال لي أنت أشعر من أنشدني فكيف بالله حالك فشكوت خلة فكتب إلى أهل معرة النعمان وشهد لي بالحذق بالشعر وشفع لي إليهم وقال امتدحهم فصرت إليهم فأكرموني بكتابه ووظفوا لي اربعة آلاف درهم فكانت أول مال أصبته وقال علي بن يوسف في خبره فكانت نسخة كتابه يصل كتابي هذا على يد الوليد أبي عبادة الطائي هو على بذاذته شاعر فأكرموه
حدثني جحظة قال سمعت البحتري يقول كنت أتعشق غلاما من أهل منبج يقال له شقران واتفق لي سفر فخرجت فيه فأطلت الغيبة ثم عدت وقد التحى فقلت فيه وكان أول شعر قلته
(نبَتَتْ لِحْيَةُ شُقرانَ ... شَقِيقِ النَّفْسِ بَعْدِي)
(حُلِقت كيف أتته ... قبل أن يَنجِزَ وعدِي)

كيف تم التعارف بينه وبين أبي تمام

وقد روي في غير هذه الحكاية أن اسم الغلام شندان
حدثني علي بن سليمان قال حدثني أبو الغوث بن البحتري عن
أبيه وحدثني عمي قال حدثني علي بن العباس النوبختي عن البحتري وقد جمعت الحكايتين وهما قريبتان قال
أول ما رأيت أبا تمام أني دخلت على أبي سعيد محمد بن يوسف وقد مدحته بقصيدتي
(أأفاق صبٌّ من هَوىً فأُفِيقا ... أو خان عهداً أو أطاع شفيقا)
فسر بها أبو سعيد وقال أحسنت والله يا فتى وأجدت قال وكان في مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس منه فوق كل من حضر عنده تكاد تمس ركبته ركبته فأقبل علي ثم قال يا فتى أما تستحي مني هذا شعر لي تنتحله وتنشده بحضرتي فقال له أبو سعيد أحقا تقول قال نعم وإنما علقه مني فسبقني به إليك وزاد فيه ثم اندفع فأنشد أكثر هذه القصيدة حتى شككني علم الله في نفسي وبقيت متحيرا فأقبل علي أبو سعيد فقال يا فتي قد كان في قرابتك منا وودك لنا ما يغنيك عن هذا فجعلت أحلف له بكل محرجة من الأيمان أن الشعر لي ما سبقني إليه أحد ولا سمعته منه ولا انتحلته فلم ينفع ذلك شيئا وأطرق أبو سعيد وقطع بي حتى تمنيت أني سخت في الأرض فقمت منكسر البال أجر رجلي فخرجت فما هو إلا أن بلغت باب الدار حتى خرج الغلمان فردوني فأقبل علي الرجل فقال الشعر لك يا بني والله ما قلته قط ولا سمعته إلا منك ولكنني ظننت أنك تهاونت بموضعي فأقدمت على الإنشاد بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا تريد بذلك مضاهاتي ومكاثرتي حتى عرفني الأمير نسبك وموضعك ولوددت ألا تلد أبدا طائية إلا مثلك وجعل أبو سعيد يضحك ودعاني أبو تمام وضمني إليه وعانقني وأقبل
ولزمته بعد ذلك وأخذت عنه واقتديت به هذه رواية من ذكرت
وقد حدثني علي بن سليمان الأخفش أيضا قال حدثني عبد الله بن الحسين بن سند القطربلي
أن البحتري حدثه أنه دخل على أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري وقد مدحه بقصيدة وقصده بها فألفى عنده أبا تمام وقد أنشده قصيدة له فيه فاستأذنه البحتري في الإنشاد وهو يومئذ حديث السن فقال له يا غلام أتنشدني بحضرة أبي تمام فقال تأذن ويستمع فقام فأنشده إياها وأبو تمام يسمع ويهتز من قرنه إلى قدمه استحسانا لها فلما فرغ منها قال أحسنت والله يا غلام فممن أنت قال من طيء فطرب أبو تمام وقال من طيء الحمد لله على ذلك لوددت أن كل طائية تلد مثلك وقبل بين عينيه وضمه إليه وقال لمحمد بن يوسف قد جعلت له جائزتي فأمر محمد بها فضمت إلى مثلها ودفعت إلى البحتري وأعطى أبا تمام مثلها وخص به وكان مداحا له طول أيامه ولابنه بعده ورثاهما بعد مقتليهما فأجاد ومراثيه فيهما أجود من مدائحه وروي أنه قيل له في ذلك فقال من تمام الوفاء أن تفضل المراثي المدائح لا كما قال الآخر وقد سئل عن ضعف مراثيه فقال كنا نعمل للرجاء نحن نعمل اليوم للوفاء وبينهما بعد
حدثني حكم بن يحيى الكنتحي قال

بعض من صفاته

كان البحتري من أوسخ خلق الله ثوبا وآلة وأبخلهم على كل شيء وكان له أخ وغلام معه في داره فكان يقتلهما جوعا فإذا بلغ منهما الجوع أتياه يبكيان فيرمي إليهما بثمن أقواتهما مضيقا مقترا ويقول كلا أجاع الله أكبادكما وأعرى أجلادكما وأطال إجهادكما
قال حكم بن يحيى وأنشدته يوما من شعر أبي سهل بن نوبخت فجعل يحرك رأسه فقلت له ما تقول فيه فقال هو يشبه مضغ الماء ليس له طعم ولا معنى
وحدثني أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني الكاتب قال
دخلت على البحتري يوما فاحتبسني عنده ودعا بطعام له ودعاني إليه فامتنعت من أكله وعنده شيخ شامي لا أعرفه فدعاه إلى الطعام فتقدم وأكل معه أكلا عنيفا فغاظه ذلك والتفت إلي فقال لي أتعرف هذا الشيخ فقلت لا قال هذا شيخ من بني الهجيم الذين يقول فيهم الشاعر
(وبنو الهُجَيْم قبيلةٌ ملْعونةٌ ... حُصُّ اللِّحَى مُتشابِهو الألْوانِ)
(لو يسمعون بأكلة أو شَرْبة ... بعُمَانَ أصبح جَمعُهم بعُمانِ)
قال فجعل الشيخ يشتمه ونحن نضحك
وحدثني جحظة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال
اجتازت جارية بالمتوكل معها كوز ماء وهي أحسن من القمر فقال لها ما اسمك
قالت برهان قال ولمن هذا الماء قالت لستي قبيحة قال صبيه في حلقي فشربه عن آخره ثم قال للبحتري قل في هذا شيئا فقال البحتري
(ما شَرْبَةٌ من رَحِيق كأسُها ذَهَبُ ... جاءت بها الحُورُ من جَنَّات رِضْوان)

(يوما بأطيبَ من ماءٍ بلا عَطَشٍ ... شربتُه عبثاً من كف بُرْهان)
أخبرني علي بن سليمان الأخفش وأحمد بن جعفر جحظة قالا حدثنا أبو الغوث بن البحتري قال
كتبت إلى أبي يوما أطلب منه نبيذا فبعث إلي بنصف قنينة دردي وكتب إلي دونكها يا بني فإنها تكشف القحط وتضبط الرهط قال الأخفش وتقيت الرهط

خبره مع أحمد بن علي الاسكافي

حدثني أبو الفضل عباس بن أحمد بن ثوابة قال
قدم البحتري النيل على أحمد بن علي الإسكافي مادحا له فلم يثبه ثوابا يرضاه بعد أن طالت مدته عنده فهجاه بقصيدته التي يقول فيها
(ما كسبنا من أحمدَ بن عَليٍّ ... ومن النَّيلِ غيرَ حُمَّى النَّيلِ)
وهجاه بقصيدة أخرى أولها
(... قِصَّةُ النِّيلِ فاسمعوها عُجابَه)
فجمع إلى هجائه إياه هجاء أبي ثوابة وبلغ ذلك أبي فبعث إليه بألف درهم وثياب ودابة بسرجها ولجامها فرده إليه وقال قد أسلفتكم إساءة لا يجوز معها قبول رفدكم فكتب إليه أبي أما الإساءة فمغفورة وأما المعذرة فمشكورة والحسنات يذهبن السيئات وما يأسو جراحك مثل يدك وقد رددت إليك ما رددته علي وأضعفته فإن تلافيت ما فرط منك أثبنا وشكرنا وإن لم تفعل احتملنا وصبرنا فقبل ما بعث به وكتب إليه كلامك والله أحسن من شعري وقد أسلفتني ما أخجلني وحملتني ما أثقلني وسيأتيك ثنائي ثم غدا إليه بقصيدة أولها
(... ضَلالٌ لها ماذا أرادت إلى الصّد)
وقال فيه بعد ذلك
(... برقٌ أضاء العقيقَ من ضَرَمِه)
وقال فيه أيضا
(... دانٍ دعا داعي الصِّبا فأجابَهْ)
قال ولم يزل أبي يصله بعد ذلك ويتابع بره لديه حتى افترقا

شعره في نسيم غلامه

أخبرني جحظة قال
كان نسيم غلام البحتري الذي يقول فيه
(دَعا عَبْرتي تجري على الجَورِ والقصدِ ... ظنٌّ نسيماً قارفَ الهمَّ من بعدي
(خلاً ناظِري من طيفِه بعد شخصِه ... فيا عجبا للدَّهر فقدٌ على فَقْدِ)
غلاما روميا ليس بحسن الوجه وكان قد جعله بابا من أبواب الحيل على الناس فكان يبيعه ويعتمد أن يصيره إلى ملك بعض أهل المروءات ومن ينفق عنده الأدب فإذا حصل في ملكه شبب به وتشوقه ومدح مولاه حتى يهبه له فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم فكفي الناس أمره
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال
كتب البحتري إلى أبي محمد بن علي القمي يستهديه نبيذا فبعث إليه نبيذا مع غلام له أمرد فجمشه البحتري فغضب الغلام غضبا شديدا دل البحتري على أنه سيخبر مولاه بما جرى فكتب إليه
(أبا جعفرٍ كان تَجْمِيشُنا ... غلامَك إحدى الهَنات الدَّنِيّهْ)
(بعثتَ إلينا بشمس المُدامِ ... تضيء لنا مع شمسِ البَرِيّهْ)
(فليت الهديّة كان الرّسول ... وليتَ الرسولَ إلينا الهَدِيّهْ)
فبعث إليه محمد بن علي الغلام هدية فانقطع البحتري عنه بعد ذلك مدة خجلا مما جرى فكتب إليه محمد بن علي
(هجرتَ كأنّ البِرّ أعقب حِشْمَةً ... ولم أرَ وَصْلاً قبل ذا أعقب الهَجْرا)
فقال فيه قصيدته التي أولها
(... (فتى مَذْحج عَفْواً فتى مذحجٍ غُفْرا
وهي طويلة وقال فيه أيضا
(أمواهبٌ هاتيك أم أنواءُ ... هُطُلٌ وأخذٌ ذَاكَ أم إعطاءُ)
(إن دَامَ ذا أو بَعضُ ذا من فعلِ ذا ... ذهب السخاءُ فلا يُعَدُّ سَخاءُ)
(ليس الذي حلّت تميمٌ وسْطَه الدّهناء ... لكن صدرُكَ الدهناءُ)
(ملك أغرّ لآل طَلحة مَجدُه ... كفّاه بحرُ سماحةٍ وسماءُ)
(وشريف أشراف إذا احتكَّت بِهِم ... جُرْبُ القبائلِ أحسنوا وأساءوا)
(أمحمدُ بنَ عليٍّ اسمَعْ عُذْرَةً ... فيها شفاءٌ للمُسيء وداءُ)
(مالي إذا ذُكِرَ الكرامُ رأيتُني ... مالي مع النّفر الكرامِ وَفاءُ)
(يضفو عليَّ العَذْلُ وهو مقاربٌ ... ويضيق عني العُذْرُ وهو فَضاءُ)
(إنّي هجرتُك إذ هجرتُك حِشْمَةً ... لا العَوْدُ يُذْهِبُها ولا الإبداءُ)
(أخجلتَني بِنَدَى يديْك فسَوَّدت ... ما بيننا تلك اليدُ البيضاءُ)
(وقطَعتني بالبرّ حتى إنّني ... متوهّم أن لا يكونَ لقاءُ)
(صِلَةٌ غَدَت في الناس وَهْي قطيعةٌ ... عجباً وبِرٌّ راح وَهْو جَفاءُ)
(ليواصِلنَّك رَكْبُ شِعريَ سائراً ... تُهدَى به في مدحك الأعداءُ)
(حتى يتمّ لك الثّناءُ مُخَلَّداً ... أبداً كما دامت لك النَّعماءُ)
(فتظلّ تَحسدُك الملوكُ الصيدُ بي ... وأظَلّ يحْسدُني بك الشُّعراء)

مات في السكتة

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال سألني القاسم بن عبيد الله عن
خبر البحتري وقد كان أسكت ومات من تلك العلة فأخبرته بوفاته وأنه مات في تلك السكتة فقال ويحه رمي في أحسنه

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن علي الأنباري قال
سمعت البحتري يقول أنشدني أبو تمام يوما لنفسه
(وسابحٍ هطِلِ التَّعداءِ هَتّانِ ... على الجِراءِ أَمِينٍ غيرِ خوّانِ)
(أظْمى الفصُوصِ ولم تظمأ قوائِمهُ ... فخلِّ عينيك في ظمآنَ ريّانِ)
(فلو تراه مُشيحاً والحصى زِيَمٌ ... بين السَّنابِكِ من مثنيً ووحدانِ)
(أيقنتَ إنْ لم تَثَبَّتْ أنّ حافِرَه ... من صخْرِ تدْمُرَ أو من وجهِ عثمانِ)
ثم قال لي ما هذا الشعر قلت لا أدري قال هذا هو المستطرد أو قال الاستطراد قلت وما معنى ذلك قال يريك أنه يريد وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمان وقد فعل البحتري ذلك فقال في صفة الفرس
(ما إن يعاف قذىً ولو أوردته ... يوما خلائقَ حمْدَوَيْه الأحْوَل)
وكان حمدويه الأحول عدوا لمحمد بن علي القمي الممتدح بهذه القصيدة فهجاه في عرض مدحه محمدا والله أعلم
رأي أبي تمام في شاعريته
حدثني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني أبو الغوث بن البحتري قال حدثني أبي قال قال لي أبو تمام بلغني أن بني حميد أعطوك مالا جليلا فيما مدحتهم به فأنشدني شيئا منه فأنشدته بعض ما قلته فيهم فقال لي كم أعطوك فقلت كذا وكذا فقال ظلموك والله ما وفوك حقك فلم استكثرت ما دفعوه إليك والله لبيت منها خير مما أخذت ثم أطرق قليلا ثم قال لعمري لقد استكثرت ذلك واستكثر لك لما مات الناس وذهب الكرام وغاضت المكارم فكسدت سوق الأدب أنت والله يا بني أمير الشعراء غدا بعدي فقمت فقبلت رأسه ويديه ورجليه وقلت له والله لهذا القول أسر إلى قلبي وأقوى لنفسي مما وصل إلي من القوم
حدثني محمد بن يحيى عن الحسن بن علي الكاتب قال قال لي البحتري أنشدت أبا تمام يوما شيئا من شعري فتمثل ببيت أوس بن حجر
(إذا مُقرِمٌ منا ذرا حدُّ نابِه ... تخمَّطَ فينا نابُ آخَرَ مُقرَمِ)
ثم قال لي نعيت والله إلي نفسي فقلت أعيذك بالله من هذا القول فقال إن عمري لن يطول وقد نشأ في طيء مثلك أما علمت أن خالد
ابن صفوان رأى شبيب بن شيبة وهو من رهطه يتكلم فقال يا بني لقد نعى إلي نفسي إحسانك في كلامك لأنا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب قط إلا مات من قبله فقلت له بل يبقيك الله ويجعلني فداءك قال ومات أبو تمام بعد سنة
شعره في المتوكل
حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني أبو العنبس الصيمري قال كنت عند المتوكل والبحتري ينشده
(عن أيّ ثغر تبتسِمْ ... وبأيّ طرفٍ تحتكمْ)
حتى بلغ إلى قوله
(قل للخليفَة جعفر المتوكِّل ... بن المعتصم)
(المُبْتَدِي للمُجْتَدِي ... والمنعِمِ بنِ المُنْتقِمِ)
(اسلَمْ لدِينِ محمدٍ ... فإذا سلمتَ فقد سلِمْ)
قال وكان البحتري من أبغض الناس إنشادا يتشادق ويتزاور في مشيه مرة جانبا ومرة القهقري ويهز رأسه مرة ومنكبيه أخرى ويشير بكمه ويقف عند كل بيت ويقول أحسنت والله ثم يقبل على المستمعين فيقول ما لكم لا تقولون أحسنت هذا والله ما لا يحسن أحد
أن يقول مثله فضجر المتوكل من ذلك وأ قبل علي وقال أما تسمع يا صيمري ما يقول فقلت بلى يا سيدي فمرني فيه بما أحببت فقال بحياتي اهجه على هذا الروي الذي أنشدنيه فقلت تأمر ابن حمدون أن يكتب ما أقول فدعا بدواة وقرطاس وحضرني على البديهة أن قلت
المتوكل يأمر الصيمري أن يهجوه
(أدخلتَ رأسك في الرّحم ... وعلمتَ أنّك تنهَزِمْ)
(يا بحتريُّ حَذارِ وَيْحكَ ... من قُضاقِضةٍ ضُغُمْ)
(فلقد أسلْتَ بواديَيْك ... من الهجاسَيْلَ العَرِمْ)
(فبأيِّ عِرْضٍ تعتصمْ ... وبِهَتْكِه جَفَّ القَلَمْ)
(والله حِلْفَةَ صادقٍ ... وبقبر أحمد والحَرَمْ)
(وبحقِّ جعفرٍ الإما ... مِ ابنِ الإمامِ المعتصِمْ)
(لأصيِّرنَّك شُهرةً ... بين المَسيل إلى العَلَمْ)
(حَيِّ الطُّلول بذي سلَمْ ... حيث الأراكةُ والخِيَمْ)
(يابنَ الثَّقيلَة والثقيل ... على قُلوبِ ذَوي النِّعَمْ)
(وعلى الصغير مع الكبير ... من الموالي والحَشَمْ)
(في أيّ سَلْحٍ ترتطمْ ... وبأيِّ كفٍّ تلتَقِمْ)
(يابنَ المُباحةِ للوَرَى ... أمِن العفاف أم التُّهَمْ)
(إذ رَحْلُ أختك للعَجَمْ ... وفِراشُ أمِّك في الظُّلَمْ)
(وبباب دارِك حانَةٌ ... في بيْتِه يُؤْتى الحَكَمْ)
قال فغضب وخرج يعدو وجعلت أصيح به
(أدخلت رأسك في الرَّحِمْ ... وعلمتَ أنَّكَ تَنْهَزِمْ)
والمتوكل يضحك ويصفق حتى غاب عن عينه
هكذا حدثني جحظة عن أبي العنبس
ووجدت هذه الحكاية بعينها بخط الشاهيني حكاية عن أبي العنبس فرأيتها قريبة اللفظ موافقة المعنى لما ذكره جحظة والذي يتعارفه الناس أن أبا العنبس قال هذه الأبيات ارتجالا وكان واقفا خلف البحتري فلما ابتدأ وأنشد قصيدته
(عن أيّ ثغرٍ تبتسِمْ ... وبأيّ طرْفٍ تحتكِمْ)

صاح به أبو العنبس من خلفه
(في أيِّ سَلْحٍ ترتَطِمْ ... وبأيّ كَفٍّ تَلْتَقِمْ)
(أدخلتَ رأسَكَ في الرّحِم ... وعلمتَ أنك تنهزِمْ)
فغضب البحتري وخرج فضحك المتوكل حتى أكثر وأمر لأبي العنبس بعشرة آلاف درهم والله أعلم
وأخبرني بهذا الخبر محمد بن يحيى الصولي وحدثني عبد الله بن أحمد بن حمدون عن أبيه قال وحدثني يحيى بن علي عن أبيه
أن البحتري أنشد المتوكل وأبو العنبس الصيمري حاضر قصيدته
(عن أيّ ثغرٍ تبتسِمْ ... وبأيّ طرْفٍ تحتكِمْ)
إلى آخرها وكان إذا أنشد يختال ويعجب بما يأتي به فإذا فرغ من القصيدة رد البيت الأول فلما رده بعد فراغه منها وقال
((عن أيّ ثغرٍ تبتسِمْ ... وبأيّ طرْفٍ تحتكِمْ
قال أبو العنبس وقد غمزه المتوكل أن يولع به
(في أيّ سَلْحٍ ترْتَطِمْ ... وبأيّ كَفٍّ تَلْتَقِمْ)
(أدخلتَ رأسَكَ في الرّحِم ... وعلمتَ أنك تَنْهَزِمْ)
فقال نصف البيت الثاني فلما سمع البحتري قوله ولى مغضبا فجعل أبو العنبس يصيح به
(... وعلمتَ أنك تنهزم)
فضحك المتوكل من ذلك حتى غلب وأمر لأبي العنبس بالصلة التي أعدت للبحتري
قال أحمد بن زياد فحدثني أبي قال
جاءني البحتري فقال لي يا أبا خالد أنت عشيرتي وابن عمي وصديقي وقد رأيت ما جرى علي أفتأذن لي أن أخرج إلى منبج بغير إذن فقد ضاع العلم وهلك الأدب فقلت لا تفعل من هذا شيئا فإن الملوك تمزح بأعظم مما جرى ومضيت معه إلى الفتح فشكا إليه ذلك فقال له نحوا من قولي ووصله وخلع عليه فسكن إلى ذلك

الصيمري يصر على هجائه بعد موت المتوكل

حدثني جحظة عن علي بن يحيى المنجم قال
لما قتل المتوكل قال أبو العنبس الصيمري
((يا وحشةَ الدنيا على جَعْفَرٍ ... على الهمامِ الملكِ الأزْهَرِ
(على قتيلٍ من بني هاشمٍ ... بين سريرِ المُلْكِ والمِنْبرِ)
(واللّهِ ربِّ البَيْتِ والمَشْعَرِ ... واللهِ أن لو قُتِل البُحْتُرِي)
(لثارَ بالشّامِ له ثائرٌ ... في ألف نَغْلٍ من بني عَضْ خَرى)
(يقدُمهم كُلُّ أخي ذِلّة ... على حمارٍ دايرٍ أعورِ)
فشاعت الأبيات حتى بلغت البحتري فضحك ثم قال هذا الأحمق يرى أني أجيبه على مثل هذا فلو عاش امرؤ القيس فقال من كان يجيبه

ذكر نتف من أخبار عريب مستحسنة

منزلتها في الغناء والشعر والخط
كانت عريب مغنية محسنة وشاعرة صالحة الشعر وكانت مليحة الخط والمذهب في الكلام ونهاية في الحسن والجمال والظرف وحسن الصورة وجودة الضرب وإتقان الصنعة والمعرفة بالنعم والأوتار والرواية للشعر والأدب لم يتعلق بها أحد من نظرائها ولا رئي في النساء بعد القيان الحجازيات القديمات مثل جميلة وعزة الميلاء وسلامة الزرقاء ومن جرى مجراهن علي قلة عددهن نظير لها وكانت فيها من الفضائل التي وصفناها ما ليس لهن مما يكون لمثلها من جواري الخلفاء ومن نشأ في
قصور الخلافة وغذي برقيق العيش الذي لا يدانيه عيش الحجاز والنش بين العامة والعرب الجفاة ومن غلظ طبعه وقد شهد لها بذلك من لا يحتاج مع شهادته إلى غيره
أخبرني محمد بن خلف وكيع عن حماد بن إسحاق قال قال لي أبي
ما رأيت امرأة أضرب من عريب ولا أحسن صنعة ولا أحسن وجها ولا أخف روحا ولا أحسن خطابا ولا أسرع جوابا ولا ألعب بالشطرنج والنرد ولا أجمع لخصلة حسنة لم أر مثلها في امرأة غيرها قال حماد فذكرت ذلك ليحيى بن أكثم في حياة أبي فقال صدق أبو محمد هي كذلك قلت أفسمعتها قال نعم هناك يعني في دار المأمون قلت أفكانت كما ذكر أبو محمد في الحذق فقال يحيى هذه مسألة الجواب فيها على أبيك فهو أعلم مني بها فأخبرت بذلك أبي فضحك ثم قال ما استحييت من قاضي القضاة أن تسأله عن مثل هذا
أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبي قال
قال لي إسحاق كانت عندي صناجة كنت بها معجبا واشتهاها أبو إسحاق المعتصم في خلافة المأمون فبينا أنا ذات يوم في منزلي إذ أتاني إنسان يدق الباب دقا شديدا فقلت أنظروا من هذا فقالوا رسول أمير المؤمنين فقلت ذهبت صناجتي تجده ذكرها له ذاكر فبعث إلي فيها فلما مضى بي الرسول انتهيت إلى الباب وأنا مثخن فدخلت فسلمت فرد علي السلام ونظر إلى تغير وجهي فقال لي اسكن فسكنت فقال
لي غن صوتا وقال لي أتدري لمن هو فقلت أسمعه ثم أخبر أمير المؤمنين إن شاء الله ذلك فأمر جارية من وراء الستارة فغنته وضربت فإذا هي قد شبهته بالغناء القديم فقلت زدني معها عودا آخر فإنه أثبت لي فزادني عودا آخر فقلت هذا الصوت محدث لامرأة ضاربة قال من أين قلت ذاك قلت لما سمعت لينه عرفت أنه محدث منغناء النساء ولما رأيت جودة مقاطعه علمت أن صاحبته ضاربة وقد حفظت مقاطعه وأجزاءه ثم طلبت عودا آخر فلم أشك فقال صدقت الغناء لعريب

عدت أصواتها فكانت ألفا

قال ابن المعتز وقال يحيى بن علي
أمرني المعتمد على الله أن أجمع غناءها الذي صنعته فأخذت منها دفاترها وصحفها التي كانت قد جمعت فيها غناءها فكتبته فكان ألف صوت
وأخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه

أنه سال عريب عن صنعتها فقالت قد بلغت إلى هذا الوقت ألف صوت
وحدثني محمد بن إبراهيم قريض أنه جمع غناءها من ديواني ابن المعتز وأبي العبيس بن حمدون وما أخذه عن بدعة جاريتها التي أعطاها إياها بنو هاشم فقابل بعضه ببعض فكان ألفا ومائة وخمسة وعشرين صوتا
وذكر العتابي أن أحمد بن يحيى حدثه قال
سمعت أبا عبد الله الهشامي يقول وقد ذكرت صنعة عريب صنعتها مثل قول أبي دلف في خالد بن يزيد حيث يقول
(يا عينُ بَكى خالِداً ... ألْفا ويُدْعَى واحدَا)
يريد أن غناءها ألف صوت في معنى واحد فهي بمنزلة صوت واحد
وحكى عنه أيضا هذه الحكاية ابن المعتز
وهذا تحامل لا يحل ولعمري إن في صنعتها لأشياء مرذولة لينة وليس ذلك مما يضعها ولا عري كبير أحد من المغنين القدماء والمتأخرين من أن يكون في صنعته النادر والمتوسط سوى قوم معدودين مثل ابن محرز ومعبد في القدماء ومثل إسحاق وحده في المتأخرين وقد عيب بمثل هذا ابن سريج في محله فبلغه أن المغنين يقولون إنما يغني ابن سريج الأرمال والخفاف وغناؤه يصلح للأعراس والولائم فبلغه ذلك فتغنى بقوله
(لقد حبَّبَتْ نُعمٌ إلينا بوجهها ... مساكنَ ما بين الوتائِرِ فالنَّقْع)
ثم توفي بعدها وغناؤه يجري مجرى المعيب عليه وهذا إسحاق يقول في أبيه على عظيم محله في هذه الصناعة وما كان إسحاق يشيد به من
ذكره وتفضيله على ابن جامع وغيره ولأبي ستمائة صوت منها مائتان تشبه فيها بالقديم وأتى بها في نهاية من الجودة ومائتان غناء وسط مثل أغاني سائر الناس ومائتان فلسية وددت أنه لم يظهرها وينسبها لنفسه فأسترها عليه فإذا كان هذا قول إسحاق في أبيه فمن يعتذر بعده من أن يكون له جيد ورديء وما عري أحد في صناعة من الصناعة من حال ينقصه عن الغاية لأن الكمال شيء تفرد الله العظيم به والنقصان جبلة طبع بني آدم عليها وليس ذلك إذا وجد في بعض أغاني عريب مما يدعو إلى إسقاط سائرها ويلزمه اسم الضعف واللين وحسب المحتج لها شهادة إسحاق بتفضيلها
وقلما شهد لأحد أو سلم خلق وإن تقدم وأجمع على فضله من شينه إياه وطعنه عليه لنفاسته في هذه الصناعة واستصغاره أهلها فقد تقدم في أخباره مع علوية ومخارق وعمرو بن بانة وسليم بن سلام وحسين بن محرز ومن قبلهم ومن فوقهم مثل ابن جامع وإبراهيم بن المهدي وتهجينه إياهم وموافقته لهم على خطئهم فيما غنوه وصنعوه مما يستغنى به عن الإعادة في هذا الموضع فإذا انضاف فعله هذا بهم وتفضيله إياها كان ذلك أدل دليل على التحامل ممن طعن عليها وإبطاله فيما ذكرها به ولقائل ذلك وهو أبو عبد الله الهشامي سبب كان يصطنعه عليها فدعاه إلى ما قال نذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى
ومما يدل على إبطاله أن المأمون أراد أن يمتحن إسحاق في المعرفة
بالغناء القديم والحديث فامتحنه بصوت من غنائها من صنعتها فكاد يجوز عليه لولا أنه أطال الفكر والتلوم واستثبت مع علمه بالمذاهب في الصنعة وتقدمه في معرفة النغم وعللها والإيقاعات ومجاريها
وأخبرنا بذلك يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبي عن إسحاق
فأما السبب الذي كان من أجله يعاديها الهشامي فأخبرني به يحيى بن محمد بن عبد الله بن طاهر قال ذكر لأبي أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر عمي أن الهشامي زعم أن أحسن صوت صنعته عريب
(... صَاحِ قد لمتَ ظالما)
وأن غناءها بمنزلة قول ابي دلف في خالد
(يا عينُ بَكي خالِداً ... ألْفا ويُدْعَى واحدَا)
فقال ليس الأمر كما ذكر ولعريب صنعة فاضلة متقدمة وإنما قال هذا فيها ظلما وحسدا وغمطها ما تستحقه من التفضيل بخبر لها معه طريف فسألناه عنه فقال أخرجت الهشامي معي إلى سر من رأى بعد وفاة أخي يعني أبا محمد بن عبد الله بن طاهر فأدخلته على المعتز وهو يشرب وعريب تغني فقال له يا بن هشام غن فقال تبت من الغناء مذ قتل سيدي المتوكل فقالت له عريب قد والله أحسنت حيث تبت فإن غناءك كان قليل المعنى لا متقن ولا صحيح ولا مطرب فأضحكت أهل المجلس جميعا منه فخجل فكان بعد ذلك يبسط لسانه فيها ويعيب
صنعتها ويقول هي ألف صوت في العدد وصوت واحد في المعنى
وليس الأمر كما قاله إن لها لصنعة تشبهت فيها بصنعة الأوائل وجودت وبرزت فيها منها
(... أئن سكنت نَفْسِي وقلَّ عَويلُها)
ومنها
(... تقول هَمِّي يومَ وَدَّعتها)
ومنها
(... إذا أردت انتصافا كان ناصركم)
ومنها
(... بأبي من هو دائي)
ومنها
(... أسلموها في دمشقَ كما)
ومنها
(... فلا تتعنّتي ظلما وزورا)
ومنها
(... لقد لامِ ذا الشوقِ الخَلِيُّ من الهوى)
ونسخت ما أذكره من أخبارها فأنسبه إلى ابن المعتز من كتاب دفعه إلي محمد بن إبراهيم الجراحي المعروف بقريض وأخبرني أن عبد الله بن المعتز دفعه إليه من جمعه وتأليفه فذكرت منها ما استحسنته من أحاديثها إذ كان فيها حشو كثير وأضفت إليه ما سمعته ووقع إلي غير مسموع مجموعا ومتفرقا ونسبت كل رواية إلى راويها
نسبها

قال ابن المعتز حدثني الهاشمي أبو عبد الله وأخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه قالا
كانت عريب لعبد الله بن إسماعيل صاحب مراكب الرشيد وهو الذي رباها وأدبها وعلمها الغناء
قال ابن المعتز وحدثني غير الهشامي عن إسماعيل بن الحسين خال المعتصم أنها بنت جعفر بن يحيى وأن البرامكة لما انتهبوا سرقت وهي صغيرة
قال فحدثني عبد الواحد بن إبراهيم بن محمد بن الخصيب قال
حدثني من أثق به عن أحمد بن عبد الله بن إسماعيل المراكبي أن أم عريب كانت تسمى فاطمة وكانت قيمة لأم عبد الله بن يحيى بن خالد وكانت صبية نظيفة فرآها جعفر بن يحيى فهويها وسأل أم عبد الله أن تزوجه إياها ففعلت وبلغ الخبر يحيى بن خالد فأنكره وقال له أتتزوج من لا تعرف لها أم ولا أب اشتر مكانها مائة جارية وأخرجها وأسكنها دارا في ناحية باب الأنبار سرا من أبيه ووكل بها من يحفظها وكان يتردد إليها فولدت عريب في سنة إحدى وثمانين ومائة فكانت سنوها إلى أن ماتت ستا وتسعين سنة قال وماتت أم عريب في حياة جعفر فدفعها إلى امرأة نصرانية وجعلها داية لها فلما حدثت الحادثة بالبرامكة باعتها من سنبس النخاس فباعها من المراكبي
قال ابن المعتز وأخبرني يوسف بن يعقوب
أنه سمع الفضل بن مروان يقول كنت إذا نظرت إلى قدمي عريب شبهتهما بقدمي جعفر بن يحيى قال وسمعت من يحكي أن بلاغتها في كتبها ذكرت لبعض الكتاب فقال فما يمنعها من ذلك وهي بنت جعفر بن يحيى
وأخبرني جحظة قال دخلت إلى عريب مع شروين المغني وأبي العبيس بن حمدون وأنا يومئذ غلام علي قباء ومنطقة فأنكرتني وسألت عني فأخبرها شروين وقال هذا فتى من أهلك هذا ابن جعفر بن موسى ابن يحيى بن خالد وهو يغني بالطنبور فأدنتني وقربت مجلسي ودعت بطنبور وأمرتني بأن أغني فغنيت أصواتا فقالت قد أحسنت يا بني ولتكونن مغنيا ولكن إذا حضرت بين هذين الأسدين ضعت أنت وطنبورك بين عوديهما وأمرت لي بخمسين دينارا
قال ابن المعتز وحدثني ميمون بن هارون قال
حدثتني عريب قالت بعث الرشيد إلى أهلها تعني البرامكة رسولا يسألهم عن حالهم وأمره ألا يعلمهم أنه من قبله قالت فصار إلى عمي الفضل فساله فأنشأ عمي يقول

صوت

(سألُونا عن حالنا كيف أنتمُ ... مَنْ هَوَى نَجمهُ فكيفَ يكونُ)
(نحن قومٌ أصابنا حادث الدَّهْر ... فَظَلْنا لريبه نَسْتَكِينُ)

ذكرت عريب أن هذا الشعر للفضل بن يحيى ولها فيه لحنان ثاني ثقيل وخفيف ثقيل كلاهما بالوسطى وهذا غلط من عريب ولعله بلغها أن الفضل تمثل بشعر غير هذا فأنسيته وجعلت هذا مكانه
فأما هذا الشعر فللحسين بن الضحاك لا يشك فيه يرثي به محمدا الأمين بعد قوله

(نحن قومٌ أصابنا عَنَتُ الدَّهْ ... فَظَلْنا لريبه نَسْتَكِينُ)
(نتمنَّى من الأمين إياباً ... كلَّ يوم وأينَ منّا الأمينُ)

وهي قصيدة

هربت إلى معشوقها ومكثت عنده زمانا

قال ابن المعتز وحدثني الهشامي
أن مولاها خرج إلى البصرة وأدبها وخرجها وعلمها الخط والنحو والشعر والغناء فبرعت في ذلك كله وتزايدت حتى قالت الشعر وكان لمولاها صديق يقال له حاتم بن عدي من قواد خراسان وقيل إنه كان يكتب لعجيف على ديوان الفرض فكان مولاها يدعوه كثيرا ويخالطه ثم ركبه دين فاستتر عنده فمد عينه إلى عريب فكاتبها فأجابته وكانت المواصلة بينهما وعشقته عريب فلم تزل تحتال حتى اتخذت سلما من عقب وقيل من خيوط غلاظ وسترته حتى إذا همت بالهرب إليه بعد انتقاله عن منزل مولاها بمدة وقد أعد لها موضعا لفت ثيابها وجعلتها في فراشها بالليل ودثرتها بدثارها ثم تسورت من الحائط حتى هربت فمضت إليه فمكثت عنده زمانا قال وبلغني أنها لما صارت عنده بعث إلى مولاها يستعير منه عودا تغنيه به فأعاره عودها وهو لا يعلم أنها عنده ولا يتهمه بشيء من أمرها فقال عيسى بن عبد الله بن إسماعيل المراكبي وهو عيسى ابن زينب يهجو أباه ويعيره بها وكان كثيرا ما يهجوه

(قاتلَ اللهُ عَرِيبَا ... فعلَت فِعْلاً عجِيبَا)
(رَكِبَتْ والليلُ دَاجٍ ... مركباً صَعْباً مهوبا)
(فارتقَتْ مُتَّصِلاً بالنَّجم ... أو منه قريبا)
(صبرت حتى إذا ما ... أقصد النّومُ الرَّقِيبا)
(مَثَّلت بين حَشَايَاها ... لِكيلا تَسْتَرِيبَا)
(خَلَفاً منها إذا نودِي ... لم يُلفَ مُجِيبَا)
(ومضت يحملها الخوفُ ... قَضِيباً وكَثِيبا)
(مُحَّةٌ لو حُرِّكت خِفْتَ عليها أن تَذُوبا)
(فتدلَّتْ لمُحِبٍّ ... فتلقّاها حَبِيبَا)
(جَذِلاً قد نال في الدُّنْيا ... من الدُّنيا نصِيبا)
(أيّها الظَّبْي الذي تَسْحَرُ ... عيناه القُلُوبَا)
(والذي يأكل بعضاً ... بَعضُه حُسناً وطِيبا)
(كُنتَ نَهْباً لذئابٍ ... فَلَقَدْ أطعمْتَ ذِيَبا)
(وكذا الشاةُ إذا لم ... يَكُ راعيها لَبِيبَا)
(لا يُبالِي وبأ المَرْعَى ... إذا كان خَصِيبا)
(فلقد أصبح عبدُ الله ... كشخانَ حَرِيبَا)
(قد لعمري لَطَم الوَجهَ ... وقد شَقَّ الجيوبَا)
(وجرت منه دُموعٌ ... بلَّت الشَّعْر الخَضِيبَا)

وقال ابن المعتز حدثنا محمد بن موسى بن يونس

أنها ملته بعد ذلك فهربت منه فكانت تغني عند أقوام عرفتهم ببغداد وهي متسترة متخفية فلما كان يوم من الأيام اجتاز ابن أخ للمراكبي ببستان كانت فيه مع قوم تغني فسمع غناءها فعرفه فبعث إلى عمه من وقته وأقام هو بمكانه فلم يبرح حتى جاء عمه فلببها وأخذها فضربها مائة مقرعة وهي تصيح يا هذا لم تقتلني أنا لست أصبر عليك أنا امرأة حرة إن كنت مملوكة فبعني لست أصبر على الضيقة فلما كان من غد ندم على فعله وصار إليها فقبل رأسها ورجلها ووهب لها عشرة آلاف درهم ثم بلغ محمدا الأمين خبرها فأخذها منه قال وكان خبرها سقط إلى محمد في حياة أبيه فطلبها منه فلم يجبه إلى ما سأل وقبل ذلك ما كان طلب منه خادما عنده فاضطغن لذلك عليه فلما ولي الخلافة جاء المراكبي ومحمد راكب ليقبل يده فأمر بمنعه ودفعه ففعل ذلك الشاكري فضربه المراكبي له أتمنعني من يد سيدي أن أقبلها فجاء الشاكري لما نزل محمد فشكاه فدعا محمد بالمراكبي وأمر بضرب عنقه فسئل في أمره

فأعفاه وحبسه وطالبه بخمسمائة ألف درهم مما اقتطعه من نفقات الكراع وبعث فأخذ عريب من منزله مع خدم كانوا له فلما قتل محمد هربت إلى المراكبي فكانت عنده قال وأنشدني بعض أصحابنا لحاتم بن عدي الذي كانت عنده لما هربت إليه ثم ملته فهربت منه وهي أبيات عدة هذان منها

(ورُشُّوا على وَجْهي من الماء واندُبُوا ... قتيلَ عَريبٍ لا قتيلَ حُروبِ)

(فليتكِ إن عجَّلتني فقتَلتِني ... تَكونين من بعد الممات نصِيبي)

قال ابن المعتز وأما رواية إسماعيل بن الحسين خال المعتصم فإنها تخالف هذا وذكر أنها إنما هربت من دار مولاها المراكبي إلى محمد بن حامد الخاقاني المعروف بالخشن أحد قواد خراسان قال وكان أشقر أصهب الشعر أزرق وفيه تقول عريب ولها فيه هزج ورمل من روايتي الهشامي وأبي العباس

(بأبِي كلّ أزرقٍ ... أصهبِ اللون أشقرِ)

(جُنّ قلبي به وليسَ ... جُنُوني بمُنْكَرِ)

تقول الشعر الفاحش

قال ابن المعتز وحدثني ابن المدبر قال

خرجت مع المأمون إلى أرض الروم أطلب ما يطلبه الأحداث من الرزق فكنا نسير مع العسكر فلما خرجنا من الرقة رأينا جماعة من الحرم

في العماريات على الجمازات وكنا رفقة وكنا أترابا فقال لي أحدهم على بعض هذه الجمازات عريب فقلت من يراهنني أمر في جنبات هذه العماريات وأنشد أبيات عيسى بن زينب

(قاتلَ اللهُ عَريبَا ... فعَلَت فِعْلاً عَجِيبَا)

فراهنني بعضهم وعدل الرهنان وسرت إلى جانبها فأنشدت الأبيات رافعا صوتي بها حتى أتممتها فإذا أنا بامرأة قد أخرجت رأسها فقالت يا فتى أنسيت أجود الشعر وأطيبه أنسيت قوله

(وعَريبٌ رَطْبَةُ الشَّفْرَيْن ... قد نِيكَتْ ضُرُوبَا)

اذهب فخذ ما بايعت فيه ثم ألقت السجف فعلمت أنها عريب وبادرت إلى أصحابي خوفا من مكروه يلحقني من الخدم

شعر في مظلومة رقيبة عريب

أخبرني إسماعيل بن يونس قال قال لنا عمر بن شبة

كانت للمراكبي جارية يقال لها مظلومة جميلة الوجه بارعة الحسن فكان يبعث بها مع عريب إلى الحمام أو إلى من تزوره من أهله ومعارفه فكانت ربما دخلت معها إلى ابن حامد الذي كانت تميل إليه فقال فيها بعض الشعراء وقد رآها عنده

(لقد ظلموكِ يا مظلومَ لمّا ... أقاموكِ الرَّقيبَ على عَريبِ)

((ولو أَوْلَوكِ إنصافاً وَعدْلا ... لما أخلوْكِ أنت من الرّقيبِ

(أَتَنْهَيْنَ المُريبَ عن المعاصي ... فكيف وأنتِ من شأنِ المُريبِ)

(وكيف يُجانِبُ الجاني ذنوباً ... لديكِ وأنتِ داعِيَةُ الذُّنوبِ)

(فإن يَستَرْقِبُوكِ على عَريبٍ ... فما رَقَبُوكِ من غيبِ القلوبِ)

وفي هذا المعنى وإن لم يكن من جنس ما ذكرته ما أنشدنيه علي بن سليمان الأخفش في رقيبة مغنية استحسنت وأظنه للناشىء

(فديتُكِ لو أنهم أنصَفُوا ... لقد منعوا العينَ عن ناظِرَيْكِ)

(ألم يقرءوا ويحهم ما يرون ... من وحي طَرْفك في مُقْلَتَيْكِ)

(وقد بعثوكِ رَقِيباً لنا ... فمن ذا يكون رَقيباً عليكِ)

(تصُدِّين أَعْيُننا عن سواك ... وهل تنظر العينُ إلا إليكِ)

محمد الأمين يبعث في إحضارها واحضار مولاها

قال ابن المعتز وحدثني عبد الواحد بن إبراهيم عن حماد بن إسحاق عن أبيه وعن محمد بن إسحاق البغوي عن إسحاق بن إبراهيم

أن خبر عريب لما نمي إلى محمد الأمين بعث في إحضارها وإحضار مولاها فأحضرا وغنت بحضرة إبراهيم بن المهدي تقول

(لكلّ أُناسٍ جَوْهَر متنافسٌ ... وأنتِ طِرازُ الآنساتِ المَلائح)

فطرب محمد واستعاد الصوت مرارا وقال لإبراهيم يا عم كيف سمعت قال يا سيدي سمعت حسنا وإن تطاولت بها الأيام وسكن روعها ازداد غناؤها حسنا فقال للفضل بن الربيع خذها إليك وساوم بها ففعل فاشتط مولاها في السوم ثم أوجبها له بمائة ألف دينار وانتقض

أمر محمد وشغل عنها وشغلت عنه فلم يأمر لمولاها بثمنها حتى قتل بعد أن أفتضها فرجعت إلى مولاها ثم هربت منه إلى حاتم بن عدي وذكر باقي الخبر كما ذكره من تقدم

وقال في خبره إنها هربت من مولاها إلى ابن حامد فلم تزل عنده حتى قدم المأمون بغداد فتظلم إليه المراكبي من محمد بن حامد فأمر بإحضاره فأحضر فسأله عنها فأنكر فقال له المأمون كذبت قد سقط إلي خبرها وأمر صاحب الشرطة أن يجرده في مجلس الشرطة ويضع عليه السياط حتى يردها فأخذه وبلغها الخبر فركبت حمار مكار وجاءت وقد جرد ليضرب وهي مكشوفة الوجه وهي تصيح أنا عريب إن كنت مملوكة فليبعني وإن كنت حرة فلا سبيل له علي فرفع

خبرها إلى المأمون فأمر بتعديلها عند قتيبة بن زياد القاضي فعدلت عنده وتقدم إليه المراكبي مطالبا بها فسأله البينة على ملكه إياها فعاد متظلما إلى المأمون وقال قد طولبت بما لم يطالب به أحد في رقيق ولا يوجد مثله في يد من ابتاع عبدا أو أمة
وتظلمت إليه زبيدة وقالت من أغلظ ما جرى على بعد قتل محمد ابني هجوم المراكبي على داري وأخذه عريبا منها فقال المراكبي إنما أخذت ملكي لأنه لم ينقدني الثمن فأمر المأمون بدفعها إلى محمد بن عمر الواقدي وكان قد ولاه القضاء بالجانب الشرقي فأخذها من قتيبة بن زياد فأمر ببيعها ساذجة فاشتراها المأمون بخمسين ألف درهم فذهبت به كل مذهب ميلا إليها ومحبة لها
قال ابن المعتز ولقد حدثني علي بن يحيى المنجم أن المأمون قبل
في بعض الأيام رجلها قال فلما مات المأمون بيعت في ميراثه ولم يبع له عبد ولا أمة غيرها فاشتراها المعتصم بمائة ألف درهم وأعتقها فهي مولاته
وذكر حماد بن إسحاق عن أبيه أنها لما هربت من دار محمد حين قتل تدلت من قصر الخلد بحبل إلى الطريق وهربت إلى حاتم بن عدي
وأخبرني جحظة عن ميمون بن هارون
أن المأمون اشتراها بخمسة آلاف دينار ودعا بعبد الله بن إسماعيل فدفعها إليه وقال لولا أني حلفت ألا أشتري مملوكا بأكثر من هذا لزدتك ولكني سأوليك عملا تكسب فيه أضعافا لهذا الثمن مضاعفة ورمي إليه بخاتمين من ياقوت أحمر قيمتهما ألف دينار وخلع عليه خلعا سنية فقال يا سيدي إنما ينتفع الأحياء بمثل هذا وأما أنا فإني ميت لا محالة لأن هذه الجارية كانت حياتي وخرج عن حضرته فاختلط وتغير عقله ومات بعد أربعين يوما
قال ابن المعتز فحدثني علي بن يحيى قال حدثني كاتب الفضل بن مروان قال
حدثني إبراهيم بن رباح قال
كنت أتولى نفقات المأمون فوصف له إسحاق بن إبراهيم الموصلي عريب فأمره أن يشتريها فاشتراها بمائة ألف درهم فأمرني المأمون بحملها وأن أحمل إلى إسحاق مائة ألف درهم أخرى ففعلت ذلك ولم أدر كيف أثبتها فحكيت في الديوان أن المائة الألف خرجت في ثمن جوهرة والمائة الألف الأخرى خرجت لصائغها ودلالها فجاء الفضل بن مروان إلى المأمون وقد رأى ذلك فأنكره وسألني عنه فقلت نعم هو ما رأيت فسأل المأمون عن ذلك وقال أوجب وهب لدلال وصائغ مائة ألف درهم وغلظ القصة فأنكرها المأمون فدعاني ودنوت إليه وأخبرته أن المال الذي خرج في ثمن عريب وصلة إسحاق وقلت أيما أصوب يا أمير المؤمنين ما فعلت أو أثبت في الديوان أنها خرجت في صلة مغن وثمن مغنية فضحك المأمون وقال الذي فعلت أصوب ثم قال للفضل بن مروان يا نبطي لا تعترض على كاتبي هذا في شيء

بعض من أخبارها

وقال ابن المكي حدثني أبي عن نحرير الخادم قال
دخلت يوما قصر الحرم فلمحت عريب جالسة على كرسي ناشرة شعرها تغتسل فسألت عنها فقيل هذه عريب دعا بها سيدها اليوم فافتضها
قال ابن المعتز فأخبرني ابن عبد الملك البصري
أنها لما صارت في دار المأمون احتالت حتى وصلت إلى محمد بن حامد وكانت قد عشقته وكاتبته بصوت قالته ثم احتالت في الخروج إليه وكانت تلقاه في الوقت بعد الوقت حتى حبلت منه وولدت بنتا وبلغ ذلك المأمون فزوجه إياها
وأخبرنا إبراهيم بن القاسم بن زرزور عن أبيه وحدثني به المظفر بن كيغلغ عن القاسم بن زرزور قال
لما وقف المأمون على خبرها مع محمد بن حامد أمر بإلباسها جبة
صوف وختم زيقها وحبسها في كنيف مظلم شهرا لا ترى الضوء يدخل إليها خبز وملح وماء من تحت الباب في كل يوم ثم ذكرها فرق لها وأمر بإخراجها فلما فتح الباب عنها وأخرجت لم تتكلم بكلمة حتى اندفعت تغني
(حجبوه عن بصري فمُثِّل شخصُه ... في القلب فهْو محجَّبٌ لا يُحجَبُ)
فبلغ ذلك المأمون فعجب منها وقال لن تصلح هذه أبدا فزوجها إياه

نسبة هذا الصوت

صوت
(لو كان يَقدرُ أن يَبُثَّك ما به ... لرأيتَ أحسن عاتب يتعَتَّبُ)
(حجبوه عن بَصَري فمُثِّل شخصُه ... في القَلْب فهو مُحَجَّب لا يُحجَبُ)
الغناء لعريب ثقيل أول بالوسطى
قال ابن المعتز وحدثني علي بن يحيى المنجم قال حدثني أحمد بن جعفر بن حامد قال
لما توفي عمي محمد بن حامد صار جدي إلى منزله فنظر إلى تركته وجعل يقلب ما خلف ويخرج إليه منها الشيء بعد الشيء إلى أن أخرج إليه سفط مختوم ففض الخاتم وجعل يفتحه فإذا فيه رقاع عريب إليه فجعل يتصفحها ويبتسم فوقعت في يده رقعة فقرأها ووضعها في يده وقام لحاجة فقرأتها فإذا فيها قوله
صوت
(ويلي عليكَ ومِنْكا ... أوقعت في الحق شَكّا)
(زعمتَ أنّي خئونٌ ... جَوْراً عليّ وإفْكَا)
(إن كان ما قلتَ حقّا ... أو كنت أزمعتُ تَرْكا)
(فأبدلَ الله ما بي ... من ذِلَّة الحبّ نُسْكَا)
لعريب في هذه الأبيات رمل وهزج عن الهشامي والشعر لها

قصة بيت من الشعر

قال ابن المعتز وحدثني عبد الوهاب بن عيسى الخراساني عن يعقوب الرخامي قال
كنا مع العباس بن المأمون بالرقة وعلى شرطته هاشم - رجل من أهل خراسان - فخرج إلي وقال يا أبا يوسف ألقي إليك سرا لثقتي بك وهو عندك أمانة قلت هاته قال كنت واقفا على رأس الأمين وبي حر شديد خرجت عريب فوقفت معي وهي تنظر في كتاب فما ملكت نفسي أن أومأت إليها بقبلة فقالت كحاشية البرد فوالله ما أدري ما أرادت فقلت

قالت لك طعنة
قال وكيف ذاك قلت أرادت قول الشاعر
(رَمَى ضرعَ نابٍ فاستمرّ بطعنةٍ ... كحاشية البُرْد اليمانِي المُسهّم)
وحكى هذه القصة أحمد بن أبي طاهر عن بشر بن زيد عن عبد الله
ابن أيوب بن أبي شمر أنهم كانوا عند المأمون ومعهم محمد بن حامد وعريب تغنيهم فغنت تقول
(رَمَى ضرعَ نابٍ فاستمرّ بطعنةٍ ... كحاشية البُرْد اليمانِي المُسهّم)
فقال لها المأمون من أشار إليك بقبلة فقلت له طعنة فقالت له يا سيدي من يشير إلي بقبلة في مجلسك فقال بحياتي عليك قالت محمد بن حامد فسكت

أحبت أميرا وتزوجت خادما

قال ابن المعتز وحدثني محمد بن موسى قال
اصطبح المأمون يوما ومعه ندماؤه وفيهم محمد بن حامد وجماعة من المغنين وعريب معه على مصلاه فأومأ محمد بن حامد إليها بقبلة فاندفعت تغني ابتداء
(رَمَى ضَرْع نابٍ فاستَمرَّ بطعنةٍ ... كحاشية البُرْد اليمانِي المُسهّم)
تريد بغنائها جواب محمد بن حامد بأن تقول له طعنة فقال لها المأمون أمسكي فأمسكت ثم أقبل على الندماء فقال من فيكم أومأ إلى عريب بقبلة والله لئن لم يصدقني لأضربن عنقه فقام محمد فقال أنا يا أمير المؤمنين أومأت إليها والعفو أقرب للتقوى فقال قد عفوت
فقال كيف استدل أمير المؤمنين على ذلك قال ابتدأت صوتا وهي لا تغني ابتداء إلا لمعنى فعلمت أنها لم تبتدىء بهذا الصوت إلا لشيء أومىء به إليها ولم يكن من شرط هذا الموضع إلا إيماء بقبلة فعلمت أنها أجابت بطعنة
قال ابن المعتز وحدثني علي بن الحسين
أن عريب كانت تتعشق أبا عيسى بن الرشيد وروى غيره أنها كانت لا تضرب المثل إلا بحسن وجه أبي عيسى وحسن غنائه وكانت تزعم أنها ما عشقت أحدا من بني هاشم وأصفته المحبة من الخلفاء وأولادهم سواه
قال ابن المعتز وحدثني بعض جوارينا
أن عريب كانت تتعشق صالحا المنذري الخادم وتزوجته سرا فوجه به المتوكل إلى مكان بعيد في حاجة له فقالت فيه شعرا وصاغت لحنه في خفيف الثقيل وهو

صوت

(أمَّا الحبيبُ فقد مضى ... بالرغم منّي لا الرّضا)
(أخطأتُ في تركِي لمن ... لم ألق منه مُعَوّضا)
قال فغنته يوما بين يدي المتوكل فاستعاده وجعل جواريه يتغامزن ويضحكن فأصغت إليهن سرا من المتوكل فقالت يا سحاقات هذا خير من عملكن
قال وحدثت عن بعض جواري المتوكل أنها دخلت يوما على عريب فقالت لها تعالي ويحك إلي فجاءت قال فقالت قبلي هذا الموضع مني فإنك تجدين ريح الجنة فأومأت إلى سالفتها ففعلت ثم قالت لها ما السبب في هذا قالت قبلني صالح المنذري في ذلك الموضع
قال ابن المعتز وأخبرني أبو عبد الله الهشامي قال حدثني حمدون بن إسماعيل قال
حدثني محمد بن يحيى الواثقي قال
قال لي محمد بن حامد ليلة أحب أن تفرغ في مضربك فإني أريد أن أجيئك فأقيم عندك ففعلت ووافاني فلما جلس جاءت عريب فدخلت
وقد حدثني به جحظة قال حدثني أبو عبد الله بن حمدون
أن عريب زارت محمد بن حامد وجلسا جميعا فجعل يعاتبها ويقول فعلت كذا وفعلت كذا فقالت لي يا محمد هذا عندك رأي ثم أقبلت عليه فقالت يا عاجز خذ بنا فيما نحن فيه وفيما جئنا إليه
وقال جحظة في خبره
اجعل سراويلي مخنقتي وألصق خلخالي بقرطي فإذا كان غد فاكتب إلي بعتابك في طومار حتى أكتب إليك بعذري في ثلاثة ودع هذا الفضول فقد قال الشاعر

صوت

(دَعِي عَدَّ الذّنوب إذا التقينا ... تعاليْ لا أعدُّ ولا تعدِّي)
وتمام هذا قوله
(فأقسِم لو هممت بمدّ شعري ... إلى نار الجحيم لقُلْتِ مُدّيِ)
الشعر للمؤمل والغناء لعريب خفيف رمل وفيه لعلوية رمل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة

عاشرت ثمانية من الخلفاء

أخبرني أبو يعقوب إسحاق بن الضحاك بن الخصيب قال
حدثني أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات قال كنت يوما عند أخي أبي العباس وعنده عريب جالسة على دست مفرد لها وجواريها يغنين بين يدينا وخلف ستارتنا فقلت لأخي وقد جرى ذكر الخلفاء قالت لي عريب ناكني منهم ثمانية ما اشتهيت منهم أحدا إلا المعتز فإنه كان يشبه أبا عيسى بن الرشيد قال ابن الفرات فأصغيت إلى بعض بني أخي فقلت له فكيف ترى شهوتها الساعة فضحك ولمحته فقالت أي شيء قلتم فجحدتها فقالت لجواريها أمسكن ففعلن فقالت هن حرائر لئن لم تخبراني بما قلتما لينصرفن جميعا وهن حرائر إن حردت من شيء جرى ولو أنها تسفيل فصدقتها فقالت وأي شيء في هذا أما الشهوة فبحالها ولكن الآلة قد بطلت أو قالت قد كلت عودوا إلى ما كنتم فيه

شرطان فاحشان

وحدثني الحسن بن علي بن مودة قال حدثني إبراهيم بن أبي العبيس قال حدثنا أبي قال
دخلنا على عريب يوما مسلمين فقالت أقيموا اليوم عندي حتى
أطعمكم لوزينجة صنعتها بدعة بيدها من لوز رطب وما حضر من الوظيفة وأغنيكم أنا وهي قال فقلت لها على شريطة

قالت وما هي قلت شيء أريد أن أسألك عنه منذ سنين وأنا أهابك قالت ذاك لك وأنا أقدم الجواب قبل أن تسأل فقد علمت ما هو فعجبت لها وقلت فقولي فقالت تريد أن تسألني عن شرطي أي شرط هو فقلت إي والله ذاك الذي أردت قالت شرطي أير صلب ونكهة طيبة فإن انضاف إلى ذلك حسن يوصف وجمال يحمد فقد زاد قدره عندي وإلا فهذان ما لا بد لي منهما

وحدثني الحسن بن علي عن محمد بن ذي السيفين إسحاق بن كنداجيق عن أبيه قال

كانت عريب تولع بي وأنا حديث السن فقالت لي يوما يا إسحاق قد بلغني أن عندك دعوة فابعث إلي نصيبي منها قال فاستأنفت طعاما كثيرا وبعثت إليها منه شيئا كثيرا فأقبل رسولي من عندها مسرعا فقال لي لما بلغت إلى بابها وعرفت خبري أمرت بالطعام فأنهب وقد وجهت إليك برسول وهو معي فتحيرت وظننت أنها قد استقصرت فعلي فدخل الخادم ومعه شيء مشدود في منديل ورقعة فقرأتها فإذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم يا عجمي يا غبي ظننت أني من الأتراك ووخش الجند فبعثت إلي بخبز ولحم وحلواء الله المستعان عليك يا فدتك نفسي قد وجهت إليك زلة من حضرتي فتعلم ذلك من الأخلاق ونحوه من الأفعال ولا تستعمل أخلاق العامة في رد الظرف فيزداد العيب والعتب عليك إن شاء الله فكشفت المنديل فإذا طبق ومكبة من ذهب منسوج على عمل الخلاف

وفيه زبدية فيها لقمتان من رقاق وقد عصبت طرفيهما وفيها قطعتان من صدر دراج مشوي ونقل وطلع وملح وانصرف رسولها

تحلم ثلاث مرات في النوم بحبيبها

قال ابن المعتز حدثني الهشامي أبو عبد الله عن رجل ذكره عن علويه قال

أمرني المأمون وسائر المغنين في ليلة من الليالي أن نصير إليه بكرة ليصطبح فغدونا ولقيني المراكبي مولى عريب وهي يومئذ عنده فقال لي يأيها الرجل الظالم المعتدي أما ترق ولا ترحم ولا تستحي عريب هائمة تحلم بك في النوم ثلاث مرات في كل ليلة قال علويه فقلت أم الخلافة زانية ومضيت معه فحين دخلت قلت استوثق من الباب فإني أعرف خلق الله بفضول البوابين والحجاب وإذا عريب جالسة على كرسي تطبخ وبين يديها ثلاث قدور من دجاج فلما رأتني قامت تعانقني وتقبلني ثم قالت أيما أحب إليك أن تأكل من هذه القدور أو تشتهي شيئا يطبخ لك فقلت بل قدر من هذه تكفينا فغرفت قدرا منها وجعلتها بيني وبينها فأكلنا ودعونا بالنبيذ فجلسنا نشرب حتى سكرنا ثم قالت يا أبا الحسن صنعت البارحة صوتا في شعر لأبي العتاهية فقلت وما هو فقالت هو

(عَذِيري من الإنسان لا إن جفوته ... صَفا لي ولا إن كنت طوعَ يديه)

وقالت لي قد بقي فيه شيء فلم نزل نردده أنا وهي حتى استوى ثم جاء الحجاب فكسروا باب المراكبي واستخرجوني فدخلت على المأمون فلما رأيته أقبلت أمشي إليه برقص وتصفيق وأنا أغني الصوت فسمع وسمع من عنده ما لم يعرفوه واستظرفوه وسألني المأمون عن خبره فشرحته له فقال لي ادن ورده فرددته عليه سبع مرات فقال في آخر مرة يا علويه خذ الخلافة واعطني هذا الصاحب

نسبة هذا الصوت

صوت

(عَذِيري من الإنسان لا إن جفوته ... صَفا لي ولا إن كنت طوعَ يديه)

(وإنّي لمشتاقٌ إلى قُربِ صاحِبٍ ... يَرُوق ويَصْفُو إن كَدِرْتُ عليه)

الشعر من الطويل وهو لأبي العتاهية والغناء لعريب خفيف ثقيل أول بالوسطى ونسبه عمرو بن بانة في هذه الطريقة والأصبغ إلى علوية

سبب غضب الواثق والمعتصم عليها

قال ابن المعتز وحدثني القاسم بن زرزور قال حدثتني عريب قالت كنت في أيام محمد ابنة أربع عشرة سنة وأنا حينئذ أصوغ الغناء

قال القاسم وكانت عريب تكايد الواثق فيما يصوغه من الألحان وتصوغ في ذلك الشعر بعينه لحنا فيكون أجود من لحنه فمن ذلك

(لم آتِ عامدةً ذَنْباً إليك بَلَى ... أُقِرُّ بالذنب فاعفُ اليوم عن زَلَلِي)

لحنها فيه خفيف ثقيل ولحن الواثق رمل ولحنها أجود من لحنه ومنها

((أشكو إلى الله ما أَلْقَى من الكَمَدِ ... حَسْبِي بِرَبِّي ولا أشكو إلى أحَدِ

لحنها ولحن الواثق جميعا من الثقيل الأول ولحنها أجود من لحنه

نسبة هذين الصوتين

صوت

(لم آتِ عامدةً ذَنْباً إليك بَلَى ... أُقِرُّ بالذّنبِ فاعفُ اليوم عن زَلَلِي)

(فالصّفح من سَيّدٍ أولى لمُعْتَذِرٍ ... وقاكَ ربُّك يوم الخوفِ والوَجَلِ)

الغناء للواثق رمل ولعريب خفيف ثقيل وذكر ذكاء وجه الرزة أن لطالب ابن يزداد فيه هزجا مطلقا

صوت

(أشكو إلى الله ما أَلْقَى من الكَمَدِ ... حَسْبِي بربي ولا أشكُو إلى أحَدِ)

(أين الزمان الذي قد كنت ناعمةً ... في ظِلِّه بدُنُوِّي منك يا سَنَدي)

(وأسألُ اللهَ يوماً منك يُفْرِحني ... فقد كحلتُ جفونَ العين بالسَّهَدِ)

(شوقاً إليك وما تدري بما لقيت ... نفسي عليك وما بالقلب من كمد)

الغناء لعريب ثقيل أول بالوسطى وللواثق ثقيل أول بالبنصر

قال ابن المعتز وكان سبب انحراف الواثق عنها وكيادها إياه وانحراف المعتصم عنها أنه وجد لها كتابا إلى العباس بن المأمون ببلد الروم اقتل أنت العلج ثم حتى أقتل أنا الأعور الليلي ها هنا تعني الواثق وكان يسهر بالليل وكان المعتصم استخلفه ببغداد

قال وحدثني أبو العبيس بن حمدون قال

غضبت عريب على بعض جواريها المذكورات - وسماها لي - فجئت إليها يوما وسألتها أن تعفو عنها فقالت في بعض ما

تقوله مما تعتد به عليها من ذنوبها يا أبا العبيس إن كنت تشتهي أن ترى زناي وصفاقة وجهي وجراءتي على كل عظيمة أيام شبابي فانظر إليها واعرف أخبارها

أجادت ركوب الخيل

قال ابن المعتز وحدثني القاسم بن زرزور قال حدثني المعتمد قال

حدثتني عريب أنها كانت في شبابها يقدم إليها برذون فتطفر عليه بلا ركاب

قال وحدثني الأسدي قال حدثني صالح بن علي بن الرشيد المعروف بزعفرانة قال

تمارى خالي أبو علي مع المأمون في صوت فقال المأمون أين عريب فجاءت وهي محمومة فسألها عن الصوت فقالت فيه بعلمها فقال لها غنيه فولت لتجيء بعود فقال لها غنيه بغير عود فاعتمدت على الحائط للحمى وغنت فأقبلت عقرب فرأيتها قد لسعت يدها مرتين أو ثلاثا فما نحت يدها ولا سكتت حتى فرغت من الصوت ثم سقطت وقد غشي عليها

قال ابن المعتز وحدثني أبو العباس بن الفرات قال

قالت لي تحفة جارية عريب كانت عريب تجد في رأسها بردا فكانت تغلف شعرها مكان العلة بستين مثقالا مسكا وعنبرا وتغسله من جمعة إلى جمعة فإذا غسلته أعادته وتتقسم الجواري غسالة رأسها بالقوارير وما تسرحه منه بالميزان

حدثني أحمد بن جعفر جحظة عن علي بن يحيى المنجم قال

دخلت يوما على عريب مسلما عليها فلما اطمأننت جالسا هطلت السماء بمطر عظيم فقالت أقم عندي اليوم حتى أغنيك أنا وجواري وأبعث إلي من أحببت من إخوانك فأمرت بدوابي فردت وجلسنا نتحدث فسألتني عن خبرنا بالأمس في مجلس الخليفة ومن كان يغنينا وأي شيء استحسنا من الغناء فأخبرتها أن صوت الخليفة كان لحنا صنعه بنان من الماخوري فقالت وما هو فأخبرتها أنه

صوت

(تُجافِي ثم تَنطَبِقُ ... جفونٌ حَشوُها الأرقُ)

(وذي كَلَفٍ بكى جَزَعاً ... وسَفْرُ القومِ مُنطلِقُ)

(به قَلَقٌ يُمَلْمِلُه ... وكان وما به قَلَقُ)

(جوانحُهُ على خَطَرٍ ... بِنارِ الشَّوق تَحترقُ)

فوجهت رسولا إلى بنان فحضر من وقته وقد بلته السماء فأمرت بخلع فاخرة فخلعت عليه وقدم له طعام فاخر فأكل وجلس يشرب معنا وسألته عن الصوت فغناها إياه فأخذت دواة ورقعة وكتبت فيها

(أجاب الوابلُ الغَدِقُ ... وصاح النّرجسُ الغَرِقُ)

(وقد غنَّى بنانٌ لنَا ... جُفونٌ حَشوُها الأَرقُ)

(فهاتِ الكأسَ مُترعةً ... كأَنَّ حُبابَها حدَقُ)

قال علي بن يحيى فما شربنا بقية يومنا إلا على هذه الأبيات

ترد على من دعاها برموز

حدثني محمد بن خلف بن المرزبان عن عبد الله بن محمد المروزي قال

قال لي الفضل بن العباس بن المأمون زارتني عريب يوما ومعها عدة من جواريها فوافتنا ونحن على شرابنا فتحادثنا ساعة وسألتها أن تقيم عندي فأبت وقالت دعاني جماعة من إخواني من أهل الأدب والظرف وهم مجتمعون في جزيرة المؤيد فيهم إبراهيم بن المدبر وسعيد بن حميد ويحيى بن عيسى بن منارة وقد عزمت على المسير إليهم فحلفت عليها فأقامت عندنا ودعت بدواة وقرطاس فكتبت

بسم الله الرحمن الرحيم وكتبت بعد ذلك في سطر واحد ثلاثة أحرف متفرقة لم تزد عليها وهي

أردت ولولا ولعلي

ووجهت به إليهم فلما وصلت الرقعة عيوا بجوابها فأخذ إبراهيم بن المدبر الرقعة فكتب تحت أردت ليت وتحت لولا ماذا وتحت لعلي

أرجو ووجهوا بالرقعة فصفقت ونعرت وشربت رطلا وقالت لنا أأترك هؤلاء وأقعد عندكم إذا تركني الله من يديه ولكني أخلف عندكم من جواري من يكفيكم وأقوم إليهم ففعلت ذلك وخلفت عندنا بعض جواريها وأخذت معها بعضهن وانصرفت

أخبرنا محمد بن خلف عن سعيد بن عثمان بن أبي العلاء عن أبيه قال

عتب المأمون على عريب فهجرها أياما ثم اعتلت فعادها فقال لها كيف وجدت طعم الهجر فقالت يا أمير المؤمنين لولا مرارة الهجر ما عرفت حلاوة الوصل ومن ذم بدء الغضب أحمد عاقبة الرضا قال فخرج المأمون إلى جلسائه فحدثهم بالقصة ثم قال أترى هذا لو كان من كلام النظام ألم يكن كبيرا

هجرت المأمون أياما لأنها غضبت منه

حدثني محمد بن خلف عن أبي العيناء عن أحمد بن أبي دؤاد قال

جرى بين عريب وبين المأمون كلام فكلمها المأمون بشيء غضبت منه فهجرته أياما قال أحمد بن أبي داود فدخلت على المأمون فقال لي

يا أحمد اقض بيننا فقالت عريب لا حاجة لي في قضائه ودخوله فيما بيننا وأنشأت تقول

(وتخلِط الهجرَ بالوصال ولا ... يدْخُل في الصُّلح بَينَنا أحدُ)

حدثني محمد بن خلف قال حدثني محمد بن عبد الرحمن عن أحمد بن حمدون عن أبيه قال

كنت حاضرا مجلس المأمون ببلاد الروم بعد صلاة العشاء الآخرة في ليلة ظلماء ذات رعود وبروق فقال لي المأمون اركب الساعة فرس النوبة وسر إلى عسكر أبي إسحاق يعني المعتصم فأد إليه رسالتي في كيت وكيت قال فركبت ولم تثبت معي شمعة وسمعت وقع حافر دابة فرهبت ذلك وجعلت أتوقاه حتى صك ركابي ركاب تلك الدابة وبرقت بارقة فأضاءت وجه الراكب فإذا عريب فقلت عريب قالت نعم حمدون قلت نعم ثم قلت ومن أين أقبلت في هذا الوقت قالت من عند محمد ابن حامد قلت وما صنعت عنده قالت عريب ياتكش عريب تجيء من عند محمد بن حامد في هذا الوقت خارجة من مضرب الخليفة وراجعة إليه تقول لها أي شيء عملت عنده صليت معه التراويح أو قرأت عليه أجزاء من القرآن أو دارسته شيئا من الفقه يا أحمق تعاتبنا وتحادثنا واصطلحنا ولعبنا وشربنا وغنينا وتنايكنا وانصرفنا فأخجلتني وغاظتني وافترقنا ومضيت فأديت الرسالة ثم عدت إلى المأمون وأخذنا في الحديث وتناشد الأشعار وهممت والله أن أحدثه حديثها

ثم هبته فقلت أقدم قبل ذلك تعريضا بشيء من الشعر فأنشدته
(ألا حيِّ أطلالاً لواسعة الحبلِ ... ألوفٍ تسوّي صالح القوم بالرَّذْلِ
(فلو أن من أمسَى بجانب تلعة ... الى جبليْ طيٍّ فساقطة الحَبْلِ)
(جلوس إلى أنْ يَقْصر الظِّلُّ عندها ... لراحوا وكُلّ القوم منها على وصْلِ)
فقال لي المأمون اخفض صوتك لا تسمعك عريب فتغضب وتظن أنا في حديثها فأمسكت عما أردت أن أخبره وخار الله في ذلك
حدثني محمد بن أحمد الحكيمي قال أخبرني ميمون بن هارون قال قال لي ابن اليزيدي
حدثني أبي قال خرجنا مع المأمون في خروجه إلى بلد الروم فرأيت عريب في هودج فلما رأتني قالت لي يا يزيدي أنشدني شعرا قلته حتى أصنع فيه لحنا فأنشدتها
(ماذا بقلبي من دوامِ الخفْق ... إذَا رأيتُ لمعانَ البَرْقِ)
(من قِبَل الأردُنّ أو دِمشْق ... لأنّ من أهوَى بذاك الأفْق)
(فإنّ فيه وهو أعزّ الخَلْق ... عليّ والزّورُ خلاف الحقّ)
(ذاك الّذي يَملِك رقّي ... ولستُ أبغي ما حَيِيتُ عِتقِي)
قال فتنفست تنفسا ظننت أن ضلوعها قد تقصفت منه فقلت هذا والله تنفس عاشق فقالت اسكت يا عاجز أنا أعشق والله لقد نظرت نظرة مريبة في مجلس فادعاها من أهل المجلس عشرون رئيسا طريفا
شعر لعباس بن الأحنف يصلح بينها وبين حبيبها
حدثني محمد بن خلف قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني أحمد بن حمدون قال
وقع بين عريب وبين محمد بن حامد شر وكان يجد بها الوجد كله فكادا يخرجان من شرهما إلى القطيعة وكان في قلبها منه أكثر مما في قلبه منها فلقيته يوما فقالت له كيف قلبك يا محمد قال أشقى والله ما كان وأقرحه فقالت له استبدل تسل فقال لها لو كانت البلوى باختيار لفعلت فقالت لقد طال إذا تعبك فقال وما يكون أصبر مكرها أما سمعت قول العباس بن الأحنف
(تَعَبٌ يطول مع الرجاء بذي الهَوى ... خَيرٌ له من رَاحةٍ في الياس)
(لولا كرامتكُم لما عاتَبتكُم ... ولكنتُمُ عندي كبَعْضِ النّاس)
قال فذرفت عيناها واعتذرت إليه وأعتبته واصطلحا وعادا إلى أفضل ما كانا عليه
اختلاف في تقييم فنها
حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال قال لي أبو العباس بن حمدون - وقد تجاذبنا غناء عريب - ليس غناؤها مما يعتد بكثرته لأن سقطه كثير وصنعتها ساذجة فقلت له ومن يعرف في الناس كلهم من مغني الدولة العباسية سلمت صنعته كلها حتى تكون مثله ثم جعلت أعد ما أعرفه من جيد صنعتها ومتقدمها وهو يعترف بذلك حتى عددت نحوا من مائة صوت مثل لحنها في
(...يا عزّ هل لك في شيخٍ فتىً أبدا)
(... سيسليك عما فات دولةَ مفضل) و
(... و (صاح قد لمت ظالما
(... و (ضحك الزمان وأشرقت
ونحو هذا ثم قال لي ما خلفت عريب بعدها امرأة مثلها في الغناء والرواية والصنعة فقلت له لا ولا كثيرا من الرجال أيضا ولعريب في صنعتها
(... يا عزّ هل لك في شيخٍ فتىً أبدا)
خبر أخبرني ببعضه أحمد بن عبيد الله بن عمار عن ميمون بن هارون
وذكر ابن المعتز أن عبد الواحد بن إبراهيم بن الخصيب حدثه عمن يثق به عن أحمد بن عبد الله بن إسماعيل المراكبي قال
قالت لي عريب حج بي أبوك وكان مضعوفا فكان عديلي وكنت في طريقي أطلب الأعراب فأستنشدهم الأشعار وأكتب عنهم النوادر وسائر ما أسمعه منهم فوقف شيخ من الأعراب علينا يسأل فاستنشدته فأنشدني
(يا عزّ هل لكِ في شيخٍ فتىً أبدا ... وقد يكون شَبابٌ غَيرُ فِتيانِ)
فاستحسنته ولم أكن سمعته قبل ذلك قلت فأنشدني باقي الشعر فقال لي هو يتيم فاستحسنت قوله وبررته وحفظت البيت وغنيت فيه صوتا من الثقيل الأول ومولاي لا يعلم بذلك لضعفه فلما كان في ذلك اليوم عشيا قال لي ما كان أحسن ذلك البيت الذي أنشدك إياه الأعرابي وقال لك إنه يتيم أنشدينيه إن كنت حفظته فأنشدته إياه وأعلمته أني قد غنيت فيه ثم غنيته له فوهب لي ألف درهم بهذا السبب وفرح بالصوت فرحا شديدا
قال ابن المعتز قال ابن الخصيب
فحدثني هذا المحدث أنه قد حضر بعد ذلك بمجلس أبي عيسى بن المتوكل
ومن هاهنا تتصل رواية ابن عمار عن ميمون وقد جمعت الروايتين إلا أن ميمون بن هارون ذكر أنهم كانوا عند جعفر بن المأمون وعندهم أبو عيسى وكان عندهم علي ابن يحيى وبدعة جارية عريب تغنيهم - فذكر علي بن يحيى أن الصنعة فيه لغير عريب وذكر أنها لا تدعي هذا وكابر فيه فقام جعفر بن المأمون فكتب رقعة إلى عريب - ونحن لا نعلم - يسألها عن أمر الصوت وأن تكتب إليه بالقصة ففعلت فكتبت إليه بخطها
بسم الله الرحمن الرحيم
(هَنِيًّا لأرباب البيوت بُيوتُهم ... وللعَزَب المسكين ما يَتَلَمَّسُ)
أنا المسكينة وحيدة فريدة بغير مؤنس وأنتم فيما أنتم فيه وقد أخذتم أنسي ومن كان يلهيني - تعني جاريتها بدعة وتحفة - فأنتم في القصف والعزف وأنا في خلاف ذلك هناكم الله وأبقاكم وسألت - مد الله في عمرك - عما اعترض فيه فلان والقصة في هذا الصوت كذا وكذا وقصت قصتها مع الأعرابي كما حدثت به ولم تخرم حرفا منها فجاء الجواب إلى جعفر بن المأمون فقرأه وضحك ثم رمى به إلى أبي عيسى ورمى به أبو عيسى إلي وقال اقرأه وكان علي بن يحيى جالسا إلى جنبي فأراد أن يستلب الرقعة فمنعته وقمت ناحية فقرأتها فأنكر ذلك وقال ما هذا فورينا الأمر عنه لئلا تقع

عربدة وكان - عفا الله عنا وعنه - مبغضا لها
تعرف خبر صوت لا يعرفه أحد على وجه الأرض
قال ابن المعتز وحدثني أبو الخطاب العباس بن أحمد بن الفرات قال حدثني أبي قال
كنا يوما عند جعفر بن المأمون نشرب وعريب حاضرة إذ غنى بعض من كان هناك
(يا بدرُ إنّكِ قد كُسِيت مشابِهاً ... من وجه ذاك المستنير اللاّئح
(وأراك تمصَح بالمحاق وحسنُها ... باقٍ على الأيام ليس ببارح)
فضحكت عريب وصفقت وقالت ما على وجه الأرض أحد يعرف خبر هذا الصوت غيري فلم يقدم أحد منا على مسألتها عنه غيري فسألتها فقالت أنا أخبركم بقصته ولولا أن صاحب القصة قد مات لما أخبرتكم إن أبا محلم قدم بغداد فنزل بقرب دار صالح المسكين في خان هناك فاطلعت أم محمد ابنة صالح يوما فرأته يبول فأعجبها متاعه وأحبت مواصلته فجعلت لذلك علة بأن وجهت إليه تقترض منه مالا وتعلمه أنها في ضيقة وأنها ترده إليه بعد جمعة فبعث إليها عشرة آلاف درهم وحلف أنه لو ملك غيرها لبعث به فاستحسنت ذلك وواصلته وجعلت القرض سببا للوصلة فكانت تدخله إليها ليلا وكنت أنا أغني لهم فشربنا ليلة في القمر وجعل أبو محلم ينظر إليه ثم دعا بدواة ورقعة وكتب فيها قوله
(يا بدرُ إنّكِ قد كُسِيتَ مشابِهاً ... من وَجْه أمِّ محمد ابنةِ صَالح)
والبيت الآخر وقال لي غني فيه ففعلت واستحسناه وشربنا عليه فقالت لي أم محمد في آخر المجلس يا أختي قد تنبلت في هذا الشعر إلا أنه سيبقى علي فضيحة آخر الدهر فقال أبو محلم وأنا أغيره فجعل مكان أم محمد ابنة صالح ذاك المستنير اللائح وغنيته كما غيره وأخذه الناس عني ولو كانت أم محمد حية لما أخبرتكم بالخبر
فأما نسبة هذا الصوت
فإن الشعر لأبي محلم النسابة والغناء لعريب ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى من رواية الهشامي وغيره وأبو محلم اسمه عوف بن محلم
كتبت إلى حبيبها تستزيره
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي عن ميمون بن هارون قال
كتبت عريب إلى محمد بن حامد - الذي كانت تهواه - تستزيره فكتب إليها إني أخاف على نفسي فكتبت إليه
صوت
(إذا كنتَ تحذَرُ ما تحذرُ ... وتزعُم أنك لا تَجسُرُ)
(فمالي أُقيمُ على صَبْوتي ... ويومُ لِقائِك لا يُقدَرُ)
فصار إليها من وقته
لعريب في هذين البيتين وبيتين آخرين بعدهما لم يذكرا في الخبر رمل ولشارية خفيف رمل جمعا من رواية ابن المعتز والبيتان الآخران
(تبيَّنتَ عذري وما تَعذِر ... وأبليتَ جسمي وما تشعُرُ)
(ألِفْتَ السُّرورَ وخَلَّيْتني ... ودمْعِي من العين ما يَفتُرُ)
وذكر ميمون في هذا الخبر أن محمد بن حامد كتب إليها يعاتبها في شيء كرهه فكتبت إليه تعتذر فلم يقبل فكتبت إليه بهذين البيتين الآخرين اللذين ذكرتهما بعد نسبة هذا الصوت
صوت
(أحببتُ من شعرِ بَشّار لحبكمُ ... بَيْتا كلِفت به من شِعْر بَشّار)
((يا رحمةَ اللهِ حُلّي في مَنازلنا ... وجاورينا فدَتْكِ النّفْسُ من جار
(إذا ابتهلتُ سألتُ اللهَ رحمتَه ... كنيتُ عنك وما يَعدُوك إضماري)
الشعر لأبي نواس منه البيت الأول والثاني لبشار ضمنه أبو نواس والغناء لعريب ثقيل أول بالبنصر ولعمرو بن بانة في الثاني والثالث رمل
وهذا الشعر يقوله أبو نواس في رحمة بن نجاح عم نجاح بن سلمة الكاتب
أخبرني بخبره علي بن سليمان الأخفش عن محمد بن يزيد النحوي قال
كان بشار يشبب بامرأة يقال لها رحمة وكان أبو نواس يتعشق غلاما اسمه رحمة ابن نجاح عم نجاح بن سلمة الكاتب وكان متقدما في جماله وكان أبوه قد ألزمه وأخاه رجلا مدنيا وكان معهم كأحدهم وأكثر أبو نواس التشبيب برحمة في إقامته ببغداد وشخوصه عنها وكان بشار قد قال في رحمة المرأة التي يهواها
(يا رحمةَ اللهِ حُلّي في مَنازلنا ... حسبي برائحة الفِرْدَوْس من فيك)
(يا أطيبَ الناس ريقاً غيرَ مُختَبَرٍ ... إلا شهادةَ أطرافِ المساويكِ)
فقال أبو نواس وضمن بيت بشار
(أحببت من شعر بشار لحُبِّكم ... بَيْتا كَلِفْت به من شِعْر بَشّار)
الأبيات الثلاثة
وقال فيه
(يا مَن تأهّب مُزْمعاً لِرواحِ ... مُتَيَمِّماً بغدادَ غيرَ مُلاحِ)
(في بَطْن جارِيةٍ كَفَتْكَ بسَيْرِها ... رَمَلاً وكلَّ سِباحة السَّبّاحِ)
(بُنيت على قَدَرٍ ولاءم بينها ... صِنْفان من قارٍ ومن ألواحِ)
((وكأنها - والماء ينضح صدرَها ... والخَيزُرانة في يَدِ الملاّحِ
(جونٌ من الغِربان يبتدر الدّجى ... يَهْوي بصَوْتٍ واصطِفاقِ جَناحِ)
(سلِّم على شاطى الصّراة وأهلِها ... واخصُصْ هناك مَدِينةَ الوَضّاحِ)
(واقصد - هُديت - ولا تكن متحيّراً ... في مقصِدٍ عن ظَبْيِ آل نَجاحِ)
(عن رحمة الرحمن واسأل مَنْ تَرى ... سِيماه سيما شارب للرّاحِ)
(فإذا دُفِعتَ إلى أغنَّ وألثغٍ ... ومُنَعَّمٍ ومُكَحَّلٍ ورَداحِ)
(وكشَمْسِنا وكبدرنا حاشى التي ... سَمَّيْتها منه بنَوْر أقاحِي)

(فاقصِد لوقت لِقائه في خَلْوةٍ ... لِتَبُوحَ عني ثَمَّ كلّ مباح)
(واخبرْ بما أحبَبْت عن حالي التي ... ممسايَ فيها واحدٌ وصَبَاحِي)
قال فافتدى أبو رحمة من أبي نواس ذكر ابنه بأن عقد بينه وبينه حرمة ودعاه إلى منزله فجاءه أبو نواس والمديني لا يعرفه فمازحه مزاحا أسرف عليه فيه فقام إليه رحمة فعرفه أنه أبو نواس فأشفق المديني من ذلك وخاف أن يهجوه ويشهر اسمه فسأل رحمة أن يكلمه في الصفح له والإغضاء عن الانتقام فأجابه أبو نواس وقال
(اذهبْ سلمتَ من الهِجاء ولذعِه ... وأمَا ولَثغةِ رحمةَ بن نجاح)
(لولا فُتورٌ في كلامك يُشتَهى ... وتَرَفُّقي لك بعدُ واستِملاحي)
(وتَكَسُّرٌ في مقلتيك هو الذي ... عطَفَ الفُؤاد عليكَ بعد جِماح)
(لعَلِمت أنك لا تمازح شاعِراً ... في ساعةٍ ليست بحينِ مُزاحِ)
صوت
(أأبكاك بالعُرُف المنزلُ ... وما أنت والطَّلَلُ المُحولُ)
(وما أنتَ ويْك ورسمُ الدِّيار ... وسِنُّك قد قاربت تَكمُلُ)
عروضه من المتقارب والشعر للكميت بن زيد الأسدي والغناء لمعقل بن عيسى أخي أبي دلف العجلي ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر وهذان البيتان من قصيدة مدح الكميت بهما عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاصي بن أمية
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحسن بن عليل العنزي عن علي بن هشام عن محمد بن عبد الأعلى بن كناسة قال
كان بين بني أسد وبين طيء بالحص - وهي قريبة من قادسية الكوفة - حرب فاصطلحوا وبقي لطيء دماء رجلين فاحتمل ذلك رجل من بني أسد فمات قبل أن يؤديه فاحتمله الكميت بن زيد فأعانه فيه عبد الرحمن بن عنبسة فمدحه بقوله
(أأبكاك بالعُرُف المنزلُ ... وما أنت والطَّلَل المُحولُ)
فأعانه الحكم بن الصلت الثقفي فمدحه بقصيدته التي أولها
(... رأيت الغوانيَ وحشاً نَفُورا)
وأعانه زياد بن المغفل الأسدي فمدحه بقصيدته التي أولها
(... (هل للشباب الذي قد فات من طلب
ثم جلس الكميت وقد خرج العطاء فأقبل الرجل يعطي الكميت المائتين والثلاث المائة وأكثر وأقل قال وكانت دية الأعاربي حينئذ ألف بعير ودية الحضري عشرة آلاف درهم وكانت قيمة الجمل عشرة دراهم فأدى الكميت عشرين ألفا عن قيمة ألفي بعير
نسبة ما في أشعار الكميت هذه من الأغاني
صوت
منها
(هل للشباب الذي قد فات من طلبِ ... أم ليس غابرُه الماضي بمُنقلبِ)
(دَع البكاء على ما فات من طلب ... فالدّهر يأتي بألوان من العَجبِ)
غناه إبراهيم الموصلي خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية إسحاق
ذكر معقل بن عيسى
كان شاعرا ومغنيا
كان معقل بن عيسى فارسا شاعرا جوادا مغنيا فهما بالنغم والوتر وذكره الجاحظ مع ذكر أخيه أبي دلف وتقريظه في المعرفة بالنغم وقال إنه من أحسن أهل زمانه وأجود طبقته صنعة إذ سلم ذلك له أخوه معقل وإنما أخمل ذكره ارتفاع شأن أخيه وهو القائل لأبي دلف في عتب عتبه عليه
(أُخَيَّ مالكَ ترميني فتُقصِدَني ... وإن رَمَيْتُكَ سهماً لم يجزْ كبدِي)
(أُخيَّ مالَكَ مجبولاً على تِرتي ... كأن أجسادنا لم تُغْذَ من جسدِ)
وهو القائل لمخارق وقد كان زار أبا دلف إلى الجبل ثم رجع إلى العراق أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري
صوت
(لعمري لئن قَرَّتْ بقُربك أعينٌ ... لقد سَخِنت بالبَيْن منك عُيونُ)
(فَسِرِ أو أقِم وقفٌ عليك محبَّتي ... مكانُك من قلبي عليكِ مَصونُ)
(فما أوحشَ الدنيا إذا كنتَ نازحاً ... وما أحسنَ الدنيا بحيثُ تكونُ)
عروضه من الطويل والشعر لمعقل بن عيسى والغناء لمخارق ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى وفيه لحن لمعقل بن عيسى خفيف رمل وفيه ثاني ثقيل يقال إنه لمخارق ويقال إنه لمعقل
ومن شعر معقل قوله يمتدح المعتصم وفيه غناء للزبير بن دحمان من الثقيل الأول بالبنصر
صوت
(الدارُ هاجك رسمُها وطلولُها ... أم بَيْنَ سُعْدَى يوم جَدَّ رحيلُها)
(كُلٌّ شجاك فقل لعينك أعولي ... إن كان يُغني في الديار عَويلُها)
(ومحمدٌ زينُ الخَلائف والذي ... سَنَّ المكارمَ فاستَبان سَبِيلُها)
صوت
(أليسَ إلى أجبال شمخٍ إلى اللّوى ... لِوَى الرَّمل يوما للنُّفوس مَعادُ)
(بلاد بها كنا وكنا من اهلها ... إذِ النَّاس ناسٌ والبلادُ بلادُ)
الشعر لرجل من عاد فيما ذكروا والغناء لابن محرز ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر عن ابن المكي وقيل إنه من منحوله إليه
أخبرني ابن عمار عن أبي سعد عن محمد بن الصباح قال حدثنا يحيى بن سلمة بن أبي الأشهب التيمي عن الهيثم بن

عدي قال أخبرني حماد الراوية قال
حدثني ابن أخت لنا من مراد قال وليت صدقات قوم من العرب فبينا أنا أقسمها في أهلها إذ قال لي رجل منهم ألا أريك عجبا قلت بلى قال فأدخلني في
شعب من جبل فإذا أنا بسهم من سهام عاد من فتى قد نشب في ذروة الشعب وإذا على الجبل تجاهي مكتوب
(ألا هَلْ إلى أبياتِ شمخ إلى اللّوى ... لِوَى الرّمل يوماً للنُّفوس مَعادُ)
(بلاد بها كنا وكنا من اهلها ... إذِ النّاسُ ناسٌ والبلادُ بلادُ)
ثم أخرجني إلى ساحل البحر وإذا أنا بحجر يعلوه الماء طورا ويظهر تارة وإذا عليه مكتوب يابن آدم يابن عبد ربه اتق الله ولا تعجل في أمرك فإنك لن تسبق رزقك ولن ترزق ما ليس لك ومن البصرة إلى الديل ستمائة فرسخ فمن لم يصدق بذلك فليمش الطريق على الساحل حتى يتحققه فإن لم يقدر على ذلك فلينطح برأسه هذا الحجر
صوت
(يا بيت عاتكَة الذي أتعزَّل ... حَذَر العِدا وبه الفُؤادُ موكَّلُ)
(إني لأمنحُكَ الصُّدودَ وإنني ... قَسماً إليك مع الصُّدود لأميَلُ)
أتعزله أتجنبه وأكون بمعزل عنه العدا جمع عدو ويقال عدا بالضم وعدا بالكسر وأمنحك أعطيك والمنيحة العطية وفي الحديث أن رجلا منح بعض ولده شيئا من ماله فقال له النبي أكل ولدك منحت مثل هذا قال لا قال فارجعه
الشعر للأحوص بن محمد الأنصاري من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز الغناء لمعبد ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ويونس وغيرهما وفيه لابن سريج خفيف ثقيل الأول بالبنصر عن الهشامي وابن المكي وعلي بن يحيى

الأحوص وبعض أخباره

سرق أبيات سليمان بأعيانها وأدخلها في شعره وغير قوافيها فقط

أخبرني بخبر الأحوص في هذا الشعر الحرمي عن الزبير قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي وأخبرنا به الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن مصعب الزبيري عن المؤملي عن عمر بن أبي بكر الموصلي عن عبد الله بن أبي عبيدة بن عمار بن ياسر قال
خرجت أنا والأحوص بن محمد مع عبد الله بن الحسن بن الحسن إلى الحج فلما كنا بقديد قلنا لعبد الله بن الحسن لو أرسلت إلى سليمان بن أ بي دباكل فأنشدنا شيئا من شعره فأرسل إليه فأتانا فاستنشدناه فأنشدنا قصيدته التي يقول فيها
(يا بيتَ خَنْساءَ الذي أتجنَّبُ ... ذهب الشباب وحُبُّها لا يَذْهَبُ)
(أصبحت أمنَحُكِ الصدودَ وإنّني ... قَسماً إليك مع الصُّدودِ لأجنُبُ)
(ما لي أحِنُّ إلى جمالِكِ قُرِّبت ... وأصُدُّ عنك وأنت مِنّي أقربُ)
(لله دَرُّك هل لديك مُعوَّلٌ ... لمتيَّمٍ أم هل لوُدِّكِ مَطلبُ)
(فلقد رأيتك قبل ذاك وإنني ... لمُوكَّلٌ بهواك أو مُتَقَرِّب
(إذ نحن في الزمنِ الرخيِّ وأنتُم ... متجاورون كلامُكم لا يُرقَبُ)
(تبكي الحمامةُ شَجوها فتَهيجُني ... عازبُ همِّيَ المتأوِّبُ)
(وتَهبُّ جاريةُ الرياح مِنَ ارضكم ... فأرى البلاد لها تُطِلُّ وتُخصِب)
(وأرى السّمية باسمكِم فيزيدُني ... شوقاً إليك رجاؤكِ المُتنسّبُ)
(وأرى العدوَّ يودّكم فأودّه ... إن كان يُنسب منك أو لا يُنسبُ)
(وأخالِف الوَاشِينَ فيكِ تجمُّلاً ... وهُم عليَّ ذَوُو ضغائنَ دُوَّبُ)
(ثم اتخذتِهم عليَّ وَليجةً ... حتى غَضِبت ومثلُ ذلك يُغضِبُ)
قال فلما كان من قابل حج أبو بكر بن عبد العزيز بن مروان فقدم المدينة فدخل عليه الأحوص واستصحبه فأصحبه فلما خرج الأحوص قال له بعض من عنده ماذا تريد بنفسك تقدم بالأحوص الشام وبها من ينافسك من بني أبيك وهو من الأفن والسفه على ما قد علمت فيعيبونك به فلما رجع أبو بكر من الحج دخل عليه الأحوص متنجزا لما وعده من الصحابة فدعا له بمائة دينار وأثواب وقال يا خال إني نظرت فيما سألتني من الصحابة فكرهت أن أهجم بك على أمير المؤمنين من غير إذنه فيجبهك فيشمت بك عدوي من أهل بيتي ولكن خذ هذه الثياب والدنانير وأنا مستأذن لك أمير المؤمنين فإذا أذن لك كتبت إليك فقدمت علي فقال له الأحوص لا ولكن قد سبعت عندك ولا حاجة لي بعطيتك ثم خرج من عنده فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فأرسل إلى الأحوص وهو يومئذ أمير المدينة فلما دخل عليه أعطاه مائة دينار وكساه ثيابا فأخذ ذلك ثم قال له
يا أخي هب لي عرض أبي بكر قال هو لك ثم خرج الأحوص فقال له عروض قصيدة سليمان بن أبي دبا كل قصيدة مدح بها عمر بن عبد العزيز
وقال حماد قال أبي سرق أبيات سليمان بأعيانها وأدخلها في شعره وغير قوافيها فقط فقال
(يا بيتَ عاتكة الذي أتعزّل ... حذَر العِدَا وبه الؤاد موكَّل)
(أصبحتُ أمنحُك الصّدود وإنّني ... قسَماً إليك مع الصّدود لأمْيَلُ)
(فصددتُ عنك وما صددتُ لِبغْضةٍ ... أخشى مقالةَ كاشحٍ لا يعْقِلُ)
(هل عيشُنا بك في زمانكِ راجِعٌ ... فلقد تفاحش بعدك المتعلّل)
(إني إذا قُلتُ استقام يحُطُّه ... خُلْفٌ كما نظر الخِلافَ الأقبَلُ)
(لو بالّذي عالجت لِينَ فؤاده ... فأبَى يُلانُ بهِ لَلانَ الْجَنْدَلُ)
(وتَجنُّبي بَيتَ الحبيبِ أودُّه ... أُرضِي البغيضَ به حديثٌ مُعْضِلُ)
(ولئن صددتُ لأنتِ لولا رقبتي ... أهوَى من اللائي أزورُ وأدْخُلُ)
(إنّ الشّبابَ وعيشَنا اللذَّ الذي ... كُنّا به زمناً نُسرُّ ونَجذَلُ)
(ذهبت بشاشتُه وأصبح ذكرُه ... حُزْناً يُعلُّ به الفؤاد وينهلُ)
(إلاَّ تَذَكُّرَ ما مضى وصبابة ... مُنِيَتْ لقلْب متيَّمٍ لا يَذْهَلُ)

(أودَى الشبابُ وأخلقَتْ لذَّاتُه ... وأنا الحزينُ على الشباب المُعْوِلُ)
(يبكِي لما قَلَبَ الزمانُ جديدَه ... خَلَقاً وليس على الزّمان مُعوَّلُ)
(والرأس شامِلُه البَياضُ كأنه ... بعد السّواد به الثّغامُ المُحْجِلُ)
((وسفيهةٍ هبَّت عليّ بسُحْرةٍ ... جَهْلاً تلوم على الثّواء وتعذلُ
(فأجبتُها أن قلتُ لستِ مُطاعةً ... فذري تنصُّحكَ الذي لا يُقبَلُ)
(إنّي كَفانِي أن أعالج رِحْلَةً ... عُمرٌ ونبوةُ من يضِنّ ويبخل)
(بنَوالِ ذِي فجرٍ تكون سِجالُه ... عَمَمًّا إذا نزل الزّمانُ الممحِلُ)
(ماضٍ على حدث الأمور كأنه ... ذو رَوْنَقٍ عَضْبٌ جَلاهُ الصَّيْقَلُ)
(تُبدِي الرجال إذا بدا إعظامه ... حذَرَ البُغاث هَوَى لهنّ الأجْدَلُ)
(فيرون أنّ له عليهم سورةً ... وفضيلَةً سَبَقَتْ له لا تُجْهَلُ)
(مُتحمّلٌ ثِقَلَ الأمور حوى له ... سبقَ المكارم سابِقٌ مُتمهِّلُ)
(وله إذا نُسِبَتْ قريشٌ منهم ... مجد الأرومة والفَعالُ الأفضلُ)
(وله بمكة إذْ أميّة أهلُها ... إرثٌ إذا عُدَّ القديمُ مُؤثّلُ)
(أعيت قرابته وكان لُزومه ... أمْراً أبانَ رَشادَه مَنْ يَعقِلُ)
(وسموتَ عن أخلاقهم فتركتهم ... لنداك إنّ الحازمَ المتحوِّلُ)
(ولقد بدأتُ أُريدُ وُدَّ معاشرٍ ... وَعَدُوا مواعِدَ أخلفت إن حُصِّلُوا)
(حتى إذا رجَع اليقينُ مطامِعِي ... يأساً وأخلَفَني الذين أُؤمِّلُ)
(زايلتُ ما صَنعوا إليك برحلةٍ ... عَجْلَى وعندك عنهم مُتحوَّلُ)
(ووعدتني في حاجةٍ فصدَقْتَنِي ... ووفيتَ إذ كَذَبُوا الحديثَ وبدَّلوا)
(وشكوتُ غُرماً فادحاً فحملتَه ... عنّي وأنت لمثله مُتحمِّل)
(فلأشكرنَّ لك الذي أوليتَني ... شُكراً تُحِلُّ به المطيُّ وتُرحَلُ)
((مِدَحاً تكون لكم غرائبُ شعرها ... مَبْذُولَةً ولغيركم لا تبذل
(فإذا تَنَحَّلْتُ القريضَ فإنّه ... لكم يكون خيارُ ما أتَنَحَّلُ)
(ولعمرُ مَن حَجَّ الحجيجُ لِبَيْته ... تَهْوِي به قُلُص المَطِيِّ الذُّمَّلُ)
(إنَّ امرأً قد نال منك قرابةً ... يَبْغي منافِعَ غيرها لمُضَلَّلُ)
(تَعْفُو إذا جَهِلُوا بحلمك عنهم ... وتُنيلُ إن طلبوا النّوال فتُجزِلُ)
(وتكون مَعْقِلَهمْ إذا لم يُنجِهم ... من شرِ ما يخشون إلاّ المَعْقِل)
(حتى كأنك يُتّقى بك دونهمْ ... من أسْد بيشة خادِرٌ مُتبسِّل)
(وأراكَ تفعلُ ما تقول وبعضُهم ... مَذِقُ الحديث يقولُ ما لا يَفْعَل)
(وأرى المدينةَ حين صِرْتَ أميرَها ... أمِنَ البَرِيءُ بها ونام الأعزلُ)
فقال عمر ما أراك أعفيتني مما استعفيت منه قال لأنه مدح عمر وعرض بأخيه أبي بكر

نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الأغاني

صوت

(ما لي أحِنُّ إذا جِمالُك قُرِّبت ... وأصدّ عنك وأنت مني أقربُ)
(وأرى البلادَ إذا حللتِ بغيرها ... وَحْشاً وإن كانت تُظَلّ وتُخْصِبُ)
(يا بيت خنساءَ الذي أتجنَّب ... ذهب الشباب وحُبُّها لا يذهَبُ)
(تبكي الحمامةُ شجوَها فتَهيجُني ... ويَرُوحُ عازب هَمِّيَ المتأوِّبُ)
الشعر لسليمان بن أبي دباكل والغناء لمعبد خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو وقال ابن المكي فيه خفيف ثقيل آخر لابن محرز وأوله
(... تبكي الحمامة شجوها فتهيجني)

من هي عاتكة التي يذكرها الأحوص في شعره

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي وقال محمد بن كناسة حدثني أبو دكين بن زكريا بن محمد بن عمار بن ياسر قال رأيت عاتكة التي يقول فيها الأحوص
(... يا بيت عاتكة الذي أتعزل)
وهي عجوز كبيرة وقد جعلت بين عينيها هلالا من نيلج تتملح به
أخبرني الحرمي عن الزبير عن محمد بن محمد العمري قال عاتكة التي يشبب بها الأحوص عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية
أخبرني الحرمي عن الزبير عن إسحاق بن عبد الملك
أن الأحوص كان لينا وأن عاتكة التي ينسب بها ليست عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية وإنما هو رجل كان ينزل قرى كانت بين الأشراف كنى عنه بعاتكة
أخبرني الحرمي عن الزبيري عن يعقوب بن حكيم قال
كان الأحوص لينا وكان يلزم نازلا بالأشراف فنهاه أخوه عن ذلك فتركه فرقا من أخيه وكان يمر قريبا من خيمة النازل بالأشراف ويقول
((يا بيت عاتكة الذي أتعزّل ... حذر العدا وبه الفؤاد موكل
يكنى عنه بعاتكة ولا يقدر أن يدخل عليه

الفرزدق وكثير يزوران الأحوص

أخبرني الحرمي عن الزبيري عن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم قال حدثني عبد العزيز بن عمران قال قدم الفرزدق المدينة فقال لكثير هل لك بنا في الأحوص نأتيه ونتحدث عنده فقال له وما نصنع به إذا والله نجد عنده عبدا حالكا أسود حلوكا يؤثره علينا ويبيت مضاجعه ليلته حتى يصبح قال الفرزدق فقلت إن هذا من عداوة الشعراء بعضهم

لبعض قال فانهض بنا إليه إذا لا أب لغيرك قال الفرزدق فأردفت كثيرا ورائي على بغلتي وقلت تلفف يا أبا صخر فمثلك لا يكون رديفا فخمر رأسه وألصق في وجهه فجعلت لا أجتاز بمجلس قوم إلا قالوا من هذا وراءك يا أبا فراس فأقول جارية وهبها لي الأمير فلما أكثرت عليه من ذلك واجتاز على بني زريق وكان يبغضهم فقلت لهم ما كنت أقول قبل ذلك كشف عن رأسه وأومض وقال كذب ولكني كرهت أن أكون له رديفا وكان حديثه لي معجبا فركبت وراءه ولم تكن لي دابة أركبها إلا دابته فقالوا لا تعجل يا أبا صخر ههنا دواب كثيرة تركب منها ما أردت فقال دوابكم والله أبغض إلي من ردفه فسكتوا عنه وجعل يتغشم عليهم حتى جاوز أبصارهم فقلت والله ما قالوا لك بأسا فما الذي أغضبك عليهم فقال والله ما أعلم نفرا أشد تعصبا للقرشيين من نفر اجتزت بهم قال فقلت له وما أنت لا أم لك ولقريش قال أنا والله أحدهم قلت إن كنت أحدهم فأنت والله دعيهم قال دعيهم خير من صحيح نسب العرب وإلا فأنا والله من أكرم بيوتهم أنا أحد بني الصلت بن النضر قلت إنما قريش ولد فهر بن مالك فقال كذبت فقال ما علمك بابن الجعراء بقريش هم بنو النضر بن كنانة ألم تر إلى النبي انتسب إلى النضر بن كنانة ولم يكن ليجاوز أكرم نسبه قال فخرجنا حتى أتينا الأحوص فوجدناه في مشربة له فقلنا له أنرقى إليك أم تنزل إلينا قال لا أقدر على ذلك عندي أم جعفر ولم أرها منذ أيام ولي فيها شغل فقال كثير أم جعفر والله بعض عبيد الزرانيق فقلنا له فأنشدنا بعض ما أحدثت به فأنشدنا قوله

(يا بَيْتَ عاتكةَ الذي أتعزّل **...** حذرَ العِدا وبه الفُؤادُ مُوكَّلُ)

حتى أتى على آخرها فقلت لكثير قاتله الله ما أشعره لولا ما أفسد به نفسه قال ليس هذا إفسادا هذا خسف إلى التخوم فقلت صدقت وانصرفنا من عنده فقال أين تريد فقلت إن شئت فمنزلي وأحملك على البغلة وأهب لك المطرف وإن شئت فمنزلك ولا أرزؤك شيئا فقال بل منزلي وأبذل لك ما قدرت عليه وانصرفنا إلى منزله فجعل يحدثني وينشدني حتى جاءت الظهر فدعا لي بعشرين دينارا وقال استعن بهذه يا أبا فراس على مقدمك قلت هذا أشد من حملان بني زريق قال والله إنك ما تأنف من أخذ هذا من أحد غير الخليفة قال الفرزدق فجعلت أقول في نفسي تالله إنه لمن قريش وهممت ألا أقبل منه فدعتني نفسي وهي طمعة إلى أخذها منه فأخذتها

معنى قول كثير للفرزدق يابن الجعراء يعيره بدغة وهي أم عمرو بن تميم وبها يضرب المثل في الحماقة فيقال هي أحمق من دغة وكانت حاملا فدخلت الخلاء فولدت وهي لا تعلم ما الولد وخرجت وسلاها بين رجليها وقد استهل ولدها فقالت يا جارتا أيفتح الجعر فاه فقالت جارتها نعم يا حمقاء ويدعو أباه فبنو تميم يعيرون بذلك ويقال للمنسوب منهم يا بن الجعراء

ملاحاة بينه وبين السري بن عبد الرحمن

أخبرني الحرمي عن الزبير قال حدثني سليمان بن داود المجمعي قال

اجتاز السري بن عبد الرحمن بن عتبة بن عويم بن ساعدة الأنصاري بالأحوص وهو ينشد قوله

(**...** يا بيتَ عاتكةَ الذي أتعزّل)

فقال السري

(يا بَيْتَ عاتكةَ المُنَوَّهَ باسْمِهِ **...** اقعُد على مَنْ تحتَ سَقْفِك واعْجَل)

فواثبه الأحوص وقال في ذلك

(فأنت وشتمي في أكاريس مالك **...** وسَبّي به كالكَلْب إذ يَنبح النَّجْما)

((تَداعَى إلى زَيْد وما أنتَ منهم **...** تَحُقُّ أباً إلاّ الولاءَ ولا أمّا)

(وإنّك لو عَدَّدْتَ أحسابَ مالك **...** وأيامها فيها ولم تنطق الرَّجْما)

(أعادتْك عَبْداً أو تَنَقَّلتَ كاذِباً **...** تَلَمَّسُ في حيٍّ سِوى هالك جِذْما)

(وما أنا بالمحْسوس في جِذْمِ مالك **...** ولا بالمسمَّى ثم يلتزم الإسْمَا)

(ولكن أبي لَوْ قد سألتَ وجدتَه **...** توسَّطَ منها العِزَّ والحَسَبَ الضَّخْما)

فأجابه السري فقال

(سألتُ جميعَ هذا الخلق طُرًّا **...** متى كان الأُحَيْوص من رجالي)

وهي أبيات ليست بجيدة ولا مختارة فألغيت ذكرها

شعره يسعف دليل المنصور

أخبرني محمد بن أحمد بن الطلاس أبو الطيب عن أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني وأخبرني به الحرمي عن الزبير قال حدثني عمي وقد جمعت روايتيهما

أن المنصور أمر الربيع لما حج أن يسايره برجل يعرف المدينة وأهلها وطرقها ودورها وحيطانها فكان رجل من أهلها قد انقطع إلى الربيع زمانا وهو رجل من الأنصار فقال له تهيأ فإني أظني جسدك قد تحرك إن أمير المؤمنين قد أمرني أن أسايره برجل يعرف المدينة وأهلها وطرقها وحيطانها

ودورها فتحسس موافقته ولا تبتدئه بشيء حتى يسألك ولا تكتمه شيئا ولا تسأله حاجة فغدا عليه بالرجل وصلى المنصور فقال يا ربيع الرجل فقال ها هو ذا فسار معه يخبره عما سال حتى ندر من أبيات المدينة فأقبل عليه المنصور فقال من أنت أولا فقال من لا تبلغه معرفتك هكذا ذكر الخراز وليس في رواية الزبير فقال مالك من الأهل والولد فقال والله ما تزوجت ولا لي خادم قال فأين منزلك قال ليس لي منزل قال فإن أمير المؤمنين قد أمر لك بأربعة آلاف درهم فرمي بنفسه فقبل رجله فقال له اركب فركب فلما أراد الانصراف قال للربيع يا أبا الفضل قد أمر لي أمير المؤمنين بصلة قال إيه قال إن رأيت أن تنجزها لي قال هيهات قال فأصنع ماذا قال لا أدري والله وفي رواية الخراز أنه قال ما أمر لك بشيء ولو أمر به لدعاني فقال أعطه أو وقع إلي فقال الفتى هذا هم لم يكن في الحساب فلبثت أياما ثم قال المنصور للربيع ما فعل الرجل قال حاضر قال سايرنا به الغداة ففعل وقال له الربيع إنه خارج بعد غد فاحتل لنفسك فإنه والله إن فاتك فإنه آخر العهد به فسار معه فجعل لا يمكنه شيء حتى انتهى إلى مسيره ثم رجع وهو كالمعرض عنه فلما خاف فوته أقبل عليه فقال يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة قال وما بيت عاتكة قال الذي يقول فيه الأحوص

(**...** يا بيت عاتكة الذي أتعزل)

قال فمه قال إنه يقول فيها

(إنّ امرأً قد نال منك وسيلةً **...** يرجُو منافعَ غَيرها لمضّلُ)

(وأراكَ تفعَلُ ما تقول وبَعضُهم **...** مَذِقُ الحديث يقول ما لا يَفْعَلُ)

فقال الزبير في خبره فقال له لقد رأيتك أذكرت بنفسك يا سليمان

ابن مخلد أعطه أربعة آلاف درهم فأعطاه إياها وقال الخراز في خبره فضحك المنصور وقال قاتلك الله ما أظرفك يا ربيع أعطه ألف درهم فقال يا أمير المؤمنين إنها كانت أربعة آلاف درهم فقال ألف يحصل خير من أربعة آلاف لا تحصل
وقال الخراز في خبره حدثني المدائني قال
أخذ قوم من الزنادقة وفيهم ابن لابن المقفع فمر بهم على أصحاب المدائن فلما رآهم ابن المقفع خشي أن يسلم عليهم فيؤخذ فتمثل
(يا بيتَ عاتكةَ الذي أتعزَّلُ ... حذَرَ العِدا وبه الفؤادُ مُوَكَّلُ)
الأبيات ففطنوا لما أراد فلم يسلموا عليه ومضى
هو ومعبد المغني في حضرة يزيد بن عبد الملك
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن ابن شبة قال
بلغني أن يزيد بن عبد الملك كتب إلى عامله أن يجهز إليه الأحوص الشاعر ومعبدا المغني
فأخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثني إسماعيل بن أبي أويس قال حدثني أبي قال حدثنا سلمة بن صفوان الزرقي عن الأحوص الشاعر وذكر إسماعيل بن سعيد الدمشقي أن الزبير بن بكار حدثه عن ابن أبي أويس عن أبيه عن مسلمة بن صفوان عن الأحوص وأخبرني به الحرمي عن الزبير عن عمه عن جرير المديني المغني وأبو مسكين قالوا جميعا
كتب يزيد بن عبد الملك في خلافته إلى أمير المدينة وهو عبد الواحد ابن عبد الله النصري أن يحمل إليه الأحوص الشاعر ومعبدا المغني مولى
ابن قطن قال فجهزنا وحملنا إليه فلما نزلنا عمان أبصرنا غديرا وقصورا فقعدنا على الغدير وتحدثنا وذكرنا المدينة فخرجت جارية من بعض تلك القصور ومعها جرة تريد أن تستقي فيها ماء قال الأحوص فتغنت بمدحي في عمر بن عبد العزيز
(... يا بيت عاتكةَ الذي أتعزل)
فتغنت بأحسن صوت ما سمعته قط ثم طربت فألقت الجرة فكسرتها فقال معبد غنائي والله وقلت شعري والله فوثبنا إليها وقلنا لها لمن أنت يا جارية قالت لآل سعيد بن العاص وفي خبر جرير المعني لآل الوليد بن عقبة ثم اشتراني رجل من آل الوحيد بخمسين ألف درهم وشغف بي فغلبته بنت عم له طرأت عليه فتزوجها على أمري فعاقبت منزلتها بمنزلتي ثم علا مكانها مكاني فلم تزدها الأيام إلا ارتفاعا ولم تزدني إلا اتضاعا فلم ترض منه إلا بأن أخدمها فوكلتني باستقاء الماء فأنا على ما تريان أخرج أستقي الماء فإذا رأيت هذه القصور والغدران ذكرت المدينة فطربت إليها فكسرت جرتي فيعذلني أهلي ويلومونني قال فقلت لها أنا الأحوص والشعر لي وهذا معبد والغناء له ونحن ماضيان إلى أمير المؤمنين وسنذكرك له أحسن ذكر وقال جرير في خبره ووافقه وكيع ورواية عمر بن شبة قالوا فأنشأت الجارية تقول
(إن تروني الغداةَ أسعى بجرٍ ... أستقي الماء نحو هذا الغدير)
(فلقد كنتُ في رخاء من العيش ... وفي كل نعمةٍ وسرُور)
(ثم قد تُبصِران ما فيه أمْسَيْتُ ... وماذا إليه صار مَصِيري)
(فإلى الله أشتكي ما ألاقي ... من هَوانٍ وما يُجِنُّ ضَمِيري)
(أبلغا عَنّي الإمامَ وما يعرف ... صِدقَ الحديث غيرُ الخَبير)
(إنني أضْرَبُ الخَلائِق بالعُودِ ... وأحْكاهُم بِبَمٍّ وزير
(فلعلّ الإله يُنقِذ مما ... أنا فيه فإنّني كالأسِير)
(ليتني مِتّ يوم فارقتُ أهلي ... وبلادي فزُرت أهلَ القُبور)
(فاسمعا ما أقول لقَّا كما ... الله نجاحاً في أحسن التيسير)
فقال الأحوص من وقته
صوت
(إنّ زينَ الغدير من كسر الجرْ ... وَغَنّي غِناء فحلٍ مُجيد)
(قلتُ من أنتِ يا ظعينُ فقالت ... كنتُ فيما مضى لآل الوليدِ)
وفي رواية الدمشقي
(قلت من أيْن يا خَلوبُ فقالت ... كنتُ فيما مضى لآل سعيد)
(ثم أصبحْتُ بعد حَيّ قريشٍ ... في بني خالد لآل الوحيد)
(فغِنائي لمعبد ونَشيدي ... لفتى الناس الأحْوَص الصِّنْديدِ)
(فتباكيْتُ ثم قلت أنا الأحْوص ... والشيخ مَعْبدٌ فأعِيدي)
(فأعادت لنا بصوتٍ شجِيٍّ ... يترك الشيخَ في الصِّبا كالوَليدِ)
وفي رواية أبي زيد
(فأعادت فأحسنَتْ ثم ولّتْ ... تَتهادَى فقلتُ قولَ عميدِ)
(يعجِزُ المالُ عن شِراكِ ولكنْ ... أنتِ في ذِمَّة الهُمام يزيدِ)
(ولكِ اليومَ ذِمّتي بوفاءٍ ... وعلى ذاكِ من عِظام العهودِ)
(أنْ سيَجْري لك الحديثُ بصوتٍ ... مَعبديّ يَرُدُّ حَبْلَ الوريدِ
(يفعل الله ما يشاء فَظُنّي ... كُلَّ خير بنا هناكَ وزِيدي)
(قالت القَينةُ الكَعَابُ إلى ... اللهِ أموري وأرْتَجِي تسْدِيدِي)
غناه معبد ثاني ثقيل بالبنصر من رواية حبش والهشامي وغيرهما وهي طريقة هذا الصوت وأهل العلم بالغناء لا يصححونه لمعبد
قال الأحوص وضع فيه معبد لحنا فأجاده فلما قدمنا على يزيد قال يا معبد أسمعني أحدث غناء غنيت وأطراه فغناه معبد
(إنّ زَينَ الغدير من كَسرَ الجرَّ ... وغَنَّى غِناء فحلٍ مُجيدِ)
فقال يزيد إن لهذا لقصة فأخبراني بها فأخبراه فكتب لعامله بتلك الناحية إن لآل فلان جارية من حالها ذيت وذيت فاشترها بما بلغت فاشتراها بمائة ألف درهم وبعث بها هدية وبعث معها بألطاف كثيرة فلما قدمت على يزيد رأى فضلا بارعا فأعجب بها وأجازها وأخدمها وأقطعها وأفرد لها قصرا قال فوالله ما برحنا حتى جاءتنا منها جوائز وكسا وطرف

وقال الزبير في خبره عن عمه قال
أظن القصة كلها مصنوعة وليس يشبه الشعر شعر الأحوص ولا هو من طرازه وكذلك ذكر عمر بن شبة في خبره
أخبرني الحرمي عن الزبير قال
سمعت هشام بن عبد الله بن عكرمة يحدث عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال
ينذر بزوال الدولة الأموية
كنت مع يزيد بن عمر بن هبيرة ليلة الفرات فلما انهزم الناس التفت إلي فقال يا أبا الحارث أمسينا والله وهم كما قال الأحوص
(أبْكِي لما قَلَبَ الزمانُ جديدَه ... خَلَقاً وليس على الزمان مُعَوَّلُ)
أخبرني الحرمي عن الزبير عن محمد بن محمد العمري
أن عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية رئيت في النوم قبل ظهور دولة بني العباس على بني أمية كأنها عريانة ناشرة شعرها تقول
(أين الشَّبابُ وعيشُنا اللّذُّ الذي ... كُنَّا به يوما نُسَرُّ ونُجذَلُ)
(ذهبت بَشاشتُه وأصبحَ ذِكْرُه ... حُزْناً يُعَلُّ به الفؤادُ ويُنْهَل)
فتأول الناس ذلك بزوال دنيا بني أمية فكان كما قالوا
أخبرني بهذا الخبر الحسن بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الجمحي عن شيخ من قريش
أنه رأى في النوم امرأة من ولد عثمان بن عفان على منايم على دار عثمان المقبلة على المسجد وهي حاسرة في يديها عود وهي تضرب به وتغني
(أين الشَّبابُ وعيشُنا اللّذُّ الذي ... كُنَّا بِهِ زَمناً نُسَرُّ ونُجذَلُ)
(ذهبت بَشاشتُه وأصبحَ ذِكْرُه ... حُزْناً يُعَلُّ به الفؤادُ ويُنْهَل)
قال فما لبثنا إلا يسيرا حتى خرج الأمر عن أيديهم وقتل مروان
قال إسحاق المنامة الدكان وجمعها منايم
صوت
(يا هندُ إنَّكِ لو علمتِ ... بعَاذِلَيْنِ تتابعا)
(قالا فلمْ أسْمَعْ لِمَا ... قالا وقلتُ بل اسْمَعا)
(هندٌ أحبُّ إليَّ من ... مالي وروحي فارْجِعَا)
(ولقد عَصَيْتُ عَواذِلي ... وأطعتُ قلباً مُوجَعا)
الشعر لعبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام والغناء لابن سريج ولحنه فيه لحنان أحدهما من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق والآخر رمل بالوسطى عن عمرو وفيه خفيف ثقيل ذكر أبو العبيس أنه لابن سريج وذكر الهشامي وابن المكي أنه للغريض وذكر حبش أن لإبراهيم فيه رملا آخر بالبنصر وقال أحمد بن عبيد الذي صح فيه ثقيل الأول وخفيفه ورمله وذكر إبراهيم أن فيه لحنا لابن عباد
ذكر عبد الله بن الحسن بن الحسن
عليهم السلام ونسبه وأخباره وخبر هذا الشعر
عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وقد مضى نسبه في أخبار عمه الحسين صلوات الله عليه في شعره الذي يقول فيه
(لعمرُكَ إنَّنِي لأُحِبُّ داراً ... تَحِلُّ بِهَا سُكَيْنَةُ والرَّبابُ)
ويكنى عبد الله بن الحسن أبا محمد وأم عبد الله بن الحسن بن الحسن فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وأمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله وأمها الجرباء بنت قسامة بن رومان عن طيء
لماذا سميت جدته الجرباء
أخبرني أحمد بن سعيد قال حدثنا يحيى بن الحسن قال
إنما سميت الجرباء لحسنها كانت لا تقف إلى جنبها امرأة وإن كانت جميلة إلا استقبح منظرها لجمالها وكان النساء يتحامين أن يقفن إلى جنبها فشبهت بالناقة الجرباء التي تتوقاها الإبل مخافة أن تعديها
وكانت أم إسحاق من أجمل نساء قريش وأسوئهن خلقا ويقال إن نساء بني تيم كانت لهن حظوة عند أزواجهن على سوء أخلاقهن ويروى أن
أم إسحاق كانت ربما حملت وولدت وهي لا تكلم زوجها
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمه بذلك قال
وقد كانت أم إسحاق عند الحسن بن علي بن ابي طالب صلوات الله عليه قبل أخيه الحسين عليه السلام فلما حضرته الوفاة دعا بالحسين صلوات الله عليه فقال له يا أخي إني أرضى هذه المرأة لك فلا تخرجن من بيوتكم فإذا انقضت عدتها فتزوجها فلما توفي الحسن عنها تزوجها الحسين عليه السلام وقد كانت ولدت من الحسن عليه السلام ابنه طلحة بن الحسن فهو أخو فاطمة لأمها وابن عمها وقد درج طلحة ولا عقب له
ومن طرائف أخبار التيميات من نساء قريش في حظوتهن وسوء أخلاقهن ما أخبرنا به الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن محمد بن عبد الله قال
كانت أم سلمة بنت محمد بن طلحة عند عبد الله بن الحسن وكانت تقسو عليه قسوة عظيمة وتغلظ له ويفرق منها ولا يخالفها فرأى يوما منها طيب نفس فأراد أن يشكو إليها قسوتها فقال لها يا بنت محمد قد أحرق والله قلبي . . . فحددت له النظر وجمعت وجهها وقالت له أحرق قلبك ماذا فخافها فلم يقدر على أن يقول لها سوء خلقك فقال لها حب أبي بكر الصديق فأمسكت عنه
وتزوج الحسن بن الحسن فاطمة بنت الحسين في حياة عمه وهو عليه السلام زوجه إياها
زواجه فاطمة بنت الحسين
أخبرني الطوسي والحرمي عن الزبير عن عمه بذلك وحدثني أحمد
ابن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن عن إسماعيل بن يعقوب قال حدثني جدي عبد الله بن موسى بن عبد الله بن

الحسن قال
خطب الحسن بن الحسن إلى عمه الحسين صلوات الله عليه وسأله أن يزوجه إحدى ابنتيه فقال له الحسين عليه السلام اختر يا بني أحبهما إليك فاستحيا الحسن ولم يحر جوابا فقال له الحسين عليه السلام فإني اخترت منهما لك ابنتي فاطمة فهي أكثر شبها بأمي فاطمة بنت رسول الله
أخبرني الطوسي والحرمي عن الزبير عن عمه مصعب
أن الحسن لما خيره عمه اختار فاطمة وكانوا يقولون إن امرأة سكينة مردودتها لمنقطعة القرين في الجمال
أخبرني الطوسي والحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن أحمد بن يحيى وأحمد بن زهير عن الزبير وأخبرني أحمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن عن الزبير بن بكار واللفظ للحسن بن علي وخبره أتم قال قال الزبير حدثني عمي مصعب ولم يذكر أحدا
ماذا قال حين حضرته الوفاة
وأخبرني محمد بن يحيى عن أيوب عن عمر بن أبي الموالي قال الزبير وحدثني عبد الملك بن عبد العزيز بن يوسف بن الماجشون وقد دخل حديث بعضهم في بعض حديث الآخرين
أن الحسن بن الحسن لما حضرته الوفاة جزع وجعل يقول إني لأجد
كربا ليس إلا هو كرب الموت وأعاد ذلك دفعات فقال له بعض أهله ما هذا الجزع تقدم على رسول الله وهو جدك وعلى علي والحسن والحسين صلوات الله عليهم وهم آباؤك فقال لعمري إن الأمر لكذلك ولكني كأني بعبد الله بن عمرو بن عثمان حين أموت وقد جاء في مضرجتين أو ممصرتين وهو يرجل جمته يقول أنا من بني عبد مناف جئت لأشهد ابن عمي وما به إلا أن يخطب فاطمة بنت الحسين فإذا جاء فلا يدخل علي فصاحت فاطمة أتسمع قال نعم قالت أعتقت كل مملوك لي وتصدقت بكل ملك لي إن أنا تزوجت بعدك أحدا أبدا قال فسكن الحسن وما تنفس ولا تحرك حتى قضى فلما ارتفع الصياح أقبل عبد الله على الصفة التي ذكرها الحسن فقال بعض القوم ندخله وقال بعضهم لا يدخل وقال قوم لا يضر دخوله فدخل وفاطمة تصك وجهها فأرسل إليها وصيفا كان معه فجاء يتخطى الناس حتى دنا منها فقال لها يقول لك مولاي ابقي على وجهك فإن لنا فيه أربا قال فأرسلت يدها في كمها واختمرت وعرف ذلك منها فما لطمت وجهها حتى دفن صلوات الله عليه فلما انقضت عدتها خطبها فقالت فكيف لي بنذري ويميني فقال نخلف عليك بكل عبد عبدين وبكل شيء شيئين ففعل وتزوجته وقد قيل في تزويجه إياها غير هذا
أخبرني به أحمد بن محمد بن إسماعيل الهمداني عن يحيى بن الحسن العلوي عن أخيه أبي جعفر عن إسماعيل بن يعقوب عن محمد ابن عبد الله البكري
أن فاطمة لما خطبها عبد الله أبت أن تتزوجه فحلفت عليها أمها لتتزوجنه وقامت في الشمس وآلت لا تبرح حتى تتزوجته فكرهت فاطمة أن تحرج فتزوجته
وكان عبد الله بن الحسن بن الحسن شيخ أهله وسيدا من ساداتهم ومقدما فيهم فضلا وعلما وكرما وحبسه أبو جعفر المنصور في الهاشمية بالكوفة لما خرج عليه ابناه محمد وإبراهيم فمات في الحبس وقيل إنه سقط عليه وقيل غير ذلك
انتهى كل حسن إليه
أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن عن علي بن أحمد الباهلي قال سمعت مصعبا الزبيري يقول انتهى كل حسن إلى عبد الله بن حسن وكان يقال من أحسن الناس فيقال عبد الله بن الحسن ويقال من أفضل الناس فيقال عبد الله بن الحسن
حدثني محمد بن الحسن الخثعمي الأشناني والحسن بن علي السلولي قالا حدثنا عباد بن يعقوب قال
حدثنا تلميذ بن سليمان قال رأيت عبد الله بن الحسن وسمعته يقول أنا أقرب الناس إلى رسول الله ولدتني بنت رسول الله مرتين
حدثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن عن إسماعيل ابن يعقوب عن عبد الله بن موسى قال
أول من اجتمعت له ولادة الحسن عليه السلام والحسين صلوات الله عليهما عبد الله بن الحسن عليه السلام
حدثني محمد بن الحسن الأشناني عن عبد الله بن يعقوب عن بندقة ابن محمد بن حجازة الدهان قال
رأيت عبد الله بن الحسن فقلت هذا والله سيد الناس كان مكسوا نورا من قرنه إلى قدمه
قال علي بن الحسين وقد روي ذلك في أخبار أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي عليه السلام
حدثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن عن القاسم ابن عبد الرزاق قال
جاء منظور بن زيان الفزاري إلى حسن بن حسن وهو جده أبو أمه فقال له لعلك أحدثت بعدي أهلا قال نعم تزوجت بنت عمي الحسين ابن علي عليهما السلام قال بئسما صنعت أما علمت أن الأرحام إذا التقت أضوت كان ينبغي أن تتزوج في الغرب قال فإن الله جل وعز قد رزقني منها ولدا قال أرنيه فأخرج إليه عبد الله بن الحسن فسر به وقال أنجبت هذا والله ليث غاب ومعدو عليه قال فإن الله تعالى قد رزقني منها ولدا ثانيا قال فأرنيه فأخرج إليه حسن بن حسن بن حسن فسر به وقال أنجبت وهذا دون الأول قال فإن الله قد رزقني منها ولدا ثالثا قال فأرنيه فأراه إبراهيم بن الحسن
حدثني أبو عبيد محمد بن أحمد الصيرفي قال حدثنا محمد بن علي
ابن خلف قال حدثنا عمر بن عبد الغفار قال حدثنا سعيد بن أبان القرشي قال
كنت عند عمر بن عبد العزيز فدخل عبد الله بن الحسن عليه وهو يومئذ شاب في إزار ورداء فرحب به وأدناه وحياه وأجلسه إلى جنبه وضاحكه ثم غمز عكنة من بطنه وليس في البيت حينئذ إلا أموي فقيل له ما حملك على غمز بطن هذا الفتى قال إني لأرجو بها شفاعة محمد
حدثني عمر بن عبد الله بن جميل العتكي عن عمر بن شبة عن إسماعيل بن جعفر الجعفري قال
حدثني سعيد بن عقبة الجهني قال إني لعند عبد الله بن الحسن إذ أتاني آت فقال هذا رجل يدعوك فخرجت فإذا أنا بأبي عدي الشاعر الأموي فقال أعلم أبا محمد فخرج إليه عبد الله وهم خائفون فأمر له بأربعمائة دينار وهند بمائتي دينار فخرج بستمائة دينار وقد روى مالك ابن أنس عن عبد الله بن الحسن الحديث
كان يسدل شعره
حدثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن قال

حدثنا علي بن أحمد الباهلي عن مصعب بن عبد الله قال سئل مالك
عن السدل قال رأيت من يرضى بفعله عبد الله بن الحسن يفعله والسبب في حبس عبد الله بن الحسن وخروج ابنيه وقتلهما يطول ذكره وقد أتى عمر بن شبة منه بما لا يزيد عليه أحد إلا اليسير ولكن من أخباره ما يحسن ذكره ها هنا فنذكره
أخبرني عمر بن عبد الله العتكي عن عمر بن شبة قال حدثني موسى ابن سعيد بن عبد الرحمن وأيوب بن عمر عن إسماعيل بن أبي عمرو قالوا
شعر تمثل به
لما بني أبو العباس بناءه بالأنبار الذي يدعى الرصافة رصافة أبي العباس قال لعبد الله بن الحسن ادخل فانظر ودخل معه فلما رآه تمثل
(ألم ترَ حَوْشَباً أمْسَى يُبَنِّي ... بِناءً نَفعُه لبنِي نُفَيْله)
(يُؤمِّل أن يعَمَّرَ عُمْرَ نُوحٍ ... وأمرُ اللّهِ يحدثُ كلَّ لَيْلَة)
فاحتمله أبو العباس ولم يبكته بها
أخبرني عمي عن ابن شبة عن يعقوب بن القاسم عن عمرو بن شهاب وحدثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن عن الزبير عن محمد ابن الضحاك عن أبيه قالوا
إن أبا العباس كتب إلى عبد الله بن الحسن في تغيب ابنيه
(أريد حَياتَه ويُريد قَتلِي ... عَذيرَك من خَلِيلك من مُرادِ)
قال عمر بن شبة وإنما كتب بها إلى محمد قال عمر بن شبة فبعثوا إلى عبد الرحمن بن مسعود مولى أبي حنين فأجابه
((وكيف يُريدُ ذاكَ وأنتَ مِنْهُ ... بِمنزلة النِّياط من الفُؤادِ
(وكيف يُريدُ ذاكَ وأنتَ مِنْهُ ... وزَنْدُك حين تقدح من زنادِ)
(وكيف يُريدُ ذاكَ وأنتَ مِنْهُ ... وأنتَ لِهَاشمٍ رأسٌ وَهادِ)
أخبرني عمر بن عبد الله بن شبة عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليهم السلام عن الحسن بن زيد عن عبد الله بن الحسن قال
بينا أنا في سمر أبي العباس وكان إذا تثاءب أو ألقى المروحة من يده قمنا فألقاها ليلة فقمنا فأمسكني فلم يبق غيري فأدخل يده تحت فراشه وأخرج إضبارة كتب وقال اقرأ يا أبا محمد فقرأت فإذا كتاب من محمد ابن هشام بن عمرو التغلبي يدعوه إلى نفسه فلما قرأته قلت له يا أمير المؤمنين لك عهد الله وميثاقه ألا ترى منهما شيئا تكرهه ما كانا في الدنيا
أخبرنا العتكي عن ابن شبة عن محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمر عن عبد الله بن عبدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال
لما استخلف أبو جعفر ألح في طلب محمد والمسألة عنه وعمن يؤويه فدعا بني هاشم رجلا رجلا فسألهم عنه فكلهم يقول قد علم أمير المؤمنين أنك قد عرفته بطلب هذا الشأن قبل اليوم فهو يخافك على نفسه ولا يريد لك خلافا ولا يحب لك معصية إلا الحسن بن زيد فإنه أخبره خبره فقال والله ما آمن وثوبه عليك وأنه لا ينام فيه فر رأيك فيه قال ابن أبي عبيدة فأيقظ من لا ينام
أخبرني عمر بن عبد الله بن شبة عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن محمد بن عمران عن عقبة بن سلم
أن أبا جعفر دعاه فسأله عن اسمه ونسبه فقال أنا عقبة بن سلم بن نافع بن الأزدهاني قال إني أرى لك هيئة وموضعا وإني لأريدك لأمر أنا به معني قال أرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين قال فأخف شخصك وائتني في يوم كذا وكذا فأتيته فقال إن بني عمنا هؤلاء قد أبوا إلا كيدا بملكنا ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا وكذا يكاتبونهم ويرسلون إليهم بصدقات وألطاف فاذهب حتى تأتيهم متنكرا بكتاب تكتبه عن أهل تلك القرية ثم تسير ناحيتهم فإن كانوا نزعوا عن رأيهم علمت ذلك وكنت على حذر منهم حتى تلقى عبد الله بن الحسن متخشعا وإن جبهك وهو فاعل فاصبر وعاوده أبدا حتى يأنس بك فإذا ظهر لك ما في قلبه فاعجل إلي ففعل ذلك وفعل به حتى أنس عبد الله بناحيته فقال له عقبة الجواب فقال له أما الكتاب فإني لا أكتب إلى أحد ولكن أنت كتابي إليهم فأقرئهم السلام وأخبرهم أن ابني خارج لوقت كذا وكذا فشخص عقبة حتى قدم على أبي جعفر فأخبره الخبر
بماذا أجاب أبا جعفر عندما سأله عن ابنيه
أخبرني العتكي عن عمر بن محمد بن يحيى بن الحارث بن إسحاق قال
سأل أبو جعفر عبد الله بن الحسن عن ابنيه لما حج فقال لا أعلم بهما حتى تغالظا فأمضه أبو جعفر فقال له يا أبا جعفر بأي أمهاتي
تمضني أبخديجة بنت خويلد أم بفاطمة نت رسول الله أم بفاطمة بنت الحسين عليهم السلام أم بأم إسحاق بنت طلحة قال لا ولا بواحدة منهن ولكن بالجرباء بنت قسامة فوثب المسيب بن زهير فقال يا أمير المؤمنين دعني أضرب عنق ابن الفاعلة فقام زياد بن عبيد الله فألقى عليه رداءه وقال يا أمير المؤمنين هبه لي فأنا المستخرج لك ابنيه فتخلصه منه
قال ابن شبة وحدثني بكر بن عبد الله مولى أبي بكر عن علي بن رباح أخي إبراهيم بن رباح عن صاحب المصلى قال إني لواقف على رأس أبي جعفر وهو يتغدى بأوطاس وهو متوجه إلى مكة ومعه على مائدته عبد الله بن الحسن وأبو الكرام الجعفري وجماعة من بني العباس فأقبل على عبد الله بن الحسن فقال يا أبا محمد محمد وإبراهيم أراهما قد استوحشا من ناحيتي وإني لأحب أن يأنسا بي ويأتياني فأصلهما وأزوجهما وأخلطهما بنفسي قال وعبد الله يطرق طويلا ثم يرفع رأسه ويقول وحقك يا أمير المؤمنين مالي بهما ولا بموضعهما من البلاد علم ولقد خرجا عن يدي فيقول لا تفعل يا أبا محمد اكتب إليهما وإلى من يوصل كتابك إليهما قال وامتنع أبو جعفر عن عامة غدائه ذلك اليوم إقبالا على عبد الله وعبد الله يحلف أنه لا يعرف موضعهما وأبو جعفر يكرر عليه لا تفعل يا أبا محمد
قال ابن شبة فحدثني محمد بن عباد عن السندي بن شاهك
أن أبا جعفر قال لعقبة بن سلم إذا فرغنا من الطعام فلحظتك فامثل
بين يدي عبد الله فإنه سيصرف بصره عنك فدر حتى تغمز ظهره بإبهام رجلك حتى يملأ عينيه منك ثم حسبك وإياك أن يراك ما دام يأكل ففعل ذلك عقبة فلما رآه عبد الله وثب حتى جثا بين يدي أبي جعفر وقال يا أمير المؤمنين أقلني أقالك

الله قال لا أقالني الله إن أقلتك ثم أمر بحبسه
قال ابن شبة فحدثني أيوب بن عمر عن محمد بن خلف المخزومي قال أخبرني العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قال
لما حج أبو جعفر في سنة اربعين ومائة أتاه عبد الله وحسن ابنا حسن فإنهما وإياي لعنده وهو مشغول بكتاب ينظر فيه إذ تكلم المهدي فلحن فقال عبد الله يا أمير المؤمنين ألا تأمر بهذا من يعدل لسانه فإنه يفعل فعل الأمة فلم يفهم وغمزت عبد الله فلم ينتبه وعاد لأبي جعفر فأحفظ من ذلك وقال له أين ابنك قال لا أدري قال لتأتيني به قال لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه قال يا ربيع فمر به إلى الحبس

توفي في محبسه بالهاشمية

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن قال
توفي عبد الله في محبسه بالهاشمية وهو ابن خمس وسبعين سنة في سنة خمس وأربعين ومائة وهند التي عناها عبد الله في شعره الذي فيه الغناء زوجته هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ابن عبد العزى بن قصي وأمها قرينة بنت يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة ابن الأسود بن المطلب
وكان أبو عبيدة جوادا وممدحا وكانت هند قبل عبد الله بن الحسن
تحت عبد الله بن عبد الملك بن مروان فمات عنها
فأخبرني الحرمي عن الزبير عن سليمان بن عياش السعدي قال
لما توفي أبو عبيدة وجدت ابنته هند وجدا شديدا فكلم عبد الله بن الحسن محمد بن بشير الخارجي أن يدخل على هند بنت أبي عبيدة فيعزيها ويؤسيها عن أبيها فدخل معه عليها فلما نظر إليها صاح بأبعد صوته
(قومي اضربي عينيك يا هندُ لن تَرَيْ ... أباً مثلَه تسمُو إليه المَفاخِرُ)
(وكنت إذا أَسبَلْتِ فوقكِ والدا ... تزيني كما زان اليدين الأساوِرُ)
فصكت وجهها وصاحت بحربها وجهدها فقال له عبد الله بن الحسن ألهذا دخلت فقال الخارجي وكيف أعزي عن أبي عبيدة وأنا أعزى به
أخبرني العتكي عن شبة قال حدثني عبد الرحمن بن جعفر بن سليمان عن علي بن صالح قال
زوج عبد الملك بن مروان ابنه عبد الله هند بنت أبي عبيدة وريطة بنت عبد الله بن عبد المدان لما كان يقال إنه كائن في أولادهما فمات عنهما عبد الله أو طلقهما فتزوج هندا عبد الله بن الحسن وتزوج ريطة محمد بن علي فجاءت بأبي العباس السفاح
أخبرني العتكي عن عمر بن شبة عن ابن داجة عن أبيه قال
لما مات عبد الله بن عبد الملك رجعت هند بميراثها منه فقال عبد الله ابن حسن لأمه فاطمة اخطبي علي هندا فقالت إذا تردك أتطمع في هند وقد ورثت ما ورثته وأنت ترب لا مال لك فتركها ومضى إلى أبي عبيدة أبي هند فخطبها إليه فقال في الرحب والسعة أما مني فقد زوجتك مكانك لا تبرح ودخل على هند فقال يا بنية هذا عبد الله بن حسن أتاك خاطبا قالت فما قلت له قال زوجته قالت أحسنت قد أجزت ما صنعت وأرسلت إلى عبد الله لا تبرح حتى تدخل على أهلك قال فتزينت له فبات بها معرسا من ليلته ولا تشعر أمه فأقام سبعا ثم أصبح يوم سابعه غاديا على أمه وعليه ردع الطيب وفي غير ثيابه التي تعرف فقالت له يا بني من أين لك هذا قال من عند التي زعمت أنها لا تريدني
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وعمي عبد العزيز بن أحمد بن بكار قالا حدثنا الزبير قال حدثتني ظبية مولاة فاطمة قالت كان جدك عبد الله بن مصعب يستنشدني كثيرا أبيات عبد الله بن حسن ويعجب بها
(إنّ عيني تعوَّدت كُحْل هِنْدٍ ... جَمَعتْ كَفُّها مع الرِّفق لِينا)

صوت

(يا عِيدُ مالكَ من شوقٍ وإيراقِ ... ومرِّ طَيْفٍ على الأهوال طَرَّاقِ)
(يَسْري على الأيْنِ والحيَّات مُحْتفياً ... نفسي فِداؤُك من سارٍ على ساقِ)
عروضه من البسيط العيد ما اعتاد الإنسان من هم أو شوق أو مرض أو ذكر والأين والأيم ضرب من الحيات والأين الإعياء أيضا وروى أبو عمرو
(... يا عيد قلبُك من شوق وإيراق)
الشعر لتأبط شرا والغناء لابن محرز ثقيل أول بالوسطى من رواية يحيى المكي وحبش وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى إلى ابن محرز

أخبار تأبط شرا ونسبه

هو ثابت بن جابر بن سفيان بن عميثل بن عدي بن كعب بن حزن وقيل حرب بن تميم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار
وأمه امرأة يقال لها أميمة يقال إنها من بني القين بطن من فهم ولدت خمسة نفر تأبط شرا وريش بلغب وريش نسر وكعب جدر ولا بواكي له وقيل إنها ولدت سادسا اسمه عمرو

لقبه وسببه

وتأبط شرا لقب لقب به ذكر الرواة أنه كان رأى كبشا في الصحراء فاحتمله تحت إبطه فجعل يبول عليه طول طريقه فلما قرب من الحي ثقل عليه الكبش فلم يقله فرمى به فإذا هو الغول فقال له قومه ما تأبطت يا ثابت قال الغول قالوا لقد تأبطت شرا فسمي بذلك
وقيل بل قالت له أمه كل إخوتك يأتيني بشيء إذا راح غيرك فقال لها سآتيك الليلة بشيء ومضى فصاد أفاعي كثيرة من أكبر ما قدر عليه
فلما راح أتى بهن في جراب متأبطا له فألقاه بين يديها ففتحته فتساعين في بيتها فوثبت وخرجت فقال لها نساء الحي ماذا أتاك به ثابت فقالت أتاني بأفاع في جراب قلن وكيف حملها قالت تأبطها قلن لقد تأبط شرا فلزمه تأبط شرا
حدثني عمي قال حدثني علي بن الحسين بن عبد الأعلى عن أبي محلم بمثل هذه الحكاية وزاد فيها
أن أمه قالت له في زمن الكمأة ألا ترى غلمان الحي يجتنون لأهليهم الكمأة فيروحون بها فقال أعطيني جرابك حتى

أجتني لك فيه فأعطته فملأه لها أفاعي وذكر باقي الخبر مثل ما تقدم
ومن ذكر أنه إنما جاءها بالغول يحتج بكثرة أشعاره في هذا المعنى فإنه يصف لقاءه إياها في شعره كثيرا فمن ذلك قوله
(فأصبحت الغُولُ لي جارةً ... فيا جارتا لكِ ما أهولا)
(فطالبتُها بُضْعَها فالتوت ... عليّ وحاولتُ أن أفعلا)
(فمن كان يسأل عن جارتي ... فإنّ لها باللِّوى مَنْزِلاَ)
كان أحد العدائين المعدودين
أخبرني عمي عن الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني قال نزلت على حي من فهم إخوة بني عدوان من قيس فسألتهم عن خبر تأبط شرا فقال لي بعضهم وما سؤالك عنه أتريد أن تكون لصا قلت لا ولكن أريد أن أعرف أخبار هؤلاء العدائين فأتحدث بها فقالوا نحدثك بخبره إن تأبط شرا كان أعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين وكان إذا جاع لم تقم له قائمة فكان ينظر إلى الظباء فينتقي على نظره أسمنها ثم يجري خلفه فلا يفوته حتى يأخذه فيذبحه بسيفه ثم يشويه فيأكله وإنما سمي تأبط شرا لأنه فيما حكي لنا لقي الغول في ليلة ظلماء في موضع يقال له رحى بطان في بلاد هذيل فأخذت عليه الطريق فلم يزل بها حتى قتلها وبات عليها فلما أصبح حملها تحت إبطه وجاء بها إلى أصحابه فقالوا له لقد تأبطت شرا فقال في ذلك
شعره في غول تأبطها
(تأبّط شرّاً ثم راح أو اغْتَدى ... تُوائم غُنْما أو يَشِيف على ذَحْل)
يوائم يوافق ويشيف يقتدر وقال أيضا في ذلك
(ألا مَنْ مُبلغٌ فِتيانَ فَهمٍ ... بما لاقيتُ عند رَحَى بطانِ)
(وأنّي قد لقيتُ الغولَ تهوي ... بسهْب كالصحيفة صحصحانِ)
(فقلت لها كلانا نِضْو أيْنٍ ... أخو سفر فخلّي لي مكاني)
(فشدَّت شدَّةً نحوي فأهْوَى ... لها كفّي بمصقولٍ يَماني)
(فأضربها بلا دَهَشٍ فَخَرّت ... صريعاً لليدين وللجِرانِ)
(فقالت عُد فقلت لها رُويداً ... مكانَك إنني ثَبْتُ الجنانِ)
(فلم أنفكَّ مُتّكِئاً عليها ... لأنظر مُصبِحاً ماذا أتاني)
((إذا عينان في رأسٍ قبيح ... كرأس الهِرِّ مَشْقوق اللِّسانِ
(وساقا مُخدجٍ وشواةُ كلْب ... وثوب من عَباءٍ أو شِنان)
أخبرنا الحسين بن يحيى قال قرأت على حماد وحدثك أبوك عن حمزة ابن عتبة اللهبي قال
قيل لتأبط شرا هذه الرجال غلبتها فكيف لا تنهشك الحيات في سراك فقال إني لأسري البردين يعني أول الليل لأنها تمور خارجة من حجرتها وآخر الليل تمور مقبلة إليها
قال حمزة ولقي تأبط شرا ذات يوم رجلا من ثقيف يقال له أبو وهب كان جبانا أهوج وعليه حلة جيدة فقال أبو وهب لتأبط شرا بم تغلب الرجال يا ثابت وأنت كما أرى دميم ضئيل قال باسمي إنما أقول ساعة ما ألقى الرجل أنا تأبط شرا فينخلع قلبه حتى أنال منه ما أردت فقال له الثقفي أقط قال قط قال فهل لك أن تبيعني اسمك قال نعم فبم تبتاعه قال بهذه الحلة وبكنيتك قال له أفعل ففعل وقال له تأبط شرا لك اسمي ولي كنيتك وأخذ حلته وأعطاه طمرية ثم انصرف وقال في ذلك يخاطب زوجة الثقفي
(ألا هل أتى الحسناءَ أنّ حَلِيلَها ... تأبّط شرّاً واكتنيتُ أبَا وَهْب)
(فهبه تَسمَّى اسْمي وسُمِّيت باسمِه ... فأين له صبري على مُعْظَم الخطب)
(وأين له بأسٌ كَبَأْسي وسَوْرتي ... وأين له في كل فادحةٍ قَلْبِي)
أحب جارية وعجز عنها
قال حمزة وأحب تأبط شرا جارية من قومه فطلبها زمانا لا يقدر عليها ثم لقيته ذات ليلة فأجابته وأرادها فعجز عنها فلما رأت جزعه من ذلك تناومت عليه فآنسته وهدأ ثم جعل يقول
(مالكَ من أيْرٍ سُلِبْتَ الخلّه ... عجزْتَ عن جارية رِفَلّهْ)
(تمشي إليكَ مشيةً خوزلَّه ... كمشية الأرخ تريد العلّهْ)
الأرخ الأنثى من البقر التي لم تنتج العلة تريد أن تعل بعد النهل أي أنها قد رويت فمشيتها ثقيلة والعل الشرب الثاني
(لو أنها راعِيةٌ في ثُلَّه ... تحمل قِلْعَين لها قبَلّه)
(... لصرتَ كالهراوة العُتُلّهْ)
خبره مع بجيلة
أخبرني الحسن بن علي عن عبد الله بن أبي سعد عن أحمد بن عمر عن أبي بركة الأشجعي قال
أغار تأبط شرا وهو ثابت بن العميثل الفهمي ومعه ابن براق الفهمي على بجيلة فأطردا لهم نعما ونذرت بهما بجيلة فخرجت في آثارهما ومضيا هاربين في جبال السراة وركبا الحزن وعارضتهما بجيلة في السهل فسبقوهما إلى الوهط وهو ماء لعمرو بن العاص بالطائف فدخلوا لهما في قصبة العين وجاءا وقد بلغ العطش منهما إلى العين فلما وقفا عليها قال تأبط شرا لابن براق أقل من الشراب فإنها ليلة طرد قال وما يدريك قال
والذي أعدو بطيره إني لأسمع وجيب قلوب الرجال تحت قدمي وكان من أسمع العرب وأكيدهم فقال له ابن براق ذلك وجيب قلبك فقال له تأبط شرا والله ما وجب قط ولا كان وجابا وضرب بيده عليه وأصاخ نحو الأرض يستمع فقال والذي أعدو بطيره إني لأسمع وجيب قلوب الرجال فقال له ابن براق فأنا أنزل قبلك فنزل فبرك وشرب وكان أكل القوم عند بجيلة شوكة فتركوه وهم في الظلمة ونزل ثابت فلما توسط الماء وثبوا عليه فأخذوه وأخرجوه من العين مكتوفا وابن براق قريب منهم لا يطمعون فيه لما يعلمون من عدوه فقال لهم ثابت إنه من أصلف الناس وأشدهم عجبا بعدوه وسأقول له استأسر معي فسيدعوه عجبه بعدوه إلى أن يعدو من بين أيديكم وله ثلاثة أطلاق أولها كالريح الهابة والثاني كالفرس الجواد والثالث يكبو فيه ويعثر فإذا رأيتم منه ذلك فخذوه فإني أحب أن يصير في أيديكم كما صرت إذ خالفني ولم يقبل رأيي ونصحي له قالوا فافعل فصاح به تأبط شرا أنت أخي في الشدة والرخاء وقد وعدني القوم أن يمنوا عليك وعلي فاستأسر وواسني بنفسك في الشدة كما كنت أخي في الرخاء فضحك ابن براق وعلم أنه قد كادهم وقال مهلا يا ثابت أيستأسر

من عنده هذا العدو ثم عدا فعدا أول طلق مثل الريح الهابة كما وصف لهم والثاني كالفرس الجواد والثالث جعل يكبو ويعثر ويقع على وجهه فقال ثابت خذوه فعدوا بأجمعهم فلما أن نفسهم عنه شيئا عدا تأبط شرا في كتافه وعارضه ابن براق فقطع كتافه وأفلتا جميعا فقال تأبط شرا قصيدته القافية في ذلك
(يا عِيدُ مالكَ من شَوْقٍ وإبْراقِ ... ومَرِّ طيفٍ على الأهوال طرّاقِ
(يسري على الأيْنِ والحيّات محتفياً ... نفسي فداؤك من سارٍ على ساقِ)
(طيْف ابنة الحرِّ إذ كنّا نواصلُها ... ثم اجتُنِيْتُ بها من بعد تَفراقِ)
(لتَقرعِنَّ عليَّ السِّنَّ من نَدَمٍ ... إذا تذكَّرتِ يوماً بعضَ أخلاقِي)
(تالله آمنُ أنثى بعدما حَلَفَتْ ... أسماءُ بالله من عهدٍ وميثاقِ)
(ممزوجَةَ الودِّ بينا واصلَتْ صَرَمَتْ ... الأوَّلُ اللّذْ مَضَى والآخِرِ الباقِي)
(فالأوَّلُ اللّذْ مضى قال مودَّتها ... واللَّذْ منها هُذاءٌ غيرِ إحقاقِ)
(تُعْطِيكَ وعدَ أمانيٍّ تَغُرُّ به ... كالقَطْرِ مَرَّ على صَخْبَانَ بَرّاقِ)
(إنّي إذا خُلّةٌ ضَنَّت بنائلها ... وأمْسكَت بضعيف الحَبْل أحْذَاقِ)
(نجوت منها نجائي من بجيلةَ إذ ... ألقيْتُ للقوم يوم الرّوع أرواقي)
وذكرها ابن أبي سعيد في الخبر إلى آخرها
وأما المفضل الضبي فذكر أن تأبط شرا وعمرو بن براق والشنفرى وغيره يجعل مكان الشنفرى السليك بن السلكة غزوا بجيلة فلم يظفروا منهم بغرة وثاروا إليهم فأسروا عمرا وكتفوه وأفلتهم الآخران عدوا فلم يقدروا عليهما فلما علما أن ابن براق قد أسر قال تأبط شرا لصاحبه امض فكن قريبا من عمرو فإني سأتراءى لهم وأطمعهم في نفسي حتى يتباعدوا عنه فإذا فعلوا ذلك فحل كتافه وانجوا ففعل ما أمره به وأقبل تأبط شرا
حتى تراءى لبجيلة فلما رأوه طمعوا فيه فطلبوه وجعل يطمعهم في نفسه ويعدو عدوا خفيفا يقرب فيه ويسألهم تخفيف الفدية وإعطاءه الأمان حتى يستأسر لهم وهم يجيبونه إلى ذلك ويطلبونه وهو يحضر إحضارا خفيفا ولا يتباعد حتى علا تلعة أشرف منها على صاحبيه فإذا هما قد نجوا ففطنت لهما بجيلة فألحقتهما طلبا ففاتاهم فقال يا معشر بجيلة أأعجبكم عدو ابن براق اليوم والله لأعدون لكم عدوا أنسيكم به عدوه ثم عدا عدوا شديدا ومضى وذلك قوله
(... يا عِيدُ مالكَ من شَوْقٍ وإبْراقِ)
وأما الأصمعي فإنه ذكر فيما أخبرني به ابن أبي الأزهر عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن عمه
أن بجيلة أمهلتهم حتى وردوا الماء وشربوا وناموا ثم شدوا عليهم فأخذوا تأبط شرا فقال لهم إن ابن براق دلاني في هذا وإنه لا يقدر على العدو لعقر في رجليه فإن تبعتموه أخذتموه فكتفوا تأبط شرا ومضوا في أثر ابن براق فلما بعدوا عنه عدا في كتافه ففاتهم ورجعوا
أخبرني الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا أبو سعيد السكري قال حدثنا ابن الأثرم عن أبيه وحدثنا محمد بن حبيب عن أبي عمرو قالا
كان تأبط شرا يعدو على رجليه وكان فاتكا شديدا فبات ليلة ذات ظلمة وبرق ورعد في قاع يقال له رحى بطان فلقيته الغول فما زال يقاتلها ليلته إلى أن أصبح وهي تطلبه قال والغول سبع من سباع الجن وجعل يراوغها وهي تطلبه وتلتمس غرة منه فلا تقدر عليه إلى أن أصبح
فقال تأبط شرا
(ألا مَنْ مُبلغٌ فِتيانَ فَهمٍ ... بما لاقيتُ عند رَحَى بطانِ)
(وبأنّي قد لقيتُ الغولَ تَهوي ... بسَهْبٍ كالصحيفة صحصحانِ)
(فقلت لها كلانا نِضْوُ أيْنٍ ... أخو سَفَرٍ فخَلّي لي مكاني)
(فشدَّت شدَّةً نحوي فأَهْوَى ... لها كفّي بمصقولٍ يَماني)
(فأضربها بلا دَهَشٍ فَخَرّت ... صريعاً لليدين وللجِرانِ)
(فقالت عُد فقلت لها رُويداً ... مكانَك إنني ثَبْتُ الجنانِ)
(فلم أنفكَّ مُتّكِئاً عليها ... لأنظرَ مُصبِحاً ماذا أتاني)
(إذا عينانِ في رأسٍ قبيحٍ ... كرأسِ الهرِّ مشقوق اللّسانِ)
(وساقا مُخْدِجٍ وشواةُ كلبٍ ... وثوبٌ من عَباءٍ أو شِنانِ)

غزا بجيلة فقتل رجلا واستاق غنما

قالوا وكان من حديثه أنه خرج غازيا يريد بجيلة هو ورجل معه وهو يريد أن يغترهم فيصيب حاجته فأتى ناحية منهم فقتل رجلا ثم استاق غنما كثيرة فنذروا به فتبعه بعضهم على خيل وبعضهم رجالة وهم كثير فلما رآهم وكان من أبصر الناس عرف وجوههم فقال لصاحبه هؤلاء قوم قد عرفتهم ولن يفارقونا اليوم حتى يقاتلونا أو يظفروا بحاجتهم فجعل صاحبه ينظر فيقول ما أتبين أحدا حتى إذ دهموهما قال لصاحبه اشتد فإني سأمنعك ما دام في يدي سهم فاشتد الرجل ولقيهم تأبط شرا وجعل يرميهم حتى نفدت نبله ثم إنه اشتد فمر بصاحبه فلم يطق شده فقتل صاحبه وهو ابن عم لزوجته فلما رجع تأبط شرا وليس صاحبه معه عرفوا أنه قد قتل فقالت له امرأته تركت صاحبك وجئت متباطئا فقال تأبط شرا في ذلك
((ألا تِلكما عرسي منيعةُ ضُمِّنت ... من اللهِ إثماً مُستِسراً وعالِنا
(تقول تركتَ صاحباً لك ضائعاً ... وجئت إلينا فارقاً مُتبَاطِنا)
(إذا ما تركتُ صاحبي لثلاثة ... أو اثْنَيْنِ مِثْلَيْنا فلا أُبْتُ آمِنا)
(وما كنت أبّاء على الخِلّ إذ دعا ... ولا المرءِ يدعوني مُمِرّا مُداهِنا)
(وكَرّي إذا أُكْرِهتُ رهطاً وأهلَه ... وأرضا يكونُ العَوصُ فيها عُجاهِنَا)
(ولمّا سمعت العَوصَ تدعو تنفّرت ... عصافيرُ رأسي من غُواةٍ فَراتِنا)
(ولم أنتظر أن يَدهموني كأنهم ... ورائيَ نَحْلٌ في الخليّة واكِنَا)
(ولا أن تُصيبَ النّافذاتُ مقاتلي ... ولم أكُ بالشدِّ الذليق مُدايِنا)
(فأرسلتُ مثنيّاً عن الشدّ واهِناً ... وقلتُ تزحزحْ لا تكوننّ حائِنا)
(وحثحثتُ مشعوفَ النَّجاء كأنه ... هِجفّ رأى قصراً سِمالاً وداجنا)

((مِن الحُصِّ هِزْروفٌ يطير عِفاؤه ... إذا استدرج الفَيْفا ومَدَّ المغابنا
(أزجُّ زَلوجٌ هذرفيٌّ زفازفٌ ... هِزَفٌّ يبذُّ الناجياتِ الصوَّافِنا)
(فزحزحت عنهم أو تجِئْني مَنِيَّتي ... بغبراءَ أو عرفاءَ تَفْري الدَّفائنا)
(كأنّي أراها الموتَ لا درّ درُّها ... إذا أمكنَتْ أنيابَها والبراثنا)
(وقالت لأخرى خلفها وبناتها ... حتوف تُنَقّي مخّ مَنْ كان واهنا)
(أخاليجُ ورَّادٍ على ذي محافل ... إذا نزعوا مدوا الدِّلا والشَّواطنا)
وقال غيره بل خرج تأبط شرا هو وصاحبان له حتى أغاروا على العوص من بجيلة فأخذوا نعما لهم واتبعتهم العوص فأدركوهم وقد كانوا استأجروا لهم رجالا كثيرة فلما رأى تأبط شرا ألا طاقة لهم بهم شمر وتركهما فقتل صاحباه وأخذت النعم وأفلت حتى أتى بني القين من فهم فبات عند امرأة منهم يتحدث إليها فلما أراد أن يأتي قومه دهنته ورجلته فجاء إليهم وهم يبكون فقالت له امرأته لعنك الله تركت صاحبيك
وجئت مدهنا وإنه إنما قال هذه القصيدة في هذا الشأن وقال تأبط شرا يرثيهما وكان اسم أحدهما عمرا
(أبعدِ قتيلِ العَوْصِ آسَى على فتىً ... وصاحِبِه أو يأمُلُ الزّادَ طارقُ)
(أأطْرُدُ فَهماً آخر الليل أبتغِي ... عُلالة يوم أن تَعوقَ العوائق)
(لَعَمرُ فتًى نِلتم كأنّ رداءه ... على سرحةٍ من سرح دومة سامق)
(لأطرُدُ نَهْباً أو نرودَ بفِتْيةٍ ... بأيمانهم سُمْرُ القَنا والعقائق)
(مَساعَرةٌ شُعْثٌ كأنّ عيونهم ... حريقُ الغضا تُلفَى عليها الشّقائق)
(فعُدُّوا شهورَ الحُرْمِ ثم تعرّفوا ... قتيل أناسٍ أو فتاةً تعانقُ)

محاولة قتله هو وأصحابه بالسم

قال الأثرم قال أبو عمرو في هذه الرواية وخرج تأبط شرا يريد أن يغزو هذيلا في رهط فنزل على الأحل بن قنصل - رجل من بجيلة - وكان بينهما حلف فأنزلهم ورحب بهم ثم إنه ابتغى لهم الذراريح ليسقيهم فيستريح منهم ففطن له تأبط شرا فقام إلى أصحابه فقال إني أحب ألا يعلم أنا قد فطنا له ولكن سابوه حتى نحلف ألا نأكل من طعامه ثم أغتره فأقتله لأنه إن علم حذرني - وقد كان مالأ ابن قنصل رجل منهم يقال له لكيز
قتلت فهم أخاه - فاعتل عليه وعلى أصحابه فسبوه وحلفوا ألا يذوقوا من طعامه ولا من شرابه ثم خرج في وجهه وأخذ في بطن واد فيه النمور وهي لا يكاد يسلم منها أحد والعرب تسمي النمر ذا اللونين وبعضهم يسميه السبنتي فنزل في بطنه وقال لأصحابه انطلقوا جميعا فتصيدوا فهذا الوادي كثير الأروى فخرجوا وصادوا وتركوه في بطن الوادي فجاءوا فوجدوه قد قتل نمرا وحده وغزا هديلا فغنم وأصاب فقال تأبط شرا في ذلك
(أقسمتُ لا أنسى وإن طال عيشُنا ... صنيع لُكيْزٍ والأحلّ بن قنصل)
(نزلنا به يوماً فساء صَباحُنا ... فإنك عَمْري قد ترى أيْ منزل)
(بَكَى إذ رآنا نازلين ببابه ... وكَيف بُكاءُ ذي القليل المُعيَّل)
(فلا وأبيك ما نَزَلنا بعامرٍ ... ولا عامرٍ ولا الرئيس ابن قَوقل)
- عامر بن مالك هو أبو براء ملاعب الأسنة وعامر بن الطفيل وابن قوقل مالك بن ثعلبة أحد بني عوف بن الخزرج -
(ولا بالشّليل ربّ مروان قاعداً ... بأحسن عَيْش والنُّفاثيّ نوفَل)
- رب مروان جرير بن عبد الله البجلي ونوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يعمر أحد بني الديل بن بكر -
(ولا ابن وَهيب كاسب الحمد والعُلا ... ولا ابن ضُبَيْعٍ وسط آل المُخبَّل)
(ولا ابن حُلَيْسٍ قاعداً في لِقاحِهِ ... ولا ابن جَرِيٍّ وسط آل المغفَّل)
((ولا ابن رياحٍ بالزُّليفات دارُه ... رياح بن سعد لا رياح بن مَعْقِل
(أولَئِك أعطَى للوَلائد خِلْفَةً ... وأدْعَى إلى شحم السَّديف المُرَعْبَل)

نجاته من موت محتم

وقال أيضا في هذه الرواية كان تأبط شرا يشتار عسلا في غار من بلاد هذيل يأتيه كل عام وأن هذيلا ذكرته فرصدوه لإبان ذلك حتى إذا جاء هو وأصحابه تدلى فدخل الغار وقد أغاروا عليهم فأنفروهم فسبقوهم ووقفوا على الغار فحركوا الحبل فأطلع تأبط شرا رأسه فقالوا اصعد فقال ألا أراكم قالوا بلى قد رأيتنا فقال فعلام أصعد أعلى الطلاقة أم الفداء قالوا لا شرط لك قال فأراكم قاتلي وآكلي جناي لا والله لا أفعل قال وكان قبل ذلك نقب في الغار نقبا أعده للهرب فجعل يسيل العسل من الغار ويهريقه ثم عمد إلى الزق فشده على صدره ثم لصق بالعسل فلم يبرح ينزلق عليه حتى خرج سليما وفاتهم وبين موضعه الذي وقع فيه وبين القوم مسيرة ثلاث فقال تأبط شرا في ذلك
(أقول للحيانٍ وقد صَفِرت لهم ... وطابِي ويَومي ضَيّق الحَجْر مُعورُ)
(هما خُطّتا إما إسارٌ ومِنَّةٌ ... وإما دَمٌ والقَتْلُ بالحُرّ أجدرُ)
(وأخرى أصادِي النّفسَ عنها وإنها ... لمورِدُ حَزْمٍ إن ظَفِرت ومَصدَرُ)
(فرْشتُ لها صدري فزَلَّ عن الصَّفا ... به جؤجؤٌ صَلْبٌ ومتنٌ مُخصَّرُ)
(فخالطَ سهلَ الأرض لم يكدح الصَّفا ... به كَدْحَةً والموتُ خَزيانُ يَنظُرُ)
((فأُبْتُ إلى فَهمٍ وما كُنتُ آئباً ... وكم مثلها فارقتُها وهي تَصْفِرُ
(إذا المرءِ لم يَحْتلْ وقد جَدّ جِدّه ... أضاع وقاسَى أمرَه وهو مُدبِرُ)
(ولكن أخُو الحَزْم الذي ليس نازلاً ... به الأمرُ إلا وهُو للحزم مُبْصِرُ)
(فذاك قَريعُ الدَّهر ما كان حوَّلا ... إذا سُدّ منه مَنْخِرٌ جاش مَنْخَرُ)
(فإنّك لو قَايَسْت باللّصب حِيلَتي ... بلُقْمان لم يُقصِر بي الدهر مُقْصِرُ)

قتل هو وأصحابه نفرا من العوص

وقال أيضا في حديث تأبط شرا إنه خرج في عدة من فهم فيهم عامر ابن الأخنس والشنفرى والمسيب وعمرو بن براق ومرة بن خليف حتى بيتوا العوص وهم حي من بجيلة فقتلوا منهم نفرا وأخذوا لهم إبلا فساقوها حتى كانوا من بلادهم على يوم وليلة فاعترضت لهم خثعم وفيهم ابن حاجز وهو رئيس القوم وهم يومئذ نحو من أربعين رجلا فلما نظرت إليهم صعاليك فهم قالوا لعامر بن الأخنس ماذا ترى قال لا أرى لكم إلا صدق الضراب فإن ظفرتم فذاك وإن قتلتم كنتم قد أخذتم

ثأركم قال تأبط شرا بأبي أنت وأمي فنعم رئيس القوم أنت إذا جد الجد وإذا كان قد أجمع رأيكم على هذا فإني أرى لكم أن تحملوا على القوم حملة واحدة فإنكم قليل والقوم كثير ومتى افترقتم كثركم القوم فحملوا عليهم فقتلوا منهم في حملتهم فحملوا ثانية فانهزمت خثعم وتفرقت وأقبل ابن حاجز فأسند في الجبل فأعجز فقال تأبط شرا في ذلك
(جَزَى اللهُ فِتياناً على العوْص أمطرت ... سَماؤُهم تحت العَجاجة بالدَّم)
(وقد لاح ضَوءُ الفجر عَرْضاً كأنه ... بلَمْحته إقراب أبْلَق أدْهَم)
(فإنَّ شِفاءَ الداء إدراك ذَحْلةٍ ... صباحاً على آثار حوم عَرَمْرَم)
(وضاربْتُهم بالسفح إذ عارَضْتُهمُ ... قبائلُ من أبناء قسر وخثعم)
(ضِراباً عَدَا منه ابنُ حاجز هارباً ... ذُرا الصَّخر في جوف الوجين المُدَيَّم)
وقال الشنفري في ذلك
(دَعِيني وقُولي بَعدُ ما شئتِ إنّني ... سَيُغدَى بنَعْشِي مرةً فأُغيَّب)
(خرجنَا فلم نعهد وقَلَّت وِصاتنا ... ثمانيةٌ ما بعدها مُتعَتَّب)
(سراحينُ فتيانٍ كأن وُجوهَهم ... مصابيحُ أو لونٌ من الماءِ مذهبُ)
(نَمرُّ برَهْو الماء صَفْحاً وقد طَوَتْ ... ثمائلُنا والزَّادُ ظَنٌّ مُغيَّبُ)
(ثلاثاً على الأقدام حتى سما بنا ... على العَوص شَعْشاعٌ من القوم مِحْرَبُ)
(فثاروا إلينا في السواد فَهجْهَجُوا ... وصوَّت فينا بالصَّباح المُثوِّب)
(فشنَّ عليهم هِزَّةَ السيف ثابتٌ ... وصمَّم فيهم بالحُسام المُسيَّبُ)
(وظَلْتُ بِفتيانٍ معي أتّقيهمُ ... بهنّ قليلا ساعة ثم جنبوا)
(وقد خرّ منهم راجلان وفارسٌ ... كميٌّ صرعناه وحوم مسلّب)
(يَشُقُّ إليه كلُّ ربعٍ وقَلْعَةٍ ... ثمانيةٌ والقوم رَجْلٌ ومِقْنبُ)
(فلما رآنا قومنا قيل أفلَحُوا ... فقلنا اسألوا عن قائل لا يُكَذَّبُ)
وقال تأبط شرا في ذلك
(أرى قدمَيَّ وقَعهما خَفيفٌ ... كتحليل الظَّليم حَدَا رئالَه)
(أرى بهما عذاباً كلّ يومٍ ... بخَثْعَم أو بَجِيلَةَ أو ثُمالَه)
ففرق تأبط شرا أصحابه ولم يزالوا يقاتلونهم حتى انهزمت خثعم وساق تأبط شرا وأصحابه الإبل حتى قدم بها عليا مكة
وقال غيره إنما سمي تأبط شرا ببيت قاله وهو
(تأبط شرًّا ثم راح أو اغتدَى ... يُوائِم غُنْماً أو يَشِيفُ على ذَحْل)
شعره عندما هرب من مراد إلى قومه
قال وخرج تأبط شرا يوما يريد الغارة فلقي سرحا لمراد فأطرده ونذرت به مراد فخرجوا في طلبه فسبقهم إلى قومه وقال في ذلك
(إذا لاقيتَ يومَ الصّدق فاربَع ... عليه ولا يَهمّك يومُ سَوِّ)
(على أنّي بِسرحِ بني مرادٍ ... شجوتهُم سِباقاً أيَّ شجو)
(وآخِر مثله لا عيبَ فيه ... بَصرتُ به ليوم غير زوِّ)
(خفَضتُ بساحةٍ تجري علينا ... أباريق الكرامة يومَ لَهْو)
أغار تأبط شرا وحده على خثعم فبينا هو يطوف إذ مر بغلام يتصيد الأرانب معه قوسه ونبله فلما رآه تأبط شرا أهوى ليأخذه فرماه الغلام فأصاب يده اليسرى وضربه تأبط شرا فقتله وقال في ذلك
(وكادت وبيتِ الله أطناب ثابت ... تقوَّضُ عن لَيْلَى وتبكي النَّوائح)
(تمنّى فتىً منّا يلاقي ولم يَكد ... غلامٌ نَمتْه المُحصَنات الصَّرائح)
(غلام نَمى فوق الخماسيِّ قدره ... ودون الذي قد تَرْتَجِيه النَّواكِحُ)
(فإن تك نالته خطاطِيف كفّه ... بأبيضَ قصّال نمى وهو قادح)
(فقد شد في إحدى يديه كِنانه ... يُداوَى لها في أسود القلب قادح)
- هذه الأبيات أن تكون لقوم المقتول أشبه منها بتأبط شرا -
خبره مع امرأة من هذيل
قال وخطب تأبط شرا امرأة من هذيل من بني سهم فقال لها قائل لا تنكحيه فإنه لأول نصل غدا يفقد فقال تأبط شرا
(وقالوا لها لا تَنكَحِيه فإنّه ... لأول نَصْلٍ أن يُلاقى مَجْمَعا)
(فلم تَرَ مِنْ رأيٍ فتيلاً وحاذرت ... تأيّمها من لابس الليل أرْوَعا)
(قليلِ غِرار النوم أكبرُ همِّه ... دمُ الثأر أو يلقى كَمِيا مُقَنَّعا)
(قليلِ ادّخارِ الزَّادِ إلاّ تَعِلَّة ... وقد نَشزَ الشُّرسُوفُ والتصق المِعَى)
(تُناضِله كلٌّ يشجّع نفسَه ... وما طبُّه في طرْقه أن يُشجَّعا)
(يبيت بمغنى الوحش حتى ألِفْنه ... ويصبح لا يحمي لها الدهرَ مرتعا)
(رأين فتىً لا صَيْدُ وحش يَهمّه ... فَلَوْ صافحت إنْسا لصافَحْنَه معا)
(ولكنّ أربابَ المخاضِ يشقّهم ... إذا افتقدوه أو رأوه مُشيِّعا)
(وإني - ولا عِلمٌ - لأعلَمُ أنني ... سألقَى سِنانَ الموت يرشُق أضلعا)
(على غِرّةٍ أو جَهْرةٍ من مُكاثِرٍ ... أطال نِزالَ الموت حتى تَسَعْسَعَا)
تسعسع فني وذهب يقال قد تسعسع الشهر ومنه حديث عمر رضي الله عنه حين ذكر شهر رمضان فقال إن هذا - الشهر قد تسعسع
(وكنتُ أظن الموت في الحي أو أرى ... ألَذّ وأُكرَى أو أمُوتَ مُقَنَّعا)
(ولستُ أبيتُ الدّهرِ إلا على فتى ... أسلِّبه أو أذعِرُ السِّرْبَ أجمَعَا)
(ومن يَضربُ الأبطالَ لا بدّ أنه ... سيَلْقى بهم من مَصْرع الموت مَصْرعا)
قال وخرج تأبط شرا ومعه صاحبان له عمرو بن كلاب أخو المسيب

وسعد بن الأشرس وهم يريدون الغارة على بجيلة فنذروا بهم وهم في جبل ليس لهم طريق عليهم فأحاطوا بهم وأخذوا عليهم الطريق فقاتلوهم فقتل صاحبا تأبط شرا ونجا ولم يكد حتى أتى قومه فقالت له امرأته وهي أخت عمرو بن كلاب إحدى نساء كعب بن علي بن إبراهيم بن رياح هربت عن أخي وتركته وغررته أما والله لو كنت كريما لما أسلمته فقال تأبط شرا في ذلك

(ألا تِلكما عِرْسي مَنيعة ضُمِّنَت ... من الله خِزْياً مُسْتسِرّاً وعاهنا)

وذكر باقي الأبيات

وإنما دعا امرأته إلى أن عيرته أنه لما رجع بعد مقتل صاحبيه انطلق إلى امرأة كان يتحدث عندها وهي من بني القين بن فهم فبات عندها فلما أصبح غدا إلى امرأته وهو مدهن مترجل فلما رأته في تلك الحال علمت أين بات فغارت عليه فعيرته

غارته على خثعم

وذكروا أن تأبط شرا أغار على خثعم فقال كاهن لهم أروني أثره حتى آخذه لكم فلا يبرح حتى تأخذوه فكفئوا على أثره جفنة ثم أرسلوا إلى الكاهن فلما رأى أثره قال هذا ما لا يجوز في صاحبه الأخذ فقال تأبط شرا

(ألا أبلغ بني فَهْم بن عمرو ... على طولِ التَّنائي والمقالَهْ)

((مقالَ الكاهنِ الجاميّ لمَّا ... رأى أثري وقد أنهبتُ مالَهْ

(رأى قدميّ وقعُهما حثيثٌ ... كتحليل الظليمِ دعا رئاله)

(أرى بهما عذاباً كلَّ عام ... لخثعمَ أو بجيلةَ أو ثُماله)

(وشرٌّ كان صُبَّ على هذيلٍ ... إذا علقت حِبالهمُ حِبالَه)

(ويومُ الأزد منهم شرّ يوم ... إذا بَعُدوا فقد صَدَّقتُ قاله)

فزعموا أن ناسا من الأزد ربئوا لتأبط شرا ربيئة وقالوا هذا مضيق ليس له سبيل إليكم من غيره فأقيموا فيه حتى يأتيكم فلما دنا من القوم توجس ثم انصرف ثم عاد فنهضوا في أثره حين رأوه لا يجوز ومر قريبا فطمعوا فيه وفيهم رجل يقال له حاجز ليث من ليوثهم سريع فأغروه به فلم يلحقه فقال تأبط شرا في ذلك

(تَتعتعتُ حِضْني حاجزٍ وصِحابه ... وقد نبذوا خُلقانَهم وتشنَّعوا)

(أظن وإن صادفتُ وعثاً وأنْ جرَى ... بيَ السّهلُ أو متنٌ من الأرض مَهْيَعُ)

(أجاري ظِلالَ الطير لو فات واحدٌ ... ولو صدقوا قالوا له هو أسرع)

(فلو كان من فتيان قيسٍ وخِنْدِفٍ ... أطاف به القُنَّاصُ من حيث أفزعوا)

(وجاب بلاداً نصفَ يومٍ وليلةٍ ... لآبَ إليهم وهو أشوسُ أرْوَع)

(فلو كان منكم واحدٌ لكَفِيتُه ... وما ارتجعوا لو كان في القوم مطمع)

فأجابه حاجز

((فإن تك جاريْتَ الظلال فربما ... سُبِقْتَ ويومُ القِرْنِ عُريان أسْنَعُ

(وخلَّيْتَ إخوانَ الصفاء كأنهم ... ذبائحُ عنزٍ أو فَحِيلٌ مُصرَّعُ)

(تبكِّيهمُ شجوَ الحمامة بعدما ... أرحْتَ ولم تُرْفَع لهم منك إصْبَع)

(فهذي ثلاثٌ قد حويت نجاتَها ... وإن تنجُ أخرى فهي عندك أربع)

خير أيامه

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال ذكر علي بن محمد المدائني عن ابن داب قال

سئل تأبط شرا أي يوم مر بك خير قال خرجت حتى كنت في بلاد بجيلة أضاءت لي النار رجلا جالسا إلى امرأة فعمدت إلى سيفي فدفنته قريبا ثم أقبلت حتى استأنست فنبحني الكلب فقال ما هذا فقلت بائس فقال ادنه فدنوت فإذا رجل جلحاب آدم وإذا أضوى الناس إلى جانبه فشكوت إليه الجوع والحاجة فقال اكشف تلك القصعة فأتيت قصعة إلى جنب إبله فإذا فيها تمر ولبن فأكلت منه حتى شبعت ثم خررت متناوما فوالله ما شئت أن أضطجع حتى اضطجع هو ورفع رجله على رجله ثم اندفع يغني وهو يقول

(خيرُ اللَّيالي إن سألت بليلة ... ليل بِخيْمة بين بِيشَ وعَثّرِ)

((لِضَجيع آنسةٍ كأنَّ حَدِيثَها ... شَهدٌ يُشابُ بمزجةٍ من عَنبر

(وضجيعِ لاهيةٍ ألاعِبُ مِثلَها ... بيضاءَ واضحةٍ كَظِيظِ المِئزَرِ)

(ولأنْت مثلُهما وخَيرٌ منهما ... بعد الرُّقاد وقبل أن لم تُسحِري)

قال ثم انحرف فنام ومالت فنامت فقلت ما رأيت كالليلة في الغرة فإذا عشر عشراوات بين أثلاث فيها عبد واحد وأمة فوثبت فانتضيت سيفي على كبده حتى أخرجته من صلبه ثم ضربت فخذ المرأة فجلست فلما رأته مقتولا جزعت فقلت لا تخافي أنا خير لك منه قال وقمت إلى جل متاعها فرحلته على بعض الإبل أنا والأمة فما حللت عقده حتى نزلت بصعدة بني عوف بن فهر وأعرست بالمرأة هناك وحين اضجعت فتحت عقيرتي وغنيت

(بحَليلة البجليّ بِتّ من ليلِها ... بين الإزار وكَشْحِها ثم الصِّقِ)

(بأنيسةٍ طُويت على مَطْويِّها ... طيّ الحمالةِ أو كطيّ المِنْطَقِ)

(فإذا تقوم فصَعدةٌ في رَمْلَة ... لَبَدَت بريّق دِيمة لم تُغدِق)

((وإذا تجيءُ تجيء شحب خلفها ... كالأيْم أصْعَد في كَثِيبٍ يَرْتَقي

(كَذَب الكوَاهِنُ والسَّواحِرُ والهُنا ... أن لا وفاء لعاجزٍ لا يَتَّقي)

قال فهذا خير يوم لقيته

وشر يوم لقيت أني خرجت حتى إذا كنت في بلاد ثمالة أطوف حتى إذا كنت من الفقير عشيا إذا بسبع خلفات فيهن عبد فأقبلت نحوه وكأني لا أريده وحذرني فجعل يلوذ بناقة فيها حمراء فقلت في نفسي والله إنه ليثق بها فأفوق له ووضع رجله في أرجلها وجعل يدور معها فإذا هو على عجزها وأرميه حين أشرف فوضعت سهمي في قلبه فخر وندت الناقة شيئا وأتبعتها فرجعت فسقتهن شيئا ثم قلت والله لو ركبت الناقة وطردتهن وأخذت بعثنون الحمراء فوثبت فساعة استويت عليها كرت نحو الحي تريع وتبعتها الخلفات وجعلت أسكنها وذهبت فلما خشيت أن تطرحني في أيدي القوم رميت بنفسي عنها فانكسرت رجلي وانطلقت والذود معها فخرجت أعرج حتى انخنست في طرف كثيب وجازني الطلب

فمكثت مكاني حتى أظلمت وشبت لي ثلاثة أنوار فإذا نار عظيمة ظننت أن لها أهلا كثيرا ونار دونها ونويرة صغيرة فهويت للصغرى وأنا أجمر فلما نبحني الكلب نادى رجل فقال من هذا فقلت بائس فقال ادنه فدنوت وجلست وجعل يسائلني إلى أن قال والله إني لأجد منك ريح دم فقلت لا والله ما بي دم فوثب إلي فنفضني ثم نظر في جعبتي فإذا السهم فقلت رميت العشية أرنبا فقال كذبت هذا ريح دم إنسان ثم وثب إلي ولا أدفع الشر عن نفسي فأوثقني كتافا ثم علق جعبتي وقوسي وطرحني في كسر البيت ونام فلما أسحرت حركت رجلي فإذا هي صالحة وانفتل الرباط فحللته ثم وثبت إلى قوسي وجعبتي فأخذتهما ثم هممت بقتله فقلت أنا ضمن الرجل وأنا أخشى أن أطلب فأدرك ولم أقتل أحدا أحب إلي فوليت ومضيت فوالله إني لفي الصحراء أحدث نفسي إذا أنا به على ناقة يتبعني فلما رأيته قد دنا مني جلست على قوسي وجعبتي وأمنته وأقبل فأناخ راحلته ثم عقلها ثم أقبل إلي وعهده بي عهده فقلت له ويلك ما تريد مني فأقبل يشتمني حتى إذا أمكنني وثبت عليه فما ألبثته أن ضربت به الأرض وبركت عليه أربطه فجعل يصيح يا لثمالة لم أر كاليوم فجنبته إلى ناقته وركبتها فما نزعت حتي أحللته في الحي وقلت

(أغرَّكَ منّي يابنَ فَعْلَةَ عِلَّتي ... عَشِيَّةَ أن رابت عليَّ روائِبي)
(وموقد نيران ثَلاثٍ فشَرُّهَا ... وألأمُها إذ قُدْتُها غير عازبِ)
(سلبتَ سِلاحِي بَائِساً وشتَمْتَنِي ... فيا خَيْرَ مَسْلُوبٍ ويا شَرَّ سَالِبِ)
(فإن أكُ لم أخْضِبْك فيها فإنَّها ... نُيوبُ أساويد وشَوْلُ عَقارب)
(ويا رَكْبَةَ الحَمْرَاءِ شَرَّةَ رَكْبَةٍ ... وكادت تكون شرَّ ركبةِ راكبِ)

غارته على الأزد

قال وخرج تأبط غازيا يريد الغارة على الأزد في بعض ما كان يغير عليهم وحده فنذرت به الأزد فأهملوا له إبلا وأمروا ثلاثة من ذوي بأسهم حاجزين أبي وسواد بن عمرو بن مالك وعوف بن عبد الله أن يتبعوه حتى ينام فيأخذوه أخذا فكمنوا له مكمنا وأقبل تأبط شرا فبصر بالإبل فطردها بعض يومه ثم تركها ونهض في شعب لينظر هل يطلبه أحد فكمن القوم حين رأوه ولم يرهم فلما لم ير أحدا في أثره عاود الإبل فشلها يومه وليلته والغد حتى أمسى ثم عقلها وصنع طعاما فأكله والقوم ينظرون إليه في ظله ثم هيأ مضطجعا على النار ثم أخمدها وزحف على بطنه ومعه قوسه حتى دخل بين الإبل وخشي أن يكون رآه أحد وهو لا يعلم ويأبى إلا الحذر والأخذ بالحزم فمكث ساعة وقد هيأ سهما على كبد قوسه فلما أحسوا نومه أقبلوا ثلاثتهم يؤمون المهاد الذي رأوه هيأه فإذا هو يرمي أحدهم فيقتله وجال الآخران ورمى آخر فقتله وأفلت حاجز هاربا وأخذ سلب الرجلين وأطلق عقل الإبل وشلها حتى جاء بها قومه وقال تأبط في ذلك

(تُرَجِّى نِساءُ الأَزْدِ طلعةَ ثابتٍ ... أسيراً ولم يدْرين كيف حَويلي)
(فإنَّ الأُلي أوْصَيْتُم بَيْن هاربٍ ... طَريدٍ ومسفوحِ الدِّماءِ قَتِيل)
(وخدتُ بهم حتى إذا طال وَخْدُهم ... ورابَ عليهم مَضْجَعِي ومَقِيلِي)
(مهدتُ لهم حتى إذا طاب روعُهم ... الى المَهْدِ خَاتلْتُ الضَّيا بخَتِيل)
((فلما أحسُّوا النَّومِ جاؤوا كأنَّهم ... سِباعٌ أصابت هجمةً بسَلِيل)
(فقلّدتُ سَوَّارَ بنَ عَمرو بن مَالِكٍ ... بأسْمَرَ جَسْرِ القُذَّتَين طَمِيل)
(فخَرَّ كأنَّ الفِيلَ ألقى جِرانَه ... عليه بريَّان القِواء أسِيل)
(وظَلِ رعاع المَتْن من وقع حاجز ... يخرُّ ولو نَهْنَهْتَ غَيْرُ قَلِيل)
(لأبتَ كما آبا ولو كُنتَ قَارناً ... لجئتَ وما مالكتَ طول ذَمِيلي)
(فَسرَّكَ نَدْمانَاك لمَّا تَتَابَعا ... وأنَّك لم تَرْجِع بعَوْصٍ قَتِيل)
(ستأتِي إلى فَهْمٍ غَنِيمَةُ خلْسَة ... وفي الأزد نَوْحٌ وَيْلَةٍ بعَويل)

فقال حاجز بن أبي الأزدي يجيبه

(... سألت فلم تُكلِّمني الرُّسوم)

وهي في أشعار الأزد

فأجابه تأبط شرا

(لقد قال الخِليُّ وقال خَلْساً ... بظهر الليل شُدَّ به العُكومُ)
(لِطَيفٍ من سُعادَ عَناك منها ... مُراعاةُ النُّجومِ ومن يَهيمُ)
((وتلك لئن عُنِيتَ بها رَداحٌ ... من النِّسوان مَنْطِقُها رَخِيمُ)
(نِياقُ القُرطِ غَرَّاءُ الثَّنايَا ... ورِيْداءُ الشَّباب ونِعْمَ خِيم)
(ولكن فات صاحبُ بطْن رَهْوٍ ... وصاحبه فأنت به زَعِيمُ)
(أُؤاخِذُ خُطَّة فيها سواء ... أبِيتُ ولَيلُ واترها نَؤُومُ)
(ثأرتُ به وما اقْتَرفَتْ يَدَاه ... فَظلَّ لها بنا يومٌ غَشومُ)
(نَحزُّ رقابَهم حتى نَزَعْنا ... وأنفُ المَوْتِ مَنخِرُه رَمِيمُ)
(وإن تقع النُّسورُ عليَّ يوماً ... فلَحْم المُنيفي لَحم كَريمُ)
(وذِي رَحِم أحالَ الدَّهرُ عنه ... فلَيْس له لذي رَحِمٍ حَرِيمُ)
(أصابَ الدَّهْرُ آمنَ مَرْوَتَيْه ... فألقاه المصاحِبُ والحَمِيمُ)
(مددتُ له يَميناً من جَناحي ... لها وَفرٌ وكافِيَةٌ رَحُومُ)
(أُواسِيه على الأيَّام إني ... إذا قَعَدت به اللُّوما ألومُ)

رثاؤه لأخيه عمرو

ذكروا أنه لما انصرف الناس عن المستغل وهي سوق كانت العرب تجتمع بها قال عمرو بن جابر بن سفيان أخو تأبط شرا لمن حضر من قومه لا واللات والعزى لا أرجع حتى أغير على بني عتير من هذيل ومعه رجلان من قومه هو ثالثهما فأطردوا إبلا لبني عتير فأتبعهم أرباب الإبل فقال عمرو أنا كار على القوم ومنهنهم عنكما فامضيا بالإبل فكر عليهم فنهنهم طويلا فجرح في القوم رئيسا ورماه رجل من بني عتير بسهم فقتله فقالت بنو عتير هذا عمرو بن جابر ما تصنعون أن تلحقوا بأصحابه أبعدها الله من إبل فإنا نخشى أن نلحقهم فيقتل القوم منا فيكونوا قد أخذوا الثأر فرجعوا ولم يجاوزوه وكانوا يظنون أن معه أناسا كثيرا فقال تأبط لما بلغه قتل أخيه

(وحرّمتُ النساءَ وإن أُحِلَّت ... بشَورِ أو بِمزجِ أو لِصابِ)
(حياتي أو أزورِ بني عُتَيرٍ ... وكاهلِها بِجَمْعٍ ذي ضِبابِ)
(إذا وَقَعتِ لكَعْبٍ أو خَثيمٍ ... وسيارٍ يَسُوغُ لها شَرابِي)
(أظُنّي مَيّتاً كَمِداً ولَمَّا ... أُطالِعْ طلعةً أهلَ الكِرابِ)
(ودُمْتُ مُسَيَّراً أهدِي رعيلا ... أؤم سوادَ طَوْدٍ ذِي نِقابِ)
فأجابه أنس بن حذيفة الهذلي
(لعلّكَ أن تَجِيءِ بكَ المَنايَا ... تُساقُ لِفِتْيةٍ منا غِضابِ)
(فتنزلَ في مَكَرِّهِمُ صريعاً ... وتنزلَ طُرْقَةَ الضَّبُعُ السِّغابِ)
(تأبَّطَ سَوْأَةً وحملتَ شَرّاً ... لعلكَ أن تكون من المُصاب
ثم إن السمع بن جابر أخا تأبط شرا خرج في صعاليك من قومه يريد الغارة على بني عتير ليثأر بأخيه عمرو بن جابر حتى إذا كان ببلاد هذيل لقي راعيا لهم فسأله عنهم فأخبره بأهل بيت من عتير كثير مالهم فبيتهم فلم يفلت منهم مخبر واستاقوا أموالهم فقال في ذلك السمع بن جابر
(بأعلى ذي جماجمَ اهلُ دارٍ ... إذا ظَعَنَت عشيرتُهم أقاموا)
(طرقْتُهمُ بفتيانٍ كِرامٍ ... مَساعِيرٍ إذا حَمِيَ المُقامُ)
(متى ما أدعُ من فَهْمٍ تُجِبْني ... وعدوان الحماة لهم نظامُ)

أصابته في غارته على الأزد

ذكروا أن تأبط شرا خرج ومعه مرة بن خليف يريدان الغارة على الأزد وقد جعلا الهداية بينهما فلما كانت هداية مرة نعس فجار عن الطريق ومضيا حتى وقعا بين جبال ليس فيها جبل متقارب وإذا فيها مياه يصيح الطير عليها وإذا البيض والفراخ بظهور الأكم فقال تأبط شرا هلكنا واللات يا مرة ما وطيء هذا المكان إنس قبلنا ولو وطئته إنس ما باضت الطير بالأرض فاختر أية هاتين القنتين شئت وهما أطول شيء يريان من الجبال فأصعد إحداهما وتصعد أنت الأخرى فإن رأيت الحياة فألح بالثوب وإن رأيت الموت فألح بالسيف فإني فاعل مثل ذلك فأقاما يومين ثم إن تأبط شرا ألاح بالثوب وانحدرا حتى التقيا في سفح الجبل فقال مرة ما رأيت يا ثابت قال دخانا أو جرادا قال مرة
إنك إن جزعت منه هلكنا فقال تأبط شرا أما أنا فإني سأخرم بك من حيث تهتدي الريح فمكثا بذلك يومين وليلتين ثم تبعا الصوت فقال تأبط شرا النعم والناس أما والله لئن عرفنا لنقتلن ولئن أغرنا لندركن فأت الحي من طرف وأنا من الآخر ثم كن ضيفا ثلاثا فإن لم يرجع إليك قلبك فلا رجع ثم أغر على ما قبلك إذا تدلت الشمس فكانت قدر قامة وموعدك الطريق ففعلاحتى إذا كان اليوم الثالث أغار كل واحد منهما على ما يليه فاستاقا النعم والنغم وطردا يوما وليلة طردا عنيفا حتى أمسيا الليلة الثانية دخلا شعبا فنحرا قلوصا فبينا هما يشويان إذ سمعا حسا على باب الشعب فقال تأبط الطلب يا مرة إن ثبت فلم يدخل فقال مرة هلكنا ووضع تأبط شرا يده على عضد مرة فإذا هي ترعد فهم مجيزون وإن دخل فهو الطلب فلم يلبث أن سمع الحسن يدخل فقال ما أرعدت عضدك إلا من قبل أمك الوابشية من هذيل خذ بظهري فإن نجوت نجوت وإن قتلت وقيتك فلما دنا القوم أخذ مرة بظهر تأبط وحمل تأبط فقتل رجلا ورموه بسهم فأعلقوه فيه وأفلتا جميعا بأنفسهما فلما أمنا وكان من آخر الليل قال مرة ما رأيت كاليوم غنيمة أخذت على حين أشرفنا على أهلنا وعض مرة عضده وكان الحي الذين أغاروا عليهم بجيلة وأتي تأبط امرأته فلما رأت جراحته ولولت فقال تأبط في ذلك
(وبالشِّعب إذ سدّت بجيلةُ فَجَّهُ ... ومِن خَلفه هضبٌ صِغار وجامل)
(شدَدْتُ لنفس المرء مُرَّةَ حَزْمَه ... وقد نُصِبت دون النَّجاء الحبائل)
(وقلت له كن خلفَ ظهري فإنني ... سأفديك وأنظر بعدُ ما أنتَ فاعِل)
((فعاذَ بحدّ السيف صاحبُ أمرهم ... وَخَلَّوْا عن الشيء الذي لم يحاولوا
(وأخطأهم قَتلِي ورفَّعتُ صاحبي ... على الليل لم تُؤخذ عليه المخاتلُ)
(وأخطأ غُنْم الحَيّ مُرَّة بعدما ... حوته إليه كفُّه والأناملُ)
(يعض على أطرافه كيف زَوْلُه ... ودون الملا سهلٌ من الأرض ماثل)
(فقلت له هذي بتلك وقد يَرَى ... لها ثَمَناً من نفسه ما يُزاول)
(تُوَلْول سُعدى أن أتيتُ مُجرَّحاً ... إليها وقد منَّت عليّ المَقاتلُ)
(وكائِنْ أتاها هارباً قبل هذه ... ومن غانمٍ فأين منْكِ الوَلاول)

أراد هو وأصحابه الأخذ بثأر صاحبيهم

فلما انقضت الأشهر الحرم خرج تأبط والمسيب بن كلاب في ستة نفر يريدون الغارة على بجيلة والأخذ بثأر صاحبيهم عمرو بن كلاب وسعد بن الأشرس فخرج تأبط والمسيب بن كلاب وعامر بن الأخنس وعمرو بن براق ومرة ابن خليف والشنفرى بن مالك والسمع وكعب حدار ابنا جابر أخوا تأبط فمضوا حتى أغاروا على العوص فقتلوا منهم ثلاثة نفر فارسين وراجلا وأطردوا لهم إبلا وأخذوا منهم امرأتين فمضوا بما غنموا حتى إذا كانوا على يوم وليلة من قومهم عرضت لهم خثعم في نحو من أربعين رجلا فيهم أبي بن جابر الخثعمي وهو رئيس القوم فقال تابط يا قوم لا تسلموا لهم ما في أيديكم حتى تبلوا عذرا وقال عامر بن الأخنس عليكم بصدق الضراب وقد أدركتم بثأركم وقال
المسيب اصدقوا القوم الحملة وإياكم والفشل وقال عمرو بن براق ابذلوا مهجكم ساعة فإن النصر عند الصبر وقال الشنفرى
(نحن الصَّعالِيكُ الحُماةُ البُزَّلُ ... إذا لَقِينا لا نُرَى نُهَلّلُ)
وقال مرة بن خليف
(يا ثابتَ الخَيْرِ وبابنَ الأخنس ... وبابنَ بَرّاقِ الكَريمِ الأشْوَس)
(والشّنفَرى عند حُيودِ الأنفسِ ... أنا ابن حامِي السِّربِ في المغمِّس)
(... نحن مساعِيرُ الحروبِ الضُّرَّس)
وقال كعب حدار أخو تأبط
(يا قوم أمَّا إذا لَقِيتم فاصْبِرُوا ... ولا تَخِيمُوا جزَعاً فتُدْبِروا)
وقال السمع أخو تأبط

(يا قومِ كونوا عندها أحْرار ... لا تُسلِموا العُونَ ولا اليكارا)
(ولا القَنَاعيسَ ولا العِشارا ... لخَثْعمٍ وقد دَعَوْا غِرارَا)
(ساقوهُم المَوْت معاً أحرارا ... وافتخِروا الدَّهْر بها افْتِخارا)
فلما سمع تأبط مقالتهم قال بأبي أنتم وأمي نعم الحماة إذا جد الجد أما إذا أجمع رأيكم على قتال القوم فاحملوا ولا تتفرقوا فإن القوم أكثر منكم فحملوا عليهم فقتلوا منهم ثم كروا الثانية فقتلوا ثم كروا الثالثة فقتلوا فانهزمت خثعم وتفرقت في رؤوس الجبال ومضى تأبط وأصحابه بما غنموا وأسلاب من قتلوا فقال تأبط في ذلك
(جَزَى اللهُ فِتْياناً على العَوْصِ أشرقت ... سيوفهم تحت العَجاجَة بالدَّمِ)
الأبيات
وقال الشنفري في ذلك
(دَعِيني وقُولي بعد ما شئتِ إنني ... سيُغدى بنَفْسي مَرَّةً فأُغيَّبُ)
الأبيات
وقال الشنفرى أيضا
(ألا هل أتى عنَّا سُعادَ ودُونَها ... مهامِهُ بِيدٍ تعْتَلي بالصعالِكِ)
(بأنَّا صَبَحْنا القوم في حُرّ دارهم ... حِمامَ المنايا بالسُّيوف البَواتِك)
(قَتَلْنا بعمرو منهمُ خَيْرَ فارسٍ ... يزيدَ وسعدا وابنَ عوفٍ بمالِك)
(ظَلَلْنا نُفَرِّي بالسّيوف رُؤوسَهم ... ونَرشُقُهم بالنَّبْل بين الدَّكَادِك)
كان ضعيفا أمام النساء
قال وخرج تأبط في سرية من قومه فيهم عمرو بن براق ومرة بن خليف والمسيب بن كلاب وعامر بن الأخنس وهو رأس القوم وكعب
حدار وريش كعب والسمع وشريس بنو جابر إخوة تأبط شرا وسعد ومالك ابنا الأقرع حتى مروا ببني نفاثة بن الديل وهم يريدون الغارة عليهم فباتوا في جبل مطل عليهم فلما كان في وجه السحر أخذ عامر بن الأخنس قوسه فوجد وترها مسترخيا فجعل يوترها ويقول له تأبط بعض حطيط وترك يا عامر وسمعه شيخ من بني نفاثة فقال لبنات له أنصتن فهذه والله غارة لبني ليث - وكان الذي بينهم يومئذ متفاقما في قتل حميصة بن قيس أخي بلعاء وكانوا أصابوه خطأ - وكان بنو نفاثة في غزوة والحي خلوف وليس عندهم غير أشياخ وغلمان لا طباخ بهم فقالت امرأة منهم اجهروا الكلام والبسوا السلاح فإن لنا عدة فواللات ما هم إلا تأبط وأصحابه فبرزن مع نوفل وأصحابه فلما بصر بهم قال انصرفوا فإن القوم قد نذروا بكم فأبوا عليه إلا الغارة فسل تأبط سيفه وقال لئن أغرتم عليهم لاتكئن على سيفي حتى أنفذه من ظهري فانصرفوا ولا يحسبون إلا أن النساء رجال حتى مروا بإبل البلعاء بن قيس بقرب المنازل فأطردوها فلحقهم غلام من بني جندع بن ليث فقال يا عامر بن الأخنس أتهاب نساء بني نفاثة وتغير على رجال بني ليث هذه والله إبل لبلعاء بن قيس فقال له عامر أو كان رجالهم خلوفا قال نعم قال أقرىء بلعاء مني السلام وأخبره بردي إبله وأعلمه أني قد حبست منها بكرا لأصحابي فإنا قد أرملنا فقال الغلام لئن حبست منها هلبة لأعلمنه ولا أطرد منها بعيرا أبدا فحمل عليه تأبط فقتله ومضوا بالإبل إلى قومهم فقال في ذلك تأبط
(ألا عَجِب الفِتْيانُ من أمّ مالك ... تقول أراك اليوم أشعَثَ أغبرا)
((تَبوعاً لآثارِ السَّرِيَّة بعد ما ... رأيتُك بَرَّاق المَفارق أيْسرا)
(فقلتُ له يَوْمان يَومُ إقامة ... أهزّ به غُصْناً من البانِ أخضرا)
(ويومٌ أهزّ السَّيفَ في جِيد أغيد ... له نِسوةٌ لم تلق مثلي أنكرا)
(يخفن عليه وهو ينزع نفسَه ... لقد كنت أبَّاء الظلامة قَسْورا)
(وقد صِحْت في آثار حَوْمٍ كأنها ... عَذارَى عُقيل أو بَكارةُ حِمْيرا)
(أبعد النّفاثيّين آمل طرقةً ... وآسَى على شيءٍ إذا هو أدْبرا)
(أكفكِف عنهم صُحْبَتِي وإخالهم ... من الذلّ يَعْراً بالتّلاعة أعْفَرا)
(فلو نالت الكَفَّان أصحابَ نوفلٍ ... بمهمهةٍ من بطنِ ظَرْء فَعَرْعَرا)
(ولمَّا أبَى الليثيُّ إلا تَهَكُّما ... بعِرضي وكان العِرضُ عِرضي أوفرا)
(فقلت له حقَّ الثناءُ فإنّني ... سأذهب حتى لم أجِد متأخَّرَا)
(ولما رأيتُ الجَهْلَ زادَ لَجاجةً ... يقول فلا يألوك أن تَتَشَوَّرَا)
(دنوت له حتى كأنَّ قَميصَه ... تَشرَّب من نضح الأخادِعِ عُصْفُرا)
(فمن مُبلغٌ ليثَ بنَ بكرٍ بأنَّنا ... تركنا أخاهم يوم قِرْنٍ مُعَفَّرا)
قال غزا تأبط بني نفاثة بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهم خلوف ليس في دارهم رجل وكان الخبر قد أتى تأبط فأشرف فوق جبل ينظر إلى الحي وهم أسفل منه فرأته امرأة فطرح نفسه فعلمت المرأة أنه تأبط وكانت عاقلة فأمرت النساء فلبسن لبسة الرجال ثم خرجن كأنهن يطلبن الضالة وكان أصحابه يتفلتون ويقولون اغز وإنما كان في سرية من بين الستة إلى السبعة فأبى أن يدعهم وخرج يريد هذيلا وانصرف عن النفاثيين فبينا هو يتردد في تلك الجبال إذ لقي حليفا له من هذيل فقال له العجب لك يا تأبط قال وما هو قال إن رجال بني نفاثة كانوا خلوفا فمكرت بك امرأة وأنهم قد رجعوا
ففي ذلك يقول
(ألا عَجِب الفِتْيانُ من أمّ مالك ... تقول لقد أصبحت أشعَثَ أغبرا)
وذكر باقي الأبيات المتقدمة
وقال غيره لا بل قال هذه القصيدة في عامر بن الأخنس الفهمي وكان من حديث عامر بن الأخنس أنه غزا في نفر بضعة وعشرين رجلا فيهم عامر بن الأخنس وكان سيدا فيهم وكان إذا خرج في غزو رأسهم وكان يقال له سيد الصعاليك فخرج بهم حتى باتوا على بني نفاثة بن عدي بن الديل ممسين ينتظرون أن ينام الحي حتى إذا كان في سواد الليل مر بهم راع من الحي قد أغدر فمعه غديرته يسوقها فبصر بهم وبمكانهم فخلى الغديرة وتبع الضراء ضراء الوادي حتى جاء الحي فأخبرهم بمكان القوم وحيث رآهم فقاموا فاختاروا فتيان الحي فسلحوهم وأقبلوا نحوهم حتى إذا دنوا منهم قال رجل من

النفاثيين والله ما قوسي بموترة فقالوا فأوتر
قوسك فوضع قوسه فأوترها فقال تأبط لأصحابه
اسكتوا واستمع فقال أتيتم والله قالوا وما ذلك قال أنا والله أسمع حطيط وتر قوس قالوا والله ما نسمع شيئا قال بلى والله إني لأسمعه يا قوم النجاء قالوا لا والله ما سمعت شيئا فوثب فانطلق وتركهم ووثب معه نفر وبيتهم بنو نفاثة فلم يفلت منهم إنسان وخرج هو وأصحابه الذين انطلقوا معه وقتل تلك الليلة عامر بن الأخنس
قال ابن عمير وسألت أهل الحجاز عن عامر بن الأخنس فزعموا أنه مات على فراشه
فلما رجع تأبط قالت له امرأته تركت أصحابك فقال حينئذ
(ألا عجِب الفِتْيانُ من أُمّ مالك ... تقول لقد أصبحْتَ أشعَثَ أغبَرا)

مصرعه على يد غلام

فلما رجع تأبط وبلغه ما لقي أصحابه قال والله ما يمس رأسي غسل ولا دهن حتى أثأر بهم فخرج في نفر من قومه حتى عرض لهم بيت من هذيل بين صوى جبل فقال اغنموا هذا البيت أولا قالوا لا والله ما لنا فيه أرب ولئن كانت فيه غنيمة ما نستطيع أن نسوقها فقال إني أتفاءل أن أنزل ووقف وأتت به ضبع من يساره فكرهها وعاف على غير الذي رأى فقال أبشري أشبعك من القوم غدا فقال له أصحابه ويحك انطلق فوالله ما نرى أن نقيم عليها قال لا والله لا أريم حتى أصبح وأتت
به ضبع عن يساره فقال أشبعك من القوم غدا فقال أحد القوم والله إني أرى هاتين غدا بك فقال لا والله لا أريم حتى أصبح فبات حتى إذا كان في وجه الصبح وقد رأى أهل البيت وعدهم على النار وأبصر سواد غلام من القوم دون المحتلم وغدوا على القوم فقتلوا شيخا وعجوزا وحازوا جاريتين وإبلا ثم قال تأبط إني قد رأيت معهم غلاما فأين الغلام الذي كان معهم فأبصر أثره فاتبعه فقال له أصحابه ويلك دعه فإنك لا تريد منه شيئا فاتبعه واستتر الغلام بقتادة إلى جنب صخرة وأقبل تأبط يقصه وفوق الغلام سهما حين رأى أنه لا ينجيه شيء وأمهله حتى إذا دنا منه قفز قفزة فوثب على الصخرة وأرسل السهم فلم يسمع تأبط إلى الحبضة فرفع رأسه فانتظم السهم قلبه وأقبل نحوه وهو يقول لا بأس فقال الغلام لا بأس والله لقد وضعته حيث تكره وغشيه تأبط بالسيف وجعل الغلام يلوذ بالقتادة ويضربها تأبط بحشاشته فيأخذ ما أصابت الضربة منها حتى خلص إليه فقتله ثم نزل إلى أصحابه يجر رجله فلما رأوه وثبوا ولم يدروا ما أصابه فقالوا مالك فلم ينطق ومات في أيديهم فانطلقوا وتركوه فجعل لا يأكل منه سبع ولا طائر إلا مات فاحتملته هذيل فألقته في غار يقال له غار رخمان فقالت رِيطة أخته وهي يومئذ متزوجة في بني الديل
(نِعْم الفَتَى غادَرْتُم برُخمانْ ... ثابتٌ بنُ جابر بن سُفْيانْ)
وقال مرة بن خليف يرثيه
(إن العَزيمةَ والعَزّاءَ قد ثَوَيا ... أكفانَ ميت غدا في غار رُخْمانِ)
(إلاّ يَكُن كُرسفٌ كُفِّنتَ جيِّدَه ... ولا يكن كَفَنٌ من ثَوْبِ كَتّانِ)
(فإن حُرًّا من الأنْسابِ ألبسه ... ريشَ الندى والندى من خير أكفان)
(وليلةٍ رأسُ أفعاها إلى حجرٍ ... ويوم أوْرٍ من الجوزاءِ رنَّانِ)
(أمضيتَ أولَ رهطٍ عند آخره ... في إثر عاديةٍ أو إثر فتيانِ)
وقالت أم تأبط ترثيه
(... وابناهُ وابنَ اللَّيْل)
قال أبو عمرو الشيباني لا بل كان من شأن تأبط وهو ثابت بن جابر بن سفيان وكان جريئا شاعرا فاتكا أنه خرج من أهله بغارة من قومه يريدون بني صاهلة بن كاهل بن الحارث بن سعيد بن هذيل وذلك في عقب شهر حرام مما كان يحرم أهل الجاهلية حتى هبط صدر أدم وخفض عن جماعة بني صاهلة فاستقبل التلاعة فوجد بها دارا من بني نفاثة بن عدي ليس فيها إلا النساء غير رجل واحد فبصر الرجل بتأبط وخشيه وذلك في الضحى فقام الرجل إلى النساء فأمرهن فجعلن رؤوسهن جمما وجعلن دروعهن أردية وأخذن من بيوتهن عمدا كهيئة السيوف فجعلن لها حمائل ثم تأبطنها ثم نهض ونهضن معه يغريهن كما يغري القوم وأمرهن أن لا يبرزن
خدا وجعل هو يبرز للقوم ليروه وطفق يغري ويصيح على القوم حتى أفزع تأبط شرا وأصحابه وهو على ذلك يغري في بقية ليلة أو ليلتين من الشهر الحرام فنهضوا في شعب يقال له شعب وشل وتأبط ينهض في الشعب مع أصحابه ثم يقف في آخرهم ثم يقول يا قوم لكأنما يطردكم النساء فيصيح عليه أصحابه فيقولون انج أدركك القوم وتأبى نفسه فلم يزل به أصحابه حتى مضى معهم فقال تأبط في ذلك
(أبعد النّفاثيين أزجر طائرا ... وآسَى على شيءٍ إذا هو أدبرا)
(أُنهنِهِ رجلِي عنهم وإخالهم ... من الذُّلِّ يعراً بالتَّلاعة أعفرا)
(ولو نالت الكَفَّان أصحابَ نوفل ... بمَهْمَهَةٍ من بين ظَرْءِ وعرعرا)
قال ثم طلعوا الصدر حين أصبحوا فوجدوا أهل بيت شاذ من بني قريم ذنب نمار فظل يراقبهم حتى أمسوا وذلك البيت لساعدة بن سفيان أحد بني حارثة بن قريم فحصرهم تأبط وأصحابه حتى أمسوا قال وقد كانت قالت وليدة لساعدة إني قد رأيت اليوم القوم أو النفر بهذا الجبل فبات الشيخ حذرا قائما بسيفه بساحة أهله وانتظر تأبط وأصحابه أن يغفل الشيخ وذلك آخر ليلة من الشهر الحرام فلما خشوا أن يفضحهم الصبح ولم يقدروا على غرة مشوا إليه وغروه ببقية الشهر الحرام وأعطوه من مواثيقهم ما أقنعه وشكوا إليه الجوع فلما اطمأن إليهم وثبوا عليه فقتلوه وابنا له صغيرا حين مشى قال ومضى تأبط شرا إلى ابن له ذي ذؤابة كان أبوه قد أمره فارتبأ
من وراء ماله يقال له سفيان بن ساعدة فأقبل إليه تأبط شرا مستترا بمجنة فلما خشي الغلام أن يناله تأبط بسيفه وليس مع الغلام سيف وهو مفوق سهما رمى مجن تأبط بحجر فظن تأبط أنه قد أرسل سهمه فرمى مجنة عن يده ومشى إليه فأرسل الغلام سهمه فلم يخط لبته حتى خرج منه السهم ووقع في البطحاء حذو القوم وأبوه ممسك فقال أبو الغلام حين وقع السهم أخاطئه سفيان فحرد القوم فذلك حين قتلوا الشيخ وابنه الصغير ومات تأبط

أمه ترثيه

فقالت أمه - وكانت امرأة من بني القين بن جسر بن قضاعة - ترثيه
(قتِيلٌ ما قتيلُ بني قُرَيْمٍ ... إذا ضَنّت جُمادى بالقِطار)

(فتى فَهْمٍ جميعاً غادَرُوه ... مقيما بالحُرَيْضَةِ من نُمار)
وقالت أمه ترثيه أيضا
(وبِلُ امِّ طِرفٍ غادروا برُخْمانْ ... بثابتِ بن جابر بن سفيان)
(يجدِّلُ القِرنَ ويُروي النَّدمانْ ... ذو مأْقِطٍ يحمي وراء الإخوان)
وقالت ترثيه أيضا
وابناه وابن الليل ليس بزميل شروب للقيل رقود بالليل وواد ذي هول أجزت بالليل تضرب بالذيل برجل كالثول
قال وكان تأبط شرا يقول قبل ذلك
(ولقد علمتُ لتعدُونَّ ... م عليّ شتْمٌ كالحساكل)
(يأكلنَ أوصالا ولحما ... كالشَّكاعِي غيرَ جاذِل)
(يا طيرُ كُلْنَ فإنني ... سُمٌّ لَكُنّ وذو دَغَاول)
وقال قبل موته
(لعلي ميِّتٌ كمداً ولمَّا ... أطالع أهلَ ضيمٍ فالكراب)
(وإن لم آتِ جمع بني خُثيم ... وكاهلها بِرَجْلٍ كالضِّباب)
(إذا وقعتْ بكعب أو قُرَيْمٍ ... وسيَّارٍ فيا سَوْغَ الشّراب)
فأجابه شاعر من بني قريم
(تأبَّطَ سَوْأَةً وحملْتَ شرَّا ... لعلك أن تكون من المصاب)
(لعلكَ أن تجيءَ بك المنايا ... تُساقُ لفتيةٍ منا غِضاب)
(فتُصْبِحَ في مَكَرِّهمُ صريعاً ... وتصبحَ طرفةَ الضَّبُع السِّغاب)
((فزلتم تهربون ولو كرهتم ... تسوقون الحَرائمَ بالنقاب
(وزال بأرضكم منّا غلامٌ ... طليعةُ فتْيَةٍ غُلْبِ الرقاب)
ونذكر هاهنا بعد أخبار تأبط شرا أخبار صاحبيه عمرو بن براق والشنفرى ونبدأ بما يغني فيه من شعريهما ونتبعه بالأخبار
فأما عمرو بن براق فمما يغني فيه من شعره قوله
صوت
(متى تجمع القلبَ الذكيَّ وصارما ... وأنفا حَمِيًّا تجتنبْكَ المَظَالِمُ)
(وكنت إذا قومٌ غَزَوْني غَزوتهم ... فهل أنا في ذا يا لَهمدانَ ظَالِمُ)
(كذبتُم وبيتِ الله لا تأخذونها ... مراغمةً ما دام للسيف قائم)
(ولا صُلْحَ حتى تعثُرَ الخَيلُ بالقنا ... وتُضْرَبَ بالبيض الرِّقاقِ الجَماجِمُ)
عروضه من الطويل الشعر لابن براق وقيل ابن براقة والغناء لمحمد ابن إسحاق بن عمرو بن بزيع ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي
عمرو بن براق
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا السكري عن ابن حبيب قال وأخبرنا الهمداني ثعلب عن ابن الأعرابي عن المفضل قالا
سلب منه ماله ثم استرده
فقال في ذلك
أغار رجل من همدان يقال له حريم على إبل لعمرو بن براق وخيل فذهب بها فأتى عمرو امرأة كان يتحدث إليها ويزورها فأخبرها أن حريما أغار على إبله وخيله فذهب بها وأنه يريد الغارة عليه فقالت له المرأة ويحك لا تعرض لتلفات حريم فإني أخافه عليك قال فخالفها وأغار عليه فاستاق كل شيء كان له فأتاه حريم بعد ذلك يطلب إليه أن يرد عليه ما أخذه منه فقال لا أفعل وأبى عليه فانصرف فقال عمرو في ذلك
(تقول سُلَيمى لا تَعَرَّضْ لتَلفةٍ ... وليلُك عن ليل الصعاليك نائمُ)
(وكيف ينامُ الليلَ من جُلّ مالِهِ ... حُسامٌ كلون المِلح أبيضُ صارمُ)
(صَمُوتٌ إذا عضَّ الكريهةَ لم يَدَعْ ... لها طَمَعاً طوعُ اليمين ملازمُ)
(نَقدْتُ به ألْفاً وسامحتُ دونه ... على النقدِ إذ لا تُستطاع الدراهمُ)
((ألم تَعلمي أنَّ الصعاليكَ نومُهم ... قليلٌ إذا نام الدَّثُور المُسالِمُ
(إذا الليل أدجى واكفهرّت نجومه ... وصاح من الإفراط هامٌ جوائمُ)
(ومال بأصحاب الكرى غالباتُه ... فإني على أمر الغَواية حازمُ)
(كذبتم وبيتِ الله لا تأخذونها ... مُراغمةً ما دام للسيف قائمُ)
(تَحالفَ أقوامٌ عليّ ليسمَنُوا ... وجروا عليَّ الحَرْبَ إذا أنا سَالِمُ)
(أفَالآن أُدْعَى للهَوادة بعدما ... أُجيل على الحيِّ المَذاكِي الصَّلادِمُ)
(كأنَّ حُريماً إذ رجا أن يَضُمَّها ... ويذْهبَ مالي يابنةَ القومِ حالِمُ)
(متى تجمع القلبَ الذَّكِيَّ وصارماً ... وأنفاً حَمِيّاً تَجْتَنِبْكَ المظالِمُ)
(ومَن يَطلبِ المالَ المُمَنَّع بالقَنَا ... يَعِشْ ذا غِنىً أو تَخْتَرِمْه المَخارمُ)
(وكنتُ إذا قومٌ غَزوني غزَوْتهم ... فهل أنا في ذا يا لَهَمْدان ظالمُ)
(فلا صُلْحَ حتى تعثر الخيل بالقنا ... وتُضْرب بالبِيض الرِّقاقِ الجَماجِمُ)
وأما الشنفرى فإنه رجل من الأزد ثم من الأواس بن الحجر بن الهنو بن الأزد ومما يغنى فيه من شعره قوله
صوت
(ألا أُمُّ عَمْرٍو أزمعت فاستقَلَّت ... وما ودَّعت جيرانَها إذ تولَّتِ)
(فوانَدَما بانَتْ أمامةُ بعدما ... طَمِعْتُ فهبْها نِعْمَةً قد تولَّتِ)
(وقد أعجَبتْنِي لا سَقُوطاً خِمارُها ... إذا ما مشَت ولا بذاتِ تَلَفُّتِ)
غنى في هذه الأبيات إبراهيم ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو بن بانة

أخبار الشنفرى ونسبه
نشأ في غير قومه
وأخبرني بخبره الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا أبو يحيى المؤدب وأحمد ابن أبي المنهال المهلبي عن مؤرخ عن أبي هشام محمد بن هشام النميري
أن الشنفرى كان من الأواس بن الحجر بن الهنو بن الأزد بن الغوث أسرته بنو شبابة بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سلامان بن مفرج بن عوف بن ميدعان بن مالك بن الأزد رجلا من فهم أحد بني شبابة ففدته بنو شبابة بالشنفرى قال فكان الشنفرى في بني سلامان بن مفرج لا تحسبه إلا أحدهم حتى نازعته بنت الرجل الذي كان في حجره وكان السلامي اتخذه ولدا وأحسن إليه وأعطاه فقال لها الشنفرى اغسلي رأسي يا أخية وهو لا يشك في أنها أخته فأنكرت أن يكون أخاها ولطمته فذهبت مغاضبا حتى أتى الذي اشتراه من فهم فقال له الشنفرى اصدقني ممن أنا قال أنت من الأواس بن الحجر فقال أما إني لن أدعكم حتى أقتل منكم مائة بما استعبدتموني ثم إنه ما زال يقتلهم حتى قتل تسعة وتسعين رجلا وقال الشنفرى للجارية السلامية التي لطمته وقالت لست بأخي
((ألا ليتَ شِعْري والتَّلَهُّفُ ضَلّةٌ ... بما ضَربتْ كَفُّ الفتاة هَجِينَها
(ولو علمت قُعسوسُ أنساب والدي ... ووالدِها ظَلّت تقاصَرُ دونها)
(أنا ابن خيار الحُجْر بيتا ومَنْصِبا ... وأمي ابنةُ الأحرار لو تَعْرفينها)
قال ثم لزم الشنفرى دار فهم فكان يغير على الأزد على رجليه فيمن تبعه من فهم وكان يغير وحده أكثر من ذلك وقال الشنفري لبني سلامان
(وإني لأهوَى أن ألُفَّ عجَاجتي ... على ذي كِساء من سَلامانَ أو بُرد)
(وأصبحَ بالعضْدَاء أبغي سَرَاتَهم ... وأسلكَ خَلاًّ بين أرباع والسَّرد)
فكان يقتل بني سلامان بن مفرج حتى قعد له رهط من الغامديين من بني الرمداء فأعجزهم فأشلوا عليه كلبا لهم يقال له حبيش ولم يضعوا له شيئا ومر وهو هارب بقرية يقال لها دحيس برجلين من بني سلامان بن مفرج فأرادهما ثم خشي الطلب فقال
(قتيلَيْ فِجارٍ أنتُما إن قُتِلتُما ... بجوف دَحِيس أو تبالةَ يا اسمعا)
يريد يا هذان اسمعا وقال فيما كان يطالب به بني سلامان
(فإلا تزرني حَتْفتي أو تُلاقني ... أُمشِّ بدَهْرٍ أو عِذافَ فنوَّرا)
(أمشي بأطراف الحماطِ وتارةً ... تُنفِّضُ رجلي بَسْبُطاً فعَصَنْصَرا)
((وأبغي بني صَعبِ بن مُرٍّ بلادَهم ... وسوفَ أُلاقيهم انِ اللّهُ يسرّا
(ويوما بذاتِ الرَّأس أو بطن مِنجَلٍ ... هنالك تَلْقَى القاضيَ المُتغَوِّرا)
سملوا عينه ثم قتلوه
قال ثم قعد له بعد ذلك أسيد بن جابر السلاماني وخازم الفهمي بالناصف من أبيدة ومع أسيد ابن أخيه فمر عليهم الشنفرى فأبصر السواد بالليل فرماه وكان لا يرى سوادا إلا رماه كائنا ما كان فشك ذراع ابن أخي أسيد إلى عضده فلم يتكلم فقال الشنفري إن كنت شيئا فقد أصبتك وإن لم تكن شيئا فقد أمنتك وكان خازم باطحا يعني منبطحا بالطريق يرصده فنادى أسيد يا خازم أصلت يعني اسلل سيفك فقال الشنفري لكل أصلت فأصلت الشنفري فقطع أصبعين من أصابع خازم الخنصر والبنصر وضبطه خازم حتى لحقه أسيد وابن أخيه نجدة فأخذ أسيد سلاح الشنفرى وقد صرع الشنفري خازما وابن أخي أسيد فضبطاه وهما تحته وأخذ أسيد برجل ابن أخيه فقال أسيد رجل من هذه فقال الشنفري رجلي فقال ابن أخي أسيد بل هي رجلي يا عم فأسروا الشنفرى وأدوه إلى أهلهم وقالوا له أنشدنا فقال إنما النشيد على المسرة فذهبت مثلا ثم ضربوا يده فتعرضت أي اضطربت فقال الشنفرى في ذلك
(لا تَبْعَدي إمّا ذَهَبْتِ شامَهْ ... فرُبَّ وادٍ نَفَرَتْ حَمامَه)
(...وربَّ قِرْنٍ فَصَلَتْ عِظَامَهْ)
ثم قال له السلامي أأطرفك ثم رماه في عينه فقال الشنفرى له كأن كنا نفعل أي كذلك كنا نفعل وكان الشنفرى إذا رمى رجلا منهم قال له أأطرفك ثم يرمي عينه ثم قالوا له حين أرادوا قتله أين نقبرك فقال
(لا تَقبِروني إنّ قَبري مُحرّم ... عليكم ولكن أبشِري أُمّ عامرِ)
(إذا احْتَمَلَتْ رأسي وفي الرأس أكثَري ... وغُودِر عند المُلْتَقى ثَمّ سائِري)
(هنالك لا أرجو حياةً تَسرُّني ... سَمِيرَ الليالي مُبْسَلاً بالجَرَائر)
تأبط شرا يرثيه
وقال تأبط شرا يرثي الشنفري
(على الشَّنْفَرَى ساري الغمام ورائحٌ ... غزيرُ الكُلى وَصَيِّبُ الماء باكرُ)
(عليك جزاءٌ مثلُ يومِكَ بالجَبَا ... وقد أُرعِفتْ منك السُّيوفُ البواتر)
(ويومِكَ يوم العَيْكَتَيْن وعطفةٍ ... عطفتَ وقد مَسَّ القلوبَ الحناجِرُ)
((تجول ببز الموت فيهم كأنهم ... بشوكتك الحُدَى ضَئِينٌ نوافِرُ
(- فإنك لو لاقيتني بعدما ترى - ... وهل يُلقَيْن مَنْ غيَّبته المقابر)
(لألفيتني في غارة أنتمي بها ... إليك وإمّا راجعاً أنا ثائرُ)
(وإن تكُ مأسوراً وظلْت مُخيِّماً ... وأبْليت حتى ما يكيدك واترُ)
(... وحتى رماك الشَّيْبُ في الرأس عانسا وخيرُك مبسوطٌ وزادك حاضرُ)
(وأجملُ موتِ المرءِ إذ كان ميتا ... - ولا بد يوماً - موتُه وهو صابر)
(فلا يَبعدنّ الشّنْفري وسِلاحُه الحَديدُ ... وشدَّ خَطْوُه متواتِر)
(إذا راع رَوْعُ الموت راع وإن حَمَى ... حَمَى معه حُرٌّ كريم مُصابِرُ)
خبر آخر عن سبب أسره ومقتله
قال وقال غيره لا بل كان من أمر الشنفري وسبب أسره ومقتله أن الأزد قتلت الحارث بن السائب الفهمي فأبوا أن يبوءوا بقتله فباء بقتله رجل منهم يقال له حزام بن جابر قبل ذلك فمات أخو الشنفري فأنشأت أمه تبكيه فقال الشنفري وكان

أول ما قاله من الشعر
(ليس لوالدة هوءُها ... ولا قولُها لابنها دَعْدَعِ)
((تُطيف وتُحدِث أحوالَه ... وغيرُكِ أملكُ بالمصْرَعِ
قال فلما ترعرع الشنفري جعل يغير على الأزد مع فهم فيقتل من أدرك منهم ثم قدم منى وبها حزام بن جابر فقيل له هذا قاتل أبيك فشد عليه فقتله ثم سبق الناس على رجليه فقال
(قتلتُ حزاماً مُهْدِياً بمُلَبَّدٍ ... ببطن مِنىً وسْطَ الحجيج المُصَوِّتِ)
قال ثم إن رجلا من الأزد أتى أسيد بن جابر وهو أخو حزام المقتول فقال تركت الشنفرى بسوق حباشة فقال أسيد بن جابر والله لئن كنت صادقا لا نرجع حتى نأكل من جنى ألیف أبيدة فقعد له على الطريق هو وابنا حزام فأحسوه في جوف الليل وقد نزع نعلا ولبس نعلا ليخفي وطأه فلما سمع الغلامان وطأه قالا هذه الضبع فقال أسيد ليست الضبع ولكنه الشنفرى ليضع كل واحد منكما نعله على مقتله حتى إذا رأى سوادهم نكص مليا لينظر هل يتبعه أحد ثم رجع حتى دنا منهم فقال الغلامان أبصرنا فقال عمهما لا والله ما أبصركما ولكنه أطرد لكيما تتبعاه فليضع كل واحد منكما نعله على مقتله فرماهم الشنفري فخسق في النعل ولم
يتحرك المرمي ثم رمى فانتظم ساقي أسيد فلما رأى ذلك أقبل حتى كان بينهم فوثبوا عليه فأخذوه فشدوه وثاقا ثم إنهم انطلقوا به إلى قومهم فطرحوه وسطهم فتماروا بينهم في قتله فبعضهم يقول أخوكم وابنكم فلما رأى ذلك أحد بني حزام ضربه ضربة فقطع يده من الكوع وكانت بها شامة سوداء فقال الشنفرى حين قطعت يده
(لا تَبْعَدِي إمّا هَلَكْتِ شامَهْ ... فرُبَّ خَرقٍ قَطَعتْ قتَامَهْ)
(... ورُبَّ قِرْنٍ فَصَلَتْ عِظَامَهْ)
وقال تأبط شرا يرثيه
(فلا يَبعَدنّ الشَّنفرى وسِلاحُه الْحَديدُ ... وَشَدَّ خَطْوُه متواترِ)
(إذا راع رَوْعَ الموت راع وإن حَمَى ... حَمَى معه حُرٌّ كريم مُصابِرُ)
قال وذرع خطو الشنفرى ليلة قتل فوجد أول نزوة نزاها إحدى وعشرين خطوة ثم الثانية سبع عشرة خطوة
قال وقال ظالم العامري في الشنفرى وغاراته على الأزد وعجزهم عنه ويحمد أسيد بن جابر في قتله الشنفرى
(فما لَكُمْ لم تدركوا رِجْلَ شنفرى ... وأنتم خِفاف مثلُ أجنحة الغُرْبِ)
(تعاديتُم حتى إذا ما لحِقتُم ... تباطأَ عنكم طالبٌ وأبو سَقْبِ)
(لعمركَ لَلسّاعي أُسَيدُ بن جابرٍ ... أحقُّ بها مِنْكم بَني عقبِ الكلب)
قال ولما قتل الشنفرى وطرح رأسه مر به رجل منهم فضرب جمجمة الشنفرى بقدمه فعقرت قدمه فمات بها فتمت به المائة

شعره لما قتل حزاما قاتل أبيه

وكان مما قاله الشنفرى فيهم من الشعر وفي لطمه المرأة التي أنكرته الذي ذكرته واستغني عن إعادته مما تقدم ذكره من شعر الشنفرى وقال الشنفرى في قتله حزاما قاتل أبيه
(أرَى أُمَّ عمرو أجمعت فاستقلَّتِ ... وما ودَّعت جِيرانَها إذْ تولّتِ)
(فقد سبقتنا أُمُّ عمرٍو بأمرها ... وقد كان أعناقُ المطيِّ أظلَّتِ)
(فواندَما على أُميمةَ بعدما ... طمِعتُ فهَبْها نِعمةَ العيش ولَّتِ)
(أُميمةُ لا يُخزي نَثاها حَليلها ... إذا ذُكِر النسوان عَفَّت وجلَّت)
(يَحُلّ بمنجاةٍ من اللّوم بيتُها ... إذا ما بُيوتٌ بالمَلامة حُلَّت)
(فقد أعجبتني لا سَقُوطٌ قِناعُها ... إذا ما مَشت ولا بِذات تَلَفُّت)
(كأنّ لها في الأرض نِسْياً تَقُصُّه ... إذا ما مشت وإن تُحدِّثْك تَبْلِت)
النسي الذي يسقط من الإنسان وهو لا يدري أين هو يصفها بالحياء وأنها لا تلتفت يمينا ولا شمالا ولا تبرج ويروى
(... تقصه على أمها وإن تكلمك)
(فدقت وجلت واسبكرت وأكملت ... فلو جن إنسان من الحسن جنَّت)
((تبيتُ بُعَيْدَ النوم تُهدي غَبُوبَها ... لجاراتِها إذا الهديّة قَلَّت
- الغبوب ما غب عندها من الطعام أي بات ويروى غبوقها -
(فبِتنا كأنَّ البيت حُجِّر حولنا ... بريحانةٍ راحت عِشاءً وطُلَّتِ)
(بريحانة من بطن حلية أمرعت ... لها أرجٌ من حولها غير مسنت)
(غدوتُ من الوادي الذي بين مَشْعَلٍ ... وبين الجَبَاهيهات أنْسأتُ سُريتي)
(أمشّي على الأرض التي لن تضيرني ... لأكسِبَ مالا أو أُلاقيَ حُمَّتِي)
(إذا ما أتتني حَتْفتي لم أُبالِها ... ولم تُذْرِ خالاتي الدموع وعَمَّتِي)
(وهَنِّيءَ بي قومٌ وما إن هنأتُهم ... وأصبحت في قومٍ وليسوا بمنيتي)
(وأمِّ عيالٍ قد شهدتُ تَقُوتُهم ... إذا أطعَمَتْهم أوْ تَحتْ وأقلَّتِ)
(تخاف علينا الجوعَ إن هيَ أكثرت ... ونحن جِياعٌ أيَّ ألْيٍ تألَّتِ)
(عُفَاهِيَةٌ لا يقصرُ السّترُ دونها ... ولا تُرتَجى لِلبَيْت إن لم تُبَيَّتِ)
(لها وَفْضَةٌ فيها ثلاثون سَلْجَماً ... إذَا ما رأت أُولى العَدِي اقْشَعَرَّتِ)
((وتأتي العَدِيَّ بارزاً نصفُ ساقِها ... كعَدْو حِمارِ العانةِ المتفلِّتِ
(إذا فُزِّعت طارت بأبيضَ صارمٍ ... وراحت بما في جُفرها ثم سلَّت)
(حُسامٍ كلون الملح صافٍ حديدُه ... جُرازٍ من اقطار الحديد المنعَّت)
(تراها كأذنابِ المَطِيّ صوادراً ... وقد نهِلتْ منَ الدّماء وعلَّت)
(سنجزي سلامانَ بنَ مُفْرِجٍ قرضَهم ... بما قدّمت أيديهمُ وأزلَّتِ)
(شفَيْنا بعبدِ اللهِ بعضَ غليلِنا ... وعوفٍ لدى لمَعْدَى أوانَ استهلَّت)
(قتلنا حزاما مُهدِيا بملَبّدٍ ... محلّهما بين الحجيج المصوِّت)

(فإن تُقيلوا تُقيل بمَنْ نِيلَ منهمُ ... وإن تُدْبِروا فأُمّ مَنْ نِيلَ فُتّت)
(ألا لا تزرني إن تشكيت خُلّتي ... كفاني بأعلى ذي الحُمَيرةِ عُدْوَتي)
(وإني لحلْوٌ إن أُريدت حلاوتي ... ومرٌّ إذا النفس الصَّدوفُ استمرَّتِ)
(أبيٌّ لما آبى وشيكٌ مَفيئتي ... إلى كُلِّ نفس تَنْتَحِي بمودّتي)
وقال الشنفري أيضا
(ومرقبةٍ عَنْقاء يَقصُرُ دونها ... أخو الضَّرْوذ الرّجْل الخفيُّ المخَفَّفُ)
((نَميتُ إلى أعلى ذراها وقد دنا ... من الليل ملتفٌّ الحديقةِ أسدَف
(فبِتُّ على حَدّ الذِّراعين أحدباً ... كما يَتطَوَّى الأرقَم المُتَعَطِّفُ)
(قليلٌ جَهازي غيرُ نعلين أُسحقَت ... صدورهما مخصورةً لا تُخصَّفُ)
(ومِلْحَفَةٍ دَرْسٍ وجَرْدٍ مُلاءةٍ ... إذا أنهجت من جانب لا تَكفّفُ)
(وأبيضَ من ماء الحديد مهنّدٌ ... مجدٌّ لأطراف السّواعد مِقطفُ)
(وصفراءُ من نبع أبيٌّ ظَهيرةٌ ... تُرِنّ كإرنان الشّجيّ وتَهْتِفُ)
(إذا طال فيها النزع تأتي بعجْسها ... وترمي بِذَرْوَيْها بهنّ فتَقْذِفُ)
(كأنّ حفيفَ النَّبل من فوق عَجْسها ... عوازبُ نحلٍ أخطأ الغارَ مُطْنِفُ)
(نأتْ أمُّ قيسِ المرْبَعين كليهما ... وتحذَرُ أن يَنأى بها المتصيَّفُ)
(وإنك لو تَدرين أنْ رُبَّ مشربٍ ... مخوفٍ كداء البطن أو هو أخوفُ)
(وردتُ بمأثورٍ ونبلٍ وضالةٍ ... تخيَّرتها مما أريش وأرصُفُ)
(أُركِّبها في كل أحمر عاترٍ ... وأقذِفُ منهن الذي هو مقرِف)
(وتابعتُ فيه البَرْيَ حتى تركتُه ... يَزِفُّ إذا أنفذته ويزفزفُ)
((يكفّيَ منها للبغيض عُراضَةٌ ... إذا بعتُ خِلاًّ ما له مُتَخَوَّفُ
(وواد بعيدِ العُمق ضنكٍ جِماعُه ... بواطِنهُ للجنّ والأسْدِ مألَفُ)
(تعسَّفتُ منه بعدما سقط الندى ... غماليل يخشى غِيلَها المتعسِّفُ)
(وإني إذا خَامَ الجبانُ عن الرّدى ... فلِي حيث يُخشى أن يُجاوزَ مخسَف)
(وإن امرأً أجار سعدَ بنَ مالكٍ ... عليّ وأثوابِ الأُقَيْصِرِ يَعْنُف)
وقال الشنفرى أيضا
(ومُستبسلٍ ضافي القميصِ ضَغَتُّه ... بأزرقَ لا نِكسٍ ولا مُتَعوِّجِ)
(عليه نُساريٌّ على خُوطِ نَبْعةٍ ... وفُوقٌ كعرقوب القطاة مُحَدْرَجُ)
(وقاربتُ من كفِّيَّ ثم فَرجتها ... بنزعٍ إذا ما استُكره النزعُ مُخْلِجِ)
(فصاحت بكفي صيحةً ثم رجَّعَت ... أنينَ الأميم ذي الجراح المُشجَّجِ)
وقد روي فناحت بكفي نوحة
رواية ثالثة في مقتله
وقال غيره لا بل كان من أمر الشنفرى أنه سبت بنو سلامان بن مفرج ابن مالك بن هوازن بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد الشنفرى - وهو أحد بني ربيعة بن الحجر بن عمران بن عمرو بن حارثة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن مازن بن الأزد - وهو غلام فجعله الذي سباه في بهمة يرعاها مع ابنة له فلما خلا بها الشنفرى أهوى ليقبلها فصكت وجهه ثم سعت إلى أبيها فأخبرته فخرج إليه ليقتله فوجده وهو يقول
(ألاَ هل أتى فِتيانَ قومي جَماعةً ... بما لطمت كفُّ الفتاة هجينَها)
(ولو علمت تلك الفتاةُ مَناسبي ... ونسبتُها ظلَّت تقاَصَرُ دونها)
(أليس أبي خيرَ الأواس وغيرها ... وأمّي ابنةُ الخَيْرِينَ لو تَعلمينها)
(إذا ما أرُومُ الودَّ بيني وبينها ... يؤمُّ بياضُ الوجه منّي يمينَها)
قال فلما سمع قوله سأله ممن هو فقال أنا الشنفرى أخو بني الحارث بن ربيعة وكان من أقبح الناس وجها فقال له لولا أني أخاف أن يقتلني بنو سلامان لأنكحتك ابنتي فقال علي إن قتلوك أن أقتل بك مائة رجل منهم فأنكحه ابنته وخلى سبيله فسار بها إلى قومه فشدت بنو سلامان خلافه على الرجل فقتلوه فلما بلغه ذلك سكت ولم يظهر جزعا عليه وطفق يصنع النبل ويجعل أفواقها من القرون والعظام ثم إن امرأته بنت السلاماني قالت له ذات يوم لقد خست بميثاق أبي عليك فقال
(كأن قَدْ - فلا يغْرُرْكِ مني تمكُّثِي ... سلكتُ طريقاً بين يَرْبَغ فالسَّردِ)
((وإنِّي زعيمٌ أن تثور عَجاجتي ... على ذي كِساءٍ من سَلامان أو بُرد
(همُ عرفوني ناشئاً ذا مَخِيلة ... أُمشِّي خلال الدارِ كالفرس الوَرْدِ)
(كأني إذا لم يُمسِ في الحي مالك ... بتيهاء لا أهدي السَّبِيلَ ولا أهدِي)
قال ثم غزاهم فجعل يقتلهم ويعرفون نبله بأفواقها في قتلاهم حتى قتل منهم تسعة وتسعين رجلا ثم غزاهم غزوة فنذروا به فخرج هاربا وخرجوا في إثره فمر بامرأة منهم يلتمس الماء فعرفته فأطعمته أقطا ليزيد عطشا ثم استسقى فسقته رائبا ثم غيبت عنه الماء ثم خرج من عندها وجاءها القوم فأخبرتهم خبره ووصفت صفته وصفة نبله فعرفوه فرصدوه على ركي لهم وهو ركي ليس لهم ماء غيره فلما جن عليه الليل أقبل إلى الماء فلما دنا منه قال إني أراكم وليس يرى أحدا إنما يريد بذلك أن يخرج رصدا إن كان ثم فأصاخ القوم وسكتوا ورأى سوادا وقد كانوا أجمعوا قبل إن قتل منهم قتيل أن يمسكه الذي إلى جنبه لئلا تكون حركة قال فرمى لما أبصر السواد فأصاب رجلا فقتله فلم يتحرك أحد فلما رأى ذلك امن في نفسه وأقبل إلى الركي فوضع سلاحه ثم انحدر فيه فلم يرعه إلا بهم على رأسه قد أخذوا سلاحه فنزا ليخرج فضرب بعضهم شماله فسقطت فأخذها فرمى بها كبد الرجل فخر عنده في القليب فوطىء على رقبته فدقها وقال في قطع شماله
((لا تَبْعَدِي إمّا ذَهَبْتِ شامَهْ ... فرُبَّ وادٍ نَفَرَتْ حَمامَهْ
(ورُبَّ قِرْنٍ فَصَلتْ عِظَامَهْ ... وربَّ حيٍّ حرَّقت سَوامَهْ)

قال ثم خرج إليهم فقتلوه وصلبوه فلبث عاما أو عامين مصلوبا وعليه من نذره رجل قال ف جاه رجل منهم كان غائبا فمر به وقد سقط فركض رأسه برجله فدخل فيها عظم من رأسه فعلت عليه فمات منها فكان ذلك الرجل هو تمام المائة

صوت

(ألا طرقتْ في الدّجى زينبُ ... وأحببْ بزينبَ إذ تَطْرُقُ)
(عجبتُ لزينبَ أنّى سرَت ... وزينبُ من ظلّها تفرَق)

عروضه من المتقارب الشعر لابن رهيمة والغناء لخليل المعلم رمل بالبنصر عن الهشامي وأبي أيوب المدني

أخبار الخليل ونسبه

هو الخليل بن عمرو مكي مولى بني عامر بن لؤي مقل لا تعرف له صنعة غير هذا الصوت

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني القطراني المغني عن محمد بن حسين قال

عمل في تأديب الصبيان وتعليم الجواري الغناء

كان خليل المعلم يلقب خليلان وكان يؤدب الصبيان ويلقنهم القرآن والخط ويعلم الجواري الغناء في موضع واحد فحدثني من حضره قال كنت يوما عنده وهو يردد على صبي يقرأ بين يديه (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم) ثم يلتفت إلى صبية بين يديه فيردد عليها

(اعتادَ هذا القلبَ بلبالُهُ ... أن قُرِّبتْ للبَيْن أجمالُهُ)

فضحكت ضحكا مفرطا لما فعله فالتفت إلي فقال ويلك مالك فقال أتنكر ضحكي مما تفعل والله ما سبقك إلى هذا أحد ثم قلت انظر أي

شيء أخذت على الصبي من القرآن وأي شيء هو ذا تلقي على الصبية والله إني لأظنك ممن يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله فقال أرجو ألا أكون كذلك إن شاء الله

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال حدثني عبد الصمد بن المعذل قال

كان خليلان المعلم أحسن الناس غناء وأفتاهم وأفصحهم فدخل يوما على عقبة بن سلم الأزدي الهنائي فاحتبسه عنده فأكل معه ثم شرب وحانت منه التفاتة فرأى عودا معلقا فعلم أنه عرض له به فدعا به وأخذه فغناهم

(يابنةَ الأزديّ قلبي كَئِيبُ ... مُستَهامٌ عندها ما يُنِيبُ)

وحانت منه التفاتة فرأى وجه عقبة بن سلم متغيرا وقد ظن أنه عرض به ففطن لما أراد فغنى

(ألا هَزِئَت بِنا قُرَشِيَّة ... يهتزُّ موكِبُها)

فسري عن عقبة وشرب فلما فرغ وضع العود من حجره وحلف بالطلاق ثلاثا أنه لا يغني بعد يومه ذلك إلا لمن يجوز حكمه عليه

نسبة هذين الصوتين

(يابنةَ الأزديّ قلبي كَئِيبُ ... مُستَهامٌ عندها ما يُنِيبُ)
(ولقد لاموا فقلتُ دعوني ... إنّ مَنْ تَنْهَونَ عنه حبيبُ)
(إنما أبلَى عِظامِي وجِسْمِي ... حُبُّها والحُبُّ شيءٌ عَجِيبُ)
(أيها العائِبُ عندي هواهَا ... أنتَ تَفدي مَن أراك تَعِيبُ)

عروضه من المديد والشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - والغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لمالك خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عنه وفيه خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى لم ينسبه إسحاق إلى أحد ووجدته في روايات لا أثق بها منسوبا إلى حنين وقد ذكر يونس أن فيه لحنين ولمالك كلاهما ولعل هذا أحدهما وذكر حبش أن خفيف الرمل لابن سريج وذكر الهشامي وعلي بن يحيى أن لحن مالك الآخر ثاني ثقيل وذكر الهشامي أن فيه لطويس هزجا مطلقا في مجرى البنصر وذكر عمرو بن بانة أن لمالك فيه ثقيلا أولا وخفيفه ولمعبد خفيف ثقيل آخر

صوت

(ألا هَزِئَت بِنا قُرَشِيَّة ... يهتزُّ موكِبُها)
(رأت بي شَيْبَةً في الرأ ... سِ مِنّي ما أُغَيّبُها)
(فقالت لي ابنِ قَيْسٍ ذا ... وبعضُ الشيبِ يعجبها)
(لها بعلٌ خبيثُ النَّفْس ... يحصُرُها ويحْجُبُها)
(يراني هكذا أمشي ... فيوعِدُها ويضْرِبُها)

عروضه من الوافر الشعر لابن قيس الرقيات والغناء لمعبد خفيف بالخنصر في مجرى الوسطى وفيه ليونس ثقيل أول عن إسحاق بن إبراهيم والهشامي

صوت

(هل ما علمتَ وما استُودِعْتَ مكتومُ ... أم حَبلُها إذ نأتك اليومَ مَصرومُ)
(أم هل كئيبٌ بكى لم يقض عبرتَه ... إثْرَ الأحِبَّة يوم البين مشكُومُ)
(يحملن أُترُجَّةً نَضْخُ العبير بها ... كأنَّ تَطيابَها في الأنفِ مشمومُ)
(كأنّ فَأْرَةَ مسكٍ في مفارقها ... للباسطِ المُتعاطي وَهْوَ مزكوم)
(كأنَّ إبريقَهم ظَبيٌ على شرف ... مُفَدَّمٌ بسبَا الكتّان ملثُوم)
(قد أشْهدُ الشَّربَ فيهم مِزْهرٌ صَدِحٌ ... والقومُ تصرعهم صهباءُ خُرطومُ)

الشعر لعلقمة بن عبدة والغناء لابن سريج وله فيه لحنان أحدهما في الأول والثاني خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق

والآخر رمل بالخنصر في مجرى البنصر في الخامس والسادس من الأبيات وذكر عمرو بن بانة أن في الأربعة الأبيات الأول المتوالية لمالك خفيف ثقيل بالوسطى وفيها ثقيل أول نسبه الهشامي إلى الغريض وذكر حبش أن لحن الغريض ثاني ثقيل بالبنصر وذكر حبش أن في الخامس والسادس خفيف رمل بالبنصر لابن سريج

أخبار علقمة ونسبه

هو علقمة بن عبدة بن النعمان بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار
وكان زيد مناة بن تميم وفد هو وبكر بن وائل - وكانا لدة عصر واحد - على بعض الملوك وكان زيد مناة حسودا شرها طعانا وكان بكر بن وائل خبيثا منكرا داهيا فخاف زيد مناة أن يحظى من الملك بفائدة ويقل معها حظه فقال له يا بكر لا تلق الملك بثياب سفرك ولكن تأهب للقائه وادخل عليه في أحسن زينة ففعل بكر ذلك وسبقه زيد مناة إلى الملك فسأله عن بكر فقال ذلك مشغول بمغزالة النساء والتصدي لهن وقد حدث نفسه بالتعرض لبنت الملك فغاظه ذلك وأمسك عنه ونمى الخبر إلى بكر بن وائل فدخل إلى الملك فأخبره بما دار بينه وبين زيد مناة وصدقه عنه واعتذر إليه مما قاله فيه عذرا قبله فلما كان من غد اجتمعا عند الملك فقال الملك لزيد مناة ما تحب أن أفعل بك فقال لا تفعل ببكر شيئا إلا فعلت بي مثليه وكان بكر أعور العين اليمنى قد أصابها ماء فذهب بها فكان لا يعلم من رآه أنه أعور فأقبل الملك على بكر بن وائل فقال له ما تحب أن أفعل بك يا بكر قال تفقأ عيني اليمنى وتضعف لزيد مناة فأمر بعينه ففقئت وأمر بعيني زيد مناة ففقئتا فخرج وهو أعور بحاله وخرج زيد مناة وهو أعمى

سبب تلقيبه بالفحل

وأخبرني بذلك محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة
ويقال لعلقمة بن عبدة علقمة الفحل سمي بذلك لأنه خلف على امرأة امرىء القيس لما حكمت له على امرىء القيس بأنه أشعر منه في صفة فرسه فطلقها فخالفه عليها وما زالت العرب تسميه بذلك وقال الفرزدق
(والفحلُ عَلقمةُ الذي كانت له ... حُلَلُ الملوك كلامُه يُتَنَحَّلُ)

علقمة يحكم قريشا في شعره

أخبرني عمي قال حدثني النضر بن عمرو قال حدثني أبو السوار عن أبي عبيد الله مولى إسحاق بن عيسى عن حماد الراوية قال
كانت العرب تعرض أشعارها على قريش فما قبلوه منها كان مقبولا وما ردوه منها كان مردودا فقدم عليهم علقمة بن عبدة فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها
(هل ما علمتَ وما استُودعْتَ مكتوم ... أم حَبْلُها أنْ نأتْكَ اليومَ مصرومُ)
فقالوا هذه سمط الدهر ثم عاد إليهم العام المقبل فأنشدهم
(طحابك قلب في الحسان طروبُ ... بُعَيْد الشباب عصر حان مشيبُ)
فقالوا هاتان سمطا الدهر
أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني هارون بن محمد بن عبدالملك عن حماد بن إسحاق قال سمعت أبي يقولسرق ذو الرُّمة قوله :
يطفو إذا تلقَّته الجراثيم ...) قول العجاج)
إذا تلقَّتْه العقاقيلُ طفا) العجَّاج من علقمةَ بن عبَدة في قوله) :
(...يطفو إذا ما تلقته العقاقيل)

هو وامرؤ القيس يتحاكمان إلى زوجته

أخبرني عمِّي قال حدثنا الكرانيُّ قال حدثنا العمريّ عن لقيط وأخبرني أحمد بن عبدالعزيز قال حدثنا عُمَر بن شبَّة قال حدثني أبو عبيدة قال
كانت تحت امريء القيس امرأةٌ من طيء تزوجها حين جاور فيهم فنزل به علقمةُ الفحْل بن عبدة التَّميميّ فقال كل واحد منهما لصاحبه أنا أشعر منك فتحاكما إليها فأنشد امرؤ القيس قوله :
خليليَّ مرَّا بي على أمِّ جُنْدُبِ ...) مر بقوله) :
(فللسَّوط الهوبٌ وللسَّاق دِرَّةٌ ... وللزَّجر منه وقعُ أخرج مهذِب)
ويروى أهوج منعب
فأنشدها علقمة قوله
ذهبْتَ من الهِجران في غير مذْهَبِ ...) انتهى إلى قوله) :
(فأدركه حتى ثنى من عِنانه ... يمرُّ كغيث رائحٍ متحلبٌ)
فقالت له علقمةُ أشعرُ منك قال وكيف قالت لأنك زجرت فرسَك وحرّكته بساقك وضربته بسوطك وأنه جاء هذا الصيد ثم أدركه ثانياً من عِنانه فغضب امرؤ القيس وقال ليس كما قلتِ ولكنك هَوِيته فطلّقها فتزوجه علقمة بعد ذلك وبهذا لُقِّب علقمةَ الفحْل

ربيعة بن حذار يصنّف الشعراء

أخبرني عمي قال حدثنا الكُرانيّ قال حدثنا العُمري عن لَقِيط قال
تحاكم علقمةُ بن عبدة التميمي والزبرقانُ بن بَدْر السعدي والمخبَّل وعمرو بن الأهتم إلى ربيعة بن حذار الأسديّ فقال أما أنت يا زبرقان فإن شعرك كلحم لا أنضج فيؤكل ولا ترك نيئا فينتفع به وأما أنت يا عمرو فإن شعرك كبرد حبرة يتلألأ في البصر فكلما أعدته فيه نقص وأما أنت يا مخبّل فإنك قصَّرت عن الجاهلية ولم تدرك الإسلام وأما أنت يا علقمة فإن شعرك كمزادة قد أحكِم خرزُها فليس يقطر منها شيء
أخبرني محمدُ بن الحسن بن دُريد قال حدثني عمي عن العباس بن هشام عن ابيه قال
رجل من مزينَة على باب رجل من الأنصار وكان يُتَّهم بامرأته فلما حاذى بابَه تنفَّس ثم تمثل :
(هل ما علمتَ وما استُودِعْتَ مكتومُ ... أم حبلُها إذ نأتك اليوم مصرومُ)
قال فتعلَّق به الرجل فرفعه إلى عمر رضوان الله عليه فاستعداه عليه فقال له المتمثِّل وما عليَّ في أن أنشدتُ بيتَ شعر فقال له عمر رضي الله عنه مالك لم تُنشِدْه قبل أن تبلغ بابه ولكنّك عرَّضت به مع ما تعلم من القالة فيه أمر به فضُرب عِشرين سَوْطاً

صوت

(فوالله لا أنسَى قتيلاً رُزيتُه ... بجانب قَوسَى ما حييتُ على الأرض)
(بلى إنها تعْفُو الكلُومُ وإنما ... نوكِّلُ بالأدنى وإن جَلَّ ما يَمضِي)

(ولم أدرِ مَن أَلْقَي عليه رداءه ... ولكنه قد بُزَّ عن ماجدٍ محضِ)
الشعر لأبي خراش الهذلي والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى من رواية عمرو بن بانة وذكر يحيى بن المكي أنه لابن مسجح وذكر الهاشمي أنه ليحيى المكي نحله ابن مسجح وفي أخبار معبد إن له فيه لحناً
ذكر أبي خراش الهذلي وأخباره
نسبه وموته
أبو خراش اسمه خويلد بن مرة أحد بني قرد واسم قرد عمرو بن معاوية بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار
شاعر فحل من شعراء هذيل المذكورين الفصحاء مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم وعاش بعد النبي مدة ومات في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهشته أفعى فمات وكان ممن يعدو فيسبق الخيل في غارات قومه وحروبهم
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وعمي والحسن بن علي قالوا
حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا أحمد بن عمير بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال حدثني أبو بركة الأشجعي من أنفسهم قال
خرج أبو خراش الهذلي من أرض هذيل يريد مكة فقال لزوجته أم خراش ويحك إني أريد مكة لبعض الحاجة وإنك من أفك النساء وإن بني الديل يطلبونني بترات فإياك وأن تذكريني لأحد من أهل مكة حتى نصدر منها قالت معاذ الله أن أذكرك لأهل مكة وأنا أعرف السبب
قال فخرج بأم خراش وكمن لحاجته وخرجت إلى السوق لتشتري عطرا أو بعض ما تشتريه النساء من حوائجهن فجلست إلى عطار فمر بها فتيان من بني الديل فقال أحدهما لصاحبه أم خراش ورب الكعبة وإنها لمن أفك النساء وإن كان أبو خراش معها فستدلنا عليه قال فوقفا عليها فسلما وأحفيا المسألة والسلام فقلت من أنتما بأبي أنتما فقالا رجلان من أهلك من هذيل قالت بأبي أنتما فإن أبا خراش معي ولا تذكراه لأحد ونحن رائحون العشية فخرج الرجلان فجمعا جماعة من فتيانهم وأخذوا مولى لهم يقال له مخلد وكان من أجود الرجال عدوا فكمنوا في عقبة على طريقه فلما رآهم قد لاقوه في عين الشمس قال لها قتلتني ورب الكعبة لمن ذكرتني فقالت والله ما ذكرتك لأحد إلا لفتيين من هذيل فقال لها والله ما هما من هذيل ولكنهما من بني الديل وقد جلسا لي وجمعا علي جماعة من قومهم فاذهبي أنت فإذا جزت عليهم فإنهم لن يعرضوا لك لئلا أستوحش فأفوتهم فاركضي بعيرك وضعي عليه العصا والنجاء النجاء
قال فانطلقت وهي على قعود عقيلي يسابق الريح فلما دنا منهم وقد تلثموا ووضعوا تمرا على طريقه على كساء فوقف قليلا كأنه يصلح شيئا وجازت بهم أم خراش فلم يعرضوا لها لئلا ينفر منهم ووضعت العصا على قعودها وتواثبوا إليه ووثب يعدو
قال فزاحمه على المحجة التي يسلك فيها على العقبة ظبي فسبقه أبو خراش وتصايح القوم يا مخلد أخذا أخذا قال ففات الأخذ فقالوا ضربا ضربا فسبق الضرب فصاحوا رميا
رميا فسبق الرمي وسبقت أم خراش إلى الحي فنادت ألا إن أبا خراش قد قتل فقام أهل الحي إليها وقام أبوه وقال ويحك ما كانت قصته فقالت إن بني الديل عرضوا له الساعة في العقبة قال فما رأيت أو ما سمعت قالت سمعتهم يقولون يا مخلد أخذا أخذا قال ثم سمعت ماذا قالت ثم سمعتهم يقولون ضربا ضربا قال ثم سمعت ماذا قالت سمعتهم يقولون رميا رميا قال فإن كنت سمعت رميا رميا فقد أفلت وهو منا قريب ثم صاح يا أبا خراش فقال أبو خراش يا لبيك وإذا هو قد وافاهم على أثرها وقال أبو خراش في ذلك
شعره في نجاته من خصومه
(رَفَوْني وقالوا يا خُوَيْلدُ لم تُرَعْ ... فقلت وأنكرتُ الوجوهَ هُم هُم)
رفوني بالفاء سكنوني وقالوا لا بأس عليك
(فغاررْتُ شيئاً والدَّريسُ كأنما ... يزعزعُه وعْلٌ من المُومِ مُرْدِمُ)
غاررت تلبثت والدريس الخلق من الثياب ومثله الجرد والسحق والحشيف ومردم لازم
(تذكرتُ ما أينَ المفرُّ وإنني ... بحبل الذي يُنْجِي من الموتِ مُعْصِم)
(فواللهِ ما رِبْداءُ أو عِلْجُ عَانةٍ ... أقبُّ وما إنْ تَيْسُ رَمْلٍ مُصَمِّمُ)
((بأسرعَ منّي إذ عرفتُ عَدِيَّهُم ... كأني لأولاهُم من القُرْبِ توْأَم)
(وأجودَ مِنّي حينَ وافيْتُ ساعِياً ... وأخطأني خَلْفَ الثَّنِيَّة أسهُمُ)
(أوائِلَ بالشَّدِّ الذَّليق وحَثَّني ... لدى المتنِ مشبوحَ الذراعين خَلْجَمُ)
(تَذكَّرَ ذَحْلاً عندنا وهو فاتكٌ ... من القوم يَعرُوه اجتراءٌ ومأْثم)
(تقول ابنتي لما رأتني عشيَّةً ... سلمتَ وما إن كِدتَ بالأمس تَسلمُ)
(فقلتُ وقد جاوزتُ صَارَى عشيَّةً ... أجاوزتُ أولَى القومِ أم أنا أحلُم)
(فلولا دِرَاكُ الشدِّ آضتْ حليلَتي ... تخيَّر في خُطَّابِها وَهْيَ أيِّمُ)
(فتسخَطَ أو ترضَى مكانِي خليفةً ... وكادَ خِراشٌ عند ذلك يَيْتَم)
عدا بين فرسين فسبقهما
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ومحمد بن الحسين الكندي خطيب المسجد الجامع بالقادسية قالا حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال حدثني رجل من هذيل قال
دخل أبو خراش الهذلي مكة وللوليد بن المغيرة المخزومي فرسان يريد أن يرسلهما في الحلبة فقال للوليد ما تجعل لي إن سبقتهما قال إن فعلت فهما لك فأرسلا وعدا بينهما فسبقهما فأخذهما
قال الأصمعي إذا فاتك الهذلي أن يكون شاعرا أو ساعيا أو راميا فلا خير فيه
وأخبرني بما أذكره من مجموع أخبار أبي خراش علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري وأخبرني بما أذكره من مجموع أشعارهم وأخبارهم فذكر أبو سعيد عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن أبي حاتم عن أبي عبيدة وعن ابن حبيب عن أبي عمرو
وأخبرني ببعضه محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي وقد ذكرت ما رواه في أشعار هذيل وأخبارها كل واحد منهم عن أصحابه في مواضعه قال السكري فيما رواه عن ابن حبيب عن أبي عمرو قال

نزل أبو خراش الهذلي دبية السلمي - وكان صاحب العزى التي في غطفان وكان يسدنها وهي التي هدمها خالد بن الوليد لما بعثه رسول الله إليها فهدمها وكسرها وقتل دبية السلمي - قال فلما نزل عليه أبو خراش أحسن ضيافته ورأى في رجله نعلين قد أخلقتا فأعطاه نعلين من حذاء السبت فقال أبو خراش يمدحه
(حَذَانِيَ بعد ما خَذِمَتْ نِعالي ... دُبَيَّةُ إنَّه نِعمَ الخليلُ)
(مُقابَلَتين من صَلَوَيْ مُشِبٍّ ... من الثيران وصلُهما جميلُ)
((بمثلِهما يروح المرءُ لَهواً ... ويقْضِي الهمَّ ذو الأَرَبِ الرّجيل
(فنعم مُعرَّسُ الأضيافِ تُذْحِي ... رِحالَهم شآمِيةٌ بَلِيلُ)
(يُقاتِل جوعَهم بمكلَّلاَتٍ ... من الفُرْنِيِّ يَرْعَبُها الجميل)
قال أبو عمرو الجميل الإهالة ولا يقال لها جميل حتى تذاب إهالة كانت أو شحما وقال أبو عمرو ولما بعث رسول الله خالد بن الوليد فهدم عزى غطفان وكانت ببطن نخلة نصبها ظالم بن أسعد بن عامر بن مرة وقتل دبية فقال أبو خراش الهذلي يرثيه
(ما لِدُبَيَّةَ منذُ اليوم لم أرَهُ ... وسْطَ الشُّرُوب ولم يُلْمِمْ ولم يطفِ)
(لو كان حيّاً لغاداهم بمُترعَةٍ ... فيها الرّواويق من شِيزَى بني الهَطِفِ)
بنو الهطف قوم من بني أسد يعملون الجفان
(كابِي الرماد عظيمُ القِدْرِ جَفْنَتُه ... حين الشتاء كحَوْض المُنْهَلِ اللَّقِف)
- المنهل الذي إبله عطاش واللقف الذي يضرب الماء أسفله فيتساقط وهو ملآن -
(أمسى سَقامٌ خَلاءً لا أنيسَ به ... إلا السِّباعُ ومَرُّ الريح بالغَرَفِ)

يرثي زهير بن العجوة

وقال الأصمعي وأبو عمرو في روايتهما جميعا
أخذ أصحاب رسول الله في يوم حنين أسارى وكان فيهم زهير بن العجوة أخو بني عمرو بن الحارث فمر به جميل بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح وهو مربوط في الأسرى وكانت بينهما إحنة في الجاهلية فضرب عنقه فقال أبو خراش يرثيه
(فَجَّع أصحابي جميلُ بن معْمَرٍ ... بذي فَجَرٍ تأوي إليه الأراملُ)
(طويلُ نِجادِ السيف ليس بجَيْدرٍ ... إذا قام واستنّت عليه الحمائلُ)
(إلى بَيْتِهِ يأوي الغريبُ إذا شتا ... ومُهتَلِكٌ بالي الدّريسَيْن عائِلُ)
(تروّح مقروراً وراحت عشيّة ... لها حَدَبٌ تحتثُّه فيُوائِلُ)
(تكاد يداه تُسلِمان رداءَه ... من القُرِّ لمّا استقبلْته الشمائل)
(فما بالُ أهل الدّار لم يتصدَّعوا ... وقد خفّ منها اللّوذعيُّ الحُلاَحلُ)
(فأُقسِمُ لو لاقيتَه غيرَ موثَقٍ ... لآبك بالجِزْعِ الضِّباعُ النّواهلُ)
(لظلَّ جميلٌ أسوأَ القومِ تَلَّةً ... ولكنَّ ظَهْرَ القِرْنِ للمَرْءِ شاغلُ)
(فليس كعهدِ الدار يا أمَّ مالكٍ ... ولكنْ أحاطت بالرقاب السلاسل)
((وعاد الفتى كالكهل ليس بقائلٍ ... سوى الحقِّ شيئا فاستراح العواذلُ
(ولم أنْسَ أياماً لنا ولياليًا ... بِحَلْيَةَ إذ نلقَى بها ما نحاول)
وقال أيضا يرثيه
(أفِي كلِّ مَمسى ليلةٍ أنا قائل ... من الدهرِ لا يبعَدْ قتيلُ جميلِ)
(فما كنتُ أخشى أن تصيبَ دماءَنا ... قريشٌ ولما يُقتلوا بقتيل)
(فأبرحُ ما أمِّرْتُمُ وعَمَرتُمُ ... مدَى الدهر حتى تُقْتَلُوا بِغَلِيل)

شعره في إنقاذ أسرى

وقال أبو عمرو في خبره خاصة أقبل أبو خراش وأخوه عروة وصهيب القردي في بضعة عشر رجلا من بني قرد يطلبون الصيد فبينا هم بالمجمعة من نخلة لم يرعهم إلا قوم قريب من عدتهم فظنهم القرديون قوما من بني ذؤيبة أحد بني سعد بن بكر بن هوازن أو من بني حبيب أحد بني نصر فعدا الهذليون إليهم يطلبونهم وطمعوا فيهم حتى خالطوهم وأسروهم جميعا وإذا هم قوم من بني ليث بن بكر فيهم ابنا شعوب أسرهما صهيب القردي فهم بقتلهما وعرفهم أبو خراش فاستنقذهم جميعا من أصحابه وأطلقهم فقال أبو خراش في ذلك يمن على ابني شعوب أحد بني شجع بن عامر بن ليث فعله بهما
(عدونَا عدوةً لا شكَّ فيها ... وخِلناهمْ ذُؤيبةَ أو حَبيبا)
(فنُغري الثائرين بِهم وقلنا ... شفاءُ النفس أنْ بَعثوا الحروبا)
((مَنَعْنا من عدِيٍّ بني حُنَيفٍ ... صِحابَ مضرِّسٍ وابني شَعوبا
(فأَثْنُوا يا بني شِجْعٍ علَيْنا ... وحقٌّ ابني شَعوبٍ أنْ يُثِيبا)
(وسائلْ سَبرةَ الشّجْعيّ عنا ... غداة نخالهم نَجَوْا جَنيبا)
(بأنّ السّابِق القِرْدِيَّ ألقَى ... عليه الثوبَ إذ ولّى دبيبا)
(ولولا ذاكَ أرهقَه صُهيبٌ ... حسامَ الحَدِّ مطروراً خشيبا)

شعره في زهده

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال أقفر أبو خراش الهذلي من الزاد أياما ثم مر بامرأة من هذيل جزلة شريفة فأمرت له بشاة فذبحت وشويت فلما وجد بطنه ريح الطعام قرقر فضرب بيده على بطنه وقال إنك لتقرقر لرائحة الطعام والله لا طعمت منه شيئا ثم قال يا ربة البيت هل عندك شيء من صبر أو مر قالت تصنع به ماذا قال أريده فأتته منه بشيء فاقتمحه ثم أهوى إلى بعيره فركبه فناشدته المرأة فأبى فقالت له يا هذا هل رأيت بأسا أو أنكرت شيئا قال لا والله ثم مضى وأنشأ يقول
(وإني لأثْوي الجوعَ حتى يَملّني ... فأحيا ولم تدنَس ثيابي ولا جِرمي)
(وأصْطَبِحُ الماءَ القَراحَ فأكتفي ... إذا الزادُ أضحَى للمزلَّجِ ذا طَعْم)

(أردُّ شجاعَ البطن قد تَعلمِينه ... وأوثِر غيري من عِيالك بالطُّعْمِ)
(مخافَةَ أن أحيا برَغمٍ وذِلَّةٍ ... فلِلْمَوْتُ خيرٌ من حياةٍ على رُغْم

يفتدي أخاه عروة بن مرة

وأخبرني عمي عن هارون بن محمد الزيات عن أحمد بن الحارث عن المدائني بنحو مما رواه الأصمعي وقال أبو عمرو أسرت فهم عروة بن مرة أخا أبي خراش وقال غيره بل بنو كنانة أسرته فلما دخلت الأشهر الحرم مضى أبو خراش إليهم ومعه ابنه خراش فنزل بسيد من ساداتهم ولم يعرفه نفسه ولكنه استضافه فأنزله وأحسن قراه فلما تحرم به انتسب له وأخبره خبر أخيه وسأله معاونته حتى يشتريه منهم فوعده بذلك وغدا على القوم مع ذلك الرجل فسألهم في الأسير أن يهبوه له فما فعلوا فقال لهم فبيعونيه فقالوا أما هذا فنعم فلم يزل يساومهم حتى رضوا بما بذله لهم فدفع أبو خراش إليهم ابنه خراشا رهينة وأطلق أخاه عروة ومضيا حتى أخذ أبو خراش فكاك أخيه وعاد به إلى القوم حتى أعطاهم إياه وأخذ ابنه فبينما أبو خراش ذات يوم في بيته إذ جاءه عبد له فقال إن أخاك عروة جاءني وأخذ شاة من غنمك فذبحها ولطمني لما منعته منها فقال له دعه فلما كان بعد أيام عاد فقال له قد أخذ أخرى فذبحها فقال دعه فلما أمسى قال له إن أخاك اجتمع مع شرب من قومه فلما انتشى جاء إلينا وأخذ ناقة من إبلك لينحرها لهم فعاجله فوثب أبو خراش إليه فوجده قد أخذ الناقة لينحرها فطردها أبو خراش فوثب أخوه عروة إليه فلطم وجهه وأخذ الناقة فعقرها وانصرف أبو خراش فلما كان من غد لامه قومه وقالوا له بئست لعمر الله المكافأة كانت منك لأخيك رهن ابنه فيك وفداك بماله ففعلت به ما فعلت فجاء عروة يعتذر إليه فقال أبو خراش

(لَعَلَّكَ نافعي يا عُروَ يوماً ... إذا جاورْتُ مَنْ تحتَ القبور
(أخذتَ خُفَارَتِي ولطمتَ عَيْني ... وكيف تُثِيبُ بالمنِّ الكبير)
(ويوم قد صبرتُ عليكَ نفسي ... لدى الأشْهَادِ مُرْتَدِي الحرور)
(إذا ما كان كَسُّ القوم رَوْقاً ... وحالت مقلتا الرجل البصير)
(بما يممتُه وتركتُ بِكْرِي ... وما أُطْعِمْتَ من لحم الجَزُور)

قال معنى قوله بكري أي بكر ولدي أي أولهم

كان بنو مرة عشرة

وقال الأصمعي وأبو عبيدة وأبو عمرو وابن الأعرابي

كان بنو مرة عشرة أبو خراش وأبو جندب وعروة والأبح والأسود وأبو الأسود وعمرو وزهير وجناد وسفيان وكانوا جميعا شعراء دهاة سراعا لا يدركون عدوا فأما الأسود بن مرة فإنه كان على ماء من داءة وهو غلام شاب فوردت عليه إبل رئاب بن ناضرة بن المؤمل من بني لحيان ورئاب شيخ كبير فرمى الأسود ضرع ناقة من الإبل فعقرها فغضب رئاب فضربه بالسيف فقتله وكان أشدهم أبو جندب فعرف خبر أخيه فغضب غضبا شديدا وأسف فاجتمعت رجال هذيل إليه يكلمونه وقالوا خذ عقل أخيك واستبق ابن عمك فلم يزالوا به حتى قال نعم اجمعوا العقل فجاؤوه به في مرة واحدة فلما أراحوه عليه صمت فطال صمته فقالوا

له أرحنا اقبضه منا فقال إني أريد أن أعتمر فاحبسوه حتى أرجع فإن هلكت فلأم ما أنتم هذه لغة هذيل يقولون أم بالكسر ولا يستعملون الضم - وإن عشت فسوف ترون أمري وولى ذاهبا نحو الحرم فدعا عليه رجال من هذيل وقالوا اللهم لا ترده فخرج فقدم مكة فواعد كل خليع وفاتك في الحرم أن يأتوه يوم كذا وكذا فيصيب بهم قومه فخرج صادرا حتى أخذته الذبحة في جانب الحرم فمات قبل أن يرجع فكان ذلك خبره

خبر أخيه زهير

قالوا وأما زهير بن مرة فخرج معتمرا قد جعل على جسده من لحاء الحرم حتى ورد ذات الأقير من نعمان فبينا هو يسقي إبلا له إذ ورد عليه قوم من ثمالة فقتلوه فله يقول أبو خراش وقد انبعث يغزو ثمالة ويغير عليهم حتى قتل منهم بأخيه أهل دارين أي حلتين من ثمالة

(خذوا ذلكم بالصُّلْح إني رأيتُكُم ... قتلتم زُهيرا وهو مهْدٍ ومُهْمِل)

مهد أي أهدى هديا للكعبة ومهمل قد أهمل إبله في مراعيها

(قتلتم فتى لا يفجرُ اللهَ عامداً ... ولا يجتويه جارُه عامَ يُمْحِل)

ولهم يقول أبو خراش

(إنّي امرؤٌ أسْألُ كيما أعلَما ... مَنْ شرُّ رَهْطٍ يَشْهَدُونَ الموسِمَا)
(... (وجدتُهم ثُمالة بنَ أسلمَا

وكان أبو خراش إذا لقيهم في حروبه أوقع بهم ويقول

(إليك أمَّ ذِبَّان ... ما ذاكِ من حلْبِ الضَّانْ)
(لكن مِصاع الفِتيانْ ... بكل لِيْنٍ حرّان)

خبر أخيه عروة

قال وأما عروة بن مرة وخراش بن أبي خراش فأخذهما بطنان من ثمالة يقال لهما بنو رزام وبنو بلال وكانوا متجاورين فخرج عروة بن مرة وابن أبي خراش أخيه مغيرين عليهم طمعا في أن يظفروا من أموالهم بشيء فظفر بهما الثماليون فأما بنو رزام فنهوا عن قتلهما وأبت بنو بلال إلا قتلهما حتى كاد يكون بينهم شر فألقى رجل من القوم ثوبه على خراش حين شغل القوم بقتل عروة ثم قال له انج وانحرف القوم بعد قتلهم عروة إلى الرجل وكانوا أسلموه إليه فقالوا أين خراش فقال أفلت مني فذهب فسعى القوم في أثره فأعجزهم فقال أبو خراش في ذلك يرثي أخاه عروة ويذكر خلاص ابنه

(حمدتُ إلَهِي بعد عُروةَ إذ نجا ... خراشٌ وبعضُ الشرِّ أهونُ من بعض)
(فواللّهِ لا أنسى قتيلاً رُزيته ... بجانب قَوْسى ما حييتُ على الأرض)
(بلى إنها تَعفو الكلومُ وإنما ... نُوكِّلُ بالأَدْنى وإن جلَّ ما يَمضِي)
((ولم أدر مَن ألْقَى عليه رداءَهُ ... سوى أنه قد سُلَّ عن ماجِدٍ محض
(ولم يكُ مثلوجَ الفؤاد مهبَّلاً ... أضاع الشبابَ في الرَّبِيلَةِ والخفض)
(ولكنه قد نازعته مَجَاوِعٌ ... على أنه ذو مرة صادق النهض)

قال ثم إن أبا خراش وأخاه عروة استنفرا حيا من هذيل يقال لهم بنو زليفة بن صبيح ليغزوا ثمالة بهم طالبين بثأر أخيهما

فلما دنوا من ثمالة أصاب عروة ورد حمى وكانت به حمى الربع فجعل عروة يقول
(أصبحتُ موروداً فقرِّبوني ... الى سواد الحيِّ يدْفِنوني)
(إنّ زهيراً وسطَهم يدعوني ... ربَّ المخاض واللِّقاح الجُون)
فلبثوا إلى أن سكنت الحمى ثم بيتوا ثمالة فوجدوهم خلوفا ليس فيهم رجال فقتلوا من وجدوا من الرجال وساقوا النساء والذراري والأموال وجاء الصائح إلى ثمالة عشاء فلحقوهم وانهزم أبو خراش وأصحابه وانقطعت بنو زليفة فنظر الأكنع الثمالي - وكان مقطوع الأصبع - إلى عروة فقال يا قوم ذلك والله عروة وأنا والله رام بنفسي عليه حتى يموت أحدنا وخرج يمعج نحو عروة فصلح عروة بأبي خراش أخيه أي
أبا خراش هذا والله الأكنع وهو قاتلي فقال أبو خراش أمضه وقعد له على طريقه ومر به الأكنع مصمما على عروة وهو لا يعلم بموضع أبي خراش فوثب عليه أبو خراش فضربه على حبل عاتقه حتى بلغت الضربة سحره وانهزمت ثمالة ونجا أبو خراش وعروة وقال أبو خراش يرثي أخاه ومن قتلته ثمالة وكنانة من أهله وكان الأصمعي يفضلها
(فَقَدْتُ بني لُبْنَى فلما فقدتُهم ... صبَرتُ فلم أقطعْ عليهم أبَاجِلي)
الأبجل عرق في الرجل
(رماحٌ من الخطِّيِّ زُرْقٌ نِصالُها ... حِدادٌ أعاليها شِدادُ الأسافلِ)
(فلَهفِي على عمرو بن مُرَّةَ لهفةً ... ولهْفِي على ميْتٍ بقَوسَى المعاقل)
(حِسانُ الوجوه طيِّبٌ حُجُزَاتُهم ... كريمٌ نَثاهم غيرُ لُفٍّ مَعازلِ)
(قتلتَ قتيلاً لا يُحَالِفُ غَدْرَةً ... ولا سُبَّةً لا زلتَ أسفلَ سافل)
(وقد أمِنُوني واطمأنّتْ نفوسُهم ... ولم يعلموا كلّ الذي هو داخلي)
(فمن كان يرجو الصلْحَ مِنِّي فإنه ... كأحمرِ عادٍ أو كُلَيْبِ بنِ وائلِ)
(أُصيبتْ هُذيلٌ بابنِ لُبْنَى وجُدِّعت ... أنوفُهمُ باللَّوذعيِّ الحُلاَحِلِ)
((رأيتُ بني العَلاَّتِ لما تضافروا ... يَحوزون سَهْمي دونَهمْ بالشَّمائل)

أخبار سائر إخوته

قالوا وأما أبو الأسود فقتلته فهم بياتا تحت الليل وأما الأبح فكان شاعرا فأمسى بدار بعرعر من ضيم فذكر لسارية بن زنيم العبدي أحد بني عبد بن عدي ابن الديل فخرج بقوم من عشيرته يريده ومن معه فوجدوهم قد ظعنوا وكان بين بني عبد بن عدي بن الديل وبينهم حرب فقال الأبح في ذلك
(لعمرُكَ ساريَ بْنَ أبي زُنَيْمٍ ... لأنتَ بعَرْعَرَ الثأرُ المنيمُ)
(تركتَ بني معاويةَ بنِ صخرٍ ... وأنت بمربعٍ وهُمُ بضِيمِ)
(تُساقيهمْ على رَصفٍ وظَرٍّ ... كدابغةٍ وقد حَلِمَ الأديمُ)
رصف وظر ماءان ومربع وضيم موضعان
(فلم نتركْهُم قصداً ولكنْ ... فرقْتَ مِنَ المِصاليتِ كالنّجوم)
(رأيتَهم فوارسَ غيرَ عُزْلٍ ... إذا شَرِقَ المُقاتِلُ بالكُلومِ)
فأجابه سارية قال
((لعلك يا أبحُّ حسِبْتَ أنّي ... قتلتُ الأسودَ الحسَنَ الكريمَا)
(أخذتُمْ عقلَه وتركتُموه ... يسوق الظُّمْيَ وسْطَ بني تميمَا)
عيرهم بأخذ دية الأسود بن مرة أخيهم وأنهم لم يدركوا بثأره وبنو تميم من هذيل
قالوا وأما جنادة وسفيان فماتا وقتل عمرو ولم يسم قاتله قالوا وأمهم جميعا لبنى إلا سفيان بن مرة فإن أمه أم عمرو القردية وكان أيسر القوم وأكثرهم مالا
وقال أبو عمرو وغزا أبو خراش فهما فأصاب منهم عجوزا وأتى بها منزل قومه فدفعها إلى شيخ منهم وقال احتفظ بها حتى آتيك وانطلق لحاجته فأدخلته بيتا صغيرا وأغلقت عليه وانطلقت فجاء أبو خراش وقد ذهبت فقال
(سَدَّتْ عليه دَوْلَجاً ثم يَمَّمَتْ ... بني فالجٍ بالليث أهلَ الخزائم)
الدولج بيت صغير يكون للبهم والليث ماء لهم والخزائم البقر واحدتها خزومة
(وقالت له دَنِّخْ مكانَكَ إنني ... سألقاك إن وافيتَ أهلَ المواسم)
يقال دنخ الرجل ودمخ إذا أكب على وجهه ويديه
وقال أبو عمرو دخلت أميمة امرأة عروة بن مرة على أبي خراش وهو يلاعب ابنه فقالت له يا أبا خراش تناسيت عروة وتركت الطلب بثأره ولهوت مع ابنك أما والله لو كنت المقتول ما غفل عنك ولطلب قاتلك حتى يقتله فبكى أبو خراش وأنشأ يقول
((لعمري لقد راعتْ أُميمةَ طلعَتِي ... وإنّ ثَوائي عندها لقليلُ)
(وقالت أراه بعد عُرْوة لاهِياً ... وذلك رُزْءٌ لو علمْتِ جليلُ)
(فلا تحسبي أني تناسيْتُ فقْدَهُ ... ولكنَّ صبري يا أُمَيْمَ جميلُ)
(ألم تعلمِي أنْ قدْ تفرّق قبلَنَا ... نديما صفاءٍ مالكٌ وعَقِيلُ)
(أبى الصبرَ أنّي لا يزال يَهِيجُني ... مبيتٌ لنا فيما خلا ومَقيلُ)
(وأني إذا ما الصُّبْحُ آنَسْتُ ضوءَه ... يعاودني قُطْعٌ عليَّ ثقيلُ)
قال أبو عمرو فأما أبو جندب أخو أبي خراش فإنه كان جاور بني نفاثة ابن عدي بن الديل حينا من الدهر ثم أنهم هموا بأن يغدروا به وكانت له إبل كثيرة فيها أخوه جنادة فراح عليه أخوه جنادة ذات ليلة وإذا به كلوم فقال له أبو جندب مالك فقال ضربني رجل من جيرانك فأقبل أبو جندب حتى أتى جيرانه من بني نفاثة فقال لهم يا قوم ما هذا الجوار لقد كنت أرجو من جواركم خيرا من هذا أيتجاور أهل الأعراض بمثل هذا
فقالوا أو لم يكن بنو لحيان يقتلوننا فوالله ما قرت دماؤنا وما زالت تغلي والله إنك للثأر المنيم فقال أما إنه لم يصب أخي إلا خير ولكنما هذه معاتبة لكم وفطن للذي يريد القوم من الغدر به وكان بأسفل دفاق فأصبحوا ظاعنين وتواعدوا ماء ظر فنفذ الرجال إلى الماء وأخروا
النساء لأن يتبعنهم إذا نزلوا واتخذوا لحياض الإبل فأمر أبو جندب أخاه جنادة وقال له اسرح مع نعم القوم

نعم توقف وتأخر حتى تمر عليك النعم كلها وأنت في آخرها سارح بإبلك واتركها متفرقة في المرعى فإذا غابوا عنك فاجمع إبلك واطردها نحو أرضنا وموعدك نجد ألوذثنية في طريق بلاده وقال لامرأته أم زنباع وهي من بني كلب بن عوف اظعني وتمكثي حتى تخرج آخر ظعينة من النساء

ثم توجهي فموعدك ثنية يدعان من جانب النخلة وأخذ أبو جندب دلوه وورد مع الرجال فاتخذ لقوم الحياض واتخذ أبو جندب حوضا فملأه ماء ثم قعد عنده فمرت به إبل ثم إبل فكلما وردت إبل سأل عن إبله فيقولون قد بلغت تركناها بالضجن ثم قدمت النساء كلما قدمت ظعينة سألها عن أهله فيقولون بلغتك تركناها تظعن حتى إذا ورد آخر النعم وآخر الظعن قال والله لقد حبس أهلي حابس أبصر يا فلان حتى أستأنس أهلي وإبلي وطرح دلوه على الحوض ثم ولى حتى أدرك القوم بحيث وعدهم فقال أبو جندب في ذلك

(أقولُ لأُمِّ زِنْباعٍ أَقِيمِي ... صُدورَ العِيسِ شطرَ بني تميم)

(وغَرَّبْتُ الدُّعاءَ وأَيْنَ منِّي ... أُناسٌ بين مرَّ وذي يَدومِ)

غربت الدعاء دعوت من بعيد

(وحَيٍّ بالمناقب قد حمَوْها ... لدى قُرَّانَ حتى بطنِ ضِيمِ)

((وأحياءٍ لدى سعْدِ بن بكر ... بأملاحٍ فظاهرةِ الأديمِ)

(أولئكَ معشري وهمُ أرومي ... وبعضُ القومِ ليس بذي أَرومِ)

(هنالِكَ لو دَعَوْتَ أتاكَ منهم ... رجالٌ مثل أَرْمِيةِ الحميمِ)

الأرمية السحاب الشديد الوقع واحدها رمي والحميم مطر القيظ

(أقلَّ الله خَيْرَهُم ألمَّا ... يَدَعْهُم بعضُ شرِّهُم القديمِ)

(ألمَّا يَسلمِ الجِيرانُ منهم ... وقد سال الفِجاج من الغميم)

(غداةَ كأنَّ جنَّادَ بنَ لُبنى ... به نضخُ العبيرِ من الكُلومِ)

(دعا حَوْلي نفاثةُ ثم قالوا ... لعلك لستَ بالثَّأر المنيمِ)

المنيم الذي إذا أدرك استراح أهله وناموا

(نعوا مَنْ قَتَّلَتْ لِحيانُ منهم ... ومن يغترُّ بالْحربِ القرومِ)

قالوا جميعا وكان أبو جندب ذا شر وبأس وكان قومه يسمونه المشؤوم فاشتكى شكوى شديدة وكان له جار من خزاعة يقال له حاطم فوقعت به بنو لحيان فقتلوه قبل أن يستبل أبو جندب من مرضه واستاقوا أمواله وقتلوا امرأته وقد كان أبو جندب كلم قومه فجمعوا لجاره غنما فلما أفاق أبو جندب من مرضه خرج من أهله حتى قدم مكة ثم جاء يمشي حتى استلم الركن وقد شق ثوبه عن استه فعرف الناس أنه يريد شرا فجعل يصيح ويقول

(إنّي امرؤ أبكي على جاريَّهْ ... أبكي على الكعبيِّ والكعبيَّهْ)

(ولو هَلَكْتُ بَكَيا عليَّهْ ... كانا مكانَ الثوب من حَقْوَيَّهْ)

فلما فرغ من طوافه وقضى حاجته من مكة خرج في الخلعاء من بكر وخزاعة فاستجاشهم على بني لحيان فقتل منهم قتلى وسبى من نسائهم وذراريهم سبايا وقال في ذلك

(لقد أمسى بنو لِحْيان منّي ... بحمدِ الله في خِزْيٍ مُبين)

(تركتهمُ على الرَّكَباتِ صُعْراً ... يُشيبُون الذَّوائب بالأَنِين)

يشكو إلى عمر شوقه إلى ابنه

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال حدثني عمي قال هاجر خراش بن أبي خراش الهذلي في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغزا مع المسلمين فأوغل في أرض العدو فقدم أبو خراش المدينة فجلس بين يدي عمر وشكا إليه شوقه إلى ابنه وأنه رجل قد انقرض أهله وقتل إخوته ولم يبق له ناصر ولا معين غير ابنه خراش وقد غزا وتركه وأنشأ يقول

((ألا مَن مُبلغٌ عني خِراشاً ... وقد يأتيك بالنَّبأ البعيدُ)

(وقد يأتيكَ بالأخبار مَنْ لا ... تُجَهِّزُ بالحِذاء ولا تُزيدُ)

- تزيد وتزود واحد من الزاد -

(يُناديه ليَغبِقَه كَليبٌ ... ولا يأتي لقد سَفُه الوليدُ)

(فردَّ إناءَه لا شيءَ فيه ... كأنَّ دموعَ عينيه الفَريدُ)

(وأصبحَ دون عابقِه وأمسى ... جبالٌ من حِرارِ الشام سُودُ)

(ألا فاعلم خِراشُ بأنَّ خيرَ المهاجر ... بعد هجرته زهيدُ)

(رأيتكَ وابتغاءَ البِرِّ دوني ... كمحصور اللَّبان ولا يصيدُ)

قال فكتب عمر رضي الله عنه بأن يقبل خراش إلى أبيه وألا يغزو من كان له أب شيخ إلا بعد أن يأذن له

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الأصمعي وأخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه

وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ قال أبو عبيدة

وأخبرني أيضا هاشم قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي

عن عمه وذكره أبو سعيد السكري في رواية الأخفش عنه عن أصحابه قالوا جميعا

أسلم أبو خراش فحسن إسلامه ثم أتاه نفر من أهل اليمن قدموا حجاجا فنزلوا بأبي خراش والماء منهم غير بعيد فقال يا بني عمي ما أمسى عندنا ماء ولكن هذه شاة وبرمة وقربة فردوا الماء وكلوا شاتكم ثم دعوا برمتنا وقربتنا على الماء حتى نأخذها قالوا والله ما نحن بسائرين في ليلتنا هذه وما نحن ببارحين حيث أمسينا فلما رأى ذلك أبو خراش أخذ قربته وسعى نحو الماء تحت الليل حتى استقى ثم أقبل صادرا فنهشته حية قبل أن يصل إليهم فأقبل مسرعا حتى أعطاهم الماء وقال اطبخوا شاتكم وكلوا ولم يعلمهم بما أصابه فباتوا على شاتهم يأكلون حتى أصبحوا وأصبح أبو خراش في الموت فلم يبرحوا حتى دفنوه وقال وهو يعالج الموت

(لعمرُكَ والمنايا غالباتٌ ... على الإنسان تطلّع كلَّ نجدِ)

(لقد أهلكْتِ حيّةَ بطنِ أنفٍ ... على الأصحابِ ساقاً ذاتَ فقد)

وقال أيضا
(لقد أهلكتِ حيةَ بطنِ أنفٍ ... على الأصحاب ساقاً ذاتَ فضل)
(فما تركتْ عدوًّا بين بُصْرَى ... إلى صنعاءَ يطلبُهُ بذَحْل)
قال بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه خبره فغضب غضبا شديدا وقال لولا أن تكون سبة لأمرت ألا يضاف يمان أبدا ولكتبت بذلك إلى الآفاق إن الرجل ليضيف أحدهم فيبذل مجهوده فيسخطه ولا يقبله منه ويطالبه بما لا يقدر عليه كأنه يطالبه بدين أو يتعنته ليفضحه فهو يكلفه التكاليف حتى أهلك ذلك من فعلهم رجلا مسلما وقتله ثم كتب إلى عامله باليمن بأن يأخذ النفر الذين نزلوا بأبي خراش فيغرمهم ديته ويؤدبهم بعد ذلك بعقوبة تمسهم جزاء لأعمالهم
صوت
(تهيمُ بها لا الدهرُ فانٍ ولا المنى ... سواها ولا يُنسيك نَأْيٌ ولا شُغلُ)
(كبيضةِ أُدحيٍّ يِميثِ خميلةٍ ... يحفِّفها جَوْنٌ بجؤجؤه صَعْلُ)
الشعر لعبد الرحمن بن مسافع بن دارة والغناء لابن محرز ثقيل أول بالوسطى عن ابن المكي
أخبار ابن دارة ونسبه
هو عبد الرحمن بن مسافع بن دارة وقيل بل هو عبد الرحمن بن ربعي بن مسافع بن دارة وأخوه مسافع بن دارة وكلاهما شاعر وفي شعريهما جميعا غناء يذكر هاهنا وأخوهما سالم بن مسافع بن دارة شاعر أيضا وفي بعض شعره غناء يذكر بعد أخبار هذين فأما سالم فمخضرم قد أدرك الجاهلية والإسلام وأما هذان فمن شعراء الإسلام ودارة لقب غلب على جدهم ومسافع أبوهم وهو ابن شريح بن يربوع الملقب بدارة بن كعب بن عدي بن جشم بن عوف بن بهثة بن عبد الله بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر وهذا الشعر يقوله عبد الرحمن في حبس السمهري العكلي اللص وقتله وكان نديما له وأخا
هجا بني أسد وحرض عكلا عليهم
أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال
لما أخذ السمهري العكلي وحبس وقتل - وكانت بنو أسد أخذته وبعثت به إلى السلطان وكان نديما لعبد الرحمن بن مسافع بن دارة فقتل بعد طول حبس - فقال عبد الرحمن بن مسافع يهجو بني أسد ويحرض عليهم عكلا
صوت
(إن يُمْسِ بالعينين سُقْمٌ فقد أتى ... لعينيكَ من طول البكاءِ على جُمْلِ)
(تهيمُ بها لا الدهرُ فانٍ ولا المنى ... سواها ولا تَسلى بِنَأْيٍ ولا شُغلِ)
(كبيضةِ أُدحيٍّ يِميثِ خميلةٍ ... يُحَفِّفها جَوْنٌ بجؤجؤه الصَّعْلِ)
(وما الشمسُ تبدو يومَ غيمٍ فأشرقَتْ ... على الشّامة العنقاءِ فالنَّيرِ فالذبلِ)
(بدا حَاجبٌ منها وضنَّتْ بحاجبٍ ... بأحسنَ منها يومَ زالت على الحمْلِ)
(يقولون إزْلٌ حُبُّ جُمْلٍ وقُربُها ... وقد كذبوا ما في المودة من إزلِ)
(إذا شحَطتْ عنّي وجدتُ حرارةً ... على كبِدي كادت بها كَمداً تغلي)
(ولم أرَ محزونَين أجملَ لوعةً ... على نائباتِ الدهرِ منِّي ومن جُملِ)
(كلانا يذود النفسَ وهْي حزينةٌ ... ويضمرُ وجداً كَالنوافذِ بالنبلِ)
(وإنّي لمبلِي اليأسِ من حُبِّ غيرها ... فأمَّا على جُملٍ فإنّي لا أُبلي)
(وإنَّ شفاءَ النفسِ لو تُسعِفُ المنى ... ذواتُ الثنايا الغرِّ والحدَقِ النُّجلِ)
(أولئك إن يَمنَعْنَ فالمنعُ شيمةٌ ... لهنَّ وإنْ يُعْطِينَ يُحمَدْنَ بالبذلِ)
(سأمْسِكُ بالوصلِ الذي كان بيننا ... وهلِ تركَ الواشون والنأيُ من وصلِ)
((ألا سَقِّيَانِي قهوةً فارسيّةً ... من الأوَّل المختوم ليست من الفضل
(تُنسّي ذوي الأحلامِ واللبِّ حلمَهم ... إذا أزبدت في دَنِّهَا زَبدَ الفحلِ)
(ويا راكباً إمَّا عرضت فبلِّغَنْ ... عَلَى نأيِهم مني القبائلَ من عُكلِ)
(بأنَّ الذي أمستِ تجمجم فقعسٌ ... إسارٌ بلا أسْرٍ وقتلٌ بلا قتلِ)
(وكيف تنام الليلَ عُكلٌ ولم تنَل ... رضَى قَودٍ بالسمْهريِّ ولا عقلِ)
(فلا صلحَ حتى تَنْحِطَ الخيلُ في القنا ... وتوقدَ نارُ الحربِ بالحطبِ الجزلِ)
(وَجُرْدٍ تَعادَى بالكماة كأنها ... تُلاحِظ من غيظٍ بأعينها القُبْلِ)
(عليها رجالٌ جالدوا يوم منْعِجٍ ... ذوي التاجِ ضرَّابو الملوكِ على الوَهلِ)
(بضربٍ يُزيلُ الهامَ عن مستقرِّه ... وطعنٍ كأفواهِ المفرَّجة الهُدْلِ)
(علامَ تُمشّي فقعسٌ بدمائكم ... وما هي بالفَرعِ المُنيفِ ولا الأصلِ)
(وكنّا حسبنا فقعساً قبل هذه ... أذلَّ على وقعِ الهوان من النَّعْلِ)
(فقد نظرتْ نحو السماءِ وسلّمت ... على الناسِ واعتاضت بخِصْبٍ من المحلِ)
(رمى الله في أكبادكم أن نجت بها ... شِعابُ القِنانِ من ضعيفٍ ومن وَغْلِ)
((وإن أنتُم لم تثأروا بأخيكم ... فكونوا نِساءً للخَلوقِ وللكُحْلِ
(وبيعوا الرّدينياتِ بالحَلْيِ واقْعُدوا ... على الذلِّ وابتاعوا المغازلَ بالنّبلِ)
(ألا حبّذا من عندَه القلبُ في كَبْلٍ ... ومَنْ حُبّه داءٌ وخبْلٌ من الخبلِ)
(ومَن هو لا يُنسَى ومَنْ كلُّ قولِه ... لدينا كطعم الراح أو كجَنَى النّحلِ)
(ومن إن نأى لم يحدث النأيُ بُغضَه ... ومن إن دنا في الدار أُرصِدَ بالبَذْلِ)
وأما خبر السمهري ومقتله فإن علي بن سليمان الأخفش أخبرني به قال حدثنا أبو سعيد السكري قال حدثنا محمد بن حبيب عن أبي عمرو الشيباني قال
خبر مصرع السمهري
لقي السمهري بن بشر بن أقيش بن مالك بن الحارث بن أقيش العكلي ويكنى أبا الديل هو وبهدل ومروان بن قرفة الطائيان عون بن جعدة بن هبيرة ابن أبي وهب بن عائذ بن عمرو بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي

بن غالب ومعه خاله أحد بني حارثة بن لأم من طي بالثعلبية وهو يريد الحج من الكوفة أو يريد المدينة وزعم آخرون أنهم لقوه بين نخل والمدينة فقالوا له العراضة أي مر لنا بشيء فقال يا غلام جفن لهم فقالوا لا والله ما الطعام نريد فقال عرضهم فقالوا ولا ذلك نريد فارتاب بهم فأخذ السيف فشد عليهم وهو صائم وكان بهدل لا
يسقط له سهم فرمى عونا فأقصده فلما قتلوه ندموا فهربوا ولم يأخذوا إبله فتفرقت إبله ونجا خاله الطائي إما عرفوه فكفوا عن قتله وإما هرب ولم يعرف القتلة فوجد بعض إبله في يدي شافع بن واتر الأسدي
وبلغ عبد الملك بن مروان الخبر فكتب إلى الحجاج بن يوسف وهو عامله على العراق وإلى هشام بن إسماعيل وهو عامله على المدينة وإلى عامل اليمامة أن يطلبوا قتلة عون ويبالغوا في ذلك وأن يأخذوا السعاة به أشد أخذ ويجعلوا لمن دل عليهم جعله وانشام السمهري في بلاد غطفان ما شاء الله
ثم مر بنخل فقالت عجوز من بني فزارة أظن والله هذا العكلي الذي قتل عونا فوثبوا عليه فأخذوه ومر أيوب بن سلمة المخزومي بهم فقالت له بنو فزارة هذا العكلي قاتل عون ابن عمك فأخذه منهم فأتى به هشام ابن إسماعيل المخزومي عامل عبد الملك على المدينة فجحد وأبى أن يقر فرفعه إلى السجن فحبسه
وزعم آخرون أن بني عذرة أخذوه فلما عرفت إبل عون في يدي شافع ابن واتر اتهموه بقتله فأخذوه وقالوا أنت قرفتنا قتلت عونا وحبسوه بصل ماء لبني أسد وجحد وقد كان عرف من قتله إما أن يكون كان معهم فورى عنهم وبرأ نفسه وإما أن يكون أودعوها إياه أو باعوها منه فقال شافع
(فإن سرّكم أن تعلموا أين ثأرُكم ... فسلمَي معانٌ وابن قرفة ظالمُ)
((وفي السجن عُكْلِيٌّ شريك لبهدل ... فولّوا ذُبابَ السّيف من هْو حازم
(فوالله ما كنا جُناةً ولا بنا ... تأوّب عونا حتفُه وهو صائم)
فعرفوا من قتله فألحوا على بهدل في الطلب وضيقوا على السمهري في القيود والسجن وجحد فلما كان ذلك من إلحاحهم على السمهري أيقنت نفسه أنه غير ناج فجعل يلتمس الخروج من السجن فلما كان يوم الجمعة والإمام يخطب وقد شغل الناس بالصلاة فك إحدى حلقتي قيده ورمى بنفسه من فوق السجن والناس في صلاتهم فقصد نحو الحرة فولج غارا من الحرة وانصرف الإمام من الصلاة فخاف أهل المدينة عامتهم أتباعه وغلقوا أبوابهم وقال لهم الأمير اتبعوه فقالوا وكيف نتبعه وحدنا فقال لهم أنتم ألفا رجل فكيف تكونون وحدكم فقالوا أرسل معنا الأبليين وهم حرس وأعوان من أهل الأبلة فأعجزهم الطلب فلما أمسى كسر الحلقة الأخرى ثم همس ليلته طلقا فأصبح وقد قطع أرضا بعيدة فبينا هو يمضي إذ نعب غراب عن شماله فتطير فإذا الغراب على شجرة بان ينشنش ريشه ويلقيه فاعتاف شيئا في نفسه فمضى وفيها ما فيها فإذا هو قد لقي راعيا في وجهه ذلك فسأله من أنت قال رجل من لهب من أزد شنوءة أنتجع أهلي فقال له هل عندك شيء من زجر قومك فقال إني لآنس من ذلك شيئا أي لأبصر فقص عليه حاله غير أنه ورى
الذنب على غيره والعيافة وخبره عن الغراب والشجرة فقال اللهبي هذا الذي فعل ما فعل ورأى الغراب على البانة يطرح ريشه سيصلب فقال السمهري بفيك الحجر فقال اللهبي بل بفيك الحجر استخبرتني فأخبرتك ثم تغضب ثم مضى حتى اغترز في بلاد قضاعة وترك بلاد غطفان وذكر بعض الرواة أنه توقف يومه وليلته فيما يعمله وهل يعود من حيث جاء ثم سار حتى أتى أرض عذرة بن سعد يستجير القوم فجاء إلى القوم متنكرا ويستحلب الرعيان اللبن فيحلبون له ولقيه عبد الله الأحدب السعدي أحد بني مخزوم من بني عبد شمس وكان أشد منه وألص فجنى جناية فطلب فترك بلاد تميم ولحق ببلاد قضاعة وهو على نجيبة لا تساير فبينا السمهري يماشي راعيا لبني عذرة ويحدثهم عن خيار إبلهم ويسأله السمهري عن ذلك - وإنما يسأله عن أنجاهن ليركبها فيهرب بها لئلا يفارق الأحدب - أشار له إلى ناقة فقال السمهري هذه خير من التي تفضلها هذه لا تجارى فتحين الغفلة فلما غفل وثب عليها ثم صاح بها فخرجت تطير به وذلك في آخر الليل فلما أصبحوا فقدوها وفقدوه فطلبوه في الأثر وخرجا حتى إذا كان حجر عن يسارهما وهو واد في جبل أو شبه الثقب في استقبلتهما سعة هي أوسع من الطريق فظنا أن الطريق فيها فسارا مليا فيها ولا نجم يأتمان به فلما عرفا أنهما حائدان والتفت عليهما الجبال أمامهما وجد الطلب إثر بعيريهما ورأوه وقد سلك الثقب في غير طريق عرفوا أنه سيرجع فقعدوا له بفم الثقب ثم كرا راجعين وجاءت الناقة وعلى رأسها مثل الكوكب من لغامها فلما أبصر القوم هم أن يعقر ناقتهم فقال له الأحدب ما هذا جزاؤها فنزل ونزل الأحدب فقاتلهما القوم حتى كادوا
يغشون السمهري فهتف بالأحدب فطرد عنه القوم حتى توقلا في الجبل وفي ذلك يقول السمهري يعتذر من ضلاله
متفرقات من شعر السمهري
(وما كنتُ - مِحْيَاراً ولا فزِعَ السُّرَى ... ولكن حِذَا حجْرٍ بغير دليل)
وقال الأحدب في ذلك
(لمّا دعاني السمهريُّ أجبتُه ... بأبيضَ من ماء الحديدِ صقيلِ)
(وما كنتُ ما اشتدّتْ على السيفِ قبضتي ... لأُسْلِمَ من حُبِّ الحياة زميلي)
وقال السمهري أيضا
(نجوتُ ونفسي عند ليلى رهينة ... وقد غمّني داجٍ من الليل دامسُ)
(وغامستُ عن نفسي بأخْلَقَ مِقصلٍ ... ولا خيرَ في نفس امرىءٍ لا تُغامِس)
(ولو أنّ ليلَى أبصرتني غدوةً ... ومَطْوايَ والصفُّ الذين أُمارس)
(إذاً لبكت ليلَى عليّ وأعولت ... وما نالت الثوبَ الذي أنا لابسُ)
فرجع إلى صحراء منعج وهي إلى جنب أضاخ والحلة قريب منها وفيها منازل عكل فكان يتردد ولا يقرب الحلة وقد كان أكثر الجعل فيه فمر بابني فائد بن حبيب من بني أسد ثم من بني فقعس فقال أجيرا متنكرا فحلبا له فشرب ومضى لا يعرفانه وذهبا ثم لبث السمهري ساعة وكر راجعا فتحدث إلى أخت ابني فائد فوجداه منبطحا على بطنه يحدثها فنظر أحدهما إلى ساقه مكدحة وإذا كدوح طرية فأخبر أخاه بذلك فنظر فرأى ما أخبره أخوه فارتابا به فقال أحدهما هذا والله السمهري الذي جعل فيه ما جعل فاتفقا على مضابرته فوثبا عليه فقعد أحدهما على ظهره وأخذ الآخر برجليه فوثب السمهري فألقى الذي على ظهره وقال أتلعبان وقد ضبط رأس الذي كان على ظهره تحت إبطه وعالجه الآخر فجعل رأسه تحت إبطه أيضا وجعلا يعالجانه فناديا أختهما أن تعينهما فقالت ألي الشرك في جعلكما قالا نعم فجاءت بجرير فجعلته في عنقه بأنشوطة ثم جذبته وهو مشغول بالرجلين يمنعهما فلما استحكمت العقدة وراحت من علابيه خلى

عنهما وشد أحدهما فجاء بصرار فألقاه في رجله وهو يداور الآخر والأخرى تخنقه فخر لوجهه فربطاه ثم انطلقا به إلى عثمان بن حيان المري وهو في إمارته على المدينة فأخذا ما جعل لأخذه فكتب فيه إلى الخليفة فكتب أن ادفعه إلى أخي عون عدي فدفع إليه فقال السمهري أتقتلني وأنت لا تدري أقاتل عمك أنا أم لا ادن أخبرك فأراد الدنو منه فنودي إياك والكلب وإنما أراد أن يقطع أنفه فقتله بعمه ولما حبسه ابن حيان في السجن تذكر زجر اللهبي وصدقه فقال

(ألا أيها البيتُ الذي أنا هاجِرُه ... فلا البيتُ منسيٌّ ولا أنا زائِرُهْ)
(ألا طرقت ليلَى وساقي رهينةٌ ... بأشهبَ مشدودٍ عليّ مسامرُهْ)
(فإن أنجُ يا ليلى فربّ فتيً نجا ... وإن تَكُنِ الأخرى فشيءٌ أحاذرُه)
((وما أصْدَقَ الطيْرَ التي بَرحت لنا ... وما أعيفَ اللِّهْبِيَّ لا عزَّ ناصرُه
(رأيتُ غُراباً ساقطاً فوق بانة ... ينشنشُ أعلى ريشه ويُطايره)
(فقال غرابٌ باغترابٍ من النوى ... وبانٌ ببِيْنٍ من حبيبٍ تُحاذره)
(فكان اغترابٌ بالغراب ونية ... وبالبان بَيْن بيِّنٌ لك طائِرُه)
وقال السمهري في الحبس يحرض أخاه مالكا على ابني فائد
(فمن مُبلغٌ عنّي خليلَي مالكاً ... رسالة مشدود الوَثاقِ غريبِ)
(ومن مبلغٌ حَزْماً وتَيْماً ومالكاً ... وأربابَ حامي الحفر رهطِ شبيبِ)
(ليُبْكوا التي قالت بصحراء مَنْعِج ... لِيَ الشِّركُ يا بني فائدِ بن حبيبِ)
(أتضرب في لحمي بسهمٍ ولم يكن ... لها في سهام المسلمين نصِيبُ)
وقال السمهري يرقق بني أسد
(تمنّتْ سُلَيمَى أن أقيلَ بأرضها ... وأنّى لسلْمَى ويْبَهَا ما تَمَنَّتِ)
(ألا ليتَ شعري هل أزورنّ ساجِراً ... وقد رَوِيتْ ماءَ الغوادي وعلّت)
(بني أسد هل فيكم من هَوادةٍ ... فَتَغْفِرَ إن كانتْ بي النعل زَلَّتِ)
وبنو تميم تزعم أن البيت لمرة بن محكان السعدي
وقال السمهري في الحبس يذم قومه
(لقد جمع الحدّادُ بين عِصابة ... تسائل في الأقياد ماذا ذُنوبُها)
(بمنزلة أمّا اللئيمُ فشامِتٌ ... بها وكِرامُ القوم بادٍ شحوبُها)
(إذا حَرَسِيٌّ قعقع البابَ أُرْعِدَتْ ... فرائصُ أقوامٍ وطارت قلوبُها)
(ألا ليتني من غير عُكْلٍ قبيلتي ... ولم أدرِ ما شُبّانُ عُكلٍ وشيبُها)
(قبيلة مَنْ لا يقرع البابَ وفدُها ... لخيرٍ ولا يَهْدي الصوابَ خطيبُها)
(نرى البابَ لا نَسطيع شيئا وراءه ... كأنّا قُنِيٌّ أسلَمْتها كُعوبُها)
(وإن تكُ عُكلٌ سرَّها ما أصابني ... فقد كنتُ مصبوباً على ما يَريبها)
وقال السمهري أيضا في الحبس
(ألا حيِّ ليلَى إذ ألَمَّ لِمامُها ... وكان مع القوم الأعادِي كلامُها)
(تعلَّلْ بليلَى إنما أنتَ هامَةٌ ... من الغد يدنو كلَّ يومٍ حِمامُها)
(وبادِرْ بليلَى أوجهَ الركب إنهم ... متى يرجعوا يَحرمْ عليك كلامها)
(وكيف ترجِّيها وقد حِيلَ دونها ... وأقسمَ أقوامٌ مخوفٌ قِسامُها)
(لأجْتَنِبَنْها أو لَيَبْتَدِرنَّنِي ... ببيضٍ عليها الأثْرُ فَعْمٌ كِلامُها)
(لقد طرقتْ ليلَى ورِجْلِي رهينةٌ ... فما راعني في السجن إلا لِمامها)
(فلمّا انتبهتُ للخيال الذي سرى ... إذا الأرضُ قَفْرٌ قد علاها قَتامُها)
((فإلاَّ تكن ليلَى طَوَتْك فإنه ... شبيهٌ بليلى حُسنُها وقوامُها
(ألا ليتنَا نَحْيا جميعاً بغِبْطَةٍ ... وتَبلى عظامِي حين تبلى عِظامُها)
وقال أيضا
(ألا طرقتْ ليلَى وساقِي رَهينةٌ ... بأسمَرَ مشدودٍ عليّ ثقيلُ)
(فما البينُ يا سلْمى بأن تَشحَطَ النّوى ... ولكنّ بيناً ما يُريد عقيلُ)
(فإن أنجُ منها أنْجُ من ذي عظيمةٍ ... وإن تكن الأخرى فتلك سبيلُ)
وقال أيضا وهو طريد
(فلا تيأسَا من رحمةِ اللهِ وانظُرا ... بوادي جَبُونَا أن تَهُبَّ شَمال)
(ولا تيأسا أن تُرْزَقا أريحيّةً ... كعِينِ المها أعناقُهنّ طِوال)
(من الحارثِيّينَ الذين دِماؤهم ... حرامٌ وأما مالُهم فحلال)
وقال أيضا
(ألم ترَ أنّي وابنَ أبيضَ قد جفت ... بنا الأرضُ إلا أنْ نَؤمَّ الفَيافيا)
(طَرِيدَيْنِ من حيَّيْن شتى أشَدَّنا ... مخافَتُنا حتى نخالَنا التّصافيا)
(وما لُمْتُه في أمر حَزمٍ ونجدةٍ ... ولا لامني في مِرَّتِي واحتياليا)
((وقلتُ له إذْ حلّ يسقي ويَستَقِي ... وقد كان ضوءُ الصبح لِلّيْلِ حاديا
(لعمري لقد لاقت ركابُك مشْرَباً ... لئنْ هِيَ لم تَضْبَحْ عليهنَّ عاليا)
وأخذت طيء ببهدل ومروان أخيه أشد الأخذ وحبسوا فقالوا إن حبسنا لم نقدر عليهما ونحن محبوسون ولكن خلوا عنا حتى نتجسس عنهما فنأتيكم بهما وكانا تأبدا مع الوحش يرميان الصيد فهو رزقهما ولما طال ذلك على مروان هبط إلى راع فتحدث إليه فسقاه وبسطه حتى اطمأن إليه ولم يشعره أنه يعرفه فجعل يأتيه بين الأيام فلا ينكره فانطلق الراعي فأخبره باختلافه إليه فجاء معه الطلب وأكمنهم حتى إذا جاء مروان إلى الراعي كما كان يفعل سقاه وحدثه فلم يشعر حتى أطافوا به فأخذوه وأتوا به عثمان بن حيان أيضا عامل الوليد بن عبد الملك على المدينة فأعطى الذي دل عليه جعله وقتله

نهاية بهدل
وأما بهدل فكان يأوي إلى هضبة سلمى فبلغ ذلك سيدا من سلمى من طيء فقال قد أخيفت طيء وشردت من السهل من أجل هذا الفاسق الهارب فجاء حتى حل بأهله أسفل تلك الهضبة ومعه أهلات من قومه فقال لهم إنكم بعيني الخبيث فإذا كان النهار فليخرج الرجال من البيوت وليخلوا النساء فإنه إذا رأى ذلك انحدر إلى القباب وطلب الحاجة والعل فكانوا يخلون الرجال نهارا فإذا أظلموا ثابوا إلى رحالهم أياما فظن بهدل أنهم يفعلون ذلك لشغل يأتيهم فانحدر إلى قبة السيد وقد أمر النساء إن
انحدر إليكن رجل فإنه ابن عمكن فأطعمنه وادهن رأسه
وفي قبة السيد ابنتان له فسألهما من أنتما فأخبرتاه وأطعمتاه ثم انصرف فلما راح أبوهما أخبرتاه فقال أحسنتما إلى ابن عمكما فجعل ينحدر إليهما حتى اطمأن وغسلتا رأسه وفلتاه ودهنتاه فقال الشيخ لابنتيه أفلياه ولا تدهناه إذا أتاكما هذه المرة واعقدا خصل لمته إذا نعس رويدا بخمل القطيفة
ثم إذا شددنا عليه فاقلبا القطيفة على وجهه وخذا أنتما بشعره من ورائه فمدا به إليكما ففعلتا واجتمع له أصحابه فكروا إلى رحالهم قبل الوقت الذي كانوا يأتونها وشدوا عليه فربطوه فدفعوه إلى عثمان بن حيان فقتله فقالت بنت بهدل ترثيه
(فيَا ضَيْعةَ الفِتيانِ إذ يَعتِلونه ... ببطن الشرى مثل الفنيق المسدّم)
(دعَا دعوة لما أتى أرضَ مالك ... ومن لا يُجبْ عند الحفيظة يُسلِم)
(أما كان في قيسٍ من ابن حفيظة ... من القوم طَلاَّبِ التِّرَات غَشمْشم)
(فيقتُل جَبراً بامرىءٍ لم يكن به ... بواءً ولكِنْ لا تكَايُلَ بالدم)
وكان دعا يا لمالك لينتزعوه فلم يجبه أحد
تساجل هو والكميت بن معروف
قال ولما قال عبد الرحمن بن دارة ابن عم سالم بن دارة هذه القصيدة
يحض عكلا على بني فقعس اعترض الكميت بن معروف الفقعسي فعيره بقتل سالم حين قتله زميل الفزاري فقال قوله
(فلا تُكثِروا فيه الضَّجاج فإنه ... محا السيفُ ما قال ابنُ دارة أجمعا)
فقال عبد الرحمن بن دارة
(فيا راكباً إمَّا عرضْتَ فبلِّغَنْ ... مُغَلْغَلَةً عنّي القَبائلَ من عُكل)
(جلت حمماً عنها القِصَافُ وما جلتْ ... قُشيرٌ وفي الشدَّاتِ والحرب ما يُجلي)
(فإن يك باع الفَقعسِيُّ دِماءهَم ... بوَكسٍ فقد كانت دماؤكم تَغلِي)
(وكيف تنام الليلَ عُكلٌ ولم يكن ... لها قَودٌ بالسمْهريّ ولا عَقْلُ)
(رمى اللّهُ في أكبادِهم إن نجتْ بها ... حروفُ القِنَانِ من ذليلٍ ومن وغل)
(وكنا حسِبْنَا فَقْعساً قبل هذه ... أذلّ على طول الهوان من النَّعل)
(فإن أنتمُ لم تثأروا بأخيكمُ ... فكونوا بَغايا للخَلُوق وللكُحل)
(وبيعوا الردينيّاتِ بالحلْي واقعدوا ... على الوتْرِ وابتاعوا المغازلَ بالنَّبل)
(فإنّ الذي كانت تُجمجمُ فقْعَسٌ ... قتيلٌ بلا قَتْلَى وَتَبْلٌ بلا تَبْلِ)
(فلا سِلْمَ حتى تنحَطَ الخيلُ بالقنا ... وتُوقَدَ نارُ الحرْب بالحَطَب الجَزْلِ)
فلما بلغ قوله مالكا أخا السمهري بخراسان انحط من خراسان حتى قدم بلاد عكل فاستجاش نفرا من قومه فعلقوا في أرض بني أسد يطلبون الغرة فوجدوا بثادق رجلا معه امرأة من فقعس فقتلوه وحزوا رأسه
وذهبوا بالرأس وتركوا جسده كما قتلوها أيضا وذكر لي أن الرجل ابن سعدة والمرأة التي كانت معه هي سعدة أمه فقال عبد الرحمن في ذلك
(مَا لقتيلِ فَقْعَسٍ لا رَأسَ له ... هلاَّ سألْتَ فقْعساً من جَدّلَهْ)
(لا يتْبعنّ فَقْعَسيٌّ جملَهْ ... فرداً إذا ما الفقعسِيُّ أعملَه)
(لا يلقَيَنّ قاتلاً فيقتلَه ... بسيفه قد سَمَّهُ وصقَلَهْ)
وقال عبد الرحمن أيضا
(لمَّا تمَالَى القومُ في رَأدِ الضُّحَى ... نَظراً وقد لَمَعَ السّرابُ فجالا)
(نظر ابنُ سعْدةَ نظرةً ويْلاً لها ... كانت لصحبك والمطيِّ خَبالا)
(لَمْحاً رأى من فوقِ طودٍ يافعٍ ... بعضَ العُداة وجُنّةً وظِلالا)
(عيَّرتَني طَلَبَ الحُمُول وقد أرَى ... لم آتهِنَّ مكفّفا بطَّالا)
(فانظرِ لنفسِكَ يابن سَعْدَةَ هل ترى ... ضبُعاً تجرُّ بثادِقٍ أوْصالا)
(أوصالَ سَعْدَةَ والكميتِ وإنما ... كان الكُميتُ على الكُميت عِيالا)
وقال عبد الرحمن في ذلك
(أصبحتُمُ ثُكْلَى لِئاماً وأصبحتْ ... شياطينُ عُكْلٍ قد عَراهُنَّ فقْعَسُ)
(قَضَى مالكٌ ما قد قَضَى ثم قلّصت ... به في سوادِ الليلِ وجناءُ عِرْمس)
(فأضحتْ بأعلى ثادقٍ وكأنها ... مَحَالَةُ غَرْبٍ تستَمِرُّ وتمْرُس)
مقتله
وحدثني علي بن سليمان الأخفش أن بني أسد ظفرت بعبد الرحمن بن دارة بالجزيرة بعدما أكثر من سبهم وهجائهم وتآمروا في قتله فقال بعضهم لا تقتلوه ولتأخذوا عليه أن يمدحنا ونحسن إليه فيمحو بمدحه ما سلف من هجائه فعزموا على ذلك ثم إن رجلا منهم كان قد عضه بهجائه اغتفله فضربه بسيفه فقتله وقال في ذلك
(قُتِلَ ابنُ دارةَ بالجزيرةِ سبَّنَا ... وزعمتَ أن سِبَابَنَا لا يَقْتُلُ)
قال علي بن سليمان وقد روي أنا البيت المتقدم
(فلا تُكثِروا فيه الضَّجاج فإنه ... محا السيفُ ما قال ابنُ دارة أجمعا)
لهذا الشاعر الذي قتل ابن دارة وهو من بني أسد وهكذا ذكر السكري
صوت

(كِلانا يرى الجوزاءَ يا جُملُ إذ بدت ... ونَجْمَ الثريا والمزارُ بعيدُ)
((فكيف بكم يا جملُ أهلاً ودونكم ... بحورٌ يُقمِّصْن السَّفين وبيدُ
(إذا قلتُ قد حان القفول يَصُدُّنا ... سليمانُ عن أهوائنا وسعيد)
الشعر لمسعود بن خرشة المازني والغناء لبحر خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامي

أخبار مسعود بن خرشة

حنينه إلى جارية عشقها

مسعود بن خرشة أحد بني حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم شاعر إسلامي بدوي من لصوص بني تميم قال أبو عمرو وكان مسعود بن خرشة يهوى امرأة من قومه من بني مازن يقال لها جمل بنت شراحيل أخت تمام بن شراحيل المازني الشاعر فانتجع قومها ونأوا عن بلادهم فقال مسعود

(كِلانا يرى الجوزاءَ يا جُملُ إذ بدت ... ونَجْمَ الثريا والمزارُ بعيدُ)
(فكيف بكم يا جملُ أهلاً ودونكم ... بحورٌ يُقمِّصْن السَّفين وبيدُ)
(إذا قلتُ قد حان القفول يَصُدُّنا ... سليمانُ عن أهوائنا وسعيد)

قال أبو عمرو ثم خطبها رجل من قومها وبلغ ذلك مسعودا فقال

(أيا جملُ لا تشقَيْ بأقْعس حَنْكَلٍ ... قليلِ النَّدى يسعى بكِير ومِحْلَب)
(له أعنزٌ حُوٌّ ثمانٍ كأنما ... يراهنّ غُرّ الخيل أو هُنّ أنجب)

أخبار مسعود بن خرشة

حنينه إلى جارية عشقها

مسعود بن خرشة أحد بني حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم شاعر إسلامي بدوي من لصوص بني تميم قال أبو عمرو وكان مسعود بن خرشة يهوى امرأة من قومه من بني مازن يقال لها جمل بنت شراحيل أخت تمام بن شراحيل المازني الشاعر فانتجع قومها ونأوا عن بلادهم فقال مسعود

(كِلانا يرى الجوزاءَ يا جُملُ إذ بدت ... ونَجْمَ الثّريَّا والمزارُ بعيدُ)
(فكيف بكم يا جُمْلُ أهلاً ودونَكم ... بُحورٌ يُقمِّصْن السَّفين وبيدُ)
(إذا قلتُ قد حان القفول يَصُدُّنا ... سليمانُ عن أهوائنا وسعيد)

قال أبو عمرو ثم خطبها رجل من قومها وبلغ ذلك مسعودا فقال

(أيا جملُ لا تشقَيْ بأقْعس حَنْكَلٍ ... قليلِ النَّدى يسعى بكِير ومِحْلَب)
(له أعنزٌ حُوٌّ ثمانٍ كأنما ... يراهنّ غُرّ الخيل أو هُنّ أنجب)

وقال أبو عمرو وسرق مسعود بن خرشة إبلا من مالك بن سفيان بن عمرو الفقعسي هو ورفقاء له وكان معه رجلان من قومه فأتوا بها اليمامة ليبيعوها فاعترض عليهم أمير كان بها من بني أسد ثم عزل وولي مكانه رجل من بني عقيل فقال مسعود في ذلك

(يقول المرجفون أجاءَ عهدٌ ... كفى عهداً بتنفيذ القِلاص)
(أتى عهدُ الإمارة من عُقيلٍ ... أغرَّ الوجه رُكّب في النواصي)
(حُصونُ بني عُقيلٍ كلُّ عَضْبٍ ... إذا فَزعوا وسابغةٍ دِلاص)
(وما الجارات عند المَحْل فيهم ... ولو كثر الروازحُ بالخِماص)

قال وقال مسعود وقد طلبه والي اليمامة فلجأ إلى موضع فيه ماء وقصب

(ألا ليت شِعري هل أبيتنَّ ليلةً ... بوعثاءَ فيها للظباءِ مكانسُ)
(وهل أنجُوَنْ من ذي لَبِيدٍ بن جابرٍ ... كأنَّ بناتِ الماء فيه المجالس)
(وهل أسمَعَنْ صوتَ القَطَا تندب القطا ... إلى الماء منه رابع وخوامس)

أخبار بحر ونسبه

هو بحر بن العلاء مولى بني أمية حجازي أدرك دولة بني هاشم وعمر إلى أيام الرشيد وقد هرم وكان له أخ يقال له عباس وأخوه بحر أصغر منه مات في أيام المعتصم وكان يلقب حامض الرأس وله صنعة وأقدمه الرشيد عليه ثم كرهه فصرفه

الرشيد يشرب على أصواته

حدثني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني أحمد بن أبي خالد الأحول عن علي بن صالح صاحب المصلى أن الرشيد سمع من علويه ومخارق وهما يومئذ من صغار المغنين في الطبقة الثالثة أصواتا استحسنها ولم يكن سمعها فقال لهما ممن أخذتما هذه الأصوات فقالا من بحر فاستعادها وشرب عليها ثم غناه مخارق بعد أيام صوتا لبحر فأمر بإحضاره وأمره أن يغني ذلك الصوت فغناه

فسمع الرشيد صوتا حائلا مرتعشا فلم يعجبه واستثقله لولائه لبني أمية فوصله وصرفه ولم يصل إليه بعد ذلك

صوت

(ألا يا لَقومي لِلنوائب والدّهرِ ... وللمرءِ يُردِي نفسه وَهْو لا يَدري)
(وللأرض كم من صالح قد تودّأت ... عليه فوارتْهُ بلمّاعةٍ قَفر)

عروضه من الطويل قال الأصمعي يقال للرجل أو للقوم إذا دعوتهم يال كذا بفتح اللام وإذا دعوت للشيء قلت بالكسرة تقول يا للرجال ويا للقوم وتقول يا للغنيمة ويا للحادثة أي اعجلوا للغنيمة وللحادثة فكأنه قال يا قوم اعجلوا للغنيمة وروى الأصمعي وغيره مكان قد تودأت قد تلمأت عليه وتلاءمت أي وارته ويروى تأكمت أي صارت أكمة
الشعر لهدبة بن خشرم والغناء لمعبد ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق

أخبار هدبة بن خشرم ونسبه

وقصته في قوله هذا الشعر وخبر مقتله

هو هدبة بن خشرم بن كرز بن أبي حية بن الكاهن وهو سلمة بن أسحم بن عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم وسعد بن هذيم شاعر من أسلم بن الحاف بن قضاعة ويقال بل هو سعد بن أسلم وهذيم عبد لأبيه رباه فقيل سعد بن هذيم يعني سعدا هذا

طبقته في الشعر
وهدبة شاعر فصيح متقدم من بادية الحجاز وكان شاعرا راوية كان يروي للحطيئة والحطيئة يروي لكعب بن زهير وكعب بن زهير يروي لأبيه زهير وكان جميل راوية هدبة وكثير راوية جميل فلذلك قيل إن آخر فحل اجتمعت له الرواية إلى الشعر كثير
وكان لهدبة ثلاثة إخوة كلهم شاعر حوط وسيحان والواسع أمهم حية بنت أبي بكر بن أبي حية من رهطهم الأدنين وكان شاعره أيضا
أخبار هدبة بن خشرم ونسبه
وقصته في قوله هذا الشعر وخبر مقتله
هو هدبة بن خشرم بن كرز بن أبي حية بن الكاهن وهو سلمة بن أسحم بن عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم وسعد بن هذيم شاعر من أسلم بن الحاف بن قضاعة ويقال بل هو سعد بن أسلم وهذيم عبد لأبيه رباه فقيل سعد بن هذيم يعني سعدا هذا
طبقته في الشعر
وهدبة شاعر فصيح متقدم من بادية الحجاز وكان شاعرا راوية كان يروي للحطيئة والحطيئة يروي لكعب بن زهير وكعب بن زهير يروي لأبيه زهير وكان جميل راوية هدبة وكثير راوية جميل فلذلك قيل إن آخر فحل اجتمعت له الرواية إلى الشعر كثير
وكان لهدبة ثلاثة إخوة كلهم شاعر حوط وسيحان والواسع أمهم حية بنت أبي بكر بن أبي حية من رهطهم الأدنين وكانت شاعرة أيضا
وهذا الشعر يقوله هدبة في قتله زيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قرة ابن حنش بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم
أخبرني بالخبر في ذلك جماعة من شيوخنا فجمعت بعض روايتهم إلى بعض واقتصرت على ما لا بد منه من الأشعار وأتيت بخبرهما على شرح وألحقت ما نقص من رواية بعضهم عن رواية صاحبه في موضع النقصان
فممن حدثني به محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكي تينة قال حدثنا خلف بن المثنى الحداني عن أبي عمرو المديني
وأخبرني الحسن بن يحيى ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر البوشنجي عن حماد بن إسحاق الموصلي عن أبيه
الحرب بين قومه بني عامر وقوم زيادة بن زياد
وأخبرني إبراهيم بن أيوب الصائغ عن ابن قتيبة
وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن أبيه عن عمه وقد نسبت إلى كل واحد منهم ما انفرد به من الرواية وجمعت ما اتفقوا عليه قال عيسى بن إسماعيل في خبره خاصة
كان أول ما هاج الحرب بين بني عامر بن عبد الله بن ذبيان وبين بني رقاش وهم بنو قرة بن حفش بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان وهم
رهط زيادة بن زيد وبنو عامر رهط هدبة أن حوط بن خشرم أخا هدبة راهن زيادة بن زيد على جملين من إبلهما وكان مطلقهما من الغاية على يوم وليلة وذلك في القيظ فتزودوا الماء في الروايا والقرب وكانت أخت حوط سلمى بنت خشرم تحت زيادة بن زيد فمالت مع أخيها على زوجها فوهنت أوعية زيادة ففني ماؤه قبل ماء صاحبه فقال زيادة
(قدِ جعلت نَفْسِيَ في أَدِيم ... مُحَرّمِ الدّباغ ذِي هُزُومِ)
(ثمّ رمت بي عُرُضَ الدّيمومِ ... في بارحٍ من وَهَجِ السَّموم)
(... عند اطّلاع وعرة النجوم)
قال اليزيدي في خبره المحرم الذي لم يدبغ والهزوم الشقوق
قال
وقال زيادة أيضا
(قد علِمَتْ سلمةُ بالعَميس ... ليلةَ مَرْمَارٍ وَمَرْمَرِيس)
(أنَّ أبَا المِسْوَرِ ذو شَرِيس ... يَشفي صُداعَ الأبلَجِ الدّلْعِيس)
العميس موضع والمرمار والمرمريس الشدة والاختلاط وأبا المسور يعني زيادة نفسه وكانت كنيته أبا المسور
تبادل التشبيب بأختيهما
قال فكان ذلك أول ما أثبت الضغائن بينهما ثم إن هدبة بن خشرم وزيادة بن زيد اصطحبا وهما مقبلان من الشام في ركب من قومهما فكانا يتعاقبان السوق بالإبل وكان مع هدبة أخته فاطمة فنزل زيادة فارتجز فقال
(عُوجي علينا واربَعِي يا فاطمَا ... ما دون أن يُرى البَعيرُ قائمَا)
أي ما بين مناخ البعير إلى قيامه
(ألاّ تَرين الدمع منّي ساجمًا ... حِذارَ دارٍ منكِ لن تُلائمَا)
(فعرَّجَتْ مطّرداً عُراهِمَا ... فَعْماً يبذّ القُطُفَ الرَّوَاسِما)
مطرد متتابع السير وعراهم شديد وفعم ضخم والرسيم سير فوق العنق والرواسم الإبل التي تسير هذا السير الذي ذكرناه
(كأنَّ في المثْناة منه عائمَا ... إنّكَ واللهِ لأنْ تُبَاغِمَا)
المثناة الزمام وعائم سائح تباغم تكلم
(خَوْذاً كأنّ البُوصَ والمآكما ... منا نقاً مُخالطٌ صَرائما)
البوص العجز والمأكمتان ما عن يمين العجز وشماله والنقا ما عظم من الرمل والصرائم دونه
(خيرٌ من استقبالك السَّمائمَا ... ومن منُادٍ يبتغي مُعَاكِما)
ويروى ومن نداء أي رجل تناديه تبتغي أن يعينك على عكمك حتى تشده
فغضب هدبة حين سمع زيادة يرتجز بأخته فنزل فرجز بأخت زيادة وكانت تدعى فيما روى اليزيدي أم حازم وقال الآخرون أم القاسم فقال هدبة

(لقد أراني والغُلامَ الحازمَا ... نُزجِي المَطيَّ ضُمَّراً سَوَاهِما)
(متى تَظُنّ القُلُصَ الرّوَاسما ... والجِلّةَ النّاجيةَ العَيَاهِما)
العياهم الشداد
(يُبلِغْن أمَّ حازم وحازماً ... إذا هَبَطن مُستَجيراً قاتِمَا)
(ورجَّعَ الحادي لها الهَمَاهِمَا ... ألا ترَيْنَ الحُزنَ مني دائمَا)
(حِذارَ دارٍ منكِ لن تُلائما ... والله لا يَشفِي الفؤادَ الهائمَا)
(تَمساحُكَ اللّبّاتِ والمآكمَا ... ولا اللِّمامُ دون أن تلازمَا)
(ولا اللِثام دون أن تُفاقما ... ولا الفِقامُ دون أن تفاغمَا)
(... (وتعلو القوائم القوائما
قال فشتمه زيادة وشتمه هدبة وتسابا طويلا فصاح بهما القوم اركبا لا حملكما الله فإنا قوم حجاج وخشوا أن يقع بينهما شر فوعظهما حتى أمسك كل واحد منهما على ما في نفسه وهدبة أشدهما حنقا لأنه رأى أن زيادة قد ضامه إذ زجر بأخته وهي تسمع قوله ورجز هو بأخته وهي غائبة لا تسمع قوله فمضيا ولم يتحاورا بكلمة حتى قضيا حجهما ورجعا إلى عشيرتهما

خبر عمه زفر وسبب غضب قومه

قال اليزيدي خاصة في خبره
ثم التقى نفر من بني عامر من رهط هدبة فيهم أبو جبر وهو رئيسهم الذي لا يعصونه وخشرم أبو هدبة وزفر عم هدبة وهو الذي بعث الشر وحجاج بن سلامة وهو أبو ناشب ونفر من بني رقاش رهط زيادة وفيهم زيادة بن زيد وإخوته عبدالرحمن ونفاع وأدرع بواد من أودية حرتهم فكان بينهم كلام فغضب ابن الغسانية وهو أدرع وكان زفر هدبة يعزى رجل من بني رقاش فقام له أدرع فزجر فقال
(أدُّوا إلينا زفرا ... نعرف منه النظرا)
(... وعينه والأثر)
قال فغضب رهط هدبة وادعوا حدا على بني رقاش فتداعوا إلى السلطان ثم اصطلحوا على أن يدفع إليهم أدرعُ فيخلوا به نفر منهم فما رأوه عليه أمضوه فلما خلوا به ضربوه الحد ضربا مبرحا فراح بنو رقاش وقد أضمروا الحرب وغضبوا فقال عبد الرحمن بن زيد
(ألا أبلغ أبا جبْر رسولاً ... فما بيني وبينكُم عِتابُ)
(ألم تعلم بأنَّ القوم راحوا ... عشيةَ فارقوك وهم غِضابُ)
فأجابه الحجاج بن سلامة فقال
(إن كان ما لاقى ابنُ كنعاء مُرغِماً ... رقاشَ فزاد اللهُ رَغْما سبالَهما)
(منعنا أخانا إذ ضربنا أخاكُم ... وتلك من الأعداء لا مِثْلَ مالها)

هدبة وزيادة يتهاديان الأشعار

قال اليزيدي في خبره وجعل هدبة وزيادة يتهاديان الأشعار ويتفاخران ويطلب كل واحد منهما العلو على صاحبه في شعره وذكر أشعارا كثيرة فذكرت بعضها وأتيت بمختار ما فيه فمن ذلك قول زيادة في قصيدة أولها
(أراك خليلاً قد عزمت التّجنبا ... وقطَّعتَ حاجاتِ الفؤاد فأصحبا)
اخترت منها قوله
(وأنك للناس الخليلُ إذا دنتْ ... به الدارُ والباكي إذا ما تغيَّبا)
(وقد أعذَرَتْ صرفُ الليالي بأهلها ... وشَحْطُ النّوَى بيني وبينك مَطلبا)
(فلا هي تألو ما نأتْ وتباعَدتْ ... ولا هو يألُو ما دنا وتقرَّبا)
(أطعتُ بها قول الوشاةِ فلا أرى الوشاةَ ... انتهوا عنه ولا الدهرَ أُعتبا)
((فهلاّ صَرمْتَ والحبالُ متينةٌ ... أُميمةُ إن واشٍ وشى وتكذَّبا)
(إذا خفتَ شكَّ الأمر فارمِ بعزمة ... غَيَابتَه يركب بك الدهرُ مركبا)
(وإن وجهةٌ سدَّتْ عليك فُروجُها ... فأنك لاقٍ لا محالة مذهبا)
(يُلامُ رجالٌ قبل تجريبِ غَيْبِهم ... وكيف يُلام المرءُ حتى يُجرِّبا)
(وإنّي لمِعراضٌ قليلٌ تعرُّضي ... لوجه امرىء يوماً إذا ما تجنَّبا)
(قليلٌ عِثَاري حين أُذعَرُ ساكنٌ ... جَناني إذا ما الحرب هرَّت لتكلَبا)
(بحسبك ما يأتيك فاجمع لنازل ... قِراهُ ونوْبِه إذا ما تنوّبا)
(ولا تَنتجِع شرًّا إذا حِيل دونه ... بِسِترٍ وهَبْ أسبابَه ما تهيّبا)
(أنا ابن رَقاشٍ وابنُ ثعلبةَ الذي ... بنى هادياً يعلو الهواديَ أغلبا)
(بنَى العِزُّ بنياناً لقومي فما صعُوا ... بأسيافهم عنه فأصبح مُصعَبا)
(فما إنْ ترى في الناس أماً كأُمّنا ... ولا كأبينا حين ننسبُه أبا)
(أتمَّ وأنمى بالبنين إلى العلا ... وأكرمَ منا في المناصب مَنصِبا)
(مَلَكنا ولم نُملَكْ وقُدْنا ولم نُقَدْ ... كأنَّ لنا حقاً على الناس تُرتَبا)
قال اليزيدي ترتب ثابت لازم
(بآيةِ أنّا لا نرى مُتَتوِّجاً ... من الناس يعلونا إذا ما تعصّبا)
(ولا مِلكاً إلا اتّقانا بمُلكه ... ولا سُوقةً إلا على الخَرْجِ أُتعِبا)
(ملكنا ملوكاً واستبحْنا حِماهُم ... وكنّا لهم في الجاهلية موكِبا)
((ندامى وأردافاً فلم تَرَ سُوقةً ... توازننا فاسأل إياداً وتَغلِبا)
فأجابه هدبة وهذا مختار ما فيها فقال
(تَذكَّرَ شَجواً من أُميمةَ مُنصِبا ... تليداً ومُنتاباً من الشوق مُجْلِبا)
(تَذكّرَ حبًّا كان في مَيْعة الصِّبا ... ووجداً بها بعد المشيب مُعتِّبا)

(إذا كادَ ينساها الفؤادُ ذكرتُها ... فيا لكِ ما عَنّى الفؤادَ وعذَّبا)
(غَدَا في هواها مستكيناً كأنه ... خليعُ قِداحٍ لم يجد مُتنشَّبا)
(وقد طال ما علِّقْتَ ليلى مُغَمّرا ... وليدا إلى أن صار رأسُكَ أشْيَبا)
- المغمر الغمر أي غير حدث -
(رأيتك في لَيلَى كذي الدَّاءِ لم يجد ... طبيباً يداوي ما به فَتَطَبَّبا)
(فلما اشتفى مما به كرَّ طِبُّه ... على نفسه من طول ما كان جرّبا)

قتل زيادة وتنحى ثم استسلم

فلم يزل هدبة يطلب غرة زيادة حتى أصابها فبيته فقتله وتنحى مخافة السلطان وعلى المدينة يومئذ سعيد بن العاص فأرسل إلى عم هدبة وأهله فحبسهم بالمدينة فلما بلغ هدبة ذلك أقبل حتى أمكن من نفسه وتخلص عمه وأهله فلم يزل محبوسا حتى شخص عبد الرحمن بن زيد أخو زيادة إلى معاوية فأورد كتابه إلى سعيد بأن يقيد منه إذا قامت البينة فأقامها فمشت عذرة إلى عبد الرحمن فسألوه قبول الدية فامتنع وقال

صوت

(أنختُم علينا كَلْكَلَ الحرب مُرَّة ... فنحن مُنيخُوها عليكم بكلكَلِ)
(فلا يدْعُني قومي لزيدِ بن مالك ... لئن لم أُعجِّل ضربةً أو أعجَّلِ)
(أبعد الذي بالنَّعْف نعفِ كُوَيْكِبٍ ... رهينةِ رمسٍ ذي تراب وجندلِ)
(كريمٌ أصابته دياتٌ كثيرة ... فلم يدر حتى جِين من كلِ مدخل)
(... أُذكَّر بالبُقْيا على من أصابني ... وبُقياي أني جاهدٌ غيرُ مؤتلِي)

غناه ابن سريج رملا بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وقيل إنه لمالك بن أبي السمح وله فيه لحن آخر

رجع الخبر إلى سياقته

سعيد بن العاص يحكم معاوية في أمر هدبة

وأما علي بن محمد النوفلي فذكر عن أبيه أن سعيد بن العاص كره الحكم بينهما فحملهما إلى معاوية فنظر في القصة ثم ردها إلى سعيد وأما غيره فذكر أن سعيدا هو الذي حكم بينهما من غير أن يحملهما إلى معاوية

قال علي بن محمد عن أبيه

فلما صاروا بين يدي معاوية قال عبد الرحمن أخو زيادة له يا أمير المؤمنين أشكو إليك مظلمتي وما دفعت إليه وجرى علي وعلى أهلي وقرباي

وقتل أخي زيادة وترويع نسوتي فقال له معاوية يا هدبة قل فقال إن هذا رجل سجاعة فإن شئت أن أقص عليك قصتنا كلاما أو شعرا فعلت قال لا بل شعرا فقال هدبة هذه القصيدة ارتجالا

(ألا يا لقَومي لِلنّوائب والدّهرِ ... وللمرءِ يُردي نفسه وهُو لا يدري)
(ولِلأرضِ كم مِن صالحٍ قد تأكَّمَت ... عليه فوارَتْهُ بلمّاعةٍ قَفْرِ)
(فلا تتّقي ذا هَيْبة لجلالِه ... ولا ذا ضياعٍ هنّ يَتْرُكْن للفقر)

حتى قال

(رُمِينا فَرامَينا فصادف رَمْيُنا ... مَنايا رجالٍ في كتابٍ وفي قَدْرِ)
(وأنت أميرُ المؤمنين فما لنا ... وراءك من مَعدىً ولا عنك من قَصْرِ)
(فإن تك في أموالنا لم نَضِق بها ... ذِراعاً وإن صبرٌ فنصبرُ للصّبرِ)

فقال له معاوية أراك قد أقررت بقتل صاحبهم ثم قال لعبد الرحمن هل لزيادة ولد قال نعم المسور وهو غلام صغير لم يبلغ وأنا عمه وولي دم أبيه فقال إنك لا تؤمن على أخذ الدية أو قتل الرجل بغير حق والمسور أحق بدم أبيه فرده إلى المدينة فحبس ثلاث سنين حتى بلغ المسور

جميل بن معمر يزوره في السجن ويهديه

أخبرني الحرمي بن العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال نسخت من كتاب عامر بن صالح قال

دخل جميل بن معمر العذري على هدبة بن خشرم السجن وهو محبوس بدم زيادة بن زيد وأهدى له بردين من ثياب كساه إياها سعيد بن العاص وجاءه بنفقة فلما دخل إليه عرض ذلك عليه وسأله أن يقبله منه فقال له هدبة أأنت يا بن معمر الذي تقول

(بني عامرٍ أنّى انتجعْتُم وكنتُم ... إذا عُدِّد الأقوامُ كالخُصْية الفرد)

أما والله لئن خلص الله لي ساقي لأمدن لك مضمارك خذ برديك ونفقتك فخرج جميل فلما بلغ باب السجن خارجا قال اللهم أغن عني أجدع بني عامر قال وكانت بنو عامر قد قلت فحالفت لإياد

قال أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني

فقالت أم هدبة فيه لما شخص إلى المدينة فحبس بها

(أيا إخوتي أهلَ المدينة أكرموا ... أسيركُمُ إن الأسيرَ كريمُ)
(فَرُبَّ كريمٍ قد قَرَاه وضافَه ... ورُبَّ أمورٍ كلُّهن عظيمُ)
(عَصَى جلُّهَا يوماً عليه فراضَه ... من القوم عَيّافٌ أشمُّ حليمُ)

فأرسل هدبة العشيرة إلى عبد الرحمن في أول سنة فكلموه فاستمع منهم ثم قال

(أبعْدَ الذي بالنَّعف نعفِ كُوَيْكِبٍ ... رهينةِ رمسٍ ذي تُراب وجندَلِ)
(أُذكِّر بالبُقْيا على مَنْ أصابني ... وبُقْيايَ أني جاهدٌ غيرُ مؤتلي)

فرجعوا إلى هدبة بالأبيات فقال لم يوئسني بعد فلما كانت السنة الثالثة بلغ المسور فأرسل هدبة إلى عبد الرحمن من كلمه فأنصت حتى فرغوا ثم قام عنه مغضبا وأنشأ يقول

(سأكْذِب أقواماً يقولون إنّني ... سآخذُ مالاً من دم أنا ثائرُهْ)
(فياستُ امرىءٍ واستِ التي زَحَرت به ... يسوق سَواماً من أخٍ هو واترُهْ)

ونهض فرجعوا إلى هدبة فأخبروه الخبر فقال الآن أيست منه وذهب عبد الرحمن بالمسور وقد بلغ إلى والي المدينة وهو سعيد بن العاص وقيل مروان بن الحكم فأخرج هدبة

لقاؤه الأخير بزوجته
قالوا فلما كان في الليلة التي قتل في صباحها أرسل إلى امرأته وكان يحبها إيتيني الليلة أستمتع بك وأعودك فأتته في اللباس والطيب فصارت إلى رجل قد طال حبسه وأنتنت في الحديد رائحته فحادثها وبكى وبكت ثم راودها عن نفسها وطاوعته فلما علاها سمعت قعقعة الحديد فاضربت تحته فتنحى عنه وأنشأ يقول
(وأدْنَيْتِني حتى إذا ما جعلتِني ... لَدَى الخِصْرِ أو أدنَى استقَلَّك راجفُ)
(فإن شئتُ واللّه انتهيتُ وإنّني ... لئلا تَرَيْني آخرَ الدهر خائفُ)
(رأتْ ساعدَيْ غُولٍ وتحت ثيابه ... جآجىء يدْمَى حدُّها وَالحراقفُ)
ثم قال الشعر حتى أتى عليه وهو طويل جدا وفيه يقول
صوت
(فلم تَرَ عيني مثلَ سربٍ رأيتُهُ ... خرجْنَ علينا من زِقاقِ ابنِ وَاقفِ)
(تضمَّخْنَ في الجاديّ حتى كأنَّما الأنوفُ ... إذا استعرضْتَهُنّ رَوَاعِفِ)
(خرجن بأعناق الظباء وأعينُ الجآذِر ... وَارتجّت لهن السّوَّالف)
(فلو أنّ شيْئاً صاد شيْئاً بطَرفه ... لصِدْن ظباء فوقهنّ المطارفُ)
غنى فيه الغريض رملا بالبنصر من رواية حبش وفيه لحن خفيف ثقيل وذكر إسحاق أن فيه لحنا ليونس ولم يذكر طريقته في مجرده
أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير عن عمه قال
مر أبو الحارث جمين يوما بسوق المدينة فخرج عليه رجل من زقاق ابن واقف بيده ثلاث سمكات قد شق أجوافها وقد خرج شحمها فبكى أبو الحارث ثم قال تعِس الذي يقول
(فلم تَرَ عيني مثلَ سربٍ رأيتُهُ ... خرجْنَ علينا من زقاق ابنِ وَاقفِ)
وانتكس ولا انجبر والله لهذه السمكات الثلاث أحسن من السرب الذي وصف
وأحسب أن هذا الخبر مصنوع لأنه ليس بالمدينة زقاق يعرف بزقاق ابن واقف ولا بها سمك ولكن رويت ما روي
حذف 271
شعره في حبّى امرأة مالك
وقال حماد بن إسحاق عن أبيه أن ابن كناسة قال
مر بِهدبة على حبى فقالت في سبيل الله شبابك وجلدك وشعرك وكرمك فقال هدبة
(تَعَجّبُ حُبَّى من أسيرٍ مُكبّلٍ ... صَلِيبِ العَصَا باقٍ على الرّسَفَانِ)
(فلا تَعْجَبي مِنّي حَليلَة مالكٍ ... كذلك يأتي الدهرُ بالحدَثَانِ)
وقال النوفلي عن أبيه
فلما مضي به من السجن للقتل التفت فرأى امرأته وكانت من أجمل النساء فقال
(أقِلّي عليّ اللّومَ يا أُمَّ بوزَعا ... ولا تَجْزَعي ممّا أصابَ فأوجعا)
(ولا تَنْكَحي إن فرّق الدهرُ بيننا ... أغَمّ القفا والوجه ليس بأنْزَعا)
(كَليلاً سوى ما كان من حدّ ضِرْسه ... أُكَيْبِدَ مِبْطانَ العَشيّات أرْوَعا)
(ضَروباً بلَحْيِيه على عَظمِ زَوره ... إذا الناس هَشُّوا للفَعال تَقنَّعا)
(وحُلّي بذي أُكرومة وحَمِيّةٍ ... وصبْرٍ إذا ما الدهر عَضّ فأسرعا)
يذكر شرط زوجته في الزواج بعد موته
وقال حماد عن أبيه عن مصعب بن عبد الله قال
لما أخرج هدبة من السجن ليقتل جعل الناس يتعرضون له ويخبرون صبره ويستنشدونه فأدركه عبد الرحمن بن حسان فقال له يا هدبة
أتأمرني أن أتزوج هذه بعدك يعني زوجته وهي تمشي خلفه فقال نعم إن كنت من شرطها قال وما شرطها قال قد قلت في ذلك
(فلاَ تنْكَحِي إن فرَّق الدهرُ بيننا ... أغَمّ القفا والوجهِ ليس بأنْزَعا)
(وكُوني حَبيساً أو لأروعَ ماجدٍ ... إذا ضَنَّ أعشاشُ الرِّجالِ تَبرَّعا)
فمالت زوجته إلى جزار وأخذت شفرته فجدعت بها أنفها وجاءته تدمى مجدوعة فقالت أتخاف أن يكون بعد هذا نكاح قال فرسف في قيوده وقال الآن طاب الموت
وقال النوفلي عن أبيه
إنها فعلت ذلك بحضرة مروان وقالت له إن لهدبة عندي وديعة فأمهله حتى آتيه بها قال أسرعي فإن الناس قد كثروا وكان جلس لهم بارزا عن داره فمضت إلى السوق فانتهت إلى قصاب وقالت أعطني شفرتك وخذ هذين الدرهمين وأنا أردها عليك ففعل فقربت من حائط وأرسلت ملحفتها على وجهها ثم جدعت أنفها من أصله وقطعت شفتيها ثم ردت الشفرة وأقبلت حتى دخلت بين الناس وقالت يا هدبة أتراني متزوجة بعد ما ترى قال لا الآن طابت نفسي بعد بالموت ثم خرج يرسف في قيوده فإذا هو بأبويه يتوقعان الثكل فهما بسوء حال فأقبل عليهما وقال
(أبلِياني اليومَ صبرًا منكما ... إنّ حُزْناً إن بدا بادىءُ شرّْ)
(لا أُراني اليومَ إلا ميّتاً ... إنّ بعدَ الموت دارَ المستَقَرْ)
(اصبِرَا اليوم فإني صابرٌ ... كلُّ حَيٍّ لقَضاء وقَدرْ)
زوجته تنكث بعهدها
قال النوفلي فحدثني أبي قال
حدثني رجل من عذرة عن أبيه قال إني لببلادنا يوما في بعض المياه فإذا أنا بامرأة تمشي أمامي وهي مدبرة ولها خلق عجيب من عجز وهيئة وتمام جسم وكمال قامة فإذا صبيان قد اكتنفاها يمشيان قد ترعرعا فتقدمتها والتفت إليها فإذا هي أقبح منظر وإذا هي مجدوعة الأنف مقطوعة الشفتين فسألت عنها قيل لي هذه امرأة هدبة تزوجت بعده رجلا فأولدها هذين الصبيين

قال ابن قتيبة في حديثه
فسأل سعيد بن العاص أخا زيادة أن يقبل الدية عنه قال أعطيك ما لم يعطه أحد من العرب أعطيك مائة ناقة حمراء ليس فيها جداء ولا ذات داء فقال له والله لو نقبت لي قبتك هذه ثم ملأتها لي ذهبا ما رضيت بها من دم هذا الأجدع فلم يزل سعيد يسأله ويعرض عليه فيأبى ثم قال له والله لو أردت قبول الدية لمنعني قوله
(لنَجدَعَنّ بأيدينا أُنوفَكم ... ويذهبُ القتلُ فيما بيننا هَدَرا)
فدفعه حينئذ لقتله بأخيه
تعريضه بحبي في طريقه إلى الموت
قال حماد وقرأت على أبي عن مصعب بن عبد الله الزبيري قال
ومر هدبة بحبى فقالت له كنت أعدك في الفتيان وقد زهدت فيك اليوم لأني لا أنكر أن يصبر الرجال على الموت لكن كيف تصبر عن
هذه فقال أما والله إن حبي لها لشديد وإن شئت لأصفن لك ذلك ووقف الناس معه فقال
(وَجِدت بها ما لم تَجِد أُمّ واحِدٍ ... ولا وجدُ حُبّى بابن أُمّ كِلابِ)
(رأته طويل السّاعدين شمَرْدَلاً ... كما تَشْتَهي من قوة وشباب)
فانقمعت داخلة إلى بيتها فأغلقت الباب دونه قالوا فدفع إلى أخي زيادة ليقتله قال فاستأذن في أن يصلي ركعتين فأذن له فصلاهما وخفف ثم التفت إلى من حضر فقال لولا أن يظن بي الجزع لأطلتهما فقد كنت محتاجا إلى إطالتهما ثم قال لأهله إنه بلغني أن القتيل يعقل ساعة بعد سقوط راسه فإن عقلت فإني قابض رجلي وباسطها ثلاثا ففعل ذلك حين قتل وقال قبل أن يقتل
(إنْ تقتُلوني في الحديد فإنني ... قتلتُ أخاكم مُطْلَقاً لم يُقَيّد)
فقال عبد الرحمن أخو زيادة والله لا قتلته إلا مطلقا من وثاقه فأطلق له فقام إليه وهز السيف ثم قال
(قد علِمْتُ نفسي وأنت تعلمُهْ ... لأقتلَنّ اليومَ من لا أرحمُهْ)
ثم قتله
فقال حماد في روايته
ويقال إن الذي تولى قتله ابنه المسور دفع إليه عمه السيف وقال له قم فاقتل قاتل أبيك فقام فضربه ضربتين قتله فيهما
هو أول من أقيد منه في الإسلام
أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي قال
بلغني أن هدبة أول من أقيد منه في الإسلام
قال أحمد بن الحارث الخراز قال المدائني
مرت كاهنة بأم هدبة وهو وأخوته نيام بين يديها فقالت يا هذه إن الذي معي يخبرني عن بنيك هؤلاء بأمر قالت وما هو قالت أما هدبة وحوط فيقتلان صبرا وأما الواسع وسيحان فيموتان كمدا فكان كذلك
أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي أخبرك مروان بن أبي حفصة قال
كان هدبة أشعر الناس منذ يوم دخل السجن إلى أن أقيد منه قال الخراز عن المدائني قال واسع بن خشرم يرثي هدبة لما قتل
(يا هُدْبَ يا خيْرَ فتيان العشيرةِ مَنْ ... يُفْجَعْ بمِثلك في الدّنيا فقد فُجِعَا)
(الله يعلم أنّي لو خشيتهمُ ... أو أوجسَ القلبُ مِن خوفٍ لهم فزعا)
(لم يقتلوه ولم أُسلِم أخي لهمُ ... حتى نَعيش جَميعاً أو نَمُوت معا)
وهذه الأبيات تمثل بها إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم لما بلغه قتل أخيه محمد
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال
حدثني مصعب الزبيري قال
كنا بالمدينة أهل البيوتات إذا لم يكن عند أحدنا خبر هدبة وزيادة وأشعارهما ازدريناه وكنا نرفع من قدر أخبارهما وأشعارهما ونعجب بها
كان جميل بن معمر راوية هدبة
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال أخبرني محمد بن الحسن الأحول عن رواية من الكوفيين قالوا
كان جميل بن معمر العذري راوية هدبة وكان هدبة راوية الحطيئة وكان الحطيئة راوية كعب بن زهير وأبيه
حدثني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال
حدثني أبو المغيرة محمد بن إسحاق قال حدثني أبو مصعب الزبيري قال حدثني المنكدر بن محمد بن المنكدر عن أبيه قال
بعث هدبة بن خشرم إلى عائشة زوج النبي يقول لها استغفري لي فقالت إن قتلت استغفرت لك
صوت
(ألم تَرَ أنّي يومَ جوِّ سُوَيْقَةٍ ... بكيتُ فنادتني هُنيدةُ ماليَا)
(فقلتُ لها إنّ البكاء لراحةٌ ... به يشتفي مَنْ ظَنّ أن لا تلاقيا)
(قِفي ودّعينا يا هُنَيْدَ فإنّني ... أرى القوم قد شاموا العَقِيقَ اليمانيا)
- ويروى أرى الركب قد شاموا
(إذا اغرورقت عيناي أسبَلَ نهما ... الى أن تغيب الشّعْريان بكائيا)
الشعر للفرزدق من قصيدة يهجو بها جريرا وهي فيما قيل أول قصيدة هجاه بها والغناء لابن سريج خفيف ثقيل عن الهشامي قال الهشامي وفيه لمالك ثقيل أول وابتداء اللحنين جميعا
(... ألم تر أني يوم جوّ سُوَيْقَة)
ولعلوية فيه لحن من الرمل المطلق ابتداؤه
(...قِفي ودّعينا يا هُنَيْدَ فإنّني)

نسب الفرزدق وأخباره وذكر مناقضاته

الفرزدق لقب غلب عليه وتفسيره الرغيف الضخم الذي يجففه النساء للفتوت وقيل بل هو القطعة من العجين التي تبسط فيخبز منها الرغيف شبه وجهه بذلك لأنه كان غليظا جهما واسمه همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك ابن حنظلة بن زيد مناة بن تميم

قال أبو عبيدة اسم دارم بحر واسم أبيه مالك عوف ويقال عرف وسمي دارم دارما لأن قوما أتوا أباه مالكا في حمالة فقال له قم يا بحر فأتني بالخريطة - يعني خريطة كان له فيها مال - فحملها يدرم عنها ثقلا والدرمان تقارب الخطو فقال لهم جاءكم يدرم بها فسمي دارما وسمي أبوه مالك عرفا لجوده

وأم غالب ليلى بنت حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع

وكان للفرزدق أخ يقال له هميم ويلقب الأخطل ليست له نباهة فأعقب ابنا يقال له محمد فمات والفرزدق حي فرثاه وخبره يأتي بعد وكان للفرزدق من الولد خبطة ولبطة وسبطة هؤلاء المعروفون وكان له غيرهم فماتوا ولم يعرفوا وكان له بنات خمس أو ست

وأم الفرزدق - فيما ذكر أبو عبيدة - لينة بنت قرظة الضبية

كان يقال لجده صعصعة محيي الموءودات

وكان يقال لصعصعة محيي الموؤودات وذلك أنه كان مر برجل من قومه وهو يحفر بئرا وامرأته تبكي فقال لها صعصعة ما يبكيك قالت يريد أن يئد ابنتي هذه فقال له ما حملك على هذا قال الفقر قال فإني أشتريها منك بناقتين يتبعهما أولادهما تعيشون بألبانهما ولا تئد الصبية قال قد فعلت فأعطاه الناقتين وجملا كان تحته فحلا وقال في نفسه إن هذه لمكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب فجعل على نفسه ألا يسمع بموءودة إلا فداها فجاء الإسلام وقد فدى ثلثمائة موءودة وقيل أربعمائة

أخبرني بذلك هاشم بن محمد الخزاعي عن دماذ عن أبي عبيدة

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيدي وعلي بن سليمان الأخفش قالا حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة عن عقال بن شبة قال قال صعصعة

خرجت باغيا ناقتين لي فارقتين - والفارق التي تفرق إذا ضربها المخاض فتند على وجهها حتى تنتج - فرفعت لي نار فسرت نحوها وهممت بالنزول فجعلت النار تضيء مرة وتخبو أخرى فلم تزل تفعل ذلك حتى قلت اللهم لك علي إن بلغتني هذه النار ألا أجد أهلها يوقدون لكربة يقدر أحد من الناس أن يفرجها إلا فرجتها عنهم قال فلم أسر إلا قليلا حتى أتيتها فإذا حي من بني أنمار بن الهجيم بن عمرو بن تميم وإذا أنا بشيخ حادر أشعر يوقدها في مقدم بيته والنساء قد اجتمعن إلى امرأة ماخض قد حبستهن ثلاث ليال فسلمت فقال الشيخ من أنت فقلت أنا صعصعة بن ناجية بن عقال قال مرحبا بسيدنا ففيم أنت يابن أخي فقلت في بغاء ناقتين لي فارقتين عمي علي أثرهما فقال قد وجدتهما بعد أن أحيا الله بهما أهل بيت من قومك وقد نتجناهما وعطفت إحداهما على الأخرى وهما تانك في أدنى الإبل قال قلت ففيم توقد نارك منذ الليلة قال أوقدها لامرأة ماخض قد حبستنا منذ ثلاث ليال وتكلمت النساء فقلن قد جاء الولد فقال الشيخ إن كان غلاما فوالله ما أدري ما أصنع به وإن كانت جارية فلا أسمعن صوتها - أي اقتلنها - فقلت يا هذا ذرها فإنها ابنتك ورزقها على الله فقال اقتلنها فقلت أنشدك الله فقال إني أراك بها حفيا فاشترها مني فقلت إني أشتريها منك فقال ما تعطيني قلت أعطيك إحدى ناقتي قال لا قلت فأزيدك الأخرى فنظر إلى جملي الذي تحتي فقال لا إلا أن تزيدني جملك هذا فإني أراه حسن اللون شاب السن فقلت هو لك والناقتان على أن تبلغني أهلي عليه قال قد فعلت فابتعتها منه بلقوحين وجمل وأخذت عليه عهد الله وميثاقه ليحسنن برها وصلتها ما عاشت حتى تبين منه أو يدركها الموت فلما برزت من عنده حدثتني نفسي وقلت إن هذه لمكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب فآليت ألا يئد أحد بنتا له إلا اشتريتها منه بلقوحين وجمل فبعث الله عز وجل محمدا وقد أحييت مائة موءودة إلا أربعا ولم يشاركني في ذلك أحد حتى أنزل الله تحريمه في القرآن وقد فخر بذلك الفرزدق في عدة قصائد من شعره ومنها قصيدته التي أولها

((أبِي أحدُ الغَيْثَيْنِ صعصعةُ الذي ... متى تُخْلِفِ الجوزاءُ والدّلْوُ يُمْطِرِ

(أجارَ بناتِ الوائدِينَ ومن يُجِرْ ... على الفقر يُعْلَمْ أنه غيرُ مُخْفِرِ)

(على حينَ لا تحيا البناتُ وإذ هُمُ ... عكوف على الأصنام حول المدَوَّرِ)

- المدور يعني الدوار الذي حول الصنم وهو طوافهم -

(أنا ابن الذي ردّ المنيةَ فضلُهُ ... فما حسبٌ دافعتُ عنه بمُعْوِرِ)

(وفارقِ ليلٍ من نساء أتت أبي ... تُمارس ريحاً ليلُها غير مُقْمِرِ)

(فقالت أجِرْ لي ما ولدتُ فإنني ... أتيتك من هزلَى الحَمولةِ مُقْتِرِ)

(هِجفٌّ من العُثْو الرؤوس إذا بدت ... له ابنةُ عامٍ يحطم العظم منكر)

(رأى الأرضَ منها راحةً فرمى بها ... إلى خُدَدٍ منها إلى شرّ مخفر)

(فقال لها فِيئي فإني بذمتي ... لبنتك جارٌ من أبيها القَنَوَّرِ)

إسلام أبيه على يد الرسول

ووفد غالب بن صعصعة إلى النبي فأسلم وقد كان وفده أبوه صعصعة إلى النبي فأخبره بفعله في الموءودات فاستحسنه وسأله هل له في ذلك من أجر قال نعم فأسلم وعمر غالب حتى لحق أمير المؤمنين

عليا صلوات الله عليه بالبصرة وأدخل إليه الفرزدق وأظنه مات في إمارة زياد وملك معاوية

أخبرني محمد بن الحسين الكندي وهاشم بن محمد الخزاعي وعبد العزيز بن أحمد عم أبي قالوا حدثنا الرياشي قال حدثنا العلاء بن الفضل ابن عبد الملك بن أبي سوية قال حدثني عقال بن كسيب أبو الخنساء العنبري قال حدثني الطفيف بن عمرو الربعي عن ربيعة بن مالك بن حنظلة عن صعصعة بن ناجية المجاشعي جد الفرزدق قال

قدمت على النبي فعرض علي الإسلام فأسلمت وعلمني آيات من القرآن فقلت يا رسول الله إني عملت أعمالا في الجاهلية هل لي فيها من أجر فقال وما عملت فقلت إني أضللت ناقتين لي عشراوين فخرجت أبغيهما على جمل فرفع لي بيتان في فضاء من الأرض فقصدت قصدهما فوجدت في أحدهما شيخا كبيرا فقلت له هل أحسست من ناقتين عشراوين قال وما نارهما - يعني السمة - فقلت ميسم بني دارم فقال قد أصبت ناقتيك ونتجناهما وظأرنا على أولادهما

ونعش الله بهما أهل بيت من قومك من العرب من مضر فبينا هو يخاطبني إذ نادته امرأة من البيت الآخر قد ولدت فقال
وما ولدت إن كان غلاما فقد شركنا في قوتنا وإن كانت جارية فادفنوها فقالت هي جارية أفأئدها فقلت وما هذا المولود
قالت بنت لي فقلت إني أشتريها منك فقال يا أخا بني تميم أتقول لي أتبيعني ابنتك وقد أخبرتك أني من العرب من مضر
فقلت إني لا أشتري منك رقبتها إنما أشتري دمها لئلا تقتلها فقال وبم تشتريها فقلت بناقتي هاتين وولديهما قال لا
حتى تزيدني هذا البعير
الذي تركبه قلت نعم على أن ترسل معي رسولا فإذا بلغت أهلي رددت إليك البعير ففعل فلما بلغت أهلي رددت إليه
البعير فلما كان في بعض الليل فكرت في نفسي فقلت إن هذه مكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب فظهر الإسلام
وقد أحييت ثلثمائة وستين موؤودة أشتري كل واحدة منهن بناقتين عشراوين وجمل فهل لي في ذلك من أجر يا رسول
الله فقال عليه السلام هذا باب من البر ولك أجره إذ من الله عليك بالإسلام قال عباد ومصداق ذلك قول الفرزدق
(وجدِّي الذي منع الوائداتِ ... وأحيا الوئيد فلم يُوأدِ)
أخبرني محمد بن يحيى عن الغلابي عن العباس بن بكار عن أبي بكر الهذلي قال
وفد صعصعة بن ناجية جد الفرزدق على رسول الله في وفد من تميم وكان صعصعة قد منع الوئيد في الجاهلية فلم يدع
تميما تئد وهو يقدر على ذلك فجاء الإسلام وقد فدى أربعمائة جارية فقال للنبي أوصني فقال أوصيك بأمك وأبيك وأختك
وأختك وإمائك قال زدني قال احفظ ما بين لحييك وما بين رجليك
ثم قال له عليه السلام ما شيء بلغني عنك فعلته قال يا رسول الله رأيت الناس يموجون على غير وجه ولم أدر أين
الوجه غير أني علمت أنهم ليسوا عليه ورأيتهم يئدون بناتهم فعلمت أن ربهم لم يأمرهم بذلك فلم أتركهم يئدون وفديت
من قدرت عليه
وروى أبو عبيدة أنه قال للنبي إني حملت حمالات في الجاهلية
والإسلام وعلي منها ألف بعير فأديت من ذلك سبعمائة فقال له إن الإسلام أمر بالوفاء ونهى عن الغدر فقال حسبي
حسبي ووفى بها
وروي أنه إنما قال هذا القول لعمر بن الخطاب وقد وفد إليه في خلافته
وكان صعصعة شاعرا وهو الذي يقول أنشدنيه محمد بن يحيى له
(إذا المرءُ عادى من يودُّك صدرُه ... وكان لمن عاداك خِدْناً مُصَافِيَا)
(فلا تسألنْ عما لديه فإنّه ... هو الداءُ لا يخفى بذلك خافيا)

أبوه هو اعطى تميم وبكر

أخبرني محمد بن يحيى عن محمد بن زكريا عن عبد الله بن الضحاك عن الهيثم بن عدي عن عوانة قال
تراهن نفر من كلب ثلاثة على أن يختاروا من تميم وبكر نفرا ليسائلوهم فأيهم أعطى ولم يسألهم عن نسبهم من هم
فهو أفضلهم فاختار كل رجل منهم رجلا والذين اختيروا عمير بن السليك بن قيس بن مسعود الشيباني وطلبة بن قيس
بن عاصم المنقري وغالب بن صعصعة المجاشعي أبو الفرزدق فأتوا ابن السليك فسألوه مائة ناقة فقال من أنتم فانصرفوا
عنه
ثم أتوا طلبة بن قيس فقال لهم مثل قول الشيباني فأتوا غالبا فسألوه فأعطاهم مائة ناقة وراعيها ولم يسألهم من هم
فساروا بها ليلة ثم ردوها وأخذ صاحب غالب الرهن وفي ذلك يقول الفرزدق
((وإذا ناحبْت كلَبٌ على الناس أيُّهم ... أحقُّ بتاج الماجد المتكرِّم
(على نفرٍ هُم من نزار ذوي العلا ... وأهلِ الجراثيم التي لم تهدَّم)
(فلم يُجْز عن أحسابهم غيرُ غالبٍ ... جرَى بعنان كلِّ أبيضَ خِضرم)

مباراة في الكرم بين أبيه وسحيم بن وثيل

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن جهم السليطي عن إياس بن شبة عن عقال
بن صعصعة قال
أجدبت بلاد تميم وأصابت بني حنظلة سنة في خلافة عثمان فبلغهم خصب عن بلاد كلب بن وبرة فانتجعتها بنو حنظلة
فنزلوا أقصى الوادي وتسرع غالب بن صعصعة فيهم وحده دون بني مالك بن حنظلة ولم يكن مع بني يربوع من بني مالك
غير غالب فنحر ناقته فأطعمهم إياها فلما وردت إبل سحيم بن وثيل الرياحي حبس منها ناقة فنحرها من غد فقيل لغالب
إنما نحر سحيم مواءمة لك أي مساواة لك فضحك غالب وقال كلا ولكنه امرؤ كريم وسوف أنظر في ذلك فلما وردت إبل
غالب حبس منها ناقتين فنحرهما فأطعمهما بني يربوع فعقر سحيم ناقتين فقال غالب الآن علمت أنه يوائمني فعقر
غالب عشرا فأطعمها بني يربوع فعقر سحيم عشرا فلما بلغ غالبا فعله ضحك وكانت إبله ترد لخمس فلما وردت عقرها
كلها عن آخرها فالمكثر يقول كانت أربعمائة والمقل يقول كانت مائة فأمسك سحيم حينئذ ثم إنه عقر في خلافة علي
بن أبي
طالب صلوات الله عليه بكناسة الكوفة مائتي ناقة وبعير فخرج الناس بالزنابيل والأطباق والحبال لأخذ اللحم ورآهم علي
عليه السلام فقال أيها الناس لا يحل لكم إنما اهل بها لغير الله عز وجل قال فحدثني من حضر ذلك قال كان الفرزدق
يومئذ مع أبيه وهو غلام فجعل غالب يقول يا بني اردد علي والفرزدق يردها عليه ويقول له يا أبت اعقر قال جهم فلم يغن
عن سحيم فعله ولم يجعل كغالب إذ لم يطق فعله

قيد نفسه حتى حفظ القرآن

حدثني محمد بن يحيى عن محمد بن القاسم يعني أبا العيناء عن أبي زيد النحوي عن أبي عمرو قال
جاء غالب أبو الفرزدق إلى علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بالفرزدق بعد الجمل بالبصرة فقال إن ابني هذا من
شعراء مضر فأسمع منه قال علمه القرآن فكان ذلك في نفس الفرزدق فقيد نفسه في وقت وآلى لا يحل قيده حتى
يحفظ القرآن
قال محمد بن يحيى فقد صح لنا أن الفرزدق كان شاعرا موصوفا أربعا وسبعين سنة وندع ما قبل ذلك لأن مجيئه به بعد
الجمل على الاستظهار كان في سنة ست وثلاثين وتوفي الفرزدق في سنة عشر ومائة في أول خلافة هشام هو
وجرير والحسن البصري وابن سيرين في ستة أشهر وحكي ذلك
عن جماعة منهم الغلابي عن ابن عائشة عن أبيه

أخبرني محمد بن يحيى الصولي عن الغلابي عن ابن عائشة أيضا عن أبيه قال قال الفرزدق أيضا
كنت أجيد الهجاء في ايام عثمان قال ومات غالب أبو الفرزدق في أول أيام معاوية ودفن بكاظمة فقال الفرزدق يرثيه
(لقد ضمّت الأكفانُ من آل دارمٍ ... فتىً فائِضَ الكفّين محضَ الضّرائب)

المفضل الضبي يفاضل بينه وبين جرير

أخبرني حبيب المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال حدثني جعفر بن محمد العنبري عن خالد ابن أم كلثوم قال
قيل للمفضل الضبي الفرزدق أشعر أم جرير قال الفرزدق قال قلت ولم قال لأنه قال بيتا هجا فيه قبيلتين ومدح فيه قبيلتين وأحسن في ذلك فقال
(عجبتُ لِعجلٍ إذ تُهاجي عَبِيدَهَا ... كما آلُ يربوع هَجَوْا آلَ دَارِمِ)
فقيل له قد قال جرير
(إنّ الفرزدقَ والبَعِيثَ وأمّه ... وأبَا البَعِيث لشرّ ما إِستار)
فقال وأي شيء أهون من أن يقول إنسان فلان وفلان وفلان والناس كلهم بنو الفاعلة
أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن حبيب قال حدثني موسى بن طلحة قال قال أبو عبيدة معمر بن المثنى كان الشعراء في الجاهلية من قيس وليس في الإسلام مثل حظ تميم في الشعر وأشعر تميم جرير والفرزدق ومن بني تغلب الأخطل
قال يونس بن حبيب ما ذكر جرير والفرزدق في مجلس شهدته قط فاتفق المجلس على أحدهما قال وكان يونس فرزدقيا
أخبرني عمي عن محمد بن رستم الطبري عن أبي عثمان المازني قال
مر الفرزدق بابن ميادة الرماح والناس حوله وهو ينشد
(لو أنّ جميعَ الناس كانوا بربوة ... وجِئتُ بجَدّي ظَالِمٍ وابنِ ظَالِمِ)
(لظلَّت رقاب الناس خاضعةً لنا ... سجُوداً على أقدامنا بالجماجم)
فسمعه الفرزدق فقال أما والله يا بن الفارسية لتدعنه لي أو لأنبشن أمك من قبرها فقال له ابن ميادة خذه لا بارك الله لك فيه فقال الفرزدق
(لو أنّ جميعَ الناس كانوا بربوة ... وجئتُ بجَدّي دارمٍ وابنِ دارمِ)
(لظلَّت رقاب الناس خاضعةً لنا ... سجُوداً على أقدامنا بالجماجم)

هو وجرير يتشاكيان عند يزيد بن عبد الملك

أخبرني عمي عن الكراني عن أبي فراس الهيثم بن فراس قال
حدثني ورقة بن معروف عن حماد الراوية قال
دخل جرير والفرزدق على يزيد بن عبد الملك وعنده بنية له يشمها فقال جرير ما هذه يا أمير المؤمنين عندك قال بنية لي قال بارك الله لأمير المؤمنين فيها فقال الفرزدق إن يكن دارم يضرب فيها فهي أكرم العرب ثم أقبل يزيد على جرير فقال مالك والفرزدق قال إنه يظلمني ويبغي علي فقال الفرزدق وجدت آبائي يظلمون آباءه فسرت فيه بسيرتهم قال جرير وأما والله لتردن الكبائر على أسافلها سائر اليوم فقال الفرزدق أما بك يا حمار بني كليب فلا ولكن إن شاء صاحب السرير فلا والله ما لي كفء غيره فجعل يزيد يضحك
أخبرنا عبد الله بن مالك عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن حماد الراوية قال
أنشدني الفرزدق يوما شعرا له ثم قال لي أتيت الكلب يعني جريرا قلت نعم قال أفأنا أشعر أم هو قلت أنت في بعض وهو في بعض قال لم تناصحني قال قلت هو أشعر منك إذا أرخي من خناقه وأنت أشعر منه إذا خفت أو رجوت قال قضيت لي والله عليه وهل الشعر إلا في الخير والشر
قال وروي عن أبي الزناد عن أبيه قال
قال لي جرير يا أبا عبد الرحمن أنا أشعر أم هذا الخبيث يعني الفرزدق وناشدني لأخبرنه فقلت لا والله ما يشاركك ولا يتعلق بك في النسيب قال أوه قضيت والله له علي أنا والله أخبرك ما دهاني إلا أني
كذا وكذا شاعرا فسمى عددا كثيرا وأنه تفرد لي وحدي

خبره مع النوار ابنة عمه

أخبرني عبد الله قال قال المازني قال أبو علي الحرمازي
كان من خبر الفرزدق والنوار ابنة أعين بن صعصعة بن ناجية بن عقال المجاشعي وكانت ابنة عمه أنه خطبها رجل من بني عبد الله بن دارم فرضيته وكان الفرزدق وليها فأرسلت إليه أن زوجني من هذا الرجل فقال لا أفعل أو تشهديني أنك قد رضيت بمن زوجتك ففعلت فلما توثق منها قال أرسلي إلى القوم فليأتوا فجاءت بنو عبد الله بن دارم فشحنوا مسجد بني مجاشع وجاء الفرزدق فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد علمتم أن النوار قد ولتني أمرها وأشهدكم أني قد زوجتها نفسي على مائة ناقة حمراء سوداء الحدقة فنفرت من ذلك وأرادت الشخوص إلى ابن الزبير حين أعياها أهل البصرة ألا يطلقوها من الفرزدق حتى يشهد لها الشهود وأعياها الشهود أن يشهدوا لها اتقاء الفرزدق وابن الزبير يومئذ أمير الحجاز والعراق يدعى له بالخلافة فلم تجد من يحملها وأتت فتية من بني عدي بن عبد مناة بن أد يقال لهم بنو أم النسير فسألتهم برحم تجمعهم وإياها وكانت بينها وبينهم قرابة فأقسمت عليهم أمها ليحملنها فحملوها فبلغ ذلك الفرزدق فاستنهض عدة من أهل البصرة فأنهضوه واوقروا له عدة من الإبل وأعين بنفقة فتبع النوار وقال
(أطاعت بني أم النُّسيْرِ فأصبحت ... على شارفٍ ورقاءَ صعبٍ ذلولُها)
(وإنّ الذي أمسى يخبِّب زوجتي ... كماشٍ إلى أُسْدِ الشّرى يستبيلها)
فأدركها وقد قدمت مكة فاستجارت بخولة بنت منظور بن زيان بن سيار الفزاري وكانت عند عبد الله بن الزبير فلما قدم الفرزدق مكة اشرأب الناس إليه ونزل على بني عبد الله بن الزبير فاستنشدوه واستحدثوه ثم شفعوا له إلى أبيهم فجعل يشفعهم في الظاهر حتى إذا صار إلى خولة قلبته عن رأيه فمال إلى النوار فقال الفرزدق في ذلك

صوت

(أمّا بنوه فلم تُقْبل شفاعتُهم ... وشُفّعت بنتُ منظور بن زبّانَا)
(ليس الشّفيع الذي يأتيك مُؤْتزراً ... مثلَ الشفيع الذي يأتيكَ عُرْيانَا)

لعريب في هذا البيت خفيف رمل
قال وسفر بينهما رجال من بني تميم كانوا بمكة فاصطلحا على أن يرجعا إلى البصرة ولا يجمعهما ظل ولا كن حتى يجمعا في أمرهما ذلك بني تميم ويصيرا على حكمهم ففعلا فلما صارا إلى البصرة رجعت إليه النوار بحكم عشيرتها
قال وقال غير الحرمازي إن ابن الزبير قال للفرزدق جئني بصداقها
فرقت بينكما فقال الفرزدق أنا في بلاد عربة فكيف أصنع قالوا له عليك بسلم بن زياد فإنه محبوس في السجن يطالبه ابن الزبير بمال فأتاه فقص عليه قصته قال كم صداقها قال أربعة آلاف درهم فأمر له بها وبألفين للنفقة فقال للفرزدق
(دعِي مِغْلِقي الأبواب دون فَعالِهِم ... ولكن تمشَّى بي - هُبِلْت - إلى سَلِمِ)
(إلى مَن يرى المعروفَ سهلاً سَبِيلُه ... ويفعلُ أفعالَ الرجال التي تَنمِي)
قال فدفعها إليه الزبير فقال الفرزدق
(هلمّي لابن عمك لا تكوني ... كمختارٍ على الفرس الحمارا)
قال فجاء بها إلى البصرة - وقد أحبلها - فقال جرير في ذلك
(ألا تِلكمُ عِرسُ الفرزدق جامحاً ... ولو رضِيَتْ رُمح استِهِ لاستقرَّت)
فأجابه الفرزدق وقال
(وأمُّك لو لاقيتُها بِطِمرَّةٍ ... وجاءت بها جوف استِها لاستقرّت)
وقال الفرزدق وهو يخاصم النوار
(تُخاصمني وقد أولجتُ فيها ... كرأس الضَّبّ يلتمس الجرادا)
قال الحرمازي ومكثت النوار عنده زمانا ترضى عنه أحيانا وتخاصمه أحيانا وكانت النوار امرأة صالحة فلم تزل تشمئز منه وتقول له ويحك
تعلم أنك إنما تزوجت بي ضغطة وعلى خدعة ثم لا تزال في كل ذلك حتى حلفت بيمين موثقة ثم حنثت وتجنبت فراشه فتزوج عليها امرأة يقال لها جهيمة من بني النمر بن قاسط حلفاء لبني الحارث بن عباد بن ضبيعة وأمها الخميصة من بني الحارث بن عباد فنافرته الخميصة واستعدت عليه فأنكرها الفرزدق وقال إنها مني بريء طالق وطلق ابنتها وقال
(إن الخميصةَ كانت لي ولاب نتها ... مثل الهَراسةِ بين النّعل والقَدَمِ)
(إذا أتت أهلَها مني مُطَلَّقة ... فلن أردَّ عليها زَفرَةَ النَّدم)
جعل يأتي النوار وبه ردع الخلوق وعليه الأثر فقالت له النوار هل تزوجتها إلا هدادية - تعني حيا من أزد عمان - فقال الفرزدق في ذلك
(تُريكَ نجومَ الليل والشَّمسُ حَيَّةٌ ... كرامُ بنات الحارث بن عُبادِ)
(أبوها الذي قاد النّعامة بعد ما ... أبت وائلٌ في الحرب غير تمادِ)
(نساءٌ أبوهنّ الأعزُّ ولم تكن ... من الأزد في جاراتها وهَدادِ)
(ولم يكُ في الحيّ الغموض محلُّها ... ولا في العُمانيّين رهطِ زيادِ)
(عدلتُ بها مَيلَ النّوار فأصبحتْ ... وقد رضِيت بالنّصف بعد بعادِ)
قال فلم تزل النوار ترققه وتستعطفه حتى أجابها إلى طلاقها وأخذ عليها ألا تفارقه ولا تبرح من منزله ولا تتزوج رجلا بعده ولا تمنعه من مالها ما كانت تبذله له وأخذت عليه أن يشهد الحسن البصري على طلاقها ففعل ذلك
قال المازني وحدثني محمد بن روح العدوي عن أبي شفقل راوية الفرزدق قال
ما استصحب الفرزدق أحدا غيري وغير راوية آخر وقد صحب النوار رجال كثيرة إلا أنهم كانوا يلوذون بالسواري خوفا من أن يراهم الفرزدق فأتيا الحسن فقال له الفرزدق يا أبا سعيد قال له الحسن ما تشاء قال أشهد أن النوار طالق ثلاثا فقال الحسن قد شهدنا فلما انصرفنا قال يا أبا شفقل قد ندمت فقلت له والله إني لأظن أن دمك يترقرق أتدري من أشهدت والله لئن رجعت لترجمن بأحجارك فمضى وهو يقول
(ندمتُ ندامةَ الكُسَعِيّ لمّا ... غدت منّي مُطَلَّقةً نوارُ)
(ولو أنّي ملكتُ يدي وقلبي ... لكان عليّ للقدَرِ الخيارُ)
(وكانت جَنّتي فخرجتُ منها ... كآدم حين أخرجه الضِّرارُ)
(وكنتُ كفاقىءٍ عينيه عمداً ... فأصبح ما يضيء له النهارُ)
يهجو بني قيس لأنهم ألجأوا النوار
وأخبرني بخبره مع النوار أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن
شبة قال حدثني محمد بن يحيى عن أبيه يحيى بن علي بن حميد
أن النوار لما كرهت الفرزدق حين زوجها نفسه لجأت إلى بني قيس بن عاصم المنقري ليمنعوها فقال الفرزدق فيهم
(بَني عاصم لا تجنبوها فإنكم ... ملاجِىءُ للسوءات دُسْمُ العمائِم)
(بَنِي عاصمٍ لو كان حَيّاً أبوكم ... للام بنيه اليومَ قيسُ بن عاصمِ)
فبلغهم ذلك الشعر فقالوا له والله لئن زدت على هذين البيتين لنقتلنك غيلة وخلوه والنوار وأرادت منافرته إلى ابن الزبير فلم يقدر أحد على أن يكريها خوفا منه ثم إن قوما من بني عدي يقال لهم بنو أم النسير أكروها فقال الفرزدق
(ولولا أن يقول بنو عديٍّ ... ألم تَك أمَّ حَنظلة النَّوارُ)
(أتتكم يا بني مِلْكان عنّي ... قوافٍ لا تُقسّمها التِّجارُ)
وقال فيهم أيضا
(لعمري لقد أردى النّوارَ وساقها ... إلى البور أحلامٌ خِفافٌ عقولُها)
(أطاعت بني أمّ النسير فأصبحت ... على قَتب يعلو الفلاة دليلُها)
(وقد سَخِطَت مِنّي النّوارُ الذي ارتضَى ... به قبلَها الأزواجُ خاب رحيلُها)
((وإن امرأ أمسى يُخَبّب زوجتي ... كساعٍ إلى أُسْدِ الشرى يستبيلها
(ومن دون أبواب الأسود بَسالةً ... وسَطْوَةُ أيدٍ يمنع الضَّيْمَ طُولُها)
(وإنَّ أميرَ المؤمنين لعالِمٌ ... بتأويل ما وَصَّى العِبادَ رَسُولُها)
(فَدُونَكَها يابنَ الزبير فإنها ... مُوَلَّعَة يُوهِي الحجارةَ قِيلُها)

(وما جادل الأقوامَ من ذي خصومة ... كورهاء مَشْنوءٍ إليها حليلُها)
فلما قدمت مكة نزلت على تماضر بنت منظور بن زبان زوجة عبد الله بن الزبير ونزل الفرزدق بحمزة بن عبد الله بن الزبير ومدحه بقوله
(أمسيتُ قد نزلتْ بحمزة حاجَتِي ... إن المنوَّه باسمِه الموثوقُ)
(بأبي عمارةَ خيرِ من وَطِىء الحصا ... وجرت له في الصالحين عُروقُ)
(بين الحواريِّ الأعزِّ وهاشمٍ ... ثم الخليفةُ بعدُ والصِّدِّيق)
غنى في هذه الأبيات ابن سريج رملا بالبنصر
قال فجعل أمر النوار يقوى وأمر الفرزدق يضعف فقال
(أمَّا بنوه فلم تُقْبَل شفاعتُهم ... وشُفِّعَتْ بنتُ منظور بن زَبَّانَا)
ملاحاة بينه وبين ابن الزبير
وقال ابن الزبير للنوار إن شئت فرقت بينكما وقتلته فلا يهجونا أبدا وإن شئت سيرته إلى بلاد العدو فقالت ما أريد واحدة منهما فقال
لها فإنه ابن عمك وهو فيك راغب فأزوجك إياه قالت نعم فزوجها منه فكان الفرزدق يقول خرجنا ونحن متباغضان فعدنا متحابين
قال وكان الفرزدق قال لعبد الله بن الزبير - وقد توجه الحكم عليه - إنما تريد أن أفارقها فتثب عليها وكان ابن الزبير حديدا فقال له هل أنت قومك إلا جالية العرب
ثم أمر به فأقيم وأقبل على من حضر فقال إن بني تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة فاستلبوه فاجتمعت العرب عليها لما انتهكت منه ما لم ينتهكه أحد قط فأجلتها من أرض تهامة قال فلقي الفرزدق بعض الناس فقال إيه يعيرنا ابن الزبير بالجلاء اسمع ثم قال
(فإن تغْضَبْ قريشٌ أو تَغَضَّبْ ... فإنَّ الأرضَ تُوعِبُها تميم)
(هُم عَدَدُ النجومِ وكلُّ حيٍّ ... سواهمْ لا تُعدُّ له نجوم)
(ولولا بيت مكةَ ما ثويتم ... بها صحَّ المنابتُ والأروم)
(بها كثُر العديدُ وطاب منكم ... وغيرُكم أخِيذُ الريش هِيم)
(فمهلاً عن تعلّل مَن غَدَرْتم ... بخونته وعذَّبه الحَميم)
(أعبدَ اللهِ مهلاً عن أذاتي ... فإني لا الضعيفُ ولا السؤوم)
(ولكنّي صفاةٌ لم تُدَنَّس ... تزلُّ الطيرُ عنها والعُصومُ)
((أنا ابن العاقِر الخُورَ الصّفايا ... بضَوى حين فُتِّحت العُكوم
قال فبلغ هذا الشعر ابن الزبير وخرج للصلاة فرأى الفرزدق في طريقه فغمز عنقه فكاد يدقها ثم قال
(لقد أصبحت عِرسُ الفرزدق ناشزاً ... ولو رَضِيت رُمحَ استه لاستقرّت)
وقال هذا الشعر لجعفر بن الزبير
وقيل إن الذي كان تقرر عليه عشرة آلاف درهم وإن سلم بن زياد أمر له بعشرين ألف درهم مهرا ونفقة فقبضها فقالت له زوجته أم عثمان بنت عبد الله بن عمرو بن أبي العاص الثقفية أتعطي عشرين ألف درهم وأنت محبوس فقال
(ألا بَكَرَتْ عِرسِي تلومُ سفاهةً ... على ما مضى مني وتأمرُ بالبُخْلِ)
(فقلتُ لها - والجودُ مِنّي سجيّةٌ - ... وهل يمنع المعروفَ سُؤّاله مِثْلي)
(ذَريني فإنّي غيرُ تارك شيمتي ... ولا مُقصرٍ طول الحياة عن البذْلِ)
(ولا طاردٍ ضيفي إذا جاء طارقا ... وقد طرق الأضيافُ شيخيَ من قبلي)
(أأبخَلُ إن البُخْل ليس بمُخْلِدي ... ولا الجودُ يدنيني إلى الموت والقتل)
(أبيعُ بني حرب بآلِ خويلدٍ ... وما ذاك عند الله في البيع بالعدل)
(وليس ابنُ مروانَ الخليفةُ مشبهاً ... لفحل بَني العوّام قُبِّح من فحل)
(فإن تُظهِروا ليَ البخلَ آلَ خُوَيْلد ... فما دأبكم دأبي ولا شكلُكم شكلِي)
(وإن تَقهروني حين غابت عشيرتي ... فمن عجبِ الأيام أن تقهروا مِثلي)
فلما اصطلحا ورضيت به ساق إليها مهرها ودخل بها وأحبلها قبل أن يخرج من مكة
ثم خرجا وهما عديلان في محمل
وأخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام عن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد بنحو من هذه القصة
قال عمر بن شبة قال الفرزدق في خبره
(يا حمزَ هل لك في ذي حاجة عَرضت ... أنضاؤه بمكان غير ممطور)
فأنت أحرى قريش أن تكون لها ... وأنت بين أبي بكر ومنظور) (بين الحواري والصدّيق في شُعَبٍ ... نَبَتْنَ في طُنُب)
(الإسلام والخير
كانت القبائل تتقي هجاءه
أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثنا عبد القاهر بن السري السلمي قال
كان فتى من بني حرام شويعر هجا الفرزدق قال فأخذناه فأتينا به الفرزدق وقلنا هذا بين يديك فإن شئت فاضرب وإن شئت فاحلق فلا عدوى عليك ولا قصاص قد برئنا إليك منه قال فخلى سبيله وقال
(فمن يك خائفاً لأذاة شعري ... فقد أمِنَ الهجاء بَنو حرامِ)
(هم قادوا سفيههم وخافوا ... قلائدَ مثل أطواق الحمامِ)
قال ابن سلام وحدثني عبد القاهر قال
مر الفرزدق بمجلسنا مجلس بني حرام ومعنا عنبسة مولى عثمان بن عفان فقال يا أبا فراس متى تذهب إلى الآخرة قال وما حاجتك إلى ذاك يا أخي قال أكتب معك إلى أبي قال أنا لا أذهب إلى حيث أبوك أبوك في النار اكتب إليه مع ريالويه واصطقانوس
أخبرني الحسن بن يحيى عن حماد عن أبيه قال أخبرني مخبر عن خالد بن كلثوم الكلبي قال

مررت بالفرزدق وقد كنت دونت شيئا من شعره وشعر جرير وبلغه ذلك فاستجلسني فجلست إليه وعذت بالله من شره وجعلت أحدثه حديث أبيه وأذكر له ما يعجبه ثم قلت له إني لأذكر يوم لقبك بالفرزدق قال وأي يوم قال مررت به وأنت صبي فقال له بعض من كان يجالسه كأن ابنك هذا الفرزدق دهقان الحيرة في تيهه وأبهته فسماك بذاك فأعجبه هذا القول وجعل يستعيد ثم قال أنشدني بعض أشعار ابن المراغة فيّ فجعلت أنشده حتى انتهيت ثم قال فأنشد نقائضها التي أجبته بها فقلت ما أحفظها فقال يا خالد أتحفظ ما قاله في ولا تحفظ نقائضه والله لأهجون كلبا هجاء يتصل عاره بأعقابها إلى يوم القيامة إن لم تقم حتى تكتب نقائضها أو تحفظها وتنشدنيها فقلت أفعل فلزمته شهرا حتى حفظت نقائضها وأنشدته إياها خوفا من شره

زواجه من حدراء بنت زيق

أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن حبيب قال حدثني الأصمعي قال

تزوج الفرزدق حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس الشيباني وخاصمته النوار وأخذت بلحيته فجاذبها وخرج عنها مغضبا وهو يقول

(قامتْ نوارُ إليَّ تَنتِفِ لِحيتي ... تَنْتافَ جعدةَ لحيةَ الخشخاشِ)

(كلتاهما أسدٌ إذا ما أُغْضِبت ... وإذا رَضِينَ فهنَّ خير معاشِ)

قال والخشخاش رجل من عنزة وجعد امرأته فجاءت جعدة إلى النوار فقالت ما يريد مني الفرزدق أما وجد لامرأته أسوة غيري

وقال الفرزدق يفضل عليها حدراء

(لعمري لأعرابيَّةٌ في مَظَلّةٍ ... تظلُّ برَوقي بيتها الريحُ تخْفُقِ)

(أحبُّ إلينا من ضِنَاك ضِفَنَّة ... إذا وُضعت عنها المراويحُ تَعْرَقُ)

(كريمِ غزالٍ أو كُدرَّةِ غائصٍ ... يكاد - إذا مرت - لها الأرض تُشرقُ)

فلما سمعت النوار ذلك أرسلت إلى جرير وقالت للفرزدق والله لأخزينك يا فاسق فجاء جرير فقالت له أما ترى ما قال الفاسق وشكته إليه وأنشدته شعره فقال جرير أنا أكفيك وأنشأ يقول

(ولَسْت بمعطي الحكم عن شَفِّ منصبٍ ... ولا عن بنات الحنظليّين راغبُ)

(وهنّ كماء المزن يُشْفَى به الصَّدى ... وكانت مِلاحاً غيرَهُنَّ المشاربُ)

((لقد كنتَ أهلاً أن يسوق دياتكم ... إلى آل زيق أن يعيبَك عائب

(وما عدلتْ ذاتُ الصليبِ ظعينةً ... عُتَيْبةُ والرِّدفانِ منها وحاجبُ)

(أأهْدِيتَ يا زيقُ بن بَسطامَ ظَبيةً ... إلى شرِّ من تُهْدَى إليه القرائبُ)

(ألا ربَّما لم نُعطِ زيقاً بحُكمِه ... وأدّى إلينا الحكمَ والغُلُّ لازبُ)

(حَوينا أبا زيقٍ وزيقاً وعمَّه ... وجدّةُ زيق قد حَوتْها المقانِبُ)

فأجابه الفرزدق فقال

(تقول كليبٌ حين مثَّت سِبالها ... وأعشَبَ من مرُوتها كلُّ جانب)

(لسوّاقِ أغنام رعتهنّ أمّه ... إلى أن علاها الشيبُ فوق الذوائب)

(ألستَ إذا القعساءُ مرت براكبٍ ... إلى آلِ بِسطامِ بن قيس بخاطب)

(وقالوا سمعنا أنّ حدراءَ زُوّجتْ ... على مائَةٍ شُمٍّ الذُرى والغوارب)

(فلو كنتَ من أكفاء حدْراء لم تلُمْ ... على دَارميٍّ بين ليلى وغالبِ)

(فنل مثلَها من مثلهم ثم أمَّهم ... بمِلكك من مال مُراح وعازب)

(وإني لأخشى إن خطبتَ إليهمُ ... عليك الذي لاقَى يسارُ الكَراعبِ)

((ولو تنكِحُ الشمسُ النجومَ بناتِها ... نكحنا بناتِ الشمسِ قبل الكواكبِ

وفي المناقضات التي دارت بين الفرزدق وجرير حول زواج بنت زيق قال جرير أبياته التي أولها

(يا زيقُ أنكحتَ قَيناً في استه حَمَمٌ ... يا زيقُ ويْحكَ من أنكحتَ يا زيق)

(أين الأُلى أنزلوا النعمان ضاحيةً ... أم أين أبناءُ شيبانَ الغرانيق)

(يا رُبّ قائلةٍ بعد البناء بها ... لا الصهرُ راضٍ ولا ابنُ القينِ معشوقُ)

(غاب المثنّى فلم يشهد نَجِيَّكُما ... والحوفزانُ ولم يشهدْك مفروق)

والفرزدق يقول لجرير

(إن كان أنفُك قد أعياك تحمِلُه ... فاركب أتانك ثم اخطُب إلى زيق)

أخبرني الحسن بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن زكريا بن ثباة الثقفي قال

أنشدني الفرزدق قصيدته التي رثى فيها ابنه فلما انتهى إلى قوله

(بِفي الشَّامِتِين الصَّخْر إن كان مسَّني ... رزيّةُ شِبْل مُخْدِرٍ في الضَّراغم)

قال يا أبا يحيى أرأيت ابني قلت لا قال والله ما كان يساوي عباءته

لبطة بن الفرزدق ينشد لأبيه

قال إسحاق حدثني أبو محمد العبدي عن اليربوعي عن أبي نصر قال قدم لبطة بن الفرزدق الحيرة فمر بقوم من بني تغلب فاستقراهم فقروه ثم قالوا له من أنت قال ابن شاعركم ومادحكم وأنا والله ابن الذي يقول فيكم

(أضحى لتغلبَ من تميمٍ شاعرٌ ... يرمي الأعاديَ بالقريضِ الأثقل)

(إن غاب كعبُ بني جُعَيلٍ عنهم ... وتنمَّر الشعراء بعد الأخطل)

(يتباشرون بموته ووراءهم ... مِنّي لهم قِطعُ العذاب المُرْسَلِ)

فقالوا له فأنت ابن الفرزدق إذا قال أنا هو فتنادوا يا آل تغلب اقضوا حق شاعركم والذائد عنكم في ابنه فجعلوا له مائة ناقة وساقوها إليه فانصرف بها

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال أتى الفرزدق عبد الله بن مسلم الباهلي فسأله فثقل عليه الكثير وخشيه في القليل وعنده عمرو بن عفراء الضبي راوية الفرزدق وقد كان هجاه جرير لروايته للفرزدق في قوله

(ونُبِّئْتُ جوَّاباً وسَلْماً يسبّني ... وعمرو بن عِفْري لا سلامٌ على عمرو)

فقال ابن عفراء للباهلي لا يهولنك أمره أنا أرضيه عنك فأرضاه بدون
ما كان هم له به فأعطاه ثلثمائة درهم فقبلها الفرزدق ورضي عنه فبلغه بعد ذلك صنيع عمرو فقال
(ستعلم يا عمرو بن عفرى مَن الذي ... يُلام إذا ما الأمر غبَّتْ عواقبُه)
(نهيتُ ابنَ عِفرى أن يعفِّر أُمّه ... كعفْر السّلا إذ جرَّرتْه ثعالبُه)
(فلو كنت ضَ3بّياً صفحتُ ولو سرتْ ... على قَدَمي حيَّاتُه وعقاربه)
(ولكنْ ديافِيٌّ أبوه وأُمّه ... بحوْران يعصِرْن السليط أقاربه)
(ولما رأى الدّهنا رمته جبالُها ... وقالت دِيافيٌّ مع الشام جانبه)
(فإن تغضب الدهنا عليك فما بها ... طريقٌ لمرتاد تُقاد رَكائبُه)
(تضِنُّ بمال الباهليِّ كأنما ... تضِنُّ على المال الذي أنت كاسبُه)
(وإنّ امرأ يَغْتَابُني لم أطأْ له ... حَريماً ولا يَنْهاهُ عنِّي أقاربُه)
(كمحتَطِبٍ يوماً أساودَ هَضْبةٍ ... أتاه بها في ظلمة الليل حاطبُه)
(أحينَ التقى ناباي وابيضّ مِسْحَلي ... وأطرق إطراق الكرى من يُجانِبه)
فقال ابن عفراء وأتاه في نادي قومه أجهد جهدك هل هو إلا أن تسبني والله لا أدع لك مساءة إلا أتيتها ولا تأمرني بشيء إلا اجتنبته ولا
تنهاني عن شيء إلا ركبته قال فاشهدوا أني أنهاه أن ينيك أمه فضحك القوم وخجل ابن عفرى
أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثنا شعيب بن صخر قال
تزوج ذبيان بن أبي ذبيان العدوي من بلعدوية فدعا الناس في وليمته فدعا ابن أبي شيخ الفقيمي فألقى الفرزدق عنده فقال له يا أبا فراس انهض قال إنه لم يدعني قال إن ابن ذبيان يؤتى وإن لم يدع ثم لا تخرج من عنده إلا بجائزة فأتياه فقال الفرزدق حين دخل
(كم قال لي ابنُ أبي شيخ وقلت له ... كيف السَّبيلُ إلى معروف ذُبيان)
(إنّ القلوصَ إذا ألقت جآجئها ... قُدَّام بابك لم نرحل بحِرمان)
قال أجل يا أبا فراس فدخل فتغدى عنده وأعطاه ثلثمائة درهم
أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبو بكر المدني قال
دخل الفرزدق المدينة فوافق فيها موت طلحة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري - وكان سيدا سخيا شريفا - فقال يا أهل المدينة أنتم أذل قوم لله قالوا وما ذاك يا أبا فراس قال غلبكم الموت على طلحة حتى أخذه منكم

يعطى عروضا بدل النقد

وأتى مكة فأتى عمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي - وهو سيد أهل مكة يومئذ - وليس عنده نقد حاضر وهو يتوقع
أعطيته وأعطية ولده وأهله فقال والله يا أبا فراس ما وافقت عندنا نقدا ولكن عروضا إن شئت فعندنا رقيق فرهة فإن شئت أخذتهم قال نعم فأرسل له بوصفاء من بنيه وبني أخيه فقال هم لك عندنا حتى تشخص وجاءه العطاء فأخبره الخبر وفداهم فقال الفرزدق ونظر إلى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكان يطوف بالبيت الحرام يتبختر
(تمْشي تَبَخْتُر حولَ البيتِ منتخَباً ... لو كنتَ عمرو بنَ عبد الله لم تزدِ)
أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثنا عامر بن أبي عامر - وهو صالح بن رستم الخراز - قال أخبرني أبو بكر الهذلي قال
إنا لجلوس عند الحسن إذ جاء الفرزدق يتخطى حتى جلس إلى جنبه فجاء رجل فقال يا أبا سعيد الرجل يقول لا والله وبلى والله في كلامه قال لا يريد اليمين فقال الفرزدق أو ما سمعت ما قلت في ذلك قال الحسن ما كل ما قلت سمعوا فما قلت قال قلت
(ولستَ بمأخوذٍ بلغو تقوله ... إذا لم تعمَّدْ عاقداتِ العزائم)
قال فلم ينشب أن جاء رجل آخر فقال يا أبا سعيد نكون في هذه المغازي فنصيب المرأة لها زوج أفيحل غشيانها وإن لم يطلقها زوجها فقال الفرزدق أو ما سمعت ما قلت في ذلك قال الحسن ما كل ما قلت سمعوا فما قلت قال قلت
(وذات حَليلٍ أنكحتْنا رِماحُنا ... حلالاً لمن يَبْني بها لم تُطلَّق)

يهجو في شعره إبليس

قال أبو خليفة أخبرني محمد بن سلام وأخبرني محمد بن جعفر قالا أتى الفرزدق الحسن فقال إني هجوت إبليس فاسمع قال لا حاجة لنا بما تقول قال لتسمعن أو لأخرجن فأقول للناس إن الحسن ينهى عن هجاء إبليس قال اسكت فإنك بلسانه تنطق
قال محمد بن سلام أخبرني سلام أبو المنذر عن علي بن زيد قال ما سمعت الحسن متمثلا شعرا قط إلا بيتا واحدا وهو قوله
(الموتُ بابٌ وكُلُّ الناس داخلُه ... فليتَ شعريَ بعد الباب ما الدَّار)
قال وقال لي يوما ما تقول في قول الشاعر
(لولا جريرٌ هلكتْ بَجِيلهْ ... نِعْمَ الفتى وبئسَتِ القبيلهْ)
أهجاه أم مدحه قلت مدحه وهجا قومه قال ما مدح من هجي قومه
وقال جرير بن حازم ولم أسمعه ذكر شعرا قط إلا
(ليس مَنْ مات فاستراح بمَيْتٍ ... إنما الميْتُ ميّتُ الأحياء)
وقال رجل لابن سيرين وهو قائم يستقبل القبلة يريدِ أن يكبر أيتوضأ من الشعر فانصرف بوجهه إليه فقال
(ألا أصبحتْ عرسُ الفرزدق ناشِزاً ... ولو رضِيتْ رُمحَ استه لاستَقرَّت)
ثم كبر

متفرقات من أبياته الشائعة

قال ابن سلام وكان الفرزدق أكثرهم بيتا مقلدا - والمقلد المغني المشهور الذي يضرب به المثل - من ذلك قوله
(فيا عجباً حتى كليبٌ تسبني ... كأنّ أباها نَهْشَلٌ أو مُجاشِعُ)

وقوله
(ليس الكرام بناحِليك أباهمُ ... حتى يُردَّ إلى عطية نَهْشَلِ)
وقوله
(وكنّا إذا الجبّار صَعَّر خَدّه ... ضربناه حتى تستقيم الأخادع)
وقوله
(وكنتَ كذئب السوء لما رأى دَمَاً ... بصاحبه يوماً أحال على الدَّم)
وقوله
(تُرجِّي رُبيعٌ أن تجيء صغارُها ... بخير وقد أعيا رُبيعاً كبارُها)
وقوله
(أكلتْ دوابرها الإكَامُ فمشيها ... مما وَجِئْن كمشية الإعياء)
وقوله
(قوارص تأتيني وتحتقرونها ... وقد يملأ القطرُ الإناءَ فَيَفعُمِ)
وقوله
(أحلاَمُنا تزن الجبالَ رَزانةً ... وتخالنا جِناً إذا ما نجهل)
وقوله
(وإنك إذ تسعى لتدرك دارماً ... لأنت المُعَنَّى يا جرير المُكَلف)
وقوله
(فإن تنجُ مني تنج من ذي عَظيمةٍ ... وإلا فإنّي لا إخالك ناجيا)
وقوله
(ترى كل مظلوم إلينا فِرارُه ... ويهربُ منا جهدَه كُلُّ ظالمِ)
وقوله
(ترى الناس ما سِرْنا يسيرون حولَنا ... وإن نحن أومأنا إلى النّاس وقّفوا)
وقوله
(فسَيف بني عبسٍ وقد ضربوا به ... نَبا بيَدَيْ وَرْقاءَ عن رأس خالد)
(كذاك سيوف الهند تنبو ظُباتها ... ويقطعن أحياناً مَناطَ القَلاَئِد
وكان يداخل الكلام وكان ذلك يعجب أصحاب النحو من ذلك قوله يمدح هشام بن إسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك
(وأصبح ما في الناس إلا مُمَلَّكاً ... أبو أمه حَيٌّ أبوه يُقاربه)
وقوله
(تاللّه قد سَفِهَتْ أميّةُ رأيَها ... فاستجهلت سُفهاؤها حلماءَها)
وقوله
(ألستم عائجين بنا لعنَّا ... نرى العَرصاتِ أو أثَر الخيام)
فقالوا
(إن فعلتَ فأغن عنا ... دُموعاً غيرَ راقِئة السّجام)
وقوله
(فهل أنتَ إن ماتت أتانُكَ راحِلٌ ... إلى آل بِسطام بن قيس فخاطب)
وقوله
(فَنَلْ مثلَها من مثلِهم ثم دُلّهم ... على دارميّ بين ليلى وغالب)
وقوله
(تعالَ فإن عاهدتني لا تخونُني ... نكنْ مثلَ مَنْ - يا ذئبُ - يَصْطحبان)
وقوله
(إنا وإياك إن بلّغْنَ أرحُلَنا ... كمَنْ بواديه بعد المَحْل مَمْطورُ)
وقوله
(بنى الفاروق أمّك وابن أروى ... به عثمان مروان المصابا)
وقوله
(إلى مَلِك ما أمُّه من مُحاربٌ ... أبوه ولا كانت كليب تصاهِرُه)
وقوله
(إليك أميرَ المؤمنين رمَتْ بنا ... هموم المنا والهَوْجَل المتعسِّف)
(وعضّ زمانٌ يا بن مروان لم يدعْ ... من المال إلا مُسحتاً أو مُجلَّف)
وقوله
(ولقد دنت لك بالتخلّف إذْ دنَت ... منها بلا بَخَلٍ ولا مبذولِ)
(وكأنّ لونَ رُضابِ فيها إذ بدا ... بَرَدٌ برفع بَشامةٍ مصْقولُ)
وقوله فيها لمالك بن المنذر
(إنّ ابن ضيّاري ربيعةَ مالِكاً ... لله سيف صنيعةٍ مَسْلولُ)
(ما نال من آل المُعلّى قبلَه ... سيفٌ لكل خليفة ورسولُ)
(ما من يَديْ رَجُلٍ أحقُّ بما أتى ... من مكرمات عظاية الأخطار)
(من راحتين يزيدُ يقدح زندَه ... كفّاهما ويشد عقد جوار)
(... وقوله)
(إذا جئتَه أعطاك عفواً ولم يكن ... على ماله حال الندى منك سائله)

(لدى ملك لا تنصف النعلُ ساقَه ... أجل لا وإن كانت طُوالاً حمائله)
وقوله
(والشيب يَنْهَضُ في الشباب كأنه ... ليل يسير بجانبيه نهار)
كان صادقا في مدحه
قال أبو خليفة أخبرنا محمد بن سلام قال حدثني شعيب بن صخر
عن محمد بن زياد وأخبرني به الجوهري وجحظة عن ابن شبة عن محمد ابن سلام وكان محمد في زمام الحجاج زمانا قال
انتهيت إلى الفرزدق بعد موت الحجاج بالردم وهو قائم والناس حوله ينشد مديح سليمان بن عبد الملك
(وكم أطلقتْ كفاك من غلِّ بائس ... ومن عُقدةٍ ما كان يُرجَى انحلالُها)
(كثيراً من الأيدي التي قد تُكتِّفَتْ ... فَكَكْتَ وأعناقاً عليها غِلالها)
قال قلت أنا والله أحدهم فأخذ بيدي وقال أيها الناس سلوه عما أقول والله ما كذبت قط
أخبرني جحظة قال حدثني ابن شبة عن محمد بن سلام فذكر مثله وقال فيه والله ما كذبت قط ولا أكذب أبدا
يأبى الحضور إلى يزيد بن المهلب قبل أن يدفع له
قال أبو خليفة قال ابن سلام وسمعت الحارث بن محمد بن زياد يقول
كتب يزيد بن المهلب لما فتح جرجان إلى أخيه مدركة أو مروان احمل إلي الفرزدق فإذا شخص فأعط أهله كذا وكذا ذكر عشرة آلاف درهم فقال له الفرزدق ادفعها إلي قال اشخص وادفعها إلى أهلك فأبى وخرج وهو يقول
(دعاني إلى جُرجانَ والرّيُّ دونه ... لآتِيَهُ إنّي إذاً لزءورُ)
((لآتِيَ من آل المهلَّب ثائراً ... بأعراضِهم والدّائرات تدُورُ
(سآبَى وتأبى لي تميمٌ وربما ... أبَيتُ فلم يقدر عليّ أمير)
قال أبو خليفة قال ابن سلام
وسمعت سلمة بن عياش قال حبست في السجن فإذا فيه الفرزدق قد حبسه مالك بن المنذر بن الجارود فكان يريد أن يقول البيت فيقول صدره وأسبقه إلى القافية ويجيء إلى القافية فأسبقه إلى الصدر فقال لي ممن أنت قلت من قريش قال كل أير حمار من قريش من أيهم أنت قلت من بني عامر بن لؤي قال لئام والله أذلة جاورتهم فكانوا شر جيران قلت ألا أخبرك بأذل منهم وألأم قال من قلت بنو مجاشع قال ولم ويلك قلت أنت سيدهم وشاعرهم وابن سيدهم جاءك شرطي مالك حتى أدخلك السجن لم يمنعوك قال قاتلك الله
قال أبو خليفة قال ابن سلام
وكان مسلمة بن عبد الملك على العراق بعد قتل يزيد بن المهلب فلبث بها غير كثير ثم عزله يزيد بن عبد الملك واستعمل عمر بن هبيرة على العراق فأساء عزل مسلمة فقال الفرزدق وأنشدنيه يونس
(ولت بمسلمةَ الركابُ مُودَّعاً ... فارعَيْ فزارةُ لا هَناكِ المَرْتَعُ)
(فسد الزمانُ وبُدِّلت أعلامُه ... حتى أميّةُ عن فزارةَ تنْزع)
(ولقد علمتُ إذا فزارةُ أُمِّرت ... أن سوف تطمع في الإمارة أشجعُ)
((وبحقِّ ربك ما لهم ولِمثلهم ... في مثل ما نالت فَزارةُ مطمع
(عُزِل ابنُ بشر وابنُ عَمْرو قبلَه ... وأخو هَراةَ لمثلها يتوقَّع)
ابن بشر عبد الملك بن بشر بن مروان كان على البصرة أمره عليها مسلمة وابن عمرو سعيد بن حذيفة بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط وأخو هراة عبد العزيز بن الحكم بن أبي العاصي
ويروى للفرزدق في ابن هبيرة
(أميرَ المؤمنين وأنت عَفٌّ ... كريمٌ لستَ بالطَّبَع الحريص)
(أولَّيتَ العِراقَ ورافِدَيْه ... فزاريًّا أحذَّ يدِ القَميص)
(ولم يكُ قبلها راعي مخاضٍ ... لتأمنَه على وَرِكَيْ قَلُوص)
(تفنَّن بالعراق أبو المُثنَّى ... وعَلّم أهلَه أكْلَ الخَبِيص)
وأنشدني له يونس
(جَهِّز فإنك ممتارٌ ومُبتعثٌ ... إلى فزارة عِيراً تحمل الكَمَرَا)
(إنَّ الفزاريَّ لو يعمى فأطعَمَه ... أيرَ الحِمار طبيبٌ أبرأ البَصَرَا)
(إن الفزاريَّ لا يشفيه من قَرَمٍ ... أطايبُ العَيْر حتى ينهش الذّكرا)
(يقول لمّا رأى ما في إنائهم ... لله ضيف الفزاريين ما انْتَظَرَا)
فلما قدم خالد بن عبد الله القسري واليا على ابن هبيرة حبسه في السجن فنقب له سرب فخرج منه فهرب إلى الشام فقال فيه الفرزدق يذكر خروجه
(ولما رأيتَ الأرض قد سُدَّ ظهرُها ... ولم تر إلا بطنَها لك مخرجا)
(دعوت الذي ناداه يونُس بعد ما ... ثوى في ثلاث مظلمات ففرّجا)
(فأصبحت تحت الأرض قد سِرْت ليلةً ... وما سار سارٍ مثلها حين أدلجا)
(خرجتَ ولم تمنُنْ عليك شفاعةٌ ... سوى رَبَذِ التقريب من آل أعوجا)
(أغرّ من الحُوِّ اللهاميم إذ جرى ... جرى بكَ محبوكُ القِرى غير أفحجا)
(جرى به عُريان الحماتين ليلَهُ ... بك عنك أرخى الله ما كان أشرجا)
(وما احتال محتالٌ كحيلته التي ... بها نفسه تحت الصّريمة أولجا)
(وظَلماء تحت الأرض قد خُضت هولَها ... وليلٍ كلون الطيلَساني أدْعجا)
(هما ظُلْمتا ليل وأرض تلاقتا ... على جامع من همّه ما تعوَّجا)
هجوه لخالد القسري
فحدثني جابر بن جندل قال فقيل لابن هبيرة من سيد العراق قال
الفرزدق هجاني أميرا ومدحني سوقة وقال الفرزدق لخالد القسري حين قدم العراق أميرا لهشام

(ألا قطع الرحمن ظهرَ مطيَّةٍ ... أتتنا تمَطَّى من دمشقٍ بخالد)
(وكيف يؤمّ المسلمين وأمُّه ... تدين بأنّ اللهَ ليس بواحد)
(بَنى بَيْعةً فيها الصَّليبُ لأمّه ... وهدّم من كُفرٍ منارَ المساجدِ)
وقال أيضا
(نزلت بجيلَةُ واسطاً فتمكنَّت ... ونفتْ فزارةَ عن قرار المنزل)
وقال أيضا
(لعمري لئن كانت بجيلةُ زانها ... جَريرٌ لقد أخزى بجيلة خالدُ)
فلما قدم العراق خالد أميرا أمر على شرطة البصرة مالك بن المنذر بن الجارود وكان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر يدعي على مالك قرية فأبطلها خالد وحفر النهر الذي سماه المبارك فاعترض عليه الفرزدق فقال
(أهلكتَ مالَ الله في غير حقّه ... على النَّهَر المشؤوم غير المباركِ)
(وتَضربُ أقواماً صِحاحاً ظهورهم ... وتتركُ حقّ الله في ظَهْر مالك)
(أإنفاقَ مالِ الله في غير كُنهه ... ومَنْعاً لحقّ المرملات الضرائك)
دخل على الحجاج يستميحه مهر حدراء زوجته
أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن حبيب عن الأصمعي قال قال أعين بن لبطة
دخل الفرزدق على الحجاج لما تزوج حدراء يستميحه مهرها فقال له تزوجت أعرابية على مائة بعير فقال له عنبسة بن سعيد إنما هي فرائض قيمتها ألفا درهم - الفريضة عشرون درهما - فقال له الحجاج ليس غيرها يا كعب أعط الفرزدق ألفي درهم
قال وقدم الفضيل العنزي بصدقات بكر بن وائل فاشترى الفرزدق مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم على أن يثبتها له في الديوان قال الفرزدق فصليت مع الحجاج الظهر حتى إذا سلم خرجت فوقفت في الدار فرآني فقال مهيم فقلت إن الفضيل العنزي قدم بصدقات بكر بن وائل وقد اشتريت منه مائة بعير بألفين وخمسمائة درهم على أن تحتسب له في الديوان فإن رأى الأمير أن يأمر لي بإثباتها له فعل فأمر أبا كعب أن يثبت للفضيل ألفين وخمسمائة درهم ونسي ما كان أمر له به قال فلما جاء الفرزدق بالإبل قالت له النوار خسرت صفقتك أتتزوج أعرابية نصرانية سوداء مهزولة خمشاء الساقين على مائة من الإبل فقال يعرض بالنوار وكانت أمها وليدة
(لجَاريةٌ بين السّليل عروقُها ... وبين أبي الصّهباء من آل خالدِ)
(أحقُّ بإغلاء المهور من التي ... ربتْ تتردّى في حجور الولائدِ)
فأبت النوار عليه أن يسوقها كلها فحبس بعضها وامتار عليه ما يحتاج إليه أهل البادية ومضى ومعه دليل يقال له أوفى بن خنزير قال أعين فلما كان في أدنى الحي رأوا كبشا مذبوحا فقال الفرزدق يا أوفى هلكت والله حدراء قال وما علمك بذلك قال ويقال إن أوفى قال للفرزدق يا أبا فراس لن ترى حدراء فمضوا حتى وقفوا على نادي زيق وهو جالس فرحب به وقال له انزل فإن حدراء قد ماتت وكان زيق نصرانيا فقال قد عرفنا أن نصيبك من ميراثها في دينكم النصف وهو لك عندنا فقال له الفرزدق والله لا أرزؤك منه قطميرا فقال زيق يا بني دارم ما صاهرنا أكرم منكم في الحياة ولا أكرم منكم شركة في الممات فقال الفرزدق
(عَجِبت لحادينا المقَحِّم سيره ... بنا مُوجعاتٍ من كَلالٍ وظُلَّعَا)
(ليُدنِينَا ممن إلينَا لقاؤه ... حبيبٌ ومن دارٍ أردنا لتجمعا)
(ولو نعلمُ الغيبَ الذي من أمامنا ... لكرّبنا الحادي المطيّ فأسرعا)
(يقولون زُرْ حدراءَ والتُّربُ دونها ... وكيف بشيء وصلُه قد تقطّعا)
(يقول ابن خِنزير بكيت ولم تكن ... على امرأة عيني إخال لتدمعا)
(وأهونُ رزء لامرىء غير جازعٍ ... رزيئةُ مرتج الروادف أفرعا)
(ولست - وإن عزّت - عليّ بزائرٍ ... تُرابا على مرموسةٍ قد تضعضعا)
وقيل إن النوار كانت استعانت بأم هاشم لا بتُماضر وأم هاشم أخت تماضر لأن تماضر ماتت عند عبد الله بعد أن ولدت له خبيبا وثابتا ابني
عبد الله بن الزبير وتزوج بعدها أختها أم هاشم فولدت له هاشما وحمزة وعبادا وفي أم هاشم يقول الفرزدق
(تروّجتِ الرّكبانُ يا أمَّ هاشمٍ ... وهنَّ مُناخاتٌ لهن حنين)
(وحبّسْن حتّى ليس فيهن نافقٌ ... لبيعٍ ولا مركوبُهن سمين)
طلق رهيمة زوجته لأنها نشزت به
أخبرنا عبد الله قال حدثنا محمد بن حبيب قال حدثني الأصمعي قال
نشزت رهيمة بنت غني بن درهم النمرية بالفرزدق فطلقها وقال يهجوها بقوله
(لا ينكحنْ بعدي فتىً نَمريّةً ... مُرمَّلةً من بعلِها لبعادِ)
(وبيضاء زَعراءِ المفارق شَخْتَةً ... مولّعةً في خُضرةٍ وسوادِ)
(لها بَشرٌ شَثْنٌ كأن مَضمَّه ... إذا عانقت بَعْولاً مَضَمُّ قتادِ)
(قرنتُ بنفسي الشؤمَ في ورد حوضها ... فَجرّعتُه مِلحاً بماء رمادِ)
(وما زلتُ - حتى فرّق الله بيننا ... له الحمدُ - منها في أذىً وجهاد)
(تُجدّد لي ذكرى عذاب جهنّمٍ ... ثلاثاً تُمسّيني بها وتغادي)
يحظى بجارية بنسيئة فتحمل منه
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحسين بن موسى قال قال
المدائني لقي الفرزدق جارية لبني نهشل فجعل ينظر إليها نظرا شديدا فقالت له مالك تنظر فوالله لو كان لي ألف حر ما طمعت في واحد منها قال ولم يا لخناء قالت لأنك قبيح المنظر سيء المخبر فيما أرى قال أما والله لو جربتني لعفى خبري على منظري قال ثم كشف لها عن مثل ذراع البكر فتضبعت له عن مثل سنام البكر فعالجها فقالت أنكاح بنسيئة هذا شر القضية قال ويحك ما معي إلا جبتي أفتسلبينني إياها ثم تسنمها فقال
(أولجتُ فيها كذِراع البَكر ... مُدملَكَ الرأس شديدَ الأسْر)

(زاد على شِبْرٍ ونصفِ شِبْرِ ... كأنني أوجتُه في جَمْرِ)
(يُطير عنه نَفَيانَ الشَّعْرِ ... نفي شُعور الناس يَومَ النَّحر)
قال فحملت منه ثم ماتت فبكاها وبكى ولده منها
(وغمدِ سِلاحٍ قد رزئتُ فلم أنُح ... عليه ولم أبعث عليه البواكيا)
(وفي جَوفه من دارمٍ ذو حفيظةٍ ... لو أنّ المنايا أنسأته لياليا)
(ولكنّ ريب الدهر يعْثُر بالفتى ... فلم يستطع رَدًّا لما كان جائيا)
(وكم مثلِه في مثلِها قد وضعته ... وما زلت وثّاباً أجرُّ المخازيا)
فقال جرير يعيره
(وكم لكَ يا بنَ القيْن إنْ جاء سائلٌ ... من ابنٍ قصير الباع مثلُك حاملُه)
((وآخر لم تشعُر به قد أضعتَه ... وأوردته رحماً كثيراً غوائِلُه)

زواجه من ظبية ابنة حالم وعجزه عنها

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثني محمد بن سليمان الكوفي عن أبيه قال تزوج الفرزدق ظبية ابنة حالم من بني مجاشع بعد أن أسن فضعف وتركها عند أمها بالبادية سنة ولم يكن صداقها عنده فكتب إلى أبان بن الوليد البجلي - وهو على فارس عامل لخالد بن عبد الله القسري - فأعطاه ما سأل وأرضاه فقال يمدحه
(فلو جمعوا من الخِلاّنِ ألفا ... فقالوا أعطِنا بهمُ أبانا)
(لقلتُ لهم إذاً لغبنتموني ... وكيف أبيع من شرِط الزمانا)
(خليلٌ لا يرى المائةَ الصّفايا ... ولا الخيلَ الجيادَ ولا القِيانَا)
(عَطاءً دون أضعاف عليها ... ويُطعمُ ضيفَه العُبُطَ السِّمانا)
العبط الإبل التي لا وجع بها
(فما أرجو لظبيةَ غيرَ ربِّي ... وغيرَ أبي الوليد بما أعانا)
(أعان بهجمة أرضَتْ أباها ... وكانت عنده غَلَقاً رهانا)
وقال أيضا في ذلك
(لقد طال ما استودعتُ ظبيةَ أمَّها ... وهذا زمان رُدّ فيه الودائعُ)
وقال حين أراد أن يبني بها
(أبادر سُؤّالا بظبية أنني ... أتتني بها الأهوالُ من كل جانب)
(بمالِئةِ الحِجْلَيْن لو أنّ مَيّتاً ... ولو كان في الأموات تحت النصائب)
(- دعته لألقى الرُّبَ عند انتفاضِه ... - ولو كان تحت الراسيات الرواسب)
فلما ابتنى منها عجز عنها فقال
(يا لهفَ نفسي على نَعْظٍ فُجِعْتُ به ... حين التقى الرَّكَبُ المحلوقُ والرَّكَبُ)
وقال جرير
(وتقول ظبيةُ إذ رأتك محوقِلاً ... - حَوْقَ الحمار - من الخبال الخابلِ)
(إنَّ البليَّة وهْي كلُّ بليةٍ ... شيخٌ يُعَلِّل عِرْسَه بالباطل)
(لو قد عَلقتِ من المهاجر سلَّما ... لنجوتِ منه بالقضاء الفاصِلِ)
قال فنشزت منه ونافرته إلى المهاجر وبلغه قول جرير فقال المهاجر لو أتتني بالملائكة معها لقضيت للفرزدق عليها

شعره في ابنته مكية وأمها الزنجية

قال وكان للفرزدق ابنة يقال لها مكية وكانت زنجية وكان إذا حمي الوطيس وبلغ منه الهجاء يكتني بها ويقال
((ذا كمْ إذاً ما كنتُ ذا محميَّهْ ... بدارميٍّ أمُّه ضَبِّيّهْ
(... صمحمح يُكنَى أبا مكيَّه)
وقال في أمها
(يا ربَّ خَوْدٍ من بنات الزّنج ... تحمل تنُّوراً شديدَ الوهْجِ)
(أقعبَ مثلَ القَدْحِ الخَلَنجِ ... يزداد طيباً عند طول الهرج)
(... مَخَجْتُها بالأَيْر أيَّ مخجِ)
فقالت له النوار ريحها مثل ريحك
وقال في أم مكية يخاطب النوار
(فإن يكُ خالها من آل كسرى ... فكِسرى كان خيراً من عِقال)
(وأكثرَ جزيةً تُهدَى إليه ... وأصبرَ عند مختلِف العوالي)
قال وكانت أم النوار خراسانية فقال لها في أم مكية
(أغرك منها أدْمَةٌ عربيّةٌ ... علت لونَها إن البِجَادِيَّ أحمرُ)

يمدح سعيد بن العاص فيحقد عليه مروان

حدثني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي قال
دخل الفرزدق على سعيد بن العاص وهو والي المدينة لمعاوية فأنشده
(ترى الغرَّ الجحاجِحَ من قريش ... إذا ما الخطب في الحدثان غالا)
(وقُوفاً ينظرون إلى سعيدٍ ... كأنهمُ يرون به هلالا)
وعنده كعب بن جعيل فلما فرغ من إنشاده قال كعب هذه والله رؤياي البارحة رأيت كأن ابن مرة في نواحي المدينة وأنا أضم ذلاذلي
منه فلما خرج الفرزدق خرج مروان في أثره فقال لم ترض أن نكون قعودا حتى جعلتنا قياما في قولك
(قِياماً ينظرون إلى سعيد ... كأنهمُ يرون به هلالا)
فقال له يا أبا عبد الملك إنك من بينهم صافن فحقد عليه مروان ذلك ولم تطل الأيام حتى عزل سعيد وولي مروان فلم

يجد على الفرزدق متقدما حتى قال قصيدته التي قال فيها
(هما دَلّتاني من ثمانين قامةً ... كما انقضَّ بازٍ أقتمُ الريش كاسِرُهْ)
(فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا ... أحيٌّ يُرجَّى أم قتيلٌ نُحاذره)
(فقلت ارفعا الأمراسَ لا يشعروا بنا ... وأقبلتُ في أعقاب ليل أبادره)
(أبادر بوَّابين لم يشعروا بنا ... وأحمرَ من ساجٍ تلُوح مسامره)
فقال له مروان أتقول هذا بين أزواج رسول الله أخرج عن المدينة فذلك قول جرير
(تدلَّيت تزني من ثمانينَ قامةً ... وقَصَّرت عن باع الندى والمكارم)
أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا الرياشي عن محمد بن سلام قال
خبر آخر في مدحه سعيدا
دخل الفرزدق المدينة هاربا من زياد وعليها سعيد بن العاص بن أمية
ابن عبد شمس أميرا من قبل معاوية فدخل على سعيد ومثل بين يديه وهو معتم وفي مجلس سعيد الحطيئة وكعب بن جعيل التغلبي وصاح الفرزدق أصلح الله الأمير أنا عائذ بالله وبك أنا رجل من تميم ثم أحد بني دارم أنا الفرزدق بن غالب قال فأطرق سعيد مليا فلم يجبه فقال الفرزدق رجل لم يصب دما حراما ولا مالا حراما فقال سعيد إن كنت كذلك فقد أمنت فأنشده
(إليكِ فررتُ مِنكِ ومن زيادٍ ... ولم أحسِب دمي لكما حَلاَلا)
(ولكنّي هجوتُ وقد هجاني ... معاشرُ قد رضختُ لهم سِجالا)
(فإن يكن الهجاء أحلَّ قتلي ... فقد قلنا لشاعرهم وقالا)
(أرقتُ فلم أنم ليلاً طويلا ... أراقب هل أرى النَّسرين زالا)
(عليك بني أمية فاستجرهم ... وخذ منهم لما تخشى حِبالا)
(فإنّ بني أمية في قريش ... بَنَوْا لبيوتهم عَمَداً طوالا)
(ترى الغرَّ الجحاجح من قريش ... إذا ما الأمر في الحدثان غالا)
(قياماً ينظرون إلى سعيدٍ ... كأنّهم يرون به هلالا)
قال فلما قال هذا البيت قال الحطيئة لسعيد هذا والله الشعر لا ما كنت تعلل به منذ اليوم فقال كعب بن جعيل فضلته على نفسك فلا تفضله على غيرك قال بلى والله إنه ليفضلني وغيري يا غلام أدركت من قبلك وسبقت من بعدك ولئن طال عمرك لتبرزن
ثم عبث الحطيئة بالفرزدق فقال يا غلام أنجدت أمك قال لا بل أبي أراد الحطيئة إن كانت أمك أنجدت فقد أصبتها فولدتك إذ شابهتني في الشعر فقال الفرزدق لا بل أبي فوجده لقنا
أخبرني ابن دريد قال قال لنا أبو حاتم قال الأصمعي
ومن عبثات الفرزدق أنه لقي مخنثا فقال له من أين راحت عمتنا فقال له المخنث نفاها الأغر بن عبد العزيز يريد قول جرير
(نفاك الأغرّ بن عبد العزيز ... وحقُّك تُنْفَى من المسجدِ)
جرير يقر له بالغلبة ويلقبه بالعزيز
أخبرنا ابن دريد عن الرياشي عن النضر بن شميل قال قال جرير
ما قال لي ابن القين بيتا إلا وقد اكتفأته أي قلبته إلا قوله
(ليس الكِرامُ بناحليك أباهم ... حتى يرد إلى عطية تعتل)
فإني لا أدري كيف أقول فيها
وأخبرني ابن دريد قال حدثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي عن عوانة بن الحكم قال
بينما جرير واقف في المربد وقد ركبه الناس وعمر بن لجأ مواقفه فأنشده عمر جواب قوله
((يا تَيْمَ تَيْمَ عديٍّ لا أبا لكم ... لا يقذفنَّكُم في سوأةٍ عمرُ
(أحين صرتُ سِماماً يا بني لجأٍ ... وخاطَرتْ بيَ عن أحسابها مُضرُ)
فقال عمر جواب هذا
(لقد كذبتَ وشرُّ القولِ أكذبُهُ ... ما خاطرَتْ بك عن أحسابها مُضَرُ)
(ألَسْتَ نَزوَةَ خوّارٍ على أمة ... لا يسبق الحلباتِ اللؤمُ والخورُ)
وقد كان الفرزدق رفده بهذين البيتين في هذه القصيدة فقال جرير لما سمعها قبحا لك يا بن لجأ أهذا شعرك كذبت والله ولو مت هذا شعر حنظلي هذا شعر العزيز يعني الفرزدق فأبلس عمر فما رد جوابا
وخرج غنيم بن أبي الرقاق حتى أتى الفرزدق فضحك وقال إيه يابن أبي الرقاق وإن عندك لخبرا قلت خزي أخوك ابن قتب فحدثته فضحك حتى فحص برجليه ثم قال في ساعته
(وما أنت إن قَرْمَا تَمِيم تساميا ... أخا التّيم إلا كالوشيِظة في العَظم)
(فلو كنت مولى الظلم أو في ثِيابِه ... ظلمتَ ولكن لا يَدَيْ لك بالظُّلْم)
فما بلغ هذان البيتان جريرا قال ما أنصفني في شعر قط قبل هذا يعني قوله
(...إنْ قرْمَا تميم تساميا)
يغتصب جيد الشعراء
أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا الرياشي قال
كان الفرزدق مهيبا تخافه الشعراء فمر يوما بالشمردل وهو ينشد قصيدته حتى بلغ إلى قوله
(وما بين مَنْ لم يُعطِ سمعاً وطاعةً ... وبين تميمٍ غيرُ حزّ الغَلاصم)
قال والله لتتركن هذا البيت أو لتتركن عرضك قال خذه على كره مني فهو في قصيدة الفرزدق التي أولها قوله
(... تحنّ بزوراءِ المدينة ناقَتِي)
قال وكان الفرزدق يقول خير السرقة ما لا يجب فيه القطع يعني سرقة الشعر
أخبرنا ابن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة عن الضحاك بن بهلول الفقيمي قال بينما أنا بكاظمة وذو الرمة ينشد قصيدته التي يقول فيها

(أحينَ أعاذت بي تميمٌ نساءَها ... وجُرِّدْت تجريدَ اليَمانِي من الغِمد)
إذا راكبان قد تدليا من نعف كاظمة متقنعان فوقفا فلما فرغ ذو الرمة حسر الفرزدق عن وجهه وقال يا عبيد اضممها إليك - يعني راويته - وهو عبيد أخو بني ربيعة بن حنظلة فقال ذو الرمة نشدتك الله يا أبا فراس إن فعلت قال دع ذا عنك فانتحلها في قصيدته وهي أربعة أبيات
(أحينَ أعاذت بي تميمٌ نساءهَا ... وجُرِّدت تجريدَ اليَماني من الغِمدِ)
(ومدت بضَبْعيَّ الرِّبابُ ومالكٌ ... وعمروٌ وشالت من ورائي بنو سعد)
(ومن آل يربوعٍ زُهَاءٌ كأنه ... دُجَى الليل محمودِ النِّكاية والوِرد)
(وكنّا إذا الجبّارُ صَعَّرَ خدَّه ... ضربناه فوق الأُنْثَيَيْن على الكَرْد)
أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال
اجتمع الفرزدق وجرير وكثير وابن الرقاع عند سليمان بن عبد الملك فقال أنشدونا من فخركم شيئا حسنا فبدرهم الفرزدق فقال
(وما قوم إذا العلماء عَدّت ... عروقَ الأكرمين إلى الترابِ)
(بمختلفين إن فضَّلتمونا ... عليهم في القَديم ولا غِضاب)
(ولو رَفع السحابُ إليه قوماً ... عَلَوْنا في السماء إلى السحاب)
فقال سليمان لا تنطقوا فوالله ما ترك لكم مقالا
أخبرنا عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن عمران الضبي عن سليمان بن أبي سليمان الجوزجاني قال
غاب الفرزدق فكتبت النوار تشكو إليه مكية وكتب إليه أهله يشكون سوء خلقها وتبذيها عليهم فكتب إليهم
((كتبتم عليها أنها ظلمتكم ... كذبتم وبيتِ الله بل تظلمونها)
(فإلاّ تعدُّوا أنها من نسائكم ... فإنّ ابنَ ليلى والدٌ لا يشينها)
(وإنّ لها أعمامَ صدق وإخوة ... وشيخاً إذا شاءت تَنَمّر دونها)

كان ابنه لبطة عاقا به

قال وكان للفرزدق ثلاثة أولاد يقال لواحد منهم لبطة والآخر حبطة والثالث سبطة وكان لبطة من العققة فقال له الفرزدق
(أإنْ أُرعِشتْ كفَّا أبيك وأصبحتْ ... يداك يَدَيْ ليثٍ فإنك جادِبُه)
(إذا غالَبَ ابنٌ بالشباب أباً له ... كبيراً فإن الله لا بدّ غالبُه)
(رأيتُ تباشيرَ العقوق هي التي ... من ابن امرىء ما إن يزال يُعاتبُه)
(ولما رآني قد كبِرتُ وأنني ... أخو الحي واستغنى عن المسح شاربُه)
(أصاخ لغربان النّجيِّ وإنه ... لأزورُ عن بعض المقالة جانبه)
قال أبو عبيدة في كتاب النقائض قال رؤبة بن العجاج حج سليمان بن عبد الملك وحجت معه الشعراء فمر بالمدينة منصرفا فأتي بأسرى من الروم نحو أربعمائة فقعد سليمان وعنده عبد الله بن حسن بن حسن - عليهم السلام - وعليه ثوبان ممصران وهو أقربهم منه مجلسا فأدنوا إليه بطريقهم وهو في جامعة فقال لعبد الله بن حسن قم فاضرب عنقه فقام فما أعطاه أحد سيفا حتى دفع إليه حرسي سيفا كليلا فضربه فأبان عنقه وذراعه وأطن ساعده وبعض الغل فقال له سليمان والله ما ضربته بسيفك ولكن بحسبك وجعل يدفع الأسرى إلى الوجوه فيقتلونهم حتى دفع إلى جرير رجلا منهم فدست إليه بنو عبس سيفا قاطعا في قراب أبيض فضربه فأبان رأسه ودفع إلى الفرزدق أسيرا فدست إليه القيسية سيفا كليلا فضرب به الأسير ضربات فلم يصنع شيئا فضحك سليمان وضحك الناس معه وقيل إن سليمان لما دفع إليه الأسير دفع إليه سيفا وقال اقتله به فقال لا بل أقتله بسيف مجاشع واخترط سيفه فضربه فلم يغن شيئا فقال سليمان أما والله لقد بقي عليك عارها وشنارها فقال جرير قصيدته التي يهجوه فيها وأولها

جرير يهجوه وهو يجيب

(ألا حيِّ ربعَ المنزل المُتقادِمِ ... وما حُلَّ مُذ حَلَّت به أمُّ سالمِ)
منها
(ألم تشهد الجَوْنَيْن والشِّعب ذا الغَضَى ... وكَرَّاتِ قيسٍ يومَ دَيْر الجماجم)
(تُحرِّضُ يابنَ القَيْنِ قيساً ليجعلوا ... لقومك يوماً مثل يومِ الأراقم)
((بسيفِ أبي رَغْوانَ سيفِ مُجاشعٍ ... ضربتَ ولم تضربْ بسيف ابن ظالمِ
(ضربتَ به عند الإمام فأُرْعِشتْ ... يداك وقالوا مُحْدَثٌ غيرُ صارمِ)
فقال الفرزدق يجيب جريرا عن قوله
(وهل ضربةُ الرُّوميِّ جاعلةٌ لكم ... أباً عن كُلَيْبٍ أو أباً مثلَ دارمِ)
(كذاك سيوفُ الهندِ تنبو ظُباتُها ... وتقطعُ أحياناً مَناطَ التمائمِ)
(ولا نقتلُ الأسرَى ولكن نفكُّهم ... إذا أثقلَ الأعناقَ حملُ المغارمِ)
وقال يعرض بسليمان ويعيره نبو سيف ورقاء بن زهير العبسي عن خالد بن جعفر وبنو عبس هم أخوال سليمان
(فإن يكُ سيفٌ خان أو قَدَرٌ أبَى ... بتعجيل نفسٍ حتفُها غير شاهد)
(فسيفُ بني عبسٍ وقد ضربوا به ... نبا بيدَيْ ورقاءَ عن رأس خالد)
(كذاك سيوفُ الهندِ تنبو ظُباتُها ... وتقطعُ أحيانا مَناط القلائدِ)
وأولها
(تباشَرَ يربوعٌ بنبوةِ ضربةٍ ... ضربتُ بها بين الطُّلا والمحاردِ)
(ولو شئتُ قدَّ السيفُ ما بين عنقه ... الى عَلَق بين الحِجَابَيْن جامدِ)
وقيل إن الفرزدق قال لسليمان يا أمير المؤمنين هب لي هذا الأسير فوهبه له فأعتقه وقال الأبيات التي منها
((ولا نقتُل الأسرى ولكن نفكُّهم ... إذا أثقلَ الأعناقَ حملُ المغارمِ
ثم أقبل على راويته فقال كأني بابن المراغة وقد بلغه خبري فقال
(بسيفِ أبي رَغْوانَ سيفِ مُجاشعٍ ... ضربتَ ولم تضربْ بسيف ابن ظالمِ)
(ضربتَ به عند الإمام فأُرْعِشتْ ... يداك وقالوا مُحْدَثٌ غيرُ صارمِ)

فما لبثنا إلا أياما يسيرة حتى جاءتنا القصيدة وفيها البيتان فعجبنا من فطنة الفرزدق
وقال أيضا في ذلك
(أيعجبُ النَّاسُ أن أضحكتُ خيرَهُم ... خليفةَ الله يُستسقَى به المطرُ)
(فما نبا السيفُ عن جُبْنٍ وعن دَهَشٍ ... عند الإمامِ ولكن أُخّرَ القدرُ)
(ولو ضربتُ به عمداً مُقلَّدَهُ ... لخرَّ جثمانُه ما فوقه شَعَرُ)
(وما يُقدِّم نفساً قبل ميتَتِها ... جمعُ اليدين ولا الصَّمْصَامة الذكر)

متفرقات من شعره

وأخبرني عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن حبيب عن أبي عبيدة قال
هجا الفرزدق خالدا القسري وذكر المبارك النهر الذي حفره بواسط فبلغه ذلك وكتب خالد إلى مالك بن المنذر أن احبس الفرزدق فإنه هجا نهر أمير المؤمنين بقوله
(وأهلكتَ مالَ اللهِ في غيرِ حقّه ... على نهرك المشؤوم غير المُبَارك)
الأبيات فأرسل مالك إلى أيوب بن عيسى الضبي فقال ائتني بالفرزدق فلم يزل يعمل فيه حتى أخذه فطلب إليهم أن يمروا به على بني حنيفة فقال الفرزدق ما زلت أرجو أن أنجو حتى جاوزت بني حنيفة فلما قيل لمالك هذا الفرزدق انتفخ وريد مالك غضبا فلما أدخل عليه قال
(أقول لنفسي حين غصَّت بريقها ... ألا ليتَ شعري ما لها عند مالكِ)
(لها عنده أن يرجعَ اللهُ روحَها ... إليها وتنجو من جميع المهالك)
(وأنت ابنُ حبَّاريْ ربيعةَ أدركت ... بك الشمسَ والخضراءَ ذاتَ الحبائك)
فسكن مالك وأمر به إلى السجن فقال يهجو أيوب بن عيسى الضبي
(فلو كنتَ قَيْسِيًّا إذاً ما حبستني ... ولكنَّ زنجيًّا غليظاً مشافِرُه)
(مَتَتُّ له بالرَّحْم بيْني وبينه ... فألفيتُه مني بعيداً أواصِرُه)
(وقلت امرؤ من آل ضبةَ فاعتزى ... لغيرهم لونُ استِه ومَحاجِرُه)
(فسوف يرى النوبيّ ما اجترحت له ... يداه إذا ما الشّعر عَيَّتْ نَوافره)
(ستُلقِي عليك الخنفساء إذا فست ... عليك من الشعر الذي أنت حاذِرُه)
(وتأتي ابن زُبِّ الخنفساء قصيدةٌ ... تكون له مني عَذاباً يُباشِرُه)
(تعذرت يابن الخنفساء ولم تكن ... لتُقْبلَ لابْن الخنفساء معاذِرُه)
(فإنكما يا بني يسار نزوتما ... على ثفرها ما حنّ للزيت عاصره)
(لزنجيَّة بظراءَ شقق بظرَها ... زحيرٌ بأيوبٍ شديدٌ زوافره)
ثم مدح خالد بن عبد الله ومالك بن المنذر وهو محبوس مديحا كثيرا فأنشدني يونس في كلمة له طويلة
(يا مالِ هل هو مُهلكي ما لم أقل ... وليُعلَمنَّ من القصائد قيلي)
(يا مالِ هل لك في كبيرٍ قد أتَتْ ... تسعون فوق يديه غيرِ قليل)
(فتجيرَ ناصِيَتي وتُفرِجَ كُرِبَتِي ... عني وتطلقَ لي يداك كُبُولي)
(ولقد بنى لكم المُعلَّى ذِروةً ... رَفعتْ بناءك في أشمَّ طويل)
(والخيلُ تعلم في جَذِيمة أنها ... تَرْدَى بكل سَمَيدَعٍ بِهلُول)
(فاسقُوا فقد ملأ المعلّى حوضَكم ... بذَنوبِ مُلتَهِم الرِّباب سجيل)
وقال يمدح مالكا وكانت أم مالك هذا بنت مالك بن مسمع
(وقَرْمٍ بين أولاد المُعلّى ... وأولاد المَسامَعةِ الكرام)
(تخمَّط في ربيعة بين بكر ... وعبد القيس في الحسب اللُّهام)
فلما لم تنفعه مديحة مالك قال يمدح هشام بن عبد الملك ويعتذر إليه
(أَلِكْني إلى رَاعِي البريَّةِ والذي ... له العَدلُ في الأرض العريضة نوّرا)
(فإن تُنكروا شعري إذاَ خرجت له ... بوادرُ لو يُرمى بها لتَفَقَّرا)
(ثبير ولو مست حِراء لحرّكت ... به الراسيات الصُّمّ حتى تكوّرا)
(إذا قال غاوٍ من مَعَدٍّ قصيدةً ... بها جَرَبٌ كانت وبالاً مُدمرّا)
(أينطِقُها غيري وأرمَى بجُرمها ... فكيف ألوم الدَّهرَ أن يتغيّرا)
(لئن صَبرتُ نفسِي لقد أُمِرت به ... وخيرُ عباد الله من كان أصبرا)
(وكنتَ ابنَ أحْذارٍ ولو كنتُ خائفاً ... لكنتَ من العصماء في الطود أحذرا)
(ولكنْ أتوْني آمناً لا أخافهم ... نهاراً وكان اللّهُ ما شاء قدّرا)
أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبو يحيى قال
قال الفرزدق لابنه لبطة وهو محبوس أشخص إلى هشام وامدحه بقصيدة وقال استعن بالقيسية ولا يمنعك قولي فيهم فإنهم سيغضبون لك وقال
(بكت عينُ محزونٍ ففاض سجامُها ... وطالت ليالي ساهرٍ لا ينامُها)
(فإن تبك لا تبكِ المصيبات إذ أتَى ... بِها الدهر والأيام جَمٌّ خِصامُها)
(ولكنما تبكي تَهتّكَ خالد ... محارمَ منّا لا يحل حرامُها)
(فقُل لبني مروان ما بال ذِمَّة ... وحرمَةِ حَقٍّ ليس يُرْعى ذمامُها)
(أنُقْتَل فيكم أن قَتَلْنا عدوَّكُم ... على دينكم والحرب باقٍ قتامُها)
(أتاك بقتل ابن المُهَلَّب خالدٌ ... وفينا بَقيّاتُ الهدى وإمامُها)
(فغيِّر - أمير المؤمنين - فإنها ... يمانيةٌ حَمْقاءُ وأنت هشامُها
(أرى مُضَرَ المِصْرين قد ذَلَّ نصرُها ... ولكنْ عسى أن لا يَذِلّ شآمُها)
(فمنْ مُبلغٍ بالشام قيساً وخِندِفاً ... أحاديثَ ما يُشْفَى ببرءٍ سَقامُها)
(أحاديثَ منا نشتكيها إليهمُ ... ومظلمةً يغشى الوجوهَ قتامُها)

(فإن مَنْ بها لم يُنكر الضّيمَ منهمُ ... فيغضبَ منها كهلُها وغلامُها)
(نمتْ مثلُها من مثلِهم وتنكّلوا ... فيعلمَ أهلُ الجَوْر كيف انتقامُها)
(بغلباءَ من جُمهورنا مضريّةٍ ... يُزايل فيها أذرعَ القوم هامُها)
(وبيْضٍ على هام الرجال كأنّها ... كواكب يجلوها لسار ظلامُها)
(غضِبنا لكم يا آل مروان فاغضبوا ... عسى أنّ أرواحا يسوغُ طَعامها)
(ولا تقطعوا الأرحامَ منا فإنها ... ذُنوبٌ من الأعمال يُخشى أثامُها)
(ألم تكُ في الأرحامِ منّا ومنكمُ ... حواجزُ أيام عزيزٍ مَرامُها)
(فترعى قريشٌ من تميم قرابةً ... ونجْزي بأيامٍ كريمٍ مقامها)
(لقد علمَتْ أبناءُ خِندف أننا ... ذُراها وأنا عِزُّها وسَنامها)
(وقد علم الأحياء من كل موطن ... إذا عُدَّت الأحياء أنّا كِرامها)
(وأنّا إذا الحربُ العَوانُ تضرَّمت ... نَلِيها إذا ما الحرب شُبَّ ضِرامُها)
(قِوامُ قُوَى الإسلام والأمر كلّه ... وهل طاعة إلا تميم قوامها)
((تميمُ التي تخشى معدٌّ وغيرُها ... إذا ما أبى أن يستقيم همامها
(إلى الله تشكو عزَّنا الأرضُ فوقَها ... وتعلم أنا ثِقْلُها وغَرامها)
(شكتنا إلى الله العزيز فأسمعتْ ... قريباً وأعيا مَنْ سواه كلامُها)
(نَصولُ بحول الله في الأمر كلّه ... إذا خِيف من مصدوعةٍ ما التآمها)
فأعانته القيسية وقالوا كلما كان ناب من مضر أو شاعر أو سيد وثب عليه خالد وقال الفرزدق أبياتا كتب بها إلى سعيد بن الوليد الأبرش وكلم له هشاما
(إلى الأبرش الكلبيّ أسندتُ حاجةً ... تواكلَها حَيّا تميمٍ ووائلِ)
(على حين أن زلت بي النعل زَلّةً ... فأخلفَ ظنّي كُلُّ حافٍ وناعل)
(فدونكها يا بن الوليد فإنها ... مفضِّلة أصحابَها في المحافل)
(ودونكها يا بن الوليد فقم بها ... قيام امرىء في قومه غير خامل)
فكلم هشاما وأمر بتخليته فقال يمدح الأبرش
(لقد وثب الكلبيُّ وَثبةَ حازمٍ ... الى خير خلقِ الله نفساً وعُنصرا)
(إلى خير أبناء الخليفة لم يجد ... لحاجته من دونها مُتأخّرا)
(أبَى حِلْفُ كلبٍ في تميمٍ وعقدُها ... كما سنَّت الآباء أن يتغيَّرا)
وكان هذا الحلف حلفا قديما بين تيمم وكلب في الجاهلية وذلك قول جرير بن الخطفى في الحلف
(تميمٌ إلى كلبٍ وكلبٌ إليهمُ ... أحقُّ وأدنى من صُداءَ وحِميرَا)
وقال الفرزدق
((أشدُّ حبالٍ بين حيَّين مِرّةً ... حبالٌ أُمِرَّت من تميمٍ ومن كلبِ
(وليس قُضاعيٌّ لدينا بخائفٍ ... ولو أصبحتْ تغلي القدورُ من الحرب)
وقال أيضا
(ألم كر قيساً قَيسَ عَيلاَن شمَّرتْ ... لنَصري وحاطتني هناك قُرومُها)
(فقد حالفتْ قيسٌ على النأي كلُّهم ... تميماً فهم منها ومنها تَميمُها)
(وعادتْ عَدوّي إن قيساً لأسرتي ... وقومي إذا ما الناس عُدَّ صميمُها)

خبره مع الشرطيين

أخبرني ابن دريد قال حدثني أبو حاتم عن أبي عبيدة قال
بينما الفرزدق جالس بالبصرة أيام زياد في سكة ليس لها منفذ إذ مر به رجلان من قومه كانا في الشرطة وهما راكبان فقال أحدهما لصاحبه هل لك أن أفزعه - وكان جبانا - فحركا دابتيهما نحوه فأدبر موليا فعثر في طرف برده فشقه وانقطع شسع نعله وانصرفا عنه وعرف أنهما هزئا منه فقال
(لقد خار إذ يجري عليّ حمارَه ... ضِرارُ الخنا والعنبريُّ بن أخوقَا)
(وما كنتُ لو خوَّفتماني كلاكما ... بأُمَّيكما عُرْيَانَتَيْن لأفرقَا)
(ولكنما خوّفتُماني بخادر ... شتيمٍ إذا ما صادف القِرن مزّقا)

نزل بدار ليلى الأخيلية والتقى توبة بن الحمير

أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا القحذمي عن بعض ولد قتيبة بن مسلم عن ابن زالان المازني قال حدثني الفرزدق قال
لما طردني زياد أتيت المدينة وعليها مروان بن الحكم فبلغه أني خرجت من دار ابن صياد وهو رجل يزعم أهل المدينة أنه الدجال فليس يكلمه أحد ولا يجالسه أحد ولم أكن عرفت خبره فأرسل إلي مروان فقال أتدري ما مثلك حديث تحدث به العرب أن ضبعا مرت بحي قوم وقد رحلوا فوجدت مرآة فنظرت وجهها فيها فلما نظرت قبح وجهها ألقتها وقالت من شر ما أطرحك أهلك ولكن من شر ما اطرحك أميرك فلا تقيمن بالمدينة بعد ثلاثة أيام قال فخرجت أريد اليمن حتى إذا صرت بأعلى ذي قسي - وهو طريق اليمن من البصرة - فإذا رجل مقبل فقلت من أين أوضع الراكب قال من البصرة قلت فما الخبر وراءك قال أتانا أن زيادا مات بالكوفة قال فنزلت عن راحلتي فسجدت وقلت لو رجعت فمدحت عبيد الله بن زياد وهجوت مروان بن الحكم فقلت
(وقفتُ بأعلى ذي قسِيٍّ مطيّتي ... أمثِّل في مروانَ وابنِ زيادِ)
(فقلت عُبَيْدُ الله خَيرهما لنا ... وأدناهما من رأفةٍ وسَداد)
ومضيت لوجهي حتى وطئت بلاد بني عقيل فوردت ما بين مياههم فإذا بيت عظيم وإذا فيه امرأة سافرة لم أر كحسنها وهيئتها قط فدنوت فقلت أتأذنين في الظل قالت انزل فلك الظل والقرى فأنخت وجلست إليها قال فدعت جارية لها سوداء كالراعية فقالت ألطفيه شيئا واسعي إلى الراعي فردي علي شاة فاذبحيها له وأخرجت إلي تمرا وزبدا قال وحادثتها فوالله ما رأيت مثلها قط ما أنشدتها شعرا إلا أنشدتني أحسن منه قال فأعجبني المجلس والحديث إذ أقبل

رجل بين بردين فلما رأته رمت ببرقعها على وجهها وجلس وأقبلت عليه بوجهها وحديثها فدخلني من ذلك غيظ فقلت للحين هل لك في الصراع فقال سوأة لك إن الرجل لا يصارع ضيفه قال فألححت عليه فقالت له ما عليك لو لاعبت ابن عمك فقام وقمت فلما رمى ببرده إذا خلق عجيب فقلت هلكت ورب الكعبة فقبض على يدي ثم اختلجني إليه فصرت في صدره ثم حملني قال فوالله ما اتقيت الأرض إلا بظهر كبدي وجلس على صدري فما ملكت نفسي أن ضرطت ضرطة منكرة قال وثرت إلى جملي فقال أنشدك الله فقالت المرأة عافاك الله الظل والقرى فقلت أخزى الله ظلكم وقراكم ومضيت فبينا أسير إذ لحقني الفتى على نجيب يجنب بخيتا برحله وزمامه وكان رحله من أحسن الرحال فقال يا هذا والله ما سرني ما كان وقد أراك أبدعت أي كلت ركابك فخذ هذا النجيب وإياك أن تخدع عنه فقد والله اعطيت به مائتي دينار قلت نعم آخذه ولكن أخبرني من أنت ومن هذه المرأة قال أنا توبة بن الحمير وتلك ليلى الأخيلية

خبر آخر عن لقائه بليلى وتوبة

وقد أخبرني بهذا الخبر عمي قال حدثني القاسم بن محمد الأنباري قال حدثني أحمد بن عبيد عن الأصمعي قال كانت امرأة من عقيل يقال لها ليلى يتحدث إليها الشباب فدخل الفرزدق إليها فجعل يحادثها وأقبل فتى من قومها كانت تألفه ودخل إليها فأقبلت عليه بحديثها وتركت الفرزدق فغاظه ذلك فقال للرجل أتصارعني قال ذلك إليك فقام إليه الرجل فلم يلبث أن أخذ الفرزدق مثل الكرة فصرعه وجلس على صدره فضرط الفرزدق فوثب عنه الرجل خجلا وقال له الرجل يا أبا فراس هذا مقام العائذ بك والله ما أردت بك ما جرى فقال ويحك أن بي ما صرعتني ولكن كأني بابن الأتان جرير وقد بلغه خبري هذا فقال يهجوني

(جلستَ إلى ليلى لتحظَى بقُربها ... فخانكَ دُبْرٌ لا يزال يَخونُ)

(فلو كنتَ ذا حزمٍ شددتَ وكاءَها ... كما شدَّ خَرْتاً للدِّلاص قُيونُ)

قالوا فوالله ما مضت أيام حتى بلغ جريرا الخبر فقال فيه هذين البيتين

يومه كيوم امرىء القيس بدارة جلجل

أخبرنا عبد الله بن مالك قال حدثني محمد بن موسى قال حدثني القحذمي قال حدثني بعض أصحابنا عن عبد الله بن زالان التميمي راوية

الفرزدق أن الفرزدق قال أصابنا بالبصرة مطر جود ليلا فإذا أنا بأثر دواب قد خرجت ناحية البرية فظننت قوما قد خرجوا لنزهة فقلت خليق أن تكون معهم سفرة وشراب فقصصت أثرهم حتى وقفت إلى بغال عليها رحائل موقوفة على غدير فأغذذت السير نحو الغدير فإذا نسوة مستنقعات في الماء فقلت لم أر كاليوم قط ولا يوم دارة جلجل وانصرفت مستحييا منهن فنادينني بالله يا صاحب البغلة ارجع نسألك عن شيء فانصرفت إليهن وهن في الماء إلى حلوقهن فقلن بالله إلا ما خبرتنا بحديث دارة جلجل فقلت إن امرأ القيس كان عاشقا لابنة عم له يقال لها عنيزة فطلبها زمانا فلم يصل إليها وكان في طلب غرة من أهلها ليزورها فلم يقض له حتى كان يوم الغدير وهو يوم دارة جلجل وذلك أن الحي احتملوا فتقدم الرجال وتخلف النساء والخدم والثقل فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلف بعدما سار مع قومه غلوة فكمن في غيابة من الأرض حتى مر به النساء فإذا فتيات وفيهن عنيزة فلما وردن الغدير قلن لو نزلنا فذهب عنا بعض الكلال فنزلن إليه ونحين العبيد عنهن ثم تجردن فاغتمسن في الغدير كهيئتكن الساعة فأتاهن امرؤ القيس

محتالا كنحو ما أتيتكن وهن غوافل فأخذ ثيابهن فجمعها - ورمى الفرزدق بنفسه عن بغلته فأخذ بعض أثوابهن فجمعها ووضعها على صدره - وقال لهن كما أقول لكن والله لا أعطي جارية منكن ثوبها ولو أقامت في الغدير يومها حتى تخرج مجردة قال الفرزدق فقالت إحداهن وكان أمجنهن ذلك كان عاشقا لابنة عمه أفعاشق أنت لبعضنا قال لا والله ما أعشق منكن واحدة ولكن أشتهيكن قال فنعرن وصفقن بأيديهن وقلن خذ في حديثك فلست منصرفا إلا بما تحب قال الفرزدق في حديث امرىء القيس فتأبين ذلك عليه حتى تعالى النهار ثم خشين أن يقصرن دون المنزل الذي أردنه فخرجت إحداهن فوضع لها ثوبها ناحية فأخذته فلبسته ثم تتابعن على ذلك حتى بقيت عنيزة فناشدته الله أن يطرح إليها ثوبها فقال دعينا منك فأنا حرام إن أخذت ثوبك إلا بيدك فخرجت فنظر إليها مقبلة ومدبرة فوضع لها ثوبها فأخذته وأقبلن عليه يلمنه ويعذلنه ويقلن عريتنا وحبستنا وجوعتنا قال فإن نحرت لكن مطيتي أتأكلن منها قلن نعم فاخترط سيفه فعقرها ونحرها وكشطها وصاح بالخدم فجمعوا له حطبا فأجج نارا عظيمة ثم جعل يقطع لهن من سنامها وأطايبها وكبدها فيلقيها على الجمر فيأكلن ويأكل معهن ويشرب من ركوة كانت معه ويغنيهن وينبذ إلى العبيد والخدم من الكباب حتى شبعن وطربن فلما أراد الرحيل قالت إحداهن أنا أحمل طنفسته وقالت الأخرى أنا أحمل رحله وقالت الأخرى أنا أحمل حشيته وأنساعه فتقسمن متاع راحلته بينهن وبقيت عنيزة لم يحملها شيئا فقال لها امرؤ القيس يا بنة الكرام لا بد لك أن تحمليني معك فإني لا أطيق المشي وليس من عادتي فحملته على غارب بعيرها فكان يدخل رأسه في خدرها فيقبلها فإذا امتنعت مال حدجها فتقول يا امرؤ القيس عقرت بعيري فانزل فذلك قوله

(تقول وقد مال الغَبيطُ بنا معاً ... عقرتَ بعيري يا امرأ القيس فانزلِ)

فلما فرغ الفرزدق من الحديث قالت تلك الماجنة قاتلك الله ما أحسن حديثك ما فتى وأظرفك فمن أنت قال قلت من مضر قالت ومن أيها فقلت من تميم قالت ومن أيها قلت إلي ههنا انتهى الكلام قالت إخالك والله الفرزدق قلت الفرزدق شاعر وأنا راوية قالت دعنا من توريتك على نسبك أسألك بالله أنت هو قال أنا هو والله قالت فإن كنت أنت هو فلا أحسبك مفارقا ثيابنا إلا عن رضا قلت أجل قالت فاصرف وجهك عنا ساعة وهمست إلى صويحباتها بشيء لم أفهمه فغططن في الماء فتوارين وأبدين رؤوسهن وخرجن ومع كل واحدة منهن ملء كفيها طينا وجعلن يتعادين نحوي فضربن بذلك الطين والحمأة وجهي وملأن عيني وثيابي فوقعت على وجهي فصرت مشغولا بعيني وما فيها وشددن على ثيابهن فأخذنها وركبت الماجنة بغلتي وتركتني منبطحا بأسوأ حال وأخزاها وهي تقول زعم الفتى أنه لا بد أن ينيكنا فما زلت من ذلك المكان حتى غسلت وجهي وثيابي وجففتها وانصرفت عند مجيء الظلام إلى منزلي على قدمي وبغلتي قد وجهن بها إلى منزلي مع رسول لهن

قل له تقول لك أخواتك طلبت منا ما لم يمكننا وقد وجهنا إليك بزوجتك فنكها سائر ليلتك وهذا كسر درهم لحمامك إذا أصبحت فكان إذا حدث بهذا الحديث يقول ما منيت بمثلهن

يهجو مسكينا الدارمي

أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثنا أبو مسلم الحراني قال حدثني الأصمعي قال حدثنا العلاء بن أسلم قال لما مات زياد رثاه مسكين الدارمي فقال الفرزدق

(أمسكينُ أبكى اللهُ عينيكَ إنما ... جرى في ضلالٍ دمعُها إذ تحدَّرَا)
(بكيتَ امرأً من آلِ مَيْسانَ كافراً ... ككِسرى على عِدَّانِهِ أو كقيصرا)
(أقول له لمّا أتاني نَعِيُّه ... به لا بظبيٍ بالصَّريمة أعفرا)

هجا ومدح آل المهلب

أخبرنا عبد الله بن مالك عن أبي مسلم الحراني قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا العلاء بن أسلم قال
لما أراد المهلب الخروج إلى الأزارقة لقي الفرزدق جريرا فقال
له يا أبا فراس هل لك أن تكلم المهلب حتى يضع عني البحث وأعطيك ألف درهم فكلم المهلب فأجابه فلامه جذيع رجل من عشيرته وشكا ذلك إلى خيرة امرأة المهلب وقال لها لا يزال الآن الرجل يجيء فيسأل في عشيرته وصديقه فلامته خيرة بنت ضمرة القشيرية فقال المهلب إنما اشتريت عرضي منه فبلغ ذلك الفرزدق فقال يهجو جذيعا

(إن تَبْنِ دَارَكَ يا جُذَيعُ فما بنى ... لكَ يا جذيعُ أبوكَ من بُنْيانِ)
(وأبوكَ ملتزمُ السفينةِ عاقدٌ ... خَصْيَيْه فوقَ بنائقِ التُّبَّانِ)
(ويظلُّ يدفَعُ باستِه متقاعِساً ... في البحرِ معتمداً على السُّكّانِ)
(لا تحسبنَّ دراهماً جمَّعتَها ... تمحو مَخازيكَ التي بعُمانِ)

وقال يهجو خيرة

(ألاَ قشَرَ الإلهُ بني قُشَيرٍ ... كقَشْرِ عصا المنقِّحِ من مُعَالِ)
(أرى رهطاً لخيرةَ لم يَؤُوبوا ... بسهمٍ في اليمينِ ولا الشمالِ)
(إذا رُهِزَت رأيتَ بني قُشَيْرٍ ... من الخُيَلاءِ مُنتفِشي السِّبالِ)

فغضب بنو المهلب لما هجا جذيعا وخيرة فنالوا منه فهجاهم فقال

(وكَائِنْ للمهلّبِ من نَسِيبٍ ... يُرى بلَبانِه أثرُ الزِّيارِ)
(يخارَكَ لم يقُدْ فرساً ولكن ... يقودُ السّاجَ بالمسدِ المغارِ)
((عمِيٌّ بالتَّنَائِفِ حينَ يُضحي ... دَليلَ اللّيلِ في اللججِ الغِمارِ)
(وما لِله يسجُدُ إذ يصلّي ... ولكن يسجدون لكلِّ نارِ)

فلما ولي يزيد بن المهلب خراسان والعراق بعد أبيه ولاه سليمان بن عبد الملك خاف الفرزدق من بني المهلب فقال يمدحهم

(فلأمدحنَّ بنِي المهلَّبِ مِدحةً ... غَرّاءَ قاهرةً على الأشعارِ)
(مثلَ النجومِ أمامها قَمْراؤها ... تجلو العَمى وتضيءُ ليلَ السّاري)
(ورثوا الطّعانَ عن المهلّبِ والقِرى ... وخلائقاً كتدفّقِ الأنهارِ)
(كان المهلّبُ للعراقِ وِقايةً ... وحَيَا الرَّبيعِ ومَعقِلَ الفُرّارِ)
(وإذا الرجالُ رأوا يزيدَ رأيتَهم ... خضُعَ الرِّقابِ نواكسَ الأبصارِ)
(ما زالَ مُذ شدَّ الإزارَ بكفِّه ... ودنا فأدركَ خمسةَ الأشبارِ)
(أيزيدُ إنكَ للمهلبِ أدركتْ ... كفّاكَ خيرَ خَلائقِ الأخيارِ)

أخبرنا عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن حبيب قال حدثني الأصمعي قال
لما قدم يزيد بن المهلب واسطا قال لأمية بن الجعد وكان صديق الفرزدق إني لأحب أن تأتيني بالفرزدق فقال للفرزدق ماذا فاتك من يزيد أعظم الناس عفوا وأسخى الناس كفا قال صدقت ولكن أخشى أن آتيه فأجد العمانية ببابه فيقوم إلي رجل منهم فيقول هذا الفرزدق الذي هجانا فيضرب عنقي فيبعث إليه يزيد فيضرب عنقه ويبعث إلى أهلي ديتي فإذا يزيد قد صار أوفى العرب وإذ الفرزدق فيما بين ذلك قد ذهب قال لا والله لا أفعل فأخبر يزيد بما قال فقال أما إذ قد وقع هذا بنفسه فدعه لعنه الله

خبره مع الماجن الذي أراده

قال ابن حبيب وحدثنا يعقوب بن محمد الزهري عن أبيه عن جده قال
دخل الفرزدق مع فتيان من آل المهلب في بركة يتبردون فيها ومعهم ابن أبي علقمة الماجن فجعل يتفلت إلى الفرزدق فيقول دعوني أنكحه حتى لا يهجونا أبدا وكان الفرزدق من أجبن الناس فجعل يستغيث ويقول ويلكم لا يمس جلده جلدي فيبلغ ذلك جريرا فيوجب على أنه قد كان منه الذي يقول فلم يزل يناشدهم حتى كفوه عنه
أخبرني عبيد الله قال حدثني محمد بن حبيب قال حدثني موسى بن طلحة قال لما ولي خالد بن عبد الله العراق فقدمها وكان من أشد خلق الله عصبية على نوار فقال لبطة بن الفرزدق فلبس أبي من صالح ثيابه وخرج يريد السلام عليه فقلت له يا أبت إن هذا الرجل يماني وفيه من العصبية ما قد علمت فلو دخلت إليه فأنشدته مدائحك أهل اليمن لعل الله أن يأتيك منه بخير فإنك قد كبرت على الرحلة فجعل لا يرد علي شيئا حتى دفعنا إلى البواب فأذن له فدخل وسلم فاستجلسه ثم قال إيه يا أبا فراس أنشدنا مما أحدثت فأنشدته

(يختلفُ الناسُ ما لم نجتمعْ لهمُ ... ولا خلافَ إذا ما أجمعتْ مُضَرُ)
(فينا الكواهلُ والأعناقُ تقدُمها ... فيها الرؤوسُ وفيها السَّمعُ والبصرُ)
((ولا نحالفُ غيرَ اللهِ من أحدٍ ... إلا السيوفَ إذا ما اغرَوْرَقَ النظرُ)
(ومن يَملْ يُمِلِ المأثورُ قُلّتَه ... بحيثُ يَلقى حِفَافَيْ رأسهِ الشعرُ)
(أما الملوكُ فإنا لا نلينُ لهم ... حتى يلينَ لضرسِ الماضِغِ الحجرُ)

ثم قام فخرجنا قلت أهكذا أوصيتك قال اسكت لا أم لك فما كنت قط أملأ لقلبه مني الساعة

يفحم المنذر بن الجارود

أخبرني عبد الله قال حدثني محمد بن حبيب عن موسى بن طلحة قال
كان الفرزدق في حلقة في المسجد الجامع وفيها المنذر بن الجارود العبدي فقال المنذر من الذي يقول

(وجدنا في كتابِ بني تميمٍ ... أحقُّ الخيلِ بالركضِ المعارُ)

فقال الفرزدق يا أبا الحكم هو الذي يقول

(أشاربُ قهوةٍ وخدينُ زيرٍ ... وعَبْديٌّ لفسْوَته بُخارُ)

(وجَدنا الخيلَ في أبناء بكرٍ ... وأفضلُ خيلهم خشبٌ وقار)
قال فخجل المنذر حتى ما قدر على الكلام
أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثني محمد بن موسى قال حدثنا الأصمعي قال
دخل الفرزدق على بعض خلفاء بني مروان ففاخره قومٌ من الشعراء فأنشأ يقول
(ما حمِلَتْ ناقةٌ من معشر رجلاً ... مثلي إذا الريح لفَّتْني على الكُورِ)
(أعزَّ قوماً وأوفى عند مكرمةٍ ... لمعْظَمٍ من دماء القوم مهجور)
فقال له إيه فقال
(إلاّ قُريشاً فإنّ الله فضَّلها ... على البريّةِ بالإسلامِ والخير)
(تلقى وجوهَ بني مرْوانَ تحسبُها ... عند اللقاء مشُوفاتِ الدَّنانير)
ففضله عليهم ووصله

يمدح عيسى بن حصيلة لأنه أعانه على الفرار

قال ابن حبيب وكان الفرزدق يهاجي الأشهب بن رميلة النهشلي وبني فقيم فأرفث بهم فاستعدوا عليه زيادا فحدثني جابر بن جندل قال فأتى عيسى بن حصيلة بن مغيث بن نصر بن خالد السلمي ثم من بني بهز فقال يا أبا حصيلة إن هذا الرجل قد أخافني وقد لفظني جميع من كنت أرجو قال فمرحبا بك يا أبا فراس فكان عنده ليالي ثم قال إني أريد أن ألحق بالشام قال إن أقمت ففي الرحب والسعة وإن شخصت فهذه ناقة أرحبية أمتعك بها وألف درهم فركب الناقة وخرج من عنده ليلا
فأرسل عيسى معه من أجازه من البيوت فأصبح وقد جاوز مسيرة ثلاث فقال يمدحه
(كفاني بها البَهْزيُّ حُملانَ منْ أبى ... من الناس والجاني تُخاف جرائمُهْ)
(فتى الجودِ عيسى والمكارمِ والعُلا ... إذا المال لم ينفَع بخيلاً كرائمه)
(ومن كان يا عيسى يؤنّب ضَيفَهُ ... فَضَيْفُكَ يا عيسى هنيءٌ مطاعمُه)
(وقال تَعلَّمْ أنها أرحبيّةٌ ... وأنَّ لكِ الليلَ الذي أنت جاشِمُه)
(فأصْبَحْتُ والملْقَى ورائي وحنبَلٌ ... وما صَدرَتْ حتى علا النجمَ عاتمه)
(تَزاوَر في آل الحقيق كأنها ... ظليمٌ تبارى جُنح ليلٍ نعائمه)
(رأت دون عينيها ثويَّة فانجلى ... لها الصبح عن صَعْلٍ أسيلٍ مخاطمه)
وقال
(تدارَكني أسبابُ عيسى من الرَّدَى ... ومن يَكُ مولاه فليس بواحدِ)
(نمتْه النواصي من سُليمٍ إلى العلا ... وأعراقُ صدق بين نصر وخالد)
(سأُثني بما أولَيْتَني وأَربُّهُ ... إذا القوم عدُّوا فضْلَهم في المشاهد)
فلما بلغ زيادا شخوصه أتبعه علي بن زهدم الفقيمي أحد بني مؤلة فلم يلحقه فقال الفرزدق
(فإنك لو لاقيتَني يابنَ زهدمٍ ... لأبت شعاعيًّا على غير تمثال)

يلجأ إلى بكر بن وائل

فأتى بكر بن وائل فجاورهم فأمن فقال
(وقد مَثلت أين المسيرُ فلم تجد ... لعَوذَتها كالحيّ بكر بن وائل)
(وسارت إلى الأجفان خمساً فأصبحت ... مكان الثريا من يد المتناول)
(وما ضرها إذ جاورت في بلادها ... بني الحصِن ما كان اختلاف القَبائل)
الحصن بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل

اطمأن عند سعيد بن العاصي بالمدينة

وهرب الفرزدق من زياد فأتى سعيد بن العاصي بن سعيد بن العاصي ابن أمية وهو على المدينة لمعاوية بن أبي سفيان فأمنه سعيد فبلغ الفرزدق أن زيادا قال لو أتاني أمنته وأعطيته فقال في كلمة له
(دِعاني زياد للعطاءِ ولم أكُنْ ... لآتِيَهُ ما ساق ذو حسبٍ وَفْرا)
(وعند زيادٍ لو أراد عطاءهم ... رجالٌ كثيرٌ قد يرى بهمُ فقرا)
(قعودٌ لدى الأبواب طلاَّبُ حاجة ... عوانٍ من الحاجات أو حاجة بكرا)
(فلما خشيتُ أن يكون عطاؤه ... أداهمَ سوداً أو مُحَدْرَجَةً سُمرا)
(نميْتُ إلى حَرْف أضرَّ بنَيِّها ... سُرَى اللَّيل واستعراضُها البلد القفْرا)
فلما اطمأن عند سعيد بن العاصي بالمدينة قال
(ألا مَنْ مبلغٌ عنّي زياداً ... مُغلغلةً يخُبُّ بها البَريدُ)
(بأنّي قد فررتُ إلى سعيدٍ ... ولا يُسْطَاعُ ما يَحْمِي سعيد)
(فررتُ إليه من ليثٍ هِزَبْرٍ ... تفادى عن فريسته الأسود)
(فإن شئتُ انتميْتُ إلى النصارى ... وَنَاسبني وَنَاسبتِ اليهودُ)
(وإن شئت انتسبت إلى فُقَيْمٍ ... وَنَاسبني وَنَاسبتِ القرود)
(وأبغضُهم إليَّ بَنُو فُقيم ... ولكن سوف آتي ما تُريد)
فأقام الفرزدق بالمدينة فكان يدخل بها على القيان فقال
(إذا شئتُ غنّاني من العاج قاصفٌ ... على معصم ريّان لم يتخدَّدِ)
(لبيضاءَ من أهل المدينة لم تعِش ... ببؤسٍ ولم تتبعْ حُمولة مُجْحِدِ)
(وقامت تُخشِّيني زياداً وأجفلت ... حواليَّ في بُردَيْ يمانٍ وَمُجسدِ)
(فقلتُ دعيني من زياد فإنَّني ... أرى الموت وَقَّاعاً على كل مَرْصَدِ)

ملاحاة بينه وبين مسكين الدارمي

فلما هلك زياد رثاه مسكين بن عامر بن شريح بن عمرو بن عدي بن عدس بن عبد الله بن دارم فقال
(رأيت زيادة الإسلام وَلَّت ... جهاراً حين فارقها زيادُ)

فبلغ ذلك الفرزدق فقال
(أمسكينُ أبكى اللهُ عينيك إنَّما ... جرى في ضلالٍ دَمعُها فتحدَّرا
(أتبكي امرأً من آل مَيسان كافراً ... ككسرى على عِدَّانه أو كقيصرا)
(أقول له لما أتاني نَعِيُّه ... به لا بظبيٍ بالصّريمة أعفرا)
فقال مسكين
(ألا أيها المرءُ الذي لَسْتُ قائماً ... ولا قاعداً في القوم إلاَّ انبرى لِيَا)
(فجِئْنِي بعَمٍّ مثل عَمِّي أو أبٍ ... كمثل أبي أو خالِ صدقٍ كخاليَا)
(بعَمرو بن عمرو أو زرارةَ ذي النّدى ... سموتُ به حتى فَرعتُ الرّوابيا)
فأمسك الفرزدق عنه وكان يقول نجوت من أن يهجوني مسكين فإن أجبته ذهب بشطر فخري وإن أمسكت عنه كانت وصمة على مدى الدهر
أخبرني أبو خليفة فقال أخبرنا ابن سلام قال حدثني الحكم بن محمد المازني قال كان تميم بن زيد القضاعي ثم أحد بني القين بن جسر غزا الهند في جيش فجمرهم وفي جيشه رجل يقال له حبيش فلما طالت غيبته على أمه اشتاقته فسألت عمن يكلم لها تميم بن زيد أن يقفل ابنها فقيل لها عليك بالفرزدق فاستجيري بقبر أبيه فأتت قبر غالب بكاظمة حتى علم الفرزدق مكانها
ثم أتته وطلبت إليه حاجتها فكتب إلى تميم بن زيد هذه الأبيات
(هَبْ لي حُبيشاً واتخذ فيه مِنّةً ... لغُصّةِ أمٍّ ما يسوغُ شرابُها)
(أتتني فعَاذت يا تميمُ بغالبٍ ... وبالحفرة السافي عليها تُرابُها)
(تَميمُ بن زَيدٍ لا تكوننَّ حاجتي ... بظَهرٍ فلا يخفى عليَّ جَوابُها)
فلما أتاه كتابه لم يدر ما اسمه حبيش أو حنيش فأخرج ديوانه وأقفل كل حبيش وحنيش في جيشه وهم عدة وأنفذهم إلى الفرزدق
قبر أبيه معاذ الناس
قال أبو خليفة قال ابن سلام وحدثني أبو يحيى الضبي قال
ضرب مكاتب لبني منقر بساطا على قبر غالب أبي الفرزدق فقدم الناس على الفرزدق فأخبروه بمكانه عند قبر أبيه ثم قدم عليه فقال
(بقبر ابن لَيْلَى غالبٍ عُذْتُ بعدما ... خَشِيتِ الرَّدَى أو أن أُرَدَّ عَلَى قَسْرْ)
(فأخبرني قبرُ ابنِ لَيْلَى فقال لي ... فِكاكُكَ أن تأتي الفرزدقَ بالمِصْرْ)
فقال الفرزدق صدق أبي أنخ ثم طاف له في الناس حتى جمع له مكاتبته وفضلا
وكان نفيع ذو الأهدام أحد بني جعفر بن كلاب يتعصب لجرير بمدحه قيسا فهجاه الفرزدق فاستجارت أمه بقبر غالب وعاذت من هجاء الفرزدق فقال
(ونُبِّئتُ ذا الأهدام يعوي ودونه ... من الشّام زُرّاعاتُها وَقُصُورُها)
(على حينَ لم أتركْ عَلَى الأَرْض حيَّةً ... ولا نابحاً إلا استقرَّ عقورُها)
(كلابٌ نَبَحن الحيّ من كل جانبٍ ... فعاد عُواءً بعد نَبْحٍ هريرُها)
(عجوزٌ تصلي الخمس عاذت بغالبٍ ... فلا والذي عاذت به لا أضيرُها)
(لئن نافعٌ لم يرع أرحامَ أمِّه ... وكانت كدَلوٍ لا يزال يعيرُها
(لبئس دمُ المولود بلَّ ثيابَها ... عشيَّةَ نادى بالغلام بشيرُها)
(وإنّي على إشفاقِها من مخافتي ... وإن عَقّها بي نافعٌ لمجيرها)
(ولو أنَّ أمَّ الناس حوَّاءَ جاورت ... تميمَ بن مُرٍّ لم تجد من يجيرها)
وهذا البيت يروى لغيره في غير هذه القصيدة
أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن حبيب قال حدثنا أحمد بن حاتم المعروف بابن نصر عن الأصمعي قال كان عبد الله بن عطية راوية الفرزدق وجرير قال فدعاني الفرزدق يوما فقال إني قلت بيت شعر والنوار طالق إن نقضه ابن المراغة قلت ما هو قال قلت
(فإني أنا الموتُ الذي هو نازلٌ ... بنفسك فانظر كيف أنت تُحاوله)
ارحل إليه بالبيت قال فرحلت إلى اليمامة قال ولقيت جريرا بفناء بيته يعبث بالرمل فقلت إن الفرزدق قال بيتا وحلف بطلاق النوار أنك لا تنقضه قال هيه أظن والله ذلك ما هو ويلك فأنشدته إياه فجعل يتمرغ في الرمل ويحثوه على رأسه وصدره حتى كادت الشمس تغرب ثم قال أنا أبو حزرة طلقت امرأة الفاسق وقال
(أنا الدهرُ يفنى الموتُ والدهر خالدٌ ... فجئني بمثل الدهر شيئاً يطاوله)
ارحل إلى الفاسق قال فقدمت على الفرزدق فأنشدته إياه وأعملته بما قال فقال أقسمت عليك لما سترت هذا الحديث
أخبرني عبد الله قال أخبرني محمد بن حبيب قال حدثنا الأصمعي وأبو عبيدة قال
دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة وعنده ناس من اليمامة فضحكوا فقال يا أبا فراس أتدري مم ضحكوا قال لا قال من جفائك قال أصلح الله الأمير حججت فإذا أنا برجل منهم على عاتقه الأيمن صبي وعلى عاتقه الأيسر صبي وإذا امرأة آخذة بمئزره وهو يقول
(أنت وهبت زائداً ومزيْدا ... وكهلةً أُولجُ فيها الأجردا)
والمرأة تقول من خلفه إذا شئت فسألت ممن هو فقيل من الأشعريين أفأنا أجفى أم ذلك فقال بلال لا حياك الله قد علمت أنهم لن يفلتوا منك
أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثني محمد بن حبيب قال حدثنا موسى بن طلحة عن أبي زيد الأنصاري قال
ركب الفرزدق بغلته فمر بنسوة فلما حاذاهن لم تتمالك البغلة أن ضرطت فضحكن منه فالتفت إليهن فقال لا تضحكن فما حملتني أنثى إلا ضرطت فقالت له إحداهن ما حملتك أنثى أكثر من أمك فأراها قاست منك ضراطا كثيرا فحرك بغلته وهرب منهن وبهذا الإسناد قال
أتى الفرزدق الحسن البصري فقال إني قد هجوت إبليس فقال كيف تهجوه وعن لسانه تنطق

وبهذا الإسناد قال حمزة بن بيض للفرزدق يا أبا فراس أسألك عن مسألة قال سل عما أحببت قال أيما أحب إليك أتسبق الخير أم
يسبقك قال إن سبقني فاتني وإن سبقته فته ولكن نكون معا لا يسبقني ولا أسبقه ولكن أسألك عن مسألة قال ابن بيض سل قال أيما أحب إليك أن تنصرف إلى منزلك فتجد امرأتك قابضة على أير رجل أم تراه قابضا على هنها قال فتحير وكان قد نهي عنه فلم يقبل

هو وجرير لا يصطلحان أبدا

أخبرني عبد الله قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال حدثني الأصمعي قال
اجتمع الفرزدق وجرير عند بشر بن مروان فرجا أن يصلح بينهما حتى يتكافا فقال لهما ويحكما قد بلغتما من السن ما قد بلغتما وقربت آجالكما فلو اصطلحتما ووهب كل واحد منكما لصاحبه ذنبه فقال جرير أصلح الله الأمير إنه يظلمني ويتعدى علي فقال الفرزدق أصلح الله الأمير إني وجدت آبائي يظلمون آباءه فسلكت طريقهم في ظلمه فقال بشر عليكما لعنة الله لا تصطلحان والله أبدا
وأخبرني عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن عمران الضبي قال حدثنا الأصمعي قال الفرزدق
ما أعياني جواب أحد ما أعياني جواب دهقان مرة قال لي أنت الفرزدق الشاعر قلت نعم قال أفأموت إن هجوتني قلت لا قال أفتموت عيشونة ابنتي قلت لا قال فرجلي إلى عنقي في حر أمك قال قلت ويلك لم تركت رأسك قال حتى أنظر أي شيء تصنع
أخبرني عبد الله قال حدثنا محمد بن حبيب عن الأصمعي قال
مر الفرزدق بمأجل فيه ماء فأشرع بغلته فيه فقال له مجنون بالبصرة يقال له حربيش نح بغلتك جذ الله رجليك قال ولم ويلك قال لأنك كذوب الحنجرة زاني الكمرة فقال الفرزدق لبغلته عدس ومضى وكره أن يسمع قوله الناس

يؤثر القصائد القصار

أخبرنا عبد الله بن مالك عن ابن حبيب عن سعدان بن المبارك قال قيل للفرزدق ما اختيارك في شعرك للقصار قال لأني رأيتها أثبت في الصدور وفي المحافل أجول قال وقيل للحطيئة ما بال قصارك أكثر من طوالك قال لأنها في الآذان أولج وفي أفواه الناس أعلق
أخبرني عبد الله بن حبيب عن سعدان بن المبارك قال قيل لعقيل ابن علفة مالك تقصر في هجائك قال حسبك من القلادة ما أحاط بالرقبة
أخبرني عبد الله عن محمد بن علي بن سعيد الترمذي عن أحمد بن حاتم أبي نصر قال
قال الجهم بن سويد بن المنذر الجرمي للفرزدق أما وجدت أمك اسما لك إلا الفرزدق الذي تكسره النساء في سويقها قال والعرب تسمى خبز الفتوت الفرزدق فأقبل الفرزدق على قوم معه في المجلس فقال ما اسمه فلم يخبروه باسمه فقال والله لئن لم تخبروني لأهجونكم كلكم قال
الجهم بن سويد بن المنذر فقال الفرزدق أحق الناس ألا يتكلم في هذا أنت لأن اسمك اسم متاع المرأة واسم أبيك اسم الحمار واسم جدك اسم الكلب

بيتان لكثير يغيران لون وجهه

أخبرنا عبد الله بن مالك عن الزبير عن عمه عن بعض القرويين قال
قدم علينا الفرزدق فقلنا له قدم علينا جرير فأنشدنا قصيدة يمدح بها هؤلاء القوم ومضى يريدهم فقال أنشدونيها فأنشدناه قصيدة كثير التي يقول فيها
(وما زالت رُقاك تسلُّ ضِغنِي ... وتخرج من مكامنها ضِبابي)
(ويَرقيني لك الحاوون حتى ... أجابك حيّةٌ تحت الحِجاب)
قال فجعل وجهه يتغير وعندنا كانون ونحن في الشتاء فلما رأينا ما به قلنا هون عليك يا أبا فراس فإنما هي لابن أبي جمعة فانثنى سريعا ليسجد فأصاب ناحية الكانون وجهه فأدماه
أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى قال أخبرني القحذمي قال
لقي الفرزدق الحسين بن علي عليهما السلام متوجها إلى الكوفة خارجا من مكة في اليوم السادس من ذي الحجة فقال له الحسين صلوات الله عليه وآله ما وراءك قال يا بن رسول الله أنفس الناس معك وأيديهم عليك قال ويحك معي وقر بعير من كتبهم يدعونني ويناشدونني الله
قال فلما قتل الحسين صلوات الله عليه قال الفرزدق انظروا فإن غضبت العرب لابن سيدها وخيرها فاعلموا أنه سيدوم عزها وتبقى هيبتها وإن صبرت عليه ولم تتغير لم يزدها الله إلا ذلا إلى آخر الدهر وأنشد في ذلك
(فإن أنتُم لم تثأروا لابن خيركم ... فألقوا السلاح واغزلوا بالمغازل)
أخبرنا عبد الله بن مالك قال أخبرني أبو مسلم قال حدثني الأصمعي قال أنشد الراعي الفرزدق أربع قصائد فقال له الفرزدق أعيدها عليك لقد أتى علي زمان ولو سمعت ببيت شعر وأنا أهوي في بئر ما ذهب عني
أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثني ابو مسلم الحراني عن الأصمعي قال
تغدى الفرزدق عند صديق له ثم انصرف فمر ببني أسد فحدثهم ساعة ثم استسقى ماء فقال فتى منهم أو لبنا فقال لبنا فقام إلى عس فصب فيه رطلا من خمر ثم حلب وناوله إياه فلما كرع فيه انتفخت أوداجه واحمر وجهه ثم رد العس وقال جزاك الله خيرا فإني ما علمتك تحب أن تحفي صديقك وتخفي معروفك ثم مضى

قصته مع المرأة الشريفة وزوجته النوار

وأخبرنا عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى عن القحذمي قال
كان الفرزدق أراد امرأة شريفة على نفسها فامتنعت عليه وتهددها بالهجاء والفضيحة فاستغاثت بالنوار امرأته وقصت عليها القصة فقالت لها واعديه ليلة ثم أعلميني ففعلت وجاءت النوار فدخلت الحجلة مع المراة فلما دخل الفرزدق البيت أمرت الجارية فأطفأت السراج وغادرت المرأة الحجلة واتبعها الفرزدق فصار إلى الحجلة وقد انسلت المرأة خلف الحجلة وبقيت النوار فيها فوقع بالنوار وهو لا يشك أنها صاحبته فلما فرغ قالت له يا عدو الله يا فاسق فعرف نغمتها وأنه خدع فقال لها وأنت هي يا سبحان الله ما أطيبك حراما وأرداك حلالا

يهجو ابن سبرة لأنه منعه عن جارية

أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثني محمد بن موسى قال حدثني القحذمي قال
استعمل الحجاج الخيار بن سبرة المجاشعي على عمان فكتب إليه الفرزدق يستهديه جارية فكتب إليه الخيار
(كتبت إليّ تستهدي الجواري ... لقد أنعظتَ من بلدٍ بعيد)
فأجابه الفرزدق
(ألا قال الخيارُ وكان جهلا ... قد استهدى الفرزدقُ من بعيد)
(فلولا أن أمك كان عمّي ... أباها كنت أخرس بالنشيد)
(وأنّ أبي لَعَمُّ أبيك لجَّا ... وأنك حين أغضبُ من أسودي)
(إذاً لشددتُ شدَّةَ أعوجيٍّ ... يدقّ شكيمَ مجدول الحديد)
أخبرنا عبد الله بن مالك عن الأصمعي قال
سمع الفرزدق رجلا يقرأ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جراء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم فقال لا ينبغي أن يكون هذا هكذا قال فقيل له إنما هو (عزيز حكيم) قال هكذا ينبغي أن يكون

يمدح أسماء بن خارجة

أخبرنا عبد الله بن مالك قال حدثنا أبو مسلم قال حدثنا الأصمعي قال
مر أسماء بن خارجة الفزاري على الفرزدق وهو يهنأ بعيرا له بنقسه فقال له أسماء يا فرزدق كسد شعرك واطرحتك الملوك فصرت إلى مهنة إبلك فقد أمرت لك بمائة بعير فقال الفرزدق فيه يمدحه
(إنَّ السّماحَ الذي في الناس كلّهمُ ... قد حازه اللهُ للمفضَال أسماءِ)
(يُعطي الجزيلَ بلا مَنٍّ يكدِّره ... عفواً ويُتبع آلاءَ بنعماءِ)
(ما ضَرَّ قوماً إذا أمسى يجاورهم ... ألاّ يكونوا ذوي إبلٍ ولا شاءِ)
أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى بن طلحة قال قال أبو عبيدة
دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة فأنشده قصيدته المشهورة فيهم التي يقول فيها
(فإن أبا موسى خليلُ محمدٍ ... وكفَّاه يُمْنَى للهدى وشِمالُها)
فقال ابن أبي بردة هلكت والله يا أبا فراس فارتاع الشيخ وقال كيف ذاك قال ذهب شعرك أين مثل شعرك في سعيد وفي العباس بن الوليد وسمى قوما فقال جئني بحسب مثل أحسابهم حتى أقول فيك كقولي فيهم فغضب بلال حتى درت أوداجه ودعي له بطست فيه ماء بارد فوضع يده فيها حتى سكن فكلمه فيه جلساؤه وقالوا قد كفاك الشيخ نفسه وقل ما يبقى حتى يموت فلم يحل عليه الحول حتى مات

اغتلم فاحتال على قابلة

أخبرنا عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى عن سعيد بن همام اليمامي قال
شرب الفرزدق شرابا باليمامة وهو يريد العراق فقال لصاحب له إن الغلمة قد آذتني فأكسبني بغيا قال من أين أصيب لك ها هنا بغيا قال فلا بد لك من أن تحتال قال فمضي الرجل إلى القرية وترك الفرزدق ناحية فقال هل من امرأة تقبل فإن معي امرأتي وقد أخذها الطلق فبعثوا معه امرأة فأدخلها على الفرزدق وقد غطاه فلما دنت منه واثبها ثم ارتحل مبادرا وقال كأني بابن الخبيثة يعني جريرا لو قد بلغه الخبر قد قال
(وكنتَ إذا حللتَ بدار قومٍ ... رحلتَ بخِزْيةٍ وتركتَ عارا)
قال فبلغ جريرا الخبر فهجاه بهذا الشعر
وأخبرنا عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى قال قال أبو نهشل حدثنا بعض أصحابنا قال
وقف الفرزدق على الشمردل وهو ينشد قصيدة له فمر هذا البيت في بعض قوله
(وما بين مَن لم يعطِ سمعاً وطاعةً ... وبين جرير غير حزِّ الحلاقم)
فقال الفرزدق يا شمردل لتتركن هذا البيت أو لتتركن عرضك قال خذه لا بارك الله لك فيه فهو في قصيدته التي ذكر فيها قتيبة بن مسلم وهي التي أولها قوله
(تحنُّ إلى زورا اليمامة ناقتي ... حنينَ عجولٍ تبتغي البوَّ رائمِ)

امرأة تستعيذ بقبر أبيه

أخبرنا عبدالله بن مالك قال حدثنا محمد بن حبيب عن الأصمعي قال
جاءت امرأة إلى قبر غالب أبي الفرزدق فضربت عليه فسطاطا فأتاها فسألها عن أمرها فقالت إني عائذة بقبر غالب من أمر نزل بي قال لها وما هو قد ضمنت خلاصك منه قالت إن ابنا لي أغزي إلى السند
مع تميم بن زيد وهو واحدي قال انصرفي فعلي انصرافه إليك إن شاء الله قال وكتب من وقته إلى تميم بقوله
(تميم بنَ زيدٍ لا تكوننَّ حاجتي ... بظَهرٍ فلا يخفى عليَّ جَوابُها)
(وهب لي خُبيْشاً واتّخِذْ فيه مِنَّةً ... لحرْمة أمٍّ ما يسوغُ شرابُها)
(أتتنِي فعاذت يا تَميمُ بغَالبٍ ... وبالحفْرة السّافي عليها ترابُها)
قال فعرض تميم جميع من معه من الجند فلم يدع أحدا اسمه حبيش ولا خنيش إلا وصله وأذن له في الانصراف إلى أهله
أخبرنا عبد الله بن مالك قال أخبرنا محمد بن حبيب عن الأصمعي قال
مر الفرزدق بصديق له فقال له ما تشتهي يا أبا فراس قال أشتهي شوا ء رشراشا ونبيذا سعيرا وغناء يفتق السمع الرشراش الرطب والسعير الكثير
أخبرنا عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن حبيب قال حدثني السعدي عن أبي مالك الزبيدي قال
أتينا الفرزدق لنسمع منه شيئا فجلسنا ببابه ننتظر إذ خرج علينا في ملحفة فقال لنا يا أعداء الله ما اجتماعكم ببابي والله لو أردت أن أزني ما قدرت
أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثنا أبو مسلم قال حدثنا الأصمعي عن هشام بن القاسم قال
قال الفرزدق قد علم الناس أني فحل الشعراء وربما أتت علي
الساعة لقلع ضرس من أضراسي أهون علي من قول بيت شعر
كان الفرزدق بن مالك عن أبي مسلم عن الأصمعي قال

كان الفرزدق وأبو شقفل راويته في المسجد فدخلت امرأة فسألت عن مسألة وتوسمت فرأت هيئة أبي شقفل فسألته عن مسألتها فقال الفرزدق
(أبو شَقْفَلٍ شيخ عن الحق جائرٌ ... بباب الهدى والرّشد غيرُ بصير)
فقالت المرأة سبحان الله أتقول هذا لمثل هذا الشيخ فقال أبو شقفل دعيه فهو أعلم بي
سكينة بنت الحسين تكذب ادعاءاته
أخبرنا عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا المدائني قال
خرج الفرزدق حاجا فمر بالمدينة فأتى سكينة بنت الحسين صلوات الله عليه وآله فقالت يا فرزدق من أشعر الناس قال أنا قالت كذبت أشعر منك الذي يقول
(بِنفسي مَنْ تجنُّبه عزيزٌ ... عليَّ ومَنْ زيارتُه لِمَامُ)
(ومن أُمسِي وأُصبِح لا أراه ... ويَطرُقني إذا هجعَ النيامُ)
فقال والله لو أذنت لي لأسمعتك أحسن منه فقالت أقيموه فأخرج ثم عاد إليها في اليوم الثاني فقالت له يا فرزدق من أشعر الناس قال أنا قالت كذبت أشعر منك الذي يقول
(لولا الحياءُ لهاجني استعبارُ ... ولَزرتُ قبركِ والحبيبُ يزارُ)
(لا يلبث القُرفاءُ أن يتفرّقوا ... ليلٌ بكرّ عليهمُ ونهارُ)
(كانت إذا هجر الضجيعُ فراشها ... كُتِمَ الحديثُ وعفّت الأسرار)
قال أفأسمعك أحسن منه قالت اخرج
ثم عاد إليها في اليوم الثالث وعلى رأسها جارية كأنها ظبية فاشتد عجبه بها فقالت يا فرزدق من أشعر الناس قال أنا قالت كذبت أشعر منك الذي يقول
(إنّ العيونَ التي في طَرفِها مَرضٌ ... قتَلْننا ثم لم يُحيين قَتْلانَا)
(يَصرعْن ذا اللُّبِّ حتى لا حَرَاكَ له ... وهُنَّ أضعفُ خَلْقِ الله أركانا)
ثم قالت قم فاخرج فقال لها يا بنت رسول الله إن لي عليك لحقا إذ كنت إنما جئت مسلما عليك فكان من تكذيبك إياي وصنيعك بي حين أردت أن أسمعك شيئا من شعري ما ضاق به صدري والمنايا تغدو وتروح ولا أدري لعلي لا أفارق المدينة حتى أموت فإن مت فمري من يدفنني في حر هذه الجارية التي على رأسك فضحكت سكينة حتى كادت تخرج من ثيابها وأمرت له بالجارية وقالت أحسن صحبتها فقد آثرتك بها على نفسي قال فخرج وهو آخذ بريطتها
يطالب معاوية بتراث عمه
أخبرنا عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا المدائني قال
وفد الحتات عم الفرزدق على معاوية فخرجت جوائزهم فانصرفوا ومرض الحتات فأقام عند معاوية حتى مات فأمر معاوية بماله فأدخل بيت المال فخرج الفرزدق إلى معاوية وهو غلام فلما أذن للناس دخل بين السماطين ومثل بين يدي معاوية فقال
(أبوك وعمّي يا معاويَ ورَّثا ... تراثاً فيحتازُ التّراثَ أقاربُه)
(فما بال ميراثِ الحتات أكلتَهُ ... وميراثُ حربٍ جامدٌ ليَ ذائبه)
(فلو كان هذا الأمرُ في جاهليَّةٍ ... علمتَ مَن المولى القليلُ حلائبُه)
(ولو كان هذا الأمر في مِلك غيركم ... لأدّاه لي أو غصّ بالماء شاربه)
فقال له معاوية من أنت قال أنا الفرزدق قال ادفعوا إليه ميراث عمه الحتات وكان ألف دينار فدفع إليه
امرأة ترجز به فيذكرها بشعر فاحش
أخبرنا عبد الله بن مالك عن أبي حمزة الأنصاري قال أخبرنا أبو زيد قال قال أبو عبيدة
انصرف الفرزدق من عند بعض الأمراء في غداة باردة وأمر بجزور فنحرت ثم قسمت فأغفل امرأة من بني فقيم نسيها فرجزت به فقالت
(فَيْشلةٌ هدْلاءُ ذات شِقْشِقِ ... مشرفةُ اليافوخ والمحوَّقِ)
(مُدمَجةٌ ذاتُ حِفافٍ أخلق ... نِيطت بحَقْوَيْ قَطِمٍ عشنّق)
(... أولجتها في سَبَّة الفرزدق)
قال أبو عبيدة فبلغني أنه هرب منها فدخل في بيت حماد بن الهيثم ثم إن الفرزدق قال فيها بعد ذلك
(قتلتُ قتيلاً لم ير الناسُ مثلَه ... أُقلِّبه ذا تَوْمَتين مُسوَّرا)
(حملتُ عليه حملتين بطعنةٍ ... فغَادرتُه فوق الحشَايا مكوّرا)
(ترى جرحَه من بعد ما قد طعنته ... يفوح كمثل المسك خالطَ عنبرا)
(وما هو يوم الزحف بارزَ قِرنَه ... ولا هو ولّى يوم لاقى فأدبرا)
(بني دارم ما تأمرون بشاعرٍ ... برود الثّنَايَا ما يزال مزعفرا)
(إذا ما هو استلقى رأيت جِهازه ... كمقطع عُنق الناب أسود أحمرا)
(وكيف أُهَاجي شاعراً رمحُهُ استُه ... أعدَّ ليوم الروع دِرْعاً ومَجْمرا)
فقالت المرأة ألا لا أرى الرجال يذكرون مني هذا وعاهدت الله ألا تقول شعرا
أخبرنا عبد الله بن مالك بن مسلم عن الأصمعي قال
مر الفرزدق يوما في الأزد فوثب عليه ابن أبي علقمة لينكحه وأعانه على ذلك سفهاؤهم فجاءت مشايخ الأزد وأولو النهى منهم فصاحوا بابن أبي علقمة وبأولئك السفهاء فقال لهم ابن أبي علقمة ويلكم أطيعوني اليوم واعصوني الدهر هذا شاعر مضر ولسانها قد شتم أعراضكم وهجا ساداتكم والله لا تنالون من مضر مثلها أبدا فحالوا بينه وبينه فكان الفرزدق يقول بعد ذلك قاتله الله أي والله لقد كان أشار عليهم بالرأي
رجل من الأنصار يتحداه بشاعرهم حسان بن ثابت
أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن حبيب قال قال الكلبي قال إبراهيم بن محمد بن سعيد بن أبي وقاص وأخبرنا بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيدي والأخفش جميعا عن السكري عن ابن حبيب عن أبي عبيدة والكلبي قال

وأخبرنا به إبراهيم بن سعدان عن أبيه عن أبي عبيدة قالوا جميعا
قدم الفرزدق المدينة في إمارة أبان بن عثمان فأتى الفرزدق وكثير عزة فبينا هما يتناشدان الأشعار إذ طلع عليهما غلام شخت رقيق الأدمة في ثوبين ممصرين فقصد نحونا فلم يسلم وقال أيكم الفرزدق فقلت مخافة أن يكون من قريش أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها فقال لو كان
كذلك لم أقل هذا فقال له الفرزدق من أنت لا أم لك قال رجل من الأنصار ثم من بني النجار ثم أنا ابن أبي بكر بن حزم بلغني أنك تزعم أنك أشعر العرب وتزعمه مضر وقد قال شاعرنا حسان بن ثابت شعرا فأردت أن أعرضه عليك وأؤجلك سنة فإن قلت مثله فأنت أشعر العرب كما قيل وإلا فأنت منتحل كذاب ثم أنشده
(... ألم تسألِ الرّبع الجديدَ التكلُّما)
حتى بلغ إلى قوله
(وأبقى لنا مَرُّ الحروبِ ورزؤُها ... سيوفاً وأدراعاً وجمًّا عرمرما)
(متى ما تُرِدْنا من معدٍّ عِصابةٌ ... وغسانَ نمنعْ حوضنا أن يُهدَّما)
(لنا حاضِر فعْمٌ وبادٍ كأنه ... شماريخُ رَضْوَى عِزةً وتكرُّما)
(أبى فِعلُنا المعروفَ أن ننطق الخنا ... وقائلُنا بالعُرف إلا تَكلُّما)
(بكل فتىً عاري الأشاجع لاحَه ... قِراعُ الكماة يرشح المِسكَ والدّما)
(ولدنا بني العنقاء وابنَيْ محرِّقٍ ... فأكرِم بذا خالاً وأكرم بذا ابْنما)
(يُسَوِّدُ ذا المالِ القليل إذا بدت ... مروءتُه فينا وإن كان مُعدِما)
(وإنا لنَقْري الضيفَ إن جاء طارقاً ... من الشحم ما أمسى صحيحا مُسلَّما)
(لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يلمَعنَ بالضّحى ... وأسيافُنا يقطُرن من نجدةٍ دَمَا)
فأنشده القصيدة وهي نيف وثلاثون بيتا وقال له قد أجلتك في
جوابها حولا فانصرف الفرزدق مغضبا يسحب رداءه وما يدري أية طرقه حتى خرج من المسجد فأقبل على كثير فقال له قاتل الله الأنصار ما أفصح لهجتهم وأوضح حجتهم وأجود شعرهم فلم نزل في حديث الأنصار والفرزدق بقية يومنا حتى إذا كان من الغد خرجت من منزلي إلى المسجد الذي كنت فيه بالأمس فأتى كثير فجلس معي وأنا لنتذاكر الفرزدق ونقول ليت شعري ما صنع إذ طلع علينا في حلة أفواف قد أرخى غديرته حتى جلس في مجلسه بالأمس ثم قال ما فعل الأنصاري فنلنا منه وشتمناه فقال قاتله الله ما منيت بمثله ولا سمعت بمثل شعره فارقته وأتيت منزلي فأقبلت أصعد وأصوب في كل فن من الشعر فكأني مفحم لم أقل شعرا قط حتى إذا نادى المنادي بالفجر رحلت ناقتي وأخذت بزمامها حتى أتيت ريانا وهو جبل بالمدينة ثم ناديت بأعلى صوتي أخاكم أخاكم يعني شيطانه فجاش صدري كما يجيش المرجل فعقلت ناقتي وتوسدت ذراعها فما عتمت حتى قلت مائة بيت من الشعر وثلاثة عشر بيتا فبينا هو ينشد إذ طلع الأنصاري حتى إذا انتهى إلينا سلم علينا ثم قال إني لم آتك لأعجلك عن الأجل الذي وقته لك ولكني أحببت ألا أراك إلا سألتك أيش صنعت فقال اجلس وأنشده قوله
(عزفتَ بأعشاشٍ وما كنت تعزفُ ... وأنكرتَ من حدراءَ ما كنت تعرف)
(ولجّ بك الهجرانُ حتى كأنما ... ترى الموت في البيت الذي كنت تألف)
في رواية ابن حبيب تيلف حتى بلغ إلى قوله
(تَرى الناسَ ما سِرنا يسيرون خلفنا ... وإن نحن أومأنا إلى النّاس وقَّفوا)
وأنشدها الفرزدق حتى بلغ إلى آخرها فقام الأنصاري كئيبا فلما توارى طلع أبوه أبو بكر بن حزم في مشيخة من الأنصار فسلموا عليه وقالوا يا أبا فراس قد عرفت حالنا ومكاننا من رسول الله وقد بلغنا أن سفيها من سفهائنا ربما تعرض لك فنسألك بحق الله وحق رسوله لما حفظت فينا وصية رسول الله ووهبتنا له ولم تفضحنا
قال محمد بن إبراهيم فأقبلت عليه أكلمه فلما أكثرنا عليه قال اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشي
قال سليمان بن عبد الملك للفزردق أنشدني أجود شعر عملته فأنشده
(... عزفتَ بأعشاش وما كدت تعزف)
فقال زدني فأنشده
(ثلاثٌ واثنتان فتلك خمس ... وواحدة تميل إلى الشِّمام)
(فِبتْنَ بجانبيّ مصرَّعاتٍ ... وبتُّ أفضُّ أغلاق الخِتَامِ)
فقال له سليمان ما أراك إلا قد أحللت نفسك للعقوبة أقررت بالزنى عندي وأنا إمام ولا تريد مني إقامة الحد عليك فقال إن أخذت في بقول الله عز وجل لم تفعل قال وما قال قال قال الله تبارك وتعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم (في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون
سليمان وقال تلافيتها ودرأت عنك الحد وخلع عليه وأجازه
يجتمع هو وجرير بالشام
أخبرنا عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن حبيب عن الأصمعي قال قدم الفرزدق الشام وبها جرير بن الخطفي فقال له جرير ما ظننتك تقدم بلدا أنا فيه فقال له الفرزدق إني طالما أخلفت ظن العاجز
أخبرنا عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن موسى بن طلحة قال قال أبو مخنف
كان الفرزدق لعنة أي يتلعن به كأنه لعنة على قوم وكان جرير شهابا من شهب النار
أخبرنا عبد الله بن مالك قال حدثنا الأزدي قال حدثنا عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال قال أبو عمرو بن العلاء
مر الفرزدق بمحمد بن وكيع بن أبي سود وهو على ناقة فقال له غدني قال ما يحضرني غداء قال فاسقني سويقا قال ما هو عندي قال فاسقني نبيذا قال أو صاحب نبيذ عهدتني قال فما يقعدك في الظل قال فما أصنع قال أطل وجهك بدبس ثم تحول إلى الشمس واقعد فيها حتى يشبه لونك لون أبيك الذي تزعمه قال أبو عمرو فما زال ولد محمد يسبون بذلك من قول الفرزدق انتهى
أخبرنا عبد الله بن مالك عن ابن حبيب عن موسى بن طلحة عن
أبي عبيدة عن أبي العلاء قال أخبرني هاشم بن القاسم العنزي أنه قال
جمعني والفرزدق مجلس فتجاهلت عليه فقلت له من أنت قال أما تعرفني قلت لا قال فأنا أبو فراس قلت ومن أبو فراس

قال أنا الفرزدق قلت ومن الفرزدق قال أو ما تعرف الفرزدق قلت أعرف الفرزدق أنه شيء يتخذه النساء عندنا يتسمن به وهو الفتوت فضحك وقال الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائكم
أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن حبيب عن النضر بن حديد قال
مر الفرزدق بماء لبني كليب مجتازا فأخذوه وكان جبانا فقالوا والله لتلقين منا ما تكره أو لتنكحن هذه الأتان وأتوه بأتان فقال ويلكم اتقوا الله فإنه شيء ما فعلته قط فقالوا إنه لا ينجيك والله إلا الفعل قال أما إذا أبيتم فأتوني بالصخرة التي يقوم عليها عطية فضحكوا وقالوا اذهب لا صحبك الله

فتى أسود يستخف به

أخبرنا عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى عن العتبي قال
دخل الفرزدق على قوم يشربون عند رجل بالبصرة وفي صدر مجلسهم فتى أسود وعلى رأسه إكليل فلم يحفل بالفرزدق ولم يحف به تهاونا فغضب الفرزدق من ذلك وقال
(جلوسُكِ في صدرِ الفراشِ مَذَلَّةٌ ... ورأسُك في الإكليل إحدى الكبائر)
(وما نَطَقَتْ كأسٌ ولا لذَّ طعمُها ... ضربْتُ على حافاتها بالمشافِرِ)
أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى عن العتبي قال
لما مات وكيع بن أبي سود أقبل الفرزدق حين أخرج وعليه قميص أسود وقد شقه إلى سرته وهو يقول
(فمات ولم يوتر وما من قبيلة ... من الناس إلا قد أباءت على وتر)
(وإنّ الذي لاقى وكيعاً وناله ... تناول صِدّيق النبيّ أبا بكر)
قال فعلق الناس الشعر فجعلوا ينشدونه حتى دفن وتركوا الاستغفار له

ميميته المشهورة في مدح زين العابدين

أخبرنا عبد الله بن علي بن الحسن الهاشمي عن حيان بن علي العنزي عن مجالد عن الشعبي قال
حج الفرزدق بعد ما كبر وقد أتت له سبعون سنة وكان هشام بن عبد الملك قد حج في ذلك العام فرأى علي بن الحسين في غمار الناس في الطواف فقال من هذا الشاب الذي تبرق أسرة وجهه كأنه مرآه صينية تتراءى فيها عذارى الحي وجوهها فقالوا هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم فقال الفرزدق
(هذا الذي تَعرف البطحاءُ وطأتَه ... والبَيْتُ يَعْرِفُه والحِلُّ والحرمُ)
(هذا ابنُ خير عبادِ الله كلِّهم ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العَلَمُ)
(هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ جاهلَهُ ... بِجَدِّه أنبياءُ الله قد خُتِمُوا)
(وليس قولُك من هذا بضائره ... العُرْبُ تعرف مَنْ أنكرتَ والعجم
(إذا رأته قريشٌ قال قائلها ... إلى مكارمِ هذا ينتهي الكرمُ)
(يُغْضِي حياءً ويُغْضى من مهابته ... فما يُكَلَّمُ إلا حين يَبْتَسِمُ)
(بكَفِّه خيزُرانٌ ريحُها عَبِقٌ ... من كفّ أروعَ في عِرْنِينه شمم)
(يكاد يُمسكه عِرْفانَ راحته ... رُكْنُ الحطيم إذا ما جاء يستلم)
(الله شرَّفه قِدْماً وعَظّمه ... جَرَى بذاك له في لوحِه القلم)
(أيُّ الخلائق ليست في رِقابهم ... لأوَّلِيَّه هذا أوله نِعَمُ)
(مَنْ يشكر الله يشكرْ أوَّلِيَّة ذا ... فالدِّين من بيت هذا ناله الأمم)
(يَنْمِي إلى ذِروةِ الدِين التي قَصُرت ... عنها الأكفُّ وعن إدراكها القَدَمُ)
(مَنْ جَدُّه دان فَضْلُ الأنبياء له ... وفَضْلُ أمَّته دانت له الأمم)
(مُشتقَّةٌ من رسول الله نَبعتُه ... طابت مغارسُه والخِيمُ والشِّيَمُ)
(ينشقُّ ثَوبُ الدُّجى عن نُور غُرَّته ... كالشمس تَنجابُ عن إشراقها الظُلَم)
(مِنْ معشرٍ حبُّهم دينٌ وبغضهمُ ... كُفْرٌ وقُرْبُهم مَنْجىً ومُعْتَصِمُ)
(مُقَدَّمٌ بعد ذكرِ الله ذِكرُهُم ... في كلِّ بدءٍ ومختومٌ به الكَلِم)
(إن عُدَّ أهلُ التُّقى كانوا أئمتَهم ... أو قيل مَنْ خيرُ أهل الأرض قيلَ همُ)
(لا يستطيع جوادٌ كنه جودهم ... ولا يدانيهم قومٌ وإن كرموا)
(يُستَدْفَع الشرُّ والبلوى بحبِّهمُ ... ويستربُّ به الإحْسانُ والنِّعَمُ)
وقد حدثني بهذا الخبر أحمد بن الجعد قال حدثنا أحمد بن القاسم البرتي قال حدثنا إسحاق بن محمد النخعي فذكر أن هشاما حج في حياة
أبيه فرأى علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهم يطوف بالبيت والناس يفرجون له فقال من هذا فقال الأبرش الكلبي ما أعرفه فقال الفرزدق ولكني أعرفه فقال من هو فقال
(... هذا الذي تعرف البطحاء وطأته)
وذكر الأبيات . . . الخ
قال فغضب هشام فحبسه بين مكة والمدينة فقال
(أتَحبِسني بين المدينة والتي ... إليها قلوب الناس يَهْوِي مُنِيبُها)
(يقلِّبُ رأساً لم يكن رأس سيِّد ... وعيناً له حولاء بادٍ عيوبُها)
فبلغ شعره هشاما فوجه فأطلقه

يعجب بشعر لحائك

أخبرنا عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى عن الهيثم بن عدي قال أخبرنا أبو روح الراسبي قال
لما ولي خالد بن عبد الله العراق ولي مالك بن المنذر شرطة البصرة فقال الفرزدق
(يُبَغِّض فينا شرطةَ المصر أنني ... رأيتُ عليها مالكاً عَقِبَ الكلبِ)
قال فقال مالك علي به فمضوا به إليه فقال
(أقول لنفسي إذ تَغَصُّ بريقها ... ألا ليت شعري ما لها عند مَالِكِ)
قال فسمع قوله حائك يطلع من طرازه فقال

(لها عنده أن يَرجعَ اللّهُ ريقها ... إليها وتنجُو من عظيم المهالك)
فقال الفرزدق هذا أشعر الناس وليعودن مجنونا يصيح الصبيان في أثره فقال فرأوه بعد ذلك مجنونا يصيح الصبيان في أثره
أخبرنا عبد الله بن مالك قال حدثنا محمد بن علي بن سعيد قال حدثنا القحذمي قال
فلما أتوا مالك بن المنذر بالفرزدق قال هيه عقب الكلب قال ليس هذا هكذا قلت وإنما قلت
(ألم ترني ناديتُ بالصوتِ مالكاً ... ليسمع لما غصَّ من رِيقِه الفمُ)
(أعوذ بقبر فيه أكفانُ مُنْذرٍ ... فهن لأيدي المستجيرين مَحْرَم)
قال قد عذت بمعاذ وخلى سبيله

خالد القسري يأمر مالك بن المنذر بطلب الفرزدق

أخبرنا عبد الله قال حدثني محمد بن موسى قال
كتب خالد القسري إلى مالك بن المنذر يأمره بطلب الفرزدق ويذكر أنه بلغه أنه هجاه وهجا نهره المبارك وهو النهر الذي بواسط الذي كان
حفره فاشتد مالك في طلبه حتى ظفر به في البراجم فأخذه وحبسه ومروا به على بني مجاشع فقال يا قوم اشهدوا أنه لا خاتم بيدي وذلك أنه أخذ عمر بن يزيد بن أسيد ثم أمر به فلويت عنقه ثم أخرجوه ليلا إلى السجن فجعل رأسه يتقلب والأعوان يقولون له قوم رأسك فلما أتوا به السجان قال لا أتسلمه منكم ميتا فأخذوا المفاتيح منه وأدخلوه الحبس وأصبح ميتا فسمعوا أنه مص خاتمه وكان فيه سم فمات وتكلم الناس في أمره فدخل لبطة بن الفرزدق على ابيه فقال يا نبي هل كان من خبر قال نعم عمر بن يزيد مص خاتمه في الحبس وكان فيه سم فمات فقال الفرزدق والله يا بني لئن لم تلحق بواسط ليمص أبوك خاتمه وقال في ذلك
(ألم يَكُ قَتْلُ عبد الله ظُلما ... أبا حفص من الحُرَم العظامِ)
(قتيلُ عداوةٍ لم يجن ذنباً ... يُقطّعُ وهو يهتف للإمامِ)
قال وكان عمر عارض خالدا وهو يصف لهشام طاعة أهل اليمن وحسن موالاتهم ونصيحتهم فصفق عمرو بن يزيد إحدى يديه على الأخرى حتى سمع له في الإيوان دوي ثم قال كذب والله يا أمير المؤمنين ما أطاعت اليمانية ولا نصحت أليس هم أعداؤك وأصحاب يزيد بن المهلب وابن الأشعث والله ما ينعق ناعق إلا أسرعوا الوثبة إليه فاحذرهم يا أمير المؤمنين قال فتبين ذلك في وجه هشام ووثب رجل من بني أمية فقال لعمرو بن يزيد وصل الله رحمك وأحسن جزاءك فلقد شددت من أنفس قومك وانتهزت الفرصة في وقتها ولكن أحسب هذا الرجل سيلي العراق وهو منكر حسود وليس يخار لك إن ولي فلم يرتدع عمر بقوله وظن أنه
لا يقدم عليه فلما ولي لم تكن له همة غيره حتى قتله قال

شفاعة جرير له

ثم إن مالكا وجه الفرزدق إلى خالد فلما قدم عليه وجده قد حج واستخلف أخاه أسد بن عبد الله على العراق فحبسه أسد ووافق عنده جريرا فوثب يشفع له وقال إن رأى الأمير أن يهبه لي فقال أسد أتشفع له يا جرير فقال إن ذلك أذل له أصلحك الله وكلم أسد ابنه المنذر فخلى سبيله فقال الفرزدق في ذلك
(لا فضلَ إلا فضلُ أمٍّ على ابنها ... كفضل أبي الأشبال عند الفرزدق)
(تداركني من هُوَّةٍ دون قعرها ... ثمانون باعاً للطُّوال العَشَنَّق)
وقال جرير يذكر شفاعته له
(وهل لك في عانٍ وليس بشاكرٍ ... فتطلقَ عنه عضَّ مَسِّ الحدائدِ)
(يعودُ وكان الخُبْثُ منه سجيّةً ... وإن قال إني مُنْتَهٍ غَيْرُ عائد)

هجاؤه بني فقيم

أخبرني عبيد الله عن محمد بن موسى عن القحذمي قال
كان سبب هرب الفرزدق من زياد وهو على العراق أنه كان هجا بني فقيم فقال فيهم أبياتا منها
(وآب الوفدُ وفدُ بني فُقَيْمٍ ... بأخبث ما تؤوب به الوفودُ)
(أتَوْنا بالقرود معادليها ... فصار الجَدُّ للجدِّ السعيدُ)
وقال يهجو زيد بن مسعود الفقيمي والأشهب بن رميلة بأبيات منها قوله
(تمنّى ابنُ مسعودٍ لقائي سفاهةً ... لقد قال مَيْناً يوم ذاك ومنكرا)
(غناءً قليلٌ عن فُقَيمٍ ونهْشلٍ ... مَقامُ هَجينٍ ساعةً ثم أدْبرا)
يعني الأشهب بن رميلة وكان الأشهب خطب إلى بني فقيم فردوه وقالوا له اهج الفرزدق حتى نزوجك فرجز به الأشهب فقال
(يا عجبا هل يركبُ القَيْنُ الفرسْ ... وَعَرَقُ القيْنِ على الخيل نَجَسْ)
(وإنما سلاحُه إذا جَلَسْ ... الكَلْبَتان والعَلاةُ والقَبَسْ)

يهرب من زياد

فلما بلغ الفرزدق قوله هجاه فأرفث له وألح الفرزدق على النهشليين بالهجاء فشكوه إلى زياد وكان يزيد بن مسعود ذا منزلة عند زياد فطلبه زياد فهرب فأتى بكر بن وائل فأجاروه فقال الفرزدق يمدحهم بأبيات
(إني وإن كانت تميمٌ عِمارتي ... وكنتُ إلى القُرْمُوس منها القُماقمُ)
(لمُثْنٍ على أبناء بكر بن وائلٍ ... ثناءً يوافي ركبهم في المواسمِ)
(هُمو يوم ذي قار أناخوا فجالدوا ... برأسٍ به تَدْمَى رؤوسُ الصّلادم
وهرب حتى أتى سعيد بن العاصي فأقام بالمدينة يشرب ويدخل إلى القيان وقال
(إذا شئتُ غنَّاني من العاج قاصفٌ ... على معصم ريّانَ لم يتخدّدِ)
(لبيضاءَ من أهل المدينة لم تعِشْ ... ببؤسٍ ولم تتبعْ حمولةَ مُجْحَدِ)
(وقامت تخشّيني زياداً وأجفلت ... حواليَّ في بُرْدٍ يمانٍ ومَجْسَدِ)
(فقلتُ دعيني من زيادٍ فإنّني ... أرى الموت وقَّافاً على كلِّ مَرْصَدِ)

مروان يتوعده ويؤجله ثلاثا

فبلغ شعره مروان فدعاه وتوعده وأجله ثلاثا وقال اخرج عني فأنشأ يقول الفرزدق
(دعانا ثم أجلنا ثلاثاً ... كما وُعِدَتْ لمَهْلَكِها ثمودُ)
قال مروان قولوا له عني إني أجبته فقلت
(قل للفرزدق والسّفاهةُ كاسْمِها ... إن كنت تاركَ ما أمرتُك فاجلِس)
(ودع المدينةَ إنها محظورةٌ ... والحَقْ بمكةَ أو ببيتِ المقدِس)
قال وعزم على الشخوص إلى مكة فكتب له مروان إلى بعض عماله
ما بين مكة والمدينة بمائتي دينار فارتاب بكتاب مروان فجاء به إليه وقال
(مروانُ إنّ مطيتي معقولةٌ ... ترجو الحباءَ وربُّها لم ييأسِ)
(آتيتني بصحيفةٍ مختومةٍ ... يُخشى عليَّ بها حِباءُ النِّقرِسِ)
(ألق الصحيفةَ يا فرزدق لا تكن ... نكراء مثلَ صحيفةِ المُتَلَمِّسِ)
قال ورمى بها إلى مروان فضحك وقال ويحك إنك أمي لا تقرأ فاذهب بها إلى من يقرؤها ثم ردها حتى أختمها فذهب بها فلما قرئت إذا فيها جائزة قال فردها إلى مروان فختمها وأمر له الحسين بن علي عليهما السلام بمائتي دينار قال ولما بلغ جريرا أنه أخرج عن المدينة قال
(إذا حلَّ المدينةَ فارجُمُوهُ ... ولا تدْنوهُ من جَدَثِ الرسول)
(فما يُحْمَى عليه شرابُ حدٍّ ... ولا وَرْهاءُ غائبةُ الحليل)
فأجابه الفرزدق فقال
(نعتَّ لنا من الورْهاء نَعْتاً ... قعدتُ به لأمك بالسبيلِ)
(فلا تبْغي إذا ما غاب عنها ... عطيةُ غيرَ نَعْتِك من حَليل)

مرضه وموته

أخبرنا عبد الله بن مالك قال حدثني محمد بن موسى قال حدثنا أبو عكرمة الضبي عن أبي حاتم السجستاني عن محمد بن عبد الله الأنصاري قال أبو عكرمة وحكي لنا عن لبطة بن الفرزدق أن أباه أصابته ذات الجنب فكانت سبب وفاته
قال ووصف له أن يشرب النفط الأبيض فجعلناه له في قدح وسقيناه إياه فقال يا بني عجلت لأبيك شراب أهل النار فقلت له يا أبت قل لا إله إلا الله فجعلت أكررها عليه مرارا فنظر إلي وجعل يقول
(فَظَلَّتْ تعالى باليَفاع كأنها ... رماح نحاها وجْهةَ الرِّيح راكز)
فكان ذا هجيراه حتى مات
أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني شعيب بن صخر قال
دخل بلال بن ابي بردة على الفرزدق في مرضه الذي مات فيه وهو يقول
(أروني مَنْ يقومُ لكم مقامي ... إذا ما الأمر جلَّ عن الخطاب)
البيتين فقال بلال إلى الله إلى الله
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال
كان الفرزدق قد دبر عبيدا له وأوصى بعتقهم بعد موته ويدفع شيء من ماله إليهم فلما احتضر جمع سائر أهل بيته وأنشأ يقول
(أروني مَنْ يقومُ لكم مقامي ... إذا ما الأمر جلَّ عن الخطاب)
((إلى مَن تفزعون إذا حَثَوْتم ... بأيديكم عليَّ من التُّرابِ
فقال له بعض عبيده الذين أمر بعتقهم إلى الله فأمر ببيعه قبل وفاته وأبطل وصيته فيه والله أعلم
أخبرني الحسن بن علي عن بشر بن مروان عن الحميدي عن سفيان عن لبطة بن الفرزدق قال
لما احتضر أبو فراس قال أي لبطة أبغني كتابا أكتب فيه وصيتي فأتيته بكتاب فكتب وصيته
(... أروني من يقوم لكم مقامي)
البيتين فقالت مولاة له قد كان أوصى لها بوصية إلى الله عز وجل فقال يا لبطة امحها من الوصية
قال سفيان نعم ما قالت وبئس ام قال أبو فراس

وصيته شعرا

وقال عوانة قيل للفرزدق في مرضه الذي مات فيه أوص فقال
(أوصي تميماً إن قضاعةَ ساقها ... نَدَى الغيث عن دارٍ بدومةَ أو جدْبِ)
(فإنكم الأكفاءُ والغيث دولةٌ ... يكون بشرق من بلاد ومن غَرْبِ)
(إذا انتجعت كلْبٌ عليكم فوسِّعوا ... لها الدارَ في سهل المقامَةِ والرَّحب)
(فأعظمُ من أحلامِ عادٍ حُلومُهم ... وأكثرهم عند العديد من التُّرْب)
(أشدُّ حبالٍ بعد حَبَّيْن مِرَّةً ... حِبالٌ أُمِرّت من تميم ومن كلب)
قال وتوفي للفرزدق ابن صغير قبل وفاته بأيام وصلى عليه ثم التفت إلى الناس فقال
(وما نَحْن إلا مِثلُهم غير أنّنا ... أقَمنا قليلاً بعدهم وتَقَدَّمُوا)
قال فلم يلبث إلا أياما حتى مات

شعره عند موته

وقال المدائني قال لبطة أغمي على أبي فيكينا ففتح عينيه وقال أعلي تبكون قلنا نعم أفعلى ابن المراغة نبكي فقال ويحكم أهذا موضع ذكره وقال
(إذا ما دبَّت الأنقاءُ فوقي ... وصاح صدىً عليَّ مع الظلامِ)
(فقد شَمِتَتْ أعاديكم وقالت ... أدانيكم مِنَ أينَ لنا المحامي)
أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب إجازة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثنا أبو العراف قال
نعي الفرزدق لجرير وهو عند المهاجر بن عبد الله باليمامة فقال
(مات الفرزدقُ بعدما جرَّعْتُهُ ... ليْتَ الفزدقَ كان عاش قليلا)

فقال له المهاجر بئس ما قلت أتهجو ابن عمك بعد ما مات ولو رثيته كان أحسن بك فقال والله إني لأعلم أن بقائي بعده لقليل وأن نجمي لموافق لنجمه أفلا أرثيه قال أبعد ما قيل لك ألو كنت بكيته ما نسيتك العرب
قال أبو خليفة قال ابن سلام فأنشدني معاوية بن عمرو قال أنشدني عمارة بن عقيل لجرير يرثي الفرزدق بأبيات منها
(فلا وَلَدَتْ بعد الفرزدق حاملٌ ... ولا ذاتُ بعلٍ من نِفاسٍ تعلَّتِ)
(هو الوافد المأمونُ والرَّاتِقُ الثَّأى ... إذا النعلُ يوماً بالعشيرة زَلَّتِ)
أخبرني أحمد بن عبد العزيز عن ابن شبة بخبر جرير لما بلغه وفاة الفرزدق وهو عند المهاجر فذكر نحوا مما ذكره ابن سلام وزاد فيه قال
ثم قام وبكى وندم وقال ما تقارب رجلان في أمر قط فمات أحدهما إلا أوشك صاحبه أن يتبعه
الاختلاف في سنة وفاته
قال أبو زيد مات الحسن وابن سيرين والفرزدق وجرير في سنة عشر ومائة فقبر الفرزدق بالبصرة وقبر جرير وايوب السختياني ومالك بن دينار باليمامة في موضع واحد
وهذا غلط من أبي زيد عمر بن شبة لأن الفرزدق مات بعد يوم كاظمة وكان ذلك في سنة اثنتي عشرة ومائة وقد قال فيه الفرزدق شعرا وذكره في مواضع من قصائده ويقوي ذلك ما أخبرنا به وكيع قال
حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني ابن النطاح عن المدائني عن أبي اليقظان وأبي همام المجاشعي أن الفرزدق مات سنة أربع عشرة ومائة
قال أبو عبيدة
جرير يرثي نفسه ويرثيه
حدثني أبو أيوب بن كسيب من آل الخطفي وأمه ابنة جرير بن عطية قال
بينا جرير في مجلس بفناء داره بحجر إذ راكب قد أقبل فقال له جرير من أين وضح الراكب قال من البصرة فسأل عن الخبر فأخبره بموت الفرزدق فقال
(مات الفرزدقُ بعد ما جرّعتُه ... ليْتَ الفزدقَ كان عاش قليلا)
ثم سكت ساعة فظنناه يقول شعرا فدمعت عيناه فقال القوم سبحان الله أتبكي على الفرزدق فقال والله ما أبكي إلا على نفسي أما والله إن بقائي خلافه لقليل إنه قل ما كان مثلنا رجلان يجتمعان على خير أو شر إلا كان أمد ما بينهما قريبا ثم أنشأ يقول
(فُجِعنا بحمَّالِ الدِّيات ابنِ غالبٍ ... وحامي تميمٍ كلِّها والبَراجِمِ)
(بكيناكَ حِدْثانَ الفِراق وإنَّما ... بكَيناك شجْواً للأمورِ العظائمِ)
(فلا حَملَت بعدَ ابنِ ليلى مَهيرَةٌ ... ولا شُدَّ أنساعُ المطيِّ الرَّواسِمِ)
وقال البلاذري حدثنا أبو عدنان عن أبي اليقظان قال
أسن الفرزدق حتى قارب المائة فأصابته الدبيلة وهو بالبادية فقدم إلى البصرة فأتي برجل من بني قيس متطبب فأشار بأن يكوى ويشرب النفط
فقال أتعجلون لي طعام أهل النار في الدنيا وجعل يقول
(أروني مَنْ يقومُ لكم مقامي ... إذا ما الأمر جلَّ عن الخطابِ)
أبو ليلى المجاشعي يرثيه
وقال أبو ليلى المجاشعي يرثي الفرزدق
(لعمري لقد أشجى تميماً وهدَّها ... على نكباتِ الدهر موتُ الفرزدق)
(عشيَّةَ قُدْنا للفرزدق نعشَه ... الى جَدَثٍ في هُوَّة الأرض مُعْمَق)
(لقد غيّبوا في اللَّحد مَنْ كان ينتمي ... الى كل بدر في السماء مُحَلِّق)
(ثَوَى حاملُ الأثقال عن كل مُثقل ... ودفَّاعُ سلطانِ الغشوم السَّمَلَّق)
(لسانُ تميمٍ كلِّها وعِمادُها ... وناطقُها المعروف عند المُخَنَّق)
(فمن لتميمٍ بعد موت ابنِ غالبٍ ... إذا حلَّ يومٌ مظلمٌ غَيرُ مُشرِق)
(لتبكِ النِّساءُ المعْوِلاتُ ابنَ غالبٍ ... لجانٍ وعانٍ في السلاسل مُوثَق)
وقال ابن زكريا الغلابي عن ابن عائشة قال
مات الفرزدق وجرير في سنة عشرة ومائة ومات جرير بعده بستة أشهر ومات في هذه السنة الحسن البصري وابن سيرين قال
فقالت امرأة من اهل البصرة كيف يفلح بلد مات فقيهاه وشاعراه في سنة ونسبت جريرا إلى البصرة لكثرة قدومه إليها من اليمامة وقبر جرير باليمامة وبها مات وقبر الأعشى أيضا باليمامة أعشى بني قيس بن ثعلبة وقبر الفرزدق بالبصرة في مقابر بني تميم
وقال جرير لما بلغه موت الفرزدق قلما تصاول فحلان فمات أحدهما إلا أسرع لحاق الآخر به
وثاهما جماعة فمنهم أبو ليلى الأبيض من بني الأبيض بن مجاشع فقال فيهما
(لعمري لئنْ قَرْما تَميمٍ تتابعا ... مُجيبيْن للدّاعي الذي قد دَعَاهُما)
(لرُبَّ عَدُوٍّ فرّق الدهرُ بينه ... وبَيْنهما لم تُشوْه ضَغمْتَاهما)
أخبرني ابن عمار عن يعقوب بن إسرائيل عن قعنب بن المحرز الباهلي عن الأصمعي عن جرير يعني أبا حازم قال
رئي الفرزدق وجرير في النوم فرثي الفرزدق بخير وجرير معلق
قال قعنب وأخبرني الأصمعي عن روح الطائي قال
رئي الفرزدق في النوم فذكر أنه غفر له بتكبيرة كبرها في المقبرة عند قبر غالب
قال قعنب وأخبرني أبو عبيدة النحوي وكيسان بن المعروف النحوي عن لبطة بن الفرزدق قال
رأيت أبي فيما يرى النائم فقلت له ما فعل الله بك قال نفعتني الكلمة التي نازعنيها الحسن على القبر
هو والحسن البصري في جنازة النوار
أخبرني وكيع عن محمد بن إسماعيل الحساني عن علي بن عاصم عن سفيان بن الحسن وأخبرني أبو خليفة عن

محمد بن سلام والرواية قريب
بعضها من بعض أن النوار لما حضرها الموت أوصت الفرزدق وهو ابن عمها أن يصلي عليها الحسن البصري فأخبره الفرزدق فقال إذا فرغتم منها فأعلمني وأخرجت وجاءها الحسن وسبقهما الناس فانتظروهما فأقبلا والناس ينتظرون فقال الحسن ما للناس فقال ينتظرون خير الناس وشر الناس فقال إني لست بخيرهم ولست بشرهم وقال له الحسن على قبرها ما أعددت لهذا المضطجع فقال شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة
هذا لفظ محمد بن سلام وقال وكيع في خبره فتشاغل الفرزدق بدفنها وجلس الحسن يعظ الناس فلما فرغ الفرزدق وقف على حلقة الحسن وقال

(لقد خابَ من أولاد آدمَ مَنْ مَشَى ... إلى النار مغلولَ القِلادةِ أزرقا)
(أخاف وراءَ القبرِ إن لم يُعافِني ... أشدَّ من القبرِ التهاباً وأضيقا)
(إذا جاءني يومَ القيامة قائدٌ ... عَنِيفٌ وسوَّاقٌ يَقُودُ الفرزدقا)

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا حيان بن هلال قال حدثنا خالد بن الحر قال
رأيت الحسن في جنازة أبي رجاء العطاردي فقال للفرزدق ما أعددت لهذا اليوم فقال شهادة أن لا إله إلا الله منذ بضع وتسعين سنة قال إذا تنجو إن صدقت قال وقال الفرزدق في هذه الجنازة خير الناس وشر الناس فقال الحسن لست بخير الناس ولست بشرهم

يذكر ذنوبه ويبكي

أخبرنا ابن عمار عن أحمد بن إسرائيل عن عبيد الله بن محمد القرشي بطوس قال
حدثني يزيد بن هاشم العبدي قال حدثنا أبي قال حدثنا فضيل الرقاشي قال
خرجت في ليلة باردة فدخلت المسجد فسمعت نشيجا وبكاء كثيرا فلم أعلم من صاحب ذلك إلى أن أسفر الصبح فإذا الفرزدق فقلت يا أبا فراس تركت النوار وهي لينة الدثار دفئة الشعار قال إني والله ذكرت ذنوبي فأقلقتني ففزعت إلى الله عز وجل
أخبرني وكيع عن أبي العباس مسعود بن عمرو بن مسعود الجحدري قال حدثني هلال بن يحيى الرازي قال حدثني شيخ كان ينزل سكة قريش قال
رأيت الفرزدق في النوم فقلت يا أبا فراس ما فعل الله بك قال غفر لي بإخلاصي يوم الحسن وقال لولا شيبتك لعذبنك بالنار
أخبرني هاشم الخزاعي عن دماذ عن أبي عبيدة عن لبطة بن الفرزدق عن أبيه قال
لقيت الحسين بن علي صلوات الله عليهما وأصحابه بالصفاح وقد ركبوا الإبل وجنبوا الخيل متقلدين السيوف متنكبين القسي عليهم يلامق من الديباج فسلمت عليه وقلت أين تريد قال العراق فكيف
تركت الناس قال تركت الناس قلوبهم معك وسيوفهم عليك والدنيا مطلوبة وهي في أيدي بني أمية والأمر إلى الله عز وجل والقضاء ينزل من السماء بما شاء
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وأحمد بن عبد العزيز عن ابن شبة قال حدثني هارون بن عمر عن ضمرة بن شوذب قال
قيل لأبي هريرة هذا الفرزدق قال هذا الذي يقذف المحصنات ثم قال له إني أرى عظمك رقيقا وعرقك دقيقا ولا طاقة لك بالنار فتب فإن التوبة مقبولة من ابن آدم حتى يطير غرابه
أخبرني هاشم بن محمد عن الرياشي عن المنهال بن بحر بن أبي سلمة عن صالح المري عن حبيب بن أبي محمد قال
رأيت الفرزدق بالشام فقال قال لي أبو هريرة إنه سيأتيك قوم يؤنسونك من رحمة الله فلا تيأس

موازنة بينه وبين جرير والأخطل

قال أبو الفرج والفرزدق مقدم على الشعراء الإسلاميين هو وجرير والأخطل ومحله في الشعر أكبر من أن ينبه عليه بقول أو يدل على مكانه بوصف لأن الخاص والعام يعرفانه بالاسم ويعلمان تقدمه بالخبر الشائع علما يستغنى به عن الإطالة في الوصف وقد تكلم الناس في هذا قديما وحديثا وتعصبوا واحتجوا بما لا مزيد فيه واختلفوا بعد اجتماعهم على هذه الطبقة في أيهم أحق بالتقدم على سائرها فأما قدماء أهل العلم والرواة فلم يسووا بينهما وبين الأخطل لأنه لم يلحق شأوهما في الشعر ولا له مثل ما لهما من فنونه ولا تصرف كتصرفهما في سائره وزعموا أن ربيعة أفرطت فيه حتى ألحقته بهما وهم في ذلك طبقتان أما من كان يميل إلى جزالة الشعر وفخامته وشدة أسره فيقدم الفرزدق وأما من كان يميل إلى أشعار المطبوعين وإلى الكلام السمح السهل الغزل فيقدم جريرا
أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال سمعت يونس بن حبيب يقول
ما شهدت مشهدا قط ذكر فيه الفرزدق وجرير فاجتمع أهل ذلك المجلس على أحدهما قال ابن سلام وكان يونس يقدم الفرزدق تقدمة بغير إفراط وكان المفضل يقدمه تقدمة شديدة
قال ابن سلام وقال ابن دأب وسئل عنهما فقال الفرزدق أشعر خاصة وجرير أشعر عامة
أخبرني الجوهري وحبيب المهلبي عن ابن شبة عن العلاء بن الفضل قال قال لي أبو البيداء يا أبا الهذيل أيهما أشعر أجرير أم الفرزدق قال قلت ذاك إليك ثم قال ألم تسمعه يقول

(ما حُمِّلت ناقةٌ من معشرٍ رجلاً ... مثلي إذا الريح لفّتني على الكُورِ)
(إلا قريشاً فإن الله فضّلها ... مع النبوّة بالإسلام والخِيرِ)

ويقول جرير

(لا تحسبنَّ مِرَاسَ الحرب إذ لَقِحَتْ ... شُرْبَ الكسِيس وأكلَ الخبز بالصِّيرِ)

سلح والله أبو حزرة
أخبرني هاشم الخزاعي عن أبي حاتم السجستاني عن أبي عبيدة قال
سمعت يونس يقول لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب
أخبرني هاشم الخزاعي عن أبي غسان عن أبي عبيدة قال قال يونس أبو البيداء قال الفرزدق
كنت أهاجي شعراء قومي وأنا غلام في خلافة عثمان بن عفان فكان قومي يخشون معرة لساني منذ يومئذ ووفد بي أبي إلى علي بن أبي طالب صلوات الله عليه عام الجمل فقال له إن ابني هذا يقول الشعر فقال علمه القرآن فهو خير له

يمضي خمسا وسبعين سنة يباري الشعراء ويهجو الأشراف

قال أبو عبيدة ومات الفرزدق في سنة عشر ومائة وقد نيف على التسعين سنة كان منها خمسة وسبعين سنة يباري الشعراء ويهجو الأشراف فيغضهم ما ثبت له أحد منهم قط إلا جريرا

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن معاوية الأسدي قال حدثنا ابن الرازي عن خالد بن كلثوم قال

قيل للفرزدق مالك وللشعر فوالله ما كان أبوك غالب شاعرا ولا كان صعصعة شاعرا فمن أين لك هذا قال من قبل خالي قيل أي أخوالك قال خالي العلاء بن قرظة الذي يقول

(إذا ما الدهر جرّ على أناسٍ ... بكلكله أناخ بآخرينا

(فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا)

يرد على قوم من بني ضبة

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية وأخبرني هاشم الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال

دخل قوم من بني ضبة على الفرزدق فقالوا له قبحك الله من ابن أخت قد عرضتنا لهذا الكلب السفيه يعنون جريرا حتى يشتم أعراضنا ويذكر نساءنا فغضب الفرزدق وقال بل قبحكم الله من أخوال فوالله لقد شرفكم من فخري أكثر مما غضكم من هجاء جرير أفأنا ويلكم عرضتكم لسويد بن أبي كاهل حيث يقول

(لقد زَرِقتْ عيناك يابن مُكَعْبَرٍ ... كما كلُّ ضَبّيٍّ من اللؤم أزرقُ)

(ترى اللؤمَ فيهم لائحاً في وجوههم ... كما لاح في خيل الحلائب أبلق)

أو أنا عرضتكم للأغلب العجلي حيث يقول

(لن تجد الضَّبِّيَّ إلاّ فَلاّ ... عبداً إذانا ولقومٍ ذَلاّ)

(مثل قَفا المُدية أو أكَلاّ ... حتى يكون الألأمَ الأقلاّ

أو أنا عرضتكم له حيث يقول

(إذا رأيتَ رجلاً من ضَبَّهْ ... فنكه عمداً في سَوَاء السَّبَّهْ)

(... إنّ اليَمانِيَّ عِقَاصُ الزَّبَّهْ)

أو أنا عرضتكم لمالك بن نويرة حيث يقول

(ولو يُذبَح الضَّبِّيُّ بالسيف لم تجد ... من اللؤم للضّبّيّ لحماً ولا دما)

والله لما ذكرت من شرفكم وأظهرت من أيامكم أكثر البيت القائل

(وأنا ابنُ حنظلةَ الأغرُّ وإنني ... في آل ضَبَّة للمُعِمُّ المُخْوِلُ)

(فرعان قد بلغ السّماءَ ذُراهما ... وإليهما من كل خوف يُعْقَلُ)

بنو حرام يخشون معرة لسانه

أخبرنا أبو خليفة عن ابن سلام عن أبي بكر محمد بن واسع وعبد القاهر قالا

كان فتى في بني حرام بن سماك شويعر قد هجا الفرزدق فأخذناه فأتينا به الفرزدق وقلنا هو بين يديك فإن شئت فاضرب وإن شئت فاحلق لا عدوى عليك ولا قصاص فخلى عنه وقال

(فمن يكُ خائفاً لأذاة قولي ... فقدِ أمِنَ الهِجاءَ بنو حَرامِ

(همُ قادوا سفيهَهُمُ وخافوا ... قلائدَ مثلَ أطواق الحمَامِ)

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني الحكم بن محمد قال كان رجل من قضاعة ثم من بني القين على السند وفي حبسه رجل يقال له حبيش - أو خنيس - وطالت غيبته عن أهله فأتت أمه قبر غالب بكاظمة فأقامت عليه حتى علم الفرزدق بمكانها ثم إنها أتت فطلبت إليه في أمر ابنها فكتب إلى تميم القضاعي

(هَب لي خُنَيْساً واتّخِذْ فيه مِنّةً ... لُغصَّة أُمٍّ ما يَسوغ شرابُها)

(أَتَتْني فعاذت يا تميمُ بغالبٍ ... وبالحفرة السَّافي عليه ترابُها)

(تميمُ بنَ زيد لا تكونَنَّ حاجتي ... بظهرٍ فلا يخفَى عليَّ جوابُها)

فلما أتاه الكتاب لم يدر أخنيس أم حبيش فأطلقهما جميعا

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني أبو يحيى الضبي قال ضرب مكاتب لبني منقر خيما على قبر غالب فقدم الناس على الفرزدق فأخبروه أنهم رأوا بناء على قبر غالب أبيه ثم قدم عليه وهو بالمربد فقال

(بقبر ابن ليلى غالبٍ عُذْتُ بعدما ... خشيتُ الرَّدَى أو أن أُردَّ على قسرِ)

(فخاطبني قبرُ ابن ليلى وقال لي ... فَكَاكُكَ أن تَلْقَى الفرزدقَ بالمِصْرِ)

فقال له الفرزدق صدق أبي أنخ أنخ ثم طاف في الناس حتى جمع كتابته وفضلا

يناقض نفسه في شعره

أخبرني ابن خلف وكيع عن هارون بن الزيات عن أحمد بن حماد ابن الجميل قال حدثنا القحذمي عن ابن عياش قال لقيت الفرزدق فقلت له يا أبا فراس أنت الذي تقول

(فليتَ الأكفَّ الدافناتِ ابنَ يوسفٍ ... يُقطَّعْن إذ غَيَّبْن تحت السقائفِ)

فقال نعم أنا فقلت له ثم قلت بعد ذلك له

(لئن نفرُ الحجّاج آلُ مُعَتِّبٍ ... لَقُوادوْلةً كان العدوُّ يُدالُها)

(لقد أصبح الأحياءُ منهم أذلةً ... وفي الناس موتاهم كلوحاً سِبالُها)

قال فقال الفرزدق نعم نكون مع الواحد منهم ما كان الله معه فإذا تخلى منه انقلبنا عليه

أخبرنا هاشم بن محمد عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه عن بعض أشياخه قال

شهد الفرزدق عند إياس بن معاوية فقال أجزنا شهادة الفرزدق أبي فراس وزيدونا شهودا فقام الفرزدق فرحا فقيل له أما والله ما أجاز شهادتك قال بلى قد سمعته يقول قد قبلنا شهادة أبي فراس قالوا أفما سمعته يستزيد شاهدا آخر فقال وما يمنعه ألا يقبل شهادتي وقد قذفت ألف محصنة

أخبرنا ابن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة عن يونس قال

كان عطية بن جعال الغداني صديقا ونديما للفرزدق فبلغ الفرزدق أن

رجلا من بني غدانة هجاه وعاون جريرا عليه وأنه أراد أن يهجو بني غدانة فأتاه عطية بن جعال فسأله أن يصفح له عن قومه ويهب له أعراضهم ففعل ثم قال
(أبني غُدانة إنني حَرِّرتكم ... فوهبتكم لعطيةَ بن جُعال)
(لولا عطيةُ لاجتَدعْتُ أنوفكم ... من بين ألأم أعين وسبال)
فبلغ ذلك عطية فقال ما أسرع ما ارتجع أخي هبته قبحها الله من هبة ممنونة مرتجعة
خبر آخر عن المجنون الذي أراده
أخبرني وكيع عن هارون بن محمد قال حدثني قبيصة بن معاوية المهلبي عن المدائني عن محمد بن النضر
أن الفرزدق مر بباب المفضل بن المهلب فأرسل إليه غلمة فاحتملوه حتى أدخل إليه بواسط وقد خرج من تيار ماء كان فيه فأمر به فألقي فيه بثيابه وعنده ابن أبي علقمة اليحمدي المجنون فسعى إلى الفرزدق فقال له المفضل ما تريد قال أريد أن أنيكه وأفضحه فوالله لا يهجو بعدها أحدا من الأزد فصاح الفرزدق الله الله أيها الأمير في أنا في جوارك وذمتك فمنع عنه ابن أبي علقمة فلما خرج قال قاتل الله مجنونهم والله لو مس ثوبه ثوبي لقام بها جرير وقعد وفضحني في العرب فلم يبق لي فيهم باقية
وأخبرني بنحو هذا الخبر حبيب المهلبي عن ابن شبة عن محمد بن يحيى عن عبد الحميد عن أبيه عن جده قال أبو زيد وأخبرني أبو
عاصم عن الحسن بن دينار قال قال لي الفرزدق
ما مر بي يوم قط أشد علي من يوم دخلت فيه على أبي عيينة بن المهلب - وكان يوما شديد الحر - فما منا أحد إلا جلس في أبزن فقلنا له إن أردت أن تنفعنا فابعث إلى ابن أبي علقمة فقال لا تريدوه فإنه يكدر علينا مجلسنا فقلنا لا بد منه فأرسل إليه فلما دخل فرآني قال الفرزدق والله ووثب إلي وقد أنعظ أيره وجعل يصيح والله لأنيكنه فقلت لأبي عيينة الله الله في أنا في جوارك فوالله لئن دنا إلي لا تبقى لي باقية مع جرير فلم يتكلم أبو عيينة ولم تكن لي همة إلا أن عدوت حتى صعدت إلى السطح فاقتحمت الحائط فقيل له ولا يوم زياد كان مثل يومئذ فقال ولا مثل يوم زياد
عمر بن عبد العزيز يجيزه ثم ينفيه
أخبرني عمي عن ابن أبي سعد عن أحمد بن عمر عن إسحاق بن مروان مولى جهينة وكان يقال له كوزا الراوية قال أحمد بن عمر وأخبرني عثمان بن خالد العثماني
أن الفرزدق قدم المدينة في سنة مجدبة حصاء فمشى أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز فقالوا له أيها الأمير إن الفرزدق قدم مدينتنا هذه في هذه السنة الجدبة التي أهلكت عامة الأموال التي لأهل المدينة وليس عند أحد منهم ما يعطيه شاعرا فلو أن الأمير بعث إليه فأرضاه وتقدم إليه ألا يعرض لأحد بمدح ولا هجاء فبعث إليه عمر إنك يا فرزدق قدمت مدينتنا هذه في هذه السنة الجدبة وليس عند أحد ما يعطيه شاعرا وقد
أمرت لك بأربعة آلاف درهم فخذها ولا تعرض لأحد بمدح ولا هجاء فأخذها الفرزدق ومر بعبد الله بن عمرو بن عثمان وهو جالس في سقيفة داره وعليه مطرف خز أحمر وجبة خز أحمر فوقف عليه وقال
(أعبد الله أنت أحقُّ ماشٍ ... وساعٍ بالجماهير الكِبارِ)
(نما الفاروقُ أُمَّك وابنُ أروى ... أبوك فأنت منصَدَعُ النّهار)
(هما قَمَرَا السماء وأنتَ نجمٌ ... به في الليل يُدلِج كُلُّ سار)
فخلع عليه الجبة والعمامة والمطرف وأمر له بعشرة آلاف درهم فخرج رجل كان حضر عبد الله والفرزدق عنده ورأى ما أعطاه إياه وسمع ما أمره عمر به من ألا يعرض لأحد فدخل إلى عمر بن عبد العزيز فأخبره فبعث إليه عمر ألم أتقدم إليك يا فرزدق ألا تعرض لأحد بمدح ولا هجاء أخرج فقد أجلتك ثلاثا فإن وجدتك بعد ثلاث نكلت بك فخرج وهو يقول
(فأجّلني وواعدني ثلاثاً ... كما وُعِدَت لمهْلِكِها ثَمُودُ)
قال وقال جرير فيه
(نفَاكَ الأغرُّ ابنُ عبد العزيزِ ... ومثلُك يُنفَى من المسجدِ)
(وَشبَّهْتَ نفسَكَ أشقى ثَمُودَ ... فقالوا ضَلَلْتَ ولم تهْتَدِ)
يهجو ابن عفراء لأنه استكثر عليه الجائزة
أخبرني حبيب المهلبي عن ابن أبي سعد عن صباح عن النوفلي بن خاقان عن يونس النحوي قال
مدح الفرزدق عمر بن مسلم الباهلي فأمر له بثلثمائة درهم وكان عمرو بن عفراء الضبي صديقا لعمر فلامه وقال أتعطي الفرزدق ثلثمائة درهم وإنما كان يكفيه عشرون درهما فبلغه ذلك فقال
(نهيتُ ابنَ عِفْرَى أن يعفِّر أمَّهُ ... كعَفْرِ السَّلا إذ جرّرَتْه ثعَالبُه)
(وإنّ امرأً يَغْتابني لم أطأ له ... حريماً فلا ينهَاه عنّي أقاربُه)
(كمحتطبٍ يوماً أساودَ هضْبةٍ ... أتاه بها في ظلمة الليل حاطبه)
(ألمّا استوى ناباي وابيضَّ مِسْحَلي ... وأطرقَ إطراقَ الكرى مَنْ أحاربُه)
(فلو كان ضَبِّيّاً صفحتُ ولو سرتْ ... على قَدَمي حيّاتُه وعقاربه)
(ولكنْ دِيافِيٌّ أبوه وأمّه ... بحَوْرانَ يعصِرْنَ السَّليطَ قرائبه)
صوت
(ومقالها بالنَّعف نعف مُحَسِّرٍ ... لفتاتها هل تعرفين المُعْرِضا)
(ذاك الذي أعطى مواثقَ عَهدِه ... ألاّ يخونَ وخِلتُ أن لن يَنْقُضا)
(فلئن ظفرتُ بمثْلِها من مثلِه ... يوماً ليَعترِفَنَّ ما قد أقْرَضا)
الشعر لخالد القسري والناس ينسبونه إلى عمر بن أبي ربيعة والغناء للغريض ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وابن المكي وحبش وقبل أن أذكر أخباره ونسبه فإني أذكر الرواية في أن هذا الشعر له
أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال أخبرني عبد الواحد بن سعيد قال حدثني أبو بشر محمد بن خالد البجلي قال حدثني أبو الخطاب بن يزيد بن عبد الرحمن قال سمعت أبي يحدث قال حدثني مسمع بن مالك بن جحوش البجلي قال
ركب خالد بن عبد الله وهو أمير العراق وهو يومئذ بالكوفة إلى ضيعته التي يقال لها المكرخة وهي من الكوفة على أربعة فراسخ وركبت معه في زورق فقال لي نشدتك الله يابن جحوش هل سمعت غريض مكة يتغنى

(ومقالها بالنَّعفِ نعفِ مُحَسَّرٍ ... لفتاتها هل تعرفين المُعْرِضا)
قال قلت نعم قال الشعر والله لي والغناء لغريض مكة وما وجدت هذا الشعر في شيء من دواوين عمر بن أبي ربيعة التي رواها المدنيون والمكيون وإنما يوجد في الكتب المحدثة والإسنادات المنقطعة ثم نرجع الآن إلى ذكره
بسم الله الرحمن الرحيم

أخبار خالد بن عبد الله

نسبه

هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز بن عامر بن عبد الله بن عبد شمس بن غمغمة بن جرير بن شق بن صعب وشق بن صعب هذا هو الكاهن المشهور بن يشكر بن رهم بن أفزل وهو سعد الصبح بن زيد بن قسر بن عبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو بن لحيان بن الغوث بن القرز ويقال الفرز بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان
فأما غلبة بجيلة على هذا النسب في شهرته بها فإن بجيلة ليست برجل إنما هي امرأة قد اختلف في نسبها فقال ابن الكلبي يقال لها بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة تزوجها أنمار بن إراش فولدت له الغوث ووداعة وصهيبة وجذيمة وأشهل وشهلاء وطريفا والحارث ومالكا وفهما وشيبة
قال ابن الكلبي ويقال إن بجيلة إمرأة حبشية كانت قد حضنت بني أنمار جميعا غير خثعم فإنه انفرد فصار قبيلة على حدته ولم تحضنه بجيلة واحتج من قال هذا القول بقول شاعرهم
((وما قَرُبت بجِيلةُ منكِ دوني ... بشيء غير ما دُعِيت بجِيلَةْ
(وما لِلغوثِ عندكِ أن نُسِبْنا ... علينا في القرابة من فضيلة)
(ولكنَّا وإيَّاكم كثُرنا ... فصِرنا في المحلِّ على جَدِيلةْ)
جديلة ها هنا موضع لا قبيلة وهم أهل بيت شرف في بجيلة لولا ما يقال في عبد الله بن أسد فإن أصحاب المثالب ينفونه عن أبيه ويقولون فيه أقوالا أنا ذاكرها في موضعها من أخبار خالد المذمومة في هذا الموضع من كتابنا إن شاء الله وعلى ما قيل فيه أيضا فقد كان له ولابنه خالد سؤدد وشرف وجود
وكان يقال لكرز كرز الأعنة وإياه عنى قيس بن الخطيم بقوله لما خرج يطلب النصر على الخزرج
(فإن تنْزِلْ بذي النَّجدَاتِ كُرْزٍ ... تُلاقِ لديه شَرْباً غيرَ نَزْرِ)
(له سَجْلان سَجْلٌ من صريحٍ ... وسجلُ رثيئةٍ بعتيقِ خمرِ)
(ويمنعُ مَن أراد ولا يُعايا ... مَقاماً في المحلّةِ وسطَ قسرِ)
وكان أسد بن كرز يدعى في الجاهلية رب بجيلة وكان ممن حرم الخمر في جاهليته تنزها عنها وله يقول القتال السحمي
(فأبلِغ ربَّنا أسَدَ بن كُرْزٍ ... بأنَّ النأيَ لم يكُ عن تقالي)
وله يقول القتال يعتذر
(فأبلغ ربَّنا أسدَ بنَ كُرْزٍ ... بأنّي قد ضَلَلْت وما اهتديْتُ)
وله يقول تأبط شرا
(وجدتُ ابنَ كُرْزٍ تستهلُّ يمينُه ... ويُطلق أغلالَ الأسيرِ المكَبَّلِ)
وكان قوم من سحمة عرضوا لجار الأسد بن كرز فأطردوا إبلا له فأوقع بهم أسد وقعة عظيمة في الجاهلية وتتبعهم حتى عاذوا به فقال القتال فيه عدة قصائد يعتذر إليه لقومه ويستقيله فعلهم بجاره ولم أذكرها ههنا لطولها وأن ذلك ليس من الغرض المطلوب في هذا الكتاب وإنما نذكرها هنا لمعا وسائره مذكور في جمهرة أنساب العرب الذي جمعت فيه أنسابها وأخبارها وسميته - كتاب التعديل والانتصاف - ولبني سحمة يقول أسد بن كرز في هذه القصة وكان شاعرا فاتكا مغوارا
(ألا أبلِغا أبناءَ سُحْمَةَ كُلَّها ... بني خثعمٍ عنّي وذَلٌّ لخثعمِ)
(فما أنتُم منّي ولا أنا منكم ... فراشُ حريقِ العَرْفَجِ المتضرِّمِ)
((فلستُ كمن تُزري المقالةُ عِرضَه ... دنيئاً كعود الدوحةِ المترنِّمِ
(وما جارُ بيتي بالذليلِ فَتُرتَجى ... ظُلامتُه يوماً ولا المتهضَّمِ)
(وأفزَلُ آبائي وقسرٌ عمارتي ... هما ردّياني عِزّتي وتكرُّمي)
(وأحمسُ يوماً إن دعوتُ أجابني ... عرانينُ منهم أهل أيدٍ وأنعمِ)
(فمن جارِ مولىً يدفعِ الضيمَ جارُهُ ... إذا ضاع جاري يا أميمةُ أوْ دمي)
(وكيف يخاف الضيمَ من كان جاره ... مع الشمس ما إن يستطاع بسلَمِ)
وهي قصيدة طويلة
ولأسد أشعار كثيرة ذكرت هذه منها ها هنا لأن تعلم إعراقهم في العلم والشعر وسائرها يذكر في كتاب النسب مع أخبار شعراء القبائل إن شاء الله تعالى

جده وابنه أدركا الإسلام

وأدرك أسد بن كرز الإسلام هو وابنه يزيد بن أسد فأسلما فأما أسد فلا أعلمه روى عن رسول الله وآله رواية كثيرة بل ما روى شيئا
وأما يزيد ابنه فروى عنه رواية يسيرة وذكر جرير بن عبد الله خبر إسلامه حدث بذلك عنه خالد بن يزيد عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله قال
أسلم أسد بن كرز ومعه رجل من ثقيف فأهدى إلى النبي
قوسا فقال له يا أسد من أين لك هذه النبعة فقال يا رسول الله تنبت بجبلنا بالسراة فقال الثقفي يا رسول الله الجبل لنا أم لهم فقال بل الجبل جبل قسر به سمي أبوهم قسر عبقر فقال أسد يا رسول الله ادع لي فقال اللهم اجعل نصرك ونصر دينك في عقب أسد بن كرز وما أدري ما أقول في هذا الحديث وأكره أن أكذب بما روي عن رسول الله ولكن ظاهر الأمر يوجب أنه لو كان رسول الله دعا له بهذا الدعاء لم يكن ابنه مع معاوية بصفين على علي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ولا كان ابن ابنه خالد يلعنه على المنبر
ويتجاوز ذلك إلى ما ساء ذكره من شنيع أخباره قبحه الله ولعنه إلا أني أذكر الشيء كما روي ومن قال على رسول الله

وآله ما لم يقل فقد تبوأ مقعده من النار كما وعده
وكان جرير بن عبد الله نافر قضاعة فبلغ ذلك أسد بن عبد الله وكان بينه وبينه أعني جريرا تباعد فأقبل في فوارس من قومه ناصرا لجرير ومعاونا له ومنجدا فزعموا أن أسدا لما أقبل في أصحابه فرآه جرير ورأى أصحابه في السلاح ارتاع وخافه فقيل له هذا أسد جاءك ناصرا لك فقال جرير ليت لي بكل بلد ابن عم عاقا مثل أسد فقال جعدة بن عبد الله الخزاعي يذكر ذلك من فعل أسد
(تدارك رَكْضُ المرء من آل عبقر ... جريراً وقد رانت عليه حلائبُه)
(فنفَّسَ واسترخى به العَقْدُ بعد ما ... تغشَّاه يومٍ لا تَوارى كواكبه)
(وقاك ابن كُرْزٍ ذو الفَعَال بنفسه ... وما كنتَ وَصَّالاً له إذ تجاربُهْ)
(إلى أسدٍ يأوي الذليلُ ببيته ... ويلجأ إذ أعيت عليه مذاهبُ)
(فتى لا يزال الدهرُ يحمل مُعْظَماً ... إذا المجتدَى المسؤول ضَنَّت رواجِبُه)
خبر على لسان جده يزيد
وأما يزيد بن أسد فقد ذكرت إسلامه وقدومه مع أبيه على النبي وقد روى عنه أيضا حديثا ذكره هشيم بن بشر الواسطي عن سنان بن أبي الحكم قال سمعت خالد بن عبد الله القسري وهو على المنبر يقول
حدثني أبي عن جدي يزيد بن أسد قال قال رسول الله يا يزيد أحبب للناس ما تحبه لنفسك وخرج يزيد بن أسد في أيام عمر بن الخطاب في بعوث المسلمين إلى الشام فكان بها وكان مطاعا في اليمن عظيم الشأن
ولما كتب عثمان إلى معاوية حين حصر يستنجده بعث معاوية إليه بيزيد بن أسد في أربعة آلاف من أهل الشام فوجد عثمان قد قتل فانصرف إلى معاوية ولم يحدث شيئا ولما كان يوم صفين قام في الناس فخطب خطبة مذكورة حرضهم فيها فذكر من روى عنه خبره في ذلك الموضع أنه قام وعليه عمامة خز سوداء وهو متكئ على قائم سيفه فقال بعد حمد الله تعالى والصلاة على نبيه وقد كان من قضاء الله جل وعز أن جمعنا وأهل ديننا في هذه الرقعة من الأرض والله يعلم أني كنت لذلك
كارها ولكنهم لم يبلعونا ريقنا ولم يدعونا نرتاد لديننا وننظر لمعادنا حتى نزلوا في حريمنا وبيضتنا وقد علمنا أن بالقوم حلماء وطغاما
فلسنا نأمن طغاهم على ذرارينا ونسائنا وقد كنا لا نحب أن نقاتل أهل ديننا فأحرجونا حتى صارت الأمور إلى أن يصير غدا قتالنا حمية فإنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين والذي بعث محمدا بالحق لوددت أني مت قبل هذا ولكن الله تبارك وتعالى إذا أراد أمرا لم يستطع العباد رده فنستعين بالله العظيم ثم انكفأ
تخنثه في حداثته
ولم تكن لعبد الله بن يزيد نباهة من ذكرت من آبائه وأهل المثالب يقولون إنه دعي وكان مع عمرو بن سعيد الأشدق على شرطته أيام خلافة عبد الملك بن مروان فلما قتل عمرو هرب حتى سألت اليمانية عبد الملك فيه لما أمن الناس عام الجماعة فأمنه ونشأ خالد بن عبد الله بالمدينة وكان في حداثته يتخنث ويتتبع المغنين والمخنثين ويمشي بين عمر بن أبي ربيعة وبين النساء في رسائلهن إليه وفي رسائله إليهن وكان يقال له خالد الخريت فقال مصعب الزبيري كل ما ذكره عمر بن
أبي ربيعة في شعره فقال أرسلت الخريت أو قال أرسلت الجري فإنما يعني خالدا القسري وكان يترسل بينه وبين النساء
أخبرني بذلك الحرمي ومحمد بن مزيد وغيرهما عن الزبير عن عمه وأخبرني عمي قال حدثني الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي قال
كان صديقا لعمر بن أبي ربيعة
بينما عمر بن أبي ربيعة ذات يوم يمشي ومعه خالد بن عبد الله القسري وهو خالد الخزاعي الذي يذكره في شعره إذا هما بأسماء وهند اللتين كان عمر يشبب بهما وهما يتماشيان فقصداهما وجلسا معهما مليا فأخذتهم السماء ومطروا فقام خالد وجاريتان للمرأتين فظللوا عليهم بمطرفة وبردين له حتى كف المطر وتفرقوا وفي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة
(أفي رسم دارٍ دمعُكَ المترقرقُ ... سفَاهاً وما استنطاق ما ليس ينطِق)
(بحيث التقى جَمعٌ ومُفْضَى مُحسِّرٍ ... معالمُ قد كادت على الدهر تَخْلَق)
(ذكرتُ بها ما قد مضى من زماننا ... وذكرُكِ رسمَ الدّار مما يشوّق)
(مُقاماً لنا عند العشاء ومَجْلساً ... لنا لم يكدِّره علينا مُعوِّق)
(وممشَى فتاةٍ بالكساء يَكُنُّها ... به تحت عينٍ برقُها يتألَّق)
(يُبِلُّ أعالِي الثوب قطرٌ وتحته ... شعُاعٌ بدا يُعْشِي العيونَ ويُشرقُ)
(فأحسنُ شيء بدءُ أولِ ليلةٍ ... وآخرُها حُزْنٌ إذا نتفرق)
الغناء في هذه الأبيات لمعبد خفيف ثقيل أول بالسبابة والوسطى عن يحيى المكي وذكر الهشامي أنه منحول
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو العباس المروزي قال حدثنا ابن عائشة قال
حضر ابن أبي عتيق عمر بن أبي ربيعة يوما وهو ينشد قوله
(ومن كان محروباً لإهْراق دمعة ... وَهَى غربُها فليأتنا نَبْكِه غدا)
(نُعِنه على الإثكال إن كان ثاكلاً ... وإن كان محزوناً وإن كان مُقْصَدا)
قال فلما أصبح ابن أبي عتيق أخذ معه خالدا الخريت وقال قم بنا إلى عمر فمضينا إليه فقال له ابن أبي عتيق قد جئنا لموعدك قال وأي موعد بيننا قال قولك فليأتنا نبكه غدا
قد جئناك لموعدك والله لا نبرح أو تبكي إن كنت صادقا في قولك أو ننصرف على أنك غير صادق ثم مضى وتركه
قال ابن عائشة خالد الخريت هو خالد القسري
أخبرنا علي بن صالح بن الهيثم قال حدثنا أبو هفان عن إسحاق وأخبرنا محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه عن الحزامي والمثنى ومحمد بن سلام قالوا
خرجت هند والرباب إلى متنزه لهما بالعقيق في نسوة فجلستا هناك تتحدثان مليا ثم أقبل إليهما خالد القسري وهو يومئذ غلام مؤنث يصحب المغنين والمخنثين ويترسل بين عمر بن أبي ربيعة وبين النساء

فجلس إليهما فذكرتا عمر بن أبي ربيعة وتشوقتاه فقالتا لخالد يا خريت وكان يعرف بذلك لك عندنا حكمك إن جئتنا بعمر بن أبي ربيعة من غير أن يعلم أنا بعثنا بك إليه فقال أفعل فكيف تريان أن أقول له قالتا تؤذنه بنا وتعلمه أنا خرجنا في سر منه ومره أن يتنكر ويلبس لبسة الاعراب ليرانا في أحسن صورة ونراه في أسوإ حال فنمزح بذلك معه فجاء خالد إلى عمر فقال له هل لك في هند والرباب وصواحبات لهما قد خرجن إلى العقيق على حال حذر منك وكتمان لك أمرهما قال والله إني إلى لقائهن لمشتاق قال فتنكر والبس لبسة الاعراب وهلم نمض إليهن ففعل ذلك عمر ولبس ثيابا جافية وتعمم عمة الأعراب وركب قعودا له على رحل غير جيد وصار إليهن فوقف منهن قريبا وسلم
فعرفنه فقلن هلم إلينا يا أعرابي فجاءهن وأناخ قعوده وجعل يحدثهن وينشدهن فقلن له يا أعرابي ما أظرفك وأحسن إنشادك فما جاء بك إلى هذه الناحية قال جئت أنشد ضالة لي فقالت له هند أنزل إلينا واحسر عمامتك عن وجهك فقد عرفنا ضالتك وأنت الآن تقدر انك قد احتلت علينا ونحن والله احتلنا عليك وبعثنا إليك بخالد الخريت حتى قال لك ما قال فجئتنا على أسوأ حالاتك وأقبح ملابسك فضحك عمر ونزل إليهن فتحدث معهن حتى أمسوا ثم إنهم تفرقوا ففي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة
صوت
(ألم تعرفِ الأطلالَ والمتربَّعا ... ببطنِ حُلَيَّات دوارس بلقعا)
(إلى السَّرْحِ من وادي المغمَّس بُدِّلَت ... معالمه وبلا ونكباءَ زعزعا)
(فيَبْخلْنَ أو يُخبرن بالعلم بعد ما ... نَكَأْنَ فؤاداً كان قِدْماً مفجَّعا)
(لهندٍ وأتْرابٍ لهند إذ الهوى ... جميعٌ وإذْ لم نَخْشَ أن يتصدّعا)
في هذه الأبيات ثقيل أول لمعبد
(تبالهنَ بالعِرفان لمّا رأينني ... وقُلْنَ امرؤ باغٍ أكلَّ وأوضعَا)
(وقرّبن أسبابَ الهوى لمتيّمٍ ... يقيس ذِراعاً كلّما قِسْنَ إصْبعا)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن
المدائني وذكر مثل ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى
أن كرز بن عامر جد خالد بن عبد الله عبد كان آبقا عن مواليه عبد القيس من هجر ويقال إن أصله من يهود تيماء وكان أبق فظفرت به عبد شمس فكان فيهم عند غمغمة بن شق الكاهن ثم وهبوه لقوم من بني طهية فكان عندهم حتى أدرك وهرب فأخذته بنو أسد بن خزيمة فكان فيهم وتزوج مولاة لهم يقال لها زرنب ويقال إنها كانت بغيا فأصابها فولدت له أسد بن كرز سماه باسم أسد بن خزيمة لرقة كانت فيهم ثم أعتقوه ثم إن نفرا من أهل هجر مروا به فعرفوه فلما رجعوا إلى هجر اخذوا فداءه وصاروا إلى مواليه فاشتروه وابنه فلم يزل فيهم حتى خرج معهم في تجارة إلى الطائف فلما رأى دار بجيلة أعجبته فاشترى نفسه وابنه فجاء فنزل فيهم فأقام مدة ثم ادعى إليهم وعاونه على ذلك حي من أحمس يقال لهم بنو منبة فنفاهم أبو عامر ذو الرقعة سمي بذلك لأن عينه أصيبت فكان يغطيها بخرقة وهو ابن عبد شمس بن جوين بن شق فنزل كرز في بني سحمة هاربا من ذي الرقعة ثم وثب على ابن عم للقتال بن مالك السحمي فقتله وهرب إلى البحرين مع التجار فأقام مدة ثم مات ونشأ ابنه يزيد بن أسد يدعي في بجيلة ولا تلحقه إلى أن مات ونشأ ابنه عبد الله بن يزيد ثم مضى إلى حبيب بن مسلمة الفهري وكتب له وكان كاتبا مفوها وذلك في إمارة عثمان بن
عفان فنال حظا وشرفا وكان يقال له خطيب الشيطان ووسم خيله القسري ثم تدسس ليملك خيلا في بلاد قسر فمنعته بجيلة ذلك أشد المنع فلم يقدر عليه حتى عظم أمره ونشأ ابنه خالد ومات هو فكان خالد في مرتبته ثم ولي العراق وقال قيس بن القتال له في هذا المعنى
(ومن سَمَّاك باسمك يا بن كرز ... وأين المولد المعروف تدري)
وقال بجير بن ربيعة السحمي
(نفته من الشّعبين قَسرٌ بعزّها ... إلى دار عبد القيس نَفْيَ المُزَنَّم)

أبوه وابن نصير في حضرة عبد الملك بن مروان

قال أبو عبيدة وكان بين عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز وبين أبي موسى بن نصير كلام عند عبد الملك بن مروان فقال له عبد الله إنما أنت عبد لعبد القيس فقال اسكت فقد عرفناك إن لم تعرف نفسك فقال له عبد الله أنا ابن أسد بن كرز نحن الذين نضمن الشهر ونطعم الدهر فقال له تلك قسر ولست منهم وإنما أنت عبد آبق قد كنت أراك تروم مثل ذلك فلا تقدر عليه ثم نفاه جرير بن عبد الله إلى الشام فأقام بها مدة ثم مضى إلى حبيب فقال له دع ذكر البحرين لفرارك أتراك منهم وأنت عبد واهلك من يهود تيماء فأسكتهما عبد الملك ولم يسره ما قال عبد الله لأبي موسى بن نصير لأنه كان على شرطه عمرو بن سعيد يوم قتله فقال في ذلك أبو موسى بن نصير
((جاريت غيرَ سَؤُومٍ في مطاولة ... يا بن الوشائط من أبناء ذي هجر
(لا من نزارٍ ولا قحطانٍ تعرفكم ... سوى عبيدٍ لعبد القيس أو مُضر)

عرفت أسرته بالكذب

وقال أبو عبيدة فأخبرني عبد الله بن عمر بن زيد الحكمي قال
كان يزيد بن أسد يلقب خطيب الشيطان وكان أكذب الناس في كل شيء معروفا بذلك ثم نشأ ابنه عبد الله فسلك منهاجه في الكذب ثم نشأ خالد ففاق الجماعة إلا أن رياسة وسخاء كانا فيه سترا ذلك من أمره
قال عمر بن زيد فإني لجالس على باب هشام بن عبد الملك إذ قدم إسماعيل بن عبد الله أخو خالد بخبر المغيرة بن سعد وخروجه بالكوفة فجعل يأتي بأحاديث أنكرها فقلت له من أنت يا بن أخي قال إسماعيل بن عبد الله بن يزيد القسري فقلت يا بن أخي لقد أنكرت ما جرى حتى عرفت نسبك فجعل يضحك
أخبرني اليزيدي عن سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم وذكره أبو عبيدة واللفظ له قالا
كان خالد بن عبد الله من أجبن الناس فلما خرج عليه المغيرة عرف ذلك وهو على المنبر فدهش وتحير فقال أطعموني ماء فقال الكميت في ذلك ومدح يوسف بن عمر
((خرجتَ لهم تمشي البَراحَ ولم تكن ... كمن حِصْنُه فيه الرِّتاجُ المُضَبَّبُ)
(وما خالدٌ يستطعم الماءَ فاغرا ... بعدْلِكَ والداعي إلى الموت ينعَبُ)
وقال ابن الكلبي أول كذبة كذبتها في النسب أن خالد بن عبد الله سألني عن جدته أم كرز وكانت أمة بغيا لبني أسد

يقال لها زرنب فقلت له هي زينب بنت عرعرة بن جذيمة بن نصر بن قعين فسر بذلك ووصلني

بنو أسد يتبرؤون منه

قال قال خالد ذات يوم لمحمد بن منظور الأسدي يا أبا الصباح قد ولدتمونا فقال ما أعرف فينا ولادة لكم وإن هذا لكذب فقيل له لو أقررت للأمير بولادة ما ضرك قال أأفسد وأستنبط ما ليس مني وأقر بالكذب على قومي فأمر خالد خداشا الكندي وكان عامله بضرب مولى لعباد بن إياس الأسدي فقتله فرفع إلى خالد فلم يقده فوثب عباد على خداش فقتله وقال

(لعمري لئن جارتْ قضيةُ خالدٍ ... عن القصد ما جارت سيوف بني نصر)

فأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائني عن سحيم بن حصين قال

قتل خداش الكندي رجلا من بني أسد وكان الكندي عاملا لخالد

القسري فطولب بالقود وهو على دهلك فقال والله لئن أقدت من عاملي لأقيدن من نفسي ولئن أقدت من نفسي ليقيدن أمير المؤمنين من نفسه ولئن أقاد أمير المؤمنين من نفسه ليقيدن رسول الله من نفسه ولئن أقاد رسول الله من نفسه هاه هاه يعرض بالله عز وجل لعنة الله على خالد

أعشى همدان يهجوه ويهجو أمه

أخبرني الحسن قال حدثنا الخراز عن المدائني عن عيسى بن يزيد وابن جعدبة وأبي اليقظان قالوا

كانت أم خالد رومية نصرانية فبنى لها كنيسة في ظهر قبلة المسجد الجامع بالكوفة فكان إذا أراد المؤذن في المسجد أن يؤذن ضرب لها بالناقوس وإذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقراءتهم

فقال أعشى همدان يهجوه ويعيره بأمه وكان الناس بالكوفة إذا ذكروه في ذلك الوقت قالوا ابن البظراء فأنف من ذلك فيقال إنه ختن أمه وهي كارهة فعيره الأعشى بذلك حين يقول

(لعمرُكَ ما أدري وإني لسائلٌ ... أبظراءُ أم مختونةٌ أمُّ خالدِ)

((فإن كانت الموسى جرت فوق بَظرها ... فما خُتِنت إلا ومَصّانُ قاعد

(يرى سوأة من حيث أطلع رأسه ... تمرّ عليها مرهفاتُ الحدائِدِ)

وقال أيضا فيه يرميه باللواط

(ألم تَرَ خالداً يَختار ميماً ... ويترك في النِّكاح مَشَقَّ صادِ)

(ويُبغِض كلَّ آنسةٍ لعوبٍ ... وينكِح كلَّ عبدٍ مستقاد)

(ألا لعن الإلهُ بني كُرَيْزٍ ... فكرٌّ من خنازير السواد)

قال المدائني في خبره وأخبرني ابن شهاب بن عبد الله قال قال لي خالد بن عبد الله القسري

اكتب لي النسب فبدأت بنسب مضر فمكثت فيه أياما ثم أتيته فقال ما صنعت فقلت بدأت بنسب مضر وما أتممته فقال اقطعه قطعه الله مع أصولهم واكتب لي السيرة فقلت له فإنه يمر بي الشيء من سير علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فأذكره فقال لا إلا أن تراه في قعر الجحيم لعن الله خالدا ومن ولاه وقبحهم وصلوات الله على أمير المؤمنين

أخبار عن زندقته

وقال أبو عبيدة حدثني أبو الهذيل العلاف قال

صعد خالد القسري المنبر فقال إلى كم يغلب باطلنا حقكم أما آن لربكم أن يغضب لكم وكان زنديقا أمه نصرانية فكان يولي النصارى والمجوس على المسلمين ويأمرهم بامتهانهم وضربهم وكان أهل الذمة يشترون الجواري المسلمات ويطئونهن فيطلق لهم ذلك ولا يغير عليهم

وقال المدائني كان خالد يقول لو أمرني أمير المؤمنين نقضت الكعبة حجرا حجرا ونقلتها إلى الشام

قال ودخل عليه فراس بن جعدة بن هبيرة وبين يديه نبق فقال له العن علي بن أبي طالب ولك بكل نبقة دينار ففعل فأعطاه بكل نبقة دينارا

قال المدائني وكان له عامل يقال له خالد بن أمي وكان يقول والله لخالد بن أمي أفضل أمانة من علي بن أبي طالب صلوات الله عليه

وقال له يوما أيما أعظم ركيتنا أم زمزم فقال له أيها الأمير من يجعل الماء العذب النقاخ مثل الملح الأجاج وكان يسمى زمزم أم الجعلان

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال

أتى الفرزدق خالد بن عبد الله القسري يستحمله في ديات حملها فقال له إيه يا فرزدق كأني بك قد قلت آتي الحائك بن الحائك فأخدعه عن ماله إن أعطاني أو أذمه إن منعني

فأنا حائك بن حائك

ولست أعطيك شيئا فاذممني كيف شئت فهجاه الفرزدق بأشعار كثيرة منها

(ليتني من بَجيلةِ اللؤم حتى ... يُعْزَلَ العاملُ الذي بالعراق)

(فإذا عامل العراقين ولّى ... عدت في أسرة الكرام العتاق)

قال وإنما أراد خالد بقوله الحائك بن الحائك تصحيح نسبه في اليمن والانتفاء من العبودية لأهل هجر

تطاوله على الخلافة والنبوة

كان خالد شديد العصبية على مضر

وبلغ هشاما أنه قال ما ابني يزيد بن خالد بدون مسلمة بن هشام فكان ذلك سبب عزله إياه عن العراق

قال وخطب بمكة وقد أخذ بعض التابعين فحبسه في دور آل الحضرمي فأعظم الناس ذلك وأنكروه فقال قد بلغني ما أنكرتم من أخذي عدو أمير المؤمنين ومن حاربه والله لو أمرني أمير المؤمنين أن أنقض هذه الكعبة حجرًا حجراً لنقضتها والله لأمير المؤمنين أكرم على الله من أنبيائه عليهم السلام ولعن الله تعالى خالدا وأخزاه

أخبرني أبو عبيدة الصيرفي قال حدثنا الفضل بن الحسن المصري قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني عبيد الله بن حباب قال حدثني عطاء بن مسلم قال قال خالد بن عبد الله وذكر النبي فقال

أيما أكرم عندكم على الرجل رسوله في حاجته أو خليفته في أهله يعرض بأن هشاما خير من النبي

قال أبو عبيدة خطب خالد يوما فقال إن إبراهيم خليل الله استسقى ماء فسقاه الله ملحا أجاجا وإن أمير المؤمنين

استسقى الله ماء فسقاه الله عذبا نقاخا وكان الوليد حفر بئرا بين ثنية ذي طوى وثنية الحجون فكان خالد ينقل ماءها فيوضع في حوض إلى جنب زمزم ليرى الناس فضلها
قال فغارت تلك البئر فلا يدرى أين هي إلى اليوم
كرهه لعلي بن أبي طالب
أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا العباس بن ميمون طايع عن ابن عائشة قال
كان خالد بن عبد الله زنديقا وكانت أمه رومية نصرانية وهبها عبد الملك لأبيه فرأى يوما عكرمة مولى ابن عباس وعلى رأسه عمامة سوداء فقال إنه بلغني أن هذا العبد يشبه علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وسلامه وإني لأرجو أن يسود الله وجهه كما سود وجه ذاك
قال حدثني من سمعه وقد لعن عليا صلوات الله عليه وسلامه فقال في ذكره علي بن أبي طالب بن عم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وزوج ابنته فاطمة وأبو الحسن والحسين هل كنيت اللهم العن خالدا واخزه وجدد على روحه العذاب
وقال أبو عبيدة ذكر إسماعيل بن خالد بن عبد الله القسري بني أمية عند أبي العباس السفاح في دولة بني هاشم فذمهم وسبهم وقال له حماس الشاعر مولى عثمان بن عفان يا أمير المؤمنين أيسب بني عمك وعمالهم وعماتك رجل اجتمع هو والخريت في نسب أن بني أمية لحمك ودمك فكلهم ولا تؤكلهم فقال له صدقت وأمسك إسماعيل فلم يحر جوابا
سليمان أمر له بمائة سوط
وقال ابن الكلبي كان خالد بن عبد الله أميرا على مكة فأمر رأس الحجبة أن يفتح له الباب وهو ينظر فأبى فضربه مائة سوط فخرج الشيبي إلى سليمان بن عبد الملك يشكوه فصادف الفرزدق بالباب فاسترفده فلما أذن للناس ودخلا شكا الشيبي ما لحقه من خالد ووثب الفرزدق فأنشأ يقول
(سلُوا خالداً لا أكرم الله خالداً ... متى وليَتْ قسرٌ قريشاً تَدينُها)
(أَقَبْلَ رسولِ الله أم ذاك بعدَه ... فتلك قريشٌ قد أغثَّ سمينُها)
(رَجَونا هُدَاه لا هدَى الله خالداً ... فما أمُّه بالأم يُهْدَى جنِينُها)
فحمي سليمان وأمر بقطع يد خالد وكان يزيد بن المهلب عنده فما زال يفديه ويقبل يده حتى أمر بضربه مائة سوط ويعفى عن يمينه فقال الفرزدق في ذلك
(لعمري لقد صُبَّتْ على ظهر خالد ... شآبيبُ ما استَهْلَلْنَ من سَبَلِ القَطر)
(أيُضْربُ في العِصيان من كان طائعاً ... ويَعصِي أميرَ المؤمنين أخو قَسْر)
(فنفسَك لُمْ فيما أتيتَ فإنما ... جُزيت جزاءً بالمُحَدْرَجَةِ السُّمر)
(وأنتَ ابنُ نصرانيَّةٍ طال بَظْرها ... غَذَتْك بأولادِ الخنازير والخمر)
(فلولا يزيدُ بن المهلَّب حلَّقَتْ ... بكفك فتخاءٌ إلى الفرخ في الوكر)
(لَعمري لقد صالَ ابنُ شيبةَ صولةً ... أرتْك نجومَ الليل ظاهرةً تسري)
هجو الفرزدق له
فحقدها خالد على الفرزدق فلما وُلّي وحفر نهر العراق بواسط قال فيه الفرزدق أبياتا يهجوه منها
(وأهلكتَ مالَ الله في غير حقِّهِ ... على النَّهرِ المشؤوم غيرِ المباركِ)
(وتضرب أقواماً صِحاحاً ظُهورُهم ... وتتْركُ حقَّ الله في ظهر مالِك)
وقال ويقال إنها للمفرج بن المرقع
(كأنك بالمباركِ بعد شهرٍ ... يخوض غمارَهُ نَقْعُ الكلاب)
(كذبت خليفةَ الرحمن عنه ... وكيف يرى الكذوبُ جزا الكِذاب)
فأخذ خالد الفرزدق فحبسه واعتل عليه بهجائه إياه في حفر المبارك فقال الفرزدق في السجن
(أبلغْ أميرَ المؤمنين رسالةً ... فعجِّل هداكَ الله نزعَك خالدَا)
(بَنَى بِيعةً فيها الصَّليبُ لأمِّهِ ... وهدَّم من بغض الإله المساجدَا)
فبعث هشام إلي خالد بن سويد يأمره بإطلاق الفرزدق فأطلقه فقال الفرزدق يهجو خالدا القسري
(ألا لَعن الرحمنُ ظهرَ مطيةٍ ... أتتْنا تَخَطَّى من بعيد بخالد)
(وكيف يؤمُّ المسلمين وأمُّه ... تدين بأنّ الله ليس بواحد)
أخبرنا الحسن قال حدثنا أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائني قال
شتم عبد الله بن عياش الهمداني خالد بن عبد الله في أيام منصور بن جمهور فسمعه رجل من لخم فقدمه إلى منصور واستعداه عليه فقال له منصور ما تريد فقال ابن عياش أمرنا أيها الأمير برقية العقرب وفيه عجب لخمي يستنصر كلبيا على همذاني لبجلي دعي
وقال المدائني في خبره كان خالد بن عبد الله قريبا من هشام بن عبد الملك مكينا عنده فأدل وتمرغ عليه حتى إنه التفت يوما إلى ابنه يزيد بن خالد عند هشام فقال له كيف بك يا بني إذا احتاج إليك بنو أمير المؤمنين قال أواسيهم ولو في قميصي فتبين الغضب في وجه هشام واحتملها
لقب هشاما بابن الحمقاء
قال المدائني حدثني بذلك عبد الكريم مولى هشام إنه كان واقفا على رأس هشام فسمع هذا من خالد قال وكان إذا ذكر هشام قال له ابن الحمقاء فسمعها رجل من أهل الشام فقال لهشام إن هذا البطر الأشر الكافر لنعمتك ونعمة أبيك وإخوتك يذكرك بأسوأ الذكر فقال ماذا يقول لعله يقول الأحول قال لا والله ولكن مالا تنشق به الشفتان قال فلعله قال ابن الحمقاء فأمسك الشامي فقال قد بلغني كل ذلك عنه
واتخذ خالد ضياعا كثيرة حتى بلغت غلته عشرة آلاف ألف درهم فدخل عليه دهقان كان يأنس به فقال له إن الناس يحبون جسمك وأنا أحب جسمك وروحك قد بلغت غلة ابنك أكثر من عشرة آلاف ألف سوى غلتك وإن الخلفاء لا يصبرون على هذا فاحذر فقال له خالد إن أخي أسد بن عبد الله قد كلمني بمثل هذا أفأنت أمرته قال نعم قال ويحك دعه فرب يوم كان يطلب فيه الدرهم فلا يجده
عرف ببخله الشديد

وقال المدائني في خبره كان خالد بن عبد الله بخيلا على الطعام فوفد إليه رجل له به حرمة فأمر أن يكتب له بعشرة آلاف درهم وحضر الطعام فأتي به فأكل أكلا منكرا فأغضبه وقال للخازن لا تعرض علي صكه فعرفه الخازن ذلك فقال له ويحك فما الحيلة قال تشتري غدا كل ما يحتاج إليه في مطبخه وتهب الطباخ دراهم حتى لا يشتري شيئًا وتسأله إذا أكل خالد أن يقول له إنك اليوم في ضيافة فلان فاشترى كل ما أراد حتى الحطب فبلغ خمسمائة درهم فأكل خالد فاستطاب ما صنع له

فقال له الطباخ إنك كنت اليوم في ضيافة فلان قال له وكيف ذاك فأخبره فاستحيا خالد ودعا بصكه فصيره ثلاثين ألفا ووقع فيه وأمر الخازن بتسليمها إليه

قال وكان لبعض التجار على رجل دين فأراد استعداء خالد عليه فلاذ الرجل ببواب خالد وبره فقال له سأحتال لك في أمر هذا بحيلة لا يدخله عليه أبدا قال فافعل فلما جلس خالد للأكل أذن البواب للتاجر فدخل وخالد يأكل سمكا فجعل يأكل أكلا شنيعا كثيرا فغاظ ذلك خالدا فلما خرج قال لبوابه فيم أتاني هذا قال يستعدي على فلان في دين يدعيه عليه قال والله إني لأعلم أنه كاذب فلا يدخلن علي وتقدم إلى صاحب الشرطة بقبض يده عن صاحبه

كان يلحن في خطبه

وقال المدائني في خبره

كان خالد يوما يخطب على المنبر وكان لحنة وكان له مؤدب يقال له الحسين بن رهمة الكلبي وكان يجلس بإزائه فإذا شك في شيء أومأ إليه وكان لخالد صديق من تغلب زنديق يقال له زمزم فلما قام يخطب على المنبر قام إليه التغلبي في وسط خطبته وقال قد حضرتني مسألة قال ويحك أما ترى الشيطان عينه في عيني يعني حسينا قال لا بد والله منها قال هاتها قال أخبرني قلمسان إذا ساف ثم رفع رأسه وكرف أي شيء يقول قال أراه يقول ما أطيبه يا رباه قال صدقت ما كان ليستشهد على هذا سوى ربه

قال المدائني وقال خالد يوما على المنبر هذا كما قال الله عز وجل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم أرتج عليه فقال للتغلبي قم فافتح علي يا أبا زمزم سورة كذا وكذا فقال خفض عليك أيها الأمير لا يهولنك ذلك فما رأيت قط عاقلا حفظ القرآن وإنما يحفظه الحمقى من الرجال قال صدقت يرحمك الله

وقال المدائني حدثني أبو يعقوب الثقفي قال

قال خالد بن عبد الله للعريان يا عريان أعجزت عن الشرط حتى أولي غيرك فإن الغناء قد فشا وظهر قال لم أعجز وإن شئت فاعزلني فقال له خذ لي المغنيات فأحضره خمسا منهن أو ستا فأدخلهن إليه فنظر

إلى واحدة منهن بيضاء دعجاء كأنها أشربت ماء الذهب فدعا لها بكرسي فجلست ثم قال لها أين البربط الذي كانت تضرب به فأحضِر ثم سوته فغنت

(إلى خالدٍ حتّى أنخنَ بخالدٍ ... فنعم الفتى يُرجَى ونعم المؤمّلُ)

فقال اعدلي عن هذا إلى غيره فغنت

(أروحُ إلى القصّاص كل عَشيَّةٍ ... أرجِّي ثوابَ الله في عدد الخُطَا)

قال وأقبل قاص المصر فقال له خالد أكانت هذه تروح إليك قال لا وما مثلها يروح إلي قال خذ بيدها فهي لك ومولاها بالباب فسأل عنها فقيل وهبها للقاص فتحمل عليه بأشراف الكوفة فلم يرددها حتى اشتراها منه بمائتي دينار

وقال المدائني قال خالد في خطبته والله ما إمارة العراق مما يشرفني فبلغ ذلك هشاما فغاظه جدا وكتب إليه بلغني يا بن النصرانية أنك تقول إن إمارة العراق ليست مما يشرفك صدقت والله ما شيء يشرفك وكيف تشرف وأنت دعي إلى بجيلة القبيلة القليلة الذليلة أما والله إني لأظن أن أول ما يأتيك ضغن من قيس فيشد يديك إلى عنقك

هشام يعزله ويعذبه

وقال المدائني حدثني شبيب بن شيبة عن خالد بن صفوان بن الأهتم

قال لم تزل أفعال خالد به حتى عزله هشام وعذبه وقتل ابنه يزيد بن خالد فرأيت في رجله شريطا قد شد به والصبيان يجرونه فدخلت إلى هشام يوما فحدثته وأطلت فتنفس ثم قال يا خالد رب خالد كان أحب إلي قربا وألذ عندي حديثا منك قال يعني خالدا القسري فانتهزتها ورجوت أن أشفع له فتكون لي عند خالد يد فقلت يا أمير المؤمنين فما يمنعك من استئناف الصنيعة عنده فقد أدبته بما فرط منه فقال هيهات إن خالدا أوجف فأعجف وأدل فأمل وأفرط في الإساءة فأفرطنا في المكافأة فحلم الأديم ونغل الجرح وبلغ السيل الزبى والحزام الطبيين فلم يبق فيه مستصلح ولا للصنيعة عنده موضع عد إلى حديثك

أخباره مع عمر بن أبي ربيعة

فأما أخباره في تخنثه وإرسال عمر بن أبي ربيعة إياه إلى النساء فأخبرني به علي بن صالح بن الهيثم عن أبي هفان عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن عثمان بن إبراهيم الحاطبي وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن الحارث بن سعد السعيدي عن إبراهيم بن قدامة الحاطبي عن أبيه واللفظ لعلي بن صالح في خبره قالا قال الحاطبي

أتيت عمر بن أبي ربيعة بعد أن نسك بسنين فانتظرته في مجلس قومه حتى إذا تفرق القوم دنوت منه ومعي صاحب لي فقال لي صاحبي هل لك في أن تريغه عن الغزل فننظر هل بقي منه شيء عنده فقلت له دونك فقال يا أبا الخطاب أحسن والله ريسان العذري قاتله الله قال وفيم أحسن قلت حيث يقول

(لو جُزَّ بالسيف رأسِي في مودّتها ... لمالَ لا شكَ يَهوي نحوَها راسي)

فقال نعم أحسن فقلت يا أبا الخطاب وأحسن والله تحية بن جنادة العذري قال في ماذا قلت حيث يقول

(سرت لعينيك سَلْمى بعد مغفاها ... فبِتَّ مستوهناً من بَعْدِ مسراها)

(فقلت أهلاً وسهلاً من هَدَاكِ لنا ... إن كنتِ تمثالَها أو كنتِ إيَّاها)

وفي رواية الزبير خاصة

(تأتي الرياحُ التي من نَحْوِ أرضِكم ... حتى أقولُ دنَتْ منّا برَيّاها)

(وقد تراخت بها عنّا نوىً قَذَفٌ ... هيهاتَ مُصْبَحُها من بعدِ مُمْسَاها)

(مِنْ حُبِّها أتمنَّي أنْ يلاقِيَني ... من نحوِ بلدتها ناعٍ فينعاها)

(كيما أقولَ فِراقٌ لا لقاء له ... وتُضمِرَ اليأسَ نفسِي ثم تَسْلاها)

(ولو تموت لراعتْنِي وقلتُ لها ... يا بؤسَ للدهر ليت الدهرَ أبقاها)
ويروي
(لراعتني منِيَّتُها وقلتُ يا بؤس ليت الدهرَ أبقاها)
فضحك عمر ثم قال يا ويحه أحسن والله لقد هيجتما علي ما
كان ساكنا مني فلأحدثنكما حديثا حلوا بينا أنا أول أعوامي جالس إذا بخالد الخريت قال مررت بأربع نسوة قبيل يردن ناحية كذا وكذا من مكة لم أر مثلهن قط فيهن هند فهل لك أن تأتيهن متنكرا فتسمع من حديثهن ولا يعلمن فقلت وكيف لي بأن يخفى ذلك قال تلبس لبسة الأعراب ثم تقعد على قعود كأنك تنشد ضالة فلا يشعرن حتى تهجم عليهن قال فجلست على قعود ثم أتيتهن فسلمت عليهن فآنسنني وسألنني أن أنشدهن فأنشدتهن لكثير وجميل وغيرهما وقلن يا أعرابي ما أملحك لو نزلت فتحدثت معنا يومنا هذا فإذا أمسيت انصرفت فأنخت قعودي وجلست معهن فحدثتهن وأنشدتهن فدنت هند فمدت يدها فجذبت عمامتي فألقتها عن رأسي ثم قالت تالله لظننت أنك خدعتنا نحن والله خدعناك أرسلنا إليك خالدا الخريت في إتياننا بك على أقبح هيئتك ونحن على أحسن هيئتنا ثم أخذن بنا في الحديث فقالت إحداهن يا سيدي لو رأيتني منذ أيام وأصبحت عند أهلي فأدخلت رأسي في جيبي فنظرت إلى حري فرأيته ملء العس والقس فصحت يا عمراه فصحت لبيك لبيك ولم أزل معهن في أحسن وقت إلى أن أمسينا فتفرقنا عن أنعم عيش فذلك حين أقول
(ألم تعرفِ الأطلالَ والمتربَّعا ... ببطن حُلَيّات دَوارسَ بَلْقعا)
وذكر الأبيات
انقضت أخبار خالد لعنة الله عليه أبدا

صوت

(أنائلُ ما رؤيا زعمتِ رأيْتِها ... لنا عجبٌ لو أنَّ رؤياكِ تَصْدُقُ)
(أنائلُ ما للعيش بعدك لذةٌ ... ولا مشربٌ نلقاه إلا مُرَنَّق)
(أنائلُ إنّي والذي أنا عبدُه ... لقد جعلتْ نفسي من البين تُشفِق)
(لعمرك إن البين منك يشوقني ... وبعضُ بُعادِ البين والنأي أشوقُ)
الشعر لصخر بن الجعد الخضري
أخبرنا بذلك محمد بن مزيد عن الزبير بن بكار أن عمه أنشده هذه القصيدة لصخر بن الجعد الخضري وأنا أذكرها بعقب أخبار صخر ومن الناس من يروي هذه الأبيات لجميل ولم يأت ذلك من وجه يصح والزبير أعلم بأشعار الحجازيين والغناء لعريب خفيف ثقيل عن الهشامي وفيه لابن المكي ثقيل أول بالوسطى عن عمرو

أخبار صخر بن الجعد ونسبه

صخر بن الجعد الخضري والخضر ولد مالك بن طريف بن محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر وصخر أحد بني جحاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف قال وسمي ولد مالك بن طريف الخضر لسوادهم وكان مالك شديد الأدمة وخرج ولده إليه فقيل لهم الخضر والعرب تسمي الأسود الأخضر
وهو شاعر فصيح من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية وقد كان يعرض لابن ميادة لما انقضى ما بينه وبين حكم الخضري من المهاجاة ورام أن يهاجيه فترفع ابن ميادة عنه

خبره مع محبوبته كأس

أخبرني بخبره علي بن سليمان الأخفش عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن الزبير بن بكار مجموعا وأخبرني بأخبار له متفرقة
الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار
وحدثني بها غيرهما من غير رواية الزبير فذكرت كل شيء من ذلك مفردا ونسبته إلى راويه
قال الزبير فيما رواه هارون عنه
حدثني من أثق به عن عبد الرحمن بن الأحول بن الجون قال
كان صخر بن الجعد مغرما بكأس بنت بجير بن جندب وكان يشبب بها فلقيه أخوها وقاص وكان شجاعا فقال له يا صخر إنك تتسبب بابنة عمك وشهرتها ولعمري ما بها عنك مذهب ولا لنا عنك مرغب فإن كانت لك فيها حاجة فهلم أزوجكها وإن لم تكن لك فيها حاجة فلا أعلمن ما عرضت لها بذكر ولا أسمعنه منك فأقسم بالله لئن فعلت ذلك ليخالطنك سيفي فقال له بل والله إن لي لأشد الحاجة إليها فوعده موعدا وخرج صخر لموعده حتى نزل بأبيات القوم فنزل منزل الضيف فقام وقاص فذبح وجمع أصحابه
وأبطأ صخر عنهم فلما رأى ذلك وقاص بعث إليه أن هلم لحاجتك فأبطأ ورجع الرسول فقال مثل قوله فغضب وعمد إلى رجل من الحي ليس يعدل بصخر يقال له حصن وهو مغضب لما صنع فحمد الله وأثنى عليه وزوجه كأس وافترق القوم ومروا بصخر فأعلموه تزويج كأس بحصن فرحل عنهم من تحت الليل واندفع يهجوها بالأبيات التي قذفها فيها فيما قذفها وذلك قوله حين يقول
((وأنكحَها حصناً لَيَطْمِسَ حَملَها ... وقد حملَتْ من قبل حصنٍ وجرَّتِ
أي زادت على تسعة أشهر قال وترافع القوم إلى المدينة وأميرها يومئذ طارق مولى عثمان قال فتنازعوا إليه ومعهم يومئذ رجل يقال له حزم وكان من أشد الناس على صخر شراً قال وفيه يقول صخر
(كفى حَزَناً لو يعلمُ النّاسُ أنّني ... أدافعُ كأساً عند أبوابِ طارقِ)
(أتنسَيْنَ أياماً لنا بسُوَيْقَةٍ ... وأيامَنا بالجِزع جِزْعِ الخلائق)
(ليالي لا نخشى انصِداعاً من الهوى ... وأيامَ حزمٌ عندنا غيرُ لائق)
(إذا قلت لا تَفْشِي حديثي تعجرفت ... زياداً لِوُدِّها هنا غير صادق)
قال فأقاموا عليه البينة بقذف كأس فضرب الحد وعاد إلى قومه وأسف على ما فاته من تزويج كأس فطفق يقول فيها الشعر

قصيدته في كأس

قال الزبير فأنشدني عمي وغيره لصخر قوله

(لقد عاودَ النمسَ الشقيَّةَ عِيدُها ... نعم إنَّهُ قد عاد نحساً سُعودُها)
(وَعاوَدَهُ من حُبِّ كأسٍ ضَمانةٌ ... على النأْيِ كانت هيضةً تستقيدها
(وأنى تَرجِّيها وأصبحَ وصلُها ... ضعيفاً وأمستِ هَمَّه لا يكيدها)
(وقد مَرَّ عصرٌ وهْي لا تستزيدُني ... لما استُوْدِعتْ عندي ولا أستزيدها)
(فما زلتَ حتى زلَّتِ النعلُ زلَّة ... برجلك في زوراءَ وعثٍ صعودها)
(ألا قل لكأسٍ إن عرضتَ لبيتِها ... فأين بُكا عيني وأين قصيدها)
(لعل البُكا يا كأسُ إن نفع البكا ... يُقرِّب دنيانا لنا فيعيدُها)
(وكانتْ تناهتْ لوعةُ الودِّ بيننا ... فقد أصبَحَتْ يُبْساً وأذبل عودُها)
ويروى وقد ذاء عودها يقال ذبل وذأى وذوى بمعنى واحد
(ليالِيَ ذاتُ الرمْس لا زال هيْجُها ... جنوباً ولا زالت سحابٌ تجودُها)
(وعيشٌ لنا في الدهر إذ كان قلبُه ... يطيب لديه بُخْلُ كأسٍ وجودُها)
(تذكَّرتُ كأساً إذ سَمِعتُ حمامةً ... بكت في ذُرا نخلٍ طِوالٍ جريدُها)
(دعت ساقَ حرٍّ فاستجبتُ لصوتها ... مولَّهةً لم يبقَ إلا شريدُها)
(فيا نفسُ صبراً كلُّ أسبابِ واصلٍ ... ستنمِي لها أسباب هَجْرٍ تُبيدُها)
قال أبو الحسن الأخفش
ستنمي لها أسباب صرم تبيدها أجود
(وليلٍ بَدَتْ للعين نارٌ كأنها ... سنا كوكبٍ للمستبين خُمودها)
((فقلت عساها نارُ كأسٍ وعلَّها ... تَشكَّى فأمْضِي نحوَها وأعودُها)
(فتسمع قولي قبل حتف يَصِيدُني ... تُسرُّ به أو قبْلَ حتفٍ يصيدها)
(كأن لم نكُنْ يا كأسُ إلْفَى مودةٍ ... إذِ الناسُ والأيامُ تُرْعَى عهودُها)
أخبرني عبد الله بن مالك النحوي قال حدثنا محمد بن حبيب قال
لما ضرب صخر بن الجعد الحد لكأس وصارت إلى زوجها ندم على ما فرط منه واستحيا من الناس للحد الذي ضربه فلحق بالشام فطالت غيبته بها ثم عاد فمر بنخل كان لأهله ولأهل كأس فباعوه وانتقلوا إلى الشام فمر بها صخر ورأى المبتاعين لها يصرمونها فبكى عند ذلك بكاء شديدا وأنشأ يقول
(مررتُ على خيماتِ كأسٍ فأسبلتْ ... مدامعُ عيني والرياحُ تُميلُها)
(وفي دارهمْ قومٌ سواهم فأسبلتْ ... دموعٌ من الأجفان فاض مسيلُها)
(كذاكَ الليالي ليسَ فيها بسالمٍ ... صديقٌ ولا يبقى عليها خليلُها)
وقال وهو بالشام
(ألا ليتَ شعري هل تغيَّرَ بَعدَنا ... عن العهدِ أم أمْسَى على حاله نجدُ)
(وعهدِي بنجدٍ منذ عشرين حِجَّةً ... ونحن بدنيا ثَمَّ لم نَلْقَها بعدُ)
(به الخوصةُ الدهماءُ تحت ظلالها ... رياضٌ بها الحَوْذان والنَّفَل الجعد)
قال ومر على غدير كانت كأس تشرب منه ويحضره أهلها ويجتمعون عليه فوقف طويلا عليه يبكي وكان يقال لذلك الغدير جنان فقال صخر
(بَلِيتُ كما يَبْلَى الرِّداءُ ولا أرَى ... جَناناً ولا أكنافَ ذِرْوَةَ تَخْلُقُ)
(ألوِّي حيازيمي بِهِنَّ صبابةً ... كما تتلوَّى الحيَّةُ المتشرِّقُ)
شعره في رثاء كأس
أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن حبيب قال قال السعيدي حدثني سبرة مولى يزيد بن العوام قال
كان صخر بن الجعد المحاربي خدنا لعوام بن عقبة وكان عوام يهوى امرأة من قومه يقال لها سوداء فماتت فرثاها فلما سمع صخر بن الجعد المرثية قال وددت أن أعيش حتى تموت كأس فأرثيها فماتت كأس فقال
(على أُمِّ داودَ السلامُ ورحمةٌ ... من الله يجري كلَّ يوم بشيرُها)
(غداة غدا الغادون عنها وغُودِرَتْ ... بلمَاعَةِ القِيعانِ يستنُّ مورُها)
(وغيِّبتُ عنها يوم ذاك وليتني ... شهدت فيحوي مَنْكِبيَّ سريرُها)
ويروى فيعلو منكبي
((نزَت كبدِي لما أتاني نِعيُّها ... فقلت أدانٍ صدعُها فمُطيرُها
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثني خالد بن الوضاح قال
قال عبد الأعلى بن عبيد بن محمد بن صفوان الجمحي لعبد الله بن مصعب سألني أمير المؤمنين اليوم في موكبه من الذي يقول
(ألا يا كأسُ قد أفنيتُ شِعْري ... فلستُ بقائلٍ إلا رجيعا)
ولم أدر لمن الشعر فقال عبد الله بن مصعب هو لصخر الخضري وأنشد باقي الأبيات وهي
(تُرجِّي أنْ تلاقيَ آلَ كأسٍ ... كما يرجو أخو السَّنَة الربيعا)
(فلستَ بنائمٍ إلا بحُزْنٍ ... ولا مستيقظاً إلا مَرُوعا)
(فإنَّكَ لو نظرتَ إذا التقينا ... إلى كبدِي رأيتَ بها صُدوعا)
ندمه بعد أن تزوجت كأس
قال ابن حبيب في رواية عبد الله بن مالك لما زوجت كأس جزع صخر بن الجعد لما فرط منه وندم وأسف وقال في ذلك
(هنيئاً لكأسٍ قطعُها الحبلَ بعدما ... عقدْنا لكأس موثِقاً لا نخونُها)
(وإشْماتُها الأعداءَ لمّا تألَّبوا ... حواليَّ واشتدَّت عليَّ ضُغُونُها)
(فإن حَراماً أنْ أخونَك ما دعا ... بِبِلْيَلَ قُمْريُّ الحمامِ وجُونُها)
((وقد أيْقَنَتْ نفسي لقد حِيل دونها ... ودونكَ لو يأتي بيأسٍ يَقينُها
(ولكن أبَتْ لا تستفيقُ ولاَ تَرى ... عَزاءً ولا مجلودَ صَبْرٍ يُعينها)

(لو أنَّا إذ الدّنيا لَنا مطمئنَّةٌ ... دَحَا ظِلُّها ثم ارجحنَّت غُصونها)
(لهونا ولكنا بغرَّة عيشِنا ... عجِبنَا لدُنيانَا فكِدنا نُعنيها)
(وكنا إذا نحن التقيْنا وما نُرى ... لعينين إلا من حجابٍ يَصونها)
(أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وأوساطِها حتى تُمَلَّ فنونها)
قال ابن حبيب أرسلت كأس بعد أن زوجت إلى صخر بن الجعد تخبره أنها رأته فيما يرى النائم كأنه يلبسها خمارا وأن ذلك جدد لها شوقا إليه وصبابة فقال صخر
(أنائلُ ما رؤيا زعمتِ رأيتِها ... لنا عجَب لو أنّ رؤياكِ تَصْدُق)
(أنائِلُ لولا الودُّ ما كان بيننَا ... نضاً مثل ما ينضو الخضابُ فيخلُق)
خبره مع سيار التاجر
أخبرنا حبيب بن نصر قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثني محمد بن عبد الله البكري قال
قدم صخر بن الجعد الخضري المدينة فأتى تاجرا من تجارها يقال له سيار فابتاع منه برا وعطرا وقال تأتينا غدوة فأقضيك وركب من تحت
ليلته فخرج إلى البادية فلما أصبح سيار سأل عنه فعرف خبره فركب في جماعة من أصحابه في طلبه حتى أتوا بئر مطلب وهي على سبعة أميال من المدينة وقد جهدوا من الحر فنزلوا عليها فأكلوا تمرا كان معهم وأراحوا دوابهم وسقوها حتى إذ برد النهار انصرفوا راجعين وبلغ الخبر صخر بن الجعد فقال
(أهْونْ عليَّ بسيَّارٍ وصفوته ... إذا جعلتُ صِراراً دون سيَّار)
(إنّ القضاءَ سيأتِي دونه زمنٍ ... فاطو الصّحيفةَ واحفَظها من العار)
(يسائِل الناس هل أحْسَسْتمُ جَلباً ... محاربياً أتى من نحو أظفار)
(وما جَلَبْتُ إليهمْ غيرَ راحلة ... وغيرَ رحلٍ وسيف جَفنة عار)
(وما أُريتُ لهم إلا لأدفعهم ... عني ويخرجني نقضي وإمراري)
(حتى استغاثُوا بأوْرَى بئر مُطّلب ... وقد تحرّق منهم كلُّ تَمّار)
(وقال أوّلُهم نُصحاً لآخرهم ... ألا ارجعوا واتركوا الأعْرابَ في النار)
جاريته سمحاء توقع به وتخدعه
أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن حبيب قال حدثنا ابن الأعرابي قال
كان الجعد المحاربي أبو صخر بن الجعد قد عمر حتى خرف وكان يكنى أبا الصموت وكانت له وليدة يقال لها سمحاء فقالت له يوما يا أبا الصموت زعم بنوك أنك إن مت قتلوني قال ولم قالت مالي إليهم ذنب غير حبي لك فأعتقها على أن تكون معه فمكثت يسيرا ثم قالت له يا أبا الصموت هذا عرابة من أهل المعدن يخطبني قال أين هذا مما قلت لي قالت إنه ذو مال وإنما أردت ماله لك قال فأتني به فأتته فزوجه إياها فولدت له أولادا وقوته بما كانت تصيبه من الجعد وكانت تأتي الجعد في أيام فتخضب رأسه ثم قطعته فأنشأ الجعد يقول
(أمْسَى عَرابةُ ذا مال وذا ولدٍ ... من مالِ جَعْدٍ وجعدٌ غيرُ محمود)
(تظل تُنْشِقُه الكافورَ متكئاً ... على السرير وتعطيني على العُود)
قال والجعد هو القائل لامرأته
(تُعالجنِي أُمّ الصَّموت كأنما ... تُداوي حِصاناً أوهنَ العظمَ كاسِرُه)
(فلا تعجبي أمَّ الصَّموت فإنّه ... لكل جواد مَعْثَرٌ هو عاثِره)
(وقد كنتُ أصطاد الظباءَ مُوطَّناً ... وأضربُ رأسَ القِرن والرمحُ شاجِره)
(فأصْبَحْتُ مثل العشّ طارَت فراخُه ... وغودر في رأس الهشيمة سائره)
أولاده يتخلون عنه ويقتسمون أمواله
فلما كبر حمله بنوه فأتوا به مكة وقالوا له تعبد ها هنا ثم اقتسموا المال وتركوا له منه ما يصلحه فقال
(ألا أبلغ بني جَعْدٍ رسولا ... وإن حالت جبالُ الغَوْر دُوني)
(فلم أرَ معْشراً تركوا أباهُم ... من الآفاقِ حيث تركتموني)
(فإني والرَّوافِض حول جَمْعٍ ... ومَحْطِمُهُنّ من حَصْبا الحجون)
(لو أنيِ ذو مدافعةٍ وحولي ... كما قد كنت أحياناً كمُوني)
(إذاً لمنَعْتُكُمْ مالِي ونفسِي ... بنصل السّيف أو لقتلتُموني)
وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن عبد الله بن عثمان البكري عن عروة بن زيد الخضري عن أبيه قال
كنت في ركب فيهم صخر بن الجعد ودرن مولى الخضريين معنا ونحن نريد خيبر فنزلنا منزلا تعشينا فيه فهيجنا إبل صخر فلما ركبنا ساق بنا واندفع يرجز ويقول
(...لقد بعثت حاديا قراصِفا)
فردده قطعا من الليل لا ينفده ولا يقول غيره ثم قال لنا إني نسيت عقالا فرجع يطلبه في المتعشى ونزل درن يسوق بالقوم فارتجز درن ببيت صخر وقال
(لقد بعثتُ حادياً قُراصِفَا ... من منزلٍ رَحَلْتُ عنه آنفا)
(يسوق خُوصاً رجَّفاً حواجفا ... مثلَ القِسيّ تقذف المقاذفا)
(حتى ترى الرَّباعِيَ العُتارفا ... من شدة السير يُزَجّي واجفا)
قال فأدركه صخر وهو في ذلك فقال له يا بن الخبيثة أتجترئ على أن تنفذ بيتا أعياني فقاتله فضربه حتى نزلنا ففرقنا بينهما
صوت
(إذا سَرَّها أمر وفيه مَساءتي ... قضيتُ لها فيما تُحِبُّ على نفسي)
(وما مرَّ يومٌ أرتجي منه راحَةً ... فأذكره إلا بكيت على أمسي)

الشعر لأبي حفص الشطرنجي والغناء لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى عن عمرو

أخبار أبي حفص الشطرنجي ونسبه

أبو حفص عمر بن عبد العزيز مولى بني العباس وكان أبوه من موالي المنصور فيما يقال وكان اسمه اسما أعجميا فلما نشأ أبو حفص وتأدب غيره وسماه عبد العزيز

أخبرني بذلك عمي عن أحمد بن الطيب عن جماعة من موالي المهدي

ونشأ أبو حفص في دار المهدي ومع أولاد مواليه وكان كأحدهم وتأدب وكان لاعبا بالشطرنج مشغوفا به فلقب به لغلبته عليه

انقطاعه إلى علية بنت المهدي

فلما مات المهدي انقطع إلى عليه وخرج معها لما زوجت وعاد معها لما عادت إلى القصر وكان يقول لها الأشعار فيما تريده من الأمور بينها وبين إخوتها وبني أخيها من الخلفاء فتنتحل بعض ذلك وتترك بعضه

ومما ينسب إليها من شعره ولها فيه غناء وقد ذكرنا ذلك في أغانيها وأخبارها

(... تَحَبَّبْ فإن الحبَّ داعيةُ الحب)

وهو صوت مشهور لها

حدثني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني أحمد بن الطيب السرخسي قال حدثني الكندي عن محمد بن الجهم البرمكي قال

رأيت أبا حفص الشطرنجي الشاعر فرأيت منه إنسانا يلهيك حضوره عن كل غائب وتسليك مجالسته عن هموم المصائب قربة عرس وحديثه أنس جده لعب ولعبه جد دين ماجد إن لبسته على ظاهره لبست موموقا لا تمله وإن تتبعته لتستبطن خبرته وقفت على مروة لا تطير الفواحش بجنباتها وكان فيما علمته أقل ما فيه الشعر وهو الذي يقول

صوت

(تَحبَّبْ فإن الحُبَّ داعيةُ الحبِّ ... وكم من بعيدِ الدار مُستَوْجِبِ القُرب)
(إذا لم يكن في الحبِّ عَتبٌ ولا رضاً ... فأين حلاوات الرسائل والكُتب)
(تفكَّرْ فإن حُدِّثتَ أنَّ أخا هوًى ... نجا سالماً فارجُ النّجاة من الكرب)
(وأطيبُ أيامِ الهوى يومُك الذي ... تُرَوَّعُ بالتّحريش فيه وبالعَتْب)

قال وفي هذه الأبيات غناء لعلية بنت المهدي وكانت تأمره أن يقول الشعر في المعاني التي تريدها فيقولها وتغني فيها

قال وأنشدني لأبي حفص أيضا

صوت

(عَرِّضَنْ للذي تُحِبّ بحبٍّ ... ثم دَعْهُ يَرُوضُهُ إبليسُ)
(فلعَلَّ الزّمانَ يُدْنيك منه ... إن هذا الهوى جليلٌ نفيسُ)
(صابِرِ الحبَّ لا يُصرِّفْكَ فيه ... من حبيب تجهُّمٌ وعبوسُ)
(وأقِلَّ اللّجاجَ واصبر على الجهد ... فإن الهوى نعيمٌ وبوسُ)

في هذه الأبيات للمسدود هزج ذكره لي جحظة وغيره عنه

وأما قوله

(... تحبَّب فإن الحبّ داعية الحبّ)

فقد مضت نسبته في أخبار علية

ماردة الجارية تأمره أن يجيب الرشيد على رسالته

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو العباس الكاتب قال

كان الرشيد يحب ماردة جاريته وكان خلفها بالرقة فلما قدم إلى مدينة السلام اشتاقها فكتب إليها

صوت

(سلامٌ على النازح المغتربْ ... تحيةَ صَبٍّ به مكتئبْ)
(غَزالٌ مراتعُه بالبليخ ... إلى دَيْر زكّى فقَصرِ الخشبْ)
(أيا مَنْ أعان على نفسه ... بتخليفه طائعاً مَنْ أحبْ)
(سأستر والسَّترُ من شيمتي ... هوى من أُحِبُّ بمَنْ لا أُحبْ)

فلما ورد كتابه عليها أمرت أبا حفص الشطرنجي صاحب علية فأجاب الرشيد عنها بهذه الأبيات فقال

(أتاني كتابُك يا سيدي ... وفيه العجائبُ كلّ العجَبْ)
(أتزعمُ أنّك لي عاشقٌ ... وأنك بي مُستهامٌ وصِبّ)
(فلو كان هذا كذا لم تكن ... لتتركني نُهْزَةً للكُرَبْ)
(وأنت ببغدادَ ترعى بها ... نباتَ اللّذاذةِ معْ مَنْ تُحِبّ)
(فيا مَن جفاني ولم أجفُه ... ويا مَن شجاني بما في الكتب)
(كتابُك قد زادني صَبوةً ... وأسْعَرَ قلبي بحَرّ اللّهب)
(فهَبني نَعَمْ قد كتمتُ الهوى ... فكيف بكتمانِ دَمْعٍ سَرَب)
(ولولا اتقاؤك يا سيدي ... لوافتك بي النّاجيات النُّجُب)

فلما قرأ الرشيد كتابها أنفذ من وقته خادما على البريد حتى حدرها إلى بغداد في الفرات وأمر المغنيين جميعا فغنوا في شعره

قال الأصبهاني فممن غنى فيه إبراهيم الموصلي غنى فيه لحنين أحدهما ماخوري والآخر ثاني ثقيل عن الهشامي وغنى يحيى بن سعد بن بكر بن صغير العين فيه رملا ولابن جامع فيه رمل بالبنصر ولفليح بن العوراء ثاني ثقيل بالوسطى وللمعلى خفيف رمل بالوسطى ولحسين بن محرز هزج بالوسطى ولأبي زكار الأعمى هزج بالبنصر هذه الحكايات كلها عن الهشامي وقال كان المختار في هذه الألحان كلها عند الرشيد الذي اشتهاه منها وارتضاه لحن سليم

أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب قال

حدثني محمد بن يزيد النحوي قال حدثني جماعة من كتاب السلطان
أن الرشيد غضب على علية بنت المهدي فأمرت أبا حفص الشطرنجي شاعرها أن يقول شعرا يعتذر فيه عنها إلى الرشيد ويسأله الرضا عنها فيستعطفه لها فقال
صوت
(لو كان يمنعُ حسنُ العقلِ صاحبَه ... من أن يكون له ذنبٌ إلى أحدِ)
(كانت عُلَيَّةُ أبرأ الناسِ كلِّهمُ ... من أن تُكافَأ بسوءِ آخرَ الأبدِ)
(مالي إذا غِبتُ لم أُذكَر بواحدةٍ ... وإن سَقِمْتُ فطال السُّقْمُ لم أُعَدِ)
(ما أعجبَ الشيءَ ترجوه فتُحْرَمُه ... قد كنتُ أحسبُ أنّي قد ملأتُ يدِي)
فأتاها بالأبيات فاستحسنتها وغنت فيها وألقت الغناء على جماعة من جواري الرشيد فغنينه إياه في أول مجلس فيه معهن فطرب طربا شديدا وسألهن عن القصة فأخبرنه بها فبعث إليها فحضرت فقبل رأسها واعتذرت فقبل عذرها وسألها إعادة الصوت فأعادته عليه فبكى وقال لا جرم أني لا أغضب أبدا عليك ما عشت
قال في دنانير بيتين فاستحق مائتي دينار
حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا الحسين بن يحيى عن عمرو بن بانة قال
دخل أبو حفص الشطرنجي على يحيى بن خالد وعنده ابن جامع وهو يلقي على دنانير صوتا أمره يحيى بإلقائه عليها وقال لأبي حفص قل في دنانير بيتين يغني فيهما ابن جامع ولك بكل بيت مائة دينار إن جاءت كما أريد فقال أبو حفص
صوت
(أشبهَكِ المسكُ وأشبهتِه ... قائمةً في لونه قاعده)
(لا شكَّ إذْ لونُكما واحدٌ ... أنكما من طينةٍ واحدَه)
قال فأمر له يحيى بمائة دينار وغنى فيهما ابن جامع
قال الأصبهاني لحن ابن جامع في هذين البيتين هزج
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال
عتابه ابن الرشيد لأنه لم يعده في مرضه
كان أبو حفص الشطرنجي ينادم أبا عيسى بن الرشيد ويقول له الشعر
فينتحله ويفعل مثل ذلك بأخيه صالح وأخته وكذلك بعلية عمتهم وكان بنو الرشيد جميعا يزورونه ويأنسون به فمرض فعادوه جميعا سوى أبي عيسى فكتب إليه
(إخَاءُ أبي عيسى إخاء ابن ضَرَّةٍ ... ووُدّي وُدٌّ لابن أُمٍّ ووالدِ)
(ألم يأته أنّ التأدُّبَ نِسبةٌ ... تلاصق أهواءَ الرجالِ الأباعدِ)
(فمَا بالُه مُستعذِباً من جفائِنَا ... مواردَ لم تَعذُبْ لنا من مواردِ)
(أقمتُ ثلاثاً حِلْفَ حُمَّى مُضِرَّةٍ ... فلم أرَه في أهل ودّي وعائدي)
(سلام هي الدنيا قروضٌ وإنما ... أخوكَ مُديمُ الوصل عند الشدائدِ)
حدثني جعفر بن الحسين قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثنا أبي عن أبي حفص الشطرنجي قال
قال لي الرشيد يوما يا حبيبي لقد أحسنت ما شئت في بيتين قلتهما قلت ما هما يا سيدي فمن شرفهما استحسانك لهما فقال قولك
صوت
(لم ألْقَ ذا شَجَن يبوح بحُبِّه ... إلا حَسِبتُك ذلك المحبوبَا)
(حذراً عليكِ وإنني بكِ واثقٌ ... ألاَّ ينالَ سوايَ منكِ نصيبا)
فقلت يا أمير المؤمنين ليسا لي هما للعباس بن الأحنف فقال
صدقك والله أعجب إلي وأحسن منهما بيتاك حيث تقول
(إذا سرَّها أمرٌ وفيه مساءتي ... قضيْتُ لها فيما تريد على نفسِي)
(وما مرَّ يوم أرتجِي فيه راحةً ... فأذْكُرُه إلا بكيتُ على أمْسِي)
في البيتين الأولين اللذين للعباس بن الأحنف ثقيل لإبراهيم الموصلي وفيهما لابن جامع رمل عن الهشامي الروايتان جميعا لعبد الرحمن وفي أبيات أبي حفص الأخيرة لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس
رثى نفسه قبل أن يموت
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى قال حدثني عبد الله بن الفضل قال
دخلت على أبي حفص الشطرنجي شاعر علية بنت المهدي أعوده في علته التي مات فيها قال فجلست عنده فأنشدني لنفسه
صوت
(نعَى لك ظلَّ الشَّبابِ المشيبُ ... ونَادَتك باسمِ سِواكَ الخطوبُ)
(فكُن مستعِداً لداعي الفناءِ ... فإن الذي هو آتٍ قريبُ)
(ألسنا نرى شهواتِ النفوس ... تَفْنَى وتبقى عليها الذنوبُ)
(وقبلَك داوى المريضَ الطبيبُ ... فعاش المريضُ ومات الطبيبُ)
(يخاف على نفسه من يتوبُ ... فكيف ترى حال من لا يتوب)
غنى في الأول والثاني إبراهيم هزجاً
انقضت أخباره
صوت
(أبَى لَيْلِيَ أن يذهبْ ... ونيطَ الطرْفُ بالكوكبْ)
(ونجمٍ دونه النَّسران ... بين الدَّلْوِ والعقربْ)
(وهذا الصُّبحُ لا يأتي ... ولا يدنو ولا يَقْرُبْ)
الشعر لأميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف والغناء لأسحاق هزج بالوسطى

دمن الجارية تسرق لحنا من إسحاق وهو سكران

أخبرنا محمد بن يحيى ومحمد بن جعفر النحوي قالا حدثنا محمد بن حماد قال
التقيت مع دمن جارية إسحاق بن إبراهيم الموصلي يوما فقلت لها أسمعيني شيئا أخذته من إسحاق فقالت والله ما أحد من جواريه أخذ منه صوتا قط ولا ألقى علينا شيئا قط وإنما كان يأمر من أخذ منه من الرجال مثل مخارق وعلويه ووجه القرعة الخزاعي وجواري الحارث بن بسخنر أن يلقوا علينا ما يختارون من أغانيهم وأما عنه فما أخذت شيئا قط إلا ليلة فإنه انصرف من عند المعتصم وهو سكران فقال للخادم القيم على حرمة جئني بدمن فجاءني الخادم فدعاني فخرجت معه فإذا هو في البيت الذي ينام فيه وهو يصنع في هذا الشعر
(أَبى لَيْلِيَ أن يَذْهَبْ ... ونيط الطَّرْفُ بالكوكبْ
وهو يتزايد فيه ويقومه حتى استوى له ثم قام إلى عود مصلح معلق كان يكون في بيت منامه فأخذه فغنى الصوت حتى صح له واستقام عليه وأخذته عنه فلما فرغ منه قال أين دمن فقلت هو ذا أنا ها هنا فارتاع وقال مذ كم أنت ها هنا قلت مذ بدأت بالصوت وقد أخذته بغير حمدك فقال خذي العود فغنيه فأخذته فغنيته حتى فرغت منه وهو يكاد أن يتميز غيظا ثم قال قد بقي عليك فيه شيء كثير وأنا أصلحه لك فقلت أنا مستغنية عن إصلاحك فأصلحه لنفسك فاضطجع في فراشه ونام وانصرفت فمكث أياما إذا رآني قطب وجهه
وهذا الشعر تقوله أميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ترثي به من قتل في حروب الفجار من قريش

ذكر الخبر في حروب الفجار وحروب عكاظ

ونسب أميمة بنت عبد شمس

أميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف وأمها تفخر بنت عبيد بن رواس بن كلاب وكان عند حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان السلمي فولدت له أمية بن حارثة
وكانت هذه الحرب بين قريش وقيس عيلان في أربعة أعوام متواليات ولم يكن لقريش في أولها مدخل ثم التحقت بها فأما الفجار الأول فكانت الحرب فيه ثلاثة أيام ولم تسم باسم لشهرتها
وأما الفجار الثاني فإنه كان أعظمهما لأنهم استحلوا فيه الحرم وكانت أيامه يوم نخلة وهو الذي لم يشهده رسول الله منها وشهد سائرها وكان الرؤساء فيه حرب بن أمية في القلب وعبد الله بن جدعان وهشام بن المغيرة في المجنبتين ثم يوم شمطة ثم يوم
العبلاء ثم يوم عكاظ ثم يوم الحرة

أول أمر الفجار

قال أبو عبيدة كان أول أمر الفجار أن بدر بن معشر الغفاري أحد بني غفار بن مالك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناه بن كنانة كان رجلا منيعا مستطيلا بمنعته على من ورد عكاظ فاتخذ مجلسا بسوق عكاظ وقعد فيه وجعل يبذخ على الناس ويقول
(نحن بنو مدركةَ بنِ خِنْدِف ... مَن يطعنوا في عينه لا يَطْرِف)
(ومَنْ يكونوا قومه يُغطرف ... كأنهم لُجَّةُ بحرٍ مُسدِفِ)
وبدر بن معشر باسط رجليه يقول أنا أعز العرب فمن زعم أنه أعز مني فليضرب هذه بالسيف فهو أعز مني فوثب رجل من بني نصر بن معاوية يقال له الأحمر بن مازن بن أوس بن النابغة فضربه بالسيف على ركبته فأندرها ثم قال خذها إليك أيها المخندف وهو ماسك سيفه وقام أيضا رجل من هوازن فقال
(أنا ابن هَمْدَانَ ذوي التَّغطرفِ ... بحرٌ بحورٍ زاخرٌ لم يُنزَفِ)
(نحن ضَربنا ركبة المخندِف ... إذ مدَّها في أشهر المعرَّفِ
وفي هذه الضربة أشعار لقيس كثيرة لا معنى لذكرها

اليوم الثاني من أيام الفجار الأولى

ثم كان اليوم الثاني من أيام الفجار الأول وكان السبب في ذلك أن شبابا من قريش وبني كنانة كانوا ذوي غرام فرأوا امرأة من بني عامر جميلة وسيمة وهي جالسة بسوق عكاظ في درع وهي فضل عليها برقع لها وقد اكتنفها شباب من العرب وهي تحدثهم فجاء الشباب من بني كنانة وقريش فأطافوا بها وسألوها أن تسفر فأبت فقام أحدهم فجلس خلفها وحل طرف ردائها وشده إلى فوق حجزتها بشوكة وهي لا تعلم فلما قامت انكشف درعها عن دبرها فضحكوا وقالوا منعتنا النظر إلى وجهك وجدت لنا بالنظر إلى دبرك فنادت يا آل عامر فثاروا وحملوا السلاح وحملته كنانة واقتتلوا قتالا شديدا ووقعت بينهم دماء فتوسط حرب بن أمية واحتمل دماء القوم وأرضى بني عامر من مثلة صاحبتهم

اليوم الثالث من أيام الفجار الأولى

ثم كان اليوم الثالث من الفجار الأول وكان سببه أنه كان لرجل من بني جشم بن بكر بن هوازن دين على رجل من بني كنانة فلواه به وطال
اقتضاؤه إياه فلم يعطه شيئا فلما أعياه وافاه الجشمي في سوق عكاظ بقرد ثم جعل ينادي من يبيعني مثل هذا الرباح بما لي على فلان بن فلان الكناني من يعطيني مثل هذا بما لي على فلان بن فلان الكناني رافعا صوته بذلك فلما طال نداؤه بذلك وتعييره به كنانة مر به رجل منهم فضرب القرد بسيفه فقتله فهتف به الجشمي يا آل هوازن وهتف الكناني يا آل كنانة فتجمع الحيان فاقتتلوا حتى تحاجزوا ولم يكن بينهم قتلى ثم كفوا وقالوا أفي رباح تريقون دماءكم وتقتلون أنفسكم وحمل ابن جدعان ذلك في ماله بين الفريقين

اليوم الأول من أيام الفجار الثاني

قال ثم كان يوم الفجار الثاني وأول يوم حروبه يوم نخلة وبينه وبين مبعث النبي ست وعشرون سنة وشهد النبي ذلك اليوم مع قومه وله أربع عشرة سنة وكان يناول عمومته النبل هذا قول أبي عبيدة
وقال غيره بل شهدها وهو ابن ثمان وعشرين سنة
قال أبو عبيدة كان الذي هاج هذه الحرب يوم الفجار الآخر أن البراض بن قيس بن رافع أحد بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة كان سكيرا فاسقا خلعه قومه وتبرؤوا منه فشرب في بني الديل فخلعوه فأتى مكة وأتى قريشا فنزل على حرب بن أمية فحالفه فأحسن حرب جواره وشرب بمكة حتى هم حرب أن يخلعه فقال لحرب إنه لم يبق أحد ممن يعرفني إلا خلعني سواك وإنك إن خلعتني لم ينظر إلي أحد بعدك فدعني على حلفك وأنا خارج عنك فتركه وخرج فلحق بالنعمان بن المنذر بالحيرة

وكان النعمان يبعث إلى سوق عكاظ في وقتها بلطيمة يجيزها له سيد مضر فتباع ويشترى له بثمنها الأدم والحرير والوكاء والحذاء والبرود من العصب والوشي والمسير والعدني وكانت سوق عكاظ في أول ذي القعدة فلا تزال قائمة يباع فيها ويشترى إلى حضور الحج وكان قيامها فيما بين النخلة والطائف عشرة أميال وبها نخل وأموال لثقيف فجهز النعمان لطيمة له وقال من يجيزها فقال البراض أنا أجيزها على بني كنانة فقال النعمان إنما أريد رجلا يجيزها على أهل نجد فقال عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب وهو يومئذ رجل من هوازن أنا أجيزها أبيت اللعن فقال له البراض من بني كنانة تجيزها يا عروة قال نعم وعلى الناس جميعا أفكلب خليع يجيزها

قال ثم شخص بها وشخص البراض وعروة يرى مكانه لا يخشاه على ما صنع حتى إذا كان بين ظهري غطفان إلى جانب فدك بأرض يقال لها أوارة قريب من الوادي الذي يقال له تيمن نام عروة في ظل شجرة ووجد البراض غفلته فقتله وهرب في عضاريط الركاب فاستاق الركاب وقال البراض في ذلك

(وداهيةٍ يُهال الناسُ منها ... شددتُ لها بني بكر ضلوعي)

(هتكتُ بها بيوتَ بني كلاب ... وأرضعتُ الموالي بالضروع)

(جمعت لها يديَّ بنصل سيفٍ ... أفلّ فَخرَّ كالجِذْع الصّريع)

وقال أيضا في ذلك

(نقَمْتُ على المرء الكلابيّ فخرَه ... وكنت قديماً لا أُقِرُّ فَخارا)

(علوتُ بحدّ السيف مفرقَ رأسه ... فأسمع أهلَ الواديين خُوارا)

قال وأم عروة الرحال نفيرة بنت أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة فقال لبيد بن ربيعة يحض على الطلب بدمه

(فأبلغْ إن عرضتَ بني نُمَيْرٍ ... وأخوالَ القتيلِ بني هِلال)

(بأنّ الوافدَ الرحَّال أضحى ... مقيماً عند تَيْمنَ ذي الطِّلال)

قال أبو عبيدة فحدثني أبو عمرو بن العلاء قال لقي البراض بشر بن أبي خازم فقال له هذه القلائص لك على أن تأتي حرب بن أمية وعبد الله بن جدعان وهشاما والوليد ابني المغيرة فتخبرهم أن البراض قتل عروة فإني أخاف أن يسبق الخبر إلى قيس أن يكتموه حتى يقتلوا به رجلا من قومك عظيما فقال له وما يؤمنك أن تكون أنت ذلك القتيل قال إن هوازن لا ترضى أن تقتل بسيدها رجلا خليعا طريدا من بني ضمرة قال ومر بهما الحليس بن يزيد أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد الأحابيش من بني كنانة والأحابيش من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة وهو نفاثة بن الديل وبنو لحيان من خزاعة والقارة وهو أثيع بن الهون بن خزيمة وعضل بن دمس بن ملحم بن عائذ بن أثيع بن الهون كانوا تحالفوا على سائر بني بكر بن عبد مناة فقال لهم الحليس مالي أراكم نجيا فأخبروه الخبر ثم ارتحلوا وكتموا الخبر على اتفاق منهم

قال وكانت العرب إذا قدمت عكاظ دفعت أسلحتها إلى ابن جدعان حتى يفرغوا من أسواقهم وحجهم ثم يردها عليهم إذا ظعنوا وكان سيدا حكيما مثريا من المال

فجاءه القوم فأخبروه خبر البراض وقتله عروة وأخبروا حرب بن أمية وهشاما والوليد ابني المغيرة فجاء حرب إلى عبد الله بن جدعان فقال له احتبس قبلك سلاح هوازن فقال له ابن جدعان أبالغدر تأمرني يا حرب والله لو أعلم أنه لا يبقى منها سيف إلا ضربت به ولا رمح إلا طعنت به ما أمسكت منها شيئا ولكن لكم مائة درع ومائة رمح ومائة سيف في مالي تستعينون بها ثم صاح ابن جدعان في الناس من كان له قبلي سلاح فليأت وليأخذه فأخذ الناس أسلحتهم

وبعث ابن جدعان وحرب بن أمية وهشام والوليد إلى أبي براء إنه قد كان بعد خروجنا حرب وقد خفنا تفاقم الأمر فلا تنكروا خروجنا وساروا

راجعين إلى مكة فلما كان آخر النهار بلغ أبا براء قتل البراض عروة فقال خدعني حرب وابن جدعان وركب فيمن حضر عكاظ من هوازن في أثر القوم فأدركوهم بنخلة فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرم وجن عليهم الليل فكفوا ونادى الأدرم بن شعيب أحد بني عامر بن ربيعة بن صعصعة يا معشر قريش ميعاد ما بيننا هذه الليلة من العام المقبل بعكاظ وكان يومئذ رؤساء قريش حرب بن أمية في القلب وابن جدعان في إحدى المجنبتين وهشام بن المغيرة في الأخرى وكان رؤساء قيس عامر بن مالك ملاعب الأسنة على بني عامر وكدام بن عمير على فهم وعدوان ومسعود بن سهم على ثقيف وسبيع بن ربيعة النصري علي بني نصر بن معاوية والصمة بن الحارث وهو أبو دريد بن الصمة علي بني جشم وكانت الراية مع حرب بن أمية وهي راية قصي التي يقال لها العقاب

فقال في ذلك خداش بن زهير

(يا شَدَّةً ما شددْنا غيرَ كاذبةً ... على سَخِينَةَ لولا الليلُ والحَرَم)

(إذ يَتَّقِينَا هشامٌ بالوليد ولو ... أنَّا ثَقِفنا هشاماً شالت الخَدَم)

(بين الأراكِ وبين المرج تبطحُهم ... زُرقُ الأسِنَّة في أطرافها السُهُم)

(فإن سمعتم بجيش سالكٍ سَرفاً ... وبطنَ مَرٍّ فأخفوا الجرس واكْتَتِمُوا)

وزعموا أن عبد الملك بن مروان استنشد رجلا من قيس هذه الكلمة فجعل يحيد عن قوله سخينة فقال عبد الملك إنا قوم لم يزل يعجبنا السخن فهات فلما فرغ قال يا أخا قيس ما أرى صاحبك زاد على التمني والاستنشاء

قال وقدم البراض باللطيمة مكة وكان يأكلها وكان عامر بن يزيد بن الملوح بن يعمر الكناني نازلا في أخواله من بني نمير بن عامر وكان ناكحا فيهم فهمت بنو كلاب بقتله فمنعته بنو نمير ثم شخصوا به حتى نزل في قومه واستغوت كنانة بني أسد وبني نمير واستغاثوا بهم فلم تغثهم ولم يشهد الفجار أحد من هذين الحيين

اليوم الثاني من أيام الفجار الثاني

ثم كان اليوم الثاني من الفجار الثاني وهو يوم شمطة فتجمعت كنانة وقريش بأسرها وبنو عبد مناة والأحابيش وأعطت قريش رؤوس القبائل أسلحة تامة وأعطى عبدالله بن جدعان خاصة من ماله مائة رجل من كنانة أسلحة تامة وأداة وجمعت هوازن وخرجت فلم تخرج معهم كلاب ولا كعب ولا شهد هذان البطنان من أيام الفجار إلا يوم نخلة مع أبي براء عامر بن مالك وكان القوم جميعا متساندين على كل قبيلة سيدهم

فكان على بني هاشم وبني المطلب ولفهم الزبير بن عبد المطلب ومعهم النبي إلا أن بني المطلب وإن كانوا مع بني هاشم كان يرأسهم الزبير بن عبد المطلب بن هاشم ورجل منهم وهو عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف وأم

الزبير الشفاء بنت هاشم بن عبد مناف وكان على بني عبد شمس ولفها حرب بن أمية ومعه أخواه أبو سفين وسفيان ومعهم بنو نوفل بن عبد مناف يرأسهم بعد حرب مطعم بن عدي بن نوفل وكان على بني عبد الدار ولفها خويلد بن أسد وعثمان بن الحويرث وكان على بني زهرة ولفها مخرمة بن نوفل بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة وأخوه صفوان وكان على بني تيم بن مرة ولفها عبد الله بن جدعان وعلى بني مخزوم هشام بن المغيرة وعلى بني سهم العاصي بن وائل وعلى بني جمح ولفها أمية بن خلف وعلى بني عدي زيد بن عمرو بن نفيل والخطاب بن نفيل عمه وعلى بني عامر بن لؤي عمرو بن عبد شمس بن عبد ود أبو سهل بن عمرو وعلى بني الحارث بن فهر عبد الله بن الجراح أبو أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح وعلى بني
بكر بلعاء بن قيس ومات في تلك الأيام وكان جثامة بن قيس أخوه مكانه وعلى الأحابيش الحليس بن يزيد
وكانت هوازن متساندين كذلك وكان عطية بن عفيف النصري على بني نصر بن معاوية وقيل بل كان عليهم أبو أسماء بن الضريبة وكان الخنيسق الجشمي على بني جشم وسعد ابني بكر وكان وهب بن معتب على ثقيف ومعه أخوه مسعود وكان على بني عامر بن ربيعة وحلفائهم من بني جسر بن محارب سلمة بن إسماعيل أحد بني البكاء ومعه خالد بن هوذة أحد بني الحارث بن ربيعة وعلى بني هلال بن عامر بن صعصعة ربيعة بن أبي ظبيان بن ربيعة بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر
قال فسبقت هوازن قريشا فنزلت شمطة من عكاظ وظنوا أن كنانة لم توافهم وأقبلت قريش فنزلت من دون المسيل وجعل حرب بني كنانة في بطن الوادي وقال لهم لا تبرحوا مكانكم ولو أبيحت قريش فكانت هوازن من وراء المسيل قال أبو عبيدة فحدثني أبو عمرو بن العلاء قال
كان ابن جدعان في إحدى المجنبتين وفي الأخرى هشام بن المغيرة وحرب في القلب وكانت الدائرة في أول النهار لكنانة فلما كان آخر النهار تداعت هوازن وصبروا واستحر القتل في قريش فلما رأى ذلك بنو الحارث بن كنانة وهم في بطن الوادي مالوا إلى قريش وتركوا مكانهم فلما استحر القتل بهم قال أبو مساحق بلعاء بن قيس لقومه
ألحقو برخم وهو جبل ففعلوا وانهزم الناس
وكان رسول الله لا يصير في فئة إلا انهزم من يحاذيها فقال حرب بن أمية وعبد الله بن جدعان ألا ترون إلى هذا الغلام ما يحمل على فئة إلا انهزمت
وفي ذلك يقول خداش بن زهير في كلمة له
(فأبلغ إن عرضْتَ بنا هِشاما ... وعبدَ الله أبلغْ والوَليدا)
(أولئكَ إن يكن في الناس خيرٌ ... فإن لديهم حسباً وجُودا)
(همُ خيرِ المعاشرِ من قريشٍ ... وأوراها إذا قُدِحت زنودا)
(بأنّا يومَ شَمطةَ قد أقمنا ... عمودَ المجدِ إنّ له عمودا)
(جلَبنا الخيلَ ساهمةً إليهم ... عوابسَ يدَّرِعْنَ النقعَ قودا)
(فبِتنا نعقِدُ السِّيما وباتوا ... وقلنا صبِّحوا الإنسَ الحديدا)
(فجاؤوا عارضاً بَرِداً وجئنا ... كما أضرمتَ في الغاب الوقودا)
(ونادوا يا لعمرو لا تفِرّوا ... فقلنا لا فِرارَ ولا صُدُودَا)
قوله نعقد السيما أي العلامات
(فَعاركْنا الكُماةَ وعاركونا ... عِراكَ النُّمْر عاركتِ الأسودا)
((فولّوْا نضْربُ الهاماتِ منهم ... بما انتهكوا المحارمَ والحُدُودا
(تركنا بطن شَمْطَةَ من علاءٍ ... كأنّ خلالها معَزاً شريدا)
(ولم أرَ مثلَهم هُزموا وفُلّوا ... ولا كذِيادِنَا عَنَقاً مذودا)
قوله يا لعمرو يعني عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة
اليوم الثالث من أيام الفجار وهو يوم العبلاء
ثم كان اليوم الثالث من أيام الفجار وهو يوم العبلاء فجمع القوم بعضهم لبعض والتقوا على قرن الحول بالعبلاء وهو موضع قريب من عكاظ ورؤساؤهم يومئذ على ما كانوا عليه يوم شمطة وكذلك من كان على المجنبتين فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت كنانة فقال خداش بن زهير في ذلك
(ألم يَبلغْك بالعبلاء أنّا ... ضَرَبْنا خِنْدِفاً حتى استقادوا)
(نُبنّي بالمنازل عِزَّ قيسٍ ... وودُّوا لو تَسيخُ بنا البلادُ)
وقال أيضا
(ألم يبلغْك ما لاقَتْ قريشٌ ... وحيٌّ بني كنانة إذ أُثيرُوا)
(دهمناهم بأرعَنَ مكفهرٍّ ... فظلّ لنا بعَقْوتِهم زئير)
((نقوِّمُ مارنَ الخطّيّ فيهم ... يجيء على أسنّتِنا الجزير
اليوم الرابع من أيام الفجار وهو يوم عكاظ
ثم كان اليوم الرابع من أيامهم يوم عكاظ فالتقوا في هذه المواضع على رأس الحول وقد جمع بعضهم لبعض واحتشدوا والرؤساء بحالهم وحمل عبد الله بن جدعان يومئذ ألف رجل من بني كنانة على ألف بعير
وخشيت قريش أن يجري عليها مثل ما جرى يوم العبلاء فقيد حرب وسفيان وأبو سفيان بنو أمية بن عبد شمس أنفسهم وقالوا لا نبرح حتى نموت مكاننا وعلى أبي سفيان يومئذ درعان قد ظاهر بينهما وزعم أبو عمرو بن العلاء أن أبا سفيان بن أمية خاصة قيد نفسه فسمي هؤلاء الثلاثة يومئذ العنابس وهي الأسود واحدها عنبسة فاقتتل الناس يومئذ قتالا شديدا وثبت الفريقان حتى همت بنو بكر بن عبد مناة وسائر بطون كنانة بالهرب وكانت بنو مخزوم تلي كنانة فحافظت حفاظا شديدا وكان أشدهم يومئذ بنو المغيرة فإنهم صبروا وأبلوا بلاء حسنا فلما رأت ذلك بنو عبد مناة من كنانة تذامروا فرجعوا وحمل بلعاء بن قيس وهو يقول
(إنَّ عكاظَ مأوانا فخلّوهْ ... وذا المجاز بعد أن تَحلُوهْ)
وخرج الحليس بن يزيد أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة وهو رئيس الأحابيش يومئذ فدعا إلى المبارزة فبرز إليه الحدثان بن سعد

النصري فطعنه الحدثان فدق عضده وتحاجزا
واقتتل القوم قتالا شديدا وحملت قريش وكنانة على قيس من كل وجه فانهزمت قيس كلها إلا بني نصر فإنهم صبروا ثم هربت بنو نصر وثبت بنو دهمان فلم يغنوا شيئا فانهزموا وكان عليهم سبيع بن أبي ربيعة أحد بني دهمان فعقل نفسه ونادى يا آل هوازن يا آل هوازن يا آل نصر فلم يعرج عليه أحد وأجفلوا منهزمين فكر بنو أمية خاصة في بني دهمان ومعهم الخنيسق وقشعة الجشميان فقاتلوا فلم يغنوا شيئا فانهزموا
وكان مسعود بن معتب الثقفي قد ضرب على امرأته سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف خباء وقال لها من دخله من قريش فهو آمن فجعلت توصل في خبائها ليتسع فقال لها لا يتجاوزني خباؤك فإني لا أمضي لك إلا من أحاط به الخباء فأحفظها فقالت أما والله إني لأظن أنك ستود أن لو زدت في توسعته فلما انهزمت قيس دخلوا خباءها مستجيرين بها فأجار لها حرب بن أمية جيرانها وقال لها يا عمة من تمسك بأطناب خبائك أو دار حوله فهو آمن فنادت بذلك فاستدارت قيس بخبائها حتى كثروا جدا فلم يبق أحد لا نجاة عنده إلا دار بخبائها فقيل لذلك الموضع مدار قيس وكان يضرب به المثل فتغضب قيس منه وكان زوجها مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس وهو من ثقيف قد أخرج معه يومئذ بنيه من سبيعة وهم عروة ولوحة ونويرة والأسود
فكانوا يدورون وهم غلمان في قيس يأخذون بأيديهم إلى خباء أمهم ليجيروهم فيسودوا بذلك أمرتهم أمهم أن يفعلوا
فأخبرني الحرمي والطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن الحسن عن المحرز بن جعفر وغيره
أن كنانة وقيسا لما توافوا من العام المقبل من مقتل عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب ضرب مسعود الثقفي على امرأته سبيعة بنت عبد شمس أم بنيه خباء فرآها تبكي حين تدانى الناس فقال لها ما يبكيك فقالت لما يصاب غدا من قومي فقال لها من دخل خباءك فهو آمن فجعلت توصل فيه القطعة بعد القطعة والخرقة والشيء ليتسع فخرج وهب بن معتب حتى وقف عليها وقال لها لا يبقى طنب من أطناب هذا البيت إلا ربطت به رجلا من بني كنانة فلما صف القوم بعضهم لبعض خرجت سبيعة فنادت بأعلى صوتها إن وهبا يأتلي ويحلف ألا يبقى طنب من أطناب هذا البيت إلا ربط به رجلا من كنانة فالجد الجد فلما هزمت قيس لجأ نفر منهم إلى خباء سبيعة بنت عبد شمس فأجارهم حرب بن أمية
أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال
لما هزمت قيس لجأت إلى خباء سبيعة حتى أخرجوها منه فخرجت فنادت من تعلق بطنب من أطناب بيتي فهو آمن من ذمتي فداروا بخبائها حتى صاروا حلقة فأمضى ذلك كله حرب بن أمية لعمته فكان يضرب في الجاهلية بمدار قيس المثل ويعيرون بمدارهم يومئذ بخباء سبيعة بنت عبد شمس قال
وقال ضرار بن الخطاب الفهري قوله
(ألم تسألِ الناسَ عن شأننا ... ولم يُثبتِ الأمرَ كالخابر)
(غداةَ عُكاظ إذا استكملَتْ ... هوازنُ في كفِّها الحاضر)
(وجاءت سُلَيمٌ تَهزّ القَنا ... على كل سَلْهَبةٍ ضامر)
(وجئنا إليهم على المضمراتِ ... بأرْعَنَ ذي لَجبٍ زَاخِرِ)
(فلما التقينا أذقناهمُ ... طِعاناً بِسمُر القنا العائر)
(ففرّت سُلَيمٌ ولم يصبروا ... وطارت شَعَاعاً بنو عامر)
(وفرت ثقيفٌ إلى لاَتِها ... بمُنقلب الخائبِ الخاسر)
(وقاتلت العَنْسُ شَطْرَ النها ... رِثم تولّت مع الصادر)
(على أن دُهمانَها حافظت ... أخيراً لدى دارةِ الدائر)
وقال خداش بن زهير
(أتتنا قريش حافلين بجمعهم ... عليهم من الرحمن واقٍ وناصرُ)
(فلما دنونا للقِبابِ وأهلِها ... أُتيحَ لنا ريبٌ مع الليل ناجرُ)
((أُتيحت لنا بكرٌ وحول لوائها ... كتائبُ يخشاها العزيز المكاثر)
(جئت دونهم بكرٌ فلم تستطعهمُ ... كأنهمُ بالمشرفيّة سامر)
(وما برحت خيلٌ تثور وتُدَّعى ... ويَلحقُ منهم أولون وآخر)
(لدن غدوة حتى أتى وانجلى لنا ... عَمايةُ يومٍ شرُّه متظاهر)
(وما زال ذاك الدأب حتى تخاذلت ... هوازنُ وارفضّت سُلَيمٌ وعامر)
(وكانت قريشٌ يَفْلِقُ الصخرَ حدُّها ... إذا أوهن الناسَ الجدودُ العواثرُ)
اليوم الخامس من حرب الفجار وهو يوم حريرة
ثم كان اليوم الخامس وهو يوم الحريرة وهي حرة إلى جانب عكاظ والرؤساء بحالهم إلا بلعاء بن قيس فإنه قد مات فصار أخوه مكانه على عشيرته فاقتتلوا فانهزمت كنانة وقتل يومئذ أبو سفيان بن أمية وثمانية رهط من بني كنانة قتلهم عثمان بن أسد من بني عمرو بن عامر بن ربيعة وقتل ورقاء بن الحارث أحد بني عمرو بن عامر من بني كنانة وخمسة نفر
وقال خداش بن زهير في ذلك
(لَقد بَلَوْكُمْ فأبلَوْكمْ بلاءهم ... يوم الحُرَيرة ضرباً غيرَ تكذيبِ)
(إن تُوعدوني فإني لاَبْنُ عمِّكمُ ... وقد أصابوكمُ منه بشُؤْبوب)
(وإن ورقاءَ قد أردَى أبا كنَفٍ ... وابنَيْ إياسٍ وعمراً وابنَ أيوب)
((وإن عثمانَ قد أردى ثمانيةً ... منكم وأنتم على خُبْرٍ وتجريب
ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلقى الرجل والرجلان يلقيان الرجلين فيقتل بعضهم بعضا فلقى ابن محمية بن عبد الله الديلي زهير بن ربيعة أبا خداش فقال زهير إني حرام جئت معتمرا فقال له ما تلقى طوال الدهر إلا قلت أنا معتمر ثم قتله فقال الشويعر الليثي واسمه ربيعة بن علس
(تركنا ثاوياً يزقو صداهُ ... زهيراً بالعوالي والصِّفاح)
(أُتيح له ابنُ مَحميَةَ بن عبدٍ ... فأعجله التسوُّم بالبطاح)
ثم تداعوا إلى الصلح على أن يدي من عليه فضل في القتلى الفضل إلى أهله فأبى ذلك وهب بن معتب وخالف قومه

واندس إلى هوازن حتى أغارت على بني كنانة فكان منهم بنو عمرو بن عامر بن ربيعة عليهم سلمة بن سعدي البكائي وبنو هلال عليهم ربيعة بن أبي ظبيان الهلالي وبنو نصر بن معاوية عليهم مالك بن عوف وهو يومئذ أمرد فأغاروا على بني ليث بن بكر بصحراء الغميم فكانت لبني ليث أول النهار فقتلوا عبيد بن عوف البكائي قتله بنو مدلج وسبيع بن المؤمل الجسري حليف بني عامر ثم كانت على بني ليث آخر النهار فانهزموا
واستحر القتل في بني الملوح بن يعمر بن ليث وأصابوا نعما ونساء حينئذ فكان ممن قتل في حروب الفجار من قريش العوام بن خويلد قتله مرة بن معتب وقتل حزام بن خويلد وأحيحة بن أبي أحيحة ومعمر بن حبيب الجمحي وجرح حرب بن أمية وقتل من قيس الصمة أبو دريد بن الصمة قتله جعفر بن الأحنف

اجتماع القبائل على الصلح

ثم تراضوا بأن يعدوا القتلى فيدوا من فضل فكان الفضل لقيس على قريش وكنانة فاجتمعت القبائل على الصلح وتعاقدوا ألا يعرض بعضهم لبعض فرهن حرب بن أمية ابنه أبا سفيان بن حرب ورهن الحارث بن كلدة العبدي ابنه النصر ورهن سفيان بن عوف أحد بني الحارث بن عبد مناة ابنه الحارث حتى وديت الفضول ويقال إن عتبة بن ربيعة تقدم يومئذ فقال يا معشر قريش هلموا إلى صلة الأرحام والصلح قالوا وما صلحكم هنا فإنا موتورون فقال على أن ندي قتلاكم ونتصدق عليكم بقتلانا فرضوا بذلك وساد عتبة مذ يومئذ قال فلما رأت هوازن رهائن قريش بأيديهم رغبوا في العفو فأطلقوهم

النبي شهد الفجار إلا يوم نخلة

قال أبو عبيدة ولم يشهد الفجار من بني هاشم غير الزبير بن عبد المطلب وشهد النبي وآله سائر الأيام إلا يوم نخلة وكان يناول عمه وأهله النبل قال وشهدها وهو ابن عشرين سنة وطعن النبي وآله أبا براء ملاعب الأسنة وسئل وآله عن مشهده
يومئذ فقال ما سرني أني لم أشهده إنهم تعدوا على قومي عرضوا عليهم أن يدفعوا إليهم البراض صاحبهم فأبوا
قال وكان الفضل عشرين قتيلا من هوازن فوادهم حرب بن أمية فيما تروي قريش وبنو كنانة تزعم أن القتلى الفاضلين قتلاهم وأنهم هم ودوهم
وزعم قوم من قريش أن أبا طالب وحمزة والعباس بني عبد المطلب عليهما السلام شهدوا هذه الحروب ولم يرد ذلك أهل العلم بأخبار العرب
قال أبو عبيدة ولما انهزمت قيس خرج مسعود بن معتب لا يعرج على شيء حتى أتى سبيعة بنت عبد شمس زوجته فجعل أنفه بين ثدييها وقال أنا بالله وبك فقالت كلا زعمت أنك ستملأ بيتي من أسرى قومي اجلس فأنت آمن

أميمة ترثي قومها

وقالت أميمة بنت عبد شمس ترثي ابن أخيها أبا سفيان بن أمية ومن قتل من قومها والأبيات التي فيها الغناء منها
(أبى لَيلُكَ لا يذهبْ ... ونيط الطّرفُ بالكوكبْ)
(ونجم دونه الأهْوال ... بين الدّلو والعقربْ)
(وهذا الصبحُ لا يأتي ... ولا يدنو ولا يقربْ)
(بعقر عشيرةٍ منّا ... كرام الخِيم والمنصِبْ)
(أحالَ عليهمُ دهرٌ ... حديدُ النّاب والمِخلبْ)
(فحلَّ بِهم وقد أمِنوا ... ولم يُقصِرْ ولم يَشْطُبْ)
(وما عَنْهُ إذا ما حلّ ... من منجًى ولا مَهربْ)
(ألا يا عينُ فابكيهم ... بدمعٍ منك مستغربْ)
(فإن أبكِ فهم عِزّي ... وهم ركني وهم مَنكِبْ)
(وهم أصلي وهم فرعي ... وهم نسبي إذا أُنْسَبْ)
(وهم مجدِي وهم شرفِي ... وهم حِصنِي إذا أرْهَبْ)
(وهم رُمحِي وهم تُرسي ... وهم سيفي إذا أغضبْ)
(فكم من قائلٍ منهم ... إذا ما قال لا يكذِبْ)
(وكم من ناطقٍ فيهم ... خطيبٍ مِصقعٍ مُعْرِبْ)
(وكم من فارسٍ فيهم ... كميٍّ مُعْلَمٍ مِحْرَبْ)
(وكم من مِدرَهٍ فيهم ... أريبٍ حُوَّلٍ قُلّبْ)
(وكم من جحفلٍ فيهم ... عظيمِ النّار والموكِبْ)
(وكم من خِضْرِمٍ فيهم ... نجيبٍ ماجد مُنجِبْ)

صوت

(أُحِبُّ هبوطَ الواديين وإنني ... لمشتهرٌ بالواديين غريبُ)
(أحقاً عبادَ الله أنْ لستُ خارجاً ... ولا والجاً إلا عليّ رقيبُ)
(ولا زائراً فرداً ولا في جماعةٍ ... من الناس إلا قيل أنت مُريبُ)
(وهل ريبةٌ في أن تحِنَّ نَجيبةٌ ... إلى إلفها أو أن يحِنّ نَجيبُ)
الشعر فيما ذكره أبو عمرو الشيباني في أشعار بني جعدة وذكره أبو الحسن المدائني في أخبار رواها لمالك بن الصمصامة الجعدي ومن الناس من يرويه لابن الدمينة ويدخله في قصيدته التي على هذه القافية والروي والغناء لإسحاق هزج بالبنصر عن عمرو

أخبار مالك ونسبه

هو مالك بن الصمصامة بن سعد بن مالك أحد بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة شاعر بدوي مقل

كان يهوى جنوب بنت محصن الجعدية

أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزاعي ومحمد بن خلف بن المرزبان قالا
أخبرنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني ونسخت خبره أيضا من كتاب أبي عمرو الشيباني قالوا
كان مالك بن الصمصامة الجعدي فارسا شجاعا جوادا جميل الوجه وكان يهوى جنوب بنت محصن الجعدية وكان أخوها الأصبغ بن محصن من فرسان العرب وشجعانهم وأهل النجدة والبأس منهم فنمى إليه نبذ من خبر مالك فآلى يمينا جزما

لئن بلغه أنه عرض لها أوزارها ليقتلنه ولئن بلغه أنه ذكرها في شعر أو عرض بها ليأسرنه ولا يطلقه إلا أن يجز ناصيته في نادي قومه فبلغ ذلك مالك بن الصمصامة فقال
((إذا شئتَ فاقرنّي إلى جَنْب عيهبٍ ... أجبَّ ونِضوي للقلوص جنيب
(فما الحلْق بعد الأسر شرٌّ بَقِيةً ... من الصَّدّ والهجران وهي قريب)
(ألا أيها الساقي الذي بلّ دَلوَه ... بقُريان يَسْقِي هل عليكِ رقيبُ)
(إذا أنتَ لم تشرب بقُريان شربةً ... وحانيةِ الجدران ظَلْتَ تَلوب)
(أحِبّ هبوطَ الواديين وإنني ... لمشتهر بالواديين غريب)
(أحقًّا عِبادَ الله أنْ لستُ خارجاً ... ولا والجا إلا عليَّ رقيب)
(ولا زائراً وحدي ولا في جماعةٍ ... من الناس إلا قيل أنتَ مُريبُ)
(وهل ريبة في أن تَحِنَّ نجيبةٌ ... إلى إلفها أو أن يحِنَّ نجيب)

كان يراها ولا يستطيع مخاطبتها

وقال أبو عمرو خاصة حدثنا فتيان من بني جعدة أنها أقبلت ذات يوم وهو جالس في مجلس فيه أخوها فلما رآها عرفها ولم يقدر على الكلام بسبب أخيها فأغمي عليه وفطن أخوها لما به فتغافل عنه وأسنده بعض فتيان العشيرة إلى صدره فما تحرك ولا أحار جوابا ساعة من نهاره وانصرف أخوها كالخجل فلما أفاق قال
(ألَمَّتْ فما حيّت وعاجتْ فأسرعت ... إلى جرعة بين المخارِم فالنّحر)
((خليليَّ قد حانَتْ وفاتِيَ فاحفِروا ... برابيةٍ بين المخافِر والبُتر
(لكيما تقول العبدليَّةُ كلما ... رأت جدثي سقِّيت يا قبرُ من قبر)
وقال المدائني في خبره انتجع أهل بيت جنوب ناحية حسي والحمي وقد أصابها الغيث فأمرعت فلما أرادوا الرحيل وقف لهم مالك بن الصمصامة حتى إذا بلغته جنوب أخذ بخطام بعيرها ثم أنشأ يقول
(أريْتُكِ إن أزمعتمُ اليوم نِيَّةً ... وغالكِ مُصطافُ الحِمى ومرابِعُه)
(أترعَيْن ما استُودِعْتِ أم أنتِ كالذي ... إذا ما نأى هانت عليه ودَائِعُهُ)
فبكت وقالت بل أرعى والله ما استودعت ولا أكون كمن هانت عليه ودائعه فأرسل بعيرها وبكى حتى سقط مغشيا عليه وهي واقفة ثم أفاق وقام فانصرف وهو يقول
(ألاَ إنَّ حِسْياً دونه قُلَّةُ الحِمي ... مُنَى النفس لو كانت تُنال شرائعهُ)
(وكيف ومِن دونِ الورودِ عوائقٌ ... وأصبعُ حامي ما أُحِبُّ ومانعُه)
(فلا أنا فيما صدَّني عنه طامعٌ ... ولا أرتجي وصلَ الذي هو قاطعه)

صوت

(يا دارَ هنْدٍ عفاها كلُّ هطّالِ ... بالجَبتِ مثلُ سحيقِ اليَمْنَة البَالي)
(أربَّ فيها وليٌّ ما يغيِّرها ... والريحُ مما تعفِّيها بأذيال)
(دارٌ وقفتُ بها صَحبي أسائلها ... والدمع قد بلَّ مني جّيْبَ سِربالي)
(شوقاً إلى الحيِّ أيامَ الجميعُ بها ... وكيف يطربُ أو يشتاق أمثالي)
قوله أرب فيها أي أقام فيها وثبت والولي الثاني من أمطار السنة أولها الوسمي والثاني الولي ويروى
(... جرت عليها رياح الصيف فاطَّرقت)
واطرقت تلبدت
الشعر لعبيد بن الأبرص والغناء لإبراهيم هزج بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه لابن جامع رمل بالوسطى وقد نسب لحنه هذا إلى إبراهيم ولحن إبراهيم إليه

أخبار عبيد بن الأبرص ونسبه

قال أبو عمرو الشيباني هو عبيد بن الأبرص بن حنتم بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر شاعر فحل فصيح من شعراء الجاهلية وجعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية وقرن به طرفة وعلقمة بن عبدة وعدي بن زيد
أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال
عبيد بن الأبرص قديم الذكر عظيم الشهرة وشعره مضطرب ذاهب لا أعرف له إلا قوله في كلمته
(أقْفَرَ من أهْلِهِ مَلْحُوبُ)
ولا أدري ما بعد ذلك

اتهم بأخته ماوية

أخبرنا عبد الله بن مالك النحوي الضرير قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني قالا كان من حديث عبيد بن الأبرص أنه كان رجلا محتاجا ولم يكن له مال فأقبل ذات يوم ومعه غنيمة له ومعه أخته ماوية ليوردا غنمها الماء فمنعه رجل من بني مالك بن ثعلبة وجبهه فانطلق حزينا مهموما للذي صنع به المالكي حتى أتى شجرات فاستظل تحتهن فنام هو وأخته فزعموا أن المالكي نظر إليه وأخته إلى جنبه فقال
(ذاك عبيدٌ قد أصاب مَيّا ... يا ليتَه ألقحها صبيًّا)
(... فحملت فوضعت ضاوياً)
فسمعه عبيد فرفع يديه ثم ابتهل فقال اللهم إن كان فلان ظلمني ورماني بالبهتان فأدلني منه أي اجعل لي منه دولة وانصرني عليه ووضع رأسه فنام ولم يكن قبل ذلك يقول الشعر
فذكر أنه أتاه آت في المنام بكبة من شعر حتى ألقاها في فيه ثم قال قم فقام وهو يرتجز يعني بني مالك وكان يقال لهم بنو الزنية
يقول
(أيا بني الزِّنْية ما غرّكمُ ... فلكُم الويلُ بسربال حَجَرْ)
ثم استمر بعد ذلك في الشعر وكان شاعر بني أسد غير مدافع

امرؤ القيس يرفض دية أبيه ويهدد بني أسد فينشد عبيد بن الأبرص

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال
اجتمعت بنو أسد بعد قتلهم حجر بن عمرو والد امرئ القيس إلى امرئ القيس ابنه على أن يعطوه ألف بعير دية أبيه أو يقيدوه من أي رجل شاء من بني أسد أو يمهلهم حولا فقال أما الدية فما ظننت أنكم تعرضونها على مثلي وأما القود فلو قيد إلي ألف من بني أسد ما رضيتهم ولا رأيتهم كفؤا لحجر وأما النظرة فلكم ثم ستعرفونني في فرسان قحطان أحكم فيكم ظبا السيوف وشبا الأسنة حتى أشفي نفسي وأنال ثأري فقال عبيد بن الأبرص في ذلك

صوت

(يا ذا المُخوِّفُنا بقتل ... أبيه إذلالا وحَيْنا)
(أزعمتَ أنك قد قَتلْتَ ... سَراتنا كذِباً وميْنا)
(هلاَّ على حُجْرِ ابن أمم ... قطامِ تبكي لا علينا)
(إنَّا إذا عَضَّ الثِّقاف ... برأس صَعْدتِنا لَوَيْنا)
(نحمي حقيقتنا وبعضُ ... الناس يسقط بين بينا)
(هلاَّ سألتَ جموعَ كِندةَ ... يوم ولَّوْا أين أينا)
الغناء لحنين رمل في مجرى الوسطى مطلق عن الهشامي وفيه ليحيى المكي خفيف ثقيل
قال وتمام هذه الأبيات
(أيامَ نضرِبُ هامَهم ... ببواترٍ حتى انحنينا)
(وجموعَ غسَّانَ الملوك ... أتينَهم وقد انطويْنا)
(لُحُقاً أياطِلُهنّ قد ... عالجن أسفاراً وأينا)
والأياطل الخواصر أي هن ضوامرها
(نحن الألُي فاجمع جمو ... عَك ثم وجِّههم إلينا)
(واعلمْ بأنّ جيادَنا ... آلَيْنَ لا يقضِين دينا)
(ولقد أبحْنَا ما حَميتَ ... ولا مُبيحَ لما حَمينا)
(هذا ولو قَدَرَتْ عليكَ ... رماحُ قومي ما انتهينا)
(حتى تنوشَكَ نَوْشَةً ... عاداتُهنّ إذا انتويْنا)
(نُغْلي السِّباءَ بكل عاتِقة ... شمولٍ ما صَحَوْنا)
(ونُهِينُ في لذّاتنا ... عُظْمَ التِّلاد إذا انتشينا)
(لا يبلُغ الباني ولو ... رفعَ الدّعائمَ ما بَنَيْنا)
(كم من رئيسٍ قد قتلناه ... وضَيمٍ قدْ أبينا)
(ولربَّ سيِّدِ معشرٍ ... ضخمِ الدَّسيعة قد رمينا)
(عِقْبانُه بظلالِ عِقبانٍ ... تُتَمِّمُ ما نوينا)
(حتى تركنا شِلوَه ... جَزَرَ السِّباع وقد مضينا)
(إنّا لعمرُك ما يُضامُ ... حليفُنا أبداً لدينا)
(وأوانِس مثل الدُّمى ... حُور العيون قد استبينا)

وفاء ثعبان له

وقرأت في بعض الكتب عن ابن الكلبي عن أبيه وهو خبر مصنوع يتبين التوليد فيه
أنَّ عبيدَ بن الأبرص سافر في ركب من بني أسد فبيناهم يسيرون إذا
هم بشجاع يتمعك على الرمضاء فاتحا فاه من العطش وكانت مع عبيد فضلة من ماء ليس معه ماء غيرها فنزل فسقاه الشجاع عن آخره حتى روي وانتعش فأنساب في الرمل فلما كان من الليل ونام القوم ندت رواحلهم فلم ير لشيء منها أثر فقام كل واحد يطلب راحلته فتفرقوا فبينا عبيد كذلك وقد أيقن بالهلكة والموت إذا هو بهاتف يهتف به
(يا أيُّها الساري المضِلُّ مذهبُهْ ... دونكَ هذا البَكَر منّا فاركبه)
(وبكْرُكَ الشارد أيضاً فاجنُبُهْ ... حتى إذا الليلُ تَجَلَّى غيهبه)
(... فحُطّ عنه رحلَه وسيِّبْه)
فقال له عبيد يا هذا المخاطب نشدتك الله إلا أخبرتني من أنت فأنشأ يقول
(أنا الشّجاع الذي ألفيْتَه رَمِضاً ... في قفرةٍ بين أحجارٍ وأعقادِ)
(فَجُدْتَ بالماء لما ضَنَّ حامِلُه ... وزدتَ فيه ولم تبخل بإنكادِ)
(الخيرُ يبقى وإن طال الزمانُ به ... والشرُّ أخبثُ ما أوْعيتَ من زادِ)
فركب البكر وجنب بكره وسار فبلغ أهله مع الصبح فنزل عنه وحل رحله وخلاه فغاب عن عينه وجاء من سلم من القوم بعد ثلاث

كان للمنذر بن ماء السماء يومان

أخبرني محمد بن عمران المؤدب وعمي قالا حدثنا محمد بن عبيد قال حدثني محمد بن يزيد بن زياد الكلبي عن الشرقي بن القطامي قال
كان المنذر بن ماء السماء قد نادمه رجلان من بني أسد أحدهما خالد بن المضلل والآخر عمرو بن مسعود بن كلدة فأغضباه في بعض المنطق فأمر بأن يحفر لكل واحد حفيرة بظهر الحيرة ثم يجعلا في تابوتين ويدفنا في الحفرتين ففعل ذلك بهما حتى إذا أصبح سأل عنهما فأخبر بهلاكهما فندم على ذلك وغمه وفي عمرو بن مسعود وخالد بن المضلل الأسديين يقول شاعر بني أسد
(يا قبرُ بينَ بيوتٍ آل محرِّقٍ ... جادت عليك رواعدٌ وبروقُ)
(أمّا البكاءُ فقلَّ عنك كثيرُه ... ولئن بُكِيتَ فَلَلْبُكاء خَليق)
ثم ركب المنذر حتى نظر إليهما فأمر ببناء الغريين عليهما فبنيا عليهما وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما عند الغريين يسمى أحدهما يوم نعيم والآخر يوم بؤس فأول من يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مائة من الإبل شوما أي سودا وأول من يطلع عليه يوم بؤسه يعطيه

رأس ظربان أسود ثم يأمر به فيذبح ويغرى بدمه الغريان فلبث بذلك برهة من دهره

عبيد يقتل في يوم البؤس

ثم إن عبيد بن الأبرص كان أول من أشرف عليه في يوم بؤسه فقال هلا كان الذبح لغيرك يا عبيد فقال أتتك بحائن رجلاه فأرسلها مثلا فقال له المنذر أو أجل بلغ إناه فقال له المنذر أنشدني فقد كان شعرك يعجبني فقال عبيد حال الجريض دون القريض وبلغ الحزام الطبيين فأرسلها مثلا فقال له النعمان أسمعني فقال المنايا على الحوايا فأرسلها مثلا فقال له آخر ما أشد جزعك من الموت فقال لا يرحل رحلك من ليس معك فأرسلها مثلا فقال له المنذر قد أمللتني فأرحني قبل أن آمر بك فقال عبيد من عز بز فأرسلها مثلا فقال المنذر أنشدني قولك

(... أقفرَ مِن أهله مَلحوبُ)

فقال عبيد

صوت

(أقفر من أهله عَبِيدُ ... فليس يُبدِي ولا يُعِيدُ)

(عَنَتْ له عَنَّةٌ نَكُودٌ ... وحان منها له ورودُ)

فقال له المنذر يا عبيد ويحك أنشدني قبل أن أذبحك فقال عبيد

(والله إن مِتُّ لما ضرَّني ... وإن أعشْ ما عشتُ في واحدَه)

فقال المنذر إنه لا بد من الموت ولو أن النعمان عرض لي في يوم بؤس لذبحته فاختر إن شئت الأكحل وإن شئت الأبجل وإن شئت الوريد فقال عبيد ثلاث خصال كسحابات عاد واردها شر وراد وحاديها شر حاد ومعادها شر معاد ولا خير فيه لمرتاد وإن كنت لا محالة قاتلي فاسقني الخمر حتى إذا ماتت مفاصلي وذهلت لها ذواهلي فشأنك وما تريد فأمر المنذر بحاجته من الخمر حتى إذا أخذت منه وطابت نفسه دعا به المنذر ليقتله فلما مثل بين يديه أنشأ يقول

(وخيّرني ذُو البؤس في يوم بؤسه ... خِصالاً أرى في كلها الموتَ قد بَرَقْ)

(كما خُيِّرت عادٌ من الدهر مَرّةً ... سحائبَ ما فيها لذي خِيرة أنَقْ)

(سحائب ريح لم تُوكَّل ببلدةٍ ... فتتركها إلا كما ليلةِ الطَّلَق)

فأمر به المنذر ففصد فلما مات غري بدمه الغريان

خبر الطائي الذي يرمز إلى وفاء العرب بالعهد

فلم يزل كذلك حتى مر به رجل من طيىء يقال له حنظلة بن أبي عفراء أو ابن أبي عفر فقال له أبيت اللعن والله ما أتيتك زائرا ولأهلي من خيرك مائرا فلا تكن ميرتهم قتلى فقال لا بد من ذلك فاسأل حاجة أقضينها لك فقال تؤجلني سنة أرجع فيها إلى أهلي وأحكم من أمرهم ما أريد ثم أصير إليك فأنفذ في حكمك فقال ومن يكفل بك حتى تعود فنظر في وجوه جلسائه فعرف منهم شريك بن عمرو أبا الحوفزان بن شريك فأنشد يقول

(يا شريكٌ يا بنَ عمرو ... ما من الموت مَحالَهْ)

(يا شريكٌ يا بنَ عمرو ... يا أخا من لا أخالهْ)

(يا أخا شَيْبان فُكَّ اليوم ... رهنا قد أناله)

(يا أخا كلِّ مُضافٍ ... وحيَا مَنْ لا حَيَا له)

(إنّ شَيْبانَ قبيلٌ ... أكرمَ اللهُ رجالَهْ)

(وأبوك الخيرُ عمروٌ ... وشراحيلُ الحَمَا لَهْ)

(رَقَّيَاك اليوم في المجد ... وفي حُسن المقالَهْ)

فوثب شريك وقال أبيت اللعن يدي بيده ودمي بدمه إن لم يعد

إلى أجله فأطلقه المنذر فلما كان من القابل جلس في مجلسه ينتظر حنظلة أن يأتيه فأبطأ عليه فأمر بشريك فقرب ليقتله

فلم يشعر إلا براكب قد طلع عليهم فتأملوه فإذا هو حنظلة قد أقبل متكفنا متحنطا معه نادبته تندبه وقد قامت نادبة شريك تندبه فلما رآه المنذر عجب من وفائهما وكرمهما فأطلقهما وأبطل تلك السنة

خبر آخر عن مقتل عبيد بن الأبرص

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن هشام بن الكلبي قال كان من حديث عبيد بن الأبرص وقتله أن المنذر بن ماء السماء بنى الغريين فقيل له ما تريد إليهما وكان بناهما على قبري رجلين من بني أسد كانا نديميه أحدهما خالد بن المضلل الفقعسي والآخر عمرو بن مسعود فقال ما أنا بملك إن خالف الناس أمري لا يمرن أحد من وفود العرب إلا بينهما وكان له يومان في السنة يوم يسميه يوم النعيم ويوم يسميه يوم البؤس فإذا كان في يوم نعيمه أتي بأول من يطلع عليه فحباه وكساه ونادمه يومه وحمله فإذا كان يوم بؤسه أتي بأول من يطلع عليه فأعطاه رأس ظربان أسود ثم أمر به فذبح وغري بدمه الغريان فبينا هو جالس في يوم بؤسه إذ أشرف عليه عبيد فقال لرجل كان معه من هذا الشقي فقال له هذا عبيد بن الأبرص الأسدي الشاعر فأتي به فقال له الرجل الذي كان معه اتركه أبيت اللعن فإني أظن أن عنده من حسن القريض أفضل مما تدرك في قتله فاسمع منه فإن سمعت حسنا استزدته وإن لم يعجبك فما أقدرك على قتله فإذا نزلت فادع به قال

فنزل وطعم وشرب وبينه وبين الناس حجاب ستر يراهم منه ولا يرونه فدعا بعبيد من وراء الستر فقال له رديفه هلا كان الذبح لغيرك يا عبيد فقال أتتك بحائن رجلاه فأرسلها مثلا فقال ما ترى يا عبيد قال أرى الحوايا عليها المنايا فقال فهل قلت شيئا فقال حال الجريض دون القريض فقال أنشدني

(... أقفرَ من أهلِه مَلحوب)

فقال

(أقْفَرَ من أهلِه عبيدُ ... فليس يُبدي ولا يعيدُ)

(عنَّت له خُطَّةٌ نكودُ ... وحان منها له ورودُ)

فقال أنشدنا

(هِيَ الخمر تُكنى بأمِّ الطِّلىَ ... كما الذئبُ يُكنى أبا جَعْدَه)

وأبى أن ينشدهم شيئا مما أرادوا فأمر به فقتل

فأما خبر عمرو بن مسعود وخالد بن المضلل ومقتلهما فإنهما كانا نديمين للمنذر بن ماء السماء فيما ذكره خالد بن كلثوم فراجعاه بعض القول على سكره فغضب فأمر بقتلهما وقيل بل دفنهما حيين فلما أصبح سأل عنهما فأخبر خبرهما فندم على فعله فأمر بإبل فنحرت على قبريهما وغري بدمائها قبراهما إعظاما لهما وحزن عليهما وبنى الغريين فوق قبريهما وأمر فيهما بما قدمت ذكره من أخبارهما فقالت نادبة الأسديين

(ألا بَكَرَ الناعي بخير بني أسدْ ... بعمرو بن مسعودٍ وبالسيّد الصَّمَدْ)

وقال بعض شعراء بني أسد يرثي خالد بن المضلل وعمرو بن مسعود وفيه غناء

صوت

(يا قبرُ بينَ بيوتِ آل مُحرّقٍ ... جادت عليكِ رواعدٌ وبروقُ)

(أمّا البُكاءُ فقلّ عنك كثيرُهُ ... ولئن بُكِيتَ فبالبكاء خليقُ)

الغناء لابن سريج ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى من جامع أغانيه

ومما يغنى به أيضا من شعر عبيد

صوت

(طافَ الخيالُ علينا ليلةَ الوادي ... من أمِّ عمروٍ ولم يُلْمِمْ لميعادِ)

(أنيَّ اهتديت لِركبٍ طال سيرهمُ ... في سَبْسَبٍ بين دَكْداكٍ وأعقادِ)

(اذهب إليك فإني من بني أسد ... أهلِ القباب وأهلِ الجودِ والنّادي)

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه ثقيل أول بالوسطى ذكر الهشامي أنه لأبي زكار الأعمى وذكر حبش أنه لابن سريج

وفي هذه القصيدة يقول يخاطب حجر بن الحارث أبا امرئ القيس وكان حجر يتوعده في شيء بلغه عنه ثم استصلحه فقال يخاطبه

(أبلغ أبَا كَربٍ عنّي وإخوتَه ... قولاً سيذهب غَوْراً بعد إنجادِ

(لا أعرفنَّك بعد الموتِ تَندُبني ... وفي حياتيَ ما زودّتني زادي)

(إنَّ أمامَك يوماً أنتَ مدركُهُ ... لا حاضرٌ مفلِتٌ منه ولا بادي)

(فانظرِ إلى ظلّ مُلْكٍ أنْت تاركُهُ ... هل تُرسِيَنَّ أواخيه بأوتاد)

(الخيرُ يبقى وإن طال الزمانُ به ... والشَّرُّ أخبث ما أوعيتَ من زاد)

عمر بن الخطاب يبكي مع نساء بني مخزوم خالد بن الوليد

أخبرنا عيسى بن الحسين قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاعي عن المدائني عن أبي بكر الهذلي قال سمع عمر بن الخطاب نساء بني مخزوم يبكين على خالد بن الوليد فبكى وقال ليقل نساء بني مخزوم في أبي سليمان ما شئن فإنهن لا يكذبن وعلى مثل أبي سليمان تبكي البواكي فقال له طلحة بن عبيد الله إنك وإياه لكما قال عبيد بن الأبرص

(لا ألْفِيَنَّك بعدَ الموتِ تندُبني ... وفي حياتيَ ما زوّدتني زادي)

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله الغبدي قال حدثني سيف الكاتب قال وليت ولاية فمررت بصديق لي في بعض المنازل فنزلت به قال فنلنا من الطعام والشراب ثم غلب علينا النبيذ فنمنا فانتبهت من نومي فإذا أنا بكلب قد دخل على كلب الرجل فجعل يبش به ويسلم عليه لا أنكر من كلامهما شيئا ثم جعل الكلب الداخل عليه يخبره عن طريقه بطول سفره وقال له هل عندك شيء تطعمنيه قال نعم قد بقي لهم في موضع كذا وكذا طعام وليس عليه شيء فذهبا إليه فكأني أسمع ولوغهما في الإناء حتى أكلا ما كان هناك فيه ثم سأله نبيذا فقال نعم لهم نبيذ في إناء آخر ليس له غطاء فذهبا إليه فشربا ثم قال له هل تطربني بشيء قل إي وعيشك صوت كان أبو يزيد يغنيه فيجيده ثم غناه في شعر عبيد بن الأبرص

صوت

(طاف الخيالُ علينا ليلةَ الوادي ... لآل أسماءَ لم يُلمِمْ لميعادِ)

(أنىَّ اهتديت لركبٍ طال سيرهُم ... في سَبسبٍ بين دَكْداكٍ وأعقادِ)

قال فلم يزل يغنيه هذا الصوت ويشربان مليا حتى فني ذلك النبيذ ثم خرج الكلب الداخل فخفت والله على نفسي أن أذكر ذلك لصاحب المنزل فأمسكت وما أذكر أني سمعت أحسن من ذلك الغناء

ومما يغني فيه من شعره قوله

صوت

(لمن جِمالٌ قُبيلَ الصّبح مزمُومَه ... ميمِّماتٌ بلاداً غيرَ معلومه)

(فيهنّ هندٌ وقد هام الفؤاد بها ... بيضاءُ آنسةٌ بالحسن موسومهْ)

الغناء لابن سريج رمل عن يونس والهشامي وحبش

ومنها قوله

صوت

(دَرَّ دَرُّ الشباب والشعَر الأسود ... والضَّامراتِ تحت الرِّحالِ)

(فالخناذيذِ كالقداح من الشّوحط ... يحملن شِكّةَ الأبطالِ)

(ليس رسمٌ على الدّفين ببالٍ ... فَلوَى ذروةٍ فَجَنْبيْ أُثالِ)

(تلك عرسي قد عيّرتني خِلالي ... ألِبينٍ تريد أم لدلالِ)

الغناء لطويس خفيف رمل لا شك فيه وفيه ثقيل أول ذكر علي بن يحيى أنه لطويس أيضا ووجدته في صنعة عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر وفي الثالث والرابع من الأبيات لدلال خفيف رمل بالبنصر عن عبد الله بن موسى والهشامي

صوت

(لمن الدّيارُ كأنها لم تُحْلَلِ ... بجنوبِ أسنمةٍ فَقُفِّ العُنْصُلِ)

(دَرَسَتْ معالمُها فباقي رَسْمِها ... خَلَقٌ كعنوان الكتاب المُحْوِلِ)

((دارٌ لسُعدي إذ سعادٌ كأنها ... رشأ غضيضُ الطّرف رَخْصُ المِفْصَل

عروضه من الكامل جنوب أسنمة أودية معروفة والقف الكثيب من الرمل ليس بالمشرف ولا الممتد والعنصل بصل معروف الشعر لربيعة بن مقروم الضبي والغناء فيه لسياط هزج بالبنصر عن الهشامي

أخبار ربيعة بن مقروم ونسبه

هو ربيعة بن مقروم الضبي بن قيس بن جابر بن خالد بن عمرو بن عبد الله بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار

شاعر إسلامي مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وكان ممن أصفق عليه كسرى ثم عاش في الإسلام زمانا

هجوه ضابئ بن الحارث

قال أبو عمرو الشيباني

كان ربيعة بن مقروم باع عجرد بن عبد عمرو بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم لقحة إلى أجل فلما بايعه وجد ابن مقروم ضابئ بن الحارث عند عجرد وقد نهاه عن إنظاره بالثمن فقال ابن مقروم يعرض بضابئ إنه أعان عليه وكان ضلعه معه

(أَعَجْرُ ابنِ المليحة إنَّ همّي ... إذا ما لَجّ عُذّالي لَعَان)

قوله لعان أي عان من العناء عناني الشيء يعنيني وهو لي عان

((يَرى مالا أرى ويقول قولاً ... وليس على الأمور بمستعان

(ويحلِف عند صاحبه لَشاةٌ ... أحبُّ إليَّ من تلك الثّمان)

(وحامل ضبّ ضِغنٍ لم يَضِرْني ... بعيدٍ قلبُه حلو اللسان)

(ولو أني أشاء نقَمتُ منه ... بِشَغْبٍ من لسانٍ تَيِّحان)

(ولكني وصلتُ الحبل منه ... مواصلةً بحبلِ أبي بيان)

(ترفّع في بني قَطَنٍ وحلّت ... بيوتَ المجد يبنيهن باني)

يعني حلت بنو قطن بيوت المجد

(وضِمرةُ إن ضِمرةَ خيرُ جارٍ ... إلى قطن بأسبابٍ مِتانِ)

(هِجانُ الحيِّ كالذهب المصفّى ... صبيحةَ ديمةٍ يجنيه جان)

قال أبو عمرو الذهب في معدنه إذا جاءه المطر ليلا لاح من غد عند طلوع الشمس فيتتبع ويؤخذ

مدحه مسعود بن سالم الذي خلصه من الأسر

قال أبو عمرو وأسر ربيعة بن مقروم واستيق ماله فتخلصه مسعود بن سالم بن أبي سلمى بن ذبيان بن عامر بن ثعلبة بن ذؤيب بن السيد فقال ربيعة بن مقروم فيه قوله

(كَفَاني أبو الأشوس المنكراتِ ... كفاهُ الإلهُ الذي يَحْذَرُ)

(أعزُّ من السيِّدِ في منصِبٍ ... إليه العَزازة والمفخرُ)

وقال يمدحه أيضا

((بَانَ الخليطُ فأمسى القلب معموداً ... وأخلفْتك ابنةُ الحرِّ المواعيدا

(كأنها ظبيةٌ بِكْرٌ أطاع لها ... من حَوملٍ تَلَعاتُ الحيِّ أو أُودا)

(قامت تريك غداةَ البينِ مُنسدِلاً ... تجللت فوق متنيها العناقيدا)

(وبارداً طَيِّباً عذباً مَذاقته ... شربتُه مَزِجاً بالظلم مشهودا)

(وجسْرةٍ أُجُد تَدمَى مناسمُهَا ... أعْمَلتُهَا بِي حتى تَقطعَ البيدا)

(كلّفتُها فأتى حتماً تكلُّفها ... ظهيرةً كأجيج النار صَيخودا)

(في مهمةٍ قُذُفٍ يُخشَى الهلاكُ به ... أصداؤه لا تَني بالليل تغريدا)

(لمّا تشكّت إليَّ الأينَ قلتُ لها ... لا تستريحِنَّ ما لم ألق مسعودا)

(ما لم ألاقِ امرأً جَزْلاً مواهبُه ... رحبُ الفِناء كريمَ الفِعْل محمُودا)

(وقد سمعتُ بقومٍ يُحمَدون فلم ... أسمع بمثلِك لا حِلْماً ولا جودا)

(ولا عفافاً ولا صبراً لنائبة ... ولا أُخَبِّرُ عنك الباطلَ السِّيدا)

السيد قبيل الممدوح من آل ضبة

(لا حلمُك الحلمُ موجودٌ عليه ولا ... يُلْفَى عَطَاؤُك في الأقوام منكودا)

(وقد سبقتَ لغاياتِ الجواد وقد ... أشبهت آباءَك الشُّمَّ الصناديدا)

(هذا ثنائي بما أوليتَ من حسَنٍ ... لا زلتَ براًّ قريرَ العينِ محسودا)

قال أبو عمرو كان لضابئ بن الحارث البرجمي على عجرد بن عبد عمرو دين بايعه به نعما واستخار الله في ذلك وبايعه ربيعة بن مقروم ولم يستخر الله تعالى ثم خافه ضابئ فاستجار بربيعة بن مقروم في مطالبته إياه فضمن له جواره فوفى عجرد لضابئ ولم يف لربيعة فقال ربيعة

(أعجرْد إني من أمانيِّ باطلٍ ... وقولِ غداً شيخٌ لذاك سؤوم)

(وإنَّ اختلافي نصف حولٍ محرَّم ... إليكم بني هندٍ عليَّ عظيم)

(فلا أعرفنّي بعد حولٍ محرَّم ... وقولٍ خلا يُشكُونَنِي فألوم)

(ويلتمسوا وُدِّي وعطفيَ بعد ما ... تنَاشدَ قولي وائلٌ وتميمُ)

(وإن لم يكن إلا اختلافي إليكم ... فإني امرؤٌ عِرضِي عليَّ كريم)

(فلا تُفسِدوا ما كان بيني وبينكم ... بني قَطَنٍ إنَّ المُليم مُليمُ)

فاجتمعت عشيرة عجرد عليه وأخذوه بإعطاء ربيعة ماله فأعطاه إياه

حماد الراوية ينشد الوليد بن يزيد شعر ربيعة بن مقروم

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية قال

دخلت على الوليد بن يزيد وهو مصطبح وبين يديه معبد ومالك وابن عائشة وأبو كامل وحكم الوادي وعمر الوادي يغنونه وعلى رأسه وصيفة تسقيه لم أر مثلها تماما وكمالا وجمالا فقال لي يا حماد أمرت هؤلاء أن يغنوا صوتا يوافق صفة هذه

الوصيفة وجعلتها لمن وافق صفتها نحلة
فما أتى أحد منهم بشيء فأنشدني أنت ما يوافق صفتها وهي لك فأنشدته قول ربيعة بن مقروم الضبي
(دارٌ لسُعْدِي إذ سُعاد كأنَّها ... رَشأٌ غريرُ الطّرْفِ رخْص المِفْصَل)
(شمَّاءُ واضحةُ العوارضِ طَفْلةٌ ... كالبدرِ من خَلَل السحابِ المنجلي)
(وكأنما ريحُ القَرَنفُلِ نشرُها ... أو حَنْوَةٌ خُلِطَتْ خزامى حَوْملِ)
((وكأنّ فاها بعد ما طَرَق الكرى ... كأسٌ تُصَفّق بالرحيق السلسل
(لو أنها عرضت لأشْمَطَ راهبٍ ... في رأس مُشرفةِ الذُّرا متبتّل)
(جآرٍ ساعات النيام لربه ... حتى تخدد لحمه مستعمِلِ)
(لصَبا لبهجتها وحُسنِ حَديثِها ... ولهمَّ من ناموسه بتَنَزُّلِ)
فقال الوليد أصبت وصفها فاخترها أو ألف دينار فاخترت الألف الدينار فأمرها فدخلت إلى حرمه وأخذت المال
مختارات من شعره
وهذه القصيدة من فاخر الشعر وجيده وحسنه فمن مختارها ونادرها قوله
صوت
(بل إنْ تَرَىْ شَمَطاً تفرَّعَ لِمّتي ... وحَنَا قناتي وارتقى في مِسْحَلي)
(ودلَفْتُ من كِبرٍ كأنّي خَاتلٌ ... قَنَصاً ومن يدِبْ لصيدٍ يخْتِلِ)
(فلقد أرى حسنَ القناة قويمها ... كالنّصْلِ أخلصه جِلاءُ الصَّيْقَلِ)
(أزمانَ اذْ أنا والجديدُ إلى بلىً ... تُصبي الغواني مِيْعَتي وتنقُّلي)
غنى بذلك معبد ثقيلا أول
((ولقد شهِدْتُ الخيل يوم طِرَادِها ... بِسَليمِ أوظفةِ القوائمِ هَيكَلِ
(متقاذفٍ شَنِجِ النَّسا عَبْلِ الشّوى ... سبَّاقِ أنديةِ الجياد عَمَيْثل)
(لولا أكفكِفه لكان إذا جرى ... منه العزيم يدقُّ فأسَ المِسحل)
(وإذا جرى منه الحميمُ رأيته ... يهوي بفارسِه هُويّ الأجدلِ)
(وإذا تَعلّلُ بالسّياط جيادُها ... أعطاك نائبه ولم يتعلّل)
(ودعَوا نزالِ فكنتُ أولَ نازلٍ ... وعلامَ أركبُه إذا لم أنزل)
(ولقد جمعتُ المالَ من جمْعِ امرئٍ ... ورفعتُ نفسِي عن لَئِيمِ المأكل)
(ودخلتُ أبنيةَ الملوكِ عليهمُ ... ولشرُّ قولِ المرءِ ما لم يُفعَل)
(ولرُبّ ذي حَنَقٍ عليَّ كأنما ... تَغلِي عداوةُ صدرِهِ كالمِرْجل)
(أرْجَيْتُه عنّي فأبصرَ قصدَه ... وكويتُه فوق النَّواظرِ من عَلِ)
(وأخي مُحافظةٍ عصَى عُذّاله ... وأطاع لذّته مُعِمٍّ مُخول)
(هشٍّ يُراحُ إلى النّدى نبّهته ... والصبحُ ساطعُ لونه لم يَنْجل)
(فأتيتُ حانوتا به فصبَحْته ... من عاتقٍ بمزاجها لم تُقتل)
((صهباءَ إبْاسِيَّةٍ أغلِي بها ... يسرٌ كريمُ الخِيمِ غيرُ مُبخّل
(ومُعرَّسٍ عرْضِ الرداء عرسْتُهُ ... من بعد آخرِ مثلِه في المنزلِ)
(ولقد أصبتُ من المعيشة لينَها ... وأصابني منه الزمانُ بكلكل)
(فإذا وذاك كأنه ما لم يكن ... إلا تذكُّره لمن لم يجهلِ)
(ولقد أتتْ مائةٌ عليَّ أعدُّها ... حَوْلاً فحولا لا بَلاها مُبتل)
(فإذا الشّباب كمِبْذَلٍ أنضيتُه ... والدهرُ يُبلِي كلَّ جِدَّةِ مِبْذل)
(هلاّ سألتِ وخُبْرُ قومٍ عندهم ... وشفاءُ غَيِّكِ خابرا أن تسألي)
(هل نُكرم الأضْيافَ إنْ نزلوا بنا ... ونسودُ بالمعروف غيرَ تنحل)
(ونحل بالثغرِ المخوف عدوه ... ونردُ حالَ العارضِ المتهلّل)
(ونُعين غارمَنا ونمنع جارَنا ... ونَزينُ مولى ذِكْرنا في المحفِلِ)
(وإذا امرؤٌ منا حبا فكأنّه ... مما يُخافُ على مناكب يَذْبُل)
(ومتى تَقمْ عند اجتماع عشيرةٍ ... خطباؤنا بين العشيرة يُفْصَل)
(ويرى العدوُّ لنا دروءاً صعبةً ... عند النجوم منيعةَ المتأوّل)
((وإذا الحَمالةُ أثقلت حُمَّالَها ... فعلى سوائمنا ثقيلُ المحمِلِ
(ونحقُّ في أموالنا لحليفنا ... حقاً يبوء به وإن لم يَسْألِ)
وهذه جملة جمعت فيها أغاني من أشعار اليهود إذ كانت نسبتهم وأخبارهم مختلطة فمن ذلك
صوت
(أنّى تَذَكَّر زينبَ القلبُ ... وطِلابُ وصلِ عزيزةٍ صَعْبُ)
(ما رَوْضَةٌ جاد الربيع لها ... موشيّةٌ ما حولها جدْبُ)
(بألذّ منها إذ تقول لنا ... سيراً قليلاً يَلْحق الركبُ)
الشعر لأوس بن ذبي القرظي والغناء لابن سريج ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وزعم عمرو أن فيه لحنا من الثقيل الأول بالوسطى لمالك وأن فيه صنعة لابن محرز ولم يجنسها
أخبار أوس ونسب اليهود
النازلين بيثرب وأخبارهم
أوس بن ذبي اليهودي رجل من بني قريظة وبنو قريظة وبنو النضير يقال لهم الكاهنان وهم من ولد الكاهن بن هارون بن عمران أخي موسى بن عمران على محمد وآله وعليهما وكانوا نزولا بنواحي يثرب بعد وفاة موسى بن عمران عليه السلام وقبل تفرق الأزد عند انفجار سيل العرم ونزول الأوس والخزرج بيثرب
كان ساكنو المدينة يسمون العمالقة

أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش عن جعفر بن محمد العاصي أبي المنهال عيينة بن المنهال المهلبي عن أبي سليمان جعفر بن سعد عن العماري قال
كان ساكنو المدينة في أول الدهر قبل بني إسرائيل قوما من الأمم الماضية يقال لهم العماليق وكانوا قد تفرقوا في البلاد وكانوا أهل عز وبغي شديد فكان ساكني المدينة منهم بنو هف وبنو سعد وبنو الأزرق وبنو مطروق وكان ملك الحجاز منهم رجل يقال له الأرقم ينزل ما بين تيماء
إلى فدك وكانوا قد ملأوا المدينة ولهم بها نخل كثير وزروع وكان موسى بن عمران عليه السلام قد بعث الجنود إلى الجبابرة من أهل القرى يغزونهم فبعث موسى عليه السلام إلى العماليق جيشا من بني إسرائيل وأمرهم أن يقتلوهم جميعا إذا ظهروا عليهم ولا يستبقوا منهم أحدا فقدم الجيش الحجاز فأظهرهم الله عز وجل على العماليق فقتلوهم أجمعين إلا ابنا للأرقم فإنه كان وضيئا جميلا فضنوا به على القتل وقالوا نذهب به إلى موسى بن عمران فيرى فيه رأيه فرجعوا إلى الشام فوجدوا موسى عليه السلام قد توفي فقالت لهم بنو إسرائيل ما صنعتم فقالوا أظهرنا الله جل وعز عليهم فقتلناهم ولم يبق منهم أحد غير غلام كان شابا جميلا فنفسنا به عن القتل وقلنا نأتي به موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه فقالوا لهم هذه معصية قد أمرتم ألا تستبقوا منهم أحدا والله لا تدخلون علينا الشام أبدا

المدينة أول استيطان اليهود

فلما منعوا ذلك قالوا ما كان خيرا لنا من منازل القوم الذين قتلناهم بالحجاز نرجع إليهم فنقيم بها فرجعوا على حاميتهم حتى قدموا المدينة فنزلوها وكان ذلك الجيش أول سكنى اليهود المدينة فانتشروا في نواحي المدينة كلها إلى العالية فاتخذوا بها الآطام والأموال والمزارع ولبثوا بالمدينة زمانا طويلا
ثم ظهرت الروم على بني إسرائيل جميعا بالشام فوطئوهم وقتلوهم ونكحوا نساءهم فخرج بنو النضير وبنو قريظة وبنو بهدل هاربين منهم إلى من بالحجاز من بني إسرائيل لما غلبتهم الروم على الشام فلما فصلوا عنها بأهليهم بعث ملك الروم في طلبهم ليردهم فأعجزوه وكان ما بين الشام والحجاز مفاوز فلما بلغ طلب الروم التمر انقطعت أعناقهم عطشا فماتوا وسمي الموضع تمر الروم فهو اسمه إلى اليوم فلما قدم بنو النضير وبنو قريظة وبهدل المدينة نزلوا الغابة فوجدوها وبية فكرهوها وبعثوا رائدا أمروه أن يلتمس لهم منزلا سواها فخرج حتى أتى العالية وهي بطحان ومهزور واديان من حرة على تلاع أرض عذبة بها مياه عذبة تنبت حر الشجر فرجع إليهم فقال قد وجدت لكم بلدا طيبا نزها على حرة يصب فيها واديان على تلاع عذبة ومدرة طيبة في متأخر الحرة ومدافع الشرج قال فتحول القوم إليها من منزلهم ذلك فنزل بنو النضير ومن معهم على بطحان وكانت لهم إبل نواعم فاتخذوها أموالا ونزلت بنو قريظة وبهدل ومن معهم على مهزور فكانت لهم تلاعه وما سقي من بعاث وسموات فكان ممن يسكن المدينة حين نزلها الأوس والخزرج من قبائل بني إسرائيل بنو عكرمة وبنو ثعلبة وبنو محمر وبنو زعورا وبنو قينقاع وبنو زيد وبنو النضير وبنو قريظة وبنو بهدل وبنو عوف وبنو الفصيص فكان يسكن يثرب جماعة من أبناء اليهود فيهم الشرف والثروة والعز على سائر اليهود وكان بنو مرانة في موضع بني حارثة ولهم كان الأطم الذي يقال له الخال

كان مع بني إسرائيل بطون من العرب

وكان معهم من غير بني إسرائيل بطون من العرب منهم بنو الحرمان حي من اليمن وبنو مرثد حي من بلي وبنو أنيف من بلي أيضا وبنو معاوية حي من بني سليم ثم من بني الحارث بن بهثة وبنو الشظية حي من غسان وكان يقال لبني قريظة وبني النضير خاصة من اليهود الكاهنان نسبوا بذلك إلى جدهم الذي يقال له الكاهن كما يقال العمران والحسنان والقمران قال كعب بن سعد القرظي
(بالكاهِنيْن قررتمْ في دياركُمُ ... جمًّا ثواكم ومن أجلاكم جَدُبا)
وقال العباس بن مرداس السلمي يرد على خوات بن جبير لما هجاهم
(هجوتَ صريحَ الكاهنَيْن وفيكمُ ... لهم نِعَمٌ كانت مدى الدهر تُرْبَا)
فلما أرسل الله سيل العرم على أهل مأرب وهم الأزد قام رائدهم
فقال من كان ذا جمل مفن ووطب مدن وقربة وشن فلينقلب عن بقرات النعم فهذا اليوم يوم هم وليلحق بالثني من شن قال وهو بالسراة فكان الذين نزلوه أزد شنوءة ثم قال لهم ومن كان ذا فاقة وفقر وصبر على أزمات الدهر فليلحق ببطن مر فكان الذين سكنوه خزاعة ثم قال لهم من كان منكم يريد الخمر والخمير والأمر والتأمير والديباج والحرير فليلحق ببصرى والحفير وهي من أرض الشام فكان الذين سكنوه غسان ثم قال لهم ومن كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق بقصر عمان الجديد فكان الذين نزلوه أزد عمان ثم قال ومن كان يريد الراسخات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل

الأوس والخزرج أول من نزلوا المدينة

فكان الذين نزلوها الأوس والخزرج فلما توجهوا إلى المدينة ووردوها نزلوا في صرار ثم تفرقوا وكان منهم من لجأ إلى عفاء من أرض لا ساكن فيه فنزلوا به ومنهم من لجأ إلى قرية من قراها فكانوا مع أهلها فأقامت الأوس والخزرج في منازلهم التي نزلوها بالمدينة في جهد وضيق في المعاش ليسوا بأصحاب إبل ولا شاة لأن المدينة ليست بلاد نعم وليسوا بأصحاب نخل ولا زرع وليس للرجال منهم إلا الأعذاق اليسيرة والمزرعة يستخرجها من أرض موات والأموال لليهود فلبثت الأوس والخزرج بذلك حينا

أبو جبيلة أمر أن يمكر باليهود حتى يقتل رؤوسهم

ثم إن مالك بن العجلان وفد إلى جبيلة الغساني وهو يومئذ ملك غسان فسأله عن قومه وعن منزلهم فأخبره بحالهم وضيق معاشهم فقال له أبو جبيلة والله ما نزل قوم منا بلدا قط إلا غلبوا أهله عليه فما بالكم ثم أمره بالمضي إلى قومه وقال له أعلمهم أني سائر إليهم فرجع مالك بن العجلان فأخبرهم بأمر أبي جبيلة ثم قال لليهود
إن الملك يريد زيارتكم فأعدوا نزلا فأعدوه وأقبل أبو جبيلة سائرا من الشام في جمع كثيف حتى قدم المدينة فنزل بذي حرض ثم أرسل إلى الأوس والخزرج فذكر لهم الذي قدم له وأجمع أن يمكر باليهود حتى يقتل رؤوسهم وأشرافهم وخشي إن لم يمكر بهم أن يتحصنوا في آطامهم فيمنعوا منه حتى يطول حصاره إياهم فأمر ببنيان حائر واسع فبني ثم أرسل إلى اليهود أن أبا جبيلة الملك قد أحب أن تأتوه فلم يبق وجه من وجوه القوم إلا أتاه وجعل الرجل يأتي معه بخاصته وحشمه رجاء أن يحبوهم فلما اجتمعوا ببابه أمر رجالا من جنده أن يدخلوا الحائر ويدخلوهم رجلا رجلا فلم يزل الحجاب يأذنون لهم كذلك ويقتلهم الجند الذين في الحائر حتى أتوا على آخرهم فقالت سارة القريظية ترثي من قتل

منهم أبو
جبيلة تقول
(بنفسي أمّةٌ لم تُغْنِ شيئاً ... بذي حُرُضٍ تُعفِّيها الرياحُ)
(كُهولٌ من قُريظة أتلفَتْها ... سيوفُ الخزرجيّة والرّماحُ)
(رُزِئنا والرزيّة ذاتِ ثِقْلٍ ... يَمُرُّ لأهلِها الماءُ القَراحُ)
(ولو أرِبُوا بأمرهمُ لجالت ... هنالك دونهم جَأْوَا رَداحُ)

مدح الرمق لأبي جبيلة

وقال الرمق وهو عبيد بن سالم بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج يمدح أبا جبيلة الغساني
(لم يُقْضِ دَيْنُك في الحسان ... وقد غَنِيتَ وقد غَنِينا)
(الرّاشقاتِ المرشقاتِ ... الجازياتِ بما جُزِينا)
(أمثال غزلانِ الصرائمِ ... يأتزرن ويرتدينا)
(الرَّيْطَ والدِّيباجَ ... والزَّردَ المضاعفَ والبُرينا)
(وأبو جُبَيْلة خيرُ من ... يمشي وأوفاهم يَمينا)
(وأبَرُّه بِرًّا وأعْلَمُه ... بعلم الصالحينا)
(... (أبقت لنا الأيامُ والحَربُ المهمَّةُ تعترينا
(... كبشا لنا ذَكَراً يفُلُّ حسامُه الذكرَ السَّنِينا)
(... ومعاقلا شُمًّا وأسيافا يَقُمن وينحنينا)
(ومحلَّة زوراء تُرجِف ... بالرجال المُصلِتينا)
فلما أنشدوا أبا جبيلة ما قال الرمق أرسل إليه فجيء به وكان رجلا ضئيلا غير وضيء فلما رآه قال عسل طيب ووعاء سوء فذهبت مثلا وقال للأوس والخزرج إن لم تغلبوا على هذه البلاد بعد من قتلت من أشراف أهلها فلا خير فيكم ثم رحل إلى الشام

شعر للصامت بن أصرم يذكر فيه قتل أبي جبيلة

وقال الصامت بن أصرم النوفلي يذكر قتل أبي جبيلة اليهود
(سائل قُرِيظةَ مَن يُقَسِّم سبيها ... يومَ العُرَيْضِ ومن أفاء المغنما)
(جاءتهمُ الملحاءُ يخفِق ظلُّها ... وكتيبةٌ خشناءُ تدعو أسلما)
(عمِّي الذي جلب الهمامَ لقومه ... حتى أحلّ على اليهود الصَّيْلَما)
يعني بقوله من يقسم سبيها نسوة سباهن أبو جبيلة من بني قريظة وكان رآهن فأعجبنه وأعطى مالك بن العجلان منهم امرأة
قال أبو المنهال أحد بني المعلّى إنهم أقاموا زمنا بعد ما صنع ويهود تعترض عليهم وتناوئهم فقال مالك بن العجلان لقومه والله ما أثخنا يهود غلبة كما نريد فهل لكم أن أصنع لكم طعاما ثم أرسل في مائة من أشراف من بقي من اليهود فإذا جاؤوني فاقتلوهم جميعا فقالوا نفعل فلما جاءهم رسول مالك قالوا والله لا نأتيهم أبدا وقد قتل أبو جبيلة منا من قتل فقال لهم مالك إن ذلك كان على غير هوى منا وإنما أردنا أن نمحوه وتعلموا حالكم عندنا فأجابوه فجعل كلما دخل عليه رجل منهم أمر به مالك فقتل حتى قتل منهم بضعة وثمانين رجلا ثم إن رجلا منهم أقبل حتى قام على باب مالك فتسمع فلم يسمع صوتا فقال أرى أسرع ورد وأبعد صدر فرجع وحذر أصحابه الذين بقوا فلم يأت منهم أحد فقال رجل من اليهود لمالك بن العجلان
(فسَفَّهْتَ قَيْلَةَ أحلامَها ... ففيمَن بقيتَ وفيمن تَسودْ)
فقال مالك
(فإنّي امرؤ من بني سالم بْنِ ... عَوْفٍ وأنت امرءٌ من يهودْ)
قال وصورت اليهود مالكا في بيعهم وكنائسهم فكانوا يلعنونه كلما دخلوها فقال مالك بن العجلان في ذلك قوله
(تَحامِي اليهودِ بتَلْعانها ... تحامِي الحمير بأبوالها)
(فماذا عليّ بأن يلْعنوا ... وتأتي المنايا بأذلالها)
قال فلما قتل مالك من يهود من قتل ذلوا وقل امتناعهم وخافوا خوفا شديدا وجعلوا كلما هاجمهم أحد من الأوس والخزرج بشيء يكرهونه لم يمش بعضهم إلى بعض كما كانوا يفعلون قبل ذلك ولكن يذهب اليهودي إلى جيرانه الذين هو بين أظهرهم فيقول إنما نحن جيرانكم ومواليكم فكان كل قوم من يهود قد لجأوا إلى بطن من الأوس والخزرج يتعززون بهم
وذكر أبو عمرو الشيباني أن أوس بن ذبي القرظي كانت له امرأة من بني قريظة أسلمت وفارقته ثم نازعتها نفسها إليه فأتته وجعلت ترغبه في الإسلام فقال فيها
(دَعتْنِي إلى الإسلام يومَ لَقِيتُها ... فقلت لها لا بل تعالَيْ تَهَوَّدِي)
(فنحن على توراة موسى ودينِه ... ونِعم لعمري الدينُ دِينُ محمد)
(كلانا يرى أن الرّسالةَ دينُه ... ومن يُهْدَ أبوابَ المراشد يَرْشُدِ)
ومن الأغاني في أشعار اليهود

صوت

(أعاذلتي ألاَ لا تَعذِليني ... فكم من أمر عاذلةٍ عَصَيْتُ)
(دَعيني وارشُدي إن كنتُ أغْوَى ... ولا تَغْوَيْ زعمتِ كما غوَيتُ)
(أعاذلَ قد أطلتِ اللّومَ حتّى ... لوَانّي مُنْتَهٍ لقد انتهيتُ)
(وحتى لو يكونُ فتَى أناسٍ ... بكى من عَذل عاذلةٍ بكيْتُ)
(وصفراءَ المعاصِم قد دعتني ... إلى وصلٍ فقلت لها أبيْتُ)
(وزقٍّ قد جررتُ إلى النَّدامى ... وزقٍّ قد شَربت وقد سقيتُ)
الشعر للسموأل بن عاديا فيما رواه السكري عن الطوسي ورواه أبو خليفة عن محمد بن سلام والغناء لابن محرز خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق في الأول والثاني والرابع والخامس من الأبيات وزعم ابن المكي أنه

لمعبد وزعم عمرو بن بانة أنه لمالك ولدحمان أيضا في الأول والثاني والخامس والسادس رمل بالوسطى وزعم ابن المكي أن هذا الرمل لابن سريج وفي الأول والثاني والسادس رمل بالوسطى لأبي عبيد مولى فائد ثاني ثقيل عن يحيى المكي وزعم الهشامي أن الرمل لعبد العزيز الدفاف

أخبار السموأل ونسبه

هو السموأل بن عريض بن عاديا بن حباء ذكر ذلك أبو خليفة عن محمد بن سلام والسكري عن الطوسي وابن حبيب وذكر أن الناس يدرجون عريضا في النسب وينسبونه إلى عاديا جده وقال عمر بن شبة هو السموأل بن عاديا ولم يذكر عريضا

وحكى عبد الله بن أبي سعد عن دارم بن عقال وهو من ولد السموأل أن عاديا بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء وهذا عندي محال لأن الأعشى أدرك شريح بن السموأل وأدرك الإسلام وعمرو مزيقيا قديم لا يجوز أن يكون بينه وبين السموأل ثلاثة آباء ولا عشرة بل أكثر والله أعلم

يضرب به المثل في الوفاء

وقد قيل إن أمه كانت من غسان وكلهم قالوا إنه كان صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء المشهور بالوفاء وقيل بل هو من ولد الكاهن بن هارون بن عمران وكان هذا الحصن لجده عاديا واحتفر فيه بئر روية عذبة وقد ذكرته الشعراء في أشعارها قال السموأل

((فبِالأبلقِ الفَردِ بيتي به ... وبيتُ النضير سوى الأبلق

وقال السموأل يذكر بناء جده الحصن

(بنى لي عاديا حِصناً حصيناً ... وماءً كلما شئتُ استقيْتُ)

وكانت العرب تنزل به فيضيفها وتمتار من حصنه وتقيم هناك سوقا

وبه يضرب المثل في الوفاء لإسلامه ابنه حتى قتل ولم يخن أمانته في أدراع أودعها

خبر امرئ القيس مع السموأل

وكان السبب في ذلك فيما ذكر لنا محمد بن السائب الكلبي أن امرأ القيس بن حجر لما سار إلى الشام يريد قيصر نزل على السموأل بن عاديا بحصنه الأبلق بعد إيقاعه ببني كنانة على أنهم بنو أسد وكراهة أصحابه لفعله وتفرقهم عنه حتى بقي وحده واحتاج إلى الهرب فطلبه المنذر بن ماء السماء ووجه في طلبه جيوشا من إياد وبهراء وتنوخ وجيشا من الأساورة أمده بهم أنو شروان وخذلته حمير وتفرقوا عنه فلجأ إلى السموأل ومعه أدراع كانت لأبيه خمسة الفضفاضة والضافية والمحصنة والخريق وأم الذيول وكانت الملوك من بني آكل المرار يتوارثونها ملك عن ملك ومعه بنته هند وابن عمه يزيد بن الحارث بن معاوية بن الحارث وسلاح ومال كان بقي معه ورجل من بني فزارة يقال له الربيع بن ضبع شاعر فقال له الفزاري قل في السموأل شعرا تمدحه به فإن الشعر يعجبه وأنشده الربيع شعرا مدحه به وهو يقول

(ولقد أتيتُ بني المُصاص مُفاخراً ... وإلى السموأل زرتهُ بالأبلق)

(فأتيتُ أفضلَ من تحمَّل حاجةً ... إنْ جئته في غارمٍ أو مُرهَقِ)

(عَرَفتْ له الأقوامُ كلَّ فضيلةٍ ... وحوى المكارمَ سابقاً لم يُسبَقِ)

قال فقال امرؤ القيس فيه قصيدته

(طرقتْكَ هندٌ بعد طول تجنُّبٍ ... وَهْناً ولم تك قبل ذلك تطرُقُ)

قال وقال الفزاري إن السموأل يمنع منك حتى يرى ذات عينك وهو في حصن حصين ومال كثير فقدم به على السموأل وعرفه إياه وأنشداه الشعر فعرف لهما حقهما وضرب على هند قبة من أدم وأنزل القوم في مجلس له براح فكانت عنده ما شاء الله

ثم إن امرأ القيس سأله أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر الغساني أن يوصله إلى قيصر ففعل واستصحب معه رجلا يدله على الطريق وأودع بنيه وماله وأدراعه السموأل ورحل إلى الشام وخلف ابن عمه يزيد بن الحارث مع ابنته هند قال ونزل الحارث بن ظالم في بعض غاراته بالأبلق ويقال بل الحارث بن أبي شمر الغساني ويقال بل كان المنذر وجه بالحارث بن ظالم في خيل وأمره بأخذ مال امرئ القيس من السموأل فلما

نزل به تحصن منه وكان له ابن قد يفع وخرج إلى قنص له فلما رجع أخذه الحارث بن ظالم ثم قال للسموأل أتعرف هذا قال نعم هذا ابني قال أفتسلم ما قبلك أم أقتله قال شأنك به فلست أخفر ذمتي ولا أسلم مال جاري فضرب الحارث وسط الغلام فقطعه قطعتين وانصرف عنه فقال السموأل في ذلك

(وفيْتُ بأدرُعِ الكِنديّ إني ... إذا ما ذُمَّ أقوامٌ وفيْتُ)

(وأوصَى عادياً يوماً بألاّ ... تُهدِّم يا سموأل ما بنيتُ)

(بنى لي عادياً حِصناً حَصيناً ... وماءً كلّما شئتُ استقيتُ)

شريح بن السموأل يخطو خطى أبيه

وقال الأعشى يمدح السموأل ويستجير بابنه شريح بن السموأل من رجل كلبي كان الأعشى هجاه ثم ظفر به فأسره وهو لا يعرفه فنزل بشريح بن السموأل وأحسن ضيافته ومر بالأسرى فناداه الأعشى

(شريحُ لا تُسلِمنّي اليومَ إذ علِقت ... حبالُك اليومِ بعد القيد أظفاري)

(قد سرتُ ما بين بلقاء إلى عدنٍ ... وطال في العُجم تَكراري وتَسياري)

(فكان أكرمَهم عهداً وأوثقهم ... عَقْداً أبوكَ بعُرف غير إنكار)

(كالغيث ما استمطروه جاد وابله ... وفي الشدائد كالمستأسد الضاري)

((كُنْ كالسَّموأل إذ طاف الهمامُ به ... في جحفلٍ كسواد الليل جرّار)

(إذ سامه خُطَّتَيْ خسفٍ فقال له ... قل ما تشاء فإني سامعٌ حار)

(فقال غَدرٌ وثُكلٌ أنت بينَهما ... فاخترِ وما فيهما حظٌّ لمختار)

(فشكَّ غيرَ طويلٍ ثم قال له ... اقتُل أسيرَك إنّي مانعٌ جاري)

(وسوف يُعقْبِنيه إن ظفِرتَ به ... ربٌّ كريمٌ وبِيضٌ ذاتُ أطهار)

(لا سِرُّهُنّ لدينا ذاهبٌ هدَراً ... وحافظاتٌ إذا استُودِعْن أسراري)

(فاختار أدْراعَه كَيْلا يُسبَّ بها ... ولم يكن وعْدُهُ فيها بختَّار)
فجاء شريح إلى الكلبي فقال له هب لي هذا الأسير المضرور فقال هو لك فأطلقه وقال له أقم عندي حتى أكرمك وأحبوك فقال له الأعشى إن تمام إحسانك إلي أن تعطيني ناقة ناجية وتخليني الساعة فأعطاه ناقة ناجية فركبها ومضى من ساعته وبلغ الكلبي أن الذي وهب لشريح هو الأعشى فأرسل إلى شريح ابعث إلي الأسير الذي وهبت لك حتى أحبوه وأعطيه فقال قد مضى فأرسل الكلبي في أثره فلم يلحقه

سعية بن عريض

سعية بن عريض بن عاديا أخو السموأل شاعر فمن شعره الذي يغنى فيه قوله

صوت

(يا دارَ سُعْدَى بمَقْضَي تلعةِ النَّعم ... حُيِّيتِ داراً على الإقواءِوالقِدَم)
(عُجْنا فما كلَّمتنا الدارُ إذ سئِلت ... وما بِها عن جوابٍ خِلتُ مِن صمم)
(وما بجزعكِ إلا الوحش ساكنة ... وهامدٌ من رماد القدر والحُمَم)
الشعر لسعية بن عريض والغناء لابن محرز ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه خفيف ثقيل عن الهشامي وله فيه خفيف ثقيل عن الهشامي ويقال إنه لمالك وفيه لابن جؤذرة رمل عن الهشامي
وسعية بن عريض القائل وفيه غناء

صوت

(لُبابُ هلْ عندكِ من نائلٍ ... لعاشقٍ ذي حاجةٍ سائلِ)
(عَلّلته منك بما لم يَنَلْ ... يا ربَّما عَلَّلتِ بالباطل)
الغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه لابن الهربذ خفيف رمل بالوسطى عن عمرو وفيه لمتيم رملٍ آخر من جامعها وفيه لحن ليونس غير مجنس وأول هذه القصيدة
(لُبابُ يا أختَ بَنِي مالكٍ ... لا تشتري العاجلَ بالآجلِ)
(لُبابُ داويني ولا تَقتُلي ... قد فُضِّل الشافي على القاتل)
(إن تسألي بي فاسألي خابراً ... والعِلْم قد يكفي لدى السائل)
(يُنْبيكِ من كان بنا عالماً ... عنَّا وما العالِمُ كالجاهل)
(أنَّا إذا حارت دواعِي الهوى ... وأنصتَ السامع للقائل)
(واعتلج القومُ بألبابهم ... في المنطق الفاصل والنائل)
(لا نجعلُ الباطلَ حقّاً ولا ... نَلُظُّ دون الحقِ بالباطل)
(نخاف أن تَسفَهَ أحلامُنا ... فنُخْملَ الدهرَ مع الخامل)
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني أحمد بن الهيثم الفراسي قال حدثني العمري عن العتبي قال
كان معاوية يتمثل كثيرا إذا اجتمع الناس في مجلسه بهذا الشعر
((إنا إذا مالت دواعي الهوى ... وأنصت السامع للقائل
(لا نجعل الباطلَ حقّاً ولا ... نَلُظُّ دون الحقِ بالباطل)
(نخاف أن تسفَهَ أحلامُنا ... فَنُخْملَ الدهرَ مع الخامل)
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز قال أخبرني خالي يوسف بن الماجشون قال
كان عبد الملك بن مروان إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفا على رأسه ينشده
(إنا إذا مالت دواعي الهوى ... وأنصتَ السّامعُ للقائل)
(واصطرعَ القومُ بألبابهم ... نقضي بحُكْمٍ عادل فاصل)
(لا نجعلُ الباطل حقّاً ولا ... نُلِظُّ دون الحقِ بالباطل)
(نخاف أن تسفَهَ أحلامُنا ... فَنُخْملَ الدّهرَ مع الخامل)
ثم يجتهد عبد الملك في الحق بين الخصمين

إخوانه ينقطعون عنه في افتقاره ويعودون عند اغتنائه

أخبرني وكيع والحسن بن علي قالا حدثنا أبو قلابة قال حدثنا الأصمعي عن أبي الزناد عن أبيه عن رجال من الأنصار أن سعية بن عريض أخا السموأل بن عاديا كان ينادم قوما من الأوس والخزرج ويأتونه فيقيمون عنده ويزورونه في أوقات قد ألف زيارتهم فيها فأغار عليه بعض ملوك اليمن فانتسف من ماله حتى افتقر ولم يبق له مال فانقطع عنه إخوانه وجفوه فلما أخصب وعادت حاله وتراجعت راجعوه فقال في ذلك
(أرى الخُلّاَن لما قلّ مالي ... وأجحفتِ النوائبُ وَدّعوني)
(فلما أن غَنِيتُ وعاد مالي ... أراهم لا أبالكِ راجعوني)
(وكان القوم خُلّاَنا لمالي ... وإخواناً لما خُوِّلْتُ دوني)
(فلما مرّ مالي باعدوني ... ولما عاد مالي عاودوني)
ومن أشعار اليهود ويغنى به

صوت

(هل تعرف الدارَ خفَّ ساكنُها ... بالحِجْر فالمُسْتَوَىَ إلى ثمد)
(دار لبهنانةٍ خَدَلَجَّةٍ ... تضحك عن مثل جامد البَرَدِ)
(نِعمَ ضجيجُ الفتى إذا برد الليلُ ... وغارت كواكبُ الأسدِ)
(يا من لقلبٍ متيَّمٍ سَدِمٍ ... عانٍ رهينٍ أُحيط بالعُقَد)
(أزجرهُ وهْو غيرُ مُزدجرٍ ... عنها وطرفي مقارنُ السُّهُد)
((تمشي الهوينا إذا مشت فُضُلاً ... مشى النزيف المبهور في صَعَد
(تظل من زَوْرِ بيْتِ جارتها ... واضعة كفها على الكبِد)
الشعر لأبي الزناد اليهودي العديمي والغناء لابن مسجح ثقيل أول بالوسطى في الثلاثة الأبيات الأول عن الهشامي

ويحيى المكي وفيها لمعبد خفيف ثقيل أول عن الهشامي وقال أظنه من منحول يحيى بن المكي وقد نسب قوم هذا اللحن المنسوب إلى معبد إلى ابن مسجح ولابن محرز في يا من لقلب وما بعده خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق وذكر عمرو أن فيها لحنا لمعبد لم يذكر طريقته وذكر ذلك في - كتاب عملة الواثق - قديما غير مجنس وهذا الشعر يقوله أبو الزناد في أهل تيماء يرثيهم وذكر ذلك عمر بن شبة
ومن الغناء في أشعار اليهود من قريظة والنضير

صوت

(دورٌ عفَتْ بِقُرَى الخابور غيَّرَهَا ... بعدَ الأنيس سَوَافِي الرِّيح والمطرُ)
(إن تُمس دارك ممَّنْ كان ساكنَها ... وحشاً فَذَلِكَ صرفُ الدهر والغِيرُ)
(وقد تحلُّ بها بِيض ترائبُها ... كأنها بين كُثْبَانِ النَّقَا البقرُ)

الشعر للربيع بن أبي الحقيق روى ذلك السكري عن الطوسي وعن محمد بن حبيب والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وهو صوت مشهور ابتداؤه نشيد

أخبار الربيع بن أبي الحقيق

كان الربيع من شعراء اليهود من بني قريظة وهم وبنو النضير جميعا من ولد هارون بن عمران يقال لهما الكاهنان وكان الربيع أحد الرؤساء في يوم حرب بعاث وكان حليفا للخزرج هو وقومه فكانت رياسة بني قريظة للربيع ورياسة الخزرج لعمرو بن النعمان البياضي وكان رئيس بني النضير يومئذ سلام بن مشكم

لقاؤه بالنابغة الذبياني

أخبرني عمي ومحمد بن حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن الحسن الأنصاري قال حدثني الحسن بن موسى مولى بني مازن بن النجار عن أبي عبيدة قال
أقبل النابغة الذبياني يريد سوق بني قينقاع فلحقه الربيع بن أبي الحقيق نازلا من أطمة فلما أشرفا على السوق سمعا الضجة وكانت
سوقا عظيمة فحاصت بالنابغة ناقته فأنشأ يقول
(... كادت تُهَال من الأصوات راحلتي)
ثم قال للربيع بن أبي الحقيق أجز يا ربيع فقال
(... والنَّفْرُ منها إذا ما أوجَسَتْ خُلُق)
فقال النابغة ما رأيت كاليوم شعرا ثم قال
(... لولاَ أُنَهْنِهُها بالسّوط لاجْتَذَبَتْ)
أجز يا ربيع فقال
(... مني الزمامَ وإنّي راكبٌ لَبِق)
فقال النابغة
(... قد ملَّتِ الحبْسَ في الآطام واسْتعَفَتْ)
أجز يا ربيع فقال
(... إلى مناهِلَها لو أنَّهاَ طُلُق)
فقال النابغة أنت يا ربيع أشعر الناس

أبان بن عثمان يتمثل دائما بشعره

حدثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري ومحمد بن العباس اليزيدي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني الحزامي قال حدثني سعيد بن
محمد الزبيري قال حدثنا ابن أبي الزناد عن أبيه قال
قل ما جلست إلى أبان بن عثمان إلا سمعته يتمثل بأبيات ابن أبي الحقيق
(سئِمْتُ وأمْسَيْتُ رهنَ الفِراش منْ جُرْم قومي ومِن مَغْرِمِ)
(ومن سَفَهِ الرّأيِ بعد النُّهى ... وغَيْبِ الرشادِ ولم يُفْهَمِ)
(فلوْ أنَّ قومي أطاعوا الحليمَ ... لم يتعدَّوْا ولم نُظْلَم)
(لكنَّ قومي أطاعوا الغواة ... حتى تعكّس أهلِ الدمِ)
(فأودى السّفيهُ برأي الحليم ... وانْتَشرَ الأمرُ لم يُبْرَم)
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا معاذ عن أبي عبيدة قال قال الربيع بن أبي الحقيق يعاتب قوما من الأنصار في شيء بينهم وبينه
(رأيتُ بني العنقاء زالُوا ومُلْكُهُمْ ... وآبُوا بأنْفٍ في العشيرة مُرْغَم)
(فإن يُقْتَلوا نَندمْ لذاك وإن بقُوا ... فلا بدَّ يوماً من عُقُوقٍ ومأثَم)
(وإنّا فُويقَ الرأس شؤبوبُ مُزْنَةٍ ... لها بَردٌ ما يغش مِ الأرض يَحْطِم)

صوت

(ولنا بئرٌ رَوَاءٌ جَمَّةٌ ... مَن يردْها بإناء يغتَرفْ)
(تُدلَجُ الجونُ على أكنافِها ... بِدلاءٍ ذاتِ أمراسٍ صُدُفِ)
(كلّ حاجاتيَ قَد قَضّيتها ... غيرُ حاجاتِيَ من بطن الجُرُف)

الشعر لكعب بن الأشرف اليهودي والغناء لمالك ثقيل أول عن يحيى المكي قال وفيه لابن عائشة خفيف ثقيل ولمعبد ثاني ثقيل قال يحيى في كتابه وقد خلط الرواة في ألحانهم ونسبوا لحن كل واحد منهم إلى صاحبه وذكر الهشامي أن فيه لابن جامع خفيف رمل بالبنصر وفيه لجعدب لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس

أخبار كعب ونسبه ومقتله

كعب بن الأشرف مختلف في نسبه فزعم ابن حبيب أنه من طيىء وأمه من بني النضير وأن أباه توفي وهو صغير فحملته أمه إلى أخواله فنشأ فيهم وساد وكبر أمره وقيل بل هو من بني النضير
وكان شاعرا فارسا وله مناقضات مع حسان بن ثابت وغيره في الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج تذكر في مواضعها

إن شاء الله تعالى وهو شاعر من شعراء اليهود فحل فصيح وكان عدوا للنبي يهجوه ويهجو أصحابه ويخذل منه العرب فبعث النبي نفرا من أصحابه فقتلوه في داره

ذكر خبره في ذلك

كان كعب بن الأشرف يهجو النبي ويحرض عليه كفار قريش في شعره وكان النبي قدم المدينة وهي أخلاط منهم المسلمون الذين تجمعهم دعوة النبي ومنهم المشركون الذين يعبدون الأوثان ومنهم اليهود وهم أهل الحلقة والحصون وهم حلفاء الحيين الأوس

والخزرج فأراد النبي إذ قدم استصلاحهم كلهم وكان الرجل يكون مسلما وأبوه مشرك ويكون مسلما وأخوه مشرك وكان المشركون واليهود حين قدم النبي يؤذونه وأصحابه أشد الأذى فأمر الله نبيه والمسلمين بالصبر على ذلك والعفو عنهم وأنزل في شأنهم (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) الآية وأنزل فيهم (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم) إلى قوله (واصفحوا) فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى النبي وأصحابه أمر النبي سعد بن معاذ أن يبعث إليه رهطا فيقتلوه فبعث إليه محمد بن مسلمة وأبا عبس بن جبير والحارث بن أخي سعد في خمسة رهط فأتوه عشية وهو في مجلس قومه بالعوالي فلما رآهم كعب أنكر شأنهم وكان يذعر منهم فقال لهم ما جاء بكم فقالوا جئنا لنبيعك أدراعا نستنفق أثمانها فقال والله لئن فعلتم ذلك لقد جهدتم مذ نزل بكم هذا الرجل ثم واعدهم أن يأتوه عشاء حين تهدأ أعين الناس فجاؤوا فناداه رجل منهم فقام ليخرج فقالت امرأته ما طرقوك ساعتهم هذه بشيء مما تحب فقال بلى إنهم قد حدثوني حديثهم وخرج إليهم فاعتنقه أبو عبس وضربه محمد بن مسلمة بالسيف في خاصرته وانحنوا عليه حتى قتلوه فرعبت اليهود ومن كان معهم من المشركين وغدوا على النبي فقالوا قد طرق صاحبنا الليلة وهو سيد من سادتنا فقتل فذكر لهم ما كان يؤذى به في أشعاره ودعاهم إلى أن يكتب بينهم وبين المسلمين كتابا فكتبت الصحيفة بذلك في دار الحارث وكانت بعد النبي عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه

صوت

(هل بالديارِ التي بالقاع من أحدٍ ... باقٍ فيَسمعَ صَوْتَ المُدْلِجِ الساري)
(تلك المنازلُ من صَفراء ليس بها ... نارٌ تضيء ولا أصوات سُمَّار)

ويروى ليس بها حي يجيب

الشعر لبيهس الجرمي والغناء لأحمد بن المكي ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وقال عمرو بن بانة فيه ثاني ثقيل بالبنصر يقال إنه لابن محرز وقال الهشامي فيه لحباب بن إبراهيم خفيف ثقيل وهو مأخوذ من لحن ابن صاحب الوضوء (...ارفع ضعيفكَ لا يَحُرْ بك ضَعفُهُ)

أخبار بيهس ونسبه

بيهس بن صهيب بن عامر بن عبد الله بن نائل بن مالك بن عبيد بن علقمة بن سعيد بن كثير بن غالب بن عدي بن بيهس بن طرود بن قدامة بن جرم بن ربان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة

ويكنى أبا المقدام شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية وكان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جرم وكلب وعذرة ويحضر إذا حضروا فيكون بأجناد الشام وكان مع المهلب بن أبي صفرة في حروبه للأزارقة وكانت له مواقف مشهورة وبلاء حسن وبعض أخباره في ذلك يذكر بعقب أخباره في هذا الشعر

اختلاف الرواة في أمر صفراء خليلته

وقد اختلف الرواة في أمر صفراء التي ذكرها في شعره هذا فذكر

القحذمي أنها كانت زوجته وولدت له ابنا ثم طلقها فتزوجت رجلا من بني أسد وماتت عنده فرثاها

وذكر أبو عمرو الشيباني أنها كانت بنت عمه دنية وأنه كان يهواها فلم يزوجها وخطبها الأسدي وكان موسرا فزوجها

قال أبو عمرو وكان بيهس بن صهيب الجرمي يهوى امرأة من قومه يقال لها صفراء بنت عبد الله بن عامر بن عبد الله بن نائل وهي بنت عمه دنية وكان يتحدث إليها ويجلس في بيتها ويكتم وجده بها ولا يظهره لأحد ولا يخطبها لأبيها لأنه كان صعلوكا لا مال له فكان ينتظر أن يثري وكان من أحسن الشباب وجها وشارة وحديثا وشعرا فكان نساء الحي يتعرضن له ويجلسن إليه ويتحدثن معه فمرت به صفراء فرأته جالسا مع فتاة منهن فهجرته زمانا لا تجيبه إذا دعاها ولا تخرج إليه إذا زارها وعرض له سفر فخرج إليه ثم عاد وقد زوجها أبوها رجلا من بني أسد فأخرجها وانتقل عن دارهم بها فقال بيهس بن صهيب

(سقَى دمنةً صفراءُ كانت تَحُلها ... بنَوءِ الثُّرَيّا طلُّها وذِهَابُها)
(وصابَ عليها كلُّ أسحمَ هاطلٍ ... ولا زال مخضراً مَريعاً جنابُها)
(أَحَبُّ ثَرَى أرضٍ إليَّ وإن نأت ... مَحَلُّكِ منها نَبْتُها وترابُها)
(على أنها غضبى عليّ وحبّذا ... رضاها إذا ما أُرْضِيَتْ وعتابها)
(وقد هاج لي حينا فراقُكِ غُدوةً ... وسعيُك في فيفاءَ تعْوي ذئابُها)
(نظرتُ وقد زال الحمُولُ ووازنوا ... بركوةَ والوادي وخفَّتْ ركابُها
(فقلتُ لأصحابي أبالقرب منهمُ ... جرى الطيرُ أم نادى ببينٍ غرابُها)

رثاؤه صفراء

قال أبو عمرو ثم ماتت صفراء قبل أن يدخل بها زوجها فقال بيهس يرثيها

(هل بالديار التي بالقاعِ من أحدٍ ... باقٍ فيسمعَ صوتَ المُدلجِ الساري)
(تلك المنازل من صفراءَ ليس بها ... نارٌ تضيء ولا أصواتُ سمّار)
(عَفَّتْ معارفَها هُوجٌ مُغبِّرةٌ ... تَسفي عليها ترابَ الأبْطَحِ الهاري)
(حتى تنكّرتُ منها كلَّ معْرِفَةٍ ... إلا الرَّمادَ نخيلاً بين أحجارِ)
(طال الوقوفُ بها والعينُ تسبِقُني ... فوقَ الرّداء بوادي دَمْعِهَا الجاري)
(إن أصْبحَ اليومَ لا أهلٌ ذوو لَطَفٍ ... ألْهو لديهم ولا صفراءُ في الدار)
(أرعَى بعيني نجومَ الليل مرتقباً ... يا طُولَ ذلك من همٍّ وإسهار)
(فقد يكونُ ليَ الأهلُ الكِرامُ وقد ... أَلْهو بصفراءَ ذاتِ المنظر الواري)
(من المَواجدِ أعْرَاقاً إذا نُسِبَتْ ... لا تَحْرِمِ المالَ عن ضَيفٍ وعن جار)

(لم تَلقَ بؤساً ولم يَضْرر بها عَوَزٌ ... ولم تُزَحِّفْ مع الضّالي إلى النار)
(كذلك الدّهرُ إنّ الدّهر ذو غِيَرٍ ... على الأنامِ وذو نقضٍ وإمْرار)
(قد كاد يعتادني من ذكرها جزَعٌ ... لولا الحياءُ ولولا رهبةُ العار)
(سقى الإلهُ قبوراً في بني أسدٍ ... حولَ الربيعة غَيْثاً صوبَ مدرار)
(مَن الذي بعدكم أرضَى به بدلاً ... أو مَنْ أُحدّثُ حاجاتي وأسْراري)
ينشد على قبرها
قال أبو عمرو واجتاز بيهس في بلاد بني أسد فمر بقبر صفراء وهو في موضع يقال له الأحض ومعه ركب من قومه وكانوا قد انتجعوا بلاد بني أسد فأوسعوا لهم وكان بينهم صهر وحلف فنزل بيهس على القبر فقال له أصحابه ألا ترحل فقال أما والله حتى أظل نهاري كله عنده وأقضي وطرا فنزلوا معه عند قبرها فأنشأ يقول وهو يبكي
(ألِمَّا على قَبرٍ لصفراءَ فاقرآ ... السّلام وقولاَ حَيِّنَا أيُّها القبرُ)
(وما كان شيئاً غير أن لست صابراً ... دعاءَكَ قبراً دونه حِججٌ عَشْرُ)
(برابيةٍ فيها كِرامٌ أحبة ... على أنّها إلا مضاجعَهم قَفرُ)
(عشيَّةَ قال الركب من غَرَضٍ بنا ... تروّحْ أبا المقدامِ قد جنَح العصرُ)
(فقلتُ لهم يومٌ قليلٌ وليلةٌ ... لصفراءَ قد طال التجنُّبُ والهَجرُ)
(وبِتُّ وبات الناسُ حَولِيَ هُجّداً ... كأنَّ عليَّ اللّيلَ من طوله شهر
(إذا قلتُ هذا حين أهجع ساعة ... تطاول بي ليلٌ كواكبُه زُهر)
(أقولُ إذا ما الجنبُ مَلَّ مكانَه ... أشوكٌ يُجافِي الجَنْب أم تحته جمْرُ)
(فلو أنَّ صَخْراً من عَمايةَ راسيا ... يقاسي الذي ألقى لقد مَلَّه الصخرُ)
قال وأما القحذمي فإنه ذكر فيما أخبرني به هاشم بن محمد الخزاعي عن عيسى بن إسماعيل تينة عنه أنه كان تزوجها ثم طلقها بعد أن ولدت منه ابنا فتزوجها رجل من بني أسد فماتت عنده وذكر من شعره ومراثيه لها قريبا مما تقدم ذكره وذكر أن بيهس بن صهيب كان من فرسان العرب وكان مع المهلب بن أبي صفرة في حروبه للأزارقة وكان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جرم وكلب ويحضر إذا حضروا فيكون من أجناد الشام
قال أبو عمرو ولما هدأت الفتنة بعد مرج راهط وسكن الناس مر غلام من قيس بطوائف من جرم وعذرة وكلب وكانوا متجاورين على ماء لهم فيقال إن بعض أحداثهم نخس بيهس به ناقته فألقته فاندقت عنقه فمات فاستعدى قومه عليهم عبد الملك فبعث إلى تلك البطون من جاءه بوجوههم وذوي الأخطار منهم فحبسهم وهرب بيهس بن صهيب الجرمي وكان قد اتهم أنه هو الذي نخس به فنزل على محمد بن مروان
فعاذ به واستجاره فأجاره إلا من حد توجبه عليه شهادة فرضي بذلك وقال وهو متوار عند محمد
(لقد كانتْ حوادثُ معْضلاتٌ ... وأيامٌ أغصَّت بالشّراب)
(وما ذنبُ المعاشر في غلامٍ ... تقطّر بين أحواض الجِباب)
(على قَوْدَاء أفرطها جِلالٌ ... وغضّ فَهي باقيةُ الهِباب)
(ترامت باليدينِ فأرهقته ... كما زلّ النَّطيح من القِباب)
(فإني والعِقابَ وما أرجِّي ... لكالسَّاعي إلى وَضَح السّراب)
(فلمّا أن دنا فرجٌ بربِّي ... يكشِّف عن مخفقةٍ بِباب)
(من البُلدان ليس بها غريبٌ ... تَخُبُّ بأرضها زُلُّ الذِّئاب)
(فظنِّي بالخليفة أنّ فيه ... أماناً للبريءِ وللمصاب)
(وأنّ محمداً سيعود يوماً ... ويرجعُ عن مُراجَعةِ العِتاب)
(فيجبر صِبْيَتي ويَحوط جاري ... ويؤْمِن بعدها أبداً صِحَابي)
(هو الفرع الذي بُنِيَتْ عليه ... بُيوتُ الأطيبين ذوي الحِجاب)
قال فلم يزل محمد بن مروان قائما وقاعدا في أمرهم مع أخيه حتى أمن بيهس بن صهيب وعشيرته واحتمل دية المقتول لقيس وأرضاهم
صوت
(نزل المشيبُ فما له تحويلُ ... ومضى الشّبابُ فما إليه سبيلُ)
(ولقد أراني والشّبابُ يقودُني ... ورداؤه حسنٌ عليّ جميلُ)
الشعر للكميت بن معروف الأسدي والغناء لمعبد خفيف ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق
أخبار الكميت بن معروف ونسبه
هو الكميت بن معروف بن الكميت بن ثعلبة بن رباب بن الأشتر بن جحوان بن فقعس بن طري بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر
شاعر من شعراء الإسلام بدوي أمه سعدة بنت فريد بن خيثمة بن نوفل بن نضلة
هو سليل أسرة من الشعراء
والكميت أحد المعرقين في الشعر أبوه معروف شاعر وأمه سعدة شاعرة وأخوه خيثمة أعشى بني أسد شاعر وابنه معروف الكميت شاعر
فأما أبوه فهو القائل لعبد الله بن المساور بن هند
(إنّ مُناخي أمس يا بنَ مُساورٍ ... إليك لَمِنْ شُرْب النُّقَاخ المُصَرَّدِ)
(تباعدتَ فوق الحق من آل فقعسٍ ... ولم ترجُ فيهم ردَّةَ اليوم أو غدِ)
(وقلتَ غِنًى لا فقر في العَيْش بعده ... وكلُّ فَتًى للنائباتِ بمرْصَدِ)
(كأنك لم تعلم محلّ بيوتكم ... مع الحيّ بين الغور والمُتَنَجَّد
(فلولا رجال من جَذيمة قَصْرةٌ ... عَدَدْت بلائي ثم قلت له عدُدِ)
وأمه سعدة القائلة له وقد تزوج بنت أبي مهوش على مراغمة لها وكراهة لذلك فغضبت سعدة وقالت فيه

(عليك بأنقاض العراق فقد عَلَتْ ... عليك بتَخدينِ النّساء الكرائم)
(لعمري لقد راش ابن سُعدَةَ نَفسَه ... بريش الذُّنَابَى لا بريش القَوادمِ)
(بنى لك معروفٌ بناءً هدمتَهُ ... ولِلشَّرف العاديِّ بانٍ وهادمُ)
وهي القائلة ترثي ابنها الكميت
(لأمِّ البلادِ الويلُ ماذا تضمَّنَت ... بأكْناف طورى من عَفافٍ ونائل)
(ومن وَقَعَاتٍ بالرجال كأنها ... إذا عنَّت الأحداثُ وقْعُ المناصل)
(يُعزِّي المُعزَّى عن كُمَيْتٍ فتنتهي ... مقالتُه والصَّدر جمُّ البَلابل)
أخوه يرثيه
وأعشى بني أسد أخو الكميت واسمه خيثمة الذي يقول يرثي الكميت وغيره من أهل بيته
((هوِّن عليك فإنّ الدهرَ منجدبٌ ... كلُّ امرئٍ عن أخيه سوف ينْشَعِب
(فلا يغُرَّنْكَ من دهرٍ تقلُّبُه ... إنّ اللّياليَ بالفتيان تنقلِبُ)
(نام الخليُّ وبتُّ الليلَ مُرتفِقا ... كما تزاور يخشى دفَّه النَّكبُ)
(إذا رجعتُ إلى نفسي أُحدِّثُها ... عمّن تضمّن من أصحابيَ القُلُب)
(من إخوةٍ وبني عمٍّ رُزِئتُهُمُ ... والدَّهرُ فيه على مستعتِبٍ عَتَب)
(عاودتُ وجداً على وجدٍ أكايِدُه ... حتى تكاد بناتُ الصَّدْر تلتهب)
(هل بعدَ صخرٍ وهل بعد الكميتِ أخٌ ... أم هل يعودُ لنا دهرٌ فنصطحبُ)
(لقد علمتُ ولو مُلِّيت بعدَهُم ... أني سأنهل بالشِّرب الذي شربوا)
وابنه يتغزل
ومعروف بن الكميت القائل
(قد كنت أحسبني جَلْداً فهيَّجني ... بالشيب منزلةٌ من أمّ عمَّار)
(كانت منازلَ لا ورهاءَ جافيةٍ ... على الحدوج ولا عُطلاً بمقفار)
(وما تَجاوُرُنا إذ نحن نسكنها ... ولا تَفَرُّقُنا إلا بمقدار)
صوت
(أرقتُ لبرق دُونَه شَذَوانِ ... يمانٍ وأهوى البرَق كلَّ يماني)
(فليت القِلاصَ الأدْمَ قد وخدَت بنا ... بوادٍ يمانٍ ذي رُباً ومجانِي)
الشعر ليعلى الأحول الأزدي وجدت ذلك بخط أبي العباس محمد بن يزيد المبرد في شعر الأزد وقال عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه هي ليعلى الأحول كما روى غيره قال ويقال إنها لعمرو بن أبي عمارة الأزدي من بني خنيس ويقال إنها لجواس بن حيان من أزد عمان
وأول هذه القصيدة في رواية أبي عمرو أبيات فيها غناء أيضا وهي
صوت
(أويْحكما يا واشيَيْ أمِّ مَعْمَرٍ ... بمَن وإلى مَن جئْتما تَشيانِ)
(بمن لو أراه عانياً لفدَيْتُهُ ... ومَن لو رآني عانياً لَفداني)
لعريب في هذين البيتين ثقيل أول ولعمرو بن بانة فيهما هزج بالوسطى من كتابه وجامع صنعته وقال ابن المكي لمحمد بن الحسن بن مصعب فيه هزج بالأصابع كلها
أخبار يعلى ونسبه
يعلى الأحول بن مسلم بن أبي قيس أحد بني يشكر بن عمرو بن رالان ورالان هو يشكر ويشكر لقب لقب به بن عمران بن عمرو بن عدي بن حارثة بن لوذان بن كهف الظلام هكذا وجدته بخط المبرد بن ثعلبة بن عمرو بن عامر
كان خليعا يجمع الصعاليك
شاعر إسلامي لص من شعراء الدولة الأموية وقال هذه القصيدة وهو محبوس بمكة عند نافع بن علقمة الكناني في خلافة عبد الملك بن مروان
قال أبو عمرو وكان يعلى الأحول الأزدي لصا فاتكا خاربا وكان خليعا يجمع صعاليك الأزد وخلعاءهم فيغير بهم على أحياء العرب ويقطع الطريق على السابلة فشكي إلى نافع بن علقمة بن الحارث بن محرث الكناني ثم الفقيمي وهو خال مروان بن الحكم وكان والي مكة فأخذ به عشيرته الأزديين فلم ينفعه ذلك واجتمع إليه شيوخ الحي فعرفوه أنه خلع قد تبرؤوا منه ومن جرائره إلى العرب وأنه لو أخذ به سائر الأزد ما وضع يده في أيديهم فلم يقبل ذلك منهم وألزمهم إحضاره وضم إليهم شرطا يطلبونه إذا طرق الحي حتى يجيئوه به
فلما اشتد عليهم في أمره طلبوه حتى وجدوه فأتوا به فقيده وأودعه الحبس فقال في محبسه
شعره في سجنه
(أرقتُ لبرقٍ دونه شَذَوانِ ... يَمانٍ وأهوى البرقَ كلَّ يمان)
(فبِتُّ لدى البيت الحرام أشيمهُ ... ومِطْوايَ من شوقٍ له أرقان)
المطو الصاحب
(إذا قلتُ شيماه يقولان والهوى ... يصادف منّا بعض ما تريان)
(جرى منه أطرافُ الشرى فمشيَّعٌ ... فأبيانُ فالحيَّان من دَمران)
(فمرّانُ فالأقْباصُ أقْباصُ أملَحٍ ... فماوانِ من واديهما شَطِنَان)
(هنالك لو طَوَّفْتما لوجدتما ... صديقاً من إخوانٍ بها وغوان)
(وعزْفُ الحمامِ الوُرْقِ في ظِلِّ أيكةٍ ... وبالحي ذي الرَّوْدَين عزفُ قيان)
(ألا ليت حاجاتي اللواتي حَبَسْنَنِي ... لدى نافعٍ قُضِّينَ منذ زمان)
((وما بيَ بُغضٌ للبلاد ولا قِلَى ... ولكنَّ شوقاً في سواه دعاني
(فليتَ القِلاصَ الأدمِ قد وخدت بنا ... بوادٍ يمانٍ ذي رُباً ومجاني)
(بوادِ يمانٍ يُنبِت السِّدرَ صدرُه ... وأسفله بالمرخ والشَّبَهان)

(يدافعنا من جانبيه كليهما ... عزيفان من طرفائه هَدِبان)
(وليت لنا بالجوز واللوز غيلة ... جناها لنا من بطن حلية جاني)
الغيلة شجر الأراك إذا كانت رطبة ويروى في موضع من بطن حلية من حب جيحة
(وليتَ لنا بالدِّيك مُكَّاءَ روضةٍ ... على فنَنٍ من بطن حليةَ داني)
(وليت لنا من ماء حزنة شربةً ... مبردةً باتت على طهمان)
ويروى من ماء حمياء
صوت
(إن السلامَ وحُسنَ كلِّ تحيّةٍ ... تغدو على ابن مجزِّز وتروحُ)
(هلا فَدى ابنَ مجزز متفحشٌ ... شَنِجُ اليدين على العطاء شَحِيح)
الشعر لجواس العذري والغناء لسائب بن خاثر خفيف ثقيل بالوسطى عن يحيى المكي والهشامي من رواية حماد عن أبيه في أخبار سائب خاثر وأغانيه
نسب جواس وخبره في هذا الشعر
هو جواس بن قطبة العذري أحد بني الأحب رهط بثينة وجواس وأخوه عبد الله الذي كان يهاجي جميلا ابنا عمها دنية وهما ابنا قطبة بن ثعلبة بن الهون بن عمرو بن الأحب بن حن بن ربيعة بن حرام بن عتبة بن عبيد بن كثير بن عجرة
احتكم هو وجميل إلى يهود تيماء
وكان جواس شريفا في قومه شاعرا فذكر أبو عمرو الشيباني
أن جميل بن عبد الله بن معمر لما هاجى جواسا تنافرا إلى يهود تيماء فقالوا لجميل يا جميل قل في نفسك ما شئت فأنت والله الشاعر الجميل الوجه الشريف وقل أنت يا جواس في نفسك وفي أبيك ما شئت ولا تذكرن أنت يا جميل أباك في فخر فإنه كان يسوق معنا الغنم بتيماء عليه شملة لا تواري استه ونفروا عليه جواسا قال ونشب الشر بين جميل وجواس وكانت تحته أم الجسير أخت بثينة التي يذكرها جميل في شعره إذ يقول
(يا خَليلَّي إن أمَّ جُسَيْرٍ ... حين يدنو الضَّجيع من عَلَلِهْ)
(روضةٌ ذاتُ حَنْوَةٍ وخُزَامى ... جادَ فيها الربيعُ من سَبَلِهِ)
فغضب لجميل نفر من قومه يقال لهم بنو سفيان فجاؤوا إلى جواس ليلا وهو في بيته فضربوه وعروا امرأته أم الجسير في تلك الليلة فقال جميل
(ما عَرَّ جوَّاسَ استَها إذ يسبُّهم ... بصَقْرَيْ بني سُفيانَ قَيْسٍ وعاصمِ)
(هما جرّدا أُمَّ الجُسَيْر وأوقعا ... أمرَّ وأدهى من وَقِيعةِ سالِمِ)
يعني سالم بن دارة
فقال جواس
(ما ضَربَ الجَوَّاسُ إلا فُجَاءةً ... على غفلةٍ من عَيْنِه وهْو نائمُ)
(فإلا تُعجِّلْني المنيَّةُ يصْطبح ... بكأسك حِصْناكم حُصَيْن وعاصِمُ)
(ويُعطِي بنو سفيان ما شئتُ عَنْوةً ... كما كنت تُعطِيني وأنفُكَ راغِمُ)
هو وجميل يحدوان ركاب مروان
وقال أبو عمرو الشيباني
حج مروان بن الحكم فسار بين يديه جميل بن عبد الله بن معمر
وجواس بن قطبة وجواس بن القعطل الكلبي فقال لجميل انزل فسق بنا فنزل جميل فقال
(يا بُثْنَ حَيِّي وَدِّعينا أو صِلي ... وهوّني الأمر فزُوري واعْجَلِي)
(ثُمَّتَ أيّاً ما أردتِ فافْعَلِي ... إني لآتي ما أتيت مُؤْتلي)
فقال له مروان عد عن هذا فقال
(أنا جميلٌ والحِجازُ وطني ... فيه سهَوَى نَفْسِي وفيه شَجَني)
(... هذا إذا كان السّياق دَدَني)
فقال لجواس بن قطبة انزل أنت يا جواس فسق بنا فنزل فقال وقد كان بلغه عن مروان أنه توعده إن هاجى جميلا
(لستُ بعبدٍ للمطايا أسوقها ... ولكنني أرمي بهنّ الفَيافِيا)
(أتانيَ عَن مرْوانَ بالغيب أنه ... مُبيحٌ دمِي أو قاطعٌ من لسانيا)
(وفي الأرض مَنجاة وفُسحَةُ مذهبٍ ... إذا نحن رقَقنا لهن المثانيا)
فقال له مروان أما إن ذلك لا ينفعك إذا وجب عليك حق فاركب لا ركبت
ثم قال لجواس بن القعطل ويقال بل القصة كلها مع جواس بن قطبة انزل فارجز بنا فنزل فقال هذه الأبيات
(يقول أميري هل تسوقُ رِكابَنا ... فقلتُ اتّخذ حادٍ لهن سوائيا)
(تكرمتُ عن سَوْقِ المَطيِّ ولم يكن ... سِياقُ المطايا هِمَّتي ورَجائِيا)
(جعلتَ أبي رهْناً وعِرضِي سادراً ... إلى أهلِ بيتٍ لم يكونوا كِفائيا)
(إلى شرِّ بيت من قُضاعَة منصِباً ... وفي شرِّ قوم منهمُ قد بَدا ليا)
فقال له اركب لا ركبت
خبر ابن مجزز
والأبيات التي فيها الغناء يرثي بها جواس بن قطبة العذري علقمة بن مجزز قال أبو عمرو الشيباني وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث علقمة بن مجزز الكناني ثم المدلجي في جيش إلى الحبشة وكانوا لا يشربون قطرة من ماء إلا بإذن الملك وإلا قوتلوا عليه فنزل الجيش على ماء قد ألقت لهم فيه الحبشة سما فوردوه مغترين فشربوا منه فماتوا عن آخرهم وكانوا قد أكلوا هناك تمرا فنبت ذلك النوى الذي ألقوه نخلا في بلاد الحبشة وكان يقال له نخل ابن مجزز فأراد عمر أن يجهز إليهم جيشا عظيما فشهد عنده أن رسول الله قال اتركوا الحبشة ما تركوكم وقال وددت لو أن بيني وبينهم بحرا من نار فقال جواس العذري يرثي علقمة بن مجزز
((إنّ السّلامَ وحُسْنَ كلِّ تحيةٍ ... تغدو على ابن مجزِّزٍ وتَروحُ

(فإذا تجرّد حافِراك وأصبحت ... في الفجر نائحةٌ عليك تنوحُ)
(وتخيّروا لكِ من جيادِ ثيابهم ... كفناً عليك من البَياض يلوح)
(فهناك لا تُغنِي مودّةُ ناصحٍ ... حذراً عليك إذا يُسدُّ صريحُ)
(هلا فَدى ابنَ مجزز متفحّشٌ ... شَنِجُ اليدين على العطاء شحيحُ)
(متمرِّغٌ ورِعٌ وليس بماجدٍ ... متملّح وحديثُه مقبوحُ)
وفيمن هلك مع ابن مجزز يقول جواس
(أَلَهْفِي لِفتيانٍ كأنّ وجوهَهم ... دنانيرُ وافت مَهْلِكَ ابنِ مُجزِّزِ)
صوت
(أحِبّتَنا بأبِي أنْتُمُ ... وسَقْياً لكم حيثما كُنتُمُ)
(أطلتمْ عَذابي بميعادكم ... وقلتُم نزورُ فما زرتُمُ)
(فأمسكَ قلبِي على لوعتي ... ونَمَّتْ دموعي بما أكْتُمُ)
(ففيمَ أسأتم وأخلفتُم ... وقِدْماً وفَيْتُمْ وأحسنْتُمُ)
الشعر لإبراهيم بن المدبر والغناء لعريب خفيف ثقيل
أخبار إبراهيم بن المدبر
أبو إسحاق إبراهيم بن المدبر شاعر كاتب متقدم من وجوه كتاب أهل العراق ومتقدميهم وذوي الجاه والمتصرفين في كبار الأعمال ومذكور الولايات وكان المتوكل يقدمه ويؤثره ويفضله وكانت بينه وبين عريب حال مشهورة كان يهواها وتهواه ولهما في ذلك أخبار كثيرة قد ذكرت بعضها في أخبار عريب وأذكر باقيها ها هنا
ينشد المتوكل في مرضه
أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال
مرض المتوكل مرضة خيف عليه منها ثم عوفي وأذن للناس في الوصول إليه فدخلوا على طبقاتهم كافة ودخلت معهم فلما رآني استدناني حتى قمت وراء الفتح ونظر إلي مستنطقا فأنشدته
(يومٌ أتانا بالسرورِ ... فالحمد لله الكبيرِ)
(أخلصتُ فيه شُكرَه ... ووَفَيْتُ فيه بالنُّذورِ)
(لما اعتَلَلتَ تَصدَّعتْ ... شُعَبُ القلوب من الصدورِ)
((من بين ملتهبِ الفؤاد ... وبين مكتئبِ الضمير
(يا عُدّتِي للدِّينِ والدُّنيا ... وللخَطْبِ الخطيرِ)
(كانت جفوني ثَرَّةَ الآماق ... بالدَّمعِ الغَزيرِ)
(لو لم أمت جزعاً لعمرِك ... إنني عينُ الصبورِ)
(يومي هنالك كالسِّنينَ ... وساعتي مِثلُ الشُّهورِ)
(يا جعفرُ المتوكلُ العالي ... عَلَى البدرِ المُنِيرِ)
(اليومَ عاد الدين غَضْاً ... العود ذا وَرَقٍ نَضِيرِ)
(واليومَ أصبحت الخِلافة ... وهي أرسى من ثَبِيرِ)
(قد حالَفَتْكَ وعاقَدَتْك ... عَلَى مطاوَلةِ الدُّهُورِ)
(يا رحمةً للعالمينَ ... ويا ضياء المستَنيرِ)
(يا حجةَ اللهِ الّتي ... ظَهَرَتْ له بهُدىً ونُورِ)
(لله أنتَ فما نشاهِد ... ُ منكَ من كَرمٍ وخيرِ)
(حتى نقول ومَنْ يقُرِبك ... َ من وليٍ أو نصيرِ)
(البدرُ ينطِق بيننا ... أمْ جعفرٌ فوقَ السريرِ)
(فإذا تواتَرتِ العَظَائم ... ُ كُنتَ منقطعَ النَّظيرِ)
(وإذا تعذَّرت العَطَايَا ... كنت فيَّاضَ البحورِ)
(تُمضي الصوابَ بلا وزير ... ٍ أو ظهيرٍ أو مشيرِ)
فقال المتوكل للفتح أن إبراهيم لينطق عن نية خالصة وود محض وما قضينا حقه فتقدم بأن يحمل إليه الساعة خمسون ألف درهم وتقدم إلى عبيد الله بن يحيى بأن يوليه عملا سرياً ينتفع به
المتوكل يودعه السجن فينشد وهو محبوس
حدثني عمي قال حدثني محمد بن داود بن الجراح قال
كان أحمد بن المدبر ولي لعبيد الله بن يحيى بن خاقان عملا فلم يحمد أثره فيه وعمل على أن ينكبه وبلغ أحمد ذلك فهرب وكان عبيد الله منحرفاً عن إبراهيم شديد النفاسة عليه برأي المتوكل فيه فأغراه به وعرفه خبر أخيه وادعى عليه مالا جليلا وذكر أنه عند إبراهيم أخيه وأوغر صدره عليه حتى أذن له في حبسه فقال وهو محبوس
(تسليْ ليس طولُ الحبس عاراً ... وفيه لنا من اللهِ اختيارُ)
(فلولا الحبس ما بُلِي اصطبارٌ ... ولولا الليلُ ما عُرِفَ النهارُ)
(وما الأيام إلا معقِبات ... ولا السلطان إلا مستعار)
(وعن قدرٍ حُبِسْتُ فَلاَ نَقِيضٌ ... وفيما قَدَّرَ اللهُ الخِيارُ)
(سيُفْرَجُ ما ترين إلى قليلٍ ... مقدره وإن طال الإسَارُ)
ولإبراهيم في حبسه أشعار كثيرة حسان مختارة منها قوله في قصيدة أولها
(أدموعُها أم لؤلؤٌ متناثرُ ... يندى به وَردٌ جنِيٌّ ناضرُ)
يقول فيها
((لا تؤيسنَّكَ من كريمٍ نَبوةٌ ... فالسيفُ ينبو وهو عضبٌ باترُ
(هذا الزمانُ تسومُني أيامُه ... خَسفْاً وهأنذا عليه صابرُ)

(إن طال ليلي في الإسارِ فَطالما ... أفنيتُ دهراً ليلةُ متقاصرُ)
(والحبسُ يحجبُني وفي أكنَافِهِ ... منِّي عَلَى الضرَّاء ليثٌ خادرُ)
(عجباً له كيف التقت أبوابُه ... والجودُ فيه والغمامُ الباكرُ)
(هلا تقطَّع أو تصدَّع أو وهى ... فَعذَرتُه لكنّه بي فاخرُ)
ومنها قوله في قصيدة أولها
(ألا طرقت سلمى لدى وقعة الساري ... فريدا وحيدا موثقا نازح الدار)
(هو الحبس ما فيه علي غضاضة ... وهل كان في حبس الخليفة من عار)
يقول فيها
(ألستِ ترينَ الخمر يظهرُ حسنُها ... وبهجتُها بالحبسِ في الطين والقار)
(وما أنا إلا كالجوادِ يصونه ... مقومه للسَّبْق في طَيِّ مضمار)
(أو الدُّرةِ الزهراء في قعر لُجَّةٍ ... فلا تُجتَلَى إلا بِهولٍ وأخطار)
(وهل هو إلا منزلٌ مثلُ منزلي ... وبيتٌ ودارٌ مثلُ بيتي أو داري)
(فلا تنكري طولَ المدَى وأذى العِدي ... فانَّ نهاياتِ الأمورِ لإقْصار)
((لعلّ وراءَ الغيبِ أمراً يسرُّنا ... يقدِّرُه في علمِه الخالقُ الباري
(وإني لأرجو أن أصُولَ بجعفرٍ ... فأهضمَ أعدائي وأُدْرِكَ بالثَّار)
مدح من خلصه من السجن
فأخبرني عمي عن محمد بن داود
أن حبسه طال فلم يكن لأحد في خلاصه منه حيلة مع عضل عبيد الله وقصده إياه حتى تخلصه محمد بن عبد الله بن طاهر وجود المسألة في أمره ولم يلتفت إلى عبيد الله وبذل أن يحتمل في ماله كل ما يطالب به فأعفاه المتوكل من ذلك ووهبه له وكان إبراهيم استغاث به ومدحه فقال
(دعوتُك من كَرْبٍ فلبَّيتَ دعوتي ... ولم تعترضْني إذ دعوتُ المعاذرُ)
(إليك وقد حلّئتُ أوردتُ هِمَّتي ... وقد أعجزتني عن همومي المَصادرُ)
(نمى بك عبدُ الله في العزِّ والعُلا ... وحازَ لك المجدَ المؤثَّلَ طاهرُ)
(فأنتم بَنو الدنيا وأملاكُ جوِّها ... وساستُها والأعظَمون الأكابرُ)
(مآثرُ كانتْ للحسينِ ومصعبٍ ... وطلحةَ لا تحوي مَداها المفاخرُ)
(إذا بذلوا قيلَ الغيوثُ البواكرُ ... وإن غضِبوا قيل الليوثُ الهواصرُ)
(تطيعكُم يَومَ اللقاء البواترُ ... وتزهو بكمْ يومَ المقامِ المنابرُ)
((وما لكُم غيرَ الأسرَّةِ مجلسٌ ... ولا لكُم غيرَ السيوفِ مخاصرُ
(ولي حاجة إن شئتَ أحرزتَ مجدها ... وسرَّكَ منها أولٌ ثم آخرُ)
(كلام أميرِ المؤمنين وعطفُه ... فمالي بعد اللَّه غيرَكَ ناصرُ)
(وإن ساعدَ المقدورُ فالنُّجح واقع ... وإلا فإني مخلص الودِّ شاكِرُ)
حدثني جعفر بن قدامة قال
كتبت عريب من سر من رأى إلى إبراهيم بن المدبر كتابا تتشوقه فيه وتخبره باستيحاشها له واهتمامها بأمره وأنها قد سألت الخليفة في أمره فوعدها بما تحب فأجابها عن كتابها وكتب في آخر الكتاب
(لعمركِ ما صوتٌ بديعٌ لمعبدٍ ... بأحسنَ عندي من كتاب عَريب)
(تأمّلتُ في أثنائه خطَّ كاتبٍ ... ورقَّةَ مشتاقٍ ولفظَ خَطيب)
(وراجَعني من وصلِها ما استرقَّني ... وزهَّدني في وصل كلِّ حَبيب)
(فصرتُ لها عبداً مُقرًّا بِملَكِهَا ... ومستمسكاً من ودها بنصيب)
أحب جارية أحبت سواه
أخبرني جعفر بن قدامة قال
كان علي بن يحيى المنجم وإبراهيم بن المدبر مجتمعين في منزل بعض الوجوه بسر من رأى على حال أنس وكانت تغنيهم جارية يقال لها نبت جارية البكرية المغنية من جواري القيان فأقبل عليها إبراهيم بن المدبر بنظره ومزحه وتجميشه وهي مقبلة على فتى كان أمرد من أولاد الموالي
يقال له مظفر كانت تهواه وكان أحسن الناس وجها ولم يزل ذلك دأبهم إلى أن افترقوا فكتب إليه علي بن يحيى يقول
(لقد فتنَتْ نبت فتى الظَّرف والنَّدى ... بمقلةِ ريمٍ فاترِ الطَّرفِ أحورِ)
(وشدوٍ يروقُ السامعين ويملأ ال ... قلوب سروراً مُونقٍ متخيَّرِ)
(فأصبحَ في فخِّ الهوى متقنِّصا ... عزيزٌ على إخوانه ابنُ المدبِّرِ)
(ولم تدرِ ما يَلْقي بها ولو أنَّها ... درَتْ روَّحتْ من حَرِّهِ المُتسعِّرِ)
(وذاكَ بها صبٌّ ونبتُ خليَّةٌ ... ومشغولةٌ عنه بوجه مُظَفَّرِ)
(ولو أنصفتْ نبتٌ لما عدلتْ به ... سواهُ وحازت حُسْنَ مرأى ومَخْبَرِ)
فكتب إليه إبراهيم بن المدبر
(طَرِبْتُ إلى قُطْرَبُّلٍ وبَلَشْكُرٍ ... وراجعتُ غَيًّا ليس عني بمُقصِرِ)
(وذكَّرني شعرٌ أتاني مونقٌ ... حبائبَ قَلبي في أوائل أعصُرِي)
(فنَهنَهتَ نفسي عن تذكُّرِ ما مضى ... وقلتُ أفيقي لاتَ حينَ تذكُّرِ)
(أبا حسَنٍ ما كنتَ تعْرِفُ بالخَنَا ... ولا بِعُلوٍّ في المكانِ المؤَخَّرِ)
(وما زلْتَ محمود الشمائل مرتضى الخلائق معروفا بعُرْفٍ ومنكَرِ)
((أترمي بنَبْتٍ من جفاها تَخَيُّراً ... وباعدها عنه برأيٍ موقَّرِ
(ودافعَها عن سرِّها وهي تَشتكي ... إليه تباريحَ الهوى المتسعِّرِ)
(ولو كان تبَّاعاً دواعيَ نفسِه ... إذاً لقضَى أوطارَه ابنُ المدبّرِ)

(على أنه لو حصحَصَ الحقُّ باعَها ... ولو كان مشغوفاً بها بمُظَفَّرِ)
(بلؤلؤةٍ زهراءَ يشرقُ ضوءُها ... وغُرَّةِ وجهٍ كالصباح المشهَّرِ)
(إلى اللهِ أشكو أنَّ هذا وهذِه ... غزالاً كئيبٍ ذي أقاحٍ منوِّرِ)
(وأنتَ فقد طالبتَها فوجدتَها ... لها خُلُقٌ لا يرعَوي ذو توعُّرِ)
(وحاولتَ منهَا سلوة عن مُظَفَّرٍ ... فما لان منها العِطْفُ عند التَّخَيُّرِ)
(نصحتُك عن وُدٍّ ولم آلُ جاهداً ... فإن شئتَ فاقبل قولَ ذي النصح أو ذَرِ)
فكتب إليه علي بن يحيى المنجم
(لعمري لقد أحسنتَ يا بنَ المدبِّرِ ... وما زلت في الإحسان عين المشهَّرِ)
(ظَرُفْتَ ومن يجمعْ من العلم مثلَ ما ... جمعت أبا إسحاق يَظْرُفْ ويُشْهَرِ)
ولإبراهيم في نبت هذه أشعار كثيرة منها قوله
(نَبْتٌ إذا سكتَت كان السكوتُ لها ... زينا وإن نطقت فالدرُّ يَنْتَشِرُ)
((وإنما أقصدتْ قلبي بمُقْلَتِها ... ما كان سهمٌ ولا قوسٌ ولا وَتَرُ)
وقوله
(يا نبتُ يا نبتُ قد هام الفؤادُ بكم ... وأنت واللهِ أحلى الخلقِ إنسانا)
(ألاَ صِليني فإنِّي قد شُغِفْتُ بِكُمْ ... إن شئتِ سراًّ وإن أحببتِ إعلانا)
خبر خاتم عريب
أخبرني جعفر بن قدامة قال
كان في إصبع إبراهيم بن المدبر خاتمان وهبتهما له عريب وكانا مشهورين لها فاجتمع مع أبي العبيس بن حمدون في اليوم التاسع والعشرين من شعبان على شرب فلما سكرا اتفقا على أن يصير إبراهيم إلى أبي العبيس ويقيم عنده من غد إن لم ير الهلال وأخذ الخاتمين منه رهنا
ورئي الهلال في تلك الليلة وأصبح الناس صياما فكتب إبراهيم إلى أبي العبيس يطالبه بالخاتمين فدافعه وعبث به فكتب إليه من غد
(كيف أصبحتَ يا جعلتُ فِدَاكا ... إنني أشتكي إليك جَفاكا)
(قد تَمادى بك الجفاءُ وما كنتَ ... حقيقا ولا حَرِيًّا بذاكا)
(كُن شبيهاً بمن مضى جعل اللهُ ... لكَ العُمرَ دائماً ورَعَاكا)
(إنَّ شهرَ الصيامِ شهرُ فكاكٍ ... أنتَ فيه ونحنُ نرجو الفَكاكا)
(فارددِ الخاتَمين ردًّا جميلا ... قد تنعَّمتَ فيهما ما كفاكا)
(يا أبا عبدِ اللهِ دعوةَ داعٍ ... يرتجي نُجحَ أمره إذْ دعَاكا)
يعني أبا عبدالله بن حمدون والد أبي العبيس المخاطب بهذا الشعر
((خاتمايَ اللذانِ عند أبي العبآس قد شارفَا لديه الهلاكا
(وهو حُرٌّ وقد حكاك كما أنَّكَ ... في المكرُماتِ تحكِي أباكا)
فبعث بالخاتمين إليه
أرسل يستريز أبا العبيس
وأخبرني جعفر قال
زارت عريب إبراهيم بن المدبر وهو في داره على الشاطئ في المطيرة واقترحت عليه حضور أبي العبيس فكتب إليه إبراهيم
(قل لابنِ حمدونَ ذاك الأريبِ ... وذاك الظريفِ وذاك الحسيبِ)
(كتابي إليكَ بشكوى عَريبِ ... لوجدٍ شديدٍ وشوقٍ عجيبِ)
(وَشوْقِي إليكَ كشوقِ الغريبِ ... إلى أرضِهِ بعد طولِ المغيبِ)
(ويومِيَ إن أنتَ تَمّمته ... بقُربكَ ذُو كُلِّ حُسْنٍ وطِيبِ)
(حَباني الزمانُ كما أشتهي ... بقرب الحبيبِ وبُعدِ الرقيبِ)
(فما زلتُ أشربُ من كفّه ... وأسقيه سقيَ اللطيف الأديبِ)
(ويشكو إليَّ وأشكو إليه ... بقولٍ عفيفٍ وقولٍ مريبِ)
(إلى أن بدالي وجهُ الصباح ... كوجهِك ذاكَ العجيبِ الغريبِ)
(فلا تُخْلِنا يا نظامَ السرور ... منكَ فأنت شفاءُ الكئيبِ)
(وغنِّ لنا هَزَجاً مُمْسِكاً ... تَخِفّ له حركاتُ اللبيبِ)
((فإنكَ قد حُزتَ حسنَ الغناءِ ... وقد فُزتَ منه بأوفَى نصيب
(وكن بأبي أنتَ رَجْعَ الجوابِ ... فِداؤك أنفسُنا من مجيبِ)
أخبرني جعفر قال
غنى أبو العبيس بن حمدون يوما عند إبراهيم
صوت
(إني سألتكَ بالذي ... أدنى إليكَ من الوريدِ)
(إلاَّ وصلتَ حبالَنا ... وكَفَيْتَنَا شرَّ الوعيدِ)
فزاد فيه إبراهيم قولِه
(الهجرُ لا مستحسنٌ ... بعد المواثقِ والعهودِ)
(وأراكَ مغراةً به ... أفما غرضت من الصدودِ)
(إني أجدّدُ لَذَّتي ... ما لاح لي يومٌ جديدُ)
(شربي معتّقة الكُروم ... ونزهتي وَرْدُ الخُدُودِ)
فغنى هذه الأبيات أبو العبيس متصلة باللحن الأول في البيتين وصار الجميع صوتا واحدا إلى الآن والأبيات الأخيرة لإبراهيم

بن المدبر والأولان ليسا له
نسبة هذا الصوت
الغناء في البيتين الأولين خفيف ثقيل مزموم لأبي العبيس وفيهما لحنان خفيف ثقيل آخر مطلق وفيهما لعريب ثاني ثقيل بالوسطى
قال جعفر وغنته يوما كراعة بسر من رأى ونحن حضور عنده
(يا معشر الناس أما مسلمٌ ... يشفعُ عند المذنِبِ العاتبِ)
(ذاك الذي يهرُب من وصلِنا ... تعلّقوا بالله بالهاربِ)
فزاد فيهما قوله
(ملّكته حَبْلي ولكنَّه ... ألقاهُ من زُهدٍ عَلَى غاربي)
(وقال إني في الهوى كاذبٌ ... فانتقمَ اللهُ من الكاذب)
يسترحم أبا عبد الله بن حمدون في نكبته
حدثني عمي قال حدثني محمد بن داود قال
كتب إبراهيم بن المدبر إلى أبي عبد الله بن حمدون في أيام نكبته يسأله اذكار المتوكل والفتح بأمره
(كم تُرى يبقى على ذا بدني ... قد بَلِي من طول هَمٍّ وضَنِي)
(أنا في أسرٍ وأسبابِ رَدًى ... وحديدٍ فادح يكْلِمُني)
(بابن حمدونَ فتى الجودِ الذي ... أنا منه في جَنى وردٍ جَنِي)
(ما الذي ترقُبُه أم ما ترى ... في أخٍ مضطَهدٍ مرتَهَنِ)
(وأبو عِمرانَ موسى حنقٌ ... حاقدٌ يطلُبني بالإحَنِ)
(وعبيدُ اللهِ أيضاً مثلُه ... ونجاحٌ بي مُجِدٌّ ما يني)
(ليس يشفيه سوى سفكِ دمي ... أو يراني مُدرَجاً في كَفَني
(والأميرُ الفتحُ إن أذكرتَه ... حُرْمَتي قام بأمري وعُنِي)
(فالُ صدقٍ حين أدعو باسمِه ... وسرورٍ حين يعرو حزَني)
(قل له يا حُسْنَ ما أوليتَني ... ما لِمَا أوليتَني من ثَمنِ)
(زاد إحسانَكَ عندي عِظَماً ... أنَّه بَادٍ لمن يعرفُني)
(لستُ أدري كيفَ أجزيكَ به ... غيرَ أني مُثقَلٌ بالمِنَنِ)
(ما رأى القومُ كذَنبي عندهم ... عِظَمُ ذَنبي أنّني لم أخُنِ)
(ذاكَ فِعلي وتُراثي عن أبي ... واقتدائي بأخي في السُّنَنِ)
(سنّةٌ صالحةٌ معروفَة ... هي منّا في قديمِ الزمَنِ)
(ظَفِرَ الأعداءُ بي عن حيلةٍ ... ولعلِ اللهِ أن يظفِرني)
(ليتَ أني وهُمُ في مجلسٍ ... يظْهرُ الحقُّ به للفطِنِ)
(فترى لي ولهُمْ ملحمَةً ... يهلِكُ الخائنُ فيها والدَّنِي)
(والذي أسأَلُ أن يُنصِفَني ... حاكِمٌ يَقضي بما يلزمُني)
(قُل لحمدونَ خليلي وابنِه ... ولعيسى حرِّكوه يا بَنِي)
يعني يا بني الزانية فلم يزالوا في أمره حتى خلصوه
حدثني محمد بن يحيى الصولي قال
كان إبراهيم بن المدبر يحب جارية للمغنية المعروفة بالبكرية بسر من رأى فقال فيها
((غادرتِ قلبي في إسار لديْكِ ... فويلتا منكِ وويلي عليكِ
(قد يعلمُ اللهُ عَلَى عرشِه ... أني أعاني الموتَ شوقاً إليكِ)
(مُنّي بفكِّ الأسر أو فاقتُلي ... أيهما أحببتِ من حُسْنَييكِ)
(قد كنتُ لا أُعدي على ظالمٍ ... فصِرتُ لا أُعدي على مُقلتيكِ)
(الخمرُ من فيكِ لِمن ذاقَهُ ... والوردُ للناظِرِ منْ وجنتيكِ)
(يا حسرتَا إن متُّ طوعَ الهوى ... ولم أنلْ ما أرتجيه لديكِ)
وأنشدها أبو عبد الله بن حمدون هذه الأبيات وغنت بها وجعل يكرر قوله
(... الخمرُ من فيكِ لمن ذاقه)
ويقول هذا والله قول خبير مجرب فاستحيت من ذلك وسبت إبراهيم فبلغه ذلك فكتب إلى أبي عبد الله يقول
(ألم يَشُقْكَ التماعُ البرقِ في السحَرِ ... بَلى وهيَّجَ من وَجْدٍ ومن ذِكَرِ)
(ما زال دمعي غزيرَ القَطْرِ مُسجماً ... سَحّاً بأربعةٍ تَجري من الدُّرر)
(وقلتُ للغيثِ لما جادَ وَابِلُه ... وما شجاني مِن الأحزان والسَّهَر)
(يا عارِضا ماطراً أمطِرْ على كبدي ... فإنّها كَبِدٌ حَرَّى من الفِكَرِ)
(لشدَّ ما نالَ منّي الدهرُ واعتلقَتْ ... يدُ الزمان وأوهتْ مِن قُوى مِرَري)
(يا واحدٍ من عبادِ اللهِ كلِّهم ... ويا غنايَ ويا كَهْفي ويا وَزَري)
((أحينَ أنشدتَ شِعري في مُعذِّبتي ... أما رثَيْتَ لها من شدة الحَصَرِ
(وما شفعتَ بها شِعري وقلت به ... في ريقها البارِدِ السلسالِ ذي الْخَصَرِ)
(لبئس مستنصَحاً في مثلِ ذلك يا ... نفسي فِداؤكَ من مستنصح غَدِرِ)
(واليوم يومٌ كريم ليس يُكرِمُه ... الاّ كريمٌ من الفتيان ذُو خَطَرِ)
(نشدتُكَ اللهَ فاصْبَحْه بصُحبته ... مُباكراً فألذُّ الشُّربِ في البُكَرِ)
(وأجمَع ندامَاكَ فيه واقترحْ رَمَلاً ... صوتاً تغنّيه ذاتُ الدَّل والخَفَرِ)
(يرتاح للدَّجْنِ قَلبي وهو مقتسَمٌ ... بين الهمومِ ارتياحَ الأرضِ للمطَرِ)
(يا غادراً يا أحبَّ الناس كلّهمُ ... إليَّ واللهِ من أُنْثَى ومن ذَكَرِ)

(ويا رجائي ويا سُؤْلي ويا أملي ... ويا حياتي ويا سَمعي ويا بَصري)
(ويا مُناي ويا نوري ويا فَرَجِي ... ويا سروري ويا شَمسِي ويا قمرِي)
(لا تقبلي قولَ حسّادي عليّ ولا ... واللّه ما صدقوا في القول والخَبرِ)
(أدالني اللّهُ من دهرٍ يُضَعضِعُني ... فقد حُجِبتُ عن التسليم والنظَرِ)
(إن يحجُبُوا عنك في تقديرِهم بصَري ... فكيف لم يحجُبُوا ذِكري ولا فِكَري)
(يا قوم قَلبي ضعيفٌ من تذكُّرِها ... وقلبُها فارغٌ أقسى من الحجَرِ)
(اللّه يعلم أنّي هائم دَنِفٌ ... بغادَةٍ ليتَها حَظّي من البَشَرِ)
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني عبد الله بن محمد المروزي قال حدثني الفضل بن العباس بن المأمون قال

زارتني عريب يوما ومعها عدة من جواريها فوافتنا ونحن على شرابنا فتحدثت معنا ساعة وسألتها أن تقيم عندنا فأبت وقالت قد وعدت جماعة من أهل الأدب والظرف أن أصير إليهم وهم في جزيرة المريد منهم إبراهيم بن المدبر وسعيد بن حميد ويحيى بن عيسى بن منارة فحلفت عليها فأقامت ودعت بدواة وقرطاس وكتبت إليهم سطرا واحدا (بسم الله الرحمن الرحيم) أردت ولولا ولعلي

ووجهت الرقعة إليهم فلما وصلت قرأوها وعيوا بجوابها فأخذها إبراهيم بن المدبر فكتب تحت أردت ليت وتحت لولا ماذا وتحت لعلي أرجو ووجه بالرقعة إليها فلما قرأتها طربت ونعرت وقالت أنا أترك هؤلاء وأقعد عنكم تركني الله إذا من يديه وقامت فمضت وقالت لكم فيمن أتخلفه عندكم من جواري كفاية

عريب تهيم به حبا

أخبرني محمد بن خلف قال حدثني عبد الله بن المعتز قال

قرأت في مكاتبات لعريب فصلا من جواب أجابت به إبراهيم بن المدبر مكاتبة بديعة بعيادة قد استبطأت عيادتك قدمت قبلك وعذرتك فما ذكرت عذرا ضعيفا لا ينبغي أن يفرح به فأستديم الله نعمة عندك

قال وكتبت إليه أيضا

أستوهب الله حياتك قرأت رقعتك المسكينة التي كلفتها مسألتك عن أحوالنا ونحن نرجو من الله أحسن عوائده عندنا وندعوه ببقائك ونسأله

الإجابة فلا تعود نفسك جعلني الله فداءها هذا الجفاء والثقة مني بالاحتمال وسرعة الرجوع

وكتبت إليه وقد بلغها صومه يوم عاشوراء

قبل الله صومك وتلقاه بتبليغك ما التمست كيف ترى نفسك نفسي فداؤك ولم كدرت جسمك في آب أخرجه الله عنك في عافية فإنه فظ غليظ وأنت محرور وإطعام عشرة مساكين أعظم لأجرك ولو علمت لصمت لصومك مساعدة لك وكان الثواب في حسناتك دوني لأن نيتي في الصوم كاذبة

أخبرني جعفر بن قدامة قال

اتصلت لعريب أشغال دائمة في أيام تركوا رسى وخدمتها فيما هنالك

فلم يرها إبراهيم بن المدبر مدة فكتب إليها

صوت

(إلى الله أشكو وحشتي وتفجُّعي ... وبعدَ المدىَ بيني وبينَ عَريبِ)
(مضى دونها شَهْران لم أحلَ فيهما ... بعيشٍ ولا من قُربها بنصيبِ)
(فكنت غريباً بين أهلي وجيرتي ... ولست إذا أبصرتها بغريبِ)
(وإنّ حبيباً لم يرَ النَّاسُ مثلَه ... حقيق بأن يُفدْى بكلّ حبيب)

لعريب في هذه الأبيات خفيف ثقيل من رواية ابن المعتز وهو من مشهور غنائها

مكاتبات عريب إليه

وقال ابن المعتز في ذكره مكاتبات عريب إلى إبراهيم بن المدبر وقد كتب إليها يشكو علته

كيف أصبحت أنعم الله صباحك ومبيتك وأرجو أن يكون صالحا وإنما أردت إزعاج قلبي فقط

وكتبت إليه تدعو له في شهر رمضان

أفديك بسمعي وبصري وأهل الله هذا الشهر عليك باليمن والمغفرة وأعانك على المفترض فيه والمتنفل وبلغك مثله أعواما وفرج عنك وعني فيه

قال وكتبت إليه

فداؤك السمع والبصر والأم والأب ومن عرفني وعرفته كيف ترى نفسك وقيتها الأذى وأعمى الله شانئك ومقه الله عند هذه الدعوة وأرجو أن تكون قد أجيبت إن شاء الله وكيف ترى الصوم عرفك الله بركته وأعانك على طاعته وأرجو أن تكون سالما من كل مكروه بحول الله وقوته وواشوقي إليك وواحشتي لك ردك الله إلى أحسن ما عودك ولا أشمت بي فيك عدوا ولا حاسدا وقد وافاني كتابك لا عدمته إلا بالغنى عنه بك وذكرت حامله فوجهت رسولي إليه ليدخله فأسأله عن خبرك فوجدته منصرفا ولو رأيته لفرشت خدي له وكان لذلك أهلا

وكتبت إليه وقد عتبت عليه في شيء بلغها عنه

وهب الله لنا بقاءك ممتعا بالنعم ما زلت أمس في ذكرك فمرة بمدحك ومرة بشكرك ومرة بأكلك وذكرك بما فيك لونا لونا اجحد ذنبك الآن وهات حجج الكتاب ونفاقهم فأما خبرنا أمس فإما شربنا من فضلة نبيذك على تذكارك رطلا رطلا وقد رفعنا حسباننا إليك فأرفع حسبانك إلينا وخبرنا من زارك أمس وألهاك وأي شيء كانت القصة على جهتها ولا تخطرف فتحوجنا إلى كشفك والبحث عنك وعن حالك وقل الحق فمن صدق نجا وما أحوجك إلى تأديب فإنك لا تحسن أن تؤدبه والحق أقول إنه يعتريك كزاز شديد يجوز حد البرد

وكفاك بهذا من قولي عقوبة وإن عدت سمعت أكثر من هذا والسلام

حدثني عمي قال حدثني محمد بن داود قال

كان عيسى بن إبراهيم النصراني المكنى أبا الخير كاتب سعيد بن صالح يسعى على إبراهيم بن المدبر في أيام نكبته فلما زالت ومات سعيد نكب عيسى بن إبراهيم وحبس ونهبت داره فقال فيه إبراهيم بن المدبر

(قل لأبي الشرِّ إنْ مررتَ به ... مقالةً عُرِّيَتْ من اللَّبَس)
(ألبَسكَ اللهُ من قوارعه ... آخذةً بالخُنَاقِ والنَّفَس)
(لا زلتَ يا بن البظراء مرتهنَا ... في شرِّ حال وضيقِ محتَبَس)
(أقول لما رأيتُ منزله ... منتَهباً خالياً من الأنَس)
((يا منزلاً قد عَفَا من الطَّفس ... وساحةً أُخليتْ من الدَّنس
(من لاقترافِ الفحشاء بعد أبي الشررْ ... ْ ومن للقبيح والنجِس)
ولي الثغور الجزرية بعد نكبته
أخبرني جعفر بن قدامة قال
ولي إبراهيم بن المدبر بعقب نكبته وزوالها عنه الثغور الجزرية فكان أكثر مقامه بمنبج فخرج في بعض أيام ولايته إلى نواحي دلوك ورعبان وخلف بمنبج جارية كان يتحظاها مغنية يقال لها غادر فحدثني بعض كتابه انه كان معه بدلوك وهو على جبل من جبالها فيه دير يعرف بدير سليمان من احسن بلاد الله وانزهها فنزل عليه ودعا بطعام خفيف فأكل وشرب ثم دعا بداوة وقرطاس فكتب
(أبا ساقِيينا وسْطَ دَيْر سليمانِ ... أديرا الكُؤوس فانهلاني وعُلاَّني)
(وخُصَّا بصافيها أبا جعفرٍ أخي ... وذا ثقتي بين الأنام وخُلصاني)
(وميلاً بها نحو ابن سَلاَّمٍ الذي ... أودُّ وعُودًا بعد ذاك لنعمانِ)
(وعُمَّا بها الندمان والصحبَ إنني ... تَنَكَّرْتِ عيشي بعد صحبي وإخواني)
((ولا تتركا نفسي تمُتْ بسقامها ... لذِكْرَى حبيب قد شجاني وعنَّاني
(ترحَّلتُ عنه عن صدود وهِجرة ... وأقبل نحوي وهو باكٍ فأبكاني)
(وفارقته واللهُ يجمع شملَنا ... بلوعة محزون وغُلَّة حرَّان)
(وليلة عين المرْج زار خيالُه ... فهيَّج لي شوقا وجدَّد أشجاني)
(فأشرفت أعلى الدَّيْر أنظر طامحاً ... بألمح آماقٍ وأنظَر إنسان)
(لعلّي أرى أبياتَ منبجٍ رؤية ... تُسكِّن من وجدي وتكشفُ أحزاني)
(فقصَّر طرفي واستهلَّ بعبرة ... وفدَّيتُ من لو كان يدري لفدَّاني)
(ومثَّلَه شوقي إليه مقابلي ... وناجاهُ قلبي بالضمير وناجاني)
قرأت على ظهر دفتر فيه شعر إبراهيم بن المدبر أهداه مجموعا إلى أخيه احمد فلما وصل إليه قرأه وكتب عليه بخطه
(أبا إسحاق إن تكن الليالي ... عطفن عليك بالخطب الجسيم)
(فلم أرَ صرْف هذا الدهر يجري ... بمكروه على غير الكريم)
اخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني ميمون بن هارون قال
اجتمعت مع عريب في مجلس انس بسر من رأى عند أبي عيسى بن المتوكل وإبراهيم بن المدبر يومئذ ببغداد فمر لنا احسن يوم وذكرته عريب فتشوقته و أحسنت الثناء عليه والذكر له فكتبت إليه بذلك من غد وشرحته له فأجابني عن كتابي وكتب في آخره
((أتعلَمُ يا ميمونُ ماذا تُهيجُه ... بذكركَ أحبابي وحِفظهُم العَهْدا
(ووصفِ عريب في كريم وفائها ... وإجمالها ذِكري وإخلاصِها الوُدَّا)
(عليها سلامي إن تكن دارُها نأتْ ... فقد قرَّب اللهُ الذي بيننا جدًّا)
(سقي الله داراً بعدَنا جمعتكُم ... وَ سكَّن ربُّ العرش ساكنَها الخُلدا)
(وخصَّ أبا عيسى الأميرَ بنعمة ... وأسعد فيما أرتجيه له الجَدَّا)
(فما ثَمَّ من مجدٍ وَ طَوْلٍ و سُودَد ... ورأي أصيل بصدَع الحجَرَ الصَّلْدا)
خبر صلحه مع عريب وشعره فيها
حدثني جحظة قال حدثني عبد الله بن حمدون قال
اجتمعت أنا وإبراهيم بن المدبر وابن منارة والقاسم وابن زرزور في بستان بالمطيرة وفي يوم غيم يهريق رذاذه ويقطر احسن قطر ونحن في أطيب عيش واحسن يوم فلم نشعر إلا بعريب قد أقبلت من بعيد فوثب إبراهيم بن المدبر من بيننا فخرج حافيا حتى تلقاها واخذ بركابها حتى نزلت وقبل الأرض بين يديها وكانت قد هجرته مدة لشيء أنكرته عليه فجاءت وجلست و أقبلت عليه متبسمة وقالت إنما جئت إلى من هاهنا لا إليك فاعتذر وشيعنا قوله وشفعنا له فرضيت و أقامت عندنا يومئذ وباتت واصطبحنا من غد واقامت عندنا فقال إبراهيم
صوت
(بأبي من حقَّقَ الظن به ... فأتانا زائراً مُبتدِيا)
((كان كالغيثِ تراخي مُدّةً ... وأتى بعد قُنوط مُرويا
(طاب يومانِ لنا في قُربه ... بعد شهرين لهجرٍ مضِيا)
(فأقرَّ اللهُ عيني وشفى ... سقَماً كان لجسمي مُبليا)
لعريب في هذا الشعر لحنان رمل وهزج بالوسطى
أنشدني الصولي رحمه الله لإبراهيم بن المدبر في عريب
(زعموا أني أُحبُّ عَريبا ... صدقوا واللهِ حُباً عجيباً)
(حلَّ من قلبي هواها مَحلاُّ ... لم تَدَعْ فيه لخَلْقٍ نصيبا)
(ليقلْ من قَدْ رأى الناس قدْما ... هل رأى مثلَ عَريب يا عَريبا)
(هي شمسُ والنساء نُجومُ ... فإذا لاحت أفلْن غُيوبا)
وأنشدني الصولي أيضا له فيها
(إلا يا عريبُ وُقيتِ الرَّدى ... وجنَّبك اللهُ صَرْف الزمنْ)
(فإنك أصبحتِ زينَ النساء ... وواحدة الناس في كل فَنّ)
(فقربُكِ يُدني لذيذَ الحياةِ ... وبعدُكَ ينفي لذيذَ الوَسَنْ)

(فنعم الجليسُ ونعم الأنيسُ ... ونعم السَّميرُ ونعم السَّكن)
و أنشدني أيضا له
(أن عريبا خُلقتْ وحدَها ... في كلِّ ما يحسُنُ من أمرها)
(ونعمة لِلَّهِ في خَلقِه ... يقصِّر العالَم عن شكرِها)
(أشهدُ في جاريتَيها على ... أنهما مُحْسِنَتَا دَهرها)
((فبدعةُ تُبدعُ في شَدْوها ... وتُحْفَةُ تتحف في زمْرِها
(يا ربَّ أمتِعْها بما خوَّلت ... وامدُد لنا يا ربَّ في عمرها)
شيعه أهل البصرة بحزن
اخبرنا أبو الفياض سوار بن أبي شراعة القيسي البصري قال
كان إبراهيم بن المدبر يتولى البصرة وكان محسنا إلى أهل البلد احسانا يعمهم ويشتمل على جماعتهم نفعه ويخصنا من ذلك بأوفر حظ واجزل نصيب فلما صرف عن البصيرة شيعة أهلها وتفجعوا لفراقه وساءهم صرفه فجعل يرد الناس من تشييعهم على قدر مراتبهم في الأنس به حتى لم يبق معه إلا أبي فقال له يا أبا شراعة أن المشيع مودع لا محالة وقد بلغت أقصى الغايات فبحقي عليك إلا انصرفت ثم قال يا غلام احمل إلى أبي شراعة ما امرتك له به فأحظر ثيابا وطيبا ومالا فودعه أبي ثم قال
(يا أبا إسحاق سِرْ في دَعَة ... وامضِ مصحوباً فما منك خلفْ)
(ليت شعري أيُّ ارض أجدبتْ ... فأُغيث بك من جهد العَجَف)
(نزل الرُّحْمُ من الله بِهِم ... وحُرِمَناكَ لذنب قد سلفْ)
(إنما أنت ربيعُ باكر ... حيثُمَا صرَّفه الله انصرفْ)
اخبرني علي بن العباس بن طلحة الكاتب قال
قرأت جوابا بخط إبراهيم بن المدبر في أضعاف رقعة كتبتْها إليه عريب فوجدته قد كتب تحت فصل من الكتاب تسأله فيه عن خبره
((وساءلتموه بعدكم كيف حالُه ... وذلك أمر بيّنُ ليس يُشكُل
(فلا تسألوا عن قلبه فَهْو عندكم ... ولكن عن الجسم المخلف فاسألوا)
أخبرني علي بن العباس قال حدثني أبي قال
رسالة إلى عريب يشكو بعدها
كنت عند إبراهيم بن المدبر فزارته بدعة وتحفة وأخرجتا إليه رقعة من عريب فقرأناها فإذا فيها
بنفسي أنت وسمعي وبصري وقل ذاك لك أصبح يومنا هذا طيبا طيب الله عيشك قد احتجبت سماؤه ورق هواؤه وتكامل صفاؤه فكأنه أنت في رقة شمائلك وطيب محضرك ومخبرك لافقدت ذلك أبدا منك ولم يصادف حسنه وطيبه مني نشاطا ولا طربا لأمور صدتني عن ذلك اكره تنغيص ما أشتهيه لك من السرور بنشرها وقد بعثت إليك ببدعة وتحفة ليؤنساك وتسربهما سرك الله وسرني بك
فكتب إليها يقول
(كيف السرورُ وأنتِ نازحةُ ... عنّي وكيف يسوغُ لي الطربُ)
(أن غبتِ غاب العيشُ وانقطعتْ ... أسبابه وألحَّت الكُرَبُ)
وأنفذ الجواب إليها فلم يلبث أن جاءت فبادر إليها وتلقاها حافيا حتى جاء بها على حمار مصري كان تحتها إلى صدر مجلسه يطأ الحمار على بساطه وما عليه حتى اخذ بركابها وأنزلها في صدر مجلسه وجلس بين يديها ثم قال
(ألا رب يوم قصّر اللهُ طولَه ... بقرب عريبٍ حبّذا هو من قُربِ)
(بها تحسُن الدنيا وينعم عيشُها ... وتجتمع السَّراء للعين والقَلبْ)
حدثني علي بن سليمان قال أنشدني أبي قال
أنشدني إبراهيم بن المدبر وقد كتب إلى بدعة وتحفة يستدعيهما فتأخرتا فكتب إليهما
(قل يا رسول لهذه ... ولِهذه بأبي هُمَّا)
(قد كان وصلكما لنَا ... حَسَناً ففيم قَطَعْتُما)
(أعريب سيّدةُ النساءِ ... بهجرنا أمرتْكُمَا)
(كلاّ وبيت الله بل ... هذا جفاءُ منكما)
عريب تغني صوتا من شعره
و أنشدني علي بن العباس لإبراهيم بن المدبر وفيه لعريب هزج وقال
(إلا يا بأبي أنتمْ ... نأت دارُ بنا عنكمْ)
(فإن كنتُم تبدلتُمْ ... فما مِنْ بَدَلً منكمْ)
(وإن كنتُم عَلَى العَهدِ ... فأحسنْتُم وأجملتمْ)
(ويا ليتَ المنى حَقَّت ... فنبديها ولا تَكتُمْ)
(فكنتُم حيثما كنا ... وكنَّا حيثما كنتم)
وحدثني علي قال حدثني أبي قال
دخلت ليلة على إبراهيم بن المدبر في أيام نكبته ببغداد في ليلة غيم فلاح برق من قطب الشمال ونحن نتحدث فقطع الحديث وأمسك ساعة مفكرا ثم اقبل علي فقال
((بارقُ شرَّد الكرى ... لاحَ مِن نحو ما تَرَى
(هاج للقلب شجوهَ ... فاعْتَرى منه ما اعترى)
(أيها الشادنُ الذي ... صاد قلبي وما درَى)
(كن عليماً بشِقْوَتي ... فيك من بين ذا الوَرَى)
و حدثني عن أبيه قال
كنت عند إبراهيم بن المدبر فزارته بدعة وتحفة وأقامتا عنده فأنشدنا يومئذ

(أيها الزائران حيا كما الله ... ومن أنتما له بالسّلامِ)
(ما رأينا في الدهر بدراً وشمساً ... طَرَقا ثم رجّعا بالكلامِ)
(كيف خلّفتما عريباً سقاها الله ... ربُّ العبَاد صوبَ الغَمامِ)
(هي كالشمس والحسانُ نجوم ... ليس ضوءُ النهار مثلَ الظلامِ)
(جمعتْ كلّ ما تفرّق في الناس ... وصارت فريدةً في الأنامِ)
و أنشدني عن أبيه لإبراهيم بن المدبر وهو محبوس
(و أني لأستنشي الشّمال إذا جرتْ ... حنيناً إلى ألاّف قلبي وأحبابي)
(وأهدي مع الريح الجنوب اليهمُ ... سلامي وَشكوَى طول حُزني وأوصابي)
(فياليت شعري هل عريب عليمةُ ... بذلك أو نام الأحبة عما بي)
حدثني عمي عن محمد بن داود قال
كان إبراهيم بن المدبر صديق أبي الصقر إسماعيل بن بلبل فلم يرض فعله لما نكب ولا نيابته عنه فقال فيه
(لا تطِل عذلي عناء ... إن في العذل بلاءَ)
(لست أبكي بطن مرٍّ ... فكديَّا فكَداء)
(إنما أبكي خليلا ... خانَ في الود الصفاءَ)
(يا أبا الصقر سقاك الله ... تَهتانا رواءَ)
(و أدام الله نَعماك ... وملاّك البقاءَ)
(لِمْ تجاهَلتَ ودادي ... وتناسيتَ الإخاءَ)
(كنت بَرّاً فعلى رأسي ... تعلّمت الجفاءَ)
(لا تميلّن مع الريح ... إذا هبّتْ رُخاء)
(ربّما هبّتْ عقيما ... تترك الدنيا هَبَاءَ)
اخبرني علي بن العباس قال حدثني أبي قال
كنت عند إبراهيم بن المدبر وزارته عريب فقال لها رأيت البارحة في النوم أبا العبيس وقد غنى في هذا الشعر وأنت تراسلينه فيه
(يا خليليّ أرقْنا حَزَنَا ... لسَنا بَرقٍ تبدَّى مَوْهنا)
وكأني أجزته بهذا البيت وسألتكما أن تضيفاه إلى الأول
(وجلا عن وجهِ دعدٍ مَوْهِنا ... عجباً منه سَنا أبدى سَنَاَ)
فقالت ما أملح والله الابتداء و الإجازة فاجعل ذلك في اليقظة واكتب إلى أبي العبيس وسله عني وعنك الحضور فكتب اليه إبراهيم
(يا أبا العباس يا أفتى الورى ... زارنا طيفُك في سُكْر الكرىَ)
(وتغنّى ليَ صوتاً حسناً ... في سَنَا برقٍ على الأفق سرى)
(وعريبُ عندنا حاصلةُ ... زينُ مَنْ يمشي على وجه الثَّرى)
(نحن أضيافُكَ في منزلنَا ... نتمناكَ فكن أنت القِرَى)
قال فسار إليهما أبو العبيس وحدثه إبراهيم برؤياه فحفظا الشعر وغنيا فيه بقيمة يومهما
صوت
(ألا حيِّ قبل البين من أنت عَاشقُهْ ... ومن أنت مشتاقُ إليه وشائقُهْ)
(ومن لا تواتي داره غيرَ فَينَةٍ ... ومن أنت تبكي كلَّ يوم تُفارقُه)
الشعر لقيس بن جروة الطائي الأجئي قاله في غارة أغارها عمرو بن هند على ابل لطيئ فحرض زرارة بن عدس عمرو بن هند على طيئ وقال له انهم يتوعدونك فغزاهم واتصلت الأحوال إلى أن أوقع عمرو ببني تميم في يوم أوارة وخبر ذلك يذكر ها هنا لتعلق بعض أخباره ببعض
والغناء لإبراهيم الموصلي ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي ومن مجموع غناء إبراهيم
ذكر الخبر في هذه الغارات والحروب
يوم أوارة
نسخت ذلك من كتاب عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات بخطه وذكر أن احمد بن الهيثم بن فراس اخبره به عن العمري عن هشام بن الكلبي عن أبيه وغيره من أشياخ طيئ قال وحدثني محمد بن أبي السري عن هشام بن الكلبي قالوا كان من حديث يوم أوارة أن عمرو بن المنذر بن ماء السماء وهو عمرو بن هند يعرف باسم أمه هند بنت الحارث الملك المنصور بن حجر آكل المرار الكندي وهو الذي يقال له مضرط الحجارة انه كان عاقد هذا الحي من طيئ على ألا ينازعوا ولا يفاخروا ولا يغزوا وان عمرو بن هند غزا اليمامة فرجع منفضا فمر بطيئ فقال له زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم الحنظلي أبيت اللعن أصب من هذا الحي شيئا قال له ويلك أن لهم عقدا قال وان كان فلم يزل به حتى أصاب نسوة وأذوادا فقال في ذلك الطائي وهو قيس بن جروة أحد الأجئيين قال
(إلا حيِّ قبل البين من أنت عاشقُهْ ... ومن أنت مشتاقُ إليه وشائقهْ)
(ومن لا تُواتي دارهِ غيرَ فَينةٍ ... ومن أنت تبكي كلِّ يوم تُفارقُهْ)
(وتعدو بصحراء الثويّةِ نَاقتي ... كعدو النَّحوص قدْ أمخّت نواهِقُهْ)
(إلي الملكِ الخيْر ابن هند تزوره ... وليس من الفوْت الذي هو سابقه)
(وإنّ نساءً هُنَّ ما قال قائلٍ ... غنيمةُ سوءٍ بينهنّ مهارقه)
(ولو نيل في عهدٍ لنا لحمُ أرنبٍ ... رَدَدْنا وهذا العهد أنت مُعالقه)
(فهبك ابنَ هند لم تعْفك أمانةُ ... وما المرء إلا عَقدة وَمواثِقُه)
(وكنا أناساً خافضين بنعمةٍ ... يسيل بنا تلْع المَلا و أبارقه)
(فأقسمتُ لا أحتلُّ إلاّ بصهوةٍ ... حرامُ عليّ رَملُه وشقائِقه)
((وأقسم جهداً بالمنازل من مِنًى ... وما خبّ في بطحائِهنّ دَرادِقُه)

(لئن لم تغَّير بعضَ ما قد فعلتُم ... لأنتحينّ العظم ذو أنا عارقهْ)
فسمي عارقا بهذا البيت فبلغ هذا الشعر عمرو بن هند فقال زرارة بن عدس ابيت اللعن انه يتوعدك فقال عمرو بن هند لترملة بن شعاث الطائي وهو ابن عم عارق أيهجوني ابن عمك ويتوعدني قال والله ما هجاك ولكنه قد قال
(والله لو كان ابنُ جفنةَ جاركمْ ... لَكَسَا الوجوه غضاضة وهوانا)
(وسلاسلاً يبرقن في أعناقكم ... وإذاً لقطع تكلم الأقرانا)
(ولكان عادتُه على جيرانه ... ذهباً ورَبطاً رادِعا وجِفانا)
قالوا الرداع المصبوغ بالزعفران وانما أراد ترمله أن يذهب سخيمته فقال والله لأقتلنه فبلغ ذلك عارقا فأنشأ يقول
(من مبلغ عَمرو بنَ هندٍ رسالةً ... إذا استحقبتها العِيس تنضى على البعد)
(أيوعدُني والرمل بيني وبينه ... تبين رويداً ما أمامهُ من هند)
(ومن أجإٍ دوني رِعانٌ كأنَّها ... قنابل خيل من كميت ومن وَرْدِ)
((غدرتَ بأمر أنت كنتَ اجتذبْتنا ... عليه وشرُّ الشيمة الغدرُ بالعهد)
(فقد يتركُ الغدرَ الفتى وطعامه ... إذا هو أمسى حَلبةٌ من دم الفصد)
فبلغ عمرو بن هند شعره هذا فغزا طيئا فأسر أسرى من طيئ من بني عدي بن اخزم وهم رهط حاتم بن عبد الله فيهم رجل من الأجئيين يقال له قيس بن جحدر وهو جد الطرماح بن حكيم وهو ابن خالة حاتم فوفد حاتم فيهم إلى عمرو بن هند وكذلك كان يصنع فسأله إياهم فوهبهم له إلا قيس بن جحدرٍ لأنه كان من الاجئيين من رهط عارق فقال حاتم
(فككت عديًّا كلَّها من إسارها ... فأنعِمْ وشفِّعني بقيس بن جَحْدَر)
(أبوه أبي و الأمهاتُ امهاتنا ... فأنعم فدتْكَ اليوم نفسي ومعْشري)
فأطلقه

خبر مالك بن المنذر عند زرارة بن عدس

قال وبلغنا أن المنذر بن ماء السماء وضع ابنا له صغيرا ويقال بل كان أخا له صغيرا يقال له مالك عند زرارة وانه خرج ذات يوم يتصيد فأخفق ولم يصب شيئا فرجع فمر بإبل لرجل من بني عبد الله بن دارم يقال له سويد بن ربيعة بن زيد بن عبد الله بن دارم وكان عند سويد ابنة زرارة بن عدس فولدت له سبعة غلمة فأمر مالك بن المنذر بناقة سمينة منها فنحرها ثم اشتوى وسويد نائم فلما انتبه شد على مالك بعصا فضربه بها فأمه
ومات الغلام وخرج سويد هاربا حتى لحق بمكة وعلم انه لا يأمن
فحالف بني نوفل بن عبد مناة واختط بمكة فمن ولده أبو اهاب بن عزيز بن قيس بن سويد وكانت طيئ تطلب عثرات زرارة وبني أبيه حتى بلغهم ما صنعوا بأخي الملك فأنشأ عمرو بن ثعلبة بن ملقط الطائي يقول
(من مبلغٌ عمراً بأنَّ المرء ... لم يُخلقْ صُبارهْ)
(وحوادث الأيام لا ... تبقي لها إلا الحجارهْ)
(أن ابن عِجزةِ أمه ... بالسَّفح أسفَلَ من أوارهْ)
قال هشام أول ولد المرأة يقال له زكمة والآخر عجزة
(... تسفِي الرياحُ خلاله سَحْياً وقد سَلبُوا إزاره)
(فاقتل زُرارةَ لا أرى ... في القوم أفضلَ من زُراره)

هرب زرارة بعد مصرع مالك

فلما بلغ هذا الشعر عمرو بن هند بكى حتى فاضت عيناه وبلغ الخبر زرارة فهرب وركب عمرو بن هند في طلبه فلم يقدر عليه فأخذ امرأته وهي حبلى فقال أذكر في بطنك أم أنثى قالت لا علم لي بذلك قال ما فعل زرارة الغادر الفاجر فقالت أن كان ما علمت لطيب العرق سمين المرق ويأكل ما وجد ولا يسأل عما فقد لا ينام ليلة يخاف ولا يشبع ليلة يضاف فبقر بطنها
فقال قوم زرارة لزرارة والله ما قتلت أخاه فأت الملك فاصدقه الخبر فأتاه زرارة فأخبره الخبر فقال جئني بسويد فقال قد لحق بمكة قال فعلي ببنيه السبعة فأتي ببنيه وبأمهم بنت زرارة وهم غلمة بعضهم فوق
بعض فأمر بقتلهم فتناولوا أحدهم فضربوا عنقه وتعلق بزرارة الآخرون فتناولوهم فقال زرارة يا بعضي دع بعضا فذهبت مثلا وقتلوا
وآلى عمرو بن هند بألية ليحرقن من بني حنظلة مائة رجل فخرج يريدهم وبعث على مقدمته الطائي عمرو بن ثعلبة بن عتاب بن ملقط فوجدوا القوم قد نذروا فأخذوا منهم ثمانية وتسعين رجلا بأسفل أوارة من ناحية البحرين فحبسهم ولحقه عمرو بن هند حتى انتهى إلى أوارة فضربت فيه قبته فأمر لهم بأخدود فحفر لهم ثم اضرمه نارا فلما احتدمت وتلظت قذف بهم فيها فاحترقوا

خبر أن الشقي وافد البراجم

و أقبل راكب من البراجم وهو بطن من بني حنظلة عند المساء ولا يدري بشيء مما كان يوضع له بعيره فأناخ فقال له عمرو بن هند ما جاء بك قال حب الطعام قد اقويت ثلاثا لم اذق طعاما فلما سطع الدخان ظننته دخان طعام فقال له عمرو بن هند ممن أنت قال من البراجم قال عمرو أن الشقي واقد البراجم فذهب مثلا ورمى به في النار فهجت العرب تميما بذلك فقال ابن الصعق العامري
(ألا أبلغْ لديكَ بني تميم ... بآية ما يُحبُّون الطعاما)
و أقام عمرو بن هند لا يرى أحدا فقيل له ابيت اللعن لو تحللت
بامراة منهم فقد احرقت تسعة وتسعين رجلا فدعا بامراة من بني حنظلة فقال لها من أنت قالت أنا الحمراء بنت ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم فقال أني لأظنك اعجمية فقالت ما أنا بأعجمية ولا ولدتني العجم
(إنّي لبنت ضَمرة بن جابر ... سادَ معداً كابِراً عن كابر)
(إني لأخت ضَمرة بن ضَمره ... إذا البلاد لُفِّعت بجمرهْ)
قال عمرو أما والله لولا مخافة أن تلدي مثلك لصرفتك عن النار قالت أما والذي أساله أن يضع وسادك ويخفض عمادك ويسلبك ملكك ما قتلت إلا نساء أعاليها ثدي وأسفلها دمي قال اقذفوها في النار فالتفتت فقالت ألا فتى يكون مكان عجوز فلما أبطؤوا عليها قالت صار الفتيان حمما فذهبت مثلا فأحرقت وكان زوجها يقال له هوذة بن جرول بن نهشل بن

دارم
شعر للقيط يعير فيه بني مالك
فقال لقيط بن زرارة يعير بني مالك بن حنظلة بأخذ من أخذ منهم الملك وقتله اياهم ونزولهم معه
(لمن دمنةٌ أقفرتْ بالجنابِ ... إلى السفح بين المَلاَ فالهضاب)
(بكيتَ لعرفان آياتها ... وهاج لكَ الشوقَ نعبُ الغرابِ)
(فأبلغ لديك بني مالك ... مغلغلةً وسراةَ الرِّباب)
(فإن امرأً أنتمُ حولَه ... تحفُّون قُبَّتَه بالقِبابِ)
(يُهينُ سراتكمُ عامداً ... ويقتلكم مثلَ قتل الكلابِ)
(فلو كنتم إبلاً أملحَت ... لقد نَزَعَتْ للمياه العذابِ)
(ولكنَّكمْ غَنمٌ تُصطفَى ... ويُترك سائرُها للذئابِ)
(لعمر أبيكَ أبي لخير ما ... أردتَ بقتلهمُ من صوابِ)
(ولا نعمةً إن خيرَ الملوك ... أفضلهم نعمةً في الرقابِ)
وفيها يقول الطرماح بن حكيم ويذكر هذا
(واسأل زُرارة و المأمورِ ما فعلت ... قَتْلَى أُوارةَ من رِعلان واللِّدد)
(ودارماً قد قذفنا منهمُ مائة ... في جاحِم النار إذ يُلقونَ بالخُدَد)
(ينزون بالمشتوي منها ويوقدُها ... عمرو ولولا شحوم القوم لم تَقِدِ)
قال فحدثني الكلبي عن المفضل الضبي قال
لما حضر زرارة الموت جمع بنيه وأهل بيته ثم قال انه لم يبق لي عند أحد من العرب وتر إلا قد أدركته غير تحضيض الطائي بن ملقط الملك علينا حتى صنع ما صنع فأيكم يضمن لي طلب ذلك من طيئ قال عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد أنا لك بذلك يا عم ومات زرارة فغزا عمرو بن عمرو جديلة ففاتوهم وأصاب ناسا من بني طريف بن مالك وطريف بن عمرو بن ثمامة وقال في ذلك شعرا
لقيط بن زرارة يخطب بنت ذي الجدين
وكان زرارة بن عدس بن زيد رجلا شريفا فنظرت ذات يوم إلى ابنه لقيط ورأى منه خيلاء ونشاطا وجعل يضرب غلمانه وهو يومئذ شاب
فقال له زرارة لقد أصبحت تصنع صنيعا كأنما جئتني بمائة من هجان المنذر بن ماء السماء أو نكحت بنت ذي الجدين بن قيس بن خالد قال لقيط لله علي إلا يمس رأسي غسل ولا آكل لحما ولا اشرب خمرا حتى أجمعهما جميعا أو أموت فخرج لقيط ومعه ابن خال له يقال له القراد بن إهاب وكلاهما كان شاعرا شريفا فسارا حتى أتيا بني شيبان فسلما على ناديهم ثم قال لقيط أفيكم قيس بن خالد ذو الجدين وكان سيد ربيعة يومئذ قالوا نعم قال فأيكم هو قال قيس أنا قيس فما حاجتك قال جئتك خاطبا ابنتك وكانت على قيس يمين ألا يخطب إليه أحد ابنته علانية ألا أصابه بشر وسمع به فقال له قيس ومن أنت قال أنا لقيط بن زرارة بن عدس بن زيد قال قيس عجبا منك ياذا القصة هلا كان هذا بيني وبينك قال ولم يا عم فو الله انك لرغبة وما بي من نضاة أي ما بي عار ولئن ناجيتك لا أخدعك ولئن عالنتك لا أفضحك فأعجب قيسا كلامه وقال كفء كريم إني زوجتك ومهرتك مائة ناقة ليس فيها مظائر ولا ناب ولا كزوم ولا تبيت عندنا عزبا ولا محروما ثم أرسل إلى أم الجارية أني قد زوجت لقيط بن زرارة ابنتي القدور فاصنعيها واضربي لها ذلك البلق فإن لقيط بن زرارة لا يبيت فينا عزبا وجلس لقيط يتحدث معهم فذكروا الغزو فقال لقيط أما الغزو فأردها للقاح وأهزلها للجمال وأما المقام فأسمنها للجمال وأحبها للنساء فأعجب ذلك قيسا و أمر لقيطا فذهب إلى البلق فجلس فيه وبعثت إليه أم الجارية بمجمرة وبخور وقالت للجارية اذهبي بها إليه فو الله لئن ردها ما فيه خير ولئن وضعها تحته ما فيه خير فلما جاءته الجارية بالمجمرة بخر شعره ولحيته ثم ردها عليها فلما رجعت الجارية إليها خبرتها بما صنع فقالت انه لخليق للخير فلما امسى لقيط أهديت الجارية إليه فمازحها بكلام اشمأزت منه فنام وطرح عليه طرف خميصة وباتت إلى جنبه فلما استثقل انسلت فرجعت إلى أمها فانتبه لقيط فلم يرها فخرج حتى أتى ابن خاله قراداً وهو في اسفل الوادي فقال ارحل بعيرك واياك أن يسمع رغاؤها
فتوجها إلى المنذر بن ماء السماء واصبح قيس ففقد لقيطاً فسكت ولم يدر ما الذي ذهب به ومضى لقيط حتى أتى المنذر فاخبره ما كان من قول أبيه وقوله فأعطاه مائة من هجائنه فبعث بها مع قراد إلى أبيه زرارة ثم مضى إلى كسرى فكساه وأعطاه جواهر ثم انصرف لقيط من عند كسرى فأتى أباه فاخبرة خبرة
وأقام يسيراً ثم خرج هو وقراد حتى جاءا محلة بني شيبان فوجداهم قد انتجعوا فخرجا في طلبهم حتى وقعا في الرمل فقال لقيط
(انظر قراد وهاتا نضرة جزعا ... عرض الشقائق هل بينت أظعانا)
(فيهن اترجة نضح العبير بها ... تكسي ترائبها شذرا ومرجانا)
وصية اب لابنته وهي ترحل للزواج فخرجا حتى اتيا قيس بن خالد فجهزها ابوها فلما ارادت الرحيل قال لها يا بنية كوني لزوجك أمة يكن لك عبداً وليكن اكثر طيبك الماء فانك إنما يذهب بك إلى الأعداء واراك أن ولدت فستلدين لنا غيظاً طويلاً واعلمي أن زوجك فارس مضر وانه يوشك أن يقتل أو يموت فلا تخمشي عليه وجهاً ولا تحلقي شعراً قالت له أما والله لقد ربيتني صغيرة واقصيتني كبيرة وزودتني عند الفراق شر زاد وارتحل بها لقيط فجعلت لا تمر بحي من العرب إلا قالت يالقيط اهؤلاء قومك فيقول لا حتى طلعت على محلة بني عبد الله بن دارم فرأت القباب والخيل العراب قالت يالقيط أهؤلاء قومك قال نعم فأقام اياماً يطعم وينحر ثم بنى بها فأقامت عنده حتى قتل يوم جبلة فبعث إليها أبوها أخا لها فحملت فلما ركبت بعيرها أقبلت حتى وقفت على نادي بني عبد الله بن دارم فقالت يا بني دارم اوصيكم بالغرائب خيراً فوالله ما رأيت مثل لقيط لم تخمش عليه امرأة وجهاً ولم تحلق عليه شعراً فلولا أني غريبة لخمشت وحلقت فحبب الله بين نساءكم وعادى بين رعائكم فاثنوا عليها خيراً
ثم مضت حتى قدمت على ابيها فزوجها من قومه فجعل زوجها يسمعها تذكر لقيطا وتحزن عليه فقال لها أي شيء رأيت من لقيط احسن في عينك قالت خرج يوم دجن وقد تطيب وشرب فطرد البقر فصرع منها ثم أتاني وبه نضح دماء فضمني ضمة وشمني شمة فليتني مت ثمة فلم أرى منظراً كان احسن من لقيط فمكث عنه حتى إذا كان يوم دجن شرب

وتطيب ثم ركب فطرد البقر ثم أتاها وبه نضح دم والطيب وريح الشراب فضمها إليه وقبلها ثم قال لها كيف ترين اانا أم لقيط فقالت ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان فذهبت مثلا وصداء ركية ليس في الأرض ركية أطيب منها وقد ذكرها التميمي في شعره

(أني وتهيامي بزينب كالذي ... يخالس من احواض صداء مشربا)
(يرى دون برد الماء هولا وذادة ... إذا اشتد صاحوا قبل أن يتحببا)

يقول قبل أن يروى يقال تحببت من الشراب أي رويت وبضعت منه ايضاً أي رويت منه والتحبب الري

صوت

(وكاتبه في الخد بالمسك جعفرا ... بنفسي مخط المسك من حيث أثرا)
(لئن كتبت في الخد سطراً بكفها ... لقد أودعت قلبي من الحب اسطرا)
(فيا من لمملوك لملك يمينه ... مطيع لها فيما اسر واظهرا)
(ويا من هواها في السريرة جعفر ... سقى الله من سقيا ثناياك جعفرا) الشعر لمحبوبة شاعرة المتوكل والغناء لعريب خفيف رمل مطلق

أخبار محبوبة

كانت محبوبة مولدة من مولدات البصرة شاعرة شريفة مطبوعة لا تكاد فضل الشاعرة اليمامية أن تتقدمها وكانت محبوبة اجمل من فضل واعف وملكها المتوكل وهي بكر اهداها له عبد الله بن طاهر وبقيت بعده فما طمع فيها أحد وكانت أيضا تغني غناء ليس بالفاخر البارع

فاقت علي بن الجهم في سرعة البديهة

أخبرني بذلك جحظة عن احمد بن حمدون واخبرني جعفر بن قدامة قال

حدثني علي بن يحيى المنجم كان علي بن الجهم يقرب من أنس المتوكل جدا ولا يكتمه شيئا من سره مع حرمه و أحاديث خلواته فقال له

يوما أني دخلت على قبيحة فوجدتها قد كتبت اسمي على خدها بغالية فلا و الله ما رأيت شيئا احسن من سواد تلك الغالية على بياض ذلك الخد فقل في هذا شيئا قال وكانت محبوبة حاضرة للكلام من وراء الستر وكان عبد الله بن طاهر أهداها في جملة أربعمائة وصيفة الى المتوكل قال فدعا علي بن الجهم بدواة فإلى أن أتوه بها وابتدأ يفكر قالت محبوبة على البديهة من غير فكر ولا روية

(وكاتبةٍ بالمسك في الخدِّ جعفرا ... بنفسي فخطُّ المسكِ من حيث أثَّرَا)
(لئن كتبتْ في الخد سطراً بكَفِّها ... لقد أودعتْ قلبي من الحبِّ أسطرَا)
(فيا مَنْ لمملوكٍ لِملكِ يمينه ... مطيعٍ له فيما أسرَّ وأظهرَا)
(ويا من مناها في السريرةِ جعفرُ ... سقى الله من سُقيا ثَناياك جعفرَا)

قال وبقي علي بن الجهم واجما لا ينطق بحرف وأمر المتوكل بالأبيات فبعث بها إلى عريب أمر أن تغني فيها قال علي بن يحيى قال علي بن الجهم بعد ذلك تحيرت والله وتقلبت خواطري فو الله ما قدرت على حرف واحد أقوله

شعرها في تفاحة

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني ابن خرداذبه قال حدثني علي بن الجهم قال كنت يوما عند المتوكل وهو يشرب ونحن بين يديه

فدفع إلى محبوبة تفاحة مغلفة فقلبتها وانصرفت عن حضرته إلى الموضع الذي كانت تجلس فيه إذا شرب ثم خرجت جارية لها ومعها رقعة فدفعتها إلى المتوكل فقرأها وضحك ضحكا شديدا ثم رمى بها إلينا فقرأناها وإذا فيها

(يا طيب تُفاحة خلوتُ بها ... تُشعل نارَ الهوى على كَبِدي)
(أبكي ليها وأشتكي دَنَفِي ... وما ألاقي من شدَّة الكَمَدِ)
(لو أن تفاحةً بكت لبكت ... من رحمتي هذه التي بيدي)
(أن كنتِ لا ترحمين ما لقيتْ ... نفسي من الجهد فارحمي جسدي)

قال فو الله ما بقي أحد إلا استظرفها واستملحها وأمر المتوكل فغني في هذا الشعر صوت شرب عليه بقية يومه

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم

أن جواري المتوكل تفرقن بعد قتله فصار إلى وصيف عدة منهن وأخذ محبوبة فيمن أخذ فاصطبح يوما وأمر بإحضار جواري المتوكل فأحضرن عليهن الثياب الملونة والمذهبة والحلي وقد تزين وتعطرن إلا محبوبة فإنها جاءت مرهاء متسلبة عليها ثياب بياض غير فاخرة حزنا على المتوكل فغنى الجواري جميعا وشربن وطرب وصيف وشرب ثم قال لها يا محبوبة غني فأخذت العود وغنت وهي تبكي وتقول

(ايُّ عيش يطيبُ لي ... لا أرى فيه جعفرَا)
(ملكا قد رأته عَيْني ... قتيلاً معفَّرَا)
((كلُّ من كان ذا هُيام ... وحزن فقد برَا
(غير محبوبةَ التي ... لو ترى الموتَ يُشترَى)
(لا شترته بمِلكها ... كُلُّ هذا لتُقبرَا)
(إن مَوْتَ الكئيبِ أصْلَح ... ُ من أن يعمِّرَا)

فاشتد ذلك على وصيف وهم بقتلها وكان بغا حاضرا فاستوهبها منه فوهبها له فأعتقها وأمر بإخراجها وان تكون بحيث تختار من البلاد فخرجت من سر من رأى إلى بغداد وأخملت ذكرها طول عمرها

خصام وصلح مع المتوكل

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني ملاوي الهيثمي قال قال لي علي بن الجهم

كانت محبوبة أهديت إلى المتوكل أهداها إليه عبد الله بن طاهر في جملة أربعمائة جارية وكانت بارعة الحسن والظرف والادب مغنية محسنة فحظيت عند المتوكل حتى انه كان يجلسها خلف ستارة وراء ظهره إذا جلس للشرب فيدخل رأسه إليها ويحدثها ويراها في كل ساعة

فغاضبها يوما وهجرها ومنع جواريه جميعا من كلامها ثم نازعته نفسه إليها و أراد ذلك ثم منعته العزة وامتنعت من ابتدائه

إدلالا عليه بمحلها منه قال علي بن الجهم فبكرت إليه يوما فقال لي أني رأيت البارحة محبوبة في نومي كأني قد صالحتها فقلت أقر الله عينك يا أمير المؤمنين و أنامك على خير وأيقظك على سرور وأرجوا أن يكون هذا الصلح في اليقظة فبينا هو يحدثني واجيبه إذا بوصيفة قد جاءته فأسرت إليه شيئا فقال لي أتدري ما أسرت هذه إلي قلت لا قال حدثتني أنها
اجتازت بمحبوبة الساعة وهي في حجرتها تغني أفلا تعجب من هذا إني مغاضبها وهي متهاونة بذلك لا تبدؤني بصلح ثم لا ترضى حتى تغني في حجرتها قم بنا يا علي حتى نسمع ما تغني ثم قام وتبعته حتى انتهى إلى حجرتها فإذا هي تغني وتقول
(أدور في القصر لا أرى أحداً ... اشكو إليه ولا يكلِّمُني)
(حتى كأني ركبتُ معصيةً ... ليستْ لها توبةٌ تُخلِّصني)
(فهل لنا شافعٌ إلى مَلِكٍ ... قد زارني في الكَرى فصالحني)
(حتى إذا ما الصباحُ لاح لنا ... عاد إلى هجره فصارمني)
فطرب المتوكل وأحست بمكانه فأمرت خدمها فخرجوا إليه وتنحينا وخرجت إليه فحدثته إنها رأته في منامها وقد صالحها فانتبهت وقالت هذه الأبيات وغنت فيها فحدثها هو أيضا برؤياه واصطلحا وبعث إلى كل واحد منا بجائزة وخلعة
ولما قتل تسلى عنه جميع جواريه غيرها فإنها لم تزل حزينة متسلبه هاجرة لكل لذة حتى ماتت ولها فيه مراث كثيرة
صوت
(يا ذا الّذي بعذابي ظلَّ مفتخرا ... هل أنت إلا مليكُ جارَ إذ قَدَرا)
(لولا الهوى لتجازينا على قَدَرٍ ... وإن أُفِقْ منه يوما ما فسوف تَرَى)
الشعر يقال انه للواثق قال في خادم له غضب عليه ويقال أن أبا حفص الشطرنجي قاله له
والغناء لعبيدة الطنبورية رمل مطلق وفيه لحن للواثق آخر قد ذكر في
أخبار عبيدة الطنبورية
كانت عبيدة من المحسنات المتقدمات في الصنعة و الآداب يشهد لها بذلك إسحاق وحسبها بشهادته وكان أبو حشيشة يعظمها ويعترف لها بالرياسة والأستاذية وكانت من احسن الناس وجها وأطيبهم صوتا ذكرها جحظة في كتاب الطنبوريين والطنبوريات وقرأت عليه خبرها فيه فقال كانت من المحسنات وكانت لا تخلو من عشق ولم يعرف في الدنيا امرأة اعظم منها في الطنبور وكانت لها صنعة عجيبة فمنها في الرمل
(كن لي شفيعاً إليكا ... إن خفَّ ذاك عليكا)
(وأعفني من سؤالي ... سواك ما في يديكا)
(يا مَنْ أُعِزُّ و أهوَى ... مالي أهونُ عليكا)
غنت في حضرة إسحاق الموصلي دون أن تعرفه
أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق قال قال لي علي بن الهيثم اليزيدي
كان أبو محمد يعني أبي رحمه الله إسحاق بن إبراهيم الموصلي يألفني ويدعوني ويعاشرني فجاء يوما إلى أبي الحسن إسحاق بن إبراهيم فلم يصادفه فرجع ومر بي وأنا مشرف من جناح لي فوقف وسلم علي وأخبرني بقصته وقال هل تنشط اليوم للميسر إلي فقلت له ما على الأرض شيء احب إلي من ذلك ولكني أخبرك بقصتي ولا أكتمك
فقال هاتها فقلت عندي اليوم محمد بن عمرو بن مسعدة وهارون بن احمد بن هشام وقد دعونا عبيدة الطنبورية وهي حاضرة والساعة يجيء الرجلان فامض في حفظ الله فإني أجلس معهم حتى تنتظم أمورهم و أروح إليك فقال لي فهلا عرضت علي المقام عندك فقلت له لو علمت أن ذلك مما تنشط له و الله لرغبت إليك فيه فإن تفضلت بذلك كان اعظم لمنئتك فقال أفعل فإني قد كنت أشتهي أن أسمع عبيدة ولكن لي عليك شريطة قلت هاتها قال إنها أن عرفتني وسألتموني أن اغني بحضرتها لم يخف عليها أمري وانقطعت فلم تصنع شيئا فدعوها على جبلتها فقلت إفعل ما أمرت به فنزل ورد دابته وعرفت صاحبي ما جرى فكتماها آمره وأكلنا ما حضر وقدم النبيذ فغنت لحنا لها تقول
(قريبٌ غيرُ مقتربِ ... ومؤتلِفُ كمجتنِبِ)
(له وُدّي ولي منه ... داوعي الهم والكُرَبِ)
(أواصلُه على سببٍ ... ويهجرني بلا سببِ)
(ويَظلمُني على ثقةٍ ... بإنّ إليهِ مُنْقَلَبي)
فطرب إسحاق وشرب نصفا ثم غنت وشرب نصفا ولم يزل
كذلك حتى والى بين عشرة أنصاف وشربناها معه وقام ليصلي فقال لها هارون بن احمد بن هشام ويحك يا عبيدة ما تبالين والله متى مت قالت ولم قال أتدرين من المستحسن غناءك والشارب عليه ما شرب قالت لا و الله قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي فلا تعرفيه انك قد عرفته فلما جاء إسحاق ابتدأت تغني فلحقتها هيبة له واختلاط فنقصت نقصانا بينا فقال لنا أعرفتموها من أنا فقلنا له نعم عرفها إياك هارون بن احمد فقال إسحاق نقوم إذا فننصرف فإنه لا خير في عشرتكم الليلة ولا فائدة لي ولا لكم فقام فانصرف
حدثني بهذا الخبر جحظة عن جماعة منهم العباس بن أبي العبيس فذكر مثله وقال فيه أن الصوت الذي غنته
(... يا ذا الذي بِعذَابي ظلَّ مفتخراً)
قدمها مسدود على نفسه
حدثني جحظة قال حدثني محمد بن سعيد الحاجب قال حدثني ملاحظ غلام أبي العباس بن الرشيد وكان في خدمة سعيد الحاجب قال
اجتمع الطنبوريون عند أبي العباس بن الرشيد يوما وفيهم المسدود وعبيدة فقالوا للمسدود غن فقال لا و الله لا تقدمت عبيدة وهي الأستاذة فما غنى حتى غنت
و حدثني جحظة قال حدثني شرائح الخزاعي صاحب ساباط شرائح بسويقة نصر وساباط شرائح مشهور قال
كانت عبيدة تعشقني فتزوجت فمرت بي يوماً فسألتها الدخول الي فقالت يا كشخان كيف أدخل إليك وقد أقعدت في بيتك صاحب مصلحة ولم تدخل
وحدثني جحظة قال

وهب لي جعفر بن المأمون طنبورها فإذا عليه مكتوب بأبنوس
(كل شيء سوى الخيانة ... في الحُبَّ يُحْتَمَلْ)
أخبار عن فسقها وفجورها
وحدثني جحظة وجعفر بن قدامة وخبر جعفر أتم إلا أني قرأته على جحظة فعرفه وذكر لي انه سمعه قالا جميعا حدثنا احمد بن الطيب السرخسي قال
كان علي بن أحمد بن بسطام المروزي وهو ابن بنت شبيب بن واج وشبيب أحد النفر الذي سترهم المنصور خلف قبته يوم قتل أبا مسلم وقال لهم إذا صفقت فاخرجوا فاضربوه بسيوفكم ففعل وفعلوا فكان علي بن احمد هذا يتعشق عبيدة الطنبورية وهو شاب وانفق عليها مالا جليلا فكتبت إليه أسأله عن خبرها ومن هي ومن أين خرجت فكتب الي كانت عبيدة بنت رجل يقال له صباح مولى أبي السمراء الغساني نديم عبد الله بن طاهر وأبو السمراء أحد العدة الذين وصلهم عبد الله بن طاهر في يوم واحد لكل رجل منهم مائة ألف دينار وكان الزبيدي الطنبوري أخو نظم العمياء يختلف إلى أبي السمراء وكان صباح صاحب أبي السمراء فكان الزبيدي إذا سار إلى أبي السمراء فلم يصادفه أقام عند صباح والد عبيدة وبات وشرب وغنى و انس وكان لعبيدة صوت حسن وطبع جيد فسمعت غناء الزبيدي فوقع في قلبها واشتهته وسمع الزبيدي صوتها وعرف طبعها فعلمها وواظب عليها ومات أبوها ورقت حالها وقد حذقت الغناء على الطنبور فخرجت تغني وتقنع باليسير وكانت مليحة مقبولة خفيفة الروح فلم يزل أمرها يزيد حتى تقدمت وكبر حظها واشتهاها الناس وحلت تكتها وسمحت ورغب فيها الفتيان فكان أول من تعشقها علي بن الفرج الرخجي أخو عمر وكان حسن الوجه كثير المال فكنت أراها عنده وكنا نتعاشر على الفروسية ثم ولدت من علي بن الفرج بنتا فحجبها لأجل ذلك فكانت تحتال في الأوقات بعلة الحمام وغيره فتلم بمن كانت توده ويودها فكنت ممن تلم به وأنا حينئذ شاب ورثت عن أبي مالا عظيما وضياعا جليلة ثم ماتت بنتها من علي بن الفرج وصادف ذلك نكبتهم واختلال حال علي بن الفرج فطلقها فخرجت فكانت تخرج بدينارين للنهار وبدينارين لليل واعترت بأبي السمراء ونزلت في بعض دوره
وتزوجت أمها بوكيل له فتعشقت غلاما من آل حمزة بن مالك يقال له شرائح وهو صاحب ساباط شرائح ببغداد وكان يغني بالمعزفة غناء
مليحا وكان حسن الوجه لا عيب في جماله إلا انه كان متغير النكهة وكانت شديدة الغلمة لا تحرم أحدا ولا تكرهه من حد الكهول إلى الطفل حتى تعلقت شابا يعرف بأبي كرب بن أبي الخطاب مشرط الوجه أفطس قبيحا شديد الأدمة فقيل لها أي شيْ رأيت في أبي كرب فقالت قد تمتعت بكل جنس من الرجال إلا السودان فان نفسي تبشعهم وهذا بين الأسود والابيض وبيته فارغ لما أريد وهو صفعاني إذا أردت ووكيلي إذا أردت قال وكان لها غلام يضرب عليها يقال له علي ويلقب ظئر عبيدة فكانت إذا خلت في البيت وشبقت اعتمدت عليه وقالت هو بمنزلة بغل الطحان يصلح للحمل والطحن والركوب وكان عمروبن بانة إذا حصل عنده إخوان له يدعوها لهم تغنيهم مع جواريه وإنما عرفها من داري لانه بعث يدعوني فدخل غلامه قرآها عندي فوصفها له فكتب إلي يسألني أن أجيئه بها معي ففعلت وكان عنده محمد بن عمرو بن مسعدة والحارث بن جمعة والحسن بن سليمان البرقي وهارون بن احمد بن هشام فعدلوا كلهم إلى استماع غنائها والاقتراح له والإقبال عليه ومال إليها جواريه وما خرجت إلا وقد عقدت بين الجماعة مودة وكان جواري عمرو بن بانة يشتقن إليها فيسألنه أن يدعوها فيقول لهن ابعثن إلى علي حتى يبعث بها إليكن فإنه يميل إليها وهو
صديقي و أخشى أن يظن أني قد أفسدتها عليه ولم يكن به هذا إنما كان به الديناران اللذان كان يريد أن يحدرها بهما وكان عمرو من أبخل الناس وكان صوت إسحاق بن إبراهيم عليها
(... يا ذا الذي بعذابي ظل مفتخرا)
وكان صوت علويه ومخارق عليها
(... قريب غير مقترب)
وهذان الصوتان جميعا من صنعتها
إسحاق يرثيها
وكان إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يشتهي أن يسمعها ويمنع نفسه ذلك لتيهه ولبدمكته وتوقيه أن يبلغ المعتصم عنه شيء يعيبه وماتت عبيدة من نزف أصابها فأفرط حتى أتلفها
وفي عبيدة يقول بعض الشعراء ومن الناس من ينسبه إلى إسحاق
(أمست عُبيدةُ في الاحسان واحدةً ... فاللهُ جارُ لها من كلِّ محذور)
(من احسَن الناس وجها حين تُبصرُها ... وأحذقِ الناس أن غنّت بطنبور)
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال سمعت إسحاق يقول الطنبور إذا تجاوز عبيدة هذيان
صوت
(سَقِمتُ حتى ملَّني العائُد ... وذبتُ حتى شَمِتَ الحاسدُ)
(وكنتُ خِلواً من رسيس الهوى ... حتى رماني طرفُكَ الصائدُ)
الشعر فيما أخبرني به جحظة لخالد الكاتب ووجدته في شعر محمد بن أمية له والغناء لأحمد بن صدقة الطنبوري رمل مطلق
وقد مضت أخبار خالد الكاتب و محمد بن أمية ونذكر ها هنا أخبار احمد بن صدقة
أخبار أحمد بن صدقة
هو احمد بن صدقة بن أبي صدقة وكان أبوه حجازيا مغنيا قدم على الرشيد وغنى له وقد ذكرت أخباره في صدر هذا الكتاب
وكان احمد بن صدقة طنبوريا محسنا مقدما حاذقا حسن الغناء محكم الصنعة وله غناء كثير من الأرمال و الأهزاج وما جرى مجراها من غناء الطنبوريين وكان ينزل الشام فوصف للمتوكل فأمر بإحضاره فقدم عليه وغناه فاستحسن غناءه وأجزل صلته واشتهاه الناس وكثر من يدعوه فكسب بذلك اكثر مما كسبه مع المتوكل أضعافا
أخبرني بذلك جحظة و قال

كانت له صنعة ظريفة كثيرة ذكر منها الصوت المتقدم ذكره ووصفه وقرظه وذكر بعده هذا الصوت
(وشادنٍ ينطِق بالظَّرفِ ... حُسنُ حبيبي منتهى الوصفِ)
(هام فؤادي وجرت عَبْرتي ... لا بُعْدَ الإلْفُ من الإلفِ)
قال وهو رمل مطلق ولو حلفت أنهما ليسا عند أحد من مغني زماننا إلا عند واحد ما حنثت يعني نفسه

خبره مع خالد بن يزيد

حدثني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني احمد بن صدقة قال
اجتزت بخالد بن يزيد الكاتب فقلت له أنشدني بيتين من شعرك حتى اغني فيهما قال و أي حظ لي في ذلك تأخذ أنت الجائزة و أحصل أنا الإثم فحلفت له أني أن أفدت بشعرك فائدة جعلت لك فيها حظا أو أذكرت به الخليفة وسألته فيك أما الحظ من جهتك فأنت أنزل من ذلك ولكن عسى أن تفلح في مسألة الخليفة ثم أنشدني
(تقولُ سلا فمن المدنَفُ ... ومَنْ عينُه أبداً تَذْرِفُ)
(ومَنْ قلبُه قَلِق خافقٌ ... عليك وأحشاؤه ترجُفُ)
فلما جلس المأمون للشرب دعاني وقد كان غضب على حظية له فحضرت مع المغنين فلما طابت نفسه وجهت إليه بتفاحة من عنبر عليها مكتوب بالذهب يا سيدي سلوت وعلم الله أني ما عرفت شيئا من الخبر
و انتهى الدور الي فغنيت البيتين فاحمر وجه المأمون وانقلبت عيناه وقال لي يا بن الفاعلة ألك علي وعلى حرمي صاحب خبر فوثبت و قلت يا سيدي ما السبب فقال لي من أين عرفت قصتي مع جاريتي فغنيت في معنى ما بيننا فحلفت له أني لا أعرف شيئا من ذلك و حدثته حديثي مع خالد فلما انتهيت إلى قوله أنت انزل من ذلك ضحك وقال صدق وإن هذا الاتفاق ظريف ثم أمر لي بخمسة آلاف درهم ولخالد بمثلها

دخل على المأمون يوم السعانين

أخبرني محمد قال حدثنا حماد قال حدثني أحمد بن صدقة قال
دخلت على المأمون في يوم السعانين وبين يديه عشرون وصيفة جلبا روميات مزنرات قد تزين بالديباج الرومي وعلقن في أعناقهن صلبان الذهب وفي أيديهن الخوص و الزيتون فقال لي المأمون ويلك يا أحمد قد قلت في هؤلاء أبياتا فغنني فيها
ثم أنشدني قوله
(ظِباءٌ كالدنانير ... مِلاحٌ في المقاصير)
(جَلاهُنَّ السعانينُ ... علينا في الزنانير)
(و قد زَرَّفن أصداغاً ... كأذنابِ الزرازير)
(وأقبلن بأوساطٍ ... كأوساط الزنابير)
فحفظتها وغنيته فيها فلم يزل يشرب و ترقص الوصائف بين يديه أنواع الرقص من الدستبند إلى الإيلا حتى سكر فأمر لي بألفِ
دينار و أمر بأن ينثر على الجواري ثلاثة آلاف دينار فقبضت الألف ونثرت الثلاثة الألاف عليهن فانتهبتها معهن
حدثني جحظة قال حدثني جعفر بن المأمون قال
اجتمعنا عند الفضل بن العباس بن المأمون ومعنا المسدود بن صدقة وكان أحمد قد حلق في ذلك اليوم رأسه فاستعجلوا بسلافة كانت لهم فأخذ المسدود سكرجة خردل فصبها على راس أحمد بن صدقة و قال كلوا هذه حتى تجيء تلك فحلف أحمد بالطلاق إلا يقيم فانصرف ولما كان من غد جمعهما الفضل بن العباس فتقدم المسدود ودخل أحمد وطنبور المسدود موضوع فجسه ثم قال من كان يسبح في هذا الماء فلما انتفعنا بالمسدود سائر يومه على أن الفضل قد خلع عليهما وحملهما
ولم يزل أحمد مقيما حتى بلغه موت بنية له بالشأم فشخص نحو منزله وخرج عليه الأعراب فأخذوا ما معه وقتلوه قال جحظة
وقال بعض الشعراء يهجو احمد بن صدقة وكانت له صديقة فقطعته فعيره بذلك و نسبها إلى إنها هربت منه لانه أبخر
(هربتْ صديقة أحمدٍ ... هربتْ من الرِّيقِ الرّدِي)
(هربت فإن عادت إلى ... طُنبوره فاقطعْ يدي)

صوت

(ألم تعلَموا أني تُخاف عَرامتي ... و أن قَناتي لا تلينُ على القَسْرْ)
(و إني و إياكم كمن نبَّه القَطا ... ولو لم تُنبَّه باتت الطيرُ لا تسْرِي)
(أناةً و حلماً و انتظاراً بكم غداً ... فما أنا بالواني ولا الضَّرِع الغُمرِ)
(أظُنُّ صروفَ الدهر والجهل منكمُ ... ستحملكم منِّي على مَركَب وَعْرِ)
الشعر للحارث بن وعلة الجرمي و الغناء لابن جامع ثقيل بالبنصر عن عمرو وفيه لسياط لحن ذكره إبراهيم ولم يجنسه و قيل أن الشعر لوعلة نفسه

أخبار الحارث بن وعلة

اسمه و نسبه

الحارث بن وعلة بن عبد الله بن الحارث بن بلع بن سبيلة بن الهون بن أعجب بن قدامة بن حرم بن زبان وهو علاف و إليه تنسب الرحال العلافية وهو أول من اتخذها بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وقد ذكرت متقدما الاختلاف في قضاعة ومن نسبه معديا ومن نسبه حميريا
و الرحال العلافية مشهورة عند الناس قد ذكرتها الشعراء في أشعارها قال ذو الرمة
(وليلٍ كجلبابِ العَروسِ ادرعتُه ... بأربعة و الشخَّصُ في العين واحدُ)
(أحَمُّ عِلافيٌّ وأبيضُ صارمٌ ... وأعيسُ مَهْريٌّ وأروعُ ماجدُ)
وكان وعلة الجرمي وابنه الحارث من فرسان قضاعة و أنجادها و أعلامها وشعرائها وشهد وعلة الكلاب الثاني فأفلت بعد أن أدركه قيس بن عاصم المنقري و طلبه فقاته ركضا و عدوا و خبره يذكر بعد هذا في موضعه أن شاء الله تعالى
فأخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي قال

كتب عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث إلى الحجاج متبدئا أما بعد فإن مثلي و مثلك كما قال القائل
(سائلْ مُجاورَ جَرمْ هل جنيتُ لها ... حَرْبا تفرقّ بين الجِيرة الخُلُطِ)
(أم هل دلفتُ بجرَّار له لَجبُ ... يَغشَى الأماعيزَ بين السّهلِ و الفُرُطِ)
والشعر لوعلة الجرمي هذا مثلي و مثلك فسأحملك على أصبعه وأريحك من مركبه
فكتب الحجاج بذلك إلى عبد الملك فكتب إليه جوابه أما بعد فإني قد أجبت عدو الرحمن بلا حول ولا قوة إلا بالله و لعمر الله لقد صدق و خلع سلطان الله بيمينه و طاعته بشماله و خرج من الدين عريانا كما ولدته أمه
ثم لم يصبر عبد الملك على أن يدع جوابه بشعر فقال وعلى أن مثلي و مثله ما قال الآخر
(أناةً وحِملاً وانتظاراً بكُم غدا ... فما أنا بالواني ولا الضَرِعِ الغَمْرِ)
(أظُنّ صروفَ الدهر و الجهلَ منهمُ ... ستحمِلُهم منّي على مَركَب وعْرِ)
فليت شعري أسما عدو الرحمن لدعائم دين الله يهدمها أم رام الخلافة أن ينالها وأوشك أن يوهن الله شوكته فاستعن بالله واعلم أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
قال مؤلف هذا الكتاب الشعر الذي تمثل به عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث لوعلة الجرمي والشعر الذي تمثل به عبد الملك لابنه الحارث بن وعلة
أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثني طلحة بن عبد الله الطلحي عن احمد بن إبراهيم عن أبي عبيدة قال
قتلت نهد أخا وعلة الجرمي فاستعان بقومه فلم يعينوه فاستعان بحلفاء من بني نمير و كانوا له حلفاء و إخوانا فأعونوه حتى أدرك بثأره فقال في ذلك
(سائل مُجاورَ جَرمٍ هل جنيتُ لها ... حربا تُزيِّل بين الجيرة الْخُلطُ)
(أم هل علوتُ بجرَّار له لُجبُ ... يغشى المخارمَ بين السهلِ والفُرُطِ)
(حتى تركتُ نساءَ الحي ضاحيةً ... في ساحة الدار يستوقدْنَ بالغُبُطِ)
فراره من قيس بن عاصم
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي قال
خرج رجل من بني تميم انه قيس بن عاصم قال الرياشي و حقق أبو عبيدة انه قيس يوم الكلاب يلتمس أن يصيب رجلا من ملوك اليمن له فداء فبينا هو في ذلك إذ أدرك وعلة الجرمي وعليه مقطعات له فقال له على يمينك قال على يساري أقصد لي قال هيهات منك اليمن قال العراق مني أبعد قال انك لن ترى أهلك العام قال ولا أهلك تراهم و جعل وعلة يركض فرسه فإذا ظن إنها قد أعيت وثب عنها فعدا معها وصاح بها فتجري وهو يجاريها فإذا أعيا وثب فركبها حتى نجا فسأل عنه قيس فعرف انه وعلة الجرمي فانصرف و تركه فقال وعلة في ذلك
(فِدىً لكما رحْليَّ أمّي و خالتي ... غداة الكُلاب إذ تُحَزُّ الدَّوابرُ)
(نجوتُ نجاء لم يرِ الناسُ مثلَه ... كأنّي عقابٌ عند تَيْمن كاسرُ)
(ولما رأيت الخيلَ تدعو مُقاعِساً ... تنازعني من ثغرةِ النحر جائِز)
(فإن استطع لا تلتبسْ بي مقاعِسُ ... ولا يرني ميدنهم و المحاضر)
(ولا تك لي جرَّارة مضريّةٌ ... إذا ما غدت قوت العيال تُبادر)
أما قوله تحز الداوبر فان أهل اليمن لما انهزموا قال قيس بن عاصم لقومه لا تشتغلوا بأسرهم فيفوتكم أكثرهم ولكن اتبعوا المنهزمين فجزوا أعصابهم من أعقابهم ودعوهم في مواضعهم فإذا لم يبق أحد رجعتم إليهم فأخذتموهم ففعلوا ذلك أهل اليمن يومئذ ثمانية آلاف عليهم
أربعة املاك يقال لهم اليزيدون وهم يزيد بن عبد المدان ويزيد بن هوبر و يزيد بن المأمور و يزيد بن مخزم هؤلاء الأربعة اليزيدون و الخامس عبد يغوث بن وقاص فقتل اليزيدون أربعتهم في الوقعة و أسر عبد يغوث بن وقاص فقتلته الرباب برجل منها وقد ذكر خبر مقتله متقدما في صوت يغني فيه وهو
(... إلا لا تلوماني كفى اللومَ مَابيا)
وأما قوله
(... ولما رأيتُ الخيلَ تدعو مُقاعِساً)
فإن بني تميم لما التقت مع بني الحارث بن كعب في هذا اليوم تداعت تميم في المعمعة يا آل كعب فتنادى أهل اليمن يا آل كعب فتنادوا يا آل الحارث فتنادى أهل اليمن يا آل الحارث فتنادوا يا آل مقاعس وتميزوا بها من أهل اليمن
صوت
(و الله لا نظرتْ عيني إليكَ ولو ... سالتَ مَساربها شوقاً إليكَ دَمَا)
(أن كنت خنتُ ولم أضمر خيانتكمْ ... فالله يأخذ ممن خانَ أو ظَلَمَا)
(سماجة لمُحبٍّ خان صاحبه ... ما خان قطُّ محبٌّ يعرف الكرَمَا)
الشعر لعلي بن عبد الله الجعفري و الغناء للقاسم بن زرزور و لحنه ثقيل أول مطلق ابتداؤه نشيد و كان إبراهيم بن أبي العبيس يذكر انه لأبيه
أخبار علي بن عبد الله بن جعفر و نسبه
هو علي بن عبد الله بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليهم السلام و أمه ولادة بنت الحجل بن عنبسة بن سعيد بن العاصي بن أمية
شاعر ظريف حجازي كان عمر بن الفرج الرخجي حمله من الحجاز إلى سر من رأى مع من حمل من الطالبيين فحبسه المتوكل معهم
حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود الزرقي قال حدثنا عمر بن عثمان الزهري المعروف بابن أبي قباحة قال
رفع عمر بن الفرج علي بن عبد الله بن جعفر الجعفري إلى المتوكل أيام حج المنتصر فحبسه المتوكل لأنه كان شيخ القوم وكبيرهم وكان أغلظ لعمر بن الفرج
كان متدينا في شعره
قال علي بن عبد الله مكثت في الحبس مدة فدخل علي رجل من الكتاب يوما فقال أريد هذا الجعفري الذي تديث في

شعره فقلت له إلي فأنا هو فعدل إلي وقال جعلت فداك أحب أن تنشدني بيتيك اللذين تديثت فيهما فأنشدته
(ولما بدا لي أنهما لا تودني ... و أن هواها ليس عني بمُنجَلِ)
(تمنّيتُ أن تهوى سواي لعلّها ... تذوقُ حراراتِ الهوى فترقّ لي)
قال فكتبهما ثم قال لي اسمع جعلت فداك بيتين قلتهما في الغيرة فقلت هاتهما فأنشدني
(ربما سرَّني صدودُك عنيِّ ... في طلابيكِ وامتناعكِ منّي)
(حذراً أن أكونَ مِفتاح غيري ... فإذا ما خلوت كنت التّمنّي)
انفته و كبرياؤه
حدثني اليزيدي قال حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال أخبرني العباس بن عيسى العقيلي أن علي بن عبد الله الجعفري أنشده
(والله والله ربّي ... وتلكَ أقصى يَميني)
(لو شئتُ إلا أصلّي ... لما وضعت جَبيني)
حدثنا اليزيدي قال حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال أخبرني العباس بن عيسى قال حدثني علي بن عبد الله الجعفري قال
مرت بي امرأة في الطواف و أنا جالس أنشد صديقا لي هذا البيت
(أهوى هَوى الدين واللذاتُ تُعجبني ... فكيفَ لي بهوى اللذات والدين)
فالتفتت المرأة إلي و قالت دع أيهما شئت وخذ الآخر
حدثنا اليزيدي قال حدثنا محمد بن الحسن الزرقي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال أنشدني علي بن عبد الله بن جعفر الجعفري لنفسه
(و الله لا نظرتْ عيني إليكَ ولو ... سالت مساربُها شوقا إليكَ دما)
((إلا مفاجأة عند اللقاء ولا ... نازعتكِ الدهرَ إلا ناسياً كَلما
(أن كنت خُنت ولم أضمرْ خيانتكم ... فا لله يأخذ ممن خان أو ظلما)
(سماجَةُ لمحبٍّ خان صاحبَه ... ما خان قطُّ محبٌّ يَعرف الكَرَما)
قال عبد الله بن شبيب علي بن عبد الله لنفسه
صوت
(وقف الهوى بي حيثُ أنت فليس لي ... متأخَّر عنه ولا مُتقدَّمُ)
(أجِد الملامةَ في هواكِ لذيذةً ... حُبّاً لذكركِ فلْيلُمني اللُّوَّمُ)
(وَ أهَنتِني فأهنت نفسيَ جاهداً ... ما من يهون عليك ممن يُكرمُ)
(أشبهتِ أعدائي فَصِرتُ أحبُّهم ... إذ صار حظي منكِ حظيَ منهمُ)
صوت
(أتعرفُ رسمَ الدار من أمِّ معبدِ ... نعم فرِماكَ الشوقُ قبل التجلُّد)
(فيالكَ مِنْ شوقٍ ويا لكَ عبَرة ... سوابقُها مِثل الجُمانِ المبدَّد)
الشعر لعتيبة بن مرداس المعروف بابن فسوة والغناء لجميلة خفيف ثقيل بالبنصر عن ابن المكي
وذكر الهشامي أن فيه لمعبد لحنا من الثقيل الأول وانه يظنه مكن منحول يحيى إليه
أخبار عتيبة ونسبه
عتيبة بن مرداس أحد بني كعب بن عمرو بن تميم لم يقع إلي من نسبه غير هذا وهو شاعر مقل غير معدود في الفحول مخضرم ممن أدرك الجاهلية والإسلام هجاء خبيث اللسان بذي
سبب تلقيبه بابن فسوة
وابن فسوة لقب لزمه في نفسه و لم يكن أبوه يلقب بفسوة إنما لقب هو بهذا وقد اختلف في سبب تلقيبه بذلك فذكر إسحاق الموصلي عن أبي عمرو الشيباني نسخت ذلك من كتاب إسحاق بخطه
أن عتيبة بن مرداس كان فاحشا كثير الشر قد أدرك الجاهلية فأقبل ابن عم له من الحج وكان من أهل بيت منهم يقال لهم بنو فسوة فقال لهم عتيبة كيف كنت يا بن فسوة فوثب مغضبا فركب راحلته و قال بئس لعمر اللّه ما حييت به ابن عمك قدم عليك من سفر و نزل دارك فقام إليه عتيبة مستحييا وقال له لا تغضب يا بن عم فإنما مازحتك فأبى أن ينزل فقال له انزل و أنا اشتري منك هذا الاسم فاتسمى به وظن أن ذلك لا يضره قال لا أفعل أو تشتريه مني بمحضر من العشيرة قال نعم فجمعهم وأعطاه بردا وجملا وكبشين وقال لهم عتيبة اشهدوا أني قد قبلت هذا النبز و أخذت الثمن و أني ابن فسوة فزالت عن ابن عمه يومئذ
وغلبت عليه وهجي بذلك فقال فيه بعض الشعراء
(... أوَدى ابنُ فسوة إلا نَعْتَه الإبلا)
و عمر عمرا طويلا و إنما قال
(... أودى ابنُ فسوة إلا نَعْتَه الأبلا)
لأنه كان أوصف الناس لها وأغراهم بوصفها ليس له كبير شعر إلا وهو مضمن وصفها
سبب آخر للقبة
و أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال
إنما سمي عتيبة بن مرداس ابن فسوة لأنه كان له جار من عبد القيس فكان يتحدث إلى ابنته وكان لها حظ من جمال و كانت تعجبه ويهيم بها فكان أحداث بني تميم إذا ذكروا العبدي قالوا قال ابن فسوة و فعل ابن فسوة فأكثروا عليه من ذلك حتى مل فعمل على التحول عنهم و بلغ ذلك عتيبة فأتاه فطلب إليه أن يقيم و أن يحتمل اسمه و يشتريه منه ببعير فلم يفعل قال العبدي فتحولت عنهم وشاع في الناس انه قد ابتاع مني و غلب عليه فأنشأ عتيبة يقول من كلمة له
(وَحوَّلَ مولانا علينا اسمَ أمه ... إلا رُبَّ مولىً ناقص غير زائدِ)
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثنا أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي وابن دأب وابن حعدبة قالوا

أتى عتيبة بن مرداس وهو ابن فسوة عبد الله بن العباس عليهما السلام وهو عامل لعلي بن أبي طالب صلوات الله عليه على البصرة
و تحته يومئذ شميلة بنت جنادة ابن بنت أبي أزهر الزهرانية وكانت قبله تحت مجاشع بن مسعود السلمي فأستأذن عليه فأذن له وكان لا يزال يأتي أمراء البصرة فيمدحهم فيعطونه و يخافون لسانه فلما دخل على ابن عباس قال له ما جاء بك إلي يا بن فسوة فقال له وهل عنك مقصر أو وراءك معدى جئتك لتعينني على مروءتي وتصل قرابتي فقال له ابن عباس وما مروءة من يعصي الرحمن ويقول البهتان و يقطع ما أمر الله به أن يوصل و الله لئن أعطيتك لاعيننك على الكفر و العصيان انطلق فأنا أقسم بالله لئن بلغني انك هجوت أحدا من العرب لأقطعن لسانك فأراد الكلام فمنعه من حضر وحبسه يومه ذلك ثم أخرجه عن البصرة

مدح الحسن و ابن جعفر

فوفد إلى المدينة بعد مقتل علي عليه السلام فلقي الحسن بن علي عليهما السلام وعبد الله بن جعفر عليهما السلام فسألاه عن خبره مع ابن عباس عليه السلام فأخبرهما فاشتريا عرضه بما أرضاه فقال عتيبة يمدح الحسن جعفر عليهما السلام و يلوم ابن عباس رضي الله عنهما

(أتيتُ ابنَ عباس فلم يقضِ حاجتي ... و لم يَرْجُ معروفي و لم يُخشَ منكَري)
(حُبستُ فلم أنطق بعذر لحاجةٍ ... وسدَّ خَصاص البيت من كل منظر)
(وجئت و أصوات الخصوم وراءه ... كصوت الحمام في القَليب المغوَّر)
(وما أنا إذ زاحمتُ مصراعَ بابه ... بذي صَوْلَة ضارٍ ولا بحزَوَّر)
(فلو كنتُ مِن زهرانَ لم ينس حاجتي ... و لكنني مولى جميل بن مَعْمَر

وكان حليفا لجميل بن معمر القرشي

(وباتَتْ لعبد الله مِن دونِ حاجتي ... شُمَيلةُ تلهو بالحديث المفتَّر)
(ولم يَقتربْ من ضوءِ نارٍ تحثُّها ... شُميلة إلا أن تَصلّى بمِجْمر)
(تُطالع أهلَ السوق و البابُ دونَهَا ... بمستفلِكِ الذِّفرى أسيلِ المدثَّر)
(إذا هي همّتْ بالخروج يردُّها ... عن الباب مصراعا مُنيف مجيَّر)

وجدت بخط إسحاق الموصلي مجير محير و المحير المصهرج و الحيار الصهروج

(فليت قَلوصي عُرِّيتْ أو رِحلتُها ... إلى حَسن في داره و ابن جعفر)
(إلى ابن رسول الله يأمر بالتقى ... وللدين يدعو و الكتابِ المطهَّر)
(إلى معشرٍ لا يخصِفون نعالهم ... ولا يلبسون السِّبتَ ما لم يُخصَّر)
(فلما عرفتُ البأسَ منه وقد بدتْ ... أيادي سَبا الحاجاتِ للمتذكِّر)
(تَسنَّمتُ حرجوجاً كان بُغامَها ... أحيح ابن ماء في يراعٍ مُفَجَّر)
(فما زلتُ في التَّسيارِ حتى أنختُها ... إلى ابنِ رسول الأمَّةِ المتخيَّر)
(فلا تَدعُنّي إذْ رحلتُ إليكمُ ... بني هاشم أن تُصْدروني بِمصدر)

وهي قصيدة طويلة هذا ذكر في الخبر منها
وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبد العزيز الجوهري و احمد بن عبيد الله بن عمار عن عمر بن شبة عن المدائني مثل ما مضى أو قريبا منه ولم يتجاوز عمر بن شبة المدائني في إسناده

كان خبيث اللسان مخوف المعرة

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسن بن الحرون قال قال ابن الأعرابي
كان عتيبة بن مرداس السلمي شاعرا خبيث اللسان مخوف المعرة في جاهليته وإسلامه و كان يقدم على أمراء العراق وأشراف الناس فيصيب منهم بشعره فقدم على ابن عامر بن كريز و كان جوادا فلما استؤذن له عليه أرسل إليه انك و الله ما تسأل بحسب ولا دين ولا منزلة وما أرى لرجل من قريش أن يعطيك شيئا و أمر به فلكز و أهين فقال ابن فسوة

(و كائن تخطَّتْ ناقتي ورَميلُها ... إلى ابن كُريز مِنْ نُحوسٍ وأسْعُدِ)
(وأغبر مَسْحولِ الترابِ تَرى له ... حيا طرِدتْه الريحُ مِن كل مَطْرَدِ)
(لعمرك إني عند باب ابن عامر ... لكالظّبي عند الرَّميةِ المتردِّدِ)
(فلم أر يوماً مثله إذ تكشفت ... ضبابتُه عنّي ولمَّا أقيِّدِ)

فبلغ قوله ابن عامر فخاف لسانه وما يأتي به بعد هذا ورجع له وأحسن القوم رفدة و قالوا هذا شاعر فارس و شيخ من شيوخ قومه واليسير
يرضيه فقال ردوه فرد فقال له ايه يا عتيبة اردد علي ما قلت فقال ما قلت إلا خيرا قال هاته فقال قلت

(أتعرفُ رسم الدار من أم معبَدٍ ... نعم فرماك الشوقُ قبلَ التجلُّدِ)
(فيا لكَ من شوقٍ ويا لك عَبرةً ... سوابقُها مِثل الجُمان المبدَّدِ)
(وكائنْ تخطتْ ناقتي وزميلُها ... إلى ابن كُريزٍ من نحوسٍ وأسعُدِ)
(فتى يشتري حُسنَ الثّناء بماله ... ويعلم أنّ المرء غيرُ مخلَّدِ)
(إذا ما ملمّاتُ الأمور اعترينَه ... تجلّى الدُّجى عن كوكب مُتوقِّد)

فتبسم ابن عامر و قال لعمري ما هكذا قلت و لكنه قول مستأنف وأعطاه حتى رضي وانصرف

ابن الأعرابي يستجيد أبياتا له فينشدها

قال وأنشدنا ابن الأعرابي له بعقب هذا الخبر و كان يستحسن هذه الأبيات و يستجيدها

(منعّمةٌ لم يُغذها أهلُ بلدةٍ ... ولا أهلُ مصرٍ فهي هيفاءُ ناهِدُ)
(فريعتْ فلم تخبا و لكن تأوّدتْ ... كما انتصَّ مكحولُ المدامعِ فاردُ)
(وأهوت لتنتاشَ الرّواق فلم تَقُم ... إليه ولكن طأطأتْه الولائدُ)
(قليلة لحم الناظرَين يَزينها ... شبابٌ ومحفوضٌ من العيش بَاردُ)
(تناهى إلى لهو الحديثِ كأنها ... أخو سَقَمٍ قد أسلمته العوائدُ)
(ترى القُرطَ منْها في قناة كأنها ... بمهلكة لولا البُرا والمَعاقِدُ)

وقال أبو عمرو الشيباني
أغار رجل من بني تغلب يقال له الهذيل بعقب مقتل عثمان على بني تميم فأصاب نعما كثيرا فورد بها ماء لبني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم يقال له سفار فإذا عليه الأسود و خالد ابنا نعيم بن قعنب بن الحارث بن عمرو بن همام بن رياح في إبل لهما قد أورداها فأراد الهذيل أخذها فتفرقت فتفرق اصحابه في طلبها وهو قائم على راس ركية من سفار فرماه أحدهما فقتله فوقع في الركية فكانت قبره ويقال بل رماه عبد اسود لمالك بن عروة المازني فقال عتيبة بن مرداس الذي يقال له ابن فسوة في ذلك
(مَنْ مبلغٌ فتيان تغلبَ أنه ... خلا للهذيل من سفار قَلِيبُ)
(إذا صوَّت الأصداء صوَّت وسطَها ... فتى تغلبيٌّ في القَلِيب غريبُ)
(فأعددتُ يربوعاً لِتَغلب إنهم ... أناس غذتهم فتنةٌ وحروب)
(حويتَ لقاحَ ابني نُعيم بن قَعنب ... وإنك إن أحرزتها لكسوبُ)
وقال أبو عمرو أيضا
كان عبد الله بن عامر بن كريز قد تزوج أخت بشر بن كهف أحد بني خزاعة بن مازن فكان أثيراً عنده واستعمله على الحمى فسأله ابن فسوة أن يرعيه فأبى ومنعه وطرد ابله فقال في ذلك
(مَنْ يكُ أرعاه الحمى أخواتُه ... فما ليَ من أختٍ عوانٍ ولا بِكر)
(وماضرَّها أن لم تكن رعت الحمى ... ولم تطلب الخير الممنع من بشر
(متى يجيء يوما إلى المال وارثي ... يجد قبض كف غير ملأى ولا صفر)
(يجد مهرة مثل القناة طمرة ... وغضب إذا ماهز لم يرض بالهبر)
(فإن تمنعوا منها حماكم فإنه ... مباح لها ما بين إنبط فالكدر)
(إذا ما امرؤ أثنى بفضل ابن عمه ... فلعنه رب العالمين على بشر)
مدح قومه وهجا بني سعد
وقال أبو عمرو الشيباني ونسخته أيضاً من خط إسحاق الموصلي وجمعت الروايتين
أن ابن فسوة نزل ببني سعد بن مالك من بني قيس بن ثعلبة وبات بهم ومعه جارية له يقال لها جوزاء فسرقوا عيبة له فيها ثيابه و ثياب جاريته فرحل عنهم فلما عاد إلى قومه أعلمهم ما فعله به بنو سعد بن مالك فركب معه فرسان منهم حتى اغاروا على إبل لبني سعد فأخذوا منها صرمة واستاقوها فدفعوها إليه فقال يمدح قومه ويهجو بني سعد بقوله
(جزى اللهُ قومي من شفيعٍ وشَاهِدٍ ... جزاء سليمانَ النَّبيِّ المكرَّم)
(همُ القومُ لا قومُ ابن دارةً سالم ... ولا ضابئُ إذ أسْلِمَا شرَّ مُسلم)
(وما عيبةُ الجوزاء إذ غدرتْ بها ... سَرَاةُ بني قيسٍ بسرٍّ مكتَّم)
(إذا ما لَقِيت الحيَّ سعدَ بنَ مالك ... على زَمٍّ فانزل خائفاً أو تقدّم
(أناسُ أجارونا فكان جِوارُهمْ ... شَعَاعاً كلحمِ الجازرِ المتقسَّم)
(لقد دنِستْ أعراض سعدِ بن مالك ... كما دَنِستْ رجلُ البغيِّ من الدَّم)
(لهم نِسوة طُلْس الثياب مَواجنُ ... ينادين من يبتاعُ عوداً بدِرهمْ)
(إذا أيِّمٌ قيسيّةُ مات بعلُها ... و كان لها جارٌ فليستْ بأيِّم)
(يمشّي ابنُ بشرٍ بينهنّ مقابلاً ... بأيرٍ كأيرِ الارجحّي المخرَّم)
(إذا رَاح من أبياتِهنّ كأنَّما ... طليْتَ بتنُّوم قفاه وخمخِم)
وفيه رواية إسحاق
(تسوق الجواري مَنْخَراه كأنّما ... دَلكنَ بتنُّوم قفاه و خمخم)
صوت
(قد طال شوقي وعادني طربي ... من ذكر خَوْدٍ كريمةِ النسب)
(غراء مثل الهلال صورتها ... أو مثل تمثال صورة الذهب)
و يروي بيعة الرهب الشعر لعبد الله بن العجلان النهدي و الغناء لمالك ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى
عن إسحاق وله فيه أيضا خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو وذكر الهشامي انه لابن مسجح
أخبار عبد الله بن العجلان
هو عبد الله بن العجلان بن عبد الاحب بن عامر بن كعب بن صباح بن نهد بن زيد بن ليث بن اسود بن اسلم بن الحاف بن قضاعة شاعر جاهلي أحد المتيمين من الشعراء ومن قتله الحب منهم
و كانت له زوجة يقال لها هند فطلقها ثم ندم على ذلك فتزوجت زوجا غيره فمات أسفا عليها
قصته مع امرأته هند
أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال
كان عبد الله بن العجلان النهدي سيدا في قومه و ابن سيد من ساداتهم و كان أبوه أكثر بني نهد مالا و كانت هند امرأة عبد الله بن العجلان التي يذكرها في شعره امرأة من قومه من بني نهد و كانت احب الناس إليه وأحظاهم عنده فمكثت معه سنين سبعا أو ثمانيا لم تلد فقال له أبوه انه لا ولد لي غيرك ولا ولد لك وهذه المرأة عاقر فطلقها و تزوج غيرها فأبى ذلك عليه فآلى إلا يكلمه أبدا حتى يطلقها فأقام على أمره ثم عمد إليه يوما وقد شرب الخمر حتى سكر وهو جالس مع هند فأرسل إليه أن صر إلي فقالت له هند لا تمض إليه فو الله ما
يريدك لخير و إنما يريدك لأنه بلغه انك سكران فطمع فيك أن يقسم عليك فتطلقني فنم مكانك ولا تمض إليه فأبى وعصاها فتعلقت بثوبه فضربها بمسواك فأرسلته و كان في يدها زعفران فأثر في ثوبه مكان يدها و مضى إلى أبيه فعادوه في أمرها وأنبه و ضعفه و جمع عليه مشيخة الحي وفتيانهم فتناولوه بألسنتهم و عيروه بشغفه بها و ضعف حزمه و لم يزالوا به حتى طلقها فلما اصبح خبر بذلك و قد علمت به هند فاحتجبت عنه و عادت إلى أبيها فأسف عليها أسفا شديدا فلما رجعت إلى أبيها خطبها رجل من بني نمير فزوجها أبوها منه فبنى بها عندهم و أخرجها إلى بلده فلم يزل عبد الله بن العجلان دنفا سقيما يقول فيها الشعر ويبكيها حتى مات أسفا عليها و عرضوا عليه فتيات الحي جميعا فلم يقبل

واحدة منهن و قال في طلاقه إياها
(فارقتُ هنداً طائعاً ... فندمت عندَ فراقِها)
(فالعينُ تذْري دمعةً ... كالدُّر من آماقِها)
(متحلِّياً فوق الرداء ... يجول من رَقْرَاقِها)
(خَوْدُ رِداحٌ طَفْلَةٌ ... ما الفحش من أخلاقِها)
(و لقد ألذُّ حديثَها ... و أسرُّ عند عناقِها
وفي هذه القصيدة يقول
(إن كنتِ ساقيةً بِبُزْل ... الادْمِ أو بحِقاقِها)
(فاسقِي بني نهدٍ إذا ... شربوا خيار زقاقِها)
(فالخيل تعلم كيف نُلْحِقها ... غداة لحاقِها)
(بأسنّةٍ زُرْق صَبَحْنا ... القَوْمَ حدِّ رقاقِها)
(حتى ترى قصد القنا ... والبِيضَ في أعناقِها)
قال أبو عمرو الشيباني
لما طلق عبد الله بن العجلان هندا أنكحت في بني عامر و كانت بينهم وبين نهد مغاورات فجمعت نهد لبني عامر جميعا فأغاروا على طوائف منهم فيهم بنو العجلان وبنو الوحيد و بنو الحريش و بنو قشير و نذروا بهم فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزمت بنو عامر و غنمت نهد أموالهم و قتل في المعركة ابن لمعاوية بن قشير بن كعب وسبعة بنين له و قرط وجدعان ابنا سلمة بن قشير و مرداس بن جزعة بن كعب و حسين بن عمرو بن معاوية ومسحقة بن المجمع الجعفي فقال عبد الله بن العجلان في ذلك
(ألا أبلغ بني العجلان عني ... فلا يُنْبيك بالَحدثان غيري)
(بأنا قد قتلنا الخير قُرْطاً ... وَ جُرنا في سَرَاةِ بني قشير)
(وأفلتَنا بنو شكَلٍ رجالاً ... حُفاةً يربئون على سُمَيْر)
امرأة قيسية ترثي قتلى قيس
وقالت امرأة من بني قيس ترثي قتلاهم
(أصبتمْ يا بني نهدِ بن زيد ... قُروماً عند قعقعة السلاح)
(إذا اشتد الزمان و كان محلاً ... وَ حاذر فيه إخْوانُ السماح)
(أهانوا المال في اللَّزبات صبراً ... وَ جادوا بالمتالي و اللقاح)
(فبكِّي مالكاً وَابْكي بجيراً ... وَ شدّاداً لمشتجِر الرماح)
(وَ كعباً فاندبيه معاً وَ قُرطا ... أولئك معشري هدُّوا جناحي)
(و بكِّي إن بكَيْتِ على حُسيْلٍ ... وَ مرداس قتيلْ بني صباح)
قال و أسر عبد الله بن العجلان رجلا من بني الوحيد فمن عليه وأطلقه ووعده الوحيدي الثواب فلم يف فقال عبد الله
(وَ قالوا لن تنال الدهر فقراً ... إذا شكرتْك نعمتَك الوحيدُ)
(فيا ندما ندمت على رِزَام ... وَ مُخْلِفِه كما خُلِع العَتُودُ)
قال أبو عمرو ثم أن بني عامر جمعوا لبني نهد فقالت هند امرأة عبد الله بن العجلان التي كانت ناكحا فيهم لغلام منهم يتيم فقير من بني عامر لك خمس عشرة ناقة على أن تأتي قومي فتنذرهم قبل أن يأتيهم بنو عامر فقال أفعل فحملته على ناقة لزوجها ناجية وزودته تمرا ووطبا من لبن فركب فجد في السير و فني اللبن فأتاهم و الحي
خلوف في غزو و ميرة فنزل بهم و قد يبس لسانه فلما كلموه لم يقدر على أن يجيبهم وأومأ لهم إلى لسانه فأمر خراش بن عبد الله بلبن وسمن فأسخن و سقاه إياه فابتل لسانه و تكلم و قال لهم أتيتم أنا رسول هند إليكم تنذركم فاجتمعت بنو نهد و استعدت ووافتهم بنو عامر فلحقوهم على الخيل فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت بنو عامر فقال عبد الله بن العجلان في ذلك
(عَاودَ عيني نصبُها وَ غرورها ... أهَمٌّ عَنَاها أم قَذَاها يعورُها)
(أم الدار أمستْ قد تعفّت كأنها ... زبورُ يمانٍ رقشته سطورُها)
(ذكرت بها هنداً وأترابَها الألَى ... بها يكذب الواشي وُيْعصى أميرُها)
(فما مَعْوِلٌ تبكي لفقد أليفها ... إذا ذكرته لا يكفُّ زفيرُها)
(بأغزر مني عبرة إذ رأيتها ... بحث بها قبل الصباح بعيرها)
(ألم يأت هنداً كيفما صُنْعُ قومِها ... بني عامر إذ جاء يسعى نَذِيرُها)
(فقالوا لنا إنَّا نحبّ لقاءكم ... و إنا نحيِّي أرضكم و نزورها)
(فقلنا إذا لا تَنْكُل الدهر عنكمُ ... بصُمِّ القنا اللائي الدماءَ تُميرها)
(فلا غرو أنَّ الخيل تَنْحِط في القنا ... تمطَّرُ من تحت العوالي ذكُورها)
(تأوَّهُ مما مَسَّها من كريهةٍ ... و تُصغِي الخدود و الرماحُ تَصورها)
(وأربابها صرعى ببُرْقَةِ أخربٍ ... تُجَرِّرُهُمْ ضُبعانها ونُسورها)
((فأبلغ أبا الحجاج عني رسالةً ... مغلغلة لا يَغْلَينْك بُسُورُها
(فأنت منعت السلم يومَ لقيتنا ... بكفَّيك تُسْدِي غَيَّةً و تنيرها)
(فذوقوا على ما كان من فرط إحْنَة ... حلائبنا إذْ غابَ عنا نصيرها)
كيف انتهى حبه لهند
قال أبو عمرو فلما اشتد ما بعبد الله بن العجلان من السقم خرج سرا من أبيه مخاطرا بنفسه حتى أتى أرض بني عامر لا يرهب ما بينهم من الشر و الترات حتى نزل ببني نمير و قصد خباء هند فلما قارب دارها رآها وهي جالسة على الحوض وزوجها يسقي و يذود الإبل عن مائة فلما نظر إليها و نظرت إليه رمى بنفسه عن بعيره و أقبل يشتد إليها وأقبلت تشتد إليه فاعتنق كل واحد منهما صاحبه و جعلا يبكيان و ينشجان و يشهقان حتى سقطا على وجوههما و أقبل زوج هند ينظر ما حالهما فوجدهما ميتين

قال أبو عمرو و أخبرني بعض بني نهد أن عبد الله بن العجلان أراد المضي إلى بلادهم فمنعه أبوه و خوفه الثارات و قال نجتمع معهم في الشهر الحرام بعكاظ أو بمكة و لم يزل يدافعه بذلك حتى جاء الوقت فحج و حج أبوه معه فنظر إلى زوج هند وهو يطوف بالبيت وأثر كفها في ثوبه بخلوق فرجع إلى أبيه في منزله و أخبره بما رأى ثم سقط على وجهه فمات هذه رواية أبي عمرو
وقد أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني عبد الله بن علي بن
الحسن قال حدثنا نصر بن علي عن الاصمعي عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن أيوب عن ابن سيرين قال
خرج عبد الله بن العجلان في الجاهلية فقال
(ألا إنَّ هنداً أصبحت منك محرماً ... و أصبحت من أدنى حُمُوَّتها حَمَا)
(وأصبحتُ كالمقمور جفْن سلاحه ... يقلّب بالكفين قوساً وأسهمَا)
ثم مد بها صوته فمات
قال ابن سيرين فما سمعت أحدا مات عشقا غير هذا وهذا الخبر عندي خطأ لأن أكثر الرواة يروي هذين البيتين لمسافر بن أبي عمرو بن أمية قالهما لما خرج إلى النعمان بن المنذر يستعينه في مهر هند بنت عتبة بن ربيعة فقدم أبو سفيان بن حرب فسأله عن أخبار مكة و هل حدث بعده شيء فقال لا إلا أني تزوجت هندا بنت عتبة فمات مسافرا أسفا عليها و يدل على صحة ذلك قوله
(... وأصبحت من أدنى حموَّتها حما)
لأنه ابن عم أبي سفيان بن حرب لحا و ليس النميري المتزوج هندا النهدية ابن عم عبد الله بن العجلان فيكون من أحمائها و القول الأول على هذا أصح

مختارات من شعره في هند

ومن مختار ما قاله ابن العجلان في هند
(ألا أبلغا هنداً سلامي فإن نأتْ ... فقلبيَ مذ شطَّتْ بها الدارُ مدنَفْ)
(ولم أر هنداً بعد موقفِ ساعة ... بأنْعَمَ في أهل الديارِ تطوَّف)
(أتتْ بين أتراب تَمَايَسُ إذ مشتْ ... دبيب القطا أوهنَّ منهنّ أقطَفُ)
(يباكرْنَ مِرْآةً جليّاً و تارةً ... ذكيّاً وبالأيْدي مَدَاكُ ومِسْوَفُ)
(أشارت إلينا في خَفَاقٍ وراءَها ... سراةُ الضُّحى مني على الحيِّ موقفُ)
(وقالت تباعد يا بن عمي فإنني ... منيت بذي صول يغار ويعنف)
أخبرني الحسن بن علي قال أنشدنا فضل اليزيدي عن إسحاق لعبد الله بن العجلان النهدي قال إسحاق وفيه غناء
(خليليَّ زورا قبل شحْط النوى هندا ... ولا تأمنا مِنْ دَارِ ذِي لَطَفٍ بُعْدا)
(ولا تعجلا لم يَدْرِ صاحبُ حاجةٍ ... أغيّاً يلاقي في التعجُّلِ أم رُشْدا)
(ومرّا عليها بارك الله فيكما ... وإن لم تكن هندٌ لوجهيكما قَصْدَا)
(و قولا لها ليس الضلال أجازَنا ... و لكنَّنا جزْنا لنلقاكُمُ عَمْدا)

صوت

(ألا يا ظبيةَ البلَدِ ... براني طولُ ذا الكمدِ)
(فرِّدي يا معذِّبتي ... فؤادي أو خُذي جسدِي
(بُليتُ لِشقوتي بكُمُ ... غلاماً ظاهِرَ الجلَدْ)
(فشيَّبَ حبُّكم رأسي ... و بيَّض هجرُكم كبدي)
الشعر للمؤمل بن أميل و الغناء لإبراهيم ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق

أخبار المؤمل و نسبه

المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر شاعر كوفي من مخضرمي شعراء الدولتين الأموية و العباسية و كانت شهرته في العباسية أكثر لأنه كان من الجند المرتزقة معهم ومن يخصهم و يخدمهم من أوليائهم وانقطع إلى المهدي في حياة أبيه و بعده وهو صالح المذهب في شعره ليس من المبرزين الفحول ولا المرذولين وفي شعره لين وله طبع صالح
و كان يهوى امرأة من أهل الحيرة يقال لها هند و فيها يقول قصيدته المشهورة
(شف المؤمِّل يوم الحيرة النظرُ ... ليت المؤملَ لم يُخلق له بَصَرُ)
يقال إنه رأى في منامه رجلا أدخل أصبعيه في عينيه وقال هذا ما تمنيت فأصبح أعمى

المنصور يسترد ما اغدقه عليه المهدي

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا عبد الله بن الحسن الحراني قال حدثني أبو قدامة قال حدثني المؤمل قال
قدمت على المهدي وهو بالري وهو إذ ذاك ولي عهد فامتدحته بأبيات فأمر لي بعشرين ألف درهم فكتب بذلك صاحب البريد إلى أبي جعفر المنصور وهو بمدينة السلام يخبره أن الأمير المهدي أمر لشاعر بعشرين ألف درهم فكتب إليه يعذله و يلومه و يقول له إنما ينبغي أن تعطي لشاعر بعد أن يقيم ببابك سنة أربعة آلاف درهم و كتب إلى كاتب المهدي أن يوجه إليه بالشاعر فطلب ولم يقدر عليه وكتب إلى أبي جعفر انه قد يوجه إلى مدينة السلام فأجلس قائدا من قوداه على جسر النهروان وأمره أن يتصفح الناس رجلا رجلا فجعل لا يمر به قافلة إلا تصفح من فيها حتى مرت به القافلة التي فيها المؤمل فتصفحهم فلما سأله من أنت قال أنا المؤمل بن أميل المحاربي الشاعر أحد زوار الأمير المهدي فقال إياك طلبت قال المؤمل فكاد قلبي ينصدع خوفا من أبي جعفر
فقبض علي وأسلمني إلى الربيع فأدخلني إلى أبي جعفر و قال له هذا الشاعر الذي أخذ من المهدي عشرين آلفا قد ظفرنا به فقال أدخلوه الي فأدخلت إليه فسلمت تسليم فزع مروع فرد السلام و قال ليس لك ها هنا إلا خير أنت المؤمل بن أميل قلت
نعم اصلح الله أمير المؤمنين أنا المؤمل بن أميل قال أتيت غلاما غرا كريما فخدعته فانخدع قلت نعم أصلح الله الأمير أتيت غلاما غرا كريما فخدعته فانخدع قال فكأن ذلك أعجبه فقال أنشدني ما قلت فيه فأنشدته

قصيدته في المهدي
(هو المهديُّ إلا أن فيه ... مشابهةً من القمر المنير
(تشابه ذا و ذا فهما إذا ما ... أنارا مُشكلانِ على البصير)
(فهذا في الظلام سراجُ ليلٍ ... و هذا في النهار ضياءُ نُورِ)
(و لكن فضَّل الرحمن هذا ... على ذا بالمنابر و السَّرير)
(وبالمُلْك العزيز فذا أميرٌ ... و ماذا بالأمير ولا الوزير)
(و بعضَ الشهر ينقصُ ذا وهذا ... منُير عند نقصانِ الشهور)
(فيا بن خليفة الله المصفَّي ... به تعلو مفاخرةُ الفخور)
(لئن فَتَّ الملوكَ و قد توافَوْا ... إليكَ مِن السهولة والوعور)
(لقد سبق الملوك أبوك حتى ... بقوا من بين كابٍ أو حَسير)
(و جئت مصلياً تجري حثِيثاً ... و ما بِك حين تجري من فُتور)
(فقال الناس ما هذان إلا ... كما بينَ الخليق إلى الجدير)
(لئن سبق الكبيرُ لأهلُ سَبْقٍ ... له فضلُ الكبيرِ على الصَّغير)
(وَ إن بلغ الصغيرُ مَدَى كبيرٍ ... فقد خُلِق الصغيرُ من الكَبير)
فقال و الله لقد أحسنت و لكن هذا لا يساوي عشرين ألف درهم فأين المال قلت هو هذا قال يا ربيع امض معه فأعطه أربعة آلاف درهم وخذ الباقي قال المؤمل فخرج معي الربيع وحط ثقلي ووزن لي من المال أربعة آلاف درهم و أخذ الباقي فلما ولي المهدي الخلافة ولي ابن ثوبان المظالم فكان يجلس للناس بالرصافة فأذا ملأ كساءه رقاعا رفعها إلى المهدي فرفعت إليه رقعة فلما دخل بها ابن ثوبان جعل المهدي ينظر في الرقاع حتى إذا وصل إلى رقعتي ضحك فقال له ابن ثوبان أصلح الله أمير المؤمنين ما رأيتك ضحكت من شيء من هذه الرقاع إلا الرقعة فقال هذه رقعة أعرف سببها ردوا إليه عشرين ألف درهم فردوها إلي و انصرفت
مبايعته لموسى و هارون
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن سعد بن أبي سعد قال حدثني الحكم بن موسى السلولي قال حدثني سعد بن أخي العوفي قال
قدم على المهدي في بيعة ابن ابنيه موسى وهارون المؤمل بن أميل المحاربي و الحسين بن يزيد بن أبي الحكم السلولي و قد أوفدهما هاشم بن سعد الحميري من الكوفة فقدما على المهدي في عسكره فأنشده المؤمل
(هاك يباعَنا يا خير و الٍ ... فقد جُدْنا به لكَ طائعينا)
(فإن تفعلْ فأنت لذاك أهلٌ ... ففضلك يا بنَ خير الناس فينا)
(وعَدلك يا بن وارث خَير خَلْق ... نبيِّ اللهِ خَيْر المرسلينا)
((فإن أبا أبيكَ وأنتَ منه ... هو العبَّاسُ وارثُه يقِينا
(أبان به الكتابُ وذاك حقٌ ... ولسنا للكتابِ مُكَذِّبينا)
(بكم فُتِحتْ وأنتم غير شك ... لها بالعَدل أكرمُ خاتمينا)
(فدونَكَها فأنتَ لها محلٌ ... حَباك بِها إلهُ العالمينا)
(ولو قِيدَتْ لغَيركُم اشمأزَّت ... وأعْيَتْ أن تُطيعَ القائدينا)
فأمر لهما بثلاثين ألف درهم فجيء بالمال فألقي بينهما فأخذ كل واحد منهما بدرة وصدع الأخرى بينهما فأخذ هذا نصفا وهذا نصفا
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عبد الله بن أمين عن أبي محمد اليزيدي عن المؤمل بن أميل قال
صرت إلى المهدي بجرجان فمدحته بقولي
(تعزَّ ودعْ عنك سَلمى وسِرْ ... حثيثاً على سائراتِ اليَغالِ)
(وكل جوادٍ له مَيْعَةٌ ... يَخُبُّ بسرحِكَ بعدَ الكلاَلِ)
(إلى الشمس شمس بني هاشمٍ ... وما الشمسُ كالبَدْر أو كالهلالِ)
(و يُضحكه أن يدومَ السؤالُ ... و يُتلف في ضحكه كلَّ مالِ)
فاستحسنها المهدي وأمر لي بعشرة آلاف ردهم و شاع الشعر و كان في عسكره رجل يعرف بأبي الهوسات يغني فغنى في الشعر لرفقائه و بلغ ذلك المهدي فبعث إليه سرا فدخل عليه فغناه فأمر له بخمسة
آلاف درهم و أمر لي بعشرة آلاف درهم أخرى و كتب بذلك صاحب البريد إلى المنصور
ثم ذكر باقي الخبر على ما تقدم قبله و زاد فيه
أن المنصور قال له جئت إلى غلام حدث فخدعته حتى أعطاك من مال الله عشرين ألف درهم لشعر قلته فيه غير جيد و أعطاك من رقيق المسلمين ما لا يملكه و أعطاك من الكراع و الأثاث ما أسرف فيه يا ربيع خذ منه ثمانية عشر ألف درهم و أعطه ألفين و لاتعرض لشيء من الأثاث و الدواب و الرقيق ففي ذلك غناؤه فأخذت مني بخواتهما ووضعت في الخزائن فلما ولي المهدي دخلت إليه في المتظلمين فلما رآني ضحك و قال مظلمة أعرفها ولا احتاج إلى بينة عليها و جعل يضحك و أمر بالمال فرد إلي بعينه وزاد فيه عشرة آلاف
كان شيخا مصفرا أعمى
أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني حذيفة بن محمد الطائي قال حدثني أبي قال
رأيت المؤمَّل شيخاً مُصفَرّاً نحيفاً أعمى فقلت له لقد صدقت في قولك
(وقد زعموا لي أنها نذرت دَمي ... و مالي بحَمدِ الله لحمٌ وَ لا دمُ)
فقال نعم فديتك و ما كنت أقول إلا حقا
قال محمد بن القاسم و حدثني عبد الله بن طاهر أن أول هذا الشعر
(حلمتُ بكم في نَوْمتي فغضبتُمُ ... ولا ذنب لي أن كنتُ في النوم أحلُمُ)

(سأطردُ عني النومَ كيلا أراكمُ ... إذا ما أتاني النَّومُ و الناس نُوَّم
(تُصَارِمُنِي و الله يعلم أنَّني ... أبرُّبها من والديْها وأرحَمُ)
صوت
(و قد زعموا لي إنها نذرت دمي ... وما لي بحمدِ الله لحمٌ ولا دمُ)
(برى حبُّها لحمي ولم يُبقِ لي دَما ... وإن زعموا أني صحيح مسلَّمِ)
(فلم أرِ مثلَ الحب صحٌ سقيمهُ ... ولا مثل من لا يعرف الحبَّ يسقُمُ)
(ستقتُلُ جلداً بالياً فوقَ أعظُمِ ... وليس يُبالي القتلَ جلدٌ وأعظُمُ)
في هذه الأبيات التي أولها
(... وقد زعموا لي إنها نذرت دمي)
لنبيه لحم من خفيف الثقيل المطلق في مجرى الوسطى عن ابن المكي
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن احمد بن علي قال لما قال المؤمل
(شفَّ المؤمّلَ يومَ الحيرة النظرُ ... ليت المؤمَل لم يخلقْ له بَصَرُ)
عمي وأري في منامه هذا ما تمنيت
أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الحسن الشيباني قال
را ى المؤمل في منامه قائلا يقول أنت المتألي على الله إلا يعذب المحبين حيث تقول
((يَكفي المحبّينَ في الدنيا عذابُهمُ ... وَالله لا عذَّبتْهم بعدها سَقَرُ
فقال له نعم فقال كذبت يا عدو الله ثم ادخل إصبعيه في عينيه و قال له أنت القائل
(شف المؤملٌ يوم الحيرة النظرُ ... ليت المؤمّل لم يُخلق له بصرُ)
هذا ما تمنيت فانتبه فزعا فإذا هو قد عمي
اخبرني الحسن بن علي قال حدثنا احمد بن زهير قال حدثنا مصعب الزبيري قال
انشد المهدي قول المؤمل
(قتلتِ شاعرَ هذا الحيِّ من مضرٍ ... وَ اللهُ يعلم ما ترضى بذا مُضَرُ)
فضحك و قال لو علمنا إنها فعلت ما رضينا ولغضبنا له وأنكرنا
صوت
(بكيتُ حذارَ البين علماً بما الذي ... إليه فؤادي عند ذلك صائرُ)
(وَ قال أناس لو صبرتَ وإنني ... على كل مكروه سوى البين صابرُ)
الشعر لأبي مالك الأعرج و الغناء لإبراهيم الموصلي خفيف ثقيل بالوسطى من جامع صنعته ورواية الهشامي
قال الهشامي وفيه ليزيد حوراء ثاني ثقيل ولسليم ثقيل أول
أخبار أبي مالك ونسبه
أبو مالك النضر بن أبي النضر التميمي هذا اكثر ما وجدته من نسبه وكان مولده ومنشؤه بالبادية
ثم وفد إلى الرشيد و مدحه وخدمه فأحمد مذهبه ولحظته عناية من الفضل بن يحيى فبلغ ما أحب وهو صالح الشعر
متوسط المذهب ليس من طبقة شعراء عصره المجيدين ولا من المرذولين
رثاؤه لأبيه
أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا احمد بن الهيثم بن فراس قال
كان أبو مالك النضر بن أبي النضر التميمي مع الرشيد وكان أبوه مقيما بالبادية فأصاب قوم من عشيرته الطريق وقطعوه
عن بعض القوافل فخرج عامل ديار مضر و كان يقال له جيال إلى ناحية كانت فيها طوائف من بني تميم فقصدهم وهم
غارون فأخذ منهم
جماعة فيهم أبو النضر أبو أبي مالك الأعرج و كان ذا مال فطلبه فيمن طلب من الجناة وطمع في ماله فضربه ضربا أتى
فيه على نفسه و بلغ ذلك أبا مالك فقال يرثيه
(فيمَ يُلحَى على بكائي العذولَّ ... والذي نابني فَظيعٌ جليلُ)
(عدّ هذا الملامِ عني إلى غيري ... فقلبي ببثّه مشغولُ)
(راعني والدِي جَنتْ كَفُّ جيّالٍ ... عليه فراح وهو قتيلُ)
(أيها الفاجِعِي برُكني وعِزِّي ... هبلتني إن أرعُك الهُبولُ)
(سُمْتَنِي خُطّةَ الصَّغار وأظلمْتَ ... نَهاري عليَّ غالتْك غولْ)
(ما عداني الجفاءُ عنكَ ولكنْ ... لم يُدلني من الزمان مُديلُ)
(زال عنا السرورُ إذ زُلتَ عنا ... وازدهانا بكاؤنا والعويلُ)
(ورأينا القريبَ منا بعيداً ... وجفانا صديقُنا والخليلُ)
(ورمانا العدوُّ من كلِّ وجه ... وتجنَّى على العزيز الذليلُ)
(يا أبا النضر سوفَ أبكيك ما عشتُ ... سوياً وذاك مني قليلُ)
(حملت نعشَكَ الملائكةُ الأبرار ... ُ إذ مالَنا إليك سبيلُ)
(غير أني كذبتُك الودَّ لم تقْطُر ... جفوني دما وأنت قتيلُ)
(رضِيتُ مقلتي بإرسال دمعي ... وعلى مثلك النفوسُ تَسيلُ)
(أسواكَ الذي أجودُ عليه ... بدمي إنني إذاً لبخيلُ)
(عثر الدهرُ فيك عثرةَ سَوْءٍ ... لم يُقِل مثلَها المعينُ المقيلُ)
((قل إن ضنَّ بالحياة فإني ... بعده للحياة قَالِ مَلولُ
(إنّ بالسفح من ضباعةَ قومي ... ليسَ منهم وهمِ أدانِ وَصولُ)
(لا يزورون جارَهم من قريبٍ ... وهمُ في التراب صَرعى حلولُ)
(حفرة حَشوُها وفاءٌ وحِلمٌ ... وندى فاضل ولب أصيل)
(وعفاف عما يشين وحلم ... راجحُ الوزن بالرواسي يَميلُ)

(ويمين بنانُها غيرُ جَعد ... وجبينٌ صَلت وخدٌّ أسيلُ)
(وامرؤ أشرقتْ صُفيحةُ خدَّيهِ ... عليه بشاشةٌ وقَبولُ)
صوت
(لئن مصرُ فاتتْني بما كنتُ أرتجي ... وأخلفني فيها الذي كنتُ آملُ)
(فما كل ما يخشى الفتى بمُصيبه ... ولا كلُّ ما يرجو الفتَى هو نائلُ)
الشعر لأبي دهمان والغناء لابن جامع ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي
انتهت أخبار مالك ونسبه
أخبار أبي دهمان
أبو دهمان الغلابي شاعر من شعراء البصرة ممن أدرك دولتي بني أمية وبني العباس ومدح المهدي وكان طيباً ظريفاً مليح النادرة
وهو القائل لما ضرب المهدي أبا العتاهية بسبب عشقه عتبة
(لولا الذي أحدثَ الخليفةُ في العُشاق ... من ضربِهم إذا عَشِقُوا)
(لبُحْتُ باسم الذي أُحِبُّ ولكنّي ... امرؤ قد ثَناني الفَرَقُ)
حدثني بذلك الصولي عن محمد بن موسى عن محمد بن أبي العتاهية وأخبرني جحظة عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال
قال رجل لأبي دهمان ألا أحدثك بظريفة قال بلى قال كنا عند فلان فمد رجله هكذا فضرط ومد المحدث رجله يحكيه فضرط فقال له أبو دهمان
يا هذا أنت أحذق خلق الله بحكاية
كان أميراً على نيسابور
نسختُ من كتاب بخط ميمون بن هارون
بلغني أن أبا دهمان مر وهو أمير بنيسابور على رجل جالس ومعه صديق له يسايره فقام الناس إليه ودعوا له إلا ذلك الرجل فقال أبو دهمان لصديقه
وهو يسايره أما ترى ذلك الرجل في النظارة وترى تيهه علي فقال له وكيف يتيه عليك وأنت الأمير قال لأنه قد ناكني وأنا غلام
وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال
مرض أبو دهمان مرضا أشفى منه على الموت فأوصى وأملى وصيته على كاتبه وأوصى فيها بعتق غلام كان له واقفاً فلما فرغ غدا الغلام بالرقعة فأتربها ونظر إليه أبو دهمان فقال له نعم أتربها يا بن الزانية عسى أن يكون أنجح للحاجة لا شفاني الله إن أنجحت وأمر به فأخرج لوقته فبيع
صوت
(يكُرُّكما كرّ الكُليبيّ مُهرَه ... وما كرَّ إلا خيفةً أن يُعيَّرا)
(فلا صُلح حتى تزحفَ الخيلُ والقنا ... بنا وبكم أوْ يَصدُرَ الأمر مَصْدَرا)
الشعر لأبي حزابة التميمي والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالبنصر
وهذا الشعر يرثي به أبو حزابة رجلاً من بني كليب بن يربوع يقال له ناشرة اليربوعي قتل بسجستان في فتنة ابن الزبير وكان سيداً شجاعاً
رثاؤه لناشرة اليربوعي
أنشدنيه جعفر بن قدامة قال أنشدني أبو هفان وأحمد بن أبي طاهر قالا أنشدنا عبد الله بن احمد العدوي لأبي حزابة يرثي ناشرة اليربوعي وقتل بسجستان في فتنة ابن الزبير قال
(لعَمري لقد هدَّتْ قريش عروشَنا ... بأبيضَ نفَّاح العَشيَّات أزهرا)
(وكان حَصاداً للمنايا زَرعْنَه ... فهلاَّ تركنَ النَّبتَ ما كان أخضرا)
(لحا اللّه قوماً أسلموكَ وجرّدوا ... عناجيج أعطتْها يمينُك ضُمَّرا)
(أما كان فيهمْ ماجدٌ ذو حفيظةٍ ... يرى الموت في بعض المواطن أفخرا)
(يكرّ كما كَرَّ الكُليبيّ مُهره ... وما كرَّ إلا خشية أن يُعيَّرا)
يريد ما كان في هؤلاء القوم من يكر كما كر ناشرة الكليبي مهره
أخبار أبي حزابة ونسبه
أبو حزابة اسمه الوليد بن حنيفة أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم شاعر من شعراء الدولة الأموية بدوي حضر وسكن البصرة ثم اكتتب في الديوان و ضرب عليه البعث إلى سجستان فكان بها مدة وعاد إلى البصرة وخرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك و أظنه قتل معه وكان شاعرا راجزا فصيحا خبيث اللسان هجاء
أبطيء عليه بالجائزة فأنشد
فأخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثنا محمد الهيثم الشامي قال حدثني عمي أبو فراس عن العذري قال
دخل أبو حزابة على طلحة الطلحات الخزاعي وقد استعمله يزيد بن معاوية على سجستان و كان أبو حزابة قد مدحه فأبطأت عليه الجائزة من جهته ورأى ما يعطى غيره من الجوائز فأنشده
(وأدليتُ دَلوي في دِلاء كثيرةٍ ... فجئن مِلاءً غير دَلوي كما هيا)
(وأهلكني ألا تزالَ رَغيبةٌ ... تُقصِّرُ دوني أو تحُلُّ ورائيا)
(أراني إذا استمطرتُ منكَ سحابةً ... لِتمطِرَني عادتْ عَجاجاً وسافيا)
قال فرماه طلحة بحق فيه درة فأصاب صدره ووقعت في حجره و يقال بل أعطاه أربعة أحجار و قال له لا تخدع عنها فباعها بأربعين آلفا ومات طلحة بسجستان
ثم ولي من بعده رجل من بني عبد شمس يقال له عبد الله بن علي بن عدي و كان شحيحا فقال له أبو حزابة
(يا بنَ عليٍّ بَرِحَ الخفاءُ ... قد علِم الجيرانُ والاكفاءُ)

(انك أنت النزلُ واللّفاء ... أنت لِعَيْن طَلْحَةَ الفِداءُ)
(بنو عَديٍ كلهم سواءُ ... كأنهم زينيّةٌ جِراء)
قصيدة يرثي فيها طلحة ويذم عبد الله بن علي
قال ثم وليها بعد عبد الله بن علي عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن كريز أيام الفتنة فاستأذنه أبو حزابة أن يأتي البصرة فأذن له فقدمها وكان الناس يحضرون المربد ويتناشدون الاشعار ويتحادثون ساعة من النهار فشهدهم أبو حزابة وأنشدهم مرثية له في طلحة الطلحات يضمنها ذما لعبد الله بن علي وهي قوله
(هيهاتَ هيهاتَ الجنابُ الأخضر ... والنائلُ الغمرُ الذي لا يُنْزَرْ)
(وَاراهُ عنا الجَدثُ المغوَّرُ ... قد علم غداة استعبرُوا)
(والقَبْرُ بين الطلحاتِ يُحفر ... أنْ لَنْ يروا مثلكَ حتى يُنشروا)
(أنا أتانا جرزٌ مجمّرُ ... أتَكرة سَريرُنا و المِنْبَرُ)
(و المسْجد المُحْتضر المُطَهَّر ... وخلفٌ يا طلح منك أعوَرْ)
(بليَّة يا ربَّنا لا تَسخَر ... أقلُّ من شبرين حِين يُشبَر)
(... مثل أبي القعواء لا بل أقْصر)
يهجو عون بن سلامة
قال وأبو القعواء حاجب لطلحة كان قصيرا
فقال عون بن عبد الرحمن بن سلامة وسلامة أمه وهو رجل من بني تميم بن مرة قيس بئسما قلت أتشاهر الناس بشتم قريش فقال له إني لم اعم إنما سميت رجلا واحدا فأغلظ له عون حتى انصرف عن ذلك الموضع ثم أمر عون ابن أخ له فدعا أبا حزابة فأطعمه وسقاه و خلط في شرابه شبرما فسلحه فخرج أبو حزابة وقد أخذه بطنه فسلح على بابهم وفي طريقه حتى بلغ أهله ومرض أشهرا ثم عوفي فركب فرسا له ثم أتى المربد فإذا عون بن سلامة واقف فصاح به فوقف ولو لم يقف كان أخف لهجائه فقال له أبو حزابة
(يا عون قفْ واستمع الملامَهْ ... لا سلَّم اللهُ على سلامهْ)
(زنجية تحسبها نَعامهْ ... شكّاء شان جسمَها دَمامه)
(ذاتِ حِرٍ كريشتَي حمامهْ ... بينهما بَظْرٌ كرأس الهامهْ)
(أعلمتُها وعالِم العَلاَمهْ ... لو أن تحت بَظرِها صِمامهْ)
(... لدفعتْ قُدُماً بها أمامه)
فكان الناس يصيحون به
(... أعلمتها وعالم العلامة)
أخبرني عمي قال حدثنا احمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني عمي أبو فراس عن الهيثم بن عدي قال
كان عبد الله بن خلف أبو طلحة الطلحات مع عائشة يوم الجمل و قتل معها يومئذ وعلى بني خلف نزلت عائشة بالبصرة في القصر المعروف بقصر بني خلف وكان هوى طلحة الطلحات أمويا وكانت بنو أمية مكرمين له
فأنشد أبو حزابة يوما طلحة
(يا طلحَ بأبي مجدُك الأخلافا ... والبخلَ لا يُعترفُ اعترافا)
(إن لنا أحمرةً عِجَافا ... يأكُلْن كلَّ ليلة إكافا
رفض الوقوف بباب يزيد بن معاوية
فأمر له طلحة بإبل ودراهم و قال له هذه مكان أحمرتك
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثني العمري عن لقيط قال قيل لأبي حزابة لو أتيت يزيد بن معاوية لفرض لك وشرفك وألحقك بعلية أصحابه فلست دونهم وكان أبو حزابة يومئذ غلاما حدثا وكان معاوية حيا ويزيد أميرا يومئذ فلما أكثر قومه عليه في ذلك وفي قولهم إنك ستشرف بمصيرك إليه قال
(يُشرّفني سيفي وقلبٌ مُجانبٌ ... لكل لئيم باخلٍ ومعلهَج)
(وكَرّي على الأبطال طِرِفاً كأنه ... ظليمٌ وضربي فوق رأسِ المدَجَّج)
(وقولي إذا ما النفسُ جاشتْ وأجهشت ... مخافة يوم شرُّه متأجِّج)
(عليكِ غمارَ الموت يا نفسُ إنني ... جريء على درء الشجاع المُهجْهَج)
فلما أكثر عليه قومه وعنفوه في تأخره أتى يزيد بن معاوية فأقام ببابه شهرا لا يصل إليه فرجع و قال والله لا يراني ما حملت عيناي الماء إلا أسيرا أو قتيلا وأنشأ يقول
(فو الله لا آتي يزيدَ ولو حوتْ ... أنامِلُه ما بين شرقٍ إلى غربِ)
(لأنَّ يزيداً غيَّر اللهُ ما به ... جَنوحٌ إلى السُّوءى مصر على الذنب)
(فقل لبني حرب تقوا اللهَ وحده ... ولا تسعدوه في البطالة واللعبِ)
(ولا تأمنوا التغييرَ أن دام فعلُه ... ولم ينهَه عن ذاك شيخُ بَني حربِ
(أيشربُها صِرفاً إذا الليل جنّه ... معتّقةً كالمسكِ تختالُ في العُلبِ)
(و يَلْحَى عليها شاربيها وقلبُه ... يهيمُ بها أن غاب يوماً عن الشّربِ)
خبر رهن سرجه
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة عن المدائني قال
لما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجاج وكان معه أبو حزابة فمروا بدستبى وبها مستراد الصناجة وكانت لا يبيت بها أحد إلا بمائة درهم فبات بها أبو حزابة ورهن عندها سرجه فلما أصبح وقف لعبد الرحمن فلما أقبل صاح به وقال
(أمرُ عضال نابني في العَجِّ ... كأنني مطالَبٌ بخَرج)
(ومستراد ذهبتْ بالسَّرْج ... في فتنة الناس وهذا الهرْج)
فعرف ابن الأشعث القصة وضحك وأمر بان يفتك له سرجه ويعطى معه ألف درهم وبلغت القصة الحجاج فقال أيجاهر في عسكره بالفجور فيضحك ولا ينكر ظفرت به أن شاء الله

هجوه عبد الله بن علي
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن العمري عن العتبي قال
مدح أبو حزابة عبد الله بن علي العبشمي وهو على سجستان فلم يثبه فقال يهجوه
(هَبّتْ تُعاتبني أما ... مةٌ في السماحة والفِضَال)
(وأبيتُ عند عِتابِها ... إلا خلائقَ ذي النَّوال)
(أُعطِي أخي وأحوطُه ... جُهدي وأبذُل جُلّ مالي)
(وأقيه عند تشاجر الأبطال ... بالأسَل النِّهال)
(حِفْظاً له ورعايةً ... للخالياتِ من الليالي)
(إذ نحنُ نشربُ قَهوة ... دِرياقة كدِم الغَزالِ)
(حمراءَ يُذهِبُ ريحُها ... ما في الرؤوس من الخَبال)
(وإذا تشعشع في الإناءِ ... رمتْ أخاها باغتيالِ)
(وعلا الحَبابُ فخلته ... عَقْداً يُنظّمِ من لآلي)
(تشفي السقيمَ بريحها ... و تُميتُه قبل الإجال)
(تلك التي تركتْ فؤاد ... أبي حُزابةَ في ضَلالِ)
(لا يستفيق ولا يُفيق ... نزيفها في كَلّ حال)
(وإذا الكماةُ تنازلوا ... ومشى الرجالُ إلى الرجالِ)
((وبدت كتائبُ تمتري ... مُهجَ الكَتائبِ بالعوالي
(فأبو حُزابةَ عند ذاك ... أخو الكريهة والنِّزالِ)
(يمشي الهويني مُعلِماً ... بالسيف مشياً غير آلِ)
(كالليث يترك قِرنَه ... مُتجدِّلاً بين الرِّمالِ)
(إني نذيرُ بني تميم ... من أخي قيل وقال)
(من لا يجود ولا يسود ... ولا يُجير من الهُزال)
(وتراه حين يجيئُه السؤَّال ... يُولَع بالسُّعالِ)
(متشاغلاً متنحنِحاً ... كالكلب جَمجم للعِظال)
(فارفضْ قريشاً كُلَّها ... من أجل ذي الداء العُضَال)
يعني عبد الله بن علي العبشمي
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني محمد بن الهيثم الشامي قال حدثني عمي أبو فراس عن العذري قال
دخل أبو حزابة على عمارة بن تميم و محمد بن الحجاج وقد قدما سجستان لحرب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وكان عبد الرحمن لما قدماها هرب ولم يبق بسجستان من أصحابه إلا سبعمائة رجل من بني تميم كانوا مقيمين بها فقال لهما أبو حزابة إن الرجل قد هرب منكما ولم يبق من أصحابه أحد وإنما بسجستان من كان بها من بني تميم قبل قدومه فقالا
له ما لهم عندنا أمان لأنهم قد كانوا مع ابن الأشعث وخلعوا الطاعة فقال ما خلعوها ولكنه ورد عليهم في جمع عظيم لم يكن لهم بدفعه طاقة فلم يجيباه إلى ما أراد وعاد إلى قومه وحاصرهم أهل الشام فاستقتلت بنو تميم فكانوا يخرجون في كل يوم إليهم فيواقعونهم ويكسبونهم بالليل وينهبون أطرافهم حتى ضجروا بذلك فلما رأى عمارة فعلهم صالحهم وخرجوا إليه فلما رأى قلتهم قال أما كنتم إلا ما أرى قالوا نعم فان شئت أن نقيلك الصلح أقلناك وعدنا للحرب فقال أنا غني عن ذلك وآمنهم فقال أبو حزابة في ذلك
مدحه لبني تميم
(لله عينَا من رأى من فوارس ... أكرَّ على المكروه منهم وأصبرا)
(وَأكرمَ لو لاقوْا سواداً مُقاربا ... ولكن لقُوا طَمّاً من البحر أخضرا)
(فما برحوا حتى أعضُّوا سيوفَهم ... ذُرَى الهام منهم والحديدَ المُسمَّرا)
(وحتى حسبناهم فوارسَ كهْمَسٍ ... حيوا بعد ما ماتوا من الدّهر أعصرا)
صوت
(إذا اللهُ لم يسق إلا الكرامَ ... فَسقَّى وُجوه بَني حَنبل)
(وسقَّى ديارَهُم باكراً ... من الغيث في الزمن المُمْحِل)
(تُكفكفه بالعشيّ الجنوبُ ... وتُفْرِغُهُ هزة الشَّمألِ)
(كأن الرَّبابَ دوْينَ السحابِ ... نَعامٌ تعلّقُ بالأرجل
الشعر لزهير السكب التميمي المازني والغناء لإبراهيم خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي وحبش
نسب زهير السكب وأخباره
هو زهير بن عروة بن جلهمة بن حجر بن خزاعي شاعر جاهلي وإنما لقب السكب ببيت قاله وقال فيه
(... بَرقٌ يُضيء خلالَ البيتِ أُسْكوب)
شعره في الرغبة بالعودة إلى عشيرته
أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال حدثنا أبو هفان عن سعيد بن هريم عن أبيه قال
كان زهير بن عروة المازني الملقب بالسكب جاهليا وكان من أشراف بني مازن وأشدائهم وفرسانهم وشعرائهم فغاضب قومه في شيء ذمه منهم وفارقهم إلى غيرهم من بني تميم فلحقه فيهم ضيم و أراد الرجوع إلى عشيرته فأبت نفسه ذلك عليه فقال يتشوق ناسا منهم كانوا بني عمه دينه يقال لهم بنو حنبل
(إذا لله لم يَسْق إلا الكرامَ ... فسقَّى وجوهَ بني حَنْبلِ)
(مُلِثّاً أحمَّ دواني السّحاب ... هَزيم الصلاصل والأزمل)
((تكركره خضخضاتُ الجنوب ... وتفرغه هزة الشَّمأل

(كأن الربابَ دُوينَ السحابِ ... نَعام تعلَّق بالأرجُل)
(فنعم بَنو العم والأقربون ... لدى حُطمَةِ الزمن المُمْحِل)
(ونعم المواسون في النائبات ... للجار والمعتفي المُرْمِل)
(ونعم الحماةُ الكفاةُ العظيمَ ... إذا غائِظُ الأمر لم يُحلَل)
(ميامينُ صُبْرٌ لدى المعضلاتِ ... على مُوجع الحدَثِ المعضِل)
(مباذيلُ عفواً جزيلَ العطاء ... إذا فَضلةُ الزاد لم تُبذَل)
(هم سبقوا يوم جَرْي الكرامِ ... ذَوي السبق في الزمن الاوّل)
(وسامَوْا إلى المجد أهلَ الفَعال ... فطالوا بفعلهم الأطوَل)
أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال
سأل رجل أبا عمرو بن العلاء عن الرباب فقال أما تراه معلقاً بالسحاب كالذيل له أما سمعت قول صاحبنا السكب
(كأن الرَّباب دُوَيْنَ السحاب ... نَعامٌ تعلّق بالأرجل)

صوت

(سلا عن تذكُّرِه تُكتَما ... وكان رَهينا بها مُغرَما)
(وأقصرَ عنها وآثارُها ... تُذكِّره داءها الأقدما)
الشعر للنمر بن تولب والغناء لخزرج خفيف ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي

أخبار النمر بن تولب ونسبه

هو النمر بن تولب بن أقيش بن عبد كعب بن عوف بن الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عكل واسم عكل عوف بن عبد مناف بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار
شاعر مقل مخضرم أدرك الجاهلية وأسلم فحسن إسلامه ووفد إلى النبي وكتب له كتاباً فكان في أيدي أهله وروى عنه حديثاً سأذكره في موضعه وكان النمر أحد أجواد العرب المذكورين وفرسانهم

سمي بالكيس لجودة شعره

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال أخبرنا محمد بن حبيب قال قال الأصمعي
كان أبو عمرو بن العلاء يسمي النمر بن تولب الكيس لجودة شعره وحسنه
أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا عبد الله بن محمد قال أخبرنا محمد بن سلام الجمحي وأخبرنا به أبو خليفة في كتابه إلي عن محمد بن سلام قال
كان النمر بن تولب جواداً لا يليق شيئاً وكان شاعرا فصيحا جريئاً على المنطق وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيس لحسن شعره
أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي قال أخبرنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا قرة بن خالد عن يزيد بن عبد الله بن الشخير أخي مطرف وأخبرني أبو خليفة في كتابه إلي قال حدثنا محمد بن سلام قال
وفد النمر بن تولب على النبي وكتب له كتاباً أخبرناه قرة بن خالد السدوسي وسعيد بن إياس الجريري عن أبي العلاء يزيد بن عبد الله بن الشخير أخي مطرف

(حظي بكتاب من رسول الله

وأخبرني عمي عن القاسم عن محمد الأنباري عن أحمد بن عبيد عن الأصمعي عن قرة بن خالد عن يزيد بن عبد الله أخي مطرف واللفظ قريب بعضه من بعض قال
بينما نحن بهذا المربد جلوس يعني مربد البصرة إذ أتى علينا أعرابي أشعث الرأس فوقف علينا فقلنا والله لكأن هذا الرجل ليس من أهل هذا البلد قال أجل وإذا معه قطعة من جراب أو أديم فقال هذا كتاب كتبه لي رسول الله فقرأناه فإذا فيه مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لبني زهير هكذا قال أحمد بن عبيد وقال الباقون لبني زهير بن أقيش حي من عكل إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وفارقتم المشركين
وأعطيتم الخمس من الغنائم وسهم النبي والصفي فأنتم آمنون بأمان الله وأمان رسوله
وقال أحمد بن عبيد الله في خبرة خاصه لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم وقالوا جميعاً في الخبر فقال له القوم حدثنا رحمك الله ما سمعت من رسول الله فقال سمعت رسول الله يقول (صوم شهر الصبر وصوم ثلاثة أيام من كل شهر
(يذهبن كثيراً من وحر الصدر
فقال له القوم أأنت سمعت هذا من رسول الله فقال أراكم تخافون أن أكذب على رسول الله لا حدثتكم حديثاً ثم أهوى إلى الصحيفة وانصاع مدبرا
قال يزيد بن عبد الله فقيل لي بعد ما مضى هذا النمر بن تولب العكلي الشاعر

كان مثالاً للكرم

أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا عبد الله بن محمد بن خلف قال اخبرنا محمد بن سلام قال
خرج النمر بن تولب بعدما كبر في إبله فسأله سائل فأعطاه فحل إبله فلما رجعت الإبل إذا فحلها ليس فيها فهتفت به امرأته وعذلته وقالت فهلا غير فحل إبلك فقال له
(دَعِيني وأمري سأكفيكهِ ... وكُوني قعيدةَ بيتٍ ضُباعا)
(فإنكِ لن تَرْشُدي غاويا ... ولن تدركي لكِ حظّاً مُضاعا)
وقال أيضا في عذلها إياه
(بَكَرتْ باللّوم تَلحانَا ... في بعيرٍ ضلّ أو حَانَا)
(عَلِقَتْ لوّاً تُكرِّرها ... إنّ لوا ذاكَ أعيانَا)
قال وأدرك الإسلام فأسلم

شعره بعد أن خدعته زوجه

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا محمد بن سلام قال كان للنمر بن تولب أخ يقال له الحارث بن تولب وكان سيدا معظما فأغار الحارث على بني أسد فسبى امرأة منهم يقال لها جمرة بنت نوفل فوهبها لأخيه النمر

بن تولب ففركته فحبسها حتى استقرت وولدت له أولادا ثم قالت له في بعض أيامها أزرني أهلي فإني قد اشتقت إليهم فقال لها أني أخاف أن صرت إلى اهلك أن تغلبيني على نفسك فواثقته لترجعن إليه فخرج بها في الشهر الحرام حتى أقدمها بلاد بني أسد فلما أطل على الحي تركته واقفا وانصرفت إلى منزل بعلها الأول فمكث طويلا فلم ترجع إليه فعرف ما صنعت وأنها اختدعته فانصرف و قال

(جزى اللهُ عنا جَمرةَ ابنة نوفَلٍ ... جزاء مُغِلٍّ بالأمانة كاذبِ)
(لِهان عليها أمس موقف راكب ... إلى جانب السَّرْحات أخيبَ خائبِ)
(وقد سألتْ عني الوشاةَ ليَكذبوا ... عليَّ وقد أبليتها في النوائب
(وصدَّت كأنَّ الشمسَ تحتَ قِناعِها ... بدا حاجبٌ منها وضنَّتْ بحاجب)

و قال فيها أيضا

(كل خليل عليه الرعاث ... ُ والحُبَلاتُ كَذوب مَلِقْ)

الحبلات واحداتها حبلة وهي جنس من الحلي قدر ثمر الطلح

(وقامتْ إليَّ فأحلفتُها ... بهدْيٍ قلائده تختفق)
(بأن لا أخونَكَ فيما علمت ... فإن الخيانَةَ شرُّ الخُلُقْ)

و قال فيها أشعارا كثيرة يطول ذكرها

أخبرني اليزيدي عن محمد بن حبيب قال

كان أبو عمرو يشبه شعر النمر بشعر حاتم الطائي

صالح بن حسان يعتبره أفتى الشعراء

أخبرني الحسين بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيري قال

بلغني أن صالح بن حسان قال يوما لجلسائه أي الشعراء أفتى قالوا عمر بن أبي ربيعة وقالوا جميل وأكثروا القول فقال أفتاهم النمر بن تولب حين يقول

((أهيمُ بدَعد ما حييتُ وإن أمُتْ ... فواحزنَا مَنْ ذا يَهيمُ بها بَعدي

أخبرني الحسن قال حدثنا أحمد بن زهير عن محمد بن سلام قال

حج النمر بن تولب بعد هرب جمرة منه فنزل بمنى ونزلت جمرة مع زوجها قريبا منه فعرفته فبعثت إليه بالسلام وسألته عن خبره ووصته خيرا بولده منها فقال

(فحُيِّيتِ عن شحطٍ بخير حَديثنا ... ولا يأمنُ الأيامَ إلا المُضَلَّلُ)
(يودُّ الفتى طولَ السلامة والغنى ... فكيف يرى طولَ السَّلامة يفعلُ)

أخبرني ابن المرزبان قال حدثنا أبو محمد اليزيدي عن الأصمعي

وأخبرنا اليزيدي عن ابن حبيب عن الأصمعي قال

لما وفد النمر بن تولب على النبي أنشده

(يا قوم إني رجل عندي خَبرْ ... لله من آياته هذا القَمَرْ)
(والشمسُ والشعرى آياتٌ أُخَرْ ... من يتسامَ بالهدى فالخبثُ شرّ)
(إنا أتيناك وقد طال السفَرْ ... نَقودُ خَيلا رُجُعا فيها ضَرَرْ)
(... نُطعْمُها اللحمَ إذا عزَّ الشَّجَر)

قال اليزيدي عن ابن حبيب خاصة قال الأصمعي أطعمها اللحم أسقيها اللبن والعرب تقول اللبن أحد اللحمين و قال ابن حبيب قال ابن الأعرابي كانت العرب إذا لم تجد العلف دقت اللحم اليابس فأطعمته الخيل

نسي امرأته بحب جديد

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش وأخبرنا ابن المرزبان قال أخبرني عيسى بن يونس قال حدثني محمد بن الفضل قال حدثنا الهيثم بن عدي عن ابن عباس قال

لما فارق النمر بن تولب امرأته الأسدية جزع عليها حتى خيف على عقله ومكث أياما لا يطعم ولا ينام فلما رأت عشيرته منه ذلك أقبلوا عليه يلومونه ويعيرونه و قالوا أن في نساء العرب مندوحة و متسعا وذكروا له امرأة من فخذه الأدنين يقال لها دعد ووصفوها له بالجمال و الصلاح فتزوجها ووقعت من قلبه وشغلته عن ذكر جمرة وفيها يقول

(أهيمُ بدعد ما حييتُ فإن أمُتْ ... أُوَكِّلْ بدَعْدٍ من يَهيمُ بها بَعدِي)

والناس يروون هذا البيت لنصيب وهو خطأ

أخبرني اليزيدي عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه

وأخبرني إبراهيم بن محمد الصائغ عن ابن قتيبة عن عبد الرحمن عن عمه عن حماد بن ربيعة انه قال

أظرف الناس النمر بن تولب حيث يقول

((أهيمُ بدعد ما حييتُ فإن أمت ... أوكِّلْ بدعد مَنْ يهيم بها بعدي

رثاؤه لزوجه جمرة

أخبرني ابن المرزبان قال أخبرني عبد الله بن محمد قال أخبرني محمد بن سلام قال

لما بلغ النمر بن تولب أن امرأته جمرة توفيت نعاها له رجل من قومه يقال له حزام أو حرام فقال

(ألم تر أنَّ جمرةَ جاء منها ... بيانُ الحقِّ إنْ صدقَ الكلامُ)
(نعاها بالنديِّ لنا حزامٌ ... حديث ما تحدثُ يا حَرامُ)
(فلا تبعَد وقد بعِدَتْ وأجرى ... على جَدَثٍ تضمَّنها الغَمامُ)

قال الأصمعي يقال بعد وأبعد

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي عن أبي عمرو وأخبرني به هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة عن أبي عمرو و قال

أدرك النمر بن تولب النبي فأسلم وحسن إسلامه وعمر فطال عمره وكان جوادا واسع القرى كثير الأضياف وهابا لماله فلما كبر خرف وأهتر فكان هجيراه اصبحوا الراكب اغبقوا الراكب اقروا انحروا للضيف أعطوا السائل تحملوا لهذا في حمالته كذا و كذا

لعادته بذلك فلم يزل يهذي بهذا وشبهه مدة خرفه حتى مات
قال وخرفت امرأة من حي كرام عظيم خطرهم وخطرها فيهم فكان هجيراها زوجوني قولوا لزوجي يدخل مهدوا لي إلى جانب زوجي فقال عمر بن الخطاب وقد بلغه خبرها ما لهج به أخو عكل النمر بن تولب في خرفه أفخر وأسرى وأجمل مما لهجت به صاحبتكم ثم ترحم عليه

رثى اخاه الحارث

أخبرني ابن المرزبان قال حدثني أبو بكر العامري قال حدثني علي بن المغيرة الأثرم عن أبي عبيدة قال
مات الحارث بن تولب فرثاه النمر فقال
(لا زال صوبٌ مِنْ ربيع وصيِّفٍ ... يجودُ على حسنِ الغميم فيثرب)
(فو الله ما أسقي البلادَ لحبِّها ... و لكنما أسقيكَ حار بن تولَب)
(تضمنْتَ أدوّاء العشيرة بينَها ... و أنت على أعواد نَعش مقلَّب)
(كأن امرأً في الناس كنتَ ابنَ أمه ... على فَلَج من بطن دجلة مطنب)
قال حماد الراوية كان النمر بن تولب كثير البيت السائر و البيت المتمثل به فمن ذلك قوله
(لا تغضبنَّ على امرئ في ماله ... و على كرائم صُلب مالكَ فاغضَبِ)
(و إذا تصبك خصاصة فارجُ الغِنَى ... و إلى الذي يعطي الرغائبَ فارغبِ)
وقوله
(تلبَّسْ لدهركَ أثوابَه ... فلن يبتني النّاسُ ما هُدِّما)
(وأحبب حبيبك حبّاً رويدا ... فليس يعولُك أن تصْرما)
(و أبغض بغيضَك بُغضاً رويداً ... إذا أنت حاولتَ أن تحكما)
وقوله
(أعاذلُ إن يصبحْ صداي بقَفرةٍ ... بعيدٍ فأنَّي ناصري وقريبي)
(تَرَىْ أن ما أبقيتُ لم أكُ ربَّه ... وأن الذي أفنيت كان نَصيبي)

يتحمل دية عن صديقه

نسخت من كتاب بخط السكري أبي سعيد قال محمد بن حبيب
كان للنمر بن تولب صديق فأتاه النمر في ناس من قومه يسألونه في دية احتملوها فلما رآهم وسألوه تبسم فقال النمر
(تبسم ضاحكاً لما رآني ... وأصحابي لديَّ عن التمام)
فقال له الرجل إن لي نفسا تأمرني أن أعطيكم ونفسا تأمرني ألا أفعل فقال النمر
(أما خليلي فإني غيرُ معجلِه ... حتى يؤامر نفسيْه كما زَعما)
(نفسٌ له من نفوس الناس صالحةٌ ... تعطي الجزيلَ و نفس ترضع الغَنَما)
ثم قال النمر لأصحابه لا تسألوا أحدا فالدية كلها علي

خبر السيف الذي علاه الصدأ

أخبرني احمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا علي بن محمد
النوفلي قال حدثنا أبي قال حدثنا الحسن بن محمد بن عبد الله بن حسن بن علي قال
جاء أعرابي إلى أبي وهو مستتر بسويقة قبل مخرجه ومعه سيف قد علاه الصدأ فقال يا بن رسول الله إني كنت ببطن قديد أرعى إبلي و فيها فحل قطم قد كنت ضربته فحقد علي و أنا لا ادري فخلا بي فشد علي يريدني و أنا أحضر و دنا مني حتى أن لعابه ليسقط على رأسي لقربه مني فأنا اشتد وأنا أنظر إلى الأرض لعلي أرى شيئا أذبه عني به إذ وقعت عيني على هذا السيف قد فحص عنه السيل فظننته عودا باليا فضربت بيدي إليه فأخذته فإذا سيف فذببت به البعير عني ذبا و الله ما أردت به الذي بلغت منه فأصبت خيشومه فرميت بفقمه فعلمت انه سيف جيد وظننته من سيوف القوم الذين كانوا قتلوا في وقعة قديد و ها هوذا قد أهديته لك يا بن رسول الله قال فأخذه مني أبي وسر به و جلس الأعرابي يحادثه فبينا هو كذلك إذا أقبلت غنم لأبي ثلاثمائة شاة فيها رعاؤها فقال له أبي يا أعرابي هذه الغنم و الرعاة لك مكافأة لك عن هذا السيف قال ثم أرسل به إلى المدينة أو أرسل إلى قين فأتي به من المدينة فأمر به فحلي فخرج أكرم سيوف الناس فأمر ما تخذ له جفن ودفعه إلى أختي فاطمة بنت محمد فلما كان اليوم الذي قتل فيه قاتل بغير ذلك السيف قال وبقي ذلك السيف عند أختي فاطمة بنت محمد فزرتها يوما وهي بينبع في جماعة من أهل بيتي و كانت عند ابن عمها الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن عليهم أجمعين السلام فخرجت إلينا وكانت برزة تجلس لاهلها كما يجلس الرجال و تحدثهم فجلست تحدثنا و أمرت مولى لها فنحر لنا جزورا ليهيئ لنا طعاما فنظرت إليها و الجزور في النخل باركة و قد بردت وهي تسلخ فقالت أني لا أرى في هذه الجزور مضربا حسنا ثم دعت بالسيف و قالت يا حسن فدتك أختك هذا سيف أبيك فخذه واجمع يديك في قائمة ثم اضرب به أثناءها من خلفها تريد عراقيبها وقد أثبتها للبروك وهي أربعة أعظم قال فأخذت السيف ثم مضيت نحوها فضربت عراقيبها فقطعتها و الله أربعتها و سبقني السيف فدخل في الأرض فأشفقت عليه أن ينكسر أن اجتذبته فحفرت عنه حتى استخرجته قال فذكرت حينئذ قول النمر بن تولب
(أبقي الحوادثُ و الأيامُ من نَمِر ... أسبَاد سيفٍ كريم أثره بادي)
(تظلّ تحفر عنه الأرضَ مُندفعاً ... بعد الذراعين و القَيدين و الهادِي)
و يروى
(...تظلُّ تحفر عنه إن ظفرتَ به)

مختارات من شعره

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرني أحمد بن معاوية الباهلي عن أبي عبيدة قال
قيل للنمر بن تولب كيف أصبحت يا أبا ربيعة فأنشأ يقول
(أصبحت لا يَحملُ بعضي بعضا ... أشكو العروقَ الآبضات أبضا)
(كما تَشكّى الأرحَبيُّ الغَرْضا ... كأنما كان شبابي قرضا)
أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال أنشدني حماد بن الأخطل بن النمر بن

تولب لجده
(أعِذْني ربّ من حَصَرٍ وعِيٍّ ... ومن نفَسٍ أعالجها علاجا)
(ومن حاجات نفسٍ فاعصِمني ... فإن لمضْمرات النفسِ حاجَا)
(فأنت وليُّها وبرئتُ مِنها ... إليك فما قضيتُ فلا خِلاجَا)
ثم قال كان النمر أفتي خلق الله فقلت وما كانت فتوته قال أو ليس فتى من يقول
(أهيمُ بدعد ما حييتُ فإن أمتْ ... فواحَزنا من ذَا يهيم بها بَعْدي)
صوت
(أيا صاحبيْ رحلي دنا الموتُ فانزِلا ... برابيةٍ إني مقيمٌ لياليا)
(وخُطّا بأطراف الأسنَّةِ مضجَعي ... ورُدّا عَلَى عَيْنَيّ فضلَ رِدائيا)
(ولا تحسداني باركَ اللّهُ فيكما ... من الأرض ذاتِ العَرض أن توسعا ليا)
(لعمري لئن غالتْ خراسانَ هامتي ... لقد كنتُ عن بابيْ خُراسانَ نائيا)
(فياليتَ شِعري هل أبيتَنَّ ليلةً ... بجنبِ الغضا أُزجي القِلاصَ النواجيا)
الشعر لمالك بن الريب و الغناء لمعبد مما لا يشك فيه من غنائه خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق و يونس و عمرو و دنانير وفيه خفيف ثقيل آخر لابن عائشة من رواية علي بن يحيى وفيه لابن سريج هزج بالخصر في مجرى البنصر عن ابن المكي وفيه لإبراهيم رمل بالوسطى عن عبد الله بن موسى في الأول و الثالث من الأبيات ولإبراهيم ثقيل أول في الخامس ثم الرابع عن الهشامي و قيل أن الرمل المنسوب إليه لنبيه
أخبار مالك بن الريب و نسبه
هو مالك بن الريب بن حوط بن قرط بن حسل بن ربيعة بن كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم
(كان من الشعراء اللصوص
وكان شاعرا فاتكا لصا و منشؤه في بادية بني تميم بالبصرة من شعراء الإسلام في أول أيام بني أمية
أخبرني بخبره علي بن سليمان الاخفش قال أخبرنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وعن هشام بن الكلبي وعن الفضل بن محمد وإسحاق بن الجصاص و حماد الرواية و كلهم قد حكى من خبره نحوا مما حكاه الآخرون قالوا
استعمل معاوية بن أبي سفيان سعيد بن عثمان بن عفان على خراسان فمضى سعيد بجنده في طريق فارس فلقيه بها مالك بن الريب المازني و كان من أجمل الناس وجها و أحسنهم ثيابا فلما رآه سعيد أعجبه و قال له مالك و يحك تفسد نفسك بقطع الطريق وما يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العبث و الفساد وفيك هذا الفضل قال يدعوني إليه العجز عن المعالي ومساواة ذوي المروءات و مكافأة الإخوان قال فإن أنا أغنيتك
واستصحبتك أتكف عما كنت تفعل قال أي و الله أيها الأمير أكف كفا لم يكف أحد أحسن منه قال فاستصحبه وأجرى له خمسمائة درهم في كل شهر
قالوا
وكان السبب الذي من أجله وقع مالك بن الريب إلى ناحية فارس أنه كان يقطع الطريق هو وأصحاب له منهم شظاظ وهو مولى لبني تميم و كان أخبثهم وأبو حردبة أحد بني أثالة بن مازن و غويث أحد بني كعب بن مالك بن حنظلة و فيهم يقول الراجز
(اللّهُ نجاكَ من القصيم ... وَبطنِ فَلْجٍ وبني تميم)
(ومن بني حردبة الأثيم ... ومالكٍ وسيفه المسموم)
(ومن شِظاظ الأحمرِ الزَّنيم ... ومن غويث فاتح العُكوم)
فساموا الناس شرا و طلبهم مروان بن الحكم وهو عامل على المدينة فهربوا فكتب إلى الحارث بن حاطب الجمحي وهو عامله على بني عمرو بن حنظلة يطلبهم فهربوا منه
توعد الحارث بن حاطب
وبلغ مالك بن الريب أن الحارث بن حاطب يتوعده فقال
(تألّى حلفةً في غير جُرْمٍ ... أميري حارث شِبهُ الصّرار)
(عليّ لأجْلِدَنْ في غيرِ جُرمٍ ... ولا أدنى فينفعني اعتذاري
(وقلتُ وقد ضممتُ إليّ جأشِي ... تحلَّلْ لا تألُّ عليَّ حار)
(فإني سوف يكفينيكَ عَزمِي ... ونصُّ العيسِ بالبلد القفار)
(وعنسٌ ذات معجمة أمونٌ ... علنداة موثَّقَة الفَقار)
(تزيف إذا تواهقتِ المطايا ... كما زاف المشرِّف للخِطارِ)
(وإن ضربتْ بلَحييها و عامت ... تقصَّم عنهما حلقُ السِّفار)
(مِراحاً غير ما ضِغْنٍ ولكنْ ... لَجاجاً حين تشتبُه الصحاري)
(إذا ما استقبلتْ جَوْناً بَهيما ... تفرَّج عن مخيِّسة حِضَار)
(إذا ما حال روض رُبابٍ دوني ... وَتَثليثٍ فشأنَك بالبكاري)
(وأنيابٌ سيُخلِفُهنّ سيفي ... وشدَّاتُ الكميِّ عَلَى التِّجار)
(فإن أسطَعْ أُرِحْ منه أُناسي ... بضربة فاتك غيرِ اعتذار)
(وإن يُفلتْ فإني سوفَ أبغي ... بنيهِ بالمدينة أو صِرار)
((ألا من مبلغٌ مروانَ عني ... فإني ليسَ دهري بالفِرار
(ولا جزع من الحدثانِ يوماً ... ولكني أرود لكم و بار)
و بار أرض لم يطأ أحد ثراها
(بهزمار ترادُ العِيس فيها ... إذا أشفقنَ من قَلَق الصِّفار)
(وهنَّ يحشْن بالأعناق حوْشا ... كأن عظامهنّ قِداحُ بار)
(كأنّ الرحْل أسأرَ من قَراها ... هلالَ عشية بعد السِّرار)

(رأيتُ وقد أتى بُحْرانُ دُوني ... لليلى بالغُميِّم ضوءِ نار)
(إذا ما قلتُ قد خمدَتْ زَهاها ... عُصيٌّ الرند والعصْف السواري)
(يشَبُّ وقودها ويلوحُ وَهْناً ... كما لاح الشَّبوب من الصِّوار)
(كأن النَّار إذْ شبُتْ لليلى ... أضاءَتْ جيدَ مُغزلة نَوار)
(و تصطادُ القلوبَ على مطاها ... بلا جَعْد القرون ولا قِصار)
(وتبسِم عن نقيّ اللون عَذْبٍ ... كما شِيفَ الأقاحي بالقطار)
(أتجزعُ أن عرفتَ ببطن قوٍّ ... و صحراء الأديهم رسمَ دار)
(وإن حلَّ الخليطُ و لستُ فيهم ... مرابع بين دحْلَ إلى سَرار)
(إذا حلُّوا بعائجةٍ خلاء ... يُقطِّفُ نورَ حَنْوتها العذارى)
فبعث إليه الحارث رجلا من الأنصار فأخذه وأخذ أبا جردبة فبعث بأبي حردبة وتخلف الأنصاري مع القوم الذين كان مالك فيهم وأمر غلاما له فجعل يسوق مالكا فتغفل مالك غلام الأنصاري وعليه السيف فانتزعه منه وقتله به وشد على الأنصاري فضربه بالسيف حتى قتله وجعل يقتل من كان معه يمينا وشمالا
ثم لحق بأبي حردبة فتخلصه وركبا إبل الأنصاري و خرجا فرارا من ذلك هاربين حتى أتيا البحرين واجتمع إليهما أصحابهما ثم قطعوا إلى فارس فرارا من ذلك الحدث الذي أحدثه مالك فلم يزل بفارس حتى قدم عليه سعيد بن عثمان فاستصحبه

شعره في مهربه

فقال مالك في مهربه ذلك
(أحقاً على السلطان أمّا الذي لَهُ ... فيُعطِي وأما ما يرادُ فيمنعُ)
(إذا ما جعلتُ الرملَ بيني وبينه ... وأعرضَ سهبٌ بين يبرين بلقعُ)
(من الأدمي لا يستجمّ بها القطا ... تكلُّ الرياحُ دونه فتقطّعُ)
(فشأنكم يا آل مروانَ فاطلبُوا ... سِقاطي فما فيه لباغيه مَطمعُ)
(وما أنا كالعَير المقيم لأهلِه ... على القَيْد في بُحبوحة الضَّيم يرتعُ)
(ولولا رسولُ اللّهِ أن كان منكمُ ... تبيّن من بالنَّصف يرضى ويقنعُ)
وقال أيضا
(لو كنتمُ تُنكرونَ العُذر قلت لكم ... يا آل مروانَ جاري منكم الحكمُ)
(وأتّقكم بيمين اللهِ ضاحيةً ... عند الشهود وقد توفي به الذممُ)
(لا كنتُ أحدث سوْءاً في إمارتكم ... ولا الذي فات مني قبل ينتقمُ)
(نحنُ الذين إذا خفتم مجلّلةً ... قلتم لنا إنّنا منكم لتَعتصِمُوا)
(حتى إذا انفرجَتْ عنكم دجُنَّتُها ... صرتم كجَرِمٍ فلا إلٌّ ولا رَحِم)

قوله في محاولة إغتياله

وقال مالك حين قتل غلام الأنصاري الذي كان يقوده
(غلامٌ يقول السيف يُثقل عاتِقي ... إذا قادني وَسْطَ الرجال المُجَحْدِل)
(فلولا ذُبابُ السيفِ ظلَّ يقودُني ... بنسعته شَثْنُ البنان حزنْبل)
قالوا وبينما مالك بن الريب ذات ليلة في بعض هناته وهو نائم وكان
لا ينام إلا متوشحاً بالسيف إذ هو بشيء قد جثم عليه لا يدري ما هو فانتفض به مالك فسقط عنه ثم انتحى له بالسيف فقده نصفين ثم نظر إليه فإذا هو رجل أسود كان يقطع الطريق في تلك الناحية فقال مالك في ذلك
(أدلجتُ في مهمهٍ ما إن أرى أحداً ... حتى إذا حان تعريسٌ لمن نزلا)
(وضعتُ جنبي وقلتُ اللّه يكلؤني ... مهما تنم عنكَ من عينٍ فما غفَلا)
(والسيفُ بيني وبين الثوب مُشعِره ... أخشى الحوادث إني لم أكن وكِلا)
(ما نمتُ إلا قليلاً نمتُه شئِزاً ... حتي وجدتُ على جُثماني الثِّقلا)
(داهية من دواهي الليل بيّتني ... مجاهداً يبتغي نفسي وما ختَلا)
(أهويتُ نفحاً له والليل ساتِرُه ... إلا توخيتُه والجرس فانخزلا)
(لما ثنى اللّهُ عني شرَّ عَدْوته ... رقدت لا مُثبتاً ذُعراً ولا بَعِلا)
(أما ترى الدار قَفراً لا أنيسَ بها ... إلا الوحوشَ وأمسى أهلُها احتمَلا)
(بين المنيفةِ حيث استنَّ مدفعُها ... وبين فردَةَ من وحشيِّها قَبلا)
(وقد تقولُ وما تخفي لجارتها ... إني أرى مالكَ بنَ الريب قد نَحَلا)
(من يشهد الحربَ يصلاها ويسعرِها ... تراه مما كسته شاحباً وجِلاَ)
(خذها فإني لضرّاب إذا اختلفت ... أيدي الرجال بضرب يختِلُ البطَلا)
وقال مالك في ذلك أيضا
(يا عاملاً تحتَ الظلام مطيّةً ... متخايلا لا بلْ وغير مخاتِل)
(أنّي أُتِخْتُ لشابكٍ أنيابَه ... مستأنس بدُجى الظلام مُنازِل)
(لا يسترِيع عظيمةً يُرمى بها ... حصِباً يحفز عن عظام الكاهل)
(حرباً تنصبه بنيت هواجر ... عاري الأشاجع كالحسام الناصِل)
(لم يدر ما غرفُ القُصور وفيؤها ... طاوٍ بنخلِ سوادها المتمايل)
(يقظ الفؤادِ إذا القلوب تآنست ... جزعاً ونبّه كلُّ أروع باسل)
(حيث الدُّجى متطلّعاً لغفوله ... كالذئب في غلَس الظلام الخاتِل)
(فوجدته ثَبْتَ الجنان مُشيَّعاً ... ركّابَ منسج كلِّ أمر هائل)
(فقراك أبيض كالعقيقة صارماً ... ذا رونقٍ يعني الضريبة فاصل)
(فركبتَ ردعك بين ثَنْي فائزٍ ... يعلو به أثر الدماء وشائل)

عرض عليه أن يكون سائس إبل فرفض

قال وانطلق مالك بن الريب مع سعيد بن عثمان إلى خراسان حتى
إذا كانوا في بعض مسيرهم احتاجوا إلى لبن فطلبوا صاحب إبلهم فلم يجدوه فقال مالكُ لغلامٍ من غلمان سعيد أدن مني فلانة لناقة كانت لسعيد عزيزة فأدناها منه فمسحها وأبس بها حتى درت ثم حلبها فإذا أحسن حلب حلبه الناس وأغزره درة فانطلق الغلام إلى سعيد فأخبره فقال سعيد لمالك هل لك أن تقوم بأمر إبلي فتكون فيها وأجزل لك الرزق إلى ما أرزقك وأضع عنك الغزو فقال مالك في ذلك
(أني لأستحيي الفوارسَ أن أرى ... بأرض العدا بوَّ المخاض الروائم)
(وإني لأستحيي إذا الحربُ شمَّرَتْ ... أن ارْخِيَ دون الحرب ثوبَ المُسالم)
(وما أنا بالنائي الحفيظة في الوغى ... ولا المتقي في السلم جَرّ الجرائمِ)
(ولا المتأبي في العواقب للذي ... أهمُّ به من فاتكاتِ العزائمِ)
(ولكنني مستوحدُ العزم مِقدَمٌ ... على غمرات الحادث المتفاقم)
(قليلُ اختلاف الرأي في الحر باسلٌ ... جميعُ الفؤاد عند حلِّ العظائمِ)
فلما سمع ذلك منه سعيد بن عثمان علم أنه ليس بصاحب إبل وأنه صاحب حرب فانطلق به معه
قالوا وبينما مالك بن الريب ليلة نائم في بعض مفازاته إذ بيته ذئب فزجره فلم يزدجر فأعاد فلم يبرح فوثب إليه بالسيف فضربه فقتله وقال مالك في ذلك
(أذئبَ الغضا قد صرتَ للناس ضُحكة ... تُغادي بك الركبانُ شرقا إلى غرب)
(فأنت وإن كنتَ الجريءَ جنانُه ... مُنيتَ بضرغام من الأُسد الغُلْبِ)
(بمن لا ينامُ الليلَ إلا وسيفُه ... رهينةُ أقوامٍ سراعٍ إلى الشَّغْب
(ألم ترني يا ذئبُ إذ جئتَ طارقاً ... تخاتِلُني أني أمرؤ وافرُ اللُّبِّ)
(زجرتكَ مراتٍ فلما غلبتَني ... ولم تنزجر نهنهتُ غربَكَ بالضربِ)
(فصرتَ لقىً لمّا علاكَ ابنُ حرَّة ... بأبيض قطّاع يُنَجّي من الكَرْبِ)
(ألا ربَّ يومٍ ريبَ لو كنت شاهداً ... لهالك ذِكْري عند مَعمعمة الحربِ)
(ولستَ ترى إلا كَميّاً مجدَّلاً ... يداه جميعاً تثبتانِ من التُّربِ)
(وآخر يهوي طائرَ القلبِ هارباً ... وكنتُ أمرأً في الهيْج مجتمعَ القلبِ)
(أصولُ بذي الزرّين أمشي عَرِضْنةً ... إلى الموت والأقرانُ كالإبلِ الجُربِ)
(أرى الموت لا أنحاشُ عنه تكرُّما ... ولو شئتُ لم أركَب على المركَب الصعب)
(ولكن أبتْ نفسي وكانت أبيَّةً ... تَقاعسُ أو ينصاعَ قومٌ من الرعبِ)

شعره حين فارق ابنته

قال أبو عبيدة لما خرج مالك بن الريب مع سعيد بن عثمان تعلقت ابنته بثوبه وبكت وقالت له أخشى أن يطول سفرك أو يحول الموت بيننا فلا نلتقي فبكى وأنشأ يقول
(ولقد قلتُ لابنتي وهي تبكي ... بدخيل الهموم قلباً كئيبا)
(وهي تُذري من الدموع على الخدّين ... من لوعة الفراقِ غُرُوبا
(عَبَراتٍ يكدن يجرحْن ما جُزْن ... به أو يدعْن فيه نُدوبا)
(حذرَ الحتفِ أن يصيب أباها ... ويلاقي في غير أهلٍ شَعوبا)
(اسكُتي قد حززتِ بالدمع قلبي ... طالما حزَّ دمعكُنَّ القلوبا)
(فعسى اللهُ أن يدْفعَ عنّي ... ريبَ ما تحذرين حتى أؤوبا)
(ليس شيءٌ يشاؤه ذُو المعالي ... بعزيز عليه فادْعِي المُجيبا)
(ودَعي أن تُقَطّعي الآن قَلبي ... أو تُريني في رحلتي تَعذيبا)
(أنا في قبضةِ الإله إذا كُنْ ... تُ بعيداً أو كنتُ منكِ قريباً)
(كم رأينا امرأً أتى من بعيدٍ ... ومقيماً على الفراشِ أُصيبا)
(فدعيني من انتحابِكِ إني ... لا أبالي إذا اعتزمتُ النَّحيبا)
(حسبيَ اللهُ ثم قرّبتُ لِلسَّيْر ... علاةً أنَجِبْ بها مَركُوباً)
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال
كان سبب خروج مالك بن الريب إلى خراسان واكتتابه مع سعيد بن عثمان هرباً من ضرطة فسألته كيف كان ذلك قال مر مالك بليلى الاخيلية فجلس إليها يحادثها طويلاً وأنشدها فأقبلت عليه وأعجبت به حتى طمع في وصلها ثم إذا هو بفتى قد جاء إليها كأنه نصل
سيف فجلس إليها فأعرضت عن مالك وتهاونت به حتى كأنه عندها عصفور وأقبلت على صاحبها ملياً من نهارها فغاظه ذلك من فعلها وأقبل على الرجل فقال من أنت فقال توبة بن الحمير فقال هل لك في المصارعة قال وما دعاك إلى ذلك وأنت ضيفنا وجارنا قال لا بد منه فظن أن ذلك لخوفه منه فازداد لجاجاً فقام توبة فصارعه فلما سقط مالك إلى الأرض ضرط ضرطة هائلة فضحكت ليلى منه
واستحيا مالك فاكتتب بخراسان وقال لا أقيم في بلد العرب أبداً وقد تحدثت عني بهذا الحديث فلم يزل بخراسان حتى مات فقبره هناك معروف

يتذاكر واصحابه ماضيهم في السرقة

وقال المدائني وحدثني أبو الهيثم قال
اجتمع مالك بن الريب وأبو حردبة وشظاظ يوماً فقالوا تعالوا نتحدث بأعجب ما عملناه في سرقتنا فقال أبو حردبة أعجب ما صنعت وأعجب ما سرقت أني صحبت رفقة فيها رجل على رحل فأعجبني فقلت لصاحبي والله لأسرقن رحله ثم لا رضيت أو آخذ عليه جعالة فرمقته حتى رأيته قد خفق برأسه فأخذت بخطام جمله فقدته وعدلت به عن الطريق حتى إذا صيرته في مكان لا يغاث فيه إن استغاث أنخت البعير وصرعته فأوثقت يده ورجله وقدت الجمل فغيبته ثم رجعت إلى الرفقة وقد فقدوا صاحبهم فهم يسترجعون فقلت ما
لكم فقالوا صاحب لنا فقدناه فقلت أنا أعلم الناس بأثره فجعلوا لي جعالة فخرجت بهم أتبع الأثر حتى وقفوا عليه فقالوا

مالك قال لا أدري نعست فانتبهت لخمسين فارسا قد أخذوني فقاتلتهم فغلبوني
قال أبو حردبة فجعلت أضحك من كذبه وأعطوني جعالتي وذهبوا بصاحبهم
وأعجب ما سرقت انه مر بي رجل معه ناقة و جمل وهو على الناقة فقلت لأخذنهما جميعا فجعلت أعارضه وقد رأيته قد خفق برأسه فدرت فأخذت الجمل فحللته وسقته فغيبته في القصيم وهو الموضع الذي كانوا يسرقون فيه ثم انتبه فالتفت فلم ير جمله فنزل وعقل راحلته ومضى في طلب الجمل ودرت فحللت عقال ناقته و سقتها
فقالوا لأبي حردبة و يحك فحتام تكون هكذا قال اسكتوا فكأنكم بي وقد تبت واشتريت فرسا وخرجت مجاهدا فبينا أنا واقف إذ جاءني سهم كأنه قطعة رشاء فوقع في نحري فمت شهيدا قال فكان كذلك تاب وقدم البصرة فاشترى فرسا وغزا الروم فأصابه سهم في نحره فاستشهد
ثم قالوا لشظاظ أخبرنا أنت أعجب ما أخذت في لصوصيتك ورأيت فيها فقال نعم كان فلان رجل من أهل البصرة له بنت عم ذات مال كثير وهو وليها و كانت له نسوة فأبت أن تتزوجه فحلف ألا يزوجها من أحد ضرارا لها و كان يخطبها رجل غني من أهل البصرة فحرصت عليه وأبى الآخر أن يزوجها منه ثم إن ولي الأمر حج حتى إذا كان
بالدو على مرحلة من البصرة حذاءها قريب منه جبل يقال له سنام وهو منزل الرفاق إذا صدرت أو وردت مات الولي فدفن برابية وشيد على قبره فتزوجت الرجل الذي كان يخطبها قال شظاظ
و خرجت رفقة من البصرة معهم بز و متاع فتبصرتهم وما معهم وأتبعتهم حتى نزلوا فلما ناموا بيتهم وأخذت من متاعهم ثم إن القوم أخذوني وضربوني ضربا شديدا وجردوني قال وذلك في ليلة قرة و سلبوني كل قليل وكثير فتركوني عريانا وتماوت لهم وارتحل القوم فقلت كيف أصنع ثم ذكرت قبر الرجل فأتيته فنزعت لوحه ثم احتفرت فيه سربا فدخلت فيه ثم سددت علي باللوح و قلت لعلي الآن أدفأ فأتبعهم قال ومر الرجل الذي تزوج بالمرأة في الرفقة فمر بالقبر الذي أنا فيه فوقف عليه و قال لرفيقه و الله لأنزلن إلى قبر فلان حتى أنظر هل يحمي الآن بضع فلانة قال شظاظ فعرفت صوته فقلعت اللوح ثم خرجت عليه بالسيف من القبر بلى ورب الكعبة لأحمينها فوقع والله على وجهه مغشيا عليه لا يتحرك و لا يعقل فسقط من يده خطام الراحلة فأخذت وعهد الله بخطامها فجلست عليها و عليها كل أداة وثياب ونقد كان معه ثم وجهتها قصد مطلع الشمس هاربا من الناس فنجوت بها فكنت بعد ذلك أسمعه يحدث الناس بالبصرة ويحلف لهم أن الميت الذي كان منعه من تزويج المرأة خرج عليه من قبره بسلبه و كفنه
فبقي يومه ثم هرب منه والناس يعجبون منه فعاقلهم يكذبه و الأحمق
منهم يصدقه وأنا اعرف القصة فأضحك منهم كالمتعجب
قالوا فزدنا قال فأنا أزيدكم أعجب من هذا وأحمق من هذا إني لأمشي في الطريق أبتغي شيئا أسرقه قال فلا و الله ما وجدت شيئا قال و كان هناك شجرة ينام من تحتها الركبان بمكان ليس فيه ظل غيرها وإذا أنا برجل يسير على حمار له فقلت أتسمع قال نعم قلت أن المقيل الذي تريد أن تقيله يخسف بالدواب فيه فاحذره فلم يلتفت إلى قولي قال ورمقته حتى إذا نام أقبلت على حماره فاستقته حتى إذا برزت به قطعت طرف ذنبه وأذنيه وأخذت الحمار فخبأته وأبصرته حين استيقظ من نومه فقام يطلب الحمار ويقفو أثره فبينا هو كذلك إذ نظر إلى طرف ذنبه و أذنيه فقال لعمري لقد حذرت لو نفعني الحذر واستمر هاربا خوف أن يخسف به فأخذت جميع ما بقي من رحله فحملته على الحمار واستمر فألحق بأهلي
قال أبو الهيثم ثم صلب الحجاج رجلا من الشراة بالبصرة وراح عشيا لينظر إليه فإذا برجل بإزائه مقبل بوجهه عليه فدنا منه فسمعه يقول للمصلوب طال ما ركبت فأعقب فقال الحجاج من هذا قالوا هذا شظاظ اللص قال لا جرم والله ليعقبنك ثم وقف أمر بالمصلوب فأنزل وصلب شظاظ مكانه

موته

قال ابن الأعرابي
مرض مالك بن الريب عند قفول سعيد بن عثمان من خراسان في
طريقه فلما أشرف على الموت تخلف معه مرة الكاتب و رجل آخر من قومه من بني تميم وهما اللذان يقول فيهما
(أيا صاحبيْ رَحْلي دنا الموتُ فانزلا ... برابية إني مقيمٌ لياليا)
ومات في منزله ذلك فدفناه وقبره هناك معروف إلى الآن و قال قبل موته قصيدته هذه يرثي بها نفسه
قال أبو عبيدة الذي قاله ثلاثة عشر بيتا و الباقي منحول ولده الناس عليه

صوت

(فما بيضةٌ بات الظليمُ يَحفُّها ... ويرفعُ عنها جُؤجُؤاً مُتجافيا)
(بأحسنَ منها يوم قالتْ أظاعنٌ ... مع الرَّكْلِ أم ثاوٍ ولدينا لياليا)
(وهبَّتْ شِمالٌ آخِرِ الليل قَرّةٌ ... ولا ثوب إلاَّ بُرْدُها وردائيا)
(وما زال بُردى طيِّباً من ثيابِها ... إلى الحولِ حتى أنهَجَ الثوبُ باليا)
الشعر لعبد بني الحسحاس و الغناء لابن سريج في الأول و الثاني من الأبيات ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وفي الثالث و الرابع لمخارق خفيف ثقيل عمله على صنعة إسحاق في
(... أماويَّ إن المال غادٍ ورائح)
وكاده بذلك ليقال أن لحنه أخذه منه وألقاه على عجوز عمير فألقته
على الناس حتى بلغ الرشيد خبره ثم كشفه فعلم حقيقته ومن لا يعلم ينسبه إلى غيره وقد ذكر حبش انه لإبراهيم وذكر غيره أنه لابن المكي
وقد شرحت هذا الخبر في أخبار إسحاق

أخبار عبد بني الحسحاس

اسمه سحيم وكان عبدا أسود نوبيا أعجيما مطبوعا في الشعر فاشتراه بنو الحسحاس وهم بطن من بني أسد قال أبو عبيدة الحسحاس بن نفاثة بن سعيد بن عمرو بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة
قال أبو عبيدة فيما أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي عن أبي حاتم عنه كان عبد بني الحسحاس عبدا أسود أعجميا فكان إذا أنشد الشعر استحسنه أم استحسنه غيره منه يقول أهشنت والله يريد أحسنت والله وأدرك النبي ويقال إنه تمثل بكلمات من شعره غير موزونة

تمثل الرسول ببيت له
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن منصور قال حدثنا الحسن بن موسى قال حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن أن النبي تمثل
(... كفى بالإسلام والشيبِ ناهيا)
فقال أبو بكر يا رسول الله
(...كفى الشيبُ و الإسلام للمرء ناهيا)
(فجعل لا يطيقه فقال أبو بكر أشهد انك رسول الله (وما علمناه الشعر وما ينبغي له
قال محمد بن خلف وحدثني احمد بن شداد عن أبي سلمة التبوذكي عن حماد بن سلمة عن رجل عن الحسن مثله
وروى عن أبي بكر الهذلي أن اسم عبد بني الحسحاس حية
وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال كان عبد بني الحسحاس حلو الشعر رقيق الحواشي وفي سواده يقول
(وما ضرَّ أثوابي سوادِي وإنَّني ... لكالمسك لا يسلو عن المسكِ ذائقهُ)
(كُسيتُ قَميصاً ذا سواد وتحته ... قميصٌ من القُوهيّ بيض بنائقهُ)
ويروى وتحته قميص من الإحسان
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال أنشدني مصعب بن عبد الله الزبيري لعبد بني الحسحاس و كان يستحسن هذا الشعر ويعجب به قال
(أشعارُ عبدِ بني الحسحاسِ قُمْنَ له ... عند الفخارِ مَقامَ الأصلِ والوَرِق)
(إن كنتُ عبداً فنفسِي حرّةٌ كَرَماً ... أو أسودَ اللونِ إني أبيضُ الخُلُقِ)
وقال الأثرم حدثني السري بن صالح بن أبي مسهر قال أخبرني بعض الأعراب أن أول ما تكلم به عبد بني الحسحاس من الشعر أنهم أرسلوه رائدا فجاء وهو يقول
((أنعتُ غيثاً حسناً نباتُه ... كالحَبَشيِّ حولَه بناتُه
فقالوا شاعر و الله ثم انطلق بالشعر بعد ذلك
عمر بن الخطاب يستجيد بيتا له
أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال أنشد سحيم عمر بن الخطاب قوله
(عُميرة ودّع إن تجهَّزتَ غاديا ... كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا)
فقال عمر لو قلت شعرك كله مثل هذا لأعطيتك عليه
عثمان بن عفان يقول لا حاجة لي إليه
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال حدثني خالي يوسف بن الماجشون قال
كان عبد الله بن أبي ربيعة عاملا لعثمان بن عفان على الجند فكتب إلى عثمان إني قد اشريت غلاما حبشيا يقول الشعر فكتب إليه عثمان لا حاجة لي إليه فاردده فإنما حظ أهل العبد الشاعر منه إن شبع أن يتشبب بنسائهم وإن جاع أن يهجوهم فرده فاشتراه أحد بني الحسحاس
وروى إبراهيم بن المنذر الحزامي هذا الخبر عن ابن الماجشون قال
كان عبد الله بن أبي ربيعة مثل ما رواه الزبير إلا أنه قال فيه إن جاع هر و إن شبع فر
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان حدثني أبو بكر العامري عن الأثرم عن أبي عبيدة وأخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلام قال أنشد عبد بني الحسحاس عمر قوله
((تُوسِّدُني كفّاً وتَثني بمِعْصَمٍ ... عليَّ وتحوي رجلهَا من ورائيا
فقال عمر ويلك إنك مقتول
أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني قال حدثني أحمد بن القاسم قال حدثني إسحاق بن محمد النخعي عن ابن أبي عائشة قال
(... أنشد عبد بني الحسحاس عمر قوله (كفى الشيبُ و الإسلامُ للمرء ناهياً
فقال له عمر لو قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك
أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا معاذ بن معاذ وأبو عاصم عن ابن عون عن محمد بن سيف أن عبد بني الحسحاس أنشد عمر هذا وذكر الحديث مثل الذي قبله
أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا إسحاق بن محمد قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال
كان عبد بني الحسحاس قبيح الوجه وفي قبحه يقول
(أتيتُ نساء الحارثيِّين غُدوةً ... بوجهٍ بَراه اللهُ غيرَ جَميلِ)
(فشبَّهْنَني كلباً ولستُ يفوقِه ... ولا دونه إن كان غيرَ قليلِ)
شبب بنساء مواليه
أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال
أتي عثمان بن عفان بعبد بني الحسحاس ليشتريه فأعجب به فقالوا انه شاعر وأرادوا أن يرغبوه فيه فقال لا حاجة لي به إذ الشاعر لا
حريم له إن شبع تشبب بنساء أهله وان جاع هجاهم فاشتراه غيره فلما رحل قال في طريقه
(اشوقاً ولَمّا تمضِ لي غيرُ ليلة ... فكيف إذا سار المطيُّ بنا شَهْرا)
(وما كنت أخشى مالكاً أن يبيعَني ... بشيءٍ ولو أحستْ أناملُه صِفرا)
(أخوكم و مولى مالِكم وحليفُكم ... ومن قد ثوى فيكم وعاشركُم دَهْرا)
فلما بلغهم شعره هذا رثوا له فاستردوه
فكان يشبب بنسائهم حتى قال
(ولقد تحدَّرَ من كريمةِ بعضِكم ... عرَقٌ على متن الفِراش و طيبُ)
قال فقتلوه

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز عن خاله يوسف بن الماجشون بمثل هذه الرواية وزاد فيها

فلما استردوه نشب يقول الشعر في نسائهم فأخبرني من رآه واضعا إحدى رجليه على الأخرى يقرض الشعر ويشبب بأخت مولاه وكانت عليلة يقول

(ماذا يريدُ السقامُ من قمرٍ ... كلُّ جَمالٍ لوجهه تَبَعُ)
(ما يرتجي خاب من محاسِنها ... آما لَهُ في القِباحِ مُتّسَعُ)
(غيَّر من لونها و صفرها ... فزيدَ فيه الجمال والبِدَعُ)
(لو كان يبغي الفداءِ قلتُ له ... ها أنا دونَ الحبيبِ يا وجعُ)

مجلس له مع نسوة من بني صبير بن يربوع

أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أبو بكر العامري عن علي بن المغيرة الأثرم قال قال أبو عبيدة الذي تناهى إلينا من حديث سحيم عبد بني الحسحاس انه جالس نسوة من بني صبير بن يربوع و كان من شأنهم إذا جلسوا للتغزل أن يتعابثوا بشق الثياب وشدة المغالبة على ابداء المحاسن فقال سحيم

(كأن الصُّبيريِّات يوم لقينَنا ... ظباءٌ حنَتْ أعناقَها في المكانِسِ)
(فكم قد شققنا من رداء منيِّرٍ ... ومن برقع عن طَفلة غيرِ ناعس)
(إذا شُقَّ بردٌ شُقّ بالبرد بُرقُعٌ ... على ذاك حتى كلُّنا غيرُ لابس)

فيقال إنه لما قال هذا الشعر اتهمه مولاه فجلس له في مكان كان إذا رعى نام فيه فلما اضطجع تنفس الصعداء ثم قال

(يا ذِكرةً مالكَ في الحاضر ... تذكُرُها وأنتَ في الصادر)
(من كل بيضاءَ لها كَفَلٌ ... مثلُ سنامِ البكرة المائِر)

قال فظهر سيده من الموضع الذي كان فيه كامنا و قال له مالك فلجلج في منطقه فاستراب به فأجمع على قتله فلما ورد الماء خرجت إليه صاحبته فحادثته وأخبرته بما يراد به فقام ينفض ثوبه

ويعفي أثره و يلقط رضا من مسكها كان كسرها في لعبه معها وأنشأ يقول

صوت

(أتكتَم حييتُم على النأيِ تُكْتَما ... تحيةَ من أمسى بحبِّكِ مُغرَما)
(وما تُكتَمين إن أتيتِ دَنِيَّةَ ... ولا إن ركبنا يا بنةَ القوم مَحْرما)
(ومثلِكِ قد أبرزتُ من خِدر أمها ... إلى مجلسٍ تجرُّ برداً مسهَّما)

الغناء للغريض ثقيل أول بالوسطى وفيه ليحيى المكي ثاني ثقيل قال

(وماشيةٍ مَشْيَ القطاة أتَّبعتُها ... من الستر تخشى أهلَها أن تَكلَّما)
(فقالت صه يا ويحَ غيرك إنني ... سمعت حديثاً بينهم يَقطُر الدَّما)
(فنفضتُ ثوبيها ونَظّرت حولها ... ولم أخش هذا الليلَ أن يتصرَّما)
(أعفَّي بآثار الثيابِ مبيتَها ... وألقط رضّاً من وقوف تحطَّما)

أحرق في أخدود

قال وغدوا به ليقتلوه فلما رأته امرأة كانت بينها وبينه مودة ثم فسدت ضحكت به شماتة فنظر إليها و قال

(فإن تضحكي مني فيا رُبَّ ليلةٍ ... تركتُك فيها كالبقاء المفرَّج)

فلما قدم ليقتل قال

(شدُّوا وِثاق العبد لا يُفْلتكُم ... إن الحياة من الممات قريبُ)
(فلقد تحدَّر من جبين فتاتكم ... عرقٌ على متْن الفراش و طِيبُ)

قال وقدم فقتل و ذكر ابن دأب أنه حفر له أخدود وألقي فيه وألقي عليه الحطب فأحرق

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني عن أبي بكر الهذلي قال كان عبد بني الحسحاس يسمى حية وكان لسيده بنت بكر فأعجبها فأمرته أن يتمارض ففعل وعصب رأسه فقالت للشيخ أسرح أيها الرجل إبلك ولا تكلها إلى العبد فكان فيها أياما ثم قال له كيف تجدك قال صالحا قال فرح في إبلك العشية فراح فيها فقالت الجارية لأبيها ما أحسبك إلا قد ضيعت إبلك العشية أن وكلتها إلى حية فخرج في آثار إبله فوجده مستلقيا في ظل شجرة وهو يقول

(يارُبَّ شجو لكَ في الحاضر ... تذكُرها وأنتَ في الصادر)
(من كل حمراءَ جُماليَّةٍ ... طَيِّبةِ القادم و الآخر)

فقال الشيخ أن لهذا لشأنا وانصرف ولم يره وجهه وأتى أهل الماء و قال لهم تعلموا و الله أن هذا العبد قد فضحنا وأخبرهم الخبر وأنشدهم ما قال فقالوا اقتله فنحن طوعك فلما جاءهم وثبوا عليه فقالوا له قلت و فعلت فقال دعوني إلى غد حتى أعذرها عند أهل الماء فقالوا إن هذا صواب فتركوه فلما كان الغد اجتمعوا فنادى يا أهل الماء ما فيكم امرأة إلا قد أصبتها إلا فلانة فإني على موعد منها فأخذوه فقتلوه

ومما يغنى فيه من قصيدة سحيم عبد بني الحسحاس و قال أن من الناس من يرويها لغيره

(تجمَّعْنَ من شتَّى ثلاثاً وأربعاً ... وواحدةً حتى كَمَلْنَ ثَمانيا)
(وأقبلن من أقصى الخيام يَعلْنَني ... بقيَّة ما أبقينَ نَصلاً يمانيا)
(يُعدن مريضاً هنَّ قد هِجن داءهُ ... ألا إنما بعضُ العوائدِ دائيا)

فيه لحنان كلاهما من الثقيل الأول و الذي ابتداؤه تجمعن من شتى ثلاث لبنان

و الذي أوله وأقبلن من أقصى الخيام ذكر الهشامي أنه لإسحاق وليس يشبه صنعته ولا أدري لمن هو

مخارق يكيد لإسحاق

أخبرني جحظة عن ابن حمدون أن مخارقا عمل لحنا في هذا الشعر

(وَهَبَّتْ شمالاً آخرَ الليل قَرَّةً ... ولا ثوبَ إلا بردُها وردائيا)
(... على عمل صنعة إسحاق في (أماويَّ أن المال غاد ورائح)

ليكيد به إسحاق وألقاه على عجوز عمير الباذ عيسى و قال لها إذا سئلت عنه فقولي أخذته من عجوز مدنية ودار الصوت

حتى غني به الخليفة فقال لإسحاق ويلك أخذت لحن هذا الصوت تغنيه كله فحلف له بكل يمين يرضاه أنه لم يفعل وتضمن له كشف القصة ثم أقبل على من غناهم الصوت فقال عمن أخذته فقال عن فلان فلقيه فسأله عمن أخذه فعرفه ولم يزل يكشف عن القصة حتى انتهت من كل وجه إلى عجوز عمير فسئلت عن ذلك فقالت أخذته عن عجوز مدنيه فدخل إسحاق على عمير فحلف له بالطلاق و العتاق وكل محرج من الأيمان ألا يكلمه أبدا و لا يدخل داره ولا يترك كيده وعداوته أو يصدقه عن حال هذا الصوت وقصته فصدقه عمير عن القصة فحدث بها الواثق بحضرة عمير ومخارق فلم يمكن مخارقا دفع ذلك و خجل خجلا بان فيه وبطل ما أراده بإسحاق

صوت

(ثلاثةُ أبيات فبيتٌ أحبُّه ... وبيتان ليسا من هوايَ ولا شَكلي)

(ألا أيها البيتُ الذي حِيلَ دونَه ... بنا أنتَ من بيتٍ وأهلُكَ من أهل)

الشعر لجميل و الغناء لإسحاق ماخوري بالبنصر من جامع أغانيه وفيه رمل مجهول ذكره حبش لعلويه ولم أجد طريقته

متمم العبدي و الجويرية

اعجب بفصاحة لسان الجويرية ورقة ألفاظها

أخبرني الحسين بن يحيى المرادي عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني متمم العبدي قال

خرجت من مكة زائرا لقبر النبي فإني لبسوق الجحفة إذا جويرية تسوق بعيرا وتترنم بصوت مليح طيب حلو في هذا الشعر

(ألا أيها البيتُ الذي حِيل دونه ... بنا أنت من بيتٍ وأهلُك من أهل)

(بنا أنت من بيت وحولك لَذةٌ ... وظِلُّكَ لو يُستْطاع بالبارد السهل)

(ثلاثة أبيات فبيتٌ أحِبُّه ... وبيتان ليسَا من هواي ولا شكلي)

فقلت لمن هذا الشعر يا جويرية قالت أما ترى تلك الكوة الموقاة بالكلة الحمراء قلت أراها قالت من هناك نهض هذا الشعر قلت أو قائله في الأحياء قالت هيهات لو أن لميت أن يرجع لطول غيبته لكان ذلك فأعجبني فصاحة لسانها ورقة ألفاظها فقلت لها ألك أبوان فقالت فقدت خيرهما وأجلهما ولي أم قلت وأين أمك قالت منك بمرأى ومسمع قال فإذا امرأة تبيع الخرز على ظهر الطريق

بالجحفة فأتيتها فقلت يا أمتاه استمعي مني فقالت لها يا أمه فاستمعي من عمي ما يلقيه إليك فقالت حياك الله هيه هل من جائية خبر قلت أهذه ابنتك قالت كذا كان يقول أبوها قلت أفتزوجينها قالت ألعلة رغبت فيها فما هي و الله من عندها جمال ولا لها مال قلت لحلاوة لسانها و حسن عقلها فقالت أينا أملك بها أنا أم هي بنفسها قلت بل هي بنفسها قالت فإياها فخاطب فقلت لعلها أن تستحي من الجواب في مثل هذا فقالت ما ذاك عندها أنا أخبر بها فقلت يا جارية أما تستمعين ما تقول أمك قال قد سمعت قلت فما عندك قالت أو ليس حسبك أن قلت إني أستحي من الجواب في مثل هذا فإن كنت أستحي في شيء فلم أفعله أتريد أن تكون الأعلى وأكون بساطك لا والله لا يشد علي رجل حواءه وأنا أجد مذقة لبن أو بقلة ألين بها معاي قال فورد والله علي أعجب كلام على وجه الأرض فقلت أو أتزوجك و الإذن فيه إليك وأعطي الله عهدا أني لا أقربك أبدا إلا عن إرادتك قالت إذا و الله لا تكون لي في هذا إرادة أبدا ولا بعد الأبد إن كان بعده بعد فقلت فقد رضيت بذلك فتزوجتها وحملتها وأمها معي إلى العراق وأقامت معي نحوا من ثلاثين سنة ما ضممت عليها حواي قط و كانت قد علقت من أغاني المدينة أصواتا كثيرة فكانت ربما ترنمت بها فأشتهيها فقلت دعيني من أغانيك هذه فإنها تبعثني على الدنو منك قال فما سمعتها رافعة صوتها بغناء بعد ذلك حتى فارقت الدنيا وإن أمها عندي حتى الساعة فقلت ما ادري متى دار في سمعي حديث امرأة أعجب من حديث هذه

صوت

(أيها الناسُ إن رأيي يُريني ... وهو الرأيُ طوفَةً في البلاد)

(بالعوالي وبالقنابل تَرْدي ... بالبطاريق مِشيةَ العُوّاد)

(وبجيش عرمرمٍ عربيٍّ ... جَحْفلٍ يستجيبُ صوتَ المنادي)

(من تميم وخندِفٍ وإياد ... و البهاليلِ حِميرٍ ومراد)

(فإذا سرتُ سارتِ الناسُ خَلفي ... ومَعي كالجبالِ في كلِّ واد)

(سقِّني ثم سقِّ حميرَ قومي ... كأسَ خمرِ أُولي النّهى و العِماد)

الشعر لحسان بن تبع و الغناء لأحمد النصيبي خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه ليونس لحن من كتابه

أخبار حسان بن تبع

كان ينشد وجوه قومه

أخبرني بخبر حسان الذي من أجله قال هذا الشعر علي بن سليمان الأخفش عن السكري عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي وعن أبي عبيدة و أبي عمرو وابن الكلبي وغيرهم قال

كان حسان بن تبع أحول أعسر بعيد الهمة شديد البطش فدخل إليه يوما وجوه قومه وهم الأقيال من حمير فلما أخذوا مواضعهم ابتدأهم فأنشدهم

(أيها الناسُ إن رأيي يُريني ... وهوَ الرأي طوفةً في البلاد)

(بالعوالي وبالقنابل تَرْدي ... بالبطاريق مِشيةَ العُوّاد)

وذكر الأبيات التي مضت آنفا ثم قال لهم استعدوا لذلك فلم يراجعه أحد لهيبته فلما كان بعد ثلاثة خرج وتبعه وطئ أرض العجم و قال لأبلغن من البلاد حيث لم يبلغ أحد من التبابعة فجال بهم في ارض خراسان ثم مضى إلى المغرب حتى بلغ رومية وخلف عليها

ابن عم له وأقبل إلى أرض العراق حتى إذا صار على شاطئ الفرات قالت وجوه حمير ما لنا نفني أعمارنا مع هذا نطوف في الأرض كلها ونفرق بيننا وبين بلدنا وأولادنا و عيالنا وأموالنا فلا ندري من نخلف عليهم بعدنا

فكلموا أخاه عمرا و قالوا له كلم أخاك في الرجوع إلى بلده وملكه قال هو أعسر من ذلك وأنكر فقالوا فاقتله ونملكك علينا فأنت أحق بالملك من أخيك وأنت أعقل وأحسن نظرا لقومك فقال أخاف ألا تفعلوا وأكون قد قتلت أخي وخرج الملك عن يدي فواثقوه حتى ثلج إلى قولهم وأجمع الرؤساء على قتل أخيه كلهم إلا ذا رعين فإنه خالفهم وقال ليس هذا برأي

يذهب الملك من حمير فشجعه الباقون على قتل أخيه فقال ذو رعين أن قتلته باد ملكك
فلما رأى ذو رعين ما أجمع عليه القوم أتاه بصحيفة مختومة فقال يا عمرو إني مستودعك هذا الكتاب فضعه عندك في مكان حريز وكتب فيه
(ألا مَنْ يشتري سهراً بنومٍ ... سعيد مَنْ يبيت قريرَ عَين)
(فإن تكُ حَميرٌ غَدَرتْ وخانتْ ... فمعذرةُ الإله لذي رُعين)
قتله أخوه وهو نائم فامتنع منه النوم
ثم إن عمرا أتى حسان أخاه وهو نائم على فراشه فقتله واستولى على ملكه فلم يبارك فيه وسلط الله عليه السهر وامتنع منه النوم فسأل الأطباء و الكهان و العياف فقال له كاهن منهم إنه ما قتل أخاه رجل قط إلا منع
نومه فقال عمرو هؤلاء رؤساء حمير حملوني على قتله ليرجعوا إلى بلادهم ولم ينظروا إلي ولا لأخي
فجعل يقتل من أشار عليه منهم بقتله فقتلهم رجلا رجلا حتى خلص إلي ذي رعين وأيقن بالشر فقال له ذو رعين ألم تعلم أني أعلمتك ما في قتله ونهيتك وبينت هذا قال وفيم هو قال في الكتاب الذي استودعتك
فدعا بالكتاب فلم يجده فقال ذو رعين ذهب دمي على أخذي بالحزم فصرت كمن أشار بالخطأ ثم سأل الملك أن ينعم في طلبه ففعل فأتى به فقرأه فإذا فيه البيتان فلما قرأهما قال لقد أخذت بالحزم قال إني خشيت ما رأيتك صنعت بأصحابي
قال وتشتت أمر حمير حين قتل أشرافها واختلفت عليه حتى وثب على عمرو لخيعة ينوف ولم يكن من أهل بيت المملكة فقتله واستولى على ملكه وكان يقال له ذو شناتر الحميري وكان فاسقا يعمل عمل قوم لوط وكان يبعث إلى أولاد الملوك فيلوط بهم و كانت حمير إذا ليط بالغلام لم تملكه ولم ترتفع به و كانت له مشربة يكون فيها يشرف على حرسه فإذا أتي بالغلام أخرج رأسه إليهم وفي فيه السواك فيقطعون مشافر ناقة المنكوح وذنبها فإذا خرج صيح به أرطب أم يباس فمكث بذلك زمانا
حتى نشأ زرعة ذو نواس و كانت له ذؤابة وبها سمي ذا نواس وهو الذي تهود وتسمى يوسف وهو صاحب الأخدود بنجران و كانوا نصارى فخوفهم وحرق الإنجيل وهدم الكنائس ومن أجله غزت الحبشة
اليمن لانهم نصارى فلما غلبوا على اليمن اعترض البحر واقتحمه على فرس فغرق
فلما نشأ ذو نواس قيل له كأنك وقد فعل بك كذا وكذا فأخذ سكينا لطيفا خفيفا وسمه وجعل له غلافا فلما دعا به لخيعة جعله بين أخمصه ونعله وأتاه على ناقة له يقال لها سراب فأناخها وصعد إليه فلما قام يجامعه كما كان يفعل انحنى زرعة فأخذ السكين فوجأ بها بطنه فقتله واحتز رأسه فجعل السواك في فيه وأطلعه من الكوة فرفع الحرس رؤوسهم فرأوه ونزل زرعة فصاحوا زرعة يا ذا نواس أرطب أم يباس فقال ستعلم الأحراس است ذي نواس رطب أم يباس وجاء إلى ناقته فركبها فلما رأى الحرس اطلاع الرأس صعدوا إليه فإذا هو قد قتل فأتوا زرعة فقالوا ما ينبغي أن يملكنا غيرك بعد أن أرحتنا من هذا الفاسق واجتمعت حمير إليه ثم كان من قصته ما ذكرناه آنفا
صوت
(يا ربةَ البيتِ قومي غيرَ صاغرةٍ ... ضُمِّي إليكِ رحالَ القوم و القُرُبا)
(في ليلة مِنْ جُمادى ذاتِ أندية ... لا يُبصِر الكلبُ من ظلمائهَا الطُّنُبا)
(لا ينبحُ الكلبُ فيها غَير واحدةٍ ... حتى يَلُفَّ على خيشومه الذَّنبا)
الشعر لمرة بن محكان السعدي والغناء لابن سريج رمل بالوسطى وله فيه أيضا خفيف ثقيل بالوسطى كلاهما عن عمرو وذكر حبش أن فيه لمعبد ثاني ثقيل بالوسطى و الله أعلم
أخبار مرة بن محكان
هو مرة بن محكان ولم يقع إلينا باقي نسبه أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم شاعر مقل إسلامي من شعراء الدولة الأموية وكان في عصر جرير والفرزدق فأخملا ذكره لنباهتهما في الشعر
كان شريفا جوادا شديد السخاء
وكان مرة شريفا جوادا وهو أحد من حبس في المناحرة والإطعام
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال
كان مرة بن محكان سخيا وكان أبو البكراء يوائمه في الشرف وهما جميعا من بني الربيع فأنهب مرة بن محكان ماله الناس فحبسه عبيد الله بن زياد فقال في ذلك الأبيرد الرياحي
(حبستَ كريماً أن يجودَ بماله ... سعى في ثأى من قومه متفاقِم
(كأنّ دماءَ القوم إذ عَلقوا به ... على مكفَهرٍّ من ثنَايا المخارِم)
(فإن أنتَ عاقبت ابن مَحكان في الندى ... فعاقب هداك اللُه أعظُمَ حَاتِم)
قال فأطلقه عبيد الله بن زياد فذبح أبو البكراء مائة شاة فنحر مرة بن محكان مائة بعير فقال بعض شعراء بني تميم يمدح مرة
(شرى مائةً فأنهبها جواداً ... وأنت تناهب الحدَف القِهادَا)
الحدف صغار الغنم والقهاد البيض
أخبرني أحمد بن محمد الأسدي أبو الحسن قال حدثنا الرياشي قال سئل أبو عبيدة عن معنى قول مرة بن محكان
(... ضمِّني إليك رحالَ القوم والقُرُبا)
ما الفائدة في هذا فقال كان الضيف إذا نزل بالعرب في الجاهلية ضموا إليهم رحله وبقي سلاحه معه لا يؤخذ خوفا من البيات فقال مرة بن محكان يخاطب امرأته ضمي إليك رحال هؤلاء الضيفان و سلاحهم فإنهم عندي في عز وأمن من الغارات و البيات فليسوا ممن يحتاج أن يبيت لا بسا سلاحه
قتله مصعب بن الزبير
أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن يونس قال كان الحارث بن أبي ربيعة على البصرة أيام
ابن الزبير فخاصم إليه رجل من بني تميم يقال له مرة بن محكان رجلا فلما أراد إمضاء الحكم عليه نشأ مرة بن محكان يقول

(أحارِ تثّبتْ في القَضاء فإنه ... إذا ما إمامٌ جار في الحكمِ أقصَدا)
(وإنكَ موقوف علي الحكم فاحتفظْ ... ومهما تصبْه اليومَ تُدركْ به غداً)
(فإنيَ مِمَّا أدركُ الأمرَ بالأنى ... وأقطع في رأس الأميرِ المُهَّندا)
فلما ولي مصعب بن الزبير دعاه فأنشده الأبيات فقال أما و الله لأقطعن السيف في رأسك قبل أن تقطعه في رأسي و أمر به فحبس ثم دس إليه من قتله
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن جامع عن يونس قال
جاء رجل من قريش إلى الغريض فقال له بأبي أنت و أمي إني جئتك قاصدا من الطائف أسألك عن صوت تغنيني إياه قال وما هو قال لحنك في هذا الشعر
(نشرَّبَ لونَ الرازقيّ بيَاضه ... أو الزعفرانَ خالط المسكَ رادعُه)
فقال لا سبيل إلى ذلك هذا الصوت قد نهتني الجن عنه ولكني أغنيك في شعر لمرة بن محكان وقد طرقه ضيف في ليلة شاتية فأنزلهم ونحر لهم ناقته ثم غناه قوله
(يا ربة البيت قومي غيرَ صاغرةٍ ... ضُمِّي إليك رحالَ القَوْمِ والقُرُبا)
فأطربه ثم قال له الغريض هذا لحن أخذته من عبيد بن سريج وسأغنيك لحنا عملته في شعر على وزن هذا الشعر ورويه للحطيئة ثم غناه
(ما نَقَموا من بغيضٍ لا أبالهُم ... في بائس جاء يحدو أينُقاً شُزُبَا)
(جاءت به من بلاد الطُّور تحملهُ ... حصَّاء لم تتركْ دون العصَا شَذَبا)
فقام القرشي فقبل رأسه فقال له فدتك نفسي وأهلي لو لم أقدم مكة لعمرة ولا لبر وتقوى ثم قدمت إليها لأراك وأسمع منك لكان ذلك قليلا
ثم انصرف
وحدثني بعض مشايخ الكتاب أنه دخل على أبي العبيس بن حمدون يوما فسأله أن يقيم عند فأقام وأتاهم أبو العبيس بالطعام فأكلوا ثم قدم الشراب فشربوا وغناهم أبو العبيس يومئذ هذا الصوت
(ألا مُتّ أعطيتَ صبراً وعزمةً ... غداة رأيتَ الحيَّ للبين غاديا)
((ولم تعتصرْ عينيك فَكهةُ مازحٍ ... كأنك قد أبدعتَ إذ ظلْت باكيا
فأحسن ما شاء ثم ضرب ستارته و قال
(... يا ربةَ البيتِ غَني غير صاغرة)
فاندفعت عرفان فغنت
(يا ربةَ البيت قومي غيرَ صاغرة ... ضُمَّي إليك رحال القوم والقُرُبا)
قال فما سمعت غناء قط أحسن مما سمعته من غنائهما يومئذ
نسبة هذا الصوت
صوت
(ألا متّ لا أعطِيتَ صبراً وعزمة ... غداة رأيتَ الحيّ للبين غاديا)
(ولم تعتصر عينيك فَكِهةُ مازح ... كأنك قد أبدعت إذ ظلتَ باكيا)
(فصيِّرت دمعاً أن بكيتَ تَلَدُّداً ... به لفراقِ الإلف كفؤاً مُوازيا)
(لقد جلَّ قدر الدمع عندكَ أنْ ترى ... بكاءك للبين المُشِتّ مُساويا)
الشعر لأعرابي أنشدناه الحرمي بن أبي العلاء عن الحسين بن محمد بن أبي طالب الديناري عن إسحاق الموصلي لأعرابي
قال الديناري وكان إسحاق كثيرا ما ينشد الشعر للأعراب وهو قائله وأظن هذا الشعر له و الغناء لعمرو بن بانة ثقيل أول بالبنصر من كتابه
صوت
(فإن تكُ من شيبانَ أميّ فإنني ... لأبيضُ من عجلٍ عريضِ المَفارِقِ
(وكيف بذكري أمَّ هارون بعد ما ... خبطنَ بأيديهنَّ رملَ الشقائق)
(كأنّ نَقاً من عالج أُزرتْ به ... إذا الزّل ألهاهنّ شدُّ المناطق)
(وإنا لتَغلِي في الشّتاءُ قدورُنا ... ونصبر تحت اللأمعات الخوافِقِ)
عروضه من الطويل الشعر للعديل بن الفرخ العجلي و الغناء لمعبد خفيف ثقيل من أصوات قليلة الأشباه عن يونس وإسحاق وفيه لهشام بن المرية لحن من كتاب إبراهيم وفيه لسنان الكاتب ثقيل أول عن الهشامي وحبش و قال حبش خاصة فيه للهذلي أيضا ثاني ثقيل بالوسطى
أخبار العديل ونسبه
العديل بن الفرخ بن معن بن الأسود بن عمرو بن عوف بن ربيعة بن جابر بن ثعلبة بن سمي بن الحارث وهو العكابة بن ربيعة بن عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار
و قال أبو عبيدة كان العكابة اسم كلب للحارث بن ربيعة بن عجل فلقب باسم كلبه وغلب عليه قال وكان عجل من محمقي العرب قيل له أن لكل فرس جواد اسما وان فرسك هذا سابق جواد فسمه ففقأ إحدى عينيه وقال قد سميته الأعور وفيه يقول الشاعر
(رمتْني بنو عجلٍ بداء أبيهمُ ... وهل أحدٌ في الناسِ أحمق من عجل)
(أليس أبوهمْ عارَ عينَ جواده ... فصارتْ بن الأمثالُ تضرب بالجهل)
عرفت أسرته بالشعر و الفروسية
والعديل شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية وكان له ثمانية إخوة وأمهم جميعا امرأة من بني شيبان ومنهم من كان شاعرا فارسا أسود وسوادة وشملة وقيل سلمة والحارث وكان يقال لأمهم درماء
وكان للعديل وإخوته ابن عم يسمى عمرا فتزوج بنت عم لهم بغير

أمرهم فغضبوا ورصدوه ليضربوه وخرج عمرو ومعه عبد له يسمى دابغا فوثب العديل وإخوته فأخذوا سيوفهم فقالت أمهم إني أعوذ بالله من شركم فقال لها ابنها الأسود وأي شيء تخافين علينا فو الله لو حملنا بأسيافنا على هذا الحنو حنو قراقر لما قاموا لنا فانطلقوا حتى لقوا عمرا فلما رآهم ذعر منهم وناشدهم فأبوا فحمل عليه سوادة فضرب عمرا ضربة بالسيف وضربه عمرو فقطع رجله فقال سوادة

(ألا من يشتري رجلاً برجْلٍ ... تأبّى للقيام فلا تقوم)

وقال عمرو ولدابغ اضرب وأنت حر فحمل دابغ فقتل منهم رجلا وحمل عمرو فقتل آخر وتداولاهم فقتلا منهم أربعة وضرب العديل على رأسه ثم تفرقوا وهرب دابغ حتى أتى الشأم فداوى ربضة بن النعمان الشيباني للعديل ضربته ومكث مدة ثم خرج العديل بعد ذلك حاجا فقيل له إن دابغا قد جاء حاجا وهو يرتحل فيأخذ طريق الشأم وقد اكترى فجعل العديل عليه الرصد حتى إذا خرج دابغ ركب العديل راحلته وهو متلثم وانطلق يتبعه حتى لقيه خلف الركاب يحدو بشعر العديل ويقول

(يا دارَ سلمى أقفرتْ من ذي قارْ ... وهل بإقفار الديار من عارْ)

(وقد كسينَ عرَقاً مثل القارْ ... يخرجْن من تحتِ خلالِ الأوبار)

فلحقه العديل فحبس عليه بعيره وهو لا يعرفه ويسير رويدا ودابغ يمشي رويداً وتقدمت إبله فذهبت وإنما يريد أن يباعده عنها بوادي حنين ثم قال له العديل والله لقد استرخى حقب رحلي أنزل فأغير الرحل وتعينني فنزل فغير الرحل وجعل دابغ يعينه حتى إذا شد الرحل أخرج العديل السيف فضربه حتى برد ثم ركب راحلته فنجا وأنشأ يقول

(ألم ترني جلّلتُ بالسيف دَابغاً ... وإن كان ثأراً لم يُصبه غليلي)

(بوادي حنينٍ ليلةَ البدرِ رِعتُه ... بأبيضَ من ماء الحَديد صَقِيل)

(وقلت لهم هذا الطريقُ أمامكم ... ولم أك إذ صاروا لَهم بدَّليل)

وقال أبو اليقطان كان العديل هجا جرثومة العنزي الجلاني فقال فيه

(أهاجي بني جِلاّن إذ لم يكنْ لها ... حديثٌ ولا في الأولين قديم)

فأجابه جرثومة فقال

(وإنّ امرأً يهجو الكرام ولم ينَل ... من الثأر إلا دابغاً للئيمُ)

(أتطلُب في جِلاّن وتراً ترومُه ... وفاتك بالأوتار شَرُّ غريم)

قالوا واستعدى مولى دابغ على العديل الحجاج بن يوسف وطالبه بالقود فيه فهرب العديل من الحجاج إلى بلد الروم فلما صار إلى بلد الروم لجأ إلى قيصر فأمنه فقال في الحجاج

(أُخَوَّفُ بالحجاج حتّى كأنما ... يُحرَّك عظم في الفؤاد مَهيضُ)

(ودون يد الحجاج من أن تنالني ... بِساط لأيدي الناعجات عَريض

(مهامه أشباه كأن سرابَها ... مُلاءٌ بأيدي الراحضات رَحيض)

فبلغ شعره الحجاج فكتب إلى قيصر لتبعثن به أو لأغزينك جيشاً يكون أوله عندك وآخره عندي فبعث به قيصر إلى الحجاج فقال له الحجاج لما أدخل عليه أأنت القائل

ودون يد الحجاج من أن تنالني فكيف رأيت الله أمكن منك قال بل أنا القائل أيها الأمير

(فلو كنتُ في سلمى أجاً وشعابِها ... لكان لحجَّاجٍ عليّ سبيلُ)

(خليلُ أمير المؤمنين وسيفُه ... لكلِّ إمامٍ مُصطَفى وخليلُ)

(بَنى قُبَّةَ الإسلام حتى كأنَّما ... هدَى الناسَ من بعد الضلالِ رسولُ)

فخلى سبيله وتحمل دية دابغ في ماله

الحجاج يعفو عن العديل بعد ان هجاه ثم عاد فمدحه

أخبرني عمي وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن منصور بن عطية الغنوي قال أخبرني جعفر بن عبيد الله بن جعفر عن أبي عثمان البقطري قال

خرج العديل بن الفرخ يريد الحجاج فلما صار ببابه حجبه الحاجب فوثب عليه العديل وقال إنه لن يدخل على الأمير بعد رجالات قريش أكبر مني ولا أولى بهذا الباب فنازعه الحاجب الكلام فأحفظه وانصرف العديل عن باب الحجاج إلى يزيد بن المهلب فلما دخل إليه أنشأ يقول

(لئن أرتج الحجاجُ بالبخل بابَه ... فباب الفتى الأزديّ بالعُرف يُفتحُ)

(فتىً لا يبالي الدهرَ ما قلَّ مالُه ... إذا جعلتْ أيدي المكارم تسنَح)

(يداه يدٌ بالعرف تُنهبُ ما حوتْ ... وأخرى على الأعداء تَسطو وتجرحُ)

(إذا ما أتاه المرمِلون تيقَّنوا ... بأنّ الغِنَى فيهِم وَشيكاً سَيَسرحُ)

(أقام على العافين حُرّاسَ بابِه ... يُنادونهم والحُرُّ بالحرّ يَفرحُ)

(هلموا إلى سَيْبِ الأمير وعُرفِه ... فإنّ عطاياه على الناس تَنْفَحُ)

(وليس كعِلجٍ من ثمودّ بكَفِّه ... من الجودِ والمعروف حَزم مطوَّح)

فقال له يزيد عرضت بنا وخاطرت بدمك وبالله لا يصل إليك وأنت في حيزي فأمر له بخمسين ألف درهم وحمله على أفراس وقال له الحق بعلياء نجد واحذر أن تعلقك حبائل الحجاج أو تحتجنك محاجنه وابعث إلي في كل عام ذلك علي مثل هذا فارتحل وبلغ الحجاج خبره فأحفظه ذلك على يزيد وطلب العديل ففاته وقال لما نجا

((ودونَ يد الحجاج من أن تنالَني ... بساطٌ لأيدي الناعجاتِ عريضُ

قال ثم ظفر به الحجاج بعد ذلك فقال إيه أنشدني قولك

(... ودون يد الحجاج من أن تنالني)

فقال لم أقل هذا أيها الأمير ولكني قلت

(إذا ذُكر الحجاجُ أضمرتُ خِيفة ... لها بين أحناء الضلوع نَقيضُ)

فتبسم الحجاج وقال أولى لك وعفا عنه وفرض له

شفع له سادات بكر عند الحجاج

وقال أبو عمرو الشيباني لما لجَّ الحجاج في طلب العديل لفظته الأرض ونبا به كل مكان هرب إليه فأتى بكر بن وائل وهم

يومئذ بادون جميع منهم بنو شيبان وبنو عجل وبنو يشكر فشكا إليهم أمره وقال لهم أنا مقتول أفتسلمونني هكذا وأنتم أعز العرب قالوا لا والله ولكن الحجاج لا يراغم ونحن نستوهبك منه فإن أجابنا فقد كفيت وأن حادنا في أمرك منعناك وسألنا أمير المؤمنين أن يهبك لنا فأقام فيهم واجتمعت وجوه بكر بن وائل إلى الحجاج فقالوا له أيها الأمير إنا قد جنينا جميعاً عليك جناية لا يغفر مثلها وها نحن قد استسلمنا وألقيتنا بأيدينا إليك فإما وهبت فأهل ذلك أنت وإما عاقبت فكنت المسلط الملك العادل فتبسم وقال قد عفوت عن كل جرم إلا جرم الفاسق العديل فقاموا على أرجلهم فقالوا مثلك أيها الأمير لا يستثني على أهل طاعته وأوليائه في شيء فإن رأيت ألا

تكدر مننك باستثناء وأن تهب لنا العديل في أول من تهب قال قد فعلت فهاتوه قبحه الله فأتوه به فلما مثل بين يديه أنشأ يقول

ماذا قال في حضرة الحجاج

(فلو كنتُ في سلمى أجاً وشعابِها ... لكان لحجَّاجٍ عليَّ دليلُ)

(بنى قُبة الإسلام حتى كأنَّما ... هَدى الناسَ من بعد الضلال رسولُ)

(إذا جار حُكْم النَّاس ألجأ حكمَه ... إلى الله قاضٍ بالكتاب عقولُ)

(خليلُ أميرِ المؤمنين وسيفُه ... لكل إمامٍ صاحبٌ وخليل)

(به نصرَ اللهُ الخليفةَ منهمُ ... وثبَّتَ مُلكاً كادَ عنه يزولُ)

ويروى به نصر الله الإمام عليهم

(فأنت كسيفِ اللهِ في الأرضِ خالدٍ ... تصولُ بعونِ الله حين تصولُ)

(وجازيْتَ أصحابَ البلاء بلاءهم ... فما منهمُ عمَّا تُحِبُّ نُكولُ)

(وصُلْتَ بمرَّان العراقِ فأصبحتْ ... مناكِبُها للوطء وهي ذَلولُ)

أقام الواحد مقام الجمع في قوله ذلول

(أذقت الحِمَامَ ابني عِبَادٍ فأصبحوا ... بمنزل موهونِ الجَناحِ ثكولِ)

(ومن قَطَرِيٍّ نلتَ ذاك وحولَه ... كتائبُ من رجَّالة وخُيولُ)

((إذا ما أتت بابَ ابنِ يوسفَ ناقتي ... أتتْ خيرَ منزولٍ به ونَزيلِ

(وما خفتُ شيئاً غيرَ ربِّي وحدَه ... إذا ما انتحيتُ النفسَ كيفَ أقولُ)

(ترى الثقلين الجنّ والإنسَ أصبحا ... على طاعة الحجَّاج حينَ يقولُ)

فقال له الحجاج أولى لك فقد نجوت وفرض له وأعطاه عطاءه فقال يمدح سائر قبائل وائل ويذكر دفعها عنه ويفتخر بها

(صَرمَ الغواني واستراح عواذلي ... وصحوتُ بعد صَبابة وتمايُلِ)

(وذكرت يوم لوى عتيقٍ نسوةً ... يخْطِرْن بين أكِلَّةٍ ومراحلِ)

(لعب النعيمُ بهنّ في أظلاله ... حتى لبسنَ زمانَ عيش غافلِ)

صوت

(يأخذنْ زينتهُنّ أحسنَ ما ترى ... وإذا عَطِلن فهنَّ غيرُ عواطِلِ)

(وإذا خبأن خدودَهن أريْنَا ... حدَقَ المها وأَجَدْنَ سهم القاتلِ)

(ورمينَني لا يستترن بجنّة ... إلا الصِّبا وعلِمْن أين مَقاتلي)

(يلبسنَ أرديةَ الشباب لأهلِهَا ... ويجرُّ باطلُهنَّ حبلَ الباطلِ)

الغناء في هذه الأبيات الأربعة لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى من رواية يحيى المكي وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى المكي إلى ابن سريج

((بيضُ الأُنوق كأنّهنّ ومن يَرِدْ ... بَيْضَ الأنوق فوكرُها بمعاقلِ

(زعم الغواني أن جهلَك قد صحَا ... وسوادَ رأسك فضلُ شَيْب شاملِ)

(ورآك أهلُكَ منهمُ ورأيتَهم ... ولقد تكونُ مع الشباب الخاذلِ)

(وإذا تطاولتِ الجبالُ رأيتَنا ... ولقد تكونُ مع الشباب الخاذلِ)

(وإذا سألت ابنَيْ نزارٍ بيّنا ... مجْدِي ومنزلتي من ابنَيْ وائلِ)

(حدِبَتْ بنو بكر عليّ وفيهمُ ... كلُّ المكارمِ والعديدِ الكاملِ)

(خطَروا ورائي بالقنا وتجمَّعتْ ... منهم قبائلُ أُردِفوا بقبائلِ)

(إن الفوارسَ من لُجَيمٍ لم تزَل ... فيهم مهابةُ كلِّ أبيضَ ناعلِ)

(متعمِّمٍ بالتاج يسجدُ حولَه ... مِنَ آلِ هَوذة للمكارمِ حاملِ)

(أو رهط حنظلةَ الذين رماحُهمْ ... سُمُّ الفوارس حتْف موتٍ عاجلِ)

(قوم إذا شَهَرُوا السيوفَ رأَوْا لها ... حقاً ولم يكُ سَلُّها للباطلِ)

(ولئن فخرْتُ بهم لمثلِ قَديمهم ... بسَطَ المُفاخر للّسان القائلِ)

(أولادِ ثعلبة الذين لِمثلِهم ... حِلْم الحليم وردُّ جهل الجاهلِ)

(ولَمَجْدُ يشكرَ سوْرَةٌ عاديَّةٌ ... وأب إذا ذكروه ليس بخاملِ)

((وبنو القدار إذا عددْتَ صنيعَهم ... وضَح القديمُ لهم بكل محافلِ

(وإذا فخرْتَ بتغلبَ ابنةِ وائل ... فاذكر مكارمَ من ندىً وشمائلِ)

(ولتغلبَ الغلباء عزٌّ بيِّنٌ ... عاديَّة ويزيد فوقَ الكاهلِ)

(تسطو على النُّعمان وابنِ محرِّق ... وابني قَطامِ بعِزَّة وتناوُلِ)

(بالمقربات يبِتْنَ حول رحالِهم ... كالقِدِّ بعد أجِلّة وصواهلِ)

(أولاد أعوجَ والصريحِ كأنَّها ... عِقبانُ يوم دُجُنَّةٍ ومخايلِ)

(يلقِطنَ بعد أزومِهنَّ على الشَّبا ... علَق الشكيمِ بألسُن وجحافلِ)

(قوم هم قتلوا ابن هندٍ عَنْوة ... وقنا الرماح تذودُ وِرْدَ الناهلِ)

(منهم أبو حَنَش وكان بكفِّه ... ريُّ السِّنان وريُّ صدر العاملِ)

(ومُهلهِل الشعراء إن فخَروا به ... ونَدى كُلَيْبٍ عند فضل النائلُ)

(حَجَب المنيَّةَ دون واحد أمِّه ... من أن تبيتَ وصدرُها ببلابل)
(كفى مجالسة السَّبابِ فلم يكنْ ... يُستبُّ مجلُسه وحقُّ النازلِ)
(حتى أجارَ على الملوكِ فلم يدعْ ... حَرباً ولا صَعِراً لرأس مائلِ)
((في كل حيٍّ للهذيل ورهطِه ... نَعَم وأخذُ كريمةٍ بتناولِ
(بيض كرائمُ ردُّهن لعنوة ... أسلُ القَنا وأخذنَ غيرَ أراملِ)
(أبناؤهنَّ من الهُذيل ورهطه ... مثلُ الملوكِ وعشنَ غيرَ عواملِ)
وقال أبو عمرو أيضاً قال العديل لرجل من موالي الحجاج كان وجهه في جيش إلى بني عجل يطلب العديل حين هرب منه فلم يقدر عليه فاستاق إبله وأحرق بيته وسلب امرأته وبناته وأخذ حليهن فدخل العديل يوماً على الحجاج ومولاه هذا بين يديه واقف فتعلق بثوبه وأقبل عليه وأنشأ يقول
صوت
(سلبتَ بناتي حَلْيَهنّ فلم تدعْ ... سِواراً ولاَ طوْقاً على النَّحر مُذهبا)
هكذا في الشعر سلبت بناتي والغناء فيه سلبت الجواري حليهن
(وما عزَّ في الآذان حتى كأنما ... تُعطَّل بالبيضِ الأوَانسِ رَبربا)
(عواطلَ إلا أن ترى بخدودها ... قسامةَ عِتق أو بناناً مُخضَّبا)
(ففكَكتَ البُرينَ عن خِدال ... كأنها بَرادِيُّ غِيلٍ ماؤه قد تنضّبا)
(من الدُّرِ والياقوتِ عن كل حُرَّةٍ ... ترى سِمطَهَا بين الجُمانِ مُثقَّبا)
(دَعَوْن أميرَ المؤمنين فلم يُجب ... دعاءً ولم يُسمعنَ أُماً وَلا أباَ)
غنى في الأول والرابع من هذه الأبيات أحمد النصيبي الهمذاني ثان ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيهما ثقيل أول بالسبابة والوسطى نسبه ابن المكي إلى عبد الرحيم الدفاف ونسبه الهشامي إلى عبد الله بن العباس

شماتته بعدو له أصيب في أنفه

وقال أبو عمرو الشيباني أصاب رجل من رهط العُديل من بني العكابة أنف رجل من بني عجل يقال له جبار فقال العديل في ذلك وكان عدواً له
(ألم تر جبَّاراً ومارِنَ أنفه ... له ثُلَمٌ يهوِيْن أن يتنحَّا)
(ونحنُ جدَعْنا أنفه فكأنما ... يَرَى الناسَ أعداء إذا هو أطلَعا)
(كُلُوا أنفَ جَبّار بِكاراً فإنما ... تركناه عن قَرطٍ من الشرِّ أجدعا)
(معاقد من أيديهمُ وأنوفهمْ ... بكاراً ونيباً تركبُ الحزْن ظُلَّعا)
قال وكان رجل من رهط العديل أيضا ضرب يد وكيع أحد بني الطاغية وهما يشربان فقطعها وافترقا ثم هرب العديل وأبوه إلى بني قيس بن سعد لما قال الشعر الأول يفخر بقطع أنف جبار ويد وكيع لأنهم حلفوا أن يقطعوا أنفه ويده دون من فعل ذلك بهم فلجأ إلى عفير بن جبير بن هلال بن مرة بن عبد الله بن معاوية بن عبد بن سعد بن جشم بن قيس بن عجل فقال العديل في ذلك
(تركتُ وكيعاً بعد ما شاب رأسُه ... أشلَّ اليمين مستقيمَ الأخادِعِ)
((فَشرِّب بها وَرْقَ الإفال وكُل بها ... طعامَ الذليل وانجَحِر في المخادِعِ
فقالت بنو قيس بن سعد للفرخ أبي العديل يا فرخ أنصف قومك وأعطهم حقهم فركب إليهم الفرخ ومعه حسان بن وقاف ودينار رجلان من بني الحارث فأسرته بنو الطاغية وانتزعوه من الرجلين وتوجهوا به نحو البصرة فرجع حسان ودينار إلى قومهما مستنفرين لهم فركب النفير في طلب بني الطاغية فأدركوا منهم رجلاً فأسروه بدل الفرخ ثم إن عفيراً لحق بهم فاشترى منهم الجراحة بسبعين بعيراً وأخذ الفرخ منهم فأطلقه فقال العديل في ذلك
(ما زال في قيس بن سعد لجارِهم ... على عهدِ ذي القرنين مُعْطٍ ومانعُ)
(هم استنقذوا حسَّانَ قسراً وأنتُمُ ... لِئام المقام والرماحُ شوارعُ)
(غدرتم بدينار وحسَّان غَدرةً ... وبالفَرخ لما جاءكم وهو طائعُ)
(فلولا بنو قيس بن سعد لأصبحَتْ ... عليَّ شداداً قَبضُهنَّ الأصابعُ)
(ألا تسألون ابن المشتَّم عنهمُ ... جُعامةَ والجيرانُ وافٍ وظالع)
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثنا الرِّياشي عن الأصمعيِّ قال قال أبو النجم للعديل بن الفرخ أرأيت قولك
(فإن تك من شيبانَ أُمِّي فإنّني ... لأبيضُ عجليٌّ عريضُ المَفارقِ)
أكنت شاكا في نسبك حين قلت هذا فقال له العديل أفشككت في نفسك أو شعرك حين قلت
((أنا أبو النجم وشعري شعري ... لِلّهِ درِّي ما يُجنُّ صدري
فأمسك أبو النجم واستحيا

العديل ومالك بن مسمع

أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي عن العتبي قال
حمل زياد إلى معاوية مالاً من البصرة ففزعت تميم والأزد وربيعة إلى مالك بن مسمع وكانت ربيعة مجتمعة عليه كاجتماعها على كليب في حياته واستغاثوا به وقالوا يحمل المال ونبقى بلا عطاء فركب مالك في ربيعة واجتمع الناس إليه فلحق بالمال فرده وضرب فسطاطاً بالمربد وأنفق المال في الناس حتى وفاهم عطاءهم ثم قال إن شتم الآن أن تحملوا فاحملوا فما راجعه زياد في ذلك بحرف لما ولي حمزة بن عبد الله بن الزبير البصرة جمع مالاً ليحمله إلى أبيه فاجتمع الناس إلى مالك واستغاثوا به ففعل مثل فعله بزياد فقال العديل بن الفرخ في ذلك
(إذا ما خَشينا من أميرٍ ظُلامة ... دعونا أبا غسَّانَ يوماً فعسكرا)
(ترى الناسَ أفواجاً إلى باب داره ... إذا شاء جاؤوا دارِعِينَ وحُسَّرَا)
وأول هذه القصيدة
(أمن منزلٍ من أم سَكْن عشيَّةً ... ظلِلْتُ به أبكي حزيناً مُفكِّرا)
(معي كلُّ مُسترخي الإزار كأنه ... إذا ما مشى من جنِّ غِيل وعَبقَرا

(يُزجِّي المَطَايا لا يبالي كليْهما ... مُقلصَّة خُوصاً من الأيْن ضُمَّرا)

الفرزدق يقول العديل شاعر بكر بن وائل

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الحسن الشيباني قال حدثني عبدة بن عصمة بن معبد القيسي قال حدثني جدي أبو أمي فراس بن خندف عن أبيه عن جده علي بن شفيع قال لقيت الفرزدق منصرفه عن بكر بن وائل فقلت له يا أبا فراس من شاعر بكر بن وائل ممن خلفته خلفك قال أميم بني عجل يعني العديل بن الفرخ على أنه ضائع الشعر سروق للبيوت

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي عن إسحاق عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية قال

لما قدم الحجاج العراق قال العديل بن الفرخ

(دعوا الجُبنَ يا أهلَ العراق فإنّما ... يُهان ويُسبَى كلُّ من لا يقاتلُ)

(لقد جرَّد الحجاجُ لِلحقِّ سيفَه ... ألا فاستقيموا لا يميلنْ مائلُ)

((وخافوه حتى القومُ بينَ ضُلوعهم ... كَنَزْو القطا ضُمَّتْ عليه الحبائلُ)

(وأصبح كالبازي يقلِّبُ طرفَه ... على مرقب والطيرُ منه دواحلُ)

قال فقال الحجاج وقد بلغته لأصحابه ما تقولون قالوا نقول إنه مدحك فقال كلا ولكنه حرض علي أهل العراق وأمر بطلبه فهرب وقال

(أُخَوَّفُ بالحجاج حتى كأنما ... يُحرِّكُ عَظْمٍ في الفؤاد مَهيضُ)

(ودون يَدِ الحَجَّاج من أن تنالَني ... بِساطٌ لأيدي الناعجات عَريضُ)

(مهامه أشباه كأنَّ سَرابَها ... مُلاّءٌ بأيدي الغاسلات رَحيضُ)

فجد الحجاج في طلبه حتى ضاقت عليه الأرض فأتى واسطاً وتنكر وأخذ رقعة بيده ودخل إلى الحجاج في أصحاب المظالم فلما وقف بين يديه أنشأ يقول

(هأنذا ضاقتْ بيَ الأرض كلُّها ... إليكَ وقد جوَّلْتُ كلَّ مكانِ)

(فلو كنتُ في ثَهلان أو شُعبَتَيْ أجاً ... لخلتُكَ إلا أن تُصَدَّ تَراني)

فقال له الحجاج العديل أنت قال نعم أيها الأمير فلوى قضيب خيزران كان في يده في عنقه وجعل يقوله إيه

(...بساط لأيدي الناعجات عريض)

فقال لا بساط إلا عفوك قال اذهب حيث شئت

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال

كان حوشب بن يزيد بن الحويرث بن رويم الشيباني وعكرمة بن ربعي البكري يتنازعان الشرف ويتباريان في إطعام الطعام ونحر الجزر في عسكر مصعب وكاد حوشب يغلب عكرمة لسعة يده قال وقدم عبد العزيز بن يسار مولى بجير قال وهو زوج أم شعبة الفقيه بسفائن دقيق فأتاه عكرمة فقال له الله الله في قد كاد حوشب أن يستعليني ويغلبني بماله فبعني هذا الدقيق بتأخير ولك فيه مثل ثمنه ربحاً فقال خذه وأعطاه إياه فدفعه إلى قومه وفرقه بينهم وأمرهم بعجنه كله فعجنوه كله ثم جاء بالعجين كله فجمعه في هوة عظيمة وأمر به فغطي بالحشيش وجاء برمكة فقربوها إلى فرس حوشب حتى طلبها وأفلت ثم ركضوها بين يديه وهو يتبعها حتى ألقوها في ذلك العجين وتبعها الفرس حتى تورطا في العجين وبقيا فيه جميعاً وخرج قوم عكرمة يصيحون في العسكر يا معشر المسلمين أدركوا فرس حوشب فقد غرق في خميرة عكرمة فخرج الناس تعجباً من ذلك أن تكون خميرة يغرق فيها فرس فلم يبق في العسكر أحد إلا ركب ينظر وجاؤوا إلى الفرس وهو غريق في العجين ما يبين منه إلا رأسه وعنقه فما أخرج إلا بالعمد والحبال وغلب عليه عكرمة وافتضح حوشب فقال العديل بن الفرخ يمدحهما ويفخر بهما

(وعكرمةُ الفيّاض فينا وحوشبٌ ... هما فتيا الناسِ اللّذا لم يغمَّرا)

((هما فتيا الناسِ اللذا لم ينَلْهما ... رئيسٌ ولا الأقيالُ من آل حِمْيَرا

قال وفي حوشب يقول الشاعر

(وأجودُ بالمال من حاتم ... وأنحرُ للجزْر من حَوشَبِ)

غزله بين السهل والفحل

أخبرني محمد بن يونس الكاتب قال حدثنا أحمد بن عبيد عن الأصمعي قال

دخلت على الرشيد يوماً وهو محموم فقال أنشدني يا أصمعي شعراً مليحاً فقلت أرصينا فحلاً تريده يا أمير المؤمنين أم شجياً سهلاً فقال بل غزلاً بين الفحل والسهل فأنشدته للعديل بن الفرخ العجلي

(صحا عن طِلابِ البِيض قبل مشيبه ... وراجع غَضَّ الطرف فهو خفيضُ)

(كأنّي لم أرعَ الصِّبا ويروقُني ... من الحيِّ أحوى المقلتين غَضيضُ)

(دَعاني له يوماً هوًى فأجابَه ... فُؤادٌ إذا يلقى المِراضَ مريضُ)

(لمُستأنساتِ بالحديثِ كأنّه ... تهلُّل غُرٍّ برْقُهنَّ وَميضُ)

فقال لي أعدها فما زلت أكررها عليه حتى حفظها

مات فرثاه الفرزدق

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني الرياشي عن محمد بن سلام قال

قدم العديل بن الفرخ البصرة ومدح مالك بن مسمع الجحدري

فوصله فأقام بالبصرة واستطابها وكان مقيماً عند مالك فلم يزل بها إلى أن مات وكان ينادم الفرزدق ويصطحبان فقال الفرزدق يرثيه

(وما ولَدَتْ مثلَ العُدَيل حليلةٌ ... قديماً ولا مستحدثَاتُ الحلائلِ)

(وما زال مذ شَدَّتْ يداه إزاره ... به تَفتَح الأبوابَ بكرُ بن وائلِ)

صوت

(إني بدَهماء عزَّ ما أجدُ ... عاودني من حِبابها زُؤُدُ)

(عاودني حبُّها وقد شَحَطَتْ ... صرفُ نواها فإنني كَمِدُ)
قوله عز ما أجد أي شد ما أجد وحبابها حبها وهو واحد ليس بجمع والزؤد الفزع والذعر وصرف نواها الوجه الذي تصرف إليه قصدها إذا نأت والكمد شدة الحزن
الشعر لصخر الغي الهذلي هكذا ذكر الأصمعي وأبو عمرو الشيباني وذكر إسحاق عن أبي عبيدة أنه رأى جماعة من شعراء هذيل يختلفون في هذه القصيدة فيرويها بعضهم لصخر الغي ويرويها بعضهم لعمرو ذي الكلب وأن الهيثم بن عدي حدثه عن حماد الراوية أنها لعمرو ذي الكلب

أخبار صخر الغي ونسبه

هو صخر بن عبد الله الخيثمي أحد بني خيثم بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل هذا أكثر ما وجدته من نسبه ولقب بصخر الغي لخلاعته وشدة بأسه وكثرة شره

مناسبة قصيدة له

فمن روى هذه القصيدة له ذكر أن السبب فيها أن جاراً لبني خناعة بن سعد بن هذيل من بني الرمداء كان جاورهم رجل من بني مزينة وقيل إنه كان جاراً لأبي المثلم الشاعر وهو أخوهم فقتله صخر الغي فمشى أبو المثلم إلى قومه وبعثهم على مطالبته بدم جارهم المزني والإدراك بثأره فبلغ ذلك صخراً فقال هذه القصيدة يذكر أبا المثلم وما فعله فأولها البيتان اللذان فيهما الغناء وفيها يقول
(وَلستُ عبداً للموعِدِينَ ولا ... أقبلُ ضَيماً أتىَ بِه أحدُ)
(جاءت كبيرٌ كيما أخفِّرها ... والقوم صِيدٌ كأنهم رَمِدوا)
(في المزنيّ الذي حششتُ به ... مالَ ضَريك تِلادُه نَكِدُ)
(إن أمتسِكْه فبالفِداء وإن ... أُقتل بسيفي فإنه قَوَدُ)
ولصخر وأبي المثلم في هذا مناقضات وقصائد قالاها وأجاب كل واحد منهما صاحبه يطول ذكرها وليس من جنس هذا الكتاب

كان أخوه الاعلم أحد صعاليك هذيل

وحكى الاثرم عن أبي عبيدة أنه حدث عن عبد الله بن إبراهيم الجمحي قال
كان الأعلم أخو صخر الغي أحد صعاليك هذيل وكان يعدو على رجليه عدواً لا يلحق واسمه حبيب بن عبد الله فخرج هو وأخواه صخر وصخير حتى أصبحوا تحت جبل يقال له السطاع في يوم من أيام الصيف شديد الحر وهو متأبط قربة لهم فيها ماء فأيبستها السموم وعطشوا حتى لم يكادوا أن يبصروا من العطش فقال الأعلم لصاحبيه أشرب من القربة لعلي أن أرد الماء فأروى منه وانتظراني مكانكما وكانت بنو عدي بن الديل على ذلك الماء وهو ماء الأطواء يتفيؤون بنخل متأخر عن الماء قدر رمية سهم فأقبل يمشي متلثماً وقد وضع سيفه وقوسه ونبله فيما بينه وبين صاحبه فلما برز للقوم مشى رويداً مشتملاً فقال بعض القوم من ترون الرجل فقالوا نراه بعض بني مدلج بن مرة
ثم قالوا لبعضهم الق الفتى فاعرفه فقال لهم ما تريدون بذلك الرجل هو آتيكم إذا شرب فدعوه فليس بمفيتنا فأقبل يمشي حتى رمى برأسه في الحوض مدبراً عنهم بوجهه فلما روي أفرغ على رأسه من الماء
ثم أعاد نقابه ورجع في طريقه رويداً فصاح القوم بعبد لهم كان على الماء هل عرفت الرجل الذي صدر قال لا فقالوا فهل رأيت وجهه قال نعم هو مشقوق الشفة فقالوا هذا الأعلم وقد صار بينه وبين الماء مقدار رمية سهم آخر فعدوا في أثره وفيهم رجل يقال له جذيمة ليس في القوم مثله عدواً فأغروه به وطردوه فأعجزهم ومر على سيفه وقوسه ونبله فأخذه ثم مر بصاحبيه فصاح بهما فضبرا معه فأعجزوهم فقال الأعلم في ذلك
(لما رأيت القومَ بالعَلْياء ... دون قِدى المناصبْ)
(وفَريتُ من فزعٍ فلا ... أَرْمي ولا ودَّعتُ صاحبْ)
(يُغرون صاحبهم بِنا ... جهداً وأُغري غيرَ كاذبْ)
(أُغري أخي صخرا ليُعْجِزهم ... ومَدُّوا بالحلائبْ)
(وخشيتُ وقعَ ضريبةٍ ... قد جُرِّبتْ كلَّ التجاربْ)
(فأكونُ صيدَهم بِها ... وأصير للضُّبع السَّواغبْ)
(جَزَراً وللطير المُربَّة ... والذئابِ وللثَّعالبْ)
وهي قصيدة طويلة

صوت

صخر يرثي أخاه

وقالوا جميعاً خرج صخر الغي وأخوه أبو عمرو في غزاة لهما فباتا في أرض رملة فنهشت أخاه أبا عمرو حية فمات فقال يرثيه
(لعمرُ أبي عمرو لقد ساقه المنَا ... إلى جَدَثٍ يُوزَى لهُ بالأهاضِبِ)
(لحيّةِ جُحرٍ في وجار مقيمةٍ ... تنمَّى بِها سوقُ المنَا والجوالبِ)
(أخي لا أخَا لي بعْده سبقتْ به ... منيَّته جمعَ الرُّقى والطبائبِ)
(وذلك مما يُحدث الدهرُ إنه ... له كل مطلوبٍ حثيثٍ وطالبِ)
يوزى له يمنى له والإزاء مهراق الدلو والأهاضب الجبال
وقال الأثرم عن أبي عبيدة خرج صخر الغي في طائفة من قومه يقدمها خوفاً من أبي المثلم فأغار على بني المصطلق من خزاعة فانتظر بقية أصحابه ونذرت به بنو المصطلق فأحاطوا به فقال
(لو أن أصحابي بنُو معاويه ... أهلُ جنُوب النخلة الشَّاميه)
(ورهطُ دُهمانٍ ورهطُ عاديه ... ما تركوني للذئاب العاويهْ)
وجعل يرميهم ويرتجز ويقول
(لو أن أصحابي بنُو خُناعَهْ ... أهلُ النَّدى والمجدِ والبرَاعهْ)
((تحتَ جلود البَقر القرَّاعه ... لمنعوا من هذه اليراعه

شعره وهو يقاتل حتى قتل

وقال أيضا وهو يقاتلهم
(لو أني حولي مِن قُرِيمٍ رَجْلاً ... بيضَ الوجوه يحمِلونَ النَّبلا)
(لمنعوني نَجدة ورِسْلا ... سفع الوجوه لم يكونوا عُزْلا)
يقول منعوني بنجدة وشدة وعلى رسلهم بأهون سعي قال فلم يزل يقاتلهم حتى قتلوه
وبلغ ذلك أبا المثلم فقال يرثيه
(لو كان للدهر مالٌ عند مُتلده ... لكَان للدَّهر صخرٌ مالَ قُنْيَانِ)
(آبي الهضيمة آت بالعظيمة متْلاف ... الكريمة لا سقط ولا واني)
(حامي الحقيقة نسّالُ الوديقة مِعتاقُ ... الوسيقة جَلْدٌ غير ثِنْيانِ)
(رَقّاء مرقَبة منّاعُ مَغلبةٍ ... ركّابُ سَلْهبة قطاعُ أقْرانِ)
(هباطُ أوديةٍ شهّادُ أنديةٍ ... حمَّالُ ألوية سِرحانُ فِتيانِ)
السرحان الأسد في لغة هذيل وفي كلام غيرهم الذئب
((يحمي الصحابَ إذا جدَّ الضِّرابُ ويكْفي ... القائلينَ إذا ما كُبِّلَ العَاني
(فيترك القِرنَ مصفرّاً أناملُه ... كأنّ في رَيْطتَيه نضخَ إرقانِ)
الإرقان اليرقان يعني صفرته
(يعطيكَ ما لا تكاد النفسُ تسلِمُه ... من التلادِ وهوبٌ غيرُ مَنَّانِ)

نسب عمرو ذي الكلب وأخباره

هو عمرو بن العجلان بن عامر بن برد بن منبه أحد بني كاهل بن لحيان بن هذيل
قال السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي إنما سمي ذا الكلب لأنه كان له كلب لا يفارقه
وعن الأثرم عن أبي عبيدة أنه قال لم يكن له كلب لا يفارقه إنما خرج غازياً ومعه كلب يصطاد به فقال له أصحابه يا ذا الكلب فثبتت عليه
قال ومن الناس من يقول له عمرو الكلب ولا يقول فيه ذو
قال وكان يغزو بني فهم غزواً متصلاً فنام ليلة في بعض غزواته فوثب عليه نمران فأكلاه فادعت فهم قتله هكذا في هذه الرواية

خبره مع أم جليحة

وقد أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عبيدة عن ابن الأعرابي عن المفضل وغيرهم من الرواة قالوا
كان من حديث عمرو ذي الكلب الهذلي وكان من رجالهم أنه كان قد علق امرأة من فهم يقال لها أم جليحة فأحبها وأحبته وكان أهلها قد وجدوا عليها وعليه وطلبوا دمه إلى أن جاءها عاماً من ذلك فنذروا به فخرجوا في أثره وخرج هارباً منهم فتبعوه يومهم ذلك وهم على أثره حتى أمسى وهاجت عليه ريح شديدة في ليلة ظلماء فبينا هو يسير على ظهر الطريق إذ رأى ناراً عن يمينه فقال أخطأت والله الطريق وإن النار لعلى الطريق فجار وشك وقصد للنار حتى أتاها وقد كان يصيح فإذا رجل قد أوقد ناراً ليس معه أحد فقال له عمرو ذو الكلب من أنت قال أنا رجل من عدوان قال فما اسم هذا المكان قال السد فعلم أنه قد هلك وأخطأ والسد شيء لا يجاوز قال ويلك فلم أوقدت فوالله ما تشتوي ولا تصطلي وما أوقدت إلا لمنية عمرو الشقي هل عندك شيء تطعمني قال نعم فأخرج له ثمرات قد نقاها في يده فلما رآها قال ثمرات تتبعها عبرات من نساء خفرات ثم قال اسقني قال ماذا ألبناً قال لا ولكن اسقني ماء قراحاً فإني مقتول صباحاً ثم انطلق فأسند في السد ورأى القوم الذين جاؤوا في طلبه أثره حيث أخطأ فاتبعوه حتى وجدوه فدخل غاراً في السد فلما ظهروا للسد علموا أنه في الغار فنادوه فقالوا يا عمرو قال ما تشاؤون قالوا اخرج قال فلم دخلت إذن قالوا بلى فاخرج قال لا أخرج قالوا فأنشدنا قولك
(ومقعدِ كُربةٍ قد كنتُ مِنها ... مكان الإصبعين من القِبالِ)
قال ها هي ذه أنا فيها قال وعن له رجل من القوم فرماه عمرو فقتله فقالوا أقتلته يا عدو الله فقال أجل ولقد بقيت معي أربعة أسهم كأنها أنياب أم جليحة لا تصلون إلي أو أقتل بكل سهم منها رجلاً منكم فقالوا لعبدهم يا أبا نجاد ادخل عليه وأنت حر فتهيأ للدخول أبو نجاد عليه فقال له عمرو ويلك يا أبا نجاد ما ينفعك أن تكون حراً إذا قتلتك فنكص عنه فلما رأوا ذلك صعدوا فنقبوا عليه ثم رموه حتى قتلوه وأخذوا سلبه فرجعوا به إلى أم جليحة وهي تتشوف فلما رأوها قالوا لها يا أم جليحة ما رأيك في عمرو قالت رأيي والله أنكم طلبتموه سريعاً ووجدتموه منيعاً ووضعتموه صريعاً فقالوا والله لقد قتلناه فقالت والله ما أراكم فعلتم ولئن كنتم فعلتم لرب ثدي منكم قد افترشه وضب قد احترشه فطرحوا إليها ثيابه فأخذتها فشمتها فقالت ريح عطر وثوب عمرو أما والله ما وجدتموه ذا حجزة جافية ولا عانة وافية ولا ضالة كافية

اخته ريطة ترثيه

وقالت ريطة أخت عمرو ذي الكلب ترثيه
(كل امرئٍ لِمحال الدهر مكروبُ ... وكلّ من غالبَ الايامَ مغلوبُ)
((وكلُّ حيٍّ وإن غزوا وإن سلِموا ... يوماً طريقُهمُ في الشّرِّ دعبوبُ
(أبلغْ هذيلاً وأبلغ مَنْ يُبلّغُها ... عنّي رسولاً وبعضُ القول تكذيبُ)
(بأنّ ذا الكلبِ عَمْراً خيرهم نسباً ... ببطن شِريان يعوي حولَه الذيبُ)
(الطاعنُ الطعنةَ النجلاءَ يتبَعُها ... مُثْعنجِرٌ من نجيع الجوفِ أسكوبُ)
(والتاركُ القِرنَ مصفرّاً أناملُه ... كأنه من نقيع الوَرْس مخضوبُ)
(تَمشي النسورُ إليه وهي لاهيةٌ ... مَشْيَ العذارى عليهنّ الجلابيبُ)
(والمخرجُ العاتقَ العذراء مُذعنةً ... في السَّبي ينفحُ من أردانها الطيبُ)

صوت

(يا دارَ عمرةَ مِن مُحْتلِّها الجَرَعا ... هاجتْ لِي الهمَّ والأحزانَ والوجَعا)
(أرى بعيني إذا مالت حَمولتُهمْ ... بطن السلَوْطِح لا ينظرون من تبعا)
(طوراً أراهم وطوراً لا أبِينُهُم ... إذا تَرَفّع حِدْجٌ ساعة لمعا)

الشعر للقيط الأياديّ ينذر قومه قصد كسرى لهم والغناء لكردم بن معبد هزج بالبنصر من روايتي حبش والهشامي

خبر لقيط ونسبه والسبب في قوله الشعر

هو لقيط بن يعمر شاعر جاهلي قديم مقل ليس يعرف له شعر غير هذه القصيدة وقطع من الشعر لطاف متفرقة

سبب غزو كسرى لإياد

أخبرني بخبر هذا الشعر عمي قال حدثني القاسم بن محمد الأنباري قال حدثني أحمد بن عبيد قال حدثني الكلبي عن الشرقي بن القطامي قال

كان سبب غزو كسرى إياداً أن بلادهم أجدبت فارتحلوا حتى نزلوا بسنداد ونواحيها فأقاموا بها دهراً حتى أخصبوا وكثروا وكانوا يعبدون صنماً يقال له ذو الكعبين وعبدته بكر بن وائل من بعدهم فانتشروا ما بين سنداد إلى كاظمة والى بارق والخورنق واستطالوا على الفرات حتى خالطوا أرض الجزيرة ولم يزالوا يغيرون على ما يليهم من أرض السواد ويغزون ملوك آل نصر حتى أصابوا امرأة من أشراف العجم كانت

عروساً قد هديت إلى زوجها فولي ذلك منها سفهاؤهم وأحداثهم فسار إليهم من كان يليهم من الأعاجم فانحازت إياد إلى العراق وجعلوا يعبرون إبلهم في القراقير ويقطعون بها الفرات وجعل راجزهم يقول

(بئس مناخُ الحلَقات الدُّهْم ... في ساحة القُرقور وسط اليَمِّ)

وعبروا الفرات وتبعهم الأعاجم فقالت كاهنة من إياد تسجع لهم

(إن يقتلوا منكم غلاماً سِلْما ... أو يأخذوا ذاك شَيخاً هِمَّا)

(تخضِّبوا نحورَهم دَمَّا ... وتُرووا منهم سُيوفاً ظُمّا)

فخرج غلام منهم يقال له ثواب بن محجن بإبل لأبيه فلقيته الأعاجم فقتلوه وأخذوا الإبل ولقيتهم إياد في آخر النهار فهزمت الأعاجم

قال وحدثني بعض أهل العلم أن إيادا بيتت ذلك الجمع حين عبروا شط الفرات الغربي فلم يفلت منهم إلا القليل وجمعوا به جماجمهم وأجسادهم فكانت كالتل العظيم و كان إلى جانبهم دير فسمي دير الجماجم و بلغ كسرى الخبر فبعث مالك بن حارثة أحد بني كعب بن زهير بن جشم في آثارهم ووجه معه أربعة آلاف من الأساورة فكتب إليهم لقيط

(يا دارَ عمرةَ من مُحتلِّها الجَرَعا ... هاجتْ لي الهَّم والأحزانَ والوجعا)

وفيها يقول قال الشرقي بن القطامي أنشدنيها أبو حمزة الثمالي

(يا قام لا تأمنوا أن كنتُم غُيُراً ... على نسائكم كِسرى وما جَمَعا)

(هو الجلاءُ الذي تبقي مذلّتُه ... إن طار طائركم يوماً وإن وقَعا)

(هو الفَناء الذي يجتثُّ أصلكُم ... فمن رأى ذا رأياً ومَنْ سَمِعا)

(فقلّدوا أمركم لله دَرُّكُم ... رَحْبَ الذراع بأمر الحَرْبِ مُضْطَلِعا)

(لا مترَفاً إن رخاءُ العيش ساعده ... ولا إذا حلَّ مكروه به خَشَعا)

(لا يَطعَم النومَ إلا ريثَ يبعثُه ... همٌّ يكادُ حَشاه يقطَع الضَّلَعا)

(مسهَّدُ النوم تَعنيه ثُغورُكُم ... يرومُ منها إلى الأعداء مُطَّلَعا)

(ما انفكَّ يحلُبُ هذا الدهرَ أشطرَه ... يكون متّبِعاً طوراً ومتَّبعا)

(فليس يشغله مالٌ يُثَمِّرُه ... عنكمْ ولا ولد يَبغي له الرِّفَعا)

(حتى استمرَّتْ على شزْرٍ مريرتُه ... مستحكِمِ السنِّ لا قحْماً ولا ضَرَعا)

(كمالِكِ بن قِنانٍ أو كصاحبه ... زيدِ القنا حين لاقى الحارِثيْنِ مَعَا)

(إذ عابه عائبٌ يوماً فقال له ... دمِّثْ لجنبكَ قبلَ الليل مُضطَجَعا)

(فساوَروُه فألفَوْه أخا عَلَلٍ ... في الحرب يَخْتتِلُ الرئبالَ والسَّبُعا)

(عبلَ الذراع أبِياًّ ذَا مُزابَنةٍ ... في الحرب لا عاجزاً نكْساً ولا وَرَعا)

(مستنجداً يتحدّى الناسَ كلَّهمُ ... لو صارعوه جميعاً في الورى صَرَعا)

(هذا كتابي إليكُمْ و النذيرُ لكمْ ... لمن رأى الرأي بالإبرام قد نَصَعا)

(وقد بذلت لكم نُصْحي بلا دَخَلٍ ... فاسيقظوا إنَّ خيرَ العلم ما نَفَعا)

وجعل عنوان الكتاب

(سلام في الصَّحِيفة من لَقيطٍ ... إلى مَن بالجزيرة من إيادِ)

(بأن الليثَ كسرى قد أتاكمْ ... فلا يحبسكُمُ سوقُ النِّقادِ)

وقعة مرج الاكم

قال وسار مالك بن حارثة التغلبي بالأعاجم حتى لقي إيادا وهم غارون لم يتلفتوا إلى قول لقيط وتحذيره إياهم ثقة بإن كسرى لا يقدم عليهم فلقيهم بالجزيرة في موضع يقال له مرج الأكم فاقتتلوا قتالا شديدا فظفر بهم وهزمهم وأنفذ ما كانوا أصابوا من الأعاجم يوم الفرات ولحقت إياد بأطراف الشأم ولم تتوسطها خوفا من غسان يوم الحارثين ولاجتماع قضاعة وغسان في بلد خوفا من أن يصيروا يدا واحدة عليهم فأقاموا حتى أمنوا ثم إنهم تطرفوهم إلى أن لحقوا بقومهم ببلد الروم بناحية أنقرة ففي ذلك يقول الشاعر

(حلُّوا بأنقرةٍ يسيل عليهمُ ... ماءُ الفرات يجيءُ من أطواد)

صوت

(اللبين يا ليلى جِمالُكِ تُرحَلُ ... ليقْطَعَ منا البينُ ما كان يوصَلُ)

(تُعلِّلُنا بالوعد ثُمَّت تلتوي ... بموعودها حتى يموتَ المعلَّلُ)

(ألم ترَ أنَّ الحَبْلَ أصبحَ واهناً ... وأخلف من ليلَى الذي كنت آملُ)

(فلا الحبلُ من ليلى يؤاتيك وصلهُ ... ولا أنت تنْهى القلب عناه فيَذهلُ)

عروضه من الطويل الشعر لنصيب الأصغر مولى المهدي و الغناء ليحيى المكي خفيف رمل بالبنصر وكذا نسبته تدل عليه وذكر عمرو بن بانة في نسخته أن خفيف الرمل لمالك وأنه بالوسطى والصحيح أنه لابن المكي

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبار نصيب الأصغر

نصيب مولى المهدي عبد نشأ باليمامة واشتُري للمهدي في حياة المنصور فلما سمع شعره قال والله ما هو بدون نصيب مولى بني مروان فأعتقه وزوجة أمة له يقال لها جعفرة
وكناه أبا الحجناء وأقطعه ضيعة بالسواد وعُمِّرَ بعده

مدحه هارون الرشيد

وهذه القصيدة يمدح بها هارون الرشيد وهي من جيد شعره وفيها يقول
(خليليَّ إني ما يزالُ يشوقُني ... قَطينُ الحِمى والظاعِنُ المتحمِّلُ)
(فأقسمت لا أنسى ليالي مَنعِجٍ ... ولا مأسَلٍ إذ منزلُ الحي مأسَلُ)
(أمن أجل آياتٍ ورسم كأنه ... بَقيةُ وحْيٍ أو رداءٌ مُسَلسَلُ)
((جرى الدمعُ من عينيكَ حتى كأنه ... تحدُّرُ دُرٍّ أو جُمانٌ مُفصَّلُ
(فيا أيها الزنجيُّ مالكَ والصِّبا ... أفق عن طِلابِ البِيض إن كنت تعقِلُ)
(فمثلك من أحبوشة الزّنج قُطِّعت ... وسائلُ أسبابٍ بها يُتوسَّلُ)
(قصدنا أميرَ المؤمنين ودونَه ... مهامِهُ مَوماةٍ من الأرضِ مَجْهَلُ)
(على أرحبيّاتٍ طوى السيرُ فانطوتْ ... شمائلُها مما تُحَلُّ وتُرحَلُ)
(إلى ملكٍ صَلْت الجَبين كأنه ... صَفيحَةُ مَسنون جلا عنه صَيْقَلُ)
(إذا أنبلَج البَابانِ والسترُ دونَه ... بَدا مِثل ما يبدو الأغرُّ المحجَّلُ)
(شريكانِ فينا منه عينٌ بصيرة ... كَلوءٌ وقلبٌ حافظ ليس يغفُلُ)
(فما فاتَ عينيْه وعاهُ بقلبه ... فآخِرُ ما يرعى سواءٌ وأوّلُ)
(وما نازعت فينا أمورَك هفوةٌ ... ولا خَطلة في الرأي والرأي يَخطَلُ)
(إذا اشتبهتْ أعناقُه بيّنت له ... معارفُ في أعجازه وهْو مُقبلُ)
(لئن نالَ عبدُ الله قبلُ خِلافةً ... لأنتَ من العهد الذي نِلتَ أفضلُ)
(وما زادكَ العهدُ الذي نلتَ بسطةً ... ولكن بتقوى الله أنتَ مُسربَلُ)
(ورثتَ رسولَ الله عُضْواً ومَفصِلاً ... وذا من رسول اللهِ عُضْوٍ ومَفصِلُ)
(إذا ما دهتْنا من زمانٍ مُلِمّةٌ ... فليس لنا إلا عليكَ المعوَّلُ)
((على ثقةٍ منا تَحِنُّ قلوبُنا ... إليكَ كما كُنّا أباكَ نُؤمِّلُ
وهي قصيدة طويلة هذا مختار من جميعها

انفق مال المهدي فأوثقه بالحديد

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني أبي قال وجه المهدي نصيبا الشاعر مولاه إلى اليمين في شراء إبل مهرية ووجه معه رجلا من الشيعة وكتب معه إلى عامله على اليمن بعشرين ألف دينار قال فمد أبو الحجناء يده في الدنانير ينفقها في الأكل والشرب وشراء الجواري والتزويج فكتب الشيعي بخبره إلى المهدي فكتب المهدي في حمله موثقا في الحديد
فلما دخل على المهدي أنشده شعره وقال
(تأوّبني ثِقلٌ من الهم مُوجِعٌ ... فأرّق عَيْني والخَلِيُّون هُجَّعُ)
(هُموم توالتْ لو أطافَ يَسيرُها ... بِسَلْمَى لظلّتْ شُمُّها تتصدَّعُ)
(ولكنّها نيطتْ فَناءَ بحملها ... جَهيرُ المنايا حائنُ النفس مجزَعُ)
(وعادتْ بلادُ الله ظلماءَ حِندِساً ... فخِلتُ دُجى ظلمائها لا تقشَّعُ)
وهي قصيدة طويلة يقول فيها
(إليكَ أميرَ المؤمنين ولم أجدْ ... سواكَ مُجيراً منكَ يُدني ويَمنعُ)
(تلمّستُ هل من شافع لي فلم أجدْ ... سوى رحمةٍ أعطاكها اللهُ تَشفعُ)
(لئن جلّت الأجرامُ مني وأفظعتْ ... لَعفوُكَ عن جُرمي أجلُّ وأوسعُ)
(لئن لم تسعْني يابنَ عمِّ محمد ... لما عجزْت عني وسائلُ أربعُ)
(طُبِعت عليها صبغةً ثم لم تَزَلْ ... على صالح الأخلاق والدين تُطبَعُ)
(تغابيك عن ذي الذنبِ ترجو صلاحه ... وأنت ترى ما كان يأتي ويصْنَعُ)
(وعفوكَ عمّن لو تكونُ جريمةٌ ... لطارتْ به في الجوّ نكباءُ زَعزَعُ)
(وأنّك لا تنفكُّ تُنعِش عاثراً ... ولم تعترضْه حين يكبوا ويخْمَعُ)
(وحلمكَ عن ذي الجهل من بعدما جرى ... به عَنَقٌ من طائش الجهل أشنع)
(ففيهنَّ لي إمّا شَفَعْن منافعٌ ... وفي الأربع الأولى إليهنَّ أفزَعُ)
(مناصحتي بالفعل إن كنت نائياً ... إذا كان دانٍ منك بالقول يَخدَعُ)
(وثانيةٌ ظنّي بك الخيرَ غائباً ... وإن قلتَ عبدٌ ظاهِر الغِشّ مُسبَعُ)
(وثالثةٌ أني على ما هويتَه ... وإن كثَّر الأعداءُ فيَّ وشنَّعوا)
(ورابعةٌ إليكَ يسوقُني ... ولائي فمولاكَ الذي لا يُضيَّعُ)
(وإني لمولاكَ الذي إن جفوتَه ... أتى مستكيناً راهباً يَتَضرَّعُ)
(وإني لمولاكَ الضعيفُ فأعفِني ... فإني لعفو منكَ أهلٌ وموضعُ)

المهدي يقبل شفاعته ويزوجه

فقطع المهدي عليه الإنشاد ثم قال له ومن أعتقك يابن السوداء فأومأ بيده إلى الهادي وقال الأمير موسى يا أمير المؤمنين فقال المهدي لموسى أعتقته يا بني قال نعم يا أمير المؤمنين فأمضى المهدي ذلك وأمر بحديده ففك عنه وخلع عليه عدة من الخلع الوشي والخز والسواد والبياض ووصله بألفي دينار وأمر له بجارية يقال لها جعفرة جميلة فائقة من روقة الرقيق
فقال له سالم قيم الرقيق لا أدفعها إليك أو تعطيني ألف درهم فقال قصيدته
(أأذنَ الحيُّ فانصاعوا بترحالِ ... فهاج بينهمُ شوقي وبلبالي)

وقام بها بين يدي المهدي فلما قال
(ما زلتَ تبذل لي الأموالَ مجتهداً ... حتى لأصبحتُ ذا أهلٍ وذَا مالِ)
(زوَّجتَنِي يابنَ خيرِ الناس جاريةً ... ما كان أمثالُها يُهدَى لأمثالِي)
(زوَّجتني بضّةً بيضاءَ ناعمةً ... كأنَّها درَّة في كفِّ لآلِ)
(حتى توهَّمتُ أن اللهَ عجَّلها ... يابنَ الخلائفِ لي من خيرِ أعمالِي)
(فسالَنِي سالِمٌ ألفاً فقلتُ له ... أني ليَ الألفُ يا قُبِّحتَ من سالِ)
أراد من سائل كما قالوا شاكي السلاح وشائك
((هيهات ألفُك إلاّ أن أجيء بها ... من فضل مولًى لطيفِ المَنِّ مِفْضالِ
فأمر له المهدي بألف دينار ولسالم بألف درهم

رأته ابنته مقيدا فبكت فأنشد

قال ابن أبي سعد وحدثني غير محمد بن عبد الله أنه حبس باليمن مدة طويلة ثم أشخص إلى المهدي فقال وهو في الحبس ودخلت إليه ابنته حجناء فلما رأت قيوده بكت فقال
(لقد أصبحتْ حجناءُ تبكي لوالدٍ ... بدرَّة عين قلَّ عنه غناؤها)
(أحجناءُ صبراً كلُّ نفس رهينةٌ ... بموتٍ ومكتوبٌ عليها بَلاؤها)
(أحجناءُ أسبابُ المنايا بمرصدٍ ... فإلاَّ يعاجِلْ غَدْوُها فمساؤها)
(أحجناءُ إن أفلتْ من السجن تَلْقَنِي ... حُتوفُ منايا لا يُرَدُّ قَضاؤها)
(أحجناءُ إن أضحى أبوكِ ودلوه ... تعرّت عُراً منها ورثَّ رشاؤها)
(لقد كان يُدْلي في رجالٍ كثيرة ... فيمتَحِ مَلأى وهي صفرٌ دِلاؤها)
(أحجناء إن يصبحْ أبوكِ ونفسُه ... قليلٌ تمنّيها قصيرٌ عزاؤها)
(لقد كان في دنيا تفيَّأ ظِلُّها ... عليه ومجلوبٌ إليه بَهاؤها)
قال ابن أبي سعد ولما دخل نصيب على المهدي مقيدا رفده ثمامة بن الوليد العبسي عنده واستعطفه له وسوغ عذره عنده ولم يزل يرفق به حتى أمر بإطلاقه وكان نصيب في متقدم الأيام منقطعا إلى أخيه شيبة فقال فيه

شعره في مدح ثمامة العبسي

(أثمامُ إنك قد فككت ثُماما ... حلَقا برَيْن من النُّصيب عظاما)
(حلَقا توسَّطها العمودُ فلزَّها ... لولا ثمامةُ والإلهُ لداما)
(اللهُ أنقذني به من هُوَّةٍ ... تيهاءَ مُهلكةٍ تكونُ رِجاما)
(فلأشكرنَّك يا ثمامةُ ما جرتْ ... فِرقُ السحاب كَنَهوراً ورُكاما)
(ولاشكرنَّك يا ثمامةُ ما دعتْ ... وُرقُ الحمام على الغُصون حَماما)
(وخلفْتَ شيبةَ في المقام ولا أرى ... كمقام شيبةَ في الرجال مَقاما)
(أغنَي إذا التمس الرجالُ غناءه ... في كلِّ نازلةٍ تكون غَراما)
(وأعمُّ منفعةً وأكرمُ حائطا ... تهدِي إليه تحيَّةً وسلاما)
(لا يبعدَنَّ ابنُ الوليد فإنه ... قد نال من كل الأمور جِساما)
(لو مِن سِوى رَهط النبيِّ خليفةٌ ... يُدعَى لكان خليفةً وإماما)
قال ابن أبي سعد ودخل نصيب على ثمامة بعد وفاة أخيه شيبة وهو يفرق خيله على الناس فأمر له بفرس منها فأبى أن يقبله وبكى ثم قال
(يا شيبَةَ الخيرِ إما كنتَ لي شجَناً ... آليتُ بعدك لا أبكي على شَجَنِ)
(أضحتْ جيادُ أبي القعقاع مُقْسَمةً ... في الأقربين بلا مَنٍّ ولا ثَمنِ)
(ورَّثْتهم فتعزَّوا عنك إذ وَرِثوا ... وما ورثْتُك غَيْرَ الهم والحَزَنِ)
فجعل ثمامة ومن عنده حاضر من أهله وإخوانه يبكون
وشيبة بن الوليد هذا وأخوه من وجوه قواد المهدي
وفي شيبة يقول أبو محمد اليزيدي يهجوه وكان عارضه في شيء من النحو بحضرة المهدي
(عِشْ بِجَدٍّ فلن يضرَّك نَوْكٌ ... إنما عيشُ من ترى بالجُدودِ)
(عِشْ بجَدٍّ وكن هبنَّقَةَ القيسيَّ ... جهلاً أو شَيبةَ بنَ الوليد)
أخبرنا بذلك محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عن أبيه
أخبرني عمي قال حدثنا القاسم بن محمد الأنباري قال حدثنا عبد الله بن بشر البجلي عن النضر بن طاهر قال أتى نصيب مولى المهدي عبد الله بن محمد بن الأشعث وهو يتقلد صنعاء للمهدي فمدحه فلم يثبه واستكساه بردا فلم يكسه فقال يهجوه
(سأكسوكَ من صنعاءَ ما قد كسوتَنِي ... مقطَّعةً تَبقى على قِدمِ الدهر)
(إذا طُويت كانتْ فُضوحَك طيَّها ... وإن نُشرتْ زادتْك خِزياً على النَّشر)
(أغرّك أن بيَّضتَ بيتَ حمامةٍ ... وقلت أنا شبعانُ منتفجُ الخَصْر)
(لقد كنتَ في سَلْحٍ سَلَحْتَ مخافة ... الحرُوريّة الشَّارين داعٍ إلى الضرِّ)
((ولكنهُ يأبى بك البهر كُلَّمَا ... جريتَ مع الجاري وضيقٌ من الصدر

تساجل هو والربيع بن عبد الله حول فرس

قال النضر وكان النصيب ملعونا هجاء فأهدى للربيع بن عبد الله بن الربيع الحارثي فرسا فقبله ثم ندم خوفا من ثقل الثواب فجعل يعيب الفرس ويذكر بطأه وعجزه فبلغ ذلك النصيب فقال
(عبتَ جوادنا ورغبتَ عنه ... وما فيه لعمرُكَ من مَعابِ)
(وما بجوادنا عجزٌ ولكن ... أظنُّك قد عجزتَ عن الثوابِ)
فأجابه الربيع فقال
(رُوَيدك لا تكن عَجِلاً إلينا ... أتاك بما يسوءك من جوابِ)

(وجدتُ جوادَكم قَدْماً بَطيئاً ... فمالَكُمُ لَدينا من ثَوابِ)
فلما كان بعد أيام رأى النصيب الفرس تحت الربيع فقال له
(أخذتَ مُشَهَّراً في كل أرضٍ ... فعجِّل يا ربيعُ مشهَّراتي)
(يمانيَةً تخيَّرها يَمانٍ ... منمنَمةَ البيوت مُقطعاتِ)
(وجارِيَةً أضلَّتِ والدَيْهَا ... مولَّدةً وبيضاً وافياتِ)
(فعجِّلْها وأنفِذْها إلينا ... ودعْنا من بَنَاتِ التُّرَّهات)
فأجابه الربيع فقال
(بعثْتَ بمقرفٍ حَطِمٍ إلينا ... بطيء الحُضْر ثم تقولُ هاتِ)
فقال النصيب
((في سبيل الله أودى فَرَسي ... ثم عُلِّلتُ بأبيات هَزَجْ)
(كنتُ أرجو من ربيع فرجاً ... فإذا ما عندَه لي من فَرَجْ)
الربيع يجيزه دراهم عوضا عن جارية وعده بها
قال ثم خرج الربيع إلى مكة وقد كان وعد النصيب جارية فلم يعطه وأمر ابنه أن يدفع إليه ألفي درهم ففعل فقال النصيب
(ألا أبلغا عنِّي الربيعَ رسالةً ... ربيعَ بني عبد المَدانِ الأكارم)
(أعزَّتْ عليكَ البيضُ لما أرغتَها ... فرُغتَ إلى إعداد بِيضِ الدراهم)
(الم تر أني غيرُ مستطرَفِ الغِنى ... حديث وأنِّي من ذُؤابة هاشِمِ)
(وأنك لم تهبطْ من الأرض تَلعةً ... ولا نجوةً إلا بعهدي وخاتَمِي)
قال ثم قدِم الربيع فأهدى إلى دفافة بن عبد العزيز العبسي طبق تمر فقال فيه دفافة
(بعثتَ بتمرٍ في طُبيقٍ كأنَّما ... بعثت بياقوتٍ توقَّد كالجَمْر)
(فلو أن ما تُهدي سنيًّا قَبِلتُه ... ولكنما أهديتَ مِثلك في القَدرِ)
(كأنَّ الذي أهديتَ من بُعد شقَّةٍ ... إلينا من المُلقَى على ضفَّة الجِسرْ)
فأجابه الربيع فقال
(سل الناسَ إما كنتَ لا بدَّ طالباً ... إليهم بألا يحملوكَ على القَدْرِ)
(فإنك إن تُحمَلْ على القَدْرِ لا تنَل ... يدَ الدهرِ مِن بَرٍّ فَتيلاً ولا بَحرِ)
((لقد كنتَ مني في غَدِيرٍ وروضة ... وفي عَسلٍ جمٍّ وما شئتَ من خمر
(وما كنتُ منَّاناً ولكنْ كَفرتني ... وأظهرتَ لي ذمًّا فأظهرتُ من عذري)
(لعَمْري لقد أُعطِيتَ ما لستَ أهلَه ... ولا أهلَ ما يُلْقَى على ضِفَّة الجِسرْ)
فبلغت أبياتهما نصيبا فشمت بالربيع وقال فيه هذه القصيدة
(رضيتُكما حِرصاً وَمنعاً ولم يكن ... يَهيجُكما إلا الحقيرُ من الأمر)
(متى يجتمعْ يوما حريصٌ ومانع ... فليس إلى حمدٍ سبيلٌ ولا أجر)
(أحار بن كعبٍ إن عبساً تَغَلغَلَتْ ... إلى السير من نَجران في طلب التَّمْر)
(فكيف ترى عبساً وعبسٌ حريصةٌ ... إذا طمِعَتْ في التَّمر من ذلك العُبْر)
(لقد كُنتما في التَّمر لله أنتما ... شبيهَيْن بالمُلقى على ضِفَّة الجِسر)
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال حدثت من غير وجه أن النصيب دخل على الفضل بن يحيى بن خالد مسلما فوجد عنده جماعة من الشعراء قد امتدحوه فهم ينشدونه ويأمر لهم بالجوائز ولم يكن امتدحه ولا أعد له شيئا
فلما فرغوا وكان يروي قولا في نفسه استأذن في الإنشاد ثم أنشد قصيدته التي أولها قوله
يشبب بمية ثم يمدح الفضل بن يحيى
(طرقتْكَ ميَّةُ والمزار شَطِيب ... وتُثِيبكَ الهِجرانَ وهْي قريبُ)
(لله ميةُ خُلَّةً لو أنها ... تجزي الوداد بودِّها وتُثيبُ)
((وكأن ميَّةَ حين أتلع جيدُها ... رشأٌ أغنُّ من الظباء ربيبُ)
(نصفان ما تحت المؤزَّر عاتكٌ ... دِعْصٌ أغرُّ وفوقَ ذاك قضيبُ)
(ما للمنازل لا تكاد تجيبُ ... أنى يُجيبكَ جَندلٌ وجَبُوبُ)
(جادتْك من سَبَل الثريا دِيمةٌ ... ريًّا ومن نَوء السِّماك ذَنوبُ)
(فلقد عهدتُ بكِ الحِلالَ بغبطة ... والدهرِ غضٌّ والجَنابُ خصيبُ)
(إذ للشباب عليَّ من وَرق الصِّبا ... ظِلٌّ وإذ غُصْن الشبابِ رطِيبُ)
(طربَ الفؤادُ ولاتَ حين تطرُّبٍ ... إن الموكَّل بالصِّبا لَطروبُ)
(وتقول ميَّةُ ما لِمثلكَ والصِّبا ... واللون أسودُ حالكٌ غِربيبُ)
(شاب الغرابُ وما أراكَ تَشيبُ ... وطلابُكَ البيضَ الحِسانَ عجيبُ)
(أعلاقةٌ أسبابهُنّ وإنَّمَا ... أفنانُ رأسكَ فُلفُل وزَبيبُ)
(لا تهزَئي مني فَرُبَّتَ عائبٍ ... مالا يعيبُ الناسُ وهو معيبُ)
(ولقد يصاحِبُني الكرامُ وطالَما ... يسمو إليَّ السيّدُ المحجوبُ)
(وأجرُّ من حُلَل الملوكِ طَرائفاً ... منها عليَّ عصائبٌ وسَبيبُ)
(وأسالبُ الحسناء فضلَ إزارها ... فأصورُها وإزارُها مسلوبُ)
((وأقول منقوح البديّ كأنَّه ... بردٌ تنافسه التُّجارُ قَشيبُ
يقول فيها في مدح الفضل
(والبرمكيُّ إذا تقارب سنُّه ... أو باعدَته السنُّ فهو نجيبُ)
(خرقُ العطاء إذا استهلَّ عطاؤُه ... لا مُتبِعٌ منًّا ولا محسوبُ)
(يا آل برمكَ ما رأينا مثلَكمْ ... ما منكمُ إلا أغرُّ وَهوبُ)

(وإذا بدا الفضلُ بنُ يحيى هِبْتُهُ ... لِجلاله إنَّ الجليلَ مَهيبُ)
(قادَ الجيادَ إلى العِدا وكأنها ... رَجْلُ الجرادِ تَسوقهنَّ جَنُوبُ)
(قُبَّاً تُباري في الأعنَّة شُزَّباً ... تَدَعُ الحُزونَ كأنهنَّ سُهوبُ)
(من كل مضطرب العِنان كأنه ... ذِئب يبادرُه الفريسةَ ذِيبُ)
(تهوي بكلِّ مغاورٍ عاداتُه ... صِدقُ اللقاء فما لَه تكذيبُ)
(حتى صَبحن الطالبيَّ بعارضٍ ... فيه المنايا تَغْتَدِي وتؤوبُ)
(خاف ابنُ عبد الله ما خوَّفتَه ... فجفاكَ ثم أتاك وهو مُنيبُ)
(ولقد رآك الموتَ إلا أنَّه ... بالظنّ يُخْطِئ مرة ويُصيبُ)
(فرمى إليكَ بنفسه فَنجا بها ... أجلٌ إليه ينتهي مكتوبُ)
(فكسوتَه ثوبَ الأمان وإنَّه ... لا حبلُه واهٍ ولا مقضوبُ)
(شِمنا إليك مَخيلةً لا خُلَّباً ... في الشَّيم إذ بعضُ البروق خَلوبُ)
(إنَّا على ثِقةٍ وظنٍّ صادقٍ ... ممَّا نؤمّله فليس نَخيبُ)
قال فاستحسنها الفضل وأمر له بثلاثين ألف درهم فقبضها ووثب قائما وهو يقول
(إني سأمتدحُ الفضلَ الذي حُيِيَت ... منّا عليه قُلوبُ البِرِّ والضَّلَعِ)
(جاد الربيعُ الذي كنا نؤمِّلُه ... فكلنا بربيع الفضْل مرتَبِعُ)
(كانت تطولُ بنا في الأرض نجعتُنا ... فاليوم عند أبي العباس نَنْتَجِعُ)
(إن ضاق مذهبُنا أو حلَّ ساحتَنا ... ضَنكٌ وأزْمٌ فعند الفضل متَّسَعِ)
(ما سلَّم اللُه نفسَ الفضل من تلَفٍ ... فما أُبالي أقام الناسُ أم رجعُوا)
(إن يمنعوا ما حوتْ منا أكفُّهُم ... فلن يضرَّ أبا الحجناء ما مَنَعوا)
(أو حَلَّؤونا وذادوا عن حياضِهم ... يومَ الشروع ففي غُدْرانِكَ الشِّرَعُ)
(يا ممسكاً بِعُرَا الدنيا إذا خَشِيَت ... منها الزلازلُ والأمرُ الذي يقعُ)
(قد ضرَّسَتْك الليالي وهي خالية ... وأحْكَمَتْك النهى والأزلَمُ الجَذَعُ)
(فغادرا منك حَزناً عن مُعاسرةٍ ... سهلَ الجنابِ يسيراً حين يتَّبَعُ)
(لم يفتلِتْك نفيراً عن مُخادعة ... دَهْيُ الرجال وللسؤَّال تنخدعُ)
(فأنت مصطلِحٌ بالملك تَحمله ... كما أبوك بثِقل المُلك مُضطلِعُ)
يمدح زبيدة زوج الرشيد في الحج
قال ابن أبي سعد لما حجت أم جعفر زبيدة لقيها النصيب فترجل
عن فرسه وأنشأ يقول
(سيستبشر البيتُ الحرامُ وزمزَمٌ ... بأمِّ وليِّ العهدِ زينِ المواسمِ)
(ويعلم مَنْ وافى المحصَّب أنها ... ستحمل ثِقلَ الغُرمِ عن كل غارمِ)
(بنو هاشم زينُ البرية كلِّها ... وأمُّ ولي العهد زينٌ لهاشمِ)
(سليلةُ أملاكٍ تفرَّعتِ الذُّرى ... كرامٍ لابناءِ الملوكِ الأكارمِ)
(فواللهِ ما نَدري أفضلُ حديثِها ... عليهم به تَسمو امِ المُتقادمِ)
(يظنّ الذي أعطتْه منها رغيبةٌ ... يقصّ عليه الناسُ أحلامَ نائمِ)
فأمرت له بعشرة آلاف درهم وفرس فأعطيه بلا سرج فتلقاها لما رحلت وقال
(لقد سادتْ زُبيدةُ كلَّ حيٍّ ... وميْتٍ ما خلا الملكَ الهُماما)
(تُقًى وسماحةٌ وخلوصُ مجد ... إذا الأنسابُ أخلصتِ الكراما)
(إذا نزلتْ منازلَها قريشٌ ... نزلتِ الأنفَ منها والسَّناما)
(بلغْتِ من المفاخر كلَّ فخرٍ ... وجاوزْتِ الكلامَ فلا كلاما)
(وأعطيتِ اللُّهى لكنَّ طِرْفي ... يريد السَّرجَ منكم واللِّجاما)
فأمرت له بسرج ولجام
ابنته الحجناء تمدح المهدي وابنته العباسة
قال ابن أبي سعد خرج المهدي يتنزه بعيسى باذ وقدم النصيب ومعه ابنته حجناء فدخل على المهدي وهي معه فأنشدته قولها فيه
(رُبَّ عيشٍ ولذةٍ ونعيم ... وبهاءٍ بمشرِق المَيْدانِ)
(بسط اللُه فيه أبهى بِساط ... من بَهار وزاهر الحوْذانِ)
(ثم من ناضرٍ من العُشب الأخْضَرِ ... يزهو شقائقَ النُّعمانِ)
(مدَّه اللهِ بالتَّحاسين حتى ... قَصرت دون طوله العَينانِ)
(خُفّفَتْ حافتاه حيثُ تَناهى ... بخيامٍ في العَين كالظِّلْمانِ)
(زيَّنوا وسطَها بطارمةٍ مِثْل ... الثريَّا يَحُفُّها النَّسرانِ)
(ثم حَشْوُ الخيام بيضٌ كأمْثال ... المَها في صَرائم الكُثْبانِ)
(يتجاوبْنَ في غِناء شَجِيٍّ ... أسعِداني يا نخلَتيْ حُلوانِ)
(فبقصر السلامِ من سلَّم ... اللّهُ وأبقى خليفَة الرحمن)
(ولديه الغِزلانُ بل هنَّ أبهى ... عنده من شَوادِنِ الغِزْلانِ)
(يا له منظراً ويومَ سرورٍ ... شهدتْ لذَّتيه كلُّ حصَانِ)
فأمر لها المهدي بعشرة آلاف درهم وله بمثلها قال ثم دخلت
الحجناء على العباسة بنت المهدي فأنشدتها تقول
(أتيناكِ يا عباسةَ الخيرِ والحيا ... وقد عَجَفَتْ أُدْمُ المهارى وكَلَّتِ)
(وما تركتْ منا السُّنونَ بقيةً ... سوى رِمَّةٍ منا من الجَهد رَمَّتِ)

(فقال لنا من ينصحُ الرأيَ نفسَه ... وقد ولت الأموالُ عنا فقلَّتِ)
(عليكِ ابنةَ المهديّ عُوذي ببابها ... فإن محلَّ الخير في حيث حلَّت)
فأمرت لها بثلاثة آلاف درهم وكسوة وطيب فقالت
(أغنيتِني يابْنَة المهديِّ أيَّ غِنىً ... بأعجرين كثيرٌ فيهما الوَرَقُ)
أي اغنيتني على عقب ما أغناني أخوك
بأعجرين بكيسين
(من ضرب تسع وتسعين مُحَكَّكَةٍ ... مثل المصابيح في الظَّلماء تأتَلِقُ)
(أما الحسودُ فقد أمسى تغيُّظه ... غمًّا وكادَ برَجْع الرِّيق يَخْتَنِقُ)
(وذو الصداقة مسرورٌ بنا فَرِحٌ ... بادي البِشارة ضاحِ وجهُه شَرِقُ)
وقال ابن أبي سعد
مدحه صديقه إسحاق بن الصباح
كان إسحاق بن الصباح الأشعثي صديقا للنصيب وقدم قدمة من الحجاز فدخل على إسحاق وهو يهب لجماعة وردوا عليه برا وتمرا فيحملونه على إبلهم ويمضون فوهب لنصيب جارية حسناء يقال لها مسرورة فأردفها خلفه ومضى وهو يقول
((إذا احتقبوا بُرّاً فأنتِ حَقِيبتي ... من البشَريَّاتِ الثقال الحَقائبِ
(ظفرتُ بها من أشعثيٍّ مهذَّبٍ ... أغرَّ طويل الباع جمَّ المواهبِ)
(فدًى لكَ يا إسحاق كلُّ مبخَّل ... ضجورٍ إذا غضَّت شِدادُ النوائبِ)
(إذا ما بخيلُ القوم غيَّب مالَه ... فمالُك عِدٌّ حاضرٌ غيرُ غائب)
(إذا اكتسب القومُ الثّراء فإنّما ... ترى الحمدَ غُنماً من كريمِ المكاسِبِ)
وقال فيه أيضاً
(فتًى من بني الصّبّاح يهتزُّ للنَّدى ... كما اهتزَّ مسنونُ الغِرار عتيقُ)
(فتى لا يذمّ الضيفُ والجارُ رِفدَه ... ولا ي جتويه صاحبٌ ورفيق)
(أغرُّ لابناء السبيل مَواردٌ ... إلى بيته تَهديهمُ وطريقُ)
(وإن عُدَّ أنسابُ الملوك وجدتَه ... إلى نَسب يعلوهُمُ ويَفوقُ)
(فما في بني الصَّبَّاح إن بعُد المَدَى ... على الناس إلا سابقٌ وعَريقُ)
(وإني لِمَنْ شاحَنْتُمُ لمشاحِنٌ ... وإني لِمَنْ صادقُتم لصَديقُ)
زار خزيمة بن خازم ومدحه
قال وكان النصيب إذا قدم على المهدي استهداه القواد منه وسألوه أن يأمره بزيارتهم فكان فيمن استزاره خزيمة بن خازم فوصله وحمله وقال فيه
((وجدتُك يا خُزَيمةُ أريحيًّا ... بما تحوي وذا حَسَبٍ صَمِيمِ
(تميمٌ كانَ خيرَ بني معدٍّ ... وأنت اليومَ خيرُ بني تميمِ)
(سوى رهط النبيِّ وهم أديمٌ ... وأنت قُدِدْتَ من ذاك الأديمِ)
وقال فيه أيضا
(يا أفضلَ الناس عُوداً عند مَعْجَمِه ... إذا تَفاضلَ يوماً مَعْجَمُ العُودِ)
(أني لواحدُ شعرٍ قد عُرفتُ به ... وذا خزيمة أضحى واحدَ الجودِ)
(إن يعطكَ اليوم معروفاً يعِدك غداً ... فأنت في نائل منه وموعودِ)
(وقد رأينَا تميماً غير مُكْرهَةٍ ... ألقَتْ إليك جميعاً بالمقاليدِ)
(فأنت أكرمُها نفساً وأفضَلُها ... إنّ الصناديدَ أبناءُ الصناديدِ)
وقال وكان في غزاة سمالو مع المهدي فوقف به فرسه ومر به جعد مولى عبد الله بن عمرو بن هشام بن عمرو وبين يديه فرس يجنب فقال له قد ترى قِيام فرسي تحتي فاردد إلى جنيبك حتى يتروح فرسي ساعة فسكت ولم يجبه فقال فيه
(أنادي بأعلى الصوتِ جَعْداً وقد يرَى ... مكاني ولكن لا يُجيبُ ويسمعُ)
(ولم يرني أهلاً لِحُسْنِ إجابة ... ولا سُوئِها إني إلى الله أرجعُ)
(فلو أنَّني جازيتُ جَعْداً بفِعلِه ... لقد لاح لي فيه من الشعرِ مَوضعُ)
(ولكنّني جافيتُ عنهُ لِغيره ... بحُسْن الذي يأتي إليَّ ويَصْنَعُ)
((رأيتك لم تحفظ قرابَةَ بيننا ... وما زالتِ القُربى لدى الناس تَنْفعُ
قال وسأل عبيد الله بن يحيى بن سليمان مركبا فأعطاه إياه وجعل معه شريكا له فيه فقال
(لقد مدحتُ عبيداً إذ طَمِعتُ به ... وقد تملَّقْتُه لو ينفعُ الملَقُ)
(فعاد يسأل ما أصبحتُ سائلَه ... فكلُّنا سائلٌ في الحِرْص متَّفِقُ)
(أحينَ سار مديحي فيكمُ طُرُقاً ... وحيث غنَّتْ به الركبانُ والرُّفَقُ)
(قطعتَ حبلَ رجاءٍ كنتُ آملُه ... فيما لديكَ فأضحى وهو مُنْجَذِقُ)
(قد كان أورَقَ عودي من أبيك فقد ... لَحيْتَ عُودي فجفَّ العُودُ والوَرَقُ)
(من نازع الكلبَ عَرْقا يرتجي شِبَعاً ... كمصطلٍ بحريقٍ وهو يَحترِقُ)
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال كتب إلي أبو محمد إسحاق بن أبي إبراهيم يقول أنشدت الفضل بن يحيى قول أبي الحجناء نصيب
(عند الملوكِ مَضرَّةٌ ومنافعُ ... وأرى البرامِكَ لا تضرُّ وتَنْفَعُ)
(إن العُروق إذا استسرَّ بها الثّرى ... أشِرَ البناتُ بها وطابَ المَزْرَعُ)
(فإذا نَكِرتَ من امرئ أعراقَه ... وقديمَه فانظر إلى ما يَصْنَعُ)
قال فأعجبه الشعر فقال يا أبا محمد كأني والله لم أسمع هذا القول إلا الساعة وما له عندي عيب إلا أني لم أكافئه عليه قال قلت وكيف ذلك أصلحك الله وقد وهبت له ثلاثين ألف درهم فقال لا والله ما ثلاثون ألف

دينار بمكافئة له فكيف ثلاثون ألف درهم
أخبرني أحمد بن عبد الله بن عمار قال أخبرني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ قال
كان أبي يستملح قول نصيب وقد رأى كثرة الشعراء على باب الفضل بن يحيى
فلما دخل الناس إليه قال له
(ما لقينا من جودِ فضلِ بن يحيى ... ترك الناس كلهم شعُراء)
ويقول ما في الدنيا أحسن من هذا المعنى وعلى أنه قد أخذ منهم مالا جليلا ولكن قلما سمعت بطبقته مثله
صوت
(طاف الخيالُ ولاتَ حينَ تطَرُّبِ ... أن زار طيف موهِناً من زَينبِ)
(طرقَتْ فنفَّرتِ الكَرى عن نائمٍ ... كانت وسادتُه ذِراعَ الأرحبي)
(فبكى الشبابَ وعهدُه وزمانَه ... بعد المشيبِ وما بُكَاءُ الأشيبِ)
عروضه من الكامل - الشعر لأبي شراعة القيسي والغناء لدعامة البصري خفيف رمل بالبنصر من كتاب الهشامي -
أخبار أبي شراعة ونسبه
هو فيما كتب به إلينا أبنه أبو الفياض سوار بن أبي شراعة من أخباره ونسبه أحمد بن محمد بن شراعة بن ثعلبة بن محمد بن عمير بن أبي نعيم بن خالد بن عبدة بن مالك بن مرة بن عباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل شاعر بصري من شعراء الدولة العباسية جيد الشعر جزله ليس برقيق الطبع ولا سهل اللفظ وهو كالبدوي الشعر في مذهبه وكان فصيحا يتعاطى الرسائل والخطب مع شعره وكانت به لوثة وهوج
وأمه من بني تميم من بني العنبر وابنه أبو الفياض سوار بن أبي شراعة أحد الشعراء الرواة قدم علينا بمدينة السلام بعد سنة ثلثمائة فكتب عنه أصحابنا قطعا من الأخبار واللغة وفاتني فلم ألقه وكتب إلي وإلى أبي رحمه الله بإجازة أخباره على يدي بعض إخواننا فكانت أخبار أبيه من ذلك
كان سمحا يجود بكل ما عنده
فمنها ما حكاه عنه أنه كان جوادا لا يليق شيئا ولا يسأل ما يقدر عليه إلا سمح به وأنه وقف عليه سائل يوما فرمى إليه بنعله وانصرف حافيا فعثر فدميت إصبعه فقال في ذلك
(ألا لا أُبالي في العُلا ما أصابني ... وإن نَقِبت نَعلاي أو حَفِيتْ رِجْلي)
(فلم تَرَ عَيْنِي قَطُّ أحسنَ منظَراً ... من النكب يدمَى في المواساةِ والبذل)
(ولستُ أُبالي مَنْ تأوَّبَ منزلي ... إذا بقيت عندي السراويلُ أو نَعْلي)
أخوه يتهمه بالجنون فينشد شعرا
قال وبلغه أن أخاه يقول إن أخي مجنون قد أفقرنا ونفسه فقال
(أأُنبَزُ مَجنوناً إذا جُدتُ بالذي ... ملكتُ وإن دافعت عنه فعاقِلُ)
(فداموا على الزُّور الذي قُرِفوا به ... ودمتُ على الإعطاء ما جاءَ سائلُ)
(أبيتُ وتأبى لي رجالٌ أشحَّةٌ ... على المجد تنمِيهم تميمٌ ووائلُ)
قال وقال أيضا في ذلك
(أئِنْ كنتُ في الفتيان آلوت سيداً ... كثيرَ شحوب اللون مختلِفَ العَصْبِ)
(فما لكَ من مولاك إلا حفاظُهُ ... وما المرءُ إلا باللسانِ وبالقلبِ)
(هما الأصغران الذائدانِ عن الفتَى ... مكارهَه والصاحبانِ على الخَطْبِ)
(فإلاّ أُطِقْ سعيَ الكرام فإنني ... أفكُّ عن العاني وأصْبِر في الحَرْبِ)
أخبرني عمي قال أخبرني ميمون بن هارون قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال كان عندي أبو شراعة بالبصرة وأنا أتولاها وكان عندي عمير المغني
المدني وكان عمير بن مرة غطفانيا وكان يغني صوتا يجيده واختاره عليه وهو
(أتحسِبُ ذاتَ الخالِ راجيةً رَبَّاً ... وقد صدعتْ قلباً يُجَنُّ بها حُباً)
فاقترحه أبو شراعة على عمير فقال أعطني دراهم حتى أقبل اقتراحك فقال له أبو شراعة أخذ المغني من الشاعر يدل على ضعف الشاعر ولكني أعرضك لأبي إسحاق فغناه إياه ثلاث مرات وقد شرب عليه ثلاثة أرطال وقال
(عدوتُ إلى المُرِّيِّ عدوةَ فاتِكٍ ... مِعنٍّ خليع للعواذل والعُذْرِ)
(فقال لشيءٍ ما أرى قلتُ حاجةٌ ... مُغَلغلة بين المخنَّق والنَّحرِ)
(فلما لواني يَستْثيب زَجرتُه ... وقلت اعْتَرِفْ إنَّا كلانا على بَحْرِ)
(أليس أبو إسحاقَ فيه غِنىً لَنا ... فيُجْدِي على قَيسٍ وأُجدِي على بكر)
(فغنَّى بذات الخالِ حتى استخفَّني ... وكاد أديمُ الأرض من تحتنا يَجري)
يمدح صديقه ابن المدبر وقد وهبه مالا
حدثني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرد قال كان أبو شراعة صديقا لإبن المدبر أيام تقلده البصرة وكان لا يفارقه في
سائر أحواله ولا يمنعه حاجة يسأله إياها ولا يشفع لأحد إلا شفعه فلما عزل إبراهيم بن المدبر شيّعه الناس وشيَّعه أبو شراعة فجعل يرد الناس حتى لم يبق غيره فقال له يا أبا شراعة غاية كل مودع الفراق فانصرف راشدا مكلوءا من غير قلى والله ولا ملل وأمر له بعشرة آلاف درهم فعانقه أبو شراعة وبكى فأطال ثم أنشأ يقول
(يا أبا إسحاقَ سِرْ في دَعةٍ ... وامضِ مصحوباً فما منك خَلَفْ)
(ليتَ شِعري أيُّ أرض اجدبتْ ... فأُغيثَتْ بك من جَهد العَجَفْ)
(نزل الرُّحْم من اللهِ بهمْ ... وحُرِمناك لِذنبٍ قد سَلَفْ)
(إنما أنت ربيعٌ باكرٌ ... حيثُما صرَّفه الله انصرَفْ)
قال أبو الفياض سوار بن أبي شراعة دخل أبي علي إبراهيم بن المدبر وعنده منجم فما رآه إبراهيم بن المدبر في رؤية الهلال لشهر رمضان فحكم المنجم بأنه يرى وحلف إبراهيم بعتق غلمانه أنه لا يرى فرئي في تلك الليلة فأعتق غلمانه فلما أصبح دخل الناس يهنئونه بالشهر فأنشده أبو شراعة يقول

(أيها المكثر التَّجنيِّ على المال ... إذا ما خلا من السُّؤّالِ)
(أفتنا في الذين أعتقْتَ بالأمْس ... مواليكَ أم موالي الهِلالِ)
(لم يكن وَكْدُك الهِلالَ ولكِنْ ... تتألَّى لِصالِح الأعمال)
(إنما لذَّتاك في المال شَتَّى ... صونُك العِرْضَ وابتِذَالُ المالِ)
(ما نُبالي إذا بقيتَ سَليماً ... مَن تولَّتْ به صروفُ اللَّيالي)
قال أبوالفياض وكان أبو شراعة صديق السدري فدعا يوما إخوانه وأغفل أبا شراعة فمر به الرياشي
فقال يا أبا شراعة ألست عند السدري معنا فقال لم يدعنا
ومر به جماعة من إخوانه فسألوه عن مثل ذلك ومر به عيسى بن أبي حرب الصفار وكان ممن دعي فجلس وحلف ألا يبرح حتى يأتيه السدري فيعتذر إليه ويدعوه فقال أبو شراعة
(أيْر حمارٍ في حِرِ أمِّ شِعري ... وخُصيتاه في حِرِ أمِّ قَدْري)
(إن أنا لم أشْفَعْهما بِوفرِ ... لو كنتُ ذا وفرٍ دعاني السِّدْري)
(أو كان من همِّ هشامٍ أمري ... أو راح إبراهيمُ بُطري ذِكري)
(وابنِ الرياشي الضعيفُ الأمرِ ... يخاف إن أردَفَ ألاّ يَجري)
(وانتَ يا عِيسى سَقاكَ المُسْري ... نعمَ صديقُ عُسرةٍ ويُسر)
قال أبو الفياض سقطت دارنا بالبصرة فعوتب أبي علي بنائها وقيل له استعن بإخوانك إن عجزت عنه فقال
(تلوم ابنةُ البكريِّ حين أؤوبها ... هزيلاً وبعض الآئبين سَمينُ)
(وقالتْ لحاكَ اللَّه تستحسنُ العَرا ... عن الدار إنَّ النائباتِ فُنونُ)
(وحولك إخوانٌ كرامٌ لهمْ غِنًى ... فقلت لإخواني الكرامُ عُيونُ)
(ذَريني أمُتْ قبل احتلالِ محلّةٍ ... لها في وُجوه السائلين غُضونُ)
(سأفدي بمالي ماءَ وجهيَ إنني ... بما فيه من ماءِ الحياء ضَنِينُ)
قال سوار بن أبي شراعة كان إخوان أبي يجتمعون عند الحسين بن أيوب بن جعفر بن سليمان في ليالي شهر رمضان فيهم الرياشي والجماز فقال أبي في ذلك
(لو كنتُ من شيعة الجمَّاز أقعدني ... مقاعداً قُربهُنَّ الريفُ والشَّرفُ)
(لكنَّني كنتُ للعباس متَّبعاً ... وليس في مَركب العباس مرتَدَفُ)
(قد بقيتْ من ليالي الشهر واحدةٌ ... فعاودوا مالحَ البقّال وانصرفُوا)
طلق ليلة تزوج نديمة بيان
قال وتزوج نديم لأبي شراعة يقال له بيان امرأة فاتفق عرسه في ليلة طلق فيها أبو شراعة امرأته فعوتب في ذلك وقيل بات بيان عروسا وبت عزبا فقال في ذلك
(رأتْ عُرس بَيَّانٍ فهبَّتْ تلومني ... رويدَكِ لوماً فالمطَلَّق أحوطُ)
(رويدكِ حتى يرجعَ البرُّ أهله ... ويرحمَ ربُّ العِرْس من حيث يُغبَط)
(إذا قال للطحَّان عند حسابه ... أعِدْ نظراً إني أظنك تغلطُ)
(فما راعه إلا دعاءُ وليدةٍ ... هلُمَّ إلى السّواق إن كنت تَنْشَطُ)
(هنالك يدعو أُمَّه فيسبُّها ... ويلتبسُ الأجرَ العَقوق فيحبَطُ)
(فياذا العُلا إني لفضلك شاكرٌ ... أبيتُ وحيداً كلما شئت أضرَطُ)
شمن ببيان لأنه عجز عن امرأته
قال ثم بلغه عن بيان هذا أنه عجز عن امرأته ولم يصل إليها ولقي منها شرا فقال في ذلك
(رمى الدهرُ في صَحبي وفرَّق جُلاَّسي ... وباعدهم عني بظَعنٍ وإعراس
(فكلُّهمُ يبغي غِلافاً لأيرِه ... وأقعدَني عن ذاك فَقري وإفلاسي)
(فشكراً لربِّي خان بيَّان أيرُه ... وأسعى بأيري في الظلام على الناس)
(يمسحه بالكف حتى يقيمه ... وهل ينفع الكفَّان من ثقل الرأس)
وقال أبو الفياض سوار نظر إلي أبي يوما وقد سألت عمي حاجة فردني فبكى ثم قال
(حُبِّي لإغناءِ سوَّارٍ يُجشِّمني ... خَوضَ الدُّجى واعتساف المَهمَهِ اليِبدِ)
(كي لا تهونَ على الأعمام حاجَتُه ... ولا يعلَّل عنها بالمواعيدِ)
(ولا يوليهمُ إن جاء يسألُها ... أكتافَ مَعرضة في العِيس مردودِ)
(إذا بكى قال منهمْ ذُو الحِفاظ له ... لقد بُليت بخلْقٍ غيرِ محمودِ)
قال وتمارى أبو شراعة ورجل من أهل بغداد في النبيذ فجعل البغدادي يذم نبيذ التمر والدبس فقال أبو شراعة
(إذا انتخبتَ حبَّه ودِبسَهُ ... ثم أجدتْ ضَربه ومَرْسَهُ)
(ثم أطلْتَ في الإناء حَبسَهُ ... شربتَ منه البابليَّ نفسَهُ)
قال وأعوز أبا شراعة يومئذ النبيذ فطلب من نديمين كانا له فاعتل أحدهما بحلاوة نبيذه والآخر بحموضته فاشترى من نباذ يقال له أبو مظلومة
دستيجة بدرهمين وكتب إليهما
(سيُغني عن حلاوةِ دِبْسٍ يحيى ... ويُغني عن حُموض أبي أميَّهْ)
(أبو مَظلومةَ الشيخُ المولِّي ... إذا اتَّزنتْ يداه دِرْهَميَّهْ)
أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا محمد بن يزيد قال كان أبو شراعة قبيح الوجه جدا فنظر يوما في المرآة فأطال ثم قال الحمد لله الذي لا يحمد على الشر غيره
فضل النبيذ على امرأته فطلقها
قال سوار بن أبي شراعة حلف أبي ألا يشرب نبيذا بطلاق امرأة كانت عنده فهجره حولين ثم حنث فشرب وطلق امرأته وأنشأ يقول
(فمن كان لم يسمعْ عجيباً فإنني ... عجيبُ الحديث يا أُميمَ وصادقُه)

(وقد كان لي أُنسانِ يا أُمَّ مالكٍ ... وكلٌّ إذا فتَّشتَني أنا عاشِقُه)
(عزيزةُ والكأسُ التي مِن يُحِلّها ... تُخادِعه عن عقلِه فتصادقُه)
(تحارَبَتا عندي فعطَّلتُ دَنَّها ... وأكوابَها والدهر جَمٌّ بَوائقه)
(وحرَّمتُها حولَين ثم أزلَّني ... حديثُ النَّدامى والنشيدُ أُوافقُه)
(فلمَّا شربتُ الكأس بانت بأختها ... فبان الغزال المستحبّ خلائقُه)
(فما أطيب الكأس التي أعتضت منكمُ ... ولكنَّها ليست بريمٍ أُعانقه)
قال أبو الفياض قال أبي قصدت الحسن بن رجاء بالأهواز فصادفت
ببابه دعبل بن علي الخزاعي وجماعة من الشعراء وقد اعتل عليهم بدين لزمه ومصادرة فكتب إليه
(المالُ والعقلُ شيءٌ يُستعانُ به ... على المَقامِ بأبوابِ السلاطينِ)
(وأنت تعلَمُ أنّي منهما عَطِلٌ ... إذا تأمّلْتَني يابنَ الدَّهاقين)
(هل تعلم اليومَ بالأهواز من رَجلٍ ... سواك يصلُح للدُّنيا وللدِّين)
قال فوعدنا وعدا قربه ثم تدافع فكتب إليه
(آذتْ جُبَّتي بأمرٍ قبيحِ ... من فِراقٍ للطيلسَان الفسيحِ)
(فكأنّي بمن يزيد على الجُبَّةِ ... في ظلِّ دار سهلِ بن نوحِ)
(أنت روح الأهواز يابنَ رجاء ... أيّ شيء يعيشُ إلاَّ بروحِ)
فأذن لي وللجماعة وقضى حوائجنا
قال أبو الفياض وحدثني أبي قال حججتُ فأتيت دار سعيد بن سلم فنحرت فيها ناقة وقلت
(وردت دارَ سعيدٍ وهي خاليةٌ ... وكان أبيضَ مِطعاماً ذُرى الإبِلِ)
(فارتحتُ فيها أصيلاً عند ذُكرته ... وصُحْبتي بِمِنًى لاهُونَ في شُغُلِ)
((فابتعت من إبل الجمَّال دهشرَةً ... موسومةً لم تكنْ بالحِقةِ العُطُلِ)
(نحرتُها عن سعيد ثم قلت لهم ... زوروا الحَطيمَ فإني غير مرتَحِلِ)
قال وبلغت الأبيات وفعلي ولده فأحسنوا المكافأة وأجزلوا الصلة قال فقال له صديق له وأنت أيضا قد استجدت لهم النحيرة فضحك ثم قال أغرك وصفي لها أشهد الله أني ما بلغت بها دار سعيد إلا بين عمودين
وقال أبو الفياض
عير أبا أمامة لأنه عالة على أمه
كان أبو أمامة محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن سلم وأمه سعدى بنت عمرو بن سعيد بن سلم صديقا لأبي شراعة وكانت أمه سعدى تعوله فكان أبو شراعة لا يزال يعبث به وبلغه أن أبا أمامة يقول إنما معاش أبي شراعة من السلطان ورفده ولولا ذاك لكان فقيرا فقال فيه
(عَيَّرَتني نائلَ السلطان أطلبُه ... يا ضلَّ رأيُك بين الخُرْق والنّزَقِ)
(لولا امتنانٌ من السلطان تَجهلُه ... أصبحتُ بالسَّود في مَقعوعِسٍ خَلَقِ)
السود موضع تنزله باهلة بالبادية
(رثَّ الرِّدا بين أهدام مرقَّعَةٍ ... يبيتُ فيها بليل الجائع الفَرِقِ)
(لا شيء أثبتُ بالإنسانِ معرفةً ... من التي حزمت جَنبيه بالخِرَقِ)
((فأين دارُك منها وهي مؤمنة ... باللَّه معروفةُ الإسلام والشَّفَقِ
(وأين رزقُك إلا من يَدَيْ مَرَةٍ ... ما يتَّ من مالها إلا على سَرَقِ)
(تبيت والهرَّ ممدوداً عيونكما ... إلى تطعُّمها مخضرَّة الحَدَقِ)
(ما بين رزقيكما إن قاس ذو فِطَنٍ ... فرقٌ سوى أنه يأتيكَ في طَبَقِ)
(شاركْهُ في صيدِه للفأرِ تأكلُه ... كما تُشاركُه في الوجْه والخُلُقِ)
قال أبو الفياض وزاره أبو أمامة يوما فوجد عنده طفشيلا فأكله كله فقال أبو شراعة يمازحه
(عين جودي لبرمةِ الطَّفْشيلِ ... واستهِلّي فالصبرُ غيرُ جميلِ)
(فجعتْني بها يد لم تَدَعْ للذَّرّ ... في صَحن قِدرِها من مَقيلِ)
(كان واللّهِ لحمُها من فَصِيلٍ ... راتعٍ يرتعي كَريمَ البُقولِ)
(فخلطنا بلحمه عَدَسَ الشَّام ... إلى حِمَّصٍ لنا مَبلُولِ)
(فأتتْنا كأنها روضةٌ بالحَزْنِ ... تدعو الجيرانَ للتَّطفيلِ)
(ثم أكفأتُ فوقَها جفنةَ الحيّ ... وعلّقتُ صَحفتي في زَبيلِ)
(فَمنى اللّه لي بفظٍّ غليظٍ ... ما أراه يُقِرُّ بالتَّنزيلِ)
(فانتحى دائباً يُدبِّلُ منها ... قلتُ إن الثريد للتَّدبيلِ)
(فتغنّي صوتاً ليوضِحَ عِندي ... حيِّ أُمَّ العلاء قبلَ الرّحيلِ)
كتب أبوه إلى سعيد بن موسى يستهديه نبيذا
أخبري علي بن سليمان الأخفش قال حدثني سوار بن أبي شراعة
قال كتب أبي إلى سعيد بن موسى بن سعيد بن مسلم بن قتيبة يستهديه نبيذا فكتب إليه سعيد إذا سألتني جعلني الله فداءك حاجة فاشطط واحتكم فيها حكم الصبي على أهله فإن ذلك يسرني وأسارع إلى إجابتك فيه
وأمر له بما التمس من النبيذ فمزجه صاحب شرابه وبعث به إليه
فكتب إليه أبو شراعة أستنسيء الله أجلك وأستعيذه من الآفات لك وأستعينه على شكر ما وهب من النعمة فيك إنه لذلك ولي وبه مليّ
أتاني غلامك المليح قده السعيد بملكك جده بكتاب قرأته غير مستكره اللفظ ولا مزور عن القصد ينطق بحكمتك ويبين عن فضلك فوالله ما أوضح لي خفيا ولا زادني بك علما وإذا أنت تسأل فيه أن تهب وتحب أن تحمد ولا غرو أن تفعل ذلك ومن كتب أخذته لا عن كلالة وغير كلالة ورثته موسى أبوك وسعيد جدك وعمرو عمك ولك دار الصلة ودار الضيافة وصاحب البغلة الشهباء وحصين بن الحمام وعروة بن الورد ففي أي

غلوات المجد يطمع قرينك أن يستولي على المدى والأمد دونك
وكتابك إلي أن أتحكم عليك تحكم الصبي على أهله فلشد ما جررت إلي معروفك ودللت على الأنس بك وحاشى للمحكوم له والمحكوم عليه في ذلك الحسب العتيق والمنظر الأنيق الذي يسر القلب ويلائم الروح ويطرد الهم
(تدِبّ خلال شؤونِ الفتَى ... دبيبَ دَبى النَّملة المنتعشْ)
(إذا فُتِحت فَغَمَتْ ريحُها ... وإن سيلِ خمّارها قال خُشْ)
خش كلمة فارسية تفسيرها طيب
فإن كنت رعيت لها عهدا وحفظت لها عندك يدا فانظر ربّ الحانوت فامطله دينه واقطع السبب بينك وبينه فقد أساء صحبتها وأفسد بالماء حسها وسلط عليها عدوها واعلم بأن أباك المتمثل بقوله
(يرى درجاتِ المجدِ لا يستطيعُها ... فيقعد وسْطَ القوم لا يتكلمُ)
وقد بسطت قدرتك لسانك وأكثرت لك الحمد فدونك نهزة البديهة منه
(وبادرْ بمعروف إذا كنت قادراً ... زوالَ افتقار أو غنًى عنك يُعقب)
وقد بعثت إليك بقرابة مع الرسول وأنشأت في أثرها أقول
((إليكَ أبن موسى الجودِ أعملتُ ناقتي ... مجلَّلةً يضفو عليها جِلالُها
(كتومُ الوحي لا تشتكي ألمَ السُّرى ... سواء عليها موتُها واعتلالُها)
(إذا شرِبتْ أبصرتَ ما جوفُ بَطنها ... وإن ظَمِئَت لم يبد منها هُزالُها)
(وإن حَملتْ حِملاً تكلّفتُ حِملها ... وإن حُطَّ عنها لم أقل كيف حالُها)
(بعثنا بها تسمو العيونُ وراءها ... إليك وما يُخشى عليها كَلالُها)
(وغنّى مُغنِّيناً بصوتٍ فشاقني ... متى راجعٌ من أم عمرو خيالُها)
(أحِبُّ لكم قيسَ بن عيلان كلَّها ... ويعجبني فُرسانها ورجالُها)
(ومالِيَ لا أهوَى بقاء قَبيلة ... أبوكَ لها بدرٌ وأنت هلالُها)
قال فبعث إليه برسوله الذي حمل إليه النبيذ واستملحه في شعره وصاحب شرابه وكل ما كان في خزانته من الشراب وبثلثمائة دينار
مساجلة حول جارية يقال لها مليحة
أخبرني الأخفش عن المبرد وسوار بن أبي شراعة جميعا أن أبا الفياض سوار بن أبي شراعة كان يهوى قينة بالبصرة يقال لها مليحة فدعيت ذات يوم إلى مجلس لم يكن حاضره وحضر أبو علي البصير ذلك المجلس فجمشها بعض من حضر فلم تلتفت إليه وعرف أبو علي ذلك فكتب إلى أبي الفياض
(لك عندي بِشارة فاستمعها ... وأجبني عنها أبا الفيَّاض)
((كنتُ في مجلسٍ مَليحةُ فيه ... وهي سُقْمُ الصِّحاح برءُ المِراض
(وقديماً عهدتَني لستَ في حقِّكَ ... والذبِّ عنك ذا إغماض)
(فتغفّلتها تغفُّلَ خَصْمٍ ... وتأملتُها تأمُّلَ قاضِ)
(ورَمتْها العيونُ من كلِّ أُفْق ... وتشاكَوْا بالوَحْي والإيماض)
(من كهولٍ وسادةٍ سُمَحاء ... باللُّها باخلينَ بالأعراض)
(وصفاتُ القِيانِ أولها الغدر ... عليهِ في وَصلِهنَّ التَّراضي)
(فتشوّفتُ ذاكَ منها وأعددتُ ... نكيري وسَوْرتي وامتِعاضي)
(فحمتْ جانبَ المُزاحِ وعمَّتهم ... جميعاً بالصَّدّ والإعراض)
(وكفاني وفاؤها لكَ حتَّى ... آذنَ الليلُ جمعَهم بارفِضاض)
فأجابه أبو الفياض
(ليتَ شعري ماذا دعاك إلى أن ... هجتَ شوقي وزدتَ في إمراضي)
(ذكرتْني بُشراك داءً قديماً ... من سَقام عليَّ لا شكَّ قاضي)
(إن تكنْ أحسنتْ مليحةُ في وصْلي ... وعاصت رياضة الرُّوَّاض)
(وأقامتْ على الوفاء ولم تَرْعَ ... لوحيٍ منهم ولا إيماض)
(فعلى صحَّةِ الوفاءِ تعاقدْنا ... وصونِ النُّفوس والأعراض)
(وعلينا من العفافِ ثِيابٌ ... هنَّ أبهى من حالياتِ الرياضِ)
(ليس حظِّي منها سوى النظر الخَتْل ... وإني به لجذلانُ راض)
((لحظاتٌ يقعنَ في ساحة القلب ... وُقوعَ السهامِ في الأغراض
(وابتسامٌ كالبرقِ أو هو أخفَى ... بين سِتْري تحرُّزٍ وانقباض)
(لا أخافُ انتقاضَها آخرَ الدهر ... بِغدرٍ ولا تخافُ انتقاضي)
(فأبِنْ لي ألستَ تحمد ذا ... الودَّ وقاكَ الردى أبو الفياض)
قال أبو الفياض اتصل بأبي شراعة أن أبا ناظرة السدوسي يغتابه وكان مع آل أبي سفيان بن ثور فقال يهجوهم
(لعن الإله بني سدوسٍ كلَّهمْ ... ورمَى بمنجوفٍ وَرِيّة قاف)
(قد سَنِّي عُضر وطهم فسببتُهم ... ذنبُ الدَّنِيء يُناط بالأشراف)
قال أبو الفياض وكان بين بعض بني عمنا وبين أبي شراعة وحشة ثم صالحوه ودعوه إلى طعامهم فأبى وقال أمثلي يخرج من صوم إلي طعم ومن شتيمة إلى وليمة ومالي ولكم مثل إلا قول المتلمس
(فإن تُقبلوا بالودّ نُقبلْ بمِثلِه ... وإلا فإنا نحن آبَى وأشمَسُ)
وقال فيهم
(بني سوَّارَ إن رثَّتْ ثيابي ... وكَلَّ عن العشيرة فضلُ مُالي)
(فمطَّرَحٌ ومتروكٌ كلامي ... وتجفوني الأقاربُ والموالي)
(ألم أكُ من سَراة بني نُعَيم ... أحلُّ البيتَ ذا العَمَد الطِّوال)
(وحولي كلُّ أصيدَ تَغْلَبيٍّ ... أبيُّ الضيْم مشتركُ النوال)

((إذا حضر الغَداءُ فغيرُ مغنٍ ... ويُغني حين تَشتجرُ العوالي
(وأبقوْني فلستُ بمستكين ... لصاحب ثَروة أُخري الليالي)
(ولا بممسّح المُثرين كيْما ... أمسّحُ من طعامهمُ سِبَالي)
(أنا ابنُ العنبرية أزّرتني ... إزار المكرمات إزار خالي)
(فإن يكن الغِنَى مجداً فإني ... سأدعُو الله بالرزق الحَلالِ)

صوت

(إذا أبصرتْكَ العينُ من بُعد غاية ... وأوْقعتُ شكّاً فيك أثبَتك القلبُ)
(ولو أن رَكْباً يمّموك لقادَهم ... نسيمُك حتى يستدلَّ بكَ الركبُ)

الشعر لعبد الله بن محمد بن البواب والغناء لأحمد بن صدقة الطنبوري رمل مطلق في مجرى البنصر رواية الهشامي

أخبار ابن البواب

هو عبد الله بن محمد بن عتاب بن إسحاق من أهل بخارى

وجه بجدة وجماعة معه رهينة إلى الحجاج بن يوسف فنزلوا عنده بواسط فأقطعهم سكة بها فاختطوها ونزلوها طول أيام بني أمية ثم انقطعوا من الدولة العباسية إلى الربيع فخدموه

وكان عبد الله بن محمد هذا يخلف الفضل بن الربيع على حجبة الخلفاء وكان أبوه محمد بن عتاب يخلف الربيع في أيام أبي جعفر وكان معه فرآه أبو جعفر مع أبيه فسأله عنه فأخبره فكساه قباء خز وكساه تحته قباء كتان مرقوع القب وقال له هذا يخفى تحت ذاك

ذكر لي أحمد بن القاسم بن يوسف عن محمد بن عبد الله بن محمد البواب عن أبيه

وكان عبد الله صالح الشعر قليله وراوية لأخبار الخلفاء عالماً بأمورهم روى عنه أبو زيد عمر بن شبة ونظراؤه وقد مضت في هذا الكتاب وتأتي أخبار من روايته

أعطاه الأمين فمدحه

قال أحمد بن القاسم اليوسفي حدثني محمد بن عبد الله البواب قال حدثني أبي قال حجبت موسى وهارون خليفة للفضل بن الربيع

وخدم محمدا الأمين فأغناه وأعطاه ومدحه ونال من المأمون وعرض به فأخبرني إسماعيل بن يوسف قال حدثني عبد الله بن أحمد الباهلي قال حدثني الحسين بن الضحاك قال

لما أتي المأمون بشعر ابن البواب الذي يقول فيه

صوت

(أيبخَل فردُ الحسن فردُ صفاته ... عليَّ وقد أفردته بهَوًى فردِ)
(رأى الله عبدَ الله خيرَ عباده ... فملّكه والله أعلمِ بالعَبْدِ)
(ألا إنما المأمونُ للناس عِصمةٌ ... مُمَيَّزةٌ بين الضَّلالة والرُّشدِ)

لعلويه في هذه الأبيات رمل بالوسطى

قال فقال المأمون أليس هو القائل

(أعينيَّ جودا وابكيا لي محمَّدا ... ولا تدْخَرا دَمعاً عليه وأسْعِدا)
(فلا فرحَ المأمون بالمُلْك بعدَه ... ولا زالَ في الدُّنيا طريداً مشرَّدا)

هيهات وواحدة بواحدة ولم يصله بشيء

هكذا روي عن الحسين بن الضحاك

وقد روي أن هذين الشعرين جميعا للحسين وأن قول المأمون هذا بعينه فيه

(نسب إلى إسحاق شعراً ذميماً رديئاً

وقال أحمد بن القاسم حدثني جزء بن قطن

وأخبرني بهذا الخبر الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق قالا جميعا وقع بين إسحاق وبين ابن البواب شر فقال ابن البواب شعرا ذميما رديئا ونسبه إلى إسحاق وأشاعه ليعيره به وهو

(إنما أنتِ يا عنانُ سراج ... زينتُه الظَّرفُ والفتيلةُ عقلُ)
(قاده للشقاء مني فُؤادي ... رجْلُ حُبٍّ لكم وللحبِّ رِجلُ)
(هَضَم اليومِ حبُّكم كلَّ حُبٍّ ... في فؤادي فصار حُبُّك فُجْلُ)
(أنت ريحانةٌ وراحٌ ولكن ... كلُّ أنثى سواكِ خَلٌّ وبَقلُ)

وقال حماد في خبره وبلغ ذلك أبي فقال له

(الشعر قد أعيا عليك فخلّه ... وخذ العَصا واقعدْ عَلى الأبواب)

فجاء ابن البواب إلى إبراهيم جدي فشكا أبي إليه فقال له مالك وله يا بني فقال له أبي تعرض لي فأجبته وإن كف لم أرجع إلى مساءته

فتتاركا

خبره مع جارية يهواها اسمها عبادة

قال أحمد بن القاسم أخبرني محمد بن الحسن بن الفضل قال أخبرني إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحيم قال

كان بالكرخ نخاس يكنى أبا عمير وكان له جوار قيان لهن ظرف وأدب وكان عبد الله بن محمد البواب يألف جارية منهن يقال لها عبادة ويكثر غشيان منزل أبي عمير من أجلها فضاق ضيقة شديدة فانقطع عن ذلك وكره أن يقصر عما كان يستعمله من برهم فتعلم بضيقته ثم نازعته نفسه إلى لقائها وزيارتها وصعب عليه الصبر عنها فأتاه فأصاب في منزله جماعة ممن كان يألف جواريه فرحب به أبو عمير والجارية والقوم جميعا واستبطأوا زيارته وعاتبوه على تأخره عنهم فجعل يجمجم في عدره ولا يصرح فأقام عندهم فلما أخذ فيه النبيذ أنشأ يقول

(لو تشكَّى أبو عُمير قليلاً ... لأتيناه من طَرِيق العِيادَهْ)
(فقضيْنَا من العيادة حقَّاً ... ونظرنا في مُقْلَتَيْ عبَّادَهْ)

فقال له أبو عمير مالي ولك يا أخي أنظر في مقلتي عبادة متى شئت غير ممنوع ودعني أنا في عافية لا تتمن لي

المرض لتمودني
وقال أحمد بن القاسم
كان عبد الله بن إسماعيل بن علي بن ريطة يألف ابن البواب ويعاشره فشرب عنده يوما حتى سكر ونام فلما أفاق في السحر أراد الإنصراف فحلف عليه واحتبسه وكان عبد الله يهوى جارية له من جواري عمرو بن بانة فبعث إلى عمرو بن بانة فدعاه وسأله إحضار الجارية فأحضرها وانتبه عبد الله بن إسماعيل من نومه وهو يتململ خمارا
فلما رآها نشط وجلس فشرب وتمموا يومهم فقال عبد الله بن محمد بن البواب في ذلك
(وكريمِ المجدِ محضٍ أبوه ... فهو الصفو اللُّبابُ النُّضارُ)
((هاشميٌّ لقُروم إذا ما ... أظلمتْ أوجهُ قومٍ أناروا
(رمت القهوةُ بالنومِ وهْناً ... عينَه فالجفنُ فيه انكسارُ)
(فهو من طَرفٍ يُفدِّيك طَوْراً ... ويُعاطيكَ اللواتي أداروا)
(ساعةً ثم انثنى حين دبَّتْ ... ومشتْ فيه السُّلاف العُقَارُ)
(وأبتْ عيني اغتماضاً فلمَّا ... حان من أُخرى النجومِ انحِدَارُ)
(قلت عبدَ الله حاذرتَ أمراً ... ليس يُغني خائفيه الحِذَارُ)
(فاستوى كالهُنْدُوانيِّ لمَّا ... أن رأى أنْ ليس يُغني الفِرارُ)
(قلت خذْها مثلَ مصباح ليل ... طُيِّرتْ في حافَتيه الشِّرارُ)
(أقبلتْ قَطْرا نِطافا ولما ... يَتعب العاصرَ منها اعتصارُ)
(هي كالياقوت حمراءُ شِيبتْ ... وعَلا الحُمرةَ منها اصفرارُ)
(كالدنانير جرى في ذُراها ... فِضةٌ فالحسنُ منها قُصارُ)
(تُنطِقُ الخُرس وبالصمتِ تَرمي ... مَعشراً نُطْقاً إذا ما أحاروا)
قال أحمد وحدثني يعقوب بن العباس الهاشمي أبو إسماعيل النقيب قال
لما طال سخط المأمون على ابن البواب قال قصيدة يمدحه بها ودس من غناه في بعضها لما وجد منه نشاطا فسأل من قائلها فأخبر به فرضي عنه ورده إلى رسمه من الخدمة وأنشدني أبو إسماعيل القصيدة وهي قوله
قصيدته في مدح المأمون
(هل للمحبِّ مُعينُ ... إذ شطَّ عنه القرينُ)
((فليس يَبكي لشَجو ... الحزين إلا الحزينُ
(يا ظاعناً غابَ عنَّا ... غَداةَ بانَ القطينُ)
(أبكى العيونَ وكانتْ ... به تَقَرُّ العيونُ)
(يا أيها المأمون ... المبارَك الميمونُ)
(لقد صفتْ بك دُنيا ... للمسلمين ودينُ)
(عليكَ نُور جلالٍ ... ونُور مُلك مبينُ)
(القول منكَ فِعَالٌ ... والظنُّ منك يقينُ)
(مامِن يديك شِمالٌ ... كلتَا يديك يَمينُ)
(كأنما أنتَ في الجُود ... والتُّقى هارونُ)
(مَنْ نالَ من كل فضلٍ ... ما ناله المأمونُ)
(تألَّف الناسَ منه ... فضلٌ وجودٌ ولينُ)
(كالبدر يبدو عليه ... سكينَةٌ وسكُونُ)
(فالرزقُ من راحتيه ... مقسَّمٌ مَضْمونُ)
(وكل خَصلةِ فضل ... كانتْ فَمنه تكونُ)
والأبيات التي فيها الغناء المذكور آنفا أربعة أبيات أنشدنيها الأخفش وهي قوله
(أَفِقْ أيها القلب المعذَّبُ كم تصبو ... فلا النأْيُ عن سلماك يُسلِي ولا القرْبُ)
(أقولُ غداة استخبَرت مِمَّ علتي ... من الحبِّ كربٌ ليس يشبهُه كَربُ)
(إذا أبصرتك العين من بعد غايةٍ ... فأدخلتُ شكا فيك أثبتَك القلبُ)
(ولو أن رَكباً يمموك لقادَهم ... نَسيمُك حتى يَستدلَّ بكَ الركبُ)
فقال الأخفش مثل هذا البيت الأخير قول الشاعر
((واستَودَعَتْ نشرَها الديارُ فما ... تَزدادُ طيباً إلا على القِدَم
أخبرني الحسن بن يحيى عن حماد بن إسحاق قال
رأيت محمد بن عبد الله البواب وقد جاء إلى أبي مسلما فاحتبسه ورأيته وهو شيخ كبير وكان ضخما طويلا عظيم الساقين كأنهما دنان وكان يشد في ساقيه خرزا أسود لئلا تصيبهما العين
مدح أبا دلف بعد أن أملق فوهبه مالا
وقال محمد بن القاسم أملق عبد الله بن محمد البواب حين جفاه الخليفة وعلت سنه عن الخدمة فرحل إلى أبي دلف القاسم بن عيسى ومدحه بقصيدة مهوب له ثلاثين ألف درهم وعاد بها إلى بغداد فما نفدت حتى مات وهي قوله
(طرقتْك صائدةُ القلوبِ رَبابُ ... ونأتْ فليس لها إليك مآبُ)
(وتصرَّمتْ منها العهودُ وغُلِّقتْ ... من دون نيلِ طِلابِها الأبوابُ)
(فلأصدِفنَّ عن الهوى وطِلابِه ... فالحبُّ فيه بَليَّةٌ وعذَابُ)
(وأخصُّ بالمدح المهذَّب سيِّداً ... نفحاتُه للمُجْتدين رِغابُ)
(وإلى أبي دلف رحلْتُ مطِّيتي ... قد شفَّها الإرقالُ والإتعابُ)
((تعلو بنا قُلَلَ الجبال ودونَها ... مما هوتْ أهويَّةٌ وشِعابُ
(فإذا حللتَ لدي الأمير بأرضه ... نلتَ المُنى وتقضَّت الآراب)
(مَلِكٌ تأثَّل عن أبيه وجدِّه ... مَجْداً يُقصِّر دونه الطُّلابُ)

(وإذا وزنتَ قديم ذي حسبٍ به ... خضعتْ لفضل قديمه الأحسابُ)
(قومٌ علَوْا أملاكَ كلِّ قبيلة ... فالناس كلّهم لهم أذْنابُ)
(ضربَتْ عليه المكرماتُ قِبابَها ... فعلا العمودُ وطالَتِ الأطنابُ)
(عقِم النساءُ بمثله وتعطَّلتْ ... من أنْ تُضَمَّن مثلَه الأصلابُ)

صوت

(صغيرُ هواكَ عذَّبني ... فكيف به إذا احْتُنِكَا)
(وأنت جمعت من قلبي ... هوًى قد كان مشترَكا)
(وحبسُ هواك يقتُلني ... وقتلي لا يَحِلُّ لكا)
(أما تَرْثي لمكْتَئِبٍ ... إذا ضحك الخليُّ بكى)

الشعر لمحمد بن عبد الملك الزيات والغناء لأبي حشيشة رمل بالوسطى عن الهشامي

أخبار محمد بن عبد الملك الزيات ونسبه

هو محمد بن عبد الملك الزيات بن أبان بن أبي حمزة الزيات وأصله من جَبُّل ويكنى أبا جعفر

وكان أبوه تاجرا من تجار الكرخ المياسير فكان يحثه على التجارة وملازمتها فيأبى إلا الكتابة وطلبها وقصد المعالي حتى بلغ منها أن وزر ثلاث دفعات وهو أول من تولى ذلك وتم له

أخبرني الأخفش علي بن سليمان قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك قال

كان جدي موسراً من تجار الكرخ وكان يريد من أبي أن يتعلق بالتجارة ويتشاغل بها فيمتنع من ذلك ويلزم الأدب وطلبه ويخالط الكتاب ويلازم الدواوين فقال له ذات يوم والله ما أرى ما أنت ملازمه ينفعك وليضرنك لأنك تَدَعُ عاجل المنفعة وما أنت فيه مكفيٌّ ولك ولأبيك فيه مال وجاه وتطلب الآجل الذي لا تدري كيف تكون فيه

فقال والله لتعلمن أينا ينتفع بما هو فيه أأنا أم أنت ثم شخص إلى الحسن بن سهل بفم الصلح فامتدحه بقصيدته التي أولها

(كأنها حينَ تناءَى خطوها ... أخْنَسُ مَوْشيٌّ الشَّوَى يرعى القُبَلْ)

فأعطاه عشرة آلاف درهم فعاد بها إلى أبيه فقال له أبوه لا ألومك بعدها على ما أنت فيه

أخبرني جحظة والصولي قالا حدثنا ميمون بن هارون قال لما مدح محمد بن عبد الملك الحسن بن سهل ووصله بعشرة آلاف درهم مثل بين يديه وقال له

(لم أمتدحْك رجاءَ المالِ أطلُبه ... لكنْ لتُلبِسَني التَّحجيلَ والغُرَرَا)
(وليس ذلك إلا أنَّني رجلٌ ... لا أطلب الوِرْدَ حتى أعرفَ الصَّدَرَا)

وكان محمد بن عبد الملك شاعرا مجيدا لا يقاس به أحد من الكتاب وإن كان إبراهيم بن العباس مثله في ذلك فإن إبراهيم مقل وصاحب قصار ومقطعات وكان محمد شاعرا يطيل فيجيد ويأتي بالقصار فيجيد وكان بليغا حسن اللفظ إذا تكلم وإذا كتب

خبر عن عدله وإنصافه الناس

فحدثني عمي رحمه الله قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال

جلس أبي يوما للمظالم فلما انقضى المجلس رأى رجلا جالسا فقال

له ألك حاجة قال نعم تدنيني إليك فإني مظلوم فأدناه فقال أني مظلوم وقد أعوزني الإنصاف قال ومن ظلمك قال أنت ولست أصل إليك فأذكر حاجتي قال ومن يحجبك عني وقد ترى مجلسي مبذولا قال يحجبني عنك هيبتي لك وطول لسانك وفصاحتك واطراد حجتك قال ففيم ظلمتك قال ضيعتي الفلانية أخذها وكيلك غصبا بغير ثمن فإذا وجب عليها خراج أديته بإسمي لئلا يثبت لك اسم بملكها فيبطل ملكي فوكيلك يأخذ غلتها وأنا أؤدي خراجها وهذا مما لم يسمع في الظلم مثله فقال محمد هذا قول تحتاج عليه إلى بينة وشهود وأشياء فقال له الرجل أيؤمنني الوزير من غضبه حتى أجيب قال قد أمنتك قال البينة هم الشهود وإذا شهدوا فليس يحتاج معهم إلى شيء فما معنى قولك بينة وشهود وأشياء أيش هذه الأشياء إلا العي والحصر والتغطرس فضحك وقال صدقت والبلاء موكل بالمنطق وإني لأرى فيك مصطنعا ثم وقع له برد ضيعته وبأن يطلق له كُرُّ حنطة وكر شعير ومائة دينار يستعين بها على عمارة ضيعته وصيره من أصحابه واصطنعه

أخبرني الصولي قال حدثني أحمد بن محمد الطالقاني قال حدثني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك قال

هدد إبراهيم بن المهدي بقصيدة يخاطب فيها المأمون

لما وثب إبراهيم بن المهدي على الخلافة اقترض من مياسير التجار مالا فأخذ من جدي عبد الملك عشرة آلاف درهم وقال له أنا أردها إذا جاءني مال ولم يتم أمره فاستخفى ثم ظهر ورضي عنه المأمون فطالبه الناس بأموالهم فقال إنما أخذتها للمسلمين وأردت قضاءها من فيئهم والأمر الآن إلى غيري فعمل أبي محمد بن عبد الملك قصيدة يخاطب فيها المأمون ومضى بها إلى إبراهيم بن المهدي فأقرأه أياها وقال والله لئن لم تعطني المال الذي اقترضته من أبي لأوصلن هذه القصيدة إلى المأمون فخاف أن يقرأها المأمون فيتدبر ما قاله فيوقع به فقال له خذ مني بعض المال ونجم علي بعضه ففعل أبي ذلك بعد أن حلفه إبراهيم بأوكد الأيمان ألا يظهر القصيدة في حياة المأمون فوفى له أبي بذلك ووفى إبراهيم بأداء المال كله

والقصيدة قوله

(ألم تَرَ أن الشيءَ للشيء علَّةٌ ... تكونُ له كالنارِ تُقدَح بالزَّندِ)
(كذلك جرّبْتُ الأمورَ وإنما ... يدلُّك ما قد كان قبلُ على البَعْدِ)
(وظنِّي بإبراهيم أنَّ مكانَه) ... سيَبعث يوماً مثلَ أيامه النُّكْدِ)
(رأيت حُسَيْناً حين صار محمد ... بغير أمانٍ في يديه ولا عَقدِ)
(فلو كان أمضى السيفَ فيه بضربةٍ ... فصيَّره بالقاع مُنْعفِر الخَدِّ)
(إذا لم تكنْ للجند فيه بقيةٌ ... فقد كان ما خُبِّرتُ من خبرِ الجُندِ)
(هُمُ قَتلوه بعد أن قَتلوا له ... ثلاثين ألفاً من كهول ومن مُردِ)
(وما نصروه عن يَدٍ سلفَتْ له ... ولا قتلوه يوم ذلكَ عن حِقدِ

(ولكنه الغدرُ الصُّراح وخِفةُ ... الحُلوم وبعدُ الرأيِ عن سَنَن القَصدِ)
(فذلك يوم كان للناس عبرةً ... سيبقى بقاءَ الوَحْي في الحَجر الصَّلد)
(وما يوم إبراهيم إن طال عمرهُ ... بأبعد في المكروه من يومه عِنْدي)
(تذكَّر أميرَ المؤمنين مقامَه ... وأيمانه في الهزلِ منه وفي الجَدّ)
(أما والذي أمسيتَ عبداً خليفةً ... له شرُّ أيمان الخليفة والعبدِ)
(إذا هزّ أعوادَ المنابر باستِه ... تغنّى بليلَى أو بميَّةَ أو هِنْدِ)
(فواللَّه ما من تَوبةٍ نزعتْ به ... إليك ولا مَيلٍ إليك ولا وُدِّ)
(ولكنَّ إخلاصَ الضمير مقرِّبٌ ... إلى الله زُلْفى لا تَخيبُ ولا تُكدِي)
(أتاكَ بها طوعاً إليكَ بأنفه ... على رغمه واستأثَر اللُّه بالحَمْدِ)
(فلا تترُكن للناس موضعَ شُبهة ... فإنك مَجْزيٌّ بحسْب الذي تُسدِي)
(فقد غَلِطوا للناس في نَصْب مثلِه ... ومن ليسَ للمنصور بابنٍ ولا المهدي)
(فكيف بمن قد بايع الناسَ والتقتْ ... ببيعته الركبانُ غَوْراً إلى نَجدِ)
(ومن شكَّ تسليمُ الخلافة سَمْعَهُ ... ينادَى به بين السِّماطين من بُعْدِ)
(وأي امرئٍ سمَّى بها قطُّ نفسَه ... ففارقها حتى يُغيَّبَ في اللَّحدِ)
(وتزعُم هذي النابتيّة أنَّه ... إمامٌ لها فيما تُسِرُّ وما تُبدِي)
(يقولون سُنِّيٌّ وأيَّةُ سُنَّة ... تقومُ بجَوْن اللون صَعْلِ القفا جَعْدِ)
((وقد جعلوا رُخْصَ الطعام بعَهده ... زعيماً له باليُمن والكوكَب السَّعدِ
(إذا ما رأوا يوماً غلاءً رأيتَهم ... يَحِنّون تحناناً إلى ذلك العَهدِ)
(وإقباله في العيد يوجَف حولَه ... وجيفَ الجياد واصطفاقَ القنا الجُرْدِ)
(ورجّالةٍ يمشون بالبيضِ قبله ... وقد تَبعوه بالقضيبِ وبالبُردِ)
(فإن قلتَ قد رامِ الخلافةَ غيرُهُ ... فلم يؤتَ فيما كان حاول من جَدِّ)
(فَلمْ أجزِه إذ خيَّبَ اللهُ سعيَه ... على خطإٍ إذ كان منه ولا عمدِ)
(ولم أرضَ بعد العفو حتَّى رفعته ... ولَلْعَمُّ أولى بالتَّعهُّد والرِّفْدِ)
(فليس سواءً خارجيٌّ رَمى به ... إليكَ سِفاهُ الرأي والرأيُ قد يُرْدي)
(تعاوتْ له من كل أوْبٍ عِصابةٌ ... متى يُوردُوا لا يُصدروه عن الورِدِ)
(ومَن هو في بيتِ الخلافة تَلْتقى ... به وبك الآباء في ذِروة المجدِ)
(فمولاكَ مولاه وجندُك جندُه ... وهل يجمع القينُ الحُسّامين في غمْدِ)
(وقد رابني من أهل بيتك أنَّني ... رأيتُ لهم وجداً به أيَّما وَجدِ)
(يقولون لا تبعد من ابن مُلِمَّةٍ ... صبورٍ عليها النفسَ ذي مِرَّةٍ جَلْدِ)
(فدَانا وهانتْ نفسُه دونَ مُلكنا ... عليه لدي الحال التي قلَّ من يفدي)
(على حين أعطى الناس صَفْقَ أكفِّهم ... عليُّ بنُ موسى بالولاية والعهِدِ)
(فما كان فينا من أبى الضَّيْم غيرُه ... كريمٌ كفى ما في القبولِ وفي الرَّدِّ)
(وجرَّد إبراهيمُ للموتِ نفسَه ... وأبدى سلاحاً فوق ذي مَيعةٍ نَهْدِ)
((وأبلى ومَن يبلغْ من الأمرِ جُهدَه ... فليس بمذمومٍ وإن كان لم يُجْدِ
(فهذي أمورٌ قد يخافُ ذَوُو النُّهى ... مَغَبَّتَها واللهُ يهديكَ للرشْدِ)

رأيه في يحيى بن خاقان

أخبرني الصولي قال حدثني عبد الله بن الحسين القطربلي عن جعفر بن محمد بن خلف قال قال لي المعلى بن أيوب كيف كان محل يحيى بن خاقان عند محمد بن عبد الملك ومقداره فقلت له سمعت محمدا يذكره فقال هو مهزول الألفاظ عليل المعاني سخيف العقل ضعيف العقدة واهي العزم مأفون الرأي

قال عبد الله

ولما تولى محمد بن عبد الملك الوزارة اشترط ألا يلبس القباء وأن يلبس الدراعة ويتقلد عليها سيفا بحمائل فأجيب إلى ذلك

أخبرني الصولي قال حدثني أبو ذكوان قال حدثني طماس قال ميمون بن هارون

كان محمد بن عبد الملك يقول الرحمة خور في الطبيعة وضعف في المنة ما رحمت شيئا قط

فكانوا يطعنون عليه في دينه بهذا القول فلما وضع في الثقل والحديد قال ارحموني فقالوا له وهل رحمت شيئا قط فترحم هذه شهادتك على نفسك وحكمك عليها

أخبرني الصولي قال حدثني أبو ذكوان قال حدثني طماس قال

جاء أبو دنقش الحاجب إلى محمد بن عبد الملك برسالة من المعتصم ليحضر فدخل ليلبس ثيابه ورأى ابن دنقش الحاجب غلمانا لهم روقة فقال وهو يظن أنه لا يسمع

(وعلى اللواط فلا تلومَنْ كاتِباً ... إن اللّواط سَجِيَّة الكُتّابِ)

فقال محمد له

(وكما اللواطُ سجيةُ الكُتَّابِ ... فكذا الحُلاقُ سَجِيَّة الحُجَّابِ)

فاستحيا ابن دنقش واعتذر إليه فقال له إنما يقع العذر لو لم يقع الإقتصاص فأما وقد كافأتك فلا

رثاؤه أمَّ أبنه عمر

أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن موسى قال أنشدني الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك أبياتا يرثي بها سكرانة أم ابنه عمر وجعل الحسن يتعجب من جودتها ويقول

(يقول ليَ الخِلاَّنُ لو زرتَ قبرها ... فقلتُ وهل غيرُ الفؤاد لها قبرُ)
(على حينَ لم أحدُثْ فأجهلَ قدرُها ... ولم أبلغ السنَّ التي معها الصبرُ)

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني عبد الرحمن بن سعيد الأزرقي قال استبطأ عبد الله بن طاهر محمد بن عبد

الملك في بعض
أموره واتهمه بعدوله عن شيء أراده إلى سواه فكتب إليه محمد بن عبد الملك يعتذر من ذلك وكتب في آخر كتابه يقول
(أتزعمُ أنني أهوَى خليلاً ... سواكَ على التداني والبِعادِ)
(جحدتُ إذاً مُوالاتي عليًّا ... وقلت بأنني مولى زيادِ)
قرأت في بعض الكتب
كان عبد الله بن الحسن الأصبهاني يخلف عمرو بن مسعدة على ديوان الرسائل فكتب إلى خالد بن يزيد بن مزيد إن المعتصم جعل أمير المؤمنين ينفخ منك في غير فحم ويخاطب أمرأ غير ذي فهم فقال محمد بن عبد الملك هذا كلام ساقط سخيف جعل أمير المؤمنين ينفخ بالزق كأنه حداد وأبطل الكتاب ثم كتب محمد بن عبد الملك إلى عبد الله بن طاهر وأنت تجري أمرك على الأربح فالأربح والأرجح فالأرجح لا تسعى بنقصان ولا تميل برجحان فقال عبد الله الأصبهاني الحمد لله قد أظهر من سخافة اللفظ ما دل على رجوعه إلى صناعته من التجارة بذكره ربح السلع ورجحان الميزان ونقصان الكيل والخسران من رأس المال
فضحك المعتصم وقال ما أسرع ما انتصف الأصبهاني من محمد
وحقدها عليه ابن الزيات حتى نكبه
أخبرني الأخفش عن المبرد قال
نظر رجل كان يعادى يونس النحوي إليه وهو يهادى بين اثنين من الكبر فقال له يا أبا عبد الرحمن أبلغت ما أرى فعلم يونس أنه قال له
ذلك شامتا فقال هذا الذي كنت أرجو فلا بلغته فأخذه محمد بن عبد الملك الزيات فجعله في شعر فقال
(وعائبٍ عابني بِشَيْبٍ ... لم يَعْدُ لمَّا ألمَّ وقتَهْ)
(فقلتُ إذ عابني بشَيْبي ... يا عائبَ الشيبِ لا بلغْتَهْ)
سرق منديله فأنشد شعرا
وذكر أبو مروان الخزاعي أن أبا دهمان المغني سرق من محمد بن عبد الملك منديلا دبقيا فجعله تحت عمامته وبلغ محمدا فقال فيه
(ونديمٍ سارقٍ خاتلَني ... وهو عندي غيرُ مذمومِ الخُلُقْ)
(ضاعفَ الكَوْرَ على هامته ... وطوى منديلَنا طيَّ الخِرَقْ)
(يا أبا دُهمانَ لو جاملْتَنَا ... لكفيناكَ مَؤُوناتِ السَّرَقْ)
أخبرنا أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني قال
كنت عند أبي الحسين بن أبي البغل لما انصرف عن بغداد بعد إشخاصه إليها للوزارة وبطلان ما نذره من ذلك ورجوعه فجعل يحدثنا بخبره ثم قال لله در محمد بن عبد الملك الزيات حيث يقول
(ما أعجبَ الشيءَ ترجوه فتُحْرَمُه ... قد كنتُ أحسبُ أني قد ملأتُ يدي)
(مالي إذا غبتُ لم أُذكَرْ بصالحةٍ ... وإن مَرضتُ فطال السُّقمُ لم أُعَدِ)
تبادل المدح مع عبد الله بن العباس
أخبرني الصولي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال حدثني
عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال
وصفني محمد بن عبد الملك للمعتصم وقال ما له نظير في ملاحة الشعر والغناء والعلم بأمور الملوك فلقيته فشكرته وقلت جعلت فداءك أتصف شعري وأنت أشعر الناس ألست القائل
(ألم تعجب لمكتئبٍ حزينٍ ... خَدين صَبابة وحليفِ صَبر)
(يقولُ إذا سألتَ به بخَيْرٍ ... وكيف يكون مهجورٌ بخَيْر)
قال وأين هذا من قولك
(يقولُ لي كيفَ أصبحتَ ... كيفَ يُصبح مِثلي)
ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسَّعدان
أخبرني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال لقي الكنجي محمد بن عبد الملك فسلم عليه فلم يجبه فقال الكنجي
(هذا وأنت ابنُ زياتٍ تُصعِّرنا ... فكيف لو كنتَ يا هذا ابن عطَّار)
فبلغ ذلك محمدا فقال كيف ينتصف من ساقط أحمق وضعه رفعه وعقابه ثوابه
أخبرني الصولي قال أخبرني عبد الله بن محمد الأزدي قال حدثني يعقوب بن التمار قال
قال محمد بن عبد الملك لبعض أصحابه ما أخرك عنا قال موت أخي قال بأي علة قال عضت أصبعه فأرة فضربته الحمرة فقال
محمد ما يرد القيامة شهيد أخس سببا ولا أنذل قاتلا ولا أضيع ميتة ولا أظرف قتله من أخيك
أحمد بن أبي داود يحرض الشعراء على هجائه
أخبرني عمي عن ابي العيناء قال كان محمد بن عبد الملك يعادي أحمد بن أبي داود ويهجوه فكان أحمد يجمع الشعراء ويحرضهم على هجائه ويصلهم ثم قال فيه أحمد بيتين كانا أجود ما هجي به وهما
(أحسن من خمسين بيتاً سُدىً ... جمعُك إيَّاهُنَّ في بيت)
(ما أحوجَ الناسَ إلى مَطْرة ... تُذهبُ عنهم وَضَرَ الزيت)
وكان ابن أبي داود يقول ليس أحد من العرب إلا وهو يقدر على قول الشعر طبعا ركب فيهم قل قوله أو كثر
قصيدة أبي تمام في مدحه
أخبرنا الصولي قال حدثنا محمد بن موسى عن الحسن بن وهب قال
أنشد أبو تمام محمد بن عبد الملك قصيدته التي يقول فيها
(... لهان علينا أن نقولَ وتفعلا)
فأثابه عليها ووقع عليه
(رأيتك سهل البيع سمحاً وإنما ... يُغالَى إذا ما ضنَّ بالشيء بائعُهْ)

(فأما الذي هانتْ بضائعُ بيعِه ... فيُوشك أن تَبقى عليه بضائعُهْ
(هو الماءُ إن أحمَمْتَه طاب وردُه ... ويُفسدُ منه أن تباحَ شرائعُهْ)
فأجابه أبو تمام وقال
(أبا جعفر إن كنْتُ أصبحتُ شاعراً ... أُسامِحُ في بيعي له من أبايعُهْ)
(فقد كنتَ قبلي شاعراً تاجراً به ... تُساهِل من عادتْ عليك منافعُهْ)
(فصرتَ وزيراً والوزارة مَكْرَعٌ ... يغصّ به بعدَ اللذاذة كارعُه)
(وكم من وزير قد رأينا مُسلَّطاً ... فعاد وقد سُدَّتْ عليه مطالعُه)
(ولله قوسٌ لا تطيش سهامُها ... ولله سيفٌ لا تُفَلُّ مقاطعُه)
حدثني الصولي قال حدثني محمد بن يحيى بن عباد قال حدثني أبي قال حج محمد بن عبد الملك في آخر أيام المأمون فلما قدمِ كتب إليه راشد الكاتب قوله
(لا تنسَ عهدي ولا مودَّتِيَهْ ... واشتَقْ إلى طَلعتي ورُؤيتيهْ)
(إن غبتَ عنا فلم تغب كثرة ... الذكر فلا تَغْفُلَن هديتيَهْ)
(التَّمر والنقلِ والمساويك والقسب ... وخير النعال حسن شِيَهْ)
(فإن تجاوزتَ ما أقول إلى العَصْبِ ... فذاك المأمولُ منك لِيَهْ)
رده على راشد الكاتب
فأجابه محمد بن عبد الملك
(إنك مِنّي بحيثُ يطَّردُ الناظرُ ... من تحت ماء دَمْعَتِيهْ
(ولا ومَن زادني تَودُّدُه ... على صِحابي بفضل غَيْبَتِيَهْ)
(ما أحسنَ التركَ والخلافَ لما ... تريدُ مني وما تقولُ لِيَهْ)
(يا بأبي أنتَ ما نسيتُك في ... يوم دُعائي ولا هَدِيَّتِيَهْ)
(ناجيتُ بالذكر والدُّعاء لك اللّهُ ... لدى البيت رافعاً يدِيَه)
(حتى إذا ما ظننتُ بالملكِ القادرِ ... أن قد أجاب دَعْوتِيَه)
(قمتُ إلى موضع النعالِ وقدْ ... أقمت عشرينَ صاحباً مَعِيَهْ)
(وقلتُ لي صاحبٌ أريد له ... نَعْلا ولو مِن جلود راحَتِيَهْ)
(فانقطع القولُ عند واحدةٍ ... قال الذي اختار يا بِشارَتِيَهْ)
(فقلتُ عندي لك البشارةُ والشُّكر ... وقَلاًّ في جَنب حاجَتِيَه)
(ثم تخيّرتُ بعد ذاك من العَصْب ... اليَماني بفضل خِبْرَتِيَهْ)
(موشيَّةً لم أزلْ يبائعها ... أرغبُ حتى زها عليَّ بِيَهْ)
(يرفعُ في سومِه وأرغِبُه ... حتى التقى زهدُه ورغْبَتِيَه)
(وقد أتاكَ الذي أمرتَ به ... فاعذِرْ بكثر الإنعام قِلَّتِيَهْ)
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال
رثى برذونه بعد أن أخذه المعتصم منه
كان لمحمد بن عبد الملك برذون أشهب لم ير مثله فراهة وحسنا فسعى به محمد بن خالد حيلويه إلى المعتصم ووصف له فراهته
فبعث المعتصم إليه فأخذه منه فقال محمد بن عبد الملك يرثيه
(كيف العَزاء وقد مضى لسبيله ... عنا فودَّعنا الأصمُّ الأشهبُ)
(دبَّ الوشاةُ فأبعدوك وربَّما ... بَعُدَ الفتى وهو الأحبُّ الأقربُ)
(لله يومَ نأيتَ عنّي ظاعناً ... وسُلبتُ قربَك أيَّ عِلْقٍ أُسلَبُ)
(نفسٌ مفرَّقةٌ أقام فريقُها ... ومضى لِطِيَّته فريقٌ يُجنَبُ)
(فالآن إذ كَمُلت أداتُك كلُّها ... ودعا العيونَ إليك لونٌ معجِبُ)
(واختيرَ مِن سرّ الحدائد خيرُها ... لك خالصاً ومن الحُلِيِّ الأغربُ)
(وغدوتَ طَنّان اللجام كأنما ... في كل عُضوٍ منك صَنْجٌ يضربُ)
(وكأنّ سرجَك إذ علاك غِمامةٌ ... وكأنما تحتَ الغمامةِ كوكبُ)
(ورأى عليَّ بك الصديقُ جلالةً ... وغدا العدوُّ وصدره يتلهّبُ)
(أنساكَ لا زالت إذاً منسيَّةً ... نفسِي ولا زالت يَميني تُنكبُ)
(أضمرتُ منك اليأسَ حين رأيتُني ... وقُوى حبالي من قُواك تقضَّبُ)
(ورجعتُ حين رجعتُ منكَ بحسرة ... لله ما فعل الأصمُّ الأشيبُ)
أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان رضوان الله عليه قال حدثني محمد بن ناصح رحمة الله عليه قال
لحقت غلات أهل البَتّ آفة في أيام محمد بن عبد الملك من جراد وعطش فتظلم إليه جماعة منهم فوجه ببعض أصحابه ناظرا في أمرهم وكان في بصره ضعف فكتب إليه محمد بن علي البتي
(أتيتَ أمراً يا أبا جعفرٍ ... لم يأته بَرٌّ ولا فاجرُ)
(أغثتَ أهل البتِّ إذ أُهلِكوا ... بناظرٍ ليس له ناظرُ)
فبلغه فضحك ورد الناظر ووقع لهم بما سألوا بغير نظر
مساجلة بينه وبين علي بن جبلة
أخبرني الصولي رضي الله عنه قال حدثني محمد بن يحيى بن أبي عباد عن أبيه رضي الله عنهما قال
قال علي بن جبلة يهجو محمد بن عبد الملك الزيات وكان قد قصد أبا دلف القاسم بن عيسى في بعض أمره
(يا بائعَ الزيتِ عرِّج غيرَ مرموقِ ... لتُشغلَنَّ عن الأرطال والسوق)
(من رام شتمكَ لم ينزع إلى كَذبٍ ... في منتماك وأبداه بتَحقيق)
(أبوك عبدٌ وللأمِّ التي فلقت ... عن أمِّ رأسك هَنٌّ غيرُ محلوقِ)

(إن أنتَ عدَّدت أصلاً لا تُسَبُّ به ... يوماً فأمُّك مِني ذَاتُ تَطلِيقِ)
(ولن تطيقَ بحولٍ أن تُزيل شَجاً ... أثبتُّه منكِ في مستنزَلِ الرِّيقِ)
(اللّه أنشاك من نَوْكٍ ومن كَذِب ... لا تعطفنَّ إلى لؤمٍ لمخلوقِ)
(ماذا يقول امرؤ غشَّاك مِدحتَه ... إلا ابنُ زانية أو فرخُ زنديقِ)
فأجابه محمد
(اشمخْ بأنفك ياذا السَّيِّء الأدبِ ... ما شئتَ واضرب قذال الأرضِ بالذنَبِ)
((وارفع بصوتك تدعو مَن بذي عَدَنٍ ... ومَن يقالِي فَلا بالويل والْحَرَبِ
(ما أنتَ إلا امرؤٌ أعطى بلاغَتَه ... فَضْلَ العِذارِ ولم يربعْ عَلَى أدبِ)
(فاجمَحْ لعلّك يوماً أن تعضَّ على ... لُجُمٍ دِلاصِيَّةٍ تَثنيكَ مِن كَثَبِ)
(إنِّي اعتذرت فما أحسنتَ تسمعُ مِن ... عُذري ومن قبلُ ما أحسنتَ في الطَّلَبِ)
(صَبْراً أبا دُلَفٍ في كل قافية ... كالقِدرِ وَقْفاً على الجارات بالعُقَبِ)
(يا ربّ إن كان ما أنشأتَ من عرَبٍ ... شَرْوَى أبي دُلَفٍ فاسخَطْ على العربِ)
(إنّ التعصُّبَ أبدى منك داهيَةً ... كانَتْ تُحَجَّبُ دونَ الوهم بالْحُجُبِ)
فأجابه علي بن جبلة
(نبِّهتَ عن سِنَةٍ عينيكَ فاصطبِر ... واسحبْ بذيلك هل تَقْفُو عَلَى أثرِ)
(إن يَرحَضِ اللّه عني عارَ مُطَّلَبي ... إليك رِفداً ألا فانجِد به وغُرِ)
(إني ودعواكَ أن تأتي بمكرُمةٍ ... كمُنبضِ القوْسِ عن سَهمٍ بلا وتَرِ)
(فاردد جفونَك حَسْرَى عن أبي دُلَفٍ ... ولا ملامَةَ أن تعْشَى عن القمرِ)
(لا يسخطنَّ امرؤ إن ذل من حسَبٍ ... فاللّه أنزلَه في محكَمِ السُّوَرِ)
(لم آتِ سَوْءاً ولم أسخَطْ عَلَى أحدٍ ... إلاّ عَلَى طَلَبي في مُجْتدىً عَسِرِ)
(أقصِرْ أبا جعفرٍ عن سَطْوَةٍ جمحت ... إن لم تُقصِّر بها مالتْ إلى القِصَرِ)
فأجابه محمد بن عبد الملك
((يا أيُّها العائبي ولم يرَ لي ... عيباً أما تنتهي فتزدجِرُ
(هل لكَ وترٌ لديَّ تطلبُه ... فأنت صلدٌ ما فيك معتَصَرُ)
(فالحمدُ والمجدُ والثناءلنا ... وللحسودِ التُّرابُ والحَجَرُ)
وهي طويلة يقول فيها
(تعيشُ فينا ولا تلائِمُنا ... كما تعيشُ الحَميرُ والبقَرُ)
(تُغلي علينا الأشعار منكَ وما ... عندكَ نَفْعٌ يُرجّى ولا ضَرَرُ)
أخبرني عمي رحمه الله قال حدثني عمر بن نصر الكاتب قال حدثني عمي علي بن الحسن بن عبد الأعلى قال محمد اجتاز بديع غلام عمير المأموني بمحمد بن عبد الملك الزيات وكان أحسن خلق الله وجها وكان محمد يحبه ويجن به جنونا فقال
(راح علينا راكباً طِرفَهُ ... أغْيَدُ مثلُ الرشأِ الآنسِ)
(قد لبِس القُرطُقَ واستمسكت ... كفّاه من ذي بُرَقٍ يابِسِ)
(وقُلِّد السيفَ على غُنْجِه ... كأنهُ في وقعة الداحِسِ)
(أقول لمَّا أن بدا مُقْبِلاً ... يا ليتني فارسُ ذا الفارسِ)
أخبرني الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد قال
دامت الأمطار بسر من رأى فتأخر الحسن بن وهب عن محمد بن عبد الملك الزيات وهو يومئذ وزير والحسن يكتب له فاستبطأه محمد بن عبد الملك فكتب إليه الحسن يقول
((أوجبَ العذرَ في تراخِي اللقاء ... ما توالَى مِن هذه الأنواءِ
(لستِ أدري ماذا أقولُ وأشكو ... من سماءٍ تعوقُني عن سماءِ)
(غير أني أدعو على تلكَ بالثُّكْلِ ... وأدعو لهذِه بالبقاء)
(فسلام الإله أهدِيه غضًّا ... لك مني يا سيِّد الوُزَراءِ)
مساجلة بينه وبين الحسن بن وهب
أخبرني الصولي قال حدثنا محمد بن موسى قال
أعتل الحسن بن وهب فتأخر عن محمد بن عبد الملك أياما كثيرة فلم يأته رسوله ولا تعرف خبره فكتب إليه الحسن قوله
(أيُّهذا الوزيرُ أيّدك اللّهُ ... وأبقاك ليَ بقاءً طويلا)
(أجميلاً تراه يا أكرمَ الناس ... لكيما أراه أيضاً جميلا)
(إنني قد أقمتُ عَشراً عليلا ... ما ترى مرسِلاً إليَّ رسولا)
(إن يكن موجب التعمّد في الصِّحّة ... مَنّاً عليَّ منكَ طويلا)
(فهو أولى يا سيدَ الناس برّاً ... وافتقاداً لمَن يكون عليلا)
(فلماذا تركتَني عُرضة الظّنّ ... من الحاسدين جِيلاً فجِيلا)
(ألِذَنْبٍ فما علمتُ سوى الشكر ... قريناً لنيَّتي ودَخِيلا)
(أم ملالٍ فما علمتك للصاحب ... مثلي على الزمانِ مَلولا)
(قد أتى اللّهُ بالشفاء فما ... أعْرِفُ مما أنكرتَ إلا قليلا)
(وأكلتُ الدُّرّاج وهو غِذَاءٌ ... أقْلَتَ علّتي عليهِ أفولا)
(بعد ما كنتُ قد حملتُ من العلّةِ ... عِبئاً على الطِّباع ثَقِيلا)
(ولعلّي قَدِمتُ قبلَك آتيكَ ... غَداً إن وجدتُ فيه سَبيلا)
فأجابه محمد بن عبد الملك
(دفع اللّهُ عنكَ نائبةَ الدَّهر ... وحاشاكَ أن تكونَ عَليلا)

(أُشهِدُ اللهَ ما علمتُ وماذاكَ ... من العُذر جائزاً مقبولا)
(ولعَمري أن لَو علمتُ فلازمتُك ... حولاً لكان عِندي قَليلا)
(إنني أرتَجي وإن لم يكنْ ما ... كان مما نَقَمتُ إلا جليلا)
(أن أكونَ الذي إذا أضمر الإخلاصَ ... لم يلتمِسْ عليه كَفيلا)
(ثم لا يبذُلُ المودَّة حتى ... يجعلَ الجهدَ دُونها مَبذولا)
(فإذا قال كانَ ما قال إذْ كانَ ... بعيداً من طَبعه أن يَقولا)
(فاجعلَنْ لي إلى التعلُّق بالعُذْر ... سَبيلاً إن لم أجِدْ لي سَبيلا)
(فقديماً ما جادَ بالصفح والعفْو ... وما سامحَ الخَليلُ الخَليلاَ)
قال وكتب محمد بن عبد الملك إلى الحسن بن وهب وقد تأخر عنه
(قالوا جفاكَ فلا عهدٌ ولا خبَرٌ ... ماذا تراه دَهاه قلت أيْلولُ)
(شهر تُجَدُّ حبالُ الوصل فيه فما ... عَقْدٌ من الوصل إلا وهْو محلول)
قال وكان محمد قد ندبه لأن يخرج في أمر مهم فأجابه الحسن فقال
(إني بحولِ امرىءٍ أعليتَ رُتبتَه ... فحظُّه منكَ تعظيم وتبجيلُ)
(وأنت عُدَّته في نَيل هِمّته ... وأنت في كلِّ ما يهواه مأمولُ)
(ما غالني عنك أيلولٌ بلذَّته ... وطيبه ولنعمَ الشهرُ أيلولُ)
(الليلُ لا قِصرٌ فيه ولا طولٌ ... والجو صافٍ وظهر الكأس مَرحولُ)
(والعود مستنطِقٌ عن كلِّ معجِبةٍ ... يُضْحي بها كلُّ قلب وهو مَتْبولُ)
((لكن توقُّعُ وشْكِ البين عن بلدٍ ... تحِلُّه فوكاءُ العين محلولُ
(مالي إذا شمَّرتْ بي عنك مبتكِراً ... دُهمُ البِغال أو الهوجُ المراسيلُ)
(إلا رعاياتُك اللاتي يعودُ بها ... حدُّ الحوادثِ عنّي وهو مفلولُ)
قال وكان الحسن بن وهب يساير محمدا على مسناة فعدل عن المسناة لئلا يضيق لمحمد الطريق فظن محمد أنه أشفق على نفسه من المسناه فعدل عنها ولم يساعده على طريقه وظن بنفسه أن يصيبها ما يصيبه فقال له محمد
(قد رأيناكَ إذ تركتَ المُسنّاةَ ... وحاذَيْتَنِي يَسارَ الطريقِ)
(ولعمري ما ذاكَ منكَ وقد جدَّ ... بك الجِدُّ من فِعال الشَّفيقِ)
فقال له الحسن
(إن يكنْ خوفي الحُتُوفَ أراني ... أن تراني مشبَّهاً بالعَقُوقِ)
(فلقد جارتِ الظنونُ على المشفقِ ... والظَّنُّ مولَعٌ بالشفيقِ)
(غرَّر السيدُ الأجلُّ وقد سار ... على الحَرْفِ من يَمين الطريقِ)
(فأخذتُ الشِّمال بُقيا عَلَى السيد ... إذ هالني سُلوكُ المَضيقِ)
(إنّ عندي مودَّةً لك حازتْ ... ما حوى عاشقٌ من المعشوقِ)
(طودُ عزّ خصصتُ منه ببِرٍّ ... صار قَدْري به مع العَيُّوقِ)
(وبنفسي وإخوتي وأبي البرّ ... وعَمّي وأُسرتي وصديقي)
((من إذا ما رُوِّعْتُ أمَّن رَوْعي ... وإذا ما شرِقْتُ سوَّغ ريقي
أخبرني علي بن سليمان الأخفش والصولي قالا حدثنا المبرد قال
استسقى الحسن بن وهب من محمد بن عبد الملك نبيذا ببلد الروم وهو مع المعتصم فسقاه وكتب إليه
(لم تلقَ مِثلي صاحباً ... أندى يداً وأعمَّ جودَا)
(يسقى النديمَ بقَفرةٍ ... لم يَسقِ فيها الماءُ عُودَا)
(صفراء صافيةً كأنّ ... بكأسِها دُرًّا نَضيدَا)
(وأجودُ حين أجودُ لا ... حَصِراً بذاكَ ولا بليدَا)
(وإذا استقلّ بشكرها ... أوجبتُ بالشُّكْرِ المزيدَا)
(خُذها إليكَ كأنّما ... كُسيتْ زُجاجَتُها عُقودَا)
(واجعل عليكَ بأن تقومَ ... بشكرها أبداً عهودَا)
شعر للحسن بن وهب في يوم لهوا به
أخبرني الصولي قال حدثني أحمد بن محمد الأنصاري قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال
دعا محمد بن عبد الملك قبل وزارته الحسن بن وهب في آخر أيام المأمون فجاءه ودخلا حماما له وأقاما على لهوهما ثم طلب الحسن بن وهب لعمل احتيج فيه إليه فمضى وبطل يومهم فكتب الحسن إليه
(سقياً لنَضرِ الوجهِ بَسّامِهِ ... مُهذَّبِ الأخلاق قَمقامِهِ)
(تكسِبه شُكراً على أنها ... مُطبقةُ السِّنّ للوّامِهِ)
((زُرْناه في يوم علا قدرُه ... من سائرِ الأيام في عامِهِ
(أسعده اللهُ وأحظى به ... وجاده الغَيثُ بإرهامِهِ)
(فكان مسروراً بنا باذلاً ... لرحْلهِ الرحبِ وحمَّامِهِ)
(نَخدمه وهو لنا خادمٌ ... بفضلهِ من دونِ خُدَّامِهِ)
(ثم سقانا قَهوةً لم يدَعْ ... أطيبَ منها بقُرى شامِهِ)
(صهباء دلَّتْ على دَنّها ... وحدَّثتْ عن ضعف إسلامِهِ)
فأجابه محمد بن عبد الملك رحمه الله تعالى
(وزائرٍ لذَّ لنا يومُهُ ... لو ساعد الدهرُ بإتمامِه)
(ماذا لقينا من دواوينه ... وخطّه فيها بأقلامِه)
(أسرّ ما كنّا فمن مازحٍ ... أو شارب قد عَبَّ في جامِهِ)
(فارقنا فالنَّفس مطروفة ... بواكف الدَّمع وسجَّامِهِ)

(وعاد بالمدح لنا منعِماً ... به إلى سالف إنعامِهِ)
(ليت وأنّى لي بها مُنْيةً ... لو كنت فيه بعضَ قُوَّامِهِ)
(يَشكُر ما نال على أنه ... لا يُشكرُ الحرُّ لحمّامِهِ)
(أمسحه فيه وأدنو له ... من خلفه طوراً وقدَّامِهِ)
(جعلت نفس جُنَّة للصِّبا ... وبعت إسلامي بإسلامِهِ)
(فصار ما يشرب حلاًّ له ... وصرت مأخوذاً)

قوله لما قيد بالحديد

أخبرني الحسن بن القاسم الكاتب قال سمعت القاسم بن يحدث عن أبيه قال قال أحمد الأحول لما قبض على محمد بن عبد الملك الزيات تلطفت في الوصول إليه فأريته في حديد ثقيل فقلت له أعزز علي ما أرى فقال

(سَلْ ديارَ الحي ما غيَّرَهَا ... ومحاها ومحا منظرها)
(وهي اللاتي إذا ما انقلبت ... صيَّرت معروفَها مُنكرَها)
(إنما الدنيا كظِلٍّ زائلٍ ... نحمد اللّه كذا قدَّرها)

في هذه الأبيات رمل طنبوري لا أدري لمن هو ومما يغنى فيه من شعر محمد بن عبد الملك الزيات

صوت

(ظالمي ما علمتُهْ ... مُعتدٍ لا عدمتُهْ)
(مُطْمِعِي بالوصال ... ممتنعٌ حين رُمتُهْ)
(مُرْصِدٌ بالخلافِ ... والمَنْع من حيثُ سمتُه)
(هاجرٌ إن وصلتُهُ ... صابر إن صَرمتُهْ)
(كم وكم قد طويتُ ما ... بي وكم قد كَتمتُهْ)
(رُبَّ همٍّ طويت فيك ... وغيظٍ كظمتهْ)
(وحياةٍ سئمتها ... والهوا ما سئمتهْ)
(رُمتُ شيْئاً هَويتُه ... ليس لي ما حُرِمتهْ)
(قال إذ صرَّح البكاءُ ... بما قد سترتُه)
لو بكى طول دهره ... بدمٍ ما رَحِمْته) الغناء لأبي العبيس بن حمدون خفيف ثقيل بالبنصر)

صوت

(إذا أحببتُ لم أسْلُ ... وإن واصلتُ لم أقطَعْ)
(وإن عاتبني الناسُ ... تصاممْتُ فلم أسْمَعْ)
(وقد جربّت ما ضرِّ ... وقد جربّت ما ينفعْ)
(فما مثل الهوى أنهكُ ... للجسم ولا أضرعْ)
(ولا كالهجر في القربِ ... إلى الموت ولا أسْرَعْ)
(وإن أوجعني العَذْل ... فنيرانُ الهوى أوجعْ)
(وهذا عَدَمُ العقلِ ... فما أسْطِيع أن أصنعْ)
(ولا واللّه ما عندي ... لما قد حلَّ بي مَدْفعْ)
(ولا فيّ لهجرانك ... لولا ظلمكمْ موضعْ)

الغناء لعريب لحنان خفيف ثقيل بالبنصر وهزج بالوسطى

امتداحه الحسن بن سهل

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال حدثني الحسن بن رجاء قال قدم محمد بن عبد الملك على الحسن بن سهل إلى فم الصلح وامتدحه بقصيدته التي أولها

(كأنها حين تناءَى خَطْوُهُ ... أخْنس مَوْشِيٌّ الشَّوى يرعى القُلَلْ)

وقال فيها

(إلى الأمير الحسن استنجدْتها ... أيّ مرادٍ ومَنَاخٍ ومَحلّ)
(سيف أمير المؤمنين المنتضَى ... وحصن ذي الرياستين المُقْتَبلْ)
(آباؤك الغرّ الألى جدُّهمُ ... كِسرى أنو شروان والناس هَمَلْ)
(من كلِّ ذي تاجٍ إذا قال مضى ... كلُّ الذي قال وإن همّ فَعل)
(فأينَ لا أينَ وأنّى مِثلُكمْ ... أنتم الأملاك والناس خَوَلْ)

فأمر له بعشرة آلاف درهم

قال ومرض الواثق فدخل إليه الحسن بن سهل عائدا ومحمد بن عبد الملك يومئذ وزيره والحسن بن سهل متعطل فجعل الحسن بن سهل يتكلم في العلة وعلاجها وما يصلح للواثق من الدواء والعلاج والغذاء أحسن كلام قال فحسده محمد بن عبد الملك وقال له من أين لك هذا العلم يا أبا محمد قال إني كنت أستصحب من أهل كل صنعة رؤساء أهلها وأتعلم منهم ثم لا أرضى إلا ببلوغ الغاية فقال له محمد وكان حسودا ومتى كان ذلك قال في زمان قلت فيَّ

(فأين لا أين وأنّى مثلكم ... أنتم الأملاك والناس خوَل)

فخجل محمد بن عبد الملك وأطرق وعدل عن الجواب

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني حماد بن إسحاق قال حدثني ميمون بن هارون بن خلف قال كنت أسير بالقرب من محمد بن عبد الملك الزيات وهو يريد يومئذ منزله حتى مر بدار إبراهيم بن رباح فرأى فيها قبة مشيدة فقال

(أما القِبابُ فقد أراها شُيِّدَتْ ... وعسى أُمورٌ بعد ذاك تكون)
((عبدٌ عرتْ منه خلائقُ جهلهِ ... إذ راح وهو من الثَّراء سمينُ

فما كان إلا أيام حتى أوقع به

ابن أبي دواد يتحامل عليه ويكيد له
أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن علي بن عبد الأعلى عن أبيه قال
كان الواثق قد أصلح بين محمد بن عبد الملك الزيات وبين أحمد بن أبي دواد فكف محمد عن ذكره وجعل ابن أبي دواد يخلو بالواثق ويغريه به حتى قبض عليه وكان فيما بلغه عنه أنه قد عزم على الفتك به والتدبير عليه
فقبض الواثق عليه ثم أطلقه بعد مدة ثم وزر للمتوكل وكان محمد بن عبد الملك أشار بابن الواثق وأشار ابن أبي دواد بالمتوكل وقام وقعد في أمره حتى ولي وعممه بيده وألبسه البردة وقبل بين عينيه وكان المتوكل قبل ذلك يدخل على محمد بن عبد الملك في حياة الواثق يشكو إليه جفاءه له فيتجهمه محمد ويغلظ له الرد إلى أن قال يوما بحضرته ألا تعجبون إلى هذا العاصي يعادي أمير المؤمنين ثم يسألني أن أصلح له قلبه اذهب ويلك فأصلح نفسك له حتى يصلح لك قلبه
فكان موقع ذلك يحسن عند الواثق فدخل إليه يوما وقد كان قال للواثق إن جعفرا يدخل إلي وله شعر قفا وطرة مثل النساء فقد فضحك فأمره بأن يحلقهما ويضرب بشعرهما وجهه فلما دخل إليه المتوكل فعل ذلك به وتجهمه بالقبيح فلما ولي الخلافة خشي إن نكبه عاجلا أن يستتر أسبابه فتفوته بغيته فيه فاستوزره وخلع عليه وجعل ابن أبي دواد يغريه به ويجد عنده لذلك موقعا واستماعا حتى قبض عليه وقتله فلم
يجد له من أملاكه كلها من عين وورق وأثاث وضيعة إلا ما كانت قيمته مائة ألف دينار فندم على ذلك ولم يجد منه عوضا وكان أمره مما يعتد على أحمد بن أبي دواد ويقول أطمعتني في باطل وحملتني على أمر لم أجد منه عوضا
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال زعم محمد بن عيسى الفساطيطي أن محمد بن عبد الملك اجتاز بدندن الكاتب وعليه خلع الوزارة للمتوكل لما وزر له فقال دندن
(راح الشقيّ بخلعة النُّكْر ... مثل الهدِيِّ لليلة النَّحْر)
(لاتمَّ شهر بعد خِلْعَته ... حتى تراه طافيَ الجَمْر)
(ويُرى يُطاين من إساءته ... يَهْوي لَهُ يقَواصم الظهْر)
فكان الامر كما قال
خبر قتله
قال علي بن الحسين بن عبد الأعلى
فلما قبض عليه المتوكل استعمل له تنور حديد وجعل فيه مسامير لا يقدر معها أن يتحرك إلا دخلت في جسده ثم أحماه له وجعله فيه فكان يصيح ارحموني فيقال له اسكت أنت كنت تقول ما رحمت أحدا قط والرحمة ضعف في الطبيعة وخور في المنة فاصبر على حكمك وخرج عليه عبادة فقال أردت أن تشويني فشووك
أخبرني طاهر بن عبد الله بن طاهر الهاشمي قال قال العباس بن طومار أمر المتوكل عبادة أن يدخل إلى محمد بن عبد الملك الزيات وقد أحمى تنور حديد وجعله فيه فيكايده فدخل إليه فوقف بإزائه ثم قال اسمع يا محمد كان في جيراننا حفار يحفر القبور فمرضت مخنثة من جيراني وكانت صاحبة لي فبادر فحفر لها قبرا من الطمع في الدراهم فبرأت هي ومرض هو بعد أيام فدخلت إليه صاحبتي وهو بالنزع فقالت وي يا فلان حفرت لي قبرا وأنا في عافية أو ما علمت أنه من حفر بئر سوء وقع فيها وحياتك يا محمد لقد دفناه في ذلك القبر والعقبى لك
قال فوالله ما برح من إزاء محمد بن عبد الملك يؤذيه ويكايده إلى أن مات
قال الصولي
رثاه الحسن بن وهب
وقال الحسن بن وهب يرثي محمد بن عبد الملك وكان في حياته ينتفي منها ويجحدها ثم شاعت بعد ذلك ووجدت بخطه
(يكادُ القلب من جزعٍ يطيرُ ... إذا ما قيل قد قُتِل الوزيرُ)
(أميرَ المؤمنين هَدَمْتَ ركناً ... عليه رَحاكمُ كانت تدورُ)
(سيُبلى الملك من جزعٍ عليه ... ويخرب حين تَضْطرب الأمورُ)
(فمهلاً يا بني العباس مهلاً ... فقد كُويَتْ بفعلكُم الصدورُ)
(إلى كم تَنْكُبون الناس ظلماً ... لكم في كل ملحمة عقيرُ)
(جزيتم ناصراً لكُم المنايا ... وليس كذلِكُمْ يُجْزَى النَّصيرُ)
((فكنتم سائقاً أرسا إليكم ... وذلك من فعالكُم شهيرٌ)
(وكأنَّ صلاحه لو شئتموه ... قريباً لا يحاوله البصيرُ)
(كأنَّ الله صيَّركم ملوكاً ... لئلاَّ تعدلوا ولأنْ تجوروا)
أخبار أبي حشيشة
أبو حشيشة لقب غلب عليه وهو محمد بن أمية بن أبي أمية يكنى أبا جعفر وكان أهله جميعا متصلين بإبراهيم بن المهدي وكان هو من بينهم معنيا بالطنبور يغني أحسن غناء وخدم جماعة من الخلفاء أولهم المأمون ومن بعده إلى المعتمد
وله يقول أبو صالح بن يزداد وكتب بها في استتاره
(جُعِلْتُ فِداك يا بنَ أبي أُميّهْ ... أرى الأيامَ قد حكمتْ عليّهْ)
(وملَّنِيَ الصديقُ وخانَ عهدي ... فما أقْرا لَكمْ كتُباً إليّهْ)
(فإن كان الضميرُ كما بدالي ... فهذا والإلهِ هو البَلِيّهْ)
وكان أكثر انقطاعه إلى أبي أحمد بن الرشيد أيام حياته وكان أبوه وجده وأخواله كتابا
وقرأت على أحمد بن جعفر جحظة ما ذكره عن أبي حشيشة في كتابه الذي ألفه في أخبار مراتب الطنبوريين والطنبوريات وكان من ذلك أنه قال
شاهدت أبا حشيشة مدة وكان يتغنى في أشعار خالد الكاتب وبني أمية وكانت معه فقر من الأحاديث يضعها مواضعها وكانت له صنعة تقدم فيها كل طنبوري لا أحاشي من قولي ذلك فمنها
(كأنَّ همومَ الناس في الأرض كُلِّها ... عليَّ وقلبي بينهم قلبُ واحدِ)

(ولي شاهدًا عدلٍ سُهادٌ وعَبرةٌ ... وكم مُدَّعٍ للحُبّ من غير شاهدِ)
وهو خفيف رمل مطلق
قال جحظة ورأيته في القدمة التي قدمها مع ابن المدبر بين يدي المعتمد وقد غناه من شعر علي بن محمد بن نصر
صوت
(حُرِمتُ بذلَ نوالك ... واسوأتا من فِعالك)
(لما مَلَلْتَ وصالي ... آيسْتِني من وصالك)
فوهب له مائتي دينار
واللحن رمل مطلق
عريب تفضله على الشيخين
أخبرني جحظة فيما قرأته عليه قال حدثني ابن نوبخت يعني علي بن العباس قال
رأيته وقد حضرت عريب عند ابن المدبر وهو يغني فقالت له عريب أحسنت يا أبا جعفر ولو عاش الشيخان ما قلت لهما هذا تعني علويه ومخارقا
حدثني أبو حشيشة قال هجم علي خادم أسود فقال لي البس ثيابك فعلمت أن هذا لا يكون إلا عن أمر خليفة أو أمير فلم أراجعه حتى لبست ثيابي فمضيت معه فعبر بي الجسر وأدخلني إلى دار لا أعرفها ثم اجتاز بي في رواق فيه حجر تفوح منهن رائحة الطعام والشراب فأدخلت منهن إلى حجرة مفروشة وجاءني بمائدة كأنها جزعة يمانية قد نشرت في عراصها الحبرة فأكلت وسقاني رطلين وجاءني بصندوق ففتحه فإذا فيه طنابير فقال لي اختر فاخترت واحدا وأخذ بيدي فأدخلني إلى دار فيها سماعة وفيها رجلان على أحدهما قباء غليظ وعلى الآخر ثياب ملحم وخز فقال لي صاحب الخز اجلس فجلست فقال أكلت وشربت فقلت نعم قال عندنا قلت نعم قال تغني ما نقول لك فقلت له قل فقال تغني بصنعتك
(يا كثيرَ الإقبالِ والإنصرافِ ... ومَلولاً ولو أشأ قلت خَافِ)
وهو رمل مطلق فغنيته إياه وجعل يطلب مني صوتا بعد صوت من صنعتي فأغنيه ويستعيده ويشرب هو والرجل وأسقى بالأنصاف المختوتة إلى أن صلوا العشاء الآخرة وهم لا يشربون إلا على الصوت الأول لا يريدون غيره ثم أومأ إلي الخادم قم فقمت فقال لي صاحب القباء منهما أتعرفني قلت لا والله قال أنا إسحاق بن إبراهيم الطاهري وهذا محمد بن راشد الخناق والله لئن بلغني أنك تقول إنك رأيتني لأضربنك مائتي سوط انصرف
فخرجت ودفع إلى الخادم ثلاثمائة دينار فجهدت أن يقبل منها شيئا على سبيل البر فما فعل
حدثني جحظة قال حدثني أبو حشيشة قال
وجه إليّ إسحاق بن إبراهيم الطاهري فصرت إليه وهو في داره التي على طرف الخندق فدعا بجونة فأكل وأكلت من ناحية ودعا بستارة وقال تغن بصنعتك
(عاد الهوَى بالكأس بردا ... فأَطِعْ إمارة من تبدَّى)
وهو خفيف رمل مطلق
فغنيته مرارا ثم ضرب الستارة وقال قولوه فقالته جارية فأحسنت غاية الإحسان فضحك ثم قال كيف تراه فقلت قد والله بغضوه إلي فازداد في الضحك وأنا أرمق جبة خز خضراء كانت عليه فقال كم ترمق هذه الجبة يا غلام كانت عشرة أثواب خز فقطعت منها هذه الجبة فهات التسعة فجيء بها فدفعها إلي فكنت أبيع رذالها بستين دينار
حدثني جحظة قال
حدثني أبو حشيشة أن بني الجنيد الإسكافيين كانوا أول من اصطنعه وأنهم كانوا يسمونه الظريف وأن أول منزل ابتاعه من أموالهم إلى أن شاع خبره وتفاقم أمره
قال وكانوا آكل الناس رأيت رجلا منهم وقد أكل هو وابن عم له اثنين وعشرين رأسا كبارا وشربا فسكرا وناما ثم انتبها في وقت الظهر فدعوا بالطعام فعادا إلى الأكل ما أنكر منهما شيئا
أمر له المأمون بخمسين ألف درهم
ونسخت من كتاب ألفه أبو حشيشة وجمع فيه أخباره مع من عاشره وخدم من الخلفاء وهو كتاب مشهور قال
أول من سمعني من الخلفاء المأمون وهو بدمشق وصفني له مخارق فأمر بأشخاصي إليه وأمر لي بخمسين ألف درهم أتجهز بها فلما وصلت إليه أدناني وأعجب بي وقال للمعتصم هذا ابن من خدمك وخدم آباءك وأجدادك يا أبا إسحاق جد هذا أمية كاتب جدك المهدي على كتابه السر وبيت المال والخاتم وحج المهدي أربع حجج كان جد هذا زميله فيها واشتهى المأمون من غنائي
صوت
(كان يُنْهَى فَنَهَى حينَ انتهى ... وانجلتْ عنه غياباتُ الصِّبا)
(خلع اللهوَ وأضحى مُسْبِلا ... للنُّهى فَضلَ قميصٍ وردا)
(كيف يرجو البيضُ مَنْ أوَّلُه ... في عيون البيض شيْبٌ وجلا)
(كان كحلاً لمآقيها فقدْ ... صار بالشيب لعينيها قَذَى)
الشعر لدعبل والغناء لمحمد بن حسين بن محرز رمل بالوسطى
قال أبو حشيشة وكان مخارق قد نهاني أن أغني ما فيه ذكر الشيب من هذا الشعر وأن اقتصر على البيتين الأولين لأن المأمون كان يشتد عليه ذكر الشيب ويكرهه جدا من المغنين وأمر ألا يغنيه أحد بشعر قيل في الشيب أو فيه ذكر له فسكرت يوما فمررت في الشعر كله فقال يا مخارق ألا تحسن أدب هذا الفتى فنقفني مخارق نقفة صلبة فما عدت بعدها لذكر شيء فيه الشيب
الصوت الذي كان المعتصم يشتهيه
وذكر أبو حشيشة في كتابه هذا مما كان يشتهيه عليه المأمون وغيره من الخلفاء أصواتا كثيرة ولا فائدة في ذكرها ها هنا لأنها طويلة فذكرت مما كان يختاره عليه كل خليفة صوتا
قال أبو حشيشة كان المعتصم يشتهي علي

صوت
(أسرفت في سوء الصنيع ... وفتكتَ بي فتكَ الخليع)
(وولعتَ بي مُتمرداً ... والعذرُ في طرف الوَلُوع)
(صيّرتُ حبَّك شافعاً ... فأُتِيتُ من قِبَل الشَّفيع)
الشعر لأصرم بن حميد والغناء لأبي حشيشة
قال وكان الواثق يختار من غنائي
(يا تاركي متلَدِّدَ العُوَّاد ... جَذلانَ العُداةِ)
(انظُرِ إليّ بعين راضٍ ... نظرةً قبل المماتِ)
(خلَّيتَني بين الوعيد ... وبين ألسِنَةِ الوُشاةِ)
(ماذا يُرَجّى بالحياةِ ... مُنغَّصٌ روحَ الحياةِ)
الشعر لمحمد بن سعيد الأسدي والغناء لأبي حشيشة خفيف رمل
قال وكان المتوكل يحبني ويستخفني وكانت أغانيه التي يشتهيها علي كثيرة منها
صوت
(أطعت الهوى وخلعتَ العِذارا ... وباكرتَ بعد القَراح العُقارا)
(ونازعكَ الكأسَ من هاشمٍ ... كريمٌ يحبُّ عليها الوقَارا)
(فتى فرّق الحمدُ أموالَه ... يَجُرّ القميصَ ويُرخِي الإزارا)
(رأى اللهُ جعفرَ خيرَ الأنام ... فملّكه ووقَاهُ الحِذَارا)
الشعر والغناء لأبي حشيشة
قال وكان الفتح بن خاقان يشتهي علي
صوت
(قالوا عشقتَ فقلتُ أحسنَ من مَشى ... والعشقُ ليس على الكريمِ بعار)
(يامن شكوتُ إليه طول صبابتي ... فأجابني بتجهُّمِ الإنكار)
قال وكان المستعين يشتهي علي
صوت
(وما أنسَ لا أنسَ منها الخشوعَ ... وفيضَ الدموع وغَمزَ اليدِ)
(وخدّي مُضافاً إلى خدِّها ... قياماً إلى الصُّبح لم نرقُدِ)
الشعر لمحمد بن أبي أمية والغناء لأبي حشيشة
قال وأخبرني محمد بن علي بن عصمة وكان إليه الزهد في الدنيا كلها قال حضرت المعتز وقد ورد عليه جواب كتابه إلى محمد بن عبد الله بن
طاهر وكان كتب إليه يطلبني منه فكتب إليه محمد إني عليل لا فضل في للخدمة قال أبو عصمة فقال لي المعتز يا أبا محمد صديقك أبو حشيشة يؤثر علينا آل طاهر فقلت له يا سيدي أنا أعلم الناس بخبره هو والله عليل ما فيه موضع لخدمة أمير المؤمنين قال ثم ذكرني المعتمد
وحرضه علي ابن حمدون فكتب إلي أبي أيوب سليمان بن عبد الله بن طاهر وهو يومئذ أمير بغداد في إشخاصي فشخصني إليه من ساعتي فأكرمني وأدنى في مجلسي وأمر لي بجائزة واشتهى علي
(قلبي يُحبُّكِ يا مُنى ... قلبي ويُبغضُ من يحِبُّكْ)
(لأكونَ فرداً في هواكِ ... فليتَ شِعري كيفَ قَلبُكْ)
الشعر لأحمد بن يوسف الكاتب والصنعة لأبي حشيشة رمل
خبره مع إبراهيم بن المهدي
قال أبو حشيشة سمع إبراهيم بن المهدي أصواتا من غناء محمد بن الحارث بن بسخنر وعمرو بن بانة فاستحسنها وأخذها جواريه وقال الطنبور كله باطل فإن كان فيه شيء حق فهذا
واشتهى أن يسمعني
فهبته هيبة شديدة وقلت إن رضيني لم يزد ذلك في قدري وإن لم يرضني بقيت وصمة آخر الدهر وكان يطلبني من محمد بن الحارث بن بسخنر خاصة ومن إسحاق بن عمرو بن بزيع فكنت أفر منهما حتى صرت بسر من رأى وأنا في تلك الأيام منقطع إلى أبي أحمد بن الرشيد ونحن في مضارب لم نكن سكنا
المنازل بعد فوافى إلى أبي أحمد بن الرشيد رسول إبراهيم بن المهدي فأبلغه السلام وقال يقول لك عمك قد أعيتني الحيل في هذا الخبيث وأنا أحب أن أسمعه وهو يهرب مني فأحب أن تبعث به إلي ويكون زيرب معه تؤنسه
فقال لي أبو أحمد لا بد أن تمضي إلى عمي فجهدت كل الجهد أن يعفيني فأبى فلما رأيت أنه لا بد لي منه لبست ثيابي ومضيت إليه وهو نازل في دسكرة فرحب بي وقرب وبسطني كل البسط ومعي زيرب ودعا بالنبيذ وأمر خدما له كبارا فجلسوا معي وشربوا وسقوني
وعرض لي بكل حيلة أن أغني فهبته هيبة شديدة وحصرت وشرب ودعا بثلاث جوار فخرجن وجلسن وقال لهن قلن
صوت
(كيفَ احتيالي وأنتَ لا تصِلُ ... عَيل اصطباري وقلَّتِ الحيلُ)
(إن كان جِسمي هواكَ يُنحِله ... فإن قلبي عليك يَتَّكِلْ)
الشعر لخالد الكاتب والغناء لأبي حشيشة رمل
وكان يسميه الرهباني عمله على لحن من ألحان النصارى سمعه من رهبان في الليل يرددونه فغناه عليه
فقالته إحداهن فذهب عقلي وسمعت شيئا لم أسمع مثله قط فقال يا خليلي أهذا لك فقلت نعم أصلح الله الأمير
وأخذتني رعدة ثم قال لهن إيه قلن
صوت
(رَبِّ مالي وللهوى ... ما لهذا الهوَى دَوَا)

((حاز طَرْفِي الذي هوى ... الحُسْنُ قَلبي وَما حوى
الشعر لخالد والغناء لأبي حشيشة رمل
فغنته فسمعت ما هو أعجب من الأول فقال يا خليلي هذا لك قلت نعم يا سيدي قال هكذا أخذناهما من محمد بن الحارث ثم شرب رطلا آخر فقلت يا نفس دعاكِ الرجل يسمعك أو يسمعك وقويت عزمي وتغنيته بشعر خالد الكاتب وهو هذا
صوت
(لئنْ لجَّ قلبُك في ذكره ... ولجَّ حبيبُكَ في هَجرهِ)
(لقد أورث العينَ طولَ البُكا ... وعزّ الفؤادُ على صَبره)
(فإن أذهبَ القلبَ وجدٌ بهِ ... فجسمُكَ لا شكَّ في إثْره)
(وأيُّ مُحبٍّ تجافى الهوَى ... بطُولِ التفكُّر لم يُبْره)
فجعل يردد البيت الأول والبيت الأخير وقال لي لا تخرجن يا خليلي من هذا إلى غيره فلم أزل أردده عليه حتى شرب ثلاثا واسترحت ساعة وشربت وطابت نفسي ثم استعادني فغنيته فأعجب به خلاف الأول فنظر إلي وضحك ولم يقل شيئا وشرب رطلا رابعا وجاءت المغرب فقال لي يا خليلي ما أشك في أنك قد أوحشت ابني منك فامض في حفظ الله تعالى فخرجت أطير فرحا بانصرافي سالما فلما وافيت أبا أحمد وبصر بي من بعيد قال حنطة أو شعير فقلت بل سمسم وشهد انج على رغم أنف من رغم فقال ويحك أتراني لا أعرف فضلك ولكن أحببت أن أستعين برأيه على رأيي فيك وقصصت عليه القصة فسره ذلك ولم يرض حتى دس إليه محمد بن راشد الخناق فسأله عني فقال ما ظننت أن يكون في صناعته مثله
قال أبو حشيشة وسمع إسحاق بن إبراهيم الموصلي غنائي فاستحسنه فسئل عني فقال غناء الطنبور كله ضعيف وما سمعت فيه قط أقوى ولا أصح من هذا
موته
حدثني جحظة قال كان سبب موت أبي حشيشة بسر من رأى أن قلما غلام الفضل بن كاووس صار إليه في يوم بارد فدعاه إلى الصبوح فقال له أنا لا آكل إلا طعاما حارا وليس عندك إلا فضيلة من مجلية قال تساعدني وتأكل معي فأكل منها فجمدت دم قلبه فمات فحمله إبراهيم بن المدبر إلى بناته وما كسبه بسر من رأى معه فاقتسمنه بينهن
صوت
(سَقياً لقاطولَ لا أرى بلَداً ... أوْطَنَهُ الموطِنون يُشبْهها)
(أمناً وخفضاً ولا كَبهْجَتِها ... أرغدُ أرضٍ عيشاً وأرفهُها)
البيت الأول من البيتين لعنان جارية الناطفي والثاني يقال إنه لعمرو الوراق ويقال أنه لأبي نواس ويقال بل هو لها والغناء لعريب خفيف رمل
وكان الشعر سقيا لبغداد فغيرته عريب وجعلت مكانه سقيا لقاطول
أخبار عنان
كانت عنان مولدة من مولدات اليمامة وبها نشأت وتأدبت واشتراها الناطفي ورباها وكانت صفراء جميلة الوجه شكلة مليحة الأدب والشعر سريعة البديهة
وكان فحول الشعراء يساجلونها ويقارضونها فتنتصف منهم
مساجلة بينها وبين أبي نواس
أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني صهر المبرد النحوي وعلي بن صالح بن الهيثم قال حدثنا أبو هفان عن الجماز قال دخل أبو نواس يوما على عنان جارية الناطفي فتحدثا ساعة ثم قال لها قد قلت شعرا فقالت هات فقال
(إن لي أيْراً خبيثاً ... لونُه يَحكي الكُميتا)
(لو رأى في الجوِّ صَدْعاً ... لنزَا حتّى يموتَا)
(أو رآه فوق سقفٍ ... لتحوَّل عنكَبُوتا)
(أو رآه جوفَ بحرٍ ... خِلتَه في البحر حوتا)
قال فما لبثت أن قالت
(زوّجوا هذا بألْفٍ ... وأظُنَّ الألف قُوتا)
(إنني أخشى عليهِ ... إن تَمادى أن يمُوتا)
(بادروا ما حلّ بالمسكين ... خوفاً أن يفُوتا)
(قبل أن يَنْتكس الداءُ ... فلا يَأتِي ويُوتى)
قال ودخل إليها يوما فقال
(ماذا ترينَ لِصَبٍّ ... يريدُ منكَ قُطَيرَهْ)
فأجابته
(إيايَ تَعنِي بهذا ... عليك فاجْلدْ عُمَيرَهْ)
فقال لها
(أُريدُ هذا وأخشَى ... على يدي منكِ غَيْرَهْ)
قال فخجلت وقالت تعست وتعس من يغار عليك
أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو أحمد بن معاوية قال سمعت أبا حنش يقول قال لي الناطفي لو جئت إلي عنان فطارحتها فعزمت على الغدو فبت ليلتين أحوك بيتين ثم غدوت عليها فقلت
(أحَبُّ المِلاحَ البيضَ قلبي وربّما ... أحَبُّ المِلاحَ الصُّفْرَ من وَلَد الحَبَشْ)
فقالت (بكيتُ على صفراء منهنّ مرّةً ... بكاءً أصابَ العينَ منّي بالعَمَشْ)
((بكيتُ عليها أنَّ قلبي يحبُّها ... وأن فُؤادي كالجَناحينِ ذُو رَعَشْ)
(تَغَنَّيتنا بالشِّعْر لما أتِيْتَنا ... فدونَك خذْه محكماً يا أبا حَنَشْ)
أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية قال سمعت مروان بن أبي حفصة يقول لقيني

الناطفي فدعاني إلى عنان فانطلقت معه فدخل إليها قبلي فقال لها قد جئتك بأشعر الناس مروان بن أبي حفصة فوجدها عليلة فقالت له إني عن مروان لفي شغل فأهوى إليها بسوط فضربها به وقال لي ادخل فدخلت وهي تبكي فرأيت الدموع تنحدر من عينيها فقلت
(بكتْ عنانٌ فجرى دمْعُها ... كالدُّرِّ إذ يسبقُ من خَيطِهْ)
فقالت وهي تبكي
(فليت من يَضربُها ظالماً ... تَيْبَس يُمناهُ على سَوطِهْ)
فقلت أعتق مروان ما يملك إن كان في الجن والإنس أشعر منها
أخبرني الجوهري قال حدثنا أبو زيد عن أحمد بن معاوية قال
قال لي رجل تصفحت كتبا فوجدت فيها بيتا جهدت جهدي أن أجد من يجيزه فلم أجد فقال لي صديق عليك بعنان جارية الناطفي فجئتها فأنشدتها
صوت
(وما زالَ يشكُو الحبّ حتى رأيتُهُ ... تنفّسَ في أحشائه وتكلَّما)
فما لبثت أن قالت
(ويَبكي فأبكي رحمةً لبُكائه ... إذا ما بكى دمْعاً بكيتُ له دَما)
في هذين البيتين لحن من الرمل أظنه لجحظة أو لبعض طبقته
مولاها يطلب منها أن تعايي أحد الشعراء
قرأت في بعض الكتب
دخل بعض الشعراء على عنان جارية الناطفي فقال لها مولاها عاييه فقالت
(سَقياً لبغداد لا أرى بلداً ... يسكنه الساكنون يُشبهها)
فقال
(كأنها فِضّةٌ مُمَوّهةٌ ... أخْلَصَ تمويهَها مُمَوِّهُهُا)
فقالت
(أمنٌ وخفض ولا كبَهجَتِها ... أرغدُ أرضٍ عيشاً وأرفَهُهَا)
فانقطع
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني ابن أبي سعيد قال
حدثني مسعود بن عيسى قال أخبرني موسى بن عبد الله التميمي قال
دخل أبو نواس على الناطفي وعنان جالسة تبكي وخدها على رزة من مصراع الباب وقد كان الناطفي ضربها فأومأ إلى أبي نواس أن يحركها بشيء فقال أبو نواس
(عنان لو جُدْتِ لي فإنيَ من ... عمريَ في آمَنَ الرسول بما)
فردت عليه عنان
(فإن تمادى ولا تماديْتَ في ... قطعك حَبلي أكُنْ كمن خَتَما)
فرد عليها أبو نواس فقال
(علقتُ من لو أتى على أنفُس ... الماضِينَ والغابرينَ ما نَدِما)
فردت عليه
(لو نظرتْ عينُها إلى حَجَرٍ ... ولّد فيه فُتُورهما سَقَما)
اصرارها على إعادة خاتمها من أبي نواس
أخبرني أبن عمار قال
حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن أبي مروان الكاتب قال أخذ أبو نواس من عنان جارية الناطفي خاتما فصه أحمد فأخذه أحمد بن خالد حيلويه من أبي نواس فطلبته منه عنان فبعث إليها مكانه خاتماً فصة أخضر فاتهمته في ذلك فكتب أبو نواس إلى أحمد بن خالد فقال
(فدتْكَ نفسي يا أبا جعفر ... جاريةٌ كالقمر الأزهر)
((تعلقتْني وتعلَّقْتُها ... طِفلين في المهد إلى المكْبر
(كنتُ وكانت نتهادَى الهوى ... بخاتمينا غيرَ مستنكَر)
(حنَّت إلي الخاتم مني وقد ... سلَبْتَني إياه مذ أشهُر)
(فأرسلتْ فيه فغالطْتُها ... بخاتَمٍ في قدّه أخضر)
(قالت لقد كان لنا خاتَمٌ ... أحمرُ أهداه إلينا سرِي)
(لكنه عُلِّق غَيري فقدْ ... أهدى له الخاتمَ لا أمتري)
(كفرتُ باللّه وآياتِه ... إن أنا لم أهجرْه فليصبر)
(أو فأْتِ بالمخرج من تُهمَتي ... إياه في خاتَمِنا الأحمر)
(فارددْه تَرْدد وصلَها إنَّها ... قُرّةُ عيني يا أبا جَعْفَر)
(فإنني متَّهَمٌ عندها ... وأنت قد تعلَم أني بري)
قال فرد إليه الخاتم وبعث إليه معه بألفي درهم
أخبرني ابن عمار وعلي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد عن المازني عن الأصمعي وقال ابن عمار في خبره عن بعض أصحابه أظنه المازني عن الأصمعي قال ما رأيت أثر النبيذ في وجه الرشيد قط إلا مرة واحدة فإني دخلت إليه أنا وأبو حفص الشطرنجي فرأيت التخثر في وجهه فقال لنا استبقا إلى بيت بل إلى أبيات فمن أصاب ما في نفسي فله عشرة آلاف درهم قال فأشفقت ومنعتني هيبته قال فقال أبو حفص
(كلَّما دراتِ الزُجَاجةُ زادته ... اشتياقاً وحُرقةً فبكاكِ)
فقال أحسنت فلك عشرة آلاف درهم
قال فزالت الهيبة عني فقلت

(لم ينلْكِ الرجاءُ أن تحضُريني ... وتجافتْ أمنيّتي عن سواكِ)
فقال لله درك لك عشرون ألف درهم قال فأطرق مليا ثم رفع رأسه إلي فقال أنا والله أشعر منكما ثم قال
(فتمنَّيتُ أن يَغشّيَني اللّهُ ... نُعاساً لعَلَّ عَيْني تَراكِ)
الأصمعي يصرف الرشيد عنها بعد أن طلبت زبيدة منه ذلك
أخبرني ابن عمار والأخفش قالا حدثنا محمد بن يزيد عن المازني قال
قال الأصمعي بعثت إلي أم جعفر أن أمير المؤمنين قد لهج بذكر هذه الجارية عنان فإن صرفته عنها فلك حكمك
قال فكنت أريغ لأن أجد للقول فيها موضعا فلا أجده ولا أقدم عليه هيبة له إذ دخلت يوما فرأيت في وجهه أثر الغضب فانخزلت فقال مالك يا أصمعي قلت رأيت في وجه أمير المؤمنين أثر غضب فلعن الله من أغضبه فقال هذا الناطفي والله لولا أني لم أجر في حكم قط متعمدا لجعلت على كل جبل منه قطعة وما لي في جاريته أرب غير الشعر فذكرت رسالة أم جعفر فقلت له أجل والله ما فيها غير الشعر أفيسر أمير المؤمنين أن يجامع الفرزدق فضحك حتى استلقى واتصل قولي بأم جعفر فأجزلت لي الجائزة
أخبرني عمي والحسن بن علي قالا حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني محمد بن هارون عن يعقوب بن إبراهيم
أن الرشيد طلب من الناطفي جاريته فأبى أن يبيعها بأقل من مائة ألف دينار فقال أعطيك مائة ألف دينار على أن تأخذ بالدينار سبعة دراهم فامتنع عليه وأمر أن تحمل إليه فذكروا أنها دخلت مجلسه فجلست في هيئتها تنتظره فدخل عليها فقال لها ويلك إن هذا قد اعتاص علي في أمرك قالت وما يمنعك أن توفيه وترضيه فقال ليس يقنع بما أعطيه وأمرها بالإنصراف
فبلغني أن الناطفي تصدق بثلاثين ألف درهم حين رجعت إليه فلم تزل في قلب الرشيد حتى مات مولاها فلما مات بعث مسرورا الخادم فأخرجها إلى باب الكرخ فأقامها على سرير وعليها رداء رشيدي قد جللها فنودي عليها من يزيد بعد أن شاور الفقهاء فيها وقال هذه كبد رطبة وعلى الرجل دين فأشاروا ببيعها قال فبلغني أنها كانت تقول وهي في المصطبة أهان الله من أهانني وأذل من أذلني فلكزها مسرور بيده وبلغ بها مسرور مائتي ألف درهم فجاء رجل فقال علي زيادة خمسة وعشرين ألف درهم فلكزه مسرور وقال أتزيد على أمير المؤمنين
ثم بلغ بها مائتين وخمسين ألفا وأخذها له قال ولم يكن فيها شيء يعاب وطلبوا لها عيبا لئلا تصيبها العين فأوقعوا بخنصر رجلها شيئا
وأولدها ابنين قال أظنهما ماتا صغيرين ثم خرج بها إلى خراسان فمات هناك وماتت عنان بعده
قال وأنشدنا لأبي نواس في قصيدة يمدح بها يزيد بن مزيد ويذكر عنان في تشبيبها
(عِنان يا من تُشبه العِينَا ... أنتِ على الحُبِّ تلومينا)
(حُسنك حُسْنٌ لا أرى مثلَه ... قد ترك الناس مَجانينَا)
مطارحة شعرية بينها وبين العباس بن الأحنف
أخبرني عمي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني أحمد بن القاسم العجلي قال حدثني أبو القاسم النخعي قال
كان العباس بن الأحنف يهوى عنان جارية الناطفي فجاءني يوما فقال امض بنا إلى عنان جارية الناطفي فصرنا إليها فرأيتها كالمهاجرة له فجلسنا قليلا ثم ابتدأ العباس فقال
(قال عباس وقد أُجْهِد ... من وجدٍ شديدِ)
(ليس لي صبرٌ على الهَجْرِ ... ولا لَذْع الصُّدُودِ)
(لا ولا يصبر للهجْرِ ... فؤادٌ من حَديدِ)
فقالت عنان
(من تراهُ كان أغنَى ... منكَ عن هذا الصدودِ)
(بعد وصلٍ لكَ منّي ... فيه إرغامُ الحَسودِ)
(فاتّخِذ للهَجْرِ إن شئتَ ... فؤاداً من حديدِ)
(ما رأيناكَ على ما ... كنت تَجني بجَليد)
فقال العباس
(لو تجودينَ لصَبٍّ ... راح ذَا وجدٍ شديدِ)
(وأخي جهلٍ بما قدْ ... كان يَجْني بالصدودِ)
(ليسِ مَن أحدثَ هَجْراً ... لصديقٍ بسَديدِ)
(ليسَ منه الموتُ إن لمْ ... تَصليه ببَعيدِ)
قال فقلت للعباس ويحك ما هذا الأمر قال أنا جنيت على نفسي بتتايهي عليها فلم أبرح حتى ترضيتها له
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحارث بن يحيى بن حمد بن أبي مية قال حدثني يحيى بن محمد
أن الرشيد كان يساوم بعنان جارية النطاف فبلغ ذلك أم جعفر فشق عليها فدست إلى أبي نواس أن يحتال في أمرها فقال يهجوها
(إن عِنانَ للنَّطَّافِ جاريةٌ ... أصبح حِرْها للنَّيْك مَيدانا)
(ما يشتريها إلا ابنُ زانية ... أو قَلْطَبانٌ يكون مَن كانا)
فبلغ ذلك الرشيد فكان يقول لعن الله أبا نواس وقبحه فلقد أفسد علي لذتي في عنان بما قال فيها ومنعني من شرائها
صوت
(مالي وللخمر وقد أرعشَتْ ... منّي يّميني هاتِ باليُسرى)
(حتى تَراني مائلاً مُسنَدا ... لا أستطيعُ الكأسَ بالأخرى)
الشعر للحسن بن وهب والغناء لعبد الله بن العباس الربيعي خفيف ثقيل بالوسطى وفيه أيضا له خفيف رمل بالبنصر
أخبار الحسن بن وهب
هو الحسن بن وهب بن سعيد كاتب شاعر مترسل فصيح أديب وأخوه سليمان بن وهب فحل من الكتاب ويكنى أبا علي

وهو عريق في الكتابة ولأولاده نجابة مشهورة تستغني عن وصف ذلك وكانوا يقولون إنهم من بني الحارث بن كعب وأصلهم نصارى وفي بني الحارث نصارى كثير

البحتري يجتاز بمنزله ويرثيه

وفي الحسن بن وهب يقول البحتري

(يا أخَا الحارثِ بن كعب بن عمرو ... أشهُوراً تَصومُ أم أيَّاما)

وكان البحتري مداحا لهم وله في الحسن وقد اجتاز بمنزله بعد وفاته

(أناةً أيُّها الفَلَكُ المُدارُ ... أنهبٌ ما تطرَّق أم جُبارُ)
(نزلنا منزلَ الحسنِ بن وهبٍ ... وقد دَرستْ مغانِيه القِفارُ)

يقول فيها يصف صبوحا كانوا قد اصطبحوه

(أقمنا أكْلُنا أكلُ استلابٍ ... هُناكَ وشرْبنا شُربٌ بِدارُ)
(تنازعْنا المدامةَ وهي صِرفٌ ... وأعجلْنا الطبائخَ وهْي نارُ)
(ولم يكُ ذاكَ سُخْفاً غيرَ أنّي ... رأيت الشَّرْبَ سُخْفُهمُ الوَقارُ)

أخبرني الصولي وذكر ذلك عن جماعة من الكتاب أن الحسن بن وهب كان أشد تمسكا بالنسب إلى بني الحارث بن كعب من أخيه سليمان وكان سليمان ينكر ذلك ويعاتب عليه أخاه الحسن وابنه أحمد بن سليمان

وأصلهم من قرية من سواد واسط في جسر سابور يقال لها سارقيقا

كانوا يتسابقون لحفظ شعره

أخبرني عمي قال حدثني عمر بن نصر الكاتب وكان من مشايخ الكتاب بسر من رأى قال

كنا نتهادى ونحن في الديوان أشعار الحسن بن وهب ونتباهى بحفظها قال وأنشدني له وكتب بها إلى أخيه سليمان بن وهب من مدينة السلام وهو محبوس في أيام الواثق

(خطبٌ أبا أيوبَ جلَّ محلُّه ... فإذا جزِعتَ من الخطوبِ فمن لَها)
(إن الذي عَقَد الذي انعقَدتْ به ... عُقَدُ المكاره فيكَ يُحْسِن حلَّها)
(فاصبرْ لعلَّ الصبرَ يفتِق ما ترى ... وعسى بها أن يَنْجَلي ولعلَّها)

قال وكتب إليه أيضا وهو في الحبس بسر من رأى

(خليلَيَّ من عبدِ المَدان تروَّحا ... ونُصَّا صدورَ العيس حَسْرَى وطلَّحا)
(فإنَّ سليمان بن وهب ببلدةٍ ... أصابَ صميمَ القلب منّي فأقْرَحا)
(أسائلُ عنه الحارِسينَ لحَبْسِه ... إذا ما أتوني كيف أمسَى وأصبحا)
(فلا يُهنئ الأعداءَ أسرُ ابنِ حُرَّةٍ ... يَراه العِدا أندى يميناً وأسمحا)
(وأنهضَ للأمر الجليل بعَزْمَةٍ ... وأقرعَ للباب الأصمِّ وأفتحا)

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال

وجه الحسن بن وهب إلى أبي تمام وهو بالموصل خلعا فيها خز وشيٌ فامتدحه بقصيدة أولها

(أبو عَليّ وسْمِيٌّ منتجعهْ ... فاحْلُلْ بأعلى واديه أو جَرَعِهْ)

ثم وصف الخلعة فقال

(وقد أتاني الرسولُ بالملبس الفَخْم ... لصَيف امريءٍ ومُرتَبعِهْ)
(لو أنها جُلِّلتْ أُوَيْساً لقد ... أسرعتِ الكِبرياء في ورَعِهْ)
(رائقُ خزٍّ أجيدَ سايرُه ... سَكَبٌ تدين الصِّبا لمدَّرعِهْ)
(وسرُّ وشْيٍ كأنَّ شِعريَ أحْياناً ... نسيبُ العيونِ من بِدَعِهْ)
(تركتْني ساهر الجفونِ على ... أزْلمِ دهرٍ بحُسنها جذَعِهْ)

يعني الدهر والدهرُ يقال له الأزلم الجذع والأزلم الطويل

الجذع الجديد يقول هو قديم سالف ويومه جديد قال لقيط الإيادي

(يا قوم بيضتُكم لا تفضحنّ بها ... إني أخاف عليها الأزلَم الجذَعا)

قوله بعد أن حبسه محمد بن عبد الملك

أخبري الصولي قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال

لما حبس محمد بن عبد الملك الزيات سليمان بن وهب وطالبه بالأموال وقت نكبته قال الحسن بن وهب

(خليليّ من عبد المدان تروَّحا ... ونُصّا صدورَ العِيس حسْرى وطلَّحا)
(فإنَّ سليمان بن وهبٍ بمنزلٍ ... أصاب صميم القلبِ منّي فافرحا)
(أسائل عنه الحارسِين لحبسه ... اذا ما أتوني كيفَ أمسى وأصبَحا)
(فلا يُهنيءِ الأعداءَ حبسُ ابنِ حرّة ... يراه العِدا أندى يميناً وأسمحا)
(وقُولا لهمْ صَبراً قليلاً وأصيحوا ... فما أقرب الليلَ البهيمَ من الضُّحا)

قال وقيل له وسليمان محبوس كيف أصبحت قال أصبحت والله

قليل النشاط كال القريحة صدىء الذهن ميت الخاطر من سوء فعل الزمان وتوارد الأحزان وتغير الإخوان قال وآلى ألا يذوق طعاما طيبا ولا يشرب ماء باردا ما دام أخوه محبوسا فوفى بذلك

أخبرني الصولي قال أخبرني أبو الأسود قال كان للحسن بن وهب جار هاشمي يلقب بالطير فحج سنة من السنين ورجع آخر الناس فقال فيه الحسن

(أينقصُ أم يزيدُ من الرقاعهْ ... أخو حُمْقٍ له الدُّنيا مُشاعهْ)
(يحجّ على الجِمالِ ولو تجلّى ... لمكة جاءها في بعْض ساعهْ)

أخبرني الصولي قال حدثنا الطالقاني قال حدثنا أحمد بن سليمان بن وهب

قال رآني عمي الحسن وأنا أبكي لفراق بعض ألآفي فقال

(ابكِ فما أنْفَعَ ما في البكا ... لأنّه للوجْد تَسهيلُ)
(وهو إذا أنتَ تأمَّلتَه ... حزن على الخدّينِ مَحْلولُ)

يتمثل ببيت لحسان بن ثابت
أخبرني الصولي قال حدثنا علي بن الصباح قال بلغ الحسن بن رجاء أن الحسن بن وهب عابه بحب الغلمان وكان الحسن بن وهب أشد حبا لهم منه فقال مثلي ومثله كما قال حسان بن ثابت
((وإني لأغني الناسَ عن فضل صاحبٍ ... يرى الناس ضُلاّلاً وليس بمهْتَدِ
أخبرنا محمد قال حدثنا الحزنبل قال
كتب رجل إلى الحسن بن وهب يستميحه فوقع في رقعته
(الجودُ طَبعي ولكن ليس لي مالُ ... فكيف يحتالُ مَنْ بالرَّهْن يحتالُ)
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال
كان شديد الشغف بجارية اسمها بنات
كنت أكتب في حداثتي بين يدي الحسن بن وهب وكان شديد الشغف ببنات جارية محمد بن حماد كاتب راشد فكنا يوما عنده وهي تغني وبين أيدينا كانون فحم فتأذت به فأمرت أن يباعد فقال الحسن
(بأبي كرهتِ النارَ حتى أُبعِدتْ ... فعلمتُ ما معناكِ في إبعادِها)
(هي ضرةٌ لك بالتماع ضِيائِها ... وبحسن صُورتها لدى إيقادِها)
(وأرى صنيعَكِ في القلوبِ صَنيعَها ... في شوكها وسَيَالِها وقَتادِها)
(شَرِكتْكِ في كلِّ الجهاتِ بحسنِها ... وضِيائها وصلاحها وفَسادِها)
أخبرني الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى قال
كنا عند الحسن بن وهب فقال لو ساعدنا الدهر لجاءتنا بنات فما تكلم بشيء حتى دخلت فقال إني وإياك لكما قال علي بن أمية
(وفاجأتني والقلب نحوَكِ شاخِص ... وذكرُكِ ما بين اللسانِ إلى القَلب)
((فيا فرحةً جاءت على إثْر تَرْحةٍ ... ويا غفلتَا عنها وقد نزلَتْ قُربي
قرأت في بعض الكتب دخلت يوما بنات على الحسن بن وهب وهو مخمور فسلمت عليه وقبلت يده فأراد تقبيل يدها فمنعته فرعش فقال
(أقولُ وقد حاولت تقبيلَ كَفِّها ... وبي رِعدةٌ أهتزُّ منها وأسكُنُ)
(فديتُك إني أشجعُ الناس كلِّهم ... لدى الحربِ إلا أنَّني عنكِ أجبُنُ)
شرب على وجه بنات وكتب إلى مولاها
أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن موسى قال جاءت بنات تسأل الحسن بن وهب من علة نالته فحين رآها دعا برطل فشربه على وجهها وقال قد عوفيت فأقيمي اليوم عندي فأبت وقالت عند مولاي دعوة فأمر بإحضار مائتي دينار فأحضرت فقال هذه مائة لمولاك فابعثي بها إليه ومائة لك فقالت أما هو فأبعث بمائة إليه وأما أنا فوالله لا أخذت المائة الأخرى ولأتصدقن بمثلها لعافيتك ولكن أكتب إليه رقعة تقوم بعذري فأخذ الدواة وكتب إلى مولاها
(ضَرَّةَ الشمس والقمرْ ... متِّعيني من النَّظر)
(متِّعيني بجلْسةٍ ... منك يا أحسن البَشَرْ)
(أشتريها إن بعتنِيها ... بسمْعِي وبالبَصر)
(أذهبَ السقمَ سقمُ طرفِكِ ... ذي الغُنْج والحَوَرْ)
(فأديمي السرورَ لا ... تَمزجي الصفوَ بالكَدَرْ)
(ليس يُبقي عليَّ حُبُّكِ ... هذا ولا يذرْ)
((وأنا منه فأنعمي ... بمُقامٍ على خَطَرْ
(وتَغَنَّيْ فداك كلٌّ ... مُغنٍّ لكي أُسَرّ)
(ربع سَلمى بذي بقر ... عرضة الريح والمَطرْ)
لومه على حبه بنات
حدثني أبو إسحاق بن الضحاك عن أحمد بن سليمان والحكايتان متفقتان متقاربتان أخبرني الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى قال حدثني أحمد بن سليمان بن وهب قال قال لي أبي قد عزمت على معاتبة عمك في حبه لبنات فقد شهر بها وافتضح فكن معي وأعني عليه وكان هواي مع عمي فمضيت معه فقال لي أبي وقد أطال عتابه يا أخي جعلت فداك الهوى ألذ وأمتع والرأي أصوب وأنفع فقال عمي متمثلا
(إذا أمرتْك العاذلاتُ بهجرها ... أبتْ كبدٌ عما يقلنَ صَديعُ)
(وكيف أطيع العاذلاتِ وحبُّها ... يُؤرِّقُني والعاذلاتُ هُجوعُ)
فالتفت إلي أبي ينظر ما عندي فتمثلت
(وإني ليلحاني على فرط حُبِّها ... رجالٌ أطاعتْهم قلوب صَحائح)
فنهض أبي مغضبا وضمني عمي إليه وقبلني وانصرفت إلى بنات فحدثتها بما جرى وعمي يسمع فأخذت العود فغنت
(يلومك في مودّتها أناسٌ ... لوَ انّهمُ برأيكَ لم يلوموا)
فيه ثقيل أول
قال أحمد بن سليمان وعذلته عجوز لنا يقال لنا منى فقال لها قومي فانظري إليها واسمعي غناءها ثم لوميني فقامت معه فرأتها وسمعت غناءها فقالت له لست أعاود لومك فيها بعد هذا فأنشأ يقول
(ويوم سها عنه الزمانُ فأصبحتْ ... نواظرُه قد حار عنها بَصيرُها)
(خلوتُ بمن أهوَى به فَتكاملتْ ... سعُودٌ أدارَ النحسَ عنَّا مُديرُها)
(أما تعذريني يا منى في صَبَابتي ... بمن وجهُها كالشمس يلمَع نُورُها)
قال أحمد بن سليمان كان لعمي كاتب يعرف بإبراهيم
نصراني يأنس به فسأل بنات مسألتها عمي أن يجعل رزقه ألف درهم في الشهر فلما شرب أقداحاً وطرب وثبت قائمة وقالت يا سيدي لي حاجة فوثب عمي فقام لقيامها فقالت تجعل رزق إبراهيم ألف درهم في الشهر فقال سمعا وطاعة فجلست فأنشأ يقول

(قامت فقمتُ ولم أكن لو لم تقم ... لأُجِلّ خلقاً غيرَها فأقوما)
(شفعت لإبراهيمَ في أرزاقه ... فوددتُ أني كنتُ إبراهيما)
(فأجبتُها إنّي مطيعٌ أمْرَها ... وأراه فرضاً واجباً محتوما)
(ما كان أطيبَ يومنا وأسَرَّه ... لو لم يكن بفراقها مَخْتوما)
قال ثم إن عمي صار إلى أبي فأخبره الخبر فأمر أن يجعل لإبراهيم من ماله ألف درهم أخرى لشفاعتها

تأخرت بنات عن عيادته فكتب إليها

أخبرني الصولي قال حدثني إسماعيل بن الخطيب قال اعتل الحسن بن وهب فلم تعلم بنات بذلك وتأخرت عن عيادته فكتب إليها
(عليلٌ أنتِ أعْلَلْتِهْ ... فلَو أنّك علّلتِه)
(بوعْدٍ أن تزوريه ... إذا ما مُمكنٌ نلتِهْ)
((قريباً لنفيت الدَّاءَ ... عنه حينَ واعدتِهْ
(وما ضرّكِ لو جاء ... رسولٌ منك أرسلته)
(فيحكي لَكِ ما قال ... كما يحكي الذي قُلتِهْ)
(أما واللّه لو أن ... الذي يُحمَل حُمِّلتِهْ)
(لما احتاج إلى التعليم ... فيما قد تجاهَلْتِهْ)
أخبرني الصولي قال أحمد بن إسماعيل قال حدثني أحمد بن عبيد الله بن جميل قال
أهدى الحسن بن وهب إلى بنات في علة اعتلتها هدايا حسنة وأهدى معها قفص شفانين وكتب إليها
(شفاءُ أنينٍ بالشفانين أمّلتْ ... لكم نفسُ من أهدي الشفانين عامدا)
(كُلُوها يَكِلُّ الداءُ عنكم فإنني ... أزوركمُ للشوق لازرتُ عائداً)

بنات تعتذر عن موافاته فيستحثها من جديد

أخبرني عمي قال حدثني ميمون بن هارون قال
كتب الحسن بن وهب إلى بنات يوم جمعة يستدعيها فكتبت إليه أن عند مولاها أصدقاء له وقد منعها من المسير إليه فكتب إليها ثانيا يقول
(يومنا يوم جُمعة بأبِي أنتِ ... وعندَ الوضيع لا كانَ قوْمُ)
(سَفَلٌ مثله يسومونه الْخَسْفَ ... ويرضاه وهو للوعْدِ سَوْمُ)
(فامنعيهمْ منكِ البشاشةَ حتى ... يتغشَّاهمُ من البَرْدِ نَومُ)
(وليكنْ منك طول يومكِ لِلّه ... صلاةٌ إلى المساء وصومُ)
((وارفعي عنهم الغِناء وإن نالك ... عذلٌ من الوضيع ولَوْمُ
(واذكري مُغرماً بحبِّك أمسى ... هَمُّه أن يُدِيلَه منكِ يوم)
أخبرني عمي قال حدثني ميمون بن هارون قال
كان الحسن بن وهب يشرب عند محمد بن عبد الله بن طاهر فعرضت سحابة فبرقت ورعدت وقطرت فقال الحسن
(هطلتنا السماءُ هَطْلاً دِراكا ... عارِض المرزمانِ فيها السِّماكا)
(قلت للبرقِ إذ تألّق فيها ... يا زِنادَ السماءِ من أوراكا)
(أحَبيباً نأيْته فَبكاكا ... فهو العارضُ الّذي استْبكاكا)
(أم تشبهتَ بالأمير أبي العَبّاس ... في جُوده فلسْتَ كذاكا)

بينه وبين ابن الزيات

أخبرني عمي قال حدثنا أبو العيناء قال
طلب محمد بن عبد الملك الزيات الحسن بن وهب وكان قد اصطبح مع بنات فكتب إليه يا سيدي أنا في مجلس بهي وطعام هني وشراب شهي وغناء رضي أفأتحول عنه إلى كد الشقي ووثبت بنات لتقوم فردها وكتب
(ما بانَ عنكَ الذي بِنتَ ... عنه لا عاشَ بَعْدَكْ)
((إن لم يكن عنده الصبر ... والسُّلوُّ فعندَكْ
(وما وجدتَه إلا ... عبدَ الرجاء وعبدَكْ)
فاستلبها الرسول ومضى بها إلى محمد فوقع فيها
(أبا عليٍّ أراك الإله ... في الأمر رُشدَكْ)
(إن لم تكن عنديَ اليومَ ... كنتُ بالشوق عندَكْ)
(فاهدم محلّك عندي ... واجهَدْ لذلك جُهدَك)
(فلستُ أزدادُ إلا ... رعايةً لكِ وُدَّكْ)
(وانعَمْ بمن قُلتَ فيها ... عبدَ الرجاءِ وعبدَكْ)
(أزِلَ نحسَك فيها ... وأطلَعَ اللّه سَعدكْ)
ورد الرقعة إلى الحسن فلما قرأها خجل وحلف ألا يشرب النبيذ شهرا ولا يفارق مجلس الوزير

ولدت بنات من مولاها فأبغضها الحسن

أخبرني عمي عن إبراهيم بن المدبر قال
ولدت بنات من مولاها ولدا وسمته بإبراهيم فأبغضها الحسن بن وهب وكتب إليها
(نُتِج المُهرةَ الهجانُ هجِيناً ... ثم سمّى الهجينَ إبراهيما)
(بخليل الرحمنِ سَمَّيتَ عَبدا ... أم قريعَ الفِتيانِ ذاك الكريما)
وبعث بالبيتين إليها وكان آخر عهده بها
أخبرني الصولي قال حدثنا محمد بن موسى قال
كان الحسن بن وهب يعشق غلاما روميا لأبي تمام وكان أبو تمام يعشق غلاما خزريا للحسن فرأى أبو تمام يوما الحسن يعبث بغلامه فقال له والله لئن أعنقت إلى الروم لنركضن إلى الخزر فقال له الحسن لو شئت لحكمتنا واحتكمت فقال له

أبو تمام ما أشبهك إلا بداود ولا أشبه نفسي إلا بخصميه فقال له لو كان هذا منظوما حفظته فأما المنثور فهو عارض لا حقيقة له فقال أبو تمام
(أبا عليٍّ لصرْف الدهر والغِيَرِ ... وللحوادث والأيامِ والعِبَرِ)
(أعندك الشمسُ لم يحظ المغيب بها ... وأنت مضطربُ الأحشاءِ للقمر)
(أذكرتَني أمر داود وكنت فتى ... مُصرَّف القلب في الأهواء والذِّكَر)
(إن أنت لم تترك السيرَ الحثيث إلى ... جآذر الرّومِ أعْنقْنا إلى الخزر)
(إن الغزال له منّي محلُّ هوًى ... يحلّ مني محلَّ السمع والبصر)
(وربَّ أمنَع منه جانباً وحِمًى ... أمسى ولكنّه مني على خَطَرِ)
(جرّدتُ منه جنودَ العزمِ فانكشفتْ ... منه غابَتُها عن تِكّة هَدَرِ)
(سبحانَ من سبّحتْه كلُّ جارحةٍ ... ما فيك من طَمحانِ الأيْرِ والنظر)
(أنت المقيم فما تعدو رواحلُه ... وأيرُه أبداً منه على سَفَرِ)
قال الصولي فحدثني أحمد بن إسحاق قال حدثني محمد بن إسحاق قال قلت لأبي تمام غلامك أطوع للحسن بن وهب من غلام الحسن لك قال أجل والله لأن غلامي يجد عنده ما لا يجده غلامه عندي
وأنا أعطي غلامه قيلا وقالا وهو يعطي غلامي ثيابا ومالا
ابن الزيات يتجسس عليه
أخبرني الصولي قال حدثني أبو الحسن الأنصاري قال حدثني أبي
وحدثني الفضل الكاتب المعروف بفتجاج
أن الحسن بن وهب كان يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات وهو وزير الواثق وكان ابن الزيات قد وقف على ما بين الحسن بن وهب وبين أبي تمام في غلاميهما فتقدم إلى بعض ولده وكانوا يجلسون عند الحسن بن وهب بأن يعلموه بخبرهما وما يكون بينهما
قال وعزم غلام أبي تمام على الحجامة فكتب إلى الحسن يعلمه بذلك ويسأله التوجيه إليه بنبيذ مطبوخ فوجه إليه بمائة دن ومائة دينار وبخلعة حسنة وبخور كثير وكتب إليه
(ليتَ شعري يا أملحَ الناسِ عندي ... هل تداويتَ بالحِجامة بَعدي)
(دفعَ اللهُ عنك لي كُلَّ سوءٍ ... باكرٍ رائحٍ وإن خنتَ عهدي)
(قد كتمتُ الهوى بمبلغِ جُهدي ... فبدا منه غيرُ ما كنتُ أبدي)
(وخلعتَ العِذارَ فليعلم الناسُ ... بأني إياك أُصفي بوُدّي)
(وليقولوا بما أحبُّوا إذا كنتَ ... وَصولاً ولم ترُعني بصدّ)
(مَنْ عذيري من مُقلتيكَ ومن إشراقِ ... وجهٍ من دون حُمرة خَدِّ)
قال ووضع الرقعة تحت مصلاه وبلغ محمد بن عبد الملك خبر الرقعة فوجه إلى الحسن فشغله بشيء من أمره وأمر من أخذ الرقعة من تحت مصلاه وجاءه بها فقرأها وكتب في ظهرها
(ليت شِعري عن ليت شِعركَ هذا ... أبِهزلٍ تقوله أم بِجِدِّ)
((فلئِن كنتَ في المقال مُحِقًّا ... يابنَ وهبٍ لقد تَغَيَّرتَ بعدي
(وتشبَّهْتَ بي وكنتُ أرى أني ... أنا العاشِقُ المتيَّم وحْدي)
(أتركُ القصدَ في الأمور ولولا ... غمراتُ الهوى لأبصرتَ رُشدي)
(وأحب الأخ المشارك في الحب ... وإن لم يكن به مثلُ وجدي)
(كنديميْ أبي عليّ وحاشا ... لنديمي مثل شِقوة وَجْدي)
صوت
(إنّ مولايَ عبد غيري ولولا ... شُؤم جَدي لكان مولايَ عَبْدي)
(سيِّدي سيدي ومولايَ من ... أوْرَثني ذِلّةً وأضرَعَ خَدِّي)
في هذين البيتين الأخيرين لحن من الرمل أظنه لجحظة أو غيره من طبقته
قال ثم وضع الرقعة في مكانها فلما قرأها الحسن قال إنا لله افتضحنا عند الوزير وحدث أبا تمام بما كان ووجه إليه بالرقعة فلقيا محمد بن عبد الملك وقالا له إنما جعلنا هذين سببا للمكاتبة بالأشعار لا للريبة فتضاحك وقال ومن يظن بكما غير هذا فكان قوله أشد عليهما من الخبر
قرأت في بعض الكتب كان الحسن بن وهب يعاشر أبا تمام عشرة متصلة فندب الحسن بن وهب للنظر في أمر بعض النواحي فتشاغل عن عشرة أبي تمام فكتب إليه أبو تمام
((قالوا جفاكَ فلا عهدٌ ولا خبرٌ ... ماذا تراه دهاه قلتُ أيلولُ
(شهرٌ كأنّ حِبالَ الهَجر منهُ فلا ... عَقدٌ من الوصل إلاَّ وهْو مَحلولُ)
فأجابه الحسن
(ما عاقَني عنكَ أيلولٌ بلذَّته ... وطيبهِ ولنعمَ الشهرُ أيلولُ)
(لكن توقّعَ وَشْكِ البينِ عن بَلدٍ ... تحتلُّه ووكاء العينِ مَحلولُ)
هجوه ابن أبي دواد والهيثم الغنوي
وقرأت فيه كان بين الحسن بن وهب وبين الهيثم الغنوي وأحمد بن أبي دواد تباعد فقال يهجوهما
(سألت أبي وكان أبي خبيراً ... بسكّان الجزيرة والسّواد)
(فقلت له أهيثمُ من غَنِيٍّ ... فقال كأحمدَ بن أبي دُواد)
(فإن يك هيثمٌ من جِذْمِ قيس ... فأحمدُ غير شكٍّ من إياد)
أخبرني عمي قال حدثني عمر بن نصر الكاتب قال
كتب الحسين بن وهب إلى محمد بن معروف الواسطي يسأله أن يصير إليه فكتب إليه محمد
(وقيتُكَ كلَّ مكروهٍ بنفسي ... وبالأدنينَ من أهلي وجِنسي)
(أتأذن في التأخُّر عنك يومي ... على أن ليس غيرُكَ لي بأُنسِ)

فأجابه الحسن بن وهب فقال
(أقِم لا زلت تُصبحُ في سرورٍ ... وفي نِعَمٍ مواصلة وتُمسِي)
(فما لي راحةٌ في حبس مَن لا ... أراهُ يكونُ محبوساً بحَبسِي)
وكان الحسن يومئذ معتقلا في مطالبة يطالب بها
كتب إلى الحسن بن إبراهيم في أمر بنات
وجدت في بعض الكتب بغير إسناد
كان الحسن بن وهب يعشق بنات جارية محمد بن حماد الكاتب وكان له معها أخبار كثيرة وكان لا يصبر عنها فقدم الحسن بن إبراهيم بن رباح من البصرة وأتصل بها خبرها ووصفها له الحسن بن وهب وصار به إليها فأتم ليلته معها ومرت بينهما أعاجيب ثم خالفه الحسن بن إبراهيم بن رباح وخاتله في أمرها فكتب إليه الحسن بن وهب
(لا جميل ولا حَسَنْ ... خُنتَ عهدي ولم أخُنْ)
(كملت إذ فعلتَ ... هذا أعاجيب الزَّمنْ)
(فإلى اللهِ أشتَكِي ... ما بقلبي من الحَزنْ)
(رُبَّ شكوى من الصديق ... إلى غير ذي شَجَنْ)
(بأبي أنتَ يا حسنْ ... يا أخا الطوْل والمِنَنْ)
(أيُّ رأيٍ أراك خَتْلِيَ ... في الشادِنِ الأغَنّْ)
(يتخطَّى إليه دُوني ... في حالِكِ الدُّجُنْ)
(فترى منه سُنَّةً ... تَتعالى عن السُّنَنْ)
(مَع كشفي لك الحديثَ ... الذي عَنكَ لم يُصَنْ)
(واعتمادِي زعمتُ مِنكَ ... على أحصنِ الجُنَنْ)
((وعلى خير صاحبٍ ... وعلى خير ما سكَنْ)
(خَجِلي من إساءةٍ ... فَضحَتْ حُسنَ كلِّ ظَنّْ)
(ثم مِمّن جرّتْ إلى ... مَن وفيمن وعند مَنْ)
(إن تكنْ تِلك هفوة ... فهي كالشيء لم يكُنْ)
(أو تكن يعتَ خُلّتِي ... بموافٍ من الثَّمنْ)
(دُرّة البحر من عدنْ ... ذُخْر سيفِ بن ذي يَزَنْ)
(لم يكن قطُّ مثلُها ... في معدٍّ ولا عَدَنْ)
كتب إلى بنات
فتغافل عن جوابه وأقام على مواصلتها وسماعها وحظر عليها فلم يكن الحسن بن وهب يلقاها فغلظ ذلك عليه وكتب إليها بهذه الأبيات
(أنكرتِ معرفتي جُعلتُ لك الفدا ... إنكارَ سيّدةٍ تُلاعبُ سيِّدا)
(أنا ذو منعْتِ جفونَه أن ترقُدا ... وتركتِه ليلَ التمام مُسهَّدا)
(وبريتِ لحمَ عِظامه فتجرَّدا ... وأزرْتِ مضجعه النساءَ العُوَّدا)
(انا ذو فإن لم تعرفيني بعدَ ذا ... فأنا ابنُ وهبٍ ذو السماحة والنَّدى)
(أشكُو إلى اللهِ الفؤاد المُقْصَدَا ... وجوًى ثَوى تحتَ الحَشَا مُتلدِّدا)
(وغريرة ما كنتُ من إشفاقها ... يوماً وإن بَعد التلاقي مُسْعِدَا)
(يا ظبيةً في روضةٍ مَوْليَّةٍ ... جادَ الربيعُ تُرابَها فتلبَّدا)
((هل تجزينَّ الوُدَّ منِّي مثلَه ... أو تَصدُقين مِن المواعِدِ موعِدَا)
(إني وإنْ جعلَ القريضُ يجولُ بي ... حتَّى يغور بما أقولُ ويُنجِدا)
(لعَلَى يقينٍ أنّ قلبَكِ مُوجَعٌ ... عندي المِثالُ أنا الحمى ولَكِ الفِدا)
(وكما علمتِ إذا لبستِ المُجْسَدا ... وثَنَيْت خَلفَ الأذْنِ حاشيةَ الرِّدا)
(وحبَوتِ جيدكِ من حُلِيِّكِ عَسْجداً ... ونظمتِ ياقوتاً به وزبَرجَدا)
(وشكوتِ وجدكِ في الغِناء شِكايةً ... يُنسِي حُنيناً والغَريض ومَعْبَدا)
(سِيَمَا إذا غَنّيتني بتعمُّدٍ ... بأبي وأمِّي ذاك منكِ تَعمُّدا)
(أثْوى فأقصرَ ليلةً ليزوّدا ... ومضى وأخلفَ من قُتيلةَ موْعِدا)
ابن رباح يكتب إليه
فوقعت الأبيات في يد ابن رباح فقرأها وعلم أنه قد بلغ منه
فكتب إليه
(فِدًى لكَ آبائي وحقَّ بأن تُفدّى ... فِدًى لك قَصداً من ملامكَ لي قَصْدا)
(ولا تَلْحَنِي في عثرة إن عثرتُها ... فلا والذي أمسيتُ أدعى له عَبدَا)
(وعهدُك يا نفسِي يقيك من الرّدى ... فأعظمْ به عندي وأكرمْ به عَهْدا)
(يمينَ امرئٍ برٍّ صَدوقٍ مُبرِّأٍ ... من الإثمِ ما حاولتُ هَزْلاً ولا جِدًّا)
(سِوى ما به أزدادُ عندكَ زُلفةً ... ويُكسبني منك المودَّة والحمْدا)
(أرى الغيِّ إن أومأت للغيِّ طاعةً ... لأمركَ فضلاً عن سِوى الغيّ لي رُشدا)
((وأسعَى لما تسعى وأتبعُ ما ترى ... وفي كلِّ ما يُرضيك أستغرِقُ الجُهدا
(إذا أنا لم أمْنَحكَ صفوَ مودّتي ... فمن ذا الذي أُصفي له غيرَك الوُدّا)
(ومن ذا الذي أرعَى وأشكُرُ والذي ... يُؤمِّل خيراً بعدُ منّي أو رِفدا)
(وأنت ثِمالي والمعوّل والذي ... أشدّ به أزري فيعصِمُني شدًّا)
(وآثرُ خلق اللهِ عندي ومن له ... أيادٍ وودٌّ لستُ أحصِيهما عدًّا)
(فلا تحسبنِّي مائلاً عن خَليقتي ... لك الدهرَ حتى أسكنَ القبرَ واللَّحْدا)

(معاذ إلهي ان أُرى لك خاذِلاً ... ولكنَّ عذري واضح أنّ بي وَجْدا)
(بأحسنِ من أبصرتُ شخصاً وصُورةً ... وأملح خلقِ الله كلِّهمُ قَدّا)
(بمالكةٍ امري وإن كنتُ مالكاً ... لها ففؤادي ليس من حبِّها يَهْدا)
(إذا سألتْني أن أُقيم عَشيَّةً ... لأونِسَها لا أستطيعُ لها رَدّا)
(تُراشِفُني صفوَ المودّة تارةً ... وأجني إذا ما شئتُ من خدّها وَردا)
(قنِعتُ بها لمَّا وثِقتُ بحبّها ... فلا زينباً أبْغي سواها ولا هِنْدا)
(ولو بُذِلَتْ لي جنّةُ الخُلد منزلاً ... وقلتَ اجتنبْها لاجتنبتُ لها الخُلْدا)
فلما قرأها الحسن بن وهب علم أنه قد ندم فكتب إليه
(حسنٌ يشكو إلى حسنٍ ... فقْدَ طَعم النوم والوَسنِ)
(وهَوًى أمستْ مَطالِبُه ... قُرِنَتْ باليأس في قَرَنِ)
(وحبيبٌ في محلَّته ... معه في الدار لمْ يَبِنِ)
((فإذا ما رَام زَورته ... فهو كالغادين في الظُّعُنِ
(عجباً للشمسِ لم تَرَها ... مُقلَتي حَولاً ولم ترني)
(أتراها بعدَنا صَرمتْ ... حبَّنا هذا من اليَمنِ)
(فقديماً كان مطلعُها ... بيدي سَيف بن ذي يزَنِ)
فكتب إليه ابن رباح
(حسنٌ يَفدي بمهجته ... حسناً من حادث الزّمنِ)
(ويَقيه ما تضمَّنه ... من دَخيل الهمِّ والحزَنِ)
(هاكَ عيني فابكِ واقيةً ... عينكَ العَبرى على الشَّجَنِ)
(وفؤادي فامْلَهُ حَزَناً ... من صُروف الهمّ والفتن)
(إن تكن شمسُ الضُّحى حُجِبت ... عن سليل المجد من يَمنِ)
(فهْي حَيرى عن مَطالعها ... في سوى قوام ابن ذي يَزَنِ)
ثم اعتذر إليه ورجع إلى معاشرته وكان لا يحضر دار محمد بن حماد ولا يسمع غناء بنات جاريته إلا مع الحسن بن وهب لا يستأثر بها عليه
وقال محمد بن داود الجراح حدثني بعض أصحابنا أن الحسن بن وهب أتى أبا إسحاق إبراهيم بن العباس مستعديا على أبي محمد الحسن بن مخلد في أمر بنات جارية محمد بن حماد وكان الحسن بن وهب يتعشقها فأفسدها عليه الحسن بن مخلد ولم يذكر محمد بن داود من خبرهما غير هذا وإنما ذكرت هذه القصة على قلة الفائدة فيها ليتضح خبره مع بنات إذ كان ما مضى ذكره من خبرها لم يقع إلي بروايته

أبو تمام يستسقيه نبيذا

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني عبد الرحمن بن أحمد قال
وجدت بخط محمد بن يزيد كتب أبو تمام إلى الحسن بن وهب يستسقيه نبيذا
(جعلتُ فِداك عبد الله عِندي ... بعقْبِ الهَجر منه والبعادِ)
(له لُمَةٌ من الكتّاب بيضٌ ... قَضوا حقَّ الزيارة والوداد)
(وأحسِبُ يومهم إن لم تجدهم ... مُصادِفُ دَعوةٍ منهم جَمادِ)
(فكم يومٍ من الصهباء سارٍ ... وآخرَ منكَ بالمعروف غادِ)
(فهذا يستهلُّ على غَليلي ... وهذا يَستهلُّ على تِلادي)
(فيسقِي ذا مَذانبَ كُلِّ عِرْق ... ويَنزِع ذا قرارةَ كُلِّ واد)
(دعوتُهم عليكَ وكنتَ مِمَّنْ ... نُعيِّنه على العُقَدِ الجيادِ)
قال فوجه إليه بمائة دينار ومائة دن نبيذا
قال محمد بن داود بن الجراح زار الحسن بن وهب وأبو تمام أبا نهشل بن حميد فبدأ أبو تمام فقال
(... أغصَّك اللهُ أبا نَهشلِ)
ثم قال للحسن أجز فقال
(... بخدِّ ريمٍ شادِنٍ أكحلِ)
ثم قال أجزيا أبا نهشل فقال
(نَطمعُ في الوصلِ فإن رمتَه ... صار معَ العيّوق في منزل)
أخبرني جعفر بن محمد بن قدامة بن زياد الكاتب قال
كتب الحسن بن وهب إلى أبي تمام وقد قدم من سفر جعلت فداءك ووقاءك وأسعدني الله بما أوفى علي من مقدمك وبلغ الوطر كل الوطر بإنضمام اليد عليك وإحاطة الملك بك وأهلا وسهلا فقرّب الله دارا قربتك وأحيا ركابا أدتك وسقى بلادا يلتقي ليلها ونهارها عليك وجعلك الله في أحصن معاقله وأيقظ محارسه وأبعدها على الحوادث مراما برحمته

رد تهمة السرقة عن أبي تمام

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى قال
قال رجل للحسن بن وهب إن أبا تمام سرق من رجل يقال له مكنف من ولد زهير بن أبي سلمى وهو رجل من أهل الجزيرة قصيدته التي يقول فيها
(كأنّ بني القعقاعِ يومَ وفاته ... نُجومُ سماءٍ خرَّ من بينها البدْرُ)
(تُوفِّيت الآمالُ بعدَ محمدٍ ... وأصبحَ في شُغْلٍ عن السَّفَرِ السفْرُ)
فقال الحسن هذا دعبل حكاه وأشاعه في الناس وقد كذب وشعر مكنف عندي ثم أخرجه وأخرج هذه القصيدة بعينها فقرأها الرجل فلم يجد فيها شيئا مما قاله أبو تمام في قصيدته ثم دخل دعبل على الحسن بن وهب فقال له يا أبا علي بلغني أنك قلت في أبي تمام كيت وكيت فهبه سرق هذه القصيدة كلها وقبلنا قولك فيه أسرق شعره كله وأتحسن أنت أن تقول كما قال

(شهدتُ لقد أقوتْ مغانيكُم بَعدي ... ومَحّتْ كما مُحَّتْ وشائعُ من بُردِ)
(وأنْجَدتُم من بَعد إتهام دَاركمْ ... فيا دمعُ أنجِدْني على ساكِني نجْدِ)
فانخزل دعبل واستحيا فقال له الحسن الندم توبة وهذا الرجل قد توفي ولعلك كنت تعاديه في الدنيا حسدا على حظه منها وقد مات الآن فحسبك من ذكره فقال له أصدقك يا أبا علي ما كان بيني وبينه شيء قط إلا أني سألته أن ينزل لي عن شي استحسنته من شعره فبخل علي به وأما الآن فأمسك عن ذكره فجعل الحسن يضحك من قوله واعترافه بما اعترف به
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا إسحاق بن محمد النخعي قال
كتب إبراهيم بن محمد بن أبي محمد اليزيدي إلى محمد بن حماد الكاتب يهجوه ويعيره بعشق الحسن بن إبراهيم بن رباح والحسن بن وهب جاريته وتغايرهما عليها
(لي خليطَان مُحكمان يُجيدان ... لِمَا يعمَلانِه حاذقانِ)
(واحد يعملُ القِسيَّ فيأتيكَ ... بها في استقامةِ الميزانِ)
(وفتًى يعمَل السكاكينَ في القَرْن ... مقرٌّ بحذقه الثَّقَلانِ)
(وهما يطلبان قَرْناً على رأسِكَ ... فانظر في بعضِ ما يسألانِ)
(قلت هلْ يُؤلم الفتى قطعُ ما ... فيه تريدان أيها الفَتيان)
(فأجابا بلُطفِ قولٍ وفَهْمٍ ... قم فإنّا إذاً لنَوْكى مَدان)
(فاقطع الآنَ ما برأسكَ منِها ... إن فيما ترى لمحضُ بيانِ)
(ذاك خيرٌ من أن يُسمّى اسمَ سوء ... فيقالُ انظُروا إلى القَرْنانِ)
صوت
(قد كان عتبُك مرَّةً مكتوما ... فاليوم أصبحَ ظاهراً معلوما)
((نال الأعادي سُؤْلَهم لاهُنِّئوا ... لمَّا رأونا ظاعناً ومُقيما
(والله لو أبصرتَني لأَذيْتَ لي ... والدمع يَجري كالجُمانِ سُجُوما)
(هبنِي أسأتُ فعادةٌ لك أن تُرى ... مُتجاوزاً مُتطاولاً مَظْلوما)
الشعر لأحمد بن يوسف الكاتب والغناء لعبيد بن الحسن الناطفي اللطفي ثاني ثقيل بالوسط وفيه خفيف رمل يقال إنه لرذاذ وفيه ثقيل أول مجهول
أخبار أحمد بن يوسف
هو أحمد بن يوسف بن صبيح الكاتب وأصله من الكوفة وكان مذهبه الرسائل والإنشاء وله رسائل معروفة وكان يتولى ديوان الرسائل للمأمون ويكنى أبا جعفر وكان موسى بن عبد الملك غلامه وخريجه فذكر محمد بن داود بن الجراح أن أحمد بن سعيد حدثه عن موسى بن عبد الملك قال وهب لي أحمد بن يوسف ألفي ألف درهم تفاريق عن ظهر يد وأخوه القاسم بن يوسف أبو محمد شاعر مليح الشعر وكان ينتمي إلى بني عجل ولم يكن أخوه أحمد يدعي ذلك وكان القاسم قد جعل وكده في مدح البهائم ومراثيها فاستغرق أكثر شعره في ذلك منها قوله يرثي شاة
(عينُ بكِّي لعنزنا السوداء ... كالعروس الأدماء يوم الجِلاء)
وقوله في الشاهمرك
((أقفرت منك أبا سَعْدٍ ... عِراص وديارُ
وقوله في السنور
(ألا قل لمُجَّةَ أو ماردة ... تبكّي على الهرَّة الصائدة)
وقوله في القمري
(هل لامرىء من أمانٍ ... من طارق الحَدَثانِ)
تبنى جارية اسمها مؤنسة
أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني رجل من ولد عبد الملك بن صالح أن الهشامي قال كان
أحمد بن يوسف قد تبنى جارية للمأمون اسمها مؤنسة فأراد المأمون أن يسافر ويحملها فكتب إليه أحمد بن يوسف بهذا الشعر على لسانها وأمر بعض المغنين فغناه به فلما سمعه وقرأ الكتاب أمر بإخراجها إليه وهو
(... قد كان عَتْبُك مرة مكتوما)
وقال محمد بن داود حدثني أحمد بن أبي خيثمة الأطروش قال عتب أحمد بن يوسف على جارية له فقال
(وعاملٍ بالفُجور يأمرُ بالبِرِّ ... كهادٍ يخُوض في الظُّلَمِ)
(أو كطبيبٍ قد شفَّه سَقمٌ ... وهو يُداوي من ذلكَ السَّقَمِ)
(يا واعظَ الناس غير متَّعظ ... نفسكَ طهِّر أوّلا فلا تلُمِ)
ووجدت في بعض الكتب بلا إسناد عتب المأمون على مؤنسة فخرج
إلى الشماسية متنزها وخلفها عند أحمد بن يوسف الكاتب فرجت أن يذكرها إذا صار في متنزهه فيرسل في حملها فلم يفعل وتمادى في عتبه فسألت أحمد بن يوسف أن يقول على لسانها شعرا ترفعه فقال
(يا سيداً فقده أغرى بيَ الحَزَنا ... لا ذقتُ بعدكَ لا نوماً ولا وسَنَا)
(لا زلتُ بعدك مَطوياً على حُرَقٍ ... أشنا المُقامَ وأشنا الأهلَ والوطَنا)
(ولا التذذتُ بكأس في مُنادمةٍ ... مذ قيل لي إن عبد الله قد ظَعَنا)
(ولا أرى حَسناً تبدوا محاسنُه ... إلاّ تذكرتُ شوقاً وجهَك الحَسَنا)
وبعثت به إلى إسحاق الموصلي فغناه به وقيل بل بعثت به إلى سندس فغنته به فاستحسن ذلك وقال لمن هذا الشعر فقال أحمد بن يوسف لمؤنسة يا سيدي تترضاك وتشكو البعد منك فركب من ساعته حتى ترضاها ورضي عنها
تحلى قينة فكتب إلى مولاها
ووجدت في هذا الكتاب قال
كنا مع أحمد بن يوسف الكاتب في مجلس وعندنا قينة فتحلاها أحمد بن يوسف فكتب إلى صاحب المنزل

(أنا رهنٌ للمنايا ... بين إبرامٍ ونَقْضِ
(من هَوى ظبيٍ غريرٍ ... مونقِ المنظرِ غَضٍّ)
(ليتها جادتْ بتقبيلٍ ... لخدَّيها وعَضٍّ)
(إن عجزتم عن شِراها ... لي بقَرْضٍ أو بقَرْضِ)
(فتمنَّوا لي جميعاً ... أنها قَبرٌ لبعْضِي)
أخبرني عمي قال حدثنا الحسن بن عليل قال ذكر مسعود بن أبي بشر أن أحمد بن يوسف دخل يوما على الفضل بن سهل أو أخيه في يوم دجن فأطال مخاطبته وكان أحمد بن يوسف آنسا به ففتح دواته وكتب إليه
صوت
(أرى غَيْماً تؤلِّفهُ جَنُوبٌ ... وأحسبُه سيأتينا بهَطْل)
(فوجْهُ الرأي أن تدعو برَطلٍ ... فتشربه وتدعُو لي برَطل)
ودفعها إليه فقرأهما وضحك وقال إن كان هذا عين الرأي قبلناه ولم نرده ثم دعا بالطعام والشراب فأتموا يومهم
الغناء في هذين البيتين للقاسم بن زرزور ثاني ثقيل بالوسطى
ومما يغنى فيه من شعره
صوت
(صدَّ عني محمدُ بنُ سعيدٍ ... أحسنَ العالمين ثانِيَ جِيدِ)
(ليس من جفوةٍ يصدُّ ولكِنْ ... يتجنّى لحُسنْه في الصُّدودِ)
الغناء فيه لزرزور خفيف رمل ذكر ذلك إبراهيم بن القاسم بن زرزور عن أبيه ومحمد بن سعيد هذا كان من أولاد الكتاب بسر من رأى وكان أحمد يتعشقه
ومن شعره الذي يغنى فيه
صوت
(كم ليلةٍ فيكَ لا صباحَ لها ... أحببتُها قابضاً على كبِدي)
(قد غصَّت العينُ بالدموع وقدْ ... وضعتُ خدِّي علىبَنانِ يَدي)
(كأنّ قلبي إذا ذكرْتُكم ... فريسةٌ بين ساعِدَيْ أسد)
الغناء لشارية من رواية طباع وفيه خفيف رمل ذكر حبش أنه لأحمد النصيبي وهو خطأ يشبه أن يكون لأحمد بن صدقة أو بعض طبقته
صوت
(الراحُ والنّدْمان أحسنُ منظراً ... في كل ملتفِّ الحدائق رائِق)
(فإذا جمعتَ صفاءه وصفاءها ... فارْجُمْ بكل مُلمة من حَالِق)
الشعر للعطوي والغناء لبنان ثقيل أول بالوسطى وفيه لذكاء وجه الرزة خفيف ثقيل
أخبار العطوي
هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ويكنى أبا عبد الرحمن بصري المولد والمنشأ
وكان شاعرا كاتبا من شعراء الدولة العباسية واتصل بأحمد بن أبي دواد وتقرب إليه بمذهبه وتقدمه فيه بقوة جداله عليه فلما توفي أحمد نقصت حاله
وله فيه مدائح يسيرة ومراث كثيرة
منها ما أنشدنيه الأخفش عن كوثرة أخي العطوي
(حَنَّطْتَه يا نصرُ بالكافورِ ... وزففتَه للمنزلِ المهجورِ)
(هلاّ ببعض خِصاله حنَّطتَه ... فيضوعُ أفقُ منازلٍ وقُبورِ)
(تاللّه لو من نشرِ أخلاقٍ له ... يُعزَى إلى التقديسِ والتطهيرِ)
(حنّطتَ من سكَنِ الثّرى وعلا الرُّبا ... لتزوِّدوه عُدّةً لنُشورِ)
(فاذهبْ كما ذهبَ الوفاءُ فإنه ... ذهبتْ به ريحاً صِباً ودبُورِ)
(واذهبْ كما ذهبَ الشبابُ فإنه ... قد كان خيرَ مُصاحِبٍ وعَشيرِ)
(واللّه ما أبّنتُه لأزيدَه ... شرَفاً ولكن نفثةُ المَصدورِ)
وأنشدني الأخفش للعطوي أيضا يرثي أحمد بن أبي دواد قال
(وليس صَريرُ النمش ما تسمعونَه ... ولكنه أصلابُ قومٍ تقَصَّفُ)
(وليسَ نسيمُ المسكِ ريّا حَنُوطِه ... ولكنّه ذاكَ الثناءُ المُخَلَّفُ)
فاق جميع نظرائه
وذكر محمد بن داود في كتاب الشعراء فقال كان له فن من الشعر لم يسبق إليه ذهب فيه إلى مذهب أصحاب الكلام ففاق جميع نظرائه وخف شعره على كل لسان وروي واستعمله الكتاب واحتذوا معانيه وجعلوه إماما
قال ابن داود وحدثني المبرد قال كان العطوي وهو عندنا بالبصرة لا ينطق بالشعر ثم ورد علينا شعره لما صار إلى سر من رأى وكنا نتهاداه وكان مقترا عليه رزقه دفرا وسخا منهوما بالنبيذ وله فيه في وصف الصبوح وذكر الندامى والمجالس أحسن قول وليس له قول يسقط فمن ذلك قوله
(فِيئي إلى أهدى السُّبلْ ... قولاً وعلماً وعَمَلْ)
(قاتلها اللّه لقدْ ... سامتكُما إحدى العُضَل)
(تقول هلا رحلَة ... تنقُلُنا خيرَ نُقَل)
(أخشى على جائلةِ الآمالِ ... جوّالَ الأجَلْ)
يأخذ قولا لعمر بن الخطاب ويحوله إلى شعر
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد قال سمع العطوي رجلا يحدث أن رجلا قال لعمر بن الخطاب إن فلانا قد

جمع مالا فقال عمر بن الخطاب فهل جمع له أياما فأخذ العطوي هذا المعنى فقال
(أرفِهْ بعيش فتىً يغدو على ثِقَةٍ ... إنّ الذي قسم الأرزاقَ يرزُقُهُ)
(فالعِرضُ منه مصونٌ لا يُدنِّسه ... والوجه منه جَديد ليس يخلُقه)
(جمعتَ مالاً ففكِّرْ هل جمعتَ له ... يا جامعَ المال أياماً تُفَرِّقه)
(المال عندكَ مخزونٌ لوارثه ... ما المالُ مالُك إلا حين تُنفِقه)
ومن قوله في الندمان والنبيذ مما يغني فيه ما أنشدنيه الأخفش وغيره من شيوخنا
صوت
(فكم قالوا تمنَّ فقلتُ كاسٌ ... يطوفُ بها قضيبٌ في كثيبِ)
(ونَدْمانٌ تُساقطُني حديثاً ... كلحظ الحِبِّ أو غضِّ الرقيبِ)
الغناء في هذين البيتين لذكاء وجه الرزة خفيف رمل
يكتب لعلوي يستقيه نبيذا
أخبرني عمي قال حدثني كوثرة أخو العطوي قال
كان أخي أبو عبد الرحمن يشرب مع أصدقاء له من الكتاب ومعهم قينة يقال لها مصباح من أحسن الناس وجها وأطيبهم غناء فما زالوا في قصف وعزف إلى أن انقطع نبيذهم فبقوا حيارى وكانوا قريباً من منزل أبي العباس أحمد بن الحسين بن موسى بن جعفر بن محمد العلوي وكان صديقا لأبي عبد الرحمن فكتب إليه
(يابنَ مَن طابَ في المواليد مذ ... آدم جَرًّا إلى الحُسين أبيه
(أنا بالقرب منكَ عندَ كريم ... قد ألحّتْ عليه شُهبُ سِنيه)
(عندَه قينةٌ إذا ما تغنّتْ ... عاد مِنّا الفقيهُ غيرَ فَقِيه)
(تزدهيني وأينَ مثلي في الفهم ... تُغنّيه ثم لا تَزدهيه)
(مجلسٌ كالرياض حُسناً ولكنْ ... ليس قطبُ السرور واللهو فيه)
(... فأقمه بما به يمتري دن عجوز خمارة ممتريه)
(وبأشياخِك الكرام إلى السُّؤْدَد ... موسى بن جعفرٍ وأبيه)
(إن تَحشَّمْتَني وإن كان إلاّ ... مثلَ ما يأنس الفَتى بأخيه)
قال فلما وصلت الرقعة إلى أبي العباس أرسل إليهم براوية شراب فلم يزالوا يشربون مجتمعين حتى نفدت في أخفض عيش
حدثني أبو يعقوب إسحاق بن الضحاك بن الخصيب الكاتب قال
جاءني يوما أبو عبد الرحمن العطوي بعد وفاة عمي أحمد بن الخصيب بسنتين وكان صديقه وصنيعته فجلس عندي يحادثني حديثه ويبكي ساعة طويلة ثم تغيمت السماء وهطلت فسألته أن يقيم عندي فحلف ألا يفعل إلا بعد أن أحضره من وقتي ما راج من الطعام ولا أتكلف له شيئا ففعلت وجئته بما حضر فقال لي ما فعلت عقد قلت باقية وهي في يومنا هذا مقيمة عندي والساعة تسمع غناءها فقال لي عجل إذن فإن النهار قصير ثم أنشأ يقول
(أدر الكأسَ قد تعالى النّهارُ ... ما يُميتُ الهمومَ إلا العُقارُ)
(صاحِ هذا الشتاء فاغدُ عليها ... إنّ أيامه لِذاذٌ قِصار
(أيّ شيءٍ ألذ من يوم دَجْنٍ ... فيه كأس على النّدامى تُدَارُ)
(وقيانٌ كأنهنَّ ظِباءٌ ... فإذا قُلْنَ قالتِ الأوتارُ)
وصف مجلس في يوم رذاذ
حدثني عمي قال حدثني كوثرة قال
كان لأبي عبد الرحمن صديق من الأدباء وكان يتعشق جارية من جواري القيان يقال لها عثعث وكان لا يقدر عليها إلا على لقاء عسير واجتماع يسير فأرسل إليها يوما فأحضرها وأصلح جميع ما يحتاج إليه واتفق أن كان ذلك في يوم رذاذ به من الطيب والحسن ما الله به عليم فكتب إلى صديقه يعرفه الخبر ويسأله المصير إليه ووصف له القصة بشعر فقال
(يومٌ مطيرٌ وعيش نضيرُ ... وكأسٌ تدورُ وقِدرٌ تفورُ)
(وعثعثُ تأتي إذا جئتَنا ... فتسمع منها غناء يَصورُ)
(وعندي وعندكَ ما تشتَهيه ... شعرٌ يمرُّ وعِلمٌ يدورُ)
(وإذا كان هذا كما قد وصفتُ ... فإن التفرقَّ خطبٌ كبيرٌ)
(فقم نصطبِحْ قبل فوتِ الزَّمانِ ... فإنّ زمانَ التلهّي قصيرُ)
قال فسار إليه صاحبه فمر لهما أحسن يوم وأطيبه
وهذا الشعر أخذه العطوي من كلام إسحاق أخبرني به وسواسة بن الموصلي عن حماد عن أبيه قال كان يألفني بعض الأعراب وكان طيبا فجاءني يوما فقلت له لم أرك أمس فقال دعاني صديق لي فقلت صف لي ما كنتم فيه فقال لي كنا في مجلس نظامه سرور بين قدور تفور وكأس
تدور وغناء يصور وحديث لا يجور وندامى كأنهم البدور
قال إسحاق وقلت لأعرابي كان يألفني أين كنت بالأمس قال كنت عند بعض ملوك سر من رأى فأدخلني إلى قبة كإيوان كسرى وأطعمني في قصاع تترى وغنتني جارية سكرى تلعب بالمضراب كأنه مدرى فيا ليتني لقيتها مرة أخرى
قال إسحاق وقلت لبعض الأعراب طلبتك أمس فلم أجدك فأين كنت قال كنت عند صديق لي فأطعمني بنات التنانير وأطعمني أمهات الأبازير وحلواء الطناجير وسقاني زعاف القوارير وأسمعني غناء الشادن الغرير على العيدان والطنابير قد ملكت بأوقار الدراهم والدنانير
صديق يهدي إليه جواري ونبيذا
قرأت في بعض الكتب بغير إسناد أن العطوي كان يوما جالسا في منزله وطرقه صديق له ممن كان يغني بسر من رأى فقال له قد أهديت إليك جواري اليوم ونبيذا يكفيك وحسبك بالكفاية
وأقام عنده فدخل عليه غلام أمرد أحسن من القمر فاحتبسوه وكتب العطوي إلى صديق له من أهل الأدب
(يومنا طيّب به حسن القَصْف ... وحثُّ الأرطال والكاساتِ)

((ما ترى البرقَ كيف يلمعُ فيه ... ورشاشاً يبُلُّ في الساعات
(ولديْنا ظبيٌ غريرٌ ظَريفٌ ... قد غَنِينا به عَنِ القَيْنَاتِ)
(إن تخلّفت بعد ما تصلُ الرّقعةُ ... عَنّا فأنتَ في الأموات)
فأجابه الرجل فقال
(أنا في إثر رُقعتي فاعلمَنْ ذَاكَ ... على أنَّني من البُيّات)
(فافهم الشرطَ بيننا لا تقل لي ... قد تثاقَلْت فانصرفْ بحياتي)
(لا لسوء لكن لأمتعَ نفسي ... بحديثِ الظبيِ الغرير المواتِي)
صوت
(أيا بيتَ ليلَى إنَّ ليلى مريضةٌ ... بِراذان لا خالٌ لديْها ولا ابنُ عمّ)
(ويا بيتَ ليلى لو شَهِدتك أعولَتْ ... عليكَ رجالٌ من فَصيح ومن عَجَمْ)
(ويا بيت ليلَى لا يَبِستَ ولا تزَل ... بلادُك سُقياها من الواكِفِ الدِّيم)
الشعر لمرّة بن عبد الله النهدي والغناء لأحمد النصيبي ثقيل أول بالوسطى يقال إنه لحنين
أخبار مرة ونسبه
هو مرة بن عبد الله بن هليل بن يسار أحد بني هلال بن عصم بن نصر بن مازن بن خزيمة بن نهد وليلى هذه من رهطه يقال لها ليلى بنت زهير بن يزيد بن خالد بن عمرو بن سلمة
هجا رجلا من بني نهشل لأنه خطب ليلى عشيقته
نسخت خبرها من كتاب ابن أبي السري قال حدثني ابن الكلبي عن أبيه قال
كانت امرأة من بني نهد يقال لها ليلى بنت زهير بن يزيد وكان لها ابن عم يقال له مرة بن عبد الله بن هليل يهواها واشتد شغفه بها فخطبها وأبوا أن يزوجوه وكان لا يخطبها غيره إلا هجاه فخطبها رجل من بني نهشل يقال له إران فقال مرة يهجوه
(وما كنتُ أخشَى أن تصيرَ بمَرَّةٍ ... من الدّهر ليلى زوجةً لإران)
(لمن ليس ذا لُبٍّ ولا ذا حفيظةٍ ... لعِرس ولا ذا منطِق وبَيانِ)
(لقد بُلِيتْ ليلى بشرِّ بليَّةٍ ... وقد أُنزلتْ ليلى بدار هَوانِ)
قال فتزوجها المنجاب بن عبد الله بن مسروق بن سلمة بن سعد من بني زوي بن مالك بن نهد فخرج إلى البعث براذان وهي إذا ذاك مسلحة لأهل الكوفة فخرج بها معه فماتت براذان ودفنت هناك
فقدم رجلان من بجيلة من مكتبهما براذان من بني نهد وكانت بجيلة جيران بني نهد بالكوفة فمرا على مجلسهم فسألوهما عمن براذان من بني نهد فأخبراهم بسلامتهم ونعيا إليهم ليلى ومرة في القوم فأنشأ يقول
(أيا ناعِيَيْ ليلَى أما كان واحدٌ ... من الناس ينعاها إليّ سواكما)
(ويا ناعييْ ليلى ألم نك جيرَة ... عليكم لها حقٌّ فألاّ نَهاكما)
(ويا ناعييْ ليلى لقد هجتُما لنا ... تجاوبَ نَوْحٍ في الديار كلاكما)
(ويا ناعيي ليلى لجلَّتْ مُصيبةٌ ... بنا فقدُ ليلي لا أُمِرَّت قواكما)
(ولا عِشتما إلا حليفَيْ بَلِيَّةٍ ... ولا مِتُّ حتى يُشترى كَفناكما)
(فأشْمَتَ والأيام فيها بوائِقُ ... بموتِكما إني أُحِبُّ رَداكما)
وقال فيها أيضا
(كأنك لم تُفجَع بشَيْءٍ تعدُّه ... ولم تصطبرْ للنائبات من الدهر)
(ولم تر بؤساً بعد طول غضارةٍ ... ولم ترمِكَ الأيامُ من حيثُ لا تدري)
(سقى جانبَيْ راذَان والساحةَ التي ... بها دَفَنوا ليلى مُلِثٌّ من القَطر)
(ولا زال خِصْبٌ حيث حلّتْ عظامها ... براذَانَ يُسقَى الغيث من هَطِلٍ غَمْر)
(وإن لم تكلمنا عظام وهامَةٌ ... هناك وأصداء بَقِينَ مع الصخر)
وقال فيها
((يا قبرَ ليلى لا يَبِستَ ولا تَزَلْ ... بلادُكِ تَسقيها من الواكِفِ الدِّيمْ
(ويا قبر لَيلى غُيِّبَتْ عنك أُمها ... وخالَتُها والناصحون ذَوو الذِّمم)
(ويا قبر ليلى كم جمالٍ تُكِنُّه ... وكم ضمَّ فيكَ من عَفافٍ ومن كرم)
وساق باقي الأبيات التي فيها الغناء
وحكى الهيثم بن عدي عن شيخ من بني نهد
أن مرة كان تزوجها وكان مكتبه براذان وأخرجها معه ثم ضرب عليه البعث إلى خراسان فخلفها عند شيخ من أهل منزله هناك وأفرد لها الشيخ دارا كانت فيها ومضى لبعثه ثم قدم بعد حول فلقي فتى من أهل راذان قبل وصوله إلى دارها فسأله عنها فقال أترى القبر الذي بفناء الدار قال نعم قال هو والله قبرها فجاء فأكب عليه يبكي ويندبها وترك مكتبه ولزم قبرها يغدو ويروح إليه حتى لحق بها
صوت
(بأبي أنتَ يابن مَن ... لا أُسمِّي لبعضِ ما)
(يا شبيهَ الهِلالِ مثلُك ... في الأُفقِ أنجُما)
(راقبِ اللّه في ... أسيرك إن كنت مُسْلِما)
الشعر لعلي بن أمية والغناء لعمر الميداني رمل مطلق
أخبار علي بن أمية
علي بن أمية بن أبي أمية وكان أبوه يكتب للمهدي على ديوان بيت المال وديواني الرسائل والخاتم وكان منقطعا إلى إبراهيم بن المهدي وإلى الفضل بن الربيع وقد تقدم خبر أخيه محمد في مواضع من هذا الكتاب
يخاطب الأطلال
فحدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني محمد بن علي بن أمية

قال لما قدم علي بن أمية وقال

صوت

(يا ريحُ ما تصنعينَ بالدِّمَنِ ... كم لك من محو منظَرٍ حَسَنِ)
(محوتِ آثارنا وأحدثتِ ... آثاراً بربْعِ الحبيب لم تكنِ)
((إن تك يا ربعُ قد بَليتَ من ... الرِّيح فإني بالٍ من الحَزَنِ
(قد كان يا ربعُ فيك لي سَكَنٌ ... فصرت إذ بانَ بعده سَكَنِي)
(شبَّهتُ ما أبلتِ الرياحُ مِن ... آثار حبيبي الَّنأى بلا بَدَنِ)
(يا ريحُ لا تطمِسي الرموسَ ولا ... تمحِي رسومَ الديار والدمّنِ)
(حاشاك يا ريح أن تكونَ على ... العاشق عوناً لحادث الزَّمنِ)

أبو موسى الأعمى يندم على شعر قاله

كثر الناس فيه وغناه عمرو الغزال فقال أبو موسى الأعمى
(يا ربِّ خُذني وخذ عَلِيَّا وخُذْ ... يا ريح ما تصنعين بالدِّمَنِ)
(عَجِّل إلى النار بالثلاثة والرابع ... عمرو الغَزَال في قَرَنِ)

ثم ندم وقال هؤلاء أهل بيت وهم إخوتي ولا أحب أن أنشب بيني وبينهم عداوة وشرا فأتى أمية فقال إني قد أذنبت فيما بيني وبينكم ذنبا وقد جئتك مستجيرا بك من فتيانك فدعا بعلي بن أمية فقال يا هذا عمك أبو موسى قد أتاك معتذرا من الشعر الذي قاله قال وما هو فأنشده فقال قد ضجرنا نحن والله منه كما ضجرت أنت وأكثر وأنت آمن من أن يكون منا جواب وأتى محمد بن أمية فقال له مثل ذلك ومضى أبو موسى فأخذ علي بن أمية رقعة فكتب فيها
(كم شاعرٍ عند نفسه فَطِنِ ... ليس لدينا بالشاعر الفَطِنِ)
(قد أخْرَجَتْ نفسَه بغُصّتها ... يا ريحُ ما تصنعين بالدِّمنِ)

ودفع الرقعة إلى غلام له وقال ادفعها إلى غلام أبي موسى وقل له يقول لك مولاك اذكرني بهذا إذا انصرفت إلى المنزل فلما انصرف إلى المنزل أتاه غلامه بالرقعة فقال ما هذه فقال التي بعثت بها إلي فقال

والله ما بعثت إليك رقعة وأظن الفاسق قد فعلها ثم دعا ابنه فقرأها عليه فلما سمع ما فيها قال يا غلام لا تنزع عن البغلة فرجع إلى علي بن أمية فقال نشدتك الله أن تزيد على ما كان فقال له أنت آمن

لحن عمرو الغزال في أبيات علي بن أمية رمل بالوسطى

وقال يوسف بن إبراهيم حدثني إبراهيم بن المهدي قال حدثني محمد بن أيوب المكي

أنه كان في خدمة عبيد الله بن جعفر بن المنصور وكان مستخفا لعمرو الغزال محبا له وكان عمرو يستحق ذلك بكل شيء إلا ما يدعيه ويتحقق به من صناعة الغناء وكان ظريفا أديبا نظيف الوجه واللباس معه كل ما يحتاج إليه من آلة الفتوة وكان صالح الغناء ما وقف بحيث يستحق ولم يدع ما يستحقه وأنه كان عند نفسه نظير ابن جامع وإبراهيم وطبقتهما لا يرى لهم عليه فضلا ولا يشك في أن صنعتهم مثل صنعته وكان عبيد الله قليل الفهم بالصناعة فكان يظن أنه قد ظفر منه بكنز من الكنوز فكان أحظى الناس عنده من استحسن غناء عمرو الغزال وصنعته ولم يكن في ندمائه من يفهم هذا ثم استزار عبيد الله بن جعفر أخاه عيسى وكان أفهم منه فقلت له استعن برأي أخيك في عمرو الغزال إنه أفهم منك وكانت أم جعفر كثيرا ما تسأل الرشيد تحويل أخيها عبيد الله وتقديمه والتنويه به فكان عيسى أخوه يعرف الرشيد أنه ضعيف عاجز لا يستحق ذلك فلما زاره عيسى أسمعه غناء عمرو

فسمع منه سخنة عين فأظهر من السرور والطرب أمرا عظيما ليزيد بذلك عبيد الله بصيرة فيه ويجعله عيسى سببا قويا يشهد عند الرشيد بضعف عقله وعلمت ما أراد وعرفت أن عمرا الغزال أول داخل على الرشيد فلما كان وقت العصر من اليوم الثاني لم نشعر إلا برسول الرشيد قد جاء يطلب عمرا الغزال فوجه إليه وأقبل يلومني ويقول ما أظنك إلا قد فرقت بيني وبين عمرو وكنت غنيا عن الجمع بينه وبين عيسى واتفق أن غنى عمرو الرشيد في هذا الشعر صنعته
(يا ريح ما تصنعين بالدِّمنِ ... كم لك من محو منظرٍ حسنِ)

وكان صوتا خفيفا مليحا فأطربه ووصله بألف دينار وصار في عداد مغني الرشيد إلا أنه كان يلازم عبيد الله إذا لم يكن له نوبة فأقبلت أتعجب من ذلك واتصلت خدمته إياه ثلاث سنين ثم انصرفا يوما من الشماسية مع عبيد الله بن جعفر فلقيه الخضر بن جبريل وكان في الناس في العسكر فعاتبه عبيد الله على تركه وانقطاعه عنه فقال والله ما أفعل ذلك جهلا بحقك ولا إخلالا بواجبك ولكنا في طريقين متباينين لا يمكن معهما الإجتماع

قال وما هما ويحك قال أنت على نهاية السرف في محبة عمرو الغزال وأنا على نهاية السرف في بغضه وأنت تتوهم أنه لا يطيب لك عيش إلا به وأنا أتوهم أني إن عاشرته ساعة مت وتقطعت نفسي غيظا وكمدا وما يستقيم مع هذا بيننا عشرة أبدا فقال له عبيد الله إذا كان هذا هكذا فأنا أعفيك منه إذا زرتني فصر إلي آمنا ولم يجلس عبيد الله حتى قال لحاجبه لا تدخل اليوم أحدا ولا تستأذن علي لجلوسه ودخلنا فلما وضعت المائدة لم يأكل ثلاث لقم حتى دخل الحاجب فوقف بين يديه وأقبل عمرو الغزال خلفه فرآه من أقصى

الصحن فقال له عبيد الله ثكلتك أمك ألم أقل لك لا تدخل علي أحدا من خلق الله فقال له الحاجب امرأته طالق ثلاثا إن كان عنده أن عمرا عندك في هذا المجرى ولو جاء جبريل وميكائيل وكل من خلق الله لم يدخلوا عليك إلا بإذن سوى عمرو فإنك أمرتني أن آذن له خاصة وأن يدخل متى شاء وعلى كل حال

قال ولم يفرغ الحاجب من كلامه حتى دخل عمرو فجلس على المائدة وتغير وجه الخضر وبانت الكراهة فيه فما أكل أكلا فيه خبز وتبين عبيد الله ذلك ورفعت المائدة وقدم النبيذ فجعل الخضر يشرب شرابا كثيرا لم أكن أعهده يشرب مثله فظننت أنه يريد بذلك أن يستتر من عمرو الغزال وعمرو يتغنى فلا يقتصر وكلما تغنى قال له عبيد الله لمن هذا الصوت يا حبيبي فيقول لي وعندنا يومئذ جوار مطربات محسنات وهو يقطع غناءهن بغنائه وتبينت في وجه الخضر العربدة إلى أن قال عمرو بعقب صوت هذا لي فوثب الخضر وكشف استه وخري في وسط المجلس على بساط خز لم أر لأحد مثله ثم قال إن كان هذا الغناء لك فهذا الخراء لي فغضب عبيد الله وقال له يا خضر أكنت تستطيع أن تفعل أكثر من هذا قال أي والله أيها الأمير ثم وضع رجليه على سلحه ثم أخرجهما فمشى على البساط مقبلا ومدبرا حتى خرج وقد لوثه وهو يقول هذا كله لي وتفرقنا عن المجلس على أقبح حال وأسوئها وشاع الخبر حتى بلغ الرشيد فضحك حتى غلب عليه ودعا الخضر وجعله من ندمائه منذ يومئذ وقال هذا أطيب خلق الله وانكشف عنده عوار عمرو الغزال واسترحنا منه وأمر أن

يحجب عنه فسقط يومئذ وقد كان الجواري والغلمان أخذوه ولهجوا به وكان الرشيد يكايد به إبراهيم الموصلي وابن جامع
قبل ذلك فسقط غناؤه أيضا منذ يومئذ فما ذكر منه حرف
بعد ذلك اليوم إلا صنعته في
(... يا ريحُ ما تصنعين بالدِّمَنِ)
ولولا إعجاب الرشيد به لسقط أيضا

وصف مجلس لهو

حدثني الحسن بن علي عن محمد بن القاسم عن أبي هفان قال كنا في مجلس وعندنا قينة تغنينا وصاحب البيت يهواها فجعلت تكايده وتومىء إلى غيره بالمزح والتجميش وتغيظه بجهدها وهو يكاد يموت قلقا وهما وتنغص عليه يومه ولجت في أمرها ثم سقط المضراب عن يدها فأكبت على الأرض لتأخذه فضرطت ضرطة سمعها جميع من حضر وخجلت فلم تدر ما تقول فأقبلت على عشيقها فقال أيش تشتهي أن أغني لك فقال غني
(... يا ريحُ ما تصنعين بالدِّمَنِ)
فخجلت وضحك القوم وصاحب الدار حتى أفرطوا فبكت وقامت من المجلس وقالت أنتم والله قوم سفل ولعنة الله على من يعاشركم وغضبت وخرجت وكان علم الله سبب القطيعة بينهما وسلو ذلك الرجل عنها
أخبرني ابن عمار وعمي والحسن بن علي قالوا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا الحسين بن الضحاك قال كنت في مجلس قد دعينا إليه ومعنا علي بن أمية فعلقت نفسه بقينة دعيت لنا يومئذ فأقبل عليها فقال لها أتغنين قوله
((خبريني مَنِ الرسولُ إليكِ ... واجعليه مَن لا ينمُّ عليكِ
(وأشيري إليَّ من هو باللحظ ... ليَخفَى على الذين لَديكِ)
فقالت نعم وغنته لوقتها وزادت فيه هذا البيت فقال
(وأقلِّي المُزاحَ في المجلس اليومَ ... فإن المُزاح بين يديكِ)
ففطن لما أرادت وسر بذلك ثم أقبلت على خادم واقف فقالت له يا مسرور اسقني فسقاها وفطن ابن أمية أنها أرادت أن تعلمه أن مسرورا هو الرسول فخاطبه فوجده كما يريد وما زال ذلك الخادم يتردد في الرسائل بينهما

أخبار عمر الميداني

هو رجل من أهل بغداد كان ينزل الميدان فعرف به وكان لا يفارق محمدا وعليا ابني أمية وأبا حشيشة ينادمهم ويغني في أشعارهم وكان منزله قريبا منهم وهو أحد المحسنين المتقدمين في الصنعة والأداء
حدثني جحظة قال
سمعت ابن دقاق في منزل أبي العبيس بن حمدون يقول سمعت أبا حشيشة والمسدود ومن قبلهما من الطنبوريين فما سمعت منهم أصح غناء ولا أكثر تصرفا من عمر الميداني

إسحاق بن إبراهيم يطلب منه أن يغني بصوته

حدثني جحظة قال حدثني علي بن أمية قال
دخلت يوما على عمر الميداني وكان له بقال على باب داره ينادمه ولا يفارقه ويقارضه إذا أعسر ويتصرف في حوائجه فإذا حصلت له دراهم دفعها إليه يقبض منها ما رأى لا يسأله عن شيء فوجدت عنده يومئذ هذا البقال فقال لنا عمر معي أربعة دراهم تعطوني منها لعلف حماري درهما والثلاثة لكم فكلوا بها ما أحببتم
وعندي نبيذ وأنا أغنيكم والبقال يحضرنا
من الأبقال اليابسة ما في حانوته
فوجهنا بالبقال
فاشترى لنا بدرهم لحما
وبدرهم خبزا
وبدرهم فاكهة وريحانا
وجاءنا من حانوته بحوائج السكباج ونقل
فبينا نحن نتوقع الفراغ من القدر إذا بفرانق يدق الباب
فأدخله عمر فقال له أجب الأمير إسحاق بن إبراهيم
فحلف علينا عمر بالطلاق ألا نبرح ومضى هو وأكلنا السكباج وشربنا وانصرف عشاء
وبكر إلي رسوله في السحر أن صر إلي فصرت إليه فقلت أعطني خبرك من النعل إلى النعل
قال دخلت فوضعت بين يدي مائدة كأنها جزعة يمانية قد فرشت في عراصها الحبر فأكلت وسقيت رطلين ودفع إلي طنبور
فدخلت إلى إسحاق فوجدته في الصدر جالسا وخلفه ستارة
عن يمينه مخارق وعن يساره علويه
فقال لي أنت عمر الميداني فقلت نعم فقال أأكلت فقلت نعم قال ها هنا أو في منزلك فقلت بل ها هنا قال أحسنت فغن بصوتك الذي صنعته في
(... يا شبيه الهلال كُلِّل في الأفْق أنجُما)
وهو رمل مطلق فغنيته فضرب الستارة
وقال قولوه أنتم فقالوه فقال لمخارق وعلويه كيف تسمعان فقالا هذا والله ذا
وذا ذاك فرددته مرارا
وشرب عليه
وقال لي أنا اليوم على خلوة ولك علي دعوات فانصرف اليوم بسلام
فخرجت ودفع إلي الغلام خمسة آلاف درهم
فهي هذه والله لا
استأثرت عليكم منها بدرهم
فلم نزل عنده نقصف حتى نفدت

صوت
(أمينَ الخالق الباري ... وراعي كلِّ مخلوقِ)
(أدِرْ راحَك في المعشوق ... من راحة معشوقِ)
الشعر لأبي أيوب سليمان بن وهب
والغناء للقاسم بن زرزور ثقيل أول بالبنصر من جامع غنائه المأخوذ عن أبيه أبي القاسم عبيد الله بن القاسم
أخبار سليمان بن وهب وجمل من أحاديث
تصلح لهذا الكتاب
قد تقدم نسبه في أخبار الحسن بن وهب أخيه وانتماؤه في بني الحارث بن كعب
وأن أصلهم من قرية يقال لها سار قرمقا من طسوج خسر وسابور من سواد واسط وكان سليمان بن وهب ينكر الإنتساب إلى الحارث بن كعب على أخيه الحسن وعلى أبنه أبي الفضل أحمد بن سليمان بن وهب لشدة تعلقهما به أخبرني بذلك محمد بن يحيى وغيره من شيوخنا ومن مشيخة الكتاب
أخبرني الصولي قال حدثني الحسن بن يحيى وعون بن محمد الكندي أن جعفر بن محمد كان وزير المهتدي في أول أمره فبلغه عنه تشيع فكرهه وقال هذا رافضي لا حاجة لي فيه واستوزر جعفر بن محمد بن عمار فلم يزل على وزارته حتى مضت سنة من خلافة المهتدي ثم قدم موسى بن بغا من الجبل وكاتبه سليمان بن وهب وابنه عبيد الله فاستوزر المهتدي سليمان بن وهب ولقب الوزير حقا لأن من كان قبله كان غير مستحق للوزارة ولا مستقل بها
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الحسن بن يحيى بن الجماز قال
لما استوزر سليمان بن وهب جلس للناس فدخل عليه شاعر يقال له هارون بن محمد البالسي فذكر مظلمة له ببلده ثم أنشده
(زيدَ في قدرك العليِّ علوٌّ ... يابن وهبٍ من كاتبٍ ووزيرِ)
(أسفَرَ الشرقُ منك والغربُ عن ضوءٍ ... من العدل فاق ضوءَ البدورِ)
(أنشِرَ الناسُ غيثُكمْ بعدما كانوا ... رُفاتاً من قبلِ يومِ النّشورِ)
(شرَّدَ الجورَ عدلُكم فسرحْنا ... بينكم بين روْضةٍ وسرورِ)
(أنت عَيْن الإمامِ والقِرْمِ موسى ... بك تفترّ عابساتُ الأمورِ)
فوقع في ظلماته بما أراد ووصله بمائتي دينار
يزيد المهلبي يمدحه فيقضي له حوائجه
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن الخصيب قال لعهدي بيزيد بن محمد المهلبي عند سليمان بن وهب بعد ما استوزره المهتدي وقد أجلسه إلى جانبه وهو ينشده قوله
(وهبتم لنا يا آلَ وهبٍ مودّةً ... فأبقت لنا جاهاً ومجداً يؤثَّلُ)
(فَمن كان للآثامِ والذلِّ أرضُه ... فأرضُكُم للأجْرِ والعزِّ منزلُ)
(رأى الناسَ فوقَ المجدِ مقدارَ مجدِكم ... فقد سألوكم فوقَ ما كانَ يُسْأَلُ)
(يقصِّرُ عن مسعاكمُ كلُّ آخرٍ ... وما فاتكم ممّن تقدَّمَ أولُ)
(بلغتُ الذي قد كنتُ أمّلتُه لكم ... وإن كنتُ لم أبلغْ بكم ما أُؤمّلُ)
فقطع عليه سليمان الإنشاد وقال له يا أبا خالد فأنت والله عندي كما
قال عمارة بن عقيل لإبنه
(أُقهقهُ مسروراً إذا أبتَ سالماً ... وأبكي من الإشْفاق حين تغيبُ)
فقال له يزيد فيسمع مني الوزير آخر الشعر لا أوله وتمم فقال
(وماليَ حق واجبٌ غيرَ أنّني ... بجِودكُم في حاجتي أتوسَّلُ)
(وأنّكُم أفضلتُم وبَررتُمْ ... وقد يستَتِمُّ النّعمةَ المتفضِّلُ)
(وأوليتُم فِعلاً جميلاً مقدَّماً ... فعودوا فإن العَوْدَ بالحرِّ أجملُ)
(وكم مُحلفٍ قد نال ما رامَ منكمُ ... ويمنعنا من مثلِ ذاكَ التجمُّلُ)
(وعوّدتمونا قبلَ أن نسألَ الغِنى ... ولا بذلَ للمعروف والوجهُ يُبذَلُ)
فقال له سليمان لا تبرح والله إلا بقضاء حوائجك كائنة ما كانت ولو لم أستفد من كتبة أمير المؤمنين إلا شكرك لرأيت جنابي بذلك ممرعا وغرسي مثمرا ثم وقع له في رقاع كثيرة كانت بين يديه
أخبرني محمد قال حدثنا الحزنبل قال لما ولي المهتدي سليمان بن وهب وزارته قام إليه رجل من ذوي حرفته فقال أنا أعز الله الوزير خادمك المؤمل دولتك السعيد بأيامك المطوي القلب على ودك المنشور اللسان بمدحك المرتهن بشكر نعمتك وقد قال الشاعر
(وفَّيْتُ كلَّ أديبٍ ودَّني ثَمناً ... إلا المؤمِّلَ دَولاتي وأيَّامي)
(فإنني ضامنٌ ألاّ أكافئه ... إلا بتسويغه فَضْلي وإنعامي)
وإني لكما قال القيسي ما زلت أمتطي النهار إليك وأستدل بفضلك عليك حتى إذا جنني الليل فقبض البصر ومحا الأثر أقام بدني وسافر أملي والإجتهاد عذر وإذا بلغتك فهو مرادي فقط
فقال له سليمان لا عليك فإني عارف بوسيلتك محتاج إلى كفايتك ولست أؤخر عن أمري النظر في أمرك وتوليتك ما يحسن أثره عليك
وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه قال ما رأيت أظرف من سليمان بن وهب ولا أحسن أدبا خرجنا نتلقاه عند قدومه من الجبل مع موسى بن بغا فقال لي هات الآن يا أبا الحسن حدثني بعجائبكم بعدي وما أظنك تحدثني بأعجب من خبر ضرطة أبي وهب بحضرة القاضي وما سير من خبرها وما قيل فيها حتى قيل
(ومن العجائب أنها بشهادة ... القاضي فليس يُزيلُها الإنكارُ)
وجعل يضحك
اعترافه بفضل ابن ثوابة
قال علي بن الحسين الأصبهاني حضرت أبا عبد الله الباقطاني وهو يتقلد ديوان المشرق وقد تقلد ابن أبي السلاسل

ماسبذان ومهرجان قذف وجاءه يأخذ كتبه فجعل يوصيه كما يوصي أصحاب الدواوين العمال فقال ابن أبي السلاسل كأنك استكثرت لي هذا العمل أنت أيضا قد كنت تكتب لأبي العباس بن ثوابة ثم صرت صاحب ديوان فقال له الباقطاني يا جاهل يا مجنون لولا أنه قبيح علي مكافأة مثلك
لراجعت الوزير أيده الله في أمرك حتى أزيل يدك ومن لي أن أجد مثل ابن ثوابة في هذا الوقت فأكتب له ولا أريد الرياسة ثم أقبل علينا يحدثنا فقال دخلت مع أبي العباس بن ثوابة إلى المهتدي وكان سليمان بن وهب وزيره وكان يدخل إليه الوزير وأصحاب الدواوين والعمال والكتاب فيعملون بحضرته فيوقع إليهم في الأعمال فأمر سليمان أن يكتب عنه عشرة كتب مختلفة إلى جماعة من العمال فأخذ سليمان بيد أبي العباس بن ثوابة ثم قال له أنت اليوم أحد ذهنا مني فهلم نتعاون فدخلا بيتا ودخلت معهما وأخذ سليمان خمسة أنصاف وأبو العباس خمسة أنصاف أخر فكتبا الكتب التي أمر بها سليمان ما احتاج أحدهما إلى نسخه وقد أكمل كل واحد منهما ما كتب به صاحبه فاستحسنه وقرظه ثم وضع سليمان الكتب بين يدي المهتدي فقال له وقد قرأها أحسنت يا سليمان ونعم الرجل أنت لولا المعجل والمؤجل وكان سليمان إذا ولي عاملا أخذ منه مالا معجلا وأجل له مالا إلى أن يتسلم عمله فقال له يا أمير المؤمنين هذا قول لا يخلو من أن يكون حقا أو باطلا فإن كان باطلا فليس مثلك من يقوله وإن كان حقا وقد علمت أن الأصول محفوظة فما يضر من يساهمني من عمالي على بعض ما يصل إليهم من بر من غير تحيف للرعية ولا نقص للأموال فقال إذا كان هكذا فلا بأس ثم قال له اكتب إلى فلان العامل يقبض ضيعة فلان المصروف المعتقل في يده بباقي ما عليه من المصادرة فقال له أبو العباس بن ثوابة كلنا يا أمير المؤمنين خدمك وأولياؤك وكلنا حاطب في حبلك وساع فيما أرضاك وأيد ملكك أفنمضي ما تأمر به على ما خيلت أم نقول بالحق قال بل قل الحق يا أحمد فقال يا أمير المؤمنين الملك يقين والمصادرة شك أفترى أن أزيل اليقين بالشك قال لا قال فقد شهدت للرجل بالملك وصادرته عن شك فيما بينك وبينه وهل خانك أم لا فتجعل المصادرة صلحا فإذا قبضت ضيعته بهذا فقد أزلت اليقين بالشك فقال له صدقت ولكن كيف الوصول إلى المال فقال له أنت لا بد لك من عمال على أعمالك وكلهم يرتزق ويرتفق فيحوز رفقه ورزقه إلى منزله فاجعله أحد عمالك ليصرف هذين الوجهين إلى ما عليه ويسعفه معاملوه فيتخلص بنفسه وضيعته ويعود إليك مالك فأمر سليمان بن وهب بأن يفعل ذلك فلما خرجا من حضرة المهتدي قال له سليمان عهدي بهذا الرجل عدوك وكل واحد منكما يسعى على صاحبه فكيف زال ذلك حتى نبت عنه في هذا الوقت نيابة أحييته بها وتخلصت نفسه ونعمته فقال إنما كنت أعاديه وأسعى عليه وهو يقدر على الإنتصاف مني فأما وهو فقير إلي فلا
فهذا مما يحظره الدين والصناعة والمروءة
فقال له سليمان جزاك الله خيرا أما والله لأشكرن هذه النية لك ولأعتقدنك من أجلها أخا وصديقا ولأجعلن هذا الرجل لك عبدا ما بقي ثم قال الباقطاني أفمن كان هذا وزنه وفعله يعاب من كان يكتب له
أخبرني محمد بن يحيى الباقطاني قال حدثنا الحسين بن يحيى الباقطاني قال كنت آلف سليمان بن وهب كثيرا وأخدمه وأحادثه وكان يخصني ويأنس بي فأنشدني لنفسه يذكر نكبته في أيام الواثق

صوت

(نوائبُ الدهر أدَّبْتني ... وإنما يُوعظُ الأريبُ)
(قد ذقتُ حُلواً وذقتُ مُراً ... كذاك عيشُ الفتى ضُروبُ)
(ما مَرّ بؤسٌ ولا نَعيمٌ ... إلا وَلِي فيهما نصيبُ)

فيه رمل محدث لا أعرف صانعه
وذكر يحيى بن علي بن يحيى أن جفوة نالت أباه من سليمان بن وهب فكتب إليه

(جفاني أبو أيوبَ نَفسيِ فداؤه ... فعاتبتُه كيما يَريعَ ويُعتِبَا)
(فوالله لولا الضنُّ مني بوُدّه ... لكان سُهيلٌ من عِتابِيه أقربَا)

فكتب إليه سليمان

(ذكرتَ جفَائي وهْو من غير شيمتي ... وإنّي لدانٍ من بعيد تَقرَّبا)
(فكيف بخلٍّ لي أُضِنّ بوُدّه ... وأُصفيه وُدًّا ظاهراً ومُغَيَّبا)
(عليّ بن يحيى لا عدمتُ إخاءه ... فما زال في كلّ الخصال مهذَّبا)
(ولكنّ أشْغالاً غدت وتواتَرت ... فلما رأيت الشغلَ عاقَ وأتعبَا)
(وكنتُ إلى عذر الأخلاّء إنّهم ... كرامٌ وإن كان التواصلُ أوجبَا)
(فإن يطّلبْ منّي عتابُك أوبةً ... ببرٍّ تجدْني بالأمانة مُعتِبا)

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه قال
كان سليمان بن وهب وهو حدث يتعشق إبراهيم بن سوار بن شداد بن ميمون وكان من أحسن الناس وجها وأملحهم أدبا وظرفا وكان إبراهيم هذا يتعشق جارية مُغَنّية يقال لها رُخاص فاجتمعوا يوماً فسكر إبراهيم ونام فرأت رخاص سليمان يقبله فلما انتبه لامته وقالت كيف أصفو لك وقد رأيت سليمان يقبلك فهجره إبراهيم فكتب إليه سليمان

(قل للذي ليس لي من ... جوَى هواه خَلاصُ)
(أيْنَ لثمتُك سراً ... وأبصرتْني رُخاصُ)
(وقال لي ذاكَ قوم ... على اغتيابي حِراصُ)
(هجَرتَني وأتَتْني ... شَتيمةٌ وانتقاصُ)
(وَسرَّ ذاك أناساً ... لهم علينا اختِرَاصُ)
(فهاكَ فاقتصَّ منّي ... إنّ الجُروحَ قِصاصُ)

وأهدي سليمان إلى رخاص هدايا كثيرة فكانوا بعد ذلك يتناوبون يوما عند سليمان ويوما عند إبراهيم ويوما عند رخاص

مساجلة بينه وبين أحد أصحابه

أخبرني الصولي عن أحمد بن الخصيب قال حضرت سليمان بن وهب وقد جاءته رقعة من بعض من وعده أن يصرّفه من أصحابه وفيها

(هَبني رضيتُ منكَ بالقليل ... أكانَ في التأويل والتنزيلِ)
(أو خبرٍ جاء عن الرّسول ... أو حُجةٍ في فِطَرِ العقولِ)

(مستحسَنٌ من رجل جليل ... عالٍ له حظٌّ من الجميل)
(ينقصُ ما أشاع بالتطويل ... والقول دونَ الفعل بالتحصيل)
(... (ليس كذا وصف الفتى النّبيل
قال فكتب له بولاية ناحية وأنفذ إليه مائتي دينار وكتب في رقعة
(ليس إلى الباطل من سبيل ... إلا لمن يعدِل عن تعديل)
(وقد وفَيْنا لكَ بالتحصيل ... فاطْوِ الذي كان عن الخليل)
(فضلاً عن الخليط والنزيل ... وعُدْ من القول إلى الجميل)
(وعفَّ في الكثير والقليل ... تَحظَ من الرتبة بالجزيل)
أخبرني محمد بن يحيى عن عبد الله بن الحسين بن سعد عن بعض أهله أنه كتب إلى سليمان بن وهب وهو يتولى شيئا من أعمال الضياع
(أطال اللّهُ إسعادَك ... في الآجل والعاجلْ)
(أما ترعى لمن أمّل ... فضلاً حُرمة الآملْ)
(وعندي عاجل من رشوةٍ ... يتبعها آجلْ)
(وأنت العالمُ الشاهدُ ... أني كاتب عاملْ)
(فولِّ الكافلَ الباذلَ ... دون العاجز الباخلْ)
(فما أُفشِي لك السرَّ ... فِعال الأخرقِ الجاهلْ)
قال فضحك وأجلسه وكتب في رقعته
(أين لي ما الذي تخطبُ ... شرحاً أيها الباذلْ)
(وما تُعطي إذا وُلِّيتَ ... تعجيلاً وما الآجِلْ)
(أفي الإسلافِ تنقيض ... أم الوزنُ له كاملْ)
(وفي الموقوفِ تضمينٌ ... أم الوعدُ به حاصِلْ)
(وهل ميقاته الغَلَّةُ ... في العام أو القابلْ)
(أينْ لي ذاك وارددْ رُقْعتي ... يا كاتباً عاملْ)
فلما قرأها الرجل قطع ما بينه وبينه ورد الرقعة عليه وولاه سليمان ما التمس
أخبرني محمد بن يحيى عن موسى البربري قال أهدى سليمان بن وهب إلى سليمان بن عبد الله بن طاهر سلال رطب من ضيعته وكتب إليه يقول
(أذِن الأميرُ بفضله ... وبجودِه وبنَيْلِهِ)
(لوليِّه في بِرّه ... بجَناه سُكَّرَ نَخلِهِ)
(فبعثْتُ منه بسَلّةٍ ... تحكي حلاوةَ عَدلِه)
أخبرني محمد الباقطاني قال كتب سليمان بن وهب بقلم صلب فاعتمد عليه اعتمادا شديدا فصر القلم في يده فقا ل
(إذا ما حَددْنا وانتضيْنا قواطعاً ... أصمّ الذكيَّ السمع منها صريرُها)
(تظلّ المنايا والعطايا شوارعاً ... تدورُ بما شِئنا وتمضي أمُورُها)
(تَساقَطُ في القرطاس منها بدائعٌ ... كمثل اللآلي نَظمُها ونَثيرُها)
(تَقودُ أبيّاتِ البيان بفطنةٍ ... تَكَشّفُ عن وجه البلاغة نورُها)
(إذا ما خطوبُ الدهر أرخت ستورها ... تجلت بنا عما تُسِرّ ستورُها)
رثاؤه أخاه الحسن
قال وأنشدني له يرثي أخاه الحسن
(مضى مذ مضى عِزُّ المعالي وأصبحت ... لآلي الحجا والقول ليس لها نظمُ)
((وأضحى نجيُّ الفِكر بعدَ فراقه ... إذا همَّ بالإفصاح مَنْطقِه كَظْمُ
وذكر ابن المسيب أن جماعة تذاكروا لما قبض الموفق على سليمان بن وهب وابنه عبد الله أنه إنما استكتبهما ليقف منهما على ذخائر موسى بن بغا وودائعه فلما استقصى ذلك نكبهما لكثرة مالهما فقال ابن الرومي وكان حاضرا
(ألم ترَ أن المالَ يُتلِف ربَّه ... إذا جمَّ آتِيه وسُدَّ طريقُه)
(ومَن جاور الماء الغزير مَجمُّه ... وسُدَّ مفيضُ الماء فهو غَريقُه)
ومات سليمان بن وهب في محبسه وهو مطالب فرثاه جماعة من الشعراء فممن جود في مرثيته البحتري حيث يقول
(هذا سليمان بن وهبٍ بعدما ... طالتْ مساعيه النجومَ سمُوكَا)
(وتنصَّف الدنيا يُدبِّر أمرها ... سبعين حولاً قد تَممْن دكيكا)
(أغْرت به الأقدارُ بَغْتَ مُلِمَّةٌ ... ما كان رسُّ حديثِها مأفوكا)
(أبلغ عُبيدَ اللهِ بارعَ مَذْحِجٍ ... شرفاً ومُعطى فَضْلِها تَمليكا)
(ومتى وجدتَ الناس إلا تاركاً ... لحميمه في التُّرب أو متروكا)
((بلغَ الإرادة إذ فداك بنفسه ... وتودُّ لو تفديه لا يفديكا
(إن الرزيَّةَ في الفقيد فإن هفَا ... جزَعٌ بلُبِّك فالرزيَّةُ فيكا)
(لو يَنجلي لكَ ذخرُها من نَكبةٍ ... جَلَلٍ لأضحكَك الذي يَبكيكا)
صوت
(لقد بزّزَ الفضلُ بن يحيى ولم يزلْ ... يُسامي من الغاياتِ ما كان أرفعَا)
(يراه أميرُ المؤمنين لملكه ... كفيلاً لِما أعطى من العهدِ مَقْنَعَا)
(قضى بالتي شدّتْ لهارونَ مُلكه ... وأحيت ليحيى نفسَه فتمتّعا)
(فأمست بنو العباس بعد اختلافها ... وآل عليّ مثل زَنْديْ يدٍ معا)
(لئن كان من أسدى القريض أجاده ... لقد صاغ إبراهيم فيه فأوقعا)
الشعر لأبان بن عبد الحميد اللاحقي يقوله في الفضل بن يحيى لما قدم يحيى بن عبد الله بن الحسين على أمان

الرشيد وعهده
والغناء لإبراهيم الموصلي ثاني ثقيل بالبنصر عن أحمد بن المكي وكان الرشيد أمره أن يغني في هذا الشعر وإياه عني أبان بقوله
(...لقد صاغ إبراهيمُ فيه فأوقعا)
أخبار أبان بن عبد الحميد ونسبه
أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير مولى بني رقاش قال أبو عبيدة بنو رقاش ثلاثة نفر ينسبون إلى أمهم واسمها رقاش وهم مالك وزيد مناة وعامر بنو شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل
أخبرني عمي قال حدثنا الحسين بن عليل العنزي قال حدثني أحمد بن مهران مولى البرامكة قال شكا مروان بن أبي حفصة إلى بعض إخوانه تغير الرشيد عليه وإمساك يده عنه فقال له ويحك أتشكو الرشيد بعد ما أعطاك قال أو تعجب من ذلك هذا أبان اللاحقي قد أخذ من البرامكة بقصيدة قالها واحدة مثل ما أخذته من الرشيد في دهري كله سوى ما أخذه منهم ومن أشباههم بعدها وكان أبان نقل للبرامكة كتاب كليلة ودمنة فجعله شعرا ليسهل حفظه عليهم وهو معروف أوله
(هذا كتابُ أدبٍ ومحنهْ ... وهو الذي يُدعَى كليلة ودمنهْ)
(فيه احتيالاتٌ وفية رُشدُ ... وهو كتابٌ وضعتْه الهندُ)
فأعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار وأعطاه الفضل خمسة آلاف دينار ولم يعطه جعفر شيئا وقال ألا يكفيك أن أحفظه فأكون راويتك وعمل أيضا القصيدة التي ذكر فيها مبدأ الخلق وأمر الدنيا وشيئا من المنطق وسماها ذات الحلل ومن الناس من ينسبها إلى أبي العتاهية والصحيح أنها لأبان
أبو نواس يهجوه وأبان يجيبه
أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال حدثنا أبو هفان قال حدثني الجماز قال كان يحيى بن خالد البرمكي قد جعل امتحان الشعراء وترتيبهم في الجوائز إلى أبان بن عبد الحميد فلم يرض أبو نواس المرتبة التي جعله فيها أبان فقال يهجوه بذلك
((جالستُ يوماً أبانا ... لا دَرَّ درُّ أبانِ
(حتى إذا ما صلاةُ ... الأولى دَنتْ لأوان)
(فقام ثَمّ بها ذو ... فَصاحة وبيانِ)
(فكلَّما قال قُلنا ... إلى انقضاء الأذَانِ)
(فقال كيف شَهِدتم ... بذا بغير عِيَانِ)
(لا أشهدُ الدّهرَ حتى ... تعاينَ العينانِ)
(فقلت سبحانَ ربِّي ... فقال سبحانَ ماني)
فقال أبان يجيبه
(إن يكن هذا النُّواسيّ ... بلا ذنبٍ هَجانا)
(فلقد نِكناهُ حيناً ... وصفعناهُ زمانا)
(هانئ الجَرْبَى أبوه ... زادَه الله هَوانا)
(سائل العباسَ واسمعْ ... فيه من أمِّك شانا)
(عجنوا من جُلنَّارٍ ... ليَكيدُوك عِجَانا)
جلنار أم أبي نواس وتزوجها العباس بعد أبيه
كان وصديقه المعذل يتعابثان بالهجاء
أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد قال كان أبان اللاحقي صديقا للمعذل بن غيلان وكانا مع صداقتهما
يتعابثان بالهجاء فيهجوه المعذل بالكفر وينسبه إلى الشؤم ويهجوه أبان وينسبه إلى الفساء الذي تهجى به عبد القيس وبالقصر وكان المعذل قصيرا فسعى في الإصلاح بينهما أبو عيينة المهلبي فقال له أخوه عبد الله وهو أسن منه يا أخي إن في هذين شرا كثيرا ولا بد من أن يخرجاه فدعهما ليكون شرهما بينهما وإلا فرقاه على الناس فقال أبان يهجو المعذل
(أحاجيكُمُ ما قوس لحم سِهامُها ... من الريح لم توصَلْ بقدٍّ ولا عَقَب)
(وليست بشِريانٍ وليست بشَوْحَطٍ ... وليستْ بنبْعٍ لا وليستْ من الغَرَب)
(ألا تلك قوسُ الدحْدَحيّ معذَّلٍ ... بها صار عبديّاً وتمّ له النسَب)
(تصكُّ خياشيمَ الأنوفِ تعمُّداً ... وإن كان راميها يريد بها العُقَب)
(فإن تفتخر يوماً تميمٌ بحاجبٍ ... وبالقوس مضموناً لكسرى بها العرب)
(فحَيُّ ابن عمرو فاخرون بقَوْسه ... وأسهمه حتى يغلّب مَن غلبْ)
قال أبو قلابة فقال المعذل في جواب ذلك
(رأيتُ أباناً يوم فِطْرٍ مصلِّياً ... فقُسِّمَ فكري واستفزني الطرَبْ)
((وكيف يصلّي مظلمُ القلب دِينُه ... على دين ماني إنّ ذاك من العجبْ
هجوه لإبن النضير
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا عون بن محمد الكندي قال كان لأبي النضير حوار يغنين ويخرجن إلى جلة أهل البصرة وكان أبان بن عبد الحميد يهجوه بذلك فمن ذلك قوله
(غضِب الأحمقُ إذ مازحتُه ... كيف لو كنا ذكرنا المَمْرَغَة)
(أو ذكرنَا أنهُ لا عبَها ... لعبة الجِدّ بمزح الدغدغهْ)
(سوَّد الله بخمسٍ وجهَه ... دُغنٍ أمثالِ طين الردَغَة)
(خنفساوانٍ وبنتا جعلٍ ... والتي تفترُّ عنها وزغه)
(يكسر الشّعرَ وإن عاتبتَه ... في مجالٍ قال هذا في اللغة)
وأنشدني عمي قال أنشدني الكراني قال أنشدني أبو إسماعيل اللاحقي لجده أبان في هجاء أبي النضير وأخبرني

الصولي أنه وجدها بخط الكراني
(إذا قامت بواكيكَ ... وقد هَتَّكْنَ أستارَكْ)
(أيُثنينَ على قبرك ... أم يلعنَّ أحجارَك)
(وما تترك في الدنيا ... إذا زرتَ غداً نارَك)
(ترى في سَقَرَ المثْوى ... وإبليس غداً جارَك)
(لِمَنْ تترك زِقَّيْك ... ودِنَّيْك وأوتارك)
(وخمساً من بنات الليل ... قد أُلبِسْنَ أطمارَكْ)
(تعالى اللُه ما أقبحَ ... إذ وَلَّيتَ أدبارَكْ)
وقال فيه أيضا
(قِيانُ أبي النضير مثلَّجاتٌ ... غناءً مثل شعرِ أبي النضير)
(فلا هَمَدَانَ حين نصيف نبغي ... ولا الماهَيْنِ أيامَ الحَرور)
(ولا نبغي بقرميسينَ رَوحا ... ولا نُبلى البغالَ من المسير)
(فإن رمت الغناء لديه فاصبر ... إذا ما جئته للزَّمهرير)
هجوه المعذل
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أبو خليفة وأبو ذكوان والحسن بن علي النهدي قالوا كان المعذل بن غيلان المهري يجالس عيسى بن جعفر بن المنصور وهو يلي حينئذ إمارة البصرة من قبل الرشيد فوهب للمعذل بن غيلان له بيضة عنبر وزنها أربعة أرطال فقال أبان بن عبد الحميد
(أصلحك اللهُ وقد أصلحا ... إنّيَ لا آلوكَ أن أنصَحا)
(علام تُعطي منوَيْ عَنبر ... وأحسِبُ الخازن قد أرجحا)
(من ليس من قِرد ولا كَلبة ... أبهى ولا أحْلى ولا أملحا)
(رسول يأجوجَ أتى عنهم ... يخبر أن الرومَ قد أقبحا)
(ما بين رجليه إلى رأسه ... شِبْرٌ فلا شبَّ ولا أفلحا)
أخبرني الصولي قال حدثنا أبو العيناء قال حدثني الحرمازي قال خرج أبان بن عبد الحميد من البصرة طالبا للإتصال بالبرامكة وكان الفضل بن يحيى غائبا فقصده فأقام ببابه مدة مديدة لا يصل إليه فتوسل إلى من وصّل له شعرا إليه وقيل إنه توسل إلى بعض بني هاشم ممن شخص مع الفضل وقاله له
(يا غزيرَ الندى ويا جوهرَ الجوهر ... من آل هاشمٍ بالبطاح)
(إنّ ظَنّي وليس يُخلِفُ ظَنّي ... بك في حاجتي سبيلُ النجاح)
(إن مِن دونها لمصْمَتُ بابٍ ... أنت من دون قفْله مِفتاحي)
(تاقت النفسُ يا خليلَ السَّماح ... نحو بحر الندى مُجاري الرياح)
(ثم فكّرتُ كيف لي واستخرتُ الله ... عند الإمساء والإصباح)
(وامتدحتُ الأميرَ أصلحَه الله ... بشعرٍ مشهَّر الأوضاح)
فقال هات مديحك فأعطاه شعرا في الفضل في هذا الوزن وقافيته
(أنا مَن بُغيةُ الأمير وكنزٌ ... من كُنوز الأمير ذُو أرباح)
(كاتبٌ حاسبٌ خطيبٌ أديبٌ ... ناصحٌ زائدٌ على النُّصَّاح)
(شاعرٌ مُفلِقٌ أخفُّ من الرّيشة ... مِمّا يكون تحت الجَناح)
وهي طويلة جدا يقول فيها
(إن دعاني الأميرُ عاين مِنّي ... شَمَّريا كالبُلبُل الصَّيَّاح)
قال فدعا به ووصله ثم خص بالفضل وقدم معه فقرب من قلب يحيى بن خالد وصار صاحب الجماعة وزمام أمرهم
تقرب إلى الرشيد بهجاء آل أبي طالب
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثني علي بن محمد النوفلي أن أبان بن عبد الحميد عاتب البرامكة على تركهم إيصاله إلى الرشيد وإيصال مديحه إليه فقالوا له وما تريد من ذلك فقال أريد أن أحظى منه بمثل ما يحظى به مروان بن أبي حفصة فقالوا له إن لمروان مذهبا في هجاء آل أبي طالب وذمهم به يحظى وعليه يعطى فاسلكه حتى نفعل قال لا أستحل ذلك قالوا فما تصنع لا يجيء طلب الدنيا إلا بما لا يحل فقال أبان
(نشَدتُ بحقّ اللّه مَن كان مسلما ... أعُمُّ بما قد قلتُه العُجمَ والعرَبْ)
(أعَمُّ رسولِ الله أقربُ زلفةً ... لديه أم ابنُ العمّ في رتبة النسبْ)
(وأيُّهما أولى به وبعهده ... ومَن ذا له حقُّ التُّراث بما وجَبْ)
(فإن كان عبّاسٌ أحقّ بتلكمُ ... وكان عليٌّ بعد ذاكَ على سَبَبْ)
(فأبناء عباسٍ هُمُ يرثونه ... كما العمُّ لإبن العمِّ في الإرث قد حَجَبْ)
وهي طويلة قد تركت ذكرها لما فيه فقال له الفضل ما يرد على أمير المؤمنين اليوم شيء أعجب إليه من أبياتك فركب فأنشدها الرشيد فأمر لأبان بعشرين ألف درهم ثم أتصلت بعد ذلك خدمته الرشيد وخص به
أخبرنا أبو العباس بن عمار عن أبي العيناء عن أبي العباس بن رستم قال دخلت مع أبان بن عبد الحميد على عنان جارية الناطفي وهي في
خيش فقال لها أبان
(... العيشُ في الصيف خَيشُ)
فقالت مسرعة
(... إذ لا قتالٌ وجيشُ)
فأنشدتها أنا لجرير قوله
(ظللتُ أُواري صاحبيَّ صَبَابتي ... وهل عَلِقتني من هواك علوق)
فقالت مسرعة

(إذا عقل الخوفُ اللسانَ تكلمتْ ... بأسراره عينٌ عليه نَطوقٌ)
أخبرني الصولي قال حدثنا محمد بن سعيد قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن عبد الله بن محمد بن عثمان بن لاحق قال أولم محمد بن خالد فدعا أبان بن عبد الحميد والعتبي وعبيد الله بن عمرو وسهل بن عبد الحميد والحكم بن قنبر فاحتبس عنهم الغداء فجاء محمد بن خالد فوقف على الباب فقال ألكم أعزكم الله حاجة يمازحهم بذلك فقال أبان
(حاجَتُنا فاعْجل علينَا بها ... من الحَشاوى كلَّ طُردِين)
فقال ابن قنبر بعد ذلك
(ومن خبيصٍ قد حكَت عاشقاً ... صُفرته زينَ بتلوين)
فقال عبيد الله بن عمرو
(وأتبِعوا ذاك بأَبِّيَّةٍ ... فإنكم آبينُ آبين)
فقال سهل
(دعنا من الشعر وأوصافِه ... واعجَلْ علينَا بالأخاوين)
فأحضر الغداء وخلع عليهم ووصلهم
تشبيبه بغلام تركي
أخبرني الصولي قال حدثنا محمد بن زياد قال حدثني أبان بن سعيد الحميدي بن أبان بن عبد الحميد قال اشترى جار لجدي أبان غلاما تركيا بألف دينار وكان أبان يهواه ويخفي ذلك عن مولاه فقال فيه
(ليتني والجاهلُ المغرورُ ... من غُرَّ بلَيْتِ)
(نلتُ ممّن لا أسمِّي ... وهو جاري بَيْتَ بَيْتِ)
(قُبلةً تُنعِش ميْتاً ... إنّني حَيٌّ كَمَيْتِ)
(نتساقى الريقَ بعد الشرب ... من راحٍ كُمَيتِ)
(لا أُسَمِّيه ولكنْ ... هو في كَيْتَ وكَيْتِ)
وكان اسمه يتك
وقال أبو الفيَّاض سوَّار بن أبي شُراعة
كان في جوار أبان بن عبد الحميد رجل من ثقيف يقال له محمد بن خالد وكان عدوا لأبان فتزوج بعمارة بنت عبد الوهاب الثقفي وهي أخت عبد المجيد الذي كان ابن مناذر يهواه ورثاه وهي مولاة جنان التي يشبب بها أبو نواس ويقول فيها
(خرجتْ تشهدُ الزفافَ جِنانٌ ... فاستمالت بحُسنها النُّظّارهْ)
(قال أهلُ العَروس لما رأَوْها ... ما دهانا بها سوى عمَّارهْ)
قال وكانت موسرة فقال أبان بن عبد الحميد يهجوه ويحذرها منه
(لمّا رأيت البَزّ والشارهْ ... والفرشَ قد ضاقتْ به الحارهْ)
(واللوزَ والسكّرَ يُرمَى به ... من فوق ذي الدار وذي الدارهْ)
(وأحضروا الملْهين لم يتركوا ... طبلاً ولا صاحبَ زَمّارهْ)
(قلت لماذا قيل أعجوبةٌ ... محمد زُوِّج عَمَّارهْ)
(لا عمَّرَ اللّه بها بيتَه ... ولا رأته مُدركاً ثارَهْ)
(ماذا رأتْ فيه وماذا رجَتْ ... وهي من النِّسوان مُخْتارهْ)
(أسودَ كالسَّفُّود يُنسى لدى التَّنُّور ... بل محراكُ قَيَّارهْ)
(يُجري على أولاده خمسةً ... أرغفةً كالريش طيَّارهْ)
(وأهله في الأرض من خَوفه ... إن أفرطوا في الأكل سيَّارهْ)
(ويحكِ فِرِّي وأعصي ذاكَ بي ... فهذه أختُك فرَّارهْ)
(إذا غَفا بالليل فاستيقظي ... ثم اطْفِري إنك طفَّارهْ)
(فصعّدت نائلةً سلَّماً ... تخافُ أن تصعدَه الفارهْ)
(سُرورُ غَرَّتْها فلا أفلحتْ ... فإنها اللّخناء غَرَّارهْ)
(لو نلتَ ما أبعدْتَ من ريقها ... إن لها نَفثةَ سحَّارهْ)
قال فلما بلغت قصيدته هذه عمارة هربت فحرم الثقفي من جهتها مالا عظيما قال والثلاثة الأبيات التي أولها
(... فصعّدت نائلةً سلما)
زادها في القصيدة بعد أن هربت
ابن مناذر يهجوه
أخبرني الأخفش عن المبرد عن أبي وائلة قال كان أبان اللاحقي يولع بابن مناذر ويقول له إنما أنت شاعر في المراثي فإذا مت فلا ترثني فكثر ذلك من أبان عليه حتى أغضبه فقال فيه ابن مناذر
(غُنجُ أبانٍ ولينُ منطقه ... يخبر الناس أنه حَلَقي)
(داء به تَعرفونَ كلُّكُم ... يا آل عبدِ الحميد في الأفُقِ)
(حتّى إذا ما المساء جلّلهُ ... كان أطِبَّاؤه على الطُّرُقِ)
(ففرِّجوا عنه بعضَ كربته ... بمسبطرٍّ مطوَّق العُنُقِ)
قال وهجاه بمثل هذه القصيدة ولم يجبه أبان خوفا منه وسعي بينهما فأمسك عنه
أخبرني الصولي عن محمد بن سعيد عن عيسى بن إسماعيل قال جلس أبان بن عبد الحميد ليلة في قوم فثلب أبا عبيدة فقال يقدح في الأنساب ولا نسب له
فبلغ ذلك أبا عبيدة فقال في مجلسه لقد أغفل السلطان كل شيء حتى أغفل أخذ الجزية من أبان اللاحقي وهو وأهله يهود وهذه منازلهم فيها أسفار التوراة وليس فيها مصحف وأوضح الدلالة على يهوديتهم أن أكثرهم يدعي حفظ التوراة ولا يحفظ من القرآن ما يصلي به فبلغ ذلك أبانا فقال
(لا تَنِمَّنَّ عنْ صديقٍ حديثاً ... واستعِذْ من تسرُّرِ النمَّامِ)
(واخفضِ الصَّوتَ إن نطقتَ بليلٍ ... والتفِتْ بالنهار قبلَ الكَلامِ)

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال كنا في مجلس أبي زيد الأنصاري فذكروا أبان بن عبد الحميد فقالوا كان كافرا فغضب أبو زيد وقال كان جاري فما فقدت قرآنه في ليلة قط

يتنبأ لجاره بالموت المحتم

أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي عن دماذ قال كان لأبان جار وكان يعاديه فاعتل علة طويلة وأرجف أبان بموته ثم صح من علته وخرج فجلس على بابه فكانت علته من السل وكان يكنى أبا الأطول فقال له أبان

((أبا الأطولِ طوَّلْتَ ... وما يُنجيك تطويلُ
(بك السُّلُّ ولا واللِه ... ما يبرأُ مسلولُ)
(فلا يغررْكَ من ... طِبِّك أقوالٌ أباطيلُ)
(أرى فيكَ علاماتٍ ... وللأسباب تأويلُ)
(هُزالاً قد بَرى جسمَك ... والمسلولُ مهزولُ)
(وذِبَّاناً حواليْكَ ... فموقوذٌ ومقتولُ)
(وحُمَّى منكَ في الظّهرِ ... فأنت الدهرَ مَمْلولُ)
(وأعْلاماً سوى ذاك ... تُواريها السّراويلُ)
(ولو بالفيلِ ممّا ... بك عُشرٌ ما نجا الفيلُ)
(فما هذا على فيكَ ... قُلاعٌ أم دَماميلُ)
(وما زال مُناجيك ... يُولِّي وهْو مَبْلُولُ)
(لئن كان من الجَوْف ... لقد سالَ بِك النيلُ)
(وذا داء يُزجِّيك ... فلا قالٌ ولا قيلُ)

فلما أنشده هذا الشعر أرعد واضطرب ودخل منزله فما خرج منه بعد ذلك حتى مات

صوت

(ما تزال الدّيارُ في بُرقةِ النَّجدِ ... لسُعدى بقرْقرى تُبكيني)
((قد تحيّلتُ كي أرى وجه سُعدى ... فإذا كلِ حيلة تعييني
(قلتُ لما وقفتُ في سُدَّة الباب ... لسُعدى مَقالةَ المِسكين)
(افعلِي بي ياربَّةَ الخِدرِ خَيراً ... ومن الماءِ شَربةً فاسقيني)
(قالتِ الماءُ في الرَّكِيِّ كثيرٌ ... قلتُ ماءُ الرَّكِيِّ لا يُرويني)
(طرحتْ دونيَ الستورَ وقالتْ ... كلَّ يوم بعلّةٍ تأتيني)

الشعر لتويت اليمامي والغناء لأبي زكار الأعمى رمل بالوسطى ابتداؤه نشيد من رواية الهشامي

أخبار تويت ونسبه

تويت لقب واسمه عبد الملك بن عبد العزيز السلولي من أهل اليمامة لم يقع لي غير هذا وجدته بخط أبي العباس بن ثوابة عن عبد الله بن شبيب من أخبار رواها عنه

وتويت أحد الشعراء اليماميين من طبقة يحيى بن طالب وبني أبي حفصة وذويهم ولم يفد إلى خليفة ولا وجدت له مديحا في الأكابر والرؤساء فأخمل ذلك ذكره وكان شاعرا فصيحا نشأ باليمامة وتوفي بها

خبره مع سعدى وصديقاتها

قال عبد الله بن شبيب كان تويت يهوى أمرأة من أهل اليمامة يقال لها سعدى بنت أزهر وكان يقول فيها الشعر فبلغها شعره من وراء وراء ولم تره فمر بها يوما وهي مع أتراب لها فقلن هذا صاحبك وكان دميما فقامت إليه وقمن معها فضربنه وخرقن ثيابه فاستعدى عليهن فلم يعده الوالي فأنشأ يقول

(إنَّ الغواني جرَحْنَ في جسدي ... من بعدِ ما قد فَرَغْنَ من كَيدي)
(وقد شقَقْن الرّداء ثُمّتَ لم ... يُعدِ عليهن صاحِبُ البلدِ)
((لم يُعدِني الأحولُ المشومُ وقد ... أبصرَ ما قد صَنَعن في جَسدي

قال فلما جرى هذا بينه وبينها عقد له في قلبها رقة وكانت تتعرض له إذا مر بها واجتاز يوما بفنائها فلم تتوار عنه وأرته أنها لم تره فلما وقف مليا سترت وجهها بخمارها فقال تويت

(ألا أيها النارُ الذي ليسَ نائماً ... على تِرةٍ إن مُتَّ من حُبِّها غَدا)
(خُذُوا بدمي سُعدى فسعدى مَنِيتُها ... غداةَ النَّقا صادتْ فُؤاداً مُقصَّدا)
(بآيةِ ما ردَّت غداةَ لَقِيتُها ... على طَرفِ عَيْنَيها الرداءَ المورَّدا)

قال ابن شبيب ولقيها راحلة نحو مكة حاجة فأخذ بخطام بعيرها وقال

(قل للتي بكرتْ تريد رَحيلا ... للحجِّ إذ وجدتْ إليهِ سبيلا)
(ما تصنعين بحَجَّةٍ أو عُمرةٍ ... لا تُقْبَلانِ وقد قَتلتِ قَتيلا)
(أحيِي قتيلَكِ ثم حُجِّي وانسكي ... فيكون حجُّكِ طاهراً مَقبولا)

فقالت له أرسل الخطام خيبك الله وقبحك فأرسله وسارت

هجا زوج سعدى يحيى بن أبي حفصة

قال عبد الله بن شبيب ثم تزوجها أبو الجنوب يحيى بن أبي حفصة فحجبها وانقطع ما كان بينها وبين تويت فطفق يهجو يحيى فقال

(عَناءٌ سِيقَ للقلبِ الطروبِ ... فقد حُجِبتْ معذِّبةُ القُلوبِ)
(أقول وقد عرفتُ لها محَلاًّ ... ففاضت عبرةُ العينِ السَّكوبِ)
((ألا يا دارَ سُعدَى كَلِّمينا ... وما في دار سُعدى من مُجيبِ
(ولما ضمَّها وحوَى عليها ... تركتُ لها بعاقبةٍ نَصيبي)
(وقلت زحامُ مثلكِ مثلِ يحيى ... لعمركِ ليس بالرأي المُصيب)
(فما لك مثلُ لمَّتهِ تُدرّى ... ومالك مثلُ بُخل أبي الجنوب)
(إذا فقد الرغيفَ بكى عليه ... وأتبع ذاك تَشقيقَ الجُيوب)

(يعذّب أهلَه في القَرْصِ حتى ... يظلوا منهُ في يومٍ عصيب)
وقال أيضا
(ألا في سبيلِ اللهِ نفسٌ تقسَّمتْ ... شَعاعاً وقلبٌ للحِسانِ صديقُ)
(أفاقت قلوبٌ كُنّ عُذِّبْن بالهوَى ... زماناً وقلبي ما أراهُ يُفيقُ)
(سرَقْتِ فؤادي ثم لا ترجعينَه ... وبعضُ الغواني للقلوب سَروقُ)
(عَروفُ الهوى بالوعد حتى إذا جرتْ ... ببَيْنِك غِربانٌ لهن نَعيقُ)
(ورُدّت جِمالُ الحي وانشقَّتِ العَصا ... وآذنَ بالبين المُشِتِّ صَدوقُ)
(ندمت على ألا تكوني جَزَيْتِني ... زَعمتِ وكلُّ الغانيات مَذُوق)
(لعلك أن ننأى جميعاً بغُلّة ... تذوقِين من حرِّ الهوَى وأذوقُ)
(عصيتُ بكِ الناهين حتى لوَ أنّني ... أموتُ لما ارعَى عليَّ شَفيقُ)
من مختار قوله في سعدى
ومن مختار قول نويت في سعدى هذه ما أخذته من رواية عبد الله بن شبيب من قصيدة أولها
((سنرضي في سُعيدى عاذِلَيْنا ... بعاقبة وإن كُرِمتْ علَيْنا
يقول فيها
(لقيتُ سُعَيدَ تمشِي في جَوارٍ ... بجرعاءِ النَّقا فلقيتُ حَيْنَا)
(سلبنَ القلبَ ثم مضينَ عنِّي ... وقد ناديتُهنّ فما لَوَيْنا)
(فقلتُ وقد بَقِيتُ بغير قَلبٍ ... بقلبي يا سُعيدى أين أيْنا)
(فما تجزينَ يا سُعدى مُحِبّاً ... يهيم بكمِ ولا تَقضينَ دَيْنا)
(فقالوا إذ شكوتَ المطلَ منها ... لعمركَ من سمعتَ له قَضَيْنا)
(ومَن هذا الذي إن جاء يشكو ... إلينا الحبَّ من سَقَمٍ شفَيْنا)
(فهنَّ فواعلٌ بي غيرَ شكٍّ ... كما قبلي فَعلْنَ بصاحِبَيْنَا)
(بعروةَ والذي بسهامِ هِندٍ ... أُصِيب فما أقدْنَ ولا وَدَيْنَا)
ومن مختار قوله فيها
(سلِ الأطلالَ إن نفع السُّؤالُ ... وإن لم يربَع الركبُ العِجالُ)
(عن الخَوْدِ التي قتلتكَ ظلماً ... وليس بها إذا بَطشت قِتالُ)
(أصابك مُقلتانِ لها وجيدٌ ... وأشنبُ باردٌ عذبٌ زُلالُ)
(أعارَكِ ما تبَلْتِ به فُؤادي ... من العينَين والجيدِ الغزالُ)
((ايا ثاراتِ مَن قتلتْه سُعدَى ... دَمِي لا تطلبُوه لها حَلالُ
(أرِقُّ لها وأُشفِق بعد قَتلي ... على سُعدى وإن قلَّ النَّوالُ)
(وما جادتْ لنا يوماً ببذلٍ ... يمينٌ من سُعادَ ولا شِمالٌ)
ومن قوله فيها أيضا
(يا بنت أزهرَ إنّ ثأري طالبٌ ... بدمي غداً والثأرُ أجهدُ طالبِ)
(فإذا سمعتِ براكبٍ مُتعصبٍ ... ينعي قتيلَك فافْزَعِي للراكبِ)
(فلأنتِ من بين الأنام رميتِني ... عن قَوسِ مَتْلَفَةٍ بسهمٍ صائبِ)
(لا تأمني شُمَّ الأنوفِ وتِرتِهم ... وتركتِ صاحِبَهم كأمسِ الذاهبِ)
(من كان أصبحَ غالباً لهوى التي ... يهوَى فإن هواكِ أصبحَ غالِبي)
(قالت وأسبلتِ الدموع لتِربِها ... لما اغتررتُ وأومأتْ بالحاجبِ)
(قولي له باللّه يُطلِقُ رحلَه ... حتى يُزَوَّدَ أو يَروحَ بصاحبِ)
وقال فيها أيضا
(أرَّق العينَ من الشوقِ السَّهَرْ ... وصبا القلبُ إلى أمِّ عُمَرْ)
(واعترتْني فكرةٌ من حُبِّها ... ويحِ هذا القلب من طُولِ الفِكَرْ)
(قَدَرٌ سِيقَ فمن يَملكه ... أين مَن يملكُ أسبابَ القَدَرْ)
(كلُّ شيء نالني من حُبِّها ... إن نَجتْ نفسي من الموتِ هَدَرْ)
وقال أيضا
((لا لَلرِّجال لِقَلبكِ المتطرِّفِ ... والعينُ إن تَرَ بَرْقَ نجْدٍ تَذْرِفِ
(ولحاجةٍ يومَ العبير تعرَّضَتْ ... كبرتْ فرُدَّ رسولُها لم يُسعفِ)
(يا بنت أزهرِ ما أراكِ مُثيبَتي ... خيراً على وُدِّي لكم وتلطُّفِي)
(إني وإن خُبِّرتِ أنّ حياتَنا ... في طرف عينك هكذا لم تطرِفِ)
(ويظلُّ قَلبي من مخافة بينِكم ... مثلَ الجناح معلَّقا في نَفْنَفِ)
(وليَظلّ في هَجرِ الأحبَّة طالباً ... لرضاكِ مما جارِ إن لم تُسعفِ)
(كأخي الصَّلاة يَغُرُّه من مائها ... قِطعُ السرابِ جرَى بِقاعٍ صَفْصَفِ)
(أهراقَ نُطفتَه فلما جاءها ... وجدَ المنيَّةَ عندها لم تُخلِفِ)
صوت
(أمِنتَ بإذن الله من كلِّ حادثٍ ... بقربِكَ من خير الورى يابنَ حارث)
(إمامٌ حوى إرثَ النبي محمدٍ ... فأكرمْ به من إبن عمٍّ ووارث)
الشعر والغناء لمحمد بن الحارث بن بسخنر خفيف رمل بالبنصر مطلق من جامع أغانيه وعن الهشامي
أخبار محمد بن الحارث
مولى المنصور وأصله من الري من أولاد المرازبه وكان الحارث بن بسخنر أبوه رفيع القدر عند السلطان ومن وجوه قواده وولاه الهادي ويقال الرشيد الحرب والخراج بكور الأهواز كلها

فأخبرني حبيب المهلبي قال حدثني النوفلي عن محمد بن الحارث بن بسخنر قال كنت بالدير وكان رجل من أهلها يعرض علي الحوائج ويخدمني فيكرمني ويذكر قديمنا ويترحم علي أبي فقال لي رجل من أهل تلك الناحية أتعرف سبب شكر هذا لأبيك قلت لا قال فإن أباه حدثني وكان يعرف بابن بانة بأن أباك الحارث بن بسخنّر اجتاز بهم يريد الأهواز فتلقاه بدجلة العوراء وأهدى له صقورا وبواشق صائدة فقال له الحق بي بالأهواز فقال له يوما إني نظرت في أمور الأعمال بالأهواز فلم أجد شيئا منها يرتفق منه بما قدرت أن أبرك به وقد ساومني التجار بالأهواز بالأرز وقد جعلته لك بالسعر الذي بذلوه وسيأتونني فأعلمهم بذلك فقلت نعم فجاؤوا وخلصوه منه بأربعين ألف دينار فصرت إلى الحارث فأعلمته فقال لي أرضيت بذلك فقلت نعم قال فانصرف

ولما قفل الحارث من الأهواز مر بالمدائن فلقيه الحسين بن محرز المدائني المغني فغناه

(قد علِم اللهُ علا عرشُه ... أنّى إلى الحارث مُشتاقُ)

فقال له دعني من شوقك إلي وسلني حاجة فإني مبادر فقال له علي دين مائة ألف درهم فقال هي علي وأمر له بها وأصعد

سار على منهاج إبراهيم بن المهدي

وكان محمد بن الحارث من أصحاب إبراهيم بن المهدي والمتعصبين له على إسحاق وعن إبراهيم بن المهدي أخذ الغناء ومن بحره استقى وعلى منهاجه جرى

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق عن محمد بن هارون الهاشمي عن هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال كان المأمون قد ألزم أبي رجلا ينقل إليه كل ما يسمعه من لفظ جدا وهزلا شعرا وغناء ثم لم يثق به فألزمه مكانه محمد بن الحارث بن بسخنر فقال له أيها الأمير قل ما شئت واصنع ما أحببت فوالله لا بلغت عنك أبدا إلا ما تحب وطالت صحبته له حتى أمنه وأنس به وكان محمد يغني بالمعزفة فنقله أبي إلى العود وواظب عليه حتى حذقه ثم قال له محمد بن الحارث يوما أنا عبدك وخريجك وصنيعتك فاخصصني بأن أروي عنك صنعتك ففعل وألقى عليه غناءه أجمع فأخذه عنه فما ذهب عليه شيء منه ولا شذ

وقال العتابي حدثني محمد بن أحمد بن المكي قال حدثني أبي قال

كان محمد بن الحارث قليل الصنعة وسمعته يغني الواثق في صنعته في شعر له مدحه به وهو

(أمِنتَ بإذنِ الله من كلِّ حادثٍ ... بقربك من خير الورى يابنَ حارثِ)

فأمر له بألفي دينار

وذكر علي بن محمد الهشامي عن حمدون بن إسماعيل قال كان محمد بن الحارث قد صنع هزجا في هذا الشعر

صوت

(أصبحتُ عبداً مُسترَقاً ... أبكِي الأُلى سكنُوا دِمَشْقا)

(أعطيتُهم قلبي فَمَنْ ... يَبْقى بلا قلبٍ فأبقَى)

وطرحه على المسدود فغناه فاستحسنه محمد بن الحارث منه لطيب مسموع المسدود ثم قال يا مسدود أتحب أن أهبه لك قال نعم قال قد فعلت فكان يغنيه ويدعيه وهو لمحمد بن الحارث

من ألحانه العشرة

وقال العتابي حدثني شروين المغني المدادي أن صنعة محمد بن الحارث بلغت عشرة أصوات وأنه أخذها كلها عنه وأن منها في طريقه الرمل قال هو أحسن ما صنعه

صوت

(أيا من دَعاني فلَبّيتُه ... ببذْل الهوى وهو لا يَبذُلُ)

(يُدِلُّ عليَّ بِحُبّي له ... فمن ذاك يفعَلُ ما يفعَلُ)

لحن محمد بن الحارث في هذا الصوت رمل مطلق وفيه ليزيد حوراء ثقيل أول وفيه لسليم لحن وجدته في جميع أغانيه غير مجنس

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو توبة صالح بن محمد عن عمرو بن بانة قال كنت عند محمد بن الحارث بن بسخنر في منزله ونحن مصطبحون في يوم غيم فبينا نحن كذلك إذ جاءتنا رقعة عبد الله بن العباس الربيعي وقد اجتاز بنا مصعدا إلى سر من رأى وهو في سفينة ففضها محمد وقرأها وإذا فيها

(محمدُ قد جادتْ علينا بوَدْقِها ... سَحائبُ مُزنٍ برقُها يتهلّلُ)

(ونحن من القاطول في شِبهِ مَرْبع ... له مسرحٌ سَهلُ المحلّة مُبْقِلُ)

(فَمُرْ فائزاً تَفديكَ نفسي يُغَنِّني ... أعَنْ ظُعُنِ الحيِّ الالَى كنتَ تسألُ)

(ولا تسقِني إلا حلالاً فإنّني ... أعافُ من الأشياء مالا يُحَلّلُ)

فقام محمد بن الحارث مستعجلا حافيا حتى نزل إليه فتلقاه وحلف عليه حتى خرج معه وسار به إلى منزله فاصطبحا يومئذ وغناه فائز غلامه هذا الصوت وكان صوته عليه وغناه محمد بن الحارث وجواريه وكل من حضر يومئذ وغنانا عبد الله بن العباس الربيعي أيضا أصواتا وصنع يومئذ هذا الهزج فقال

((يا طيبَ يَوْمِي بالمَطيرة معمِلاً ... للكأس عندَ محمدِ بنِ الحارث

(في فِتيةٍ لا يسمعونَ لعاذلٍ ... قولاً ولا لمسوِّفٍ أو رائثِ)

حدثني وسواسه قال حدثني حماد بن إسحاق قال كان أبي يستحسن غناء جواري الحارث بن بسخنر ويعتمد على تعليمهن لجواريه وكان إذا اضطرب على واحدة منهن أو على غيرهن صوت أو وقع فيه اختلاف اعتمد على الرجوع فيه إليهن

ولقد غنى مخارق يوما بين يديه صوتا فتزايد فيه الزوائد التي كان يستعملها حتى اضطرب فضحك أبي وقال يا أبا المهنأ قد ساء بعدي أدبك في غنائك فالزم عجائز الحارث بن بسخنر يقومن أوَدَك

صوت

(بنانُ يدٍ تُشير إلى بَنانٍ ... تَجاوبَتا وما يتكلّمانِ)

(جرى الإيماءُ بينَهما رَسولاً ... فأحكمِ وحْيَهُ المتناجيانِ)

(فلو أبصرتَه لغضضْتَ طَرْفاً ... عن المُتناجِيَيْن بلا لسانِ)

الشعر لماني الموسوس والغناء لعمر الميداني هزج وفيه لعريب لحن من الهزج أيضا

أخبار ماني الموسوس

هو رجل من أهل مصر يكنى أبا الحسن وأسمه محمد بن القاسم شاعر لين الشعر رقيقه لم يقل شيئا إلا في الغزل وماني لقب غلب عليه وكان قدم مدينة السلام ولقيه جماعة من شيوخنا منهم أبو العباس محمد بن عمار وأبو الحسن الأسدي وغيرهما فحدثني أبو العباس بن عمار قال

أنشد للعريان البصري

كان ماني يألفني وكان مليح الإنشاد حلوه رقيق الشعر غزله فكان ينشدني الشيء ثم يخالط فيقطعه وكان يوما جالسا إلى جنبي فأنشدني للعريان البصري

(ما أنصفْتكَ العُيونُ لم تَكِفِ ... وقد رأيتَ الحبيبَ لم يَقِفِ)
(فابكِ دياراً حَلَّ الحبيبُ بِها ... فَبَاعَ منْها الجفاءَ باللَّطَفِ)
(ثم استعارتْ مسامعاً كَسدِ اللومُ ... عليها من عاشقٍ كَلِفِ)
(كأنها إذْ تقنَّعَتْ بِبِلَى ... شَمطاءُ ما تستقلُّ من خَرَفِ)
(يا عينِ إمّا أريْتِني سَكَناً ... غضبانَ يَزوي بوجهِ مُنْصرِفِ)
(فمثِّليه للقلبِ مُبتسماً ... في شَخصِ راضٍ عليَّ مُنعطِفِ)
(إن تَصفيه للقلبِ مُنقَبِضاً ... فأنتِ أشقَى منه به فَصِفِي)
(يُقال بالصّبر قتلُ ذي كلَفٍ ... كيف وصبري يموت من كَلَفي)
(إذا دعا الشوقُ عَبرةً لِهوًى ... فأيّ جَفْنٍ يقول لا تَكِفِي)
(ومُستراد لِلَّهْو تنفسح ... الْمُقْلَةُ في حافتيه مؤتَلِفِ)
(قَصرتْ أيامه على نَفَرٍ ... لا مُنُنٍ بالنّدى ولا أُسُفِ)
(بحيث إن شئتَ أن ترى قمراً ... يسعى عليهم بالكأس ذا نُطَفِ)

معارضته للعريان

قال فسألته أن يمليها علي ففعل ثم قال اكتب فعارضه أبو الحسن المصري يعني ماني نفسه فقال

(أقفرَ مَغْنى الديار بالنَّجَفِ ... وحُلْت عما عهدتُ من لَطَفِ)
(طويتُ عنها الرضا مذمّمةً ... لمّا انطوى غضُّ عيشِها الأُنُفِ)
(حَلَلتُ عن سَكرةِ الصَّبابة من ... خوفِ إلهي بمعزلٍ قُذُفِ)
(سَئِمتُ وِردَ الصِّبا فقد يئستْ ... مني بناتُ الخدور والخَزَفِ)
(سلوتُ عن نُهَّدٍ نَسيبْن إلى ... حسنِ قَوامٍ واللحظ في وَطَفِ)
(يمددنَ حَبلَ الصِّبا لمن ألِفتْ ... رجلاه قدَّ المُحولِ والدَّنَفِ)
(ومُدَنَفٍ عادَ في النحول من الوَجد ... إلى مثلِ رقَّةِ الألِفِ)
(يشاركُ الطيرَ في النَّحيب ولا ... يَشركنه في النُّحولِ والقَضَفِ
(ومُسمِعاتٍ نَهكْنَ أعظُمَهُ ... فهو من الضيم غيرُ منتَصِفِ)
(مفتخراتٍ بالجوْرِ عُجْباً كما ... يفخر أهلُ السّفاه بالجَنَفِ)
(وقهوةٍ من نِتاج قُطْربُلٍ ... تخطف عقلَ الفتى بلا عُنُفِ)
(ترجعُ شَرخَ الشباب للخَرِفِ ... الفَاني وتُدنى الفتى من الشغف)

قال فبينا هو ينشد إذ نظر إلى إمام المسجد الذي كنا بإزائه قد صعد المئذنة ليؤذن فأمسك عن الإنشاد ونظر إليه وكان شيخا ضعيف الجسم والصوت فأذن أذانا ضعيفاً بصوت مرتعش فصعد إليه ماني مسرعا حتى صار معه في رأس الصومعة ثم أخذ بلحيته فصفعه في صلعته صفعة ظننت أنه قد قلع رأسه وجاء لها صوت منكر شديد ثم قال له إذا صعدت المنارة لتؤذن فطعط ولا تمطمط ثم نزل ومضى يعدو على وجهه

ولقيت عنتا من عتب الشيخ وشكواه إياي إلى أبي ومشايخ الجيران يقول لهم هذا ابن عمار يجيء بالمجانين فيكتب هذيانهم ويسلطهم على المشايخ فيصفعونهم في الصوامع إذا أذنوا حتى صرت إلى منزله فاعتذرت وحلفت أني إنما أكتب شيئا من شعره وما عرفت ما عمله ولا أحيط به علما

منوسة الجارية تغني وهو يضيف

ونسخت من كتاب لإبن البراء حدثني أبي قال عزم محمد بن عبد الله بن طاهر على الصبوح وعنده الحسن بن محمد بن طالوت فقال له محمد كنا نحتاج أن يكون معنا ثالث نأنس به ونلذ في مجاورته فمن ترى أن يكون فقال ابن طالوت لقد خطر ببالي رجل ليس علينا في منادمته ثقل قد خلا من إبرام المجالسين وبرئ من ثقل المؤانسين خفيف الوطأة إذا أدنيته سريع الوثبة إذا أمرته قال من هو قال ماني الموسوس قال ما أسأت الإختيار ثم تقدم إلى صاحب الشرطة بطلبه وإحضاره فما كان بأسرع من أن قبض عليه صاحب الشرطة بربع الكرخ فوافى به باب محمد بن عبد الله فأدخل ونظف وأخذ من شعره وألبس ثيابا نظافا وأدخل على محمد بن عبد الله فلما مثل بين يديه سلم فرد عليه وقال له أما حان لك أن تزورنا مع شوقنا إليك فقال له ماني أعز الله الأمير الشوق شديد والود عتيد والحجاب صعب والبواب فظ ولو تسهل لنا الإذن لسهلت علينا الزيارة فقال له محمد لقد لطفت في الإستئذان وأمره بالجلوس

فجلس وقد كان أطعم قبل أن يدخل فأتى محمد بن عبد الله بجارية لأحدى بنات المهدي يقال لها منوسة وكان يحب السماع منها وكانت تكثر أن تكون عنده فكان أول ما غنته

(ولستُ بناسٍ إذ غدوا فتحمَّلوا ... دُموعي على الخدَّينِ من شدّة الوجْدِ)
(وقولي وقد زالتْ بعيني حُمولُهمْ ... بواكرُ تُحدَى لا يكنْ آخرَ العهدِ)

فقال ماني أيأذن لي الأمير قال في ماذا قال في أستحسان ما أسمع قال نعم قال أحسنت والله فإن رأيت أن تزيدي مع هذا الشعر هذين البيتين

(وقمتُ أُداري الدمعَ والقلبُ حائرٌ ... بمقلةِ موقوفٍ على الضّرِّ والجَهْدِ)
(ولم يُعدِني هذا الأميرُ بعدْله ... على ظالمٍ قد لجَّ في الهَجر والصَّدِّ)

فقال له محمد ومن أي شيء استعديت يا ماني فاستحيا وقال لا من ظلم أيها الأمير ولكن الطرب حرك شوقا كان كامنا

فظهر ثم غنت
(حَجبوها عن الرياح لأني ... قلت يا ريحُ بلِّغيها السّلامَا)
(لو رضوا بالحجاب هان ولكنْ ... منعوها يوم الرياح الكَلامَا)
قال فطرب محمد ودعا برطل فشربه فقال ماني ما كان على قائل هذين البيتين لو أضاف إليهما هذين البيتين
(فتنفَّست ثم قلتُ لطَيفي ... ويكَ إن زُرتَ طيفَها إلماما)
(حيِّها بالسلام سرًّا وإلاّ ... منعوها لشِقوَتي أن تَناما)
فقال محمد أحسنت يا ماني ثم غنت
(يا خليليَّ ساعةً لا تَريما ... وعلى ذي صبابةٍ فأقيما)
(ما مررْنا بقصر زينَبَ إلا ... فضح الدمعُ سِرَّكَ المكتُوما)
قال ماني لولا رهبة الأمير لأضفت إلى هذين البيتين بيتين لا يردان على سمع سامع ذي لب فيصدران إلا عن استحسان لهما فقال محمد الرغبة في حسن ما تأتي به حائلة عن كل رهبة فهات ما عندك فقال
(ظَبيةٌ كالهلال لو تلحظ الصخْرَ ... بطَرفٍ لغادرَتْه هَشيما)
(وإذا ما تبسّمتْ خِلتَ ما يبدو ... من الثَّغر لؤلؤاً مَنظوما)
فقال محمد إن أحسن الشعر ما دام الإنسان يشرب ما كان مكسوا لحنا حسنا تغني به منوسة وأشباهها فإن كسيت شعرك من الألحان مثل ما غنت قبله طاب فقال ذلك إليها
فقال له ابن طالوت يا أبا الحسين كيف هي عندك في حسنها وجمالها وغنائها وأدبها قال هي غاية ينتهي إليها الوصف ثم يقف قال قل في ذلك شعرا فقال
(وكيفَ صبرُ النفس عن غادةٍ ... تَظلمُها إن قلتَ طاووسَهْ)
(وجُرتَ إن شبّهتَها بانةً ... في جنَّةِ الفردوسِ مَغروسَهْ)
(وغيرُ عدْلٍ إن عَدَلْنا بها ... لؤلؤةً في البحْر مَنْفُوسهْ)
(جلّتْ عن الوصفِ فما فِكرةٌ ... تلحَقُها بالنعتِ مَحسوسَهْ)
فقال له ابن طالوت وجب شكرك يا ماني فساعدك دهرك وعطف عليك إلفك ونلت سرورك وفارقت محذورك والله يديم لنا ولك بقاء من ببقائه اجتمع شملنا وطاب يومنا
فقال ماني
(مُدْمِنُ التخفيف مَوصولُ ... ومُطِيل اللَّبثُ مَمْلولُ)
فأنا أستودعكم الله ثم قام فانصرف فأمر له محمد بن عبد الله بصلة ثم كان كثيرا ما يبعث يطلبه إذا شرب فيبره ويصله ويقيم عنده

تشبيبه بغلام

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني المبرد قال
حدثني بعض الكتاب ممن كان ماني يلزمه ويكثر عنده قال لقيني يوما ماني بعد انقطاع طويل عني فقال ما قطعني عنك إلا أني هائم قلت بمن قال بمن إن شئت أن تراه الساعة رأيته فعذرتني قلت فأنا معك فمضى حتى وافى باب الطاق فأراني غلاما جميل الوجه بين يدي بزاز في حانوته فلما رآه الغلام عدا فدخل الحانوت ووقف ماني طويلا ينتظره فلم يخرج فأنشأ يقول
(ذَنبي إليه خضوعي حين أُبْصِرُه ... وطولُ شوقي إليه حينَ أذكُرُه)
(وما جرحْتُ بطرفِ العين مُهجَتَه ... إلا ومن كَبدي يقتصُّ محجرُه)
(نفسي على بُخله تَفديه من قَمرٍ ... وإن رماني بذنبٍ ليس يغفِرُه)
(وعاذلٍ باصطبار القلبِ يأمرُني ... فقلتُ من أينَ لي قلبٌ أُصبِّرُه)
ومضى يعدو ويصيح الموت مخبوء في الكتب

صوت

(وشادنٍ قلبي به مَعمودُ ... شيمتُه الهجرانُ والصُّدودُ)
(لا أسأمُ الحِرص ولا يجودُ ... والصبرُ عن رؤيته مفقودُ)
(زنّارُه في خَصره معقودُ ... كأنه من كَبدي مَقدودُ)
عروضه من - الرجز - والشعر لبكر بن خارجة والغناء للقاسم بن زرزور خفيف رمل بالوسطى

أخبار بكر بن خارجة

حرفته

كان بكر بن خارجة رجلا من أهل الكوفة مولى لبني أسد وكان وراقا ضيق العيش مقتصرا على التكسب من الوراقة وصرف أكثر ما يكسبه إلى النبيذ وكان معاقرا للشرب في منازل الخمارين وحاناتهم وكان طيب الشعر مليحاً مطبوعا طبعا ماجنا
فذكر أبو العنبس الصيمري أن محمد بن الحجاج حدثه قال رأيت بكر بن خارجة يبكر في كل يوم بقنينتين من شراب إلى خراب من خرابات الحيرة فلا يزال يشربه فيه على صوت هدهد كان يأوي إلى ذلك الخراب إلى أن يسكر ثم ينصرف قال وكان يتعشق ذلك الهدهد
وحدثني عمي عن ابن مهرويه عن علي بن عبد الله بن سعد قال كان بكر بن خارجة يتعشق غلاما نصرانيا يقال له عيسى بن البراء العبادي الصيرفي وله فيه قصيدة مزدوجة يذكر فيها النصارى وشرائعهم وأعيادهم ويسمي دياراتهم ويفضلهم
قال وحدثني من شهد دعبلا وقد أنشدني قوله في عيسى بن البراء النصراني العبادي
(زنّارُه في خَصره معقودُ ... كأنه من كبدِي مقدودُ)
فقال دعبل ما يعلم الله أني حسدت أحدا قط كما حسدت بكرا على هذين البيتين

يبكي ويتحسر على الخمر المصبوبة في الطرق

وحدثني عمي عن الكراني قال حرم بعض الأمراء بالكوفة بيع الخمر على خماري الحيرة وركب فكسر نبيذهم فجاء بكر

يشرب عندهم على عادته فرأى الخمر مصبوبة في الرحاب والطرق فبكى طويلا وقال
(يا لقَومي لِما جنَى السلطانُ ... لا يكونَنْ لِما أهانَ الهوانُ)
(قهوةٌ في التراب من حَلَب الكَرْم ... عُقاراً كأنَّها الزعفرانُ)
(قهوة من مكان سَوء لقد صادف ... سعدَ السعود ذاكَ المكانُ)
(من كُميتٍ يُبدي المِزاجُ لها ... لؤلؤَ نظمٍ والفصلُ منها جُمانُ)
(فإذا ما اصطبحتَها صغرت في ... القدْر تختالُها هي الجرذانُ)
(كيفَ صبري عن بعض نفسي وهل يصبْرُ ... عن بعض نفسِه الإنسانُ)
قال فأنشدتها الجاحظ فقال إن من حق الفتوة أن أكتب هذه الأبيات قائما وما أقدر على ذلك إلا أن تعمدني وقد كان تقوس فعمدته فقام فكتبها قائما
وقال محمد بن داود بن الجراح في كتاب الشعراء قال لي محمد بن الحجاج كانت الخمر قد أفسدت عقل بكر بن خارجة في آخر عمره وكان يمدح ويهجو بدرهم وبدرهمين ونحو هذا فاطرح وما رأيت قط أحفظ منه لكل شيء حسن ولا أروى منه للشعر
قال وأنشدني بعض أصحابنا له في حال فساد عقله
(هبْ لي فديتُك دِرهماً ... أو دِرهمَين إلى الثّلاثَهْ)
(إني أحبُّ بني الطفيل ... ولا أحبُّ بَني عُلاثَهْ)
قال ابن الجراح حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني بعض أصحابنا الكوفيين قال حضرنا دعوة ليحيى بن أبي يوسف القاضي وبتنا عنده فنمت فما أنبهني إلا صياح بكر يستغيث من العطش فقلت له مالك فاشرب فالدار مليئة ماء قال أخاف قلت من أي شيء قال
في الدار كلب كبير فأخاف أن يظنني غزالا فيثب علي ويقطعني ويأكلني فقلت له ويحك يا بكر فالحمير أشبه منك بالغزال قم فاشرب إن كنت عطشان وأنت آمن وكان عقله قد فسد من كثرة الشراب
قال وأنشدني له وقد رأى صديقا له قرأ رقعة من صديق له آخر ثم حرقها
(لم يقو عندي على تحريق قرطاسي ... إلا امرؤ قلبه من صخرة قاسي)
(إن القراطيس من قلبي بمنزلة ... تحويه كالسمع والعينين في الرأس)
ومما يغنى فيه من شعر بكر بن خارجة
صوت
(قلبي إلى ما ضرَّني داعي ... يُكْثِر أحزاني وأوجاعي)
(لقَلّ ما أبقَى على ما أرى ... يوشك أن ينعَاني الناعي)
(كيفَ احتراسي من عدوّي إذا ... كان عدوي بين أضلاعي)
(أسلمني الحبُّ وأشياعي ... لمَّا سعى بي عندها الساعي)
(لمَّا دعاني حبُّها دعوةً ... قلت له لبَّيْك من داعِ)
الغناء لإبراهيم بن المهدي ثقيل أول وفيه لعبد الله بن العباس هزج جميعا عن الهشامي وقيل إن فيه لحنا لإبن جامع
وقد ذكر الصولي في أخبار العباس بن الأحنف وشعره أن هذه الأبيات
للعباس بن الأحنف وذكر محمد بن داود بن الجراح عن أبي هفان أنها لبكر بن خارجة
صوت
(ويلي على ساكن شَطِّ الصَّراهْ ... من وجنتيه شِمتُ برْقَ الحياه)
(ما ينقضي من عجب فِكْرتي ... في خَصلة فرّط فيها الوُلاهْ)
(تركُ المحبينَ بلا حاكمٍ ... لم يُقعدوا للعاشقين القُضاهْ)
الشعر لإسماعيل القراطيسي والغناء لعباس بن مقام خفيف رمل بالوسطى

أخبار إسماعيل القراطيسي

بيته ملتقى العابثين

هو إسماعيل بن معمر الكوفي مولى الأشاعثة وكان مألفا للشعراء فكان أبو نواس وأبو العتاهية ومسلم وطبقتهم يقصدون منزله
ويجتمعون عنده ويقصفون ويدعو لهم القيان وغيرهن من الغلمان ويساعدهم
وإياه يعني أبو العتاهية بقوله
(لقد أمسَى القراطِيسي ... رئيساً في الكَشاخين)
وفي هذه الأبيات التي فيها الغناء يقول القراطيسي
(وقد أتاني خبرٌ ساءني ... مقالها في السر واسَوْأتاهْ)
(أمثلَ هذا يبتغِي وصلَنا ... أما يَرى ذا وجهَه في المِراهْ)
أخبرني ابن عمار عن ابن مهرويه عن علي بن عمران قال قال
القراطيسي قلت للعباس بن الأحنف هل قلت في معنى قولي
(وقد أتاني خبرٌ ساءَني ... مقالها في السرّ واستوأتاه)
قال نعم وأنشدني
(جاريةٌ أعجبَها حسنُها ... فمثلُها في الناس لم يُخْلَقِ)
(خبّرتُها أنّي مُحِبٌّ لَها ... فأقبلتْ تضحكُ من منطقي)
(والتفتتْ نحو فتاةٍ لها ... كالرشأ الوَسنانِ في قُرطُقِ)
(قالتْ لها قُولي لهذا الفَتَى ... انظرْ إلى وجهكَ ثم أعشَقِ)
أخبرني الحسن بن مهرويه قال
حدثني أحمد بن بشر المرثدي قال مدح إسماعيل القراطيسي الفضل بن الربيع فحرمه فقال
(ألا قلْ للّذي لم يَهده ... اللّهُ إلى نفعِ)

(لئن أخطأتُ في مدحيكَ ... ما أخْطأتَ في منعي)
(لقد أحلَلْتُ حاجاتي ... بوادٍ غير ذي زَرْعِ)
أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد عن أبي هفان عن الجماز قال اجتمع يوما أبو نواس وحسين الخليع وأبو العتاهية في الحمام وهم مخمورون فقالوا أين نجتمع فقال القراطيسي
(ألاَ قوموا بأجمعكم ... إلي بيتِ القَراطيسي)
(لقد هيَّا لنا النزْلَ ... غلامٌ فارهٌ طُوسِي)
((وقد هيّا الزُّجاجاتِ ... لنا مِن أرضِ بِلْقيس
(وألواناً من الطيْرِ ... وألواناً منَ العِيس)
(وقيناتٍ مِن الحُورِ ... كأمثالِ الطواويس)
(فنيكوهُنَّ في ذاكم ... وفي طاعة إبليس)
صوت
(أبكي إذا غضبتْ حتى إذا رضِيَتْ ... بكيتُ عند الرضا خوفاً من الغَضَبِ)
(فالويلُ إن رضِيتْ والعولُ إن غَضِبَتْ ... إن لم يتمَّ الرضا فالقلب في تَعَبِ)
الشعر لأبي العبر الهاشمي أنشدنيه الأخفش وغيره من أصحابنا وذكره له محمد بن داود بن الجراح والغناء لعلية بنت المهدي ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي
أخبار أبي العبر ونسبه
هو أبو العباس محمد بن أحمد ويلقب حمدونا الحامض بن عبد الله بن عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان صالح الشعر مطبوعا يقول الشعر المستوي في أول عمره منذ أيام الأمين وهو غلام إلى أن ولي المتوكل الخلافة فترك الجد وعاد إلى الحمق والشهرة به وقد نيف على الخمسين ورأى أن شعره مع توسطه لا ينفق مع مشاهدته أبا تمام الطائي والبحتري وأبا السمط بن أبي حفصة ونظراءهم
كسب بالحمق أضعاف ما كسبه شعراء الجد
حدثني عم أبي عبد العزيز بن أحمد قال سمعت حمدون الحامض يذكر أن ابنه أبا العبر ولد بعد خمس سنين خلت من خلافة الرشيد قال وعمر إلى خلافة المتوكل وكسب بالحمق أضعاف ما كسبه كل شاعر كان في عصره بالجد ونفق نفاقا عظيما وكسب في أيام المتوكل مالا جليلا وله فيه أشعار حميدة يمدحه بها ويصف قصره وبرج الحمام والبركة كثيرة المحال مفرطة السقوط لا معنى لذكرها سيما وقد شهرت في الناس
فحدثني محمد بن أبي الأزهر قال حدثني الزبير بن بكار قال
قال لي عمي ويحك ألا يأنف الخليفة لإبن عمه هذا الجاهل مما قد شهر به نفسه وفضح عشيرته والله إنه لعر بني آدم جميعا فضلا عن أهله والأدنين أفلا يردعه ويمنعه من سوء اختياره
فقلت إنه ليس بجاهل كما تعتقد وإنما يتجاهل وإن له لأدبا صالحا وشعرا طيبا ثم أنشدته
(لا أقول اللهُ يَظلِمني ... كيف أشكو غير مُتَّهِمِ)
(وإذا ما الدّهرُ ضَعْضَعني ... لم تجِدْني كافرَ النِّعمِ)
(قنعتْ نفسي بما رُزِقَتْ ... وتناهَتْ في العلا هِمَمي)
(لَيس لي مالٌ سوى كرمي ... وبه أمْنِي من العَدَمِ)
فقال لي ويحك فلم لا يلزم هذا وشبهه فقلت له والله يا عم لو رأيت ما يصل إليه بهذه الحماقات لعذرته فإن ما استملحت له لم ينفق به فقال عمي وقد غضب أنا لا أعذره في هذا ولو حاز به الدنيا بأسرها لا عذرني الله إن عذرته إذن
وحدثني مدرك بن محمد الشيباني قال حدثني أبو العنبس الصيمري قال قلت لأبي العبر ونحن في دار المتوكل ويحك أيش يحملك على هذا السخف الذي قد ملأت به الأرض خطبا وشعرا وأنت أديب ظريف مليح الشعر فقال لي يا كشخان أتريد أن أكسد أنا وتنفق أنت أنت أيضا شاعر فهم متكلم فلم تركت العلم وصنعت في الرقاعة نيفا وثلاثين كتابا أحب أن تخبرني لو نفق العقل أكنت تقدم علي البحتري وقد قال في الخليفة بالأمس
((عن أي ثَغرٍ تبْتسم ... وبأيِّ طَرف تَحْتكم
فلما خرجت أنت عليه وقلت
(في أي سَلْحٍ تَرتطِمْ ... وبأي كف تلتطم)
(أدخلتَ رأسكَ في الرَّحِم ... وعلمتَ أنك تَنْهزم)
فأعطيت الجائزة وحرم وقربت وأبعد في حر أمك وحر أم كل عاقل معك فتركته وانصرفت
قال مدرك ثم قال لي أبو العنبس قد بلغني أنك تقول الشعر فإن قدرت أن تقوله جيدا جيدا وإلا فليكن بارداً بارداً مثل شعر أبي العبر وإياك والفاتر فإنه صفع كله
له مذهبان متناقضان
حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني أبو العيناء قال أنشدت أبا العبر
(ما الحبُّ إلا قُبلَة ... أو غمزُ كفٍّ وعضُدْ)
(أو كتُبٌ فيها رُقًى ... أنفذُ من نَفْث العُقَدْ)
(مَن لم يكن ذا حُبَّه ... فإنما يبغِي الولَدْ)
(ما الحبُّ إلا هكذا ... إن نُكِح الحبُّ فسدْ)
فقال لي كذب المأبون وأكل من خراي رطلين وربعا بالميزان فقد أخطأ وأساء ألا قال كما قلت
((باضَ الحبُّ في قلْبي ... فواويلي إذا فَرَّخْ)
(وما ينفعُني حُبّي ... إذا لم أكنس البرْبَخْ)
(وإن لم يطرح الأصلَعُ ... خُرجيه عَلَى المَطْبَخْ)
ثم قال كيف ترى قلت عجبا من العجب قال ظننت أنك تقول لا فأبل يدي وأرفعها
ثم سكت فبادرت وانصرفت خوفا من شره
حدثني عبد العزيز بن أحمد عم أبي قال كان أبو العبر يجلس بسر من رأى في مجلس يجتمع عليه فيه المجان يكتبون

عنه فكان يجلس على سلم وبين يديه بلاعة فيها ماء وحمأة وقد سد مجراها وبين يديه قصبة طويلة وعلى رأسه خف وفي رجليه قلنسيتان ومستمليه في جوف بئر وحوله ثلاثة نفر يدقون بالهواوين حتى تكثر الجلبة ويقل السماع ويصيح مستمليه من جوف البئر من يكتب عذبك الله ثم يملي عليهم فإن ضحك أحد ممن حضر قاموا فصبوا على رأسه من ماء البلاعة إن كان وضيعا وإن كان ذا مروءة رشش عليه بالقصبة من مائها ثم يحبس في الكنيف إلى أن ينفض المجلس ولا يخرج منه حتى يغرم درهمين

قال وكانت كنيته أبا العباس فصيرها أبا العبر ثم كان يزيد فيها في كل سنة حرفا حتى مات وهي أبو العبر طرد طيل طليري بك بك بك

حدثني جحظة قال رأيت أبا العبر بسر من رأى وكان أبوه شيخا صالحا وكان لا يكلمه

فقال له بعض إخوانه لم هجرت إبنك قال

فضحني كما تعلمون بما يفعله بنفسه ثم لا يرضى بذلك حتى يهجنني ويؤذيني ويضحك الناس مني فقالوا له وأي شيء من ذاك وبماذا هجنك قال اجتاز علي منذ أيام ومعه سلم فقلت له ولأي شيء هذا معك فقال لا أقول لك فأخجلني وأضحك بي كل من كان عندي فلما أن كان بعد أيام اجتاز بي ومعه سمكة فقلت له أيش تعمل بهذه فقال أنيكها فحلفت لا أكلمه أبدا

مذهبه في الكتابة وفي الصيد

أخبرني عم أبي عبد العزيز قال سمعت رجلا سأل أبا العبر عن هذه المحالات التي لا يتكلم بها أي شيء أصلها قال أبكر فأجلس على الجسر ومعي دواة ودرج فأكتب كل شيء أسمعه من كلام الذاهب والجائي والملاحين والمكارين حتى أملأ الدرج من الوجهين ثم أقطعه عرضا وطولا وألصقه مخالفا فيجيء منه كلام ليس في الدنيا أحمق منه

أخبرني عمي قال رأيت أبا العبر واقفاً على بعض آجام سر من رأى وبيده اليسرى قوس جلاهق وعلى يده اليمنى باشق وعلى رأسه قطعة رثة في حبل مشدود بأنشوطة وهو عريان في أيره شعر مفتول مشدود فيه شص قد ألقاه في الماء للسمك وعلى شفته دوشاب ملطخ فقلت له خرب بيتك أيش هذا العمل فقال أصطاد ياكشخان

يا أحمق بجميع جوارحي إذا مر بي طائر رميته عن القوس وإن سقط قريبا مني أرسلت إليه الباشق والرئة التي على رأسي يجيء الحدأ ليأخذها فيقع في الوهق والدوشاب أصطاد به الذباب وأجعله في الشص فيطلبه السمك ويقع فيه والشص في أيري فإذا مرت به السمكة أحسست بها فأخرجتها

قال وكان المتوكل يرمي به في المنجنيق إلى الماء وعليه قميص حرير فإذا علا في الهواء صاح الطريق الطريق ثم يقع في الماء فتخرجه السباح قال وكان المتوكل يجلسه على الزلاقة فينحدر فيها حتى يقع في البركة ثم يطرح الشبكة فيخرجه كما يخرج السمك ففي ذلك يقول في بعض حماقاته

(ويأمر بي المَلِكْ ... فيطرحُني في البِرَكْ)

(ويصطادُني بالشّبكْ ... كأني من السّمكْ)

(ويضحك كك كك ككك ... ككك كك ككك كك ككك)

عبثه مع إسحاق بن إبراهيم

وحدثني جعفر بن قدامة قال قدم أبو العبر بغداد في أيام المستعين وجلس للناس فبعث إسحاق بن إبراهيم فأخذه وحبسه فصاح في الحبس لي نصيحة فأخرج ودعا به إسحاق فقال هات نصيحتك قال على أن تؤمنني قال نعم قال الكشكية أصلحك الله لا تطيب إلا بالكشك فضحك إسحاق وقال هو فيما أرى مجنون فقال لا هو امتخط حوت

قال أيش هو امتخط حوت ففهم ما قاله وتبسم ثم قال أظن أني فيك مأثوم قال لا ولكنك في ماء بصل فقال أخرجوه عني إلى لعنة الله ولا يقيم ببغداد فأرده إلى الحبس فعاد إلى سر من رأى

شعره في غلام أمرد

وله أشعار ملاح في الجد منها ما أنشدنيه الأخفش له يخاطب غلاما أمرد

(أيها الأمردُ المولع بالهجر ... أفِق ما كذا سبيلُ الرشادِ)

(فكأنّي بحُسن وجهِكَ قد ألبس ... في عارضَيْك ثوبَ حِداد)

(وكأني بعاشِقيك وقد بُدِّلت ... فيهم من خلطة بِبِعادِ)

(حين تنبو العيونُ عنكَ كما ينقبض ... السَّمعُ عن حديثٍ مُعادِ)

(فاغتنم قبل أن تصيرَ إلى كان ... وتُضحِي في جُملة الأضدادِ)

وأنشدني محمد بن داود بن الجراح له وفيه رمل طنبوري محدث أظنه لجحظة

صوت

(داء دفينٌ وهوًى بادي ... أظْلِم فَجازيك بمرصَاد)

(يا واحدَ الأمة في حُسنه ... أشمتَ بي صدُّك حُسَّادي)

(قد كدتُ مما نال منِّي الهوى ... أخْفَى على أعين عُوَّادي)

(عبدُكَ يُحْيي موتَه قُبلةٌ ... تجعلها خاتمةَ الزَّاد)

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أحمد بن علي الأنباري قال كنا يوما في مجلس يزيد بن محمد المهلبي بسر من رأى فجرى ذكر أبي العبر فجعلوا يذكرون حماقاته وسقوطه فقلت ليزيد كيف كان عندك فقد رأيته فقال ما كان إلا أديبا فاضلا ولكنه رأى الحماقة أنفق وأنفع له فتحامق

فقلت له أنشدك أبياتا له أنشدنيها فانظر لو أراد دعبل فإنه أهجى أهل زماننا أن يقول في معناها ما قدر على أن يزيد على ما قال قال أنشدنيها فأنشدته قوله

هجوه قاضيين أعورين

(رأيتُ من العجائبِ قاضيَيْن ... هما أُحدوثةٌ في الخافِقَين)

(هما اقتسما العمى نصفين قَدًّا ... كما اقتسما قضاءَ الجانِبَيْن)

(هما فألُ الزمان بِهُلك يَحيى ... إذا أفتَتِح القضاء بأعورَين)

(وتحسب منهما من هزَّ رأساً ... لينظر في مواريثٍ ودَيْن)

(كأنك قد جعلتَ عليه دَنًّا ... فتحت بِزالَه من فَردِ عَيْن)

فجعل يضحك من قوله ويعجب منه ثم كتب الأبيات
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن مهرويه قال حدثني ابن أبي أحمد قال قال لي أبو العبر إذا حدثك إنسان بحديث لا تشتهي أن تسمعه فاشتغل عنه بنتف إبطك حتى يكون هو في عمل وأنت في عمل
وقال محمد بن داود حدثني أبو عبد الله الدوادي قال
كان أبو العبر شديد البغض لعلي بن أبي طالب صلوات الله عليه وله في العلويين هجاء قبيح وكان سبب ميتته أنه خرج إلى الكوفة ليرمي بالبندق مع الرماة من أهلها في آجامهم فسمعه بعض الكوفيين يقول في علي صلوات الله عليه قولا قبيحا استحل به دمه فقتله في بعض الآجام وغرقه فيها
صوت
(لقد طال عهدِي بالإمام محمدٍ ... وما كنت أخشى أن يَطولَ به عهدي)
(فأصبحتُ ذا بُعْدٍ وداري قريبةٌ ... فواعجبا من قُربِ داري ومن بُعدي)
(فياليت أنّ العِيدَ لي عادَ مرّةً ... فإني رأيت العِيدَ وجهك لي يُبْدِي)
(رأيتُك في بُرْدِ النبيّ محمد ... كبدر الدُّجَى بين العِمامة والبُرد)
الشعر لمروان بن أبي حفصة الأصغر والغناء لبنان خفيف رمل بالبنصر
أخبار مروان بن أبي حفصة الأصغر
تقرب إلى المتوكل بهجاء آل أبي طالب
هو مروان بن أبي الجنوب بن مروان الأكبر بن أبي حفصة
قد تقدم خبره ونسبه ويكنى مروان الأصغر أبا السمط وكان يتشبه بجده في شعره ويمدح المتوكل ويتقرب إليه بهجاء آل أبي طالب فتمكن منه وقرب إليه وكسب معه مالا كثيرا فلما أفضت الخلافة إلى المنتصر تجنب مذهب أبيه في كل أمر فطرده وحلف ألا يدخل إليه أبدا لما كان يسمعه منه في أمير المؤمنين علي رضي الله عنه
فأخبرني محمد بن عمران الصيرفي وعمي قالا حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني محمد بن عبد الله بن آدم العبدي قال دخل مروان بن أبي الجنوب على المتوكل فأنشده قوله
(سلام على جُمْلٍ وهيهات من جُمل ... ويا حبّذا جُملٌ وإن صرمت حَبْلي)
وهي من مشهور شعره وفيها يقول
(أبوكم عليٌّ كان أفضلَ منكم ... أباه ذوُو الشورى وكانوا ذَوي عَدْلِ)
((وساءَ رسولَ الله إذ ساءَ بنتَه ... بخِطبته بنتَ اللعين أبي جهل
(أرادَ عَلَى بنت النبّي تزوُّجاً ... ببنت عدو الله يا لك من فِعْل)
(فذمّ رسولُ الله صِهرَ أبيكُم ... على منبر الإسلام بالمنطق الفَصل)
(وحكّم فيها حاكمَيْن أبوكُم ... هما خلعاه خلعَ ذي النَّعل للنّعل)
(وقد باعها من بعده الحسنُ ابنُه ... فقد أبطلا دعواكما الرَّثَّةَ الحبل)
(وخلَّيتُموها وهْيَ في غير أهلها ... وطالبتُموها حيث صارَتْ إلى الأهل)
فوهب له المتوكل مائة ألف درهم
وقال محمد بن داود بن الجراح حدثني محمد بن القاسم قال حدثني أبو هاشم الجبائي قال دخل أبو السمط على المتوكل فأنشده قوله
(الصّهرُ ليس بوارثٍ ... والبنت لا ترثُ الإمامهْ)
(لو كان حقكُم لهمُ ... قامت على الناس القيامهْ)
(أصبحت بين مُحبّكمْ ... والمبغِضين لكم عَلامهْ)
فحشا المتوكل فمه بجوهر لا يدرى ما قيمته
وحدثني أحمد بن جعفر جحظة قال أنشد أبو السمط المتوكل قوله
(إني نَزلتُ بساحة المتوكل ... ونزلتُ في أقصى دِيارِ المَوْصِل)
فقال الفتح بن خاقان فإذا كانا متباعدين هكذا فمن كان الرسول فقال أبو العنبس الصيمري كانت له طيور هدى تحمل إليها كتبه فضحك المتوكل حتى ضرب برجله الأرض وأجزل صلة الصيمري ولم يعط
أبا السمط شيئا فماتا متهاجرين
أخبرني عمي والحسن بن علي قالا حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا حماد بن أحمد البني قال أخبرني أبو السمط مروان بن أبي الجنوب قال لما صرت إلى المتوكل على الله ومدحته ومدحت ولاة العهود الثلاثة وأنشدته ذلك في قولي
(سقَى الله نجداً والسَّلامُ على نجدِ ... ويا حبذا نجدٌ على النَّاي والبعدِ)
(نظرتُ إلى نجدٍ وبغدادُ دونها ... لعلي أرى نجداً وهيهاتَ من نجدِ)
(بلادٌ بها قوم هَواهُمْ زيارتي ... ولا شيء أشهى من زيارتهم عندي)
فلما استتممتها أمر لي بمائة ألف درهم وخمسين ثوبا من خاص ثيابه
عمر الطنبوري يغني بين يدي المتوكل
أخبرني علي بن أبي العباس بن أبي طلحة قال حدثني إبراهيم بن محمد أبو إسحاق قال حدثني خالد بن يزيد الكاتب قال دعاني المتوكل ليلة وقد غنى بين يديه عمر الطنبوري في قولي
(يا مقلتيّ قتلتماني ... فبقيتُ رحمةَ مَنْ يراني)
(مَنْ ذا ألوم وأنتما ... بيَدِ الهوى أسلمتُماني)
قال ولم يغنه البيت الثالث وهو
(لعبت بنا أيدي الخطوب ... وغالنا رَيبُ الزمان)
كراهة أن يتطير منه فجعل ينظر إلي وأنا واقف ثم قال لي ويلك
يا خالد تهرب منا ونحن نطلبك وأنت في غيابات صبواتك وغزلك
يا غلام اسقه ثلاثة أقداح في القدح المبرم وهو الذي لا قرار له فإذا أخذه الإنسان لم يقدر أن يضعه من يده فقلت

(سيدي لا تَسْقني ... أكثر من رِطْل نبيذِ)
(إنَّ شُرْبي للذَّي ... يؤلمني غير لذيذِ)
فقال يا غلام إن لم يشرب فاصفعه فقلت
(سيدي حوصَلتِي ضَيّقةٌ ... عن شرب رطل)
(فمتى زدتُ عليه ... خفت أن يذهب عقلي)
فقال الفتح هو كما قال يا سيدي لا يطيق الشرب
وحضر ابن أبي حفصة فقال لنا المتوكل قولا على البديهة فقلت له هو يا سيدي شيخ الشعراء ومادحك وآباؤه مداح أبائك فأنشأ يقول
(يا ليت لي ألفَ عينٍ ... عيناي لا تكفِيان)
فقلت له سخنت عينك أنا لي عين واحدة أدعو الله عليها بالعمى منذ ستين سنة أقول
(يا عين أنت بليتني ... فأراحني الرحمن منك)
وأنت تتمنى ألف عين
ثم قال لي المتوكل اهجه فقلت إن الرجل لم يعرض لي فأقبل هو علي وقال قل ما شئت وما عسى أن تقول فقلت
(زاد البَردُ يومين ... فقال الناس ما القصَّهْ)
(فقلنا أنشدونا شعر ... مروان بن أبي حفصه)
(فتى من شهوة النَّيْكِ ... بحلقوم استِه غصَّه)
(ولو يُرْمى ببَطِّيخ ... لوافى دُبْرَهُ رَصَّهْ)
قال فضحك المتوكل حتى صفق برجليه الأرض وأفحم مروان ثم أمر لي بجائزة فأخذتها وانصرفت
مدح المتوكل فأثابه
قال ابن أبي طاهر حدثني مروان بن أبي الجنوب قال لما استخلف المتوكل بعثت إلى ابن أبي دواد بقصيدة مدحته فيها وذكرت فيها ابن الزيات ببيتين هما
(وقيل ليَ الزياتُ لاقى حِمامَه ... فقلت أتاني الله بالفَتْح وَالنصْرِ)
(لقد حفر الزياتُ بالبغي حُفرة ... فألقاه فيها الله بالكفر والغَدْرِ)
قال فذكرني ابن أبي دواد للمتوكل فأمر بإحضاري فقيل له نفاه الواثق إلى اليمامة وذلك لميله إليك
فقال يحمل فقال له ابن أبي دواد عليه ستة آلاف دينار دين فقال يكتب له بها إلى عامل اليمامة فكتب لي بها وبالحملان والمعونة فقدمت عليه وأنشدته قولي
صوت
(رحَل الشبابُ وليتَه لم يَرْحَلِ ... والشيبُ حَلَّ وليتَه لم يَحْلُلِ)
فلما بلغت إلى هذا البيت
(كانت خلافةُ جعفر كنبوّةٍ ... جاءت بلا طَلَبٍ ولا بتمَحُّلِ)
(وهبَ الإِلهُ لك الخلافة مثلَ ما ... ورهب النبوّة للنبيِّ المُرسَلِ)
فأمر لي بخمسين ألف درهم
وفي أول هذه القصيدة لعريب ثاني ثقيل بالوسطى
والصوت المذكور في أول هذه الأخبار من قصيدة قالها أبو السمط في المنتصر لما ولي الخلافة
المنتصر يرفض أن يأذن له بالدخول
أخبرني بخبره فيها جماعة من أصحابنا منهم محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد والحسن بن علي قالا حدثنا محمد بن موسى قال حدثني القاسم بن محمد الكاتب قال حدثني المرزبان بن الفروران حاجب المنتصر قال إن مروان بن أبي حفصة الأصغر المكنى أبا السمط استأذن على المنتصر لما ولي الخلافة فقال والله لا أذنت للكافر ابن الزانية أليس هو القائل
(وحكَّم فيها حاكمين أبوكمُ ... هما خَلَعاه خلْع ذي النَّعْل للنّعْل)
قولوا له والله لا وصلت إلي أبدا فلما بلغه هذا القول عمل هذا الشعر
(لقد طال عهدي بالإمام محمد ... وما كنتُ أخْشَى أن يطول به عَهْدِي)
وذكر الأبيات كلها
قال وسأل بنان بن عمرو فصنع فيه لحنا وغنى به المنتصر فلما سمعه سأل عن قائلها فأخبرته فقال أما الوصول إلي فلا سبيل إليه ولكن أعطوه
عشرة آلاف درهم يتحمل بها إلى اليمامة
أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال حدثني جعفر بن هارون بن زياد قال حدثني أحمد بن الفضل الكاتب قال لما قال علي بن الجهم هذه القصيدة في المتوكل
(غْتَنِمْ جِدَّة الزَّمان الجديدِ ... واجعل المهرجان أيمنَ عِيدِ)
أنشدها وأبو السمط بن أبي حفصة حاضر فغمزه المتوكل على علي بن الجهم وأمره أن يعنته فقال له يا علي أخبرني عن قولك
(... واجعل المهرجان أيمن عيد)
المهرجان عيد أم يوم لهو إنما العيد ما تعبد الله به الناس مثل الفطر والأضحى والجمعة وأيام التشريق
فأما المهرجان والنيروز فإنما هما أعياد المجوس لا يجوز أن يقال لخليفة الله في عباده وخليفة رسول الله في أمته جعل المهرجان عيدا
فلم يلتفت إليه وأنشد حتى بلغ قوله
(نحن أشياعكمْ من آل خراسان ... أولو قُوّة وبأسٍ شديد)
(نحن أبناء هذه الخِرَق السُّودِ ... وأهل التَّشيّع المَحْمُودِ)
فقال له مروان لو كنتم من أهل التشيع المحمود ما قتل قحطبة جدك وصلبه في عداوة بني العباس

فقال له المتوكل ويلك أقتل قحطبة جدك
قال لا والله يا أمير المؤمنين
فأقبل على محمد بن عبد الله بن طاهر فقال له بحياتي الأمر كما قال مروان فقال له محمد وإن كان كما قال فأي ذنب لعلي بن الجهم قد قتل الله أعداءكم وأبقى أولياءكم
فضحك المتوكل وقال شهدت والله بها عليه فقال مروان في ذلك
(غَضِبَ ابنُ الجَهْمِ من قولي له ... إنّ في الحق لِقومٍ مَغْضَبَهْ)
(يابنَ جهمٍ كيف تهوى مَعْشراً ... صلبوا جَدّكَ فوق الخشبهْ)
(يا إمامَ العدل نصحي لكمُ ... نُصحُ حَقٍّ غير نُصحِ الكَذِبَهْ)
(إن جدّي من رفعتم ذِكْرَه ... بكراماتٍ لشكري موجِبَهْ)
(وابنُ جهمٍ من قتلتم جدَّه ... وتولّي ذاك منه قَحْطَبَهْ)
(فخراسانُ رأتْ شيعَتُكُمْ ... أنّه أهلٌ لضرب الرّقبهْ)
(أتُراه بعدها ينصحكمْ ... لا وربِّ الكعبةِ المحتجبهْ)
هجاؤه لعلي بن الجهم
أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني جعفر بن هارون قال حدثني أحمد بن حمدون بن إسماعيل قال بلغ المتوكل أن علي بن الجهم خطب امرأة من قريش فلم يزوجوه فسأل عن السبب في ذلك وعن قصته وعن نسب سامة بن لؤي فحدث بها ثم انتهى حديثهم بأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لم يدخلاهم في قريش وأن عثمان رضي الله عنه أدخلهم فيه وأن عليا رضي الله عنه أخرجهم منه فارتدوا مع الحارث وأنه قتل من ارتد منهم وسبى بقيتهم وباعهم من مصقلة بن
هبيرة
فضحك المتوكل وبعث إلى علي بن الجهم فأخبره بما قال القوم فأنكر ذلك وقال
هذه الدعوى من الرافضة وشتم القوم
وكان منهم أبو السمط فقال له
(إنَّ جَهْماً حين تنسبه ... ليس من عُجْمٍ ولا عَرَبِ)
(لجَّ في شتمي بلا سَبَبٍ ... سارقٌ للشّعر والنَّسب)
(من أناسٍ يدَّعون أباً ... ماله في الأرض من عقب)
فغضب علي بن الجهم ولم يجبه لأنه كان يحتقره ويستركه وأومأ إليه المتوكل أن يزيده فقال
(أأنتم من قريش يابن جَهْم ... وقد باعوكُم في مَن يزيدُ)
(أترجو أن تكاثرنا جِهاراً ... بنسبتكم وقد بيع الجدودُ)
قال وما زال مروان يهجو علي بن الجهم فما أجابه عن شيء من شعره أنفة منه
مدح أحمد بن أبي دواد فنال مكافأته
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا إسحاق بن محمد النخعي قال حدثني الجماز أبو عبد الله قال دخل مروان الأصغر على أحمد بن أبي دواد وقد أصابه الفالج وتماثل قليلا فأنشده
(لسانُ أحمدَ سيفٌ مسَّه طَبَعٌ ... من عِلّةٍ فجلاه عنه جاليها)
(ما ضرَّ أحمدَ باقي عِلّةٍ دَرَسَتْ ... والله يُذْهِبُ عنه رسْم باقيها)
(قد كان موسى على عِلاّت منطقه ... رسائلُ الله إذ جاءت يُؤَدِّيها)
(موسى بن عمران لم يَنْقص نبوّته ... ضعفُ اللسان وقِدْماً كان يُمْضِيها)
فوصله أحمد رحمه الله تعالى واعتذر إليه
أخبرني عمي قال حدثني متوج قال قال أبو السمط دخلت على عبد الله بن طاهر فقال إني تذكرت في ليلتي هذه ذا اليمينين فبت أرقا حزينا باكيا فارثه في مقامك هذا بأبيات تجعل لي طريقا إلى شفاء علتي ولك حكمك ففكرت هنيهة ثم قلت
(إنّ المكارم إذ تولّى طاهرٌ ... قطَعَ الزمانُ يمينَها وشِمالَها)
(لو كافحتْه يدُ المنونُ مُجاهراً ... لاقت لوقع سيوفه آجالَها)
(أرْسى عِمَادَ خليفةٍ في هاشم ... ورمي عمادَ خلافة فأزالها)
(بكت الأعِنّةُ والأسِنَّة طاهراً ... ولطالما روّى النَّجيعُ نِهالَها)
(ليتَ المنون تجانبت عن طاهرٍ ... ولوت بذِرْوَة من تشاءُ حِبالها)
(ما كنت لو سَلِمَتْ يمينا طاهرٍ ... أدري ولا أسَلَ الحوادثُ مالها)
فقال أحسنت والله فاحتكم فقلت له خمسون ألف درهم أقضي منها دينا وأصلح حالي وأبتاع ضيعة تلاصق ضيعتي فأمر لي بها وقال ربحنا
وخسرت ولو لم تحتكم لزدتك ولك عندنا عد وعد بعد عد
صوت
(لا تلمْنيَ أن أجْزعا ... سيّدي قد تمنَّعا)
(وابَلائي إن كانَ ما ... بيننا قد تَقطَّعا)
(إنّ مُوسى بِفَضْله ... جمَّع الفضْلَ أجمعَا)
الشعر ليوسف بن الصيقل والغناء لإبراهيم خفيف رمل بالبنصر
أخبار يوسف بن الحجاج ونسبه
نسبه
هو يوسف بن الحجاج الصيقل يقال إنه من ثقيف ويقال إنه مولى لهم وذكر محمد بن داود بن الجراح أنه كان يلقب لقوة وأنه كان يصحب أبا نواس ويأخذ عنه ويروي له وأبوه الحجاج ين يوسف محدث ثقة وروى عنه جماعة من شيوخنا منهم ابن منيع والحسن بن الطيب الشجاع وابن عفير الأنصاري وكان يوسف بن الصيقل كاتبا ومولده ومنشؤه بالكوفة

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي عن ابن شبة قال قال أحمد بن صالح الهشامي قال لنا يوسف بن الصيقل يوما ورأى الشعراء بأيديهم الرقاع يطوفون بها فقال صنع الله لكم ثم أقبل على إبراهيم الموصلي فقال له كنا نهزل فنأخذ الرغائب وهؤلاء المساكين الآن يجدون فلا يعطون شيئا ثم قال لإبراهيم أتذكر ونحن بجرجان مع موسى الهادي وقد شرب على مستشرف عال جدا وأنت تغنيه هذا الصوت

(واستدارت رحالُهم ... بالرُّدَيني شُرَّعَا)

فقال هذا لحن مليح ولكني أريد له شعرا غير هذا فإن هذا شعر بارد والتفت إلي فقال اصنع في هذا الوزن شعرا فقلت

(لا تلمنيَ أن أجزعا ... سيّدي قد تمنّعا)

فغنيته فيه بذلك اللحن ومرت به إبل ينقل عليها فقال أوقروها لهما مالا فأوقرت مالا وحمل إلينا فاقتسمناه فقال إبراهيم نعم وأصاب كل واحد منا ستين ألف درهم

نسبه هذا الصوت الذي غناه

صوت

(فارسٌ يضرب الكتيبةَ ... حتَّى تصدَّعا)

(في الوغي حينَ لا يَرَى ... صاحِبُ القَوسِ مَنزَعا)

(واستدارتْ رحالُهمْ ... بالرُّدَينيِّ شُرَّعا)

(ثم ثارتْ عَجاجَةٌ ... تحتَها الموتُ مُنْقَعا)

في هذه الأبيات رمل ينسب إلى ابن سريج وإلى سياط وفيه لإبن جامع خفيف رمل بالبنصر

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله العبدي فذكر مثل هذه القصة إلا أنه حكى أنها كانت بالرقة لا بجرجان وأن الرشيد كان صاحبها لا موسى

مدح الرشيد فأجازه

أخبرني الحسن بن علي العنزي عن محمد بن يونس الربيعي قال حدثني أبو سعيد الجند يسابوري قال لما ورد الرشيد الرقة خرج يوسف بن الصيقل وكمن له في نهر جاف على طريقه وكان لهارون خدم صغار يسميهم النمل يتقدمونه بأيديهم قسي البندق يرمون بها من يعارضه في طريقه فلم يتحرك يوسف حتى وافته قبة هارون على ناقة فوثب إليه يوسف وأقبل الخدم الصغار يرمونه فصاح بهم الرشيد كفوا عنه فكفوا وصاح به يوسف يقول

صوت

(أغيثاً تحملُ الناقةُ ... أم تحملُ هرونا)

(أم الشمسُ أم البدرُ ... أم الدُّنيا أم الدِّينا)

(الا كلُّ الذي عدّدْتُ ... قد أصبح مقرونا)

(على مَفرقِ هارون ... فَداه الآدميُّونا)

فمد الرشيد يده إليه وقال له مرحباً بك يا يوسف كيف كنت بعدي ادن مني فدنا وأمر له بفرس فركبه وسار إلى جانب قبته ينشده ويحدثه

والرشيد يضحك وكان طيب الحديث ثم أمر له بمال وأمر بأن يغنى في الأبيات

الغناء في هذه الأبيات لإبن جامع خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي وقال محمد بن داود كان يوسف فاسقا مجاهرا باللواط وله فيه أشعار فمنها قوله

(لا تَبخَلَنّ على النديم ... بردْف ذي كَشْحٍ هَضيم)

(تعلُو وينظُرِ حَسرْةً ... نَظَرَ الحِمارِ إلى القَضِيم)

(وإذا فرغْتَ فلا تقم ... حتى تُصَوِّتَ بالنّديم)

(فإذا أجابَ فقلْ هلُمّ ... إلى شهادةِ ذي الغريم)

(واتبعْ للذّتك الهوَى ... ودعِ الملامةَ للمُليم)

قال وهذا الشعر يقوله لصديق له رآه قد علا غلاما له فخاطبه به

ومن مشهور قوله في هذا المعنى

(لا تَنيكَنَّ ما حييتَ ... غُلاماً مكابرَهْ)

(لا تمرّنَّ باسته ... دُون دَفْع المؤامرهْ)

(إن هذا اللّواطَ دِينٌ ... تراه الأساوره)

(وهم فيه منصِفون ... بحُسنِ المعاشره)

ومن قوله في هذا المعنى أيضا هذه الأبيات

(ضع كذا صدرَك لي يا سيدي ... واتّخذْ عندي إلى الحشريدَا)

((إنَّما ردفك سرْجٌ مُذهَبٌ ... كُشِفَ البِزْيونَ عنه فبدا

(فأعرنيه ولا تبخلْ به ... ليس يُبليه رُكوبي أبدا)

(بل يصفّيه ويَجلوه ولا ... أثرٌ تراه فيه أبدا)

(فادنُ يا حِبُّ وطِبْ نفساً به ... إنّ ذاك الدّينَ تُقضاه غدا)

هجا القيان

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة عن أحمد بن صالح الهاشمي قال هجا يوسف بن الصيقل القيان فقال

(احذر فديتُك ما حييتَ ... حبائلَ المتَشاكلات)

(فلهُنّ يُفْلِسنَ الفتى ... وكفى بهنّ مُفَلِّسات)

(ويل امرِيءٍ غِرٍّ تَجيه ... رقاعهنّ مُختّمات)

(ورقاعُهنّ إليهمُ ... برُقَى القِحاب مُسَطَّرات)

(وعلى القيادة رُسْلُهنّ ... إذا بُعِثْن مدرَّبات)

(يهدمْنَ أكياسَ الغنيّ ... من المؤونةِ والهباتِ)

(حفرَ العلوجُ سَواقياً ... للماء في الأرضِ المَوَات)
(فيصيرُ من إفلاسه ... ومن الندامةِ في سُباتِ)
قال وشاعت هذه الأبيات وتهاداها الناس وصارت عبثا بالقيان لكل أحد فكانت المغنية إذا عثرت قالت تعس يوسف
الرشيد يختاره للجائزة والموالي يزكونه
أخبرني الحسن بن علي قال أخبرني عيسى بن الحسن الآدمي قال حدثني أحمد بن أبي فنن قال أحضر الرشيد عشرة آلاف دينار من ضرب السنة ففرقها حتى بقيت منها ثلاثة آلاف دينار فقال ائتوني شاعرا أهبها له فوجدوا منصورا النمري ببابه فأدخل إليه فأنشده وكان قبيح الإنشاد فقال له الرشيد أعانك الله على نفسك انصرف فقال يا أمير المؤمنين قد دخلت إليك دخلتين لم تعطني فيهما شيئا وهذه الثالثة ووالله لئن حرمتني لا رفعت رأسي بين الشعراء أبدا
فضحك الرشيد وقال خذها فأخذها ونظر الرشيد إلى الموالي ينظر بعضهم بعضا فقال كأني قد عرفت ما أردتم إنما أردتم أن تكون هذه الدنانير ليوسف بن الصيقل وكان يوسف منقطعا إلى الموالي ينادمهم ويمدحهم فكانوا يتعصبون له فقالوا إي والله يا أمير المؤمنين فقال هاتوا ثلاثة آلاف دينار فأحضرت فأقبل على يوسف فقال هات أنشدنا فأنشده يوسف
(... تصدَّتْ له يوم الرُّصافَةِ زينبُ)
فقال له كأنك امتدحتنا فيها فقال أجل والله يا أمير المؤمنين فقال أنت ممن يوثق بنيته ولا تتهم موالاته هات من ملحك ودع المديح فأنشده قوله
صوت
(العفوُ يا غَضبانُ ... ما هكذا الخِلاّنُ)
((هَبْنِي أبتُليتُ بذّنبٍ ... أما لَه غُفْرانُ
(وإن تعاظم ذَنْبٌ ... ففوقَه الهِجرانُ)
(كم قد تقرّبْتُ جهدي ... لو ينفع القُرْبانُ)
(يا ربّ أنتَ على ما ... قد حلَّ بي المستعانُ)
(ويْلي ألست تَراني ... أهْذي بها يا فلانُ)
فقال الرشيد ومن فلان هذا ويلك فقال له الفضل بن الربيع هو أبان مولاك يا أمير المؤمنين فقال له الرشيد ولم لم تنشدني كما قلت يا نبطي فقال لأني غضبان عليه قال وما أغضبك قال مدت دجلة فهدمت داري وداره فبنى داره وعلاها حتى سترت الهواء عني قال لا جرم ليعطينك الماص بظر أمه عشرة آلاف درهم حتى تبني بناء يعلو على بنائه فتستر أنت الهواء عنه ثم قال له خذ في شعرك فأنشده نحوا من هذا الشعر فقال للفضل بن الربيع يا عباس ليس هذا بشعر ما هو إلا لعب أعطوه ثلاثة آلاف درهم مكان الثلاثة آلآلاف الدينار فانصرف الموالي إلى صالح الخازن فقالوا له أعطه ثلاثة آلاف دينار كما أمر له أولا فقال أستأمره ثم أفعل فقالوا له أعطه إياها بضماننا فإن أمضيت له وإلا كانت في أموالنا فدفعها إليه بضمانهم فأمضيت له فكان يوسف يقول بعد ذلك كنا نلعت فنأخذ مثل هذه الأموال وأنتم تقتلون أنفسكم فلا تأخذون شيئا
صوت
(هبّتْ قُبيل تبلُّجِ الفجر ... هندٌ تقولُ ودمعُها يَجري)
(أنّى اعتراك وكنت في عهديَ لا ... سَربَ الدموع وكنتَ ذا صَبْر)
الشعر لرجل من الشراه يقال له عمرو بن الحسن مولى بني تميم يقوله في عبد الله بن يحيى الذي تسميه الخوارج طالب الحق ومن قتل من أصحابه معه يرثيهم
والغناء لعبد الله بن أبي العلاء ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن الهشامي
خبر عبد الله بن يحيى وخروجه ومقتله
أخبرني بذلك الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن محمد بن أبي محمد الخزامي وخلاد بن يزيد وعبد الله بن مصعب وعمرو بن هشام وعبد الله بن محمد الثقفي ويعقوب بن داود الثقفي وحريم بن أبي يحيى
كان مجتهدا عابدا
أن عبد الله بن يحيى الكندي أحد بني عمرو بن معاوية كان من حضرموت وكان مجتهدا عابدا وكان يقول قبل أن يخرج لقيني رجل فأطال النظر إلي وقال ممن أنت فقلت من كندة فقال من أيهم فقلت من بني شيطان قال والله لتملكن ولتبلغن خيلك وادي القرى وذلك بعد أن تذهب إحدى عينيك
فذهبت أتخوف ما قال وأستخير الله فرأيت باليمن جورا ظاهرا وعسفا شديدا وسيرة في الناس قبيحة فقال لأصحابه ما يحل لنا المقام على ما نرى ولا يسعنا الصبر عليه وكتب إلى عبيدة بن مسلم بن أبي كريمة الذي يقال له كودين مولى بني تميم وكان ينزل في الأزد وإلى غيره من
الإباضية بالبصرة يشاورهم في الخروج فكتبوا إليه إن استطعت ألا تقيم يوما واحدا فافعل فإن المبادرة بالعمل الصالح أفضل ولست تدري متى يأتي عليك أجلك ولله خيرة من عباده يبعثهم إذا شاء لنصرة دينه ويخص بالشهادة منهم من يشاء
وشخص إليه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي أحد بني سلمة وبلج بن عقبة السقوري في رجال من الإباضية فقدموا عليه حضر موت فحثوه على الخروج وأتوه بكتب أصحابه إذا خرجتم فلا تغلوا ولا تغدروا واقتدوا بسلفكم الصالحين وسيروا سيرتهم فقد علمتم أن الذي أخرجهم على السلطان العيث لأعمالهم
فدعا أصحابه فبايعوه فقصدوا دار الإمارة وعلى حضرموت إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي فأخذوه فحبسوه يوما ثم أطلقوه فأتى صنعاء وأقام عبد الله بن يحيى بحضر موت وكثر جمعه وسموه طالب الحق
رحيله من حضرموت إلى صنعاء
فكتب إلى من كان من أصحابه بصنعاء إني قادم عليكم ثم استخلف على حضر موت عبد الله بن سعيد الحضرمي وتوجه إلى صنعاء سنة تسع وعشرين ومائة في ألفين وبلغ القاسم بن عمر أخا يوسف بن عمر وهو عامل مروان بن محمد على صنعاء مسير عبد الله بن يحيى فاستخلف على
صنعاء الضحاك بن زمل وخرج يريد الإباضية في سلاح ظاهر وعدة وجمع كثير فعسكر على مسيرة يوم من أبين وخلف

فيها الأثقال وتقدمت المقاتلة فلقيه عبد الله بن يحيى بلحج قرية من أبين قريبا من الليل فقال الناس للقاسم أيها الأمير لا تقاتل الخوارج ليلا فأبى وقاتلهم فقتلوا من أصحابه بشرا كثيرا وانهزموا ليلا فمر بعسكره فأمرهم بالرحيل ومضى إلى صنعاء فأقام يوماً ثم خرج فعسكر قريباً من صنعاء وخندق وخلف بصنعاء الضحاك بن زمل فأقبل عبد الله بن يحيى فنزل جونين على ميلين من عسكر القاسم فوجه القاسم يزيد بن الفيض في ثلاثة آلاف من أهل الشام وأهل اليمن فكانت بينهم مناوشة ثم تحاجزوا فرجع يزيد إلى القاسم فاستأذنه في بياتهم فأبى أن يأذن له فقال يزيد والله لئن لم تبيتهم ليغمنك فأبى أن يأذن له وأقاموا يومين لا يلتقون فلما كان في الليلة الثالثة أقبل عبد الله بن يحيى فوافاه مع طلوع الفجر فقاتلهم الناس على الخندق فغلبتهم الخوارج عليه ودخلوا عسكرهم والقاسم يصلي فركب وقاتلهم الصلت بن يوسف فقتل في المعركة وقام بأمر الناس يزيد بن الفيض فقاتلهم حتى ارتفع النهار ثم انهزم أهل صنعاء فأراد أبرهة بن الصباح اتباعهم فمنعه عبد

الله بن يحيى واتبع يزيد بن الفيض القاسم بن عمر فأخبره الخبر فقال القاسم

(ألا ليتَ شِعري هل أذودنَّ بالقَنا ... وبالهُندُوانيّاتِ قَبْلَ مماتي)

(وهل أُصبِحنّ الحارثين كِلَيهما ... بطعنٍ وضربٍ يَقطعُ اللهَواتِ)

قال ودخل عبد الله بن يحيى صنعاء فأخذ الضحاك بن زمل وإبراهيم بن جبلة بن مخرمة فحبسهما وجمع الخزائن والأموال فأحرزها ثم أرسل إلى الضحاك وإبراهيم فأرسلهما وقال لهما حبستكما خوفا عليكما من العامة وليس عليكما مكروه فأقيما إن شئتما أو اشخصا فخرجا

خطبته بعد فتح اليمن

فلما استولى عبد الله بن يحيى على بلاد اليمن خطب الناس فحمد الله جل وعز وأثنى عليه وصلى على نبيه ووعظ وذكر وحذر ثم قال إنا ندعوكم إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه وإجابة من دعا إليهما الإسلام ديننا ومحمد نبينا والكعبة قبلتنا والقرآن إمامنا رضينا بالحلال حلالا لا نبغي به بديلا ولا نشتري به ثمنا قليلا وحرمنا الحرام ونبذناه وراء ظهورنا ولا حول ولا قوة إلا بالله وإلى الله المشتكى وعليه المعول

من زنى فهو كافر ومن سرق فهو كافر ومن شرب الخمر فهو كافر ومن شك في أنه كافر فهو كافر ندعوكم إلى فرائض بينات وآيات محكمات وآثار

مقتدى بها ونشهد أن الله صادق فيما وعد عدل فيما حكم وندعو إلى توحيد الرب واليقين بالوعيد والوعد وأداء الفرائض والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولاية لأهل ولاية الله والعداوة لأعداء الله

أيها الناس إن من رحمة الله أن جعل في كل فترة بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون على الألم في جنب الله تعالى يقتلون على الحق في سالف الدهور شهداء فما نسيهم ربهم وما كان ربك نسيا

أوصيكم بتقوى الله وحسن القيام على ما وكلكم الله بالقيام به فأبلوا لله بلاء حسنا في أمره وزجره أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

وجه أصحابه إلى مكة

قالوا وأقام عبد الله بن يحيى بصنعاء أشهرا يحسن السيرة فيهم ويلين جانبه لهم ويكف عن الناس فكثر جمعه وأتته الشراة من كل جانب فلما كان وقت الحج وجه أبا حمزة المختار بن عوف وبلج بن عقبة وأبرهة بن الصباح إلى مكة في تسعمائة وقيل بل في ألف ومائة وأمره أن يقيم بمكة إذا صدر الناس ويوجه بلجا إلى الشام وأقبل المختار إلى مكة فقدمها يوم التروية وعليها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وأمه بنت عبد الله بن خالد بن أسيد فكره قتالهم وحدثنا من هذا الموضع بخبر أبي حمزة محمد بن جرير الطبري قال حدثنا العباس بن عيسى العقيلي قال حدثنا هارون بن موسى العواري قال حدثنا موسى بن كثير مولى الساعديين قال

كان أول أمر أبي حمزة وهو المختار بن عوف الأزدي ثم السلمي من أهل البصرة أنه كان يوافي في كل سنة يدعو إلى خلاف مروان بن محمد وآل مروان فلم يزل يختلف كل سنة حتى وافى عبد الله بن يحيى في آخر سنة وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة فقال له يا رجل إني أسمع كلاما حسنا وأراك تدعو إلى حق فانطلق معي فإني رجل مطاع في قومي فخرج به حتى ورد حضرموت فبايعه أبو حمزة على الخلافة قال وقد كان مر أبو حمزة بمعدن بني سليم وكثير بن عبد الله عامل على المعدن فسمع بعض كلامه فأمر به فجلد أربعين سوطا فلما ظهر أبو حمزة بمكة تغيب كثير حتى كان من أمره ما كان ثم رجع إلى موضعه قال فلما كان في العام المقبل تمام سنة تسع وعشرين لم يعلم الناس بعرفة إلا وقد طلعت أعلام عمائم سود خرمية في رؤوس الرماح وهم سبعمائة هكذا قال هذا

وذكر المدائني أنهم كانوا تسعمائة أو ألفا ومائة ففزع الناس منهم حين رأوهم وقالوا لهم ما لكم وما حالكم فأخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان والتبري منهم

فراسهلم عبد الواحد بن سليمان وهو يومئذ على المدينة ومكة والموسم ودعاهم إلى الهدنة فقالوا نحن بحجنا أضن وعليه أشح فصالحهم على أنهم جميعا آمنون بعضهم من بعض حتى ينفر الناس النفر الأخير وأصبحوا من غد فوقفوا على حدة بعرفة ودفع عبد الواحد بالناس فلما كانوا بمنى قالوا لعبد الواحد إنك قد أخطأت فيهم ولو حملت عليهم الحاج ما كانوا إلا أكلة رأس فنزل أبو حمزة بقرن الثعالب

من منى ونزل عبد الواحد منزل السلطان فبعث عبد الواحد إلى أبي حمزة عبد الله بن حسن بن حسن بن علي عليهم السلام ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر وعبيد الله بن عمرو بن حفص العمري وربيعة بن عبد الرحمن في رجال من أمثالهم فلما دنوا من قرن الثعالب لقيتهم مسالح أبي حمزة فأخذوهم فدخل بهم على أبي حمزة فوجدوه جالسا وعليه إزار قطراني قد ربطه الحورة في قفاه فلما دنوا تقدم إليه عبد الله بن حسن ومحمد بن عبد الله بن عمرو فنسبهما فلما انتسبا له عبس في وجهيهما وبسر وأظهر الكراهة لهما ثم تقدم إليه بعدهما البكري والعمري فنسبهما فلما انتسبا له هش إليهما وتبسم في وجوههما وقال والله ما خرجنا إلا لنسير بسيرة أبويكما فقال له عبد الله بن حسن بن حسن والله ما جئناك لتفاضل بين آبائنا ولكن بعثنا إليك الأمير برسالة وهذا ربيعة يخبركها فلما ذكر ربيعة نقض العهد قال بلج وإبراهيم وكانا قائدين له الساعة الساعة فأقبل عليهما أبو حمزة وقال معاذ الله أن ننقض العهد أو نخيس به والله لا أفعل ولو قطعت رقبتي هذه ولكن تنقضي هذه الهدنة بيننا وبينكم فلما أبى عليهم خرجوا فابلغوا عبد الواحد

هجو عبد الواحد

فلما كان النفر الأول نفر عبد الواحد وخلى مكة لأبي حمزة فدخلها بغير قتال
قال هارون وأنشدني يعقوب بن طلحة الليثي أبياتا هجي بها عبد الواحد لشاعر لم نحفل به
(زار الحجيجَ عصابةٌ قد خالفوا ... دينَ الإلهِ ففرّ عبدُ الواحد)
(ترك الإمارةَ والحلائلَ هارباً ... ومضى يُخبِّطُ كالبعير الشارد)
(لو كان والدُه تخيَّر أُمَّه ... لَصَفَتْ خلائقُه بعِرْق الوالد)
(ترك القتال وما به من عِلّةٍ ... إلا الوهون وعرقةٌ من خالد)
ثم مضى عبد الواحد حتى دخل المدينة فدعا بالديوان وضرب على الناس البعث وزادهم في العطاء عشرة عشرة
قال هارون أخبرني بذلك أبو ضمرة أنس بن عياض أنه كان فيمن اكتتب قال ثم محوت أسمي
قال هارون وحدثني غير واحد من أصحابنا أن عبد الواحد استعمل عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على الناس فخرجوا فلما كانوا بالحرة لقيتهم جزر منحورة فمضوا فلما كانوا بالعقيق تعلق لواؤهم بسمرة فانكسر الرمح وتشاءم الناس بالخروج ثم ساروا حتى نزلوا قديدا فنزلوها ليلا وكانت قرية قديد من ناحية القصر والمنبر اليوم وكانت الحياض هناك فنزل قوم مغترون ليسوا بأصحاب حرب فلم يرعهم
إلا القوم قد خرجوا عليهم من الفصل فزعم بعض الناس أن خزاعة دلت أبا حمزة على عورتهم وأدخلوهم عليهم فقتلوهم وكانت المقتلة على قريش وهم كانوا أكثر الناس وفيهم كانت الشوكة فأصيب منهم عدد كثير

اليمانيون يشمتون بقريش

قال العباس قال هارون فأخبرني بعض أصحابنا أن رجلا من قريش نظر إلى رجل من أهل اليمن يقول الحمد لله الذي أقر عيني بمقتل قريش فقال له ابنه الحمد لله الذي أذلهم بأيدينا فما كانت قريش تظن أن من نزل على عمان من الأزد عربي قال وكان هذان الرجلان مع أهل المدينة فقال القرشي لابنه يا بني هلم نبدأ بهذين الرجلين قال نعم يا أبت فحملا عليهما فقتلاهما ثم قال لابنه أي بني تقدم فقاتلا حتى قتلا
وقال المدائني القرشي كان عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير والمتكلم بالكلام مع ابنه رجل من الأنصار
قال ثم ورد فلال الجيش المدينة وبكى الناس قتلاهم فكانت المرأة تقيم على حميمها النواح فلا تزال المرأة يأتيها الخبر بمقتل حميمها فتنصرف حتى ما يبقى عندها امرأة فأنشدني أبو حمزة هذه الأبيات في قتلى قديد الذين أصيبوا من قومه لبعض أصحابه
(يالهفَ نفسي ولهفٌ غيرِ نافعةٍ ... على فوارسَ بالبطحاء أنجادِ)
(عمروٌ وعمروٌ وعبدُ الله بينهما ... وابناهما خامسٌ والحارث السادِي)

مروان يأمر عامله بتوجيه الجيش إلى مكة

قال المدائني في خبره كتب عبد الواحد بن سليمان إلى مروان يعتذر من إخراجه عن مكة فكتب مروان إلى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو عامله على المدينة يأمره بتوجيه الجيش إلى مكة فوجه ثمانية آلاف رجل من قريش والأنصار والتجار أغمار لاعلم لهم بالحرب فخرجوا في الصبغات والثياب الناعمة واللهو لا يظنون أن للخوارج شوكة ولا يشكون أنهم في أيديهم
وقال رجل من قريش لو شاء أهل الطائف لكفونا أمر هؤلاء ولكنهم داهنوا في أمر الله تعالى والله إن ظفرنا لنسيرن إلى أهل الطائف فلنسبينهم ثم قال من يشتري مني سبي أهل الطائف فلما انهزم الناس رجع ذلك الرجل القائل من يشتري مني سبي أهل الطائف في أول المنهزمين فدخل منزله وأراد أن يقول لجاريته أغلقي الباب فقال لها غاق باق دهشا ولم تفهم الجارية قوله حتى أوما إليها بيده فأغلقت الباب فلقبه أهل المدينة بعد ذلك غاق باق
قال وكان عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز يعرض الجيش بذي الحليفة فمر به أمية بن عنبسة بن سعيد بن العاص فرحب به وضحك إليه ومر به عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير فلم يكلمه ولم يلتفت إليه فقال له عمران بن عبد الله بن مطيع وكان ابن خالته أماهما ابنتا عبد الله بن خالد بن أسيد سبحان الله مر بك شيخ من شيوخ قريش فلم تنظر إليه ولم تكلمه ومر بك غلام من بني أمية فضحكت إليه ولاطفته
أما والله لو قد التقى الجمعان لعلمت أيهما أصبر قال فكان أمية بن عنبسة أول من انهزم ونكب فرسه ومضى وقال لغلامه يا مجيب أما والله لئن أحرزت نفسي هذه الأكلب من الشراة إني لعاجز
وقاتل يومئذ عمارة بن حمزة ابن مصعب حتى قتل وتمثل
(وإني إذا ضنّ الأميرُ بإذنه ... على الاذنِ من نفسي إذا شئتُ قادرُ)
والشعر للأغر بن حماد اليشكري
قال ولما بلغ أبا حمزة إقبال أهل المدينة إليه استخلف على مكة إبراهيم بن الصباح وشخص إليهم وعلى مقدمته بلج بن عقبة فلما كان في الليلة التي وافاهم في صبيحتها وأهل المدينة نزول بقديد قال لأصحابه إنكم لاقو قومكم غدا وأميرهم فيما بلغني ابن عثمان أول من خالف سيرة الخلفاء وبدل سنة رسول الله وقد وضح الصبح لذي عينين فأكثروا ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ووطنوا أنفسكم على الصبر
وصبحهم غداة الخميس لتسع أو لسبع خلون من صفر سنة ثلاثين ومائة فقال عبد العزيز لغلامه أبغنا علفا
قال هو غال قال ويحك البواكي علينا غدا أغلى

رسول أبي حمزة إلى أهل المدينة

وأرسل إليهم أبو حمزة بلج بن عقبة ليدعوهم فأتاهم في ثلاثين راكبا فذكرهم الله وسألهم أن يكفوا عنهم وقال لهم خلوا لنا سبيلنا لنسير إلى من ظلمكم وجار في الحكم عليكم ولا تجعلوا حدنا بكم فإنا لا نريد قتالكم فشتمهم أهل المدينة وقالوا يا أعداء الله أنحن نخليكم وندعكم تفسدون في الأرض فقالت الخوارج يا أعداء الله أنحن نفسد في الأرض إنما خرجنا لنكف أهل الفساد ونقاتل من قاتلنا واستأثر بالفيء
فانظروا لأنفسكم واخلعوا من لم يجعل الله له طاعة فإنه لا طاعة لمن عصى الله وادخلوا في السلم وعاونوا أهل الحق فقال له عبد العزيز ما تقول في عثمان قال قد برئ المسلمون منه قبلي وأنا متبع آثارهم ومقتد بهم قال فارجع إلى أصحابك فليس بيننا وبينهم إلا السيف
فرجع إلى أبي حمزة فأخبره فقال كفوا عنهم ولا تقاتلوهم
حتى يبدأوكم بالقتال فواقفوهم ولم يقاتلوهم فرمى رجل من أهل المدينة في عسكر أبي حمزة بسهم فجرح رجلا فقال

أبو حمزة شأنكم الآن بهم فقد حل قتالهم فحملوا عليهم وثبت بعضهم لبعض وراية قريش مع إبراهيم بن عبد الله بن مطيع
ثم انكشف أهل المدينة فلم يتبعوهم وكان على مجنبتهم ضمير بن صخر بن أبي الجهم بن حذيفة فكر وكر الناس معه فقاتلوا قليلا ثم انهزموا فلم يبعدوا
حتى كروا ثالثة وقاتلهم أبو حمزة فهزمهم هزيمة لم تبق منهم باقية فقال له علي بن الحصين أتبع القوم أو دعني أتبعهم فأقتل المدبر واذفف على الجريح فإن هؤلاء أشر علينا من أهل الشأم فلو قد جاؤوك غدا لرأيت من هؤلاء ما تكره فقال لا أفعل ولا أخالف سيرة أسلافنا
وأخذ جماعة منهم أسراء فأراد إطلاقهم فمنعه علي بن الحصين وقال له إن لأهل كل زمان سيرة وهؤلاء لم يؤسروا وهم هراب وإنما أسروا وهم يقاتلون ولو قتلوا في ذلك الوقت لم يحرم قتلهم وكذلك الآن قتلهم حلال فدعا بهم فكان إذا رأى رجلا من قريش قتله وإذا رأى رجلا من الأنصار أطلقه فأتي بمحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان فنسبه فقال أنا رجل من الأنصار فسأل الأنصار عنه فشهدوا له
فأطلقه فلما ولى قال والله لأعلم أنه قرشي وما حذاوة هذا حذاوة أنصاري ولكن قد أطلقته
قال وبلغت قتلى قديد ألفين ومائتين وثلاثين رجلا منهم من قريش أربعمائة وخمسون رجلا ومن الأنصار ثمانون ومن القبائل والموالي ألف وسبعمائة قال وكان في قتلى قريش من بني أسد بن عبد العزى أربعون رجلاً وقتل يومئذ أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان خرج يومئذ مقنعا فما كلم أحدا وقاتل حتى قتل وقتل يومئذ سمي مولى أبي بكر الذي يروي عنه مالك بن أنس ودخل بلج المدينة بغير حرب فدخلوا في طاعته وكف عنهم ورجع أبو حمزة إلى مكة وكان على شرطته أبو بكر بن عبد الله بن عمرو من آل سراقة من بني عدي فكان أهل المدينة يقولون لعن الله السراقي ولعن بلجا العراقي

نائحة المدينة تبكي قتلى قديد وعمر بن الحسن يذكر الوقعة

وقالت نائحة أهل المدينة تبكيهم
(ما للزمان وماليَهْ ... أفنت قُدَيْدُ رجاليَهْ)
(فلأبكِينَّ سريرةً ... ولأبكينَّ علانيهْ)
(ولأبكينَّ إذا خلوتُ ... مع الكلاب العاويهْ)
(ولأُثنينَّ على قُدَيْدَ ... بسوءِ ما أبلانِيهْ)
في هذه الأبيات هزج قديم يشبه أن يكون لطويس أو بعض طبقته
وقال عمرو بن الحسن الكوفي مولى بني تميم يذكر وقعة قديد وأمر مكة ودخولهم إياها وأنشدنيها الأخفش عن السكري والأحول وثعلب لعمرو هذا وكان يستجيدها ويفضلها
(ما بالُ همِّك ليس عنك بعازبِ ... يَمري سوابقَ دمعِك المتساكبِ)
(وتبيتُ تَكتلِيءِ النجومَ بمقلةٍ ... عَبْرى تُسَرِّ بكلِّ نجمٍ دائبِ)
(حذرَ المنيةِ أن تَجيءِ بداهةً ... لم أقْضِ من تَبعِ الشُّراةِ مآربي)
(فأقودُ فيهم للعِدا شَنِجَ النَّسا ... عَبْلَ الشَّوى أسوانَ ضمرِ الحالِبِ)
(متحدَّراً كالسِّيدِ أخلصَ لونَه ... ماءُ الجسيكِ مع الجِلاَل اللاتِبِ)
(أرمي به مِن جَمْعِ قومي مَعْشراً ... بُوراً إلى جَبْريّةٍ ومَعايبِ)
(في فِتيةٍ صُبُرٍ ألفَّهُمُ به ... لَفَّ القِداحِ يَدَ المفيضِ الضاربِ)
(فندورُ نحنُ وهم وفيما بينَنا ... كأسُ المَنونِ تقولُ هلْ من شاربِ)
(فنظلُّ نسقيهم ونشرَبُ من قَناً ... سُمْرٍ ومُرهَفةِ النُّصولِ قواضِبِ)
((بينا كذلكَ نحنُ جالتْ طعنةٌ ... نجلاءُ بينَ رُهَا وبينَ ترائب)
(جوفاءُ منهَرةٌ ترى تامورَها ... ظُبَتَا سِنانٍ كالشِّهابِ الثاقبِ)
(اهوى لها شِقَّ الشِّمالِ كأنني ... حَفَضٌ لقيً تحتَ العَجاجِ العاصبِ)
(يا رب أوحِيها ولا تتعلّقَنْ ... نفسِي المنونَ لَدَى أكُفِّ قرائبِ)
(كم من أولي مِقةٍ صحبتُهم شرَوا ... فخذلتُهمْ ولبئسَ فعلُ الصاحب)
(متأوِّهينَ كأنَّ في أجْوافِهم ... ناراً تُسعِّرُها أكُفُّ حواطبِ)
(تلقاهُمُ فتراهُمُ منْ راكعٍ ... أو ساجدٍ متضرِّعٍ أو ناحبِ)
(يتلو قوارعَ تمتري عبراتِه ... فيجودُها مَرْيَ امريِّ الحالبِ)
(سُيُرٍ لجائفة الأمورِ أطِبَّةٌ ... للصَّدعِ ذي النبأ الجليل مدائبِ)
(ومُبرَّئينَ من المعايبِ أحرزوا ... خُصَلَ المكارمِ أتْقياءِ أطايبِ)
(عرّوْا صوارمَ للجِلادِ وباشَروا ... حدَّ الظباةِ بأنُفٍ وحواجبِ)
(ناطوا أمورَهُمُ بأمْرِ أخٍ لهم ... فرمى بِهم قُحَمِ الطريقِ اللاحبِ)
(مُتسربلي حَلَقَ الحديدِ كأنهم ... أسْدٌ على لُحُقِ البطونِ سلاهبِ)
(قِيدت من أعلى حضر موتَ فلم تزل ... تَنفِي عداها جانباً عن جانب)
(تحمي أعنّتَها وتحوي نَهْبَها ... لله أكرمُ فتيةٍ وأسائبِ)
((حتى وردن حياضَ مكة قُطَّناً ... يحكِينَ واردةَ اليمامِ القارب)
(ما إن أتينَ على أخي جَبْريةٍ ... إلا تركنَهمُ كأمسِ الذاهبِ)
(في كلِّ معتركٍ لها من هامِهم ... فِلَقٌ وأيدٍ علِّقتْ بمناكب)
(سائلْ بيومِ قُديدَ عن وقعَاتِها ... تُخبرْكَ عن وقعاتِها بعجائب)
وقال هارون بن موسى في رواية محمد بن جرير الطبري عن العباس بن عيسى عنه ثم دخل أبو حمزة المدينة سنة ثلاثين ومائة ومضى عبد الواحد بن سليمان إلى الشأم فرقي المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال يا أهل المدينة سألناكم عن ولاتكم هؤلاء فأسأتم لعمر الله فيهم القول وسألناكم هل يقتلون بالظن فقلتم نعم وسألناكم هل يستحلون المال الحرام والفرج الحرام فقلتم نعم فقلنا لكم تعالوا نحن وأنتم فنناشدهم الله أن يتنحوا عنا وعنكم ليختار المسلمون

لأنفسهم فقتلتم لا تفعلون فقلنا لكم تعالوا نحن وأنتم نلقاهم فإن نظهر نحن وأنتم نأت بمن يقيم فينا كتاب الله وسنة نبيه وإن نظفر نعمل في أحكامكم ونحملكم على سنة نبيكم ونقسم فيئكم بينكم فإن أبيتم وقاتلتمونا دونهم فقاتلناكم فأبعدكم الله وأسحقكم

يا أهل المدينة مررت بكم في زمان الأحول هشام بن عبد الملك وقد أصابتكم عاهة في ثماركم فركبتم إليه تسألونه أن يضع خراجكم عنكم فكتب بوضعها عنكم فزاد الغني غنى وزاد الفقير فقرا فقلتم جزاكم الله خيرا فلا جزاه الله خيرا ولا جزاكم

أبو حمزة يخطب بأهل المدينة

قال هارون وأخبرني يحيى بن زكريا أن أبا حمزة خطب بهذه الخطبة

رقي المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال أتعلمون يا أهل المدينة أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشرا ولا بطرا ولا عبثا ولا لهوا ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه ولا ثأر قديم نيل منا ولكنا لما رأينا مصابيح الحق قد عطلت وعنف القائل بالحق وقتل القائم بالقسط ضاقت علينا الأرض بما رحبت وسمعنا داعيا يدعو إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن فأجبنا داعي الله (ومن لا يُجِب داعيَ اللهِ فَليس بمُعجزٍ في الأرض) فأقبلنا من قبائل شتى النفر منا على بعير واحد عليه زادهم وأنفسهم يتعاورون لحافا واحدا قليلون مستضعفون في الأرض فآوانا الله وأيدنا بنصره وأصبحنا والله بنعمته إخوانا ثم لقينا رجالكم بقديد فدعوناهم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ودعونا إلى طاعة الشيطان وحكم مروان وآل مروان شتان لعمر الله ما بين الغي والرشد ثم أقبلوا يهرعون ويزفون قد ضرب الشيطان فيهم بجرانه وغلت بدمائهم مراجله وصدق عليهم ظنه وأقبل أنصار الله عصائب وكتائب بكل مهند ذي رونق فدارت رحانا واستدارت رحاهم بضرب يرتاب منه المبطلون

وأنتم يا أهل المدينة إن تنصروا مروان وآل مروان يسحتكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ويشف صدور قوم مؤمنين يا أهل المدينة إن أولكم خير أول وآخركم شر آخر يا أهل المدينة الناس منا ونحن منهم إلا مشركا عابد وثن أو كافرا من أهل الكتاب أما إماما جائرا يا أهل المدينة من زعم أن الله تعالى كلف نفسا فوق طاقتها أو سألها عما لم يؤتها فهو لله عدو ولنا حرب

يا أهل المدينة أخبروني عن ثمانية أسهم

فرضها الله تعالى في كتابه على القوي للضعيف فجاء التاسع وليس له منها ولا سهم واحد فأخذ جميعها لنفسه مكابرا محاربا لربه ما تقولون فيه وفيمن عاونه على فعله يا أهل المدينة بلغني أنكم تنتقصون أصحابي قلتم هم شباب أحداث وأعراب جفاة ويحكم يا أهل المدينة وهل كان أصحاب رسول الله إلا شبابا أحداثا شباب والله مكتهلون في شبابهم غضيضة عن الشر أعينهم ثقيلة عن الباطل أقدامهم قد باعوا أنفسا تموت غدا بأنفس لا تموت أبدا قد خلطوا كلالهم بكلالهم وقيام ليلهم بصيام نهارهم منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مروا بآية خوف شهقوا خوفا من النار وإذا مروا بآية شوق شهقوا شوقا إلى الجنة فلما نظروا إلى السيوف قد أنضيت وإلى الرماح قد أشرعت وإلى السهام قد فوقت وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت استخفوا وعيد الكتيبة عند وعيد الله ولم يستخفوا وعيد الله عند وعيد الكتيبة فطوبى لهم وحسن مآب فكم من عين في منقار طائر طالما بكى بها صاحبها من خشية الله وكم من يد قد أبينت عن ساعدها طالما اعتمد عليها صاحبها راكعا وساجدا

أقول قولي هذا وأستغفر الله من تقصيرنا وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

قال هارون وحدثني جدي أبو علقمة قال سمعت أبا حمزة على منبر النبي يقول (من زنى فهو كافر) ومن سرق فهو كافر ومن شك أنه كافر فهو كافر

(...برح الخفاءُ فأينَ ما بكَ يذهبُ)

أبو حمزة يخطب من جديد بأهل المدينة

قال هارون قال جدي كان أبو حمزة قد أحسن السيرة في أهل المدينة حتى استمال الناس وسمع بعضهم كلامه في قوله من زنى فهو كافر قال هارون قال جدي

وسمعت أبا حمزة يخطب بالمدينة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل المدينة مالي رأيت رسم الدين فيكم عافيا وآثاره دارسة لا تقبلون عليه عظة ولا تفقهون من أهله حجة قد بليت فيكم جدته وانطمست عنكم سننه ترون معروفه منكرا والمنكر من غيره معروفا إذا انكشفت لكم العبر وأوضحت لكم النذر عميت عنها أبصاركم وصمت عنها أسماعكم ساهين في غمرة لاهين في غفلة تنبسط قلوبكم للباطل إذا نشر وتنقبض عن الحق إذا ذكر مستوحشة من العلم مستأنسة بالجهل كلما وقعت عليها موعظة زادتها عن الحق نفورا تحملون منها في صدوركم كالحجارة أو أشد قسوة من الحجارة أو لم تبن لكتاب الله الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدعا من خشية الله يا أهل المدينة ما تغني عنكم صحة أبدانكم إذا سقمت قلوبكم إن الله قد جعل لكل شيء غالبا يقاد له ويطيع أمره وجعل القلوب غالبة على الأبدان فإذا مالت القلوب ميلا كانت الأبدان لها تبعا وإن القلوب لا تلين لأهلها إلا بصحتها ولا يصححها إلا المعرفة بالله وقوة النية ونفاذ البصيرة

ولو استشعرت تقوى الله قلوبكم لأستعملت بطاعة الله أبدانكم يا أهل المدينة داركم دار الهجرة ومثوى رسول الله لما نبت به داره وضاق به قراره وآذاه الأعداء وتجهمت له فنقله إلى قوم لعمري لم يكونوا أمثالكم متوازرين مع الحق على الباطل ومختارين للآجل على العاجل يصبرون

للضراء رجاء ثوابها فنصروا الله وجاهدوا في سبيله وآووا رسول الله ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه وآثروا الله على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة قال الله تعلى لهم ولأمثالهم ولمن اهتدى بهداهم (ومَنْ يوقَ شُحَّ نفسِه فَأولئك هم المفلحون) وأنتم أبناؤهم ومن بقي من خلفهم تتركون أن تقتدوا بهم أو تأخذوا بسنتهم عمى القلوب صم الآذان اتبعتم الهوى فأرداكم عن الهدى وأسهاكم فلا مواعظ القرآن تزجركم فتزدجروا ولا تعظكم فتعتبروا ولا توقظكم فتستيقظوا لبئس الخلف أنتم من قوم مضوا قبلكم ما سرتم بسيرتهم ولا حفظتم وصيتهم ولا احتذيتم مثالهم لو شقت عنهم قبورهم فعرضت عليهم أعمالكم فعجبوا كيف صرف العذاب عنكم

قال ثم لعن أقواما

خطبة رابعة له

قال هارون وحدثني داود بن عبد الله بن أبي الكرام وأخرج إليّ خط ابن فضالة النحوي بهذا الخبر أن أبا حمزة بلغه أن أهل المدينة يعيبون أصحابه لحداثة أسنانهم وخفة أحلامهم فبلغه ذلك عنهم فصعد المنبر وعليه كساء غليظ وهو متنكب

قوسا عربية فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه وآله ثم قال يا أهل المدينة قد بلغتني مقالتكم في أصحابي ولولا معرفتي بضعف رأيكم وقلة عقولكم لأحسنت أدبكم ويحكم إن رسول الله أنزل عليه الكتاب وبين له فيه السنن وشرع له فيه الشرائع وبين له فيه ما يأتي وما يذر فلم يكن يتقدم إلا بأمر الله ولا يحجم إلا عن أمر الله حتى قبضه الله إليه وقد أدى الذي عليه لم يدعكم من أمركم في شبهة ثم قام من بعده أبو بكر فأخذ بسنته وقاتل أهل الردة وشمر في أمر الله حتى قبضه الله إليه والأمة عنه راضون رحمة الله عليه ومغفرته ثم ولي بعده عمر فأخذ بسنة صاحبيه وجند الأجناد ومصر الأمصار وجبى الفيء فقسمه بين أهله وشمر عن ساقه وحسر عن ذراعه وضرب في الخمر ثمانين وقام في شهر رمضان وغزا العدو في بلادهم وفتح المدائن والحصون حتى قبضه الله إليه والأمة عنه راضون رحمة الله عليه ورضوانه ومغفرته ثم ولي من بعده عثمان بن عفان فعمل في ست سنين بسنة صاحبيه ثم أحدث أحداثا أبطل آخر منها أولا واضطرب حبل الدين بعدها فطلبها كل امرئ لنفسه وأسر كل رجل منهم سريرة أبداها الله عنه حتى مضوا على ذلك ثم ولي علي بن أبي طالب فلم يبلغ من الحق قصدا ولم يرفع له منارا ومضى ثم ولي معاوية بن أبي سفيان لعين رسول الله وابن لعينه وحلف من الأعراب وبقية من الأحزاب مؤلف طليق فسفك الدم الحرام واتخذ عباد الله خولا ومال الله دولا وبغى دينه عوجا ودغلا وأحل الفرج الحرام وعمل بما يشتهيه حتى مضى لسبيله فعل الله به وفعل ثم ولى بعده ابنه يزيد يزيد الخمور ويزيد الصقور ويزيد الفهود ويزيد الصيود ويزيد القرود فخالف القرآن واتبع الكهان ونادم القرد وعمل بما يشتهيه حتى مضى على ذلك لعنه الله وفعل به وفعل ثم ولي مروان بن الحكم طريد لعين رسول الله وآله وابن لعينه فاسق في بطنه وفرجه فالعنوه والعنوا آباءه

ثم تداولها بنو مروان بعده أهل بيت اللعنة طرداء رسول الله وآله وقوم من الطلقاء ليسوا من المهاجرين والأنصار ولا التابعين لهم بإحسان فأكلوا

مال الله أكلا ولعبوا بدين الله لعبا واتخذوا عباد الله عبيدا يورث ذلك الأكبر منهم الأصغر

فيالها أمة ما أضيعها وأضعفها والحمد لله رب العالمين ثم مضوا على ذلك من أعمالهم واستخفافهم بكتاب الله تعالى قد نبذوه وراء ظهورهم لعنهم الله فالعنوهم كما يستحقون وقد ولي منهم عمر بن عبد العزيز فبلغ ولم يكد وعجز عن الذي أظهره حتى مضى لسبيله ولم يذكره بخير ولا شر ثم ولي يزيد بن عبد الملك غلام ضعيف سفيه غير مأمون على شيء من أمور المسلمين لم يبلغ أشده ولم يؤانس رشده وقد قال الله عز وجل (فإن آنستُم منهم رُشداً فادفعوا إليهم أموالهم) فأمر أمة محمد في أحكامها وفروجها ودمائها أعظم من ذلك كله وإن كان ذلك عند الله عظيما مأبون في بطنه وفرجه يشرب الحرام ويأكل الحرام ويلبس الحرام ويلبس بردتين قد حيكتا له وقومتا على أهلهما بألف دينار وأكثر وأقل قد أخذت من غير حلها وصرفت في غير وجهها بعد أن ضربت فيها الأبشار وحلقت فيها الأشعار واستحل ما لم يحل الله لعبد صالح ولا لنبي مرسل ثم يجلس حبابة عن يمينه وسلامة عن شماله تغنيانه بمزامير الشيطان ويشرب

الخمر الصراح المحرمة نصا بعينها حتى إذا أخذت مأخذها فيه وخالطت روحه ولحمه ودمه وغلبت سورتها على عقله مزق حلتيه ثم التفت إليهما فقال أتأذنان لي أن أطير نعم فطر إلى النار إلى لعنة الله وناره حيث لا يردك الله

ثم ذكر بني أمية وأعمالهم وسيرهم فقال أصابوا إمرة ضائعة وقوما طغاما جهالا لا يقومون لله بحق ولا يفرقون بين الضلالة والهدى ويرون أن بني أمية أرباب لهم فملكوا الأمر وتسلطوا فيه تسلط ربوبية بطشهم بطش الجبابرة يحكمون بالهوى ويقتلون على الغضب ويأخذون بالظن ويعطلون الحدود بالشفاعات ويؤمنون الخونة ويقصون ذوي الأمانة ويأخذون الصدقة في غير وقتها على غير فرضها ويضعونها في غير موضعها فتلك الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله فالعنوهم لعنهم الله

وأما إخواننا من هذه الشيعة فليسوا بإخواننا في الدين لكن سمعت الله عز وجل قال في كتابه (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعُوباً وقبائل لتعارفُوا) شيعة ظاهرت بكتاب الله وأعلنت الفرية على الله لا يرجعون إلى نظر نافذ في القرآن ولا عقل بالغ في الفقه ولا تفتيش عن حقيقة الصواب قد قلدوا أمرهم أهراءهم وجعلوا دينهم عصبية لحزب لزموه وأطاعوه في جميع ما يقوله لهم غيا كان أو رشدا أو ضلالة أو هدى ينتظرون الدول في رجعة الموتى ويؤمنون بالبعث قبل الساعة ويدعون علم

الغيب لمخلوق لا يعلم أحدهم ما في داخل بيته بل لا يعلم ما ينطوي عليه ثوبه أو يحويه جسمه ينقمون المعاصي على أهلها ويعلمون إذا ظهروا بها ولا يعرفون المخرج منها جفاة في الدين قليلة عقولهم قد قلدوا أهل بيت من العرب دينهم وزعموا أن موالاتهم لهم تغنيهم عن الأعمال الصالحة وتنجيهم من عقاب الأعمال السيئة (قاتلهم الله أنَّى يُؤفَكون) فأي هؤلاء الفرق يا أهل المدينة تتبعون أو بأي مذاهبهم تقتدون وقد بلغني مقالتكم في أصحابي وما عبتموه من حداثة أسنانهم ويحكم وهل كان أصحاب رسول الله وآله المذكورون في الخير إلا أحداثا شبابا شباب والله مكتهلون في شبابهم غضيضة عن الشر أعينهم ثقيلة عن الباطل أرجلهم أنظاء عبادة قد نظر الله إليهم في جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مر أحدهم بآية من ذكر الله بكى شوقا وكلما مر بآية من ذكر الله شهق خوفا كأن زفير جهنم بين أذنيه قد أكلت الأرض جباههم وركبهم ووصلوا كلال الليل بكلال النهار مصفرة ألوانهم ناحلة أجسامهم من طول القيام وكثرة الصيام أنضاء عبادة موفون بعهد الله منتجزون لوعد الله قد شروا أنفسهم حتى إذا التقت الكتيبتان وأبرقت سيوفها وفوقت سهامها وأشرعت رماحها لقو شبا الأسنة وشائك السهام وظبات السيوف بنحورهم ووجوههم وصدورهم فمضى الشاب منهم قدما حتى اختلفت رجلاه على

عنق فرسه واختضبت محاسن وجهه بالدماء وعفر جبينه بالثرى وانحطت عليه الطير من السماء وتمزقته سباع الأرض فكم من عين في منقار طائر طالما بكى بها صاحبها في جوف الليل من خوف الله وكم من وجه رقيق وجبين عتيق قد فلق بعمد الحديد

ثم بكى وقال آه آه على فراق الإخوان رحمة الله على تلك الأبدان وأدخل الله أرواحهم الجنان

قال هارون بلغني أنه بايعه بالمدينة ناس منهم إنسان هذلي وإنسان سراقي وسكسب الذي كان معلم النحو ثم خرج وخلف بالمدينة بعض أصحابه فسار حتى نزل الوادي وكان مروان قد بعث ابن عطية

مروان ينتخب جيشا بقيادة ابن عطية

قال هارون حدثني أبو يحيى الزهري أن مروان انتخب من عسكره أربعة آلاف استعمل عليهم ابن عطية فأمره بالجد في السير وأعطى كل رجل من أصحابه مائة دينار وفرسا عربية وبغلا لثقله وأمره أن يمضي فيقاتلهم

وقال المدائني بعث عبد الملك بن عطية السعدي أحد بني سعد بن بكر في أربعة آلاف معه فرسان من أهل الشأم ووجوههم منهم شعيب البارقي ورومي بن عامر المري وقيل بل هو كلابي وفيهم ألف من أهل الجزيرة وشرطوا على

مروان أنهم إذا قتلوا عبد الله بن يحيى وأصحابه رجعوا إلى الجزيرة ولم يقيموا بالحجاز فأجابهم إلى ذلك قالوا فخرج حتى إذا نزل بالمعلى
فكان رجل من أهل المدينة يقال له العلاء بن أفلح مولى أبي الغيث يقول
لقيني وأنا غلام في ذلك اليوم رجل من أصحاب ابن عطية فسألني ما اسمك يا غلام فقلت العلاء فقال ابن من فقلت ابن أفلح قال أعربي أم مولى قلت بل مولى قال مولى من قلت مولى أبي الغيث قال فأين نحن قلت بالمعلى قال فأين نحن غدا قلت بغالب قال فما كلمني حتى أردفني خلفه ثم مضى بي حتى أدخلني على ابن عطية فقال سل هذا الغلام ما اسمه فسألني فرددت عليه القول الذي قلت فسر بذلك ووهب لي دراهم
وقال أبو صخر الهذلي حين بلغه قدوم ابن عطية
(قل للذين استُضعِفوا لا تعجَلوا ... أتاكم النصر وجيشٌ جَحْفَلُ)
(عشرونَ ألفاً كلّهم مُسربَلُ ... يقدُمهم جَلْد القُوى مُستبسِلُ)
(دونَكُم ذا يَمنٍ فأقبلُوا ... وواجِهوا القومَ ولا تستَخْجِلوا)
(عبدُ المليكِ القُلّبِيُّ الحُوّلُ ... أقسمَ لا يُفْلَى ولا يُرَجَّلُ)
(حتى يبيدَ الأعورُ المضلّلُ ... ويقتلَ الصّبّاح والمفضَّلُ)
الأعور عبد الله بن يحيى رئيسهم

ابن عطية ينتصر على بلج بن عقبة

قال المدائني عن رجاله وبعث أبو حمزة بلج بن عقبة في ستمائة رجل ليقاتل عبد الملك بن عطية فلقيه بوادي القرى لأيام خلت من جمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة فتواقفوا ودعاهم بلج إلى الكتاب والسنة وذكر بني أمية وظلمهم فشتمهم أهل الشام وقالوا أنتم يا أعداء الله أحق بهذا ممن ذكرتم وقلتم فحمل عليهم بلج وأصحابه فانكشف طائفة من أهل الشام وثبت ابن عطية في عصبة صبروا معه ونادى يا أهل الشام يا أهل الحفاظ ناضلوا عن
دينكم وأميركم فكروا واصبروا صبرا حسنا وقاتلوا قتالا شديدا فقتل بلج وأكثر أصحابه وانحازت قطعة من أصحابه نحو المائة إلى جبل اعتصموا به فقاتلهم ابن عطية ثلاثة أيام فقتل منهم سبعين رجلا ونجا ثلاثون فرجعوا إلى أبي حمزة ونصب ابن عطية رأس بلج على رمح قال واغتم الذين رجعوا إلى أبي حمزة من وادي القرى إلى المدينة وهم الثلاثون ورجعوا وجزعوا من أنهزامهم وقالوا ما فررنا من الزحف فقال لهم أبو حمزة لا تجزعوا فأنا لكم فئة وإليّ انصرفتم

أهل المدينة يفتكون بالخوارج

قال المدائني وخرج أبو حمزة من المدينة إلى مكة واستخلف رجلا يقال له المفضل عليها فدعا عمر بن عبد الرحمن بن أسيد بن عبد الرحمن بن يزيد بن الخطاب الناس إلى قتالهم فلم يجد كبير أمر لأن القتل قد كان شاع في الناس وخرج وجوه أهل البلد عنه فاجتمع إلى عمر البربر والزنج وأهل السوق والعبيد فقاتل بهم الشراة فقتل المفضل وعامة أصحابه وهرب الباقون فلم يبق في المدينة منهم أحد فقال في ذلك سهيل أبو البيضاء مولى زينب بنت الحكم بن العاصي
(ليت مروانَ رانا ... يوم الإثنين عَشِيَّهْ)
(إذ غسلنا العارَ عنّا ... وانتضينا المَشْرَفِيّهْ)
قال فلما قدم ابن عطية المدينة أتاه عمر بن عبد الرحمن بن اسيد فقال له أصلحك الله إني جمعت قضي وقضيضي فقاتلت هؤلاء فقتلنا
من امتنع من الخروج عن المدينة وأخرجنا الباقين فلقيه أهل المدينة بقضهم وقضيضهم

مصرع أبي حمزة مع زوجته

قال وأقام ابن عطية بالمدينة شهرا وأبو حمزة مقيم بمكة ثم توجه إليه فقال له علي بن حصين العنبري إني قد كنت أشرت عليك يوم قديد وقبله أن تقتل هؤلاء الأسرى كلهم فلم تفعل وعرفتك أنهم سيغدرون فلم تقبل حتى قتلوا المفضل وأصحابنا المقيمين بالمدينة وأنا أشير عليك اليوم أن تضع السيف في هؤلاء فإنهم كفرة فجرة ولو قدم عليك ابن عطية لكانوا أشد عليك منه فقال لا أرى ذلك لأنهم قد دخلوا في الطاعة وأقروا بالحكم ووجب لهم حق الولاية قال إنهم سيغدرون فقال أبعدهم الله (فمن نكثَ فإنما ينكُث على نفسِه) قال وقدم عبد الملك بن عطية مكة فصير أصحابه فرقتين ولقي الخوارج من وجهين فصير طائفة بالأبطح وصار هو في الطائفة الأخرى بإزاء أبي حمزة فصار أبو حمزة أسفل مكة وصير أبرهة بن الصباح بالأبطح في ثمانين فارسا فقاتلهم أبرهة فانهزم أهل الشام إلى عقبة منى فوقفوا عليها ثم كروا وقاتلهم فقتل أبرهة كمن له هبار القرشي وهو على جبل دمشق عند بئر ميمون فقتله وتفرق الخوارج وتبعهم أهل الشأم يقتلونهم حتى دخلوا المسجد والتقى أبو حمزة وابن عطية بأسفل مكة فخرج أهل مكة مع ابن عطية فقتل أبو حمزة على فم الشعب وقتلت معه امرأته وهي ترتجز وتقول
(أنا الجُعَيداءُ وبنتُ الأعلمْ ... مَن سال عن اسمي فإسمي مَريمْ)
(... (بعتُ سِواريّ بسيفٍ مِخذَمْ
قال وتفرقت الخوارج فأسر أهل الشام منهم أربعمائة فدعا بهم ابن عطية فقال ويلكم ما دعاكم إلى الخروج مع هذا قالوا ضمن لنا الكنة يريدون الجنة وهي لغتهم فقتلهم وصلب أبا حمزة وأبرهة بن الصباح ورجلين من أصحابهم على فم الشعب شعب الخيف ودخل علي بن الحصين دارا من دور قريش فأحدق أهل الشام بالدار فأحرقوها فلما رأى ذلك رمى بنفسه من الدار فقاتلهم وأسر فقتل وصلب مع أبي حمزة ولم يزالوا مصلبين حتى أفضى الأمر إلى بني العباس وحج مهلهل الهجيمي في خلافة أبي العباس فأنزل أبا حمزة ليلا فدفنه ودفن خشبته
قال المدائني وكان بمكة مخنثان يقال لأحدهما سبكت وللآخر صقرة فكان صقرة يرجف بأهل الشام وكان سبكت يرجف بالإباضية فعرف الخوارج أمرهما فوجهوا إلى سبكت فأخذوه فقتلوه فقال صقرة يا ويله هو والله أيضا مقتول وإنما كنت أنا وسبكت نتكايد ونتكاذب فقتلوه وغدا يجيء أهل الشام فيقتلونني فلما دخل ابن عطية مكة عرف خبرهما فأخذ صقرة فقتله

مذهب ابن عطية

وقال هارون في خبره أخبرني عبد الملك بن الماجشون قال لما التقى أبو حمزة وابن عطية قال أبو حمزة لا تقاتلوهم حتى تخبروهم فصاح بهم ما تقولون في القرآن والعمل به فصاح ابن عطية نضعه في جوف
الجوالق قال فما تقولون في مال اليتيم قال نأكل ماله ونفجر بأمه ثم أجاب في أشياء بلغني أنه سأله عنها فلما سمعوا

كلامهم قاتلوهم حتى أمسوا فصاحت الشراة ويحك يابن عطية إن الله جل وعز قد جعل الليل سكنا فاسكن ونسكن فأبى وقاتلهم حتى قتلهم جميعا
قال هارون أخبرني موسى بن كثير أن أبا حمزة خطب أهل المدينة وودعهم ليخرج إلى الحرب فقال يا أهل المدينة إنا خارجون لحرب مروان فإن نظهر نعدل في أحكامكم ونحملكم على سنة نبيكم ونقسم بينكم وإن يكن ما تمنون لنا فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قال ووثب الناس على أصحابه حين جاءهم قتله فقتلوهم فكان بشكست ممن قتلوا طلبوه فرقي في درجة كانت في دار أذينة فلحقوه فأنزلوه منها وهو يصيح يا عباد الله فيم تقتلونني
قال وأنشدني بعض أصحابنا
(لقد كان بشكستُ عبد العزيز ... منَ أهل القراءةِ والمسجدِ)
(فبُعداً لبشكستِ عبد العزيز ... وأمّا القُرانُ فلا يَبعدِ)
قال هارون وأخبرني بعض أصحابنا أنه رأى رجلا واقفا على سطح يرمي بالحجارة فقيل ويلك أتدري من ترمي مع اختلاط الناس قال والله ما أبالي من رميت إنما هو شام وشار والله ما أبالي أيهما قتلت

مقتل طالب الحق

وقال المدائني لما قتل ابن عطية أبا حمزة بعث برأسه مع عروة بن زيد بن عطية إلى مروان وخرج إلى الطائف فأقام بها شهرين وتزوج بنت محمد بن عبد الله بن أبي سويد الثقفي واستعمل على مكة رومي بن عامر المري وأتى فل أبي حمزة إلى عبد الله بن يحيى بصنعاء فأقبل معه أصحابه وقد لقبوه طالب الحق يريد قتال ابن عطية وبلغ ابن عطية خبره فشخص إليه فالتقوا بكسة فأكثر أهل الشام القتل فيهم وأخذوا أثقالهم وأموالهم وتشاغلوا بالنهب فركب عبد الله بن يحيى فكشفهم فقتل منهم نحو مائة رجل وقتل قائد من قوادهم يقال له يزيد بن حمل القشيري من أهل قنسرين فذمرهم ابن عطية فكروا وانضم بعضهم إلى بعض وقاتلوا حتى أمسوا فكف بعضهم عن بعض ثم التقوا من غد في موضع كثير الشجر والكرم والحيطان فطال القتال بينهم واستحر القتل في الشراة فترجل عبد الله بن يحيى في ألف فارس فقاتلوا حتى قتلوا جميعا عن آخرهم وانهزم الباقون فتفرقوا في كل وجه
ولحق من نجا منهم بصنعاء وولوا عليهم حمامة فقال أبو صخر الهذلي
(قتلنا دُعيساً والذي يكتني الكُنى ... أبا حمزة الغاوي المضلّ اليَمانيا)
(وَأبرهةَ الكِنديَّ خاضتْ رِماحُنا ... وبلْجاً صبحناه الحُتوفَ القَواضيا)
(وما تركت أسيافُنا منذ جُرِّدَت ... لمروانَ جبّاراً على الأرض عاديا)
قال المدائني وبعث عبد الملك بن عطية رأس عبد الله بن يحيى مع ابنه يزيد بن عبد الملك إلى مروان
وقال عمرو بن الحصين ويقال الحسن العنبري مولى لهم يرثي عبد الله بن يحيى وأبا حمزة
وهذه القصيدة التي في أولها الغناء المذكور أول هذه الأخبار

رثاء الخوارج

(هبّتْ قُبيلَ تبلُّج الفجر ... هندٌ تقول وَدمعُها يَجري)
(أن أبصرتْ عيني مَدامعها ... ينهلّ واكِفُها على النّحر)
(أنّى اعتراكَ وكنتَ عهديَ لا ... سَرِبَ الدموع وكنتَ ذا صبر)
(أقذًى بعينك ما يُفارقها ... أم عائرٌ أم مالها تذري)
(أم ذِكرُ إخوان فُجِعتَ بهم ... سلكوا سبيلَهُمُ على خُبْر)
(فأجبتُها بل ذكر مصرعِهم ... لا غيره عبراتُها تَمري)
(يا ربِّ أسلِكني سَبيلَهمُ ... ذا العرشِ واشْدُد بالتّقى أزري)
(في فِتيةٍ صبروا نفوسَهمُ ... للمشرفيّة وَالقنا السُّمْر)
(تاللّهِ ألقى الدهرَ مثلَهمُ ... حتى أكونَ رهينةَ القَبر)
(أوفى بذمتهم إذا عَقَدُوا ... وَأعفّ عند العُسر واليُسر)
(متأهِّلينَ لكلِّ صالحةٍ ... ناهين مَنْ لاقَوْا عن النُّكْر)
(صُمتٌ إذا احتضروا مجالِسَهم ... وزُن لقول خَطيبهم وُقْر)
(إلاّ تجيبهمُ فإنهمُ ... رُجُف القلوب بحضْرة الذّكْر)
(متأوّهون كأنَّ جمرَ غَضاً ... للخوف بين ضلوعِهِم يَسري)
(تلقاهمُ إلاّ كأنّهمُ ... لخشوعِهِم صَدروا عن الحَشر)
(فهمُ كأنّ بهم جَوًى مرضٍ ... أو مسّهمْ طَرْفٌ من السِّحر)
(لا ليلُهم ليلٌ فيلبسُهم ... فيه غواشي النومِ بالسُّكْر)
(إلاّ كذا خُلساً وآونةً ... حذرَ العقابِ وهم على ذُعْر)
(كم من أخ لكَ قد فُجِعتَ به ... قوّامُ ليلتِه إلي الفَجْر)
(متأوِّهٍ يتلو قوارعَ مِن ... آي القُران مفزِّعِ الصَّدْر)
(نَصِبٍ تَجيش بنات مُهجته ... بالموت جَيْش مُشَاشةِ القِدْر)
(ظمآن وقدة كلِّ هاجرةٍ ... تَرّاكُ لذّته على قَدْر)
(ترّاك ما تهوى النفوسُ إذا ... رُغَبُ النفوسِ دَعتْ إلى النَّزْر)
(ومبرّأ من كل سَيئةٍ ... عفِّ الهوى ذُو مِرّةٍ شَزْر)
(والمصطلِي بالحرب يسعَرُها ... بغبارها وبفِتيةٍ سُعْر)
(يجتاحها بأقلِّ ذي شُطَبٍ ... عضبِ المضارب قاطع البَتْر)
(لا شيءَ يلقاه أسرُّ له ... من طعنةٍ في ثُغْرةِ النَّحر)
(نجلاء منهرة تَجيش بما ... كانت عواصي جوفه تَجري)
(كخليلكَ المختارِ أذْكِ به ... من مقتدٍ في الله أو مُشْر)
(خوّاص غمرةِ كلِّ مَتلفة ... في الله تحت العِثْير الكُدْر)

(ترّاك ذِي النَّخوات مُختَضِباً ... بنجيعه بالطَّعنة الشَّزْر)
(وابن الحصين وهل له شَبَهٌ ... في العرف أنَّى كان والنُّكْر)
(بسَّامةٍ لم تُحن أضلُعه ... لذوي أُخوّته على غِمْر)
(طلق اللسانِ بكلِّ مُحكمةٍ ... رآبُ صدع العَظم ذِي الوقر)
(لم ينفكِك في جوفه حَزَنٌ ... تغلي حرارتُه وتستشْري)
(ترقَى وآونة يُخَفِّضُها ... بتنفّس الصُّعَداء والزَّفْر)
(ومُخالطِي بَلْجٍ وخَالِصتي ... سمُّ العدوِّ وجابر الكَسْر)
(نِكْلِ الخصومِ إذا همُ شغِبوا ... وسِداد ثُلمة عورة الثَّغْر)
(والخائضُ الغمراتِ يخطِر في ... وسط الأعادي أيَّما خَطْر)
(بمشطَّبٍ أو غير ذي شُطَب ... هامَ العِدَا بذُبابه يَفْري)
(وأخيكَ أبرهة الهِجان أخي ... الحَرْب العَوانِ مُلَقِّح الجمْر)
(بمُرشَّةٍ فَرْغٍ تَثُجُّ دَماً ... ثجَّ الغويِّ سُلافَةَ الخَمْر)
(والضارب الأخدودِ ليسِ لها ... حدٌّ ينهنهها عن السَّحْر)
(ووليُّ حكمهم فجِعت به ... عمرو فَواكَبِدي على عَمرو)
(قَوَّالُ مُحكَمةٍ وذي فَهَمٍ ... عَفِّ الهوى متثبِّت الأمْر)
(ومسيَّبٍ فاذكُر وصِيَّته ... لا تنسَ إمَّا كنتَ ذا ذُكْر)
(فكلاهُما قد كان مُحْتَبِساً ... للهِ ذَا تَقوى وذا بِرّ)
(في مُخْبِتين ولم أُسمِّهِمُ ... كانوا يدي وهمُ أُولُ نَصري)
(وهمُ مَساعِرُ في الوغَى رُجحٌ ... وخِيارُ مَن يمشي على العَفْر)
(حتى وَفَوا لله حيث لَقُوا ... بعهودٍ لا كذبٍ ولا غَدْر)
(فتخالَسوا مُهجاتِ أنفسِهم ... وعُداتِهم بقواضبٍ بُتْر)
(وأسنَّةٍ أُثبِتْن في لُدُنٍ ... خَطِّيَّةٍ بأكفِّهم زُهْر)
(تحتَ العَجاج وفوقَهم خِرقٌ ... يخفِقْن من سُودٍ ومن حُمْر)
(فتفرّجت عنهم كماتُهمُ ... لم يغمضوا عيناً على وِتْر)
(فشِعارُهم نِيرانُ حربِهمُ ... ما بين أعلى الشَّحْر فالحِجْر)
(صرعَى فَحاجِلةٌ تنوشُهُم ... وخوامِعٌ لحُماتِهِمْ تَفْري)

مروان يأمر ابن عطية بالمسير إلى صنعاء

قال المدائني وكتب مروان إلى ابن عطية يأمره بالمسير إلى صنعاء ليقاتل من بها من الخوارج فاستخلف ابنه محمد بن عبد الملك على مكة وعلى المدينة الوليد بن عروة بن عطية وتوجه إلى صنعاء ورجع أهل الجزيرة جميعا إلى بلدهم وكذلك كان مروان شرط لهم فلما قرب من صنعاء هرب عامل عبد الله بن يحيى عنها فأخذ أهل صنعاء أثقاله وحملين من مال كان معه فسلموا ذلك إلى ابن عطية وتتبع أصحاب عبد الله بن يحيى في كل موضع يقتلهم وأقام بصنعاء أشهرا ثم خرج عليه رجل من أصحاب عبد الله بن يحيى في آل ذي الكلاع يقال له يحيى بن عبد الله بن عمر بن السباق في جمع كثير بالجند فبعث إليه ابن عطية ابن أخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطية فلقيه

بالحرب فهزمه وقتل عامة أصحابه وهرب منه فنجا وخرج عليه يحيى بن كرب الحميري بساحل البحر وانضمت إليه شذاذ الإباضية فبعث إليه أبا أمية الكندي في الوضاحية فالتقوا بالساحل فقتل من الإباضية نحو مائة رجل وتحاجزوا عند المساء فهربت الإباضية إلى حضرموت وبها عامل لعبد الله بن يحيى يقال له عبد الله بن معبد الجرمي فصار في جيش كثير واستفحل أمره وبلغ ابن عطية الخبر فاستخلف ابن أخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطية على صنعاء وشخص إلى حضرموت وبلغ عبد الله بن معبد مسير عبد الملك إليهم فجمعوا الطعام وكل ما يحتاجون إليه في مدينة شبام وهي حصن حضرموت مخافة الحصار

ثم عزموا على لقاء ابن عطية في الفلاة فخرجوا حتى نزلوا على أربع مراحل من حضر موت في عدد كثير في فلاة وأتاهم ابن عطية فقاتلهم يومه كله فلما أمسى وقد بلغه ما جمعوا في شبام حدر عسكره في بطن حضرموت إلى شبام ليلا

ثم أصبح فقاتلهم حتى انتصف النهار

ثم تحاجزوا فلما أمسوا تبع عسكره

وأصبح الخوارج فلم يروا للقوم أثرا

فاتبعوهم وقد سبقوهم إلى الحصن فأخذوا جميع ما فيه وملكوه ونصب ابن عطية عليهم المسالح وقطع عنهم المادة والميرة وجعل يقتل من يقدر عليه ويسبي ويأخذ الأموال

مصرع ابن عطية

ثم ورد عليه كتاب مروان بن محمد يأمره بالتعجل إلى مكة ليحج بالناس فصالح أهل حضر موت على أن يرد عليهم ما عرفوا من أموالهم ويولي عليهم من يختارون وسالموه فرضي بذلك وسالمهم وشخص إلى مكة

متعجلا مخفا

ولما نفذ كتاب مروان ندم بعد ذلك بأيام وقال إنا لله قتلت والله ابن عطية هو الآن يخرج مخفا متعجلا ليلحق الحج فيقتله الخوارج

فكان كما قال تعجل في بضعة عشر رجلا فلما كان بأرض مراد تلففت عليه جماعة فمن كان من تلك الجماعة إباضيا عرفه فقال ما ننتظر بهذا أن ندرك ثأر إخواننا فيه ومن لم يكن إباضيا ظنه من الإباضية وأنه منهزم فلما علم أنهم يريدونه قال لهم ويحكم أنا عامل أمير المؤمنين على الحج فلم يلتفتوا إلى ذلك وقتلوه ونصبت الإباضية رأسه فلما فتشوا متاعه وجدوا فيه الكتاب بولايته على الحج فأخذوا من الإباضية رأسه ودفنوه مع جسده

قال المدائني خرج إليه جمانة وسعيد ابنا الأخنس في جماعة من قومهما من كندة وعرفه جمانة لما لقيه فحمل عليه هو وأخوه ورجل آخر من همدان يقال له رمانة وثلاثة من مراد وخمسة من كندة وقد توجه في طريق مع أربعة نفر من

أصحابه
وتوجه باقيهم في طريق آخر فقصدوا حيث توجه ابن عطية ووجهوا في آثار أصحابه نحو أربعين رجلا منهم فأدركوهم فقتلوهم وأدرك سعيد وجمانة وأصحابهما ابن عطية فعطف عبد الملك على سعيد فضربه وطعنه جمانة فصرعه عن فرسه ونزل إليه سعيد فقعد على صدره فقال له ابن عطية هل لك يا سعيد في أن تكون أكرم العرب أسيرا فقال يا عدو الله أترى الله كان يمهلك أو تطمع في الحياة وقد قتلت طالب الحق وأبا حمزة وبلجا وأبرهة فقتله وقتل أصحابه جميعا وبعثوا برأسه إلى حضر موت وبلغ ابن أخيه وهو بصنعاء خبره
فأرسل شعيبا البارقي في الخيل فقتل الرجال والصبيان وبقر بطون النساء وأخذ الأموال وأخرب القرى وجعل يتتبع البري والنطف حتى لم يبق أحد من قتله ابن عطية ولا
من الإباضية إلا قتله ولم يزل مقيما باليمن إلى أن أفضى الأمر إلى بني هاشم وقام بالأمر أبو العباس السفاح
تم الجزء الثالث والعشرون من كتاب الأغاني ويليه الجزء الرابع والعشرون وأوله خبر عبد الله بن أبي العلاء
بسم الله الرحمن الرحيم
خبر عبد الله بن أبي العلاء
عبد الله بن أبي العلاء رجل من أهل سر من رأى
وكان يأخذ عن إسحاق وطبقته فبرع وله صنعة يسيرة جيدة
وابنه أحمد بن عبد الله بن أبي العلاء أحد المحسنين المتقدمين أخذ عن مخارق وعلوية وطبقتهما
وعمر إلى آخر أيام المعتضد وكانت فيه عربدة
وكان عبد الله بن أبي العلاء حسن الوجه والزي ظريفا شكلا
حدثني ذكاء وجه الرزة قال قال لي ابن المكي المرتجل
كان يقوم دابة عبد الله بن أبي العلاء وثيابه إذا ركب ألف دينار
قال وقال لي ابن المكي حدثني أبي قال
نظر أحمد بن يوسف الكاتب إلى عبد الله بن أبي العلاء عند إسحاق وهو يطارحه فأقام عند إسحاق وسأله احتباس عبد الله عنده فأمره بذلك فاعتل عليه
وقال أريد أن أشيع غازيا يخرج من جيراننا فقال له أحمد بن يوسف
(لا تَخرُجَنَّ مع الغُزاةِ مُشَيِّعاً ... إنَّ الغزيَّ يراكَ أفضلَ مَغْنَمِ)
(ودَعِ الحَجيجَ ولا تُشَيِّعْ وَفْدَهُمْ ... أخْشَى عليكَ من الحَجيجِ المُحرِمِ)
(ما أنتَ إلاَّ غادَةٌ مَمْكُورةٌ ... لولا شَوارِبُكَ المُحِيطةُ بالفَمِ)
وقد روي أن هذا الشعر لسعيد بن حميد في عبد الله بن أبي العلاء وهو الصحيح
فأقسم عليه إسحاق أن يقيم فأقام
وقال لي جعفر بن قدامة وقد تجاذبنا هذا الخبر حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه
أن العشرة اتصلت بين عبد الله وبين أحمد بن يوسف وتعشقه وأنفق عليه جملة من المال حتى اشتهر به فعاتبه محمد بن عبد الملك الزيات في ذلك فقال له
(لاَ تعذُلنِّي يا أبا جَعْفرٍ ... عَذْلُ الأخِلاَّءِ من اللُّومِ)
((إنَّ اسْتَهُ مُشْرَبَةٌ حُمرةً ... كأنَّها وَجْنةُ مَكْظُومِ
وقد قيل إن هذين البيتين لأحمد بن يوسف في موسى بن عبد الملك
وكان بعض الشعراء قد أولع بعبد الله بن أبي العلاء يهجوه ويذكر أن أباه أبا العلاء هو سالم السقاء وفيه يقول هذا الشعر
(كنتُ في مَجْلسٍ أنيقٍ جَميلٍ ... فأتانا ابنُ سالمٍ مُخْتالا)
(فتغَنَّى صَوتاً فأخطأ فيهِ ... وابتَدا ثانِياً فكان مُحالا)
(وابتغى خِلْعةً على ذاكَ مِنَّا ... فخَلَعْنا على قَفاهُ النِّعالا)
وفيه يقول هذا الشاعر أنشدناه ابن عمار وغيره
(إذا ابنُ العلاءِ أُقِيمَ عَنَّا ... فأهلاً بالمُجالسِ والرَّحيقِ)
(قَفاهُ على أكُفِّ الشَّرْبِ وَقْفٌ ... وجِلْدةُ وَجْهِهِ مَيدانُ ريقِ)
صوت
(أفاطِمُ حُيِّيتِ بالأسعُدِ ... مَتى عهدُنا بكِ لا تبعُدِي)
(تبارَكَ ذو العَرشِ ماذا نَرى ... من الحُسْنِ في جانِبِ المسْجِدِ)
(فإنْ شِئْتِ آليتُ بينَ المقَامِ ... والرُّكنِ والحَجَرِ الأسوَدِ)
(أنْساكِ ما دامَ عَقْلي مَعي ... أمُدُّ به أمَدَ السَّرْمَدِ)
الشعر لأمية بن أبي عائذ
والغناء لحكم الوادي هزج خفيف
بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق
وفيه للأبجر ثقيل أول بالوسطى عن عمرو
وقال ابن المكي فيه هزج ثقيل بالبنصر لعمر الوادي
وفيه لفليح لحن من رواية بذل ولم يذكر طريقته
نسب أمية بن أبي عائذ وأخباره
أمية بن أبي عائذ العمري أحد بني عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل
شاعر إسلامي من شعر اء الدولة الأموية
وهذا أكثر ما وجدته من نسبه في سائر النسخ
وكان أمية أحد مداحي بني مروان وله في عبد الملك وعبد العزيز ابني مروان قصائد مشهورة
مدحه عبد العزيز بن مروان
فذكر ابن الأعرابي وأبو عبيدة جميعا

أنه وفد إلى عبد العزيز إلى مصر وقد امتدحه بقصيدته التي أولها
(ألاَ إنّ قَلْبي مَعَ الظاعِنِينا ... حَزِينٌ فمَن ذا يُعَزِّي الحَزِينا)
(فيالكِ من رَوْعةٍ يومَ بانُو ... بمَن كنتُ أحسَبُ ألاّ يَبِينا)
في هذين البيتين للحسين بن محرز خفيف ثقيل عن الهشامي
وفي هذه القصيدة يقول
(إلى سيِّد الناس عبدِ العزيز ... أعْملتُ للسَّيْر حَرْفاً أمُونا)
(صُهابيّةً كعَلاةِ القُيونِ ... من ضَرْبِ جَوهر ما يُخْلِصُونا)
(إذا أزبَدتْ من تَبارِي المطيّ ... خِلتَ بها خَبَلاً أو جُنُونا)
(تُؤمُّ النّواعِسَ والفَرْقَدَيْن ... تُنصِّب للقَصْدِ منها الْجَبِينَا)
(إلى مَعدِنِ الخير عبدِ العزيز ... تُبَلِّغُنا ظُلّعاً قد حَفِينا)
(تَرى الأدْمَ والعِيسَ تحت المُسوح ... قد عُدنَ من عَرَقِ الأيْن جُونا)
(تَسِيرُ بمدحِي عبدَ العزيز ... رُكبانُ مكّةَ والمُنجِدُونا)
(مُحبَّرةً من صَرِيح الكلامِ ... ليس كما لَفَّقَ المُحْدَثونا)
(وكان امرا سيّداً ماجداً ... يُصَفِّي العَتِيقَ وينفي الهَجِينا)
قال وطال مقامه عند عبد العزيز وكان يأنس به ووصله صلات سنية فتشوق إلى البادية وإلى أهله فقال لعبد العزيز
(مَتَى راكِبٌ من أهْلِ مصرَ وأهْلُه ... بمكَّةَ من مصرَ العَشيَّةَ راجعُ)
(بَلَى إنّها قد تقْطعُ الخرْقَ ضُمَّرٌ ... تُبارِي السُّرَى والمُعْسِفونَ الزعازعُ)
(متى ما تُجزْها يا بنَ مروانَ تَعْترف ... بلادَ سُلَيمَى وهي خَوصاءُ ظالِعُ)
(وباتَتْ تُؤمُّ الدّارَ من كلِّ جانبٍ ... لتخرُجَ واشتدَّت عليها المصارعُ)
(فلما رأتْ ألاّ خُروجَ وأنّما ... لها من هَواها ما تُجِنُّ الأضالِعُ)
(! تَمطّتْ بمجدولٍ سِبَطرٍ فطَالَعَتْ ... وماذا من اللَّوْحِ اليَماني تُطالِعُ)
فقال له عبد العزيز اشتقت والله إلى أهلك يا أمية فقال نعم والله أيها الأمير فوصله وأذن له
ومما يغنى فيه من شعر أمية
صوت
(تَمُرُّ كجَنْدلةِ المنْجَنِيقِ ... يُرْمَى بها السُّورُ يومَ القتَالِ)
(فمَاذا تخَطَّرَفَ من قُلّةٍ ... ومن حَدَبٍ وإكامٍ توالي)
(ومن سَيْرِها العَنَقُ المسْبَطِرُّ ... والعَجْرفِيَّةُ بعد الكلاَلِ)
الغناء لابن عائشة وقد ذكر في أخباره مع غريبه وأحاديث لابن عائشة في معناه
صوت
(أأُمَّ نُهَيكٍ ارْفَعِي الطَّرْفَ صاعِداً ... ولا تيأسِي أن يُثرِيَ الدهرَ بائسٌ)
(سيُغْنِيكِ سَيْري في البِلادِ ومَطْلَبي ... وبَعلُ التي لم تَحْظَ في الحيّ جالسُ)
(سأكسِب مالاً أو تَبِيتنَّ لَيلةً ... بصدرِك من وَجْدٍ عليَّ وساوسُ)
(ومن يَطْلُبِ المالَ الممنَّعَ بالقَنَا ... يعِشْ مُثْرياً أو يُودِ فيما يمارسُ)
الشعر لعبد الله بن أبي معقل الأنصاري
والغناء لسليم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو
وقد ذكر ابن المكي أن فيه لإبراهيم لحنا من الهزج بالوسطى وذكر الهاشمي وحبش أن فيه لإبراهيم ثاني ثقيل وذكر حبش أنه لإسحاق

أخبار عبد الله بن أبي معقل ونسبه

هو عبد الله بن أبي معقل بن نهيك بن إساف بن عدي بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو وهو النبيت ابن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان
شاعر مقل حجازي من شعراء الدولة الأموية
وكان يقال لأبيه منهب الورق
وقيل بل جده المسمى بذلك لأنه كسب مالا فعجب أهل المدينة من كثرته فأباحهم إياه فنهبوه
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني أبو بكر عبد الله بن جعفر بن مصعب بن عبد الله الزبيري قال حدثني جدي مصعب بن عبد الله عن ابن القداح أنه قال
هذان البيتان يعني قوله
(... أأُمَّ نُهَيْكٍ ارفعي الطرف صاعداً)
والذي بعده لعبد الله بن أبي معقل بن نهيك بن إساف والناس يروونهما لجده
وليس ذلك بصحيح هما لعبد الله

كان عمه عباد صحابيا

وكان عباد بن نهيك بن إساف عمه أدرك النبي وصحبه وصلى معه إلى القبلتين وصلى معه الظهر وصلى معه في ركعتين منها إلى بيت المقدس وركعتين إلى الكعبة
وأدرك النبي وهو شيخ كبير لا فضل فيه فوضع عنه الغزو
وكان نهيك بن إساف يهاجي أبا الخضر الأشهلي في الجاهلية
وأشعارهما موجودة في أشعار الأنصار

كان محسودا ليساره وسعة ماله

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني عبد الله بن جعفر عن جده مصعب عن ابن القداح قال
كان ابن أبي معقل محسودا في قومه يجاهرونه بالعداوة ليساره وسعة ماله ويحسدونه وكان بنى قصرا في بني حارثة

وسماه مرغما وقال له قائل ما لك ولقومك فقال مالي إليهم ذنب إلا أني أثريت وكنت معدما وبنيت
مرغما وأنكحت مريم ومريم يعني ابنته مريم وبنت ابنه مريم
فأما ابنته مريم فتزوجها حبيب بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية وبنت ابنه مسكين بن عبد الله بن أبي معقل وهي
مريم تزوجها محمد بن خالد بن الزبير بن العوام
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال
خطب محمد بن خالد بن الزبير وحبيب بن الحكم بن أبي العاصي إلى عبد الله بن أبي معقل ابنته مريم فأرغبه حبيب
في الصداق فزوجه إياها ثم شبت مريم بنت مسكين بن عبد الله بن أبي معقل فبرعت في الجمال
ولقي محمد بن خالد يوما فقال له يابن خالد إن تكن مريم قد فاتتك فقد يفعت مريم بنت أخيها وما هي بدونها في
الجمال وقد آثرتك بها
قال فتزوجها على عشرين ألفا
وقال ابن القداح
كان ابن أبي معقل كثير الأسفار في طلب الرزق فلامته امرأته أم نهيك وهي ابنة عمه على ذلك وقد قدم من مصر فلم
يلبث أن قال لها جهزيني إلى الكوفة إلى المغيرة بن شعبة فإنه صديقي وقد وليها فجهزته ثم
قالت لن تزال في أسفارك هذه تتردد حتى تموت فقال لها أو أثري ثم أنشأ يقول
(أأُمَّ نُهيكٍ ارْفَعِي الطَّرْفَ صاعداً ... ولا تيأسي أن يُثْرِيَ الدَّهرَ يائِسُ)
وهي قصيدة فيها مما يغنى فيه قوله
صوت
(فلَوْلا ثَلاثٌ هُنَّ مِن عِيشةِ الفَتَى ... وجَدِك لم أحفِلْ متى قام رامسُ)
(فمِنهنَّ تحريكُ الكُميْتِ عِنانَهُ ... إذا ابتدر النَّهبَ البعيدَ الفوارسُ)
(ومِنهُنَّ سَبْقُ العاذِلاتِ بشَربةٍ ... كأنَّ أخاها - وهو يقْظانُ - ناعِسُ)
(ومنهنّ تجريدُ الأوانِس كالدُّمَى ... إذا ابتُزَّ عَنْ أكفالِهِنَّ الملابِسُ)
الغناء في هذه الأبيات لمقاسة بن ناصح ثقيل أول بالبنصر
وفيها للحسين بن محرز خفيف ثقيل من جامع أغانيه
وهو لحن معروف مشهور
وفوده على مصعب بن الزبير
قال ابن القداح
ثم قدم المدينة فلم يزل مقيما بها حتى ولي مصعب بن الزبير العراق فوفد إليه ابن أبي معقل ولقيه فدخل إليه يوما وهو
يندب الناس إلى غزوة زرنج ويقول من لها
فوثب عبد الله بن أبي معقل وقال أنا لها فقال له اجلس ثم ندب الناس فانتدب لها مرة ثانية فقال له مصعب اجلس ثم
ندبهم ثالثة فقال له عبد الله أنا لها فقال له اجلس
فقال له أدنني إليك حتى أكلمك فأدناه فقال قد علمت أنه ما يمنعك مني إلا أنك تعرفني ولو انتدب إليها رجل ممن لا
تعرفه لبعثته فلعلك تحسدني أن أصيب خيرا أو أستشهد فأستريح من الدنيا وطلبها فأعجبه قوله وجزالته فولاه فأصاب
في وجهه ذلك مالا كثيرا وانصرف إلى المدينة فقال لزوجته ألم أخبرك في شعري أنه
(سيُغنِيكِ سَيْري في البلادِ ومطلَبي ... وبَعلُ التي لم تَحْظَ في الحيِّ جالسَ)
فقالت بلى والله لقد أخبرتني وصدق خبرك
قال وفي هذه الغزاة يقول ابن قيس الرقيات
صوت
(إن يَعِشْ مُصْعَبٌ فنحنُ بخيرٍ ... قد أتانا من عيشِنا ما نُرَجِّي)
(مَلِكٌ يُطعِمُ الطّعامَ وَيسقِي ... لبَنَ البُخْتِ في عِساسِ الخَلَنْج)
((جَلَب الخيلَ من تِهامةَ حتَّى ... بلغَتْ خَيْلُه قُصورَ زَرَنج
صوت
(يَقْتُلْنَنَا بحَدِيثٍ ليس يَعلمُه ... مَنْ يَتَّقِينَ ولاَ مكْنُونُهُ بادِي)
(فهُنَّ يَنْبِذْنَ من قولٍ يُصِبْن به ... مواقعَ الماء مِن ذِي الغُلَّةِ الصَّادِي)
الشعر للقطامي
والغناء لإسحاق
خفيف ثقيل أول بالوسطى وفيه رمل مجهول
ذكر نسب القطامي وأخباره
القطامي لقب غلب عليه واسمه عمير بن شييم وكان نصرانيا وهو شاعر إسلامي مقل مجيد
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش عن مجالد عن الشعبي
قال قال عبد الملك ابن مروان وأنا حاضر للأخطل يا أخطل أتحب أن لك بشعرك شعر شاعر من العرب قال اللهم لا إلا
شاعرا منا مغدف القناع خامل الذكر حديث السن إن يكن في أحد خير فسيكون فيه ولوددت أني سبقته إلى قوله
((يَقْتُلْنَنا بحديثٍ ليس يَعْلَمُه ... مَنْ يَتَّقينَ ولا مكنونُه بادِي
(فهُنَّ ينبذْنَ مِن قولٍ يُصِبْنَ به ... مَواقعَ الماءِ من ذي الغُلَّةِ الصَّادِي)
صريع الغواني
أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال القطامي أول من لقب صريع الغواني بقوله
(صَرِيع غَوانٍ راقَهُنّ ورُقْنَه ... لَدُنْ شبَّ حتى شاب سُودُ الذَّوائبِ)
قال أبو عمرو الشيباني
نزل القطامي في بعض أسفاره بامرأة من محارب قيس فنسبها
فقالت أنا من قوم يشتوون القد من الجوع قال ومن هؤلاء ويحك قالت محارب ولم تقره فبات عندها بأسوإ ليلة فقال فيها

قصيدة أولها
(نأتْكَ بليلَى نِيَّةٌ لم تُقاربِ ... وما حُبُّ ليلَى من فُؤَادِي بِذاهِبِ)
يقول فيها
(ولا بُدَّ أنَّ الضيفَ يُخبِرُ ما رأى ... مُخَبِّرُ أهلٍ أو مُخَبِّرُ صاحِبِ)
(سأُخبِرُكَ الأنباءَ عن أُمِّ منزلٍ ... تَضيَّفتُها بين العُذَيبِ فراسِبِ)
(تَلَفَّعْتُ في طَلٍّ وريحٍ تَلُفُّني ... وفي طِرْمِساءَ غيرِ ذاتِ كواكبِ)
(إلى حَيْزَبونٍ تُوقِدُ النارَ بعدَما ... تَلَفَّعَتِ الظَّلْماءُ من كلِّ جانبِ)
(تَصلَى بِها بَرْدَ العِشاءِ ولم تَكُنْ ... تَخالُ وَميضَ النَّارِ يَبْدُو لراكبِ)
(فما راعَها إلا بُغامُ مَطِيَّةٍ ... تُريحُ بمحْسورٍ من الصَّوتِ لاغِبِ)
(تقولُ وقد قرَّبْتُ كُوري وناقتي ... إليكَ فلا تَذْعَرْ عَلَيَّ رِكائِبِي)
(فلمَّا تنازَعْنا الحديثَ سألْتُها : ... مَن الحيُّ ؟ قالت : مَعْشَرٌ من مُحاربِ)
(من المُشْتَوِينَ القِدَّ ممَّا تَرَاهُمُ ... جياعاً وريفُ الناسِ ليس بِعازبِ)
(فلمَّا بَدَا حِرْمانُها الضَّيفَ لم يكنْ ... عليَّ مُناخُ السَّوْءِ ضَرْبَةَ لازبِ)
مدحه عبد الواحد بن سليمان
قال أبو عمرو بن العلاء
أول ما حرك من القطامي ورفع من ذكره أنه قدم في خلافة الوليد بن
عبد الملك دمشق ليمدحه فقيل له إنه بخيل لا يعطي الشعراء
وقيل بل قدمها في خلافة عمر بن عبد العزيز فقيل له إن الشعر لا ينفق عند هذا ولا يعطي عليه شيئا وهذا عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك فامتدحه فمدحه بقصيدته التي أولها
(إنَّا مُحَيُّوكَ فاسلَم أيها الطَّلَلُ ... وإنْ بَليتَ وإن طالَتْ بِكَ الطِّيَلُ)
فقال له كم أملت من أمير المؤمنين قال أملت أن يعطيني ثلاثين ناقة
فقال قد أمرت لك بخمسين ناقة موقرة برا وتمرا وثيابا ثم أمر بدفع ذلك إليه
وفي أول هذه القصيدة غناء نسبته
صوت
(إنَّا مُحَيُّوكَ فاسْلَمْ أيُّها الطَّلَلُ ... وإنْ بَلِيتَ وإنْ طَالَتْ بِكَ الطِّيَلُ)
(يَمْشِينَ رَهواً فلا الأعجازُ خاذلَةٌ ... ولا الصُّدورُ على الأعجاز تَتَّكِلُ)
الغناء لسليم هزج بالبنصر
وقيل إنه لغيره
أخبرني ابن عمار قال حدثنا محمد بن عباد قال قال أبو عمرو الشيباني لو قال القطامي بيته
(يَمْشِينَ رَهواً فلا الأعجازُ خاذلَةٌ ... ولا الصدورُ عَلَى الأعجاز تَتَّكِلُ)
في صفة النساء لكان أشعر الناس
ولو قال كثير
(فقلتُ لها : يا عزُّ كلُّ مصيبةٍ ... إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النفسُ ذَلَّتِ)
في مرثية أو صفة حرب لكان أشعر الناس
وأخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني رجل كان يديم الأسفار قال
سافرت مرة إلى الشام على طريق البر فجعلت أتمثل بقول القطامي
(قد يُدرِكُ المتأنّي بعضَ حاجتِهِ ... وقد يكونُ مع المُسْتَعجِلِ الزَّلَلُ)
ومعي أعرابي قد استأجرت منه مركبي فقال ما زاد قائل هذا الشعر على أن ثبط الناس عن الحزم فهلا قال بعد بيته هذا
(وربَّما ضَرَّ بعضَ الناسِ بُطْؤُهُمُ ... وكانَ خيراً لهُمْ لو أنَّهُمْ عَجِلُوا)
وكان السبب في أسر القطامي على ما حكاه من ذكرنا وذكر ابن الكلبي عن عرام بن حازم بن عطية الكلبي قال
أغار زفر بن الحارث على أهل المصيخ وبه جماعة من الحاج وغيرهم
وقد أصاب أول النهار أهل ماء يقال له حصف وفيه سيد بني الجلاح مصاد ابن المغيرة بن أبي جبلة فأسره فأتى به قرقيسيا ثم من عليه وقتل عفيف ابن حسان بن حصين من بني الجلاح ثم مضى زفر إلى المصيخ فاجتمع من بها إلى عمير بن حسان بن عمر بن جبلة فامتنعوا فقال لهم زفر إني لا أريد دماءكم فأعطوا بأيديكم
فأبوا وقاتلوا فقتل منهم جماعة كثيرة وقتل معهم رجلان من تغلب يقال لأحدهما جساس والآخر غني وهو أبو جساس وقد قالت له امرأته يا أبا جساس هؤلاء قومك فأتهم حين اجتمعوا وامتنعوا فقال اليوم نزاري وأمس كلبي ما أنا بمفارقهم فقاتل حتى قتل فكانت القتلى يوم المصيخ من كلب ثمانية عشر رجلا والتغلبيين وبقى الماء ليس فيه إلا النساء
فلما انصرف عنهم زفر أراد النساء أن يجررن القتلى إلى بئر يقال لها كوكب
فلما أردن أن يجررن رجلا قالت وليته من النساء لا يكون فلان تحت رجالكن كلهم فأتت أم عمير بن حسان وهي كيسة بنت أبي فأعلقت في رجله رداءها ثم قالت اجسر عمير فإن أباك كان جسورا ثم ألقت عليه التراب والحطب ليكون بينه وبين أصحابه شيء
ثم جعلن كلما ألقين رجلا ألقين عليه التراب والحطب حتى وارتهم القليب
ولما بلغ حميد بن حريث بن بحدل ما لقي قومه أقبل حتى أتى تدمر ليجمع أصحابه وليغير على قيس
فلما وقعت الدماء نهض بنو نمير وهم يومئذ ببطن الجبل وهو على مياه لهم إلى حميد بن حريث بن بحدل حتى قدم وراءه يتهيأ للغارة واجتمعت إليه كلب وقالوا له إن كنت تبرئنا ببراءتنا وتعرف جوارنا أقمنا وإن كنت تتخوف علينا من قومك شيئا لحقنا بقومنا فقال أتريدون أن تكونوا أدلاءهم حتى تنجلي هذه الفتنة فاحتبسهم فيها وخليفته في تدمر رجل من كلب يقال له مطر بن عوص وكان فاتكا فأراد حميدا على قتلهم فأبى وكره الدماء فلما سار حميد وقد عاد زفر أيضا مغيرا ليرده عما يريده فنزل قرية له وبلغه مسير زفر فاغتاظ وأخذ في التعبئة فأتاه مطر وكان خرج معه مشيعا له انتهازا لدماء الذين في يده من النميريين فقال ما أصنع بهؤلاء الأسارى الذين في يدي وقد قتل أهل مصبح فقال وهو لا يعقل

من الوجد اذهب فاقتلهم
فخرج مطر يركض إلى تدمر تخوف ألا يبدوا له فلما أتى تدمر قتلهم وانتبه حميد بعد ذلك بساعة فقال أين مطر حتى أوصيه قالوا انصرف قال أدركوا عدو الله فإني أخاف على من بيده من النميريين
وبعث فارسا يركض يمنع مطرا عن قتلهم فأتاه وقد قتل كل من كان في يده من الأسرى إلا رجلين وكانوا ستين رجلا فلما بلغه الرسول رسالة حميد قال النميريان الباقيان خل عنا فقد أمرت بتخلية سبيلنا فقال أبعد أهل المصيخ لا والله لا تخبران عنهم ثم قتلهما
فلما بلغ زفر قتل النميريين بسط يده على كل من أدرك من كلب واستحل الدماء وأخذ في واد يقال له وادي الجيوش وقد انتشرت به كلب للصيد فلم يدرك به أحدا إلا قتله فقتل أكثر من خمسمائة ولم يلقه حميد
ثم انصرف إلى قرقيسياء
وذكر بعض بني نمير أن زفر أغار على كلب يوم حفير ويوم المصيخ ويوم الفرس فقتل منهم أكثر من ألف رجل قال وأغار عليهم زفر في يوم الإكليل فقتل منهم مقتلة عظيمة واستاق نعما كثيرة
وذكر عرام قال قتل زفر يوم الإكليل جبير بن ثعلبة من بني الجلاح وحسان بن حصين من بني الجلاح ومحمد بن طفيل بن مطير بن أبي جبلة وعمرو بن حسان بن عوف من بني الجلاح ومحمد بن جبلة بن عوف أخوان لأم
وقالت امرأة من بني كلب ترثيهم
((أبعدَ مَن دَلَّيْتِ في كَوْكَبٍ ... يا نفسُ تَرْجِين ثواءَ الرِّجالْ ؟
شجاعة عمير بن الحباب يوم الغوير
قال لقيط أخبرني بعض بني نمير قال
أغار عمير بن الحباب على كلب فأصابهم يوم الغوير ويوم الهبل ويوم كآبة
فأما يوم الغوير فإنه أرسل رجلا من بني نمير يقال له كليب بن سلمة عينا له ليعلم له علم ابن بحدل وكانت أم النميري كلبية فكانت تتكلم بكلامهم فكان الحسام بن سالم طريدا فيهم فنذروا به فقتلوه وأخذوا فرسه فلقي كليب بن سلمة رجلا من بني كلب فعرفه فقال من أين جئت فقال من عند الأمير حميد بن حريث قال وأين تركته قال بمكان كذا وكذا قال كليب كذبت أنا أحدث به عهدا منك قال فأين تركته أنت قال بغوير الضبع قال لكني فارقته أمس فخرج النميري يسوق الكلبي إلى أصحابه قال فوالله إني لو أشاء أن أقتله لقتلته أو آخذه لأخذته فخرج يسوقه حتى إذا نظر إلى القوم أنكرهم فقال والله ما أرى هؤلاء أصحابنا
قال ويستدبره النميري فيطعنه عند ناغض كتفه اليمنى حتى أخرج السنان من
حلمة الثدي وأخطأ المقتل وحرك الكلبي فرسه موليا فاتبعته الخيل حتى يدفع إلى ابن بحدل فانهزم فقتلوا من كلب مقتلة عظيمة واتبع عمير بن بحدل فجعل يقول لفرسه
(... أقْدِمْ صِدَامُ إنّهُ ابنُ بَحْدَلْ)
(... لا تُدْرِكِ الخيلَ وأنتَ تَدألْ)
(... ألاَّ تمرَّ مثلَ مرِّ الأجدلْ)
قال فمضى حميد حتى يدفع إلى الغوير وقد كاد الرمح يناله فانطلق يريد الباب فطعن عمير الباب وكسر رمحه فيه فلم يفلت من تلك الخيل غير حميد وشبل بن الخيتار
فلما بلغ ذلك بشر بن مروان قال لخالد بن يزيد ابن معاوية كيف ترى خالي طرد خالك
وقال عمير
(وأفلتَنَا ركْضاً حُمَيدُ بن بَحْدلٍ ... على سابحٍ غَوْجِ اللَّبانِ مُثابِرِ)
((ونحنُ جَلَبْنا الخيلَ قُبًّا شَوازِباً ... دِقاقَ الهوادِي داميات الدَّوابِر
(إذا انتقصتْ من شأوه الخيلُ خلفَه ... تَرامَى به فوقَ الرماحِ الشواجِرِ)
(تُسائلُ عن حَيَّيْ رُفَيدةَ بعدما ... قَضَتْ وَطراً من عَبْدِ وُدٍّ وعامِرِ)
وقال شبل بن الخيتار
(نجَّى الحُساميَّةَ الكَبْداءَ مُبْتَرِكٌ ... من جَريِها وحَثِيثُ الشدِّ مَذعورُ)
(من بعدِ ما التَثَق السِّربالَ طَعْنَتُه ... كأنَّه بِنَجِيعِ الوَرْسِ ممكورُ)
(ولَّى حُمَيد ولم يَنْظُرْ فوارسَهُ ... قَبْلَ التَّفَرُّقِ والمغرورُ مغرورُ)
(فقد جَزِعتُ غَداةَ الرَوْعِ إذ لقِحتْ ... أبطالُ قيسٍ عليها البَيضُ مَسْجُورُ)
(يَهدِي أوائلَها سمحٌ خلائقُه ... ماضي العِنانِ على الأعداءِ منصورُ)
(يَخْرجْن من بَرَضِ الإكْليل طالِعةً ... كأنَّهن جَرادُ الحَرَّةِ الزُّورُ)
وذكر زياد بن يزيد بن عمير بن الحباب عن أشياخ قومه قال
أغار عمير بن الحباب على كلب فلقي جمعا لهم بالإكليل في ستمائة أو سبعمائة فقتل منهم فأكثر فقالت هند الجلاحية تحرض كلبا
(! (ألاَ هل ثائرٌ بدماء قومٍ ... أصابَهُمُ عُميرُ بنِ الحُبَابِ
(! وهَل في عامرٍ يوماً نَكيرٌ ... وحَيّيْ عَبدِ وُدٍّ أو جَنَابِ)
(فإن لم يَثأروا مَنْ قد أصابُوا ... فكانُوا أعْبُداً لبني كِلاَبِ)
(أبعدَ بني الجُلاحِ ومَن تركتُمْ ... بجانِبِ كوكبٍ تحتَ التّرابِ)
(تطِيبُ لغائرٍ منكم حياةٌ ... ألاَ لا عيشَ للحيِّ المُصابِ)
فاجتمعوا فقاتلهم عمير وأصاب فيهم ثم أغار فلقي جمعا منهم بالجوف فقتلهم ثم أغار عليهم بالسماوة فقتل منهم مقتلة عظيمة فقال عمير
(ألا يا هِنْدُ هندَ بني الجُلاحِ ... سُقِيتِ الغيثَ من قُلَلِ السَّحابِ)
(ألَّما تُخْبَري عنَّا بأنّا ... نردُّ الكبشَ أعْضبَ في تَبابِ)
(ألاَ يا هندُ لو عاينْتِ يوماً ... لقَومِكِ لامْتَنَعْتِ من الشَّرابِ)
(غَداةَ نَدُوسُهُم بالخيل حتَّى ... أبادَ القتلُ حَيَّ بني جَنابِ)

(ولو عَطَفتْ مواساةٌ حُميداً ... لغُودِرَ شِلْوُهُ جَزَرَ الذِّئاب)
وذكر زياد بن يزيد بن عمير بن الحباب عن أشياخ قومه قال خرج عمير فأغار على قومه أيضا يوم الغوير فلما دنا من الغوير وصار بين حميد ودمشق دعا رجلا من بني نمير وقال له سر الآن حتى تأتي حميد بن بحدل فقل له أجب فإن قال من فقل صاحب عقد خرج قبل ذلك بيومين من دمشق فإن جاء معك فلا تهجه حتى تأتيني به فنكون نحن الذين نَلِي منه ما نريد أن نلي , فإنه إن ركب الحسامية لم يدرك
فأتاه النميري فقال أجب
فقال ومن قال فلان بن فلان صاحب العقد
قال فركب ابن بحدل الحسامية
ثم خرج يسير في أثر النميري حتى طلع النميري على عمير فقال النميري في نفسه أقتله أنا أحب إلي من أن يقتله عمير لقتله الحسام بن سالم فعطف عليه وولى حميد واتبعه عمير وأصحابه وترك العسكر وأمرهم عمير أن يميلوا إلى القوم فذلك حيث يقول لفرسه
(... أقدم صِدامُ إنّه ابنُ بحدلْ)
فاستباح عسكر ابن بحدل وانصرف
ثم أغار عليهم يوم دهمان كما ذكر عون بن حارثة بن عدي بن جبلة أحد بني زهير عن أبيه قال
أغار عمير على كلب فأخذ الأموال وقتل الرجال وبلغ ابن بحدل مخرجه من الجزيرة فجمع له ثم خرج يعارضه حتى إذا دنا منهم بعث العين يأخذ لهم أثر القوم فأتاه العين فأخبره أن عميرا قد أتى دهمان فاستباح فيهم ثم خلف عسكره وخرج هو في طلب قوم قد سمع بهم فقال حميد لأصحابه تهيأوا للبيات وليكن شعاركم نحن عباد الله حقا حقا
فبيتهم فقتل فيهم فأوجع وانقلب انقلب عمير حين أصبح إلى عسكره حتى إذا أشرف على عسكره رأى ما أنكره من كثرة السواد فقال لأصحابه إني أرى شيئا ما أعرفه وما هو بالذي خلفنا فلما رآهم ابن بحدل قال لأصحابه احملوا عليهم فقتل من الفريقين جميعا فقال ابن مخلاة
(لقد طار في الآفاق أنَّ ابنَ بحْدَلٍ ... حُميداً شَفَي كلباً فقرَّت عيونُها)
وقال منذر بن حسان
(وَبادِيةِ الجواعِرِ من نُمَيْرٍ ... تُنَادِي وهْيَ سافرةُ النِّقَابِ)
(تنَادِي بالجزيرةِ : يا لَقيسٍ ... وقيسٌ بِئْسَ فِتيانُ الضِّراب)
((قَتَلنا مِنْهم مائتين صَبْراً ... وألفاً بالتِّلاعِ وبالرَّوابِي
(وأَفلَتَنَا هَجِينُ بني سُلَيمٍ ... يُفَدِّي المُهْرَ من حُبِّ الإياب)
(فلولا اللهُ والمهرُ المُفَدَّى ... لغُودِرَ وهْو غِربالُ الإهاب)
ثم سار عمير وجمع لهم أكثر مما كان تجمع فأغار عليهم فقتل منهم مقتلة واستاق الغنائم وسبى
فلما سمعت كلب بإيقاعه تحملت من منازلها هاربة منه فلم يبق منهم أحد في موضع يقدر عمير على الغارة عليه إلا أن يخوض إليهم غيرهم من الأحياء ويخلف مدائن الشام خلف ظهره وصاروا جميعا إلى الغوير فقال عمير في ذلك
(بَشِّر بني القَيْنِ بطعنٍ شَرْجِ ... يُشْبِعُ أولادَ الضِّباعِ العُرْجِ)
(ما زال إمراري لهمْ ونَسْجِي ... وعُقْبتي للكُورِ بعد السَّرْجِ)
(حتّى اتَّقَوني بالظُّهورِ الفَلْجِ ... هل أَجْزِيَنْ يوماً بيومِ المرْجِ)
(... ويومِ دُهمانَ ويومِ هَرْجِ)
وقال رجل من نمير
(أخذتْ نِساءَ عبدِ اللهِ قهراً ... وما أعفيتُ نِسوةَ آلِ كلبِ)
(صَبَحْناهم بِخَيلٍ مُقْرَباتٍ ... وَطَعْنٍ لا كِفَاءَ له وضَرْبِ)
(يُبَكِّينَ ابنَ عمرو وهو تَسْفِي ... عليهِ الرِّيحُ تُرْباً بعد تُرْبِ)
(وسعدٌ قد دَنا منه حِمَامٌ ... بأسمرَ من رماحِ الخَطِّ صُلْبِ)
(وقد قالتْ أُمامةُ إذ رأتْني : ... بُلِيتُ وما لُقِيتُ لِقَاءَ صَحْبِ)
((وقد فقدتْ معانقتي زماناً ... وشدَّ المِعْصَمين فُوَيْقَ حَقْبِ
(لقد بُدِّلتِ بَعْدِي وَجْهَ سَوْءٍ ... وآثاراً بجِلْدِكَ يا بنَ كَعْبِ)
(فقلْتُ لها كذلكِ منْ يُلاقِي ... عِتَاقَ الخيْلِ تحملُ كلَ صَعْبِ)
وقال المجير بن أسلم القشيري
(أصبحتْ أمُّ مَعْمرٍ عَذَلَتْني ... في رُكوبي إلى مُنَادِي الصَّبَاحِ)
(فَدعِيني أُفيدُ قومَكِ مَجْداً ... تَندُبيني به لَدَى الأنواح)
(كلَّ حَيٍّ أذقْتُ نُعمى وبُؤسى ... ببني عامِرِ الطِّوالِ الرِّماح)
(وصدمنا كلْباً فَبَيْنَ قتيلٍ ... أو سليبٍ مشرّدٍ من جراح)
(وأتوْنَا بكلِّ أجردَ صافٍ ... ورجالٍ مُعَدَّةٍ وسلاح)
وقال أيضا
(أبْلِغْ عامِراً عنِّي رسولاً ... وَأبْلِغْ إن عَرَضْتَ بَني جَنَابِ)
(هَلُمَّ إلى جيادٍ مُضْمراتٍ ... وبيضٍ لا تُفَلُّ من الضِّرَابِ)
(وسُمْرٍ في المَهزّةِ ذاتِ لِينٍ ... نُقِيمُ بهِنَّ مِنْ صَعَرِ الرِّقَابِ)
(إذا حَشَدتْ سُلَيمٌ حولَ بيتي ... وعامِرُها المركَّبُ في النِّصَابِ)
(فمَن هذا يُقَارِبُ فخرَ قومِي ... ومنْ هذا الذي يَرْجُو اغْتصَابي ؟)
وقال زفر بن الحارث
(يا كلبُ قد كَلِبَ الزَّمانُ عليكمُ ... وَأَصَابكُم منِّي عذابٌ مُرسَلُ)
(أَيهُولُنا يا كلبُ أَصْدقُ شِدَّةٍ ... يومَ اللِّقاءِ أم الهُوَيلُ الأوَّلُ)
(إنَّ السَّماوَةَ لا سَماوَة فالْحقِي ... بالغَوْر فالأفحاصِ بِئْسَ المَوْئِلُ)

((فجَنُوب عكًّا فالسَّواحِلِ إنَّهَا ... أرِضٌ تَذُوبُ بها اللِّقاحُ وَتُهزَلُ
(أرْضُ المذلَّةِ حيثُ عَقَّتْ أُمُّكم ... وأبُوكمُ أوْ حيثُ مُزِّعَ بحْدَلُ)
وقال عمير بن الحباب
(وَرَدْنَ على الغُوَيرِ غُويرِ كَلْب ... كأنّ عُيونَهَا قُلُبُ انتزاح)
(أقَرَّ العيْنَ مصرعُ عبدِ ودٍّ ... ومَا لاقَتْ سَراةُ بني الجُلاح)
(وقائمةٍ تُنَادِي يا لَكَلْبٍ ... وكلْبٌ بئْسَ فِتْيانُ الصَّباح)
وقال عُمير أيضا
(وكلْبٌ تركْنا جمعَهم بينَ هاربٍ ... حِذارَ المَنايا أوْ قَتيلٍ مُجَدَّلِ)
(وأفلَتَنا لَّما التقَينا بعاقِرٍ ... على سابحٍ عند الجِراءِ ابنُ بحْدلِ)
(وأُقْسِمُ لو لاقَيتُه لعَلوتُه ... بأبيَضَ قَطّاعِ الضَّريبةِ مِقْصَلِ)
وقال عمير أيضا
(وكلْباً تركْناهمْ فُلولاً أذِلَّةً ... أدرْنا عليهمْ مثلَ راغيةِ البَكْر)
وقال جهم القشيري
(يا كلْبُ مَهْلاً عن بني عامِرٍ ... فليس فيها الجَدُّ بالعاثِرِ)
(وَلَّى حُمَيدٌ وَهو في كُرْبَةٍ ... على طويلٍ مَتنُهُ ضامِرِ)
(بالأمْسِ يَفْدِيها وقد شَمَّرتْ ... كاللَّبْوةِ المَطْلُولةِ الكَاسِرِ)
(هَلاَّ صَبَرتُم للقَنا سَاعةً ... وَلم تَكُنْ بالماجدِ الصابِرِ ؟)
وقال عمير
((وَأفلتَنَا رَكْضاً حُمَيدُ بنُ بَحْدَلٍ ... على سابح غَوْجِ اللَّبانِ مُثابِرِ
(إذا انتقصتْ مِنْ شأوِهِ الخيلُ خلفَهُ ... تَرَامَى به فوقَ الرِّماحِ الشَّوَاجِرا)
(لدُنْ غدوةٍ حتى نَزَلنا عَشيَّةً ... يَمُرُّ كمِرِيخِ الغُلامِ المُخاطِرِ)
وقال عمير
(يا كلْبُ لم تترُكْ لكم أرْماحُنا ... بِلوَى السَّماوةِ فالغُوَيْرِ مَرادَا)
(يا كلبُ أحرَمْنا السماوةَ فانظري ... غيرَ السَّماوةِ في البلادِ بِلادَا)
(ولقد صككنا بالفوارسِ جَمْعَكم ... وَعَديدَكم يا كلبُ حتى بادا)
(ولقد سبقتُ بِوَقْعةٍ تركَتْكُمُ ... يا كلبُ بالحَربِ العَوانِ بِعادا)
وقال زفر بن الحارث
(جَزى اللَّهُ خَيْراً كلَّما ذَرَّ شارقٌ ... سَعيداً ولاقتْهُ التحيَّةُ والرُّحْبُ)
(وحَلْحلهُ المِغْوارُ للهِ جَدُّهُ ... فلو لم يَنَلْهُ القتلُ بادتْ إذنْ كلبُ)
(بني عَبْدِ وُدٍّ لا نطالبُ ثأرنا ... من الناسِ بالسُّلطانِ إن شَبَّتِ الحرب)
(ولكنَّ بِيضَ الهِنْدِ تُسعِرُ نارَنا ... إذا ما خَبَتْ نارُ الأعادِي فما تخْبُو)
(أبادتكمُ فُرسانُ قيسٍ فما لَكُمْ ... عَدِيدٌ إذا عُدَّ الحَصَى لا ولا عَقْبُ)
(بأيديهِمُ بيضٌ رِقاقٌ كأنَّها ... إذا ما انتضَوْها في أكُفِّهِمِ الشُّهْبُ)
(فسُبُّوهُمُ إن أنتمُ لم تُطالِبوا ... بثأركُمْ قد ينفعُ الطالبَ السَّبُّ)
(وما امتنَعَ الأقوامُ عنّا بنأيِهم ... سواءٌ علينا النأيُ في الحربِ والقُرْبُ)
وقال عمير
((شَفَيتُ الغليلَ من قُضاعةَ عَنْوةً ... فظلَّ لها يومٌ أغَرُّ مُحَجَّلُ
(جزيْناهُم بالمَرجِ يوماً مُشَهَّراً ... فلاقَوْا صَباحاً ذا وَبالٍ وقُتِّلُوا)
(فلم يَبْقَ إلا هاربٌ من سُيُوفِنا ... وإلاّ قتيلٌ في مَكَرٍّ مُجدَّلُ)
وقال ابن الصفار المحاربي
(عَظُمتْ مصيبةُ تَغْلبَ ابنةِ وائِلٍ ... حتى رأتْ كلبٌ مُصيبَتَها سُوَى)
(شَمِتُوا وكان اللَّهُ قد أخْزاهمُ ... وتُريدُ كلبٌ أن يكونَ لها أسَا)
(ويكُمْ بدأنا يالَ كَلْبٍ قتلَهُمْ ... ولعلّنا يوماً نَعودُ لكم عَسَى)
(أخْنَتْ على كلبٍ صُدورُ رِماحِنا ... ما بينَ أقْبِلَةِ الغُويرِ إلى سُوا)
(وعركْنَ بَهراءَ بن عمرٍو عَركةً ... شَفَتِ الغلِيلَ ومَسَّهُمْ مِنَّا أذَى)
وقال الراعي
(متى نفترشْ يوماً عُلَيماً بغارةٍ ... يكونوا كعَوصٍ أو أذَلَّ وأضرعَا)
(وحَيُّ الجُلاحِ قد تركْنا بدارهِمْ ... سَواعِدَ مُلْقاةً وهاماً مُصَرَّعا)
(ونحن جدَعْنا أنفَ كلبٍ ولم نَدعْ ... لِبَهراءَ في ذكرٍ من الناسِ مَسْمَعا)
(قَتَلْنا لوَ انَّ القتلَ يَشْفي صُدورَنا ... بتدمُرَ ألْفاً من قُضاعةَ أقْرَعا)
وقال زفر بن الحارث وذكر أبو عبيدة أنها لعقيل بن علفة
((أقرَّ العُيونَ أنَّ رهطَ ابن بحدَلٍ ... أُذِيقُوا هَواناً بالذي كان قُدّما
(صَبَحناهمُ البِيضَ الرِّقاقَ ظُباتُها ... بجانب خَبْتٍ والوشيجَ المقوَّما)
(وجَرْداءَ مَلَّتْها الغُزاةُ فكلُّها ... ترى قَلِقاً تحت الرحالةِ أهضما)
(بكلِّ فتىً لم تأبُرِ النّخلَ أمُّه ... ولم يُدْعَ يوماً للغرائر مِعْكما)
وهذه الحروب التي جرت ببنات قين
فلما ألح عمير بالغارات على كلب رحلت حتى نزلت غوري الشام فلما صارت كلب بالموضع الذي صارت قيس انصرفت قيس في بعض ما كانت تنصرف من غزو كلب وهم مع عمير فنزلوا بثني من أثناء الفرات بين منازل بني تغلب وفي بني تغلب امرأة من تميم يقال لها أم دويل ناكحة في بني مالك بن جشم بن بكر وكان دويل من فرسان بني تغلب وكانت لها

أعنز بمجنبة فأخذوا من أعنزها أخذها غلام من بني الحريش فشكوا ذلك إلى عمير فلم يشكهم وقال معرة الجند فلما رأى أصحابه أنه لم يقدعهم وثبوا على بقية أعنزها فأخذوها وأكلوها فلما أتاها دويل أخبرته بما لقيت فجمع جمعا ثم سار فأغار على بني الحريش فلقي جماعة منهم فقاتلوه فخرج رجل من بني الحريش زعمت تغلب أنه مات بعد ذلك وأخذ ذودا لامرأة من بني الحريش يقال لها أم الهيثم فبلغ الأخطل الوقعة فلم يدر ما هي وقال وهو براذان

(أتاني ودُوني الزَّابيانِ كلاهما ... ودِجْلَةُ أنباءٌ أَمَرُّ من الصَّبْرِ)

(أتاني بأن ابنيْ نِزارٍ تهادَيا ... وتَغْلِب أولى بالوفاء وبالغَدْرِ)

فلما تبين الخبر قال

(وجاؤوا بجَمْعٍ ناصِري أمِّ هيثمٍ ... فما رَجَعُوا من ذَوْدِها ببعير)

فلما بلغ ذلك قيسا أغارت على بني تغلب بإزاء الخابور فقتلوا منهم

ثلاثة نفر واستاقوا خمسة وثلاثين بعيرا فخرجت جماعة من تغلب فأتوا زفر ابن الحارث وذكروا له القرابة والجوار وهم بقرقيسيا وقالوا ائتنا برحالنا ورد علينا نعمنا فقال أما النعم فنردها عليكم أو ما قدرنا لكم عليه ونكمل لكم نعمكم من نعمنا إن لم نصبها كلها وندي لكم القتلى قالوا له فدع لنا قريات الخابور ورحل قيسا عنها فإن هذه الحروب لن تطفأ ما داموا مجاورينا فأبى ذلك زفر وأبوا هم أن يرضوا إلا بذلك فناشدهم الله وألح عليهم فقال له رجل من النمر كان معهم والله ما يسرني أنه وقاني حرب قيس كلب أبقع تركته في غنمي اليوم وألح عليهم زفر يطلب إليهم ويناشدهم فأبوا فقال عمير لا عليك لا تكثر فوالله إني لأرى عيون قوم ما يريدون إلا محاربتك فانصرفوا من عنده ثم جمعوا جمعا وأغاروا على ما قرب من قرقيسيا من قرى القيسية فلقيهم عمير بن الحباب فكان النميري الذي تكلم عند زفر أول قتيل وهزم التغلبيين فأعظم ذلك الحيان جميعا قيس وتغلب وكرهوا الحرب وشماتة العدو

فذكر سليمان بن عبد الله بن الأصم

أن إياس بن الخراز أحد بني عتيبة بن سعد بن زهير وكان شريفا من عيون تغلب دخل قرقيسيا لينظر ويناظر زفر فيما كان بينهم فشد عليه يزيد بن بحزن القرشي فقتله فتذمم زفر من ذلك وكان كريما مجمعا لا يحب الفرقة فأرسل إلى الأمير ابن قرشة بن عمرو بن ربعي بن زفر بن عتيبة بن بعج بن عتيبة بن سعد بن زهير بن جشم بن الأرقم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب فقال له هل لك أن تسود بني نزار فتقبل مني الدية عن ابن

عمك فأجابه إلى ذلك

وكان قرشة من أشراف بني تغلب فتلافى زفر ما بين الحيين وأصلح بينهم وفي الصدور ما فيها فوفد عمير على المصعب بن الزبير فأعلمه أنه قد أولج قضاعة بمدائن الشام وأنه لم يبق إلا حي من ربيعة أكثرهم نصارى فسأله أن يوليه عليهم فقال اكتب إلى زفر فإن هو أراد ذلك وإلا ولاك فلما قدم على زفر ذكر له ذلك فشق عليه ذلك وكره أن يليهم عمير فيحيف بهم ويكون ذلك داعية إلى منافرته فوجه إليهم قوما وأمرهم أن يرفقوا بهم فأتوا أخلاطا من بني تغلب من مشارق الخابور فأعلموهم الذي وجهوا به فأبوا عليهم فانصرفوا إلى زفر فردهم وأعلمهم أن المصعب كتب إليه بذلك ولا يجد بدا من أخذ ذلك منهم أو محاربتهم فقتلوا بعض الرسل

وذكر ابن الأصم

أن زفر لما أتاه ذلك اشتد عليه وكره استفساد بني تغلب فصار إليهم عمير بن الحباب فلقيهم قريبا من ماكسين على شاطىء الخابور بينه وبين قرقيسيا مسيرة يوم فأعظم فيها القتل

وذكر زياد بن يزيد بن عمير بن الحباب

أن القتل استحر ببني عتاب بن سعد والنمر وفيهم أخلاط تغلب ولكن هؤلاء معظم الناس فقتلوهم بها قتلا شديدا وكان زفر بن يزيد أخو الحارث بن جشم له عشرون ذكرا لصلبه وأصيب يومئذ أكثرهم وأسر القطامي الشاعر وأخذت إبله فأصاب عمير وأصحابه شيئا كثيرا من النعم ورئيس تغلب يومئذ عبد الله بن شريح بن مرة بن عبد الله بن عمرو بن كلثوم ابن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم فقتل وقتل أخوه وقتل مجاشع بن الأجلح وعمرو بن معاوية من بني خالد بن كعب بن زهير وعبد الحارث بن عبد المسيح الأوسي وسعدان بن عبد يسوع بن حرب وسعد ود ابن أوس من بني جشم بن زهير وجعل عمير يصيح بهم ويلكم لا تستبقوا أحدا ونادى رجل من بني قشير يقال له الندار أنا جار لكل حامل أتتني فهي آمنة فأتته الحبالى فبلغني أن المرأة كانت تشد على بطنها الجفنة من تحت ثوبها تشبيها بالحبلى بما جعل لهن

فلما اجتمعن له بقر بطونهن فأفظع ذلك زفر وأصحابه ولام زفر عميرا فيمن بقر من النساء فقال ما فعلته ولا أمرت به فقال في ذلك الصفار المحاربي

(بقَرْنا مِنكمُ ألْفيْ بَقيرٍ ... فلم نَتْرُكْ لحاملةٍ جَنِينَا)

وقال الأخطل يذكر ذلك

(فليتَ الخيلَ قد وطِئَتْ قُشَيْراً ... سَنابكُها وقد سَطَعَ الغُبارُ)

(فنجْزِيهمْ ببَغيِهمُ علَينا ... بنِي لُبنَى بما فَعلَ الغُدار)

وقال الصفار

(تمنَّيتُ بالخابُور قيساً فصادَفَتْ ... مَنايا لأسباب وفاقٍ على قَدْرِ)

وقال جرير

(نُبِّئتُ أنَّك بالخابور مُمْتَنعٌ ... ثم انْفَرَجْتَ انفراجاً بعدَ إقرار)

فقال زفر بن الحارث يعاتب عميرا بما كان منه في الخابور

(ألا مَن مُبلغٌ عنِّي عُميراً ... رسالَةَ عاتبٍ وعليكَ زاري)

(أتترُكُ حَيَّ ذي كَلَعٍ وَكلبٍ ... وتجعلُ حَدَّ نابِكَ في نزار)

(كمُعتمدٍ على إحدى يديهِ ... فخانَته بِوهْيٍ وانكِسار)

زفر يخلي سبيل القطامي والقطامي يمدحه

ولما أسر القطامي أتى زفر بقرقيسيا فخلى سبيله ورد عليه مائة ناقة كما ذكر أدهم بن عمران العبدي فقال القطامي يمدحه

(قِفِي قَبْلَ التفرُّقِ يا ضُباعَا ... ولا يكُ موقفٌ منكِ الوَداعا)

(فَفِي فادِي أُسيرَكَ إنَّ قَوْمِي ... وقومَكِ لا أرى لهم اجتماعا)
(ألم يُحْزِنْكِ أنَّ حِبالَ قيسٍ ... وتغلِبَ قد تَبايَنت انْقِطاعا)
(فصارا ما تُغيِّبُهما أمورٌ ... تزيدُ سَنا حريقتِها ارتفاعا)
(كما العظْمُ الكَسيرُ يُهاضُ حتى ... يبِتَّ وإنّما بدأ انصداعا)
(فأصبحَ سيلُ ذلِكَ قد تَرَقّى ... إلى مَن كان منزِلُه يَفاعا)
(فلا تبْعَد دماءُ ابني نزارٍ ... ولا تَقْرر عيونُكِ يا قُضَاعا)
(ومن يكن استَلامَ إلى ثَوِيٍّ ... فقد أحسنتَ يا زفرُ المَتاعا)
(أكُفْراً بعد رَدِّ الموتِ عنّي ... وبعد عَطائِكَ المائةَ الرِّتاعا)
(فلو بيدَيْ سِواكَ غداةَ زَلَّتْ ... بيَ القدمَانِ لم أرْجُ اطِّلاعا)
(إذن لهلكتُ لو كانَتْ صِغارٌ ... من الأخْلاق تُبْتَعُ ابتِداعا)
(فلم أرَ مُنعِمِينَ أقلَّ مَنّاً ... وأكرمَ عِندَما اصطَنعوا اصْطِناعا)
(مِن البِيضِ الوُجُوهِ بني نُفَيلٍ ... أبتْ أخلاقُهمْ إلاّ اتِّساعا)
بَني القَرمِ الذي علِمتْ معدٌّ ... تفضّلَ قومِها سعةً وباعا) وقال أيضاً)
((يا زفرَ بنَ الحارثِ ابنِ الأكرمِ ... قد كنتَ في الحربِ قديمَ المُقْدَمِ
(إذْ أحجِمِ القومِ ولمّا تُحجِمِ ... إنَّكَ وابنيكَ حفِظتمْ محْرَمي)
(وحقَنَ اللّهُ بكفّيكَ دمِي ... مِن بعدِ ما جَفَّ لِساني وفمِي)
(أنقذتني من بطلٍ معمَّمِ ... والخيلُ تحت العارضِ المُسَوَّمِ)
(... وتَغلبٌ يَدعونَ : يا لَلأرْقمِ)
وقال أيضا
(يا ناقُ خُبِّي خَبَباً زوَرَّا ... وقلِّبي مَنْسِمَكِ المُغْبَرّا)
(وعارضِي اللّيلَ إذا ما اخضرَّا ... سوف تُلاقِين جَواداً حُرَّا)
(سيِّدَ قيسٍ زُفَرَ الأغرَّا ... ذاكَ الذي بايعَ ثُمَّ برَّا)
(ونقَضَ الأقوامُ واستمرَّا ... قد نفعَ اللّهُ بهِ وضرَّا)
(... وكانَ في الحرْبِ شِهاباً مُرَّا)
وقال أيضا
(كأنَّ في المركَبِ حينَ راحا ... بدراً يزيدُ البصرَ انفِضاحا)
(ذا بلَجٍ ساوَاكَ أنّى امتاحا ... وَقَرَّ عيناً ورجا الرَّباحا)
(ألا ترى ما غَشِيَ الأرْكاحا ... وغشِيَ الخابورَ والأملاحا)
(...يُصفِّقُون بالأكُفِّ الرَّاحا)
وقال فيه أيضا هذه القصيدة التي فيها الغناء المذكور بذكر أخبار القطامي
(ما اعتادَ حُبٌّ سُلَيمى حينَ معتادِ ... ولا تَقَضَّى بَواقِي دَيْنِها الطادِي)
(بيضاءُ مَحْطُوطةُ المتْنَيْن بَهْكَنةٌ ... ريّا الرّوَادِفِ لم تُمغِلْ بأوْلادِ)
(ما لِلكواعِبِ ودَّعْنَ الحياةَ كما ... ودَعْنَني واتَّخَذْنَ الشيبَ ميعادي)
(أبصارُهُنَّ إلى الشُّبّانِ مائلةٌ ... وقدْ أراهُنَّ عنّي غيرَ صُدّادِ)
(إذْ باطِلِي لم تَقشَّعْ جاهليَّتُهُ ... عنّي ولم يَتْرُكِ الخُلاّنُ تَقوادِي)
(كنِيّةِ الْحيِّ منْ ذي القَيضةِ احتَملوا ... مُسْتَحْقِبِين فُؤاداً ماله فادِي)
(بانُوا وكانوا حياتي في اجتماعِهِمُ ... وفي تفرُّقِهِمْ قَتْلي وإقصادي)
(يَقتُلْننا بحديثٍ ليسَ يعلمُه ... من يَتّقِين ولا مكنُونُه بادِي)
(فهنَّ ينبِذْنَ من قولٍ يُصِبْنَ بهِ ... مواقعَ الماءِ من ذي الغُلّةِ الصَّادِي)
يقول فيها في مدح زفر بن الحارث
(مَنْ مُبلغٌ زُفَرَ القيسيَّ مِدْحتَهُ ... من القُطاميِّ قوْلاً غيرَ إفنادِ)
(إنّي وإن كان قَوْمي ليسَ بينهمُ ... وبينَ قومِكَ إلاّ ضَربةُ الهادِي)
(مُثنٍ عليكَ بما استبْقيتَ معرفتي ... وقد تَعرّضَ منّي مَقتلٌ بادِي)
(فلن أُثيبَكَ بالنَّعماءِ مَشتَمةً ... ولن أُبدِّل إحساناً بإفسادِ)
(فإن هجوتُكَ ما تَمَّتْ مُكارَمَتِي ... وإن مَدحتُ فقد أحسنتَ إصفادي)
(وما نسيتُ مَقامَ الوَرْدِ تحبِسُه ... بيني وبينَ حَفيفِ الغابةِ الغادي)
((لولا كتائبُ مِن عمرٍو تصولُ بها ... أُرْدِيتُ يا خيرَ مَن يَنْدُو له النّادي
(إذْ لا ترى العينُ إلا كلَّ سَلْهبةٍ ... وسابحٍ مثلِ سِيدِ الرَّدْهةِ العادِي)
(إذِ الفوارسُ من قيسٍ بِشِكّتِهِمْ ... حَوْلي شُهودٌ وما قَوْمي بشُهّادي)
(إذِ يَعتريكَ رجالٌ يسألونَ دَمِي ... ولو أطعتَهمُ أبكيتَ عُوّادِي)
(فقد عَصيْتَهمُ والحربُ مقبلةٌ ... لا بل قَدَحْتَ زناداً غيرَ صلاّدِ)
(والصِّيدُ آلُ نُفَيْلٍ خيرُ قومِهِمُ ... عند الشتاءِ إذا ما ضُنَّ بالزّادِ)
(المانعُونَ غَداةَ الرَّوْعِ جارَهمُ ... بالمشْرَفيّةِ من ماضٍ ومنآدِ)
(أيّامَ قومِي مكاني مُنْصِبٌ لهمُ ... ولا يظنُّون إلاّ أنّني رادِي)
(فانتاشَني لكَ من غمّاءَ مظلمةٍ ... حبلٌ تضمّنَ إصداري وإيرادِي)
(ولا كردِّكَ مالِي بعدَما كرِبتْ ... تُبدِي الشماتةَ أعدائي وحُسّادي)
(فإنْ قَدرتُ على خيرٍ جزيتُ به ... واللّهُ يجعل أقواماً بمِرْصادِ)
قال ابن سلام فلما سمع زفر هذا قال لا أقدرك الله على ذلك
وقال أيضا

(ألا مَن مُبلِغٌ زُفَرَ بن عمرٍو ... وخيرُ القولِ ما نَطَقَ الحكيمُ)
(أبيٌّ ما يُقادُ الدَّهرَ قَسْراً ... ولا لِهوى المصرِّف يسْتقيمُ)
(أنوفٌ حين يغضبُ مُستَعِزٌّ ... جَنوحٌ يستبِدُّ به العزيمُ)
(فما آلُ الحُبابِ إلى نُفَيلٍ ... إذا عُدَّ المُمهِّلُ والقديمُ)
(كأنَّ أبا الحُبابِ إلى نُفَيلٍ ... حِمارٌ عَضَّهُ فرسٌ عَذُومُ)
(بَني لكَ عامرٌ وبنو كلابٍ ... أُروماً ما يُوازيه أُرومُ)
القطامي ممن يحسنون ابتداء القصيد
أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال سمعت من لا أحصي من الرواة يقولون
أحسن الناس ابتداء قصيد في الجاهلية امرؤ القيس حيث يقول
(... ألا عِم صباحاً أيها الطَّلَلُ البَالي)
وحيث يقول
(... قفَا نَبْكِ من ذِكرَى حبيبٍ ومنزلِ)
وفي الإسلاميين القطاميُّ حيث يقول
(... إنا مُحيُّوكَ فاسْلَم أيها الطَّلَلُ)
وفي المحدثين بشار حيث يقول
(أبَى طَلَلٌ بالجَزْعِ أن يتكلَّمَا ... وماذا عليه لو أجابَ مُتيَّما ؟
(وبالفَرْعِ آثارٌ لِهندٍ وباللِّوى ... مَلاعِبُ ما يُعْرَفْنَ إلاَّ تَوهُّما)
نسخت من كتاب أحمد بن الحارث الخراز ولم أسمعه من أحد وهو خبر فيه طول اقتصرت منه على ما فيه من خبر
القطامي قال أحمد بن الحارث الخراز حدثني المدائني عن عبد الملك بن مسلم قال
قال عبد الملك بن مروان للأخطل وعنده عامر الشعبي أتحب أن لك قياضا بشعرك شعر أحد من العرب أم تحب أنك قلته
قال
لا والله يا أمير المؤمنين إلا أني وددت أني كنت قلت أبياتا قالها رجل منا مغدف القناع قليل السماع قصير الذراع قال وما
قال فأنشد قول القطامي
(إنَّا مُحيُّوكَ فاسْلَمْ أيُّهَا الطَّلَلُ ... وَإن بَليتَ وإن طَالتْ بكَ الطِّيَلُ)
(ليس الجديدُ به تبقى بَشاشتُه ... إلا قليلاً ولا ذو خُلَّةٍ يَصِلُ)
(والعيشُ لا عيْشَ إلا ما تَقرُّ به ... عينٌ ولا حالَ إلا سوفَ تَنْتقِلُ
(إن تَرْجِعي من أبي عثمانَ مُنْجِحةً ... فقد يُهونُ على المستَنْجِحِ العمَلُ)
(والناسُ مَنْ يلْقَ خيراً قائلونَ له ... ما يَشتهي ولأُمِّ المخطِىءِ الهَبلُ)
(قد يُدْرِكُ المتأنّي بعضَ حاجَتِهِ ... وقد يكونُ مع المسْتعجل الزَّلَلُ)
حتى أتى على آخرها
قال الشعبي فقلت له قد قال القطامي أفضل من هذا قال وما قال قلت قال
(طرقتْ جَنُوبُ رِحالَنا من مَطْرَقِ ... ما كنت أحْسِبُهَا قريبَ المُعْنَقِ)
(قَطعتْ إليكَ بمثلِ جِيدِ جَدَايةٍ ... حَسَنٍ معلَّقُ تُومَتيْه مُطوَّقِ)
(ومُصرّعينَ من الكَلالِ كأنَّما ... بكَروا الغَبوقَ من الرَّحيقِ المُعتقِ)
(متوسِّدين ذراعَ كلِّ شِمِلَّةٍ ... ومُفرجٍ عَرَقِ المَقذِّ منوَّقِ)
(وَجثَتْ على رُكَبٍ تهُدُّ بها الصَّفَا ... وعلى كلاكِلَ كالنَّقِيل المُطرَقِ)
(وإذا سمِعْنَ إلى هماهِمِ رُفْقةٍ ... ومن النُّجوم غوابرٌ لم تخفق)
(جعلتْ تُميلُ خُدودَها آذانُها ... طرَباً بهنَّ إلى حُداءِ السُّوَّقِ)
(كالمُنْصِتاتِ إلى الزَّميرِ سَمِعْنه ... من رائعٍ لقلوبهنَّ مُشوِّقِ
(فإذا نَظرْنَ إلى الطَّريق رأينَهُ ... لَهِقاً كَشاكلةِ الحِصانِ الأبلقِ)
(وإذا تخلَّفَ بعدهُنَّ لحاجةٍ ... حادٍ يُشَسِّعُ نعلَه لم يَلحقِ)
(وَإذَا يُصيبُكَ - والحوادثُ جمَّةٌ - ... حدثٌ حَداكَ إلى أخيكَ الأوثقِ)
(ليتَ الهُمومَ عن الفؤادِ تفرَّجَتْ ... وخلا التَّكلُّم للِّسان المُطلَقِ)
قال فقال عبد الملك بن مروان ثكلت القطامي أمه هذا والله الشعر قال فالتفت إلي الأخطل فقال لي يا شعبي إن لك
فنونا في الأحاديث وإنما لنا فن واحد فإن رأيت ألا تحملني على أكتاف قومك فأدعهم حربى فقلت وكرامة لا أعرض لك
في شعر أبدا فأقلني هذه المرة
ثم التفت إلى عبد الملك بن مروان فقلت يا أمير المؤمنين أسألك أن تستغفر لي الأخطل فإني لا أعاود ما يكره فضحك
عبد الملك بن مروان وقال يا أخطل إن الشعبي في جواري فقال يا أمير المؤمنين قد بدأته بالتحذير وإذا ترك ما نكره لم
نعرض له إلا بما يحب
فقال عبد الملك بن مروان للأخطل فعلي ألا يعرض لك إلا بما تحب أبدا فقال له الأخطل أنت تتكفل بذلك يا أمير المؤمنين
قال عبد الملك بن مروان أنا أكفل به إن شاء الله تعالى
صوت
(يا بنَ الذين سَما كِسرْى لجمْعِهمُ ... فجلَّلُوا وَجْهه قاراً بِذِي قارِ)
(دوَّخْ خُراسانَ بالجُرْدِ العِتَاقِ وبالْبِيضِ ... الرِّقاقِ بأيْدي كلِّ مِسعارِ
الشعر لأبي نجدة واسمه لجيم بن سعد شاعر من بني عجل
أخبرني بذلك جماعة من أهله
وكان أبو نجدة هذا مع أحمد بن عبد العزيز بن دلف بن أبي دلف منقطعا إليه
والغناء لكنيز دبة ولحنه فيه خفيف بالبنصر ابتداؤه نشيد
وكان سبب قوله هذا الشعر أن قائدا من قواد أحمد بن عبد العزيز التجأ إلى عمرو بن الليث وهو يومئذ بخراسان فغم ذلك

أحمد وأقلقه فدخل عليه أبو نجدة فأنشده هذين البيتين وبعدهما
(يا مَنْ تيمّم عَمراً يستجيرُ به ... أمَا سَمِعْتَ ببيْتٍ فيهِ سَيّارِ)
(المسْتجيرُ بعمْرو عند كُربَته ... كالمسْتجير من الرّمْضاءِ بالنّارِ)
فسر أحمد بذلك وسري عنه وأمر لأبي نجدة بجائزة وخلع عليه وحمله وغنى فيه كنيز لحنه هذا وهو لحن حسن مشهور في عصرنا هذا فأمر
لكنيز أيضا بجائزة وخلع عليه وحمله
سمعت أبا علي محمد بن المرزبان يحدث أبي رحمه الله بهذا على سبيل المذاكرة وكانت بيننا وبين آل المرزبان مودة قديمة وصهر

خبر وقعة ذي قار التي فخر بها في هذا الشعر

أخبرنا بخبرها علي بن سليمان الأخفش عن السكري عن محمد ابن حبيب عن ابن الكلبي عن خراش بن إسماعيل وأضفت إلى ذلك رواية الأثرم عن أبي عبيدة وعن هشام أيضا عن أبيه قالوا
كان من حديث ذي قار أن كسرى أبرويز بن هرمز لما غضب على النعمان ابن المنذر أتى النعمان هانىء بن مسعود بن عامر بن عمرو بن ربيعة بن ذهل ابن شيبان فاستودعه ماله وأهله وولده وألف شكة ويقال أربعة آلاف شكة قال ابن الأعرابي والشكة السلاح كله ووضع وضائع عند أحياء من العرب ثم هرب وأتى طيئا لصهره فيهم
وكانت عنده فرعة بنت سعيد بن حارثة بن لأم وزينب بنت أوس بن حارثة فأبوا أن يدخلوه جبلهم وأتته بنو رواحة بن ربيعة بن عبس فقالوا له أبيت اللعن أقم عندنا فإنا مانعوك مما نمنع منه أنفسنا فقال ما أحب أن تهلكوا بسببي فجزيتم خيرا ثم خرج حتى وضع يده في يد كسرى فحبسه بساباط ويقال بخانقين وقد مضى خبره مشروحا في أخبار عدي بن زيد
قالوا فلما هلك النعمان جعلت بكر بن وائل تغير على السواد فوفد قيس بن
مسعود بن قيس بن خالد ذي الجدين بن عبد الله بن عمرو إلى كسرى فسأله أن يجعل له أكلا وطعمة على أن يضمن له على بكر بن وائل ألا يدخلوا السواد ولا يفسدوا فيه فأقطعه الأبلة وما والاها
وقال هل تكفيك وتكفي أعراب قومك وكانت له حجرة فيها مائة من الإبل للأضياف إذا نحرت ناقة ردت مكانها ناقة أخرى وإياه عنى الشماخ بقوله
(فادْفعْ بألْبانها عنكُم كما دَفعت ... عنهم لِقاحُ بني قيس بن مَسعود)
قال فكان يأتيه من أتاه منهم فيعطيه جلة تمر وكرباسة حتى قدم الحارث بن وعلة بن مجالد بن يثربي بن الديان بن الحارث بن مالك بن شيبان
ابن ذهل بن ثعلبة والمكسر بن حنظلة بن حيي بن ثعلبة بن سيار بن حيي بن حاطبة بن الأسعد بن جذيمة بن سعد بن عجل بن لجيم فأعطاهما جلتي تمر وكرباستين فغضبا وأبيا أن يقبلا ذلك منه فخرجا واستغويا ناسا من بكر بن وائل ثم أغارا على السواد فأغار الحارث على أسافل رودميسان وهي من جرد وأغار المكسر على الأنبار فلقيه رجل من العباديين من أهل الحيرة قد نتجت بعض نوقهم فحملوا الحوار على ناقة وصروا الإبل
فقال العبادي لقد صبح الأنبار شر جمل يحمل جملا وحمل برته عود فجعلوا يضحكون من جهله بالإبل
قال وأغار بجير بن عائذ بن سويد العجلي ومعه مفروق بن عمرو
الشيباني على القادسية وطيرناباذ وما والاهما وكلهم ملأ يديه غنيمة
فأما مفروق وأصحابه فوقع فيهم الطاعون فموت منهم خمسة نفر مع من موّت من أصحابهم فدفنوا بالدجيل وهو رحلة من العذيب يسيرة فقال مفروق
(أتاني بأنْباطِ السَّوادِ يَسوُقُهمْ ... إليَّ وأوْدَتْ رَجْلَتي وَفَوارسي)
كسرى وقيس بن مسعود
فلما بلغ ذلك كسرى اشتد حنقه على بكر بن وائل وبلغه أن حلقة النعمان وولده وأهله عندهم فأرسل كسرى إلى قيس بن مسعود وهو بالأبلة فقال غررتني من قومك وزعمت أنك تكفينيهم وأمر به فحبس بساباط وأخذ كسرى في تعبئة الجيوش إليهم فقال قيس بن مسعود وهو محبوس من أبيات
(ألا أبلِغْ بَني ذُهْلٍ رَسُولاً ... فَمَن هذا يَكونُ لكم مكاني)
(أيأكُلُها ابنُ وعْلَةَ في ظَلِيفٍ ... ويأمَنُ هَيْثَمٌ وابنا سِنان ؟)
((ويأمَنُ فيكمُ الذُّهْليُّ بَعْدي ... وقد وسَموكُم سِمةَ البيانِ
(ألا مَنْ مُبلِغٌ قَوْمي ومَن ذا ... يبلِّغُ عن أسيرٍ في الإوانِ)
يعني الإيوان
(تطَاولَ ليلُه وأصاب حُزْناً ... ولا يَرْجُو الفِكاكَ مع المِنانِ)
يعني بالهيثم وابني سنان الهيثم بن جرير بن يساف بن ثعلبة بن سدوس بن ذهل بن ثعلبة وأبو علباء بن الهيثم
وقال قيس بن مسعود ينذر قومه
(ألاَ لَيتَني أرشُو سِلاحِي وبَغْلَتي ... لِمَن يُخبِرُ الأنباءَ بكرَ بن وائلِ)
ويروي لمن يعلم الأنباء
(فأُوصِيهمُ باللّهِ والصُّلْح بينهمْ ... لينصأ معروفٌ ويُزْجَرَ جاهِلُ)
(وصاةَ امرىء لو كان فيكم أعانَكُم ... على الدّهرِ والأيامُ فيها الغوائِلُ)
(فإيّاكُمُ والطّفَّ لا تَقْرَبُنّهُ ... ولا البحرَ إنّ الماءَ للبحرِ واصِلُ)
(ولا أحْبِسَنْكم عن بُغا الخَيْرِ إنَّني ... سَقَطتُ عَلَى ضِرغامةٍ فهو آكِلُ)
رواه ابن الأعرابي فقال
(إنَّ الماءَ للقَوْدِ واصِلُ ...)
أي أنه معين لهم يقود الخيل إليكم
قال وقال قيس أيضا ينذرهم
(تَمنَّاك من ليلَى مع اللّيل خائِلُ ... وذِكرٌ لها في القَلبِ ليس يُزَايِلُ)
(أُحِبّك حُبَّ الخَمر ما كان حُبُّها ... إلَيَّ وكُلٌّ في فؤادِيَ داخِلُ)

(ألا لَيتَنِي أرْشُو سِلاحي وبَغْلتي ... فيُخْبرَ قومِي اليومَ ما أنَا قائِلُ)
(فإنَّا ثَوَيْنا في شُعوبِ وإنَّهمْ ... غَزَتْهُمْ جنودٌ جَمَّةٌ وقبائِلُ)
(وإنّ جُنودَ العُجْمِ بيْني وبينَكم ... فيا فَلَجِي يا قومُ إن لم تقاتلُوا)
قال فلما وضح لكسرى واستبان أن مال النعمان وحلقته وولده عند ابن مسعود بعث إليه كسرى رجلا يخبره أنه قال له إن النعمان إنما كان عاملي وقد استودعك ماله وأهله والحلقة فابعث بها إلي ولا تكلفني أن أبعث إليك ولا إلى قومك بالجنود تقتل المقاتلة وتسبي الذرية
فبعث إليه هانىء
إن الذي بلغك باطل وما عندي قليل ولا كثير وإن يكن الأمر كما قيل فإنما أنا أحد رجلين إما رجل استودع أمانة فهو حقيق أن يردها على من استودعه إياها ولن يسلم الحر أمانته
أو رجل مكذوب عليه فليس ينبغي للملك أن يأخذه بقول عدو أو حاسد
قال وكانت الأعاجم قوما لهم حلم قد سمعوا ببعض علم العرب وعرفوا أن هذا الأمر كائن فيهم
فلما ورد عليه كتاب هانىء بهذا حملته الشفقة أن يكون ذلك قد اقترب فأقبل حتى قطع الفرات فنزل غمر بني مقاتل وقد أحنقه ما صنعت بكر بن وائل في السواد ومنع هانىء إياه ما منعه
كسرى يستشير إياس بن قبيصة
قال ودعا كسرى إياس بن قبيصة الطائي وكان عامله على عين التمر وما والاها إلى الحيرة وكان كسرى قد أطعمه ثلاثين قرية على شاطىء الفرات فأتاه في صنائعه من العرب الذين كانوا بالحيرة فاستشاره في الغارة على بكر بن وائل وقال ماذا ترى وكم ترى أن نغزيهم من الناس فقال له إياس إن الملك لا يصلح أن يعصيه أحد من رعيته وإن تطعني لم تعلم أحدا لأي شيء عبرت وقطعت الفرات فيروا أن شيئا من أمر العرب قد كربك ولكن ترجع وتضرب عنهم وتبعث عليهم العيون حتى ترى غرة منهم ثم ترسل حلبة من العجم فيها بعض القبائل التي تليهم فيوقعون بهم وقعة الدهر ويأتونك بطلبتك
فقال له كسرى أنت رجل من العرب وبكر بن وائل أخوالك وكانت أم إياس أمامة بنت مسعود أخت هانىء بن مسعود فأنت تتعصب لهم ولا تألوهم نصحا
فقال إياس رأي الملك أفضل فقام إليه عمرو بن عدي بن زيد العبادي وكان كاتبه وترجمانه بالعربية في أمور العرب فقال له أقم أيها الملك وابعث إليهم بالجنود يكفوك
فقام إليه النعمان بن زرعة بن هرمي من ولد السفاح التغلبي فقال أيها الملك إن هذا الحي من بكر بن وائل إذا قاظوا بذي قار تهافتوا تهافت الجراد في النار
فعقد للنعمان ابن زرعة على تغلب والنمر وعقد لخالد بن يزيد البهراني على قضاعة وإياد
وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب ومعه كتيبتاه الشهباء والدوسر فكانت العرب ثلاثة آلاف
وعقد للهامرز على ألف من الأساورة وعقد لخنابرين على ألف وبعث معهم باللطيمة وهي عير كانت تخرج من العراق فيها البز والعطر والألطاف توصل إلى باذام عامله باليمن وقال إذا فرغتم من عدوكم فسيروا بها إلى اليمن وأمر عمرو بن عدي أن يسير بها وكانت العرب تخفرهم وتجيرهم حتى تبلغ اللطيمة اليمن
وعهد كسرى إليهم إذا شارفوا بلاد بكر بن وائل ودنوا منها أن يبعثوا إليهم النعمان بن زرعة فإن أتوكم بالحلقة ومائة غلام منهم يكونون رهنا بما أحدث سفهاؤهم فاقبلوا منهم وإلا فقاتلوهم
وكان كسرى قد أوقع قبل ذلك ببني تميم يوم الصفقة فالعرب وجلة خائفة منه
وكانت حرقة بنت حسان بن النعمان بن المنذر يومئذ في بني سنان هكذا في هذه الرواية
وقال ابن الكلبي حرقة بنت النعمان وهي هند والحرقة لقب
وهذا هو الصحيح
فقالت تنذرهم
(ألاَ أبلِغْ بني بكرٍ رَسُولاً ... فقد جَدَّ النّفِيرُ بعَنْقَفِيرِ)
(فَلَيتَ الجيشَ كُلُّهمُ فِداكُمْ ... ونفْسِي والسَّريرَ وذا السَّرِير)
(كأنّي حينَ جدَّ بهِم إليكُمْ ... مُعَلَّقةُ الذَّوائبِ بالعبُورِ)
(فلو أنّي أطقتُ لِذاكَ دَفْعاً ... إذَنْ لَدَفَعْتُهُ بِدَمِي وزيري)
فلما بلغ بكر بن وائل الخبر سار هانىء بن مسعود حتى انتهى إلى ذي قار فنزل به وأقبل النعمان بن زرعة وكانت أمه قلطف بنت النعمان بن معد يكرب التغلبي وأمها الشقيقة بنت الحارث الوصاف العجلي حتى نزل على ابن أخته مرة بن عمرو بن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن قيس بن سعد بن عجل فحمد الله النعمان وأثنى عليه ثم قال إنكم أخوالي وأحد طرفي وإن الرائد لا يكذب أهله وقد أتاكم ما لا قبل لكم به من أحرار فارس وفرسان العرب والكتيبتان الشهباء والدوسر وإن في هذا الشر خيارا
ولأن يفتدي بعضكم بعضا خير من أن تصطلموا فانظروا هذه الحلقة فادفعوها وادفعوا رهنا من أبنائكم إليه بما أحدث سفهاؤكم
فقال له
القوم ننظر في أمرنا
وبعثوا إلى من يليهم من بكر بن وائل وبرزوا ببطحاء ذي قار بين الجلهتين
قال الأثرم جلهة الوادي ما استقبلك منه واتسع لك
وقال ابن الأعرابي جلهة الوادي مقدمه مثل جلهة الرأس إذا ذهب شعره يقال رأس أجله
قال وكان مرداس بن أبي عامر السلمي مجاورا فيهم يومئذ فلما رأى الجيوش قد أقبلت إليهم حمل عياله فخرج عنهم وأنشأ يقول يحرضهم بقوله
(أبلِغ سَراةَ بني بكرٍ مُغَلْغَلَةً ... إنّي أخاف عليهم سُرْبَةَ الدَّار)
(إنّي أرى الملِكَ الهامُرْزَ مُنْصَلِتاً ... يُزْجِي جِياداً وركباً غير أبرار)
(لا تَلْقُطُ البعَرَ الحَوْلِيَّ نِسوَتُهُمْ ... للجائزين عَلَى أعطانِ ذِي قار)

(فإن أَبَيْتُمْ فإنّي رافِعٌ ظُعُنِي ... ومُنْشِبٌ في جِبال اللُّوبِ أظْفَاري)
(وجاعِلٌ بينَنا ورداً غَوارِبُه ... ترْمِي إذا ما ربا الوادِي بتَيَّار)
ربا ارتفع وطال وقوله وردا غواربه أراد البحر
أبو الفرج يعطي رأيه في حكاية مرداس
قال علي بن الحسين الأصفهاني
هذه الحكاية عندي في أمر مرداس بن أبي عامر خطأ لأن وقعة ذي قار
كانت بعد هجرة النبي وكانت بين بدر وأحد ومرداس بن أبي عامر وحرب بن أمية أبو أبي سفيان ماتا في وقت واحد كانا مرا بالقرية وهي غيضة ملتفة الشجر فأحرقا شجرها ليتخذاها مزرعة فكانت تخرج من الغيضة حيات بيض فتطير حتى تغيب ومات حرب ومرداس بعقب ذلك فتحدث قومهما أن الجن قتلتهما لإحراقهما منازلهم من الغيضة وذلك قبل مبعث النبي بحين
ثم كانت بين أبي سفيان وبين العباس بن مرداس منازعة في هذه القرية ولهما في ذلك خبر ليس هذا موضعه
وأظن أن هذه الأبيات للعباس بن مرداس بن أبي عامر
رجع الحديث إلى سياقته في حديث ذي قار
قال
وجعلت بكر بن وائل حين بعثوا إلى من حولهم من قبائل بكر لا ترفع
لهم جماعة إلا قالوا سيدنا في هذه
فرفعت لهم جماعة فقالوا سيدنا في هذه فلما دنوا إذا هم بعبد عمرو بن بشر بن مرثد فقالوا لا ثم رفعت لهم أخرى فقالوا في هذه سيدنا فإذا هو جبلة بن باعث بن صريم اليشكري فقالوا لا فرفعت أخرى فقالوا في هذه سيدنا فإذا هو الحارث بن وعلة ابن مجالد الذهلي فقالوا لا ثم رفعت لهم أخرى فقالوا في هذه سيدنا فإذا فيها الحارث بن ربيعة بن عثمان التيمي من تيم الله فقالوا لا ثم رفعت لهم أخرى أكبر مما كان يجيء فقالوا لقد جاء سيدنا فإذا رجل أصلع الشعر عظيم البطن مشرب حمرة فإذا هو حنظلة بن ثعلبة بن سيار بن حيي ابن حاطبة بن الأسعد بن جذيمة بن سعد بن عجل فقالوا يا أبا معدان قد طال انتظارنا وقد كرهنا أن نقطع أمرا دونك وهذا ابن أختك النعمان بن زرعة قد جاءنا والرائد لا يكذب أهله قال فما الذي أجمع عليه رأيكم واتفق عليه ملؤكم قالوا قال إن اللخي أهون من الوهي وإن في الشر خيارا ولأن يفتدي بعضكم بعضا خير من أن تصطلحوا جميعا
قال حنظلة فقبح الله هذا رأيا لا تجر أحرار فارس غرلها ببطحاء ذي قار وأنا أسمع الصوت
ثم أمر بقبته فضربت بوادي ذي قار ثم نزل ونزل الناس فأطافوا به ثم قال لهانىء بن مسعود يا أبا أمامة إن ذمتكم ذمتنا عامة وإنه لن يوصل إليك حتى تفنى أرواحنا فأخرج هذه الحلقة ففرقها بين قومك فإن تظفر فسترد عليك وإن تهلك فأهون مفقود
فأمر بها فأخرجت ففرقها بينهم ثم قال حنظلة للنعمان لولا أنك
رسول لما أبت إلى قومك سالما
فرجع النعمان إلى أصحابه فأخبرهم بما رد عليه القوم فباتوا ليلتهم مستعدين للقتال وباتت بكر بن وائل يتأهبون للحرب فلما أصبحوا أقبلت الأعاجم نحوهم وأمر حنظلة بالظعن جميعا فوقفها خلف الناس ثم قال يا معشر بكر بن وائل قاتلوا عن ظعنكم أو دعوا فأقبلت الأعاجم يسيرون على تعبئة فلما رأتهم بنو قيس بن ثعلبة انصرفوا فلحقوا بالحي فاستخفوا فيه فسمي حي بني قيس بن ثعلبة قال وهو على موضع خفي فلم يشهدوا ذلك اليوم
وكان ربيعة بن غزالة السكوني ثم التجيبي يومئذ هو وقومه نزولا في بني شيبان فقال يا بني شيبان أما لو أني كنت منكم لأشرت عليكم برأي مثل عروة العكم فقالوا فأنت والله من أوسطنا فأشر علينا فقال لا تستهدفوا لهذه الأعاجم فتهلككم بنشابها ولكن تكردسوا لهم كراديس فيشد عليهم كردوس فإذا أقبلوا عليه شد الآخر فقالوا فإنك قد رأيت رأيا ففعلوا
فلما التقى الزحفان وتقارب القوم قام حنظلة بن ثعلبة فقال
يا معشر بكر بن وائل إن النشاب الذي مع الأعاجم يعرفكم فإذا
أرسلوه لم يخطئكم فعاجلوهم باللقاء وابدأوهم بالشدة
ثم قام هانىء بن مسعود فقال يا قوم مهلك معذور خير من نجاء معرور وإن الحذر لا يدفع القدر وإن الصبر من أسباب الظفر المنية ولا الدنية واستقبال الموت خير من استدباره والطعن في الثغر خير وأكرم من الطعن في الدبر يا قوم جدوا فما من الموت بد فتح لو كان له رجال أسمع صوتا ولا أرى قوما يا آل بكر شدوا واستعدوا وإلا تشدوا تردوا
ثم قام شريك بن عمرو بن شراحيل بن مرة بن همام فقال يا قوم إنما تهابونهم أنكم ترونهم عند الحفاظ أكثر منكم وكذلك أنتم في أعينهم فعليكم بالصبر فإن الأسنة تردي الأعنة يا آل بكر قدما قدما
ثم قام عمرو بن جبلة بن باعث بن صريم اليشكري فقال
(يا قَوْم لاَ تغرُرْكُمُ هذِي الخِرَقْ ... وَلاَ وَمِيضُ البَيْضِ في الشَّمسِ برَقْ)
(مَنْ لم يقَاتلْ مِنكُم هذِي العُنق ... فجنِّبوه الرَّاح واسقُوه المرَقْ)
ثم قام حنظلة بن ثعلبة إلى وضين راحلة امرأته فقطعه ثم تتبع الظعن يقطع وضنهن لئلا يفر عنهن الرجال فسمي يومئذ مقطع الوضين
والوضين بطان الناقة
قالوا وكانت بنو عجل في الميمنة بإزاء خنابرين وكانت بنو شيبان في الميسرة بإزاء كتيبة الهامرز وكانت أفناء بكر بن وائل في القلب فخرج
أسوار من الأعاجم مسور في أذنيه درتان من كتيبة الهامرز يتحدى الناس للبراز فنادى في بني شيبان فلم يبرز له أحد حتى إذا دنا من بني يشكر برز له يزيد بن حارثة أخو بني ثعلبة بن عمرو فشد عليه بالرمح فطعنه فدق صلبه وأخذ حليته وسلاحه فذلك قول سويد بن أبي كاهل يفتخر
(ومنَّا يَزيدُ إذْ تحدَّى جُموعَكم ... فلم تَقْرَبوه المَرْزُبانُ المسهَّرُ)
(وبارَزَهُ مِنَّا غُلامٌ بِصارِمٍ ... حُسَامٍ إذا لاقى الضَّرِيبَةَ يَبتُرُ)

ثم إن القوم اقتتلوا صدر نهارهم أشد قتال رآه الناس إلى أن زالت الشمس فشد الحوفزان واسمه الحارث ابن شريك على الهامرز فقتله وقتلت بنو عجل خنابرين وضرب الله وجوه الفرس فانهزموا وتبعتهم بكر ابن وائل فلحق مرثد بن الحارث بن ثور بن حرملة بن علقمة بن عمرو بن سدوس النعمان بن زرعة فأهوى له طعنا فسبقه النعمان بصدر فرسه فأفلته فقال مرثد في ذلك

(وَخَيْلٍ تَبَارَى للطِّعانِ شَهِدتُها ... فأغرقتُ فيها الرُّمْحَ والجمعُ مُحجِمُ)
(وأفلتني النُّعمانُ قابَ رماحِنا ... وفوقَ قَطاةِ المهْرِ أزرقُ لهذِمُ)

قال ولحق أسود بن بجير بن عائذ بن شريك العجلي النعمان بن زرعة فقال له يا نعمان هلم إلي فأنا خير آسر لك وخير لك من العطش

قال ومن أنت قال الأسود بن بجير فوضع يده في يده فجز ناصيته وخلى سبيله وحمله الأسود على فرس له وقال له انج على هذه فإنها أجود من فرسك وجاء الأسود بن بجير على فرس النعمان بن زرعة وقتل خالد بن يزيد البهراني قتله الأسود بن شريك بن عمرو وقتل يومئذ عمرو بن عدي بن زيد العبادي الشاعر فقالت أمه ترثيه

(وَيْحَ عمرو بن عديٍّ من رجُلْ ... حانَ يوماً بعدما قيل كَمِلْ)
(كان لا يعقِلُ حتى ما إذا ... جاءَ يومٌ يأكلُ الناسَ عَقَلْ)
(أيُّهم دَلَّاكَ عمْرو للرَّدَى ... وقديماً حَيَّنَ المرْءَ الأَجلْ)
(ليت نُعمانَ علينا مَلِكٌ ... وبَنِيَّ لِيَ حَيٌّ لم يَزَلْ)
(قد تنظَّرْنا لغادٍ أَوْبةً ... كان لو أغنى عن المرءِ الأَمَلْ)
(بانَ منهُ عَضُدٌ عَنْ ساعدٍ ... بؤسَ للدّهر وبؤسَى للرجلْ)

قال وأفلت إياس بن قبيصة على فرس له كانت عند رجل من بني تيم الله يقال له أبو ثور فلما أراد إياس أن يغزوهم أرسل إليه أبو ثور بها فنهاه أصحابه أن يفعل فقال والله ما في فرس إياس ما يعز رجلا ولا يذله وما كنت لأقطع رحمه فيها فقال إياس

(غَذاها أبو ثَوْرٍ فلما رأيتُها ... دَخِيسَ دواءٍ لا أُضِيعَ غِذاؤها)
(فأعددتُها كُفأً ليَوْمِ كريهةٍ ... إذا أقبلتْ بكرٌ تُجَرَّ رشاؤها)

قال وأتبعتهم بكر بن وائل يقتلونهم بقية يومهم وليلتهم حتى أصبحوا

من الغد وقد شارفوا السواد ودخلوه فذكروا أن مائة من بكر بن وائل وسبعين من عجل وثلاثين من أفناء بكر بن وائل أصبحوا وقد دخلوا السواد في طلب القوم فلم يفلت منهم كبير أحد وأقبلت بكر بن وائل على الغنائم فقسموها بينهم وقسموا تلك اللطائم بين نسائهم فذلك قول الديان بن جندل

(إن كنتِ ساقيةً يوماً على كَرمٍ ... فاسْقِي فوارسَ من ذُهلِ بنِ شيباناً)
(واسْقِي فوارسَ حامَوْا عن ديارهِمُ ... واعْلِي مَفارقَهمْ مِسكاً ورَيْحانا)

قال فكان أول من انصرف إلى كسرى بالهزيمة إياس بن قبيصة وكان لا يأتيه أحد بهزيمة جيش إلا نزع كتفيه فلما أتاه إياس سأله عن الخبر فقال هزمنا بكر بن وائل فأتيناك بنسائهم فأعجب ذلك كسرى وأمر له بكسوة وإن إياسا استأذنه عند ذلك فقال إن أخي مريض بعين التمر فأردت أن آتيه وإنما أراد أن يتنحى عنه فأذن له كسرى فترك فرسه الحمامة وهي التي كانت عند أبي ثور بالحيرة وركب نجيبة فلحق بأخيه ثم أتى كسرى رجل من أهل الحيرة وهو بالخورنق فسأل هل دخل على الملك أحد فقالوا

نعم إياس فقال ثكلت إياسا أمه وظن أنه قد حدثه بالخبر فدخل عليه فحدثه بهزيمة القوم وقتلهم فأمر به فنزعت كتفاه

وقعة ذي قار بعد وقعة بدر بأشهر

قال وكانت وقعة ذي قار بعد وقعة بدر بأشهر ورسول الله بالمدينة فلما بلغه ذلك قال هذا يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نصروا

قال ابن الكلبي وأخبرني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال ذكرت وقعة ذي قار عند النبي فقال " ذلك يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نصروا "

وروي أن النبي مثلت له الوقعة وهو بالمدينة فرفع يديه فدعا لبني شيبان أو لجماعة ربيعة بالنصر ولم يزل يدعو لهم حتى أري هزيمة الفرس

وروي أنه قال " إيها بني ربيعة اللهم انصر بني ربيعة " فهم إلى الآن إذا حاربوا دعوا بشعار النبي ودعوته لهم وقال قائلهم يا رسول الله وعدك فإذا دعوا بذلك نصروا

الشعراء بعد النصر

وقال أبو كلبة التيمي يفخر بيوم ذي قار

(لولا فوارسُ لا مِيلٌ ولا عُزُلٌ ... من اللّهازمِ ما قِظْتُم بذي قار)
(ما زلتُ مُفترِساً أجسادَ أقْبِيةٍ ... تُثِيرُ أعطافَها منها بآثار)
(إنَّ الفَوارسَ من عِجلٍ هُمُ أنِفوا ... من أن يُخَلّوا لِكِسْرى عَرْصةَ الدَّار)
(لاقَوْا فَوارِسَ من عِجْلٍ بشكّتِهَا ... ليسوا إذا قلَّصَتْ حربٌ بأغمارِ)
(قد أحسنتْ ذُهلُ شيبانٍ وما عدلَتْ ... في يومِ ذي قارِ فُرْسانُ ابن سيّار)
(همُ الذين أتَوْهُمْ عنْ شمائلِهمْ ... كما تلبَّس وُرَّادٌ بصُدَّار)

فأجابه الأعشى فقال

(أبلغْ أبا كلْبَةَ التَّيمِيَّ مألُكةً ... فأنتَ من مَعْشرٍ - واللّهِ - أشْرَار)
(شيبانُ تَدْفعُ عنكَ الحربَ آونةً ... وأنتَ تنبَحُ نبْحَ الكلْبِ في الغار)

وقال بكير الأصم

(إن كنتِ ساقِيةَ المُدامةِ أهْلَها ... فاسقِي على كَرَمٍ بني همَّامِ)
(وأبا ربيعةَ كلَّها ومُحلِّماً ... سبَقُوا بأنْجَدِ غايةِ الأيّام)
(زحفُوا بجمْعٍ لا تُرَى أقْطارُه ... لقِحَتْ بهِ حربٌ لغيرِ تمام)
(عَرَبٌ ثلاثةُ آلُفٍ وكتيبةٌ ... ألْفانِ عُجْمٌ من بني القدَّام)

(ضربُوا بني الأحرارِ يومَ لَقُوهُمُ ... بالمشرفيِّ على شؤُون الهام)
(وغدا ابنُ مَسعُودٍ فأوقعَ وَقْعةً ... ذَهبَتْ لهم في مُعْرِقٍ وشآمِ)
وقال الأعشى
(فِدىً لبني ذُهْلِ بن شَيبَان ناقتِي ... وراكبُها يومَ اللِّقاءِ وقلّتِ)
(هُمُ ضَرَبُوا بالحِنْو حِنو قُرَاقر ... مُقدِّمةَ الهامُرْز حتى تولَّتِ)
وقال بعض شعراء ربيعة في يوم ذي قارٍ
(ألا مَن لليلٍ لاَ تغُورُ كواكبُه ... وهمٍّ سَرى بين الجوانِح جانبُهْ)
(ألا هلْ أتاها أنّ جيشاً عَرَمْرماً ... بأسفل ذي قارٍ أُبيدتْ كتائبُهْ)
(فما حلْقةُ النُّعمانِ يومَ طلبتَها ... بأقربَ من نجم السماءِ تراقبُهْ)
وقال الأعشى
(حَلفتُ بالمِلْح والرَّمادِ وبالعُزَّى ... وباللّاتِ تُسْلَم الحلقهْ)
(حتّى يظلَّ الهمامُ مُنجدِلاً ... ويقْرَعَ النَّبلُ طُرّةَ الدَّرَقهْ)
وقال ابن قرد الخنزير التيمي
(ألا أبلِغْ بني ذُهْلٍ رسُولاً ... فلا شَتماً أردتُ ولا فسادَا)
(هززتُ الحامِلينَ لكي يعودُوا ... إذا يومٌ من الحدَثانِ عادا)
(وجدتُ الرِّفْدَ رِفْدَ بني لُجَيمٍ ... إذا ما قَلّتِ الأرفادُ زادا)
(هُم ضَرَبُوا الكتائبَ يومَ كِسرَى ... أمامَ الناس إذْ كَرِهُوا الجِلادا)
(وهُمْ ضَرَبُوا القِبابَ ببَطْنِ فَلْجٍ ... وذادُوا عن محارمِنا ذِيادا)
وقال الأعشى في ذلك
(لو أنَّ كلَّ معدٍّ كان شارَكَنا ... في يوم ذي قارَ ما أخطاهُمُ الشَّرَفُ)
(لمَّا أتونا كأنَّ الليلَ يقدُمهم ... مُطَبِّق الأرض تغشاها لهم سَدَفُ)
(بَطارقٌ وبنو مُلْكٍ مرازِبَةٌ ... من الأعاجِم في آذانِها النُّطَفُ)
(من كلِّ مَرْجانةٍ في البَحْر أحْرَزَها ... تيَّارُها ووقاها طينَها الصَّدَفُ)
(وظُعْنُنا خَلْفَنا تَجْري مَدَامِعُهَا ... أكبادُها وَجَلاً ممَّا تَرى تَجِفُ)
(يَحْسِرْن عن أوجهٍ قد عاينَتْ عِبَراً ... ولاحها غُبْرَةٌ ألوانُها كِسَفُ)
(ما في الخُدودِ صُدودٌ عن وُجُوهِهِمُ ... ولا عن الطَّعنِ في اللَّبَّاتِ مُنحَرفُ)
(عَوْداً على بَدئِهم ما إنْ يلبِّثُهمْ ... كرَّ الصُّقور بناتِ الماءِ تَخْتَطِفُ)
(لمَّا أمالُوا إلى النُّشَّابِ أيدِيَهمْ ... مِلْنا بِبِيضٍ فظَلَّ الهامُ يُقْتَطفُ)
(وخيلُ بكرٍ فما تَنْفَكُّ تطحنُهمْ ... حتى تولَّوا وكادَ اليومُ يَنْتَصِفُ)
وقال جريم بن الحارث التيمي
(وإنَّ لُجَيماً أهلُ عزٍّ وَثَرْوَةٍ ... وأهلُ أيادٍ لا يُنالُ قَديمُها)
(هُم مَنَعُوا في يومِ قارٍ نِساءَنا ... كما مَنَع الشَّوْلَ الهِجانَ قُرومُها)
(إذا قِيلَ يوماً أقدِمُوا يتقدَّمُوا ... وهل يمنعُ المَخْزاةَ إلا صَمِيمُها)
قال ولم يزل قيس بن مسعود في سجن كسرى بساباط حتى مات فيه
صوت
(خليلَيّ ما صَبْري على الزَّفَراتِ ... وما طاقتِي بالهمِّ والعَبَراتِ)
((تَساقَطُ نفسي كلَّ يومٍ وليلةٍ ... على إثْر ما قد فاتَها حَسَراتِ
الشعر للقحيف العقيلي
والغناء لإبراهيم الموصلي رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة وذكر الهشامي أن الرمل لعلوية وأن لحن إبراهيم من الثقيل الأول بالوسطى

أخبار القحيف ونسبه

القحيف بن حمير أحد بني قشير بن مالك بن خفاجة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة شاعر مقل من شعراء الإسلام

أخباره مع خرقاء

وكان يشبب بخرقاء التي كان ذو الرمة يشبب بها
فأخبرني محمد بن خلف بن وكيع وعمي قالا حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك عن العدوي عن أبي الحسن المدائني عن الصباح بن الحجاج عن أبيه قال
مررت بخرقاء وهي بفلج فقالت أقضيت حجك وأتممته فقلت
نعم فقالت لم تفعل شيئا فقلت ولم فقالت لأنك لم تلمم بي ولا سلمت علي أو ما سمعت قول ذي الرمة
(تمامُ الحجّ أن تَقِفَ المطَايَا ... على خَرقاءَ واضِعةِ اللِّثام)
فقال هيهات يا خرقاء ذهب ذاك منك فقالت لا تقل ذاك أما سمعت قول القحيف عمك
(وخَرقاءُ لا تَزْدادُ إلاَّ مَلاَحةً ... ولو عُمِّرتْ تَعْمِيرَ نُوحٍ وجَلَّتِ)
اخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الله بن إبراهيم الجمحيّ قال حدثني أبو الشبل المعدي قال
نسب ذو الرمة بخرقاء البكائية وكانت أصبح من القبس وبقيت بقاء طويلا فنسب بها القُحيفُ العقيلي فقال
(وخَرقاءُ لا تزدادُ إلاَّ ملاحةً ... ولو عمِّرتْ تعمير نُوحٍ وجلّتِ)
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان دماذ قال
كبرت خرقاء حتى جاوزت تسعين سنة وأحبت أن تنفق ابنتها وتخطب فأرسلت إلى القحيف العقيلي وسألته أن يشبب بها فقال

(لَقد أرسلَتْ خَرْقاءُ نحوي جَرِيَّها ... لِتَجعَلَني خرقاءُ مِمَّن أضَلَّتِ)
(وخرقاءُ لا تزدادُ إلاّ مَلاحةً ... ولو عُمِّرت تَعمِير نوحٍ وجَلَّتِ)
وقال عمرو بن أبي عمرو الشيباني
كان القحيف العقيلي يتحدث إلى امرأة من عبس وقد جاورهم وأقام عندهم شهرا وهام بها عشقا وكان يخبرها أن له نعما ومالا وهويته العبسية وكان من أجمل الرجال وأشطهم فلما طال عليها واستحيا من كذبه إياها في ماله ارتحل عنهم وقال
(تَقولُ لي أُختُ عَبْسٍ : ما أَرَى إبلاً ... وأنت تزعُم مَن والاكَ صِنْدِيدُ)
(فقلتُ يكْفِي مكانُ اللَّوْمِ مُطَّرِدٌ ... فيه القَتِيرِ بسَمْرِ القَيْنِ مَشْدُودُ)
(وشِكَّةٌ صاغَها وَفْراءَ كَامِلةً ... وصارمٌ من سُيُوفِ الهِنْدِ مَقْدُودُ)
(إنّي لَيَرْعَى رجالٌ لي سَوَامَهُمُ ... ليَ العَقائِلُ منها والمَقاحِيدُ)
وقال أبو عمرو
كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك ولى علي بن المهاجر بن عبد الله الكلابي اليمامة
فلما قتل الوليد بن يزيد جاءه المهير بن سلمى الحنفي فقال له إن الوليد قد قتل وإن لك علي حقا وكان أبوك لي مكرما وقد قتل صاحبك فاختر خصلة من ثلاث إن شئت أن تقيم فينا وتكون كأحدنا فافعل وإن شئت أن تتحول عنا إلى دار عمك فتنزلها أنت ومن معك إلى أن يرد أمر الخليفة المولى فتعمل بما يأمر به فافعل
وإن شئت فخذ من المال
المجتمع ما شئت والحق بدار قومك
فأنف علي بن المهاجر من ذلك ولم يقبله وقال للمهير
أنت تعزلني يا بن اللخناء فخرج المهير مغضبا والتف معه أهل اليمامة وكان مع علي ستمائة رجل من أهل الشام ومثلهم من قومه وزواره فدعاهم المهير وذكر لهم رأيه فأبوا عليه وقاتلوه وجاء سهم عائر فوقع في كبد صانع من أهل اليمامة فقال المهير احملوا عليهم فحملوا عليهم فانهزموا وقتل منهم نفر ودخلوا القصر وأغلقوا الباب وكان من جذوع فدعا المهير بالسعف فأحرقه ودخل أصحابه فأخذوا ما في القصر وقام عبد الله بن النعمان القيسي في نفر من قومه فحموا بيت المال ومنعوا منه فلم يقدر عليه المهير وجمع المهير جيشا يريد أن يغزو بهم بني عقيل وبني كلاب وسائر بطون بني عامر فقال القحيف بن حمير لما بلغه ذلك
صوت
(أَمِن أهْلِ الأَرَاكِ عَفَتْ رُبُوعُ ... نَعَمْ سَقْياً لهم لو تَستطيعُ)
(زيارتَهم ولكنْ أحْضَرَتْنا ... همومٌ ما يزالُ لها مُشِيعُ)
غنى في هذين البيتين إبراهيم فيما ذكره هو في كتابه ولم يذكر طريقته
(كأنَّ البَيْنَ جَرَّعَني زُعافاً ... من الحيَّاتِ مَطعَمُهُ فَظِيعُ)
((وماءٍ قد وردتُ على جِباهٍ ... حمامٌ حائمٌ وقطاً وُقُوعُ
ومما يغنى فيه من هذه القصيدة
صوت
(جعلتُ عِمامتي صِلةً لدَلْوي ... إليهِ حينَ لم تَرِدِ النُّسُوعُ)
(لأَسْقِيَ فِتْيَةً ومُنَقَّباتٍ ... أضرَّ بِنِقْيِها سفرٌ وَجِيعُ)
قال أبو الفرج غني في هذين البيتين سليم خفيف رمل بالوسطى ذكر ذلك حبش
(لقد جَمَع المُهَيْرُ لَنا فقُلْنا : ... أتحسَبُنا تروِّعُنا الجُمُوعُ ؟)
(ستَرْهَبُنا حَنيفةُ إن رأتْنا ... وفي أيمانِنا البِيضُ اللُّمُوعُ)
(عُقَيْلٌ تَعْتَزِي وبَنُو قُشَيْرٍ ... تَوارَى عن سواعِدِها الدُّرُوعُ)
(وجَعْدَةُ والحَرِيشُ لُيوثُ غابٍ ... لهم في كلِّ مَعْرَكةٍ صَرِيعُ)
(فنِعمَ القَوْمُ في اللَّزَباتِ قومِي ... بنُو كَعْبٍ إذا جَحِدَ الرَّبيعُ)
(كُهولٌ مَعْقِلُ الطُّرَداءِ فِيهِمْ ... وفِتيانٌ غَطارِفَةٌ فُرُوعُ)
(فمهلاً يا مُهيرُ فأنت عَبْدٌ ... لِكَعْبٍ سامِعٌ لهمُ مُطِيعُ)
قال وبعث المهير رجلا من بني حنيفة يقال له المندلف بن إدريس الحنفي إلى الفلج وهو منزل لبني جعدة وأمره أن يأخذ صدقات بني كعب جميعا فلما بلغهم خبره أرسلوا في أطرافهم يستصرخون عليه فأتاهم أبو لطيفة ابن مسلمة العقيلي في عالم من عقيل فقتلوا المندلف وصلبوه فقال القحيف في ذلك
(أتانا بالعَقِيقِ صَرِيخُ كَعْبٍ ... فحنَّ النَّبْعُ والأسَلُ النِّهالُ)
(وحالَفْنا السُّيوفَ ومُضمَراتٍ ... سواءٌ هُنَّ فينا والعِيالُ)
(تعادَى شُزَّباً مثلَ السَّعالِي ... ومِن زُبَرِ الحَديدِ لها نِعالُ)
وقال أيضا ويروى لنجدة الخفاجي
(لقد منع الفرائِضَ عن عُقَيْلٍ ... بطَعْنٍ تحتَ ألْوِيةٍ وضَرْبِ)
(ترى مِنْهُ المُصَدِّقَ يومَ وافَى ... أطلَّ على مَعاشِره بصَلْبِ)
قال أبو عمرو في أخباره
ونظر بعض فقهاء أهل مكة إلى القحيف وهو يحد النظر إلى امرأة فنهاه عن ذلك وقال له أما تتقي الله تنظر هذا النظر إلى غير حرمة لك وأنت محرم فقال القحيف
((أَقْسمتُ لا أَنْسى وإن شَطّتِ النّوى ... عَرانِينَهُنَّ الشُّمَّ والأعيِنَ النُّجْلا
(ولا المِسكَ مِن أعطافِهِنَّ ولا البُرَى ... جَمَمْنَ وقد لوَّيْنَها قُضُباً خُدْلا)
(يقول لِيَ المُفْتِي وهُنَّ عَشِيَّةً ... بمكةَ يَلْمحْنَ المهدِّبةَ السُّحْلا)
(تَقِ اللَّهَ لا تَنظرْ إليهنَّ يا فتَى ... وما خِلتُني في الحجِّ مُلْتَمِساً وَصْلا)
(وإنَّ صِبا ابنِ الأربعينَ لَسُبَّةٌ ... فكيف مع اللائي مثَلْنَ بنا مَثْلا)

(عَواكِفَ بالبيتِ الحرام وربَّما ... رأيتَ عيونَ القَوْم من نحوها نُجْلا)
صوت
(كَفَفْنا عن بَني ذُهْلٍ ... وقُلنا : القومُ إخوانُ)
(عَسَى الأيامُ أن يَرجِعْن ... قوماً كالَّذِي كانُوا)
(فلمَّا صَرَّحَ الشرُّ ... وأمسى وهْو عُرْيانُ)
(ولم يبق سِوَى العُدْوانِ ... دِنّاهُمْ كما دانُوا)
الشعر للفند الزماني والغناء لعبد الله بن دحمان خفيف رمل بالبنصر عن بذل والهشامي وابن المكي
وتمام هذا الشعر
(شَدَدنا شدَّةَ اللَّيثِ ... غَدا واللَّيْثُ غضْبانُ)
(بضَرْبٍ فيه تَفْجِيعٌ ... وتأْيِيمٌ وإرْنانُ)
(وطَعْنٍ كفَم الزِّقِّ ... غَذَا والزِّقُّ ملآنُ)
(وفي العُدْوانِ للعُدْوانِ ... تَوهِينٌ وإقْرانُ)
(وبعضُ الحلمِ عِنْدَ الجهْلِ ... للذِّلَةِ إذْعانُ)
((وفي الشَّرِّ نَجَاةٌ حِين ... لا يُنْجِيكَ إحسانُ
قوله دناهم كما دانوا أي جزيناهم
ومثله قول الآخر
(... إنَّا كذاكَ نَدِينُ الناسَ بالدِّين)
والتأييم ترك النساء أيامى
والإرنان والرنة البكاء والعويل
والإقران الطاقة للشيء قال الله عز وجل (وما كنا له مقرنين) أي مطيقين
أخبار الفند الزماني ونسبه
الفند لقب غلب عليه شبه بالفند من الجبل وهو القطعة العظيمة لعظم خلقه
واسمه شهل بن شيبان بن ربيعة بن زمان بن مالك بن صعب بن علي ابن بكر بن وائل
وكان أحد فرسان ربيعة المشهورين المعدودين وشهد حرب بكر وتغلب وقد قارب المائة السنة فأبلى بلاء حسنا وكان مشهده في يوم التحالق الذي يقول فيه طرفة
(سائلوا عنَّا الذي يَعرِفُنا ... بقوانا يومَ تَحْلاقِ اللِّمَمْ)
(يومَ تُبدِي البِيضُ عن أسؤُقِها ... وتَلُفُّ الخَيْلُ أعْراجَ النَّعَمْ)
وقد مضى خبره في مقتل كليب
فأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه قال
أرسلت بنو شيبان في محاربتهم بني تغلب إلى بني حنيفة يستنجدونهم فوجهوا إليهم بالفند الزماني في سبعين رجلا وأرسلوا إليهم إنا قد بعثنا إليكم ألف رجل
وقال ابن الكلبي
لما كان يوم التحالق أقبل الفند الزماني إلى بني شيبان وهو شيخ كبير قد جاوز مائة سنة ومعه بنتان له شيطانتان من شياطين الإنس فكشفت إحداهما عنها وتجردت وجعلت تصيح ببني شيبان ومن معهم من بني بكر
(... وَعَا وَعَا وَعَا وَعَا)
(... حَرَّ الجَوادُ والتَظَى)
(... ومُلِئَت منه الرّبى)
(... يا حَبَّذَا يا حبَّذا)
(... المُلْحِقُون بالضُّحَى)
ثم تجردت الأخرى وأقبلت تقول
(إن تُقْبِلُوا نُعانِقْ ... ونَفْرِشِ النَّمارِقْ)
((أو تُدْبِرُوا نُفارِقْ ... فِراقَ غيرِ وامِقْ
قال والتقى الناس يومئذ فأصعد عوف بن مالك بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة ابنته على جمل له في ثنية قضة حتى إذا توسطها ضرب عرقوبي الجمل ثم نادى
(... أنا البُرَكْ أنا البُرَكْ)
(... أنزلُ حيثُ أُدْرَكْ)
ثم نادى ومحلوفة لا يمر بي رجل من بكر بن وائل إلا ضربته بسيفي هذا أفي كل يوم تفرون فيعطف القوم فقاتلوا حتى ظفروا فانهزمت تغلب
قال ابن الكلبي
ولحق الفند الزماني رجلا من بني تغلب يقال له مالك بن عوف قد طعن صبيا من صبيان بكر بن وائل فهو في رأس قناته وهو يقول
يا ويس أم الفرخ فطعنه الفند وهو وراءه ردف له فأنفذهما جميعا وجعل يقول
(أيا طعنةَ ما شَيْخٍ ... كبيرٍ يَفَنٍ بالي)
((تفتَّيتُ بِها إذ كَرِه ... الشِّكَّةَ أمثالِي
(تُقِيمُ المأتَم الأعلَى ... على جُهدٍ وإعْوالِ)
(كجَيْبِ الدِّفْنسِ الوَرْهَاءِ ... رِيعَتْ بعدَ إجفالِ)
ويروى قد ريعت بإجفال
أخبار عبد الله بن دحمان
عبد الله بن دحمان الأشقر المغني

وقد تقدم خبر أبيه وأخيه الزبير
وكان عبد الله في جنبة إبراهيم بن المهدي ومتعصبا له وكان أخوه الزبير في جنبة إسحاق الموصلي ومتعصبا له فكان كل واحد منهما يرفع من صاحبه ويشيد بذكره فعلا الزبير بتقديم إسحاق له لتمكن إسحاق وقبول الناس منه ولم يرتفع عبد الله بذكر إبراهيم له مع غض إسحاق منه وكان الزبير على كل حال يتقدم أخاه عبد الله
فأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال كان أبي كثيرا ما يقول ما رأيت أقل عقلا ومعرفة ممن يقول إن دحمان كان فاضلا والله ما يساوي غناؤه كله فلسين وأشبه الناس به صوتا وصنعة وبلادة وبردا ابنه عبد الله ولكن المحسن والله المجمل المؤدي الضارب المطرب ابنه الزبير
وقال يوسف بن إبراهيم
كان أبو إسحاق يؤثر عبد الله بن دحمان ويقدمه وإذا صنع صوتا عرضه على أبي إسحاق فيقومه له ويصلحه مضادة لأخيه الزبير في أمره لميل الزبير إلى إسحاق وتعصبه له وأوصله إلى الرشيد مع المغنين عدة مرات أخرج له في جميعها جائزة
صوت
(أَقُولُ لمَّا أتانِي ثَمَّ مَصْرَعُهُ ... لاَ يبْعَدِ الرُّمْحُ ذو النّصليْنِ والرَّجُلُ)
(التاركُ القِرْنَ مُصفرًّا أنامِلُه ... كأنّهُ مِن عُقارٍ قَهْوةٍ ثَمِلُ)
(ليس بعَلٍّ كبيرٍ لا شَبابَ لَهُ ... لكنْ أُثيلةُ صافِي الوَجهِ مُقْتَبَلُ)
(يُجيب بعد الكرى لبَّيكَ داعِيَهُ ... مِجْذامةٌ لهواهُ قُلْقلٌ عجِلُ)
قوله لا يبعد الرمح يعني ابنه الذي رثاه شبهه بالرمح في نفاذه وحدته
والنصلان السنان والزج
والرجل يعني به ابنه أيضا من الرجلة يصفه بها أو أنه عنى لا يبعد الرجل ورمحه
والعل الكبير السن الصغير الجسم ويقال أيضا للقراد عل
والمقتبل المقبل
وقوله مجذامة لهواه يعني أنه يقطع هواه ولا يتبعه فيما يغض من قدره
وقلقل خفيف سريع والمتقلقل الخفيف
الشعر للمتنخل الهذلي
والغناء لمعبد وله فيه لحنان
أحدهما من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق والآخر خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو
وذكر الهشاميّ أن للغريض لحنا من الثقيل الأول ابتداؤه
(... ليسَ بِعَلٍّ كبيرٍ لا شبابَ له)
والذي بعده
وأن لجميلة فيه خفيف ثقيل
وفيه ثاني ثقيل ينسب إلى ابن سريج وأظنه ليحيى المكي
وقال حبش فيه لعبد الله بن العباس ثقيل أول بالبنصر
أخبار المتنخل ونسبه
المتنخل لقب واسمه مالك بن عويمر بن عثمان بن سويد بن حبيش ابن خناعة بن الديل بن عادية بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار
هذه رواية ابن الكلبي وأبي عمرو
وروى السكري عن الرياشي عن الأصمعي وعن ابن حبيب عن أبي عبيدة وابن الأعرابي أن اسمه مالك بن عويمر بن عثمان بن حبيش بن عادية بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل ويكنى أبا أثيلة
من شعراء هذيل وفحولهم وفصحائهم
مقتل ابنه أثيلة ورثاؤه له
وهذه القصيدة يرثي بها ابنه أثيلة قتلته بنو سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر
وكان من خبر مقتله فيما ذكر أبو عمرو الشيباني
أنه خرج في نفر من قومه يريد الغارة على فهم فسلكوا النجدية حتى إذا بلغوا السراة أتاه رجل فقال أين تريدون قالوا نريد فهما فقال ألا أدلكم على خير من ذلكم وعلى قوم دارهم خير من دار فهم هذه دار بني حوف عندكم فانصبوا عليهم على الكداء حتى تبيتوا بني حوف
فقبلوا منه وانحرفوا عن طريقهم وسلكوا في شعب في ظهر الطريق حتى نفذوه ثم سلكوا على السمرة فمروا بدار بني قريم بالسرو وقد لصقت سيوفهم بأغمادهم من الدم فوجدوا إياس بن المقعد في الدار وكان سيدا فقال من أين أقبلتم فقالوا أتينا بني حوف فدعا لهم بطعام وشراب حتى إذا أكلوا وشربوا دلهم على الطريق وركب معهم حتى أخذوا سنن قصدهم فأتوا بني حوف وإذا هم قد اجتمعوا مع بطن من فهم للرحيل عن دارهم فلقيهم أول من الرجال على الخيل فعرفوهم فحملوا عليهم وأطردوهم ورموهم فأثبتوا أثيلة جريحا ومضوا لطيتهم
وعاد إليه أصحابه فأدركوه ولا تحامل به فأقاموا عليه حتى مات ودفنوه في موضعه
فلما رجعوا سألهم عنه المتنخل فدامجوه وستروه
ثم أخبره بعضهم بخبره فقال يرثيه
(ما بالُ عينِك تبكي دمْعُها خضِلُ ... كما وَهَى سَرِبُ الأخراب مُنبزلُ)
(لا تَفتأُ الدهرَ مِن سَحٍّ بأربعةٍ ... كأنَّ إنسانَها بالصَّاب مُكتحِلُ)
(تبكي على رجُلٍ لم تَبلَ جِدَّتُه ... خلّى عليها فِجاجاً بينها خَلَلُ)
(وقد عجِبتْ وهل بالدّهرِ من عَجَبٍ ... أنّى قُتِلتَ وأنتَ الحازمُ البطَلُ)
(ويل أُمِّهِ رَجلاً تأبى به غَبَناً ... إذا تجرَّدَ لا خالٌ ولا بَخَلُ)
خال من الخيلاء

ويروى خذل
(السالكُ الثُّغرةَ اليقظانَ كالئُها ... مشْيَ الهَلوك عليْهَا الخَيعلُ الفُضُلُ)
(والتاركُ القِرنَ مُصفرًّا أناملُه ... كأنّه مِن عُقارِ قهوةٍ ثَمِل)
(مُجَدَّلاً يتسقّى جلدُهُ دَمَهُ ... كما يُقطِّرُ جِذْعُ الدَّوْمةِ القُطُلِ)
(ليس بِعلٍّ كبيرٍ لا شَبَابَ بهِ ... لكِن أُثيلةُ صافي الوجهِ مُقتبَل)
(يُجيبُ بعد الكرَى لبَّيكَ داعِيَه ... مِجذامةٌ لِهواهُ قُلْقُلٌ عجِل)
(حُلْوٌ ومُرٌّ كعَطفِ القِدْحِ مِرَّتُه ... في كلِّ آنٍ أتاهُ الليلُ ينتعِل)
(فاذهبْ فأيُّ فتىً في النَّاس أحرزَهُ ... من حتْفهِ ظُلَمٌ دُعْجٌ ولا جَبلُ)
((فلو قُتِلْتَ ورجلي غيرُ كارهةِ الإدْلاجِ ... فيها قَبِيضُ الشّدِّ والنسَلُ
(إذنْ لأعملتُ نفسي في غزاتِهم ... أو لابتَعثْتُ به نَوحاً لهُ زَجَلُ)
(أقول لمَّا أتاني الناعِيانِ بهِ : ... لا يَبعَد الرمحُ ذو النّصلين والرجُلُ)
(رمحٌ لنا كان لم يُفلَلْ نئوءٌ بهِ ... تُوفَى بِهِ الحرْبُ والعزَّاءُ والجُلَلُ)
(ربَّاءُ شمَّاءُ لا يدنُو لِقلّتها ... إلا السَّحابُ وإلا النُّوبُ والسَّبَلُ)
وقال أبو عمرو الشيباني كان عمرو بن عثمان أبو المتنخل يكنى أبا مالك فهلك فرثاه المتنخل فقال
(ألاَ مَن يُنادي أبا مالكٍ ... أفِي أمْرنا أمرُهُ أم سِواهْ)
(فواللّهِ ما إنْ أبو مالكٍ ... بوانٍ ولا بضعيفٍ قُواهْ)
(ولا بألَدَّ له نازعٌ ... يُعادي أخاهُ إذا ما نهاهْ)
(ولكنّه هَيِّنٌ لَيِّنٌ ... كعاليةِ الرُّمْحِ عَرْدٌ نَساهُ)
(إذا سُدتَه سُدتَ مِطواعةً ... ومهما وكَلْتَ إليهِ كفاهْ)
(أبو مالكٍ قاصرٌ فقرَهُ ... على نفسهِ ومُشِيعٌ غِناهْ)
أبو جعفر محمد بن علي يتمثل بشعره
حدثني أبو عبيد الصيرفي قال حدثنا الفضل بن الحسن البصري قال حدثنا أحمد بن راشد قال حدثني عمي سعيد بن خيثم قال كان أبو جعفر
محمد بن علي عليهما السلام إذا نظر إلى أخيه زيد تمثل
(لعمرُكَ ما إنْ أبو مالكٍ ... بواهٍ ولا بضعيفٍ قُواهْ)
(ولا بألَدَّ لَهُ نازعٌ ... يُعادِي أخاهُ إذا ما نَهاهْ)
(ولكنّه هيّنٌ ليِّنٌ ... كعاليةِ الرُّمحِ عَردٌ نَساه)
(إذا سُدتَه سُدتَ مِطْواعةً ... ومهما وكَلتَ إليه كَفَاهْ)
(أبو مالكٍ قاصرٌ فقرَهُ ... على نفسهِ ومُشِيعٌ غِناهْ)
ثم يقول
لقد أنجبت أم ولدتك يا زيد اللهم اشدد أزري بزيد
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال
أجود طائية قالتها العرب قصيدة المتنخل
(عَرفتُ بأجْدُثٍ فنِعافِ عِرْقٍ ... عَلاماتٍ كتَحْبيرِ النِّماطِ)
(كأنَّ مَزاحفَ الحيَّاتِ فيها ... قُبيلَ الصُّبح آثارُ السِّياطِ)
في هذين البيتين غناء
صوت
(عَجبتُ لِسعْي الدَّهر بيني وبينها ... فلمَّا انقضَى ما بيننا سكَن الدَّهْرُ)
((فيا هجْرَ ليلَى قد بلغْتَ بيَ المدَى ... وزدتَ على ما لم يكنْ بَلغَ الهَجْرُ
(ويا حُبَّها زِدْني جَوًى كُلَّ ليْلةٍ ... ويا سَلْوَةَ الأيام موعدُكِ الحَشرُ)
(أمَا والذي أبكى وأضحَكَ والّذي ... أماتَ وأحيَا والذي أمرُهُ الأمرُ)
(لَقد تركْتِني أحسدُ الوحشَ أن أرَى ... أليفيْن منها لا يَرُوعُهما الزجْرُ)
الشعر لأبي صخر الهذلي
والغناء لمعبد في الأول والثاني من الأبيات ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو ولابن سريج في الرابع والخامس ثقيل أول ولعريب فيهما أيضا ثقيل أول آخر وهو الذي فيه استهلال وللواثق فيهما رمل ولابن سريج أيضا ثاني ثقيل في الثالث وما بعده عن أحمد بن المكي وذكر ابن المكي أن الثقيل الثاني بالوسطى لجده يحيى المكي
أخبار أبي صخر الهذلي ونسبه
هو عبد الله بن سلم السهمي أحد بني مرمض
وهذا أكثر ما وجدته من نسبه في نسخة السكري وهي أتم النسخ مما يأثره عن الرياشي عن الأصمعي وعن الأثرم عن أبي عبيدة وعن ابن حبيب عن ابن الأعرابي
موالاته لبني مروان
هو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية وكان مواليا لبني مروان
متعصبا لهم وله في عبد الملك بن مروان مدائح وفي أخيه عبد العزيز وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وحبسه ابن الزبير إلى أن قتل
فأخبرني يحيى بن أحمد بن الجون مولى بني أمية لقيته بالرقة قال حدثني الفيض بن عبد الملك قال حدثني مولاي عن أبيه عن مسلمة بن الوليد القرشي عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال
لما ظهر عبد الله بن الزبير بالحجاز وغلب عليها بعد موت يزيد بن معاوية وتشاغل بنو أمية بالحرب بينهم في مرج راهط وغيره دخل عليه أبو
صخر الهذلي في هذيل وقد جاؤوا ليقبضوا عطاءهم وكان عارفا بهواه في بني أمية فمنعه عطاءه فقال علام تمنعني حقا

لي وأنا امرؤ مسلم ما أحدثت في الإسلام حدثا ولا أخرجت من طاعة يدا قال عليك بني أمية فاطلب عندهم عطاءك قال إذن أجدهم سباطا أكفهم سمحة أنفسهم بذلاء لأموالهم وهابين لمجتديهم كريمة أعراقهم شريفة أصولهم زاكية فروعهم قريبا من رسول الله نسبهم وسببهم ليسوا إذا نسبوا بأذناب ولا وشائظ ولا أتباع ولا هم في قريش كفقعة القاع لهم السؤدد في الجاهلية والملك في الإسلام لا كمن لا يعد في عيرها ولا نفيرها ولا حكم آباؤه في نقيرها ولا قطميرها ليس من أحلافها المطيبين ولا من ساداتها المطعمين ولا من جودائها الوهابين ولا من هاشمها المنتخبين ولا عبد شمسها المسودين

وكيف تقابل الرؤوس بالأذناب وأين النصل من الجفن والسنان من الزج والذنابى من القدامى وكيف يفضل الشحيح على الجواد والسوقة على الملك والمجيع بخلا على المطعم فضلا فغضب ابن الزبير حتى ارتعدت فرائصه وعرق جبينه واهتز من قرنه إلى قدمه وامتقع لونه ثم قال له يابن البوالة على عقبيها يا جلف يا جاهل أما والله لولا الحرمات الثلاث حرمة الإسلام وحرمة الحرم وحرمة الشهر الحرام لأخذت الذي فيه عيناك

ثم أمر به إلى سجن عارم فحبس به مدة ثم استوهبته هذيل ومن له بين قريش خؤولة في هذيل فأطلقه بعد سنة وأقسم ألا يعطيه عطاء مع المسلمين أبدا

خبره مع عبد الملك

فلما كان عام الجماعة وولي عبد الملك وحج لقيه أبو صخر فلما رآه عبد الملك قربه وأدناه وقال له إنه لم يخف علي خبرك مع الملحد ولا ضاع لك عندي هواك وموالاتك فقال أما إذا شفى الله منه نفسي ورأيته قتيل سيفك وصريع أوليائك مصلوبا مهتوك الستر مفرق الجمع فما أبالي ما فاتني من الدنيا

ثم استأذنه أبو صخر في الإنشاد فأذن له فمثل بين يديه قائما وأنشأ يقول

(عفَت ذاتُ عِرْقٍ عُصلُها فرِئامُها ... فدهناؤها وَحْشٌ وأجلي سَوامُها)
(على أنَّ مَرسى خيمةٍ خَفَّ أهلُها ... بأبطحِ مِحلالٍ وهَيهاتَ عامُها)
(إذا اعتلَجَتْ فيها الرِّياحُ فأدرجتْ ... عشيًّا جرى في جانبيها قُمامُها)
(وإنَّ مَعاجي في الدِّيارِ وموقِفي ... بدراسةِ الرَّبعين بالٍ ثُمامُها)
(لجهلٌ ولكنّي أسلِّي ضَمانةً ... يضعِّفُ أسرارَ الفؤادِ سَقامُها)
(فأقصِرْ فلا ما قد مَضى لكَ راجعٌ ... ولا لذَّةُ الدُّنيا يدُومُ دَوامُها)
(وَفَدَّ أميرَ المؤمنين الذي رمى ... بجأواءِ جُمهورٍ تَسيلُ إكامُها)
(من أرض قُرى الزيتون مكّةَ بعدما ... غُلِبْنا عليها واستُحِلَّ حرامُها)

يقول رمى مكة بالرجال من أهل الشام وهي أرض الزيتون

(وإذ عاثَ فيها النَّاكِثون وأفسدُوا ... فخِيفَتْ أقاصِيها وطارَ حَمامُها)
(فشَجَّ بهم عَرضَ الفَلاةِ تعَسُّفاً ... إذا الأرضُ أخْفى مُستَواها سَوامُها)
(فَصبّحهم بالخيل تزْحَفُ بالقَنا ... وبيْضاءَ مثل الشَّمْس يبرُقُ لامُها)
(لهمْ عَسكرٌ ضافي الصُّفوفِ عرمرمٌ ... وجُمهورةٌ يثني العدوَّ انتقامُها)
(فطهَّر منهمْ بطنَ مكّةَ ماجدٌ ... أبى الضَّيْمَ والميلاءَ حينَ يُسامُها)
(فدعْ ذا وبشّرْ شاعِرَيْ أمِّ مالكٍ ... بأبياتِ ما خِزْيٍ طويلٍ عُرامُها)

شاعري أم مالك رجلان من كنانة كانا مع ابن الزبير يمدحانه ويحرضانه على أبي صخر لعداوة كانت بينهما وبينه

(فإنْ تَبدُ تُجدَعْ مَنْخِراكَ بمدْيةٍ ... مُشَرشرةٍ حرَّى حديدٍ حُسامُها)
(وإن تخفَ عنَّا أو تخَفْ منْ أذاتِنا ... تَنُوشْكَ نابا حَيَّةٍ وسِمامُها)
(فلولا قريشٌ لاسْترقَّت عجُوزُكم ... وطالَ على قُطْبي رَحاها احتِزامُها)

قال فأمر له عبد الملك بما فاته من العطاء ومثله صلة من ماله وكساه وحمله

عبد العزيز بن أسيد يطلب من الهذلي أن يرثيه وهو حي

ونسخت من كتاب أبي سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عبيدة قالا

كان أبو صخر الهذلي منقطعا إلى أبي خالد عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد مداحا له فقال له يوما ارثني يا أبا صخر وأنا حي حتى أسمع كيف تقول وأين مراثيك لي بعدي من مديحك إياي في حياتي

فقال أعيذك بالله أيها الأمير من ذلك بل يبقيك الله ويقدمني قبلك

فقال ما من ذلك بد

قال فرثاه بقصيدته التي يقول فيها

(أبا خالدٍ نفسي وقتْ نَفسَكَ الرَّدَى ... وكانَ بها من قبل عَثرتك العَثرُ)
(لِتَبكِك يا عبدَ العزيز قلائصٌ ... أضرَّ بها نصُّ الهواجر والزَّجرُ)
(سَمونَ بنا يَجْتَبْنَ كلَّ تَنُوفةٍ ... تضِلُّ بها عنْ بَيْضِهنَّ القطا الكُدرِ)
(فما قدِمتْ حتى تواترَ سيرُها ... وحتى أُنيخَتْ وهي ظالعةٌ دُبْرُ)
(ففرَّجَ عنْ رُكبانِها الهمَّ والطَّوى ... كريمُ المحيَّا ماجدٌ واجدٌ صَقرُ)
(أخو شتَواتٍ تَقتُلِ الجوعَ دارُهُ ... لمنْ جاءَ ولا ضَيقُ الفِناءِ ولا وعرُ)
(ولا تهنِئ الفِتْيانَ بعدَك لذَّةٌ ... ولا بلَّ هامَ الشامتين بكَ القطرُ)
(وإن تُمسِ رمساً بالرُّصَافةِ ثاوياً ... فما مات يا بنَ العِيصِ نائلُك الغَمرُ)
(وذي ورقٍ من فضلِ مالِكَ مالُه ... وذي حاجةٍ قد رِشْتَ ليس له وفرُ)
(فأمْسى مُريحاً بعدَ ما قد يُؤُوبه ... وكَلَّ به المولَى وضاقَ به الأمر)

قال فأضعف له عبد العزيز جائزته ووصله وأمر أولاده فرووا القصيدة

وقال أبو عمرو الشيباني

كان لأبي صخر ابن يقال له داود لم يكن له ولد غيره فمات فجزع عليه جزعا شديدا حتى خولط فقال يرثيه

(لقد هاجني طيفٌ لداوُد بعدما ... دَنتْ فاستقلَّتْ تالياتُ الكواكب)
(وما في ذهولِ النفس عن غير سَلوةٍ ... رَواحٌ من السُّقم الذي هو غالبي)

(وعندك لو يحيا صداكَ فنَلتَقي ... شِفاءٌ لمنْ غادرتَ يومَ التّناضِب)
(فهلْ لكَ طِبٌّ نافعي من عَلاقةٍ ... تُهيِّمُني بين الحشا والتّرائِب)
(تشكّيتها إذْ صدَّع الدّهرُ شَعْبَنا ... فأمستْ وأعيت بالرُّقى والطّبائب)
(ولولا يقيني أنّما الموتُ عزمةٌ ... منْ اللّه حتى يبعثُوا للمَحَاسِب)
(لقلتُ له فيما ألِمُّ برمسِه : ... هلَ أنتَ غداً غادٍ معِي فمُصاحِبي)
(وماذا ترى في غائبٍ لا يَغِبُّني ... فلستُ بناسيه وليس بآئب)
(سألتُ مليكي إذ بلاني بفقدِه ... وفاةً بأيدِي الرُّوم بين المقانبِ)
(ثَنونِي وقد قدَّمْتُ ثأرِي بطعْنةٍ ... تجيشُ بمَوّارٍ من الجوفِ ثاعِبِ)
(فقد خِفْتُ أن ألقي المَنايا وإنني ... لَتَابِعُ منْ وافى حِمامَ الجوالبِ)
(ولمّا أُطاعِنْ في العدوِّ تنفُّلاً ... إلى اللّهِ أبْغِي فضْلَهُ وأُضارِبِ)
(وأعطِفْ وراء المسلِمين بطَعْنةٍ ... على دُبُرٍ مُجْلٍ من العيش ذاهِبِ)
وقال أبو عمرو
بلغ أبا صخر أن رجلا من قومه عابه وقدح فيه فقال أبو صخر في ذلك
((ولقد أتاني ناصحٌ عنْ كاشحٍ ... بعدواةٍ ظهرتْ وقُبْحِ أقاولِ
(أفَحِينَ أحكمني المشيبُ فلا فتىً ... غُمْرٌ ولا قَحْمٌ وأعصلَ بَازلي)
(وليستُ أطوارَ المعيشةِ كُلَّها ... بمؤَيَّداتٍ للرِّجالِ دَوَاغِلِ)
(أصْبَحْتَ تنقصُني وتقرَعُ مَروتي ... بَطِراً ولم يرْعَبْ شِعابَك وابلِي)
(وتنْلكَ أظفاري ويبركَ مِسْحَلي ... برْيَ الشَّسِيبِ من السَّراءِ الذّابِلِ)
(فتكونَ للباقين بعدكَ عِبرةً ... وأطأ جبِينَك وطأةَ المتثاقِلِ)
الهذلي وأم حكيم
وقال أبو عمرو
وكان أبو صخر الهذلي يهوى امرأة من قضاعة مجاورة فيهم يقال لها ليلى بنت سعد وتكنى أم حكيم وكانا يتواصلان برهة من دهرهما ثم تزوجت ورحل بها زوجها إلى قومه فقال في ذلك أبو صخر
(ألمَّ خَيالٌ طارقٌ متأوِّبُ ... لأمِّ حكيمٍ بعدما نِمتُ مُوصِبُ)
(وقد دَنَت الجوْزاءُ وَهْيَ كأنَّها ... ومِرزَمُها بالغوْرِ ثوْرٌ وربربُ)
(فباتَ شرابي في المنامِ مع المُنى ... غريضُ اللّمى يَشفِي جَوَى الحُزْنِ أشنَبُ)
(قُضاعِيَّةٌ أدنى دِيارِ تحُلُّها ... قَناةٌ وأنّي من قناةَ المحصَّبُ)
((سراجُ الدُّجى تَغْتَلُّ بالمسكِ طَفْلَةٌ ... فلا هي مِتفالٌ ولا اللّونُ أكْهَبُ)
(دَمِيثةُ ما تحت الثِّيابِ عَمِيمةٌ ... هَضيمُ الحشا بِكْرُ المجسّةِ ثَيِّبُ)
(تعلّقْتُها خَوْداً لذيذاً حديثُها ... ليالِيَ لا تُحْمَى ولا هِيَ تُحْجَبُ)
(فكانَ لها وُدِّي ومحضُ علاقتِي ... ولِيداً إلى أنْ رأسيَ اليومَ أشْيبُ)
(فلم أرَ مِثلي أيأسَتْ بعد عِلْمِها ... بودِّي ولا مِثلي على اليأسِ يُطْلبُ)
(ولو تلتقِي أصداؤُنا بعدَ موْتِنا ... ومِن دُونِ رَمْسينا من الأرضِ سَبْسبُ)
(لظلَّ صدَى رمسي ولو كنتُ رِمَّةً ... لِصوتِ صَدَى ليلى يَهشُّ ويطرَبُ)
وقصيدة أبي صخر التي فيها الغناء المذكور من مختار شعر هذيل وأولها
(لِلَيلَى بذاتِ الجيشِ دارٌ عرفتُها ... وأُخرَى بذات البَين آياتُها سطْرُ)
(وقفتُ برسميْها فلمّا تنكّرا ... صدفتُ وعيني دمعُها سربٌ همْرُ)
((وفي الدَّمْعِ إن كَذَّبتُ بالحبِّ شاهدٌ ... يُبيِّنُ ما أُخْفِي كما بيَّن البَدْرُ)
(صبرتُ فلمَّا غال نفْسي وشفَّها ... عجاريفُ نأيٍ دُونَها غُلِبَ الصّبْرُ)
(إذا لم يكُنْ بين الخليلين ردَّةٌ ... سِوى ذِكْر شيءٍ قد مضى درس الذِّكْرُ)
وهذا البيت خاصة رواه الزبير بن بكار لنصيب
(إذا قلتُ هذا حين أسلو يهيجُني ... نسيمُ الصَّبا من حيثُ يطّلِعُ الفجرُ)
(وإنّي لتَعْروني لِذكراكِ فَتْرةٌ ... كما انْتَفَضَ العُصفورُ بَلَّلهُ القَطْرُ)
(هجرتُكِ حتّى قيل لا يعرفُ الهوى ... وزُرتُكِ حتي قيل ليس لهُ صبر)
(صَدقْتِ أنا الصّبُّ المصابُ الذي به ... تباريحُ حُبٍّ خامرَ القلبَ أو سِحْرُ)
(أمَا والّذي أبكى وأضْحكَ والّذي ... أماتَ وأحيَا والذي أمرُه الأمْرُ)
(لَقد تركْتِني أحسدُ الوحشَ أن أرى ... أليفَينِ منها لم يُروِّعْهُمَا الزَّجْرُ)
(فيا هجْرَ ليْلى قد بلغْتَ بِيَ المدَى ... وزدتَ على ما لم يكنْ بلغ الهجْرُ)
(ويا حُبَّها زِدْني جوًى كلَّ ليلةٍ ... ويا سلوةَ الأيَّامِ موعدُكِ الحشْرُ)
(عجِبتُ لسعْيِ الدّهر بيني وبينها ... فلمّا انقضَى ما بيْننا سَكَنَ الدّهرُ)
((فليستْ عَشيَّاتُ الحِمى برواجعٍ ... لنا أبداً ما أوْرَق السَّلَمُ النَّضرُ)
صوت
(وإنِّي لآتيها لكيما تُثيبَني ... وأوذنُها بالصُّرْمِ ما وَضح الفَجْرُ)
(فما هُو إلاَّ أن أراها فُجاءةً ... فأُبهتَ لا عُرْفٌ لديَّ ولا نُكر)
(تكادُ يَدي تنْدَى إذا ما لَمَسْتُها ... وينبتُ في أطرافِها الورَقُ الخُضْرُ)
في هذه الأبيات ثقيل أول قديم مجهول وفي البيت الأخير لعريب خفيف ثقيل وقد أضافت إليه بيتا ليس من الشعر وهو
(" أبَى القَلبُ إلاَّ حُبَّها عامريّةً ... لها كنيةٌ " عمرٌو " وَليس لها " عمرُو)
الهادي يطرب لشعره ويشق قميصه
أخبرني محمد بن مزيد قال

حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي عن جدي قال
دخلت يوما على موسى الهادي وهو مصطبح فقال لي يا إبراهيم غنني فإن أطربتني فلك حكمك فغنيته
(وَإنِّي لتَعْروني لذكراكِ فترةٌ ... كما انْتَفضَ العُصْفورُ بلَّلهُ القَطْرُ)
فضرب بيده إلى جنب دُرَّاعتِه فَشقّها حتى انتهى به إلى صدره
ثم غنيته
(أمَا والذي أبكى وأضحَكَ والذي ... أمَاتَ وأحْيا والَّذي أمرُه الأمرُ)
(لقد تَركْتِني أحسدُ الوحْشَ أنْ أرى ... أليفيْن منها لا يَروعُهُما الزَّجرُ)
فشق دراعته حتى انتهى إلى آخرها
ثم غنيته
(فيا حُبَّها زدني جَوىً كلَّ ليْلةٍ ... ويا سَلوةَ الأيَّام موعدُكِ الحَشْرْ)
فشق جبة كانت تحت الدراعة حتى هتكها
ثم غنيته
(عَجِبْتُ لِسَعْي الدَّهرِ بَيْني وبينها ... فلمَّا انقضَى ما بيننا سَكَنَ الدَّهْرُ)
فشق قميصا كان تحت ثيابه حتى بدا جسمه
ثم قال أحسنت والله فاحتكم
فقلت تهب لي يا أمير المؤمنين عين مروان بالمدينة فغضب حتى دارت عيناه في رأسه ثم قال لا ولا كرامة أردت أن تجعلني أحدوثة للناس وتقول أطربته فحكمني فحكمت فأمضى حكمي
ثم قال لإبراهيم الحراني خذ بيد هذا الجاهل وأدخله بيت مال الخاصة فإن أخذ كل شيء فيه فلا تمنعه منه فدخلت معه فأخذت مالا جليلا وانصرفت
ومما يغنّى فيه من شعر أبي صخر الهذلي قوله من قصيدة له
صوت
(بيدِ الذي شَعفَ الفؤادَ بكُم ... فرَجُ الذي ألْقي من الهمِّ)
(هَمٌّ مِنَ اْجلكِ ليْس يكْشِفهُ ... إلا مَليكٌ جائزُ الحُكمِ)
(فاستَيقِني أنْ قد كَلِفْتُ بكم ... ثمَّ افعَلِي ما شِئْتِ عنْ عِلْمِ)
(قدْ كان صُرمٌ في المَماتِ لَنا ... فعجِلتِ قبلَ الموْتِ بالصُّرْمِ)
الشعر لأبي صخر الهذلي والغناء للغريض ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وفيه لسياط ثقيل أول آخر بالبنصر ابتداؤه نشيد (... فاستَيقني أنْ قد كلِفْتُ بكُم)
وهكذا ذكر الهشامي أيضا وذكر أن لحن الغريض ثاني ثقيل وأن فيه لابن جامع خفيف رمل
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن الحسن الحرون قال حدثني الكسروي قال
لقي إبراهيم النظام غلاما أمرد فاستحسنه فقال له يا بني لولا أنه قد سبق من قول الحكماء ما جعلوا به السبيل لمثلي إلى مثلك في قولهم لا ينبغي لأحد أن يكبر عن أن يسأل كما لا ينبغي لأحد أن يصغر عن أن يقول لما أنست إلى مخاطبتك ولا هششت لمحادثتك ولكنه سبب الإخاء وعقد المودة ومحلك من قلبي محل الروح من جسد الجبان
فقال له الغلام وهو لا يعرفه لئن قلت ذاك أيها الرجل لقد قال الأستاذ إبراهيم النظام الطبائع تجاذب ما شاكلها بالمجانسة وتميل إلى ما يوافقها بالمؤانسة وكياني مائل إلى كيانك بكليتي ولو كان ما أنطوي لك عليه عرضا ما اعتددت به ودا ولكنه جوهر جسمي فبقاؤه ببقاء النفس وعدمه بعدمها وأقول كما قال الهذلي
(فاستَيقِني أن قد كَلِفْتُ بكم ... ثم افعلي ما شِئْتِ عن عِلْمِ)
فقال له النظام إنما خاطبتك بما سمعت وأنت عندي غلام مستحسن ولو علمت أنك بهذه المنزلة لرفعتك إلى رتبتها
قال أبو الحسن الأخفش فأخذ أبو دلف هذا المعنى فقال
(أُحِبّكِ يا جِنانُ وأنتِ منّي ... محلُّ الرُّوحِ من جسدِ الجبانِ)
(ولو أنّي أقولُ مكانَ نفسي ... لخفتُ عليكِ بادرةَ الزمانِ)
(لإقدامي إذا ما الخيلُ خامتْ ... وهابَ كُماتُها حرَّ الطِّعانِ)
وتمام أبيات أبي صخر الميمية التي ذكرت فيها الغناء الأخير وخبره أنشدنيها
الأخفش عن السكري عن أصحابه
(ولَما بَقيتِ لَيبْقَيَنَّ جوًى ... بينَ الجوانحِ مُضرعٌ جِسْمِي)
(ويُقِرُّ عيني وهْي نازحةٌ ... ما لا يُقِرُّ بعينِ ذي الحِلمِ)
(أطْلالُ نُعْمٍ إذْ كَلِفْتُ بها ... يأدِينَ هذا القَلْبَ من نُعْمِ)
(ولو أنَّني أُسْقَي على سَقَمِي ... بِلَمَى عَوارِضِها شَفَى سُقْمِي)
(ولقد عَجِبْتُ لِنَبْلِ مُقتدرٍ ... يَسِطُ الفؤادَ بها ولا يُدْمي)
(يرْمي فيجرَحُني برمْيتهِ ... فلوَ أنّني أرْمي كما يرمِي)
(أو كان قلبٌ إذ عزمتُ لهُ ... صرْمي وهجري كان ذا عزْمِ)
(أو كان لي غُنْمٌ بذكركُمُ ... أمسيتُ قد أثريتُ من غُنْمِ)
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبد الله الأنصاري عن غرير بن طلحة الأرقمي قال قال لي أبو السائب المخزومي وكان من أهل الفضل والنسك هل لك في أحسن الناس غناء قلت نعم
وكان علي يومئذ طيلسان لي أسميه من غلظه وثقله مقطع الأزرار فخرجنا حتى جئنا إلى الجبانة إلى دار مسلم بن يحيى الأرت صاحب الخمر مولى بني زهرة فأذن لنا فدخلنا بيتا طوله اثنتا عشرة ذراعا في مثلها وسمكة في السماء ست عشرة ذراعا ما فيه إلا نمرقتان قد ذهبت منهما اللحمة وبقي السدى وفراش محشو ليفا وكرسيان من خشب قد تقلع عنهما الصبغ من
قدمهما وبينهما مرفقتان محشوتان بالليف
ثم طلعت علينا عجوز كلفاء عجفاء كأن شعرها شعر ميت عليها قرقل هروي أصفر غسيل كأن وركيها في خيط من

رسحها حتى جلست فقلت لأبي السائب بأبي أنت وأمي ما هذه قال اسكت فتناولت عودا فضربت وغنت
(بَيدِ الذي شغَفَ الفُؤادَ بكمْ ... فَرَجُ الذي ألْقَى من الهمِّ)
قال غرير فحسنت والله في عيني وجاء نقاء وصفاء فأذهب الكلف من وجهها وزحف أبو السائب وزحفت معه ثم غنت
صوت
(بَرِحَ الخَفاءُ فأيَّ ما بكَ تَكتُم ... وَلسوْفَ يظْهرُ ما يُسَرُّ فيُعلَم)
(ممَّا تضمَّنَ من غُريرةَ قلبُهُ ... يا قلبُ إنَّكَ بالحِسَانِ لمُغْرَمُ)
(يَا ليتَ أنَّكِ يا حُسامُ بأرْضِنا ... تُلْقي المراسيَ دائماً وتُخيِّمُ)
(فتذوقَ لذّةَ عيشِنا ونعيمَهُ ... ونكون أجوَاراً فماذا تنقِمُ)
الغناء لحكم خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي
فقال أبو السائب إن نقم هذا فيعض بظر أمه وزحف وزحفت معه حتى قاربت النمرقة وربت العجفاء في عيني كما يربو السويق شيب بماء قربة
ثم غنت
صوت
(يا طُولَ لَيْلي أعالجُ السَّقَما ... إذ حلّ دُون الأحبَّةِ الحَرما)
(ما كنتُ أخشى فِراقَ بينِكمُ ... فاليومَ أضحى فراقُكم عَزَما)
الغناء للغريض ثقيل أول بالوسطى في مجراها وله أيضا فيه خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر جميعا عن إسحاق
قال غرير فألقيت طيلساني وتناولت شاذكونة فوضعتها على رأسي وصحت كما يصاح بالمدينة الدخن بالنوى وقام أبو السائب وتناول ربعة فيها قوارير دهن كانت في البيت فوضعها على رأسه وصاح ابن الأرت صاحب الجارية وكان ألثغ قواليلي قواليلي يريد قواريري قواريري أسألك بالله فلم يلتفت أبو السائب إلى قوله وحرك رأسه مرحا فاضطربت القوارير وتكسرت وسال الدهن على وجه أبي السائب وظهره وصدره ثم وضع الربعة وقال لها لقد هجت لي داء قديما
قال ومكثنا نختلف إليها سنين في كل جمعة يومين وقال
ثم بعث عبد الرحمن بن معاوية بن هشام من الأندلس فاشتريت له العجفاء وحملت إليه
صوت
(ألاَ هل إلى ريح الخُزاميَ ونظرةٍ ... إلى قَرقَرى قبلَ المماتِ سبيلُ)
(فيا أثلاثِ القاعِ من بطْنِ تُوضِحٍ ... حنيني إلى أطلالكُنّ طويل
(ويا أثْلاتِ القاعِ قلبي مُوكَّلٌ ... بكنَّ وَجدْوَى خيركنّ قليل)
(ويا أثلاتِ القاعِ قد ملَّ صُحبتي ... وقوفي فهلْ في ظلِّكُنَّ مَقِيلُ ؟)
الشعر ليحيى بن طالب الحنفي والغناء لعلوية خفيف رمل بالوسطى عن عمرو
وفيه لإبراهيم لحن ماخوري بالوسطى وفيه لعريب رمل ولمتيم خفيف رمل آخر عن الهشامي
وفيه لابن المكي خفيف ثقيل من كتابه وذكر ابن المعتز أن لحن عريب ومتيم جميعا من الرمل

أخبار يحيى بن طالب

يحيى بن طالب شاعر من أهل اليمامة ثم من بني حنيفة
لم يقع إلي نسبه
وهو من شعراء الدولة العباسية مقل وكان فصيحا شاعرا غزلا فارسا
وركبه دين في بلده فهرب إلى الري وخرج مع بعث إليها فمات بها وقد ذكر ذلك في هذه القصيدة فقال
(أُريدُ رُجوعاً نحوَكُمْ فيَصُدُّني ... إذا رمْتُهُ دَيْنٌ عليَّ)

الرشيد يأمر بقضاء دينه الذي هرب بسببه

حدثني محمد بن مزيد قال
حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال غنى أبي الرشيد في شعر يحيى بن طالب
(ألاَ هل إلى شمِّ الخُزامَى ونَظْرةٍ ... إلى قَرقَرى قبل المماتِ سَبِيلُ)
فأطربه فسأله عن قائل الشعر فذكره له وأعلمه أنه حي وأنه هرب من دين عليه وأنشده قوله
(أُريدُ رجوعاً نحوَكُمْ فَيَصُدُّنِي ... إذا رُمْتُه دَيْنٌ عليَّ)
فأمر الرشيد أن يكتب إلى عامل الري بقضاء دينه وإعطائه نفقة وإنفاذه إليه على البريد فوصل الكتاب يوم مات يحيى بن طالب
جارية تعرف به
أخبرنا محمد بن خلف وكيع وعمي قالا حدثنا عبد الله بن شبيب قال
حدثني الجهم بن المغيرة قال كنا عند حترش بن ثمال القريظي بضرية فمرت بنا جارية صفراء مولدة فقال لي حترش استفتح كلامها فانظر فإنها ظريفة فقلت لها يا جارية أين نشأت قالت بقرقرى فقلت لها أين من شعبعب فضحكت ثم قالت بين الحوض والعطن قلت فمن الذي يقول
(يا صاحِبيَّ فَدَتْ نفسي نُفُوسَكما ... عُوجا عليَّ صُدورَ الأبْغُلِ السُّنُن)
(ثم ارفعا الطَّرفَ نَنْظُرْ صُحْحَ خامسةٍ ... لقَرقَري يا عناءَ النفسِ بالوَطَنِ)
(يا ليت شِعريَ والإنسانُ ذو أمَلٍ ... والعَيْنُ تَذْرِفُ أحياناً من الحَزَنِ)
(هل أجعَلَنَّ يَدِي للخَدِّ مِرْفَقَةً ... على شَعَبْعَبَ بينَ الحَوْضِ والعَطَنِ ؟)
فالتفتت إلى حترش بن ثمال فقالت أخبره بقائلها فقال ما أعرفه فقالت بلى هذا يقوله شاعرنا وظريف بلادنا وغزلها فقال لها حترش
ويحك ومن ذلك فقالت أشهد إن كنت لا تعرفه وأنت من هذا البلد إنها لسوأة ذلك يحيى بن طالب الحنفي أقسم بالله ما منعك من معرفته إلا غلظ الطبع وجفاء الخلق

فجعل يضحك من قولها وتعجبنا منها
يرفض ركوب البحر للتجارة
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال
قال رجل ليحيى بن طالب الحنفي لو ركبت معي في البحر وشغلت مالك في تجاراته لأثريت وحسنت حالك فقال يحيى بن طالب
(لشُرْبُكَ بالأنقاءِ رَنْقاً وصافِياً ... أعَفُّ وأعْفَى من ركوبِكَ في البحْرِ)
(إذا أنت لم تنظُرْ لنفسِكَ خالِياً ... أحاطَت بكَ الأحزانُ من حيثُ لا تدري)
حدثني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو علي الحنفي قال حدثني عمي عن علي بن عمر قال
غني الرشيد يوما بشعر يحيى بن طالب
(ألا هَل إلى شَمِّ الخُزامَى ونَظْرةٍ ... إلى قَرقَرى قبلَ المماتِ سَبِيلُ)
وذكر الخبر كما ذكره حماد بن إسحاق إلا أنه قال فوجده قد مات قبل وصول البريد بشهر
خرج إلى مكة فتشوق إلى صاحبته في اليمامة
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال
كان يحيى بن طالب يجالس امرأة من قومه ويألفها ثم خرج مع والي اليمامة إلى مكة وابتاع منه الوالي إبلا بتأخير فلما صار إلى مكة عزل الوالي فلوى يحيى بماله مدة فضاق صدره وتشوق إلى اليمامة وصاحبته التي كان يتحدث إليها فقال
(تصبَّرتُ عنها كارهاً وهجرتُها ... وهِجْرانُها عندِي أمَرُّ من الصَّبْرِ)
صوت
(إذا ارتَحَلَتْ نحو اليمامة رُفْقةٌ ... دعاني الهوَى واهتاجَ قلبيَ للذِّكْرِ)
(كأنَّ فؤادي كلَّما عَنَّ ذِكْرُها ... جَناحَا غُرابٍ رامَ نهضاً إلى وَكْرِ)
الغناء للزف ثقيل أول عن الهشامي في هذين البيتين
وقال فيها
(مُدايَنةُ السُّلطانِ بابُ مَذَلَّةٍ ... وأشبهُ شَيءٍ بالقَناعةِ والفَقْرِ)
(إذا أنتَ لم تنظُرْ لنفسِكَ خالِياً ... أحاطتْ بكَ الأحزانُ من حيث لا تَدْري)
حنينه إلى قرقرى
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال قال أبو الذيال الحنفي خرج يحيى بن طالب الحنفي من اليمامة يريد خراسان على البريد فقال وهو بقومس
((أقولُ لأصحابي ونحن بقُومِسٍ ... نُراوحُ أكتافَ المحذَّفةِ الجُرْدِ
(بعُدنا وعهدِ اللّهِ من أهلِ قرقرى ... وفيها الأُلَى نهوَى وزدْنا على البُعْدِ)
أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال حدثني عبد الله بن بشر عن أبي فراس الهيثم بن فراس الكلابي قال
كنت مع أبي ونحن قاصدون اليمامة فلما رأيناها لقينا رجل فقال له أبي أين قرقرى قال وراءك
قال فأين شعبعب قال بإزائه قال أرني ذلك فأراه إياه حتى عرفه فقال لي ارجع بنا إلى الموضع فقلت له
يا أبت قد تعبنا وتعبت ركائبنا فما لك هناك قال إنك لأحمق ارجع ويلك فرجعت معه حتى أتى شعبعب وصار إلى الحوض والعطن وأناخ راحلته وقال لي أنخ فأنخت ونزل فنظر إلى شعبعب وقرقرى ساعة ثم اضطجع بين الحوض والعطن
اضطجاعة ويده تحت خده ثم قام فركب فقلت يا أبت ما أردت بهذا فقال يا جاهل أما سمعت قول يحيى بن طالب
(هل أجعَلَنَّ يَدِي للخدِّ مِرفقةً ... على شَعَبْعَب بين الحَوْضِ والعَطَنِ)
أفليس عجزا أن نكون قد أتينا عليهما وهما أمنية المتمني فلا ننال ما تمناه منهما وقد قدرت عليه فجعلت أعجب من قوله وفعله
بعض من صفاته
أخبرنا محمد بن جعفر النحوي قال حدثني طلحة بن عبد الله الطلحي قال حدثنا أبو العالية عن رجل من بني حنيفة قال
كان يحيى بن طالب جوادا شاعرا جميلا حمالا لأثقال قومه
ومغارمهم سمحا يقري الأضياف ما تشاء أن ترى في فتى خصلة جميلة إلا رأيتها فيه
فدخلت عليه وهو في آخر رمق فسألته عن خبره وسليته وقلت له ما طابت به نفسه ثم أنشدني قوله
(ما أنا كالقولِ الذي قلتَ إن زَوَى ... مَحَلِّيَ عن مالِي حِذارَ النَّوائِبِ)
(بمنزلةٍ بين الطريقَيْنِ قابَلَتْ ... بوادِي كُحَيْلٍ كُلَّ ماشٍ وراكِبِ)
(حللتُ على رأسِ اليَفاعِ ولم أكُنْ ... كمن لاذَ من خوفِ القِرَى بالحواجِبِ)
(فلا تَسأل الضِّيفانَ من هُمْ وأدْنِهِم ... هُمُ الناسُ من معروفِ وَجْهٍ وجانِبِ)
(وقُولُوا إذا ما الضَّيفُ حلَّ بِنَجْوَةٍ ... ألاَ في سبيلِ اللّهِ يَحيى بن طالبِ)
قال أبو العالية كحيل نخل بناحية فران دون قرقرى وهناك كان منزل يحيى بن طالب
صوت
وقد جمع معه كل ما يغنى فيه من القصيدة
(لعمرُكَ إنِّي يومَ بُصْرَى وناقتي ... لَمُخْتَلِفَا الأهواءِ مُصْطحِبانِ)
((متى تَحمِلي شَوْقِي وشوقَكِ تَظْلَعِي ... ومالَكِ بالحِمْلِ الثَّقيل يَدَانِ
(ألا يا غُرابَيْ دِمْنةِ الدَّار خَبِّرا ... أبالبَيْنِ من عفراءَ تَنْتَحِبانِ)
(فإن كان حقًّا ما تَقولانِ فانهضا ... بلحمِي إلى وَكْرَيْكُما فكُلانِي)
(ولا يَعْلَمَنَّ الناسُ ما كان مِيتَتي ... ولا يأكُلَنَّ الطَّيرُ ما تَذَرانِ)
(جَعلتُ لعَرَّافِ اليمامةِ حُكْمَهُ ... وعَرَّافِ حَجْرٍ إنْ هُما شَفَيانِي)
(فما تَركا من حِيلةٍ يَعلمانِها ... ولا رُقْيةٍ إلاَّ وقَدْ رَقَيانِي)

(وقالا : شَفاكَ اللَّهُ واللَّهِ ما لَنَا ... بما حُمِّلَتْ مِنكَ الضُّلُوع يدانِ)
(كأنَّ قَطاةً عُلِّقَتْ بجَناحِها ... على كَبِدِي من شِدَّةِ الخَفَقانِ)
الشعر لعروة بن حزام والغناء لإبراهيم الموصلي في الأربعة الأبيات الأول ثقيل أول بالوسطى ولعريب في الرابع والخامس والسادس والتاسع هزج مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وفي السابع وما بعده إلى آخرها ثقيل أول ينسب إلى أبي العبيس بن حمدون وإلى غيره

أخبار عروة بن حزام

هو عروة بن حزام بن مهاصر أحد بني حزام بن ضبة بن عبد بن كبير ابن عذرة
شاعر إسلامي أحد المتيمين الذين قتلهم الهوى لا يعرف له شعر إلا في عفراء بنت عمه عقال بن مهاصر وتشبيبه بها

قصة حبه عفراء

أخبرني بخبرها جماعة من الرواة فمنه ما أخبرني به الحسن بن علي بن محمد الآدمي قال حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني موسى بن عيسى الجعفري عن الأسباط بن عيسى العذري
وأخبرني الحسين بن يحيى المرداسي ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن رجاله
وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة
وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار عمن أسند إليه
وأخبرني إبراهيم بن أيوب الصائغ عن ابن قتيبة
وقد سقت رواياتهم وجمعتها
قال الأسباط بن عيسى وروايته كأنها أتم الروايات وأشدها اتساقا أدركت شيوخ الحي يذكرون
أنه كان من حديث عروة بن حزام وعفراء بنت عقال أن حزاما هلك وترك ابنه عروة صغيرا في حجر عمه عقال بن مهاصر وكانت عفراء تربا لعروة يلعبان جميعا ويكونان معا حتى ألف كل واحد منهما صاحبه إلفا شديدا
وكان عقال يقول لعروة لما يرى من إلفهما أبشر فإن عفراء امرأتك إن شاء الله
فكانا كذلك حتى لحقت عفراء بالنساء ولحق عروة بالرجال فأتى عروة عمة له يقال لها هند بنت مهاصر فشكا إليها ما به من حب عفراء وقال لها في بعض ما يقول لها يا عمة إني لأكلمك وأنا منك مستح ولكن لم أفعل هذا حتى ضقت ذرعا بما أنا فيه فذهبت عمته إلى أخيها فقالت له يا أخي قد أتيتك في حاجة أحب أن تحسن فيها الرد فإن الله يأجرك بصلة رحمك فيما أسألك
فقال لها قولي فلن تسألي حاجة إلا رددتك بها
قالت تزوج عروة بن أخيك بابنتك عفراء فقال ما عنه مذهب ولا هو دون رجل يرغب فيه ولا بنا عنه رغبة ولكنه ليس بذي مال وليست عليه عجلة
فطابت نفس عروة وسكن بعض السكون

أم عفراء تشترط مهرا غاليا

وكانت أمها سيئة الرأي فيه تريد لابنتها ذا مال ووفر وكانت عرضة ذلك كمالا وجمالا فلما تكاملت سنه وبلغ أشده عرف أن رجلا من قومه ذا يسار ومال كثير يخطبها فأتى عمه فقال يا عم قد عرفت حقي وقرابتي وإني ولدك وربيت في حجرك وقد بلغني أن رجلا يخطب عفراء فإن
أسعفته بطلبته قتلتني وسفكت دمي فأنشدك الله ورحمي وحقي فرق له وقال له يا بني أنت معدم وحالنا قريبة من حالك ولست مخرجها إلى سواك وأمها قد أبت أن تزوجها إلا بمهر غال فاضطرب واسترزق الله تعالى
فجاء إلى أمها فألطفها وداراها فأبت أن تجيبه إلا بما تحتكمه من المهر وبعد أن يسوق شطره إليها فوعدها بذلك
وعلم أنه لا ينفعه قرابة ولا غيرها إلا بالمال الذي يطلبونه فعمل على قصد ابن عم له موسر كان مقيما باليمن فجاء إلى عمه وامرأته فأخبرهما بعزمه فصوباه ووعداه ألا يحدثا حدثا حتى يعود

يودع عفراء والحي

وصار في ليلة رحيله إلى عفراء فجلس عندها ليلة هو وجواري الحي يتحدثون حتى أصبحوا ثم ودعها وودع الحي وشد على راحلته وصحبه في طريقه فتيان من بني هلال بن عامر كانا يألفانه وكان حياهم متجاورين وكان في طول سفره ساهيا يكلمانه فلا يفهم فكرة في عفراء حتى يرد القول عليه مرارا حتى قدم على ابن عمه فلقيه وعرفه حاله وما قدم له فوصله وكساه وأعطاه مائة من الإبل فانصرف بها إلى أهله
وقد كان رجل من أهل الشام من أسباب بني أمية نزل في حي عفراء فنحر ووهب وأطعم وكان ذا مال عظيم فرأى عفراء وكان منزله قريبا من
منزلهم فأعجبته وخطبها إلى أبيها فاعتذر إليه وقال قد سميتها إلى ابن أخ لي يعدلها عندي وما إليها لغيره سبيل فقال له إني أرغبك في المهر قال لا حاجة لي بذلك فعدل إلى أمها فوافق عندها قبولا لبذله ورغبة في ماله فأجابته ووعدته وجاءت إلى عقال فآدته وصخبت معه وقالت أي خير في عروة حتى تحبس ابنتي عليه وقد جاءها الغني يطرق عليها بابها والله ما ندري أعروة حي أم ميت وهل ينقلب إليك بخير أم لا فتكون قد حرمت ابنتك خيرا حاضرا ورزقا سنيا فلم تزل به حتى قال لها فإن عاد لي خاطبا أجبته
فوجهت إليه أن عد إليه خاطبا
فلما كان من غد نحر جزرا عدة وأطعم ووهب وجمع الحي معه على طعامه وفيهم أبو عفراء فلما طعموا أعاد القول في الخطبة فأجابه وزوجه وساق إليه المهر وحولت إليه عفراء وقالت قبل أن يدخل بها
(يا عُرْوَ إنَّ الحيَّ قد نَقضوا ... عَهْدَ الإلهِ وحاوَلُوا الغَدْرَا)
في أبيات طويلة
فلما كان الليل دخل بها زوجها وأقام فيهم ثلاثا ثم ارتحل بها إلى الشام وعمد أبوها إلى قبر عتيق فجدده وسواه وسأل الحي كتمان أمرها
يعرف حقيقة زواج عفراء فيدخل إليها
وقدم عروة بعد أيام فنعاها أبوها إليه وذهب به إلى ذلك القبر فمكث
يختلف إليه أياما وهو مضنى هالك حتى جاءته جارية من الحي فأخبرته الخبر فتركهم وركب بعض إبله وأخذ معه زادا

ونفقة ورحل إلى الشام فقدمها وسأل عن الرجل فأخبر به ودل عليه فقصده وانتسب له إلى عدنان فأكرمه وأحسن ضيافته فمكث أياما حتى أنسوا به ثم قال لجارية لهم هل لك في يد تولينيها قالت نعم قال تدفعين خاتمي هذا إلى مولاتك

فقالت سوءة لك أما تستحي لهذا القول فأمسك عنها ثم أعاد عليها وقال لها ويحك هي والله بنت عمي وما أحد منا إلا وهو أعز على صاحبه من الناس جميعا فاطرحي هذا الخاتم في صبوحها فإذا أنكرت عليك فقولي لها اصطبح ضيفك قبلك ولعله سقط منه

فرقت الأمة وفعلت ما أمرها به

فلما شربت عفراء اللبن رأت الخاتم فعرفته فشهقت ثم قالت اصدقيني عن الخبر فصدقتها

فلما جاء زوجها قالت له أتدري من ضيفك هذا قال نعم فلان بن فلان للنسب الذي انتسب له عروة فقالت كلا والله يا هذا بل هو عروة بن حزام ابن عمي وقد كتم نفسه حياء منك

وقال عمر بن شبة في خبره

بل جاء ابن عم له فقال أتركتم هذا الكلب الذي قد نزل بكم هكذا في داركم يفضحكم فقال له ومن تعني قال عروة بن حزام العذري ضيفك هذا قال أو إنه لعروة بل أنت والله الكلب وهو الكريم القريب

شهامة زوج عفراء وطيبته

قالوا جميعا

ثم بعث إليه فدعاه وعاتبه على كتمانه نفسه إياه وقال له بالرحب والسعة نشدتك الله إن رمت هذا المكان أبدا وخرج وتركه مع عفراء

يتحدثان وأوصى خادما له بالاستماع عليهما وإعادة ما تسمعه منهما عليه فلما خلوا تشاكيا ما وجدا بعد الفراق فطالت الشكوى وهو يبكي أحر بكاء ثم أتته بشراب وسألته أن يشربه فقال والله ما دخل جوفي حرام قط ولا ارتكبته منذ كنت ولو استحللت حراما لكنت قد استحللته منك فأنت حظي من الدنيا وقد ذهبت مني وذهبت بعدك فما أعيش

وقد أجمل هذا الرجل الكريم وأحسن وأنا مستحي منه ووالله لا أقيم بعد علمه مكاني وإني عالم أني أرحل إلى منيتي فبكت وبكى وانصرف

فلما جاء زوجها أخبرته الخادمة بما دار بينهما فقال يا عفراء امنعي ابن عمك من الخروج فقالت لا يمتنع هو والله أكرم وأشد حياء من أن يقيم بعد ما جرى بينكما فدعاه وقال له يا أخي اتق الله في نفسك فقد عرفت خبرك وإنك إن رحلت تلفت والله لا أمنعك من الاجتماع معها أبدا ولئن شئت لأفارقنها ولأنزلن عنها لك

فجزاه خيرا وأثنى عليه وقال إنما كان الطمع فيها آفتي والآن قد يئست وقد حملت نفسي على اليأس والصبر فإن اليأس يسلي ولي أمور ولا بد لي من رجوعي إليها فإن وجدت من نفسي قوة على ذلك وإلا رجعت إليكم وزرتكم حتى يقضي الله من أمري ما يشاء

فزودوه وأكرموه وشيعوه فانصرف

فلما رحل عنهم نكس بعد صلاحه وتماثله وأصابه غشي وخفقان فكان كلما أغمي عليه ألقي على وجهه خمار لعفراء زودته إياه فيفيق

ينشد عراف اليمامة

قال ولقيه في الطريق ابن مكحول عراف اليمامة فرآه وجلس عنده وسأله عما به وهل هو خبل أو جنون فقال له عروة ألك علم بالأوجاع

قال نعم فأنشأ يقول

(وما بيَ من خَبْلٍ ولا بيَ جِنَّةٌ ... ولكنَّ عمِّي يا أُخَيَّ كذُوبُ)

(أقولُ لعَرَّافِ اليمامة داوِني ... فإنَّكَ إنْ داويتني لَطبيبُ)

(فواكَبِداً أمْسَت رُفاتاً كأنَّما ... يلذِّعُها بالمُوقِداتِ طبيبُ)

(عَشيَّةَ لا عَفراءُ مِنْكَ بعِيدةٌ ... فَتسلُو ولا عَفْراءُ مِنكَ قريبٌ)

(عشيَّة لا خَلفِي مَكَرٌّ ولا الهوى ... أمامي ولا يهوى هوايَ غَريبُ)

(فواللّهِ لا أنساكِ مَا هبّت الصَّبا ... وما عقَبْتها في الرِّياح جَنُوبُ)

(وإنّي لتَغشاني لذِكراكِ هِزَّةٌ ... لها بينَ جلدِي والعِظام دَبيبُ)

يخاطب صاحبيه بقصته

وقال أيضا يخاطب صاحبيه الهلاليين بقصته

(خليلَيَّ من عُليا هِلالِ بن عامرٍ ... بِصَنْعَاءَ عُوجَا اليومَ وانتظِراني)

((ولا تزْهَدا في الذُّخْرِ عندي وأجمِلا ... فإنَّكما بي اليوم مُبتلَيان

(ألِمَّا على عفراءَ إنّكما غداً ... بوشْكِ النّوى والبَيْنِ معترفان)

(فيا واشِيَيْ عَفراءَ ويحكما بمنْ ... وما وإلى منْ جئتما تشِيَان)

(بمَنْ لو أراهُ عانياً لفدَيْتُه ... ومَنْ لو رآني عانياً لَفداني)

(متى تكشِفا عنّي القميصَ تَبيَّنا ... بيَ الضُّرَّ من عفراءَ يا فَتيانِ)

(إذن ترَيا لحماً قليلا وأعظُماً ... بَلِينَ وقلباً دائمَ الخفقان)

(وقد تركَتْني لا أعِي لمحدِّثٍ ... حديثاً وإن ناجيتهُ ونجاني)

(جعلتُ لعرّاف اليمامةِ حُكمَه ... وعرّافِ حَجْرٍ إن هما شفياني)

(فما تركا من حِيلةٍ يعرفانها ... ولا شَرْبةٍ إلا وقد سَقياني)

(ورَشّا على وجهي من الماء ساعةً ... وقاما مع العُوّاد يبتَدِران)

(وقالا : شفَاكَ اللّهُ واللّهِ ما لنا ... بما ضُمِّنتْ منكَ الضّلوعُ يدانِ)

(فويْلي على عفراءَ ويلاً كأنّهُ ... على الصَّدْرِ والأحشاء حدُّ سِنان)

(أُحِبُّ ابنةَ العُذريِّ حُبًّا وإن نأتْ ... ودانيتُ فيها غيرَ ما مُتدانِي)

صوت

(إذا رامَ قلبي هجْرَها حال دُونه ... شَفيعانِ من قلبي لها جَدِلان)
غنته شارية ولحنه من الثقيل الأول
((إذا قُلْتُ : لاِ قالا : بَلَى ثمَّ أصْبَحَا ... جَميعاً على الرأيِ الّذِي يَرَيَانِ
(تحمَّلتُ من عفراءَ ما ليسَ لي به ... ولا للجِبَال الرّاسيَاتِ يَدان)
(فيَا ربِّ أنتَ المستعانُ على الّذِي ... تحمَّلتُ من عفراءَ منذُ زمانِ)
(كأنَّ قَطاةً عُلِّقَتْ بجَناحِهَا ... على كَبدِي من شِدّةِ الخفقَانِ)
في تحملت من عفراء
والذي بعده ثقيل أول يقال إنه لأبي العبيس بن حمدون
يموت فترثيه عفراء وتموت بعده
قال فلم يزل في طريقه حتى مات قبل أن يصل إلى حيه بثلاث ليال وبلغ عفراء خبر وفاته فجزعت جزعا شديدا وقالت ترثيه
(ألا أيُّها الرَّكْبُ المُخِبُّونَ ويحكم ... بحقٍّ نَعيْتُم عُروةَ بنَ حِزامِ)
(فلا تهنأ الفِتيانَ بعدكَ لذَّةٌ ... ولا رجعُوا من غَيْبةٍ بِسلامِ)
(وقل للحَبَالَى : لا تُرجِّينَ غائباً ... ولا فَرحاتٍ بعدهُ بغُلامِ)
قال ولم تزل تردد هذه الأبيات وتندبه بها حتى ماتت بعده بأيام قلائل
خبر عن معرفته بتزويجها
وذكر عمر بن شبة في خبره
أنه لم يعلم بتزويجها حتى لقي الرفقة التي هي فيها وأنه كان توجه إلى
ابن عم له بالشام لا باليمن فلما رآها وقف دهشا ثم قال
(فما هي إلا أن أراها فُجَاءَةً ... فأُبْهَتَ حتى ما أكادُ أُجيبُ)
(وأصْدِفُ عن رأيِي الذي كُنت أرتَئي ... وأنسَى الذي أزْمَعتُ حين تغيبُ)
(ويُظهِرُ قلبي عذْرَها ويُعِينُها ... عليَّ فما لِي في الفؤادِ نَصِيبُ)
(وقد عَلِمَتْ نفسِي مكانَ شِفائها ... قريباً وهل ما لا يُنالُ قريبُ ؟)
(حَلفتُ بربِّ السَّاجدينَ لربِّهم ... خُشوعاً وفوقَ السَّاجدينَ رَقيبُ)
(لئن كان بردُ الماءِ حرَّانَ صادياً ... إليَّ حبيباً إنّها لحبِيبُ)
لم ينفعه وعظ ولا دواء
وقال أبو زيد في خبره
ثم عاد من عند عفراء إلى أهله وقد ضني ونحل وكانت له أخوات وخالة وجدة فجعلن يعظنه ولا ينفع وجئن بأبي كحيلة رباح بن شداد مولى بني ثعيلة وهو عراف حجر ليداويه فلم ينفعه دواؤه
وذكر أبو زيد قصيدته النونية التي تقدم ذكرها وزاد فيها
(وعينانِ ما أوفَيتُ نشْزاً فتنْظرا ... مأقيهما إلا هما تَكِفانِ)
(سِوَى أنّنِي قد قلتُ يوماً لصاحِبي ... ضُحًى وقَلُوصانا بنا تخِدان)
(ألا حبّذَا من حُبِّ عفراءَ وادياً ... نَعامٌ وبُرْلٌ حيْثُ يلتقيان)
وقال أبو زيد
وكان عروة يأتي حياض الماء التي كانت إبل عفراء تردها فيلصق صدره بها فيقال له مهلاً فإنك قاتل نفسك فاتق الله فلا يقبل حتى أشرف على التلف وأحس بالموت
فجعل يقول
(بِيَ اليأسُ والدَّاءُ الهُيامُ سُقِيتُهُ ... فإيّاكَ عنِّي لا يكُنْ بك ما بِيَا)
خبر موته
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون عن أبي السائب قال
أخبرني ابن أبي عتيق قال والله إني لأسير في أرض عذرة إذا بامرأة تحمل غلاما جزلا ليس يحمل مثله فعجبت لذلك حتى أقبلت به فإذا له لحية فدعوتها فجاءت فقلت لها ويحك ما هذا فقالت هل سمعت بعروة ابن حزام فقلت نعم قالت هذا والله عروة
فقلت له أنت عروة فكلمني وعيناه تذرفان وتدوران في رأسه وقال نعم أنا والله القائل
(جَعلتُ لعرَّافِ اليمامةِ حُكْمَهُ ... وعرَّافِ حَجْرٍ إن هما شَفَياني)
(فقالا : نعم نَشفِي من الدَّاءِ كُلِّه ... وقاما مع العُوَّاد يَبْتدِران)
(فعَفْراءُ أحظى الناسِ عندي مَودّةً ... وعَفْراءُ عنِّي المُعرِضُ المُتَواني)
قال وذهبت المرأة فما برحت من الماء حتى سمعت الصيحة فسألت
عنها فقيل مات عروة بن حزام
قال عبد الملك فقلت لأبي السائب ومن أي شيء مات أظنه شرق فقال سخنت عيناك بأي شيء شرق قلت بريقه وأنا أريد العبث بأبي السائب أفترى أحدا يموت من الحب قال والله لا تفلح أبدا نعم يموت خوفا أن يتوب الله عليه
أخبرني عمي قال حدثنا الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي عن هشام بن عروة عن أبيه عن النعمان بن بشير قال ولاني عثمان رضي الله عنه صدقات سعد هذيم وهم بلي وسلامان وعذرة وضبة بن الحارث ووائل بنو زيد فلما قبضت الصدقة قسمتها في أهلها فلما فرغت وانصرفت بالسهمين إلى عثمان رضي الله عنه إذا أنا ببيت مفرد عن الحي فملت إليه فإذا أنا بفتى راقد في فناء البيت وإذا بعجوز من ورائه في كسر البيت فسلمت عليه فرد علي بصوت ضعيف فسألته ما لك فقال
(كأنَّ قَطاةً عُلِّقَتْ بجناحها ... على كَبِدِي من شدَّةِ الخَفقانِ)
وذكر الأبيات النونية المعروفة ثم شهق شهقة خفيفة كانت نفسه فيها فنظرت إلى وجهه فإذا هو قد قضى فقلت أيتها

العجوز من هذا الفتى منك قالت ابني فقلت إني أراه قد قضى فقالت وأنا والله أرى ذلك فقامت فنظرت في وجهه ثم قالت فاظ ورب محمد قال فقلت لها يا أماه من
هو فقالت عروة بن حزام أحد بني ضبة وأنا أمه فقلت لها ما بلغ به ما أرى قالت الحب والله ما سمعت له منذ سنة كلمة ولا أنَّةً إلا اليوم فإنه أقبل علي ثم قال
(مَن كان مِن أُمَّهاتي باكياً أبداً ... فاليومَ إنِّي أُراني اليومَ مَقبوضا)
(يُسمِعْنِيه فإنِّي غيرُ سامعهِ ... إذا علوتُ رِقابَ القومِ معروضا)
قال فما برحت من الحي حتى غسلته وكفنته وصليت عليه ودفنته
موت عفراء
وذكر أبو زيد عمر بن شبة في خبره هذه القصة عن عروة بن الزبير فقال هذين البيتين بحضرته
(... من كان من أخواتي باكياً أبداً)
قال فحضرنه فبرزن والله كأنهن الدمى فشققن جيوبهن وضربن خدودهن فأبكين كل من حضر
وقضى من يومه
وبلغ عفراء خبره فقامت فقالت لزوجها يا هناه قد كان من خبر ابن عمي ما كان بلغك ووالله ما عرفت منه قط إلا الحسن الجميل وقد مات في وبسببي ولا بد لي من أن أندبه وأقيم مأتما عليه
قال افعلي
فما زالت تندبه ثلاثا حتى توفيت في اليوم الرابع
وبلغ معاوية بن أبي سفيان خبرهما فقال لو علمت بحال هذين الحرين الكريمين لجمعت بينهما
وروي هذا الخبر عن هارون بن موسى القرويّ عن محمد بن الحارث المخزومي عن هشام بن عبد الله عن عكرمة عن هشام بن عروة عن أبيه
أنه كان شاهدا ذلك اليوم
ولم يذكر النعمان بن بشير في خبره
وذكر هارون بن مسلمة عن غصين بن براق عن أم جميل الطائية أن عفراء كانت يتيمة في حجر عمها عمه فعرضها عليه فأباها ثم طال المدى وانصرف عروة في يوم عيد بعد أن صلى صلاة العيد فرآها وقد زينت فرأى منها جمالا بارعا وقدمت له تحفة فنال منها وهو ينظر إليها ثم خطبها إلى عمه فمنعه ذلك مكافأة لما كان من كراهته لها لما عرضها عليه وزوجها رجلا غيره فخرج بها إلى الشام وتمادى في حبها حتى قتله
طوف حول الكعبة
حدثنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وغيره عن سليمان بن عبد العزيز بن عمران الزهري قال حدثني خارجة المكي
أنه رأى عروة بن حزام يطاف به حول البيت قال فدنوت منه فقلت من أنت فقال الذي أقول
(أفِي كلِّ يوم أنتَ رامٍ بِلادَها ... بعينين إنْسانَاهُما غَرِقانِ)
(ألاَ فاحمِلاني باركَ اللّهُ فيكُما ... إلى حَاضِر الرَّوْحاءِ ثم ذَرانِي)
فقلت له زدني فقال لا والله ولا حرفا
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني أبو سعيد السكري قال حدثني محمد بن حبيب قال ذكر الكلبي عن أبي صالح قال
كنت مع ابن عباس بعرفة فأتاه فتيان يحملون بينهم فتى لم يبق منه إلا
خياله فقالوا له يا بن عم رسول الله ادع له فقال وما به فقال الفتى
(بِنا من جَوَى الأحزانِ في الصدر لَوْعةٌ ... تَكادُ لها نَفْسُ الشَّفِيق تذوبُ)
(ولكنَّما أبقى حُشاشةَ مُعْوِلٍ ... على ما به عُودٌ هناك صَلِيبُ)
قال ثم خفت في أيديهم فإذا هو قد مات
فقال ابن عباس
(... هذا قتيلُ الحبِّ لا عَقْلٌ ولا قود)
ثم ما رأيت ابن عباس سأل الله جل وعز في عشيته إلا العافية مما ابتلي به ذلك الفتى قال وسألنا عنه فقيل هذا عروة بن حزام
صوت
(أعالِيَ أعلَى اللّهُ جَدَّكِ عالياً ... وأسقَى بَرَيّاكِ العِضَاهَ البواليَا)
(أعالِيَ ما شمسُ النهارِ إذا بَدَتْ ... بأحسنَ ممَّا تحتَ بُرْدَيْكِ عالياً)
(أعالِيَ لو أنَّ النساءَ ببَلْدَةٍ ... وأنتِ بأخرى لاتَّبعتُكِ ماضِيَا)
(أعالِيَ لو أشْكو الذي قد أصابنِي ... إلى غُصُنٍ رَطْبٍ لأصبح ذاوِيَا)
الشعر للقتال الكلابي
وقد أدخل بعض الرواة الأول من هذه الأبيات مع أبيات سحيم عبد بني الحسحاس التي أولها
(... (فما بيضةٌ بات الظّليمُ يحُفُّها
في لحن واحد
وذكرت ذلك في موضعه وأفردته على حدته وأتيت به على حقيقته
والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى
وذكر الهشامي أن فيه لأبي كامل ثاني ثقيل لا أدري أهذا يعني أم غيره
ووافقه إبراهيم في لحن أبي كامل ولم يجنسه وزعم أن فيه لحنا آخر لابن عباد وفيه ثقيل أول ذكر ابن المكي أنه لمعبد
وذكر الهشامي أنه ليحيى منحول إلى معبد
وذكر حبش أنه لطويس
وفي هذه القصيدة يقول القتّال

(أعالِيَ أختَ المالكيِّين نَوِّلي ... بما ليس مَفقوداً وفيه شفائَيا)
(أصارِمَتي أمُّ العَلاءِ وقد رَمي ... بيَ الناسُ في أُمِّ العلاءِ المرامِيَا)
(أيَا إخوتي لا أُصبِحَنْ بمُضِلَّةٍ ... تُشيِّبُ إذا عُدَّتْ عليَّ النَّواصِيا)
(فرادِ لِدَيْكَ القومِ واشعِبْ بحقِّهم ... كما كنتَ لو كنتَ الطَّرِيدَ مُرادِيَا)
(وشمِّرْ ولا تجعلْ عليكَ غَضاضةً ... ولا تنسَ يابن المَضرحِيِّ بلائيَا)
ولهذه القصيدة أخبار تذكر في مواضعها ها هنا إن شاء الله تعالى

أخبار القتّال ونسبه

القتال لقب غلب عليه لتمرده وفتكه

واسمه عبد الله بن المضرحي ابن عامر الهصان بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة ويكنى أبا المسيب وأمه عمرة بنت حرقة بن عوف بن شداد بن ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب

وقد ذكرها في شعره وفخر بها فقال

(لقد ولَدَتْني حُرَّةٌ رَبَعِيَّةٌ ... من اللاءِ لم يحضُرْنَ في القَيْظِ دَبْدَبا)

يهرب بعد أن يقتل ابن عمه

نسخت من كتاب لمحمد بن داود بن الجراح خبره وذكر أن عبد الله ابن سليمان السجستاني دفعه إليه وأخبره أنه سمعه من عمر بن شبة وأجاز له

روايته وأخبرني بأكثر رواية عمر بن شبة هذه الأخفش عن السكري عنه في أخبار اللصوص وجمعت ذلك أجمع

قال عمر بن شبة حدثني حميد بن مالك بن يسار المسمعي قال حدثني شداد بن عقبة بن رافع بن زمل بن شعيب بن الحارث بن عامر بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب

وكانت أم رافع جنوب بنت القتال

قتل زيادا وقال

وحدثني شيخ من بني أبي بكر بن كلاب يكنى أبا خالد أيضا بحديث القتال قال أبو خالد

كان القتال قتال ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب يتحدث إلى ابنة عم له يقال لها العالية بنت عبيد الله وكان لها أخ غائب يقال له زياد بن عبيد الله فلما قدم رأى القتال يتحدث إلى أخته فنهاه وحلف لئن رآه ثانية ليقتلنه

فلما كان بعد ذلك بأيام رآه عندها فأخذ السيف وبصر به القتال فخرج هاربا وخرج في إثره فلما دنا منه ناشده القتال بالله والرحم فلم يلتفت إليه

فبينا هو يسعى وقد كاد يلحقه وجد رمحا مركوزا وقال السكري وجد سيفا فأخذه وعطف على زياد فقتله وقال

(نَهيتُ زياداً والمقَامةُ بيننا ... وذكَّرتُه أرحامَ سِعْرٍ وهَيْثَمِ)
((فلمَّا رأيتُ أنَّه غيرُ مُنتهٍ ... أمَلْتُ له كفِّي بِلَدْنٍ مُقَوَّمِ)
(ولمَّا رأيتُ أنني قد قَتَلْتُه ... نَدِمْتُ عليه أيَّ ساعةِ مَندمِ)

وقال أيضا

(نَهيتُ زياداً والمَقامةُ بيننا ... وذكَّرتُه باللّهِ حَوْلاً مُجَرَّما)
(فلمَّا رأيتُ أنَّهُ غيرُ مُنْتَهٍ ... ومولايَ لا يَزْدادُ إلاَّ تقدُّما)
(أمَلتُ له كفِّي بأبيضَ صارمٍ ... حُسامٍ إذا ما صادَفَ العَظْمَ صَمَّما)
(بكفِّ امرىءٍ لم تَخْدُمِ الحيَّ أُمُّه ... أخي نجداتٍ لم يكنْ مُتَهضَّما)

شعره وهو يستتر في عماية

ثم خرج هاربا وأصحاب القتيل يطلبونه فمر بابنة عم له تدعى زينب متنحية عن الماء فدخل عليها فقالت له ويحك ما دهاك قال ألقي علي ثيابك فألقت عليه ثيابها وألبسته برقعها وكانت تمس حناء فأخذ الحناء فلطخ بها يديه وتنحت عنه ومر الطلب به فلما أتوا البيت قالوا وهم يظنون أنه زينب أين الخبيث فقال لهم أخذ هاهنا لغير الوجه الذي أراد أن يأخذه فلما عرف أن قد بعدوا أخذ في وجه آخر فلحق بعماية وعماية جبل فاستتر فيه وقال في ذلك

(فمنْ مُبْلِغٌ فِتيانَ قوميَ أنَّني ... تسمَّيْتُ لمَّا شبَّتِ الحَرْبُ زَيْنبا)
((وأرخيتُ جِلْبابي على نبْتِ لِحيتي ... وأبديتُ للنَّاس البَنانَ المخضَّبا)

وقال أيضا

(جَزى اللّهُ عَنَّا والجزاءُ بكفِّهِ ... عَمايةَ خيراً أُمَّ كلِّ طريدِ)
(فما يزدهِيها القومُ إنْ نزلُوا بها ... وإن أرسلَ السُّلطانُ كلَّ بَريدِ)
(حَمَتْنِيَ منها كلُّ عَنقاءَ عَيْطَلٍ ... وكلُّ صفاً جَمِّ القِلاتِ كؤودِ)

فمكث بعماية زمانا يأتيه أخ له بما يحتاج إليه وألفه نمر في الجبل كان يأوي معه في شعب

صاحبه نمر مفترس

وأخبرني عبد الله بن مالك قال حدثني محمد بن حبيب عن ابن الكلبي قال

كان القتال الكلابي أصاب دما فطلب به فهرب إلى جبل يقال له عماية فأقام في شعب من شعابه وكان يأوي إلىذلك الشعب نمر فراح إليه كعادته فلما رأى القتال كشر عن أنيابه ودلع لسانه فجرد القتال سيفه من جفنه فرد النمر لسانه فشام القتال سيفه فربض بإزائه وأخرج براثنه فسل القتال سهامه من كنانته فضرب بيده وزار فأوتر القتال قوسه وأنبض وترها فسكن النمر وألفه

فقال ابن الكلبي في هذا الخبر ووافقه عمر بن شبة في روايته

كان النمر يصطاد الأروى فيجيء بما يصطاده فيلقيه بين يدي القتال فيأخذ منه ما يقوته ويلقي الباقي للنمر فيأكله وكان القتال يخرج إلى الوحش فيرمي بنبله فيصيب منه الشيء بعد الشيء فيأتي به الكهف فيأخذ لقوته بعضه ويلقي الباقي للنمر

وكان القتال إذا ورد الماء قام عليه النمر حتى يشرب ثم يتنحى القتال عنه ويرد النمر فيقوم عليه القتال حتى يشرب فقال القتال في ذلك من قصيدة له

(ولي صاحبٌ في الغار يعْدِلُ صاحباً ... أبا الجوْن إلاَّ أنَّه لا يُعَلَّلُ)

أبو الجون صديق له كان يأنس به فشبهه به
وفي رواية عمر بن شبة أخي الجون فإن القتال كان له أخ اسمه الجون فشبهه به
(كِلانا عدُوٌّ لا يرى في عَدُوِّهِ ... مَهَزًّا وكُلٌّ في العَدَاوَةِ مُجمِلُ)
(إذا ما التَقَيْنا كان أُنْسُ حَدِيثِنا ... صِماتاً وطَرْفٌ كالمَعَابِلِ أطْحَلُ)
(لنا مَوْرِدٌ قَلْتٌ بأرْضٍ مَضَلَّةٍ ... شَرِيعَتُنا : لأيِّنا جاءَ أوَّلُ)
(تَضَمَّنَت الأرْوِي لنا بِشِوائِنا ... كِلانا له منها سَدِيفٌ مُخَرْدَلُ)
(فأغْلِبُه في صَنْعَةِ الزَّادِ إنَّني ... أُمِيطُ الأذى عنه وما إنْ يُهَلِّلُ)
أي ما يسمي الله تعالى عند صيده
خبر وليمة أبي سفيان
أخبرني اليزيدي قال حدثني عمي الفضل عن إسحاق الموصلي وأخبرني به محمد بن جعفر الصيدلاني عن الفضل عن إسحاق
وأخبرني به وسواسة ابن الموصلي عن حماد عن أبيه قال
قال أبو المجيب أو شداد بن عقبة
دعا رجل من الحي يقال له أبو سفيان القتال الكلابي إلى وليمة فجلس القتال ينتظر رسوله ولا يأكل حتى انتصف النهار وكانت عنده فقرة من حوار فقال لامرأته
(فإنَّ أبا سُفيانَ ليس بمولِمٍ ... فقُومِي فهاتِي فِقْرَةً من حُوارِكِ)
قال إسحاق فقلت له ثم مه قال لم يأت بعده بشيء إنما أرسله يتيما
فقلت له لمه أفلا أزيدك إليه بيتا آخر ليس بدونه قال بلى فقلت
(فبيتُكِ خيْرٌ من بيوتٍ كثيرةٍ ... وقِدرُكِ خيرٌ من وليمة جارِكِ)
فقال بأبي أنت وأمي والله لقد أرسلته مثلا وما انتظرت به العرب وإنك لبز طراز ما رأيت بالعراق مثله وما يلام الخليفة أن يدنيك ويؤثرك ويتملح بك ولو كان الشباب يشترى لابتعته لك بإحدى يدي ويمنى عيني
وعلى أن فيك بحمد الله بقية تسر الودود وترغم الحسود
كان له ابنان المسيب وعبد السلام
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة قال
كان للقتال ابنان يقال لأحدهما المسيب وللآخر عبد السلام ولعبد السلام يقول
(عبدَ السَّلامِ تأمَّلْ هل تَرَى ظُعُناً ... إنّي كَبِرتُ وأنت اليومَ ذو بَصَرِ)
(لا يُبْعِدِ اللَّهُ فِتياناً أقولُ لهمْ ... بالأبرقِ الفَرْدِ لمَّا فاتني نَظَرِي)
(ألا تروْنَ بأعلى عاسِمٍ ظُعُناً ... نكَّبْنَ فَحْلَين واستقْبَلْن ذا بَقَرِ)
يعير أخواله بفعلتهم
وقال أبو زيد عمر بن شبة من رواية ابن داود عنه حدثني سعيد بن مالك قال حدثني شداد بن عقبة قال
اقتتل بنو جعفر بن كلاب وبنو العجلان بن كعب بن ربيعة بن صعصعة فقتلت بنو جعفر بن كلاب رجلا من بني العجلان قال شداد وكانت جدة القتال أم أبيه عجلانية وهي خولة بنت قيس بن زياد بن مالك بن العجلان فاستبطأ القتال أخواله بني العجلان في الطلب بثأرهم من بني جعفر وجعل يحضهم ويحرضهم فقال في ذلك وقد بلغه أنهم أخذوا من بني جعفر دية المقتول فعيرهم بما فعلوا وقال
(لعَمْري لحَيٌّ من عُقَيْلٍ لقيتُهُم ... بخَطْمةَ أو لاقيتُهُم بالمناسِكِ)
(عليهِمْ من الحَوْكِ اليمَانِيِّ بِزَّةٌ ... على أرْحَبِيَّاتٍ طِوالِ الحَوارِكِ)
(أحَبُّ إلى نفسي وأملحُ عندها ... من السَّرَواتِ آل قيس بن مالِكِ)
(إذا ما لقيتُمْ عُصْبةً جعفريَّةً ... كرِهتُم بني اللَّكْعاءِ وقْعَ النيازِكِ)
(فلستُمْ بأخْوالِي فلا تصْلُبنَّني ... ولكنَّما أمِّي لإحدى العَواتِكِ)
(قِصارُ العِمادِ لا ترى سرَوَاتِهِم ... مع الوفدِ حَثَّامُونَ عند المبارِكِ)
(قُتِلتُم فلمَّا أن طلبتُمْ عَقَلْتُمُ ... كذلكِ يُؤْتَى بالذَّليلِ كذلكِ)
هروبه من السجن وشعره في ذلك
وقال ابن حبيب
خرج ابن هبار القرشي إلى الشام في تجارة أو إلى بعض بني أمية فاعترضه جماعة فيهم القتال الكلابي وغيره فقتلوه وأخذوا ماله
وشاع خبره فاتهم به جماعة من بني كلاب وغيرهم من فتاك العرب فأخذوا وحبسوا أخذهم عامل مروان بن الحكم فوجههم إليه وهو بالمدينة فحبسهم ليبحث عن الأمر ثم يقتل قتلة ابن هبار فلما خشي القتال أن يعلم أمره ورأى أصحابه ليس فيهم
غناء اغتال السجان فقتله وخرج هو ومن كان معه من السجن فهربوا فقال يذكر ذلك
(أُمَيْمَ أثيبي قبل جِدِّ التَّزَيُّلِ ... أثيبي بوصْلٍ أو بِصُرْمٍ مُعَجَّلِ)
(أُمَيْم وقد حُمِّلْتُ ما حُمِّلَ امْرُؤٌ ... وفي الصُّرْمِ إحْسانٌ إذا لم تُنَوِّلي)
وهي قصيدة طويلة يقول فيها
(وإنِّي وذكري أمَّ حَسّانَ كالفتى ... متى ما يذُقْ طَعْمَ المُدَامة يَجْهلِ)
(ألا حبّذا تلك البلادُ وأهلها ... لو أنَّ عذابي بالمدينة ينْجلي)
(برزتْ لها من سجْن مروان غُدوةً ... فآنستُها بالأيْم لم تتحوَّلِ)
(وآنستُ حيًّا بالمطالي وجامِلاً ... أبابيلَ هَطْلي بين راعٍ ومُهمِلِ)
(نظرتُ وقد جَلَّى الدُّجى طامِسَ الصُّوَى ... بسِلْعٍ وقَرْنُ الشمس لم يترجَّلِ)
(وشبَّتْ لنا نارٌ لَلَيْلَى صباحه ... يُذَكَّى بعُودٍ جَمْرُها وقَرَنْفُلِ)
(يُضِيء سَناها وجهَ ليلَى كأنَّما ... يُضيءُ سَناها وَجْهَ أدْماءَ مُغْزِلِ)

(علا عظمُها واستعْجَلتْ عن لِداتِها ... وشَبَّتْ شباباً وهْيَ لمَّا تُسَرْبَلِ)
(ولما رأيتُ البابَ قد حِيل دُونَهُ ... وخِفْتُ لِحاقاً من كتابٍ مُؤَجَّلِ)
(حملتُ عَلَى المكروهِ نفساً شريفةً ... إذا وُطِّئَتْ لم تستقِدْ للتَّذَلُّلِ)
((وكالِىءُ باب السِّجْنِ ليس بِمُنْتَهٍ ... وكان فِراري منه ليس بِمُؤْتَلي
(إذا قلتُ رِفِّهني من السِّجْن ساعةً ... وتمِّمْ بها النُّعْمَى عَلَيَّ وأَفْضِلِ)
(يشُدُّ وَثاقاً عابِساً ويغُلُّني ... إلى حَلَقاتٍ من عمودٍ موصَّلِ)
(فقلتُ له والسَّيفُ يَعْضِب رأسَهُ ... أنا ابنُ أبي التَّيماءِ غيرُ المنحَّلِ)
(عرفتُ نَدَايَ من نَدَاهُ وشيمتي ... وريحاً تَغشَّاني إذا اشتدَّ مِسْحَلِي)
(تركتُ عِتاقَ الطَّيْر تحجِلُ حَوْلَهُ ... على عُدَواءَ كالحُوار المجدَّلِ)
يذكر قتل ابن هبار
وقال أبو زيد في خبره
وأنشدني شداد للقتال الكلابي يذكر قتل ابن هبار
(تركتُ ابنَ هَبَّارٍ لدَى البابِ مُسْنَداً ... وأُصبِحَ دُوني شابَةٌ وأُرومُها)
(بسيفِ امرىءٍ ما إن أُخَبِّرُ باسمهِ ... وإن حقَرتْ نفسي إليَّ هُمومُها)
هكذا روى ابن حبيب وعمر بن شبة
ونسخت من كتاب للشاهيني بخطه فيه شعر للقتال وأخبار من أخباره قال
حبس القتال في دم ابن عمه الذي قتله فحبس زمانا في السجن ثم كان بين ابن هبار القرشي وبين ابن عم له من قريش إحنة فبلغ ابن عمه
أن القتال محبوس في سجن المدينة فأتاه فقال له أرأيت إن أنا أخرجتك أتقتل ابن عمي المعروف بابن هبار قال نعم قال فإني سأرسل إليك بحديدة في طعامك فعالج بها قيدك حتى تفكه ثم البسه حتى لا تنكر فإذا خرجت إلى الوضوء فاهرب من الحرس فإني جالس لك ومخلصك ومعطيك فرسا تنجو عليه وسيفا تمتنع به فإن خلصك ذلك وإلا فأبعدك الله فقال قد رضيت
قال وكان أهل المدينة يخرجون المحتبسين إذا أمسوا للوضوء ومعهم الحرس ففعل ما أمره به وأتاه القرشي فخلصه وآواه حتى أمسك عنه الطلب ثم جاء به وأعطاه سيفا فقتل ابن عمه المعروف بابن هبار ووهب له نجيبا فنجا عليه وقال
(تركتُ ابنَ هبَّار لدى البابِ مُسنَداً ... وأصْبحَ دُوني شابةٌ وأرومُها)
(بسيفِ امرىءٍ لا أُخبرُ الناسَ باسمِهِ ... ولو أجهشتْ نفسي إليَّ هُمومُها)
خبره مع علية بنت شيبة
وقال أبو زيد عمر بن شبة فيما رواه عن أصحابه
مر القتال بعلية بنت شيبة بن عامر بن ربيعة بن كعب بن عمرو بن عبد ابن أبي بكر وأخويها جهم وأويس فسألها زماما فأبت أن تعطيه وكانت جدتهم أم أبيهم أمة يقال لها أم حدير وكانت لقريظة بن حذيفة بن عمار بن ربيعة بن كعب بن عبد بن أبي بكر فولدت له أم هؤلاء واسمها نجيبة
فولدت له علية هذه فقال القتال يهجوهم
(يا قَبَّحَ اللَّهُ صِبيَاناً تجيءُ بهم ... أمُّ الهُنَيبِر من زَندٍ لها واري)
(من كلِّ أعلمَ مَشقوقٍ مَشافرُهُ ... ومؤذَنٍ ما وفَى شِبراً بمشبار)
(يا وَيْحَ شيماءَ لم تنبِذْ بأحرارٍ ... مثلي إذا ما اعترانِي بعضُ زُوَّاري)
(إنَّ القُرَيظِيَّ لم يَدْعُوكِ كَنَّتَهم ... فأقصِري آلَ مَسْعُودٍ ودينارِ)
(أمَّا الإماءُ فما يَدْعونَني ولداً ... إذا تُحُدِّثَ عن نقضِي وإمراري)
(يا بِنتَ أمِّ حُدَيْرٍ لو وهبتِ لنا ... ثنتين من مُحكَمٍ بالقِدِّ أوتاري)
(إمَّا جديداً وإمَّا بالياً خَلَقاً ... عاد العذارى لِقَطْعَيْهِ بأسْيارِ)
(لكان ردءًا قليلا واعتجنتُ له ... صهْباءَ مقَّعها حاجِي وأسفاري)
(أنا ابنُ أسماءَ أعمامِي لها وأبِي ... إذا ترامى بنو الإموانِ بالعارِ)
(قد جرَّب الناسُ عُودِي يقرعُون به ... وأقْصَروا عن صليبٍ غيرِ خوَّارِ)
(ما أرْضعَ الدَّهرَ إلاَّ ثدْيَ واضِحةٍ ... لواضحِ الوجْهِ يحْمي حَوزةَ الجارِ)
(يستْلِبُ القِرنَ مُهرِيهِ وصعْدَتَهُ ... حقَّاً وينزِعُ عنهُ ذاتَ أزْرارِ)
(من آلِ سُفيانَ أو ورْقاءَ يمنَعُها ... تحتَ العَجاجَةِ طَعْنٌ غيرُ عُوَّارِ)
(يَمنعُها كلُّ مَذْرورٍ بصعْدَتِهِ ... نضْحُ الدِّباءِ على عُرْيانَ مِغْوارِ)
((تَسمعُ فيهمْ إذا استَسْمَعْتَ واعِيَةً ... عَزْفَ القِيانِ وقولا يال عَرْعارِ
(طِوالُ أنضِيةِ الأعناقِ لم يجدُوا ... ريحَ الإماءِ إذا راحتْ بأزفارِ)
(والقومُ أعلم أنَّا من خيارِهمُ ... إذا تقلَّدتُ عضْباً غيرَ مِيشارِ)
(فرَّا بسَيْري وبردُ الليل يضربني ... عُرض الفَلاةِ بِبُنيانٍ وأكوارِ)
(أمَّا الرَّواسمُ أطلاحا فتعرِفُني ... إذا اعتصيتُ على رأسي بأطمارِ)
(ولم أُنازعْ بني السَّوداء فيئَهمُ ... والعِظلِميَّاتِ من بَعْرٍ وأمهارِ)
(فكلُّ سوداء لم تُحلَق عَقِيقتُها ... كأنَّ أصداغَها يُطلَينَ بالقارِ)
(لقد شَرتني بنو بَكرٍ فما رَبِحتْ ... ولا رأيتُ عليها جَزاةَ الشَّاري)
(إن العُروقَ إذا استنزعتها نزَعتْ ... والعِرقُ يسرِي إذا ما عرَّسَ السَّاري)
أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عمر بن شبة قال أنشدني الأصمعي للقتال رائية يقول فيها
(إن العُروقَ إذا استنزعتَها نزعَتْ ... والعرقُ يسرِي إذا ما عرَّس السَّاري)
(قد جرَّب الناسُ عُودِي يقرعُون بهِ ... فأقصَروا عن صَليبٍ غيرِ خوَّارِ)
فقال لقد أحسن وأجاد لولا أنه أفسدها بقوله إذا طلب جعلا فلم

يعطه وكان في دناءة نفسه يشبه الحطيئة وكان فارسا شاعرا شجاعا

هجاؤه قومه

وقال السكري في روايته

زوج القتال ابنته أم قيس واسمها قطاة رذاذ بن الأخرم بن مالك بن مطرف بن كعب بن عوف بن عبد بن أبي بكر فمكثت عنده زمانا وولدت له أولادا ثم أغارها فشكت إلى أبيها فاستعدى عليه ورماه بخادمها وجاء رذاذ بالبينة على قذفه إياه بالأمة فأقيم ليضرب فلم تنتصر له عشيرته وقامت عشيرة رذاذ فاستوهبوا حده من صاحبهم فوهبه لهم وكانت عشيرة القتال تبغضه لكثرة جناياته وما يلحقها من أذاه ولا تمنعه من مكروه فقال يهجو قومه

(إذا ما لَقِيتم راكبا مُتعمِّماً ... فقولوا له : ما الرّاكبُ المتعمِّمُ ؟)
(فإن يَكُ من كَعْبِ بن عَبْدٍ فإنَّه ... لئيمُ المُحَيَّا حالكُ اللَّونِ أدهَمُ)
(دعوتُ أبا كَعْبِ ربيعةَ دَعْوةً ... وفَوقِي غَواشي المَوْتِ تُنْحِي وتَنْجُمُ)
(ولَم أكُ أدري أنَّه ثُكْلُ أُمِّه ... إذا قيلَ للأحْرار في الكُرْبةِ اقدُموا)
(فلو كنتَ من قومٍ كرامٍ أعِزَّةٍ .. لحاميتَ عنِّي حِين أحمَى وأضْرِمُ)
(دعوتُ فكَمْ أسْمَعتَ من كلِّ مُؤْذِنٍ ... قَبيحِ المُحَيَّا شائِهِ الوجْهِ والفَمُ)
(سِوى أنَّ آلَ الحارثِ الخير دَبَّبُوا ... بأعيَطَ لا وغْلٍ ولا مُتَهَضِّمُ)
((ألا إنَّهم قَوْمِي وقومُ ابن مالِكٍ ... بنو أمّ ذِئبٍ وابنُ كبشةَ خَيثَمُ)
(ولكنَّما قومِي قُماشةُ حاطبٍ ... يُجمِّعُها بالكفِّ واللَّيْلُ مُظْلِمُ)

طلاقه إحدى زوجيه

قال أبو زيد وحدثني شداد بن عتبة قال

كانت عند القتال بنت ورقاء بن الهيثم بن الهصان وكان جارا لبني الحصين بن الحويرث بن كعب بن عبد بن أبي بكر وكانت لها ضرة عنده يقال لها أم رياح بنت ميسرة بن نفير بن الهصان وهي أم جنوب بنت القتال فخرج القتال في سفر له فلما آب منه أقبل حين أناخ إلى أهله فوجد عند بنت ورقاء جرير بن الحصين فلما رأى جرير القتال نهض فسأل القتال عنه فقالت له امرأته أم رياح وهي صفية ويقال صفيفة بنت الحارث بن الهصان إن هذا البيت لبيت لا نزال نسمع فيه ما لا يعجبنا فطلق القتال بنت ورقاء وهي حامل فولدت له بعد طلاقها المسيب ابنه

وقال السكري في خبره فقال القتال في ذلك

(ولَمَّا أنْ رأيْتُ بني حُصَيْنٍ ... بِهم جنَفٌ إلى الجاراتِ بادِ)
(خَلَعْتُ عِذارها ولَهِيتُ عنها ... كما خُلِعَ العِذارُ من الجوادِ)
(وقلت لها : عليكِ بني حُصَيْنٍ ... فما بيني وبينكِ من عوادِ)
(أُناديها بأسفلِ وارداتٍ ... نَكِدتَ أبا المُسَيَّب من تُنَادِي ؟)

وفي رواية السكري

(أُناديها وما يومٌ كيومٍ ... قضى فيه امرؤٌ وَطَرَ الفُؤادِ)
((فرُحْتُ كأنَّني سيفٌ صَقيلٌ ... وعزَّت جارةُ ابنِ أبي قُرادِ

جرير يضرب أنف القتال

قال ثم إن كلاب بن ورقاء بن حذيفة بن عمار بن ربيعة بن كعب بن عبد بن أبي بكر نحر جزورا وصنع طعاما وجمع القوم عليه وقال كلوا أيها الفتيان فإن الطعام فيكم خير منه في الشيوخ

فقال القتال أنا والله خير للفتيان منك أرى المرأة قد أعجبت أحدهم فأطلقها له

وفي القوم جرير بن الحصين الذي كان وجده عند امرأته فرفع جرير السوط فضرب به أنف القتال

ثم إنهم أعطوا القتال حقه فلم يقبله حتى أدرك ابناه المسيب وعبد السلام

وقال السكري حتى احتلم ولده الأربعة وهم حبيب وعبد الرحمن وعبد الحي وعمير وأمهم ريا بنت نفر بن عامر بن كعب بن أبي بكر فحملهم على الخيل حين أظلم الليل ثم أتى بهم بني حصين فلقي لقاحا لهم ثمانين فأشمرها وبات يسوقها لا تتخلف ناقة إلا عقرها حتى حبسها على الحصى حين طلعت الشمس والحصى ماء لعبد الله بن أبي بكر فحبسها وزجرهم عنها حتى جاء بنو حصين فعقلوا له من ضربته أربعين بكرة وأهدرت الضربة وإنما أخذ الأربعين بكرة مكرها لأن قومه أجبروه على ذلك

قال شداد وفي ابنه عبد السلام يقول

(عبدَ السَّلامِ تأمَّل هل ترى ظُعُناً ... إني كبِرتُ وأنت اليوم ذو بَصَر)
(لا يُبعِدِ اللَّهُ فتياناً أقول لهم ... بالأبْرقِ الفردِ لمّا فاتني نظري)
(يا هَلْ تَرَوْن بأعلى عاصمٍ ظُعناً ... نكَّبْنَ فحْلَيْنِ وَاسْتَقبلْن ذا بَقرِ)
(صلِّى على عمرةَ الرحمنُ وابنتِها ... ليلى وصلَّى عَلَى جاراتها الأُخَرِ)
(هُنَّ الحرائِرُ لا ربَّاتُ أحمرةٍ ... سودُ المحاجِرِ لا يقرأنَ بالسُّورِ)

قال أبو زيد وحدثني شداد بن عقبة قال

أتى الأخرم بن مالك بن مطرف بن كعب بن عوف بن عبد بن أبي بكر ومحصن بن الحارث بن الهصان في نفر من بني أبي بكر القتال وهو محبوس فشرطوا عليه ألا يذكر عالية في شعره وهي التي ينسب بها في أشعاره فضمن ذلك لهم فأخرجوه من السجن عشاء ثم راح القوم من السجن وراح القتال معهم حتى إذا كان في بعض الليل انحدر يسوق بهم ويقول

(... قلتُ له يا أخرمُ بنَ مالِ)
(... إن كنت لم تُزْرِ على وصالِي)
(... ولم تجِدْني فاحِشَ الخلال)
(... فارفعْ لنا من قُلُصٍ عِجال)
(... مُستوسِقاتٍ كالقطا عِبال)
(...لعلنا نطْرُقُ أُمَّ عال)

(... (تخيَّري خُيِّرتِ في الرِّجال
(... بين قصيرٍ باعُهُ تِنبالِ)
(... وأمُّهُ راعيةُ الجمال)
(... تَبيتُ بين القِدْرِ والجِعالِ)
(... أذاكَ أم مُنْخرقِ السِّرْبالِ)
(... كريمِ عمٍّ وكريمِ خالِ)
(... مُتلِفُ مالٍ ومُفيدُ مالِ)
(... ولا تزالُ آخرَ الليالي)
(... قَلوصُهُ تعثرُ في النِّقال)
النقال المناقلة
قال شداد فنزل القوم فربطوه ثم آلوا ألا يحلوه حتى يوثق لهم بيمين ألا يذكرها أبدا ففعل وحلوه
قال وهي امرأة من بني نصر بن معاوية وكانت زوجة رجل من أشراف الحي
يقتل جارية عمه
قال وحدثني أبو خالد قال
كانت لعم القتال سرية فقال له القتال لا تطأها فإنا قوم نبغض أن تلد فينا الإماء فعصاه عمه فضربها القتال بسيفه فقتلها فادعى عمه أنه قتلها وفي بطنها جنين منه فمشى القتال إليها فأخرجها من قبرها
وذهب معه بقوم عدول وشق بطنها وأخرج رحمها حتى رأوه لا حمل فيه فكذبوا عمه فقال في ذلك
(أنا الذي انتَشلْتُها انتِشالاَ ... ثمَّ دعوتُ غِلمةً أزْوالا)
(... فصدَعُوا وكذَّبوا ما قالا)
قال وأنشدني له أيضا
(أنا الذي ضربتُها بالمُنْصُلِ ... عند القُرَيْنِ السائلِ المفضَّلِ)
(... ضَرْباً بكفَّيْ بَطَلٍ لم يَنْكُلِ)
يقول أنا ابن فارس وابن فارس
وقال السكري في روايته
أراد القتال أن يتزوج بنت المحلق بن حنتم فتزوجها عبد الرحمن بن صاغر البكائي فلقي مولاة لها يقال لها جون فقال لها ما فعلت قالت تزوجها عبد الرحمن بن صاغر فقال ما لها ولعبد الرحمن فقالت له ذاك ابن فارس عراد
قال فأنا ابن فارس ذي الرحل وأنا ابن فارس العوجاء ثم انصرف وأنشأ يقول
(يا بنتَ جَونٍ أبانَتْ بنتُ شدَّادِ ؟ ... نَعم لعمري لِغَوْرٍ بعدَ إنجادِ)
(لمَطْلَعِ الشَّمْسِ ما هذا بمُنْحَدَرٍ ... نحوَ الرّبيعِ ولا هذا بإصعادِ)
(قالت فوارسُ عَرّادٍ فقلتُ لها : ... وفيمَ أمِّيَ من فُرسانِ عَرّادِ)
(فُرسانُ ذي الرَّحْلِ والعوجاءِ وابنَتِها ... فِدًى لهم رهطُ رَدَّادٍ وشدّادِ)
والقصيدة التي في أولها الغناء المذكور يقولها القتال يحض أخاه وعشيرته
على تخلصه من المطالبة التي يطالب بها في قتل زياد بن عبيد الله واحتمال العقل عنه ويلومهم في قعودهم عن المطالبة بثأر لهم قبل بني جعفر بن كلاب
وكان السبب في ذلك فيما ذكره عمر بن شبة عن حميد بن مالك عن أبي خالد الكلابي قال
كان عمرو بن سلمة بن سكن بن قريظ بن عبد بن أبي بكر أسلم فحسن إسلامه ووفد إلى النبي فاستقطعه حمى بين الشقراء والسعدية والسعدية ماء لعمرو بن سلمة والشقراء ماء لبني قتادة بن سكن بن قريظ وهي رحبة طولها تسعة أميال في ستة أميال فأقطعه إياها فأحماها ابنه جحوش فاسترعاه نفر من بني جعفر بن كلاب خيلهم وفيهم أحدر بن بشر بن عامر بن مالك بن جعفر فأرعاهم فحملوا نعمهم مع خيلهم بغير إذنه فأخبر بذلك فغضب وأراد إخراجهم منه فقاتلوه فكانت بينهم شجاج بالعصي والحجارة من غير رمي ولا طعان ولا تسايف فظهر عليهم جحوش ثم تداعوا إلى الصلح ومشت السفراء بينهم على أن يدعوا جميعا الجراحات فتواعدوا للصلح بالغداة وأخ لجحوش يقال له سعيد في حلقه سلعة وهو شنج متنح عن الحي عند امرأة من بني أبي بكر ترقيه فرجع إلى أخيه ومعه رجلان من قومه يقال لأحدهما محرز بن يزيد وللآخر الأخدر بن الحارث فلقيهم قراد بن الأخدر بن بشر بن عامر بن مالك وابن عمه أبو ذر بن أشهل ورجل آخر من الجعفريين فحمل قراد على سعيد فطعنه فقتله فحذف محرز ابن يزيد فرس قراد فعقرها فأردفه أبو ذر خلفه ولحقوا بأصحابهم الجعفريين
وأوقد جحوش بن عمرو نار الحرب في رأس جرعاء طويلة فاجتمعت إليه بنو أبي بكر وخرج قراد هاربا إلى بشر بن مروان وهو ابن عمته حتى إذا كان بالقنان حميت عليه الشمس فأناخ إلى بيت امرأة من بني أسد فقال في بيتها فبينا هو نائم إذ نبهته الأسدية فقالت له ما دهاك ويحك انظر إلى الطير تحوم حول ناقتك فخرج يمشي إلى ناقته فإذا هي قد خدجت والطير تمزق ولدها فجاء فأخبرها فقالت إن لك لخبرا فأصدقني عنه فلعلّه أن يكون لك فيه فائدةٌ فأخبرها أنه مطلوب بدم فهو هارب طريد قالت فهل وراءك أحد تشفق عليه فقال أخ لي يقال له جبأة وهو أحب الناس إلي
قالت فإنه في أيدي أعدائك فارجع أو امض فخرج لوجهه إلى بشر
قال ولما حرض القتال قومه على الطلب بثأرهم في الجعفريين وعيرهم بالقعود عنهم مضى جميعهم لقتال بني جعفر فقال لهم الجعفريون يا قومنا ما لنا في قتالكم حاجة وقاتل صاحبكم قد هرب وهذا أخوه جبأة فاقتلوه فرضوا بذلك فأخذوا جبأة فلما صاروا بأسود العين قدمه جحوش فضرب عنقه بأخيه سعيد
قصيدة تحريض
ومما قاله القتال في تحريضهم في قصيدة طويلة
(فيا لأبي بكر ويا لجحَوَّشٍ ... وللّهِ مَوْلى دَعوةٍ لا يُجابُها)
(أفي كلِّ عامٍ لا تزالُ كتيبةٌ ... ذُؤَيْبيَّةٌ تهفو عليكم عُقابُها)
(لهم جَزَرٌ منكم عَبِيطٌ كأنَّه ... وقاعُ الملوكِ فتكُها واغتصابُها)

((وأنتمْ عديدٌ في حديدٍ وشِكَّةٍ ... وغابِ رِماحٍ يوجِفُ القلبَ غابُها
(يُسقَّى ابن بِشرٍ ثم يَمسحُ بطنَه ... وحوْلي رجالٌ ما يسوغُ شرابُها)
(فما الشرّ كلّ الشرِ لا خيرَ بعْده ... على الناسِ إلاّ أن تذلّ رقابُها)
(نساء ابن بِشرٍ بُدَّنٌ ونساؤنا ... بَلايا عليها كلّ يومٍ سِلابُها)
(تنام فتقضي نوْمةَ الليل عِرسُه ... وأمُّ سعيدٍ ما تنامُ كِلابُها)
(فإن نحن لم نغضب لهم فنثِيبهم ... وكلّ يدٍ موفٍ إلينا ثوابُها)
(فنحنُ بنو اللائي زعمتُم وأنتم ... بنُو مُحصناتٍ لم تدنَّسْ ثِيابُها)
صوت
(ألا للّهِ دَرُّكَ مِنْ ... فتًى قَوْمٍ إذا رَهِبُوا)
(وقالوا : منْ فَتىً للحَرْب ... يَرقُبنا ويرتَقِبُ)
(فكنتَ فتَاهمُ فيها ... إذا يُدعَى لها يِثِبُ)
(ذكرتُ أخي فعاودَني ... صُداعُ الرّأسِ والوَصبُ)
(كما يعتادُ ذاتُ البَوّ ... بعد سُلوّها الطَّرب)
(فدمْعُ العيْنِ من بُرحاءِ ... ما في الصّدرِ يَنْسَكِبُ)
(كما أودَى بماءِ الشَّنَّة ... المخْروزَة السَّرِب)
(على عَبْدِ بن زهرة طُولَ ... هذا اللّيل أكْتئبُ)
الشعر لأبي العيال الهذلي والغناء لمعبد ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق وابن المكي وغيرهما مما لا يشك فيه من صنعته وفي
الثالث والرابع من الأبيات لمالك خفيف ثقيل عن الهشامي ومن الناس من ينسبه إلى معبد أيضا وفي الأول والثاني والثالث لمعبد أيضا خفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة وذكر الهشامي وحماد بن إسحاق أنه لابن عائشة وفيه لمالك هزج بالبنصر فيما ذكر حبش
أخبار أبي العيال ونسبه
أبو العيال بن أبي عنترة وقال أبو عمرو الشيباني ابن أبي عنبر بالباء ولم أجد له نسبا يتجاوز هذا في شيء من الروايات وهو أحد بني خناعة بن سعد ابن هذيل وهذا أكثر ما وجدته من نسبه شاعر فصيح مقدم من شعراء هذيل مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ثم أسلم فيمن أسلم من هذيل وعمر إلى خلافة معاوية
وهذه القصيدة يرثي بها ابن عمه عبد بن زهرة ويقال إنه كان أخاه لأمه أيضا
كتب قصيدة فأبكى معاوية والناس
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي فيما قرأته عليه من شعر هذيل عن الرياشي عن الأصمعي
ونسخت أيضا خبره الذي أذكره من نسخة أبي عمرو الشيباني قالا كان عبد بن زهرة غزا الروم في أيام معاوية
وقال أبو عمرو خاصة مع يزيد بن معاوية في غزاته التي أغزاه أبوه إياها فأصيب في تلك الغزاة جماعة من المسلمين من رؤسائهم وحماتهم وكانت شوكة الروم شديدة قتل فيها عبد العزيز بن زرارة الكلابي وعبد بن زهرة
الهذلي وخلق من المسلمين ثم فتح الله عليهم وكان أبو العيال حاضرا تلك الغزاة فكتب إلى معاوية قصيدة قرأها وقرئت على الناس فبكى الناس وبكى معاوية بكاء شديدا جزعا لما كتب به
والقصيدة
(مِنَ أبي العِيالِ أخي هُذَيْلٍ فاعْلَموا ... قولي ولا تتجمجَمُوا ما أرسِلُ)
(أبلِغ مُعاويةَ بنَ صَخْرٍ آيةً ... يَهوي إليه بها البَريدُ الأعجلُ)
(والمرءَ عَمراً فأته بصحِيفَةٍ ... مِنّي يَلُوح بها كتابٌ منْمَلُ)
لا تتجمجموا لا تكتموا
والمنمل كأن سطوره آثار نمل
(وإلى ابنِ سَعْدٍ إنْ أُوخِّرْه فَقد ... أزرَى بنا في قَسْمه إذْ يَعْدِلُ)
(وإلى أُولي الأحْلام حيثُ لقيتَهم ... أهلِ البَقيّةِ والكتابُ المُنزَلُ)
في ديوان الرجل حيث البقية والكتاب المنزل
(أنّا لقِينا بعدكم بديارنا ... من جانَبِ الأمراجَ يوماً يُسألُ)
(أمراً تَضِيقُ به الصُّدورُ ودُونَه ... مُهجُ النُّفوسِ وليس عنه مَعْدِلُ)
(في كلِّ مُعتَركٍ تَرَى مِنّا فتًى ... يَهْوِي كعزلاءِ المَزادةِ تُزغِلُ)
تزغل تدفع دفعا
(أو سَيِّداً كَهْلاً يَمُور دِماغُه ... أو جانِحاً في رأسِ رُمْحٍ يَسْعُلُ)
يسعل يشرق بالدم
(وتَرَى النِّبالَ تَعِيرُ في أقْطارِنا ... شُمْساً كأنَّ نِصالَهُنّ السُّنْبُلُ)
(وتَرَى الرِّماحَ كأنّما هي بيْنَنا ... أشْطانُ بئرٍ يُوغلُون ويُوغِل)
(حتى إذا رَجَبٌ تَولّى فانْقضَى ... وجُمادَيانِ وجاءَ شهْرٌ مُقْبِلُ)
(شعْبانُ قَدَّرْنا لوقْتِ رَحِيلِهم ... تِسعاً يُعَدّ لها الوفاءُ وتَكمُلُ)
(وتَجرَّدت حربٌ يكونُ حِلابُها ... عَلَقاً ويَمريهَا الغَوِيُّ المُبطِلُ)
(فاستَقبَلُوا طرفَ الصَّعِيدِ إقامةً ... طوراً وطوراً رحْلَةً فتحمَّلُوا)
قصيدة بدر بن عامر
قال الأصمعي وأبو عمرو
وكان أبو العيال وبدر بن عامر وهما جميعا من بني خناعة بن سعد بن هذيل يسكنان مصر وكانا خرجا إليها في خلافة عمر بن الخطاب رضوان الله عليه وأبو العيال معه ابن أخ له فبينا ابن أخي أبي العيال قائم عند قوم ينتضلون إذ أصابه سهم فقتله فكان فيه بعض الهيج فخاصم في ذلك أبو العيال واتهم بدر بن عامر وخشي أن يكون ضلعه مع خصمائه

فاجتمعا في ذلك في مجلس فتناشا فقال بدر بن عامر
(بَخِلت فُطَيْمةُ بالذي تُولِيني ... إلا الكلامَ وقلَّ ما يُجدِيني)
(ولقدْ تَناهى القلبُ حين نَهيتُه ... عنها وقد يَغوي إذا يَعصِيني
(أفُطَيْمُ هل تدْرين كم من مَتلفٍ ... جاوزتِ لا مرعًى ولا مسكون ؟)
يقول فيها
(وأبو العِيال أخِي وَمَنْ يَعْرِضْ له ... منكم بسُوءٍ يُؤْذِني ويَسُوني)
(إنِّي وجدتُ أبا العِيال ورهطَه ... كالحِصْن شُدَّ بجَنْدَلٍ مَوْضُون)
(أعْيا الغَرانيقَ الدّواهيَ دونه ... فتركْنَه وأبَرّ بالتّحْصِين)
(أسدٌ تفرُّ الأُسْدُ من وثباتِه ... بعوارض الرُّجّاز أو بعُيون)
(ولِصَوْتِه زَجَلٌ إذا آنستَه ... جَرّ الرَّحى بشَعيره المطحُونِ)
(وإذا عَددْتَ ذوي الثِّقات وجدتَه ... ممَّنْ يَصُول به إليّ يميني)
فأجابه أبو العيال فقال
(إن البَلاءَ لدى المَقاوِس مُعرِضٌ ... ما كان من غَيْبٍ ورجْم ظُنُونِ)
في الديوان لدى المقاوس مخرج والمقوس الحبل الذي يمد به على صدور الخيل أي فما كان عنده من خير أو شر فسيخرج عند الرهان والعدو
(وإذا الجوادُ وَنى وأخلف مِنْسَراً ... ضُمُراً فلا تُوقِنْ له بيقين)
(لو كان عِنْدَك ما تقولُ جعلتَني ... كنزاً لرَيْبِ الدَّهْرِ غيرَ ضَنين)
(وَلقد رَمقْتُك في المَجالسِ كلِّها ... فإذا وأنت تُعِينُ مَنْ يبغيني)
(هَلاّ درأْتَ الخَصمَ حين رأيتهم ... جَنَفاً عليَّ بألسُنٍ وعيون)
(وزجرتَ عنّي كلَّ أشْوَسَ كاشِحٍ ... ترع المقالةِ شامخ العِرْنين
فأجابه بدر بن عامر فقال
(أقسمتُ لا أنسَى مَنيحَةَ واحدٍ ... حتى تَخَيَّطَ بالبيَاضِ قُروني)
(حتى أصِير بمسكْنٍ أثوي به ... لِقرارِ مُلْحَدَةِ العَداءِ شَطُون)
(ومنَحْتَني جدّاء حين منحتني ... شَحَصاً بمالِئَة الحِلاب لَبُونِ)
الشحص ما ليس فيه لبن من المال
(وحَبَوتُك النُّصْحَ الذي لا يُشتَرَى ... بالمال فانْظُرْ بعْدُ ما تَحبُوني)
(وتأمَّلِ السِّبتَ الذي أحذُوكه ... فانْظر بمثل إمامِه فاحذُوني)
فأجابه أبو العيال
(أقسمتُ لا أنسَى شبابَ قَصيدةٍ ... أبداً فما هذَا الذي يُنسينِي)
(ولَسوف تَنْساها وتعلم أنَّها ... تَبعٌ لآبيةِ العِصابِ زَبُون)
(ومَنَحْتني فَرضِيتَ رأيَ مَنيحَتي ... فإذا بِها وَاللّهِ طيفُ جُنُون)
(جهراءُ لا تألو إذا هي أظْهَرت ... بَصَراً ولا من حاجة تُغْنِيني)
(قَرِّبْ حِذاءَك قاحلا أو لَيِّناً ... فتمنَّ في التَّخْصِيرِ وَالتَّلْسِين)
(وارجع منِحتَك الّتي أتْبعْتها ... هُوعاً وَحَدّ مُذَلَّقٍ مسنُون
ولهما في هذا المعنى نقائض طوال يطول ذكرها وليست لها طلاوة إلا ما يستفاد في شعر أمثالهما من الفصاحة وإنما ذكرت ما ذكرت ها هنا منها لأني لم أجد لهذا الشاعر خبرا غير ما ذكرته
صوت
(ألم تسأل بعارمةَ الدِّيارا ... عن الحَيِّ المفارِق أين سارا ؟)
(بل ساءَلتُها فأبتْ جواباً ... وكيف سُؤالك الدِّمَن القِفَارا ؟)
الشعر للراعي والغناء لإسحاق خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو وابن جامع وإسحاق

نسب الراعي وأخباره

هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل بن قطن بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر
ويكنى أبا جندل والراعي لقب غلب عليه لكثرة وصفه الإبل وجودة نعته إياها
وهو شاعر فحل من شعراء الإسلام وكان مقدما مفضلا حتى اعترض بين جرير والفرزدق فاستكفه جرير فأبى أن يكف فهجاه ففضحه
وقد ذكرت بعض أخباره في ذلك مع أخبار جرير وأتممتها هنا

قصيدة يمدح بها سعيد بن عبد الرحمن

وقصيدة الراعي هذه يمدح بها سعيد بن عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ابن أبي العيص بن أمية وفيها يقول
(تُرجِّي من سَعيدِ بني لُؤيٍّ ... أخِي الأعْياص أنواءً غِزارا)
(تلقَّى نَوْأهُنَّ سِرارَ شَهْرٍ ... وخَيرُ النَّوء ما لقِي السِّرارا)
(خَليل تَعْزُبُ العِلاَّتُ عنه ... إذا ما حانَ يوماً أن يُزارا
(متى ما تأتِه ترجو نداهُ ... فلا بُخْلاً تَخَافُ ولا اعْتِذارا)
(هو الرَّجلُ الذي نَسبت قُريشٌ ... فَصارِ المجدُ فيها حيْثُ صارا)
(وأنضاءٍ تَحِنّ إلى سَعيدٍ ... طُروقاً ثم عَجَّلن ابْتِكارا)
(على أكْوارِهنَّ بنو سَبيلٍ ... قليلٌ نومُهم إلا غِرارا)
(حَمِدْنَ مَزاره ولقِين منه ... عَطاءً لم يكن عِدَةً ضِمارا)
يسيء إلى جرير بعد أن يقضي للفرزدق عليه
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا الحسن بن الحسين السكري عن الرياشي عن الأصمعي قال

وذكره المغيرة بن حجناء قال حدثني أبي عن أبيه قال
كان راعي الإبل يقضي للفرزدق على جرير ويفضله وكان راعي الإبل قد ضخم أمره وكان من أشعر الناس فلما أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال ألا تعجبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق علي ويفضله وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم قال جرير
ثم ضربت رأيي فيه فخرجت ذات يوم أمشي إليه
قال ولم يركب جرير دابته وقال والله ما يسرني أن يعلم أحد بسيري إليه
قال وكان لراعي الإبل وللفرزدق وجلسائهما حلقة بأعلى المربد بالبصرة يجلسون فيها
قال فخرجت أتعرض لها لألقاه من حيال حيث كنت أراه
ثم إذا انصرف من مجلسه لقيته وما يسرني أن يعلم أحد حتى إذا هو قد مر على بغلة له وابنه جندل يسير وراءه راكبا مهرا له أحوى محذوف الذنب وإنسان يمشي معه ويسأله عن بعض السبب فلما استقبلته قلت له مرحبا بك يا أبا جندل وضربت بشمالي إلى معرفة بغلته ثم قلت يا أبا جندل إن قولك يستمع وإنك تفضل علي الفرزدق تفضيلا قبيحا وأنا أمدح قومك وهو يهجوهم وهو ابن عمي وليس منك ولا عليك كلفة في أمري معه وقد يكفيك من ذلك هين وأن تقول إذا ذكرنا كلاهما شاعر كريم فلا تحمل منه لائمة ولا مني قال فبينا أنا وهو كذلك وهو واقف علي لا يرد جوابا لقولي إذ لحق بالراعي ابنه جندل فرفع كرمانية معه فضرب بها عجز بغلته ثم قال أراك واقفا على كلب بني كليب كأنك تخشى منه شرا أو ترجو منه خيرا فضرب البغلة ضربة شديدة فزحمتْني زحمة وقعت منها قلنسوتي فوالله لو يعوج علي الراعي لقلت سفيه غوي يعني جندلا ابنه ولكنه لا والله ما عاج علي فأخذت قلنسوتي فمسحتها وأعدتها على رأسي وقلت
(أجندلُ ما تَقولُ بَنُو نُميْر ... إذا ما الأيرُ في اسْتِ أبيكَ غابا)
قال فسمعت الراعي يقول لابنه أما والله لقد طرحت قلنسوته طرحة مشؤومة قال جرير ولا والله ما كانت القلنسوة بأغيظ أمره إلي لو كان عاج علي
حول قصيدته فغض الطرف
فانصرف جرير مغضبا حتى إذا صلى العشاء ومنزله في علية قال ارفعوا
إلي باطية من نبيذ وأسرجوا لي فأسرجوا له وأتوه بباطية من نبيذ فجعل يهينم فسمعته عجوز في الدار فطلعت في الدرجة حتى إذا نظرت إليه فإذا هو على الفراش عريان لما هو فيه فانحدرت فقالت ضيفكم مجنون رأيت منه كذا وكذا فقالوا لها اذهبي لطيتك نحن أعلم به وبما يمارس فما زال كذلك حتى كان السحر فإذا هو يكبر قد قالها ثمانين بيتا فلما بلغ إلى قوله
(فغُضَّ الطَّرفَ إنّكَ مِنْ نُمَيْرٍ ... فلا كَعْباً بَلَغْتَ ولا كِلاَبَا)
فذاك حين كبر ثم قال أخزيته والله أخزيته ورب الكعبة ثم أصبح حتى إذا عرف أن الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمربد وكان جرير يعرف مجلس الراعي ومجلس الفرزدق فدعا بدهن فادهن وكف رأسه وكان حسن الشعر ثم قال يا غلام أسرج لي فأسرج له حصانا ثم قصد مجلسهم حتى إذا كان بموضع السلام لم يسلم ثم قال يا غلام قل لعبيد الراعي أبعثتك نسوتك تكسبهن المال بالعراق والذي نفس جرير بيده لترجعن إليهن بما يسوءهن ولا يسرهن ثم اندفع في القصيدة فأنشدها فنكس الفرزدق رأسه وأطرق راعي الإبل فلو انشقت له الأرض لساخ فيها وأرم القوم حتى إذا فرغ منها سار فوثب راعي الإبل من ساعته فركب بغلته بشر وعر وتفرق أهل المجلس وصعد الراعي إلى منزله الذي كان ينزله ثم قال لأصحابه ركابكم ركابكم فليس لكم ها هنا مقام فضحكم والله جرير فقال له بعضهم ذلك شؤمك وشؤم جندل ابنك قال فما اشتغلوا بشيء غير ترحلهم قالوا فسرنا والله إلى أهلنا سيرا ما ساره أحد
وهم بالشريف وهو أعلى دار بني نمير فحلف راعي الإبل أنهم وجدوا في أهلهم قول جرير
(... فغُضّ الطّرَف إنّكَ من نُمَيْرٍ)
يتناشده الناس وأقسم بالله ما بلغه إنسان قط وإن لجرير لأشياعا من الجن فتشاءمت به بنو نمير وسبوه وسبوا ابنه فهم إلى الآن يتشاءمون بهم وبولدهم
وأخبرني بهذا الخبر عمي قال حدثنا الكراني قال حدثني النضر بن عمرو عن أبي عبيدة بمثله أو نحو منه وقال في خبره أجئت توقر إبلك لنسائك برا وتمرا والله لأحملن إلى أعجازها كلاما يبقى ميسمه عليهن ما بقي الليل والنهار يسوؤك وإياهن استماعه
وقال في خبره أيضا
فلما قال
(... فَغُضّ الطّرفَ إنّكَ من نُمَير)
وثب وثبة دق رأسه السقف فجاء له صوت هائل وسمعت عجوز كانت ساكنة في علو ذلك الموضع صوته فصاحت يا قوم ضيفكم والله مجنون فجئنا إليه وهو يحبو ويقول غضضته والله أخزيته والله فضحته ورب الكعبة فقلت له ما لك يا أبا حزرة فأنشدنا القصيدة ثم غدا بها عليه
الحجاج يسأل جريرا عمن هجاه من الشعراء
وذكر ابن الكلبي عن النهشلي عن مسحل بن كسيب عن جرير في خبره مع الحجاج لما سأله عمن هجاه من الشعراء قال
قال لي الحجاج ما لك وللراعي فقلت أيها الأمير قدم البصرة وليس بيني وبينه عمل فبلغني أنه قال في قصيدة له
(يا صاحبيّ دنَا الرّواحُ فَسِيرا ... غَلَبَ الفرزْدقُ في الهجاء جريرا)
وقال أيضا في كلمة له
(رأيتُ الجَحْشَ جَحْشَ بنِي كُلَيبٍ ... تَيَمّم حَوْض دِجلة ثم هابا)
فأتيته وقلت يا أبا جندل إنك شيخ مضر وقد بلغني تفضيلك الفرزدق علي فإن أنصفتني وفضلتني كنت أحق بذلك لأني مدحت قومك وهجاهم
وذكر باقي الخبر نحوا مما ذكره من تقدم وقال في خبره
فقلت له إن أهلك بعثوك مائرا وبئس والله المائر أنت وإنما بعثني أهلي لأقعد لهم على قارعة هذا المربد فلا يسبهم أحد إلا سببته فإن علي نذرا إن كحلت عيني بغمض حتى أخزيك فما أصبحت حتى وفيت بيميني قال ثم غدوت عليه فأخذت

بعنانه فما فارقني حتى أنشدته إياها فلما بلغت قولي
(أجَندلُ ما تَقولُ بَنُو نُميْرٍ ... إذَا ما الأيرُ في اسْتِ أَبيكِ غَابا ؟)
قال فأرسل يدي ثم قال يقولون شرا والله

جرير يهجوه أمام الفرزدق

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسن بن الحرون قال قال أبو عبيدة
أنشد جرير الراعي هذه القصيدة والفرزدق حاضر فلما بلغ فيها قوله
(... بها بَرَصٌ بأسفل إسكَتَيْها)
غطى الفرزدق عنفقته بيده فقال جرير
(... كَعَنْفقةِ الفَرَزْدق حينَ شَابا)
فقال الفرزدق أخزاك الله والله لقد علمت أنك لا تقول غيرها قال فسمع رجل كان حاضرا أبا عبيدة يحدث بها فحلف يمينا جزما أن الفرزدق لقن جريرا هذا المصراع بتغطية عنفقته ولو لم يفعل لما انتبه لذلك وما كان هذا بيتا قاله متقدما وإنما انتبه لذلك
أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني أبو الغراف قال
الذي هاج التهاجي بين جرير والراعي أن الراعي كان يسأل عن جرير والفرزدق
فيقول الفرزدق أكرمهما وأشعرهما فلقيه جرير فاستعذره من نفسه
ثم ذكر باقي الخبر مثل ما تقدم وزاد فيه
أن الراعي قال لابنه جندل لما ضرب بغلته
(ألم تَر أنّ كلبَ بَني كُليبٍ ... أراد حِياضَ دِجلةَ ثم هابا)
ونفرت البغلة فزحمته حتى سقطت قلنسوة جرير فقال الراعي لابنه أما والله لتكونن فعلة مشؤومة عليك وليهجوني وإياك فليته لا يجاوزنا ولا يذكر نسوتنا
وعلم الراعي أنه قد أساء وندم فتزعم بنو نمير أنه حلف ألا يجيب
جريرا سنة غضبا على ابنه وأنه مات قبل أن تمضي سنة ويقول غير بني نمير إنه كمد لما سمعها فمات كمدا

يعترف بتفوق جرير عليه في الهجاء

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي وأبو الحسن علي بن سليمان الأخفش قالا حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب وإبراهيم بن سعدان عن أبي عبيدة وسعدان والمفضل وعمارة بن عقيل وأخبرنا به أبو خليفة عن محمد ابن سلام عن أبي البيداء قالوا جميعا
مر راكب بالراعي وهو يتغنى
(وعاوٍ عوى من غير شيءٍ رميتُه ... بقافيةٍ أنفاذُها تقطرُ الدّما)
(خَروجٍ بأفْواهِ الرُّوَاةِ كأنَّها ... قَرَا هُندُوَانيٍّ إذا هُزّ صمَّما)
فسمعها الراعي فأتبعه رسولا وقال له من يقول هذين البيتين
قال جرير فقال الراعي أألام أن يغلبني هذا والله لو اجتمع الجن والأنس على صاحب هذين البيتين ما أغنوا فيه شيئا
قال ابن سلام خاصة في خبره وهذان البيتان لجرير في البعيث وكذلك كان خبره معه اعترضه في غير شيء
أخبرنا أبو خليفة قال أخبرنا محمد بن سلام قال
كان الراعي من رجال العرب ووجوه قومه وكان يقال له في شعره كأنه يعتسف الفلاة بغير دليل أي أنه لا يحتذي شعر شاعر ولا يعارضه وكان مع ذلك بذيا هجاء لعشيرته فقال له جرير
(وَقَرْضُكَ في هَوازنَ شرُّ قرضٍ ... تهجّنُهم وتَمتْدحُ الوطابَا)
نسب بامرأة من بني عبد شمس
أخبرنا أبو خليفة قال أخبرنا محمد بن سلام قال قال أبو الغراف
جاور راعي الإبل بني سعد بن زيد مناة بن تميم فنسب بامرأة منهم من بني عبد شمس ثم أحد بني وابشي فقال
(بَني وَابِشيٍّ قد هَوينا جوارَكُم ... وما جمعتْنا نِيَّةٌ قبلَها معا)
(خَلِيطَيْن من حيّين شتَّى تجَاورَا ... جَميعاً وكانا بالتَّفرُّق أمتعَا)
(أرَى أهلَ ليلَى لا يبالي أميرُهم ... على حالة المحزُون أن يَتصدّعا)
وقال فيها أيضا
صوت
(تذكَّر هذا القلبُ هِندَ بنِي سَعْدٍ ... سَفاهاً وجَهْلاً ما تَذكَّرَ منْ هِنْدٍ)
(تذكَّرَ عَهداً كان بَيْنِي وبيْنَها ... قَديِماً وهل أبقت لك الحربُ من عَهدٍ ؟)
في هذين البيتين لحن من الثقيل الأول بالوسطى وذكر الهشامي أنه لنبيه وذكر قمري وذكاء وجه الرزة أنه لبنان
قال ابن سلام
فلما بلغهم شعره أزعجوه وأصابوه بأذى فخرج عنهم وقال فيهم
((أرَى إبلي تكالأ راعِياهَا ... مخافَة جارِها الدَّنِسِ الذَّمِيمِ
(وقد جاورتُهم فرأيت سُعْداً ... شَعَاعَ الأمرِ عازِبةَ الحُلُومِ)
(مغَانِيم القرى سرِقاً إذا ما ... أجنَّتْ ظُلمةُ اللَّيلِ البَهيمِ)
(فأُمِّي أرضَ قوْمك إنّ سعْداً ... تحمّلت المخازيَ عن تَميمِ)
أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام عن عبد القاهر بن السري قال
وفد الراعي إلى عبد الملك بن مروان فقال لأهل بيته تروحوا إلى هذا الشيخ فإني أراه منجبا
أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن يونس قال
قدم جندل بن الراعي على بلال بن أبي بردة وقد مدحه وكان يكثر ذكر أبيه ووصفه فقال له بلال
أليس أبوك الذي يقول في بنت عمه وأمها امرأة من قومه
(فلمَّا قضتْ من ذِي الأراكِ لُبانَةَ ... أرادَتْ إلينا حاجةً لا نُريدُها)

وقد كان بعد هجاء جرير إياه مغلبا فقال له جندل لئن كان جرير غلبه لما أمسك عنه عجزا ولكنه أقسم غضبا علي ألا يجيبه سنة فأين أنت عن قوله في عدي بن الرقاع العاملي
(لو كنتَ من أحدٍ يُهجَى هجَوْتُكم ... يا بن الرقاع ولكن لستَ من أحد
(تأبَى قُضاعةُ لم تعرف لكم نسباً ... وابنا نِزارٍ وأنتم بيضةُ البَلَد)
قال فضحك بلال وقال له أما في هذا فقد صدقت
يترفع عن طلب حاجة لنفسه
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وعمي قالا حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن عن ابن عائشة قال
لما أنشد عبيد بن حصين الراعي عبد الملك بن مروان قوله
(فإنْ رفعتَ بهم رأساً نَعَشتَهمُ ... وإن لَقوا مثلَها من قابلٍ فسدُوا)
قال له عبد الملك فتريد ماذا قال ترد عليهم صدقاتهم فتنعشهم فقال عبد الملك هذا كثير قال أنت أكثر منه قال قد فعلت فسلني حاجة تخصك قال قد قضيت حاجتي
قال سل حاجتك لنفسك قال ما كنت لأفسد هذه المكرمة
حدثني أحمد بن محمد بن سعيد الهمذاني قال حدثنا يحيى بن الحسن العلوي قال حدثنا إسماعيل بن يعقوب عن عثمان بن نمير عن أبيه قال
كنت عند العباس بن محمد في يوم شات فدخل عليه موسى بن عبد الله بن حسن فقال له العباس بن محمد يا أبا الحسن ما لي أراك متغيرا فقال له موسى والله إني لأعرق مما كان اليوم قال وما كان يا أبا الحسن فقال ذاك أن أمير المؤمنين أخرج لي وللعباس بن الحسن خمسين ألفا للعباس منها ثلاثون ألفا والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا ما قال أخو بني العنبر وجاور
هو وراعي الإبل في بني سعد بن زيد مناة فكانوا إذا مدحهم الراعي أخذوا مال العنبري فأعطوه الراعي فقال العنبري في ذلك
(أيُقطَع موْصولٌ ويُوصَل جانب ... أسعدُ بنَ زَيْدٍ عَمرَكِ اللّه أجملي)
(فإنَّا بأرْضٍ ها هُنا غير طائل ... متَى تَعلفوا بالرّغم والخسْف نأكُلِ)
قال فقال له العباس إنكم نازعتم القوم ثوبهم وكان عباس وأهله أعوانا له على حذية منكم ومع ذلك فعباس الذي يقول لبنت حيدة المحاربية يرثيها
(أتتْ دُونَ الفِراش فأبشَرتْنا ... مصيبتنا بأخت بني حُدادِ)
(كأنَّ الموت لا يعني سِوانا ... عشيّةَ نحوها يحدوه حادِي)
(فإنَّ خليفةَ اللّهِ المُرجَّى ... وغيثَ الناس في الإزَم الشِّدادِ)
(تطاولَ ليلُهُ فعداك حتّى ... كأنّك لا تَثوب إلى مَعادِ)
(يظَلّ - وحقَّ ذاك - كأنّ شَوْكاً ... عليه العينُ تطْرِف من سُهادِ)
(فليتَ نُفوسَنا حَقًّا فدَتْها ... وكلّ طَريف مالٍ أو تِلادِ)
وجندل بن الراعي شاعر وهو القائل وفي شعره هذا صنعة
صوت
(طلبْت الهوى الغَوْريّ حتى بلغتُه ... وسيّرت في نجديّةٍ ما كفانَيا)
(وقلت لِحلمِي لا تنزعنّي عن الصّبا ... وللشَّيبِ لا تذْعَر عليّ الغوانِيَا)
الشعر لجندل بن الراعي والغناء لإسحاق خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو من جامع إسحاق وقال الهشامي وله فيه أيضا ثاني ثقيل وهو لحن مشهور وما وجدناه في جامعه ولعله شذ عنه أو غلط الهشامي في نسبته إليه
وقال حبش فيه أيضا لإسحاق خفيف رمل
ملاحاة بينه وبين امرأته
أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني أبو عبد الله الهشامي قال قال إسحاق قال أبو عبيدة
كانت لجندل بن الراعي امرأة من بني عقيل وكان بخيلا فنظر إليها يوما وقد هزلت وتخدد لحمها فأنشأ يقول
(عُقَيْليَّة أمَّا أعالي عِظامِها ... فعُوجٌ وأمّا لحمها فقليل)
فقالت مجيبة له عن ذلك
(عُقَيْلِيَّة حَسْناء أزرَى بلَحْمِها ... طعامٌ لديكَ ابنَ الرّعاء قليل)
فجعل جندل يسبها ويضربها وهي تقول قلت فأجبت وكذبت فصدقت فما غضبك
صوت
(أصبح الحبلُ من سَلامةَ ... رَثًّا مُجَذّذَا)
(حبَّذا أنتِ يا سلامةُ ... ألفيْن حبَّذَا)
(ثم ألفيْن مضْعفَيين ... وألفَيْن هكذا)
(في صميم الأحشاء منّي ... وفي القلب قد حَذا)
(حذوَةً من صَبابةٍ ... تركتْه مُفلّذاً)
الشعر لعمار ذي كبار والغناء لحكم الوادي هزج بالوسطى عن الهشامي
قال الهشامي وذكر يحيى المكي أنه لسليم الوادي لا لحكم
أخبار عمار ذي كبار ونسبه
هو عمار بن عمرو بن عبد الأكبر يلقب ذا كبار همداني صليبة كوفي وجدت ذلك في كتاب محمد بن عبد الله الحزنبل وكان لين الشعر ماجنا خميرا معاقرا للشراب وقد حدّ فيه مرات وكان يقول شعرا ظريفا يضحك من أكثره شديد التهافت جم السخف وله أشياء صالحة نذكر أجودها في هذا الموضع من أخباره ومنتخب أشعاره وكان هو وحماد الراوية ومطيع بن إياس يتنادمون ويجتمعون على شأنهم لا يفترقون وكلهم كان متهما بالزندقة
كان أعشى ضعيف النظر

وعمار ممن نشأ في دولة بني أمية ولم أسمع له بخبر في الدولة العباسية ولا كان مع شهوة الناس لشعره واستطابتهم إياه ينتجع أحدا ولا يبرح الكوفة لعشاء بصره وضعف نظره
فأخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم الفراسي قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية ولفظ الرجلين كالمتقارب قال
استقدمني هشام بن عبد الملك في خلافته وأمر لي بصلة سنية وحملان فلما دخلت عليه استنشدني قصيدة الأفوه الأودي
(لنا معاشِرُ لم يَبْنُوا لقومِهمُ ... وَإن بنَى قومُهُم ما أفسَدُوا عادُوا)
قال فأنشدته إياها ثم استنشدني قول أبي ذؤيب الهذلي
(... أمِنَ المَنُونِ ورَيْبِها تَتَوجَّعُ)
فأنشدته إياها ثم استنشدني قول عدي بن زيد
(... أرواحٌ مودِّعٌ أم بُكور)
فأنشدته إياها فأمر لي بمنزل وجراية وأقمت عنده شهرا فسألني عن أشعار العرب وأيامها ومآثرها ومحاسن أخلاقها وأنا أخبره وأنشده ثم أمر لي بجائزة وخلعة وحملان وردني إلى الكوفة فعلمت أن أمره مقبل

الوليد بن يزيد يجيزه على قصيدته

ثم استقدمني الوليد بن يزيد بعده فما سألني عن شيء من الجد إلا مرة واحدة ثم جعلت أنشده بعدها في ذلك النحو فلا يلتفت إليه ولا يهش إلى شيء منه حتى جرى ذكر عمار بن ذي كبار فتشوقه وسأل عنه وما ظننت أن شعر عمار شيء يراد أو يعبأ به
ثم قال لي هل عندك شيء من شعره فقلت نعم أنا أحفظ قصيدة له وكنت لكثرة عبثي به قد حفظتها فأنشدته قصيدته التي يقول فيها
(حبّذا أنتِ يا سلامة ... ألفين حَبّذَا)
(أشتَهِي مِنْك مِنْك ... مكاناً مُجَنْبَذَا)
(مُفعَماً في قُبالَةٍ ... بين رُكْنين رِبَّذَا)
(مُدغماً ذا مناكب ... حسنَ القدِّ مُحتذى)
(رَابِياً ذا مَجَسّةٍ ... أخْنساً قد تَقَنْفَذَا)
(لم ترَ العينُ مِثلَه ... في منامٍ ولا كَذَا)
(تامِكاً كالسّنام إذْ ... بُذَّ عنه مُقَذَّذا)
(مِلءِ كَفّيْ ضَجيعِها ... نال منها تَفَخُّذَا)
(لو تأمّلته دُهِشْتَ ... وعايَنْتَ جِهْبِذَا)
(طيّبِ العَرف والمَجسَّة ... واللّمسِ هِرْبِذَا)
((فأجَا فِيه فيه فيه ... بأيرٍ كمِثْلِ ذَا)
(ليتَ أيري ولَيْت حِرك ... جَمِيعاً تآخَذَا)
(فأخذَ ذَا يشعْرِ ذَا ... وأخذ ذا بقعْرِ ذَا)
قال فضحك الوليد حتى سقط على قفاه وصفق بيديه ورجليه وأمر بالشراب فأحضر وأمرني بالإنشاد فجعلت أنشده هذه الأبيات وأكررها عليه وهو يشرب ويصفق حتى سكر وأمر لي بحلتين وثلاثين ألف درهم فقبضتها ثم قال لي ما فعل عمار فقلت حي كميت قد عشي بصره وضعف جسمه ولا حراك به
فأمر له بعشرة آلاف درهم فقلت له ألا أخبر أمير المؤمنين بشيء يفعله لا ضرر عليه فيه وهو أحب إلى عمار من الدنيا بحذافيرها لو سيقت إليه فقال وما ذاك قلت إنه لا يزال ينصرف من الحانات وهو سكران فترفعه الشرط فيضرب الحد فقد قطع بالسياط وهو لا يدع الشراب ولا يكف عنه
فتكتب بألا يعرض له فكتب إلى عامله بالعراق ألا يرفع إليه أحد من الحرس عمارا في سكر ولا غيره إلا ضرب الرافع له حدين وأطلق عمارا
فأخذت المال وجئته به وقلت له ما ظننت أن الله يكسب أحدا بشعرك نقيرا ولا يسأل عنه عاقل حتى كسبت بأوضع شيء قلته ثلاثين ألفا قال عز علي فذلك لقلة شكرك يا بن الزانية فهات نصيبي منها فقلت لقد استغنيت عن ذلك بما خصصت به ودفعت إليه العشرة آلاف درهم
فقال وصلك الله يا أخي وجزاك الله خيرا ولكنها سبب هلاكي وقتلي لأني أشرب بها ما دام معي منها درهم وأضرب أبدا حتى أموت فقلت له لقد كفيتك ذلك وهذا عهد أمير المؤمنين ألا تضرب وأن يضرب كل من يرفعك حدين
فقال والله لأنا أشد فرحا بهذا من فرحي بالمال فجزيت خيرا من أخ وصديق وقبض المال فلم يزل يشرب حتى مات وبقيته عنده

خبره مع امرأته

نسخت من كتاب الحزنبل المشتمل على شعر عمار وأخباره
أن عمارا ذا كبار كانت له امرأة يقال لها دومة بنت رباح وكان يكنيها أم عمار وكانت قد تخلقت بخلقه في شرب الشراب والمجون والسفه حتى صارت تدخل الرجال عليها وتجمعهم على الفواحش ثم حجت في إمارة يوسف بن عمر فقال لها عمار
(اتقِي اللّهَ قد حَجَجْتِ وتُوبي ... لا يكونَنّ ما صَنَعْتِ خَبَالا)
(ويكِ يا دُومُ لا تَدُومي على الخَمْرِ ... ولا تُدْخِلي عليكِ الرِّجالا)
(إنَّ بالمِصْرِ يوسُفاً فاحذَريه ... لا تَصِيري للعالمين نَكالاَ)
(وثَقِيفٌ إن تَثْقَفَنْكِ بحدٍّ ... لم يُساوِ الإهابُ منكِ قِبالاَ)
(قد مضَى ما مَضَى وقد كان ما كان ... وأودَى الشَّبابُ منكِ فَزالا)

طلق امرأته واشترى جارية حسناء

قال فضربته دومة وخرقت ثيابه ونتفت لحيته وقالت أتجعلني غرضا لشعرك فطلقها واشترى جارية حسناء فزادت في أذاه وضربه غيرة عليه فشكاها إلى يوسف بن عمر فوجه إليها بخدم من خدمه وأمرهم بضربها وكسر نبيذها وإغرامها ثياب عمار ففعلوا ذلك وبلغوا منها الرضا لعمار فقال في ذلك عمار

(إنَّ عِرسي لا هَدَاها ... اللَّه بنتٌ لِرَباحِ)
(كلّ يوم تَفزِع الجُلاّس ... منها بالصِّياحِ
(وربُوحٌ حين تُؤْتِي ... وتَهيّا للنّكاحِ)
(كلبٌ دبّاغٍ عقورٌ ... هرَّ من بعد نُباحِ)
(ولها لونٌ كداجي اللّيل ... من غير صَباحِ)
(ولسانٌ صارمٌ كالسّيف ... مشحوذ النَّواحِي)
(يقطَع الصّخر ويفريه ... كما تَفْري المَساحِي)
(عجَّل اللَّهُ خلاصي ... من يديها وسَرَاحِي)
(تُتعِب الصّاحبَ والجارَ ... وتبغِي منْ تُلاحِي)
(زَعمتْ أنّي بخيلٌ ... وقدَ أخنى بي سَماحِي)
(ورأت كَفِّيَ صِفْراً ... من تِلادِي ولِقاحِي)
(كذبَت بِنت رَباحٍ ... حين هَمَّت باطِّراحِي)
(حاتمٌ لو كانَ حَيًّا ... عاش في ظِلِّ جَناحِي)
(ولقد أهلكتُ مالِي ... في ارْتياحِي وسَمَاحي)
(ثم ما أبقيتُ شَيئاً ... غير زادِي وسِلاحي)
(وكُمَيْتٍ بين أشطانٍ ... جَوادٍ ذي مِراحِ)
(يسبِقُ الخيلَ بتَقريبٍ ... وشدٍّ كالرِّياحِ)
(ثم غارتْ وتَجنَّت ... وأجدَّت في الصِّياحِ)
(لابْتياعي أملَحَ النِّسوانِ ... من فَيْءِ الرِّماحِ)
((دُميةُ المِحْرابِ حُسْناً ... وحَكَت بيضَ الأداحِي
(هِيَ أشهى لِصدّى ... الظَّمآن من برد القَرَاحِ)
(قلتُ : يا دُومَةُ بِيني ... إنَّ في البَيْنِ صَلاحِي)
(فأنا اليوم طَلِيق ... من إساري ذُو ارتياحِ)
(لستُ عمَّن ظَفِرت كَفِّي ... بها اليوم بِصَاحِ)
(أنا مَجْنون بِريمٍ ... مُخْطَفِ الخصرِ رَدَاحِ)
(مُشبَعِ الدُّملُجِ والخَلْخال ... جَوَّالِ الوشاحِ)
(إنّ عَمّارَ بنَ عَمْرٍو ... ذا كُبارٍ ذو امْتداحِ)
(وهِجاءٍ سارَ في النَّاس ... لا يَمحُوه ماحي)
(أبداً ما عاش ذُو رُوحٍ ... ونُودِي بالفَلاحِ)

قال وكان لعمار جار يبيع الرؤوس يقال له غلام أبي داود فطرق عمارا قوم كانوا يعاشرونه ويدعونه فقالوا أطعمنا واسقنا ولم يكن عنده شيء يومئذ فبعث إلى صاحب الرؤوس يسأله أن يوجه إليه بثلاثة أرؤس ليعطيه ثمنها إذا جاءه شيء فلم يفعل فباع قميصا له واشترى للقوم ما يصلحهم وشربوا عنده فلما أصبح القوم خرج إلى المحلة وأهلها مجتمعون فأنشأ يقول

(غلامٌ لأبي داود ... يُدْعى سَالِقَ الرُّوسِ)
(وفِي حُجْزَته قَمْلٌ ... كأمثال الجواميسِ)
(فمَنْ ذا يشتري الرُّوسَ ... وقد عَشَّشَ في الرُّوسِ)
(رؤوسٌ قد أراحت كَرؤوسٍ ... في النَّواويسِ)
((تحاكِي أوجُهَ المَوتى ... وريحاً كالكَرَاييسِ
(يُنقِّي القمل منهنَّ ... إذا باع بتَدلِيسِ)

قال فشاعت الأبيات في الناس فلم يقرب أحد ذلك الرجل ولا اشترى منه شيئا فقام من موضعه ذلك وعطل حانوته ينفق ماله في الخمور والفجور

قال وحضر عمار ذو كبار مع همدان لقبض عطائه فقال له خالد بن عبد الله ما كنت لأعطيك شيئا

فقال ولم أيها الأمير قال لأنك تنفق مالك في الخمور والفجور فقال هيهات ذلك وهل بقي لي أرب في هذا وأنا الذي أقول

(أيرُ عمّارٍ أصبحَ اليوم ... رِخْواً قد انْكَسرْ)
(ألِداءٍ يُرَى به ... أم من الهمِ والضّجَرِ ؟)
(أم به أخذَةٌ فقد ... تُطلِق الأُخذَةَ النُّشرَ)
(فلئِن كان قَوَّسَ اليومَ ... أو عَضّه الكِبَر)
(فَلقِدْماً قَضَى ونال ... من اللَّذَّةِ الوَطَرِ)
(ولقد كُنتُ مُنعَطِفاً ... وأبداً قائمَ الذَّكَرِ)
(وأنا اليوم لو أرى ... الحُورَ عندي لما انْتَشَرَ)
(ساقطٌ رأسُه علَى ... خُصْيَتِيه به زَوَرْ)
(كلّما سُمْتُه النُّهوضَ ... إلى كُوّةٍ عثَرَ)

قال فضحك خالد وأمر له بعطائه فلما قبضه قضى منه دينه وأصلح حاله وعاد لشأنه وقال

(أصبحَ اليومَ أيرُ عمّارَ ... قد قامَ واسبَطَرّ)
(أخَذَ الرِّزْقَ فاستَشاطَ ... قِياماً من البَطَرْ)

(فَهُو اليومَ كالشِّظاظ ... من النَّعْظ والأشَرْ)
(يترُك القِرنَ في المَكرّ ... صريعاً وما فَتَرْ)
(يُشرِعُ العُودَ للطّعان ... إذا انصاعَ ذو الخَوَرْ)
(سَلْمِ نِعْمَ الضَّجيعُ أنت ... لنا ليلَةَ الخَصَرْ)
(لَيلَةَ الرّعد والبروقِ ... مع الغَيْم والمَطَرْ)
(ليتَنِي قد لَقِيتُكم ... في خَلاءٍ من البَشَر)
(فَنشرنَا حَديثَنا ... عِنْدكم كُلَّ مُنْتَشَرْ)
(خالياً ليلةَ التّمام ... بسَلْمَى إلى السَّحَرْ)
(فهي كالدُّرّة النّقِيّةِ ... والوَجهُ كالقَمَرْ)
قال وخرج عمار في بعض أسفاره ومعه رجل يعرف بدندان فلما بلغا إلى الفرات نزلا على قرية يقال لها ناباذ وأرادا العبور فلم يجدا معبرا فقال له دندان أنا أعبرك فنزل معه فلما توسطا الفرات خلى عنه فبعد جهد ما نجا فقال عمار في ذلك
(كادَ دَنْدانُ بأن يجْعلنِي ... يوم نَابَاذَ طَعاماً للسَّمَكْ)
(قُلْتُ : دَنْدانُ أغِثْنِي فمضى ... وأنا أعلُو وأهْوِي في الدَّرَك)
(ولقد أوقَعنِي في وَرطَة ... شَيَّبَتْ رأسي وعايَنْتُ المَلَكْ)
((ليْتَ دَنْدانَ يكَفّي أسدٍ ... أو قتيلاً ثاوياً فيمَن هَلَكْ
خبره مع خالد القسري
أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا محمد بن صالح بن النطاح عن أبي اليقظان قال
دخل عمارٍ ذو كبارٍ على خالد القسري بالكوفة فلما مثل بين يديه صاح به أيها الأمير
(أخلقَتْ رَيْطتِي وأودَى القَمِيصُ ... وإزاري والبَطنُ طاوٍ خَمِيصُ)
قال خالد فنصنع ماذا ما كل من أخلقت ثيابه كسوناه فقال
(وخَلا منزلي فلا شيءَ فيهِ ... لستُ مِمَّن يُخشَى عليه اللُّصوص)
فقال له خالد ذلك من سوء فعلك وشربك الخمر بما تعطاه فقال
(واستحلَّ الأميرُ حَبْسَ عطائي ... خالدٌ إنَّ خالداً لحريصُ)
فقال خالد وقد غضب على ماذا ثكلتك أمك قال
(ذو اجتهاد على العبادة والخَيْر ... ولكن في رزْقنا تعْويصُ)
فقال على ماذا تقبض العطاء ولا غناء فيك عن المسلمين فقال
(رخّص اللّه في الكتاب لذي العُذْر ... وما عنْد خالدٍ ترْخِيص)
فقال أولم نرخّص لذي العذر أن يقيم ويبعث مكانه رسولا فقال
((كلّف البائسَ الفقيرَ بديلاً ... هل له عنه معْدل أو مَحِيصُ
(العليلَ الكبيرَ ذا العرجِ الظالعَ ... أعْشى بعيْنه تلْحيصُ)
(يا أبا الهيْثَم المباركَ جُدْ لي ... بعطاء ما شانه تنغِيصُ)
(وبرزقِي فإننا قد رزحْنا ... من ضَياعٍ وللعيال بَصِيصُ)
(كبصيص الفرْخين ضمهُما العشُّ ... وغاذِيهما أسيرٌ قنيصُ)
قال فدمعت عينا خالد فأمر له بعطائه
وهذه الأبيات من قصيدة يقول فيها
(وترَى البيتَ مُقْشعِرّاً قواءً ... من نواحيه دَوْرقٌ وأصيصُ)
(وجِادٌ مُمَزَّقٌ وخِوانٌ ... نَدرت رِجْلُه وأخرى رهِيص)
(ولقد كان ذَا قوائم مُلسٍ ... تؤكل اللّحمُ فوقهُ والخبِيصُ)
(شَطَنتْ هكذا شوارِدُ بالمِصْر ... وعنّي لم يُلهِه التّرْبيصُ)
(وتولّى في كلّ بَحرٍ وبرٍ ... همُّهُ العرسُ فيه والتّحْصِيص)
(متعالٍ عليّ آخِرَ مَحْبُور ... يُغادِيه بطّةٌ ومَصُوص)
(وشِواءٌ مُلَهْوَجٌ ورءوس ... وصُبودٌ قد حازَها التّقنيص)
(ثم لا بُدَّ يلتَقي الوزْن بالقِسطِ ... لدى الحشْر فاحذَروا أن يبُوصُوا)
((أكثِروا الملكَ جانباً واجْمعُوه ... سوف يُودِي بذلك التنقِيص
ونسخت من كتاب الحزنبل
أن عمارا وقف على عاصم بن عقيل بن جعدة بن هبيرة المخزومي فقال له
(عاصمٌ يا بن عَقِيلٍ ... أفسحُ العالم باعا)
(وارثُ المجد قديماً ... سامياً يَنمِي ارتفاعا)
(عن هُبيْرٍ وابنه جَعْدَة ... فاحتلّ التِّلاعا)
فقال له عاصم أسمعت يا عمار فقل فقد أبلغت في الثناء فقال
(اكْسُني أصلحك اللّهُ ... قميصاً وصِقاعَا)
(وأرحْني من ثيابٍ ... بالياتٍ تتداعَى)
(طال ترْقِيعِي لها حتى ... لقد صارتْ رِقاعا)
(كلُّها لا شيءَ فيها ... غيْر قَمْلٍ تَتساعَى)
(لم تزلْ تُولي الذي يَرْجوك ... بِرّاً واصطِناعا)
فنزع عاصم جبة كانت عليه وأمر غلامه فجعل تحتها قميصا ودفعها إليه وأمر له بمائتي درهم
قصيدة أخرى كثيرة المرذول
فأما القصيدة الذالية التي استحسنها الوليد وسأل حمادا الراوية عنها فإنها كثيرة المرذول ولكنها مضحكة طيبة من الشعر المرذول وفيها يقول

(أنتَ وَجْداً بِها كَمُغْضِي ... جُفونٍ على القذَى)
(لم يقل قائلٌ من النَّاس ... قولاً كنحْوِ ذا)
((تحت حرٍّ وصلتهُ ... صار شعراً مُهذَّذا
(قَوْل عمّار ذِي كُبارِ ... فيا حُسْنَ ما احْتذَى)
(علّلاني بِذِكْرِها ... واسْقِياني مُحذّذا)
(تتركُ الأذن سخنةً ... أرجُواناً بها خَذَا)
متفرقات من غزله
ومن صالح شعره قوله
(شجَا قلبي غزالٌ ذُو ... دَلالٍ وَاضحُ السُّنّهْ)
(أسيلُ الخدّ مَرْبوبٌ ... وفي مَنْطِقِهِ غُنّهْ)
(ألا إنّ الغَواني قد ... بَرَى جِسْمي هَواهُنّه)
(وقالوا : شفّك الحور ... هَوًى قلتُ لهم : إنّهْ)
(ولكنّي على ذاكَ ... مُعنًّى بأذاهُنّه)
(أراحَ اللّهُ عمّاراً ... منَ الدُّنيا ومِنْهنَّهْ)
(بَعيداتٍ قَريباتٍ ... فلا كان ولا كُنّهْ)
(فقد أذهل مِنّي العَقلَ ... والقلبَ شَجَاهُنّهْ)
(يُمنِّينَ الأباطِيل ... ويَجْحَدْنَ الذي قُلْنَهْ)
وقوله أيضا
(يا دُومُ دام صَلاحُكُم ... وسقاكِ رِبّي صَفْوَةَ الدِّيَمِ)
(من كلّ دانٍ مُسْبل هطلٍ ... مُتتابعٍ سَحٍّ من الرِّهَمِ)
((تَرِدُ الوحوشُ إليه سارعةً ... والطيرُ أفواجاً من القُحَم
(قَلْقَلْتِ من وجْدٍ بكم كبِدِي ... وصَدعتِ صَدْعاً غيرَ مُلتئِم)
(وتركِتِني لعواذلي غَرضاً ... كاللّحم مُتّركاً على الوَضَمِ)
(بَرِحَ الخفاءُ وقد علِمتِ به ... إني لحُبِّكِ غيرُ مُكتتِمِ)
(أخفيتُه حتّى وهَى جَلَدي ... وبرَى فؤادي واستْباحَ دمي)
(يا أحسنَ الثَّقلَين كلِّهم ... وأتمَّ مَنْ يخطُو على قدَم)
(يَصْبُو الحليمُ لحُسْنِ بهجتِها ... ويزيدُه ألماً إلى ألمِ)
(تفترُّ عن سِمْطَيْن من بَرَدٍ ... مُتفلّجٍ عن حُسن مبتسم)
(كالأُقحوانِ لِغِبِّ ساريةٍ ... جُنحَ العشاءِ يُنيرُ في الظُّلَم)
(حُمّ اللِّثاتِ يَروقُ ناظِرَهُ ... ما عيبَ من روَقٍ ولا قَصَم)
(تُومِي بكفٍّ رطْبةٍ خُضِبَتْ ... وأناملٍ ينطُفن كالعَنَم)
(وبمقلةٍ حَوْراءَ ساجيةٍ ... وبحاجِبٍ كالنُّون بالقلَم)
(والجِيدُ منها جِيدُ مُغزِلةٍ ... تحنُو إلى خِشْفٍ بذي سَلَم)
(وكدُمْيَة المحرابِ ماثلة ... والفرْعُ جثْلُ النبتِ كالحُمَم)
(وكأنّ ريقتهَا إذا رقدت ... راحٌ يفوحُ بأطيب النَسَم)
سبب نظمه إحدى قصائده
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الحسن بن أحمد بن طالب الديناري قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال
قال حماد الراوية
أرسل الوليد بن يزيد إلي بمائتي دينار وأمر يوسف بن عمر بحملي على البريد فقلت يسألني عن مآثر طرفيه قريش أو ثقيف فنظرت في كتابي ثقيف وقريش حتى حفظتهما فلما قدمت عليه سألني عن أشعار بلي فأنشدته منها ما حفظته ثم قال لي أنشدني في الشراب وعنده قوم من وجوه أهل الشام
فأنشدته لعمار ذي كبار
(أصبِح القومَ قهوةً ... في أباريقَ تُحتذَى)
(من كميْتٍ مُدامةٍ ... حبّذا تلك حبَّذا)
(تتْرك الأذْنَ شربُها ... أرجُواناً بها خَذَا)
فقال أعدها فأعدتها فقال لخدمه خذوا آذان القوم قال فأتينا بالشراب فسقينا حتى ما درينا متى نقلنا ثم حملنا فطرحنا في دار الضيفان فما أيقظنا إلا حر الشمس وجعل شيخ من أهل الشام يشتمني ويقول فعل الله بك وفعل أنت صنعت بنا هذا
صوت
(شَطّتْ ولم تُثِبِ الرَّبابْ ... ولعل للكَلِفِ الثّواب)
((نَعِب الغُرابُ فراعني ... بالبين إذْ نَعب الغراب
عروضه من الضرب الثالث من العروض الثالثة من الكامل
والشعر لعبد الله بن مصعب الزبيري والغناء لحكم الوادي ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق
أخبار عبد الله بن مصعب ونسبه
عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب
شاعر فصيح خطيب ذو عارضة وبيان واعتبار بين الرجال وكلام في المحافل وقد نادم أوائل الخلفاء من بني العباس وتولى لهم أعمالا وكان خرج مع محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالمدينة على أبي جعفر

المنصور فيمن خرج من آل الزبير فلما قتل محمد استتر عنه وقيل بل كان استتاره مدة يسيرة إلى أن حج أبو جعفر المنصور وآمن الناس جميعا فظهر

المهدي يعجب بشعره فيكتبه

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عمي وفليح بن إسماعيل عن الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة قال

دخلت على المهدي وإذا هو يكتب على الأرض بفحمة قول عبد الله بن مصعب

(فإنْ يَحجُبوها أو يَحُل دُون وصْلِها ... مَقالةُ واشٍ أو وعيدُ أميرِ)

(فلن يمنعوا عينيَّ من دائم البكا ... ولن يُخرجوا ما قد أجنّ ضميري)

(وما برِح الواشون حتى بدت لنا ... بُطُونُ الهوى مَقلوبةً لظُهُور)

(إلى اللّهِ أشكُو ما ألاقي من الجوَى ... ومن نَفسٍ يعتَادُني وزفير)

ويقول أحسن والله عبد الله بن مصعب ما شاء

وهذه الأبيات تنسب إلى المجنون أيضا وفيها بيتان فيهما غناء ليزيد حوراء خفيف رمل بالوسطى من رواية عمرو بن بانة ويقال إنه للزبير بن دحمان وذكر حبش أن فيهما لإسحاق خفيف ثقيل أول بالوسطى

شعره في جارية يهواها

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن الحسن بن زياد

ونسخت هذا الخبر من كتاب أبي سعد العدوي عن أبي الطرماح مولى آل مصعب بن الزبير من أهل ضرية وروايته أتم أن عبد الله بن مصعب لما ولي اليمامة مر بالحوأب يوما وهو ماء لبني أبي بكر بن كلاب وهو الذي ذكره النبي لعائشة فرأى على الماء جارية منهم فهويها وهويته وقال

(يا جُملُ للوالهِ المستعبر الوصِب ... ماذا تضَمَّن من حُزْنٍ ومن نَصَب ؟)

(أنّى أُتِيحت له للحَيْن جاريةٌ ... في غير ما أمم منها ولا صقَبِ)

(جاريةٌ من أبي بكر كلِفتُ بها ... ممَّن يَحُلُّ من الحِصّاءِ والحَوَبِ)

(من غير معرفة إلا تعرُّضَها ... حَيناً لذلك إن الحيْن مُجتَلِبي)

(قامت تعرَّضُ لي عمداً فقلتُ لها : ... يا عَمْركِ اللّهِ هل تدْرين ما حسبِي)

(بَين الحواريّ والصِّدّيقِ في نَسَبٍ ... ينهى عن الفُحْش مِثْلي غيْر مُؤتَشَب)

(ولا أدِبُّ إلى الجارات مُنسرباً ... تاللّه إني لِعزهاةٌ عن الرِّيَبِ)

فخطبها وكانت العرب لا تنكح الرجل امرأة شبب بها قبل خطبته فلم يزوجوها إياه فلما يئست منه قالت

(إذا خَدِرت رجلي ذكرتُ ابن مُصعبٍ ... فإن قيل عبدُ اللّه خفّ فُتورُها)

(ألا ليتَني صاحبتُ ركْبَ ابنِ مصعَبٍ ... إذا ما مطاياه اتلأبّتْ صدُورُها)

(لقد كنتُ أبكِي واليمامةُ دونَه ... فكيف إذا التفّت عليه قصورُها ؟)

قال أبو الطرماح في خبره وكان لها إخوة شرش غير فقتلوها

أخبرنا ببعض هذه القصة ابن عمار عن أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه عن أبي عمر الزهري وذكر الشعرين جميعا والألفاظ قريبة

وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبي عمر الزهري قال حدثني أبي أن عبد الله بن مصعب خاصم رجلا من ولد عمر بن الخطاب بحضرة المهدي فقال له عبد الله بن مصعب أنا ابن صفية قال هي أدنتك من الظل ولولاها لكنت ضاحيا وكنت بين الفرث والحوية

قال أنا ابن الحواري قال له العمري بل أنت ابن وردان المكاري قال وكان يقال إن أمه كانت تهوى رجلا يكري الحميريقال له وردان فكان من يسبه ينسبه إليه وقال فيه الشاعر

(أتُدْعَى حَواريّ الرّسول سَفاهةً ... وأنت لوَردانِ الحمير سَليلُ)

فقال والله لأنا بأبي أشبه من التمرة بالتمرة والغراب بالغراب قال له العمري كذبت وإلا فأخبرني ما بال آل الزبير ثط اللحى وأنت ألحى وما لهم سمرا جعادا وأنت أحمر سبط قال ألي تقول هذا يا بن قتيل أبي لؤلؤة قال العمري يا بن قتيل ابن جرموز على ضلالة أتعيرني أن قتل أبي رجل نصراني وهو أمير المؤمنين قائما يصلي في محرابه وقد قتل أباك رجل مسلم بين الصفين يدفعه عن باطل ويدعوه إلى حق فأنا أقول رحم الله ابن جرموز فقل أنت رحم الله أبا لؤلؤة ثم أقبل على المهدي فقال

ألا تسمع يا أمير المؤمنين ما يقول عائد الكلب في عمر بن الخطاب وقد عرفت ما كان بينه وبين ابيك العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله من المودة وتعلم ما بين جده عبد الله بن الزبير وبين جدك عبد الله بن العباس

من العداوة فأعن يا أمير المؤمنين أولياءك على أعدائك فوثب رجل من آل طلحة فقال له يا أمير المؤمنين ألا تكف هذين السفيهين عن تناول أعراض أصحاب رسول الله وتكلم الناس بينهما وتوسطوا كلامهما وأكثروا فأمر المهدي بكفهما والتفريق بينهما

لقب عائد الكلب لبيتين قالهما

قال النوفلي وكان عبد الله بن مصعب يلقب عائد الكلب لقوله

(ما لي مَرِضْتُ فلم يَعُدني عائدٌ ... منكم ويَمْرِضُ كَلبُكم فأعود ؟)

(وأشدُّ من مَرضِي عَلَيّ صُدُودُكم ... وصُدودُ عَبْدِكُم عَلَيَّ شَدِيد)

فلقب عائد الكلب

قال ابن عمار هكذا حفظي عن النوفلي وقد يزيد القول وينقص

لحكم الوادي في هذين البيتين اللذين أولهما

(مَا لِي مَرِضتُ فلم يَعُدْني عائدٌ ... منكم ويمرض كلْبُكم فأعُودُ)

لحنان خفيف ثقيل بالوسطى عن إبراهيم وحبش ورمل بالوسطى عن الهشامي

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ قال

أنشد الأحيحي المهدي قصيدة مدحه بها وكان عبد الله بن مصعب حاضرا فحسده على إقبال المهدي عليه وكان المهدي

يحبه فجعل يخاطب المهدي ويحدثه فقال له أمسك فما يشغلني كلامك عنه فقطع الأحيحي الإنشاد ثم أقبل على المهدي فقال له
(عَبدُ منافٍ أَبُو أُبوَّتِنَا ... وعَبدُ شمْس وهاشمٌ تَوَمُ)
(بحران خَرَّ العوّام بَيْنَهُما ... فالْتَطَما والبِحارُ تَلْتَطم)
فقال له المهدي كذاك هو فدع هذا المعنى وعد إلى ما كنت فيه وخجل عبد الله فما انتفع بنفسه يومئذ
قال ابن عمار فحدثني بعض شيوخنا قال
كنت عند مصعب بن عبد الله الزبيري يوما وقد جرى ذكر الأحيحي فأنشدته هذين البيتين فتغير لونه ثم قال لي نعم قد كان خاطب أبي بهما فأمضه فلما قمنا عنه قال لي ويحك أتنشد رجلا كنت تتعلم منه وتأخذ عنه هجاء في أبيه فقلت له دعني فإني أحببت أن أغض من كبره قال وكان في مصعب بعض ذلك
صوت
(زارت سُلَيْمى وكان الحيُّ قد رقَدا ... ولم تَخِفْ من عدو كاشِحٍ رصَدَا)
(لقد وَفَت لك سَلْمَى بالذي وَعدَت ... لكنَّ عُقْبَةَ لم يُوفِ الذي وَعَدَا)
عروضه من البسيط الشعر لابن مفرغ الحميري والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن أحمد بن المكي وفيه لعواد لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس
وقد تقدمت أخبار ابن مفرغ مستقصاة فيما قبل هذا من الكتاب فاستغنى عن إعادتها ها هنا وإعادة شيء منها إذ كان قد مضى منها ما فيه كفاية ولله الحمد
صوت
(ما شأن عَيْنِك طَلَّةُ الأجفان ... مِمّا تَفيض مريضة الإنسانِ)
(مَطْروفَةٌ تَهمِي الدّموعَ كأنّها ... وشَلٌ تَشَلْشَل دائِمُ التَّهتانِ)
الشعر لعمارة بن عقيل والغناء لمتيم ثاني ثقيل بالوسطى
أخبار عمارة ونسبه
عمارة هو ابن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطفي وقد تقدم نسبه ونسب جده في أول الكتاب ويكنى عمارة أبا عقيل شاعر مقدم فصيح وكان يسكن بادية البصرة ويزور الخلفاء في الدولة العباسية فيجزلون صلته ويمدح قوادهم وكتابهم فيحظى منهم بكل فائدة وكان النحويون بالبصرة يأخذون عنه اللغة
ختمت الفصاحة به
أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال سمعت محمد بن يزيد يقول ختمت الفصاحة في شعر المحدثين بعمارة بن عقيل
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي والحسن بن علي والصولي قالوا حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال سمعت سلم بن خالد بن معاوية بن أبي عمرو بن العلاء يقول
كان جدي أبو عمرو يقول ختم الشعر بذي الرمة ولو رأى جدي
عمارة بن عقيل لعلم أنه أشعر في مذاهب الشعراء من ذي الرمة
قال العنزي ولعمري لقد صدق
وسمعت سلما يقول هو أشد استواء في شعره من جرير لأن جريرا سقط في شعره وضعف وما وجدوا لعمارة سقطة واحدة في شعره
قال العنزي وحدثني أحمد بن الحكم بن بشر بن أبي عمرو بن العلاء قال
أتيت عمارة أسأله عن شيء أكتبه عنه فقال لي من أنت فقلت أنا ابن الحكم بن بشر بن أبي عمرو بن العلاء فقال لي كان أبوك صديقي ثم أنشدني
(بَنَى لكم العَلاءُ بِناءَ صِدْقٍ ... وتَعْمُرُ ذَاكَ يا حَكَم بنَ بِشْرْ)
(فما مَدْحي لكم لأُصِيب مَالاً ... ولكن مَدْحُكُم زَيْنٌ لِشعْري)
كان هجاء خبيث اللسان
حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا أبو ذكوان قال حدثنا أبو محلم قال
هجا عمارة بن عقيل امرأة ثم أتته في حاجة بعد ذلك فجعل يعتذر إليها فقالت له خفض عليك يا أخي فلو ضر الهجاء أحدا لقتلك وقتل أباك وجدك
قال مؤلف هذا الكتاب
وكان عمارة هجاء خبيث اللسان فهجا فروة بن حميصة الأسدي وطال التهاجي بينهما فلم يغلب أحدهما صاحبه حتى قتل فروة
: وأخبرني محمد بن يحيى قال
حدثنا أبو ذكوان قال قال لي عمارة ما هاجيت شاعرا قط إلا كفيت مؤونته في سنة أو أقل من سنة إما أن يموت أو يقتل أو أفحمه حتى هاجاني أبو الرديني العكلي فخنقني بالهجاء ثم هجا بني نمير فقال
(أتوعِدُني لِتَقْتُلني نُمَيْرٌ ... متى قَتَلَتْ نُمَيْرٌ مَنْ هجاها ؟)
فكفانيه بنو نمير فقتلوه فقتلت بنو عكل وهم يومئذ ثلاثمائة رجل أربعة آلاف رجل من بني نمير
وقتلت لهم شاعرين رأس الكلب وشاعرا آخر
بينه وبين فروة بن حميصة
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني العنزي قال
حدثني محمد بن عبد الله بن آدم العبدي قال حدثني عمارة بن عقيل قال
كنت جالسا مع المأمون فإذا أنا بهاتف يهتف من خلفي ويقول
(نَجَّى عُمارةَ منّا أنَّ مُدَّتَه ... فيها تراخٍ ورَكْضُ السَّابِحِ النَّقِلِ)
(ولو ثقِفْناه أوهَيْنا جَوانِحَه ... بذابلٍ من رماح الخَطِّ مُعْتَدِلِ)
(فإنَّ أعناقَكم للسَّيفِ مَجْلَبَةٌ ... وإنّ مالَكم المرعِيَّ كالهَمَلِ)
(إذ لا يُوطِّن عبدُ اللّه مُهْجَتَه ... على النِّزال ولا لِصًّا بَني حَمَلِ)

قال وهذا الشعر لفروة بن حميصة في
قال فدخلني من ذلك ما الله
يعلمه وما ظننت أن شعر فروة وقع إلى من هنالك ثم خرج علي بن هشام من المجلس وهو يضحك فقلت يا أبا الحسن أتفعل بي مثل هذا وأنا صديقك فقال ليس عليك في هذا شيء فقلت من أين وقع إليك شعر فروة قال وهل بقي كتاب إلا وهو عندي فقلت يا أمير المؤمنين أهجى في دارك وبحضرتك فضحك فقلت يا أمير المؤمنين أنصفني فقال دع هذا وأخبرني بخبر هذا الرجل وما كان بينك وبينه فأنشدته قصيدتي فيه فلما انتهيت إلى قولي
(ما في السَّوية أن تَجُرَّ عليهم ... وتكُونَ يوم الرَّوع أوّلَ صادر)
أعجب المأمون هذا البيت فقال لي المأمون ألهذه القصيدة نقيضة قلت نعم قال فهاتها فقلت له أؤذي سمعي بلساني فقال علي ذلك فانشدته إياها فلما بلغت إلى قوله
(وابنُ المَراغَة جاحِرٌ من خوفِنا ... بادٍ بمنزِلَةِ الذّليل الصّاغِرِ)
(يَخْشَى الرّياح بأن تكونَ طَليعةً ... أو أن تَحُلّ به عقوبةُ قادِرِ)
فقال لي
أوجعك يا عمارة فقلت ما أوجعته به أكثر
بيت من شعره قتل فروة
أخبرني محمد قال حدثني الحسن قال حدثني محمد بن عبد الله بن آدم قال حدثني عمارة قال إنما قتل فروة قولي له
(ما في السَّوِيّة أن تَجُرَّ عليهم ... وتكون يوم الرَّوع أوّلَ صادِرِ)
فلما أحاطت به طيء وقد كان في معاذ وموئل وكان كثير الظفر بهم كثير العفو عمن قدر عليه منهم فقالوا له والله لا عرضنا لك ولا أوصلنا إليك
سوءاً فامض لطيتك ولكن الوتر معك فإن لنا فيهم ثأرا فقال فروة فأنا إذا كما قال ابن المراغة
(ما في السَّوِيَّة أن تَجُرَّ عليهمُ ... وتكُونَ يَومَ الرَّوع أوّلَ صادر)
فلم يزل يحمي أصحابه وينكي في القوم حتى اضطرهم إلى قتله وكان جمعهم أضعاف جمعه
أخبرني محمد قال حدثني الحسن قال حدثني محمد بن عبد الله بن آدم قال
قيل لعمارة أقتلت فروة فقال والله ما قتلته ولكني أقتلته أي سببت له سببا قتل به
بالغ في وصف كرمه فلامه المأمون
أخبرني محمد قال حدثنا الحسن قال حدثني محمد بن عبد الله قال حدثني عمارة قال
رحت إلى المأمون فكان ربما قرب إلي الشيء من الشراب أشربه بين يديه وكان يأمر بكتب كثير مما أقوله فقال لي يوما كيف قلت قالت مفداة ونظر إلي نظرا منكرا فقلت يا أمير المؤمنين مفداة امرأتي وكانت نظرت إلي وقد افتقرت وساءت حالي قال فكيف قلته فأنشدته
(قالت مُفدّاةٌ لمَّا أنْ رَأت أرَقِي ... والهمُّ يَعْتادُني من طيفِه لَمَمُ)
(أنهبْت مالكَ في الأدنين آصِرةً ... وفي الأباعد حتى حَفَّكَ العَدَمُ)
((فاطلب إليهم تَجِد ما كُنْت من حَسَنٍ ... تُسْدِي إليهم فقد ثابَتْ لهم صِرَمُ)
(فَقُلْتُ : عاذلتي أكثرتِ لائِمتي ... ولم يَمُت حاتِمٌ هُزْلاً ولا هَرِمُ)
قال فنظر إلي المأمون مغضبا وقال لقد علت همتك أن ترقى بنفسك إلى هرم وقد خرج من ماله في إصلاح قومه عمرو بن مسعدة يصله فيمدحه
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني العنزي قال حدثني محمد بن عبد الله قال حدثنا عمارة قال
استشفعت بعلي بن هشام في أن يؤذن لي في الانصراف فقال ما أفعل ذلك لأنك تنشد أمير المؤمنين إذا خلوت به وتخبره عن وقائعك وفعالك ثم تخبره أنك مظلوم وقد أخذ هذا أمير المؤمنين عليك
ثم تذاكرنا فقال أما تذكر أبا الرازي حين أوقع بقومك وأقعوا به ثم تدخل على أمير المؤمنين مغضبا فتقول
(عَلامَ نِزارُ الخَيْل تَفْأى رُؤوسَنا ... وقد أسلَمتْ مع النَّبيِّ نِزارُ)
وهي أبيات قالها حين قتلهم أبو الرازي وكان عمارة قد خرج من عند المأمون فنظر إلى رؤوس أصحابه فدخل فأنشد هذا البيت قال وأكره أن تتبعك نفسي أمير المؤمنين فيجد على من كلمه فيك فعليك بعمرو بن مسعدة وأبي عباد فإنهما يكتبان بين يدي أمير المؤمنين ويخلوان معه ويمازحانه فأتيت أبا عباد فذكرت له التشوق إلى العيال وسألته الاستئذان فصاح في وجهي وقال مقامك أحب إلى أمير المؤمنين من ظعنك وما أفعل ما يكرهه فذهبت من فوري إلى عمرو بن مسعدة فدخلت عليه وهو يختضب فشكوت إليه الأمر
فقال يا أبا عقيل لقد أذنت لك في ساعة ما أظهر فيها لأحد ولي حاجة قلت وما هي قال ألف درهم تجعل لك في كيس تشتري بها عبدا يؤنسك في طريقك ولست أقصر فيما تحب
فتلعثمت ساعة وتلكأت فقال حقا لئن لم تأخذها لا كلمتك فأخذتها وانصرفت وأنا أقول
(عمرُو بنُ مسعدةَ الكريمُ فَعالُه ... خيرٌ وأمجدُ من أبي عبّادِ)
(من لم يُزَمْزِمْ والدَاه ولم يكُنْ ... بالرَّيِّ عِلْجَ بِطانَةٍ وحصَادِ)
(بَصَّرتُه سُبُلَ الرَّشادِ فما اهْتَدى ... لِسَبِيل مكرُمةٍ ولا لرَشَادِ)
(وعرفت إذ عَلِقَت يدِي بِعِنَانِه ... أنّي عَلِقت عِنان غير جَوادِ)
(لو كان يعلم إذ يُشيحُ تَحرُّقِي ... في كلِّ مكرُمةٍ ولين قيادِي)
(عرف المُصَدَّقُ رأيُه أني امرؤٌ ... يُفنِي العطاءُ طَرَائفِي وتِلادِي)
(وأصون عِرْضِي بالسَّخاء وإن غدت ... غُبْر المحاجِر شعَّثاً أولادِي)
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا العنزي قال حدثني سلم بن خالد قال
أنشد عمارة قصيدة له فقال فيها الأرياح والأمطار فقال له أبو حاتم السجستاني هذا لا يجوز إنما هو الأرواح فقال لقد جذبني إليها طبعي فقال له أبو حاتم قد اعترضه علمي فقال أما تسمع قولهم رياح فقال له أبو حاتم هذا خلاف ذلك قال صدقت ورجع
يمدح الواثق

حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا الحسن قال حدثنا العنزي قال
قدم عمارة البصرة أيام الواثق فأتاه علماء البصرة وأنا معهم وكنت غلاما فأنشدهم قصيدة يمدح فيها الواثق فلما بلغ إلى قوله
(وبقِيتُ في السَّبعين أنهضُ صاعداً ... فمَضَى لداتي كلُّهم فَتشعّبُوا)
بكى على ما مضى من عمره فقالوا له أملها علينا قال لا أفعل حتى أنشدها أمير المؤمنين فإني مدحت رجلا مرة بقصيدة فكتبها مني رجل ثم سبقني بها إليه ثم خرج إلى الواثق فلما قدم أتوه وأنا معهم فأملاها عليهم
ثم حدثهم فقال أدخلني إسحاق بن إبراهيم على الواثق فأمر لي بخلعة وجائزة فجاءني بهما خادم فقلت قد بقي من خلعتي شيء قال وما بقي قلت خلع علي المأمون خلعة وسيفا
فرجع إلى الواثق فأخبره فأمره بإدخالي فقال يا عمارة ما تصنع بسيف أتريد أن تقتل به بقية الأعراب الذين قتلتهم بمقالك قلت لا والله يا أمير المؤمنين ولكن لي شريك في نخيل لي باليمامة ربما خانني فيه فلعلي أجربه عليه فضحك وقال نأمر لك به قاطعا فدفع إلي سيفا من سيوفه
أخبرنا الصولي قال حدثني يزيد بن محمد المهلبي قال
حدثني النخعي قال
لما قدم عمارة إلى بغداد قال لي كلم لي المأمون وكان النخعي من ندماء المأمون قال فما زلت أكلمه حتى أوصلته إليه فأنشده هذه القصيدة
(حتّامَ قلبُك بالحِسانِ مُوكل ... كلِفٌ بهنَّ وهنَّ عنهُ ذُهّلُ)
فلما فرغ قال لي يا نخعي ما أدري أكثر ما قال إلا أن أقيسه وقد أمرت له لكلامك فيه بعشرين ألف درهم
يقدم خالد بن يزيد على تميم بن خزيمة
حدثني الصولي قال حدثني الحسن قال حدثني محمد بن عبد الله بن آدم العبدي قال
كانت بنو تميم اجتمعت ببغداد على عمارة حين قال شعره الذي يقدم فيه خالد بن يزيد على تميم بن خزيمة فقالوا له قطع الله رحمك وأهانك وأذلك أتقدم غلاما من ربيعة على شيخ من بني تميم بن خزيمة وهو مع ذلك من بيت تميم ولاموه فقال
(صَهُوا يا تَميمُ إنّ شَيبانَ وَائل ... بطرفِهم عنكم أضنُّ وأرغَبُ)
(أأن سُمْت بِرْذَوناً بِطرفٍ غَضِبتُم ... عليّ وما في السُّوقِ والسَّوْم مَغضَبُ)
(فإن أكرمَتْ أو أنجبتْ أمُّ خالدٍ ... فزند الرِّياحيِّين أورى وأثقب)
قال ثم حدثنا عمارة قال قال لي علي بن هشام وفيه عصبية على العرب قد علمت مكانك مني وقيامي بأمرك حتى قربك أمير المؤمنين المأمون والمائة الألف التي وصلتك أنا سببها وها هنا من بني عمك من هو أقرب إليك وأجدر أن يعينني على ما قبل أمير المؤمنين لك فقلت ومن هو قال تميم بن خزيمة قال قلت إيه قال وخالد بن يزيد بن مزيد قلت سآتيهما فبعث معي شاكريا من شاكريته حتى وقف بي على باب تميم فلما نظر إلي غلمانه أنكروا أمري فدنا الشاكري فقال أعلموا الأمير أن على الباب ابن جرير الشاعر جاء مسلما فتوانوا وخرج غلام أعرف أنه غلام الأمير فحجبني فدخلني من ذاك ما الله به عالم فقلت للشاكري أين منزل خالد فقال اتبعني فما كان إلا قليلا حتى وقف بي على بابه ودخل بعض
غلمانه يطلب الإذن فما كان إلا قليلا حتى خرج في قميصه وردائه يتبعه حشمه
فقال لي بعض القوم هذا خالد قد أقبل إليك قال فأردت أن أنزل إليه فوثب وثبة فإذا هو معي آخذ بعضدي يريد أن أتكىء عليه فجعلت أقول جعلني الله فداك أنزل فيأبى حتى أخذ بعضدي فأنزلني وأدخلني وقرب إلي الطعام والشراب فأكلت وشربت وأخرج إلي خمسة آلاف درهم وقال يا أبا عقيل ما آكل إلا بالدين وأنا على جناح من ولاية أمير المؤمنين فإن صحت لي لم أدع أن أغنيك وهذه خمسة أثواب خز قد آثرتك بها كنت قد ادخرتها قال عمارة فخرجت وأنا أقول
(أأتركُ إن قلَّت دَراهمُ خالدٍ ... زيارَته إني إذاً للئيمُ)
(فَليت بثوْبيه لنا كان خالدٌ ... وكان لبكر بالثّراء تَميمُ)
(فيصبِح فينا سَابِقٌ مُتمَهِّلٌ ... ويُصبِح في بكرٍ أغمُّ بَهيمُ)
(فقد يَسْلِع المرءُ اللئيمُ اصطناعَه ... ويعتلُّ نقدُ المرء وهو كريم)
قال اليزيدي يسلع أي تكثر سلعته
والسلعة المتاع
أخبرني الصولي قال حدثني الحسن قال حدثني محمد بن عبد الله قال حدثني عمارة قال
لما بلغ خالد بن يزيد هذا الشعر قال لي يا أبا عقيل أبلغك أن أهلي يرتضون مني ببديل كما رضيت بنو تميم بتميم بن خزيمة فقلت إنما طلبت حظ نفسي وسقت مكرمة إلى أهلي لو جاز ذلك فما زال يضاحكني
أخبرني الصولي قال حدثنا الحسن قال
سمعت عبد الله بن محمد النباحي يقول سمعت عمارة يقول ما هجيت بشيء أشد علي من بيت فروة
((وابنُ المراغَةِ جاحِرٌ مِنْ خَوْفِنا ... بالوَشْم منزلةَ الذَّلِيل الصَّاغر
أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني الحسن بن عليل العنزي قال حدثني النباجي قال
لما قال عمارة يمدح خالدا
(تأبى خَلائِقُ خالدٍ وفَعَالُه ... إلاَّ تجنّبَ كلّ أمرٍ عائبِ)
(فإذا حضَرْت البابَ عند غدائه ... أذِنَ الغَداءُ لنا برَغْم الحاجِب)
لقيه خالد فقال له أوجبت والله علي حقا ما حييت
أجود شعره ما هجا به الأشراف
قال العنزي وسمعت سلم بن خالد يقول قلت لعمارة ما أجود شعرك
قال ما هجوت به الأشراف
فقلت ومن هم قال بنو أسد وهل هاجاني أشرف من بني أسد
قال العنزي وحدثني أبو الأشهب الأسدي من ولد بشر بن أبي خازم قال

لما أنشد فروة بن حميصة قول عمارة فيه
(ما في السَّوِّية أن تجرّ عليهمُ ... وتكون يوم الرَّوع أوَّل صادر)
قال والله ما قتلني إلا هذا البيت
فلما تكاثرت عليه الخيل يوم قتل قيل له انج بنفسك قال كلا والله لا حققت قول عمارة فصبر حتى قتل
وكان فروة من أحسن الناس وجها وشعرا وقدا لو كان امرأة لانتحرت عليه بنو أسد
هجاؤه أكرم هجاء
أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني العنزي قال
حدثني علي بن مسلم قال أنشدت يعقوب بن السكيت قصيدة عمارة التي رد فيها على رجاء بن هارون أخي بني تيم اللات بن ثعلبة التي أولها
(حَيِّ الدِّيارَ كأنّها أسطارُ ... بِالوَحْيِ يَدْرُس صُحْفَها الأحْبارُ)
(لَعِبَ البِلَى بجديدها وتنفّستْ ... عرصاتِها الأرْواحُ والأمطارُ)
قال أبو علي وهذا البيت الذي أخطأ فيه عمارة فقال الأرياح فرده عليه أبو حاتم السجستاني وهو يتغيظ فلما بلغ إلى قوله
(وجموع أسْعدِ إذ تَعضُّ رؤوسَهم ... بِيضٌ يَطِير لوقعهنَّ شَرارُ)
(حتى إذا عَزمُوا الفِرارَ وأسلموا ... بِيضاً حواصِنَ ما بهنَّ قرارُ)
(لحِقت حَفيظتُنا بهنّ ولم نزَلْ ... دُونَ النِّساء إذا فزعْن نَغارُ)
قال ابن السكيت لله دره ما سمعت هجاء قط أكرم من هذا
: أخبرني محمد بن يحيى قال
وفد عمارة على المتوكل فعمل فيه شعرا فلم يأت بشيء ولم يقارب وكان عمارة قد اختل وانقطع في آخر عمره فصار إلى إبراهيم بن سعدان المؤدب وكان قد روى عنه شعره القديم كله فقال له أحب أن تخرج إلي أشعاري كلها لأنقل ألفاظها إلى مدح الخليفة فقال لا والله أو تقاسمني جائزتك فحلف له على ذلك فأخرج إليه شعره وقلب قصيدة إلى المتوكل وأخذ بها منه عشرة آلاف درهم وأعطى إبراهيم بن سعدان نصفها والله أعلم
صوت
(تَفرَّق أهلي مِن مُقيمٍ وظاعنٍ ... فَلِلَّه دَرِّي أيَّ أهْلِيَ اتْبَعُ)
(أقامَ الّذينَ لا أُبالِي فِرَاقَهم ... وَشَطَّ الذين بينَهم أتوَقَّعُ)
الشعر للمتلمس والغناء لمتيم خفيف ثقيل بالوسطى
أخبار المتلمس ونسبه
لقبه واسمه ونسبه
المتلمس لقب غلب عليه ببيت قاله وهو
(فهذا أوانُ العِرض جُنّ ذُبابُهُ ... زَنابِيرُهُ والأزرقُ المتلمِّسُ)
واسمه جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن دوفن بن حرب بن وهب بن جلي بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة بن نزار قال ابن حبيب فيما أخبرنا به عبد الله بن مالك النحوي عنه
ضبيعات العرب ثلاث كلها من ربيعة ضبيعة بن ربيعة وهم هؤلاء ويقال ضبيعة أضجم وضبيعة بن قيس بن ثعلبة وضبيعة بن عجل بن لجيم
قال وكان العز والشرف والرئاسة على ربيعة في ضبيعة أضجم وكان سيدها الحارث بن الأضجم وبه سميت ضبيعة أضجم وكان يقال للحارث حارث الخير بن عبد الله بن دوفن بن حرب وإنما لقب بذلك لأنه أصابته لقوة فصار أضجم ولقب بذلك ولقبت به قبيلته
ثم انتقلت الرئاسة عن بني ضبيعة فصارت في عنزة وهو عامر بن أسد بن ربيعة بن نزار وكان يلي ذلك فيهم القدار أحد بني الحارث بن الدول بن صباح ابن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عنزة
ثم انتقلت الرئاسة عنهم فصارت في عبد القيس فكان يليها فيهم الأفكل وهو عمرو
هنا انقطع ما ذكره الأصفهاني رحمه الله
وروى أبو عبيدة وغيره هذا الخبر على نص ما مضى عن ابن حبيب
وقال الأفكل هو عمرو بن الجعيد بن صبرة بن الديل بن شن بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة ثم انتقل الأمر إلى النمر بن قاسط فكان يلي ذلك منهم عامر الضحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله ابن النمر وإنما سمي الضحيان لأنه كان يقعد بهم في الضحى فيقضي بينهم ثم انتقل الأمر إلى بني يشكر بن بكر بن وائل فكان يلي ذلك منهم الحارث بن غبر بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر ثم انتقل الأمر إلى بني تغلب فصار يليه ربيعة بن مرة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ثم وليه بعده ابنه كليب فكان من أمره في البسوس ما كان فاختلفت أمورهم وذهبت رياستهم
المتلمس وأخواله
وكان المتلمس في أخواله بني يشكر ويقال إنه ولد فيهم ومكث فيهم حتى كادوا يغلبون على نسبه فسأل الملك وهو عمرو ابن هند
مضرط الحجارة وهو محرق وإنما سمي محرقا لأنه حرق باليمامة مائة من تميم فسأل الملك يوما وهو عنده الحارث بن التوأم اليشكري عن المتلمس وعن نسبه فأراد أن يدعيه فقال المتلمس في ذلك
(تُعيِّرني أُمِّي رجالٌ ولن تَرَى ... أخَا كَرمٍ إلاَّ بأنْ يَتَكَرَّمَا)
(وَمن كان ذا عِرْض كريم ولَمْ يَصُنْ ... له حَسباً كان اللئيمَ المُذَمّما)
(أحارثُ إنّالو تُساطِ دماؤنا ... تَزَايَلْن حتى لا يَمَسَّ دمٌ دَمَا)
(أمُنْتفِياً مِن نَصر بُهْثَة خلتني ... ألاَ إنّني مِنْهُمْ وإنْ كُنْتُ أَيْنما)
بهثة ابن حرب بن وهب بن جلي بن أحمس بن ضبيعة
(وإنّ نَصابي إنْ سألتَ وأُسرَتي ... مِن الناس قومٌ يَقْتَنون المُزَنَّما)

(لذي الحِلْم قَبْل اليوم ما تُقَرع العَصا ... وما عُلِّم الإنسانُ إلا لِيَعْلَمَا)
(فلو غَيْر أخوالي أرادوا نَقِيصَتي ... جَعَلْتُ لهم فَوْقَ العَرانِينِ مِيسَما)
(وَهَلْ لِيَ أُمٌّ غَيْرُها إن ذَكَرْتُها ... أَبى اللَّهُ إلا أن أكون لها ابْنَمَا)
((وقد كُنتَ تَرْجُو أن أكونَ لِعَقْبكم ... زَنيماً فما أُجْرِرْتُ أن أتَكَلَّما
وقال محمد بن سلام
المتلمس هو جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن ربيعة بن دوفن بن حرب وسائر النسب على ما تقدم قال
والمتلمس خال طرفة بن العبد وكان طرفة قد هجاه
وقال ابن قتيبة
هو المتلمس بن عبد العزى ويقال ابن عبد المسيح من بني ضبيعة ابن ربيعة
ثم من بني دوفن وأخواله بنو يشكر واسمه جرير
وقال أبو حاتم عن الأصمعي
اسمه جرير بن زيد ويقال اسمه عمرو بن الحارث ويقال اسمه عبد المسيح بن جرير
المتلمس من الشعراء المقلين المفلقين
والمتلمس من شعراء الجاهلية المقلين المفلقين وجعله ابن سلام في الطبقة السابعة من شعراء الجاهلية وقرن به سلامة بن جندل
وحصين بن الحمام والمسيب بن علس
وقال ابن قتيبة قال أبو عبيدة
واتفقوا على أن أشعر المقلّين في الجاهلية ثلاثة المتلمس والمسيب ابن علس وحصين بن الحمام المري
قال ابن قتيبة
وكان للمتلمس ابن يقال له عبد المنان أدرك الإسلام وكان شاعرا وهلك ببصرى ولا عقب له
وقال أبو عبيدة
كانت ضبيعة بن ربيعة رهط المتلمس حلفاء لبني ذهل بن ثعلبة بن عكابة فوقع بينهم نزاع ومخاصمة فقال المتلمس يعاتب بني ذهل
(ألم تَرَ أنَّ المَرْءَ رَهْنُ مَنيَّة ... صَرِيعٌ لعافِي الطَير أو سَوفَ يُرْمَسُ)
(فلا تَقْبلَنْ ضَيْماً مخَافَةَ ميتة ... ومُوتَنْ بها حُرًّا وجِلْدُك أملس)
(فمن حَذِر الأيام ما حزَّ أنفَه ... قَصِيرٌ وخاض الموتَ بالسيف بَيْهَسُ)
((نَعامَةُ لمَّا صَرَّعَ القَومُ رَهْطَه ... تَبَيَّن في أثوابه كيف يَلْبَسُ
(وما الناسُ إلا ما رَأَوْا وَتَحدَّثوا ... وما العَجْزُ إلا أن يُضامُوا فَيجلِسوا)
(ألم تَرَ أن الجَوْنَ أصبح راسياً ... تُطِيف به الأيامُ ما يَتَأيَّسُ)
الجون جبل أو حصن جعله جونا للونه
ما يتأيس أي لا يؤثر فيها الدهر يقول فليس الإنسان كالحجارة والجبال التي لا تؤثر فياه الأيام ولكنه غرض للحوادث فلا ينبغي له أن يقبل ضيما رجاء الحياة
وقال الرياشي الجون حصن اليمامة ويقال إنه أعيا تبعا
(عَصَى تُبَّعاً أيامَ أُهْلكت القُرَى ... يُطَان عليه بالصَّفيح ويُكْلَسُ)
(هَلُمَّ إليها قد أُثيرتْ زُروعُها ... وَدَارتْ عليها المَنْجُونَ تَكَدَّسُ)
(وذاك أوان العِرْضِ جُنَّ ذُبابُه ... زَنابيرُه والأَزْرَق المُتَلمِّسُ)
((فإنْ تُقبلوا بالوُدِّ نُقْبِلْ بمِثْله ... وإلا فإنَّا نَحْنُ آبَى وأَشْمَسُ
(يكونُ نَذِير مِن ورائي جُنَّةٌ ... ويَمْنعني منهمْ جُلَيٌّ وأَحْمَسُ)
نذير ابن بهثة بن حرب بن وهب بن جلي بن أحمس بن ضبيعة
وقال أبو عمرو نذير ابن ضبيعة بن نزار
(وإن يَكُ عنّا في حُبَيْبٍ تَثاقُلٌ ... فقد كان منّا مِقْنَبٌ ما يُعَرِّسُ)
أراد حبيب فخفف وهو حبيب بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل يقول إن تثاقلوا عنا وقطعوا الرحم فإن لقومي غزى ما يعرس ما يعرس في الغزو
حديث بيهس
فأما حديث بيهس الذي ضرب به المثل فإن أبا عبيدة قال
مدركو الأوتار في الجاهلية ثلاثة سيف بن ذي يزن الحميري وبيهس الفزاري وقصير صاحب جذيمة الأزدي وقد مضى خبر قصير وسيف في موضعهما من هذا الكتاب وروى أبو حاتم عن الأصمعي
أن بيهسا الفزاري غزا ربعه قوم فأغاروا على إخوته وأهل بيته وقتلوهم أجمعين وأسروا بيهسا فلما نزلوا بعض المنازل راجعين نحروا جزورا فأكلوا وقالوا ظللوا البقية فقال بيهس لكن بالأثلات لحم لا يظلل يعني أجساد من أصيب من قومه فذهبت مثلا فلطمه رجل منهم وجعل
يدخل رجليه في يدي سرباله فقال له رجل منهم لم تلبس هذا اللبس وجعل يعلمه كيف يلبس وكان يقال إن به طرقة يعني جنونا فقال
(البَسْ لكُل عِيشة لَبُوسَها ... إمَّا نَعِيمَها وإمَّا بُوسَها)
فلطمه الرجل الذي كان لطمه مرة أخرى فقال له بيهس لو نكلت عن الأولى لم تعد إلى الثانية فقال بعضهم إن مجنون فزارة هذا ليتعرض للقتل فخلوا عنه فخلوه فلما أتى أهله جعل نساؤه يتحفنه فقال يا حبذا التراث لولا الذلة فذهبت مثلا فاجتمع عليه الغم مع ما به من قلة العقل فجعلت أمه تعاتبه ويشتد عليها ذلك منه فقالت لو كان فيك خير لقتلت مع قومك فقال لو خيرت لاخترت فذهبت مثلا ثم جمع جمعا وغزا القوم الذين وتروه ومعه خال له فوجدوهم في وهدة من الأرض كبيرة فدفعه خاله عليهم وكان جسيما طويلا وإنما سمي نعامة لذلك فقاتل القوم وهو يقول مكره أخوك لا بطل

فذهبت مثلا وقتل القوم وأدرك بثأره
وقال يعقوب بن السكيت في كتاب الأمثال روي مثله عن أبي عبيدة وروى هذا الخبر أيضا أبو عبيد القاسم بن سلام واللفظ ليعقوب وروايته أتم الروايات قال
كان بيهس وهو رجل من بني غراب بن فزارة بن ذبيان بن بغيض سابع سبعة إخوة فأغار عليهم ناس من أشجع بن ريث بن غطفان وبينهم حرب وهم في إبلهم فقتلوا ستة نفر منهم وبقي بيهس وكان يحمق وكان أصغرهم فأرادوا قتله ثم قالوا ما تريدون من قتل مثل هذا أيحسب عليكم برجل ولا خير فيه فتركوه فقال دعوني أتوصل معكم إلى الحي فإنكم إن تركتموني وحدي أكلتني السباع وقتلني العطش ففعلوا فأقبل معهم فنزل منزلا فنحروا جزورا في يوم شديد الحر فقال بعضهم ظللوا لحمكم لا يفسد فقال بيهس لكن بالأثلات لحم لا يظلل فقالوا إنه لمنكر وهموا أن يقتلوه ثم تركوه ففارقهم حين انشعب طريق أهله فأتى أمه فقالت ما جاء بك من بين إخوتك فقال لو خيرك القوم لاخترت فأرسلها مثلا ثم إن أمه تعطفت عليه ورقت له فقال الناسُ قد أحبت أم بيهس بيهسا ورقت له فقال بيهس ثكل أرأمها ولدا فأرسلها مثلا أي عطفها ثم جعلت تعطيه ثياب إخوته ومتاعهم فيلبسها فقال يا حبذا التراث لولا الذلة فذهبت مثلا ثم أتى على ذلك ما شاء الله ثم إنه مر على نسوة من قومه وهن يصلحن امرأة يردن أن يهدينها لبعض القوم الذين قتلوا إخوته فكشف عن استه ثوبه وغطى رأسه به فقلن ويلك ما تصنع يا بيهس فقال
(الْبس لكُلِّ عيشة لَبُوسَها ... إمَا نَعِيمَها وإما بُوسَها)
فأرسلها مثلا فلما أتى على ذلك ما شاء الله جعل يتتبع قتلة إخوته فيقتلهم ويتقصاهم حتى قتل منهم ناسا كثيرا فقال بيهس
(يا لَها نَفْساً يا لَهَا إنَّني ... لها الطُّعمُ والسّلامَهْ)
(فقَد قَتل القَومُ إخْوَتها ... بكُلِّ واد زُقاءُ هَامَهْ)
(فَلأطرقَنْ قَوماً وهُم نيامٌ ... وأبركَنْ بِرْكَةَ النَّعَامَهْ)
وبهذا البيت لقب نعامة
((قابِضٍ رِجْلٍ باسط أُخْرَى ... والسّيفَ أُقْدمه أمَامَهْ)
ثم أخبر أن ناسا من أشجع في غار يشربون فيه فانطلق إلى خال له يقال له أبو حشر فقال له هل لك في غار فيه ظباء لعلنا نصيب منهن فقال نعم فانطلق بيهس بأبي حشر حتى إذا قام على فم الغار دفع أبا حشر في فم الغار فقال ضربا أبا حشر فقال بعض قومهم إن أبا حشر لبطل فقال أبو حشر مكره أخوك لا بطل فكان بيهس مثلا في العرب فقال بعض شعراء بني تغلب
(لُقمان مُنْتَصراً وقُسٌّ ناطقاً ... ولأنْتَ أجْرأُ صَولةً من بَيْهس)
وقال الزبير بن بكار
قتل إخوة بيهس نصر بن دهمان الأشجعي وأراد قتل بيهس فقيل له إنه أحمق فأعده لأمه تسكن إليه فلما بلغوا قال نصر ظللوا ذلك اللحم فذاك حيث يقول نعامة لكن بالأثلات لحم لا يظلل ففزع منه نصر فقيل له كلمة جاءت من أحمق
قال الزبير الأثلات شجر وهو الطرفاء
قال أبو عبيد الأثلات موضع
وقد روي أن هذا المثل مكره أخوك لا بطل لغير نعامة أو خاله أبي حشر
روي أن عبيد بن شرية الجرهمي وهو أحد المعمرين حدث معاوية ابن أبي سفيان في حديث فيه طول
أول من قال مكره أخوك لا بطل
أن مالك بن جبير سأل حارثة بن عبد العزى في مجلس علقمة بن علاثة الجعفري عن أول من قال مكره أخوك لا بطل فقال حارثة أول من قال ذلك جرول بن نهشل بن درام بن كعب وكان جبانا هيوبا قد عرف الناس ذلك منه غير أنه كان ذا خلق كامل وإن حيا من أحياء العرب أغاروا على بني دارم وهم خلوف فاستاقوا أموالهم ونساءهم وسيدهم يومئذ نهشل بن دارم أبو جرول
فخرج واجتمع إليه قومه فنادى فيهم أيما رجل لم يأتنا برأس أو أسير أو ظعينة فهو نفي منا ولحقتهم بنو دارم فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعا وأصحابه في ذلك يأتونه بالرؤوس والأسرى والظعائن وكان لنهشل ستة إخوة وهو سابعهم عبد الله ونهشل ومجاشع وأبان وجرير وفقيم وخيبري هؤلاء بنو دارم بن كعب فساد القوم كلهم يومئذ مجاشع وذلك لأنه أتاه بما فرض على ثلاثين رجلا بعشرة رؤوس وعشرة أسارى وعشرة ظعائن فقسمها فيمن لم يكن قتل ولا أسر ولا استنقذ وإن جرولا أتى عمه مجاشعا فقال يا عم أعطني منها رأسا فقال له عمه يا جرول إن الهمام يصدق الحسام فسار جرول متذمرا حتى حمل على ناحية الجمهور على رجل يسوق ظعينة فلما رآه الرجل خشيه لكمال خلقه وهو لا يعرفه وكان قد سمع بخبر جرول وجبنه فلما دنا منه جرول هم الرجل بترك الظعينة فقال أنا جرول بن نهشل في
الحسب المؤثل فعطف عليه الرجل فقال يا جرول بن نهشل إن الوهل فشل وليس هكذا البطل والقول يرفعه العمل ثم إنه طعن فرمى جرولا طعنة فكبا جواده فأخذه وكتفه ثم ساقه وهو يقول
(إذا ما لِقيتَ امْرأً في الوَغَى ... فذكر بنَفسك يا جَرْوَلُ)
حتى انتهى به إلى قائد الجيش ورئيس القوم وكان قد عرف جبن جرول فقال له يا جرول ما عهدناك تقاتل الأبطال ولا تحب النزال فقال جرول مكره أخوك لا بطل فأعطاه رأس رجل من بني دارم ثم قال انطلق فالجبن شر من الإسار فعمد إليه الذي كان أسره فجرحه وقال له جئت تستنقذ الظعائن يا لها من ظعينة ما كان أضيعها ثم خلى سبيله وجرول يرى أن الرأس الذي أعطي من رؤوس حزبه فأتى أباه فقال يا أبت هكذا تلقى الأبطال وتسلم الأنفال الجدع خير من النفي ثم قال هذا رأس رجل قتلته فنظر إلى الرأس فإذا رأس رجل من أصحابه فجاء إخوة المقتول فقالوا أقيدونا جرولا بأخينا فإنه قتله فلما رأى جرول الشر وما وقع فيه أخبر أباه والقوم الخبر فعرفوا جبنه
وأنه لم يكن يقتل الرجال فخلوا عنه وقالت عمرة أخت المقتول ترثي أخاها وتذكر جرولا
(ألا يا قتيلا ما قتيلا معاشر ... ثوى بين أحْجار صريعا وجنْدل)
(وقد يصبح الخيل المغيرة فيهم ... ويسْرع كر المُهْر في كُلّ جحْفِل)
(وَيهدِي ضَلولَ القَومِ في لَيلة السُّرَى ... أمينُ القُوى في القَوم لَيس بزُمَّل)

(فأدَّى إلينا رَأسَه ثمَّ جَرْولٌ ... فللَّه ماذا كان من فِعْلِ جَرْولِ)
(فَشَلَّت يداه يَوْمَ يَحْمِلِ رأسَه ... إلى نَهشلٍ والقَومُ حَضْرَةَ نَهْشَلِ
رجع الخبر إلى حديث المتلمس
وروى أبو محمد عبد الله بن رستم عن يعقوب بن السكيت قال قدم المتلمس وطرفة بن العبد على عمرو بن هند فقال
(قُولاَ لِعَمرو بن هِنْدٍ غيرَ مُتَّئِبٍ ... يا أخْنَسَ الأنفِ والأضراسُ كالعَدَسِ)
شبه أضراسه بالعدس في صغرها وسوادها
(مَلْكُ النَّهارِ وأنْتَ الليلَ مُومِسَةٌ ... ماءُ الرِّجالِ على فَخْذَيكِ كالقَرَسِ)
(لو كُنتَ كَلْبَ قَنِيص كُنْتَ ذَا جُدَد ... تكون أُرْبَتُه في آخِرِ المَرَسِ)
(لَعَوْا حَرِيصاً يَقُولُ القانِصان له ... قُبِّحْتَ ذا أنْفِ وَجْه ثَمَّ مُنْتَكِسِ)
المومسة الفاجرة
وأراد بالقرس القريس وهو الجامد
والقنيص القانص والقنيص أيضا الصيد
والأربة العقدة
والمرس الحبل أي هو أخس الكلاب فقلادته أخس القلائد
وقال ابن الكلبي
هذا الشعر لعبد عمرو بن عمار يهجو به الأبيرد الغساني وبسببه قتل عبد عمرو

صحيفة المتلمس

وكان طرفة قد هجا عمرو بن هند أيضا بعدة قصائد فلما قدما عليه كتب لهما إلى عامله على البحرين وهجر وكان عامله عليهما فيما يزعمون ربيعة بن الحارث العبدي وقال لهما انطلقا فاقبضا جوائزكما فخرجا فزعموا أنهما هبطا النجف قال المتلمس يا طرفة إنك غلام حديث السن والملك من عرفت حقده وغدره وكلانا قد هجاه فلست آمنا أن يكون قد أمر بشر فهلم فلننظر في كتبنا هذه فإن يكن قد أمر لنا بخير مضينا فيه وإن تكن الأخرى لم نهلك أنفسنا فأبى طرفة أن يفك خاتم الملك وحرض المتلمس طرفة فأبى وعدل المتلمس إلى غلام من غلمان الحيرة عبادي فأعطاه الصحيفة ولا يدري ممن هي فقرأها فقال ثكلت المتلمس أمه فانتزع المتلمس الصحيفة من الغلام واكتفى بذلك من قوله واتبع طرفة فلم يلحقه وألقى الصحيفة في نهر الحيرة ثم خرج هاربا إلى الشام فقال المتلمس في ذلك
(وَألقيتُها بالثِّنْي مِنَ جَنْب كافرٍ ... كذلك أقْنُوا كل قِطٍّ مُضَلَّلِ)
(رَضِيتُ لها بالماء لمَّا رَأيتها ... يَجُول بها التيَّارُ في كُلِّ جَدْولِ)
قال أبو عمرو كافر نهر بالحيرة وقال غيره كافر نهر قد ألبس الأرض وغطاها وقال أبو عمرو أقنو أحفظ وقال غيره أقنو أجزي يقال لأقنونك قناوتك أي لأجزينك بفعلك
والقط الصحيفة
فيقول حفظي لهذا الكتاب أن أرمي به في الماء
وقال المتلمس أيضا وقد كان فيما يقال قال لطرفة حين قرأ كتابه تعلمن أن الذي في صحيفتك مثل الذي في صحيفتي
قال طرفة إن كان
اجترأ عليك فلم يكن ليجترىء علي ولا ليغرني ولا ليقدم علي فلما غلبه صار المتلمس إلى الشام وقال
(مِن مُبلِغ الشُّعراء عَن أخَوَيْهِم ... نَبأً فَتَصْدُقَهمْ بذاك الأنْفُسُ)
(أوْدَى الذي عَلِقِ الصَّحيفةَ منهما ... ونَجا حِذارَ حِبائه المُتلمِّسُ)
(ألْقَى صحيفَته ونَجَّت كورَهُ ... وَجْناءُ مُجْمرة المَناسِم عِرْمِسُ)
(عَيْرانَةٌ طَبَخَ الهَواجِرُ لحمها ... فكأنَّ نُقْبَتَها أدِيمٌ أمْلَسُ)
(أُجُدٌ إذا ضَمِرتْ تَعزَّز لحمُها ... وإذا تُشَدُّ بِنِسْعِها لا تَنْبِسُ)
(وتَكاد مِن جَزَع يَطِيرُ فُؤادُها ... إنْ صاحَ مُكَّاءُ الضُّحا مُتَنَكِّسُ)
الوجناء الضخمة الغليظة الصلبة كأنها لصلابتها ضربت بمواجن القصار واحدتها ميجنة وهي مدقة
ومجمرة المناسم مجتمعة لطيفة في صلابة
وعظم الأخفاف من الهجنة وليس من صفة النجائب والعرمس الناقة الصلبة شبهت بالعرمس وهي الصخرة الصلبة
وتعزز تشدد
وتنبس تنطق وتصيح
وطبخ الهواجر لحمها أي
سافرت عليها حتى انجرد شعرها
ونقبتها لونها والمكاء طائر يطير في الجو ثم يتنكس
وقال محمد بن موسى الكاتب
زعموا أن الكتب لم تزل في قديم الدهر منشورة غير مختومة ولا معنونة فلما قرأ المتلمس صحيفته
التي كتبها له عمرو بن هند إلى عامله بالبحرين واطلع على سره فيها ختمت الكتب
وروي عن الرياشي عن عمرو بن بكير عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية عن سماك بن عمرو قال أخبرني عبيد راوية الأعشى ورأيته بالحيرة زمن معاوية شيخا كبيرا قال أخبرني الأعشى قال حدثني المتلمس قال

المتلمس وطرفة عند عمرو بن هند

قدمت أنا وطرفة بن العبد على عمرو بن هند وكان غلاما معجبا تائها يتخلج في مشيته بين يديه فنظر إليه نظرة كادت تقتلعه من الأرض وكان عمرو لا يبتسم ولا يضحك وكانت العرب تسميه مضرط الحجارة وملك ثلاثا وخمسين سنة وكانت العرب تهابه هيبة شديدة له يقول الذهاب العجلي
(أبَى القَلبُ أنْ يَهْوَى السَّدِيرَ وأهْلَه ... وإن قِيل عَيْشٌ بالسَّدير غَريرُ)
(فلا أنذِرُوا الحيَّ الذي نَزَلُوا به ... وإنِّي لِمنِ لم يأْتِه لَنَذِيرُ)
(به البَقُّ والحُمَّى وأُسْدُ خَفِيَّة ... وعَمرو بنُ هِند يعْتِدي ويَجورُ)

قال المتلمس فقلت لطرفة إني لأخاف عليك من نظرته إليك هذه مع ما قلت قال كلا فكتب لنا كتابا إلى المكعبر كتب ولم نره وختم ولم نره لي كتاب وله كتاب وكان المكعبر عامله على عمان والبحرين فخرجنا حتى إذا هبطنا بذي الركاب من النجف إذا أنا بشيخ على يساري يتبرز ومعه كسرة يأكلها وهو يقصع القمل فقلت تالله ما رأيت شيخا أحمق وأضعف وأقل عقلا منك قال وما تنكر قلت تتبرز وتأكل وتقصع القمل قال أدخل طيبا وأخرج خبيثا وأقتل عدوا وأحمق مني الذي يحمل حتفه بيمينه لا يدري ما فيه قال فنبهني وكأنما كنت نائما فإذا غلام من أهل الحيرة فقلت يا غلام تقرأ قال نعم قلت اقرأه فإذا فيه من عمرو بن هند إلى المكعبر إذا جاءك كتابي هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا فألقيت الصحيفة في النهر

فذلك حيث أقول

(... وألقيتها بالثِّنْي من جنب كافِرِ)

البيتين

وقلت يا طرفة معك مثلها قال كلا ما كان ليفعل ذلك في عقر داري قال فأتى المكعبر فقطع يديه ورجليه ودفنه حيا ففي ذلك يقول المتلمس

(مَن مُبلغ الشُّعراء عن أخَوَيْهِمُ ... نَبَأً فَتصْدُقهم بذاك الأنْفُسُ)

(أوْدَى الذي عَلَق الصَّحيفة مِنهما ... ونَجَا حِذار حِبائه المُتلمِّس)

(ألْقِ الصَحيفةَ لا أبالَك إنّه ... يُخْشَى عليكِ مِن الحِبَاء النِّقْرِسُ)

(ألقَى صَحيفَتَه ونَجَّت كُورَه ... وَجناءُ مُجْمَرة الفَراسِنِ عِرْمِسُ)

(أجُدٌ إذا ضَمرتْ تَعزَّز لحمُها ... وإذا تُشَدُّ بنسْعِها لا تَنبِسُ)

وقال ابن قتيبة

كان المتلمس ينادم عمرو بن هند هو وطرفة بن العبد فهجواه فكتب لهما إلى عامله بالبحرين كتابين أوهمهما أنه أمر لهما بجائزة وكتب إليه يأمره بقتلهما فخرجا حتى إذا كانا بالنجف إذا بشيخ عن يسار الطريق يحدث ويأكل من خبز في يده ويتناول القمل من ثيابه فيقصعه فقال المتلمس ما رأيت كاليوم شيخا أحمق فقال الشيخ وما رأيت من حمقي أخرج خبيثا وأدخل طيبا وأقتل عدوا أحمق والله مني من يحمل حتفه بيده فاستراب المتلمس بقوله وطلع غلام من الحيرة فقال له المتلمس

أتقرأ يا غلام قال نعم ففك صحيفته ودفعها إليه فإذا فيها

أما بعد فإذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا فقال لطرفة ادفع إليه صحيفتك يقرأها ففيها والله ما في صحيفتي فقال طرفة كلا

لم يكن ليجترىء علي فقذف المتلمس صحيفته في نهر الحيرة

وقال

(... قذفت بها بالثِّنْي من جَنب كافر)

وأخذ نحو الشام وأخذ طرفة نحو البحرين فضرب المثل بصحيفة المتلمس

عمرو بن هند يحرم عليه حب العراق

(آلَيْتُ حَب العِراق الدَّهرَ آكلُه ... والحَبُّ يَأكُله في القَرْية السُّوسُ)

وأتى بصرى فهلك

بها

وروى أبو بكر محمد بن عليب الفارسي عن أبيه عن الغلابي عن ابن بكار

أن الفرزدق قدم المدينة على سعيد بن العاصي وهو واليها لمعاوية ابن أبي سفيان عند هربه من زياد فدخلها وسعيد يعشي الناس وهو جالس على منبر والناس على كراسي وكان الحطيئة وكعب بن جعيل حاضرين فتقدم الفرزدق وحدر اللثام عن وجهه ثم قال هذا مقام العائذ

بك من رجل لم يصب دما ولا مالا فقال سعيد قد أجرتك إن لم تكن أصبت دما ولا مالا فمن أنت قال أنا همام بن غالب بن صعصعة وقد أثنيت على الأمير فإن رأى أن يأذن لي لأسمعه ثنائي فعل قال هات فأنشده قصيدته التي يقول فيها

(عليكَ بَني أُمية فاستَجِرْهُمْ ... وخُذْ مِنهمْ لما تَخْشَى حِبَالا)

(فإنّ بَني أُميّة مِن قُرَيش ... بَنَوْا لبُيوتهم عَمَدا طِوَالاَ)

حتى انتهى إلى قوله

(تَرَى الغُرَّ الجحاجح من قريش ... إذا ما الخَطْب في الحَدَثان عَالا)

وحرم عمرو بن هند على المتلمس حب العراق فقال

(بَني عَمِّ النَّبي وَرَهْطَ عَمرو ... وعثمانَ الأُلَى عَظموا فَعَالاَ)

(قِياماً يَنْظُرون إلى سَعيد ... كأنْهمُ يَرَوْن به هِلاَلا)

قوله ورهط عمرو يريد بني هاشم

واسم هاشم عمرو بن عبد مناف

فقال مروان وكان إلى جانب سعيد يا فرزدق فهلا قلت قعودا قال لا والله إلا قائما على رجليك يا أبا عبد الملك فحقدها مروان وقال كعب بن جعيل هذه والله الرؤيا التي رأيتها البارحة قال سعيد وما رأيت قال رأيت كأني في سكك المدينة فإذا أنا بابن قترة

أراد أن يتناولني فاتقيته

وقام الحطيئة فشق ما بين رجلين حتى تجاوزهما إلى الفرزدق فقال

له قل ما شئت فقد أدركت من مضى ولا يدركك من بقي ثم قال لسعيد هذا والله الشعر لا ما كنا نعلل به أنفسنا منذ اليوم وزاد الغلابي في حكايته هذه

قال وقد ذكر محمد بن سلام عن أبي يحيى الضبي

أن الحطيئة لما قال للفرزدق هذه المقالة قال كعب بن جعيل فضله على نفسك ولا تفضله على غيرك فقال الحطيئة والله أفضله على نفسي وغيري ثم قال له يا غلام أنجدت أمك قال بل أنجد أبي

ثم أقام الفرزدق بالمدينة يختلف إلى بيوت القيان بها فلما وليها مروان بعد سعيد وفي قلبه على الفرزدق ما فيه وقد كان مروان نهاه في صدر ولايته عن المداخل التي كان يدخلها وعن قول الخنى في شعره فبعث إليه ألم أنهك عن الإفصاح بالخنى والإقرار بالفسق أخرج عن المدينة فإني عاهدت الله لئن أصبتك بها بعد ثلاثة لأقطعن لسانك
الفرزدق ومروان
وأخبرنا أبو بكر بن دريد ها هنا قال
فقال الفرزدق
(تَوَعّدني وَأجّلني ثَلاثاً ... كما وُعِدَتْ لمهْلِكِها ثَمُودُ)
قال الغلابي فحدثني العباس بن بكار قال
بعث إليه مروان بكتاب مختوم وقال توصله إلى عاملي فقد كتبت إليه أن يدفع إليك ثلاثمائة دينار فإذا أصبحت فاغد حتى تودعني وكتب إلى عامله أن يضربه مائة سوط ويحبسه ثم ندم مروان فقال يعمد إلى الكتاب
فيفتحه ويقرأ ما فيه فيهجوني وأهل بيتي فلما أصبح غدا عليه الفرزدق فقال له مروان إني قد قلت في هذه الليلة أبياتا فاقرأها فقال الفرزدق وما قلت قال قلت
(قُلِ للفَرَزْدق والسَّفاهة كاسمها ... إن كُنْت تَاركَ ما نَهيتُك فاجْلِس)
(ودَعِ المَدِينَة إنَّها مَذْمُومةٌ ... واقصد لمكَّة أوليَبيت المَقْدِسِ)
(وإن اجْتنبْتَ من الأمور عَظِيمةً ... فاعْمِدْ لِنَفسك بالزَّمَاع الأكْيَس)
ففطن الفرزدق لما أراد فقال
(يا مَرْوُ إنَّ مَطيتي مَحْبُوسةٌ ... تَرجو الحَباءَ وربُّها لم يَيأس)
(وحَبْوتني بصحيفة مختومة ... يُخْشى عليَّ بها حَبَاءُ النِقرِس)
(ألق الصحيفة يا فرزدقُ لا تَكن ... نَكداءَ مِثْلَ صحيفة المُتلمِّس)
ثم رمى بالصحيفة في وجهه وخرج حتى أتى سعيد بن العاصي وعنده الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر عليهم السلام فأخبرهم الخبر فأمر له كل واحد منهم بمائة دينار وراحلة فأخذ ذلك وتوجه إلى البصرة
وصار إلى مروان جماعة من أهله فندموه على فعله وقالوا له تعرضت لشاعر مضر فندم وبعث إليه رسولا ومعه مائة دينار وراحلة فأوصل ذلك إليه وصار حتى قدم البصرة
رجع الخبر إلى حديث المتلمس
وقال أبو عبيدة
لما بلغ النعمان بن المنذر لحوق المتلمس بالشام وكانت غسان قتلت أباه يوم عين أباغ شق عليه لحوقه بغسان وحلف ألا يدخل العراق ولا يطعم بها حتى يموت فقال المتلمس
وروى أبو محمد بن رستم عن ابن السكيت أن عمرو بن هند كتب إلى عماله على الريف ليأخذوا المتلمس ويمنعوه من الميرة فقال المتلمس
(يا آل بَكْرٍ ألاَ للَّه أمُّكم ... طال الثَّواءُ وَثَوْبُ العَجز مَلْبُوسُ)
(أغنيتُ شأني فأغنوا اليومَ شأنكم ... واستَحْمقُوا في مراس الحرب أوْ كيسُوا)
(إنّ عَلاَفاً وَمَنْ باللُّوْذِ من حَضَنٍ ... لما رأوْا أنه دِينٌ خَلابيسُ)
علاف هو ربان بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة وحضن جبل معروف واللوذ نواحيه
يقول قد ثويتم على العجز لا تطلبون يوم طرفة ويقال أمر خلابيس وهو الأمر فيه اختلاط لا واحد لها
وقال ابن النحاس حضن جبل منجد يقال إن علافا كانوا بهذا الجبل فلما أوذوا تحولوا إلى عمان
وقال خلابيس أمر فيه عور واختلاط وفساد ويقال أمر خلابيس إذا كان متفرقا
سامة بن لؤي بن غالب
(رَدُّوا عليهم جمال الحي فارْتَحلوا ... والظُّلمُ يُنكرُه القومُ الأكاييسُ)
ويروى
((شدُّوا الجِمالَ بأكوارٍ على عَجَلٍ ... والضَّيمُ يُنْكِره القومُ المَكاييسُ)
(كانوا كَسَامَةَ إذ شَعْفٌ مَنازلُه ... ثم اسْتمرَّتْ به البُزْلُ القَنَاعيس)
وروى يعقوب
(... كونُوا كسامة إذْ خَلَّى مساكِنَه)
يريد سامة بن لؤي بن غالب
قال ابن الكلبي
وكان من سببه أنه جلس هو وأخواه كعب وعامر ابنا لؤي يشربون فوقع بينهم كلام ففقأ سامة عين عامر وخرج إلى عمان مغاضبا
وقال أبو عبيدة
بل فقأ عين سعد أخيه
وقال أبو العباس الأحول
لما غاضب سامة بن لؤي قومة خرج إلى عمان فأبى الضيم وكان ينزل بكبكب وهو الجبل الأحمر وراء عرفة فتركه ومضى والمكاييس جمع مكياس
قال وشعاف الجبل أعاليه
وأراد أنه كان منزله بمكة وهي أعلى البلاد وقال غيره شعف موضع بالبحرين
(حَنَّت قَلُوصِي بها والليلُ مُطَّرِقٌ ... بَعد الهدُوء وَشَاقَتْها النَّواقِيسُ)
مُطَّرِق يقال تطرق أي ركب بعض ظلمته بعضا
يقول حنت
ناقتي إلى الشام وشاقتها النواقيس لأن غسان كانوا نصارى
(مَعقولةٌ يَنْظُرَ التَشْريقَ راكبُها ... كأنّه مِن هوًى للرَّمْل مَسْلُوس)

ويروى
(... كأنه طَرَفٌ للرمل مَسْلُوسُ)
يريد بالتشريق أيام التشريق أي ينظرها لرمي الجمار ثم يذهب إلى الشام وكان حج حين هرب
والمسلوس والمألوس الذاهب العقل وقال ابن النحاس يريد بالتشريق إشراق الشمس
(وقد أضاء سُهَيْلٌ بعد ما هَجَعُوا ... كأنه ضَرَمٌ بالكَفِّ مَقْبوسُ)
(أنَّى طَرِبْتِ ولم تُلْحَيْ على طَرَب ... ودونَ إلْفِكِ أمْرَاتٌ أمَالِيسُ)
(حَنَّت إلى نَخْلَة القُصْوَى فقلتُ لها ... بَسْلٌ حَرَامٌ ألاَ تِلْكَ الدَّهاريسُ)
الأمرات والأماليس التي لا نبات بها
ونخلة معرفة غير مصروف وهو واد مما يلي نجدا
ونخلة القصوى طريق الشام
وبسل حرام
والدهاريس الدواهي ولا واحد لها وحكي علي بن سليمان الأخفش عن أبي العباس الأحول أن واحدها دهرس
(أُمِّي شآمِيَّة إذ لا عِرَاقَ لنا ... قَوْماً نَوَدُّهُمُ إذ قَوْمُنا شُوسُ)
أمي أي اقصدي
شآمية أي ناحية شامية والأشوس الذي ينظر إليك نظر البغضة
(لن تَسْلُكي سُبُل البَوْبَاة مُنْجِدَةً ... ما عَاشَ عَمروٌ ولا ما عَاش قابُوسُ)
وروى الأصمعي
(... ما عِشت عَمرٌو ولا ما عِشْتَ قابوس)
على النداء
والبوباة ثنية في طريق نجد ينحدر منها إلى العراق
وعمرو وقابوس ابنا المنذر
(آليت حَبَّ العِراق الدَّهْرَ أَكُلُه ... والحَبُّ يَأكله في القَرِيَة السُّوس)
(لم تَدْرِ بُصْرَى بما آليتُ مِن قسمٍ ... ولا دِمَشْقُ إذا ديسَ الكَداديسُ)
يقول لم تدر بلاد الشام بيمينك فتبرها وتمنعني حبها كما منعتني حب العراق
والكداديس جمع كدس على غير قياس ويروى إذا ديس الفراديس
والفراديس درب يقال له درب الفراديس
وقال ابن النحاس الفراديس موضع بدمشق أي إذا درست الزروع التي عند الفراديس
وقال الأصمعي الفراديس البساتين واحدها فردوس أي لم تبلغ الشام يمينك لهوانك عليها يهزأ به
وقوله
(... والحَبّ يأكله في القرية السُّوس)
لكثرته عندهم
(فإنْ تَبدَّلْتُ من قَوْمِي عَدِيَّكُمُ ... إنِّي إذاً لَضعيفُ العَقلِ مَألُوس)
(كم دون مَيَّةَ من مُسْتَعْمَل قُذُف ... ومن فَلاةٍ بها تُستْودَعُ العِيسُ)
(ومِن ذُرَا عَلَم ناءٍ مَسَافتُه ... كأنّه في حَبَابِ الماءِ مَغْمُوسُ)
(جاوزْتُه بأمُون ذات مَعْجمَة ... تَرْمِي بكَلْكَلِها والرَّأسُ مَعْكُوسُ)
ويروى من دوية قذف
ويروى تنجو بكلكلها
والمستعمل الطريق الموطأ
والقذف البعيد
يقول إن العيس لبعد هذا الطريق تسقط فيه فيتركونها ويريد كأن العلم إذا انغمس في السراب مغموس في الماء
والأمون يؤمن عثارها وخورها ومعجمتها خبرها من عجمت العود إذا عضضته لتنظر صلابته ويقال المعجمة الصلابة
ومعكوس بالزمام لنشاطها
وروي أن أبا عمرو بن العلاء لقي الفرزدق فاستنشده بعض شعره فأنشده
(كم دون مَيَّة من مستعمل قُذُف ... ومن فَلاة بها تُستودع العِيسُ)
فقال له أبو عمرو أو هذا لك يا أبا فراس فقال اكتمها علي والله لضوال الشعر أحب إلي من ضوال الإبل
المتلمس يهرب إلى الشام ويقول شعرا
وقال أبو عبيدة
لما لحق المتلمس بالشام هاربا من عمرو بن هند وهند أمه وهي بنت الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية
الكندي وهو عمرو بن المنذر بن الأسود بن النعمان بن المنذر بن امرىء القيس بن النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن
عدي بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن عمم وهو عدي بن نمارة بن لخم
وقال ابن الكلبي إنما سمي عمما لأنه أول من تعمّ وذلك حين كتب له عمرو بن هند ولطرفة فقرأ المتلمس كتابه فلما
رأى الداهية هرب وسار طرفة إلى عامل البحرين فقتله فقال المتلمس يذكر لحاقه بالشام ويحرض قوم طرفة على
الطلب بدمه
((إنَّ العِراقَ وأهْلَه كانُوا الهوَى ... فإذا نأني وُدُّهمْ فَلْيَبْعد
(فَلَتَتْرُكَنَّهمُ بلَيْلٍ ناقَتي ... تدعُ السِّماك وَتَهْتَدِي بالفَرْقَد)
فإن السماك يمان والفرقد شآمي
(تَعْدُو إذا وَقَع المَمرُّ بدَفِّها ... عَدْوَ النَّحُوص تَخَافُ ضِيقَ المَرْصَد)
(أُجُدٌ إذا استَنْفرَتَها مِن مَبْرك ... حُلِبَتْ مَغابِنُها بِرُبٍّ مُعْقَد)
الممر السوط المفتول والنحوص الحائل من الأتن والأجد الموثقة الخلق

ومغابنها أرفاغها شبه عرق تلك المواضع بالرب
(وإذا الرِّكَابُ تَوَاكَلَتْ بعد السُّرَى ... وجَرَى السَّرَابُ على مُتُونِ الجَدْجَدِ)
(مَرحَتْ وصاحَ المَرْوُ من أخفافها ... جَذْبَ القَرِينةِ بالنَّجاءِ الأجْرَدِ)
الجدجد الصلب من الأرض يقال جدد وجدجد
والمرو حجارة بيض
والقرينة بعيران في حبل فإذا أفلت أحدهما لم يأل جهدا
والأجرد الحثيث السريع
(لِبِلادِ قَوْمٍ لا يُرامُ هَدِيُّهم ... وَهَدِيُّ قَوْمٍ آخرين هو الرَّدِي)
(كَطُرَيفَةَ بن العبدِ كان هَدِيَّهُمْ ... ضَرَبُوا صَمِيمَ قَذَاله بمُهَنَّد)
الهدي الجار هنا والهدي أيضا الأسير يقول إن جار غسان لا يضام ولا يرام بسوء
(إنّ الخِيانةَ والمَغالةَ والخَنَى ... والغدرَ تَتْركه بِبَلْدَة مُفْسد)
(مَلِكٌ يُلاعبُ أُمَّه وَقَطِينَه ... رخْوُ المَفَاصِلِ أيرُهُ كالمِرْوَدِ)
يريد عمرو بن هند
والقطين الحشم رماه بالمجوسية ونكاح الأمهات ويقال بل أراد أن به تأسفا
(بالبابِ يَرْصُدُ كُلَّ طالِبِ حاجةٍ ... فإذا خَلاَ فالمَرْءُ غَيْرُ مُسَدَّدِ)
(وإذا حَلَلْتَ ودُونَ بَيْتِيَ غَاوَةٌ ... فابْرُقْ بِأرْضِكَ ما بَدا لك وارْعُدِ)
غاوة موضع بالشام
أو باليمامة ويقال هي أرض دون بني حنيفة يقول تهددني ما بدا لك فإني لا أبالي بوعيدك
(أبَنِي قِلاَبَةَ لم تَكُنْ عَادَاتُكُمْ ... أخْذَ الدَّنِيَّةِ قَبلَ خُطَّةِ مِعْضَدِ)
(لم يَرْحَضِ السوءاتِ عن أحسابكُمْ ... نَعَمُ الحَواثِرِ إذ تُسَاقُ لِمَعْبَدِ)
(فالعَبْدُ دُونكمُ اقْتُلوا بأخِيكمُ ... كالعَيْرِ أبْرَزَ جَنْبَه لِلمطْرَدِ)
قال يعقوب قال ابن الكلبي
قلابة بنت الحارث بن قيس بن الحارث بن ذهل من بني يشكر تزوجها سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة فولدت له مرثدا وكهفا وقميئة ومرقشا الشاعر الأكبر
وقال غير ابن الكلبي
قلابة امرأة من بني يشكر وهي بعض جدات طرفة وهي بنت عوف ابن الحارث اليشكري ويقال هي قلابة بنت رهم
ومعضد بن عمرو الذي ولي قتل طرفة وهو ابن الحواثر
من عبد القيس
وقال غيره
معضد الذي جاء بالإبل لدية طرفة فدفعها إلى قومه
وقال يعقوب
إن الذي قتل طرفة رجل من عبد القيس ثم من الحواثر يقال له أبو ريشة وإن الحواثر ودته إلى أبيه وقومه لما كان من قتل صاحبهم إياه
وقال ابن الكلبي
الحواثر هم ربيعة وجبيل ابنا عمرو بن عوف بن وديعة بن لكيز ابن أفصى بن عبد القيس وعمرو بن عوف بن عمرو بن عوف ابن بكر بن عوف بن أنمار
وحوثرة هو ربيعة بن عمرو وإنما حضر هؤلاء معه فسموا الحواثر والحوثرة حشفة الرجل وإنما سمي حوثرة لأنه ساوم بقدح بعكاظ أو بمكة فاستصغره فقال لصاحبه لو وضعت فيه حوثرتي لملاته فبذلك سمي حوثرة
ومعبد بن العبد أخو طرفة
وقال ابن الكلبي
كان عمرو بن هند ودى طرفة من نعم كان أصابه من الحواثر
يقول لن يغسل عنكم العار أخذكم الدية دون أن تثأروا به وتقتلوا عمرو بن هند الذي هو كالحمار أعرض جنبه للرمح أي أمكن
وروى أبو عبيدة قبل خطة معصد بالصاد غير المعجمة أي
يفعل به من العصد وهو النكاح يريد به عمرو بن هند
وقال غيرهم
إن عمرو بن هند انتفى من قتل طرفة وزعم أنه لم يأمر الحوثري بقتله فأخذت ديته من الحوثري لأنه قتل بيده فدفعت إلى معبد بن العبد أخي طرفة
المتلمس شاعر بني ضبيعة
وروى ابن الكلبي
عن محراش بن إسماعيل العجلي ورواه المفضل الضبي قالا
كان المتلمس شاعر ربيعة في زمانه وإنه وقف على مجلس لبني ضبيعة بن قيس بن ثعلبة فاستنشدوه فأنشدهم شعرا فقال فيه
(وقد أتناسَى الهَمَّ عِند احْتضاره ... بِنَاجٍ عَليه الصَّيْعَرِيّةُ مُكْدَمِ)
والصيعرية سمة تكون للإناث خاصة
فقال له طرفة وهو غلام استنوق الجمل أي وصفت الجمل بوصف الناقة وخلطت فذهبت كلمته مثلا وقال الكميت بن زيد
(هَززتكُمُ لو أنَّ فيكمْ مَهَزَّةً ... وذكَّرتُ ذا التَّأنيث فاسْتَنْوَقَ الجَملْ)
وقال ابن السكيت في كتاب الأمثال
زعموا أن المتلمس صاحب الصحيفة كان أشعر أهل زمانه وهو أحد بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار وأنه وقف ذات يوم على

مجلس لبني قيس ابن ثعلبة وطرفة بن العبد يلعب مع الغلمان يستمعون فزعموا أن المتلمس أنشد هذا البيت
(وقد أتناسى الهمّ عند احْتِضاره ... بناجٍ عليه الصَّيعريّةُ مُكْدَمِ)
والصيعرية فيما يزعمون سمة توسم بها النوق باليمن دون الجمال فقال طرفة استنوق الجمل فأرسلها مثلا فضحك القوم فغضب المتلمس ونظر إلى لسان طرفة وقال ويل لهذا من هذا يعني رأسه من لسانه
وقال أبو محمد بن رستم حدثني أبو يعقوب بن السكيت قال
عاب طرفة وهو غلام على المسيب بن علس بيتا قاله في قصيدته وهو قوله
(وقد أتناسى الهَمَّ عِند احْتضاره ... بناجٍ عليه الصّيعريّة مُكْدَمِ)
الصيعرية سمة تكون على الإناث خاصة
مكدم غليظ
(كُمَيْت كِنَازِ اللَّحْم أو حِمْيريّة ... مُواشِكة تَنْفي الحَصَى بمُثلَّمِ)
كناز مكتنز اللحم
مواشكة سريعة
وملثم خف قد لثمته الحجارة
(كأنْ على أنْسائه عِذْقَ خَصْبَة ... تَدلّى من الكافُور غَيْرَ مُكَمّمِ)
شبه هلب ذنبه بكباسة الخصبة وهي الدقلة والجمع الخصاب
وغير مكمم غير مغطى
فقال طرفة وهو لا يعرفه استنوق الجمل أي إن هذه السمة لا تكون إلا على الناقة فقال له المسيب ارجع إلى أهلك بوامئة وهي الداهية فقال له طرفة لو عاينت هن أمك هناك فقال له المسيب من أنت قال طرفة بن العبد
فأعرض عنه المسيب
الأصمعي يقول المتلمس من الفحول
وقال ابن النحاس قال الأصمعي
المتلمس من الفحول
وقال أبو عبيدة
لم يسبق المتلمس إلى قوله
((لِذِي الحِلْمِ قَبلَ اليوم ما تُقْرَعُ العَصا ... وما عُلِّم الإنسانُ إلاَّ لِيعْلَما
(وما كُنْتَ إلاَّ مِثْلَ قاطِعِ كَفِّه ... بكَفٍّ لهُ أُخْرَى فأصْبح أجْذَما)
(يَدَاه أصَابَتْ هذه حَتْفَ هَذه ... فلم تَجِدِ الأُخْرَى عَليها تَقَدُّما)
(فلما استَقاد الكَفُّ بالكَفّ لم يَجِدْ ... له دَرَكاً في أنْ تَبِينَا فَأحْجَما)
(فَأطْرَقَ إطْرَاقَ الشُّجاع ولو يَرَى ... مَسَاغاً لنابَيْه الشُّجَاعُ لَصَمَّما)
قال
وذو الحلم عامر بن الظرب العدواني لما كبر قال لأهله إن جرت في حكومتي فاقرعوني بعصا
لمن قرعت العصا
وقال أبو رياش
قرع العصا مثل تدعيه دوس وهم من أزد السراة لعمرو بن حممة وتدعيه قيس لعامر بن الظرب العدواني وتدعيه بنو قيس بن ثعلبة لسعد بن مالك بن ضبيعة
فأما ما تدعيه دوس لعمرو بن حممة فالخبر فيه وفي عامر بن الظرب واحد وهو أنه كان كل واحد منهما حكما للعرب يتحاكمون إليه في كل معضلة وعمرو بن حممة في هذا الحديث أشهر وذلك أن العرب أتوه يتحاكمون إليه فغلط في بعض حكومته وكان الشيخ قد أسن وتغير فقالت له بنته إنك قد صرت تهم في حكمك يقال وهم الرجل إذا غلط وذهب وهمي إلى كذا أي ظني وأوهم إذا أسقط فقال لابنته إذا رأيت ذلك فاقرعي لي العصا وكانت إذا قرعت له بالعصا ثاب إليه حلمه فأصاب في حكمه
وأما ما تدعيه بنو قيس بن ثعلبة فيزعمون أن سعد بن مالك بن ضبيعة ابن قيس أتى النعمان الأكبر ومعه خيل بعضها يقاد وبعضها أعراء مهملة فلما انتهى إلى النعمان سأله عنها فقال له سعد إني لم أقد هذه لأمنعها ولم أعر هذه لأهبها فسأله النعمان عن أرضه هل أصابها غيث يحمد أثره أو روى شجره فقال سعد أما المطر فغزير وأما الورق فشكير وأما النافذة فساهرة وأما الحازرة فشبعى نائمة وأما الرمثاء فقد امتلأت مساربها وابتلت جنائبها ويروى الدهناء بدل الرمثاء وأما النبائث فغدر لا تطلع وأما الحذف فعراب لا تنكع تقتر إذا ترتع
الشكير ساعة نبته
والنافذة ضرب من الغنم وكذلك الحازرة أيضا والرمثاء أرض
والنبائث تراب
والحذف غنم صغار
وتنكع تمنع
وتقتر تطلب القرارة وهي بقية القدر ويقال تقتر تطلب القرار وهي صغار الغنم فقال النعمان وحسده على ما رأى من ذرابة لسانه وأبيك إنك لمفوه فإن شئت آتيك بما تعيا عن جوابه فقال سعد شئت إن لم يكن منك إفراط ولا إبعاط مجاوزة القدر فأمر النعمان وصيفا له
فلطمه وإنما أراد أن يتعدى في القول فيقتله فقال له ما جواب هذه قال سعد سفيه مأمور فأرسلها مثلا فقال النعمان للوصيف الطمه أخرى فلطمه فقال ما جواب هذه قال لو نهي عن الأولى لم يعد للأخرى فأرسلها مثلا فقال النعمان للوصيف الطمه أخرى ففعل فقال له ما جواب هذه قال ملك يؤدب عبده فقال الطمه أخرى ففعل فقال ما جواب هذه قال ملكت فاسجح فأرسلها مثلا فقال له النعمان أجبت فاقعد
فمكث عنده ما مكث
ثم بدا للنعمان أن يبعث رائدا يرتاد له الكلأ فبعث عمرو بن مالك أخا سعد بن مالك فأبطأ عليه فأغضبه ذلك فأقسم إن

جاء حامدا أو ذاما ليقتلنه فلما قدم عمرو على النعمان دخل عليه والناس عنده وسعد قاعد لديه مع الناس وقد كان سعد عرف بما أقسم به النعمان من يمينه فقال سعد أتأذن لي أيها الملك فاكلمه قال إن كلمته قطعت لسانك قال فأشير إليه قال إن أشرت إليه قطعت يدك قال فأومىء إليه قال إذا أنزع حدقتك قال فاقرع له العصا قال وما يدريه ما تقول العصا فاقرع له فتناول عصا من بعض جلسائه فوضعها بين يديه وأخذ عصاه التي كانت معه وأخوه قائم فقرع بعصاه العصا قرعة واحدة فنظر إليه أخوه ثم أومأ بالعصا نحوه فعرف أنه يقول له مكانك ثم قرع العصا قرعة واحدة ثم رفعها إلى السماء ومسح عصاه بالأخرى فعرف أنه يقول له لم أجد جدبا ثم قرع العصا مرارا بطرف عصاه ثم رفعها شيئا فعرف أنه يقول ولا نباتا ثم قرع العصا قرعة وأقبل بها نحو النعمان فعرف أنه يقول له كلمه فأقبل عمرو بن مالك حتى قام بين يدي النعمان فقال له النعمان هل حمدت خصبا أو ذممت جدبا فقال عمرو لم أذمم جدبا ولم أحمد خصبا الأرض مشكلة لا خصبها يعرف ولا جدبها يوصف رائدها واقف ومنكرها عارف وآمنها خائف فقال له النعمان أولى لك بذلك نجوت فنجا وهو أول من قرعت له العصا

وعمرو هذا هو الحشام أخو سعد فقال سعد لقرعه العصا

((قَرعتُ العَصا حتَّى تَبيّن صاحِبي ... ولم تَكُ لَولا ذاك للقَوْم تُقْرَعُ

(فقال رَأيْتُ الأرْضَ ليس بِمُمْحِل ... ولا سارحٍ فيها على الرَّعْي يَشْبَعُ)

(سواء فلا جَدْبٌ فيُعرف جَدْبُها ... ولا صَابها غَيْثٌ غَزيرٌ فتُمْرِعُ)

(فَنَجَّى بها حَوْباءَ نَفْس كَريمة ... وقد كَاد لولا ذاك فيهم يُقَطَّعُ)

أول من قرع العصا وقرعت له

وقد روى عبيد بن شرية الجرهمي

أن حارثة بن عبد العزى سأل مالك بن جبير عن أول من قرع العصا وقرعت له وعن قول الشاعر

(وزَعَمتمُ أنْ لا حُلُومَ لَنا ... إنَّ العَصَا قُرِعَتْ لِذِي الحِلْم)

فقال مالك على الخبير سقطت وبالعليم أحطت إن أول من قرع العصا سعد بن مالك أخو بني كنانة حين أتى الملك المنذر بن النعمان ومعه خيل بعضها تقاد مهيأة والأخرى مهملة

وذكر الخبر نحو ما ذكره أبو رياش وفي الألفاظ زيادة ونقصان والمعنى واحد

وذكر الجاحظ

أن عامر بن الظرب العدواني حكم العرب في الجاهلية لما أسن واعتراه النسيان أمر بنته أن تقرع بالعصا إذا هو فهه عن الحكم وجار عن القصد وكانت من حكيمات بنات العرب حتى جاوزت في ذلك مقدار صحر بنت لقمان وهند بنت الخس وجمعة بنت

حابس بن مليل الإياديين وكان يقال لعامر ذو الحلم ولذلك قال الحارث بن وعلة

(وزَعمتمُ أنْ لا حُلومَ لَنا ... إنَّ العَصا قُرِعَتْ لذي الحِلْم)

وقال المتلمس

(لذي الحِلم قَبل اليَوم ما تُقْرَع العَصَا ... وما عُلِّمَ الإنسانُ إلاَّ لِيَعْلَمَا)

وقال الفرزدق بن غالب

(فإنْ كُنتُ أسْتأني حُلومَ مُجاشِعٍ ... فإنَّ العَصا كانت لذي الحِلْم تُقْرَعُ)

ومن ذلك حديث سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة واعتزام الملك على قتل أخيه إن هو لم يصب ضميره فقال له سعد أبيت اللعن أتدعني حتى أقرع العصا له بهذه العصا أختها فقال له الملك وما علمه بذلك أي مما تقول العصا فقرع بها مرة وأشار بها مرة ثم رفعها ثم وضعها ففهم المعنى فأخبره ونجا من القتل

من الشام يهجو

رجع الحديث إلى خبر المتلمس

وروى أبو حاتم عن الأصمعي

أن المتلمس هجا عمرو بن هند بعد لحاقه بالشام فقال

(أطَرَدْتني حَذَرَ الهجاءِ ولا ... واللاَّتِ والأنصابِ ماتئِل)

(ورَهَنْتني هِنداً وعِرضَك في ... صُحُفٍ تَلُوح كأنها خِلَلُ)

(شرُّ المُلوكِ وشرُّها حَسباً ... في النَّاسِ مَن عَلموا ومَن جَهلوا)

((بِئْس الفُحولةُ حِينَ جَدَّ بِهِمْ ... عَرْكُ الرِّهان وبِئْسَ مَا نجَلوا

(أعني الخؤولة والعُمومَ فهُمْ ... كالطِّبْنِ لَيْس لِبَيته حوَلُ)

قال والطبن بكسر الطاء وفتحها لعبة يلعب بها الصبيان في الأعراب وهي بالفارسية السدر وإنما يصفه بالضعف قال أبو النجم

(مِن ذكْر آيات ورَسْمِ لاحي ... كالطِّبْن في مُختلِف الرِّياح)

ويروى أيضا الطبن

وروي أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله جلس يعترض الناس ويكتب الزمنى فوقف عليه أعرابي فأنشأ يقول

(إنْ تَكتُبوا الزَّمْنَى فإنِّي لَزِمِنْ ... مِن ظاهرِ الداءِ وداءٍ مُستكِنّ)

(أبِيتُ أهْوِي في شياطِين تِرِنّ ... مُختلفٍ نَجواهُم حِنّ وجِنّ)

(... فبتْن يَلعَبن حواليَّ الطَّبَنْ)

فقال زمنوا هذا ثم وقف عليه شيخ منهم فقال له ما زمانتك فقال الأعرابي

(فواللّه ما أدري أأدْرَكْتُ أُمَّةً ... على عَهد ذي القَرْنيِن أم كُنتُ أقدَمَا)

(متى تَنْزعا عَني القَمِيصَ تَبيّنا ... جَناجِنَ لم يُكْسَيْنَ لَحْماً ولا دَما)

فقال عمر زمنوا هذا فإنه لا يدري متى ولد

وقوله حن وجن فإن الجن سفلة الجن وقال الجاحظ الجن ضربان حن

وجن كما يقال ناس ونسناس

والشعر الذي فيه الغناء المذكور بسببه خبر المتلمس يقوله المتلمس حين فارق أخواله من بني يشكر

المتلمس منوط في بني عمرو بن مرة
وروى أبو حاتم عن الأصمعي أن المتلمس ولد في أخواله من بني
يشكر ونشأ فيهم حتى كادوا يغلبون عليه فسأل الملك عنه الحارث بن التوأم اليشكري والحارث بن جلدة فقال ممن
المتلمس فقالا هو منوط في بني عمرو بن مرة أي إنه من ضبيعة مرة ومرة منا وهو ساقط بين الحيين
ففارق أخواله ولحق بقومه بني ضبيعة وقال في ذلك
(تَفرّق أهْلي مِن مُقيم وظاعِنٍ ... فللّه دَرّي أيّ أهلَيَ أتبعُ)
(أقام الذين لا أُحِبُّ جِوارهمْ ... وبانَ الذين بَينَهم أتوقّعُ)
قال الرياشي الذي أعرف
(... أقام الذين لا أُبالي فراقهمْ)
(على كُلِّهم آسَى وللأصْل زُلْفَةٌ ... فَزَحْزحْ عن الأدنَيْنَ أن يَتصدّعُوا)
يقول لا تتباعد عن الأدنين فيصدعوا عنك ويفارقوك وإنما عنى أخواله من بني يشكر
وقومه من بني ضبيعة
(ألِكْنِي إلى قَوْمي ضُبيعةَ إنَّهمْ ... أُناسِي فلُومُوا بَعد ذلك أو دَعُوا)
(وقد كان أخوالي كريماً جوارهمْ ... ولكنَّ أصْلَ العُود مِن حَيث يُنْزَعُ)
يقول أخوالي كانوا كراما ولكني أذهب إلى أعمامي كما ينزع العرق إلى أصله
(ولا تَحْسبنِّي خاذِلاً مُتخلِّفاً ... ولا عَيْنَ صَيْد مِن هَواي ولعلَعُ)
عين صيد ولعلع من آخر السواد إلى البر فيما بين البصرة والكوفة ولعلع كان سجن الحجاج بن يوسف
وقال المتلمس في ذلك أيضا
(لَعلّك يَوماً أن يَسرُّك أنّني ... شَهِدتُ وقد رَمَّتْ عِظَاميَ في قَبري)
(وتُصبِح مَظْلوماً تُسامُ دَنِيَّةً ... حَريصاً على مِثْلي فَقيراً إلى نَصْري)
(ويَهْجُرك الإخْوانُ بعدي وتُبْتَلَى ... وينْصُرُني مِنكَ الإلهُ ولا تَدْري)
(ولو كُنْتُ حَيًّا يومَ ذلِك لم تُسمْ ... له خطَّةً خَسْفاً وشُووِرْتُ في الأمر)
قال
وفي ذلك يقول
(ولو غَير أخْوالي أرادوا نَقيصتي ... جَعلتُ لهم فوق العرانين مِيسمَا)
(أحارث إنا لو تُساط دماؤُنا ... تَزايلْن حتى لا يَمسّ دمٌ دَما)
يقول لو خلطت دماؤنا ودماؤكم لتزايلت وتميزت من بعد ما بيننا وهذا كما قال الآخر
(لَعمرك إنني وأبا رياحٍ ... على طول التَّهاجُر مُنذُ حِين)
(ليُبْغِضنِي وأبغضه وأيضاً ... يَراني دُونه وأراه دُوني)
(فلو أنّا على حَجَرٍ ذُبِحْنا ... جرَى الدَّمَيان بالخَبر اليَقين)
ما يعاب في شعره وما يتمثل به
قال ابن قتيبة
وما يعاب من قول المتلمس قوله
(أحارثُ إنَّا لو تُساط دماؤُنا ... تَزايلن حتى لا يَمسَّ دمٌ دَمَا)
وهذا من الكذب والإفراط ومثله قول رجل من بني شيبان كنت أسيرا مع بني عم لي وفينا جماعة من موالينا في أيدي
التغالبة فضربوا أعناق بني عمي وأعناق الموالي على وهدة من الأرض فكنت والله أرى دم العربي ينماز من دم المولى
حتى أرى بياض الأرض من بينهما فإذا كان هجينا قام فوقه ولم يعتزل عنه
وقال ابن قتيبة ويتمثل من شعر المتلمس بقوله
(وأعْلَمُ عِلمَ حَقٍّ غَيْرَ ظَنٍّ ... وتَقوى اللّه مِن خَيْر العَتادِ)
(لَحِفْظُ المالِ أيْسرُ من بُغاهُ ... وضَرْب في البلاد بغَير زادِ)
(وإصْلاحُ القَليل يَزيدُ فيه ... ولا يَبقى الكثيرُ على الفساد)
وقال أبو علي الحاتمي
أشرد مثل قيل في البغض قول المتلمس
(أحارثُ إنّا لو تُساط دماؤُنا ... تَزَايلن حتى لا يَمس دمٌ دَمَا)
حكى ذلك أبو عبيدة وزعم أنه أسير مثل في البغض
قال
وأشرد مثل قيل في الفخر بالأمهات قوله أيضا
(يُعيرني أُمّي رِجالٌ ولن تَرَى ... أخَا كَرَمٍ إلا بأنْ يَتكرَّمَا)
(وهل لِيَ أمٌّ غَيرُها إنْ تَركتُها ... أبى اللّهُ إلا أن أكُونَ لها ابْنَما)
قال
وأشرد مثل قيل في اعتداد بني العم والكف عن مقاتلتهم بفعلهم قوله
(وما كُنْتُ إلا مِثْل قاطعِ كَفه ... بكَفٍّ له أُخْرَى فأصبح أجْذَمَا)
(يداه أصابتْ هذه حَتفَ هذه ... فلم تَجد الأُخْرَى عليها تَقَدُّما)
(فلما استْقاد الكَف بالكَفِّ لم يَجدْ ... له دَركاً في أن تَبِينا فأحْجَما)
(فأطْرق إطراقَ الشُّجاع ولو يَرى ... مَسَاغاً لنابَيْه الشُّجاعُ لصَمما)
قال أبو عبيدة
يريد أنه فيما صنع به أخواله بمنزلة من قطع إحدى يديه بالأخرى فلو هجاهم وكافأهم كان بمنزلة من قطع يده الأخرى
فبقي أجذم فأمسك عنهم
قال أبو علي

والبيت الأخير يضرب مثلا للرجل يقصر إلى أن تمكنه الفرصة
قال أبو عبيدة
ولم أسمع لأحد بمثل هذه الأبيات حكمة وأمثالا من أولها إلى آخرها وفيها من الأمثال السائرة ما يضرب مثلا للحكيم يذكر به عند نسيانه
(لذي الْحِلم قَبل اليوم ما تُقْرع العصا ... وما عُلِّم الإنسانُ إلا ليَعْلما)
وفيها من شارد الأمثال
(إذا لم يزل حبْلُ القَرينَين يَلْتَوي ... فلا بُدَّ يوماً من قُوىً أن تَجذَّمَا)
قال أبو علي
وأشرد مثل قيل في حفظ المال وتثميره قوله
(قَليل المال تُصلحه فَيبقى ... ولا يَبقى الكَثِير مع الفَسادِ)
(وحِفظ المال أيسرُ من بُغاه ... وسَيْر في البِلادِ بغَير زاد)